الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

المحرم ١٤٣٠ هـ - يناير ٢٠٠٩ م - الجزء (١) السنة (٨٢)

هدية العدد: الإسلام كما يراه الأوربيون

إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم

AZHAR MAGAZINE

Al-Muharram 1430 A.H - Jan. 2009
VOL. 82 Part I



بسم الله الرحمن الرحيم





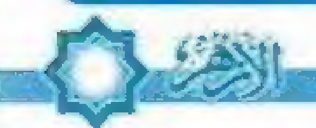
الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية [illegible] دولارا أمريكيا
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق [illegible] ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩

المحرم ١٤٣٠ هـ - يناير ٢٠٠٩م - الجزء الأول - السنة (٨٢)



من أمراض المجتمع

ثقافة القشور الهشة

قل نصيب الإنسان من المعرفة الصحيحة هذه الأيام مع تعدد وسائلها، وانتشار أدواتها؛ فالجامعات تربى وتخرج، والمطابع تخرج الكتب والصحف، وندوات المحاضرات وأحاديث الإذاعات لا تقف عند حد، ومع ذلك ترى أبناء اليوم لا يتناولون غير القشور، وقل أن تجد من يعكفون على اللباب الخالص صادقين. والاطلاع الناقص أفدح خطرا من الجهل التام؛ لأن الجاهل يعرف موضعه من العلم، ومكانه من الناس، فلا يجرؤ أن يتحدث فيما لا يعلم. أما ذو الاطلاع الناقص فهو في أكثر أمره لا يعترف بقصوره العلمي، بل يظن نفسه قد تعمق أغور التعمق حين أخذ الإجازة الجامعية، أو حين قام بالتدريس في مدرسة متوسطة أو ثانوية، أو حين جمع مكتبة يقرأ أكثر ما يقرأ منها دون فهم جيد، يصل به إلى ما يريد المؤلف من أفكار، بل يظن أنه بلغ الغاية وأوفى على النهاية، وهنا مكمن الخطورة حقا؛ لأنه يتصدر للإفتاء فيما يجهل، ويرى حقا له أن يقاطع وأن يؤيد وأن يسمع رأيه في المعضلات.

وأغرب الأشياء أن المتعمقين من المتضلعين في الاطلاع مع الفهم الصائب، والاستنباط الدقيق يعدون أنفسهم ممن لم يبلغوا في سلم العلم درجات عالية، فهم يشفقون من الإفتاء دون بحث، ويتواضعون كل التواضع حين يبدون رأياً بدا لهم بعد طول التدقيق والمعاودة، فإذا أنسوا من يعارض أقوالهم، أصاخوا أتم الإصاخة، وأسرعوا للموافقة متى اتضح وجه الحق، فإذا قارنت بين العالم المتواضع والمدعي المتكبر وقعت في دهشة حائرة، ووجدت المسألة تحتاج للعلاج.

نحن نعرف أن لكل جامعي تخصصه الذي يجب أن يتقنه، وعليه أن يعاود الرجوع إلى مصادره العلمية في كل حين كيلا تتسرب الحقائق العلمية من ذهنه، كما يتساقط الماء من القربة المثقوبة، ولكن المشاهد لدينا



في عصر التليفزيون والفيديو والسينما والكرة، وما لا أدرى من وسائل اللهو غير المفيد في أكثره، أن الذين يحوزون الدرجة العالية، ويتأهلون لمزاولة أعمالهم الفنية، لا يعكفون على الدراسة كما كانوا في عهود الطلب، بل يكتفون بقشورهم التي درسوها من قبل، ومنهم من ساعده حسن الحظ على اجتياز المرحلة دون استعداد كبير، ولكنهم جميعاً يتولون من المناصب القيادية ما يحتم عليهم أن يكونوا من ذوي الكفاءة العلمية.

وأوجب ما يفرض في هذه الحالات أن يكون الاطلاع المتواصل ديدنهم الدائب حتى يواجهوا مواقف الرأي العلمي في ثقة وإيقان، وحتى يحوزوا مواضع التقدير لدى من يواجهونهم بالرأي والفكر والنظر، ولكن هذا الواجب المفروض شيء وما نرى من إهمال البحث وإغفال الدراسة شيء آخر، وتتوالى الأيام وينشأ على سنتهم من يكتفون بالاطلاع الناقص، فيبيتون أكثر مما يحسنون، ويحسبون أنفسهم على شيء، وهم واهمون.

ولعل في ضرب الأمثلة العامة دون تحديد للأشخاص ما يكشف بعض الشيء عن مواطن الخطر لدى من فرغوا إلى أعمالهم المهنية دون أن يتسلحوا بالاطلاع الخصيب، وما نريد في هذا المقال وما يشابهه من مقالات التوجيه الإصلاحي أن نؤلم أحداً قدر ما نريد أن نقرع النواقيس لإيقاظ النائمين.

يتخرج بعضهم، وقد نال إجازة تؤهله للإشراف الاجتماعي في مدرسة أو مصحة أو مصنع كبير، فيتولى علاج الأزمات الطارئة بما ألمّ من الأسباب ودرس من الوسائل فيأتيه طالب لاحظت المدرسة قصوره الذهني، وانصرافه عن الدرس، وبدل أن يسمر مع الطالب في حديث أبوي يصل به إلى مصدر الداء تراه يكتفي بالأسئلة التقليدية، فيقول له: ألديك إخوة في المنزل؟ فإذا قال نعم، قال: وما ترتيبك الزمني؟ فإذا أجاب بأنه أول مولود، صاح: هنا موضع الخطر، لقد نشأت مدللا منعماً، ولم تتعود أي مسئولية؛ لأن المنزل احتضنك دون أن يأخذك بالتشدد الدقيق، وإذا قال: إنه المولود الثاني صاح به: أنت تعاني نقصاً حين تجد أخاك الكبير يقوم بأحسن مما تقوم به من الأعمال، ولذلك تبغضه في نفسك وإن لم تشعر بذلك، فإذا كان الأخوات والإخوة جمعاً كبيراً، صاح: هنا مكمن الداء، والدكم منصرف، وأمكم مثقلة بأعمال المنزل، وأنتم تتنازعون وتتخصمون، وهذا سبب انصرافك عن الدرس، عليك ألا تهتم إلا بنفسك، واحذر إخوتك فهم يتنافسون معك، ولا يرعى أحد غير مصلحته الذاتية! وهكذا يخرج التلميذ وقد ساء ظنه في منزله،

واعتقد الباطل في إخوته بمشورة المشرف الاجتماعي صاحب القشور العلمية التي تضر ولا تنفع لأنها تكتفي بالسطح الخادع دون أن تلج إلى الأعماق.

مثال آخر: يتخرج بعضهم وقد نال إجازة في علم النفس تؤهله لأن يكون طبيباً في عيادة نفسية، فيأتيه مريض يعاني رهقاً نفسياً يتطلب العلاج، وقد يكون مراهقاً ناشئاً يمر بأزمة ما، فيسأله الطبيب النفسي: ما علاقة أبيك بك؟ فإذا قال: إنه دائم النصيحة لي، وأنه يحاسبني على إهمال واجبي، صاح من فوره: أبوك لا يحبك لأنه يرى أمك استأثرت بك وأهملته، وتلك عقدة معروفة تعرف بعقدة (أوديب) وإذا جاءته فتاة مريضة ولها موقف مماثل، صاح بها بعد أن يسألها السؤال التقليدي عن موقف والدتها منها: أمك لا تحبك لأنها تؤثر البنين وقد لاحظت عطف أبيك عليك فكرهتك لأنه يقلل بذلك من الاهتمام بها! وتلك عقدة نفسية معروفة أيضاً، ويخرج المريض وقد زاد سوءاً على سوء، بل يخرج عدواً لأحب الناس لديه استجابة لملاحظة الطبيب النفسي (العميق).

أما المثال التالي فكلنا يعرفه، هو صاحب الاطلاع الديني المبتور، الذي يحفظ آية كريمة أو آيات، ويضم إليها بعض الأحاديث، وقد يعكف على كتاب واحد لا يتعداه، ثم هو يواجهك قائلاً: إنه لا يتقيد بمذهب فلان أو فلان من الأئمة الأعلام وأن أبا حنيفة أخطأ، والشافعي لم يلتفت للحديث النبوي، ومالكاً يخالف ما ورد في البخاري، وابن حنبل لم يستعمل القياس الأصولي، وتستمع إليه مغيظاً ثم تناقشه في هدوء، فيطاول باللفظ، ويصخب بالضجيج وكأنه يحاول أن يجمع الناس من الطريق ليستمعوا إليه، وهيهات لمثله أن يعرف قدر نفسه، فالنص القرآني الذي لا يفهم مدلوله، والحديث النبوي الذي لا يعرف درجته من الصحة والتوثيق والحكم الفقهي المبتور، الذي التقطه من صحيفة قد لا تكون محلاً لثقة العارفين، كل ذلك أدواته التي تساعد على الصخب والضجيج، فإذا طلبت إليه أن يرجع إلى عالم متخصص، صاح محتجاً، ليس في الإسلام كهنوت، كلنا رجال دين!

هذا هو صاحب القشور، ممن لا يحملون المؤهلات الرسمية، والطامة لا تقف عنده وحده؛ لأن الإفتاء الديني قد تصدى له بعض ذوي المؤهلات العلمية من خريجي الكليات الأزهرية، والشهادة الجامعية الأزهرية وحدها ليست جواز مرور للإفتاء الديني، فبكل طائفة: من نجح عن أصالة ومن واتاه الحظ فنال الإجازة عفواً، والإفتاء الديني يتطلب أنماطاً رفيعة من ذوي الاطلاع والاستنباط، ولأمر ما ألفت لجان

الفتوى التي تضم عدة فقهاء لا فقيهاً واحداً، كي تتعاون العقول على الاهتداء إلى الحق الصحيح، وهذا ما يجب أن يكون عند الإفتاء في الأمور المستحدثة التي جدت بعد عصور الاجتهاد الماضية في عهود أئمة المذاهب، ولكن الجرائد اليومية، والمجلات الأسبوعية، والإذاعات المرئية والمسموعة، تخص أبواباً للسؤال الفقهي والإجابة عنه، ثم تستدعي في بعض الأحيان من يلبس العمامة من أئمة المساجد أو أساتذة المعاهد، ولا أنكر أن فيهم فضلاء يستفتون فيفتون عن جدارة وتمكن، كما لا أنكر أن فيهم من يجرؤ على الفتوى دون استعداد فقهي، وقد تكون الفتوى في موضوع دقيق يترتب عليه شتات أسرة ملتئمة، والمفتي لا يلقي بالاً لخطورة ما يتصدى له، ولكنه يسارع بالفتوى الخاطئة بلا هدى أو كتاب منير، فتسير مسرى الهشيم في أسرة مطمئنة، وهي بعيدة عن الصواب.

لقد كنت أستمع إلى إذاعة القرآن الكريم ذات يوم، ولهذه الإذاعة فضائل لا تحد، ولكن وقوع الخطأ في برنامج السائل والمجيب مرة واحدة أو مرات متفرقة، يحتم عليها أن تختار باعتناء من يتصدرون للإفتاء، أقول: كنت أستمع إلى هذه الإذاعة المخلصة الهادفة ذات يوم، فرأيت من يسأل حائراً، عن جدة له أخبرته منذ أسبوع أن زوجته التي مكثت معه اثنتي عشرة سنة، وأنجب منها أربعة أولاد، قد رضعت من أمه، فهي أخته؟ وقد ظلت الجدة ساكتة هذا الأمد الطويل، حتى قالت اليوم ما قالت؟ أو يدري القارئ ماذا كانت الإجابة؟ كانت إجابة الشيخ المتسرع تنص على أن الزواج باطل، وأن على الزوج أن يترك زوجته إذ أصبحت أخته! هكذا تنطلق الفتوى القاصمة دون ضابط ما!!

وقد سارعت تبرئة للذمة أمام الله، بكتابة رد على الفتوى، ذكرت فيه، أن الرضاع لا يثبت بشهادة امرأة واحدة، بل لابد من شهادة امرأتين! وأن هذه الجدة ليست عادلة مؤتمنة؛ لأنها سكتت اثنتي عشرة سنة دون أن تنطق بما تقول اليوم؟ ولو كانت مؤتمنة لحذرت قبل الزواج! ولم يكن الرد مقصوراً على اتجاهي، فلست من أرباب الفتوى الأصلاء، بل شفعته بفتويين متماثلتين، أفتت بهما لجنة الفتوى بالأزهر، برياسة فضيلة وكيل الأزهر وعضوية ممثلين عن المذاهب الأربعة!

ونشرتا بعددين من مجلة الأزهر، إذ جاء في عدد ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ هـ ص ٢١٦ سؤال من شاب يريد أن يتزوج ابنة عمه، ولكن خالته قالت - وهي أم الفتاة - أيضاً: إنها أرضعت الشاب أكثر من خمسة

عشر يوماً، ولا يوجد من يؤيد أو ينفي أقوالها، فهل يجوز العقد؟ فكان رد اللجنة ما يلي:

(يرى علماء المذاهب الثلاثة: الحنفية والشافعية والمالكية، أن الرضاع لا يثبت بشهادة امرأة واحدة، ولما كان واضحاً من السؤال أن الرضاع المستفتى عنه لم تشهد به إلا امرأة واحدة هي المرضعة فلا يكون حراماً على السائل أن يتزوج بابنة عمه التي يريد الزواج بها).

هذا رأي اللجنة في الإقدام على الزواج! فكيف نخالفه في أسرة قد بنيت منذ اثنتي عشرة سنة، وأنجبت أربعة أولاد!

أما الفتوى المماثلة الثانية فقد نشرت بعدد شعبان سنة ١٣٦٠ هـ من مجلة الأزهر ص ٥٣٩ رداً على سؤال يقول صاحبه: إن امرأة ادعت إرضاعها لبنت عمها، ثم إن الرضيعة رزقت بابنة لها فأراد المولود الثاني من المرأة المدعية التزوج من بنتها، فما الحكم؟

فقالت اللجنة: إن الرضاع لا يثبت عند الأئمة مالك والشافعي وأبي حنيفة بقول امرأة واحدة، ولو توفرت فيها شروط العدالة، وكذلك في إحدى الروايات عن الإمام أحمد بن حنبل.. ولذلك تفتي اللجنة بأن الرضاع المذكور في السؤال لم يثبت شرعاً، ولا بأس بأن يتزوج الابن المشار إليه بالبنت التي يريدها!

أجل، سارعت بكتابة الرد، وأرسلته إلى إذاعة القرآن، لتصحح الوضع، أو تعرض خطابي على لجنة علمية، لتقطع بالمنطق الفصل، ولكن الإذاعة آثرت السكوت، ولا أدري عنوان المستفتي فأكتب إليه! وأسأل عن سكوت الإذاعة فلا أجد التعليل المريح!! أفيجوز هذا؟!

هذه أمثلة لم أشأ أن أسترسل في ذكر نظائرها الكثيرة، وهي كلها تؤكد ما أعنيه من خطر الاطلاع الناقص، والنقل المبتور، في كل فرع من فروع المعرفة ديناً واجتماعاً، وتربية وعلم نفس، فلابد أن نشدد النكير على من يتصدر للإفتاء دون علم؛ لأنه يضر كثيراً، ولا ينفع في شيء، بل إنه يسقط البترول على النار ليمتد اللهيب، على أن المسألة خلقية قبل أن تكون علمية؛ لأن صاحب الضمير الحي يمتنع عن القول المجازف دون تأهل، ويفقد انتماءه للسلوك الإسلامي الذي ينص على الحيطة، ويحمي من الزلل، ويعرف لكل إنسان جهده المعلوم.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾

(الآية : ١)

افتتحت السورة الكريمة بهذا النداء الشامل لجميع المكلفين من وقت نزولها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأن لفظ الناس لا يختص بقبيل دون قبيل، ولا بقوم دون قوم، وقد دخلته الألف واللام المفيدة للاستغراق؛ ولأن ما في مضمون هذا النداء من إنذار وتبشير وأمر بمراقبة الله وخشيته، يتناول جميع المكلفين لا أهل مكة وحدهم كما ذكره بعضهم؛ لأن تخصيص قوله - تعالى - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ بأهل مكة تخصيص بغير مخصص.

والمراد بالنفس الواحدة هنا: آدم - عليه السلام - وقد جاء الوصف وهو واحدة بالتأنيث باعتبار لفظ النفس فإنها مؤنثة.

ومن في قوله ﴿ مِنۡهَا ﴾ للتبعيض والضمير المؤنث

«ها» يعود إلى النفس الواحدة.

والمراد بقوله - تعالى -: ﴿زَوْجَهَا﴾ حواء، فإنها أخرجت من آدم كما يقتضيه ظاهر قوله - تعالى - ﴿مِنْهَا﴾.

قال الفخر الرازي ما ملخصه: «المراد من هذا الزوج هو حواء. وفي كون حواء مخلوقة من آدم قولان:

الأول: وهو الذي عليه الأكثرون: أنه لما خلق الله - تعالى - آدم ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه، فلما استيقظ رآها ومال إليها وألفها، لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه. واحتجوا عليه بقول النبي ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها».

والقول الثاني: وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني: أن المراد من قوله ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من جنسها.

وهو كقوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (النحل: ٧٢)

وكقوله: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ آل عمران: ١٦٤)

وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨)

قال القاضي: والقول الأول أقوى، لكي يصح قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة»(١).

وقد تضمن هذا النداء لجميع المكلفين تنبيههم إلى أمرين:

أولهما: وحدة الاعتقاد بأن ربهم جميعا واحد لا شريك له. فهو الذي خلقهم وهو الذي رزقهم، وهو الذي يميتهم وهو الذي يحييهم، وهو الذي أوجد أبيضهم وأسودهم، وعربيهم وأعجميهم.

وثانيهما: وحدة النوع والتكوين، إذ الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم قد انحدروا عن أصل واحد وهو آدم - عليه السلام -.

فيجب أن يشعر الجميع بفضل الله عليهم. وأن يخلصوا له العبادة والطاعة، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن يوقنوا بأنه لا فضل لجنس على جنس، ولا للون على لون إلا بمقدار حسن صلتهم بربهم ومالكهم ومدبر أمورهم.

والمعنى: يا أيها الناس اتقوا ربكم بأن تطيعوه فلا تعصوه، وبأن تشكروه فلا تكفروه، فهو وحده الذي أوجدكم من نفس واحدة هي نفس أبيكم آدم، وذلك من أظهر الأدلة على كمال قدرته - سبحانه -، ومن أقوى الدواعي إلى اتقاء موجبات نقمته، ومن أشد المقتضيات التي

(١) تفسير الفخر الرازي جـ٩ ص١٦١ طبعة عبد الرحمن محمد- الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧هـ سنة ١٩٣٨م.

تحملكم على التعاطف والتراحم والتعاون فيما بينكم، إذ أنتم جميعا قد أوجدكم - سبحانه - من نفس واحدة.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: «فإن قلت: الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته، أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويحث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها؟

قلت: لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة. ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء، ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم، فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها. أو أراد بالتقوى تقوى خاصة، وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل: اتقوا ربكم الذي وصل بينكم، حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض، فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة»(٢).

وقوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ معطوف على قوله ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أو معطوف على محذوف والتقدير: خلقكم من نفس واحدة ابتدأها وخلق منها زوجها.

ثم بين - سبحانه - ما ترتب على هذا الازدواج من تناسل فقال: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ والبث معناه: النشر والتفريق. يقال: بث الخيل في الغارة، أي فرقها ونشرها. ويقال: بثثت البسط إذا نشرتها. قال - تعالى -: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ (الغاشية: ١٦) أي منشورة.

والمعنى: ونشر وفرق من تلك النفس الواحدة وزوجها على وجه التوالد والتناسل، رجالا كثيرا ونساء كثيرة.

والتعبير بالبث يفيد أن هؤلاء الذين توالدوا وتناسلوا عن تلك النفس وزوجها، قد تكاثروا وانتشروا في أقطار الأرض على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، وأن من الواجب عليهم مهما تباعدت ديارهم، واختلفت ألسنتهم وأشكالهم أن يدركوا أنهم جميعا ينتمون إلى أصل واحد، وهذا يقتضي تراحمهم وتعاطفهم فيما بينهم وقوله ﴿كَثِيرًا﴾ صفة لقوله ﴿رِجَالًا﴾ وهي صفة مؤكدة لما أفاده التنكير من معنى الكثرة. وجاء الوصف بصيغة الإفراد، لأن ﴿كَثِيرًا﴾ وإن كان مفردا لفظا إلا أنه دال على معنى الجمع. واستغنى عن وصف النساء بالكثرة، اكتفاء بوصف الرجال بذلك، ولأن الفعل ﴿وَبَثَّ﴾ يقتضي الكثرة والانتشار.

وقال الفخر الرازي: خصص وصف الكثرة بالرجال دون النساء، لأن شهرة الرجال أتم، فكانت كثرتهم أظهر، فلا جرم خصوا بوصف الكثرة. وهذا كالتنبيه على أن اللائق بحال الرجال

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٦٣.

الاشتهار والخروج والبروز. واللائق بحال النساء الاختفاء والخمول».(٣)

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ تكرير للأمر بالتقوى لتربية المهابة في النفس وتذكير ببعض آخر من الأمور الموجبة لخشية الله وامتثال أوامره.

وقوله ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ أصلها تتساءلون فطرحت إحدى التاءين تخفيفا. وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي.

وقرأ الباقون ﴿تَسَّاءَلُونَ﴾ بالتشديد بإدغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس.

والأرحام: جمع رحم وهي القرابة. مشتقة من الرحمة، لأن ذوي القرابة من شأنهم أن يتراحموا ويعطف بعضهم على بعض.

وكلمة ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قرأها الجمهور بالنصب عطفا على اسم الله تعالى.

والمعنى: واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضا به، بأن يقول له على سبيل الاستعطاف: أسألك بالله أن تفعل كذا، أو أن تترك كذا. واتقوا الأرحام أن تقطعوها فلا تصلوها بالبر والإحسان، فإن قطيعتها وعدم صلتها مما يجب أن يتقى ويبعد عنه، وإنما الذي يجب أن يفعل هو صلتها وبرها.

وقرأها حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور في (به). أي: اتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام بأن يقول بعضكم لبعض مستعطفا أسألك بالله وبالرحم أن تفعل كذا.

وقد كان من عادة العرب أن يقرنوا الأرحام بالله - تعالى - في المناشدة والسؤال فيقولون: أسألك بالله وبالرحم.

ولم يرتض كثير من النحويين هذه القراءة من حمزة، وقالوا: إنها تخالف القواعد النحوية التي تقول: إن عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور المتصل بدون إعادة الجار لا يصح، لأن الضمير المجرور المتصل بمنزلة الحرف، والحرف لا يصح عطف الاسم الظاهر عليه، ولأن الضمير المجرور كبعض الكلمة لشدة اتصاله بها، وكما أنه لا يجوز أن يعطف على بعض الكلمة، فكذلك لا يجوز أن يعطف عليه. إلى غير ذلك مما قالوه في تضعيف هذه القراءة. وقد دافع كثير من المفسرين عن هذه القراءة التي قرأها حمزة. وأنكروا على النحويين تشنيعهم عليه.

ومما قاله القرطبي في دفاعه عن صحة هذه القراءة: ومثل هذا الكلام - أي من النحويين - مردود عند أئمة الدين، لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواترا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به.

وهذا مقام محذور، ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو، فإن العربية تتلقى من النبي ﷺ ولا يشك أحد في فصاحته.

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ ٩، ص ١٦٢.



ثم قال: والكوفي يجيز عطف الظاهر على الضمير المجرور ولا يمنع منه، ومنه قولهم:

فاذهب فما بك والأيام من عجب(٤)

ومما قاله الفخر الرازي في ذلك: «واعلم أن هذه الوجوه - أي التي احتج بها النحويون في تضعيف قراءة حمزة - ليست وجوها قوية في رفع الروايات الواردة في اللغات؛ وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة، ولم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله ﷺ، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت.

وأيضا فلهذه القراءة وجهان:

أحدهما: أنها على تقدير تكرير الجار.

كأنه قيل: تساءلون به وبالأرحام.

وثانيهما: أنه ورد ذلك في الشعر ومنه:

تعلق في مثل السواري سيوفنا

وما بينها والكعب غوط نفانف

ثم قال: والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بمثل هذه الأبيات المجهولة، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد، مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن»(٥)

هذا، وهناك قراءة بالرفع. قال الآلوسي: وقرأ ابن زيد ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي والأرحام كذلك أي مما يتقى لقرينة ﴿اتَّقُوا﴾ أو مما يتساءل به لقرينة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾(٦)

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بما يحمل العقلاء على المبالغة في تقوى الله، وفي صلة الرحم فقال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أي حافظا يحصي عليكم كل شيء. من رقبه إذا حفظه.

أو مطلعا على جميع أحوالكم وأعمالكم، ومنه المرقب للمكان العالي الذي يشرف منه الرقيب ليطلع على ما دونه.

وقد أكد - سبحانه - رقابته على خلقه، واطلاعه على جميع أحوالهم بأوثق المؤكدات. فقد أكد - سبحانه - الجملة الكريمة بإن، وبتكرار لفظ الجلالة الذي يبعث في النفوس كل معاني الخشية والعبودية له، وبالتعبير بكان الدالة على الدوام والاستمرار، وبذكر الفوقية التي يدل عليها لفظ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ إذ هو يفيد معنى الاطلاع الدائم مع السيطرة والقهر، وبالإتيان بصيغة المبالغة وهي قوله: ﴿رَقِيبًا﴾ أي شديد المراقبة لجميع أقوالكم وأعمالكم فهو يراها ويعلمها ويحاسبكم عليها يوم القيامة.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة: وجوب مراقبته - سبحانه - وخشيته وإخلاص العبادة له،

(٤) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٣ وما بعدها- بتصرف وتلخيص.
(٥) تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ١٦٣- بتصرف وتلخيص.
(٦) تفسير الآلوسي جـ ٤ ص ١٨٥

لأنه هو الذى أوجدهم من نفس واحدة، وهو الذى أوجد من هذه النفس الموحدة زوجها، وهو الذى أوجد منها عن طريق التناسل الذكور والإناث الذين يملؤون أقطار الأرض على اختلاف صفاتهم وألوانهم ولغاتهم، وهو الذى لا تخفى عليه خافية من أحوالهم، بل هو مطلع عليهم وسيحاسبهم على أعمالهم يوم الدين، ومن كان كذلك فمن حقه أن يُتقى ويُخشى ويُطاع ولا يُعصى.

كما أخذوا منها جواز المسألة بالله - تعالى - لأنه - سبحانه - قد أقرهم على هذا التساؤل؛ لكونهم يعتقدون عظمته وقدرته.

وقد ورد فى هذا الباب أحاديث متعددة منها ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه. ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئون به فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه».

نعم من أداه التساؤل باسمه - تعالى - إلى التساهل فى شأنه، وجعله عرضة لعدم إجلاله، فإنه يكون محظورا قطعا. وعليه يحمل ما ورد من أحاديث تصرح بلعن من سأل بوجه الله. ومنها ما رواه الطبرانى عن أبى موسى الأشعرى مرفوعا: ملعون من سأل بوجه الله. وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً. أى ما لم يسأل أمرا قبيحا لا يليق.

كما أخذوا منها أيضا وجوب صلة الرحم، فقد جعل - سبحانه - الإحسان إلى الآباء وإلى الأقارب فى المنزلتين الثانية والثالثة بعد الأمر بعبادته فقال:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ (النساء: ٣٦)

ومن الأحاديث التى وردت فى وجوب صلة الرحم ما رواه البخارى عن أبى هريرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سره أن يبسط له فى رزقه، وأن ينسأ له فى أجله، فليصل رحمه».

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن عائشة -رضى الله عنها- عن النبى ﷺ قال: «الرحم معلقة بالعرش. تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله».

وأخرج البخارى عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال: ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها.

إلى غير ذلك من الأحاديث التى وردت فى الترغيب فى صلة الرحم والترهيب من قطيعها.



السنة
الإسلام والمسلمون

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة - رضى الله - عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تجىء الأعمال يوم القيامة، فتجىء الصلاة فتقول: يارب، أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، وتجىء الصدقة فتقول: أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ثم يجىء الصيام فيقول: أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجىء الأعمال، كل ذلك يقول الله تعالى: إنك على خير، ثم يجىء الإسلام، فيقول: يارب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول تعالى: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطى، قال الله تعالى فى كتابه:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥)

الشرح والبيان: الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده، ولا يقبل منهم ديناً سواه، وقد أكد الله - عز وجل - ذلك فى كتابه العزيز، وأكده رسول الله ﷺ فى أحاديثه الشريفة. قال تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران:١٩)

هكذا أخبر الله سبحانه أنه لا يقبل ديناً من أحد من السابقين أو اللاحقين سوى الإسلام، فما الإسلام؟.. الإسلام هو اتباع الرسل - عليهم السلام - فيما بعثهم الله به على مرّ العصور وتتابع الأجيال، قال تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى:١٣)

وختم الله الأنبياء والمرسلين بالبشير النذير الرسول الكريم محمد ﷺ، وببعثه ﷺ سد الله - عز وجل - جميع الطرق إليه إلا من جهة رسول

الله محمد ﷺ، فمن لقى الله - عز وجل - بعد بعثه ﷺ بدين غير دينه، أو بشرع غير الذى جاء به - فليس بمقبل كما أخبر سبحانه.. قال تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

(آل عمران:٨٥)

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تجىء الأعمال يوم القيامة، فتجىء الصلاة فتقول: يارب، أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير. وتجىء الصدقة فتقول: أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ثم يجىء الصيام فيقول: أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجىء الأعمال، كل ذلك يقول الله تعالى: إنك على خير، ثم يجىء الإسلام، فيقول: يارب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول تعالى: «إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطى». قال الله تعالى فى كتابه:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

(آل عمران:٨٥)

ثم يخاطب الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ قائلاً:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

(آل عمران:٢٠)

والمعنى: فإن جادلوك فى التوحيد الذى تدعو إليه والذى دعا إليه الأنبياء من قبلك - فأخبرهم أنك أخلصت عبادتك لله وحده، لا شريك له، ولا ندّ ولا ولد ولا صاحبة:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

(الأنعام:١٦٢-١٦٣)

وكل من اتبعنى فهو على دينى، يقول مقالتى، ويعمل بعملى.. ثم أمر الله - عز وجل - عبده ورسوله محمداً ﷺ أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول فى شرعه وما بعثه الله به، وأن يخاطب بذلك أهل الكتاب والأميين من المشركين، وهذه الآية وأمثالها من أصرح الآيات الدالة على عالمية رسالته، وعلى عموم بعثه ﷺ إلى جميع الخلق كما هو معلوم من الدين بالضرورة، وقد تعددت الآيات الدالة على ذلك فى كتاب الله - عز وجل، منها قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

(سبأ:٢٨)

وقوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء:١٠٧)

وقوله:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾

(الفرقان:١-٢)

، هذا وقد ثبت بالتواتر فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك وطوائف بنى آدم على اختلاف أجناسهم وأديانهم، عرباً وعجماً، أميين وكتابيين، امتثالاً لأمر الله له بذلك، فمن بلغته الدعوة ولم يؤمن به ﷺ فهو من أهل النار، روى مسلم رحمه الله عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودىٌّ ولا نصرانىٌّ ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به - إلا كان من أهل النار»، وهذا الدين - دين الإسلام - هو الذى وعد الله بنصره، والله لا يخلف الميعاد، وقد تكرر هذا الوعد فى مواضع كثيرة فى كتاب الله - عز وجل - منها قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

(الفتح:٢٨)

فى هذه الآية وعد من الحق - تبارك وتعالى - بأن يظهر دين الإسلام على كل دين، سواء كان هذا الدين سماوياً حرفه أصحابه، أم أرضياً وضعه أربابه، روى الإمام أحمد بسنده عن تميم الدارىّ - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيزٍ ويذل ذليلاً، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذلّ الله به الكفر»، فكان تميم الدارى - رضى الله عنه - راوى الحديث - يقول: «قد عرفت ذلك الأمر فى أهل بيتى، فلقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والفخار، أما من بقى على كفره وعناده - فقد أصابه الذلّ والصغار والخزى والعار والجزية».

ثم إن هذا النصر لدين الله ليس خاصاً بزمن، وإنما هو عام، والواقع يشهد بذلك ويؤكده، فإنه - رغم تفرق المسلمين وتنازعهم وضعفهم، وطمع عدوهم فيهم وجرأته عليهم واغتصابه بعض ديارهم - برغم ذلك كله فإن وعد الله بنصرة هذا الدين - قائم ومتحقق؛ ففى كل يوم يدخل فى الإسلام عدد كبير من الخلائق فى كل أقطار الدنيا وأمصار الأرض، ومعنى هذا أن الإسلام ينتشر بقوته الذاتية حتى فى داخل الدول التى تكيد للإسلام وتحارب المسلمين وتطارد الدعاة الربانيين.. ومع هذا وغيره فإن الإسلام ينتشر بقوة فى كل دول أوروبا وأمريكا تحقيقاً لوعد الله الذى لا يتخلف، أليس هو القائل:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

(التوبة:٣٢-٣٣)

كما أن الإسلام الذى طرد من الأندلس، وقتل أتباعه، واضطهد أشياعه - عاد من جديد إلى

الأندلس نفسها عن طريق أهلها الذين اعتنقوه لما عرفوا أنه الحق المنزل من عند الله، ولا يحي هذا الذي يجري سوى أن وعد الله يتحقق، وأن هذا الدين منصور، تحقيقاً لوعد الله لرسله ولأتباعهم المؤمنين، قال تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر:٥١)

وقال:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(الصافات:١٧١-١٧٣)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(محمد:٧)

أي: إن تنصروا شريعة الله ينصركم الله.

وقال تعالى:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم:٤٧)

قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

(الحج:٤٠-٤١)

لكن لابد للحق من قوة تحميه، ولابد للأمة من درع واقية تصد عنها هجمات المعتدين، وطغيان الظالمين، والذين يقومون بهذا الواجب المقدس هم أشرف الخلق بعد رسل الحق، هم الذين آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، هم الذي جاهدوا في الله حق جهاده، وأبلوا في سبيل الله بلاء حسناً، ففي الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: «أي العمل أفضل؟» قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله»، وقد روى الإمام البخاري أن رجلاً قال: يا رسول الله، دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده»، ثم قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك، فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر»، فقال الرجل: ومن يستطيع ذلك؟!.

فينبغي علينا- معاشر المسلمين- أن نعتز بالإسلام الذي أعزنا الله به، فمن اعتز بغيره حاق به الذل والهوان، وأصابه الخزي والعار، ولن يضار الإسلام بذلك، لأنه منصور على كل حال بوعد الكريم المتعال، فقد روى مسلم - رحمه الله - عن ثوبان - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله زوى لي الأرض- أي: جمع لي الأرض وطواها- فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها».

فينبغي أن نعتز بالله وبالإسلام، لقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يقول: «والله لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، ولو طلبنا العزة في غيره أذلنا الله».. ولذلك نؤكد أنه من اعتز بغير الله ذل، والله غني عنه، فإذا أراد المسلمون تحقيق النصر فعليهم أن يكونوا مؤمنين بمعنى الكلمة، فإن الله -عز وجل- وعد المؤمنين وليس المسلمين، وعليهم أن يلتزموا بآداب الإسلام، وأن يطبقوا شرعه، وأن ينصروه في كل الساحات، في أنفسهم، وفي أهليهم، وفي مجتمعاتهم، حتى يكون الله معهم بعونه ونصره، وعلى أعدائهم بجبروته وبطشه، لقد قال الله -عز وجل- في محكم كتابه:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(المنافقون:٨)

وقد ورد في الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله ﷺ عن ربِّ العزّة- عز وجل-: «فوعزتي وجلالي لو أطعتموني لنصرتكم على أعدائكم، وإذا استعنتم بي في الشدائد أعنتكم، وإذا سألتموني كنت قريباً منكم ومجيباً لدعائكم، ولكنكم عصيتموني، فأعرضت عنكم، فوقعتم في الذلّ والعذاب المهين».

ولهذا وجب على كلِّ مؤمن، ألا يغترَّ بما عليه المشركون من مظاهر العلم والتحضر والتمدن، وألا يفتنه ذلك فيقول بقولهم ويعمل بعملهم، والله تعالى يقول عنهم في محكم كتابه:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾

(الروم:٧)

لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة فأصابوها وخسروا الآخرة، لأن الله عز وجل يعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، قال تعالى في وصفهم:

﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾

(إبراهيم:٣)

فهل ترضى- أيها المسلم- أن يكون شأنك كشأنهم، وحالك كحالهم؟! لقد حذرنا الله من هذا المصير الخطير، فقال- عز من قائل-:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾

(محمد:١٢)

وقد تكرر هذا التحذير من هذا المصير المخيف في كتاب الله - عز وجل - قال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

(آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧)

أما المؤمنون الطائعون المجاهدون الصادقون فقد وعدهم الله بالنعيم المقيم والفوز العظيم في جنات النعيم، فقال- وهو أصدق القائلين-:

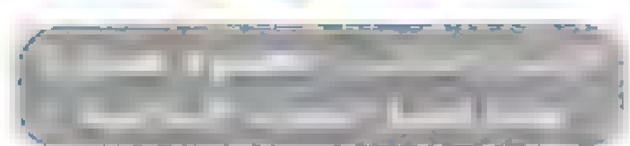
﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾

(آل عمران: ١٩٨)،

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.

مواقف إسلامية

إنما الإنسان بالإيمان



يقول الله عز وجل:

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ۝ ثم رددناه أسفل سافلين ۝ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾

(التين ٤-٦)

تمهيد :

في ليلة مقمرة.. خلا ملك البلاد بزوجته.. وربما كان منها فخر بجمالها إلى الحد الذى أحرجه.. فقال لها متحديا:

إن لم تكوني أحسن من القمر.. فأنت كذا..

وأفتى كل العلماء بالحنث.. إلا واحدا منهم هو: يحيى بن أكثم.. القاضي والذى انفرد دونهم بقوله: لا يحنث!

فلما عوتب بأنه بذلك يكون قد خالف شيوخه.. فقال يدافع عن نفسه:

الفتوى بالعلم.. وقد أفتى من هو أعلم منا: وهو الله سبحانه وتعالى فإنه يقول:

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾

(التين: ٤)

وفي هذا التقويم يقول بعض الصالحين:

(إلهنا: أعطيتنا في الأولى: أحسن الأشكال.. فأعطنا في الآخرة أحسن الفعال.. وهو: العفو عن الذنوب. والتجاوز عن العيوب.. وذلك لعمرك هو الفوز العظيم. يقول عز وجل:

﴿ ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾

(غافر: ٩)

﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾

(آل عمران: ١٨٥)

والسؤال الآن: ماهو حسن التقويم؟

والجواب: أنه تعالى خلقه: مديد القامة معتدلها، صحيح الجسم في الوقت الذى كان سواه من المخلوقات مكبا على وجهه.. كان هو منتصب القامة: يتناول حاجته بيده..

وهو وإن شارك غيره في السمع والبصر والنطق لكنه يظل متميزا على ما سواه بما أودع الله فيه من: الطبع السليم.. وملكة التمييز.. ثم الاختيار: بالعقل الذى يرتفع به من درك الحيوان.. إلى فراديس الجنان.. وبه كان الابتلاء..

ومن تمام الابتلاء أن يسلط الله – عز وجل – عليه الشيطان الذى يحاربه بسلاح الشهوة: يفسد بها قلبه.. ثم يشوش عليه بسلاح الشبهة يعطل بها عقله.. فانحدر من قمة الحسن إلى مهاوى الهلاك

وفي التعبير بـ(ثم) ما يفيد من الإنكار أن يكون مصيره كذلك.. وكان الظن أن يواصل رحلة الصعود بدل هذا الانحدار.

يستثنى من هذا المصير الرهيب

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾

فهم بإيمانهم وصلاحهم وطاعتهم لربهم.. ظلوا في شباب دائم، غدهم أفضل من يومهم.. ويومهم أفضل من أمسهم.

ويعني ذلك أن الإنسان في غيبة الإيمان في خسر: في لجة الخسران: مغموس فيه.. بل مغمور به كما يفيد حرف الجر (في)، وهذا حال ملايين البشر الذين حرموا من العقيدة

إن الإنسان منهم في غيبة الإيمان كتلة من اللحم والعظم.. حياته راكدة راقدة لا تشيء عملا ولا حركة. أما المؤمن فله من طاقة إيمانه ما يغذيه فيقوى ويتحرك مصحب في سبيل من يؤمن به ويحبه وذلك على حد قول الشاعر:

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

من مظاهر الخسران

ومن مظاهر الخسران في غيبة الإيمان ما تشير إليه آيات القرآن:

أ – حب العاجلة:

﴿ كلا بل تحبون العاجلة ۝ وتذرون الآخرة ﴾

(القيامة: ٢٠، ٢١)

إنه يحب الدنيا وبنفس القوة لا يشغل نفسه بالآخرة. وهي الحيوان لم هو سفيه خفيف العقل في لحظة غضب عابرة يدعو على نفسه بالشر تماما كما يدعو لها بالخير ومن عجلته: تسرعه في طلب كل ما يخطر بباله بلا روية وبلا تبصر.

ب – بل هو كافر بالبعث مداوم على هذا الإنكار.. وكلما تجدد دليل على ثبوته.. جدد له إنكارا.. مؤكدا إنكاره معلنا بذلك إصراره وذلك قوله عز وجل:

﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾

(مريم: ٦٦)

جـ – وهو بهذا الإنكار جهول ظلوم: يضع الشيء في غير موضعه جهلا.. من حيث حجبت الشهوات إدراكه للحق:

يقول عز وجل:

﴿ إنه كان ظلوما جهولا ﴾

(الأحزاب ٧٢)

د – ثم هو: بخيل شحيح:

﴿ وكان الإنسان قتورا ﴾

(الإسراء: ١٠٠)

﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾

(النساء: ١٢٨)

يمسك ماله غاية الإمساك: حتى عن نفسه وعمن يعول.. وإن كثر ماله.. وصدق الله العظيم

﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾

(الإسراء: ١٠٠)

هـ – ثم هو: ظلوم كفار: بالغ الظلم والكفر. متعلق مع فطرته:

فهو: مغرور: يأنس بنفسه وينسى دائما ما ينفعه وما يضره، مضطرب في أحكامه.

يقول عز وجل:

﴿ إن الإنسان لظلوم كفار ﴾

(إبراهيم: ٣٤)

و – ثم هو مُمار:

قادر على الخصام والمراء: بارع فيه

وكان عليه أن يعترف بالألوهية لمن خلقه كذلك.. بعد أن لم يكن شيئا مذكورا.

وذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾

(النحل: ٤)

وليته في خصامه يتسلح بالدليل.. وإنما هو يهوى المتقلب.. وذلك بعض ما يفهم من قوله عز وجل:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾

(الحج: ٨)

ولا يملك إلا الاستكبار والإعراض لمجرد الإعراض راغبا في صرف غيره عن الهدى.. الذي لم يهتد إليه:

﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

(الحج: ٩)

وصدق الله العظيم

﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾

(الأحقاف: ١١)

ز- ومن حبه الجدل.. لمجرد الجدل:

﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

(الكهف: ٥٤)

ح- ناكر للجميل.. كافر بالنعمة مخادع: وذلك قوله عز وجل:

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴾

(الإسراء: ٦٧)

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾

(الزمر: ٨)

ط- بل هو مغرور.. غادر.. وذلك قوله عز وجل:

﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الزمر: ٤٩)

ي- فرح فخور غير شكور.. وذلك قوله عز وجل:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾

(هود: ٩-١٠)

ولكن سلوك الإنسان المتكبر لن يمر بلا عقاب.. يقول عز وجل:

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾

(يونس: ٢١)

ك- والإنسان كنود لربه.. وذلك قوله عز وجل:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾

(العاديات: ٦-٧)

إنه كنود: يزدري القليل.. ولا يشكر الكثير: ينسى عظيم النعمة بقليل المحنة، ويلوم ربه في أيسر نقمة: تنسيه الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان.. يحب المال حبا جما وينسى الإحسان مهما كان كثيرا:

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾

(يونس: ١٢)

بل إن ذلك دأب الناس في غيبة الإيمان.. وذلك قوله عز وجل:

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾

(الروم: ٣٣)

وهكذا يبدو القرآن موضوعيا في حكمه عندما يستثني من هذا الكفران بعضهم.. ويبقى المعاندون كالعهد بهم - كما وصفهم خالقهم:

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(المؤمنون: ٧٥)

يتخبطون على غير هدى.. وحتى إذا نزل بهم العذاب فإن رقابهم تظل غليظة لا تلين للحق.. يقول عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٧٦)

يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٧)

ثم هو يغتر في ذلك رغم وقوعه انطلاقا من جبلته الظالمة الجهول:

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(الأحزاب: ٧٢)

ل- الإعراض عن المنعم سبحانه حتى وقت النعمة:

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾

(الإسراء: ٨٣)

م- والإنسان عجول: مشتقة جبلته من العجلة: فهو متسرع.. يحكم بلا روية.. ويظن بلا إشارة: وذلك قوله عز وجل:

﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾

(الإسراء: ١١)

الشيطان

ومن وراء ذلك كله عدو مبين هو الشيطان الذي يستثير جبلة الإنسان الجاحد.. فيمارس دوره في الإغراء والإغواء

يقول عز وجل:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(يوسف: ٥)

﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

(الأعراف: ٢٧)

ولاحظ ما تقرره الآية الكريمة وهو: أن الشياطين فقط يتحكمون فيمن فقد الإيمان.. والذين صاروا بهذا الخواء كلأ مباحا: يجد الشيطان فيهم غنيمة باردة.

أسلحة النصر

ولكن الإنسان بعد الإيمان يملك من أسلحة النصر ما تشير إليه سورة العصر وهي:

أ- التكافل (حث على [illegible]

ب- التوحيد

جـ- [illegible] على الحق

د- الصبر

أما بعد..

فالإيمان والعمل الصالح نصبح سفينة النجاة مما نحن فيه..

ألا وإن لكل أمة (عجلا).. وعجل هذه الأمة المال.. الدينار الذي قد يخدعنا بريقه.. فلنذهب ذلك البريق بنور الإيمان ولنجعل من (الطاعة) قارب النجاة.. قبل أن ينفض السوق ؟!!

وهنا تتجلى قيمة الإيمان في حياة الإنسان:

(إنه المرتقى الذي تصل به الفطرة القويمة إلى غاية كمالها

إنه الحبل الممدود بين الفطرة وبارئها

إنه النور الذي يكشف لها مواقع خطاها في المرتقى الصاعد إلى حياة الخالدين.)

الحوار في القرآن والسنة (٥)

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

وبعد أن أدار هرقل هذه المحاورة الدقيقة، وانتهى من الأسئلة المحكمة، والإجابة التي أفهمها وعرف جوانب ما تدل عليه، كون صورة استنتجها بمنطقه السليم، مع أنه لم تكن له معرفة بالرسول ﷺ من قبل، ومع هذا فقد كانت صورة صحيحة، رتب نتائجها على مقدمات سليمة، هي تلك التي تحدثنا عنها في الأسئلة السابقة أما النتائج التي توصل إليها هرقل فهي ما يأتي

لقد قال هرقل للترجمان: قل له سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، والمعنى: أن الرسل عليهم السلام، يبعثون في أفضل أنسابهم وأشرفها، والحكمة في ذلك أنه أبعد من انتحال الباطل، فالإنسان الذي يتمتع بالشرف وأصالة المعدن - غالباً - لا يميل إلى انتحال الباطل وليس في حاجة إليه، كما أنه يكون أقرب إلى قبول الناس له.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، الظاهر أن إخبار هرقل بذلك بالجزم كان عن العلم المقرر عنده في الكتب السالفة، هذا هو الاستنتاج الأول.

وأما الاستنتاج الثاني: وهو أنه لم يقل هذا القول أحد قط قبله، فإنه قد استنتج لو كان أحد قاله قبله لكان متأسياً به، وإنما لم يقل هرقل: «فقلت»، إلا في هذا الموقع وفي قوله: «هل كان من آبائه من ملك»؛ لأن هذين المقامين مقام فكر ونظر بخلاف غيرهما من الأسئلة فإنهما مقام نقل.

كما استنتج من أنه ليس في آبائه من ملك بأن هذا دليل على أنه لا يطلب ملكاً، ولا يمكن أن تحوم حوله شبهة، فلو كان من آبائه من ملك لأمكن أن يقال: إنه رجل يطلب ملك أبيه.

كما استنتج من أنه غير متهم بالكذب قبل هذا الأمر أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، كيف؟ وهو المعروف بالصادق الأمين، وكانت سمات الصدق وغيرها من الفضائل قد عرف بها النبي عليه الصلاة والسلام قبل بعثته وبعدها، ولازمته هذه الفضائل على مر أدوار الحياة، وتظهر سمة صدقه ﷺ عندما دعا قريشاً إلى الإسلام - وغيرهم - بنبوته قائلاً: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقوني؟»، فقالوا: نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط[1].

كما استنتج صدق الرسول ﷺ عن طريق اتباع الضعفاء له؛ لأنهم أتباع الرسل، فإن أتباع الرسل - في الغالب - أهل الاستكانة والتواضع لا أهل الاستكبار والعناد الذين يصرون على الباطل ويتحجرون به بغياً وحسداً، أما الضعفاء فلا يأنفون بل ينقادون إلى الحق ويتبعونه.

ثم استنتج أيضاً من زيادة الأتباع أن هذا هو أمر الإيمان حين يتم بعقيدته وعبادته وأخلاقه، وسائر شعائره من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك، ولذا نزل في آخر ما نزل على النبي ﷺ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة ٣)

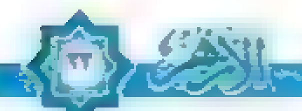
وأما استنتاجه بالسؤال عن الردة، فلأن من دخل على بصيرة وهدى في الدين لا يرجع عنه بعد أن ذاق حلاوته وخالطت بشاشته قلبه، هذا بخلاف من دخل في الباطل، وإن الذين يدخلون الإسلام ويستشعرون حلاوته لا يتزعزعون ولا ينحرفون عنه مهما كان حولهم من اضطهاد ومهما نزل بهم من عذاب، وهذا بلال كم كان يقاسي ما يقاسي في الصحراء المحرقة والعذاب الأليم فما كان يزيد عن قوله: «أحد، أحد».

كما كان استنتاجه أيضاً من عدم الغدر بأنه رسول، إذ إن الرسل لا تغدر؛ لأنهم لا يطلبون حظاً من حظوظ الحياة الدنيا التي لا يبالي طلابها بالغدر، وهذا بخلاف أهل الآخرة وطلابها، فإنهم أوفياء أمناء لا يخونون ولا يغدرون، ولم يعرج هرقل على ما دسه أبو سفيان، قال في الفتح: وقد كان معروفاً عندهم بالاستقراء من عادته أنه لا يغدر، ولما كان الأمر مغيباً؛ لأنه مستقبل، أمن أبو سفيان أن ينسب في ذلك إلى الكذب، ولهذا أورده بالتردد ومن ثم لم يعرج هرقل على هذا القدر منه. اهـ.

ثم كان الاستنتاجان الأخيران من السؤال عن

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (الحديث: ١/٣٠٧)





فتلهم له وكيفيته، وأنهم قاتلوه وأن الحرب بينهم وبينه سجال، وهذا شأن الرسل عليهم السلام تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وإنما يبتليهم الله تعالى بذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وما بذلوه من أقصى ما في وسعهم في طاعة الله سبحانه وتعالى.

وأما ما أمرهم به: فهو أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً. وأما ما ينهاهم عنه: فينهاهم عن عبادة الأوثان، ويأمرهم بالصلاة والصدق والعفاف. قال المازني: هذه الأشياء التي سأل عنها هرقل ليست قاطعة على النبوة إلا أنه يحتمل أنها كانت عنده علامات على هذا النبي بعينه؛ لأنه قال بعد ذلك: قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم وما أورده احتمالا.

ويصل هرقل إلى النتيجة الأخيرة، والنظرة البعيدة لسيرة هذا الرسول وما تدعوته من مستقبل عظيم هذه النتيجة تتلخص في قوله: «فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه -أي: أصل إليه- لتجشمت لقاءه -أي: تكلفت الوصول إليه»، وهذا يدل على أنه كان يتحقق أنه لا يسلم من القتل إن هاجر إلى النبي عليه الصلاة والسلام - لقد أبدى كل استعداده - لو أمكنه الوصول إلى النبي ﷺ - لارتكب المشقة، وتحمل كل عناء في سبيل ذلك، إلا أنه قد خاف الروم على نفسه، وفي قوله: «... لغسلت عن قدميه» إظهار للعبودية والخدمة وأنه لا يطلب منصباً ولا جاهاً وإنما يطلب ما يحصل له من البركة.

والمراد بقوله: «فسيملك موضع قدمي هاتين»: بيت المقدس وكنى بقوله: «موضع قدمي» عنه؛ لأنه موضع استقراره، أو أنه كناية عن الشام كله.

وهنا نصل إلى درجة المعرفة التي بلغها هرقل، لقد كان يعلم الحقيقة، ويعلم أن النبي مرسل من ربه ولكنه خاف على نفسه وعلى ملكه، وهل هذا عذر يمكن أن يكون؟ نقول: لا، إنه لا ينهض عذراً فقد عرف الرجل صدق الرسول ﷺ، إلا أنه رغب في استمرار الرياسة وخاف على الملك فآثر ذلك على الإسلام، ولكن الرجل لو فطن لقول الرسول ﷺ في الكتاب: «أسلم تسلم»، ووعى ما يترتب على الإسلام من السلامة دنيا وآخرة لكان سالماً من كل ما يخافه، ولكن الهدى هدى الله.

وفي رواية: «ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة».

وقد كان الكتاب الذي حمله الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي في سنة سبع في المحرم ودفعه دحية إلى عظيم «بصرى» وهي مدينة بين المدينة ودمشق، وقيل: هي حوران، وعظيمها: هو الحارث بن أبي شمر الغساني وفي تسمية هرقل بعظيم الروم: إشارة إلى عدم الاعتراف بهذا الملك؛ لأنه معزول بحكم الإسلام ولكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف.

ولا يعترض على ما في الكتاب من قوله: «سلام على من اتبع الهدى» ببدء الكافر بالسلام؟ فإن المعنى سلم من عذاب الله من أسلم، وليس المراد به التحية، ومذهب الشافعي وجمهور أصحابه وأكثر العلماء أنه لا يجوز للمسلم أن يبتدئ كافراً بالسلام، وأجازه كثيرون من السلف، ولكن قال الإمام النووي -بالنسبة للجواز- وهذا مردود بالأحاديث الصحيحة في النهي عن ذلك، وهناك رأي آخر يقول بجواز بدء الكافر بالسلام إذا كان ذلك للاستئلاف أو لحاجة إليه أو نحو ذلك.

وقوله: «أما بعد» «أما» تستعمل لتفصيل ما يذكر بعدها غالباً، وللتفصيل والتقرير وترد مستأنفة لا لتفصيل كالتي هنا، ولفظة «بعد» مبنية على الضم وتنصب إذا أضيفت، لكنها قطعت عن الإضافة فبنيت على الضم.

ولماذا يؤتى أجره مرتين، كما جاء في الحديث؟ الجواب على هذا هو أن من آمن بنبيه ثم آمن بالرسول ﷺ كان له أجران أو أن ذلك من جهة أن إسلامه سيكون سبباً في إسلام أتباعه، ولذا فإنه إن أعرض كان عليه إثمهم مع إثمه «فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»، فإن الأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له كان عليه إثمهم وإثمه من باب أولى ولا يعارض هذا مع قول الله تعالى

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾

(الأنعام: ١٦٤)

لأن الفاعل الذي يتسبب في السيئات يحمل الوزر من جهتين، جهة فعله وجهة تسببه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». رواه مسلم[٢].

وكان ابن الناطور -ومعناه حارس البستان- صاحب إيلياء أي: أميرها، وهرقل أسقف على نصارى الشام، والأسقف لفظ أعجمي معناه: رئيس دين النصارى، وقيل: عربي وهو الطويل في انحناء، كان هرقل قد أصبح رديء النفس فاستنكر بعض بطارقته - وهم خواص الدولة - هيئته وكان هرقل حزاء -أي كاهناً- ينظر في النجوم، وقيل: إن الحزاء: هو الذي ينظر في الأعضاء وفي الوجه فيحكم على الإنسان بطريق الفراسة.

ولكن كيف ساغ للبخاري إيراد هذا الخبر الذي يشعر بتقوية أمر المنجمين؟ نقول: إنه أراد توضيح جميع الأوجه وسائر الدلالات التي أشارت إلى ذلك الأمر، وأنها قد وردت من طرق متنوعة، وعلى لسان كل فريق من كاهن أو منجم ومن محق أو مبطل ومن إنس أو جن، وهذا أقوى ما يشير إليه عالم، وبينما القوم على أمرهم في مشورتهم، وهرقل يقول لهم إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر.. إلخ بينما هم على ذلك أتى هرقل برسول من قبل ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ

(٢) أخرجه مسلم في (الحديث: ٦٧٤٥).

قال الحافظ في الفتح: وأنبأني غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ الدمشقي قال: حدثني سيف الدين فليح المنصوري قال: أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك المغرب بهدية، فأرسلني ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة، فقبلها وعرض على الإقامة عنده فامتنعت فقال لي: لأتحفنك بتحفة سنية، فأخرج لي صندوقاً مصفحاً بذهب فأخرج منه مقلمة ذهب فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه وقد التصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر مازلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا. اهـ

وأخرج أبو عبيد في كتاب الأموال من مرسل عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول الله ﷺ: «أما هؤلاء فيمزقون وأما هؤلاء فستكون لهم بقية».

ما يؤخذ من الحديث:

ويؤخذ من هذا الحديث أمور كثيرة منها:

١- صدق الرسول ﷺ وكثرة العلامات التي دلت عليه في الكتب السابقة كالتوراة، والعلامات المذكورة هنا منها ما يتعلق بشخص الرسول ﷺ ومنها ما يتعلق بشأن من اتبعه، ومنها ما يتعلق بشأن دعوته.

٢- من السهل على كل عاقل ممن لم يؤمن بالرسول أن ينظر إلى تلك الصورة المعتدلة التي كونها هرقل عن شخصية الرسول ﷺ، ويستطيع أن يزن بعقله وفكره أمر الرسول والرسالة فيعتنق الإسلام.

٣- دعوة الكفار إلى الدخول في الإسلام، وما يجب على أئمة المسلمين وولاة الأمور في شتى أقطار العالم من الدعوة إلى الإسلام والعمل على انتشاره وتبليغ تعاليمه.

٤- وجوب دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم، وأن قتال الكفار قبل دعوتهم حرام إذا لم تكن قد بلغتهم الدعوة، وإن بلغت فالدعاء يكون مستحباً.

٥- وجوب العمل بخبر الواحد، حيث إنه بعث الكتاب مع دحية.

٦- استحباب أن يصدر الكتاب بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، وإن كان مرسلا إلى كافر.

٧- إن من اهتدى وتسبب في هداية غيره آتاه الله أجره مرتين، ومن ضل وتسبب في إضلال غيره كان عليه إثمه وإثم من تبعه.

٨- من أدرك نبيا ﷺ من أهل الكتاب فآمن به كان له أجران.

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

قيل لعالم مسلم: هل قرأت أدب النفس «لأرسطو»؟. فقال: بل قرأت أدب النفس لمحمد بن عبدالله ﷺ.

جاء الإسلام برسالة خاتمة، نقلت العالم من الظلمات إلى النور، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الانغماس في الرذائل إلى التحلي بالفضائل، ومن سطوة الأنانية إلى ترسيخ الإيثار، ومن الانحراف في السلوك إلى الاستقامة في الأخلاق.

جاء الإسلام والنفس الإنسانية محور اهتمامه، يعتمد في إصلاحه العام على تهذيبها قبل كل شيء، فهو يكرس جهودا ضخمة للتغلغل في أعماقها، وغرس تعاليمه في جوهرها حتى تصير جزءا منها.

والنفوس إذا لم تصلح، ولم يستقم أمرها أظلمت الآفاق، وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم، وعم الفساد، وانتشر البلاء، ولذلك يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾

(الرعد: ١١)

ويقول - جل شأنه - معللاً هلاك الأمم الفاسدة:

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

(الأنفال: ٥٢-٥٣)

لذا نجد أن الإسلام اهتم اهتماماً كبيراً بدعوة المسلم إلى الاستقامة.

ويبلغ من اهتمام الإسلام بدعوة المسلم إلى الاستقامة، وإلى الالتزام بها والثبات عليها، أن ورد ذكر الاستقامة في القرآن الكريم فيما يقرب من خمسين آية.

وقد عرّف كثير من العلماء الاستقامة، فقالوا: الاستقامة هي: «سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك».

وقال ابن حجر- رحمه الله-: «الاستقامة كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً».

ويقول الجرجاني: «الاستقامة هي: كون الخط بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض على جميع الأوضاع، وفي اصطلاح أهل العلم: هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الطريق المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر دينيّ ودنيويّ، فذلك هو الصراط المستقيم».

وعرّف بعضهم الاستقامة بقوله: «أن يجمع بين أداء الطاعة، واجتناب المعاصي».

وقيل: الاستقامة ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل.

قال ابن القيم- رحمه الله-: «الاستقامة هي لزوم المنهج القويم». قال تعالى:

[illegible]

(فصلت: ٣٠)

وقال- تعالى-:

[illegible]

(الأحقاف: ١٣ - ١٤)

وقال- تعالى- لرسوله ﷺ:

[illegible]

(هود: ١١٢)

فبيّن أن الاستقامة بعدم الطغيان، وهو مجاوزة الحدود، وقال- سبحانه-:

(فصلت: ٦)

[illegible]

والمقصود من العبد الاستقامة وهي السداد، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة. وعند مسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

تجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة وهي السداد، والإصابة في النيات والأقوال.. وأخبر في حديث ثوبان أنهم لا يطيقونها فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم، كالذي يرمي إلى الغرض، وإن لم يصبه يقاربه.. ومع هذا فقد أخبرهم أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة، فلا يركن أحد إلى عمله، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة الله وعفوه وفضله. فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين. وهي القيام بين يدي الله- تعالى- على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات. فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله.

وأورد الماوردي- رحمه الله- خمسة أوجه في قوله- تعالى-: «ثم استقاموا» من قوله- تعالى-:

﴿[illegible] استقاموا﴾

(فصلت: ٣٠)

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده. وهو قول أبي بكر- رضي الله عنه- ومجاهد.

الثاني: استقاموا على طاعته وأداء فرائضه. قاله ابن عباس والحسن وقتادة.

الثالث: على إخلاص الدين والعمل إلى الموت. قاله أبو العالية والسدي.

الرابع: ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم.

الخامس: ثم استقاموا سراً كما استقاموا جهراً.

قال: «ويحتمل سادساً، أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي؛ لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة يبعث على الرغبة، ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة».

وقال ابن رجب- رحمه الله-: «أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، وقد فسّر أبو بكر- رضي الله عنه- الاستقامة في قوله- تعالى-: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾: بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته. فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه».

وقال ابن القيم- رحمه الله-: «من هُدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هُدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته دار ثوابه، وعلى قدر

ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، ولينظر العبد الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم؛ فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه، فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

(فصلت: ٤٦)

عن النواس بن سمعان– رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال له: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه.. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله؛ وذلك الداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»[١].

وفي هذه الآية الكريمة:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(هود: ١١٢)

نجد أن الله– جل شأنه– أمر رسوله الكريم ﷺ وأتباعه بالتزام الصراط المستقيم.

وعندما نقرأ الآيات السابقة– على هذه الآية الكريمة– نجد أنها قد قصّت علينا الكثير من أخبار السابقين، وبيّنت مصير السعداء الذين صدقوا رسلهم فآمنوا برسالتهم، ومصير الأشقياء الذين كذبوا رسلهم وكفروا برسالتهم، وأن عبادة المشركين لأصنامهم إنما هي تقليد لما كان يعبد آباؤهم من قبل، وسينال هؤلاء نصيبهم وحظهم من عذاب الآخرة كاملاً بدون إنقاص منه.

بعدها أمر الله– جل شأنه– رسوله الكريم ﷺ ومن آمن بدعوته واتبع هداه بالتزام الصراط المستقيم، والثبات والدوام على الاستقامة؛ لأن ذلك هو طريق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، كما نهاهم وحذرهم أن يتجاوزوا حدود الاعتدال في كل الأقوال والأعمال؛ لأن الله– عظمت قدرته– مطلع

(١) أحمد.

على أحوالكم، عليم بظواهرها وبواطنها، وسيجازيكم يوم القيامة عليها بما تستحقون من ثواب أو عقاب.

عن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية أشد من هذه الآية ولا أشق.

وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفي– رضي الله عنه– قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «قل آمنت بالله ثم استقم».

روي أن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم فقال: يا أبا إسحاق.. إني مسرف على نفسي.. فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومنقذاً.

قال إبراهيم: إن قبلت مني خمس خصال فقدرت عليها، لم تضرك المعصية.

قال: هات يا أبا إسحاق.

قال إبراهيم: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه؟

قال: فمن أين آكل، وكل ما في الأرض من رزقه؟

قال: أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا.. هات الثانية.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده.

قال: هذه أعظم من الأولى يا إبراهيم.. إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟

قال: يا هذا، أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه؟

قال: لا.. هات الثالثة.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فانظر موضعاً لا يراك فيه، فاعصه فيه.

قال: يا إبراهيم ما هذا؟ وهو مطلع على ما في السر؟

قال: يا هذا، أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويعلم ما تجهر به؟

قال: لا.. هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب.

قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا.. إذا كنت لا تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟.

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال: إنهم لا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟

قال: يا إبراهيم.. حسبي.. حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

الصدقة في ميزان الإسلام ١١

إصلاح ذات البين صدقة

مواطن إصلاح ذات البين :

أ - الإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين :

■ قال الله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات : ٩ ، ١٠)

لقد أوجب الله على المؤمنين أن يصلحوا بين الذين يختصمون منهم . فقال لهم : «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم» وجعل ذلك من عناصر التقوى فقال تعالى : «واتقوا الله لعلكم ترحمون» فإذا بغت إحدى الطائفتين المتقاتلتين ولم تخضع للإصلاح بالعدل ، وأصرت باغية ظالمة ، وجب على سائر المؤمنين أن يقاتلوا الفئة الباغية حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم به وقضى في كتابه بين خلقه . وهو الإصلاح بالعدل والقسط . قال ابن زيد : ولا تقاتل الفئة الباغية إلا إذا أبت ... فإن رجعت الفئة الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه ، فأصلحوا بالعدل بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها يعني بالإنصاف بينهما ، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلا بين خلقه وهكذا يتم الإصلاح بينهما.



ومن النص الكريم ترى كيف اهتم الإسلام بوحدة المسلمين وحرص على ألا يكون بينهم خلاف ولا تنازع ولا فرقة ؛ ففي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان ؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين ، يدل عليه ما روى عن الحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل في قتال أهل البغي ، من أهل الجمل وصفين : أمشركون هم؟ فقال : لا ، من الشرك فروا ، فقيل : أمنافقون هم؟ فقال : لا ، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، قيل : فما حالهم؟ قال : إخواننا بغوا علينا (١) .

ولذلك نقول إن ذلك إذا حدث فعلى المسلمين أن يقوموا بإزالته بكل الطرق . وحتى لو أدى ذلك إلى مقاتلة من بغى منهم حتى يعودوا إلى رشدهم أو يفيئوا إلى أمر الله ؛ وذلك لأن ترك الأمر بالإصلاح يؤدي حتما إلى ضعف المسلمين ونيل أعدائهم منهم ، كما هو مشاهد في عصرنا الحاضر _ حيث كاد أعداء الإسلام والمسلمين لهم بكل وسيلة وحيلة في كل كبيرة وصغيرة ، وجعلوهم طوائف وأحزابا وفرقا ، وتمادوا في توسيع هوة الشقاق والفرقة بينهم حتى شغلوهم بحرب أنفسهم عن مجاهدة أعدائهم _ فكان أن فقدوا قوتهم ووحدتهم وعزتهم . وتكالب عليهم أعداؤهم يسلبونهم حياتهم وأرضهم وديارهم . ويتحكمون فيهم ويسيطرون على مقدراتهم . ولن تعود للمسلمين قوتهم وكرامتهم وحقوقهم إلا إذا أصلحوا ما بينهم وعادوا كما أراد الله لهم إخوة متحابين متآزرين يقاتلون أعداءهم بالحق ليعود الحق لهم كما كان ، لقوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة : ٣٦)

ب - الإصلاح بين الناس عامة :

قال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١١٤)

قال الإمام الطبري - رحمه الله - ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾ أي : لا خير في كثير من نجوى الناس جميعا ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ والمعروف كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير ﴿ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ وهو الإصلاح بين المتخاصمين ، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به ، ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك فقال : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ يقول : ومن يأمر بصدقة أو معروف من الأمر ، أو يصلح بين الناس ابتغاء مرضاة الله يعني طلب رضا الله بفعله

(١) راجع في ذلك معالم التنزيل للبغوي



ذلك ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ يقول: فسوف نعطيه جزاء لما فعل من ذلك أجرا عظيما، ولا أحد يعلم مبلغ ما سماه الله عظيما غيره هو سبحانه وتعالى، ويقول الإمام أبو السعود في تفسيره عن هذا الأجر: أي: يقصر عنه الوصف، ويقول ابن كثير - رحمه الله - أي ثوابا جزيلا واسعا.

ج - الإصلاح بين الزوجين لجمع شمل الأسرة:

قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٣٤)

ذكر القرآن الكريم القوامة للرجل على المرأة، ولم يجعلها للذكر على الأنثى، فهناك فرق كبير بين المعنيين، فالرجل: ذكر أضيف إليه صفات الكمال والجمال وكذلك المرأة: أنثى أضيف إليها صفات الكمال والجمال، ولذلك ذكر القرآن القوامة للرجال وما يقابلها من الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله وهي المقابلة بين معنى الرجل والمرأة وليس بين الذكر والأنثى، وهاتان الصفتان الغالبتان في نسبة المتزوجين المكونين للأسرة التي سوف تتحمل مسئوليتها أمام المشكلات التي قد تعترض بناء الأسرة وتهدد هذا البناء بالانهيار لقدسية العلاقة بين الزوجين وللمحافظة عليها لتربية ما ينتج عنها من إنجاب. ولما كانت نسبة ضئيلة من الذكور والإناث لم يبلغوا درجة الرجولة والنسوة بعدم تحليهم بالصفات التي ترفعهم إلى درجة الرجولة والنسوة، وحتى لا تتهدم الأسرة؛ جاء العلاج للرجل في قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ١٢٨)

والخوف معناه: توقع الإنسان مكروها ينزل به، وهو هنا مستعمل في حقيقته إلا أنه لا يكون إلا بعد ظهور علامات تدل عليه من الرجل، كأن يقول لها: إنك قد كبرت وأريد أن أتزوج بشابة، إلى غير ذلك من الأحوال التي تلمسها الزوجة من زوجها بمقتضى مخالطتها له.

والنشوز مأخوذ من النشز بمعنى الارتفاع ويوصف به الرجل والمرأة، والمراد به هنا ما يكون من الرجل من استعلاء على زوجته، ومجافاة لها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها وفي حقوقها.

والإعراض عنها من مظاهره: التقليل من محادثتها ومؤانستها وإدخال السرور عليها، «راجع في ذلك: التفسير الوسيط، لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور: محمد سيد طنطاوي».

أما نشوز المرأة والوارد في الآية ٣٤ من سورة النساء سالفة الذكر فذكرت العلاج على النحو التالي:

الوعظ والإرشاد: من باب وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

الهجر في المضجع: وهي عقوبة نفسية لعل المرأة تعود إلى صوابها.

الضرب غير المبرح: إذا تيقن أنه ينفع. وهو ضرب غير مؤذ أقرب إلى التهديد منه إلى الإيلام والإيذاء.

ثم تقرر الآية التي بعدها الإصلاح بالتحكيم وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ [illegible] ﴾

(النساء: ٣٥)

والإصلاح بالتحكيم يكون بين الزوجين عن طريق حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة يعملان على التوفيق بين الزوجين؛ احتراما للعلاقة التي كانت بين الزوجين والعمل على دوامها إن أرادا (أي الحكمين) ذلك؛ حرصا على دوام العشرة بين الزوجين وأفضل من الانفصال.

وللإصلاح بين الناس ثواب عظيم نذكر منه ما يلي: عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى قال: صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة».

قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» انظر سنن الترمذي.

قال الطيبي: فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين. وفساد ذات البين ثلمة في الدين. فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه فعلى هذا ينبغي أن يحمل الصلاة والصيام على الإطلاق، والحالقة على ما يحتاج إليه أمر الدين.

وأخرج البزار، والطبراني عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -: "ألا أدلك على تجارة؟ قال: بلى، قال: صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا".

وذلك للوصول إلى ما أراده الله لهم من الحب والتآلف ومحبة الخير والتعاون على البر والتقوى وفعل الأسباب التي تقوى ذلك وتنميه وفيه نهي من النبي ﷺ عن كل ما يوجب تفرق المسلمين وتباعدهم وذلك لما في التفرق والبغضاء من المفاسد العظيمة؛ فالتفرق هو قرة عين شياطين الجن والإنس؛ لأن شياطين الإنس والجن لا يودون من أهل الإسلام أن يجتمعوا على شيء فهم يريدون أن يتفرقوا لأنهم يعلمون أن التفرق تفتت للقوى التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عز وجل.



قيمة المال في الإسلام

فضيلة الشيخ/ [illegible]

الاسلام دين عالمي هو دين الحياة الذي ارتضاه الله للناس دينا. ومن هنا كان لقيمة المال في الإسلام وطرق تحصيله واكتسابه وتنميته والانتفاع به والمحافظة عليه وانفاقه في مصارفه التي أذن الله بها ورغب فيها وإمساكه عما حرم الله من ألوان الاسراف والترف ،ولهذا فقد نظمت الشريعة الاسلامية سبل التبادل المالي ووضعت له قواعد وآدابا في رعايته صيانة للمجتمع وتقدمه وسعادته ويمنع عنه ما تحدثه الانظمة الوضعية من أزمات تؤثر على البشر كلهم .ولعل أبرزها تلك الأزمة الطاحنة التي يتعرض لها العالم في تلك الأونة والتي اصابت معظم مؤسساته المالية بالكساد والبوار وليس من ريب في ان كل ما تتوقف عليه الحياة في اصلها وكمالها وسعادتها وعزها من علم وصحة وقوة واتساع عمران وسلطان لا سبيل إليه إلا بالمال .

وقد نظر الإسلام إلى الأموال هذه النظرة الواقعية، فوصفها بأنها زينة الحياة، وسوى في ذلك بينها وبين الأبناء، ووصفها بأنها قوام للناس وقوام الشيء ما به يحفظ ويستقيم. وهي كما نرى قوام المعاش والمصالح الخاصة والعامة ولما كان الإسلام دينا عمليا وعمليا ينظم بأحكامه - على أساس من الواقع [illegible] في الوقت نفسه بين مطالب الروح والجسد ميزان العدل والاستقامة. وقد رسم للروح طريق سعادتها كان من الضروري أن يرسم للمادة طريق سعادتها ويأمر بتحصيل ما فيه خيرها ونفعها. ومن هنا أمر بتحصيل الأموال من طرق فيها الخير للناس، فيها النشاط والعمل، فيها عمارة الكون والتقلب في الأرض، فيها الاختلاط والتعارف والتعاون والمبادلة.

طرق تحصيل المال والانتفاع به في الإسلام :

من أجل أن تستقيم طريق الاقتصاد في الإسلام ومن أجل صيانة الأموال من الكساد والبوار وضع الإسلام نظاما لتحصيل هذه الأموال:

١- فقد أمر الإسلام بتحصيل الأموال عن طريق التجارة وقد جاء ذلك في رحلة الشتاء والصيف التي يسرها الله لقريش في تجارتها مع أهل اليمن والشام. وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم يمن الله عليهم ويذكرهم بفضله ونعمته .

﴿ [illegible] ﴾

(سورة قريش: ١- ٤)

٢- كما أمر الله سبحانه وتعالى بتحصيل الأموال عن طريق الزراعة التي بها حياة الأرض واستثمارها وفي توجيه الأنظار إلى نعمة الله بإعداد الأرض للزراعة يقول القرآن الكريم

﴿ [illegible] ﴾

(عبس ٢٤، ٣٢)

٣- كما أمر الله بتحصيل هذه الأموال عن طريق الصناعة وإنتاج ما يحتاجه الناس في حياتهم ومعاشهم والصناعة أقوى العمد التي تقوم عليها الحضارات وفي عصرنا الحاضر يتم تقسيم الدول إلى دول متقدمة وأخرى متخلفة وذلك على أساس تقدم وتطور الصناعات في البعض وتراجع البعض الآخر أو انعدام الصناعات بها. إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنه وردت إشارات كثيرة إلى جملة من الصناعات التي لابد منها في الحياة- فيه الإشارة إلى صناعة الحديد:

﴿ [illegible] ﴾

(الحديد: ٢٥)

كما نجد فيه الإشارة إلى صناعة المنسوجات والملابس

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف : ٢٦)

.كما أن فيه الإشارة إلى صناعة التشييد والمباني والقصور:

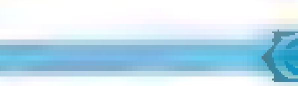
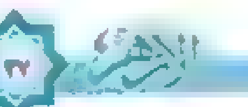
﴿ [illegible] ﴾

(النحل : ٤٤)

هكذا نجد أن القرآن الكريم أمر بتحصيل





الأموال عن هذه الطرق الثلاثة بما فيها من منافع وفوائد للناس فى حياتهم وفى معاشهم ،وقد بلغت عناية الإسلام بالأموال أن سمى طلبها ابتغاء من فضل الله بل جعل طلبها بمجرد الفراغ من أداء العبادة الأسبوعية المفروضة وأنه لم يأمر بالانصراف عن تحصيلها إلا لخصوص هذه العبادة فهو يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾

(الجمعة ٩)

ثم يقول :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾

(الجمعة :١٠)

ويقول فى تحصيلها بوجه عام :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

(الملك ١٥)

موقف الإسلام بالنسبة للانتفاع بالأموال:

لقد قرر الإسلام طرق الوقاية للمال والمحافظة عليه والانتفاع به وذلك بالنهى عن الإسراف والنهى عن الضن به وجعل الاعتدال فى صرف الأموال من صفات المقربين عباد الرحمن يقول القرآن الكريم:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾

(الفرقان :٦٧)

وجعل الإسراف فيها والضن بها عن الحقوق والواجبات مما يوقع الحسرة الملامة

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

(الإسراء :٢٩)

والقرآن الكريم كما أمر بالسعى فى تحصيل الأموال وطلب الاعتدال فى إنفاقها نهى عن تحصيلها بالطرق التى لا خير للناس فيها وفيها الشر والفساد ،فقد نهى عن تحصيلها بالربا الذى يؤخذ استغلالا لحاجة الضعيف المحتاج سواء كان فردا أو جماعة أو دولة، كما نهى عن تحصيلها بطريقة السرقة والقرصنة والانتهاب والتسول ،وذلك من الأمور التى شاعت فى عصرنا الحاضر وتزعزع الأمن والاستقرار، كما نهى الإسلام عن تحصيل الأموال عن طريق التجارة فيما يفسد العقل والصحة مثل الخمر والخنزير وبطريق الميسر والرقص وبيع الأعراض ومن كل ما يفسد الأخلاق ويعبث بالإنسانية، كما نهى عن تحصيلها بطريق الرشوة ،وللأسف فقد شاعت بين الأفراد والجماعات والدول وأخذت مسميات مختلفة: إكراميات هدايا.. إلخ.

وفى هذا وأمثاله يقول القرآن الكريم :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة ١٨٨)

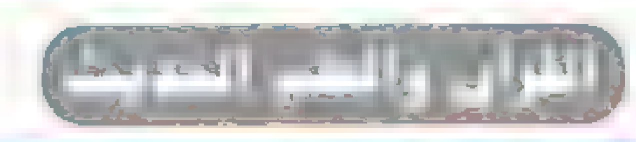
هذا وعناية الإسلام شرعة قديمة لا يختص بها جيل دون جيل ولا رسالة دون رسالة. وقد قص علينا القرآن أن الله عاقب بعض خلقه الذين عتوا عن أمره فيها وأكلوا أموال الناس بالباطل :

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾

(النساء :١٦٠،١٦١)

الاستقلال الاقتصادى للدول الإسلامية:

حينما أمر الإسلام بتحصيل الأموال عن طريق الزراعة والصناعة والتجارة نظر إلى أن حاجة المجتمع المادية تتوقف عليها كلها فهو كما يحتاج إلى الزراعة فى الحصول على المواد الغذائية التى تخرج من الأرض يحتاج كذلك إلى الصناعات المختلفة فى شئونه المتعددة فى ملبسه ومسكنه، فى آلات الزراعة وتنظيم الطرق، فى حفر المصارف والترع ومد السكك الحديدية ،فى صناعات النقل والمركبات ووسائل الدفاع، وتأمين الأوطان ،بل إنه حفظ لكيان الدولة .وكل ذلك لا سبيل إليه إلا بالصناعات كما يحتاج الاقتصاد الإسلامى إلى تبادل الأعيان والمواد الغذائية والمصنوعات مع الدول التى ليست فيها زراعة ولا صناعة ولا تسعد أمة لا تسد حاجتها بنفسها، وإن الدول الإسلامية مجتمعة لقادرة على الاكتفاء الذاتى وسد حاجتها من السلع والصناعات المختلفة مما يحفظ عليها اقتصادها وأموالها من غائلة البوار والكساد التى أصابت مايسمى بالعالم المتقدم، ولو أن النظام الإسلامى فى الاقتصاد هو السائد واتبعه العالم لما تعرض لمثل هذه الأزمة الطاحنة التى أتت على الأخضر واليابس وجعل هذا العالم الذى يدعى التقدم قد تراجع إلى الخلف، وعله يراجع تلك الأنظمة الاقتصادية التى جعلته يتراجع إلى هاوية الإفلاس والكساد.



ظواهر كونية أحدث عنها القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

من المعانى الواضحة التى يطرحها قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

(فصلت: ٥٣)

على الفكر الإنسانى، أن هناك من ينكر قدرة الله عز وجل - على الخلق والإيجاد، وأن هناك من ينكر أن هذا القرآن حق من عندالله - تبارك وتعالى-، وأن هذا الانكار، سوف يظهر فى قابل الأيام وسوف يحاول المنكرون أن يقفوا فى طريق الدعوة، ليصدوا الناس عن دين الله.. كما تطرح هذه الآية المباركة أن من ينكر آيات الله فى هذا الوجود سوف يظهر الله له من دلائل قدرته وعظيم حكمته، ما يكون حجة دائمة باقية.. وأن هذه الأدلة الباهرة سوف تتجدد بتجدد الدهر وتجدد الفكر الانسانى، وسيظل الأمر كذلك إلى آخر الدهر..!!

هذا قل من كثر مما تطرحه هذه الآية الكريمة فى ساحة الفكر الإنسانى العام..!!

وإن هذه الآية المباركة لتعد بابا واسعا من أبواب الإعجاز القرآنى بمعناه العام؛ حيث لم يكن فى عصر نزول القرآن أو بعده بزمن طويل من يقوم بدراسة آفاق الكون وآفاق الأنفس دراسة علمية تجريبية، ولم يكن هناك فى واقع الحياة ما ينبئ بشىء من ذلك.. غير أن القرآن الكريم كان هو السباق إلى الإخبار بهذه القضية والإشارة إليها من ناحيتى العلمية والإيمانية..!! فضلا عن أنها مصدرة بالسين «سنريهم..» التى تدل مباشرة على المستقبلية فى الزمان، نراها مبطنة كذلك بالتأكيد. كما نرى الفعل المضارع «سنريهم» الذى يحمل فى دلالاته معنى التجدد الذى لاينقطع إلى يوم القيامة..!! وها نحن أولاء نعيش - بعد نزول القرآن بأكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، مصدقية هذه الإشارة القرآنية العظيمة أحداثا تجرى على أرض الواقع..!! فمنذ أقل من قرن من الزمان.. نسمع ونشاهد كل يوم الجديد تلو الجديد، عن الكشوف العلمية التى تبين أن هذا القرآن حق من عند الله - تبارك وتعالى - الذى بدع هذا الكون، وصوره بيده، وأودع فيه من مظاهر قدرته وعظيم حكمته ما لا ينتهى على طول الزمن؛ حتى أصبحنا نعيش ما يسمى «بعصر الإعجاز العلمى للقرآن الكريم» كما نشأ فى مجال التفسير القرآنى ما أطلق عليه «التفسير العلمى للقرآن»، وقد تحدثنا فى مقال سابق عن الفرق بين التفسير العلمى للقرآن، والإعجاز العلمى للقرآن، ولسنا نرى ما يدعو لإعادة القول فيه..

فمن الإشارات العلمية التى ذكرها الله فى كتابه الكريم، قوله تعالى:

﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾:

(الذاريات: ٤٧)

وقوله - عز من قائل -

﴿ ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ۞ رفع سمكها فسواها ﴾

(النازعات: ٢٧- ٢٨)

وقوله - تباركت أسماؤه - :

﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء ﴾

(غافر - ٦٤)

وهذه الآيات المباركة تدل دلالة واضحة على أن هناك بناء.. وهو ما يقتضى أن يكون هناك لبنات لهذا البناء، وأن يكون هناك ما يشد به هذا البناء، من مواد جاذبة تضم كل لبنة إلى أختها. ومما يؤكد على أن هذا البناء قائم، لاتنفصم عرى لبناته، قول الحق - عز وجل -

﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾

(الأنبياء: ٣٢)

وقوله

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾

(الحجر: ١٤)

فهناك لهذا البناء «سقف» كما أن له بابا، وهناك معارج يعرج فيها الصاعد إلى هذا البناء، فماذا قالت نتائج الأبحاث العلمية في هذا الصدد؟

لقد كان العلم قديما أعجز ما يكون عن أن يدرك حقيقة هذه القضية حتى كان العلماء يقولون إنه بعد حوالي ١٠٠٠ كيلومتر من سطح الأرض لايوجد إلا فراغ تام.. واليوم، وقد وجد من الأدوات العلمية والإمكانات المادية ما لم يتوفر للإنسان من قبل، أثبت العلم أنه لايوجد في هذا الكون المترامي فراغ على الإطلاق؛ حيث امتلأ الكون الفسيح - بعد وقوع الانفجار العظيم - بالمادة والطاقة. فخلقت المادة والطاقة، كما خلق الزمان والمكان. أي أنه لايوجد زمان بغير مكان ولا مكان بغير زمان.. كما أنه لا يوجد زمان أو مكان بغير مادة وطاقة، فالطاقة تملأ هذا الكون، وهناك الأجرام السماوية التي تملأ هذا الكون الفسيح، ويشدها إلى بعضها قوة الجاذبية، بالرغم من أن هذا الكون لايزال يتسع وتتباعد أجرامه بسرعة هائلة بسبب قوة الطرد المركزي، الذي نتج عن هذا الانفجار العظيم، ثم تتولد كواكب أخرى بقدرة الخالق - عز وجل - لتملأ هذا الفراغ الناشئ عن هذا التباعد المستمر، قال الحق - تبارك وتعالى -:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[1]

(الذاريات: ٤٧)

ومن الإشارات العلمية التي ذكرها الله - عز وجل - في كتابه العزيز قبل أن يدرك العلم حقيقتها بأكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان، ما أطلق عليه ربنا - تبارك وتعالى «الخنس. الجواري الكنس». والخنس والكنس أجرام سماوية من جنس النجوم عامة، وقد أقسم بها الله - عز وجل - في كتابه الكريم عندما قال:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾

(التكوير: ١٥- ١٦)

والنجم جرم سماوي مشتعل مضيء بذاته، ثم في دورة من دورات حياته تتضاءل هذه الجذوة بالتدريج حتى يخبو وهجه ويضعف ضوؤه. وضعف الضوء بالتدريج هو الانكدار، الذي أشارت إليه الآية المباركة:

﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾

(التكوير: ٢)

وهذه الحالات التي تحدث للنجوم العملاقة لم يكن العلماء يدركونها إلا في وقت قريب جدا وهي حالة كثيفة جدا للمادة، لايكاد العقل البشري يتصورها !! تتكدس فيها المادة، بحيث تتلاشى المسافات البينية بين مكونات الذرة. لأن الذرة أغلبها فراغ، وحجم المادة فيها ضئيل للغاية، فإذا تلاشت المسافات بين اللبنات الأساسية للذرة تضاءل حجمها تضاؤلا شديدا، حتى لاتكاد تدرك، ويتكدس المادة في داخل النجم العملاق تصبح له جاذبية فوق التصور، تحول دون انفلات الضوء منه، وحينئذ يختفي النجم تماما ولكن تبقى آثار جاذبيته الشديدة، ومجاله المغناطيسي الشديد يحدد موقعه بدقة بالغة والقرآن الكريم يقول:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾

(التكوير: ١٥- ١٦)

وخنس في اللغة: بمعنى اختبأ واختفى. وكنس: مثل خنس بمعنى اختبأ واختفى، والجواري: جمع جارية من الجري. وعلى ذلك فإن المعنى الظاهر لنا من هاتين الآيتين الكريمتين، هو النجوم التي لا ترى على الإطلاق من مثل الثقوب السوداء[2] فأنى أن يعرف هذا وذاك إلا من الوحي الذي يأتيه من قبل خالق الكون جل في علاه؟!

**

والآن مع آية أخرى من آيات الله في هذا الكون، لم يدرك العلم حقيقتها إلا في وقت متأخر جدا، وبعد نزول القرآن بقرون طويلة. يقول الحق - تبارك وتعالى - في سورة النمل:

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

(النمل: ٨٨)

حقيقة كونية، ما كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا لأحد من إخوانه الأنبياء والمرسلين أن يدركها بنفسه أو بعلم يخلص إليه، إلا أن الله - عز وجل - أوحى إليه هذا القرآن العظيم، وفيه ما فيه من دلائل قدرته تعالى، ومن آيات صدق هذا القرآن فيما أخبر به من دلائل إعجازه في هذا الكون العظيم. ومن هذه الدلائل تلك الآية المباركة.

لقد كان المفسرون القدماء - كما يقول الدكتور منصور حسب النبي - يعتقدون أن هذه الآية تشير إلى زوال الجبال في الآخرة، لأنهم لم يدركوا للأرض حركة في الدنيا، فهم مستقرون فوقها لا تميد بهم إلا عندما تحدث الزلازل. وظل الناس لا يؤمنون بحركة الأرض حتى القرن السادس عشر (الميلادي)، حين أعلن «كوبر نيكس» دورانها حول نفسها في حركة مغزلية، كما أنها تدور حول الشمس، لينتج عن حركتها الأولى الليل والنهار، وعن حركتها الثانية

(١) اقرأ كتاب من آيات الإعجاز العلمي في القرآن للدكتور زغلول النجار ص ١٢، ١٣ ج٢

(٢) اقرأ كتاب من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار ج١ ص ٦٠-٦٣

فصول السنة الأربعة..!! ورغم هذا فإن الأرض لاتلقى بنا من فوقها، كما أننا لانشعر بالدوار لدورانها وجريانها. فهي كالدابة الذلول، فلا نشعر بحركاتها ونحسبها جامدة، بينما هي تمر مر السحاب في هدوء تام يجعلنا نعتقد أنها ثابتة.

وقد اتضح علميا أن الأرض كانت تدور في بداية خلقها - أي بعد الانفجار العظيم - بسرعة قدرها العلماء بأربع ساعات لليوم الواحد: ليله ونهاره، ثم تباطأ الدوران المغزلي مع مرور الزمن، حتى وصل زمن اليوم الأرضي: ليله ونهاره إلى ٢٢ ساعة بعد مرور ٤ مليارات سنة من عمرها، ووصل إلى ٢٤ ساعة حاليا بعد مرور ٤,٥ مليار سنة، وتمام تهيئتها لاستقبال الإنسان بعد تكوينها خلال تاريخها الجيولوجي عبر هذه العصور أي بعد تمام نشأة جبالها وتدفق مياهها من جوفها في أحضانها، وعندئذ تباطأ دورانها حول نفسها.. قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الرعد ٢ - ٣)

ومن الحقائق العلمية الكونية المذهلة، التي عرفها البشر مؤخرا ومنذ سنوات قليلة ما ذكره الله - عز وجل - في قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ○ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾

(الطارق: ١١، ١٢)

حقيقتان كونيتان تحدث عنهما كتاب الله القديم: الرجع، الذي هو من خصائص السماء، والصدع الذي هو من خصائص الأرض.. فماذا قال عنهما علماء التفسير قديما، وماذا قال عنهما علماء الكونيات حديثا؟!

لقد قال علماء التفسير قديما عن الرجع، إنه المطر. والحق الذي لا مرية فيه، أنه من أعظم ما يرجع إلينا من جهة السماء، وهو صحيح لأنه مما يحتمله لفظ الآية الكريمة، رأما علماء الكونيات المحدثون، فقد رأوا فيه إعجازا قرآنيا آخر، يدل دلالة قاطعة على أن هذا القرآن ينطق بالحق الذي تتكشف أبعاده يوما بعد يوم، مصداقا

(٢) من كتاب [illegible] ص ص ٦٣ - ٦٥

لقول الله - عز وجل -

﴿[illegible]﴾

(الجاثية: ٢٩)

لقد رأوا حديثا وبعد أن تقدمت أبحاث الكونيات وعلوم الفضاء، أن النطاق الأسفل من الغلاف الغازي للأرض يتمتع بطبيعة تجعله صالحا للحياة على الأرض، وهو الذي يرد نواتج البخر الصاعد إلى طبقات الجو العليا إلى الأرض في صورة مطر أو برد أو ثلج

كما رأوا أن السحب - وهي مما يشمله معنى السماء - ترد إلينا ما يزيد على ٩٠٪ من حرارة الشمس لتمتصها صخور الحال نهارا، ثم توزعها على باقي مناطق الأرض ليلا حتى تستمر الحياة. ولو لم يكن الأمر كذلك لتجمدت الحياة ليلا وبعد غياب حرارة الشمس. والعجيب أن هذه الطبقة التي تقوم بهذه المهمة الجليلة تسمى باليونانية «نطاق الرجع» وهو ما يتوافق تماما مع منطوق الآية المباركة (والسماء ذات الرجع).

ومن معاني الرجع التي عرفها البشر مؤخرا طبقة الأوزون، التي تسمح بمرور ضوء الشمس الأبيض، والموجات تحت الحمراء إلى الأرض، وترد عنا ما يصاحب ذلك الضوء من إشعاعات ضارة من مثل الأشعة فوق البنفسجية، وهي أشعة مهلكة.. وغير ذلك مما لا يتسع لذكره المقام في هذا الحيز الضيق، وكل ذلك مما لم يعرفه البشر إلا منذ عشرات قليلة من السنين.. وقد يرى القادمون بعدنا في لفظ «الرجع» في هذه الآية الكريمة من المعاني والدلالات العلمية أكثر من ذلك، سواء ما كان من «الرجع» الذي يرد عنا ما يضر بالحياة والأحياء، أو «الرجع» الذي يرد إلى الأرض ما يفيد الحياة والأحياء!! فماذا عن «الصدع» الذي هو من خصائص الأرض والذي ذكر في قوله تعالى: «والأرض ذات الصدع»؟

لقد قال الأقدمون من مفسري كتاب الله العزيز: إنه انشقاق الأرض عن النبتة الصغيرة، حينما تمتص طبقة الأرض الماء الذي يتفاعل مع الحبة في باطنها، وهو صحيح لأنه مما يحتمله منطوق الآية المباركة، وهو لون من ألوان «الصدع».

أما علماء اليوم، فقد اكتشفوا أن هناك لونا آخر من ألوان الصدع في القشرة الأرضية، وقد ظهر ذلك بعد الحرب العالمية الثانية التي كانت سببا في تناقص الثروات المعدنية من باطن اليابسة، وهو ما هدد البشرية في حياتها. فاندفع العلماء والباحثون في التنقيب عن مصادر أخرى للطاقة والثروات المعدنية، فوجدوا أن

بأواسط البحار والمحيطات سلاسل جبلية عملاقة تفوق في ارتفاعاتها أعلى القمم فوق اليابسة، وعند دراسة تلك الحواف البارزة في أواسط المحيطات اتضح أنها عبارة عن طفوح بركانية متراكمة بعضها فوق بعض عبر فترات زمنية طويلة، وأن تلك الطفوح لاتزال تندفع عبر شبكة هائلة من الصدوع التي تمزق الغلاف الصخرى للأرض، بعمق يتراوح بين ٦٥ كيلومترا و ١٥٠ كيلومترا، وأنها تمتد لمئات الآلاف من الكيلومترات في جميع الاتجاهات، وكأنها صدع واحد.. وهذه الشبكة الهائلة من الصدوع بمثابة صمامات الأمن للأرض،حيث تنطلق عبرها كميات هائلة من الحرارة الناتجة عن عمليات التحلل الإشعاعى في الغلاف الصخرى للأرض[4].

هذه بعض آيات الإعجاز العلمى للقرآن، وغيرها كثير وكثير مما يحتويه كتاب الله العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيها الرد القاطع على من يزعم أن هذا القرآن من عند محمد ﷺ.

ولقد قالت إحدى الباحثات في مجال الفلك وهى أمريكية الجنسية: إن هذا المجال – تعنى مجال البحث في عالم الأفلاك – إذا دخله الإنسان بعقله، إما أن يسجد لخالق هذا الكون، أو يفقد هذا العقل.

وكتب أينشتين كتابا في آخر أيامه يقول فيه: إن أعظم خاطرة يمكن أن تجول في ذهن الإنسان، حينما يقف يتأمل في هذا الكون أن يستطيع أن يرى جمالا ما بعده جمال، وكمالا ما بعده كمال، ودقة ما بعدها دقة، ويقول أيضا: إن هذا الموقف عندى هو موقف العبد لخالق الكون، وحينما نشر هذا الكلام عقد له مؤتمر صحفى. فقال له صحفى يهودى: إنى أعجب من الشخص الذى حبس الطاقة في معادلة أن يخشى الله – يريد بذلك أن يحرّض أينشتين على التمرد على الله وعدم الاعتراف بقدرته – عز شأنه – فقال له أينشتين: حرس يا غبي، إنى لست ملحدا، إنى أومن بالله..!!

فيا لها من لحظة صدق مع النفس أوصلت هذا العالم الجليل إلى الإيمان بالله تعالى. قال الله تعالى وقوله الحق:

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(غافر ٥٧)

(٤) ارجع إلى كتاب «من آيات الإعجاز العلمى في القرآن» جـ٣ للدكتور زغلول النجار ص ١٣ – ١٩

أحداث و مواقف

بعد الهجرة إلى المدينة

يقول – سيدنا أنس – رضى الله عنه –: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ إلى المدينة أضاء منها كل شيء. ويقول ابن أبى خيثمة رضى الله عنه: شهدت يوم دخل رسول الله ﷺ المدينة فلم أر يوما أحسن منه ولا أضوأ[1].

وتجمع الروايات كلها في كتب السنة والسيرة أن البهجة والفرح والسرور عمّ كل شيء وأضاء كل شيء في المدينة.

وروى البيهقى عن أنس قال: «إنى لأسعى مع الغلمان إذ قالوا محمد جاء، فنطلق فلا نرى شيئا حتى أقبل هو وصاحبه أبوبكر. فكمنا في بعض جدر المدينة وبعثا – أى النبى ﷺ وأبوبكر – رجلا من أهل البادية ليؤذن بهما الأنصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما. فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظرا شبيها به يومئذ». وكان ذلك بعد خروج النبى ﷺ من قباء ضحى يوم الجمعة؛ حيث أقام بقباء أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس. وكان نزوله ﷺ في قباء عند بنى عمرو بن عوف، حيث بنى مسجد قباء، ثم نزل عند بنى سالم بن عوف[2] وأدركته الجمعة فصلى بالناس الجمعة وهذا المسجد يبعد عن قباء حوالى واحد كيلو متر تقريبا. ويبعد عن المدينة المنورة

(١) سبل الهدى والرشاد ج٣.

(٢) فتح البارى ج٧ ص٢٨٩ طبعة الريان، وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٣٨٧ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

حوالى أربعة كيلومترات ويقع فى واد يسمى «رانوناء» ويعرف حاليا باسم «مسجد الجمعة» وهو فى طريق يسمى قباء النازل ولا يعرفه كثير من الناس وتصلى فيه الأوقات كلها ما عدا الجمعة فلا تقام فيه.

ثم بعد أن صلى الجمعة ﷺ دخل المدينة تدعوه كل قبيلة للنزول عندها قائلين: هلم إلى العدد والعدة والسلاح. يقول صاحب السيرة النبوية [٣] يصف ركب النبى ﷺ إلى المدينة: «ولما ركب ﷺ وخرج من قباء سار الناس معه ما بين ماشٍ وراكب، ولازال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة وصار الخدم والصبيان يقولون: «الله أكبر جاء رسول الله ﷺ» ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله ﷺ وقال بنو عمرو بن عوف له ﷺ حين أراد الخروج من قباء: يا رسول الله أخرجت ملالا لنا [٤] أم تريد دارا خيرا من دارنا؟ قال: إنى أمرت بقرية تأكل القرى أى تغلبها وتقهرها. فخلّوا سبيلها - يعنى ناقته - ﷺ.

ثم أدركته صلاة الجمعة فى مسجد بنى سالم ابن عوف [٥] وهو المسجد الذى فى بطن الوادى على يمين السالك إلى مسجد قباء ويسمى «مسجد الجمعة» فصلاها بمن معه من المسلمين وهى أول جمعة صلاها ﷺ بالمدينة وخطب بها، وهى أول خطبة خطبها ﷺ فى الإسلام.. ثم ركب ﷺ بعد صلاة الجمعة متوجها إلى المدينة وهو مُرْدِفٌ أبا بكر - رضى الله عنه - خلفه إكراما له. ولما ركب ﷺ أرخى لناقته زمامها وهى تنظر يمينا وشمالا وكلما مرّ على دار من دور الأنصار يدعونه للمقام عندهم يقولون: يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة. فيقول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة. إلى أن جاءت وناخت عند دار أبى أيوب الأنصارى.

وأول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فى أول جمعة فى مسجد بنى سالم بن عوف أنه ﷺ قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس فقدموا لأنفسكم. تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع. ثم ليقولن له ربه. وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك؟

فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم

(٣) أحمد زينى دحلان السيرة النبوية ج١ ص ٣٢٤ بتصرف.

(٤) كراهة لنا

(٥) حيث إن المدينة كانت بها مساجد قبل وصول النبى ﷺ [illegible]

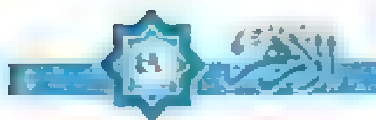


لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل. ومن لم يجد فبكلمة طيبة ؛ فإن بها تجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته.

تلك هى أول خطبة فى أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ عند دخوله المدينة المنورة فيها بيان موجز بليغ لنهج المسلم فى حياته وأن تصرفه وما يرفل فيه من نعم الله عليه سوف يسأل عنه يوم القيامة. سوف يسأله ربه كفاحا ليس دونه حجاب، وأنه سوف يموت فجأة دون مقدمات ولا نذير سوف يأتيه الموت فجأة حتى لو كانت عنده غنمات يرعاها ،سوف يتركها سائمة بلا راع دون مقدمات أو تبرير. فهل أعد الإنسان المسلم نفسه لهذه المفاجأة؟ التى لاتدع له فرصة لترتيب أوراقه - كما يقولون - أو تصويب أخطائه أو طلب العفو عن جرم ارتكبه بليل والناس عنه غافلون؟ لكن الله لايغفل ولا ينام!!

هذا هو نهج الإسلام - كما وضحه المصطفى ﷺ - فيه الرقابة اللصيقة الشديدة من ضمير الإنسان فهو يعامل الله سبحانه وتعالى ويراقبه فى كل عمل يعمله حتى وإن لم يره الناس ثم هذا النهج السوى المستقيم السهل الميسور الواضح وهو أن اتقاء النار والنجاة من الهلاك تكون بعمل يسير قد لايقدره الإنسان وهو فى ميزان الاقتصاد والمال لايساوى شيئا، لكنه عند الله عظيم وهو شق تمرة بل وربما لايجد شق تمرة فليقدم كلمة طيبة فإنها فى ميزان الله - سبحانه وتعالى - بعشر حسنات وتضاعف إلى سبعمائة ضعف؛ فلا تستصغر ذلك فرب كلمة سيئة تودى بقبيلة وكما يقولون :ومعظم النار من مستصغر الشرر، فالفتنة بين الناس توقظها وأساسها كلمة خبيثة هذا منهج واضح سهل مستقيم رسمه النبى ﷺ فى وضوح ويسر وإيجاز يؤسس به مجتمعا مسلما نظيفا مراقبا لله فى كل تصرف.

هذه أول خطبة للنبى ﷺ حين دخوله المدينة المنورة وثمت أحداث أخرى ومواقف رائعة علينا أن نتذكرها وأن نعيها حتى نقوِّم اعوجاج حياتنا الحاضرة ونسأل الله التوفيق.



الرافعي و التفسير الحضاري لمقدمات الهجرة النبوية

إن الرافعي ليس مؤرخا ولا كاتب سيرة ولكنه أديب مسلم استوحى التاريخ واستضاء بحقائقه ودافع عن رسول الله ﷺ تدفعه عاطفة إيمانية صادقة وعقل تشرب الفكر الإسلامي واستساغه وهضمه وتقوى به وقلب نابض بحقائق الإيمان وتعاليم القرآن.

وفي مقالته فلسفة قصة التي جاءت بعد مقالة وحي الهجرة وقد أنشأها لعدد الهجرة من مجلة الرسالة ١٣٥٥هـ وفلسفة هذه القصة أن الهجرة كانت طريقا إلى وجود حضارة الأمة الإسلامية العالمية الكبرى والرافعي هنا أقرب إلى مصافحة حقائق التاريخ من المقالة السابقة.

والقصة هي تتكون من مشهدين، هما: موت السيدة خديجة زوج النبي ﷺ، وموت عمه أبي طالب في عام واحد في السنة العاشرة من البعثة.

والمشهد الثاني: خروج رسول الله ﷺ إلى الطائف، يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه.

أما المشهد الأول فيصوره الرافعي تصويراً حركياً مع ربطه بحدث الهجرة، وبداية تكوين الدولة الإسلامية.

وهذه الرؤية الجديدة لهذا المشهد هي سمة الرافعي في فلسفة الموقف وتفسيره لها في ظل توجيه الإسلامي، وعاطفته الإيمانية، وقدرته على «الحدس».. واستبطان الأمور، وسبر أغوارها، يقول: «وبموت أبي طالب وخديجة، أفرد النبي ﷺ بجسمه وقلبه، ليتجرد من الحالة التي يغلب فيها الحس، على الحالة التي تغلب فيها الإرادة. ثم ليخرج من أيام الاستقرار في أرضه، إلى الأيام المتحركة به في هجرته، ثم لينتهي بذلك إلى غاية قوميته الصغيرة المحدودة، فيتصل من ذلك بأول عالميته الكبرى».

وإرهاصات الهجرة ومقدماتها في هذه المقالة أوضح وأيسر، وأقرب للمتلقي العادي، ومنها:

أ- موت خديجة وموت أبي طالب.

ب- محاولة المشركين إيذاء النبي ﷺ، وتطور الإيذاء حتى تآمروا على قتله، ويصور الرافعي مشهدا من مشاهد الإيذاء حين نثر بعض المشركين التراب على رأس رسول الله ﷺ: ويدخل النبي بيته وتقوم إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي، فيقول لها رسول الله: يابنية لاتبكي فإن الله مانع أباك

إن هذا المشهد يرسمه الرافعي ويصوره بحاسته الأدبية، وملكته البيانية، وفلسفته النابعة من قوة إيمانه «كانت تبكي» إذ لاتعلم أن هذا التراب على رأس النبي العظيم هو شذوذ الحياة الأرضية لمدينة. هذه القبضة من التراب الأرضي قبضة سفيهة، تحاول رد الممالك



الرافعي

الإسلامية العظيمة أن تنشأ نشأتها، وتعمل عملها في التاريخ.

فهي في مقدارها وسخافتها ومحاولتها كعقل قريش حينئذ في مقداره وسخافته ومحاولته.

جـ- خروج النبي ﷺ إلى الطائف، وإيذاء سفهاء ثقيف وعبيدهم له، ودعاؤه المأثور في هذا الموقف.

ويفسر الرافعي هذا الموقف في استنكار ودهشة وألم، ويلجأ إلى ما يسمى في البديع إلى اللف والنشر المرتب حيث يقول عن أهل الطائف الذين أعرضوا عن رسول الله ﷺ وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم: ساخراً منهم ومعرضاً بهم.

وماكان أولئك الأشراف وسفهاؤهم وعبيدهم إلا معاني الظلم والشر والضعف، تقول للنبي العظيم الذي جاء يمحوها ويديل

منها: «إنها أشياء ثابتة في البشرية».

«لم يكن منهم الأشراف والسفهاء والعبيد، بل كان منهم العسف، والرق، والطيش، تسخر ثلاثتها من نبي العدل، والحرية، والعقل، فما تسخر إلا من نفسها».

وتأمل التناظر بين الصفات والذوات في الجملة الأولى: فالظلم من صفات الأشراف، والشر من سمات السفهاء، والضعف من سمات العبيد، وفي الجملة الثانية النظام الأسلوبي نفسه، مع قليل من الاختلاف في الصفة الثانية، فالعسف في ذلك الوقت، وذلك المكان: كان سمة الأشراف، والرق سمة العبيد، والطيش سمة السفهاء، والمقابلة والتضاد بين صفات النبي وصفات هؤلاء الجاحدين تصور جو الصراع بين القيم، والصراع بين العسف والعدل، وبين الحرية والرق، وبين العقل والطيش، وهو تجسيد للصراع بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، وبين عباد الرحمن وعباد الأوثان، وذلك يمثل جوهر الصراع بين رسول الله وبين المشركين، وبين الإسلام وأعدائه في كل زمان وكل مكان.

د ـ دعاء النبي ﷺ وشكواه إلى ربه: من إرهاصات النصر، ومن أمارات الإذن بالهجرة، والثبات على الحق وإن لم يتحقق، كما قال الرافعي في المقالة الأولى، ويتجلى ذلك الثبات في مناجاة رسول الله ومخاطبته لربه «الرحيم الرحمن» والقوي القادر، حيث يقول: «إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي». ويعلق الرافعي على هذه المناجاة النبوية لخالق الكون عز وجل، ولعمري: لو نطقت الشمس تدعو الله لما خرجت عن هذا المعنى، ولا زادت على قوله: «أعوذ بنور وجهك» تلتمس من مصدر النور الأزلي حياطة وجودها الكامل.

ويفسر الرافعي: صبر رسول الله ﷺ على قومه، وعدم استجابته لإهلاكهم، ودعائه بأن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وينشر دينه، وقد تحقق للحبيب المصطفى ما تمنى، واستجاب الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بعد فتح مكة، ثم انتشر الإسلام في العالم كله، يفسر الرافعي ذلك تفسيراً أدبياً وفكرياً جديداً يدعو للتأمل والتحليل فيقول: «وكان في سكوته كلام كثير في فلسفة الإرادة والحرية والتطور، وأن لابد أن يتحول القوم، وينتقل من هذا التفسير المعنوي إلى التفسير البياني: حيث تآزر عناصر الإبداع في أدبه لتقدم صورة أدبية متوهجة ناطقة بالإمتاع والإقناع، فالخيال واللغة والفكر تتجمع في هذه الجملة التي يفسر بها موقف رسول الله ﷺ من أهل الطائف، وعدم دعائه عليهم بالهلاك، يقول الرافعي: وأن لا بد أن يتفطر هذا الشجر الأجرد عن ورق جديد أخضر ينمو بالحياة.

هـ ـ الحوار بين عداس «النصراني»، والنبي ﷺ من إرهاصات الهجرة، ومن البشارات دخول المشركين وغيرهم من النصارى واليهود في الدين الإسلامي، وحين قال النبي لعداس وعند مشهد الحديث عن يونس بن متى «ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي» أكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه ورجليه. ويتعجب الرافعي قائلاً باعث الرموز القدر في هذه القصة ثم يلجأ إلى المقابلة بين عناصر الإيمان، وعناصر الشرك. ولا تفارقه طريقته في نظم الأسلوب فمع هذه المقابلة يستعين بوسيلة بديعية أخرى هي «اللف والنشر المرتب» مثل صنيعه في المقالة السابقة فيقول: «مضى إسلام بني ربيعة بعد ذلك. وإسلام عداس النصراني» «انعقد أمر الخير والكرامة والإجلال، فانقلب تعبيراً عن الشر والسفاهة والطيش».

ويلجأ إلى الخيال وهو يفسر بعض الأحداث تفسيراً رمزياً، حيث يوظف مشهد قطف العنب الذي قدمه عداس لرسول الله ﷺ وهو جالس متعب إلى جوار بستان «ابني ربيعة» ووضع الرسول يده وقال «بسم الله ثم أكل»: يقول الرافعي في ختام إفصاحه عن فلسفة قصته التاريخية.

ثم أتم القدر رمزه في هذه القصة. يقطف العنب سائغاً عذباً مملوءاً حلاوة، فباسم الله كان قطف العنب رمزاً لهذا العنقود الإسلامي العظيم الذي امتلأ حباً: كل حبة فيه مملكة.

وأهم مايميز الرافعي هو اتجاهه نحو «التوليد» والتصوير، مما جعل القدرة على التعبير عن الفكرة الواحدة بمعان وأساليب متعددة، وتبدو هذه القدرة في استخدام مفردات اللغة من اشتقاقات ومضادات، ومقابلات معنوية ولفظية، وإيحاءات مجازية، واتجاه الرافعي نحو التوليد يدفع إلى توازن العبارات ليسودها نوع من الإيقاع والجرس الذي يمنح الأسلوب جمالاً. ويأتي ذلك عن طريق التضاد والفواصل بين الفقرات، وتقليب اللفظ على وجوه مختلفة، وصور الرافعي الخيالية لاتأتي تلقائية، وإنما هي منتزعة من فكره انتزاعاً، ولهذا فهي تتداخل أحياناً، وتتزاحم فيها التشبيهات والاستعارات وألوان البديع المختلفة لصياغة الصورة عنده»[1].

(١) انظر: الأدب الإسلامي «عدد خاص» عن الرافعي (٤٣ – ٤٤) دراسة د. مكارم الديري.

خطبة الجمعة

فى ذكرى الهجرة

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ: على حامد عبد الرحيم

الحمدلله - عز وجل - هو واهب النعمة وملهم الحكمة

﴿ [illegible] إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ٢٦٩)

أشهد ان لا إله الا الله. جعل فى كر الايام عظة. وفى مراحل الزمان عبرة

﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران ١٩٠)

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، صنعه ربه على عينه، وجعله القدوة العليا لخلقه:

﴿ [illegible] ﴾ (النساء ١١٣)

فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته. وأقطاب صحبته. وأنصار دعوته

﴿ [illegible] ﴾ (الأحقاف ١٤)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.. بعض الحديث إذا أعيد وتكرر أحس المرء معه بملل أو سأم، ومن هنا قال الشاعر: «واللحن المكرر يسأم»، وبعض الحديث يحلو أو يعلو إذا أعيد وتكرر، ومن هنا قال الآخر: «ما أحلى مذاق الشهد وهو مكرر».

ومن الموضوعات التى لا يمل حديثها ولا تسأم سيرتها حياة محمد إمام البشرية وسيد الإنسانية عليه الصلاة والسلام.. وفى حياة محمد الجليلة النبيلة أيام خوالد ماتزال تضوأ على الأيام، وتتألق فى غرة الزمان، ولعل أسطعها وأروعها هو يوم الهجرة الذى تهب علينا نسمات ذكراه فى هذه الآونة، وفى مطلع كل عام من أعوام المسلمين يتردد الحديث عن هذه الذكرى، وتتعدد ألوانه وأنواعه، ومع ذلك لا يسأم اللسان المؤمن القول الكريم، ولا تسأم الأذن الموفقة الاستماع الجميل، ومن شواهد جلال الموضوع أن يزداد بهاء وسناء كلما تناوله العرض والبحث، كالذهب الإبريز كلما عرضته على النار لتمحصه ازداد إشراقا وصفاء:

﴿ [illegible] ﴾ (الرعد: ١٧)

وأول عظة تتبدى لنا من حادث الهجرة أن صاحب العقيدة أو الفكرة يجب أن يضحى فى سبيلها ويشقى من أجلها إذا استلزم الأمر ذلك، وهو يرى أن التعب فى سبيلها يريح قلبه ويشرح صدره، وأن القلق عليها فيه استقرار لنفسه، وثبات لخطته، وهذا محمد يخرج من بيته مهاجرا فى سبيل ربه، حرصا على دعوته، وطلبا للتربة الصالحة التى تنمو فيها وتزدهر

ولم تكن الهجرة من مكة إلى المدينة يومذاك سفرا قاصدا ولا رحلة هينة، بل كانت فى الظروف التى تمت فيها عملا محفوفا بالمخاطر والأهوال، وحسبنا إدراكا لهذا أن محمدا لو وقع فى أيدى الطغاة من المشركين يومذاك لكان مصيره الهلاك بلا ريب، فقد صمموا على قتله من قبل:

﴿ [illegible] ﴾ (الأنفال ٣٠)

نعم خرج محمد من وطنه وسكنه، وداره وقراره، مهاجرا إلى دار جديدة، فأية قوة دعت ذلك المهاجر الكريم إلى أن يركب متن الصحراء، وأن يعرض لحرها وسمومها، وأهوالها وأخطارها، وهو فى فقر من ماله، وقلة من رجاله، وضعف من عدته. وكبر من سنه، فقد تجاوز الخمسين بسنوات؟.. وما الذى حمله على ذلك، وقد كان فى استطاعته أن يفوز -لو أراد- بالعيش الهنىء والمقام الطيب والنعيم الواسع فى داره، فقد عرضوا عليه ذلك؛ عرضوا عليه المال والجمال، والرياسة والجاه. فى سبيل شىء واحد، هو أن يترك هذه الدعوة التى يدعو بها، أو يترك سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، أو يقابلهم فى منتصف الطريق فيحترم دينهم هو ويحترمون له دينه، ولكنه أبى واستعصم؛ لأنه يدعو

إلى الحق لا تحاش

﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾

(يونس: ٣٢)

وهتف فيهم بما علمه ربه:

﴿ لا أعبد ما تعبدون ۝ ولا أنتم عابدون ما أعبد ۝ ولا أنا عابد ما عبدتم ۝ ولا أنتم عابدون ما أعبد ۝ لكم دينكم ولي دين ﴾

(الكافرون: ٢-٦)

﴿ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾

(الأنعام: ٩١)

ولقد شرح الله صدر الفاروق عمر بن الخطاب، وهداه بمشاورة المسلمين إلى أن يختار يوم الهجرة فاتحة للسنة العربية ومبدأ للتاريخ، وهنا يلمح الذهن خاطرا من الخواطر، هو أن ذكرى الهجرة قد صارت فاصلا بين مرحلة من الزمن ومرحلة أخرى؛ لأنها ختام عام يمضي وهلال عام يقبل. وعند هذا الفاصل يقف المسلم وقفة المراجعة والمحاسبة، فيراجع كشف حسابه خلال العام الماضي، ويدقق هذا الحساب ويحسمه، ثم يعد خطة العام المقبل، منتفعا بتجارب مرت، ومتعظا بعبر تقدمت، وراجعا عن هفوات سبقت، ومصمما على اتباع خطة الفلاح والرشاد.. والعجيب في هذا الخاطر أن الهجرة نفسها كانت فصلا بين عهدين: عهد مكة الذي لم يكن للمسلمين فيه كيان ولا سلطان ولا مجتمع، وكان نصيبهم من المشركين الجبابرة هو العذاب والابتلاء، وعهد المدينة دار النصرة ومركز القيادة، وفيه صار للمسلمين دولة ومجتمع وكيان؛ ولأن الهجرة كانت فيصلا بين عهدين، وكانت خروجا من بيئة الشرك المتحجر إلى بيئة الإيمان المتفتح، دعا الرسول ربه في أثناء الهجرة بقوله:

﴿ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾

(الإسراء: ٨٠)

وكانت الهجرة فيصلا بين مرحلتين بارزتين في حياة المسلمين الأوائل: في المرحلة الأولى كانوا يتحملون ويصبرون، وكانوا في ضيق مما يعمله الطغاة ويمكرون، وفي المرحلة الأخرى انتقلوا إلى الدفاع والجهاد والانتصاف والبناء والتعمير. وما أجمل المسلم يوم يجعل ذكرى الهجرة نقطة تحول واعتدال، فينتقل فيها من وضع لا يرتضيه، ومنهج لا يزكيه، إلى مجال آخر يعلو فيه ويقوى ويتطهر ويتزكى:

﴿ ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ﴾

(فاطر: ١٨)

ونلاحظ في الهجرة أمرا له أهميته؛ فالرسول لم يدخر وسعا في إعداد ما يمكنه إعداده لإتمام هجرته، ولكن الذي أعده برغم اجتهاده فيه لم يكن قابيل.. لقد خرج في هجرته وليس معه جيش من الناس يحميه، بل معه رفيق واحد، وليس معه مدافع أو قنابل تصد عنه، ولم يتحصن في قلعة، وإنما في غار مفتوح، ولم تحرسه دبابات، وإنما ظهر على الغار حمامة وعنكبوت، ولم يستخدم في هجرته الطائرات والسفينات، وإنما هما ناقتان إحداهما له والأخرى لأبي بكر، وهذا تعني هذه الوسائل تعبئة شبيهة[1].. نعم إن الرسول لم يدخر وسعا في الاستعداد، فلم يجد إلا هذه الأسباب، ولكنه أيدها بالإخلاص واليقين، والثقة بالله والاعتماد عليه، بعد استنفاد الوسائل والطاقة. وهنا كان لابد من نصر الله وتأييده؛ فجعل الله القليل كثيرا، والضئيل جليلا، ومن وراء اليد المحمدية التي بذلت جهدها واستنفدت طاقتها كانت يد الله القوي القادر:

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾

(التوبة: ٤٠).

وهكذا تعلمنا الهجرة أنه لابد من العمل مع الأمل، ولابد من العقل مع التوكل، ولابد من بذل الجهد مع الاستعانة بالقدر، وتعلمنا أنه قد يهزم مغرور بحوله وطوله، وسلطانه ومكانته، وقد ينتصر متواضع مؤمن يبذل جهده وطاقته:

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾

(البقرة: ٢٤٩)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

إن الهجرة اليوم ذكرى؛ والذكرى تنفع المؤمنين. وإذا كان الصادق المصدوق – صلوات الله وسلامه عليه – قد قال عن الهجرة الحسية المعروفة في سيرته: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»[2] فإن باب الهجرة الروحية والمعنوية مفتوح حتى تقوم الساعة، وقد قال الرسول: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[3] والذي يهجر المنهي عنه لابد له أن يلتزم المأمور به؛ إذ لو اقتصر على الموقف السلبي لما كان جديرا بمكانة الإنسان العاقل الذي يعرف السوء فيحذره، ويعرف الخير فيتمسك به، فلعل واهب القوى والقدر يوفقنا في مطلع العام الهجري الجديد إلى هجرة روحية وخلقية ونفسية نتزكى فيها ونتطهر، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

﴿ واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾

(المائدة: ٨٨)

(١) صحيح البخاري جـ٣ ص١٨، جـ٤ ص١٨، ٢٨، ٩٢، ١٢٧.

(٢) صحيح البخاري جـ١ ص٩، جـ٨ ص١٢٧.

زواج المعاقين في المنظور الإسلامي

المعاق هو شخص يعاني من عاهة عقلية أو جسدية تجعله غير متكامل ذهنيا أو بدنيا، على خلاف الشخص السليم.

وضعية المسألة:

تدور المشكلة بالنسبة لزواج المعاق حول حقيقتين تجعل أمر زواجه محل جدل ومثار خلاف.

- من حيث كون المعاق بشرا له حقوق وعليه واجبات يكتسبها بحكم كونه إنسانا يتعين أن يوفرها له المجتمع، وتعترف له بها الأديان، من ذلك أنه يتمتع بحق المساواة والكرامة مع إخوته في الإنسانية. وعليه واجب احترام النظام وعدم الإضرار بالآخرين.

- ومن حيث إصابته بالإعاقة الذهنية التي تؤثر على قوة إدراكه وفهمه للأشياء، وهو ما يجعله في وضع أقل من نظيره السليم. من ذلك أنه يشارك في بناء مجتمعه في حدود إمكاناته وطاقاته، وبما يعمل على نهضة وتقدم أمته.

وعلى أساس ذلك تتجاذب الآراء ما بين من يجيز معاملته على قدم المساواة، والاستجابة إلى نداء الفطرة والغريزة فيه، وبما يقتضي ممارسة حقه في الزواج، وما بين من يقيد هذا الحق أو يمنعه منه، بسبب الأضرار التي تنشأ عن زواجه، وما قد يترتب عليه من مشكلات لنفسه ولقرينه ولولي أمره ولأولاده ثمرة هذا الزواج وللمجتمع المحيط به، وهو المنهي عنه بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا [illegible]﴾

(البقرة: ٢٣١)

فقه المسألة:

على هدى ذلك تدور النصوص الشرعية بين تقرير حق الزواج لكل إنسان، وبين إيراد وضع خاص للمعاق بسبب إعاقته.

وبتأمل النصوص المتعلقة بالزواج، يلاحظ أنها تتسم بالعموم، وتنقسم إلى النصوص العامة في موضوع الزواج:

﴿[illegible]﴾

(الروم: ٢١)

﴿[illegible]﴾

(النور: ٣٢)

ومن ذلك ما جاء في حديث الرسول ﷺ: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

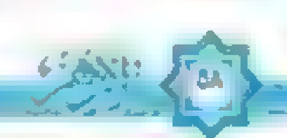
فهذه النصوص بعمومها وشمول الخطاب فيها تحض على الزواج وتعتبره من السنن الفطرية والواجبات الاجتماعية، فهو قوام الجماعة، والصرح المكين لاستمرار النوع الإنساني، لا يجوز حرمان أحد منه، لما فيه من إهدار لحقه الواجب شرعا، وإخلال بوجوده الإنساني الطبيعي؛ فإن الزواج هو الصيغة التي توافق عليها المجتمعات بحسبان أنه الأسلوب الأمثل للتوالد البشري ولتنظيم العلاقة السوية بين الرجل والمرأة. وعلى الجانب الآخر، فإن الفقه يسوي بين السليم والمعاق في حكم الزواج، ذلك أن الفقهاء عندما تناولوا موضوع الزواج، لم يفرقوا في استحقاقه بين الصحيح والسقيم، والسوي والمعاق، وهو ما يظهر في بيانهم لحكم الزواج الذي يدور بين الأحكام التكليفية، فهو إما فرض أو واجب أو سنة أو حرام أو مكروه أو مباح.

وهذا التقسيم يدور في الصميم حول اعتبارات اجتماعية وقدرات بدنية واقتصادية، ومقومات حقوقية وعقلية، تتمحور في الأمور البيولوجية والغريزية والمالية والعدالة الأسرية والاجتماعية، وهي ليست في البشر سواء، حتى بين أقرب الأقارب، ومن ثم فإنه بحسب توافر هذه المقومات من عدمها يتراوح الحكم بين سريان أي من هذه الأحكام التكليفية المشار إليها.

ومن ناحية أخرى، فإن الفقهاء أفردوا للمعاق أحكاما تتناسب مع طبيعة الإعاقة، من ذلك أقروا للمجنون والمعتوه الزواج وفقا لولاية الإجبار، وهي نوع من الولاية في الزواج يباشرها الولي على الصغير والمجنون والمعتوه، وهما من المعاقين ذهنيا، بينما الإعاقة الجسدية قد لا تشكل قيدا على ممارسته لحقوقه الاجتماعية، ومن بينها الزواج، مثل الإعاقة الذهنية.

فعلى حين تنطبق ولاية الاختيار والحق في

(1) الشوكاني، نيل الأوطار، جـ٦، ص١١٣



ممارسة اختيار شريك الحياة في الشخص السليم، فإن ولاية الإجبار عن طريق الولي تأتي بالنسبة للشخص المعاق، فيمارس هذا الحق الولي لمصلحة من نزلت بهم إعاقة ذهنية.

رأي الفقه في زواج المعاق:

الناظر في كتب الفقه، يجد من الفقهاء من يذهب إلى إجازة زواج من أصيب بعاهة الجنون، كما ورد في الفقه الحنبلي ونصه: «وأما المجنونة فلجميع الأولياء تزويجها إذا ظهر منها الميل للرجال؛ لأن لها حاجة إلى النكاح، لدفع ضرر الشهوة عنها وصيانتها من الفجور وتحصيل المهر والنفقة والعفاف وصيانة العرض، فأبيح تزويجها، ويعرف ميلها إلى الرجال من كلامها وتتبع الرجال وميلها إليهم ونحوه من قرائن الأحوال، وكذا إن قال ثقة من أهل الطب- إن تعذر غيره- وإلا فثقتان: إن علتها تزول بتزويجها، فلكل ولي تزويجها؛ لأن ذلك من أعظم مصالحها كالمداواة، ولو لم يكن للمجنونة- ذات الشهوة ونحوها- ولي فللحاكم تزويجها»(1).

وعلى سند من هذا النظر ذهب مجمع البحوث الإسلامية إلى أن: من حق المعاق ذهنياً أن يتزوج مادامت أركان الزواج متوافرة، فإن كانت الشريعة قد أباحت زواج المجنون، وأباحت الزواج من المجنونة؛ فالمعاق إعاقة عقلية زواجه جائز من باب أولى ولا حرج فيه مادام محوطاً بالحرص على مصلحته محوطاً برعاية منافعه. وكتب الفقه تعقد مسائل وفصولاً تتحدث فيها في كل المذاهب عن زواج المجنون وولاية الإجبار عليه- كالولاية على الصغير- ويختلفون في جعلها خاصة بالوالد والجد فقط أو تعديتها لبقية الأولياء، أو حتى للحاكم أي القاضي، كل هذا لما فيه من مصلحة هذا الإنسان المركب فيه الشهوة والعاطفة، والمحتاج إلى سكن وعفة ورعاية وعناية شأنه شأن بقية بني جنسه مع زيادة عليهم باحتياج في بعض النواحي التي مرجعها حالته الخاصة»(2).

ومفاد ذلك أن المجمع والفقه يغلب الاعتبارات الإنسانية على الجوانب الأخرى التي تحوم عن هذا الزواج من محاذير وأضرار، ويحملون ولي المجنون أو المجنونة مسئولية الولاية عليه ورعايته والاستجابة إلى احتياجاته الطبيعية وشهواته الغريزية.

النصوص الخاصة وفقاً للحالة الذهنية للمعاق:

حديث الرسول ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»(3)، وهذا يعني رفع المؤاخذة ونفي المسئولية بسبب العاهة العقلية

(1) البهوتي، كشاف القناع، جـ5، ص112.

(2) توصية المجمع في الجلسة السادسة، الدورة 44 بناء على ما انتهت إليه لجنة البحوث الفقهية

(3) سبق تخريجه.

بالنسبة لهؤلاء الأشخاص الثلاثة، وينتفي العقل وزواله بحسب حالة كل منهم الذهنية، ودرجة إدراكه، ومدى تمييزه، إلا من المشاهد أن سلوك الشخص يتأثر في الأحوال الثلاثة.

وفي حديث «لا ضرر ولا ضرار»(1)، ما يشير إلى أن كل تصرف لأي إنسان يجب أن يكون في نطاق الاستقامة والسلوك السوي، مما لا يؤذي الغير.

إن العقل مناط التكليف بالواجبات الشرعية، إذ هو وسيلة الفهم وأداة العلم بالخطاب، وهو شرط لازم لمساءلة الشخص ومحاسبته، وبه إلى جانب تتعلق القدرة البدنية وبهما تتكامل قوى الإنسان، فإن الأداء يتعلق بقدرتين، قدرة فهم الخطاب وهي بالعقل، وقدرة العمل به، وهي بالبدن(2) ومن ثم يتم التكليف ويكون محوطاً بالحكم الشرعي في الزواج، وسائر الأحكام والتكاليف الشرعية، وهي الركائز اللازمة للاستقامة والاستقرار للمجتمع.

إن الفقهاء قد عالجوا وضعية المعتوه والمجنون والسفيه وقرروا لأصحاب الإعاقة الذهنية أحكاماً خاصة تهدف إلى المصلحة الخاصة للمعاق ومن يرتبط به أو يتعامل معه والمصلحة العامة واعتبروها من موانع المسئولية، أو بحسب المصطلح الأصولي من عوارض الأهلية(3)، أو هي بمعنى آخر أعذار شرعية تكون محل اعتبار عند مساءلة المكلف أو المخاطب بالأحكام الشرعية.

تعرف عوارض الأهلية بأنها الأمور التي تطرأ على الشخص بسبب إصابته بآفة عقلية أو غيرها تحول بينه وبين الإدراك السليم للأشياء، وتؤثر في أهليته(4) بالإزالة والنقصان أو تغير بعض الأحكام بالنسبة لمن عرضت له من غير تأثير في أهليته.

والإعاقة الذهنية وهي الأكثر خطورة من الإعاقات الجسدية، اعتد بها المشرع الإسلامي، وأدرجها ضمن العوارض السماوية أو الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها، وهي الجنون والعته والنوم والإغماء.

1- **الجنون**: آفة تحل بالدماغ تفقد الشخص قدرته على الإدراك والتمييز، فلا يتوجه له الخطاب الشرعي، ولا يطالب بشيء من التكاليف الشرعية؛ فلا يجب عليه العبادات ولا يصح له إبرام العقود والتصرفات ولا يُسأل جنائياً.

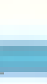
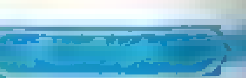
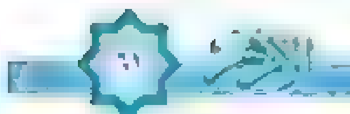
لكنه يلتزم بالمسئوليات المالية والمدنية، كما في النفقات والإتلاف، والزكوات، لتعلق حق الآدمي بها، ولتعلقها بالذمة المالية وهي مغارم لا تتأثر بالحالة العقلية.

(1) سبق تخريجه.

(2) كما يقول الحنفي: فإذا كملت تعلق القدرة بهما يكون كاملها بكمالها، وقاصرها بقصورها. انظر: كشف الأسرار مع شرح نور الأنوار، جـ2، ص446

(3) انظر محمد الشحات الجندي، أصول التشريع الإسلامي، ص328 وما بعدها.

(4) زكي الدين شعبان، أصول الفقه الإسلامي، ص274.

٢- العته، آفة عقلية تؤدي إلى نقصان العقل وقصوره عن الإدراك والفهم، فهو وإن وجد لديه العقل لكنه عقل ناقص غير كامل. وهو كالصبي المميز من حيث نقص الفهم والقصور في الإدراك، وعلى سند من ذلك فإن تصرفات المعتوه تقسم إلى ثلاثة:

١- نافعة نفعاً محضاً، يجوز له أن يتصرف فيها، لما فيها من تحقيق مصلحته فهي تصرفات لا تضره أو تنتقص من ذمته المالية، كالوصية له، وهبة المال له، لكن يدور الجدل حول الزواج، بحسبان أنه تصرف ليس محض نافع له، ومع ذلك قد يُقال: إن نقصان عقله لا يحول بينه وبين صحة تصرفاته الدائرة بين النفع والضرر، ومنها الزواج الذي يمارسه بإذن وليه، ولا يصادر حقه الفطري في البناء الاجتماعي، وتحصيل العمران، لكن ممارسة هذا الحق، ينبغي أن تحقق الغاية الاجتماعية ؛ لذلك فإن صحة تزويج المعاقين ذهنياً، ينبغي أن يكون خاضعاً للولاية على النفس والولاية على المال، ولها ضمانات وضوابط تكفل تحقيق الغاية منها في الشرع والقانون، وتتمثل في تمتع الولي بسلطة تقديرية في تزويج المعاق ذهنياً من عدمه، وحسن تقدير المصلحة وجدارتها، وكذا عدم الإضرار بمن تشاركه هذه المؤسسة الاجتماعية رعاية لقوله تعالى:

﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾

(النساء: ١٢)

وقوله:

﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

السفيه، وهو شخص لا يحسن التصرف، ويصرف المال في غير موضعه، فهو يتصرف على خلاف مقتضى العقل والشرع، لذلك جاء النص بالنهي عن التصرف في المال بقوله تعالى:

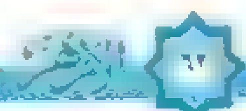
﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾

(النساء: ٥)

وضبطاً لترشيد حق الممارسة في هذا الشأن تضمنت هذه الأحكام قانون الولاية على النفس رقم ١١٨ لسنة ١٩٥٢م، وقانون الولاية على المال رقم ١١٩ لسنة ١٩٥٢م، وهما قانونان مستقيان من الشريعة الإسلامية.

٢- تصرفات ضارة ضرراً محضاً، لا يجوز له أن يباشرها؛ لأنها تحمله بالتزامات مالية كالهبة والوصية والتبرعات للغير، نظراً لأنها تنقص من ماله.

٣- تصرفات دائرة بين النفع والضرر، فهي تصرفات جائزة منه، لكنها تحتاج إلى إذن الولي وموافقته، مثل الزواج والبيع والشركات والإجارة



وإذا كان المعتوه فاقد الإدراك والتمييز فلا يملك شيئاً من التعاقدات، ولا يجوز له إبرام العقود والمعاملات، ويؤخذ حكمه في الحدود والقصاص والتعزير.

الكفاءة وأثرها على الزواج في حالة الإعاقة:

إن الإعاقة الذهنية قد تؤدي إلى عدم الكفاءة بين المعاق والسوي، بعض الفقهاء يعتبر الكفاءة في الزواج، وهي أمر مصلحي يتأسس على اعتبارات دينية واجتماعية واقتصادية، هي محل اعتبار عند الناس، وكان من لطائف الشرع أن يلاحظ بعض هذه الأمور وفقاً لحديث: «ألا لا يزوج النساء إلا الأولياء، ولا يزوجن إلا من الأكفاء»، وبهذا نلاحظ أن عدم التماثل بين المعاق والسليمة قد يكون والتكافؤ ينظر إليه في الواقع الحياتي للناس: أمور مصلحية واعتبارات حياتية، وهي معتبرة في الدين والنسب والحالة الاجتماعية والمقومات الشخصية ورأس مقومات الشخصية العقل، وقد يحتج بعدم توفرها في حق المعاق ذهنياً استناداً إلى نقص أو انعدام قدراته على أداء الالتزامات الدينية والمدنية والاجتماعية، مما يجعله عالة على غيره ومفتقداً لمقومات بناء أسرة سليمة تصلح أن تكون خلية اجتماعية يقوم عليها صرح مجتمع سلمي رشيد.

الاجتهادات الفقهية والمعطيات الحديثة:

لكن مسألة الكفاءة في الزواج ليست موضع اتفاق بين الفقهاء، فمن الفقهاء من لا يعتبر الكفاءة كشرط للزواج، ومستندهم في ذلك عمومات النصوص، مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

(الحجرات: ١٠)

وقوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

(التوبة: ٧١)

وقوله عز وجل:

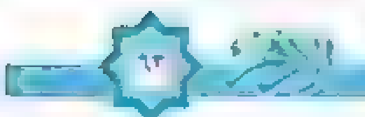
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(الحجرات: ١٣)

فإنه بمقتضى هذه النصوص اعتبار الدين في الكفاءة أصلاً وكمالاً، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمراً وراء ذلك[1]. وهو ما يعني أن الإعاقة لا تشكل قيداً على الكفاءة، وعليه يكون المعاق كفواً للزواج من السليمة.

والواقع أن الظروف المجتمعية أفرزت أوضاعاً غير مألوفة، ولا تسير على الأنماط التقليدية في العلاقات الاجتماعية بين النوعين والتي ظلت سائدة لفترة طويلة، وعبر أجيال متعاقبة، إذ كانت الزيجات ميسرة تتسم بالسهولة، بين الفتى والفتاة

(١) ابن القيم، زاد المعاد، جـ٤، ص ٢٢



بدون نظر إلى الكفاءة بين الطرفين، منعاً للحرص على الزواج، والنظر إليه كعلاقة مقدسة، يجب أن يتجه إليها كل من وصل سن البلوغ أو الرشد، بغض النظر عن التساوي بين الاعتبارات الشخصية والأحوال الاجتماعية والمقومات الذاتية.

هذا المسار للعلاقات بين الرجل والمرأة عم وساد طوال المسيرة الإسلامية في أغلب الأعم، إلا أن هذه الأنماط الاجتماعية تغيرت وطرأ على المجتمع بفعل عوامل متعددة أحوال جديدة، بسبب ارتفاع مستوى المرأة وتمكينها، ومشاركتها في الحياة العامة، مما أثر في قضية الزواج بين المعاق والسليمة وصيرها متشابكة أثارت الاختلاف ووجهات النظر، وحرص كل منهما على التثبت عند اختيار قرينه على مثيله من الناحية العقلية والمرتبة الاجتماعية، فلا يرضى بما هو دونه.

ثم تبرز كذلك قضية الذرية، وما قد يلحق بها من الطبيعة الوراثية، والحالة العقلية والنسبية، فالطفل يحمل الصفات الوراثية لأبيه وأمه، ويتأثر خلقه بما يحدث فيهما، وهو ما قد يجعل الضرر مضاعفاً والأذى ممتداً، يتحمله الصغار والناشئة، الأمر الذي ينبغي دفعه وإزالته، وهو ما يرشح للقول بمنع الزواج بسبب الإعاقة إذا كانت الوسيلة إلى المنع مباحة.

الرأي:

في ضوء ما سبق، وبالنظر إلى الزواج من حيث إنه قضية مجتمعية، تمس احتياجات شخصية ومصلحة الاجتماعية، يتوجب أخذهما في الاعتبار، من غير مصادرة إحداهما لحساب الأخرى، وبملاحظة الأصول الشرعية في هذا الشأن، مثل قاعدة **«درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة»**.

وفي ذات الوقت، فإن المعاق إعاقة ذهنية لا يجوز إهدار حق ثابت له بمقتضى الأصل، وإغلاق الباب أمام مسألة زواجه بدعوى خطورة الإعاقة الذهنية، والتداعيات الناشئة عنها.

مرد ذلك أن المستقرئ لأقوال الفقهاء يجد أنهم لم يمنعوا صاحب الإعاقة الذهنية، وأشدها الجنون، من ممارسة حقه في الزواج من خلال وليه القائم على مصلحته وتدبير شؤونه، معنى ذلك أن المعاق شأنه شأن السوي له متطلبات غريزية وحاجات بيولوجية، بل قد تفوق متطلباته المتعلقة بالشهوة الإنسان السليم، غاية الأمر أنه ينبغي ضبط هذه الإجراءات لأمر زواجه، وإحاطتها بسياج من الضمانات التي تكفل ممارسة هذا الحق المقيد بما يحد من الضرر المتوقع من جراء العلاقة الزوجية بين المعاق وشريكه في الزواج، إعمالاً لقاعدة ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين.

وهذا ما يشير إليه البهوتي الحنبلي في قوله: «وإن اختارت نكاح مجنون أو مجذوم أو أبرص فله منعها؛ لأن فيه ضرراً دائماً وعاراً عليها وعلى أهلها، كمنعها من التزويج بغير كفء»(١).

وإن تطبيق القاعدة قد يتطلب إجراء تفرقة بين المجنون المطبق، بحالات مستمرة وتقلبات عدوانية، وهياج مستمر، فإذا كانت حالته على هذا النحو، وفقاً لما يشاهده المختصون أو تقرير الأطباء أهل الاختصاص، فإنه يمنع من الزواج؛ لأن ضرر الاعتداء على قرينه أشد من ضرر منعه من الزواج، فقد يكون في إتمام زيجته ما يودي بحياة شريكه في الحياة الزوجية من نوبات جنونه أو إلحاق ضرر جسيم به.

أما النمط الآخر من المجنون، وهو المجنون الهادئ أو المتقطع الذي يحتفظ بصحة عقله معظم الوقت، ولا يأتي في فترة غيابه وغيبة حضوره على النحو السابق أو الشخص المعتوه أو السفيه، فلا يمنع من زواجه، ويلاحظ هنا وجوب تحقق أهل الاختصاص «الأطباء» أو ذوي الشريعة أن يكون مبنياً على أسس علمية وحقائق علمية.

كذلك فإن من الفقهاء من جعل الإعاقة الذهنية محمولة لخطورة الناشئة عن احتمال توريث المرض، وتمتد إليها الإعاقة؛ لأن الزواج كما يقول مجمع البحوث الإسلامية: «شيء والإنجاب شيء آخر، فالزواج فيه أنس ورحمة ومودة وتعاون وإنفاق ومصاهرة، ومعان سامية كثيرة بجانب الإنجاب، ولو كان الإنجاب ضرورياً لازماً مرتبطاً بالزواج لما صح زواج الكبار الآيسين والعقماء أو الصغار، ولكان باطلاً، فانتفى المقصد وثبت نقيضه، وهو عدم اللزوم ولا الضرورة بين الزواج والإنجاب.

ويكون ذلك بناءً على التشكيك بشكل أو بآخر، وهذا موضع يعني فيه الخبراء، وهم أهل الاختصاص، بناءً على [illegible] الجانب أو الآخر، أو تحديده بحسب المصلحة لكل حالة على حدتها.

والمعول عليه في تحديد المصالح الطبية [illegible] والنفسية هم المتخصصون من أهل الطب، وعند الاختلاف فالمرجع في كون الزواج مصلحة أفضل من عدمه، فالرأي للمرجع حينئذ هو القاضي.

والخلاصة أنه لا مانع من زواج المعاق ذهنياً، بشرط اطلاع الطرف الآخر على حالته الصحية والذهنية ومعرفته بها، وعلمه التام بها، مع رضا المعقود عليه إن كان ممكناً، ورضا ولي الأمر في الحالات الأخرى، ويطبق هذا الحكم بالزواج في التفرقة على الإعاقات الذهنية كما يطبق على جميع الإعاقات الذهنية.

وهكذا فإن الفصل في مسألة زواج المعاق، تحتم ملاحظة الضوابط، وتحري درء المفسدة وجلب المصلحة، وحرية الاختيار، واستعداد الولي لحفظه ورعايته المبني على أسس واقعية، والأخذ في الاعتبار طبيعة الإعاقة وحالة الشريك، وتحري المصلحة المتحققة من جراء هذه العلاقة الزوجية، مما يتطلب فحص كل حالة على حدة، وصدور الحكم المناسب وفقاً لها.

والله أعلم.

---

(١) البهوتي، كشاف القناع، جـ ٥، ص ١١٥.

(١) فتوى المجمع في جلسته [illegible]



قصة العدد

أمير البحر الأول

[illegible] الأستاذ محمد فريد أبو حديد

«الفتوة والديانة معاً. قد اجتمعتا مرة فى الدهر الطويل. عرف التاريخ لصدر الإسلام جيلاً من الناس يجمعون بين طهر القديس وشجاعة الفارس النبيل»

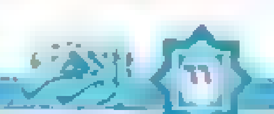
كان لونه الأسمر الذى لوحته الشمس ينم عن أنه من أبناء الصحراء، وإن كانت ملابسه تكاد توهم الناظر إليه أنه أحد أبناء الشاطئ الذى يسير فوقه، شاطئ فينقيا الذى أنجب من خاضوا لجج المحيط منذ عشرات القرون.

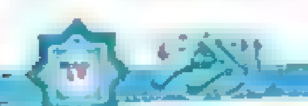
كان سرواله الطويل ينتهى من أعلاه إلى المنطقة الجلدية العريضة التى تدور حول وسطه ويتدلى منها سيفه المقوس، وكانت هامته الضخمة وقامته العلية وصدره العريض وأطرافه البسطة تنادى بأنه ممن تخشى سطوتهم فى الحروب. وكانت نظراته الحاطفة تلمع كالبرق إذا تلفت حوله كالصقر الحذر، وهو يسير الهوينى ينقل الطرف على الأفق كأنه يريد أن يستشف ما وراءه، وكان فرسه الأبيض يسير فى أثره بغير زمام مثل كلب مخلص أو تابع أمين، وقد رق الهواء فلا تكاد تتردد من نسماته أنفاس، وسكن البحر فصار بساطا لا تكاد تجعد سطحه موجة، وصفا لونه وتلألأ شفافاً تنفذ العين فى رفارفه إلى القيعان الرملية البيضاء التى كانت تلمع فى ضوء الشمس الباهر، كان المنظر كله هادئاً جميلاً يبعث فى نفس الشاب شجناً هادئاً يساير ما كان فى فؤاده من أمانٍ مبهمة. فقد كان على وشك أن يركب هذا البحر لأول مرة لكى يحمل لواء العرب إلى أرض الروم.

كان عبدالله بن قيس الحارثى يتطلع إلى ذلك اليوم القريب الذى يطلع عليه وهو يضرب فى تلك الآفاق الواسعة يطلب الشهادة فى السبيل التى سبقه إليها الأبطال من قومه، يطلبها فوق الأمواج كما طلبوها فوق سهول العراق، وفى هضاب إيران وفى أودية الشام وريف مصر. وفيافى أفريقية كان لا ينسى أنه أول من يقدم على المخاطرة بركوب هذا البحر الرهيب الذى لم يجرؤ أحد من قبل على اقتحامه. لقد كان العرب يخشونه وكان الخلفاء يشفقون من حملهم عليه، حتى تحمل هو عبء تلك المخاطرة ليسعى فيها إلى الشهادة التى تفتح له أبواب السعادة الأبدية. وكان أصحابه لايزالون فى خيامهم على سفوح الكثبان الممتدة وراء الشاطئ على مرمى سهمين، يجهزون لأنفسهم الزاد والعدة لأيام طويلة، قد تمتد بهم إلى شهور فى أرض غريبة لم يعرفوا من قبل عنها شيئاً، وكانت السفينة الرشيقة رابضة فى الخليج فى انتظارهم لتنقلهم إلى الشواطئ البعيدة المجهولة.

وكان عبدالله يتلفت بين حين وحين فينظر من بين الرمال الصفراء المتموجة إلى الماء الصافى الذى لا يحد النظر فيه شىء سوى دائرة السماء الزرقاء، فيرى السفينة المفردة عند الرأس الصخرى البارز فى البحر، ويحس ثقل العبء الذى حمله على عاتقه، ويخفق قلبه فى صدره مليئاً بالحماسة نحو ارتياد المجهول.

لقد عرف عبدالله أسفار البحر من قبل وذاق ما فيها من مسرات، عرف أن كل يوم من أيامها يطلع بأمل جديد وأفق جديد، كلما تبسمت الشمس فى الصباح أو تجلى البدر ورق النسيم. عرف نشوة الحياة عندما كان يملأ صدره من الهواء الفائح بعطر البحر وعندما كان هدير الأمواج يثير فيه لذة الكفاح، ولكنه عرف كذلك أن ذلك البحر الصافى يتغير فى لحظة واحدة فيصبح رهيباً عميقاً خائن الرياح قاسي الأعاصير، تضطرب





فيه السفن كأنها العود الصغير فوق اللجة المائجة الصاخبة، تحيط بها زرقة مسودة من فوقها وزرقة مسودة من تحتها، ظلمات بعضها فوق بعض، عرف عبدالله ذلك البحر وكانت الخواطر المضطربة تتعاقب على فؤاده، وهو يقلب البصر في أركانه، فيتردد في عنف بين الخوف والثقة وبين الإشفاق والأمل.

ولكنه خرج يسعى في طلب ما وراء الموت مع قوم لا يعرفون الرهبة من الموت، ولم يكن يزعزعه سوى الشعور بأنه قد أصبح المسئول عن أصحابه وعما يصيب لواءهم في الغزوات، كان فتيانه يسيرون وراءه ويلبون دعوته، فكان واجباً عليه أن يجنبهم المخاطر وألا يقحمهم في المآزق، ثم يعود بهم إذا استطاع وهم جميع لكي يؤدى الأمانة التي ائتمنه عليها الخليفة، عندما أباح له ركوب البحر المخيف.

ولقد كانت عيون المسلمين جميعاً متجهة إليه وإلى الفتيان الذين لبوا دعوته مختارين راغبين، وكلهم ينظرون ما يكون من أمره في تلك الخطة الجديدة التي أراد أن يحمل العرب عليها في ركوب هذا البحر الفسيح

ومالت الشمس نحو الغرب وكان لونها الأحمر المختنق يشبه لون جذوة النار، وهي متحدرة نحو الماء، كأنها توشك أن تمس سطحه، فنبه لنفسه على صوت الأذان ينبعث من ورائه يخفق فوق الهواء الساكن ينادي:

- حي على الصلاة:

فالتفت إلى فرسه وكان لايزال يخطو من ورائه مرسلاً بغير رسن، وانتظر حتى اقترب منه فوثب على ظهره، وأدار رأسه نحو الكثبان، وهمزه همزة خفيفة فوثب به كالوعل البرى، فما هي إلا لحظات حتى كان بين أصحابه وتقدم يؤمهم في الصلاة.

ولما فرغ من صلاته اتجه خاشعاً إلى السماء، وجعل يدعو الله أن يرزقه العافية في أصحابه، وأن يجعله لهم الفداء إذا قدر أن يصاب أحد من الغزاة.

واستعدت السفينة للسير في يوم سافر من أيام الربيع، هادئ الريح صافي السماء واجتمع الفرسان على الشاطئ ليقيموا الصلاة قبل الرحيل وسجد عبدالله بن قيس مرة أخرى سجدة طويلة يدعو الله فيها أن يوفق حملته ويعزز غزوته، وكانت دعوته الأخيرة على عادته أن يرزقه الله العافية في جنده وألا يبتليه بمصاب أحد منهم.

وسارت السفينة بعد ذلك تحمل الكتيبة الرائدة، وغابت عن أنظار المشيعين الواقفين على الشاطئ من حول أمير الشام معاوية بن أبي سفيان، ومضت أيام والسفينة تضرب في عرض البحر، وقد لاحت لها شواطئ الروم عند الأفق البعيد، ووقف عبدالله يقلب بصره في السماء يشكر الله على أن أبلغه الشاطئ، ولم يمتحنه بوثبة من وثبات البحر المخيفة، ولكنه رأى نقطة سوداء تلوح أمام عينيه في طرف السماء، هي سحابة صغيرة دكناء تتهادى مبطئة وتكاد أذيالها تمس جانب الأفق، فوقف يتأمل السحابة حينا فرآها تخطو نحوه بطيئة، ورأى سحباً أخرى ترتفع في أذيالها كسرب من الوعول يتلاحق بعضها في أثر بعض، ثم رأى السماء تتلبد بالغيوم، وأحس الهواء يضطرب، وتجعد وجه الماء فما هي إلا ساعة حتى هبت العاصفة وصارت السفينة تتطاير مع رشاش الماء. وتتقاذفها الأمواج المتلاطمة التي حولها كالجبال.

نظر إلى أصحابه وكانت وجوههم تنطق بما في قلوبهم من الثبات والإيمان والإقدام، وصاح بهم صيحة مرحة ثم مد يديه إلى الحبال فجعل يعالج القلوع ويديرها وبادر أصحابه يتواثبون حتى إلى مساعدته

ومضت ساعات والعاصفة تزأر والمياه تفور من أعلى السفينة وأسفلها ثم بدت ثغرة زرقاء في أفق السماء من الشمال، فإذا العاصفة تخبو فجأة كما بدأت فجأة وانجلى الأفق رويداً حتى عاد إليه صفاؤه، وهدأ الهواء وسكن الماء وعادت السفينة إلى سيرها المطمئن فوق الأمواج التي كانت لاتزال تضطرب من أثر العاصفة الهوجاء، فنظر عبدالله إلى أصحابه، وقد أسفرت وجوههم وتهللت، وحل شملته ورفعها فوق رأسه تلوح بها في الهواء مرحا، وصاح بصوت فيه رنة الفوز:

- الغمرات ثم ينجلينا!

فهتف أصحابه من بعده، وقد علاهم البشر وضاءت وجوههم كما ضاء وجه قائدهم، وردد الهواء صيحتهم المرحة:

- الغمرات.. ثم ينجلينا!

واقتربت السفينة من الساحل عند غبش الفجر، ونزل الفتيان إلى الأرض وثوبا وأحسوا اليابسة تحت أقدامهم مرة أخرى، تلك اليابسة التي لا تميد بهم إذا ركبوا، ولا تغوص بهم إذا اضطربوا، ولا تضيق بهم إذا أرادوا الكر أو الفر، وتصايحوا يهنئ بعضهم بعضا في نشوة الفوز والتفوا من حول قائدهم الشاب الباسل الذي كان ينظر إليهم من فوق

ظهر جواده الضامر في عطف وهو صامت، يستعجلهم بنظراته ويستحثهم بيسماته، ولما اطمأنوا على الخيل صعد بهم في بطن الوادي قاصداً إلى المدينة القريبة، ثم دارت معركة.

وكانت الشمس تسطع فوق الوادي عند الزوال، عندما انثنى عبدالله بعد الموقعة الظافرة عائداً نحو الشاطئ، فلما بلغه وقف يتفقد أصحابه ويعدهم عدا، وهو خافق القلب ثائر النفس، حتى انتهى إلى آخرهم فإذا هم حوله جميعاً كما كانوا حوله قبل الموقعة، إلا أنهم كانوا يضمدون جراحهم في خفة ومرح، ورفع يمينه بالسيف فوق رأسه ولوح به في الهواء وصاح صيحته المعتادة.

- الغمرات ثم ينجلينا!

فرددها الفتيان من بعده، ورددتها من بعدهم الأصداء بين التلال، ثم وثب عن جواده وخر ساجداً على الأرض شكراً لله.

وعادت الكتيبة إلى الساحل حيث كانت السفينة رابضة عند الرأس الصخري المهشم، الذي اختاره الفتى القائد مربطاً لها، كما يختار مربط فرسه عند جذع النخلة الشعثاء.

ولما اقتربوا من السفينة جفل من منظرهم من هناك من صبية ونساء، جاءوا يبتغون رزقاً ضئيلاً من فضلات من يقصد الساحل من صيادين وتجار، ولكن الفرسان وثبوا عن أفراسهم، وذهبوا إلى الماء يغتسلون ويتوضأون، ثم وقفوا صفا وراء عبدالله بن قيس يؤدون الصلاة.

وتجرأ الصبية فتقدموا نحوهم ينظرون إلى حركتهم في القيام والسجود وتجرأ من بعدهم النساء، فتقدمن يتصفحن الوجوه ويتأملن ملامحها، وينظرن إلى قامات الفتيان وهيئتهم، ويعجبن من غرابة ملابسهم، فلما انتهت الصلاة تقدم بعض الصبية في تردد حتى وقفوا بين الفتيان وهم يستعدون للرحيل، فأقبل هؤلاء عليهم يمسحون رءوسهم ويبتسمون لهم، ويلقون إليهم بقطع من الفضة والنحاس، وتقدم بعدهم النسوة في أسمالهن حتى وقفن بينهم يتحدثن باسمات ويسألنهم العطاء فمد الفرسان أيديهم إليهن بالعطاء ثم غضوا الأبصار عن بسماتهن وساروا نحو السفينة وفي أيديهم لجم الخيل، حتى ركبوا جميعا، وحلوا القلوع وشقوا رءوس الأمواج.

ومرت بعد ذلك سنة في أثر سنة، وتوالت غزوات الفتيان على سواحل الروم، وزادت جرأتهم على البحر. فكانوا يقتحمونه في الشتاء كما يجوبونه في الصيف. وعرفوا مسالكه في ظلمات الليل، كما عرفوا مساربه بين شعاب الجبال، وكانوا يعودون من كل غزوة جميعاً، يلتفون حول قائدهم الذي دب الشيب إلى فوديه من صراع تلك السنين الطوال.

وبعثت السفن تتهادى مرة أخرى في مطلع الصيف إلى ذلك الشاطئ كما تتهادى القافلة وتهبط على فدافد الصحراء، وكان الفتيان عند ذلك قد صاروا رجالاً وتبعتهم طبقة بعد طبقة من الفتيان الذين جذبتهم مغامرات البحر، ولكن أميرهم كان هناك عند مقدم السفينة الأولى يرتاد لهم الطريق ويختار لهم شاطئ النزول.

ونزل بهم عبدالله على الساحل على مقربة من المرفأ الأعظم، وصفهم صفا على الخيل، ولكنه تردد عندما نظر نحو المدينة العظمى، التي كانت تلوح من فوق التلال البعيدة، وهي ثغر الروم الأعظم الذي أودعوا فيه بقية شوكتهم المفلولة، فهل كان ليخاطر بأصحابه في غزوته الجريئة لذلك الثغر الأكبر؟

وانتحى ناحية يصلي وأعاد دعاءه أن يحفظ الله فتيانه، وأن يجعله لهم الفداء، ثم نزل وحده في سفينة صغيرة مع ملاح فرد ليتحسس الساحل ويستطلع ما فيه من حصون وجنود قبل أن يسير إليه بجيشه الصغير، ولبس ثياب تاجر ليخفي سلاحه ودرعه، وهبط بقاربه الخفيف إلى المرفأ حتى نزل في بقعة منعزلة من البر متواريا في الصخور، وجعل يتعرف معالم المدينة.

ولم يكن هناك سوى بعض نسوة يحتلن على اصطياد الرزق من قواقع الشاطئ، فلما رأين عبدالله وقفن يطلبن إحسانه فمد إليهن يده بالعطاء وأسرع عنهن يثب فوق صخر الساحل، وتركهن ينظرن إلى ما ألقى في أكفهن من قطع الفضة والنحاس، وصاح النساء صيحات فرح، وهتفن به شاكرات، ووقفن ينظرن في أعقابه، وهو يسير خفيفاً على الشاطئ برأسه المرفوع وقامته المديدة، وجعلن يتحدثن عنه، وكانت فيهن امرأة طال ترددها على تلك السواحل منذ سنين، وجابت أطرافها منذ كانت شابة، حتى ذهب شبابها وعصفت بها الأيام فلم تبق منها إلا أسمالها البالية وجسدها النحيل، فلما انصرف التاجر العجيب وقفت تنظر في أعقابه مشدوهة، كأنها تتفقد

شيئاً غاب عنها.. تنظر حيناً إلى ما في يديها من العطاء وتسرح حيناً في أخيلة الذكرى ثم تنظر نحو الرجل وهو يتباعد عنها رويداً رويداً فتذكر أنها رأت تلك الصورة يوماً، ثم ستحت لها الصورة من عالم بعيد فصاحت صيحة مكبوتة، والنساء من حولها يتضاحكن ويتغامزن ويتهامسن عنها:

«إنها لتنظر إلى الرجل الغريب ولا تكاد تثني عينها عنه».

فصاحت بهن المرأة:

«ويحكن أيتها الخبيثات. فما بي من صبوة تحملني على النظر في أعقاب هذا الكهل، وأنا اليوم امرأة عجوز!».

فصاحت بها فتاة لعوب من بينهن:

«فما خطبك إذن؟ ومالك ترقين في أعقاب الرجل وقد انصرف عنك؟ أما سحرتك قامته السمهرية؟ أما خلب لبك ما يلوح عليه من خيلاء؟! أما طمعك فيه كرمه، وحرك جشعك ما عليه من مخايل الثراء؟!».

ولم تجب العجوز عليها بحرف بل صاحت تقول:

«إنه هو صاحب الصيحة العربية وقائد الفتيان، إنه صاحب الغارات التي روعت هذا الساحل منذ سنين إنه هو الذي هزم هؤلاء الذين يزعمون أنهم أبطال الحروب».

وجعلت تقص على صويحباتها ما شهدت من عبدالله وما سمعت عنه في غاراته التي شهدتها مراراً وذكرت لهن صيحته العجيبة التي طالما ترددت أصداؤها بين أودية تلك السواحل بعد الانتصار، ثم جعلت تفيض في وصف الفتيان اللذين كانت تراهم أحياناً كالجان فوق الخيول، حتى إذا ما انتهوا إلى النصر، رأتهم رهباناً يقعون على الجباه في الصلاة.

ولما انتهت من قصتها نظرت نحو الرجل الغريب، وكان لايزال يضرب فوق الصخور بقامته العالية وخطاه الخفيفة، فصاحت مؤكدة:

«أهذا أيها الحمقاوات تاجر السلع؟ أهكذا يمشي قعيد الحوانيت؟ أهكذا يثب على الصخر سعاة الأسواق؟ أما رأيتن عطاءه عطاء الملوك؟ أما وقعت عين إحداكن في عينه؟».

ثم مضت غاضبة من حماقتهن ومخريتهن.

وسار النساء نحو المدينة وهن يتحدثن عن العجوز الشوهاء وعن التاجر السخي بالعطاء، ويعدن قصة الرجل الغريب على كل من يجمعه بهن الطريق.

وكان عبدالله بن قيس لا يزال يسير على الساحل ويتلمس في ثناياه ويتفحص صخوره وخلجانه، ويعد حصونه ومسالحه، عندما مالت الشمس إلى المغيب وألقت بشعاعها الفاتر إلى صفحة الماء من خلال السحب ذات الألوان الباهرة واسترعى نظره جمال الأفق الغربي، فوقف حيناً ينظر إليه مبهوتاً خاشعاً، يسبح لله بديع السموات.

ولمح عن بعد جمعاً في أسفل الشاطئ، ولمع له من خلاله بريق يشبه أن يكون بريق السلاح. فلمس مقبض سيفه من تحت ثوبه المفضفاض وعلت وجهه عبسة جد صارمة، وسأل نفسه

«من يكون هؤلاء؟»

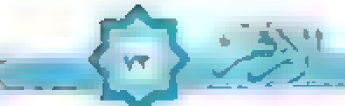
ولكنه لم يذكر سوى فتيانه، وخشي أن يؤتى إليهم من بعض الشعاب على غرة فاندفع عائداً إليهم يثب فوق صخور الساحل كأنه يسابق ظلال المساء، ولكن الجمع اتجه إليه وانتشر يأخذ عليه أفواه السبل، فعرف أنه هو المقصود، وامتلأ قلبه سكينة أن يكون هو غرض الروم دون جمع الفتيان ووقف يستعد للقتال وأحاط به الروم مع طلائع الليل، وأسرع الظلام يلف الأرض حتى صار عبدالله يتحسس مواقع خطاه وهو يقفز من صخرة إلى صخرة ويقاتل بسيفه من أمامه ومن حوله والأعداء يتحدرون إليه من كل جهة ويوشكون أن يلتموا عليه، ومازال يدافعهم حتى بلغ قريباً من مرسى السفين وصاح صيحته:

«الغمرات ثم ينجلينا».

وأقبل على الروم يحاورهم ويواثبهم والجراح تنهال عليه من مئات الرماح، وتصايح الروم في حنق عندما سمعوا صيحته التي ذكرتهم وقعاته الماضية وزادتهم به علماً، فتواثبوا عليه حتى تعثر في الصخر ووقع إلى الأرض والتأمت عليه السيوف والرماح.

وسمع عبدالله وهو طريح صيحة ترددت أصداؤها في الظلام مجلجلة صدعت سمعه الكليل، فعرف أنها صيحة الفتيان، وانتفض يريد أن يثب على قدميه ولكنه لم يقو على النهوض، وسمع الروم الصيحة فتلفتوا ثم تصايحوا وانتشروا في الظلام، وتركوا جثة عبدالله حيث كانت على الصخر وقائم السيف في يمينه، واهتدى الفتيان بعد حين إلى موضع قائدهم الباسل، فحملوه وكانت على وجهه ابتسامة وهو يتمتم بالصلاة.

وكانت آخر كلماته أن شكر الله على أن استجاب دعوته وجعله لصحبه الفداء.



قصيدة العدد

القصص الشعري

عمر بن الخطاب وأم البنين (*)

للشاعر اللبناني / جرجي نخلة سعد

لدى عمرَ أميرِ المؤمنينا ... نوادرُ وقعةِ المتهيّبينا

مليكٌ ذو مآثرَ باسقاتٍ ... يقصّرُ عن مداها السابقونا

خوالدَ ما عفتْ قِدَماً ولكن ... يُعطّرُ نشرُ ذكراها القرونا

ولو يكُ صولجانُ الملكِ يوماً ... ليسمعه الغداةَ بنو بنيه

فكانوا يقبلون على حِماهُ ... كأسرابِ الظباءِ رأتْ مَعينا

وكان بنفسه بعضَ الليالي ... يدورُ على المنازلِ مستبينا

فمن يَمدحْ لمكرُمةٍ فإنّي ... نظمتُ بمدحه عقداً ثمينا

وها كم ما روى العبّاسُ عنه ... أراه بانتباهِكمُ قمينا

يمثّلُ صورةً للمرءِ فينا ... ويُملي عبرةً للحاكمينا

■■■

يقولُ: لقد دعاني المُلْكُ وَهْناً ... فكنتُ له بجونته خدينا

أفرّته محبّتُه لشعبٍ ... يمرُّ عليه يوماً لا يهونا

سرى متنكّراً والليلُ قرٌّ ... إلى الأتلالِ يفتقدُ الشئونا

(*) قصيدة ألقتها السيدة ... في حفلة جمعية السيدات بمدينة بيروت وهي من نظم الأستاذ جرجي نخلة سعد

يطوّفُ في الحياةِ عساه يلقى ... بمطويّاتها رهطاً حزينا

فمرَّ هناك بامرأةٍ عجوزٍ ... حواليها صغارٌ يُعوِلونا

وقدرٌ أركزتْه على أثافٍ ... على عبثٍ لتعليلِ البنينا

تقولُ ودأبُها التسبيحُ صبراً ... بَنيَّ ستأكلون وتشبعونا

فظلَّ لعلّه يُمعنُ ناظريه ... بها حيناً وبالأولادِ حينا

وطال وقوفُه في الحيِّ حتى ... توجّسَ أن يُريبَ به الظنونا

يميناً ليس يبغي البينَ حتى ... يرى الأولادَ قد ملأوا البطونا

وما زالوا كذلك بعد ساعٍ ... تنفّخُ في الوقودِ ويصرخونا

فَعِيلَ تصبّراً، ودنا إليها ... وحيّا قائلاً: ما تصنعينا؟

وما لبنيكِ ينتحبون؟ قالت: ... جياعٌ! قال: لِمْ لا يأكلونا؟

أجابتْ – والمحاجرُ دامعاتٌ – ... أُنعمُ صبيتي المبيتَ لسحيا

فما في القِدرِ غيرُ حصًى وماءٍ ... أحاولُ أنّهم يتعلّلونا

لعلّهمُ متى ملّوا انتظاري ... وساورَهم نعاسٌ يهجعونا

فقال لها: لقد أخطأتِ رأياً ... وأورثتِ الصغارَ ضنًى وهونا

فلِمْ لَمْ تعرضي شكواكِ يوماً ... على عمرَ أميرِ المؤمنينا؟

إذنْ لكفاكِ فقرَ العيشِ مما ... يجودُ، ولم يكنْ عمرٌ ضنينا

فقالت: لا سقتْ عمرَ الغوادي ... ونُكّسَ بندُه في العالمينا

لقد سمحتْ بظلمي مقلتاه ... وتحميلي الخصاصةَ والأنينا!

فراعَ فؤادَه ما تدّعيه ... وقال لها: بربّكِ أخبرينا!

فقالت: قد أمالَ الطرفَ عنّا ... ولم يعبأْ بما قد حلَّ فينا

أيغفلُ عن سوائمه مليكٌ ... يسمّي نفسَه الراعي الأمينا؟

عليه أن يفتّشَ في الرعايا ... ويرتادَ المزارعَ والحزونا

عساه أن يرى مثلي عجوزاً ... تبيتُ الليلَ تنتظرُ المنونا

ليطعم من حريبته نشيء — تعيل به بنيها المدقعينا

ولا يعطيه عند نماه أجراً — تصدّقه على المسترفدينا

فكم عافٍ بمنعه حباء — فلا يجري مع المتولّينا

يكاد يموت من ظمأ وجوع — ولا يبغي أكفّ المحسنينا

إذا فلسلكٌ تغاضى عن ذويه — فيُحسبُ في عداد الظالمينا

فقال لها: صدقتِ، فعن قليل — نعود بما تيسّر، فانظرينا

■■■

وسار وسرتُ منحنياً خطاه — كأنّ بنا إلى وطر حنينا

أكرُّ وراءه تحت الدياجي — وتنبحنا الكلابُ وتقتفينا

إلى بيت المئونة حيث أمسى — عساه يبين مُدّخر لدينا

وما هو غير لمح الطرف حتى — حملتُ السمنَ واحتمل الطحينا

وعدنا والدقيقُ عليه يُترى — فعفّر عارضيه والجبينا

يكاد ينوء تحت الحمل لكن — مشى طول المسافة مستكينا

كأنّي إذ عرضتُ يدي عليه — ضربتُ على صفاةٍ لن تلينا

فقال: اصمتْ، فما حُمّلتَ عني — ذنوبي يوم يجزى المذنبونا

إلى الأولاد يا عبّاسُ سِرْ بي — أمدُّ لكشف كربتهم يمينا

أنأكلُ كلَّ يوم كلَّ لون — وهم من جوعهم يتضوّرونا

ونسرح في ربوع الأنس دوماً — وهم في كوخهم يتململونا

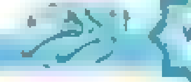
ونرقد لا نبالي بالبلايا — وهم لنيالها مستهدفونا

جَفاني عند رؤيتهم رقادي — وواصلني صُداعٌ لن يبينا

وكدتُ أحسُّ أنّ الأرض مادت — وجوفُ الغمر أوشك يحتوينا

إلى الأولاد يا عبّاسُ أمحو — خطاي وأغسلُ العار المُبينا

فوالله ما القُلَلُ الرواسي — كحمل ظُلامةِ المستضعفينا



وأزجينا الخطى في السهل حتى — طوينا منه قاحلةً شطونا

فأدركنا العجوز على قتادٍ — وقد أغضتْ من التعب الجفونا

وجففت قدرها فوق الأثافي — فكان ثمالها كدراً وطينا

فأفرغها، وأفعمها دقيقاً — بيمناه، ودسَّ به السمونا

وكاد الوقدُ تحت القدر يخبو — فأولج في بقاياه غصونا

مكبّاً لا يثبّطه دُخانٌ — تناول منخريه والعيونا

يحثُّ الطبخ تحريكاً وغلياً — كأنك تشهد الطاهي الفطينا

فأنضجه ونحن بجانبيه — أبى إصرارُه أن يستعينا

وأسرعَ - والبشاشة ملء فيه - — بتلقيم الصغار الجائعينا

يتامى ما حبا أحدٌ عليهم — ولا عرفوا سواه أباً حنونا

ومال إلى العجوز فقال: مهلاً — أقلّي اللومَ والتزمي السكونا

سنذكر للأمير بلاءنا — إلى عرش الإمارة منتمونا

كفالةَ كآبةٍ وطوى وسهدٍ — فنامي ملءَ جفنك واصبحينا

■■■

وكان غدٌ لدى عمرٍ رهيباً — عليها حيث أدركت اليقينا

لدى عمرٍ، وقد رشقت سهاماً — من التنديد بات بها طعينا

فيالك موقفاً حرجاً تمنّت — -لشدة روعها- ألّا تكونا

ولكن نالها منه التفاتٌ — نفى عنها التأثّرَ والشجونا

فأحرز رفدها بعد اعتذارٍ — وبدّل شدة الأيام لينا

فراحت وهي تروي عنه عدلاً — وإحساناً وفرطَ تُقى ودينا

■■■

كذا كان الخليفة من قديم — مثالاً للملوك الصالحينا



من حياة عمر بن عبد العزيز

٣

للأستاذ: عادل رفاعي خفاجة

> لما عهد أمير المؤمنين سليمان بأمر الخلافة من بعده لعمر بن عبدالعزيز بدأ عمر بن عبدالعزيز الخلافة بقوله:
> أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي مني فيه، ولا طلب له ولا مشورة من المسلمين، وإني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس [illegible]

قال الليث: بدأ عمر بن عبدالعزيز بأهل بيته، فأخذ ما بأيديهم، وسمى أموالهم مظالم، ففزعت بنو أمية إلى عمته فاطمة بنت مروان، فأرسلت إليه: إني قد عناني أمر، فأتته ليلاً، فأنزلها عن دابتها، فلما أخذت مجلسها قال: يا عمة! أنت أولى بالكلام، قالت: تكلم يا أمير المؤمنين، قال: إن الله بعث محمداً ﷺ رحمة، ولم يبعثه عذاباً، واختار له ما عنده، فترك لهم نهراً، ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله، ثم عمر، فعمل عمل صاحبه، ثم لم يزل النهر يشق منه يزيد ومروان وعبدالملك، والوليد وسليمان، حتى أفضى الأمر إليَّ. وقد يبس النهر الأعظم، ولن يروى أهله حتى يعود إلى ما كان عليه. فقالت: حسبك. فلست بذاكرة لك شيئاً. ورجعت فأبلغتهم كلامه

قال صاحب السير: قد كان هذا الرجل حسن الخَلق والخُلق، كامل العقل، حسن السمت[١]، جيد السياسة، حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أواهاً منيباً، قانتاً لله، حنيفاً زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملوه وكرهوه لنقصه أعطياتهم، وأخذه كثيراً مما في أيديهم، مما أخذوه بغير حق. فما زالوا به حتى سقوه السم. فحصلت له الشهادة والسعادة. وعد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين.

وروى عمر بن ميمون، عن أبيه: مازلت ألطف في أمر الأمة أنا وعمر بن عبدالعزيز حتى قلت له: ما شأن هذه الطوامير[٢] التي تكتب فيها بالقلم الجليل، وهي من بيت المال. فكتب إلى الآفاق بتركه، فكانت كتبه نحو شبر[٣].

عدل عمر أغنى الناس:

عن عمر بن أسيد، قال: والله ما مات عمر بن عبدالعزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون، فما يبرح حتى يرجع بماله كله[٤].

عمر يصدع بالحق في مقتبل العمر:

وكان عمر بن عبدالعزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبدالله، يسمع منه العلم، فبلغ عبيد الله أن عمر يتنقص علياً، فأقبل عليه، فقال: متى بلغك أن الله تعالى سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم، قال: فعرف ما أراد، فقال: معذرة إلى الله وإليك، لا أعود.

فما سُمع عمر بعدها ذاكراً لعلي - كرم الله وجهه - إلا بخير[٥].

ولاؤه لعلي - كرم الله وجهه -:

ومن دلائل ولائه لعلي - كرم الله وجهه - أن وفد عليه زريق مولى علي - كرم الله وجهه - وقد كان يحفظ القرآن والفرائض، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني رجل من أهل المدينة، وقد حفظت القرآن والفرائض، وليس لي ديوان، فأجابه عمر: من أي الناس أنت؟ قال: رجل من موالي بني هاشم. فقال له: مولى من؟ قال له: رجل من المسلمين.

فقال له عمر: إليك أسأل، وصاح به: أتكتمني من أنت؟ فقال سراً - مخافة أن يسمعه أحد من بني أمية -: أنا مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فبكى عمر حتى جرت دموعه على الأرض، ثم قال: وأنا مولى علي، أتكاتمني ولاء علي؟ حدثني سعيد ابن المسيب عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٥] ثم قال: يا مزاحم كم تعطى أمثاله؟ قال: مائة درهم أو مائتين، فقال عمر: أعطه خمسين ديناراً لولايته لعلي بن أبي طالب، وزده عشرة أخرى، ومره أن يلحق ببلده فسيأتيه مثل ما يأتي نظراءه[٦].

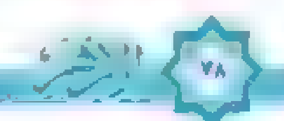
(١) السمت: حسن القصد والمذهب في دينه ودنياه.

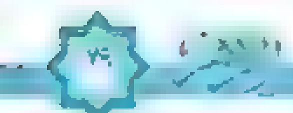
[illegible]

[illegible]

(٥) أخرجه الترمذي في السنن والإمام أحمد في مسنده

(٦) مجلة الأزهر السنة العاشرة ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م ص٥٩٧.





وكان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبدالعزيز يشتمون عليا رضي الله عنه، لاعتقادهم أنه كان سببا في قتل عثمان، فكالوا له السباب والمطاعن في منتدياتهم ومجتمعاتهم بل وعلى منابرهم أيام الجمع، وتبعهم في ذلك فريقهم، حتى استخلف عمر بن عبدالعزيز فحرم عليهم ما كانوا يفعلون، واستبدل به على المنابر قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(النحل: ٩٠)

فاتخذها الخطباء في نهاية الخطبة الثانية إلى وقتنا هذا[١].

كما جعل كثير عزة الخزاعي يقول:

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف

بريا، ولم تقبل مقالة مجرم

تكلمت بالحق المبين وإنما

تبين آيات الهدى بالتكلم

فصدقت معروف الذي قلت بالذي

فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

ودخل عليه جرير فقال له قصيدة مطلعها:

أَبَت عَيناكَ بِالحَسَنِ الرُقادا

وأنكرت الأصادق والبلادا

وفيها يقول:

إليك رحلت يا عمر بن ليلى

على ثقة أزورك واعتمادا

تعوّد صالح الأعمال إني

رأيت المرء يلزم ما استعادا

فما كعب بن مامة وابن سعدى

بأجود منك يا عمر الجوادا

إلا أن عمر لم يعطه ما كان يأمل فيه من العطاء كعادة الأمراء السابقين؛ لأن عمر كان يتحرى الدقة في توزيع مال المسلمين ولا يعطي أحدا إلا بحق؛ فأعطاه اليسير من ماله الخاص حتى لا يرده، وإن كان جرير قال ما قال في حياة عمر رغبة في العطاء، فهو أيضا القائل بعد وفاته:

لو كنت أملك، والأقدار غالبة

تأتي رواحا وتبيانا وتبتكر

رددت عن عمر الخيرات مصرعه

بدير سمعان لكن يغلب القدر[٢]

فقهه:

حكي أن عمر بن عبدالعزيز كتب في الخروج فقال إن كان من رأي القوم أن يسيحوا في الأرض



من غير فساد على الأئمة ولا على أحد من أهل الذمة ولا قطع سبيل من سبل المسلمين فيفعلوا حيث شاؤوا، وإن كان رأيهم القتال فوالله لو كان أبكاري خرجوا رغبة عن جماعة المسلمين لأرقتها[١].

قال مالك: وقد كتب عمر بن عبدالعزيز إلى قوم غلوا بخراسان وخشي فتنتهم فكتب إلى أميرهم أن يفهمهم ويرحمهم ما استطاع أو يعفو[٢].

من الخصومة من شرعه العداوة وترك الوعظ أنه بليه عن تثلله وقيل له إنه وعظت أو فرقت بـ خاصمته، وكذلك إن ترك الجماع لغير ضرر ولا علة إلا أن ترضى المرأة بذلك[٣].

وكتب عمر بن عبدالعزيز أن حرق الولاة بيتهم مفسدة ومرعية مهلكة[٤].

وفي ابن يونس عن العتبية قال عمر بن عبدالعزيز: ولا بأس أن يقضي منه من له العذر بجحده والغرس أو الحبس عن غصب المشيوع هد في بعد يحتج فيه الغرس نهى

روي عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في مصحف القاضي أن يكون عنده بالكتاب ونسخة رغبة عن الطمع نهى

لباسه:

وقال معروف بن واصل: رأيت عمر بن عبدالعزيز قدم مكة، وعليه ثياب أخضر[٥].

وقال الوليد بن أبي السائب: كان لعمر بن عبدالعزيز جبة خز غبراء، وجبة خز صفراء، وكساء خز، ثم ترك ذلك.

وعن سعيد بن سويد أن عمر بن عبدالعزيز صلى بهم الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إن الله قد أعطاك، فلو لبست! فقال: أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة[٦].

قال حماد بن واقد: سمعت مالك بن دينار يقول: الناس يقولون عني: زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أتته الدنيا فتركها.

ورعه:

وقال مالك: أتي عمر بن عبدالعزيز بعنبرة، فأمسك على أنفه مخافة أن يجد ريحها، وعنه: أنه سد أنفه، وقد أحضر مسك من الخزائن.

خشيته لله:

عن أيوب قال: قيل لعمر بن عبدالعزيز: يا أمير المؤمنين! لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتا، دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ، قال: والله لأن يعذبني الله بغير النار أحب إلي من أن يعلم من قلبي أني أراني لذلك أهلا[٦].



عدله:

قال الفريابي: حدثنا الأوزاعي أن عمر بن عبدالعزيز جلس في بيته، وعنده أشراف بني أمية. فقال: أتحبون أن أولي كل رجل منكم جنداً من هذه الأجناد؟ فقال له رجل منهم: لم تعرض علينا ما لا تفعله؟ قال: ترون بساطي هذا؟ إني لأعلم أنه يصير إلى بلى، وإني أكره أن تدنسوه عليّ بأرجلكم، فكيف أوليكم ديني؟ وأوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم تحكمون فيهم؟ هيهات هيهات. قالوا: أما لنا قرابة؟ أما لنا حق؟ قال: ما أنتم وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سواء، إلا رجل حبسه عني طول شقة[1].

زهده:

قال عمر بن عبدالعزيز: إن نفسي تواقة، وإنها لم تعط من الدنيا شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أعطيت ما لا أفضل منه في الدنيا، تاقت إلى ما هو أفضل منه، يعني الجنة.

وعن مكحول: لو حلفت لصدقت، ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبدالعزيز[2].

تواضعه:

وكان من شدة تواضعه أن صرف صاحب الشرطة لما جاءه يسير بين يديه بالحربة فقال: تنح عني ما لي ولك إنما أنا رجل من المسلمين فسار وسار معه الناس.

وروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه كان يؤتى بالتراب فيوضع على الخمرة في موضع سجوده فيسجد عليه[3].

وسمع أشهب: كان عمر بن عبدالعزيز يخرج في الليل آخره

وكان حسن الصوت يصلي فقال ابن المسيب لبرد: اطرد هذا القارئ عني فقد آذاني فسكت برد فقال: ويحك يا برد اطرد هذا القارئ عني فقال برد: إن المسجد ليس لنا إنما هو للناس فسمع ذلك عمر فأخذ نعله وتنحى[4].

مروءته:

وعن عبدالعزيز بن عمر: قال لي رجاء بن حيوة: ما أكمل مروءة أبيك! سمرت عنده، فغشي السراج، وإلى جانبه وصيف نائم، قلت: ألا أنبهه؟ قال: لا، دعه، قلت: أنا أقوم؟ قال: لا، ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه، فقام إلى بطة[5] الزيت، وأصلح السراج، ثم رجع، وقال: قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبدالعزيز

عفوه عن قاتله:

ولما تبرمت بنو أمية بعمر، لكونه شدد عليهم، ونزع كثيراً مما في أيديهم مما قد غصبوه، وكان قد أهمل التحرز، سقوه السم فدعا غلاما له فقال: ويحك! ما حملك على أن سقيتني السم؟ قال: ألف دينار أعطيتها، وعلى أن أعتق، قال هاتها، فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد.

من أقواله:

■ قال عمر بن عبد العزيز: والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات لمعرق له في الموت.

■ قال عمر بن عبدالعزيز: «لو أن كل بدعة يميتها الله على يدي، وكل سنة يحييها الله على يدي، ببضعة من لحمي حتى يأتي ذلك على آخر نفس مني لكان في الله يسيراً»[1].

■ وقد قال عمر بن عبدالعزيز: «تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور»[2].

■ وقال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيراً، قال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً

■ ومما روى له

ولا خير في عيش امرئ لم يكن له

من الله في دار القرار نصيب

فإن تعجب الدنيا أناساً فإنها

متاع قليل، والزوال قريب

■ ومما روى له:

أيقظان أنت اليوم؟ أم أنت نائم؟

وكيف يطيق النوم حيران هائم

فلو كنت يقظان الغداة لحرقت

مدامع عينيك الدموع السواجم

تسر بما يبلى وتفرح بالمنى

كما اغتر باللذات في النوم حالم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة

وليلك نوم والردى لك لازم

■ ومما روى له أيضاً:

من كان حين تصيب الشمس جبهته

أو الغبار يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته

فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا

في قعر مظلمة غبراء موحشة

يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا

تجهزي بجهاز تبلغين به

يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا

■ وعن وهيب بن الورد قال: كان عمر بن

---

(١)(٢) سير أعلام النبلاء.

(٣) التاج والإكليل لمختصر خليل (ج١ ص٤٥٤)

والخمرة حصير صغير من خوص سمي بذلك لأنه يخمر وجه المصلي أي يغطيه عن الأرض وهو مصلى صغير ينسج من سعف النخل ويرمل بالخيوط ويسجد عليه فإن كان كبيراً قدر طول الرجل وأكثر فإنه يقال له حصير

(٤) التاج والإكليل لمختصر خليل (ج٢ ص٩٩).

(٥) البطة: هي إناء كالقارورة

(١) تاريخ دمشق

(٢) رسالة القيرواني (ج١ ص٥٠٩)

عبدالعزيز يتمثل كثيراً بهذه:

يرى مستكيناً وهو للهو ماقت
به عن حديث القوم ما هو شاغله

وأزعجه علم عن الجهل كله
وما عالم شيئاً كمن هو جاهله

عبوس عن الجهال حين يراهم
فليس له منهم خدين يهازله

تذكر ما يبقى من العيش آجلاً
فأشغله عن عاجل العيش آجله

■ قال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز رسالة، لم يحفظها غيري وغير مكحول:

أما بعد

فإنه من أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما ينفعه والسلام.

حب الناس له:

قال أبو بكر بن عياش: حج بالناس عمر بن عبدالعزيز غير مرة، أولها سنة تسع وثمانين.

عن سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة، فمر عمر بن عبدالعزيز، وهو على الموسم، فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبت! إني أرى الله يحب عمر بن عبدالعزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس(1).

قال: سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ، فذكر مثل حديث جرير عن سهيل، وهو: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»(2).

لذلك قال كثير عزة:

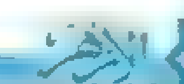
يثني عليك لسان من لم توله
خيراً لأنك بالثناء جدير

أخذه بالشورى:

لما ولي عمر المدينة في إمرة الوليد من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، صلى الظهر ودعا: عروة، وعبيدالله، وسليمان بن يسار، والقاسم، وسالما، وخارجة، وأبا بكر بن عبدالرحمن، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة، وعبدالله بن عامر بن ربيعة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعوانا على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل ظلامة،

(1) سير أعلام النبلاء.

(2) صحيح مسلم



فأحرج بالله على من بلغه ذلك إلا أبلغني

فجزوه خيراً، وافترقوا.

وفاته:

لما مرض عمر بن عبدالعزيز جيء بطبيب فقال: به داء ليس له دواء، غلب الخوف على قلبه.

وعن ليث بن أبي رقية أن عمر بن عبدالعزيز قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت. ثلاثاً، ولكن لا إله إلا الله، ثم أحد النظر، وقال: إني لأرى خضرة ما هم بإنس ولا جن. ثم قبض.

روى خليفة بن خياط وغيره أن عمر بن عبدالعزيز مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان من أرض حمص.

وعاش تسعا وثلاثين سنة ونصفا.

وقال جعفر الصادق عن سفيان بن عاصم: إنه مات لخمس مضين من رجب يوم الخميس، ودفن بدير سمعان، وصلى عليه مسلمة بن عبدالملك. وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأياماً.

وعن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال: دعاني المنصور فقال: كم كانت غلة عمر بن عبدالعزيز حين استخلف؟ قلت: كانت خمسين ألف دينار، قال: كم كانت يوم موته؟ قلت: كانت مائتي دينار.

وقال كثير عزة يرثيه:

عمت صنائعه فعم هلاكه
فالناس فيه كلهم مأجور

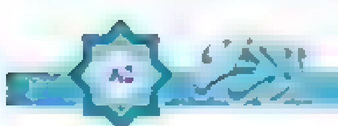
والناس مأتمهم عليه واحد
في كل دار رنة وزفير

يثني عليك لسان من لم توله
خيراً لأنك بالثناء جدير

هنيئاً لرجل رد المظالم وسوى بين الرعية، وملأ طباق الأرض عدلاً أن يلقى الله مطمئن النفس وأن ترجع نفسه إلى ربها راضية مرضية محققاً مقولة جده ابن الخطاب: «إن من ولدي رجلاً بوجهه شتر، يملأ طباق الأرض عدلاً».

وإن رجلاً قال: «لو أن كل بدعة يميتها الله على يدي، وكل سنة يحييها الله على يدي، ببضعة من لحمي حتى يأتي ذلك على آخر نفس مني لكان في الله يسيراً».. حق له أن يرى عند موته خضرة ما هم بإنس ولا جن.

ويا ليت لنا أسوة حسنة في رجل ملأ طباق الأرض عدلاً في خلافة دامت سنتين وخمسة شهور وأياماً.



طور العولمة.. ومفهومها

«٢»

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وإذا كان هذا هو مفهوم «العالمية» في الرؤية الإسلامية.. وفي الرؤية الغربية فما هو الجديد المفاهيمي الذي يطرحه مصطلح «العولمة» الذي طرأ على الساحة الفكرية والسياسية منذ سنوات؟

إن الجديد في هذه «العولمة الغربية» عن «العالمية الغربية» هو جديد في الدرجة.. وليس في النوع.. فنحن أمام تصاعد في درجة «النزعة المركزية الغربية».. وتصاعد في حدة التطبيق الغربي لهذه النزعة المركزية.. وأسباب هذا الجديد -جديد العولمة- هو التطورات الموضوعية الجديدة التي طرأت على العالم.. ومن ثم على علاقة النظام الغربي بالعالم غير الغربي.

لقد مر الغرب في علاقات أممه ودوله القومية بعضها بالبعض الآخر - منذ عصر التنوير - بمراحل عدة:

- مرحلة الحروب الدينية.
- ومرحلة الحروب القومية.
- ثم جاءت مرحلة الحروب الاستعمارية لاقتسام العالم غير الغربي.
- ثم شهدت العقود الأولى للقرن العشرين ذلك «الانشقاق الاجتماعي» بين الشمولية الشيوعية وبين الليبرالية الرأسمالية في قلب النموذج الحضاري الغربي.. ولقد شغل هذا الانشقاق والشقاق الاجتماعي واستنفد الكثير من الطاقات الصراعية للقوى الغربية.. وانضم إليهم نحو ربع قرن- صراع هذين القطبين مع الفاشية والنازية.

وفي ظل هذه الفرصة التاريخية.. نمت حركات التحرر الوطني في البلاد المستعمرة. واستفادت الدول التي حققت استقلالها السياسي -عقب الحرب الاستعمارية العالمية الثانية- من هامش الحرية الذي أتاحه لها الصراع الداخلي بين شقي الحضارة الغربية.. فحققت -بعد الاستقلال السياسي- مقادير متفاوتة من التنمية الثقافية والاقتصادية والعسكرية..

صحيح أن «التغريب» كان تيارًا ضاغطًا على خيارات هذه الدول والشعوب.. وكما تقول المستشرقة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكه «فلقد أخذت هذه الشعوب المستقلة حديثًا تسلك سبلا مختلفة كي تشق طريقها إلى العالم الحديث، فأخذت بأسلوب حياة المستعمرين وحضارتهم، واحتذت سيرة السادة وحياتهم وطريقتهم في العيش والتفكير، وقلدت عاداتهم وما حققوه من انجازات مادية ومثل أخلاقية. فتأوربوا كالأوروبيين.. وتأمركوا كالأمريكيين.. وتروسوا كالروس» (١)

لكن التناقض الرئيسي في جسم الحضارة الغربية -إبان حقبة الشقاق بين الشيوعية والرأسمالية- قد أتاح للشعوب -رغم التغريب- مقادير من حرية الاختيار.. في إطار «غواية الترغيب والترهيب»

فلما حدث وسقط النموذج الشيوعي المركسي -في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين- وتوحدت قبضة الحضارة الغربية كما لم تتوحد من قبل -منذ عصر التنوير الأوروبي- وتزامن ذلك مع انتصار «الرعب والردع النووي» من ضبط الغرب لتناقضاته الداخلية والاقتصادية عند حدود وسقف «الصراع عبر العنف».. واقترنت هذه اللحظة التاريخية بثورة متسارعة وغير مسبوقة في تقنيات وسائل الاتصال.. في الفكر والثقافة والإعلام.. وفي المال والاقتصاد.. كان ذلك الصعود الجديد لنزعة المركزية الغربية من طور «العالمية» بمفهومها الغربي. الذي أشرنا إلى خصائصه إلى طور «العولمة الغربية» التي أرادت وتريد إلغاء «هامش الاختيار» الذي كانت تتمتع به الشعوب والأمم والحضارات غير الغربية. وإحلال مرحلة «الاجتياح القسري» محل مرحلة «غواية الترغيب والترهيب»

فالعولمة الغربية، هي طور جديد على طريق النزعة المركزية الغربية.. إنها طور الاجتياح الذي يطمع في صب العالم داخل القالب الغربي على مختلف الصعد والميادين.. الاقتصادية.. والسياسية.. والقيمية.. والثقافية.. والعسكرية.. والتشريعية.. إلخ.. إلخ..

إنها مرحلة «الطوفان الغربي» الذي هو -في الدعاوى الغربية- نهاية التاريخ.. ومن لم يركب في سفينة النموذج الحضاري الغربي طوعا، فخطوط الصراع والإكراه معه وضده تحددها خطوط الثقافات والحضارات كما حدد ذلك المفكر الاستراتيجي الأمريكي «هنتنجتون» في

(١) الإسلام في عيون غربية ص٣٦٨

طور العولمة.. ومفهومها

«٢»

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وإذا كان هذا هو مفهوم «العالمية» في الرؤية الإسلامية.. وفي الرؤية العربية فما هو الجديد المفاهيمي الذي يطرحه مصطلح «العولمة» الذي طرأ على الساحة الفكرية والسياسية منذ سنوات؟

إن الجديد في هذه «العولمة الغربية» عن «العالمية الغربية» هو جديد في الدرجة، وليس في النوع.. فنحن إزاء تصاعد في درجة النزعة المركزية الغربية.. وتصاعد في حدة التطبيق الغربي لهذه النزعة المركزية.. وأسباب هذا الجديد -جديد العولمة- هو التطورات الموضوعية الجديدة التي طرأت على العالم.. ومن ثم على علاقة النظام الغربي بالعالم غير الغربي.

لقد مر الغرب في علاقات أممه ودوله القومية بعضها بالبعض الآخر - منذ عصر التنوير - بمراحل عدة.

■ مرحلة الحروب الدينية

■ ومرحلة الحروب القومية..

■ ثم جاءت مرحلة الحروب الاستعمارية لاقتسام العالم غير الغربي.

■ ثم شهدت العقود الأولى للقرن العشرين ذلك «الانشقاق الاجتماعي» بين الشمولية الشيوعية وبين الليبرالية الرأسمالية في قلب النموذج الحضاري الغربي.. ولقد شغل هذا الانشقاق والشقاق الاجتماعي واستنفد الكثير من الطاقات الصراعية لقوى النظم الغربية.. واتخذ إليهما نحو ربع قرن - صراع هذين القطبين مع الفاشية والنازية..

وفي ظل هذه الفرصة التاريخية، نمت حركات التحرر الوطني في البلاد المستعمرة.. واستطاعت الدول التي حققت استقلالها السياسي -عقب الحرب الاستعمارية العالمية الثانية- من هامش الحرية الذي أتاحه لها الصراع الداخلي بين شقي الحضارة الغربية، فحققت -بعد الاستقلال السياسي- مقادير متفاوتة من التنمية الثقافية والاقتصادية والعسكرية.

صحيح أن «التغريب» كان تيارا ضاغطا على حيزات هذه الدول والشعوب وكما تقول المستشرقة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكه: «فقد أخذت هذه الشعوب المستقلة حديثا، تسلك سبلا مختلفة كي تشق طريقها إلى العالم الحديث. فأخذت بأسلوب حياة المستعمرين وحضارتهم، واحتذت سيرة السادة وحياتهم وطريقتهم في العيش والتفكير، وقلدت عاداتهم وما حققوه من إنجازات مادية ومثل أخلاقية، فتأوربوا كالأوروبيين، وتأمركوا كالأمريكيين، وتروسوا كالروسيين»[1]!!

لكن التناقض الرئيسي في جسم الحضارة الغربية -بين حقبة الشقاق بين الشيوعية والرأسمالية- قد أتاح للشعوب -رغم التغريب- مقادير من حرية الاختيار.. في إطار «غواية الترغيب والترهيب»

فلما حدث وسقط النموذج الشمولي المركسي في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين-وتوحدت قبضة الحضارة الغربية كما لم تتوحد من قبل منذ عصر التنوير الأوروبي- وتزامن ذلك مع ما اقتضاه «الرعب والردع النووي» من ضبط الغرب لتناقضاته الداخلية والاقتصادية عند حدود وسقف «الصراع غير العنيف».. واقترنت هذه اللحظة التاريخية بثورة متسارعة وغير مسبوقة في تقنيات وسائل الاتصال - في الفكر والثقافة والإعلام.. وفي المال والاقتصاد - كان ذلك الصعود الجديد لنزعة المركزية الغربية من طور «العالمية» بمفهومها الغربي، الذي أشرنا إلى خصائصه إلى طور «العولمة الغربية» التي أرادت وتريد إلغاء «هامش الاختيار» الذي كانت تتمتع به الشعوب والأمم والحضارات غير الغربية، وإحلال مرحلة «الاجتياح القسري» محل مرحلة «غواية الترغيب والترهيب»..

فالعولمة الغربية، هي طور جديد على طريق النزعة المركزية الغربية.. إنها طور الاجتياح الذي يطمع في صب العالم داخل القالب الغربي على مختلف الصُعُد والميادين: الاقتصادية.. والسياسية.. والقيمية.. والثقافية.. والعسكرية.. والتشريعية.. إلخ.. إلخ.

إنها مرحلة «الطوفان الغربي» الذي هو - في الدعاوى الغربية - نهاية التاريخ.. ومن لم يركب في سفينة النموذج الحضاري الغربي طوعا، لخطوط الصراع والإكراه معه وضده تحددها خطوط الثقافات والحضارات كما حدد ذلك المفكر الاستراتيجي الأمريكي «هنتنجتون» في

[1] الإسلام في عيون غربية ص٣٦٨.

مقولة «الكشف» عن النزعة الغربية في صراع الحضارات. وإذا كانت لحظة سقوط الشيوعية قد مثلت الإعلان عن لحظة ميلاد العولمة الغربية فلقد جاءت قارعة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م لتمثل «النزعة السافرة» لحقيقة هذه العولمة «عولمة» أمريكية، يستأثر الأمريكيون بمغانمها حيث لا دون الآخرين، بما في ذلك شركاؤهم الأوروبيون!!

وإذا كان «واقع» هذا الاجتياح العولمي الغربي هو الشاهد على صدق هذا التحليل والتوصيف فإن في مصطلح العولمة شاهداً ودليلاً يثبت

فالعالمية - حتى بمفهومها الغربي - وعلى الملابسات التي أحاطت بها، لم تخرج عن هامش الاختيار، أما هذه العولمة، التي تلتمس وتعني طي وحدة الثقافة العربية، وإزالة الثقافات التي حاصرت ونحن نعلم ... بكون الثقافة الكونية، مما يؤدي إلى تصاعد مخاطر الاختلالات في موازين القوى على الأمم والخصوصيات المستضعفة، إن هذه العولمة قد اصطحبت حتى المصطلح الذي هو الآخر شاهد على تحديد لدى تحليل الطبيعة الغربية للعولمة ... تعني الدمج المحطم والقسري في قالب واحد، ونفي التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف فيما بين ذلك. وقد عرفت وعايشنا عندما كانت الغرب «الفرنسة» و«الإنجلزة» و«الروسنة» و«الأمركة» و«الأسرلة» التي تعني أن العولمة مرحلة

الاجتياح الغربي وخاصة الأمريكي لقلب العالم في قلب النزعة المركزية الغربية، على نحو غير مسبوق، ودرجة لم يسبق لها مثيل، تعني المستجدات الحديثة في بنية الحضارة الغربية تريد «فرعونيتها» و«قارونيتها» مع وحدة قبضتها ووحدة ثقافتها، وتعني مستجدات عالم القطب الواحد ... المعلومات

■ ميادين العولمة.. وتطبيقاتها

ولأن العولمة هي الاجتياح الغربي - بزعامة أمريكية - لقلب العالم في ظل الحضارة المهيمنة، والمصلحة فيها، فإن هذا الاجتياح الطاغي لا يترك ميداناً من الميادين إلا ويريد أن يطاله ويحتويه وخاصة في إطار «فرض» الغربي «للآخر»!

في الاقتصاد:

فهذه العولمة تمثل الذروة التي تمثله الرأسمالية المتوحشة، بين الشمال والجنوب، والذي بلغ في النظام الاجتماعي حداً غير مسبوق في هذه الحضارة الشمال، الذين ... مجتمعاتهم الغربية على قطر النهب الاستعماري العالمي والذين يمثلون ٢٠٪ من سكان المعمورة - يملكون ويستهلكون ٨٦٪ من الإنتاج العالمي!!

وأكبر التجارات في اقتصاد هذه العولمة تجارة السلاح، ثم تجارة المخدرات، ثم تجارة الدعارة، والإنفاق العالمي على المخدرات يبلغ

٤٠٠ مليون من الدولارات! أما الإنفاق العالمي على الدعارة فهو ٢٠ تريليون دولار! وعائد الاستغلال الجنسي لدعارة الأطفال وحدهم في أمريكا وحدها يقدر بملياري دولار سنوياً! أما الإنفاق على السلاح فإنه يقترب من ١٠٠٠ مليون من الدولارات سنوياً، وصناعته والصناعات المرتبطة به تستقطب ٩٠٪ من العقول العلمية في العالم!!

وحجم ما ينفق على الخمور والقطط والكلاب المدللة في أوربا وأمريكا يقترب من ألفي مليون من الدولارات سنوياً! بينما لا ينفق على الصحة والتعليم والغذاء في عالم الجنوب - وفيه ٨٠٪ من البشر - سوى ١٩ مليوناً من الدولارات!!

ذلك هو اقتصاد الرأسمالية المتوحشة التي سموها «نهاية التاريخ» - والذين يريدون عولمته وفرضه على العالمين!

وإذا كانت أولى نتائج هذا الخلل الفاحش - الذي جعل ٢٠٪ من البشر - أبناء الشمال - يستهلكون ٨٦٪ من ثروة العالم، بينما يعيش ٨٠٪ من البشر على ١٤٪ من هذه الثروة - هي هذه القدرة الشرائية الأقل للغالبية البشرية، فلقد دفع ذلك رؤوس الأموال العالمية، التي لا هم لها سوى اللهث وراء تعظيم الأرباح، إلى التوجه إلى الميادين الطفيلية، بدلاً من الميادين الإنتاجية والخدمية، فغير تجارات المخدرات وغسيل الأموال القذرة وشبكات

تجارات الدعارة - التي أصبحت - في بعض البلاد من «المصادر الأساسية للدخل القومي»! وتكاد العمالة فيها تفوق العمالة في الصناعات الإنتاجية الأساسية!!

عبر هذه الميادين المدمرة لإنسانية الإنسان، توجهت الغالبية من رؤوس الأموال العالمية إلى المضاربة والمضاربات ١٠٠ تريليون دولار، أي ٩٧٪ من حجم الأموال السائلة، بينما الموظف في الإنتاج والتجارة هو ٣,٥ تريليون دولار، فقط لا غير!

وعلى حين ارتفع حجم التجارة السلعية العالمية من ٢٥ تريليون دولار سنة ١٩٩٠م إلى ٣٨ تريليون دولار سنة ١٩٩٨م، فإن حجم التجارة في الأوراق المالية - أي المضاربات عبر الصفقات المدمرة قد ارتفع في ذات المدة من ١٥ تريليون دولار إلى ١٨٠ تريليون، والتريليون هو مليون مليون. أي أن هذه التجارة المدمرة والطفيلية في ظل العولمة ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار!

وإذا كانت ديون العالم الثالث - أي ٨٠٪ من البشرية - قد بلغت سنة ١٩٩٧م ١,٩٥٠ مليار من الدولارات، تقتطع فوائدها - مجرد الفوائد - أربعة أضعاف ما تنفقه دول «العالم الثالث» على الصحة والتعليم مجتمعين! فإن صورة هذه المأساة لا تتم إلا إذا علمنا أن الشركات متعددة الجنسيات ومتعدية القارات التي تقود هذا الاقتصاد «العالمي» تقترض الدولارات من «وول ستريت» حتى المال

والأعمال في أمريكا بفائدة قدرها ٦٪ لم تقرض هذه الدولارات لبلاد الجنوب بفائدة تتراوح ما بين ٢٠٪ و٥٠٪!!!.. الأمر الذي جعل استدانة الجنوب من الشمال تعني تمويل الجنوب للشمال، لا العكس، وتنمية الجنوب للشمال بدلا من العكس!!.. فقرض قصير الأجل لمصر، بلغت قيمته أربعة ملايين دولار، أصبحت قيمته الإجمالية – مع الفوائد– عند اكتمال سداده ٣٢ مليونا!!![3].

تلك هي «المقصلة الاقتصادية» التي يريدون عولمتها.. والتي تمثل «العاصفة» التي تطفئ «شموع» التنمية الاقتصادية الوطنية والمستقلة لبلاد الجنوب!..

والعولمة السياسية:

وغير البعد الاقتصادي للعولمة.. هناك البعد السياسي، الذي همش دور المنظمات الدولية.. والقانون الدولي لحساب تعظيم الهيمنة الأمريكية على العالم.. فمجلس الأمن القومي الأمريكي يكاد أن يحل محل مجلس الأمن الدولي!!.. وقضايا العالم الإسلامي قد عهد بها إلى «لوبي صهيوني» أمريكي!.. والسيادة الوطنية لحكومات الدولة القطرية والقومية، تتآكل لحساب التدخل الأمريكي.. الذي يسمونه «الإنساني»!.. بل ويتم الغزو والاحتلال لبلادنا الإسلامية باسم «الحروب الاستباقية»!.. وفي ذلك تستغل «أوراق» كثيرة، منها أوراق الأقليات.. حتى ليكتب كاتب نصراني معلنا التأييد لذلك، فيقول: «إن المطالبة بممارسة ضغوط دولية على الدول من أجل المحافظة على حقوق مواطنيها واحترام المواثيق الدولية هو أمر مشروع تماما، داخليا وخارجيا.. ولا عجب في هذا، فنحن نعيش في عصر الدولة ناقصة السيادة وهذا أحد أهم أوجه ظاهرة الكونية»!![2]

ولم يقل لنا لماذا تنتقص العولمة سيادة دولنا الوطنية والقومية ولا تنتقص سيادة دول الهيمنة الغربية؟!.. بل ويكون انتقاص سيادتنا لتعظيم سيادتهم هم؟!.. الأمر الذي يجعل هذه العولمة غير عالمية ولا كونية بأي حال من الأحوال!..

بل حتى الحق الفطري –تقرير المصير– الذي أقرته الشرعية الدولية سبيلا لتحرير الشعوب من الاستعمار.. نرى العولمة تحرم منه شعوب الأمة الإسلامية في فلسطين.. وكشمير.. والشيشان وتحوله إلى أداة تفتيت للدول ذات السيادة، التي تتمتع بعضوية الأمم المتحدة كما حدث في حالة

---

(٢) [illegible] في «تقرير [illegible]» الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٩٨م و«الأهرام» القاهرة [illegible] مقالات: صلاح حافظ في ١٦-٩-١٩٩٨م. ود. محمود عبدالفضيل في ١٥-٩-١٩٩٨م. والسيد يسين في ٢١-١-١٩٩٩م وكتاب «مفترق القرن العشرين» للدكتور أحمد شوقي طبعة المكتبة الأكاديمية. القاهرة سنة ١٩٩٩م

(٣) مجدي خليل «مصر وأمريكا» «ضباط مصر» صحيفة «الأهالي» القاهرة في ٢-٧-١٩٩٧م

«تيمور الشرقية» التي تم فصلها عن أندونيسيا، وكما يحدث الآن في العراق والسودان!!.

وهكذا تتحول «السياسة الأمريكية» إلى «السياسة العالمية» و«المعولمة» ويصبح لها «عقوبات» ومنظرون

والعولمة التشريعية:

وبعد هذه العولمة السياسية، ويقف لها «عولمة تشريعية» يمارسها الكونجرس الأمريكي، الذي لم تعد تشريعاته وقفا على حدوده الوطنية كما هو شأن اختصاصات كل برلمانات الدنيا.. وإنما أخذ هذا الكونجرس يشرع للعالم بأسره.. فيصدر القوانين التي تصنف الدول إلى صالحة أو طالحة.. إرهابية أو مسالمة.. شريرة أو خيرة.. مارقة أو مطيعة.. بل ويعتمد الميزانيات العلنية لتغيير النظم وقلب الحكومات في الدول ذات «السيادة» بعد أن كان ذلك من أسرار المخابرات الأمريكية[4]

والعولمة العسكرية:

التي تفرض كل ألوان العولمة وتعدها على من تحدثه نفسه بالتمرد أو العصيان.. وإذا كان شاذا بكل المقاييس أن تأتي الطائرات الأمريكية لتضرب شعب أفغانستان وشعب العراق بحجة «الدفاع عن النفس» نفس الذين وطنهم وراء القارات والمحيطات.. فإن هذا الشذوذ قد قننته العولمة في الاجتماع الذي تم لحلف الأطلنطي في عيده الخمسين، في أبريل سنة ١٩٩٩م..

فهذا الحلف الذي تكون في أبريل سنة ١٩٤٩م «للدفاع عن أرض الدول المشتركة فيه»، قد تمت عولمة ذراعه العسكرية وآلته الحربية، عندما عدل ميثاقه لتكون مهامه «الدفاع عن مصالح» وليس فقط «أرض» الدول المشتركة فيه! وسرعان ما وجدنا تطبيقات هذا التعديل، وجودا عسكريا لهذا الحلف بقيادة أمريكا في أفغانستان وفي العديد من بلاد العالم الإسلامي..

بل إن هذه العولمة العسكرية قد نشرت القواعد العسكرية الغربية على امتداد أغلب بلاد العالم الإسلامي.. ونشرته الأساطيل الحربية الغربية في طول البحار والمحيطات الإسلامية.. حتى لقد نشرت مجلة «نيوزويك».. الأمريكية خريطة لخمس وثلاثين قاعدة عسكرية غربية في بلاد المشرق العربي وحدها، منها ثلاثون في بلاد مجلس التعاون الخليجي!!.. وهي قواعد ضرب منها العراق في سنة ٢٠٠٣م.. في سابقة ليس لها نظير في التاريخ[5] ! بينما لا يوجد للعالم الإسلامي في الغرب «عسكري مرور».. ولا سفينة لصيد الأسماك!!!..

«يتبع»

---

(٤) نيوزويك الطبعة العربية عدد ٤-٣-٢٠٠٣م.

(٥) «مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية» الفصل الثاني عشر - الفقرة ٢٤ والفصل الخامس - الفقرة ٥، والفصل الثاني المبدأ ٧ - والفصل السابع الفقرات: ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٧، ١٨، ٢١ الترجمة العربية الرسمية طبعة سنة ١٩٩٤م

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم في رأى أمير البيان شكيب أرسلان؟

للأستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج

الأستاذ بكلية التربية جامعة المنصورة

الموازنة بين المسلمين والنصارى الغربيين فى البذل:

لكى يبرز شكيب أرسلان هذه الموازنة، وازن بين حالين، الأولى ايجابية يؤديها الأجانب على أحسن وجه، والثانية سلبية يعايشها المسلمون على أسوأ ما يكون

أما الأولى فتتلخص فى موقف الكنيسة الكاثوليكية فى الإيقاع بين العرب والبربر فى المغرب وكلهم مسلمون، ثم محاولة تنصير البربر، فدبرت الكنيسة الكاثوليكية المال اللازم وأقامت أبنية الكنائس، واستجاب لها كل الذين يدينون بالكاثوليكية وقدموا المال الوفير من أجل مهمة التنصير، فهل لو سئل أغنياء المسلمين أن يبذلوا المال لبناء المساجد والدعوة الى الإسلام أتراهم يستجيبون؟ الإجابة لا وبينما يبذل الكاثوليكى والبروتستانتى القناطير المقنطرة من المال ويحميها بطائراته ودباباته، يتكاسل المسلمون عن التبرع من أموالهم أو التصدق بأقل القليل، وهذا الذى يفعلون من أسباب تأخرهم

ويضيف شكيب ذكر شروط للأمة فوق ... تقدم. وهو أن خصماء الأمة الإسلامية فئة من المستشرقين الغربيين الذين بثوا فيهم أن سبب تخلف المسلمين: إنما جاء عن اختلاط الدين بالدنيا، وعن عمل المسلمين بشرع سماوى، وقالوا بزعمهم: إذا أرادت الأمم الإسلامية الرقى وجب عليها أن تنبذ الشريعة الإسلامية التى أصبحت لا تصلح لعصرنا» حاشية شكيب على كتاب حاضر العالم الإسلامى ٣ «٣٤٣».

وبعد أن يكتب شكيب تقريرا وصفيا لما يعيشه المسلمون فى حياتهم الراهنة، يطرح سؤالا هو: ما أهم أسباب تأخر المسلمين؟! ويجيب عنه بما يلى

السبب الأول: الجهل وعدم القدرة على التمييز بين الصحيح الذى يصلحهم، وغير الصحيح الذى يضرهم، وفى الغالب يوقعهم الجهل فى تقبل ما يضرهم على أنه مما ينفعهم.

السبب الثانى: فساد الأخلاق الذى دب فيهم، مع أهمية الأخلاق فى تكوين الأمم وتقوية المعارف بها، وهذا الفساد غالب فى أمرائهم وفقهائهم، فالأمراء ينظرون إلى رعاياهم وكأنهم أقنانهم، أما الفقهاء الذين يجب عليهم التحلى بالورع والنصح للأمراء، فتركوا الوعظ والنصح، وأخذوا يتزلفون فى الحكام لنيل مغانمهم «ص٧٦».

السبب الثالث: شيوع الجبن فى عامة المسلمين، شاعه فيهم أمراؤهم وأقنعوهم بأنه الحكمة، حتى قال الشاعر فيهم:

يرى الجبناء أن الجبن حزم

وتلك خديعة الطبع اللئيم

السبب الرابع: استكانة المسلمين، وإصابتهم بالقنوط واليأس، بعد أن فشا فيهم أن الغرب يملك الوسائل التى لا قبل لهم بها، ونسوا أن هذه الوسائل من صنع الرجال الذين يحركون المواد الصماء، ولا تحركهم المادة الصماء

السبب الخامس: أنهم لا يمتلكون وسائل العلم الحديث والتقنية والمعرفة التى توصل إليه، كما لا يملكون الإرادة على تملكها، فضلا عن تخاذلهم وتفرقهم شيعا، وإفراطهم فى حب الدنيا، وجمودهم على القديم، وعدم تجاوبهم مع الجديد من العلوم والفنون، فتداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها

السبب السادس: ضياع الهوية القومية بتقليد الغرب فى قشور حضارتهم وترك اللباب، وليتهم أخذوا العبرة من اليابان، فقد أخذوا عن الغرب تقدمه المادى، وحافظوا فى الوقت نفسه على هويتهم وقوميتهم «ص ٩٢»، كل مواطن فى الغرب، وفى اليابان وفى الصين، متمسك بدينه وعقيدته وتقاليده فرح بما لديه، أما المسلم المسكين فيطلب منه لكى يرقى أن يتخلص من دينه وعقيدته ويترك قرآنه وتعاليمه «ص ٩٩» ألا ساء ما يطلبون.

شكيب أرسلان

السبب السابع: ضياع أمر المسلمين بين خطر المسلمين الجامدين الذين لا يفهمون غير أن الإسلام جاء لفرض النقاب على النساء، وتقصير الثوب للرجال ولتكفير مخالفيهم، وتركوا الحض على الأخذ بالعلم الحديث والفنون العصرية، وخطر العلمانيين الجاحدين الذين يرفضون العمل بالدين جملة. وخطورة النوع الأول أنه مصمم على أن الإسلام جاء للآخرة دون الدنيا، وخطورة الثانى تكمن فى سوء طويته، لأنه لا يريد أن يكون الإسلام طريق التقدم والتمدن، فالمسلم الجامد جرّ على المسلمين المصائب لأنه لا يتحمس إلى اشتغال المسلمين بالعلوم الكونية فصاروا فيها عيالا على غيرهم وهم أعداؤهم «ص ١٠٤»، والعلمانى الجاحد يريد أن يرقى المسلمون أمام أرجل الغرب

الذى لا يمن على المسلمين إلا بمخلفات مدنيته أو حضارته.

ويرى شكيب أن هؤلاء الجامدين وهؤلاء الجاحدين أشر فئة على الإسلام والمسلمين. «ص ١١٣».

بعد أن بين شكيب أهم أسباب الانحطاط، أراد أن يبعث الهمم من مرقدها، وكأنه يقدم الدواء لأمته الذى به تعافى وتحيا الحياة الفضلى بين الأمم، ويبدأ بتنبيههم إلى مكايد الغرب ومن لف لفيفه من العلمانيين فى بلاد المسلمين، فيقول: إن علماء الغرب يرددون مقولة أن العرب لم يكونوا يوما ما أهل تقدم ومدنية، بل مقلدين لمدنيات أمم سبقتهم، وهذا غير صحيح فاحذروه، لأن مدنية الإسلام إنما نبعت من القرآن وتعاليمه وتوجيهاته، وتفجرت من عقيدة التوحيد، والأمم تتقدم بالتمسك بالدين وتعاليمه، وبالأخلاق النابعة منه.

والذى دفع شكيب إلى تبيان ذلك حملات المبشرين والمستشرقين على الإسلام وزعمهم أنه سبب تخلف المسلمين وانحطاطهم :

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

(الكهف: ٥)

ومع أن الأديان – غير الإسلام – لا يمكن وحدها أن تكون معيارا للرقى المدنى، فإن الإسلام وحده كان سبب تمدن المسلمين، فالقرآن وصحيح السنة يحثان المسلمين على العمل والنظر والتجريب والاستقراء لكل أحوال الكون، أما لماذا انحط المسلمون؟! وبينهم القرآن يتلى، فلأنهم تركوا تعاليمه فى النظر والعمل، واستخدام العقل الاستخدام الصحيح، واكتفوا من الإسلام بالاسم «ص ١١٩ – ١٣٢».

القرآن باعث المسلمين على الترقى بالعلم،

رأى شكيب أن وسائل العلاج فى التمسك بالدين والأخلاق، وحب الوطن، وتملك المال والعلوم والفنون التى تعين على التقدم والمدنية، وإن الباعث على ذلك ما جاء به القرآن الكريم من حث على العمل والعلم، قال تعالى:

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾

(العنكبوت: ٤٩)

والآيات التى يحض بها القرآن على تملك العلم تقتضى أن المراد بالعلم: علم الكون، ولذلك جاء ذكر آيات العلم فى القرآن أضعاف أضعاف ما ذكر من آيات العبادات.

وثمة كلمة يوجهها شكيب للعلمانيين فى بلاد المسلمين الذين يقولون كذبا بأن النهضة ينبغى أن تكون قومية لا دينية، تقول لهؤلاء: لابد لنا من تربية دينية قبل كل شىء، قبل التربية العلمية والوطنية فهى التى تجعل المواطن المسلم يؤمن بأن العلم ضرورة دينية قبل أن يكون ضرورة علمية أو وطنية، بل يؤمن بأنها ضرورة تجمع كل الضرورات فى آن واحد.

وتكون الثمار فى أن المواطن عندما يتطلع إلى نهضة تكون نهضته دينية وطنية علمية ضاربة الجذور فى التاريخ والأرض والثقافة القومية، والأخلاق والعادات الموروثة – والدين يجمعها جميعا.

النصح للمسلمين،

وفى آخر الرسالة يوجه شكيب أرسلان النصح للمسلمين إذا أرادوا النهضة والتقدم فى كل العلوم والفنون، فيما يلى:

١- أن تعود إليهم الثقة بالنفس، لأن فقدانها مرض يورث العجز عن اللحاق بركب الحضارة والمدنية المعاصرة

٢- أن ينفض المسلمون عن أنفسهم غبار الخمول، وأن يبدأوا العمل بإرادة قوية لكى يبلغوا أعلى درجات التقدم والرقى العلمى والمعرفى، ويكونوا مثل طلعت حرب باشا، فى رجاحة العقل وبعد الهمة، وحب الوطن، والإرادة القوية وحسن استخدام المال، فيما غير طلعت حرب وجه مصر، وطالت أعماله العظيمة بعض بلاد المسلمين خارج مصر مثل شركة الملاحة البحرية لنقل الحجاج، ومشروعاته فى إصلاحات طرق الحجاز، وإدارة الكهرباء، وتوزيع المياه «ص ١٥٦ – ١٦١».

إن المسلمين ينهضون بمثل ما نهض به غيرهم.

فى خلاصة الرسالة رأى شكيب أرسلان أن على المسلمين واجب النهضة بأنفسهم، وأن يأخذوا بالأسباب التى أخذ بها غيرهم من الأمم المتقدمة، وتتلخص فى الجهاد بالنفس والمال، والعمل تقتضى العقل السليم، والإرادة القوية. والمسلمون إذا صدقوا وأرادوا التقدم بما حرضهم عليه القرآن أمكنهم أن يتفوقوا على الأوروبيين، فهم حينئذ سيمتلكون النهضة المادية مثلهم، وهم فى ذلك يملكون كتاب الله يهديهم إلى الصراط المستقيم.

إن الأمم التى تقدمت، تقدمت على أيدى رجال، والمسلمون رجال، ولكن يعوزهم فى حاضرهم عزائم الرجال أصحاب الهمم والعمل، وقوة الإرادة «ص ١٦٣».

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

كتبه شكيب أرسلان بلوزان فى ١٩٣٠/١١/١١ وللرسالة مستدرك.

لهذه الرسالة مستدرك فى كتاب أبى الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، وهو يرى أن المسلمين بالرغم مما هم فيه من علة وضعف هم الأمة المؤهلة لقيادة سير البشرية، ومراقبة أعمالها وقيادتها إلى الفضيلة، فمع أن العالم الإسلامى الآن قانع بالقليل، لكنه مستعد للهداية إن وجدت إلى القلوب سبيلا، فإذا أراد المسلم أن يستعيد أمجاده فعليه أن يجيد قراءة تراثه الدينى والعلمى، ويأخذ بعلوم العصر مع التشبع بروح الإسلام، فإن حقائق الدين موصولة بكل العلوم النافعة التى تقيم مدنية العصر الحديث «ص ٢٦٤، ٢٧١».

وعلى الأمة الإسلامية أن تستغل بشريتها فى مجالات التعليم والتربية ولا تصادم غيرها من الأمم بغير ضرورة، وعليها أن تعزم على الانتفاع بثروات أرضها من محاصيل ومعادن وطاقة، ولقد حباها الله تعالى أعظم موقع فى مركز الأرض، وأعظم أنهار الدنيا، ولو أنها ملكت قرارها لصارت أعظم أمم الأرض وأقواها وأغناها، وإن مصر على وجه الخصوص غنية بعلمائها ممن برزوا علماء الدنيا المعاصرين فى علوم الطبيعة وفى مجالات الفضاء والكيمياء الحيوية وغيرها من العلوم التى عليها قوام الحياة، ولو تحقق لهم على أرضهم المناخ الصحى لحققوا أعظم الإنجازات العلمية، ولحققوا التقدم المطلوب.

حاجة البشرية إلى الإسلام

لم أستغرب السقوط المفاجئ والسريع للاقتصاد الغربي كما لم أستغرب سقوط الاتحاد السوفيتي السابق. بل إن استغرابي كان لطول المدة التي قضاها هذان النظامان دون سقوط برغم صغرها قياساً على حياة الأمم والدول. لأني أعلم يقينا أن مصادرة الفطرة وتعطيلها أمر شاذ وعسير وهو ضد طبائع الأشياء. والسباحة ضد التيار أمر شاق ورهيب. فكيف إذا كانت السباحة ضد الفطرة التي خلقها الله وضد النظام الذي أنزله وارتضاه؟ وهو سبحانه وتعالى القائل:

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾

(طه : ١٢٤)

وهو القائل أيضاً:

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾

(الملك : ١٤)

إن الذي حدث ويحدث في الغرب ليس مجرد خطأ في الممارسة أو تقصير في الأداء. فالقوم يعرفون كيف يديرون شئون دنياهم وإنما هو خلل في التصور وانحراف في العقيدة. واضطراب في منهج الحياة وأخطر ما في هذا الخلل هو عدم الشعور به واليقين الكامل بصحته بل والتباهي به على الناس وصدق الخالق الحكيم القائل:



﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾

(فاطر : ٨)

لقد أدار هؤلاء الأقوام ظهورهم لمنهج الله، ونفضوا أيديهم تماما من التحاكم إلى الدين والالتزام به، من يوم أن وقع الفصام النكد بين رجال الدين، وبين القياصرة، ورفعوا شعارهم المعروف: «اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، ثم زادوا على ذلك فحطموا كل ما يتعلق بالله ورفعوا للثورة الفرنسية شعارا «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس». وبدا واضحا أن أمر الدين لم يبق له مساحة تذكر في حياة الرجل الغربي وعندما تنطلق النفس من هداها وتتحكم فيها شهواتها لابد أن يقع هذا السقوط الرهيب نتيجة تصادم المصالح وتضارب المقاصد وتناقض الأفكار.

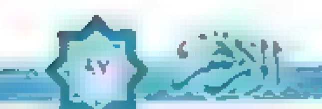
﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾

(المؤمنون : ٧١)

إن الحضارة المادية بشقيها الشرقي والغربي كانت تحمل في طياتها أسباب سقوطها سواء منها الذي سقط سقوطا ذريعا في الاتحاد السوفيتي أو الذي ينهار الآن محققا خسارة لا يستطيع العقل مجرد تصورها. وما كنت أظن أن الأمر بلغ بأمريكا وحدها هذا الحد إلا عندما استمعت وشاهدت وزير المالية المصري يصرح وقد عاد لتوه من أمريكا قائلا: «إن الخسارة التي تحققت الآن هي ٢٠٠٠ مليار دولار وما المتوقعة خلال الأشهر القادمة فهي ٣٠ تريليون دولار أي ثلاثين ألف مليار دولار». إن هذه الحضارة بشقيها الشيوعي والرأسمالي تحمل في كيانها أسباب انهيارها، لأنها واجهت تحديات مصيرية، لا يمكن أن تجد لها حلا، أو تجد منها مخرجا. ومن هذه التحديات: غياب البعد الروحي في هذه الحضارة وشيوع الإلحاد وإقصاء الدين عن واقع الحياة، مما أوقع هذه الشعوب في أسر المادية وعبادة الجسد، وهذا السقوط الذريع في أسر المادية، هو الذي أشاع فيهم الانحلال الأخلاقي وأسقطهم فريسة للأمراض الخبيثة. وحطمهم فأخرجهم عن تحقيق هدف خضارية تعطي. لأنهم يخرجون عن تقديم منهج حضاري ينفع ... وتهذب. ولو أن تعثر اقتصر على الجوانب المادية والأخلاقية لبقي أمل في العودة عن طريق الرصيد الإيماني المعتمد على الرضا بالقدر، ولكن القوم لا يؤمنون بالقدر وقد ألجأهم ذلك إلى الاكتئاب والقلق والانتحار. ويبقى التحدي الأخطر بجانب ما سبق وهو أنهم لو أرادوا العودة إلى كتبهم وعقائدهم المقدسة، فلن يستطيعوا الوصول لذلك، لأنها بعد التحريف والتزييف الذي طرأ عليها لم تعد موجودة على الحقيقة. وهذا ما يجعلني واثقا من قول ربي سبحانه:

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ۝ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾

(الإسراء : ٩، ١٠)



لقد قرأت هاتين الآيتين ما لا يحصى من المرات وربما وقفت عندهما كثيرا أتأمل تركيبهما وأتمعن أسرارهما. لكنني لم أتوقع يوما أن أجد فيهما هذا الوجه الجديد من وجوه الإعجاز، فالتعبير باسم الموصول «التي» والوصف اللاحق به «هي أقوم» يبقي المجال مفتوحا أمام شمول القرآن لهداية البشرية في كل ما يحتاجها من أمور العيش وتقلبات الحياة ولك أن تضع أمام اسم الموصول «التي» ما شئت من «موصوف» تجد القرآن يهدي إليها في أعظم صورها وأدق معانيها. فالشريعة والحقيقة والطريقة وكل ما يستعمل للدلالة على التشريع المحكم يأتي القرآن ليهدي إليه، وهذا ما أكدته تجربة العمل بالقرآن منذ نزل وإلى اليوم وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة لأن منزله «سبحانه وتعالى» هو الذي خلق البشر ويعلم ما يصلحهم:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

وإذا كانت تلك حقيقة واقعة يلمسها المؤمن، ويجدها في قرارة وجدانه، فإن غير المسلم يجد له عذرا إن خفي عليه هذا الفضل العظيم وهذا التنزيل الكريم، وهو الذي خلق في مجتمع زيف عليه الحقائق وحال بينه وبين نور الله، نتيجة مواريث خاطئة - وتعصبات مقيتة على مدى تاريخ البشرية، فمن لهذه الأجيال التي حالت العلمانية واللا دينية بينها وبين الأديان، عقودا طويلة من الزمان، واليوم وقد نزل مستوى التعصب للأديان، وظهر التعصب للغة العقل وتغليب المصلحة واعتماد آلية التجربة والبرهان بدليل أننا لم نر بأساً لدى كبير قضاة بريطانيا في أن يستعين بقوانين الشريعة الإسلامية، كما أوضحنا في مقالنا السابق، أو بأية قوانين أخرى مادامت فيها مصلحة لبلاده، وهذه الحال من التجرد والإنصاف والاستعداد لقبول الحق مهما كان موطنه ومصدره، أمر يحفز همة العاملين للإسلام ليتقدموا بالإسلام إلى الناس مهما اختلفت بيئاتهم وعقائدهم. ومهما تباينت أخلاقهم وأجناسهم، مستشعرين قول ربنا سبحانه يخاطب نبيه ومصطفاه:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

إن الوقت قد حان لإعلان الإسلام منهاجاً لأهل الأرض جميعاً بعد أن برهنت جميع معطيات العلم الحديث على ذلك. فعندما برع العرب في مجال الفلك والفضاء والطب والكيمياء وملك من الوسائل الحديثة ما جعله يكتشف قوانين الطرد والجذب والغوص في الماء والتحليق في الهواء، كان ذلك برهانا لأهل الأرض جميعا على صحة ما أخبر به القرآن ودليلا ثابتا على صحة ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، ومن هنا ظهر ما يعرف بالإعجاز العلمي للقرآن ثم انحطت الحضارة الغربية في مجال العفة والأخلاق وصيانة الأعراض والأنساب، فظهرت فيهم أمراض الجنس بأنواعها المختلفة، حتى فقدت هذه الشعوب معاني الأسرة والألفة والحب، وغابت عن حياتهم معاني الإيثار والإخاء والوفاء، وأصبحوا في حالة من الفوضى الجنسية، حتى وصل الأمر بهم إلى انتكاس الفطرة، فشاع فيهم الشذوذ الذي وصل إلى مستوى من التدني تأنف منه الحيوانات، وحتى بلغ الخال بكبارهم وعقلائهم من قادة الفكر والسياسة إلى إصدار قوانين تبيح زواج الرجل بالرجل كما حدث في بريطانيا وفرنسا وغيرها من هذه البلاد، وكان حصاد هذه الفوضى الحيوانية انتشار أمراض الإيدز بمعدلاتها المخيفة، ولن يجدوا ما يعصمهم من هذا الدمار إلا أن يعودوا إلى الفطرة السوية التي دعا إليها الإسلام وجعلهم ينادون بضرورة الاستعانة بقوانين الشريعة الإسلامية لتنقذهم، فكانت تلك الدعوات برهانا على حكمة الإسلام وعظمته فيما سنه من حدود شرعية، وضوابط أخلاقية، تصون للكيان الإنساني سويته واستقامته وطهارته.

واليوم نرى هذا السقوط الاقتصادي الرهيب والرعيب، فإذا بأهل الغرب ينادون كبار رجالهم، وعلماء دينهم، أن يتجهوا إلى قوانين الشريعة الإسلامية، يلتمسون منها حلا لهذا الكابوس المخيف[1]، بعد أن علموا يقينا خطورة المعاملات الربوية، التي دفع إليها الجشع والأنانية وحب الدنيا، والسعار المجنون إلى حب المال، ولكي يتبين لهم بقوة عظمة قول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾

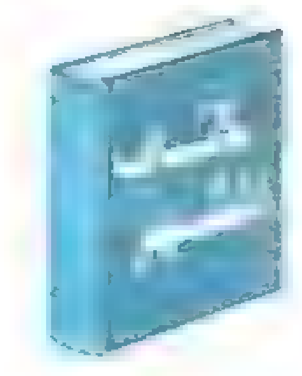
(البقرة: ٢٧٦)

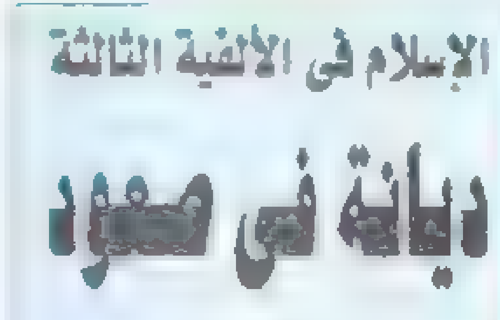
إن ما حدث في الغرب هذه الأيام - يبعث برسالة قوية وواضحة إلى أبناء الأمة الإسلامية، يستنهض هممهم، ويستنفر طاقتهم ويدعوهم بقوة إلى مراجعة ما لديهم من كنوز التشريع الإسلامي - كي يحسنوا التقدم بها إلى غيرهم من الناس كما أحسن آباؤهم وأجدادهم حمل القيم السامية والراقية لهذا الدين، وأحسنوا التقدم بها إلى الناس في صورة تجارب واقعية وأخلاق إنسانية، وقيم حضارية وتشريعات إلهية، واستمع إليهم الكون كله - وكان لابد أن يستمع لأنه رأى تلك الأخلاق سلوكا يمارس وحياة تدب على الأرض، وليس كلاما يقال أو دعوى تدعى، أو افتخارا ببلوغ آبائنا القمة بينما نحن نتخبط في الحضيض. وهذا يتطلب من شباب الأمة وناشئتها أن يثقوا بأنفسهم وأن يستمسكوا بدينهم، وأن يدركوا حقيقة مهمتهم التي شرفهم الله بها فيتقدموا لحملها غير هيابين ولا وجلين، واثقين من قول ربهم سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

(الحج: ٧٧ - ٧٨)

(١) انظر هذه المناديات في مقالنا في العدد السابق من مجلة الأزهر.



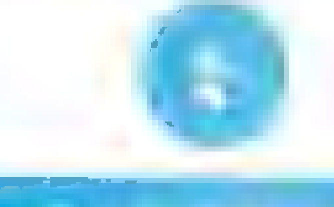


الإسلام في الألفية الثالثة

ديانة في صعود

تأليف:
الدكتور مراد هوفمان

تعريب:
عادل المعلم - يس إبراهيم



التزييف في العقائد، وفي الآراء والأفكار، وفي التشريعات من أخطر ما يواجه البشرية وينحرف بها عن المسار الفطري، لما يؤدي إليه من تضليل وتخليط ينأى بالإنسان عن الحقيقة، ويسلمه لبراثن الفتك والدمار والتحلل، حيث يصير - بذلك - إنسانا يسير معصوب العينين، مختوم الأذنين، بدون هاد أو رفيق أمين.

لهذا حارب القرآن الكريم التزييف في كل ألوانه ومتجهاته، وحذر منه، وتوعد من يمارسه بأشد العقاب في الآخرة، ونبه إلى أن ما يستهدفه من مكاسب يجنيها من وراء التزييف - مهما بلغت - سوف تعود عليه بالوبال والدمار والخراب كما في قوله جل شأنه

[illegible] (البقرة ٧٩)

وكما في قوله سبحانه وتعالى

[illegible] (آل عمران ٧٧ - ٧٨)

وواضح أن هذا التنزيل الكريم جاء إشارة إلى ما صدر عن بعض العلماء من أهل الكتاب الذين كانوا وراء تضليل بعض اليهود عن اليهودية الموحى بها، وتضليل بعض المسيحيين عن المسيحية الموحى بها، وإشارة مستقبلية إلى ما سوف يصدر عن بعض العلماء المسلمين كذلك.

لذلك.. أدرك أولو البصر والبصائر: أن عليهم مواجهة ما يحدثه المحدثون من تزييف. يقظا للبشرية من التردي في وهدة الضلال التي يدفعهم هؤلاء المزيفون إليها.

بصيص من الآمال

ومن هؤلاء المفكرين أولي الألباب.. الدكتور مراد هوفمان. فبعد أن عرض أبعاد الأزمة المسيحية، والكشف عن جذورها.. نبه إلى أن تأثير الأزمة البالغ في علم اللاهوت، لايعني توقع وصول هذا التأثير إلى الجموع العامة من المسيحيين.

ومع ذلك.. فيجب على الكنيسة أن تسرع إلى معالجة الأمر، حفاظا على مصداقيتها، لأنها لن تستطيع الاستمرار في إخفاء ما توصل إليه علماء اللاهوت من نتائج عن عامة المسيحيين، وهذه المعالجة تفرض: أن تبادر الكنيسة بإجراء عملية تصحيح تؤكد أن عيسى ليس سوى رسول، وتجتث ما أحدثه المجمع الكنسي في «إزنك» بنيقية سنة ٣٢٥ من تجاوز لدين إبراهيم التوحيدي. فإن هذا التصحيح كفيل برأب الصدع بين المسيحيين والمسلمين، حيث يتقرر: أن المسيحية المذكورة في القرآن هي الأصل، وهي الصحيحة، وأن الإسلام قد أدى رسالته في تخليص المسيحية والمسيح مما علق بهما من شوائب وتلفيقات.

ومن هنا.. جاءت نبوءة عالم اللاهوت «SCHWARZNAU» التي عبر عنها بقوله: «سنكون في آخر الأيام كلنا معا داخل الإسلام العالمي». إنه يتوقع أن يتطور الأمر من توالي موسى وبعده عيسى، وبعدهما محمد - إلى حالة معية، يكونون فيها معا.

ومن هنا.. جاءت دعوة عالم اللاهوت «John Hick» المسيحية إلى نبذ التعصب لدينهم، واعتباره طريق النجاة الأوحد والمطلق، ومناشدتهم أن يخطوا الخطوة الحاسمة، ويعترفوا بأنه بالإضافة إلى عيسى هناك مخلصون آخرون، وأن هناك رسلا وأنبياء غيره أوحي إليهم، وأنهم - كذلك - أصحاب رسالات سماوية، لأن كل الديانات تشارك في نصيب متساو من الحقيقة الإلهية.

ولهذا يتقبل (Hick) أن يتحلى المرء بانحياز إيجابي لدينه، ولكنه يرفض أن يكون سيئ النية تجاه ديانات الآخرين، لأن التنوير لم يأت بالهدوء

ليخرق ظلمات التقاليد الإسلامية ونصوصها من قرآن وسنة، بل إن هذه القيم والقواعد من قرآن وسنة هي التي انبعث منها النور والضياء.

أما تعامل المسلمين بشك وريبة مع ما بعد الحداثة فلأنهم يرون أن تسامحها وتقبلها لكل شيء ينتهي إذا ما كان هذا الأمر متصلا بالإسلام، حيث لا يتمتع المسلمون بأي مزية من مزايا الأقليات في أوروبا الغربية لإصابتهم بالذعر المرضي من الإسلام «فوبيا الإسلام» حتى إن كثيرا من الآباء المسيحيين انطلقوا في تصوراتهم مقدرين اختفاء منظما للإسلام.

وعلى نهج هؤلاء يسير اليوم خلفاؤهم ممن يروجون لما بعد الحداثة فلا تفاهم ولا تعاطف مع الإسلام ولا مع المسلمين، مروجين لشعار «ثقافة واحدة، نظام عالمي واحد»، بحيث أصبح شبح العولمة يتراءى للمسلمين بوضوح أينما ولوا وجوههم.

سنة ١٩٩٦ أوروبا العنصرية

وفي الفصل العاشر «لا تفرقة على أساس اللون» يؤكد الدكتور «هوفمان»: أن العنصرية تنشأ عن طور من أطوار العلاقات الاجتماعية التي تؤثر فيها اتجاهات الإنسان العائلية بما تثمره من مشاعر وطنية وقومية تعمل على تأمين حياة الفرد وسبل معيشته.

فهي في - منشئها - فضيلة تحترم بلا شك؛ لنشوئها عن سلوك طبيعي يخدم عملية تأمين الفرد والحيوان، ظهر في هيئة الانتماء العائلي والانتماء القبلي الذي يندفع إلى الخوف من الغريب، والتوجس منه.

ولقد أخذ القرآن الكريم بيد الإنسان ليتغلب على هذا الخوف ولا يقع فيه في قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾ (الروم:٢٢)

وقوله عز وجل

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣)

فقرابة أفراد العائلة بعضهم من بعض يجب ألا تقود إلى الخوف من الآخرين ومعاداتهم ولا إلى امتهانهم والسخرية منهم.

أما في أوروبا المسيحية فقد سيطرت عليها العنصرية في صورتها القائمة على التعصب القومي (الشوفينية) منذ قرون عديدة؛ فقادتها إلى تقسيم الناس على أساس العنصرية الدينية «والإثنية كانت وراء تلك العنصرية المنظمة ضد اليهود والمسلمين.

وقد ظن الناس أن الحداثة والتنوير في أوروبا قد قضيا على هذه العنصرية، نتيجة لعقلانية الحداثة، ولكن الناظر إلى ما يجري في أوروبا اليوم يتأكد من أنها قد عادت إليها في أعنف قوة وأشرسها منذ القرن التاسع عشر، كما يوضحه ما يذوقه البوسنيون، والأكراد، والفلسطينيون، والشيشانيون، ومواطنو كوسوفا وكشمير، إلى آخر تلك السلسلة من الفظائع التي تشبه الأهوال التي لاقاها المسلمون واليهود على أيدي المسيحيين في القرن السادس عشر، حيث فاقت أعداد اللاجئين لأسباب دينية عرقية في النصف الثاني من القرن العشرين أي أعداد أخرى مسجلة في التاريخ حتى تسمى القرن العشرون بحق قرن اللاجئين والمشردين.

وبهذا.. يتضح: أن كل العقائد السماوية الحقة قادرة على التخلص من الصراعات «الإثنية» التي تقوم على التعصب الثقافي؛ مما يؤكد أن الإسلام قادر فعلا على تهميش العنصرية، بل وإزاحتها تماما، كما حدث منذ بدايات الإسلام بيعتي العقبة التي لم تقف عند حد توفير الملجأ، ولكنها تجاوزت ذلك إلى توفير الحماية، والأخوة، وانضمام المسلمين تحت قيادة الرسول السياسية في مدينتهم التي تضم سكانا من العرب واليهود، متغاضين عن الانتماء القبلي مجتمعين فقط على الإيمان المشترك بدين واحد.

ولقد سار أمراء المؤمنين - في اختيارهم القادة والولاة - على نهج اختيار الأتقى والأصلح، دون النظر إلى الانتماءات المعرفية، حتى في عهد العثمانيين لم يكن معظم الوزراء من الأتراك، بل شمل الألبان واليونانيين، والكروات، والشركس، ولعل ما نصادفه سنويا في أثناء الحج أجمل تعبير عن المساواة وانعدام التفرقة بين الناس.

وهذا.. هو الذي جعل في إمكانية المسلمين إصلاح العلاقات والنفوس المريضة في المناطق المغلقة على السود فقط «الجيتو» والتي تضج بالمشكلات؛ فالإسلام لا يرفض الإكراه على الدين فقط، ولكنه يحمي جميع الديانات الأخرى، ويضمن لها وجودها وأمنها، كما نص على ذلك قوله تعالى

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة ٤٨)

حقيقة.. إن الإسلام - بالممارسة - لم يستطع إبادة العنصرية تماما، وادعاء عكس ذلك يساوي ادعاء تمكن الإسلام من استئصال الشر كله من العالم؛ فلا يستطيع أحد أن يدعي عدم وجود مشكلات طبقية بين السكان الأصليين لشبه جزيرة العرب وبين العاملين في هذه البلاد من الجنسيات المختلفة، وكثيرا ما تستمع لشكوى مسلمين أوروبيين وأمريكيين حديثي الإسلام من عدم ثقة المسلمين بالبلاد فيهم.

ولكن هذا السلوك يرجع إلى التخوف من عدم إلمام المسلمين الجدد بالعربية، وعدم درايتهم الدراية الوافية بالإسلام، وليس سلوكا عنصريا

ويخلص الدكتور هوفمان من هذا العرض الوافي إلى تقرير: أن الإسلام الحق الذي يفهم على صحته، ويمارس في الحياة بشكل سليم إنما يمثل النقيض للشوفينية بتعصبها العرقي وعنصريتها.

وجود الإسلام فى أوروبا حقيقة ثابتة

وفى الفصل الحادى عشر «ماذا يريدون هنا» واجه الدكتور هوفمان دعوى الرافضين للإسلام بحجة أنه لا وجود للإسلام فى أوروبا، وأنه لا ينتمى إليها، فنبه إلى أن التاريخ الطويل للإسلام يؤكد وجود الإسلام فى أوروبا، حيث تشهد على ذلك معالم الإسلام الباقية إلى الآن فى أوروبا، بما تدل عليه من تقدم فن العمارة الإسلامية فى صقلية وفى إسبانيا والبلقان، ووسط آسيا.

هذا.. إلى كثرة أعداد المسلمين فى أوروبا وأمريكا وكذا التى تعلن عنها البنية الأساسية لهم من مساجد ومراكز ثقافية، ومدارس واتحاد دور نشر، ومكتبات وجزاوين، ومدافن.

ولا يتخيل أبدا أن يشهد وجود الإسلام فى الغرب تراجعا ما، فالمتوقع أن تتوطد جذور المهاجرين فى بلاد المهجر وتتعمق هناك ومع ذلك.. لو تخيلنا مغادرة كل المسلمين المهاجرين بلاد الغرب، فلا يمكن أن يتصور اختفاء الإسلام هناك من جراء ذلك، لأن الجيل الثانى والثالث من المهاجرين قد اكتسب كل حقوق المواطنة فى هذه الدول، ووطدت جذورها فى بلاد المهجر ثم واجه دعوى عدم صلاحية الإسلام لأوروبا وأمريكا بحجة أنه ديانة شرقية، فذكر بأن اليهودية والمسيحية كذلك نشأت فى الشرق الأدنى مثل الإسلام، وأن الكتب المقدسة لهذه الديانات أنزلت بالعبرية، والآرامية، والعربية، وهى كلها مشتقة من ثقافة سامية، وإن الإسلام ليس المسيحية - قد انتشر فى أرجاء متفرقة ومساحات واسعة من العالم، حتى أصبح المسلمون العرب يعتبرون أقلية داخل الأسرة الإسلامية العالمية، وكذلك مسيحيو الشرق بالنسبة لمسيحيى العالم.

هذا إلى أن التاريخ الفكرى للمسيحية والإسلام يؤكد أن المسيحية تعد دينا شرقيا أكثر من الإسلام، لأن المسيحية - على نقيض الإسلام - استوعبت عناصر كثيرة من الديانات والمدارس الفكرية الشرقية، فتبنيها كثيرا من اليهودية والزرادشتية، والمانوية، والمازدكية، والأفلاطونية الحديثة، والغنوصية، والعبادات السرية الرومانية، والآثار الإيرانية، مثل التجسيد والثالوث، والأسرار الإلهية، والرهبنة، والكهنوت، والبخور، والقداس، والموقف السلبى من الجنس، إلى غير ذلك من الموروثات الشرقية القديمة.

أضف إلى هذا وذاك.. أن المعيار الأساسى للتنوير - وهو العقل - يقرر: أن الإسلام مهيأ تماما للتلاؤم مع التنوير؛ لخلوه من الأسرار والغموض، مثل الذنب الموروث، وموت المخلص، ورحلة يسوع ومريم السماوية، والتخلص من الذنوب عن طريق التعميد، والحضارة الأوروبية وما توصلت إليه من إنجازات خير شاهد على تأثرها بالإسلام تأثرا يكاد يعادل مدى تأثرها بالحضارة الإغريقية والهيلينية، من كل ما يؤكد أن الحديث عن أوروبا المسيحية الرومانية، وحضارتها الغربية اليهودية هو حديث غير علمى وغير موضوعى؛ لما فيه من جحود للفضل للمسلمين، فالأصح أن نتحدث عن الفكر الإنسانى اليهودى المسيحى الإسلامى.

ولكن التعصب الدينى يعوق عن الاعتراف بالإسلام

ويخلص الدكتور «هوفمان» من هذا العرض ليقرر أن الغرب لا يقوى على الحد الأدنى من التسامح تجاه الإسلام، ليعترف به دينا ثقافيا عبقريا، لأنه صار منذ زمن منطقة لا تعرف إلا نشر دين واحد، فليس لديه خبرة ممارسة التنوع الدينى وما يتطلبه ذلك من تقبل الآخر والتعايش معه على عكس العالم الإسلامى بما يضم من تنوع دينى.

وقد أدى عدم التسامح الدينى فى الغرب إلى نشوب حروب شديدة بين الكاثوليك والبروتستانت الألمان، استمرت ثلاثين عاما ١٦١٨ - ١٦٤٨ بسبب الاختلاف فى بعض التفصيلات اللاهوتية الدقيقة، فليس من الميسور أن يتوقع المسلمون من هؤلاء بعصبيتهم وعدم تسامحهم هذا - تعاملا يقوم على التصالح والرغبة فى التعايش السلمى، خصوصا مع وجود اختلاف كبير بينهم وبين الغربيين فى المظهر الخارجى، وعادات تناول الطعام والطقوس الدينية والعقدية.

وإذا كان المجتمع الغربى بين الضعف بحيث لا يستطيع تقبل السلوك الإسلامى من المسلمين، فإن على المسلمين أن يحاولوا تقليل حجم الاختلافات وأن يبتعدوا عن النقاط التى تثير النزاعات فى الأمور غير الجوهرية فى الإسلام مثل طريقة الملبس وكيفية تناول الطعام فى سبيل تعايش سلمى مع الغربيين، واندماج أفضل بهم من غير ذوبان ولا تجانس يمس العقيدة والأخلاق، والعبادات وما تنص عليه الشريعة.

وإن على المسلمين أن يدركوا أن ما تشهده أوروبا من انتشار سريع للإسلام قد خلق صدمة شديدة، وخوفا أشد من المستقبل عند أناس راسخى الجذور الثقافية، غير مؤهلين لتقبل ثقافات أخرى بسهولة.

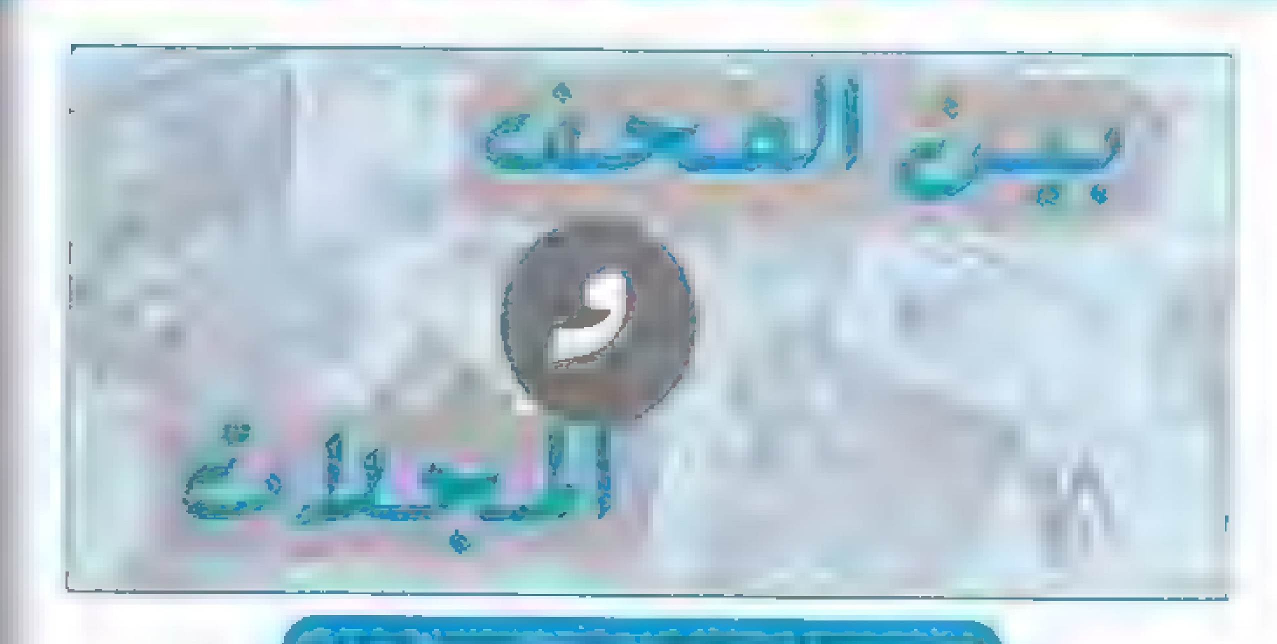
وإن وسائل الإعلام هناك تقوم بدور فعال فى تخويف الغربيين من الإسلام، مما أدى إلى انتشار بعض الحركات المعارضة للإسلام بصورة قوية بين الإنجيليين.

يضاف إلى ذلك: العمل على إثارة الأوروبيين ضد المسلمين عن طريق محاولة تحميل العمال الأجانب من المسلمين مسئولية مشكلة البطالة التى تعانى منها بلاد أوروبا، إذ القلق الاجتماعى والاجتياح المادى مع الأحكام المسبقة ذات الطبيعة الدينية والعنصرية، كل هذا يؤدى دائما إلى خليط من المشاعر الكريهة.

كما أن المسلمين فى الغرب يحملون آثار كل ما يحدث فى العالم الإسلامى بسبب التخلف والحكم الاستبدادى، وما ينشأ عن ذلك من حوادث إرهابية متنوعة المظاهر، فكل ذلك ينعكس على العلاقة بالمسلمين فى الغرب.

وصفوة القول: إن على المسلمين أن ينهضوا للحاق بما فاتهم من عملية التنوير والإصلاح الإسلامية وأن يتعاونوا جميعا على إيجاد الدولة الإسلامية الحقة بما يتطلبه ذلك من تغيير؛ فبدون ذلك تقل فرص المسلمين فى تجاوز ما يقام فى طريق الإسلام من عقبات.

«يتبع»



مؤتمرات الحوار والأغراض السياسية

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمدى سالم فى جريدة «عقيدتى» الصادرة فى ١٨/١١/٢٠٠٨م يقول:

أكد البيان الختامى لمؤتمر حوار الأديان الذى عقد بمبادرة سعودية فى نيويورك بمقر الأمم المتحدة قيم التسامح ونبذ العنف والتطرف. وتعهدت الدول المشاركة فى المؤتمر باحترام جميع الأديان. وأشار المشاركون إلى أن ذلك من شأنه أن يساعد على حل عدد من الصراعات والنزاعات فى عدد من بؤر التوتر فى العالم. واتفق المشاركون على رفض استخدام الدين لتبرير الأعمال الإرهابية وقتل المدنيين الأبرياء، وأعمال العنف والإكراه.

هذا المؤتمر حول حوار الأديان هو الحلقة الثالثة من مؤتمرات حوار الأديان التى تعقد بمبادرة من رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة وتحت رعاية خادم الحرمين الشريفين ومشاركة فعالة كاملة.

كانت **الحلقة الأولى** فى مكة المكرمة حيث اجتمع المسلمون من مختلف دول العالم الإسلامى وعلى اختلاف مذاهبهم وفرقهم واتفقوا على أسس الحوار مع الآخر. أى كان الحوار **إسلاميا/ إسلاميا**. وكانت **الحلقة الثانية** فى مؤتمر الحوار بمدريد واجتمع فيه أصحاب الأديان السماوية وأصحاب الفلسفات والمعتقدات المختلفة من جميع أنحاء العالم. وفيه اتفق الجميع على أسس ومبادئ إنسانية مهمة من أجل صالح البشرية كلها. أى كان الحوار **دينيا/فلسفيا/ فكريا**. ثم جاءت **الحلقة الثالثة** فى الأمم المتحدة بنيويورك ليحدث التماس المحدود بين رجال وعلماء الفكر الدينى والأفكار الفلسفية مع رجال السياسة.

ولم يخل المؤتمر من محاولات قادة عدد من الدول الغربية استغلال المؤتمر لهجمات غير مبررة ضد بعض الدول الإسلامية تحت زعم مخالفتها لمبادئ حقوق الإنسان وعدم التسامح مع الأقليات الدينية مثلما فعل الرئيس الأمريكى جورج بوش الذى أكد فى كلمته أن ضمان الحرية الدينية يعد جزءاً مهماً من السياسة الخارجية الأمريكية، وكذلك ضمن خطابه نقداً لعدد من الدول الإسلامية التى لا يسمح فيها بالتعددية الدينية.

وهكذا أراد بعض القادة السياسيين فى الغرب استغلال مؤتمر يهدف إلى إرساء قيم التسامح والمحبة بين البشر ومواجهة كل أشكال الاضطهاد والعنف والإرهاب من أجل تحقيق مصالح معينة وتغيير نمط الحياة الأخلاقى فى المجتمعات الإسلامية لتصبح صورة مشوهة من أنماط الحياة الغربية. غير أن هذا لا يقلل من النتائج والفوائد التى تحققت من هذا المؤتمر:

فهو **أولاً**: نجاح كبير لمبادرة خادم الحرمين الشريفين التى تؤكد على ضرورة الحوار واستمراريته.

ثانيا: يؤكد إصرار العالم الإسلامى على المضى قدماً فى المواجهة مع النفس ومع الآخر بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة مثلما أمرنا الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: وهو المهم جداً أن هذا المؤتمر كشف بعضاً مما يمكن أن نواجهه عندما تتدخل السياسة والساسة وأهدافهم المشبوهة فى عملية الحوار، **والنقطة الأخيرة**: فى اعتقادى هى أهم ما يجب تجنبه عندما تبدأ رابطة العالم الإسلامى فى التجهيز للحلقة الرابعة من مؤتمرات الحوار.

اعتراف بوش!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد البرى مقاله المنشور فى جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ٤/١٢/٢٠٠٨م قائلاً:

اعترف الرئيس الأمريكى جورج بوش بأن **أكثر ما يندم عليه هو غزو العراق قائلاً**: إن المخابرات الأمريكية فشلت فى تقدير الحجم الحقيقى للتهديد الذى كان الرئيس العراقى الراحل صدام حسين يمثله بالنسبة للمصالح الأمريكية، وادعى أن تقارير المخابرات التى مهدت لحرب العراق لم تكن مبنية على معلومات دقيقة خاصة فيما يتعلق بامتلاك العراق أسلحة دمار شامل.. والحقيقة أننى أرى فى هذا الاعتراف ما يلى:

- إنه محاولة لتبرير الأخطاء التى ارتكبها فى فترتى ولايته.
- إن الخسائر التى تكبدتها الولايات المتحدة فى العراق، كانت سبباً مباشراً فى الأزمة المالية التى عصفت بها وانعكست بدورها على العالم كله، وترتب على ذلك أنها فقدت سيطرتها الاقتصادية، وتراجع دورها تماماً.

■ دخلت تداعيات الحرب على الإرهاب قمة وتوتر بشكل أو بآخر على الاقتصاد الأمريكي ومنها الحرب في أفغانستان خصوصا مع ظهور طالبان من جديد، والتهديد الذي تمثله للوضع في البلاد.

وبعد ذلك كله هو الرئيس الأمريكي الوحيد الذي يعترف بما ارتكبه من أخطاء، لكنه اعتراف متأخر، ويأتي بعد أن تراجع الوضع الاقتصادي الأمريكي بشكل ملحوظ. وهو درس يجب أن يتعلمه الرئيس الجديد باراك أوباما فيصحح ما استطاع من هذه الأخطاء التي يعول عليه الشعب الأمريكي كثيرا في علاجها بعد السنوات العجاف التي عاشتها الولايات المتحدة في ظل ولاية بوش.

ونعتقد أنه درس - أيضا - لكل القادة والزعماء الذين يزجون بلادهم في حروب تأتي على الأخضر واليابس، ولا تجني شعوبهم منها إلا المرارة والأسى.

دعم أوروبي للوحشية الإسرائيلية

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أشرف الشربيني كلمته المنشورة في جريدة «أخبار اليوم» الصادرة في ١٣-١٢-٢٠٠٨م: لا يمكن لأي مراقب أن يرى في قرار الاتحاد الأوروبي الأخير بترفيع العلاقات مع إسرائيل إلى مستوى غير مسبوق سوى أنه «تصريح مفتوح» تقدمه أوروبا إلى تل أبيب التي تواصل حرب تجويع ضد الشعب الفلسطيني إلى الدرجة التي أصدرت معها الأمم المتحدة بيانا مؤخرا اعتبرت فيه السياسة الإسرائيلية شبيهة بالإبادة الجماعية. المفارقة أن هذا القرار الأوروبي المفاجئ والمثير للجدل والغضب معا جاء في وقت تزداد فيه الحاجة إلى الحديث عن وثيقة السلام الأوروبية.. تتضمن الضغط على إسرائيل من أجل تعزيز فرص التوصل إلى تسوية سلمية على أساس قيام دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل واقتسام القدس بين الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية.

ولكن القرار الأوروبي الأخير يكشف بوضوح تنامي نفوذ معسكر اليمين الموالي لإسرائيل في دوائر صناعة القرار الأوروبية.. الأمر الذي يزيد من صعوبة مهمة الدبلوماسية العربية من أجل الدفاع عن الحق العربي في مواجهة الجرائم والأطماع الإسرائيلية.

فمنذ بداية الصراع العربي الإسرائيلي تقريبا عكست أوروبا الاتحاد موقفا متوازنا بين طرفي الصراع مقابل الانحياز الأمريكي إلى الجانب الإسرائيلي. ولكن يبدو أن تحولا واضحا تشهده أوروبا حاليا سيزيد الأمر صعوبة ويعمق قلق الدبلوماسية العربية التي باتت تفقد أرضا كل يوم لصالح إسرائيل التي وصل تبجحها إلى حد الاعتراض على مشاركة الجامعة العربية في اجتماعات الاتحاد من أجل المتوسط قبل التوصل إلى تسوية بشأن وضع الجامعة بعد أن كانت إسرائيل تسعى إلى أي مناسبة دولية بها مشاركة عربية. يمنح القرار الأوروبي الأخير إسرائيل وضعا شبه عضوية الاتحاد حيث سيتم عقد قمة أوروبية إسرائيلية دورية على غرار القمة الأوروبية الروسية والقمة الأوروبية الأمريكية والقمة الأوروبية الصينية. وهو وضع لا يتمتع به سوى عدد محدود للغاية من الدول الكبرى في العالم.

وفي محاولة أوروبية لاحتواء الاستياء العربي وتسويق القرار قالت دوائر في بروكسل إن القرار يهدف إلى دعم وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني في الانتخابات.. باعتبارها تمثل «معسكر الاعتدال» في ظل الصعود الواضح لمعسكر التشدد على الجانب الإسرائيلي وتنامي فرص فوز حزب الليكود المعارض للتسوية السلمية في الانتخابات المنتظر إجراؤها في فبراير المقبل.

الغريب أن قرار وزراء الخارجية الأوروبيين يتعارض مع قرار البرلمان الأوروبي الذي يقضي بتأجيل طرح موضوع ترفيع العلاقة مع إسرائيل بسبب زيادة الحصار وانتهاكات حقوق الإنسان من جانب إسرائيل مما قد يسيء إلى سمعة الاتحاد الأوروبي. واشترط البرلمان لرفع مستوى العلاقات مع إسرائيل إحراز تقدم في عملية السلام وتحسن الأوضاع على الأرض. ولكن جاء القرار الأوروبي يمنح إسرائيل «مكافأة» لمزيد من خرقها وسياساتها المناهضة للسلام بحجة «عملية السلام».

الحصار.. ودعاة حقوق الإنسان

تحت هذا العنوان كتب محرر الجمهورية في عددها الصادر بتاريخ ٢-١٢-٢٠٠٨م يقول:

منعت الزوارق الحربية الإسرائيلية مرور السفينة الليبية المحملة بمواد الإغاثة للفلسطينيين المحاصرين في قطاع غزة، إمعاناً في تحدي المواثيق والقوانين الدولية التي تعتبر حصار شعب وحرمانه من وسائل الحياة جريمة ضد الإنسانية يجب أن يساق مرتكبوها إلى ساحة العقاب الرادع.

يفرض هذا التحدي الإسرائيلي السافر على المجتمع الدولي خاصة تلك الدول الكبرى التي تتشدق بشعارات حقوق الإنسان وتلقي دروس الوعظ والترهيب على الدول الأخرى أن تتحمل مسئوليتها في وقف جريمة الحصار البشعة وردع إسرائيل عن الاستمرار في ارتكاب الجرائم اللاإنسانية في حق الشعب الفلسطيني. أما الجرائم التي يرتكبها المسئولون الفلسطينيون في حق أنفسهم فهم مسئولون عنها أمام شعوبهم والتاريخ.

هولندا.. تهاجم الإسلام!

لاهاي قدمت اليهود للنازي ببساطة وتتحدث عن قتل الرسول لهم في المعارك!!

وتواصل مسلسل الإساءات للنبي ﷺ مستمراً ففي جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ:

١٣/١٢/٢٠٠٨م كتب الأستاذ محمد على إبراهيم قائلاً:

ظهر فى هولندا فيلم مسىء بشكل فج ومؤذ لمشاعر المسلمين عن الرسول ﷺ.. بعض الدول الأوروبية مثل هولندا تقايض اللقمة والإقامة بضرورة التخلى عن الإسلام.. اترك دينك واحصل على وظيفة.. تهكم واسخر من محمد ﷺ تحصل على زوجة من بنات الهوى.

هولندا هى الدولة الأولى فى البغاء على مستوى العالم ورغم أنها ضمن الدول المؤسسة للاتحاد الأوروبى وتضم على أراضيها محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية، إلا أنها أيضاً أكثر دولة تاجر فى البشر.. العصابات الهولندية استقطبت الكثير من الفتيات الروسيات بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق عام ١٩٩٠ ليعملن فى الدعارة.. القيم فى هولندا فى الحضيض.. والأخلاق لا وجود لها.. والمبادئ لا يعرفونها، لذلك لم يهتموا بما أثاره الفيلم المسىء للرسول من رد فعل سلبى جداً فى مصر والدول العربية.

إننى كمسلم أعيش فى دولة مسلمة وأحترم الأديان الأخرى لا يخطر على بالى قط أن أهين السيد المسيح رداً على إهانات الدول الغربية!

الإيمان الحقيقى أن تؤمن بالله وكتبه ورسله ولا تفرق بين أحد من رسله، وهذا ما يحرص عليه المصريون وغيرهم من الشعوب العربية.. لا يمكن أن تقدم فيلماً يسىء للسيد المسيح وتقول: إنها حرية رأى.

نؤمن بالمسيحية؛ لأنها رسالة سماوية حملها نبى عظمه القرآن هو وأمه والحواريين من أتباعه

هذا الفيلم الذى يصور النبى ﷺ كشخص يرتدى قناعاً لرجل بدوى «بغترة وعقال» ويجالسه شخص آخر يحاسبه على ما فعله فى الدنيا وهو المنزه عن الهوى والغرض والخطايا.. هذا المعتوه يسأل النبى - كما يصور الفيلم - أسئلة تجسد كل العداء للإسلام؛ فيقول له مثلاً: لماذا قتلت اليهود فى المعارك التى دارت بينكم؟ أتعلم أنك كنت ستحاكم بمعاداة السامية لو فعلتها اليوم؟ ولماذا تزوجت ٢٥ زوجة؟ ولماذا اقترنت بعائشة - رضى الله عنها - وعمرها تسعة أعوام؟!

المصيبة الكبرى أن الشخص الذى يمثل دور محمد ﷺ فى الفيلم يرد عليه بإجابات تسىء للإسلام وتشوه صورة النبى ﷺ فى عيون كل أتباع الديانات السماوية!!

هذا لا يمكن أن يدخل فى حرية الرأى والتعبير التى تتحدث عنها هولندا.. وكل الأسئلة لها إجابات مقنعة ودامغة عند المسلمين، ونعرفها جميعاً، لكن الرسول ﷺ ليس فى موضع اتهام اليوم لندافع عنه، وإلا انقلبت حرباً بين أتباع الديانات المختلفة وكل يناصب الآخر العداء فى دينه وتعاليمه ومقدساته.

لا أستغرب أن يحدث هذا فى هولندا، هذه الدولة التى تتكلم عن الحضارة والرقى وحرية التعبير هى التى سلمت مواطنيها اليهود لهتلر والنازية ليقتلوهم فيما يسمى بمعسكرات الاعتقال الألمانية الشهيرة.. هولندا لا تحترم أى دين.. فليس غريباً أن يخرج منها هذا الفيلم!

وكيف تحترم الأديان وهى الدولة التى توافق على زواج المثليين بعقد مدنى موثق من المحاكم؟! وكيف تحترم الأديان وهى تسمح للسحاقيات من النساء بالزواج من بعضهن؟

وإذا كانت هولندا تزعم أنها تحترم حرية التعبير ولا تستطيع فعل شىء إزاء ممارسته فإن الكاتب يسألها: لماذا تم استثناؤكم من معاداة السامية وأنتم ساهمتم فى قتل كثيرين أيام الحرب العالمية الثانية؟ ولماذا لم يتم إعلانكم كدولة تتاجر فى المخدرات والهيروين وتعترف بها كتجارة شرعية وتصرفها للمدمنين على تذاكر خاصة أشبه بتذاكر الدوائية؟ ثم يختم الكاتب مقاله قائلاً:

هولندا دولة تنشر السموم العسكرية بمقاهى الكافيه التى توزع بها المخدرات.. ومن ثم فإن معاتبتها أو الاهتمام بالرد على الترهات الصادرة عنها لا يجدى ولا يستحق المجهود!!

العبودية فى ثوبها الجديد!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمود معوض مقالاً فى جريدة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٤/١٢/٢٠٠٨م:-

الثانى من ديسمبر ٢٠٠٨م يوافق الذكرى الـ ٢٠١ لليوم العالمى للقضاء على العبودية.

وأعلنت الأمم المتحدة أن أكثر من ٢٧ مليون رجل وامرأة وفتى وفتاة يعيشون يومياً حياة الرق فى العالم، وأن الدول الغنية كما الفقيرة تشهد أشكالاً من الرق..

ونحن نسأل فى هذه المناسبة ماهو الوصف الأمين الدقيق للعقاب الجماعى والإبادة البشرية التى ترتكبها إسرائيل فى غزة؟

أليست هى التجسيد الحى للعبودية التى عبر عنها وبصدق والد «رام إمانويل» الإسرائيلى بعد أن تم تعيين ابنه كبيراً لموظفى البيت الأبيض الجديد؛ حيث قال بالحرف الواحد: «ما الذى تعتقدون أن ابنى سيفعله فى البيت الأبيض؟ هو لن ينظف الأرض، فهو ليس عربياً».

العرب بالنسبة للصهاينة هم الخدم الذين يكنسون الأرض لهم وهم جميعاً يستحقون الموت والقتل والتهجير واحتلال أرضهم وديارهم وسلب ثرواتهم.. إذن نحن العرب نواجه عبودية كاملة الأوصاف فى زمن حقوق الإنسان، ترتكز على نشر ثقافة الحصار والملاحقة لكل من تسول له نفسه أن يعتمد على نفسه أو يضع مصلحته العليا فوق كل مصلحة أو يخرج على الصف أو تفوح منه رائحة تهديد - ولو بالإيهام - للحليف الاستراتيجى الأول وهو إسرائيل.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

قال رسول الله ﷺ «للعاقل عشر خصال يعرف بها: يحلم عمن ظلمه، ويتواضع لمن دونه، ويسابق إلى بر من هو فوقه، وينتهز الفرصة إذا أمكنته، لا يفارقه الخوف، ولا يصحبه العنف، يتدبر ثم يتكلم، فإذا تكلم غنم، وإذا سكت سلم».

وقال حكيم: «علامة العاقل ثلاثة: تقوى الله، وصدق الحديث، وترك ما لا يعني».

وقال غيره: «لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد بما لا يستطيع إنجازه».

وقال غيره: «العاقل دائما في العودة نصره، وإذا عادى رفع عن الظلم قدره، فيستحيي من ليه معقبه، ويحسم معاديه بعدله».

وقال المهلب بن أبي صفرة: «يعجبني أن أرى عقل الرجل زائدا على لسانه، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائدا على عقله».

وقالوا: «زيادة العقل على اللسان فضيلة، وزيادة اللسان على العقل رذيلة».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله فإن قلالا في رفق خير من كثير في خرق.

وقال بعضهم: لا يثمر مع الإصلاح شيء، كما لا يكثر مع الإفساد شيء.

ويروى هذا المعنى عن المتلمس إذ قال:

لحفظ المال خير من فنائه
وسير في البلاد بغير زاد

قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال حكيم: إن في إصلاح الأموال سلامة الدين وجمال الوجه وبقاء العز، وصون العرض.

وقال أحيحة بن الجلاح: أصلحوا أموالكم فإنكم لا تزالون ذوي مروءات ما استغنيتم عن عشيرتكم

وقال عبدالله بن عباس: اطلبوا الغنى بإصلاح ما في أيديكم، فإن الفقر مجمع العيوب

خرج طاهر بن الحسين قائد المأمون لقتال علي بن عيسى قائد الأمين وقد جعل في كمه دراهم يفرقها على من يصادفه من المتسولين في طريقه، وغفل أنها في كمه فأرسله. فسقطت وتبددت إلى كل وجه. فتغير لذلك وجهه وتطير منه، وكان معه شاعر فقال له: لا بأس من هذا أيها الأمير ثم أنشده:

هذا تفرق جمعهم لا غيره
وذهابها منه ذهاب الهم

شيء يكون الهم نصف حروفه
لا خير في إمساكه في الكم

قال رسول الله ﷺ «الناس كإبل مائة لا يكاد يوجد فيها راحلة».

وقال حكيم: «الكرام في اللئام كالغرة في جبهة الفرس، أو كالرقمة في يد الدابة».

وقال غيره: «لا يكاد يوجد كريم، حتى يخالط إليه ألف لئيم». وقال ابن المعتز: «إذا خرفت الدولة، وقرب زوالها، سقطت الأحرار، ورفعت درج الأشرار».

وقال السموأل بن عادياء:

تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل

روي عن النبي ﷺ أنه قال لجرير بن عبدالله: «إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف».

وقيل لعدي بن حاتم: أي شيء أوضع للإنسان؟ قال: كثرة الكلام.

وقال جعفر بن يحيى: إذا كثر الكلام اختل، وإذا اختل اعتل.

وقال هو أيضا: خير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيمل.

وقال معاوية لعمرو بن العاص: من أبلغ الناس؟ قال: من ترك الفضول، واقتصر على الإيجاز.

وقال خالد بن صفوان: ليس البلاغة بخفة اللسان، ولا كثرة الهذيان، ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة.

وقال هو: عمى عن يلزى ملك خير من هذر يأتي عليك.

يروى أن عائشة زوج النبي ﷺ ذكرت يوما قول لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجرب

وقالت: لله أبوه ما كان أشعره. لقد صدق. قالوا: وكيف يا أم المؤمنين؟

قالت: كان أحدهم إذا علم من أخيه خلة سدها من حيث لا يعلم، ثم ذهب أولئك وجاء قوم كان أحدهم إذا علم من أخيه خلة سدها من حيث يعلم، ثم من بعدهم قوم إذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فإذا سأله أعطاه (أي أحب أن صاحب الخلة يسأله المعونة ليعطيه ولكنه لا يعطيه قبل السؤال)، ثم جاء من بعدهم قوم إذا علم أحدهم من أخيه خلة أحب أن يسأله فإذا سأله منعه، ثم بعد ذلك يفضحه فيقول: جاءني فلان يسألني فلم أعطه

الغفلة من أقبح عيوب الإنسان، وأعودها عليه بالأذى والندم، ولكن التغافل محمود، وهو أن تعلم الشيء فترى أن الأصلح تجاهله، فهذه قوة نفسية لا يستطيعها إلا القليلون، قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «من امتطى زمام التغافل، ملك زمام المروءة».

وقيل: «التغافل من الكرام، يمنحهم الإجلال والإكرام».

وقيل لبعضهم: من العاقل؟ فقال: الفطن المتغافل.

وقال شاعر:

ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي

وقال غيره:

أعرض عن العوراء إن أسمعتها
واسكت كأنك غافل لم تسمع

وقال آخر:

وإني لأغضي عن أمور كثيرة
ومن دونها قطع الحبيب المواصل
وأعرض حتى يحسب الناس أنني
جهلت الذي آتي ولست بجاهل

وقال سواه:

وأغضي عن العوراء حتى يقال لي
بأذنيه وقر عندها حين ينطق
حياء وإكرامًا لعرض أصونه
ولا خير في عرض يظل يمزق

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا لمهانة يجدها في نفسه».

وقال بعض الحكماء: «الكبر أخبث سرائر القلوب، وأعظم كبائر الذنوب، لا يرى صاحبه أبدا إلا فظا غليظا، ولا يرى لأحد سواه في الفضل حظا حقيقا، وكفى به شيمة مشئومة، وخلة مذمومة، أهلكت الأكابر حديثا وقديما، وعاد بها الكريم من الرجال ذميما مليما».

وقالوا: «من قل لبه، كثر عجبه».

وقال أبومسلم: «ما ضاع إلا وضيع، ولا فاخر إلا لقيط، ولا تعصب إلا دخيل».

قال محيي الدين محمد النحوي:

ومعتقد أن الرياسة في الكبر
فأصبح ممقوتا به وهو لا يدري
يجر ذيول الفخر طالب رفعة
ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

وقال غيره:

وقل لمعصوم بالتيه من حمق
لو كنت تعرف ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة
للعقل مهلكة للعرض فانتبه

اللهم إني أسألك خير الصباح وخير المساء، وخير القضاء وخير القدر، وأعوذ بك من شر الصباح، وشر المساء، وشر القضاء وشر القدر.

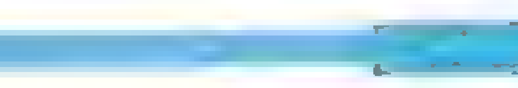
الإسلام أنصف المرأة وهارست العمل في عهد النبي ﷺ

للأستاذ / عاطف مصطفى



من هذه البحوث المتميزة «الحقوق السياسية للمرأة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقيات الدولية» للباحث الدكتور سعيد عبدالله حارب مستشار جامعة الإمارات العربية المتحدة.

وأشار إلى الحقوق السياسية للمرأة والتي تعد من القضايا التي أخذت مجالا واسعا من الدراسات والأبحاث خلال العصور المتأخرة. خاصة مع بروز صور من المشاركات السياسية على المستوى العالمي، حيث تعددت هذه الصور بين مشاركة في الانتخابات. سواء كان





ذلك بالترشيح أو الانتخاب، أو تولى المسئوليات الأساسية فى الدول من رئاسة الدولة والوزارات وغيرها من المسئوليات التنفيذية، ثم التمثيل فى المجالس النيابية أو البلدية أو المحلية.

وعن الاهتمام المجتمعى بمشاركة المرأة، فإن الدراسات القانونية حول المشاركة السياسية للمرأة على المستويين المحلى والدولى أخذت نصيبا من البحث وقد امتدت ظاهرة الاهتمام بالمشاركة السياسية للمرأة إلى كافة دول العالم، حتى تلك الدول التى ليس فيها تمثيل نيابى أو مشاركات أو تشكيلات سياسية.

وعن حضور المرأة القوى على الساحة العامة والذى يشكل دافعا قوياً للاهتمام بالدراسات المتعلقة بالمشاركة السياسية للمرأة، أوضح البحث أن العالم قد اهتم بهذه القضية على مستوى الأمم منفردا، وعلى المستوى الدولى من خلال المنظمات والمؤسسات الدولية، فقد أصدرت كثير من دول العالم تشريعات تتضمن حق المرأة فى المشاركة السياسية، كما فتحت لها الباب فى هذه المشاركة، بينما مازالت بعض الدول تحرم المرأة من هذا الحق.

أما على المستوى الدولى فإن أبرز صور ذلك هو الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التى تدعو لتمكين المرأة وإعطائها حق المشاركة فى العمل السياسى.

وقد اهتم الإسلام بالمرأة واعتنى بها عناية خاصة، وشرع لها أحكاماً تتعلق بدورها فى الحياة إلى جانب الرجل، باعتبارهما العنصرين المهمين فى هذه الحياة.

وشملت التشريعات المتعلقة بالمرأة جوانب كثيرة منها ما هو عبادى وأخلاقى وسلوكى. لكن قضية الحقوق السياسية للمرأة أخذت مجالا من اختلاف الفقهاء فى جوانب تلك المشاركة وصورها وضوابطها بشكل مستفيض.

المساواة فى ضوء فلسفة التربية الإسلامية

أما البحث الذى نوقش فى المؤتمر بعنوان «فلسفة المساواة بين الرجل والمرأة فى الاتفاقات والإعلانات الدولية فى ضوء فلسفة التربية الإسلامية» للباحث اليمنى د. أحمد محمد الدغشى أستاذ أصول التربية الإسلامية بجامعة صنعاء فقد كان الهدف منه الإجابة على السؤال الرئيسى عن فلسفة المساواة بين الرجل والمرأة فى الاتفاقات والإعلانات الدولية فى ضوء الفلسفة الإسلامية؟ وما فلسفة المساواة بين الرجل والمرأة فى ضوء التربية الإسلامية؟

وقد اعتمد الباحث المنهج الأصولى القائم على الوصف والاستنباط إلى جانب المنهج الوصفى الارتباطى، لمعرفة مدى ارتباط فلسفة الاتفاقات والإعلانات الدولية بأربع هى: الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨م، والعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادر عام ١٩٦٦م، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة الصادرة عام ١٩٧٩م، ووثيقة مؤتمر بكين الصادرة عام ١٩٩٥ كذلك يستعرض البحث الاتفاقات والإعلانات ذات الصلة بفلسفة المساواة بين الرجل والمرأة، والتعليق الجزئى عليها، ثم الانتقال إلى استعراض فلسفة المساواة فى التربية الإسلامية وأبرز ركائزها المتمثلة فى: المساواة المطلقة من حيث الكرامة الإنسانية، ومراعاة خصائص الذكورة والأنوثة، واعتبار مبدأ تقسيم الأدوار سمة المجتمع المتحضر، وأن اختلاف الدور الوظيفى والاجتماعى لكل من الرجل والمرأة يأتى تبعا لاختلاف تكوينه، من النواحى الحيوية والعضوية، والعصبية والنفسية، ثم محاكمة الاتفاقات والإعلانات تلك فى ضوء فلسفة التربية الإسلامية.

وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج المؤكدة فى جوهرها على قيام نزاع حقيقى بين نصوص تلك الاتفاقات والإعلانات الدولية وبين فلسفة التربية الإسلامية. لتوصى بعد ذلك كلا من الدول والحكومات والمؤسسات التربوية المقصودة، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية بالاضطلاع بدورها فى تحصين الأسرة المسلمة، ومواجهة تلك النصوص غير المنسجمة مع فلسفة التربية الإسلامية فى مبدأ المساواة.

الحرية هبة من الله

وتوالت البحوث المقدمة فى المؤتمر الدولى لأحكام الأسرة بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات والإعلانات الدولية والذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع كلية الشريعة والقانون بطنطا جامعة الأزهر وجامعة طنطا وحضره عدد كبير من العلماء والمفكرين من العالم الإسلامى وقدموا فيه أكثر من خمسين بحثا.

كان منها بحث لمحمد البشير بن محمد بن موسى الباحث بالمركز الثقافى للبحوث والدراسات الأفريقية بتشاد بعنوان «أحكام الأسرة ومبدأ الحرية» حيث يقول: لقد صاحبت النظريات الغربية حول الأسرة تنازعاً فى مفهوم الحرية، وهو تنازع قائم على أصل مفهوم الحرية لديهم، والتى تتنازعها سلطتان..

سلطة يمنحها الأفراد لانتزاع حقوقهم وحرياتهم

وسلطة أخرى يمنحها الحكام للتقليل أو التقييد من الحريات الممنوحة للأفراد. وتم تصنيف القوانين في الغرب. من حيث الحقوق أو الالتزام ومنها قوانين الأسرة بناء على هذا المفهوم

وفي الفقه الإسلامي لا نجد لمفهوم الحرية ذلك التنازع بين السلطات وليس له أثر

فالمدلول العام للحقوق والحريات في الفقه الإسلامي واسع، وليس خاصا بالبشر فحسب، وليس للأفراد فقط دون الجماعة. لأنها تعتبر هبة من الله للعبد. ذلك لأن مسألة حقوق الإنسان وحرياته لم تعتبر مشكلة في إطار الدولة الإسلامية لقيامها على وظائف محددة ومن أهمها العدل ورفع الظلم والحيف عن رعاياها. ولأنها دولة تقوم على أسس شرعية قانونية. تحدد مسئولية كل فرد من أفراد الأسرة المسلمة

لذا فليس هناك تعارض بين الأحكام الشرعية وحرية الفرد في الأسرة المسلمة. وهذه الحرية حرية مقيدة بضوابط الشريعة والتي تحددها النصوص من الآيات والأحاديث. وهي ليست منفلتة من كل قيد. فالحرية مقيدة بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية. والأمور التي لا تتعارض مع الشريعة هي وفق العقل السليم لا تتعارض مع حرية الأفراد

وأشار الباحث إلى أن الكتاب والسنة قد بينت الحدود بينا واضحا. مما يسهل على كل فرد معرفة حقوقه وواجباته.

والحقوق والواجبات هي التي تحدد مسار حرية ومسئولية كل إنسان في هذه الحياة الدنيا.

فلا تعارض بين حرية الإنسان ومشيئة الله سبحانه وتعالى. فالحرية هبة منحها الله تعالى عباده ليختبرهم بها في مجال التكليف. وكل فعل من أفعال الإنسان ضمن التكليف معلق بثواب أو عقاب. فالإنسان إذا حر في مجال التكليف لا في مجال الكون وعليه تبنى مسئولياته في بناء الأسرة الملتزمة بالإسلام

تحديات تواجه الأسرة بسبب العولمة

تطرقت البحوث إلى الحقوق السياسية والتنموية للمرأة المسلمة في بحث الدكتور إبراهيم حسين العسل الأستاذ بجامعة الأوزاعي وأحد المشاركين في المؤتمر والذي أشار في بحثه إلى أن نظام الأسرة وجد مع وجود الإنسان. وهو مستمر مادام للبشر وجود على الأرض. ففي الأسرة تنبع المبادئ والقيم. وفيها تبنى الشخصيات ويتخرج المبدعون وأهل الفكر. ومن وظائفها إمداد المجتمعات بالطاقات البشرية المتجددة التي تدفعها إلى التواصل والتقدم

فقد وضع الإسلام للأسرة نظاما شاملا. حيث حدد لها حاضرها ومستقبلها بتشريعات تضمنت كل ما له علاقة بأفرادها وأقاربها وجيرانها وهذا النظام الذي سنه الإسلام يقوم على أساس من الوعي والإيمان. ويؤدي إلى سعادة الأسرة وتماسكها بحيث ينعم كل فرد فيها بالاستقرار ويجد في ظلها الحنان والمودة

وبين د. إبراهيم العسل ما تتعرض له الأمة الإسلامية اليوم من طمس معالم حضارتها ووجودها وإلى مختلف التحديات الثقافية والدينية والاقتصادية والعولمة هي أحد أهم التحديات التي تواجهها والتي تحاول التفرد بالسيطرة على العالم ضمن سياسة أمريكا وحلفائها. ومن أهم ما تهدف إليه هذه العولمة هو إخضاع البشرية لنمط حضاري معين. وعدم الاعتراف بالأنماط الأخرى للشعوب. ولاسيما الإسلامية منها. والتبشير بثقافة معينة، ومن ثم تشويه باقي الثقافات والحضارات والتمهيد لتغير اجتماعي يتناول القوانين والمناهج والأسرة

ومن أهداف العولمة نشر مفاهيم حديثة لماهية الأسرة. خالية من الالتزامات الشرعية والأخلاقية. والعمل على تمكين المرأة وتسلطها وتسويدها. وإعطاء الطفل حرية الفكر والوجدان والدين وسلب ولاية الآباء على الأبناء. وإسقاط قوامة الرجل على المرأة والأسرة. وإلى خلق جو من العداء بين الرجل والمرأة. وإلى إلغاء الآيات القرآنية والتنكر للأحاديث النبوية التي وردت بشأن المرأة. وإلى مخالفة الأعراف الحميدة والفطرة السليمة والدعوة إلى حرية ممارسة الجنس من غير التزام ديني أو خلقي كونها ضمن الحريات الشخصية

المرأة نصف المجتمع

وتواصل البحوث التي ألقيت ضمن فعاليات المؤتمر الدولي بحثا حول أحكام الأسرة بين أحكام الشريعة والاتفاقات والإعلانات الدولية ومنها بحث بعنوان «الرؤية الشرعية حول حقوق المرأة السياسية» تقدم به د. عبدالباقي عبدالكبير الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد باكستان ويشير فيه إلى أن الإسلام قد جعل على عاتق الإنسان رجلا كان أو امرأة مسئولية الإصلاح السياسي. وعد ذلك من المسئوليات الكفائية التي أمرت الأمة كلها بإقامتها. لتحقيق المصالح العامة للعباد. كما أن

تقدم المجتمعات وتخلفها مرهون إلى حد بعيد بتمتع أفراد المجتمع وممارستهم للحقوق السياسية.

والمرأة تدخل في عموم خطاب التكليف الشرعي، كما أن المرأة قد مارست العمل السياسي بمختلف أنواعه في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، الأمر الذي يدل على أن غياب المرأة عن العمل السياسي ليس إلا إفرازات عهد الانحطاط والتخلف في امتنا الإسلامية وتناول الشريعة للحقوق في صورة التكاليف (أوامر ونواه) تناول حضاري يمنع التعسف في الاستعمال السلبي للحقوق السياسية، ولذا كان مدخل (الواجب الشرعي) في الرؤية الإسلامية هو المدخل الأصلح لفهم نظرة الإسلام للإنسان، ومكانته، وحقوقه، خاصة السياسي منها، عن المدخل الشائع في الأدبيات السياسية المعاصرة (حقوق الإنسان).

ويبين د. عبدالباقي أن نصوص الشريعة ودلالاتها توجب على الإنسان رجلاً كان أم امرأة صوراً متكاملة من العمل السياسي كالقيام بواجب النصح والمشورة وإبداء الرأي، والقول الحق، ووضع الأصابع على الأخطاء، وإذا كانت الأمة بحاجة ماسة إلى إصلاح نظامها السياسي كوسيلة للنهوض والتقدم، فإن المرأة تعتبر نصف المجتمع وإن مشاركتها السياسية، وتمتعها بهذه الحقوق وأحداث آليات تمارس من خلالها هذه الحقوق، لهو العمل الواجب لأجل تحقيق أهداف النهوض والشهود والخروج من حلقات التخلف والاستبداد.

اشكاليات العنف الأسرى

ولأن الإسلام قد اهتم بالأسرة اهتماماً بالغاً، وشرع لها تشريعات خاصة بتكوينها وأمنها وسلامتها، حتى في حالات الحل الوظيفي لها، عندما يفتقد الزوجان مكامن المودة والسكن بينهما، نجد أن هناك تشريعات تحدد حقوق وواجبات كل منهما.

وقد حرصت إحدى الباحثات وهي الدكتورة سهير صفوت عبدالمجيد الأستاذة بكلية التربية جامعة عين شمس على تقديم بحث مهم يدور حول إشكاليات العنف الأسرى ضد المرأة المصرية، وأوضحت أن قضية العنف الأسرى قضية عالمية، نظراً لانتشارها عبر الدول المختلفة، وهي لا ترتبط بدرجة تقدم مجتمع أو تخلفه، كما لا ترتبط بمستوى اجتماعي أو اقتصادي، أو ثقافي لأفراده.

وتثير قضية العنف الأسرى ضد المرأة العديد من الإشكاليات، والتي تبدأ بالعنف المعنوي، وتتسع لتشمل أبعاداً أخرى مثل الإيذاء النفسي والتحقير، والحرمان التعسفي من بعض الحقوق كالحق في التعليم والميراث واختيار الزوج، ويمتد ليصل إلى العنف الجسدي والجنسي والذي يتمثل في (التحرش والزنى بالمحارم، وهتك العرض والاغتصاب) وهي أنواع جديدة من العنف، ترجع إلى تفسخ الأخلاق والقيم، وابتعاد الإنسان عن الدين، والسير في ركب العولمة بقيمها المادية والإباحية التي تسعى من خلال آلياتها إلى تحطيم الأخلاق والاستمالة بين الشباب.

والعنف الموجه ضد المرأة لا يقتصر على الذكور في العائلة، بل قد تمارس المرأة نفسها عنفاً ضد المرأة، كما يبدو من نتائج دراسة ميدانية على عينة من النخبة والجمهور، أقرت فيها المرأة بنسبة ٨٦٪ في مقابل ٩٦٪ من الرجال، أن معاقبة الزوج لزوجته لا يعد عنفاً!

كما أثبتت دراسة أخرى أن ختان الإناث، وهو من الإشكاليات المهمة في إطار العنف ضد المرأة يبدأ الأم بنسبة ٦٠٪، الجدة ٢٩٪، الأب بنسبة ١١٪، وهو ما يدل على أن السياق الثقافي في المجتمع المصري يحمل عوامل محرضة على العنف ضد المرأة، نتيجة للفهم الخاطئ للدين، والخلط بالموروثات والتقاليد.

وتناولت الدراسة على امتداد صفحاتها تفنيد إشكاليات العنف الأسرى ضد المرأة المصرية، واستكشاف المنهج الدولي والمنهج الإسلامي في تقويم الواقع العائلي ومواجهة العنف ضد المرأة، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها:

أن العنف الأسرى الموجه ضد المرأة عالجته الشريعة الإسلامية قبل التشريعات والمواثيق الدولية.

كما أن هناك خلطا بين الموروثات الثقافية والاجتماعية والفهم الخاطئ للدين، انعكس على قضية العنف الأسرى الموجه ضد المرأة فضلا عن أن هناك تحولات اجتماعية واقتصادية ساهمت في بزوغ أنواع جديدة من العنف الأسرى.

لذا كان من أبرز توصيات المؤتمر أنه يستحث أتباع الديانات السماوية الوقوف صفا واحدا ضد محاولات الافتئات على كيان الأسرة أو إضعافها.

كما يدعو إلى تعزيز الإشباع الديني للإنسان، تحقيقا للرقابة الذاتية وحدا من حب الشهوات والملذات الحسية التي أدت إلى إهدار آدمية الإنسان وتدمير قيمه.

الجديد فى مواجهة الأزمة المالية العالمية

للأستاذ: صلاح عبدالرحيم محمد

يذهب بعض علماء الاقتصاد الغربيين إلى وصف الأزمة المالية التى انطلقت شرارتها من قلب الولايات المتحدة الأمريكية إلى معظم بلاد العالم، بأنها «أزمة داء حكومى، نابعة من الكيفية التى تدار بها «السوق الحرة»، وانعدام الرقابة على مؤسسات مالية مثل بنوك الاستثمار، والرهن العقارى، فى ظل دولة تؤمن بأن هذه السوق الحرة هى التى تضبط نفسها بنفسها، دون رقابة أو تدخل من جانب الدولة.

وقد علق الكاتب البريطانى «ماتيو باريس» فى مقال له بصحيفة «التايمز» البريطانية على مسألة تدخل الدولة من جانبها فى السوق الحرة، حيث أكد على عدة أمور لها أهميتها اللافتة، منها أننا نعيش عصراً لا غنى فيه عن تدخل الدولة، إذ لم تعد آليات السوق بمفردها، قادرة على أن تكون المحرك للاقتصاد والسياسة، وأن الحكومة وحدها هى التى فى إمكانها أن تقوم بإعادة «توزيع الثروة» بصورة عادلة بين مواطنيها، وأنها تستطيع أيضاً من خلال تشريعاتها أن تدافع عن مصالح المواطنين ضد شرور الرأسمالية المتوحشة، وأن العالم فى حاجة شديدة إلى الخروج من دائرة «النموذج الاقتصادى المغلق» إلى الأخذ بأفضل ما فى كل من نظامى القطاع الخاص، والقطاع العام.

ويرى اقتصاديون غربيون أن هذه الأزمة المالية التى فجرتها فقاعة الرهن العقارى فى الولايات المتحدة، سيدفع فاتورتها العالم كله، خاصة بعد أن فقدت أمريكا ريادتها المالية، وتراجع تأثيرها الاقتصادى نسبياً، وزادت حاجتها إلى التعاون مع بلدان العالم من أجل احتواء تداعيات هذه الكارثة المالية، وهو ما عبر عنه الرئيس الأمريكى «جورج بوش» عندما أكد أن هذه الأزمة لا يمكن حلها إلا بتنسيق الجهود، والتعاون بين بلاد العالم. وفى هذا السياق اتفق وزراء مالية الدول الصناعية السبع فى واشنطن على خطة عمل، من خمس نقاط، تهدف إلى إعادة الثقة فى الأسواق المالية.

الأولى: اتخاذ إجراءات حاسمة، واستخدام كل الأدوات المتوافرة لدى دولهم لدعم المؤسسات المالية ذات الأهمية فى النظام المالى، ومنعها من الإفلاس.

والثانية: اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لتحرير الائتمان والأسواق المالية، والتأكد من وصول البنوك والمؤسسات المالية إلى السيولة اللازمة لها.

والثالثة: العمل على أن تتمكن البنوك، وغيرها من المؤسسات المالية، فى حال الضرورة، من جمع رأس المال من مصادر التمويل العامة والخاصة على حد سواء، وبمبالغ كافية لإعادة الثقة والسماح لها بمواصلة إقراض العائلات والشركات.

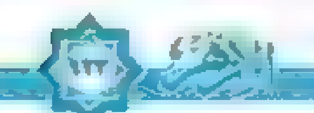
والرابعة: العمل على أن تكون البرامج الوطنية لضمان الودائع المصرفية، متينة ومتجانسة، بما يسمح للمودعين الصغار بمواصلة ثقتهم فى سلامة ودائعهم.

والخامسة: اتخاذ قرارات فى الوقت المناسب لإنعاش سوق الرهن العقارى العالى المخاطر، وغيرها من هذه الأصول، وتطبيق معايير مناسبة للمحاسبة

وفى إطار الجهود الدولية لمواجهة نقص السيولة فى الأسواق المالية، أسهمت عشرة مصارف أمريكية وأوربية فى إنشاء «صندوق للطوارئ» بقيمة ٧٠ مليار دولار، وهذه المصارف هى المصرفان السويسريان «كريديه سويس»، و «أوتى إس» والمصرف البريطانى «باركليز» والألمانى «دويتشه بنك»، والأمريكية: «بنك أوف أمريكا»، و «سيتى بنك» و «جى بى مورجان تشيز» و «جولدمان ساكس» و «ميريل لينش» و «مورجان ستانلى». ولقد وافق الكونجرس الأمريكى على خطة للإنقاذ المالى، قيمتها ٧٠٠ مليار دولار، تنقسم إلى ثلاث مراحل، الأولى: يقوم خلالها الكونجرس بتخصيص ٢٥٠ مليار دولار تستخدمها الخزانة الأمريكية لشراء الأصول المتعثرة المتعلقة بالقروض العقارية، والثانية: أن من حق الرئيس الأمريكى «جورج بوش» طلب ١٠٠ مليار دولار إضافية لدعم خطة الإنقاذ، والثالثة قيام الكونجرس بتعزيز هذه الخطة بمبلغ ٣٥٠ مليار دولار.

ومن ناحية أخرى حدد الرئيس الأمريكى «جورج بوش» أربع مشكلات تواجه الولايات المتحدة فى أزمتها المالية، والخطوات التى اتخذها لحلها، الأولى: وتتمثل فى أن الأسواق المالية الرئيسية، لم تعد تعمل كما ينبغى، بسبب نقص السيولة. وقد أشار «بوش» إلى أنه لمواجهة هذه المشكلة، فقد ضخ مجلس الاحتياط الفيدرالى (البنك المركزى الأمريكى) مئات





للمدخرات في النظام المصرفي والمالي. وقامت البنوك المركزية في العالم بتخفيض الفائدة. والثانية هي أن بعض الأمريكيين يشعرون بالقلق حول سلامة مدخراتهم، لذلك فإن مؤسسة تأمين الودائع الوطنية، حرصت على زيادة حجم الأرصدة المؤمنة، سواء في حسابات الادخار أو الحسابات العادية، أو شهادات الإيداع، وهو ما يعني أنه لو كان لأي أمريكي مدخرات تصل إلى ٢٥٠ ألف دولار، فإن كل سنت منها في أمان، لأن البنك المركزي الأمريكي يضمنها. والثالثة تتمثل في حالة القلق، من أن يستغل بعض المستثمرين الأزمة الحالية، في القيام بعمليات تلاعب غير قانونية في البورصة، ومن ثم فرضت لجنة الأسهم والمبادلات، نظاما صارما لرصد أي عمليات تلاعب في الأسواق. والرابعة تتمثل في حالة الإحباط والقلق التي تسيطر على الأمريكيين، من فقد منازلهم، بعد التراجع الذي حدث في السوق العقارية، لذلك أطلقت إدارة بوش ما أسمته «مبادرة تحالف الأمل» التي تجمع بين ملاك المنازل والمقرضين، وشركات خدمات الرهن العقاري، وأطراف أخرى، من أجل منع إجلاء الملاك من منازلهم، بسبب تعثرهم في سداد أقساط القروض العقارية.

وثمة مشكلة أخرى تواجه خطة الإنقاذ المالي، أشار إليها أوليفر هارت، المحاضر في جامعة هارفارد، وهي أن الحكومة الأمريكية، لا تعرف بالضبط قيمة الأصول، التي تشتريها من البنوك، ولهذا فقيمة الأصول الناجمة عن أزمة الرهن العقاري تبدو غامضة. كما أن تسعير الشراء يواجه عائقين. فإذا دفعت الحكومة أقل من قيمة الأصول، فهي لا تساعد البنوك على تحسين ميزانيتها، ولكن إذا دفعت أكثر من قيمة الأصول، فإن الحكومة تتكبد بذلك خسائر، تتحملها خزانة الـ ٧٠٠ مليار دولار، قيمة خطة الإنقاذ المالي. وفي سياق التعاون الدولي لمعالجة الأزمة المالية الحالية، أقرت ألمانيا خطة لإنقاذ نظامها المصرفي، قيمتها ٤٨٠ مليار يورو (٦٥٠ مليار دولار)، كما أقرت فرنسا ٤٩١ مليار دولار، وهولندا ٢٠٠ مليار يورو، وإسبانيا ١٠٠ مليار يورو، والنمسا ٨٥ مليار يورو. وفي إيطاليا فقد أعلنت أنها ستتبنى حماية جميع الحسابات المصرفية من دون تحديد سقف لها، وأعلنت إيرلندا دعم النظام المصرفي، بسيولة قيمتها ١٠٠٠ مليار (أي ٧,٥ مليار يورو). كما قدم البنك المركزي الياباني مؤخرا ثالث عملية ضخ في المصارف، قيمتها ٣٠ مليار دولار بدعم مراكزها المالية. وفي أستراليا خصصت حكومتها ٧,٤ مليار دولار أمريكي لتعزيز اقتصادها. وفي بريطانيا تم الإعلان عن أكبر برنامج للإنقاذ المصرفي قيمته ٣٧ مليار جنيه استرليني لدعم أكبر ثلاثة بنوك بريطانية، وهي «رويال بنك أوف سكوتلاند» وحصل على ٢٠ مليار جنيه استرليني، و«إتش بي أو إس» وحصل على ١٢ مليار جنيه استرليني، و«لويدز تي إس بي» وحصل على ٥ مليارات جنيه استرليني. وفي فرانكفورت ضخ البنك المركزي الأوروبي مبلغ أكثر من ٩٣ مليار دولار في الأسواق المالية الأوروبية حتى تتمكن البنوك الأوروبية من القيام بعملها. وفي روسيا أقر مجلس النواب الروسي «الدوما» في ٣ أكتوبر ٢٠٠٨ خطة مالية، تقضي بتخصيص ٥٠ مليار دولار من الاحتياطي المركزي لدعم شركات النفط، وتوفير السيولة لـ ١١٦ بنكا روسيا. وفي الصين اعتمدت حكومتها خطة للإنقاذ المالي، قيمتها ٥٨٦ مليار دولار لمدة عامين. وقد أعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة أنها ستضخ ٧٠ مليار درهم (١٩ مليار دولار) من التمويل الطارئ في قطاعها المصرفي لمواجهة تداعيات الأزمة المالية العالمية.

واللافت أنه في ظل هذه الأزمة المالية الراهنة، لم يعد من المقبول بالنسبة للدول العربية ذات الفوائض النقدية، خاصة دول الخليج، تركيز استثماراتها في كل من الاقتصادين الأمريكي والأوروبي، بل يتعين عليها توجيه استثماراتها بصفة رئيسية إلى مشروعات التكامل الاقتصادي العربي. ويقدر خبراء اقتصاديون أن قيمة هذه الأموال النفطية العربية المستثمرة في الغرب تبلغ حوالي ثلاثة تريليونات دولار على الأقل باتت رهينة أو ربما ضحية من ضحايا الأزمة المالية الراهنة، وهو ما يضر بمقدرات هذه الدول.

والجدير بالذكر أن «وكالة بلومبيرج الاقتصادية» قدرت حجم الخسائر في الأسهم الأمريكية منذ مطلع عام ٢٠٠٨ بنحو ٦ تريليونات دولار، ٥٢٪ منها في قطاع المصارف والمال والسندات وصناديق التحوط، والباقي في قطاعات السلع والكمبيوتر. تضاف إليها خسائر أخرى بمبلغ مماثل في البورصات والأسواق المالية. ولقد تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية، كما يذكر خبراء اقتصاديون، في الآونة الأخيرة لمجموعة من الأزمات الداخلية المتتالية، مثل حالة الركود الاقتصادي، وتراجع معدل النمو، وارتفاع الديون الوطنية لتصل إلى ١١,٢ تريليون دولار، مع عجز تجاري، قيمته ٧٦٣,٦ مليار دولار. وأشارت بعض الإحصاءات إلى أن إجمالي الناتج المحلي الأمريكي، كان يوازي ٤٥٪ من إجمالي الناتج العالمي، وهو السبب الرئيسي في تأثر دول العالم بالأزمة المالية الأمريكية. ولا تزال الأسواق المالية العالمية والبورصات، عرضة لتقلبات حادة. كما أن الإجراءات المالية المنسقة بين البنوك المركزية في العالم، عبر ضخ أكثر من تريليوني دولار في النظام المصرفي، وشركات التأمين، وقرارات خفض الفائدة إلى ١٪ على الدولار، و٣٪ على الين الياباني، و٣,٢٥٪ على اليورو لم تنجح في تهدئة قلق المستثمرين.

ولتهدئة حالة القلق لدى المودعين والمستثمرين، قام الاتحاد الأوروبي بإصدار قرار برفع الحد الأدنى لضمان ودائع الأفراد في البنوك

ـ في حالات إفلاس المؤسسات المالية ـ إلى ٥٠ ألف يورو، بدلاً من ٢٠ ألف يورو فقط في عام واحد. وكذلك قرار بعض الدول، تقديم ضمان شامل على الودائع، وهو ما قامت به كل من النمسا وأيرلندا وسلوفينيا وسلوفاكيا. كما أجمع قادة مجموعة العشرين الذين اجتمعوا في واشنطن في ١٥ نوفمبر ٢٠٠٨، على مكافحة الانكماش العالمي ومنع حدوث أزمة مالية جديدة، غير أن هؤلاء القادة تجنبوا وضع خطة نهوض اقتصادي موحدة، بل ترك لكل دولة الحق في أن تضع الخطة المالية التي تناسب أوضاعها.

ولقد توصل المجتمعون في قمة مجموعة العشرين في واشنطن إلى وضع خطة من ست نقاط، لمواجهة الأزمة المالية العالمية، الأولى: تعزيز الشفافية بالنسبة لتقدير قيمة الأدوات المالية المركبة (المشتقات المالية). والثانية: نشر قواعد تنظيمية سليمة عبر تقديم صندوق النقد الدولي، ومنتدى الاستقرار المالي، وغيرها من الهيئات المنظمة، توصيات للتخفيف من جنوح الأسواق المالية. والثالثة: المراقبة الاحتياطية للتأكد من أن المؤسسات المالية تطبق المعايير التي تشترطها وكالات التصنيف الائتماني، من حيث تملك رأس المال المناسب والرابعة: إدارة المخاطر، بالتزام المصارف بالتوصيات التي تقدمها الهيئات التنظيمية قبل ٣١ مارس ٢٠٠٩ والعمل على تطبيقها، درءاً لأية مخاطر.

والخامسة: تشجيع نزاهة الأسواق المالية، بتعزيز التعاون بين مختلف السلطات القضائية، وتبادل المعلومات بين الدول، والتأكد من أن القواعد التي تحمى الأسواق والمستثمرين، فعالة، وتطبيق اجراءات لحماية النظام المالي العالمي من النشاطات الضريبية. والسادسة: تعزيز التعاون الدولي بإنشاء هيئات مراقبة لكل الشركات المالية الكبرى، وتقييم المخاطر التي تواجهها المؤسسات المالية، والتأكد من أن الإجراءات المؤقتة في مواجهة الأزمة المالية، لا تعثر المنافسة، وتجرى بشكل منتظم.

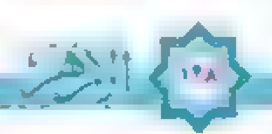
وفي هذا الصدد يذكر أنه خلال انعقاد «قمة رويترز للتمويل الإسلامي» في الفترة من ٢ ـ ٤ فبراير ٢٠٠٨ في المنامة، عاصمة البحرين، أكد «دمكان سميث» رئيس وحدة المعاملات الإسلامية ـ في بنك المؤسسة العربية المصرفية، أن نجاة المصارف الإسلامية من أزمة الرهن العقاري، كانت بسبب التزامها بتعاليم الشريعة الإسلامية في معاملاتها. واللافت للنظر، حرص بنوك كبرى مثل البنك الأمريكي «سيتي جروب» والبريطاني «إتش إس بي سي» والألماني «دويتشه بنك» على فتح فروع لها تتعامل فقط بنظام الشريعة الإسلامية. كما يوجد ٣٠٠ بنك ومؤسسة مالية إسلامية في العالم، يتوقع اقتصاديون أن تشهد أسهمها نمواً يصل إلى تريليون دولار بحلول عام ٢٠١٠.

ومن جانب آخر يقترح «جيفري جارتن» المحاضر بكلية ييل لإدارة الأعمال، في معرض البحث عن حلول جديدة للأزمة المالية الراهنة: بناء بنك مركزي عالمي يتولى الإشراف على النظام المالي العالمي، خاصة أن الأزمة المالية «كونية» ويرى أن هذا البنك وحده الكفيل بالتصدي لهذه الأزمة، وحدد «جيفري» مهمة البنك المركزي في أنه يرصد المخاطر التي تتكون في السوق العالمية، وينشيء «نظام تحذير مبكر» لتنبيه البنوك والمؤسسات المالية إلى أي متاعب قد تلوح في الأفق، وبالتالي يدفعهم إلى تعديل سياساتهم، كما يمكن لهذا البنك أن يشرف، ليس فقط ـ على البنوك التجارية مثل «ميتسوبيشي يو إف جي» وإنما أيضاً على «النظام المالي البديل» الذي يتألف من صناديق التحوط، ومجموعات الأسهم الخاصة وصناديق الثروة السيادية، وكلها غير خاضعة حاليا للتنظيم إلى حد كبير.

ويضيف «جيفري» أن من شأن البنك المركزي العالمي أن يأخذ على عاتقه تنظيم مؤتمر نقدي جديد «لإعادة ضبط معدل الصرف بين الدولار الأمريكي واليوان الصيني، وذلك على سبيل المثال، لأن إحدى مهام هذا البنك ستكون معالجة الاختلالات المالية الكبيرة» ويلفت «جارتن» النظر إلى أن البنك المركزي العالمي، لن يلغي الحاجة إلى الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي (البنك المركزي الأمريكي) أو البنوك المركزية الوطنية الأخرى، التي ستستمر في إشرافها على البنوك الوطنية وتوجيه الائتمان فيها، والعمل على الاستقرار النقدي في بلادها، بل سيكون له تأثير كبير على هذه البنوك المركزية عندما يستلزم الأمر اتباع سياسات تتلاءم مع النمو العالمي والاستقرار العالمي. ويرى «جيفري جارتن» أنه يجب أن يضم مجلس البنك المركزي العالمي ليس فقط المسئولين الماليين في الولايات المتحدة وبريطانيا ومنطقة اليورو، واليابان، إنما أيضاً الصين والسعودية والبرازيل وجنوب أفريقيا، وربما بعض البلدان القليلة الأخرى، ويذهب «جارتن» إلى القول أنه لو كان هناك بنك مركزي عالمي – قبل الأزمة المالية ـ لكان أطلق «تحذيراً قوياً» عن الصفقات غير المسئولة قبل وقت أطول بكثير، وما كانت هناك أزمة من الأصل. ويؤكد «جيفري جارتن» أهمية إقامة مثل هذا البنك الذي سيضطلع بمهمة وضع «خطة متسقة للإنقاذ والتحفيز العالمي» والاستعداد لأية أزمة طارئة. وينبه «جارتن» إلى أن وجود البنك المركزي العالمي لايمنع من وجود صندوق النقد والبنك الدوليين، ومنظمة التجارة العالمية التي تملك صلاحيات، ملزمة قانونا، في مجال النزاعات التجارية، ومنظمة الصحة العالمية المعنية بالأوبئة المعدية التي تملك القدرة على الحجر صحياً على بلدان بكاملها ومحكمة العدل الدولية التي تتمتع بنفوذ قانوني ومعنوي ودولي. وفي هذا الإطار أيد كل من رئيس الوزراء البريطاني «جوردون براون»، والرئيس الفرنسي «نيكولا ساركوزي» «الخطة الاقتصادية الجديدة المراعية للبيئة» التي طرحها. «بان كي مون» الأمين العام للأمم المتحدة، لإعادة بناء وتغيير شكل اقتصاد العالم.

ويرى مؤيدو هذه الخطة الاقتصادية، أن

الاستثمارات العامة الضخمة، والحوافز الضريبية يمكن أن تمهد السبيل أمام القطاع الخاص من أجل تطوير صناعات جديدة، وخلق ملايين الوظائف، وإنقاذ الاقتصاد العالمي من الركود والكساد. لقد أيد الكونجرس الأمريكي اعتماد «خطة مراعية للبيئة» لمواجهة الأزمة المالية الحالية، عندما أكد على تخصيص اعتمادات مالية لتطوير «مصادر للطاقة المتجددة» كشرط للموافقة على خطة الإنقاذ المالي الضخمة (٧٠٠ مليار دولار) في أكتوبر ٢٠٠٨، وفي هذا الصدد وعد الرئيس الأمريكي المنتخب «باراك أوباما» بأن يستثمر ، بشكل استراتيجي، ١٥٠ مليار دولار، خلال عشر سنوات، في اقتصاد قائم على الطاقة النظيفة (مثل الطاقة الشمسية والطاقة الهوائية) وهو ما يساعد القطاع الخاص، على استحداث ٥ ملايين وظيفة جديدة، دون الاستعانة بمصادر خارجية للقيام بها. وفي الختام يمكن القول أن ثمة خطة أخرى للنهوض الاقتصادي في الولايات المتحدة، طرحتها، مؤخرا، الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ الأمريكي ، قيمتها ١٠٠ مليار دولار تهدف إلى توفير المزيد من الوظائف، ودعم صناعة السيارات الأمريكية، التي تواجه صعوبات جمة بسبب الأزمة المالية الراهنة. ولقد أوضح كل من «هاري ريد» زعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ، و«روبرت بيرد» رئيس لجنة قروض الميزانية في المجلس، أن الخطة الجديدة المقترحة، سوف توفر أكثر من ٦٣٥ ألف وظيفة، وذلك في الوقت الذي أنفقت فيه وزارة الخزانة الأمريكية ٢٩٠ مليار دولار حتى الآن من قيمة خطة الإنقاذ المالي الأمريكية (٧٠٠ مليار دولار) لتبقى بذلك ٤١٠ مليارات دولار تحت تصرف حكومة الرئيس الأمريكي المنتخب «باراك حسين أوباما» ستواجه بها . تداعيات هذه الأزمة التي أصابت الاقتصاد الأمريكي في مقتل. وزلزلت اقتصادات بلاد عديدة، لا ذنب لها إلا أنها كانت مرتبطة بالدولار الأمريكي ، وتابعة للنظام الرأسمالي الأمريكي، الذي أوشكت أركانه أن تتهاوى، حيث بدأت دول العالم في البحث عن نظام عالمي جديد، متعدد الأقطاب، يعيد التوازن للاقتصاد العالمي، بدلا من نظام القطب الواحد الذي ثبت عدم جدواه. والسؤال الذي ينتظر العالم الإجابة عليه، هو هل يمكن بعد حقن الاقتصاد الأمريكي المترنح - وهو أس الكارثة المالية العالمية - بتلك المجموعة الضخمة من المضادات الحيوية، والأدوية المنشطة أن يستعيد عافيته من جديد؟ يجيب الملياردير الأمريكي الشهير «جورج سوروس» فيقول: «إن الاقتصاد الأمريكي يحتاج إلى إجراءات دعم إضافية بقيمة تتراوح بين ٣٠٠ مليار دولار و ٦٠٠ مليار دولار ، لمساعدته على اجتياز الأزمة المالية الحالية» فهل هذا صحيح؟



بين المجلة والقارئ

[illegible]

[illegible]

في أشهر العام الهجري تقريبا مناسبة حبيبة يحتفل بها المسلمون جميعا في مشارق الأرض ومغاربها.

■ ففي شهر المحرم يحتفل المسلمون بذكرى هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

■ وفي شهر ربيع الأول يحتفل المسلمون بذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

■ وفي شهر رجب يحتفل المسلمون بذكرى الإسراء والمعراج.

■ وفي شهر شعبان يحتفل المسلمون بذكرى تحويل القبلة.

■ وفي شهر رمضان يتوجه [illegible] المسلمون فيه جميعا يصومون الشهر الفضيل ويحتفلون بانتصارات المسلمين الكبرى في هذا الشهر بدءا من بدر إلى فتح مكة إلى عين جالوت إلى العاشر من رمضان.

■ وفي شهر شوال يحتفل المسلمون بعيد الفطر المبارك.

■ وفي شهر ذي القعدة يستعد المسلمون للسفر للأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج.

■ وفي شهر ذي الحجة تتجه قلوب المسلمين [illegible]

■ وفوق كل هذا [illegible] عقيدة [illegible] واحدة بلسان عربي مبين.

■ ومآذن المساجد في شتى بقاع الأمة الإسلامية ترفع الأذان ليلبي المسلمون نداء الصلاة ويتجهوا جميعا صوب قبلة واحدة.

هل هناك أمة واحدة في الأراضي اجتمع لها مثل هذا التوحد في الأعياد، وفي [illegible] وفي كتاب واحد [illegible] يؤدونها في أوقاتها؟!

[illegible]

نعم نحتفل بكل الأعياد والمناسبات الإسلامية وما

أكثرها ولكنه اختلاف فى المظهر لا فى الجوهر!!

المسلمون اليوم يُسيرون المظاهرات الصاخبة لتهاجم وتسب مسلمين آخرين، ووصل الأمر إلى حد التحريض على أن يقتل المسلم أخاه المسلم من أجل نعرات عرقية وطائفية لم تجلب ولن تجلب لأمتنا إلا الخراب والشقاء!!

فلمصلحة من يتقاتل المسلمون أو من يسمون أنفسهم مسلمين؟

لمصلحة من يسب المسلم أخاه المسلم!!

لمصلحة من يقتل المسلم أخاه المسلم؟!

ألم يعلم هؤلاء أن «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

لمصلحة من تخرج النعرات العرقية والدعوات الطائفية!؟

لمصلحة من تمجيد قتلة شهد عليهم التاريخ بالكفر؟!

هل يعقل أن يقوم قوم يدعون لأنفسهم أنهم مسلمون بإعادة إشعال أحداث الفتنة الكبرى التى مضى عليها نحو ألف وأربعمائة عام ليقوموا بسب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! الصحابة الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

بل وسب دعاة الفتنة زوجات الرسول رضى الله عنهن، ونعتوهن بأحط الألفاظ، فهل يتصور من مثل هؤلاء خير؟!

لقد أقام دعاة الفتنة ومنذ سنوات طويلة مزاراً يتبركون به، بل ويحجون إليه وهذا المزار لأبى لؤلؤة المجوسى قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه!!

مشكلة الفرقة التى تتفاقم يوماً بعد يوم فى البحر الأحمر التى لا أحد يعلم عن المخططين المموّلين الحقيقيين لعملياتها، أضعفت وزرا وبهتانا للإسلام والمسلمين. ووقف المسلمون يتفرجون عليها ويتعجبون من عبثها، متناسين الأعياد والمناسبات الإسلامية التى أفرغت تماما من مضمونها الذى يهدف أكثر ما يهدف إلى تعميق وحدة المسلمين!!

وحيناً فحيناً تقطع كل شرايين وحدة الأمة الإسلامية وتخرج أعياد المسلمين وعباداتهم من مضمونها الحقيقى، فمن ذا الذى يتصور أن يأتى يوم وتمنع فيه إحدى الفصائل المناحرة على زعامة كاذبة مسلمين راغبين فى أداء شعائر الحج عن وجهتهم وحالوا بينهم وبين بيت الله الحرام، وأطلقوا عليهم الرصاص فى مشهد وقف فيه العالم الإسلامى موقف المتفرج العاجز عن إيقاف المأساة.. مأساة أمة قلّ فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

دقة التقويم القمرى الهجرى

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور أحمد الشريف استشارى طب الأطفال - الإسكندرية :

بإذن الله تعالى بدأ العام الهجرى الجديد ١٤٣٠ يوم الاثنين ٢٩/١٢/٢٠٠٨م. مثلما بدأت السنة الهجرية منذ ٨ سنوات (١٤٢٢) أيضا يوم الاثنين ٢٦/٣/٢٠٠١م مثلما بدأت السنة الهجرية منذ ١٦ سنة (١٤١٤) أيضا يوم الاثنين ٢١/٦/١٩٩٣م. مثلما بدأت السنة الهجرية منذ ٢٤ سنة (١٤٠٦) أيضا يوم الاثنين ١٦/٩/١٩٨٥م. وكذلك بعد ٨ أعوام سيبدأ بإذن الله عام ١٤٣٨هـ أيضا يوم الاثنين ٣/١٠/٢٠١٦م.

وهكذا تتكرر بدايات الشهور القمرية كل ٨ سنوات فى دورة منتظمة مما يؤكد أن التقويم القمرى فى منتهى الدقة فهذه الشهور القمرية ومنها الأربعة الحرم كتبها الله فى لوحه المحفوظ فقال تعالى

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾

(التوبة :٣٦)

والتقويم القمرى استخدمته الأمم السابقة قبل نزول القرآن الكريم فنوح وموسى عليهما السلام نجاهما الله فى يوم عاشوراء (العاشر من المحرم) وكل الكتب السماوية نزلت فى شهر رمضان (صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم السلام).

وحتى وقتنا الحالى يتم تحديد عيد القيامة (عيد الفصح) للإخوة النصارى بالاعتماد على القمر، ولذلك يتغير موعده كل عام، عكس عيد ميلاد السيد المسيح فموعده ثابت دائماً، ويكون عيد القيامة فى يوم الأحد التالى للبدر الكامل للقمر (بعد يوم ٣ أبريل) فمثلاً عيد القيامة لهذا العام يوم الأحد ١٩/٤/٢٠٠٩م الموافق ٢٣ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ. أما عيد القيامة للسنة الماضية فكان يوم الأحد ٢٧/٤/٢٠٠٨م الموافق ٢١ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ وكان قبلها يوم الأحد ٨/٤/٢٠٠٧م الموافق ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٨هـ. أى أن عيد القيامة يتغير موعده كل عام تبعاً للتقويم القمرى كى يأتى فى النصف الثانى من الشهر الهجرى.

وعندما بحثت خلال ٣٦ سنة ماضية عن البدايات الفعلية لشهور المحرم ورمضان وشوال وذو الحجة فى الجرائد والصحف القديمة وجدت هذا الإعجاز الإلهى المتمثل فى وجود دورة منتظمة ومتكررة كل ٨ سنوات لبدايات الشهور القمرية، ومعنى البداية الفعلية للشهر أى بعد تأكد دار الإفتاء

الهجرية من رؤية الهلال.

وقد شجعني ذلك على عمل جداول لبدايات الأعوام الهجرية وبدايات شهور رمضان وبدايات أعياد الفطر والأضحى حتى عام ١٥٠٠هـ وما يقابلها بالتقويم الجريجوري ٢٠٧٦م.

وقد اعتمدت في عمل هذه الجداول على القاعدة التي تقول إذا تكررت العوائد أفادت القطع والنادر لا حكم له. وبعض هذه الجداول موقعي على الإنترنت Laylatalqadr24.com

أتمنى أن تبدأ الجهود لتوحيد بدايات الشهور الهجرية لعمل تقويم إسلامي موحد.

وأختم بهذه المفاجأة السارة وهي أن يوم عاشوراء (١٠ المحرم) يمكن أن يأتي في أي يوم من يوم السبت إلى الخميس ولكن لا يأتي أبدا يوم الجمعة. مما يؤكد كراهة صوم يوم الجمعة تطوعا، لأنه هو يوم العيد الأسبوعي للمسلمين مصداقا لقوله ﷺ: «إن يوم الجمعة يوم عيدنا، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم»(١)

التيسير في الشريعة الإسلامية

وعن التيسير في الشريعة الإسلامية جاءت رسالة الأستاذ محمد عباس محمد عرابي:

اليسر ضد العسر، ويعني به تطبيق الشرع من المكلف دون حرج أو مشقة أو ضرر أو تكلف أو عنت. مع إعمال لنصوص الشرع، وعدم إهمالها أو تجاهلها أو تأويلها من غير دليل شرعي. فالتيسير بهذا المفهوم مقصد من مقاصد الشريعة، بل بنيت أحكام الشريعة على ذلك. وقد تواترت النصوص من القرآن الكريم، والسنة المطهرة لتقرير هذا المقصد بأساليب وصيغ متعددة:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨)

وقال سبحانه:

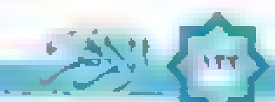
﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥)

وقال سبحانه

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨)

وروى البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه

(١) إتحاف السادة المتقين ٤ : ٢٥٨



فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».

من معالم التيسير في الشريعة:

أولاً: الرخصة: والمراد بها الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر شرعي. فمتى ما وجد العذر وجدت الرخصة. كقصر الصلاة الرباعية في السفر، والجمع بين صلاتي الظهر والعصر، أو المغرب والعشاء، والفطر في نهار رمضان، والصلاة قاعداً إن لم يتمكن أن يصلي قائما والتيمم للطهارة إذا لم يجد الماء أو عجز عن استعماله وغير ذلك. وروى الإمام أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معاصيه»

ثانياً: النهي عن الغلو في الدين، والمقصود النهي عن التجاوز عن الحد الشرعي الذي وضعه الشارع لهذا الدين، فالغلو ليس له حد ينتهي إليه، ولذا جاءت النصوص الخاصة بالنهي عن الغلو، ومن ذلك النهي عن الغلو في الدين نفسه قال تعالى:

﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (المائدة: ٧٧)

ومنه النهي عن الغلو في النبي ﷺ نفسه، روى الشيخان عن النبي ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبدالله ورسوله».

ومنه النهي عن الزيادة فيما شرع الله، روى الشيخان عن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». واشتهرت قصة الثلاثة الذين جاءوا لأزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فتقالوها فقال أحدهم: إني أصوم ولا أفطر، وقال الآخر أصلي ولا أنام، وقال الثالث: لا أتزوج النساء، فعلم أمرهم النبي ﷺ فقام منكراً عليهم حتى قال عليه الصلاة والسلام: «... فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ثالثاً: النهي عن التكلف والشطط: فمن معالم التيسير النهي عن التعمق والتكلف فيما لم يرد به الشرع والضغط على النفس، قال عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكرت له أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- من صلاة امرأة أتعبت نفسها فقال: «مه، عليكم بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا»(٢). وقال ﷺ فيما رواه مسلم وغيره: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا.

(٢) صحيح البخاري ٧ : ٢٠٠، بلفظ «... خذوا من أعمالكم ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا»

من علماء الإسلام

الإمام الطحاوي

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ فرج مجاهد عبدالوهاب عضو اتحاد كتاب مصر - شربين - دقهلية:

هو أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك من مواليد عام ٢٣٩هـ بقرية طحا التابعة لمركز سمالوط بمحافظة المنيا، سليل أسرة اشتغلت بعلوم الفقه ،فقد كان خاله أبو إبراهيم المزني من أقطاب المذهب الشافعي في مصر.

ويعد الإمام الطحاوي أول من رفع قواعد المذهب الحنفي في مصر بعد أن درس على يد القاضي بكار ابن قتيبة، حيث كان يتلقى العلم على يد خاله «المزني» أبرز تلاميذ الإمام الشافعي وعجز عن فهم مسألة علمية رغم تكرار شرحها، فضجر الخال منه وقال له بانفعال: «والله لن تفلح»، فما كان من الصبي إلا أن طوى أوراقه وذهب إلى حلقة الأحناف، وتوثقت صلته بالقاضي بكار الذي كانت سيرته مفخرة للعلم والعلماء، وما هي إلا عشية وضحاها حتى صار الطحاوي من أعلام الحنفية فأسس المذهب ووضع له المناهج التي صار عليها الأتباع بعد ذلك.

عرفه أكابر العلماء في صدر شبابه فقد توفر له العلم مما جعله أهلا لأن يؤخذ رأيه في المهمات وأن يعارض أعلام العلم في عصره وهو في سن صغيرة، ونال إعجاب أمير البلاد فبعثه إلى الشام ليبحث في شروط الوقف الذي خصصه أحمد بن طولون للمسجد، وكتب وثائق الوقف عالم الشام «أبو حازم» قاضي دمشق، فلما جاءت الوثائق حكموا بصحتها، ولكن الطحاوي قال إن فيها غلطا، فلما سألوا عن هذا الغلط رفض توضيحه فاستدعاه ابن طولون وسأله عن سر امتناعه عن كشف الغلط فقال: لأن أبا حازم رجل عالم.. وعسى أن يكون الصواب معه وقد خفي عليّ، فأعجب ذلك ابن طولون وأرسله إلى الشام للتباحث مع أبي حازم وستر ما كان بينهما حيث ظهر الحق مع الطحاوي ولكنه لم يعلن ذلك احتراما لأبي حازم، فزاد احتراما في نفس ابن طولون، وقربه وشرفه.

وذاع صيت الطحاوي وانتشر علمه بين الناس وعرفت الأوساط العلمية قدره وبراعته في جميع مسائل الفقه بصفة عامة وفي الشروط والتوثيق بصفة خاصة ،فدفع ذلك القضاة إلى الاستفادة منه والانتفاع بعلمه ومهارته، واستعان به القضاة في نظر القضايا، ثم تولى منصبا آخر تتطلع إليه أنظار ذوي المكانة والجاه وهو منصب الشهادة أمام القاضي، إلا أنه لم يول القضاء لأن القاضي كان يعين من الخليفة في بغداد.

وقد أجمع كتاب سيرته على أنه كان زاهدا في مباهج الدنيا، وأنه كان ثقة، جليل القدر وكان أستاذاً لأجيال بعده على اختلاف مذاهبهم وخلف آثارا علمية هي شاهد صدق على نبوغه وعظمته ورفيع مكانته العلمية.

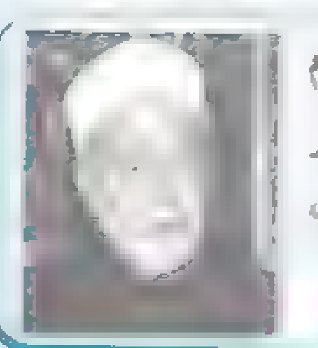
ومن رحلة ابن بطوطة تخبر لنا القارىء شعبان أحمد - ميت غمر دقهلية هذه الكلمات عن مدينة بغداد يصف حالها من البؤس والشقاء أيام اقتحمها التتار وكأن بغداد مدينة كُتب عليها البؤس والشقاء:

مدينة دار السلام وحضرة الإسلام ذات القدر الشريف والفضل المنيف مثوى الخلفاء ومقر العلماء قال أبو الحسين بن جبير – رضي الله عنه: وهذه المدينة العتيقة وإن لم تزل حضرة الخلافة العباسية ومثابة الدعوة الإمامية القرشية فقد ذهب رسمها ولم يبق إلا اسمها وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل تقلب الحوادث عليها والتفات أعين النوائب إليها كالطلل الدارس أو تمثال الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر، إلا دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبتين فهي تردها ولا تظما وتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ قال ابن جزي: وكأن أبا تمام حبيب بن أوس اطلع على ما آل إليه أمرها حين قال فيها:

لقد أقام على بغداد ناعيها
فليبكها لخراب الدهر باكيها
كانت على مائها والحرب موقدة
والنار تطفأ حسناً في نواحيها
ترجى لها عودة في الدهر صالحة
فالآن أضمر منها اليأس راجيها
مثل العجوز التي ولت شبيبتها
وبان عنها جمال كان يحظيها

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذين: عبدالموجود أمين - يحيى سليمان



استقبل العاملون بمجمع البحوث الإسلامية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر عند زيارته للمجمع لتهنئة العاملين بعيد الأضحى المبارك، مما كان له الأثر الأكبر فى نفوس العاملين بالمجمع.

الإعداد للبعثات الخارجية

صرح فضيلة الشيخ فوزى زيدان الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأنه قد تم [illegible] لتقدمه من السادة الخريجين بالأزهر الذين يرغبون فى الابتعاث إلى الخارج مبتعثين ونشر الثقافة الإسلامية للعام الدراسى ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م.

وذلك وفقاً للضوابط والشروط المعلن عنها لشغل البعثات، وذلك [illegible] الإدارة فى خلال الأسبوع الأول من شهر ديسمبر، وبعد الانتهاء من [illegible] تعين السادة المستوفين للشروط.

[illegible] والتحريرية والشفوية [illegible] الإعلان عن [illegible] الاختبار فيما بعد.

تحديث مكتبة الأزهر

تبحث إدارة المكتبة الأزهرية إعداد طبعة جديدة من فهرس المكتبة الذى صدرت طبعته الأولى فى عهد فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغى رحمة الله عليه.

وفى إطار العمل التحديث ومواكبة تكنولوجيا العصر الحديث ووصول الأجهزة والمعدات الحديثة لمشروع نشر مخطوطات الأزهر على شبكة الإنترنت.

قرارات مجمع البحوث الإسلامية

قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة فى ٢٧-١١-٢٠٠٨

١- تشكيل لجنة من السادة أعضاء المجمع لوضع محاور مؤتمر المجمع تحت عنوان المقاصد الإسلامية.

٢- اختيار الشيخ محمد الخضر حسين للاحتفال به فى الأسبوع الأخير من شهر أبريل ٢٠٠٩م.

٣- تم توزيع عدد من الكتب على أعضاء المجمع لإعداد تقارير عنها.





صدر كتاب «دروس الطائر الداعية» للشيخ شوقى [illegible] أحمد حسن ضمن سلسلة كتب مجمع البحوث الإسلامية ويقع الكتاب فى ١٦٨ صفحة من القطع الصغير. وقد تناول فيه المؤلف الدروس والعبر من القصة الواردة فى القرآن الكريم عن الهدهد مع سيدنا سليمان وقد استخلص منها الإيمان بالله والعبودية الخالصة له، تفقد أحوال الرعية، الشجاعة والصدق فى عرض الأمور، إتاحة الفرصة للدفاع عن النفس- حرية الرأى- التواضع وسعة الصدر مع احترام الغير- تسخير كل الإمكانات المتاحة والمشروعة لإعلاء كلمة الله ونشر دينه على الأرض- إنكار الذات والتخلى عن الرتب والألقاب فى سبيل الدعوة إلى الله- إعداد القوة وتحصين البلاد- الاستعانة بأولى الخبرات والإمكانيات والاستعدادات الخاصة للقيام بالمهام المختلفة فى سبيل إنجاح الدعوة مع دقة الاختيار لمن يستعين بهم الحاكم فى أداء المهمة.

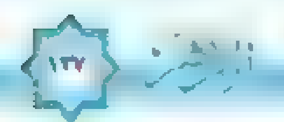
وقد أوضح المؤلف بأن تلك الآيات التى وردت فى سورة النمل استطاعت فى إيجاز بليغ رسم شخصياتها، فقد رسمت صورة صادقة لسيدنا سليمان وملكه وعدله وإنصافه وتواضعه وحكمته .وصورة الملكة بلقيس وذكائها، وميلها بفطرتها إلى السلام والبعد عن شبح الحرب والخراب والدمار والاستجابة لنداء الحق والعقل، كما أظهرت نوعاً فريداً من أنواع الدعاة ونموذجاً خاصاً للطائر الداعية وما تحمله فى سبيل الدعوة مع أنه طائر ضعيف فى نظر الإنسان. (صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلى مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات)

اختبارات الطلاب الوافدين

أدى الطلاب الوافدون امتحان الطلاب المتخلفين عن أداء الاختبار فى نهاية شهر ديسمبر. كما تقرر أن يكون اختبار الإعادة للطلاب الذين يرغبون فى تحسين مستواهم خلال الأسبوع الثانى من شهر يناير ٢٠٠٩م. وفى النصف الثانى من شهر يناير ٢٠٠٩م سوف يبدأ اختبار الطلاب الوافدين الجدد والمتخلفين عن دخول الامتحان التحريرى الأول.

وبعد الانتهاء من الاختبارات التحريرية يتم البدء فى الاختبار الشفهى للقراءات، وبعد انتهاء الاختبار الشفهى يعقد الاختبار التحريرى.

صرح بذلك فضيلة الشيخ/ رجب سليم مدير الإدارة العامة للطلاب الوافدين.





أنباء العالم الإسلامي

للأستاذين: محمود الفشني - أحمد رضوان

مساعدات مصرية لجامعة تيرانا

صرحت السفيرة صفية إبراهيم أمين - الأمين العام للصندوق المصرى للتعاون الفنى مع دول الكومنولث الجديد - بأن المسئولين فى تيرانا وفى مقدمتهم صالح بريشا رئيس الوزراء وجميع الوزراء الذين التقت بهم أشادوا بالمساعدات التى تقدمها مصر لألبانيا من خلال الصندوق ودوره فى تدريب الكوادر الألبانية.

وقالت: إن رئيس الوزراء الألبانى أعرب عن تقديره لمكانة مصر ودورها المحورى فى الشرق الأوسط وتطلعه لزيارة الرئيس حسنى مبارك لبلاده.

كما أضافت إن رئيس الوزراء الألبانى أبلغها أنهم يعتزمون افتتاح قسم لدراسة اللغة العربية بجامعة تيرانا ويتطلعون لدعم الصندوق.

وقالت إنها أبدت استعدادها لدراسة الموضوع فى إطار سياسة الصندوق فى دعم تدريس اللغة العربية فى الدولة التى يشملها نشاطه باعتبارها جسرا للتواصل بين مصر وألبانيا.

الرئيس الروسى: مبادئ الإسلام تدعو للعدالة والرحمة

هنأ الرئيس الروسى ديمتري ميدفيديف المسلمين بعيد الأضحى المبارك مذكرا بأن العيد يذكر بمبادئ الإسلام التى تدعو إلى العدالة والرحمة، وتغرس فى النفوس احترام القيم الإنسانية العامة.

وأكد ميدفيديف أن مسلمى روسيا يحتفلون بهذا العيد بشكل واسع وحرية كاملة، مشيرا إلى وجود آلاف المواطنين الروس الذين يؤدون فريضة الحج كل عام.

وقال إن المسلمين المتمسكين بتقاليد الإسلام العريقة يساهمون بنشاطهم فى الحفاظ على التنوع الروحى والثقافى الروسى، ويساعدون على تعزيز التفاهم والتسامح والوفاق القومى فى المجتمع الروسى

بعد زويل.. أزهرى على سلم نوبل

لأبحاثه المتميزة فى مجال الذكاء الاصطناعى، وتأسيسه عدة مراكز إلكترونية بجامعة الأزهر، والمجلس الأعلى للجامعات وهيئة معايير الجودة، تم اختيار الدكتور محمد عبدالعزيز عبدالرازق مدرس علوم الحاسب الآلى بجامعة الأزهر ليكون ضمن الموسوعة العلمية لعلماء العالم لعام ٢٠٠٨. الموسوعة سبق أن ضمت إليها العالم المصرى الدكتور أحمد زويل - قبل حصوله على نوبل وتضم علماء العالم المتخصصين فى المجالات المختلفة. ولهم إسهامات فى خدمة البشرية. وكانت تضم علماء أمريكا فقط. ثم تم توسيعها لتضم علماء العالم. والدكتور عبدالرازق حصل على الدكتوراه فى الذكاء الاصطناعى وتطبيقاته فى التعليم الإلكترونى من جامعة مونتريال كندا. وأنشأ برمجيات خدمة جامعة الأزهر مثل برامج التنسيق والكنترولات المركزية. ويقود فريق التعليم الإلكترونى بالهيئة القومية لضمان الجودة والاعتماد. وله أبحاث عديدة فى تطوير أداء الذكاء الاصطناعى والحاسب الآلى.

[illegible]

قال السفير السعودى لدى روسيا على حسن جعفر، أن بلاده تنوى بناء مسجد ومركز ثقافى إسلامى فى العاصمة الروسية موسكو، جاء ذلك خلال لقاء السفير برئيس مجلس المفتين فى روسيا راوى عين الدين، ومن جانبه قال الشيخ راوى عين الدين إن هذا المشروع سيساهم فى دعم المسلمين وربط علاقاتهم بالعالم الإسلامى، كما أنه سيساهم فى تعزيز العلاقات بين المملكة العربية السعودية وروسيا، ويعيش فى روسيا اليوم من ١٥ إلى ٢٤ مليون مسلم وينتشر الإسلام فى وسط وجنوب حوض الفولجا ومنطقة الأورال وشمال القوقاز وسيبيريا.

المسلمون لهم الفضل فى إعادة اهتمام أوروبا بالدين

وجه الكردينال جان لويس توران رئيس المجلس البابوى للحوار بين الأديان الشكر إلى المسلمين على عودة الاهتمام بالدين فى المجتمعات الأوروبية كما أوضح أنه ليس أمام أصحاب العقائد المختلفة سوى الاشتراك فى حوار الأديان، وأن المسلمين هم الذين طالبوا بوجود مساحة للدين فى المجتمعات الأوروبية بعد أن أصبحوا أقلية نشطة فيها.

وسبق أن شكا مسئولو الفاتيكان من علمانية الغرب عامة وأوروبا خاصة وتراجع معدلات الذهاب إلى الكنائس بشكل كبير، ولهذا لابد من العودة إلى الجذور التاريخية المسيحية للقارة مع الاعتراف بأنه لا يوجد مجتمع فيه عقيدة واحدة لأننا نعيش فى مجتمعات متعددة الأديان والثقافات

حاخام يهودى: لا يجب أن تكون هناك دولة اسمها اسرائيل!

تحت عنوان «وشهد شاهد من أهلها» أعادت محطة تليفزيون «فونيكس» التى تبث إرسالها من هونج كونج إذاعة المقابلة التى أجراها مؤخرا رجل الدين اليهودى المتشدد الحاخام يسرول ويس وهو من جماعة «اليهود المتحدين ضد الصهيونية» مع نيل كافوتو من محطة التليفزيون الأمريكية «فوكس نيوز» والتى قال فيها صراحة أنه يجب ألا تكون هناك دولة اسمها «الدولة الإسرائيلية» وفى مقدمة البرنامج قالت «فونيكس» إن هذه المقابلة حظيت باهتمام عالمى غير مسبوق حتى وصفت بأنها أهم مقابلة تليفزيونية فى التاريخ، كما أثارت جدلا وسجالا غير مسبوق خاصة أنها سفهت بشكل واضح وبعبارات صريحة تلك الكذبة الشيطانية التى خدعت ذوى النيات الحسنة حول العالم وأقنعتهم بدعم هذا الشىء الشرير والبغيض الذى يسمى الدولة اليهودية.

يقول الحاخام اليهودى: إن إسرائيل أفسدت كل شىء على الناس جميعا اليهود منهم وغير اليهود، هذه وجهة نظر متفق عليها عبر المائة سنة الماضية أى منذ أن قامت الحركة الصهيونية بخلق مفهوم أو فكرة تحويل اليهودية من ديانة روحية إلى شىء مادى ذى هدف قومى للحصول على قطعة أرض وجميع المراجع قالت: إن هذا الأمر يتناقض مع ما تدعو إليه الديانة اليهودية وهو أمر محرم قطعا فى التوراة لأننا «منفيون بأمر من الله».

رفع الحصانة عن نائبة نمساوية أساءت للإسلام

قررت لجنة الحصانة فى البرلمان النمساوى رفع الحصانة عن سوزانا فينتر النائبة عن حزب الحرية اليمينى بسبب إساءاتها المتكررة للإسلام.

ويوضح هيربرت دونرباور رئيس اللجنة أن النائبة البرلمانية أساءت للدين الإسلامى أثناء إحدى الخطب فى إطار حملتها الانتخابية فى مدينة جراتز، كما تتهم سوزانا بالتلفظ بأقوال مسيئة للمسلمين أمام طلبة وطالبات إحدى المدارس بالعاصمة النمساوية فيينا.

وأضاف دونرباور أن اللجنة كان عليها تفهم أنه لا توجد علاقة بين هذه التهم وطبيعة عملها كعضوة فى البرلمان النمساوى وهو ما اطمأنت إليه اللجنة بالفعل حيث إن هذه التصريحات جاءت قبل دخول النائبة البرلمان النمساوى ولذلك سيقوم البرلمان بإصدار قراره بالموافقة على رفع الحصانة عنها لتحاكم على التهم التى ارتكبتها قبل دخولها البرلمان.

هجوم على مثقفين ايطاليين لرفضهم معاداة الإسلام

هاجم ماريو بورجيتسو – أحد قادة حزب عصبة الشمال الإيطالى المتطرف – مثقفين وممثلين سينمائيين إيطاليين لرفضهم التعاون مع القناة التليفزيونية «تيلى بادانيا» الناطقة باسم عصبة الشمال فى برنامج لمهاجمة الإسلام والمسلمين.

وعبر بورجيتسو عن خيبة أمله من رفض المثقفين الإيطاليين التجاوب مع برنامج القناة المعادية للمسلمين مؤكدا أن ذلك نابع من خوف كبير من الإسلام ومن معتنقيه بإيطاليا، وقال: هناك تخوف كبير من الإسلام بإيطاليا وأعتقد أن هناك قوى أصبحت سارية المفعول ضد كل شخص ينتقد الإسلام والمسلمين بهذا البلد، وجاء هجوم المتطرف ماريو بورجيتسو على المثقفين الإيطاليين بعد أن وجه مدير قناة «تيلى بادانيا» روبير توفيود نبى الدعوة إلى عدد من المثقفين والممثلين من السينمائيين لقراءة نصوص من كتاب أوريانا فلاتشى التى عرفت بهجومها ضد الإسلام، دون أن يلقى ردا وترحيبا على ذلك، لرفض كل من وجهت إليهم الدعوة المشاركة فى البرنامج المعادى للإسلام.

ترجمة إيطالية لمعانى القرآن الكريم تتسبب فى انتشار الإسلام!

أعلن حمزة روبرتو بيكمارد أحد أبرز القيادات المسلمة فى إيطاليا وهو مسلم من أصل إيطالى أنه تمت ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الإيطالية وهى ترجمة وصفها المسلمون الإيطاليون بالسهلة والبسيطة.

وقال بيكمارد إنه حرص على تعلم اللغة العربية بصورة جيدة قبل الشروع فى الترجمة وقد جاءت الترجمة مختلفة كثيرا عن الترجمة الإيطالية القديمة لمعانى القرآن الكريم والتى أعدها الباحث الإيطالى الأكاديمى بوسانى، وهو باحث ينتمى للطائفة البهائية؛ ولهذا جاءت ترجمته متأثرة بديانته وعقيدته، وأضاف بيكمارد فى حوار مع شبكة إسلام أون لاين أن الترجمة التى قام بها استغرقت خمس سنوات كاملة وتطلبت المرور على خمس لجان مراقبة تم تشكيلها من أجل التأكد من صحة الترجمة والحاشية التى رافقتها واللغة والترجمة النهائية للصفحات، وقد تم بيع ١٥٠ ألف نسخة منها حتى الآن وقد ساهمت فى دخول عدد من الإيطاليين فى الإسلام.

مكة تستضيف أول مؤتمر للمفتين

أعلنت رابطة العالم أنها ستستضيف فى هذا الشهر بمقرها بمكة المكرمة أول مؤتمر من نوعه للمفتين بالعالم الإسلامى والأقليات الإسلامية.

الأمين العام للرابطة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى أوضح أن المؤتمر الذى يجمع كل المفتين فى العالم الإسلامى يهدف إلى توحيد الرأى حول القضايا الكبرى، والتصدى للفتاوى المتضاربة والتى تحدث البلبلة فى صفوف المسلمين،

وكذلك للتنسيق بين القائمين على أمر الفتوى في البلدان الإسلامية لتوحيد الجهود العلمية لتقديم الفتاوى العصرية التي تراعي المستجدات دون الخروج على الثوابت.

مجلس مساجد «بيتسبرج» ينظم ندوة حول هوس الأمريكان بالإسلام

نظم مجلس المساجد في مدينة بيتسبرج بولاية بنسلفانيا بالاشتراك مع فرع مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية «كير» في مدينة بيتسبرج وفرع مجتمع المسلمين الأمريكيين «ماس» في مدينة بيتسبرج ندوة فكرية بعنوان: «هل الأمريكيون مهووسون بالإسلام»، وساهم في الإعلان عنها ورعايتها نادي الطلبة السعوديين في بيتسبرج إضافة إلى جمعيات الطلبة المسلمين في جامعات مدينة بيتسبرج المختلفة و١٣ منظمة غير إسلامية تشمل بعض الجمعيات المعنية بالحقوق المدنية مثل اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز وجمعيات أخرى نصرانية مثل جمعية قساوسة «بيتسبرج» وغيرها من الجمعيات المتعاطفة مع المسلمين والمهاجرين بشكل عام مثل لجنة التضامن مع الفلسطينيين.

وتأتي هذه الندوة تواصلا لردود الأفعال على محتوى فيلم الهاجس، حرب الإسلام المتطرف ضد الغرب، الذي وزعت منه ٢٨ مليون نسخة من أجل تخويف المجتمع الأمريكي من المسلمين لتحقيق مكاسب انتخابية.

وبلغ الحضور قرابة ٢٥٠ أغلبهم من غير المسلمين، تطرق فيها المشاركون لعدد من النقاط أبرزها أن المسلمين الأمريكيين عنصر فاعل وبناء في المجتمع الأمريكي وليسوا عالة عليه وأن منهم أساتذة وعلماء وأطباء ومهندسين وجنودا وغيرهم.

فرار ٢٥ ألف جندي أمريكي من الخدمة منذ غزو العراق

أكد أول جندي أمريكي يطلب اللجوء السياسي إلى ألمانيا أنه اتخذ هذا القرار بسبب عدم رغبته في التورط في قتل الأبرياء.

قال أندريه سيفارد الذي يعيش الآن في دار خاصة بطالبي اللجوء في ألمانيا في مقابلة مع مجلة «دير شبيجل» الألمانية أن سبب فراره من الخدمة العسكرية هو نفس السبب الذي دفع نحو ٢٥ ألفا من زملائه للفرار من الجندية منذ بداية حرب العراق.

أضاف سيفارد أنه أدرك أن هذه الحرب هي مجرد اعتداء يتعارض بوضوح مع مبادئ الأمم المتحدة ويتنافى مع القانون الدولي.

حاخام يهودي وأسرته يعتنقون الإسلام

أشهر رجل دين يهودي وأسرته المكونة من زوجته وابنته إسلامهم أمام مفتي منطقة «بي أوغلو» بوسط مدينة اسطنبول على خلفية انتقادات وجهت لزواجه من امرأة أرملة وكان أرون كوهين البالغ من العمر ٤٥ عاما يعمل في الكنيس اليهودي في اسطنبول وكان يتمتع بصوت جميل حيث كانت وظيفته قراءة الأسفار الدينية أثناء الصلاة.

وقال كوهين فور إسلامه: إنه يحترم جميع الديانات السماوية ولكن الإسلام دين مكتمل، وهو آخر الديانات وأنه يحب النبي محمد ويحترمه مؤكدا أنه قرر اعتناق الإسلام بسبب ما أسماه التطرف اليهودي تجاه المرأة اليهودية حيث لقي معاملة سيئة للغاية من قبل الحاخامات اليهود فقط لأنه تزوج من أرملة يهودية وكأن الأرملة ليس من حقها الحياة.

كان كوهين قد تزوج من أرملة يهودية تعمل مدرسة في إحدى المدارس الفرنسية حيث تعرف عليها وأنجب منها طفلة وتعرض لانتقادات حادة من الجميع في الكنيس بسبب زواجه منها.

وقال كوهين إنني وبعد دراستي المتعمقة للإسلام وجدت أن الشريعة الإسلامية هي الدين الكامل وأن القرآن الكريم يجمع في داخله خصائص الأديان السماوية كلها وأنني شعرت بعد إسلامي بحالة من الطمأنينة والسعادة لم أشعر بها طوال حياتي والحقيقة فإنني لم أصل إلى السعادة الحقيقية في معية الله إلا بعد إسلامي وأنا اليوم أحب رسول الله ﷺ حبا لا حدود له، ومهما حدثت من ضجة فهذا أمر لا يهمني من قريب أو بعيد، وحسبي ما وصلت إليه من سعادة واستقرار نفسي.

فرنسا ترحب باستضافة البنوك الإسلامية

أعلنت كريستيان لاجارد وزيرة الاقتصاد الفرنسي عن نية فرنسا جعل باريس عاصمة للتمويل الإسلامي وحسب مصادر الأسبوعية الفرنسية فقد وضعت ثلاثة بنوك طلبها لأخذ تراخيص لبدء التعامل وهي البنك الإسلامي القطري الذي سبق أن فتح فرعا له بلندن وبيت التمويل الكويتي وبنك البركة الإسلامي، قال خبير اقتصادي فرنسي في البداية سيكون هدف الأنشطة المالية للبنوك منصبا على تمويل الاستثمارات قبل أن تقدم هذه البنوك باقي خدماتها بعد سنتين أو ثلاث قادمة لأكثر من خمسة ملايين مسلم يقطنون بفرنسا، وكان في استطلاع رأي أجراه المعهد الفرنسي أن أكثر من ٥٠٠ ألف فرد من أصول إسلامية يرحبون بفتح بنوك تحترم الشريعة الإسلامية.



لفضيلة الشيخ/ عبدالنبي فراج
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

أرسل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي – شيخ الأزهر الشريف - ببرقية تهنئة للسيد الرئيس محمد حسني مبارك - رئيس جمهورية مصر العربية - بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك هذا نصها:

فخامة الرئيس محمد حسني مبارك
حفظه الله
رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فبمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك أتقدم لسيادتكم بخالص التهنئة القلبية والدعوات سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يعيد على سيادتكم أمثال هذه الأيام المباركة بالخير والبركات، وأن ينعم عليكم بموفور الصحة والعافية، كما أدعوه سبحانه وتعالى أن ينعم على مصرنا الحبيبة وعلى الأمة العربية والإسلامية بمزيد من الخير والأمن والسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

شيخ الأزهر الشريف
أ.د. محمد سيد طنطاوي

كما أرسل فضيلته ببرقية تهنئة مماثلة للسيد الأستاذ الدكتور أحمد نظيف -رئيس مجلس الوزراء

الإمام الأكبر يستقبل رئيس برلمان سنغافورة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي – شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الثلاثاء الموافق ١٦/١٢/٢٠٠٨م معالي السيد عبد الله ترمجي – رئيس برلمان سنغافورة والسيدة حرمه يرافقهما وفد من أعضاء برلمان سنغافورة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف في مصر والأزهر الشريف، مبينا عمق العلاقات والروابط بين البلدين، وأن الأزهر يستقبل أبناء سنغافورة للدراسة به حيث إن عدد الدارسين يقرب ٢٦٦ طالبا وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة منهم (١٥٥) طالبة.

كما قدم فضيلته شرحاً مبسطاً عن مراحل التعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، مؤكداً على أن الدراسة بالأزهر تقوم على أصول:

أولاً: أن الناس جميعا إخوة في الإنسانية وكلهم من أب واحد وأم واحدة.

ثانياً: أن لكل إنسان عقيدته، وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون.

ثالثاً: نحن لا نؤمن بتصادم الحضارات وإنما نؤمن بأن الحضارات عند العقلاء تتحاور وتتقارب وتتعاون وهذه الحضارات يجب أن ينتفع بها الجميع، وبهذا يسود العالم السلام والأمن والرخاء والاطمئنان. رابعاً: أن الذي يحاسب على العقائد هو الله. فنحن في مصر نقرر أن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى في الحقوق والواجبات.

كما أبدى فضيلة الإمام الأكبر إعجابه بالمجتمع السنغافوري وذلك أثناء زيارته الأخيرة لسنغافورة، واصفاً إياه بأنه مجتمع منفتح لا تستطيع أن تفرق بين مسلم وغير مسلم، وإنما تشعر بأن الجميع في سنغافورة التي يعيشون فيها إخوة في الإنسانية، كما دعا فضيلة الإمام الأكبر لدولة سنغافورة بدوام التقدم والرقي.

ومن جانبه أعرب السيد رئيس برلمان سنغافورة عن بالغ سعادته بهذا اللقاء وحسن حفاوة الاستقبال له وللوفد المرافق، موضحاً أن ما يقدمه الأزهر لأبناء سنغافورة له الأثر الطيب لدى شعب وحكومة سنغافورة. كما أن هذه الزيارة تأتي في إطار توسيع وتوطيد العلاقات بين سنغافورة والأزهر الشريف. وأنه يتفق تماماً مع آراء فضيلة الإمام الأكبر ويؤيده في كل ما قاله.

وفي نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر مصحف الأزهر الشريف هدية للضيف.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام – وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ علي عبد الباقي – الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

sacrifice, for people who have strong belief, not for people that did not meet the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) except thrice and did recite except some verses of the Noble Qur'an. It is really a kind of miracle.

Regarding the cave, undoubtedly the members of Quraysh were keen on killing the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to prevent the danger of gathering the people around him outside Mecca, and returning back to conquer them. When they knew that he immigrated with his companion, they followed them till they reached Thawr cave.

Is it reasonable that they reach the cave without finding them? It was said that they were afraid to enter the cave although it was known for the brave men. If so, how did not they leave a group of people to besiege it? Did they lack the ability to block or to burn it to force the people inside it to surrender? Did they lack the ability to send people to follow them till they can reach them? Also, it is another miracle that is not less than the other one.

Recently, we can look at some events from a broader scope, and these two matters should be dealt with regardless the familiar laws. They should increase our belief as they reveal the Divine protection to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), and should enlighten the minds of those who regard prophecy as a normal matter or social phenomena.

The one who is interested in studying the phenomena around the Prophet, will see that Allah, Glory be to Him, supported the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with many unique miracles that stir science to discover. Undoubtedly, immigration was a sign of religious strife and a glorious trait of the Muslims living in Mecca.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) revealed the graves of the immigration and the advocators, and Allah praised the immigrates and denounced those who lagged behind and were capable of it. Allah says:

{The ones who have believed, and have emigrated, and have striven in the way of Allah with their riches and their selves are more magnificent in degree in the Providence of Allah; and those are they (who are) the triumphant. Their Lord gives them good tidings of mercy from Him and all-blessed Satisfaction, and Gardens wherein they will have perpetual bliss} (surat At-Tawbah, repentance :(20-21)

Allah warned the people who are capable of immigrating and do not emigrate in the following verse:

{Surely the ones whom the Angels take up, (while) they are unjust to themselves- (to them) (the Angels) say, "In what (condition) were you?" They say, "We were deemed weak in the earth." They (the Angels) say, "Was not the earth of Allah wide so that you (could) have emigrated in it?" So, the abode for those (men) in Hell, and what an odious Destiny! Except (the ones) deemed weak among the men and women and newborns (who) are unable (to contrive) a device and are not guided to a way. So far those Allah may be clement towards them, and Allah has been Ever-Clement, Ever-Forgiving.} (surat An-Nisaa) the woman : (97-99)

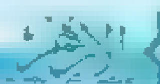
When they were recited in Mecca, a person called Gamda Ibn Dumrah, who was an ill old man, said that he does not have the physical ability to immigrate to Mecca, but he has a good deal of money. He asked the people to let him immigrate on his bed to Medina, and died in Al-Taneim saying, "O Lord! I immigrate only for the sake of Allah and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)".

Some of the Prophet's companions knew about this incident and said that if he had reached Medina, he would have taken the reward. When the disbelievers knew about the incident of this man, they laughed and said that he did not realize his aim. But, Allah sent a verse praising this man, and glorifying his deed. Allah says:

{And whoever emigrates in the way of Allah will find in the earth many reinstatements and an affluence. And whoever goes out of his home an emigrant to Allah and His Messenger, (and) thereafter death overtakes him, then his reward will have already befallen on Allah; and Allah has been Ever-Forgiving, Ever-Merciful}(An-Nisaa(the woman:100)

The immigration ended with the conquest of Mecca, and it was not imposed on the Muslims to immigrate to Medina, as immigration was needed before for a certain intention that was carried out by Allah's help. Allah, Glory be to Him, did not deprive the Muslims of the graces of the immigration, but He gave them the same rewards for strife for the sake of Allah. This is revealed by the saying of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him):

"There is no immigration after the conquest of Mecca, but there is strife for the sake of Allah being supplied with the truthful intention".



When this delegation came back to Yathreb, the two men that belonged to Al-Aws tribe started to invite the people to Islam. Saad Ibn Mu'ath, the master of the tribe, told his cousin Osaid Ibn Khudair, "Wont you go to the two men who stultify the weak people living among us? Then, Osaid went to them saying, "Why do you stultify the weak people living among us? Leave them.

One of them called Mus'ab told him, "O you may sit and listen to me, as I have a certain subject, and you have the choice either to accept or refuse it. Then, Mus'ab recited some verses of the Noble Qur'an, and he became a Muslim. Then, he turned back to Saad saying that the two men are not bad.

Saad became angry and went to Mus'ab, who practiced the same attitude with him, and the whole matter ended with the belief of Saad in Islam. He went to some people belonging to Banu Al-Ashhal, one of the tribes of Al-Aws, telling them, "What do you think about me?" They said, "You are our master and the son of our master." He told them, "I will not speak to you, men or women, till you become Muslims." Then, Islam spread in Medina in that way, and they had no other talk but in Islam.

In the next year, seventy three men and two women came to meet the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), and they agreed to meet in a hidden place not to be noticed by Quraysh. At the meeting time, they went one after another at the meeting place. When all of them reached the meeting place, Al-Abbas started to speak saying, "Muhammad is honored by his family if you will keep your promise to him, he will go with you, and you should endure the consequent obstacles. If not, he will not come with you, as he lives in honor and high esteem with his family.

The leader of the delegation, Al-Baraa Ibn Baarur said, "I swear that we are truthful in what we said and promised. Then, the delegation told the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "Take for yourself and Allah what you wish."

Later on Allah the most High ordered His messenger to immigrate to Al-Madina .

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his companion Abu Baker stayed in the cave for three nights. There was a son called Abdullah used to stay with them, as he used to attend the meetings of Quraysh in the morning and to inform the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Abu Bakr with the events occurring there and the intentions of Quraysh towards them. Moreover, he brought food and water to them.

When they felt safe, they rode their horses heading for Medina till they reached it safely. Islam established a nation and an army there. The readers know the consequent events.

We should take a glimpse at the effects of the Divine protection throughout these events. If the signs mean the miracles taking place and can not be accounted for by the familiar laws, this meaning can be applied to the prophetic immigration. It can not be explained by the familiar laws and the logical bases.

It contradicts with the Arab traditions that all of the tribes refuse to believe in Islam except two tribes, which were neither the most intelligent ones among the Arab tribes, nor the richest ones and the largest in number, although they promised to protect the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the huge causalities in money and souls.

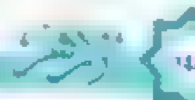
It is not reasonable that they would accept him, if he promised them of dominancy over the Arab countries or of conquering the neighboring nations to seize their money and graces because this kind of dominancy was not reasonable at the Arab countries. The Arab tribes were continuously moving from one place to another, if they feared a certain thing in the place where they lived without being concerned about agriculture or dwellings.

When Ma'reb Dam was destroyed and Al-Arem flood occurred in Yemen, the tribes immigrated to various places to the extent that some of them reached the North of the Arab countries including Banu Ghassan who stayed at the boundaries of Syria and were dominated by the Romans, while other tribes immigrated to other places.

Also, promise of conquering the neighboring nations to the Arab countries was not reasonable because the Arab tribes, which were more honorable than the other countries, was dominated by the other neighboring countries in the north, east and west. How the Al-Aws and Al-Khazraj to surpass all of the boundaries and invade the Persians and the Romans? It was stated in the contract between the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Al-Awas and Al-Khazraj that they will be destined to paradise.

We should ask ourselves, is it reasonable that two Arab tribes that knew nothing about any Divine religion accept this metaphysical reward, if they devote themselves to spread the new religion, claimed by a person that can not live among his family?

I can not deny that paradise is a great reward to the most sublime types of



The new year of Hegira

By: the great thinker Mohammad Farid Wajdy

The beginning of a new year of hegira stirs in our souls honorable memories of great events, not only in the Islamic nation, but in the whole humanity. In the past, the people believed that Allah sends Messengers to the people being advocated by miracles and supernatural events.

As science and technology progress, the people start to justify these events in a physical way depending on sociological laws and logics, although this method may be incapable of accounting for some events. Consequently, they devaluated these events and the nations which appreciate them, moreover, they denied these historical events to force them to accept the justifications of the physical science. This scientific trend was based on firm origin: everything in the world follows a set of limited laws that do not differ and can justify everything including the physical phenomena and the social events.

The Islamic researchers follow this scientific method, as they were confident that the Islamic matters are not difficult to be dealt with in this respect. However, science recently doubts the absolute dominance of laws, and believes in a sublime power controlling it. The British Professor, William Kroks, the head of the British complex of sciences said in a speech in the complex:

"Most of the people who study physics can not neglect a great part of their scientific capital, as they regard it as illusory."

"Whenever we test closely some of the normal results of the physical phenomena, we realize that these results or laws are confined in the circle of other laws that we do not know."

"We can discover all of the natural laws of motion, but we can not be closer to our recent stance towards the solution of the most important matter: which type of will and thinking can be at the back of the material movements forcing them to follow a certain way? Which duplicity of will and thinking can lead the automatic motion of the material out of our physical laws forming the material world in which we live?"

Then he said:

"Let me conclude out of this understanding that it is impossible to imagine in advance the secrets of this universe." (See the speeches of Professor. William Kroks)

Philosopher Edward Leroy said, as the great athlete, Henri Poincare in his book (The Value of Science):

"Science is formed by the humbleness of the scientists regarding its origins. Thus, it appears stable and firm as usual, the physical laws are invented by the scientists as science can not reveal its absolute reality. The only thing in which science can serve us is using it as a basis for work."

In this way, the reader can realize that science starts to renounce the physical approach that it followed throughout three centuries. It realizes at the back of the events a great ability that determines the limits for every creature.

It is the time in which the researcher in the religions in general and in Islam in particular can refer to the supernatural events, which can be justified by the normal laws. As speak now about the immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) at the beginning of a new year of hegira, we wish to exploit this scientific situation to discuss Allah's protection for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in his immigration.

It is really known that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) called for Allah secretly and overtly for thirteen years, and the number of those who believed him was scarce. Thus, his followers were forced to immigrate to Habashah twice because of the tyranny of Quraysh. The disbelievers boycotted the rest of them forcing them to dell in the mountain till they suffered from besiege and boycotting. When the disbelievers realized that this attitude was in vain, they returned to deal with them.

When the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was despaired of the disbelievers, he started to invite the tribes to Islam asking them to protect the Da'wah; some of these people replied kindly, while others mocked him. When he invited the inhabitants of Taif to Isalm, they threw stones at him.

He met some of the inhabitants of Yathreb and invited them to Islam, but they welcomed his invitation and believed in his creed and promised to inform their tribe with the Islamic Da'wad and fixed an appointment in the next season.

When the season of hajj came, twelve men of Yathreeb came to meet the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) at Al-Aqabah and announced their belief in Islam. These men included ten men from Al-Aws tribe and two men from Al-Khazraj tribe, the tribes that the inhabitants of Yathreb consist of.

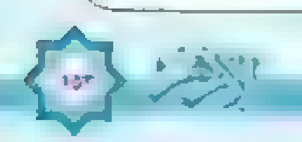
In this way, Quraysh was concerned with the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and tended to hurt him and his followers. It threatened the people not to let Muhammad escape, as it felt that he would overcome them. Then, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered his followers to previously immigrate to Medina, and they came out secretly. Some of them immigrated to Habashah and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) stayed in Mecca waiting for Allah's order to come out.

When Quraysh was afraid that the matter becomes severe, it decided to make a final decision. They met in Dar An-Nadwah, which is the house of Qasy Ibn Ka'ab where its members gather to reach a final decision. Some of them said that they are afraid of Muhammad, and that they should reach a decision concerning him, other people say that they should imprison him in iron and close the door after him. One of these people said that if they imprison him, his matter will be known to his followers and companions and will come to safe him.

Other people said that they should banish him out of their country, and then every thing will be settled. The first speaker said that Muhammad is a good speaker and has a great ability to persuade. He may gather the people among whom he will live till they attack you and he will gain what he wants. Abu Jahl said that they take a guy out of every tribe to kill him by their swords once at a time. Thus, most of the tribes will be accused of killing him, and the people of Abd Manf can not beat them all and they will accept the blood money as a compensation . They were satisfied with this decision.

Thus, we can see how they wanted to hurt him, while he wanted them to live happily. Moreover, they regarded themselves as the masters of the Arabs, who honor them as they are the protectors of the Kaaba where they perform the rituals of Hajj. They call themselves the enthusiastic, as they are so enthusiastic regarding their religion. Absolutely, the most severe enmity is the enmity of one towards himself.

Allah inspired His Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) with their intention and ordered him to immigrate to Medina. He came out of Mecca at the night, in which they intended to carry out their malicious intention. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered Ali Ibn Abi Taleb to wear his clothes and to sleep in his place, but he



will not be hurt by these people.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) came out of his house, while Allah made them blind not to see him and [illegible] over their heads to humiliate them. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was reciting Yasin Surah till "We made them blind to the extent that they could not see." In the morning, they found Ali sleeping at the bed of the prophet Muhammad.

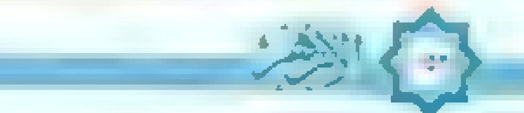
Then, they realized their failure in getting Muhammad. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) who went to Abu Bakr's house, who was rich and wished to accompany the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in his immigration. Then, he told Abu Bakr that Allah willed that he would accompany him on his way to Medina.

They came out secretly to a cave in Thawr Mountain at the bottom of Mecca, where they stayed for three nights. Quraysh was concerned about this matter, and made a reward valued a hundred of camels to the one who finds them, but Allah does not enable the people to find them. When the people calmed down, Abdullah Ibn Uraiqet came with two camels, on which they ride to reach Medina. Someone called Saraqah Ibn Malek heard about their march and hurried to reach them to win the hundred camels.

When he approached them, he slipped out of his horse [illegible] as the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) [illegible] to Allah. Then he asked for their help and promised them to help them if they wished, and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) [illegible] Allah for him. He told them that he did not want to hurt them, but he wished that they [illegible] for him. When Abu Bakr asked for the Prophet's permission for [illegible] Saraqah's wish, the Prophet agreed. He kept this message till the conquest of Mecca, and presented this message to the Prophet and declared his belief in Islam.

When the inhabitants of Medina heard about the immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to them, they were extremely happy and eager to see him to the extent that they used to come out every day to wait for him till the weather became extremely hot and they returned back again.

At the day when the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) came, the person who saw them cried saying that the great [illegible] you are waiting for, came, and they welcomed him in a great joy, and the girls were singing



When they regarded him their judge, they sheathe their swords and settle their problems of placing the Black Stone . He was known for truthfulness and honesty, thus the rich and prestigious people liked to be related to him by marriage. He continued to be loved and honored among the whole people till he was selected by Allah for His Message to guide the whole people.

Allah assigned him to believe in Allah and to be guided to the right path. The light of the Message surprised the eyes of the people who were accustomed to darkness. Thus, they started to oppose and to attack him, while he used to treat them kindly. When they hurt him extremely, he used to say (O Lord! Please guide my people , as they do not know).

When they could not hurt him the way they want, they tended to hurt his followers extremely by beating, hunger and thirst. Sometimes they oppress some of the Muslims to lie on their back at the noon in the hot weather or to put a great rock on their chests, moreover, they used to tell them either to stay in this condition or to disbelieve Muhammad.

If the person belongs to a high-level family and they can not either beat or torture him, they tended to blame and threaten him of the recession of his trade and the loss of his money. In spite of these circumstances, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) treated him kindly, tried to convince them by evidence and to guide them to the right path.

They practiced towards him all kinds of hurt and torture till they compelled the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to come out in the season of Hajj to inform the tribes that he is Allah's Messenger and he invited them to Islam. Also, he asked them to protect him from the disbelievers , some of them excused in a good way, others excused in a bad way, other people stipulated that they control him afterwards, but the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) told them, Allah is the one Who controlled us all.

The situation continued in that way till Allah willed the emersion of Islam. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) came out at the season of Hajj and met some people from Al-Aws tribe, whom he invited to Islam and he recited some verses of the Noble Qur'an, causing them to be guided. They heard from the People of the Book about him. They told each other that he is the one that the Jews told you about, thus do not let them precede you to him.

They told him that they left their people, among whom hostility spreads; and that they consider him better than anyone else. When they came back home, they told their people about that event causing Islam to spread in Medina. In the next year, twelve men from Medina came to the Prophet and promised him to believe in Allah only and not to steal, to commit adultery, to kill their children, to slander or to disobey him. This event was called the first pledge of allegiance. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) sent with them to Medina Mus'ab Ibn 'Umair to be their Imam, to recite to them the verses of Qur'an and to teach them the rituals and instructions of Islam.

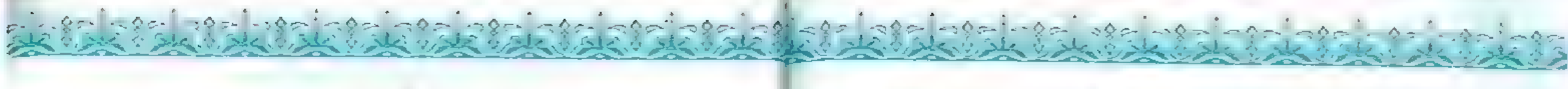
In the next year, many people came to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and promised to come to him secretly at night and in the middle of the days following Hajj season. Seventy three man and two women gathered to meet the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his uncle, Al-Abbas Ibn Abd Al-Muttaleb before his belief in Islam. He came to attend this session with his nephew and was the first speaker.

He told them, "Muhammad is honored among his people and he wants to follow you. If you will keep your promise to him, he will go out with you and you will endure the consequences; but if you will disappoint him, you can leave him now." They said, "We heard what you said, then they turned to Allah's Messenger and said you can take for yourself and Allah what you want." He recited to them some verses of Qur'an, invited them to Allah and Islam and told them that he pledged them alliance to protect him the way they do with their women and children, and they accepted. This was the second pledge of alliance.

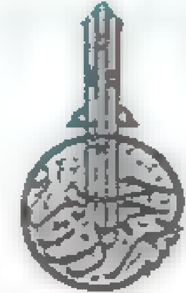
This event spread out among Quraysh, who visited the inhabitants of Medina saying, "We knew that you came to Muhammad to let him come out and to agree with him to launch war against us, and we do not like to launch war with you because of him." Some people who did not attend the pledge of Alliance swore to them that this event did not happen.

One of them said, "This is a serious matter which our people can not commit and we do not know this matter."

The people checked the event and found it right, they went after them. They found two persons, out of whom one fled and they caught the other one: Said Ibn Ebadah. They took him to Mecca hitting him, till he sought the help of two men: Jubair Ibn Mut'am Ibn Adey and Al-Harith Ibn Harb Ibn Umaiah, whom he helped with regard to their trade. When he called them, they saved him and he went back to Medina.



AL-AZHAR MAGAZINE
Al-Muhrram,1430



ENGLISH SECTION
Jan , 2009

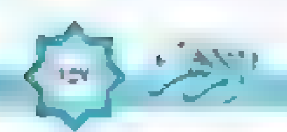
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

(الأعراف/٤٣)

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."

(Al- A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



The Immigration of the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By : Dr Ibrahim Al-Assil

The crescent of Moharram and the beginning of the new year of Hegira remind us of a great event impressively affected the humanity: the immigration of the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Mecca to Medina. As a result of this event, the holy religion was revealed after a period of latency in Mecca spreading its light in the whole world.

It enlightened the whole humanity, and some people became Muslims, while others did not, but were also affected by the principle of justice that this religion spread among people and the behavior that organized the relationships among them. It is worth mentioning that the principles of Islam were applied even in the countries that did not believe in it as a religion.

The crescent of Moharram and the beginning of the new year of Hegira remind us of the great event that is honored by the faithful and affected the whole world. The religion came to light and the Da'wah occupied the rank it deserves letting the one who wants to be guided to live in peace after being liable to torment and torture in his life.

The crescent of Moharram and the beginning of the new year of Hegira remind us of this great lesson and the sublime principle that should be got by every one supporting Islam and caring for reformation. He should be aware that he will encounter opposition and stubbornness, moreover, right and wrong struggle till right wins when it is really supported. Advocating right, whatever the circumstances are, leads to its victory.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was brought up in Mecca among people characterized by fanaticism. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was known, since his childhood, for the best attributes such as good manners and infallibility.

He continued in the same attitude till he was called the truthful and the honest, to the extent that his peoples regarded him as their judge in spite of his young age. their pride (as their life is based on peace and dignity (they used to kill people for the sake of dignity).

فهرس العدد

- من مراعي المجتمع
  للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ٥
- تفسير سورة النساء
  لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ... ٧
- الإسلام والمسلمون
  لفضيلة الشيخ رجب عبد التواب ١٣
- مواقف إسلامية: إنما الأنس بالإيمان
  للأستاذ الدكتور محمود عمارة ١٨
- الحوار في القرآن والسنة
  للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ٢٢
- فاستقم كما أمرت ومن تاب معك
  لفضيلة الشيخ فوزي الزفزاف ٢٧
- الصدقة في ميزان الإسلام
  لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي ٣٢
- قيمة المال في الإسلام
  لفضيلة الشيخ عمر الديب ٣٦
- القرآن والعلم الحديث:
  ظواهر كونية تحدث عنها القرآن الكريم
  لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطه ٤٠
- أحداث ومواقف بعد الهجرة إلى المدينة
  لفضيلة الشيخ المتولي الحامدي ٤٧
- الرافعي والتفسير الحضاري
  للأستاذ الدكتور / عمر عبد الله يونس ٥٠
- خطبة الجمعة: في ذكرى الهجرة
  للأستاذ الدكتور [illegible]
- زواج المعاقين في المنظور الإسلامي
  للأستاذ الدكتور محمد [illegible]
- قصة العدد: أمير الشعر الأول
  للأستاذ الدكتور / محمد فريد أبو حديد
- قصيدة العدد: عمر بن الخطاب [illegible]
  للأستاذ جرجي [illegible]
- صفحات مشرقة من حياة عمر بن عبد العزيز
  للأستاذ عادل خفاجة ٧٨
- طور العولمة.. ومفهومها
  للأستاذ الدكتور / محمد عمارة ٨٦
- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟!
  للأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج ٩٢
- حاجة البشرية إلى الإسلام
  للدكتور حمدي صبح ولي ٩٦
- كتاب الشهر: الإسلام في الألفية الثالثة
  عرض وتحليل ونقد أ.د. إبراهيم عوضين ١٠٠
- بين الصحف والمجلات
  للأستاذين محمد حمدي، علاء عبد الرحمن ١٠٦
- طرائف.. ومواقف
  للشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١١٢
- قراءة في بحوث مؤتمر طنطا الدولي:
  الإسلام بصفة عامة
  للأستاذ عاطف مصطفى ١١٥
- التجديد في مواجهة الأزمة المالية العالمية
  للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ١٢٢
- بين المجلة والقارئ
  للأستاذ حمدي علي [illegible] ١٢٩
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
  للأستاذين [illegible] ١٣٦
- أنباء العالم الإسلامي
  للأستاذين محمود [illegible] ١٣٨
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
  لفضيلة الشيخ عبد [illegible] فرج ١٤٤
- القسم الإنجليزي
  إشراف وإعداد د. إبراهيم [illegible] ١٤٦

استبانة

تحقيقاً للتواصل الفكرى تقوم مجلة الأزهر بنشر استمارة استبانة لاستطلاع رأى القراء فى المادة المنشورة بالمجلة والشكل الفنى لها للتعرف على آرائهم.

وفى هذا العدد تستمر المجلة على نهجها على أمل أن تتلقى خطابات قرائها تحمل الأفكار المتنوعة التى تساعد على التطوير. وستسعى إدارة المجلة جاهدة لتلبية ما تتضمنه هذه المقترحات إن شاء الله.

«مجلة الأزهر»

محل الإقامة:

١ - داخل جمهورية مصر العربية (اذكر المحافظة)

٢ - خارج جمهورية مصر العربية (اذكر البلد)

ما هى طريقة حصولك على مجلة الأزهر؟

- اشتراك
- من البائع

هل تحرص على اقتناء مجلة الأزهر بصفة مستمرة؟

① نعم ② لا ③ إلى حد ما

هل تجد صعوبة فى الحصول على المجلة؟

① نعم ② لا ③ إلى حد ما

هل تصل إليك المجلة فى وقت مناسب؟

① نعم ② لا ③ إلى حد ما

ما أكثر المجلات الإسلامية التى تحظى باهتمامك؟ مع ذكر الأسباب

① مجلة الأزهر ② منبر الإسلام ③ التوحيد ④ أخرى

- ما رأيك في طباعة المجلة؟

① جيدة ② مقبولة ③ رديئة

- ما رأيك في غلاف المجلة؟

① مناسب ② غير مناسب ③ إلى حد ما

- ما رأيك في عدد المقالات التي تنشر داخل المجلة؟

① كافٍ ② غير كافٍ ③ إلى حد ما

- ما رأيك في حجم الخط المستخدم في المجلة؟

① جيد ② مقبول ③ رديء

- ما رأيك في استخدام الألوان داخل المجلة؟

① جيد ② مقبول ③ رديء

- ما رأيك في استخدام الصور (شخصية - أحداث) داخل المجلة؟

① جيد ② مقبول ③ رديء

- هل قمت بالاشتراك في مسابقة الشباب؟ مع ذكر السبب

① نعم ② لا

- هل ترى أن المساحة المخصصة للقراء:

① كافية ② غير كافية ③ إلى حد ما

- ما رأيك في ملحق المجلة (الهدية)؟

① جيد ② مقبول ③ رديء ④ لا أدرى

- ما أكثر المقالات التي حظيت باهتمامك هذا العدد؟

- ما أكثر الملاحق التي حظيت باهتمامك؟

- من الكاتب المفضل الذي يحظى باهتمامك داخل المجلة؟

هدية العدد:
محنة اللغة العربية

الأزهر

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ
النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ

ملف خاص عن مذبحة غزة

السنة (٨٢)

AL AZHAR
MAGAZINE

الثمن
١٥٠ قرشا

مطابع

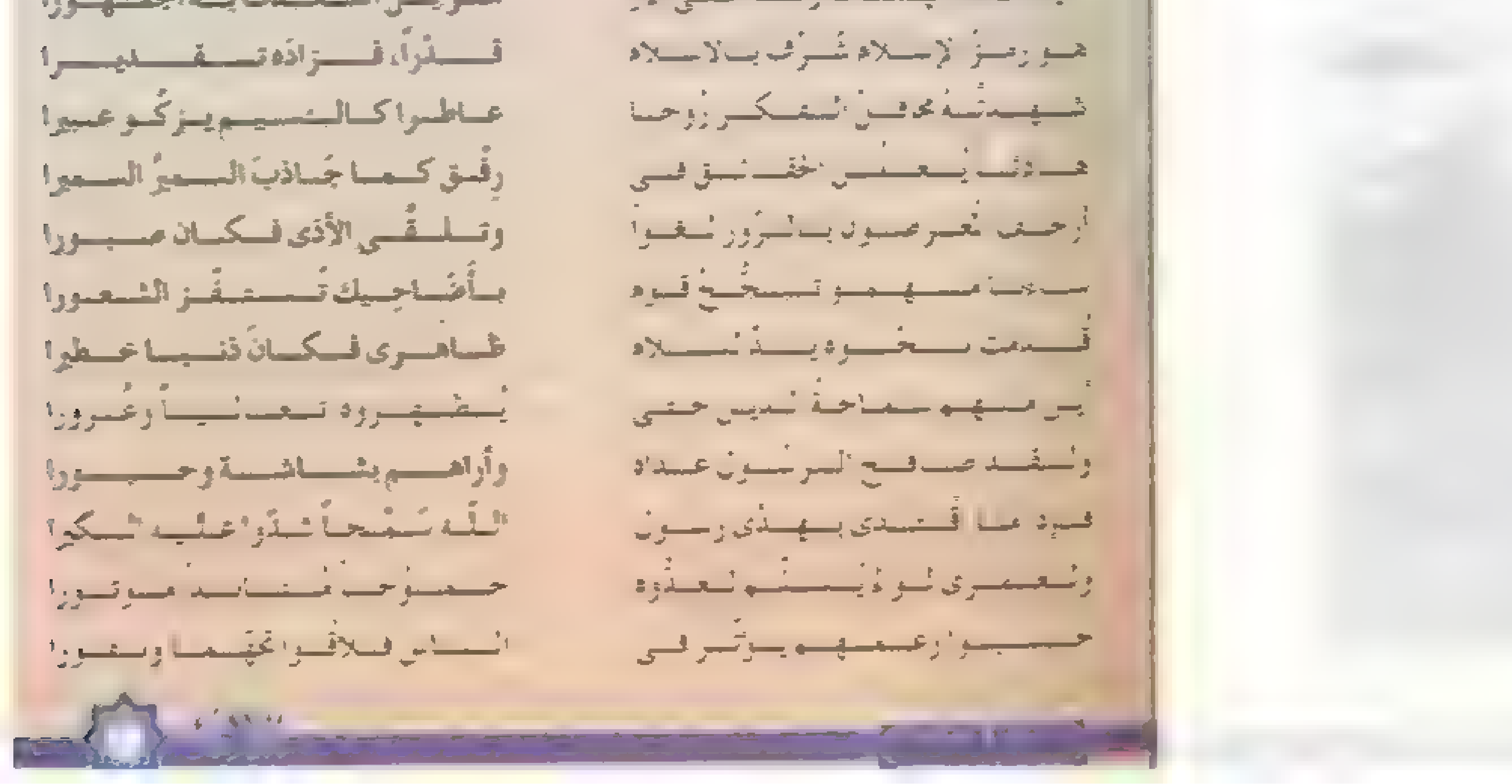


تحية الإمام الأكبر

فى افتتاح الجلسة المجمعية بتاريخ ٢٠٠٩/١/١م

ألقى فضيلة الدكتور محمد رجب البيومى عضو المجمع

قصيدة فى تهنئة الإمام الأكبر بالشفاء وهذا نصها:



لا يُريح الحقودَ غلٌّ تلظّى ... في حناياه فاستحال سعيرا

حسدوه وقد رأوه صباحاً ... وضّاءً يُبدي كفاحاً مريرا

ويثيرُ الإعجابَ أنّى تولّى ... وينالُ الثناءَ والتقديرا

ثم شاء الإله أن يمرض الشيخ ... فهاجَ البلاءُ جمّاً غفيرا

ذُعرتْ أنفسٌ وسالت دموعٌ ... عن هوًى صادق يُلبّي الضميرا

وتعالتْ إلى السماء أكفٌّ ... تسألُ الله عونه المشكورا

إنّه الحب خالصاً في نفوسٍ ... عَرفت للإمام فضلاً كبيرا

بُهت المرجفون مما رأوه ... من ولاء بدا فصيحاً جهيرا

محنةٌ أسفرت عن الخير وضاحاً ... وأعطت للناس درساً خطيرا

حَسدوه وقد رأوه خطيباً ... يُرسلُ القولَ لؤلؤاً منثورا

ساعياً في مجمع الفصل يلقى ... الناس فيها مبشراً ونذيرا

فيبدو في مسجد النور يقوى ... في نفوس جناحها المكسورا

وهو في محفل الهيئة يَزيد الحفل ... أنساً فيستفيض حبورا

تُشرِق الصحفُ في الصباح فيتلو ... الناسُ فيضاً من علمه منثورا

لا يَملّ الإبداع مهما تقاضاه ... فيهمي الإبداع فيضاً غزيرا

كُتبٌ تَبلغ المئات عدّاً ... وبأجزائها تزيد كثيرا

أحرزت ... ... تجد البحث ضيقاً محصورا

من يرد لا ... ... فكفاه أن يقرأ التفسيرا

فإن يكن ... ... فيباهي به ... فخورا

لا تسل ... ... من إمام الهدى فتغدو حسيرا

كشرح ... ... كل سطر علامة تحريرا

أيها ... ... دعوات الأعضاء حب ...

تعتلي ... تسأل مولاها ... لكَ العمر والثوابَ الوفيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٣٨٥٩٩



درس مستقل للأخلاق بالمعاهد والمدارس

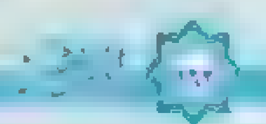
محمد رجب البيومي

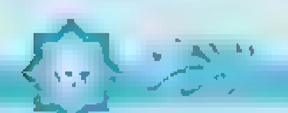
حين ننظر إلى دروس المعاهد والمدارس في الجيل الماضي، نجد أن درس الأخلاق بها كان يستقل بوقت معين، له أساتذته وكتبه. فكتاب الأخلاق للأستاذ أحمد أمين كان مقررا على التلاميذ بالمدارس في العشرينيات ومنتصف الثلاثينيات. وكتاب الدروس الأخلاقية للشيخ عبد المجيد اللبان كان مقررا على طلاب المعاهد الدينية كذلك. هذا إلى كتب أخرى مثل علاج النفس لمحمد المويلحي، والشخصية للأستاذ محمد عطية الإبراشي. مع ملاحظة أن كتاب «أدب الدنيا والدين للماوردي» ظل كتابا للقراءة بالمدارس على مدى عشرين عاما. ومعنى هذا كله أن الاهتمام بتدريس الأخلاق الإسلامية كان ذا أثر ملموس في توجيه السلوك لدى الطلاب. ثم رئي أن يكون درس الدين بديلا عن درس الأخلاق لأن بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المختارة للطلاب، في رأي جماعة من التربويين كافية في هذا المجال عن كل درس مستقل للأخلاق. وقد اتضح أن هذه المختارات الميسرة لا تقوم وحدها بتنمية الخلقية لدى التلميذ؛ لأنها تضيع في محيط مقرر العام من تشريع وسيرة وتاريخ، وكل ذلك في كتاب محدود الصفحات!

ولا ينكر أن التربية الخلقية تعتمد أولا على السلوك العام في المحيط المدرسي، بمعنى أن تكون القدوة الخلقية واضحة في النظام التعليمي. فالمدرس قدوة في أداء واجبه، والتزامه بالفروض الدينية والأخلاق القرآنية، وأوجه النشاط المدرسي كلها تدور في محيط ديني، يأمر بالفضائل وينهى عن الرذائل، والاجتماعات العامة في الرحلات والمعسكرات والأسر المدرسية محاطة بسياج من الخلق الرفيع، مع اشتهار كل مدرسة بترشيح الفضائل الإسلامية في النفوس. وواقع المدرسة اليوم لا يسمح بالوفاء بنشاط تربوي على الوجه الصحيح، إذ حل شعور عام على القائمين بإدارة المدارس بحمل كراهة لحصص الشعائر الدينية. فالنشاط المدرسي صار مهجورا إذ تحول إلى شيء آخر غير الصلاة. والطالب الملتحق في معظم الأحيان لا يسأل عن ممارسة التدخين، وشعوره بالتدريس، حتى صار الوضع المستنكر طبيعيا لا تثريب فيه. ومن هنا نجد كثيرا من الطلاب في مهاو سحيقة يحاول بعض الكتاب أن يقللوا من أخطارها بحجة أنها ليست عادة شائعة، بل تقتصر على أفراد من الأثرياء. وقد نسي هؤلاء أن معظم النار من مستصغر الشرر. وإن العودة إلى الانضباط الخلقي أمر لا مفر منه إذا أردنا أن نسير في الاتجاه الصحيح.

إذا عرفنا ذلك كله، وعملنا على تلافي ما نلاحظه من نقص خلقي في المحيط المدرسي العام، فإن في مقدمة الحلول أن تعود من جديد دروس الأخلاق المستقلة في جميع مراحل المدرسة من ابتدائية وإعدادية وثانوية، فنحاول أن نرسم صورة قريبة للمنهج الدراسي المنشود بهذه المراحل الثلاث، وهي محاولة تقدم بعض الاقتراحات فحسب، إذ لابد من لجان متخصصة تضع البرامج الدقيقة في ضوء ما يتمتع به أعضاؤها من كفاية علمية، وتجربة تربوية، وإخلاص له قيمته البالغة في واحد من الموضوعات. وفي مصر بحمد الله من يقومون بهذه المهمة على أكمل ما نرجو من نجاح وتوفيق.

فالمرحلة الابتدائية هي مرحلة التكوين الأول للطفل، فيجب أن يكون التوجيه الديني بها قائما على حسن وجوهه. ودروس الأخلاق في سنوات هذه المرحلة تأتي عن طريق القصص التهذيبية التي تحث على الخير وتنهى عن الشر. وفي التراث الإسلامي ذخائر وافية تصلح أن تصاغ صياغة قصصية مبسطة هادفة إلى تدريس سير الأنبياء في مشاهد مسلسلة واضحة، بحيث لا يخلو موقف من المواقف من دلالة خلقية توحي بالصبر أو الشجاعة أو الوفاء أو الأمانة أو الإيثار. وإذا كان تلميذ المدرسة الابتدائية يميل إلى القصة فيتابع أدوارها في شوق، فإن قصص الأنبياء والمرسلين وقادة الإسلام في شتى عصوره خير ما نرى أن يدرس في هذا المجال. وقد رأيت بعض ما يذاع في برامج الأطفال من قصص تمثيلية، فلاحظت أن أكثرها يدور على الغرائب المدهشة والمحدثات التقنية كما تضم من مظاهر العنف ما يعطي الطابع لدى المشاهد الصغير بتأييد هذا السلوك. ولا أنكر أن في هذه القصص ما يسمو بالخيال، ويدعو إلى التفكير.





ولكن دروس الأخلاق في هذه المرحلة يجب أن يكون غنى عن هذه النقطة خاصة. وفي القصص الإسلامية التي حفل بها القرآن الكريم والحديث وكتب الطبقات والتراجم الخصبة ما يغني كل الغنى التلميذ. لأن أبطال القصص حقيقيون يتأثرهم التلاميذ إذ يقرأ أدوارهم على مسرح الحياة، ما قصص الأطفال المعدة والقصص المترجمة المنقطعة الواقع. وفي مواقفهم من الدلائل الخصبة ما يحمل **التلميذ إلى السلوك الأمثل، ويرتفع به إلى مستوى حميد.**

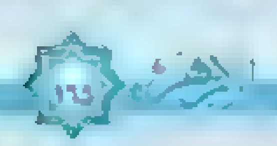
وفي المرحلة الإعدادية يقبل كتاب هذه المرحلة ذات وجهتين: وجهة نظرية تتحدث عن عناصر الأخلاق في أسلوب سهل ميسر، بحيث تحوي فصولاً عن الوفاء والصدق والصبر والأمانة والعفة والشرف والإخلاص وحب الوطن، والمحسنة إلى الحيوان، ويعمل هذه العناصر مستوعبة [illegible] للتوضيح الغيرة من بيت الكتاب والسنة وحوادث التاريخ. ووجهة إسلامية مرحبة لتشمل جميع أفكار الموضوع ثم الوجهة العملية التوجيه المرحلي للتحقيق [illegible] في كل مجال من مجالات الإصلاح. قديم وحديث. والمصدر الأول من عصور الإسلام حيث النماذج الرائعة التي يحقق [illegible] ويسعى إلى [illegible] في قراءات [illegible] ومع هؤلاء [illegible] الأول يتسع مجال الاختيار للصفوة من علماء الفكر الإسلامي والجهاد الوطني، أو المفكر العلمي، على أن تصور مع الإرشاد إلى المراجع التي يمكن أن يهتدي إليها التلميذ [illegible] مستوى [illegible]

ثم المرحلة الثالثة فمرحلة الفكر المتحرر، وتتطلع أحداث النفس [illegible] مرحلة المراهقة حافلة **بالآمال والأشواق، المحتاجة إلى الاستعلاء وملء النفس بالطموح المبعد عن النزوات.**

وكتب الأخلاق، [illegible] إلى الاستعلاء النفسي والسمو الروحي والفصول [illegible] هي عينها الفصول المتضمنة في المرحلة الإعدادية، ولكن علاج أوفى، وعمق أكمل، واستشهاد محيط. كما يجب الاتساع في بعض [illegible] خاصة المجتمع، وصلتها بالأخلاق الإسلامية فقد كثر الحديث عن [illegible] والأسرة والدين. والعمل والعلم والعقيدة والبيئة، لم يكن [illegible] في مجال التحرير من المناقشة. ويجب أن تكتب فصولا تحذر من الأفلام الخليعة، والإعلانات الساقطة، والمجلات الهابطة، والصحف [illegible] والجرائد ذات الصور الخليعة، ويجب أن [illegible] كما [illegible] من السقوط المدمر. [illegible] التي تنشر بها الصحف حين تذكر وقائع القتل والسرقة وقطع الطريق، وتعرض المخدرات والمحرمة في مستويها [illegible] كتب الأخلاق في المدرسة الثانوية يجب أن يكون [illegible]

توجيه نفسي وتهذيب روحي. ومن الخير أن تكون سرة الثقافة بالمدرسة ذات توجيه ديني تكتب الثقافة بحيث تشيء مكتبة الفصل توجيهات ذوي الإرشاد التربوي، ويقوم المشرف على الأسرة من المدرسين بتكليف المتفوقين من الطلاب تلخيص بعض الفصول. أو إلقاء محاضرة موجزة تتناول ذكرها مرة من فصول الكتاب. ويتاح لزملائه أن يعقبوا على المحاضرة ثم يروون في جو علمي يتيح ما يحتاج إليه التصحيح من التعقيب. وهنا يتم درس الأخلاق في جو بهيجة وعلمية تحتاج إلى نشاط والتدبر. وحتى يجيء الطالب دراسته المنوعة. وقد رعي دروس الأخلاق في السنوات الثلاثة وفي كتب خاصة موضوعها خيري. فستخرج ذات حصة وقيمة تحول دون الانحراف. ولن تحدث هذه من فراغ. لأن المدرسة المصرية في خمسينيات وما قبلها كانت ذات نزوع ديني محمود. وكان نشاط جمعيات الدينية بها يساير نشاط الجمعيات الأخرى. من إن الإقبال على الجمعية الدينية كان من أرحب يجيب يدل على حب خالص للاستزادة الفكرية من ينبوع الثقافة الإسلامية الأصيلة، ولا عشر من العودة إلى تأسيس جمعية دينية بالمدرسة. حيث يحرص المدرسون على إذاعة قريبة تظهر في مسجد المدرسة فيكون بها قدوة لزملائه في الأسر الأخرى. ولا شك أن الطالب الذي ينتمي إلى الجمعية الدينية بالمدرسة حريص على ألا يأتي من الأخطاء ما يجعله موضع ملام، أو مؤاخذة، بل حريص على أن يكون موضع الثقة من زملائه. والثقة بالأستاذ لا تتاح إلا بعد تجربة معه، ترشد إلى معدنه. وليس أسهل على الطالب المهذب من أن يدفعه عن مواقع الشبهات. وهكذا تكون دروس الأخلاق المدرسية أساس المجتمع المصري يعرف طريقه القويم..

هذا كله من ناحية المادة العلمية التي يدرسها الطلاب في المراحل الثلاث. أما مدرس المادة فهو مصدر المادة الحي في تجسيدها. وعليه تتوقف الفائدة المرجوة من المنهج الدراسي. إذ يجب أن يتمثل المدرس كل ما يقرره من الفضائل الإنسانية ليكون النموذج الحي أمام التلاميذ. فهو بسلوكه الشخصي يعطي من الدروس العملية ما تعطيه المادة المقررة. والتلاميذ يرقبونه مراقبة دقيقة فهم يتحسسون إدراكهم الذهني. فهم يعرفون عدله وإنصافه إذا كان يدعوهم على حد سواء، دون أن يفرق بين تلميذ وتلميذ. فيعرفون سلوكه في توجيههم معنى المساواة والحيدة. كما يعرفون إخلاصه إذا رأوه مجدا في عمله، يقبل على التدريس بإخلاص ورغبة، ويبذل جهده في تيسير المادة وتوضيحها. ولا يسمح لنفسه أن يقتطع جزءا من الدرس في لهو لاعب لا يعود على التلاميذ بنفع. إلا إذا قصد بذلك إعطاء العقول فرصة للراحة



والنشاط. كما يجب أن يكون مظهره العام مقبولاً من ناحية الاهتمام بالملبس الطبيعي بعيداً عن الإغراق في الترف أو الانحدار في التبذل. وقد يضطر إلى مواجهة تلميذ على تقصير ما، كانت المواجهة مناسبة للحدث، فلا يسرف في لومه، كيلا يترك تأثيراً سيئاً في نفس الملوم، أما إذا وعد بأمر فلابد من تحقيق ما وعد، والإيفاء به، لأن النكول عن ذلك يهدم كل ما شاد بسوقه في دروس الأخلاق عن الواجب والخلق والوفاء، وسائر ما يدعو إليه من صفات. وله أن يسأل تلميذه عما يشغله، إذا كان كاسف البال محاولاً أن يبعث البهجة في نفسه. وبناء على ذلك كله يجب أن يختار مدرس الأخلاق من صفوة المدرسين؛ لأن رسالته رسالة سلوك وعمل قبل أن تكون رسالة حفظ وتلقين.

إن حرص الأستاذ على حق المواعيد، والالتزام بضوابط السلوك الصحيح هو أكبر درس أخلاقي يقدمه لتلاميذه، وهو بلا شك سيجد التقدير الخاص من طلابه حين يقبلون عليه فرحين، وحين يتحدثون عنه في محيط الندوة متحدثين بمآثره الطيبة، ومزاياه الخلقية، وإذا كان المدرسون أنماطاً مختلفة، فإن أصحاب السلوك الخلقي من هؤلاء سيرتاحون إلى جهودهم المثمرة، حين يجدون براعمهم الناشئة تتفتح عن ثمر بهيج.

أما إدارة المدرسة فعليها أن تراقب السلوك الخلقي للتلاميذ والمدرسين معاً، وأن يعقد مدير المدرسة عدة اجتماعات مع المدرسين ليوجههم إلى أحسن ما يحقق الخير المنتج، ولن تجدي اجتماعاته إلا إذا كان مثلاً حياً لما يريده من السلوك، وهو بتجربته الطويلة في مضمار التربية والتعليم قد اهتدى إلى ما يرتفع بالمستوى التعليمي والخلقي معاً. وقد أنس بعض القصور فيمن يزاولون التدريس فعليه أن يزور فصولهم، وأن يقوم بتوجيههم التربوي في صورة هادئة تنأى عن الاستعلاء وتترصد الأخطاء، وسيلحظ التلاميذ هذا النمط من السلوك الرشيد، فيزدادون حباً للمدرسة ومجتمعها رئيساً ومرؤوسين. وتصبح المدرسة موضع حب خالص للتلميذ، بدل أن تكون سجناً مفروضاً عليه أن يلزمه يومياً عدة ساعات! ولعلي بهذه السطور المتواضعة قد أحسنت الدفاع عن عودة تدريس الأخلاق في مقرر خاص؛ لنحمي الطالب المعاصر مما يهب عليه من أعاصير توشك أن تهوى به في مكان سحيق..

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

(الآيتان: ٢،٣)

والأمر في قوله ﴿وَآتُوا﴾ يتناول كل من له ولاية أو وصاية أو صلة باليتيم، كما يتناول الجماعة الإسلامية بصفة عامة، لكي تتكاتف وتتعاون على تمكين اليتيم من وصول حقه إليه بدون بخس أو مماطلة.

و﴿الْيَتَامَى﴾ جمع يتيم وهو الصغير الذي مات أبوه. مأخوذ من اليتم بمعنى الانفراد. ومنه الدرة اليتيمة.

قال صاحب الكشاف: وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم، وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم، زال عنهم هذا الاسم. وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ يتيم أبي طالب، إما على القياس، وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيراً في حجر عمه. وأما قوله ﷺ «لا يتم بعد الحلم» فهو تعليم شريعة لا لغة.

أي أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار»[١].

والمراد باليتامى هنا الصغار، والمراد بإيتائهم أموالهم حفظها لهم وعدم الطمع في شيء منها لا من قبل الورثة ولا من قبل الأوصياء ولا من قبل غيرهم. وعلى هذا المعنى يكون لفظ الإيتاء قد أول بلازم معناه وهو الحفظ والرعاية لمال اليتامى، لا تسليم المال إليهم لأنه من المعروف شرعا ألا يسلم المال إليهم إلا بعد البلوغ، إذ هم في حال الصغر لا يصلحون للتصرف.

ويكون هذا التعبير من باب الكناية بإطلاق اللازم – وهو الإيتاء، وإرادة الملزوم وهو الحفظ. أو من باب المجاز بالمآل إذ الحفظ يؤول إلى الإيتاء.

ويرى بعضهم أن المراد باليتامى هنا الكبار الذين أونس منهم الرشد وأن المراد بالإيتاء دفع أموالهم إليهم على سبيل الحقيقة. ويكون التعبير عنهم باليتامى – مع أنهم كبار – باعتبار أن اسم اليتيم يتناول لغة كل من فقد أباه، أو باعتبار قرب عهدهم بالصغر، أو باعتبار ما كان، أي الذين كانوا يتامى. قالوا: وفي التعبير عنهم باليتامى مع أنهم كبار، إشارة إلى وجوب المسارعة في تسليم أموالهم إليهم حتى أونس منهم الرشد، حتى لكأن اسم اليتيم ما زال باقيا عليهم غير منفصل عنهم.

ويبدو لنا أن الرأي الأول أولى، لأن الأمر بدفع أموال اليتامى إليهم بعد بلوغهم قد جاء صريحا في قوله – تعالى – بعد ذلك:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء ٦)

فكان حمل الآية التي معنا على أن المراد باليتامى: الصغار، وبإيتاء أموالهم حفظها لهم أولى وأقرب إلى المنطق، لأنه على الرأي الأول يكون الأمر وما يذكر به تأسيسات لأحكام، وعلى الرأي الثاني يكون ما في الآية الثانية مؤكدا لما في الآية التي معنا والتأسيس أولى من التأكيد.

ولأن قوله – تعالى – بعد ذلك في الآية التي معنا:

﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾

– إنما هو تحذير للأوصياء والأولياء من الطمع في مال اليتيم أو إضاعته، ما دام المال في أيديهم واليتيم في حجرهم.

وهذا يؤيد هذا الرأي الأول القائل بأن المراد باليتامى: الصغار، وبإيتاء أموالهم: حفظها ورعايتها حتى تسلم إليهم عند بلوغهم كاملة غير منقوصة.

وقوله ﴿ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ معناه لا تعطوا الرديء للمال لهم بدل الجيد، بأن تأخذوا لأنفسكم كرائم الأموال ونفائسها، وتتركوا لهم الخسيس منها.

قال القرطبي: «وكانوا في الجاهلية لعدم الدين لا يتحرجون عن أموال اليتامى، فكانوا يأخذون الطيب من أموال اليتامى ويبدلونه بالرديء من أموالهم ويقولون: اسم باسم ورأس برأس، فنهاهم الله عن ذلك. وهذا قول سعيد بن المسيب والزهري والسدي والضحاك وهو ظاهر الآية، لا التبديل حقيقة شيء بدل شيء»[٢].

ويرى صاحب الكشاف أن المراد بالخبيث: الحرام وبالطيب الحلال فقد قالوا: ﴿ [illegible] ﴾ أي «ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم

(١) تفسير الكشاف ج١ ص٣٣
(٢) تفسير القرطبي ج٥ ص٩

وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه. أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع عنها»[٣].

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ نهي صريح عن الاعتداء على أموال اليتامى عن طريق خلط أموال اليتامى بأموال الأوصياء، والمراد من الأكل مطلق الانتفاع والتصرف وخص الأكل بالذكر، لأنه معظم ما يقع لأجله التصرف.

والمعنى: ولا تضموا أيها الأوصياء أموال اليتامى إلى أموالكم في الإنفاق فتأكلوها مع أموالكم. وتسووا بينهما في الانتفاع، لأن أموالكم أحل الله لكم أكلها، أما أموال اليتامى فقد حرم الله عليكم أكلها.

والآية الكريمة صريحة في النهي عن خلط مال اليتيم القاصر بمال الوصي عليه بقصد أكله، لأن هذا نوع من أنواع الاستيلاء المحرم على أموال اليتامى، كما أنها تتضمن النهي عن خلط مال اليتيم بمال الوصي عليه ولو لم يقصد أكله، لأن هذا الخلط قد يؤدي إلى ضياعه وعدم تميزه، فقد يموت الوصي فلا يعرف مال اليتيم من ماله، فيؤدي الأمر إلى أكله وإن لم يكن مقصودا، ولذا قال الفقهاء: إذا مات الوصي على اليتيم مجهلاً مال اليتيم اعتبر مستهلكا له.

والخلاصة أن الآية الكريمة تحرم على الأولياء والأوصياء وغيرهم أن يتصرفوا في أموال اليتامى أي تصرف يؤدي إلى الإضرار بها، بل عليهم أن يحفظوها لهم حتى يدفعوها إليهم سالمة عند البلوغ.

هذا، وليس قيد ﴿ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾ محط النهي، بل النهي واقع على أكل أموال اليتامى مطلقا، سواء كان للآكل مال يضم إليه مال اليتيم أم لم يكن.

ولكن لما كان الغالب وجود أموال للأوصياء وأنهم يزيدون من أكل أموال اليتامى التكثر أو توفير أموالهم، جيء بهذا القيد رعاية لهذا الغالب، وليكون ذمهم على جشعهم وضعف دينهم أشد وأشنع حيث أكلوا حقوق اليتامى مع أنهم في غنى عنها بما رزقهم الله من أموال.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: فإن قلت: قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم، فلم ورد النهي عن أكله معها؟ قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال – وهم مع ذلك يطمعون فيها – كان القبح أبلغ والذم أحق، ولأنهم كانوا يفعلون ذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم»[٤].

ثم ختم – سبحانه – الآية بقوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾.

والحوب: اسم مصدر من حاب يحوب حوبا، إذا اكتسب إثما. يقال: فلان يحوب أي يأثم. والحوبة: النفس المرتكبة للإثم. ويقال في الدعاء: اللهم اغفر حوبتي، أي إثمي. وأصله الزجر للإبل، فسمي الإثم حوبا لأنه يزجر عنه وبه.

والضمير في قوله ﴿ إِنَّهُ ﴾ يعود إلى أكل مال اليتيم بأي طريق محرم.

والمعنى: إن أكل مال اليتيم بأي طريقة من الطرق المحرمة كان إثما كبيرا، وذنبا عظيما، لأن هذا الأكل اعتداء على نفس ضعيفة فقدت من يعولها ومن يدافع عنها، ومن اعتدى على نفس ضعيفة، وضيع حقها، وخان الأمانة كان مرتكبا

(٣) تفسير الكشاف ج١ ص٤٦٥
(٤) تفسير الكشاف ج١ ص٤٦٥

لذنب عظيم يؤدي به إلى العقوبة والعذاب الأليم.

والجملة بمنزلة التعليل للنهي عن أكل مال اليتيم، وعن الطمع بدون وجه حق فيها.

ثم شرع - سبحانه - في نهيهم عن منكر آخر كانوا يباشرونه فقال - تعالى -:

وقوله [illegible] شرط، وجوابه قوله - تعالى -:

والمراد من الخوف: العلم، وعبر عنه بذلك للإشعار بكون المعلوم مخوفا محذورا. ويقوم الظن الغالب مقام العلم.

وقوله ﴿ تُقْسِطُوا ﴾ من الإقساط وهو العدل. يقال: أقسط الرجل إذا عدل. قال - تعالى -:

(الحجرات: ٩)

ويقال: قسط الرجل إذا جار وظلم صاحبه. قال - تعالى -:

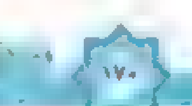
(الجن: ١٥)

والمراد «باليتامى»: يتامى النساء. قال الزمخشري: ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة.

ومعنى ﴿ مَا طَابَ لَكُم ﴾ ما مالت إليه نفوسكم واستطابته من النساء اللاتي أحل الله لكم نكاحهن.

هذا، وللعلماء أقوال في تفسير هذه الآية الكريمة منها: ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة - رضي الله عنها - عن هذه الآية فقالت: يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها.


(٥) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٥٠



فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره.

قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله - تعالى -

(النساء: ١٢٧)

قالت عائشة: وقول الله - تعالى - ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال. قالت: فنهوا عن أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال»[١].

وعلى هذه الرواية التي ساقها أئمة المحدثين عن عائشة في المراد من الآية الكريمة يكون المعنى: وإن علمتم أيها الأولياء على النساء اليتامى أنكم لن تعدلوا فيهن إذا تزوجتموهن - بأن تسيئوا إليهن في العشرة، أو بأن تنقصوا عن إعطائهن الصداق المناسب لهن - إذا علمتم ذلك فانكحوا غيرهن من النساء الحلائل اللاتي تميل إليهن نفوسكم ولا تظلموا هؤلاء اليتامى بنكاحهن دون أن تعطوهن حقوقهن، فإن الله - تعالى - قد وسع عليكم في نكاح غيرهن.

فالمقصود من الآية الكريمة على هذا المعنى: نهي الأولياء عن نكاح النساء اليتامى اللاتي يلونهن عند خوف عدم العدل فيهن، إلا أنه أوثر التعبير عن ذلك بالأمر بنكاح النساء الأجنبيات، كراهة للنهي الصريح عن نكاح اليتيمات، وتلطفا في صرف المخاطبين عن نكاح اليتامى

حتى تعلموا بعدم العدل فيهن.

فكأنه - سبحانه - يقول: إن علمتم أيها الأولياء الجور والظلم في نكاح اليتامى اللاتي في ولايتكم فلا تنكحوهن، وانكحوا غيرهن مما طاب لكم من النساء.

وعلى هذا القول الذي أورده الشيخان عن عائشة - رضي الله عنها - سار كثير من المفسرين في تفسير الآية الكريمة وحصلوه فاقتصر عليه ولم يذكر سواه.

قال بعض العلماء: «وكلامها هذا أحسن تفسير لهذه الآية وهي وإن لم تسنده ما قالته إلى رسول الله ﷺ إلا أن سياق كلامها يؤذن بأنه عن توقيف، ولذلك أخرجه البخاري في باب تفسير سورة النساء بسياق الأحاديث المرفوعة.

على أنها ما قالت ذلك إلا عن معاينة حال النزول لا سيما وقد قالت: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ. وعليه فيكون بجزء لفظ الآية اعتداد بما فهمه الناس مما يعنون من أحوالهم، وتكون قد جمعت إلى جانب حفظ حقوق اليتامى في أموالهم الموروثة، حفظ حقوقهم في الأموال التي يستحقها النساء اليتامى كمهور لهن عند الزواج بهن»[٢].

ثم رأي ثان يرى أصحابه أن الآية مسوقة للنهي عن نكاح ما فوق الأربع خوفا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم.

وقد حكى هذا القول الإمام ابن جرير فقال: «وقال آخرون بل معنى ذلك النهي عن نكاح ما فوق الأربع، حذرا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم، وذلك أن قريشا كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل، فإذا صار معدما مال على مال اليتيمة التي في حجره فأنفقه، أو تزوج به. فنهوا عن ذلك. وقيل لهم: إن أنتم خفتم على

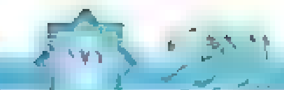
أموال أيتامكم أن تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم إليها لما يلزمكم من مؤن نسائكم - إن خفتم ذلك، فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع. وإن خفتم أيضا من الأربع ألا تعدلوا في أموالهم - أي أموال اليتامى - فاقتصروا على الواحدة أو على ما ملكت أيمانكم»[٣] - أي إن كان زواجكم بالأربع يؤدي إلى الجور في أموال اليتامى فاقتصروا على الزواج بامرأة واحدة -.

وقد انتصر ابن جرير لهذا القول وعده أرجح الأقوال، فقال ما ملخصه: «وإنما قلنا: إن ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الله - تعالى - افتتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حقها، ثم أعلمهم - هنا - المخلص من الجور في أموال اليتامى فقال: انكحوا إن أمنتم الجور في النساء على أنفسكم ما أبحت لكم منهن وحللته: مثنى وثلاث ورباع. فإن خفتم أيضا الجور على أنفسكم في أمر الواحدة فلا تنكحوها، ولكن تسروا من المماليك. فإنكم أحرى ألا تجوروا عليهن، لأنهن أملاككم وأموالكم، ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذي يلزمكم للحرائر. فيكون ذلك أقرب لكم إلى السلامة من الإثم والجور»[٤].

وينسب هذا الرأي إلى ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي، وقتادة، وعكرمة.

وقال مجاهد: «إن الآية الكريمة مسوقة للنهي عن الزنى. وقد حكى هذا الرأي صاحب الكشاف فقال: «كانوا لا يتحرجون من الزنى. ويتحرجون من ولاية اليتامى. فقيل لهم: إن خفتم الجور في حق اليتامى، فخافوا الزنى. فانكحوا ما حل لكم من النساء، ولا تحوموا حول المحرمات»[٥].

(١) تفسير المنير والتنوير جـ ٤ ص ٢٢ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
(٢) تفسير ابن جرير جـ ٤ ص ٢٣٣ طبعة الحلبي سنة ١٣٧٣هـ سنة ١٩٥٤م
(٣) تفسير ابن جرير جـ ٤ ص ٢٣٥ بتصرف وتلخيص.
(٤) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤٦١



هذه أشهر الأقوال في معنى الآية الكريمة. ويبدو لنا أن أرجحها أولها، لأنه هو الظاهر من معنى الآية، ولأن الغالب أن السيدة عائشة - رضي الله عنها - ما فسرت الآية بهذا التفسير الذي قالته لابن أختها عروة إلا عن توقيف ومعاينة حال النزول، ولأن الملازمة بين الشرط والجزاء في الآية على هذا الوجه تكون ظاهرة، إذ التقدير وإن خفتم أيها الأولياء الجور والظلم في نكاح اليتامى اللاتي في ولايتكم فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء.

أما على القول الثاني فمحل الملازمة بين الشرط والجزاء إنما هو فيما تفرع عن الجزاء وهو قوله:

[illegible]

وعلى قول مجاهد تتضح الملازمة بين الشرط والجزاء [illegible]. والأمر في قوله [illegible] على التفسير الأول للإباحة كما في قوله - تعالى -

[illegible]

(الأعراف: ٣١)

خلافا للظاهرية الذين يرون أنه للوجوب و﴿ما﴾ في قوله - تعالى - ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ موصولة أو موصوفة، وما بعدها صلتها أو صفتها. وأوثرت على ﴿مَنْ﴾ لأنها أريد بها الصفة وهو الطيب من النساء بدون تحديد لذات معينة. ولو قال (فانكحوا من طاب لكم) لتبادر إلى الذهن أن المراد نسوة طيبات معروفات بينهم.

وقوله - تعالى - ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ حال من فاعل ﴿طَابَ﴾ المستتر أو من مرجعه - وهو ﴿مَا﴾ - أو بدل منه.

وهذه الكلمات الثلاث من ألفاظ العدد، وتدل كل واحدة منها على المكرر من نوعها. فمثنى تدل على اثنين اثنين وثلاث تدل على ثلاثة ثلاثة. ورباع تدل على أربعة أربعة. والمراد منها هنا: الإذن لكل من يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين.

والمعنى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء معدودات هذا العدد اثنتين اثنتين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا، حسبما تريدون وتستطيعون.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع. فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع؟

قلت: الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له. كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال - وهو ألف درهم -: درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة. ولو أفردت لم يكن له معنى.

فإن قلت: فلم جاء العطف بالواو دون أو؟

قلت: كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك. ولو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، علمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة. وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية، وبعضه على تثليث، وبعضه على تربيع. وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة التي دلت عليه الواو.

وتحريره: أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحهن من النساء على طريق الجمع. إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها، محظورا عليهم ما وراء ذلك[1].

ثم بين - سبحانه - لعباده ما ينبغي عليهم فعله في حال توقعهم عدم العدل بين الزوجات فقال - تعالى -

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

والمعنى: فإن خفتم ألا تعدلوا بين الزوجات المتعددات بل غلب على ظنكم أنكم لا تعدلون بين الأكثر من زوجة واحدة في القسم والنفقة وحقوق الزوجية بحسب طاقتكم، كما علمتم في حق اليتامى أنكم لا تعدلون - إذا علمتم ذلك فالزموا زوجة واحدة، أو أي عدد شئتم من السراري بالغة ما بلغت.

لكنه - سبحانه - قد وسع عليهم بأن أباح لهم الزواج مثنى وثلاث ورباع من النساء، أعلمهم بأنه قد يلزم من هذه التوسعة خوف الميل وعدم العدل. فمن الواجب عليهم حينئذ أن يحترزوا بالتقليل من عدد النساء فيقتصروا على الزوجة الواحدة.

ومفهوم الآية: أن الزيادة على الواحدة لا تؤدي إلى الجور بين الزوجات المتعددات.

وقوله ﴿فَوَاحِدَةً﴾ منصوب بفعل مضمر والتقدير: فالزموا واحدة أو فاختاروا واحدة وذروا الأمر كما يدور مع العدل، فأينما وجدتم العدل فعليكم به.

وقرئ بالرفع أي: فحسبكم واحدة. ﴿أَوْ﴾ للتسوية أي: سوى - سبحانه - في السهولة واليسر بين نكاح الحرة الواحدة وبين التسري من غير تقييد بعدد. ثمة تحديد وخصه مؤتمن، وعنده وجوب القسم فيهن.

وقوله ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ جملة مستأنفة تجري مجرى التعليل لما قبلها.

واسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعود إلى اختيار الواحدة أو التسري وقوله ﴿أَدْنَىٰ﴾ هنا بمعنى أقرب. وهو قرب مجازي أي: أحق وأعون على أن لا تعولوا.

وقوله ﴿تَعُولُوا﴾ مأخوذ من العول وهو في الأصل الميل المحسوس.

يقال: عال الميزان عولا إذا مال. ثم نقل إلى الميل المعنوي وهو الجور والظلم، ومنه عال الحاكم إذا جار. والمراد هنا الميل المحظور المقابل للعدل.

والمعنى: أن ما ذكر من اختيار الزوجة الواحدة والتسري، أقرب بالنسبة إلى ما عداهما إلى العدل وإلى عدم الميل المحظور، لأن من اختار زوجة واحدة فقد انتفى عنه الميل والجور رأسا لانتفاء محله ومن تسرى فقد انتفى عنه خطر الجور والميل. أما من اختار عددا من الحرائر فالميل المحظور متوقع منه لتحقق المحل والخطر.

ولأن التعدد في الزوجات يعرض المكلف غالبا للجور وإن بذل جهده في العدل.

وهذا المعنى على تفسير ﴿تَعُولُوا﴾ بمعنى تجوروا وتميلوا عن الحق. وهو اختيار أكثر المفسرين.

وقيل: إن معنى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ ألا تكثر عيالكم. يقال: عال يعول، إذا كثرت عياله. وقد حكى صاحب الكشاف هذا المعنى عن الإمام الشافعي فقال:

والذي يحكى عن الشافعي - رحمه الله - أنه فسر ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ بأن لا تكثر عيالكم. فوجهه أن يجعل من قولك: عال الرجل عياله يعولهم كقولهم: مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم. لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب وحدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب.

ثم قال: وكلام مثله من أعلام العلم، وأئمة الشرع، ورءوس المجتهدين، حقيق بالحمل على الصحة والسداد.

---

[1] تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٦٨



وقرأ طاووس: أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله.

وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي من حيث تعني المعنى المقصود[1].

هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية أحكامًا منها: جواز تعدد الزوجات إلى أربع بحيث لا يجوز الزيادة عليهن مجتمعات، لأن هذا العدد قد ذكر في مقام التوسعة على المخاطبين، ولو كانت تجوز الزيادة على هذا العدد لذكرها الله – تعالى –.

وقد أجمع الفقهاء على أنه لا تجوز الزيادة على الأربع، ولا يقدح في هذا الإجماع ما ذهب إليه بعض المبتدعة من جواز الجمع بين ما هو أكثر من الأربع الحرائر، لأن ما ذهب إليه هؤلاء المبتدعة لا يعتد به، إذ الإجماع قد وقع وانقضى عصر المجمعين قبل ظهور هؤلاء المبتدعين المخالفين.

وقد رد العلماء على هؤلاء المخالفين بما يهدم أقوالهم، ومن العلماء الذين تولوا الرد عليهم الإمام القرطبي فقد قال – ما ملخصه –:

«اعلم أن هذا العدد مثنى وثلاث ورباع لا يدل على إباحة تسع، كما قاله من بعد فهمه عن الكتاب والسنة، وأعرض عما كان عليه سلف هذه الأمة، وزعم أن الواو جامعة، وعضد ذلك بأن النبي ﷺ نكح تسعًا، وجمع بينهن في عصمته. والذي صار إلى هذه الجهالة وقال هذه المقالة الرافضة وبعض أهل الظاهر، جعلوا مثنى مثل اثنين، وكذلك ثلاث ورباع.

وهذا كله جهل باللسان والسنة ومخالفة لإجماع الأمة، إذ لم يسمع عن أحد من الصحابة ولا التابعين أنه جمع في عصمته أكثر من أربع.

وأخرج مالك في الموطأ والنسائي والدارقطني في سننهما أن النبي ﷺ قال لغيلان بن أمية الثقفي وقد أسلم وتحته عشر نسوة: اختر منهن أربعًا وفارق سائرهن.

وأما ما أبيح من ذلك للنبي ﷺ فذلك من خصوصياته.

وأما قولهم إن الواو جامعة، فقد قيل ذلك، ولكن الله – تعالى – خاطب العرب بأفصح اللغات. والعرب لا تدع أن تقول تسعة وتقول اثنين وثلاثة وأربعة. وكذلك تستقبح ممن يقول: أعط فلانًا أربعة ستة ثمانية، ولا يقول: ثمانية عشر.

وإنما الواو في هذا الموضع بدل، أي انكحوا ثلاثًا بدلًا من مثنى، ورباعًا بدلًا من ثلاث، ولذلك عطف بالواو ولم يعطف بأو. ولو جاء بأو لجاز ألا يكون لصاحب المثنى ثلاث، ولا لصاحب الثلاث رباع.

وقد قال مالك والشافعي في الذي يتزوج خامسة وعنده أربع: عليه الحد إن كان عالمًا. وقال الزهري: يرجم إن كان عالمًا، وإن كان جاهلًا فعليه أدنى الحدين الذي هو الجلد. ولها مهرها، ويفرق بينهما ولا يجتمعان أبدًا»[2].

كذلك من الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى وإن كان قد أباح التعدد وحدد غايته بأربع بحيث لا يجوز الزيادة عليهن، إلا أنه – سبحانه – قد قيد هذه الإباحة بالعدل بينهن فيما يستطيع الإنسان العدل فيه بحسب طاقته البشرية، بأن يعدل بينهن في النفقة والكسوة والمعاشرة الزوجية، فإن عجز عن ذلك لم يبح له التعدد.

وللإمام الشيخ محمد عبده كلام حسن في هذا المعنى، فقد قال – رحمه الله –: «قد أباحت الشريعة الإسلامية للرجل الاقتران بأربع من النسوة إن علم من نفسه القدرة على العدل بينهن، وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة قال – تعالى –: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فإن الرجل إذا لم يستطع إعطاء كل منهن حقها اختل نظام المنزل، وساءت معيشة العائلة، إذ العماد القويم لتدبير المنزل هو بقاء الاتحاد والتآلف بين أفراد العائلة.

وقد كان النبي ﷺ، والخلفاء الراشدون، والعلماء الصالحون من كل قرن إلى هذا العهد يجمعون بين النسوة مع المحافظة على حدود الله في العدل بينهن. فكان ﷺ والصحابة والصالحون من أمته لا يكون حجرة إحدى الزوجات في نوبة الأخرى إلا بإذنها.

وقد قال ﷺ: من كان له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل.

وكان ﷺ يعتذر عن ميله القلبي بقوله: «اللهم هذا – أي العدل في المبيت والعطاء – جهدي فيما أملك، ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك – يعني الميل القلبي –» وكان يقرع بينهن إذا أراد سفرًا.

ثم قال في نهاية حديثه: فعلى العقلاء أن يتبصروا قبل طلب التعدد في الزوجات فيما يجب عليهم شرعًا من العدل وحفظ الألفة بين الأولاد، وحفظ النساء من الغوائل التي تؤدي بهن إلى الأعمال التي لا تليق بهن».

هذا، وقد ذكر العلماء حكمًا كثيرة لمشروعية تعدد الزوجات. ومن هذه الحكم أن في هذا التعدد وسيلة إلى تكثير عدد الأمة بازدياد عدد المواليد فيها. ولا شك أن كثيرًا من الأمم الإسلامية التي اتسعت أرضها، وتعددت موارد الثروة فيها، في حاجة إلى تكثير عدد أفرادها حتى تنتفع بما حباها الله من خيرات، وتستطيع الدفاع عن نفسها إذا ما طمع فيها الطامعون، أو اعتدى عليها المعتدون.

ومنها أن التعدد يعين على كفالة النساء وحفظهن وصيانتهن من الوقوع في الفاحشة. لا سيما في أعقاب الحروب التي – عادة – تقضي على الكثيرين من الرجال، ويصبح عدد النساء أكثر بكثير من عدد الرجال.

ومنها أن الشريعة الإسلامية قد حرمت الزنى تحريمًا قاطعًا، وعاقبت مرتكبه بأقسى أنواع العقوبات وأزجرها، بسبب ما يجر إليه من فساد في الأخلاق والأنساب ونظام الأسر، فناسب أن توسع على الناس في تعدد النساء لمن كان من الرجال ميالًا للتعدد، مستطيعًا لتكاليفه ومطالبه.

ومنها قصد الابتعاد عن الطلاق، فإن المرأة قد لا تكون قادرة على القيام بالمطالب الزوجية التي تحبها حياتها مع زوجها بسبب مرضها أو عجزها أو عقمها أو غير ذلك من الأسباب، فيلجأ زوجها إلى الزواج بأخرى غيرها مع بقاء الزوجة الأولى في عصمته بدل أن يطلقها فتفقد حياتها الزوجية، وقد تكون هي في حاجة إلى هذا الزوج الذي يقوم برعايتها وحمايتها والقيام بشئونها.

والخلاصة أن الله – تعالى – قد علم أن مصلحة الرجال والنساء قد تستدعي تعدد الزوجات، – بل قد توجبه في بعض الحالات – فأباح لهم هذا التعدد، وحدد غايته بأربع بحيث لا يجوز الزيادة عليهن، وقيد – سبحانه – هذه الإباحة بالعدل بينهن فيما يستطيع الإنسان العدل فيه بحسب طاقته البشرية، فإن علم الإنسان من نفسه عدم القدرة على العدل بينهن لم يبح له التعدد.

ولو أن المسلمين ساروا على حسب ما شرع الله لهم لسعدوا في دنياهم وفي آخرتهم؛ لأن الله – تعالى – ما شرع لهم إلا ما فيه منفعتهم وسعادتهم.

[1] [illegible]
[2] [illegible]

[illegible]



أحوال الناس مع الإيمان

روى الإمام مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: «قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال: قل: امنت بالله فاستقم».

الشرح والبيان :

هذا حديث عظيم الشأن، رفيع القدر، أجراه الله على لسان الصحابي الجليل سفيان بن عبدالله مع معلم الإنسانية ورسول البشرية حين أراد أن يظفر بقبس من هدى النبوة يستغني به عن طلب الهداية والتماس النصيحة من أحد بعد رسول الله ﷺ، فسأله قائلاً: «يارسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك». أي: علمني في الإسلام كلاماً جامعاً كافياً في بيان مقاصده التي تكفل استقامة الفرد وصلاح المجتمع، كلاماً جامعاً لمعاني الدين، بحيث لا أحتاج إلى تفسير غيرك، فكان أن أجابه رسول الله ﷺ قائلاً: «قل: آمنت بالله» أي: جدد إيمانك متذكراً بقلبك، ذاكراً بلسانك، مستحضراً لتفاصيل معاني الإيمان الشرعية التي ذكرت في حديث جبريل «عليه السلام» الذي رواه الشيخان من حديث أبي هريرة عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وفيه:

«.. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت...».

أما الاستقامة فهي الحركة الإيجابية للإيمان الصحيح، وهو سلوك الطريق السوي والمنهج السليم في العقيدة والخلق والعبادة والمعاملة. فهي ترجع إلى أمرين: صحة الإيمان بالله، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً. ولذلك قال عمر «رضي الله عنه»: «الاستقامة أن تقوم على الأمر والنهي، ولا تروغ عنه روغان الثعلب». قال الله تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾

(هود: ١١٢)

أي: فاستقم - يا محمد - على دين ربك، والعمل به، والدعاء إليه - كما أمرك ربك. والأمر هنا للتأكيد، لأن النبي ﷺ كان على الاستقامة، لم يزل عليها. وقد أمر الحق «سبحانه» أتباع الرسول الكريم «صلوات الله وسلامه عليه» بالثبات والدوام على الاستقامة، فقال:

... وامتدح من امتثل منهم الأمر وأذعن، فقال:

أي: على التوحيد وغيره مما وجب عليهم. فقال:

[illegible]

(فصلت ٣٠: ٣٢)

وإذا كان هذا النزل، وهو الكرامة المعجلة، فكيف بالمؤجلة؟!

وهكذا فالإيمان أقوال وأفعال، إذعان وامتثال. والقول الخالي من العمل كالجسد المتجرد من الروح، لا خير فيه، ولا نفع يرجى منه. وهكذا تلقى رسول الله ﷺ تلك التعاليم بالوحي الكريم الذي لا يقبل التحريف أو التبديل. قال تعالى:

[illegible]

(فصلت ٤١: ٤٢)

ثم نقله للأمة في أكمل صورة وأتم معنى، فأيقظ به قلوباً غافلة، وأحيا نفوساً ميتة. قال تعالى:

[illegible]

(الأنعام: ١٢٢)

وقد أنشد الشاعر الحكيم:

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

ومن هذه التعاليم العظيمة والآداب القويمة التي تهذب ذوق المؤمن، وتنمي إحساسه، وتجمل أخلاقه، وتشعره بالمسئولية نحو ربه ونفسه ومجتمعه ووطنه. تلك التعاليم التي كانت شفاء ورحمة للعالم، غرست بذور الخير في نواحيه، ونهضت بالإنسانية من كبوتها، وسمت بها إلى المكانة اللائقة بها، مكانة الخلافة عن الله رب العالمين. تلك التعاليم التي ما تركت فضيلة إلا حثت عليها، ولا رذيلة إلا حذرت منها. ولا أصلاً من أصول التشريع الحق الناجح إلا قررته وطلبته إلى الناس شرعا يسعدون به في الدنيا، ودينا ينعمون به في الآخرة، والتي كانت من جوامع كلمه ﷺ، والتي نفعت السائل، ونفعت الإنسانية كلها - دستوراً عظيماً قويماً في كلمتين اثنتين هما: الإيمان والاستقامة.

هذا ولقد قال الحسن البصري التابعي الجليل «رحمه الله»: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. وإن قوما غرتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا:

«يحسن الظن بنفسه». كذبوا. لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

على ضوء هذه الحقيقة ينبغي أن يفيق الغارقون في الأوهام والسابحون في الأحلام، والمسرفون في الأماني والآمال. على ضوء هذه الحقيقة ينبغي أن يدرك الناس أن الأمل بلا عمل - إخفاق وفشل. قال الشاعر:

وما استعصى على قوم منال

إذا الإقدام كان لهم ركابا

كما أن الدعوى بلا دليل خداع وتضليل، وأن من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة. فمن أراد الجنة قدم لها أسبابها، فالإيمان إقرار باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان، وليس أمنية فارغة يرددها المحتضر في بلاهة. وليس لفظاً خاوياً من المعنى يتحرك به اللسان بلا وعي، ولكن الإيمان إقرار عن فكر ونظر، واعتراف عن حجة وبرهان، واعتقاد عن فهم ويقين، وعاطفة تتوقد في صدق وإخلاص، وقوة تتعلق بالقلوب في ذكر، وبالعقول في تحرر، وبالأعضاء في إذعان... هذا هو الإيمان الحق، ما وقر في القلب وصدقه العمل:

فقل لمن يدعي الإسلام مجانا

هلا أقمت على دعواك برهانا

ولكن الناس - مع الإيمان - أصناف ثلاثة: صنفان كاذبان، وصنف صادق. الصنف الأول: من الصنفين الكاذبين يتمثل في رجل ورث هذا الدين عن أبيه، آمن وهو لا يدري لم آمن، آمن به كمتاع تركه له والده، وليس عليه في نظره سوى أن يحرص عليه ويحافظ على هذا الانتساب من الزوال، فهو مسلم، ولكن بشهادة الميلاد فقط، مع أن أقواله تكذبها أفعاله. ورغم ذلك فليس لآماله في الله حد، ولا لأطماعه في مولاه نهاية.

والصنف الثاني: من الصنفين الكاذبين يتمثل في رجل عرف أنه لا تغني نفس عن نفس. قال تعالى:

﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

(الطور: ٢١)

وقال تعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

(النجم: ٣٩)

وعرف أن هذا الدين لا يمت بصلة إلى قبيلة، وليس وقفاً على أسرة، وإنما هو دين يبغض الجبابرة ويحاربه، ويكره العصبية ويمقتها، ويكره في الرجل أن يكون إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسنوا أحسنت وإن أساءوا أسأت. فأخذ يبحث وينقب في أمر هذا الدين، فوجد نفسه في مسالك متشعبة التبس فيها الحق بالباطل، واختلط فيها الرشد بالغي، والإيمان بالكفر، فأخذ يقارن ويوازن، وينظر إلى الأمور ببصر وبصيرة حتى انتهى إلى جادة الصواب، فقال:

﴿ هَٰذِهِ سَبِيلِي ﴾

(يوسف: ١٠٨)

فآمن وهو يدري لم آمن، ولكنه وقف من إيمانه عند حد يجده حد المعرفة عن نظر واستدلال. آمن بأن الله صانع هذا الوجود، وواضع تلك التكاليف، ولكنه لا يكلف نفسه العمل بها، آمن بأن الله فرض عليه الإحسان إلى كل شيء، لكنه يسيء إلى كل شيء حتى إلى نفسه، فما قيمة هذا الإيمان، ولم يكلف نفسه من أجله أدنى سعي، ولم يبذل في سبيله أدنى جهد؟! ومع ذلك فليس لآماله في الله حد، ولا لأطماعه في مولاه نهاية.

والصنف الثالث: يتمثل في رجل عرف سر وجوده، وفهم الرسالة التي من أجلها وجد على هذه الأرض، نظر فأمعن النظر، وفكر فأمعن في التفكير، فقدر أنه لم يخلق عبثاً، ولن يترك سدى، كيف وقد قال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

(المؤمنون: ١١٥)

فكان لسان حاله كما أنشد الشاعر:

أما والله لو علم الأنام

لم خلقوا - لما غفلوا وناموا

خلقوا ليوم لو رأته عيون

قلوبهم - ساحوا وهاموا

موت ثم حشر ثم نشر

وتوبيخ وأهوال عظام!

ليوم الحشر قد عملت أناس

فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا أمرنا أو نهينا

كأهل الكهف أيقاظ نيام

آمن إيماناً كاملاً بأن الله سيحاسبه على كل ما يقترفه، صغر أو كبر، قل أو كثر. سيحاسبه على كل نظرة من عينه، على كل قطرة من دمه، على كل ذرة من جسمه، على كل كلمة من لسانه، على كل دقيقة مرت من حياته، وأنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ آمن عن بينة فاتقى الله في حدود استطاعته حق تقاته، وجاهد في الله في حدود إمكانه حق جهاده، وأحسن الظن بالله عن جد لا عن هزل، عن صدق لا عن عبث. فهؤلاء ثلاثة: الأول لم يكلف نفسه عناء البحث، والثاني لم يكلف نفسه عناء العمل، والثالث أعطى الدليل واضحاً كالشمس. والأول والثاني كاذبان، فلو أحسنا الظن لأحسنا العمل، والثالث هو الصادق، وهو المؤمن الحق.

﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾

(الصافات: ٦١)

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

(المطففين: ٢٦)

تلك هي حقيقة الإيمان أطلقها رسول الله ﷺ في قوة وصراحة، يرد بها على الزائفين زيفهم، فلو كان أمر الإسلام مقصوراً على كلمة ينطق بها المسلم - لما كان أهون أمر الإسلام وأيسر كلفته! لكن الإيمان هو الذي يخلق النفس الكريمة،

والروح الشفيقة، وقد قال تعالى:

﴿قالت الأعراب [illegible] صادقون ۝ قل أتعلمون الله بدينكم [illegible] وما في الأرض والله بكل شيء عليم﴾

(الحجرات ١٤:١٦)

فالإيمان بذل كل معروف ومحبوب للرب الخالق، وترك كل مكروه له «سبحانه»، والإيمان الكامل يستلزم العمل الصالح، لأن الإيمان هو التطبيق الفعلي للإسلام، فمن أسلم بلسانه – لابد أن يصدق بقلبه، ويعمل بجوارحه حتى يكون مؤمنا.

قال ﷺ: «قل: آمنت بالله ثم استقم».

ولذلك لما فكّر الإمام الشافعي «رحمه الله» في الرحلة إلى مصر – قال له أصحابه: لا تذهب إلى مصر إلا إذا كان لك أمران يساعدانك على الإقامة فيها، فقال: وما هما؟ قالوا: أن يكون لك صلة بالسلطان حتى يرفع شأنك ويعلي قدرك ويشملك عطفه ورعايته، وأما الثاني فأن يكون معك قوت عام إلى أن تحصل على سبب من أسباب الرزق، فقال لهم: «أما معرفتي بالسلطان لأعتز به – فإنه – والله — لا عزة إلا بالله، فمن اعتز بغيره ضلّ، ومن التجأ إلى غيره ذلّ، وأما حصولي على قوت عام – فذلك سوء ظنّ بالله، ولقد ولدت بغزة، ونشأت بمكة، وتعلمت في المدينة، وعشت في اليمن، وما عندنا قوت يوم ولا ليلة، ووالله ما جعنا قط». وقد كتب عمر بن عبدالعزيز «رضي الله عنه» إلى عدي بن عدي: «إن للإيمان فرائض وشرائع، وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص».

ولنا أن نتساءل: أيخلق الله الإنسان، ويستخلفه في الأرض، ويكمّله بالعقل، ويجمله بالمنطق، ويميزه بالبيان، ويبعث إليه الأنبياء والرسل لينطق بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ويكون بها قد أدى وظيفته في الحياة على خير وجه؟! إذا لم يكن هناك فرق بين طائع وعاص، ولا بين تقي وفاجر، ولا بين خيّر وشرير، ولا بين محسن ومسيء، وأين ذلك من قول الله تعالى:

﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات [illegible]﴾

(الجاثية ٢١)

وقوله

﴿أم نجعل [illegible]﴾

(ص ٢٨)

وقوله تعالى

﴿[illegible]﴾

(القلم:٣٥-٣٦).

ولكن ناسا استبد بهم الهوى، فطوّح بهم في مكان سحيق، تعلقوا بخيوط الرحمة، وتشبثوا [illegible]، فوقعوا في الحدود، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وتحايلوا بحسن الظن، وقالوا:

﴿[illegible]﴾

(الزمر ٥٣)

ونسوا أو تناسوا أن الله «عز وجل» يقول بعده:

﴿[illegible]﴾

(الزمر: ٥٤-٥٥)

أغرقوا في الضلال، وأسرفوا في العصيان، فقالوا بحسن الظن بالله القائل:

﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾

(الحجر: ٤٩)

ولكنهم لم يقرءوا بعدها:

﴿[illegible]﴾

(الحجر: ٥٠).

فلماذا عباد الله – متعلق بالوعد، ولانخشى الوعيد، ونسرف في الرجاء، ولانتحصن بالخوف؟! مع أن رسول الله ﷺ – وهو أقرب الناس من ربه وأحبهم إليه وأعرفهم به – كان يقول: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»(*) وكان الخليفة الأول أبوبكر الصديق «رضي الله عنه» – مع ما له من الفضل والسبق – يقول: «لو كانت إحدى قدمي في الجنة والأخرى خارجها – لا آمن مكر الله»!

لهذا ينبغي أن نعيد النظر في إيماننا، وأن نقوّم من جديد أخلاقنا وسلوكنا؛ ليظهر أثر الإيمان في أخلاقنا وسلوكنا، فلا غلّ ولا حسد، ولا شحّ ولا غضب، ولا مكر ولا خديعة، ولا كذب في الحديث، ولا خيانة في الأمانة، هذا هو الدين الحق، عقيدة نقية، وقلوب تقية، ونفوس سخيّة وأخلاق رضية.

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أباهريرة، كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما، وأقل الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب».

ورزقنا الله إيمانا نجد حلاوته في قلوبنا، واستقامة لها أثرها في سلوكنا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(*) تفسير الكشاف للزمخشري [illegible]



للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

اصبح دينك احب الدين الى

قال الإمام البخاري رحمه الله حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني سعيد بن ابى سعيد انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه قال بعث النبى ﷺ خيلا قبل نجد. فجاءت برجل من بنى حنيفه يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج اليه النبى ﷺ فقال ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي خير يا محمد. ان تقتلني تقتل ذا دم. وان تنعم تنعم على شاكر. وان كنت تريد المال فسل منه ما شئت

فترك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة؟ قال ما قلت لك. ان تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي ما قلت لك فقال أطلقوا ثمامة. فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد ألا إله الا الله وان محمدا رسول الله يا محمد والله ما كان على الأرض وجه ابغض إلىّ من وجهك فقد اصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ. والله ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك فاصبح دينك أحب الدين إلىّ والله ما كان من بلد أبغض الىّ من بلدك. فأصبح بلدك أحب البلاد الى. وان خيلك اخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبى ﷺ وامره ان يعتمر. فلما قدم مكة قال له قائل صبوت؟ قال لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ.

رواه البخارى

هذه القصة من أوضح الشواهد والدلائل على انتشار الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وبروح التسامح والرحمة، إنه انتشر بمبادئه الإنسانية العالية لا كما يقول المستشرقون وأعداء الإسلام أنه انتشر بالسيف، كيف والقرآن الكريم يقول:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

ويقول سبحانه:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ٦)

ويقول سبحانه:

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢٢).

وها هو سيد بني حنيفة «ثمامة بن أثال» قد أسره المسلمون في إحدى السرايا دون أن يعرفوه.

ولما جيء به إلى رسول الله ﷺ عرفه أكرمه وبقي عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام ويسأله قائلا: ماذا عندك؟

فيجيب الرجل قائلا: إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت

ومعنى «تقتل ذا دم» أي صاحب دم، لمعه موقع يشتفي قاتله بقتله، ويدرك ثأره لرياسته وعظمته.

وفي رواية ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال: قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك. وقد كان لهذه السماحة أثرها في قلب ثمامة، جعلته يبادر بالدخول في الإسلام.

وقد سر الرسول ﷺ بإسلامه كثيرا لما ترتب على إسلامه من دخول قومه في الإسلام، ولم يقف الحال عند هذا بل كان لإسلامه أثر مهم، فعندما ذهب إلى مكة للعمرة وهمّ أهلها أن يقتلوه، وفي رواية ابن هشام: قال: بلغني أنه خرج معتمرا، حتى إذا كان ببطن مكة، لبى فكان أول من دخل مكة يلبي، فأخذته قريش فقالوا: لقد اجترأت علينا، وأرادوا قتله، فقال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى الطعام من اليمامة فتركوه.

وزاد ابن هشام: ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى النبي ﷺ إنك تأمر بصلة الرحم، فكتب إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل إليهم.

هكذا كتب الرسول ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين حبوب اليمامة، ففعل ثمامة ما أمره به الرسول ﷺ.

ولو أراد الرسول ﷺ أن يقهر القوم، وأن يلجئهم إلى الإسلام مستعملا القسوة، وانتهاز حاجتهم وضرورتهم لفعل، ولكنه لا يقهر أحدا ولا يستعمل القوة، ولا يكره الناس على الدخول في الإسلام.

وبعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكانت حركة الردة، وارتد بعض أهل اليمامة، ظل ثمامة هذا ثابتا هو وأتباعه، وراح يحذر المرتدين من



أتباع مسيلمة الكذاب قائلا لهم: إياكم وأمرا مظلما لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله -عز وجل- على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به منكم. ولما لم يجد النصح معهم خرج هو والذين معه وانضموا للعلاء بن الحضرمي مددا له، فكان هذا مما فت في عضد المرتدين وألحق بهم الهزيمة[1].

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ مع ثمامة نموذج من نماذج التسامح العالية التي كان الرسول ﷺ يتعامل بها مع الناس، فقد كانت معاملاته عبر حياته كلها تتسم بروح التسامح والرأفة. والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالقوة والسيف.

ومما لا شك فيه أن الذي يكره على شيء، لا يثبت عليه، وإنما يتخلص منه إذا وجد سبيلا إلى ذلك. بل يكون عدوا له، ولكننا عبر تاريخ الإسلام لم نجد أحدا ارتد سخطة عن دينه بعد أن يدخل فيه، بل وجدنا المسلمين تعرضوا عبر تاريخهم إلى حروب وانقسامات لأقطارهم وتسلط أعدائهم عليهم، ومع هذا لم نجد أحدا منهم رجع عن دينه، بل ثبتوا على الإسلام حتى فتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، وجاءهم نصر الله والفتح.

ويستنبط من هذه القصة - بالإضافة إلى ما سبق - بعض العبر والدروس منها:

- إن الإسلام انتشر بتعاليمه ومبادئه، ومنهجه الذي يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة، وبروح التسامح.
- وفضل شيمة العفو عن المسيء وما له من أثر في تغيير العدو إلى صديق، فإن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب إلى حب في وقت واحد وفي ساعة واحدة وذلك نتيجة العفو الذي أسداه إليه الرسول ﷺ وصدق الله - تعالى - إذ يقول:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

- مشروعية الاغتسال عند الإسلام.
- وأن للإحسان أثره في إزالة البغض، وتثبيت الحب.

موسى - عليه السلام - والعبد الصالح

من قصص السنة النبوية الشريفة ما ورد ذكره في القرآن الكريم، وجاءت السنة فوضحت وفصلت ما يتصل به من أسباب ومناسبات، ومن ذلك قصة موسى - عليه السلام - مع الخضر.

قال الإمام البخاري - رحمه الله - حدثنا عبد الله ابن محمد قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عمرو قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر فقال: كذب عدو الله. حدثنا أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: «قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يارب، وكيف لي به؟ فقيل له: احمل حوتا في مكتل، فإذا فقدته فهو ثم، فانطلق، وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحملا حوتا في مكتل حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سربا، وكان لموسى وفتاه عجبا، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يجد موسى مسا من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. قال موسى: ذلك ما كنا نبغ، فارتدا على آثارهما قصصا فلما أتيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوبه فسلم موسى فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، ثم قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا. قال: إنك لن تستطيع معي صبرا، يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه، قال: ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينة فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا. قال: لا تؤاخذني بما نسيت. فكانت الأولى من موسى نسيانا. فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا. قال ابن عيينة: وهذا أوكد فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض، قال الخضر بيده فأقامه. قال موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرا. قال: هذا فراق بيني وبينك. قال النبي ﷺ «يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما»[1].

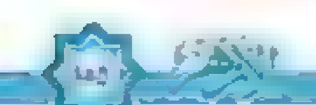
ولقد قص الله تعالى هذه القصة في سورة الكهف وبين ما أشكل على موسى - عليه السلام - فأنكر ظاهره ولكن الله جلت حكمته، قد أطلع الخضر على الحكمة الخفية من هذه الأفعال التي فعلها: من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار.

فأما عن السفينة، فإنه قد خرقها ليعيبها، لأنهم كانوا

---

(١) الإصابة، والاستيعاب، والسيرة لابن هشام [illegible]

(١) أخرجه البخاري في الحديث ٧٤ [illegible]



يمرون على ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة وجيدة غصبا، فأراد أن يعيب السفينة حتى يرده عنها، لينتفع بها أصحابها المساكين، فإنهم لم يكن لهم من عمل أو مورد ينتفعون به سوى السفينة.

وأما الغلام: فقد جاء في رواية مسلم: وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرا، وكان أبواه قد عطفا عليه، فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانا وكفرا فيحملهما على متابعته على الكفر، قال قتادة: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب كما في الحديث: «لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيرا له». وقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٢١٦)

وأما الجدار: فأصلحه، لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا، وفي هذا دليل على أن الله ـ تعالى ـ يحفظ للرجل الصالح ذريته من بعده، ويشملهم بحمايته ويكلأهم برعايته ويحيطهم برحمته في الدنيا والآخرة تكرمة به.

ويفصل القرآن الكريم أسباب ما فعله الخضر فيقول على لسانه لموسى: ﴿ [illegible] ﴾

(الكهف ٧٨ - ٨٢)

فقد فعل ما فعل في الأحوال الثلاثة رحمة من الله تعالى بأصحاب السفينة ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح، ثم إنه ما فعله عن أمره ولكنه أمر به ووقف عليه.

ويستنبط من هذه القصة بعض العبر والدروس، التي لها أهميتها وأثرها في حياة الأفراد والجماعات، وفيما ينتفع به الناس في دنياهم وأخراهم.

ومن هذه الدروس المهمة: الدعوة إلى طلب العلم، واحتمال المشقة في سبيل تحصيله. ولا يمنع الإنسان من طلب العلم مكانته في قومه، أو منصبه في المجتمع، إذ إن طلب العلم فريضة، فموسى ـ عليه السلام ـ لم يمنعه من طلب العلم كونه نبيا، ولم يمنعه ما بلغ، فقد رحل وسافر وركب البحر وتحمل المشاق، من أجل أن يحصل على ما لم يعلمه. ولقد كان طلب العلم والرحلة من أجله أشهى أماني سلفنا الصالح، وكم تحملوا في سبيله ما تحملوا من شظف العيش وخشونة الحياة قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»[١].

وفي هذه القصة من الدروس ما ينبغي أن يراعيه العلماء، وما ينبغي أن يكون عليه الناس أعلم، فلا ينبغي أن يكون معلوم إلا لله تعالى العليم الحكيم الذي أحصى كل شيء عددا، وأحاط بكل شيء علما. كما ينبغي للمتعلم أن يتواضع في طلب العلم، مهما كانت مكانته، فموسى ـ عليه السلام ـ وقف من العبد الصالح موقف المتعلم المتواضع، واستأذنه في اتباعه ليتعلم منه قائلا:

﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾

(الكهف ٦٦)

وما دامت هذه بدرة شرع الأعمال والذي حسن شاعة تعليما تقوم أن يتأدبوا بأدبه، وتشبها لمن زكى نفسه أن يتسم بسمات التواضع ومكارم الأخلاق.

ومن الدروس المستفادة من هذه القصة كذلك: أن في العديد من حوادث الحياة التي يتعرض لها الناس خيرا لا يعلمونه وأسرارا لا يطلعون إليها بفهمهم، ولا يعلمها إلا علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى والذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، كما أن في العديد من الأمور التي يفرح بها الناس شرا مستطيرا، وخطرا كما قال الله تعالى:

﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

(البقرة ٢١٦)

ومن هنا يظهر أثر الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره كركن مهم من أركان الإيمان.. كما أن الله تعالى، يصون عقيدة الإنسان المؤمن المخلص، فلا يتركه في مهب الفتن وعواصف الأحداث، وإنما يبعد الله عن طريقه أسباب الضلال والضياع.

ما دام مخلصا لربه صادقا في إيمانه فقد شاء الله تعالى للغلام أن يقتل، لأنه إن عاش سيرهق والديه طغيانا وكفرا. لأن الآباء مفطورون على محبة الأبناء وقد يطغى فساد الابن على صلاح الوالدين فيكون سببا في كفرهما وطغيانهما، ففي الأبناء فتنة للآباء.

ومن دروس هذه القصة أيضا: المحافظة على أموال اليتامى والمساكين وأن الله تعالى يرعاهم ويرزقهم ففي تشويه السفينة نجاة لها من الغصب حتى تبقى ملكا للمساكين الذين يعملون عليها.

ومن العبر كذلك أن للبيئة الصالحة المستقيمة أثرا بالغا في حياة أبنائها، وأن الله تعالى يتولى ذرية الصالحين إذا كانوا مؤمنين واتبعوا منهج الحق وساروا على الجادة، ولا تلحقهم فتن الحياة ولا فسادها الذي يستشري بين الناس، بل يمهد الله للأبناء طريق الخير والهناء ويذلل لهم الصعاب حتى تسير بهم الحياة آمنة مطمئنة.

فعلى المجتمعات البشرية أن تهتدي بهدي الكتاب والسنة وتسير على صراط ربها المستقيم، منتهجة منهج الحق، آخذة من العطاء الغامر الذي يفيئه القرآن الكريم، وتفيض به السنة الشريفة حتى يفتح الله عليه بركات من السماء والأرض، والله ذو الفضل العظيم.

[١] [illegible]

العقيدة والمرأة



اعتنت عقيدة الاسلام بالمرأة، وبوأتها مكانة لم تحظ المرأة بمثلها فى شرع سماوى سابق، ولا مواثيق ما يسمى بحقوق الانسان، فيما تواضع عليه الناس فيما بينهم، واتخذوا له القوانين والأحكام. ولا ادل على ذلك من أن القرآن الكريم عرض الكثير من شئون المرأة فى اكثر من عشر سور منها سورتان: عرفت احداهما بسورة النساء الكبرى وعرفت الاخرى بسورة النساء الصغرى وهما سورتا النساء والطلاق.

ومع هذه المكانة السامية فى العقيدة الإسلامية، فقد كثر كلام الناس حول وضع المرأة فى الإسلام، من زعم بعض الحاقدين والخصوم أن الإسلام هضم حقها وأسقط منزلتها وجعلها متاعاً فى يد الرجل يتصرف فيها كما شاء وبما يشاء. ويزعمون هذا الزعم الباطل والقرآن الكريم يقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

والحقيقة التى لا مرية فيها: أنهم لا يريدون بذلك حقاً يريدون تقريره أو باطلاً يريدون تزييفه، وإنما هى العصبية الدينية، التى دأب أهلها على استحسان ما يريدون تحسينه وتقبيح ما يستقبحون. ولقد كان من نتائج ما تركه الاستعمار لبلادنا الإسلامية، غزوهم المقنع لعقائدنا وتقاليدنا، حتى أنهم حملونا على نبذ أحكام الجنايات وأحكام المدنيات، ولم يبق لنا من شئوننا سوى بعض الأحكام التى تتعلق بالأسرة التى عمادها المرأة، ومع كل هذا لم يطيقوا صبراً على المرأة المسلمين بهذه البقية الضئيلة من شريعة الإسلام، فولوا وجهتهم نحو هذا الجانب، وأخذوا يغرون المرأة بأساليبهم الخداعة وطرقهم الملتوية المعرضة بحجة الدفاع عنها، وأخذوا يرددون فى هذا السبيل شبهات واهية وصوراً مكذوبة عن مكانة المرأة فى الإسلام، وذلك تحت مسميات ابتدعوها باسم حقوق المرأة، وحقوق الإنسان، كأن الإسلام سلب المرأة حقوقها ويريدون ردها لها.

والحق أن الإسلام منح المرأة كل خير، وصانها من كل شر، ولم يأب عليها سوى ما دفعتها إليه هذه المدنية الكاذبة من حرية جعلت المرأة الغربية إذا خلت إلى ضميرها الإنسانى تبكى دماً على الكرامة المفقودة والعرض المبتذل والسعادة الضائعة. ولتعلم المرأة عموماً شرقية أو غربية، أنه لا منقذ لها ولا حافظ لكرامتها وحقوقها، سوى هذه التعاليم الإلهية التى يحاول خصوم الدين وأتباعهم من أبناء المسلمين؛ أن يصوروها بصورة الأغلال التى تطوق الأعناق، وتحول بينها وبين ما لها من حق فى الحياة، وسنحاول لاحقاً أن نلقى الضوء على الخطوط التى رسمها القرآن الكريم، فى سبيل الإرشاد إلى حقوق المرأة وأحكامها ومنزلتها فى حياة الأسرة التى تعتبر بحق هى الأساس والنواة الأولى فى بناء مجتمع قوى.

وأول تلك الخطوط:

أصل خلقة الإنسان، والقرآن الكريم عندما تحدث عن الأصل الذى تفرع منه، جعل المرأة شريكة فيه للرجل، ومن مجموعهما تعددت القبائل والشعوب، وانبثت الأفراد والدة لكل من الرجل والمرأة، وبذلك كان الرجل أباً وكانت المرأة أماً، واعتبر القرآن ذلك نعمة على الإنسان، توجب عليه الشكر، كما توجب عليه تقوى الله ومراقبته، بل وتوجب عليه النظرة المستقيمة إلى أخيه الإنسان، الذى يشاركه فى معنى الإنسانية، وفى نسبه إلى أصله، الذى تكونا منه، ومن هنا يتضح أنه لا تفاضل بين الرجل والمرأة من جانب الإنسانية، وإنما التفاضل بما يكتسبه الإنسان من الخلال والصفات، التى ترقى بالإنسانية والبشرية إلى المستوى الفاضل، ولعلنا نجد هذا فى مثل قوله تعالى:

[illegible]

(النساء: ١)

وفى مثل قوله تعالى:

[illegible]

(الحجرات: ١٣)

وهذا الأصل الذى ينتسب إليه كل من الرجل والمرأة، جعلهما يشتركان فى أن سمى الرجل والداً والمرأة والدة، ثم صدرت أوامر السماء والتعاليم الإلهية، بوضعهما معاً موضع التكريم والإجلال.

وإننا لنجد الوصايا الكثيرة، التى حث فيها القرآن الكريم على الإحسان بالوالدين؛ ما هى إلا أثر لهذا الأصل، الذى قرره القرآن فى أصل الإنسان وتكوينه:

[illegible]
(النساء: ٣٦)

والقرآن الكريم لا يقف عند حد الإحسان والإجلال للوالدين؛ بل إنه يخطو خطوة يبين فيها ما للوالدة من جهد تفنته في تربية الأبناء؛ ليس شيء منها للوالد؛ وترى ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

(لقمان: ١٤)

وفي قول الرسول ﷺ جواباً عن سؤال رجل: «من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال: أمك. قال الرجل ثم من؟ قال: أمك. قال الرجل ثم من؟ قال: أمك. قال الرجل ثم من؟ قال أبوك»[1]

وثاني تلك الخطوط:

مراعاة مقتضى الفطرة:

فعندما جاء الإسلام ونبه إلى احترام الوالدين معاً، وخص الأم بنوع من العناية؛ فقد جاء منظماً لما تتطلبه فطرة الخلق والتكوين وما تقتضيه عاطفة الحنو والشفقة التي أودعها الله في قلب المرأة لولدها؛ وبما احتملت ما احتملت في الحمل والإرضاع والتربية الأولى والسهر على حفظ صحته وسلامته؛ بما يخطو به في مراحل الحياة الشاقة، والإسلام في تشريعه لما تقتضيه الفطرة؛ جعل ذلك في جميع مناحي الحياة منتظمة؛ ففي الأسرة أن الأم هي المربية الأولى وهي المرضعة وهي الساهرة، والرجل هو المربي الثاني؛ وهو العامل الكادح- وهو المنفق والمسئول. تحقيقا لمقتضى الفطرة.

وتنظيم التشريع الإسلامي في المال؛ جعل تحصيله من الطرق المشروعة ألا وهي الزراعة والتجارة والصناعة؛ وكذا إنفاقه في وجوهه المعقولة دون إسراف أو تقتير- تحقيقا لمقتضى الفطرة..

وثالث هذه الخطوط:

تنظيم علاقات الناس:

إن التشريع الإسلامي نظم علاقات الناس بعضهم مع بعض على أساس من المحبة والتعاون؛ دون استغلال لحاجة محتاج ودون استعباد لضعف ضعيف. وهذا التنظيم يراعي فطرة الإنسان. وبهذا يكون التشريع الإسلامي: يراعي مقتضى الفطرة حتى عند الحدود التي تنبهنا مصادره الأولى في الأمر والنهي والحلال والحرام؛ فهو دين الحياة الصالح لكل زمان ومكان.

مسئولية المرأة في الإسلام:

وإذا كان التشريع الإسلامي وضع في الاعتبار ما تقتضيه الفطرة في الأصل الذي تكون فيه الإنسان؛ فإنه أيضا يقرر تلبية الفطرة التي خلقت عليها المرأة وهي الإنسانية ذات العقل والإدراك

(١) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم

والفهم، وأن المرأة مسئولة مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل؛ مسئولة عن نفسها وعن عبادتها وعن بيتها وعن جماعتها؛ وهي لا تقل في مطلق المسئولية عن مسئولية الرجل، وأن منزلتها في المثوبة والعقوبة مرتبة على ما يكون منها من طاعة أو معصية، وطاعة الرجل لا تنفعها وهي عاصية منحرفة عن الصراط المستقيم؛ كما أن معصية الرجل لا تضرها إذا كانت صالحة مستقيمة على صراط الله

[illegible]

(النساء: ١٢٤)

وقال تعالى

[illegible]

(آل عمران: ١٩٥)

ولنقف متأملين عند هذا التعبير الإلهي- [illegible] لنعرف كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل؛ وكيف حد من طغيان الرجل فجعله بعضاً من المرأة، وليس في الإمكان ما يؤدي به معنى المساواة أوضح ولا أسبق من هذه الكلمة التي تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة والتي تتجلى في حياتهما المشتركة دون تفاضل أو تسلط.

[illegible]

(النساء: ٣٢)

وهذا هو شرع الله القديم: تُسأل المرأة عن نفسها ولا يتحمل الرجل من أوزارها شيئاً؛ ويسأل الرجل عن نفسه ولا تتحمل المرأة من خطيئته شيئاً.

[illegible]

(التحريم: ١٠، ١١)

فلهذا كان التشريع الإسلامي في أسمى درجات العدل والمساواة في الثواب والعقاب بين كل من الرجل والمرأة:

[illegible]

(طه: ١٥)

وإذا كان للمرأة مسئوليتها المستقلة عن الرجل؛ فإن هذه المسئولية تنقسم إلى شطرين؛ كل شطر منها يمثل جانباً من جوانب شخصية المرأة المستقلة ويحدد نوع المسئولية المنوط بها.

فالمرأة في نظر الإسلام مسئولة مسئولية خاصة فيما يتعلق بعبادتها وفي نفسها؛ فهي مسئولة عن إقامة الصلاة ومسئولة عن أداء الزكاة إن كان لها مال خاص يبلغ نصاب الزكاة ومسئولة عن حج البيت إن استطاعت إليه سبيلا وتوافرت فيها شروط أداء هذه الفريضة ومسئولة عن صيام

ومشاركتها... على باقي أركان الإسلام وسائر العبادات ولا يعفيها منها ... الرجل أو الزوج، فكل مسؤول خاصة عن هذه العبادات.

الشطر الثاني من مسؤولية المرأة هو المسؤولية العامة وتتمثل فيما يختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والإرشاد إلى الفضائل والتحذير من الرذائل. وقد صرح القرآن الكريم بمسؤوليتها في ذلك خاصة وقرن بينها وبين الرجل في تلك المسؤولية، كما قرن بينها وبينه في مسؤولية البعد عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين.

[illegible]

(التوبة ٧١)

ويقول تعالى:

[illegible]

(التوبة ٦٧، ٦٨)

إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هي أكبر مسؤولية في نظر الإسلام وقد سوى الإسلام فيها بين الرجل والمرأة، بتصريح هذه الآيات. وإذن ليس في الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتمادا على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجل دون النساء، وليس من الإسلام أن تلقي المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه أو أنها ذات طبع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب، فللرجل دائرته وللمرأة دائرتها والحياة لا تقوم إلا على تكاتف النوعين فيما يخصهما بأمتهما، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم فيعمهم ذلك سوءا وليحقهن حكم الذين قبلهن.

وهذا يجعلنا نظر إلى قضية أخرى من أهم قضايا المرأة ألا وهي:

تعليم المرأة: لا شك في أن تحمل المرأة المسؤولية خاصة كانت أو عامة، يجعل لها أو عليها الحق في أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسؤولية على الوجه الذي حددت به وطلبت منها عليه، وهو تحري الخير والصلاح والبعد عن الشر والفساد ومن هنا وجب الإسلام عليها كما أوجب على الرجل معرفة العقائد والعبادات ومعرفة الحلال والحرام في المأكول والمشروب وسائر التصرفات.

المرأة في صفوف الجيش!!

ولا يوجد بينها وبين الرجل فرق ديني في التكليف وأهليته سوى أن التكليف يلحقها قبل أن يلحق الرجل، وذلك لوصولها بطبيعتها إلى سن التكليف وهو البلوغ قبل أن يصل الرجل إليه. وإذا كان الإسلام رفع عنها الآن بعض التكاليف لا لأنها غير أهل لها ولو كلفتها لنقص منها ولا تقبل عنها، ولكن لمح لها أن لها رخصة تخفيفا عنها وترخيصا لها وبعدا بها عن مزاحمة الرجال، وتقريبا لها كي تجد الوقت لكي تقوم بخدمة بيتها والإشراف على رعاية الأبناء، وذلك كما في صلاة الجمعة والجهاد، ولو أنها آثرت حضور الصلاة الجمعة أو دخلت الصفوف الحربية لما كان عليها من حرج في الدين بل إنها تثاب على فعلها.

فقد كانت النساء على عهد النبي ﷺ يخرجن للغزو والقتال. فقد روى البخاري عن إحدى الصحابيات رضوان الله عليهن جميعا قالت: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة». وعن أخرى قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى» وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة معها من الأنصار ليسقين الماء ويداوين الجرحى». وقد كان تمريض المرضى ومداواة الجرحى وخدمة الجيش سهلا يسيرا على النساء في عصر النبي ﷺ، ولكنه صار الآن متوقفا على فنون متعددة وتخصصات مختلفة تتطلب تعليما خاصا وتربية خاصة. ولهذا فإن جميع الدول الإسلامية أو غير ذلك تهتم اهتماما خاصا بتعليم المرأة كل ما يختص بالتمريض وخدمة الجيش والإشراف على الجهة التي تلائم طبيعتها وتحسن القيام بها وبأعمالها. وقد دخلت المرأة الجندية متطوعة، وأصبحت تقف مع الرجل في حمل عبئها وقد يحصل لها ثواب المجاهدين جزاء ما تقدمه في خدمة الدين والوطن. وذلك لأن الإسلام يوجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن بلدتهم أو وطنهم إذا هجم العدو عليه أو داهمهم العدو بجيشه. فالواجب كما يقول علماء الفقه أن تخرج المرأة بغير إذن زوجها كما يخرج الولد بغير إذن أبيه قال تعالى:

[illegible]

(التوبة ٤١)

وهذا الوضع يحتل فيه الإسلام مشاركة المرأة للرجل ومعاونته وهو أمر من مواقف الحياة والجهاد. ولكنه من الواجب على القادة في هذه الأيام أن يعملوا على حفظ كرامة المرأة إذا دخلت المساهمة في هذه الواجبات القومية. بأن يوفروا لها الوضع الذي يصونها ويقيها شر العابثين مرضى القلوب الذين لا يسلم منهم جيش ولا مجتمع، ذلك أن تطهير الأخلاق والحفاظ على دعائم الإيمان يؤدي إلى النصر قال تعالى:

[illegible]

(محمد ٧)

الصدقة في ميزان الإسلام ١٢

صدقة إماطة الأذى عن الطريق

لفضيلة الشيخ/ على عبد الباقي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

من [illegible] حيث يقول:

﴿[illegible]﴾

(الإسراء: ٧٠)

وقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(النحل: ١٥: ١٦)

أي ألقى الله سبحانه وتعالى الجبال الرواسي الشامخات في الأرض كي لا تضطرب بما عليها ليهنأ عيشهم فيها. وأنهارا وسبلا. أي جعل في الأرض أنهارا تجرى من مكان إلى مكان آخر رزقا للعباد وكذلك جعل الحق تعالى في الأرض سبلا أي طرقا يسلكها الإنسان من مكان إلى مكان.

ومن بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر. وقد هيأها الله تعالى وجعل لها علامات يهتدي بها الناس في تنقلاتهم. قال تعالى في سورة طه

﴿[illegible]﴾

(طه: ٥٣)

وقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الأنبياء: ٣١)

وقال تعالى في سورة الزخرف

﴿[illegible]﴾

(الزخرف: ١٠)

وقال تعالى في سورة النحل

﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾

(النحل: ١٦)

أي دلائل من جبال يستدل بها المسافرون برا وبحرا إذا ضلوا الطريق

و﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ أي يهتدون بأنواع النجوم المختلفة ليعرفوا الجهات ومنها القبلة، ويهتدون في البحر والبر في سفرهم ليلا.

إن الطريق من أهم شرايين الحياة، وحينما تنظر إلى الطرق في العالم اليوم، تراها لا تعد ولا تحصى بخلاف الطرق المعلقة فوق الأرض والبحار، وطرق فوق الجبال وحولها بل وفى بطنها وطرق تحت الأرض وفي البحار تحت الماء - كالطرق بين فرنسا وانجلترا في بحر «المانش»، وطرق للقطارات والطائرات والسفن والتى تربط بين أنحاء المعمورة. فسبحان الله الذى قدر وهدى وسخر ويسر الذى قال:

﴿[illegible]﴾

(يونس: ٢٢)

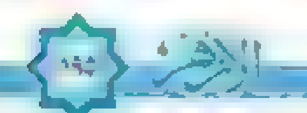
ولقد امتن الله - تعالى - على قوم سبأ بنعمه الكثيرة التى أغدقها عليهم، [وهي] منها قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(سبأ: ١٨)

ولأهمية الطرق ودورها اللا محدود فى خدمة البشر وتمكينهم من أداء رسالتهم فى عمارة الأرض، فقد اهتم الإسلام اهتماما عظيما بالطرق وأحاطها بكل الضمانات الممكنة كي تؤدى دورها للناس على أكمل وجه، حتى قيل عن عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - إنه قال: لو عثرت بغلة بالعراق لخشيت أن يسأل عنها عمر: لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق؟

تلك هى حضارة الإسلام. تنشر فى أرض الله نورا وهداية وجمالا ونظاما وتقدما ورقيا لم يعرف



له العالم مثيلا قبل الإسلام.

ومن الدلائل العظيمة على اهتمام الإسلام بالطريق أنه اختص قاطع الطريق بعقاب وخزي عظيم في الدنيا قبل الآخرة، عقاب لم يقرر لأي جريمة أخرى، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٣٣)

وقد عد قطع الطريق من أشد المنكرات التي كان يفعلها قوم لوط -عليه السلام- حتى قرن قطع الطريق بجريمتهم الكبرى بعد الكفر بالله تعالى وهي جريمة اللواط؛ حيث قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت: ٢٩)

أي تقطعون الطريق على الناس، تقتلونهم وتسلبونهم أشياءهم، وتأتون في ناديكم الفاحشة.

ولقد بلغ أمر الإسلام في الاهتمام بالطريق وأمنه والمحافظة على حرماته مبلغا عظيما؛ حيث دعا المسلمين إلى عدم الجلوس في الطرقات إلا لضرورة، فإن هم جلسوا فعليهم الالتزام التام بآداب الطريق وقانونه الصارم، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والجلوس في الطرقات». فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها. فقال ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

ويتسامى اهتمام الإسلام بالطريق وأمنه حتى يقرر حماية الطريق حتى من مجرد الصوت الذي ينتج عن الخلخال تلبسه المرأة تحت ثيابها حتى لا يثير أحدا ولا يعلم أحد ما تخفيه تحت ثيابها من زينة، وتلك قيمة أخلاقية عالية؛ حيث قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النور: ٣١)

أرأيتم إلى أي حد بلغ الإسلام في حمايته للطريق وللسائرين عليه، إنه الجمال الإسلامي وكمال التشريع الإلهي، ومن المعلوم الآن أن من مظاهر الحضارة والرقي والتقدم مظهر الطرق المختلفة من برية وبحرية وجوية؛ لأنها شريان الحياة للشعوب وبها تتحقق المصالح البشرية، ولهذا فإن الإسلام قد حث كل مسلم على الاهتمام بالطريق ما أمكنه إلى ذلك سبيلا، ووعده على أي عمل يقوم به لمصلحة الطريق وعمارة ثواب صدقة المقبولة من الله تعالى، وهاهي باقة نورانية مشرقة من الأحاديث النبوية تمنح من أبعد الأذى عن الطريق منحا ربانية كريمة

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «... وبكل خطوة إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما عن طريق الناس، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» متفق عليه. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «أمط الأذى عن الطريق فإنه لك صدقة» البخاري في الأدب المفرد.

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق ...» البخاري في الأدب المفرد.

وعنه أيضا أن النبي ﷺ قال: «على كل نفس في كل يوم طلعت عليه الشمس صدقة منه على نفسه، إلى أن قال: «وتعزل الشوك عن الطريق والعظم والحجر أي لك به صدقة....» الحديث. رواه أحمد في مسنده.

فهذه الأحاديث الشريفة تثبت لمن أبعد الأذى عن الطريق ثواب الصدقة، وتجعل هذا العمل من الأعمال التي تزحزح صاحبها عن النار وتعده شعبة من شعب الإيمان، مع العلم فليس ذكر الأشياء المذكورة في الأحاديث الشريفة للحصر، وإنما يقاس عليها كل ما يمكن أن يحدث أذى للمارة في الطريق سواء كان ذلك الشيء كبيرا أم صغيرا وعلى أي شكل أو نوع كان ولو مجرد مسمار أو بقعة زيت أو بقايا قطع حديدية أو ما شابه ذلك.

والحمد لله، فكلما تقدم الزمن وتواصلت الحضارات وازدهرت المستحدثات، ازددنا إيمانا على إيمان، ويقينا على يقين، وحبا على حب لإسلامنا العظيم إسلام الحضارة والرقي، إسلام النظرة البعيدة التي لا تطال وها هي الأيام تثبت عيانا بيانا نظرة الإسلام المتبصرة من بعيد لأهمية الطريق والدعوة إلى المحافظة عليه والعناية به، وها هي دول العالم تنفق المليارات في كل عام على الطرق وتحسينها وتجديدها وتطويرها، وأصبحت القوانين الخاصة بالطرق منتشرة في جميع الدول خاصة تلك القوانين المتعلقة

بالمرور، وكلها تهدف إلى ضمان السير على الطريق بسرعة محددة وسهولة وأمان. وإذا كانت الأحاديث الشريفة السابقة تعتبر إماطة الأذى عن الطريق صدقة، فإن أنوارا أخرى من كلمات الحبيب ﷺ تمنح مانع الأذى عن الطريق ومبعده منحا غالية عجيبة وفريدة تكاد لا تصدق ولكنها والحمد لله الذي له الفضل والمنة جاءت في أحاديث صحيحة ومتعددة.

فمن منا يتصور أن مسلما يبعد غصن شوك عن الطريق فينال شكر الله ويغفر له ليكون من أصحاب الجنات؟

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له» رواه البخاري ومسلم.

ومن منا يتصور أن مسلما يقطع شجرة من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين فيغفر له ويتقلب في الجنة؟ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة من شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» رواه مسلم.

وفي رواية أخرى: «مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة».

ومن منا يتصور أن مسلما لم يعمل خيرا قط، فينزع غصن شوك عن الطريق كان يؤذي المسلمين فيشكر الله له ويدخله الجنة؟ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق أي أبعده - فشكر الله له فأدخله الجنة» رواه أبو داود وابن حبان وغيرهما.

فأي فضل هذا وأي تكريم هذا لمن يرفع الأذى ويبعده عن الطريق حتى لا يؤذي أحدا. إنها حضارة الإسلام السامية التي لا تطاول ولا تبارى والتي تجعل الطريق مسار أمن وسلامة وراحة وأمان. يقول الرسول ﷺ في صحيح مسلم: «عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق» رواه مسلم.

فهل يمكن أن تتصور مدى الأجر والثواب من الله - تعالى - لمسلم أو مسلمة يصلح طريقا به مطبات خطرة ويجعله سهلا مريحا للمارة. أو ينشئ طريقا جديدا يربط بين مكانين. إن هذا والله لعمل عظيم وثوابه عند الله كبير. ولا يقدر على ذلك إلا أهل العزم واليقين.

إن الكلمات الهادية الواردة في أحاديث الرسول ﷺ بمثابة دعوة صريحة وواضحة إلى كل مسلم ومسلمة، للعمل على أن يكون الطريق في أرض الإسلام علامة بارزة على حضارة الإسلام وعظمته، وما أجدرنا أن نتعاون جميعا لإبعاد كل أذى عن الطريق وأن نجعله مرآة تصور جمال الإسلام وحضارته.

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ

(٢)

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

ذكر القرآن الكريم «الاستقامة» فيما يقرب من خمسين آية في سورة، ليؤكد على عناية الإسلام بدعوة المسلم إلى الالتزام بالاستقامة والثبات عليها.

ونسير في هذا المقال إلى بعض هذه الآيات الكريمة لنتدبر معانيها. ونهتدي بهديها، ونتمسك بتوجيهاتها وإرشاداتها لنفوز برضا الله عنا في الدنيا والآخرة.

يقول الله - تعالى -:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ٥١)

تتحدث الآيات السابقة على هذه الآية الكريمة عن طبيعة رسالة سيدنا عيسى - عليه السلام -، وعن معجزاته التي أيده الله بها لتدل على صدقه فيما يسمعه عن ربه. وعن دعوته لبني إسرائيل لطاعته فيما يأمرهم به..

وهذه الآية الكريمة تحكي عن أن سيدنا عيسى - عليه السلام - يقرر أن هذه المعجزات العظيمة التي أجراها الله على يديه لن تخرجه عن أن يكون عبدا لله مخلوقا له، وأنه يقوم بعبادته.. وأن على الناس أن يعبدوا الله لأنه ربهم الذي خلقهم وربهم. وأن طاعته هي الطريق المستقيم. والطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف. وأن من التزم بالاستقامة وثبت عليها وسار على هديها سعد في دنياه وأخراه.

ويقول الله - تعالى -:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٠٠، ١٠١)

أشارت الآيات السابقة على هاتين الآيتين الكريمتين إلى طرق وأساليب اليهود الخبيثة لكيد الإسلام والمسلمين، ومحاولاتهم الدنيئة الخسيسة للدس والوقيعة بين المسلمين، وإثارة الفتنة والفرقة بينهم، ليعود الأنصار «الأوس والخزرج» إلى عداوتهم القديمة التي كانوا عليها في الجاهلية، قبل أن يمن الله عليهم بالإسلام. وتقوم الحرب بينهما يضرب بعضهم رقاب بعض، بسبب ما صنعه اليهودي «شاس بن قيس» من تذكير الأوس والخزرج بتلك العداوة القديمة، ونجاحه - أول الأمر - في إثارة غضب الفريقين، وعزمهما على حمل السلاح، وتحديدهما موعد ومكان اللقاء للقتال... لولا أن علم الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك، وخروجه ومن معه من المهاجرين إليهما، والقضاء على تلك الفتنة.

فأنزل الله - تعالى - هذه الآيات السابقة على هاتين الآيتين الكريمتين:

- لتأنيب اليهود على كفرهم بالحق، وعلى مسالكهم الآثمة لنشر الفرقة بين المسلمين، والعمل على صرفهم عن دينهم الذي يعلمون علماً أكيداً أنه الدين الحق.

- وتهديد اليهود بأن الله مطلع على أقوالهم وأفعالهم ومؤامراتهم، وأنه - عظمت قدرته - سيجازيهم على ذلك بما يستحقونه من عقاب أليم..

وبعد أن أنّب القرآن الكريم اليهود على كفرهم وضلالهم، ووبّخهم على محاولاتهم إضلال غيرهم، وصرف المؤمنين عن إيمانهم بإثارة الفتنة والوقيعة والشقاق بين المسلمين.

بعد ذلك وجّه الله - تعالى - نداءً إلى المؤمنين يحذرهم فيه من دسائس اليهود وكيدهم، وينهاهم عن الركون إليهم، والاستماع إلى مكرهم، والانسياق وراء مؤامراتهم:

﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران: ١٠٠)

أي: لكن أيها المؤمنون إن أطعتم إلى ما يبغيه بعض هؤلاء الذين يكيدون عليكم، واستمعتم إلى دسائسهم وكيدهم ومكرهم، فإنهم لن يكتفوا بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم، كما كانوا يفعلون معكم في الجاهلية قبل أن يمن الله عليكم بالإسلام، بل سيتجاوزون ذلك إلى محاولة تحقيق غايتهم وهي إعادتكم إلى الكفر بعد إيمانكم.

ثم أنكرت الآية الكريمة واستبعدت أن يعود المؤمنون إلى الكفر بعد أن مَنّ الله عليهم بالإيمان ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ [illegible] ﴾ (آل عمران: ١٠١)

أي: كيف يتصور منكم أيها المؤمنون الكفر، أو أن تسيروا في أسبابه، وآيات الله تقرأ على مسامعكم صباحاً ومساءً، ورسول الله بينكم يحكم ويرشدكم ويهديكم ويردكم إلى الصواب في أخطائكم. هذا لن يكون.

ثم أرشد الله - تعالى - المؤمنين إلى الوسيلة النافعة التي متى تمسكوا بها عصموا أنفسهم من مكر وخبث ودهاء ومؤامرات اليهود

﴿ [illegible] فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران: ١٠١)

أي: ومن يلتجئ إلى الله في كل أحواله، ويتوكل عليه بإخلاص في كل أموره، ويتمسك بتنفيذ تعاليم دينه أمراً ونهياً، وسمعاً واستجابة، فقد مضى إلى الطريق السوي الذي لا اعوجاج ولا انحراف فيه، وضمن السلامة في الدنيا والآخرة.

وهذه الآية الكريمة تؤكد على دعوة الإسلام إلى أن يتمسك المسلمون بالاستقامة وأن يحرصوا على الثبات عليها، وأن ذلك كفيل بسلامتهم مما يبيته لهم أعداؤهم من مكر وخداع ومؤامرات.

ويقول الله - تعالى -:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٦٥، ٦٨)

تتحدث الآيات السابقة على هذه الآيات الكريمة عن حال المنافقين الذين يزعمون كذباً وزوراً أنهم آمنوا بما أنزل على الرسول من قرآن كريم، ومن شريعة عادلة، ويزعمون كذلك أنهم آمنوا بما أنزل على الرسل السابقين من كتب سماوية، ومع ذلك فهم يريدون التحاكم - عندما يختصمون - إلى مَنْ يُعظّمونه ممن يعادون الرسول - عليه الصلاة والسلام -، ويرضون بحكمه ولا يرضون بحكم الرسول ﷺ !!

وأن هؤلاء المنافقين إذا نزلت بهم النوازل، وأصابتهم المصائب بسبب نفاقهم وإعراضهم عن حكم الله، واتباعهم حكم أعداء الإسلام، جاءوا يعتذرون إلى الرسول ﷺ، ويحلفون كذبا وزورا أنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى غير الرسول إلا الإحسان إلى المتخاصمين والتوفيق بينهم حتى لا يغضب من ليسوا مسلمين.

ثم تبين الآيات الكريمة أن الله ليس غافلاً عن أعمال المنافقين، فالله - جل شأنه - يعلم ما في قلوبهم من النفاق، والميل إلى الكفر، وإن أظهروا إسلامهم.. فلا تلتفت إليهم - أيها الرسول الكريم -، ولا تهتم بهم، وذكرهم بعاقبة أعمالهم وما سيلاقونه من عذاب بسبب نفاقهم، وقل لهم قولاً بليغاً مؤثراً في قلوبهم يستشعرون منه الخوف من نتيجة أعمالهم، وأن الله - جل شأنه - لم يرسل

الرسل إلا ليطاع كل رسول فيما يبلغ به عن ربه، وأنه كان الواجب على هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بقبولهم حكم أعداء الإسلام، ورفضهم حكم الرسول، أن يأتوا إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - معتذرين تائبين توبة صادقة من هذا النفاق، ويستغفروا الله، ويستغفر لهم الرسول، لو أنهم فعلوا ذلك لوجدوا الله يقبل التوبة من التائبين، ويتفضل على عباده بالرحمة والمغفرة

ثم تبين الآية الكريمة

(النساء: ٦٥)

تبين أن كل مَنْ يدعى الإيمان لا يكون إيمانه صادقاً إلا إذا تقبل حكم الرسول، ورضى به عن إذعان واقتناع، أى: إذا ثبت ما أخبرناك به - أيها الرسول الكريم - قبل ذلك عن حال المنافقين وعدم رضاهم بحكمك، فإن هؤلاء المنافقين لا يؤمنون إيماناً حقاً صادقاً يقبله الله - تعالى - إلا إذا لجأوا إليك يجعلونك حاكماً بينهم فيما اختلفوا فيه من أمور، ثم لا يجدون فى أنفسهم بعد ذلك أى ضيق أَوْ شك فى قضائك، ويخضعون لحكمك خضوعا تاما، ويسلمون به تسليماً كاملاً بظاهرهم وباطنهم من غير ممانعة ولا منازعة..

ثم بيّن الله - تعالى - مظهرا من مظاهر فضله على الناس ورحمته بهم:

(النساء: ٦٦)

المراد بقتل النفس: تعرضهم للهلاك من غير أمل فى النجاة، أو تعريضها للقتل عن طريق الجهاد. والمراد بالخروج من الديار: الخروج من الأوطان والهجرة فى سبيل الله، أى: ولو أننا فرضنا وأوجبنا القتل والخروج من الوطن على هؤلاء المنافقين - أو على الناس كافة - ما فعله إلا قليل منهم رياء وسمعة، وبذلك ينكشف أمرهم وتظهر حقيقتهم، غير أن من رحمة الله بعباده أنه لم يكلف هذه الأمة إلا بما تستطيعه؛ لأنه -جل شأنه- لو كلف الناس جميعاً بالتكاليف الشاقة لما استطاع أن يقوم بها إلا عدد قليل منهم. فعليهم أن يقبلوا الإيمان بصدق وإخلاص. ولو أن المنافقين فعلوا وعملوا ما أمرهم الله به من اتباع الرسول - عليه الصلاة والسلام - والرضا بحكمه، لو فعلوا ذلك لكان ما فعلوه خيرا لهم فى دنياهم وأخراهم. ولكان أشد تثبيتاً لهم على الحق والصواب.

ثم بيّن الله - تعالى - ما أعده لهم من الأجر العظيم والثواب الجزيل

(النساء: ٦٧، ٦٨)

أى: إذا التزموا بذلك، وثبتوا على طاعتنا وطاعة رسولنا لأعطيناهم من عندنا ثوابا عظيما غير محدود بحدود. ولأرشدناهم إلى سلوك الطريق المستقيم الذى لا عوج فيه ولا انحراف. فيكونون من السعداء الذين استقاموا على هدى الله.

ويقول الله - تعالى -:

(النساء: ١٧٤، ١٧٥)

المراد بالبرهان: الدلائل والمعجزات الدالة على صدق النبى ﷺ فيما يبلغه عن ربه. ويصح أن يكون المراد به النبى ﷺ. والمراد بالنور المبين: القرآن الكريم.

لقد عمم الله - سبحانه - الخطاب فى الآية الكريمة فدعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد ﷺ، وإلى الإيمان بما جاء به من عند ربه، وإلى التصديق والإذعان بما جاء فى القرآن الكريم من شرائع ومواعظ، وآداب وحكم، وأوامر ونواه؛ فالإسلام رسالة عامة للناس جميعا.

ثم بيّن - سبحانه - حسن عاقبة المستجيبين للحق، المطيعين للرسول، المصدقين برسالته، المؤمنين بدعوته

(النساء: ١٧٥)

أى: إن الذين آمنوا بالله - تعالى - حق الإيمان، واعتصموا به - جل شأنه - مما يضرهم ويؤذيهم، فلم يلجأوا إلا إليه، ولم يستجيروا إلا به، ولم يعتمدوا إلا عليه، ولم يخضعوا إلا له... هؤلاء الذين فعلوا ذلك فإن الله سيدخلهم فى جنته ورضوانه، ويعمهم بفضله وإحسانه، ويمتعهم بنعيمه ورضوانه، ويوفقهم فى دنياهم إلى سلوك الطريق السوىّ المستقيم الذى لا عوج فيه ولا انحراف، وهو طريق الإسلام. يتبعون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويلتزمون بكل ما جاء به من أحكام وشرائع؛ فينالون بذلك السعادة والفوز والفلاح فى أخراهم.

ويقول الله - تعالى -

(المائدة: ١٥، ١٦)

المراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارى، أى: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يُظهر لكم كثيراً مما جاء فى كتبكم وكتمتموه عن الناس ولم تظهروه، كإخفائكم صفة النبى محمد ﷺ التى تجدونها فى التوراة والإنجيل، وكتمانكم ما جاء فيهما من بشارات تبشر به، وغير ذلك من الأحكام التى أخفاها علماؤكم عن العامة، وتولى الرسول – عليه الصلاة والسلام – إعلانها، إظهاراً للحق، ووضعا للأمور فى نصابها.

[illegible]

(المائدة: ١٥)

وهو – عليه الصلاة والسلام – لم يُظهر كثيراً مما يخفونه، ففى السكوت عنه رحمة بكم، وصيانة لكم عن افتضاح أمركم.

وفى إظهار الرسول ﷺ للكثير مما كتموه وعفوه عن الكثير مما أخفوه، معجزة له، وبرهان ودليل على صدقه؛ لأنه – عليه الصلاة والسلام – كان أميّا لم يقرأ كتابا، ولم يجلس أمام معلم، فإخباره بأسرار ما فى كتبهم معجزة له تحملهم على الإيمان به والتصديق بما يدعوهم إليه.

[illegible]

(المائدة: ١٥، ١٦)

المراد بالنور هنا: محمد ﷺ والمراد بالكتاب: القرآن الكريم ويرى بعض المفسرين أن المراد بالنور والكتاب هنا: القرآن الكريم.

والمعنى: قد جاءكم – يامعشر أهل الكتاب – من الله رسول أنزل عليه القرآن الكريم لهداية من علم – جل شأنه – أنه يريد اتباع الحق، والإيمان بالله، وبما جاء به محمد [illegible] من عند الله، وأنه يخلص العبادة لله، ومن كان كذلك فإن الله – سبحانه – ينعم عليه بالآتى:

١ – يوصله إلى طريق السلامة والأمان، والنجاة من كل خوف وبلاء بأن يثبته فى الدنيا على طريق الحق الذى أرسل به أنبياءه، ويكرمه فى الآخرة بالجزاء الأوفى والنعيم المقيم.

٢ – يخرجه – سبحانه – من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الحق والإيمان، بإرادته – جل شأنه – وعلمه.

٣ – يهديه – جل شأنه – إلى الصراط المستقيم الذى لا ميل فيه ولا اعوجاج، ولا قلق فيه ولا اضطراب، وهو طريق الإسلام الذى يوصل إلى النور والفلاح فى الدنيا والآخرة.

خطبة الجمعة

علاقة المسلم بالدنيا

لفضيلة الشيخ / محمد الغزالى

إعداد الشيخ / على حامد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

[illegible]

[illegible] بعد

فما هى علاقة المسلم بالدنيا التى يعيش فيها؟

[illegible] بعض الملحدين – من شرق الأرض وغربها – يقولون: إن الدين يعلق أتباعه بالدار الآخرة، ويصرف أفكارهم إلى بوارح غيبية مبهمة، ويشد قواهم وراء العمل للدار التى يتوهمون أنهم يحشرون فيها أو يعودون إلى ربهم فيها، وذلك كله على حساب علاقتهم بهذه الأرض وما فيها ومن فيها. فترى المتدينين يصيقون بالحياة، ويستوحشون منها، ولا يأسون لما يفوتهم من التقدم فيها والاستكثار من خيرها، ويظنون أنهم إنما يحرزون أنصبتهم من الكمال النفسى ومن التقدم الأخروى على أنقاض هذه الحياة التى يتجهمون لها ويجهلون أساليب العيش بها!

هذا كلام يقوله الملحدون – من أصحاب الفلسفات الشرقية أو الغربية عموما – وهم ينقدون الدين ونظرته إلى الحياة.

ونحن – من باب الأمانة – نقول: إن هذا التفكير إذا قيس بحقائق الإسلام المقررة، وقيمه المحددة،

وتعاليمه التي توطدت واستقرت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تبين أنه كلام تافه لا وزن له!

لكن لا شك أن بعض المتدينين أعان على توجيه هذا التهم للإسلام، وأن مسلكه في الدنيا هو الذي جعل ألسنة أعداء الله تطول في قيمة الدين وأثره! ولو أن المسلمين أنصفوا أنفسهم وكتابهم ونبيهم، وأحسنوا الأسوة بسلفهم الصالح، ومشوا في الطريق التي أقام عليها الآباء الكبار أعرق حضارة عرفتها الدنيا لكان المتحدثون من شرق الأرض وغربها قد تقاصروا عن هذا الكلام، وعجزوا عن توجيه التهم للإسلام! ولكنا أسأنا الفهم، وأسأنا العمل، فكان من سوء الفهم وسوء العمل ما حرض أعداء الله ورسوله ﷺ إلى أن يطعنوا ديننا بهذا الوصف الذي لا أصل له.

ما علاقة المسلم بهذه الدنيا؟

قال بعض العلماء: إن الإنسان له ناحيتان متقابلتان: هو أمام الله عبد يخضع له ويتلقى منه، وهو في هذا الكون - الذي يعيش فيه - سيد يصدر أوامره! هو أمام الله تابع يتلقى الأوامر، وليس له بالنسبة لهذه الأوامر إلا السمع والطاعة، ولكنه بالنسبة إلى الدنيا - التي يعيش فيها - ملك، ينقب في فجاجها، ويسخر كل شيء له، وله الحق أن يقترح وأن يجتهد وأن يبتدع لأنه أعلم بشئون دنياه، أما في شئون الدين فلا حق له في اقتراح ولا ابتداع لأنه يتلقى عن الله فقط[1].

الناحيتان المتقابلتان في كيان الإنسان هما الطابع الذي يغلب داخله، هو أمام الله عبد، يعترف بحقه، ويسبح بحمده، ويشعر بنعميه، ويسعد بلقائه، ويأبى أن يشعر بأن الحول كله له أو الطول كله له، ويعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

أما الناحية الثانية في الإنسان - وهي أنه سيد في الكون - فهي تجيء من أن الله جعله كذلك، مكنه وملكه وسخر له. قال تعالى:

[illegible]

(الجاثية: ١٢، ١٣)

هذا التسخير - للإنسان - هو الذي يحدد لنا مكانة الإنسان في الأرض، ما علاقته بهذه الدنيا التي يعيش فيها؟

هل خلق الإنسان ليكون مزلولا تقدمه على ظهر الأرض؟ هل خلق ليكون غريبا بين خيرات الله التي أحاطت به؟ كلا، يقول الله جل شأنه:

[illegible]

(الأعراف: ١٠)

التمكين في الأرض وظيفة لها مؤهلات، ومن يستطيع أن يكون ممكنا في الأرض إلا من يستجمع الخصائص الأدبية، والمواهب العقلية، والإمكانات المادية التي تجعل له هذا التمكين المطلوب.

ثم نرجع إلى الإسلام نفسه - في نصوصه القرآنية والنبوية لنرى الموضوع مفصلا

[illegible]

من أهم ما تقوم به الأمة الزراعة. يرى الإسلام أن الزراعة عبادة. يقول النبي ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[2].

وروى أحمد بن حنبل في مسنده: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»[3].

ومعنى هذا أنك تعمل إلى قيام الساعة، فلو قامت الساعة وأنت تزرع فلا ترد ما بيدك، بل تمم الزراعة، فإنك في عمل صالح يحسب لك.

ومن عجائب الإسلام أنه اعتبر أن الاقتصاد الإسلامي لا يجوز أن يقوم على مصدر واحد من مصادر الثروة، بل لابد أن يعتمد على مصادر شتى، وأن الاكتفاء بالمصدر الواحد غلط. ولهذا جاء في صحيح البخاري أن أبا أمامة الباهلي رأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الذل»[4].

وفي حديث آخر: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[5].

قال ابن حزم[6]: «إن الزرع المذموم الذي يدخل الله الذل على أهله هو ما تشوغل به عن الجهاد».

هذا كلام ابن حزم، وهو كلام يجمع بين النصوص المختلفة، ولكن الحقيقة أن ما يؤكده النبي ﷺ هو أن الأمة لا يجوز أن تكتفي بالزرع، فلابد مع الزراعة من تجارة ومن صناعة!

فيما يتصل بالصناعة نجد أمورا ينبغي أن تعرف، أحد أنبياء الله الكرام اشتغل في الصناعة:

[illegible]

(سبأ: ١٠، ١١)

والتفسير: (أن اعمل سابغات) أي دروعا سابغة، (وقدر في السرد) أي أحكم النسج، أو كما يقول بعض المفسرين: اجعل مسامير الدروع دقيقة بحيث تضبط حلق الدرع وفتحه، فلا تكون الخروق واسعة فتخرج الأزرار أو ضيقة فلا تدخل[7].

وكان سليمان - ابنه - كذلك يقول الله جل شأنه:

[illegible]

(سبأ: ١٢، ١٣)

[illegible]

المحاريب: المساجد، التماثيل: كانت مباحة في دينهم، الجفان: جمع جفنة، وهي القصعة، الجواب: جمع جابية أي: أحواض كبيرة يجري إليها الماء.

القدور: جمع قدر، آنية، ليس كآنية النحاس التي يحملها الواحد منا على عجل، بل كانت القدور كبيرة تدل على صناعة كبيرة.

وقد تحدث نبينا عليه الصلاة والسلام عن داود فقال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[1].

وعمل يده هو صناعة الحديد، وعندما سفه العرب أنفسهم اعتبروا الحدادة من الحرف الوضيعة! سبحان الله! إذا كانت الحدادة من الحرف الوضيعة فماذا تصنع الأمم لنفسها كي تدفع عن عقائدها ومثلها وقيمها؟!

إن الحديد باسمه سورة في القرآن الكريم، والسورة تحدثت عن أن هذا المعدن من خصائصه الكبرى أنه ذو بأس شديد وأن الله يختبر الأمم - على امتداد الزمان - بمدى دفاعها عن دينها ونصرتها لربها بهذا الحديد:

﴿لقد أرسلنا رسلنا [illegible] وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ (الحديد: ٢٥).

وهل يدافع الناس عن أوطانهم وعن شرفهم وعرضهم وعن الحقائق الكبيرة في دينهم وتراثهم إلا بالحديد؟ ويوم نكون فيه عالة على غيرنا أو يوم نحس أن صناعاته وضيعة فكيف نعيش في دنيا الناس؟!

إن رب العالمين بين لنا أن الأرض خلقت لنا

﴿[illegible]﴾ (الملك: ١٥)

نريد أن ندرك الحقيقة في ديننا، إن الله عز وجل مكننا في هذه الأرض، وهنا أوجه النظر إلى أن القرآن الكريم في وصفه للدين وتحديده لطريق النجاة قال:

﴿[illegible]﴾ (الكهف: ١٠٧)

العمل الصالح قسمان: قسم عبادي قليل وهو ما حدده الإسلام من صلوات وزكوات وصيام وحج وما إلى ذلك، وهو قسم قليل لأنه لا يستغرق من وقت الإنسان شيئا يذكر.

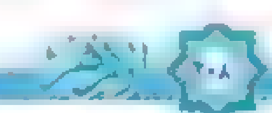
ولكن القسم الأكبر من العمل الصالح هو العمل في الدنيا وتطويع هذه الدنيا أو تسخيرها لخدمة التوحيد وإرساء تعاليمه والدفاع عنه!

فإذا كانت الصلوات تستغرق من الإنسان ثلث ساعة أو نصف ساعة في أربع وعشرين ساعة ففي ثلاث وعشرون ساعة ونصف؟

إن هذا الوقت الطويل هو الذي يتفقه الناس في

---

(١) رواه البخاري في البيوع - باب كسب الرجل وعمله بيده ٣ / ٧٤



دينهم كي يجيدوا فهمها، ثم لا يعيشون لهذه الدنيا عبيدا، بل يسخرون هذه الدنيا كي تحمي الصلاة والزكاة، كي تحمي التوحيد واليقين في الدار الآخرة!

إن علوم الحرب شيء طويل سواء كانت الحرب في البر أو في البحر أو في الجو، علوم الدنيا شيء طويل يحتاج إلى كليات ومهارات، وعلى المسلمين أن يدركوا أن «الصالحات» هي إتقان الدنيا وتسخيرها لله. وعندما يكون الحق في الصلوات أو الزكوات سببا في تضييع هذه الدنيا التي لابد منها فإنه يلغي دورا[2] كيف؟ قال الله تعالى للمسلمين، لما أخذوا يقومون الليل بنبيهم ﷺ الذي فرض عليه قيام الليل قال:

﴿[illegible]﴾

(المزمل: ٢٠).

قليل من القرآن تقوم به ليلا مع كثير من الاجتهاد يستنفد وقتك نهارا.. هذا هو الدين.

ومعنى ذلك أن إنسانا لو سهر الليل في قراءة القرآن، ثم أصبح يفتح دكانه متكاسلا ويعرض بضاعته متواكلا ولا يحسن أن ينمي أو يحرر السلع التي بين يديه، فهذا رجل يخون الإسلام لأن ضياع التجارة الإسلامية ضياع للإسلام نفسه، ثم إنه - أيضا - يخون نفسه وأهله وأسرته لأنه يوم يكون فقيرا فلن يحسن تربيتهم ولا الدفاع عنهم ولا حفظ مروءتهم ومكانتهم!

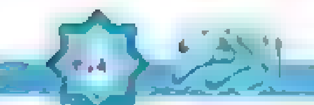
لو أن المسلمين الذين هاجروا إلى «المدينة» كانوا أقل كفاية اقتصادية من اليهود لهزمهم اليهود، لو كانوا صعاليك ما استطاعوا أن يكونوا جيشا يزحف إلى دولة الروم وأن يجدوا رجالا كعثمان ابن عفان يفتحون خزائنهم للإنفاق على هذا الجيش.

إن الإسلام دين حركة وحياة وعمل وقدرة، ولابد من هذا كله.

بداهة ما تتم هذه الأمور إلا في نطاق معرفة الله ومعرفة دينه، ونحن في حاجة قبل كل شيء وبعده إلى أن يفهم الإسلام فهما واضحا، فالأيدي المتوضئة هي التي يضع الله فيها البركة، والضمائر النقية التي تتصل بالسماء وتعرف ربها هي التي تحل ما يسمى بمشكلة «الروتين».

نحن بحاجة إلى أن نعرف ديننا بدقة، وأن نصنع الرجال الذين يحسنون النهضة على أساس هذا الفهم الذي ذكرته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.



فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(النحل: ٤٣)

استفتاءات القــراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور
علي جمعـة
مفتي الجمهورية

لا زكاة على حلي الزينة

السؤال من ش. م:

■ أمتلك محلا لتجارة الأحذية والشنط، وأقوم سنويًا والحمد لله بجرد المحل جردًا فعليًا وأقدر قيمة البضاعة الموجودة بالمحل بقيمة الشراء، وأضيف إلى القيمة المبالغ المستحقة لي لدى الغير إن وجدت في نهاية العام، وكذلك أقوم بخصم قيمة المستحق على المحل كديون للغير، وأقوم باستخراج الزكاة عن العام المنتهي من الأحذية والشنط الموجودة داخل المحل، بما يقابل القيمة أحذية مختلفة بدلاً من النقود، وأقوم بتوصيلها إلى بعض الجمعيات الخيرية والمدارس لتوزيعها على الفقراء والمساكين، وفي حالة وجود نقود وأرصدة نقدية عند إجراء الجرد أقوم باستخراج الزكاة عنها نقدًا ويتم توزيعها على الفقراء والمحتاجين؛ أي أن ما في البضاعة أخرج الزكاة عنها حسب القيمة الشرعية بضاعة، والنقود أخرج عنها حسب القيمة الشرعية نقودًا.

أرجو التكرم بإفادتي هل ما أفعله صحيح وموافق للشرع أو لا؟ وماذا أعمل؟

وهل هناك زكاة على ذهب الحلي للمرأة إذا بلغ مائة جرام؟

الجواب:

أولاً: ما تفعله في إخراج الزكاة عن نشاطك التجاري صحيح إن شاء الله تعالى.

ثانيًا: المفتى به أن ذهب الحلي الذي تملكه النساء والمعد لزينتهن لا زكاة فيه مهما بلغ وزنه.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الخلع وجهاز الزوجية

السؤال من أ. م. ع:

■ أقامت زوجتي دعوى خلع أمام المحاكم، وهي التي تركت شقة الزوجية، وقمت بشراء مصوغات ذهبية لها كشبكة، وجرت العادة على أن يقوم الزوج بالتوقيع على قائمة عفش الزوجية، ووقعت عليها. فهل يكون جهاز الزوجية والمصوغات الذهبية من مقدم الصداق في حالة الخلع؟

الجواب:

المعمول به في القضاء المصري وعليه الفتوى: أن على المرأة المختلعة أن ترد لزوجها مهرها الذي أمهرها إياه عند الحكم لها بالخلع؛ اختيارًا من آراء بعض أهل العلم فيما يخص هذه المسألة.

والأصل في القائمة أنها حق مدني للزوجة على زوجها بمثابة الدين له عليه، فإن ادعى الزوج كونها أو بعضها مهرًا، وثبت ذلك بما يثبت به الحق قضاء حكم له به، ويجب على الزوجة حينئذ رده عند الخلع بموجب المعمول به إفتاء وقضاء؛ لخروجه حينئذ عن كونه دينًا إلى كونه عوضًا للبضع ومقابلاً للتسليم، وإن لم يثبت ذلك عند القاضي، فإنها تكون حقًا خالصًا للزوجة، اختلعت أو لم تختلع، ولا يجب عليها ردها للزوج عند الخلع.

وقد جرى العرف على أن الشبكة التي يقدمها الخاطب لمخطوبته هي جزء من المهر لأن الناس يتفقون عليها في الزواج، وهذا يخرجها عن دائرة الهدايا ويلحقها بالمهر، وقد جرى اعتبار العرف في التشريع الإسلامي؛ لقوله تعالى:

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

وقد جاء في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه: «ما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ» أخرجه أحمد والطيالسي في مسنديهما، فالشبكة من المهر.

وبناءً على ذلك فإن الشبكة المقدمة من الزوج لزوجته تكون جزءًا من المهر الذي يجب رده له من قبل الزوجة عند اختلاعها منه.

وكذلك يجب أن تعيد المختلعة ما أمهرها به زوجها الذي خالعته بأي صورة من صور الإمهار، سواء أكان نقدًا أم أعيانًا، فمتى ما ثبتت مهريّة شيء وجب إرجاعه إليه عند الخلع.

وكل ذلك مبني على المعمول به إفتاء وقضاء من رد المختلعة للمهر عند الخلع؛ ارتكازًا على كون الحديقة هي المهر في حديث النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» الذي أخرجه البخاري وغيره في قصة المختلعة أم حبيبة بنت سهل الأنصاري من زوجها ثابت بن قيس

رضي الله تعالى عنهم
والله سبحانه وتعالى أعلم

الزكاة والمشروعات الخيرية

السؤال من ص . ف:

■ هل يجوز صرف زكاة الأموال أو جزء منها على المشروعات الخيرية كالمساجد والمستوصفات الخيرية ووحدات الغسيل الكلوى وخلاف ذلك على اعتبار أن هذه المشروعات تدخل ضمن قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

■ هل يجوز أن أقوم ومعي مجموعة من رجال الأعمال بإنشاء مشروع استثماري من أموال الزكاة يتم إنفاق عائده على الفقراء والمساكين وذلك حتى يتاح لنا مصدر دائم للإنفاق عليهم؟

الجواب:

أولاً: أما بناء المساجد فلا يكون من الزكاة؛ لأن الزكاة لبناء الإنسان قبل البنيان، ولإعالة الساجد قبل المساجد.

وأما المستوصفات الخيرية ووحدات الغسيل الكلوى فيمكن دفع الزكاة لها ما دامت مخصصة لعلاج المرضى غير القادرين، ولكنها لا تبنى من الزكاة إلا إن عدم من أموال التبرعات والصدقات الجارية ما يكفي لبنائها.

ثانيًا: الأصل إخراج ذلك من مصارف الصدقات الجارية والأوقاف؛ لأن في مثل هذا المشروع حبساً للأصل وتسبيلاً للعائد. ولا ينشأ من الزكاة؛ لأن الزكاة يشترط فيها التمليك، لكن إن لم يكن هناك من أموال الصدقات الجارية والتبرعات ما يفي بقيام هذا المشروع فيمكن الأخذ بقول من لا يشترط من العلماء التمليك في الزكاة؛ استثناء من الأصل للحاجة الداعية إليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجوز إعطاء الزكاة لطلبة العلم

هل الصرف على المنح العلمية أو على طلبة العلم هو أحد المصارف الشرعية للزكاة أو لا؟

الجواب:

الزكاة مصارفها التي حددها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله سبحانه:

[illegible]

(سورة التوبة: ٦٠)

وقد اتفق الفقهاء على إعطاء طالب العلم من الزكاة بقدر ما يكفي حاجته العلمية، وتكلموا عن ذلك في موضعين:

الأول: عند كلامهم على مصرف الفقراء والمساكين، وأن طالب العلم يعطى من الزكاة ما يكفيه مؤنة معيشته حتى لو كان قادراً على الكسب عند الشافعية، وحتى لو ملك نصاباً عند الحنفية؛ وذلك في مقابل تفرغه لطلب العلم.

فقد نقل ابن عابدين في حاشيته «رد المحتار» (٢ / ٣٧٢) عن جامع الفتاوى ما نصه: «وفي المبسوط: لا يجوز دفع الزكاة إلى من يملك نصاباً إلا إلى طالب العلم والغازي ومنقطع الحج؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: يجوز دفع الزكاة لطالب العلم وإن كان له نفقة أربعين سنة» اهـ.

ونقل الإمام النووي الشافعي في «المجموع شرح المهذب» (٦ / ١٩٠) عن الأصحاب أنهم قالوا: «ولو قدر على كسب يليق بحاله إلا أنه مشتغل بتحصيل بعض العلوم الشرعية بحيث لو أقبل على الكسب لانقطع من التحصيل حلت له الزكاة؛ لأن تحصيل العلم فرض كفاية».

وقال الشيخ الخطيب الشربيني الشافعي في «الإقناع»: «ولو تفرغ قادر على التكسب للعلم وتعذر الجمع أعطي، لا إن تفرغ للعبادة وملازمة الخلوة ونحوها».

وقال الشيخ البهوتي الحنبلي في «كشاف القناع»: «وإن تفرغ قادر على التكسب للعلم الشرعي، وإن لم يكن لازما له «وتعذر الجمع» بين العلم والتكسب «أعطي» من الزكاة لحاجته».

ونقل البهوتي عن ابن تيمية أنه سئل عمن ليس معه ما يشتري به كتبا للعلم يشتغل فيها؟ فقال: «يجوز أخذه منها – أي من الزكاة – ما يحتاج إليه من كتب العلم التي لابد لمصلحة دينه ودنياه منها» ثم قال البهوتي: «ولعل ذلك غير خارج عن الأصناف؛ لأن ذلك من جملة ما يحتاجه طالب العلم، فهو كنفقته».

والثاني: عند كلامهم على مصرف (في سبيل الله)؛ إذ إن هذا المصرف يشمل العلم والجهاد؛ لأن الجهاد يكون باللسان كما يكون بالسنان، كما قال تعالى في القرآن الكريم:

[illegible]

(الفرقان: ٥٢)

بل إن بعض الفقهاء جعلوه شاملاً لجميع القرب عند الحاجة، قال الكاساني في «بدائع الصنائع»: (وأما قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فعبارة عن جميع القرب؛ فيدخل فيه كل من سعى في طاعة الله وسبيل الخيرات إذا كان محتاجاً). اهـ.

ونص العلماء على دخول الإنفاق على طلبة العلم ضمن مصرف ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ومن هؤلاء العلماء المرغيناني ومنلا خسرو وصاحب الفتاوى الظهيرية وغيرهم.

بل صرح الحنفية بجواز نقل الزكاة من بلد إلى بلد آخر لطالب العلم.

ومما يستدل به على ما ذهبوا إليه من دخول الإنفاق على طلبة العلم ضمن مصرف ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قوله ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» أخرجه الترمذي وحسنه.

وبناءً على ذلك وفي واقعة السؤال: فإنه يجوز شرعاً إعطاء أموال الزكاة للمنح التعليمية والصرف منها على طلبة العلم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

مواقف إسلامية

دول «العلمانية» تندثر

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

[illegible]

١- ما هي؟

٢- [illegible]

٣- [illegible]

٤- [illegible]

[illegible]

والعولمة في جوهرها اسم براق.. يعتصم به ماكرون لتحقيق هدفهم:

أما هدفهم فهو:

محاولة التسلل إلى أعماقنا.. بأقنعة مختلفة.

وقد قدّر لهذه المحاولة أن تفد إلينا بحكم تقدُّم أصحابها – علميا وسياسيا واقتصاديا وإعلاميا – والمغلوب مولع بتقليد الغالب.

وكنا كالدجاج: له أجنحة.. ولكنه لا يطير!..

كل ما تملكه في كل التجرع هو الدموع!

وكان المتوقع أن نتصدى لها:

فأموال العرب في بنوك الغرب.. وكان الظن أن تكون في يدنا سلاحاً نقاوم به هؤلاء الذين يريدون أن يكون المسلم: شخصية بلا هوية الأمر الذي يتيح لهم عزل الإسلام عن التأثير في مجرى الحياة.. بالقضاء عليه.

أجل كان المتوقع ذلك: والواقع شاهد بقوتنا بإمكاناتنا: ولنا في «كوريا الشمالية» شاهد: فهي ترهب أمريكا.. وما تملكه نحن العرب والمسلمين أقوى!!

لماذا تهاجم العلمانية؟

تأخذ «العلمانية» موقف الهجوم.. لا موقف الدفاع.. لأسباب: منها:

أ- قوة الغرب العسكرية

ب- [illegible] التجارية

جـ- موقف بعض الرموز العربية والإسلامية.

ومتى يمكن لهذا المذهب أن يواجه بلادنا ومنهم علي عبد الرازق بمؤلف كتابه «الإسلام وأصول الحكم» الذي قرر فيه أن الإسلام فقط «عقيدة» يعني دين لا دولة. إنه فقط للآخرة ولا شأن له بحركة الحياة»

وهي فكرة يهودية قديمة. وقد شدد القرآن النكير عليها مثل قوله عز وجل:

(البقرة: ٨٥)

وسائلها:

لأن سدنة «العلمانية» يعتقدون أنهم يسبحون ضد التيار.. وأن ما يريدونه سوف يصطدم بفطرة الإنسان.. فقد قرروا ما يلي:

أولاً: الاختصار باسم خادع براق هو «العلمانية»

ثانياً: إفساد الأخلاق بالفن الهابط الذي يفسد السلوك

ثالثاً: عقد المؤتمرات مثل «مؤتمر السكان» في محاولة للاستبداد في فراغنا

رابعاً: التدرج في هدم الإسلام.. ثم احتلال الساحة العقلية فهي أولاً: تنادي باحترام «الدين» لكن مكانه في المسجد فقط

وثانياً: تكشر عن أنيابها بعد هذا التمهيد.. لتنادي بإلغاء الدين بهدف ليخلو لها الجو.. بعد تنحية الإسلام الذي هو عدوها اللدود، وبذلك يخلو الجو لها. بعدما تحت الكنيسة وتحت المسجد معاً

الرد الإسلامي:

هناك سؤال يفرض نفسه:

هل واقعنا الإسلامي محتاج فعلاً إلى «العلمانية» لحل مشكلاته؟

وقد كانت هناك وجهة نظر تقول: لا داعي للرد على هذا التساؤل بعد ما تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.. وكما يقول القائل:

ولم أجبه.. لاحتقاري لـه

مـن ذا يعض الكلب إن عضا!!

ولكن كان لابد من كشف القناع لنكشف السوأة.. التي ينبغي أن يحذرها السطحيون في أمتنا وبخاصة بعدما طبل لها بعض المثقفين منا وزمروا!

إن «العلمانية» تساوي «اللا دينية»: ورجل علماني أي لا ديني!! وظهورها في «أوروبا» كان منطقيا مع لون الحياة فيها عندئذ: فقد اضطهد العلماء في محاولة للتخلص من سلطان الكنيسة ثم ظهر الفساد في البر والبحر هناك فأراد الماكرون هناك: رمينا بدائهم.. ثم لنكون من بعد تابعين لهم.. بعد تدمير فكرة «الدين» ليتحقق لهم:

١- انتشار البطالة عندنا.

٢- زواج الرجل بالرجل.

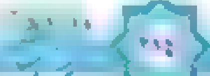
٣- منع التعدد

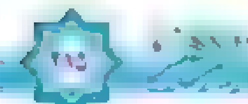
موقف الإسلام:

الإسلام لا يرفض «المادة» المهم هو أن تكون الغاية شريفة وذلك قوله عز وجل:

(القصص: ٧٧)

فالمسلم يستمتع بالدنيا.. ولكنها لا تستعبده.





والإسلام ضد الاستئثار بالسلطة من فريق معين.. ولكن السلطة تتم في ضوء الشورى التي تعني رفض التسلط وحكم الفرد. وتعني أيضاً أن لا يستعبد إنسانٌ «إنساناً»: فللإنسان كرامته التي ينبغي أن تصان ولا تهان.

والإنسان في الإسلام مهما علا في درجاته - لا يرتفع إلى مستوى الإله.. ومهما انحط في دركاته فلا يكون من فصيلة الحيوان في الوقت الذي تكون دولٌ متحضرة إلى اتخاذ الحيوان شعاراً لها مثل: الذئب، والثعلب، والأسد. والحكومة أيضاً: ليست إلهية.. كما أنها ليست حيوانية ومن أجل ذلك نرى الحاكم هناك يخشى من تبعات الحكم بالإسلام وما يفرضه عليه من الالتزام.. ومن أجل ذلك يهاجمه.. بل يساعد من يتصدى له ولو بلسان الحال، ولعلنا نذكر كيف تنهال المعونات من المعسكر الشرقي والغربي على دولة مسلمة.. ضد أخرى مسلمة أيضاً.. لأن مساعدة الأولى هدم للإسلام!

مرة أخرى ماذا يريدون؟

ماذا يريد هؤلاء «العلمانيون»؟

يريدون فصل الدين عن الدولة: ولم يكونوا منصفين في توزيع التركة: فقد قالوا: فيتحول دور الدين في المسجد: المسلم يعبد الله كما يشاء.. ولا شأن له بأمور الحياة خارج أعتاب المسجد.

من الذي يقف وراء العولمة

والجواب كما يقول الباحثون:

إنها الدول القومية، والأفراد، والشركات المتعددة الجنسية، والمؤسسات الدولية، ومؤسسات الاستثمار، والشركات غير الحكومية. بل وحتى المنظمات الإجرامية. وكل طرف من هذه الأطراف يؤثر على العولمة بطريقته.

وننتقل إلى نقطة بالغة الأهمية تحتاج إلى دراسات معمقة، وهي: هل العولمة فعلاً عالمية أم أن آثارها الإيجابية تقتصر فقط على الدول المتقدمة اقتصادياً والتي تقود عملية العولمة على حساب دول العالم الثالث من ناحية، بل وعلى حساب الطبقات الفقيرة في هذه الدول ذاتها من ناحية أخرى؟

ومن هنا الحديث عن التهميش الاجتماعي وإقصاء بعض الدول المتوسطة والصغيرة عن الاستفادة من إيجابيات العولمة وهناك بعض الباحثين الذين يرون أن العولمة مرادفة «للأمركة»، أي فرض القيم وأساليب الحياة على العالم. وفي تقديرنا أن هذا الحكم ليس صحيحاً؛ لأن العولمة عملية تاريخية متعددة المصادر في الواقع. وأخيراً يمكن القول: إن القوى الدافعة وراء العولمة هي الانتقال من اقتصاد السلع إلى اقتصاد المعلومات ومن هنا نشوء ما يطلق عليه «مجتمع المعلومات العالمي» الذي يتقدم ببطء - وإن كان بثبات - لكي يتحول إلى مجتمع المعرفة.

ولا يزالون يختلفون

ومن الإنصاف أن نترك الحديث لوجهات النظر تتلاقى في محاولة لفهم يقول أحد الباحثين:

ولعله من المفيد أن نبدأ بمناقشة الموقف من مسألة العولمة، فمعظم الذين يتصدون لهذا الموضوع، يهتمون بإبراز سلبيات العولمة ويقارنونها بالاستعمار القديم بهدف إدانتها وكشف الأقنعة عنها، ومسح الأصبغة الخادعة عن وجهها ليظهر على حقيقته وبكامل قبحه، ويظنون أنهم بذلك قاموا بواجبهم واستراحوا، متناسين أن المفكرين في العالم الغربي لا ينكرون هذه السمات التي ينعتون بها العولمة. بل إنهم يؤكدونها ويبرزونها في محاضراتهم ومقالاتهم وأبحاثهم. فقد كتب السيد نايل فرغيوسون أستاذ التاريخ في جامعة اكسفورد مقالاً بعنوان: «رحبوا بالإمبريالية الجديدة» نشره في الجارديان في ٣١ / ١٠ / ٢٠٠١، بعد فترة قصيرة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١. حيث يقول في المقال: «علينا أن نسمي الأشياء باسمها الحقيقي، فالعولمة السياسية ليست سوى عبارة براقة للتعبير عن الإمبريالية، وعن فرض قيمنا ونظمنا على الآخرين، وكيفما حاولنا أن نعطي هذه الحقيقة، ومهما كانت بلاغتنا الخطابية، ففي الواقع، لا تختلف العولمة السياسية كثيراً عما كانت تفعله بريطانيا العظمى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وها هي الإمبريالية الجديدة تعمل فعلاً في البوسنة وكوسوفا وتيمور الشرقية وهي في جوهرها الإمبريالية نفسها التي ظهرت في العشرينيات من القرن الماضي، عندما أقرت عصبة الأمم صكوك الانتداب لإدارة «المناطق» ولم تكن تلك سوى كلمة لطيفة لوصف المستعمرات التي نتجت عن معاهدة فرساي..» ويتابع قائلاً: «ليس ثمة تبرير لاستمرار الولايات المتحدة كقوة نصف إمبراطورية؛ لأن الانتقال إلى حالة الإمبراطورية الرسمية ممكن تماماً فالولايات المتحدة لديها الأدوات، ولديها القوى والأسس الكافية لتأخذ دورها كقوة مهيمنة على العالم، فتجعله مكاناً أكثر استقراراً».

والأستاذ فرغيوسون ليس الوحيد، فقد نشر مارتن وولف في مجلة فاينانشيال في ١٠ / ١٠ / ٢٠٠١ مقالاً بعنوان «الضرورة لإمبريالية جديدة» يقول فيه: «ينظر بلير إلى الأحداث الراهنة باعتبارها فرصة لإعادة ترتيب العالم، ولكن حتى بلير نفسه لا يفهم كم يجب أن تكون جذرية عملية إعادة الترتيب هذه، فالهدف هنا هو تغيير مفهومنا لموضوع السيادة القومية، وهو حجر الأساس في العالم المعاصر..». أما الدبلوماسي البريطاني روبير كوبر فهو يقترح فكرة «الإمبريالية الدفاعية» في مفارقات كثيرة تسم علاقة العرب بالعصر الذي يتقدم العالم لاقتحامه في القرن الحادي والعشرين، وهو العصر الذي اصطلح على تسميته بعصر المعلومات حيناً وعالم العولمة حيناً آخر. وأولى هذه المفارقات موقف العرب من أهم سمتين تسمان العصر القادم، المعلومات والعولمة، ففي حين أنهم يقبلون من حيث المبدأ فكرة الاندماج بعصر المعلومات بل وينظمون المحاضرات والندوات والمؤتمرات الطويلة التي تمجد وتشجع وتوضح

أسس العمل على إنجاز هذا الاندماج، فإنهم في المقابل لا يقبلون فكرة الانخراط في عالم العولمة، ويضعون أنفسهم وبلادهم في موقف المواجهة مع هذه الفكرة التي يتفقون على إدانتها جميعا، ولذلك فهم أيضا ينظمون الندوات والمؤتمرات لإدانة هذه الفكرة وتوضيح أسسها والتأكيد على أنه نوع من المؤامرة التي تتسلل إلينا بأقنعة مختلفة.

هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية الفعلية التطبيقية، فإننا نجد الموقف معكسا تماما، فنحن لا نزال بعيدين عن عصر المعلومات، رغم تقبلنا لفكرة الاندماج فيه، ولا نبذل الجهد الكافي ولا نقدم التمويل اللازم لتسريع هذه العملية، أما بالنسبة لعالم العولمة فإننا مضطرون للدخول في علاقات مع العالم المتقدم في المجالات الاقتصادية والإعلامية والعلمية والسياسية، وبالتالي نحن لسنا بعيدين عن عالم العولمة، ولكن موقعنا من هذا العالم هو موقع المناطق الهامشية البعيدة عن المركز، وموقع العناصر الخاملة التي تتأثر بقوانين عالم العولمة دون أن تؤثر فيها.

وبين التناقض بين الآمال والواقع، والمفارقة في الموقف بين المعلومات والعولمة، يضيع الموقف الإيجابي الفاعل في غمرة الأحداث المتسارعة والمتلاحقة والتي تضع العرب كل يوم أمام تحديات جديدة.

أما بعد:

فلقد انتهت العولمة بانكشاف أغراضها:

نهارك هـــائـــم، وليلك نـــائم

كذلك فـي الدنيـا تكون البهائم

ويبقى المسلم هو المرشح الوحيد لإنقاذ العالم الشريد

أجل إلى الإسلام من جديد.. بلا «علمانية» مستوردة: فالإسلام وحده هو طوق النجاة:

(فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وحدة مستقلة تنطق في غير قيود من أخطاء سبقت، وفي مسئولية شخصية فردية)

لا وصاية.. بل: استقلال. ولا جمود.. بل: حركة

ولا تخلف.. بل: تقدم بالسعي والعمل في الحياة الدنيا. إنسانية خالصة ومسئولية فردية واضحة، عبادة لله وحده ومساواة بين الإنسان والإنسان، وبشهادة: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يتصل الإنسان بربه من غير وسيط.

وبالإيمان بالله: يتحرر الإنسان من كل إلزام خارج عنه.

وتلك أسس النظرة الإسلامية للإنسان.

ولو كان الإسلام في أوروبا ما نشأت العلمانية في الفكر الأوروبي، ولما وصل تفكير بعض المفكرين في أوروبا إلى التطرف في المادية والجنوح إلى شحن النفوس بالأحقاد ودفعها إلى الانقلاب الدموي لحل بعض المشكلات الاجتماعية).

وحين تعلن العلمانية إفلاسها.. يبقى الإسلام، ويبقى مهما حاول المغرضون:

تنبو المعاول عنها وهي قائمة

والهادمـون كثيـر فـي نواحيها

بحث تربوي

المسئولية في الإسلام

للدكتور السيد أحمد فرج

أستاذ بكلية التربية بجامعة المنصورة

قبل الحديث عن المسئولية الإنسانية في الإسلام، تطرح تساؤل مهم عن الإنسان: مسير أم مخير؟ لقد شغل هذا السؤال الناس منذ عصور الإسلام الأولى، فرأى المعتزلة أنه مخير، ورأى الجبرية أنه مسير، وتوسط بعضهم كالأشاعرة فرأى أنه مسير مخير معاً [illegible] في [illegible] وقد قال بهذا الرأي بعض المحدثين مثل الشيخ محمد عبده [illegible] الإرادة [illegible] في الحالة الأخيرة يكون حرا مسئولا مقيدا بالضوابط الشرعية

ومسئولية المربي أن يربي النشء ويبصرهم بما خلق الله فيهم من مركبات فطرية لا سلطان للإنسان عليها. ليعرف النشء إلى أي حد تنتهي حركة الفطرة فيه وسيطرتها عليه. وعند أي نقطة تبدأ قدرته على الاختيار، وتحمل مسئولياته. ولذلك فقد وضعت الشريعة الإسلامية القواعد العملية لتربية الإرادة، وتدريبها على الالتزام بالحكمة والثبات أمام الأهواء.

الثورة الغضبية وكيف نسيطر عليها

الثورة الغضبية مما ركب في خلق الإنسان، وكل إنسان يغضب، وقد يكون الغضب مفيدا إذا لم يتعد حدوده، وأن يكون في الله، غير أن الغضب قد يلحق بجهور بالقول الفاحش، أو بطش باليد ونحو ذلك، ومن هنا يوجهنا الشرع الحكيم – ما دمنا متمتعين بالإدراك السليم – أن نكظم الغيظ، ونسيطر على أدوات البطش كاليد واللسان، إلا أن تنتهك حرمات الله، ولقد وضع لنا المربي الأعظم رسولنا ﷺ توجيهات إذا اتبعناها، قدرنا على السيطرة على القوة الغضبية وعدلناها.

والرسول لم يأمرنا بأن نحبس غضبنا في أنفسنا، يكون لها أثر سيئ على النفس، ولكنه ﷺ يأمرنا بأن نفس عن أنفسنا بالتلفظ بكلمات تشفي الصدر من الغضب الذي احتبس فيه، فيرشدنا إلى العلاج بكلمات نفس بها عما اعتمل في صدورنا من انفعال



صبر فيرشده إلى لحظة عبرة تفرج عنه بعض ما في الصدر فيقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

٢- إذا لم يذهب قول الرسول ﷺ: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بثورة الغضب وأوشك الإنسان أن يبطش بيده، فليفعل ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع» رواه أبو داود في كتاب الأدب.

أن يحب الإنسان هونا.. ولن يبغض هونا

فالحب والبغض من مركبات الفطرة، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون في الإنسان بحكم الخلق والتكوين، والإنسان يجد نفسه قرير العين إذا رأى من يحبه، وتضيق نفسه إذا رأى من يبغضه، وهذا من عمل الفطرة، غير أن الإنسان قد يبالغ فيهما ولهذا فإن المسئولية الإنسانية تطالبنا بأن نحب هونا ونكره هونا فعسى أن يتحول المحب إلى مبغض، والمبغض إلى محب، ولو كان الأمر كذلك فقد أمرنا الشرع الحكيم أن نتحمل مسئولية النظر في الأمر في حق من نحب أو من نبغض فلا نحابي من نحب ونتحامل على من لا نحب، ونغض النظر عن حسناته. وقال تعالى:

﴿[illegible] كان ذا قربى﴾

(الأنعام: ١٥٢)

وقال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(المائدة: ٨)

وإذا كان الشرع الحكيم لا يكلفنا مسئولية العمل مما كسبت أيدينا فنعدل في الحقوق المادية بين من نحب ومن لا نحب، وقد كان رسول الله ﷺ يعدل حق العدل بين زوجاته رضوان الله عليهن في حقوقهن المادية ويدعو الله قائلا: «اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك» (رواه أصحاب السنن).

والمشاعر من خلق الله، ولكن المبالغة التي تخرجها عن حدودها من صنع الإنسان. فالشرع الحكيم لا ينكر على الناس أن تفرح أو تحزن، وقد يصدم الإنسان بصدمة تحزنه، ولكن لن يعجزه الصبر والتحمل، والرسول ﷺ قدوتنا في ذلك، فعندما كان ابنه إبراهيم يعالج سكرات الموت دخل عليه رسول الله ﷺ، فلما رآه رق له قلبه ودمعت عيناه، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة». ثم قال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (رواه البخاري).

هكذا فرق رسول الله ﷺ بين ما خلقه الله في الإنسان، وبين ما يقع تحت مسئولية الإنسان، مما تقدر عليه إرادته.

والقرآن يعلمنا

القرآن يعلم الناس، وفي مقدمتهم المربون المرشدون كيف يهذب في النفوس الرغبات الجامحة قبل تكليف النفس تحمل المسئولية، وكيف تروض النفس على قتل غرائزها النفسية، وصرفها عن تفاهات الأمور، وتدريبها على التوجه نحو الأمور الشريفة، والهمم العالية، والأخذ بالإيثار وترك الأثرة، وليرض كل إنسان بما قسم الله تعالى له، وليعمل بقوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(النساء: ٣٢)

﴿[illegible]﴾

(النساء: ٣٢)

وعند التكليف عند تكل النفس حتى لا تأبى، قال تعالى، يخاطب نبيه ﷺ:

﴿[illegible]﴾

(طه: ١٣١).

وقال ﷺ فيما رواه الترمذي في صفة القيامة: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً وصابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه، كتبه الله شاكراً صابراً. ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه، لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً».

وفي كل الأحوال ليس مطلوباً إسكات صوت الرغبات فكبتها، ولكن على الإنسان تهذيبها وتسييرها في طريق الصحيح السليم، ذلك لأن الإنسان متى يترك الهوى لرغباته وشهواته، ويطيعها طاعة عمياء تجعله كالحيوان الهائم دون ما عقل أو بصيرة.

كيف ننمي المربي الشعور بالمسئولية عند الناشئة؟

أن يعرف الناشئة بأن المسئولية صفة تلازم الإنسان، تبدأ حين يحس بعمل الواجب الملقى عليه، ثم تسير في إجابة صاحبها لنداء الواجب، ثم تنتهي بمرحلة تقدير قيمة الإجابة للعمل وقضائه.

وصفة الإحساس بملازمة هذه الصفة للإنسان دون غيره من المخلوقات تزيد صفة القوة والإرادة التي وهبها الله له، فهي إذن معنى من معاني القوة الإنسانية، ذلك لأن بقية المخلوقات تسير ضمن نظام كوني خلقه الله وسيرها الله جلت قدرته فيه، دون أن يجعل لها مجالا للاختيار، فلا تقدر على تغيير المسار الذي قدرته لها القدرة الإلهية، فهي تدور في مدار معلوم لا تنحرف عنه، وكل شيء هذا شأنه، كان من العبث أن يتحمل أمانة التكليف والمسئولية، يقول تعالى:

﴿[illegible] والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾

(الأحزاب: ٧٢).

إن الله زود الإنسان بقدرات: الخطاب والفهم، والعقل، والإرادة، ولهذا صار قمينا بتحمل الأمانة والمسئولية، تلك القدرات التي ركبها الله تعالى في فطرته لتحرره من أسر الطبيعة الجامدة، وتجعله بأمر الله مريداً شاعراً بالكرامة التي كرمه الله تعالى بها ليتحقق قول الله تعالى فيه: ﴿وحملها الإنسان﴾ أي الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال حملها، ولكن على المرء أن يدرك -مما سبق- أن المسئولية صفة فطرية ملازمة للإنسان العاقل المريد القادر بعون الله على التفكير السليم.

(يتبع)

قصة العدد

آخر السلاطين

كانت دولة مجيدة ثم مضت..
وكان غروب شمسها تحيط به ألوان الشفق الزاهية وإن كان الجو حولها عاصفا، كان طومنباى آخر سلاطين دولة مصر العظمى، كانت دولته المضمحلة جديرة بالفناء، ولكنه كان فى سقطته مثلا رائعا من عصر منقرض.

كانت رياح الخماسين تهب خانقة فوق السهل المقفر. وكانت رءوس النخيل الباسقة تميل فى كبرياء وتحرك سعفها فى عنف، كأنها عمالقة تجاهد فى معركة.

وكانت سحب الرمال المتناثرة تغطى صفحة السماء وتحجب قرص الشمس الغاربة. فلا تظهر منه إلا على حمرة مقبضة تلمع من خلال الرمال وتبدت ألوان الشفق الزاهية مترددة خائفة. تتمسك بأذيال السحب الداكنة.

وسار الركب الصامت فى موكب واجم. والخيل تتعثر فى الأخاديد التى خطتها سيول الشتاء المنهمرة فى تلك الصحراء الجرداء، التى لم يبق على وجهها أثر من النبات إلا هشيم تذروه الرياح. يزيد السهل المقفر وحشة. وكان الفرسان ملثمين حول وجوههم ليتقوا الرمال السافية. ولكن الحزن الكامن فى الهواء كان يجعل الأنفاس كثيفة. كأنها تنبع من الصدور قطعة صماء.

ولاح عند الأفق الغربى تل أغبر. يقطع صفحة السماء ثقيلا كأنه يهم بالنهوض ولا تسعفه الهمة.

ورفع الفارس المطرق الذى كان فى أول الموكب رأسه فى تؤدة، وقلب وجهه فيما حوله حتى استقر نظره على قرية تلوح من بعيد. والتفت إلى صاحبه الذى يسير فى أثره وقال له:

- أتعرف ما هذه المدينة؟

فأجاب الفارس:

- إنها تروجة يا مولاى.

فقال له صاحبه وهو مطرق:

- نعم هى تروجة. آخر قرية على حدود الصحراء. اسمع نصيحتى يا صديقى واتركنى لنفسى واذهب أنت وهؤلاء الأصدقاء لتجدوا لأنفسكم متسعا للحياة.

فقال شاد بك:

- وهل كنا لنترك عهدا [illegible] فى أعناقنا عهد قطعناه على أنفسنا منذ كنت فى صحوة الغورى شبيه.

لقد حتما أن يكون حدود السلطان طومان باى أين كان. ولن نترك عهد سلطان مصر حتى تسفك آخر ما بقى من دمائنا.

فأطرق طومان باى حينا ثم تنهد وقال:

- ما كنت أوثر يا شاد بك أن تشدوا إلىّ الأيدى حتى أرى نفسى طريدا مع هذه القلة القليلة من الفرسان البواسل. الذين جرت عليهم الشقاء معى. إنى أحس يا صديقى أن ظلا من النحس يتبعنى. ولست أدرى كيف ينقلب عمرى حدثان؟ وكيف يفلت الأمر من يدى كما يفلت نور الشمس من بين الأصابع؟ كلما ظننت أن النصر قد أقبل وأصبح فى قبضة يدى، وجدت الشؤم يطاردنى وأصحو على هزيمة طاحنة كأننى كنت فى كابوس ثقيل.

وعاد الفارس إلى صمته وجعل ينظر نحو التل البعيد، وسار الركب واجما يقتفى أثره صامتا، لا تسمع فيه إلا خشخشة حوافر الخيل إذ تتخبط فى سيرها كليلة. تمد أعناقها نحو الأرض من الإعياء، ثم لفت الفارس رأسه فجأة نحو صاحبه وقال له:

- أتعرف ماذا كان هذا التل من قبل يا شاد بك؟

فتمتم الرجل قائلا:

- هذه أول مرة أراه.

فكشف الفارس رأسه وأزاح اللثام عن وجهه الذى لوحته الشمس، وقال فى صوت حزين:

- هذا التل بقية مدينة عظيمة، كانت هناك مدينة عامرة فى أيام القدماء قرأت ذكرها فى تواريخ القرون البعيدة عندما كانت هذه الأرض سلسلة من البساتين الظليلة، هكذا الدنيا يا شاد بك، يفنى عزها ويطوى مجدها فلا يبقى منها إلا أثر فى سيرة من سير التاريخ. يشبه هذا التل القائم فى الصحراء، لقد كنت أقف فى مصر إلى جانب الأهرام، فأتصور الذين بنوها وما كان لهم من المجد والغنى والفن ثم أحس قلبى يخفق، كأنه يريد أن يقف ويخمد فى صدرى، هذا التل يقوم فى وسط الصحراء مناديا بأن الأبناء يرثون المجد ولا يحافظون عليه

وكان شاد بك يسمع هذا القول الحزين وهو مطرق.

واستمر طومنباى قائلا:

- إن قلبى مظلم ياصديقى، آواه! إنه فى مثل ظلمة السجن ويطوينى فى جوفه.

فقال شاد بك متأثرا:

- لا تستسلم لهذا اليم يا مولاى والأمل لا يزال أمامنا فسيحا، هناك منازل صديقك حسن بن مرعى شيخ عرب البحيرة، وستجد عنده بلا شك ما تحب من النصر على هذا الدخيل ابن عثمان، وسيجتمع لك بعد حين جيش من العرب يتحفز لقتال هؤلاء الغرباء، وستكون فى صدر الجيش تمزق الجموع العاجزة التى أتت إلينا كالذئاب من وراء الصحراء، إنها لم تنتصر علينا إلا بخيانة الخونة كما تعرف ولكنا سنمزق جموعهم فى المعركة المقبلة ونعود إلى مصر التى لا تزال تردد اسمك فى حنايا قلوبها

فأطرق السلطان صامتا لا يجيب، وكان يحس فى نفسه شعورا مبهما من اليأس يرده إلى الحزن كلما حاول الفكاك منه ، وكلما حاول أن يعلل نفسه بما سوف يجده عند صديقه الأمير العربى من المعونة والحماية.

أحس برودة تشبه برودة الثلج تغوص إلى أعماق قلبه وتكاد توقف دقاته.

ثم لاحت بعد حين عند الأفق الغربى ربوة تحجبها سحبة من الضباب والغبار، وانحدرت الشمس للمغيب ولمعت من قبل الربوة أنوار تخفق ضئيلة خافتة، واستمر الموكب سائرا فى طريقه يخيم عليه الصمت والكآبة.

وركب الأمير حسن بن مرعى وابن عمه الأمير شكر ومن ورائهما طائفة من فرسان العرب على خيول شعثاء عظيمة ضامرة، تصهل وتثب كأنها تستعجل لقاء السواد المقبل من بعيد.

والتفت حسن إلى ابن عمه فسأله:

- لا أظن هؤلاء إلا بعض الصعاليك المشهورين ياشكر.

فقال شكر مبادرا:

- أرجو ألا يكون ذلك أيها الأمير

فقام حسن فى ركابه واستشرف حينا ثم قال:

- إنها خيولهم ياشكر بغير شك. إنها خيول هزيمة تسير وئيدة مطرقة.

فصمت شكر حينا ثم قال:

- وهل يجرؤ هؤلاء على المجىء إلينا؟

فقال الأمير مسرعا:

- ولم لا يجرؤون ياشكر؟ وهل بقى أمامهم سوى ذلك بعد هزيمتهم الفاضحة؟

فصاح شكر فى غيظ:

- أتراهم يجرؤون على ذلك بعد ما أصابنا من ظلمهم وعسفهم؟ أنسيت أعواما سبعة قضيناها فى سجون قانصوه؟

فأطرق حسن حينا ثم رفع رأسه وقال بصوت خافت:

- وكيف أنسى ذلك ياشكر وقد قاسيت فى السجن ما قاسيت؟ ولكن المجرم ليس قانصوه بل طومنباى، إنه صديقى، وهو الذى خلصنا من السجن. وهو الذى حالفته على الوفاء والولاء.

فقال شكر فى شىء من الحنق:

- لست أرى تنصر طومنباى وحده يا ابن عم، إنها دولتهم التى عرفناها وعرفها آباؤنا من قبلنا، وما ينبغى لك أن تنصرها وهى مدمرة محطمة.

فقال الأمير:

- ولكن طومنباى صديقى. ولابد من أن نؤدى له واجب الضيف يا ابن عم.

فقال شكر وهو يحاول أن يكظم غيظه:

- لك أن تختار ما تراه يا ابن عم فأنا سائر وراءك حيث سرت.

فأطرق الأمير واجما، وامتلأ قلبه حيرة منذ سمع قول ابن عمه ووقع فى نفسه هاجس من الخوف، أنه لن يخاطر بنفسه وحده بل بكل قومه إذا وقف بهم فى جانب دولة محطمة. ورفع رأسه بعد حين وقال فى تردد:

- لقد كان السلطان منذ الصغر صديقى. عرفته منذ صباى وكنا أخوين فى التعبد على الشيخ المبارك أبى السعود الجارحى.

فضحك شكر ضحكة عالية ساخرة، ثم ملك نفسه وبادر قائلا فى لهجة الاعتذار

- إننى أول من يطيعك يا ابن عم.

فنظر إليه الأمير مليا وقال له بصوت خافت

- ولكن ما الذى يضحكك ياشكر؟

فقال شكر جادا:

- معذرة يا ابن عم إن كنت قد آلمتك. ولكنى لا أكتمك أننى لا أظن خيرا فى ذلك الشيخ، ولا أرى للعهد الذى قطعته عليه شيئا من القدسية.

فرفع الأمير حاجبه صامتا ولكن ابن عمه مضى فقال:

- إنه شيخ لبيب يعرف حقيقة مصلحته.

أليس هو الذى كتب على أبواب القاهرة طلاسمه وأسراره زاعما لطومنباى أن ابن عثمان لن يستطيع أن يلج تلك الأبواب مادامت طلاسمه عليها؟ لقد اعتقد طومان المسكين فى ولايته، ولم يتحول عن اعتقاده بعد، مع أنه قد رأى ابن عثمان يدخل القاهرة من تلك الأبواب المطلسمة. ثم رأى ابن عثمان يخترق ريف مصر، ويهزمه فى موقعة بعد موقعة حتى أتمها ست هزائم طاحنة، ولكنه مع ذلك مستمر على اعتقاده فى شيخه المبارك.

فقال الأمير ولم يخف ما أصابه من ألم:

- إنك لا تحب الشيخ ياشكر، فدع هذه السخرية المرة فإنى لا أحب أن يصيبك منه أذى

فعاد شكر إلى الضحك وقال فى عناد:

- أما أنا فلست أبالى أذاه. إن الشيخ الصالح فى زاويته عند كوم الجارح، يقيم حلقات الذكر لأتباعه المخلصين. فليس يسمع سخريتى

فلم يجب حسن، بل عبس ومضى فى سبيله صامتا، ولكن ابن عمه قال جادا:

- أما بلغك أنه كان يستقبل رسل ابن عثمان فى زاويته؟ لقد أخبرنى بذلك أحد مريديه، وكان الشيخ على عادته حريصا لبيبا؛ لأنه طلب من أتباعه ألا يذيعوا سر ذلك الرسول، وها هو ذا ابن

عثمان قد زاره في زاويته أول شيء بعد دخول مصر.

فقال حسن في جفاء:

– دعنا من هذا الآن. فها هو ذا الركب يعرج نحو منازلنا فأسرع بنا لنلقاه.

وهمز فرسه فانطلق به مسرعا، ووثبت وراءه أفراس تثير غبار الصحراء.

ولما استطاع حسن أن يتبين الوجوه والملابس قال في شبه صيحة:

– إنه السلطان طومنباي.

ثم انطلق مسرعا حتى صار على خطوات من الخيل، فترجل وألقى عنان فرسه على عنقه، وسار يستقبل ضيفه، وصاح مرحبا:

– شرفت البلاد يامولاي!

فترجل السلطان وفتح له ذراعيه وتعانق الصديقان.

وكان الليل قد لف الصحراء، ولمعت الكواكب في السماء الصافية بعد أن رها الهواء وسكنت العاصفة. وبلغ الفرسان ساحة النجع، وذهب المماليك يختارون المواضع لإقامة الخيام، بينما سار السلطان وأمراؤه الستة نحو خيمة الأمير العربي.

ومد السماط بالطعام بعد حين واجتمع عليه شيوخ العرب من قبائل محارب وكبار الأمراء، ودار الحديث بعد العشاء في سيرة الحروب، ولكن الأمير حسن كان يتحاشى المناقشة؛ لأن أقوال ابن عمه شكر تركته في حيرة.

ولم يستطع الأمير حسن أن يذوق النوم في ليلته من الأفكار المضطربة.

وقد عسكر في الصباح فذهب إلى خيمة أمه ليستشيرها.

وكانت السيدة جالسة في صدر خيمتها تنتظر أن تصلي الفجر، وما كادت تراه حتى بادرته قائلة:

– لقد سمعت أن السلطان عندك يا ولدي.

فأجابها الأمير مسرعا:

– نعم هو هنا يا أماه.

فقالت الأم:

– لا أشك في أنك تعرف ما يجب عليك يا ولدي

فأطرق الأمير كأن صدمة عنيفة أصابته، ووقف مرتبكا ينظر إليها، وقال:

– لقد جئت إليك يا أماه لألجأ إليك في حيرتي.

وحسن في حيرته يحدثها ويراجعها ولكنها كانت ترده كلما راجعها وتدور به إلى كلمتها الأولى كلما أراد أن يستعطفها. وكانت آخر كلمة منها إليه قولها:

– إذا لم تشأ أن تقف دون ضيفك وتسبل عليه حمايتك كما يقضي عليك واجبك، فلا يجمل بك إلا أن تصرفه لأنه في جوارك موفورا.

فخرج من عندها يتعثر في خطاه، ويمسح القطرات الباردة عن جبينه الملتهب، ويستقبل نسيم الفجر الرطب مستروحا، وسار إلى الشمال في الفضاء الساكن ينظر في أعقاب النجوم الغاربة، والأفكار الثائرة تضطرب في ذهنه الحيران

وراح يدور بين الكثبان مطرقا ينادي خواطره المضطربة، فلم يعد إلى نفسه حتى علت الشمس فوق الأفق. فتلفت حوله ليرى موضعه من منازله، فما راعه إلا أن رأى على الأفق الجنوبي سوادا يتحرك. فوقف ينظر إليه ذاهلا لا يدري ماذا يكون ذلك الشيء الجديد. ثم عاد إليه وعيه شيئا فشيئا، وفتح عينيه من الدهشة والرعب. فقد كان ذلك السواد هو الجيش، جيش عظيم يثير حوله سحابة من الغبار يغمرها ضوء الصباح، فتبرق من خلالها سيوف الجند كأنها شهب تتناثر في السماء.

فعاد مسرعا إلى الحي وقصد إلى منازل ابن عمه شكر، ودخل عليه في فزع وانتحى به في ناحية يناجيه في ذلك الخطر الذي علم به لتوه الجديد

وأسرع معه نحو خيمة السلطان.

ومضت لحظات عصيبة حتى خرج إليهما السلطان من خيمته، إذ كان يصلي الصبح قضاء بعد هجعة قليلة. فتقدم إليه الأمير حسن وحياه تحية قصيرة ثم أنبأه باقتراب جيش الأعداء.

وقال له في آخر الحديث:

– فليس لك يا مولاي إلا أن تحتال لنفسك، ولا تخاطر بنفسك في وجه هذا الجيش الكبير.

فقال السلطان ثابتا:

– أتريد أن تستر عن جوارك أيها الأمير؟

فأدرك الأمير ما في سؤال السلطان من لوم، وبادر قائلا:

– إذا شئت يامولاي أن نبقى فنحن معك. ليس علينا إلا أن نموت معك إذا شئت أن نجعل الوقفة الأخيرة هنا.

فأطرق طومنباي مليا، ثم نظر حوله نحو خيام أتباعه القلائل، وقال في صوت خافت:

– أيكون لي أن أتحكم في مصير هؤلاء؟!

ثم أعلى صوته قائلا:

– لم ألجأ إليك لأجر عليك وعلى قومك الهلاك أيها الصديق.

فقال حسن:

– إذا شئت يامولاي فاخرج إلى البراح وأوغل في الأرض. فإن الجيش لن يستطيع اللحاق بك في هذه القفار.

فقال طومنباي:

– إننا لا نستطيع الهرب من القضاء ياصديقي، لقد طالما وقفنا في وجه الجيوش الجرارة، ومزقنا صفوفها بصدمة حملاتنا الفردة، كنا أفرادا نقاتل الألوف ونفتك بها، ونخرج من تحت الغبار بغير أن تصل أيدي العدو إلينا. إني أرد عليك جوارك ياصديقي، فلست أحب أن أجرك إلى حرب لا أراك تحبها.

فرد الأمير حسن والخجل يثير الدماء في وجهه:

– لن تتخلى عنك يامولاي إذا شئت البقاء، إنني لا أزال على العهد الذي قطعته لك، ولن يخذلني عن نصرتك ما أراه من قوة عدوك، إنني إنما أنصح لك ناظرا إلى سلامتك.

فأطرق السلطان حينا وبدت على وجهه ظلال من التردد، ثم رفع رأسه وقال هادئا:

– أليس هناك موضع نستطيع أن نتحصن فيه؟

فقال الأمير مبادرا:

– نعم يا مولاي، هذا وادي العابة على بعد قليل، هو واد حصين لن يستطيع جيش أن يدخل إليه، إن له مدخلا لا يتسع لأكثر من راكب واحد وتحف به رمال تغوص فيها الدابة وتغرق في المستنقع الوخيم، ولن تجرؤ الجموع على اقتحامه ما بقي عند ذلك المدخل عدد قليل يحميه.

فقال السلطان في وجوم:

– إذا شئت فسر بنا إليه أيها الأمير.

ثم أسرع نحو الخيام ليأمر أصحابه بالاستعداد ليسيروا سراعا إلى الوادي الحصين.

وكان اليوم قاتم السماء قلق الريح، يدور غباره مع هبات الهواء التي تسفي الرمال.

وكانت أنفاسه حارة منذ بزغت الشمس من وراء الضباب، واعتلى السلطان طومنباي ربوة في الوادي الذي دخله مع أصحابه في أول الصباح وأطل على المدخل الضيق يتأمل الرمال السمراء التي تحف بجنبيه.

وكان قلبه ثقيلا يكاد يغوص في أعماق صدره ونظر في حسرة إلى الفئة الضئيلة التي بقيت له من فرسانه ومماليكه، وكانوا لا يزيدون على بضع عشرات يقبعون في أركان الوادي، فتمنى لو انصرف هؤلاء عنه وتركوه حيث هو على تلك الربوة ليقاتل في المعركة الأخيرة وحده.

عند ذلك عرف أن الأمير العربي أخلص له النصيحة عندما أشار عليه بأن يذهب في براح الصحراء ناجيا قبل أن يحيط به العدو بألوفه العديدة.

واندفع إلى الربوة هابطا إلى الوادي الأغبر حتى بلغ ساحل البحر بعد سير طويل، ولم يشعر بمر الزمن في اضطراب شجونه، وقد تكبدت الشمس السماء، فتلفت حوله يلتمس ظلا يحتمي تحته فلم يجد سوى الرمال المنبسطة والريح الثائرة والأمواج الصاخبة، فعمد إلى كثيب قريب من البحر، فاستلقى عليه خائرا، ولم يقدر على أن يصد خواطر اليأس التي تزاحمت في صدره، وزلزلت ما بقي من جأشه، وكلما تلفت حوله رأى نفسه وحيدا لا يملك من كل مصر سوى درعه وسيفه وبعض حلى كان يدخرها معه، وخيل إليه عند ذلك أنه يسمع صوتا يناديه من ثنايا الموج:

«قد قضي الأمر فارم هذه البقية الباقية في البحر الصاخب، ارم هذه البقية الضئيلة ولا تقاوم القضاء».

فوثب قائما وانحدر نحو الساحل مسرعا ولم يدر ما هو صانع حتى ألقى درعه وحليه وجوهره في اللجة الهائجة، ولم يبق معه إلا سيفه العزيز وصاح صيحة ذاهل تشبه صيحة الذبيح:

«هذا ما بقي لي من ملك ضائع».

ولم يطق البقاء على الشاطئ بعد ذلك، فأسرع عائدا كأنه يفر من منظر مخيف، حتى بلغ ساحة الخيام، فوجد أصحابه مشتتين في أنحاء الوادي والرياح الثائرة تتخبط بهم في دفعاتها، فناداهم بصوت مبحوح وما كادوا يلمحونه حتى أسرعوا إليه فإذا اقتربوا منه التفوا حوله كأنهم يحتمون به من المخاطر التي تحيط بهم.

وارتفعت في تلك اللحظة ضجة من أقصى الوادي فالتفت الجميع حولهم وأرهفوا أسماعهم

...

ووقف الأمير حسن بن مرعي يسرع عدو جواده، حتى صار على مقربة منهم فصاح قائلا:

– ... ومن معك يا مولاي قبل أن يهبط

... حيث تهبط

ثم لوى عنان فرسه وعاد يركض نحو مدخل الوادي

فنظر السلطان إلى أصحابه قائلا:

... أسمعتم تقول؟

فصاح الأمير فتمرة تعدى في عيظ

لقد علمت أن هؤلاء العرب لا يعرف عـ...

...

وصاح الأمير يحيى

... إلى سيوف ... وحينا لم ...

وتوالت صيحات الأمراء واحدة بعد أخرى وأسرعوا نحو مرابط الخيل ليستعدوا للصدمة باتئة، ولكنهم التفتوا إلى خلفهم بعد أن ساروا بضع خطوات، فرأوا السلطان ثابتا حيث كان وهو مطرق إلى الأرض، فصاح به الأمير شاد بك:

– هلم يا مولاي فالدقائق معدودة

فقال له السلطان

– ... أيها الأمير ولا تنظر إلي

فعاد شاد بك نحوه، كأنه يريد أن يحمله على السير قسرا، ولكنه وقف بغتة كأن شيئا صدمه، فقد كانت نظرات السلطان الهادئة تنم عن عزيمة لا تتزعزع، فقال الأمير بصوت فيه رنة الضراعة:

– إنك لن تهجرنا في هذه الساعة يا مولاي. إن وجودك بيننا يبعث فينا قوة تعيننا على هذه الكوارث التي تضيق حلقاتها من حولنا. إننا في حاجة إلى سيف البطل طومنباي، إذا لم نكن في حاجة إلى علم السلطان طومنباي.

فأدار السلطان وجهه عن الأمير حتى لا يرى ما بدا عليه من الاضطراب، وحاول أن يخفي جيشان نفسه وأطرق الأمراء كأنهم أشفقوا أن يملأوا أعينهم من ذلك البطل الذي ينهار تحت نظراتهم، ثم قال طومنباي بعد تردد:

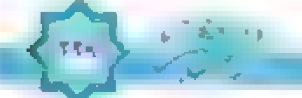
– إنني أحس أنما يطعن فؤادي طعنا أشد من وقع السيوف والرماح، وأنا أنطق بكلماتي، ولكن هذا هو القضاء، نحن نجني الثمار المرة التي غرسها من قبل سوانا. لست أذكر مساوئ الموتى، بل إنني أطلب لهم الرحمة من الله، ولكن هي الحقيقة المؤلمة. إنني أنطق بها وليس في صدري أثر من الحقد أو اللوم، نحن نجني الأشواك التي بذرها أولئك الذين كانوا يتمتعون بالحكم ولا يبالون القيام بأعبائه.

فبسط شاد بك يديه ضارعا وقال:

– إنني أستحلفك بشرفك. إنني أتوسل إليك بالسيف الذي لن يجد يدا طاهرة تحمله بعدك مثل يدك أستحلفك بكل ذلك أن تسير معنا لنلقى قضاءنا معا.

فقال طومنباي وقد عاد إليه الهدوء:

– لو علمت أنكم تطيعونني لأمرتكم بالبقاء معي



هناك، حتى نلتقي فيه معًا في صمت. إن هذا أكره لي من أن نضرب في فجاج الأرض هربًا من عدو يلحق بنا في عقر دارنا.

فتحركت شفتا شاد بك في ضجر وهمَّ أن يتكلم فقاطعه السلطان قائلا:

- إنني أعرف أنكم لن ترضوا بالاستسلام وستحرجون مني إذا أنا طلبت منكم أن تستسلموا ولعلكم تريدون تجربة. إذًا فاعلموا أنني قد ألقيت سلاحي كله في البحر في هذا الصباح.

فصاح شاد بك:

- ألقيت سلاحك!

وردد الأمراء صيحته في يأس.

فقال طومان باي:

- نعم ألقيت سلاحي كله في البحر. ألقيت دروعي الفولاذية والخوذ التي كنت أدخرها ولم أبق إلا على هذا السيف الذي أحمله ومن تلكم الرمال حتى النطع الفولاذي الذي صنعه الأسلاف الأمجاد من صاعقة السماء. حتى هذا لقد ألقيته إلى البحر وعيني باكية.

وارتفعت عند هذا صيحة عالية من قبل مدخل الوادي. فأشار السلطان بيده إلى الأمراء، وصاح بصوت أجش:

- اذهبوا. أسرعوا قبل أن تتعذر النجاة. إلى اللقاء في دار البقاء. أسرعوا أيها الأصدقاء. إلى اللقاء يا قنصوه الغادلي يا يحيى الشجاع يا أزدمر الطويل يا بردبك يا أبرك تمسكوا إلى اللقاء يا عادل يا أشجع الشجعان!

ثم تحرك وسار يجر قدميه نحو الربوة الصفراء فنظر شاد بك إليه وجالت الدموع في عينيه، ثم ثنى رجليه وأسرع نحو مربط الخيل وتبعه الأمراء يجرون في صمت. وصعد السلطان في الكثيب وهو مرتج، حتى بلغ أعلاه فجلس ساهمًا يحملق في الفضاء.

وبعد ذلك علت صيحة أخرى عند مدخل الوادي ارتجت لها الأرض، وترددت أصداؤها بين سفوح التلال. والتفت السلطان فرأى الأمراء فوق جيادهم يركضون لا يلوون على شيء، وهم في السلاح الثقيل، واندفعوا نحو العنق الضيق الذي من المخرج، وهمزوا الخيل في عنف فخرجت بهم فتحة جموع الترك التي تغطي وجه الرمال في أقصى الفضاء. ونظر السلطان من موضعه فبهت كأنه يرى منظرًا في حلم، رأى صفوف الترك تضطرب وتتموج والأمراء يخرجون من بينها وهم يحصدون فيها بضربات عنيفة مثل صواعق الإعصار. وبرزوا من بين الجموع واحدًا بعد واحد وحول كل منهم دائرة ضيقة من المماليك، حتى بلغوا براح الفضاء، وانطلقت بهم الخيول تثير في أعقابها سحائب من الغبار الكثيف واتجهوا نحو الغرب.

وكانت الشمس قد مالت للمغيب وصبغت أطراف السحب بلون الشفق الزاهية مرة أخرى، وكانت الرياح الخفيفة الفاترة ما تزال تثير في الفضاء علائق من الغبار بدا من تحتها قرص الشمس أحمر

مخيفًا مثل جمرة من نار تتقد من تحت الرماد. ووقف السلطان فوق الربوة ينظر إلى مدخل الوادي، وتبسم ابتسامة عصيبة عندما رأى كوكبة من فرسان العرب مقبلة نحوه ولما اقتربت منه رأى الأمير حسن بن مرعي على رأسها فصاح به قائلا:

- حسبك أيها الأمير، لا تكلف نفسك عناء في رجال وحده.

فرفع الأمير رمحه وصاح في حنق:

- يا مولاي لا تسئ بي الظن. لقد جئت لأقف بينك وبين هؤلاء الترك.

فزالت الابتسامة عن وجه السلطان، ونظر حيث نظر الأمير العربي في دهشة وعيناه تطرفان، وأبصر جموع الترك وهي تتدفق في عنف طوفان من مدخل الوادي، ثم تنحدر كالسيل وتحيط بدائرة فرسان العرب من وراء. ومضت دقائق طويلة وفرسان العرب يقفون من وراء أميرهم، وعليهم مظاهر التحدي ينتظرون ما تأتي به اللحظات المقبلة، وخفتت الأصوات، وخيم على الجموع المحتشدة صمت يشبه السكون الرهيب الذي يشمل الخلق قبل العاصفة. فعرف السلطان أن صديقه العربي قد آثر الموت معه في سبيل المروءة، وجالت في عينيه الدموع واختنق صوته عند حلول الكلام، ولكنه جاهد نفسه وصاح في حشرجة:

- يا حسن بن مرعي! جزاك الله عني خيرًا أيها الأمير لقد كنت أستطيع النجاة لو أردت النجاة. دعني لقضائي فقد وفيت بعهدك.

فصاح الأمير العربي:

- لن أسلمك مادام سيفي في يدي.

فنادى السلطان وقد عاد صوته إلى الهدوء:

- إني آمرك يا حسن بن مرعي. لا تسفك دما بعد هذا. إني أسلم نفسي. أين قائد الجيش التركي؟

فسكت الأمير حسن ولم يجب، ولكن قائد الترك «يونس» تقدم الصفوف وأمر فرسان جيشه أن يرتدوا بخيلهم إلى الوراء. ثم ترجل عن فرسه وأغمد سيفه وتقدم نحو الربوة يريد أن يخترق حلقة العرب التي حولها. فاعترض حسن بن مرعي سبيله متحديا.

فصاح السلطان من أعلى الربوة:

- أفسح له أيها الأمير من حيث أن يصحبوا له. إني آمرك إن كنت محتفظًا بالولاء. تقدم أيها القائد فإني أنتظر.

فأطرق الأمير حسن إلى الأرض. وسار القائد «يونس» مصعدا في الربوة حتى بلغ موضع السلطان.

ولم يلتفت الأمير العربي على الطريق وراءه عندما علت صيحة الفرح من جنود الترك. فهمز جواده وانطلق مسرعا وفرسانه يركضون في أثره. حتى خرجوا من الوادي إلى الفضاء.

وأخذ «يونس» بذراع طومان باي وهو محتفظ بسيفه ونزل معه ليركب عائدين إلى القاهرة ثم ليكون آخر السلاطين.

قصيدة العدد

في فراش المرض

[illegible]

مرضتُ فأرواحُ الصحابِ كشيمةٍ
ترفُّ حيالي كلما أغمضَ الكرى
تراءى فآنا كالسرورِ سوافراً
وطوراً أراها خائراتٍ كأنها
وطوراً أراها جازعاتٍ كأنما
[illegible] [illegible] [illegible] وعُوَّدا
تهشُّ إليها مقبلاتٍ جوارحي
وألغي إليها السمعَ ما طال همسُها
[illegible] [illegible] [illegible] حبيبة
كرهتُ زوالَ الليلِ خوفَ زوالِها
ولو أنها في الصحوِ تطرقُ مضجعي
ولو لم تكن تعتادُ مني مثلَها
فيا ليتني طيفٌ أروحُ وأغتدي
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فيبيتني على مثل الوترِ ليلة
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
لقد [illegible] [illegible] [illegible]
تصورُ لي طيفَ الخيالِ حقيقةً

[illegible] [illegible] [illegible] لهم لدى
جفوني جماعاتٍ وَمَثنى وموجدا
وآونةً بمثلِ الجمانِ فتغتدا
فرائدَ قد ضيَّعنَ في الأرضِ فرقدا
تخافُ مع الظلماءِ أن تتبددا
[illegible] عليها [illegible] وعوَّدا
كما طربَ الساري رأى النورَ فاهتدى
كذلك [illegible] على الأذنِ المُوحَّدا
كما عرَّت الأزهارَ زايلها الندى
وعوَّدتُ طرفي [illegible] حتى تعوَّدا
[illegible] الذكرى حتى [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وأحسبني فوقَ الأسنَّةِ والمدى
[illegible] [illegible] قد [illegible] [illegible]
تقوَّمَ من أضلاعيَ الحُمَّ أُرْدا
وأحسبُ [illegible] واحداً متعددا

لقد صعصعتني، وهي [illegible]، ولم يكن
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بدى
تغلغلَ في جسمي النحيلِ أراه
رأيتُ لدى لم يبصرِ الناسُ [illegible]
يقولُ الطغاسي لو تبدَّت ساعة
[illegible] حولي [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] لا [illegible] معشر
[illegible] إليهم [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] قوةُ الأسى [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] الردى
وما [illegible] لا [illegible] وإنما
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] سورة
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ومن [illegible] [illegible] وهو [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

يعصعصني صرفُ الزمانِ [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] اليدا
فلم [illegible] [illegible] [illegible] توقدا
وطفتُ الدُّنى شرقاً وغرباً مُوَسَّدا
تبلَّدتُ لو أنِّي أطيقُ التبلُّدا
وعنَّفَ بعضُ الجاهلينَ وفنَّدا
رجوتُ بهم عندَ الشدائدِ مُسعِدا
ظننتُهمُ فرواي خلقاً ومحتِدا
وأحببتُهُ كيما يُحَبُّ ويُحمَدا
كأني أرجو فيهمُ أن أخلَّدا
يودُّ زوالَ الشمسِ من كان أرمدا
تمنَّى لو أنَّ الصبحَ أصبحَ أسودا
أرى العارَ كلَّ العارِ أن أحسدَ العِدى
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] أن [illegible] المدى
تركتُ لمن يهواهما اللهوَ والندى

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

هجا أبو الهَوْل الحميري الفضلَ بن يحيى ثم أتاه راغباً إليه، فقال له الفضل: ويلك! بأي وجه تلقاني؟! قال: بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر، فضحك ووصله.

قال الحكماء: «المروءة جامعة لأشتات المبرات، جالبة لأسباب المسرات، دالة على كرم الأعراق، باعثة على مكارم الأخلاق، ناظمة لقلائد الفوائد، عاقلة لشوارد المحامد، وقد جمع الله تعالى معرفتها في قوله تعالى:

(النحل: ٩٠)

وجمعها النبي ﷺ على نوع آخر فقال:

«من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم؛ فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته»

[illegible]

لام الأحنف بن قيس سيد بني حنيفة على معاوية بن أبي سفيان [illegible]

فقال له يوماً: يا أمير المؤمنين إنك ترعيني مرعى وبيلاً، وتوردني ظمأ طويلاً، أفلس ورواح ثم حبس ونجاح؟ فقضى حاجته.

ووقف أعرابي على رجل يستميحه فقال:

إني امتطيت إليك الرجاء، وسرت على الأمل، ووفدت بالشكر، وتوسلت بحسن الظن، فحقق الأمل، وأحسن المثوبة، وأقم الأود، وعجل السراح.

وقال بعض الشعراء مستجزاً:

جعلت فداك قد وجب الزمام

وقد طال التلبث والمقام

وقد أزف الرحيل إلى بلادي

وإنك لا عدمتك والسلام

وقال أبو الطيب في مثل هذا:

قد تفرقت حتى حان مرتحلي

وذا الوداع فكن أهلاً لما شئت

وكتب بليغ لصاحب حاجة: يا أبي معروفك حاجة وقت على

[illegible]

حت قوة، فنظر في ذلك [illegible]

وكتب بعضهم يستنجز: حقق على من أزعم يقول أن يعمر بقول، والسلام.

ووفد بشار بن برد على يحيى بن خالد فامتدحه فوعده خالد ومطله، فتصدى له في طريقه وهو يريد الجامع وأخذ بعنان بغلته وأنشد:

أظلت علينا منك يوماً سحابة

أضاء لنا برق وأبطأ رشاشها

فلا غيمها يجلي فييأس طامع

ولا غيثها يهمي فتروى عطاشها

فقال له لن تنصرف السحابة حتى تبلك يا أبا معاذ، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال الله تعالى:

(الرحمن: ٣، ٤)

وقال ﷺ: «إن من البيان لسحراً»[2].

وقال الجاحظ إمام البيان: «البيان اسم جامع لكل كلام كشف لك عن قناع المعنى، وهتك الحجاب عن الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقة اللفظ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان».

وقال أديب: «البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقيه، وموجزاً ليخف على اللسان تعاطيه».

وقال ابن المعتز: «البيان ترجمان القلوب، وصيقل العقول».

[illegible]
وروض القلوب».

وقد يعبر عن البيان بالفصاحة، فقال هشام بن عروة: «ما أحدث الناس مروءة أعجب إلي من الفصاحة».

قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «إنك ما كنت ساكتاً فأنت سالم، فإذا تكلمت فلك أو عليك»[3].

وقال حكيم: «الصمت زين الحلم، وعوذة العلم، يلزمك السلامة، ويصحبك الكرامة، ويكفيك مؤنة الاعتذار، ويلبسك ثوب الوقار».

وقال غيره: لسانك كالسبع إن عقلته حرسك، وإن أرسلته افترسك.

وقال أبو نواس:

خل جنبيك لرام	وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير	لك من داء الكلام
ربما استفتحت بالنطـ	ـق مغاليق الحمام
[illegible]	[illegible]

وقال أديب: اخزن لسانك كما تخزن مالك، واعرفه كما تعرف ولدك، وزنه كما تزن نفقتك، وأنفق منه بقدر، وكن منه على حذر، فإن إنفاق ألف درهم في غير وجهها، أيسر من إطلاق كلمة في غير حقها.

قال سعيد بن العاص لولده: اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء.

(٢) مسند الإمام أحمد
(٣) شعب الإيمان للبيهقي

وقال أديب: المزاح يضع قدر الشريف، ويذهب هيبة الجليل.

وقال حكيم لولده: يابني إياك والمزاح فإنه يذهب بهاء الوجه، ويحط من المروءة.

وقال أبو جعفر الطبرى:

لى صاحب ليس يخلو لسانه من جراح
يجيد تمزيق عرضى على سبيل المزاح

وقال شاعر آخر:

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب
مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب
لا تغضبن أحداً إذا مازحته
إن المزاح على مقدمة الغضب

قال الله تعالى

(البقرة: ٢٦٤)

وقال أديب: المنة تهدم الصنيعة.

وقال البلغاء: لا خير فى المعروف إذا أحصى. وقال: ما يعد لا يعتد. وقال: أحسن العطاء موقعاً ما لم يشب بمن.

وقال شاعر:

حسن من كل حسن فى كل وقت وزمن
صنيعة مشكورة خالية من المنن

ومما نسب للإمام الشافعى رضى الله عنه:

لا تحملن لمن يمـ ـن من الأنام عليك منة
واختر لنفسك حظها واصبر فإن الصبر جنة
منن الرجال على القلو ب أشد من وقع الأسنة

وقال بعضهم لأعرابى: إن فلانا يزعم أنه كساك. فقال: إن المعروف إذا منّ به كفر، وإذا ضاق قلبه اتسع لسانه.

خير البر عاجله

قال جعفر الصادق رضى الله عنه: نظرت إلى المعروف فوجدته لا يتم إلا بثلاث: تعجيله، وستره، وتصغيره، فإنك إن عجلته هنأته، وإذا سترته تممته، وإذا صغرته عظمته.

مدح بعض الشعراء من هذه الصفات فيه فقال:

زاد معروفك عندى عظما
إنه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته
وهو عند الناس مشكور كثير

اللهم إنى أسألك يا مجيب الدعوات، يا رافع الدرجات، يا عالم الخفيات، أن ترحم العبرات، وتقبل التوبات، وتغفر الخطيئات، وتمحو السيئات، وتضاعف الحسنات، وتستر العورات، وتدفع عنا البليات يا بديع السماوات.

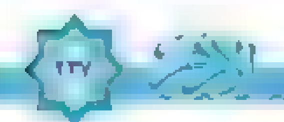
أبو الريحان البيرونى و مآثره العلمية

حياته: ولد محمد بن أحمد البيرونى فى «بيرون» بالقرب من مدينة «كاث» عاصمة خوارزم سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م، وبقى فى وطنه حتى بلغ الخامسة والعشرين، حيث تلقى العلم على يد أبى نصر منصور بن على بن عراق، واتصل فى هذه الفترة بابن سينا وكانت بينهما مراسلات، ثم هاجر بسبب التقلبات السياسية إلى «جرجان»، واستقر هناك نحو خمسة عشر عاما.

وفى عام ٤٠٧هـ/ ١٠١٧م لحق البيرونى ببلاط السلطان محمود الغزنوى، ثم رافقه فى غزواته فى شمال غربى الهند، مما أتاح له فرصة تعلم عدد من اللغات الهندية، بالإضافة إلى دراسة الديانات الهندية والفلسفة الهندية بلغات أهلها. وبعد توفى السلطان مسعود بن محمود الغزنوى زاد ارتباط البيرونى ببلاط «غزنة» (فى كابول بأفغانستان الآن)، وظل متصلا به إلى أن وافاه الأجل بعيد سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م حسب أغلب الروايات.

ويعتبر البيرونى من أكثر علماء المسلمين موسوعية، ولم يدع بابا من أبواب العلوم المعروفة فى عصره إلا وطرقه، وقد أحصى بنفسه الكتب التى ألفها فى مختلف الموضوعات، وذكر أنها بلغت ٤١٧ كتابا لما يبلغ هو ٦٥ سنة قمرية (أى حوالى ٦٣ عاما شمسيا). وتعلم عدة لغات منها: السريانية والسنسكريتية والعبرية والفارسية، بالإضافة إلى العربية التى أحبها وفضل التأليف بها وقال عنها عبارته الشهيرة: «إن الهجو بالعربية أحب إلىّ من المدح بالفارسية».

وقد أشاد بمكانة البيرونى العلمية كبار مؤرخى العلم من أمثال: ساخاو، وماير هوف، والدوميللى، وكارلونيللينو وغيرهم، ويذكر شيخ المؤرخين المعاصرين جورج سارتون فى كتابه «مقدمة لتاريخ العلم» أن البيرونى «كان باحثا فيلسوفا رياضيا جغرافيا، ومن أصحاب الثقافة الواسعة، بل من أعظم عظماء الإسلام، ومن أكبر علماء العالم»



مؤلفاته:

(أ) فى الفلك:

- مقاليد (مفتاح) علم الهيئة.
- تحقيق منازل القمر.
- القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم.
- الرسائل المتفرقة فى الهيئة
- كتاب غرة الزيجات.
- كتاب العمل بالاسطرلاب.
- الآلة المسماة السدس الفخرى.
- جوامع الموجود لخواطر الهنود فى حساب التنجيم
- كرية السماء.
- جلاء الأذهان فى زيج البتانى.
- التطرق إلى تحقيق حركة الشمس.
- التفهيم لأوائل صناعة التنجيم.
- الاستشهاد باختلاف الأرصاد.

(ب) فى علوم الأرض (الجغرافيا والجيولوجيا):

- تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن.
- مقالة فى استخراج قدر الأرض برصد انحطاط الأفق عن قلل الجبال.
- تقسيم الأقاليم.
- تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الأرض.
- إيضاح الأدلة فى كيفية معرفة سمت القبلة.
- رؤية الأهلة.
- جدول التقويم.
- الجماهر فى معرفة الجواهر.

(جـ) فى الهندسة والرياضيات:

- رسالة فى أشكال الهندسة
- كتاب فى طرق الحساب
- كتاب حساب المثلثات.
- إفراد المقال فى أمر الظلال.
- جداول رياضية للجيب والظل.
- مقالة فى التحليل الرياضى.
- رسالة فى تسطيح الصور وتبطيح الكور.
- كتاب المسائل الهندسية.
- استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى الواقع فيها.

(د) مجالات أخرى:

- الصيدلة (أو الصيدنة) فى الطب.
- رسالة فى المعادن.
- رسالة فى ضغط السوائل.
- الآثار الباقية من القرون الخالية.
- تمهيد المستقر فى تحقيق معنى الممر.
- كتاب الهند الكبير (أو تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة).
- مقالة فى النسب التى بين الفلزات وبين الجواهر فى الحجم.
- تصور أمر الفجر والشفق فى جهة الشرق والغرب من الأفق.

وقد ترجمت بعض مؤلفات البيرونى إلى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، وأخذ عنها الغربيون، واعتمدوا عليها.

• أهم إنجازات البيرونى

١ - طريقة البيرونى لقياس محيط الأرض:

وضع البيرونى فى آخر كتابه «الاسطرلاب» ما يعرف باسم «قاعدة البيرونى» لمعرفة مقدار محيط الأرض. وجاء وصفه لنظريته كما يلى:

«وفى معرفة ذلك طريق قائم فى الوهم، صحيح بالبرهان، والوصول إلى عمله صعب لصغر الاسطرلاب، وقلة مقدار الشىء الذى يبنى عليه فيه، وهو أن تصعد جبلا مشرفا على بحر أو برية ملساء، وترصد غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط، ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل وتضربه فى جيب المستوى لتمام الانحطاط الموجود، وتقسم المجتمع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه، ثم تضرب ما خرج من القسمة فى اثنين وعشرين أبدا، وتقسم المبلغ على سبعة، فيخرج مقدار إحاطة الأرض بالمقدار الذى به قدرت عمود الجبل. ولم يقع لنا بهذا الانحطاط وكميته فى المواضع العالية تجربة. وجرأنا على مثل هذا الطريق ما حكاه «أبو العباس النيريزى» عن «أرسطوطاليس» أن أطول أعمدة الجبال خمسة أميال ونصف، بالمقدار الذى به نصف قطر الأرض ثلاثة آلاف ومائتا ميل بالتقريب. فإن الحساب يقضى لهذه القسمة أن يوجد الانحطاط فى الجبل الذى عموده هذا القدر ثلاث درجات بالتقريب.

وإلى التجربة يلتجأ فى مثل هذه الأشياء، وعلى الامتحان فيها يعول، وما التوفيق إلا من الله العزيز الحكيم».

ولاستخراج المعادلة (القاعدة) التى استخدمها البيرونى، نعبر عنها بلغة الرموز كما يلى:

نفرض أن (أ) هى قمة الجبل، وأن (أع) الخط الواصل من (أ) إلى مركز الأرض (ع) يمثل ارتفاع الجبل (ف). ويسمى البيرونى الزاوية (ع أ د) انحطاط الأفق. وعلى هذا فإن الزاوية ع = الزاوية ق (لأن كلا منهما تتمم الزاوية ع أ د). ويتضح من هندسة الشكل أن:

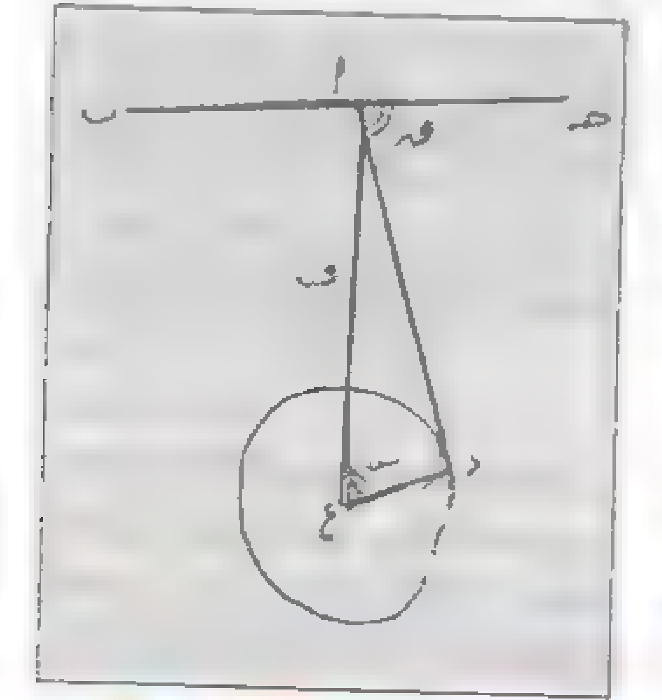
$$\text{نصف قطر الأرض س} = \frac{\text{ف جتا ق}}{\text{١ − جتا ق}}$$

$$\therefore \text{محيط الأرض} = \text{٢ ط س}$$

$$= \text{٢} \times \frac{\text{٢٢}}{\text{٧}} \times \frac{\text{ف جتا ق}}{\text{١ − جتا ق}}$$

ويعترف «سيمسير» بأن قياس المكيين مأمون، وقياس البيرونى لمحيط الأرض من الأعمال العلمية الجيدة المأثورة للعرب.

وفى ذلك يقول «نيلينو»: «ومما يستحق الذكر أن البيرونى بعد تأليف كتابه فى الاسطرلاب، أخرج تلك



الطريقة المذكورة من القوة إلى الفعل. فروى في كتابه «القانون المسعودي» أنه أراد تحقيق قياس المعمورة «فاختار جبلا في بلاد الهند مشرفا على البحر وعلى برية مستوية. ثم قاس ارتفاع الجبل فوجده ٦٥٢,٠٥ ذراع، وقاس الانحطاط فوجده (٣٤ دقيقة) فاستنبط أن مقدار درجة من خط نصف النهار ٥٨ ميلا على التقريب (أي ما يساوي ٥٦,٩٢ ميل).

٢- تعيين خصائص المواد

(أ) تعيين الوزن النوعي:

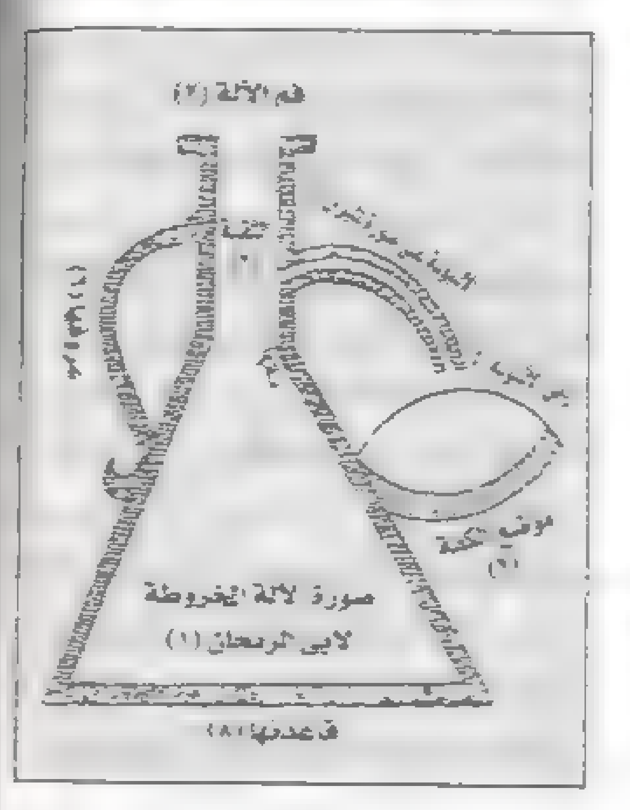
من أوائل الذين أجروا التجارب لحساب الوزن النوعي للمواد المختلفة يأتي أبو الريحان البيروني الذي استخدم جهازه المخروطي المعروف، وهو عبارة عن وعاء مصبه متجه إلى أسفل (كما في الشكل).

وكان البيروني يزن المادة التي يريد دراستها بحالة الجفاف ثم يزن الماء الذي تحل محله المادة التي أدخلها في الوعاء، والذي يخرج من الجهاز بواسطة ثقب موضوع في مكان مناسب. فينتج الوزن النوعي المطلوب من النسبة بين ثقل المادة وثقل حجم مساو لها من الماء. ويوضح الجدول مقارنة بين القيم التي حصل عليها كل من البيروني والخازني لبعض المواد الصلبة والسوائل وبين أحدث القيم المعروفة لهذه المواد، وتثبت النتائج على نحو غير مباشر أن الأدوات المستخدمة في القياس كانت مصنعة بمواصفات دقيقة قدر الإمكان.

(ب) خاصية الصلادة

اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة المعادن والجواهر والأحجار الكريمة لتمييز دخيلها من أصيلها بحسب ألوانها وشفافيتها وبريقها وصلابتها وحكاكتها (تخدشها) وتشعيرها (تشققها)، وغير ذلك من الخصائص الفيزيائية التي تميز بها المعادن اليوم.

وقد وضع البيروني والخازني اللبنة الأولى في فكرة «مقياس الصلادة المنسوب للعالم موهز» ohs scale-، وهو ذو درجات عشر، ويشغل الألماس والياقوت الدرجتين العاشرة والتاسعة فيه على الترتيب، بينما يحتل «الكلك» وهو أقلها صلابة، الرقم واحد. وذكر البيروني



في كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر» أن الماس أصلب الجواهر ويليه الياقوت ثم أشباه الياقوت، وقال: «قد قدمت ذكر الماس على ما ذكر مما بقي من مشبة الجواهر التي لها الرياسة أعني اللؤلؤ والزمرد، لأنه فاعل في الياقوت الفاعل فيما دونه، وغير منفعل بشيء فوقه، ولا متأثر مما دونه ... والمناسبة بينه وبين الياقوت أقرب المناسبات بالرزانة والصلابة».

قيم الوزن النوعي لبعض المواد*

المادة	قيم البيروني	قيم الخازني	القيم الحديثة
الذهب	١٩,٢٦	١٩,٠٥	١٩,٢٦
الرصاص	١١,٤٠		١١,٣٥
الفضة	١٠,٣٨	١٠,٣٠	١٠,٤٣-١٠,٤٧
النحاس	٨,٨٣	٨,٦٦	٨,٦٧-٨,٧٣
النحاس الأصفر	٨,٥٨	٨,٥٧	٨,٤٥-٨,٦٠
القصدير	٧,١٥	٧,٣٢	٧,٢٩١
الكوارتز	٢,٥٨	-	٢,٥٨
اللؤلؤ	٢,٧٣		٢,٧٥
الياقوت الأحمر	٤,٠١		٣,٩٩-٤,٤
الزئبق	١٣,٤٩	١٣,٥١	١٣,٥٩
الماء العذب الزلال	-	٠,٩٩٥	٠,٩٩٩
ماء البحر	-	١,٠٤١	١,٠٢٧
زيت الزيتون	-	٠,٩٢٠	١,٩١
حليب البقر	-	١,١١	١,٠٤-١,٤٢
دم الإنسان السليم	-	١,٠٣٣	١,٠٤٥-١,٠٧٥

* المراجع:
- [illegible]: المرجع السابق
- دونالد هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت
- زغلول النجار وعلي عبدالله الدفاع: إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطور علوم الأرض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المملكة العربية السعودية، الرياض ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م



للأستاذ: محمد مصطفى البسيوني

تكاد كلمة (الثقافة) أن تصبح كلمة دارجة لكثرة ما تتحرك بين الألسن وتجري بها الأقلام الفصحى والعامية جميعاً، وباتت العامة يستخدمون دائما الألفاظ الفصحى استخدامهم لكلمة (الثقافة) حتى تصبح العامية لغة فصحى أو قريبة من الفصحى.

إلا أن انتشار كلمة الثقافة بين الجميع ليس معناه بالضرورة ارتفاعه في الشعوب بالعامية إلى مستوى الفصحى ولكن لأن هذه الكلمة مرنة ومستحبة في آن واحد فالثاء والقاف من الحروف الرنانة الطنانة التي تحتاج إلى اتحاد مخارج خاصة عند التحدث بها مما يظهر المتحدث بمظهر المتقعر في اللغة والمتبحر في البيان وذلك مما هون من قدر الكلمة على الناس حتى أصبح كل من يكتفي بقراءة عناوين الجريدة اليومية يسمي نفسه - ويسميه أمثاله - مثقفاً.

وقد لفت أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء إلى مثل ذلك في كتابه (معجم مقاييس اللغة) عندما يقول ثقفت به أي ظفرت به وأمسكته. ونجد هذا المعنى في بعض آيات الذكر الحكيم عندما يقول:

﴿ ... ثقفتموهم ... ﴾

(النساء: ٩١)

أي حيث ظفرتم بهم.

وكلمة (الثقافة) ليس لها معنى ذاتي في لغات الغرب ولكنها تلتقي مع كلمة (الحضارة) في لفظ واحد هو Culture التي تضم معنى التعليم Education ومعنى المدنية Civilization في صعيد واحد.

أما في لغة الضاد العربية فلكل منهما معناه كما ومدلوله كيفاً. فإن (الثقافة) لها معنى و(الحضارة) لها معنى آخر، كما أن التعليم له معنى و(المدنية) كذلك لها معنى آخر.

ومن هنا أردنا أن نفرد لهذه الكلمة العجيبة هذه السطور التي نحاول فيها قدر الطاقة إبراز مضمون الثقافة في معناها ومبناها جميعاً فيقال مثلاً: وفلان ثقف أي صار حاذقاً فطناً فهو ثقف، وفلان قد ثقف العلم والصناعة أي حذقهما، كما يقال: ثقف المقاتل الرمح أي سواه، ومن ثمة جاء معنى ثقف المعلم تلميذه بمعنى هذبه وعلمه فتهذب. وتعلم، وجعله ثقيفاً أي حاذقاً جداً.

كما أن من المعاني اللغوية للثقافة أنها العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها.

للثقافة شروط

ومهما يكن من شيء فقد اصطلح كثير ممن يتحدثون للشعب أو حماة (العملي) ويعددون شروط الثقافة على أن الإنسان المثقف هو من تتوفر لديه أمور ثلاثة:

■ فأما الأمر الأول: فهو أن يكون المرء دائم البحث دءوب الاطلاع في طلب المعرفة المفيدة الجديدة أياً كانت مجالاتها، وذلك استجابة لقوله تعالى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل: ٤٣)

وذلك مما يشير في أعماق النفس الخلق الرغبة الملحة والتواصل في دوام التحصيل من المصادر المختلفة.

■ وأما الأمر الثاني: فهو أن يبدأ المرء نفسه في الانتفاع عملياً بهذه المعرفة التي حصلها وإلا أصبح مثله كمثل اليهود الذين قال فيهم الذكر الحكيم حيث وصفهم بأنهم حملوا التوراة فلم ينتفعوا بها ولم يستجيبوا لها حماقة وصلفاً وغروراً:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

(الجمعة: ٥)

ذلك أنهم في الوقت الذي كانوا مطالبين فيه بالانتفاع بما نزل عليهم من الحق قاموا بعد بالاستهتار والعناد ولم يعملوا بما أمروا به فصاروا كالحمار الذي يحمل على ظهره الكتب القيمة العظيمة دون أن يفقه ما فيها أو يفيد منها.

فالذي يحصل المعرفة من هنا وهناك ولا تعود عليه هذه المعرفة بالثقافة المرجوة كمثل حرية حوت العديد من الكتب دون أن يفيد منها شيئاً في حياته العملية، لأنها حرية قدت من جماد. ولعلنا نجد في عصرنا هذا نماذج من البشر يصدق عليهم هذا القول من هواة المظاهر الذين يحرصون على ملء قصورهم بالكتب من قبيل الديكور ليس إلا.

■ وأما الأمر الثالث: فهو أن يعمل المرء على نشر هذه المعرفة بين الناس حرصاً منه على مجتمعه وحتى يتحقق الاستغراق في انتشار الثقافة، وذلك من منطلق (أحب للناس ما تحب لنفسك)[3] ذلك لأن الذي يحرز حظاً من المعرفة الثقافية فينتفع بها دون أن يفيد غيره هو مثل الأناني «النرجسي»[4] الذي يتمحور حول ذاته، ويلذ له الاستحواذ بالشيء دون أن يناله نفع الآخرين، فما أبعده عن الصحيفا

---

(١) بعض معاجم اللغة مثل المنجد والمعجم الوسيط.

(٢) البراجماتية Pragmatism هي تصور أو موضوع من خلال تعريفه بالنتيجة وآثاره العملية، وهي عند أصحابه في سبيل تحرير الإنسان، ومذهب فكري يتمثل في فلسفته ومبدأ في الفلسفة والدين والأخلاق وتتخذ المنفعة العملية معياراً

(٣) عن أبي عيسى محمد الترمذي ٢٣٠٥ وفي رواية لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، عن أنس في النرجسي

(٤) النرجسية Narcissism نسبة إلى خرافة إغريقية حول زهرة النرجس وتعني في التحليل النفسي عشق الشخص لذاته وهو من الأمراض العقلية والمعاجم النفسية

الإسلامية شتى في متن قوله تعالى

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

(الحشر: ٩)

ولو تعمق أمثال هذا المقال الأمور لعلموا أن فائدتهم لتغير قد تعود عليهم يوماً ما وعلى ذويهم بالنفع عندما تنتشر المعرفة بين الناس، وتنمو في تطور واطراد.

ألا نتأمل كيف يعلم المعلم تلاميذه فيكون منهم فيما بعد المهندس الشهير، والمخترع الخطير، والعالم الكبير وغيرهم وغيرهم ممن يوظفون علم أستاذهم عندما يشبون عن الطوق - كما يقال - وتتاح لهم مجالات الإبداع، وميادين الاختراع، وتبادل النفع والانتفاع، ويصبح من حظ الأستاذ أن يشارك في جني جنى هذه العقول التي كانت ناشئة عندما أصبحت ذات شأن وخطر في الحياة.

وما أصدق قول رسولنا الكريم ﷺ حول هذا المعنى في حديثه الشريف: «إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»[٥] وكذلك قوله ﷺ: «إذا قصد أحدكم إلى أخيه فليسأله عفواً ولا يسأله عنتاً»[٦]

وبهذا تنمو الحضارات، وتتنامى الثقافات في حلقات ديناميكية[٧] حية لا ينتابها الخمود، ولا يعتريها الجمود.

وإن المتأمل في تنامي الحضارة الإسلامية على أيدي الرواد من علمائها، وأساطينها، ليلمح صدق ما نقول.

وعندما تفرقع «عشاق الفرقعة» حول معارفهم وذواتهم حدث ما نرى من انتقال (الكرة الثقافية) إلى ملاعب الغير،

وما أصدق شاعرنا العربي العروضي القديم عندما يقول

كـــرة ضُـــربت بصـــولجان

فـــتـــلقـــفـــها رجـــل رجـــل

وكأنه كان يقصد بالكرة هنا حضارتنا الإسلامية التالدة عندما كانت تنتقل بين العقول الذكية والإرادات الأبية تنمو في عز وتنتشر في ازدهار حتى تلقفها غيرنا هنا في غفلة الغافلين وسهو الساهين، ولم يعد في الملعب الثقافي والحضاري الكبير غير الأسماء التي باتت مغمورة، وصارت مشهورة حتى أصبح لسان حالنا يردد:

تـقـدمـتـنـي أنـاس كـان خـطـوهـم

وراء خـطـوي لـو أمـشـي عـلـى مـهـل

دعوة إلى التأمل

ونحن لو عدنا إلى التأمل في الجوانب الثلاثة للثقافة مع تدبرنا لآي القرآن العظيم لرأينا أن لها صدى يتناغم مع المعاني القرآنية الحكيمة حيث يقول العليم الخبير سبحانه:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

(طه: ١١٤)

وعلى نفس الدرب يلفتنا الذكر الحكيم بقوله:

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(الإسراء: ٨٥)

مما يثير في أعماق المؤمن الصادق الرغبة الملحة في استمرار التحصيل حتى إنه ليصبح بنتق في سبيل المعرفة، فقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

(٥) المجلد الثالث من مسند الإمام أحمد بن حنبل، والبخاري في الأدب المفرد.

(٦) الديلمي في مسند الفردوس عن علي، والجامع الصغير.

(٧) متحركة ومتطورة

قال: «ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم»[٨] وفي نفس السبق يقول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «ذللت طالباً فعززت مطلوباً»[٩]

ومن أساليب السعي الجاد لمعرفة سؤال المرء عما يجهل حتى يجد الجواب الشافي، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «هلا سألوا إذا لم يعلموا»[١٠]. فالسؤال وحث عليه إذا قصد به المرء علم ما جهل بحيث يزيد المعرفة ويزيل الشكوك وينفي الشبهات، ولم يقصد به كثرة اللجاج والمماراة، حيث نهى النبي ﷺ عن إعنات المرء ما سمع. ومن هنا يروي نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «حسن السؤال نصف العلم»[١١]

ولا يظن المرء بكثرة المعرفة أنه قد علم لأن ظن المرء أنه عالم هو أولى سمات الجهل وعلامات الغرور، إذ إن علم البشر مهما كثر كما وتنوع كيفا علم نسبي يتفاوت عند الشخص الواحد من زمن لآخر كما يتفاوت بين الناس من شخص إلى آخر وفق ظروف عدة وعوامل شتى، أما العلم المطلق الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا أول له ولا آخر فهو علم العليم العلام - سبحانه وتعالى - الذي هو بكل شيء عليم والذي يعلم السر وأخفى، ولعل الفيلسوف الإغريقي سقراط (٤٦٨ - ٣٩٩ ق م)[١٢] قد هدته فطرته إلى شيء هذا المعنى عندما كان يقول لتلاميذه ومريديه:

«أنا لا أعرف شيئاً إلا شيئاً واحداً وهو أني لا أعرف شيئاً».

وهذا المعنى إذا عمق في النفس زادها شوقاً إلى المزيد من المعرفة وتطلعاً إلى المزيد من البحث، وفي هذا يروى عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «ولو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى منه موسى عليه السلام ولما قال للعبد الصالح الذي أوتي من العلم اللدني

﴿[illegible]﴾

(الكهف: ٦٩)

وقد قال أبو الدرداء: «أخوف ما أخاف إذا وقفت بين يدي الله أن يقول قد علمت فماذا عملت»، وكان يقال: خير من القول فاعله، وخير من الصواب قائله وخير من العلم حامله.

وقديماً قيل:

إيــاك أن تــعــظ الــرجــال وقــد

أصــبــحــت محــتــاجــاً إلى الــوعــظ

نعيب تراثنا والعيب فينا[١٣]

ولعل من أهم الواجبات التي تقع على عاتق فكرنا المعاصر كمسلمين في هذا المجال أن نقلع عن المشاركة في هذه الحملة الضارية التي يشنها كثير من أعدائنا على التراث إما لأن بعضنا لا يقتنع حقيقة بهذا التراث، ولما

٨) كشف الخفاء ومزيل الإلباس - للعجلوني، ط ١٩٠٦

٩) كشف الخفاء ومزيل الإلباس - للعجلوني، ط ١٩٠٩

١٠) المرجع السابق

١١) كشف الخفاء

١٢) واحد من أعظم الفلاسفة اليونانيين ومعلم أفلاطون وأثر على من خلفه [illegible]

١٣) التراث هو ما يخلفه الماضي للحاضر Heritage

لأن بعضنا ينبهر بحضارات الآخرين [illegible]
[illegible] الكواكب ويركب المراكب حتى أحدث اللجج فأسرف في اللجج، والتراث من أمثال هذه الصنوف السماوية براء ويكاد الشاعر العربي القديم يبعث من جديد ليغير ما قال استجابة لتغير الحال فيقول:

[illegible]

[illegible] سلطان. ويجيبك عن هذا هواة أزور [illegible] «الرتوت» الذين لا يبذلون من جهد بدني أو عقلي [illegible] يتنقلوا بين الفضائيات دون انتقال، ويشغلوا بالجدل والانفعال وقد صدق في حقهم هم وأمثالهم قول المولى عز وجل:

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

(الكهف: ٥٤)

وصار الأمر هكذا حتى أصبحنا نأخذ من الغير تراثنا بعد تحقيق صياغته وإعادة طباعته وكأننا عنه غرباء، أو كأنه عنا غريب فوجدنا طب ابن سينا[24] يذوب في طب الآخرين، ورأينا منهج ابن الهيثم العلمي يقف على استحياء وراء منهج روجر بيكون وفرنسيس بيكون، كما رأينا الهندسة التحليلية التي [illegible] ديكارت، وكذلك أصبح مثل العالم ابن النفيس لا يجرؤ على القول بأنه مكتشف الدورة الدموية الصغرى لأن اسم (هارفي) الذي نسبها إلى نفسه [illegible] أذاعه قومه بمكبرات الصوت وأشاعوه بمكبرات الضوء، كما أدى الإعلام والإعلان الغربي إلى [illegible] دور ابن خلدون الرائد في اكتشاف علم الاجتماع الذي أسماه في بدايته بعلم العمران [illegible] انتحال الفرنسي (أوجست كونت) تأسيس هذا العلم تحت اسم (الطبيعة الاجتماعية) أو علم الاجتماع. وهكذا وهكذا، ولولا خشية [illegible] بالتعصب العلمي لسقنا المثل تلو المثل[25].

[illegible] كما لا يتسع لذكره هذه السطور.

[illegible] شعور [illegible] المسيرة العلمية في جامعة

(٢٤) [illegible] في الطب النفسي إلى جانب الطب البدني وغيره من فنون العلم.

(٢٥) [illegible] علي الحسن بن الهيثم [illegible]

[illegible] الأمر خطير حقا أن جانبا عظيما من تراثنا الفكري يرقد في بطون الكتب وكهوف المكتبات [illegible] حيث تحتفظ [illegible] المكتبات العديد من المخطوطات العربية النفيسة التي تشكل ركنا مهما من تراثنا الفكري العظيم، كما أنه من الأكثر غرابة أن كثيرا من مفكرينا يغمض طرفه قصدا أو جهلا أو تغافلا عن التطلع إلى هذا التراث، والاهتمام به ودراسته وعرضه من جديد على الناشئة العربية والإسلامية التي هي بحاجة قصوى إليه ليقوى إيمانها [illegible] التراثي التليد المشرف العطاء.

لماذا تراث المسلمين؟

ولعل هذا هو ما قصدنا إليه في عنوان هذا المقال «التربية الثقافية وتراث المسلمين» ولم نقل «التراث الإسلامي» إذ الوصف والموصوف هنا قول مطلق يردده من يريد. أما إضافة التراث للمسلمين فمعناه أن [illegible] المسلمين لهم تراث يسعى [illegible] لتنقيب عنه، والاجتهاد في السعي إلى معرفته والحرص على توظيفه حتى يعود [illegible] المعاصر الذي يحيط بهم من كل جانب ويشتت تركيزهم من كل اتجاه[26] والمسئولية الثقافية والتعليمية في هذا المجال تقف على قمة المسئوليات والاهتمامات في عصر [illegible] فيه الأمور، وتكاد أصالة الشعوب العريقة أن تتوه بين المفاهيم المستحدثة، وتختفي بين المعاني المبتدعة.

وصار أصحاب الحضارات الناشئة المفتعلة يزاحمون في شراسة أرباب الحضارات الخالدة بحجة ما يعرف بصراع الحضارات ونزاع الثقافات لينصهر الأصيل والدخيل في بوتقة العولمة.

بين العولمة والكوننة

ولئن كانت العولمة هي من محدثات العصر (كبوتقة للعالم) فإن «الكوننة» هي الساحة الإسلامية التي حوت «العالمين» إنسهم وجنهم وحيوانهم ونباتهم وجمادهم وما ينتظم هؤلاء «العالمين» من المعنى والمادة والجسوم والأرواح وغير ذلك، وقد صدق من سجل هذا في أعظم كتاب عرفه الكون فقال للنبي ﷺ:

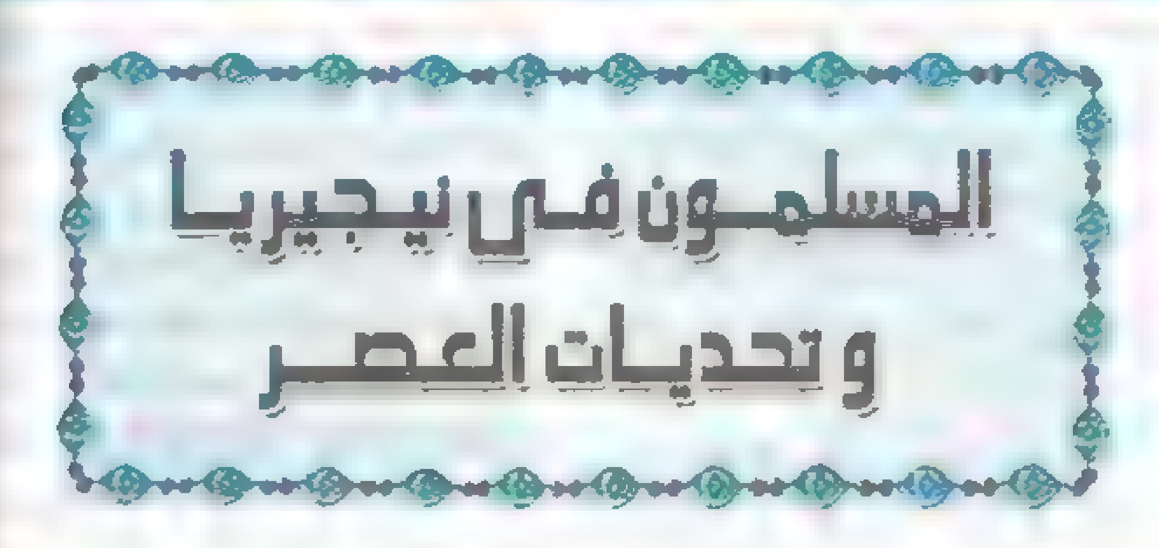
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وتأكيد هذا «المعنى الكوني» يتمثل في أمثلة تجل على العد أو الحصر فيما بين آي الذكر الحكيم، والحديث النبوي الكريم.

ومن عجائب العربية - وهي لغة القرآن الكريم - أن السعة التي تتجلى في الكون نراها كذلك في كلمة (كان) حيث تتصرف هذه الكلمة إلى (يكون كونا وكيانا وكينونة) كما أنها قد تأتي ناقصة أو تامة كما نقف عليه في معاجم اللغة.

وبعد، فإنها أمور ينبغي أن تعالج من خلال التربية الثقافية التي يجب أن تأخذ مكانها بين الأجيال في إيمان صادق، وفكر قويم، وخدمة خالصة ومخلصة لتراث المسلمين.



المسلمون في نيجيريا وتحديات العصر

للدكتور / عبد الله نجيب

نيجيريا بلد كبير دونه سلامة في شريف وهي جمهورية اتحادية تقع في غرب القارة الأفريقية على خليج غينيا بين خطي عرض ٤ و ١٤ شمالي خط الاستواء يحدها من الشمال جمهورية النيجر ومن الشرق جمهورية الكاميرون ومن الغرب جمهورية بنين ومن الجنوب المحيط الأطلسي.

تنتسب نيجيريا التي عرفت بهذا الاسم منذ القرن التاسع عشر إلى نهر «النيجر»[1] الذي يقسم البلاد مع نهر «البينو» إلى ثلاثة أقسام.

تبلغ مساحة نيجيريا ٩٢٣٧٦٨ كم٢، معظمها سهول ساحلية واسعة تتوسطها دلتا نهر النيجر وتشرف عليها في الشمال هضبة جوس الواسعة كما تقع جبال الكاميرون على حدودها الشرقية.

تكون نيجيريا حاليا اتحادا فيدراليا عاصمته مدينة «لاجوس» المزدهرة والعاصمة الحالية هي مدينة «أبوجا» ويضم الاتحاد أربعة أقاليم هي: نيجيريا الشمالية وعاصمته «كادونا» وسكانه مسلمون من قبائل «الهوسا» و«الفولاني»، والإقليم الثاني هو نيجيريا الغربية ومعظم سكانه مسلمون من قبائل اليوروبا، والإقليم الثالث هو نيجيريا الشرقية ومعظم سكانه مسيحيون من قبائل «الايبو»، والإقليم الرابع الكاميرون الشمالي الذي انضم إلى الاتحاد عام ١٩٦١م، ومعظم سكانه من المسلمين.

أهم زراعات نيجيريا الكاكاو وشجر النقاط ونخيل الزيت والأرز والفول السوداني والكولا، وفي أرضها معادن من القصدير والفحم والذهب والبترول، كما أن مواردها الاقتصادية الأخرى متعددة منها تربية المواشي بالإضافة إلى بعض الصناعات التحويلية الآخذة في النمو.

يتجاوز عدد سكان نيجيريا اليوم ١٦٠ مليون نسمة، نسبة المسلمين إلى غيرهم من أتباع الديانات الأخرى حوالي ٧٠٪[2] واللغة الرسمية في نيجيريا هي «الإنجليزية»، ومن اللغات الرئيسية المستخدمة الهوسا، واليوروبا، والايبو، بالإضافة إلى العديد من اللغات الأخرى التي تتحدثها القبائل الصغيرة.

تهتم المسلمون في نيجيريا باللغة العربية، وتعلموها ولا تزال تلقى اهتماما كبيراً في المناطق الإسلامية، حيث تعلم في المساجد والمدارس والمعاهد الإسلامية، بالإضافة إلى العلوم الإسلامية الأخرى.

الخريطة

كان العرب في السابق يطلقون اسم بلاد «التكرور» على بعض مناطق نيجيريا قبل أن تأخذ اسمها الحالي، وقبل أن ترسم حدودها الجغرافية الحالية على يد المستعمرين البريطانيين في بدايات القرن الماضي، وهذه البلاد كانت عبارة عن ممالك وولايات متجاورة منفصلة عن بعضها، وتشير المصادر التاريخية إلى أن الإسلام قد بدأ يشق طريقه إلى هذه البلاد منذ القرن الثامن الميلادي عن طريق قوافل التجار العرب الذين وفدوا إليها من الشمال الأفريقي، بينما كان الانتشار الكبير للإسلام في القرن الثالث عشر الميلادي، بتأثير قيام دولتي الموحدين والمرابطين في بلاد المغرب العربي.

استطاع الإسلام عامة أن يربط بين الدويلات والممالك القائمة من خلال اللغة والثقافة والعلاقات التجارية وكان له تأثير بالغ في حياة السكان، ويمكننا أن نحدد تاريخياً وجود أربع مناطق سادت فيها ممالك ودويلات إسلامية هي كالتالي:-

١- بلاد الهوسا[3]:

وهي المنطقة الواقعة شمال نيجيريا وينتشر الإسلام بها على نطاق واسع، وقد قامت في هذه المنطقة في وقت مبكر سبع إمارات إسلامية هي: كانو، داتو، دورا، جوبير،

(١) كلمة النيجر تعني في الأصل النهر الكبير [illegible]

(٢) [illegible] بينما تقل المراجع الغربية المغرضة من هذه النسبة [illegible] ولا تظهر النسبة الحقيقية لأتباع كل من الديانتين.

(٣) [illegible]

كاتسينا، وزمفرا، تحولت قبائل الهوسا إلى الإسلام في القرن الثالث عشر الميلادي، مما أدى إلى قيام أنظمة حكم جديدة كل الحرص على تطبيق تعاليم الإسلام، فنشأت أنظمة قضائية وغيرها تقوم على الشريعة الإسلامية.

٢- بلاد اليوروبا:

وتقع جنوب نيجيريا، وتمتد من نهر النيجر حتى المحيط الأطلسي، وفيها تقع العاصمة «لاجوس»، ويذكر المؤرخون أنهم وفدوا من صعيد مصر، وأن لهم أصولاً عربية، وقد أسس هؤلاء مملكة اعتنقت الإسلام منذ القرن الثالث الهجري، وبوجود حركة الشيخ «عثمان دان فوديو» الذي نشر الإسلام في ربوع البلاد وأخضعها لسلطانه في «سوكوتو».

٣- مملكتا بورنو وكانم:

تقعان إلى الشرق من بلاد الهوسا على بحيرة تشاد، وأصبحتا فيما بعد إمبراطورية عظيمة بسطت نفوذها على الصحراء الكبرى وعلى جزء من السودان. وقد دخلها الإسلام منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وعرفت جيوش «عثمان دان فوديو»، ودخلها الجيش المصري بقيادة «رابح» وبقيت هاتان المملكتان تحت نفوذه حتى سنة ١٩٠٠م حين دخلها الفرنسيون وقضوا على حكم «رابح».

٤- بلاد الايبو:

تقع شرقي نهر النيجر، وتشكل القسم الشرقي من نيجيريا الحالية، دخلتها المسيحية في بدايات القرن التاسع عشر، وسيطر عليها المبشرون الغربيون، ومع ذلك أخذ الإسلام ينتشر في هذه البلاد في العقود الأخيرة كنتيجة لنشاط مجلس منظمات الشباب المسلم فرع ولاية «أويو».

تأثرت مناطق نيجيريا الاتحادية بالحضارة الإسلامية، وكان للإسلام والثقافة الإسلامية بوجه عام دور بالغ الأثر في حياة السكان، في ثقافتهم وعاداتهم وسلوكهم.

ابتليت البلاد بالاستعمار الغربي منذ القرن السادس عشر الذي تمثل في التجارة بالعبيد والتبشير لتنصير أهلها، وصولاً إلى هدفه في السيطرة الكاملة والاستعمار الذي تحقق على يد البريطانيين في نهاية القرن التاسع عشر. ١٨٦١ عندما قام ملك «دوسيمو» بالتخلي عن جزيرة «لاجوس» لبريطانيا، التي وضعت عليها حاكماً إنجليزياً تحت ستار إنساني وهو تسمية محاربة الإتجار بالرقيق، وما إن حلت سنة ١٩٠٠ حتى كان شمال البلاد وجنوبها واقعين تحت الحماية البريطانية. وفي سنة ١٩٠٦ انضم جزء من الكاميرون إلى الاتحاد النيجيري. وفي سنة ١٩٦١ انسحب «الكاميرون» الجنوبي من الاتحاد ليحل محله «الكاميرون» الشمالي سنة ١٩٦٣ ويصبح بعد ذلك اسم الدولة الثالثة «جمهورية نيجيريا الاتحادية» التي قضت من خلال قوميتها على حكم الأمراء والسلاطين المسلمين الذين كانوا يحكمون بلادهم بقوانين وأنظمة مأخوذة إلى حد كبير من الشريعة الإسلامية.

تحديات العصر:

لقد ثبت أن الاستعمار الإنجليزي خلال المدة الطويلة التي قضاها في احتلال نيجيريا، كان يعمل مع الحركات التبشيرية المسيحية جنباً إلى جنب ضمن خطة تهدف إلى تقوية وضع المسيحيين في نيجيريا.

لقد أثمر هذا الوضع علاقات ظلت متوترة ومحكومة بالشكوك بين المسلمين الذين يشعرون بفقدان حكمهم



جانب من مسجد جوس الكبير في العاصمة

السابق وحقوقهم التاريخية وتغلب الأقلية المسيحية عليهم، وبين المسيحيين الذين يحاولون تأكيد وضعهم كورثة للاستعمار بكل السبل. كما يقاومون سعي المسلمين لاستعادة المراكز والوظائف المستحقة لهم بحكم أكثريتهم العددية.

وكذلك يرفضون أي مظهر إسلامي لنيجيريا، وأي ارتباط لها بالعالم الإسلامي، فهم يعارضون بشدة مطالبات المنظمات الإسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية في مناطقهم، كما عارضوا على الدوام دخول نيجيريا كعضو كامل في «منظمة المؤتمر الإسلامي». وبعدما بقيت نيجيريا مدة عضواً مراقباً في هذه المنظمة بضغط المسلمين، انسحبت منها بحجة أنها دولة علمانية وذلك رغم المعارضة الشديدة للمسلمين. وهذا الشيء نفسه ينسحب على محاولة نيجيريا الالتحاق كعضو في بنك التنمية الإسلامي التي أحبطها المسيحيون أيضاً رغم مصلحة الدولة في ذلك.

ومن جهة أخرى فإن نزعة الهيمنة والاستئثار بالسلطة والنخبة الحاكمة في نيجيريا - الاتحاد النيجيري - في أوساط المسيحيين والمدنيين. قد أدى كل ذلك إلى حدوث اضطرابات داخلية تحت مظلة القطاع الشمالي. وقد كان من أبرزها الحرب الانفصالية المعروفة بحرب بيافرا والتي دعمت فيها الدول المسيحية في وسط وجنوب نيجيريا سنة ١٩٦٧، بهدف فصل هذه المنطقة وإقامة دولة مسيحية عليها. وقد سقط نتيجة هذه الحرب القاسية آلاف الضحايا.

وفي حزيران سنة ١٩٨٧ وقعت في «كفنشان» شمال نيجيريا مصادمات عنيفة بين الأقلية المسيحية والمسلمين الذين تتهمهم السلطات المسيحية بإثارة مشاعرهم الدينية والإساءة إلى رسول الله ﷺ والقرآن الكريم، وقد احتج قادة المسلمين على توجه السلطات بالتحيز، حيث صرح الأمين العام لمجلس علماء نيجيريا الدكتور عمر بيلو جوني للاضطرابات العنصرية والتحركات العدوانية التي طالت مئات المسلمين بيد مسيحيين، وأن الشرارة التي أدت إلى المصادمات بالأيوب. فقد أدى إلى أن حكام الولايات التسعة عشر هم من المسيحيين، وكذلك قادة الوحدات العسكرية وكل القضاة في المحاكم العسكرية الذين هم أعضاء في مجلس الحكم العسكري. وعقب هذه المصادمات نظمت مجالس طائفية بنيجيريا مسيرات صاخبة خرجت عقب مثيلاتها في لاغوس وكادونا وكانو. هذا في الوقت الذي يشكل المسلمون فيه الأغلبية المطلقة في البلاد، وكذلك التي تواجه الخطط التبشيرية المدعومة من الخارج والذي يهدف إلى

نشر المسيحية في «الحزام الأوسط» حيث القبائل الوثنية.

وفي شهر نيسان ١٩٩١ خرجت مسيرة إسلامية صاخبة في «كاتسينا» متجهة إلى مكاتب جريدة «الديلي تايمز» فأحرقتها احتجاجا على نشر مجلة «Times fun» التابعة لها - رسماً كاريكاتوريا فيه إساءة واضحة للرسول الأعظم ﷺ ولنبي الله عيسى عليه السلام. أعقب هذه المظاهرات حالة تحد تفاعلت شعبياً بين الحاكم المسيحي وزعيم هذه الولاية الديني «يعقوب يحيى» الذي صرح بأن المسلمين سوف يواجهون باستمرار الانحراف والإعلام الفاسد الذي يهجم على المقدسات وقال: لن نسكت عن حاكم يدعي أنه محبوب ونا جح أكثر من محمد والمسيح عليهما السلام!

وشهدت «كانو» أشهر مدينة تجارية في غرب أفريقيا والتي يشكل المسلمون فيها ما نسبته ٩٩٪ من سكانها أحد أعنف الصدامات الدينية في نيجيريا وذلك في الرابع عشر من تشرين أول ١٩٩١، عندما بدأ الاتحاد المسيحي النيجيري حملة ملصقات دعائية تبشر بوصول القس الألماني «رينهارد بونكي» إلى «كانو» لإلقاء محاضرات دينية في الميادين العامة، وليبشر بكرامات ومعجزات جديدة للسيد المسيح عليه السلام تظهر على يديه وتبرئ الأكمه والأبرص، وغير ذلك من الأساليب الجديدة التي يبتدعها المبشرون الجدد، والتي يستعملون فيها حيل الأجهزة الإليكترونية الخبيثة لاصطياد البسطاء من الناس.. فثارت هذه الدعوة حفيظة المسلمين الذين اعتبروا ذلك نوعاً من التحدي لهوية المدينة المسلمة. فاجتمع حشد كبير من المسلمين في نفس الميدان المعين من قبل الاتحاد المسيحي لانعقاد الاجتماع، وأعقب ذلك مصادمات مؤسفة سقط فيها العديد من القتلى والجرحى كما أحرقت مؤسسات ومبان عديدة. والشيء الذي أثار غضب المسلمين هو أن سلطات المدينة نفسها كانت قد منعت قبل عدة سنوات مجيء الداعية الإسلامي الأفريقي المعروف «أحمد ديدات» إلى المدينة بحجة المحافظة على الأمن وعلى مشاعر المسيحيين، بينما سمحت للمبشر الألماني بالدخول إلى منطقة إسلامية شبه مغلقة.

وهكذا نرى أن القيادات الإسلامية أن المسيحيين المؤيدين من الغرب وحركات التبشير المسيحية يعمدون عادة إلى الاستفزاز والتحدي لمشاعرهم وتلقي ردة الفعل من قبل المسلمين الذين يغضبون لدينهم وكرامتهم بعد ذلك. وكثيراً ما يبدي هؤلاء القادة بالإقلاع عن هذه الأساليب درءاً للفتنة وللإبقاء على التعايش السلمي.

في مواجهة العلمنة:

بعدما كان الإسلام بعقيدته وشريعته ونظمه صاحب المكانة الكبرى في المناطق الإسلامية في نيجيريا حتى بدايات هذا القرن، جاء الاستعمار الغربي ليعمل على إقصاء تلك المكانة تدريجياً بأساليب خبيثة، وهو وإن لم يتمكن من زعزعة عقيدة عامة الناس بالإسلام وتطلعهم إليه كمعتقد ومخلص، إلا أنه تمكن من فرض قواعد العلمنة المناهضة له في نظام الحكم وأنظمة الإدارة والقضاء والتعليم وغير ذلك.. وهذه العلمنة تسير باتجاه واحد، هو محاصرة الإسلام في نظمه وتشريعاته والعمل على إيجاد الهوة بينه وبين المسلمين، وهذا ما يعوق تنفيذه. بعدما قضى على سلطة العلماء والدعاة وأمراء المناطق الإسلامية. طبقة من الحكام والمسؤولين، جميعهم من غير المسلمين أو من المسلمين الذين تتلمذوا وتدربوا على أيدي الغرب وثقافته وعاداته، فراحوا يرددون مقولة فصل الدين عن الدولة. وينادون بتطبيق النظم الوضعية الغربية في كل مجالات الحياة معطليها على نظم الإسلام وتشريعاته. ويعممون جهدهم لإزالة كل ما له صلة بالإسلام. وذلك كله بحجة أن نيجيريا بلد متعدد الأديان، والحفاظ على الوحدة الوطنية. والتنازل بالنسبة لهؤلاء الذين يمسكون بمقاليد الأمور اليوم مطلوب دائما من الإسلام والمسلمين!

ولقد أصبحت العلمنة في نيجيريا -كما في كل مجتمع حلت فيه- ضياعاً للأجيال وتهالكاً على المادة، وتفسخاً في العلاقات الاجتماعية وتدهوراً أخلاقياً، واستحلالاً للفواحش والخمور، وانتشاراً لأماكن الفسق والفجور، كل ذلك باسم الحرية التي يحرض دعاة العلمنة معركتها على هذا الأساس.

في مقابل ذلك تنشط الأوساط الإسلامية المتمثلة بالحركات والمنظمات الإسلامية التي يتزايد تأثيرها وكسبها شعبيا مع نمو الصحوة الإسلامية القائمة في نيجيريا، وكذلك بعلماء الدين والفعاليات الشعبية والقبلية: في مواجهة هذا الواقع المفروض من قبلها، وللمطالبة بتحكيم الشريعة والنظم الإسلامية في البلاد وهذا ما عبر عنه أخيراً «مجلس علماء نيجيريا» الذي أصبح محط أنظار المسلمين هناك وهو يقوم بدور بارز في هذا الشأن، وذلك من خلال قراراته وتوصياته التي رفعها إلى الحكومة والشعب أخيراً. وقد جاء فيها:

١- إن المسلمين لا يرضون بأي نظم سياسية إلا النظم السياسية الإسلامية.

٢- على الحكومة أن تطبق التشريع الإسلامي في كل ولايات نيجيريا وأن تنشئ المحاكم الشرعية فيها.

٣- على الحكومة الفيدرالية أن تعترف بالتاريخ الهجري وتعمل به، وكذلك بالأعياد الإسلامية كلها، وأن يكون يوم الجمعة يوم عطلة رسمية.

٤- يطالب مجلس العلماء أن تكون نيجيريا عضواً كاملاً في منظمة الدول الإسلامية.

وقد استجابت الحكومات بعد هذا لبعض مطالب المسلمين ولكن المسلمين النيجيريين مازالوا حتى يومنا هذا يتطلعون لأكثر من هذا: خاصة على صعيد أسلمة المؤسسات والمرافق الثقافية والاجتماعية ويواجهون صعوبات ومشكلات جمة في طريقهم.

(يتبع)





الإسلام فى الألفية الثالثة

ديانة فى صعود

تأليف:
الدكتور مراد هوفمان

تعريب:
عادل المعلم - يس إبراهيم

لأن الإسلام دين الفطرة، كان الإسلام دين البشرية الذي فطر الله كل فرد منها عليه، كما نبه المولى سبحانه إليه في قوله الكريم

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٩)

ولأن الإسلام دين الفطرة كان من يرفضه أو يخرج عليه سفيها معطل العقل على ما قرره عز وجل في قوله

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٣٠- ١٣٢)

وقد خصّ هذا الإسلام بخصيصة الثبات- رغم التغير المادى للزمان وللمكان وللناس- وبخصيصة رفض أى دخيل أو تغير، وبخصيصة أى وسيط أو قيم.

ولذلك.. كان هذا الإسلام هو دين الأنبياء والمرسلين جميعا، وكان فى ثباته وصموده شامخا، يستقبل كل ما يطرأ على البشر- من انحراف فى الفكر أو شذوذ فى السلوك- دون أن يناله شىء من هذا أو ذاك، إلى أن يُبعث من يرد هؤلاء المنحرفين إلى الجادة، فيعودون إليه كى يصلح من شأنهم، وتقودهم قيمه ومبادئه إلى الاستقامة والعود الحميد إلى وظيفة التعمير والخلافة، دون أن يدخل عليه هو شىء من الانحراف، أو يمسه شىء من الشذوذ.

فالإسلام ذاته- بثباته الفطرى- دائم الصعود مع تلك عقول البشر دائمة التطور، فى أمسه القريب وأمسه البعيد، وفى حاضره الماثل، وهو كذلك فى مستقبله على امتداد الزمن- ليظل منارة يهتدى فى ضوئها [illegible] كل من [illegible] تهوى [illegible] [illegible] فى [illegible] [illegible] [illegible] الأمر الله تعالى فى قوله

﴿ [illegible] ﴾

(الروم: ٣٠)

على طريق التغيير الإيجابى

من هذا المنطلق توجه الدكتور (هوفمان) إلى المسلمين- فى الفصل الثانى عشر (ماذا يجب أن يتغير) داعيا إلى أن يبادروا بالتغير الذى لا يمس الأسس العقيدية ولا القيم الإسلامية إسهاما ضروريا منهم فى إزالة عقبات التلاؤم مع الغربيين، وفى مواصلة مسيرة الإصلاح التنويرى التى بدأها أسلافهم منذ قرون.

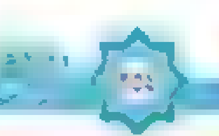
وأجمل الدكتور «هوفمان» مجالات التغير فى عنصرين رأى أن التغير فيهما كفيل بأن يسقط عن الإسلام ما يستغله الإعلاميون الغربيون من مظاهر التخلف التى يحرصون على إلصاقها بالإسلام، تنفيرا للغربيين منه.

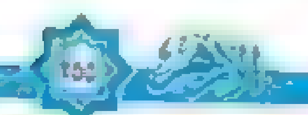
١- أما العنصر الأول: فيتعلق بالمصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم وهو ما بين يديه من أحاديث نبوية تصح صحيح نسبة إلى رسول الله ﷺ وغير صحيح النسبة إليه، على الرغم مما بذله الأولون من علماء الحديث فى اشتراط المعايير الضابطة للصحة.

فيجب على المسلمين اليوم أن يقتدوا بأسلافهم، ويستعينوا بمستحدثات العصر فى إعادة غربلة الأحاديث النبوية لتنقيتها من المدسوس عليها؛ ضمانا لسلامة التشريع الإسلامى، ودفعا لحجج من يسعون لاستبعاد السنة النبوية بأكملها بحجة عدم القدرة على التحقق من صحتها.

٢- وأما العنصر الثانى: فيتعلق باجتهاد علماء الأمة فى استخلاص الأحكام الشرعية من مصدرى التشريع الأساسيين مخلفين هذا الصرح التشريعى الهائل الذى يعد إحدى القمم القانونية الثلاث للميراث العالمى فى مجال القانون.

ولأن من قاموا بتشييد هذا الصرح من القوانين الإسلامية إنما هم بشر معرضون للخطأ على الرغم من علمهم وتقواهم وورعهم، فيجب على علماء الأمة اليوم أن يواصلوا مسيرتهم الاجتهادية، ويحاولوا أن يوفقوا بين الأحكام التشريعية، والملابسات التاريخية والواقعية فى حياتنا المعاصرة بمستجداتها، كما حاول أسلافهم مراعاة زمنهم ومتطلباته دون توجس أو تردد، فالقانون الإسلامى قام على التعددية فى الاجتهاد والنظر، ولم يعرف فكرة القطب الواحد، ولا الفقه الأوحد، حيث كانت





المدارس الفقهية العديدة التي لم يبلغ أحد مؤسسيها أو معاصريهم الخطأ. فعلى فقهاء الإسلام المعاصرين اتباع فقهاء العصور الوسطى ومناهجهم في الاجتهاد للتوصل إلى تنظيم قانوني جديد على أسس القرآن والسنة الصحيحة وهدفهما ومبادئهما عن طريق التحليل والأخذ بالمناهج العلمية.

لكيلا تقف العلاقة عند التقبل فقط

وفي الفصل الثالث عشر «علينا أن نصبح شركاء» قدم الدكتور «هوفمان» صورة للواقع الغربي توضح ما يعانيه الغربيون من أزمات دينية كانت وراء انصرافهم عن الكنيسة. وإن لم تقنع معهم التوجه الإيماني مما أصابهم بالشغف بالأشياء الغريبة.

وذكر الدكتور أن من نتائج هذا التخبط عجز أوروبا عن إيقاف سطوتها الثورية الحداثية التي يفرض عليها احترام الاختلاف، حيث بدت عاجزة عن حل النزاع الدائر في البوسنة وحماية المسلمين هناك، مما أدى إلى تفجر شعور بالذنب قاد إلى النظر إلى المصالح للمسلمين في «كوسوفا» إلى غير ذلك من الميل إلى تقبل المسلمين في أماكن مختلفة من أوروبا مما في هيئة سلسلة من المؤشرات المنصفة لتقبل الإسلام في أوروبا.

ولكن الإسلام -بعظمته الشامل والممتد- يأبى الاقتصار على مجرد التقبل، فهو يعطي كما يأخذ، ويقدم الكثير للآخرين، مما يفرض على هؤلاء الآخرين احترامه والاعتراف به، لا مجرد التقبل بمهادنة مرفوضة.

وهنا يتوجه الدكتور «هوفمان» إلى المسلمين مؤكداً أن باستطاعتهم أن يجعلوا الغرب يعترف بهم إذا عملوا على أن يكونوا شركاء للغرب، وليسوا مجرد طالبي الإحسان. وذلك بالعمل الجاد على إقناع الغرب بأن الإسلام يمكن أن يقدم لهم الشيء الكثير مما يحتاجون إليه في أوروبا بشدة ومما يفتقدونه. فالإسلام باستطاعته تحرير الغرب من تخبطه، وإنقاذه من أزمته الوجودية. ويمكنه أن يكون دواء لداء الغرب، وليس مجرد عنصر يعمل على تعدد ألوان صورة الغرب.

والغرب في حاجة إلى العلاج الإسلامي

ويؤكد الدكتور «هوفمان» أن الغرب في حاجة ماسة إلى علاج حاسم ينقذه من أزمته الأخلاقية الحالية التي تعود جذورها إلى مائتين وخمسين عاماً مضت. ولن يتم الشفاء منها إلا بعملية تقوم بنقد جذري لعقلانية الحداثة. فهذا وحده هو الذي يمكن أن يحقق النجاح في وقف عملية التضخيم الذاتي العقلاني التي يمارسها الغرب، حتى يتمكن من إعادة صلته بالغيبيات، وحتى يستعيد المقدس والإلهي مكانته في دائرة اهتمامه. ويكون هذا [illegible] عيبه.

ولن تستطيع المسيحية أن تقوم بكل هذا؛ لأنها فقدت المصداقية المطلوبة بسبب المعتقدات التي تعلمها، ولأن الشخصيات المؤثرة في الكنيسة لم تنه استعدادها للموت لإعادة القيم. وكل هذا ينطبق كما أن ديانات أخرى مستوردة مثل البوذية. وأي أيديولوجيات مثل الليبرالية القائمة على الحق الطبيعي لن تستطيع الإسهام في إعادة تشكيل الغرب ومساعدته على الشفاء من أمراضه.

والإسلام هو وحده القادر على النجاح في تخليص الغرب من فشل الحداثة، بما يوفره من ترابط اجتماعي، ومساواة حقة بين البشر، وحرية في علاقة الفرد بربه دون وسيط كهنوتي، وتحرر من تعدد الآلهة المعاصرة مثل الإدمان والتسلي المحترف من إعلانات التليفزيون. وإنقاذ الأسرة [illegible] المجتمع من الانهيار. وتقدير دور المرأة في العلاقة الجنسية المنظمة والحياة العملية المثمرة، ومواجهة [illegible] للمادة، ومقاومة الإسراف الاستهلاكي. وفي ذلك كل ما يحقق للفرد الأمن والأمان وتخفيف أسباب التوتر، والقضاء على الفصل الذي يعاني المجتمع من أسباب التشتت والكآبة والاتجاه للرفاهية.

ويرى الدكتور أن الذي أصاب الغرب من أزمات يرجع إلى أن الغرب لا يعرف قيمة أي شيء، ولم يستطع أن يعبر عن نفسه في أزماته، وأنه سيطر عليه أن القيم الفكرية والروحية لا يمكن تسويقها أو الإعلان عنها، لأنها غير ذات قيمة مادية، ولذلك فقد اهتم الإنسان الغربي حول ما يملكه وما يكسب بيديه، أما الإنسان الشرقي فيهتم بالوجود، ويحول كل ما يراه في الغرب من ضروريات الحياة إلى مرتبة ثانية، ولذلك أصبح الهدوء والرضا والقناعة أسلوب حياة.

وبذلك يتأكد أن الإسلام يملك الإجابات الصحيحة عن أسئلة الغرب الكثيرة وأزماته المتعددة، فالإسلام ليس طالب إحسان من الغرب، ولكنه منبع رئيسي لكثير من القيم وأساليب الحياة.

ويتأكد أن المجتمع الغربي -بعدم اعترافه بالحاجة إلى الإسلام- يشبه كثيراً من المرضى أو المدمنين الذين يهربون من الحقيقة ويرفضون الذهاب إلى طبيب حتى لا يواجههم بالحقيقة. فإن غالبية الناس الذين يعيشون أزمة حضارتهم لا يعون أبعاد هذه الأزمة، لأن التشخيص السليم والعلاج السليم لن يفيد مريضاً إلا إذا تناول هذا المريض الدواء في وقته. وعلى ذلك فإن الغرب يعاني من عدم قدرة الغرب على الفعل على الرغم من قدرته على الرؤية والفهم، كما هو حال كل الحضارات في حالة انهيارها. وقد صرح بذلك الرئيس الألماني السابق «رومان هيرتزوج» في قوله «نحن لا نعاني مشكلة معرفة، ولكن مشكلة تحويل هذه المعرفة إلى فعل». فالغرب -بعظمته- ينتظر مصير من لم يستمع إلى صوت الحق، لقد انتصاره على الشيوعية أصبح يتهدده تدمير الذات ومصير الفناء إلا إذا تجاوز تأليه الإنسان، ووجد طريقه مرة ثانية عائداً إلى التمسك بالقيم الإلهية.

والبداية في أمريكا

وفي الفصل الرابع عشر «الإسلام عائد في أمريكا» أطل الدكتور «هوفمان» على حركة الإسلام في بلاد الغرب المسيحي، راصداً ظروف كل موطن ومدى تهيؤ أهله لتقبل الإسلام، باحثاً عن الموطن الذي يمكن أن يتسع للنمو الإسلامي أسرع من غيره.

من هذه الإطلالة الفاحصة رأى الدكتور أن الولايات المتحدة الأمريكية -من بين المواطن الغربية- هي التربة الخصبة التي يمكن أن يحقق الإسلام فيها نجاحه المستقبلي لأسباب كثيرة، من أبرزها:

١- أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتاز باستيعاب العدد والتنوع الديني الهائل الذي يتيح لمختلف الديانات والطوائف والفرق حرية

الحركة، والعيش والشعور بالراحة؛ لأنها منذ نشأتها تمثل الملاذ لأناس فروا من بلادهم بسبب الاضطهاد الديني، على الرغم من أنها لم تكتسب صفة التسامح إلا بصعوبة.

٢- إن الإسلام لا يمثل- في العقل الجمعي- أي خطر أو تهديد؛ فإذا كان الأمريكيون قد عرفوا- منذ الحرب العالمية الأولى- خطورة التورط في مشاحنات أوروبا وصراعاتها، وإذا كان الخطر الأصفر قد رسخ في وعيهم منذ «بيرل هاربور» في الحرب العالمية الثانية، فإن انتباه المواطن الأمريكي المتوسط غير اليهودي لم يلتفت إلى وجود خطر من الإسلام إلا منذ الهجوم على مركز التجارة العالمي.

٣- عدم ظهور المسلمين كجماعة إثنية عرقية؛ فهم ينتمون إلى جميع بلدان العالم وجميع الأعراق المختلفة، وبما يؤكد: أن المشهد الإسلامي في أمريكا متعدد الأعراق.

٤- أن غالبية المهاجرين المسلمين أتوا إلى الولايات المتحدة طلبة علم، مما هيأ الفرصة لحمل الجزء الأعظم من أمة المسلمين في أمريكا يتألف من مسلمين على درجة عالية من التعليم والثقافة، فلأن تكون مسلما في أمريكا يعني: أن تكون أكاديميا، الأمر الذي يمنح الإسلام وضعا اجتماعيا متميزا، وموقفا ماليا قويا، متجاوزا شبهة أن يكون الإسلام دين أميين أو جهلة.

٥- تمتع المسلمين في أمريكا بحق المواطنة؛ فغالبية مسلمي أمريكا يحملون الجنسية الأمريكية، فتميز بذلك وضع المسلمين في أمريكا عن وضع المسلمين في أوروبا، من كل ما يساعدهم على الاندماج في مجتمعهم الجديد، وجعلهم يتسمون بصفات أمريكية، مثل الديناميكية، ودرجة التنظيم العالي، ونضج المجتمع المدني، وإحساسهم المهني العالي.

ومع هذا.. يواجه مسلمو أمريكا كثيرا من المصاعب؛ فهم لا يجدون أنهارا من اللبن والعسل في أمريكا، بل يواجهون موقفا صعبا شرسا، نظرا لوجود آلة الإعلام الصهيونية، والنفوذ الصهيوني المتغلغل في جميع المجالات والمنظمات. حتى إن هناك الكثيرين يعتقدون أنهم يفيدون إسرائيل عندما يشوهون صورة الإسلام، كما رأينا بعد انفجار «أوكلاهوما سيتي» في ١٩/٤/١٩٩٥.

ينكرون الشمس الساطعة

وفي الفصل الخامس عشر «ماذا سيحدث إذا أتوا فعلا» استعرض الدكتور «هوفمان» طائفة كبيرة من النصوص القرآنية التي أرسى بها الإسلام مبدأ التسامح- عموما- وتسامحه إزاء الديانات الأخرى على وجه الخصوص، متفقا في ذلك من تقديره: إن الدين عند الله هو إسلام النفس إليه والتسليم له، وليس كما جاء في بعض الترجمات: إن الدين عند الله هو دين الإسلام.

واستعرض طائفة كبيرة من النصوص القرآنية التي أرسى بها الإسلام مبدأ المساواة بين البشر أيا كانت دياناتهم، والتي أقر بها التنوع الديني والعرقي، وأعلن أن الإيمان مسألة لا تخضع لأي ضغوط أو إكراه، وأن النزاعات العرقية غير مثمرة.

واستعرض طائفة أخرى من النصوص القرآنية التي أقام بها الإسلام وحدة البشر على دعامة وحدة الوجود- التي تجمع المخلوقات مع ما خلقت من أجله وهي عبادة الله- ووحدة الرابطة الإبراهيمية التي تجمع الموحدين كافة.

ثم استعرض- من الواقع الإسلامي- طائفة من التشريعات الإسلامية، وطائفة من سلوكيات المسلمين في تعاملهم مع الأقليات الدينية داخل المجتمعات الإسلامية، مؤكدا: أن علوم القانون الإسلامي استطاعت إعداد قوانين لحماية الأقليات على أساس هذه القاعدة الدينية، وعلى الرغم من مضي نحو أربعة عشر قرنا على إعداد تلك القوانين، فإنها تبدو اليوم قوانين حديثة جدا؛ فجريمة قتل مسيحي تعادل جريمة قتل مسلم.

وخلص من هذا الاستعراض النصي والتشريعي إلى أن المسيحيين يسيئون كثيرا فهم وحدة المخلوقات، وما يعنيه الإسلام بها، كما يرتابون كثيرا في الرابطة الإبراهيمية، ويشكون في أنها فخ منصوب لهم متجاهلين أن الوحدة بين المتوحدين ممكنة، لأن الإسلام لا يعني ضم أحد إليه كارها. ومتجاهلين أن الرابطة الإبراهيمية تشكل القاعدة الطبيعية لأي حوار إسلامي مسيحي، ولأي حوار إسلامي مسيحي يهودي. وأن قيام هذا الحوار على تلك القاعدة لن يخلق نسبية «الحادية» ولا «أدرية»؛ فهناك أمور غير قابلة للنقاش أو التفاوض بشأنها، وهي: أن الطريق إلى الله كما جاء به محمد سيظل منسوبا إلى محمد، وأن التوحيد حقيقة لا مساس بها، وأن الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد مسألة غير قابلة للمساس بها، والتفريط فيها، أو التفاوض بشأنها.

ومع هذا التسامح الإسلامي الشامل.. نجد المسلمين يعترفون بأن الاضطهاد وعدم التسامح [illegible] إزاء كل ما هو إسلامي قد أخذ يتصاعد في الغرب منذ أواخر القرن الثامن عشر، مما يؤكد أن المسلمين ليسوا بالحالمين ولا المتمردين، وأنهم على استعداد للخضوع للقوانين التي تحكم البلاد التي يقيمون فيها أقلية؛ فهم لا يطالبون الغرب بحقوق الأقليات كما كفلها الإسلام، ولكن يطالبون بالمعاملة بالمثل دون الكيل بمكيالين.

فحال الغرب مع مسلميه- في بداية الألفية الثالثة- يقرر: أن المسلمين هم الذين يخشون الغربيين، وليس للغربيين سبب يجعلهم يخشون المسلمين، كما أن واقع الغرب الحديث يومئ إلى أن الألفية الثالثة ستكون مشحونة، وأن الإسلام سيقوم بدور فعال فيها.

وبعد

فإن هذا الكتاب- بما تضمنه من استنطاق لحقائق التاريخ، واستعراض للواقع الغربي- يؤكد أن الصحوة الإسلامية تقوم على دعائم راسخة، وأن العالم الغربي المسيحي- مع مقدم الألفية الثالثة- يدفعه حب البقاء إلى العودة لتفهم المبادئ التي لا وجود لها إلا في الإسلام.

فالكتاب إرهاصات تنبثق من تجارب التاريخ، ومن واقع الحياة الغربية المعاصرة سجلها هذا الرجل بعد نظر متأن محايد، حرصا منه على الغرب الذي هو واحد من أبنائه، ودعما لمسيرة الصحوة الإسلامية بعد تخليها عما أدخل على الإسلام مما ليس منه.

ولذلك.. انسابت الأفكار التي تضمنها الكتاب في وضوح صادق، وقد أعان على هذا الانسياب ما قدمت به تلك الأفكار من أسلوب سلس، لا التواء فيه، ولا تقعر يكشف عن تآزر دور المؤلف والمعربين، فجزاهم الله كل خير.

العولمة.. والدور الأمريكى والغربى فيها

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

يشهد العالم فى الآونة الأخيرة أزمة مالية طاحنة ومتصاعدة لم يشهد مثلها من قبل فى شمولها وقوتها ربما منذ عقود طويلة مضت.(١) وحتى كتابة هذه السطور لم يتنبأ خبراء المال والاقتصاد بوقت انتهائها ولو على سبيل التقريب.(١) ومما يؤكد على قوتها وخطورتها أنها انطلقت على العالم بأسره من أكبر وأغنى دولة فى العالم وهى الولايات المتحدة الأمريكية التى تمسك بزمام اقتصاد العالم بيد من حديد ولا تسمح لأية قوة اقتصادية أخرى أن تشاركها هذه الزعامة حتى وإن كانت من أخص أصدقائها. وسرعان ما شملت هذه الأزمة المالية العالم كله والعجيب أنها حدثت رغم مضى أن دخل العالم فيما يسمونه بـ«عصر العولمة» بوقت لم يتجاوز العقدين من الزمان. ذلك العصر الذى ادعى مخترعوه أنه عصر رفاهية الشعوب وأنهم لم يتوصلوا إلى فكرتها إلا لأجل أن يعيش سكان هذا الكوكب فى رغد من العيش حيث تسير فيه الشعوب الفقيرة فى ركاب الشعوب الغنية أو الشعوب ذات الشركات العالمية الكبرى عابرة القارات.

والذى يجدر بنا فى هذا المقال، وما سوف نتناوله بإذن الله، أن نستأنف الحديث حول حقيقة العولمة ما لها وما عليها. ومن أين خرجت فكرتها إلى الوجود؟ وما الهدف الحقيقى من ورائها. وما هى الدولة أو الدول الراعية لها؟ وهل هى حقاً جاءت لخدمة أهداف التنمية لدى كل شعوب العالم؟ أم أنها جاءت لتحقيق أهداف الدول الصناعية الكبرى ذات الشركات العالمية العابرة للقارات فقط؟ وما هو واجبنا نحن المسلمين إزاء هذا التوجه العالمى الزاحف بكل قوة؟(٢).

ثم ما هى الفكرة التى قامت على أساسها ظاهرة العولمة؟ وهل هى حتمية تاريخية دعت إليها تطورات حركة التجارة العالمية بمفهومها الواسع، واقتضتها مصلحة الشعوب الحقيقية أم أن الأمر بخلاف ذلك؟

يقول الدكتور أحمد حسين عبد المعطى مدرس أصول التربية بكلية التربية جامعة أسيوط فى كتابه «الجودة والاعتماد بالتعليم»(٢).

«تعد العولمة أخطر تحول تاريخى واجتماعى وسياسى واقتصادى ظهر قبل نهاية القرن العشرين وهذا التحول تشكل تحت تأثير أربع ثورات أساسية خلال العقد الأخير من القرن العشرين وهى: الثورة الديمقراطية، والثورة العلمية والتكنولوجية، وثورة الاتصالات والمعلومات، وثورة التكتلات الاقتصادية، الأمر الذى يقتضى توفر مجموعة من المتطلبات لمن يريد التوافق والتعامل الواعى مع العولمة ومتغيراتها العصرية المتسارعة».

ومع صحة هذا الإطار العام الذى ذكره الدكتور أحمد حسين عبد المعطى حول الظروف التى أدت إلى انتشار العولمة بهذه السرعة، فإن هناك اتجاهين حول النشأة التاريخية لهذه الظاهرة الجديدة:

الاتجاه الأول:

ينظر أصحابه إلى العولمة على أنها «ليست ظاهرة جديدة بالدرجة التى قد توحى بها حداثة المصطلح. وبعبارة أخرى، فإن العولمة كحركة تاريخية تهدف إلى دمج العالم وتقريب أفراده ومؤسساته الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية من بعضها البعض، ليست جديدة. فالاتجاه نحو تقريب العالم قديم قدم التاريخ نفسه. وغير مرتبط بالتطورات العلمية

---

(١) سبق أن قمت بكتابة عدة مقالات عن العولمة على صفحات مجلة الأزهر خلال الفترة من شعبان ١٤٢٧هـ حتى ... ١٤٢٨هـ [illegible] لتزيد القضية وضوحاً.

(٢) ص٨٣



والتكنولوجية الراهنة».

«ثم أخذ المفهوم القديم للعولمة شكلا تمثل في توحيد الأسواق التجارية وغزوها بقوة وفرض نموذج التحديث الغربي بالقوة على أي منطقة بالعديد من الوسائل: تارة بالاستعمار التقليدي المباشر، وتارة أخرى بالاستعمار الاستيطاني الذي يهدف إلى القضاء على الهوية القومية للشعوب».

الاتجاه الثاني:

يرى أصحابه أن هذه الظاهرة حديثة، وليست قديمة. وإنما هي «محصلة طبيعية للحداثة والحركة الرأسمالية؛ لذا فإن الذي يقود حركتها هي آليات وقوانين رأس المال، وليست الثورة العلمية والتكنولوجية؛ ومن هنا فإن الصيغة الراهنة للعولمة هي محصلة طبيعية لموجة الحداثة التي نشأت في أوروبا، في القرن الثامن عشر بهدف إعادة هيكلة النظام العالمي تمهيدا لدمجه في اقتصاد عالمي تحت مسمى النظام العالمي الجديد، يمتد اقتصاديا وثقافيا في جميع الاتجاهات، وبهذا أصبح للعولمة تأثيرات عميقة على المجتمعات غير الأوروبية خاصة الدول النامية»[1].

والحق أن كلا الاتجاهين له نصيب من الصحة من جانب، ولا ينفرد دون الآخر بالتعليل الصحيح لظهور نظام العولمة من جانب آخر؛ فالساحة الاقتصادية العالمية مهيأة بطبيعة التبادل التجاري بين الدول لشيوع مثل هذا النظام الجديد، وكل دولة لابد أن تتأثر بغيرها وتؤثر فيها بدرجة أو بأخرى، شاءت أم أبت، وذلك منذ أن كانت هناك تجارة عالمية بين مختلف الدول. ومما يؤكد على ذلك أن الإسلام انتشر في كثير من دول شرق آسيا بفعل التبادل التجاري بين العرب المسلمين من جانب، وبين شعوب هذه المنطقة من جانب آخر، وإن لم يطلق عليه اسم ظاهرة العولمة. وإنما كان تعبيرا حقيقيا عن عالمية الإسلام، وأنه دين الفطرة الخالصة، قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف: ١٠٤).

وقال أيضا:

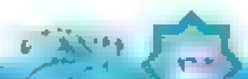
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

وقال عز شأنه:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)

وجاء العصر الحديث بتأثيراته القوية المتلاحقة، وما قامت عليه من ثورة الاتصالات

(١) في كتب «العولمة والعقيدة» للدكتور أحمد حسن عبد معطي - الفصل الثالث «العولمة وتوترها التربوية» من ص ٨٣ - ٨٥.



العلمية والتكنولوجية، وبخاصة خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، وبدأت فكرة العولمة تبدو على السطح بقوة؛ وذلك بعد أن رأت الدول الصناعية الكبرى ضرورة فتح أسواق جديدة تواكب انفتاح شركاتها الكبرى عابرة القارات في الدول الصغيرة والفقيرة؛ ومن هنا كان التعليل الصحيح لنشأة فكرة العولمة، يعود إلى التطور الطبيعي لحركة التجارة العالمية من جانب، كما يعود إلى مسايرة البحث الدءوب عن مصلحة الدول الغنية الكبرى من جانب آخر.

مفهوم العولمة:

يعد تحديد مفهوم العولمة من أشق المهام التي تواجه الخبراء العالميين في هذا المجال نظرا لتشابك أهدافها، وتعدد آثارها، وما يترتب عليها من تداعيات ونتائج سلبية وإيجابية، تؤثر في حياة الأفراد والمجتمعات. ولكن أهم ما يؤخذ من هذه المفاهيم هو المفهوم المطلق الذي يقول: «إنها تعميم شيء ما على البشرية على مستوى العالم» فيصبح هذا الشيء بعد التعميم عالميا. ومنها اشتقت كلمة «العولمة».

ومن خلال هذا المفهوم العام للعولمة، ظهر اتجاهان رئيسيان في هذا المجال. أحدهما تعريف العولمة بمعناها الضيق المحدود، كالقول بالعولمة العقلية، والعولمة الفكرية، أو العولمة الثقافية، أو العولمة الاقتصادية، أو العولمة السياسية، أو العولمة الإدارية، أو العولمة التقنية أو بمزج بعض هذه العولمات مع بعضها الآخر كالقول بالعولمات الاقتصادية السياسية، أو العولمة الإدارية التربوية وهكذا.. حسبما تذهب إليه نزعة الخبراء في هذا المجال وضرورات السوق العالمية، حينما تدعو إلى تشابك بعض هذه العولمات المتعددة في البعض الآخر.

أما الاتجاه الثاني: فهو تعريفها بمعناها العام الشامل. فإذا قصدوا «العولمة» قصدوا بها جميع «العولمات» التي ذكرت آنفا، فهي عولمة شاملة غير متجزئة، ومن تعريفاتهم قولهم «إنها تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقعا واحدا، وظهور حالة عالمية واحدة»[1].

وهي وإن كانت ذات جذور تاريخية بعيدة فإن هناك بعض العوامل التي أدت إلى سرعة انتشارها في الحقبة الأخيرة حتى ظن البعض وبخاصة أصحاب الاتجاه الثاني (الذي يرى أ

(١) في كتاب «الإسلام والعولمة - شراكة» للدكتور [illegible] محمد [illegible] ص ٤٧ [illegible] مجلة البيان.

والتكنولوجية الراهنة».

«ثم أخذ المفهوم القديم للعولمة شكلا تمثل في توحيد الأسواق التجارية وغزوها بقوة وفرض نموذج التحديث الغربي بالقوة على أي منطقة بالعديد من الوسائل: تارة بالاستعمار التقليدي المباشر، وتارة أخرى بالاستعمار الاستيطاني الذي يهدف إلى القضاء على الهوية القومية للشعوب».

الاتجاه الثاني:

يرى أصحابه أن هذه الظاهرة حديثة، وليست قديمة. وإنما هي «محصلة طبيعية للحداثة والحركة الرأسمالية. لذا فإن الذي يفرد حركتها هي آليات وقوانين رأس المال. وليست الثورة العلمية والتكنولوجية؛ ومن هنا فإن الصيغة الراهنة للعولمة هي محصلة طبيعية لموجة الحداثة التي نشأت في أوروبا، في القرن الثامن عشر بهدف إعادة هيكلة النظام العالمي تمهيدا لدمجه في اقتصاد عالمي تحت مسمى النظام العالمي الجديد، يحدد اقتصاديا وثقافيا في جميع الاتجاهات، وبهذا أصبح للعولمة تأثيرات عميقة على المجتمعات غير الأوروبية خاصة الدول النامية»[1].

والحق أن كلا الاتجاهين له نصيب من الصحة من جانب، ولا ينفرد دون الآخر بالتعليل الصحيح لظهور نظام العولمة من جانب آخر؛ فالساحة الاقتصادية العالمية مهيأة بطبيعة التبادل التجاري بين الدول لشيوع مثل هذا النظام الخصب. وكل دولة لابد أن تتأثر بغيرها وتؤثر فيه بمرحلة أو بأخرى، شاءت أم أبت. وذلك منذ أن كانت هناك تجارة عالمية بين مختلف الدول. ومما يؤكد على ذلك أن الإسلام انتشر في كثير من دول شرق آسيا بفعل التبادل التجاري بين العرب المسلمين من جانب، وبين شعوب هذه المنطقة من جانب آخر. وإن لم يطلق عليه اسم ظاهرة العولمة. وإنما كان تعبيرا حقيقيا عن عالمية الإسلام، وأنه دين الفطرة الخالصة. قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

(يوسف: ١٠٤).

وقال أيضا

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء ١٠٧)

وقال عز شأنه:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

(الفرقان:١)

وجاء العصر الحديث بتأثيراته القوية المتلاحقة. وما قامت عليه من ثورة الاتصالات العلمية والتكنولوجية. وبخاصة خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين. وبدأت فكرة العولمة تبدو على السطح بقوة؛ وذلك بعد أن رأت الدول الصناعية الكبرى ضرورة فتح أسواق جديدة تواكب انفتاح شركاتها الكبرى عابرة القارات في الدول الصغيرة والفقيرة. ومن هنا كان التعليل الصحيح لنشأة فكرة العولمة، يعود إلى التطور الطبيعي لحركة التجارة العالمية من جانب. كما يعود إلى مسايرة البحث الدءوب عن مصلحة الدول الغنية الكبرى من جانب آخر.

مفهوم العولمة:

يُعد تحديد مفهوم العولمة من أشق المهام التي تواجه الخبراء العالميين في هذا المجال نظرا لتشابك أهدافها. وتعدد آثارها، وما يترتب عليها من تداعيات ونتائج سلبية وإيجابية، تؤثر في حياة الأفراد والمجتمعات. ولكن أهم ما يؤخذ من هذه المفاهيم هو المفهوم المطلق الذي يقول: «إنها تعميم شيء ما على البشرية على مستوى العالم» فيصبح هذا الشيء بعد التعميم عالميا. ومنها اشتقت كلمة «العولمة».

ومن خلال هذا المفهوم العام للعولمة. ظهر اتجاهان رئيسيان في هذا المجال. أحدهما: تعريف العولمة بمعناها الضيق المحدود، كالقول بالعولمة العقدية، والعولمة الفكرية، أو العولمة الثقافية، أو العولمة الاقتصادية، أو العولمة السياسية، أو العولمة الإدارية، أو العولمة التقنية، أو بمزج بعض هذه العولمات مع بعضها الآخر، كالقول بالعولمات الاقتصادية السياسية، أو العولمة الإدارية التربوية وهكذا.. حسبما تذهب إليه نزعة الخبراء في هذا المجال، وضرورات السوق العالمية، حينما تدعو إلى تشابك بعض هذه العولمات المتعددة في البعض الآخر.

أما الاتجاه الثاني: فهو تعريفها بمعناها العام الشامل، فإذا قصدوا «العولمة» قصدوا بها جميع «العولمات» التي ذكرت آنفا، فهي عولمة شاملة غير متجزئة، ومن تعريفاتهم قولهم: «إنها تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقعا واحدا، وظهور لحالة عالمية واحدة»[1].

وهي وإن كانت ذات جذور تاريخية بعيدة فإن هناك بعض العوامل التي أدت إلى سرعة انتشارها في الحقبة الأخيرة حتى ظن البعض وبخاصة أصحاب الاتجاه الثاني (الذي يرى أنها

(١) في كتاب [illegible] للدكتور [illegible] العولمة وتأثيرها التربوية، ص ص ٨٣ – ٨٥.

(١) في كتاب «الإسلام والعولمة» [illegible] للدكتور [illegible] ص ٤٦ [illegible] مجلة [illegible].

حديثة وأنها محصلة طبيعية للحداثة والحركة الرأسمالية..) أنها وليدة الهزيع الأخير من القرن العشرين، وأهم هذه العوامل:

- انتشار الحاسب الآلي.
- شبكة الإنترنت العالمية.
- الأقمار الصناعية والبث الفضائي.
- الصحافة الدولية ومؤسسات النشر (المسموعة والمقروءة والمرئية).
- السياحة والرياضة.
- بنوك المعلومات وبنوك المال.
- السينما.
- المؤتمرات الدولية بكافة أشكالها وأهدافها.
- المؤسسات بجميع تخصصاتها[1].

وهذه العوامل كلها أو معظمها من مخترعات الغرب، الذى تزعم بدوره نشر فكرة العولمة، ولا يزال يضغط بكل قوة على الدول الصغيرة والضعيفة للانخراط فى منظمة التجارة العالمية (الجات) - وهى إحدى المؤسسات التى أتاحت نشر نظام العولمة بين دول العالم - مدعيا أن هذه العولمة ذات الاتجاه الحر والمتطرف فى الحرية هى من قبيل الحتميات الاقتصادية، والتكنولوجية الشبيهة بالأحداث الطبيعية التى لا يمكن الوقوف فى وجهها، كما يدعى منظرو العولمة، إنها - أى العولمة - قد أدت إلى انصهار مختلف الاقتصادات القروية والوطنية والإقليمية فى اقتصاد عالمى موحد، بعد أن صار العالم سوقا واحدة، وأن التجارة العالمية تبدو وكأنها فى نمو مطرد يستفيد منه الجميع، بعد أن غدا العالم قرية كونية متشابهة، ينمو ويتلاحم بجميع أجزائه، وخاصة بعد الدور الذى لعبته الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت ومختلف أشكال ثورة الاتصالات[2].

ولكن النظرة المتأملة لهذا التوجه الدولى الجديد، تؤكد على أن العولمة لا يراد بها صالح الدول الصغيرة والفقيرة، وبخاصة الدول الإسلامية والعربية، وإنما هى لصالح الدول الصناعية الكبرى، ومما يدعو إلى الأخذ بهذه الرؤى، أن الإشراف على هذه العولمة، يقوم على أكتاف الدول الأوروبية بشكل عام، وهو نوع من التعويض العملى للاستعمار التقليدى، الذى أخذ فى الانحسار منذ عدة عقود، حيث كانت الدول المستعمرة تستولى على خيرات الدول المستعمرة، وتجعلها سوقا رائجة لها، بعد أن تنهب المواد الخام من أراضيها لتعيدها

(1) المرجع السابق: ص٥٠، ٥١.
(2) أحمد رمزى زكى وهو يقدم لكتاب «فخ العولمة» - من منشورات عالم المعرفة

إليها مصنعة جاهزة، مستغلة فى ذلك جهل عدد الشعوب بواقعها الأليم. وقد بين الدكتور سامى محمد الدلال فى كتابه «الإسلام والعولمة» دور الدول الأوروبية فى الإشراف على العولمة، ثم يستطرد الدكتور الدلال، وهو يؤكد على خطورة هذا التوجه الدولى الجديد حيث يقول: «قال فريدمان: «نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة. العولمة هى الأمركة، والولايات المتحدة قوة مجنونة. نحن قوة ثورية خطيرة. وأولئك الذين يخشوننا على حق. إن صندوق النقد قطة أليفة بالمقارنة مع العولمة. فى الماضى كان الكبير يأكل الصغير. أما الآن فالسريع يأكل البطىء».

ثم يذكر المؤلف قول الرئيس الأمريكى السابق كلينتون: «ستكون العولمة حظ الولايات المتحدة الواعد. ولن تشكل أية عرقلة لتقدمها. ستقيم عالما جديدا بحدود جديدة يجب توسيعها. ولن يشكل قيام العولمة أى تهديد لنا».

«ومن هنا نلاحظ أن المشرفين على العولمة كانتماءات دينية كلهم معادون للإسلام» لا يزال الحديث للدكتور الدلال - «إن الدول التى تشرف على نشر العولمة، هى دول معادية للإسلام، وأن قيادة العولمة بيد دول معادية للإسلام. فالعولمة من هذه الوجهة هى حرب على الإسلام»[1] قال عز شأنه:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠)

وقال:

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩)

وفى القرآن العزيز - وهو كلام العليم الخبير - كثير من الآيات التى تكشف لنا النقاب عن النوايا الخبيثة والأهداف المشبوهة التى يسعى أعداء الإسلام إلى تحقيقها من أجل إضعاف شوكة هذا الدين وتدمير قدرات أهله حتى يتسنى لهم السيطرة التامة على بلاد المسلمين، وهو ما يدعونا إلى الحذر الشديد، ونحن نتعامل مع هذه الظاهرة العالمية الجديدة.

فإذا لم يكن هناك بد من الانخراط فيها، فلا بد حينئذ من التسلح بالتمسك بمصلحة شعوبنا، وتوجيه أموالنا أولا وأخيرا لصالح التنمية فى بلاد المسلمين.

(1) الدكتور سامى محمد الدلال فى كتابه «الإسلام والعولمة» ص ٥٠ والكتاب صادر عن سلسلة مجلة البيان

ميادين العولمة .. وتطبيقاتها

للأستاذ الدكتور محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

عولمة القيم الغربية:

وإن كانت العولمة العسكرية هي أداة تثبيت العولمة الاقتصادية والسياسية والتشريعية، فإن عولمة القيم والثقافة هي سبيل التأبيد لتذويب الحضارات غير الغربية في النموذج الحضاري الغربي.. فاحتلال العقل كان هدفا وبابا أسهل لتأبيد احتلال الأرض ونهب الثروات دونما حاجة إلى نفقات القواعد العسكرية وتكاليف الجيوش..

وإذا نحن أخذنا وثيقة مؤتمر السكان الذي عقد بالقاهرة في ٥ - ١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤م كنموذج من نماذج المواثيق التي تصوغ القيم الغربية، ثم تعولمها وتفرضها على العالم باسم الأمم المتحدة، فسنجد في هذه الوثيقة عشرات الشواهد على هذا الاجتياح القيمي الذي يتم باسم العولمة لعالم الإسلام وحضارات الجنوب..

فالأسرة التي هي قيمة من القيم الإسلامية -بل والإنسانية- والتي تقوم على الزواج الشرعي بين ذكر وأنثى، والتي تمثل الوحدة الأساسية لبناء الأمة.. هذه الأسرة تريد وثيقة مؤتمر السكان «تغيير هياكلها»، لتتسع لأي لون من ألوان الاقتران -غير الشرعي- حتى ولو كان شذوذا..

فتدعو هذه الوثيقة صراحة وبإلحاح الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية، والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات التمويل، والمؤسسات البحثية إلى إعطاء أولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية.. وينبغي القضاء على أشكال التمييز في السياسات المتعلقة بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى!!(١)..

وإذا كانت العفة قيمة من القيم الإسلامية بل والإنسانية، فإن هذه الوثيقة تتحدث عن «المتعة الجنسية المأمونة والمسئولة» أي التي لا تؤدي إلى «الإيدز» وليس عن «المتعة الجنسية الشرعية والمشروعة والحلال»!.. فالجنس حق من حقوق الجسد، ولكل الناشطين جنسيا.. من جميع الأعمار.. والأجناس!!.. وبنص هذه الوثيقة فإن «النشاط الجنسي حق لجميع الأزواج والأفراد (لاحظ الأفراد!)- سواء كان امرأة أو رجلا أو مراهقا أو مراهقة. وينبغي أن تسعى جميع البلدان إلى توفير هذه الحقوق لجميع الأفراد من جميع الأعمار في أسرع وقت ممكن، وفي موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥م»(٢)!

ولقد ذهبت هذه الوثيقة على طريق الحرية الجنسية إلى الحد الذي حرمت فيه الزواج المبكر، ودعت إلى إحلال الزنى المبكر بديلا عنه!. «فالهدف هو الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة.. وعلى الحكومات أن تزيد السن الأدنى عند الزواج حيثما اقتضى الأمر ولاسيما بإتاحة بدائل تغني عن الزواج المبكر» «فالهدف هو الوفاء بالاحتياجات الخاصة بالمراهقين والمراهقات.. كيما يتعاملوا مع نشاطهم الجنسي بطريقة إيجابية ومسئولة»(٣) تحت محور نشر الثقافة من محاور عولمة القيم الغربية في الانحلال.. ومصادمة الفطرة التي فطر الله الناس عليها..

والعولمة الدينية:

وغير العولمة للاقتصاد.. والسياسة.. والتشريع.. والعسكرية.. والقيم.. هناك عولمة الدين بتنصير المسلمين، طموحا إلى اقتلاع هويتنا وحضارتنا، ومحو صفحة الإسلام من سجل الوجود!..

فالكنيسة الكاثوليكية الغربية قد أعلنت الحرب لتنصير المسلمين، بدلا من تنصير بيتها الأوروبي الذي تحرر بالعلمانية إلى الإلحاد واللاأدرية، ورفعت شعار: «أفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م» فلما خيب الله آمالها، لم ترعو وإنما زحزحت التاريخ إلى سنة ٢٠٢٥م!..

وهي لا تستحي من الحديث عن «التحدي الإسلامي والمد الإسلامي تحديه لأوروبا» فيقول مساعد بابا الفاتيكان، ومسئول المجلس الفاتيكاني للثقافة الكاردينال «بول بوبار» في حديثه لصحيفة «الفيجارو» الفرنسية «إن الإسلام يشكل

(١) مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية: الفصل الثاني عشر: الفقرة ٢٤، والفصل الخامس: الفقرة ٥. والفصل الثاني: المبدأ ٧، والفصل السابع: الفقرات ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٦، ١٨، ٢١ ترجمة عربية ترجمة طبعة سنة ١٩٩٤م
(٢) المصدر السابق: الفصل السابع: الفقرات: ٢، ٣، ٥، ٤.
(٣) المصدر السابق: الفصل السادس: الفقرة ٧ - والفصل الرابع: الفقرة ٢١.
(٤) المصدر السابق: الفصل السادس: الفقرتان ٧، ١١، والفصل السابع: الفقرات: ٢، ٥، ٩، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦.

تحميها بالنسبة لأوروبا، والغرب عموما. وإن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف. في حين أن المسيحيين في أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة في المجتمع»[5].

أما البروتستانتية الغربية، فإن «بروتوكولات قساوسة التنصير» فيها، التي تبلورت في مؤتمر «كولورادو» بأمريكا- سنة ١٩٧٨م- قد قالت: «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا.. ونحن بحاجة إلى مئات المراكز للتركيز على الإسلام لفهمه. وللاختراق في صدق ودهاء!!»[6].

ومع التخطيط لاختراق الإسلام وثقافته. بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية.. ومن خلال العمالة الأجنبية تعلن البروتستانتية بلا حياء.. ولا أخلاق أن صناعة الكوارث في العالم الإسلامي هي السبيل إلى تحويل المسلمين عن الإسلام إلى النصرانية.. معتبرة أن هذه الكوارث هي إحدى المعجزات التي تحقق لهم تنصير المسلمين.. فيقولون: «لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية فلابد من وجود أزمات تدفع الناس خارج حالة التوازن التي اعتادوها.. إن تقديم العون للدول المحتاجة قد أصبح أمرا مهما في عملية التنصير.. وإن إحدى معجزات عصرنا.. أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري، فأصبحت أكثر تقبلا للنصارى»[7].

هكذا.. تتم العولمة والاجتياح الغربي للعالم.. وللعالم الإسلامي على وجه الخصوص وعلى كل الجبهات.. وفي مختلف الميادين.. من الاقتصاد والسياسة إلى العلم والثقافة.. وحتى الدين.. مرورا بالعسكرية والتشريعات..

إنها صراع.. وقسر.. وتفتيت.. وقولبة يسمونها «الخلاقة» في إطار الهيمنة الغربية والخصوصية الأمريكية التي تريد صب العالم في القالب الحضاري الغربي دون سواه.

بينما العالمية الإسلامية كما رأيناها: تنوع.. وتعارف.. وتعايش.. وتدافع في إطار الوحدة الإنسانية والمشترك الإنساني العام.

● والآن.. ما العمل؟

١

إننا ونحن نتحدث عن العولمة الغربية وتحدياتها.. وكيفية مواجهة هذه التحديات يجب أن نميز في الغرب بين:

أ- الإنسان الغربي.. فجماهير واسعة من هذا الإنسان الغربي تقف معنا ضد هذه العولمة المتوحشة حتى وإن اختلفت دوافع معارضة هذا الإنسان الغربي لهذه العولمة.

ب- والعلم الغربي.. الذي هو مشترك إنساني عام.. والحكمة التي هي ضالة العقول والحكماء والعلماء.. وعلى العاقل أن يسعى إلى طلب هذا العلم وهذه الحكمة أنى وجدها، فهو أحق الناس بها..

جـ- ومشروع الهيمنة الغربية.. الذي يجب أن يكون الفداء على مر التاريخ..

وبهذا التمييز.. سنجد لنا في الغرب حلفاء ونصراء في معركتنا ضد هذه العولمة الغربية المتوحشة.



وعلينا -كذلك- أن نمد جسور التضامن والتساند مع حضارات الجنوب.. التي تعاني بشكل أو بآخر من اجتياح العولمة الغربية لاقتصاداتها وثقافاتها..

وإذا كان المفكر الاستراتيجي الأمريكي «صمويل هنتنجتون» قد أشار على صانع القرار الأمريكي في دراسته عن صراع الحضارات سنة ١٩٩٣م بتحييد بقية حضارات الجنوب إلى أن يفرغ الغرب من هزيمة الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية الكونفوشيوسية.. ثم تعود لاحتواء هذه الحضارات.. فإن علينا أن نحبط هذا المخطط الماكر.. وذلك بإحياء التضامن والتساند بين الإسلام والحضارات الشرقية والجنوبية.. وأن نستفيد في ذلك من تراث وخبرات بلاد معركة عدم الانحياز في سبيل التحرير الوطني.. وآخرها خبرة بناء «حركة عدم الانحياز».. وأن نستفيد -كذلك- من رصيد بلادنا في مساعدة حركات التحرر الوطني في تلك البلاد.



وإذا كانت تقنيات العصر قد كادت أن تحول العالم إلى قرية كونية واحدة.. فإن علينا أن نبدأ «بترتيب البيت العربي والإسلامي» لتحويله إلى كتلة اقتصادية متكاملة، تتساند فيها الطاقات والإمكانات.

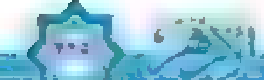
إن العالم الإسلامي وحده يمتلك رقعة مساحتها ٣٥ مليونا من الكيلو مترات المربعة.. تعيش فيه أمة يبلغ تعدادها قرابة المليار ونصف المليار من البشر..

وغير الإمكانات الروحية والثقافية والحضارية التي يمتلكها العالم الإسلامي: وحدة العقيدة والشريعة.. والأمة.. والحضارة.. ودار الإسلام فإن هذا العالم هو:

العالم الأول في البترول.. والغاز والقصدير والكروم.. والمطاط.. والتوكسيت وهو العالم الثاني في النحاس.. والمنسوجات وهو العالم الثالث في الحديد والعالم الخامس في الرصاص والسابع في الفحم..

وفيه أطول أنهار الدنيا.. وأقدم فلاح علم

(٥) صحيفة «الشرق الأوسط» لندن في ١-١٠-١٩٩٩م.
(٦) [التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي] ص٧٥٢ الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي - مالطا - سنة ١٩٩١م.
(٧) المصدر السابق ص٢٤٢، ٨٢٦، ٨٢٧.



تذهب في الزراعة.. وفي بلد واحد من بلاده -السودان- من الأراضي الصالحة للزراعة -ورخص الأسعار- ما يجعله سلة غذاء لأمة الإسلام بأسرها.. وفي هذا العالم من البحار والمحيطات والأنهار ما يجعله المصدر الأول للثروة السمكية..

وإذا كانت الفوائض النقدية لعدد من دول هذا العالم الإسلامي تودع في الغرب لتعود في شكل قروض وديون لكثير من دوله، ترهق استقلالها، وتعوق تنميتها، فإن توظيف هذه الفوائض في الإطار الإسلامي يمكن أن يبث ثورة تحطم الأغلال التي تعوق انعتاق هذا العالم من توحش العولمة الغربية.. وإذا كانت أغلب ثروات العالم الإسلامي إنما تستخرج من باطن الأرض -وهي مركوزة فيها- فإن بابا واحدا من أبواب الزكاة -وهو زكاة الركاز- ٢٠٪ من قيمة ما يستخرج من باطن الأرض يمكن أن يقيم صندوقا لتنمية كل العالم الإسلامي بالحلال.. وفق الحديث -رسول الله- ﷺ: (في الركاز الخمس) رواه البخاري ومسلم والترمذي ومالك وأبو داود والإمام أحمد.. وبعيدا عن الربا الذي دفن في تحته ربا الجاهلية القديمة.. وخارج أغلال المؤسسات الاقتصادية للعولمة الغربية.. صندوق النقد الدولي.. والبنك الدولي.

وباستطاعة التكامل الاقتصادي أن يفتح حدود أوطان عالم الإسلام أمام التجارة البينية التي تقف الآن عند ٨٪ من حجم هذه التجارة بينما ٩٢٪ منها قائم بين كل دولة قطرية وبين مركز العولمة الغربية!

إن تقنيات العولمة يمكن، وأولى بها، أن تعولم عالم الإسلام أولا.. فتفتح حدوده للتجارة الإسلامية المتكاملة.. وللتكامل الصناعي والزراعي.. وبعد ذلك يكون التعامل مع الشمال ككتلة اقتصادية.. فذلك هو قانون العصر، الذي تطبقه أوربا كقارة، وأمريكا كقارة.. ونحن أولى بتطبيقه، لأننا «أمة» ولسنا مجرد مساحة في الجغرافيا!

ومنظماتنا الإقليمية.. الإسلامية، والعربية.. والأفريقية.. لو نفخت فيها الروح، وتم تفعيلها، يمكن أن تمثل الشكل المعاصر لوحدة أمة الإسلام وتكامل دار الإسلام.. أي الخلافة الإسلامية الجديدة التي تزدهر في إطار جوامعها العامة ومصالحها المشتركة.. مقاصد الدين والدنيا لأمة الإسلام.

إن المصالح الدنيوية تدفع الأمم والشعوب والحضارات -وحتى القارات- إلى التكامل والتساند والاتحاد.. ولدى أمة الإسلام -مع ضرورات الدنيا- مقاصد الدين وسعادة الآخرة من وراء هذا التضامن والتكامل والتساند والاتحاد.

٤

وأخيرا.. فإن الترتيب العقلي العربي والإسلامي، دوره رائدا وقائدا في الدعوة إلى «ترتيب البيت العربي والإسلامي» وتهيئة الظروف لإقامة هذه التحالفات والتنظيمات التي تمثل طوق نجاة أمتنا وعالمنا من هذا الاجتياح».

وعلينا -أمام هذا الخطر المحدق- أن نتذكر وعي حررت أمتنا عبر تاريخها الطويل..

■ فهذه الأمة هي التي أزالت القوى العظمى التي كانت تتحكم بالعالم عند ظهور الإسلام.. فكانت الفتوحات الإسلامية التي حررت أوطان الشرق.. وحررت ضمائر شعوبه، بعد عشرة قرون من القهر والاستعمار.. حدث ذلك يوم فتح المسلمون في ثمانين عاما أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون!

■ وهذه الأمة هي التي قهرت الغزوة الصليبية، التي اشتركت فيها كل شعوب أوروبا، فكانت أولى الحروب العالمية في التاريخ.

■ وهي التي هزمت التتار، الذين لم يهزمهم أحد غير المسلمين.. هزمتهم عسكريا.. ثم قادتهم -بالحكمة والموعظة الحسنة- فدخلوا في دين الله.. وغدوا قوة ضاربة للدفاع عن الإسلام!

■ وفي أوطان هذه الأمة كانت مقابر الإمبراطوريات الاستعمارية الغربية الحديثة

■ وإذا كان «بونابرت» (١٧٦٩-١٨٢١م) الذي دوخ أوروبا، قد هرب من مصر بليل رغم قلة تعداد الشعب المصري يومئذ؛ فإن رعاة البقر الأمريكان.. لن يكونوا استثناء من هذا المصير.. فلقد شاء الله -سبحانه وتعالى- لهذه الأمة أن تكون خاتمة أمم الرسالات السماوية.. والمؤتمنة على الوحي الخاتم والخالد.. وخير أمة أخرجت للناس.. وصدق الله العظيم

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

(النساء: ١٠٤)

[illegible]

(آل عمران: ١٣٨-١٤٢)

الاتفاق الأمني بين العراق والولايات المتحدة

للأستاذ: صلاح عبدالرحيم محمد

أقر كل من الحكومة العراقية في ٢٠٠٨/١١/١٦، والبرلمان العراقي في ٢٠٠٨/١١/٢٧، ومجلس الرئاسة العراقي في ٢٠٠٨/١٢/٤ الاتفاق الأمني بين بغداد وواشنطن، الذي يعد الغطاء القانوني للوجود العسكري الأمريكي في العراق، ويسمح هذا الاتفاق للقوات الأمريكية بالبقاء في العراق ثلاثة أعوام إضافية، فور انتهاء تفويض الأمم المتحدة الممنوح للقوات الأمريكية في نهاية عام ٢٠٠٨. ويقضي الاتفاق الأمني بانسحاب القوات الأمريكية من المدن والقرى العراقية في موعد لا يتعدى ٣٠ يونيو عام ٢٠٠٩ إلى أماكن سيتم الاتفاق عليها، على أن تنسحب جميع قوات الولايات المتحدة من جميع الأراضي والمياه والأجواء العراقية في موعد لا يتعدى ٣١ ديسمبر عام ٢٠١١، ويدخل هذا الاتفاق حيز التنفيذ اعتبارا من أول يناير ٢٠٠٩، ويتضمن الاتفاق الأمني ٣٠ مادة تغطي جميع المجالات تحت عنوان: «الاتفاق بين جمهورية العراق والولايات المتحدة الأمريكية (ويشار إليهما فيما بعد بعبارة الطرفين) بشأن انسحاب قوات الولايات المتحدة من العراق، وتنظيم أنشطتها خلال وجودها المؤقت فيه». ولقد رافق هذا الاتفاق الأمني «اتفاق الشراكة الاستراتيجية بين البلدين» تحت عنوان: «اتفاق الإطار الاستراتيجي لعلاقة صداقة وتعاون بين جمهورية العراق والولايات المتحدة الأمريكية» وقد تضمن اتفاق الإطار ١١ قسما تناولت التعاون طويل الأمد في المجالات الاقتصادية والدبلوماسية والثقافية والأمنية التي تسهم في تعزيز الديمقراطية في العراق الموحد الفيدرالي، وحدد البند الثاني من القسم الأول من اتفاق الإطار الاستراتيجي هدف الوجود العسكري الأمريكي في العراق وهو «أن وجود عراق قوي وقادر على الدفاع عن نفسه، أمر ضروري لتحقيق الاستقرار في المنطقة» فهل يهم الولايات المتحدة وجود عراق قوي وقادر على الدفاع عن نفسه أم وجود عراق مقسم بين الشيعة والسنة والأكراد والتركمان يحقق لها أطماعها في بتروله وحماية مصالحها في المنطقة؟

ويعرف الاتفاق الأمني باتفاق وضع القوات status of forces Agreement واختصارها كلمة «SOFA» وفي هذا السياق يمكن إيجاز أبرز النقاط الرئيسية لهذا الاتفاق الأمني فيما يلي:

- احترام القوانين والأعراف والتقاليد والعادات العراقية من جانب قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدني (المادة ٣).

- جميع العمليات العسكرية التي يتم تنفيذها، تجرى بموافقة الحكومة العراقية (المادة ٤)

- تمتلك العراق جميع المباني والإنشاءات والهياكل غير المنقولة، على أن تعيد قوات الولايات المتحدة إلى الحكومة العراقية كل المنشآت والمساحات المتفق عليها والمخصصة لاستخدام هذه القوات (المادة ٥)

- للمركبات والسفن التي تستخدمها الولايات المتحدة أو تلك التي تدار لحسابها حصرا حق الدخول إلى الأراضي العراقية والخروج منها، ويصرح للطائرات الحكومية الأمريكية والطائرات المدنية التي تعمل بموجب عقد مع وزارة الدفاع الأمريكية في الأجواء العراقية، والقيام بالتزود بالوقود والهبوط والإقلاع داخل الأراضي العراقية. كما تنتقل المراقبة والسيطرة على المجال الجوي العراقي إلى السلطات العراقية فور دخول هذا الاتفاق حيز التنفيذ (المادة ٩)

- عند اعتقال أو احتجاز أفراد قوات الولايات المتحدة، وأفراد العنصر المدني من قبل السلطات العراقية، يتم تسليمهم إلى سلطات القوات الأمريكية خلال ٢٤ ساعة من وقت الاعتقال أو الاحتجاز (البند ٥ من المادة ١٢)

خضوع البريد العسكري إلى تصديق سلطات الولايات المتحدة، ويعفى من التفتيش والبحث والمصادرة من جانب السلطات العراقية باستثناء البريد غير الرسمي الذي قد يخضع للمراقبة الإلكترونية (البند ٥ من المادة ١٩)

- للعراق حق ممارسة الولاية القضائية على أفراد قوات الولايات المتحدة وأفراد العنصر المدني، بشأن الجنايات الجسيمة المتعمدة، حين ترتكب تلك الجرائم خارج المنشآت والمساحات المتفق عليها وخارج حالة الواجب، كما أن للعراق حق ممارسة الولاية القضائية على المتعاقدين مع الولايات المتحدة ومستخدميهم. وللولايات المتحدة حق ممارسة الولاية القضائية على أفراد قواتها وأفراد العنصر المدني، بشأن أمور تقع داخل المنشآت والمساحات المتفق عليها وأثناء حالة الواجب خارج المنشآت (البند ١ و٢ و٣ من المادة ١٢)

- باستثناء المطالبات الناشئة عن العقود يتنازل الطرفان عن حق مطالبة الطرف الآخر بالتعويض عن أي ضرر أو خسارة أو تدمير يلحق بممتلكات القوات المسلحة أو العنصر المدني لأي من الطرفين (البند ١ من المادة ٢١)

- لا يجوز لقوات الولايات المتحدة توقيف أي شخص أو إلقاء القبض عليه إلا بموجب قرار عراقي يصدر وفقا للقانون العراقي، كما لا يجوز لقوات الولايات المتحدة تفتيش المنازل أو العقارات الأخرى إلا بموجب أمر قضائي عراقي بالتنسيق الكامل مع الحكومة العراقية، ويجب على الولايات المتحدة تسليم الأشخاص الذين تم توقيفهم أو إلقاء القبض عليهم إلى السلطات العراقية خلال ٢٤ ساعة من وقت توقيفهم أو إلقاء القبض عليهم (المادة ٢٢).

- انسحاب القوات الأمريكية المقاتلة من المدن والقرى العراقية بنهاية يونيو ٢٠٠٩، وعلى أن تنسحب كافة القوات الأمريكية المقاتلة من كل العراق نهاية عام ٢٠١١، وتعترف الولايات المتحدة بالحق

لا يجوز لدى حكومة العراق في أن تطلب خروج قوات الولايات المتحدة من العراق في أي وقت.

وتعترف حكومة العراق بالحق السيادي للولايات المتحدة في سحب قوات الولايات المتحدة في أي وقت (المادة ٢٤).

تسعى الولايات المتحدة لبذل أقصى الجهود لدعم العراق لإعفائه من الديون الدولية الناتجة عن سياسات نظام الحكم السابق، وتظل الولايات المتحدة ملتزمة بمساعدة العراق ومد الحماية بشأن الأموال ومنتجاته والغاز الطبيعي في العراق، والموارد والإيرادات الناشئة عن هذه المبيعات وتوفير الحماية لصندوق تنمية الموارد العراقية والحفاظ على أصول العراق المالية والاقتصادية في الخارج (المادة ٢٦).

عند نشوء أي خطر خارجي أو داخلي ضد العراق، أو وقوع عدوان ما عليه من شأنه انتهاك سيادته أو استقلاله السياسي أو وحدة أراضيه أو مياهه أو أجوائه، أو تهديد نظامه الديمقراطي، أو مؤسساته المنتخبة - وبناء على طلب من حكومة العراق - يقوم الطرفان بالشروع فوراً في مداولات استراتيجية وتتخذ الولايات المتحدة الإجراءات المناسبة، سواء الدبلوماسية أو الاقتصادية أو العسكرية أو أي إجراء آخر لردع مثل هذا التهديد. كما لا يجوز استخدام أراضي ومياه وأجواء العراق ممراً أو منطلقاً لشن هجمات ضد بلدان أخرى (المادة ٢٧).

تتولى الحكومة العراقية المسؤولية الكاملة عن المنطقة الخضراء (في بغداد) وذلك عند بدء نفاذ هذا الاتفاق، وللحكومة العراقية طلب الدعم المحدود والمؤقت من قوات الولايات المتحدة في مهمة المتعلقة بالأمن في المنطقة الخضراء (المادة ٢٨).

والملاحظ لنظر أن الولايات المتحدة الأمريكية بعثت برسالة إلى الحكومة العراقية تهدد فيها - في حالة عدم توقيع الاتفاق الأمني - بوقف المساعدة الأمريكية لقوات العراقية عن رفع الغطاء الجوي عنها مدة ٢٤ ساعة يومياً، وتجميد حماية البحرية الأمريكية للمياه العراقية، ووقف الخدمة الأمنية الأمريكية للعراق بحدة الإعمار، وإنهاء مشاريع إعمارية بقيمة ٩.٤ مليار دولار، وإلغاء مشاريع الإعمار البنى التحتية للملاحة الجوية في العراق بقيمة ٢٠٠ مليون دولار، إضافة إلى وقف استثمارات ومشاريع أمريكية بقيمة ٢٣ مليار دولار، ومصادرة أموال النفط العراقية المودعة في البنوك الأمريكية، وتجريد الحكم بقاعدة بغداد وفتح حساباتها القديمة مع الدائنين والمستثمرة والتجار والشركات والإيعاز إلى دول كثيرة بوقف علاقاتها الدبلوماسية أو تجميدها، وإغلاق الحدود الخارجية عن القدوم. لقد جاء كل هذا الضغط والتهديد الأمريكي في شكل رسالة أمريكية إلى حكومة المالكي في حالة عدم توقيع حكومته على الاتفاق الأمني الذي هو في الأصل صناعة أمريكية. لقد أكدت الولايات المتحدة في هذه الرسالة أن السبيل عن توقيع الاتفاق هو انتشار الفوضى في العراق.

ويرى محمود سيسيوف أن زيارة «مسعود بارزاني» رئيس إقليم كردستان العراق إلى واشنطن والتي دعته إلى هذه الزيارة في ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٨، كانت وسيلة للضغط على الحكومة العراقية لتوقيع الاتفاق الأمني، خاصة عندما أعلن أن الجيش الأمريكي يمكنه أن يقيم قواعد عسكرية أمريكية في شمال العراق أي في إقليم كردستان إذا فشلت واشنطن وبغداد في توقيع الاتفاقية الأمنية. فقد قال خلال ندوة نظمها مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن يوم الجمعة ٣١.١٠.٢٠٠٨ أنه «يعتبر أن برلمان الإقليم سيوافق على إقامة قواعد عسكرية أمريكية في حال لم يتم التوقيع على الاتفاق العراقي - الأمريكي» وفي هذا السياق رفض أسلوب المستقبل العراقي «وائل عبد اللطيف» تصريحات «بارزاني» ووصفها بأنها «تطور خطير في علاقة إقليم كردستان بالحكومة الاتحادية، ومحاولة للصيد في الماء العكر». وقال النائب عن الائتلاف الشيعي الشيخ خليل: «إن تصريحات بارزاني ليس لها أساس قانوني ومخالفة للدستور الذي نص على أن السياسة الخارجية والمشاريع والأمن من صلاحيات الحكومة الاتحادية». وأضاف بأن الدستور لا يعطي الحق لإقليم كردستان ولا لأي محافظة أخرى باستضافة القواعد أو إقامة علاقات دبلوماسية مع أي دولة كانت ويبدو أن البيت الأبيض قد وجد في القيادة الكردية خير من يحمل الرسالة الأمريكية لإقناع القادة العراقيين بتوقيع الاتفاق الأمني. ومن المعروف أن الأكراد هم الوحيدون من دون الأطراف العراقية الأخرى التي رحبت بدون تحفظ بتوقيع الاتفاق الأمني بين بغداد وواشنطن بصيغته الحالية. ومن المعلوم أن كتلة الائتلاف الشيعي أعلنت تأييدها مسودة الاتفاق الأمني مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد التعديل في ثلاث نقاط: الأولى تغيير اسم الاتفاق إلى «اتفاق انسحاب القوات الأمريكية» والثانية تحديد مواعيد نهائية لانسحاب هذه القوات، والثالثة تضمين الاتفاق بند عدم جعل العراق منطلقاً للاعتداء على أي دولة مجاورة. وقد وافقت الولايات المتحدة على هذه التعديلات، حتى تعطي وجودها في العراق غطاء شرعياً. وعلنت جبهة التوافق السنية مشروع مصالحة سياسية واستفتاء شعبي على الاتفاق الأمني. ولكنها ربطت موافقتها على الاتفاق الأمني بتحقيق عدة مطالب، على رأسها إلغاء قانون المساءلة والعدالة، وإطلاق سراح المعتقلين ومراجعة الدستور. وكان الزعيم الشيعي «مقتدى الصدر» قد أعلن قبل يومين من إقرار الحكومة العراقية الاتفاق الأمني أي يوم الجمعة ١٤.١١.٢٠٠٨ تشكيل مجموعة مسلحة باسم «لواء اليوم الموعود» وقال إنها «ستختص بمقاومة الاحتلال الأمريكي في حال قرار البقاء في العراق أو في حال توقيع الاتفاق مع واشنطن». ويعمل النواب التيار الصدري في البرلمان العراقي وعددهم ٣٠ نائباً امتنعوا عن التصويت. ويحكي المعرفة موقف الكتلة الصدرية من الاتفاق الأمني، ما جاء على لسان الزعيم الشيعي «مقتدى الصدر» عندما قال بعد أن أقر البرلمان الاتفاقية الأمنية في ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٨ «بعرى الشعب العراقي بهذا المصاب» وقد وصف هذا الاتفاق بـ«اتفاق الذل والهوان» وطالب أنصاره بإقامة مجالس العزاء في عموم المساجد، وإغلاق مكاتب الصدر في العراق لمدة ثلاثة أيام. وقال «مثنى حارث الضاري» الناطق الإعلامي باسم «هيئة علماء المسلمين» «السنية» إن إقرار الاتفاقية جاء لحماية الحكومة الحالية حكومة نوري المالكي لأنها تخاف من الشعب، وتخشى الانسحاب الأمريكي من العراق». ووصف «الضاري» الاتفاق الأمني بأنه «اتفاق إذعان» وقال: «إن القراءة الأولية للاتفاق توضح الأبعاد السياسية له وهو اتفاق احتلال وليس انسحاب قوات».

ولقد حاولت الحكومة العراقية تخفيف الانتقادات الموجهة إلى الاتفاق الأمني مع الولايات المتحدة، فطالبت القوى السياسية المعارضة بالانتظار بعض الوقت، حتى يمكن الحكم على مدى جدية واشنطن

التزاماتها بسحب قواتها. وقال «علي الدباغ» الناطق باسم الحكومة العراقية «لا أتصور أن الولايات المتحدة ستخترق الاتفاق لأنها تريد أن تبني علاقاتها مع الجانب العراقي» وأضاف «الدباغ» «إن رئيس الوزراء «نوري المالكي» والسفير الأمريكي في بغداد «رايان كروكر» ومسئولا كبيرا في الجيش الأمريكي اجتمعوا يوم السبت ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٨ للبحث في تنفيذ الاتفاق، ومن المواضيع التي جرى بحثها خلال الاجتماع: المطالبة بهيئة رسمية لتعويض [illegible] الذي يحكم الوجود الأمريكي في العراق ونقل المجمع العسكري والحكومي في المنطقة الخضراء في بغداد إلى السيطرة العراقية»

وأضاف «الدباغ» «إن الاتفاق الأمني سيسمح للقوات الأمريكية بالبقاء في العراق حتى ديسمبر ٢٠١١، أي بعد ثلاثة أعوام من انتهاء التفويض الأممي للقوات الأجنبية بالعراق». واستطرد «الدباغ» قائلا: «إن الإدارة الأمريكية تعهدت بأن يلتزم الرئيس الأمريكي المنتخب «باراك أوباما» بالاتفاق الجديد الذي تؤكد واشنطن أنه ليس بحاجة إلى موافقة الكونجرس». وأشار رئيس الوزراء العراقي «نوري المالكي» إلى أن الاتفاقية الأمنية تعد الأساس الصلب الذي يمهد لاستعادة العراق سيادته، وأن بلاده لن تسمح أبدا باستخدام أراضيها في استهداف دول الجوار العراقي. وفي هذا الصدد حذر وزير الدفاع العراقي «عبدالقادر جاسم» من مخاطر انسحاب القوات الأمريكية قبل عام ٢٠١١ فقال: «إن الانسحاب قبل ذلك التاريخ سيعرض للخطر صادرات العراق النفطية، ويمكن الدول المجاورة من التعدي على الأراضي العراقية، ويطلق أيدي الجواسيس الأجانب». وأضاف «جاسم»: «إن الفترة المحددة في الجدول الزمني للانسحاب (وهي ثلاث سنوات) تسمح للعراق بوقت كاف لاستكمال قدراته من التدريب والقتال والجوانب الفنية، وتقدم له دعما كبيرا». وواصل «جاسم» حديثه قائلا: «إن الحكومة العراقية ليست مستعدة لتولي المسئولية من قوات الولايات المتحدة [illegible] وزير الدفاع العراقي في يحتفي الانسحاب الأمريكي سريعا [illegible] إلى وجود القوات الأمريكية في العراق، يردعهم عن [illegible] نفسها للمتمردين الانفصاليين الأكراد» ومن جهة أخرى كشف قائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال [illegible] قوات أمريكية غير مقاتلة ستبقى في [illegible] قوات الأمن العراقية بعد يونيو ٢٠٠٩، وهو موعد انسحاب القوات الأمريكية من المدن العراقية وفقا لما جاء في الاتفاق الأمني بين بغداد وواشنطن، وهو ما يشكل مخالفة لبنود الاتفاق.

وعلى الرغم من وجود اقتراحات حول بقاء بعض القوات الأمريكية في المدن بعد يونيو ٢٠٠٩، عكس ما ينص عليه الاتفاق الأمني، إلا أن تصريحات الجنرال «أوديرنو» هي الأولى من مسئول عسكري أمريكي، يؤكد بقاء قوات أمريكية يقول أنها غير مقاتلة في مواقع عسكرية بعد يونيو ٢٠٠٩.

وأضاف «أوديرنو» موضحا مفهوم الانسحاب الأمريكي من المدن العراقية: «إن الانسحاب من المدن

بموجب الاتفاق الأمني لا ينطبق إلا على القوات المقاتلة، وستبقى بعض الفرق في مراكز الأمن المشتركة في المدن لدعم قوات الأمن العراقية وتقديم المساعدة والتدريب خلال العملية الانتقالية» [illegible] وعمد قائد القوات الأمريكية في العراق، رفض تحديد عدد القوات التي ستعمل في المرحلة الانتقالية (وهي عام ٢٠٠٩) وقال: «نحن نتفاوض على تنفيذ الاتفاق وسنحتفظ بشراكة وثيقة مع قوات الأمن العراقية» وأضاف «من المهم أن نحافظ على وجود كاف لمساعدتهم خلال السنة الانتقالية» مشيرا إلى أن العراق سيشهد عام ٢٠٠٩ ثلاثة انتخابات: وهي انتخابات المحافظات في يناير ٢٠٠٩، الانتخابات التشريعية في الخريف. والاستفتاء الشعبي حول الاتفاق الأمني في يونيو ٢٠٠٩. وقال «أوديرنو» في معرض حديثه عن التقسيم الذي أحرزته سلطات قوات الاحتلال الأمريكي: «أعتقد أنه يتعين علينا خفض القوات عام ٢٠٠٩، ولن نحتفظ بالمستويات التي لدينا الآن (١٤٥ ألف جندي أمريكي في العراق). لكنني أود القول مرة أخرى، أن عام ٢٠٠٩ مهم جدا، ولا نريد اتخاذ خطوة تعيدنا إلى الوراء لأننا حققنا تقدما كبيرا هنا». ونتساءل: أي تقدم يعنيه «أوديرنو» غير اغتيال مليون عراقي، وإعاقة أضعاف هذا الرقم من المواطنين العراقيين، وتدمير بلد بالكامل ونشر الفوضى فيه، ودعم تقسيمه إلى ثلاثة أقاليم طائفية، تضمن للولايات المتحدة الهيمنة على بتروله وموارد ثروته الطبيعية.

وفي هذا السياق قال وزير الدفاع الأمريكي «روبرت جيتس»: «من المحتمل أن يكون هناك اهتمام كبير بالإبقاء على أكبر عدد ممكن من القوات في العراق خلال انتخابات المحافظات، وربما لبعض الوقت بعد ذلك». وأوضح الأدميرال «مايكل مولين» رئيس هيئة الأركان المشتركة، أن انسحاب قوات بلاده من العراق، سيظل أمرا مرهونا بالظروف الميدانية التي تمنى أن تكون مواتية بحيث تسمح به في حينه، محذرا من أن الأوضاع الأمنية قد تتغير خلال هذه الفترة. وهو ما يعني أنه ليس هناك موعد مقدس يمكن أن تلتزم به الولايات المتحدة لسحب قواتها من العراق وفقا لما جاء في الاتفاق الأمني بين بغداد وواشنطن، مادام أن الانسحاب مرهونا بالظروف الأمنية في العراق. وهي حجة من يريد البقاء في العراق إلى أطول مدة ممكنة، بزعم أن القوات العراقية غير مؤهلة لتولي المسئولية الأمنية في البلاد، وهو زعم، دائما يلوح به كل محتل غاصب، من أجل استمرار بقائه.

وفي الختام يمكن القول أن موعدنا مع الشعب العراقي العظيم ليقول كلمته الفاصلة حول الاتفاق الأمني بين بغداد وواشنطن، بلا أو نعم في الاستفتاء الشعبي الذي أقره البرلمان العراقي، وذلك في يونيو ٢٠٠٩، وكما يقول «طارق الهاشمي» نائب الرئيس العراقي: «إذا صوت الشعب العراقي ضد الاتفاقية، فسيتعين على الحكومة العراقية أن تلتزم بنتائج الاستفتاء، وتنقل هذه الرغبة إلى الإدارة الأمريكية، ويعتبر الاتفاق الأمني لاغيا».

ونتساءل: هل يمكن للاتفاق الأمني بين دولتين غير متكافئتين أن يحقق الاستقلال السياسي للعراق؟ وهل ستنسحب القوات الأمريكية في نهاية عام ٢٠١١؟ نأمل أن يتحقق ذلك، ويعود العراق حرا من جديد.



مؤتمر مكة المكرمة التاسع يبحث التعريف بالإسلام فى البلدان غير الإسلامية

عقدت الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامى مؤتمر مكة التاسع قبل حج هذا العام فى الفترة من ٢ - ٤ ذى الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٣٠ نوفمبر - ٢ ديسمبر ٢٠٠٨ بعنوان (التعريف بالاسلام فى البلدان غير الاسلامية - الواقع والمأمول) تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.

وشارك فى المؤتمر نخبة من العلماء والمفكرين والباحثين والمختصين من الأكاديميين وأساتذة الجامعات الإسلامية.

ويجىء عقد هذا المؤتمر المهم فى وقت يتطلع فيه العالم للتعرف على حقيقة الإسلام ومبادئه وقيمه بعد أن شن عليه أعداؤه حملات ضدد لفتت أنظار العالم اليه، وجعلتهم يتطلعون للتعرف عليه وفهم ما فيه من مبادئ تعين على حل مشكلات الانسان.

وقد افتتح المؤتمر صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة رئيس لجنة الحج المركزية.

ثم ألقى رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر الدكتور احمد بن نافع المورعى كلمة اللجنة العلمية أكد فيها أن اختيار رابطة العالم الاسلامى لموضوع المؤتمر جاء فى وقت يتطلع فيه العالم للتعرف على الاسلام، مشيرا الى ان المؤتمر سوف يستعرض أهم الأنشطة للتعريف بالإسلام فى بلاد غير المسلمين، والوقوف على التجارب العلمية والعملية المتعلقة بالتعريف بالاسلام من خلال ٣ محاور تتعلق بالجهود المبذولة للتعريف بالاسلام، والتحديات والمعوقات التى تواجه التعريف بالاسلام بالإضافة إلى المستقبل المأمول للتعريف بالإسلام.

وقال د المورعى إن المؤتمر يهدف إلى تبادل الرؤى والافكار بين العلماء المهتمين بالتعريف بالإسلام، واستخلاص الدروس والعبر، وتبادل الخبرات فى مجال التعريف بالاسلام، وايجاد الحلول للمشكلات والصعوبات التى تواجه العاملين بالتعريف بالإسلام علاوة على محاولة الوصول إلى افضل المناهج وأنسب الوسائل العصرية للتعريف بالاسلام.

عقب ذلك ألقى فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر السابق كلمة المشاركين أكد فيها على اهمية المؤتمر وما يتناوله من موضوعات مهمة للتعريف بالإسلام وسماحته وعدله لدى الدول غير الإسلامية.

كما شدد على أهمية مواجهة التحديات والأخطار التى تواجه الأمة الاسلامية وتفاقمها، لافتا النظر الى ضرورة اجتماع عام يحدد فيه مواقف المسلمين التى تقى العالم شر ذلك الطيش الذى يقضى على الأمن والسلامة ويلتهم الفضائل.

وفى كلمته فى حفل الافتتاح قال معالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى : إنه لمن دواعى سرورى أن نلتقى فى مثل هذه الأيام المباركة من كل عام نخبة من أولى العلم والبحث فى الشأن الاسلامى لتدارس موضوع من الموضوعات المهمة تختاره الرابطة ليكون عنوانا لمؤتمر مكة المكرمة، مشيرا الى أن البحث فى مسألة التعريف بالإسلام بحث له صفة العالمية مؤكدا أن الرسالة الإسلامية مسئوليتها على جميع المسلمين، وكل إنسان مسلم عليه واجب فيما يتعلق بالاهتمام بدينه والتعاون مع الناس الذين لهم علاقة بموضوع التعريف بالإسلام فى غير الدول الاسلامية

وأشار الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى ان إنشاء قناة فضائية تهتم بالقضايا الإسلامية، تدخل فى اهتمامات الرابطة، وان ما يهمنا هو إيجاد خطة واستراتيجية تتضامن كل

الوسائل الإعلامية على تنفيذها.

وأفاد الدكتور عبدالله التركى أن الرابطة تسعى لعقد المؤتمر الثانى للإعلام الإسلامى، والذى يجمع مختلف الإعلاميين الذين يعملون فى المجال الإسلامى والمتعاونين معهم فى البلدان غير الإسلامية.

وشدد على أهمية إعداد وتدريب الدعاة، بما يتلاءم مع المهمة التى يقوم بها الداعية، فى البلد الموجود فيه. مبينا أن الرابطة لديها معهد متخصص فى التدريب، ويقوم فى كل عام بتدريب مجموعة كبيرة من الدعاة من مختلف مناطق العالم، لافتا النظر إلى أن كل مؤتمر تم عقده فى السابق كان له موضوع معين، حيث إن المؤتمر رسالة وقتية، ونتائجها تختلف باختلاف موضوعها، والرابطة تعممها على مختلف الجهات داخل المملكة وخارجها، وهى أول الجهات التى تنفذ هذا الموضوع إذا كان يخصها.

[illegible]

وأشار الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى فى كلمته إلى أن هناك العديد من غير المسلمين قد كتبوا عن الإسلام وعرضوه على قومهم بالصورة التى يرونها، ودخل فى المناهج الدراسية فى عدد غير قليل من الدول الغربية، أما الجامعات فقد بدأ الإسلام يدرس فى كبرياتها منذ عهد بعيد نسبيا، إلا أن الملاحظ أن الاهتمام بدراسة الإسلام فى الجامعات الغربية، ازداد فى العقود الأخيرة زيادة واضحة، مع ملاحظة أن الدراسات التى يقدمها غير المسلمين عن الإسلام، تنود فى أكثرها على روح من الاستعلاء الثقافى والنظرة العقدية للتراث الإسلامى البعيدة عن البحث الحر النزيه، فعرضت الإسلام عرضا مزورا، حتى القرآن الكريم لم تسلم ترجمة معانيه من التحريف المعنوى عمدا، أو نتيجة الجهل باللغة العربية وأساليبها، وكان ذلك أحد الأسباب التى جعلت العامة والبسطاء من الغربيين ينظرون إلى المسلمين نظرة فيها الكثير من الإجحاف والازدراء، وجعلتهم يتخوفون من الإسلام، مشيرا إلى أنه بذلك تبقى المسئولية على عاتق المسلمين فى التعريف الصحيح بالإسلام فى البلدان غير المسلمة

[illegible]

وتضمن المؤتمر ثلاثة محاور هى

المحور الأول، وناقش المشاركون من خلاله البحوث الآتية

١- التعريف بالإسلام والدعوة إليه فريضة شرعية.

٢- جهود الدول الإسلامية فى التعريف بالإسلام.

- الأنموذج الأول: المملكة العربية السعودية
- الأنموذج الثانى: جمهورية مصر العربية.

٣- جهود رابطة العالم الإسلامى والهيئات التابعة لها.

٤- جهود المنظمات والهيئات الإسلامية.

المحور الثانى، التحديات والمعوقات التى تواجه التعريف بالإسلام وناقش المناقشون هذا المحور من خلال البحوث الآتية،

١- صورة التشويه فى مناهج التعليم وأوعية الثقافة.

٢- الحملات الإعلامية ضد الإسلام ورموزه.

٣- الحملات الدينية والثقافية.

٤- أخطاء فئات محسوبة على الإسلام.

المحور الثالث، المستقبل المأمول للتعريف بالإسلام، وقد ناقش المشاركون هذا المحور أيضا من خلال هذه البحوث،

١- التكامل بين التعريف بالإسلام والدفاع عنه.

٢- المنهج العلمى للتعريف بالإسلام.

٣- العلاقات الإيجابية مع غير المسلمين وأثرها فى مجال التعريف بالإسلام

٤- الخطاب الإسلامى المؤثر.

تنوع البحوث:

وكان من أهم البحوث المقدمة فى المؤتمر، بحث بعنوان (الحملات الإعلامية ضد الإسلام ورموزه) للدكتور أنور ماجد عشقى الخبير الاستراتيجى ورئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية والقانونية.

- وبحث بعنوان (الحملات الصليبية والتناطح الصهيونى للدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية).

- وبحث آخر بعنوان (جهود المنظمات والهيئات الإسلامية فى التعريف بالإسلام، لفضيلة الشيخ محمد الحارثى مساعد الأمين العام للهيئة العالمية للتعريف بالإسلام التابعة لرابطة العالم الإسلامى)

- وورقة علمية بعنوان (أهم معوقات نشر الإسلام فى البلاد غير الإسلامية) للدكتور نبيل السمالوطى عميد كلية الدراسات الإسلامية السابق.

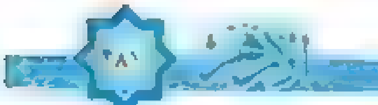
- وبحث بعنوان (التكامل بين التعريف بالإسلام والدفاع عنه) للدكتور عادل بن على الشدى أمين عام المركز العالمى للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته.

التوصيـــات :

هذه البحوث وغيرها ومن خلال مناقشة محاور المؤتمر الثلاثة وأوراق العمل التى عرضت فى الجلسات توصل المشاركون إلى ما يلى:

أولا: فى مجال الجهود المبذولة للتعريف بالإسلام.

استعرض مؤتمر مكة المكرمة التاسع الجهود الإسلامية للتعريف بالإسلام وأشاد بالجهود التى بذلتها الحكومات والمنظمات والمراكز والهيئات الإسلامية فى هذا الشأن.



وأكد على أن التعريف بالإسلام مهمة تتجه إلى العلماء والجهات الرسمية الممثلة للحكومات الإسلامية وأصحاب الأموال.

ودعا إلى تعاون هذه الجهات في تنفيذ برامج التعريف بالإسلام من خلال خطط علمية مدروسة وأوصى المؤتمر بما يلي:

- دعوة الدول الإسلامية بأن تحمل التعريف بالإسلام جزءا من المهام المرتبطة بعلاقاتها الخارجية مع بلدان العالم.
- التركيز في مخاطبة غير المسلمين بمواد إعلامية متميزة ومتنوعة مثل موضوعات الإعجاز التشريعي العلمي والتربوي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع إعداد كتب بلغات العالم في ذلك.
- دعم المشروعات الاجتماعية (مثل إغاثة المنكوبين من الكوارث والتكافل الاجتماعي في الإسلام، وإقامة المشروعات الطبية لغير القادرين، ومكافحة البطالة بين المسلمين، وإنشاء المشروعات التي تسهم في تحويل العاطلين إلى أيد منتجة تسهم في التعريف بمحاسن الإسلام).
- جمع المعلومات عن الهيئات والمنظمات والجمعيات العاملة في حقل التعريف بالإسلام في البلاد غير الإسلامية، وإعداد بنك معلومات يجمع عناوينها وطبيعة أعمالها وبرامجها، وكيفية التواصل معها.
- دعوة مؤسسات الإعلام الإسلامي للتعاون مع الرابطة والمنظمات الإسلامية في إنتاج برامج تليفزيونية باللغات العالمية لتعريف غير المسلمين بالإسلام، وبثها بمختلف الوسائل.
- إنشاء قنوات فضائية هدفها التعريف بالإسلام وذلك باللغات العالمية (الإنجليزية - الفرنسية - الإسبانية - الصينية) وغيرها.
- إنشاء أكاديمية تعليمية لإعداد برامج تربوية وتعليمية للتعريف بالإسلام، لتخريج كفاءات متميزة في مجال التعريف بهذا الدين.
- عقد مؤتمرات دورية عن التعريف بالإسلام في مختلف مناطق العالم، وتكليف الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام بإقامة ملتقيات سنوية حول التعريف بالإسلام في البلدان غير الإسلامية.
- تقويم واقع التعريف بالإسلام ومنجزاته في كل مرحلة، وفي كل بلد من البلدان التي تنفذ فيها برامجه، وذلك لسد الثغرات ومعالجة المشكلات التي تواجه مهام التعريف بالإسلام.

ثانيا: التحديات والمعوقات التي تواجه التعريف بالإسلام

استعرض المؤتمر خلال جلساته التي عقدها التحديات والمعوقات التي تواجه التعريف بالإسلام في البلدان غير الإسلامية، ولاحظ أن من أبرزها محاولات تشويه الإسلام والافتراء عليه، وتشتت

مواقف الإسلامية في مواجهة هذا التحدي ولمواجهة المعوقات أوصى في البيان الختامي بما يلي:

■ التواصل مع الجامعات ومراكز البحث ومؤسسات الحوار - خاصة في الغرب - المهتمة بالإسلام.

■ مخاطبة المنظمات الدولية ومؤسسات المجتمع المدني والبرلمانات في الغرب لبيان أثر الحملات الإعلامية على الإسلام ومقدساته وشعائره.

■ مطالبة الدول الإسلامية باستثمار مكانتها وعلاقاتها مع الحكومات الغربية لاستصدار قوانين تمنع الإساءة إلى الإسلام ورموزه في بلدانها ووسائلها الإعلامية ومنتدياتها الثقافية ومتابعة ذلك.

■ متابعة المساعي لتصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين في بعض المناهج لدى غير المسلمين، ودعوة المسئولين فيها لاعتماد مناهج سليمة خالية من تشويه الإسلام واستعداء المسلمين.

■ إعداد البديل الصحيح لمضامين الكتب المدرسية التي تشوه الإسلام في البلدان غير الإسلامية، وتزويد مؤسسات التعليم في تلك البلدان بمواد ومناهج تعليمية تساعد على تعليم الإسلام بصورته الصحيحة.

■ الاتفاق في ندوات الحوار مع أتباع الديانات والثقافات المختلفة على واجب البشرية في تقدير الرسل واحترامهم، وما يتصل بذلك من منع الإساءة لرسالات الله وخاتمتها رسالة الإسلام.

■ العناية بالخطاب الإسلامي الخاص بالتعريف بالإسلام، والعمل على تنويعه وتنويع أدوات الوصول به إلى متلقيه تأسيا بالرسول (ﷺ) الذي كان يراعي في خطابه تباين المخاطبين وواقعهم الثقافي والاجتماعي.



وأما عن المحور الثالث في هذا المؤتمر بعنوان المستقبل المأمول للتعريف بالإسلام، فقد تم استعراض البحوث المقدمة من المشاركين وأوراق العمل المعدة لهذا المحور وبعد مناقشتها كانت هذه التوصيات:

■ إعداد خطة استراتيجية للتعريف بالإسلام والدفاع عنه، قائمة على العمل المؤسسي والتكامل والتنسيق بين الجهات العاملة في هذا المجال، بحيث تقوم الخطة على أسس تراعي القضايا التي يثيرها أعداء الإسلام ومن هذه الأسس:

■ التأكيد على وفاء الشريعة الإسلامية بحاجات الأمم ومصالح الشعوب وأنها تقدم الحلول العادلة لكل ما يواجه البشرية من

مشكلات، وأن الإسلام نظام كامل للحياة يقوم على أسس تضمن حق الحرية والاخاء والامن والسلام فى العالم.

■ تطوير مؤسسات التعليم والدعوة وتحديث خططها ومناهجها وفق ما تتطلبه أعمال التعريف بالإسلام فى هذا العصر.

■ التأكيد على موقف الإسلام من مخالفيه فى العقيدة والدين، وأنه يقوم على العدل معهم، ويضمن حقوقهم وحرياتهم، والعمل على دحض فرية استحلال الإسلام دماءهم وأموالهم، وأن الأصل فى العلاقة معهم هو السلم والأمان.

(الممتحنة: ٨)

■ التأكيد على حق المواطنة الكاملة للمواطنين غير المسلمين فى البلدان الإسلامية وأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

■ التأكيد على أن الإسلام يحث على التعاون على البر والتقوى وتحقيق الأمن والسلام ونصرة المظلوم ورد الحقوق لأصحابها.

■ التنبيه إلى أهمية استيفاء الصفة القانونية والنظامية للهيئات والمنظمات المتخصصة فى

مجال التعريف بالاسلام والنصرة له

■ التاكيد على أهمية حسن التعامل مع غير المسلمين، لما له من علاقه وثيقة بالمهمة الكبرى التى شرف الله بها هذه الأمة، حيث أخرجها إلى الناس آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، داعية إلى صراط الله المستقيم.

■ أهمية الإلمام بثقافة الآخر لأن مناهج الدعوة وأساليب التعريف بالإسلام والدعوة إليه تختلف من مكان لآخر ومن بيئة لأخرى، ومن زمان لآخر.

■ ابتكار وسائل متجددة للتعريف بالإسلام عبر مواقع الإنترنت والفضائيات وإقامة المعارض الدائمة والمتنقلة.. للوصول إلى الناس فى أماكنهم.

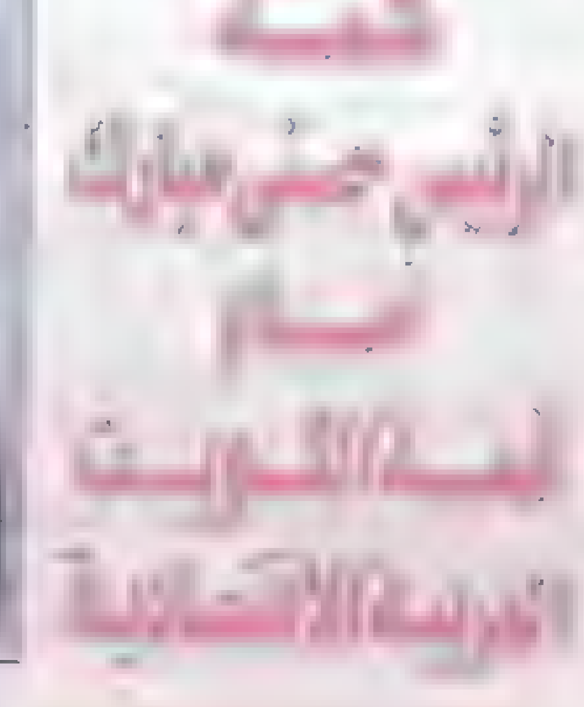
■ تنشيط وظيفة المساجد فى الدول غير المسلمة، وانشاء مراكز متخصصة وكراس علمية أكاديمية مهمتها الدفاع عن الدين الإسلامى وشرح المبادئ الإنسانية التى جاءت بها رسالته رحمة للناس جميعا.

■ وأخيرا إنشاء جائزة عالمية سنوية تعطى لإحدى الهيئات والمنظمات المهتمة بالتعريف بالإسلام لقاء جهودها لإذكاء روح المنافسة والابتكار بين الهيئات والمنظمات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ







- صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح..
- أصحاب الجلالة والسمو والفخامة..
- السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية..
- الأخوة والأخوات..

[illegible] الشكر والتقدير لأخي سمو أمير دولة الكويت وشعبه الشقيق، لاستضافة هذه القمة الاقتصادية [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قمة عربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. لا [illegible] بين دول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
لتحقيقها.. ولقدرتنا على التعامل [illegible]
[illegible] هذه القمة [illegible] العربي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] على غزة [illegible] والاعتداءات [illegible] على الساحة الفلسطينية [illegible]. [illegible] الساحة العربية من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] الفلسطيني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العربي [illegible]

[illegible] مأساة غزة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لقد فتحت هذه المأساة عالمنا العربي للشارع. فكشفت الكثير من أوجاعه وتناقضاته ومعاييره.. وأوضحت - للأسف - [illegible] عالمنا العربي [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والأجواء [illegible] الإنسانية بعيداً عن المزايدة والشعارات الجوفاء

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] موقف عربي [illegible] [illegible] [illegible] الفلسطيني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصر [illegible] الفلسطينية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاعتدال [illegible] الممانعة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هل هي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الفلسطينيين [illegible]

[illegible] [illegible]
[illegible] والمصالحة [illegible] في غزة وفتح معابرها ورفع حصارها.

الأخوة والأخوات

[illegible] لقد جاءت مأساة غزة كاشفة للوضع العربي الراهن وعلينا أن نعترف بالحاجة لوقفة صدق ومصالحة مع النفس [illegible] في أحوال عالمنا العربي ونجتهد للالتقاء على كلمة سواء.

[illegible] العلاقات العربية [illegible]
[illegible] وكأننا نعود بعالمنا العربي إلى الوراء بدلاً من أن ندفع به معاً إلى الأمام.

لقد كان الموقف المصري قوياً وواضحاً منذ اليوم الأول للعدوان على غزة، برغم مزايدات البعض وتجاهلهم لحقائق معروفة وأخرى غائبة.

[illegible] ... مصر [illegible] التهدئة [illegible] هو دعوة مفتوحة لإسرائيل للعدوان [illegible] المقاومة

[illegible] مصر [illegible] الفلسطيني [illegible] الشرعية الفلسطينية [illegible]

[illegible] خطة «شارون» للانسحاب من غزة والتي كانت من تمسك بإقامة معبر «رفح» ليكون منفذ القطاع من مصر [illegible] جانب المعابر الستة الأخرى بين غزة وإسرائيل

[illegible] الدولة الفلسطينية المستقلة طال الوقت أو قصر.

[illegible] منظمة التحرير الفلسطينية [illegible] مقاومة الاحتلال [illegible]

والام ومعاناة

[illegible]

[illegible] في غزة [illegible] معبر رفح

[illegible] القضية الفلسطينية [illegible] ١٩٤٨ [illegible]

[illegible] الاحتلال [illegible]

[illegible] الشعب الفلسطيني [illegible] يساعدون أنفسهم.. وإن مصر ستبقى مفتوحة الذراعين لكم بلداً وملاذاً [illegible]

الأخوة [illegible] العرب

[illegible] الشعب الفلسطيني في غزة [illegible] مصر [illegible]

[illegible] الاحتلال مصيره إلى زوال.

[illegible] الدولة الفلسطينية [illegible]

[illegible]

[illegible] العمل العربي [illegible]

[illegible]

محمد بالتحية والتقدير لأخي سمو أمير دولة الكويت، وأتمنى أن تكون هذه القمة [illegible] على مسار جديد وتخطو به خطوات إلى الأمام



برقية تقدير وتأييد

السيد الرئيس محمد حسني مبارك

أيده الله وسدد خطاه ووفقه لما يحبه ويرضاه

وبعد

فإن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ليقدر كل التقدير الجهود المخلصة والمساعي المشكورة التي بذلتموها على مدى الأسابيع الماضية من أجل وقف نزيف الدم في غزة ووضع حد للعدوان الهمجي البربري الذي قامت به إسرائيل.

كما يقدر المبادرة المصرية التي قدمتموها، والجهد الموفق الذي بذلتموه من أجل حشد الدعم الدولي للقضية الفلسطينية ممثلا في مؤتمر شرم الشيخ مما أدى إلى وقف إطلاق النار.

كما يقدم لسيادتكم - مجمع البحوث الإسلامية - خالص الشكر والاحترام والتقدير على خطابكم القوي الحكيم البليغ الذي ألقيتموه في مؤتمر القمة الاقتصادي بالكويت بالأمس، هذا الخطاب الذي عبر عن روح أبناء مصر جميعا.

مصر التي قدمت ما قدمت من شهداء ومن أموال على مر السنين من أجل الشعب الفلسطيني.

مصر التي تقف دائما إلى جانب الحق حتى ينتصر، وتقف دائما في وجه الباطل حتى يندحر.

نسأل الله عز وجل أن يزيدكم من كل ما هو خير وأن يصونكم من كل ما هو شر وأن يمتعكم بنعمه التي لا تحصى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحريرا في:
٢٣ من المحرم ١٤٣٠ هـ
٢٠ من يناير ٢٠٠٩م

شيخ الأزهر
دكتور محمد سيد طنطاوي

[illegible]

في جلسته بتاريخ ٤ من المحرم ١٤٣٠هـ
الموافق الأول من يناير ٢٠٠٩م

لقد تابع مجمع البحوث الإسلامية ما حدث ويحدث الآن على ساحة قطاع غزة الفلسطيني من عدوان وحشي غادر قامت به قوات الاحتلال الإسرائيلي دون رحمة ودون اعتبار للشرائع السماوية والقوانين الدولية والأعراف الإنسانية، وهو عدوان يعد من قبيل جرائم الحرب التي تحرمها الشرائع [illegible] ويحاسب عليه القانون الدولي.

ومجمع البحوث الإسلامية يستنكر بشدة هذه الجرائم الوحشية، ويطالب باتخاذ كل الإجراءات التي توقفها فورا، وفي الوقت نفسه فإن مجمع البحوث يدعو جميع الفصائل الفلسطينية إلى وحدة الكلمة والبعد عن التشرذم والتفرق حتى يواجهوا عدوهم وهم يد واحدة حتى يكتب الله - تعالى - لهم النصر المبين.

كما يدعو جميع حكام العرب والمسلمين إلى وحدة الرأي من أجل إنهاء هذا العدوان الغادر، وأن يتذكروا ويعملوا بقول الله - عز وجل -: ﴿[illegible]﴾ (آل عمران:١٠٣)

وبقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأنفال:٤٦)

ومع الدعوة إلى الوحدة فإن مجمع البحوث يستنكر توجيه الرصاص إلى صدور من كانوا دائما عونا للقضية الفلسطينية، ويطالب أن يكون هذا الرصاص موجها فحسب إلى من يعادون القضية الفلسطينية من الأعداء الحقيقيين للشعب الفلسطيني.

ومن أجل ذلك فإن مجمع البحوث يستودع عند الله تعالى [illegible] رصاصات الغدر وهو يؤدي واجبه في الدفاع عن حدود الوطن.

ومجمع البحوث [illegible] في الوقت نفسه يحث جميع الدول والمنظمات الدولية [illegible]

[illegible]

[illegible]

والله ولي التوفيق.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
(علي عبد الباقي شحاتة)

فلنبدأ من حيث انتهينا

بقلم: رئيس التحرير

في أعقاب اجتياح إسرائيل للبنان عام ٢٠٠٦ وقيامها بمجزرة قانا الثانية فجر الأحد الثلاثين من يوليو سنة ٢٠٠٦. حيث كان من نصيب قانا مجزرة أخرى سنة ١٩٩٦، كتبت مقالاً بعنوان «حزب الله ورفقة نصر الله مشتركة» [illegible] وصحت فيه أن تاريخ إسرائيل حافل بالمذابح والاعتداءات [illegible] مذبحة [illegible] سنة ١٩٤٧ ومذبحة قرية سعسع في نفس السنة مرورا بمذبحة دير ياسين سنة ١٩٤٨ ومذبحة قبية سنة ١٩٥٣، ومذابح قلقيلية وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا ثم عيون قارة [illegible] إلى آخر هذا التاريخ الأسود الذي ضمه السجل الدموي البغيض ضد الأبرياء والأطفال والركع السجود بالحرم الإبراهيمي.

وانتهيت في المقال السابق سنة ٢٠٠٦ إلى القول:

إلى متى تتوقف حياة أمة هي:

[illegible]

(آل عمران: ١١٠)

على مجرد رد الفعل؟!

إننا - بحق - لا نستحق هذا الشرف الذي حبانا الله إياه ما لم نتبع أوامره - تعالى - ونواهيه.

[illegible] تكون لنا قوة نحتفظ بها [illegible] وجوهنا.. لا قوة اعتداء.. فليس ذلك من تعاليم ديننا الحنيف. إنما القوة المطلوبة.. هي ما تجعلنا بعيداً عن متناول أيدي الأعداء وهو ما نعلمه ونفهمه من قول [illegible]

[illegible]

(الأنفال: ٦٠)



وليس هذا [illegible] حديث [illegible] وهي [illegible] في [illegible]

وها هي إسرائيل تواصل إجرامها، مرة أخرى بحصار غزة وتجويعها ثم تتوج هذا الإجرام بمذبحة أخرى [illegible] ومستغلها - مراراً - إن لم تجد [illegible] توقف إجرامها وتبجحها.

إن إسرائيل تخطط بدقة وتضرب بشراسة، وحتى تبدو كالحمل الوديع فإنها لا تبدأ ضربتها إلا إذا وجدت مبرراً لبدء الضرب مهما كان هذا المبرر واهياً، ولن يعدم قادة إسرائيل هذا المبرر حتى لو دفعوا إليه الفلسطينيين دفعاً أو اختلقوه اختلاقاً.

وهم لا يتراجعون عن نواياهم الخبيثة حتى لو لم تصحها!!

فمسألة فصل قطاع غزة وضمه إلى مصر [illegible] تحقيقها.

[illegible] غزة [illegible] في [illegible] غزة [illegible]

التي وضعتها الدولة العبرية لتتعامل مع المشكلة الأمنية في القطاع الذي انسحبت منه في سبتمبر ٢٠٠٥ من جانب واحد والمطالبة بعزله خلف ستار حديدي وإجبار مصر من خلال إحكام الحصار عليه على تزويده بحاجاته من الوقود والمواد الغذائية والأدوية. وصولاً إلى مرحلة تضطر فيها الدولة المصرية إلى ضمه في النهاية».

ثم يقول: «ويذهب البعض إلى أن حلاً من هذا النوع سيسهل على إسرائيل طرح «الخيار الأردني» في الضفة الغربية وإلحاقها بالأردن بعد ضم جزء حيوي

منها «المستعمرات الكبرى» إلى الدولة الصهيونية؛ لتصبح الحدود الدائمة هي بينها وبين كل من مصر والأردن فقط بدلاً من حدود الدولة الفلسطينية الموعودة، وبذلك تضيع القضية الفلسطينية»[3]

[illegible] ما ظهرت [illegible] [illegible] الإسرائيلي يقول [illegible] الأوضاع [illegible] في قطاع غزة [illegible] مصر[4]

كما [illegible] كانت [illegible] أوضاع [illegible]
ولم تصنعها بعضها!!

وبرغم ما أبداه الرئيس الفلسطيني محمود عباس في الرابع والعشرين من يناير ٢٠٠٨م من قلق على عملية السلام إذا أقدمت إسرائيل على فصل القطاع عن الأراضي الفلسطينية حيث قال:

«إن هذا يصب في مصلحة إسرائيل في تقسيم الوطن وشطره عن بعضه بعضاً من أجل أن تصبح عملية السلام مستحيلة»[4]

لإسرائيل خططت، وتعلم بافتضاح خططها ومع ذلك فهي تسير بخطوات ثابتة نحو هدفها غير عابئة بقانون دولي أو حقوق إنسان!! لترتكب مذبحة أخرى ولنعيش اليوم مذبحة غزة ٢٠٠٨ والتي امتدت لتصبغ بداية عام ٢٠٠٩ بدماء الفلسطينيين الأبرياء.

ومن العجيب أن نسمع من يعترض على استخدام إسرائيل للقنابل الفسفورية لأنها محرمة دولياً!!

وكأن قتلها الأبرياء والنساء والأطفال والمدنيين غير محرم دولياً!!

إن إسرائيل ماضية في تحقيق هدفها الذي خططت له بدقة وحلمها في قيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، ولن تعود فلسطين بالهتافات ولن تعود بالاحتجاجات، وإذا كانت الاحتجاجات مقبولة من كل شعوب الدنيا أمام سفارات أمريكا والدول الغربية تعبيراً عن تعاطفهم مع الحق الفلسطيني ولحث حكومات هذه الدول على الوقوف في وجه الكيان الصهيوني، فليس هذا مقبولاً من قادة العالم، إنما يقبل منهم السعي الصادق نحو اتحاد الكلمة حول القضية بعقول متفتحة بعيداً عن الشقاق وبعيداً عن الشعارات حتى لا يصدق فيهم قول إبراهيم طوقان:[5]

أنتم رجال خطابات منمقة
كما علمنا وأبطال احتجاجات
وقد شبعنا ظهوراً في مظاهرة
مشروعة وسكرنا بالهتافات
ولو أصيب بجرح بعضكم خطأً
فيها إذاً لرتعتم بالحفاوات
يا حكمة الله في سلامتكم
لأنكم غير أهل للشهادات
أضحت فلسطين من غيظ تصيح بكم
خلوا الطريق فلستم من رجالاتي

(٢) صلاح عبد الرحيم، مجلة الأزهر، عدد شهر ربيع الأول ١٤٢٩هـ، مارس ٢٠٠٨م، ص ٤٤٠ وما بعدها
(٣) الأستاذ صلاح عبد الرحيم، المرجع السابق
(٤) المرجع السابق
(٥) إبراهيم طوقان: شاعر [illegible] فلسطيني ولد عام ١٩٠٥ ومات عام ١٩٤١م

إلى متى ستظل سهامهم موجهة ضد مصر؟!

للأستاذ / أحمد تقي الدين

منذ أن بدأ الهجوم الوحشي الإسرائيلي على قطاع غزة – [illegible] قيادة لا تبحث سوى من انتصارات تليفزيونية – منذ ذلك [illegible] وأصابع الاتهام توجه ضد مصر زوراً وبهتاناً.. تارة بأنها شريك لإسرائيل في الهجوم الغادر على قطاع غزة، من منطلق أنها كانت تعلم بموعد الهجوم، وتارة أخرى من منطلق أنها لم تحشد الجيوش لنجدة غزة وشعبها.

وهي اتهامات انطلقت من عواصم عربية عديدة، ومن اتجاهات حزبية داخل مصر للأسف، [illegible] تضحيات جسيمة [illegible] قدمتها مصر [illegible] فلسطين، والتي لم تجرؤ أي دولة عربية على تقديم عشر معشارها، بل وللأسف عندما كانت مصر تهب لتؤدي واجب النجدة كانت تفاجئ بالمؤامرات الدولية تحاك ضدها بمشاركات عربية.

لن نذكر كلاماً مرسلاً بلا دليل، إنما نعرض هنا صفحات قليلة لأوراق رسمية سطرها مناضل عربي كان له شرف القتال في معارك ١٩٤٨ وعرض في مذكراته التي حملت [illegible] فلسطين [illegible] [illegible] الخطوات [illegible] تضحيات [illegible] الجيش المصري في حرب ١٩٤٨ [illegible] من [illegible] عربي غير مسبوق [illegible] [illegible] [illegible] خطورة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجيش المصري [illegible]

تذكرت [illegible] وهو [illegible] العرب في حرب ١٩٤٨، وطبعت طبعته الأولى في القاهرة سنة ١٩٥٩، ويمكن للقارئ الرجوع إليه ليقف على حجم ما قدمته مصر في حرب ١٩٤٨، وما واجهته من جحود [illegible] والسخرية والتشهير [illegible] مشاركة الجيش المصري في حرب ١٩٤٨

يقول المؤلف:

«دخل الجيش المصري فلسطين بقوات بسيطة لا تتناسب وضخامة المهمة الملقاة على عاتقه واتساع الجبهة التي [illegible] وخطورتها. [illegible] هذه القوات قد أبلت بلاء حسنا وأدت الواجب بشجاعة واستطاعت أن تحتل ثلاثة من [illegible] المستعمرات اليهودية في جنوب فلسطين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرئيسي [illegible]

وقد تركت القوات المصرية بعض المستعمرات اليهودية في خطوطها [illegible] وكان [illegible] [illegible] حلال [illegible] المستعمرات كان يتطلب مجهودا كبيرا [illegible] العسكريون في هذه النقطة [illegible] القوات المصرية [illegible] المستعمرات في [illegible] [illegible] هذه الخطة [illegible] أعرف القوة الحقيقية التي كانت بيد القيادة المصرية في الميدان [illegible] في [illegible] الخطة التي وضعت [illegible] [illegible] دون الاشتغال بالمستعمرات التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأساسية».

[illegible] المستعمرات [illegible] المصري [illegible] [illegible] الجيش المصري [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عسكرية [illegible] [illegible] [illegible] الجيش المصري [illegible] [illegible] في فلسطين [illegible] الجيش المصري في الجنوب ووقفت الجيوش العربية بأكملها بالانسحاب دون سبب مفهوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجيش المصري ولكن محاولاته ذهبت أدراج الرياح.

[illegible] اليهودية في جنوب فلسطين يوم ٢٢-١٢-١٩٤٨ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صفوف الجيش المصري اضطر للانسحاب من بعض المواقع»

[illegible] [illegible] الجيش المصري [illegible] القوات اليهودية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الأدوية [illegible] [illegible] [illegible] المصريين في الفالوجة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجيش المصري صفحة [illegible] في تاريخ العسكرية المصرية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] زكريا محيي الدين، واستشهد أبطال عظام في مقدمتهم الشهيد [illegible] أحمد عبد العزيز قائد قوات المتطوعين المصريين.

ولكن [illegible] المصرية في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإطلاق، فالقوات اليهودية [illegible] [illegible] [illegible] والجيش المصري لم يتح له ذلك كما أن الجيوش العربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجيش المصري [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجيش المصري في الفالوجة [illegible] مصر على توقيع الهدنة في رودس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الفالوجة [illegible] [illegible] خرجوا بالفعل تحت إشراف الأمم المتحدة.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجيش المصري في حرب ١٩٤٨ [illegible] [illegible] [illegible]

١ - [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الجيش المصري. فقد تكتلت جميع القوى اليهودية في فلسطين [illegible] الجيش المصري [illegible] الجيوش العربية الأخرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٢ - [illegible] الجيش المصري [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في معركة سنة ٨٦، التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي تسلم القيادة خلفا للواء أحمد علي المواوي.

٣ - [illegible] معركة [illegible] [illegible] [illegible] في ٧ [illegible] ١٩٤٩ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصر واليهود وتوقيعها في ٢٤ فبراير ١٩٤٩. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجيش المصري [illegible] [illegible] الذي وصل لليهود من الغرب.

٤ - [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحكومات العربية وخاصة بريطانيا وأمريكا وكندا.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مصر من تضحيات في حرب ١٩٤٨ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والشجب.. تماما كما يحدث على الساحة الآن..

ترى إلى متى تظل مصر تقاتل ويطير عنها الآخرون؟!

إلى متى تظل مصر تقاتل ويسخر من تضحياتها الآخرون؟!

إلى متى ستظل سهامهم موجهة ضد مصر؟!

الآخرون الذين لم يقدموا لفلسطين سوى.. (يرجى من القارئ إكمال العبارة)

هذا هو عهدنا بعدونا! فماذا ننتظر ياع…



كل ما تفعله إسرائيل الآن ليس جديدا، لقد مارسته وتمرست عليه، وأصبح شيئا عاديا مألوفا بالنسبة لها، بل لقد أصبح سياسة تنتهجها حتى تضمن بقاءها ومبررات وجودها. ولكن نحن الذين نغالط أنفسنا، ونحاول أن نتحايل عبر ذلك، ونجتهد في أن نقنع أنفسنا بحيل أو «بخيار السلام»، لأننا فقط نسنا منتهيا، وياليتنا استوعبنا الدرس منها!

يزورون التاريخ ويسرقون خيراتها!

والقصة يعرفها الجميع، لقد دأب اليهود على اتهام كثير من دول العالم وشعوبه وأفراده بمعاداة السامية، وهو ما يعني التعصب العنصري ضد اليهود، فأوهموا الناس في كل مكان من العالم بذلك، ثم اتخذوا من هذا الإيهام ذريعة للتجمع في أرض فلسطين بوعود غربية، ثم أعلنوا دولتهم بمساعدة من الغرب أيضا تحت مسمى إسرائيل.

هكذا أقاموا دولتهم، ثم عمد شذاذ الآفاق هؤلاء، بل تضوير مدرستهم في التعصب العنصري ضد كل ما هو عربي، وبلدات ...



كل فلسطينيا، وهو تعصب لا يقل عنصرية عن التعصب النازي الهتلري، الذي نفخوا فيه، وألقوا جذوته مشتعلة حتى الآن، ليستثمروه ويحصلوا على ريعه باستمرار، ثم تفوقت عنصريتهم عليه، تحت ما يعرف باسم «الصهيونية» التي لا تعرف الرحمة، وتتجاهل قوانين الإنسانية وأعرافها.

وقد تجسدت هذه النزعة العنصرية البشعة في سلب وطن بأكمله، والعبث بتاريخه، والتهام دونه، وتغيير اسمه جغرافيا، على مرأى ومسمع من العالم أجمع! فقد أقاموا دولتهم على أرض فلسطين العربية، ثم أبادوا من شعبها ما أبادوا، وشردوا منهم من شردوا، ثم يحاولون تصفية ما تبقى من أشلائهم، أو إجبارهم على الرحيل، كما رحل من سبقوهم، ويحاولون الآن تصفية ما تبقى من الشعب الفلسطيني على ما بقي من فتات أرضه، في صور من أبشع ما يمكن أن يتصوره العقل البشري، وعلى مرأى ومسمع من المتشدقين بحقوق الإنسان شرقا وغربا!

أما هدفهم المعلن والخفي فهو إسكات المقاومة وابتلاع الأرض، التي يحاولون – بمساعدة الغرب، وخاصة إمبراطورية الشر أمريكا – أن يلتهموها مع الزمن قطعة قطعة، تماما كما تفعل عوامل التعرية، دون أن يشعر بها أحد، في ظل ما تصطنعه من أجواء موتية، لتحقيق أهدافها وتنفيذ أغراضها.

وهذا الذي تقوم به إسرائيل الآن وتفعله ليس جديدا عليها أو غريبا، فقد قامت به مرارا وتكرارا من قبل إعلان قيامها وحتى الآن، فهي تعمل بكل السبل على تهيئة الأجواء التي عملت

عمى حنقها، وستراتيجية كبيت شيطاني في المنطقة.. في حين تعمد إلى انتهاج العنصرية، التي تتهم بها خصومها، بل ولا تتورع في أن تتهم بها العالم كله في سبيل مصلحتها! أقول في حين أنها تعمد إلى انتهاج العنصرية ضد الشعب الذي نهبت أرضه، وتحاول أن تسلب هويته، وتبيد ما تبقى من سكانه بالمذابح والمجازر، وبسياسة القمع والطرد والنبذ [illegible] الحرمات، وانتزاع الأراضي والدور، [illegible] هذه السلسلة القذرة، من الأساليب البربرية والوحشية في أوائل القرن العشرين!

يقول الكاتب والصحفي الكبير الأستاذ أحمد بهاء الدين - رحمه الله - في أوائل ستينيات القرن الماضي: تقوم إسرائيل الآن «بحركة ابتزاز» فكرية واسعة في العالم أجمع..! إنها تحاول بالأفلام الملونة، وبمعدات السينما سكوب، وبالروايات والمسرحيات وبالكتب العلمية والتاريخية «المتوهمة»، وبالمحاكمات.. [illegible] عقدة الذنب نحو اليهود، تحاول أن تشعر كل فرد وكل دولة وكل [illegible] وكل دين، أنه مسئول عن جزء مما حلَّ باليهود! وفي غمرة هذا «الشعور بالذنب»، الذي تغمر إسرائيل به العالم.. تحاول أن تستخلص الضمانات لإسرائيل، والأموال لإسرائيل، والأعداء للعرب بوصفهم الخصوم الجدد لليهود! في غمرة هذا الشعور بالذنب، الذي تغمر به إسرائيل [illegible] كله تحاول أن تقنع هذا العالم [illegible] بجرم شنيع، وأن يرى في عرضه [illegible] من عيوب شعوب [illegible] من تعويض يقبلونه..."

وفي هذا السياق يذكر الأستاذ العقاد - رحمه الله - أن اليهود هم المسئولون عن اضطهادهم. ومن ناحية أخرى فهم لو ملكوا فإنهم سيكونون أشد الناس اضطهادا لغيرهم (وقد صدق الرجل، فهذا هو الواقع بالفعل الآن). وأن إسرائيل تستدر عطف الأمم تحت دعوى أنها مضطهدة. وحول توجهها العنصري يقول الأستاذ العقاد: الصهيونية مسئولة عن كل فاصل تقيمه بينها وبين أمم الأرض؛ لأنها من قديم الزمن تقسم العالم إلى قسمين متقابلين: قسم إسرائيل وهم صفوة الخلق وأصحاب الحظوة عند الله لغير سبب إلا لأنهم أبناء إسرائيل، وقسم آخر يسمونه قسم الأمم أو الجوييم (Goyim)، ويسمون به جميع [illegible]

ورحم الله العقاد، فكأنه [illegible] [illegible] يفعلونه [illegible] ويشاهدون [illegible] إذ يقول [illegible] لا تعرف [illegible] ومنها استباحة قتل الأطفال والنساء، وإحراق الحرث والنسل، وتدمير المدن بما فيها من مساكن وحصون[2] وهذا ما يفعلونه الآن تماما!

ثم يقول أيضاً: وليست عداوة الأمم داء قديما عفى عليه الزمن كما يقول بعض الدعاة الصهيونيين، فهي باقية على أشدها حتى اليوم، وهي باقية حتى في شعور الصهيونيين نحو المشفقين لهم والقادمين لنصرتهم، وقد ذكر كمشي (Kimche) داعية الصهيونية المشهور أن المحققين هالهم ما وجدوه من شعور المعتقلين بالعداوة نحو المسيحيين في سنة ١٩٤٦، وأن واحدا من اليهود [illegible] الذي يبيح له السفر إلى الولايات المتحدة لأنه لا يطمئن إلى أحد من المسيحيين"[3].

الحل في العبئة المستمرة وإعداد القوة:

يشير القرآن الكريم إلى صفة متأصلة في اليهود، وهي صفة الخوف والجبن، بل إنهم يخافون أعداءهم الذين يرونهم أكثر من خوفهم من الله تعالى جهلاً بقدرته وعظمته تعالى الخافية عليهم، وهذا من نقص الإيمان، حيث جاء في قوله تعالى:

[illegible]

(الحشر: ١٣).

فهم قوم لا يحترمون عهوداً أو مواثيق، وهم لا يعرفون سوى لغة القوة، وعلاج هؤلاء بينه أوضحه الله تعالى، ويتمثل هنا في سياسة التخويف والردع، اتباعا لمنهج الله في قوله جل وعلا:

[illegible]

(الأنفال: ٥٦ - ٦١)

ومنهج الله واضح، وبيانه -جل شأنه- مفهوم، وهو - بالمناسبة - موجه إلى عموم أمة الإسلام، وليس لبلد من بلدانه دون أخرى، فالخطاب عام، ومن ثم فهو متسع لمشاركة الجميع، وتعبير: «ما استطعتم» لا يترك مجالا للتخلف، ولا يدع عذرا لمعتذر، إذ مجال الاستطاعة واسع متنوع يتمثل في العُدد والعتاد، والمال والسلاح، والتدريب والأفراد، إلى غير ذلك مما لا نجهله، ويعرفه جيدا المتخصصون في المجالات العسكرية والدفاعية وغيرها من فنون الردع والحرب والقتال، وعلى ذلك فإن من لا يمتلك من بنودها بندا، فقد امتلك بنودا أخرى، يستطيع من خلالها أن يشارك، ويسد ثغرا أو ثغورا، وفي النهاية نتذكر الآن بعض ما جاء من تراثنا الناصع: «اطلب الموت توهب لك الحياة»، إذ «لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله».

---

(١) [illegible] ومشكلة اليهود، جريدة «أخبار اليوم» القاهرية بتاريخ ٢٤ / ٦ / [illegible]

(٢) [illegible] الهيئة المصرية [illegible] العدد ٢٧ من سلسلة «اخترنا لك»، دار المعارف بمصر، ص ٤٤.

(٣) المصدر السابق، الموضع نفسه.

لمَ هذا الهوان؟ وإلى متى؟



لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

أحداث تجرى ورغم أنها واقع نعيشه يومياً إلا أنه أغرب من الخيال وصعب التصديق. أمة بأسرها محيط من البشر يرى المأساة أمام عينيه لكنها لاهية قد اعتادت على رؤية الكرامة المهدرة ومعاناة البشر وكأنها تقتات المعاناة وتستعذب الهوان.

كيف مع أن الله يقول:

[illegible]

(المنافقون: ٨)

ما هذا الذي نشاهده؟ هل تسرب الإيمان فلم تعد لنا عزة [illegible] العزة للمؤمنين [illegible] حتى [illegible] يكون [illegible] تسرب من القلوب [illegible] ومع أن الله يقول:

[illegible]

(آل عمران: ١٣٩)

فما بالنا حزانى مهانون لا نستطيع العلو، قد استرخينا في بلادة في مستنقع الهوان [illegible]. هل لأننا لسنا مؤمنين أو هي [illegible] بشارة [illegible]. أي وأنتم الأعلون في [illegible]

[illegible] معلق [illegible] ولا تهنوا [illegible] إن صح [illegible] على [illegible] صحة [illegible] وقلة اللامبالاة بأعدائه أو معلق بالأعلون إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة والنصر[1].

[1] [illegible]

وقعت أزمة مالية قبل لنا: إنها عالمية لكني فيما أرى ليست عالمية بل هي شديدة الخصوصية بالكاوبوي الأمريكي، وسار قادتهم [illegible] شياطينهم في بلاد العرب يستجدون [illegible] بالمليارات [illegible] يقدمون [illegible] مساعدة لأزمتهم [illegible] عالمية. [illegible] رئيس وزراء [illegible] لمتطرفى [illegible] وبسرعة [illegible] بالمليارات [illegible] ١٢٩ [illegible] شرط [illegible] وحسب [illegible] طريقة [illegible] وكيف يكون [illegible] وكن [illegible] عن [illegible] للاعتراض [illegible] على قرار مجلس الأمن [illegible] الأمريكي [illegible] قرار عربي من مجلس الأمن [illegible] الهوان [illegible]

[illegible] تذكر [illegible] بل يقولون بوقاحة ما يسمونه مساعدة الاقتصاد لمعنى تجاوز ما سموه الأزمة المالية؟

[illegible] نستجيب لكلام الله سبحانه وتعالى في قوله:

[illegible]

(الأنفال: ٤٦)

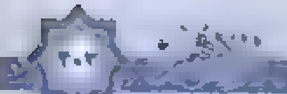
لقد تنازعنا واختلفنا وتفرقنا ومدت خناجر السب والطعن بالخيانة والعمالة وأبسطها الصمت المريب، وبهذا نجحت إسرائيل في كسب المعركة السياسية لضربت الاجتماع العربي في مقتل لتمزق أشلاء وأصبح يطعن بعضه بعضا وأصبح بأسهم بينهم شديدا.

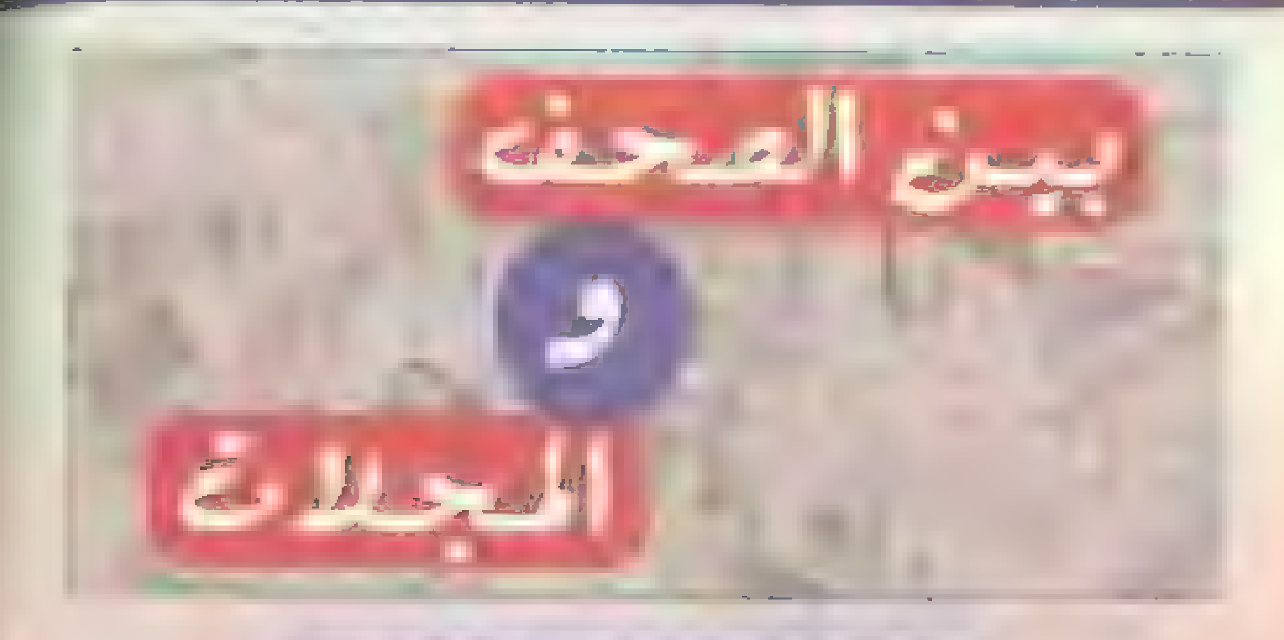
■ سخرية واستخفاف

وفي سخرية مريرة واستخفاف بعقول العرب ومكانتهم بل والعالم كله وخداع ماكر خبيث تصرح وزيرة خارجية إسرائيل: «أنها تقبل قرار مجلس الأمن



لكن إسرائيل لن توقف القتال» فيهما أكثر سماحة من الآخر قرار مجلس الأمن الذي لم يوقف همجية الترسانة العسكرية الإسرائيلية؟ أم كلام وزيرة الخارجية الإسرائيلية التي تزعم أنها قبلت قرار مجلس الأمن؟؟ لكنها لن توقف القتال؟ فأين القبول وأين الرفض، لا، بل أين الوعي العربي التائه الذي لا يدرك الصلف الإسرائيلي المتغطرس؟؟





موقف مصر الداعمة للقضية الفلسطينية لا تقبل التشكيك والمهاترات

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الأهرام فى ٣١ ١٢ ٢٠٠٨م نص الكلمة التى ألقاها الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة العامين الجديدين الهجرى والميلادى. هذا نصها:

الإخوة المواطنون..

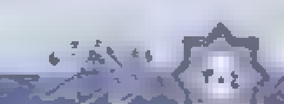
أتحدث إليكم فى بداية عام هجرى وميلادى جديد. أتوجه إليكم جميعا بتهنئتى وتمنياتى.

أتوجه بها للمصريين والمصريات على امتداد محافظات الوطن ولأبناء مصر المغتربين فى الخارج وعائلاتهم.

نقبل على العام الجديد متطلعين لأن يكون عام خير على مصر وشعبها نستقبله وأمامنا تحديات جديدة تطرحها أزمة الاقتصاد العالمى الراهنة وثقتى بقدرتنا على تجاوزها كما تجاوزنا تحديات عديدة من قبل.

نستقبله وإخوتنا فى غزة يتعرضون لعدوان إسرائيلى غاشم يتحمله المتاجرون بالدم الفلسطينى الحجج والذرائع ويتحمل آلامه ومعاناته أبناء فلسطين.

نستقبله مدركين ما تواجهه الساحة الفلسطينية من تشرذم وانقسامات وما تشهده المنطقة



العربية من مزايدات ومحاور ومحاولات للعب الأدوار وبسط النفوذ.

نقول لإسرائيل: إن اعتداءاتها مرفوضة ومدانة. ولابد أن تتوقف على الفور.. نقول لقادتها: إنكم تتحملون مسئولية عدوانكم الوحشى فى حق الفلسطينيين أيا كان ما تتذرعون به من مبررات. ونقول لهم: إن أيديكم الملطخة بالدماء تؤجج مشاعر غضب عارم وتبدد الأمل فى السلام.

نقول للإخوة الفلسطينيين: وحدوا صفوفكم وابدوا خلافاتكم.. نقول لهم: لقد حذرناكم مرارا من أن رفض التهدئة سيدفع إسرائيل لعدوان على غزة. وكذلك لكم أن إعاقة الجهد المصرى لتمديد التهدئة هى دعوة مفتوحة لإسرائيل لهذا العدوان.

نقول لكل من يسعى لتحقيق مكاسب سياسية على حساب شعب فلسطين: إن الدم الفلسطينى ليس رخيصا أو مستباحا. نقول بصوت قوى وواضح: إن مصر تترفع عن الصغائر ولن تسمح لأحد بمحاولة تحقيق مصالحه وبسط نفوذه على حسابها بالمزايدة عليها والمتاجرة بدماء الفلسطينيين. ونقول للجميع: إن موقفنا الداعمة للقضية الفلسطينية لاتقبل التشكيك والمهاترات.

لقد بذلت مصر جهودا مضنية على مدى الستة أشهر الماضية لتثبيت التهدئة فى غزة وسعت - دون كلل - لتمديدها ولتحقيق الوفاق الوطنى الفلسطينى. كما تتابعت قوافل المساعدات المصرية بالغذاء والدواء لأهالى القطاع وتواصلت إمدادات الكهرباء إليهم.

كان موقفنا واضحا منذ اليوم الأول للعدوان الإسرائيلى بعيدا عن الخطب والشعارات. ومضى فى تحرك يسعى لوقف العدوان فورا دون قيد أو شرط يضع إسرائيل أمام مسئوليتها القانونية والسياسية كقوة احتلال ويقف إلى جانب الفلسطينيين فى محنتهم.

لقد قامت مصر منذ بدء الاعتداءات الإسرائيلية بدفع المزيد من مساعدات الإغاثة إلى غزة وستواصل ذلك. كما أننى أصدرت التعليمات بفتح معبر رفح أمام الجرحى ضحايا العدوان الإسرائيلى واستقبالهم بمستشفيات سيناء والإسماعيلية والقاهرة وإحاطتهم بأقصى قدر من الرعاية.

إن رؤية مصر لاحتواء الوضع الخطر الراهن تستهدف وقف العدوان الإسرائيلى بما يتيح العودة للتهدئة حقنا لدماء الشعب الفلسطينى. وإعادة فتح المعابر تخفيفا لمعاناته. سوف تطرح مصر هذه الرؤية خلال الاجتماع المقبل للمجلس الوزارى للجامعة العربية. وستواصل تحركا بدور فاعل ونشط مع الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، ومع أشقائنا العرب وشركائنا الدوليين من أجل تحقيقها.

تأتي هذه الرؤية في سياق رؤية مصرية أشمل للقضية الفلسطينية رؤية ترفض مخطط إسرائيل للفصل بين الضفة والقطاع والتنصل من مسئوليتها عن غزة وتحميل مصر تبعاتها..

إن هذا المخطط يستدعي إلى الذاكرة الترويج منذ الثمانينيات لمقولة (غزة أولاً) بالنسبة للقطاع و(الخيار الأردني) فيما يتصل بالضفة الغربية. إن مصر لن تقع في هذا الفخ الإسرائيلي ولن تشارك في تكريس هذا الفصل بين الضفة والقطاع فهما بالنسبة لنا أراض محتلة تقوم عليها الدولة الفلسطينية المستقلة.

كما أن الوضع القائم في غزة منذ صيف العام الماضي يشهد انقساما فلسطينيا بين السلطة الوطنية وحماس. يفتح الباب أمام إسرائيل للمضي في مخططها لفصل الضفة والقطاع. ونحن في مصر لن نسهم في تكريس هذا الانقسام وهذا الانفصال بفتح معبر رفح في غياب السلطة ومراقبي الاتحاد الأوروبي وبالمخالفة لاتفاق عام ٢٠٠٥. وبرغم ذلك فقد بادرت مصر - ولاتزال - بفتح المعبر أمام الحالات الإنسانية كما بذلت - ولا تزال - جهودا متواصلة مع إسرائيل لفتح باقي المعابر الستة من وإلى القطاع.

إن الوضع القائم في غزة يحمل في طياته مخاطر عديدة وحقائق غائبة تلقي بتداعياتها على الشعب الفلسطيني وقضيته. وأقول بكل الصدق والاقتناع إن الحق في مقاومة الاحتلال حق ثابت ومشروع. ولكن المقاومة تبقى مسئولة أمام شعوبها تحكم لها أو عليها بقدر ما تحققه من مكاسب لقضاياها أو تجلبه من خراب ودمار وإهدار لأرواح الشهداء.

ستواصل مصر وقوفها إلى جانب الشعب الفلسطيني بصدق وتجرد. تعلي مصالحه فوق مصالح الفصائل.. تعي أن قضيته هي إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية وتبذل أقصى الجهد لإنهاء معاناته وتحقيق تطلعاته المشروعة.

الإخوة المواطنون: تستقبل مصر العام الجديد بمجتمع قوي متماسك بمسلميه وأقباطه. بفلاحيه وعماله. بمفكريه ومثقفيه. وطبقته الوسطى ورجال أعماله. وشبابه وشاباته.

نستقبل العام الجديد موقنين بالله واثقين بأنفسنا. مقتنعين أننا على الطريق الصحيح. مدركين ما نواجهه من صعاب وتحديات لا نفرط في التزامنا تجاه شعب فلسطين وقضيته. نقول لقادة إسرائيل: أوقفوا عدوانكم على هذا الشعب كفاكم استخفافا بمقدراته وأرواح أبنائه. **إن الاحتلال مصيره إلى زوال والقضية الفلسطينية أبدا لن تموت.**

ستظل مصر فخرا لأبنائها وسندا لأمتها. تدافع عن أرضها وسيادتها.. تحمي أمنها القومي ولا تنجرف لما يهدده. تضع مصالحها وقضاياها فوق أي اعتبار. تمضي في طريقها بعزم ويقين

نشد الخير لبلدنا وشعبنا. والسلام لمنطقتنا وللعالم.. ونستقبل العام الجديد بثقة وأمل. وكل عام وأنتم بخير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مذبحة غزة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أحمد بهجت في عموده (صندوق الدنيا) بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٩/١/٣م قائلا:

■ تستخدم إسرائيل رصاصا محرما دوليا. وهو رصاص ينفجر في جسم الضحية ويؤدي إلى الموت بعد عذاب شديد.

وقد ذلك استخدم جيش الإسرائيلي في اجتياح لبنان قنابل على شكل لعب أطفال يتناولها الأطفال فتنفجر في وجوههم.

■ مشاهد من غزة

إن فتاة في الحادية عشرة من عمرها تقول لأهل غزة اصبروا وصابروا إن الله مع الصابرين.

إن حماس هذه الفتاة ينتقل إلى أهل غزة ويدفع الدموع في عيونهم وليسوا وحدهم في هذا. إذ يشترك معهم جمهور المحطات الفضائية.

■ الباحث عن أمه

إن طفلا في الخامسة من عمره يستلقي على ظهره ولايستطيع النهوض ولايعرف أين ذهبت أمه. كان دائما مع إخوته الثمانية حين تذكر أنه نسي إحضار «لدب» وهو لعبته الأثيرة عنده. فنهض وخرج من الحجرة التي بات فيها مع إخوته وأمه وأبيه. كان خروجه من الغرفة هو السبب في إنقاذ حياته. لقد نسف قصف الطيران غرفة نومه وأصابه في صدره وغطى جسده بالدم. وهو ينادي أمه ولم يعرف بعد أنها تحولت إلى قطع من اللحم المحترق الممزق.

مجزرة غزة والأحزان المفتوحة تدفع للوفاق الفلسطيني

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبدالله نصار في جريدة الجمهورية الصادرة في ١ / ١ / ٢٠٠٩م يقول:

مجزرة غزة وتداعياتها المفتوحة والعدوان المتواصل على القطاع وإصرار إسرائيل على توسيع عدوانها ضد قطاع غزة والضحايا يتساقطون شهداء وجرحى جددا في كل لحظة تدفع للوفاق الفلسطيني. هل كانت هذه المجزرة يمكن أن تحدث لو كان هناك وفاق واتفاق بين الفصائل الفلسطينية

واحترام الظروف المحيطة بهم وعدم منح هذه الفرصة لإسرائيل لإذلال الشعب الفلسطيني والبطش به.

فالآلة العسكرية الغاشمة الإسرائيلية لا تستأذن أحدا ولا تخطر أحدا بنواياها

وهذه المجزرة تضيف إلى رصيد العدوان الإسرائيلي وسمعته المتضخمة الكثير من الغطرسة والبطش والعدوان غير المبرر حتى لو كانت الذريعة هي الدفاع عن النفس

وكان يجب توقع هذه الكارثة أو المذبحة بعد أن قادت إسرائيل تحركا دوليا على المستوى الدبلوماسي تمهيدا لهذه المذبحة وأنها تدافع عن مواطنيها في جنوب إسرائيل من الصواريخ

أصبحت الكارثة أو المذبحة تدعونا الآن إلى الخروج منها بأسرع ما يمكن لوقف سقوط الضحايا. ووقف العدوان الإسرائيلي الغاشم فورا، والعودة إلى الوفاق الفلسطيني والاتفاق فيما بينهم على سياسة جديدة للتعامل مع إسرائيل سواء كانت للتهدئة أو المقاومة. فهذا حقهم المشروع

والمهم هو وحدة الشعب الفلسطيني وعدم إلقاء المسئولية على الآخرين. ولا يمكن للمظاهرات الغاضبة التي تخرج هنا أو هناك أن تصنع بديلا لهذه العملية الدموية. وإن كانت الاحتجاجات على هذا العدوان تدفع العالم لتذكر القضية الفلسطينية بعد أن غابت بسبب صراعات القادة وزعماء الفصائل.

وإذا اعتقدت إسرائيل أن هذه الاعتداءات ستؤدى إلى تركيع الشعب الفلسطيني وإنهاء القضية الفلسطينية فإنها واهمة؛ لأنها بذلك تدفع الفرقاء والمتناحرين إلى الوفاق والاتفاق على هدف واحد هو مقاومة العدو المشترك للشعب الفلسطيني. ولن تموت القضية الفلسطينية ولن يخضع الشعب الفلسطيني مهما سقط من شهداء وضحايا.

وقد عادت دائرة العنف والاعتداءات وهي حرب إبادة موجهة للشعب الفلسطيني لن يقبلها أحد ويجب وقفها فورا؛ لأن عواقبها وخيمة على المنطقة بأسرها ولم تعد مبادرة السلام العربية لها وجود بعد أن حفرت إسرائيل بهذا العدوان قبرا سحيقا لها.

متى تتوقف إسرائيل عن العدوان؟!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ مجدى [illegible] مقالته المنشورة في جريدة عقيدتي بتاريخ: ٢٠٠٩/١/٦م يقول فيه

«شبعت» و«شبع» العالم من بيانات الشجب والغضب والإدانة لما تفعله إسرائيل.. ليس في غزة وحدها.. وإنما من كل أفعالها وجرائمها السابقة والحالية.. والتي سوف تأتي.. وبالنسبة هي لن

تتوقف عنها إلا في حالة واحدة سوف يأتي الحديث عنها فيما بعد!

.. الغضب لم يعد يجدى.. والبيانات لم تعد تقدم أو تؤخر.. والمساعدات الإنسانية التي يقدمها العرب لن تعيد الضحايا للحياة ولن تضمد جروح البدن والكرامة ولن تمحو مشاعر الرعب والخوف من النساء والأطفال في غزة.

كل مشاعر الغضب وهتافات المتظاهرين وبيانات الشجب والاستنكار لم ولن تردع إسرائيل ولا جيش العدوان الإسرائيلي.. الذي لم يكن جيش للدفاع أبدا.. بل ربما زادت من غروره وجبروته.

كل هذا لم ولن يفيد. سوف تستمر إسرائيل في عدوانها كما أرادت.. ولن تتوقف إلا عندما تريد هي أن تتوقف مادامت ردود الفعل على طول الخط.. ومادامت تستطيع أن تحقق أهدافها دائما.

ألا يدفعنا كل ما سبق لإعادة التفكير فيما نفعل واستعادة أوراق القوة التي كنا نمتلكها في زمن بعيد؟! ألا يدفعنا كل ما سبق للتوقف عن مهاجمة كل منا للآخر والسعي نحو حمله واستعداده من معادلة القوة التي نمتلكها.. والإيمان واليقين بأننا جميعا يجب أن نكون في خندق واحد لأننا جميعا مهددون من نفس العدو؟!

ألا يدفعنا ذلك للتخلي عن عنجهية الشعور بأننا وحدنا الذين نفعل ونقاوم وغيرنا متواطئ عميل أو مستفيد مما يحدث؟!

ألا يدفعنا ذلك للتمسك بحبل الله والاعتصام به أيا كانت مذاهبنا وانتماءاتنا الفكرية والقبلية والعصبية؟!

وقتها فقط سوف تتوقف إسرائيل عن عدوانها علينا وعن إراقة دماء شعوبنا.. ليس هذا فحسب وإنما سوف تتوقف الحروب الدائرة ضدنا سواء من الغرب أو الشرق وسوف يعرف كل من تسول له نفسه الطمع فينا: إننا لسنا لقمة سائغة كما هو الحال اليوم وأن لنا شوكة نستطيع أن نقصم بها ظهر أي معتد.

مصداقية مجلس الأمن سقطت في دماء غزة

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية تقول» كلمة بتاريخ ٥/١/٢٠٠٩م جاء فيها:

تظاهر ملايين البشر في مختلف عواصم العالم مطالبين بوقف المجزرة الإسرائيلية المصوبة ضد أطفال ونساء غزة، مستهدفة إرهاب الشعب الفلسطيني وغيره من الشعوب العربية وتحويلها عن طريق النضال العادل والمشروع من أجل استعادة الأرض المحتلة والحقوق المسلوبة. إلى طريق



الاستكانة والقبول بقشور وليس بأنصافها.

عبرت هذه الملايين عن الضمير الإنساني الذي يرفض وحشية العنصرية الإسرائيلية، ولكن هذا الرفض لم يجد طريقه إلى مجلس الأمن الدولي الذي حولته الولايات المتحدة الأمريكية إلى إدارة خاصة ضمن إدارات البيت الأبيض يحركها الرئيس الأمريكي ويصدر إليها التعليمات بالتحرك الإيجابي إذا تعرضت المصالح الأمريكية والإسرائيلية لأي خطر أو تهديد. وبالوقوف متفرجا عندما تعتدي الآلة العسكرية الأمريكية والإسرائيلية بوحشية وبربرية تخجل من فعلها النازية.

لقد فقد مجلس الأمن مصداقيته بالفعل في قضايا الشعوب مثلما حدث في أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين وأخيرا في غزة وبات على المجتمع الدولي الذي عبرت عنه مظاهرات الشعوب المناهضة للعنصرية والوحشية أن يبحث عن أداة أخرى لحفظ السلام والأمن الدوليين لا تتحكم فيها الولايات المتحدة الأمريكية ولا تمثل أحد أدوات تعليمات البيت الأبيض.

تصفية حساب متأخرة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ حسان حيدر في جريدة الحياة الصادرة في ١ ١ ٢٠٠٩م يقول:

الخطابات النارية المتتالية للسيد نصر الله الأمين العام لـ «حزب الله» منذ بدء العدوان الإسرائيلي على غزة تحاول التغطية على الشعور بالعجز إزاء ما يحصل. فالحزب المكبل بالقرار الدولي ١٧٠١ وبقوات دولية ولبنانية منتشرة على امتداد خط المواجهة الجنوبي لا يستطيع تكرار تجربة عام ٢٠٠٦، عندما ترامى خطف الجنود الإسرائيليين والحرب التي تلته مع مواجهة محتدمة بين إسرائيل وحركة «حماس» وقيل يومها إن الحزب سعى إلى التخفيف عن حماس. فأوقع نفسه وبلده في ورطة أكبر مما كان يتصور. ولهذا يستعيض اليوم بالتصعيد الكلامي لتنفيس احتقان جمهوره وتبرير وقوفه متفرجا.

لكن المعطى الآخر الذي عبرت عنه مرة نصر الله العلنية وتهجمه غير المسبوق على مصر. فيدخل في إطار تجربة تفور غضبه، يتشكل محاولة إلى رفع العتب عن كاهله «تصفية حساب» متأخرة للحرب مع بعض الدول العربية التي يكرر دوما أنها خذلته «حماسته» وتخلت في مغامرته المكلفة. بل بتهمة الغزو ... غضبت من الأمريكيين ... الحرب عليه. علما بأن هذه الدول هي التي حالت بفضل جهودها وضغوطها الدبلوماسية دون توسيع حلقة التدمير الإسرائيلية. وهي

التي بادرت بعد ذلك إلى دعم إعادة الإعمار ومساعدة في تعويض الأضرار والمتضررين.

لكن لماذا مصر بالتحديد؟ الجواب واضح: لأن مصر أكبر دولة عربية عددا وعدة، تقود معسكر الاعتدال وتلعب دورا رئيسيا في منع تعميم النموذج. ولأنها لا تقبل بزج الفلسطينيين في مواجهات غير متكافئة تطيح ما تمكنوا من انتزاعه من اعتراف دولي بحقهم في إقامة دولتهم المستقلة رغم مماطلة إسرائيل وتهربها. ولأنها قادرة على تحصين الموقف العربي وتعقيمه بعيدا عن المزايدات الكلامية والخطابات والشعارات. ولأنها تحترم التزاماتها وتعهداتها الدولية وتحرص على ألا يتحول قطاع غزة إلى منطقة خارجة على القانون الدولي يسهل استهدافها. ولذا تجهد وتعمل من أجل عودة ممثلي الشرعية الفلسطينية إليه، واستمرار ربطه بباقي مناطق السلطة الوطنية.

وفي نفس الموضوع كتب الأستاذ محمد الورقاني في جريدة الأخبار الصادرة في ٣ ١ ٢٠٠٩م مقالا أشاد فيه بموقف سلطنة عمان والسلطان قابوس المنصف لدور مصر الداعم للقضية الفلسطينية فيقول:

واكب اجتماع قمة مجلس التعاون الخليجي تلك الحرب الإسرائيلية الغاشمة على قطاع غزة ما ألقى بظلالها الكثيفة على الاجتماع، وحمل قادة الخليجيين المجتمعين الكثير من المسئولية أمام شعوبهم وشعوب الأمة العربية والإسلامية. وكانت محاولة الإساءة لمصر وتحميلها مسئولية ما يحدث ظاهرة للعيان على جميع المستويات. وهنا وقفت عمان بقيادة السلطان قابوس أمام هذا الافتراء الواضح وأكدت أن مصر هي السند العربي وأن دورها في خدمة القضية الفلسطينية لا يمكن إنكاره. فتحية إلى عمان دولة وشعبا وقائدا.

ونشرت جريدة الجمهورية الصادرة في ٥ ١ ٢٠٠٩م انتقاد د. مالك الشعار مفتي شمال لبنان كلام حسن نصر الله معتبرا أنه يمثل دعوة للفوضى ونحذر من ورائه وأن الشعوب العربية أعقل من الاستجابة لكلام حسن نصر الله الذي لا يزال في «كي جي وان» سياسة ودين الأمس بالنسبة للقضية الفلسطينية التي تحملت مصر مسئوليتها على عاتقها طوال السنوات الماضية ولا تزال.

وأضاف قائلا: إن كلام نصر الله تحريض على الخراب والدمار مما يخدم الغرض الإسرائيلي أكثر من خدمته لمصلحة الفلسطينيين. فحزب الله ليس له أجندة سياسية منظمة تخدم القضية الفلسطينية ولم نسمع منه سوى الشجب والإدانة فقط.



[illegible]

مجلس الأمن يقرر وقف القتال في غزة!!

وافق مجلس الأمن الدولي على مشروع قرار يطالب بوقف القتال في قطاع غزة فورا وبشكل دائم وملزم، وصوت لصالح القرار الذي حمل رقم ١٨٦٠ أربعة عشر عضوا فيما امتنعت أمريكا عن التصويت.

ويشدد القرار على خطورة الوضع في غزة ويدعو إلى وقف فوري ودائم لإطلاق النار على أن يتم التقيد به تقيدا كاملا ويؤدي إلى انسحاب كامل للقوات الإسرائيلية من غزة - كما يدين كل أشكال العنف والإرهاب والأعمال العسكرية ضد المدنيين.

ويدعو الدول الأعضاء إلى تكثيف الجهود لتأمين ترتيبات وضمانات في غزة للحفاظ على وقف لإطلاق النار وهدوء دائمين بما في ذلك منع تهريب الأسلحة والذخائر وتأمين المعابر بموجب اتفاقية ٢٠٠٥ بين السلطة وإسرائيل، ورحب أيضا بالمبادرة المصرية وبالجهود الإقليمية والدولية الأخرى الجارية بشأن الأزمة ويشجع القرار التدابير الملموسة نحو مصالحة فلسطينية. كما دعا إلى تقديم المساعدات الإنسانية إلى كل أنحاء قطاع غزة دون معوقات، وأشاد بالمبادرات الرامية إلى إنشاء وفتح ممرات إنسانية وآليات أخرى لتقديم المساعدة الإنسانية بصورة دائمة، وحث أيضا الدول الأعضاء على دعم الجهود الدولية لتحسين الوضع الإنساني والاقتصادي في غزة، ورغم ذلك فقد رفضت إسرائيل قرار مجلس الأمن وواصلت وحشيتها غير الآدمية على المدنيين والأطفال والنساء.

خبير عسكري فرنسي: [illegible]

وصف الخبير الفرنسي في الشئون العسكرية بروز نيكولاس الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة بأنه محرقة القرن الحديث وذلك لعدم تكافؤ الطرفين إسرائيل وحماس من النواحي العسكرية والتقنية، وكشف أن القوات الجوية الإسرائيلية اعتمدت على طائرات إف ١٦ لما تتمتع به من قدرات خاصة لضرب غزة، مشيرا إلى قدرة الطائرة إف ١٦ على الطيران على ارتفاع منخفض، وذكر أن إسرائيل تمتلك أسلحة نووية تكتيكية، وهي عبارة عن رءوس نووية صغيرة للغاية ذات قوة تدمير محدودة تستخدم عادة في مسرح العمليات، وتم استخدامها في حرب لبنان الأخيرة على حزب الله.

وأوضح أن هناك عدة أنواع من القنابل التكتيكية الأولى «ميني نيوك» وهي قنابل انشطارية تتراوح أعيرتها بين ٠,٠٥ - ٠,٥ كيلو طن وقنابل أخرى تعتمد على التكنولوجيا وتربط بين قدر ضئيل من القنابل الانشطارية وبين تركيز طاقة الصهر في اتجاه إشعاع الجزيئات والإشعاعات جاما على حساب القدرة التدميرية.. وأشار إلى أنه بحسب معلوماته، فإن الرءوس النووية التكتيكية الإسرائيلية تصل قوتها إلى ٢ كيلوطن وأن القوات الإسرائيلية استخدمت يورانيوم مخصبا له تأثير تدميري قوي، ولكن محدود وتنعكس تأثيراته الكيماوية والبيولوجية على البشر.

[illegible]

طالب اتحاد المستهلكين المسلمين [illegible] بمقاطعة منتجات الدول المؤيدة للغارات الإسرائيلية الأخيرة على فلسطين، وذلك تعبيرا عن الشعور



أنباء العالم الإسلامي

مجلس الأمن يقرر وقف القتال في غزة!!

وافق مجلس الأمن الدولي على مشروع قرار يطالب بوقف القتال في قطاع غزة فورا وبشكل دائم وملزم، وصوت لصالح القرار الذي حمل رقم ١٨٦٠ أربعة عشر عضوا فيما امتنعت أمريكا عن التصويت.

ويشدد القرار على خطورة الوضع في غزة ويدعو إلى وقف فوري ودائم لإطلاق النار على أن يتم التقيد به تقيدا كاملا ويؤدي إلى انسحاب كامل للقوات الإسرائيلية من غزة -كما يدين كل أشكال العنف والإرهاب والأعمال العسكرية ضد المدنيين.

ويدعو الدول الأعضاء إلى تكثيف الجهود لتأمين ترتيبات وضمانات في غزة للحفاظ على وقف لإطلاق النار وهدوء دائمين بما في ذلك منع تهريب الأسلحة والذخائر وتأمين المعابر بموجب اتفاقية ٢٠٠٥ بين السلطة وإسرائيل، ورحب أيضا بالمبادرة المصرية وبالجهود الإقليمية والدولية الأخرى الجارية بشأن الأزمة ويشجع القرار التدابير الملموسة نحو مصالحة فلسطينية، كما دعا إلى تقديم المساعدات الإنسانية إلى كل أنحاء قطاع غزة دون معوقات، وأشاد بالمبادرات الرامية إلى إنشاء وفتح ممرات إنسانية وآليات أخرى لتقديم المساعدة الإنسانية بصورة دائمة،وحث أيضا الدول الأعضاء على دعم الجهود الدولية لتحسين الوضع الإنساني والاقتصادي في غزة، ورغم ذلك فقد رفضت إسرائيل قرار مجلس الأمن وواصلت وحشيتها غير الآدمية على المدنيين والأطفال والنساء.

خبير عسكري فرنسي: الحملة العسكرية الإسرائيلية محرقة القرن الحديث

وصف الخبير الفرنسي في الشئون العسكرية بروز نيكولاس الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة بأنه محرقة القرن الحديث وذلك لعدم تكافؤ الطرفين إسرائيل وحماس من النواحي العسكرية والتقنية ،وكشف أن القوات الجوية الإسرائيلية اعتمدت على طائرات إف ١٦ لما تتمتع به من قدرات خاصة لضرب غزة، مشيرا إلى قدرة الطائرة إف ١٦ على الطيران على ارتفاع منخفض، وذكر أن إسرائيل تمتلك أسلحة نووية تكتيكية ،وهي عبارة عن رءوس نووية صغيرة للغاية ذات قوة تدمير محدودة تستخدم عادة في مسرح العمليات، وتم استخدامها في حرب لبنان الأخيرة على حزب الله.



وأوضح أن هناك عدة أنواع من القنابل التكتيكية الأولى «ميني نوك» وهي قنابل انشطارية تتراوح أعيرتها بين ٠,٠٥ - ٠,٥ كيلو طن وقنابل أخرى تعتمد على التكنولوجيا وتربط بين قدر ضئيل من القنابل الانشطارية وبين تركيز طاقة الصهر في اتجاه إشعاع الجزئيات والإشعاعات جاما على حساب القدرة التدميرية.. وأشار إلى أنه بحسب معلوماته، فإن الرءوس النووية التكتيكية الإسرائيلية تصل قوتها إلى ٢ كيلوطن وأن القوات الإسرائيلية استخدمت يورانيوم مخصبا له تأثير تدميري قوي، ولكن محدود وتنعكس تأثيراته الكيماوية والبيولوجية على البشر.

دعوة ماليزية لمقاطعة منتجات الدول المؤيدة للهجمات الإسرائيلية

طالب اتحاد مستهلكين ماليزيين بمقاطعة منتجات الدول المؤيدة للغارات الإسرائيلية الأخيرة على فلسطين، وذلك تعبيرا عن الشعور

للعنف نحو أعمال العنف التي يرتكبها الكيان الصهيوني ضد المسلمين في غزة. وقال مدير الأكاديمية [illegible] إن الأمة الإسلامية تتسامح في كثير من الأحيان وأنها تحترم معتقدات الأمم الأخرى. ولكن عندما يحدث اعتداء على المسلمين فيجب عليهم الدفاع عن شرفهم وحقوقهم. وأكد أنه على كل المسلمين الاحتجاج على هذا العمل البشع. ومن خلال القوة الاستهلاكية يمكننا إعطاء درس لبعض القوى الغربية التي تدعم الاعتداءات على المسلمين في فلسطين.

دمرت أكثر من ١٦ مسجداً
قصف إسرائيل لمساجد غزة يكشف حربها الدينية ضد الإسلام

دمرت قوات الاحتلال الإسرائيلي في حربها الإبادية ضد الشعب الفلسطيني بقطاع غزة أكثر من ١٦ مسجداً، بما يكشف الأبعاد الدينية في حربها ضد الإسلام. فقد قصفت الطائرات الصهيونية مسجد عز الدين القسام في منطقة عبسان الجديدة شرق خان يونس جنوبي قطاع غزة، وأحال القصف المسجد المكون من ثلاثة طوابق كومة من التراب وقصفت الطائرات مسجد الشفاء الواقع خلف مجمع الشفاء الطبي بالقطاع في قلب مخيم النصيرات. ثم قصف المنطقة بالكامل وتدمير المسجد.. وأسفر قصف مسجد إبراهيم المقادمة في بلدة بيت لاهيا عن استشهاد ١٣ مواطناً من المصلين وواصلت إسرائيل حربها على بيوت الله في أنحاء مختلفة من القطاع ودمرت مسجد أبي بكر الصديق ومسجد عماد عقل ومسجد الروضة ومسجدي بدر وبلال في رفح ومساجد النصر وأبي حنيفة وعلي بن أبي طالب والاستقامة والأبرار والعباسي والسرايا.

المؤتمر الإسلامي يدعو المجتمع الدولي لمحاسبة قادة الإرهاب الإسرائيلي

أدان الاجتماع الوزاري الاستثنائي الموسع للجنة التنفيذية لمنظمة المؤتمر الإسلامي العدوان الوحشي الذي تواصل إسرائيل اقترافه ضد أبناء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والذي أودى بحياة المئات من المدنيين ووقوع آلاف الجرحى وخلف دماراً هائلاً في المنازل والمرافق المدنية والبنى التحتية ودور العبادة.

واعتبر البيان الصادر عن الاجتماع هذا العدوان خرقاً فاضحاً للقانون الدولي ويشكل جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. داعياً في الوقت ذاته إلى تقديم المسئولين عن ارتكاب هذه الجرائم إلى العدالة الدولية - وطالب البيان المجتمع الدولي بسرعة التحرك لإنهاء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة ووقف إطلاق النار فوراً والعودة إلى التهدئة ووقف جميع العمليات العدائية.

ودعا المؤتمر جميع الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي أن تتحد دعماً للدعوة لعقد اجتماع للجمعية العامة للأمم المتحدة، ودعا الاجتماع في بيانه الفصائل الفلسطينية إلى نبذ الخلافات وإنهاء الانقسام واستئناف الحوار الوطني فوراً.

علماء الأزهر يدينون العدوان الإسرائيلي

أدان علماء الأزهر العدوان الصهيوني على قطاع غزة مؤكدين أن دم الشهداء والجرحى الفلسطينيين في رقبة كل المسلمين وسيحاسبون عليها يوم الدين.

وطالب العلماء بضرورة أن تتكاتف الأمتان العربية والإسلامية من أجل صد العدوان عن غزة وتخفيف آلام الفلسطينيين الذين تحولوا لشعب من الثكالى.

قال الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب المصري أن ما يحدث في غزة يدمي القلوب ودليل على التمزق العربي والإسلامي، فالعدوان الصهيوني لم يكن ليجرؤ على الاعتداء على إخواننا الفلسطينيين إلا لإدراكه أن فرقتنا ساهمت في إضعافنا.

ولهذا فإن أول خطوة يجب أن نخطوها الآن يجب أن تكون في اتجاه الوحدة والقضاء على الفرقة.

وقال د. محمد الشحات الجندي أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إن العدوان على قطاع غزة يستلزم من المسلمين التوحد والصمود ويجب على الإخوة في فلسطين سواء في الضفة أو غزة أن يوحدوا صفوفهم.

حركة يهودية تهاجم العالم بسبب حصار غزة

أدانت حركة ناطوراي كارتا اليهودية الحصار الذي يتعرض له قطاع غزة على يد الجيش الإسرائيلي واصفة ما يحدث أنه نتيجة فعلية على صمت العالم حيال وجود كيان وهمي ضد المبادئ الإنسانية اسمه إسرائيل.

وشنت ناطوراي كارتا المعروفة برفضها لقيام دولة إسرائيل هجوماً على السياسة الأمريكية والداعمة لوجود إسرائيل وللممارسات العنصرية وغير الإنسانية التي تتخذها ضد الشعب الفلسطيني الأعزل قائلة إن صمت العالم حيال حصار غزة وضربها وتحويلها إلى محرقة للفلسطينيين - هو الذي مكن اليهودية والصهيونية من الانتشار والسيطرة وممارسة كل فنون العنصرية ضد الفلسطينيين.

يذكر أن حركة ناطوراي كارتا هي حركة يهودية مكونة من مجموعة من الحاخامات الذين يؤمنون بأن وجود دولة إسرائيل هو وجود غير شرعي وأن اليهودية ضد إقامة دولة إسرائيل وأن سيطرة الحركة الصهيونية على أذهان العالم يرجع في الأساس إلى عدم قيام العالم بتبني الحركة اليهودية الإصلاحية في نهاية القرن التاسع عشر. وهو ما مكن الحركة الصهيونية من الانتشار على حساب

هزيمة الحركة الإصلاحية التي كانت تنادي باندماج الأقليات اليهودية في المجتمعات التي يعيشون فيها.

العفو الدولية تتهم أمريكا بالانحياز لإسرائيل

نددت منظمة العفو الدولية بانحياز الولايات المتحدة في موقفها من رد إسرائيل الذي وصفته بأنه «غير متكافئ» على قطاع غزة.

ونقل راديو «سوا» الأمريكي عن المنظمة دهشتها لغياب أي جهد لتحسين الوضع الإنساني في غزة.

وعبرت المنظمة - في رسالة موجهة إلى وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس - عن قلقها حيال الأجهزة والتجهيزات العسكرية التي سلمتها الولايات المتحدة لإسرائيل وتستعملها إسرائيل لمهاجمة المناطق المكتظة بالمدنيين حسبما جاء في الرسالة.

ودعت منظمة العفو الدولية الولايات المتحدة إلى تعليق شحناتها من الأسلحة لإسرائيل وإجراء تحقيق فوري حول استعمال الأسلحة وحول عمليات انتهاك حقوق الإنسان.

عكرمة صبري: العدوان على غزة لشغل العالم عن تهويد القدس

أكد الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس السابق أن هدف إسرائيل من العدوان على غزة شغل العالم عن تهويد القدس وهدم بيت المقدس موضحا أن الشعب الفلسطيني لديه رصيد هائل من الصمود والقدرة على تحمل الأزمات.

وأضاف أن المجتمع الدولي والهيئات الدولية والمنظمات لا وجود لها حيث يسودها منطق القوة والنفوذ، وبالتالي فإننا نعول على التجمع العربي والإسلامي لإنهاء الاحتلال ووقف المجازر.

التميمي يدعو لقمة إسلامية عاجلة للدفاع عن القدس والأقصى

دعا الدكتور تيسير التميمي قاضي قضاة فلسطين ورئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي، منظمة المؤتمر الإسلامي إلى عقد قمة إسلامية عاجلة لمواجهة الأخطار المحدقة بالقدس والمسجد الأقصى المبارك.

ودعا التميمي، الأمتين العربية والإسلامية أن يتحركوا على وجه السرعة وأخذ موقف حازم وموحد وجاد لحماية المسجد الأقصى المبارك، مؤكدا وجوب تحمل مسئولياتهم بالدفاع عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى نبينا محمد (ﷺ).

وأكد أن جميع الدلائل والمؤشرات تؤكد على أن حكومة الاحتلال الإسرائيلي تقف وراء الجماعات اليهودية الإرهابية والمتطرفة التي تسعى لتدمير المسجد الأقصى المبارك وتهويد مدينة القدس الشريف، مشيرا إلى أن سلطات الاحتلال تضع ثقلها الرسمي خلف هذه المخططات الإرهابية وتدعمها لتنفيذ عمليات اقتحام ضخمة للمسجد الأقصى المبارك.

وأوضح التميمي أن مدينة القدس تتعرض لهجمة استيطانية شرسة ومؤامرة ضد بنيتها الديموجرافية والجغرافية بهدف طمس معالمها العربية والإسلامية وتهجير أهلها منها قسرا بالتضييق عليهم وهدم بيوتهم ومنعهم من البناء، ومصادرة الأراضي وسحب بطاقات هوياتهم وفرض الضرائب الباهظة عليهم وحرمانهم من الصلاة في المسجد الأقصى وإقامة جدار الضم والتوسع العنصري الذي التهم أكثر من ٨٥٪ من أراضيها. •

بين المجلة والقارئ

يقدمها الأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

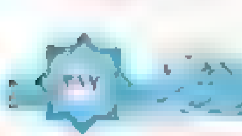
من الأستاذ/ السيد حسين العزازي، وكيل وزارة بالكهرباء والطاقة، كانت هذه الرسالة

■ الإسلام دين أحكمت فيه العقيدة التي جاءت خطابا لعموم الإنسان العاقل وأحكمت فيه الشريعة المنظمة لمبادئ العقل على مستوى الفرد والجماعة واقترنت صحة الاعتقاد على الدوام بالعمل الصالح وقد زكى الإسلام قيم الحق والخير والجمال واستقر في وعي المسلم في الأساس أن الحكمة ضالة المؤمن وأن ما ينفع الناس يمكث في الأرض، والعلم هو روح وعز ما أحرزه الإنسان في تاريخه وبه استطاع أن ينفذ في بعض أقطار السموات والأرض.

• ويقال عن حضارتنا الإسلامية أنها حضارة دينية معادية للعلم أحيانا، وبأنها حضارة اللفظ لا العقل فكل بضاعتها الكلام وفنون القول، وأن غايتها قد تمثلت في التقليد لمناهج سابقة دون أن تطرق مشارف الإبداع وهذا غبن وافتراء فحضارة الإسلام حلقة وصل بين العالم القديم والحديث حيث نقلت المعارف من حضارات سابقة عن طريق الترجمة في مختلف فروع العلم كالرياضيات والفلك والكيمياء والطب وانتقلت إلى الغرب مع ازدياد حركة الفتوحات الإسلامية. وقد امتدت حياة العلم الإسلامي ثمانية قرون منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وحتى القرن العاشر الهجري (السادس عشر ميلادي).

■ وقد ارتبطت الدعوة الإسلامية في روحها بتزكية الملكات الإنسانية بغية تحقيق وعي الإنسان بوجوده. ومولد الإسلام هو مولد العقل الاستدلالي الباحث عن الحقيقة أيا كان مصدرها استنادا إلى حرية الفكر وتقدير المسئولية الشخصية. وقد حفلت آيات الكتاب المبين والأحاديث النبوية الشريفة بالحض على طلب العلم وتفعيل دور العقل، من ذلك قوله تعالى

عنكبوت ٤٣



ومن الأحاديث التي كان لها أثرها في توجيه الحياة العقلية في الإسلام حديث .. «أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال عز وجل: (وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب»[1] وفي ذلك يقول الإمام محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد (ص ١٢٨) (الإسلام أطلق سلطان العقل من كل ما كان قيده، وخلصه من كل تقليد كان استعبده، ورده إلى مملكته يقضي فيها بحكمه وحكمته مع الخضوع في ذلك لله وحده والوقوف عند شريعته ولا حد للعمل في منطقة حدودها ولا نهاية للنظر يمتد تحت بنودها).

■ والعلم ليس مقصوراً على العلوم الدينية الشرعية وحدها وإنما المقصود بالعلم هو مطلق المعرفة الإنسانية على تنوع موضوعاتها ومناهجها العقلية وهو ما أشار إليه الإمام الغزالي والعلامة ابن خلدون، وعلماء الإسلام كانوا على دراية بالتمايز بين الأنساق المعرفية وأدركوا أن العلم الإنساني ليس كله دينيا، ولكن ظلت العلاقة حميمة بين الدين والعلم من منظور القيمة الأخلاقية التي يتحدد في ضوئها مصدر الالتزام أو الالتزام بما ينبغي أن يكون عليه العقل الإنساني واستنادا إلى وعي علماء الإسلام بأن حقائق الدين لا تحقق نطقا أساسيا بنظريات علمية تجيبها إثباتا ونفيا نجد ابن خلدون يتابع ما تقرر عند سلفه فيصادر على جدوى ما نطلق عليه حديثا (أسلمة العلوم) ويتوقف عند مفهوم الطب النبوي مفرقا في ذلك بين ما هو دين وما هو علم.

■ ولقد دعى الإسلام لعقل يراقب فيه الإنسان خالقه في السر والعلن، ولأن العقل الإنساني هو في أساسه علاقة بين الأنا والآخر، وعى المسلم حقا أن الدين النصيحة وأن من دل على خير كفاعله، وأن من حبس علما ألجم يوم القيامة لجاما من نار، وخير الناس أنفعهم للناس إذ الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، وحيث حققت المصالح فثم شرع الله، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. ويبرز دور التكنولوجيا باعتبارها التطبيق العملي للمعرفة العلمية حيث يشهد التاريخ بحسن صنيع العرب والمسلمين وكيف كانوا رواداً لاكتشافات واختراعات شتى في مقدمتها مخرجات الكيمياء واكتشاف الكحول والبارود وعمليات التقطير واستخدام النفط إلى جانب جهود راسخة لتطبيق نظام الحسبة ومراقبة الجودة، ولعل مراجعة فهارس العلماء تبعا لتاريخ العلم من الاكتشافات لا ينكر دور العرب والمسلمين كهمزة وصل ربطت حضارة الشرق بالغرب وأمدت البشرية سراجا وهاجا من علم نافع وعمل رائع في مضمار الحضارة الإنسانية وبما يشهد على أن الإسلام رسالة إخاء ونماء ورخاء البشرية.

■ وإذا كان العمل جهاد فطلب العلم جهاد ومن هذه الملحمة الإيجابية يتحقق السلام والأمان.

(من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)

هذا وبالله التوفيق

(١) شعب الإيمان البيهقي

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور محمود العطار - محافظة كفر الشيخ:

العدل صفة من صفات الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه، وأمر بها عباده، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾

(النحل: ٩٠)

فالعدل هو أساس الدين، وعمران الدنيا، فلا يتوفر الدين ولا يقوم العمران ولا يستقيم حال أمة إلا إذا وجد عدل، يأمن به الخائف، وينتصف به المظلوم، ويطمئن إلى حصانته من ليس له ناصر، ويأوي إلى جانبه كل ضعيف وبائس ومحروم:

[illegible]

(النساء: ٥٨)

والعدل في الإسلام لا يتأثر بحب أو بغض، ولا يكون لفئة دون أخرى، وإنما يتمتع به كل أفراد المجتمع دون تفرقة بسبب الأصل أو الجنس أو المال أو الفوق أو اللون، أو الدين نفسه فعدالة الإسلام تشمل المسلم وغير المسلم:

[illegible]

(المائدة ٨)

ولا شك في أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى على تطبيق العدل في الإسلام، فقد روت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من أشراف قريش من أسرة بني مخزوم سرقت فأهم قريشا هذا الأمر الخطير وأرادوا أن يتدخلوا ويكلموا الرسول صلى الله عليه وسلم في أمرها لعله لا يقطع يدها فتكون معرة العمر لهم، وقالوا من يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتشفع في حد من حدود الله» ثم قام فاختطب فقال: «يا أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» متفق عليه.

وصفة العدل تجعل لصاحبها بين الناس مكانة عالية، ومنزلة رفيعة لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عدل ساعة خير من عبادة ستة»[2] وعلى أساس العدل يقوم المجتمع الصالح المتماسك الذي تتحقق فيه مصالح الأفراد والجماعات فإذا اختفى العدل ظهرت الأهواء والمظالم، وكانت عاقبة المجتمع بكل أفراده وخيمة حيث يكثر الفساد، وتكثر الفتن ويخيم الظلم والفساد والانحراف والتفرقة العنصرية والطائفية ويضيع الأمن والسلام.

(٢) نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية

ويوافينا صديقنا الأستاذ/ فرج مجاهد عبدالوهاب ـ عضو اتحاد كتاب مصر ـ شبين ـ دقهلية بكلمة عن الصحابي الجليل عبدالله بن سلام –رضي الله عنه:

كان عبدالله بن سلام أول يهودي يستقبل الرسول صلى الله عليه وسلم عند وصوله إلى يثرب مهللا ومكبرا.. وكان يزاحم الأنصار للترحيب بالرسول وصاحبه الصديق.

كان ابن سلام يتابع البشارة بالنبي المنتظر في التوراة وكان يستقصي أخباره وأوصافه حتى أن عمته خالدة بنت الحارث نهرته قائلة: لو أنك سمعت أن موسى بن عمران قادم ليثرب لما فعلت أكثر من ذلك

فأجابها: إنه ـ والله ـ أخو موسى وعلى طريقه!

وعندما علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم مهاجر إلى يثرب سارع لاستقباله وكان من أوائل المزاحمين لرؤاه عند وصوله، وعندما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الأنصار والمهاجرين: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» (سنن الترمذي).

فتقدم من النبي معلنا إسلامه قائلا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسمه فأجاب: اسمي الحصين بن سلام. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «بل عبدالله بن سلام» وكان أول يهودي وأسرته يسلمون بالمدينة، ولكنه ظل يكتم إسلامه حتى اجتمع بعض اليهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم: ماترون في الحصين بن سلام؟

فأجابوا: سيدنا وحبرنا وعالمنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا.

فقال: إن أسلم تسلمون.

صاحوا: ما كان ليسلم.. أعاذه الله فخرج إليهم وكان مختبئا في حجرة قائلا يا معشر اليهود أقبلوا على ماتجدونه مكتوبا عندكم في التوراة وأنا حبركم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أؤمن به وأصدقه فصاحوا فيه: والله إنك لشرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا.

ولم يلتفت عبدالله بن سلام بعد ذلك سوى لدينه الجديد وكان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده.

تنويه

يرجى من الاخوة القراء مراعاة الدقة فى تخريج الاحاديث النبوية الشريفة وتحديد المصدر والجزء ورقم الصفحة والطبعة. وسوف يتم استبعاد الرسائل التى لا تلتزم بذلك.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذين: عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

قرارات مجلس مجمع البحوث الإسلامية

١- وافق أعضاء مجمع البحوث الإسلامية في جلسة المجمع المنعقدة في ١/١/٢٠٠٩م على الالتزام بقرار مجمع البحوث والتمسك بما اتفق عليه الجمهور بشأن أسماء الله الحسنى منذ بداية الرسالة حتى اليوم من أن أسماء الله الحسنى توقيفية والالتزام بالتسعة وتسعين اسما متعالنبيلة.

٢- أما بشأن جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٣٠هجرية في موضوع الدراسات التي تناول الوقف عند المسلمين وخدمة الإسلام واللغة العربية والأدب في موضوع الدراسات التي عنيت بالفكر النحوي عند العرب. فقد فتح الباب لمن يريد الترشيح.

٣- هذا وقد وافق الأعضاء على الاستعانة بالكوادر المشهود لها في التدريس ما دامت لديهم القدرة على التدريس.

٤- أما بشأن مصافحة المسلم لغير المسلم، فقد وافق المجلس على أنه ليس هناك نص يمنع من مصافحة المسلم لغير المسلم إلا المحارب كما أن المصافحة لا تفيد التنازل عن أي حق من الحقوق المشروعة للإنسان نحو غيره.

وقد صرح بذلك الأستاذ قاسم محمد قاسم القائم بعمل المدير العام للأمانة الفنية.

كادر المعلمين

صرح فضيلة الأستاذ مهدي شلتوت الأمين العام المساعد لمكتبة الأزهر بأن المكتبة تقوم بالمساهمة في إعداد كادر المعلمين بالأزهر حيث تقوم بعمل التعديلات اللازمة في قاعدة البيانات الخاصة بالمعلمين المتقدمين للاختبارات. كما تقوم المكتبة بمراجعة كافة بيانات المدرسين وكذلك طباعة أسماء المستخدم أو كلمات السر حتى يتمكن المعلم من الدخول على صفحة الإنترنت واستخراج البيانات الخاصة به على موقع الأكاديمية حتى يتسنى للمدرس دخول الامتحان الذي سوف يعقد في الأسبوع الأول من شهر فبراير.

الأمين العام يستقبل وفدا من كوسوفا



التقى فضيلة الشيخ على عبد الباقى شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه بالسيد/ نعيم ترنافى مفتى دولة كوسوفا والوفد المرافق له والمكون من السيد صبرى بيقورا رئيس الأئمة فى الاتحاد الإسلامى، وبحرى سعيتا مدير مدرسة علاء الدين ببرشتينا.

وقد رحب فضيلة الأمين العام بالوفد، معربا عن سعادته الغامرة باستقلال دولة كوسوفا – أحدث الدول المستقلة – عن دولة الصرب خصوصا أن دولة كوسوفا تلعب دورا حيويا فى الحفاظ على الإسلام فى تلك المنطقة البالغة الأهمية فضلا عن أن نسبة المسلمين فى كوسوفا تبلغ ٩٥٪ من عدد سكانها.

وفى معرض حديثه عن دور الأزهر الشريف فى دعم الدول والأقليات الإسلامية فى العالم أكد الأمين العام، أن الأزهر لا يألو جهدا فى تقديم كل أنواع الدعم سواء كان إرسال مدرسين أو وعاظ أو استقدام طلاب أو عقد دورات تدريبية للأئمة فى هذه الدول

ولم يخف الأمين العام سعادته بدور خريجى الأزهر الشريف من مختلف البلدان للمراكز الحيوية الدينية فى بلادهم، الأمر الذى يعكس تقدير تلك الدول لخريجى الأزهر، وقد تركزت المباحثات بين الأمين العام ومفتى كوسوفا حول دعم التعاون بين الأزهر والاتحاد الإسلامى بكوسوفا الذى يرأسه المفتى حيث طلب المفتى التحاق الأئمة الكوسوفيين بالدورات التدريبية التى تنظمها أمانة اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، وكذا إيفاد عالم يجيد قراءة القرآن الكريم بصوت حسن لإمامة المسلمين فى كوسوفا فى شهر رمضان المقبل.

هذا وقد وجه المفتى الدعوة لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أو من ينيبه فضيلته على رأس وفد لزيارة كوسوفا والالتقاء بالمشايخ وطلاب وهيئة التدريس بمدرسة علاء الدين (أقدم المدارس بدولة ألبانيا الكبرى) التى كانت تضم الجبل الأسود ومقدونيا والبوسنة والهرسك وصربيا.

وقد وعد الأمين العام الضيف بالعمل على تلبية كل طلباته، وبدوره قدم مفتى كوسوفا شكره للأزهر وللأمين العام على الاستجابة الفورية لمعادلة شهادة مدرسة علاء الدين بالثانوية الأزهرية بعد تقديم المناهج ومعادلتها من قبل قطاع المعاهد الأزهرية.

كما أعرب المفتى عن جزيل شكره للإمام الأكبر والأمين العام على إعادة إرسال العشر منح دراسية التى كان الأزهر يرسلها لطلاب كوسوفا للدراسة بجامعة الأزهر الشريف وكانت السلطات الصربية تعرقلها، الأمر الذى دفع مفتى كوسوفا لمطالبة الأزهر والخارجية المصرية أن تكون سفارة جمهورية مصر العربية فى تيرانا «ألبانيا» هى الوسيط والراعية لمصالح أهالى كوسوفا نظرا لعدم التمثيل الدبلوماسى المصرى فى برشتينا.

ويستقبل مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

كما التقى فضيلة الأمين العام بالسيد على بن السيد عبد الرحمن الهاشمى مستشار رئيس دولة الإمارات العربية للشئون الدينية والقضائية وعضو مجمع البحوث الإسلامية «من غير مواطنى جمهورية مصر العربية» فى أول زيارة لسماحته للأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية.



تركز الحوار حول أوضاع الأمة الإسلامية وأبدى الطرفان أسفهما الشديد على الأوضاع السيئة التي يعيشها الفلسطينيون في غزة.

وأعرب السيد علي الهاشمي عن سعادته بدور مصر القيادي سواء على الصعيد السياسي الذي لم يدخر جهدا في دعم القضية الفلسطينية بإيصال المساعدات الإغاثية لمواطني غزة أو على الصعيد الدعوي والتعليمي الذي يقوده الأزهر الشريف بكل كفاءة. وأضاف المستشار الهاشمي أنه من منطلق إيمانه بدور مصر في دعم السلام العالمي سيقدم بحثا إلى الأمانة العامة متضمنا جهودها في مختلف الأصعدة.

ويلتقي بعلماء الوعظ

كما التقى فضيلة الأمين العام بمديري العموم بمناطق الوعظ على مستوى جمهورية مصر العربية لبحث سبل الارتقاء بالوعظ وطالب الأمين العام بضرورة الاهتمام ببناء الوعظ بناء يستطيع من خلاله مجابهة كل التحديات التي تواجه الواعظ خصوصا في هذه الآونة، وقد طالب الأمين العام كافة المديرين بالاهتمام بالأمور الفقهية عند الوعاظ حتى يمكن مواجهة الفتاوى الكثيرة وغير المبنية على الأطر الشرعية السليمة والموثقة. حضر اللقاءات الأستاذ إسماعيل أحمد أبو الهيثم مدير المركز الصحفي بمكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة النبوية

صدر كتاب «موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة النبوية» لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ضمن إصدارات سلسلة مجمع البحوث الإسلامية وقد تناول الكتاب في مجمله شرحا وافيا بأسلوب سهل واضح لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من آيات وأحاديث نبوية وأن الذي يتدبر القرآن الكريم يرى فيه استعمال كلمة الفتنة أو مادتها ومشتقاتها في معان شتى وصور متعددة فتارة تكون بمعنى الابتلاء أو الاختبار أو الامتحان وتارة تأتي بمعنى بلبلة الأفكار واضطراب الأفهام وإثارة الخلافات والمنازعات بين الناس بطريقة قد تؤدي إلى نشر العداوة والبغضاء.

موقف المسلم من الفتن



ومن الآيات القرآنية التي وردت بمعانيها الأخيرة قوله تعالى في سورة آل عمران:

[illegible]

(آل عمران:٧)

مع شرح فضيلته لكل الآيات التي وردت في شأن المنافقين وإيذائهم للمسلمين وموقفهم من الإسلام، كما أوضح فضيلته أيضا أن من معاني مادة الفتنة التحذير من الاستماع إلى أقوال الضالين أو الاستجابة لمطالبهم السيئة أو الالتفات إلى مقاصدهم الخبيثة.

وفي كل آية توضح معنى الفتنة دعا القرآن الكريم أتباعه إلى سلوك الصراط المستقيم في عقائدهم وفي عباداتهم وفي أقوالهم وفي أعمالهم ومعاملاتهم، وقد كان الأمر كذلك في السنة النبوية المطهرة وقد أكدت ما أمر به القرآن الكريم وفصلت الحديث عن الفتن فوضحت سنة الله في خلقه وبينت أنواع الفتن وحذرت من المشاركة فيها وأوجبت على كل مسلم ومسلمة الوقوف إلى جانب الحق ونبذ الباطل وبذلك تموت الفتنة في مهدها

وبالأسلوب الشيق الجذاب بين فضيلة الإمام الأكبر في كتابه أشد أنواع الفتن بين المسلمين التي تمزق شملهم وتفرق جمعهم وتجعلهم شيعا وأحزابا بسبب عدم الفهم لأحكام الدين ولتوجيهات القرآن الكريم ولوصايا نبيهم عليه الصلاة وأزكى السلام.

فعليك أيها القارئ تدبر ما ورد في الكتاب من شرح وتفصيل لتنأى بنفسك من شر هذه البلوى وكن من الرجال الذين وفقهم الله تعالى لنصرة الحق وقتل الفتنة في مهدها.

وقد صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلي مدير عام المطبوعات والنشر.

عدول الشباب عن الزواج (السبب و العلاج)

للأستاذ/ محمد عباس محمد عرابي

قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)

إن الزواج من [illegible] حيث [illegible] الناس [illegible] من سنن النبي ﷺ وبه يكون تحصيل النسل وصون النفس من الزنى. قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١). وقال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الأمم يوم القيامة»(٢).

وقد تفشت في مجتمعاتنا مؤخرا عدة ظواهر اجتماعية لها العديد من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع، ومن هذه الظواهر ظاهرة عدول بعض الشباب عن الزواج برغم ما في تعاليم الإسلام ومبادئه التي قررها من الحث والدعوة إلى الزواج، والتحذير من العزوف عنه.

إن بعض الشباب عندهم نظرة نفسية قاتمة ربما يتهيب معها أن يفتح بيتا أو ينشئ أسرة، وأن يكون أبا، وأن يتحمل الأعباء، فيرى أنه أضعف وأقل بدا من أن يقوم بكل هذا، الأمر الذي يجعلنا نتساءل ما أسباب هذه الظاهرة وما علاجها من المنظور الإسلامي؟

من أسباب عدول بعض الشباب عن الزواج:

١ـ المغالاة في المهور:ـ فالعقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت، وتحصين النفوس، فقد أصبحت ظاهرة ارتفاع المهور التي وصلت إلى حد الخيال، عُرفا متبعا وعادة محكمة، وأصبح الناس لا يميزون بين الضروريات والكماليات، حيث حفلات الزواج باهظة التكاليف، وكذلك الأثاث والأجهزة والمفروشات والحلي والسكن.. إلخ، وصار الناس في طلب هذه الأشياء سواء الغني والفقير، وفي هذا تضييق على الناس حتى وصل الأمر بالفقير إلى أن يعجز عن أن يتقدم لامرأة ذات مستوى مماثل، وجد فيها عفة وصلاحا، وإن حدث هذا كان مثارا للسخرية.

٢ـ ضعف التربية الإيمانية عند الشباب:ـ وذلك لانشغال الآباء عن الأبناء وانسياق الشباب وراء الإباحية والتقليد الأعمى للغرب، فليس غريبا مع ضعف الإيمان أن نجد عزوفا كبيرا وإعراضا عن الزواج، برغم أن الإسلام حذرنا من الوقوع في براثن الفاحشة يقول الله – عز وجل –:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأعراف: ٣٣)

العلاج:ـ

مع تطور المشكلة بتطور المدنية، وضعف التربية الإيمانية، وكثرة المهور والمغالاة فيها، والتكاثر في أثاث المنزل، مع كل هذا، فقد وضع الإسلام ما فيه علاج لتلك الظاهرة، ويتمثل هذا العلاج فيما يلي:ـ

- ربط الشباب بالعقيدة الإسلامية، وتربيته على مراقبة الله في السر والعلن:

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧)

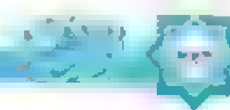
والمداومة على الفروض والمواظبة على تلاوة القرآن:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨)

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١)

والتعود على صيام المطلوب والتطوع والاستماع إلى أخبار السلف والصحابة كما يقول

(١) أخرجه البخاري (٢) كشف الخفا



الرسول ﷺ : «أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم»[3]، والارتباط بالرفقة الصالحة بذا يقوى الوازع الديني عند الشباب، ويتجنب مواطن الفساد، ويبتعد عن الفاحشة، ويصل إلى قمة العفة والتسامي.

■ تيسير سبل الزواج بعدم المغالاة في المهور، وضبط المقدمات، لأن المغالاة في المهور معول هدم يقضي على رغبات الكثيرين من أهل العفة الراغبين في الزواج، وهو في الوقت نفسه دعوى باطلة تساعد على ضياع قسط كبير من أعمار الشباب بدون تحقيق سنة الإسلام، بل قد تكون سببا من أسباب انتشار الرذيلة والفوضى الأخلاقية، التي تهدد المجتمع بالتصدع والانهيار، ولامبرر لها إلا تفاخر بعض الأسر.

إن نظرة الإسلام إلى الزواج نظرة دقيقة حكيمة، ترى أن الزواج رابطة وثيقة وميثاق غليظ، لا ينهض إلا على أساس من الدين والخلق، لا على كثرة المال والجاه والمنصب والتكاثر والتفاخر، وفي يُسر الإسلام وسهولة تعاليمه، ما يحل مشكلة التوقف عن الزواج، لأنه لم يشترط على غير القادر إلا ما يستطيع أن يؤديه، حتى ولو كان أبسط شيء، ولو كان خاتما من حديد، كما أخبر النبي ﷺ أو بما معه من القرآن الكريم، كما كان عليه السلف الصالح، فالإسلام لاتكلف فيه ولا عُسر ولامشقة، بل إن تعاليم الإسلام تقضي تماما على مشكلة المغالاة في المهور، ومشكلة التفاخر والتكاثر في إجراءات الزواج وأثاثه، لتفتح الباب أمام راغبي الزواج وطلاب العفة، ليكونوا أسرا طاهرة كريمة أساسها الإسلام.

وحتى لا يتفاخر البعض بكثرة الصداق، وحتى لا يتكاثر الناس فيه ويغالوا في مقداره، نجد الرسول ﷺ بيّن أن خيره أيسره فيقول ﷺ : «خير الصداق أيسره»[4]، وكذلك حتى لا يتفاخر الناس في إجراءات الزواج والاحتفال به، والمغالاة في الأثاث والتكاليف التي تثقل كاهل الرجل، بين أيضا أن أعظمه أيسره مؤونة يقول ﷺ : «إن أعظم الزواج بركة أيسره مؤونة»[5]، وكان عمر (رضي الله عنه) ينهى عن المغالاة في المهور ويقول: ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم، وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين، وليس معنى هذا أن الإسلام يدعو إلى أن يكون حق المرأة في الصداق قليلا، بل إنه يكره تلك المغالاة التي حادت عن الجادة، وأصبحت عقبة أمام الزواج «أما إذا توفر المال، وكان الراغب في الزواج ذا يسر وغنى فإن الإسلام يجيز كثرة المهر».

الكفاءة في النكاح:

وقد اتفق العلماء والفقهاء على بعض الضوابط التي يجب مراعاتها في النكاح حتى تستقيم الحياة الزوجية وتدوم، والمقصود بها أن يكون الزوج مساويا للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وغير ذلك، حتى تتحقق بينهما المودة والرضا والتفاهم، وهذا حق من حقوق المرأة جعله الله صونا لها، ولقدرها واعتبارها أن يمتهنا.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «تخيروا لنطفكم، فأنكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»[6].

أخرج النسائي عن عائشة رضي الله عنها أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء.

ومن هنا فإن الكفاءة شرط للزوم النكاح، وهناك خصال الكفاءة التي وردت في كتب الفقه واتفق عليها العلماء نذكر منها :

١- النسب : فلا تزوج ذات النسب الرفيع ممن هو دونها نسبا .

٢-المال أو اليسار وهو القدرة على مهر المثل والنفقة، فمن كان لايملك المهر والنفقة أو أحدهما فهو غير كفء لها، لأن النفقة قوام الحياة الزوجية ودوامها فلابد من ذلك .

٣- الدين ويراد به التقوى والصلاح، فإن غير ذي التقوى والصلاح والفضل والاستقامة ليس كفؤا لمرأة التقية ذات الدين والورع . قال تعالى :

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾
(السجدة: ١٨)

٤- وقال رسول الله ﷺ : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[7]، وقال رسول الله ﷺ : «تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[8].

٥- الحرفة أو الصنعة، فإن المرأة من ذوات المروءات والشرف لايكافئها من كان ذا حرفة أو صنعة مهنية كالدباغ والزبال ونحوهما .

٦- السلامة من العيوب، وذلك كالجنون والجذام والبرص والجب والعنة. فإن امرأة لا يكافئها من أصيب بشيء من هذه العيوب.

■ وصية للشباب، ألا يعدلوا عن الزواج انتظارا لمزيد من الغنى واليسر، بل عليهم أن يقدموا على الزواج، متوكلين على الله فإن الزواج نفسه كثيرا ما يكون السبب في إصلاح أحوال الإنسان، بل لا تدري نفس ما هو المقدر لها ولغيرها في المستقبل، وعلى الإنسان ألا يعوّل كثيرًا على ما يملكه بل يثق في فضل الله وسعته، وأنه يبسط الرزق ويقدره على ما تقتضيه مشيئته وحكمته، ويجب أن يحرص الشباب عند اختيار الزوجة أن يطبق ما وضعه الإسلام من ضوابط لهذا الاختيار نذكر منها :

١- أن تكون ذات دين لأن الدين هو الحل الأمثل

---

(٣) كشف الخفاء ج[illegible]   (٤) رواه أبو داود في سننه   (٥) البيهقي في شعب الإيمان

(٦) سنن ابن ماجه   (٧) سنن الترمذي   (٨) البخاري

للوقاية من المشكلات وكما قال الرسول ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري).

٢- وليس معنى ذلك إهمال الجوانب الأخرى من جمال خلقة وحسن منظر، واعتدال قوام، وحسب، ومنصب، ومال، ونحو ذلك؛ فإن هذه المؤهلات معتبرة أيضا؛ لأن الجمال يساعد على تحقيق مقصود الزواج الأسمى وهو العفاف، كما أن الحديث الشريف يوحي بهذا: «إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» (سنن أبو داود)، وإن كان السرور يمكن أن يكون معنويا بحسن خلقها وطاعتها، إلا أنه أيضا يكون حسيا، راجعا إلى جمالها وحسن منظرها، كما أن الحسب والنسب له اعتبار في الاختيار لأن عوامل الوراثة التي يشير إليها العلم الحديث، والدراسات الطبيعية، تؤكد تبع الأبناء وتأثرهم في تكوينهم الجسمي والنفسي بما في الآباء والأمهات من خصائص، ومن هنا يسبق الإسلام هذه الدراسات وينبه إلى ضرورة التأني وحسن الاختيار.

أما هؤلاء الذين لا يجدون مؤن النكاح ومتطلباته، ولا تتوافر لديهم مقوماته، ويعجز المجتمع عن تزويجهم أو مساعدتهم، فعليهم أن يعملوا حتى يستطيعوا توفير مؤن الزواج، فالإسلام يطلب منا ذلك ويحثنا عليه:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (التوبة: ١٠٥)

كما أن رسول الله ﷺ يأمرهم بالاجتهاد في طلب العفة وكسر حدة الشهوة بالصوم، حتى يبدل الله عسرهم يسرا، ويغنيهم من فضله فيتمكنوا من إعفاف أنفسهم بالطريق الطبيعي، وهو الزواج، ومن الطرق العملية المجربة هنا في قمع الشهوة، إفراغ الطاقة الجسدية في أنواع الرياضات والفروسية وبالإضافة إلى الحيلولة دون تكوين هذه الشهوات أصلا بالصوم، وهو ما يشير إليه حديث رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

ومن ذلك أيضا: التفكر والانشغال بالأمور العقلية الكبرى، فقد روى عن عكرمة في قوله تعالى:

﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا﴾ (النور: ٣٣)

هو الرجل يرى المرأة، فكأنه يشتهي، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها، وليقضي حاجته منها، وإن لم يكن له امرأة، فلينظر في ملكوت السماوات والأرض حتى يغنيه الله.

■ المراجع:

- ابن كثير (تفسير القرآن الكريم).
- البخارى - مسلم - فتح البارى
- مسند أحمد - ابن ماجه - الترمذى
- كشف الخفا - أ.د/ أحمد عمر هاشم (التشريع الإسلامى).
- أ.د/ محمد نبيل غنايم (من فقه الأسرة فى الإسلام).
- فقه الكتاب والسنة ج ٢.

نرجو من السادة القراء إرسال مساهمتهم بالمسابقة تحت عنوان «مسابقة الشباب» وإرفاق صورة بطاقة الرقم القومي والعنوان بشكل واضح مع رقم التليفون وعلى الأستاذ محمد عباس الاتصال بإدارة المجلة لصرف مكافأته



أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ/ أحمد توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر فى ملتقى العلماء بمكة المكرمة

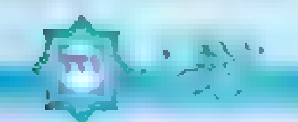
عاد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر إلى أرض الوطن مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٠/١/٢٠٠٩م عائدا من المملكة العربية السعودية بعد حضور الدورة الثامنة للمجلس التنفيذى للملتقى العالمى للعلماء والمفكرين المسلمين الذى عقد فى مكة المكرمة تحت إدارة رابطة العالم الإسلامى فى الفترة من ٢٥ و٢٦ من المحرم سنة ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠ و٢١ من يناير سنة ٢٠٠٩م.

وتأتى هذه الدورة بدعوة من سمو الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية لمشاركة فضيلة الإمام فى جلسات الدورة الحالية والاحتفال بمنح الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام هذا العام.

حفل ختام الدورة التدريبية الحديثة والتأهيل للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وحضور فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر الشريف تم حفل ختام الدورة التدريبية الحديثة والتأهيل للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى يوم الثلاثاء الموافق ٢٣/١٢/٢٠٠٨م بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف لعدد ١٨ إماما وواعظا من دول: «السودان - اليمن - توجو - نيبال - المالديف - سنغافورة - كمبوديا» في الفترة من ١/١٠/٢٠٠٨م ولمدة ثلاثة شهور.

وقد تلقوا خلالها علوم اللغة العربية والشريعة والفقه على يد نخبة من علماء الأزهر الشريف وقد ألقى فضيلة وكيل الأزهر كلمة أوضح فيها أن هذه الدورات ذات فائدة عظيمة



تجمعنا على طاعة الله. نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض. نتناقش في أمور الدين والدنيا، ونتحاور في العقائد والمعاملات. فرسالتنا كدعاة هي الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة. نبين للناس وجه الإسلام السمح الذي يأمر أتباعه أن ييسروا ولا يهدموا، يعمروا ولا يخربوا، يصلحوا ولا يفسدوا، ويعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم وينشروا مبادئ الإسلام السمحة بين الناس. ويدافعوا عن الحق ويقفوا في وجه الباطل. فوظيفتنا أن نبين ما هو حق وندعو إليه ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه. ونوضح بأن الإسلام دين يبعد تماما عن الإرهاب الذي هو عدوان على الأنفس والأموال. فيجب أن نجتنب الباطل ونبين ما هو حق ونتعاون لخدمة ديننا وأمتنا بأن نكون قدوة في مكارم الأخلاق وإحقاق الحق وإبطال الباطل. وأن الإسلام يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام. كما أكد فضيلة وكيل الأزهر على أن تلك اللقاءات تصقل العقول وتضيء طريقا وتزيل المشكوك من النفوس وتجعل على بصيرة من أمرنا. حيث تشتمل على النصوص الشرعية والأصول الفقهية والحقائق العلمية والحوارات الموضوعية والتجارب الواقعية التي لا يستغني عنها أي داعية يدعو إلى الله على بصيرة. ونحن دائما نقول لأبنائنا وإخوتنا: عليكم أن تفهموا الإسلام فهما سليما حتى يسود الأمة الأمان والرخاء والثقة بين أبنائها من حاكمين ومحكومين.

وفي نهاية كلمته دعا فضيلة وكيل الأزهر للخريجين بدوام السداد والتوفيق في عملهم.

كما أعطى فضيلته إشارة البدء للدورة رقم ٨٢ لعدد ٢١ إماما وواعظا من دول «السودان، سيراليون، غينيا، الصومال، الهند، نيجيريا» والتي تم انعقادها اعتبارا من ١ / ١ / ٢٠٠٩ ولمدة ثلاثة أشهر.

وفي نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر مصحف الأزهر الشريف هدية للضيف.

الإمام الاكبر يلتقي برؤساء المناطق الأزهرية

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي — شيخ الأزهر الشريف عقد اللقاء الموسع برؤساء الإدارات المركزية ومديري عموم المناطق الأزهرية والمفتشين بمصيرة التعليم بالمعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية وذلك صباح يوم الأحد الموافق ٤ / ١ / ٢٠٠٩م بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف.

- وقد تمت مناقشة الترتيبات الخاصة التي أعدتها المناطق الأزهرية لامتحانات النقل في الفصل الدراسي الأول ٢٠٠٨/٢٠٠٩.

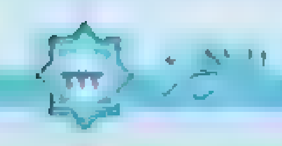


- وكذلك الاطلاع على الترتيبات التي وضعتها المناطق فيما يخص مقار لجان الامتحانات وتوفير متطلباتها اللازمة من المدرسين بمراكز التوزيع والتصحيح من الموجهين الشرعيين والثقافيين ممن لديهم خبرة في أعمال الامتحانات.
- والوقوف على ما اتخذته المناطق من ترتيبات تتعلق بهذه المراكز وتأمينها بكل الاحتياطات التي تضمن الحفاظ على الأسئلة والوسيلة التي يتم بها توزيعها على اللجان الواقعة في دائرة اختصاص كل مركز. وشدد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة أن تكون الامتحانات نقية ونظيفة وبعيدة عن السلبيات لا يوجد بها غش ولا تسيب وأن تتسم بالعدالة والرحمة مع الحزم الذي يقصد به عدم تجاوز الحدود.
- كما تم التأكيد على وضع الترتيبات التي تضمن لهذه المراكز أن تؤدي واجبها على الوجه الأكمل مع التأكيد على ما يناط بها من أعباء ومسئوليات.
- وكذلك التأكيد على المناطق بأن تضع في اعتبارها اختيار أكفأ العناصر وأكثرها أمانة ودقة للعمل باللجان ومراكز توزيع الأسئلة ومراكز التصحيح وتجنب كل العناصر التي ترتبط بالطلاب بصلة قرابة.
- مع وضع المناطق أمام مسئولياتها في متابعة سير أعمال الامتحانات وتأمين مقارها وتكثيف الإشراف عليها وإخطار قطاع المعاهد بما يطرأ عليها من سلبيات أو معوقات في حينه.

ويستقبل وزير الزراعة والشئون الاجتماعية بفلسطين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمكتبه يوم الخميس الموافق ١٥ / ١ / ٢٠٠٩م السيد محمود الهباش — وزير الزراعة والشئون الاجتماعية بفلسطين — والذي نقل تحيات الرئيس الفلسطيني محمود عباس أبو مازن لفضيلة الإمام الأكبر وللحكومة وشعب مصر وخاصة لما يقوم به الرئيس محمد حسني مبارك من مساع لحقن الدماء ووقف الحرب والقتال وما تقوم به حكومة مصر والهلال الأحمر من جهد كبير للشعب الفلسطيني. وهو أمر غير مستغرب على مصر التي لم تقصر أبدا في أداء الواجب وتقدم دائما كل غال للقضية الفلسطينية.

وتطرق الحوار حول ما يحدث في الأراضي الفلسطينية وما يتعرض له أبناء الشعب الفلسطيني من جراء القتل اليومي للأطفال والشيوخ والنساء العزل وخاصة في غزة.



كما حث فضيلة الإمام الأكبر الفصائل الفلسطينية على التوحد وجمع الشمل للتصدي للعدو الإسرائيلي لمقررات من تحسين، كما أن المصلحة العامة تحتم علينا نبذ الخلافات الجانبية من أجل مصلحة فلسطين وغزة. وطلب في دعواته إلى الله أن يكون الفرج قريبًا بحركة المصالحة بين أبناء فلسطين. كما تضرع إلى الله أن يبعد هذا البلاء وأن يوحدهم ويبعد عنهم الفرقة والشتات.

وفي نهاية اللقاء نقل شيخ الأزهر تحياته وتحيات الشعب المصري حكومة وشعبًا للرئيس أبو مازن في التصدي بكل حكمة للعدوان الذي يتعرضون له.

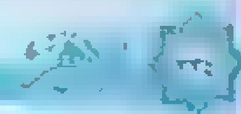
الإمام الأكبر يستقبل مفتي دمشق ومدير معهد الفتح الإسلامي بدمشق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الخميس ١/١/٢٠٠٩م الأستاذ الدكتور عبد الفتاح البزم مفتي دمشق ومدير معهد الفتح الإسلامي بدمشق والسيد الدكتور حسام الدين فرفور نائب المشرف العام على مجمع الفتح الإسلامي - ورافقهما الأستاذ أسامة النجار - من رجال الأعمال.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور في الأزهر الشريف وقدم فضيلته شرحًا مبسطًا عن نظام التعليم المختلفة في الأزهر الشريف الذي تمتاز الدراسة فيه بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة، وأن معاهد الأزهر منتشرة في جميع أنحاء الجمهورية والدراسة للبنين والفتيات على حد سواء.

ومن جانبه أعرب فضيلة مفتي دمشق مدير معهد الفتح بدمشق بأن الدراسة بالمعهد تقوم على نسق مناهج الأزهر منذ عام ١٩٦٦. وأن الهدف من هذه الزيارة هو الاسترشاد والوقوف على آخر المناهج الدراسية بالأزهر في المرحلتين الإعدادية والثانوية. حيث إن للأزهر دورًا تعليميًا مستنيرًا قائمًا على الكتاب والسنة وهو قبلة العلماء ومرجعهم الديني والعلمي وهو الحصن الشامخ للأمة.

ثم رغب الحضور في زيارة فضيلة الإمام للمعهد بدمشق والذي ينتهج منهج الأزهر والذي تخرج منه العديد وأكملوا دراستهم بجامعة الأزهر.



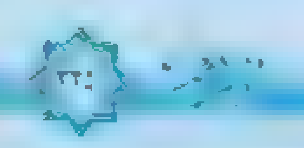
فيلم تسجيلي عن مشيخة الأزهر بمعرض القاهرة الدولي

ضمن فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب والذي بدأ في ٢١/١/٢٠٠٩م ويشارك فيه الأزهر الشريف لأول مرة هذا العام تحت إشراف فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسيد الأستاذ مهدي شحاتة رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف. حيث يعرض الأزهر الشريف خلال فترة المعرض إلى جانب الكتب فيلمًا تسجيليًا عن مشيخة الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية وجامعة الأزهر ومكتبة الأزهر العريقة. ويتضمن الفيلم نشأة وتطور الأزهر الشريف منذ ألف وثلاثمائة عام مضت وحتى الآن. ويوضح هذا الفيلم أيضًا نشأة وتطور مجمع البحوث الإسلامية ومهمته في تثقيف وتدريب الدارسين من شتى بقاع الأرض ليكونوا رسلًا للأزهر يعودون بما تعلموه إلى ذويهم عن صورة الإسلام الصحيحة المبنية على السماحة والاعتدال والوسطية البعيدة عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة. ويوضح الفيلم أيضًا تطور جامعة الأزهر التي كانت تتمثل في الجامع الأزهر وأروقته منذ أكثر من ألف عام حتى أصبحت على صورتها الحالية وهي تعتبر من أقدم وأعرق الجامعات في العالم. كما يبين الفيلم نشأة وتطور مكتبة الأزهر الشريف التي شهدتها في الأعوام الماضية حتى أصبحت مكتبة الأزهر الآن من أعرق مكتبات العالم. حيث تضم مخطوطات يرجع تاريخها إلى ما يقرب من ألف عام وما تضمه من كتب ومراجع علمية تحتوي في مضمونها العلوم الدينية والشرعية وعلوم اللغة والمخطوطات النادرة التي تعين الدارسين والباحثين في دراستهم. ويوضح الفيلم أيضًا الطرق الحديثة والتقنية في ترميم تلك المخطوطات من التراث القديم الموجودة في المكتبة التي تشكل تراثًا عظيمًا وثروة قومية كما تضم المكتبة أيضًا معملًا حديثًا للمكفوفين للاطلاع فيها بطريقة (برايل).

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر على أن تكون أسعار الكتب المعروضة مخفضة لتكون في متناول الجميع.

عماد الدين عبد الخالق رئيسًا لقطاع مكتب شيخ الأزهر

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف قرارًا بالإسناد إلى السيد عماد الدين عبد الخالق رئيس ... الأمين المساعد للشئون المالية للقيام بعمل وظيفة رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر اعتبارًا من يوم ٢٩/١٢/٢٠٠٨م.



him) caused some of them to leave the Arabian Peninsula and killed others till Allah purified the Islamic land from their dirt.

Allah's promise usually takes place

Other explainers said that the first corruption to which the holy verses referred is the one that happened at the days of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). The second one occurs since 1917 till now, and no one but Allah knows the time of its end. However, it is emphasized that it will come to an end, as the holy verses reveal

{Then, when the promise of the Hereafter comes, (other bondmen of Ours) are to deface you and to enter the Mosque, as they entered it the first time, and to annihilate utterly whatever they got exalted over.}
[Al-Israa (The Night Journey): 7]

The supporters of this opinion recline on the continuous supplies including money, weapons and trained men from the West led by the USA, in addition to the votes they collect in the international conferences. The supporters of this opinion see this emphasizing the saying of Allah, Glory be to him:

{Thereafter We turned back (to you) to recur (prevailing) against them, and We supplied you with riches and sons and made you of more manpower (in battle).}
[Al-Israa (The Night Journey): 6]

The following is the holy verse that will rise over their heads till the Day of Judgment and assures that they will face the same destiny every time they resort to corruption:

{It may be that your Lord will have mercy on you; and in case you go back, We will go back; and We have made Hell a place of detention for the disbelievers."}
[Al-Israa (The Night Journey): 8]

Also, the saying of Allah, Glory be to Him:

{And a smiter will cease afflicting the ones who have disbelieved for what they have worked, or it alights near their residence until the promise of Allah comes up to them. Surely Allah does not fail His promised appointment.}
[Ar-Ra`d (The Thunder): 31]

Nothing is more frank than the following verse that reveals the exemplary punishment and disgrace that they will encounter:

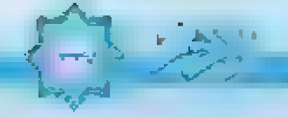
{And as your Lord has notified that indeed He will definitely send forth against them, to the Day of the Resurrection, ones who would mark them for an odious torment. Surely your Lord is indeed swift in punishment, and surely He is indeed Ever-Forgiving, Ever-Merciful.}
[Al-A`raf (The Battlement): 167]

Jewish legal opinion permitting murdering the children

The Jews' spoilage and corruption increased to the extent refused by all of the religions and heavenly and earthly laws, in a way that deserves strong punishment, which will afflict them in the near or far future, as Allah wills. This will take place after the unification of the Muslims' words and rows, directing their materialistic, human and scientific capabilities to attain great victory and to liberalize Jerusalem and Palestine. This day will come by Allah's will

The Jews' tyranny increased to the extent that they frankly announce that they are the killers of children without shyness or deterrent. "Juristic American organization concerned with the children rights accused the Israeli troops of killing the Palestinian children according to an official organized plan aiming to get rid of them before growing up and forming an Islamic resistance in Palestine. At that time, Israel will kill them, but they prefer to kill them as children.

The Zionists confessed this plan, and the head of the Israeli general staff declared that teh military leadership gained an official Jewish religion opinion from the head of the Israeli rabbi permitting the bombing the Palestinian houses and schools in which the Palestinian children exist. It is not sinful at all, as long as it is for the sake of the Israeli people and nation.



Victory and Jerusalem recovery are inevitable...!

By the Honorable SheikhSeddiq Bakr Aitah

Allah, Glory be to him, said in Al-Israa Surah:

{And We decreed for Seeds of Israel in the Book: "Indeed you will definitely corrupt in the earth twice, and indeed you will definitely (become) exalted a great exaltation. Then, when the promise of the first of the two came, We cause to rise against you bondmen of Ours endowed with strict violence, and they went (ravaging) amidist (your residences; and it was a promise performed. Thereafter We turned back to you to recur (prevailing against them), and We supplied you with riches and sons and made you of more manpower (in battle). In case you do fair (deeds), you do (fair deeds) for yourselves; and in case you do odious deeds, they are against yourselves. Then, when the promise of the Hereafter comes, (other bondmen of Ours) are to deface you and to enter the Mosque, as they entered in the first time, and to annihilate utterly whatever they got exalted over. It may be that your Lord will have mercy on you; and in case you go back, We will go back; and We have made Hell a place of detention for the disbelievers."

[Al-Israa (The Night Journey): 4-8]

These holy verses came at the beginning of Al-Israa Surah, which is called Bani Israel. It talked about a part of the Jews' life that is not mentioned in any surah of the Noble Qur'an. It descended in Mecca, and like its parallel surahs, it deals with the creed, its parties and the matter that fixes it in the heart of the believer. Also, it deals with the social behavior depending on it in the lives of the individuals, groups and nations.

The surah begins with a short saying about the Night Jouney miracle that occurred to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in a short moment at night, in spite of the long distance between Mecca and the Holy Mosque in Jerusalem. Then, it dealt with the news with which Allah informed Mosa (may the peace of Allah be upon him) and the Torah, which Allah sent to him to guide the Israelis.

Also, the surah dealt with the penalty awaiting for those people, as a result for the corruption they spread on earth, the corruption which, as Allah, Glory be to Him, wills to be repeated, and in every time Allah punishes them to deter , but they do not. Thus, Allah continues to torture them every time they spread corruption on earth.

{and you Lord does no injustice to any one.}

[Al-Kahf (The Cave): 49]

The relationship between reminding the believers with the great Night Journey and this phase in the story of the Israelis is clear, as Allah knows the future events till the Day of Judgment including the past and future greediness of the Jews in capturing Jerusalem and the surrounding holy lands that witnessed the miracle of the Night Journey. It is emphasized that Jerusalem and the surrounding holy places should return to Islam and the Inviolable Mosque, from which the Islamic Da`wad sprang.

The reasons for conquering the Jews

The incidents of the battle between the Muslims and the Jews are long and painful. History proved that the Muslims will gain victory as long as they are united and stick to the instructions of the Noble Qur'an. This is proven by the saying of Allah, Glory be to Him:

{And adhere firmly to the Rope of Allah, altogether, and do not be disunited.}

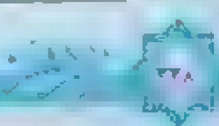
[Al-Imran (The Household of Imran): 103]

If they are separated ands struggle with each other, they will be afflicted with suffering by the Christians and the Jews. The crimes occurring nowadays in Palestine, which will not be forgotten by history is a series of corruption. Some of the explainers said that the first time was before Babel capture by "Nebokhaz Nasr" or as some people say "Bekhtnasr". Allah authorized this tyrant strong ruler over them to kill many of them and to arrest the rest emphasizing the saying of the poet:

Allah is more Powerful than anyone

And every tyrant will be afflicted by a tyrant

This was the first lesson, and they returned to a tranquil life for a period of time, then they returned to their deeply rooted habit: extreme corruption on earth. Then, they were punished by the Muslims at the time of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) throughout what occurred to Bani Quraizah and Bani Kainnaqa`and Bani Khudair and Khaibar. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon



{And whoever veers away from My Remembrance, then surely he will have a cramped subsistence and We will muster him blind on the Day of the Resurrection." He will say, "Lord! Why have You mustered me blind, and I was already constantly beholding?"}
{Taha (Taha): 124-125}

"Islam calls the whole people to a universal message, because it wants humanity to live in happiness, mercy and guidance. It does not want to limit these graces to a certain people or race, such as the instructions of Judaism. The order of Allah is still repeating to order the holders of this religion to obey the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him):

{Say, "O Population of the Book, come to a level word between us and you, that we worship none except Allah, and that we do not associate anything with Him, and that some of us do not take to themselves others as lords, apart from Allah. "So, in case they turn away, then say, "Bear witness that we are Muslims."
[Al-Imran (The Household of Imran): 64]

However, it does not force the people to follow it:

{There is no compulsion in the religion; right-mindedness has already been evidently (distinct) from misguidance.}
[Al-Baqarah (The Cow): 256]

Islam want to let the freedom of da`wah among the people of the earth to let them reach trhe absolute good, by which it came without limiting it to a certain people.

A call for all of the human beings

Islam directs its call for the humanity without be limited to a certain race. It does not distinguish between the people according to color, race or language. It is meant by the difference in color and languages letting the people get aquainted. "Piety is the only thing that distinguishes between the Arab and the Persian."

{Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious}
[Al-Hujurat (The Apartments): 13]

I assure that Islam is not possessed by the Arabs only. It is for the whole people, as it is Allah's call for the human beings.

{Say, "O you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether, to Whom belongs the kingdom of the heavens and the earth. There is no god except He. He gives life and causes to die. So believe in Allah and His Messenger, the Prophet the illiterate one who believes in Allah and His Speeches, and follow him closely that possibly you would be guide."
[Al-A`raf (The Battlements): 158]

As the call for Islamic is imposed by the Islamic Shari`ah on the reasonable people from every creed or color, it is more prop[illegible] that the Muslims, who tasted the sweetness of obeying Allah and the Divine instructions to do this. Imam Ibn Tamimah says:

"We are happy as Muslims, and if the kings and the sons of the kings knew this happiness, they would fight us for it."

The evil in the creeds of the disbelievers found the people defending it, it is more proper that the population of Islam should support it. When Allah finds them truthful in their belief, straightforward in their behavior, having pure morals and deep sincerity in worshiping, He will frighten their enemies.

If they become continuously misguided, Allah's promise will come true:

{Now, you are these called to expend in the way of Allah. Then among you (some) are miserly; and whoever is miserly, then he is miserly only upon himself. And Allah is the Ever-Affluent, and you are the poor ones. And in case you turn away, He will (readily) exchange you for another people; therefore they will not be your likes.}
[Muhammad (Muhammad): 38]

Islam and the future of the humanity...!

By: Dr. Hamdy Fattouh Waly

No one can deny the suffering and wretchedness in which the humanity lives, along with the struggle and destruction which afflict the people. It is really regrettable and painful that destruction and affliction are not limited the major criminals who destroyed the earth, but destruction afflicted all of the people living on earth. Thus, the whole humanity lives in continuous struggle and distress. Allah is Truthful as He says:

{And protect yourselves against a temptation which will definitely not afflict in particular the ones who did injustice among you; and that Allah is strict in punishment.}
{Al-Anfal (The Spoils): 25}

As humanity gets tired of its recent distress, it exerts a great effort in searching for a way out, but, unfortunately, it seems that it will not attain it soon. The major criminals insist on marching toward bad destiny, as they follow a path far away from Allah and the guidance path. This is a Divine penalty to every arrogant that does not believe in the Day of Judgment. Allah is Truthful, as He says:

{I will soon turn about from My signs (the ones) who wax proud in the earth untruthfully; and in case they see every sign, they do not believe in it; and in case they see the way of right-mindedness, they will not take it to themselves for a way, and in case they see the way of misguidance, they will take it to themselves for a way. That is for that they cried lies to Our signs and were heedless of them.}
{Al-A`raf (The Battlements): 146}

As earth is the ship that carry all of us, we should work together to save it from the criminals, whatever their ranks are and whatever power and delusion are provided.

The value of the human being

The whole universe -including its creatures- are created by Allah, Glory be to Him. No one has any supremacy over it. The human being is honored by Allah on earth and every thing is subjected to him. Thus, there is no value superior to the value of the human being. Hence, all of the claims of the America and the European West, which they use in launching wars against the Muslims due to their greediness in the treasures included in the Muslims' lands and creed fall

Allah created the whole people to get introduced to each other, not to struggle and fight, and called them to remember that they belong to one origin, one father, one mother, one direction which is getting introduced to each other and they should resort to one criterion: piety.

{O you mankind, surely We created you of male and a female, an We have made you races and tribes that you may get aquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.}
{Al-Hujurat (The Apartments): 13}

These are the superior fixed facts from which the Muslim move in the concept of Islam. However, America did not recognize the Divine fact set by Islam and do not treat the whole people living on earth according to these facts. If it followed these facts, the earth would be happy.

Piety and good work

The whole people belong to one origin, thus they are equal, and the only difference that distinguishes them is piety and good work, not any other value such as lineage, money, rank, class, race or any of the earthly values.

Islam rules the earth for centuries by these facts, and brought to the humanity the happiest days, the brightest civilizations and the values of justice. Then, after a period of time, the affairs of the humanity resorted to disbelievers, who do not rule the earth according to the Divine rules. The whole matter resorts to the principle of pleasure, benefit, possession of power source such as energy and military supplies.

The crime of the universal system

Islam should declare itself against the crime of the universal system, as it becomes sure that this system does not possess the least of the bases of leadership that grant the humanity happiness. This system does not feel happy, as it cut its relations with the Provider of happiness.

Thus, they started their attack to Gaza killing the isolated civilians by helicopters and missiles before the next elections to choose their Prime Minister. They kill and hurt thousands of people and destroy mercilessly the means of life such as water, food, fuel and electricity claiming that the reason for its aggression using the helicopters and missiles and arresting the resistance leaders is firing local missiles over its settlements.

It is worth mentioning that Israel knows quite well the noble situation of the Egyptian leadership towards the Palestinians and the Palestinian Issue, thus it exerts great efforts to stir problems between Egypt and the Palestinians. When the President, Muhammad Hosney Mubarak called the Israeli Minister of foreign affairs, Tseiby Liveny to persuade Israel to open the passages and ending the siege of Gaza to restore the quite atmosphere that continued for six months.

Israel repeated the same scenario that the former Israeli Prime Minister, Manahem Bigen resorted to in 1981, when he was called by the former President, Muhammad Anwar Al-Sadat. Two days after the visit of Bigen to Egypt, the Israeli aircrafts attacked the Iraqi atomic reactor to manifest to the whole world that this matter was agreed upon with the Egyptian leader.

The Israeli government exploited the visit of the Israeli foreign minister to attack Gaza to make the matter appears as if it were agreed upon. The crimes committed by the Israeli troops in Gaza strip are war crimes against humanity and also horrible crimes against the besieged Palestinians.

Thus, we should work together to stop this aggression and to ensure the withdrawal of the Israeli troops from the Palestinian lands in Gaza. President Hosney Mubarak exerted great effort to stop this war that does not take place on an equal par. He held talks with the President of France, Sarkosy, who visited Egypt for the sake of consulting to stop this bloodshed committed by the Israeli occupation troops in Gaza regardless the world anger and extreme condemnation. They focused on the necessity of ceasing blood in Gaza, stopping the Israeli attacks against the Palestinians, tranquilizing the situation between the Palestinians and the Israelis, opening the passages and stopping the siege.

The Egyptian French summit is one of the actions taken by the President Mubarak with the world leaders to cease fire in Gaza. Also, he intended to protect the Palestinian people, provide aid to the inhabitants of Gaza, take into consideration the tragic state resulting from the criminal Israeli attacks, try to find ways to provide humanitarian aids, receive the wounded and transport them to be treated in the Egyptian hospitals.

The official spokesman of the presidency, Ambassador Soliman Awwad, declared that the President assures the necessity of opening the passages and passing the aids sent by Egypt and the Muslim and Arab countries. The President said that the Security Council should bear its responsibility in ceasing the Israeli aggression and stop delaying in taking decision, when the Arab foreigner ministers presented the issue of the Israeli aggression.

The President Mubarak assured in his meeting of the European delegation in Sharm Al-Sheikh on Monday, January 5, 2009 that Egypt does its best in the attempts of ceasing fire in Gaza and stopping the suffering of the Palestinians. This was declared by the Foreign Minister, Ahmad Abul Gheit after the meeting. The European delegation expressed their estimation of the Egyptian role in restoring compromise and tranquility between the Palestinians and the Israelis and their readiness to participate in operating Rafah Passage and sending aids to the Palestinians.

Israel said that talks were still underway with Egypt over a ceasfire proposal for the Gaza strip despite French president Nicolas Sarcozy,s announcement that the plan had been accepted by the Jewish state .

" we welcome the French ñ Egyptian initiative . we want to see it succeed , " said Mark Rege, a spokesman for Israeli prime minister Ehud Olmert . but Regev added : " the talks continue on the basis of that initiative .

the Eyptian Foreign ministry spokesman Hussam Zaki described as " encouraging " Israeli ministers reaction to Egyptian proposals for an to end the offensive against Gaza .

" this encouraging but we still have to discuss the details with them, " Zaki said

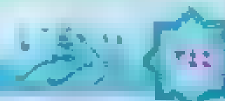
A Hamas official in the Gaza strip also said that the Egyptian proposal , which president Hosni Mubarak announced, was " still under discussion continued".

Israel battered Gaza with bombs and shells on Friday , January 10 , 2009 vowing its offensive on Hamas would go on despite an older by the UN security council to stop the assault that has killed hundreds of civilians.

Israel staged more than 50 air strikes in Gaza which Palestinian emergency service said killed 12 civilians , taken the death toll since the campaign began to almost 800 .

Hamas and its allies fired more than 15 rockets into southern Israel , injuring one person , the military said . At least four grad rockets hit Beersheva , about 40 kilometers from Gaza .

Pressure on the two sides increased with the UN security council resolution , which demanded an " immediate durable " ceasefire leading to the " full withdrawal " of Israeli forces from Gaza .



AL-AZHAR MAGAZINE

Safar.1430



ENGLISH SECTION

Feb , 2009

(الأعراف /٤٣)

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."

(Al- A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University



Israel is A state of continuous Aggression...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Israel launched war against Gaza strip, which is a limited area full of population. It used aircrafts, helicopters, missiles, terrestrial powers and marine battleships. This war is considered an extension for its continuous aggression against the Palestinians during sixty years using tyrannical powers against every Arab and Muslim. It insisted on shedding the blood of the children, women, old people and patients. Nothing terrifies Israel except the resistance, in which the strugglers participate. However, it does not care about the condemnation and denunciation; moreover, it ignores the plenty international decisions.

Resistance is the source of pride and dignity, and it is solely capable of transferring the tyrannical Zionist power to humbleness and humiliation causing the Israeli settlement in the Middle East in vain . In spite of the demonstrations and protestations spreading in the world due to the Israeli aggression against Gaza strip, it continues its barbaric attack using the missiles and bombs to kill the innocent civilians raising the number of the causalities extremely.

This bloody scene takes place before the eyes of the whole world. Not only this aggression causes the death of many innocent civilians, it causes comprehensive destruction to Gaza strip by all the destructive weapons including the missiles that weigh one and half tons. The Palestinians in Gaza faced the hardest starving siege during long months and were deprived of the simplest basic elements.

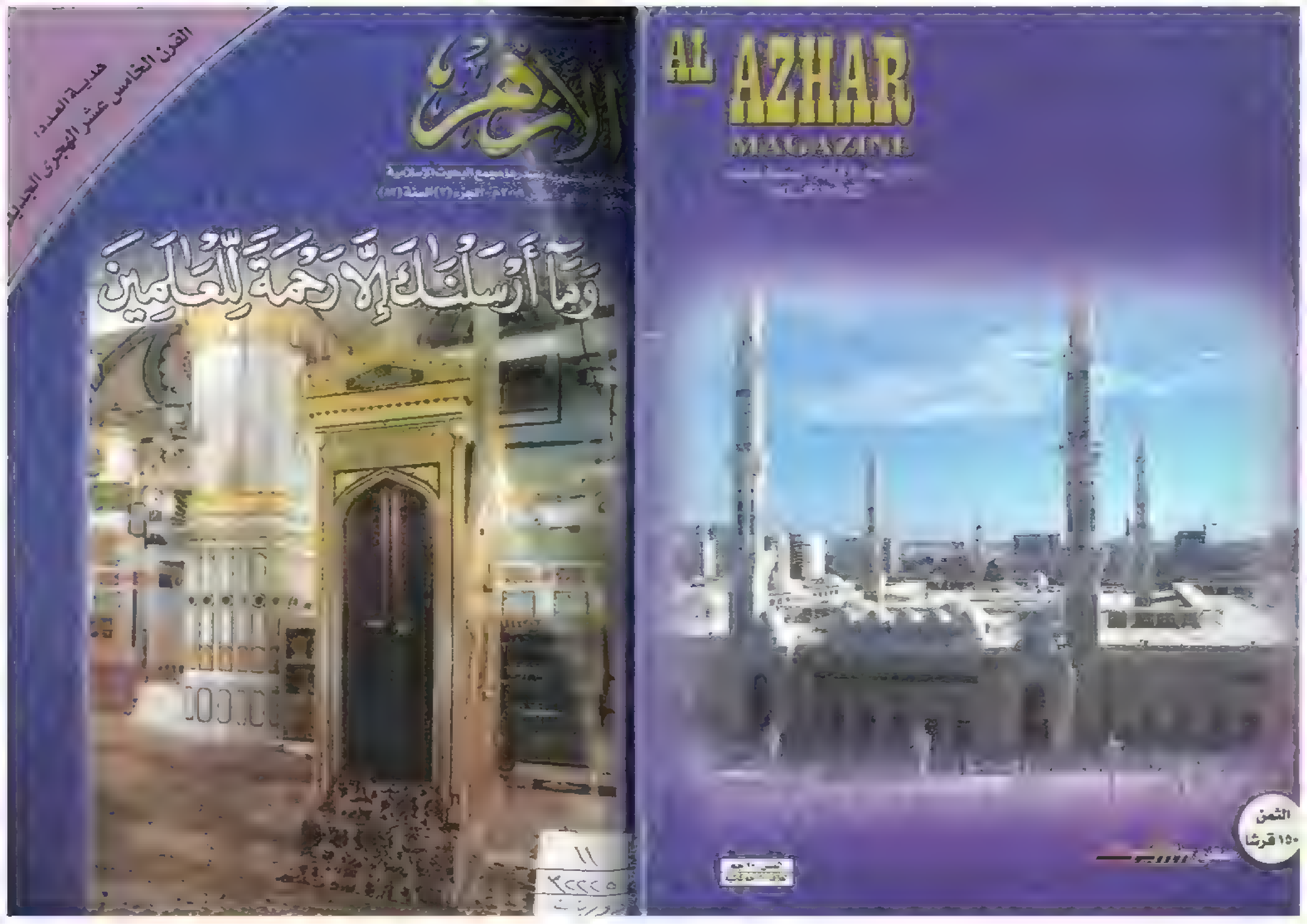
The Egyptian government practiced pressure against the Zionists forcing them to end the siege and to reach compromise. However, the Israeli government had prepared a plan to attack Gaza to get rid of Hamas. After eight days, five hundred persons were martyred and two thousand and four hundred persons were wounded, the Zionist troop decided to plunge into Gaza strip by the terrestrial troop.

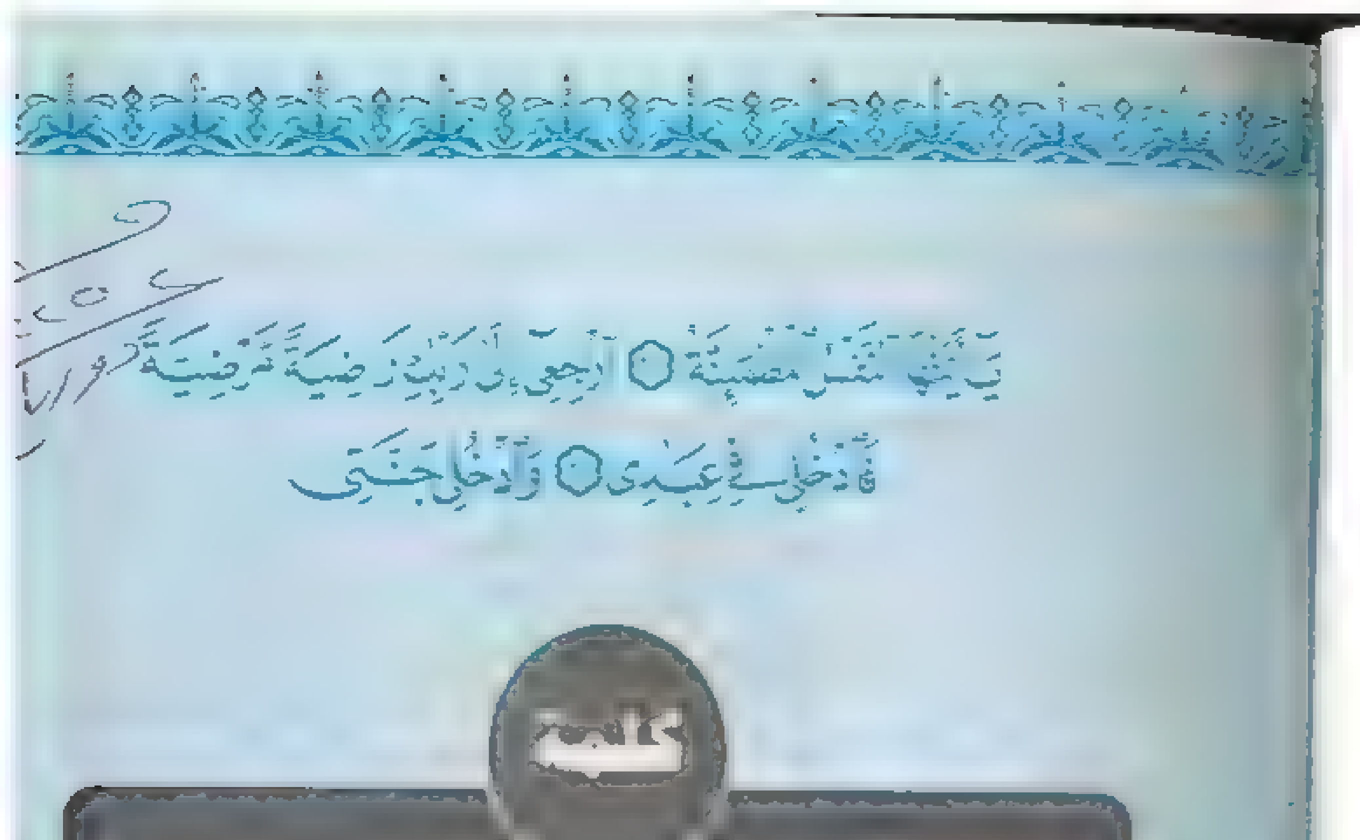
In this way, Israel entered the war without determined goals and does not know a way out. It does nothing except committing its famous crimes against the humanity, as it used to kill children, women and the old people, hurt the innocent, and destroy houses, mosques, schools, universities, hospitals and ambulances. Also, it hinders life subsistence to reach the strip.

Thus, Israel as usual can not live without bloodshed and ignores peace calls. The Israeli politicians can not elect and choose their leaders or the next prime minister except throughout the military operations and murdering the Palestinians and the Arabs.

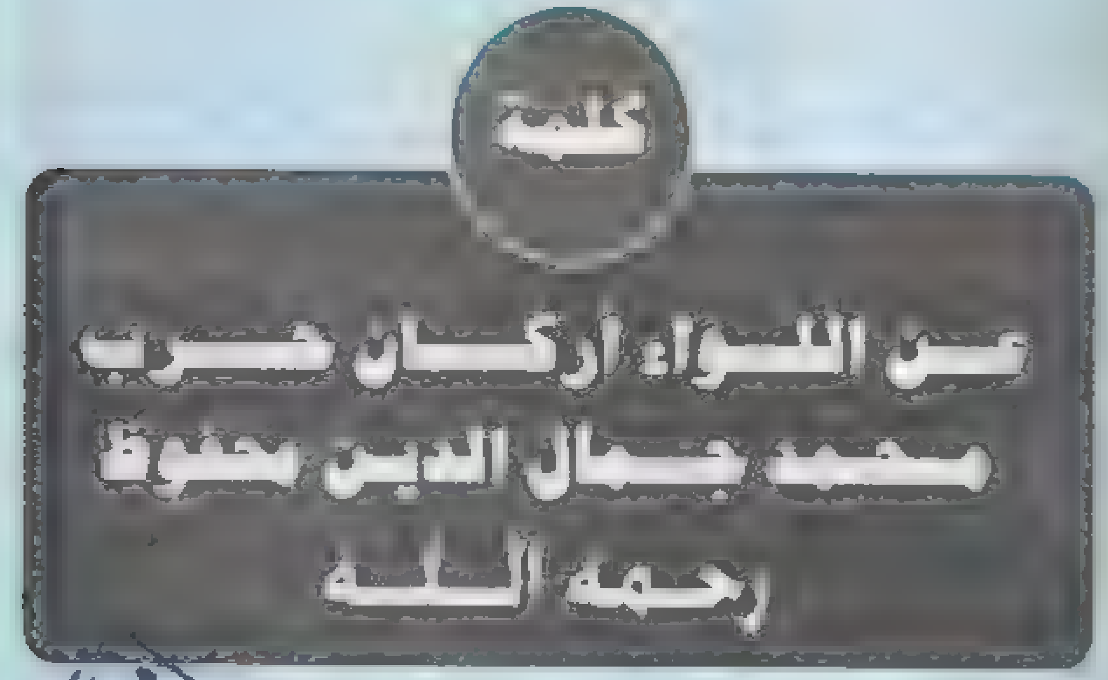
- نعمة الإمام الأكبر
  الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي
- [illegible] للأخلاق [illegible]
  الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ١٦٢
- تفسير سورة [illegible]
  فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ١٦٧
- حول [illegible]
  فضيلة الشيخ [illegible] ١٧٦
- [illegible] في القرآن والسنة
  الأستاذ الدكتور [illegible] ١٨٢
- العقيدة [illegible]
  فضيلة الشيخ [illegible] ١٨٨
- الصحافة في ميزان الإسلام
  فضيلة الشيخ [illegible] ١٩٤
- [illegible]
  فضيلة الشيخ [illegible] ١٩٩
- [illegible]
  فضيلة الشيخ [illegible] ٢٠٥
- [illegible] القراء
  الأستاذ الدكتور [illegible] ٢١٠
- [illegible] حول [illegible]
  الأستاذ الدكتور محمد عمارة ٢١٤
- [illegible] في الإسلام
  [illegible] ٢١٩
- [illegible]
  [illegible] ٢٢٢
- [illegible]
  [illegible]
- [illegible] .. وموقف
  [illegible]
- [illegible]
  الأستاذ الدكتور [illegible] ٢٣٧
- التربية [illegible]
  الأستاذ محمد [illegible] ٢٤٠
- [illegible]
  [illegible] ٢٤٨
- كتاب الشهر: الإسلام في الألفية الثالثة
  [illegible] ٢٥٤
- العولمة .. والدور الأمريكي والعربي فيها
  فضيلة الشيخ [illegible] ٢٦٠
- [illegible] العولمة .. وتحدياتها
  الأستاذ الدكتور محمد عمارة ٢٦٦
- الاتفاق الأمني بين العراق والولايات المتحدة
  الأستاذ صلاح عبد الرحيم محمد ٢٧٢
- [illegible]
  الأستاذ [illegible] ٢٧٨
- [illegible] ٢٨٥
- كلمة [illegible] ٢٨٦
- برقية [illegible] من فضيلة الإمام الأكبر ٢٩٠
- بيان مجمع البحوث الإسلامية ٢٩١
- [illegible]
  [illegible] ٢٩٢
- إلى متى [illegible] مصر؟
  الأستاذ [illegible] ٢٩٥
- [illegible]
  الأستاذ الدكتور [illegible] ٢٩٨
- [illegible]؟
  فضيلة الشيخ [illegible] ٣٠٢
- [illegible]
  [illegible] ٣٠٤
- [illegible] الإسلامي
  [illegible] ٣١٢
- [illegible]
  الأستاذ [illegible] ٣١٧
- [illegible] مجمع البحوث الإسلامية
  [illegible] ٣٢١
- [illegible] عن الزواج
  الأستاذ [illegible] ٣٢٦
- فتاوى مكتب شيخ الأزهر
  الأستاذ أحمد [illegible] ٣٣٠
- [illegible]
  الأستاذ الدكتور إبراهيم [illegible] ٣٤٧




هدية العدد:
القرن الخامس عشر الهجرى الجديد
الأزهر
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
AL AZHAR
MAGAZINE
الثمن
١٥٠ قرشا



يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي



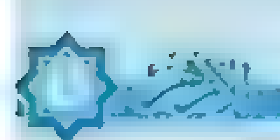
كلمة

عن اللواء أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ رحمه الله

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور

محمد سيد طنطاوي

شيخ الأزهر



وتوقفت وأنا أطالع جريدة «الأهرام» صباح الأربعاء - الثامن عشر من شهر فبراير سنة ٢٠٠٩م بخبر في صفحة الذين فارقوا الحياة يقول:

توفي إلى رحمة الله تعالى اللواء أركان حرب متقاعد محمد جمال الدين محفوظ مدير التوجيه المعنوي سابقا، وعضو مجلس الأعلى للشئون الإسلامية سابقا، وعضو شرف بالمعهد الإسلامي لشئون الدفاع والتكنولوجيا بلندن، نجل الشيخ علي محفوظ - عضو هيئة كبار العلماء.....»

وقد تأثرت لهذا الخبر تأثرا شديدا، ودمعت عيناي دون أن أشعر، فإن اللواء أركان حرب جمال الدين محفوظ، جمع بين الثقافة الدينية والثقافة العسكرية..

أما الثقافة الدينية فقد تلقاها عن والده الشيخ علي محفوظ رحمه الله وطيب ثراه - صاحب الكتب الدينية المتعددة، والتي من بينها

١ - كتاب: هداية المرشدين.

٢ - كتاب: الإبداع في مضار الابتداع.

٣ - كتاب: «فن الخطابة».

وكان الشيخ علي محفوظ - رحمه الله - من كبار مشايخ الذين انتفعت شخصيا بعلمهم، كما انتفع الآلاف غيري بهذا العلم المصفى النافع.

وأما الثقافة العسكرية للسيد اللواء أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ فقد كانت محل إعجابي وتقديري عندما كنت في أول عهدي بالدراسة، وكنت من قراء مجلة الأزهر، وطالعت فيها بالمجلد ٢٤ لسنة ١٩٥٢ ثلاث مقالات ص٩٢٤، ص٨٥٧، ص١١١٠ تحت عنوان (الجندية في صدر الإسلام) ومقال آخر ص ١٢١٤ تحت عنوان «محمد قائد الإسلام».

وكانت هذه المقالات جميعها بتوقيع «يوزباشي أركان حرب محمد جمال محفوظ

ثم طالعت في مجلة الأزهر أيضا بالمجلد ٢٥ لسنة ١٩٥٣ عدة مقالات صافية منها

١ - (تكتيكات الاستطلاع في سرية عبدالله بن جحش ص ٩٣).

٢ - (غزوة بدر الكبرى ميدان الاستراتيجية والتكتيك والفن الحربي ص١٨٢، ص٢٨٧،

٣ - (نظرية الدفاع الهجومي بعد انتصار المسلمين في بدر ص٤٢٦).

٤ - (فن الحصار في غزوة بني قينقاع ص٥٧٣).

٥ - (الحصار الاقتصادي لقريش في سرية زيد بن حارثة ص٦٨٨)

وتابعت مقالاته التحليلية العسكرية لغزوات الرسول ﷺ بعد ذلك في مجلة الأزهر

وكنت في أعقاب قراءة كل مقال من مقالاته السديدة المبتكرة أزداد إعجابا وتقديرا واحتراما لهذا الرجل الذي جمع بين الثقافتين الدينية والعسكرية.

وقد جمع سيادته هذه البحوث والمقالات بعد ذلك في كتب شتى، منها:

١- كتاب «غزوات الرسول ﷺ شرف الآباء وهدية الأبناء» ويقع هذا السفر الجليل في ٤٧٨ صفحة.

وقد قالت «دار الاعتصام» التي نشرته في تقريظه «هذا الكتاب أول كتاب من نوعه يتناول معارك رسول الله ﷺ بمنهج جديد، يقوم على إبراز الدروس المستفادة، وما يستخلص منها من توجيهات نافعة، ليس فقط في مجال القيادة وإدارة الصراع، بل في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والإعلام

ويحوي الكتاب على حشد من الدروس النافعة مثل:

كيف تنتصر الأمة على العدو المتفوق؟

- هل يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام تدابير العدوان؟ كيف تصنع الأمة قادتها العسكريين؟
- أسس بناء القوة الرادعة؟ كيف نواجه الحرب النفسية ونزيل آثارها؟
- كيف نصون أسرارنا؟
- كيف ننتزع المبادأة من أيدي الأعداء؟ كيف نطور قواتنا لنلاحق عصرنا؟
- الطريق لتدوين التاريخ الحربي للإسلام..

٢- كتاب «المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية» ويقع هذا الكتاب في ٥٥٠ صفحة «خمسمائة وخمسين صفحة».

وهذا الكتاب يعد أول كتاب من نوعه يتناول «العسكرية الإسلامية» باعتبارها أحد الميادين الرئيسية للحضارة الإسلامية.

وهذا الكتاب يبين أن للإسلام مدرسة عسكرية كاملة تستمد مبادئها وتعاليمها من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية المطهرة، وتحتوي على كل ما يخص أمور الحرب ابتداء من إعداد المقاتل إلى إعداد الجيش والدولة للحرب.

٣- تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، وهذا الكتاب يقع في أكثر من مائتي صفحة

وهذا الكتاب يتناول مرحلة المراهقة، وهي أخطر مراحل النمو عند الإنسان، ويعرض منهج الإسلام في التربية السلوكية للمراهق في البيت والمدرسة والمجتمع مع ربطه بأصول علم النفس.

فوجئت وأنا أطالع جريدة «الأهرام» صباح الأربعاء الثامن عشر من شهر فبراير سنة ٢٠٠٩م بخبر في صفحة الذين فارقوا الحياة يقول:

«توفي إلى رحمة الله تعالى اللواء أركان حرب متقاعد محمد جمال الدين محفوظ - مدير التوجيه المعنوي سابقا، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سابقا، وعضو شرف بالمعهد الإسلامي لشئون الدفاع والفكر الاستراتيجي بلندن، نجل الشيخ علي محفوظ - عضو هيئة كبار العلماء . . »

وقد تأثرت لهذا الخبر تأثرا شديدا، ودمعت عيناي دون أن أشعر. فإن اللواء أركان حرب جمال الدين محفوظ، جمع بين الثقافة الدينية والثقافة العسكرية..

أما الثقافة الدينية فقد تلقاها عن والده الشيخ علي محفوظ رحمه الله وطيب ثراه - صاحب الكتب الدينية المتعددة، والتي من بينها:

١ - كتاب: هداية المرشدين.

٢ - كتاب: الإبداع في مضار الابتداع.

٣ - كتاب: «فن الخطابة».

وكان الشيخ علي محفوظ - رحمه الله - من كبار مشايخ الدين الذين انتفعت الشعوب بعلمهم، كما انتفع الآلاف غيري بهذا العلم المصفى النافع.

وأما الثقافة العسكرية للسيد اللواء أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ فقد كانت محل إعجابي وتقديري منذ أن كنت في أوائل عهدي بالشباب. وكنت من قراء مجلة الأزهر، وطالعت فيها بالمجلد ٢٤ لسنة ١٩٥٢ ثلاث مقالات ص٦٢٤، ص٨٥٧، ص١١١٠ تحت عنوان (الجندية في صدر الإسلام) ومقال آخر ص ١٢١٤ تحت عنوان «محمد قائد الإسلام».

وكانت هذه المقالات جميعها بتوقيع «يوزباشي أركان حرب محمد جمال محفوظ»

ثم طالعت في مجلة الأزهر - أيضا - بالمجلد ٢٥ لسنة ١٩٥٣ عدة مقالات شائقة منها:

١ - (تكتيكات الاستطلاع في سرية عبدالله بن جحش ص ٩٣).

٢ - (غزوة بدر الكبرى ميدان الاستراتيجية والتكتيك والفن الحربي ص١٨٢، ص٢٨٧)

٣ - (نظرية الدفاع الهجومي بعد انتصار المسلمين في بدر ص٤٢٦).

٤ - (فن الحصار في غزوة بني قينقاع ص٥٧٣).

٥ - (الحصار الاقتصادي لقريش في سرية زيد بن حارثة ص٦٨٨)

وتتابعت مقالاته التحليلية العسكرية لغزوات الرسول ﷺ بعد ذلك في مجلة الأزهر

وكنت في أعقاب قراءة كل مقال من مقالاته للسيد اللواء أزداد إعجابا وتقديرا واحتراما لهذا الرجل الذي جمع بين الثقافتين الدينية والعسكرية.

وقد جمع سيادته هذه البحوث والمقالات بعد ذلك في كتب شتى. منها:

١- كتاب «غزوات الرسول ﷺ شرف الآباء وهداية الأبناء» ويقع هذا السفر الجليل في ٤٧٨ صفحة.

وقد قالت «دار الاعتصام» التي نشرته في تعريفه «هذا الكتاب أول كتاب من نوعه يتناول مغازي رسول الله ﷺ بمنهج جديد، يقوم على إبراز الدروس المستفادة. وما يستخلص منها من توجيهات نافعة. ليس فقط في مجال القيادة وإدارة الصراع. بل في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والإعلام

ويحتوي الكتاب على حشد من الدروس النافعة مثل:

كيف تنتصر الأمة على العدو المتفوق؟

- ■ هل يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام تدبير العدوان؟ كيف تصنع الأمة قادتها العسكريين؟
- ■ أسس بناء القوة الرادعة؟ كيف نواجه الحرب النفسية ونزيل آثارها؟
- ■ كيف نصون أسرارنا؟
- ■ كيف ننتزع المبادأة من أيدي الأعداء؟ كيف نطور قواتنا لنلاحق عصرنا؟
- ■ الطريق لتدوين التاريخ الحربي للإسلام..

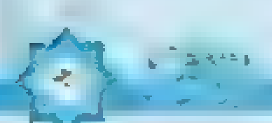
٢- كتاب «المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية» ويقع هذا الكتاب في ٥٥٠ صفحة «خمسمائة وخمسين صفحة».

وهذا الكتاب، يعد أول كتاب من نوعه يتناول «العسكرية الإسلامية» باعتبارها أحد المبادئ الرئيسية للحضارة الإسلامية.

وهذا الكتاب، يبين أن للإسلام مدرسة عسكرية كاملة تستمد مبادئها وتعاليمها من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية المطهرة. وتحتوي على كل ما يتصل بأمور الحروب ابتداء من إعداد المقاتل إلى إعداد الجيش والدولة للحرب.

٣- تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، وهذا الكتاب يقع في أكثر من مائتي صفحة

وهذا الكتاب يتناول مرحلة المراهقة، وهي أخطر مراحل النمو على بناء الإنسان. ويعرض منهج الإسلام في التربية السلوكية للمراهق في البيت والمدرسة والمجتمع مع ربطه بأصول علم النفس.



والصحة النفسية كما يتناول التربية العسكرية للمراهق.

وهذا الكتاب يؤكد أن هذا المنهج الذي سلكه الإسلام في تربية المراهق، قد قدم لعالم قادة فكر، وأبطال جهاد، ورواد حضارة..

٤- كتاب: «فجر البحرية الإسلامية، باكورة عمليات الأسطول الناشئ».

وهذا الكتاب تحدث فيه المؤلف – رحمه الله – عن:

أ- نشأة الأسطول الإسلامي..

ب – عمليات الإبرار البحري: فتح جزر البحر الأبيض المتوسط..

جـ – المعارك البحرية: معركة ذات الصواري...

د – عمليات الحصار البحري: حصار القسطنطينية.

وهذه بحوث قيمة كتبها السيد الفاضل المرحوم اللواء أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ، كتبها بعقله، وقلبه، وبثقافته العميق، وبفطرته النقية، وبحبه لدينه ولأمته، وبجهده المخلص السامي الخالي من أي مقصد سوى خدمة دينه ووطنه مصر.

ولقد التقيت بسيادته – رحمه الله وطيب ثراه – وقت أن كان مديرا للتوجيه المعنوي بالقوات المسلحة، ورأيت فيه الأدب الجم، والرأي الحكيم، والخلق القوي، والعاطفة الحسنة، وأداء الواجب في أحسن صورة، وأكمل ألوانه، وعندما حضرت العزاء في سيادته تسلمت القوات المسلحة «آل رشدان» والتقيت بابنه الفاضل الدكتور علي محفوظ، وبناته الثلاث: الدكتورة ليلى، والدكتورة سهير، والمحاسبة أميرة.

رأيت في وجوه الجميع الفضائل التي أعجز عن وصفها، لأنها فضائل هي من آثار التربية الرشيدة والحكيمة، التي ربى عليها الفقيد ذريته.

نسأل الله – تعالى – أن يتغمده برحمته ورضوانه، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وأن يلحقنا به مع الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

د. محمد سيد طنطاوي
شيخ الأزهر
٢٠٠٩/٢/١٩

اللواء محمد جمال الدين محفوظ

شخصية رائدة

للدكتور نبيل زكريا الروبي

شخصية رائدة تربيك الحياة نعمة أنعم الله بها عليك، وتنسبك فيها إلى آدم عليه السلام الذي سجدت له الملائكة فصار أكرم مخلوقات الله بعدما علمه الله الأسماء كلها وكرمه بكرامة العلم الذي يختار به طريقه إلى الله:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ... [illegible]﴾

(البقرة: ٣١-٣٤)

وتربيك في نعمة الحياة أن الحياة وظائف متعددة، إن أحسنت أداءها يسرك الله لليسرى

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ○ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

(الليل: ٥، ٧)

ولد الراحل الكريم سنة ١٩٢٢ لوالد من كبار علماء الأزهر الشريف الشيخ علي محفوظ الأستاذ في كلية أصول الدين، ورأى أولى وظائف الحياة عبادة الله على علم

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(الذاريات: ٥٦)

حيث تكون العبادة شعائر موقوتة في أوقاتها، وطاعة لله في كل اتجاه.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

(البقرة ١٤٨)

فصلى وزكى وصام وحج وأحسن في كل اتجاه اتجه فيه لطاعة الله.. ينير له الطريق علم بالقرآن والسنة حيث تحيط به مكتبة أبيه

ورأى نفسه ابنًا لعالم كبير فكان ابنًا بارًا له في

حياته حتى رآه صديق والده الشيخ عبداللطيف دراز فأثنى عليه ثناء عاطرًا.

وكان بارا بأبيه بعد وفاته فاهتم بجمع تراثه العلمى ونشره بين العلماء ومازالت كتب أبيه تطبع وتدرس فى مجالس العلماء.

ورأى نفسه أخا فقام بدوره مهتماً بشئون إخوته وأولادهم فى كل أدوار الحياة، وبأحسن وسائل الأداء.

واختار العسكرية مهنة فأدى واجبه ضابطاً فى سلاح المدفعية، وحصل على كل الدراسات التى تؤهله لأشرف أداء، سواء كانت هذه الدراسات فى مصر أو فى انجلترا وأمريكا وروسيا، ودرس الاقتصاد والسياسة والاستراتيجية العليا والتربية وألف فيها كتباً تفخر بها المكتبات.

تخرج فى الكلية الحربية أوائل أربعينيات القرن العشرين، وعمل أول ما عمل مع المرحوم كمال الدين حسين أحد الثورة، عضو مجلس قيادتها ووزير التربية فيها ونائب رئيس الجمهورية قائد الثورة المغفور له الزعيم الحبيب جمال عبدالناصر. وقال لى: «أول من علمنى المدفعية كمال الدين حسين» وظلا على ود حتى لحق كمال الدين حسين بربه سنة ٢٠٠٥.

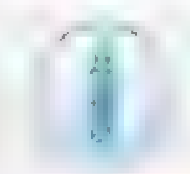
تدرج فى الرتب العسكرية، وبعد الهزيمة فى سنة ١٩٦٧ اختاره الرئيس جمال عبدالناصر ليكون مديراً للتوجيه المعنوى بالقوات المسلحة لرفع الروح المعنوية بأن تكون أرواح الجنود موصولة بالله الذى يقول للشيء «كن فيكون» فلا يأس لمؤمن فى جوار الله. وجعل صيحة الجيش «الله أكبر» بأمر أصدره الرئيس جمال عبدالناصر وجعل فى كل وحدة عسكرية إماماً مؤهلاً من وزارة الأوقاف يؤمهم فى صلاتهم ويذكرهم بوعد الله حتى عبر الجنود القناة فى حرب رمضان وهم يقولون «الله أكبر، الله أكبر».

وفى مقتبل عمره تزوج فكان نعم الزوج، وأنجب واحتضن أولاده فى كل خطوات حياتهم حتى تركهم زهوراً تتجمل بهم الحياة وفى مقدمتهم زميلنا العزيز الدكتور على جمال استشارى الجراحة ذو اليد الطاهرة، والعلم المضىء، والأداء الأمين.

أدى أدواره لله فى حياته التى مدها الله له فكان صورة لقول النبى ﷺ «خيركم من طال عمره، وحسن عمله» وبارك الله له حياته حيث تكون البركة زيادة فى الكم تأخذ الأبصار وحسناً فى النوع يأخذ الألباب، فترك فى سيرة حياته مدرسة للأذكياء الذين يودون حياتهم ممتدة آثارهم «من سن سنة حسنة كتب له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وجدته البشرى لمحبة الآخرة فكان آخر كلماته التى يسمعها من حوله «الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا. لا إله إلا الله وحده. صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون».

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجه

سكرتير التحرير

أحمد السيد سفى الدين

الاشتراك السنوى

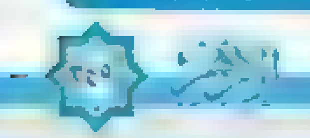
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

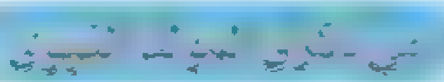
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا امريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا امريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

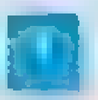
المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩



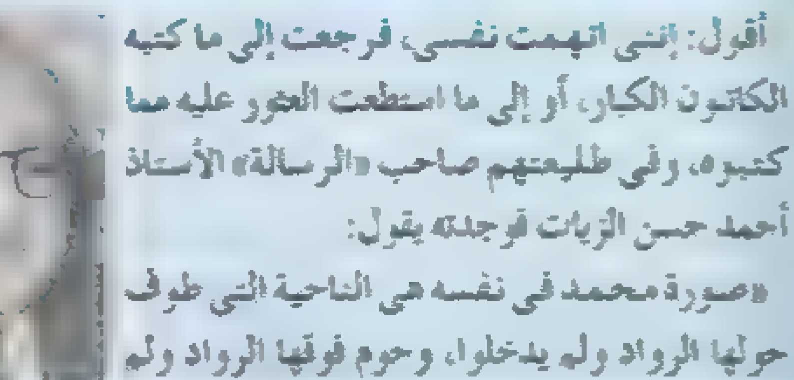


عبقرية محمد - للأستاذ العقاد



اتهمت نفسي بعد أن فرغت من قراءة هذا الكتاب القيم للمرة الأخيرة حين هممت بالكتابة عنه. وكنت قد قرأته غير مرة منذ أكثر من نصف قرن. كما قرأت عشرات من الكتب التي تحدثت عنه من قبل. ولكن حماسي هذه المرة [illegible] الكتاب بعد قراءتي الأخيرة كان من القوة [illegible] بحيث دعاني [illegible] إلى التوقف. لأرجع ما كتب عنه [illegible]. [illegible] في [illegible] الكتاب [illegible] في [illegible] من موضوعه [illegible] في كل سطر من سطوره. [illegible] التي كتبها [illegible] حسين [illegible] وحدها. فكل كاتب من هؤلاء يتحدث بتفوقه في [illegible]. ولكنه لا يدهشك [illegible] التي [illegible] أن تتبعه [illegible]. [illegible] الذين يتذكرون حين قرؤوه في **أوائل الأربعينيات، والكتاب يعد لطيف الحجم إذا قيس بنظائره،** ولكن حجمه اللطيف [illegible] الدقيقة [illegible] وعمق [illegible]، مع [illegible] في موقف [illegible] حتى [illegible] لا [illegible]. [illegible] الذي [illegible] فيركب [illegible] عظمة [illegible] دون [illegible].

أقول: إنني اتهمت نفسي، فرجعت إلى ما كتبه الكاتبون الكبار، أو إلى ما استطعت العثور عليه مما كتبوه، وفي طليعتهم صاحب «الرسالة» الأستاذ أحمد حسن الزيات فوجدته يقول:





أحمد حسن الزيات — العقاد

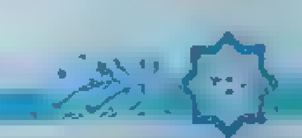
«صورة محمد في نفسه هي الناحية التي طوف حولها الرواد ولم يدخلوا، وحوم فوقها الرواد ولم ينزلوا، وهي التي قدرتها على التخمين في خطة «العقاد»، ثم قرأتها على اليقين في «عبقرية محمد». ذلك لأن «العقاد» كاتب مؤمن بالعقل والروح. فإذا درسته أو قرأته على ضوء هذا الإيمان تكشف لك عن منطق فحل لا يتناقض في الرأي ولا يتعثر في الأداء، ولا يتكثر بالعلم، ولا ينزل عن طبقته حتى في المقاصد المبتذلة والمعاني المطروقة. فإذا كتب عن محمد فإنما يكتب بوحي هذا الإيمان عن عبقريته «بالمقدار الذي يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى، وبالحق الذي يثبت له الحب في قلب كل إنسان، وليس في قلب المسلم وكفى، وبالقياس الذي يفهمه المعاصرون ويتساوى في إقراره المسلمون وغير المسلمين ليقيم البرهان على أن محمدا عظيم في كل ميزان. عظيم في ميزان الدين، وعظيم في ميزان العلم، وعظيم في ميزان الشعور، وعظيم عند من يختلفون في العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا في الطبائع الآدمية». والحق الذي لا تجوز فيه أن كتاب «عبقرية محمد» **هو التفسير الملهم المحكم لقول الله تعالى لنبيه الكريم:**

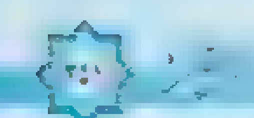
[illegible] (القلم: 4)

ولا يدهشك أن أقول إن شهادة الله لرسوله بعظمة الخلق ظلت مجهولة الغور والمدى والدلالة في التفسير والتاريخ، حتى جاء «العقاد» فصورها بأبعادها وحدودها وألوانها وسماتها **كأنطق ما يكون المثال، وأصدق ما تكون الحجة»[1].**

هذا بعض ما قاله صاحب «الرسالة»، والزيات وإن اتصف برعاية حقوق الصداقة فيما يكتب عن زملائه فإنه يقول دائما ما يعتقد في ثوب حريري يمنع المواجهة، ولم يجد في كتاب «العقاد» عن رسول الله [illegible] ما يضطر إلى التلميح به كعادته إذ وجده في مستوى رفيع، صاحبه فيه

(1) «الرسالة» العدد (462) - 11 مايو سنة 1942.





توفيق الله» وعلى هذا النمط من الثناء الجميل، جرى قلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني فيما كتبه عن «عبقرية محمد» في جريدة «البلاغ» الأسبوعية، وقد يتوهم القارئ أن المازني صديق «العقاد»، وأن المازني صديقه ورفيقه في مضمار النقد الأدبي والتجديد المنهجي، وأن في العلاقة الشخصية ما يوجب المجاملة، فقد خفي أن «العقاد» يضيق صدره بذلك، وقد إذا لمس فيه إخلاص السريرة وموضوعية النقد، وحب الحقيقة، وتلك حال الصحبة يعرفها أصدقاؤه عنه، وما كان المازني وأمثاله أن يجهلا عن صاحبهما ما يعرفه قراؤه الغرباء، فيقولا غير ما يعتقدان.

ولعل الاستشهاد بما قاله الأستاذ توفيق الحكيم عن «عبقرية محمد» لا يجد شبهة تشير إلى توقع مجاملة تستر النقد الموضوعي لديه، فقد كتب مقاله عن «عبقرية محمد» أثناء معركة فكرية قامت بينه وبين «العقاد» على صفحات «الرسالة» حول الصفاء في علاقات الأدباء، وقد وقف منه «العقاد» موقفا لا يخلو من عنف، وتوفيق الحكيم أحد الذين سبقوا «العقاد» في الحديث عن رسول الله ﷺ وقد رأى في هذا السبق ما يدعوه إلى استقبال الكتاب الجديد على صفحات مجلة «الثقافة» استقبالا مؤيدا قال فيه[1]:

«منذ الفصل الأول أدركت أن الأستاذ «العقاد» يشبه من يقول: إن الكلام الذي عندي يرغمك على أن تصغي إليه، وأن كل ما عرفت من قبل عن النبي محمد ﷺ لن يغنيك عما عند «العقاد»، لأن «العقاد» قد درس وفكر واستنتج لنفسه، ثم صاغ للنبي ﷺ صورة «قلمية» لا يمكن أن يرى نظيرها على هذا النحو في صفحات مثل صفحات كتابه المتوسط الحجم. إنه لم يكتب سيرة كما فعل الذين سبقوه، ولم يورد قصة ولم يسرد تاريخا، ولكنه رسم ملامح وخط قسمات أبرزت ذلك الوجه الشريف الجميل. على أن الجزء الذي يجب أن نلتفت إليه هو الطريقة التي جرى عليها «العقاد» في تحقيق غرضه، فهو لم يكتف باستخراج الوقائع من بطون كتب السيرة، لأنه يعلم أن هذه الوقائع قد أصبحت معروفة لأكثر الناس بما ظهر من كتب حديثة العرض عصرية الأسلوب، فهو قد استخدم هذه الوقائع استخداما آخر جديدا، واستنطقها معاني أخرى طريفة، ولم يرض أن يسير خلفها لتقوده كما فعل أكثر الرواة، بل تولى هو زمامها وقادها بيدين من المنطق السليم والتفكير المستقيم في طريق كلها ضوء ونور. وفي الحق أن أظهر ظاهرة في

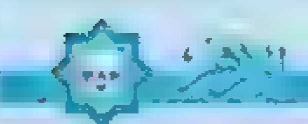
(١) مجلة الثقافة العدد (١٧٥) ٥ من مايو ١٩٤٢م.

الكتاب هي قوة الاستنتاج العقلي التي تستولد من الحوادث الصغيرة خصائص ومقومات تمت للشخصية الإنسانية الكاملة، التي دق فهمها على كثير من أهل الشرق، وأساء فهمها كثير من علماء الغرب، وتجاوز الأستاذ «العقاد» التمحيص والاستقراء إلى البحث المقارن في أغلب الأمور، عارضا حال الأمم الأخرى في مختلف العصور، ليبين على وجه التحقيق مركز الفكرة التي يجليها من التاريخ الإنساني العام.

محمد فريد وجدي

ثم قال الأستاذ بعد استشهاد طويل ببعض ما كتب «العقاد»: «لا أحسبني قد كونت للقراء صورة واضحة للكتاب، ولكني أردت أن أغري القارئ وأنصح بمطالعته، لأن هذا الكتاب خير مرآة مصقولة نبصر فيها فيض هذا النور، فقد استطاعت كتب السيرة السابقة قديمها وحديثها أن تفعم القلوب بحب محمد ﷺ ولكن ما من كتاب في نظري استطاع حتى الآن أن يملأ العقول بفهم محمد مثل كتاب «العقاد»، ولعل الفهم أرفع أنواع الحب».

هذا بعض ما كتبه الأستاذ توفيق الحكيم، وقد عطفني كل الانعطاف إلى ما شعرت به من التقدير البالغ لهذا الكتاب الممتاز، وعبر عن معان دقيقة شعرت بها كل الشعور في جميع ما قرأت من فصول الكتاب. إذا كان الدكتور «هيكل» والأستاذ محمد فريد وجدي ومن حذا حذوهما ممن كتبوا السيرة كتابة من يتعرض للمفتريات فدحضها بما أوتي من سداد وقوة نظر، قد وفقوا إلى صواب كثير فيما يحاولون، فإن الأستاذ «العقاد» قد تجاوز ما صعدوا إليه إلى آماد فسيحة لم يصعدوا إليها حين افترض بينه وبين نفسه – كما يخيل إلي – أنه لا يكتب كتابه للمسلم وحده، ولا للمحايد وحده، بل يكتبه إلى ألد أعداء الدعوة الإسلامية ورسولها الكريم، فهو يتصور أمامه خصما ألد الخصام يقف معاندا متذرعا بما يمده من أقوى الحجج ليرمي رسول الإسلام بما افترته الأجيال الحاقدة من أكاذيب، ومعه حضارة العصر، ومدنية العلم، وثقافة التطور، وقد وجد فجوة عريضة من حماة الإسلام عشش فيها الخطل والفرح وجلة ما عزّ لجنابه من الخرصات! تصور «العقاد» هذا الخصم الجموح المغرض يقف أمامه بما يحمل من أهواء الغرض العريض، مدعوما بمنطق مشتهر تداولته ألسن الناس، وكررته أقلام المبشرين حتى أصبح تكراره المتتابع وكأنه حق مقرر، لا مجال لاشتباه وتردد. فأعد الكاتب الكبير خطته الواعية الدقيقة ليأتي



على هذه الأراجيف بما يعصف بها عصفا دون تلبث. ولن يكون ذلك وليد أمد تطاول إلى مدى ثلاثين عاماً كما ذكر في مقدمة الكتاب حين اقترح عليه بعض زملائه الأدباء أن يكتب عن رسول الله ﷺ بمثل ما كتب الأديب الإنجليزي الشهير «كارليل» عن بطل الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ فوعد أن يفعل راجيا أن يتم ذلك في عهد قريب. وقد امتد العهد إلى ثلاثين عاماً كانت تأملاً ينقطع حيناً ويعود حيناً آخر في تاريخ صاحب «الرسالة». وفيما يقرؤه عنه من أقوال مؤيدة وأخرى مهاجمة. وتأمل مفكر جاد «كالعقاد» لا يضيع بددا في الهواء، ولكنه يتولد وينمو ويتكاثر في قوة وحيوية حتى يبلغ غاية معلومة يؤتي أكله الطيب في ثمرة مشتهاة! وقد جاء هذا الأكل المشتهى فيما خطه في كتاب «عبقرية محمد»؛ إذ تحدث بعد المقدمة الشارحة عن علامة المولد النبوي، فسرد الجو العالمي والداخلي للرسالة النبوية، وتلاه بفصل قوي عن عبقرية الداعي وما امتلكه من الفصاحة والثقة والإيمان والغيرة والوسامة، تلك السمات الحية التي أدت إلى نجاح دعوته على أحسن وجه يتخير. واتسع المجال لديه ليتحدث عن «عبقرية محمد» العسكرية، حيث من درس المواقف المتشابهة والمتعارضة، وما قيل في تأييدها ومعارضتها ليأتي بالقول الفصل عن براعة واقتدار، وقد امتد حديثه في هذه الناحية ليتمحص ويعلل ويمحص، وليزيح غبارا قد تكاثف حتى شوه وجه الأفق، فاحتاج إلى إعصار كاسح. كما امتد حديثه في فصل تال عن محمد الزوج، لأن بابي الحرب وتعدد الزوجات قد أخذا من خصوم نبي الإسلام رقعة فسيحة، ملئت بالتزيد والافتراء والشطط. واحتاجت لمثل عقل «العقاد» يقذف بالحق على الباطل ليدمغه فإذا هو زاهق. وبين باب الحرب وباب الزواج تحدث الكاتب في فصول مستقلة عن «عبقرية محمد» السياسية، وعن عبقريته الإدارية، وعن محمد البليغ، ومحمد الصديق ومحمد الرئيس. حديثا كله طرافة وابتكار في التوجيه والشرح والمقارنة، ثم انتقل بعد حديثه عن محمد الزوج إلى محمد الأب، فمحمد السيد، فمحمد العبد، فمحمد الرجل وبذلك شارف الغاية التي انتهت بالحديث عن محمد في سجل التاريخ! وأبواب الكتاب كما عرضها الكاتب جديدة في نسقها المتسلسل، وموضوعاتها المتماسكة! أما جدتها فيما حوت من أفكار وما انتهت إليه من نتائج فلن نقدر على تصويرها في وضعها الأمثل، ولكننا سنحاول أن نشير إلى بعض ما يدل على معدنها النفيس

د/ محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى :

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ۝ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾

(الآيتان: ٤، ٥)

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾

(النساء: ٤)

وقوله «صدقاتهن» جمع صدقة - بضم الدال - وهي ما يعطى للزوجة من المهر وقوله «نحلة» أي عطية واجبة وفريضة لازمة، إذ النحلة في الأصل: العطية على سبيل التبرع، يقال: نحله كذا نحلة ونحلا، إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا مقابلة عوض.

والمعنى: وأعطوا النساء مهورهن عطية عن طيب نفس منكم، لأن هذه المهور قد فرضها الله لهن، فلا يجوز أن يطمع فيها طامع، أو يعتدي عليها معتد، والخطاب للأزواج فقط؛ لأن الرجل كان يتزوج امرأة بلا مهر ويقول لها: أرثك وترثيني؟ فتقول: نعم، فأمروا أن

يسرعوا إلى إعطاء المهور[١].

وقيل: الخطاب لأولياء النساء، وذلك لأن العرب في الجاهلية كانت لا تعطي النساء من مهورهن شيئا، ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له بنت: هنيئا لك النافجة، أي هنيئا لك هذه البنت التي تأخذ مهرها إبلا فتضمها إلى إبلك فتنفج مالك أي تزيده وتكثره.

وقد رجح ابن جرير كون الخطاب للأزواج فقال: «وذلك لأن الله -تعالى- ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين للنساء، ونهاهم عن ظلمهن، ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم، فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين قيل لهم:

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء: ٣)

هم الذين قيل لهم: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وأن معناه: وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة، لأنه قال في الأول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ ولم يقل (فأنكحوا) حتى يكون قوله ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ مصروفا إلى أنه معني به أولياء النساء دون أزواجهن، وهذا أمر من الله لأزواج النساء المسمى لهن الصداق أن يؤتوهن صدقاتهن»[٢] والذي نراه أن الخطاب في الآية الكريمة يتناول كل من له علاقة بالنساء من الأزواج أو الأولياء وغيرهم من الحكام الذين إليهم المرجع في رد الحقوق إلى ذويها، والضرب على أيدي المعتدين والطامعين في حقوق النساء، وذلك لأن الخطاب من أول السورة موجه إلى الأولياء والأزواج فناسب أن يكون الخطاب هنا شاملا لكليهما فإن أعطوهن عن رضا كان حسنا وإلا أجبرهم الحكام على ذلك.

وقوله ﴿نِحْلَةً﴾ منصوب على الحالية من قوله ﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾ أي: صدقاتهن معطاة عن طيب نفس، أو منصوب على الحالية من المخاطبين، أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء.

وفي التعبير عن إيتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة الأداء، لإفادة معنى الإيتاء عن كمال الرضا وطيب الخاطر دون أن يكون لهذه النحلة مقابل.

وقوله -تعالى-:

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾

بيان للحكم فيما إذا تنازل النساء عن شيء مما أعطوا عن طيب خاطر منهن أي عليكم أيها الرجال أن تدفعوا للنساء مهورهن متناولة أو أقساطا، فإن حدث وتنازل لكم النساء عن شيء من هذه المهور بسماحة ورضا نفس، فكلوه أكلا سائغا، حميد المغبة، حلال الطعمة، خاليا من شائبة الحرام والشبهات.

والضمير المجرور في قوله ﴿مِّنْهُ﴾ يعود إلى الصدقات أي المهور.

وجيء به مفرداً مذكراً لجريانه مجرى اسم الإشارة كأنه قيل: فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء من ذلك المذكور وهو الصدقات فكلوه.

قال صاحب الكشاف: «وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل: فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن، إعلاما بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب عن طيب خاطر.

والمعنى: فإن وهبن لكم شيئا من الصداق، وتجافت عنه نفوسهن طيبات لا لحياء عرض لهن منكم أو من غيركم، ولا لاضطرارهن إلى البذل من شكاسة أخلاقكم، وسوء معاشرتكم فكلوه هنيئا مريئا»[٣].

وقوله ﴿نَفْسًا﴾ منصوب على التمييز من الضمير وهو نون النسوة في قوله ﴿طِبْنَ﴾ وهو محول عن الفاعل والأصل فإن طابت أنفسهن عن شيء منه فكلوه.

وجيء به مفرداً لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه كقولك: عندي عشرون درهما والمراد بالأكل في قوله ﴿فَكُلُوهُ﴾ مطلق التصرف والانتفاع.

وإنما خص الأكل بالذكر، لأنه معظم وجوه التصرفات المالية.

وقوله ﴿هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ حالان من الضمير المنصوب في قوله ﴿فَكُلُوهُ﴾ أو منصوبان على أنهما نعت لمصدر محذوف، أي فكلوه أكلا هنيئا مريئا، وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ، يقال: هنؤ الطعام وهنئ هناءة: إذا كان سائغا لا تنغيص فيه، وقيل الهنيء ما أتاك بلا مشقة ولا تبعة.

ويقال مرأ الطعام -بتثليث الراء- مراءة فهو مريء: إذا كان حميد المغبة والمراد المبالغة في تحليل ما يأتيهم من نسائهم عن طيب خاطر منهن، فقد كانوا يتأثمون من أخذ شيء من مهور نسائهم فقال الله -تعالى- لهم: إن طابت نفوسهن بالتنازل عن شيء من مهورهن لكم فكلوه هنيئا مريئا، لأنه حلال خالص من الشوائب.

هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية الكريمة: أنه لابد في النكاح من صداق يعطى للمرأة سواء أسمي ذلك في العقد أم لم يسم، قال القرطبي: وهو مجمع عليه ولا خلاف فيه[٤].

ومنها: أن هذا الصداق ملك لها، ومن حقها أن تتصرف فيه بما شاءت، ولم تفصل الآية بين أن تقبضه أو لا، ولذا قال بعض الفقهاء: لها أن تبيع مهرها قبل أن تقبضه لأنه ملك بلا عوض، وقال آخرون: ليس لها أن تبيعه حتى تقبضه لنهيه ﷺ عن بيع ما لم يقبض.

ومنها: أنه يجوز للمرأة أن تعطي زوجها -برضاها واختيارها- مهرها أو جزءاً منه سواء أكان مقبوضا معينا أم كان في الذمة، فيشمل ذلك الهبة والإبراء، وأنه ليس من حقها الرجوع فيما أعطت، لأنها قد طابت نفسها بذلك، وهذا رأي جمهور العلماء ويرى بعض العلماء أن من حقها الرجوع فيما أعطت.

قال الفخر الرازي: قال بعض العلماء: إن وهبت ثم طلبت بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا، وعن الشعبي: أن امرأة جاءت مع زوجها إلى شريح القاضي في عطية أعطتها إياه وهي تطلب الرجوع فقال شريح: رد عليها عطيتها، فقال الرجل: أليس قد قال الله -تعالى-:

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾

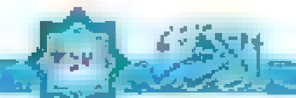
فقال شريح: لو طابت نفسها لما رجعت فيه

(١) تفسير الأزهر ... [illegible]

(٢) تفسير ابن جرير جـ٤ ص٢٤٢ بتصرف يسير

(٣) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٩٦ بتصرف يسير

(٤) تفسير القرطبي جـ٥ ص٢٤



وعن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه كتب إلى قضاته، أن النساء يعطين رغبة ورهبة، فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها[1].

ثم نهى – سبحانه – عن إيتاء الأموال للسفهاء، لدفع توهم إيجاب أن يؤتى كل مال لمالكه ولو كان سفيها فقال تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

(النساء : ٥)

والسفهاء جمع سفيه، والسفه – كما يقول الراغب –: خفة في البدن، ومنه قيل: زمام سفيه أي كثير الاضطراب، وثوب سفيه رديء النسج، واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل، ويكون في الأمور الدنيوية والأخروية. قال – تعالى – في السفه الدنيوي ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ وقال في السفه الأخروي

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾

(الجن: ٤)[2]

والمراد من السفهاء هنا: ضعاف العقول والأفكار الذين لا يحسنون التصرف.

والمراد من قوله ﴿قِيَامًا﴾ ما به القيام والعيش، يقال فلان قيام أهله: أي يقيم شأنهم ويصلحهم، وهو المفعول الثاني لجعل، أما المفعول الأول لجعل فمحذوف ويرجع إلى ضمير الأموال.

وقرأ نافع وابن عامر ﴿قِيَمًا﴾ على أنه مصدر مثل الحول والعوض.

وقرأ ابن عمر (قواما) بكسر القاف وبواو وألف – قال الآلوسي: وفيه وجهان:

الأول: أنه مصدر قاومت قواما مثل لاوذت لواذا، فصحت الواو في المصدر كما صحت في الفعل.

والثاني: أنه اسم لما يقوم به الأمر وليس بمصدر[3].

هذا، وقد اختلف المفسرون في تعيين المخاطبين بقوله – تعالى –: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ كما اختلفوا في المراد من السفهاء على أقوال أشهرها:

أن المخاطبين بهذه الآية هم أولياء اليتامى، وأن المراد من السفهاء هم اليتامى الذين لم يحسنوا التصرف في أموالهم لصغرهم أو لضعف عقولهم، واضطراب أفكارهم، وأن المراد بالأموال في قوله ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ هي أموال هؤلاء اليتامى لا أموال الأولياء.

فيكون المقصود من الآية الكريمة نهي الأولياء عن إيتاء السفهاء من اليتامى أموالهم التي جعلها الله مناط تعيشهم، خشية إساءة التصرف فيها لخفة أحلامهم.

وإنما أضيفت الأموال في الآية الكريمة إلى ضمير المخاطبين وهم الأولياء، مع أن هذه الأموال في الحقيقة لليتامى

للتنبيه إلى أن أموال اليتامى كأنها عين أموالهم، مبالغة في حملهم على وجوب حفظها وصيانتها من أي إتلاف أو إضرار بها.

قال الفخر الرازي ما ملخصه: والدليل على أن الخطاب في الآية الكريمة للأولياء قوله – تعالى – بعد ذلك ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ وأيضا فعلى هذا القول يحسن تعلق هذه الآية بما قبلها فكأنه – تعالى – يقول: إني وإن كنت أمرتكم بإيتاء اليتامى أموالهم، فإنما قلت ذلك إذا كانوا عاقلين بالغين متمكنين من حفظ أموالهم، فأما إذا كانوا غير بالغين أو غير عقلاء، أو إن كانوا بالغين عقلاء إلا أنهم كانوا سفهاء مسرفين، فلا تدفعوا إليهم أموالهم وأمسكوها لأجلهم إلى أن يزول عنهم السفه، والمقصود من كل ذلك الاحتياط في حفظ أموال الضعفاء والعاجزين»[4].

وقيل: إن الخطاب في الآية الكريمة للآباء، والمراد من السفهاء الأولاد الذين لا يستقلون بحفظ المال وصلاحه، بل إذا أعطى لهم أفسدوه وأتلفوه.

وعلى هذا الرأي تكون إضافة الأموال إلى المخاطبين على سبيل الحقيقة

ويكون المعنى: لا تؤتوا أيها الآباء أموالكم لأولادكم السفهاء، لأن في إعطائكم إياها لهم إفسادا لهم مع أن فيها قوام حياتكم وصلاح أحوالكم

ونحن نرى أن الخطاب في الآية الكريمة لجميع المكلفين حاكمين ومحكومين ليأخذ كل من يصلح له هذا الحكم حظه من الامتثال. وأن المراد بالسفهاء كل من لا يحسن المحافظة على ماله لصغره، أو لضعف عقله، أو لسوء تصرفه سواء أكان من اليتامى أم من غيرهم، لأن التعميم في الخطاب وفي الألفاظ عند عدم وجود المخصص أولى، لأنه أوفر معنى، وأوسع تشريعا.

وفي إضافة الأموال إلى جميع المخاطبين المكلفين من المسلمين إشارة بديعة إلى أن المال المتداول بينهم هو حق لمالكيه المختصين به في ظاهر الأمر، ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الأمة جمعاء؛ لأن وضعه في المواضع التي أمر الله بها منفعة للأمة كلها، وفي وضعه في المواضع التي نهى الله عنها مضرة بالأمة كلها، وتعاليم الإسلام التي تجعل المسلمين جميعا أمة واحدة متكافلة متراحمة تحجر مصلحة كل فرد من أفرادها عن مصلحة الآخرين.

وبعد أن نهى – سبحانه – عن إيتاء المال للسفهاء، أمر بثلاثة أشياء، أولها وثانيها قوله – تعالى –:

﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾

أي اجعلوا هذه الأموال مكانا لرزقهم وكسوتهم، بأن تتجروا فيها حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من أصل المال لئلا يفنيه الإنفاق منه.

وإنما قال: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ ولم يقل «منها» لئلا يكون ذلك أمرا بأن يجعلوا بعض أموالهم رزقا لهم، بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم بأن يتجروا فيها ويستثمروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال.

أما الأمر الثالث فهو قوله – تعالى –:

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

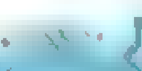
والقول المعروف هو كل ما تسكن إليه النفس لموافقته للشرع وللعقول السليمة، كأن يكلموهم

---

(1) تفسير الفخر الرازي جـ٩ ص١٥٢.

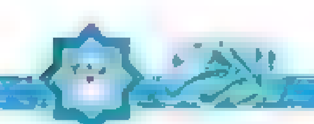
(2) المفردات في غريب القرآن ص٢٣٥ للراغب الأصفهاني.

(3) تفسير الآلوسي جـ٤ ص٢٠٦.



---

(4) [illegible]



كلاما تطيب به نفوسهم. وكذا بعدوهم عدة حسنة بأن يقولوا لهم: إذا صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم، وكأن ينصحوهم بما يصلحهم ويبعدهم عن السفه وسوء التصرف.

وفي أمره - سبحانه - للمخاطبين بأن يقولوا لهؤلاء السفهاء قولا معروفا، بعد أمره لهم برزقهم وكسوتهم، إشعار بأن من الواجب عليهم أن يقدموا إليهم الرزق والكسوة مصحوبين بوجه طلق، وبقول جميل بعيد عن المن والأذى. فقد جرت عادة من تحت يده المال أن يستثقل إخراجه لمن سأله إياه.

هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية الكريمة: وجوب المحافظة على الأموال وعدم تضييعها

قال صاحب الكشاف: «وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن، ولأن أترك مالا يحاسبني الله عليه، خير من أن أحتاج إلى الناس، وعن سفيان - وكانت له بضاعة يقلبها - : لولاها لتمندل بي بنو العباس - أي لولاها لا تخذوني كالمنديل يستخدمونني لمصالحهم -، وقيل لأبي الزناد: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ فقال: لئن أدنتني من الدنيا فقد صانتني عنها، وكانوا يقولون: اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه، وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له: اذهب إلى دكانك»[9].

وقال بعض العلماء: «ولنقف عند قوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾

لنعلم ما يوحي به من تكافل الأمة ومسئولية بعضها عن بعض، ومن أن المال الذي في يد بعض الأفراد «قوام للجميع» ينتفعون به في المشروعات العامة. ويفرجون به أزماتهم وضائقاتهم الخاصة عن طريق الزكاة وعن طريق التعاون وتبادل المنافع، وهذا هو الوضع للمال في نظر الشريعة الإسلامية، فليس لأحد أن يقول: مالي مالي، هو مالي وحدي، لا ينتفع به سواي، ليس لأحد أن يقول هذا أو ذاك، فالمال مال الجميع، والمال مال الله، ينتفع به الجميع عن الطريق الذي شرعه الله في سد الحاجات ودفع الملمات، وهو ملك لصاحبه يتصرف فيه لا كما يشاء ويهوى بل كما رسم الله وبين في كتابه، حتى إذا ما أخل بذلك فأسرف وبذر أو ضن وقتر حجر عليه»[10]

كذلك من الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية الكريمة: وجوب الحجر على السفهاء، لأن الله - تعالى - قد أمر بذلك، ووجوب إقامة الوصي والولي والكفيل على الأيتام الصغار ومن في حكمهم ممن لا يحسنون التصرف.

(9) تفسير الكشاف ج1 ص232

(10) تفسير القرآن الكريم ص201 لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت

في رحاب الذكرى

من شمائله ﷺ

الحديث عن رسول الله ﷺ له حلاوة الإيمان ونور القرآن وفيه رضا الرحمن. فما أن يطل علينا ربيع الأول ربيع الزمان وضياء الأكوان حتى تستظل بظل الرحمن في ذكرى حبيب الله ومصطفاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

فلقد اصطفى الله تعالى الأنبياء والرسل من البشر كافة وجعلهم مصابيح الهدى والنور، حيث اختصهم جل شأنه برسالاته وبكلامه وعصم نفوسهم من كل شر قبل الرسالة وبعدها فلا نصيب فيها للهوى أو شيطان وجعلهم خزائن علمه وينابيع رحمته، فهم خير البرية على الإطلاق عليهم صلوات الله وسلامه وبركاته أجمعين

ومن هؤلاء الأخيار المصطفين اصطفى الله تعالى محمدا ﷺ وبشر به آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وأدبه وعلمه وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وقرن اسمه تعالى باسمه في كل وقت صلاة وإقامة وفي كل تشهد لصلاة إلى يوم الدين

وضم الإله اسم النبي لاسمه
إذ قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد أمر الله المؤمنين بالصلاة عليه كما يصلي هو وملائكته عليه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

وخاطبه قائلا: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

وطمأنه وبشره قائلا له:

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور: ٤٨)

ومدحه قائلا:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)

ورسولنا ﷺ حبه مطبوع في قلوب الموحدين لأنه ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم حريص على ما ينفع المسلمين في الدنيا والآخرة وهل هناك حرص ومنفعة لهم وأعظم أثرا من منفعة الإيمان والفوز بالجنة والنجاة من النار.

انظر إلى الرسول ﷺ وهو يقول لأصحابه «من مات وترك مالا فهو لورثته ومن ترك دينا فأنا كفيله» وكان

ﷺ إذا حضرت جنازة يسأل أصحابها هل عليه دين؟ فإن كان عليه دين قضى عنه دينه، وكان يضحي يوم النحر بكبشين أقرنين أملحين كان أحدهما عن محمد وآل محمد وكان الآخر عن فقراء أمة محمد ﷺ ويؤكد الله تعالى هذه الكفالة والضمان للمسلمين فيقول جل شأنه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)

فرسول الله ﷺ أرحم بالمؤمنين من أنفسهم وذلك من فرط حبه للمؤمنين ويؤكد الله سبحانه وتعالى هذا المعنى بأن حتى زوجات رسول الله ﷺ قد انتقل إليهن جزء من هذا الحب الذي في قلب رسول الله ﷺ للمؤمنين فصرن في حبهن ورحمتهن بالمؤمنين كأمهاتهم بل هن أمهاتهم رحمة ورقة وعطفا. ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى حرم على المؤمنين نكاح زوجات رسول الله من بعده وذلك لأن الأمومة قد تأصلت فيهن وفي قلوبهن تجاه جميع المؤمنين، بل هن أمهاتهم رحمة ورقة وعطفا

ومن بواعث رحمته ﷺ أنه كان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، كما أمره ربه في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (محمد: ١٩)

فكان صلوات الله عليه وسلامه وسلم يستغفر الله للمؤمنين حبا فيهم ورحمة بهم حبا وميتا، فهو ﷺ يقول: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ» فيسأله الصحابة رضوان الله عليهم: كيف تعرض عليك وقد أرمت (أي أن الأرض تأكل جسد الميت) فقال ﷺ: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» رواه ابن ماجه وأبو داود، ويقول ﷺ: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه» رواه أحمد وأبو داود وكم من أناس يصلون على سيدنا رسول الله ﷺ في كل وقت وحين في الصلاة وفي غيرها فهم جميعا شملتهم رحمته ﷺ بأمته، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دينا فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته» أليست تلك الرحمة التي أودعها الله في قلب من اختاره واصطفاه لأداء رسالته التي كان حريصا على إسداء كل خير للمؤمنين ودفع كل شر عنهم في حياته وبعد مماته، ولذلك يروي ابن سعد عن بكر بن عبد الله قوله ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض عليّ أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استغفرت لكم».

ولكل هذه الشمائل العظيمة التي منحها الله لعبده ورسوله محمد ﷺ فقد بادله المؤمنون وأصحابه حبا بحب ورحمة برحمة بل إنهم قد تسابقوا إلى حب رسول الله ﷺ تسابقهم إلى الخيرات فهذا سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كان يسير في طرقات المدينة ويقول: «دلوني على أثر مسير رسول الله ﷺ عسى أن توافق قدمي أثر قدمه ﷺ» هذا يرينا مبلغ حب هؤلاء الأصحاب لسيدهم ﷺ مما جعلهم يتبعونه في العادات والأمور الدنيوية كما كانوا يتبعونه في العبادات كلها والمتأمل لكلام سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدرك أنه لم يبال إن تراب من وافقت قدمه أثر مسير رسول الله ﷺ كما وكذا ولم يسأل الناس عن أثر مسير رسول الله طمعا في الأجر الذي يحصل عليه، فليس الأمر عنده أمر ثواب وعقاب وأجر وعطية، بل إنه الحب المفرط لحبيب الله ومصطفاه محمد بن عبد الله ﷺ، ذلك أن الحب في حد ذاته نعمة كبرى من الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده، ولكن هذا فإن أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه يرون أن حبه هو مفتاح كل خير وباب كل توبة وأساس كل الطاعات لأن أساس هذا الحب هو اتباع منهج الحبيب محمد ﷺ وهو الطريق إلى محبة الله ورضوانه ذلك أنه سبحانه وتعالى اشترط لمحبة الله ورضوانه اتباع ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)

هذا وقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن النعمان بن عمير – رضي الله عنه – في بداية إسلامه، وكان يحب الله ورسوله حبا كثيرا ولكنه كان يفعل أمورا ويرتكب بعض الآثام التي توجب الحد، فلما تكررت منه تلك الآثام لعنه بعض الصحابة في مجلس رسول الله ﷺ وكرهوا منه مقارفته لما يستلزم إقامة الحد عليه وقالوا: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فغضب عليه الصلاة والسلام وقال لهم: «لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله» أو قال: «لا تلعنوه فوالله ما علمته إلا أنه يحب الله ورسوله» فحب الله ورسوله كان شفاعة له عند رسول الله ﷺ في أن لا يسبه أحد وهذا كان موضع شفاعة الرسول له وحمايته من السب واللعن ولكن الشفاعة لم تكن في إعفائه من إقامة الحد عليه، ذلك أن الحد لا شفاعة فيه لأنه من حقوق الله على العباد والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتفاوتون في حب الله وفي اتباع منهج رسول الله ﷺ ولكنهم كانوا يستشعرون التحاق بالنبي ﷺ في عبادته وطاعته ولذلك كانوا يخشون أن يحرموا منه يوم القيامة في عبادته وطاعته ولذلك كانوا يخشون أن يحرموا منه يوم القيامة لعلو مقامه ومنزلته، ولهذا فقد جاء في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «المرء مع من أحب» يقول الصحابة: ما فرحنا ببشرى من رسول الله ﷺ كما فرحنا بتلك البشرى، إن حب الله ورسوله إذا تمكن من قلب العبد المؤمن سرى في دمه وعروقه وتأثر بلا شك به في جميع ما يصدر عنه من أعمال وأفعال وأقوال، وأنه بذلك يصير عبدا ربانيا يسير في صراط الله المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، وما أعظم ما يحصل عليه المؤمن من جراء حب الله ورسوله لينال منزلة ما بعدها منزلة ومكانة ما فوقها مكانة، ذلك أنه يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا حب الله تعالى وحب رسوله باتباع شرعه والسير على منهاجه إنه نعم المجيب.

الصدقة في ميزان الإسلام ١٣

ملائكة الرحمن تدعو للمنفق بالخلف والإكرام

لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

يقول الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (غافر: ٧)

ويقول جل شأنه:

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى: ٥)

في الآيات إخبار عن كمال لطف الله - تعالى - بالمؤمنين، وما هيأ لهم من أسباب السعادة الخارجة عن مقدورهم، من استغفار الملائكة لهم من أجل صلاح دينهم.

قال السدي: المراد بمن في الأرض المؤمنون لقوله تعالى في الآية الأخرى:

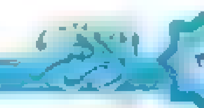
﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (غافر: ٧)

وزاد السدي ما معناه: إن ظاهر الآية العموم ومعناها الخصوص في المؤمن، فكأنه قال: (ويستغفرون لمن في الأرض) من المؤمنين.

ولا ريب في أن استغفار الملائكة عليهم السلام ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم. وقوله تعالى:

﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى: ٥)

فيه إشارة إلى قبول استغفار الملائكة عليهم السلام وأنه سبحانه يزيدهم رحمة من عنده على ما طلبوه من المغفرة.



وقال يحيى بن معاذ الرازي لأصحابه في هذه الآية: لو أن ملكا واحدا سأل الله أن يغفر لجميع المؤمنين لغفر لهم. كيف وجميع الملائكة وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين[1].

ولكي نقترب من فهم هذا المعنى الذي ذهب إليه يحيى بن معاذ عن عظيم فضل دعاء الملائكة يجدر بنا أن نقدم نبذة عن فضل الدعاء ثم نبذة عن فضل الملائكة.

إن الدعاء فيه تلك العبادة الروحية العظيمة، التي يحس فيها المخلوق بعظمة الخالق جل وعلا؛ حيث يتجه العبد إلى ربه بعد أن تنقطع عنه الأسباب، وتعجز عنه الحيل وتتخلى عنه المعونات، فيتوجه تلقائيا إلى خالقه وبارئه لينال عنده الشعور بالطمأنينة والراحة والسكون وليجد ما لم يجده عند البشر من عطاء كيف لا وقد لجأ إلى رب الأرباب؟! هذا ومن المعلوم الثابت أن للدعاء منزلة كبرى في الإسلام من حيث إنه مسألة وعبادة. فكونه مسألة، فالله - عز وجل - أفضل من سئل وخير من أعطى. ومن حيث إنه عبادة، فعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»[2].

ولكي يصدق العبد في دعائه يجب أن يصدق في عبادته، فالدعاء بغير عبودية دعاء بلا روح. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)

وقد أمر الله عباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء حيث قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠)

ومعنى يستكبرون عن عبادتي أي: عن دعائي، وقد جاء في الحديث: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه»[3].

ومن فضائل الدعاء أنه ينفع في ما نزل وما لم ينزل، فقد روت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الرسول ﷺ قال: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان - أي يتدافعان - إلى يوم القيامة»[4]، كما أن الدعاء المشروع يستوجب عطاء الله وفضله، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم دعا الله تبارك وتعالى بدعوة إلا استجاب، ما لم يكن فيها إثم أو قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من الشر مثلها، قالوا: يا رسول الله، إذا نكثر؟ قال: «الله أكثر»[5].

---

(1) تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٢٩٥.
(2) رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي والحاكم.
(3) رواه الترمذي وابن ماجه.
(4) رواه البزار والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد.
(5) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى.

والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في الدعاء وفضله وكرامته عند الله تعالى كثيرة، وقد أمر الله تعالى به رسله وأنبياءه وأصفياءه، وحكى عنهم القرآن الكريم والسنة المطهرة ألوانا عالية من الدعاء إلى الله العلي القدير، ومما جاء في كتاب الله المبين من أمر الرسول محمد ﷺ بالدعاء قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

وقوله تعالى:

[illegible]

(المؤمنون: ٩٧، ٩٨)

وقوله تعالى:

[illegible]

(المؤمنون: ١١٨)

هذا عن الدعاء، وأما الملائكة فهم من مخلوقات الله تعالى في كونه اللا محدود لا يعلمها إلا الله تعالى وحده، وقد أخبرنا الله تعالى ببعض خلقه ممن لهم صلة مباشرة بالإنسان، فأعلمنا سبحانه عن طريق القرآن الكريم وسنة نبيه العظيم بالملائكة والجن. والحديث هنا عن الملائكة. أما الملائكة فهم عباد الله المكرمون، وهم مخلوقات غيبية عنا، وقد خلقوا من نور فأجسامهم نورانية لطيفة. عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»[6].

وقد خلقهم الله تعالى قبل الجن وقبل البشر لتدبير شئون الكون بأمر الله تعالى، والملائكة لا نستطيع أن نراهم في الحالات العادية، وقد وهبهم الله تعالى القدرة على التشكل بالأشكال الجسمانية الحسنة المختلفة، ولهم قدرات خارقة ولا حصر لهم وهم طائعون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يتناكحون ولا يتناسلون ولا يأكلون ولا يشربون.

والإيمان بالملائكة من أركان العقيدة الإسلامية، قال تعالى في صفة عقيدة المؤمنين في سورة البقرة:

[illegible]

(البقرة: ٢٨٥)

كما جاء في حديث عمر بن الخطاب بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ - والمتضمن أسئلة جبريل - فجبريل يسأل والرسول ﷺ يجيب وكان من هذه الأسئلة قول جبريل: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[7].

(٦) رواه مسلم

(٧) رواه مسلم

وقد جاء الحديث عن الملائكة في مناسبات مختلفة في نحو خمس وسبعين آية في القرآن الكريم فمنهم حملة العرش، ومنهم الطائفون حول العرش، ومنهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور ومنهم الموكل بالمطر... إلخ.

هذه فكرة مبسطة عن الملائكة وعن فضل الدعاء ولك أيها القارئ العزيز أن تدرك بنفسك مقدار عظم فضل دعاء الملائكة الذي ورد في الحديث الشريف «اللهم أعط منفقا خلفا».

فقد علمنا رسول الله ﷺ الدعاء بظهر الغيب لإخواننا المسلمين، ووجهنا صلوات الله وسلامه عليه أن يسأل كل منا أخاه في الإسلام ليدعو له بظهر الغيب لأنه مستجاب. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «دعوة المرء مستجابة لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك يؤمن على دعائه كلما دعا له بخير قال آمين ولك بمثله»[8].

وإذا كان دعاء الأخ المسلم بظهر الغيب مستجابا فما بالنا بدعاء الملائكة الأطهار بظهر الغيب للمسلم المتصدق. وذلك من أمر الله تعالى حيث وكل سبحانه وتعالى من ملائكته المكرمين من يدعون لعباد الله المنفقين في سبيله تعالى، وما دام الإله العلي القدير هو الذي أمر ملائكته العظام بالدعاء فإن الإجابة منه مأمولة مرجوة بإذنه تعالى حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا».

هذا في الإنفاق على الأولاد وفي الطاعات ومكارم الأخلاق والصدقات ونحو ذلك، بحيث لا يذم ولا يسمى سرفا. والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا.

فإذا كان المتصدق يقصد بصدقته وجه الله كان ممن يناله دعاء الملائكة في قوله تعالى:

[illegible]

(غافر: ٧ - ٩)

وقوله تعالى:

[illegible]

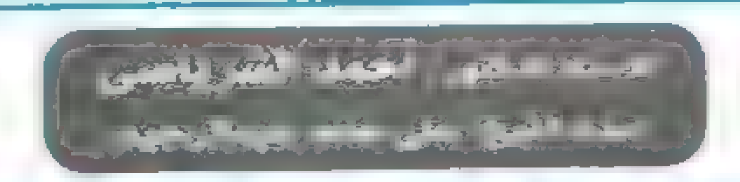
(الشورى: ٥)

فلك أيها القارئ الكريم أن تقدر وتقدر بنفسك قيمة ما تحصل عليه من ثواب الصدقة ومن دعاء الملائكة لك عند إيثارك الغير وتقديم صدقة له تعينه على أمر حياته، اسأل نفسك في نهاية الأمر: هل تحب أن يسبقك أحد في هذا المضمار؟

(٨) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه

من مشكاة النبوة

صلح الحديبية



الحمد لله تبارك وتعالى

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ٢٦٩)

أحمده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن الأخبار من عنده يقظة العقول وحياة القلوب،

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، جاهد بهمة وساس بحكمة فصلوات الله وسلامه عليه وعلى ذريته وأهل صحبته، وأتباعه وأنصار دعوته

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران: ١٠١)

بأتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

نحن كمسلمين ينبغي لنا دائماً أن نأخذ من تاريخنا الإسلامي العظيم، وسيرة رسولنا الكريم، القدوة أو العبرة التي تهدينا الطريق أمام الأحداث التي تمر علينا. ولعلنا نجد العظة والعبرة، والزاد لنا خلال غزوة الحديبية التي وقعت في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، فقد خرج الرسول إلى عمرة الحديبية لا يريد قتالاً، بل يريد ممارسة حق يجب أن يكون مكفولاً للمسلمين، وهو زيارة بيت الله الحرام، الكعبة المشرفة، والطواف حولها لله وباسم الله، ولكن الشرك الباغي أبى ذلك الحق على المسلمين، فعندئذ كان ارتفع النبي بالمسلمين إلى أعلى مستوى للتضحية والإقدام، فعاهدهم على الثبات في الميدان حتى الموت أو النصر، وبايعهم بيعة الرضوان والإيمان، بيعة الوفاء والفداء، وقال فيما قال: «والله لا أزال أجاهدهم على هذا الذي بعثني الله له حتى يظهره الله له، أو تنفرد هذه السالفة»[1].

أي تنفصل رقبتي عن جسمي، كناية عن الموت، وهنا أحس الأعداء بالخطر الجسيم من هذا التصميم ...

وتأتي عمرة الحديبية بعد أن مر المسلمون بأقسى تجربة، وهي غزوة الأحزاب حيث تمالأت قبائل الشرك واليهود على سحق المسلمين بتطويق المدينة من كل جانب، وثبت المسلمون ثبات الجبال، واحتملوا احتمال الأبطال، وجاء عون الله ففك الحصار ودفع الأخطار، وقال الرسول عندها لأصحابه: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا» بعد ذلك، نحن نغزوهم بإذن الله»[2]، وخرج المسلمون إلى الحديبية وقد أحسوا الجمع بين الرغبة في السلام والحرص على استرداد الحق، فقد خرجوا يريدون استرداد حق مسلوب هو دخول مكة وطوافهم بالكعبة وقد خرجوا في الوقت نفسه يريدون السلام، فخرجوا محرمين ناوين عبادة العمرة، مرددين كلمات التلبية وفيها معنى الاتجاه إلى الله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

شروط قاسية !!

ولم يحملوا معهم إلا أقل السلاح الشخصي الذي يراد به الدفاع عن النفس عند الحاجة وهو السيوف في الأغماد.

وشرط جماعة من أهل الشرك قبل النبي في عهد الحديبية شروطاً لم يرتفع إلى تعمق فهمها بعض الناس، ولكن الرسول وافق عليها بعد نظره ودقة فكره وتطلعه إلى غده مع تقدير حاضره، وكان هناك أمر الله وتوجيهه وتعريفه لرسوله:

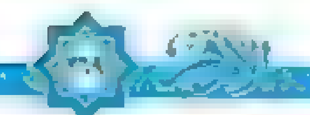
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣-٤)

وكانت شروط العهد تنص على أربعة أمور، أولها: وقف القتال لمدة عشر سنوات.

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]



وثانيها: حرية القبائل الأخرى في الانضمام إلى حلف المسلمين أو حلف المشركين.

وثالثها: أن من خرج من مكة إلى المسلمين أعادوه، ومن ارتد وفر إلى المشركين لم يعيدوه، وأن يعود النبي هذا العام ويأتي للعمرة في العام المقبل.

هكذا كانت الشروط، وكانت قاسية في ظاهرها، ولكنها بفضل الله وتوجيهه أدت إلى الخير الكثير والفتح المبين. فوقف القتال حينئذ كان فرصة ذهبية لنشر الإسلام وتبليغ الدعوة هنا وهناك وعقد روابط مودة وتعاون بين المسلمين وغيرهم، وحرية التنقل أمام المسلمين في أرجاء الجزيرة، ولقد دخل في الإسلام خلال عامين عقب عهد الحديبية عدد يبلغ عدد جميع من دخلوا في الإسلام خلال خمس عشرة سنة، أي منذ بدء الدعوة حتى عهد الحديبية، وتفتحت الأبواب المغلقة أمام الناس ليدرسوا الإسلام ويفهموه فيدخلوا فيه على هدى وبصيرة، وحسبنا أن نتذكر أن الرسول خرج إلى الحديبية ومعه ألف وأربعمائة فقط، وبعد عامين اثنين فقط خرج إلى فتح مكة ومعه عشرة آلاف.

وأما الشرط الذي أباح لكل من أراد الانضمام إلى محالفة أحد الفريقين، فقد أعقب خيراً وبركة، لأن كثيرين انضموا إلى المحالفة مع المسلمين. وكان هذا الشرط سبباً كما نعرف في فتح مكة. لأن قبيلة خزاعة انضمت إلى حلف المسلمين. فاعتدى عليها المشركون. فكان هذا الاعتداء مسوغاً للتأديب والاستئصال. فجاء فتح مكة. وتحقق به النصر العظيم:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

(النصر: ١-٣)

وأما الشرط الذي ينص على أن من خرج من مكة إلى المسلمين يجب رده، ومن يرتد من المسلمين ويخرج إلى المشركين فإنه لا يجب رده، فقد كان سبباً في بدء حركات الفداء والوفاء في صدر الإسلام، وكان أول من أقبل مسلماً هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو، ولما رده الرسول اشتد الأمر عليه وقال صارخاً:

«يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟» فقال له الرسول ﷺ موجهاً: «يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»(٣).

(٣) مسند أحمد.

وكانت هذه العبارة إشارة بليغة في التوجيه إلى المقاومة الفدائية التي ضاق بها المشركون أنفسهم، وطلبوا بأنفسهم التنازل عن إعادة هؤلاء الذين نظموا فرقاً للمقاومة التي قطعت على المشركين الطريق. وأما من ارتد عن الإسلام وهرب إلى المشركين، فلم يبق فيه خير للإسلام ولا للمسلمين، فماذا يعيبهم حتى يطالبوا برده إليهم، والله يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

(المائدة: ٥٤)

وأما الشرط الرابع، وهو تأجيل العمرة إلى السنة القادمة، فقد أعقب خيراً كثيراً، لأن العمرة تمت بعد ذلك على سمع الدنيا وبصرها، وأخلى المشركون مكة للمسلمين، فدخلوها وقضوا فيها ثلاثة أيام، وملئوا من مشاهدها عيونهم، وأعدوا أنفسهم لزيارة آتية يعلم الله ميقاتها وثمرتها، وهي ذلك الفتح العظيم:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾

(الفتح: ١)

ولذلك نرى كثيراً من الأئمة يعدون الحديبية نصراً كبيراً، لأنها كانت مفتاحاً لهذا الفتح العظيم، ولذلك يقول البراء بن عازب: «تعدون الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح يوم الحديبية».

انتزاع الفتح من الظلمات

وهكذا استطاعت كتيبة الإيمان بقيادة نبي الرحمن أن تحسن معالجة الأمور وتصريف الأوضاع، لتنتزع الفتح من خلال الظلمات، وأن تكسب النصر وسط الأهوال والأزمات والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يا أخ محمد

ماذا نستفيد من هذا الدرس؟

نستفيد أنه يجب علينا أن نصمم على النصر أولاً، وأن نكون يقظين حذرين ثانياً:

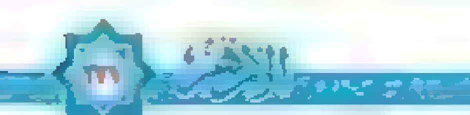
﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾

(النساء: ٧١)

وأن نواصل الإعداد بلا انقطاع:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

(الأنفال: ٦٠)



نماذج من شباب الإسلام

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب وعضو مجمع البحوث الإسلامية

لقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة فى قوله وفعله وسلوكه، وفى سائر مراحل حياته، فى الطفولة، وفى الشباب، وفيما بعد المبعث، كلها حياة نقية خالصة، لم تشبها شائبة وما عرف بين القوم إلا بالأمين

ولقد تخرج من الرعيل الأول نماذج كريمة، أخذت عنه واقتدت به، واهتدت بهدى الله سبحانه وتعالى، ومن هؤلاء:

على بن أبى طالب:

على بن أبى طالب كرم الله وجهه، الذى قدم -وهو شاب- بدور فدائى عظيم، حين قدم نفسه فداءً فى سبيل عقيدته، وفى سبيل الله ورسوله، لقد بات -ليلة الهجرة- على فراش رسول الله ﷺ، مع أنه كان على علم بمدى الخطر الذى كان يحدق به من كل جانب، قائلا: «والله ما أبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت علىّ».

سعد بن أبى وقاص:

وهذا هو سعد بن أبى وقاص نموذج فذ فى التضحية من أجل العقيدة، حتى وإن تعارضت مع أعز الناس عليه، ها هو فتى لم يبلغ من العمر عشرين سنة، يقول: لما أسلمت وكنت رجلا باراً بأمى قالت: ياسعد ما هذا الدين الذى أحدثت؟ لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى! فقلت: لا تفعلى يا أمى، فإنى لا أدع دينى، ومكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب، فأصبحت وقد جهدت، فقلت: والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت هذا الدين بشىء، فإن شئت فكلى وإن شئت فلا، فلما رأت ذلك أكلت وشربت، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿وصاحبهما فى الدنيا [illegible]﴾ (لقمان ١٥)

عبدالله بن عباس:

وهذا عبدالله بن عباس كان فى شبابه يمثل الذكاء الحاد، والعلم الجم، يقول ابن عباس: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لى معهم، فوجد بعضهم من ذلك، فقالوا: يأذن لهذا الفتى معنا، ومن أبنائنا من هو مثله، فقال لهم عمر: إنه من قد علمتم -أى من جهة ذكائه ومعرفته- قال: فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم، فسألهم عن هذه السورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقالوا: أمر الله عز وجل نبيه ﷺ إذا فتح عليه أن يستغفره وأن يتوب إليه، فقال: ما تقول يابن عباس؟ قلت: ليس كذلك، ولكن أخبر الله نبيه حضور أجله فقال: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فذلك علامة موتك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ فقال عمر: تلومونى عليه؟ ثم قال: «ما أعلم منها إلا ما تقول».

معاذ بن عمرو:

وهذا معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء، وموقفهما المشرف يوم بدر، قال عبدالرحمن بن عوف:

«إنى لفى الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن بمكانهما إذ قال لى أحدهما سراً عن الآخر: ياعم أرنى أباجهل، فقلت: يابن أخى ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه وقال الآخر سراً من صاحبه مثله، قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه»[٢].

مصعب بن عمير:

ومن شباب الإسلام، الذين كان لهم دور مهم فى الدعوة إلى الله ونشر تعاليم الإسلام مصعب بن عمير، أول داعية إلى الإسلام فى خارج مكة، عن عبادة بن الصامت قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشر رجلا، فبايعنا رسول الله ﷺ على ألا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء عذب وإن شاء غفر، قال ابن إسحاق: فلما انصرف القوم، بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير معهم، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، وكان أن فتح الله للإسلام بالمدينة بجهود مصعب وجهاده[٣].

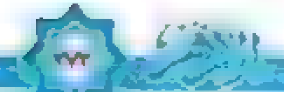
---

[١] [illegible]

[٢] [illegible]

[٣] [illegible]





أبو دجانة:

ومن شباب الإسلام من قدم جهوداً ضخمة في ميدان القتال، وفي ساحة الجهاد في سبيل الله فأبلى بلاء حسناً، ذلكم هو: أبو دجانة؛ ففي يوم أحد أخرج الرسول ﷺ سيفاً، فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجل فأمسكه عنه، حتى قام إليه أبو دجانة، فقال: وما حقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه يارسول الله بحقه. فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت، وحين رآه الرسول ﷺ يتبختر بين الصفين قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن»[1].

• الزبير بن العوام:

وروى عن الزبير بن العوام وكانت سنه إذ ذاك أربعا وثلاثين سنة يقول: غضبت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف وأنا ابن عمته. فمنعنيه، وأعطاه أبا دجانة، فقلت: والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة الموت، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله. قال الزبير: فقلت: الله ورسوله أعلم»[2].

• الخنساء:

ومن النماذج المشرقة في هذا المجال أيضا: الخنساء وأبناؤها وذلك في وقعة القادسية، عندما هم المسلمون بفتح فارس، وقد حضرت الخنساء، وأوصت بنيها الأربعة ليلا بقولها: يابني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقيها وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة، فلما أضاء لهم الصبح، باكروا إلى مراكزهم، فتقدموا واحداً بعد واحد، ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى قتلوا عن آخرهم، فلما علمت بمصرعهم جميعا قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

ومن خلال تلك النماذج السابقة نستطيع أن نتعرف على ما كان عليه شباب سلفنا من صبر ومصابرة نتيجة إيمان عميق، وعقيدة صحيحة، وسلوك مستقيم، وما اضطلعوا به من جهاد مبرور في سبيل الحق. ومن أجل رفع راية التوحيد مرفوعة فوق ربوع الأرض نماذج في الجهاد، وأخرى في العلم والتعليم والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك من شتى المبادئ والقيم والأهداف التي ترسموا في سبيلها معالم الدين القيم الذي رباهم على الرشد والهدى وتنشأهم على العزة والكرامة، ووجههم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

---

(1) [illegible] ج٣ ص٢٢٤.

(2) [illegible] الرسول ﷺ [illegible] محمد يوسف.

النور المحمدي

حوار لا تنقصه الصراحة حول مخطوطة مزعومة

لفضيلة الشيخ [illegible]

وقعت في يدي نسخة من كتاب بعنوان «الجزء المفقود من الجزء الأول من المصنف» للحافظ الكبير عبد الرزاق بن همام الصنعاني بتحقيق الدكتور عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري في مجلد [illegible].

ومن الوهلة الأولى فرحت كثيراً بالعثور على الجزء المفقود من مصنف عبد الرزاق، لأن العثور على أي جزء من أي كتب [illegible] يضاف إلى رصيد الحصاد العلمي، يسر به كل من يحبو في دروب الثقافة.

[illegible] في الحديث النبوي [illegible] شيء [illegible] صدر كل باحث في السنة وفي [illegible] المخطوطات [illegible] فرحتي لم تستمر طويلاً، [illegible] إذ حصلت على كتاب [illegible] فهرس موضوعاته [illegible] أبحث عن الناشر ودار الطباعة لأن ذلك يضيف إلى رصيد الثقة بالكتاب قبل المطالعة. لكني لم أجد دار النشر أو دار الطباعة، فكان هذا باعثا قويا على الريبة وعدم الثقة برغم أن الناشر تبرع بأن أشار إلى أن هذه هي الطبعة الأولى كما أنني وجدت دائرتين صغيرتين مدون عليهما - فاكس، وتليفون. وعنوان دار التجليد - فكيف يستسيغ محققه أن يدون هذه المعلومات الهزيلة، ويترك بيانات أهم؟! وعلى أي حال.. كان ذلك مبعث القلق وعدم الطمأنينة في الكتاب كله، على أنني أستطيع أن أزعم (رغم ذلك) أن موضوع الكتاب لاقى عندي قبولا وارتياحا لا أنكره. لكني لم أستسلم للقبول ولا للارتياح لأن الأمر فوق القبول وفوق الارتياح وفوق القلق وعدم الاطمئنان، والأمر يحتاج إلى كثير من الأناة والتروي وعدم الاستسلام للعواطف

بالسلب أو الإيجاب، لأن الأمر يتعلق بالحديث النبوي وتحقيق التراث، وكيف يجوز لمسلم أن يضيف حرفا ينسبه إلى رسول الله ﷺ وهو لم يقله، وهو يعلم أن سيفا مصلتا فوق رقاب الكذب والبهتان والافتراء بقوله ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وقد أشكل الأمر عليّ وصرت في حيرة من أمري!!! هل أسلم بما جاء في الكتاب من أنه تم العثور على الجزء المفقود من مصنف عبد الرزاق، وظهر في كتاب طبعه الأولى في سنة ١٤٢٥هـ علماً بأن صاحب المصنف الإمام عبد الرزاق الصنعاني (توفي عام ٢١١هـ) يعني أنه بين الكتاب المطبوع وبين تاريخ وفاة المؤلف أكثر من ألف ومائتي عام ١٢٠٠هـ فهذا وحده كاف في التشكيك في واقعة العثور على المخطوطة، لكني قلت وأنا أبغي دفع ظنوني: إننا في مصر نعثر على ورق البردي ليس بيننا وبينه ألف عام فقط، بل بيننا وبينه سبعة آلاف عام، فذلك شيء نألفه ولا غرابة فيه!!! لكني عدت أقول لنفسي ويقول لي وازع الأمانة والدين إننا في مصر نعثر على أوراق البردي مدفونة في باطن الأرض نستخرجها على أعين الناس وندعو أجهزة الإعلام للدعاية والتصوير، والعمل كله يتم على رءوس الأشهاد!!! أما هذه المخطوطة فقيل إنها عند فلان نسخها من فلان وهو يرفض أن يطلع عليها أحد، وأنها نقلت من أصل مفقود ضاع واحترق في بلاد الاتحاد السوفيتي، ما هذا التكتم المريب؟ وما هذا الإرجاف المزعج!!! لم أجد مرة أرسو عليه ولا يقف عند في غلائه، ولما لم أكن من أهل هذا الفن - علم الحديث - ولا من فرسانه وكل ما عندي أني شغوف بدراسات تدور حول علم الحديث وعلومه والسيرة النبوية، حملت شكوكي وظنوني وأملي في يقين يعيد أحوالي إلى أستاذ فاضل كريم عالم بالحديث وطرقه[1] له مؤلفاته وبحوثه وتحقيقاته الحديثية المهمة وألقيت المشكلة بين يديه أطلب رأيه في كتاب (الجزء المفقود من الجزء الأول من المصنف) وكما يقولون عند جهينة الخبر اليقين. فالقول قوله لأنه عالم وفارس هذا الميدان فهو الصادق المؤتمن وصدق الشاعر حيث يقول:

إذا قالت حذام فصدقوها

فإن القول ما قالت حذام

فنقل نرحب بسماحة العلماء ما سألته عنه وأجابني الجواب الشافي المفيد. وعرفت أن العلماء الأفاضل الذين كتشفوا زيف المخطوطة أرسلوا إلى فضيلته يطلبون رأيه في (المخطوطة) وذلك لمكانته العلمية وأمانته وصدقه ودقته وتحريه في مجال علوم الحديث وتحقيق المخطوطات، وفي تواضع شديد بعد أن تناولنا الحديث وأسئلتي حول المخطوطة أفادني فضيلته بأن عنده الردود التي كتبها العلماء للرد على مخرج المخطوطة وكشف زيفها ثم تفضل - جزاه الله العلماء العاملين الحريصين على بذل العلم لطلابه - فأحضر لي بنفسه صورة مما كتبه العلماء وأرسلوه إليه مشفوعا برأيه وكذلك رد الذي زعم أنه حصل على المخطوطة ثم رد العلماء عليه. واطلعت على ذلك كله ووجدت في رأي أستاذنا الفاضل خلاصة مهذبة بعيدة عن المهاترات والسباب وقال ما نصه. «وفي نهاية الأمر ظهر لي:

١ - هناك انتقادات شخصية وهذه لا أرتضيها خروجها عن الموضوع الذي تنشد الحق فيه.

٢ - معظم ما قيدته من ملحوظات علمية على بحث المقطعة (المخطوطة المزعومة) وجدت أن المقالات التي وصلتني قد تناولتها وزيادة ولم يعد لتكرارها حاجة وهناك ملاحظات لم أجدها، وهي كذلك (ويسرد فضيلته ملحوظاته مما يؤكد اختلاق قصة العثور على المخطوطة (ولا يسلك مثل حديثه) وأرى الملاحظات التي انفرد بها فضيلته عن المقالات الأخرى يقول فيها)

١ - أن صورة الصفحات التي اطلع عليها من النسخة الخطية التي اعتمد عليها المحقق - في تحقيق النص فيها دلالات ظاهرة على أنها نسخة غير موثقة وعلى أن ناسخها لم يراع طريقة المحدثين في كتابة الحديث وضبطه. وخلاصة هذا الكلام أن صورة الصفحات التي اطلع عليها أستاذنا المحدث نسخة غير موثقة لأنه شابها عيب وهو أن الذي نسخها ليس له علم أو دراية بأساليب المحدثين وطريقتهم في تدوين مروياتهم، فلكل أهل فن طريق وأسلوب خاص. كما أن المخطوطات تختلف خطوطها وطريقة كتابتها من عصر إلى عصر فالمخطوطات القديمة تختلف طريقة كتابتها عن المخطوطات الأحدث، بل إن المخطوطات يختلف بعضها عن بعض تبعاً لاختلاف الإقليم الجغرافي، فإن المخطوطات المشرقية تختلف عن المخطوطات المغربية وخط أهل المشرق يختلف عن خط أهل المغرب، يعرف ذلك بوضوح من عالج المخطوطات وتمرس على فك رموز الخطوط، وبالإضافة إلى اختلاف شكل الحروف المغربية عن الحروف المشرقية، فإن أهل المغرب لا يضعون نقطة على الفاء ولا يضعون نقطتين على القاف إنما يضعون أسفل القاف نقطة واحدة ثم يواصل الدكتور كلامه فيقول ما نصه: (فليس فيها أي حرف مضبوط الشكل مع وجود الكثير مما يحتاج إلى ذلك، كما أنه يضع في نهاية عنوان الباب ونهاية الحديث دائرة مطموسة من الوسط هكذا (●) والمصطلح عليه عند المحدثين وضع دائرة مفرغة من الوسط هكذا (○) فإذا قوبل المنسوخ بأصله وضع في وسط الدائرة نقطة أو شرطة، فيستدل بوجودها على أن النسخة قوبلت بأصلها، ثم يقول: وقد خلت هذه النسخة من ذلك ومن غيره من دلائل المقابلة بالأصل) انتهى كلام فضيلة الدكتور ويبقى الحوار ممتدا.

أولا: حول رفضنا لأسلوب الهجوم والتكفير الذي لم يرضه الأستاذ وأسماه (انتقادات شخصية صدرت من الطرفين وهذه لا أرتضيها خروجها عن الموضوع الذي تنشد الحق فيه).

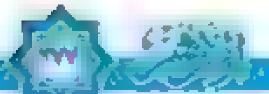
ثانيا: حقيقة النور المحمدي.. وما السبب في عدم ذكره والاعتراف به من خصوم المخطوطة إذا كان ثابتا، وهو ثابت فعلا، فلماذا الخروج عن موضوع إثبات المخطوطة والخروج إلى نفي النور المحمدي؟ هذا ما سوف نتناوله بإذن الله في العدد القادم.

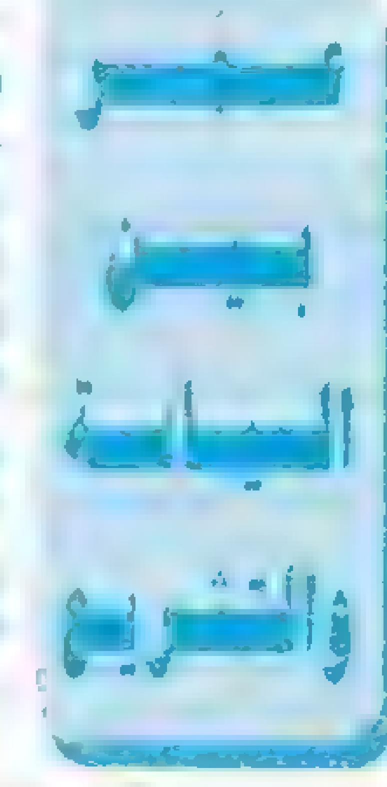
---

[1] هو الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، أستاذ ورئيس قسم علوم الحديث بجامعة الأزهر وله كتاب النفح الشذي في شرح جامع الترمذي لابن سيد الناس (تحقيق ودراسة)

وكتاب ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل بين الإفراد والتكرير والتركيب ودلالة كل منها على حال الراوي ودرجة حديثه

وكتاب [illegible] في حديث ربيع [illegible] في صحيح البخاري [illegible]





عمر بن الخطاب – رضى الله عنه وأرضاه – مجتهد ملهم وفقيه محدث، وإمام راشد عاش فى ظروف جعلت منه عبقرياً لا يفرى فريه أحد فى محيط الفقه والشريعة.

ولا أبالغ إن قلت إن الإمامة تمت بأرضنا إلى الفاروق فى كل شئون الحياة سواء فى سياسة الحكم وإدارة الدولة وفى التنظيمات المالية والإدارية أو فى القيادة لحركة الفتح الإسلامى أو فى الإدارة المحلية أو فى البيان والبلاغة واللغة والأدب. أما علم الفقه وأصوله وعلوم الشريعة فكان فارسها المجلى وإمامها الذى لا يبارى.

ولقد رأى النبى ﷺ فى الفاروق السماحة والعبقرية فدعا الله أن يكون عزا للإسلام، فكان إسلامه فتحا وهجرته نصرا وإمارته رحمة.

١- وحينما قيل لأبى بكر الصديق ماذا تقول لربك وقد وليت علينا عمر قال:

«أقول وليت عليهم خير أهلك».

٢- وقال عثمان بن عفان عن الفاروق:

«وإن سريرته خير من علانيته وإنه ليس فينا مثله ولن تلقى مثل عمر ولن تلقى مثل عمر ولن تلقى مثل عمر».

٣- وقال على – رضى الله عنه وأرضاه –:

«إن السكينة تنطق على لسان عمر».

٤- وقال عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه –:

«لو أن علم عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – وضع فى كفة الميزان ووضع علم الأرض فى كفة، لرجح علم عمر»[1].

ويقول الشيخ على الطنطاوى – رحمه الله – فى مؤلفه عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه –:

«قرأت سير آلاف العظماء من المسلمين فوجدت فيهم من هو عظيم بفكره، ومن هو عظيم ببيانه، ومن هو عظيم بخلقه، ومن هو عظيم بآثاره، ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها، فكان عظيما بالفكر والخلق والبيان».

(١) جميع الآثار أوردها ابن الجوزى: مناقب عمر بن الخطاب (ص٢٤٧)

وكان الفاروق – رضى الله عنه وأرضاه – يتمتع بحرية مطلقة منذ شروق إسلامه إلى أن لقى الله شهيداً، ولم يكن الرسول ﷺ يثنيه عن رأى يرتئيه، أو اقتراح يبديه إلا حينما يشعر أن الصواب فيما سواه أقرب، والحق فيما عداه غلب، وفى ذلك وغيره يشهد التاريخ أن عمر كان الشجاع البطل كان كالسيف المشهر بين يدى رسول الله ﷺ إلى أن يغمده.

مناقب عمر

وعمر – رضى الله عنه وأرضاه – على الرغم من رجاحة عقله الراسخ كان يحب أن يفهم كل شىء فهما مبنيا على دراسة للأمور ومعرفة بالحقائق وتفسير للغوامض. وصفات الفاروق العظيمة عديدة وأوليائه ومناقبه ملئت بها الكتب والأسفار شاملة كل جوانب شخصيته، غير أن هناك مناقب له – رضى الله عنه وأرضاه – تعد من المناقب الشريفة التى اختص بها من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

المنقبة الأولى: أنه أكثر صحابى حظى بشرف رؤية النبى ﷺ له فى المنام مرات عديدة، وقد أولها بالدين والعلم والحكم ودخول الجنة والعزة. وأن الأمة جميعا يرى فى المنام عمر عدة مرات، ففى ذلك دلالة على مكانته السامية ومنزلته الرفيعة وفى ذلك فرويا الأنبياء حق مبين كفلق الصبح المنير.

المنقبة الثانية: أنه ما طلب صحابى طلب الرسول ﷺ منه الدعاء إلا الفاروق – رضى الله عنه وأرضاه – دليل ذلك فيما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (حينما كان عمر مسافراً للعمرة) قال له ﷺ: «أشركنا يا أخى فى دعائك ولا تنسنا»[2] وبقى أثر هذه الحادثة على نفس الفاروق الأثر البالغ الذى ملأ نفسه بالاعتزاز والكرامة والإيمان حين قال «ما أحب أن لى بها ما طلعت عليه الشمس».

فالفاروق – رضى الله عنه وأرضاه – شخصية مشرقة فى كل جوانب الحياة، وسيرته معين عذب، يروى كل من نهل منه واقتفى أثره، ولقد استعرضت السيرة العمرية فأدهشنى الكثرة الكاثرة للآثار الواردة عنه – رضى الله عنه وأرضاه – والتى لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب السيرة أو الفقه أو التاريخ أو الاقتصاد أو الأموال أو الخراج أو السياسة أو الإدارة أو الأدب أو اللغة.. فسبحان من جعل التوفيق حليفه والحق يدور معه حيث دار.

وفى مجال الاجتهاد فإنى أجزم بأنه لا يوجد مجتهد فى تاريخ الإسلام بعد عصر النبوة وأبى بكر الصديق أعلم ولا أوسع اجتهاداً ولا أعمق معرفة فى شتى شئون الحياة من الفاروق – رضى الله عنه وأرضاه – فلم يقف ذهنه الوقاد عن حل أصعب المسائل وأعوص القضايا فى كل جوانب الحياة مع تعدد المسائل المجتهد فيها وتعدد المهام التى كان يتولاها من القيام بأعباء الحكم كخليفة للمسلمين،

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده برقم ١٩٥ مسند عمر بن الخطاب ...

وقاض يحكم فيما شجر بينهم ومسئول عن بيت المال ومراقب لأسواقهم يسهر لهم بالليل ويقوم بشئونهم في النهار، وكان إماماً للحج وإماماً للصلاة بل لولا عدله خكم تولى الأذان، وقد توسم الرسول الكريم ﷺ فيه ملكة الاجتهاد المضيئة فنماها ورعاها حق رعايتها حتى عادت بالخير واليمن على الأمة الإسلامية.

وإذا كان الصحابة الأجلاء هم الذين نقلوا إلينا الفقه في دين الله وتعاليم الدين الإسلامي الصحيح ونشروه في رحاب هذا الكون الفسيح، ونتج عن اجتهادات الصحابة وفهمهم في دين الله مدارس فقهية كان في صدارة هذه المدارس مدرسة المدينة أو «الحجاز» ومدرسة الكوفة أو «العراق» نظراً للآثار التشريعية الكبيرة التي تركها كل من هاتين المدرستين وكان لكل مدرسة رجالها البارزون وأعلامها المبدعون.

فقهاء المدينة

فأما مدرسة المدينة فإن رائدها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومن أعلامها أم المؤمنين عائشة وابن عباس وابن عمر - رضي الله عنهم أجمعين - وإمامها سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - وفقهاء المدينة السبعة رضوان الله عليهم أجمعين وسعيد بن المسيب هو راوية فقه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأعلم الناس بفقهه وآثاره وهو القائل: «ما أعلم بعد رسول الله ﷺ أحداً أعلم من عمر بن الخطاب» وقال مجاهد: «إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما صنع عمر بن الخطاب».

مدرسة العراق

أما مدرسة العراق فإن مؤسسها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي وكان ينحو منحى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - في الاعتداد بالرأي حيث لا نص من كتاب أو سنة وهو القائل: «لو سلك الناس وادياً وشعباً وسلك عمر وادياً وشعباً لسلكت وادي عمر وشعبه».

وإذا كانت هاتان المدرستان الفقهيتان لهما التأثير البالغ في الفقه الإسلامي فهما تعتبران حركة فقه الصحابة ومهدتا الطريق للمذاهب الإسلامية. فإن عمر - رضي الله عنه وأرضاه - هو رائدهما وقد أسهم في التوفيق بين النقل الحكيم وانسجامه مع العقل السليم وهذه نزعة عقلية لا يجتهد صحابي مثل الفاروق - رضي الله عنه وأرضاه.

وبذلك يصدق قول بعض التابعين: «دفعت إلى عمر فإذا الفقهاء عنده مثل الصبيان قد استعلى عليهم في فقهه وعلمه»[3].

وقال ابن سيرين رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يحدثك أنه أعلم من عمر فاحذره»[4].

وإذا استحق أئمة المذاهب الإسلامية لقب الإمام حينما استقل كل واحد منهم بمذهب فإن الفاروق - رضي الله عنه وأرضاه - يعد إماماً لكل واحد من هؤلاء الأئمة كما تشهد بذلك

(3) ابن حجر العسقلاني، الإصابة، المقدمة (ص ٥٣ - ٦٠)

(4) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب (ص ٢٤٧)

كتبهم وآثارهم التي ملئت باجتهادات الفاروق وأحكامه وفتاواه فساروا على سننه ونهجوا سبيله واقتفوا أثره.

وأثر الفاروق - رضي الله عنه - في التشريع الإسلامي برز من خلال أئمة الفقهاء. فقد كان قول عمر - رضي الله عنه - الحجة لديهم عند الاجتهاد يقول الإمام أبو زهرة رحمه الله: لقد قام الفقه في نظر أبي حنيفة على المأثور من فتاوى عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود. ثم يقول: «وقد رأينا أبا حنيفة يترك القياس إلى الأخذ بفتوى عمر - رضي الله عنه - في مسألة أمة العبد لأنه يعد أن يقرر أن القياس يوجب ألا يقتل الله به ولكنه يمنعه أن عمر - رضي الله عنه - أمر بمضاء أمان العبد. فيترك قياسه أو استحسانه ويفتي برأي عمر - رضي الله عنه - مقلداً له تابعاً». فهذا الإمام الأعظم أبو حنيفة وعلى هذه المكانة عمر بن الخطاب الفقهية. أما الإمام مالك - رضي الله عنه - ففي كتابه «الموطأ» لا يستشهد بعد رسول الله ﷺ بأحد مثلما استشهد بسنة الفاروق - رضي الله عنه - وهذا فيه دلالة على أن الإمام مالك يعتبر سنة الفاروق من لسان الشريعة الناصعة.

يقول الإمام مالك - رحمه الله -: «إن رسول الله ﷺ بين أظهرهم «يعني الصحابة» يحضرون الوحي والتنزيل.. حتى توفاه الله.. ثم قام بعده اتبع الناس له من أمته ممن ولي الأمر من بعده بما نزل بهم فما علموا أنفذوه وما لم يكن عندهم علم به سألوا عنه ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك»[5].

أما الإمام الشافعي - رحمه الله - فيقول:

«ما كان الكتاب أو السنة موجودين، فالعذر على من سمعهما مقطوع إلا باتباعهما فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أو واحد منهم، ثم كان قول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا...»[6] وحينما أخذ الإمام أحمد - رحمه الله - بقول عمر في بيع العربون في قصة شراء دار السجن من صفوان بن أمية قال الأثرم قلت لأحمد تذهب إليه؟ قال أي شيء تقول؟ هذا عمر - رضي الله عنه -[7].

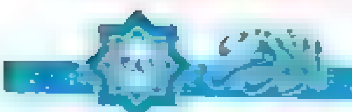
المنهج العمري

ولقد استعرضت ثلاثة من أهم المجتهدين في الفقه الإسلامي وهم الإمام ابن عبدالبر والإمام ابن حزم والإمام ابن تيمية. فكان الفاروق - رضي الله عنه - هو أهم مصادر الاجتهاد لديهم ولا يعدلون باجتهاده بعد الكتاب والسنة أحداً ولا يخرجون عن قوله إلا في حالات نادرة لأسباب في الأدلة غالبة. وليس هذا الصداد الذي

(5) موطأ الإمام مالك (ص ٩٠٥)

(6) الإمام الشافعي، الرسالة، المقدمة (التحقيق) (ص ١٩)

(7) ابن قدامة، المغني (٤ / ٣١٣)



أذكره على سبيل الحصر والاستقصاء وإنما على سبيل المثال والإيضاح ولكن الإمام عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – كان أثره بينا ساطعا فى كل فقه وعالم فى الشريعة الإسلامية يبغى الحق والإنصاف.

والامتياز فى المنهج العمرى فى الاجتهاد جعله المصدر الأهم فى تطبيق السنة النبوية لدى فقهاء الإسلام مع الأخذ فى الاعتبار القدرة العقلية للفاروق – رضى الله عنه وأرضاه – فى استنباط الأحكام والموافقات لنصوص التشريع وهى تعود لأسباب توافرت فى شخصيته البارعة المؤثرة إضافة إلى الصحبة والملازمة للرسول ﷺ وحبه للحق ولو على نفسه ولفهمه للحياة وللهدف من الوجود الإنسانى وجميع ذلك جعل منه عالمًا بشئون المعاملات الإنسانية بشكل عام والمعاملات المالية بشكل خاص، فآثاره تكون المادة الأساسية فى كتب الأموال والخراج والمعاملات المالية بشكل خاص، ورحم الله الأستاذ الجليل على حسب الله حينما قال: «إن عمر بن الخطاب هو أسبق زمنًا من هؤلاء الأصوليين – بل من نشأة علم الأصول نفسه – لم يقف اجتهاده عند هذا الحد الذى رسموه لأنه واجه من الأحداث ما لم يواجه غيره وكان هذا من أسباب امتياز عمر بسعة الأفق وتوسيع مجال العمل بالرأى السديد، لأنه لم يقتصر على الاجتهاد فيما لا نص فيه بل اجتهد فى تعرف المصلحة التى يرمى إليها النص من كتاب أو سنة واسترشد بهذه المصلحة فى أحكامه، أى أنه كان يعمل بروح الشريعة لا بمنطوقها فقط»[8]، وعمر – رضى الله عنه – راعى فى تطبيق نصوص التشريع مدى التوفيق بين النص التشريعى والمصلحة للأمة فكان التوفيق حليفه، ومع ذلك فهو الوقّاف عند كتاب الله وهو المتبع لسنة رسول الله وهو المتأسى بأبى بكر الصديق ثم هو عمر صاحب المنهج الفقهى الرائد والسنة المتبعة.

ومَنْ مثل عمر فى صدق إيمانه وقوة يقينه وسعة أفقه وحسن فهمه لدينه وإخلاصه فى عمله وحرصه على التمسك بالحق والعدل ؟!

ومن أمعن النظر فى اجتهاداته – رضى الله عنه – يعجب من صفاء نفسه ووضوح شخصيته، فهو يخاطب النفس الإنسانية بطريقة عملية، فكأنما يجتهد لزماننا الذى نحن فيه وقد مرت بيننا وبينه قرون متطاولة وسنوات متباعدة فنقف مذهولاً من هذه البراعة العقلية.

أيها الباهر العقول فما تدر

ك وصفًا أتعبت فكرى فمهلا

فرحم الله الفاروق ورضى الله عنه وأرضاه وجزاه عن الأمة الإسلامية خير الجزاء.

---

(٨) على حسب الله: أصول التشريع الإسلامي (٥١-١٨٠)

فى ذكرى المولد النبوى

ميلاد نبى..

للأستاذ/ محمد عبد الغنى حسن

[illegible] ... كالصُّبحِ بينَ جوانبِ الظَّلْماءِ؟

[illegible] ... جَاءَتْ بِهِ البُشْرَى مَعَ الأنبياءِ

[illegible] ... مِنْ رحمةٍ ومنارةٍ لِهُداءِ

[illegible] ... ومَسارُهُم فى الظُّلْمَةِ العَشْواءِ

[illegible] ... فى غَيْبَةٍ أو أُلْفوا بإخاءِ

[illegible] ... حَيْثُ الطرائقُ تُظْلِمُ الأنواءِ

[illegible] ... أو فيه من هدى نُبْلٍ مرائى

[illegible] ... إلاَّ طَرِيقَ التَّخَلُّفِ والشَّحْناءِ

[illegible] ... وتَحُثُّهُمْ فيهِ دَوافِعُ دَاءِ....

[illegible] ... ما فيهِ مِن نَبْتٍ ولا خَضْراءِ

[illegible] ... مَحْبُوبَةٍ وَمَواطِئٍ عَمْيَاءِ

[illegible] ... كيفَ القَرارُ عَلَى الطَّرِيقِ النَّائى!

[illegible] ... وَعَزَّ لمسالكٌ ضَيِّقُ الأنحاءِ

[illegible] ... أو فيهِ مِن قَدَمٍ بلا إعْيَاءِ

[illegible] ... مَعْمُورةٍ وَسَعتْ لهم بكَرَاءِ

متحيرين على السبيل كأنهم ... قد [illegible] من الصحراء
شاء بلا راع يؤلف بينها ... [illegible] تمشي بغير حداء
[illegible] الليل عن [illegible] يشرفيه ... ويرد عنهم صولة الأعداء
هذا ظلام الجاهلية لم يكن ... إلا ظلام الفكر والآراء
أدجى من الليل البهيم حلوكة ... وأشد وقعاً من يد سوداء
كانوا خفافيش الدياجي لم تعش ... إلا بجحر [illegible] الأرجاء
يمشون في [illegible] فتلا ... [illegible] خفي الأسماء
متفرقين هناك لم يتفيأوا ... [illegible] وينتكوا [illegible]
عبدوا من الأوثان كل حجارة ... منحوتة أو صخرة صماء
وأدوا وليداتهم بغير جريرة ... [illegible] بغير [illegible]
ما ذنبها حتى يعفر لحدها ... [illegible] لحفرة [illegible]
لو أنها سئلت لكان جوابها ... يدمي القلوب بأنفس الرحماء
إرث من الجهل البغيض ... وبكرة [illegible] الآباء [illegible]
[illegible] ... كيف الحياة على يد الرقطاء؟
ويد القضاء على بطائح مكة ... صاحي المشارق ساطع الأضواء
يمشي إلى النور في عليائه ... ويستبقهم من هجعة الإغفاء
يا أيها النور [illegible] ... قد غيبته [illegible]
ومحته كف الله وفي كفيلة ... بالفضح والتشعشع و[illegible]
في نور (أحمد) منه نور ساطع ... [illegible] لآية البيضاء
يمشي على [illegible] لجريرة [illegible] ... [illegible] الشبهة [illegible]
الليل طال على الهجود فأبشروا ... [illegible] بين [illegible]
[illegible] ... [illegible]
هذا هو الحق [illegible] ... خدع السراب ولا مخايل ماء
هو [illegible] ... ما كان أحوجهم إلى النعماء

[illegible] في ظهور محمد ... والله جسم الفضل والآلاء
[illegible] على الجزيرة [illegible] ... في كل ركن منه نفح رجاء
[illegible] ... واشتق عن صبح بغير خفاء
نور [illegible] الحق في [illegible] ... فتألق [illegible] والأنداء
[illegible] كل [illegible] ... ويغيب [illegible] كل مساء
[illegible] الأشعة من [illegible] ... فيها المرضى النفس كل شفاء
[illegible] مرضى القلوب [illegible] ... جاء الطبيب لكم بخير دواء
[illegible] ... وأتى لكم بالوحي والإيحاء
[illegible] ... ويمده بالشعر والشعراء
[illegible] ... والخالص الخالي من الأقذاء
[illegible] في الجهل [illegible] ... عن يومه في زمرة الجهلاء
[illegible] ... واختاره لتحمل الأعباء
[illegible] الأذى [illegible] ... وأشد مصطبراً على الإيذاء
[illegible] ... هل ينجح المسعى بغير وفاء؟
[illegible] ... الله في أخذ وفي إعطاء!
[illegible] ... استعصمت منه بخير لواء
[illegible] ... المال ليس مكون العظماء
[illegible] ... عن مجده إذ كان في الفقراء
[illegible] قد زرت [illegible] ... ما شاهدته [illegible] في الأرزاء
[illegible] أحمد كان مولد أمة ... عربية وشريعة سمحاء
خرجت من الصحراء [illegible] ... كصلابة الأحجار في الصحراء
[illegible] ... والسيف في يدها صقيل الماء
[illegible] على [illegible] ... وأشد صبراً في رحى الهيجاء
تدعو إلى الإسلام كل جماعة ... وتحبب في الإسلام كل نداء

مِن عوامل تقوية الروابط الاجتماعية

للمستشار / حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

الإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً كما يقول عنه علماء الاجتماع تحكمه مجموعة من الروابط، التي تفرضها حياته مع الآخرين في المجتمع وهذه الروابط متسعة. بحيث تشمل أية علاقة قد تنشأ بين الإنسان وبين أي مخلوق آخر، يشاركه الوجود في منظومة الحياة، ولو لم يكن من نفس نوعه أو جنسه، كالحيوان والنبات والجماد. فليس بغريب أو مستبعد أن تقوم علاقة بين الإنسان وأي من هذه المخلوقات وهو الجماد، كالتي أشار إليها قول الله تعالى، في حق قوم فرعون المجرمين

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٩)

وبمفهوم المخالفة، فإن السماء والأرض تبكيان على القوم الصالحين

والروابط الاجتماعية للإنسان، لا تقف عند حد الرابطة الطبيعية بالنسب والمصاهرة، بل تتعدى كل ذلك، إلى الصور والأشكال: كالقرابة متعددة الأطراف، والجوار والضيافة والصداقة، وغير ذلك من العلاقات الموجودة في الحياة الدنيا، والتي قد يستمر بعضها في الآخرة، كرابطة الخلة التي قال الله تعالى عنها:

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)

وإذا كان من المتعذر الإحاطة في هذا المقام بكل عوامل هذه الروابط، فإننا سنعرض لبعض أمثلة لها.

أولاً: اعرفوا أنسابكم:

من الأمور المهمة في حياة الإنسان، ما كان متصلاً بسلسلة نسب الإنسان، حتى تمتد إلى جذوره الأولى. وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، التي تحض على ذلك، منها ما رواه الحاكم وأبو داود الطيالسي، عن ابن عمرو الأموي، قال: كنت عند ابن عباس، فأتت إليه رجل يمت إليه برحم بعيدة، فقال: قال الرسول ﷺ: «اعرفوا أنسابكم، تصلوا أرحامكم، فإنه لا قرب بالرحم إذا قطعت، وإن كانت قريبة، ولا بعد بها إذا وصلت، وإن كانت بعيدة»، وما رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر».

وتعقيباً على هذا الحديث، يقول شيخ الإسلام المقبلي: إن الرسول ﷺ أمر بمعرفة الأنساب، وبها نعرف مظاهر الأخبار، ولا شك في أكثرها العادة الشاهدة، ومن العلماء من قال: إن تعلم النسب مندوب لصلة الرحم، وقد يكون واجباً إن توقف عليه واجب، وإن علم ما يعرف به النسب، بقدر ما يوصل به الرحم، مطلوب للشارع، كما صرح بذلك الإمام أحمد فيما رواه، بمسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: «تعلموا من أنسابكم، ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة»، وقد قال ابن حزم في كتاب النسب: من علم النسب، ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، ومنه ما هو مستحب. فمن ذلك يعلم أن محمداً رسول الله ﷺ، هو ابن عبدالله الهاشمي، فمن ادعى أنه غير هاشمي كفر، وأن يعلم أن الخليفة من قريش، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة، ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم، وأن يعرف من يتصل به، ممن يرثه، أو يجب بره من صلة أو نفقة أو معاونة، وأن يعرف أمهات المؤمنين، وأن نكاحهن حرام، وأن يعرف الصحابة، وأن حبهم مطلوب، ويعرف الأنصار ليحسن إليهم. لثبوت الوصية بذلك وهذه وأمثالها غايات سامية، يجب أن يحرص كل إنسان على تحقيقها، كي ينفعه في دنياه وأخراه.

ثانياً: الإحسان إلى الجار:

جاءت الوصية خيراً بالجار، في التعامل معه، في قول الله تعالى

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦)

أي أن الله تعالى بعد أن أمر بعبادته وحده، وعدم

الشرك به، أوصى بالإحسان إلى كل من الوالدين والأقارب واليتامى والجار القريب والجار الأجنبي وغيرهم، وفيما رواه الحاكم وأبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وتتضح أهمية هذه الوصية، فيما رواه الحاكم والإمام أحمد عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، أي أن الرسول ﷺ، علم من شدة توصية جبريل بالجار، أنه سيحكم بتوريث الجار من جاره بأمر الله تعالى، وقد قال العلماء: بأن يجعل للجار مشاركة في المال، بفرض سهم يعطاه مع الأقارب، أو بأن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة، والخبر مشعر بأن التوريث لم يقع. فمن التزم شرائع الإسلام، تأكد عليه إكرام جاره لعظيم حقه، والميراث قسمان حسي ومعنوي، فالحسي هو المراد هنا، والمعنوي وهو ميراث العلم، فإن حق الجار على جاره تعليمه ما يحتاجه.

ورُوِيَ عن مجاهد في مناسبة رواية هذا الحديث أنه قال: كنا عند ابن عمر بن الخطاب، عند العتمة وغلامه يسلخ شاة، فقال: ابدأ بجارنا اليهودي، ثم قالها مرة فمرة، فقيل له: كم تذكر اليهودي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكر الحديث، وهذا يؤكد أن الوصية بالجار غير مرتبطة بدرجة الإيمان، ويكفي لتحققها أن يشترك الجيران في الإنسانية، التي حرص الإسلام على إبراز تكريم الناس كافة على أساسها، بمقتضى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)

وإذا كانت مظاهر سلوك الإنسان تنحصر في صورتين هما:

الأولى: وهي إيجابية، بطلب القيام بالفعل، وتكون بصيغة افعل.

والثانية: وهي سلبية، بطلب الامتناع عن الفعل، وتكون بصيغة لا تفعل، وقد جاءت هاتان الصورتان واضحتين، في بيان حقوق الجوار، من خلال الحديث النبوي الشريف، الذي رواه الطبراني بسنده عن معاوية بن حيدة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «حق الجار: إن مرض عدته، وإن مات شيعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه، فتسد عليه الريح، ولا تؤذه بريح قدرك، إلا أن تغرف له منها».

ثالثاً: إكرام الضيف:-

فيما مضى من القرون الأولى، كان العربي ابن البادية، يشعل النار ليلاً، حتى يهتدي إليه الضيف، فيقوم على إكرامه، بل مازلنا نذكر ما عايشناه من سنوات العمر الأولى، عندما كان يجلس الرجل أمام بيته لتناول الطعام، على أعين الناس، لعله يجد ضيفاً أو عابر سبيل يشاركه هذا الطعام، ما الذي أصاب الناس الآن؟!، هل هو البخل أم الشح أم ضيق ذات اليد أم الحرص على متاع الدنيا، أو كل هذه الأمور مجتمعة؟!.

وهل أصبحت الجميع فلم يبق منهم صحيح عين؟!

إن من العجب العجاب، في أحوال الناس اليوم، أنهم يصلون ويصومون ويحجون، ويأتون بغيرها من عبادات الدين، ولكن يتغافلون عن أمور، لا تقل أهمية عن هذه العبادات، ألم يقرأ واحد من هؤلاء المصلين، ما رواه النسائي والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليسكت». وقد قيل إن المقصود بالإيمان في هذا الحديث، هو الإيمان الكامل المنجي من عذاب يوم القيامة، لا حقيقة الإيمان، وهذا على سبيل المبالغة في الحض على القيام بهذه الأفعال.

وقد قال ابن تيمية: ولا يحصل الامتثال، إلا بالقيام بكفاية الضيف، فلو أطعمه بعض كفايته، وتركه جائعاً، لم يكن له مكرماً، لانتفاء جزء الإكرام. وقد قال الرسول ﷺ فيما أخرجه ابن شاهين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- «من أطعم أخاه لقمة حلوة، لم يذق مرارة يوم القيامة».

رابعاً: حسن العشرة مع الآخرين:-

من الأصول العامة المقررة في شريعة الإسلام، الحرص على قوة وتماسك الجماعة، ولهذا كانت الأفضلية للعمل الذي يعود بالنفع عليها، أولى وأهم من العمل الذي يعود بالنفع على الفرد، لأن مصلحة المجتمع ككل مقدمة على مصلحة آحاد أفراده. ومما يؤكد ذلك أن ثواب الطاعة التي تقوم بها الجماعة أضعاف ذات الطاعة التي يقوم بها الفرد، وأوضح مثال على ذلك، الصلاة التي أخبر الرسول ﷺ عن فضل القيام بها في جماعة، بقوله الذي رواه الترمذي والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ «المنفرد» بسبع وعشرين درجة».

وفي هذا الإطار يمكن الوقوف على حقيقة فهم، ما أخبر عنه الرسول الكريم ﷺ في أحاديث كثيرة من إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام، فإطعام الطعام في هذه الأحاديث جاء عاماً، يشمل إطعام الغني والفقير على السواء. فقد روى الترمذي وابن ماجه والحاكم عن عبدالله بن سلام -رضي الله عنه- قال: أول ما سمعت من كلام رسول الله ﷺ، أن قال: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». ومما يؤيد هذا العموم، ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان والسيوطي في الجامع الصغير عن حبان بن أبي جبلة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أسرع صدقة إلى السماء أن يصنع الرجل طعاماً، ثم يدعو

إليه أناساً من إخوانه»، وما رواه البيهقي عن بديل والسيوطي في الجامع الصغير أن النبي ﷺ قال: «لأن أطعم أخاً في الله مسلماً لقمة، أحب إلي من أن أتصدق عليه بدرهم».

والإسلام لم يحظر على الناس الاستمتاع بالطيبات من الرزق، سواء كان ذلك لهم أو لغيرهم من خلق الله أجمعين، ومن باب أولى من تربطهم أخوة الدين، ولاسيما إذا وقع هذا في المناسبات المفرحة التي يأتي على قمتها الأعياد الدينية، والمناسبات الكريمة كذكرى المولد النبوي الشريف، وغير ذلك، فالنص القرآني عام، في قوله تعالى:

[illegible]

(الأعراف: ٣١)

وقوله تعالى:

[illegible]

(الأعراف: ٣٢)

وكما ذكر المفسرون: لا سرف في مباح، وأن من أخرج حق الله من ماله، ومهما أنفق منه بعد ذلك في المباحات فلا شيء عليه.

ولا يتوقف حسن العشرة على أتباع الدين الواحد، بل يجب أن يتعدى إلى جميع بني البشر، أياً كان دينهم أو معتقدهم، بل ولو كانوا كفاراً، أو حتى من الأعداء، لأن الأخلاق كل لا يتجزأ، نعم فائدتها الجميع من خلق الله، وهذا ما أبانت عنه السنة المطهرة، فقد كان أبو جهل، أعدى أعداء الرسول ﷺ، ومع ذلك فقد نهى النبي ﷺ المسلمين عن سبه، إكراماً لابنه سيدنا عكرمة -رضي الله عنه- فقد روى الحاكم في المستدرك بسنده عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، أن عكرمة بن أبي جهل شكا إلى رسول الله ﷺ أنه إذا مر بالمدينة قيل له، هذا ابن عدو الله، فقام الرسول خطيباً فقال: «لا تؤذوا مسلماً بشتم كافر». فأراد رسول الله ﷺ بذلك أن يبين حرص الإسلام على المحافظة على علاقة الأبوة وما تنبع عنها من مشاعر فطرية، برغم اختلاف العقيدة بين طرفيها.

وإذا كان المسلم يتأذى بشتم أبيه الكافر، فما بالك بالابن المسلم الذي يشتم أبوه أو أخاه المسلم، هذا الابن الذي أمره الله تعالى بالإحسان إلى والديه وأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة.

خامسا: أين الصديق الحميم؟!:

أحياناً يجد المرء نفسه محاطاً بالهموم من حيث لا يدري، وهذه إحدى سنن الحياة الدنيا، التي لا تخلو من الكدرات والمنغصات، وعندئذ لابد من السعي الحثيث، إلى من يخفف من وطأة هذه الهموم على النفس، ويكون المفزع دائماً إلى الصديق الحميم، عسى أن يكون لديه البلسم الشافي، الذي يساعد على الخروج من هذه الحيرة.

والله تعالى الذي خلق الإنسان، وهو أعلم بمن خلق، قدر فيه هذه الحاجة، وما تتطلبه من معونة تبعث عليها، وذلك على نحو ما أفصح عنه القرآن الكريم، من حال أصحاب النار من الكفار والعصاة، الذين يقول الله تعالى في حقهم:

[illegible] شافعين ولا صديق حميم

(الشعراء: ٩٩-١٠١)

ومن لطائف الإشارة في هذه الآيات، ما ذكره المفسرون من أن طلب المعونة عن طريق الشفاعة، جاء بصيغة الجمع «شافعين»، ولكن طلبها عن طريق الصديق جاء بصيغة المفرد «صديق»، وذلك لكثرة الشفعاء، وقلة الصديق، ولاسيما إذا كان صديقاً حميماً.

والصداقة رابطة إنسانية، تجمع شخصين أو أكثر، ولو لم يكونوا على دين واحد، وقد احترم الإسلام هذه الرابطة، وقدر لها قدرها، وجعلها شريكة القرابة النسبية، وذلك عندما رفع الحرج عمن يأكل طعامه في بيت الصديق، كما هو الشأن في بيوت أصحاب هذه القرابة، على نحو ما أشار إليه قول الحق تعالى:

[illegible]

(النور: ٦١)

وأيضاً للصديق الحق في الإنفاق عليه، كما هو مقرر لمن تجب على الإنسان نفقته، كالولد والزوجة وغيرهما، فقد روى البيهقي عن أبي حمزة إبراهيم -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: «كل نفقة ينفقها المسلم، يؤجر فيها على نفسه، وعلى عياله، وعلى صديقه، وعلى بهيمته -»، وقد كان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه هكذا، النموذج الأمثل للصديق الحميم، لسيدنا رسول الله ﷺ قولاً وعملاً، فكان صادقاً صديقاً، فهو الصديق.

إن ظروف الحياة المشتركة في المجتمع، مع تداخل وتعقيد المصالح فيه، وتكاثر الفتن التي تلاحق الإنسان ليلاً ونهاراً، تفرض عليه البحث عن الصديق الحميم، الذي يتخذه عدة وذخيرة، لمواجهة الأعباء التي تثقل كاهله في هذه الحياة، وليعلم أن الصديق الحق، كما جاء في الأثر: من صدقك، وكان معك، وإذا ما ريب الزمان صدعك، شتت فيك شمله ليجمعك، ومن هنا كانت ندرة الصديق، المستجمع لهذه الخصال، فما أحوجنا لهذا الصديق، في زمن عز فيه كل حميم؟!

والله تعالى ولي التوفيق،،،

متى يتحقق نصر الله

بقلم فضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

استبد أعداء الإسلام والمسلمين بالأمة الإسلامية والعربية، وصالوا وجالوا في طغيانهم واعتداءاتهم البربرية الوحشية على المسلمين والعرب: فقامت إسرائيل بأبشع حرب في تاريخها الدموي على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. مستخدمة الترسانة الحربية للولايات المتحدة الامريكية. التي تمدها بأحدث أسلحة الدمار الشامل التي تنتجها مصانعها الحربية

ولم تراع إسرائيل حرمة للأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين العزل فاغتالتهم وقتلتهم بالطائرات والصواريخ والدبابات والقنابل العنقودية والفسفورية المحرمة دوليا، بل وضربت المستشفيات وسيارات الإسعاف، ومنعت علاج الجرحى والمصابين، وهدمت المساجد والكنائس بالقنابل والصواريخ، ووصلت بها الوحشية والهمجية أن أغارت على المدارس بطائراتها الحربية وصواريخها فضربتها وهدمتها على من فيها من الأطفال والتلاميذ!!

وفاقت بشاعة إسرائيل وإجرامها في هذه الحرب القذرة غير المتكافئة ما سبق أن قامت به من وحشية في مذبحة دير ياسين، وفي مجزرتها على مخيمات صبرا وشاتيلا، وفي مذبحة قانا، وفي غارتها على مدرسة بحر البقر .. إلخ

ولم تعبأ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات الدولية أي اهتمام. وضربت بقراراتها ونداءاتها الموجهة إليها بإيقاف العدوان عرض الحائط[1] معتمدة على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية التي تبارك عدوانها. وتستخدم حق النقض «الفيتو» ضد أي قرار يدينها[1] وبلغ من غطرسة القوة وسطوة السلاح والحماية الأمريكية للعدوان الإسرائيلي أن قال أولمرت رئيس وزراء إسرائيل متحديا جميع دول العالم: «إن إسرائيل لا تخضع لأي قرار يفرض عليها من خارجها»[2]

وفي أثناء تلك المعاناة الشديدة التي يكابدها الفلسطينيون في قطاع غزة من العدوان الإسرائيلي الوحشي الهمجي عليهم. ومن الحصار البري والبحري والجوي الذي تفرضه إسرائيل على سكان القطاع لمنع وصول المساعدات إليهم. ومع افتقاد سكان القطاع الغذاء والدواء والطاقة حتى مات من بقي منهم جوعا ومرضا

ابتعدنا عن الله !!

في أثناء ذلك ارتفع صوت المسلمين في المساجد وعلى المنابر. وفي البيوت والمحافل بالدعاء والتضرع إلى الله العلي القدير أن يكف بأس المعتدين الظالمين. وأن ينصر المسلمين والعرب على أعدائهم أعداء الدين.

غير أن نصر الله -العاجل- لم يتحقق. وأخذ الله على يد الظالمين ذلك وتساءل المسلمون والعرب عن سبب ما وصلوا إليه من هذا الوضع، الذي كله خضوع واستسلام. وضعف وهوان، وخزي وعار[3] ولماذا لم يتحقق نصر الله؟[4]

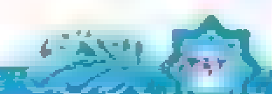
الإجابة واضحة صريحة. لا تحتاج إلى اجتهاد عقل أو إعمال فكر؟

هي أنكم ابتعدتم عن الله . هي أنكم أهملتم أوامر الله وتعاليمه فلم تستحقوا نصر الله وتأييده. هي أنكم لم تراعوا حرمات الله فتجرأتم على انتهاكها فحق عليكم غضب الله وعقابه. هي أنكم ارتميتم في أحضان أعدائكم تطلبون منهم الصداقة والعون ومظلة حمايتكم فسلطهم الله عليكم. هي أن استعان بعضكم بأعداء الله فأقاموا لهم القواعد العسكرية في أرض المسلمين والعرب ليضربوا منها إخوانكم المسلمين والعرب، فانطلق أعداء الله من تلك القواعد القائمة في أرضكم ليضربوكم في أرضكم ويذلوكم. هي أنكم هرولتم إلى بنوك أعدائكم فأودعتم فيها أموالكم وثرواتكم -التي هي في الحقيقة أموال المسلمين والعرب وثرواتهم- وحرمتم المسلمين والعرب من الانتفاع بها فانقلبوا أوصياء عليكم لا تملكون سحب جزء من هذه الأموال والثروات إلا بقدر ما يسمح به أعداؤكم بعد أن تحددوا لهم أين ستنفقون هذه الأموال، فأصبحتم لا تملكون من أموالكم وثرواتكم إلا أرقاما صماء على ورق، وأعداؤكم

---

[1] استمرت حرب إسرائيل القذرة الهمجية البربرية الوحشية غير المتكافئة على قطاع غزة ٢٢ يوما، وكانت حصيلتها كما نشرت جريدة الأهرام في عددها رقم [illegible] الصادر يوم الخميس ٢٢ يناير ٢٠٠٩ [illegible]

[illegible]



يبنون بتلك الأموال والثروات المصانع الحربية ليقتلوكم بإنتاجها، هي: أنكم بخلتم بأموالكم – التي هي أموال المسلمين والعرب – على الإنفاق في سبيل الله ورفع شأن المسلمين والعرب. وعلى الإنفاق في وجوه الخير التي يرضاها الله، وأسرفتم في إنفاقها على المعاصي والفحشاء والمنكر والبغي فحرمكم الله عونه وتأييده، هي: أن المسلمين والعرب فقدوا عدل الحكام وذاقوا مرارة ظلمهم، فحلّ عليكم غضب الله، ومكّن منكم عدوكم، هي: أنكم أغلقتم أبواب النصر وتركتم أسبابه وراء ظهوركم فأحال الله بينكم وبين النصر على أعدائكم.. فهل يحق للمسلمين والعرب بعد ذلك أن يتساءلوا عن أسباب ما وصلوا إليه من هذا الوضع الذي كله خزي وعار وذل وهوان؟ ولماذا لم يتحقق نصر الله؟

لقد دعا الإسلام المسلمين إلى الوحدة والترابط في صراحة واضحة لا تحتاج إلى تفسير ولا إلى تأويل ولا إلى اجتهاد، يقول الله – تعالى –:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

(آل عمران: ١٠٣)

لقد أمر الله المسلمين في هذه الآية الكريمة أن يكونوا جميعا متمسكين بكتاب الله، وبتعاليم دينه وأحكامه، في وحدة مترابطة تجمعهم؛ لأن الوحدة سبب قوتهم وغلبتهم وعزتهم ونصرهم.. ونهاهم عن التمزق والفرقة والتفكك، ففي ذلك سبب ضعفهم وقهرهم وذلتهم.. وذكرتهم الآية الكريمة بنعمة الله عليهم أن هداهم إلى الإسلام الذي وحّد شملهم وجمع كلمتهم وقوى جانبهم، فأصبحوا إخوانا متحابين بعد أن كانوا في الجاهلية أعداء متناحرين يضرب بعضهم رقاب بعض..

دول ممزقة .. وشعوب متفرقة !!

كما بيّن رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة، وتوجيهاته الكريمة، وإرشاداته الحكيمة، ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون من الصلة والترابط، والوحدة والتعاون، والحب والعطف، والنصرة والإعانة، والنجدة والإغاثة.. عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2]، وعن أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه»[3].

فهل يعقل المسلمون هذا الأمر الإلهي وهذا الهدي النبوي؟ لقد صاروا دولا ممزقة، وشعوبا متفرقة، وفرقا متناحرة، وجماعات متصارعة، ومذاهب مختلفة، بعد أن مزق أعداء الإسلام أمته الواحدة إلى

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين.
(3) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد.

دويلات وأقاليم متفرقة.. ورسموا مخططهم بحكمة، وذكاء شديد، سياسات طويلة المدى لشغل كل إقليم بذاته، وفرض حصار قوي عليه ليعيش في حدود قضاياه ومشاكله التي يديرونها ويصنعونها له.. وعملوا على غرس مبادئ ومفاهيم الوطنية والشعبية والقومية للإقليم الواحد لتأكيد العزلة، وفرض الغربة عليه.

الوحدة الإسلامية

لقد كانت الوحدة الإسلامية حقيقة واقعة أيام عصر الخلافة الإسلامية في المدينة ودمشق وفي العصر الذهبي لبغداد.. وكان المسلمون ينضوون تحت لوائها عارفين أنهم مهما تفرقت بهم البلاد وتعددت أسماء الأقاليم فإن راية الوحدة الإسلامية تجمعهم، يتنقلون بين البلاد شرقا وغربا دون أن يسأل أحدهم عن موطنه؟ إن موطنه هو الإسلام الذي يقول فيه القائل:

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

وحين صرخت أسيرة مسلمة في أقصى بلاد الإسلام قائلة: «وامعتصماه»، وجاء للخليفة المعتصم بالله الخبر، ترك كل ما كان فيه من أمور وعزم على نجدتها، ثم أسرع بجيشه لينقذ الأسيرة، ويحقق النصر المبين..

ولقد وعد الله – جل شأنه – وعد المسلمين بالنصر على الأعداء. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتأييد، وعلو مكانتهم ونفاذ السلطان، وقهر أعداء المسلمين ودحرهم.. غير أن هذه الآيات الكريمة لم تجعل هذا الوعد منحة ربانية تهبط على المسلمين من السماء لمجرد أن يقولوا: ربنا الله، أو لمجرد أن ترتفع حناجرهم بالدعاء قائلين: اللهم انصر المسلمين، أو لمجرد أنهم ينتسبون إلى دين الإسلام ويعلنون بألسنتهم: أنهم يؤمنون بالقرآن وأن محمدا نبي الله ورسوله.. وإنما جعلت هذه الآيات الكريمة هذا الوعد متحقق الوقوع، ثابت التنفيذ لمن عرف واجب الإيمان بالله ورسوله في حق نفسه، وفي حق جماعته، وقرن القول بالعمل، ثم أخلص في القيام بهذا الواجب، فطهر نفسه وجنبها المعاصي، وعاون جماعته بما رسمه الله في كتابه، وبما حدده الرسول الأمين في أحاديثه.. وعندئذ يكون المسلم قد أوفى بعهده لله، فيوفي الله له بعهده. يقول الله – تعالى –.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

(البقرة: ٤٠)

العهد: ما من شأنه أن يُراعى ويحفظ وأن يلتزم تنفيذه، ويضاف إلى المعاهِد والمعاهَد جميعا، يقال: أوفيتُ بعهدي أي: بما عاهدتُ غيري عليه، وأوفيت بعهدك، أي: بما عاهدتني عليه.

وعهد الله: أوامره ونواهيه، والوفاء به يتأتى باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، أي: أوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي، والطاعة لي في كل ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، وخافوني في السر والعلن، أوف بما عاهدتكم عليه من التمكين في

الأرض في الدنيا، والنصر على أعدائكم، والسعادة في الآخرة.

ويؤكد الله – تعالى – حتمية تنفيذ وعد الله وتقريره في قوله – تعالى – :

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾

(التوبة:١١١)

أي: لا أحد أوفى بعهده من الله – تعالى – لأنه إذا كان خلف الوعد لا يصدر من كرام الخلق – مع إمكان صدوره منهم – فكيف يكون الخلف من جانب الخالق – عز وجل – المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال؟

وعلى هذا الأساس جاءت الآيات الكريمة في القرآن الكريم التي تعد المؤمنين بالنصر والتأييد، يقول الله – تعالى – :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ [illegible] ﴾

(الحج ٤٠، ٤١)

فالله – سبحانه – يؤكد سنة من سننه التي لا تتخلف في أي زمان أو مكان، وهي: أن نصر الله لمن ينصر الله، أي: لينصرن الله من ينصر دينه وأولياءه؛ لأنه – تعالى – هو القوي على كل فعل يريده، العزيز الذي لا يغالبه غالب، ولا ينازعه منازع.. ثم بين – سبحانه – نصر الله كيف يكون؟ فوصف المؤمنين الذين ينصرون الله فوعدهم بنصره، بأنهم هم المؤمنون الصادقون الذين إذا مكّن الله لهم في الأرض أقاموا الصلاة في مواقيتها بخشوع وإخلاص، وقدموا زكاة أموالهم في مصارفها الشرعية التي حددها الله، وأمروا غيرهم بالمعروف ونهوه عن المنكر، والتزموا بتنفيذ قول الله – تعالى – :

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة: ١، ٢)

والتزموا أيضا تنفيذ قول الله – تعالى –

﴿ [illegible] ﴾

(الممتحنة:٩)

والله – تعالى – وحده عاقبة الأمور، ومردها ومرجعها في الآخرة، فيجازي كل إنسان بما يستحقه من ثواب وعقاب.

ومفاد ذلك أن من يتخلى عن طاعة الله، فلا يلتزم بأداء أوامر الله، ولا يتجنب نواهيه، ولا يطبق شرع الله على نفسه، فقد تخلى عن نصر الله فاستحق أن يتخلى الله عن نصره.

وقد أكد – سبحانه – هذا المعنى في أكثر من آية في القرآن الكريم، يقول – سبحانه –

﴿ [illegible] ﴾

(محمد ٧)

أي: يا من آمنتم بالله – تعالى – حق الإيمان، إن تنصروا الله بأن تستقيموا على أمره وعلى طاعته، وتتبعوا الرسول عليه الصلاة والسلام في كل ما أمركم به، أو نهاكم عنه، ينصركم الله على أعدائكم ويثبت أقدامكم عند قتالكم أعداءكم، ويوفقكم إلى كل ما فيه الخير لكم في دنياكم وأخراكم.

ولقد نفى القرآن الكريم أن يتحقق النصر والإنعام من الله بمجرد التمني، أو بمجرد الانتماء إلى دين أو كتاب، يقول الله – تعالى –

﴿ [illegible] ﴾

(النساء ١٢٣، ١٢٤)

لقد انتصر المسلمون الأوائل وهم قلة قليلة على أعدائهم وهم كثرة كثيرة، وعزوا وحققوا من المجد والرفعة ما جعلهم قادة وسادة؛ لأنهم لم يشغلوا بالدنيا، ولم يفتتنوا بها، ولم يركنوا إليها، باعوا الدنيا واشتروا الآخرة، صدقوا ما عاهدوا الله عليه فصدقهم الله، وكانوا إذا دعوا الله استجاب سبحانه لدعائهم؛ لأنهم حققوا شروط قبول الدعاء على أعظمها: طهارة الباطن والظاهر، وفعل الواجبات، والبعد عن المحرمات، وأكل الحلال، والبعد عن الحرام، تصديقا لقول رسول الله ﷺ حينما خاطب سعد بن أبي وقاص: «ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»[4] فإذا كان واقع الحال أن الذي يدعو ربه مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام.. فأنى يستجاب لدعائه!! وكيف يتحقق له نصر الله وهو لم ينصر الله!!

المسلمون .. ومكانتهم الضائعة

إن المسلمين اليوم للخروج من حالة الضعف والهوان التي يعانونها، ولإحداث تغير في وضعهم الذي هم فيه في المجتمع الدولي.. كي يستردوا مكانتهم الضائعة، ومنزلتهم المسلوبة، في حاجة ملحة إلى أن يبدلوا حالهم الذي يعيشونه.

وسنة الله في خلقه التي لا تتخلف أبدا اقتضت أنه – سبحانه – لا يغير ما بقوم من ضيق إلى فرج، ومن عسر إلى يسر، ومن ضعف إلى قوة، ومن ذل إلى عزة، ومن هزيمة إلى نصر، ومن نقمة إلى نعمة.. إلا إذا غيروا ما بأنفسهم من معصية إلى طاعة، ومن فساد إلى صلاح، ومن ظلم إلى عدل.. يقول الله – تعالى – :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد:١١)

أيها المسلمون: عودوا إلى الله وانصروه ينصركم قال – تعالى – :

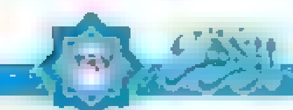
﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(محمد:٧)

صدق الله العظيم.

---

[4] الترغيب والترهيب ٢/٥٤٧.



قصة العدد

عُبَيدالله بن الحُرّ

«عندما تضطرب الأهواء.. تضطرب البطولة. هذه هي البطولة المنتحرة. ذلك عندما تعددت الأحزاب في الإسلام فتحردت سيوف الشجعان، يضرب بعضهم رقاب بعض»

ترى ابن الحر يعتزل في بيته في تلك الفتن الجارفة التي مزقت الكوفة وزعزعت أركانها ودعت بها الحروب والفوضى. كان عبيدالله بن الحر الجعفي رجل الحروب والمخاطر. وهو الذي قضى ما مضى من عمره في الكفاح منذ كان شابًا لم يبلغ العشرين إلى أن صار شيخًا ينيف على الستين. ولكنه آثر أن يلبث في بيته منقطعًا عن تلك الفتنة العمياء الجاهلة التي أثارها طلاب الملك من كل جنس. وما كان يدفع ابن الحر إلى أن يعتزل في مثل تلك الفتنة التي ترددت فيها صيحات الجاهلية، وثارت فيها عصبيات القبائل العمياء؟ لقد أصبح كل حي ثائرًا بالحي الذي يجاوره، وصار كل قبيل يتلمس نشوة الجاهلية ممن كانوا حلفاء لأسلافه. قبل أن يجمع الإسلام العرب ويؤلف بين قلوبهم

كانت قبيلة بكر بن وائل تحارب تميمًا، وكانت الأزد تدخل حربها مع بكر وتميم. فلا حوار ولا قرار ولا عقد ولا عهد، بل هي ضجة ثائرة، وأهواء متفرقة. وما كان ابن الحر الذي شارك في سبيل الإسلام في القادسية ونهاوند وهو شاب، ليشارك وهو شيخ في هذه الفتنة الشعواء التي تدور بين الأطماع مثل هذا العنف، وكادت تمزق الأمة وتهدم أركانه.

وقعد في بيته يناجي الهموم التي ملأت قلبه من ذكريات الحوادث التي مرت به، بعد أن تكشفت له حقائق الناس، وظهر له ما تنطوي عليه الحياة من نفاق وخداع ومن كذب وخديعة. كان قلبه الفتي من قبل ممتلئًا بالحماسة الخالصة، فما زالت الأعوام تكشف له الغطاء عن الناس غلالة بعد أخرى حتى



صدق بالحقيقة، وعاف المشاركة فيما يحرك إليه هؤلاء الناس، كان قلبه الفتي منذ أربعين عامًا يعطي للدعوة إلى الحق، ولا يبالي أن تسفك دماؤه في نصرته، ولا يرضى في جهده إلا أن يكون في صدر الخطر. ولكنه بعد هذه السنين الطويلة، لم ير إلا أن الخلاف قد أصبح على الحكم والسيادة وسلطان الحياة.

كان يسمع في كل موطن من مواطن القتال صيحات الحق والعدل تتجاوب من كل جانب، ولكنه لم ير في حقائق الحياة إلا الطمع في الأموال والزخارف ومتاع الحياة، فما الذي يدفعه بعد ذلك إلى المشاركة في الفتنة الجديدة؟!

وكان ابن الحر فوق هذا يريد أن يتذوق شيئًا من السلام في جوار امرأته الحبيبة «أم توبة» ابنة عمه سلمى الجعفية التي تزوج منها وقد نيف على الستين. وكانت فتاة في الصبا والعشرين، فملأت بيته سعادة، وأسبغت فيه السلام. وكانت حسناء رائعة يرى فيها ما هو أكبر من الحسن في وداعة نفسها وطهارة قلبها.

كانت أم توبة كلها روحًا وذكاء وطهرًا، فكان لا يحس إذ جالسها بما يفرق بينهما من عدد السنين. وعادت نفسه معها فتية تبتسم ويخفق كما كان في العشرين. لهذا لم تستدرجه الأنباء التي كانت تترامى إليه وهو معتكف في داره، ولم تعد لتلك المعركة على أن يعود إلى مجمع القتال القبلية. فسمع أن البصرة تضطرب، وأن أميرها ابن زياد هرب لا يدري أحد. ثم سمع أن الشام تتنازعها الأهواء بين عصبية بني أمية من ولد يزيد بن معاوية وبين مروان بن الحكم شيخ قريش. وسمع أن عبدالله بن الزبير

يدعو إلى نفسه، ويبعث الدعوات إلى الأمصار يستميل قلوب زعمائها وينزع إلى بيعته عشائرهم.

ولكنه لم يهتز إلى شيء من تلك الأنباء، وبقي على عزلته مغلقًا بابه عليه.

* * *

وكانت ليلة من ليالي الصيف بعد ستة وستين عامًا من الهجرة. والغبار الثائر في الجو يعقد مع الأبخرة في عنان كثيف. وأحس ابن الحر ضيقًا، فصعد إلى سطح داره بالكوفة ليقضي الليلة تحت السماء مطلًا على الصحراء ليتنفس ملء صدره، كما اعتاد أن يملأ صدره، إذ كان يضرب في فيافي اليمن قبل أن ينزل مدينة الكوفة.

وجاءه بعد العشاء جماعة يطلبون لقاءه، فشعر بقبضة زادت أنفاسه ضيقًا. فماذا يبغي الناس منه وقد اعتزلهم، وباعد ما بينه وبينهم؟

ولكنهم كانوا أصدقاء جاءوا يستأذنون عليه، فلم يستطع أن يردهم بالخيبة.

فقام من مجلسه فاتراً، ولبس عباءة من الديباج الأصفر وخفاً من جلد لين أحمر، ولف على رأسه عمامة من ثوب يمني، ثم مس بعض الطيب ومسح به لحيته، وكانت لاتزال سوداء تناثرت فيها شعرات بيضاء كأنها ندف من القطن علقت بها عفواً، ثم نزل متثاقلاً حتى بلغ رحبة الدار، فوثب الضيوف وقوفاً يرحبون به في حرارة.

كانوا جماعة من الشبان لاتضمهم رابطة من عصبية، تعودوا من قبل أن يجتمعوا حوله ويأتمروا بأمره، وقد جاءوا إليه لأنهم رأوا أمور الناس قد فسدت واضطربت، ولم يجدوا في حيرتهم من يلجأون إليه غير صاحبهم الشيخ الباسل الذي طالما علمهم أن يلزموا الحق وأن ينصروه في كل موطن.

ودار الحديث بين الجمع، فلمح ابن الحر من قولهم ما جاءوا من أجله فجعل يردهم في رفق ويرجعهم عن نفسه في تجمل، وطالت بينهم المناظرة فعجب الفتيان، كيف تبدل ابن الحر وتغير، وكيف رضي أن يقيم في عقر داره وقد اشتعلت الفتنة وهو الرجل الذي بنى مجده في معترك النضال من أجل الحق، وتجرأ شاب منهم فقال له:

- أيجمل بك الاحتجاب يا أبا الأشرس وهذه الحال كما ترى؟

فقال ابن الحر باسماً:

- قد أصبحت يا ابن أخي لا أرى.

فقال الشاب وقد أحس في جواب الشيخ شيئاً من الاستخفاف:

- ما عهدناك إلا ذا بصر وبصيرة يا شيخ جعفي.

فأطرق الشيخ لحظة وملك نفسه ثم قال:

- لقد علمت حسن رأيك يا جرير بن كريب، ولكني آثرت أن أعكف على صلاتي وأنتظر لقاء ربي.

فقال جرير في شيء من الصراحة:

- عرفناك مصيباً كما عرفناك تنتظر لقاء ربك في كل لحظة، ولكن ذلك لم يمنعك من نصرة الحق.

فلم يتمالك ابن الحر أن تبسم وقال في دعة:

- الحق؟ أين الحق يا ولدي؟

فتحرك القوم قلقين، وقال أحدهم في صوت أجش:

- أنكرت الحق يا أبا الأشرس وقد طالما نصرته؟

فعاد ابن الحر إلى الإطراق، وانعقدت على وجهه عبسة، وقال بعد قليل:

- وكيف أنكر الحق وقد قضيت العمر أنصره؟ إلا أني قد رأيت الناس قد صار أمرهم إلى فتنة عمياء، ألم تسمعوا عبدالله بن عمر صاحب الرسول يقول: «إنها فتنة، القاعد فيها خير من القائم»؟ ألا ترى ذلك يا أخا الأزد؟

فقال الرجل معبساً:

- إنها كلمة قالها ابن عمر لينذر بها صحبه، وما أنت وابن عمر؟

فتحرك ابن الحر في شيء من الامتعاض وقال:

- مهلاً يا عمرو بن جندب. ألم يكف هذا العدد من قد وثبوا به؟ ألا يكفيك أن ترى في الشام مروان، وفي البصرة ابن الزبير، وفي فارس ابن الأزرق وفي خراسان ابن حازم؟ أتريد أن نثب نحن كذلك على

الكوفة، فنزيد في الفتنة عصبة أخرى تسفك الدماء؟ لا لقد آن لابن الحر أن يتحاشى دماء المسلمين يا عمرو بن جندب. لقد أرقت من الدماء في حروبي ما أرجو أن يغفره الله لي، إذ أرقتها وأنا أحتسب أني أجاهد في سبيله، ولكني أرى القتال أصبح اليوم في سبيل النهب وحدها. لا يا عمرو لن أسفك بيدي هذه دماً جديداً. وما الذي جد في الأمر حتى تتحدث عن الخروج؟ لقد تابعت البصرة ابن الزبير وما نحن والبصرة إلا كجناحي هذا العراق، إن في البصرة قوماً لا يقلون عنا عدداً، وليسوا دوننا شرفاً، وما أسلموا أمرهم لابن الزبير إلا بعد أن ذاقوا مرارة الفتنة فيما بينهم، ألا تعرفون ماذاقت البصرة من الويل والخراب إذ وثبت بكر بتميم، ووثبت تميم بالأزد؟ أتحبون أن يرى بالكوفة ما رأت أختها من قبل؟ هذا هو الأحنف بن قيس سيد تميم بالبصرة وهذه بكر بن وائل مع مالك بن مسمع، وهذه الأزد مع ابن عمرو، قد اتفقوا جميعاً على أن يتجنبوا القتال ويبايعوا لابن الزبير، فلم لا تبايعونه وتحقنون الدماء؟

وكان ابن الحر يريد أن يستمر في حجته، لولا أن قاطعه أحد الفتيان صائحاً:

- لقد صدقت يا ابن الحر، أنت لست ترى شيئاً.

فضحك الشيخ وعبس عبسة مظلمة، والتفت إلى الفتى غاضباً وقال:

- ألمثلي يقال هذا يا محشر؟ أما والله لولا علمي بما عندك من المودة لأجبتك جواباً لا ترضاه.

فقال المحشر معتذراً:

- لم أقصد يا أبا الأشرس أن أسيء إليك بل أقصد أن أقول لك إنه قد جد في الأمر جديد لا تعرفه. وقد كنا نحسبك قد سمعت بما كان.

فسكن ابن الحر وقال هادئاً:

- وما ذاك الجديد يا محشر؟

فقال الشاب في حنق:

- خرج ابن أبي عبيد - المختار بن أبي عبيد الثقفي، وثار أتباعه اليوم فقتلوا الشرط، وهرب الأمير ابن مطيع عامل ابن الزبير. -

فوجم ابن الحر ونظر إلى القوم فاتحاً عينيه كأنه لا يصدق ما يسمع، ثم قال في شيء من الحزن:

- أهي فتنة أخرى؟

فصاح جرير:

- هي صفقات بيع وشراء.. خرج منادياً بدم الحسين ليقبض لنفسه ميراث الحسين!!

فقال ابن الحر في حنق:

- بريء الحسين منهم.. أشهد لقد سمعت الصادق يحكي عن هذا الرجل أنه ما كان يبغض في الناس أكثر من بغضه علياً وولد علي.

وأخذ الفتيان يصفون ما يعلمون من حال المدينة وما صارت إليه أمورها وصاح المحشر متحمساً:

- نحن اليوم بين أمرين لا غنى لنا عن الاختيار بينهما: نقيم في يد المختار الثقفي، أو نقاومه لنمنع طغيانه ونفاقه.

وشمل الجمع سكون مدة لحظات طويلة، كانوا فيها ينتظرون جواب ابن الحر، كانوا ينظرون إليه ويرقبون حركات وجهه إذ هو مطرق واجم محمر الوجه، كأنما ينتظرون صوت القضاء، وكان ابن الحر في إطراقه يفكر وتتقاذفه الخواطر وتتجاذبه الميول، أيخرج عن عزلته التي ركن إليها وأمل أن

يعد فيها عن القتل ليتذوق السلام فيما بقي له من أيام؟ ثم يبيع فتيانه ويعود إلى المطامع القاسية مرة أخرى عصبًا من أن يتولى الأمر طاغية ظالم، أكان جديرًا به أن يبقى على عزلته ويترك الأمر يؤول إلى ابن أبي عبيد ويتحمل ذنب كل ما يقع منه من المفاسد والمظالم؟ ولكن من هناك في الزعماء.. إلا ظالم وطاغية؟ إنهم جميعًا يبيعون ويشترون ولم يكن منهم من يقصد إلا أن يحرز لنفسه منفعة.

ورفع ابن الحر رأسه في بطء وقال:

- أيها الشجعان! لا أحسبكم تظنون بي الجبن عن خوض الحروب فلقد كنت كما تعلمون في صدر الأخطار دائمًا ولكنني رأيت هذا الأمر قد صار منازعة الأطماع بعد أن ذهب الأوائل إلى القبور، فإذا أنا اليوم قاتلت فلن يكون قتالي إلا في سبيل بعض من يريد شراء عرض من أعراض هذه الدنيا، ولن أبذل في سبيل هؤلاء نقطة من دماء المسلمين، لا.. لن أكون مثل هذا أبدًا!

فعاد السكون لحظة أخرى طويلة، وتردد الفتيان به يجيبون وهم بين هيبة شيخهم وبين حنقهم من تخذيله إياهم، ثم انفجروا غاضبين، وجعل كل منهم يلقي إليه سهمًا من قوله، وقام ابن الحر غاضبًا مما جبهوه به، وقال في صوت متهدج:

- لقد بلغتم من عمكم فحسبكم!

فأحسوا عند ذلك الخجل مما قالوا، وطأطأوا رءوسهم وقاموا وهم يكتمون ما على ألسنتهم من ألفاظ الحنق، ولكن المجشر التفت نحوه وهو منصرف وقال:

- أو تحسب يا أبا الأشرس أنك تقيم في دارك آمنًا؟ والله لتعودن إلينا إذا رأيت الطلب حثيثًا في آثارك، والله لن يتركك ابن أبي عبيد في نسكك هذا، فاقعد ما شئت فسوف يحتوشك الكلاب، ولئن عدت يومًا إلى ما ندعوك إليه الآن لتجدننا سراعًا إلى تلبية ندائك.

ثم سار الفتيان وذهبوا عنه وهم صامتون، وعاد ابن الحر إلى مجلسه من ابنة عمه فأفضى إليها بما كان، وجعل يحدثها ويعيد عليها حججه التي رد بها الفتيان، وكأنه أراد بذلك أن يقوي نفسه، إذ أخذ يشعر أنه قد خان الفتيان فيما عاهدهم عليه من قبل.

ونظر إلى سلمى ينظر جوابها ويستوحي خاطرها، فقالت وقد علمت ما يريد:

- أحسنت والله يا أبا الأشرس لو أن المختار تركك آمنًا في بيتك.

فأطرق ابن الحر حينًا وهو صامت ثم رفع رأسه وتكلف الابتسام وقال لامرأته في قلة مبالاة:

- ستري ما يفعل ابن أبي عبيد.

ثم انتقل معها بالحديث إلى حيث كانا من قبل يتناجيان.

ومر الصيف ومضى من بعده الشتاء، وأقبل الربيع في موكبه تهب فيه الريح رخاء، وتسرح السحب البيضاء في السماء الصافية والمروج في حلته الخضراء، والزهر يبسم للحياة الجديدة، ولكن ابن الحر لم يكن في بيته، إذ خرج مع سبعمائة من أصدقائه الشبان إلى المدائن وعسكروا هناك يستجمون بعد رحلة طويلة هبطوا فيها من الجبل.

لقد صدق ما تنبأ به المجشر عندما ذهب إلى ابن الحر في داره مع الفتيان منذ أقل من عام، ولم يستطع ابن الحر أن يقيم في الكوفة آمنًا في عزلته. كانت عزلته متهمة، وكان زهده في الأمر مستنكرًا، بعث إليه أشراف الكوفة أن يشاركهم في الانتصار على المختار بن أبي عبيد، فلم يجب وبقي في عزلته غير آبه لشيء من سوء ظنهم. ولكن المختار ظن به الظنون هو الآخر لأنه كان معتزلًا عنه كما اعتزل الناس جميعًا ولم يقتنع منه المختار بهذه العزلة. فأرسل إليه الرسل يدعوه إليه. فرد ابن الحر الرسل معتذرًا ولم يذهب إليه ثم أبلغ عنه المختار وقيل هو في الأمر.. فساء ظن الطاغية فيه وأخذ يدبر للإيقاع به كما أوقع بمئات غيره من سادة الكوفة الذين اعتكفوا في بيوتهم اتقاء الفتنة وأتاه الفتيان يومًا يحملون إليه نبأ ما يدبره المختار للإيقاع به، فتردد حينًا حتى استيقن من الأمر، فلم يكن له بد من الخروج معهم، ثم غادر الوطن وخلف ابنة عمه زوجه في الكوفة وأمسك قلبه أن يحزنه عند الوداع.

وكان يومًا عاصفًا باردًا من أيام ذلك الربيع وقد دنت الشمس إلى الغروب، وصمت الأفق دون الشفق.

ونزل ابن الحر وفتيانه في واحة ملتفة الشجر عند النهر يكمنون فيها حتى لا يبصرهم من يسير على الطريق الواضح، وأقاموا على مداخل الواحة ربيئة تحرسهم من أرصاد العدو، وحسبوا حول الحفرة وقدموا لها ما يستطيعون. وكانت رحالهم وحدائجهم مبعثرة في أطراف الواحة تحت الشجر، وتغطي الساحات الفسيحة التي بين الدحال الملتفة شيء كأنها ألقيت هناك على عجل، وبأن أصحابها لا ينوون الإقامة هناك إلا قليلًا. ولما غابت الشمس هبوا إلى الصلاة يؤمهم ابن الحر، حتى إذا ما انتهوا من الصلاة ذهبوا إلى رحالهم يلتمسون عشاء أو يستريحون، وبقي ابن الحر مائلًا على النار، مفكرًا ينظر إلى لهيبها ويتسع منه في خياله صورًا، وحمله الخيال إلى الكوفة وإلى داره التي خلف فيها أم توبة من ورائه، وكان بين حين وحين ينظر نحو الغرب قلقًا يحاول أن يرى ما بين الشجر في ضوء القمر، ثم يعود إلى إطراقه ويميل على النار يتأمل ما تخيله له من الصور وكان القمر قد توسط السماء وأوشك أن ينحدر إلى الغرب، عندما لاح له شبح راكب يسرع بين الأشجار، فقام نحوه في لهفة وقلبه يخفق قلقًا. فإذا هو رسول جاء يحمل إليه بعض الأنباء.

وقال الرسول في صوت المواساة:

- لا يرعك ما حملت إليك يا أبا الأشرس!

وكان هذا القول كافيًا ليفهم ابن الحر كل ما يريد صاحبه أن يقوله، وكانت نفسه المرهفة قد أوحت إليه بكل ما كان، وقص الرجل عليه قصة قصيرة أذكت في قلبه نارًا تتأجج، فصاح بصوت ترددت أصداؤه في الليل الساجي:

- يا غوثاه!

ثم ارتمى على جذع نخلة ووضع رأسه بين يديه، فتحركت الأغطية فجأة في جوانب الرحال المنثورة بين الشجر، وتهاوى الفتيان إلى شيخهم يترنحون من أثر النعاس، حتى التفوا به وجعلوا يسائلون عما أصابه.. فقص عليهم الرسول قصته:

- انتهب المختار ضياع ابن الحر وأحرق داره وساق امرأته سلمى النبيلة أم توبة إلى السجن ولم

يرده عن قسورة أنها امرأة آمنة في بيتها، لا دخل لها في الحروب ولا صلة لها بشئون الرجال.

وما كاد الفتيان يسمعون القصة حتى انصرفوا في صمت إلى الرحال، وجعلوا يستعدون سراعا للمسير.

وانحدر القمر إلى الغرب وطلع الفجر، وكان ابن الحر وأتباعه سبعمائة فارس يمسحون بسنابك خيلهم عقود الندى الغزير المخيم على البساط الأخضر من عشب المرج عند مداخل الكوفة، ثم تسللوا من جبانة السبيع إلى موضع السجن.

وكان الحراس قد هدأوا وغطوا رءوسهم بالأقبية الصوفية الغليظة يستدفئون من البرد القارس، ويصيبون من النوم إغفاءة في السحر فأيقظتهم أصوات فتيان ابن الحر عند رءوسهم يحطمون أبواب السجن في حنق، ولم يفلت منهم إلا من استطاع أن يهرب من طعناتهم الثائرة، وما هي إلا لحظات حتى كانت صيحات الفرسان تتردد في سراديب السجن، وانطلق ابن الحر يعدو في تلافيف الحجرات والسيف مصلت في يمينه وهو ينادي: «أم توبة! هذا ابن عمك يسرع إليك».

فلما بلغ أقصى السجن سمع صوتاً ضعيفاً كأنه ينبعث من تحت أقدامه قائلاً:

– إلي يا أبا الأشرس!

فاندفع كأنه الأسد الجريح نحو الباب المطاطئ الذي دونه، فحطمه بدفعة من جسمه وطعنة من رمحه، ورأى أمامه امرأته الحبيبة شبحاً أصفر لا تكاد تقوى على الوقوف، فاحتملها بين يديه وعدا بها وهو صامت اللسان خافق القلب، حتى إذا بلغ رحبة السجن، وجد أصحابه لا يزالون يضطربون ويحطمون فصاح بهم:

– أطلقوا من تجدون في حبس الطاغية.

ثم انتحى بابنة عمه، فوضع عليها عباءته، وفتح لها ذراعيه، وقال لها:

– فداك دمي أيتها الحبيبة!

فاندفعت سلمى بين يديه باكية.

فضمها إلى صدره كما تضم الحمامة فرخها إلى جناحها.

وقال وهو يهدر في ثورته:

– لأثيرنها عليهم ناراً لا تطفأ، ولأبعثها عليهم زلازل لا تبقى ولا تذر حتى أدك صرحهم الخاوي الذي لا قوام له إلا على مثل الجرم الشنيع.

وفيما هو يحدث امرأته سمع حوافر خيل مقبلة فأسرع إلى فرسه وصاح في فتيانه:

– هلموا إلى الجبابرة الأنذال.

وسارع الفتيان فركبوا من حوله وهو مردف حليلته من خلفه، حتى خرجوا من السجن إلى الأرض البراح وكأن صدلما عنيفاً خرجوا منه كما يقذف السهم من الرمية.

ولما نزلوا أخيراً عند المساء في الوهدة الغائرة بين الدحال وطلع القمر فوق الفضاء الساكن سمع الفتيان صوت شيخهم يغني عند رحله وكانت نبراته المختلجة تنم عما في صدره من الأشجان.

ثم نادى أصحابه في صيحة عالية فلما اجتمعوا حوله رفع يده عالية وقال في صوته الجهوري: «نعود إلى القتال التي يبها الشجعان. لن ننتظر الصباح حتى لا يطول أمد الطغيان».

فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

النحل ٤٣

استفتاءات القراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور
علي جمعة
مفتي الجمهورية

ما هي القيمة النقدية للدية الشرعية في الحالات الآتية:

القتل الخطأ، والإصابة الخطأ (حوادث السيارات مثلاً).

الضرب البسيط، والضرب بأداة (المشاجرات مثلاً)، والضرب المفضي إلى عاهة مستديمة، والضرب المفضي إلى الموت؟

ويرجى الإفادة كذلك عن بيان نسبة الدية في كثير من مذهب محمد يمكن الأخذ بها من السادة أعضاء النيابة العامة والقضاة خاصة والنصوص القانونية المعمول بها تتيح لهم ذلك.

وهل يجوز التصالح على جزء من الدية والتنازل عن جزء منها؟

وهل الدية غير التعويض عن ذات الفعل الإجرامي؟

وهل يجوز التنازل عن التعويض اكتفاء بالدية أو جزء منها؟

وهل تختلف دية الرجل عن المرأة من العقل وما مقدارها في كل منهم؟

وهل يجوز التسوية بين جميع المواطنين «مسلمين وغير مسلمين» في استحقاقها ومقدارها؟

الجواب:

الدية شرعاً هي المال الواجب في النفس أو فيما دونها، والأصل في وجوبها قوله تعالى:

﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ﴾ (النساء ٩٢).

والله تعالى في كتابه قدر الدية، والذي في الآية يحتاج مطلق، وليس فيه تحديد على العاقلة أو القاتل، وإنما ذلك كله من السنة المشرفة، وقد أجمع أهل العلم على وجوب الدية

فروى أبو داود وغيره عن عكرمة عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: «أن رجلاً من بني عدي قتل فجعل النبي ﷺ ديته اثني عشر ألفاً».

وروى أبو داود أيضاً من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم ودية أهل الكتاب يومئذ النصف من دية المسلمين. قال: فكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر رحمه الله فقام خطيباً فقال: ألا إن الإبل قد غلت. قال: ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألفاً، وعلى أهل البقر مائتي بقرة، وعلى أهل الشاء ألفي شاة، وعلى أهل الحلل مائتي حلة. قال: وترك دية أهل الذمة لم يرفعها فيما رفع من الدية

وهذا يدل على أن قيمة الدية على اختلاف أصنافها – ذهباً وفضة وبقراً وإبلاً وشاء – كانت متساوية على عهد النبي ﷺ ثم بدأ الاختلال القيمي فيها على زمن سيدنا عمر – رضي الله عنه –؛ فمن العلماء من رأى أن الإبل هي الأصل في الوجوب وبقية الأصناف قيمة لها وبدل منها، ومنهم من رأى أن هذه أصناف مستقلة وليست أبدالاً للإبل أو قيمة لها.

قال ابن عبدالبر: في هذا الحديث ما يدل على أن الدنانير والدراهم صنف من أصناف الدية لا على وجه البدل والقيمة. وقد ثبتت الأخبار عن النبي ﷺ أنه قضى بدية الخطأ على العاقلة، وأجمع أهل العلم على القول به، فإن القاتل لو أخذ بالدية لأوشك أن تأتي على جميع ماله لأن تتابع الخطأ لا يؤمن، ولو ترك بغير تغريم لأهدر دم المقتول.

وعاقلة الرجل عصبته من النسب، فيبدأ بفخذه الأدنى فإن عجزوا ضم إليهم الأقرب فالأقرب المكلف الذكر الحر من عصبة النسب، ثم من بيت المال.

والحكم في دية القتل الخطأ أن تقسط على العاقلة على ما لا يزيد على ثلاث سنين – على ما قضاه عمر وعلي – رضي الله عنهما – وإنما كان النبي ﷺ يعطيها دفعة واحدة لأغراض: منها أنه كان يعطيها صلحاً وتسديداً، ومنها أنه كان يعجلها تأليفاً. فلما تمهد الإسلام قدرتها الصحابة على هذا النظام. قاله ابن العربي وقال ابن عبد البر: أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أن الدية على العاقلة لا تكون إلا في ثلاث سنين ولا تكون في أقل منها، وأجمعوا على أنها على البالغين من الرجال، وأجمع أهل السير والعلم أن الدية كانت في الجاهلية تحملها العاقلة فأقرها رسول الله ﷺ في الإسلام، وكانوا يتعاقلون بالنصرة، ثم جاء الإسلام فجرى الأمر على ذلك حتى جعل عمر الديوان، واتفق الفقهاء على رواية ذلك والقول به، وأجمعوا أنه لم يكن في زمن

رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكر ديوان، وأن عمر جعل الديوان وجمع بين الناس، وجعل أهل كل ناحية يداً وجعل عليهم قتال من يليهم من العدو. هذا نقلاً عن الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

ولما كان هذا النظام غير متهيء على كل الأحوال في عصرنا هذا فقد رأت دار الإفتاء المصرية بعد مجموعة من البحوث والدراسات الفقهية والاجتماعية أن الأنسب في عصرنا هذا هو الأخذ بالفضة في صنف من أصناف الدية، لما في ذلك من تيسير للناس على دفعها، ولأن الأصل براءة الذمة مما زاد على ذلك. وذلك متحقق في الفضة. ودية الفضة عند الجمهور اثنا عشر ألف درهم، والدرهم عندهم ٢,٩٧٥ جرام تقريباً فتكون جملة دية الفضة عند الجمهور: خمسة وثلاثين كيلوجراماً وسبعمائة جرام من الفضة، أما عند الحنفية فدية الفضة عشرة آلاف درهم، والدرهم عندهم ٣,١٢٥ جرام، فتكون جملة الدية عند الحنفية واحداً وثلاثين كيلو جراماً ومائتين وخمسين جراماً من الفضة تقوّم هذه الكمية بسعر السوق يوم ثبوت الحق رضاء أو قضاء، ثم تقسط على ما لا يزيد عن ثلاث سنين، وتتحملها العاقلة عن القاتل، فإن لم يكن فالقاتل، فإن لم يستطع جاز جمع الدية من غيرهم ولو من الزكاة.

وأما دية المرأة: فمذهب جمهور العلماء أنها على النصف من قيمة دية الرجل، لما روى البيهقي عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «دية المرأة على النصف من دية الرجل». قال البيهقي: وإسناده لا يثبت مثله. وذهب الأصم وابن علية إلى أن دية المرأة مثل دية الرجل، وما دام الأمر خلافياً فلا مانع من الأخذ بأي الرأيين.

ولا فرق في دية المقتول خطأ بين أن يكون كبيراً أو صغيراً.

والصحيح عند الحنفية أن مقدار دية غير المسلم ذمياً كان أو مستأمناً كدية المسلم، وفي حكمهما المواطن أيضاً، وهذا قول إبراهيم النخعي والشعبي، وروى ذلك عن عمر وعثمان وابن مسعود ومعاوية – رضي الله عنهم –، وعللوا ذلك بأن قدر الدية لا يختلف بالإسلام والكفر لتكافؤ الدماء، وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾

(النساء: ٩٢)

فأطلق سبحانه وتعالى القول بالدية في جميع أنواع القتل من غير فصل، فدل على أن الواجب في الكل واحد. واستدلوا بما روي: «أن عمرو بن أمية الضمري قتل مستأمنين فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهما بدية حرين مسلمين».

وروى الزهري أن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – قضيا في دية الذمي بمثل دية المسلم. ويوافقهم الحنابلة في أن ديات ما عدا القتل من

جراحات أهل الكتاب كجراحات المسلمين أيضاً بينما يذهب المالكية والحنابلة إلى أن دية الذمي نصف دية المسلم، ويرى الشافعية أنها على الثلث.

وهناك فارق بين القتل خطأ وبين مطلق الإصابة التي هي أعم من أن تكون قتلاً خطأ أو حادثاً، فقد يكون المقتول هو المتسبب فيه، لأن المراد بالقتول خطأ وسببه القتل ينفي عن الطرف الآخر صفة القتل خطأ. ويكون ذلك بعد التحقيق في مدى نسبة كل منهم في القتل من عدمها.

وهناك فرق أيضاً بين القتل الخطأ وبين الحادثة أو الكارثة العامة، فالقتل خطأ يتصور من الشخص الطبيعي الذي يكون سبباً فيه على جهة الخطأ في القصد. أما الشخصية الاعتبارية التي يعمل فيها أفرادها كالآلة من غير قدرة منهم على إيقاف عملها كالقطار والهيئات العامة – كهيئة السكة الحديد مثلاً – فلا يتصور في كوارثها وحوادثها قتل الخطأ، لأن الخطأ في القصد إنما يكون إذا أمكن وجود القصد، وليس للشخص المعنوي الاعتباري قصد أصلاً، لأنه ليس عاقلاً حتى تتعمد فيخطئ في قصده. والسببية في القتل الخطأ إنما تثبت على من يكون قادراً على عدم القتل، أي أن معيار القدرة هو إمكانية تصور الفعل المعاكس، فإذا انعدمت القدرة سقط التكليف وصار ذلك كالإكراه الملجئ الذي لا يملك معه صاحبه إرادة ولا قصداً. والتكليف إنما يثبت مع المكنة والاستطاعة. ومثل هذه الهيئات والنظم التي يمارس الناس عن طريقها حراكهم المعيشي اليومي ويسعون بها في عجلة حياتهم لا يملك أحد إيقافها أو الوقوف أمام عجلة سيرها، فلا يتصور منها القتل الخطأ، لانتفاء القصد من جهة وعدم إمكانية إيقافها من جهة أخرى. وإنما يكون الكلام في كيفية تفادي مثل هذه الحوادث والكوارث بالنظر في جهات القصور في هذه الهيئات، ومدى تطبيق القائمين عليها لنظم السلامة المطلوبة في عملهم أو تقصيرهم فيها والعقوبة التنظيمية التي يمكن أن توقع عليهم من جراء ثبوت التقصير. وإذا ثبت التقصير على أحدهم أو سمي متسبباً فليس هذا سبباً شرعياً يثبت بمثله أنه قتل قتلاً خطأ تجب عليه به كفارته، فإن الأحكام تناط بالمسميات لا بالأسماء.

وأما دية الإصابة الخطأ فيما دون القتل فهي على نوعين:

الأول: ما حدد له الشرع مقداراً معيناً من الدية، كما في قطع الأطراف والجراح خطأ حيث حدد تحديد الدية في قطع الأطراف بأن ما كان في الجسم منه عضو واحد كالأنف والذكر واللسان ففيه الدية كاملة. وما كان عضوين ففيه نصف الدية. وأن الدية واجبة في إذهاب المعاني، كالسمع والبصر والعقل. وأما الجراح فقد حدد الشرع عقوبة بعضها دون بعض، فجعل أرش الموضحة خمساً من الإبل (أي نصف عشر الدية)، وأرش الهاشمة عشراً من الإبل (أي عشر الدية)، وفي الآمة والدامغة ثلث الدية.

الثاني: ما لم يحدد الشرع له مقداراً معيناً، بل ترك الأمر فيه لأهل الخبرة في ذلك لتقدير مدى الضرر الواقع، والقاعدة العامة في الشريعة أن كل تلف أو جرح لم يحدد له الرسول ﷺ دية أو أرشاً ففيه حكومة، وهي ما يحكم به القاضي بناء على تقدير أهل الخبرة بحيث لا يمكن أن تصل الحكومة إلى الدية أو الأرش الذي عينه الشرع لتلف أو جرح الذي يليه في الشدة.

وقيمة الدية في قطع الأطراف والجراح خطأ مخففة القيمة كدية القتل الخطأ، وما كان من ذلك على جهة العمدية فقيمته مغلظة كدية القتل العمد.

وكذلك الحال في الضرب البسيط والضرب بالأيدي لم يحدد له الشرع تعويضاً معيناً، والأمر في ذلك متروك لتقدير القاضي طبقاً لتقارير أهل الخبرة في كل واقعة بحسبها وحسب النصوص القانونية المعمول بها في ذلك.

أما الضرب المفضي إلى عاهة، فإنه ينظر في العاهة التي أحدثها هذا الضرب من جهة كونها مقدرة في النصوص الشرعية أو غير مقدرة كما سبق، فيعمل مقتضى ذلك، وتعامل معاملة الدية المغلظة لكون العمدية فيها، مع التعزير المناسب الذي يقرر في ذلك تعويضاً عن الضرب نفسه.

أما الضرب المفضي إلى الموت فديته مغلظة، سواء قلنا إنه قتل عمد كما هو مذهب الإمام مالك الذي يكتفي في العمدية بنية العدوان ولا يشترط نية إزهاق الروح، أو قلنا إنه قتل شبه عمد كما هو مذهب الجمهور الذين يشترطون في القتل العمد وجود قصد إزهاق الروح عند الجاني. والتغليظ هنا يكون بزيادة ثلث الدية على مقدار دية القتل الخطأ.

والدية هي ذات التعويض عن الفعل الإجرامي، ولذلك فيكتفى بالتعويض عن الدية، إذ هما اسمان لمسمى واحد. والتصالح في أمر الدية أو التعويض بالعفو أو بقبول قيمة أقل أمر مشروع بنص القرآن الكريم حيث يقول تعالى:

﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾

(النساء ٩٢)

ويقول:

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(البقرة ١٧٨)

وقد فوض الشارع الحكيم لأهل القتيل التنازل عن الدية أو عن بعضها تخفيفاً عن القاتل إن لم يتيسر دفعها أصلاً أو دفعها كلها. كما أن قبول الدية جائز شرعاً، لأنها حق لأهل القتيل، فلهم قبولها أو التنازل عنها أو التصالح على جزء منها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المواطنة فى الإسلام

للدكتور/ محمد الشحات الجندى
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

المواطنة مستمدة من الوطن، وهو الانتماء للأرض التي تحتضن مجموعة من الناس موضع الإقامة والسكن والعيش المشترك في ظل الانتماء والولاء لهما لا لغيرهما، وحقيقة كل فرد في التمتع بالحقوق والحريات العامة في مقابل القيام بالواجبات المستحقة علينا نعيش في هذا الوطن، مما يرسخ قيمة مجتمعية كبرى هي قيمة المواطنة.

والوطن هو موضع الإقامة، ومنه كلمة مواطن التي جاء بها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (التوبة: ٢٥)

وفي المنار:[٢] المواطن جمع موطن، والأصل فيه مقر الإنسان ومحل إقامته كالوطن، وهذه المواطن كانت مكانا للنصرة والعلو.

وقد يكون الاستخدام الشائع للوطن في القرآن: الديار والدار، والأول جاء في قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (الحشر:٨)

والثاني يشير إلى قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (الحشر ٩)

كذلك ذكر مصطلح الأرض بمعنى الوطن، جاء في قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (النور ٥٥)

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ص٢١٧

والدلالة في النص على مكانة الوطن، وقيمة الانتماء إليه في المرتبة العليا، فهو موضع القيام بحق الخلافة عن الله في الكون، وفيه يكون التمكين والتثبيت وهو فوق ذلك واحة الأمان والسكينة، ومكان الإيواء.

ويكون الوطن هو المأوى والملاذ، وبه تكون النصرة والاحتماء، والعشيرة تقرر أساسا قويا ومعيارا محددا لطبيعة العلاقة بين الأديان والأمم والشعوب، فهي علاقة قائمة على المودة والتفاهم والعدالة، طالما اعترف فيها غير المسلم بحق المسلم في الأمن والأمان على نفسه ودينه وأرضه، وعكس ذلك يحدث إذا قام الآخرون بالعمل على طرد المسلمين من أرضهم، وفتنتهم في دينهم، والافتئات على حقوقهم بقوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (الممتحنة: ٨، ٩)

وفي هذا بلاغ قرآني بأهمية الوطن وبيان بما ينبغي أن ينعم فيه من الأمان والسكينة التي تتغلغل بين قاطنيه وأصحابه من جهة، ومن جهة أخرى فهو الموضع الذي يسوده السلام الاجتماعي في معناه الشامل والكامل، لعله مستمد من حقائق يشتمل عليها العديد من النصوص في القرآن والسنة، تعتمد الأمن النفسي والسلام الأممي، وهو سلام يبتغيه الإسلام للفرد والجماعة والأمم والشعوب والدول ويقوم بين المختلفين في الأديان والأوطان والأجناس والألوان واللغات، وهو أقوم بين أصحاب الوطن الواحد.

بهذا المسلك جعل الإسلام من الاختلاف في العقائد والتمايز الكامنة في الطبائع البشرية والجارية على السنن الكونية، وسيلة إلى التلاقي والتعارف طلبا للحق وتكريما للعدالة، ولم يجعل الإسلام ألبته من هذا التخالف بابا للتقاتل أو الصراع، بل التعاون والائتلاف، وهو مقصد عام لقيام العلاقات بين الناس، وهو أحرى بين شركاء الوطن طالما قامت العلاقات على الاحترام والتفاهم وتلمس المصلحة، مناطه أن الإنسان كائن اجتماعي فالاجتماع الهادف والتعاون البناء على البر والخير والعدل من دعائم النظام الاجتماعي في الإسلام.

وتمضي السنة المطهرة على درب القرآن الكريم في ترسيخ قيمة المواطنة في النفوس، كما يتغلغل الإيمان في أعماق النفس المؤمنة ويشكل شخصية المسلم ويضبط تصرفه فيشيع بالحب والإخلاص والتفاني وإنكار الذات والتضحية وهي مرتكزات الحب الإيماني المنبعث من الإنسان يتجه بها مخلصا نحو الله والوطن، يقول الرسول ﷺ: «حب الوطن من الإيمان»[٣].

(٣) كشف الخفاء للعجلوني ج١، ص٤١٣، رقم ١١٠٢

وقد روى النسائي وابن حبان وأخرجه الترمذي أيضا «والله إنك لخير أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». وفي الفتح الكبير «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». وهو قول ينبض بمضامين قدة من آيات الولاء والانتماء لذلك البلد الأمين الذي جعله الله ملاذا وأمنا للمقيمين فيه، والقاصدين إليه. وكان مما فعله رسول الله على رأس أولويات تأسيس تقوية مجتمع المدينة، أن عقد معاهدة تعايش وأمان بين المقيمين في المدينة وكتب بينه وبين اليهود كتابا وادعهم فيه.

وبذلك وضع أسس السلام الاجتماعي.

هذا التوجه الذي تشير إليه النصوص يحدد ملامح الوطن الإسلامي ويكشف عن نظام الاجتماع فيه بين أفراده وجماعاته، في أنه يعد مظلة ولباسا للقاطنين فيه، يظلهم بأمنه وأمانه، ويرعى فيه أفراده وفئاته وجماعاته بعضهم بعضا ليكونوا أمة واحدة دون سائر الناس، بحيث يستوي فيه الكافة الصغير والكبير والمرأة والرجل والمسلم وغير المسلم، والعربي وغير العربي تحت لواء هذا الوطن، ينعم فيه الجميع بحقوقه، ويوفي كل منهم بالتزاماته، متشوقا لارتباط كل منهما بالآخر، وتجسده فيه، إذ الوطن يعيش في المواطن كما يعيش المواطن فيه، فهما قرينان لا يفترقان، مصير كل منهما وكرامته مرتبط بالآخر ارتباطا لا يقبل الانفكاك أو التفكيك، ولا تحول دونه الفروق البشرية، والاختلافات الطبيعية والمكتسبة.

دعائم المواطنة:

على هدى من نظام الإسلام السياسي تمثل المواطنة ركيزة صلبة في المجتمع الإسلامي، الذي يتأسس على مفهوم الإيمان بالله والانتماء للهوية والولاء للوطن، والمساواة في أصل الحقوق والواجبات لا تمييز بينهم بسبب الدين أو الجنس أو اللون أو اللغة، ومن ثم تكون المواطنة الأساس القوي في بناء وتشييد صرح المجتمع المتماسك، القائم على وحدة الكيان الهادف إلى المصلحة المشتركة، المدافع عن وجوده ضد القوى الباغية عليه، وكان من بين الوسائل لتحقيق هذا الهدف ترسيخ مبدأ المواطنة، وحماية الصرح المجتمعي من الداخل.

وهو ما حرص عليه الرسول ﷺ الذي شيد بناء دولة الإسلام في المدينة على وحدة الكيان والتماسك الاجتماعي في إطار التعددية الدينية والمساواة في الحقوق والواجبات على الرغم من الاختلاف في الدين والعنصر، واتخذ من أسس ما يدعم ذلك، من بينها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

أما البرهان على هذه الحقيقة فهو صحيفة المدينة، التي تعد وثيقة دستورية سابقة لعصرها، حملت ملامح الإسلام كدين جامع بين الأعراق المختلفين، والمقرر لحق الجنسية الإسلامية لكل من يرد في المجتمع الإسلامي بغض النظر عن اختلاف الدين والعنصر واللون، والمجسد لحق التعايش بين معتنقي الأديان والأجناس، ويعترف بشرعية الاختلاف بين البشر، وحماية حقه بالرغم من هذا الاختلاف، مؤسسا بذلك العلاقة بين فئات المجتمع على الاحترام وكفالة ممارسة الحقوق التي يكفلها العيش المشترك والمصير الواحد للوطن الذي هو حق الجميع، الأمر الذي قدم صيغة جديدة وأصيلة للمجتمع البشري المتنوع في دينه وأجناسه تقوم على الاعتراف بمجموعة من الحقوق، نوجزها فيما يأتي:

١- التمتع بالجنسية:

جاءت هذه المعاني في صدارة الوثيقة الدستورية النبوية، وكان مفتتحها:

«هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم». وهو ما جعل تكوين بناء هذا الكيان الوليد في المدينة، يؤكد ذلك ما ورد في الوثيقة: «أنهم أمة واحدة دون الناس» وهو بيان جلي على كيان هذه الدولة الناشئة، واندماج أفرادها وفئاتها في مجتمع واحد، ووصف غير المسلمين بالمؤمنين.

٢- التكافل والتضامن:

كان لزاما في ظل ذلك النظر إلى وحدة نموذج المجتمع أن يشيد صرحه على التكافل والتضامن بين أفراده وجماعاته، وهو ما نصت عليه الوثيقة: «وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل» (وفتح الراء وهو المثقل بالدين - بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل «دية»).

وليس أقوى تضامنا ولا أقوم عيشا من مجتمع يؤازر بعضه بعضا في أوقات المحنة والشدائد.

٣- الحماية والنصرة بين أفراد المجتمع:

وهي السبيل للمحافظة على الإنسان والوطن، والبقاء للجماعة كلها، وتمكين المحافظة على هذا البناء المجتمعي المتكافئ، والكيان السياسي والقانوني الواحد، لذلك أرست الوثيقة الولاء بين أفراد المجتمع في ظل الهوية الإسلامية، ونصرة بعضهم البعض، وحماية أفراد هذا الوطن، وإرساء العدل فيما بينهم، تقول الوثيقة: «وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه».

«وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم (الدفع والعطية)، ظلما أو إثما أو عدوانا أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم».

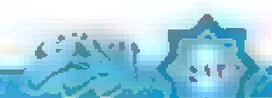
«ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن، وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس».

٤- المساواة والتكافؤ:

وهو حجر الزاوية لبناء المجتمع والدولة، وآية العدالة والإنصاف فيه تقول الوثيقة: «وأنه من تبعنا من يهود، فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم».

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن عدي بن حمراء، وقال الترمذي: حسن صحيح، ... الفتح الكبير ... جـ ٣ ص ٣٥.


(١) راجع نص عبد الدكتور محمد حميد الله في مؤلفه مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي ١٩٧٩م ص ٣٩ - ٤٢.



وأن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض «أي يعادلون» بما نال دماءهم في سبيل الله.

وأنه من اعتبط «أي قتل» مؤمنا قتلا عن بينة، فإنه قود به «يقتص منه» إلا أن يرضى ولي المقتول بالعقل «الدية» وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه».

وهو ترجمة لتوجه ينحو إلى إرساء أن يتساوى الكل في الحقوق والواجبات، وتتأكد هذه المساواة الحقوقية فيما عددته الوثيقة من تقرير حق كل جماعة أو فئة في هذا المجتمع الناشئ:

مثاله: المهاجرون من قريش على ربعتهم «أمرهم وشأنهم» يتعاقلون بينهم «يؤدون الدية» وهم يفدون عانيهم «أسيرهم» بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وتمضي الوثيقة على هذا النحو في تعداد الفئات التي يتكون منها المجتمع: بنو عوف وبنو الحارث بن الخزرج وبنو ساعدة وبنو جشم وبنو النجار وبنو عمرو وبنو النبيت وبنو الأوس، بما يؤكد على مساواة الجميع، ومشاركتهم في إدارة شئون المجتمع

٥- الاعتراف بحق الخصوصية الدينية:

مرد ذلك الاعتراف بحق اختيار الدين والبقاء عليه، واحترام شعائره لتكريس النموذج الإيماني، وتقوية النسيج المجتمعي، يظهر هذا في قول الوثيقة:

«وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ «يهلك» إلا نفسه وأهل بيته».

«وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين».

وتوالي الوثيقة سرد طوائف اليهود: بني النجار وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جشم، وبني ثعلبة، وبني الأوس، وبني عوف، بما يؤصل احترام الخصوصية في إطار التعاون.

٦- التضامن والتناصح في الشئون المدنية والدفاعية:

يأتي هذا المعنى الذي يؤكد على حماية العيش المشترك، وأن اختلاف الدين لا يمنع التعاون والتعاضد في شئون المعايش والاجتماع المدني بما ذكرته الوثيقة:

«وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم» وهو تعبير عن المشاركة مع المسلمين في إدارة شئون المجتمع، والتعاون في تصريف أمور الدولة.

٧- تقرير الكرامة والبر بغير المسلمين:

وهو أصل من الأصول الإسلامية، مما نص عليه قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

(الإسراء: ٧٠)

وهو ما سطرته الوثيقة في عبارة جلية:

«وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة. وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه. وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره».

٨- احترام حق الأغلبية:

من المبادئ المستقرة في الأنظمة السياسية أنه ينبغي احترام قانون الجمهور الأعظم من شعب دولة ما، وهو المقرر في جميع الأنظمة والشرائع قديما وحديثا، والأصبح لشعائر الأغلبية تملك كل الأحكام في الوثيقة بالنص على أنه الشريعة في الإسلام. وهو ما يصدق عليه ما جاء في الوثيقة «وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره».

٩- الالتزام بالحفاظ ورعاية الوطن وتحريم موالاة الأعداء:

فمن منطلق الانتماء على الوطن والمحافظة على أمنه واستقراره أن يحترم كل فرد فيه بالحرص الدائم عليه، واليقظة المحصنة من الأعداء على الأمن حتى في حال مع الأغلبية على سند من أنهم شركاء في هذا الوطن ولهم فيه من المراتب والحقوق ما لهم، وعليهم ما عليهم. وهذا المعنى قررته الوثيقة «وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه. وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن».

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه. وأن من نصره فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة. ولا يؤخذ منه صرف «توبة» ولا عدل «فدية».

١٠- بناء العلاقات على أساس السلام الاجتماعي والمودة:

منشأ ذلك أن تقدم المجتمعات إنما يتحقق بالسلام والأمان وقاعدته اعتبار السلم والمودة والاستجابة لإصلاح ذات البين أساسا مجتمعيا، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

(الأنفال: ١)

يؤيد هذا قول الوثيقة: «وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه «يشتركون فيه» فإنهم يصالحونه ويلبسونه. وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين».

ولا شك أن قيام العلاقات بين أفراد وفئات المجتمع وفق هذا النموذج الذي يضع السلم والمودة نصب عينيه؛ يعد من أفضل الوسائل التي تقوي أساس المجتمع، وتمنع تفجر الصراعات الطائفية فيه، وترسي مقومات السلام الاجتماعي وتحل الوئام والطمأنينة محل الصراع الديني، والتوتر في العلاقات، وتغلق منافذ الفتنة الطائفية التي يعمل أعداء الإسلام وصالح الوطن على تأجيجها وتوظيفها لتهديد وحدته وإضعاف كيانه.

«يتبع»

المسئولية في الإسلام

المسئولية التقصيرية

للأستاذ الدكتور : السيد أحمد فرج
كلية التربية - جامعة المنصورة

ما معنى المسئولية التقصيرية؟

تعنى المسئولية التقصيرية: تحمل التبعة عن أخطاء العمل.

كما تعنى تحمل التبعة عن الضرر المترتب على العمل.

سواء كان هذا التقصير ناتجا عن خطأ وتقصير، أو كان حدثا عن غير خطأ في أداء العمل، أو طبيعته.

وعرفه الدكتور عبدالرزاق السنهورى - في كتاب: الوسيط في شرح القانون المدنى ص ٨٦٧ - فقال: «كل عمل يوقع ضرراً بالغير يقتضى التعويض ممن قام بالعمل سواء نتج الضرر عن خطئه، أو إهماله أو كان ناتجا عن عمله الشخصى، أو عن عمل تابعه، ويتحمل من يفيد من ناتج العمل المسئولية التقصيرية، على أساس أنه المنتفع بناتج العمل، ومن ثم يتحمل مسئولية الأخطاء الناتجة عنه على أساس قاعدة (الغنم بالغرم).

وقد تناول القانون المدنى المصرى المسئولية التقصيرية من الموضوعى والشخصى، وأقامت نصوص القانون المدنى المصرى ضمانات تفى بمواجهة أخطاء العمال، وفى هذا القانون تبعت المسئولية التقصيرية أى تبعات العمل، وتبعات التضامن الاجتماعى، وتبعات العمل بالمصانع وغير ذلك.

كيف تناول الإسلام المسئولية التقصيرية؟

مر في شرح هذا الحديث قول عمر - رضى الله عنه -: لو تعثرت دابة ببغداد لكان عمر مسئولا عنها، وهو بالمدينة.

والحديث يُحمل ولى الأمر مسئولية تقصير من قام بالعمل نيابة عنه، في أى مكان في دائرة المسئولية.

وللشافعى - يرحمه الله - رأيه في المسئولية التقصيرية.

فالشافعى - رحمه الله - في كتاب (الأم ٦/ ٧٥-٧٧) بين المسئولية التقصيرية، ولعل فقه الشافعى في هذه المسألة قد بدأ من قول عمر - رضى الله عنه - في المسئولية التقصيرية واستوعب جوانب المسألة، واستند إلى أصول إسلامية من الكتاب والسنة وكلام الصحابة - رضوان الله عليهم -، ووضع مبادئ عامة، ومن ثم فقد حمل ولى الأمر مسئولية مباشرة عما يحدث من ضرر نتيجة الخطأ أو تجاوزه في أداء مهمته، أو تقصيره في أداء واجبه، بل حمله تقصير المسئول الذى عينه ولى الأمر وحمله المسئوليات التقصيرية عنها، وجعله ضامنا لما يترتب عن العمل من أضرار بالمجتمع سواء كان ذلك عن عمد، أو كان ناتجا عن خطأ، لأن هذا كله خطأ في الحكم.

وقد نصت المادة (١٦٧) من القانون المدنى المصرى على أنه (لايكون الموظف العام مسئولا عن عمله الذى أضر بالغير إذا قام به، تنفيذا لأمر صدر إليه من رئيس، متى كانت إطاعة هذا الأمر واجبة عليه أو كان يعتقد أنها واجبة، وأثبت أنه كان يعتقد مشروعية العمل الذى وقع منه، وكان اعتقاده مبنيا على أسباب معقولة، وأنه راعى في عمله جانب الحيطة. (السنهورى - المرجع السابق)

وتتحدد المسئولية في ما «لو اتضح أن الموظف العام كان يعلم عدم مشروعية العمل الذى ارتكبه فإنه يكون مسئولا».

ولكن الشافعى - رحمه الله - (توفى عام ٢٠٤ هـ) كان أكثر وضوحا عندما قرر تبعة المسئولية التقصيرية و تحملها. قال الشافعى - رحمه الله - «فأما كل أمر ليس من صلاح المسلمين أكره السلطان عليه رجلا فمات منه في ذلك الأمر، فالسلطان ضامن لدية من مات فيه (الأم ٦/ ٧٧).

فولى الأمر يكون مسئولا عن نتائج الأوامر الصادرة منه حتى الفزع والترويع إذا روعهم جنوده.

والشافعى يجعل ولى الأمر ضامنا في كل الأوامر الصادرة منه. ويكون كل راع في المجتمع مسئولا ومتحملا لتبعات ما يحدث من ضرر لكافة المسئوليات التقصيرية لأوامرهم.

فالحديث يرشد إلى:

الإمام أى الحاكم رئيس الدولة راع للدولة ومسئول أمام الله، ثم أمام شعبه عن رعيته في تحقيق الأمن والأمان للمواطنين، وتحقيق حرية التملك والحرية الشخصية، وحرية

التعبير وإبداء الرأي، ما دام لا يكذب على الآخرين، ومسئول عن تعيين العدول الأكفاء من المعاونين ويحمى حوزة البلاد وكرامة مواطنيها، ويحقق لأدنى مواطن الحد الأدنى من الحياة الكريمة فيؤمنه على نفسه وعلى قوته وقوت عياله.

وكذلك الزوجة وما يجب أن تكون عليه من حفظ حق الزوج فى حضوره وسفره، ورعاية سمعته، والحنو على الأولاد والمحافظة على ماله، فلا تنفق منه بدون إذنه إلا بالمعروف.

وكذلك الخادم فى مال سيده، والسيد فى الإحسان إلى خادمه.

وتتعدد المسئوليات وتتداخل، فكل إنسان يكون مسئولا أمام نفسه فيحافظ على دينه وعقله وماله ونسله، وأوقاته وعمله، هذا بالإضافة إلى المسئولية التي تتحدد من خلال موقعه من المجتمع، وعلاقاته بالناس، وفى هذا المجال يرشدنا رسول الله ﷺ فى قوله: «لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب: ما جاء فى شأن الحساب والقصاص).

المسئولية تجاه مسئوليات الآخرين:

إذا كان الإنسان ممن لهم بالمجتمع وجاهة ورأى، وجب عليه أن يدل الآخرين على قيمة تحمل المسئولية، أو يقوم بفعل الأعمال التي يقلده الناس فيها، وهو مأجور فى ذلك. يقول ﷺ: «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(1).

وإذا كان الإنسان قادرا على تغيير المنكر - فى حدود وظيفته فى المجتمع - كانت عليه مسئولية تغييره، وهذه مهمة رجال الدولة من الحاكمين وهم الذين لديهم وسائل النفوذ والسلطان.

أما الدعاة والمرشدون والمعلمون فعليهم مسئولية تغيير المنكر بالوعظ والتربية والحكمة.

أما الجمهور فلا يملك إلا وسيلة الإنكار للمنكر بالقلب، ولا يكون ذلك بالسكوت السلبي، إنما بإشعار المسيء بأنه أساء، وأن فعله قوبل بالازدراء، غير حرى بالاحترام والتكريم، لكي تنمو فى المجتمع الغيرة على حرمات الله.

قال ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ...»

ذلك المنكر الذى قضى على اليهود من

(1) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة.

قبل، ذلك أنهم كانوا فقدوا الغيرة على حرمات الله، ولايتناهون عن منكر فعلوه قال تعالى فيهم:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝﴾

(المائدة ٧٨، ٧٩)

ويقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾

(الأنفال: ٢٧)

فالمسئولية مسئولية دينية أمام الله ورسوله ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (الأنفال: ٢٧) ومسئولية أخلاقية إنسانية بين الإنسان ونفسه

﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾

(الأنفال: ٢٧)

والإنسان محاسب على هذه المسئولية يوم القيامة لقوله تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝﴾

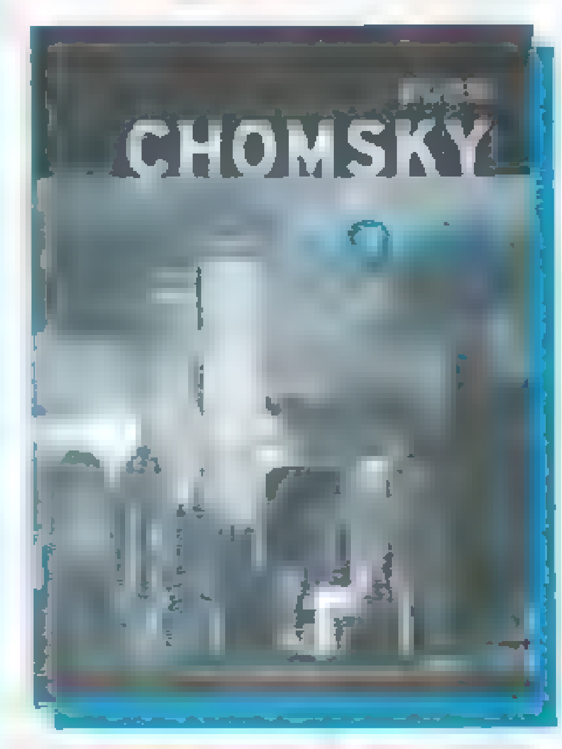
(الإسراء ١٣، ١٤)

تربية الشعور الديني بأهمية المسئولية:

لايجب أن يقف الجزاء فى تحمل المسئولية أو تركها على الجزاء المادى؛ لأن الجزاء المادى قد يتوقف، فإذا كان الإنسان غير مدعوم دعما دينيا تخلى عن تحمل المسئولية، ومن ثم كان الواجب تربية الإنسان على تحملها دينيا، ولأن تحملها يعود على المجتمع كله بالخير، كما أن التخلي عنها يعود على المجتمع كله بالشر؛ لأن الأمر كما استبان يشترك فى تحمله المسلمون جميعا وقد بين لنا الرسول ﷺ ذلك فقال فيما رواه الإمام البخاري عن النعمان بن بشير - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله، والمداهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين فى أعلاها لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا. فقال الذين فى أسفلها لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا».

فالحديث الشريف يبين لنا أن المجتمع الإسلامي كركاب السفينة، وكل منهم مسئول عن سلامة الآخرين؛ ومن يفرط فى هذه المسئولية الدينية جر نفسه وبقية المجتمع إلى الخراب، شأن هؤلاء الذين أرادوا خرق السفينة.

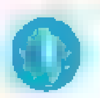




تعريب:

إبراهيم محمد إبراهيم







(يوسف: ١٠٥-١٠٦)

نعم.. كثيرة هي تلك الأحداث التي تقع في كل لحظة تحت سمع الإنسان وبصره، معلنة عن ضآلة هذا الإنسان وما يملك من قوى وآلات ومعدات مستحدثة؛ لعله يرشد ويثوب إليه، ويرعوي إلى الحقائق الكونية التي لا تتغير؛ لتجرده من بعض غروره، وتسقط عنه أسباب غروره وطغيانه، وتشفيه من أدواء فجوره وعلائه.

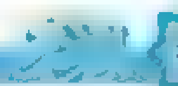
ولعل من أبرز تلك الأحداث ما غاب بعظمه درجة عرفتها البشرية منذ وجدت الأرض واستخلف الله آدم وذريته فيها. فاحترقت التحصينات الأمريكية المنيعة والشرعة والمستمدة من أحدث ما توصل إليه الإنسان من وسائل مانعة، وأجهزة مستحدثة، إلى غير ذلك من القوى المنيعة والمتطورة التي عزز بها الأمريكيون عاصمتهم، ليؤكدوا أسباب تسلطهم على العالم جميعه، وهيمنتهم على كل أموره، وتمكنهم من قيادته وفق أهوائهم، وليعلنوا: أنهم وحدهم من يوفر الأمن والأمان، وأنهم وحدهم من يملك الثروة، ويتحكم في أخطر أنواع السلاح فتكًا وتدميرًا، وأنهم وحدهم الذين يملكون الأمر والنهي. مصورين أنهم أصبحوا آلهة العصر التي لا مثيل لها ولا شريك، مرددين ما صاح به فرعون منذ آلاف السنين قائلاً: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾

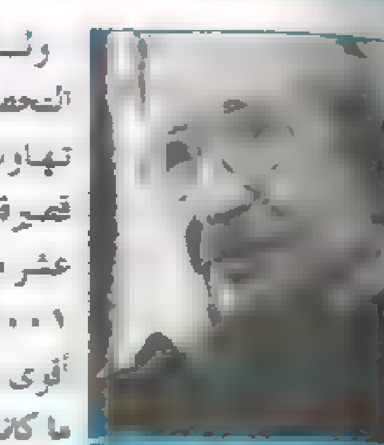
(النازعات: ٢٤)

أو ما تصدى به لموسى عليه السلام قائلاً:

﴿... مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ... لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ...﴾

(القصص: ٣٨)





ولكن هذه التحصينات والموانع تهاوت في لحظات قصيرة في الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م؛ فنزع عن أقوى دولة وأحصنها ما كانت تتوارى تحته من لباس خادع، حتى بدت سوآتها، وظهر ما كان خافيًا من مظاهر ضعفها وتحللها، فأصيب هؤلاء الآلهة بزلزال جعلهم يبدون سكارى وما هم بسكارى، فصاروا -في ذهولهم- يخبطون بأقوالهم خبط عشواء، يلصقون التهمة بهذا أو بذاك، ويحركون المشاعر من هنا ومن هناك، محاولين أن يصرفوا الناس عن الحقيقة، ويجعلوهم -أمام تلك الآية المرعبة- يمرون عليها وهم معرضون.

ومع أنهم حققوا نجاحًا كبيرًا في هذا الصدد، لم يلبث بعض أهل الفكر والروية أن يستلوا أنفسهم من بين تلك الحوائل، ويستعينوا -بفكرهم المتأني وتأملهم الراصد- إلى تلك الآية الكبرى ليستبصروا حقائقها، وليقفوا على جذورها، ويحيطوا بأبعادها.

وكان من أبرز هؤلاء الأعلام المفكرين الأستاذ «نعوم تشومسكي» الذي قاد عملية الاستبصار المتأني، ليضع هؤلاء الآلهة الضالين المضلين أمام الحقائق التي يعمدون على إخفائها، وليكشف لأمته وللعالم أطرافًا من تلك الحقائق ويخرجها من دائرة التعتيم القاهر؛ فكان كتابنا الذي نتهض بتقديمه في كتاب الشهر بمجلة الأزهر الغراء.

أما الكتاب فيشغل ثلاثًا وتسعين صفحة من القطع المتوسط في طبعته العربية الأولى سنة ١٤٢٣هـ/ سنة ٢٠٠٢م التي قدمتها مكتبة الشروق الدولية، بعد أن عربها الأستاذ إبراهيم محمد إبراهيم. وقد شغل المفكر مباحث الكتاب بما أجاب به سائليه من رجال الإعلام الأمريكيين وغير الأمريكيين عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م على مركز التجارة العالمي، ومبنى البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) قدمها في ثمانية فصول.

وأما المؤلف فهو أمريكي يهودي، وأحد الناشطين السياسيين المشهورين، إلى أنه أستاذ اللغويات في معهد «ماساتشوستس» للتكنولوجيا، كما أنه كاتب ومحاضر، تناول في كتاباته ومحاضراته كثيرًا من القضايا اللغوية، والفلسفية، والسياسية، حتى أصبحت حركات السلام والعدالة الاجتماعية تحفى بجهوده من أجل المزيد من الديمقراطية.

زلزال يثير الحيرة

ففي الفصل الأول «لم يحدث هذا منذ حرب سنة ١٨١٢» ذكر «تشومسكي»: أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر تشبه في آثارها حرب ١٨١٢؛ إذ بهما الاثنين تعرض أمن الولايات المتحدة القومي للهجوم من الخارج لأنه وقع فوق الأرض الأمريكية مباشرة، ومن هنا.. كان تأثيره مزلزلاً، خصوصًا أن دول أوروبا جميعها لم يتعرض أمن أي منها للهجوم من ضحاياها على الرغم من استبدادها الاستعماري الشرس، وكل ما أصاب



تلك الدول كان ناتجًا عن حروب داخلية.

ويرى: أن الأسباب التي حملت دول «الناتو» حلف شمال الأطلنطي على التردد في الكشف عن مصدر الهجوم على هذا المركز: أكان من داخل أمريكا أم كان من خارجها؟!

هذه الأسباب ترجع إلى معرفتهم أن أي هجوم كبير على شعب مسلم سوف يكون استجابة لصلوات بن لادن ورفاقه، وسوف يقود الولايات المتحدة وحلفاءها إلى أن الغضب الذي لا شك فيه. ولا يحتمل الجدال أن من قاموا بهذا الهجوم- أيا كانت هويتهم- يستمدون الدعم من مخزون المرارة والغضب من سياسات الولايات المتحدة في المنطقة وسياسات السادة الأوروبيين في الماضي.

ويؤكد ذلك ما عبر به أصحاب رءوس الأموال من المسلمين في المنطقة عن غضبهم وحنقهم من الولايات المتحدة بسبب دعمها للحكومات التسلطية القاسية، وبسبب الحواجز التي تضعها واشنطن في وجه التنمية المستقلة، وفي وجه الديمقراطية السياسية عن طريق سياستها في دعم النظم القمعية.

ويؤكده- من جهة أخرى- السواد الأعظم من الفقراء الذين يعانون من ظروف المعيشة وما تفعم به نفوسهم من مشاعر الغضب والحنق بسبب ما يرونه من تدفق ثروات المنطقة إلى الغرب، وإلى نخب صغيرة ذات توجه غربي، وحكام فاسدين قساة، تساندهم القوى الغربية.

ويؤكده أيضا استخدام الولايات المتحدة كلمة «حرب صليبية» وإن كانوا تحولوا عنها في استعمال كلمة «حرب» بعد تنبه الأمريكيين إلى أن ذكر «الحرب الصليبية» سيجعلهم يخسرون حلفاءهم في العالم الإسلامي. فسميت حرب الخليج سنة ١٩٩١ بالحرب، وسمي قصف العراق على الضرب بأنه «تدخل إنساني» كما اعتاد الأوروبيون الاستعماريون أن يصفوا به مغامراتهم في القرن التاسع عشر.

ولكن «تشومسكي» يصرح بأن الاصطلاح المناسب لذلك إنما هو «الجريمة»، إذ هذه الحرب في حقيقتها هي «جريمة ضد الإنسانية». كما أكد على ذلك «روبرت فيسك»، وأن تسميتها «الحرب ضد الإرهاب» ما هي إلا محض دعاية؛ لأنها لا تستهدف محاربة الإرهاب بالفعل، وإلا فإن الولايات المتحدة- وفق تعريفها للإرهاب- هي في الحقيقة دولة ترعى الإرهاب، شأنها شأن عملائها. كما نبه إلى ذلك عالم السياسة الأمريكي «مايكل ستول» في قوله: «يجب أن نعترف أن الاستخدام المتعمد للقوة، أو التهديد باستخدام القوة عادة ما يوصف بأنه دبلوماسية قهرية حربية، ولا يعتبره شكلا من أشكال الإرهاب، مع أنه ينطوي عمومًا على التهديد بالقوة، وغالبا استخدام العنف».

ولأن الثقافة الفكرية الغربية ترغب في تبني هذا الوصف.. لهذا اتخذت الحرب ضد الإرهاب شكلاً مختلفاً تماماً، كما تقرره الوثائق الرسمية الحكومية.

صانعو الإرهاب يكتوون بناره

وذكر: أن وكالة المخابرات المركزية هي التي أسهمت في صنع من وجه إليهم الاتهام بتدبير هذا الهجوم الذي كان مفاجأة لمؤسسات المخابرات الغربية ومؤسسات المخابرات الأمريكية، وكان صدمة عنيفة لها. فقد اشتركت هذه المؤسسات المخابراتية في ثمانينيات القرن العشرين مع المخابرات الباكستانية وغيرها في تعبئة من استطاعت العثور عليهم من أشد الأصوليين الإسلاميين تطرفا، وتدريبهم وتسليحهم كي يقاتلوا «حربا مقدسة» ضد الروس الذين غزوا أفغانستان على ما أوضحه المراسل «جون كولي» في كتابه «حروب غير مقدسة».

ولكن أمريكا- وهي تجيش العالم لمحاربة الإرهاب- تأبى إلا أن تظهر للعالم في هيئة نقية مشرقة. تعمل جاهدة في تنظيف سجلاتها من كل ما يومئ إلى دورها في تعبئة هؤلاء الأصوليين وتدريبهم ومساندتهم بالسلاح، مدعية أنها كانت شاهدا بريئا فقط، ومستخدمة في القيام بهذا الدور بوسائل الإعلام خصوصا الصحافة. حتى إن صحفا محترمة نحت إلى الاقتباس بكثافة عن موظفي وكالة المخابرات المركزية لإظهار هذا الاستنتاج المطلوب، متجاهلة ما يعنيه هذا من خرق فاضح لأبسط أبجديات المعايير الصحفية.

ولم تكف أمريكا في تعبئة هذه القوى المتطرفة عند حدود تحرير أفغانستان من أيدي الروس، ولكنها وضعت المسوغ فلفتت أنظارهم إلى أماكن أخرى مثل الشيشان والبوسنة، وأمدتهم بالتأييد الصريح والضمني لتحارب بهم- تحت ستار المساعدة في تحرير- تلك الدول التي تعاديها.

وبعد مضي نحو خمسة عشر عاماً- ومع مطلع تسعينيات القرن العشرين- التفت هؤلاء إلى الولايات المتحدة التي يرى بن لادن أنها غزت السعودية، فكانت مثل روسيا التي غزت أفغانستان.

لهذا.. يدعمون الإرهاب

ويرى تشومسكي: أن محاربي الإرهاب- بعد أن صنعوه ودعموه- قد أججوا في العالم نيران فتنة تكاد تأتي على الأخضر واليابس، وذلك بما يتمخض عن ذلك من أحداث مثيرة تجعل العالم فريسة دائرة من العنف المتصاعد التي لا يدري أحد فيها مصدرا للعنف ولا غاية له.

فإذا كان الهجوم على أمريكا عملاً إرهابياً جاء ردا على ما أوقعه الأمريكيون بهم؛ فإن هناك من استغل ذلك في إشاعة القمع والفتك بالحريات، ووأد الأمل في الديمقراطية، وكان من أبرز الضحايا حركات الاحتجاجات الشعبية التي شملت العالم ضد «العولمة»؛ إذ استغلت تلك الأعمال الإرهابية البشعة في مؤازرة أكثر العناصر شدة وقمعا في جميع الجوانب، كما استغلت من أجل الإسراع في خطة العسكرة والتجييش، والرجوع عن البرامج الاجتماعية الديمقراطية. ليفقد العالم أي أمل في السلام؛ فما إن وقعت تلك الأعمال البشعة في الحادي عشر من سبتمبر حتى غمرت إسرائيل الأفراح، وانطلقت تحطم الفلسطينيين مطمئنة إلى أن أحدا لن يلومها، ففي الأيام القليلة التي تلت هجوم ٩/١١ دخلت الدبابات الإسرائيلية المدن الفلسطينية مثل «جنين» و«رام الله» و«أريحا»، وقتلت العشرات من الفلسطينيين مع إحكام قبضتها الحديدية على السكان.

الأصولية بين العرب والغربيين

ولم يقتصر رد الفعل على الإسرائيليين مع الفلسطينيين، فقد عانى منه كثير من بلاد العالم، مثل «أيرلندا» الشمالية، ودول البلقان.

أما في أمريكا فإن رد الفعل المباشر كان الصدمة والرعب، والغضب والخوف، والرغبة في الانتقام، بيد أن مشاعر الرأى العام الأمريكى أصبحت مختلطة، فلم يمر وقت طويل حتى نشأت تيارات متضادة، توضحها التعليقات العامة الجارية في صحف اليوم؛ لأننا نواجه نمطاً جديداً من الحرب لم تواجهه دول الغرب من قبل، فالمدافع الآن مصوبة نحو اتجاه مختلف.

فإذا كان بين العرب أصوليون فإن الولايات المتحدة ودول الغرب عموماً ليس لديها أى اعتراض على الأصولية الدينية بالمعنى المعروف؛ بل إن الثقافة الشعبية للولايات المتحدة -في واقع الأمر- واحدة من أشد الثقافات الأصولية الدينية المتطرفة في العالم.

مقاومة الإرهاب لا تبرر الإرهاب

وفي الفصل الثاني «هل يمكن كسب الحرب ضد الإرهاب؟» ذكر تشومسكي: أنه -لأسباب كثيرة- أصبحت معظم دول العالم ترى أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة إرهابية من الطراز الأول، ويكفي لتقرير هذا.. أن نتذكر إدانة المحكمة الدولية للولايات المتحدة سنة ١٩٨٦م بسبب استخدامها غير الشرعي للقوة، وأن نتذكر استخدام الولايات المتحدة حق النقض «الفيتو» ضد قرار من مجلس الأمن يطلب من جميع الدول الالتزام بالقانون الدولي.

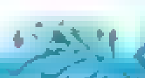
وهذا يعني: أن مقاومة الولايات المتحدة للإرهاب إنما هو لون من التضليل الذى تمارسه، فالإرهاب الذى تدعو لمقاومته ليس هو الإرهاب في عمومه، وإنما هو مقصور على إرهاب الآخرين ضد الأمريكان فقط، وأما إرهابها هي وحلفائها ضد الآخرين فلا يدخل في نطاق الدعوة لمقاومة الإرهاب.

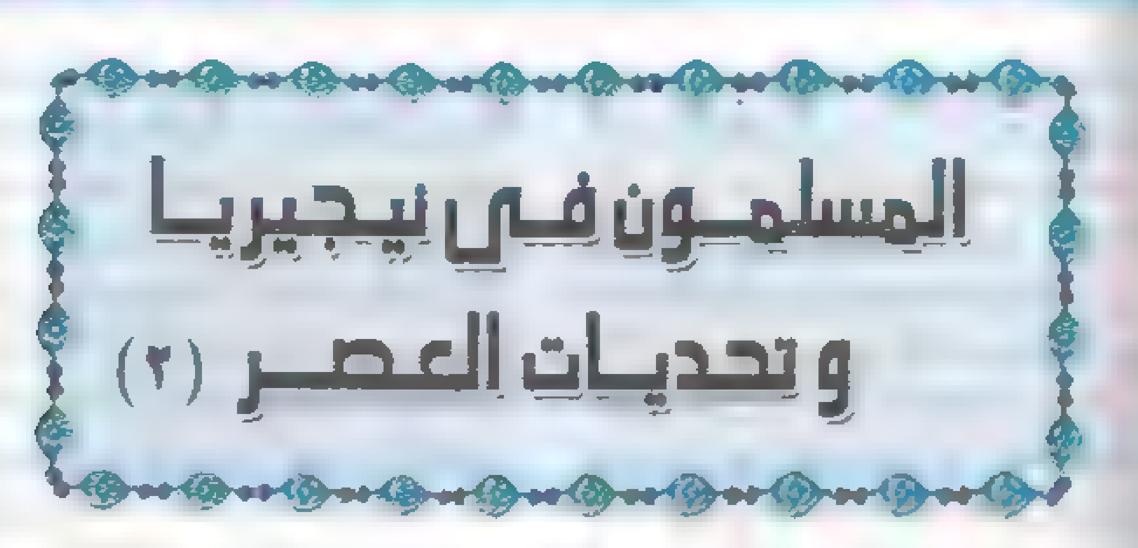
ومع هذا كله.. فإن مقاومة الإرهاب يجب أن لا ترتكز على تصعيد التهديد، وإشعال نيران الحروب، على نحو ما حدث حين أطلقت قنابل الجيش الجمهوري الأيرلندي على لندن، حيث لم تصدر الدعوات بإلقاء القنابل على غرب «بلفاست» ولا على «بوسطن» في أمريكا التي كانت مصدراً لكثير من الدعم المالي للجيش الجمهوري السري، بل اتخذت خطوات للقبض على الجناة، وبذلت الجهود للتعامل مع ما يكمن وراء اللجوء للإرهاب.

بخلاف ما كان من الأمريكان حين فجر مبنى اتحادى فيدرالى في مدينة «أوكلاهوما» من صدور دعوات لإلقاء القنابل على الشرق الأوسط لولا اكتشاف براءة الشرق الأوسط من هذا، وأنه صادر عن ميليشيات أقصى اليمين المتطرف.

عندئذ.. تحول الأمر إلى الدعوة للبحث عن الجناة، حيث تم العثور عليهم ومحاكمتهم

يتبع





للدكتور / عبد الله نجيب

باتشار الإسلام على نطاق واسع أصبحت نيجيريا أكبر دولة إسلامية في أفريقيا بل واحدة من أكبر الدول الإسلامية في العالم، ولم تسعد هذه الحقيقة أعداء الإسلام، وكما حاول المستعمرون في الماضي القضاء على الثقافة الإسلامية في هذه المنطقة من أفريقيا يحاول الغرب الآن في ظل العلمنة والعولمة، وبشراسة أكبر، تحقيق الغاية التي فشل المستعمرون فيها سابقاً

فمن ناحية يحاول الغرب بكل إمكاناته زعزعة الاستقرار في نيجيريا، بل والقضاء على وحدتها الوطنية بإثارة النزعات العرقية والدينية، ومحاولة فصل المناطق ذات الأغلبية المسيحية عن الدولة، وكثيراً ما قامت الانقلابات والحروب الأهلية لتحقيق هذه الغاية[2] كما يحاول الغرب أيضاً تمكين المسيحيين من ثروات البلاد، ودعم المناطق المسيحية بالخدمات والبنى الأساسية القوية، وإعطاء المسيحيين أكبر نصيب من الوظائف الحكومية، مما يولد من غير شك في العلاقات بين أبناء الشعب الواحد، ويؤثر على مدى تكافؤ الفرص وعلى المستوى الثقافي يقوم الغرب بعمليتين متناقضتين، أولاً العمل على إحياء وتدعيم الثقافات المحلية واللغات المتعددة في نيجيريا، بحجة الحفاظ على التراث الثقافي، والهدف من ذلك قطع الطريق على اللغة الوطنية، والوحدة الثقافية العامة، وذلك في الوقت الذى يعمل فيه على إحياء وتدعيم الثقافات المحلية

---

[1] الغرب هنا بمفهومه الحضاري لا الجغرافي

[2] كان أبرزها الحرب الانفصالية المعروفة بحرب «بيافرا» التي قادها المسيحيون في وسط نيجيريا سنة ١٩٦٧ بهدف إقامة دولة مسيحية

واللغات المتعددة. يقوم في عملية ثانية بمحاولة استبدال الثقافة الغربية بجميع الثقافات، واللغة الإنجليزية بجميع اللغات في إطار سياسة العولمة والانفتاح التي يدعونها.

كذلك تقوم أجهزة الإعلام الغربية والتابعة بمحاولات منسقة ومخططة لتشويه الثقافة الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن شريعتهم وعقيدتهم. وهو أخطر ما يواجه شباب المسلمين في بلد هذه.

ومن الملاحظ أن العملية تسير في اتجاه واحد، هو محاصرة الإسلام في نظمه وشرائعه والعمل على إبعاد المسلمين عن عقيدة الإسلام ومبادئه الخلقية والسلوكية مما أدى إلى ضياع الشباب، وتهافت الناس على الدنيا والمادة، وتفسخ العلاقات الاجتماعية، وتدهور الأخلاق الذي لا نظير له وشيوع الفواحش والموبقات وانتشار الفسق والفجور، مما أدى إلى ضياع شعور والتقدير للأمن والنجدة والكريمة والشرف والأمانة في ربوع البلاد.

هذا وقد لخص الداعية المصري الشيخ «عبد المنعم محمد حسين»[3] بعض الظواهر المرضية التي حسبها العملية، ومارأت منتشرة وتنتشر بين قطاعات كبيرة في المجتمعات الإسلامية منها:

١- انفصام المعتقد عن السلوك في حياة كثير من المسلمين النيجيريين. فهم يحافظون على الصلاة، ويصومون شهر رمضان. إلا أنهم لا يتورعون عن الإتيان بجميع الموبقات دون الشعور بالتناقض.

٢- جهل كثير من المسلمين بعدد من الحقوق الشرعية الإسلامية، خاصة في مجال العلاقات الاجتماعية كالزواج والميراث وغير ذلك.

٣- التمسك بعدد من العادات والتقاليد غير الإسلامية التي ورثوها عن محيطهم غير المسلم.

وعلى الرغم من الجهود المتنامية في نيجيريا لنشر الإسلام وترتيب دعائمه، والعمل بشرائعه إلا أن المسلمين لا يزالون يعانون من عدة مشكلات منها:

١- الفقر وقلة الإمكانات، وهو ما يحد من نشر الثقافة والوعي الإسلامي. فالذين يقومون بتدريس العلوم الإسلامية، واللغة العربية في المدارس والمعاهد المتخصصة أو في المساجد، يعيشون غالبا على المساعدات التي يقدمها لهم الناس.

٢- المتحولون إلى الإسلام - وهم كثيرون - لا يجدون ما يعوضهم عما قد يتعرضون له من خسائر من ذويهم الذين قد يحرمونهم من بعض ممتلكاتهم كما يفقدون بعض المعونات التي كانت تقدمها لهم الهيئات التبشيرية. مما لا يشجع على التحول إلى الإسلام رغم الاقتناع به.

٣- رغم الإقبال على التعليم الديني، إلا أن معظم المدارس الإسلامية لا تعترف الدولة بها ولا بالشهادات التي تمنحها، مما يؤدي إلى إقبال أبناء المسلمين على المدارس الرسمية العلمانية الممولة من الدولة ومن الهيئات التبشيرية. وهذه المدارس عادة ما تقدم برامج غير إسلامية. وكثيرا ما تحارب التقاليد الإسلامية من خلال بث أجواء العادات والتقاليد الغربية[4].

٤- تفتقر المدارس الإسلامية والمساجد إلى العناية بها والإشراف عليها وتمويلها. مما يضعها في مظهر غير لائق مقارنة بالمدارس التبشيرية والكنائس. مما يؤثر في نفوس النيجيريين.

في مقابل ذلك تنشط الحركات والمنظمات الإسلامية الشعبية، وهي ظاهرة بدأت تلفت الأنظار مؤخرا حيث يزداد تأثيرها ويتسع نفوذها. ونجد من بعض أعضاء المسلمين من يمولها.

تنشط هذه المنظمات في مواجهة هذا الواقع المرفوض. وهذه النشاطات المستندة العصرية تطالب بتحكيم الشريعة الإسلامية وإحلال النظم والتقاليد الإسلامية. وهو ما عبر عنه محمد عبده مسلمي نيجيريا، الذي يقود الصحوة الإسلامية حاليا. ويرفع إلى الحكومة الفيدرالية بين الحين والآخر مطالبه ومطالبة التي تتمثل فيما يلي[5]:

١- رفض المسلمين لأي نظم سياسية وتشريعية تتنافى مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

٢- مطالبة الحكومة بتطبيق التشريعات الإسلامية في كل ولايات نيجيريا في الحكم والاجتماع.

٣- مطالبة الحكومة بإنشاء المحاكم الشرعية الإسلامية في الولايات ذات الأغلبية الإسلامية.

٤- مطالبة الحكومة بالاعتراف بتاريخ الهجري والأعياد الإسلامية وتحديد يوم الجمعة عطلة رسمية.

٥- المطالبة بانضمام نيجيريا كعضو كامل في منظمة الدول الإسلامية.

٦- المطالبة بمشاركة علماء نيجيريا وممثلي حكومتها في المؤتمرات الإسلامية من خلال هذه المطالبات والضغوط المستمرة على الحكومة الفيدرالية. يهدف النيجيريون عموما إلى أسلمة المؤسسات والمرافق الثقافية والاجتماعية. ولكنهم يواجهون صعوبات ومشاكل أبرزها:

١- قدرة المبشرين وبعض أفراد النخبة الحاكمة على التأثير في القرارات الحكومية.

٢- عدم القدرة بشكل عام للمدارس والمؤسسات والجمعيات الإسلامية وافتقارها المستمر إلى الأموال اللازمة للتعليم والتدريب وتزويد المكتبات بالكتب والمراجع والأدوات اللازمة.

٣- عدم حيادية أجهزة الإعلام، التي تقوم أحيانا بعرض انتقائي للإسلام، وحجب الأخبار الصادقة وتقديم القيم والأخلاقيات الغربية المنافية للشريعة كنموذج يقتدى به. وأحيانا يقدم برامج للطعن في بعض دعاة المسلمين وبعض الحركات والمؤسسات الإسلامية والتشكيك فيها، ورميها بالأصولية والتطرف. والاعتماد الكلي في المادة الإعلامية المقدمة على إصدارات أعداء الإسلام. ومن أخطر ما يوجهه الإعلام الترويج لفكرة تعدد المنظورات الثقافية في الإسلام، والدعوة إلى الطائفية، وتشجيع الفرق المنحرفة.

ونحن في هذه الورقة ندعو علماء المسلمين والأزهر الشريف إلى مد يد العون لإخوانهم في نيجيريا لمواجهة تحديات العصر ومحاولات الغرب المستمرة للقضاء على الثقافة الإسلامية في هذا الجزء من إفريقيا.

---

(٣) أقام في نيجيريا مدة طويلة منذ بداية الستينيات وهو صاحب الدعوة السلوكية، والدعوة إلى الله بالطرق العملية.

(٤) كان التساؤل موقف مشرف من محاولات فرض العادات الغربية، ورفض بعدة مؤتمرات واجتماعات في المدن والقرى.

(٥) محمد عبده تحسين بهذه المطالب عام ١٩٩٢م.

فكر ... عولمة

العولمة الاقتصادية ودورها بين العولمات

أعتقد أن القارئ الكريم، يرى معي أنه لا توجد ظاهرة عامة – عولمة أو مدرسة أدبية، أو فنية.. أو أي شيء آخر من هذا القبيل – برزت إلى الوجود هكذا من فراغ ودون مقدمات سبقتها، وأدت إلى ظهورها واتساع مداها، حتى شملت العالم كله، أو ظهرت على مستوى إقليمي، أو حتى أيديولوجي أو على مستوى جنس من الأجناس البشرية – حسب طبيعتها – وهو ما يؤكد على أن ظاهرة العولمة بمفهومها العام أو الخاص – اللذين أشرنا إليهما في المقال السابق – قد مرت بمراحل أدت بها في النهاية إلى أن شملت العالم بأسره، وسوف تؤدي في المستقبل إلى إحكام سيطرتها على دول العالم أكثر وأكثر، شاءت الدول أو أبت. ولكن المهم في هذا الصدد، ولابد من الأخذ به، هو أن تقوم كل دولة من الدول وبخاصة الضعيفة والفقيرة، بوضع عدد من الضوابط والآليات القوية، التي تحد من آثارها التي تضر بالاقتصاد الوطني، أو الثقافة المحلية أو الأخلاقية أو الثوابت الدينية

وقد دعت هذه الحقيقة التاريخية– وهي حقيقة المقدمات التي أدت إلى العولمة التي نعيش مظاهرها العالمية الآن –«رولاند روبرتسون»– وهو أحد منظري العولمة – أن يعدّ جدولاً زمنياً للمراحل التي أدت إلى بروز ظاهرة العولمة إلى السطح، وسيطرتها على دول العالم حتى أصبحت الشغل الشاغل، ليس لرجال المال والاقتصاد وحدهم، وإنما لرجال السياسة والثقافة والفلسفة والأخلاق، وحتى لرجال الحرب والسلام؛ حيث قام رجال كل فئة من هذه الفئات بدراسة آثار العولمة على مجالاتهم، وكيف يفيدون منها بأقصى ما يستطيعون، ويتحاشون آثارها السلبية بأقصى ما يستطيعون. ويمكن تلخيص هذه المراحل التي توصل إليها «رولاند روبرتسون» في النقاط التالية:

١ – المرحلة الجنينية: التي استمرت في أوربا منذ بداية القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر، وقد شهدت هذه المرحلة نمو المجتمعات القومية، كما تعمقت خلالها الأفكار الخاصة بالفرد وبالإنسانية، وسادت نظرية مركزية العالم.

٢ – مرحلة النشوء: التي امتدت من منتصف القرن الثامن عشر إلى سبعينيات القرن التاسع عشر وفيها زادت إلى حد كبير الاتفاقيات الدولية بين الدول، ونشأت المؤسسات الخاصة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول، وبدأت مشكلة قبول الدول غير الأوروبية في المجتمع الدولي، والاهتمام بموضوع القومية والعالمية.

٣ – مرحلة الانطلاق: وقد استمرت من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين، وفيها حدث تطور هائل في عدد وسرعة الأشكال الكونية للاتصال، وظهرت المنافسات الكونية مثل الألعاب الأوليمبية وجوائز نوبل، وفي هذه المرحلة وقعت الحرب العالمية الأولى، وقامت عصبة الأمم.

٤ – مرحلة الصراع من أجل الهيمنة: وقد امتدت من عشرينيات القرن العشرين إلى ستينيات القرن نفسه، وفيها بدأت الخلافات والحروب الفكرية حول المصطلحات الناشئة الخاصة بعمليات العولمة، والتي بدأت في مرحلة الانطلاق.. كما شهدت هذه المرحلة إمكانية الوصول إلى القمر، وتطوير شبكة الاتصالات والمعلومات بين الدول بعضها البعض بصورة متسارعة.

٥ – مرحلة عدم اليقين: وتمتد من سبعينيات القرن العشرين إلى الآن، وفيها تم إدماج دول العالم الثالث في المجتمع الدولي، وتصاعد الوعي الكوني لدى الإنسان، وانتهاء الحرب الباردة، وزيادة عدد المؤسسات متعددة الجنسيات، وأصبح النظام الدولي أكثر انتشاراً، وزاد الاهتمام في هذه المرحلة بالمجتمع المدني العالمي والمواطنة العالمية؛ ومن هنا تجسدت الصورة المعاصرة للعولمة.[1]

(١) في كتاب «العولمة والاعتماد المتبادل» للدكتور أحمد حسين عبد المعطي ص ٨٥ – ٨٧، ومجلة «عالم الفكر» مجلد ٣٢ عدد ١ سنة ٢٠٠٥ ص ٩

فالميل إلى العالمية قديم، وليس وليد هذا العصر، وليس غريبا أن يكون لكل حضارة طموح عالمي – بشكل أو بآخر – «بل إن تاريخ العالم ما هو إلا تتابعات لصور صغيرة من العولمة، وقد حاولت كل امبراطورية من الامبراطوريات التاريخية أن تضم كيانات أخرى؛ فعلت ذلك الامبراطورية اليونانية عبر الإسكندر الأكبر، وفعل ذلك الرومان والمسلمون، وفي العصر الحديث الإسبان والبرتغاليون، ومن بعدهم الإنجليز والأمريكيون، وقد درج المؤرخون على استخدام تعبيرات مثل «السلام الروماني» للتعبير عن هذا الميل الإمبراطوري نحو العالمية

«ولكن على رغم وجود هذا الميل القديم نحو العالمية، اتخذت عولمة الحداثة في العصر الحديث طابعا مغايرا، فلقد كانت الأنساق السياسية والاجتماعية للإمبراطوريات القديمة أنساقا تقليدية، تعتمد على مركزية السلطة، وتركز القوة، مع انعزال الجماعات المحكومة في مجتمعات تقليدية منعزلة ومكتفية بذاتها، ولكن اختلف الأمر حين خرجت المجتمعات الأوروبية من قيود النظام التقليدي والدخول إلى عالم الحداثة، ونحو تخطي حدود الزمان والمكان على اختلاف في الأساليب والآليات التي اتخذتها لذلك عبر الزمان»(٢)

فإذا كان التوجه نحو العالمية التي تطورت أخيرا إلى العولمة، توجها بشريا سواء على مستوى الأفراد، أو على مستوى الشعوب بين والإمبراطوريات.. وإذا كانت العولمة نظاما دوليا شاملا لكل أنشطة الحياة، فإن أخطر ما يشتمل عليه هو النشاط الاقتصادي بكل جوانبه وخصائصه لأنه هو الذي يمس من قريب بطون الشعوب ويؤثر تأثيرا مباشرا في ثقافتها وفنونها وحضارتها بل وفي أخلاقها وسياستها.. إلخ

«فالعولمة هي أساسا مفهوم اقتصادي، قبل أن تكون مفهوما علميا أو سياسيا أو ثقافيا أو اجتماعيا. كما أن أكثر ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن العولمة، هو العولمة الاقتصادية. ويعود هذا الارتباط العميق بين العولمة من ناحية والعولمة الاقتصادية من ناحية أخرى، إلى أن المظاهر والتجليات الاقتصادية للعولمة هي الأكثر وضوحا في هذه المرحلة من مراحل بروز وتبلور العولمة كلحظة تاريخية جديدة؛ فكل المؤشرات الموضوعية تشير إلى أن العولمة الاقتصادية هي الأكثر اكتمالا، وهي الأكثر تحققا على أرض الواقع من العولمة الثقافية، أو السياسية، ويبدو العالم اليوم معولما اقتصاديا أكثر مما هو معولم ثقافيا أو سياسيا، من هنا جاء التلازم بين العولمة والعولمة الاقتصادية، ومن هنا أيضا هيمن الفهم الاقتصادي على ظاهرة العولمة..

(٢) انظر: مجلة «عالم الفكر» عدد ١ مجلد ٣٢ عام ٢٠٠٨ بحث بعنوان «عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية» للدكتور حسن ...

«ويرى حتى العولمة الاقتصادية، بأن العالم الذي تشكل في التسعينيات قد أصبح عالما بلا حدود اقتصادية، فالنظم الاقتصادية المختلفة أصبحت مخترقة ومتداخلة ومؤثرة في بعضها البعض، ولم تعد هناك حدود وفواصل فيما بينها، إن النظام الاقتصادي العالمي هو اليوم نظام واحد تحكمه أسس عالمية مشتركة، وتديره مؤسسات وشركات عالمية ذات تأثير على كل الاقتصادات المحلية، إن الأسواق التجارية والمالية العالمية، هي اليوم موحدة أكثر من أي وقت آخر فحسب، بل هي خارجة عن تحكم كل دول العالم بما في ذلك أكبرها وأكثرها غنى»(٣)

ومن هنا كانت العولمة الاقتصادية تتجه نحو بناء كيانات اقتصادية كبيرة، تستطيع مصارعة أقرانها على مستوى العالم، تحقيقا لمبدأ «البقاء للأقوى» وذلك من خلال تشكيل هيئات اقتصادية كبيرة تمكن بحكم حجمها ونفوذها من السيطرة على الأسواق. ولكي نتدلل على ذلك – كما يقول الدكتور سامي محمد الدلال – بنموذج واحد فقط وهو نموذج «الاندماج» مثل اندماج شركات صناعية عملاقة، كاندماج شركتي «ديملرز» و«كرايسلر».

• شركات بترول، مثل:

– «اكسون» و«موبيل» (مقدار رأس المال ٢١٤ مليارا)

– «رويال داتش» و«شل» (مقدار رأس المال ١٦٢ مليارا)

– «بريتش بتروليوم» و«أموكو» (مقدار رأس المال ١٤٩ مليارا)

• بنوك كبيرة في أوربا وأمريكا

وقد ذكر «تقرير الشال الاقتصادي» أن في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها حدثت ٣٣٨٥ عملية شراء واندماج خلال النصف الأول من عام ٢٠٠٢م، وفي بريطانيا نحو ١١٥٠ عملية اندماج، وفي ألمانيا نحو ٥٣٨ عملية، وفي فرنسا نحو ٥٠٤ عمليات، وفي البرازيل نحو ٨١ عملية، وفي المكسيك نحو ٤٢ عملية..وغير ذلك من عمليات الاندماج والشراء التي بلغت ١١٨٨٧ عملية وبقيمة إجمالية في حدود ٦٤٥ مليارا»(٤)

تلك هي حقيقة العولمة المعاصرة، والعولمة الاقتصادية على وجه الخصوص، والتي تقوم على رؤوس الأموال الهائلة، ولا يثبت لها إلا

(٣) د. عبد الخالق عبدالله – جامعة الإمارات العربية المتحدة – مجلة «عالم الفكر» – المجلد ٢٨ العدد الثاني أكتوبر – ديسمبر ١٩٩٩م بحث بعنوان «العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها» ص ٩٧

(٤) راجع في كتاب «الإسلام والعولمة» للدكتور سامي محمد الدلال ص ٥٤، ٥٥ والكتاب صادر عن سلسلة كتاب البيان التي تصدر عن مجلة البيان

الأقوياء..!! فما موقف العالم الإسلامي والعربي من هذه الظاهرة؟ وما هو التحدي الذي يواجه الاقتصاديين الإسلاميين والعرب؟

«إن التحدي الاقتصادي الذي يواجه العالم الإسلامي ذو طابع فريد وحاسم وقوي - كما يقول الدكتور الدلال - إن على المخططين الإسلاميين الاقتصاديين الاستراتيجيين أن يجيلوا النظر جيدا في الأرقام الاقتصادية التي تدق بعنف نواقيس الخطر للزمن القادم. ومن تلك الأرقام - على سبيل المثال - ما ذكره الدكتور مالك الأحمد في بحثه «العولمة: مفاهيم ومقارنة» حيث ذكر أن:

- ٥٠٠ شركة عملاقة عابرة للقارات تسيطر على ٧٠٪ من حركة التجارة العالمية.

- ٩ شركات تسيطر على ٨٥٪ من تجارة الحبوب.

- ٣ شركات تسيطر على ٨٣٪ من تجارة الكاكاو.

- ٧ شركات تسيطر على ٨٠٪ من تجارة الموز.

- ٣٥٨ فردا يملك الواحد منهم مليار دولار على الأقل، بما يضاهي ما يملكه ٢,٥ مليار نسمة.

- يوجد في الدول النامية ١,٣ مليار شخص يعيشون بأقل من دولار واحد في اليوم و١١٪ من سكان الدول الصناعية يعيشون بأقل من ١١,٤ دولار.

- يستهلك كل أمريكي ١١٩ كجم سنويا من اللحم، والمصاوى ١٠٣ كجم سنويا، في حين يبلغ متوسط ذلك في بنغلاديش ٣ كجم سنويا، وفي الهند ٤ كجم»[٥]

ومن خلال هذه المقارنة السريعة بين مستوى المعيشة في أمريكا والدول الغربية من جانب، وبين دول العالم النامي ومنه بطبيعة الحال معظم الدول الإسلامية والعربية من جانب آخر، نرى الفرق شاسعا بين طرفي المقارنة، وهذا الفارق يحرص على استمراره واتساع مداه الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية مع أن هناك حقيقة مروعة لا ينكرها أصحاب رؤوس الأموال في العالم العربي والإسلامي، وهي أن معظم أموال المسلمين والعرب في بنوك الدول الغربية والولايات المتحدة خاصة.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، وإنما يراد تحويل هذه الأموال إلى سلاح مدمر يوجه ضد صدور المسلمين والعرب، ويهدد أمنهم ومستقبلهم بعد أن أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على المسلمين خلال العقد الأخير. ومن أهم ما كشفته هذه الحروب تلك الأزمة المالية العالمية التي يعيشها العالم الآن»

(٥) «الإسلام والعولمة» د. سامي محمد الدلال ص ٦١، ٦٢.

الخلافة الإسلامية.. والدولة المدنية

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية



في واقعنا الفكري والسياسي المعاصر، هناك من يتصور أن إحياء الخلافة الإسلامية هو أولى أولويات العمل الإسلامي، ونقطة البدء لاستعادة الأمة الإسلامية منعتها ومجدها، وأنه هو طوق نجاة الأمة من كل الأمراض والمشكلات.

وهذا الفريق من العاملين في الحقل الإسلامي يتصور أن هذا «الحل السحري» لا يتطلب أكثر من بيعة يعقدها أهل الحل والعقد مع من يختارونه خليفة للمسلمين، من الزعماء والعلماء.

وهناك - في هذا الواقع المعاصر - من يرى استحالة إحياء هذه الخلافة الإسلامية، بل ويرى في الدعوة إلى ذلك لونا من ألوان الرجعية الفكرية والسياسية، والجمود والظلامية، والتعلق بحبال الأوهام.

وبينما يعتبر البعض عصور الخلافة الراشدة عصورا ذهبية للأمة الإسلامية وحضارتها، رأينا البعض قد وصف هذه الخلافة - حتى في عهدها الراشد - بأنها لم تكن إلا على أساس القوة الرهيبة»(*)

وفي مواجهة هذا الاستقطاب الحاد بين هذين الاتجاهين علينا أن نحدد ونحرر مضامين المصطلحات في هذا الموضوع المهم والخطير.

★ إن الخلافة الإسلامية التي عرفتها الأمة مع ولاية أبي بكر الصديق (٥١ ق هـ - ١٣هـ / ٥٧٣-٦٣٤م) رضي الله عنه، عقب وفاة رسول الله ﷺ هي نظام

(*) علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم» ص ٢٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥م

نظم الحكم - ونظام الحكم - ككل النظم - هو مؤسسات وآليات تقيمها الأمة لتحقيق المقاصد والغايات والمصالح التي تنشدها، والتي تحدد معالمها المرجعية الفكرية أو الفلسفية أو الدينية التي تؤمن بها هذه الأمة.

أي أن هذه الخلافة - كنظام للحكم - مؤسسة مدنية بشرية، أبدعتها الأمة وأقامتها لتحقيق مقاصد ومصالح محددة.

★ والمقاصد الإسلامية التي أقامت الأمة نظام الخلافة لتحقيقها هي في الأساس:

١ - تحقيق وحدة الأمة الإسلامية التي هي فريضة دينية، وضرورة حياتية.

٢ - وتكامل أقطار دار الإسلام، كوعاء للأمة ووحدتها.

٣ - وتحقيق سيادة الشريعة الإسلامية في حياة الأمة، وذلك عندما تقوم الخلافة بحراسة الدين، وسياسة الدنيا، وتجمعها بهذا الدين.

ولقد كان قيام هذه الخلافة الإسلامية إبداعًا جديدًا ومتميزًا وغير مسبوق في النظم السياسية الفعلية في ذلك التاريخ الذي قامت فيه، بل لا يزال نظامها متميزًا عن النظم السياسية الأخرى حتى هذا العصر الذي نعيش فيه.

فقديمًا، كانت الدول الدينية الكهنوتية التي امتزج فيها الدين بالدولة والسلطة امتزاجًا كاملًا: فرعون إله أو ابن الإله، وسلطته هي سلطة السماء المقدسة، التي تفعل ما تريد، ولا تُسأل عما تفعل، وكذلك كانت الكسروية الفارسية والقيصرية الرومانية والبيزنطية، سواء في عهد وثنيتها أو بعد أن تبنت النصرانية دينًا رسميًا.

بل كذلك كان الحال في تاريخ بني إسرائيل في الفترات القصيرة، والمتقطعة التي كانت لهم فيها «دولة».

ولقد حدثنا عن ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الشريف الذي يقول فيه: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وإنه سيكون خلفاء» رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والإمام أحمد.

★ أما الخلافة الإسلامية - التي قامت كامتداد متميز للدولة النبوية - فإنها كالدولة النبوية - قد تأسست بالعقد الدستوري والعقد الاجتماعي الحقيقي الذي تم في «بيعة العقبة» (١ ق هـ ٦٢١م). وتوزعت فيها السلطات بين المؤسسات الدستورية الثلاث:

١ - مؤسسة «الأمراء» التي عرفت بـ«المهاجرين الأولين» والتي ضمت العشرة الذين مثلوا قيادات بطون قبيلة قريش، والذين سبقوا إلى الإسلام، وهم:

أبو بكر الصديق (٥١ ق هـ ١٣هـ ٥٧٣ ٦٣٤م)، وعمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ ٢٣هـ ٥٨٤-٦٤٤م)، وعثمان بن عفان (٤٧ ق هـ-٣٥ هـ ٥٧٧-٦٥٦م)، وعلي بن أبي طالب (٢٣ ق هـ ٤٠هـ ٦٠٠ ٦٦١م)، وأبو عبيدة بن الجراح (٤٠ ق هـ ١٨هـ ٥٨٤ ٦٣٩م)، والزبير بن العوام (٢٨ ق هـ ٣٦هـ ٥٩٦ ٦٥٦م)، وطلحة بن عبيد الله (٢٨ق هـ-٣٦هـ ٥٩٦ ٦٥٦م)، وسعد بن أبي وقاص (٢٣ق هـ-٥٥هـ ٦٠٠ ٦٧٥م)، وعبد الرحمن بن عوف (٤٤ق هـ-٣٢هـ ٥٨٠ ٦٤٤م)، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (٢٢ق هـ-٥١هـ ٦٠٠-٦٧١م).

٢ - والمؤسسة الدستورية الثانية هي مؤسسة «النقباء الاثنى عشر» التي مثلت الأنصار الوزراء، والتي ولدت يوم بيعة العقبة، عندما أراد الأنصار مبايعة الرسول على الهجرة وإقامة الدولة، فقال لهم: «اختاروا منكم اثنى عشر نقيبًا». فكانت هذه المؤسسة الدستورية الثانية، والتي تكونت من:

أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس (١هـ ٦٢٢م)، وسعد بن الربيع (٣هـ ٦٢٥م)، وعبد الله بن رواحة (٨هـ ٦٢٩م)، ورافع بن مالك بن العجلان (٣هـ ٦٢٥م)، والبراء بن معرور (١هـ ٦٢٢م)، وعبد الله بن عمرو بن حرام (٣هـ ٦٢٥م)، وسعد بن عبادة بن دليم (١٤هـ ٦٣٥م)، المنذر بن عمرو بن خنيس (٤هـ ٦٢٥م) وعبادة بن الصامت (٣٨ ق هـ ٣٤هـ ٥٨٦ ٦٥٤م) وأسيد بن حضير (٢٠هـ ٦٤١م)، وسعد بن خيثمة بن الحارث (٢هـ ٦٢٤م)، ورفاعة بن عبد المنذر «متوفى في خلافة علي بن أبي طالب».

٣ - ومع مؤسستي «الأمراء» من المهاجرين الأولين، و«الوزراء، النقباء الاثنى عشر من الأنصار» كانت المؤسسة الدستورية الثالثة، وهي «مجلس الشورى» مجلس الشعب الذي كان يجمع بمسجد النبوة، بشكل محدد، وفي أوقات محددة، لتعرض عليه شؤون الدولة والمجتمع والتقارير الواردة من أقاليم دولة الخلافة.

هكذا تميزت دولة الخلافة الإسلامية، التي قامت على العقد الدستوري والمؤسسية عن كل النظم الحاكمة التي عرفتها الحضارات حتى ذلك التاريخ.

وهذا التميز لنظام الخلافة الإسلامية جعل منها سلطة مدنية تبدع الأمة مؤسساتها وآلياتها وتنصبها، لتحقق هذه السلطة المقاصد الدينية والشرعية: وحدة الأمة، وتكامل دار الإسلام، وسياسة الأمة والدولة بشريعة الله.

★ وعن هذا التميز لنظام الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم الأخرى تحدث وشهد الفقهاء والعلماء الذين تفقهوا في نظم الحكم من الغربيين والمسلمين، فكتب العلامة «دافيد سانتيلانا» (١٨٥٥-١٩٣١م) وهو الفقيه في القانون الروماني والفقه الإسلامي يقول:

«إن خلفاء الرسول ﷺ هم يؤدون رسالته الروحية، فقد آثر أبو بكر قبول لقب «خليفة الله» واكتفى بلقب «خليفة رسول الله»، ثم درج لقب «أمير المؤمنين» منذ زمن عمر بن الخطاب، فحدد بكل وضوح صفة تلك السلطة العليا، التي هي في الحقيقة ليست عملًا «ملكًا» بل «إمرة». لها وظيفتها الدينية وهي أهم جميع وظائفه الأخرى، فليس منها ما يضفي على الخليفة صفة القداسة، أو يسبغ عليه الكهنوت، إن سلطة الخليفة كرئيس ديني لا يمكن أن تعتبر سلطة حبرية أو بابوية فهو متجرد تمامًا من صفة الكهنوت، لأن حكومة المسلمين ما كانت في أي زمن أو ظرف حكومة دينية، ولم يوجد فيها تعاقب رسولي»(*).

★ وشهد على هذا التميز لطبيعة السلطة في دولة الخلافة الإسلامية ونظامها أيضًا الدكتور طه حسين (١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م) فكتب يقول:

«قد يظن بعض الذين تخدعهم ظواهر الأمور أن نظام الحكم الإسلامي في عهد النبوة والخلافة، كان نظامًا ثيوقراطيًا، يستمد سلطانه من الله، ومن الله وحده، ولا

(*) الإسلام والتقدم والحضارة، بحث منشور بكتاب «تراث الإسلام» [illegible] ص ٤٢٤، ٤٢٥، ترجمة جرجيس فتح الله، طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م [illegible]

شأن الناس في هذا السلطان. ولا شك أن هذا الرأي هو أبعد الآراء عن الصواب؛ ذلك أن الإسلام لم يسلب الناس حريتهم، ولم يملك عليهم أمرهم كله، وإنما ترك لهم حريتهم في الحدود التي رسمها لهم. لقد ترك لهم عقولا تستبصر، وقلوبا تستذكر، وأذن لهم في أن يتوخوا الخير والصواب والمصلحة العامة والمصالح الخاصة ما وجدوا إلى ذلك سبيلا. وما من شك في أن خليفة من خلفاء المسلمين ما كان ليفرض لنفسه وسلطانه عليهم فرضا إلا أن يعطيهم عهده ويأخذ منهم عهدهم، ثم يمضي فيهم الحكم بمقتضى هذا العقد المتبادل بينه وبينهم..

فالخلافة الإسلامية عهد بين المسلمين وخلفائهم، وقد قام أمر الخلافة كله على البيعة، أي على رضا الرعية، فأصبحت الخلافة عقدا بين الحاكمين والمحكومين، يعطي الخلفاء على أنفسهم العهد أن يسوسوا المسلمين بالحق والعدل، وأن يرعوا مصالحهم، وأن يسيروا فيهم سيرة تحقق ما وسعهم ذلك، ويعطي المسلمون على أنفسهم العهد أن يسمعوا ويطيعوا وأن ينصحوا ويعينوا..

لذلك فإن الرأي القائل بأن نظام الخلافة إنما هو النظام الثيوقراطي الإلهي، هو أبعد الآراء عن الصواب.

لم يكن نظام الحكم الإسلامي نظام حكم مطلق، ولا نظاما ديمقراطيا على نحو ما عرف اليونان، ولا نظاما ملكيا أو جمهوريا أو قيصريا مقيدا على نحو ما عرف الرومان، وإنما كان نظاما عربيا خالصا، بين الإسلام له حدوده العامة من جهة، وحاول المسلمون أن يملؤوا ما بين هذه الحدود من جهة أخرى. لقد كان نظاما إنسانيا، ولكنه على ذلك تأثر بالدين إلى حد بعيد جدا.

لم يكن الخليفة يصدر عن وحي أو شيء يشبه الوحي في كل ما يأتي وما يدع، ولكنه على ذلك كان مقيدا بما أمر الله به من إقامة الحق وإقرار العدل وإيثار المعروف واجتناب المنكر والصدود عن البغي"[3]

وقبل هذه الشهادات الحديثة، الغربية والعربية، على تميز نظام الخلافة الإسلامية عن سائر نظم الحكم الأخرى، وأنه بعبارة طه حسين "إنما كان نظاما عربيا خالصا، بين له الإسلام حدوده العامة من جهة، وحاول المسلمون أن يملؤوا ما بين هذه الحدود من جهة أخرى، قبل هذه الشهادات الحديثة التي ضربنا لها الأمثال، شهد بهذا التميز العلامة ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ ١٣٣٢-١٤٠٦م) -واضع علم الاجتماع والعمران- عندما تحدث عن حقيقة الملك، وأنواع نظم الحكم في الحضارات والتاريخ، فقال:

"... ولما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر، وجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة، وينقادون إلى أحكامها.

فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية، وإذا كانت مفروضة من الله، بشارع يقررها ويشرعها، كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط، فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضي بهم إلى السعادة في آخرتهم، فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة، حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الإنساني، فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع.

فما كان من الملك بمقتضى القهر والتغلب، فجور وعدوان، ومذموم عند الشارع، كما هو مقتضى الحكمة السياسية.

وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضا، لأنه نظر بغير نور الله:

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾

(النور: ٤٠)

لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم، وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم، من ملك وغيره. وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(الروم: ٧)

ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم، فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة، وهم الأنبياء، ومن قام فيه مقامهم، وهم الخلفاء، فقد تبين لك من ذلك أن:

١- الملك الطبيعي: هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة.

٢- والسياسي: هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار.

٣- والخلافة: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[4]

هكذا شهد الأقدمون والمحدثون من الشرق والغرب، على أن الخلافة نظام متميز بين نظم الحكم العالمية. فلا هي سلطة الكهانة الثيوقراطية، ولا هي سلطة العقل والمصلحة المنفلتة من ضوابط الشرع والدين، ولا هي سلطة الغلبة والقهر والاستبداد، وإنما هي دولة الأمة والشريعة جميعا، ودولتها وحكومتها لا تحتكر الشريعة، ولا تدعي الانفراد بالاجتهاد فيها، والتقنين لها، أو أن لها فيها سلطة وحرية كهنوتية، وإنما هي الدولة المنفذة للشريعة، والطبقة التي يقدمه الفقهاء أهل الاجتهاد حتى أن الفقه والقانون فيها يعلو سلطانه على سلطان السلطة التنفيذية، ففيها وحدها يتحرر القانون من أهواء الحاكمين!

لكن، ولأسباب كثيرة بعضها داخلي تعلق باتساع رقعة الدولة وصراعات القوميات وتخالف المواريث القديمة التي تصارعت في المجتمع الإسلامي، وبعضها خارجي من مثل تحديات الغزوات الخارجية، رومانية بيزنطية، وصليبية وتترية، تقلب نظام الخلافة الإسلامية بين الشورى الخالصة والمؤسسية الكاملة، كما في عهدها الراشدي، وبين الملك الوراثي، أي الخلافة الناقصة، فيما بعد عصر الراشدين، وما بين استبداد العسكر، كما في الحقبة المملوكية، لكنها ظلت طوال تاريخها النظام السياسي الحامل، قدر الطاقة على تحقيق المقاصد منها: وحدة الأمة، وتكامل دار الإسلام، والتمسك بحاكمية الشريعة الإسلامية في الأمة والدولة جميعا، رغم التراجع الذي أصاب الشورى، والعدل، بدرجات متفاوتة في الكثير من الأحيان.

(٣) د. طه حسين، الفتنة الكبرى، جـ١ عثمان، ص ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٣، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤م

(٤) ابن خلدون، المقدمة ص ١٥٠، ١٥١، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ

من المآسي المعاصرة

لن يرجع اليهود عن عدوانهم

الدكتور/ [illegible]

توقفت المحرقة الصهيونية البشعة على قطاع غزة، بعد خمسمائة وثمان وعشرين ساعة من صب الرصاص على رءوس الأبرياء من أبناء غزة الصابرة الصامدة في وحشية لم تشهد البشرية لها مثيلا حيث تجاوزت الوحشية كل ما يمكن أن يتحمله البشر ولهذا خرجت كل شعوب الدنيا تعبر عن غضبها وحنقها أمام رؤية القنابل الفوسفورية وهي تنزل على أجساد البشر فتذيبها وتحولها إلى كتلة لحم منصهر كل ذلك يقع بأمر قادة اليهود. بينما الشعب اليهودي يتمايل نشوة فرحا بما يحدث وأردت أن أجد تفسيرا لطبيعة هذه النفس العدوانية البربرية المتوحشة فلم أجد ذلك إلا فيما أنبأنا به الخالق الحكيم سبحانه عن طبيعة هؤلاء الناس قبل ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان في قوله تعالى يتوعدهم ويفضحهم:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٧٤).

والحجارة التي يقيس قلوبهم إليها. فقد قلوبهم منها أجدب وأقسى. هي حجارة لهم بها سابق عهد. فقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عينا. ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله وخر موسى صعقا! ولكن قلوبهم لا تلين ولا تندى، ولا تنبض بخشية ولا تقوى. قلوب قاسية جاسية مجدبة كافرة. ومن ثم جاءت الآية بهذا التهديد ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤)[1].

وهو تهديد يطمئن قلوب أهل غزة ويعزيهم، ويشعرهم بأنه المنتقم الجبار الذي لا تضيع لديه حقوق المظلومين ولا تعجزه قسوة المجرمين.

ولقد دعاني هذا الوصف المعجز لأن أتعقب القسوة في القرآن، فوجدتها ذكرت في ستة مواضع، ثلاثة منها بلفظ الفعل «قست»، وثلاثة بلفظ اسم الفاعل «القاسية»، وذكرت مرة واحدة بلفظ المصدر «أو أشد قسوة» مقترنة بأحد المواضع السابقة، ومن يتأمل هذه المواضع يجد أن الكلمة بصورها الثلاثة: الاسم والفعل والمصدر جاءت وصفا مباشرا لبني إسرائيل.

فمشهد إحياء الميت بضربه بجزء من البقرة، كان جديرا بأن يستجيش في قلوب بني إسرائيل الحساسية والخشية والتقوى. لو كان في هذه القلوب بقية من إحساس أو أثارة من دين.

لكنها قلوب استعصت على الهداية، وتمردت على الفطرة، وألفت الكفر ونقض الميثاق ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ١٣).

وفي المواضع الأخرى من ذكر القسوة، والتي لم تأت وصفا لليهود مباشرة كانت دلالتها على قسوتهم أشد وأوضح إذ جاءت تحذيرا لأمة الإسلام أن يتشبهوا بهذه الأمة الفاسقة في جحودها وكنودها وجمودها وقسوة قلوبها لطول عكوفها على الكفر والإفساد في الأرض وذلك في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦).

وإذا كانت الحرب على غزة قد سيطرت برعبها ووحشيتها ودمويتها على مشاعر أهل الأرض جميعا بحيث لم نجد للقلوب التي أشعلتها وصفا يناسبها إلا أنها كالحجارة أو أشد قسوة، فإننا نتساءل بعد أن بردت الأحداث والآيات على هذه الحقيقة الكبرى: ما الذي نستفيده في صراعنا من خلال هذه الحقيقة؟! إن هذا ما تكفلت بالإجابة عنه آية سورة المائدة في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ١٣).

إنها الخيانة بكل صورها، الفعلة الخائنة، والنية الخائنة، والكلمة الخائنة، والنظرة الخائنة، يجملها النص بحذف الموصوف وإثبات الصفة.. «خائنة».. لتبقى الخيانة وحدها مجردة، تملأ الجو، وتلقي بظلالها وحدها على القوم فهذا هو جوهر جبلتهم، وهذا هو جوهر موقفهم مع

(١) في ظلال القرآن ج ١ ص ٨٠، ٨١

رسول الله ﷺ ومع أمته من بعده.

إن هذا القرآن هو معلم هذه الأمة ومرشدها.. وهو يكشف لها عن حال أعدائها معها، وعن جبلتهم وعن تاريخهم مع هدى الله كله.. ولو ظلت الأمة تستشير قرآنها وتسمع توجيهاته، وتقيم قواعده وتشريعاته في حياتها، ما استطاع أعداؤها أن ينالوا منها في يوم من الأيام.. ولكنها حين نقضت ميثاقها مع ربها، وحين اتخذت القرآن مهجوراً أصابها ما أصابها؛ لأنها استوت مع عدوها في البعد عن الله وهجر توجيهاته وتشريعاته.. فدفعت ثمن ذلك غالياً على مدى خمسين عاماً متوالية، عندما صار التحاكم -فقط- إلى [illegible] العسكرية، و[illegible] السياسية، بعيداً عن سلاح العقيدة وقوة الإيمان. وعندما شهدت ميادين المعارك راية التوحيد ترفع، وجنود الله تزحف، وقوافل الشهداء تتزاحم على موارد الموت في شوق [illegible]، [illegible] أبناء القردة والخنازير أنهم قد [illegible] يحصرون. وأن معاركهم لم تعد كما تعودوها نزهة مع الخانعين والجاهلين، الذين [illegible] حب الدنيا وكراهية الموت. فجاءهم الموت ذلاً وقهراً على يد أذل شعب وأحقر أمة. وكيف لا؛ وهم الذين قال الله فيهم:

﴿[illegible]﴾

(آل عمران: ١١٢).

إن أمة لديها كتاب الله وتتلوه آناء الليل وأطراف النهار يدعوها في صراحة ووضوح قائلاً:

﴿[illegible]﴾

(آل عمران: ١٠٠).

ثم يبين لها طريق النجاة والفلاح بقوله:

﴿[illegible]﴾

(آل عمران: ١٠١).

ثم يزيد الأمر وضوحاً وجلاءً بقوله:

﴿[illegible]﴾

(المائدة: ٥١).

ثم يستثير همتها ويشحذ عزيمتها بقوله:

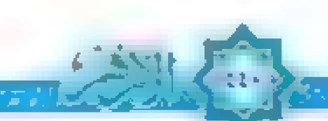
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

(الأنفال: ٧٣).

ثم يصل مع المسلمين والخانعين إلى نهاية المدى بقوله سبحانه:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ١٢٠).



إن أمة لديها هذا الكتاب، وقد أوضح لها معالم الطريق هذا الوضوح، هي أمة غير معذورة إذا دارت على عظام أبنائها عجلات المدرعات، وسحقت أجسادهم جنازير الدبابات. عندما [illegible] قراءة تلك الآيات، فيعدوا ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل ليكون لهم على ربهم حق النصرة الذي أوجبه على نفسه لعباده المؤمنين بقوله:

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

(الصافات: ١٧٢، ١٧٣).

وأكد ذلك الوعد بقوله:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الروم: ٤٧).

إنني أعتقد جازماً أن إسرائيل بهذه الحرب المغرقة، قد مارست إفسادها الثاني الذي هو علامة نهايتها ومقدمة فنائها. وهو القضاء الذي قضاه الله تبارك وتعالى عليهم بقوله:

﴿[illegible]﴾

(الصافات: ٤، ٥).

وهذا هو الإفساد الأول

﴿[illegible]﴾

(الصافات: ٦، ٧).

وها هم بأفعالهم الوحشية تلك قد أشعلوا الأرض كلها غضباً ونقمة وحنقاً وثورة، وفعلوا من الإفساد ما لا يمكن أن يتحمله البشر، فاستحقوا أن يسلط الله عليهم عباداً له أولي بأس شديد يحرصون على الموت أكثر من حرص اليهود على الحياة، ليسوؤوا وجوههم بالهزيمة وليدخلوا المسجد ظافرين محررين بعد أن طال أسره وزاد عناؤه.. وليزيلوا عن وجه الأرض آثار هذا الخليط الشائه البغيض.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

(الروم: ٤-٥).

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(الروم: ٦).

غــزة بين القرار ١٨٦٠ والمبادرة المصرية

[illegible]

يبدو ان مخطط قصف قطاع غزة برا وبحرا وجوا من جانب إسرائيل. لم يكن بسبب تهديد صواريخ حركة «حماس»، ولا بسبب رفض الأخيرة تجديد فترة التهدئة. ولم يكن وليد اللحظة. بل كان معدا سلفا من جانب الثلاثي الصهيوني «اولمرت» و«باراك» و«ليفني» من اجل تحقيق العديد من الاهداف. اهمها استعادة الهيبة الردعية الاسرائيلية التي فقدتها اسرائيل في حرب لبنان عام ٢٠٠٦ على حساب تدمير غزة على من فيها من المدنيين. دون مواجهة مباشرة مع «حماس». كما كشف رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» عن احد هذه الاهداف عندما اكد أن المزايدات الانتخابية. وليس غيرها هي التي تقف وراء هذا العدوان الغاشم على غزة. خاصة ان الانتخابات التشريعية الاسرائيلية. ستجرى في ١٠ فبراير ٢٠٠٩. ولقد حمل «أردوغان» اسرائيل مسئولية ما آلت اليه الاوضاع في غزة. لعدم التزامها بالتهدئة، ورفع الحصار. في الوقت الذي التزمت فيه حماس بالتهدئة التزاما كاملا. واوضح رئيس الوزراء التركي ان اسرائيل رفضت عرضا تركيا للوساطة مع حماس. فخلال زيارة «ايهود اولمرت» لانقرة قبل ايام قليلة من بدء العدوان على غزة. عرض «اردوغان» على «اولمرت» الوساطة مع حماس لتمديد فترة التهدئة الا ان الاخير راوغ واخبره انه سيرد عليه بعد التشاور مع وزراء حكومته لكن «أردوغان» فوجئ ببدء العدوان الهمجي على المدنيين الابرياء في غزة.

وقال «أردوغان» بهذا الصدد «لايمكن لتركيا مسامحة إسرائيل على ما ترتكبه في غزة» ووجه حديثه إلى الثلاثي «أولمرت» و«باراك» و«ليفني» قائلا «ان تركم حسابات الدعاية الانتخابية سيحاسبكم التاريخ وسيذكر أفعالكم على انها صفحة سوداء في تاريخ البشرية».

ومن هنا يمكن القول أن مخطط العدوان الوحشي على غزة كان جاهزاً للتنفيذ سواء وافقت حماس على تجديد فترة التهدئة أم لم توافق، والهدف واضح وهو القضاء على حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، ومحوها من الوجود حتى يمكن لإسرائيل فرض شروط السلام التى تريده، والذى يرمى إلى تكريس فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية؛ تمهيداً لتصفية القضية الفلسطينية.

[illegible] حقيقة ينبغى أن يدركها كل من يهمه الشأن الفلسطينى. وهى أن إسرائيل تدخل حروبها مع العرب، بالتشاور مع الولايات المتحدة، وبسلاح أمريكى، وبمعلومات استخباراتية أمريكية، وبدعم مالى أمريكى، وبغطاء سياسى وإعلامى يروج بصفة أساسية لمقولة أن حماس هى منظمة إرهابية، وليست حركة تحرر وطنى. تسعى [illegible] الأرض المحتلة. وهذه الحرب [illegible] الولايات المتحدة، وراء الوضع المأساوى فى غزة. [illegible] المفاوضات حول مشروع قرار عربى مقدم [illegible] مجلس الأمن الدولى، رفضته الولايات المتحدة [illegible] بعد الاعتراض على بعض بنوده، ومن هنا [illegible] كل منهما بإصدار بيان رئاسى يدعو إلى [illegible] إطلاق النار فى غزة، لكن الضغوط العربية [illegible] عن موافقة واشنطن على تقديم مشروع [illegible] جديد للاشتراك مع كل من بريطانيا وفرنسا [illegible] بعض المطالب العربية.

وجاء فى ديباجة قرار مجلس الأمن الذى قدمته الدول الثلاث والذى يحمل رقم ١٨٦٠، أنه يؤكد أن قطاع غزة يشكل جزءاً لايتجزأ من الأرض التى احتلت عام ١٩٦٧، وسيكون جزءا من الدولة الفلسطينية. وأكد من جديد حق جميع دول المنطقة فى العيش فى سلام، داخل حدود آمنة ومعترف بها دوليا. وفيما يلى نص بنود القرار ١٨٦٠ بشأن وقف إطلاق النار فى غزة الذى صادق عليه مجلس الأمن الدولى مساء الخميس، ٨ يناير ٢٠٠٩، بموافقة ١٤ دولة من بين الدول الأعضاء الـ ١٥ الدائمين فى المجلس، وامتناع الولايات المتحدة عن التصويت

١ - يدعو إلى وقف فورى ودائم لإطلاق النار يحظى بالاحترام الكامل، ويؤدى إلى الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من غزة، ويشدد على الحاجة الملحة لهذا الوقف لإطلاق النار.

٢ - يدعو إلى تقديم المساعدة الإنسانية؛ بما فيها الغذاء والوقود والرعاية الطبية، وتوزيعها دون عراقيل فى جميع أنحاء غزة.

٣ - يرحب بالمبادرات الرامية إلى إيجاد وفتح ممرات إنسانية، وغير ذلك من الآليات لضمان توصيل المعونة الإنسانية على نحو مستمر.

٤ - يدعو الدول الأعضاء إلى دعم الجهود الدولية الرامية إلى التخفيف من حدة الحالة الإنسانية والاقتصادية فى غزة بما فى ذلك تقديم التبرعات

الإضافية اللازمة على وجه الاستعجال إلى الأونروا، عبر لجنة التنسيق المؤقتة.

٥ - يدين جميع أشكال العنف والأعمال الحربية الموجهة ضد المدنيين وجميع أعمال الإرهاب.

٦ - يدعو الدول الأعضاء إلى تكثيف الجهود الرامية لتوفير ترتيبات وضمانات من أجل الحفاظ على وقف دائم لإطلاق النار، وصون الهدوء، بما في ذلك منع الاتجار غير المشروع في الأسلحة والذخيرة، وضمان إعادة فتح المعابر بصفة مستمرة على أساس اتفاق التنقل والعبور المبرم في عام ٢٠٠٥ بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، ويرحب في هذا الصدد بالمبادرة المصرية، وبالجهود الإقليمية والدولية الأخرى الجارية.

٧ - يشجع على اتخاذ خطوات ملموسة، نحو تحقيق المصالحة بين الفلسطينيين بما في ذلك دعم جهود الوساطة التي تبذلها مصر وجامعة الدول العربية على النحو الوارد في القرار الصادر في ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٨. وبما يتماشى مع قرار مجلس الأمن ١٨٥٠ لعام ٢٠٠٨ وغيره من القرارات ذات الصلة.

٨ - يدعو الطرفين والمجتمع الدولي إلى بذل جهود مجددة وعاجلة لإحلال سلام شامل يستند إلى الرؤية المتمثلة في وجود دولتين ديمقراطيتين، فلسطين وإسرائيل، تعيشان جنبا إلى جنب في سلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها حسب ما جاء في قرار مجلس الأمن ١٨٥٠ لعام ٢٠٠٨.

٩ - يرحب بنظر اللجنة الرباعية بالتشاور مع الأطراف في عقد مؤتمر دولي في موسكو في ٢٠٠٩.

١٠ - يقرر أن يُبقي المسألة قيد نظره.

أما المبادرة المصرية التي تهدف إلى إنهاء الاجتياح الإسرائيلي للقطاع والتي تعتبر الذراع التنفيذي للقرار ١٨٦٠، فتتضمن ثلاثة بنود ؛ الأول: قبول إسرائيل والفصائل جميعها بوقف فوري لإطلاق النار لمدة محدودة لإتاحة الفرصة لإيصال مواد الإغاثة إلى سكان غزة من خلال ممرات محددة، والثاني تدعو مصر إسرائيل والفلسطينيين وممثلين عن الاتحاد الأوروبي وجهات أخرى للاجتماع لبحث سبل ضمان عدم تكرار الوضع الراهن ومعالجة جذوره وتتضمن هذه السبل ضبط حدود قطاع غزة أي منع تهريب الأسلحة إلى القطاع وهو مطلب إسرائيلي أساسي وتقوم إسرائيل ومصر بالمقابل بفتح المعابر البرية. والثالث: تستضيف مصر حوارا للمصالحة الفلسطينية يهدف إلى إنهاء الصراع بين حركتي فتح وحماس. وتشكيل حكومة فلسطينية جديدة مقبولة من المجتمع الدولي.

وفي ضوء عرض بنود كل من القرار ١٨٦٠ والمبادرة المصرية، يمكن رصد عدد من الملاحظات فيما يلي:

- جاءت المبادرة المصرية سابقة على صدور قرار مجلس الأمن ١٨٦٠، وهي مبادرة رحب بها في البند السادس. نظراً لأهميتها الكبيرة.

- تعتبر بنود المبادرة الثلاثة مكملة لبنود القرار، وجزءاً لا يتجزأ منه. وقد لاقت قبولا دوليا.

- كما تعتبر هذه المبادرة الآلية الفعلية لتنفيذ القرار ١٨٦٠ وهما يدعوان إلى الوقف الفوري لإطلاق النار في غزة.

- إن البنود الثاني والثالث والرابع من القرار لا يمكن فصلها عن بعض ، لأنها تشكل كلا متكاملا.

- ولا يمكن تقديم المساعدات الإنسانية لأهالي غزة إلا من خلال إيجاد ممرات إنسانية وفتح المعابر البرية لتوصيل الغذاء والوقود والأدوية. من أجل التخفيف من حدة الحالة الإنسانية والاقتصادية في غزة بما في ذلك من تقديم المساهمات العاجلة إلى وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا)

- يقتضي من إسرائيل الدولة المحتلة والغاشمة لقطاع غزة بعد أن أعلنت قبولها وقف إطلاق النار من جانب واحد تفعيل البند الأول من قرار مجلس الأمن واحترام وقف إطلاق النار، وسرعة الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من قطاع غزة. بعد أن أعلنت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وقف إطلاق النار من جانبها

- على الرغم من الخسائر الفادحة في أرواح الفلسطينيين وآلاف الجرحى منهم بآلة الحرب الإسرائيلية الغاشمة، وتدمير البنية التحتية للقطاع، فإن البند الخامس من القرار جاءت صياغته على وجه الإجمال، ولم يدن بشكل صريح إسرائيل على ما جنته يدها من مجازر ومجازر في غزة، وجاء خلوا من ذكر إسرائيل بالاسم، وهو ما يكشف عن انحياز ملحوظ لإسرائيل وهي الدولة المعتدية ضد الشعب الفلسطيني.

- علق القرار في بنده السادس، ضمان فتح المعابر البرية التي تربط غزة بإسرائيل ومصر بتوفير ترتيبات وضمانات للحيلولة دون تهريب الأسلحة إلى القطاع ونتساءل: لماذا هذا الكيل بمكيالين، يسمحون لإسرائيل بالتزود بأحدث أسلحة الدمار، ويحرم رجال المقاومة أصحاب الأرض الشرعيين من حملهم السلاح للدفاع عن أنفسهم. لقد سوى البند السادس من القرار بين المعتدي والمعتدى عليه، بين الضحية والجلاد، بين السجين في معتقل غزة الكبير وبين السجان المحاصر للقطاع برا وبحرا وجوا، لقد تجاهل هذا البند السادس ما تملكه إسرائيل من ترسانة نووية تهدد بها المنطقة بهدف الهيمنة عليها، غير أن القرار أشاد ورحب بالمبادرة المصرية التي تمثل ببنودها الثلاثة الذراع التنفيذية لهذا القرار ببنوده العشرة التي لبت المطالب الإسرائيلية، كما تريد إسرائيل.

- جاء البند السابع من القرار، مشجعاً على تحقيق المصالحة الوطنية بين الفلسطينيين، بعد أن انقسموا إلى فريقين، فريق الضفة الغربية بقيادة حركة فتح، وفريق غزة بقيادة حركة حماس، وهو ما يتماشى مع ما جاء

في البند الثالث من المبادرة المصرية الذى نص على أن «تستضيف مصر حواراً للمصالحة الفلسطينية يهدف إلى إنهاء الصراع بين حركتي فتح وحماس، وتشكيل حكومة فلسطينية جديدة مقبولة مع المجتمع الدولى».

وفى هذا الصدد تجدر الإشادة بجهود مصر ومساعيها الحميدة تجاه حرصها على تحقيق المصالحة بين فتح في الضفة وحماس فى غزة، عبر المبادرة التى بعثت بها إلى الفصائل الفلسطينية، وتتكون من ١٤ بنداً، يأتى على رأسها، وقف كافة الحملات التحريضية من إعلامية وغيرها، والسماح بعودة المواطنين الذين غادروا قطاع غزة بدون التعرض لهم، والالتزام بوحدانية وشرعية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية لكافة شرائح الشعب الفلسطيني، وأن تقوم حركة حماس بإخلاء وجودها وعناصرها من مؤسسات ومقرات السلطة فى قطاع غزة السياسية منها والأمنية، وعودة هذه المواقع إلى السلطة الشرعية، وتشكيل حكومة انتقالية، مهمتها الإعداد لإجراء انتخابات تشريعية ورئاسية قبل مارس ٢٠٠٩ على أساس الالتزام ببرنامج منظمة التحرير الفلسطينية، والدعوة للانخراط فى مؤسسات السلطة، بما يعنى الالتزام ببرنامجها، ويحق للأحزاب السياسية خارج إطار السلطة معارضة ذلك سلمياً، هذه هى مصر التى ينكر البعض دورها الفاعل فى دعم القضية الفلسطينية، إن مصر تعتبر القضية الفلسطينية هى قضية مصرية بجانب كونها قضية عربية.

– لقد دعا البند الثامن من القرار ١٨٦٠، الأطراف المعنية والمجتمع الدولى إلى بذل جهود العاجلة من أجل إحلال سلام، مستنداً إلى الرؤية المتمثلة في وجود دولتين، فلسطينية وإسرائيلية تعيشان فى سلام، ضمن حدود آمنة ومعترف بها لقد وعد الرئيس الأمريكى السابق «جورج بوش» بتحقيق هذه الرؤية فى مدة أقصاها نهاية عام ٢٠٠٨، لكنه للأسف لم يف بما وعد، وغادر البيت الأبيض فى ٢٠ يناير ٢٠٠٩ تاركاً حملاً ثقيلاً على خلفه «باراك حسين أوباما» الذى نأمل أن تتحقق هذه الرؤية فى عهده.

والجدير بالذكر أن الجمعية العامة للأمم المتحدة دعت فى قرار غير ملزم مساء الجمعة ١٦ يناير بأكثرية ١٤٢-صوتا إلى «الاحترام الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ١٨٦٠ الذى دعا إلى وقف فورى ودائم ومحترم لإطلاق النار، يؤدى إلى الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من غزة، كما دعا القرار إلى توزيع المساعدة الإنسانية بما فيها الغذاء والوقود والعلاج الطبى فى أنحاء غزة بلا معوقات» واللافت للنظر أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة نال تأييد ١٤٢ صوتاً، بينما رفضه ٦ أصوات، وامتنعت ٨ دول عن التصويت. ومن بين الدول الست الرافضة للقرار، الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، وناورو.

وفى هذا السياق تجدر الإشارة إلى مذكرة التفاهم الأمريكية - الإسرائيلية التى وقعها عن الجانب الأمريكى «كوندوليزا رايس» وعن الجانب الإسرائيلى «تسيبى ليفنى». وهى تتمحور حول منع تسليح ما يسمى بالجماعات الإرهابية، وعلى رأسها «حماس» وقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية، أن الإدارة المقبلة ملتزمة بمذكرة التفاهم الأمريكية الإسرائيلية التى تنص أهم بنودها على منع تزويد المنظمات الإرهابية، خاصة حماس بالأسلحة. وأكد المتحدث باسم الوزارة، أن المذكرة التى وقعتها وزيرة الخارجية «كوندوليزا رايس» مع نظيرتها الإسرائيلية «تسيبى ليفنى» تعتبر ملزمة لإدارة الرئيس الأمريكى المنتخب «باراك أوباما». كما تنص بنود المذكرة على تعاون واشنطن وإسرائيل مع دول حلف شمال الأطلنطى والدول الإقليمية، لمنع نقل أو تهريب الأسلحة لحماس ونتساءل لماذا هذا الحشد الدولى ضد حماس؟ وتعتبر مذكرة التفاهم الموقعة بين الولايات المتحدة فى ظل إدارة «جورج بوش» وإسرائيل فى ظل حكومة «أولمرت» المستقيلة، بمثابة مذكرة تفسيرية، لما جاء فى البند السادس من قرار مجلس الأمن الدولى رقم ١٨٦٠، والجدير بالذكر فى هذا الصدد أنه فى خلال مراسم توقيع هذه المذكرة قالت «كوندوليزا رايس» فى معرض دفاعها عن إسرائيل، «إن الإسرائيليين لا يمكن أن يعيشوا تحت تهديد يومى من جانب حماس، كما أن سكان غزة لا يمكن أن يبقوا تحت خطر حماس» ونتساءل أليس ذلك قلباً للأوضاع؟ ومن يهدد من؟ هل هى إسرائيل التى تملك آلة عسكرية متوحشة على رأسها ترسانة نووية تقدر بنحو ٢٠٠ قنبلة نووية، وتحاصر قطاع غزة حصاراً محكماً أم حماس التى تملك «صفراً» بالنسبة لإسرائيل؟ وأليس من حق حماس بوصفها حركة تحرر وطنى أن تملك من السلاح لتدافع به عن سكان غزة؟ إن ما حدث فى غزة من دمار وقتل وخراب خير شاهد على أن إسرائيل هى مصدر التهديد لكل دول المنطقة، وأضافت «رايس» وهى تحاول طمس الحقائق وتضليل الرأى العام: «إن حماس مسئولة عن تدهور الوضع الإنسانى فى القطاع، منذ استيلائها على السلطة فى انقلاب على السلطة الشرعية قبل ١٨ شهراً».

ويمكن القول فى الختام أن المسئول الحقيقى عن تدهور الوضع الإنسانى فى غزة هى إسرائيل التى أغلقت المعابر البرية كى لا يصل الغذاء والدواء والوقود لسكان القطاع، وفى الحقيقة تعد مذكرة التفاهم الأمريكية - الإسرائيلية - التى تم التوقيع عليها قبل ثلاثة أيام فقط من انتهاء ولاية «جورج بوش» تتمة للقرار رقم ١٨٦٠ الصادر من مجلس الأمن الدولى.

ضرورة إعداد استراتيجية علمية للتعريف بالإسلام فى الغرب

الأستاذ عاطف مصطفى

مؤتمر مكة التاسع الذى عقدته الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى فى الثانى من ذى الحجة ١٤٢٩هـ وقبيل عيد الأضحى مباشرة حرص فى دورته هذه على مناقشة قضية من أدق وأهم قضايانا وهى التعريف بالإسلام فى البلاد غير الإسلامية الواقع والمأمول وتعد من أبرز ما يواجهنا من مشكلات وفى ظل الهجوم المنظم على الإسلام من قبل دول الغرب، والتى تخشى المد الإسلامى المقبل. وعلى مدى أيام المؤتمر الثلاثة نوقشت بحوث كثيرة متضمنة اقتراحات بناءة وحلولا للتغلب على التعريف بالإسلام فى الغرب. وهى من الطموحات التى تحتاج إلى خطط متكاملة واستراتيجية طويلة المدى تعمل لإنجاحها كل المنظمات والهيئات الإسلامية.

فديننا هو دين العالمية الذى سيحقق انتشارا واسعا خلال هذا القرن من الزمان. وحتى نتعرف على جوانب مما تناولته أوراق المؤتمر وهى كثيرة، نلقى الضوء على بعض البحوث. أولها للدكتور عادل بن على الشدى أمين عام المركز العالمى للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته والذى أكد على أن التعريف بالإسلام والدفاع عنه شرف يختص الله به من يشاء من عباده. ومنة يتفضل بها المولى سبحانه وتعالى على الموفقين من خلقه كما قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت ٣٣)

لكن الشرف كما عظم فإن المسئولية تزداد على صاحبه. ومن هنا فإن الحمل يثقل والتكليف يعظم على من يتصدى لمهمة التعريف بالإسلام والدفاع عنه. لا سيما فى هذا العصر الذى كثرت فيه الشبهات وتنوعت فيه الشهوات. وأصبح المعرف بالدين الحق المدافع عنه، بحاجة ماسة إلى مضاعفة الجهد واستثمار المشروع من وسائل العصر فى مجالات الاتصال والإعلام وغيرها. وهى مهمة جدا فى عصرنا

ومن أبرز الجوانب التى يطالب بها القائمون بالتعريف بالإسلام، ونحن ننطلق به إلى البلاد غير الإسلامية، أن تتكامل جهودهم مع إخوانهم فى كل الهيئات لمحاولة تحقيق الهدف القرآنى العظيم

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (المائدة:٢).

فالإسلام دين عالمى بعث الله به نبيه الكريم محمد ﷺ للناس كافة، وهذه العالمية تقتضى البدء بتعريف الناس كافة بالإسلام وتعاليمه، وبيان حاجتهم إليه، وما يقدمه من حلول لمشكلاتهم

وقال د.عادل الشدى فى بحثه المهم: ومن الضرورى التأكيد على أن البدء بالتعريف بالإسلام لا يعنى إهمال الدفاع عنه ونصرته، أو التقليل من شأنه بوصفه مجرد رد فعل. فالتوازن مطلوب بين الأمرين. ورد الفعل مطلوب بشروط أربعة.

- أن يكون فى وقته، فلا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، إذ إن إهمال الدفاع عن الإسلام فى وقته يؤدى إلى جرأة المعتدين وتماديهم فى إساءاتهم. وقد يغتر بذلك بعض من لا يعرف الإسلام على حقيقته، فيقتنع بما سمع أو قرأ عن الإسلام

- أن يكون بقدر الإساءة لا أكثر من ذلك ولا أقل. فلا يعقل أن يساء إلى الإسلام فى وسيلة إعلامية، كما حدث فى الدنمارك، من خلال صحيفة معينة، ثم يأتى الدفاع عن الإسلام ورسوله ﷺ والرد فى مجلس خاص، أو فى لقاء مختصر وعابر!

وكذا لا يقبل أن يسيء مغمور إلى الإسلام فى حديث خاص لم يسمعه إلا القلة، فيأتى الرد فى أوسع وسائل الإعلام انتشارا، مما ينشر الإساءة ويوصلها إلى من لم يسمع.

الالتزام بالضوابط الشرعية، فلا تدفع إساءة فرد إلى تحميل الجرم من لم يرتكبه من أقربائه، أو من بنى جلدته. ومن مجاوزة الضوابط الشرعية، الظلم والكذب والسخط والفجور فى رد الفعل المؤدى إلى الإساءة إلى سمعة الإسلام والمسلمين، بدليل أن الرسول ﷺ امتنع عن أعمال مشروعة فى أصلها، مخافة تشويه صورة الإسلام عند الآخرين.

وأخيرا، ألا تطغى أعمال الدفاع عن الإسلام على التعريف به فيصبح الفرع أصلا والمؤقت دائما، فى حين أن المبادرة والفعل مقدمان على الدفاع ورد الفعل، لأن فيهما التأسيس والبناء لرسالة الإسلام الذى أمرنا الله بإبلاغه

وتطرق د.عادل الشدى إلى احتياجات العاملين فى مجال التعريف بالإسلام مشيرا إلى أنها تبدأ من بناء العلاقات الإيجابية مع مجتمعهم الذى ينطلقون منه، ومع المجتمعات التى يعملون فيها، ليتمكنوا

من ذوات ثقافتهم والتقليل من حجمهم. وهذا الأمر يقتضي منهم ضرورة الوضوح والشفافية. وبيان المواقف التي يحتجها المجتمع من عدائهم.

وفي مقطع الربيع من بحثه بعنوان «المقترحات والرؤى» بين أنه في سبيل تحقيق التكامل بين الجهود المبذولة للتعريف بالإسلام والدفاع عنه تبرز جملة من المقترحات التي أوردها للممارسة العملية ومنها:

- أهمية الحاجة إلى إقامة مجلس تنسيق بين الجهات المتخصصة في مجال التعريف بالإسلام والدفاع عنه، وعقد ملتقى سنوي لهذا الغرض.

- ضرورة وجود خطة استراتيجية معتمدة للتعريف بالإسلام والدفاع عنه، وعقد ملتقى سنوي لهذا الغرض.

- ضرورة وجود خطة استراتيجية معتمدة للتعريف والدفاع قائمة على العمل المؤسسي، والتكامل والتنسيق بين الجهات العاملة في هذا المجال.

- إسناد الدور الأكبر في مشروعات التعريف بالإسلام والدفاع عنه للمسلمين في الغرب والدول غير الإسلامية، مع العناية بتأهيلهم.

- عدم الاستغراق في محاضرة الداخل، والانطلاق في مشروعات التعريف بالإسلام إلى المجتمعات غير المسلمة، ولا سيما في الغرب مع تبني استراتيجية حوار الحضارات.

- وأخيرا الحرص والتذكير للمسلمين بالتقدير لغيرتهم وعواطفهم ومحبتهم لدينهم ومقدساتهم، مع ضرورة ضبط ردود أفعالهم، بالضوابط الشرعية، وإتباع السنة النبوية في مثل هذه الحالات.

▪ عقبات تواجه الدعوة الإسلامية في الغرب

وفي بحث بعنوان «الحملات الصليبية والنشاط الصهيوني ودورهما في إعاقة التعريف بالإسلام» للدكتور جعفر عبدالسلام، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية أشار إلى أنه من الطبيعي أن تواجه الدعوة إلى الإسلام في البلدان غير الإسلامية عقبات كثيرة تقف في طريقها وتحاول منعها من الانطلاق إلى الناس. ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة. فالدعوة إلى الإسلام دعوة إلى اعتناق عقيدة وإلى الامتثال إلى شريعة.

ولقد سبقت الإسلام رسائل سماوية عديدة منذ آدم وإبراهيم ثم موسى وعيسى، ولم تخل أية دعوة من العقبات. فهذه هي سنة الله في خلقه ويقول الله تعالى:

«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»

(يونس ٩٩)

لقد قوبلت دعوة هؤلاء الأنبياء بالرفض في البداية. فلم يقف الجميع لهم بالمرصاد، وحاولوا أن يوقفوا امتداد الدعوة، مع أنها جميعا دعوات لهداية البشر وإرشادهم إلى سبيل الرشاد. وكلنا يعلم كيف واجه كفار قريش دعوة محمد ﷺ والعذاب والويل الذي صبه على أتباعه. وكيف اضطروه إلى الهجرة وترك أحب بلد إلى قلبه. هذا البلد الذي ولد وعاش فيه (مكة). إلا أننا نلاحظ أن أعداء دعوة الإسلام قد انقسموا إلى قسمين بعد الهجرة إلى المدينة. أهل الكتاب من اليهود الذين جاءوا ليسكنوا يثرب، وكانوا يتطلعون إلى نبي جديد. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به. ولقد ناصب اليهود العداء للنبي محمد ﷺ بشكل سافر حينا، وبشكل خفي في أحيان أخرى.

وكان من الطبيعي أن يرد النبي ﷺ عدوانهم، وكان إخراج قبائلهم الأساسية بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة نتيجة لخياناتهم ونقضهم العقد الاجتماعي الذي عقده معهم «الصحيفة» معترفا لهم بحقوق المواطنة وسائر حقوق الإنسان، التي لم تكن قد عرفت بعد في أي قانون وضعي أو غير وضعي.

ويطرح الدكتور جعفر سؤالا من خلال بحثه عن معنى التحالف بين الصهيونية والإسلام هو امتداد لهذا العداء الذي وجد بين اليهود والإسلام والدعوة الإسلامية، أم أن هذا العداء التاريخي قد انتهى، أو وجدت سياسات ومصالح هي التي أدت إلى وقوف الصهيونية في وجه الإسلام في وقت تراخى.

وأرجع العداء إلى الصليبية إلى القرن السابع الميلادي بعد أن ظهر أن الإسلام دعوة قوية تملأ رحاب الكون. ووصل إلى الأملاك القديمة للدولة البيزنطية، ثم فتح المسلمون الأندلس، ووصلوا إلى فرنسا وانهزموا في موقعة «بواتييه» أو «بلاط الشهداء».

ثم ما لبثت أن استيقظت كهنة الكنيسة الغربية ونادوا عدة مرات بضرورة تخليص الأراضي المقدسة «القدس» من أيدي المسلمين. وأصبح الصليب منذ القرن الحادي عشر الميلادي رمزا للعداء مع الإسلام، ولمناوأة دعوته.

كان تركيز الحملات الصليبية، وما تفعله الصهيونية للدعوة ضد الإسلام. ويعود الدكتور جعفر عبدالسلام ليتساءل من خلال رؤيته في بحثه هل هو الحقد الدفين على دين ينتشر سريعا، أم هو صراع المصالح ومحاولات السيطرة على موارد الثروة في بلاد المسلمين أم السببان معا؟

وطالب في مواجهة ذلك بضرورة يقظة المسلمين لكل ما يحيق بهم واحتشاد عناصر القوة في الموقف الإسلامي والدفع بهم قدما، لبلورة القوة وتفعيلها في حياة المسلمين. وذلك يحتاج بالضرورة إلى قيادات واعية تقيهم روح العصر، وتفعل الحوار مع الآخر والتحدث إليه بلغة يفهمها.

▪ ضغوط تحيط بالخطاب الإسلامي الموجه لأوروبا

ويعتبر شكيب بن مخلوف رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا أن الخطاب الإسلامي الموجه إلى أوروبا يحتاج إلى المحافظة التي هي عملية تواصلية لها أركانها وعناصرها وسياقاتها وملابساتها. وهذا التواصل نأمل أن يكون فاعلا وناجحا. وذلك يقتضي معالجة المضامين والوعي بمن يصدر عنه الخطاب

الإسلامي، وملاحظة المتلقين له، وكذلك النظر إلى هذا التواصل بعين الاعتبار ومتابعة إدراك ردود الفعل وأنماط الاستجابة المترتبة عليه.

وأشار إلى ضرورة ألا نغض الطرف عن تلك الحالة من الضغوط على الخطاب الإسلامي والتي أخذت تتفاعل منذ دخولنا القرن الحادي والعشرين، تحت وطأة التطورات العالمية، فلقد بات هذا الخطاب موضع اتهام أحيانا أو موضع النقد البناء أحيانا أخرى، حيث ارتفعت شعارات وبرزت مقولات منها: تجديد الخطاب الديني، والحاجة إلى خطاب إسلامي جديد، وأحيانا «تخفيف بتايع الطرف».

ونحن من وراء كل ذلك نحرص على تطوير الخطاب الإسلامي الموجه إلى الغرب وصقله وبلورته على أسس رشيدة، بحيث يقطع الطريق على محاولات العبث والتلاعب بالخطاب الإسلامي، ويوفر له حصانة إضافية، لا غنى عنها في عملية التفاعل الحضاري في عالم متغير.

■ **معوقات نشر الإسلام في البلاد غير الإسلامية**

وفي ورقة علمية طرحت على مؤتمر مكة التاسع بعنوان «أهم المعوقات لنشر الإسلام في البلاد غير الإسلامية «الغرب» أعدها الدكتور نبيل السمالوطي عميد كلية الدراسات الإنسانية السابق بجامعة الأزهر، يذكر فيها أنه يمكن القول بأن أكبر عائق لنشر الإسلام في الغرب هو واقع المسلمين المعاصر، المتمثل في التمزق والتفكك والتبعية، وماذاك إلا لأنهم ابتعدوا عن الهدى الإلهي الذي يطالبهم بالوحدة والقوة والنهضة

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران ١١٠)

ويقول تعالى

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(آل عمران ١٠٣)

ومن أبرز معوقات نشر الإسلام في الغرب والتعريف به، مناهج التعليم في المراحل الدراسية، ففي أغلب دول الغرب تتضمن كتب التاريخ التي تدرس للطلاب العديد من المعلومات الخاطئة المغلوطة، حول الإسلام والمسلمين، وأغلبها يتهم الإسلام بالعنف والتطرف والإرهاب، ورفض الحضارة الغربية، ورفض الآخر الديني، وأن الإسلام قد انتشر بحد السيف لا بالإقناع والاقتناع.

وعلى الرغم من هذا الهجوم فإننا نجد الإجابة ببساطة، أن الدين الإسلامي يتضمن عقيدة وشريعة ومنظومة أخلاقية وقيمة تدعو إلى إحقاق الحق وإلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وإلى محاربة كل أنواع الظلم والفساد والإفساد، وكل أنواع العنصرية ودواعي التفوق الجنسي. كما أن هذا الدين يؤكد على كرامة الإنسان وعلى حقوقه وحرياته، وأنه مشروع حضاري يناوئ كل مشروعات الربح غير المشروع والاحتكار والربح غير الأخلاقي.

كما أن الإسلام الصحيح يستند ويتفق مع العقل السليم، ومع الفطرة النقية، ومع كل جهد صادق لحماية المجتمع بمؤسساته الأسرية والتربوية، وحماية كرامة الإنسان وحرياته.

ولهذا كان الدين الإسلامي أسرع الديانات انتشارا، كما أنه يمتلك مقومات الانتشار الذاتي بمجرد معرفة مضامينه الوسطية السليمة والصحيحة.

وقد أكد د.نبيل السمالوطي للتعريف بالإسلام في البلاد غير الإسلامية أن يتم الاهتمام بالآتي:

- الاهتمام بالسمات الشخصية والقدرات العقلية والمهارات الفكرية والاجتماعية والسلوكية إلى جانب الدراسات الشرعية وغير الشرعية، والثقافة العامة العلمية والإنسانية والاجتماعية ولكن الدارسين للعلوم الشرعية يتفرعون ويتعددون، فإعداد الفقيه يتطلب مجموعة من الشروط، تختلف عن إعداد الداعية الذي يخاطب غير المسلمين، تختلف عن إعداد الداعية الذي يخاطب مجتمعات عربية.

ولذلك طرح د. السمالوطي أهم شروط إعداد القائم بالتعريف بالإسلام في البلاد غير الإسلامية فتصلا عن ضرورة إلمامه إلماما كاملا بلغة البلد الذي يقوم فيه بهذا الدور الإسلامي المهم، ينبغي أن تتوافر لديه مجموعة من السمات الشخصية التي تمكنه من أداء دور الداعية أو المحاور أو العارض لحقائق الإسلام بشكل يقنع جمهور المستمعين أو المتلقين ومن أهم هذه السمات الذكاء الاجتماعي والمهني وحب الناس والقدرة على الإقناع والحوار.

- توافر مجموعة من القدرات والميول ودراسة العلوم الشرعية بشكل يؤهل الداعية والقائم بالخطاب الإسلامي لممارسة عمله المهني بشكل علمي وبشكل مهني على مستوى عال، وهذا يعني التمكن من علوم القرآن والسنة والفقه والأولويات وفقه المقاصد والمجالات والمآلات.

- دراسة مجموعة من العلوم الاتصالية مثل: علوم الدعوة والإعلام وعلم اجتماع الدعوة والاتصال وعلم نفس الدعوة.

- دراسة مجموعة من العلوم الاجتماعية التي تمكنه من فهم الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يمارس فيه دوره الدعوي.

- دراسة الكمبيوتر حتى يتمكن من الانتفاع بالإنترنت في الحصول على المعلومات، وبالطبع دراسة اللغة العربية، والتمكن منها لأنها لغة القرآن والإسلام والاهتمام بدراسة اللغات الحية خاصة لغة الدولة، والمجتمع الذي يمارس فيه دعوته.



الأستاذ

هذه شهادة تقدير وكلمة عرفان وامتنان يقدمها كل من حرم نعمة البصر ووهب نعمة البصيرة من المكفوفين لرجل فذ عبقري أخرج الملايين منهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم وأفق المعرفة الرحبة. إنه لوي بريل، ذلك الفرنسي الأديب الذي طور الطريقة النقطية البارزة فجعل منها طريقة مثالية يستخدمها المكفوفون في شتى أنحاء العالم في القراءة والكتابة وكل مناحي العلم والمعرفة.

في يوم الأحد السابع من المحرم ١٤٣٠هـ الرابع من يناير ٢٠٠٩م اجتمع المكفوفون في معظم أنحاء العالم ليحتفلوا ويحتفوا بذكرى شديدة الخصوصية ألا وهي المئوية الثانية لميلاد «لوي بريل» الذي ولد في الرابع من يناير من عام ١٨٠٩م. وفي ذلك اليوم الذي كرم فيه عمر العالم معنويا وماديا أنوار ساطعة لتكريم ذلك الرجل العظيم. وكان أول هذه الاحتفالات ما حدث في «سيدني بأستراليا» في حفل أسموه «بريل على شاطئ الإسابة»، حيث تجمع المئات في الظلام الدامس والليل البهيم عند الثالثة صباحا وقاموا بما أسموه «الكتابة البيئية» وتمثلت هذه الكتابة في رسائل نقطية قصيرة مكتوبة في الرمال. وانتهى ذلك الاحتفال بالحفر على الطريقة العربية.

وفي أصيل ذلك اليوم قامت موجات المد البحري القوية بإزالة هذه الرسالة النقطية المنقوشة على رمال شاطئ البحر. وعلى الرغم من زوالها من الرمال إلا أن تلك الرسالة ظلت باقية الكلمات خالدة المعنى حيث قام الحضور بإطلاق زجاجات صممت خصيصا ووضعوا فيها رسائل كتبت بالخط النقطي البارز الذي يقرؤه المكفوفون والخط العادي الذي يقرؤه الأسوياء. ثم قاموا بإلقاء هذه الرسائل الزجاجية في البحر لتسير عبر البحر في شتى أنحاء العالم.

وأما عبر شبكة المعلومات الدولية فقد تنوعت الاحتفالات بالمئوية الثانية لذلك الرجل العبقري. فقد قامت هيئة «بريل» لأمريكا الشمالية المعروفة باسم [illegible] بإيجاد معلقة على موقعها شملت أمورا عدة. أما الموقع العنكبوتي لمطبعة بريل الوطنية في بوسطن بأمريكا. فقد شملت أيضا احتفالات عدة ساعات كل المحتفين بهذه المناسبة العظيمة لذلك الرجل الذي مات في ريعان الشباب. إذ لم يتجاوز عمره ٤٣ عاما.

أما في كندا فقد تنوعت الأنشطة وتعددت وشملت مؤتمرات ومنح دراسية متخصصة وجلسات نقاش عن طريقة بريل والتعريف بها وإعلام الناس بأهميتها. أما في «كلكتا» بالهند. فقد أنشئت مكتبة ضخمة حوت مجلدات كتبت بالخط البارز.

أما في الإسكندرية. فقد كان ما سمي «أسبوع بريل الوطني» الذي امتد من ٤-١٠ يناير. ويشمل موقعا على الإنترنت يتحدث عن حقائق وألعاب تتمحور كلها حول بريل، بالإضافة إلى دعوة لحل شفرة الغموض لدى مخطط الطريقة «بريل». وذلك من خلال رسائل مخبأة للأصدقاء عن طريق الإنترنت.

أما في «جنوب أفريقيا» فقد جرى احتفال في الرابع من يناير وهو يوم ميلاد «لوي بريل» وذلك بإصدار أول كتاب طبي كتب بالطريقتين النقطية والعادية بالإضافة إلى إصدار النسخة الأفريقية من كتاب «لوي بريل لمسة عبقرية» تأليف «مايكل ميلر» الرئيس السابق لمجلة «دايلي ريجارد» للمكفوفين وهي مجلة شهرية عامة المستوى صدرت عام ١٩٠٧. [illegible] الكلام في [illegible] وفرنسية. كما تحدث المتحدثون في باريس في المؤتمر الدولي الذي نظمته رابطة «فالنتين هوي» والمعهد الوطني للمكفوفين الشباب.

أما المؤتمر والحملة الثقافية تحت عنوان «بريل ١٨٠٩-٢٠٠٩ ـ الكتابة بالنقاط ماضيها ومستقبلها» فإن الذي يترأسها ويقوم برعايتها هو رئيس الجمهورية الفرنسية بتمويل من الاتحاد العالمي للمكفوفين. بالإضافة إلى الحملة الدولية لإحياء ذكرى المئوية الثانية لميلاد «لوي بريل» والحملة الدولية للارتقاء بخدمات المكفوفين وضعاف البصر. كل ذلك بالتعاون مع اللجنة الاستشارية الوطنية الفرنسية بمنظمة اليونسكو المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم [illegible].

ولكن الاحتفالات لا تتوقف عند هذا الحد حيث سيجمع حفل كبير من جماهير المحتفلين في كنيسة المعهد الوطني للمكفوفين الشباب الذين سيقومون بعرض [illegible] يؤديه أبناء المعهد. ويلي ذلك وضع إكليل من الزهور على قبر «بريل» في «بانتيون» [illegible]

لمسة عزف على الأرغون في كاتدرائية نوتردام

بباريس. وسيكون كل العازفين من المكفوفين. وسيتحدث في هذا الحفل الأستاذ «مايكل ميلر» الذي يعد خبيرا في البريل بعد قضاء سنوات شغلت أبحاثا عدة أودعها كتابه السابق. وهو كتاب يوصي بقراءته كل المهتمين بالتعرف على أسرار الطريقة النقطية البارزة وأسرارها وألغازها. بالإضافة إلى كتابه الآنف الذكر. فقد أصدر منذ عقدين ورقة بحثية تناولت شفرة بريل وليس شخص بريل. وقدم هذه الورقة في مؤتمر عقد عام ١٩٩٨م بباريس. فصل فيه القول في [illegible] التغيرات الكثيرة المفصحة والمعتبرة والتي استحدثها المكفوفون في أمريكا.

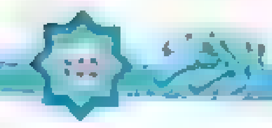
ولجدير بالذكر أن مجلة الأزهر - كعهدنا دائما بها - كانت سباقة بالخير. مرسخة لحق الوفاء. حيث نشرت منذ سنوات موضوعا تحت عنوان «رحلة الأنامل الذهبية» تحدثت فيه باستفاضة عن الطريقة النقطية البارزة وتاريخها وما يحيط بها من أسرار تخفى على الكثيرين.

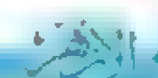
ويبقى الأسمى لكتابة هذه الأسطر هو دعاء الإسلام لحواس الإنسان الظاهرة من عناية وما أولاه من اعتبار وخصوصا لحاسة اللمس منكرا على الكفار جحودهم وعلوهم في الجحد حيث قال تعالى - في سورة الأنعام:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

(الأنعام ٧)

هدانا الله إلى صراطه المستقيم ومتعنا بعلمه وخيره ونعمه







كتبت الأستاذة ثائرة النحاس في جريدة الحياة بعددها الصادر في ٢ ٢ ٢٠٠٩ وتتحدث عن موقف الإعلام العربي في الحرب على غزة تقول:

من حق المرء أن يتساءل وهو يتابع الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في قنوات التلفزة العربية هل حقاً وقعت الحرب؟

- منذ البداية، حرم الإعلام العربي من دخول أرض المعركة، وكانت مصادره إما إسرائيلية أو غير مباشرة، تحدد نقل الوقائع «مضخمة»، بل أنظف بكثير من حقيقة ما جرى. هذه الحالة أوجدت تغطية إعلامية متفاوتة، خصوصاً بين الإعلام العربي المصادر، وبين الإعلام المحلي والعربي الموجود داخل غزة. ولذلك أوجدت أكثر من حيثية لنفهم أن نشاهد في هذه الأجواء وفي غياب الصورة الدليل على ما نقرأ من قطاعات يصبح السؤال مشروعاً: هل حقاً وقعت الحرب؟

لكن المنع الإسرائيلي لم يكن العلة الوحيدة بالنسبة إلى ضعف التغطية الإعلامية العربية. ففي الحالة البريطانية مثلاً، سحبت وقائع تعكس في مجموعها وجه الإعلام الرسمي البريطاني وتطرح أسئلة صعبة في صلب المهمة الإعلامية عن معنى المهنية والحياد في وقت الحرب. ومعنى مراعاة القوانين التي تنظم البث.

فمن جهة، شحنت الأزمة التي تواجهها هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» ورفضها لبث نداء طلب مساعدات إنسانية لجمع التبرعات بهدف إغاثة المنكوبين في غزة علماً أنها كانت بثت نداءات مشابهة في حالات مماثلة سابقة. وعلى رغم الضغوط الشعبية الممثلة في تلقي الإذاعة آلاف الاحتجاجات المكتوبة، والضغوط الرسمية المتمثلة في ١٢٠ نائباً بريطانياً ومن أعلى مرجع ديني في البلاد رئيس الكنيسة الأنغليكانية أسقف كانتربري ودوان ويليامز، رفضت الإذاعة التراجع. ممّا طرح تساؤلاً عن حقيقة موقفها ودوافعها للحياد. ووجهت لها تهمة الرضوخ للضغط اللوبي اليهودي. علماً أن الشعب البريطاني هو من يمول الإذاعة من خلال رخصة التشغيل.

من جهة ثانية، وجهت انتقادات إلى التغطية الإعلامية لـ «حرب غزة» الحرب. كانت أولى صحافية «غارديان» التي عبر حديث لها مع المدير العام للـ«هيئة الإذاعة البريطانية» حول سؤال لدى عدد منهم، وتلقب عنوان «غزة كما لو تراها من الخارج» عرضت تجربة الإعلاميين الغربيين الذين عرقلتهم إسرائيل عند حدود غزة. «سؤال» طرح سابقاً في شريطها: لماذا لم يحتج الإعلاميون الغربيون على المنع الإسرائيلي ومعاملتهم بهذه الطريقة التي تتناقض مع قيمهم ومبادئهم الإعلامية؟

وهل يصبح حضور صور مروعة مرعبة للقوانين التي تحظر مثل هذه الصور في ساعات الذروة تحسباً لخدش مشاعر المشاهدين والأطفال؟ بعد استطلاع رأي عدد من الإعلاميين، يجيب «سؤال» عن سؤاله متساؤلاً: ترى لو تكشف في وقت مبكر عن الفظاعات التي رآها الإعلاميون عندما دخلوا غزة بعد انتهاء الحرب، هل كانت ضغوط الدولة على إسرائيل ستتصاعد لإنهاء الحرب مبكراً؟

كثيرون يتفقون مع «سؤال» في موقفه، ويدافعون عن حق بث الصورة كاملة. وثمة من يقول إن الحرب هي حرب، وإن نقل الوقائع يجب أن يتم من دون قيود أو حساسيات أو حسابات، كي يكون المشاهد هناك مع الضحية في وسط المعركة. وكي لا تفقد الدروس والعبر معانيها على المدى وعي المتلقي الحقيقي لحجم الخلفيات والمطالب السياسية. ولكن وعي المتلقي نفسه لعبة الإعلام وصوابيته ومعاييره وكل أسسه وتفصيلاته، تحول صورة جثث أو تُرى جثثه من دون تأثير كبير على طريقة تناول الإعلام للأحداث من الآن فصاعداً.

التهدئة.. ثم الإعمار.. ثم السلام

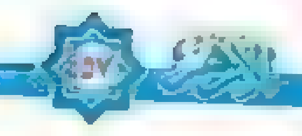
تحت هذا العنوان كتب محرر رأي الأهرام في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٦/١/٢٠٠٩ يقول:

ثلاث قضايا رئيسية ينبغي جمع الجهود الفلسطينية والعربية والدولية حولها خلال المرحلة المقبلة.

■ القضية الأولى: تتعلق بالحفاظ على التهدئة بين إسرائيل وجميع الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة، وهذه قضية بالغة الأهمية في المرحلة الراهنة. فهناك أكثر من خمسة آلاف جريح، بعضهم وصلت حالته إلى درجة خطيرة، بعضهم بترت أطرافهم، والبعض الآخر يعاني تأثير القنابل العنقودية المحرمة دولياً، ولا يعلم الأطباء كيفية علاجهم.

هؤلاء يعانون .وفي حاجة إلى مجهودات إنسانية وطبية جبارة لاحتواء جروحهم.. وتقديم العلاج لهم، وتشخيصهم. سواء داخل أو خارج بنقلهم إلى مستشفيات مجهزة تجهيزاً حديثاً.. وقد أخذت مصر على عاتقها مسئولية علاج أكثر من ٧٤٠ فلسطينياً في مستشفياتها.

الأمر في حاجة إلى تضافر الجميع دولاً عربية والمجتمع الدولي لمد يد المساعدة لهؤلاء.



ولا مرحلة لا تحتمل الخلافات الفلسطينية - الفلسطينية. لقد ظهرت الفصائل الفلسطينية في أزمة العدوان على غزة أخيرا وقد بدت عناصر متحررة متفتتة، وحرصت إسرائيل على إظهار الشقاق الفلسطيني، وقصف حماس لحركة فتح، وأصبحت قضية الفلسطيني أمام المجتمع الدولي، برغم أن تلك قضية تم حسمها منذ سنوات بعيدة، لكن ذلك الشقاق الفلسطيني إلى بعثها من جديد.

■ القضية الثانية التي تشكل أهمية بالغة تتعلق بالدمار الذي خلفه العدوان الإسرائيلي الغاشم على الفلسطينيين. لقد دمرت الآلة العسكرية الإسرائيلية منازل الفلسطينيين وحولتها إلى أنقاض، وتركت النساء والأطفال في العراء في برد الشتاء، وهي قضية لا تحتمل التأجيل. لقد أقر الزعماء العرب خلال قمتهم في الدوحة تبرعات لإعادة إعمار غزة، ومن المطلوب أن يكون هناك تحرك سريع لتفعيل هذه القرارات وجمع الأموال لإعادة البنية الأساسية لغزة، في الوقت الذي يجب فيه توثيق كل مظاهر الدمار التي ألحقتها إسرائيل بغزة وتقديمها إلى المحاكم الدولية، وإجبار دولة العدوان على دفع التعويضات اللازمة مع ترك بعض الشواهد على هذا العدوان داخل غزة.

لقد حرص اليهود في أوروبا على توثيق «الهولوكوست»، وعلى الفلسطينيين أن يوثقوا «الهولوكوست الإسرائيلي» الذي مارسوه ضد الفلسطينيين.

■ القضية الثالثة تتعلق بالعودة إلى طاولة المفاوضات. والكثيرون يستبعدون أن تكون عملية السلام في أولويات قائمة الرئيس الأمريكي الجديد وهو الذي يهتم بالأزمة الاقتصادية ويعطيها كل الجهد.

لابد أن يدفع الجميع بالمبادرة العربية التي تسعى إلى التهدئة، وتسعى إلى إحلال السلام العادل في منطقة الشرق الأوسط.

إعلان الحرب

كما كتب الأستاذ أحمد عبد الحكم بجريدة الأهرام العربي بتاريخ ٧ / ٢ / ٢٠٠٩م يقول:

تتزاحم الآن جهات عديدة ومنظمات محلية وإقليمية ودولية وأفراد على مهمة واحدة، هي توثيق جرائم الحرب الإسرائيلية على غزة، تمهيدا لرفع قضايا أمام محكمة الجنايات الدولية، أو حتى أمام محاكم أوروبية تنظر هذا النوع من القضايا وتصدر فيه أحكاما ضد المتهمين بارتكاب هذه الجرائم.

■ على الصعيد العربي أعلنت جامعة الدول العربية تكليفها لفريق قانوني من شخصيات عربية ودولية للتوجه إلى قطاع غزة، وإعداد تقرير عن الجرائم التي ارتكبتها قوات الاحتلال ضد المدنيين الفلسطينيين، بما فيها استخدام الأسلحة المحرمة دوليا، وأعدت الجامعة مذكرة تم تسليمها إلى مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية للتحقيق بشأن استخدام إسرائيل اليورانيوم المخصب في عدوانها على غزة.

■ تقدمت أيضا بعض المنظمات العربية والدولية لحقوق الإنسان وقانونيون عرب بطلب محاكمة إسرائيل على

استخدام أسلحة محرمة دوليا مثل قنابل الفوسفور الأبيض.

وهناك وفود برلمانية دولية زارت غزة وطالبت بإرسال لجان تقصي حقائق مستقلة ذات مصداقية لإثبات هذه الجرائم الإسرائيلية، وآخر هذه المساعي موافقة البرلمان الأورومتوسطي على اقتراح د. أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب المصري بتشكيل لجنة تقصي حقائق لجمع الأدلة والوثائق التي تثبت ارتكاب إسرائيل لهذه الجرائم.

■ هناك أيضا تحالف دولي يضم أكثر من ٣٥٠ منظمة، اتخذ بالفعل إجراءات قضائية في هذا الشأن والاتحاد العربي لمنظمات المجتمع المدني انضم إلى هذا التحالف.

■ حركة حماس دعت المؤسسات الدولية والمحلية إلى التنسيق معها لاختيار اللجنة الرسمية المسئولة عن هذا الملف، وصولا إلى تقديم القادة الإسرائيليين إلى المحاكمة، وهذا ما يضيف بعدا آخر إلى هذه القضية المتشعبة التي بات يخشى معها قادة إسرائيل من السفر إلى الخارج، مضافا إلى ذلك مطالبة الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما لإسرائيل بالدفاع عن نفسها ضد التهم الموجهة إليها.

■ القضية خطيرة ومتشابكة، ولكن تشتت الجهود وتعدد الجهات التي تجتهد وفق رؤيتها في توثيق الحرب على غزة قد يأتي بنتائج عكسية، ولابد من جهة كبيرة تجمع الإمكانيات والاتصالات والأهداف التي تشكل معلومات ووثائق كاملة وتخرجها، وليس أفضل من الجامعة العربية للقيام بهذه المهمة، لأن الحرب الجديدة على مجرمي الحرب التي نراها في دماء الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ يجب أن يتولاها قادتها المخلصون.

جريمة مع سبق الإصرار

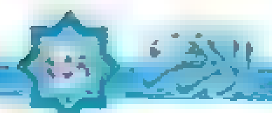
تحت هذا العنوان كتب الأستاذ مصطفى سامي في جريدة الأهرام الصادرة في ٣ / ٢ / ٢٠٠٩ يقول:

«لقد كشفت شهادة ريتشارد فولك مبعوث مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة عن أن هناك أدلة على أن إسرائيل ارتكبت جرائم حرب في غزة، وأنه يجب إجراء تحقيق مستقل.

وجاء في تقرير فولك: إن الوضع في غزة أشبه بما كان في جيتو وارسو خلال الحرب العالمية الثانية، حيث تعرض اليهود للتعذيب والعمليات الإبادة على أيدي النازيين». وبعد بضعة أشهر شهدت شيري بلير زوجة توني بلير بعد زيارتها لغزة مع وفد من النساء البريطانيات أن «حال الفلسطينيين في غزة أشبه بالسجناء في معسكر اعتقال نازي».

وحقيقة ارتكاب جرائم الحرب ليست غائبة عن قادة إسرائيل «المتهمون الجدد» الذين فرضوا رقابة صارمة على دخول الصحفيين والمصورين الأجانب لتغطية المذابح التي ارتكبها الإسرائيليون ضد الفلسطينيين في غزة حتى لا تظهر للعالم جرائم الحرب التي ارتكبتها قوات إسرائيل.

وجريمة إسرائيل واضحة ومع سبق الإصرار، فأثناء العدوان صدرت أوامر إلى جنرالات وضباط إسرائيل الذين نفذوا أوامر قتل الفلسطينيين في غزة بإخفاء وجوههم عن عدسات المصورين حتى لا يلاحقوا قضائيا بتهمة ارتكاب جرائم حرب وجرائم إبادة أمام المحاكم الدولية.



وفي شهادة مسؤول في الأمم المتحدة لحقوق الإنسان كشفت بعض الصحف البريطانية أن إسرائيل ارتكبت جرائم حرب في حق الفلسطينيين في غزة. واستخدمت أسلحة محرمة دوليا تصيب ضحاياها بالشلل، وقذائف انشطارية بالبوغ من الرصاص الذي يتحول إلى شظايا صغيرة داخل الجسم يصعب على الجراحين اقتلاعها.

ومع ذلك لم تفعل ضد إسرائيل بتحدث عنه الإعلام الغربي والمنظمات الدولية. وما بعد قد نعرف سوى أن يتحرك ويكتشف الدول الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط فقد عادت النازية من جديد في القرن الحادي والعشرين، لكنها بدلت الثوب الألماني بثوب إسرائيلي.

وثيقة أمريكية تحذر من اليهود

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عبد الوهاب عدس في جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠٠٩ قائلا:

وقعت تحت يدي صورة من وثيقة خطر اليهود على أمريكا. هذه الوثيقة تكشف سر العلاقة بين أمريكا وإسرائيل. ولماذا تحرص أمريكا على رعاية ودعم إسرائيل ضد كل جيرانها العرب.. ليس حبا في إسرائيل أكثر من الخوف من عودة كل هؤلاء الصهاينة إلى أمريكا.. تجنبا لخطرهم..

الوثيقة عمرها أكثر من ٢١٢ سنة وهي تحذر من خطر اليهود في أمريكا.. النسخة الأصلية منها موجودة في معهد فرانكلين بفيلادلفيا.. وحصلت على صورة منها الأستاذ جامعي من جنوب كارولينا.. والوثيقة عن محضر المؤتمر الدستوري لعام ١٧٨٩ .. ألقاها بنجامين فرانكلين داخل المؤتمر المتعلق باليهود.

تقول الوثيقة: يوجد خطر عظيم على الولايات المتحدة الأمريكية.. وهذا الخطر العظيم هو اليهود.. لقد تجولوا في الأرض.. كما حدث في الأندلس وإسبانيا منذ أكثر من ١٧٠٠ سنة.. حيث طردوا من هناك شر طردة.. الوثيقة حذرت منهم.. أكثر إلحاحا.. فقد طالبت بطرد اليهود من أمريكا.. وقالت بالحرف: إذا لم يطرد اليهود من الولايات المتحدة الأمريكية خلال مائة سنة.. فسوف يتدفقون إلى البلاد بأعداد كبيرة. وبعد ذلك سوف يحكموننا ويدمروننا ويغيرون نظام حكمنا.. إذا لم يطرد اليهود خلال ٢٠٠ سنة فإن أبناءنا سوف يعملون في الحقول كي يطعموا اليهود.. بينما يجلسون هم وأبناؤهم في مكاتب المحاسبة وعقد الصفقات.

لم يقرأ الكثيرون.. ولكن قادة الفكر الأمريكي هذه الوثيقة التي تحذر من خطر اليهود منذ ٢١٢ سنة.. بكل بساطة لأنها حجبت عنهم.. لكن د. عبد الوهاب المسيري في كتابه الصهيونية والعنف الذي أصدره في عام ٢٠٠١م.

يقول المفكر الكبير د. المسيري: إن منظمة كاخ الصهيونية الإسرائيلية هي جماعة صهيونية سياسية إرهابية وضعت شعارها على شكل قبضة يد تمسك بالتوراة وأخرى بالسيف وكتب تحتها كلمة «كاخ» العبرية وهي تعني «هكذا» تعني أن السبيل الوحيد لتحقيق الآمال الصهيونية هي التوراة والسيف. ويضيف العلامة الكبير د. المسيري أن حركة كاخ تضم مجموعة من الإرهابيين ذوي التاريخ الحافل من بينهم يهي هرتيف.. وهو صهيوني

أمريكي يهودي.. كان يعمل حسب في بلده ثم تهود واستقر في إسرائيل.. ويبدو أنه ارتكب جريمة قتل وقدم للمحاكمة بتهمة قتل جاره.. وحيازة سلاح بشكل غير قانوني - وكان يسمى «الذئب» أو «القاتل».. ومن بين مؤسسي رابطة الدفاع اليهودية الإرهابي الذي قبض عليه عام ١٩٧٥ بتهمة محاولة اغتيال كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي السابق.. ثم قبض عليه مرة أخرى عام ١٩٨٢ بتهمة تخطيط فريق من الشباب والتخطيط للاعتداء على المسجد الأقصى.

وتضم الجماعة أيضا يهودا ريخترا الذي حققت معه الشرطة للاشتباه بضلوعه في مقتل أحد أعضاء حركة السلام الآن ومع هذا يظل مائير كاهانا أهم شخصيات الحركة.. فهو مفكرها الأساسي.. عمل كاهانا بعض الوقت عميلا للمخابرات المركزية الأمريكية ومكتب التحريات الفيدرالية الأمريكية.. وأسس رابطة الدفاع اليهودي في الولايات المتحدة عام ١٩٦٨م.

يقول د. المسيري: إن صهيونية كاخ هي الصيغة النقية للصهيونية.. فالشعب اليهودي في تصوره هو شعب مختار فريد ومتميز.. إنه شعب مقدس له حقوق مقدسة.. ولذا فهو مكتف بذاته ومرجعية ذاته. يستمد معياريته من ذاته.. ولا يكترث بمعايير الشعوب الأخرى.. ومن ثم فليس بمكان الشعب اليهودي المقدس أن يفرط في حقوقه المقدسة في الأرض المقدسة. ويتنازل عن أجزاء منها للشعوب الأخرى غير المقدسة. وخلاص الشعب اليهودي مسألة وقت قريب.. ولكن لن يتحقق إلا بعد قيام الدولة اليهودية المقدسة وإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى.. وإجلاء جميع الأعداء من أرض فلسطين.. وقد أسس «كاهانا» معهدا لتدريس تعاليم اليهودية - معهد جبل الهيكل، ومعهد الفكرة اليهودية..

كلمة الحق الممنوعة.. ضد إسرائيل !!

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة سميرة صادق في جريدة الجمهورية الصادرة في ٦ / ٢ / ٢٠٠٩م تقول:

الإعلام الإسرائيلي وجماعات الضغط اليهودية في الغرب تقف بالمرصاد لكل من يتفوه بكلمة ضد جرائم إسرائيل.. فهي في رأيهم أو كما يحلو لهم أن يصوروها دولة منزهة عن الخطأ مسالمة.. فقط تدافع عن نفسها ضد الفلسطينيين الإرهابيين والعرب !!

وهم يدرسون الآن إرهابهم الفكري والنفسي وبقوة على رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوجان والحكومة التركية والشعب التركي لموقفهم المتعاطف مع ضحايا محرقة غزة متهمينهم بالعداء للسامية وتأجيج روح الكراهية لليهود والانحياز لمنظمة إرهابية هي حماس!!

مهددين متوعدين بالعقاب ولو بشكل مبطن بوضع مزيد من العراقيل في طريق تركيا للانضمام لدول الاتحاد الأوروبي.. وبحرمانها من لعب دور الوسيط في العملية السلمية بالشرق الأوسط.. ومساندة جهود الأرمن لحمل الإدارة الأمريكية الجديدة على الاعتراف بالإبادة الأرمنية، بل والتأثير السلبي على العلاقات بين تركيا وإسرائيل.

فالويل كل الويل والعقاب الرادع لمن يتجرأ ويقول كلمة الحق أو يبدى تعاطفا مع الشعب الفلسطينى الذى فعلت فيه آلة الحرب الإسرائيلية ما جعل شعوب العالم كله تفزع وتتظاهر وتنطق بعبارات الإدانة رغم مصالحها مع إسرائيل وأمريكا وكان أردوجان قد أثار مجددا إعجاب وتقدير الشعوب العربية والإسلامية بعدما انتفض ضد مغالطات وأكاذيب بيريز فى منتدى دافوس الاقتصادى، وانسحب من الجلسة بعد حرمه مدير النقاش الصحفى الأمريكى من أصل [illegible] من حقه فى الرد حيث منحه ١٢ دقيقة فقط مقابل ٢٥ دقيقة لبيريز [illegible] أردوجان [illegible] بشدة العدوان الإسرائيلى الأخير على قطاع غزة [illegible] الاقتصادى [illegible] أكاذيب شيمون بيريز وافتراءاته من أن إسرائيل تدافع عن نفسها [illegible] الرجل لم يبعه [illegible] ضميره [illegible] والدفاع عن الموقف المبدئى للدولة التركية، وهو موقف لقى ترحيب كثير من شعبه لدى استقباله فى المطار [illegible] الأعلام التركية والفلسطينية. كما [illegible] الصحف التركية [illegible] الإسرائيلى [illegible]

وكل كلمة حق [illegible] ليست غريبة، وكل [illegible] إسرائيل وحروب إسرائيل، وكانه ليس من المفروض [illegible] الفلسطينى والعنف [illegible] الحرب الإسرائيلية [illegible] الإسلامية [illegible] الفلسطينية والفلسطينيين [illegible] الإعلام الإسرائيلى [illegible] اليهودى فى كل مكان.

إغلاق جوانتانامو

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ سلامة أحمد سلامة فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١ / ٢٠٠٩م يقول: لم يضيع أوباما وقتا لكى يثبت قدرته على التغيير الذى بدأ [illegible] على [illegible] الأمريكية [illegible] أول خطوة فقد [illegible] بإغلاق معتقل جوانتانامو [illegible] ١٢٠ يوما لإعادة النظر فى الأسس القانونية [illegible] أساليب التعذيب [illegible] الاعترافات [illegible]



٢ - نظرية البيرونى فى تغيرات سطح الأرض:

يهتم علم الجيومورفولوجيا فى صورته المعاصرة بدراسة الأشكال (التضاريس) الأرضية المختلفة الظاهرة فوق سطح اليابسة والمغمورة تحت المياه، وتتبع أطوارها المتعددة، وتفهم الأسباب والعوامل المؤثرة فى تكوينها، على ضوء ما يسمى بالنظرية الجيومورفولوجية الحديثة التى تقضى بأن تطور أشكال سطح الأرض يعتمد على عوامل التعرية والإرساب والحركات الأرضية، وهى عوامل ناتجة عن تأثير نوعين من القوى هما: قوى الأرض الداخلية وما يصاحبها من تكون الألواح القارية وتزحزحها، وتكون السلاسل الجبلية، وما يصاحب ذلك من عمليات التصدع والطى والانفصال والثورات البركانية والهزات الأرضية، وغيرها، وهذه القوى تكون عادة قوى بانية. والنوع الآخر هو قوى الأرض الخارجية، وأغلبها ناشئ عن طاقة الشمس مباشرة، وتظهر آثارها فى هبوب الرياح وجريان الماء وتباين درجات حرارة السطح، وغير ذلك من عوامل التعرية التى تنتاب صخور القشرة الأرضية فتؤدى إلى تفتيتها ونقلها من مكانها، ثم ترسيبها تحت الماء أو على سطح اليابسة، وهذه القوى عادة تكون قوى هدمية.

والشكل النهائى للصورة الأرضية فى أية منطقة على سطح الأرض يتوقف على محصلة هذين النوعين من القوى الداخلية والخارجية، أى على حركة القشرة الأرضية بعوامل القوى الأرضية الداخلية تحت عوامل التعرية المختلفة نتيجة القوى الخارجية.

والباحث المدقق فى كتب التراث الإسلامى يجد العديد من النصوص التراثية التى تؤكد سبق علماء المسلمين إلى وضع أصول النظرية الجيومورفولوجية الحديثة وصياغة المبادئ والمفاهيم العلمية التى تطور على أساسها مبحث شكل الأرض (الجيومورفولوجيا)

وأصبح واحدا من أهم العلوم الجيولوجية المعاصرة.

وهنا يأتي أبو الريحان البيروني في مقدمة القائلين بأن الأرض تتعاقب عليها الأحداث منذ أزمنة وعصور طويلة، وأن ما ينشأ عن هذه الأحداث من تغيرات في سطح الأرض يحتاج إلى مدد زمنية طويلة، فيسبق بذلك إلى القول بنظرية الانتظام أو التواتر uniformatarianism التي تنسبها المؤرخون إلى العالم الاسكتلندي «جيمس هاتون» J.Hatton في عام ١٧٨٥م، والتي تفسر حدوث تغيرات سطح الأرض على أساس أن «الحاضر هو مفتاح الماضي».

وقد قال البيروني بهذه النظرية وطبقها بكل وضوح في صياغته لمبادئ النظرية الجيومورفولوجية العامة على أساس قوى البناء والهدم، ومفهوم توازن الكرة الأرضية. فنجده في كتابه «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن» يقول شارحا ومشبها تطور تضاريس الأرض بمراحل النشوء والشباب والشيخوخة.

ولا نعلم من أحوالها (أي الأرض) إلا ما نشاهد من الآثار التي تحتاج في حصولها إلى مدد طويلة، وإن كانت في الطرفين كالجبال الشامخة المتركبة من الرضراض (الحصى الصغار وفتات الحجر) الملس المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها. فإن من تأمل الأمر من وجهه وأتاه من بابه علم أن الرضراض والحصى هي حجارة تتكسر من الجبال بالانصداع والاصطدام، ثم يكثر عليها جرى الماء وهبوب الرياح، ويدوم احتكاكها فتبلى، ويأخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها حتى يذهب بها فتملكها (أي تملسها وتدورها)، وأن الفتات التي تتميز عنها هي الرمال ثم التراب. وإن ذلك الرضراض لما اجتمع في مسايل الأودية حتى انكبست بها وتخللها الرمال والتراب فانعجنت بها، واندفنت فيها وعلتها السيول فصارت في القرار والعمق بعد أن كانت من وجه الأرض فوق، تحجرت بالبرد، لأن تحجر أكثر الجبال في الأعماق بالبرد.

وإذا وجدنا جبلا متجبلا من هذه الحجارات الملس، وما أكثره فيما بيننا، علمنا أن تكونه على ما وصفناه، وأنه تردد مثلا مرة وغاب أخرى، وكل تلك الأحوال بالضرورة ذوات أزمان مديدة غير مضبوطة الكمية، وتحت تغاير غير معلومة الكيفية، ونهايات وب[illegible] عمارة على بقاع الأرض، فإن أجزاءها إذا انتقلت من موضع إلى آخر، انتقل معها ثقلها فاختلف على جوانبها، ولم تكن الأرض لتستقر إلا بكون مركز ثقلها مركز العالم، فلزمها أن تسوى ذلك الاختلاف، ولزم منها أن يكون مركز ثقلها مختلفا على اختلاف موضع الأجزاء المنتقلة منها، فلم تكن لتثبت أبعاد البقاع عن المركز على مرور الزمان عليها على مقدار واحد. فإذا علت أو أفرط تكابس ما حولها نقصت المياه وغارت العيون وعمقت الأودية وتعذرت العمارة، فانتقل أهلها إلى غيرها، ونسب ذلك الخراب إلى الهرم، وعمارة الخراب إلى النشوء والشباب، ولأجله تصرد جروم وتجرم صرود (أي تبرد المناطق التي كانت ساخنة، والعكس بالعكس. الصرود هي الأراضي الباردة والجروم هي الأراضي الحارة).

ولا يخفى على أهل الاختصاص ما في هذا النص التراثي للبيروني من أفكار غير مسبوقة عن تكون الصخور الرسوبية وتصنيفها بحسب حجومها إلى الحصى والرمال والتراب، وتفسير الطريقة التي تؤدي إلى استدارة الحصى والحبيبات الفتاتية، وبيان العلاقة بين حجمها وبعد المصدر الذي نشأت عنه، وهي موضوعات يعالجها علم الرسوبيات الحديث.

٤- نظرية البيروني في التعرف على البيئات القديمة:

قال علماء المسلمين بنظريات رائدة تحدثت عن طبيعة الحفريات (المستحاثات) fossils ومدلولاتها العلمية التي يتم على أساسها استنباط التاريخ الجيولوجي ومعرفة تطور الكائنات الحية وتطور البيئات القديمة عبر العصور الجيولوجية المختلفة، وهو أحد فروع العلوم الجيولوجية الحديثة المعروف بعلم الحياة الأرضية القديمة (أو الباليونتولوجيا paleontology).

وكان أبو الريحان البيروني رائدا في تناول هذا الموضوع بالبحث المنهجي السليم على أساس أن الحفريات بقايا لكائنات حية نباتية وحيوانية متحجرة، وقد تكونت متزامنة مع تكون طبقات الصخور التي وجدت فيها[٣] ويحسب للبيروني أنه أدرك بالملاحظة الدقيقة أمرين مهمين جديرين بالتسجيل:

الأمر الأول: بأشكال الحفريات، وفيه يقول: «... بل يخرج منها أحجار إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع وما يسمى آذان السمك، إما باقية فيها على حالها، وإما بالية قد تلاشت وبقي مكانها خلاء تشكل بشكلها».

والأمر الثاني: يتعلق بوجود حفريات برية أيضا، وليس مائية فقط، كما اعتقد ابن سينا، وفيه يقول عن

شكل ١
صورة آلة عرضها أبو الريحان البيروني
(١) فم الآلة (٢) الأنبوبة على صورة المخروط
(٤) القفة (٥) رأس الأنبوبة
(٦) موضع شكة (٧) قاعدتها (٨) عروتها

[illegible]

الحفريات هي بقايا وآثار الحياة الأرضية القديمة، ومن دراسة هذه البقايا والآثار للكائنات الحية في صخور القشرة الأرضية، وخاصة الصخور الرسوبية يمكن التعرف على البيئات القديمة [illegible] الأرض المختلفة في [illegible] الحفريات بمثابة اللغة التي يستنبط من قراءتها ودراستها تاريخ الأرض المسجل في صخورها.

أحجار الدولاب وحمل إليه من آثار معدن الذهب «موريتان» عدة حيوانات وجدت في بئر بعد حفر مائة وخمسين ذراعًا في مقدار الصورة إلا أن فيها علاقًا حمرًا. وقد جفت من حيوانها وامتلأت بالطين ثم استحجر بها ذلك الطين. ولم أتحقق كيف استحجارها قبل استخراجها، أو بسبب ضربه الهواء وقت الإخراج، فإن من تلك الأطيان ما يوجد كذلك الحجر فيه ولم يحصل من مشاهدة ذلك إلا أن أرض تلك الآبار كانت وجه الأرض مكشوفة وقتًا ما. وكان العظم والشعر يلحقها بحسب المكان والماء ولكنه طبيعي. فإن الحيوانات البحرية تكون أعظم جثة وأغلظ جرمًا وأصلب»

ويلاحظ أن هذا الربط والتوظيف للحفريات في التعرف على البيئة القديمة وخصائصها لم يكونا بالأمر المألوف في الفكر العلمي العربي قبل نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ولابد أن يكون البيروني قد قارن بين أنواع شتى من الأصداف لحيوانات تعيش في الحاضر وبين حفريات قارية وأخرى بحرية حتى يستنتج ما قال. وهذا يعني أنه كان مدركًا لدور الحاضر في فهم عمليات حدثت في الماضي قبل جيمس هاتون بعدة قرون.

آراء أخرى متقدمة للبيروني:

١- سبق البيروني إلى توقع امتداد القارة الأفريقية جنوبًا، وإلى صلاحية المحيط للملاحة في الجنوب، وأشار قبل اكتشاف «كولمبس» لأمريكا إلى احتمال أن يكون النصف الغربي من الكرة الأرضية معمورًا، فقال: ولما [illegible] هذا انقطع العمران من جانبيه بحر «أوقيانوس» فإنه لم يتنبه خبر إلا عن جزائر غير بعيدة عن الساحل، ولم يتجاوز المخبرون عن الغرب ما يقارب نصف المدور. فخلو العمارة في أحد الربعين الشماليين إلا أن ذلك موجب من طبيعي فمزاج الهواء لا يتباين. ولكن عدم المعرفة موكول الخبر من جانب الثقة.

٢- ذكر البيروني في الباب الخامس من كتاب «القانون المسعودي» أنه أثبت جداول تتضمن أطوال البلدان وعروضها بعد الاجتهاد في تصحيحها بما يوجب أوضاع بعضها من بعض وما بينها من المسافات، لا بالنقل الساذج من الكتب، فإن فيها مخلطة فاسدة. كما اشتهر البيروني ببرهان التقويم المعروف في حساب المثلثات بجيب الزاوية، وحل بعض المسائل في علم الهندسة المستوية.

٣- أشار البيروني إلى اتصال المحيط الهندي بالمحيط الأطلسي عندما وصف تضاريس الأرض ومسالك البحار والمحيطات، وتكلم لأول مرة على عكس ما كان شائعًا في عصره من أنه ليس ما يمنع من اتصال المحيط الهندي بالمحيط الأطلسي جنوب القارة الأفريقية، وبرهن على ذلك بالعثور على ألواح مراكب مخروزة عند مضيق جبل طارق ومصدرها هو المحيط الهندي وليس المحيط الأطلسي، لأن المراكب في هذا الأخير كانت تسمر بالمسامير ولا تخاط كما ذكر هو في تعبيره.

٤- لجأ البيروني إلى استخدام النماذج لتبسيط الفهم والتصور، فصنع نصف الكرة الأرضية بقطر يبلغ خمسة عشر قدمًا ورسم عليها أطوال البلدان وعروضها، وحدد المواقع التي تأكد منها.

٥- صنع البيروني عدة صناعات كانت قائمة في عصره، كطلاء الأواني الفخارية وتحضير الفولاذ المعد لصنع السيوف، واستخلاص الزئبق من الحجر (كبريتيد الزئبق). وانتقد أهل الصنعة الكيميائيين الذين يدعون إمكانية تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب.

٦- قرب النسبة التقريبية (ط - ٢٢ ÷ ٧) إلى أقرب عدد مستخدم في الوقت الحاضر وهو ٣.١٤١٨٣ وحسب مقدار حركة أوج الشمس (نقطة الموقع الأبعد للشمس عن الأرض) بوحدة ١٢,٠٩ ثانية في السنة وهو تحديد يختلف قليلًا عن المقدار المثبت في العصر الحاضر (وهو ١١.٤٦ ثانية في السنة).

بعض المعلومات عن منهجه وأخلاقياته:

١- رفض هدية السلطان الغزنوي على كتاب «القانون المسعودي» لأنه يخدم العلم للعلم لا للمال.

٢- قضى في تاريخ الشرق أكثر من أربعين سنة يبحث عن نسخة من كتاب «ماني» (سفر الأسفار) وذلك ليوضح الحقيقة فيما رواه أبو بكر الرازي عن «ماني»، وقد وجد في النهاية أن الرازي قد خدع بما طلع عليه، وأنه هو نفسه ليس بمخادع.

٣- كان البيروني ينسب النظريات العلمية إلى أصحابها ويميز بينها وبين أفكاره الخاصة فيذكرها على أنها من وحي له أو من برهان الخاطر له. وإذا وقع في خطأ فإنه لا يجد حرجًا في الاعتراف به والاعتذار عنه، وأنه يمكن الاستدراك عليه مثلما استدرك هو على غيره.

٤- من طريف ما يحكى عن البيروني ما رواه ياقوت من أن السلطان الغزنوي استقدمه لخاصة أمره وجرحاه صدره. وكان يفاوضه فيما يسنح لحضرته من أمر السماء والنجوم، وعندما ورد على السلطان رسول من أقصى بلاد الترك وحدث بين يديه بما شاهده فيما وراء البحر نحو القطب الجنوبي من دور الشمس عنه ظاهرة في كل دورها فوق الأرض، بحيث يطل الليل، لم يصدق السلطان تلك القصة وتسرع على عادته في التشدد برمي الرجل بالإلحاد. وعندما قال له «أبو نصر بن مشكان» إن هذا الرجل لا يذكر ذلك عن رأي يراه ولكن عن مشاهدة يحكيه، وتلا قوله تعالى:

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ (الكهف ٩٠).

فاستدعى السلطان أبا الريحان البيروني وسأله عن تفسير تلك الظاهرة فأجابه بما يقنعه حتى توصل إلى قناعة.

٥- زار أحد الفقهاء البيروني وهو على فراش المرض الأخير، فسأل البيروني الفقيه عن مسألة في علم الفرائض (المواريث) فقال له الفقيه: أتسأل عن هذه المسألة وأنت في هذه الحالة يا أبا الريحان؟ فقال البيروني: أن ألقى الله وأنا عالم بها خير من أن ألقاه وأنا جاهل بها. وما إن خرج الفقيه حتى سمع الصراخ على وفاة البيروني.

٦- ظهر كتابه «الصيدنة في الطب» إلى النور في مدينة برلين سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٢م) بواسطة المستشرق «ماكس مايرهوف»، وقامت جامعة البيروني في طشقند على تحقيقه والتعليق عليه تحت إشراف الكيميائي السوفيتي عبدالله كريموف، وترجم إلى اللغة الإنجليزية عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) في باكستان. وهو (أي الكتاب) ذو قيمة علمية كبيرة لما يحتوي عليه من العقاقير الطبية المفيدة.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

[illegible]

قال الله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

(آل عمران: ١٥٩).

وقال: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

(الشورى: ٣٨).

وقال النبي ﷺ: «المشورة حصن من الندامة، وأمن من الملامة».

وقال عمر بن الخطاب: «الرجال ثلاثة: رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصادرها، ورجل متوكل لا يتأمل فإذا نزلت به نازلة شاور أصحاب الرأي وقبل قولهم، ورجل حائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً».

وقال علي كرم الله وجهه: «نعم الموازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد».

وقيل: «الخطأ مع الاستشارة أحمد من الإصابة مع الاستبداد».

وقيل: إذا استخار العبد ربه، واستشار صديقه واجتهد رأيه، فقد قضى ما عليه، ويقضي الله في أمره ما أحب».

وقيل: «من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه».

وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر

ورب أمر عييت [illegible]

[illegible] ولا [illegible]

وإن ناصح منك يوماً دنا

فلا [illegible] ولا [illegible]

[illegible]

قال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

[illegible]

وقال فيلسوف:

«الملائكة روح وعقل، والبهائم نفس وهوى، والإنسان يجمع الكل ابتلاء، فإن غلب الروح والعقل على النفس والهوى فضل الملائكة، وإن غلب النفس والهوى فضلته البهائم، فالعاقل من ذاد عن مراتع الهوى نفسه، وكفها عن شهوات تقرب إليه رمسه».

وقال آخر:

«الهوى خادع للألباب، صارف عن الصواب، صاحبه أعمى مبصر، أصم سميع».

وقال أبو بكر بن دريد:

و[illegible] الهوى لمن علا

[illegible] هواه [illegible]

وقال [illegible]

[illegible] تسود [illegible]

[illegible] الرشاد [illegible] هواكا

وقال حكيم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] النبي ﷺ [illegible] الوجه سمحة، وقال [illegible] ولا أقول لأحد، وقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم [illegible] من المزاح [illegible] عيب في [illegible]

وقال [illegible]

[illegible] راحة

[illegible] بشيء من المزح

ولكن [illegible] المزح [illegible]

[illegible]

[illegible]

قال بعض الحكماء: عقل بلا أدب فقر، وأدب بلا عقل حتف.

وقالوا: عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح.

وقالوا: لا عقل إلا بأدب، ولا أدب إلا بعقل.

وقال بزرجمهر: العقل يحتاج إلى مادة الأدب، كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الأطعمة.

وقال أيضاً: الأدب صورة العقل، فحسن صورة عقلك كيف شئت.

وقال [illegible] كما أن الأدب لا يكمل إلا بالعقل، فكذلك لا يكمل العقل إلا بالأدب.

وقال حكيم: احرص على أن لا يكون أدبك أكثر من عقلك، فإن من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف في الغنم الكثيرة.

وقال عبدالملك بن مروان: لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، واستصحبه سبعاً، فإن أفلح فألق حبله على غاربه.

طرائف من المكاتبات

كتب للنبي ﷺ من كتاب:

أما بعد فكأننا في الثقة بك منك، وكأنك في الرقة علينا منا، لأننا لو ترجلك في أمر إلا ملته، ولا حملك عليه إلا أمته.

وكتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد وقد بلغه تلكؤه في بيعته:

أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت. والسلام

وكتب عبدالحميد إمام الكتابة لرجل بالوصاية على إنسان:

حق موصل هذا الكتاب إليك كحقه علي، إذ رآك موضعاً لأمله ورآني أهلاً لحاجته، وقد أنجزت حاجته فحقق أمله.

وروي أن المأمون قال لعمرو بن مسعدة

اكتب إلى عاملنا فلان كتاب وصاية بإنسان في سطر واحد، فكتب:

هذا كتاب واثق بمن كتب إليه، معني بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله.

وكتب أبو بكر الخوارزمي جواباً على هدية وصلت

إليه

وصلت التحفة ولم يكن لها عيب إلا أن باذلها مسرف في البر، وقابلها مقتصد في الشكر، والسرف مذموم إلا في المجد، والاقتصاد محمود إلا في الشكر والحمد.

انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل، ولا جاهلاً فيخون.

مصداقاً لقول الشاعر:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه

فصدر الذي يستودع السر أضيق

قال الله تعالى في ذم الكفار: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (القلم: ١١).

وقال الحكماء:

«لم يمش ماش، شر من واش، والساعي بالنميمة يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه».

وحكي: أن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ابن أبي سفيان العتبي رأى رجلاً يسعى برجل عند صديق له، فقال له: نزه سمعك عن استماع الخنا، كما تنزه لسانك عن التكلم به، فإن السامع شريك القائل، وإنما نظر شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو ردت كلمة ساع إلى فيه، لسعد رادها كما شقي قائلها، والنمام شر من الساحر، فإن النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر في سنة كاملة.

وأتى رجل عبد الله بن عباس وهو والي البصرة من قبل علي بن أبي طالب بنميمة، فقال له: إن شئت سألنا عما جئت به فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أقلناك.

فقال الرجل: إن شئت أن تقيل فافعل.

وقال شاعر:

تنوح من الطرق أوساطها

وعد من الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح

كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح

شريك لقائله فانتبه

قال أبو العير الهاشمي وقد كشف في قوله هذا عن فهم صحيح للشرف وعلو الهمة وفهم ليس بالسهل. ولكن بالمتعالي والمتعال

قنعت نفسي بما رزقت	وتمطت في العلا هممي
وليست الصبر سابغة	فهي من قرني إلى قدمي
فإذا ما الدهر عاتبني	لم يجدني كافر النعم
لا أقول الله يظلمني	كيف أشكو غير متهم

اللهم يا عظيم الجناب، يا واسع الرحاب، يا قابل المتاب، افتح الأبواب ويسر الكتاب، ويسر الحساب وأجزل الثواب.

قراءة في كتاب

مؤلفة الكتاب هي الدكتورة عفاف السيد زيدان أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها والعميد السابق لكلية الدراسات الإنسانية .

من خلال مقدمة الكتاب المؤلفة محبة للشعب الأفغاني فقد ربطت صلة عزيزة على أسرة الأستاذ محراب الدين خان وكيل وزارة التربية والتعليم الأفغانية مدة دراستها للدكتوراة التي بلغت أربعة أعوام إلا عدة أشهر، فجمعت من خلال هذا البيت الكريم معرفة عن عادات الشعب والعادات والتقاليد واللغات والأطعمة والملابس والحكم والأمثال والتاريخ والحضارة.

وسط هذه العائلة المسلمة عاشت مؤلفة الكتاب فلم تشعر بشيء من الغربة، وكيف تنتابها أحاسيس الغربة في أسرة الأستاذ محراب الدين خان وهي تعيش وسط بناته (عاقلة، وعفيفة، وفائزة، وعارفة، وعاطفة، وعالية، ومليحة)؟!

عاشت المؤلفة هذه الحياة الإسلامية بما تحمله الكلمة من المعاني الإسلامية البسيطة في الفترة من سنة ١٩٦٨ وحتى سنة ١٩٧٢، وعادت مرة أخرى إلى أفغانستان مدعوة للمشاركة في مؤتمر للشهيد أحمد شاه مسعود، ولعلها كانت تمنى

نفسها برؤية العاصمة التي أحبتها وقد خطت بعض خطوات نحو التقدم، ولعلها أيضاً قد حنت إلى رؤية مرشد الأستاذ محارب ثانية، وسماع تغريد الطيور الشادية فوق أشجار الورود التي تحيط به. ولكنها وجدت الأحوال قد تغيرت والأمور تبدلت والأحوال قد ساءت، فالأهل مقبورون تحت التراب، والأحبة غادروا الديار، والطيور رحلت عن أغصانها وتركت الأشجار وحيدة للدمار والخراب في الخيال والوديان وفي كل ساحة ومكان يعلو صوته وتعلو نغماته.

هذا بعض ما أحسته المؤلفة تجاه بلد إسلامي عزيز وقد عايشت فترة ما قبل الحرب وشهدت ما كانت عليه من رخاء، وها هي تشاهده بعد الحرب وتقف على ما حل به من خراب ثم دعاها إلى الاستشهاد بقول الشاعر:

دموع العين فاضت من مآقي
وقلبي ذاب من ألم احتراق
فلا أدري أعدد دمع عيني
ولا دمعي ينبض من احتراق
وبي أسف على أسف وحزن
وهم فوق هم واشتياق
على زمن تقضى في نعيم
بكابل والعلا والعز راق

لماذا فرخي:

كان أول معرفة المؤلفة بالشاعر «سيستاني» أثناء دراستها للشاعر «عنصري» ملك شعراء السلطان محمود وهو موضوع رسالة الماجستير التي تقدمت بها إلى كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٧م وكانت تحت عنوان «العنصري الشاعر الفارسي» ومن خلال هذه الدراسة كملت صورة فرخي وشعرت المؤلفة أن عصر السلطان محمود لن تتضح جوانبه الحقيقية إلا بدراسة فرخي، حيث أجمع النقاد والكتاب على أنه لم يكن شاعراً فحسب بل كان مؤرخاً أيضاً للعصر والسلطان.

طمح فرخي منذ شبابه أن يعرف الناس أشعاره ويتذوقوها، فقد كان يحس إحساساً عميقاً أنه صاحب موهبة خلاقة، ولهذا سلك من أجله الطريق إلى «صغانيان» في بلاد ما وراء النهر لدى الأمير أبي المظفر الصغاني منشداً قصيدته الغراء المشهورة «با كاروان حله» التي مع قافلة الحلة والحلة هو نسيج القافلة التي رحل معها من موطنه سيستان إلى بلاد ما وراء النهر.

وكان فرخي شاباً بسيط المظهر رقيق الحال، أهلته موهبته العالية أن يقدم شعره إلى السلطان محمود الغزنوي فكان الأثير عنده وعند أبنائه ووزرائه ووجهاء دولته فانتشر شعره، وعلا صيته وذاع ذكره وأصبح شاعراً فحلاً من شعراء الفارسية يشار إليه بالبنان على مر العصور وتعاقب الأزمان.

الكتاب واحد من الكتب التي تهتم بروائع الشعر الفارسي، ويتناول بشكل أساسي الشاعر الإسلامي الكبير «فرخي سيستاني» ويقع الكتاب في ٥٢٢ صفحة مقاس ١٧ × ٢٤ وقد صدر عن مكتبة مدبولي بالقاهرة.

وهو أول كتاب يصدر باللغة العربية عن فرخي سيستاني، ويتناول بالشرح والتفصيل البيئة التي نشأ فيها والعصر الذي عاش فيه، كما يتناول معاصريه من الشعراء، ويسلط الضوء على العوامل والألوان التي شملها شعره.

والكتاب يتكون من سبعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول منها بعنوان «عصر الشاعر» ص ١ : ٥٦ تناولت فيه المؤلفة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

فذكرت شيئاً عن الحياة السياسية -لإيمانها أنه ليس من الممكن أن يعيش الشاعر أو الأديب أو غيرهما بمعزل عن الجماعة التي ينتمي إليها أو يقف من الأحداث التي تمر به موقف المتفرج، بل لابد له أن يشارك حياتها العامة -لأنه فرد يرتبط مع غيره بروابط المصلحة المشتركة، ولابد أن يكون له عنصراً فعالاً حياً يؤثر في هذا المجتمع.

ولأن فرخي من أكبر الشعراء الذين تحتاج في دراستهم إلى دراسة بيئتهم السياسية - على حد قول المؤلفة - فقد احتصت هذا الجانب بشيء غير يسير من صفحات الفصل الأول افتتحتها بالكلام عن «إيران قبل الغزنويين».

فإذا ما انتقلت إلى الحياة الاقتصادية نجدها تسجل أن ديوان سيستاني يصف الحياة المترفة في كثير من نواحيه وأن البلاد الإيرانية في شعره كانت تتمتع بالأمن والسلم والعدل فحق لها أن تعيش حياة اقتصادية مترفة.

ثم تشير أيضاً إلى أن هذه الحياة المترفة هي نفسها التي أدت إلى دمار الدولة.

وتستشهد المؤلفة بالعديد من الأبيات من ديوان فرخي التي تصور نماذج من هذه الحياة المترفة التي أدت في النهاية إلى ذلك التدمير المؤسف للدولة الغزنوية.

وفي معرض حديثها عن الحياة الاجتماعية أشارت المؤلفة إلى أن حياة اللهو والترف التي سادت لم تتعارض مع وجود حياة الجد حيث تقول «كانت الحياة في الدولة الغزنوية حياة جد وحياة ترف. وقد سيق فيها كلاهما معه» ثم تناولت المؤلفة الحياة الفكرية وتلقي الضوء على انتشار المدارس الإسلامية إلى حد كبير، وتستغل المؤلفة شواهد من شعر سيستاني على ذلك حين يمدح أبا سهل أحمد بن عبدالله بن أحمد بن لكش بقوله:

«ذلك محب للشعر والشعراء والعاشق لمجلس العلماء والإبداع والمبدعين» ويقول في موضع آخر نفس الرحل:

إن قصر هذا السيد العظيم هو مجمع الشعراء ليلاً ونهاراً.

بيئة فرخي الخاصة: ص ٥٧ : ٦٩

أما الفصل الثاني فقد خصصته المؤلفة لتكشف عن شاعرية هذا فرخي وبيئته وحياته. فموطنه هو مدينة سيستان كما صرح بذلك الشاعر، وسيستان موطن الشجعان الصناديد في الشرق كما تراه بذلك في شعره، ويصور الشاعر يقول ذلك عن غير مبالغة وكم وصف لأهل مدينته حيث قال عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨:

«سجستان أحد بلدان المشرق، ولم تزل لقاحاً على الضيم ممتنعة من الهضم منفردة بمحاسن، متوحدة بمآثر لم تعرف لغيرها من البلدان، ما في الدنيا سوقة أصح منهم معاملة ولا أقل منهم مخاتلة».

وفي معرض حديثها عن البيئة العلمية تؤكد المؤلفة أن فرخي حصل على نصيب وافر من علوم عصره واطلع على آداب وأشعار الذين سبقوه من

الشعراء وأخذ منهم وشاهدها في ذلك ما بين يديها من أشعار فرخي التي يصرح فيها أنه استعار من شعراء آخرين.

وهذا أمر مشتهر بين الشعراء عموماً، والبردة من أشهر القصائد التي عارضها الشعراء ونسجوا على منوالها.

وقد ذكرت المؤلفة في هذا الفصل عدداً من النماذج لقصائد صاغها سيستاني على منوال قصائد أخرى.

التعريف بفرخي سيستاني ص ٧١:١٤٨

وفي الفصل الثالث تقدم الدكتورة عفاف تعريفاً بفرخي سيستاني: اسم الشاعر وكنيته وتعرض لما كتبه المؤرخون عن مولده وذهابه إلى صغانيان وتفند هذه الأقوال وتستخلص مولد الشاعر بطريقة لا تخلو من عبقرية من بين معاني قصيدة له يقول فيها:

● واتفق مجيء العيد السعيد في وقت واحد مع الربيع واستولى ملك الدنيا على رياح الصبا من الخريف، في فترة الصناديد والشجعان.

يتضح من هذا أن عيد النوروز تصادف مجيئه مع عيد ديني أو أنهما كانا قريبين.

حتى إن الشاعر يأتي من مكان بعيد، ويستطيع أن يهنئ بهما في قصيدة واحدة، فكل ما يمكن أن نتصوره في هذا البيت هو عيد النوروز، ولكن البيت الآخر الذي يأتي بعد قليل في هذا الشعر والذي يقول فيه:

● فليكن هذا العيد سعيدا على الملك، وليكن مباركا عليه هذا الفصل، وهذا النوروز الجميل بما فيه من الروح والريحان.

فهو يشير في هذا البيت أن مقصده ليس عيد النوروز الوحيد. ولكن كان هناك عيد ديني آخر. إن الشاعر في هذه القصيدة يبارك للأمير بثلاثة أشياء:

١- حلول فصل الربيع.

٢- النوروز.

٣- عيد ديني آخر

وعلى هذا ذهب فرخي حينما وصل إلى صغانيان صادف أن كان عيد النوروز مع عيد ديني آخر. وإن هذا العيد إما أنه كان عيد الفطر، أو عيد الأضحى.

ومن المعروف أن النوروز يحسب بالسنة الهجرية الشمسية ويكون ثابتا، أما الأعياد الدينية فتحسب بحساب السنة الهجرية القمرية.

ثم تقول: «والتواريخ السالفة الذكر تنطبق تماما مع حياة الشاعر للأسباب التالية:

أولا: إن فرخي ذهب إلى صغانيان بسبب زواجه وزيادة أعباء حياته. وأنه قد تزوج كما يقول الأستاذ ريتر طبقا للتقاليد على حد أكثر وعمره عشرون عاما. وعلى هذا الترتيب يكون مولده بين عامي ٣٨٥ - ٣٩٢هـ؛ لأن الشعر الذي قاله فرخي إذا لم يكن في مرض السلطان الأخير فإنه لابد وقد قيل في عام قبل هذا العام. ومن أبياته في هذا البيت أن يهب شبابه إلى السلطان محمود

إذن فالحساب الذي قدمناه يجب أن يكون سن الشاعر في هذه الفترة في حدود تسعة وعشرين أو ستة وثلاثين عاما. وهو تاريخ مناسب حد للشخص يريد أن يهب شبابه لشخص آخر»

ويتضح بشكل كبير كم أجهدت المؤلفة نفسها لتثبت تاريخ ميلاد الشاعر، أو في التفرد في تحديد تاريخ لم تسبق إليه.

ويستمر هذا الفصل أيضا حديث عن ثقافة الشاعر الإسلامية والعربية، وذلك من خلال المعنى العربية التي يحويها الديوان ومن خلال مدى تمثل فرخي العربية للشعر العربي. فالشاعر مستوعب مضمون وافر من الشعر العربي الجاهلي والإسلامي على حد سواء واستيعاب الشاعر لهذه المعاني وصياغته لها في ديوانه يكاد يكون ترجمة حرفية لهذا الشعر العربي.

وتذهب المؤلفة إلى القول «إن اللغة الفارسية حدثت بعد القرون الثلاثة الأولى - تقريبا - سارت العربية في حمى لواء الثقافة الإسلامية»، وإن المضمون الفكري للغة العربية انتقل إلى اللغة الفارسية.

ومن أهم ما ذكرته المؤلفة في هذا الفصل قولها إن فرخي بالثقافة العربية يتمثل في جانبين مهمين: الأول: الثقافة الدينية الممثلة في القرآن الكريم وتفسيره والأحاديث النبوية الشريفة التي نراها في كل ما سبق في ديوانه. ثم الحديث عن النبي ﷺ وصحابته وما ساقته من شواهد من شعره دليلا على ذلك.

وعن أخلاق الشاعر وشخصيته تقول:

«على الرغم من المصادر المتوفرة في أيدينا عن العصر الذي عاش فيه الشاعر. وعلى الرغم من أن ديوانه يعتبر مرآة ساطعة لهذا العصر، إلا أن ديوانه صمت كل الصمت عن حياته. اللهم إلا من بعض إشارات مبهمة لا تهدي الباحث فحسب، بل قد توقعه في الشك أحيانا وفي الحيرة أحيانا أخرى. ويجب أن نعترف هنا بأن حياة الشاعر إذا وجدت فهي مهمة في كشف جوانب شخصيته وشاعريته وإن لم توجد فإنها لا تكون عقبة في تحليل هذه الشخصية وكشف جوانب هذه الشاعرية.

وتذهب المؤلفة إلى أن حياة الشاعر كانت سهلة فتقول ص١٣٠: «كانت حياة هذا الشاعر سهلة بسيطة غير معقدة ولا ملتوية، وربما كان لنشأته في البداية كفلاح في سيستان أثر في ذلك، فلم يكن كغيره من الشعراء الذين كانوا يصلون إلى الأمراء والسلاطين بعد الجهد والكد، وإنما اتصل بسهولة منذ البداية بأمير صغانيان، ثم بسلاطين الدولة الغزنوية يعاشرهم ويرافقهم، وكان السلاطين يحنون عليه، ويحرصون على عشرته ويبذلون في ذلك غير قليل من العطاء».

وبعد أن عقدت المؤلفة مقارنة طويلة بين الشاعر فرخي وبين أبي نواس ذهبت إلى القول:

وجملة القول في شخصية فرخي: أنه كان مثل أبي نواس ولكنه كان أتقى منه لفظا وأعف لسانا وأحرص منه على اختيار المتين من الألفاظ، ولم يكن يعدل أبا نواس في خفة الروح وشدة المجون، ولم يكن يبلغه في الاستهتار، وكان أنقى منه سريرة وأكثر سذاجة، ولكنه لم يكن أقل منه حرارة في العاطفة وصدقا في اللهجة وكلا الرجلين امتاز بشيء كثير من الرجولة والوفاء لصاحبه، هذا يفي للأمير محمد الذي ولاه السلطان محمود الحكم من بعده، وذلك يفي لمحمد الأمين خليفة هارون الرشيد والده.

وتنهي المؤلفة هذا الفصل الثالث بحديث عن وفاة الشاعر وعن قبره الذي مازال مجهولا حتى الآن.

(يتبع)

بين المجلة والقارئ

بقلم الأستاذ/ محمد السيد تقى الدين

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

إعداد القوة كيف يكون؟!

نخطئ كثيرا عندما نحصر معنى إعداد القوة فى مجرد حشد الجيوش وشراء السلاح وتخزين العتاد والمؤن اللازمة للحرب.

إعداد القوة يبدأ من إعداد العقول وتسليحها بالعلم، فالعلم، والعلم وحده هو الذى يضمن للأمة القوة، وكلما زاد مستوى العلم كلما زاد مستوى القوة.

اليابان على سبيل المثال دولة لا تمتلك قوة عسكرية ضاربة مثل التى تمتلكها الولايات المتحدة. واليابان كانت فى وقت من الأوقات تمتلك قوة عسكرية ضاربة زلزلت الولايات المتحدة فى «بيرل هاربر» وألحقت بها خسائر فادحة، جعلت الولايات المتحدة أمام خيار وحيد لا بديل له، وهو الخيار النووى فضربت هيروشيما وناجازاكى لتنهار اليابان وتستسلم ولكنه كان انهيارا عسكريا فقط.

اليابان كانت ولازالت تمتلك قوة معرفية وعلمية هائلة لم تنهزم قط، حيث غيرت من أسلوب المواجهة مع الولايات المتحدة.. اليابان وجهت ضربات قاتلة للولايات المتحدة. قدمت للعالم تكنولوجيا عالية الجودة رخيصة الثمن مقارنة بمثيلتها الأمريكية، وحذت حذوها النمور الآسيويات حذوها فى كوريا والصين وتايوان وسنغافورة وماليزيا فى إنتاج التكنولوجيا عالية الجودة رخيصة الثمن، لينتقل الثقل الاقتصادى والتكنولوجى من الغرب إلى الشرق.

هذه هى القوة الحقيقية.. فالأمم والشعوب تقاس قوتها بارتفاع المستوى العلمى والمعرفى وأسلوب التعليم.. فالعلم هو الذى يصنع القوة الحقيقية

العلم هو الذى يصنع الاقتصاد القوى..

العلم هو الذى يصنع الاعتماد على النفس وعدم الوقوع تحت سطوة الغير

العلم هو الذى يصنع السلاح ويطوره.

بدون العلم لن نكون أبدا أقوياء.. وسنظل دائما وأبدا نعتمد على غيرنا.. فى طعامنا وكسائنا وفى السلاح الذى ندافع به عن أنفسنا.

مشكلتنا الأساسية تكمن فى الجهل والتخلف الذى حولنا إلى عالة أو إلى كائنات طفيلية تعيش على فتات الآخرين. والغريب أننا ندفع عن طيب خاطر ثمن هذا الفتات ملايين ومليارات وبلايين من شتى العملات النقدية.

ولم نفكر ولو للحظة واحدة فى أن تكون لنا شخصية حضارية مؤثرة فى هذا الكون الذى نعيش فيه.

بنى أجدادنا حضارة هائلة صاروا بها أسياد الأرض.. أجدادنا لم يصنعوا قوتهم ولم يستمدوها أبدا من السيف، بل من العلم

أما نحن الأحفاد فإلى يومنا هذا لم ندرك أن القوة الحقيقية فى العلم فصرنا أذل أهل الأرض

اكتفينا بأن نردد بفخر واعتزاز بأننا أمة التوحيد.. أمة محمد ﷺ.. وتفاخرنا بماض لم نحافظ عليه، بل دمرناه بجهلنا وسوء فعلنا.

كل مسئول عما آل إليه حالنا!!

خاصة أولئك الذين يرددون قول المولى عز وجل:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(الأنفال ٦٠)

وحصروا القوة فى حشد الجيوش واقتناء السلاح.. وهم عين الجهل والجهالة

شعوبنا تروح فى ظلمات الجهل والتخلف وتعيش عالة على ما يقدمه لها الآخرون

الآخرون الذين يصفهم البعض - ومن أكثرهم - بالكافرين -

وأنا أصحاب الجنة وهم أهل النار"

ألن يعاقبنا الله - تعالى - على ما صرنا إليه من جهل وتخلف؟

ما نحن فيه الآن هو عقاب المولى - عز وجل لنا فى الدنيا.. ترى كيف سيكون عقاب المولى لنا فى الآخرة؟!

الآخرون الذين يصفهم البعض بالكفر أتقنوا فى الحياة وقدموا للبشرية حضارة حققت واحدا من أهداف خلق الإنسان وهو عمارة الأرض فى حين أننا نحن الذين نباهى الدنيا بإسلامنا ونطمع فى غفران الله وجنته لم نقدم شيئا لا لديننا، ولا لدنيانا.

ديننا ورثناه.. نعم ورثناه وكفى.

حفظه الكثيرون منا كتابا وسنة، ولكن هل يدعى الحفظة أنهم يعملون به؟

من منا يتطابق سلوكه مع ما جاء في الكتاب والسنة؟!

انطلق القوم يصفون الناس. فهذا كافر وهذا منافق، وهذا فاسق.

وانطلقوا يدللون على صحة ما ذهبوا إليه من سب وشتم بآيات من الكتاب ونصوص من السنة حفظوها وجهلوها، لأنهم لو فقهوها ما جعلوها مادة للسب والشتم، مخالفين قول المولى – عز وجل:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾

(النحل: ١٢٥)

هذا هو حالنا في ديننا لدى ورثته.

أما حالنا في العلم فلا يخفى على أحد. فنحن عالة على من يصنعه أو يصنع لنا البعض مما نلبس ونأكل... بدونهم لا نستطيع أن نصنع الإبرة «الخياطة» وهي تقريبا أرخص وأصغر منتج تكنولوجي في العالم لو منعها العالم عنا لن نستطيع أن نرقع ثوبا!!

وبعد أكثر من ألف وأربعمائة عام هي عمر الإسلام صرنا أمة ضحكت من جهلها الأمم وخسرنا ديننا ودنيانا.

في حين جاء اليهود الذين لاعهد لهم ولا أمان. فأقاموا حضارة. أجل أقاموا حضارة صنعت دولة عمرها لا يزيد على ستين عاما تضم معاهد ومؤسسات تعليمية رفيعة المستوى تعد لديهم حاضر ومستقبل علمي وتكنولوجي مزدهر، في حين أصبحت مؤسساتنا التعليمية من المحيط إلى الخليج تراثا من الماضي.

هم يصنعون الإبرة والسيارة والدبابة والطائرة والصاروخ والحواسب الآلية... ولم يمض على صنعهم وفعلوا ذلك في ستين عاما فقط، في حين نشتري نحن من أسواق أوروبا وأمريكا الإبرة والسيارة والدبابة والطائرة والصاروخ... ولاشك أن الأمريكيين والأوروبيين لن يسمحوا لنا بشراء أفضل ما لديهم وإنما ما هم في غنى عنه فقط فصرنا مستودعا لنفاياتهم.

فهل هذه هي القوة التي أمرنا الله بإعدادها لأعدائنا؟!

لاتحدثوني عن الرعيل الأول وكيف انتصروا وهم قلة مستضعفة لأن هؤلاء كان فيهم سيدنا محمد ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وبلال، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وغيرهم وغيرهم فليس فينا مثلهم فأولئك كان خلقهم القرآن.

لقد عنف رسول الله ﷺ أسامة بن زيد يوم قتل رجلا نطق بالشهادتين والسيف على رقبته فلما قال له أسامة مبررا فعله: «يارسول الله إنما قالها تقية» فقال له ﷺ: «هلا شققت عن صدره».

فماذا نقول اليوم عن مسلمين استحلوا لأنفسهم سب مسلمين آخرين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصفونهم بالكفر والفسق وكأن المولى قد كشف لهم عن مكنون القلوب.

إعداد القوة لن يكون إلا بالسعي في توحيد الصفوف لا شقها، وأن نكون كما كان الرعيل الأول.

إعداد القوة لن يكون إلا بالعلم ولا بمعاهد تخريج جيل من العلماء يكفل للأمة الاعتماد على نفسها في كل شئون دينها ودنياها فهل نحن فاعلون؟!!

والى بريد القراء

أحمد تقي الدين

رسالة إلى رئيس التحرير

ومن بريد هذا الشهر كانت رسالة الشيخ علي عبدالعظيم واعظ بمنطقة وعظ القاهرة قال فيها:

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

إني مهما كتبت لفضيلتكم عن مدى تقديري واستفادتي من كل ما يتركه قلمكم الكريم من أثر بالغ في نفسي، فلن أستطيع أن أصل إلى وصف حقيقة ذلك. ويكفيني أنني أنتظر صدور عدد المجلة بلهفة عارمة وشوق بالغ. وفور حصولي على العدد أينما كنت وفي أي ساعة من ليل أو نهار، فإنني أسارع إلى قراءة افتتاحيتكم المؤثرة الهادفة. هذه الافتتاحية التي تضع فيها يدك على كثير من جروحنا الدامية. وعلى عادتك الإصلاحية المعهودة لا تترك الجرح ينزف والمكلوم يتألم كعادة كثير ممن يحبون النقد للنقد بل يسارع قلمك بوصف الداء وطريقة العلاج بأفكار واقعية وحلول منطقية. ولما كان شغلكم الشاغل وهمكم الذي يصطبغ به قلمكم هو مشاكل التربية والتعليم في بلادنا. كيف كانت وإلى أي مستوى صارت. فما عليه حضرتكم الحريصون لمعرفة بعد ذلكم سأقترح إلى أن أنه من عملهم اختصاصكم ولكم كانت تتكلم في صميم هذا الموضوع. فالاقتراح هو تدريس مادة على طلاب الأزهر الشريف في أي مرحلة دون أنه مسمية عن الأزهر الشريف، قلعة العلم والعلماء. لقد درست في الأزهر ثلاثة عشر عاما بدءا بالإعدادية ومرورا بالثانوية والجامعة حتى انتهيت إلى الدراسات العليا في الدعوة والثقافة الإسلامية ولم أدرس بشكل رسمي أي شيء يتكلم عن الأزهر ورجاله الذين ملأوا الأرض علما ونورا، قديما وحديثا. فمن في أمس الحاجة إلى أن يتخرج طالب الأزهر وقد كان تخصصه وقد درس قدرا وافيا عن هذه المؤسسة العلمية العريقة. فقد وجدت أن الطلاب الذين يدرسون

المناهج الأجنبية في مصر، أمريكية كانت أو بريطانية... إلخ، يتناولون بالتفصيل تاريخ وجغرافية هذه البلاد لا لشيء إلا لأنهم يدرسون مناهجها، فنحن أولى بذلك، لاسيما ونحن نملك الآن من أمثال فضيلتكم من إذا كتبوا عن الأزهر لا تلجئهم الكتابة إلى مراجع كثيرة بل سيكتبون عن واقع عاشوه وعن رجال عاصروهم فتتلمذوا على أيديهم.

وإني في اقتراحي هذا لا أدعي أنني جئت بجديد على ما تكتبه سيادتك، ولا أحظى بفضيلة عندي لم تخط به بل هو نتاج طبيعي لقراءة مقالاتكم التي لا تتوانى عن الإصلاح خاصة ما يتصل بالتدريس والتعليم.

ولي الخيار أجد نفسي باقتراحي هذا أردد قول الشاعر:

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة
بليلى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا
بكاها فقلت: الفضل للمتقدم

السيرة النبوية والكمال البشري

وبمناسبة المولد النبوي الشريف كتب الأستاذ السنوسي محمد السنوسي (باحث إسلامي) هذه الكلمة قال:

نستطيع أن نقرر ابتداء أن «علم التاريخ» في عمومه، وامتداده زماناً ومكاناً - مهم وضروري لفهم سنن الله (الثابتة) في الأمم والحضارات، وللوقوف على عوامل النهوض والسقوط، والانتصار والانكسار.. ومن ثم فقد أمرنا الله سبحانه بالسير في الأرض، والاعتبار بأحوال الأمم السابقة، واستنباط السنن المبثوثة في الكون.. حتى يمكننا بالتالي الاستهداء بذلك في رحلة التمكين والاستخلاف، وإذا كان هذا ثابتاً ومؤكداً لمن كان له حظ من فهم.. فإن العلم بـ«السيرة النبوية» - وهي جزء من التاريخ، بل هي أفضل ما عُرف في التاريخ - واستيعاب ما فيها من دروس وعبر تتصل بحياة النبي ﷺ، وعبادته، وسلوكه مع أزواجه وأولاده، وأخلاقه في سلمه وحربه.. ضروري أيضاً للمسلم الذي يريد أن يفهم الإسلام ويحيا به، كما فهمه النبي ﷺ، وطبقه في حياته وحياة أصحابه.

إن الميزة الأساسية للسيرة النبوية، أنها لا تقف عند «القيم المطلقة»، و«المثل العالية»، و«النصوص الثابتة».. بل هي تقدم نموذجاً عملياً وتطبيقياً لهذه القيم والمثل والنصوص، كما تقدم لنا نموذجاً (بشرياً) بلغ أرقى درجات (الكمال البشري) بما حباه الله صاحبها عليه الصلاة والسلام من عصمة وتأييد. ولذلك استحقت السيرة النبوية أن تكون محل أسوة واقتداء، بل أن تكون النموذج الواجب الاتباع والاقتداء، وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(الأحزاب: ٢١)

لقد جاءت سيرة الرسول ﷺ لتمثل برقيها وسموها لتحقيق «البشرى» الكامل لتقيم «قيمه» السامية في مختلف جوانب الحياة: سواء في سلوك الإنسان مع ربه سبحانه، أو مع زوجه وأهل بيته، أو مع الناس جميعاً.

فهو ﷺ - قبل النبوة وبعدها - بشر ممن خلق الله، يجوز في حقه ما يجوز في حق البشر، ويصيبه ما يصيبهم، لكن في حدود دائرة (العصمة) التي يجب لها، وبذلك تحققت «المثالية» في سيرته العطرة، وتجسد «الكمال البشري» في أرقى صوره وحالاته.. حتى إن الكاتب الأمريكي (مايكل هارت) جعل النبي ﷺ: «أعظم عظماء التاريخ».. وقال عنه الأديب البريطاني (برنارد شو) في إعجاب بالغ: «إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائما موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيرا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة» (يعني أوروبا).

ولسنا بحاجة للاستشهاد بأقوال المفكرين الغربيين والاستدلال بها على مكانة النبي ﷺ؛ فمكانته السامية ثابتة - من قبل - عندنا نحن المسلمين، ولكنا أردنا أن نبين أن الحقيقة الناصعة تأسر العقول الراجحة المنزهة عن الهوى والأغراض الملتوية، وأن الإنسانية الكاملة تستهوي القلوب والأفئدة، وتستحق ممن يلمسها ويشاهدها آيات الإعجاب والتقدير.

إننا إذا أردنا أن نعرف - بإيجاز - كيف كانت سيرة النبي ﷺ مظهراً وتجلياً للكمال البشري؛ فلننظر - مثلاً - كيف كان يغضب النبي ﷺ ؟ ومتى كان يغضب؟ وهل كان يستبد به غضبه فيفعل ما لا يليق بمقام النبوة؟!

ولننظر - أيضاً - كيف كان مسلكه ﷺ بين الرعية؟ وكيف كان عدله فيهم؟ وهل كان عنده محاباة لقريب أو لصديق مثلما نفعل نحن البشر؟!

إن معرفتنا بسيرة النبي ﷺ في هاتين الحالتين - كنموذج - كفيلة لتظهر لنا بوضوح أن النبي ﷺ قد بلغ درجة من (الكمال البشري) لم يصل إليها نبي

مرسل، ولا حتى ملك مقرب.. وكفى بذلك شرفا ومنزلة.

أما كيف ومتى كان يغضب النبي ﷺ ؟.. فيكفى أن نعرف أنه ﷺ لم يكن ينتقم لنفسه قط، ولم يكن يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله، وكان إذا غضب لا يقول إلا صدقاً، ولا يفعل إلا عدلاً.. وحين وجه بعض الصحابة اللوم لعبدالله بن عمرو – لأنه كان يكتب كل ما يسمعه من النبي ﷺ وقالوا له: إن رسول الله ﷺ يتكلم فى الغضب فلا تكتب كل ما تسمع – فإن عبد الله بن عمرو سأل النبي ﷺ عن ذلك، فقال له النبي ﷺ : «اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج من بينهما إلا حق»، يعنى: من شفتيه الكريمتين (رواه أبو داود).

وأما عدله ﷺ ، ومساواته بين الناس، فحدث ولا حرج.. ويكفى أنه ﷺ عندما جاءه أسامة بن زيد – وهو الحب ابن الحب – ليشفع عنده فى المرأة المخزومية، التى كانت قد سرقت، نهره النبي ﷺ بشدة وقال له: «أتشفع فى حد من حدود الله»، ثم قام ﷺ فخطب الناس، وقال: «أيها الناس، إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (رواه البخارى).

فهذا هو النبي ﷺ ، خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم ولا فخر، فى بشريته الكاملة، وأخلاقه الرفيعة مع نفسه ومع الناس..

وهؤلاء هم أنبياء الله المعصومون، الذين جعلهم الله منارات هداية، وأسوة حسنة، وأعلاما للخير والرشاد..

وهذه هى الإنسانية فى أنقى صورها، وأطهر حالاتها

النصر للمؤمنين وصعود المسلمين

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذة هدى الكاشف – عضو المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة:

نصر الله – عز وجل – أهل غزة، صدقوا الله فصدقهم وعده بقوله تعالى:

﴿ ... ﴾

(محمد: ٧)

وهذا ما حدث مراراً فى تاريخنا المجيد، كما حدث حينما انتصر المسلمون على التتار فى بغداد وعلى الصليبيين فى بيت المقدس وهزيمة القرامطة فى مكة وغيرهم من المغتصبين المغرورين بإيمان المسلمين، وفى العصر الحديث فى حرب أكتوبر التى أدهشت العالم بمعجزاتها والتى قضت على أساطير اليهود، فدائماً تأتى فى ... النصر.

وقد كشفت الحرب على غزة من هم أعداء الإنسانية والإرهابيون بحق ومن هم منظمات حقوق الإنسان ولمن يعملون، وأزيح الستار عن تلك الهجمة الصهيونية الإعلامية على المسلمين، والعجيب أن جميعهم يعلمون أن الإسلام انتشر فى مناطق من العالم لم يدخلها جندى مسلم مثل جنوب شرق آسيا وماليزيا وإندونيسيا إعجاباً منهم بأخلاق وإخلاص وإيمان التجار المسلمين القادمين عليهم.

لهذا فلتحذر الأمة الإسلامية طوفان الفتن القادم عليها من أعدائها لأنه السلاح الباقى بعد استيعابهم الدرس جيداً وأنه ليس لقوة السلاح سلطان علينا إذا ملأ الإيمان قلوبنا، فشعارنا أن ذلك الفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، وهذا الذى قهر عتاة الظلم سابقاً وسيقهرهم لاحقاً وصدق عز من قال :

﴿ ... ﴾

(المائدة: ٣)

الحياء من أخلاق الأطفال فى المجتمع المسلم

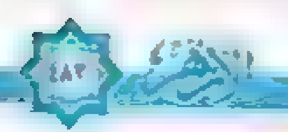
تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ إبراهيم مسلم إبراهيم النجار – مدير عام تنظيم وإدارة «سابقا» قال :

الحياء خلق جميل يجب أن يتحلى به المسلم، لأنه إحدى السمات البارزة لرسول البشرية ومعلمها الأول سيدنا محمد ﷺ والذى كان أشد الناس حياءً وإغضاء حيث يصفه القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ ... ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وفى آية أخرى يقول تعالى منظما طريقة تعامل المسلمين مع نبيه الكريم وأهل بيته:



﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧)

إن ما يحدث من خروج على الحياء في مجتمعات الآن هو من أسباب انتشار مبادئ وأخلاقيات العولمة والمستحدثات الحسية الحديثة مثل ما نراه من فضائح العري والانحلال في القنوات التليفزيونية ومعاكسات الشباب الفاسد في الشوارع والأمثلة كثيرة ومفزعة نتيجة التجرؤ على قيمنا ومبادئ ديننا والتي يعمل على تركيتها دعاة العولمة والانتهازيون معدومو الحياء

وقد تنبه لها الكثيرون.. فقد قرأنا أخيرا أن إندونيسيا وهي أكبر دولة إسلامية في عدد السكان.. أقرت قانونا لمحاربة الإباحية ويواجه من يخالف هذا القانون عقوبة السجن لمدة أقصاها اثنا عشر عاما أو دفع غرامات باهظة وياليت هذا يعمم في كل المجتمعات الإسلامية لأن بناء الإنسان وتوعيته وتهذيب سلوكه أفضل ما نهدف إليه من سمو وارتقاء في ظل فضيلة الحياء اقتداء برسولنا الكريم ﷺ.

والله الهادي إلى سواء السبيل

[illegible]

(الأحزاب: ٥٣)

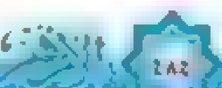
وعن قيمة فضيلة الحياء عند الله سبحانه وتعالى والتي يرتضيها من عباده. يقول رسول الله ﷺ:

«الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» (رواه البخاري ومسلم)

أما نقيض الحياء. البذاء. والبذاء هو فحش في القول وجفاء في الكلام وهو من صفات أهل النار.. والمسلم من أهل الجنة إن شاء الله وشاهد هذا قول الرسول ﷺ:

«الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار» (رواه مسلم والإمام أحمد)

هذا هو خلق محمد ﷺ وحياؤه وهو قدوتنا ومثلنا الأعلى ويجب علينا أن نتبعه ولا نحيد عن سنته امتثالا لقوله تعالى:



أنباء العالم الإسلامي

[illegible]

أسلحة محظورة دوليا ضد السكان في فلسطين

عدد كبير من المدنيين الفلسطينيين في غزة دفعوا حياتهم ثمن تجريب الأسلحة المحظورة دوليا فيهم. خلال فترة الحرب الإسرائيلية التي استمرت ٢٣ يوما راح منهم ١٣٠٠ شهيد. بينهم ٤٣٧ طفلا و٢٣٣ امرأة. بالإضافة إلى ٥٤٥٠ جريحا. بينما بقي ٩ آلاف يعانون بعاهات مزمنة، بعد انتهاء الحرب الإسرائيلية عليهم

ووفقا للإحصاءات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. فقد هدم الجيش الإسرائيلي ١٢٠٠ هدف في قطاع غزة. وقدرت الخسائر المادية الإجمالية بحوالي ١,٦ مليار دولار

وقدرت تقارير الجهاز عدد المنازل السكنية التي تم تدميرها في غزة بحوالي ٤١٠٠ منزل تم تدميرها بشكل كلي. في حين تم تدمير ١٧٠٠ منزل آخر بشكل جزئي. بالإضافة إلى تدمير ٢٠ مسجدا ومسجدا. و٢٥ مدرسة وجامعة ومستشفى. و٢١ مقرا. ومحطة للوقود و١٦ مبنى وزاريا وحكوميا. و٥ مقرات للمنظمات والجمعيات الخيرية. والملاعب

وقالت الصحف الغربية استخدام أسلحة محظورة دوليا في غزة. حيث نشرت صحيفة «لوموند» الفرنسية شهادة الطبيب النرويجي عن حالات إصابة للمدنيين باستخدام أسلحة محظورة دوليا. مثل قنابل الفسفور الأبيض والقنابل العنقودية، وحتى الأسلحة الخفيفة والتي استخدمها الجيش الأمريكي من قبل المعروفة باسم «DIME»، والمعدن الثقيل الخامل. وهو عبارة عن كرات صغيرة تحتوي على عدة معادن بينها التنجستين والنيكل والحديد والكوبالت. وهي تخترق الجسم وتنفجر داخله»

جدير بالذكر أن منظمة هيومان رايتس اتهمت إسرائيل هذه المرة باستخدام قنابل الفوسفور الأبيض في مناطق مأهولة بالسكان، لما لها من خطر على الجسم البشري

العدوان على غزة استهداف للقدس

أعلن الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية داخل

الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ تنظيم مؤتمر عنوانه «العدوان على غزة.. استهداف للقدس» كرد عملي على مؤتمر الكونجرس اليهودي العالمي الذي عقد بالقدس.

وأوضح صلاح أن حضور ٤٠٠ وفد يمثلون يهود العالم من أكثر من ٨٠ منظمة دولية تحت شعار «نحن نتضامن مع إسرائيل» يلقي المسئولية الكبرى على المسلمين والعرب في العالم وليس أبناء فلسطين فقط في ضرورة الدفاع عن المقدسات في ظل سياسة التهويد للقدس والدعم اليهودي الضخم لمشروعات إسرائيل التوسعية. وأشار الدكتور عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى إلى أن هذا التجمع اليهودي العالمي وتسخير النفوذ والمال الصهيوني لخدمة قضاياهم يؤكد أن مخططاتهم لن تقتصر على فلسطين فقط بل ستمتد لحلم إسرائيل الكبرى.

محاولات هندوسية لبناء معبد على أنقاض مسجد تاريخي

يعتزم حزب «بهاراتيا جاناتا» الهندوسي القومي المعارض بناء معبد هندوسي على أنقاض مسجد أيوديا الذي هدمه الحزب في أحداث متطرفة وقعت في تسعينيات القرن الماضي، في حال فوزه في الانتخابات المقبلة.

وقال زعيم الحزب راجنات سينج لجمع ضم ٨٠٠٠ من أعضائه خلال مؤتمر للحزب في مدينة ناجبور غربي الهند: «سنبني معبد رام في أيوديا، ونحن بانتظار الفرصة المواتية. ليس بإمكان أحد أن يضعف تصميمنا».

وقال سينج إن حزبه سيصدر قوانين جديدة تكفل الإسراع في تشييد المعبد في حال فوزه بالانتخابات المقبلة، وكان الحزب قد اضطر إلى التخلي عن خططه لتشييد المعبد تحت ضغط من حلفائه العلمانيين في الائتلاف الحاكم عندما فاز في الانتخابات التي جرت عام ١٩٩٩م.

يذكر أن المسلمين في الهند يعانون اضطهادا من جانب الهندوس، سواء على مستوى الأشخاص أو الحكومة كما تقوم جماعات هندوسية متطرفة بإحراق المساجد وتنفيذ مذابح بحق مسلمين.

أوغلى يأمل فى مقعد دائم للدول الإسلامية بمجلس الأمن

أعرب الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي عن أمله في أن يكون هناك مقعد دائم للعالم الإسلامي في مجلس الأمن الدولي. وقال أوغلي بمناسبة اجتماعات المجلس الوزاري لوزراء الإعلام في دول المنظمة في أول عملية إصلاح للأمم المتحدة لابد أن يكون هناك مقعد دائم لدول العالم الإسلامي.

وأضاف: إن علينا أن نكون جزءا من ميزان القوى الجديدة في عالم اليوم، فالمنظمة تضم ٥٧ دولة وهي ثاني أكبر منظمة دولية بعد الأمم المتحدة وتضم في عضويتها دولا ذات إمكانيات كبيرة ولديها ثقافات وبعد استراتيجي كبير.

٢٠٠٩ عام أخلاقيات الاقتصاد الإسلامى فى أوروبا

أكد عدد كبير من المحللين الاقتصاديين أن العام ٢٠٠٩ سيكون عام دراسة أخلاقيات الاقتصاد الإسلامي في أوروبا ولم تستبعد كريستين لاجارد وزيرة الاقتصاد الفرنسية فكرة دراسة هذا التوجه وذكرت أن لندن ليست المقر الأوروبي الوحيد للأموال الإسلامية. كما شددت على تصميمها على إيجاد إطار قانوني وضريبي مناسب حتى تجعل من باريس ساحة رئيسية للعمليات المصرفية الإسلامية، وأضافت أن هذه التعليمات سوف تنشر خلال أشهر قليلة وذلك على اعتبار أن الأراضي الفرنسية مستعدة لاستقبال البنوك الراغبة في القيام بعمليات مالية تتلاءم مع الشريعة الإسلامية.

ويرى الخبير الاقتصادي الفرنسي أوليفيه باستريه أن العمليات المصرفية الإسلامية سوف تلعب دورا تاريخيا مشيرا إلى أن فرنسا ليست هي البلد الأوروبي الوحيد الذي بدأ يهتم في الآونة الأخيرة بالاقتصاد الإسلامي [illegible] سباقة في هذا التوجه، ومن الجدير بالذكر هنا أنه خلال العام الماضي تم استحداث ثلاث شهادات في الجامعات الأوروبية متخصصة في الاقتصاد الإسلامي.

ندوة فى طوكيو عن الإسلام والتجديد

نظمت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في المعهد العربي الإسلامي في طوكيو ندوة بعنوان «الفكر الإسلامي والتجديد» بمشاركة مركز دراسة الأديان التوحيدية بجامعة دوشيشا باليابان ودارة الملك عبدالعزيز وذلك بمقر المعهد في مدينة كيوتو.

وأوضح معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الدكتور سليمان بن عبدالله أبا الخيل أن صدور الموافقة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود على تنظيم الجامعة لهذه الندوة في اليابان يأتي متوافقا مع دعوته لحوار إسلامي ودعوته للحوار بين أتباع الديانات والثقافات والحضارات.

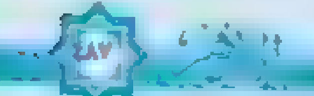
برنامج جديد للتعاون بين الأيسيسكو ومنظمة الدعوة الإسلامية

وقع الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – والمشير عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم، على برنامج التعاون خلال عامي ٢٠٠٩، ٢٠١٠م ويغطي البرنامج الجديد للتعاون بين الجانبين الأنشطة التربوية والعلمية والثقافية التي ستعقدها الإيسيسكو ومنظمة الدعوة الإسلامية خلال عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٠م في كل من كينيا وبنجوريا والسودان وجزر القمر وماليزيا والنيجر وموريتانيا والسنغال وغينيا كوناكري وسيراليون والصومال وجيبوتي وأوغندا واليمن ومالي ومصر وجامبيكا ومالاوي وتنزانيا.

الجزائر تستضيف ملتقى التقريب بين المذاهب

تستضيف في الشهر الحالي مدينة مستغانم الجزائرية على ساحل البحر المتوسط الملتقى الدولي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وسبل جمع شمل الأمة الإسلامية وذلك على مدى ٦ أيام بمشاركة حشد من العلماء والمفكرين من الجزائر ومختلف الدول العربية والإسلامية





وقال الشيخ عبد القادر بن طه البوزيدى شيخ الزاوية البوزيدية بمستغانم والتى تحتضن تنظيم الملتقى الذى يقام بمناسبة الذكرى المئوية لرحيل الفقيه والمصلح الجزائرى محمد بن الحبيب البوزيدى إن مناقشات الملتقى ستدور فى محورين:

- الأول يشمل كيفية جمع شمل الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها.
- أما المحور الثانى فتم تخصيصه لدراسة شخصية الفقيه والمصلح محمد بن الحبيب البوزيدى ويتناول نشأته ونسبه وخروجه فى طلب العلم وتأسيسه لزاويته المعروفة باسمه وتلاميذه ودراسته وما تركه من تراث صوفى وشعرى وفقهى مشيرا إلى أن الملتقى يسعى إلى ترسيخ أسس الحوار.

القضاء التركى يبحث تجريم الاحتلال الإسرائيلى

بدأ القضاء التركى تحقيقا فى ارتكاب إسرائيل جرائم إبادة وجرائم ضد الإنسانية فى هجومها على قطاع غزة بعد ما قدمت جماعة مظلوم در التركية لحقوق الإنسان شكوى ضد عدد من المسئولين الإسرائيليين ومن بينهم شيمون بيريز ورئيس الوزراء ايهود أولمرت ووزيرة الخارجية ليفنى ووزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان وبموجب القانون التركى يجب على المدعين النظر فى كافة الشكاوى للتحقق مما إذا كان هناك أى أساس لإطلاق تحقيق شامل يمكن أن يقود إلى توجيه اتهامات رسمية وفى حال قرار المدعى أن الشكوى لا تستحق رفع دعوى فإنه يرفضها، وفى شكواها اتهمت مظلوم در إسرائيل بشن هجمات مباشرة على المدنيين بهدف القضاء عليهم واستخدام أسلحة محرمة دوليا وجاء فى الشكوى إن المشتبه بهم الذين يريدون القضاء على الشعب الفلسطينى من خلال هجمات منهجية ارتكبوا جرائم إبادة وجرائم ضد الإنسانية مطالبة بسجن المشتبه بهم فى حال دخولهم تركيا، حيث يسمح القانون التركى بمحاكمة الأشخاص المتهمين بالإبادة أو ارتكاب جرائم ضد الإنسانية حتى لو ارتكبت فى الخارج.

واسبانيا تقبل الدعاوى ضد مجرمى الحرب الصهاينة

كما كانت محكمة تعمل فى إسبانيا قد بدأت تحقيقا فى جرائم حرب تتهم وزير دفاع صهيونى سابق وستة آخرين من كبار مسئولى الأمن عن دورهم فى هجوم فى عام ٢٠٠٢م أسفر عن قتل أحد قادة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» و١٤ مدنيا فى غزة. وأعلنت نائبة رئيس الوزراء الإسبانى أن الحكومة الإسبانية لن تتدخل فى القضاء الإسبانى الذى يعتبر قضاء مستقلا وحسب أقوالها: فلن يتم تغيير القوانين الإسبانية وهو ما يجعل الدعوى ضد مجرمى الحرب الصهاينة سارية المفعول.

وقالت: تم توضيح الأمر لإسرائيل وهم فى إسرائيل يفهمون ذلك جيدا.

ويذكر أن القانون الإسبانى يسمح بمحاكمة أجانب على جرائم مثل الإبادة الجماعية وجرائم ضد الإنسانية والتعذيب التى ارتكبت فى أى مكان فى العالم.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذين: عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

مقترحات مجلس مجمع البحوث الإسلامية على تعديل قانون الطلاق ورؤية الأبناء

ناقش مجلس المجمع فى جلسته الأخيرة موضوع توثيق الطلاق، حيث اقترح فى حالة عدم قيام الزوج بتوثيق الطلاق أن يكون للزوجة أن تتقدم بطلب توثيقه خلال أسبوعين من ادعائها لوقوعه. وأن يتم إعلان الزوج بما تدعيه الزوجة ويطلب حضوره أو من ينوب عنه بتوكيل رسمى لنفى أو إثبات هذا الادعاء، فإذا امتنع الزوج عن الحضور خلال خمسة عشر يوما من تسلمه الإعلان أمر القاضى بإحضاره لنفى الادعاء أو إثباته.

وإذا ادعت الزوجة أن الزوج أوقع عليها طلقة ثالثة، أمر القاضى بإحضار الزوج لنفى الادعاء أو إثباته.

رؤية الأبناء

كما ناقش مجلس المجمع فى نفس الجلسة مقترحات حول قانون رؤية الأبناء، حيث اقترح: تجب نفقة الأبناء على الأب وفى حال عجزه تنتقل إلى من يليه شرعا ولا تتوقف أو تتجزأ فى حال وجود نزاع بين الزوجين.

وتقدر نفقة الابن ونفقات دراسته بقدر يسار من تجب عليه أو عسره، ويقضى بها بصفة تقديرية وعاجلة فى مدة لا تجاوز شهرا، وذلك حتى صدور حكم نهائى بها.

وفى حالة الامتناع أو المماطلة عن أداء النفقة المقررة كلها أو بعضها يوقف الحق فى الرؤية لمن تقررت لمصلحته حتى زوال الأسباب.

- لكل من الأبوين والجدين والإخوة الحق فى رؤية المحضون الموجود لدى الآخر بصفة دورية فى مكان ملائم، والرؤية حق مشترك بينهم.

وفى حالة عدم الاتفاق على مواعيد الزيارة ومدتها، فللقاضى تحديدها مع وجوب مراعاة تدرج الزيارة حسب تقدم المحضون فى العمر وحاجته إلى كل منهما.

كما اقترح مجلس المجمع حذف المادة التى تنص على: حق الرؤية فى محل إقامة المحضون وجوبيا بالنسبة للصغير الذى لم يبلغ التاسعة من العمر، وفى حالة تعذر إتمام الزيارة فى منزل الحاضنة تتم فى أقرب منازل أهلها لمقر سكنها، فإذا تعذر ذلك تتم

الرؤية في أقرب مكان لإقامة الحاضنة بشرط عدم الإضرار بالحالة النفسية للصغير.

- ورأى المجلس أن لقاضي التنفيذ إنذار أي من الطرفين في حالة مخالفة مواعيد الزيارة أو أماكنها أو مدتها، وفي حالة تكرار المخالفة من غير الحاضن فللقاضي منعه من الزيارة لفترة موقتة، فإذا تكررت مخالفته فللقاضي منعه من الزيارة لفترة أطول، وفي حالة تكرار المخالفة من الحاضن فللقاضي إيقاع عقوبة يراها مناسبة.

- ويجوز لغير الحاضن عند بلوغ المحضون العاشرة من العمر أن يطلب اصطحابه داخل الوطن لفترة محددة بعد موافقة الحاضن وأخذ رأي المحضون.

ولا يكون حق الاصطحاب ساريا إلا بعد صدور حكم من المحكمة المختصة بمنع سفر المحضون خارج البلاد بدون موافقة الحاضن وبعد إعلان الجهات الرسمية بمضمون هذا الحكم وتنفيذه

وإذا استجدت ظروف أصبح معها اصطحاب غير الحاضن للطفل ضارا بالمحضون يجوز لقاضي التنفيذ إلغاء حق الاصطحاب إلى أن يزول سبب الضرر.

- ويجوز لمن تقرر له حق الحضانة السفر بالمحضون خارج البلاد بشرط ألا يكون في السفر إضرار به وبإذن غير الحاضن بعد موافقة صاحب الحق في الرؤية.

- يعاقب بغرامة مناسبة يقدرها القاضي أي من الوالدين أو الجدين إذا لم يعد المحضون إلى الحاضن أو قام بنفسه أو بواسطة غيره بخطفه ممن له حق الحضانة تقتضي هذا القانون

منح أزهرية لأبناء الشعوب الإسلامية

صرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام إدارة الطلاب الوافدين بأن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور. محمد سيد طنطاوي قد وافق بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٨ على توزيع منح الوفورات على الطلاب الوافدين الدارسين على نفقتهم الخاصة بالمراحل التعليمية المختلفة وتكون الأولوية لطلاب الدراسات العليا ثم مرحلة الجامعة ثم المرحلة الثانوية ثم المرحلة الإعدادية ثم الدراسات الخاصة.

وذلك للمساعدة في نشر الدين الإسلامي وتثقيف أبناء الشعوب الإسلامية.

٤٧٠٠ مبعوث أزهري للعام الدراسي ٢٠٠٩/ ٢٠١٠م

صرح الأمين العام المساعد للبعوث الإسلامية فضيلة الشيخ فوزي زيدان أن المتقدمين هذا العام للابتعاث للعام الدراسي ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م قد بلغ ٤٣٠٠ مدرس و٤٠٠ مدرسة.

وقد تم فحص طلباتهم وفقاً للشروط واللوائح المعمول بها في هذا الشأن وقد تحدد يوم الأحد الموافق ٢٠٠٩/٣/١ موعدا لبدء الاختبار في القرآن الكريم ومادة التخصص لمدرسي العلوم العربية والشرعية ومدرسي القراءات على أن يكون الحاصلون على أعلى الدرجات من مبعوثي الأزهر للعام القادم إن شاء الله تعالى.



صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب (الحقوق المعاصرة للمرأة في حق التشريع الإسلامي) للأستاذ الدكتور عبدالله مبروك النجار والكتاب يتحدث في القسم الأول عن الحقوق العامة المقررة في الإسلام، وعن حقوق المرأة الناشئة عن رابطة الزوجية، مبينا الحقوق العامة والمتمثلة في حق الحياة - المساواة - حرية العقيدة - التربية والتعليم - العمل - المشاركة في مجالات الحياة العامة في المجتمع - الرعاية الصحية مستدلا بآيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة وما قرره التشريع الإسلامي من اهتمام بصحة المرأة وبالإجراءات الوقائية للمحافظة على صحتها - والاحتراز من مسببات المرض وحمايتها من التوتر النفسي وتخفيف عبء العبادة في ظروفها الخاصة - وتحريم الزنى والشذوذ وكذلك حق العلاج

وفي القسم الثاني يتحدث عن حقوق المرأة الناشئة عن رابطة الزوجية، وفيه يبين أن الزواج أساس علاقة الرجل بالمرأة - وعقد الزواج وحق المرأة في اختيار الزوج - وآثار وخصائص عقد الزواج - وتعدد الزوجات وحق المرأة، مبرراته، ظروفه الخاصة والعامة وضوابط ذلك، وأما بالنسبة لحقوق المرأة المترتبة على عقد الزواج فتحدث عن حقوقها المالية وأنواعها وفي غير المالية: العشرة الحسنة، والأمومة والطفولة - وحقوق المرأة المطلقة - وضوابط وقوع الطلاق - وتوافر أسبابه - الإسلام ورسم أساليب حل الخلافات - حماية الإسلام لحقوق المرأة المطلقة.

ثم ختم المؤلف كتابه بباب منفصل تحت عنوان: وسائل حماية حقوق المرأة في الإسلام والإطار الأخلاقي في الالتزام بحقوق المرأة.

والمؤلف وهو من رجال القانون يدافع في كتابه عن الشبهات الواردة من أن الإسلام أساء للمرأة وهضم حقها!! وقد ما يثار حول الفهم السيئ لما بين الحقوق والواجبات، والقارئ يستجلي ذلك عند قراءته للكتاب ويعرف أن الحقوق التي أتيحها التشريع الإسلامي للمرأة متعددة واهتم بها الإسلام لأهمية دور المرأة في الحياة وتربية النشء الصالح والذرية الطيبة التي تشب على التقوى وحب الخير والفضيلة والعمل الصالح.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث والسلفة.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ / أحمد توفيق

مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمكتبه صباح الاثنين الموافق ٢٩/٢/٢٠٠٩م السيد جيرارد لارشيه رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي والوفد المرافق لسيادته يرافقه السيد السفير محمد بسيوني.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف موضحاً أن علاقة الأزهر بفرنسا تمتد منذ عشرات السنين وأن عدداً كبيراً من شيوخ الأزهر حصلوا على الدكتوراة من جامعة السوربون وغيرها من الجامعات الفرنسية. وأضاف أن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال. ومناهج الأزهر تقوم على التخصص الدقيق وأن الإسلام دين يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون في كل المجالات التي تعود على البشر بالخير وأن الذي يحاسب على العقائد هو الله. وأننا في الأزهر نؤمن بأن نعلم رجالنا بين أهله كما نؤمن بتعاون الحضارات ولا نؤمن بتصارع الحضارات وأن العقلاء في كل زمان ومكان يتعلم بعضهم من البعض وينبغي على الجميع العمل على نشر الأمان ونشر العدل ومساعدة المظلوم حتى يأخذ حقه، وتقديم المساعدة للمحتاجين من أجل نشر نعمة الأمان لأن نعمة الأمان إن وجدت في أمة وجد معها الخير كله. وأما إذا فقدت نعمة الأمان في أي دولة فإن هذه الدولة لا تتقدم وهذا ما تقوله الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء - كما أوضح سيادته بأنه جاء إلى الأزهر للاستفادة من منابع الحكمة التي تتمثل في شخص الإمام الأكبر شيخ الأزهر مشيراً إلى أن مجلس الشيوخ الفرنسي أيضاً عبارة عن مكان الحكمة والاعتدال السياسي والمسائل الاجتماعية

وقد استنكر فضيلة الإمام الأكبر والضيف العدوان الأمريكي على العراق وسقوط الآلاف الأبرياء من جراء هذا العدوان. وقد اتفقا على تأييد نشر السلام والعدل والعلاقات الطيبة بين الأمم وعلى الحوار البناء الموضوعي الذي يقرب بين الناس من أجل نشر الخير في المجتمع الإنساني.

وقد أشاد رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي بالدور المحوري الذي تقوم به مصر في الشرق الأوسط. وكذلك المبادرة المصرية الفرنسية لوقف الحرب الإسرائيلية على غزة ووقف إطلاق النار بين الجانبين.

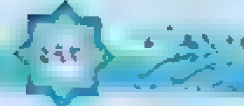
كما أشاد كلاهما بالدور الذي يقوم به السيد الرئيس محمد حسني مبارك والسيد الرئيس الفرنسي ساركوزي تجاه وقف القتال وتهيئة الأجواء في غزة وفتح المعابر لكي يكون إخواننا في فلسطين في أمن واطمئنان حتى يأخذوا حقوقهم

ويستقبل كبير مساعدي الرئيس السوداني

كما استقبل فضيلته بمكتبه يوم الأربعاء الموافق ١٨/٢/٢٠٠٩م السيد مني أركو مناوي - كبير مساعدي الرئيس السوداني يرافقه السيد عبدالمنعم مبروك سفير السودان بالقاهرة

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق في الأزهر الشريف مشيداً بالعلاقة الأخوية الطيبة بين الأزهر والسودان منذ أن وجد الأزهر وأننا في مصر والسودان نعيش على أرض واحدة ونشرب من ماء واحد وتظلنا سماء واحدة ونستنشق هواء واحداً. وقد أوضح فضيلته أن الدراسة في الأزهر الشريف تقوم على السماحة والاعتدال على اعتبار أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة. وهو مبدأ نعلمه لأبنائنا في الأزهر ونسير عليه في حياتنا. وأن العقائد لا إكراه عليها لأن الإكراه على العقائد لا يأتي بمؤمنين صادقين وإنما يأتي بمنافقين كذابين. وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون. والأزهر الشريف لديه طلاب لأكثر من ١٠٤ دول يتعلمون سماحة الدين لينشروه في بلادهم كما أن الأزهر الشريف يقيم دورات تدريبية للأئمة والوعاظ في العالم الإسلامي والعربي مدتها ثلاثة شهور ويقدم الأزهر للخريج الدورة مكتبة إسلامية قيمة تساعده في مجال الدعوة الإسلامية، وأن أئمة ووعاظ السودان يحضرون هذه الدورات. كما أن للسودان أبناء يدرسون بالأزهر وجامعته العريقة.

وقد طلب فضيلة الإمام الأكبر من الضيف أن يتعاونوا في السودان لكي تنتهي مشكلة دارفور بسلام وتكون السودان دولة واحدة كالبنيان المرصوص لأن كل خير يأتي للسودان يعود على مصر وكل خير يأتي لمصر يعود على السودان.



ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال باعتبار أن الأزهر الشريف مؤسسة عريقة وتاريخية كما أوضح سيادته بأن كثيراً من العلماء في السودان قد تخرجوا في الأزهر الشريف وقد طلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر تدريب أئمة السودان بالأزهر الشريف وإنشاء فرع للأزهر في دارفور.

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة طلبات الضيف.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس أساقفة كانتربرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم السبت الموافق ٣١/١/٢٠٠٩م السيد الدكتور داون ويليامز - رئيس أساقفة كانتربرى والدكتور منير حنا - رئيس الكنيسة الأسقفية بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر برئيس أساقفة كانتربرى والوفد المرافق لسيادته في الأزهر الشريف وقدم لهم شرحاً موجزاً عن مراحل التعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة التي تمتاز الدراسة فيه بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والعصرية البناءة. وتدعو أيضاً إلى تعاون الحضارات.

كما أوضح فضيلته للوفد بأننا في الأزهر نقول بتعاون الحضارات ولانقول بتصادم الحضارات. وأن لكل بلد حضارتها وتستفيد من بعضها البعض. وهذا هو الإخاء الإنساني. وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله. ونحن في مصر مسلمين ومسيحيين نتساوى في الحقوق والواجبات. كما أوضح فضيلته بأن الذين ينتسبون للأديان السماوية يجب أن يكونوا دائماً مثلاً للإخاء الإنساني والدعوة إلى مكارم الأخلاق والفضائل واجتناب الرذائل ونشر كلمة الحق والعدل. وبناء على هذا فإننا نتعاون جميعاً من أجل تحقيق ذلك. كما أكد فضيلته بأن هذه اللقاءات والمحاورات طالما تصدر عن قلب نقى لابد أن تكون عاقبتها الخير. وأن نتحدث بالحق والصراحة مع بعضنا البعض. وأن يساند بعضنا البعض وقت الأزمات المختلفة. موضحاً فضيلته بأن الأديان السماوية جميعها تحرم قتل الأبرياء والأطفال والنساء كما يحرمها أيضاً أصحاب العقول السليمة.

ومن جانبه شكر الدكتور رئيس أساقفة كانتربرى فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لسيادته لهذا اللقاء. وأنهم يعتزون بتواجدهم في الأزهر الشريف منارة العلم وبلقاء شيخ

الأزهر. متفقاً مع كل ما قاله فضيلة الإمام الأكبر. كما رحب أيضاً بالتبادل الثقافى والتعليمى بين الأزهر الشريف والكنيسة.

وأشاد الضيف بالدور الذى يلعبه الأزهر الشريف والحكومة المصرية لتلاقى الحضارات في هذه المنطقة مسترشداً بقول فضيلة الإمام الأكبر بأن على العالم الآن ترك العنف والإرهاب. وطالب الضيف بأن يعمل الجميع لدرء الأزمة الحالية التى تسود العالم كله. مشيداً بالدور الإيجابى الذى تقوم به مصر تجاه القضية الفلسطينية. كما يجب أن نتعاون جميعاً وأن نستمر في ممارسة الضغوط من أجل وصول المساعدات الإنسانية إلى مكانها للمحتاجين في غزة حتى يتحقق الاستقرار للشعب الفلسطينى وبذلك يتحقق الاستقرار للشرق الأوسط بأكمله.

وفى نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر على ما قاله الضيف تجاه القضية الفلسطينية. وأن ما نرجوه من بريطانيا نصرة الحق في فلسطين لتكون لهم دولتهم الحرة المستقلة.

ويستقبل رئيس المجلس الاستشارى لبناء السلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم الاثنين الموافق ٢/١٦/ ٢٠٠٩م وفداً تايلاندياً برئاسة السيد عزيز بنهاكان رئيس المجلس الاستشارى لبناء السلام في المقاطعات الجنوبية التايلاندية يرافقه السيد سفير تايلاند بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد في الأزهر الشريف. موضحاً لهم بأنه يوجد عدد كبير من طلبة تايلاند يدرسون بالأزهر، وهم يمتازون بالسلوك الحميد وبالاجتهاد في دروسهم، وأن الأزهر يقدم لهم كل التيسيرات في دراستهم. حيث إن الدراسة في الأزهر تمتاز بالاعتدال والوسطية والبعد عن التعصب الأعمى والعصرية البناءة. كما أن الدراسة بالأزهر تعتبر أن الناس جميعاً إخوة في الإنسانية. وكل إنسان له عقيدته. والذى يحاسب على العقائد هو الله. كما أوضح فضيلة الإمام الأكبر للوفد أن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على هذا الاستقبال الطيب. كما شكر فضيلته على الرعاية والتيسيرات التى يوليها الأزهر للطلاب والطالبات التايلانديين الذين يدرسون في الأزهر ويتمتعون برعاية الأزهر لهم.

دورة تأهيل معلمي المعاهد الأزهرية

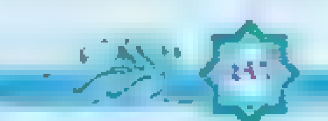
تنفيذاً لتوجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بضرورة تفعيل المشاركة المجتمعية بين المعاهد الأزهرية وعناصر المجتمع المحلي وفي إطار الاستعداد لتطبيق نظم جودة التعليم بالأزهر الشريف قام فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر الشريف يوم الثلاثاء ١٧ / ٢ / ٢٠٠٩م يرافقه الدكتور شريف حسن عمر رئيس مجلس إدارة مدينة برج العرب الجديدة وعضو مجلس إدارة الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد بافتتاح أول دورة لتأهيل معلمي المعاهد الأزهرية بمنطقة الإسكندرية لتطبيق أساليب التعلم النشط في التدريس وذلك بمعهد برج العرب النموذجي بمدينة برج العرب الجديدة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدورة التي يحضرها ٢٠ معلماً من المعاهد الأزهرية ببرج العرب تأتي ضمن مجموعة من الدورات لتأهيل المعاهد الأزهرية بمنطقة الإسكندرية للحصول على الاعتماد التربوي وصرح فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر أن الهيئة العليا لضمان جودة التعليم بالأزهر قد اعتمدت خطة لتأهيل ١١٧٠ معهداً أزهرياً للحصول على الاعتماد. وأن الأزهر يرحب بالدور الفعال لرجال الأعمال والشخصيات العامة للمساهمة في تأهيل معاهده لتطبيق نظم جودة التعليم والاعتماد تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

الإمام الأكبر يجتمع برؤساء المناطق الأزهرية

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر عقد يوم الثلاثاء ٣ / ٢ / ٢٠٠٩م الاجتماع الموسع لرؤساء المناطق الأزهرية والمسئولين بالأكاديمية المهنية للمعلمين والمركز القومي للامتحانات والتقويم التربوي.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور من الأكاديمية مشيراً إلى أنه قد تم التنبيه على رؤساء المناطق بأهمية عقد اجتماعات لتدريب الملاحظين والمراقبين ورؤساء اللجان على ملء الاستمارات المعدة لاختبار الكادر حتى يكونوا على مستوى عال لتدريب المدرسين للتعامل مع ورقة الإجابة وذلك من خلال النموذج المطبوع الذي يوضح الخطوات التي من خلالها يتم تجنب الأخطاء. وأنه قد تم تسجيل ١١٧.٥ ألف من معلمي الأزهر بنسبة ٩٢٪ مما يدل على وعي الأزهر وحرصه على الانضمام للأكاديمية. كما أنه سيتم استبعاد كل من أخطأ في تدوين مادة التخصص الخاص به أو الحاصلين على إجازات سواء من داخل أو خارج مصر من التسجيل بالكادر. وأوضح فضيلته بأنه قد تقرر منع عقد لجان طوارئ بالأزهر تجنباً للأخطاء التي حدثت خلال امتحانات الكادر العام



ومن جانبه أشار الدكتور محمود عابدين مدير الأكاديمية المهنية للمعلمين بأن الأزهر الشريف ساهم في إثراء بنك الأسئلة الخاص بالاختبارات في اللغة العربية والعلوم الشرعية والكفاءة التربوية للأخصائي الاجتماعي وكذلك الوعي التام لمدرسي الأزهر بأهمية الامتحان. كما أن الأزهر يمتاز بمعاهده ذات الإمكانات المتطورة التي ساعدت على إجراء الامتحان داخل تلك المعاهد.

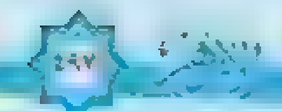
وأن عقد امتحانات القرآن للمحفظين شفوياً هي مهمة موكلة للأزهر وأن الأكاديمية تقوم بالمساهمة الفنية فقط وفيما يخص الحديد بعد التجربة الأولى. فإنه تم تشكيل لجنة جامعة لمجودة لأعمال الطباعة والكترونياً والمتابعة لأعمال القارئ الضوئي وذلك من خلال نموذج لورق الإجابة تم تطبيقه داخل اللجان ويقوم بشرحه الملاحظون فترة تقدر بعشرين دقيقة قبل الامتحان للاسترشاد وتجنب الأخطاء. كما أوضح الدكتور أسامة مطر المستشار الفني للاختبارات بالمركز بأنه يبث عبر القنوات التعليمية يومياً فيلم تعليمي يشرح كيفية التعامل مع ورقة الإجابة.

الملتقى الثقافي لمدينة البعوث

مع بدء أعمال الملتقى الثقافي السنوي السادس عشر المدرج بخطة رعاية الشباب بمدينة البعوث الإسلامية للطالبات - ألقى فضيلة الإمام الأكبر يوم الاثنين الموافق ٢ / ٢ / ٢٠٠٩م كلمة أوضح فيها أن هذا الملتقى الثقافي ذو فائدة عظيمة يجمعنا على طاعة الله. نتدارس فيه العلم النافع ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض. نتناقش في أمور الدين والدنيا. ونتحاور في العقائد والمعاملات. فرسالتنا كدارسين في الأزهر الشريف لأمور الدين بوسطيته واعتداله هي الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة. نبين للناس وجه الإسلام السمح الذي يأمر أتباعه بأن يبنوا ولا يهدموا. يعمروا ولا يخربوا. يصلحوا ولا يفسدوا. يعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم وينشروا مبادئ الإسلام السمحة على الناس. يدافعوا عن الحق ويقفوا في وجه الباطل. وأن نبين ما هو حق وندعو إليه ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه. موضحاً بأن الإسلام دين سلام يقف قاطعاً عن الإرهاب الذي هو عدوان على الأنفس والأموال وتعاون الجمعة دينا وأمتنا بأن نكون قدوة في مكارم الأخلاق وعلينا أن نبين للناس جمال الإسلام الذي يعطي كل إنسان حقه ونبين لهم ما هو حق وما هو باطل بأسلوب حكيم وطريقة مقنعة ونكون قدوة طيبة لغيرنا ولا نخشى إلا الله.

وأن الفتيات المستقبل اللاتي يتعلمن في الأزهر الشريف من شتى بقاع الأرض ورسل الأزهر في نشر ما تعلمته.

وفي نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر لجموع الفتيات بدوام السداد والتوفيق في عملهن



are heralds, we should begin from the following fixed facts:

1- Islam in the religion of instinct and everybody is born with this instinct, but the social environment, being represented in the parents, family, school, prevailing culture hides this instinct. Thus, it needs to be removed in a smooth and delicate way to follow the religion of instinct.

Thus, the mission of the master of heralds is to remove this blur. As it is so thick, being derived from the customs and traditions, this work needs great effort and patience and non-surrendering spiritual energy. Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was prepared for this mission, as he liked to devote himself to Allah in Herra cave till Allah willed that the whole humanity to be enlightened by this eternal inspiration. He was supplied by this spiritual energy by worshipping at night

{O you enwrapped (in your raiment, Rise up (to pray during) the night, except a little, A half of it or diminish it little thereof, Or increase thereto; and recite the Qur'an (in a distinct) recitation. Surely We will soon cast upon you a weighty Saying.}

[Al-Muzzamil (Enwrapped): 1-5]

2 - The method of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to reveal this instinct and to fix the elements of belief, which is the way of real change is clarification, being supported by eloquence, courage and fear of Allah. Thus, he was called the supreme evidence in the Noble Qur'an.

{(The ones) who have disbelieved among the population of the Bookand the associators could not have left off (erring) until the Supreme Evidence came up to them- A Messenger from Allah, reciting Scrolls purified. Therein are ever-upright Books. And in no way did the ones to whom the Book was brought (become) disunited, except ever after the Supreme Evidence came up to them.}

[Al-Bayyinah (The Supreme Evidence): 1-4]

Also, Allah called him Remembrance in His saying:

Allah has prepared for them a distinct torment. So be pious to Allah, O (you) endowed with intellects, (you) who have believed. Allah has already sent down to you a Remembrance. A Messenger reciting to you the demonstrably evident ayat of Allah, that He may bring the ones who have believed and done deeds of righteousness out of the darknesses (into the Light.}

[At-Talaq (Divorce): 10-11]

Allah told him:

{So remind them! Surely you are only a constant Reminder.}

[Al-Ghashiyah (The Enveloper): 21]

Also, He said:

{And remind; then surely reminding profits the believers.]

[Ath-Thariyat (The Winnowers): 55]

Thus, his mission is to reveal the instructions of Allah to His worshippers, as Allah says:

{And We have sent down to you the Remembrance that you may make evident to mankind what has been sent down (ever since) and that possibly they would meditate.}

[An-Nahl (The Bees): 44]

Also, his mission is to reveal the matter about which the population of the Book differed, as Allah says:

{And in no way have We sent down upon you the Book except that you may make evident to them that wherein they have differed, and as a guidance and a mercy to a people who believe.}

[An-Nahl (The Bees): 64]

The Noble Qur'an revealed in its assignment to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) that informing should be clarified by all means. It says:

{And obey Allah and obey the Messenger and beware; so, in case you turn away, then know that surely it is only for our Messenger (to go on) with the evident proclamation.}

[Al-Ma'idah (The Table): 92]

Allah described the people that opposed the Messenger- and deserved extreme torment- that they did so after guidance has become evident to them. Allah said:

{Surely the ones who have disbelieved and barred from the way of Allah and opposed the Messenger even after the guidance has become evident to them, they will never harm Allah anything, and He will soon frustrate their deeds.}

[Muhammad (Muhammad): 32]

people of Kenanah out of Ismael's sons. Quraish out of the people of Kenanh, the people of Hashim out of the people of Quraish and me out of the people of Hashim."The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "I am still the one who is chosen by Allah and became as Allah wanted him to be."

Allah's Messenger was brought up in an honorable house and was the son of honorable parents: Abdullah Ibn Abdl Al-Muttaleb and his mother Amenah Bent Wahb Ibn Abd Manaf Ibn Zahrah. He was born on Monday 12th of Rabi' Al-Awal in Al-Fil year. It was said that he was born on 2nd or 3rd of Rabi' Al-Awal, but most probably, he was born on 12th of Rabi' Al-Awal, as the majority of the scientist said. Abdullah was the master of the youth of Quraish with respect to lineage, honor and esteem. His mother Amenah bent Wahb was the best girl in Quraish with respect to honor and chastity.

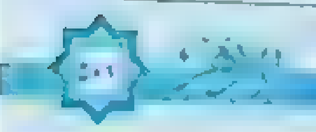
Muhammad came out of light. Ameha saw at the night of his birth light that spreads in the palaces of Basrah in the Levant. His father died when he was still an embryo; his grandfather took care of him and carried him to visit Kaaba, invoking and thanking Allah for granting him Muhammad.

Prophecies, which the previous prophets predicted, followed each other after the birth of Muhammad and the light of Muhammad appeared, as the books mentioned. Muslims celebrate the birth of Muhammad as one of the best feasts. When Rabi' Al-Awal comes, the people remember the best grace and source of pride that Allah granted them. It is the month in which Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was born spreading light in the whole world. He inspires the most sublime significances and attributes. In this month, the Muslims celebrate his birth with joy and happiness filling their hearts.

In this way, the people welcome their feasts: they forget about their worries and troubles, as they think about more important event. They derive lessons from the Divine Grace that descended on an illiterate poor orphan, but Allah granted him with prophecy and wisdom giving him preference over anything else. There were many men in Quraish who were very rich and honorable, but Allah chose Muhammad Ibn Abdullah. His father died before his birth and his mother died when he was a child leaving him in a state that Allah described in His Book:

{Did He not find you an orphan, so He gave (you) an abode. And He found you erring, so He guided (you). And He found you in want, so He enriched (you)?}

[Ad-Duha (The Forenoon): 6-8]



The Prophetic Method in Da`wah
Sheikh Aly Ahmad Aly

The nation now is in dire need for following the method of its honorable leader to overcome the grief that spreads over it and to strengthen its will for promoting it to the rank to which Allah raised in His saying:

{You have been the most charitable nation brought out to mankind}

[Al-Imran (The Household of Imran): 110]

Nowadays, the East and the West speak much about the issue of interaction among the civilizations, opposite to the malicious call of some of the western devils to get rid of Islam. After the repeated offense to the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), the declaration of their master that, "Christianizing the world is a matter of life and death", the declaration of a new crusade war and the release of film "sedition" about the fascist Qur'an, the heralds become perplexed asking themselves, "Will dialogue be useful with those strong people, while we are weak? Will we treat the majority of them as leaders, while the hide much malice in their souls? Has Islam now become crystal clear to the people that Qur'an described as illiterate? Has the Muslims performed their role in clarifying Islam as part of Da'wah for universal Message of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him)?

The Noble Qur'an prevents any weak nation from calling their enemies for peace not to force them to surrender. Allah says:

{So do not feel feeble and call for (your) submission while you are the most exalted ones; and Allah is with you, and He will never divest you of your needs.}

[Muhammad (Muhammad): 35]

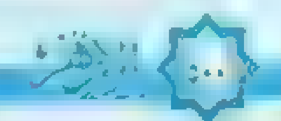
If the nation is strong and could beat its enemy, it should respond to their enemy in his call of peace. Allah says:

{And in case they are bent on submission, then be bent on it and put your trust in Allah; surely He, Ever He, is the Ever-Hearing, the Ever-Knowing.}

[Al-Anfal (The Spoils): 61]

Will our call of dialogue is a kind of surrender or the clarification that our Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) ordered us to do?

I mentioned in an Islamic meeting in Algeria -and I mention here too- that if we



were worshipped. Darkness spread; till it was predicted by the Prophets the Muhammad will be born.

It came in the Tawrah, "O Prophet, We sent you as a witness, preacher and protecter for the people. You are My bondman and Messenger. You are not rude or tough. I grant him with the best morals, calmness, charity and piety. He is attributed with truthfulness, faithfulness, forgiveness and courtesy. He directs the people to guidance and his religion is Islam, his name is Ahmad. I send him to guide the people after a state of misguidance and ignorance, and to gather them after dispersion. His nation will be the most charitable one. The Noble Quran mentions that Isa said:

{And a constant bearer of good tidings of a Messenger who will come up even after me, whose name is Ahmad}

[As-Saf (The Ranks): 6]

The name Ahmad is mentioned only once in the Noble Qur'an, while the name Muhammad is mentioned four times:

The first one: in surat Al-Imran in the saying of Allah, Glory be to Him:

{And in no way is Muhammad (anything) except a Messenger; the Messengers have already passed away before him. Then, will it be that, in case he dies or is killed, will you turn on your heels? And whoever turns on his heels, then he will never harm Allah in anything; and Allah will recompense the thankful}

[Al-Imran (The Household of Imran): 144]

The second time: in surat Al-Ahzab in the saying of Allah, Glory be to Him:

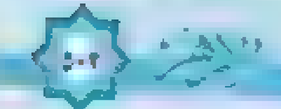
{In no way is Muhammad the father of any of your men, but (he is) the Messenger of Allah, and the Seal of the Prophets; and Allah has been Ever-Knowing of every thing.}

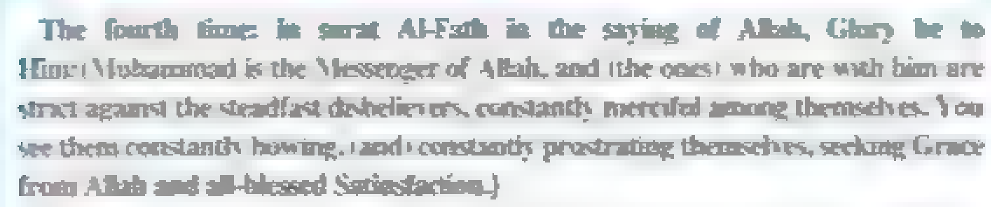
[Al-Ahzab (The Allied Parties): 40]

The third time: in surat Muhammad in the saying of Allah, Glory be to Him:

{And the ones who have believed and done deeds of righteousness and have believed in what has been successively sent down upon Muhammad-and it is the Truth from their Lord- He will expiate for them their odious deeds and will make righteous their state.}

[Muhammad (Muhammad): 2]





The fourth time: in surat Al-Fath in the saying of Allah, Glory be to Him: {Muhammad is the Messenger of Allah, and (the ones) who are with him are strict against the steadfast disbelievers, constantly merciful among themselves. You see them constantly bowing, (and) constantly prostrating themselves, seeking Grace from Allah and all-blessed Satisfaction.}

[Al-Fath (Conquest): 29]Muhammad is the proper name that signifies the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), but he has many names that signify praising and thanking, as he has the best and perfect attributes. Isa (may the peace of Allah be upon him) said:

{And a constant bearer of good tidings of a Messenger who will come up even after me, whose name is Ahmad}

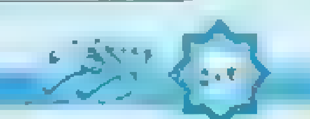
If he said Muhammad, it would be a linguistic mistake because the name Muhammad is a passive participle and is not called except at the present.

When Prophet Isa knew that Prophet Muhammad has not come yet, Allah inspired him to give him a suitable attribute related to grace. This means that he praises Allah more than Isa. When our Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was born, he was called Muhammad. Isa can not call him Muhammad because it would be a mistake in Quran, the matter that will never happen.

Thus, when Prophet Muhammad came, he said that he is Ahmad, Muhammad, Al-Hasher and Al-Aqeb. Names in language follow both nouns and adjectives. Prophet Muhammad is the only one that Allah gave three of His names such as An-Nur, Ar-Ra'uf ans Ar-Rahim. He gave him one of his names that is derived from praising.

Abd Al-Muttaleb, the Prophet's grandfather, gave the Prophet name Muhammad according to a dream seen by his mother. It was narrated that Amenha, the Prophet's mother, saw in her dream someone telling her to name her child Muhammad, if he was male. Then, she told his grandfather about his name. When he asked about the reason for choosing this name, she told him that she want him to be praised on earth and heaven. Allah entitled him with the best attributes, as He brought him up in the best way, and taught him what he did not know.

Also, Allah kept his lineage from getting mixed. Moreover, he kept him away from worshipping the idols. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) belonged to the best lineage and the most honorable parents. Waelah Ibn Al-Asqa' mentioned that the Prophet said, "Allah chose Ismail as Ibrahim's son, the



Rabi' comes along with the birth of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

The honorable Sheikh Ahmad Abd Al-Latif

{He is The One Who has sent His Messenger with the guidance and the religion of the Truth, that He would make it topmost above all religion; and Allah suffices as an Ever-Present Witness. Muhammad is the Messenger of Allah, and the ones who are with him are strict against the steadfast disbelievers, constantly merciful among themselves. You see them constantly bowing themselves, (and) constantly prostrating themselves, seeking Grace from Allah and all-blessed Satisfaction. Their mark is on their faces, being the trace of prostration; that is their likeness in the Tawrah; and their likeness in the Injil is as a plantation that brings out its shoot; then it upholds it; then it grows stout; then it matures level upon its stalks, wonderful to the diligent planters, that through them He may enrage the steadfast disbelievers. Allah has promised the ones of them who have believed and done deeds of righteousness forgiveness and a magnificent reward.}

[Al-Fath (Conquest): 28-29]

Time turns and brings the most beloved memories in Rabi', which reminds us of the birth of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) every time it come. Allah gave Muhammad the highest and best ranks, as he is the master of the Messengers and mercy for the worlds, and He described him as merciful and kind with the believers.

At the time your birthday, Allah's Messenger, I see the world wearing the best clothes, the smell of the flowers spreads, breeze blows, birds sing, and nature sings the most beautiful melodies, not because spring has come, but because of the birth of Muhammad. This memory eases and comforts the souls. When I think of words to talk to you, I become perplexed, attractive and bold, and I retract from what I intended to do.

However, I hear a voice calling me to speak about Allah' Messenger. When I become courageous enough to write about him, I tell myself who I am to write about him, as I am delinquent and weak in front of this utmost generosity.

Allah knows that my love to you has no limit; and I swear that I hope to see you. This wish, which I and others seek, can not be done except throughout hajj. I hope that you accept me, Allah's Messenger, as I love you very much; and I know that even if I speak to the rest of my life, I will be madly in love with you and I will never be bored.

Thereupon, I feel incapable of praising you, like a baby crawling to a high mountain and can not reach it. My longing increases when I approach, and the mountain stands still, while the baby is still young even if he grows up.

Your Highness, your birthday comes this year and the nation is full of pain and illness, which Allah knows quite well. In spite of the calamities that befall the nation, life smiles at the memory of your birth, making life at ease, as Allah says:

{So surely with difficulty comes ease. Surely with difficulty comes ease.}

[Ash-Sharh (Expanding): 5-6]

Alksandar Watmerios Jostaf, the French man, says, "I stood submissive in front of the biography of a human being that Allah brought up in the best way. He was protected by Allah since he was a child, as He guided him to good and truth and directed the persons responsible for caring about him to increase their care. Halimah As-Sa'diya, his wet nurse and governess, were fled with him, when she knew that one of the Jews said that an Arab Prophet was born. When she knew his attributes, she feared for him and fled with him."

He said that he read about the life of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) in many books and that he was and is still admiring him till the end of my life. The birth of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) happened at a time, when the whole world was is dire need for his light, as darkness spread in the whole world. If we look at the Persian Empire, we will find that it was not luckier than the neighboring Roman one at the time of the birth of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Wars continued between them, and the British historian, Wils, said that the Roman Empire was destroyed and its political, economical and social conditions worsened, because it was based on the poor. The historian Serbenk said that the history of this country was full of negligence, corruption, confusion and disorder. The religious sins were committed in the name of religion; idols were worshipped in Persia, stars and idols were worshipped in the Arab Peninsula and even the animals

Community in order to face the recent challenges. Muslim need to drill their souls and minds for getting rid of evil desires, and refurbish their moral behaviors avoiding what is strictly prohibited in Islam with sincere intentions to lead a glorious life with dignity and honor. They are required to abide by the noble examples set by the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) for equipping themselves with qualities and characteristics of a true believer.

Prophet's whole life with these ideal and noble qualities is an extraordinary example and role model to be followed whom the Creator of the universe, Allah has, in various places in the Holy Quran, described as the best among all creations seeking right path, moreover, Allah Himself has educated him with the best of knowledge. Thus, Almighty Allah has chosen him to shoulder the responsibilities for conveying the Divine Message to whole universe showing the mankind the right path and making great effort to eradicate the evil desires and whims, to sweep away all kind of injustice and wrong things from the society so that, even though these haughty and cruel infidels strongly opposed the rapid penetration of Islam into Arabian Peninsula, the light of guidance may reach all.

Prophet Mohammad's birth, his upbringing, and his entire life like the divine and universal message he brought have been taken, in every aspects of life, as a great lesion for the humanity falling into pitfall of ignorance and superstitions. His personality, Divine Message, all his deeds and actions done in a human form are perfect role models and the most-sought after one in whole world. And every one who desire o know the importance of greatness of the soul combined with human bodies aspires to the qualities Allah has bestowed upon his beloved Prophet.

As the people of Mecca closely observed that this innocent young, who orphaned as a baby, was generous, pious and did not amuse himself ever as other children of his age used to do, no any sign of evil has been ever seen by any one, nor did he ever breach the trust, unlike other children hankering after trivialities, trifles and evil deeds, when got mature, began to teach human beings steeped in ignorance the lesions of dignity, prestige, honour, progress, and development in all walks of their life, taught them how to recognize the right path shown by Allah and evil deeds strictly prohibited in sight of Allah.

In fact, this noble personality deserve a deep study to be carried out by the educated elites of all societies, and that effort will provide with all human beings the most precious and imperishable treasure of knowledge about the principles of life. The scholars of Islam have undoubtedly felt the importance of this study that is why they never seem to be bored of it concerning the life of the Prophet, besides, they firmly believe that abiding by these lesions Extracted from his life were the sole responsible for our past glory and honor.

Thus, sad bin Abi Waqqas said, " my father used to tell me of the battles fought against infidels by prophet and his brigades, the companions, and said, " oh my child !" this reminds you of glories of your ancestors, do not forget it ". The nobility of character, high moral standard clearly manifest in his personality, and a perfect role model for ever one regardless of one's religion, casts or creeds. Allah sys in holy Quraan, " indeed in the messenger of Allah (Muhammad (peace be upon him) you have a good example to follow for him who hopes for (the meeting with) allah and the last day, and remembers Allah much." "(Al-ahzab (the allied parties :4) the situation dose not allow me to give a detail account of the evidences and observations to show the greatness of the prophet who installed the sense of love, affection and mutual cooperation in every hearts, and spread the light of guidance to all over the world .. Those, who in search of these examples can consult the books of the biography of the prophet and history written by authentic and impartial writers.

Muslim community had been at the zenith of the glory by strict adherence to the principle of our faith, but ignoring the importance of these morals and principles in their life has caused them the recent degrading situation.

His birth, life and divine message brought by him was a great phenomenon where the ties of kinship have been completely ignored, injustice, aggression and bestiality were more prevalent among the societies. Allah enabled Mohammad (May blessings and peace of Allah be upon him) to shoulder to spread the divine religion, guide the disbelievers to the right path, prevent injustice an aggression, illuminate the whole world with light of justice, knowledge and peace and bring about the principles of morality and behavior to be followed by all human being and pioneers of reformation as well. This great phenomenon, however, deserve and impartial and successful study to be carried out by highly educated personalities with sincerity and good intentions because we believe that any impartial and sincere study of it will surely lead to receiving guidance and pleasure of Allah with illuminated and pure heart. The auspicious occasion of celebrating Prophet's Birthday not only brings happiness and joy for millions of people around the world, but you can feel it echoing round very soul seeking this perfection and truth, we can undoubtedly find these perfect qualities in Prophet's personality and the principles and rules he brought to this earth. No one will dare to refuse these perfect characteristic except one who the prejudices have blinded which manifest the signs of their mental abnormality or incapability. To deny them is tantamount to refusing the light of the sun .These prejudiced people only ignore these facts to quench the thrust of their evil desire and whims overcome them owing to their ignorance.

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabiul - Awwal 1430



ENGLISH SECTION

March , 2009

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."

(Al- A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Birth Of Muhammad, the Most Honorable Messenger.!!!

(May the blessing and peace of Allah be upon Him)

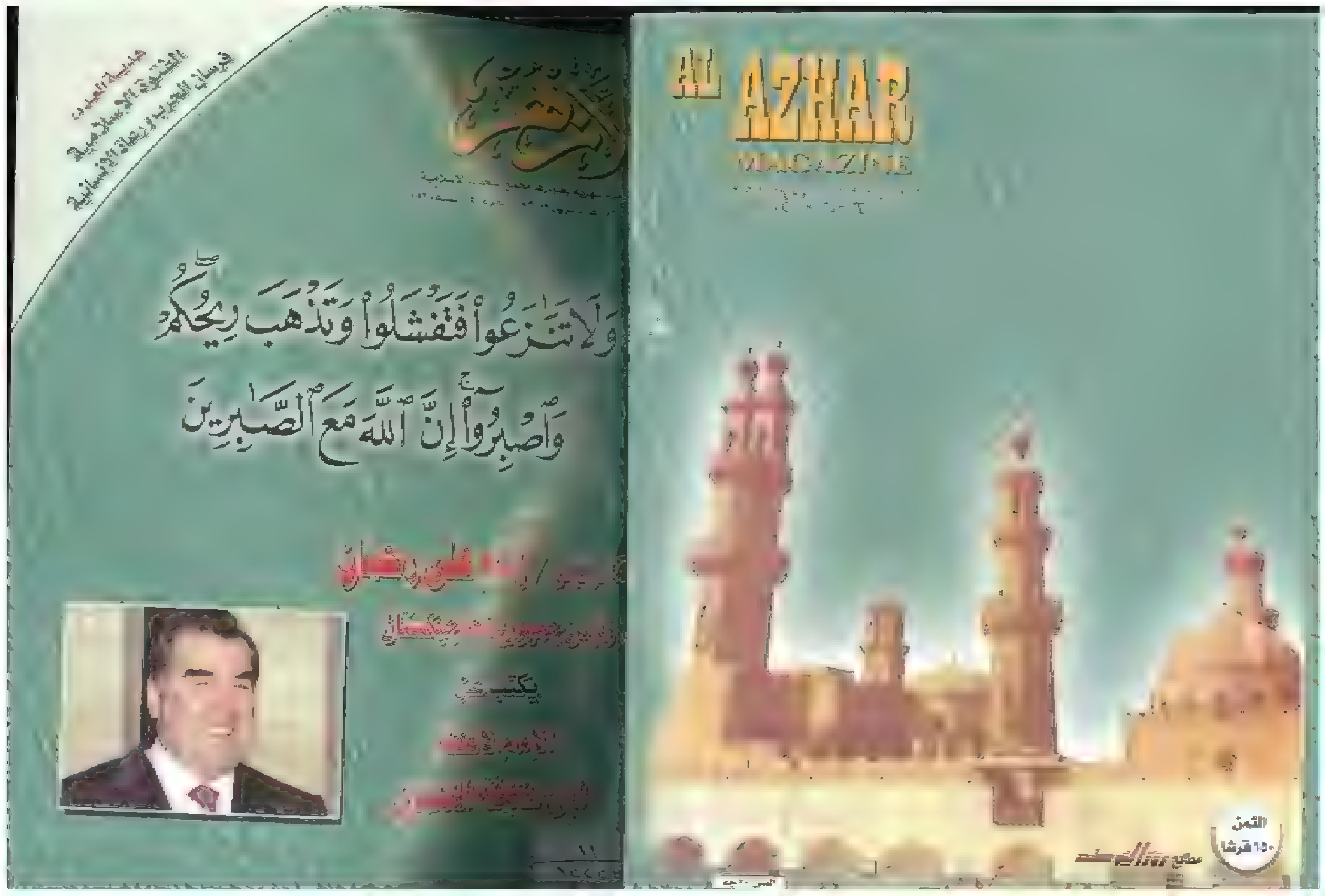
By : Dr . Ibrahim Al-Assil

In a vigorous attempt to trace back the series of the great events that played important roles in human life, and changed the face of history making a deep impact on it, we find the birth of the prophet Muhammad (Peace Be upon Him) the redeemer and benefactor of humanity one of those most important events, which paved the way for easily restoring the long lost dignity, integrity, social equality and freedom of humanity it had been deprived of from time immemorial, and eradicating the deep rooted corruption, aggression and bestiality from Arab who, due to their ignorance , became menace to the security of life.

After few days at the beginning of this distinguished month, the whole world, once again, is going to observe the birth dad celebration of this great envoy, the conveyer of this immortal, universal and agreeable message, Mohammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) . Muslim countries enthusiastically celebrate the auspicious occasion of Prophet's birthday that sent by Almighty Allah to this earth for leading mankind from the darkness to light providing them the fundamental articles of faith. Even though this important and auspicious occasion has been celebrated in different ways in various parts of the world, it reminds all Muslims of that distinguished day, of its long lasting effects on their past glories and every day life, their future, of its important role in their enjoying high status among all creatures ruling with iron hands, of the blessings Allah bestowed upon them in this world and comfort promised by Allah on the Day of Judgement by virtue of honoring the birthday of His beloved prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him)

However, in order to provide those uneducated with effective outcome, the celebration of the Prophet' Birthday should actually be based on study and research carried out by intellectual elite in a spiritual vacuum so that the wrong doers and confused one may receive guidance in following the right path shown by Allah and believers become much more steadfast than ever before. This is, in fact, the day of contemplation and consideration, the day of learning important lessons to figure out the greatness of the apostle (May the blessings and peace of Allah be upon him)), the day of truth brought by a truthful messenger to awaken the fatigued and exhausted ambitions, feeble determination and sprits, strengthen our belief overcome with superstitions and illusions that has put the truth aside, and made the Muslim

- كلمة عن اللواء أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي .... أ
- اللواء محمد جمال الدين محفوظ .. شخصية رائدة
للدكتور ... . هـ
- في ذكرى المولد النبوي (١)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ٣٥٠
- تفسير سورة النساء
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ٣٥٥
- في رحاب الذكرى
لفضيلة الشيخ عمر الطيب ٣٦١
- الصدقة في ميزان الإسلام
لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي ٣٦٤
- (خطبة الجمعة) من مشكاة النبوة - صلاح الشبيبة
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي - إعداد الشيخ/ علي أحمد عبد الرحيم ٣٦٨
- (في مدرسة النبوة) نماذج من شباب الإسلام
للأستاذ الدكتور/ محمد عمر هاشم ٣٧٢
- النور المحمدي
لفضيلة الشيخ ... الحصري ٣٧٥
- عمر بين الصياغة والتشريع
للدكتور ٣٧٨
- (في ذكرى المولد النبوي) ميلاد نبي
للأستاذ محمد عبد الغني حسن
- من عوامل تقوية الروابط الاجتماعية
للمستشار ...
- متى يتحقق نصر الله
لفضيلة الشيخ ...
- (قصة العدد) عبد الله بن عمر
للأستاذ الدكتور محمد ...
- صفحات القراء
للأستاذ الدكتور ... جمعة
- الموعظة في الإسلام
للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي ٤١٠
- المسؤولية في الإسلام
للدكتور السيد أحمد فرج ٤١٦
- كتب الشهر (٩-١١)
عرض ونقد الأستاذ الدكتور إبراهيم عوضين ٤٢٠
- المسلمون في نيجيريا وتحديات العصر
للأستاذ الدكتور/ عبد الله ٤٢٥
- (في زمن العولمة) العولمة الاقتصادية .. ودورها بين الحكومات
لفضيلة الشيخ ٤٢٨
- الخلافة الإسلامية .. والدولة المدنية
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٤٣٣
- لن يرجع اليهود عن عدوانهم
للدكتور حمدي ٤٣٨
- ثورة بين القرنين ١٨٦٠ والهجرة المصرية
للأستاذ صلاح عبد الرحيم محمد ٤٤٣
- ضرورة إعداد استراتيجية عامة للتعريف بالإسلام في الغرب
للأستاذ ... مصطفى ٤٤٨
- قصة وفاء
للأستاذ مجدي عبد الحميد بشر ٤٥٤
- بين الصحف والمجلات
للأستاذين محمد جمعة - علاء عبد الرحمن ٤٥٦
- أبو الريحان البيروني وعطاؤه العلمي
للأستاذ الدكتور أحمد ٤٦٣
- مواقف .. ومواقف
للشيخ عبد الحفيظ ٤٦٨
- قراءة في كتاب (...)
للأستاذ ٤٧١
- بين الصحة والقرآن
للأستاذ ٤٧٦
- أنباء العالم الإسلامي
للأستاذين محمود ... - أحمد ٤٨٥
- أنباء مجمع البحوث
للأستاذين عبد ... - يحيى ٤٨٩
- أنباء مكتب شيخ الأزهر
للأستاذ أحمد ٤٩٣
- المعجم ...
إعداد وإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم ٤٩٨



AL AZHAR
MAGAZINE
هدية العدد
وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
يكتب
الثمن
١٥٠ قرشا

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر

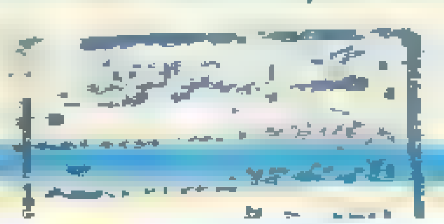
مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث عشر يبحث نقل وزراعة الأعضاء

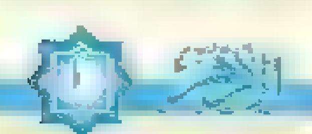
متابعة الأستاذ/ محمد جمعة

انعقد يوم الثلاثاء ١٣ من ربيع الأول ١٤٣٠ هـ الموافق ١٠ من مارس ٢٠٠٩ م المؤتمر الثالث عشر لمجمع البحوث الإسلامية تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر؛ حيث نوقشت فيه قضية زراعة ونقل الأعضاء، وقد أجاز المؤتمر عمليات زراعة الأعضاء البشرية ولكن بضوابط وشروط محددة، كما اتفق المشاركون فى المؤتمر على تحريم بيع الإنسان لأعضائه لما فى ذلك من امتهان لآدمية وكرامة الإنسان الذى كرمه الله تعالى وجعله خليفة له فى الأرض:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(البقرة: ٣٠)

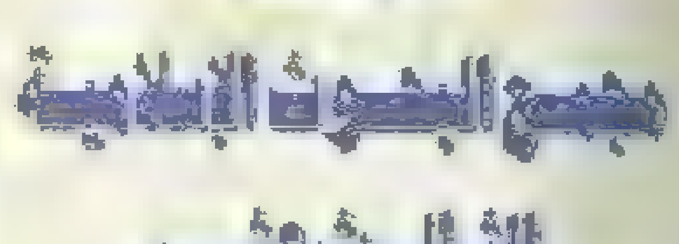






تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث عشر



يبحث نقل وزراعة الأعضاء

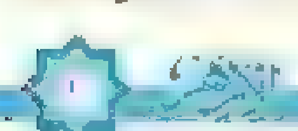
متابعة الأستاذ/ محمد جمعة

انعقد يوم الثلاثاء ١٣ من ربيع الأول ١٤٣٠ هـ الموافق ١٠ من مارس ٢٠٠٩ م المؤتمر الثالث عشر لمجمع البحوث الإسلامية تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر؛ حيث نوقشت فيه قضية زراعة ونقل الأعضاء، وقد أجاز المؤتمر عمليات زراعة الأعضاء البشرية ولكن بضوابط وشروط محددة، كما اتفق المشاركون فى المؤتمر على تحريم بيع الإنسان لأعضائه لما في ذلك من امتهان لآدمية وكرامة الإنسان الذى كرمه الله تعالى وجعله خليفة له فى الأرض:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(البقرة: ٣٠)





وقد بدأ المؤتمر بكلمة ألقاها فضيلة الإمام الأكبر رحب فيها بالسادة الحضور .. وقد انعقدت عدة جلسات نوقشت من خلالها الأبحاث المشاركة على مدى أيام المؤتمر، حيث شهد اليوم الأول جلستين لعرض ومناقشة الأبحاث المقدمة للمؤتمر فى الجلسة الأولى والتى رأسها الأستاذ الدكتور إبراهيم جميل بدران حيث تمت مناقشة الأبحاث التالية:

■■ البحث الأول حمل عنوان: الحكم الشرعى فى نقل الأعضاء من شخص إلى آخر لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وهذا نصه:

الحكم الشرعى فى نقل الأعضاء من شخص إلى آخر

١- تكريم الله- تعالى- للإنسان:

عندما نتدبر آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبى - ﷺ - نراها قد كرمت ذات الإنسان التى تشمل روحه وجسده تكريمًا عظيمًا وشرفته تشريفًا كبيرًا.

ومن مظاهر هذا التكريم والتشريف:

أ- إن الله- تعالى- قد صور الإنسان فى أحسن تقويم، وفى أجمل صورة واعتبر- سبحانه- ذلك نعمة كبرى من نعمه التى يجب أن يشكر عليها، فقال- تعالى- فى مفتتح سورة من سور كتابه:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

(التين: ١ - ٤)

أى: لقد خلقنا الإنسان فى أكمل صورة وأجمل هيئة، ومنحناه- بعد ذلك- ما لم نمنحه لغيره من بيان فصيح، ومن عقل راجح، ومن علم واسع، ومن إرادة وقدرة على تحقيق ما يبغيه فى هذه الحياة.

وإذًا، فهذا التقويم البالغ غاية الحسن فى تكوين خلق الإنسان وتكميل صورته وتحسين هيئته ومظهر العناية الإلهية ببدن الإنسان وروحه.

وشبيه بهذه الآيات فى بيان أن الله- سبحانه وتعالى- قد خلق الإنسان فى أجمل صورة قوله- تعالى- فى سورة الانفطار:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

(الانفطار: ٦ - ٨)

ب- كذلك من مظاهر تكريم الإسلام للإنسان أنه اعتبر جسمه أمانة ائتمنه الله- تعالى- عليها، فهو الذى خلقه فسواه فعدله، فلا يجوز لأحد أن يتصرف فيه بما يسوءه أو يرديه حتى ولو كان هذا التصرف صادرًا من صاحب هذا الجسم نفسه، ولذا حرمت الأديان السماوية والقوانين الوضعية إتلاف البدن، وإزهاق الروح عن طريق الانتحار أو ما يؤدى إليه.

ومن الآيات القرآنية التى نهت الإنسان عن قتله لنفسه قوله- تعالى- :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

(النساء: ٢٩ - ٣٠)

أما الأحاديث الشريفة التى نهت عن قتل الإنسان لنفسه، فهى كثيرة، ومنها ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما، فعن أبى هريرة -

رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: (من تردى من جبل – أى ألقى بنفسه – فهو فى نار جهنم يتردى فيه خالدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سُمًّا – أى شرب سُمًّا – فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها – أى يضرب بها نفسه – فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا)(١).

جـ كذلك من مظاهر تكريم شريعة الإسلام للإنسان أنها أمرته أن يهتم بإصلاح جسده ظاهرًا وباطنًا، وأن يستعمل كل وسائل العلاج التى تؤدى إلى شفائه من الأمراض.

ومن الأحاديث الصحيحة التى وردت فى الدعوة إلى التداوى من الأمراض، ما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله – ﷺ – قال: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)(٢).

وفى حديث آخر: (لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برأ – بإذن الله – أى: فإذا نزل الدواء على الداء شفى المريض من مرضه – بإذن الله)(٣).

وسئل – ﷺ – أنتداوى يا رسول الله؟ قال: (نعم تداووا فإن الله لم يضع داء – أى: لم يخلق مرضًا – إلا وضع له دواء، غير داء واحد، وهو الهرم «أى: الشيخوخة»)(٤).

٢ – ما الذى يؤخذ من هذه النصوص؟

يؤخذ من هذه النصوص المتنوعة أن شريعة الإسلام قد كرمت الإنسان تكريمًا عظيمًا وأمرت بالمحافظة عليه من كل ما يهلكه أو يسوءه، ونهت عن قتله، أو إنزال الأذى به إلا بالحق، وبيّنت – بكل صراحة ووضوح – أن الإنسان لا يجوز له أن يتصرف فى جسده تصرفًا يؤدى إلى إهلاكه، أو إتلافه، أو ضرره؛ لأن كل إنسان – وإن كان صاحب إرادة – بالنسبة لجسده إلا أن هذه الإرادة مقيدة بالحدود التى شرعها الله – تعالى، وبالنطاق المستفاد من قوله – تعالى –:

---

(١) رواه الترمذى
(٢) رواه البخارى
(٣) رواه البيهقى
(٤) رواه الترمذى



[illegible]

(النساء: ٢٩)

وبناء على كل ذلك فقد اتفق المحققون من الفقهاء على أنه لا يجوز للإنسان أن يبيع عضوًا من أعضاء جسده، أيًا كان هذا العضو؛ وذلك لأسباب متعددة أهمها:

أولاً: إن جسد الإنسان – وما يتكون منه من أعضاء – ليس محلاً للبيع والشراء، وليس سلعة من السلع التى يصح فيها التبادل التجارى.

وإنما جسد الإنسان بناء بناه الله – تعالى – وكرمه وسما به عن البيع والشراء، وحرم المتاجرة فيه تحريمًا قاطعًا؛ لأن بيع الآدمى أو بيع جزء منه باطل شرعًا لكرامته بنص القرآن الكريم الذى يقول:

[illegible]

(الإسراء: ٧٠)

وقد اتفق الفقهاء على بطلان البيع والشراء بالنسبة لبدن الإنسان، أو لأى عضو من أعضائه.

ثانيًا: إن الإنسان أمين على هذا الجسد، ومأمور بأن يتصرف فى هذه الأمانة بما

يصلحها لا بما يفسدها؛ فإذا تجاوز الإنسان هذه الحدود وتصرف في جسده بما يتعارض مع إصلاحه كان خائنًا للأمانة التي ائتمنه الله عليها، وكان تصرفه محرمًا وباطلاً؛ لأنه تصرف فيما ائتمن عليه تصرفًا سيئًا يدل على رقة الدين، وسفه العقل وحمق التفكير.

ثالثًا: لا يقال إن من القواعد الشرعية القاعدة التي تقول: «الضرورات تبيح المحظورات»؛ وبناء على ذلك يجوز للإنسان أن يتصرف في جسده عند الضرورة.

لأنا نقول في الرد على هذا القيل: إن التصرف عند الضرورة إنما يكون في حدود ما أحله الله، فضلاً عن ذلك فإن هذه القاعدة مقيدة بقواعد أخرى تضبطها، ومن هذه القواعد: الضرر لا يزال بالضرر؛ أي أنه لا يجوز إزالة الضرر بضرر يشبهه أو يزيد عليه، ولذلك قالوا: لا يجوز للجائع مثلاً أن يأخذ طعام جائع مثله عن طريق السرقة أو ما يشبهها، كما أنه لا تفرض نفقة على الفقير لقريبه.

ومما لا شك فيه أن بيع عضو من أعضاء الجسد إذا كان هذا العضو يمثل ضررًا شديدًا لبدن الإنسان، وهذا الضرر يزيد على ما يتعرض له الإنسان من فاقة أو عسر، أو احتياج لأن هذا الاحتياج هناك وسائل تدفعه، منها: مباشرة الأسباب المشروعة للحصول على الرزق.

٣- حكم التبرع بعضو من الأعضاء:

وقد يسأل سائل فيقول: إذا كان بيع الإنسان لعضو من أعضائه باطلاً ومحرمًا شرعًا؛ لأن جسد الإنسان وأعضاءه ليست محلاً للمتاجرة فيها، فهل الأمر كذلك بالنسبة للتبرع أو للهبة بأن يتبرع الإنسان بعضو من أعضائه لشخص آخر محتاج إليه؟

والجواب على ذلك: إن بعض العلماء لا يفرق بين الحالتين؛ وإنما يرى أن كليهما غير جائز -سواء أكان عن طريق البيع أم عن طريق التبرع-؛ لأن التبرع إنما يكون فيما يملكه الإنسان والمالك الحقيقي لجسد الإنسان هو الله -سبحانه وتعالى-؛ أما الإنسان فهو أمين على جسده فقط ومطلوب منه أن يحافظ عليه مما يهلكه أو يؤذيه.

ويرى جمهور الفقهاء: أن التبرع بعضو أو بجزء من إنسان حي لإنسان آخر مثله جائز بشروط من أهمها:



أن يصرح الطبيب أو الأطباء الثقاة بأن نقل هذا العضو من شخص إلى آخر لا يترتب عليه ضرر بليغ بالشخص المتبرع؛ وإنما يترتب عليه إنقاذ حياة الشخص المتبرع له، أو شفاؤه من مرض عضال.

ونحن نميل إلى هذا الرأي؛ لأن التبرع قلما يصدر عن الإنسان إلا في أشد حالات الضرورة، وقلما يكون إلا لشخص عزيز على هذا الإنسان المتبرع؛ ولأن المتبرع ما فعل ذلك إلا بقصد تقديم منفعة عظيمة لغيره مبتغيًا بها وجه الله -تعالى-.

وقد يقال: إن جسد الإنسان ليس ملكًا له؛ وإنما هو ملك الله -تعالى-، ومادام الأمر كذلك فلا يصح للإنسان أن يتصرف فيما لا يملكه بالبيع أو بالتبرع.

لأنا نقول: إن الكون كله ملك الله -تعالى- وليس جسد الإنسان وحده، ومع ذلك فقد أباح الله -سبحانه- للناس أن يتصرفوا فيما يملكه -عز وجل- بالطريقة التي ترضيه.

ولا شك أن فضيلة الإيثار ودفع الأذى عن الغير، على رأس الفضائل التي يحبها الله-



عز وجل – ويكافئ أصحابها بما يستحقونه من ثواب جزيل.

هذا، ويدخل تحت هذه القاعدة، وهى حرمة بيع شىء من أجزاء الإنسان، ما يتعلق بالدم فإنه لا يجوز بيعه؛ لأنه باطل شرعًا.

أما التبرع به فهو جائز؛ لأنه – كما يقول أهل الخبرة – من آثار الذات وليس من أعضائها بدليل أنه يتغير ويتجدد، ويستعيض الإنسان ما فقده منه.

٤– حكم نقل شىء من أعضاء الميت إلى الحى:

ننتقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى، وهى:

هل يجوز نقل شىء من أعضاء الإنسان إلى الإنسان الحى للانتفاع بهذا العضو المنقول؟

وللإجابة على ذلك نقول: إن شريعة الإسلام قد كرمت جسد الإنسان سواء أكان حيًا أم ميتًا، ونهت عن ابتذاله وتشويهه، أو الاعتداء عليه بأى لون من ألوان الاعتداء، ومن مظاهر هذا التكريم الأمر بتغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه.

ولقد كان من هدى الرسول ﷺ أنه كان بعد الانتهاء من الغزو لا يترك جسد إنسان ملقى على الأرض سواء أكان لمسلم أو لغير مسلم، وقد حدث فى غزوة بدر أن أمر ﷺ بدفن المشركين؛ كما أمر بدفن شهداء المسلمين.

وقال فى حديثه الشريف: (كسر عظم الميت ككسره حيًا)(*).

أى: أن عقوبة من يعتدى على جسد الميت كعقوبة من يعتدى على جسد الحى.

ويرى جمهور الفقهاء: أنه يجوز نقل عضو من أعضاء الميت إلى جسم إنسان حى إذا كان هذا النقل يؤدى إلى منفعة الإنسان المنقول إليه هذا العضو منفعة ضرورية لا يوجد بديل لها، وأن يحكم بذلك الطبيب المتخصص الثقة؛ لأن الأطباء هم سادة الموقف فى أمثال هذه الحالات، وهم المسئولون – مسئولية تامة – عن تصرفاتهم أمام الله – تعالى – أولاً، وأمام من يملك محاسبتهم على أعمالهم من رجال الطب أو القانون أو غيرهم، وهذا الرأى هو الذى نرجحه ونؤيده.

وإنما قلنا بجواز ذلك بناء على القاعدة الفقهية المشهورة، وهى أن: «الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف».

والضرر الأشد هنا يتمثل فى بقاء الإنسان الحى عرضة للمرض الشديد وللهلاك المتوقع، والضرر الأخف هنا يتمثل فى أخذ شىء من أجزاء الميت لعلاج الإنسان الحى.

٥– ومن كل ما تقدم من نصوص وأحكام نستخلص ما يأتى:

أ. أن شريعة الإسلام قد كرمت جسد الإنسان سواء أكان حيًا أم ميتًا، وحرمت الاعتداء عليه أو على أى عضو من أعضائه.

ب. أن بيع الإنسان لجزء من أجزاء جسده باطل ومحرم شرعًا.

جـ. أن تبرع الحى بجزء من أجزاء جسده جائز عند جمهور الفقهاء، ولا فرق – فى ذلك – بين تبرع الأقارب أو غيرهم مادام هذا التبرع يقول بنفعه الأطباء الثقاة.

د. أن أخذ جزء من جسد الميت لإنقاذ حياة شخص آخر أو شفائه من مرض عضال جائز عند جمهور الفقهاء.

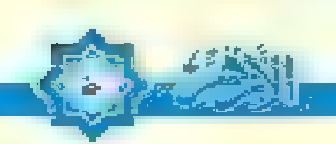
هذا، وبالله التوفيق،،

أ. د. محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

☆☆☆

(*) رواه البيهقى



■■ أما البحث الثاني فقد حمل عنوان: زراعة الأعضاء في الشريعة الإسلامية للأستاذ الدكتور / يوسف القرضاوي .

ذكر فضيلة الدكتور في هذا البحث الشروط التي يجب مراعاتها لجواز عملية نقل الأعضاء من شخص إلى آخر حيث قال: .. إن نقل الأعضاء من شخص لزرعها في آخر يجوز ؛ ولكن بشروط يجب مراعاتها ، وهذه الشروط هي:

١ـ أن يكون المأخوذ منه مكلفا (أي بالغا عاقلا) مختارا غير مكره إكراها ماديا أو أدبيا

٢ ـ ألا يكون من الأعضاء الوحيدة في الجسم مثل القلب والكبد ، لأنه لا يستطيع أن يعيش إلا بها .

٣ـ ألا يكون عضوا يضر بالإنسان أخذه من جسمه ضررا بليغا ، كالأعضاء الظاهرة من الإنسان ، وإن كانت مزدوجة كالعين واليد والرجل ونحوها ، لما فيه من تعطيل المنفعة، وتشويه الصورة .

٤ـ ألا يكون من الأعضاء الناقلة للمورثات مثل الخصية للرجل ، والمبيض للمرأة .

٥ـ ألا يكون العضو من العورات المغلظة (القبل والدبر) التي يحرم النظر إليها ولمسها، حية أو ميتة .

٦ـ ألا يكون النقل عن طريق البيع والمعاوضة، بل عن طريق التبرع الخالص من الحي ولا مانع من المكافأة أو الهدية بدون شرط .

٧ـ أو يكون هناك وصية من الميت أو إذن من أهله أو قانون من ولي الأمر ، بالتبرع بما يصلح أخذه من جسده بعد إصابته في حادث وموت دماغه ، وإن بقي قلبه ينبض ، وهذا ما لم يكن هناك مانع من صاحب العضو .

٨ـ ألا يترتب عليه ضرر للمتبرع ولا لأحد له عليه حق .

٩ ـ أن تتعين هذه الوسيلة لإنقاذ المريض ، ولا توجد وسائل أخرى تغني عنها .

١٠ ـ أن يغلب على الظن أنه ينتفع المتبرع له ويسهم في علاجه وفق سنن الله في الكون والحياة .

☆☆☆

■■ وجاء البحث الثالث يحمل عنوان: زراعة الأعضاء في جسم الإنسان لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.



قام الدكتور عبد السلام بتقسيم هذا البحث إلى عدة مطالب بين في المطلب الأول أهمية زراعة الأعضاء في جسم الإنسان باعتباره من القضايا المستجدة في الفقه الإسلامي.

وقد تحدث عن أهمية زراعة الأعضاء في جسم الإنسان وكيف أبرز التقدم الطبي الحاجة الماسة إليها وضرورة بلورة النظر الفقهي فيها ، كما تطرق إلى دور المجامع الفقهية في هذا المضمار حيث قال: وقد تصدت المجامع الفقهية الإسلامية لدراسة هذا الموضوع، وبيان حكم الشريعة الإسلامية فيه، وتمثل هذه الدراسات خطوات جادة في هذا المجال لها وزنها العلمي، نظرًا لما تتمتع به المجامع الفقهية من مكانة وصفات على مستوى العالم الإسلامي تجعلها تقدم صورة من أفضل صور الاجتهاد الجماعي المعاصر في القضايا الحادثة والمشكلات المستجدة .. " أما المطلب الثاني فيتحدث عن الحكم الشرعي في زراعة الأعضاء يقول الدكتور: الواقع أن معالجة هذه القضية تحتاج إلى نظر فقهي يقوم على ملاحظة جملة من المبادئ والقواعد والأصول الشرعية، والتدقيق فيها

تدقيقًا ينتهي إلى القول بجواز ذلك بشروط..

وفي المطلب الثالث يتطرق البحث إلى أهم الفتاوى التي صدرت في هذا الموضوع..

ويذكر في المطلب الرابع قرارات المجامع الفقهية الإسلامية بخصوص زراعة الأعضاء.

وجاء المطلب الخامس تحت عنوان: (حكم موت الدماغ ورفع أجهزة الإنعاش وعلاقته بموضوع زرع الأعضاء) عرض فيه الدكتور عبد السلام مجهودات مجمع الفقه الإسلامي الدولي في هذا المضمار وأوضح الدكتور أن مجمع الفقه الإسلامي قد قرر في دورته المنعقدة بعمان. عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية. من ٨. ١٣ صفر ١٤٠٧ هـ الموافق ١١ . ١٦ أكتوبر ١٩٨٦ م مايلي: يعتبر شرعًا أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعًا للوفاة عند ذلك إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

١– إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًا وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢– إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائيًا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه. وأخذ دماغه في التحلل.

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء، كالقلب– مثلاً– لا يزال يعمل آليًا بفعل الأجهزة المركبة..

☆☆☆

وفي الجلسة الثانية التي رأسها الأستاذ الدكتور أحمد الطيب نوقشت ثلاثة أبحاث على النحو التالي.

■■ البحث الأول جاء تحت عنوان: نقل الأعضاء من الحي أو موتى المخ محرم شرعًا لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العدوى.

يقول الدكتور العدوى ".. نقول في اطمئنان: يحرم نقل الأعضاء من الأحياء إلى الأحياء أو من موتى "جذع المخ" إلى الحي؛ لأن في هذا النقل من الحي إلقاء بيده إلى التهلكة وهو منهي عن هذا، وفي النقل من "موتى جذع المخ" تعجل بإزهاق نفس لا زالت فيها الحياة، وتلك جريمة منهي عنها



شرعًا ولها عقوبتها في حكم الله."

وعن جرائم بيع الأعضاء يقول : وأرى– لمنع مافيا الأعضاء من الاستمرار– أن تكون العقوبة كما أمر الله– تعالى – في قوله:

[illegible]

(المائدة: ٤٥)

القصاص من سراق الأعضاء وتجارها ومباشري عمليات قطعها هو العقوبة العادلة.

☆☆☆

■■ أما البحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: زرع الأعضاء الآدمية من منظور إسلامي لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

يناقش البحث النقاط الآتية:

١– مفهوم زرع الأعضاء.

٢– حكم التداوي بالدم.

٣– حكم تشريح الجسد البشري.

٤– الحكم الفقهي لزرع الأعضاء الآدمية.

٥– نقل الأعضاء من شخص على قيد الحياة إلى شخص مريض محتاج لذلك.

٦- نقل الأعضاء من شخص ميت إلى شخص مريض بحاجة إليها.

وذلك ببيان الرأى الشرعى وتقديم الحلول الفقهية فى القضية المطروحة.

وعن المتاجرة بالأعضاء والجرائم التى ارتكبت فى حق الإنسانية يقول فضيلته: .. ومما زاد من حدة المشكلة امتداد تداعياتها السيئة حين تغول مافيا هذه التجارة إلى الأطفال، خاصة أطفال الشوارع .. ويقول: "ثمة اتفاق بين الباحثين فى القضية على حظر التعامل فى الجسد الإنسانى أو أعضائه البشرية عن طريق البيع والشراء من حيث إن بيع أى من هذه الأعضاء أو الإتجار بها، أو قصد التربح من ورائها محظور قطعًا؛ إذ الإنسان هو بنيان الرب، والمخلوق المكرم الذى يحرم الشرع أن يكون موضوعًا للصفقات فى أعضائه والتعامل فيها كقطع غيار بشرية، وكسلعة قابلة للتداول والمساومة عليها ..

وفى نهاية البحث يقول: «وفى ضوء الحقيقة الشرعية بات من المهم أن يصدر قانون زرع الأعضاء ويضع الضوابط المنظمة لهذا النقل وفق ما سبق الإشارة إليه حتى نضع حدًا لمافيا الإتجار فى الأعضاء البشرية، وتوضع عقوبة على من ينتهك أحكام هذا القانون، "فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"».

☆☆☆

■■ وجاء البحث الثالث بعنوان نقل وزرع الأعضاء البشرية بين الأحياء والأموات والضوابط الشرعية لفضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل

ويتضمن هذا البحث مطلبين: (أحدهما: فى بيان الحكم الشرعى من حيث الجواز وعدمه ورأينا فى ذلك. والثانى: فى حقيقة الموت الشرعى وضوابطه الشرعية).

يقول فضيلة الدكتور فى المطلب الأول: أنه لا مانع شرعًا من الترخيص فى النقل إن خلا من ضرر؛ لأن ذلك يعد من باب الإذن الشرعى الذى فيه إحياء للنفس التى أمر الله بإحيائها، وهو من باب التضحية والإيثار الذى أمر الله به وحث عليه لقوله- تعالى:

﴿ ... وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩)

وقوله: تعالى-:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (التوبة: ٢٠)

وعن نقل العضو من الميت للحى يقول فضيلته: " وكما يجوز أخذ عضو من الحى إلى الحى لإنقاذه من هلاك محقق؛ فإنه يجوز الأخذ من الميت للحى لإنقاذه من هلاك محقق أو لتحقيق مصلحة حاجية له أو ضرورية؛ لأن الإنسان الميت وإن كان مثل الحى تمامًا فى التكريم وعدم الاعتداء عليه بأى حال لحديث النبى ﷺ : (كسر عظم الميت ككسره حيًا)[٦]. وقوله تعالى-:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠)

وهذا التكريم يشمل الحياة وما بعد الممات. ومن مظاهر التكريم الواجب مع

(٦) رواه أبو داود

الميت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ووجوب دفن غير المسلمين أيضًا كالمسلمين تمامًا.

ومع هذا التكريم فإنه لا يوثر ما يؤخذ منه بعد موته من أجزاء تقوم عليها حياة إنسان آخر بعده؛ لأن مصلحة الحي مقدمة على مصلحة الميت؛ ولأن الحي يقيم دين الله وشرعه لتستمر الخلافة لله في الأرض ويعبد الله وحده كما أراد -سبحانه-."

وفي نهاية البحث يقول فضيلته: " وبناءً على ذلك يتأكد لنا -من الناحية الشرعية- أنه مع الجواز في النقل للأعضاء البشرية بين الأحياء والأموات من حيث العموم بالضوابط الشرعية التي سبق بيانها فإنه لا يجوز -بأي حال- بالنسبة للأخذ من ميت إلى حي إلا بعد الوفاة اليقينية المتفق عليها، وعلى علاماتها ومظاهرها الخارجية بين فقهاء الشريعة والقانون والطب، وأول مظاهر ذلك هو توقف جميع الأعضاء البشرية عن وظائفها الحياتية توقفًا تامًا لا رجوع فيه، ومن ذلك: القلب، والنبض، والجهاز التنفسي، والتأكد من ذلك بالعلامات الشرعية الظاهرية التي لا تخفى عن الخاصة والعامة كما سبق بيانها من الناحية الشرعية والفقهية والقانونية والطبية والعلمية بالإجماع."

☆☆☆

وفي اليوم الثاني للمؤتمر - الأربعاء ١٤ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ الموافق ١١ مارس ٢٠٠٩ م - عقدت جلستان الأولى برئاسة الأستاذ الدكتور حمدي السيد لمناقشة البحوث على النحو التالي:-

■■ البحث الأول جاء تحت عنوان: عمليات زرع ونقل الأعضاء للأستاذ الدكتور محمد بن أحمد بن صالح الصالح:

جاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة؛ تناول في المبحث الأول الشروط التي يجب اتباعها في مجال زراعة الأعضاء، والمبحث الثاني عرض للحكم الشرعي في قضية نقل وزراعة الأعضاء، وقد قسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ المطلب الأول: القواعد الفقهية في نقل الأعضاء وزراعها، المطلب الثاني: حكم نقل الأعضاء وزرعها، وتناول في هذا المطلب سبع مسائل منها: حكم نقل أجزاء من جسم الإنسان إلى موضع آخر في جسده، حكم نقل أجزاء من جسم إنسان حي إلى آخر، حكم نقل أجزاء من جسم إنسان ميت إلى آخر حي.

أما المبحث الثالث: فقد عرض لبعض فتاوى قرارات الهيئات والمجامع العلمية في نقل وزرع الأعضاء.

☆☆☆



■■ أما البحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: زراعة ونقل الأعضاء لفضيلة الأستاذ الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي عميد كلية الشريعة ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق سابقًا.

وهذا البحث يتناول محورَين:

المحور الأول: انتفاع الإنسان بأحد أعضاء إنسان آخر. المحور الثاني: انتفاع الإنسان بعضو منقول من حيوان. ويتناول - في المحور الأول - تعريف نقل العضو وأدلة العلماء في ذلك - ما بين مؤيد وممانع -؛ يقول الدكتور، بعد مناقشة الرأيين: " أمام هذه المناقشة لرأي الفريقين يترجح لي قول المجيزين، عملاً بأصول الضرورة أو الحاجة العامة المتعينة، والقاعدة المتقدمة تقول: "الضرورات تبيح المحظورات"؛ لأن إنقاذ حياة إنسان أولى وأفضل من تركه معرضًا للموت أو فقد البصر، مثل نقل قرنية العين أو

إحدى الرئتين عند الإشراف على الموت أو حالة إهدار الدم، أو التأكد من القصاص من الجاني القاتل عمدًا، أو نقل الكلية من الحي إلى آخر هو بأشد الحاجة لإنقاذه من الموت. ثم عرض الشروط التي يجب توافرها للمتبرع:

١- أن يكون المتبرع كامل الأهلية ...

٢- أن يتم النقل برضاه، أو إذنه الصريح أو الضمني حال الحياة، أو بوصية بعد الموت، أو بإذن أوليائه أو قرابته بترتيب العصبات: "البنوة، ثم الأبوة، ثم الأخوة، ثم العمومة".

٣- أن لا يترتب على نقل العضو ضرر محقق أو مظنون..

٤- أن يكون القصد من النقل والنزع تحقيق مصلحة علاجية، ومن غير بيع أو متاجرة..

٥- أن لا يكون هناك ضرر محقق أو مظنون على صحة المتبرع، وأن لا تتعرض حياته للخطر؛ لأن التبرع بالأعضاء مرغوب فيه بقصد التعاون والتكافل، على أن لا يكون سببًا في الضرر.."

وعن حكم نقل عضو من حيوان يقول: "أما حكم نقل عضو من حيوان: فيجوز للمصلحة؛ لأن إنقاذ النفس الإنسانية يشتمل على مصلحة، مقدمة على حفظ المال في ترتيب مقاصد الشريعة، بشروط هي:

١- وجود حالة إنسان مضطر لإنقاذ نفسه أو عضو من بدنه، ولا يوجد دواء مباح للعلاج؛ لأن النجاسات لا يتداوى بها إلا للضرورة.

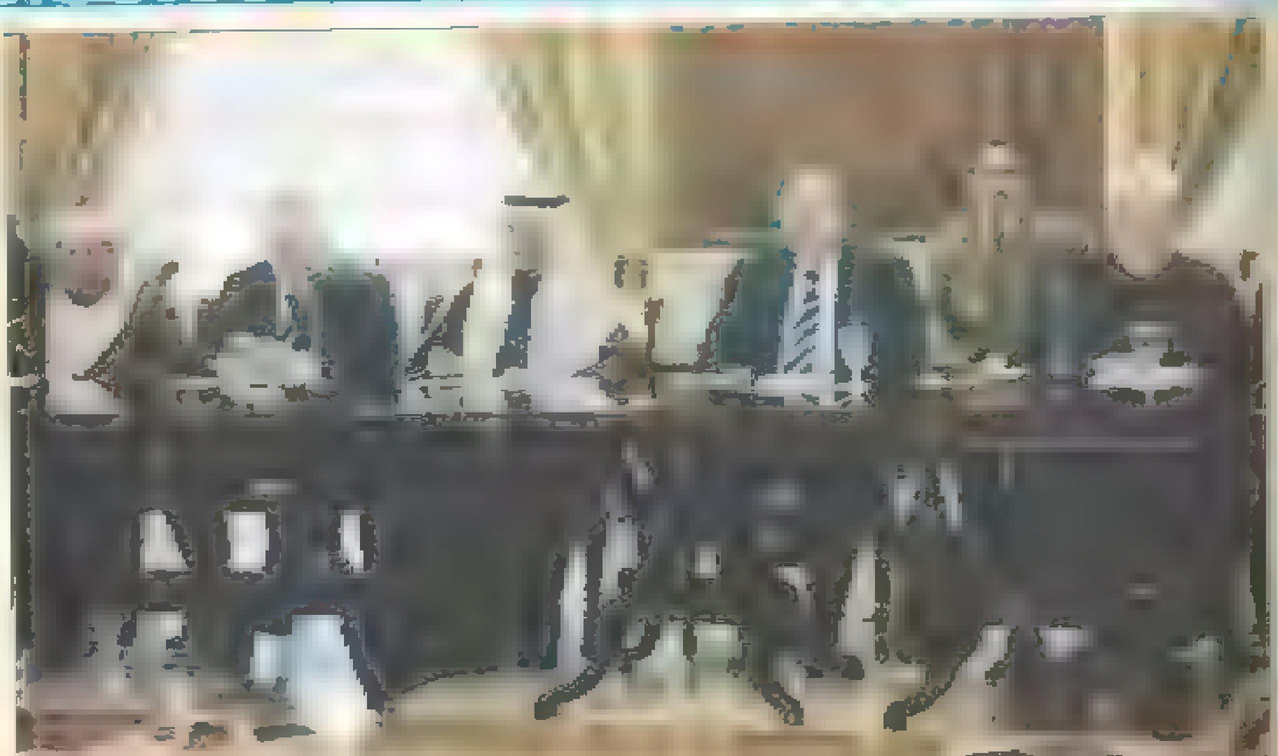
٢- أن يتيقن الطبيب - أو يغلب على ظنه - نجاح عملية النقل هذه.

٣- أن لا يؤدي نزع العضو من مكانه إلى إحداث تشويه في صورة الحيوان أو جسمه، ولا إلحاق ألم به إلا بمقدار التحمل؛ لأنه يحرم تعذيب ذات الحيوان بالاتفاق .."

☆☆☆

حقيقة ما يثار حول ما يسمى موت جذع المخ للأستاذ الدكتور شريف عزت عبدالعزيز:

قام الدكتور في هذا البحث بتوضيح ما يثار حول موت جذع المخ فتناول عدة نقاط على سبيل المثال:- نشأة الفكرة حيث قال: «لم يفكر أحد في وضع تعاريف جديدة أو وصف أنواع أخرى من الموت إلا في الثلث الأخير من القرن الماضي عندما بدأ التفكير في زراعة أعضاء أحادية مثل القلب والكبد ورئتين.. أن هذه الأعضاء تتطلب لكي تعمل بكفاءة في الجسد المنقولة إليه أن تنزع من أجساد أناس مازال قلبهم ينبض ودورتهم الدموية تعمل بكفاءة».



وفي نهاية البحث يقول الدكتور شريف: «إن الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة في هذه الحياة، لذا كان من الواجب التيقن من حدوثه لما يترتب عليه من آثار شرعية واقتصادية واجتماعية.

☆☆☆

أما الجلسة الثانية فقد ترأسها الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق ودارت فيها المناقشات على النحو التالي:-

■■ البحث الأول حمل عنوان: الحكم الشرعي لجراحة إصلاح غشاء البكارة دراسة فقهية مقارنة لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله مبروك النجار.

وقد خلص الدكتور عبد الله من تلك الدراسة إلى: "أن عملية إجراء الرتق العذري لا يوجد ما يدل على عدم مشروعيتها في الفقه الإسلامي المقارن سواء أكان فتق الغشاء بسبب غير أخلاقي أو بسبب أخلاقي

تعذر القناة بسببه، حيث يجوز إجراء تلك الجراحة في جميع الحالات؛ كما أنه لا يوجد في نصوص القانون ما يدل على أنها ممنوعة، أو أن القيام بها يمثل عملاً مؤثماً يعاقب عليه القانون، وعليه تكون تلك الجراحة مباحة شرعًا وقانونًا.

☆☆☆

■■ وحمل البحث الثاني عنوان: نقل وزرع الأعضاء لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان.

استعرض البحث آراء الفقهاء القدامى وقد أوضح فضيلته أن كتابات الفقهاء القدامى تبين" أن الكرامة الإنسانية يجب الحفاظ عليها سواء كان الإنسان حيًا أم ميتًا، وسواء كان الشخص مسلمًا أو غير مسلم، فبينوا أن حرمة الميت أمر يجب احترامه جدًا، ولا يجوز أن تنتهك حرمة الميت إلا لأمر خطير..

وعن مسألة موت جذع المخ يقول:" وفي النهاية فإننا نقول بأن موت "جذع المخ" حقيقة علمية الآن بحسب ما أسفر عنه العلم المعاصر، لكننا في نفس الوقت نقول أن حالة الشخص حالة احتضار وهو في الطريق إلى الوفاة- غالبًا- إلا أنه لم يمت بعد وحالة الاحتضار تمنع أن يقطع أي عضو من أعضاء الشخص المحتضر فلا نحكم عليه بأنه مات، ونقول إذا أمكن للعلم أن يتوصل إلى الاستفادة من أجزاء المتوفى الوفاة الحقيقية فلا تكون مسألة انتهاك حرمة المتوفى مانعًا يمنع من هذه الاستفادة التي تؤدي إلى استبقاء حياة إنسان لزرع القلب، أو رفع ضرر شديد عنه ..

كما ناقش البحث مسألة (زرع الغدد التناسلية والأعضاء التناسلية) ..

☆☆☆

■■ وجاء ثالث الأبحاث بعنوان: زراعة الأعضاء البشرية من خلال تجربتي الذاتية بين الأحياء والأموات والضوابط الشرعية لفضيلة الأستاذ الدكتور السيد محمد أحمد الديب الأستاذ بكلية اللغة العربية- جامعة الأزهر.

ذكر الدكتور السيد محمد الديب في هذا البحث تجربته الشخصية حيث إنه قام بإجراء عملية زرع كبد بالصين.

وفي نهاية البحث عرض لأهم النتائج التي استخلصها:

١- فيما يتصل بالنواحي الطبية في هذا الموضوع فإننا اعتمدنا على كلام الأطباء..

٢- جواز تبرع الإنسان بعضو من أعضائه أو بجزء من العضو أثناء الحياة مثل الكلية، أو الفص الكبدي إذا تحقق به النفع للمريض..

٣- منع نزع العضو من إنسان لا زال قلبه ينبض، ونفسه يتحرك، ولا يكتفى بما يسمى موت «جذع المخ»..

٤- يمكن تقنين نزع الأعضاء بعد تنفيذ عقوبة الإعدام، حتى لو كان الجسم في نطاق موت المخ وجذعه؛ لأنه بالعقوبة التي وجبت عليه صار دمه مهدرًا، أو في حكمه[1]..

٥- رفض بيع الأعضاء وتحريم الإتجار فيها ..

٦- ينبغي التحذير من الجرائم البشعة التي ترتكب في عمليات زراعة الأعضاء، والمتمثلة في استغفال الشخص وسرقة بعض أعضائه، وهو حي محتضر، أو بعد موته دون أن يدري؛ بهدف تحقيق المكاسب المادية للقائمين على هذه العملية.

٧- نستشرف مستقبلاً مليئًا بالآمال

(١) حسب رؤى علماء السعودية. انظر جريدة الجمهورية بمصر - في ١٤/٦/٢٠٠٢م.



والطموحات من خلال التقدم العلمي الذي يمكن أن يتجاوز قضية موت «جذع المخ» إلى تطور يتمكن معه الأطباء من نقل العضو من الجسم بعد الوفاة التامة.

☆☆☆

■■ وحمل آخر أبحاث المؤتمر عنوان: زراعة أعضاء الخنزير ونقلها إلى الإنسان لفضيلة الشيخ خميس بن راشد العدوى

في هذا البحث عالج فضيلة الشيخ مدى الاستفادة من الخنزير في المجالات الطبية، وقد اشتمل على النقاط التالية:-

١- طرق نقل الأعضاء إلى الإنسان، والتجارب العلمية والعملية في زراعة أعضاء الخنزير ونقلها إلى الإنسان من الناحية الطبية.

٢- نظرة الناس إلى الخنزير، ومدى تأثيرها على الحكم الشرعي إيجابا وسلبا.

٣- أهمية اتجاهات المتقدمين في نجاسة الخنزير وطهارته.

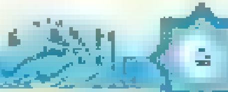
٤- العلة في تحريم أكل لحم الخنزير:

٥- قواعد التعامل مع المطعومات في الأكل والعلاج.

٦- الاتجاهات الفقهية في استخدام أعضاء الخنزير ومشتقاته في العلاج.

٧- الرأي المختار هو الإباحة تحت الضوابط الشرعية.

وفي اليوم الثالث من أيام المؤتمر- ١٥ من ربيع الأول سنة ١٤٣٠ هـ- انعقدت الجلسة الختامية وتمت مناقشات مفتوحة وأصدر مجمع البحوث الإسلامية بيانا ختاميا.



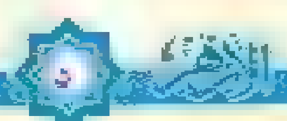
البيان الختامي

لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وأشرف الخلق أجمعين محمد بن عبدالله الهادي الأمين، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه جميعا، ومن اقتدى بهديه واتبع سنته وشريعته إلى يوم الدين.. وبعد:

فقد انعقد المؤتمر الثالث عشر لمجمع البحوث الإسلامية- بالأزهر الشريف بالقاهرة تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وبحضور السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية في الداخل والخارج وحضور بعض علماء المسلمين في يومي الثلاثاء والأربعاء ١٣، ١٤ من ربيع الأول ١٤٣٠هـ- ١٠، ١١ مارس ٢٠٠٩م، وقد اجتمع أعضاء المجمع مع إخوانهم الأعضاء الممثلين للبلاد الإسلامية واستمعوا إلى البحوث التي ألقيت، والمناقشات القيمة التي دارت بين السادة الأطباء المهتمين بنقل وزرع الأعضاء وغيرهم، وقد تبادلوا الرأي في ذلك كله إلى أن انتهوا إلى القرارات الآتية يحدوهم فيها شعورهم بمسئوليتهم أمام الله- تعالى- وأمام جموع المسلمين في العالم:



١– إن شريعة الإسلام قد كرمت الإنسان سواء أكان حياً أم ميتاً وحرمت الاعتداء عليه أو على أى عضو من أعضائه أو امتهانه أو الإساءة إليه.

٢– إن بيع الإنسان لجسده أو لأى جزء من أجزائه محرم وباطل شرعاً.

٣– إن تبرع الإنسان البالغ العاقل المختار غير المكره بجزء من أجزاء جسده جائز شرعا، ولا فرق بين التبرع للأقارب وغيرهم مادام التبرع يقول بنفعه الأطباء الثقات على أساس من قاعدة الإيثار، والتكافل والتراحم، وذلك بشروط:

أ– ألا يكون العضو عضواً أساسياً للحياة أو يعطل وظيفة أساسية فى حياته.

ب– ألا يكون العضو المنقول حاملاً للصفات الوراثية ولا من العورات المغلظة.

ج– ألا يعود ضرر على المتبرع وأن يغلب على الظن منفعة للمتبرع له.

د– ألا توجد وسيلة أخرى تغنى عن نقل الأعضاء.

٤– إن أخذ جزء من جسد الميت لإنقاذ حياة شخص آخر من مرض عضال جائز شرعا مادام أقر بذلك الأطباء الثقات على أن يكون بإذنه حال حياته أو بموافقة والديه أو أحدهما بعد وفاته فإن لم يوجدا فوليه الشرعى، فإن كان لا ولى له فوليه ولى أمر المسلمين.

٥– يجوز بعد موت المحكوم عليه بالإعدام الاستفادة من جسده بإذنه قبل موته أو إذا وافق وليه على ذلك «أو ولى أمر المسلمين عند فقد الولى».

٦– يعتبر شرعاً أن الشخص قد مات موتاً على سبيل اليقين، وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

أ– إذا توقف قلبه وتنفسه توقفا تاماً وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

ب– إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وحكم الأطباء الثقات الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه فى التحلل.

٧– من حق الجهات الطبية– كوزير الصحة– نقابة الأطباء– والجهات التشريعية والتنفيذية– أن تضع من الضوابط والشروط ما تراه مناسباً بشرط ألا يتعارض ذلك مع القرارات الشرعية التى أقرها مجمع البحوث الإسلامية فى هذا المؤتمر.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل..

بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٣٦٣٨٥٩٩

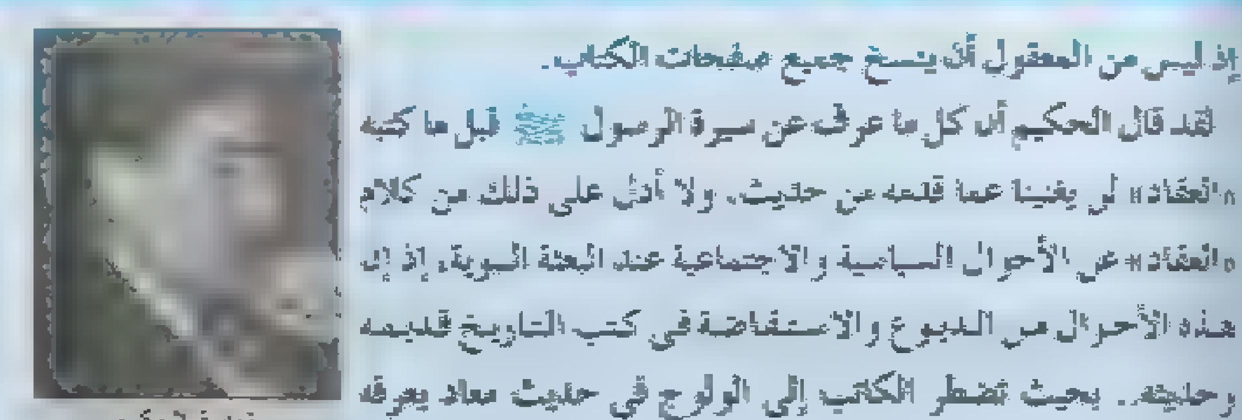
في ذكرى المولد النبوي

عبقرية محمد - للأستاذ العقاد

لقد سبق أن قدمت صورة مما قاله الأستاذ توفيق الحكيم عن «عبقرية محمد». ويمكننا أن نركز ما ذكره الكاتب الكبير في هذه النقاط:

- إن كل ما عرف قبل ما كتبه «العقاد» عن النبي ﷺ لن يغنينا عما قدمه «العقاد» من حديث.
- إن «العقاد» لم يكتب سيرة، ولم يرو لنا قصة، وإنما رسم ملامح وخطوط قسمات، أبرزت هذا الوجه الكريم، وعكست ما في أعماق نفس النبي الرحيمة العظيمة.
- إن «العقاد» استخدم [illegible] جديدا، واستنطقها معاني أخرى عريقة.
- إن «العقاد» [illegible] عن طريق الاستنتاج العقلي خصائص دق فهمها على الباحثين.
- حاجتنا أن نكتب عن الرسول ﷺ [illegible] ما سبق «العقاد» من كتب الرواة قد استطاع أن يملأ القلوب بحب محمد ﷺ، أما كتاب «العقاد» فقد استطاع أن يملأ العقول بفهم محمد ﷺ.

ونستزيد بالاستشهاد ما أشار إليه الأستاذ توفيق الحكيم، ليعلم الناقد المنصف أنه لم يرسل القول على عواهنه، بل كان يقول ما يعنيه حقا. وإن كان الاستشهاد مما يربك المستشهد إذ يجد أنماطا رائعة لا سبيل إلى ترجيح أحدها على الآخر، إذ كلها تتساوى في الدقة والإحكام. ويريح نفسه كثيرا حين يعلن أنه لا يختار شيئاً أفضل من شيء وإنما يخضع لضيق المجال حين الاكتفاء


توفيق الحكيم

إذ ليس من المعقول أن ينسخ جميع صفحات الكتاب.

لقد قال الحكيم أن كل ما عرف عن سيرة الرسول ﷺ قبل ما كتبه «العقاد» لن يغنينا عما قدمه من حديث، ولا أدل على ذلك من كلام «العقاد» عن الأحوال السياسية والاجتماعية عند البعثة النبوية، إذ إن هذه الأحوال من المذيوع والاستفاضة في كتب التاريخ قديمه وحديثه. بحيث تضطر الكاتب إلى الولوج في حديث معاد يعرفه طلبة المدارس كما يعرف المهم منه كل متخصص في هذه الدراسة، ولكن «العقاد» يعرف ما يعرف الناس لا ليلقيه إليهم في كتابه كما قرءوه في كتب التاريخ من حديثة وقديمة، بل ليتصوره تصورا واضح الدلالة، فيقيم منه بناء متماسكا ذا أساس قوي الدعائم متعالي لبناته في وضعها الطبيعي لينهض أمام النظر، معتدلا لا نتوء فيه ولا انحراف، حتى إذا بلغ القارئ نهاية الفصل وجد المقدمات تؤدي إلى النتائج المحتومة تأدية لا فكاك منها، ولكنه الإلزام كل الإلزام لمن يحتكم بمنطق الحق دون لجاج. لقد أخذ «العقاد» يتصور العالم كله عند البعثة النبوية تصور من ينتقل من الأعم إلى العام ثم إلى الخاص فالأخص. في ترتيب منطقي يسلم منه الجنس إلى الفصل، وسياق رياضي تتوالى فيه الباء بعد الألف تواليا محكم التسديد دون فجوة تتطلب الامتلاء. لقد تحدث عن العالم وعن الأمة وعن القبيلة وعن البيت وعن الأب وعن الرجل حديث من يضع هرما هندسيا يبدأ بالقاعدة العريضة صاعدا في مراقيه إلى القمة المتألقة بسيد الوجود ﷺ في إيجاز لا تفوته شاردة هامة، وكأنه بساط متسع مديد.

فالعالم - في منطق «العقاد» - «كان متداعياً شارف النهاية بفقد طمأنينة الباطن التي تنشأ من الركون إلى قوة في الغيب تبسط العدل وتحمي الضعف، وطمأنينة الظاهر التي تنشأ من الركون إلى دولة تقضي بالشريعة وتخيف العاثين بالفساد، فبيزنطة قد خرجت من اللين إلى الجدل العقيم، وتصاعدت سطوتها في البحر والبر، حتى طمع فيها من يحتمي بجوارها، وفارس قد سحر فيها المجوس من دين المجوس، وكمنت حول عرشها بواعث الفتن، والحبشة ضائعة بين أوثان تستعار من الحضارة تارة، ومن الهمجية تارة أخرى، ثم هي ليست بذات رسالة في الدنيا

ولابذات طور في التاريخ.

عالم يتطلع إلى حال غير حاله ويتهيأ للهدم ثم البناء.

هذا هو العالم. أما الأمة فليست بذات دولة ولكنها تتأهب لها. إذ في أيديها تجارة العالمين كلها فإذا سارت قوافل فارس من الخليج إلى بحر الروم فهي في حراسة العرب الأحرار، لاسلطان عليهم للدول المتداعية رومية وفارسية. فهم بحراستهم يملكون الزمام. يرعون مصالح الأرزاق، ويفتحون ثغور التجارة، وإذا سارت القوافل من اليمن إلى الشام أو من بحر القلزم إلى بحر الروم، ففي حراسة الأعراب من كلا الطريقين

أمة تيقظت لوجودها وعرفت من يحيط بها. والتفتت إلى ما يهددها من خطر خارجي أو خطر داخلي مثل ما قام به (أبرهة).

في هذه الأمة مدينة واحدة تجتمع فيها ثروة الجزيرة. وعصبة واحدة من سادة القوم تجتمع في أيديها ثروة المدينة: حالة لا استقرار فيها فمن هنا الترف والطمع والحمر وتسخير الأقوياء للضعفاء، ومن هنا الفاقة والحسرة والشك في صلاح الأمور.

حالة لا تستقر، وأمة يقظى، وخطر محدق.

هذه هي الأمة أما القبيلة في تلك المدينة فلها شعبتان: إحداهما من أصحاب الترف والطمع واستبقاء ماهو قائم. والأخرى من أصحاب التقوى والسماحة والتوسط بين مقام القوي الذي يجور ويطغى، ومقام الضعيف الذي يحتمل الأذى ويصبر على الكريهة.

والبيت في تلك الشعبة الوسطى له كرم النسب العريق وليس له لؤم الثروة الجامحة، والكبرياء الجانحة. بيت عبد المطلب رجل النذر، وزعيم قريش في مواجهة (أبرهة) وذو الإيمان المطلق برب البيت. أما الأب فلا يغني التلخيص في حديثه شيئا عن روعته، فلننقل نص (العقاد) بحروفه حين قال:

((إذا كان عبد المطلب جدا صالحا لنبي كريم فابنه عبد الله نعم الأب لذلك النبي الكريم. لكأنما كان بضعة من عالم الغيب أرسلت إلى هذه الدنيا لتعقب فيها نبيا وهي لا تراه.. ثم تعود كأن إنسانا من طينة الشهداء. يتجه إليه القلب الإنساني بكل ما فيه من حب وحنو ورحمة، فهو

الفتى الذي اسمه عبد الله، والذي اختير للفداء فجاشت له شفقة قومه حتى تركه لهم القدر إلى حين، وهو الفتى الذي تحدثت الفتيات في الخدور بوسامته وحيائه، وودت مئات منهن لو تمن منه بنعمة الزواج، وهو الفتى الذي أقام مع عروسه ثلاثة أيام ثم سافر ليتجر. فإذا هي السفرة التي لايؤوب منها الذاهبون، وهو الفتى الذي مات وهو غريب، وولد له نسله الكريم وهو دفين، وهكذا تتمثل البصائر الخاشعة آباء الأنبياء، والسلالة التي تصل بين الآخرة والدنيا، وبين عالم البقاء وعالم الفناء))[1]

كل ذلك مقدمة منطقية تنتهي بهذه النتيجة الحاسمة: عالم يتطلع إلى نبي. ومدينة تتطلع إلى نبي. وقبيلة وبيت وأبوان أصلح ما يكونون لإنجاب النبي. فمن هو ذلك النبي؟

نبيل عريق النسب، ليس بالوضيع الخامل فيصغر قدره في أمة الأنساب والأحساب. فقير، ليس بالغني المترف فيطغيه بأس النبلاء الأغنياء. ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار. يتيم بين رحماء. فليس هو بالمدلل الذي يقتل فيه التدليل ملكة الجد والإرادة والاستقلال. وليس هو بالمهجور المنبوذ الذي تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح، وفضيلة العطف على الآخرين.

خبير بكل ما يختبره العرب من ضروب العيش في البادية والحاضرة. تربى في الصحراء وألف المدنية، ورعى القطعان. واشتغل بالتجارة. شهد الحروب والأحلاف. واقترب من السراة ولم يبعد من الفقراء. أصلح رجل من أصلح بيت في أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة على غير علم من الدنيا التي ترقبها.... ذلك محمد بن عبد الله - عليه السلام -.[2]

ماذا رأى القارئ فيما كتب (العقاد) عن حالة العالم المهيئة لظهور النبي؟ ألم يقرأ عشرات الصفحات غير ما كتبه (العقاد) أولا؟ ثم ألم ير الجديد في العرض والترتيب والإقناع والتصوير والاستنتاج في صفحات محدودة تقوم مقام أضعاف الأضعاف؟ ألا يرى مع الأستاذ الحكيم أن

---

(1) عبقرية محمد - الطبعة الرابعة صـ ٢٣ دار الهلال.

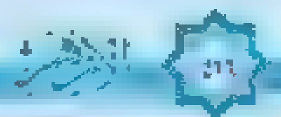
(2) عبقرية محمد الطبعة الرابعة صـ ٤١.

كل ما عرف من قبل عن النبي محمد ﷺ لن يغنينا عما لدى (العقاد)؟! يرى ذلك في هذا الشائع المشتهر بين العوام والخواص! أما في غير الذائع المشتهر فما أقدر (العقاد) على الإقناع والإمتاع.

فإذا انتقلنا إلى قول الحكيم: إن الأستاذ (العقاد) لم يكتب سيرة ولم يرو لنا قصة وإنما رسم ملامح وخط قسمات أبرزت لنا هذا الوجه الشريف الجليل، وعكست ما في أعماق تلك النفس الرحبة فإنما نجد الناقد الفاضل قد حدد رسالة العبقريات كما أرادها كاتبها. فهو لم يرد أن يكون مؤرخاً يجمع شتى الأحداث ليحكم عليها، وإنما شاء أن يرسم صورة صادقة لا تأتي إلا بعد قراءة طويلة، يقوم بها الكاتب في معزل عن القارئ حتى إذا تملأ مما قرأ، حلا بفكره للموازنة والترجيح والاختيار ليتخذ من كل ما طلع على كثرته ما يغني عن غيره في التصوير الصادق لهذه الملامح، ولا معابة عليه حين يختار خبرا واحدا ويهمل عشرات سواه؛ إذ يجده أكثر دلالة على ما يريد، ومن هنا أخالف من نقدوا (العقاد) بأنه يختار من الروايات ما يريد، ويترك ما يريد لأن اعتراضهم، لا يوجه إلا لكاتب يؤرخ لا لكاتب يرسم ملامح شخصية، وقد يكون لاعتراضهم بعض الوجاهة إذا اختار «العقاد» رواية ضعيفة ليرجحها على غيرها، وهذا ما تورط فيه من نقدوه بذلك دون أن يتقدموا بمثال لما اعتمد عليه من الرواية الضعيفة، وقد يكون الناقد ممن يرى ضعف الرواية المختارة في اعتباره، ولكن من أين جاءه أن «العقاد» لم يفحص ويختبر ويدقق حتى رجحت لديه تلك التي ضعفت لدى سواه؟! كان على ناقدي «العقاد» في هذه الناحية أن يضربوا أمثلة لما يقولون لا أن يكتفوا بالكلام السريع، أذكر أن الناقد الشاعر الأستاذ صلاح عبدالصبور قد تعرض لعبقريات العقاد بنوع عام فقال:

«إن عبقريات «العقاد» ليست كتبا في التاريخ، فإن المؤرخ الفاحص حين يجمع مادته التاريخية وحين ينسقها، يتبع منهجاً هو إلى الحياد أقرب منه إلى التحيز، فهو لا يقبل المادة التاريخية لأنها تستهويه وتوافق طبعه، ولا يرفض هذه المادة التاريخية لأنها لا تروق له، ولكن يزن كل حقيقة أو خبر بنفس الميزان المنصف الذي ينظر في رواية المادة التاريخية ويناقش أشخاص الرواة ثم ينظر المادة التاريخية نفسها، ويقيم من عقله ومن صورة العصر في ذهنه ميزاناً آخر يعرف به مدى صدق هذه المادة التاريخية وهذا ما فعله العقاد. ففيم اللجاج؟

د. / محمد رجب البيومي



تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

ثم قال - تعالى - :

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

(الآية ٦)

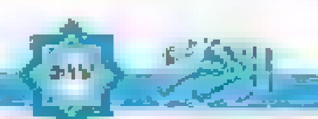
قوله تعالى ﴿وَابْتَلُوا﴾ من الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان.

والخطاب للأولياء والأوصياء وكل من له صلة باليتامى والمراد ببلوغ النكاح هنا: بلوغ الحلم المذكور في قوله - تعالى - :

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ (النور: ٥٩)

وقوله ﴿آنَسْتُم﴾ أي: تبينتم وشاهدتم وأحسستم.

قال القرطبي ﴿آنَسْتُم﴾ أي أبصرتم ورأيتم



ومنه قوله – تعالى – :

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ (القصص: ٢٩)

أي أبصر ورأى، وتقول العرب: اذهب فاستأنس هل ترى أحدا. معناه: تبصر. وقيل: آنست وأحسست ووجدت بمعنى واحد[١]

والمعنى: عليكم أيها الأولياء والأوصياء أن تختبروا اليتامى، وذلك بتتبع أحوالهم في الاهتداء إلى ضبط الأمور، وحسن التصرف في الأموال وبتمرينهم على ما يليق بأحوالهم حتى لا يجيء وقت بلوغهم إلا وقد صار في قدرتهم أن يصرفوا أموالهم تصريفا حسنا، فإن شاهدتم وأحسستم منهم ﴿رُشْدًا﴾ أي: صلاحا في عقولهم، وحفظا لأموالهم، فادفعوها إليهم من غير تأخير أو مماطلة.

و﴿حَتَّىٰ﴾ هنا للغاية، وهي داخلة على الجملة فهي تبين نهاية الصغر، والجملة التي دخلت عليها شرطية في معنى الشرط.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: كيف نظم الكلام؟ قلت: ما بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ إلى قوله:

﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾

جعل غاية للابتلاء، وهي ﴿حَتَّىٰ﴾ التي تقع بعدها الجمل، والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية، لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط ﴿بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ وقوله:

﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾

جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا النكاح. فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم، فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم.

فإن قلت: فما معنى تنكير الرشد؟ قلت: معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة. أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد[٢]

ثم نهى – سبحانه – الأوصياء وغيرهم عن الطمع في شيء من مال اليتامى فقال – تعالى – :

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾

أي: ادفعوا أيها الأولياء والأوصياء إلى اليتامى أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ، ولا تأكلوها مسرفين في الأكل ومبادرين بالأخذ خشية أن يكبروا، بأن تفرطوا في إنفاقها وتقولوا: ننفقها كما نريد قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا.

والإسراف في الأصل – كما يقول الألوسي – تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح. وربما كان ذلك في الإفراط وربما كان في التقصير، غير أنه إذا كان في الإفراط منه يقال: أسرف يسرف إسرافا. وإذا كان في التقصير يقال: سرف يسرف سرفا[٣]

وقوله ﴿وَبِدَارًا﴾ مفاعلة من البدر وهو العجلة إلى الشيء والمسارعة إليه. وهما – أي قوله: ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾

(١) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٣٦
(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٧٢ بتصرف وتلخيص.
(٣) تفسير الآلوسي جـ ٤ ص ٢٠٦

منصوبان على الحال من فاعل في قوله ﴿تَأْكُلُوهَا﴾ أي: ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم. أو منصوبان على أنهما مفعول لأجله، أي ولا تأكلوها لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم.

والمراد من هذه الجملة الكريمة بيان أشنع الأحوال التي تقع من الأوصياء أو الأولياء وهي أن يأكلوا أموال اليتامى بإسراف وتعجل مخافة أن يبلغ الأيتام رشدهم، فيؤخذ من أولئك الأوصياء تلك الأموال لترد إلى أصحابها وهم اليتامى بعد أن يبلغوا سن الرشد.

ثم بين – سبحانه – ما ينبغي على الوصي إذ كان غنيا وما ينبغي له إن كان فقيرا فقال:

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾

والاستعفاف عن الشيء تركه، يقال: عف الرجل عن الشيء واستعف إذا أمسك عنه. والعفة: الامتناع عما لا يحل.

أي: ومن كان من الأولياء أو الأوصياء على أموال اليتامى غنيا فليستعفف، أي فليتنزه عن أكل مال اليتيم، وليقنع بما أعطاه الله من رزق وفير إشفاقا على مال اليتيم، ومن كان فقيرا من هؤلاء الأوصياء فليأكل بالمعروف بأن يأخذ من مال اليتيم على قدر حاجته الضرورية وأجر سعيه وخدمته له. فقد روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: إني فقير ليس لي شيء ولي يتيم. قال فقال له النبي ﷺ: كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل[١]. أي غير مسرف في الأخذ، ولا مبادر أي متعجل ولا جامع منه ما يجاوز حاجتك.

ثم بين – سبحانه – ما ينبغي على الأوصياء عند انتهاء وصايتهم على اليتامى وعند دفع أموالهم إليهم فقال:

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

أي: فإذا أردتم أيها الأولياء أن تدفعوا إلى اليتامى أموالهم التي تحت أيديكم بعد البلوغ والرشد، فأشهدوا عليهم عند الدفع بأنهم قبضوها وبرئت عنها ذممكم، لأن هذا الإشهاد أبعد عن التهمة، وأنفى للخصومة، وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة.

وقوله – تعالى – ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي كفى بالله محاسبا لكم على أعمالكم وشاهدا عليكم في أقوالكم وأفعالكم، ومجازيا إياكم بما تستحقون من خير أو شر، لأنه – سبحانه – لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وإنكم إن أفلتم من حساب الناس في الدنيا فلن تفلتوا من حساب الله الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فعليكم أن تتحروا الحلال في كل تصرفاتكم، ففي هذا التذييل وعيد شديد لكل جاحد لحق غيره، ولكل معتد على أموال الناس وحقوقهم، ولاسيما اليتامى الذين فقدوا الناصر والمعين.

هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة جملة من الأحكام منها:

١ – أن على الأوصياء أن يختبروا اليتامى بتتبع أحوالهم في الاهتداء إلى ضبط الأموال وحسن

(١) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٤١

التصرف فيها، وأن يراقبهم على ذلك بحسب ما يليق بأحوالهم.

ويرى جمهور العلماء أن هذا الاختبار يكون قبل البلوغ، ويرى بعضهم أن هذا الاختبار يكون بعد البلوغ.

وقد قال القرطبي في بيان كيفية هذا الاختبار ما ملخصه: لا بأس في أن يدفع الولي إلى اليتيم شيئا من ماله يبيح له التصرف فيه، فإن نماه وحسن النظر فيه فقد وقع الاختبار، ووجب على الوصي تسليم جميع ماله إليه – أي بعد بلوغه – وإن أساء النظر وجب عليه إمساك المال عنه.

وقال جماعة من الفقهاء: الصغير لا يخلو من أن يكون غلاما أو جارية، فإن كان غلاما رد النظر إليه في نفقة الدار شهرا، وأعطاه شيئا نزرا ليتصرف فيه ليعرف كيف تدبيره وتصرفه، وهو مع ذلك يراعيه لئلا يتلفه، فإذا رآه متوخيا الإصلاح سلم إليه ماله عند البلوغ وأشهد عليه.

وإن كان جارية رد إليها ما رد إلى ربة البيت من تدبير بيتها والنظر فيه، فإن رآها رشيدة سلم إليها مالها وأشهد عليها وإلا بقيا تحت الحجر»[1].

وقد بنى الإمام أبو حنيفة على هذا الاختبار أن تصرفات الصبي العاقل المميز بإذن الولي صحيحة، لأن ذلك الاختبار إنما يحصل إذا أذن له الولي في البيع والشراء – مثلا – وهذا يقتضي صحة تصرفاته.

ويرى الإمام الشافعي أن الاختبار لا يقتضي الإذن في التصرف ولا يتوقف عليه، بل يكون الاختبار بدون التصرف على حسب ما يليق بحال الصبي، فابن التاجر – مثلا – يختبر في البيع والشراء إلى حيث يتوقف الأمر على العقد وحينئذ يعقد الولي إن أراد.

٢- كذلك أخذ العلماء من هذه الآية أن الأوصياء لا يدفعون أموال اليتامى إليهم إلا بتحقق أمرين:

أحدهما: بلوغ النكاح.

والثاني: إيناس الرشد.

والمراد ببلوغ النكاح بلوغ وقته وهو التزوج، وهو كناية عن الخروج من حالة الصبا للذكر والأنثى، بأن توجد المظاهر التي تدل على الرجولة في الغلام، والتي تدل على مبلغ بلوغ النساء في الفتاة، وذلك يكون بالاحتلام أو بالحيض بالنسبة للفتاة أو ببلوغ سن معينة قدرها بعضهم بخمس عشرة سنة بالنسبة للذكر والأنثى على السواء.

وقدرها أبو حنيفة بسبع عشرة سنة بالنسبة للفتاة، وبثماني عشرة سنة بالنسبة للفتى.

ومن بلاغة القرآن الكريم أنه عبر عن حالة البلوغ بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ لأن هذا الوقت يختلف باختلاف البلاد في الحرارة والبرودة، وباختلاف أمزجة أهل البلد الواحد في القوة والضعف، والصحة والمرض.

(١) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٣٥

والمراد بإيناس الرشد: أن يتبين الأولياء من اليتامى الصلاح في العقل والخلق والتصرف في الأموال.

ويرى جمهور العلماء أن اليتيم لا يدفع إليه ماله مهما بلغت سنه ما لم يؤنس منه الرشد لأن الله – تعالى – يقول:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾

(النساء: ٥)

ويقول:

﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾

ومعنى ذلك أنه إذا لم يؤنس منهم الرشد لا تدفع إليهم أموالهم، بل يستمرون تحت ولاية الأولياء عليهم لأنهم لا يزالون سفهاء لم يتبين رشدهم.

وقد خالف الإمام أبو حنيفة جمهور الفقهاء فقال: لا يدفع إلى اليتيم ماله إذا بلغ ولم يؤنس منه الرشد حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة، فإذا بلغها عاقلا ولو غير رشيد فليس لأحد عليه سبيل، ويجب أن يدفع الوصي إليه ماله ولو كان فاسقا أو مبذرا.

قالوا: وإنما اختار أبو حنيفة هذه السن لأن مدة بلوغ الذكر عنده ثماني عشرة سنة، فإذا زيد عليها سبع سنين – وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان – فعند ذلك يدفع إليه ماله أونس منه الرشد أو لم يؤنس، لأن اسم الرشد واقع على العقل في الجملة، والله – تعالى – شرط رشدا منكرا ولم يشترط سائر ضروب الرشد، فاقتضى ظاهر الآية أنه لما حصل العقل فقد حصل ما هو الشرط المذكور في هذه الآية[1].

٣- كذلك أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة أن الوصي على اليتيم إذا كان غنيا فعليه أن يتحرى العفاف، وألا يأخذ شيئا من مال اليتيم، لأن أخذه مع غناه يتنافى مع العفاف الذي يجب أن يتحلى به الأوصياء، ويعتبر من باب الطمع في مال اليتيم.

أما إذا كان الوصي فقيرا فقد أذن الله له أن يأكل من مال اليتيم بالمعروف أي بالقدر الذي تقتضيه حاجته الضرورية، ولا يستنكره الشرع ولا العقل.

وقد بسط الإمام الرازي القول في هذه المسألة فقال ما ملخصه: اختلف العلماء في أن الوصي هل له أن ينتفع بمال اليتيم أو لا؟

فمنهم من يرى أن للوصي أن يأخذ من مال اليتيم بقدر أجر عمله، لأن قوله – تعالى –:

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾

مشعر بأن له أن يأكل بقدر الحاجة، ولأن قوله – تعالى –

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾

(النساء: ١٠)

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ١٨٩ – بتصرف وتلخيص.

يدل على أن مال اليتيم قد يؤكل ظلما وغير ظلم، ولو لم يكن ذلك لم يكن لقوله:

﴿[illegible]﴾ فالنفقة، فهذا يدل على أن للوصي المحتاج أن يأكل من ماله بالمعروف، ولأن الوصي لما تكفل بإصلاح مهمات الصبي وجب أن يتمكن من أن يأكل من ماله بقدر عمله قياسا على الساعي في أخذ الصدقات وجمعها؛ فإنه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا.

ومنهم من يرى أن له أن يأخذ بقدر ما يحتاج إليه من مال اليتيم قرضا، ثم إذا أيسر قضاه، وإن مات ولم يقدر على القضاء بأن كان معسرا فلا شيء عليه»[1].

ويشهد لهذا الرأي قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: «إني أنزلت نفسي من هذا المال منزلة والي اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن احتجت استقرضت، فإذا أيسرت قضيت»[2].

٤- كذلك من الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية أن على الأوصياء عندما يدفعون أموال اليتامى إليهم أن يشهدوا على دفعها، منعا للخصومات والمنازعات، وإبراء لذمة الأوصياء، ولكي يكون اليتامى على بينة من أمرهم.

وقد اختلف العلماء في أن الوصي إذا ادعى بعد بلوغ اليتيم أنه قد دفع إليه ماله هل يصدق؟ وكذلك إذا قال: أنفقت عليه في صغره هل يصدق؟

أما الشافعية والمالكية والحنابلة فيرون أنه لا يصدق؛ لأن الآية الكريمة تقول:

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾

وقوله ﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر، وظاهر الأمر أنه للوجوب.

وليس معنى الوجوب هنا أنه يأثم إذا لم يشهد، بل معناه أن الإشهاد لابد منه في براءة ذمته بأن يدفع له ماله أمام رجلين أو رجل وامرأتين حتى إذا دفع المال ولم يشهد ثم طالبه اليتيم فحينئذ يكون القول ما قاله اليتيم بعد أن يقسم على أن الوصي لم يدفع إليه ماله.

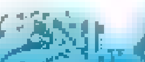
ويرى الإمام أبو حنيفة أن الأمر في قوله –

﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾

للندب، وأن الوصي إذا ادعى ذلك يصدق ويكتفى في تصديقه بيمينه؛ لأنه أمين لم تعرف خيانته، إذ لو عرفت خيانته لعزل، والأمين يصدق باليمين إلا كان هناك خلاف بينه وبين من ائتمنه، ولأن قوله – تعالى – بعد ذلك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ يؤيد أن البينة ليست لازمة، إذ معناه أنه لا شاهد أفضل من الله – تعالى – فيما بينكم وبينهم.

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ١٩٠

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٥١



﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥)

عصمة الله لرسوله ﷺ

للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

إن مكانة رسول الله ﷺ عالية، وإن منزلته سامية، فمهما تطاول المتطاولون قديما وحديثا، فلن يستطيعوا أن ينالوا منه منالا، لأن رب العزة سبحانه وتعالى كما صان القرآن الكريم وحفظه كما قال تعالى معلنا أنه تكفل بحفظه

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)

فقد تكفل بعصمة رسوله ﷺ من المستهزئين ومن الناس أجمعين

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يجهر بدعوته التي أمر بتبليغها وأن يعرض عن المشركين، فلا يلتفت إلى الظالمين المعادين، والمشركين الآثمين، الذين يريدون أن يصدوه عن آيات الله:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾

(الحجر: ٩٤، ٩٥)

لقد أمر الله تعالى حبيبه ومصطفاه ﷺ أن يجهر بالدعوة وألا يخاف أعداء الإسلام من المشركين، فإن الله تعالى كافيه إياهم، وحافظه من شرورهم وأذاهم، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

(المائدة: ٦٧)

ولقد هدد القرآن أولئك المستهزئين وحمل لهم الوعيد الشديد فبعد أن قال سبحانه:

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾

(الحجر: ٩٥)

قال جل وعلا:

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

(الحجر: ٩٦)

فهؤلاء المشركون الذين أشركوا بالله وجعلوا



معه إلها آخر في اعتقادهم الباطل لهم هذا التهديد الشديد والوعيد الأكيد وهو أيضا وعيد لكل من جعل مع الله آلها آخر ومعبودا آخر وهو وعيد لكل من استهزأ بالرسول ﷺ.

وبين الله سبحانه وتعالى لحبيبه ومصطفاه أنه يعلم ما يعانيه وما يلقاه من أذى المشركين:

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ۞ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ۞ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾

(الحجر: ٩٧-٩٩)

أي أن الله تعالى يعلم ما يحصل لرسوله ﷺ من أذاهم وبسبب استهزائهم من ضيق صدر ومن انقباض، فعليه أن يستمر في الطريق ولا يثنيه كل هذا عن تبليغ الرسالة وعليه أن يتوكل على الله فهو كافيه وناصره عليهم، وليشتغل بذكر ربه – سبحانه وتعالى – وعليه أن يسبح بحمد ربه وأن يكون من الساجدين وليكثر من العبادة والصلاة

﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾

(الحجر: ٩٨)

عن نعيم بن همار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره». رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

ومن أجل هذا «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى». رواه أبو داود والنسائي.

وأمره الله تعالى باستمرار العبادة والصلاة حتى الموت فقال:

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾

(الحجر: ٩٩)

ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتا فيصلي بحسب حاله، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب». رواه البخاري.

وقد حفظ الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ وصانه من المستهزئين ومن أعدائه من المشركين وغيرهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» قال: وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا:

﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾

(العلق: ٦)

إلى آخر السورة، رواه الطبري، وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال: «لئن فعل لأخذته الملائكة». رواه البخاري.

وهكذا صان الله تعالى رسوله ﷺ من أذى المشركين ومن تطاول المستهزئين.

وإذا كانت عصمة الله تعالى لرسوله ﷺ عبر التاريخ على هذا النحو، فلماذا لم يحدث للذين تطاولوا – في عصرنا الحالي – على رسول الله ﷺ مثل ما حدث للسابقين من المتطاولين؟

والجواب على هذا هو أن الله تعالى يُمهل ولا يهمل كما قال جل شأنه:

﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾

(إبراهيم: ٤٢)

وكما قال الرسول ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». (أخرجه البخاري)

وكما صان الله تعالى رسوله ﷺ وعصمه من الناس ورد عنه المستهزئين ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ فإنه سبحانه وتعالى، يرد أعداء الإسلام ومن يحاولون إطفاء نور الإسلام، وقد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله قال سبحانه:

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ۞ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾

(التوبة ٣٢، ٣٣)

وقد وضح رسول الله ﷺ ظهور دينه، حيث قال: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها» رواه مسلم.

وعن تميم الداري – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر». فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك (في) أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية» رواه أحمد.

■ وكما عصم الله تعالى رسوله ﷺ من الناس فإن الله سبحانه وتعالى وضح منزلة رسوله ﷺ وأنه نعمة مَنَّ الله تعالى به على العالمين حيث قال سبحانه:

﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾

(آل عمران: ١٦٤)

فواضح أن نعمة الله على العالم ببعثة سيدنا محمد ﷺ فاقت سائر النعم، لأنه ﷺ بعث رحمة للعالمين، ولأنه من أنفسهم، ولأنه يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ووضح رب العزة سبحانه أن رسوله ﷺ نور:

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾

(المائدة: ١٥)

فالنور هو الرسول ﷺ، والكتاب المبين هو كلام رب العالمين وهو القرآن الكريم، أو النور هو الإسلام كما رأى بعض العلماء.

وبين الله تعالى أن محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله يجب أن تكون أعظم وأولى من الأمور الدنيوية كلها فإن آثر أحد حب أمور الدنيا على الله ورسوله والجهاد، فله الوعيد الشديد حيث قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

(التوبة: ٢٤)

ومن مكانة رسول الله ﷺ ومنزلته عند ربه سبحانه أن جعل الله تعالى الذين يبايعون رسوله إنما يبايعون الله فقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

(الفتح: ١٠)

وجعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ طاعة له فقال سبحانه:

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

(النساء: ٨٠)

وعندما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ بين أنه سبحانه بنفسه يصلي عليه وأن ملائكته تصلي عليه ليبين لنا فضل الصلاة على حبيبه ومصطفاه فقال سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(الأحزاب: ٥٦)

ثم بين سبحانه عقب ذلك مباشرة عقوبة الذين يؤذون الله ورسوله وهي الطرد من رحمة الله دنيا وأخرى وأعد لهم في النار عذابا ذا إهانة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

(الأحزاب: ٥٧)

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ ألا يجازي الكافرين والمنافقين على أذاهم إلى أن يؤمر فيهم بأمر لأن الله تعالى يتولى ذلك كله فقال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

(الأحزاب: ٤٨)

الرسول ﷺ والعلم الحديث

الأستاذ الدكتور: محمد فتحي فرج
كلية العلوم - جامعة المنوفية

لم يذكر التاريخ الإنساني، على امتداده، منذ بدء الخليقة وإلى الآن، من يعرف للعلم قدره ويدعو له ويشجع عليه بكل السبل كنبي الإسلام، محمد بن عبدالله - صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين، إلى يوم الدين.

ومن الأقوال التي لا يختلف عليها اثنان أن الإسلام دين العلم والمدنية، ما في ذلك من شك، ولله فإن ما جاء بالقرآن الكريم من الحض على العلم والتعلم، أكده النبي ﷺ مرارا وتكرارا في مناسبات كثيرة ومواقف متعددة، وبشكل مباشر وغير مباشر أيضا، فالقرآن الكريم يبدأ نزوله الشريف بأمر الحق - جل وعلا - بالقراءة وهي أعظم وسيلة من وسائل العلم والتعلم في قوله تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

(العلق: ١ - ٥).

ثم شرف الله تعالى أداة من أدوات العلم وهي القلم وما ينتجه من سطور وعلم كان محبوسا في الصدور، فأقسم الله تعالى بهما مدافعا عن نبيه من تهمة كاذبة ألصقها به المشركون الضالون، ثم وعده الأجر العظيم، وزكاه لخلقه الكريم، وذلك في قوله عز من قائل، في سورة سميت بالقلم:

﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(القلم: ١ - ٤).

أما الرسول ﷺ فيقول حاثا على طلب العلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١]، إذ به

(١) معجم الأوسط للطبراني

تعرف قدر الله جل وعلا، ونعرف ما فرضه علينا من الفرائض وما نهانا عنه من النواهي وبه نعبد الله تعالى على الوجه الصحيح الذى يرضيه، وبه نعرف الحلال فنقبل عليه ونعرف الحرام فنأى بأنفسنا عنه.. وهكذا.

ومنه قوله ﷺ: «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع»[٢]، ومنها بيانه ﷺ في أن العلم والتعلم من وسائل صيانة الإنسان وحمايته من الهلاك، وذلك في قوله: «كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك»[٣].

ومنها أيضا قوله ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب»[٤].

أما تقديره لنعمة العقل ولفظه للخرافة، وتسليمه بنواميس الكون التى تجرى بقدرة الله، بعيدا عن سوء الفهم وسوء التفسير، فكل أولئك أيضا دعوة صادقة – ولو بطريق غير مباشر – إلى العلم وفي سبيل ذلك يغتنم الرسول ﷺ كل فرصة مناسبة لترضيح هذا الأمر والتأكيد عليه حتى ولو كانت مناسبة يغلب فيها الحزن والأسف فحينما مات ولده إبراهيم – عليه السلام – تصادف أن كسفت الشمس، حتى أن المسلمين قد ظنوا أنها قد كسفت لموت إبراهيم ولكن النبي ﷺ، الذى انكسفت الشمس حقا في عينيه – كما يقول العقاد رحمه الله – يقول: كلا! ثم يؤكد النبي ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته»[٥].

هذا هو نبينا الصادق الأمين، يرفض هذا الربط الذى تصادف أن وقع إبان رحيل حبيبه، وكان يمكن أن يصمت ويكفي، خاصة في مقام الحزن هذا، وله كل العذر في هذا الوقت العصيب. إلا أنه – وهو الصادق الأمين، رسول الله ﷺ الذى يدعو إلى العلم ونبذ الخرافات – يرفض هذه المنحة الطبيعية، ويقرر أنها غير مرتبطة – حتى لو حدثت في هذه الظروف بالذات – بموت فلذة كبده، وحتى لو كسفت الشمس في حنايا نفسه الطاهرة ﷺ.

الرسول والعلم الحديث:

يقودنا هذا إلى موقف الرسول ﷺ من العلم التجريبي وقد كتب كثيرون في هذا المجال، ولكن من زاوية أخرى وهى موافقة رأى النبي ﷺ لما جاء به العلم الحديث من توجيهات أو حقائق أو نظريات ومن الكتب التى تعرضت لذلك بعض كتب الأستاذ الدكتور زغلول النجار، ومن قبله رائد هذا المجال الأستاذ عبد الرزاق نوفل – رحمه الله – لا سيما في كتابيه «الرسول والعلم الحديث» و«السنة والعلم الحديث».

أما ما نعنيه هنا فليست تلك الإشارات

---

(٢) سنن الترمذي
(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة
(٤) مسند أحمد
(٥) صحيح البخاري

واللمحات التى توافق ما جاء به العلم الحديث – على أهميتها – ولكن كيف كان الرسول ﷺ رائدا في الحض على العلم بمعناه الواسع والذى يمكن أن يشمل أيضا العلم الحديث بمعناه الذى قصدناه.

إذن نحن نبحث عن المبادئ التى أرساها النبي ﷺ والتى تحض أيضا على الاهتمام بالعلم بشكل عام، وبمعناه الحديث على وجه الخصوص وقد لخصها الدكتور يوسف القرضاوى في كتابه الرائع «الرسول والعلم» ومنها ما يلي

القضاء على الأمية:

ومن دعائم العلم القضاء على الأمية، وقد حرص النبي ﷺ على محاربتها والقضاء عليها على الرغم من أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولذلك فقد استكتب بعض الصحابة لتدوين القرآن الكريم والحفاظ عليه من التحريف والتغيير فعمل الرسول بكل السبل لتقليص حجم الأمية. ومن ذلك أنه كان يفادى الأسرى على قدر أموالهم، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة ليعلمهم، فإذا «حذقوا» فهو فداؤه. ولم يقف حث النبي ﷺ على تعلم الكتابة عند الرجال فقط، بل شمل النساء أيضا، وقد علمت الشفاء بنت عبد الله أم المؤمنين حفصة بنت عمر الكتابة

ومن التعاليم التى بثها النبي ﷺ وحض عليها أيضا تعلم اللغات الأجنبية لا سيما حين الحاجة إليها، فلم يمنع الإسلام من تعلم لغات الآخرين، بل دعا إليها باعتبارها وسيلة لنشر دعوته في العالم، إذ إن رسالته في واقع الأمر رسالة عالمية وقد أثر عن زيد – رضى الله عنه – قوله: أمرني رسول الله ﷺ، فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية، وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، فما مر لي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته، فكنت أكتب له إليهم، وأقرأ له كتبهم. (رواه البخاري).

تكوين العقلية العلمية:

والعقلية العلمية هى التى تنبذ الخرافات، والتقليد الأعمى، والأخذ بالظن، وقد أشرنا آنفا إلى موقف الرسول ﷺ من رفضه لرأى بعض الصحابة، الذين قرنوا بين كسوف الشمس وموت ولده إبراهيم – عليه السلام – حينما تصادف وقوع الحدثين في وقت واحد.

فالعقلية العلمية التى يريدها النبي هى التى تنبذ التقليد الأعمى، ولا تحكم العواطف والأخذ بالظن، الذى حذر منه النبي ﷺ في قوله: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» رواه الترمذى عن أبى هريرة.

أما رفضه ﷺ للتقليد الأعمى، حتى لو قال به «الجمهور الغفير»، فيبدو واضحا في قوله: «لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس، إن أحسنوا

أحسنت، وأن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا ألا تظلموا» رواه الترمذى.

والعقلية العلمية تتفرع بجملة من الأسس التى تنهض بها وتعين عليها وتحجز لمعالمها وخططها ومن ذلك:

إيثاره التجربة واللجوء لأهل الخبرة:

القرآن الكريم يقول:

﴿ ... مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(فاطر: ١٤)

وعلى الرغم من خصوص السياق فإن عموم اللفظ يشير - بما لا يدع مجالا لشك - إلى اللجوء لأهل الخبرة والتخصص، فعندهم ما يخبرون به من الصدق والحق الكثير والكثير.

ولذلك كان الرسول ﷺ يعمل بمشورة أهل الخبرة والحنكة والعلم، ومن ذلك أنه ﷺ حينما تساءل بعض صحابته «الحباب بن المنذر» عن المنزل الذى أراد النبى لجيشه النزول به فى موقعة بدر: أمنزل أنزلكه الله، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة. ثم أشار عليه المنذر برأيه، فاقتنع النبى وقال قولته: «لقد أشرت بالرأى». والحديث فى سيرة ابن هشام.

أما طلبه ﷺ للمتخصصين من الأطباء، عند التطبيب وطلب العلاج، فمعروف، والأمثلة فى هذا الشأن كثيرة متنوعة.

وقد ورد فى صحيح مسلم أنه ﷺ قال لأصحابه: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى، فإنما أنا بشر». وفى صحيح مسلم أيضا من رواية عائشة وأنس: «أنه ﷺ قال لهم بعد أن خرج التمر شيصا - أى بسرا ورديئا - ما لنخلكم؟! قالوا: قلت كذا وكذا. قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».



د. القرضاوى

ويعلق الدكتور القرضاوى على ذلك قائلا: فالقانون الذى يجب الخضوع له هنا هو القانون الذى تنتجه الخبرة والممارسة أو التجربة والمشاهدة. وهنا يكفى العقل الإنسانى فى هذه الأمور هاديا ودليلا أما الوحى فحسبه أن يضع للناس القيم والمبادئ العامة والضوابط، ثم يدع البشر يتصرفون تبعا لما يعلمون، وحسبهم هذه الكلمة الجليلة: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

أما التخطيط وإعداد العدة، واللجوء للإحصاء، واقتباس كل علم نافع؛ مهما كان مصدره، فكلها أمور حرص عليها النبى ﷺ فى أوقات الحرب وأوقات السلم ولولا أن المساحة المتاحة تضيق عن التفصيل، وإيراد المزيد من الأمثلة والنماذج المقرونة بأحاديث النبى ﷺ فى هذه الأمور لاستغرقنا فى تعديدها وذكرها بتفصيلاتها هنا، ولكن حسبنا ما ذكرناه، فالقليل منه يدل على الكثير، والله أسأل أن ينفعنا به. آمين.

المواطنة فى الإسلام

الدكتور محمد الشحات الجندى
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

التمتع بحقوق المواطنة أصل من أصول السياسة الشرعية

النظام السياسي فى الإسلام، وتسيير شئون الحكم فى الدولة يقوم على السياسة العادلة والمصلحة العامة دونما تفرقة بين أتباع الأديان وشركاء الوطن وأصحاب الأرض حيث إنهم يتفقون جميعا على وحدة الشعور والمصير

وهذا النظر يفرض على القائمين على سدة الحكم أن يتخذوا من التدابير والإجراءات ما توجبه العدالة بمظلتها الشاملة على كل أبناء الوطن وما تقتضيه المصلحة العامة من وأد الأخطار التى تهدد المجتمع وسط أجواء من التربص والتآمر على مصير الإسلام والوطن، والرغبة الحثيثة فى إشعال نيران الفتنة الطائفية، وضعت كل نزاع بين المسلم وغير المسلم على أنه صراع طائفى، وعنصرية إسلامية، وسعى لإقصاء الأخ غير المسلم مسيحيا كان أم يهوديا، بغرض خلعه من انتمائه الإسلامى وولائه الوطنى، وهذا يتصادم مع السياسة الإسلامية بما يستوجبه من رعاية وكفالة كل أفراد المجتمع، وسن النظم والقوانين الضامنة لتحقيق ذلك، والتقاعس عن ذلك هو إخلال بواجب فى الشرع، وتعطيل لمصالح الخلق.

ويحمل ابن القيم على أولئك الذين لا يفهمون حقائق الشريعة وحرصها على تحقيق المصالح، وحصر الشريعة فى نطاق ضيق، وعدم التمكن من أفقها الواسع ويصفهم بأنهم[1]: جعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طرقا صحيحة من الطرق التى يعرف بها المحق من المبطل وعطلوها مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق ظنا منهم منافاتها لقواعد الشرع، والذى أوجب لهم ذلك نوع تقصير فى معرفة حقيقة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها، فلما رأى ولاة الأمر ذلك ورأى الناس لا يستقيم أمرهم إلا بشىء زائد على

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، جـ٤، ص ٣٧٢، ٣٧٣.

ماقهمه هؤلاء من الشريعة فأحدثوا لهم قوانين سياسية ينتظم بها مصالح العالم فتولد من تقصير أولئك في الشريعة وإحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شر طويل وفساد عريض وتفاقم الأمر وتعذر استدراكه وأفرط فيه طائفة أخرى فيه ما يناقض حكم الله ورسوله وكلتا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله، فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها، ولن تجد طريقا من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها وهل يظن بالشريعة العادلة خلاف ذلك؟

إذا تقرر ذلك فإن صرح المجتمع الإسلامي مشيد على أن تكون المواطنة لكل فرد فيه مسلما أم غير مسلم حتمية شرعية، توجب على المواطن في دولة الإسلام أن يكون مواطنا يتمتع بحقوق المواطنة، وأن يلتزم بواجباتها وتضحى الدولة والمجتمع مسئولان عن تحمل التبعات الناشئة عن ذلك، وهذا ما أشار إليه حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، وامرأة الرجل راعية على بيت زوجها وولدها وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[2].

فهذا الحديث يقرر مسئولية الحاكم عن الرعية وأفراد الشعب كما يقرر مسئولية الفرد والجماعة تجاه المجتمع والوطن والدولة كل في نطاق مسئوليته، والاختصاصات التي يتولاها.

ومن أجل التأكيد على حقوق الرعية أو المواطنة، كان المؤمن بهذا الوصف في المجتمع الإسلامي يتساوى مع أخيه المؤمن، لا فرق بين الرجل والمرأة والرئيس والمرءوس فالكل مواطن في المجتمع المسلم، نجد ذلك في قوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(التوبة: ٧١)

(٢) انظر في حقوق الرعية على الإمام وحق الدولة على الرعية كتاب الأموال لأبي عبيد ١٣٧٥هـ ص ١٠، ١١.

وفي حديث الرسول ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[3]. وهو إلهام وتكريس لمبدأ المواطنة بما يستوجبه من المساواة في الحرمة والكرامة، وإكساب الفرد حقوقا في المجتمع بغض النظر عن جنسه ونوعه وحيازته نصيبا في حق الولاية عن المسلمين، وإرشاده إلى أن جماعة المؤمنين هم أهل الوطن، وهي الجماعة التي تكتسب صفة المؤمنين، أو مواطني دولة الإسلام، لا فرق بين أفراد النوع، ولا بمكانته في الهيئة الاجتماعية.

وهناك من النصوص تفرد للمرأة حق الولاية في المجتمع والدولة بصفة خاصة، وما أولته إياها من إبرام حق سياسي يتجلى في عقد الأمان، فيما روته أم هانئ بنت أبي طالب أنها ذهبت إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل، وفاطمة تستره بثوب، قالت: فسلمت - وذلك ضحى - فقال: من هذا؟ فقلت أنا أم هانئ، قلت يا رسول الله: زعم ابن أمي قاتل رجلا قد أجرته «فلان» - هبيرة أو فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»[5].

وفي الحديث دلالة على قيام المرأة بدور في مسألة تتعلق بالنظام السياسي بل وفي مسألة تخص سيادة الدولة الناشئة في منح الأمان.

ويمضي تطبيق هذا المبدأ إلى أقصاه ليعم كل فرد مهما كانت وضعيته الاجتماعية، فأصحاب الحاجة والضعفاء أيا كانت الحالة التي تلبثت بها مرتبته مشمول بهذا الحق، دليله ما روي عن الرسول ﷺ: «لا قدست أمة لا يعطى فيه الضعيف حقه غير متعتع»[4] (أي غير متردد في إعطاء حقه) والمواطنة أجدر الحقوق التي يتمتع بها من هم في الطبقة الدنيا في السلم الاجتماعي.

ولا يختلف غير المسلم عن المسلم في سياق تطبيق مبدأ الرعوية الإسلامية أو المواطنة كمبدأ دستوري، فإن حقه فيه ثابت لا سبيل إلى الجدل فيه أو إثارة الشكوك حوله، فالمسلم به تقرير حق المواطنة لغير المسلم في المجتمع الإسلامي، وتأمين حقوقه فيه، وضمان تعهد هذه الحقوق والإبقاء عليها، وإيجاب المساءلة والمحاسبة لمن يضيعه، أو ينقص منه يشهد لذلك فيما روي عن الرسول صلوات الله عليه: «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، فأنا خصيمه يوم القيامة».

كذلك في الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ لنصارى نجران ونصها[6]: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليه دنية ولا دم جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف «العدل» غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة

(٣) الزيلعي، نصب الراية، ج٣، ص٣٩٣.
(٥) أبو الفضل الحسيني، الكنز الثمين، ص٩٥.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، ج٦، ص٩٤، ٩٥.
(٦) أبو يوسف، الخراج، ص٧٨.

محمد النبي رسول الله أبدا، حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مظلومين ومتلبسين بظلم».

وبنظرة على ما تضمنته هذه الوثيقة يتبين منها أنها تقرر جملة من الحقوق التي تنطوي على أن المواطنة في الإسلام حقيقة وممارسة منها: حقوق دينية، وممارسة شعائر عبادية، وحماية حرية العقيدة، وحقوق مدنية وإنسانية، كذلك حقهم في العدالة والإنصاف في القضاء وتقاضي الحقوق، والمسئولية الشخصية عما اقترفوه من ذنب أو جريمة، وحقهم في الأمان، وواجبهم في النصيحة والإخلاص للوطن، والإصلاح والعمل على كل ما ينهض بالوطن، فهي وثيقة أخرى توجب حقوقا وواجبات على المسلمين للنصارى، وعلى النصارى للمسلمين.

واتساقا مع هذه الحقيقة، أرست السياسة الشرعية قاعدتين يدور عليهما مدار الأمر كله في شأن الحقوق العقدية والمدنية، فالحقوق الدينية أو العقدية تتلخص في قاعدة: «أمرنا بتركهم وما يدينون».

والقاعدة المتعلقة بالحقوق المدنية هي: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

والقاعدتان هما جماع حقوق الرعوية أو المواطنة، يبرزان على نحو ساطع أن المواطنة في الإسلام معلومة ومقررة منذ النشأة الأولى للمجتمع والدولة الإسلامية الناشئة في المدينة، وأنها ليست أمرا غريبا أو دخيلا على الإسلام، كما أنها لم تكن بحال من الأحوال مدخولة على نظامه في الحكم وإنما كانت جزءا من سياسته العادلة، وأحكامه الثابتة ومبادئه الأساسية المطبقة في واقع المجتمع الإسلامي مع غير المسلمين، في عصور أنكرت فيه الحضارة الرومانية والفارسية هذا الحق على الأجانب، وعلى الأمم التي كانت تخضع لها.

ولا يتعارض مبدأ المواطنة بمفهومه المعاصر مع عقد الذمة، إذ إن ثمة قاسما مشتركا بينهما في أن كلا منهما هو الإنسان باعتباره موضع الرعاية والكرامة والحماية، بما يتطلبه ذلك من الاعتراف له بجملة من الحقوق، وفي المقابل فإنه يتحمل بالواجبات التي تقتضيها المواطنة أو الذمة الإسلامية.

ومع ذلك فإن الذمة تمثل التزاما دينيا تجاه غير المسلم، وإحدى مسئوليات الفرد والمجتمع والدولة على سواء، لكن المواطنة يغلب عليها الطابع السياسي باعتبارها مبدءا دستوريا، كذلك فإنها تشتمل على جوانب أخرى اجتماعية واقتصادية وقد يجادل البعض في عقد الذمة، على سند من اقترانه بعقد الجزية، وما يختلط به من مفاهيم خاطئة تتعلق بمعناه وفحواه وما يرتبه من التزامات يحصرها البعض في تفسيرات مغلوطة وتأويلات سقيمة، لا دليل صحيح عليها من النصوص والممارسات الإسلامية في عصر الرسول والراشدين.

والحق أن الجزية إنما هي في مقابل الزكاة الواجبة على المسلم، كما أنها ضريبة دفاع تسقط إذا انخرط غير المسلم في جيش المسلمين وقام بواجبه في الدفاع ونصرة الوطن، باعتبار أن ذلك التزام أصيل عليه، كما أنها إسهام في تفعيل التكافل، ومع ذلك فإنه يمكن الاستعاضة بموارد بديلة للجزية.

وأيا ما كان الأمر فإن الجزية ليست فريضة لا يجوز العدول عنها، وإنما لها بديل، بل هو الالتزام الأصلي المتمثل في المشاركة الفردية في أعمال الجهاد ضد المعتدين، والمشاركة في الأعباء المالية للدولة.

ويمكن من خلال الفهم المتبصر لعقد الذمة قبول فكرة أن مبدأ المواطنة تطوير وامتداد لعقد الذمة، وأن غير المسلم المسيحي واليهودي هو مواطن في دولة الإسلام، ومن ثم يكون مبررا شرعا الاحتفاظ بجوهر الرعوية الإسلامية، بما تحتوي عليه من ضمانات مادية ومعنوية لغير المسلم، وجواز استخدام مصطلح المواطنة بديلا عن الرعية أو الذمة، تأسيسا على القاعدة الأصولية: العبرة في العقود والتصرفات بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، ومن ثم فلا مشاحة في الاصطلاح، ولا يضير الشريعة أن نستخدم مبدأ المواطنة بديلا عن الذمة، وأن يكون غير المسلمين في الدولة الإسلامية مواطنين لا ذميين، فذلك أنسب للظروف والمستجدات المعاصرة، وأحرى بتجنب الفهم المغلوط بهذا الشأن.

وفي ضوء هذه الحقيقة الإسلامية فإنه لا مجال للتخوف مما نص عليه الدستور المصري بقوله: «الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع» أساسه أن الأنظمة الدستورية تعترف للأغلبية بحق السيادة والقرار، وهو مسلك الشريعة الإسلامية، لكن يبقى القول بأن غير المسلم في المجتمع الإسلامي يحمل الجنسية المسلمة، ويكون جزءا من نسيج المجتمع ومواطنا فيه بكل ما توجبه حقوق المواطنة، ولا يجوز تصنيفه على أنه الآخر، بما قد يوحي بانتقاص حقه أو التمييز ضده مما يطلقه البعض في علاقته بالمسلم، وإنما الصحيح القول: بأنه مسلم جنسية ووطنا، وقبطي ديانة، كما هو الشأن فيما اعترف له صراحة الدستور المصري في تعديلاته الأخيرة.

وينبغي أن يفهم أن الإسلام هو جوهر الهوية المصرية من منطلق أنه دين الغالبية الذي يضمن حقوق غير المسلمين، ولا يفتئت أو يصادر حقوق أتباع الأديان الأخرى، بل إنه يضفي الشرعية على الجميع مسلمين وغير مسلمين، ويعمل على تمكين غير المسلمين في إطار من الحفاظ على النظام العام الإسلامي وسيادة ثوابت التشريع الإسلامي، واحترامها لدى الكافة مسلمين ومسيحيين، والتزام الجميع بالحفاظ على وحدة الأمة وحماية الوطن، والوقوف صفا واحدا ضد الأخطار والتربص بهوية المجتمع من المتاجرين للفتن ووحدة الوطن، تحت ستار شعارات ومقولات زائفة، ومفاهيم خاطئة تبغي إضعاف الأمة، وتمزيق الصف، وهدم التعايش المشترك المتجذر في البنية المجتمعية عبر مسيرة طويلة على امتداد القرون والأجيال، وهو حقيق بأن تكون المواطنة الحقة قلعة شامخة تفوت الفرصة وتصد عن الأمة مكائد المتربصين والمخربين، ولا يتأتى ذلك إلا بوحدة الصف، ووأد سبل الخلاف، وصدق الله تعالى في قوله:

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٤٦)

قصيدة العدد

محمد رسول الله

للشاعر المهجري/إلياس قنصل [1]

ماذا تهم طوارق الحدثان ... خلق الجهاد لكل ذي وجدان
الحق شرعك فامض فيه مؤملا ... ما آب غير المُبطل بالخذلان
عميت نفوس الناس من أهوائها ... فأعد جمال النور للعميان
لا فرق بين ملفق بضلاله ... وملفق بمواضع الأكفان
كم صرخة خنقت أضاليل النهى ... وقضت على الأوهام والطغيان
ظن الذين توعدتهم أنها ... ضرب من الوسواس والهذيان
فتجمعوا لنزالها، وقلوبهم ... بالشر نابضة، وبالأضغان
فإذا بهم وبما أعدوا من أذى ... ورق يواجه ثورة البركان
إن كنت بين المعجبين بصفحة ... وشّى زخارفها بنو اليونان
فبأي تقدير تقابل نهضة ... محقت رجس الشرك والكفران
من عبة البيداء سال غمامها ... فروى بصلب العقل كل مكان
يحبو الحياة لمن أباها عنوة ... ولمن أراد برأفة وحنان
هي نهضة فتحت وجودا لم تكن ... حسناته في لوحة الحسبان

إني ذكرتك يا محمد! مصغيا ... لحديث عن ناصح حيران
يغريك بالذهب الوفير، وكم غنت ... «الملفلى» من مهج ومن أذهان
إن كنت تبغي أن تكون مسودا ... جاءت إليك سيادة الأقران
ومحا جوابك، والوقار غلافه ... ريبا أثارت عاصف النكران
ما المال حين تقيسه برسالة ... علوية؟ ما المجد؟ ما القمران؟
مثل من الخلق الجليل تركته ... درسا لكل مناضل متفان!
إني ذكرتك يا محمد. والعدى ... يتألبون تألب الذؤبان
جربت على أبصارهم وقلوبهم ... ليل الفساد أصابع الشيطان
ويقض تالد جهلهم وغرورهم ... صوت يفتح مغلق الآذان
فيلاحقونك بالتراب وبالحصى ... وبكل وغد خانق شنآن
وتظل تدعو لا تني لك همة ... حتى يتم النصر للديان
فرأيت معجزة العروبة والرجا ... دنيا. تدل لقوة الإيمان
إني ذكرتك يا محمد مدليا ... تعم الخطاب إلى ذوي السلطان
تعلي على التيجان وحيك ناصحا ... بالرشد، والإصغاء والإذعان
لم يسمعوا قبل انتبارك لهجة ... إلا وفيها حطة العبدان
أين السلاح؟ وأين أين جيوشه؟ ... خوض الوغى وقف على الفرسان
واستكبروا مستهزئين بدعوة ... لا تحتمي بمهند وسنان
يدور دولاب الزمان مهيئا ... عبر الدهور! فيلتقي الجيشان
جيش يحارب للسماء، وآخر ... كثرت ذخائره لشيء ثان
فتهلل من أفق الكفاح خوارق ... لبست خوارق غارة وطعان
كسرى يمرغ بالمذلة رأسه ... وأذل منه عاهل الرومان
وتحاكمون المعجبون بظلمهم ... في كل ناحية بلا أعوان
وانتشرت في كف العروبة راية ... بالعدل خافقة وبالعرفان

(1) هاجر من سوريا إلى البرازيل عام ١٩٢١م وهو في العشرين، وأنشأ مجلة «المشعل» في الأرجنتين عام ١٩٣٧م، وله دواوين عدة منها: السهام، وعلى مذبح الوطنية، ومقالات كثيرة، وهو رشيق الأسلوب، نبيل العروبة، حار العواطف، طريف الخيال في شعره ونثره.

إني ذكرتك يا محمد ناشرا ... روح الأخوة في بني الإنسان

يعلو «بلال» العبد أشرف قبة ... ليذيع منها أشرف الألحان

حق المواهب أن يقدر أهلها ... لا فرق في الأجناس والألوان

والحكم للأعمال، لامع بغيرة ... ترجح بعملك كفة الميزان

إني ذكرتك يا رسول مقابلا ... أسراك- أسرى الشك والعصيان

لم يظفروا بك مثلما رغبوا، ولو ... ظفروا لحمد الحقد بالغليان

وظفرت أنت، فلم تشأ تجريمهم ... أوردتهم بمعرة وهوان

ما كان صفحك صفح واه خائف ... بل كان صفح القادر المحنان

بعث الرحيم عجيبة ما مثلها ... إلا بسالة ذلك المعمران

ماذا أعدد من مناقبه، كلها ... شرف أعد النجم في إمكاني؟

من ذا يضم بكفه بحرا له ... أفق تزيغ لبعده العينان

كانت حياتك كل ثانية لها ... تاريخ مجد طائل سوراسي

عالجت بالحسنى ومذ شمخ العدى ... بمحالهم، عالجت بالمران

ما كل نفس بالحقيقة تهتدي ... بعض النفوس تقاد بالأرسان

يحنو الطبيب إذا رنى لمريضه ... كم جر زور العطف من خسران

وإذا بنيت على أساس عاطل ... ظهر البناء مزعزع الأركان

كانت قلوب المشركين مخابئا ... للجهل والشهوات والعدوان

فهدمتها، وأمنت من عثراتها ... صاح الرجاء لعابد الأوثان

وبنيت أعظم دولة نشرت على ... قاصي الوجود صلاحها والداني

إن غاب بعض رواتها فلأننا ... نحن المصادر لا الزمان الجاني

لم نمتثل لك بالفعال، ولم نقد ... بهداك يوم تحامل القرصان

فتخاذلت أخلاقنا، وأصابنا ... ما لا يقاس بمعضل الرطان

يا للعروبة! هل تفوز بقائد ... يدعو فتسمع نخبة الفتيان

فيقد أوصال القيود حسامه ... ويسل روح العابث الخوان

ويعيد للوطن العزيز كرامة ... كادت تكون قسيمة النسيان؟

هي نهضة لولا كريم وجودها ... ظل الخلود يعاب بالنقصان

في ظلمها ظلم لكل عقيدة ... بالصدق سامية وبالإحسان

إن كان مما غامطون فكلهم ... من غمرة الأغراض في بحران

عاداتهم هدى وليس بنافع ... أن تستعين بحجة وبيان

جمت مصادرهم بنفي جهادنا ... وعلى جوانبه النجيع القاني

من حمأة الأوهام فكرتهم، فلا ... تعجب لما فيها من الزيغان

من كان في حجر الأفاعي ناشئا ... غلبت عليه طبائع الثعبان

نظروا إلى الإسلام أعمق نظرة ... وتدارسوه تدارس الإمعان

فرأوه يدعو للإباء، مهددا ... بالنار كل مذبذب وجبان

ويزيل أسباب الخضوع، مزلزلا ... ما فيه من أس ومن جدران

فتخوفوا إصغاءنا لملامه ... وملامه تحريك شعب وان

ما يعلمون وليس في لهواتهم ... إلا لهيب الإفك والبهتان

ما يعلمون بغيهم وبحمقهم ... أتواتر البهمات في الصوان؟

ما يعلمون وقد كسا آراءهم ... داء السياسة أخبث الأدران؟

ما يعلمون. وتلجمهم جحودهم؟ ... ما يعلمون ولطف ربك بان؟

يا من يثير حماستي بكماله ... عذرا إذا شاهدت ضعف لساني

هي باقة تهدى إليك، زهورها ... من خير ما يزهو به بستاني

فإذا أعد الحاسدون أظافرا ... عانيت كامن حقدها وأعاني

فليعلموا صبري، فإني مغمض ... عن شرهم وصغارهم أجفاني

وليسمعوا فصل الخطاب فليس لي ... سر سوى ما جاء في إعلاني

ما أبعد الإيذاء والتلفيق عن ... حر كريم من بني غسان

تأبى علاء الأقربين عروبتي ... ويعف عن لغو الكلام بياني

فلسفة البيئة والتحديات البيئية برؤية إسلامية *

للأستاذ الدكتور /أحمد فؤاد باشا (**)

البيئة والباءة والمباءة في اللغة العربية أسماء بمعنى المنزل الذي يأوي إليه الإنسان أو الحيوان ويقيم فيه. وهي مشتقة من الفعل «بوأ» بتشديد الواو. فيقال: أباءه منزلاً وبوأه إياه وبوأه له وبوأه فيه. بمعنى هيأه له وأنزله ومكن له فيه. قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾

(العنكبوت: ٥٨)

وتوصف هيئة التبوؤ وحاله بالحسن أو السوء، فيقال: إنه لحسن البيئة، أو إنه باء ببيئة سوء.

و«البيئة» Environment في العلوم الكونية مصطلح يتسع مدلوله ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التي تحيط بالكائنات وتؤثر في العمليات الحيوية التي تقوم بها. ويرتبط مدلول مصطلح «البيئة» بنمط العلاقة بينها وبين مستخدميها. فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى، والبيت بيئة، والمدرسة بيئة، والحي بيئة، والوطن بيئة، والكرة الأرضية بيئة، والكون كله بيئة. أي أن بيئة الإنسان تكبر وتتسع مع نموه واتساع خبراته ونشاطاته، فبيئة ما قبل الولادة عبارة عن موقع يعيش فيه الإنسان جنيناً ويستمد منه مقومات نموه ويتأثر بالبيئة الخارجية من خلال تأثر أمه بها، ومن المألوف أن نشاهد أحيانا ملصقات طبية تحمل شعار «حافظوا على بيئة الإنسان الأولى» تحت رسم تخطيطي يمثل الرحم مع توصيات بالاعتناء بالغذاء والإقلاع عن التدخين واستشارة الطبيب قبل تناول العقاقير الطبية.

وفي هذه البيئة الأولى تتحدد صفات الإنسان وفق ما يعترف من ثروة «الجينات» التي هي «البيئة الوراثية». لذا فإن العناية في اختيار الإنسان لزوجة أصبحت من العوامل التي يجب مراعاتها لتحسين النسل وتفادي العيوب الوراثية.

أما بيئة ما بعد الولادة، فتتدرج من البيت إلى الحي إلى المدرسة، ثم الوطن والكرة الأرضية كلها. من خلال وسائل الاتصال المختلفة، ثم الكون كله، وهو البيئة الكبرى للإنسان، فالطاقة الشمسية التي تصل إلى الأرض باستمرار وانتظام هي الأساس في كون الأرض بيئة صالحة لبقاء الحياة واستمرارها. على أن الإنسان في هذا التدرج لا يكون معزولاً في بيئة معينة ولا يتأثر بغيرها. فكوكب الأرض يتأثر بمكونات الكون الأخرى.

وهذا يعني في الواقع أن هناك بيئة كبرى واحدة تتمثل في الكون بأسره، وما يحدث في جزء منه يؤثر في الكل، إلا أن العلم في اهتمامه بالجزئيات. ينطلق من البيت والأرض لتحديد إطار البيئة الشامل وفهم معناها. لأن النظرة الكلية الشاملة مرة واحدة إلى بيئة الإنسان الكبرى متمثلة في الكون بأسره من شأنها أن تقود إلى متاهة كثيرة القنوات تضيع فيها فرصة فهم المعنى الحقيقي للبيئة، وهذه واحدة من أهم المشكلات التي يواجهها الإنسان في التعامل مع البيئة وقضاياها، ويمكن أن تعالجها فلسفة التربية البيئية بهدى من تعاليم الإسلام.

من ناحية أخرى، يمكن النظر أيضاً إلى تعريف «البيئة» من خلال الأنشطة البشرية المختلفة، فنقول: البيئة الزراعية، والبيئة الصناعية، والبيئة الاجتماعية، والبيئة الثقافية.. إلى آخره؛ ذلك لأن شخصية الإنسان ومسلكه واتجاهاته والقيم التي يؤمن بها في بيئة ما بعد الولادة تحددها أنماط التفاعل مع عناصر ومكونات هذه البيئة، بما فيها من يمثل بني جنسه. فالبيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته، وإنما تشمل «البيئة» أيضاً علاقة الإنسان بالإنسان التي تنظمها المؤسسات الاجتماعية والعادات والأخلاق والقيم والأديان، وإغفال هذه المعاني عند تعريف «البيئة» يزيد من تفاقم مشكلاتها، ذلك أن الاقتصار على التفسير المادي للبيئة يعوق أي جهد يبذل لتقديم الحلول الشافية لمشكلاتها وهنا مرة ثانية يمكن أن تتدخل «الرؤية» الإسلامية، بهدى من تعاليم الإسلام الحنيف، إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، لتصحيح النظرة المادية للبيئة، وتصويب الأخطاء التي وقع فيها الإنسان، ومداواة الخلل الذي أحدثه في منظومة العلاقة بينه وبين البيئة «الكون».

علم البيئة ومشكلات التلوث البيئي:

علم البيئة، أو الإيكولوجيا Ecology من العلوم البينية Interdisciplinary الحديثة التي تتجاذبها اختصاصات علمية متعددة «طبيعية وإنسانية»، وهو يعنى بالبحث في العلاقات المتبادلة بين الكائنات والبيئة المحيطة بها، ويتبع أسباب الخلل الذي يحدث في التوازن البيئي للنظم البيئية ليقف على تأثيراته المباشرة، وغير المباشرة ويحذر من أخطاره العاجلة والآجلة، ويدل على أفضل الطرق لمكافحة التلوث والقضاء عليه، وهكذا نجد أن علم البيئة «الإيكولوجيا» يتضمن مفهومين هامين يحتاجان إلى إيضاح:

أ‌- أما المفهوم الأول: فيتعلق بمصطلح النظام البيئي Ecosrstem، ويطلق على أية وحدة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية، تتفاعل مع بعضها البعض لتكون نظاماً مستقراً في إطار التوازن الكوني الشامل الذي قدره الخالق سبحانه وتعالى لقوانين البيئة المحكمة وموازينها الدقيقة، فالصحراء والواحة والنهر والبحر كلها أمثلة لنظم بيئية محدودة، وأكبر النظم البيئية التي نعرفها في الكون هو ذلك الحيز الذي تظهر فيه الحياة على سطح الأرض، مشتملاً على الإنسان والحيوان والنبات، ويعرف باسم الغلاف «أو المحيط» الحيوي Biospher، وكل شيء في شبكة الغلاف الحيوي مرتبط بكل الأشياء الأخرى، والخلل الذي يحدثه الإنسان في مكان ما يمكن أن يسبب تأثيرات ملحوظة في أماكن أخرى قريبة أو بعيدة، بصورة فورية وعاجلة أو متأخرة وآجلة. أي أن النظم البيئية لا توجد بمعزل عن بعضها البعض.

والتوازن القائم الذي وضعه الله سبحانه وتعالى بين مختلف عناصر البيئة يمكن ملاحظته في كثير من الأشياء التي تقع حولنا، مثال ذلك ما يقوم به النبات من امتصاص لغاز ثاني أكسيد الكربون الموجود في الهواء لاستخدامه في صنع غذائه بواسطة عملية التمثيل الضوئي التي يتولد منها غاز الأكسجين كناتج ثانوي تستهلكه الحيوانات المختلفة في عملياتها الحيوية، وفي الحصول على الطاقة اللازمة، وتطلق بدورها غاز ثاني أكسيد الكربون ليبدأ دورته من جديد، وإذا تأملت النظام البيئي الأكبر في محيط الأرض الحيوي لوجدنا أن كل ما فيه من ماء وهواء ويابسة وطاقة ومخلوقات حية يشكل كلاً متكاملاً يتميز باستمرارية الأخذ والعطاء في توازن معجز ودقيق.

ب‌- وأما المفهوم الثاني: فيتعلق بمصطلح التلوث Pollution الذي يعني علمياً وجود أي مادة أو طاقة في غير مكانها وزمانها المناسبين بكميات غير ملائمة لاستمرار التوازن البيئي فالماء يعتبر مادة ملوثة إذا ما أضيف إلى التربة بكميات كبيرة، فيحل محل الهواء فيها ويسبب اختناق جذور النبات، والسماد المضاف إلى التربة الزراعية لتحسين خصوبتها يكون ملوثاً إذا ما أضيف بكميات غير مناسبة، والنفط يلوث رمال الشواطئ ومياه البحار والأنهار عندما يتسرب إليها.

وهكذا يشمل تعريف «التلوث» كل ما يكدر أو يفسد أياً من عناصر البيئة، سواء كان هذا العنصر كائناً حياً كالإنسان والحيوانات والنبات، أو مكوناً طبيعياً غير حي كالهواء والماء والتربة وغيرها.

فهناك، على سبيل المثال، كميات هائلة من الطاقة الحرارية التي تنطلق إلى الجو مباشرة من المصانع، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية والنووية، وحرائق الغاز الطبيعي في مناطق البترول ومصافي تكريره، والمراجل «الغلايات» المتنوعة، ومراكز تحلية مياه البحر، وأماكن التفجير النووي، ووسائل النقل. ومختلف أجهزة الاحتراق الداخلي والخارجي، وغير ذلك من الآلات الحرارية والنووية، ناهيك عن تزايد ما يسمى بتأثير البيت الزجاجي «أو الصوبة، أو الاحتباس الحراري» Green house effect الذي يؤدي إلى ارتفاع مستمر في درجة حرارة الغلاف الجوي نتيجة لزيادة غاز ثاني أكسيد الكربون بسبب احتراق كميات هائلة من وقود الفحم والنفط والغازات الطبيعية، ويتوقع العلماء أن يفضي هذا التأثير بحلول عام ٢٠٣٠م إلى ارتفاع في درجة حرارة الجو يتراوح بين حوالي درجتين وأربع درجات مئوية، وبالرغم من أن هذا الارتفاع المتوقع يبدو ضئيلاً، إلا أن أثره سيكون كبيراً على تغيرات الطقس العام وما يتبع ذلك من حدوث أخطار تهدد مصير الكائنات الحية على الأرض، فدفء الطقس – على سبيل المثال – يؤدي إلى زيادة حدة الجفاف والرطوبة في بعض المناطق، ويعمل على تفاقم مشاكل التصحر وتآكل التربة الزراعية وإرهاقها في وقت قصير جداً نسبياً، بالإضافة إلى احتمال إذابة قدر من جليد المناطق القطبية وارتفاع مستوى سطح الماء في البحار.

وهناك أيضاً تزايد مستمر في معدلات التلوث بالمواد الكيميائية والإشعاعات النووية والأمواج الكهرومغناطيسية والضوضاء وغيرها.

هذا بالإضافة إلى ما تتضمنه كلمة «تلوث» من معنى معنوي عندما تدل على تغير ينتاب النفس فيكدرها أو الفكر فيفسده أو الروح فيضرها، وهذا التغير يكون دائماً إلى ما هو أسوأ، أو يكون تغيراً من أجل غرض ما.

(يتبع)

الصدقة فداء للنفس من عذاب الله

لفضيلة الشيخ : على عبدالباقى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم - وغيرهما - وقال صحيح على شرط الشيخين عن الحارث الأشعرى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها) فذكر الحديث إلى أن قال فيه

(وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ) نفس الإنسان وما أدراك ما نفس الإنسان.

ما أسعد الإنسان بنفسه إذا زكاها بالطاعات، وقاد مسيرتها بمنهج رب الأرض والسموات - سبحانه - وما أشقاه بها إذا أضلها وأغواها. قال تعالى:

﴿[illegible] ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ○﴾

(الشمس: ٧ : ١٠)

أى: من زكى نفسه، وأنماها وأعلاها بالتقوى، فاز بكل مطلوب، وظفر بكل محبوب. روى مسلم عن زيد بن أرقم - رضى الله عنه - قال: قال: رسول الله ﷺ: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"

(وقد خاب من دساها) أى: خسر من أضلها وأغواها وأخملها ولم يسهرها بالطاعة والعمل الصالح. وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الموقف العظيم يوم القيامة، وأهواله، وأحواله، وفى هذا اليوم يود من أجرم وكفر وعصى وأبى وحقت عليه كلمة العذاب أن يفتدى نفسه بالدنيا وما فيها وأنى له أن يقبل منه ذلك، ففى سورة يونس يقول الحكم العدل جل ثناؤه:

﴿[illegible]﴾

(يونس: ٥٤)

أى: ولو أن لكل نفس من الأنفس المتصفة بأنها ظلمت نفسها بالكفر بالله وعدم الإيمان به وعدم الالتزام بمنهجه. (مافى الأرض) من كل شىء من الأشياء التى تشتمل عليها من الأموال النفيسة والذخائر الفائقة (لافتدت به) أى جعلته فدية لها من عذاب يوم القيامة، لاينفعها الفداء ولا يقبل منها ومثله قوله تعالى:

﴿[illegible] وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾

(آل عمران: ٩١)

فالنفس فى يوم الحساب لا تملك شيئا إلا ما قدمت من عمل صالح لوجه الله تعالى، أى: النفس الظالمة فقد تركت كل شىء خلفها فى الدنيا وحضرت عارية من كل شىء، وهى لا تملك عملا ولا دينارا ولا شيئا، وعلى فرض أنها كانت تملك الدنيا بكل جوانبها وأركانها فى هذا الوقت لقدمته بلا تردد فداء لها من عذاب الله

تعالى بل، حتى لو كانت تملك ملء الأرض ذهبا لافتدت به، ولكن النفس الظالمة الكافرة الجاحدة لا تملك شيئا في يوم القيامة، ولو ملكت فلا قبول لكل ما تقدمه فداء لها مهما عظم، وليس لها إلا النار والمجرم الكافر في هذا اليوم الشديد يود أيضا لو يفتدى نفسه بأقرب وأحب الناس إليه في الدنيا، بأبنائه وزوجه، وأخيه وعشيرته التي تؤويه عند الشدائد، ومن في الأرض جميعا من الثقلين وغيرهم من الخلائق، يود لو يقبل منه ذلك فداء لنفسه لينجو من عذاب الله تعالى، ولكن ذلك كله مجرد أمنية لا تتحقق وليس له إلا النار الملتهبة المحرقة، قال تعالى في سورة المعارج:

﴿ [illegible] ﴾

(المعارج: ١١ـ ١٥)

يقول سيد قطب في كتابه ظلال القرآن ـ عن هذا فما بال ﴿ٱلْمُجْرِمُ﴾ ؟ إن الهول ليأخذ بحسه، وإن الرعب ليذهب بنفسه، وإنه ليود لو يفتدى من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه، ممن كان يفديهم بنفسه في الحياة، ويناضل عنهم، ويعيش لهم.. بنيه.. وزوجه. وأخيه. وعشيرته القريبة التي تؤويه وتحميه. بل إن لهفته على النجاة لتفقده الشعور بغيره على الإطلاق، فيود لو يفتدى بمن في الأرض جميعاً ثم ينجيه.. وهي صورة للهفة الطاغية والفزع المذهل والرغبة الجامحة في الإفلات! صورة مبطنة بالهول، مغمورة بالكرب، موشاة بالفزع، ترتسم من خلال التعبير القرآني الموحي. ثم يقول:

وبينما المجرم في هذه الحال، يتمنى ذلك المحال، يسمع ما ييئس ويقنط من كل بارقة من أمل، أو كل حديث خادع من النفس.

﴿ [illegible] ﴾

(المعارج: ١٥ : ١٨)

هذا والحديث الشريف الذي معنا يصور رجلا وقع أسيرا في قبضة أعدائه، فأوثقوه في صورة شديدة حيث جعلوا يده إلى عنقه، وقربوه إلى المكان المعد ليقتل بضرب عنقه، وهذا الأسير كي ينقذ نفسه رجا أعداءه وتوسل إليهم ليقبلوا منه الفداء لنفسه و جعل يقدم إليهم كل ما استطاع من مال، حتى رضوا وفدى نفسه منهم، هذه صورة دنيوية، وشتان ما بينها وبين الصورة الأخروية. إنه بضربة واحدة بالسيف يهلك الأسير وينتهي. وحياته أيضا في الدنيا قصيرة ومنتهية، لكن عذاب الآخرة شديد ومديد

﴿ [illegible] ﴾

(هود: ١٠٦-١٠٧)

﴿ [illegible] ﴾

(الزخرف: ٧٧)

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٥٦)

والرسول ﷺ وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير، والدال على كل خير في الدنيا والآخرة، يدل أتباعه المسلمين بهذا الحديث على فداء النفس من عذاب الله يوم الدين، يوم يقوم الناس لله رب العالمين، وهذا الفداء يسير وفي متناول كل من شاء من أهل الإسلام، إنه الصدقة، على إطلاقها على قدر استطاعة كل إنسان، فلا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها، فالرسول ﷺ أوصانا في الحديث الشريف بالصدقة لنفك بها رقابنا من عذاب الله يوم القيامة "فطوبى لمن وفقه الله وتصدق فتحرر وحيل بينه وبين عذاب الله تعالى بصدقته، وكما قال ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة.

وويل للجاحدين الممسكين المانعين حق السائل والمسكين، من يوم عظيم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، بقلب قد أطاع الله ورسوله ﷺ واتقى وأحسن وتصدق فأنجاه الله مع المحسنين

صفحات من حضارة طاجيكستان

الإمام الأعظم و الهوية القومية للشعب الطاجيكي

لفخامة الرئيس إمام علي رحمان رئيس جمهورية طاجيكستان

ظهر في التاريخ القومي الغني لحضارة الشعب الطاجيكي لاسيما في عهدها الإسلامي أعلام ومراجع كثر. كان لهم دور فريد في نشأة الحضارة والتعريف بالأصالة القومية وتطورها. ومنحنا جهودهم وعطاؤهم الإنسانية حفظت أصالتها وقيمها التاريخية والثقافية وتهيئت أسباب تطورها المستقبلي.
ولكل أمة وشعب بحاجة لتقييمها التاريخي على الدوام، وليستفيدا من هذه القيم في التنشئة الأخلاقية وتعليمه لأجيال المستقبل. وانتشار الدين الإسلامي الحنيف أصبح للشعب الطاجيكي بالمدة على العالم الخارجي وامتزجت الثقافة القومية بالثقافة الإسلامية في إطار متنوع. كما استمدت القيم التاريخية للشعب الطاجيكي في إطار الثقافة الإسلامية.

وممن كان لهم دور كبير في بناء هذه القيم القومية والتاريخية لدى الشعب الطاجيكي الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، والبرامكة، ويعقوب وعمرو بن ليث الصفاري، وطاهر البوشنجي، والسامانيون وممثلهم الفاضل إسماعيل الساماني. وفي هذه السلسلة الذهبية من أبناء الشعب الطاجيكي كان الإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت الذي اشتهر بالإمام الأعظم صاحب مكانة خاصة

ولاتزال في حياة هذا النابغة الأصيل والعبقري الكبير في عالم العلوم والمعاني أسرار كثيرة لم تكتشف وتحتاج لبحث موسع. ولايزال البحث جاريا إلى يومنا هذا في مسائل من قبيل وطن أجداد الإمام الأعظم ونسبه وكنيته. ولابد من التأكيد على أن أكثر الكتاب السابقين والباحثين المعاصرين يقرون بأن الإمام الأعظم كان طاجيكي الأصل من أرض الحضارة خراسان الكبرى، وبصورة أدق كان من شرق هذا الإقليم الكبير الذي عاش فيه أسلاف الطاجيك الأصليون وأنشأوا ثقافة عالمية غنية وشاملة.

والأهم أن القرنين الخامس والسادس الميلاديين كانا حقبة اتخذ فيها مسار ازدهار حضارة الشعب الطاجيكي منعطفا جديدا. وكان الإمام الأعظم وأفراد أسرته من أشراف الطاجيك. لطبقا للوثائق التاريخية نشأت هذه الأسرة العريقة في خطة كابلستان التاريخية أو باميان، وعاشت حسب بعض المصادر في مرو أو شمال باختر أيضا. ومع امتداد الفتوحات الإسلامية إلى شرق خراسان تم فتح كابل في ستينيات القرن السابع الميلادي. وفي خضم هذه الأحداث تم أسر والد أبي حنيفة الذي كان مرزبانا ومن علية سادة قومه. ولكنه فيما بعد استحق بعلمه ورجاحة عقله لقب مولى قبيلة بني تميم العربية. ومما يذكر أن هذه الأسرة على الرغم من صعوبة ظروف العصر احتفظت برجاحة عقلها الفطرية في ضميرها. وانتقل ثابت بن المرزبان إلى الكوفة، وعاش في تلك المدينة الفارسية السكن وحقق الثراء. فحقق لأبي حنيفة الثراء العلمي والمادي على السواء. وكان أهالي تلك المدينة من الأريين المعمرين. وساعدت ظروف العصر على ترسيخ أصالة أسرة ثابت وهويتها القومية والتاريخية.

ويتبقى التأكيد على أن الفترة من ستينيات القرن السابع إلى تسعينياته كانت حقبة في غاية الحساسية بالنسبة للدين الإسلامي المبين. فتحولت الخلافة العربية إلى الدولة الأكبر في عصرها، فقد ضمت بين جنباتها مناطق شاسعة في كافة أرجاء العالم. وأدت التطورات الاجتماعية إلى ضرورة تنظيم جوانب كثيرة من حياة الناس، وما كان ليتمكن من الاضطلاع برسالة كهذه في تلك المرحلة إلا الدين الإسلامي بأحكامه الشرعية. من ثم فقد واجه امتحانا صعبا. وفي تلك المرحلة كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دستور حياة المسلمين، إلا أنه بمرور الزمن ظهر كثير من المشكلات الاجتماعية الجديدة أمام الناس. فكان نظام المجتمع بحاجة دائمة للإصلاح والتطوير، فنشأت مجالات دينية ومعنوية وسياسية واجتماعية ظهر على أثرها علم الكلام والفلسفة والتصوف.

(*) نشر هذا المقال بصحيفة «جمهوريت» الشورا الصحفية لحكومة طاجيكستان بعنوان «الإمام الأعظم والهوية القومية» وترجمه إلى العربية الدكتور عبد الوهاب علوب

وفي تلك الحقبة المصرية وفي أول أيام الربيع أي نوروز العجم ولد لأسرة ثابت ولد وحيد صالح سمته نعمان. كبر هذا الطفل البرىء الذي كان حلو المعشر شجاعا منذ نشأته عاقلا حرا. حفظ القرآن منذ طفولته وتلقى سائر العلوم على معلمين فضلاء معروفين في عصره. ثم امتهن مهنة أجداده. وفي الخامسة عشرة من عمره تشرف بزيارة بيت الله الحرام. وبلغ به تعليمه الشامل على الفقيه المعروف حماد بن سليمان مرتبة رفيعة. وسرعان ما حدث تحول حاسم في حياته فكرس حياته لتلقي العلوم الإسلامية تماما. وكان ميدان جهده الأصلي علم الكلام. وكان هذا عصرا عد فيه النقاش الكلامي محور جهود العلماء العقدية والعقلية. فكان أهل العلم يتخذون من البحث الكلامي في محافلهم موضوعا أساسيا للنقاش والمناظرة. وكان أبو حنيفة يشارك في هذه المناقشات وكان له دوره المبكر والفعال وحديثه القاطع. وفي مدة وجيزة نال المراتب العلمية الأرفع. وكان الجزء الرئيسي من أعمال الإمام الأعظم في موضوعات الكلام، وأعانته نعمة التفكير الكلامي الكبرى. وترك له أستاذه حماد قبل وفاته رئاسة حوزته العلمية بالكوفة. ومنذ ذلك الحين اقترب الإمام الأعظم من بلوغ قمة نضجه الفكري، وبلغ عدد تلاميذه في تلك الفترة أكثر من سبعمائة.

التراث الروحي لأعلامنا

آن اليوم أوان دراسة فكر هذا المفكر الإسلامي الجليل وآرائه الكلامية وتناولها ببحث عميق شامل. وهو واجب نبيل يقع على عاتق الباحثين الآن وفي المستقبل. علينا أن نتعرف جيدا على التراث الروحي السابق لأعلامنا في المجالات العلمية والدينية والأدبية والسياسية والاجتماعية وأن ننشئ مجتمع الحاضر على روح احترام السلف بالإفادة من تراثهم الحي القيم وبذلك نقيم دولة حرة عامرة خلوا من أي تعصب وخلاف. علينا أن نثري العالم الروحي لشعبنا، لأن مستقبل الدول والبلاد منوط بما تحظى به من شخصية ومعرفة ورؤية للعالم ووعي بالذات القومية.

وباعتراف الكافة كان الفقه الميدان الأصلي لعمل الإمام الأعظم، أي علم الشريعة. وكان اهتمامه بالفقه أمرا مشروعا، إذ أدرك بعمق فكره وكمال علومه الإسلامية أن الفقه السبيل الصحيح لتحديد أحكام القرآن وسنة الرسول الأكرم ﷺ وتطبيقها في حياة الأمة الإسلامية، فبازدياد ما يجد من مشكلات وتعقيدات اجتماعية ومذهبية برزت الحاجة لفكر سليم وتوجيه راجح.

ومن الطبيعي أن المصدر الأساسي للنظام الفقهي الإسلامي أحكام القرآن الكريم التي تحدد إطار الشريعة، إلا أن إدراكها الصحيح يتطلب جهدا حقيقيا ومستمرا. وهو أمر أدركه الإمام أبو حنيفة بصورة أعمق من سائر الفقهاء، فبذل في سبيله جهدا لا يكل. وأفاد في هذا الاتجاه من مصادر عديدة فتعلم من أولي العلم، وارتحل مرارا إلى المراكز العلمية الدينية المهمة واستفاد مما تحقق فيها. وكانت النتيجة أن أصبح الإمام نموذجا يحتذى وعلما مستقلا ومحققا وعارفا بالله من الخاشعين، فبحث واجتهد بمسئولية تامة وصدق كامل في جوهر القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم ﷺ.

كان الإمام يمتاز بخصال حميدة. فكان قليل الكلام حرا، ولم يكن يحب الثناء والمظهرية. وكانت نصيحته أن احترم سلطان العصر ولا تكذب عليه، كن سخيا ولا تخش قول الحق ولو في حضرة الملوك.

واتبع الإمام أبو حنيفة سبيل التدقيق والحذر فيما يتصل بسنة رسول الله ﷺ باعتبارها المصدر الثاني للفقه الإسلامي ودستور حياة المسلمين. وكان ذلك دليلا على إخلاصه القلبي لسنة رسول الله ﷺ، وينبغي في الوقت نفسه الأخذ في الاعتبار أن علم الحديث لم يكن تبلور بعد في ذلك العصر ولم تدون بعد الأحاديث الصحيحة، كما أنه في ظل الصراعات السياسية والخلافات الدينية المتزايدة كانت الفرصة مهيأة لتحريف الأحاديث والتلاعب بتفسيرها.

تطور الفكر الإسلامي.

وكما هو معلوم فالإجماع بوصفه حكما جمعيا للفقهاء يعتبر المصدر الثالث للفقه الإسلامي بعد القرآن والسنة.

لكن مسار اكتسابه الشرعية أمر في غاية التعقيد. وكانت هذه الظاهرة موجودة في ظل الصراعات الفكرية الشديدة في ذلك العصر. وجرى الجدل والبحث حول مسائل كثيرة في مقدمتها المعيار الواضح الحقيقي للاجتهاد وصفات المجتهد وحدود الرأي والتصديق على الإجماع. وكان للإجماع دور تاريخي في تطور الفقه الإسلامي وتطوره كمنظومة شاملة ومؤثرة. وساعد الإجماع على تطور الفكر الإسلامي ودعم روح الابتكار والتجديد وتقوية الأساس العلمي والعقلاني لمنظومة الفكر الإسلامي. من هنا كانت الخدمة الأكبر التي أسدى أبو حنيفة أن جعل للإجماع مكانة مستقلة باعتباره مصدر التشريع الإسلامي. ومعروف لنا أن الحضارة الإسلامية نمت في

القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) وأصبح المجتمع الإسلامي مجتمعا عالميا متطورا. وكان للإجماع دور كبير وكانت أبواب الاجتهاد مفتوحة.

كان القطاع الفعال من المجتمع استوعب قيم السلف ويسعى لتأمين مكانته الريادية. ولكن لا مجال لتجاهل أن الإجماع كان يواجه مشكلات عينية وقتية لايستهان بها:

فأولا: كان تحقيق الإجماع أمرا في غاية الصعوبة نظرا لحساسية المسائل الدينية، لاسيما في حقبة كانت للصحابة الكرام والتابعين فيها مكانة دينية واجتماعية واضحة ومسلم بها.

ثانيا: كانت دائرة قضايا الإجماع وموضوعاته محدودة نسبيا.

ثالثا: لم يكن تطبيق الإجماع موحدا وعاما على الأمة الإسلامية نظرا لاتساع نطاق الفكر وتنامي الخلافات العقائدية والفكرية والاجتماعية.

رابعا: كان تبلور الإجماع كأحد أهم مصادر الفقه الإسلامي يتم في ظل نشأة الكلام والفلسفة وتطور مجالات العلوم التقليدية من تاريخ وجغرافيا وفلك ورياضيات وطب وغيره. وهو أمر كان له ولا شك تأثير عميق على إطار موضوعات الإجماع وخصوصياته.

خامسا: كان الإجماع ضرورة تاريخية وحيوية للاستجابة للتطورات والتغيرات والظواهر الاجتماعية الجديدة التي كانت تتسم بتعقيد مضمونها وغموضه، ما كان يجعل من الصعب توصيفها عينيا والتعبير عنها.

وفي ضوء هذه العوامل والمتطلبات المتزايدة اتجه أبوحنيفة أكثر من ذي قبل لاستلهام مصدر آخر من مصادر الفقه الإسلامي وهو القياس، فتحول القياس إلى ساحة أرحب لتوظيف الدلائل المنطقية والعقلانية.

ومنذ ذلك العهد أصبح ثلاثة أرباع المعارف المتعلقة بالفقه والمستمدة من القرآن والسنة مرتبطا بفكر الإمام الأعظم. وكما هو متوقع أصبح القياس موضع جدل، بل خلاف بين جماعات لها رؤى خاصة وصارمة عن الوجود، وكانت لا تقبل إلا الرجوع التقليدي والظاهري لأحكام القرآن والحديث في حل مشكلاتها الفقهية. وكان القياس يرتبط ارتباطا طبيعيا ومنطقيا بالأحكام. والقضايا التي يمكن اللجوء للقياس لحلها، لها بطبيعتها طابع ومضمون مشترك ومتشابه. ويجب التأكيد بصفة خاصة على أن المصادر الأساسية والأصلية للقياس أحكام القرآن والحديث النبوي.

والقياس يحفظ الصلة الذاتية والمبدئية بينها، وفي الوقت نفسه يوسع إطار الرؤية الاجتماعية للشر ويلعب دورا مؤثرا في تنظيم جوانبها المعقدة.

والتواصل العميق والمتنامي للقياس في الفقه الإسلامي ساعد على اكتساب منظومة الفقه المتطورة طابعا أوسع نسبيا. وحظيت الحضارة الإسلامية بفضله بقوة هائلة واجتذبت إليها القيم البشرية الكبرى.

وأدرك الإمام أبوحنيفة بنبوغه وذكائه الفطري أن العرف والعادة أيضا يمكن أن يكونا مصدرا عدلا في تنظيم حياة البشر. وكانت هاتان القيمتان محصلة تجربة طويلة تطورت على مر التاريخ الإنساني والاجتماعي. ومن الطبيعي أن يكون مضمونها التاريخي والاجتماعي والروحي معقدا، بل متضاربا أحيانا. وهذا المبدأ له مضمون إنساني حقيقي وواضح ولهما مكانة رفيعة في التجربة التاريخية للأمم والشعوب. ومن المهم أن معاييرهما وقيمهما كانت تتطابق في أغلبها مع مبادئ أديان العالم الكبرى وفي مقدمتها الإسلام.

المذهب الحنفي:

ومن منطلق إدراكه الواضح لهذا الأمر كان الإمام الأعظم يرى الصلاح في الاستفادة من هاتين المنظومتين الاجتماعيتين الواسعتين. ومما يذكر أن هذه كانت من العوامل المهمة في تبلور المذهب الحنفي وانتشاره وأدى إلى تحوله إلى المذهب الأكبر في الدين الإسلامي. فالاستعانة الموسعة بالمبادئ والأسس الدينية كان لها دور فعال في مدرسته الفقهية. وكانت نشأة هذه المدرسة من الخدمات التاريخية الجليلة للإمام الأعظم. ومن تلاميذه المعروفين كان للإمام أبويوسف والإمام محمد الشيباني دور كبير في بلورة منظومته العقائدية والفكرية ونشرها. وبفضل ما أسدياه من خدمات جليلة حققت هذه المنظومة وظلت واضحة وتطورت. وفي الوقت نفسه لا مجال لإنكار دورهما في تطور الأسس الفقهية والتطبيق العملي لمبادئها في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والتاريخية والروحية. وكان تبلور المذهب الحنفي وتطوره التاريخي مرتبطا بضرورة تنظيم الشئون الاجتماعية وتوسيع نطاقها. وهذه الحاجة جعلت تدوين الأحاديث الصحيحة أمرا ملحا، وكانت محصلتها سلسلة من الكتب الجامعة لصحيح الحديث ومن أبرزها «جامع الصحيح» للعالم الطاجيكي الكبير الإمام إسماعيل البخاري. ولاننسى أن أغلب من تعهدوا بترتيب الأحاديث الصحيحة المعتبرة وتدوينها كانوا من الطاجيك. وساعد تدوين هذه المجموعة على دعم الأسس الدينية والتشريعية للفقه الإسلامي ولاسيما المذهب الفقهي للإمام أبوحنيفة. وتشهد المصادر

التاريخية على اختلافها بأن الإمام الأعظم ومذهبه الفقهي كان لهما دور تاريخي عظيم في صون الأصالة القومية والهوية والقيم الحضارية لشعوب الخلافة الإسلامية. وإذا كان للشعوب المسلمة أية أصالة وهوية ولغة وثقافة وعرف وعادات وتقاليد تاريخية خاصة وفريدة وفعالة وبناءة فإن جزءا كبيرا من الفضل يرجع لهذا الرجل العظيم ومذهبه.

إن خدمات الإمام الأعظم لاسيما في صون الأصالة التاريخية والثقافية لأمتنا لها قدرها العظيم وتستحق التقدير.

وتعد فترة حياة الإمام الأعظم ونشأة مذهبه الفقهي مرحلة تاريخية في غاية الحساسية والدقة، فكانت حقبة لا تتوفر فيها الظروف الملائمة لقيام حكم وطني. فكانت المبادئ والقيم القومية مرفوضة في ظل سياسة الخلافة. فزاد نشاط الجماعات الدينية المتطرفة. وقبلت دوائر الأشراف والأعيان المحلية المبادئ والقيم الثقافية السائدة ففقدت أصالتها القومية التاريخية. وسرعان ما خمدت أصالة الشعوب القديمة صاحبة الحضارة.

أبوحنيفة واللغة الطاجيكية

ولم يكن ليساعد الشعوب التابعة للخلافة إلا عوامل عدة على رأسها تبني أسسها الثقافية الحضارية ودعم حركات التحرر والحفاظ على الأصالة التاريخية. وفي تلك الحقبة الحرجة اختار الإمام أبو حنيفة لغته الأم الفارسية الدرية الطاجيكية اللغة الثانية للعبادات والأنشطة الثقافية والاجتماعية بهدف ضمان تلك الأسس الشرعية. وهذه الخدمات التاريخية للإمام تثبت بشكل واضح أن الإسلام لايعارض اللغة كأساس لهوية الأمم ووجودها. فحافظت أمتنا على لغتها كجوهرة نادرة بهيدى من نوابغها وأعلامها وبالوسائل الممكنة فازدهرت وطبقت شهرتها الآفاق.

أصبح اكتساب اللغة الطاجيكية (الفارسية الدرية) مكانة رفيعة، عاملا يدعم وعي الشعب الطاجيكي بذاته وازدهار ثقافته وحضارته.

وينبغي التأكيد على أن اتباع الشعب الطاجيكي المذهب الحنفي أدى إلى ترسيخ وحدته وحال دون انتشار التطرف والرؤى والفئات المتطرفة في صفوفه. يقول الإمام الأعظم إن وحدة الفكر والقول والعمل في المجتمع شرط بقاء الأمة ووجودها. كما أن المذهب الحنفي رسخ بعض أركان الهوية الوطنية وفي مقدمتها حسن الجوار والتعاون والجلد وكرم الضيافة والاعتدال وتحصيل المعرفة. فتوافق المذهب الحنفي مع روح شعبنا وفطرى وجوده التاريخي.

وكما هو معلوم فالمذهب الحنفي انتشر بفضل أبناء خراسان في أرجاء آسيا الوسطى وآسيا الصغرى وغرب الصين والهند ثم في جزء من جنوب آسيا وشرقها وأصبح المذهب السائد فيها. ولاتزال أحكام المذهب الحنفي تتبع في الإفتاء في كل من مصر وسوريا والأردن والعراق وغيرها.

وكانت مكانة الحنفية الرفيعة سببا في انتشار تقاليد الطاجيك وقيمهم الوطنية وأسسهم الاجتماعية (لاسيما الجلد وثقافة التعاون وحسن المعشر والروابط الاجتماعية الحسنة) في مناطق العالم المهمة. وبفضل هذا التوجه أصبحت اللغة الطاجيكية لغة الإدارة والثقافة والأدب والمعاملات بين الشعوب في شمال الهند ووسطها، واحتفظت بمكانتها الرفيعة على مدى ما يقرب من سبعمائة سنة. وبلغ الأدب الطاجيكي والفارسي ذروته في هذه البقاع القديمة وظلت الهند مركز الأدب والثقافة حتى مطلع القرن العشرين.

وأعلام شعراء الهند الطاجيكيي اللغة ومنهم أمير خسرو الدهلوي، وميرزا عبدالقادر بيدل، وزيب النساء، وميرزا أسد الله غالب، ومحمد إقبال اللاهوري مفخرة أدبنا العالمي الشامل.

كما انتشرت العلوم الإسلامية والمدارس الكلامية والطرق الصوفية وسائر أركان الحضارة الإسلامية من خراسان إلى الهند. وفي هذا المجال حققت العلوم الإسلامية والتصوف والأدب العرفاني تطورا سريعا، وظهرت نتائج تطورها فيما بعد في خراسان وما وراء النهر، فترجمة معاني القرآن الكريم إلى الطاجيكية مثلا تمت على يد المفسر المعروف من الهند شاه ولي الله الدهلوي في القرن الثامن عشر. ونظرا لدقتها وبساطتها وعذوبة لغتها انتشرت في الهند وفي آسيا الوسطى وإيران وغرب آسيا على نطاق واسع. كما أن هذه الترجمة تتصدر ترجمات عدة لمعاني القرآن الكريم إلى الطاجيكية، وتم مؤخرا وفي عصر استقلالنا نشر طبعة من القرآن الكريم بالطاجيكية يتداولها المواطنون في طاجيكستان حاليا.

ركود وانحطاط اجتماعي

ويشهد التاريخ على أن الفترة من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر كانت حقبة ركود وانحطاط اجتماعي وعلمي وثقافي نتيجة لعوامل عينية ومعنوية منها غارات قبائل البدو من الشمال وتدهور دور التجارة العابرة على الطرق البرية الإقليمية في آسيا الوسطى وانتشار الخرافات والتعصب والخلاف والعداء. وفي تلك الحقبة المعقدة أسهم المذهب الحنفي مرة أخرى في الحفاظ على أصالة شعوب آسيا الوسطى وإنقاذها، فلم تندثر قيم حضارة الطاجيك الرفيعة في المنطقة، بل ظلت باقية



ومصونة. ونظرا لهذه المكانة العالية التي احتلها المذهب الحنفي اعتبر أعلام هذه الحنفية ومنهم أبو المعاني ميرزا عبدالقادر بيدل، والعلامة أحمد مخدوم دانش حماية مذهب الإمام الأعظم رسالة في أعناقهم.

وفي الفترة التي نشأ فيها تيار انتشار المعارف وظهرت حركات الإصلاح والتجديد واتسع نطاقها بمرور الزمن، تبين في تلك الفترة أن المذهب الحنفي بتوافقه مع الدلائل الفكرية والعقلانية والمنطقية يرتبط بحياة البشر اليومية واحتياجات الإنسان الاجتماعية ارتباطا لا انفصام له ويستجيب للتغيرات المتسارعة المعاصرة، ولكن مما يؤسف له أن هذه القوة الهائلة لم تستثمر على النحو الأمثل في القرن العشرين.

تحولات كبرى!!

وفي نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين تشهد تحولات كبرى وأساسية يتسم مضمونها بالتعقيد الشديد والتضارب. وهي أمور سيكون لها تأثير بالغ ودائم ومتنام على مصير الإنسانية. فترى طوفان العولمة الجارف يؤثر سلبا على سماتنا الإيجابية وعلى مبادئ الشعوب وأصالتها وهويتها وعلى الثقافات والحضارات التاريخية.

إن الصراع بين الدول الطامحة للقوة بمختلف مؤسساتها للاستيلاء على المصادر الحيوية والاستراتيجية الطبيعية والاقتصادية تشكل خطرا على الدول والشعوب كافة. وهذا الخطر أكبر بالنسبة للدول الإسلامية وأوضح، لأن هذه الدول لديها احتياطيات طبيعية ضخمة وتقع في مناطق جغرافية سياسية وجغرافية استراتيجية حساسة. ومما يثير القلق أن هذا الصراع تتبع فيه سبل وأساليب غير مشروعة خارجة على المعايير الدولية وعلى نطاق واسع. وتستغله بعض الجماعات المتخذة من القوى المتطرفة لمصالحها الجغرافية السياسية. كما أن الجماعات المتطرفة وحتى الإرهابية التي صنعها آخرون تستغل هذه الوسائل التخريبية ضد الدول الإسلامية متخفية في رداء الدين الإسلامي الحنيف. ومما يؤسف له أن مسئولي هذه الدول لم يولوا هذه المسائل اهتماما جديا بعد.

والمصدر الأساسي للرؤى والتيارات المغالية والمتطرفة هي المشكلات الاجتماعية المتفاقمة كالفقر والبطالة وصعوبة ظروف الحياة وتدني مستوى التعليم وما إلى ذلك. وتضفي قوى سياسية بعينها في داخل هذه الدول نفسها على هذه المشكلات طابعا دينيا، فتساعد بتصرفها ذلك على توسيع نطاق الأعمال التخريبية لدى الفئات المغرضة الضالة. وفي ظل ظروف كهذه تحتدم الخلافات والصدامات الدينية والمذهبية واستغلال الدين لأغراض سياسية خاصة وفئوية أمر متكرر تاريخيا. ولكن يمكن التأكيد بكل فخر على أن تعاليم الإمام الأعظم تدين بشكل واضح كل غرض ونية تؤدي بالمسلم إلى سفك دم أخيه المسلم. وللإرث العقائدي والثقافي لأبي حنيفة أهمية بالغة في ترسيخ دعائم التعايش السلمي بين المسلمين كافة لاسيما وحدة الطوائف الوطنية. بل إن مذهب أبي حنيفة تحول عبر التاريخ وفي الحياة الاجتماعية للناس إلى عامل وحدة وطنية وإنسانية ويساعد على ترسيخ الاستقرار وعلينا أن نستفيد من هذه التعاليم البناءة في شئوننا اليومية.

وكما سبق أن أكدنا فلا تزال بعض الدول والقوى المغرضة والجماعات المتطرفة التي ترفع شعارات دينية تعرض الأمن والتنمية في الدول المسلمة النامية للخطر. وللحيلولة دون هذه الظواهر المرفوضة لابد من اتباع رؤى الإمام الأعظم وتجارب عصره.

هذه الجماعات الدينية التي تنكر الدور الكبير للمذاهب الإسلامية وتخدع بالشعارات الدينية تصبح أدوات بيد الغير، فتتجاهل قيم الإسلام العريقة وتشعل الخلافات والصراعات الدينية المذهبية وتبث الحقد والبغضاء في المجتمع.

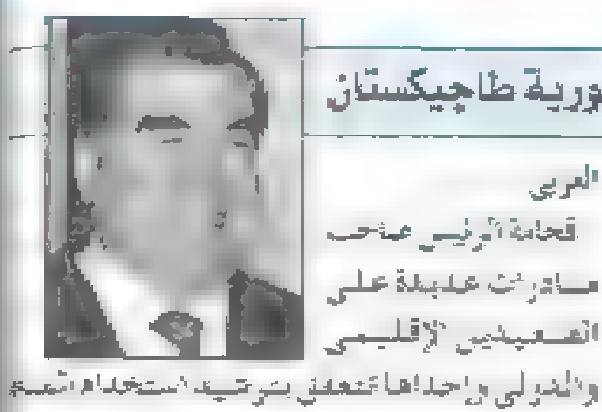
صدام الحضارات والفتن الدينية!!

وإننا لنشهد اليوم تعاظم التنافس والصراع بين الثقافات وتشجيع فكرة «صدام الحضارات» من جانب المغرضين، وهي ظاهرة تنذر في حد ذاتها بخطر عظيم، وصدها واجب على كل فرد سليم الفكر في المجتمع. ولا ننسى أن إثارة الفتن في المجالات الدينية والمذهبية لها عواقب مفجعة. وفي ظل ظروف كهذه يتضح تفوق مذهب الإمام الأعظم ويهدينا إلى طريق الحق. ففكر أبي حنيفة العلمي الإنساني يدفعنا إلى الاعتماد في هذه الفترة المقبلة على قوى العقل والمعرفة والعلم والمبادئ والقيم البناءة وعلى مسئولية الكلمة والعمل، وأن نعمل بها بوعي تام وبعد نظر. فسعة الأفق وعمق الرؤية والقدرة على إدراك كنه الظواهر المعقدة والمتشابكة والفطرة السليمة والرغبة الصادقة في غفران الله سبحانه هي المفاتيح الأصلية للتوفيق في حاضرنا وفي مستقبلنا المشرق.

إن حياة الإمام الأعظم وأعماله وسيرته الخالدة التي أضاءت جوانب حياتنا المزينة الثقافية تلهمنا في مواصلة البناء والانتفاع بهذه التعاليم السامية في ضمان العلاقات السليمة بأهل الأديان والمذاهب الأخرى هي رسالتنا الوطنية والإسلامية. والله الكريم الرحيم ولي الصالحين.



فخامة الرئيس امام علي رحمان رئيس جمهورية طاجيكستان



ولد فخامة الرئيس إمام علي رحمان ٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٢م بناحية دانغره ولاية ختلان لجمهورية طاجيكستان وبعد التخرج من المدرسة المتوسطة (١٩٧١) وأداء الخدمة العسكرية (١٩٧١-١٩٧٤) عمل في معمل الزيوت بمدينة قرغان تبه (١٩٧٤-١٩٧٦) وفي سنوات ١٩٧٦-١٩٩٢م تم تعيينه أمينا لمجلس الإدارة ثم مديراً للمزرعة الجماعية في مسقط رأسه ثم موظفا مسئولاً في السلطات الحزبية بناحية دانغره.

وفي سنة ١٩٨٢م تخرج في جامعة طاجيكستان باختصاص اقتصادي وفي سنوات ١٩٩٠-١٩٩٥ انتخب نائبا في البرلمان ،وفي سنة ١٩٩٢ تم تعيينه رئيسا للجنة التنفيذية بولاية كولاب ،وبعد بضعة أشهر من السنة نفسها رئيسا للمجلس الأعلى لجمهورية طاجيكستان.

وفي ٦ من نوفمبر سنة ١٩٩٦ خرج فائزاً في الانتخابات الرئاسية ليصبح رئيسا لجمهورية طاجيكستان ثم أعيد انتخابه مرتين لهذا المنصب في ٧ من نوفمبر سنة ١٩٩٩ و٧ من نوفمبر سنة ٢٠٠٦م.

لقد حاز فخامته كثيرا من الأوسمة الوطنية والأجنبية تقديرا لجهوده الجبارة وخدماته الجليلة في إخماد فتيلة الحرب الأهلية في طاجيكستان وتحقيق المصالحة الوطنية وضمان وحدة الشعب واستقرار البلاد.

قام فخامته بزيارات رسمية إلى معظم الدول العربية وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية (شباط عام ٢٠٠٧)، وهو يشجع التعاون الاستثماري مع العالم العربي.

فخامة الرئيس صاحب مبادرات عديدة على الصعيدين الإقليمي والدولي وأحدها تتعلق بترتيب استخدام العشر سنوات لمياه الشرب« تبنته الأمم المتحدة. كما أن له مبادرات ومشروعات خاصة في مجال الدين الإسلامي الحنيف على نطاق البلد. مثل مشروع قانون تنظيم المراسم القومية والدينية وبقية الأسر المتمسكة بها، ومشروع إسلامي لكل أسرة المصحف الشريف بترجمة معانيه بالطاجيكية مع طباعته على حسابه الخاص. ومشروع ترجمة وطبع كتاب الفقه الحنفي «هدايه شريف» وغيره من كتب الفقه الإسلامي بالطاجيكية على حسابه الخاص.

وإعلان عام ٢٠٠٩ عام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في طاجيكستان حيث ستقام احتفالات رسمية في شهر سبتمبر القادم بمرور ١٣١٠ سنوات على مولده بمشاركة جمع غفير من الضيوف من كافة أنحاء العالم الإسلامي.

متزوج وله ٩ أولاد. ألف عددًا من الكتب في تاريخ وحضارة الشعب الطاجيكي منذ أقدم العصور إلى اليوم وهوايته قراءة كتب التاريخ، وسماع الموسيقى الكلاسيكية والشعبية، وتربية الأشجار والزهور، وركوب الخيل والفروسية.

ولأول مرة صدر عن دار الفكر العربي بالقاهرة في السنة المنصرمة ٢٠٠٨م المجلد الأول من كتابه الثلاثي المجلدات: الطاجيك في مرآة التاريخ بالعربية، ونقله إلى العربية أ. د. مكارم الغمري عميدة كلية الألسن بجامعة عين شمس.

من سماحة الإسلام

يهودي حقود

للأستاذ كامل محمود حبيب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(آل عمران ١٠٠-١٠٣)

ما لهذا الشيخ يقضي يومه عقلا مدبرا يختلس النظر إلى جدثات الأنصار وهم جلوس يتحدثون في صفاء، وعلى وجوههم نور الهداية يتألق؟ ما له يعض على شفتيه وإن عينيه لتقدحان شررا، وإن قلبه يتفطر حسدا، وإنه ليحدث نفسه في معداه ومراحه يقول: يا ويلي؟ لقد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار، وجعله يبغي أمرا أو يضع خدعة.

إنه شيخ من يهود قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، يحز في نفسه ما يرى بين الأوس والخزرج من ألفة ووحدة، ويغيظه أن تجمعهم أخوة الإسلام وشيجة، وهو

كان يتربص بهم الدوائر منذ يوم بعاث وما كان قبله. إنه هو شاس بن قيس.

لا جرم، فلقد كان شاس بعض الفئة الباغية من يهود ممن عتوا عن أمر ربهم ونصبوا لرسول الله ﷺ العداوة والبغضاء بغيا بغير حق ولا علم، يعرفونه، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، ويحاولون جهدهم أن يفتنوه عمن اتحدوا في دمائهم حب الحق، وأشربوا في قلوبهم روح المكابرة من لدن من قبل من أحقادهم. فأرنا الله جهرة حتى مشرق الإسلام على جزيرة العرب، ممن عموا وتاهوا وارتدغوا في حمأة الضلالة على يدي علمهم.

أفكان محمد ﷺ أن يلم شعث هذا الناس ويجمع شتاتهم على كلمة الدين، كلمة الأمان والسلام بعد ما كان بينهم من تنافر وتنابذ في يوم بعاث ومن قبله يوم معلس ومضرس، ثم لا يلتمس هذا الفاسق حيلة يريد أن يطفئ بها نور الله وأن يؤرث بها ضغائن مسحت عليها يد الإسلام الرفيقة؟

أفكان للدين الجديد أن ينفث سحره في قلوب الأعداء فيصبحوا بنعمة الله إخوانا، ثم لا يجد هذا الفاجر مس الغيظ في قرارة نفسه يوشك أن يعصف به؟

لعمري إنه ليعلم أن هذا هو الدين الذي كان ينتظر، يجده مكتوبا عنده في التوراة، وهذا هو النبي الذي كانوا يستفتحون به على أهل الشرك من قبل أن يجيئهم. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وأعرضوا عنه، وحملوا عليه، حسدا من عند أنفسهم.

***

وانطلق شاس يفتش عن دواء لهذا الغل الذي يحز في نفسه فيبرح به فيمنعه القرار ويبعث في حياته قلقاً ما يطمئن.

انطلق والشيطان يدفعه ويوسوس له فاستمع إلى رأي الشيطان ولا ريب. فللشيطان قدرة على أن يحل كل مشكلة بطريقة شيطانية تبذر [illegible] عرائس الخراب والدمار، وتمد [illegible] الشقاق والعصيان.

وخلص الشيخ إلى فتى غر أهوج من فتيان يهود يتملقه حينا ويشد على عنقه قبضته حينا، وراح الشيخ يذكر بالفتى يقول له: [illegible] سحرية إن [illegible] أو [illegible] وإني رجل كبار قد دق عظمي وتقبض جلدي على مثل ما ترى، لا حول لي ولا طول، وهم ما ينفكون يهزأون بكبرنا ويحقرون شيبنا ويتطاولون على أحلامنا، [illegible] الهوان والذلة [illegible] في الغم والنقمة [illegible] إنك تجد في شأننا وهم [illegible] من يرد عنا كيد هؤلاء ويدفع أذاهم [illegible].

وأطرق الفتى يستمع دوي صوت الشيخ، وإن كلمات ليتردد صداها في مسمعه فيخترق شغاف قلبه فيلقي السم إلى أعماقه رويدا رويدا، ولا صبر له [illegible] الرجل وانكساره.

ورأى شاس الخديعة تنطلي على الشاب حين [illegible] وانقاد فاندفع يحكم العقدة. فأقبل على الفتى يقول: [illegible] لقد عرفتك [illegible] حرب الأمر أن أعضلت المسألة [illegible] حرب لا تتماسك [illegible] القوم قد تسربت [illegible] قبلك فاسحقه [illegible] في سرعة: كلا كلا يا سيدي، ولكني لا أحسن الرأي.

فقال الشيخ في هدوء: والرأي عندي أن تمضي تعرف كبيرهم وتصدع ألفتهم فتكسر شوكتهم وتسمو قوتهم، ونظهر نحن عليهم؟ قال الفتى: وكيف لي؟ فأجابه الشيخ: فتعمد أنت إلى القوم وهم في مجلسهم يتسامرون فتذكرهم بأيام الجاهلية وتبعث في نفوسهم ذكرى ضغائن شغلهم عنها هذا الدين الجديد. وتنشر على أعينهم حديث يوم بعاث وما كان قبله، وتنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من أشعار [illegible] هي الشرارة الأولى، ولا عجب إن هي سعرت بينهم نار الحرب التي خمدت منذ حين.

وراح الفتى يندس بين جماعة من الأنصار [illegible] واحد يحدث القوم رويدا رويدا على ذكر يوم بعاث، وبعض حدثات تبعث ميت الحقد، وتثير دفائن الغيظ، ثم هو يطوي في حديثه ليذكر غلبة الأوس واستخذاء الخزرج.

ووجد الفتى من تجاوب صيحة إلى قرار القلوب، فمضى الحديث في نفوس القوم، وتشعب الكلام فيهم، وانبرى كل حزب يفاخر صاحبه ويباهيه، ويتطاول عليه ويكاثره..

ثم تنزى الأمر بين أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتواثبا على الركب يريد واحد أن يبطش بصاحبه. وتناثرت بينهما ألفاظ غضبت على صفاء كان بينهما منذ [illegible] وانحازت طائفة من الأوس إلى صاحبهم، وأقبل الخزرج يحمونه، وانفرط العقد ودب دبيب الشحناء، وبدت [illegible] على وحدة القوم، وطغت عليهم [illegible] الجاهلية التي نشأوا عليها وعاشت في دمائهم حروب وسنوات. فقال واحد لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة. فغضب الفريقان جميعا وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، ونفر القوم وهم ينادون: السلاح السلاح!

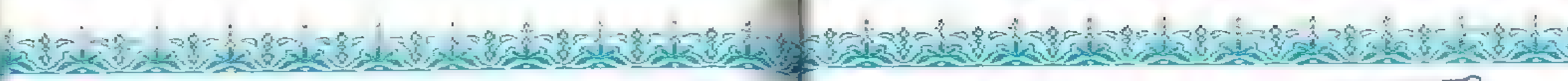
***

وأقبل شاس بن قيس في جماعة من ضلال يهود يرقبون ويسمعون، وفي رأيهم أن كيد الكافر ينفتح، على حين أخذ الفريقان من الأوس والخزرج يسلون في السلاح إلى موعدهم إلى الظاهرة. وكادت الفتنة أن تقع فيها صرح مشيد على يدي فاسق زنديق، لولا أن من الله على أوليائه، فأنقذهم وهم على شفا جرف.

وانطلق رسول السلام إلى رسول الله ﷺ يخبره الخبر (......وطارت الهيعة تجمع شتاتهم على باطل، فهم هناك في الظاهرة، تكاد نقمة الله أن تحط عليهم ليرتدوا كافرين).

فخرج إليهم رسول الله ﷺ قبل أن يبلغ الشيطان غايته. خرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم وإن سيفا يوشك أن يقرع سيفا، فناداهم: «يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم».

وأفاق الأنصار من ذهول حين هبطت كلمات الرسول ﷺ عليهم بردا وسلاما. فغدت [illegible] سيئات [illegible] وتخاذلت أيد كانت تحمل السلاح، وأقبل بعض على بعض يتعانقون ويبكون، وانسل الشيطان من بين الفريقين وقد كبته الله، وارتد عدو الله شاس يستشعر الذلة والهوان. وتصافت قلوب كانت توشك أن تتهاوى على أسنة الرماح لأنها أصغت إلى حديث الشيطان ساعة من زمان. تصافت، لأن قوة الإيمان سماوية ترتفع - أبدا - عن النزوات الأرضية.





بقلم الأستاذ الدكتور/السيد أحمد فرج

ولد محمد محمد البهي في قرية «أسمانية» إحدى قرى مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر في الثاني من جمادى الآخرة ١٣٢٣هـ الموافق ٣ من أغسطس ١٩٠٥م.

أتم حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، وأتم تجويده بمدينة دسوق وهو في الحادية عشرة، ثم التحق بمعهد دسوق الديني في عام ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م، وقضى به ثلاث سنوات انتقل بعدها إلى معهد طنطا الديني، ثم إلى معهد الإسكندرية الديني الذي حصل منه على الشهادة الثانوية الأزهرية، وكان ترتيبه الأول على طلاب معهد الإسكندرية.

تابع دراسته بعد ذلك في الأزهر الشريف بالقاهرة، وكانت نظم الدراسة بالأزهر تتيح للطالب أن يختصر طريق الدراسة فيمتحن في مقرر عدة سنوات في سنة واحدة، فأفاد من هذا النظام وتقدم للامتحان من الخارج، ونجح أربعة طلاب من أربعمائة تقدموا من الخارج وحصل على العالمية، ثم التحق بقسم التخصص في البلاغة والأدب، وتقدم بأطروحة: أثر الفكر الإغريقي في الأدب العربي نثرا ونظما، وحصل على درجة التخصص في أغسطس ١٩٣١م.

وفي سبتمبر من العام نفسه ١٩٣١م ابتعث إلى ألمانيا للدراسة الفلسفة على نفقة مديرية (محافظة البحيرة) إحياء لذكرى الشيخ محمد عبده، فدرس أولا اللغة الألمانية وحصل على دبلوم عن في اللغة الألمانية سنة ١٩٣٤م، ثم حصل على الدكتوراة في الفلسفة والدراسات الإسلامية من جامعة هامبورج بتقدير ممتاز سنة ١٩٣٦م، وكانت رسالته للدكتوراة بعنوان: «الشيخ محمد عبده والتربية القومية في مصر»، فكانت ردا لجميل وعرفانا بفضل الشيخ محمد عبده الذي هيأ الله تعالى له الخير على شرف ذكراه.

عقب عودته من ألمانيا سنة ١٩٣٦م أخذ يطالب بتطوير التعليم بالأزهر، وضرورة تدريس العلوم الطبيعية والتطبيقية، وكان يرى ذلك ضرورة يحتمها العصر الحديث عصر العلم.

اشتغل بتدريس الفلسفة الإسلامية والإغريقية بكلية أصول الدين، إثر عودته من ألمانيا إلى مصر سنة ١٩٣٨م، واستمر يدرس الفلسفة بكلية أصول الدين إلى أن نقل إلى كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٠م أستاذا لقسم الفلسفة ورئيسا لقسمها.

وفي هذه المرحلة الخصبة من حياته كان يوفد من قبل جامعة الأزهر أستاذا زائرا لجامعات ماتجل بكندا، والرباط بالمغرب، وقسنطينة بالجزائر، وقطر، والعين بالإمارات العربية. وأسند إليه في هذه المرحلة بجانب عمله بالتدريس منصب المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر فعني عناية فائقة بنشر تراث فضيلة الإمام الأكبر محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق، فقد كان يراه المجدد الثاني للأزهر في العصر الحديث، بعد الشيخ محمد عبده وكان عليه أن يذكر الإمام المراغي فهو أستاذ شلتوت.

ولما كانت إرهاصات القوانين الاشتراكية الناصرية قد بدت في الأفق، ومنها تطوير الأزهر، فقد رأت القيادة السياسية إسناد رياسة جامعة الأزهر إلى الدكتور محمد البهي، ذلك لأنها تعلم أنه كان يطالب منذ سنة ١٩٣٦ بحتمية تطوير التعليم بالأزهر، وعدم اقتصار الدراسة بالأزهر على العلوم الدينية وحدها، وتم تعيينه سنة ١٩٦١ وصدر قانون تطوير التعلم بالأزهر، كما صدر الميثاق الوطني سنة ١٩٦٢، وفي العام نفسه بدأت الدراسة بالأزهر بحسب القانون الجديد سنة ١٩٦٢م.

وفي سبتمبر سنة ١٩٦٢م عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر لإصلاح الأوقاف وشئون الأزهر على ما تريده القيادة السياسية الاشتراكية. لا كما يريد هو، واصطدم بسياسات تضاد رؤيته العلمية والإصلاحية، ولم يطل عهده بالوزارة.

وكان قد رأى في هذه المرحلة أن ينشئ قسما للثقافة الأسرية المفتوحة بكلية البنات لربات البيوت، مهمته تنوير المرأة المصرية التي لم تنل حظا من التعليم والتثقيف لتحسن إدارة منزلها، ورعاية أسرتها، ولكنه

لم ينجح في تنفيذ فكرته على أرض الواقع.

في مارس سنة ١٩٦٤ عين مرة أخرى رئيسا لجامعة الأزهر، فاستقال من المنصب بعد فترة وجيزة من تعيينه وفضل العمل أستاذا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب جامعة القاهرة.

وعندما بلغ الستين من عمره في سنة ١٩٦٥ أعفى نفسه من مهنة التدريس، ورفض قرار مجلس الوزراء بمد خدمته أستاذا عاملا خمس سنوات أخرى، وهي المدة القانونية التي كانت تمنح لخريجي الأزهر آنذاك. وآثر أن يتفرغ للكتابة والتأليف التي كان آخرها كتاب سيرته الذاتية: حياتي في رحاب الأزهر طالبا وأستاذا ووزيرا. ويعد هذا الكتاب وثيقة مهمة سجل فيها تطوره التعليمي والثقافي، كما يعد وثيقة للتطورات السياسية التي عاصرها، والتطورات التي عايشها بالأزهر الشريف.

ألف هذا الكتاب قبل أن توافيه المنية بعامين، إذ توفي - رحمة الله عليه - في ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٤٠٢هـ - ١٠ من سبتمبر ١٩٨٢م عن سبعة وسبعين عاما. رحمه الله تعالى.

فكر الدكتور محمد البهي

كان زواجه من ابنة الشيخ علي الغاياتي صاحب جريدة منبر الشرق، ومنشئ «ديوان وطنيتي»، الذي حوكم بسببه في زمن تسلط الاحتلال البريطاني على مصر، وحكم عليه بالنفي فعاش منفيا بسويسرا زهاء ربع قرن. له تأثير قوي في توجهه الديني والثقافي بصفة عامة في مواجهة الاستعمار الغربي، ورفض السيطرة الغربية على الشرق الإسلامي في مجالات السياسة والتفكير والثقافة والقيم الأخلاقية، وتبيين تهافتها، وفي الوقت نفسه تبيين أهمية منابع الإسلام قاعدة ثابتة ممكنة لحياة فضلى يحياها المسلم في كل توجهاته الحياتية.

كما كان الدكتور محمد البهي متأثرا بفكر الإمامين محمد عبده ومحمود شلتوت. وكان يرى أن التجديد ضرورة دينية على منهجيهما. وكان يرى منذ وقت مبكر أن الفكر الإسلامي ثابت الجذور عند مفكري الإسلام الأوائل، وأن الفلسفة الإسلامية كانت دائما تتمسك بالمرجعية الدينية الإسلامية، ومن ثم فقد كانت شديدة التماسك والتواصل مع أصول الدين (راجع كتابه: الجانب الإلهي في الفكر الإسلامي).

وكان الدكتور البهي يرى أنه لا فصل بين الدين والدولة في الإسلام، فالإسلام هما معا، ومن ثم وقف موقفا مضادا لمن رأوا أن الإسلام دعوة روحية لا تهتم بشئون الدنيا كما تبلورت في كتاب الشيخ علي عبد الرازق الإسلام وأصول الحكم ومن شايعوه وآزروه. كما أكد على أن تعاليم القرآن تبنت كل ما يهم المسلم في حياته العامة والخاصة، في أمور دينه ودنياه في حياته الاجتماعية والسياسية والتربوية والتنموية (كتابه القرآن والمجتمع).

ثم إنه مع رفضه لسلبيات الغرب في الثقافة والأخلاق فإنه لا يرفض الإفادة من تقدم الغرب في المجالات المدنية والصناعات والاقتصاد وغير ذلك على أن نحافظ على هويتنا، وأخلاقنا وقيمنا الروحية، وهي مقومات تفتقدها الحضارة الغربية.

الدكتور محمد البهي وثقافة الفترة الناصرية

كان الدكتور محمد البهي قد تحدث عن ضرورة إحداث تغيير في طرق التعليم بالأزهر بعد عودته من ألمانيا التي قضى بها خمس سنوات سنة ١٩٣٦ ولعله في هذه الفترة كان متأثرا بالحضارة الغربية التي عايشها في ألمانيا التي أحرزت تقدما هائلا في مجالات الفنون والعلوم المدنية. وكان يتمنى لجامعته التي تخرج منها أن تنهض في كل العلوم الدينية التي تقوم بتدريسها والعلوم المدنية التي لا تعيرها أدنى اهتمام. ولما صدرت القوانين الاشتراكية رأت القيادة السياسية الحاكمة أنه الأزهري الملائم لمرحلة الاشتراكية في تطوير طرق التعليم بالأزهر. ومن هنا صار الدكتور محمد البهي واحدا من رجال النظام الذين يقومون بالتطوير ليس في مجال التعليم فقط، بل في كل توجهات النظام القائم.

شارك الدكتور محمد البهي في الدعوة إلى فكر هذه المرحلة بقلمه، فكتب كتاب: «الإسلام ونظم الحكم المعاصرة» وأهم ما دار عليه فكره في هذه المرحلة هو:

- أولا: حتمية الاشتراكية العربية نظاما حتميا إسلاميا بل ضرورة إسلامية.

- ثانيا: أن تسترد الأموال التي سلبتها الشركات الأجنبية بمصر في عهد الاحتلال الأجنبي على أن تكون مادة لاقتصاد الدولة، ولعل الذي هيأه فكريا لذلك.. ما فعله عمر رضي الله عنه عندما فتح الله تعالى على المسلمين أرض السواد بالعراق وأراد الجند الفاتحون أن يقسم عليهم الأربعة أخماس، فسأل عمر كبار الصحابة وكان منهم علي بن أبي طالب فقال له: بل تكون للمسلمين مادة للإسلام، وهو ما عرف في المرحلة الناصرية بالتأميم،

يضاف إلى ما تقدم فإن الدكتور البهي فهم الاشتراكية العربية على أنها نظام يجمع بين الملكية العامة لوسائل الإنتاج ومصادره ونتاجه ومصارفه، والملكية الخاصة التي لا تضاد بينها وبين الملكية العامة - كل ذلك مع الإيمان بالله، وبالمساواة بين الناس، وعلى هذا كان - بصفته وزيرا للأوقاف - يوصي الدعاة في المساجد أن يؤيدوا النظام الاشتراكي، ويدعون إليه. لكن سرعان ما كشفت الاشتراكية عن حقيقتها التي لم تكن إلا شعارات تطايرت كفقاعات الهواء.

ولعل صدمته في الاشتراكية جعلته يترك وزارة الأوقاف - ثم التدريس ليتفرغ لعملية تطهير نفسية تقوم على طلب الإصلاح بالحلول الإسلامية الخالصة. وكان عليه في الوقت نفسه أن يقف موقفا صارما من الفكر المادي الماركسي، والفكر الغربي الرأسمالي، خاصة في توجيه الاستشراق.

وفي المجال الأول: أثبت أن الفكر المادي فشل في تحقيق العدالة الاجتماعية التي رفع شعاراتها في البلدان التي طبقت فيها. كما تصدى لدعاة المادية في المجتمعات الإسلامية الذين زعموا أن أبا ذر – رضي الله عنه – كان مؤسس الاشتراكية الإسلامية، أو الذين أرادوا تطويع أفكار ابن خلدون وجعلها أفكارا ماركسية، وكان من هؤلاء رشدي صالح في مجلة الكاتب.

وفي مؤتمر علماء المسلمين الذي عقد بالقاهرة عام ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م جهر برأيه في أن الإسلام دعوة لإصلاح حياة العالمين في دنياهم وآخرتهم، وليس لإباحة الانقلابات العسكرية، أو تأميم ممتلكات الناس.

وفي مواجهة الاستعمار ألف كتاب «الفكر الإسلامي المعاصر وصلته بالاستعمار الغربي». وفيه تصدى لأعمال المستشرقين الذين درسوا الشرق الإسلامي ليكونوا طليعة إرشاد جيوش الاحتلال الغربي لنهب بلاد المسلمين، كما هم في الوقت نفسه أدوات زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد من التصدي للاستشراق والمستشرقين، بل التصدى لأعوانهم في بلاد المسلمين الذين قدموا مؤلفاتهم ترجمة لما يدور في عقل الاستشراق: مثل علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم»، وطه حسين (في الشعر الجاهلي) و(مستقبل الثقافة في مصر) و (من بعيد)، وهي كتب كانت تطالب بالتمسك بذيل الثقافة الأوروبية، والنأي عن الأصول الإسلامية.

تصديه للفكر الغربي ونقده

كان أهم مؤلف للدكتور محمد البهي تصدى للفكر الغربي وبين تهافته كتاب «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» في مجالات: التوجيه السياسي والثقافي في الشرق الإسلامي الذي بلغ ذروته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والربع الأول من القرن العشرين؛ فقد حرص الغرب في هذه المرحلة بنفوذه السياسي والثقافي على أن يظل المسلمون متخلفين بوسائل منها: الزعم بأن مادة التوجيه الإسلامي المتبعة في بلاد المسلمين غير صالحة في أعين أصحابها، وكذلك ترسيخ الزعم بأن الإرث الثقافي الذي خلفه المسلمون الأوائل لم يعد صالحا لأصحابهم. يضاف إلى ذلك أن الغرب بأقلام مستشرقيه عمل على إبراز أن سبب تقدم الغرب المدني هو الفصل بين الدين والدولة.

ولقد استجاب بعض المتأثرين بالغرب من دعاة التغريب فساروا على درب المستشرقين فكتب علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم» ليقول فيه إن الإسلام دين روحانية ولا علاقة له بشئون الدنيا»

وكتب طه حسين كتاب «في الشعر الجاهلي» ليوهم ببشرية القرآن و«مستقبل الثقافة في مصر» الذي قال فيه إذا أراد الشرق الإسلامي أن يتقدم فعليه أن يحذو حذو الغرب في كل شيء ثقافي ومادي. ثم كتب «من



بعيد» الذي رأى فيه ضرورة إبعاد الدين عن العلم حتمية للتقدم. ولقد أطلق هؤلاء المتأثرون بالغرب على أنفسهم تيار التجديد، وكتبوا دراسات ظاهرها إسلامي، لكنها في حقيقتها تقليد للدراسات الإسلامية في تفكير المستشرقين.

لقد فهم الدكتور البهي أن الدراسات الاستشراقية قامت في أوربا في الأساس بإيحاء من الكنيسة الكاثوليكية بإرادة الانتقاص من الإسلام من جهة، وثأرا للهزائم التي مني بها الغرب الصليبي في المواجهات السابقة مع الإسلام من جهة أخرى، ثم صارت مناهج تعليم تدرس في جامعات الغرب لتخريج دارسين مؤهلين لمواجهة الإسلام وعلومه بجهود المستشرقين، ثم عن طريق منح تمنح لطلاب من الشرق الإسلامي يدرسون في جامعات الغرب، ثم يعودون إلى بلادهم لنشر ثقافة الاستشراق في بلادهم، تحت غطاء التجديد.

العدل طريق السلم

لفضيلة الشيخ/عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

جاء الإسلام وأعلن الناس بالوحدة ومن مقتضياتها المساواة بين بنى الإنسان فى الحقوق والواجبات، والعدل هو الشعار الصادق لهذه الوحدة يكون حيث تكون ويفقد حيث تفقد، انظر إلى قوله تعالى:

(الحجرات:١٣)

ويقول تعالى:

(النساء:١)

وإذا كانت الفروق الشخصية فى نظر الإسلام بمنأى عن محيط الوحدة وكان العدل شعارها الدال عليها وإطارها المحدد لها لزم أن تكون تلك الفروق بمنأى عن إطار العدل

ويستوى فيه القوى والضعيف والغنى والفقير والقريب والبعيد والمسلم وغير المسلم، وإن شئت فاقرأ قوله تعالى:

(النساء:١٣٥)

بل إن الإسلام قرر العدل حتى مع الذين لا تربطنا بهم مودة حتى وإن كنا نبادلهم الكراهية والبغضاء، فكل ذلك لايحملنا على عدم العدل معهم، تأمل قوله تعالى:

(المائدة:٨)

نسوق هذه الآيات ونطرح تلك المبادئ الإسلامية كى يعلم هؤلاء الذين يتشدقون بالعدل والمساواة وحقوق الإنسان فى شرق العالم وغربه ليعلموا جميعا أن الإسلام قد وضع لكل ذلك العلاج الناجع والبلسم الشافى؛ ذلك أن السلام الذى تنادى به تلك الدول ويملأون به الجو صراخا وإعلانا وتنطق به الأبواق وتعقد الهيئات والمحاكم الدولية وغيرها ليس له من سبيل سوى العدالة المطلقة التى نادى بها الإسلام كى يعم السلام على الأرض وبين جميع البشر، فإنهم فى صنيعهم بتلك الأحكام الوضعية والقوانين البشرية لايجدون بدا من تطبيقها إلا حسب طغيان أهوائهم وشهواتهم والجشع فى السيطرة على ثروات الشعوب والناس، إنهم مهما ابتكروا من محاكم وقوانين فلن يجدوا سوى العدل الذى أشار إليه الإسلام ودعا إليه ينشرون أعلامه على الأفراد بعضهم مع بعض وعلى الأمم بعضهم مع بعض، وعندئذ تتحقق السعادة للبشر ويعم السلام والأمن على المعمورة كلها.

ولكننا للأسف نجد أنه بالرغم من كل مزاعم هؤلاء عن العدالة والمساواة فى الحقوق والواجبات إلا أنهم يسخرون تلك القوانين الوضعية وتلك المحاكم الجائرة، يسخرون كل ذلك لخدمة أهوائهم فتراهم يكيلون دائما بمكيالين فما يحكمون عليه بالإجرام وبارتكاب الجرائم ضد الإنسانية تراهم يبرئون غيره إن ارتكب تلك المخالفات، وكأن هذه المحاكم وتلك المخالفات ما هى إلا نتاج أناس بعينهم، وأما غيرهم من بنى جلدة هؤلاء فمعصومون عن ارتكاب هذه الأخطاء وتلك المخالفات، فلن يكون هناك سلام حقيقى إلا إذا عم العدل أرجاء الأرض، أما ما

يحدث الآن من قرارات للأمم المتحدة وقرارات لمجلس الأمن تكون ملزمة لبعض الدول ويتم تطبيقها بالقوة إن لزم الأمر، وفي نفس الوقت هناك دول أخرى لاتلتزم بتلك القرارات ولاتطبقها ولا توقع عليها تلك العقوبات الصارمة التي تطبق على الدول الأخرى، فهذا هو الظلم والقهر.

ولهذا نجد أن الإسلام قد شدد على العدل في الأمور كلها حفظا لكيان المجتمع البشري وجعله أمرا عاما دون تخصيص بنوع دون نوع ولا بطائفة دون طائفة، لأن العدل نظام الله وشرعه والناس عباده وخلقه يستوون أبيضهم وأسودهم، ذكرهم وأنثاهم – مسلمهم وغير مسلمهم أمام عدله وحكمه:

(النساء: ١٢٣-١٢٤)

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى وضع العدل وجعل إقراره بين الناس هو الهدف من بعث الرسل وإنزال الشرائع والأحكام يقول تعالى في القرآن الكريم:

(الحديد: ٢٥)

ويقول المفسرون إن ذكر الحديد هنا إيماء قوي واضح إلى أن إقرار العدل فيما بين الناس واجب إلهي محتم للقائمين به أن يستعينوا عليه باستعمال القوة التي سخر لها ولآلاتها الحديد ذا البأس الشديد.

والذي يدرس الشرائع السماوية كلها يجد أنها لم تحارب الشرك بالله لمجرد أنه شرك به سبحانه وإنما لما يحمل في جوانبه من بواعث الظلم والطغيان التي ينحرف بها الناس عن العدل. ولا نعرف في القرآن الكريم ذكرا للقوة المادية في جانب عمدا من مادة غير مبدأ العدل حتى عقيدة التوحيد فلم يصرح فيها مع كثرة ذكرها والدعوة إليها باستعمال الحديد والقوة بالنسبة للذين أنكروا وجحدوا وحدانية الله وأشركوا معه غيره في العبادة والدعاء. ولكنه وقف هذا الموقف ولوح باستعمال القوة والحديد في وجه الظالمين الذين يستمرئون البغي والعدوان على أرباب الحقوق، وقف في وجوههم ولو كانوا في عداد الناطقين بشهادة التوحيد والرسالة:

(الحجرات: ٩)

وليس ذلك فحسب، بل إن المتتبع لذكر العدل في القرآن يجد أنه تناول شئونا كثيرة، فنجد أنه أمر به في الأسرة وجعله شرطا في الإقدام على تعدد الزوجات

(النساء: ٣)

وقد جعل الله هنا مجرد الخوف من الظلم والجور مانعا من إباحة ما أحله وشرعه وهو تعدد الزوجات وأرشدنا بهذا إلى أن إباحة شيء ما مشروطة بسلامته من الضرر والإيذاء، وأنه متى صحبه ضرر أو إيذاء وجب منعه وخرج عن أن يكون مباحا، وهذه قاعدة تشريعية تلقاها أئمة الفقه والتشريع بالقبول في كل العصور وكان لها من الآثار الحسنة في السياسة الشرعية ما استقام به المعوج، وتعبد به السبيل الشائك، وكذلك نجد أن الله أمر بالعدل في كتابة الوثائق التي تحفظ بها الديون وتحدد شروط الالتزام بين المتعاملين وفي هذا نزلت أطول آية في القرآن الكريم آية الدين وهي قوله تعالى:

(البقرة: ٢٨٢)

وكذلك أمر الله تعالى بالعدل في الشهادة وأدائها على وجهها دون كتمان أو تحريف.

(النساء: ١٣٥)

كذلك أمر الله تعالى بالعدل في الحكم والقضاء واعتبره نوعا من أداء الأمانات:

(النحل: ٩٠)

ويقول عز من قائل:

(النساء: ٥٨)

وهكذا نرى أن العدل هو أساس السلام بين الأفراد والجماعات والدول وما لم تتحقق العدالة في الأمور كلها فلن يكون هناك سلام والعدل المطلوب لتحقيق السلام ما يتساوى فيه الجميع في الحقوق والواجبات على اختلاف أجناسهم وألوانهم تحقيقا للوحدة الإنسانية التي قررها الإسلام ودعا إليها. والله الموفق.

نعم لليقين ولا للظن والتخمين

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

قد يجمعنا التنافس المحمود حول مظاهر الدنيا.. قد يحملنا على ركوب الشطط: فنلجأ إلى التجريح.. بدل التصحيح؟!

وقد يديرها البعض معركة في الظلام.. إلى ما يشبه فحيح الأفاعي خلف الجدران بدل أن تكون المعركة في الضوء.. وعلى أرض مكشوفة.

وإذا كان المفروض في المؤمن أن يكون حذرا حتى لا يؤتى من عدو له ماكر فإن ذلك لا يعني تجريح الناس.. والخوض في أعراضهم

إن هذا المسلك ليس من أخلاق المسلم المحروس بالإيمان!! وإنما هو لحظة من لحظات الضعف الإنساني قد يورط فيها الإنسان نفسه بالنيل من أخيه المؤمن!!

وقد يناله في «عرضه» وهو أعز ما يملك.. الأمر الذي قد يحرك نخوة الإنسان الذي يهب مدافعا عن كرامته.. عن شرفه الذي يجب أن يصان.. هذا إذا كان حاضرا وقد يحمل أخاه السامع ليهب دفاعا عن أخيه من أجل عرضه الذي يجب أن يظل طاهرا.. وذلك قوله ﷺ: «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة.. كان حقا على الله أن يعتقه من النار»(١).

وكان ذلك العتق من النار جزاء وفاقا.. لأنه دافع عن أخيه الغائب.. والذي لا يملك الدفاع عن نفسه دفاعا قد يحسم به خلافا له حسيما!!

ولقد خاض معركة شرسة يريد بها تخليص عرض أخيه.. فكان نائبا عنه في غيابه.. فخلص عرضه من هذا الهجوم المغرض!

بعض الناس.. قد يقابل الهجوم بالهجوم.. ويواجه النار بالنار.. فتزيد النار اشتعالا.. ويزداد الطين بلة.. ويبقى عرض أخيه متهما.. بينما يبقى الشاتم في منطقة الأمن؟!

إن الذي يقابل التيار بالتيار فاشل.. لأنه أراد هدم عرض لحساب عرض آخر.. وواجب المسلم هو: الدفاع عن العرضين معا؟! وكيف؟!

بنصرة الغائب: دفاعا عنه.. ثم بنصرة المهاجم بكف لسانه.. حتى لا يعود لمثلها ويترتب على ذلك: صيانة المجتمع من التفكك.. وقطع الطريق أمام الاثنين معا: الشاتم والمشتوم.. لتعود المياه إلى مجاريها.. فرارا من الأحقاد.

ولكن الحكمة قاضية بأن يكون هذا الدفاع محكوما بمجموعة من الضوابط.. فما هي؟!

إذا كنت تملك برهانا تدعم به دفاعك.. لتحرر به العرض الأسير فخذ به.. وإلا فعلى الأقل حوّل بلباقتك مجرى الحديث.. قبل أن يستفحل.. ويصعب التصدي له!

فإذا عجزت.. وأعيتك الحيل.. فاتخذ من القرآن الكريم.. ومن السنة المطهرة معا رصيدك لما سمعته.. بناء على ما تعرفه عن المشتوم من فضائل تشجب ما يتقول به عليه!

وفي ذلك ما فيه من كسر الدفاع المتهم.. وتقليلا من أهمية ادعاءاته!!

وذلك عكس ما يحاوله البعض من اللجوء إلى الاستغفار مما حدث.. دون الوقوف بحسم للدفاع عن الغائب المظلوم!

إن فعلت: فمن جزائك المعجل: أن يقيض الله تعالى لك من يدافع عنك في غيابك أو يسكت الذين يحاولون ذلك..

ومما يجب علينا في مثل هذا المقام هو: الملجأ إلى مصدر الشفاء:

وهو: القرآن الكريم والسنة المطهرة.

والقرآن الكريم يقول ردعا لهذه النزعة العدوانية:

(الحجرات: ١٢)

والمعنى: لو دارت حول رجل مائة شائعة مشفوعة بأدلة حقيتها.. فالمطلوب منك كمؤمن أن تتنازل عن فكرتك عنه: فربما كان بريئا في واحدة منها..

ومن أجل هذه الواحدة يجب أن يكون ظنك به حسنا، وقد قالوا:

(من أجل عين ألف عين تكرم)

ولأن يخطئ الإمام في العفو.. خير من أن يكون خطؤه في العقوبة!!

إننا قد ننظر إلى الشائعة على أنها أمر واحد.. ولكنها في الواقع: موجة تتلوها موجة.. فإذا نحن أمام بحر واسع عميق!!

ونقرأ من السنة المطهرة ما روي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال ﷺ:

«إياكم والظن.. فإن الظن أكذب الحديث.. ولا تحسسوا.. ولا تجسسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك» متفق عليه.

وفي مسلم ج١٦ - ١١٨.

■ تمهيد

مر الأوزاعي بمحل لبيع العسل وبجواره محل لبيع البصل.. فسمع صاحب البصل يقول:

أحلى من العسل.. يا بصل!

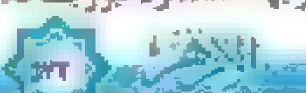
فقال: سبحان الله!!

ألا يعلم ذلك أنه يكذب!

وهكذا كان الإحساس بمرارة الكذب في وجدان الأمة مع أنه مجرد إعلان.. لترويج بضاعة.. ولن يغير الحقيقة لأنه لن ينطلي على أحد.. فكل الناس يعرف النفيس منها.. وربما تبادل التاجران ابتسامة تجعل مما حدث دعابة.. أو دعاية لا تردعه بها سلعة.. ولا تبور بضاعة..

(١) مجمع الزوائد: ٨/ ٩٥.





وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بالكذب.. فلابد أن يكون التنفير من أكذب الكذب شديداً!

وذلك قوله ﷺ: إياكم والظن..

إن الأمر حينئذ لا يكفي فيه التحذير..

وإنما هو التنفير المتصاعد والبادئ من:

ألف التحذير الشديد: إياكم.

ثم تحميل المجتمع كله عقبى هذا الظن.. الذي هو أكذب الكذب..

ثم هو التعبير بمطلق الظن احتياطاً ليشمل حتى الظن الحسن.. الذي قد يكون أساساً لحكم خاطئ، ونذكر هنا كيف نهر عمر -رضي الله عنه- من مدح إنساناً آخر ثم ظهر أنه لم يسافر معه ولم يتعامل معه!!

ثم التنفير منه بأنه أكذب الحديث.. وإذا كان الإيمان تصديقاً.. فإنه من التناقض أن يكون المسلم في وقت واحد:

مصدقاً.. مكذباً

ما هو الظن المراد في الحديث الشريف؟

الظن قسمان:

مستحب.. وهو الحذر.. والاحتياط في التعامل وخاصة مع الأعداء.. والاستعداد للأمر قبل وقوعه.

ومنه قولهم: سوء الظن عصمة

أما الظن المنهي عنه في الحديث فهو:

ظن السوء بالمسلم دون برهان.

أي المضي معه.. وتصديقه.. بل وتحقيقه.. وقبول كل ما يقال عن شخص كأنه قضية مسلمة.. دون تمحيص..

لأن ذلك فساد في تصور القضية ونقص يترتب عليه فساد الحكم تبعاً لذلك.

أما ما يعرض للقلب.. دون استدعاء.. ولا يستقر في القلب.. ولم يتكلم به المرء.. فمسموح به لأن هذا إدراك.. وليس ظناً.. ولهذا لم يقل في الحديث: أكذب الإدراك.. لأن الإدراك لا يترتب عليه حكم.

لماذا كان الظن أكذب الحديث؟!

الظان يعتقد:

أ- أنه صادق

ب- ويظن ذلك.. بل يجحح به..

بينما عقيدته.. وحديثه كلاهما مخالف للواقع: إنه واقع تحت وطأة مجموعة من العلل: فاعتقاده باطل وتلك علة عقلية لأنه قول بلا دليل ولكن علة لسانية.. يضاف إليها علة أخرى خلقية وهو شيوع روح الاتهام بين المجتمع.. إنه يجعل من أصلاءنا قضية.. تجتمع لها الأدلة.. والمطلوب الاحتياط والتحرز.

من أي باب تهب رياح الشك وسوء الظن:

المفروض أن عمل المسلم في النور.. وعلى المكشوف..

بينما الخطر العمل في الظلام.. في السراديب فلا يتيح الظلام رؤية كل زوايا الحقيقة.. ومن ثم سيكون هذا ظناً ظن السوء بأخيه المسلم..

من أجل ذلك يسد الحديث الأبواب التي تهب منها رياح الشك.

وهي:

التجسس بالجيم:

البحث عن العورات بواسطة الغير الذي ينقل عنك وإليك..

والتحسس وهو:

الاستماع.. بل الاستمتاع بما يقال في المجلس مما يمزق سمعة الآخرين.. وأنت قرير العين!!

ثم نهى عن التنافس المحمور وهو:

التدافع والتكالب على عرض الدنيا.. فذلك مما يحمل على الاتهام بالحق وبالباطل طلباً للدنيا المؤثرة في التنافس الشريف.

فمطلوب.. لأن تنافس الأخيار يقوي بعضه بعضاً.

فالكريم يحب الكريم

واللئيم لا يحب اللئيم

ولكن التحاسد غيظة تمتى في قلبها مثل ما لأخيك قصراً فمثلك على البناء.. لا على الهدم.. والمهم هو الانضواء تحت علم الوحدة، وكونوا عباد الله إخوانا

منهج في الإنقاذ من سوء الظن

يعرض المربون:

أ- من انشغل بعيوب نفسه حقق لها ما يلي:

زرع بدنه ولم يتعب قلبه فكلما اطلع على عيب نفسه هان عليه ما يرى من أخيه.

ومن انشغل بعيوب الغير

تعب بدنه وعمي قلبه ولم يصلح غيره

ب- ويترتب ذلك على التأني والعجلة التي حث عليها الإسلام

(الأنبياء: ٣٧)

جـ- اللمز وهو: الطعن باللسان: وهو أخف قليلاً من سخرية

لأن اللامز يفترض للملموز وجوداً.. ولكن به عيوب.. أما الساخر فإنه يسحب الموجود كله!!

من أسباب اللمز:

قد يكون في الحي أو في القرية عظماء وأغنياء فقط يتصدرون المجالس.. ويتحدث عنهم الإعلام.. وهناك أغنياء يسترون

وقد يكون هناك منهم مغمورون يحقدون عليهم.. فكأن المتحدي مانعاً: فطردهم بما ليس فيهم.. صادرين عن إحساس مغشوش بالحسد.. بمعنى أن تفرق غيرهم حسم من حسابهم!!

ويريدونهم مثلهم في السطح ليكونوا في الهبوط سواء وذلك بعض ما يفهم من قوله عز وجل:

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾

(النساء: ٨٩)

من موانع اللمز:

١- إدراك حقيقة أن كلنا عيوب.. وحين تلمز أخاك.. فإنما تلمز نفسك

(الحجرات: ١١)

٢- باللمز: يفتح الإنسان على نفسه باباً لمثل في حقك مثلما قلت.. لو قدر منه!!

فللناس ألسنة وليس عيون!!

٣- سد ذرائع اللمز بمناداة أخيك بأحب الأسماء إليه.

لقد لقب أبو بكر -رضي الله عنه- بالصديق وبالعتيق، ولقب عمر -رضي الله عنه- بالفاروق، ولقب حمزة -رضي الله عنه- بأسد الله، ولقب خالد -رضي الله عنه- بسيف الله

وإذا أنت ناديت إنساناً باسم حيوان.. فلن يتحول إلى حيوان!

وإذا كان اللمز: أن تعيب إنساناً في وجهه.. فإن الهمز هو: محاولة النيل منه سراً

وإذا كان اللمز وقاحة.. فإن الهمز يصير جبناً وضعفاً: ليسا من صفات المؤمن بحكم إيمانه..

والسؤال الآن: لماذا لم يقل سبحانه: ولا تلامزوا.. كقوله عز وجل

(الحجرات: ١١)

والجواب.. والله أعلم

إن اللمز وإن كان ذكر العيب في المواجهة وفيه معنى التفاعل.. فإن المواجهة في التنابز لا أثر لها! فمن قال لرجل: يا ثعلب.. لن يتحول إلى ثعلب!!

أما المواجهة.. في اللمز.. فإنه يؤثر أحيانا في الملموز.

والمؤمن – بحكم إيمانه – مأمور باجتناب كثير من الظن.. لأن الظن هو سبب البلاء.. ولو تتبعنا الظنون لتعبنا.. ولم نصل إلى يقين!!

وبعد فالمسلم بحكم إسلامه مأمور بالتثبت قبل الحكم.. وذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

(الإسراء: ٣٦)

ومازلت أذكر هذه الصورة، صورة العائدين من المحكمة في طور من أطوار قضيتهم..

لما سئلوا عن القضية.. قالوا مستبشرين: جنايات.. وتساءلت.. لماذا والجنح أيسر حكما في العادة.

وقالوا:

الجناية لأنها جناية لابد فيها من برهان قاطع قد لا يتوافر ومن ثم فحكم البراءة هو المتوقع..

وقلت: وإذن.. فنكرم أخانا فلا نظن به السوء.. وإذا كان ولابد

فلابد من برهان.. وهذا أقل ما يفرضه عليك الإيمان.

■ وقد يسأل سائل: ألا يكون من حق المعيب أن يدفع عن نفسه!!

■■ والجواب هو: حق الدفاع مشروع.. ولكنه محكوم بضوابط الشرع الحنيف.. هذه الضوابط التي أشار إليها الحديث الشريف:

«اذكروا الفاسق بما فيه.. يحذره الناس»[٢]

وإذن فليس من حقي فقط أن أدافع عن نفسي.. فهو حق مكتسب.. وإنما أنا مطالب بإظهار فسق الفاسق لا تشفيا ولا انتقاما.. وإنما لفتا لأنظار الناس إليه ليحذروه.. ولا يتخذوا من تهامته حكما على الأبرياء وإذن.. فنحن مأمورون بذكر «الفاجر» بفجوره:

والذي يعني: أنه طغى وبغى إلى الحد الذي «فجر» فسقه على جانبي الطريق.. فنحن لو نذكره بما فيه وإنما هو الذي أعلن ذلك بفجوره هذا الذي لا يخفى على أحد..

على أنه ليس من حقنا إلا أن نذكره بما فيه فقط.. وبلا تجاوز.. تحذيرا للمجتمع من شروره..

وهو عقاب أدبي يشكل رأيا عاما يلاحقه بالكلام حتى يكف عن فجوره!!

■ أما بعد

معرض سورة الحجرات.

وفي هذا المقام نذكر قوله عز وجل:

﴿[illegible]﴾

(الحجرات: ١١)

وقد ذكروا في سبب نزولها: أن الرسول ﷺ لما أمر بلالا – رضي الله عنه – بالصعود لظهر الكعبة ليؤذن.. ذكره المشركون بما يعيبه وكانت سورة الحجرات كلها.. دفاعا عن كرامة الإنسان.. التي يستمدها من خلقه لا من نسبه وحسبه.. وكذلك قال عز وجل:

﴿[illegible]﴾

(الحجرات: ١٣)

---

[٢] كشف الخفاء للعجلوني، جـ ١، ص ١١٤

وقبيحا نداء بوصف الإيمان: لا تقدموا.. لا ترفعوا صوتكم.. إن جاءكم فاسق بنبأ.. مما يؤكد حرمة المؤمن

في حضوره المنوه عنه بقوله عز وجل: لا يسخر قوم من قوم وفي غيابه المنوه عنه بقوله عز وجل: اجتنبوا كثيرا من الظن.. والمعنى

أن الأصل واحد فالتهم متوحدون من السخرية بغيرهم

ولا.. مرصف كم بكم جميعا مؤمنين

وثانيا: لأن أصلكم واحد فلا يسخر قوم من أحد ولو كان على غير ملتنا لأنكم «جميعا» وحدة.. وإن اختلفتم .. شعوبا.. وإذن.. فالسورة الكريمة تعالج أمراضا اجتماعية خطيرة هي:

السخرية التي تعني إسقاط الآخرين من حسابنا

ولفت النظر إلى أن «الرجال» يتحملون المسئولية هنا قبل النساء!!

وهو المعنى المستفاد في سورة المطففين في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾

(المطففين: ٢٩، ٣٠)

وفي الإجرام معنى القطع واتهام الأبرياء من قبل المستكبرين الذين سخروا من (عمار – وصهيب)

في مجال التطبيق

شكت صفية رضي الله عنها أنها عيرت بأنها يهودية بنت يهوديين فقال لها: هلا قلت: إن أبي هارون وعمي موسى.. وزوجي محمد!! وفي هذا الجواب النبوي ما يؤكد مشروعية الرد على التهم

الباطلة إن الساخرين «قوم» وهم «قوم» فلا فرق هناك!!

ثم إن الساخر لا يرى إلا الظاهر.. وليس هذا الظاهر مقياسا.. وإنما المقياس الحقيقي هو: التقوى التي يكون مستقرها القلب.. فلا نراها!

ويترتب على ذلك: أننا قد نحقر ما وقره الله تعالى.. ونستهين بمن عظمه!! (وبحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) رواه مسلم في رياض الصالحين حتى لو لم يكن له من الذنوب إلا هذا.. لكفى!!

وفي مشاهد الطبيعة من حولنا ما يكفي بأمثلة:

فأنت قد ترى الأصداف يرميها الموج الغاضب.. ولكن الجواهر هناك في الأعماق!!

وفي مدى استجابة الأمة لهذه التوجيهات نقرأ ما قال «عمرو بن شرحبيل»:

لو رأيت رجلا يرضع عنزا.. فضحكت منه.. لخشيت أن أصنع مثل الذي صنعه!!

والبلاء كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «بالقول» وقد قيل: لو سخرت من كلب.. لخشيت أن أحول كلبا!!

ولما سخر «ثابت بن قيس» من رجل.. نزلت الآية الكريمة قال:

لا أفخر في الحسب على أحد أبداً!!

ذلك.. بأن أحدا لا يختار آباءه ولا أجداده.. وإنما التفاضل: بالتقوى، وفيها.. فليتنافس المتنافسون.

الخوف من اللّه

قيمة تربوية، دنيوية، أخروية

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

عندما يخاف المرء إنسانا شريرا أو منحرفا أو شاذا أو معتوها فإنه يبتعد عنه وينأى قدر ما يستطيع لأن الاقتراب منه والتعامل معه يصحبه الأذى والضرر والضياع. وقد قيل في بعض الأمثال الحكيمة العامية: إن البعد عن فلان غنيمة أي أنه في الابتعاد عنه الكسب الكثير والربح الوفير فقد كفى المرء نفسه بهذا شر ذلك اللئيم الأثيم. ولقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه. وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة»[1].

أما عندما يخاف المرء ربه سبحانه وتعالى فإنه يتجه إليه في سره وعلانيته وفي معاملاته، ويرجو القرب منه بالتذلل إليه والتضرع على بابه والاتزاد بأعتابه حبا له أكثر من خوفه من عقابه. فهو لا يفر من الله ولكنه يفر إليه استجابة لأمره عز وجل:

﴿[illegible]﴾ (الذاريات: ٥٠)

حث العباد به، والملاذ في رحابه. والفرار إلى الله سبحانه إما أن يكون الدافع إليه الحب وإما أن يكون مرجعه الخوف، وإما أن يكون مزاجا من الحب والخوف جميعا.

[1] أبي داود والحاكم عن أنس (الجامع الصغير للسيوطي).

الخوف والحب!!

وفي بعض شروح «حكم ابن عطاء الله السكندري» أن المسلم الذي يؤدي الفروض فقط هو الذي يخاف الله أما الذي يزيد عليها ما استطاع من النوافل فهو الذي يحب الله، وهو الذي يصوره الحديث القدسي الشريف حين يقول: «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»[2].

فهناك إذن فرار (من) وفرار (إلى)، فرار من الأخطار والأخطاء، أخطار الحياة، وأخطاء النفس، وفرار إلى الرحمة والمحبة والغفران.

أين الإنسان الذي يقبلك إذا أخطأت في حقه، ولو كان أقرب الناس إليك؟ وأي مسئول يغفر لك إن عصيت أمره أو أتيت نهيه؟ إن الخوف من المخلوق مدعاة للحقد والحسد، ومظنة للرياء والنفاق، وما يستتبعه هذا من خور في الشخصية، وصراع في النفس، وخلل في التفكير وتخبط في السلوك.

أما الخوف من الخالق سبحانه والفرار إليه فإنه يطبع المؤمن على الثقة بالنفس دون كبرياء، والتعالي بلا استعلاء، والتواضع على استحياء والجد في العمل المثمر بلا استخفاء، وطلب الحق بلا استجداء، وأداء الواجب بلا منّ ولا خيلاء، ومثل هذا وذاك من حسن الشيم وتحقق القيم حتى يستشعر المرء شيئا فشيئا الاقتراب من الحضرة السنية المكرمة، واستمداد المدد من السنة الزكية المطهرة.

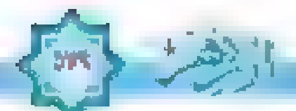
وهكذا نرى أن من خاف الله أمن وعز وسلم، ومن خاف غير الله وجل وذل وندم.

ومن ثمة فقد طمأن الحق سبحانه عباده الذين يخشون عذابه، ويتهيبون عقابه بأن مسيرة هذا الخوف من الحق عز وجل تنتهي عند المؤمنين بنهاية حياتهم الدنيوية حيث تبدأ بعد ذلك مسيرة الأمن والطمأنينة عندما يقول الخطاب القرآني المجيد:

﴿[illegible]﴾ (فصلت: ٣٠).

والخوف من غير الله سبحانه مصدره وساوس شياطين الإنس، فمن هؤلاء من ولع بإشعال الفتنة بين الناس، وكلف بإشاعة الترهيب والتخويف فيما بينهم فيستلل بينهم

[2] من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري: رياض الصالحين للإمام النووي.



بالوقيعة والكراهية والبغضاء إذ

﴿ ... زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾

(الأنعام: ١١٢)

يحسنون لهم القبيح، ويشوهون أمامهم المليح، آملين أن يسيروا مسارهم الضال ليكونوا سواء.

الإيمان الصادق

ولكن المؤمنين الصادقين لا يلبثون أن ينتبهوا لما يحاك لهم بليل، فيهديهم ربهم إلى طاقة النور بعد أن أريد لهم المكوث في النفق المظلم، وهنا تتحطم أحلام الضالين البغيضة، وتتبدد آمالهم المريضة في ترويع المؤمنين الذين استمسكوا بحبل الله المتين فأبدلهم ربهم من بعد خوفهم أمنا، وقد أكد الذكر الحكيم ذلك بقوله العزيز:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٧٣)

وهكذا يواجه المؤمنون تخويف أعدائهم بالتمسك بحبل الله المتين.

ومن خلال هذا المعنى القرآني العظيم ما روي أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام قد أوحى الله إليه - وهو خليله - أن يناجي الحق سبحانه بهذه الآية المطمئنة عندما ألقي به في النار حيث تجلت قدرة المقتدر - عز وجل - فحلت النيران بخصائص النعيم وتخلت عن خصائص الجحيم:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾

(الأنبياء: ٦٩)

وتأمل (السلام) بعد (البرد) إذ قد يصبح (البرد) بلا سلام زمهريرا صرصرا يقسو ولا يسر، وما أعظم العبارة القرآنية الكريمة حين حيث تنقلنا إلى أختها الآية المبينة التي تتحدث عن إحدى معجزات الحق التي تجلى بها على نبيه موسى عليه السلام عندما تأمل قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(طه: ٢٢)

إذ إن البياض وحده قد يكون إصابة مرضية أصابت اليد فلا تكون هذه آية، ومن هنا جاءت الكلمة الحكيمة [illegible]

(طه: ٢٢)

جنون العظمة والاكتئاب!!

وقد يكون الخوف من غير الله غضبا إلهيا يصبه سبحانه على المارقين المستكبرين عليهم بحرا له استكبارهم هذا وغرورهم لم يكن ليمنعهم من الخوف من أمثالهم من البشر الذي خلقوا مثلهم من ماء وطين ولا يمتازون عليهم بما يبرر خشيتهم لهم ورهبتهم إياهم.

بل إن الخوف من غير الله قد يأتي من آيات لا تثير عبرة من يعتبر أو توقظ العظة في نفس من يتعظ.

وذلك مثل الخوف من الصواعق والطوفان والجوع بل وأضعف منها في نظر الغافلين كالجراد والقمل وأمثالهما من الآفات والحشرات التي يسلطها سبحانه على المتجبرين حتى يتضاءل جبروتهم أمام أعينهم:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

(المدثر: ٣١)

بل إن من أسباب الخوف الذي يصبه المولى جل وعلا الطغاة والعتاة ما يشيع في أعماق نفوسهم من الأوهام الكاذبة والأخيلة المضللة والتصورات الخرقاء، والأفكار السوداء، فكم من متجبر سلطت عليه الرهبة الرهيبة، وكم من متكبر سيطر عليه الوسواس الخناس وغير ذلك من الأمور التي تسمى اليوم في إطار علم النفس أسماء شتى منها «البارانويا»، و«السيكوباتية»، و«جنون العظمة»، و«الوسوسة»، و«الاكتئاب» وكلها صور لما يعرف بالخوف المرضي.

وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه الآفات النفسية حين يقول عن المصابين بالخوف والقلق.

﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾

(المنافقون: ٤)

وعن المصابين بالغرور:

﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾

(آل عمران: ١٨٨)

إن الخوف من الناس ينفرك منهم، ويملأ وجدانك بالرهبة من الآخرين وينعكس هذا على حياتك الاجتماعية فتصبح انعزاليا منطويا أو متطرفا معتديا فاشلا في حياتك الأسرية فأنت زوج شرير، أو والد كريه، أو ابن عاق، ثم أنت صديق منبوذ، وزميل في العمل مكروه، أنت في حياتك النفسية حاسد أو حاقد، لا يعجبك الناس ولا تعجب الناس، وهكذا تفقد بسبب خوفك من الآخرين - دورك الاجتماعي الذي يعينك على الخلافة في الأرض حيث أمرك الله، وعلى حمل الأمانة التي حملها جنسك البشري منذ بدء الخليقة:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

(الأحزاب: ٧٢)

أما تمتعك بالخوف من الله فهذا هو الخوف المقرون بالأمن فهو يمثل مع الأمن والطمأنينة عملة شفافة الوجهين يُرى أحدهما من خلال الآخر لأنها عملة صيغت من الصفاء النقي من الأوشاب[١]، والأوصاب[٢].

(١) الأوشاب [illegible]

(٢) الوصب هو المرض والتعب

فالخوف من رب الناس يعمر قلبك بحب الناس والتلاحم معهم والتراحم بينهم والتجاوز عن هناتهم، وتناسي هفواتهم لا يثنيك جناح بعضهم أو اعوجاج سبلهم عن ملازمة الطريق المستقيم استجابة لقول إلهك وحبيبك الخالق عز وجل:

[illegible] (الأنعام: ١٥٣)

وتأمل هنا وحدة السبيل عند الحق الواحد الأحد وتعدد السبل عند الخلق حيث التعدد والتغير كما وكيفا.

الحديقة الربانية

وهكذا ترى أن الخوف من المولى عز وجل هو قيمة تربوية دنيوية وأخروية معا، فأنت تخاف الله في الدنيا فتلتزم أوامره، وتتجنب نواهيه، وأنت بهذا تشارك في غراس الحديقة الربانية الغناء فتجني ثمار ما غرست حينما تلبي النداء الأبدي إلى رحاب المولى سبحانه حيث تستمتع متعة الخلد بما قدمت يداك إذ يسمع الناس نداء المحشر العظيم:

﴿ [illegible] (الأنعام: ٩٤)

وقد أفادك الخوف من الله في الدنيا في دقة تقويم هذه الحياة على الأرض فلم تمد يدك إلى ما ليس لك ولم تمدد عينيك إلى ما يمتع به غيرك إيمانا منك بأن كلا ميسر لما خلق له وأن كيانك البشري محدود بالكيانات البشرية الأخرى التي لا ينبغي لكل منها أن ينخلع من حدوده ليقتحم حدود الآخرين شأن الإنسان في هذا شأن السنن الكونية العظمى:

[illegible] ﴾ (يس: ٤٠)

فهل رأيت كوكبا يغادر مساره ليتسلل إلى مسار كوكب آخر؟ إذن لسادت الفوضى، واختلت النظم واختلطت الأمور، وحاشا لله الخالق الأعظم أن يحدث في كونه مثل ذلك الخرق، وهكذا النظام الإنساني الذي يمثل قانونه الكوني في عدم الخروج على الحدود التي يرسمها الله سبحانه لتنظيم الحياة الإنسانية حتى تؤدي الرسالة التي خلقت من أجلها فهو عز وجل خالق هذه الآلة الكونية التي تعتبر البشرية عجلة في مدارها، وهو سبحانه أعلم بكيفية عمل هذه الآلة المعجزة والدور الذي يؤديه كل جزء من مكوناتها لتكامل الجميع في وحدة الحق التي تشير في جلاء ووضوح إلى وحدانية الخالق:

[illegible] (الملك: ١٤)

والخوف من الله المرتبط بحبه عز وجل لابد أن يكون ناشئا عن معرفة العبد المؤمن لربه صادق المعرفة، عالما به خالص العلم، وأنه سبحانه يملأ قلب العبد، ويعمر وجدانه، ويضيء عقله، ويرافق حركاته ويراقب سكناته، وإلا فلماذا يخافه، ولماذا يحبه؟

إذا كان الخوف – كما يقول علم النفس – هو انفعال ناشئ عن موقف معين فهو في حديثنا هنا عن الخوف من الله ناشئ عن عدة مواقف تبدأ من إحساس المرء بحقيقة مبدئه حين كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم إكساء هذه العظام باللحم حتى صار «خلقا آخر».

الصانع المبدع

ولقد علمنا الخالق سبحانه هذه الأطوار التي مر بها كل منا وكيف أن كلا منها يؤدي إلى ما بعده في ترتيب معجز ونسق مبهر حيث ينبغي أن نتدبر قوله تعالى:

[illegible] (المؤمنون: ١٢-١٤)

ويقول الله سبحانه لقد علمنا ذلك لأننا لم نتابع كيف خلقنا وكيف كنا إلى أن أصبحنا، وصدق الحق سبحانه:

[illegible] (الكهف: ٥١)

ألا يستحق من أبدعنا وركبنا هكذا أن نخاف غضبه؟ وألسنا في حاجة لكي نحب ذلك الصانع المبدع – الذي له المثل الأعلى – إلى أن ننبها إلى ذلك أغنية المحبة رابعة العدوية[*] يرحمها الله:

أحبك حبين: حب الهوى   وحبا لأنك أهل لذاكا

إنك عندما تعجبك بناية صممها ونفذها بشر مثلك لا تملك إلا أن تثني عليه، وتتمنى لو تعرفت إليه لتعبر له عن إعجابك بروعة صنعته، ثم ألا يدفعك هذا الإعجاب إلى أن تحدث نفسك عنه بالخير، ويحلو لك أن تذكره للآخرين بالثناء، فما بالك

[illegible] (الانفطار: ٦-٨)

وما بالك بمن أبدع هذا الكون الذي حولك ما شاهدت منه وما لم تشاهده، والذي يتحرك في دقة لا نهائية، ووفق نواميس إلهية:

﴿ [illegible] ﴾ (النحل: ٧٩)

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الملك: ١٩)

هذا الكون الذي تلمسه بحواسك، وتهتدي إلى ما خفي عن حواسك بعقلك، والذي تحيا فيه وتنعم بجوانبه، وفوائده، ألا تحب هذا الخلاق البديع من جميع أعماقك لأنه أهل لذاكا؟

وألا يدفعك هذا الحب إلى تأمل صنعته والتفكير في خلقه والسعي الدءوب إلى التعرف عليه، والتعلق به، وتذكره كلما تنفس الصبح وعسعس الليل؟

لقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك، ويذكر أصحابه به، ويربي الناشئة على هذا السلوك الذي يمتزج فيه الخوف البناء والحب المعطاء حتى سكنت السكينة الربانية كياناتهم النورانية فطارت أرواحهم النقية حاملة أجسادهم النقية عبر آفاق الدنيا ينشرون الحق وينشرون الخير ويبشرون بالسلام بين الأنام وهكذا كان الخوف من الله دائما قيمة تربوية عميقة الآثار في الدنيا جنية الثمار في الآخرة.

---

[*] [illegible]

خطبة الجمعة

الشباب فى موكب الإسلام

للشيخ/ محمد الغزالى

إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فنحن نعلم أن القوة البدنية من نعمة الله على الإنسان، كى يؤدى واجبه ويبلغ أهدافه، ويؤدى الحقوق الأدبية المكتوبة عليه.

ولهذا رأيت القرآن الكريم نوه بها فى الوظائف القيادية، وفى الوظائف العامة، فأما فى الوظائف القيادية، فإن اليهود لما اعترضوا أن بعث الله إليهم من يقودهم ويربيهم:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ٢٤٧)

كانت طبيعة القوم فى تقدير الأشخاص بالمال، تهيمن عليهم وتظل من وراء حكمهم على الأمور، فأفهمهم الله جل شأنه أن الرجال الكبار يكونون كباراً بالمعادن التى يصاغون منها والمواهب التى يرزقون بها، والقوة العلمية والبدنية التى تجعلهم يستطيعون أن ينهضوا بما يحملون من أعباء، قال تعالى موضحاً هذه الحقائق:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ٢٤٧)

ومعنى البسطة فى العلم أن يكون القائد حكيماً فقيهاً مدركاً للأمور، واضعاً كل شىء موضعه دون مغالاة أو تفريط.

ومعنى البسطة فى الجسم أن الإنسان يستطيع أن يؤدى ما عليه، وأن ينطلق فى الوجه الذى يبتغيه دون أن يغلبه إعياء أو يقف به داء.

ومعروف فى تاريخ الرجال أن الهمم الكبيرة تدوخ أصحابها، وأن القلوب الحية تكلف أجسادها ما لا تطيق، ولذلك قال المتنبى:

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت فى مرادها الأجسام[1]

والأمر ما وصف النبى ﷺ بعض نعم الله على خلقه، فقال فى عد هذه النعم: «وبدناً على البلاء صابراً»[2]

ومعنى البلاء: التكاليف التى يختبر الإنسان بها، فإذا كان الإنسان صاحب طاقة على تحمل الأعباء، كان ذلك من نعم الله عليه، هذا موضع ذكر القرآن فيه خصائص الرجال الذين يقودون، ثم فى موضع آخر أجرى على لسان بنت شعيب هذا الوصف الذى قال الفقهاء فيه: إنه جمع الكفايات والمواهب والمؤهلات التى لابد منها فى كل وظيفة، فإن البنت قالت لوالدها:

﴿[illegible]﴾

(القصص: ٢٦)

قال العلماء: فالقوة يقصد بها الطاقة المادية على الوفاء بما يطلب، والأمانة يقصد بها الرقابة الروحية، ويقظة الضمير التى تجعل الإنسان يدرك مسئولياته، ويؤرقه خوف التفريط فيها، فهو أمين وهو قوى فأمانته تجعله يؤدى ما عليه بدقة، وقدرته تجعله ينهض بما عليه دون عجز، ولأن القوة بهذه المثابة فى جميع الوظائف القيادية والعامة، كانت مرحلة الشباب من أخطر المراحل فى حياة الناس، وكان لها حساب خاص عند الله، لم؟ لأنها مرحلة القوة، فإن الإنسان يبدأ وبه ضعف الطفولة وينتهى وبه ضعف الشيخوخة، يبدأ ضعيف القوى المادية والأدبية وينتهى وقواه المادية ضعيفة وإن كان واسع التجربة أو كثير المعرفة.

---

[1] ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٣/ ٢٤٥ ط الحلبى.

[2] نص الحديث: «أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه حوباً فى نفسها ولا ماله» ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه للطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس رضى الله عنهما ورمز له بالحسن.

قال تعالى

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

(الروم: ٥٤)

هذه القوة بين ضعفين جعلت لفترة الشباب حساباً خاصاً، وجعلت النبي ﷺ يقول: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم؟»(٣)

قال المؤرخون: كان النبي عليه الصلاة والسلام يعرف بأنه يُحب دائماً بهذا الزهر المتفتح من الشباب الذين وهبوا الله أعمارهم وكرسوا له قواهم، واستطاعوا أن يكونوا قذائف الحق التي تدمر بها الباطل، واستطاعوا أن يكونوا مشاعل النور التي أضاء بها الظلمة، واستطاعوا أن يكونوا طلائع الفجر، الذي طلع على الدنيا بحضارة الإسلام، فأغناها روحياً ومادياً بعد أزمات روحية ومادية طحنت البشرية وأسقطت قدرها، وجعلت همتها خسيسة وحركتها كليلة.

فلما ظهر هذا الشباب المؤمن حول محمد ﷺ بدأ الإسلام يؤدي رسالته تأدية رائعة جليلة.

النبي نفسه ﷺ بعث في اكتمال شبابه، على سن الأربعين، وإن كانت خصائص الشباب من قوة، وسعة ورحابة، وعاطفة حارة، وإقبال عارم، كل ذلك بقي في الكيان النبوي حتى لحق بالرفيق الأعلى، وسنرى فيما نعرض من نماذج أن الشباب موهبة قد تمتد مع العمر وقد تنكمش، لكن الذي لا شك فيه أن شباباً في أعمارهم لصارقة وفي سنهم بكورة هم الذين بذلوا الجهود المضنية في تأديب الباطل، وقمع غروره، وفي رفع راية الحق وإعلاء مبادئه.

وأنا أنظر إلى الرجال المقاتلين فأرى الثلاثة الذين قتلوا في مؤتة: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبدالله بن رواحة. كانوا شباباً تقريباً في الثلاثين من أعمارهم، ومع ذلك فإنه زيد بن حارثة تلاشى في رماح الرومان، وجاء بعده جعفر فقاتل بضراوة وكان رجلاً فيه كبرياء الإيمان واعتزاز أهل اليقين بما وهبوا من

معانٍ وشرف فلما قاتل سُمع منه

يا حبـذا الجنة واقترابها
طيبـة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابُها (١)

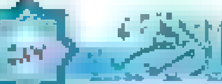
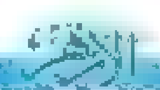
والروم يومئذ كانوا هم الدولة الأولى في العالم ولكن جعفر وهو تلميذ من تلامذة محمد عليه الصلاة والسلام، كان يحتقر الكفر وأهله، وكان يرى أن القوة البدنية والطاقة المادية إن ساندت الضلال والشرك فما تساوي شيئاً ولا تعلي خسيسة أحد، ولا ترفع قدر مهين!!

ولذلك قاتل الروم باحتقار، احتقار الشرك، احتقار الوثنية والمظالم، قاتل وقتل، وجاء بعده عبدالله بن رواحة فقاتل وقتل.

زيد بن حارثة خلف ولداً.. اسمه أسامة بن زيد، أسامة بن زيد جعله النبي ﷺ قائداً على الجيش لمقاتلة الرومان، وليدرك ثأر أبيه، شاب عمره ثمانية عشر عاماً يولّى القيادة، ويعلو الها بجدارة ويشعر الشاب وهو يمتطي فرسه، وينطلق إلى وجهه أن خليفة رسول الله ﷺ وحده واحد ومعه رجال عشرون علماً يمشي إلى جانبه! فيخجل أسامة ويقول: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب، وإما أن أنزل.. فيقول الخليفة له: «والله لا أركب ولا تنزل وما عليّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله!!».

ثم من باب إعطاء القائد حرمة القيادة ومكانة الرياسة يقول أبو بكر لأسامة: هل تأذن لي في «عمر» ليبقى معي؟ وعمر بن الخطاب جند في الجيش، فيأذن أسامة بن زيد في أن يبقى عمر، ويصدر أمراً ببقاء عمر مع خليفة رسول الله ﷺ.

بهؤلاء الرجال مضى الإيمان في طريقه لا يتوقف، والغريب أن ضريبة العمل صاحبت كل إنسان مهما كانت مكانته، المعروف في عالم اليوم، إذا نبغ فرد في أسرة تسلق من على أكتافه كثيرون، كلهم يدعي العبقرية، كلهم يطلب أن تكون له المكانة، لأن فرداً من أسرته نبغ، الغريب أن النبي الهاشمي ﷺ رفض هذه القاعدة، ورفض أن تكون لها قيمة في حياته وسيرته وتقديره للأشخاص وأبى الرجال أنفسهم من أسرته أن تكون قرابتهم هي التي تقدمهم!!

ولذلك وجدناهم في غزوة «بدر» أول من برز، فكان عم النبي ﷺ وابنا عمه أول الفرسان الذين يقاتلون، وأول قتيل سقط في «بدر» كان من بني هاشم، وأول شهيد عظيم في «أحد» كان حمزة بن عبدالمطلب عم النبي عليه الصلاة والسلام، وجعفر الطيار نفسه ابن عم النبي ﷺ مات شهيداً في «مؤتة»!!

كان الرجال الكبار من شباب هذا الدين يعلمون أن مكانتهم عند الله بمقدار ما يضحون وبمقدار ما يؤدون، قدرة الإيمان، الطاقة على لهم المبنا، سمعوا في دينهم حديثاً عن الفتية أهل الكهف، كانوا شباباً، لكنه شباب زانه الإيمان، زانته المغامرة في سبيل الله، زانته المقاومة للضلال السائد، والرفض للشرك المستبد، كانوا شباباً ذكره القرآن فقال:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣)

هذا من الناحية العسكرية، أما من الناحية العلمية فعندما أنظر إلى الرجال الذين اعتبروا أئمة لهذه الأمة أرى أنهم كانوا من الشباب، عبدالله ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي غار منه بعض كبار السن لأن عمر - رضي الله عنه - كان يجعله مع مشيخة الأمة في استشارته والأخذ برأيه. كان شاباً. عبدالله بن الزبير، عبدالله بن عمرو، عبدالله بن عمر العبادلة الأربعة الذين ورثوا الدين كانوا شباباً، أبو هريرة كان شاباً كثير الشكوى للنبي ﷺ من العزوبة، وكان يرجوه أن يعينه على الزواج، وهذا الشاب شغل نفسه بالعلم حفظاً واستيعاباً، ورواية ودراية، ونشراً وانطلاقاً به في الآفاق فكان المؤسس للحضارة العلمية في هذا الدين القيم.

ووجدنا الأئمة من بعده ناساً، حلاوة العلم عندهم أذهلتهم عن حلاوة اللذة والبحث وراءها، والاستكثار منها، وجدنا رجلاً «كالشافعي» الذي سعدت القاهرة بأنه كان يدرس في مسجدنا هذا - مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه - ومساجد أخرى هنا، هذا الإمام مات وعمره بضع وخمسون سنة!! أي أنه كان يكوّن علمه وهو شاب!!

والشافعي هو الواضع لعلم أصول الفقه: فن التشريع في الإسلام.. فن تقنين القوانين واستخراج الأحكام وتقعيد القواعد.

الشافعي هذا مات في الخمسين من عمره، متى صنع هذا الفقه؟ في شبابه.. وهو الذي يقول عن نفسه: إنه ما كان عبداً لمال، ولا جاه، ولا يتبع نفسه شيئاً من هذا. يقول:

أمطري لؤلؤاً جبال سرنديب
وفيضي آبار تكرور تبرا

أنا إن عشت لست أعدم قوتا
وإذا مت لست أعدم قبرا

همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المذلة كفراً[1]

هذا إمام من أئمة الفقه الإسلامي.. هذا شاب من علماء المسلمين، يؤدي رسالة العلم بأمانة وقدرة. هذا النوع من الشباب الذي حرس الإسلام بفوته ونوره وضميره، هذا نوع من الشباب يجب أن نقف قليلاً عند مبادئ الإسلام التي كونته، وعند القضايا التي ينبغي أن نتعلمها منه، ونحن الآن نواجه شبابنا والجيل القائم بيننا الآن.

معروف أن فترة الشباب فترة قوة الغريزة الجنسية وعرامها. واشتداد أمرها، ومن قديم قال العلماء: إن هذه الغرائز عموماً تقوى مع كثرة المثيرات وتضعف مع قلة المثيرات، ولا أعني «بتقوى وتضعف»: أنها تصح وتعتل بل أعني أن هناك ما يخرجها عن حد الاعتدال، وهناك ما يلزمها حد الاعتدال من البيئة والسلوك العام حولها.

قال علماء النفس: إن الغريزة يمكن تغيير الاتجاه السلوكي لها بما أسموه «الإعلاء أو التسامي» أو تبديل هدف لها بهدف يغني.

ولذلك فإن الشباب أحوج أهل الأرض إلى مشرفين أمناء يدركون كيف يستغلون قوته في الخير، وكيف يهذبون غرائزه، ويجعلونها لا تتمرد ولا تتزلق ولا تنحرف.

الأمر يحتاج إلى أولياء أمور في المجتمع كله، وفي الأسرة خاصة، يؤمنون بالله، ويؤمنون بالقيم التي أودعها الله في دينه، وبالقواعد السلوكية والأخلاقية التي لابد أن يسير الشباب عليها حتى تؤمن عقباه وينتظر الخير له.

معروف أن الغريزة الجنسية تستثار عندما تعرض المفاتن بشكل يهيج الكامن في طباع الناس، ولذلك أمر الإسلام بالاحتشام أمراً مشدداً، وكان في المدينة ناس من المنافقين وناس من الخبثاء، ومروجي الإشاعات، كانوا يمثلون حزب الشيطان في المدينة، ربما تسكعوا في الطرق ليروا امرأة فيقولوا لها كلمة رديئة أو ينظروا إليها نظرة مريبة، فأمر النبي ﷺ بأن

(١) ديوان الشافعي تحقيق الدكتور خفاجي ص٧٩

غشيم المسلمات حتى لا يظن بهن الظنون، وحتى يدرك كل إنسان أن الفتاة التى تسير هى فتاة مؤمنة تعرف ربها، وتلزم حدوده، وتصون عرضها، وتعرف أن ذلك دينها.

نحن نريد للشباب نهجاً علمياً، وعسكرياً، ورياضياً، واجتماعياً يملأ حياتهم بالجديد الذى لابد منه كى يؤدوا ما عليهم لأمتهم.

إن شبابنا بحاجة إلى الرعاية، ولكنى لا أنقط الشباب، أريد أن أقول لأى شاب مؤمن: كن رجلاً، اثبت مكانك، كن قوى الشخصية.

أعجبنى من أبى العلاء قوله:

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد

بعدوى فما أعدتنى الثؤباء

كسول إلى جانب كسول، لكننى حسمت أسباب الكسل من بدنى وعقلى وقلبى، ويقول أبو العلاء موضحاً خطه:

خذى رأيى وحسبك ذاك منى

على ما فى من عوج وأمت

وماذا يبتغى الجلساء عندى

أرادوا منطقى وأردت صمتى

ويوجد بيننا أمد قصىٌّ

فأموا سمتهم وأممت سمتى

أريد أن أقول لكل شاب مسلم: رسخ قدمك فى الأرض، وامض فى طريقك طالب وجه ربك، ناشداً ثوابه، منتظراً عونه وتوفيقه، وإذا حاربتك الدنيا كلها فثق أنها لن تنال قلامة ظفر من أظافرك، وستصل إلى غرضك وليكن ما يكفيك من ثواب الله وتقديره، إنك أحد الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، شاب نشأ فى طاعة الله، فإذا تعاون هذا الشاب مع غيره فهما أخوان تعارفا على الله، تحابا بروحه، اجتمعا عليه أو تفرقا عليه[3].

هذا المعنى أرجو أن يكون فى نفس كل شاب مؤمن، إن العالم تهب منه تيارات حمراء وصفراء، تريد أن تسرق من الإيمان الفخر ما فيه، تريد أن تسرق من الإسلام أحب ما لديه وأقوى، تريد أن تسرق الشباب!! ونريد من الرجال المسئولين، من أرباب الأسر أن يلتفتوا إلى الشباب، أن يقتربوا منهم، أن يعينوهم على الحق، أن يجتهدوا فى أداء واجبهم

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

(١) اللزوميات ١ / ٣٩ ط دار [illegible] بيروت

(٢) اللزوميات ١ / ١٥٨ [illegible]

(٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ [illegible]

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل: ٤٣)

استفتاءات القــراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى الجمهورية

التوسل !!

السؤال من : ش . ك . شربين - دقهلية:

■ هناك شباب فى إحدى قرى محافظة البحيرة يقومون بتكفير كل أهل القرية بحجة أنهم يتوسلون بالنبى ﷺ فى الدعاء إلى الله تعالى ويتبركون بزيارة مقام سيدنا الحسين عليه السلام ويدعى أن كل من يفعل ذلك يكون من المشركين لأنهم كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية ولا يؤمنون بتوحيد الألوهية. فهل هناك أنواع للتوحيد؟ وهل كان المشركون يقرون بتوحيد الربوبية؟ وهل التوسل بالنبى والتبرك بزيارة مقامات الأولياء يعد شركاً كما يقولون؟

الجواب :

يجب على المسلم أن يحذر من المجازفة فى التكفير حتى لا يقع تحت طائلة الوعيد المذكور فى قول النبى ﷺ: «لا يرمى رجل رجلاً بالفسق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»، رواه البخارى من حديث أبى ذر - رضى الله عنه -، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»، رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما -، وقوله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله»، رواه البخارى من حديث ثابت بن الضحاك - رضى الله عنه -.

وتقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية هو من التقسيمات الحادثة التى لم ترد عن السلف الصالح، وأول من أحدثها - على ما هو المشهور - هو الشيخ ابن تيمية رحمه الله ثم أخذه عنه من تكلم به بعد ذلك، وحاصل قوله فى ذلك: أن الربوبية هى توحيد الله بأفعاله.

والألوهية هي توحيد الله بأفعال العباد، وأنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، أي: أن أحدهما يتضمن الآخر عند الانفراد، ويختص بمعناه عند الاقتران؛ فالألوهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الإلهية، وهذا الكلام إلى هذا القدر لا إشكال فيه، إلا أنه تجاوزه إلى الزعم بأن هذا التوحيد وحده لا يكفي في الإيمان، وأن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية، وأن كثيراً من طوائف الأمة من المتكلمين وغيرهم قد اقتصروا عليه وأهملوا توحيد الألوهية.

والقول بأن توحيد الربوبية لا يكفي وحده في الإيمان هو قول مبتدع مخالف لإجماع المسلمين قبل ابن تيمية، بل ومخالف لكلامه نفسه من أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ فإن بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، فإذا لم يكن المشركون مقرين بتوحيد الألوهية فلا يصح الزعم بعد ذلك أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية؛ ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم، وإذا صح إقرار المسلمين بتوحيد الربوبية فلا يجوز أن يدعى أنهم لا يؤمنون بتوحيد الألوهية؛ لأن الفرض أنهما متلازمان، فكيف يثبت الملزوم مع انتفاء اللازم؟ وقد تصدى أهل العلم لرد هذا القول وبينوا فساده، وأنه قول باطل لا دليل عليه، وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ.

أما تكفير من توسل بجاه النبي ﷺ في الدعاء فهو على الحقيقة تكفير للسواد الأعظم من علماء الأمة؛ لأن التوسل به ﷺ مما أجمعت عليه مذاهب الأئمة الأربعة المتبوعين، وقد ثبت عن النبي ﷺ الأمر بالتوسل به في حديث الأعمى وغيره من الأحاديث الصحيحة.

وللشوكاني في كتابه «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» كلام نفيس عن جواز التوسل ننقله على طوله لما فيه من تجلية الأمر في هذه المسألة. يقول - رحمه الله -: «وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي ﷺ إن صح الحديث فيه. اهـ ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت في بصري فادع الله لي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إني أستشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي فيَّ» وقال: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك» فرد الله بصره.

وللناس في معنى هذا قولان:

■ أحدهما: أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: «كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا» وهو في صحيح البخاري وغيره، فقد ذكر عمر - رضي الله عنه - أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء، ثم توسل بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعاً وداعياً لهم.

■ والقول الثاني: أن التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر - رضي الله عنه - في التوسل بالعباس - رضي الله عنه -، وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين:

■ الأول: ما عرفناك به من إجماع الصحابة - رضي الله عنهم.

■ والثاني: أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه، لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾ (الزمر ٣)

ونحو قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾ (الجن ١٨)

ونحو قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد : ١٤)

ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه، فإن قولهم

﴿ [illegible] ﴾

(الزمر : ٣)

مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك، وكذلك قوله

﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ [illegible] ﴾

(الجن ١٨)

فإنه نهي عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله

وإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، وكذلك قوله:

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد : ١٤)

فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه، وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه، كاستدلالهم بقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الانفطار: ١٧، ١٩)

فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران : ١٢٨)

وقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف : ١٨٨)

فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف يملك لغيره، وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل الله لرسوله ﷺ المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له: سل تعطه واشفع تشفع، وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(الشعراء: ٢١٤)

يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله، وهذا معلوم لكل مسلم، وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين». انتهى كلام الشوكاني.

وكذلك الحال في التبرك بزيارة مقامات أهل البيت الكرام وغيرهم من الصالحين؛ فإن زيارة آل بيت النبوة من أقرب القربات، وأولى القبور بالزيارة بعد رسول الله ﷺ قبور آل البيت النبوي الكريم؛ لأن في زيارتهم ومودتهم براً وصلة لرسول الله ﷺ، بل إن زيارة الإنسان لقبورهم آكد استحباباً وأكثر ثواباً من زيارته لقبور أقربائه، كما قال أبوبكر الصديق - رضي الله عنه -: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي» فتكفير فاعل ذلك مخالف لإجماع المسلمين، بل قائل ذلك أولى بالكفر ممن كفره.

وتستتر تيارات التكفير بهذه الأقوال الفاسدة واتخاذها ذريعة لاتهام المسلمين بالشرك والكفر مع نسبة كل هذه الأفهام المغلوطة إلى الشيخ ابن تيمية رحمه الله وهو من التسيس والإرجاف الذي ينتهجه أدعياء هذا الفكر الخارجي يتطاولون به على حرمات المسلمين متمسحين بذلك في أوحال التكفير والتفسيق والتبديع لجمهور الأمة ومشاهير علمائها وصالحيها بل وسوادها الأعظم، ومتهمين سلف الأمة وخلفها بالشرك والكفر إلا من كان على مثل باطلهم ومشربهم الفاسد.

وهذا هو عين مذهب الخوارج الذي حذرتنا النصوص الشرعية من الوقوع في باطله: فروى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - تعليقاً - ووصله ابن جرير الطبري في التهذيب الآثار بسند صحيح - أنه كان يراهم شرار خلق الله، وكان يقول: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

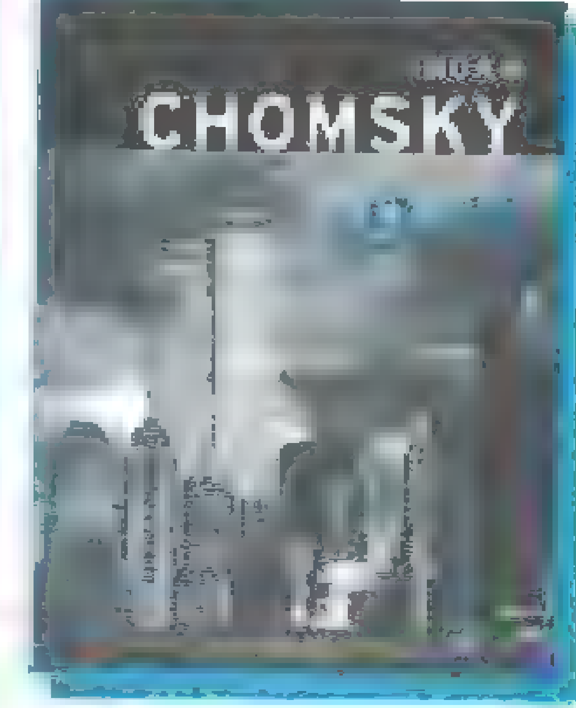
وعن علي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة» متفق عليه

وعن عبدالله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخوارج هم كلاب النار» رواه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما.

ونحن نحذر المسلمين من السير خلف هذه الأفكار التكفيرية الضالة التي يطعن بها خوارج العصر في عقائد المسلمين، ونهيب بكل مسلم غيور على دينه أن يحذر ويحذِّر من تكفير إخوانه المسلمين، فتكفير المسلم كقتله، وعلى أهل العلم أن يبينوا لهؤلاء الأغرار فساد معتقداتهم حتى يرجعوا إلى الحق الذي يرضي الله ورسوله ﷺ.

والله سبحانه وتعالى أعلم.





تأليف: الأستاذ نعوم تشومسكى

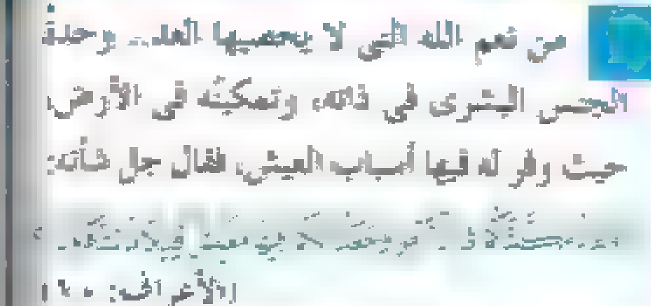
تعريب:

إبراهيم محمد إبراهيم

عرض وتحليل ونقد

الدكتور إبراهيم عوضين





من نعم الله التي لا يحصيها العد.. وحدة الجنس البشرى في ذاته، وتمكينه في الأرض، حيث وفر له فيها أسباب العيش، فقال جل شأنه:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠)

وأكمل سبحانه وتعالى تلك النعمة على الإنسان بتحذيره فتنة الشيطان الذى يحرص على بث العداوة بين الإنسان وأخيه الإنسان وإحلالها محل الوفاق والتوازم؛ لينزع عن الناس لباس الأمن والأمان، فقال عز وجل:

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: ٢٧)

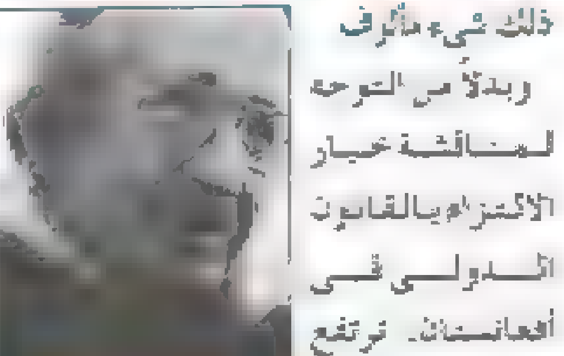
وكان من أبرز آثار تلك الفتنة الشيطانية إيهام بعض الأفراد بأنه متميز عن الآخرين بخصوصية تمكن له من التألُّه والتسلط على الآخرين إشباعاً لهوى نفسه الشاذة، فتحوَّل - فى علاقته بالآخرين - إلى العنف القاهر، يشيعه فيمن حوله ليثير الرعب في النفوس فيأمن الاعتراض على نزواته، ويطمئن إلى تمكين قبضته من أعناق الجميع غافلاً عن نعمة الأمن في ظل وحدة البشرية، فرأى: أن لا أمن له إلا بإشاعة الإرهاب فى كل مكان.

■ ولكن راعية الإرهاب تأبى إلا الإرهاب

فالأستاذ نعوم تشومسكي يرى: أن هيمنة روح الإرهاب على قادة الولايات المتحدة الأمريكية لا تقف بهم عند حدود اندفاعهم الإرهابي ضد من يعتدى عليهم، أو يتوهمون أنه سوف يعتدى عليهم، بل إن هذه الروح الإرهابية تسيطر عليهم كذلك في مواجهة من يحتكمون إلى القانون فى رفض إرهابهم، كما كان الحال مع «نيكاراجوا» حين تعرضت لهجوم عنيف من الولايات المتحدة، راح ضحيته عشرات الألوف، ودمرت البلاد تدميراً كبيراً، إلى جانب ما شنته عليها من حرب اقتصادية مدمرة، لا تكاد تتحملها دولة صغيرة، تعزلها قوة عظمى قاسية متعطشة للانتقام.

فمع أن آثار هذا على البلاد كانت أشد قسوة مما أصاب نيويورك في ذلك اليوم.. مع هذا لم تلجأ إلى إطلاق القنابل على واشنطن، ولكنها لجأت إلى المحكمة الدولية التي حكمت لصالحها، ولكن الولايات المتحدة رفضت هذا الحكم بازدراء، كما رفضت هي وإسرائيل قرار مجلس الأمن، والجمعية العامة للأمم المتحدة، وواصلت تصعيد الهجوم المباشر.

ولو أن «نيكاراجوا» استجابت لرد الفعل على العنف البالغ بعنف آخر لتصاعدت دائرة العنف، ولزادت الأعمال البشعة؛ فديناميكية الحركة في ذلك شيء مألوف.

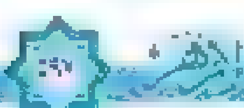


وبدلاً من التوجه لمناقشة خيار الاحتزاء بالقانون الدولي في أفغانستان.. ترتفع الأصوات الداعية لرد الفعل العنيف، متجاهلة ما ينتج عن العنف من خسائر فادحة لضحايا أبرياء تماماً أكثرهم من ضحايا الطالبان، مما يعنى اختيار زيادة الجرائم زيادة كبيرة.

ويلاحظ (تشومسكى) في صدر الفصل الثالث: دور الإعلام في ارتفاع تلك الأصوات خصوصاً مع ارتكازها على الكيل بمكيالين؛ حيث تملأ الدنيا ضجيجاً يشعل النفوس، ويثير المشاعر عندما يقع الحدث على أرض أمريكية بتضخيم هذا الحدث والمبالغة الزائدة في آثاره.

أما إذا أصاب الحدث أرضاً إسلامية أو شرق أوسطية، فإنها تحرص على التعتيم الكامل أو التهوين من الأمر، ومحاولة الإيماء إلى جهات أخرى تضليلاً للعدالة.

ويلاحظ: أن حكومة الولايات المتحدة تستجيب - عن قصد وإرادة عميقة - لتلك المؤثرات حتى تنفذ جدول الأعمال الخاص بها، دون أن تتعرض لأى معارضة، مثل عسكرة الفضاء، والإقلال من شأن البرامج الاجتماعية



الديمقراطية وتخفيض النمو من آثار العولمة وتخفيض النمو من مأساة الحروب التي تغذى من اتصال الثروة لفئة القلة، إلى غير ذلك من الأغراض.

ويدفع دعوى: أن أمريكا ضحية بريئة وأن ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر كان بسبب دورها في نشر العولمة الاقتصادية، مرجعه ما حدث إلى سجل أعمالها وأعمال حلفائها التي لم تعد خافية على أحد، إذ ليس في نشر العولمة الاقتصادية ما يبرر جرائم مثل تلك التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر.

ويرى أن الحرب ضد الإرهاب ليست في حقيقتها حرباً ضد الإرهاب، ولا هي حرب جديدة، فمنذ نحو عشرين عاماً أعلنت حكومة ريجان أن الإرهاب الدولي الذي يرعاه الاتحاد السوفيتي هو أكبر تهديد يواجهه الولايات المتحدة وجنودها، لذلك يجب تكريس الجهود لاستئصال هذا السرطان الذي يدمر الحضارة.

فانطلق (ريجان) وأنصاره بحملات من الإرهاب الدولي، وبمساعدة من يقومون بها، كما حدث في حرب أفريقيا، حيث قتل مليون ونصف مليون من البشر، وتحملت ميزانية أمريكا خسائر قدرها ستون مليون دولار.

ومع أن الإدارة الأمريكية عن قصد في هذا المستنقع إذ لم يحدث من الأسباب ما يجعلنا نفترض وجود تغيير مفاجئ في الدوافع القديمة والأسباب السياسية، حتى أصبحت حرب الإرهاب تمثل استراتيجية أمريكية لا يطرأ عليها من التغيير ما يتعلق بالتكتيك ليلائم الظروف المتغيرة فحسب.

هذه حقائق واضحة، ولا يوجد أي سبب يحمل على أن نبقى بلا وعي بالحقائق الصريحة التي أدانتها المحكمة الدولية، على الرغم من تجاهل الإدارات الأمريكية لذلك في كل مرة.

■ في مواجهة الحواجز الثقافية والمؤسسية

ويرى «تشومسكي»: أن ما حدث قد يؤدي على المدى الطويل - إلى تقييد للحريات داخلياً على نحو حاد، لأن الحواجز الثقافية والمؤسسية التي تحول دون ذلك شديدة التأصل.

ويرى: أن الولايات المتحدة إذا رأت أن تجيب على ما حدث بتصعيد دائرة العنف - وهو ما يتمناه بن لادن وشركاؤه غالباً - عندئذ سوف تكون العواقب مرعبة، ولن يمنع قادة أمريكا من الانحراف إلى هذا سوى الجماهير الأمريكية، إذ يمكن للجمهور المثقف داخل المجتمعات الأكثر ديمقراطية وتحرراً أن يدير السياسات التي تؤدي إلى المزيد من الإنسانية والكرامة.

ويدعم (تشومسكي) رأيه بما يتردد من أن بن لادن قد لا يكون متورطاً مباشرة في هذه الأحداث، خصوصاً إذا تذكرنا أن الشبكة التي كان بن لادن شخصية رئيسية فيها - وهي القوات التي أنشأتها أمريكا وحلفاؤها لخدمة أغراضهم الخاصة - تلك الشبكة هي المتورطة.

ويخلص من هذا إلى أن هناك ما يغري بتجاهل الحقيقة، والمسارعة إلى وصف العدو بأنه كل الشر، أو أنه رمز الشر، بدلاً من السعي إلى فهم ما يكمن وراء الأعمال البشعة الكبرى من الأسباب والدوافع.

وأن الذي تولد عنه هذا الإغراء بتجاهل الحقيقة هو الأثر العميق للعديد من سنوات العنف الإمبريالي على ثقافة الغرب الفكرية والمعنوية، وأوضح مثال لهذا العمى: تلك الحرب التي شنتها الولايات المتحدة على فيتنام الجنوبية والتي انتهت بتدمير قسم كبير من الهند الصينية، حيث أصاب الناس هناك رعب فظيع إلى جانب ما قدمته الولايات المتحدة من تضحيات بشرية ومادية.

■ وتدفع حلفاءها إلى الإرهاب

وبنظرة متأنية إلى التحالفات التي تدعو أمريكا إلى تكوينها.. لفتنا (تشومسكي) إلى ما وراء تحالف أمريكا مع روسيا، والصين، وإندونيسيا، ومصر، والجزائر من مقاصد تطلق يدها في تنفيذ خططها الإرهابية، فقد أسعد كل دولة من تلك الدول أن ترى مظلة دولية بيضاء ترعاها الولايات المتحدة يسمح لها بتنفيذ خططها الإرهابية.

فروسيا على سبيل المثال سوف يسعدها جداً أن تحصل على مساندة الولايات المتحدة في حربها الإجرامية في الشيشان، والشيء نفسه ينطبق على الهند وعربدتها في كشمير، إلى غير ذلك.

وهذا تجمع من أمراء الحرب قاموا بإنزال الدمار والإرهاب بأفغانستان إلى درجة جعلت معظم السكان يرحبون بالطالبان، هذا إلى أن أعضاء هذا التجمع متورطون في تمرير المخدرات إلى طاجيكستان، فهم يتحكمون في معظم هذه الحدود، حتى أصبحت طاجيكستان المحطة الرئيسية لتدفق المخدرات كي تذهب في نهاية المطاف إلى أوروبا وأمريكا.

إن من يتشكك حول دور الولايات المتحدة في الإرهاب، وحماية القائمين به، وحفز حلفائها على الاستمرار فيه... عليه أن يتذكر أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي أدانتها المحكمة الدولية لممارسة الإرهاب الدولي، وإنها هي التي رفضت قراراً صادراً عن مجلس الأمن يطالب الدولة بمراعاة القانون الدولي.

إن من يتشكك في إرهاب أمريكا عليه أن يقدم اسماً لما تطلقه أمريكا على السياسات التي تعد عاملاً رئيسياً في مقتل ما يقرب من مليون من المدنيين العراقيين، وما يقرب من نصف مليون طفل

هنا إلى تأييد أمريكا للفظائع الإسرائيلية فى فلسطين، وتأييدها لسحق تركيا لسكانها من الأكراد، حيث قدمت إدارة كلينتون ثمانين فى المائة من الأسلحة دعماً لتصاعد الأعمال البشعة هناك.

وليتذكر أيضاً تدمير مصنع الشفاء للصناعات الدوائية فى السودان، وليتساءل عن رد الفعل إذا استهدفت أمريكا أو إسرائيل، أو إنجلترا بمثل هذا العمل البشع، بل ليتساءل عن رد الفعل حين يجترئ أى شخص على ذكر ماحدث فى السودان، وتوضيح: أن هذا المصنع كان ينتج ٩٠٪ من منتجات السودان الدوائية، وأن العقوبات المفروضة على السودان تجعل من المستحيل استيراد كميات كافية من الدواء، مما عرّض عشرات الآلاف للمعاناة من الملاريا، والدرن، وغيرهما من الأمراض الفتاكة، حتى إن سفير ألمانيا فى السودان قال: «من الصعب تقييم عدد الأشخاص الذين ماتوا فى هذا البلد نتيجة للدمار الذى لحق بمصنع الشفاء».

■ حمائم تفضح فظائع الإرهاب

ويذكر «تشومسكى»: أن فظائع الإرهاب الأمريكى حركت فيه من القيم الإنسانية مادفعه إلى الخروج على ما فرضته الولايات المتحدة من ستْر موحد كثيف؛ لتحجب عن الناس بشاعة ما تفعله بإرهابها فى الأبرياء.

من هذا المنطلق.. قدم ما كتبته صحيفة النيويورك تايمز من أن الولايات المتحدة طلبت صراحة من باكستان - فى السادس عشر من سبتمبر - أن تقطع المساعدات الغذائية عن أفغانستان بعد أن كانت تلمح إليها، وأن تمنع قوافل الشاحنات التى تقدم الكثير من الغذاء وغيره من المؤن لسكان أفغانستان من المدنيين.

ولفت النظر إلى ما يعنيه ذلك من وجود ملايين من الأفغان جياع سوف يموتون لا يعرف أحد عددهم، مع أنهم ليسوا من طالبان التى تحاربها أمريكا، بل هم ضحايا للطالبان.

مما دفعه إلى أن يتحدث فى الإذاعات والتليفزيونات فى أنحاء العالم منبها إلى ما يحدث، مع أن أحدا فى أوروبا أو الولايات المتحدة لم يستطع أن يفكر فى كلمة واحدة على سبيل رد الفعل باستثناء بعض الأماكن الأخرى من العالم التى صدر عنها ما يرفض هذا الذى يحدث فى أفغانستان التى تركت كى تهلك بعد أن حطمها الغزو السوفيتى واستعلت تصانع حرب والسطو، حتى صار جزء من البلاد فى حالة من الدمار، وصار الشعب يائسا، بل هو يشكل بالفعل أسوأ الأزمات الإنسانية فى العالم.

ولفت النظر إلى التجاهل الذى واجهت به الولايات المتحدة قرار المحكمة الدولية بإنهاء حملة الإرهاب الدولى والقيام بدفع تعويضات لضحاياها. حيث وافقت وزارة الخارجية الأمريكية رسمياً على مهاجمة أهداف سهلة فى نيكاراجوا مستهدفة عيادات طبية، وجمعيات زراعية غير محمية، وحيث سمحت لوكالة المخابرات المركزية بتفجير السيارات فى بيروت، وتنفيذ الاغتيالات السياسية، مع الحرص على إخفاء كل هذه الجرائم، حتى كشفها «أليكس جورج» فى مجموعته.

مع هذا وذاك.. فلو أن الأمريكيين تجاهلوا القانون الدولى الذى يحظر الانتقام باللجوء للقوة، فإن لديهم قرونا من التجارب التى تخبرهما بجرد علينا الآن الأخذ بمبادئ الانتقام التى يبشر بها بعض الأمريكيين ويهللون لها.

■ والعقل والواقع يفضحانها

ويحتكم «تشومسكى» إلى العقل والواقع فى البحث عن دور ابن لادن فيما وقع من أحداث؛ فيقرر: أن ابن لادن لم يؤت القدرة على التخطيط لتلك الأحداث. فالشعور بالغضب من الوجود العسكرى الأمريكى فى السعودية، ومن الفظائع التى ترتكب ضد الفلسطينيين، ومن الدمار الذى ألحقته الولايات المتحدة بالمجتمع العراقى.. هذا الشعور لا يمكن أن يمنحه القدرة على التخطيط لهذه العملية بالغة التعقيد من كهف فى مكان ما فى أفغانستان. كما أنه ليس الوحيد الذى يشعر بالغضب؛ فأهل المنطقة - أغنياؤهم وفقراؤهم من كل ألوان الطيف السياسى وغيره - يشاركونه هذا الشعور.

ثم إن جرائم ابن لادن لا يمكن أن تأتى كشىء مفاجئ لوكالة المخابرات المركزية التى كان لها الدور الفعال فى إعداد قوات إسلامية متطرفة - بالتعاون مع عدد من الدول - للقيام بالجهاد ضد الروس، الذى تحول فيما بعد إلى عنف مستمر وظف فيه تدفق المخدرات.

ولا يجوز أن ننسى - فى إيضاح هذا الدور المخابراتى - ما قرره (جون كولى) أكبر متخصص فى هذا الميدان من أن ضباط وكالة المخابرات المركزية ساعدوا - عن وعى - على دخول رجل الدين الإسلامى المتطرف المصرى الشيخ عمر عبدالرحمن إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٩٠.

وفى سنة ١٩٩٣ زج به فى الهجوم على مركز التجارة الدولى، ذلك الهجوم الذى اتبعت فيه الطرق التى قدمتها وكالة المخابرات المركزية لتدرس للأفغان الذين كانوا يقاتلون الروس، وتبين لهم كيفية تفجير مبنى الأمم المتحدة، وتفجير نفقى «لينكولن»، و«هولاند»، وغير ذلك من الأهداف.

وقد أدين الشيخ عمر عبدالرحمن بالتآمر، وحكم عليه بمدة سجن طويلة.

(يتبع)

الخلافة الإسلامية.. والدولة المدنية

للأستاذ الدكتور: محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية



وعندما وقع الزلزال، الذي عمل عليه الغرب الصليبي والإمبريالي قرونا طويلة، والذي أعلنته الكمالية التي أسقطت الخلافة، ومحت رمزها، وحطمت وعاءها في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ ٣ مارس ١٩٢٤م، لما وقع ذلك، حدثت الصدمة التي عبر عنها أمير الشعراء أحمد شوقي [١٢٨٥-١٣٥١هـ/ ١٨٦٨-١٩٣٢م] عندما قال:

ضجت عليك مآذن ومنابر … وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة، ومصر حزينة … تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل، والعراق، وفارس … أمحا من الأرض الخلافة ماح؟
يا للرجال، لحرة موءودة … قتلت بغير جريرة وجناح
نزعوا عن الأعناق خير قلادة … ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالي دونه … قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها … كانت أبر علائق الأرواح
جمعت على البر الحضور، وربما … جمعت عليه سرائر النزاح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم … في كل غدوة جمعة ورواح
بكت الصلاة، وتلك فتنة عابث … بالشرع عربيد القضاء وقاح

أفتي خزعبلة وقال ضلالة … وأتى بكفر في البلاد بواح
لتسمعن بكل أرض داعيا … يدعو إلى الكذاب أو لسجاح
ولتشهدن بكل أرض فتنة … فيها يباع الدين بيع سماح
يفتى على ذهب المعز وسيفه … وهوى النفوس وحقدها الملحاح[١]

بعدما حدث ذلك الزلزال، فرح الاستعمار، وكنائسه.. وسعد العلمانيون والمتغربون.. وازدهرت دعوات التجزئة والتفتيت لعالم الإسلام على أسس إقليمية وقومية.

لكن هذا الزلزال الذي هز كيان الأمة قد تمخض عن ولادة اليقظة الإسلامية المنظمة، وتبلور التيار الإصلاحي الإسلامي الذي ظل وفيا لمقاصد الخلافة وأهدافها، وحدة الأمة، وتكامل دار الإسلام، وحاكمية الشريعة الإسلامية في الأمة والدولة معا.

ولقد تميز هذا التيار الوفي لمقاصد الخلافة، والساعي إلى تجديدها وإحيائها، بالواقعية والعقلانية، فسعى إلى التجديد في شكل الخلافة ونظامها لتكون ملائمة للواقع الوطني والقومي الذي تصاعدت حقائقه ودعواته، ولتكون أيضا أقدر على تحقيق المقاصد والغايات المرتبطة بها في هذا الواقع الجديد.

وإذا شئنا أن نشير إلى نموذجين من نماذج الرؤى الحديثة لإحياء الخلافة الإسلامية، لتكون عصبة أمم إسلامية، عصرية الشكل، ودولية - ورابطية - للمقاصد والغايات، فإن النموذج الأول لهذه الاجتهادات الحديثة في إحياء الخلافة الإسلامية هو نموذج فقيه الشريعة الإسلامية وإمام القانون المدني:

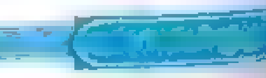
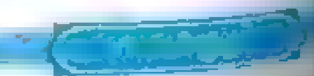
■ الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا (١٣١٣-١٣٩١هـ / ١٨٩٥-١٩٧١م):

الذي انتقد «العلماء التقليديين» الذين يتمسكون من الخلافة بشكلها التقليدي القديم، متجاهلين الصعود المعاصر للنزعات الوطنية والقومية، الذين يحلمون ببعث العالم الإسلامي كما كان في عهد عمر بن الخطاب [٤٠ ق.هـ-٢٣هـ/ ٥٨٤-٦٤٤م] أو المنصور العباسي [٩٥-١٥٨هـ/ ٧١٤-٧٧٥م][٢].

كما انتقد السنهوري وانتقد التيارات المتغربة التي تريد إحلال التشرذم الوطني والتعصب القومي بمعناهما الغربي محل رابطة الأخوة الإسلامية، والذين يريدون أن يندمجوا دون تحفظ بالمجتمعات الغربية، دون الالتفات إلى الفروق الناتجة عن البيئة والعقلية والتاريخ[٣].

كذلك رد السنهوري - تحت عنوان «رأي شاذ» على ما جاء بكتاب (الإسلام وأصول الحكم)

(١) أحمد شوقي «الشوقيات» المجلد الأول، جـ١ ص١٠٥-١٠٩، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
(٢) د. عبد الرزاق السنهوري «فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم إسلامية» ص٢١٥، ترجمة: د. نادية عبد الرزاق السنهوري، مراجعة وتقديم وتعليق: د. توفيق الشاوي، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٩م.
(٣) المصدر السابق، ص٢١٧.


للشيخ علي عبد الرازق (١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ / ١٨٨٧-١٩٦٦م) من القراء علي الخلافة الإسلامية(٤).

ثم خلص السنهوري باشا إلى تقديم تصور «واقعي - ومستقبلي» للخلافة الإسلامية يراعي مقتضيات التمايز الوطني والقومي السائد في واقع العالم الإسلامي، ويوفق بين هذا الواقع وبين شكل جديد للخلافة الإسلامية، لا يتجاهل هذه المستجدات الواقعية، ويحقق في ذات الوقت المقاصد الإسلامية من وراء هذا النظام الإسلامي المتميز والفريد وحدة الأمة وتكامل دار الإسلام، وإسلامية القانون الحاكم للمجتمعات الإسلامية.

وحول هذا التصور الواقعي والمستقبلي للخلافة الإسلامية كتب الدكتور السنهوري يقول:

«وبما أنه يستحيل اليوم تصور إقامة نظام الخلافة الراشدة أو الكاملة، فلا مناص من إقامة حكومة إسلامية ناقصة، وذلك على أساس حالة الضرورة، للظروف التي يمر بها العالم الإسلامي حاليا.

وهذا النظام الإسلامي الناقص يجب اعتباره نظاما موقتا، وهدفنا التالي هو السعي إلى العودة مستقبلا للخلافة الراشدة «الكاملة».

إن نظام الخلافة الراشدة التي يجب إقامتها مرة أخرى في المستقبل يجب أن يتصف بالمرونة لقد رأينا أن الشريعة الإسلامية لا تفرض إطلاقا شكلا معينا لنظام الحكم، وكل نظام تتوفر فيه الخصائص الثلاث المميزة للخلافة هو نظام شرعي وصحيح.

علي عبد الرازق

إنه يجب علينا أن نأخذ في الاعتبار الاتجاهات القومية والنزعات الانفصالية في بعض البلاد الإسلامية، وهي اتجاهات تزداد يوما بعد يوم، لذلك فإنه يجب علينا أن نجد حلا يمكن أن يضمن صورة من صور الوحدة بين الشعوب الإسلامية، مع إعطاء كل بلد نوعا من الحكم الذاتي الكامل.

إن وحدة الإسلام في صورة متطرفة غير مرنة لدولة مركزية لم تعد ممكنة الآن، وإن فكرة تكوين منظمة للشعوب الشرقية يمكنها أن توفق بين الاتجاهات القومية الناشئة، مع ضرورة تأمين قدر من الوحدة بين الشعوب الإسلامية»(٥).

ولقد عاد السنهوري ليؤكد اجتهاده هذا في إحياء الخلافة الإسلامية وتجديدها، فكتب ضمن ما كتب بدراسته عن «الإسلام: دين ودولة» بمجلة المحاماة الشرعية سنة ١٩٢٩م، كتب عن الخلافة الإسلامية الجديدة، التي هي السلطة التنفيذية في النظام السياسي الإسلامي فقال:

«إن حكومة الخلافة - السلطة التنفيذية في الإسلام - هي حكومة خاصة، تمتاز عن سائر الحكومات بالمزايا الآتية:

(٤) المصدر السابق، ص٩٦–٩٨، ١٠٠.

(٥) المصدر السابق، ص٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٦.

أولا: أن الخليفة ليس حاكما مدنيا فحسب، بل هو أيضا الرئيس الديني للمسلمين، ولا يتوهم أن للخليفة سلطة روحية شبيهة بما تنسبه النصارى للبابا في روما، فالخليفة لا يملك شيئا من دون الله، ولا يحرم من الجنة، وليس له شفاعة يستغفر بها للمذنبين، هو عبد من عباد الله لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولي أمور المسلمين في حدود معينة.

ومعنى أنه الرئيس الديني للمسلمين، هو أن هناك مشاعر عامة يقوم بها المسلمون جماعة كصلاة الجماعة، والحج، وهذه لا تتم إلا بإمام، هو الخليفة، لذلك نطلق كلمة الإمام خاصة على الخليفة إذا ولي اختصاصاته الدينية، ونطلق عليه لقب أمير المؤمنين إذا ولي اختصاصاته المدنية.

ثانيا: أن الخليفة في استعمال سلطته التنفيذية يجب عليه أن يطبق أحكام الشريعة الغراء، وليس معنى هذا أنه ملزم بالسير على مذهب خاص من المذاهب المعروفة، فله بل عليه وهو مجتهد أن يراعي ظروف الزمان والمكان، وأن يطلب من المجتهدين أن تجتمع كلمتهم على ما فيه المصلحة لهذه الأمة، ولو خالف ذلك كل المذاهب المدونة في الكتب، ومعلوم أن إجماع المجتهدين مصدر من مصادر التشريع.

ثالثا: أن سلطان الخليفة يجب أن يبسط على جميع العالم الإسلامي، فوحدة الإسلام حجر أساسي في الدولة الإسلامية، ووحدة الإسلام تستتبع وحدة الخليفة، يجب أن يكون على رأس الإسلام خليفة واحد، وهذه هي الخلافة الكاملة، ولكن الظروف قد تلجئ المسلمين، وقد تفرقت وحدتهم، أن ينقسموا أمما، لكل أمة حكومتها، فيجوز تعدد الخليفة للضرورة، ولكن الخلافة هنا تكون خلافة غير كاملة.

على أن الخلافة الكاملة يمكن تحقيقها إذا اجتمعت كلمة المسلمين، لا على أن تكون لهم حكومة مركزية واحدة، فذلك قد يصبح مستحيلا، بل يكفي - على ما أرى - أن تتقارب حكومات الإسلام المختلفة وأن تتفاهم، بحيث تكون منها هيئة واحدة شبيهة «بعصبة أمم إسلامية» تكون على رأس الحكومات، وتكون هي هيئة الخلافة ولا سيما إذا ألحق بهذه الهيئة مجلس مستقل منها، يكون مقصورا على النظر في الشئون الدينية للمسلمين»(٦).

هكذا قدم السنهوري باشا أبرز الاجتهادات الفقهية والدستورية الحديثة، لإحياء الخلافة الإسلامية وتجديدها، وهو الفقيه في الشريعة الإسلامية، وأبو القانون المدني، وضعا وشرحا، وواضع المدونات القانونية والدستورية للعديد من الدول العربية، والذي لقبه أساتذته الفرنسيون في عشرينيات القرن العشرين بـ«الإمام الخامس» لقدمه الراسخة في فقه الشريعة الإسلامية.

وبعد عشر سنوات من كتابة السنهوري باشا دراسته



(٦) د. عبد الرزاق السنهوري «الدين والدولة في الإسلام» مجلة هيئة قضايا الدولة، عدد يوبيلي سنة ١٩٨٩م، ص١٠٧، ١٠٨.

المهمة عن «الدين والدولة في الإسلام» جاء الاجتهاد الثاني – على خطى السنهوري – موفقا بين دوائر الانتماء: الوطني، والقومي، والإسلامي، وحدد الشروط الممهدة لإحياء الخلافة الإسلامية، وكان هذا الاجتهاد الثاني للإمام:

■ الشيخ حسن البنا [١٣٢٤-١٣٦٨هـ/ ١٩٠٦-١٩٤٩م]:

الذي كتب فقال:

«إن الإخوان المسلمين يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان أن يخلص لبلده، وأن يفنى في سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار.

ثم إن الإسلام الحنيف نشأ عربيا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان، وقد جاء في الأثر «إذا ذل العرب ذل الإسلام»، وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه.

والعروبة، كما عرفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – : «ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان»، ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها.

بقي علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الإسلامية، والحق أن الإسلام كما هو عقيدة وعبادة، هو وطن وجنسية وأنه قد قضى على الفوارق النسبية بين الناس، فالله تبارك وتعالى يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

(الحجرات: ١٠)

والنبي ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم، والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم».

وليس هناك تعارض بين هذه الوحدات الثلاث-الوطنية – والعربية – والإسلامية، بهذا الاعتبار، فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها»[7].

وكما أدرك السنهوري – وأكد – أن إحياء الخلافة الإسلامية لابد أن تسبقه نهضات اقتصادية ولغوية، وقانونية تربط الأمة الإسلامية، وتمهد لقيام الخلافة الجديدة، كنظام سياسي جامع، وعصبة أمم إسلامية فقال:

«ويجب التفكير في ربط الأمم الشرقية بروابط اقتصادية ولغوية وقانونية قبل التفكير في ربطها بروابط سياسية، وأقترح لذلك البدء بالنهضات الآتية:

١– نهضة تتناول الشريعة الإسلامية وجعلها مطابقة لروح العصر، وهذه النهضة تنتشر في كل الدول الشرقية.

٢– نهضة تتناول اللغة العربية، وإدخال ما يجب إدخاله عليها من التعديلات، وتوحيد اللهجات المختلفة فيها بقدر الإمكان.

٣– نهضة اقتصادية، تتناول ربط البلاد المستقلة بمعاهدات تجارية واقتصادية واتحاد جمركي وما يشبه ذلك.

٤– نهضة لإحياء العلوم والمعارف الشرقية، وبخاصة الإسلامية»[8].

كذلك أدرك حسن البنا أن إعادة الخلافة الإسلامية لابد أن تسبقها تمهيدات، فكتب عن الخلافة وما يلزم قبلها من تمهيدات فقال:

«إن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز للوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها.

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم.

وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لابد منها. وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات.

لابد من تعاون ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الإسلامية كلها، يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين البلاد، ثم يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية، حتى إذا استوثق ذلك للمسلمين كان عنه الإجماع على «الإمام» الذي هو واسطة العقد، ومجمع الشمل ومهوى الأفئدة، وظل الله على الأرض»[9].

***

هكذا تبلور ليحث الخلافة الإسلامية وتجديدها على أسس واقعية، وبرؤية مستقبلية فقه جديد واجتهاد دستوري جديد في حياتنا الفكرية الحديثة والمعاصرة، تجاوز الرؤية التقليدية الجامدة، و«الرؤية اليائسة البائسة»، و«الرؤية الرومانسية الحالمة» إلى رؤية فقهية ودستورية وتنظيمية تعيد الحفاظ على مقاصد نظام الخلافة الإسلامية، وتنزل هذه المقاصد الثابتة على واقعنا المعاصر والمعيش.

ولعل الناظر إلى «منظمة المؤتمر الإسلامي» يدرك أن تفعيلها – بالإرادة والإدارة – يمكن أن يجعل منها الأداة لإنجاز المراحل الممهدة لإقامة «عصبة الأمم الإسلامية» أي لإقامة الخلافة الإسلامية في ثوبها الجديد

(٧) حسن البنا «رسالة المؤتمر الخامس» ص ٤٥، ٤٩، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.

(٨) السنهوري «عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية» ص ١٤٤، ١٣٣، إعداد د. نادية عبد الرزاق السنهوري، د. توفيق الشاوي، طبعة القاهرة سنة ١٤٠٨هـ سنة ١٩٨٨م.

(٩) «رسالة المؤتمر الخامس» ص ٤٩، ٥٠.

(١٠) انظر في نقد ذلك كتابنا «إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال» طبعة مكتبة الشروق الدولية القاهرة سنة ١٤٢٦هـ سنة ٢٠٠٥م.

قضايا وهموم العولمة

فشل السياسة الأمريكية في إدارتها للنظام الدولي الجديد !!

لفضيلة الشيخ /صديق بكر عيطة

يرى دارسو العولمة في بعدها الاقتصادي ... بعولمة الاقتصادية في حقيقتها مجموعة المستحدثات والتطورات الاقتصادية التي برزت بشكل واضح خلال عقد السبعينيات من القرن العشرين. وهذه التطورات والمستحدثات تشير بشكل أو بآخر إلى تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد تعقيدا لتحقيق سيادة نظام اقتصادي واحد هو النظام الرأسمالي. وفيه تتداخل دول العالم الحدود والتبادل وتحرير الأموال والعمالة والخبرة بحرية وسهولة وبدون قيود

ويعرفها «بعضهم» بأنها مجموعة من الآليات الاقتصادية: «المتمثلة في الشركات متعددة الجنسيات، ومنظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، التي تهدف إلى رسم حدود اقتصادية غير مرئية تؤدي إلى تقليص السيادة الاقتصادية «للدول» وتذويب الوعي الاقتصادي القومي واستبداله بوعي اقتصادي كوني، يقوم على مجموعة من القيم والمعايير والأنماط الاقتصادية الغربية، بهدف تعطيل مقومات الانتماء والولاء الاقتصادي الوطني وإخضاع العالم إلى مضمون اقتصادي قائم على اللاهوية»[1].

(١) يرجع إلى كتاب «العولمة والاقتصاد والتعليم» د. أحمد حسين عبد المعطي - ص ٩٠، ٩٥ بتصرف يسير.

وحتى تنجح العولمة في تحقيق أهدافها فإنها تسعى لإتمام أهم خطوتين كبيرتين تهيئان البشرية لإشاعة هذا النظام الدولي الجديد، أما الخطوة الأولى، فإنها تتمثل في التحول إلى الكونية، لا على مستوى الأسواق التجارية والعمل فحسب، ولكن بخلق صور من التجانس والترابط عبر مجالات أو ميادين الحياة المختلفة، وكما ذهب «أبادوري» في مقال حول «الاختلاف في الاقتصاد الثقافي العالمي» فإن الثقافة العالمية الوسيطة، تخلق تدفقات ثقافية على المستوى الكوني عبر خمسة أبعاد أو مجالات:

١- المجال الإثني، الذي يظهر من خلال تدفق الهجرات والسياح واللاجئين والعمال الغرباء.

٢- والمجال التقني، الذي يظهر في التدفقات التكنولوجية عبر الشركات متعددة الجنسيات والشركات الوطنية والوكالات الحكومية.

٣- والمجال المالي، الذي يظهر من خلال التدفقات السريعة للنقود وأسواق العملة والبورصات.

٤- ثم المجال الإعلامي، الذي يتبدى في تدفقات الصور والمعلومات عبر الصحف والمجلات والأفلام والتليفزيون.

٥- ثم المجال الأيديولوجي، وهو يرتبط بتدفقات الأفكار حول الديمقراطية والحرية والتنوير.

وأما الخطوة الثانية- وهي مواكبة للخطوة الأولى، لأنها انعكاس لها، وتعدُّ الوجه الآخر لها أيضاً- فإنها تتمثل في التفكيك القاعدي، وهو يقوم على تفكيك النظم المحلية للتجارة، بحيث يصبح رأس المال المحلي خاضعاً لاستراتيجيات رأس المال العالمي، وتصبح الثقافات المحلية خاضعة للتفكيك وإعادة الصياغة وإعادة التكيف.

وبين هاتين الخطوتين «التحول إلى الكونية والتفكيك» تتداخل الثقافات ذات الطابع العالمي والثقافات المحلية، مع ما يترتب على هذا التداخل من مشكلات للتكيف والصراع والمقاومة[2].

■ ■ ■

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي أبرز الدول الكبرى، وصاحبة الحول والطَّول في نشر هذا النظام الدولي الجديد، وهي المهيمنة على دول العالم، وصاحبة القائدة الكبرى في استمرار هذا النظام، فقد سلكت عدة طرق

(٢) انظر الدكتور أحمد زايد مقالاً تحت عنوان «العولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية» بتصرف - مجلة عالم الفكر عدد ١ ص ٢٠٠٢، المجلد ٣٢.

متوازنة لضمان نجاحها في تحقيق هذا الهدف، ومن أهم هذه الطرق:

١- بث روح النشاط في العالم المسيحي، ومساندة الأصولية: النصرانية والصهيونية.

٢- الدعم المطلق والشامل للكيان اليهودي المغتصب لأرض فلسطين، وذلك على جميع المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والتربوية والاجتماعية.. وغيرها. وهي شريك قوي وفعلي في جميع الأعمال الوحشية والجرائم الهمجية، التي يمارسها ذلك الكيان على مدار الأيام والسنين ضد الشعب الفلسطيني الأعزل.

٣- التدخل في الشئون الداخلية لمختلف دول العالم، بما يجعلها تركع للقرار الأمريكي في تلك الشئون.

٤- رسم السياسات الخارجية لمختلف دول العالم، بما يحقق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

٥- الهيمنة على المصادر الحيوية للطاقة، وهو ما يحدث الآن على أراضي الشرق الأوسط، وبخاصة أراضي الدول العربية.

٦- توزيع القوات العسكرية الأمريكية: البحرية والبرية والجوية على مختلف القواعد العسكرية والمحيطات والأجواء، لتكون تحت الجاهزية التامة لتحقيق الأهداف الأمريكية بالقوة المسلحة. تلك الأهداف التي من أهمها تطويق العالم الإسلامي، ومصادرة قدراته ومقدراته والقضاء على الصحوة الإسلامية، وإعادة صبغه بالصبغة الأمريكية. ولا يفتك إعلامها عن ترديد «تأمركوا وإلا أمركناكم بالقوة».

٧- لا تقبل الولايات المتحدة قيام أي نظام إسلامي حقيقي في أي منطقة من العالم.

٨- استراتيجية «بوش» المسماة «الحرب الاستباقية» وفحواها قيام الولايات المتحدة بشن الحرب على أية دولة تعتقد أن شن الحرب عليها يحقق الأهداف والأطماع الأمريكية. وتقوم الأجهزة الأمريكية بإعداد الذرائع وافتعال المواقف لتسريع شن هذه الحرب. وكانت أفغانستان والعراق أولى ضحايا هذا المخطط اليهودي الصليبي الإجرامي.

٩- وحتى تضمن الولايات المتحدة الأمريكية استمرار هيمنتها على العالم الإسلامي والعربي عملت دائماً على تجزئة الأمة الإسلامية. وأعني بالأمة الإسلامية، الدول الإسلامية، والأقليات الإسلامية في الدول الغربية أو الشرقية، وقد ضربت هذه التجزئة أطنابها بين الفئات والقطاعات الآتية:

■ بين الحكام مع مزيد من فقدان الثقة والإحساس بالعجز والضعف.

■ بين العلماء والفقهاء والمفكرين، واتساع شقة الخلاف حول الاستنباط.

■ بين الشعوب مع وضوح الفروق الحضارية بينها.

■ بين المنظمات، حتى الوطنية والقومية.

■ بين الهيئات والمؤسسات والحركات الإسلامية، ومنها المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية والأئمة والخطباء.

■ التدخل باسم الأمم المتحدة لإثبات قانونية التدخل وشرعيته حتى العسكري منه وتغليفه بالقرارات السياسية التي تبدو شرعية أو قانونية رغم بربريتها ووحشيتها.

■ التحكم في النظم الأمنية في العالم الإسلامي.

كما أنفقت الولايات المتحدة الأموال الطائلة بالتعاون مع المنظمات الصليبية والصهيونية، لإخراج الكتاب الذي أطلقوا عليه «الفرقان الحق» بغية القضاء على القرآن الكريم، وبالتالي القضاء على الإسلام، حتى ينفرط عقد العالم الإسلامي إلى الأبد.

■■■

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بالهيمنة التامة على الدول العربية والإسلامية إلى هذا الحد، وإذا كانت العولمة الاقتصادية باباً واسعاً لامتصاص خيراتها، فما هو الأثر الذي تركه هذا النظام الدولي الجديد على هذه الدول؟!

«إن العولمة الاقتصادية، والتي يقصد منها فرض هيمنة الدول الغنية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، بقصد امتصاص خيرات الدول الفقيرة وثرواتها ستؤدي إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية؛ إذ لا يزال نحو ٩٠٠ مليون نسمة يعيشون في فقر مدقع، و٨٢٦ مليون نسمة يعانون من سوء التغذية، ومليار نسمة يفتقرون إلى مصادر مياه مناسبة، و١١٥ مليون طفل لا يتلقون تعليماً، و٣٠٪ من مواليد جنوب الصحراء في أفريقيا يموتون.

وقد جاءت مؤشرات التدهور الاقتصادي الشديد في العالم العربي لتؤكد عدم قدرته على الصمود أمام الضغوط الاقتصادية للدول الغنية. لقد انخفض معدل النمو الحقيقي للناتج المحلي الإجمالي لسبع عشرة دولة عربية من ٤,٢٪ عام ٢٠٠٠ إلى ٣,٩٪ عام ٢٠٠١م.

ولقد أدت أزمة آسيا الاقتصادية إلى هبوط نمو

(٢) «الإسلام والعولمة» للدكتور ... ص ٢٥٣ - ٢٥٦ و«سياسة أمريكية في الشرق الأوسط» ... ص ٧٧ - ٨٠ - الناشر مركز الإعلام العربي.

تجارة السلع العالمية من نحو ١١٪ عام ١٩٩٧ إلى ٥٪ لعامي ١٩٩٨ و١٩٩٩م، مما زاد من تفاقم الأزمة الاقتصادية في العالم العربي»[4].

فما واقع الأمة الإسلامية اليوم، وسط هذا الجو المشحون بالتآمر ضدهم والعمل الواضح لكل ذي عينين لتمزيق وحدتهم، والذي يهدف إلى استمرار ضعفهم المادي والمعنوي والاقتصادي؟ ما هو الواقع الذي يعيشونه؟ ويكاد أن يعصف بهم ويؤدي بمستقبلهم إلى هاوية التاريخ؟!

إنهم يقرءون قول الحق تبارك وتعالى:

[illegible]

(البقرة: ١٢٠)

وقوله عز شأنه

[illegible]

(النساء: ٨٩)

ويتلون قوله تعالى:

[illegible]

(الأنفال: ٤٦)

ومع هذا وذاك يستمرون في خلافاتهم «حتى باتت هذه الخلافات موضع أزمة في العمل الإسلامي: اختلافات في مفهوم العقيدة، وفي تشخيص أمراض الواقع، وفي طريقة التعامل معه، وفي أساليب التعبير عن الإسلام.. وغير ذلك كثير، ثم أضحت هذه الخلافات موضع استنزاف لطاقاتهم ومحلا لتنازعهم؛ مما جعل بأسهم بينهم شديدا، فاجتمع عليهم سوء علاقات بعضهم ببعض مع كيد السلطات المحلية والعالمية لهم. ومما زاد الحال تدهوراً، عدم اتساع صدورهم للحوار أو النقد، وهكذا تفعل الهزائم بالشعوب، فإنها تُتعب ليهم وتشوش على سلامة تفكيرهم، وتوردهم المزالق، وتقحمهم للمهالك، وهل الإسلاميون وجماعاتهم إلا جزء من هذه الشعوب؟!، ولقد كانوا مظنة أن يبرزوا كأطباء يعالجون أمراض الهزائم، ولكن للأسف تسربت إلى أجسادهم الأمراض فباتوا بحاجة إلى من يداويهم»[5].

والعجب العجاب أن أموال العرب التي أفاءها الله عليهم، تصب ليل نهار في بنوك الولايات المتحدة وخزائنها، لتتحول بعد ذلك إلى سلاح مدمر يقتل أبناءهم ويهدم بيوتهم ومساجدهم فوق رءوسهم، ويحطم آمالهم ومستقبلهم. وهم مع ذلك يرتمون في أحضان أعدائهم.

ولكن نجم الولايات المتحدة الأمريكية بدأ في الأفول في الآونة الأخيرة حسبما تنبأ المحللون السياسيون والاقتصاديون

(٤) الإسلام والعولمة، ص٥٧، ٥٨ مقتطفات.

(٥) اقرأ الإسلام والعولمة، ص٢٤٧، ٢٤٨.

«إن العولمة الاقتصادية الأمريكية قد تعرضت، وستتعرض إلى هزات متتالية، كلما أصرت على خوض الحروب الباهظة التكاليف. يقول فهد بن عبدالرحمن آل ثاني في بحثه القيم «جدلية تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط»: أما بالنسبة للولايات المتحدة، فقد قاتلت ما يقارب عقداً من الزمن، منذ انتهاء الحرب الباردة، لكي تطبق استراتيجية عولمة العالم على الطريقة الأمريكية، ولكن هذه الاستراتيجية فشلت- فيما نرى- فشلاً ذريعاً في العالم، وخاصة في الشرق الأوسط. ولعل من أهم الدلائل على ذلك، أن العجز التجاري الأمريكي قفز من ١٠٠ مليار دولار عام ١٩٩٠م إلى ٤٥٠ ملياراً عام ٢٠٠٠م، والأخطر في العجز التجاري في عام ٢٠٠٠م هو أن الواردات النفطية لا تشكل إلا ١٨٪ من الواردات الأمريكية، أما ٨٢٪ الباقية، فهي سلع صناعية مستوردة، يضاف إلى ذلك أن العجز التبادلي مع الصين، بلغ في عام ٢٠٠٦م ٨٣ مليار دولار، وهذا يؤكد الفشل الأمريكي في إدارة عولمة العالم، وأن أمريكا أصبحت في موضع التبعية لا موقع الحكم.

يقول الكاتب الفرنسي «إيمانويل تود»: «إن الإمبراطورية الأمريكية، أشبه بالإمبراطورية الرومانية التي كانت تعتمد على الاستيراد الخارجي، منها إلى الإمبراطورية السوفيتية التي كانت تعتمد على الاكتفاء الذاتي، فأمريكا إمبراطورية للاستهلاك لا للإنتاج، وحاجتها إلى العالم في استهلاكها أشد من حاجة العالم إليها في إنتاجها»[6] وصدق الحق تبارك وتعالى حينما قال:

[illegible]

(الفجر: ١٤).

وقد لاحت في الآونة الأخيرة بوادر الأزمة المالية والاقتصادية من بنوك الولايات المتحدة الأمريكية، ثم طالت هذه الثمار المرة التي أفرزتها العولمة الأمريكية دول العالم قاطبة ومنها بطبيعة الحال الدول العربية والإسلامية، وهي لاتزال تستفحل يوماً بعد يوم، دون أن يتنبأ واحد من خبراء المال والاقتصاد بوقت انتهائها ولو على سبيل التقريب.

فعلى العالم الإسلامي والعربي المبادرة بالخروج من تحت نير السياسة الأمريكية القاتلة قبل أن تستفحل البلوى أكثر من هذا فيصعب العلاج، أو يكون من باب المستحيل، وهو ما سوف نعرض له في المقال القادم إن شاء الله رب العالمين.

(٦) الإسلام والعولمة للدكتور سامي محمد الدلال ص٥٩.

أخلاق الإسلام في الحرب والقتال

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

شنت إسرائيل حرباً قذرة همجية على قطاع غزة لمدة ٢٢ يوماً في آخر ديسمبر ٢٠٠٨ ويناير ٢٠٠٩ كانت حصيلتها الآتي:

١٤١٠ شهيد، و٥٠٠٠ جريح من الفلسطينيين، حالة عدد كبير منهم خطرة، ونصف الشهداء والجرحى من الأطفال والنساء وكبار السن، وتم تدمير ٢٢ ألف مبنى منها مدارس ومساجد وكنائس ومستشفيات ومبانٍ للأمم المتحدة، وخمسون ألف مواطن بلا مأوى، وخسائر الاقتصاد تقدر بمليارى دولار، وصدر عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية بيان بأن إسرائيل استخدمت في هجماتها على غزة ذخائر اليورانيوم المستنفد، كما صدرت عن منظمة العفو الدولية شهادة تفيد أن بعثتها في غزة عثرت على أدلة دامغة تدين إسرائيل باستخدامها المكثف للقنابل الفسفورية في هجماتها على الأماكن ذات الكثافة السكانية في قطاع غزة[1].

يقول فضيلة أ. د/ محمد المختار محمد المهدى، الرئيس العام للجمعيات الشرعية وعضو مجمع البحوث الإسلامية، تعليقاً على هذه الحرب القذرة:

(1) جريدة الأهرام يوم الخميس ٢٢ يناير ٢٠٠٩ [illegible]

ضوابط الجهاد

«فما جرى في غزة، وما شاهدناه بأعيننا من مجازر تراق فيها دماء الأطفال والنساء والشيوخ، وتهدم فيها البيوت والمساجد والمدارس والمستشفيات على رءوس البشر، قد يصفه البعض للأسف بأنه هجوم بربري أو وحشي.

ونحن لا نقبل أن نبتلع الطعم بتمرير هذا المصطلح الوافد إلينا من الغرب وصفاً لإخواننا البربر الذين فتحوا الأندلس على يد البطل المسلم طارق بن زياد، حين رأوا شجاعتهم وإقدامهم واستبسالهم فجعلوها مثلاً للتفوق، وما كانوا كذلك، بل كانوا ملتزمين بضوابط الجهاد في الإسلام، فلم يعِ التاريخ عنهم عدواناً على أطفال أو نساء، ولم نسمع أنهم هدموا البيوت أو الكنائس على أهلها.

كما لا نقبل أن يوصف ما حدث من اليهود بأنه عمل وحشي، ذلك أن الوحوش تهجم على فريستها لتأكل وحين تشبع تنصرف ولا تعتدى.

أما هؤلاء فلا يشبعون من إسالة الدماء المسلمة، بل إنهم يستمتعون برؤيتها (كما تمتع الذين من قبلهم)، وهذا ما أكده ربنا سبحانه وتعالى.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ○ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ○ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ○ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ○ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

(البروج ٤ - ٨)[3]

لقد صار قلب الحقائق سمة للمتعصبين في هذا العصر، وعلامة مميزة لأعداء الحق والدين، ولم تسلم حقائق الدين الإسلامي الناصعة الباهر في: عقائده وعباداته، وأركانه وأحكامه، وتعاليمه وأخلاقه، وهدايته وإرشاداته، لم تسلم من قلبها وتشويهها من المتعصبين من أعدائه الحاقدين عليه!

فمع كل ما فعلته إسرائيل في تاريخها الدموى منذ قيامها وإلى حربها القذرة الأخيرة على غزة، نجد أن أغلب أجهزة الإعلام في الغرب – التي تمتلكها الصهيونية العالمية والرأسمالية اليهودية – تمدح إسرائيل على هذا العدوان الإجرامى، وتدافع عنه وتبرره بأن إسرائيل تحارب الإرهاب الإسلامى، وتصف الإسلام بأنه دين همجى دموى، يحض على القتل وسفك الدماء، وأنه دين لا يقبل التعايش مع غير المسلمين، وأنه لا يصلح أن يكون ديناً يعتنقه البشر... إلخ ما يوجهونه من اتهامات باطلة زائفة إلى الإسلام!!

إن الإسلام دين يحترم النفس البشرية، ويمنع الاعتداء عليها وعلى العرض وعلى المال، ويدعو إلى

(3) مجلة الجيل العدد ٥٥ - صفر ١٤٣٠ فبراير ٢٠٠٩م.

السلام والأمان، وإلى التعايش الإيجابي البنّاء مع غير معتنقيه مادامو لا يعرضون للمسلمين بأذى أو قتال.

حرب دفاعية!!

إننا إذا استعرضنا الدعوة إلى القتال في القرآن الكريم نجد أن الإسلام لم يدعُ إلى القتال إلا في حالتين فقط، هما:

١- الدفاع عن النفس وتأمين الدولة الإسلامية، يقول الله – تعالى –:

﴿[illegible]﴾ (البقرة: ١٩٠)

فالآية الكريمة قد حددت المحاربين الذين يقاتلهم المسلمون، وهم الذين أعدوا أنفسهم لقتال المسلمين ومناجزتهم ومناصبتهم القتال، أي: القادرين على القتال والمتصدين له، والمتفرغين للأعمال القتالية، سواء أكانوا في الحرب فعلاً، أم أنهم موجودون احتياطياً، فمادامو أفراداً أو جماعات من الجيش المعد لحرب المسلمين فإن القتل يشملهم.

وينهى الله – سبحانه – عن الاعتداء وعن التجاوز في القتال إلى قتال من ليس من شأنهم القتال، كالنساء، والأطفال، والشيوخ الطاعنين في السن، ورجال الدين، ويلحق بهم المريض والمقعد والأعمى والمجنون وغيرهم ممن يطلق عليهم «المدنيون»، فهؤلاء يُتجنب قتالهم، ولا يحق للمسلمين أن يقصدوهم بشيء من أعمال الحرب، ولا أن يقصدوا بيوتهم بالنسف والتخريب، إلا من قامت البيّنة والشواهد على أن أحداً من هؤلاء يشارك في حرب المسلمين فيدخل ضمن من يقاتلهم المسلمون. كما لا يجوز للمسلمين أن يعرضوا للمساجد والكنائس والأديرة وأماكن العبادة على وجه عام بالضرب والتدمير والتخريب، ولا أن يلقوا القنابل والمتفجرات داخل المساكن المدنية.

فالآية الكريمة قد أذنت للمسلمين في قتال الذين يقاتلونهم دفعاً لشرهم، وتأميناً للدولة الإسلامية، وفي الوقت نفسه نهى الله – سبحانه – عن البدء في القتال والاعتداء، محذراً أن من يفعل ذلك لا يحبه الله، ومن لا يحبه الله فقد خرج من دائرة رحمة الله ومغفرته، ونفي محبة الله عن المعتدين هو كناية عن بغض الله لهم، واستحقاق لعقوبته، فهل هناك تنفير من الاعتداء والقتال أشد وأبلغ من ذلك؟

نقض العهود!!

٢- الحالة الثانية التي دعا فيها القرآن الكريم إلى القتال هي: نقض العهود والمواثيق. لقد احترم الإسلام العهود والمواثيق التي توقع بين المسلمين بعضهم مع بعض، ومع غير المسلمين. وقد أمر المسلمين أن يوفوا بتنفيذ تلك العهود والمواثيق، يقول الله – تعالى –:

﴿[illegible]﴾ (المائدة: ١)

أي: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بعقد الله عليكم، وبعقدكم بعضكم على بعض. قال عليه الصلاة والسلام: «المؤمنون عند شروطهم»[3] «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان فيه مائة شرط»[4] فبيّن أن الشرط أو العقد الذي يجب الوفاء به هو ما وافق كتاب الله أي: دين الله، فإن ظهر ما يخالف رد، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[5]

وقال – تعالى –

﴿[illegible]﴾ (النحل: ٩١)

أي: إن الله يأمركم – أيها المسلمون – بالوفاء بالعهود التي التزمتم بها مع الله – تعالى – أو مع الناس، وكونوا أوفياء بعهودكم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توثيقها وتغليظها عن طريق تكرارها، أو عن طريق الحلف بالله على تنفيذها، وقد جعلتم الله ضامناً لكم فيما التزمتم به من عهود، وشاهداً ورقيباً على أقوالكم وأعمالكم، والله – تعالى – يعلم ما تفعلون من الوفاء أو النقض، وسيحاسبكم بما تستحقون من خير أو شر.

ولا أدل على وفاء المسلمين بالعهد من أمر الله – تعالى – نبيه ﷺ بإتمام العهد مع المشركين إلى المدة التي حدد إليها، فقال – تعالى –:

﴿[illegible]﴾ (التوبة: ٤)

هذا هو موقف الإسلام من الالتزام بتنفيذ العهود والمواثيق، ما دام الطرف الآخر يحترمها وينفذها.. أما إذا أخل الطرف الآخر بالعهود والمواثيق، ونقضها من جانبه، ولم يفِ بما التزم به، وأعلن الحرب والعداوة، فإن المسلمين صاروا في حل من قتالهم – وهذا حق مشروع تقره كل القوانين والشرائع – يقول الله – تعالى –:

﴿[illegible]﴾ (التوبة: ١٢)

أي: وإن نقضوا عهودهم ومواثيقهم من بعد أن تعاقدوا مع المسلمين على الوفاء بها، وعابوا دين الإسلام ونسبوا إليه ما لا يليق به وانتقصوه، فقاتلوهم فهم أئمة الكفر الذين يحرّضون أتباعهم على عداوة المسلمين، ويقودونهم إلى القتال، لأنهم قوم لا أيمان لهم ولا عهود لهم، وليكن مقصدكم – أيها المسلمون – من قتالهم

---

(٣) فتح الباري على صحيح البخاري جـ٥ ص: ٤٤٤

(٤) مسند أحمد جـ٦ ص ٢١٣

(٥) تفسير القرطبي، صحيح البخاري ٣: ٩٩، ٩: ١٣٢

الرجاء في هدايتهم، وإنابتهم إلى رشدهم، والانتهاء من غوايتهم.

هذا هو القتال الذي شُرع في الإسلام: قتال للدفاع عن النفس، قتال لنقض العهود والمواثيق – وهذا حق مشروع تقره العقول السليمة والفطرة السوية، ليس فيه ظلم أو اعتداء – فهل يتسنى لعاقل بعد ذلك أن يتهم الإسلام بأنه دين قتال وعدوان!

إنسانية الإسلام في القتال:

يتضح مما سبق أن القتال في الإسلام شرع لغرض معين ينتهي إليه، ووضع الإسلام له نظاما معينا يسير عليه المسلمون لتحقيق هذا الهدف، فإذا تحقق هذا الهدف من غير قتال فالدين الإسلامي يمنع القتال، يقول الله – تعالى –

﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾

(النساء: ٩٠)

لأن الإسلام هو دين السلام والأمان لا دين الحرب والإرهاب، هو دين البناء والتعمير لا دين التخريب والتدمير، هو دين الحياة وحقن الدماء لا دين القتل وسفك الدماء، يقول الله – تعالى –

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

(البقرة: ١٩٣)

أي: وقاتلوا الذين يقاتلونكم وهم الذين سبق بيانهم حتى يكسروا شوكتهم ولا يستطيعوا إلحاق الضرر والأذى بالمسلمين، وحتى يكون الدين الظاهر هو الدين الذي شرعه الله، فإن امتنعوا عن قتالكم ولم يقدموا عليه، فكفوا عن قتالهم. لأن القتال شرع ليكون تأديباً لهم ليرجعوا عن ظلمهم واعتداءاتهم، ولتحقيق إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه، لا من أجل إشباع شهوة القتل وسفك الدماء، والاستيلاء على الأرض واغتصاب الحقوق، وإلحاق الدمار والخراب بالأرض والزروع والثمار، كما فعلت وتفعل إسرائيل عبر تاريخها منذ قيامها. سأل أعرابي النبي ﷺ فقال: يارسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه – أي: ليتحدث الناس بشجاعته وليظهر بينهم – فمن ذلك في سبيل الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[6]. ويقول – سبحانه –:

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

(الأنفال: ٦١)

ومع أن الإسلام أمر بالقتال في حالات محدودة – كما سبق أن أوضحنا – إلا أن الإسلام دعا المسلمين إلى الالتزام بقتل من يحمل السلاح فقط، ونهى عن قتل ما عداهم ماداموا لم يشاركوا في الحرب، أو يساعدوا

(٦) أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

المحاربين، ونهى عن تخريب الزروع والأشجار المثمرة، بل وحتى عن ذبح الحيوانات إلا للأكل فقط.

ولا أعلم ديناً بلغ في إنسانيته ورحمته وعدله وسماحته مع أعدائه حتى في معارك القتال مثل الدين الإسلامي، عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع»[7]، وعن ابن عمر قال: «وُجدت امرأة في بعض المغازي مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان»[8].

وصايا الصدِّيق!!

وها هو خليفة المسلمين سيدنا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يوصي جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد، فيقف في رجاله خطيباً قائلا: «أيها الناس قفوا، أوصيكم بعشر فاحفظوها: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب[9] فاخفقوهم بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله أفناكم الله بالطعن والطاعون»[10].

هذا هو الإسلام وإنسانيته في الحرب، قبل أن يعرف العالم الحديث المعاهدات والمواثيق الدولية الخاصة بالحرب، والتي هي حبر على ورق لا تطبق ولا تنفذ مادام المعتدي هو صاحب القوة والسطوة!

وللأسف الشديد نجد – مع كل هذا الإيضاح في بيان أخلاق الإسلام في الحرب وإنسانيته حتى في القتال – نجد أن أعداء الإسلام يتهمون الإسلام بالإرهاب والوحشية والهمجية وسفك الدماء! وتعمى أعينهم، وتصم آذانهم، وتخرس ألسنتهم فلا يهاجمون المجرمين السفاحين قادة إسرائيل الذين قتلوا تلاميذ المدارس الأبرياء وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ، ودمروا المساجد والكنائس ودور العبادة، وألقوا آلاف الأطنان من المتفجرات والصواريخ الحارقة والقنابل الفسفورية – المحرمة دولياً – على المدنيين وضربوا المستشفيات وهدموا آلاف المنازل على من فيها، وصار من بقي حياً من ساكنيها مشرداً أو مشرداً بلا مأوى.

(٧) مسلم. (٨) البخاري ومسلم.
(٩) هم مجموعة الذين يحملون السلاح للقتال، وكانوا مشهورين بهذه الأوصاف في ذلك الزمان.
(١٠) كتاب العشرة المبشرون لأحمد مصطفى فوزي عبود – ط محمد علي صبيح ١٩٧٤.



مذبحة غزة والموقف التركي

الأستاذ صلاح عبد الرحيم محمد

في الحقيقة إن موقف تركيا الحميد من مذبحة غزة [illegible] الجيش الإسرائيلي بحق المدنيين الأبرياء [illegible] والقضية الفلسطينية [illegible] بالأمر الجديد في تاريخ تركيا القديم والحديث [illegible] بالشأن الفلسطيني موقف السلطان عبد الحميد من فلسطين [illegible] عربية خالصة. خاصة عندما أصدر قرارين في ٢٨ يونيو ١٨٩٠ و٧ يونيو [illegible] العام بعدم قبول الصهاينة في الممالك والأراضي العثمانية [illegible] بعقارات [illegible] العقارية بعدم بيع أراضٍ للمهاجرين اليهود في فلسطين.

ولقد رفض السلطان في إباء وشمم إغراءات الصهيونية، ومطامعها في القدس فقال: «لماذا نترك القدس إنها أرضنا في كل وقت. وفي كل زمان. وستبقى كذلك، فهي من مدننا المقدسة وتقع في أرض إسلامية. ولابد أن تظل القدس لنا» وأضاف قولته التي لا تزال تدوي في مسامع الدنيا: «أنا لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي. لقد حصل شعبي على هذه البلاد بدمه، وغذاها بدمه. وسوف يغذيها بدمه، ولن نسمح لأحد باغتصابها منا. وليحتفظ اليهود بملايينهم. أما إذا سقطت الدولة العثمانية، وتم تقسيمها. فقد يحصل اليهود على فلسطين بلا مقابل. إننا لن نقسم هذه الدولة العثمانية إلا على جثثنا، ولن أقبل تشريحها لأي غرض كان». وإذا كان ذلك هو موقف السلف من القضية الفلسطينية، فإن موقف الخلف لا يزال يسير على نفس الدرب. فقد برزت تركيا الحديثة كواحدة من الدول التي اتخذت مواقف متميزة على الصعيدين الرسمي والشعبي من العدوان الإسرائيلي على غزة، الذي جرى يوم السبت ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨، والذي استمر ٢٣ يوماً. وقد توزع الموقف الرسمي التركي على محورين الأول: التصريحات التي أدانت إسرائيل، وحملتها مسئولية تدهور الأوضاع. فقد انتقد رئيس الوزراء «رجب طيب أردوغان» الوحشية الإسرائيلية بأقسى العبارات عندما قال: «إن إسرائيل ستغرق في بحر دماء ودموع أطفال غزة» والثاني: تحركات القيادة السياسية التركية لوقف العدوان، وفتح المعابر، وإيصال المساعدات الإنسانية. وعلى الصعيد الشعبي. فقد انتفضت تركيا كلها، وخرجت المظاهرات في كل المدن التركية منددة بالحرب الدموية على غزة، وشهدت المدينة التاريخية أسطنبول واحدة من أضخم المظاهرات لدعم غزة، ومساندتها في اليوم الثامن من العدوان الإسرائيلي بمشاركة أكثر من مليون تركي. وفي هذا السياق تحدث «أردوغان» مخاطباً إسرائيل من أمام البرلمان التركي في السادس من يناير ٢٠٠٩ قائلاً: «عندما تعرض أجدادكم للظلم والطرد من أوروبا، نحن من وقفنا معهم، ووفرنا لهم المأوى في أراضينا، وأنني حفيد الدولة العثمانية التي قامت بهذا الإجراء الإنساني». وأضاف: «إن الفلسطينيين لهم الحق في الحياة الكريمة مثل إسرائيل» وفي تحذير شديد اللهجة لإسرائيل أعلن «أردوغان» منددا بالمذبحة التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية في غزة، قائلاً: «لا يمكن مسامحتها على ما ترتكبه في غزة» وخاطب رئيس الوزراء التركي «أردوغان» كلاً من وزير الدفاع الإسرائيلي «إيهود باراك» ووزيرة الخارجية الإسرائيلية «تسيبي ليفني» قائلاً: «اتركوا عنكم حسابات الدعاية الانتخابية، سيحاسبكم التاريخ، وسيذكر أفعالكم على أنها نقطة سوداء في تاريخ البشرية» ولم يكتف «أردوغان» بذلك، بل خاطب الغرب المتواطئ مع إسرائيل في عدوانها على غزة قائلاً: «في أزمة جورجيا سارعتم بالتدخل، أما في العدوان على المدنيين في غزة، لم تحركوا ساكنا. إنه تصرف غير مقبول، وغير مبرر» وأكد أن تركيا ستواصل دعم الفلسطينيين في غزة، وبوصفها عضواً غير دائم، ستقوم في مجلس الأمن الدولي بعرض وجهة نظر حماس التي تثق في تركيا ثقة كاملة.

[illegible]

اسرائيل ترفض وساطة تركيا!!

وكشف «رجب طيب أردوغان» رئيس الوزراء التركي عن مخطط العدوان الإسرائيلي على غزة، وكيف أن إسرائيل لا تريد التهدئة ولا تريد في الحقيقة سوى توتير الأوضاع وتأزيمها تهرباً من استحقاقات عملية السلام، موضحاً أنها رفضت عرضاً تركيا للوساطة مع حماس لتمديد التهدئة قبل أيام قليلة من بدء حربها على غزة، فيقول «أردوغان» إنه «عرض على رئيس الوزراء الإسرائيلي «إيهود أولمرت» خلال زيارته الأخيرة لأنقرة قبل أيام قليلة من بدء العدوان على

غزة، الوساطة لتمديد التهدئة، إلا أنه راوغ وأخبره أنه سيبلغه برده بعد التشاور مع وزراء حكومته، غير أنه فوجئ ببدء العدوان الهمجي على المدنيين الأبرياء في غزة، لذا اعتبر ما حدث «إهانة وتعبيرًا عن عدم الاحترام لتركيا» وأضاف «أردوغان»: «إن إسرائيل لم تحترم تركيا بشنها عدوانًا على غزة، وعندما أقول إن إسرائيل وجهت إهانة لتركيا، فإنني أعني الكثير الذي يجب أن تقرأه إسرائيل بين السطور»، كما لفت نظر إسرائيل بأنها تسير في الطريق غير الصحيح في قوله: «إن على إسرائيل أن تنتبه لأنها تسير في الطريق الخاطئ، وتعمل على إضعاف علاقاتها مع دولة صديقة مثل تركيا».

وتركيا تطالب بوقف العدوان

والجدير بالذكر أن تركيا حرصًا منها على تحسين علاقاتها مع إسرائيل حتى تحافظ على ما تحقق من مكاسب في الفترة الأخيرة، أوفدت – خلال الهجوم الإسرائيلي على غزة – نائب وكيل وزارة الخارجية «فريدون سينرلي» إلى تل أبيب حاملاً رسالة خاصة من «أردوغان» إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي «إيهود أولمرت» يطالبه فيها بوقف العدوان على غزة، إلا أن إسرائيل واصلت قصفها لمنازل المدنيين بالقنابل الفسفورية، ولحفظ ماء الوجه طلبت وزيرة الخارجية الإسرائيلية الإذن من تركيا بأن تسافر إلى أنقرة لشرح سياسة إسرائيل إلى الحكومة التركية، فجاء الرد واضحًا وحازمًا من الجانب التركي:

«نحن في تركيا نرحب بتلك الزيارة، ولكن بعد وقف العدوان على غزة»، وفي حوار لمراسلة جريدة نيوزويك الأمريكية «لالي ويموث» مع رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» عقب «حادثة دافوس» بين «أردوغان» و«شيمون بيريز» حول الهجوم الإسرائيلي على غزة، قال «أردوغان»: إنه كان هناك لقاء بينه وبين «إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلي يوم ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٨ في أنقرة، أي قبل الحرب الإسرائيلية على غزة في ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨، وأضاف «أردوغان»: «حين كنت أتحدث إلى «أولمرت» قلت بالنسبة إلى المحادثات الإسرائيلية الفلسطينية، إنه لن يكون من الصحيح عدم إشراك «حماس» في تلك المفاوضات، فقد خاضت الحركة الانتخابات كحزب سياسي وفازت بأغلبية مقاعد البرلمان، ولكن رئيس الوزراء «أولمرت» قال إنه لا يستطيع عمل شيء كهذا»، وأضاف «أردوغان» قوله: «سألت رئيس الوزراء «أولمرت»: كم قتل جراء إطلاق صواريخ حماس؟ منذ ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ قتل نحو ١٣٠٠ شخص في غزة، وجرح ٦٠٠٠ شخص، ولم تسلم أي بنية تحتية، لم يسلم مبنى، تم تدمير كل شيء، إن غزة هي عبارة عن كومة من الحطام والدمار الكامل، وهي معلقة جميعها، وهي خاضعة لحصار كامل، أنا لا أقول إن حماس هي منظمة جيدة، ولا ترتكب أخطاء، لقد ارتكبوا أخطاء، ولكنني أقوم هنا بتقييم النتيجة النهائية». وهكذا أكد رئيس الوزراء التركي أهمية مشاركة

حماس في أي مفاوضات مقبلة مع إسرائيل، إذا أراد الجانب الإسرائيلي فعلاً التقدم في عملية السلام، ولماذا لا تنظر إسرائيل إلى حماس كحركة تحرير وطني تسعى إلى استرداد بعض ما اغتصب من أراضيها؟ وهل نسيت إسرائيل قرار التقسيم رقم ١٨١؟ وفي هذا السياق نتساءل: ماذا حدث في جلسة غزة التي انعقدت على هامش المنتدى الاقتصادي في دافوس بسويسرا يوم الخميس ٢٩ يناير ٢٠٠٩؟

دافوس تصفق لأكاذيب بيريز !!

بدأت الجلسة بكلمة الأمين العام للأمم المتحدة «بان كي مون»، ثم كلمة رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان»، أعقبها كلمة الأمين العام للجامعة العربية «عمرو موسى»، أما الرابع والأخير، فكان الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز»، وكان المقرر للجلسة ساعة كاملة خصص لكل متحدث من المتحدثين أربعة عشر دقائق. وجاءت كلمة «أردوغان» تفيض بالحماس والقوة، أكد فيها عدم التكافؤ بين القوتين الإسرائيلية والفلسطينية، وألقى الضوء على ما تملكه حماس من صواريخ بدائية، لم تحدث خسائر تذكر على الجانب الإسرائيلي، بينما إسرائيل تملك من أدوات التدمير ما أدى إلى تحويل غزة إلى ركام. كما دافع في كلمته عن حق الفلسطينيين في عيش كريم في دولة مستقلة

إلى اللحظة التي أنهى فيها «بيريز» كلمته التي صفق فيها الحاضرون، وزيف فيها الحقائق، حيث صفق له الحاضرون عندما قال عن محرقة غزة: «إننا لم نقصف النساء والأطفال الفلسطينيين في حصار أفران الغاز، مثلما جرى لنا في الهولوكوست».

أردوغان يرفض ادعاءات بيريز

كان قد بقيت ثلاث دقائق على نهاية الجلسة، وقابل «أردوغان» التصفيق الحاد الذي ناله «بيريز» على كلمته المضللة المليئة بالأباطيل والدعاوى الكاذبة، فطلب من رئيس الجلسة بعض الوقت للرد على ما قاله «بيريز» لكنه حصل على ثلاث دقائق فقط وجه فيها اللوم على جمهور الحاضرين قائلاً: «عار عليكم التصفيق» ولكن الوقت لم يسعفه للرد على أباطيل بيريز حيث لم يمنحه رئيس الجلسة سوى الدقائق الثلاث، انتهى بعدها اللقاء، استعدادًا للجلسة التالية، فما كان من «أردوغان» إلا أن انفجر غاضبًا وهو يقول إنه «لن يأتي إلى دافوس مرة أخرى» وانسحب من الجلسة محتجًا على أنه لم يمنح الوقت الكافي للرد على كلمات «شيمون بيريز» الذي منح ٢٥ دقيقة وهي ضعف وقته المخصص، فما كان من «عمرو موسى» إلا أن صافحه مؤيدًا على تعقيبه، ونتساءل: لماذا جامل رئيس الجلسة الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز» ومنحه ٢٥ دقيقة أي بزيادة ١٥ دقيقة، ولم يمنح رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» الوقت الكافي للتعقيب على كلمة «بيريز»؟ وفي هذا الصدد قال

«أردوغان» في مؤتمر صحفي عقب وصوله إلى أسطنبول «إن الرئيس الإسرائيلي كان في كلمته يستخدم ويشير إليه وكأنه يهدده» وأضاف «إن الكلام الذي قاله «بيريز» لا يليق برئيس دولة، وتضمن العديد من العبارات المهينة، ولم يكن ممكنا أن يقبل اتهاماته، ومواقفه المتصلبة التي عبر عنها في مداخلته». وقال «أردوغان» «إن الرئيس الإسرائيلي استخدم عبارات لا تليق بعمره ومنصبه لتبرير العدوان على غزة بكلام يخالف الحقيقة، والتاريخ يرفض تلك الأكاذيب» ومن جانبها اتهمت السيدة «أمينة أردوغان» قرينة رئيس الوزراء التركي «أردوغان» - وهي تبكي - الرئيس الإسرائيلي بالكذب، وقالت «إن إسرائيل لم تكن تدافع عن نفسها، وإنما تقتل عمدا الأطفال والنساء في غزة بكل وحشية»

وقد احتل موقف رئيس الوزراء التركي صدر الصفحات الأولى للصحف التركية، وتراوح وصفها لموقفه الرافض لأكاذيب الرئيس الإسرائيلي حول غزة، بالصدمة، والصفعة التاريخية، والموقف الحاد وبات رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في نظر الشعب التركي بصفة خاصة والشعب العربي بصفة عامة «سياسيا شجاعا» يدافع عن القضية الفلسطينية، عندما اتهم الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز» في مؤتمر دافوس بسويسرا على مرأى ومسمع من العالم بأنه «يعرف كيف يقتل الفلسطينيين في غزة» ورغبة في إنهاء الأزمة الناشئة عن حادث دافوس يوم الخميس ٢٩ يناير ٢٠٠٩ قال الرئيس الإسرائيلي: «إن إسرائيل لا ترغب في إثارة أي توتر مع تركيا» وشدد على «أن إسرائيل لا تريد مشكلات مع تركيا. لأن خلافاتها ليست معها بل مع الفلسطينيين» وأعرب «بيريز» عن أمله في «أن تواصل تركيا القيام بدور الوساطة في المنطقة. وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي المستقيل «إيهود أولمرت» «إن تركيا اعتبارات داخلية، وهي دولة إسلامية، تعيش أجواء انتخابات» وأضاف «إن العلاقات بين إسرائيل وتركيا مهمة للطرفين والأتراك يتفهمون التزامنا محاربة الإرهاب» انظر كيف يتحدث القادة الإسرائيليون بخبث ودهاء سياسي. فهم يقولون إن العلاقات الإسرائيلية التركية علاقات مهمة للطرفين والإيحاء إلى تركيا بأنها كما تحارب إرهاب عناصر حزب العمال الكردستاني، فإن إسرائيل أيضا تحارب إرهاب فصائل المقاومة الفلسطينية، لتبرير عدوانها.

استفزاز!!

ومن جهة أخرى نجد الجنرال الإسرائيلي «آفي مزراحي» قائد القوات البرية الإسرائيلية يسارع في الرد على ما قاله رئيس الوزراء «رجب طيب أردوغان» للرئيس الإسرائيلي في دافوس. فنقلت صحيفة هآرتس الإسرائيلية عن «مزراحي» قوله «إن تركيا ليست في وضع يسمح لها بانتقاد الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين، في حين تحتفظ بجنود لها شمال قبرص». كما اتهم تركيا بـ «اضطهاد الأقلية الكردية، وبإبادة الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى. ومن المعروف أن تركيا تحتفظ بنحو ٣٠ ألف جندي شمال قبرص منذ غزوها للجزيرة عام ١٩٧٤، لإحباط محاولة انقلاب من جانب القبارصة اليونانيين، وتركيا هي الدولة الوحيدة التي تعترف بحكومة للقبارصة الأتراك هناك. كما تقاتل تركيا أيضا منذ ٢٥ عاما انفصاليين أكرادا، يسعون إلى إقامة وطن كردي جنوب شرقي تركيا.

وقد سارعت الخارجية التركية إلى تقديم مذكرة احتجاج للسفير الإسرائيلي في أنقرة، وصفت تصريحات الجنرال «مزراحي» بالمهينة، وطالبت بإيضاحات بهذا الخصوص ثم أصدرت قيادة الأركان التركية «بيانا شديدا» جاء فيه «إن القائد الإسرائيلي تجاوز حدوده وإن تصريحاته تضر بالعلاقات بين البلدين»

ويرى محللون أتراك أن خير من يفهم الرسالة ويرد عليها هو قائد الأركان الإسرائيلي فإسرائيل تحتل أراضي الغير منذ عام ١٩٦٧، ومدافعو عن الاحتلال يرون فرصة القيام بمذابح تقشعر لها الأبدان في المناطق التي احتلتها. أما تركيا فلم تحتل قطعة أرض واحدة خارج حدودها في عام ١٩١٤، بل خسرت بعض أراضيها نتيجة الحرب

وفي هذا السياق كتب المحلل السياسي «طه أكيول» في جريدة ملليت التركية بتاريخ ٢/٢/٢٠٠٩ يقول ردا على هذيان «آفي مزراحي»: «إن تشبيه ما قامت به الدولة العثمانية من تدابير أمنية ردا على تحالف الأرمن والروس عليها، في الحرب العالمية الأولى، بالاحتلال الإسرائيلي القائم أمر خارج عن المنطق والعقل، بل هو إعلان عداء وكراهية. أما عناصر «حزب العمال الكردستاني» فهم في نهاية المطاف، مواطنون في تركيا، يحملون السلاح، ويمارسون الإرهاب من أجل مطالب سياسية، ومن العبث مقارنة مكافحة تركيا هجمات هؤلاء العناصر، وهم ليس لهجماتهم سند قانوني، أو قرار دولي يشرع حركتهم، بالمجازر التي ترتكبها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية ضد قوى المقاومة» وأضاف «أكيول» قوله: «إلى هذا فدخول الجيش التركي إلى شمال قبرص، إنما تم وفق اتفاقية الضمان التي قامت عليها الجمهورية القبرصية ولا يصح إغفال ما سوغ تدخل الجيش التركي، وهو الانقلاب العسكري القبرصي الذي أعلن بغير وجه حق ضم قبرص إلى اليونان. وأعاد الجيش التركي للجزيرة الأمن والاستقرار بعد عقد كامل من الحرب الأهلية في قبرص» وختم «أكيول» ما كتبه بقوله: «وفي الأحوال كلها، ليس الرد على أردوغان، مهمة الجنرال «آفي مزراحي» فهو لا يرقى إلى ذلك. وليس من حق أحد الرد على تركيا، واتهامها بالباطل، وتشبيهها بنفسه»

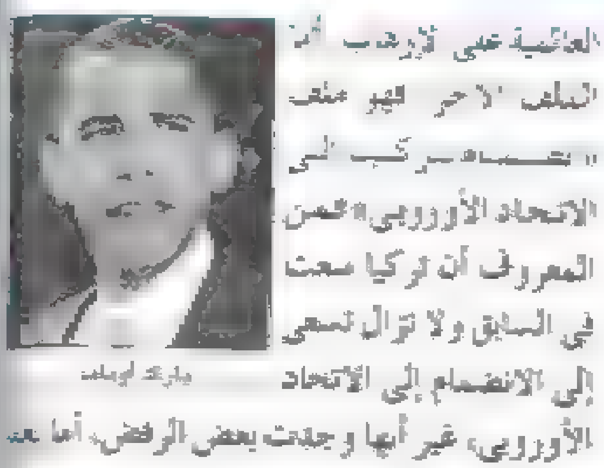
ويذهب محللون سياسيون إلى أنه يمكن تحديد الأضرار الناجمة عن فتور العلاقات التركية الإسرائيلية بسبب ما حدث بدافوس يوم الخميس ٢٩ يناير ٢٠٠٩، بين «شيمون بيريز» و «رجب

طيب أردوغان» في عدة ملفات يأتي على رأسها ملف الأرمن، حيث يستعد مشرعون موالون للأرمن في مجلس النواب الأمريكي لتقديم مشروع قرار يطالب الإدارة الأمريكية بالاعتراف رسمياً بوقوع إبادة جماعية بحق الأرمن على يد الدولة العثمانية، فقد ذكرت جريدة «جريت» التركية يوم السبت ٧ فبراير ٢٠٠٩ «أن مشروع القرار سيقدمه أربعة نواب هم الديمقراطي «آدم تشيف» عن كاليفورنيا، والجمهوريون «فرانك بالون» عن نيوجرسي، و «جورج راد نوفيتش» عن كاليفورنيا، و «مارك كيرك» عن إلينوي».

معركة بين تركيا وأمريكا !!

ويرى المحلل السياسي التركي «إبراهيم إقبال» أنه من المتوقع «أن يدفع «باراك أوباما» الرئيس الأمريكي الجديد نحو اعتراف بوقوع إبادة جماعية بحق الأرمن، لأن رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» لن يغير من مواقفه الحالية المنتقدة بشدة لإسرائيل على خلفية عدوانها الأخير على قطاع غزة، حيث صارت تركيا مقتنعة بقدرتها على تبني سياسة مستقلة عن الولايات المتحدة في المنطقة».

وكشف «إقبال» عن أن الحكومة التركية تستعد حالياً لمعركة دبلوماسية مع الولايات المتحدة، في أروقة الأمم المتحدة، إذ تعتزم أنقرة لاتهام واشنطن في المقابل بارتكاب إبادة جماعية في أفغانستان والعراق، ضمن ما تسميه الحرب





باراك أوباما

العالمية على الإرهاب أما الملف الآخر فهو ملف «انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي» فمن المعروف أن تركيا سعت في السابق ولا تزال تسعى إلى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، غير أنها وجدت بعض الرفض، أما بعد حادث دافوس فستجد كل الأبواب موصدة أمامها ولن تفلح أبدا في تحقيق مسعاها [illegible] ظلت العلاقات الإسرائيلية التركية متوترة خاصة أن آلة الضغط الإسرائيلية، ستتحرك في اتجاه وأد حلم الأتراك إلى الأبد، ومن ناحية أخرى فإن موقف «أردوغان» المناهض للاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية قد يوقف الدعم الأمريكي تجاه أنقرة في حربها ضد عناصر حزب العمال الكردستاني الذي تعاني نزعته الانفصالية منذ عام ١٩٨٤. وفي الختام يمكن القول أن الموقف التركي من مذبحة غزة التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي بحق المدنيين، يعد بمثابة موقف بطولي ومجيد، كما هو شأن تركيا بدعمها للقضية الفلسطينية، قديما وحديثا، وعلى الرغم من علاقتها الاستراتيجية مع إسرائيل، فإنها تؤمن بعدالة هذه القضية، وبحق الفلسطينيين في استرداد أرضهم وإقامة دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس. ولعل زيارة الرئيس التركي «عبدالله جول» مؤخرا إلى السعودية تأتي في هذا الإطار

بين الصحف والمجلات

للأستاذة / علا عبدالرحمن

مؤتمر شرم الشيخ لإعمار غزة

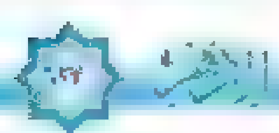
نشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٢/٣/٢٠٠٩ تغطية شاملة لمؤتمر إعادة إعمار غزة تذكر فيه ما كتبه الأستاذ محمد أمين المصري

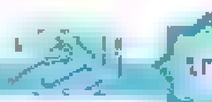
شهد مؤتمر إعادة إعمار غزة نجاحا كبيرا فاق سقف المطالب الفلسطينية، فقد تعهدت الدول المانحة في نهاية الختامي للمؤتمر بتقديم مساعدات تصل إلى ٤ مليارات و ٤٨١ مليون دولار أمريكي لإعمار غزة للعامين المقبلين، والتزموا بالبدء في توزيع هذه التعهدات في أسرع وقت ممكن، من أجل سرعة تأثير على الحياة اليومية للفلسطينيين.

فقد أعلنت الولايات المتحدة تقديم مساعدات للفلسطينيين قيمتها ٩٠٠ مليون دولار منها ٣٠٠ مليون دولار لغزة و ٦٠٠ مليون للضفة الغربية

كما أكدت المفوضية الأوروبية أنها ستقدم ٥٥٤ مليون دولار وتعهدت دول الخليج بدفع ١,٦٥ مليار دولار، وأعلنت إيطاليا تقديم ١٠٠ مليون دولار، وبريطانيا ٣٠ مليون جنيه استرليني.

وقد أكدت مصر أن إعادة إعمار غزة ليست رهنا بتعهدات الدول المانحة من أموال، لكنها رهن بتجاوب إسرائيل لإعادة فتح المعابر، ورفع الحصار، والتجاوب مع الجهود الدولية والمصرية لتحقيق التهدئة، وتنفيذ عناصر المبادرة المصرية





كما أكدت مصر عزمها مواصلة اتصالاتها مع جميع الدول المحبة للسلام للضغط على إسرائيل، لأن بقاء عدم رفع التهدئة ومصير مليون ونصف مليون فلسطيني بمصير شخص واحد هو جندي شاليط وشددت مصر على عزمها مواصلة جهودها لإدخال مساعدات الإغاثة الإنسانية لاحتواء الوضع المتدهور منذ بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.

وكان الرئيس حسني مبارك قد افتتح المؤتمر الدولي لإعادة إعمار غزة الذي عقد في شرم الشيخ بحضور رؤساء ووزراء خارجية وأعضاء وفود نحو ٨٧ دولة ومنظمة ومؤسسة مالية وإقليمية ودولية.

وأعرب الرئيس مبارك في كلمته عن أمله في أن يسفر المؤتمر عن نتائج إيجابية تسهم في دعم الاقتصاد الفلسطيني، وقال: إن أموال العالم لا يمكنها أن تعيد من سقط من الشهداء، أو أن تعوض الجرحى والمصابين من المدنيين الأبرياء، لكنا كمجتمع دولي يمكننا أن نفعل الكثير لإعادة إعمار ما دمر من المرافق والمنشآت والبنية الأساسية والمساكن وغير ذلك من مقومات الحياة.

أزمة دارفور والمصالح الامريكية والاسرائيلية

تحت عنوان «قضية دارفور.. نموذج لصناعة جماعات الضغط في الغرب» كتب الأستاذ مصطفى غراب كلمته المنشورة في جريدة الأهرام بعددها الصادر في ٢٠٠٩/٣/٥ قائلا:

شهدت قضية دارفور تطورا سريعا خلال فترة زمنية وجيزة تحولت خلالها من أزمة محلية خالصة إلى قضية إقليمية ودولية واسعة النطاق، لعبت فيها الآلة الإعلامية الغربية دورا أساسيا في الدفع بها نحو صدارة الأحداث العالمية بسبب أسلوب التغطية الإعلامية الذي ركز على وجود جرائم حرب وإبادة جماعية ترتكبها الحكومة السودانية في هذا الإقليم مع بعض الأطراف ذوي الأصول العربية ضد القبائل الأفريقية

فقامت نحو ٣٢ جماعة ضغط أمريكية بتشكيل ما يعرف بتحالف «إنقاذ دارفور»، والذي انطلق من متحف الهولوكست في نيويورك سعيا لعولمة قضية دارفور وتصعيدها والدعوة إلى التدخل المسلح ثم وصفوه بإنقاذ الأهالي من المذابح البشرية التي يتعرضون لها على أيدي القوات السودانية.

وقد لعبت الضغوط الإعلامية دورا مهما في تشكيل المواقف السياسية تجاه الأزمة، حيث اعتبرت أمريكا أن ما يحدث في دارفور يمثل جرائم حرب ضد الإنسانية، وذلك على لسان رئيسها السابق جورج بوش الذي امتدح جماعة «إنقاذ دارفور» التي ساهمت في زيادة الوعي الدولي بالأزمة.. على حد زعمه هذا إلى جانب التقرير الذي صدر في عام ٢٠٠٨ لآفي ديختر وزير الأمن الداخلي في إسرائيل حول دور الجماعات اليهودية والمنظمات المرتبطة بإسرائيل في لعب دور مؤثر في تصعيد تلك الأزمة ودفعها

لمزيد من التعقيد لمصلحة الاستراتيجية الإسرائيلية.

وهنا لابد من ذكر أن أزمة دارفور اندلعت قبل الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م لأسباب داخلية، وكانت المشكلات عادة تحل بعد تدخل زعماء القبائل إلا أن الاحتقان السياسي خلال السنوات الأخيرة أدى إلى ظهور ميليشيات مسلحة وحركات متمردة حالت دون الوصول إلى حل مثل هذه المشكلات العابرة بين القبائل بفعل التدخل الأجنبي في الإقليم وقد حاولت الولايات المتحدة والدول الغربية، وعلى رأسها بريطانيا وألمانيا وفرنسا تصعيد الأزمة ودعم حركات التمرد ضد حكومة الخرطوم، واستصدرت قرارات من الكونجرس ومجلس الأمن الدولي وصلت إلى ما يقرب من الثلاثين قرارا منذ عام ٢٠٠٤م حتى عام ٢٠٠٨م ضد الرئيس السوداني ورفع الأمر إلى المحكمة الجنائية الدولية لإصدار قرار بتوقيف البشير حتى وصلت الأزمة إلى المستوى الذي أصبحت تمثل فيه تهديدا خطيرا لوحدة السودان وسلامة أراضيه.

والحقيقة أن الولايات المتحدة مندفعة للتدخل في شئون السودان لأسباب متعددة سياسية واقتصادية، حيث تهدف أمريكا إلى تحقيق استراتيجية عالمية للسيطرة على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م عن طريق السيطرة على مناطق منابع النفط التي ظهرت بكميات كبيرة جنوب السودان، وإبعاد الشركات الصينية والماليزية والهندية من السيطرة على بترول الإقليم، إلى جانب تحقيق مصالح الأجندة الإسرائيلية المرتبطة بالمصالح الأمريكية بالسيطرة على قلب العالم القديم وأفريقيا عن طريق التحكم والسيطرة على مصادر المياه ومنابع النيل بالشكل الذي يخدم المصالح الإسرائيلية، كذلك إبعاد رءوس الأموال العربية من الاستثمار في السودان، وإعلاء مكانة الثقافة الإفريقية والمسيحية على حساب الثقافة الإسلامية والوجود العربي.

.. وهكذا أصبحت التدخلات الأجنبية تشكل أحد أهم العوامل التي تحول بين الأزمة والاتجاه نحو الحل فقد انتقلت العملية السلمية في السودان عبر أربع محطات أساسية بدأت باتفاق أبشي عام ٢٠٠٣ ثم اتفاق انجامينا ٢٠٠٤م إلى أن وصلت إلى محطة أبوجا عام ٢٠٠٦م، لكن تعدد الأجندات الخاصة بالأطراف المؤثرة حيال الاتفاق أنذر بتداعي وتصاعد أحداث الأزمة بهذا الشكل الخطير.

الديمقراطية الإسرائيلية: هدم مساكن العرب لإنشاء الحدائق!

تحت عنوان «رحمة باعه» كتب الأستاذ أحمد بهجت مقالا في عموده «صندوق الدنيا» المنشور في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٢٤م قائلا:

خرجت من بلدية القدس عدة أوراق تنذر ألفا وخمسمائة ساكن بأن عليهم إخلاء بيوتهم لأن الحكومة

الإسرائيلية سوف تهدم مساكنهم وستحول المساكن في المنطقة إلى حديقة غناء.

أين يذهب العرب بعد هدم منازلهم وتحويلها إلى حديقة؟!

هذه ليست مشكلة السكان الإسرائيليين، إنما هي مشكلة السكان العرب، وعلى هؤلاء أن يقدحوا زناد فكرهم، وأن يبحثوا لهم عن مكان آخر في الصحراء الواسعة. ما الهدف الحقيقي من كل هذا التحرك المستمر والهدم الذي لا يتوقف؟!

إن الهدف هو تغيير وجه مدينة القدس والتخلص من العرب.

كان العرب يشكلون أغلبية في فلسطين حتى بدأت عمليات التهجير، ومع استمرار هذه السياسة من الميزان ٨٦٪ ولم يبق أمام العرب سوى الجزء الباقي.

ويستمر إخلاء المساكن والتخلص من العرب وبناء المستوطنات وحصار القدس داخل حزام المستوطنات!

وتلعب قوانين البناء دورها المرسوم لها في منع أي رخصة للبناء.

من الذي يمنح رخصة البناء؟

إنها البلدية والمحكمة والبوليس، والبلدية لا تمنح أي رخصة، وكذلك المحكمة، ويبقى البوليس ومهمته حراسة السياسة العامة والتأكد من أن أحدا لم يحصل على رخصة للبناء، والتأكد أن البنايات المحطمة بقذائف الطيران قد سويت بالأرض ولم تعد تصلح لشيء!

هذا هو الفعل الجاري في إسرائيل هذه الأيام، ما رد الفعل؟ أو ما صداه؟ إن صداه هو نفس صدى الحفر تحت المسجد الأقصى، ترعد وتزبد وتغضب وتهدد، والويل والثبور وعظائم الأمور، ثم يغلق الستار مرة أخرى وينصرف كل واحد لحال سبيله!

الإرهاب وحادث الحسين

كتب الأستاذ محمد الزرقاني مقالا في عموده «مجرد اجتهاد» المنشور في جريدة «اللواء الإسلامي» بتاريخ ٢٦/٢/٢٠٠٩م يقول فيه:

بعد سنوات من ابتعاد شبح الإرهاب عن تراب مصر، عاد من جديد ليطل برأسه، وكانت «الضربة» هذه المرة في ميدان «الحسين» أحد أشهر ميادين القاهرة الشعبية والسياحية، وهو الميدان المشهور بعبقه التاريخي والروحي، والذي يأتيه السياح من جميع أنحاء الدنيا، كما يحضر إليه المصريون من جميع أنحاء مصر لزيارة مسجد الحسين.

ومهما حاول الإرهاب الأسود أن يعبث بأمن مصر ومقدرات شعب مصر، فإن مصر سوف تبقى دائما

دار أمن وأمان لأبنائها وضيوفها، وسيحفظها الله - عز وجل - من كل شر، وسوف يرتد سهام الحقد والعدوان إلى نحور من يطلقونها، ومصر أيضا ستبقى قادرة - بعون الله - على حماية ضيوفها الذين يأتون إليها للسياحة والزيارة، وستبقى مصر قوية بأبنائها ورجالها ودينها.

أوباما يعلن انسحاب الجيش الأمريكي من العراق

نشرت جريدة «أخبار اليوم» بعددها الصادر في ٢٨/٢/٢٠٠٩م تقريرا إخباريا ذكرت فيه:

في خطاب ارتقبه الملايين أعلن الرئيس الأمريكي باراك أوباما انتهاء الأعمال القتالية للجيش الأمريكي في العراق بحلول ٣١ أغسطس عام ٢٠١٠، والإبقاء على قوة من ٣٥ ألفا إلى خمسين ألف جندي قبل انسحاب كامل بحلول نهاية ٢٠١١ طبقا للمعاهدة الأمنية الموقعة بين البلدين.

وفي ظل خطط أوباما لتعزيز الجهود العسكرية الأمريكية في أفغانستان أعلن الرئيس الأمريكي عن إرسال ثمانية آلاف جندي إلى الأنحاء الأفغانية للسيطرة على الوضع الأمني في البلاد.

ومن ناحية أخرى أعلن وزير الخارجية البريطاني ديفيد ميليباند أن دور بلاده في العراق سيتحول إلى اقتصادي وثقافي في المستقبل القريب، بدلا من التواجد العسكري الحالي.

التضامن الإسلامي وذكرى مولد الرسول ﷺ

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية تقول» كلمته بالعدد الصادر بتاريخ ٩/٣/٢٠٠٩م يقول:

تحتاج الدول الإسلامية أكثر من أي وقت مضى، إلى التضامن والعمل المشترك لمواجهة التحديات في فلسطين والعراق والصومال ودارفور، وحماية الأقليات الإسلامية التي تواجه الاضطهاد والعنصرية في العديد من الدول الغربية، وكذلك ما تعانيه الشعوب العربية والإسلامية من آثار سلبية لازدواجية المعايير، خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والعدوان الإسرائيلي الذي لا يتوقف على شعب فلسطين وأرضها المقدسة، والذي يعتمد القتل بدم بارد وفي نفس الوقت يزرع المستوطنات لتغيير الواقع الجغرافي والسكاني لهذه الأرض، ولمدينة القدس العربية.

كما تحدث المحرر عن احتفالات مصر والعالم الإسلامي أجمع بذكرى مولده الطاهر، واسترجاع مواقفه الحاسمة، والمبادئ التي حفل بها كتاب الله - القرآن الكريم - وسنة النبي محمد - ﷺ - الطاهرة وهي الذكرى التي تفرض علينا تأمل مسيرة الحضارة الإسلامية وتعاملها مع الغير بالوسطية واحترام حريات الآخرين.

طرائف .. ومواقف



من وصايا عبدالله بن الحسن لابنه

أوصى عبدالله بن الحسن ولده فقال:

أى بنى: إنى مؤد حق الله فى تأديبك، فأد إلىّ حق الله فى الاستماع منى، أى بنى: كف عن الأذى، وارفض البذاء، واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى الكلام، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب. واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشا، لأنه يرديك بمشورته واعلم يابنى أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائماً ووجدت هواك يقظان، فإياك أن تستبد برأيك فإنه حينئذ هواك، ولا تفعل فعلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا ترديك، وأن نتيجته لا تجنى عليك، وإياك ومعاداة الرجال، فإنك لن تعدم مكر حليم، أو معاداة لئيم.

قيل إن أعرابية اعترضت المنصور بطريق مكة بعد موت السفاح فقالت له: «ياأمير المؤمنين قد أحسن الله إليك فى الحالين، وأعظم عليك النعم فى المنزلتين: سلبك خليفة الله، وأفادك خلافة الله، فاحتسب عند الله ما سلبك، واشكر له ما منحك».

ووقف أعرابى على قوم يسألهم فقال:

«يا أرباب الوجوه الصباح، والعقول الصحاح، والصدور الفساح، والألسن الفصاح، والمكارم الرباح، هل فيكم من يسمع كلامى، فيعذرنى من مقامى»؟

قال شاعر فى هذا المعنى:

جود الكرام إذا ما كان عن عدة
وقد تأخر لم يسلم من الكدر
إن السحائب لا تجدى بوارقها
نفعاً إذا هى لم تمطر على الأثر
وماطل الوعد مذموم وإن سمحت
يداه من بعد طول المطل بالبدر

وقال الشاعر الحكيم:

ألا أيها المستطرف الذنب جاهراً
هو الله لا تخفى عليه السرائر
فإن كنت لم تعرفه حين عصيته
فإن الذى لا يعرف الله كافر
وإن كنت عن علم ومعرفة به
عصيت فأنت المستهين المجاهر
فأية حاليك اعتقدت فإنه
عليم بما تطوى عليه الضمائر

قال بعض الحكماء: فصل ما بين الرأى والهوى، أن الهوى يخص والرأى يعم. وأن الهوى فى خير العاجل، والرأى فى خير الآجل، والرأى يبقى على طول الزمان، والهوى سريع الدثور والاضمحلال، والهوى فى حيز الحس، والرأى فى حيز العقل.

وأوصى بعض الحكماء رجلا فقال: آمرك بمعاندة هواك، فإنه يقال: إن الهوى مفتاح السيئات، وخصيم الحسنات، وكل أهوائك لك عدو، وأقواها هوى يكتمك فى نفسه، وأعداها هوى يمثل لك الإثم فى صورة التقوى، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن، وصدق لا يطمع فيه تكذيب ومضاء لا يقاربه التثبيط، وصبر لا يغتاله جزع، ونية لا يقسمها التضييع

وقد قيل: ما أبين الخير والشر فى مرآة العقل ما لم يصدئها الهوى! وقيل أيضاً من جرى مع هواه طلقاً، جعل عليه للفشل طرقا.

قيل لبزرجمهر: أى شىء أستر للعى؟ قال: عقل. قالوا: فإن لم يكن له عقل؟ قال: فمال. قالوا: فإن لم يكن له مال؟ قال: فإخوان يعبرون عنه. قالوا: فإن لم يكن له إخوان؟ قال يجلس صامتاً.

وقال شاعر:

وما حسن الرجال لهم بزين
إذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيباً أن تراه
له وجه وليس له لسان

انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل ولا جاهلاً فيخون.

مصداقاً لقول الشاعر:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذى يستودع السر أضيق

فما من يد إلا يد الله فوقها
وما من ظالم إلا سيبلى بظالم

اللهم أنزل على قبورنا الضياء والنور والفسحة والسرور، وجازنا بالحسنات إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً.

برعاية الرئيس اليمني علي عبدالله صالح

مائة عالم ومفكر يبحثون قضايا التجديد في الفكر الإسلامي

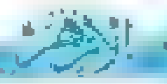
رسالة صنعاء: عاطف مصطفى

يقول الرسول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».
حيث يعد التجديد في شريعتنا الإسلامية ليس فقط ضرورة دينية، لكنه يصل إلى مرتبة الفريضة الدينية. فالأحكام الإسلامية قطعية الدلالة والثبوت أعدادها محدودة، أما الوقائع الاجتماعية والاقتصادية والحياتية بشكل عام فإنها غير متناهية والشريعة الإسلامية صالحة لكل مكان وزمان، فكيف يمكن تحقيق هذا الصلاح، مع استمرار المتغيرات والمستجدات العصرية والحضارية في كل عصر وزمان؟

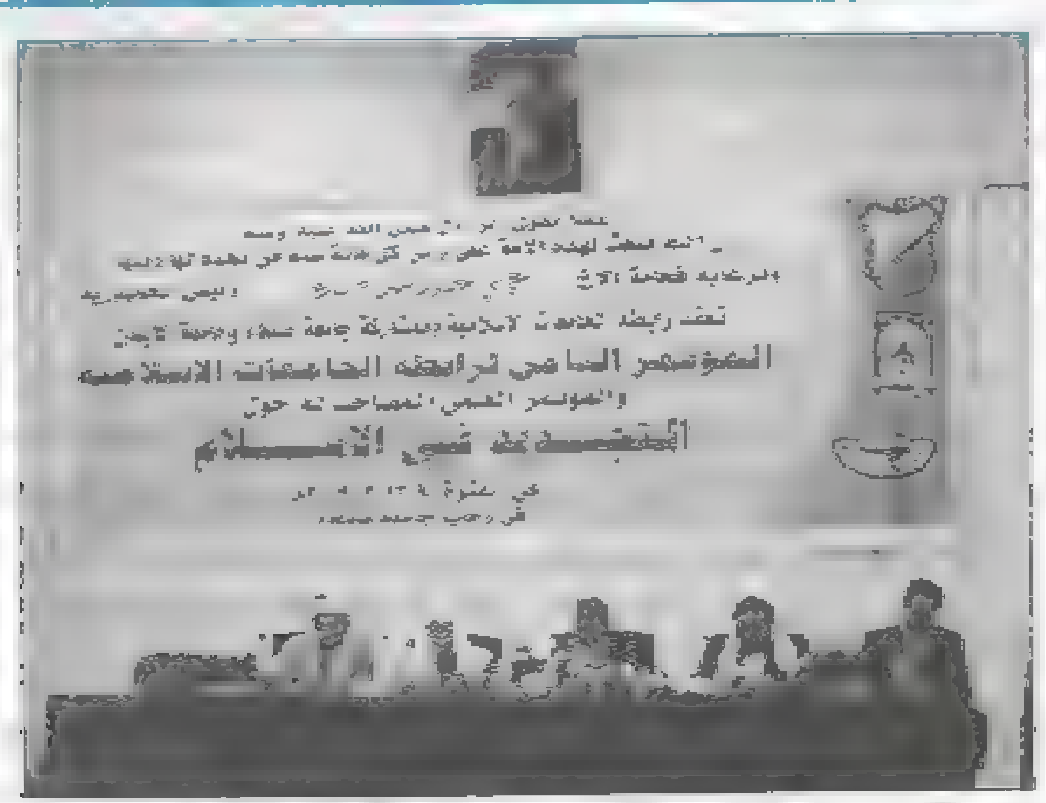
هنا أرسى الإسلام آلية ذاتية، وهي آلية التجديد، والتي تعني العودة بالإسلام إلى النقاء والصفاء، وتطهير الفكر الإسلامي من كل ما علق به من شوائب وبدع دخيلة، بسبب طول الأمد وتزايد الاحتكاك الثقافي مع ثقافات وحضارات لا تتفق مع ثوابت الإسلام ومرتكزاته الرئيسية.

في هذا الإطار عقدت رابطة الجامعات الإسلامية مؤتمرها الثامن في رحاب جامعة صنعاء باليمن والمؤتمر العلمي المصاحب له حول «التجديد في الإسلام» حضره أكثر من مائة عالم ومفكر في الجامعات الإسلامية الأعضاء بالرابطة التي يزيد عددها على أكثر من مائة وعشرين جامعة، فضلا عن عدد من المفكرين الغربيين، وقد بدأت فعاليات المؤتمر يوم الاثنين ١٢ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٩ فبراير ٢٠٠٩ ولمدة ثلاثة أيام تحت رعاية الرئيس اليمني علي عبدالله صالح.

وقال الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية: إنني أعبر عن سعادتي بعقد هذا المؤتمر في اليمن دار الإيمان ودار السعادة، كما كان يعرف بها دائما، ودار الحكمة أيضا، فالإيمان يمان والحكمة يمانية.



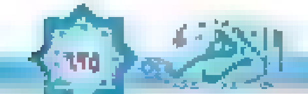




والرابطة تضم في عضويتها أكثر من مائة جامعة، ونحن اليوم نعقد في اليمن المؤتمر الثامن للجامعات الإسلامية، وعادة ما يواكب المؤتمر مسائل تنظيمية، تتصل بالإدارة وما نراه الجامعات من انتخاب رئيس الرابطة والأمين العام وإضافة أعضاء إلى المجلس التنفيذي وغيرها.

وأشار إلى أن جامعتي صنعاء والإيمان واللتين تعدان من أهم الجامعات في اليمن استضافتا فعاليات المؤتمر، والمؤتمر العلمي حول التجديد في الفكر الإسلامي، قائلا: إن هناك معنيين أساسيين للتجديد، معنى أننا نعيد الشيء إلى ما كان عليه وقت نزول الرسالة، وأيضا تناول القضايا والمشكلات الجديدة التي لم تبحث من قبل لإنزال الحكم الشرعي عليها.

وعسطرة الاجتهاد، مسطرة إخراج الحكم الشرعي، لأننا نتمسك بها في اليمن، لأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - عندما أرسل



معاذ بن جبل إلى اليمن ليكون قاضيا وحاكما بين الناس، سأله: بم تقضي؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد.

تلك مسطرة الاجتهاد، وهي أساس علم أصول الفقه، وهو علم مهم جدا، أعتقد أن أهميته تأتي من أنه يعلمنا منهج البحث وكيفية استخراج الحكم الشرعي.

وأوضح الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية أن المؤتمر ومن خلال جلساته سوف يناقش موضوع إعداد المجتهدين بشكل عام، حيث يتم التركيز على إعداد أجيال صاعدة من العلماء والمجتهدين، وذلك من خلال ورشة عمل خاصة على هامش المؤتمر لمناقشة ذلك، وليكونوا قادرين على تحمل المسئوليات في عالمنا المتغير.

الاهتمام بتجديد الفكر الإسلامي

هذا وقد افتتح الدكتور صالح علي باصرة وزير التعليم العالي والبحث العلمي نيابة عن الرئيس اليمني فعاليات المؤتمر، وطالب بضرورة مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية سواء الداخلية أو الخارجية، ومنها العملية والعلمية والثقافية، وذلك بالاهتمام بتجديد الفكر الإسلامي وإعداد المجددين في الفكر الإسلامي مؤكدا على أن إصلاح المجتمعات وتقدمها مرتبط بالعلم والمعرفة، خاصة بالدين الإسلامي القويم والاهتمام بالتوازن بين علوم الدنيا والآخرة.

الدين بحاجة لمن يجدده

ثم ألقى معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية كلمته قال فيها: إن حفظ كتاب الله تعالى من أن تناله أيدي التحريف، وعد غير مكذوب، وعد به رب العالمين هذه الأمة:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(الحجر - ٩).

كما أن تجديد الدين وعد آخر وعدنا به على لسان رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». فكان هذا أمانا لها أن تزيغ عن الحق، أو تحيد عن الصراط المستقيم، مهما ادلهمت عليها الخطوب، وطمع أعداؤها أن يبلغوا أمانيهم منها.

وأشار د. التركي قائلا: ومن سنة الله تعالى في خلقه وحكمته في أمره أن جعل الدين يضعف في الأمة، ويبلى كما يبلى الثوب، لأسباب عديدة كالابتداع، وتأويل النصوص، وضعف التعليم، والتأثر بالثقافات الأجنبية المختلفة. فكان الدين بحاجة إلى من يجدده في الأمة، على تصرم الأزمان، فيرد له نصاعته ونقاءه.

ومسألة تجديد الدين ترتكز في أساسها على أمرين مهمين:

أحدهما: أن الدين أمر رباني لا يملك أحد من البشر أن يبدل منه شيئا أو يغير فيه:

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

(يونس - ١٥).

والثاني: أن الله قد أكمل الدين:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(المائدة - ٣).

فالدين كامل في ذاته، وإنما ينقص ويضعف في تطبيق الأمة له وتمسكها به، فيحتاج إلى من يحييه فيها، وهذا ما يتطابق مع قوله ﷺ: «من يجدد لها دينها».

ويبنى على هذا أن التجديد الديني لا يعني بحال من الأحوال التغيير لمفاهيمه ومضامينه، حتى تتوافق مع التغيرات التي تحدث في الفكر الإنساني العام.

وبين الدكتور عبدالله التركي أن واقعية الإسلام وانسجامه مع تطورات أساليب الحياة، لا يقتضي بالضرورة تقبل كل جديد، وتطويع أحكام الإسلام وتشريعاته لتستوعبه وتقره، فقد طرأت على الحياة المعاصرة أشياء هادمة للأخلاق والقيم، ومنحرفة بالفطرة البشرية عن سواء السبيل.

التحاور فيما هو مشترك

وقال: ومن الجوانب المهمة في التجديد وفق أسس الدين وثوابته، التعاطي والتحاور بين المسلمين وغيرهم فيما هو مشترك وما يؤدي إلى إسعاد البشرية والتخفيف من أزماتها، ولذا فإن رابطة الجامعات الإسلامية قد اختارت موضوع التجديد في الإسلام لأهميته، وضرورة وضوح الرؤية فيه، وفي ضوابطه الشرعية.

الحاجة إلى علماء قادرين على الاجتهاد

وفي كلمته في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر قال الدكتور عبدالمجيد الزنداني - رئيس جامعة الإيمان - إن الأمة في حاجة ماسة إلى تجديد فكرها وإيقاظها من غفلتها وإزالة جهالتها، وتذكيرها بحقائق الدين مشيرا إلى دور المجددين من العلماء والمفكرين للأخذ بنهضة الأمة، والجامعات الإسلامية لتخريج القادرين على الاجتهاد والتجديد، والذين يرثون النبي ﷺ في علمه وعمله مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: «العلماء ورثة الأنبياء».

وأكد الزنداني على احتياج الأمة اليوم في ظل ما يواجهها من تحديات ومتغيرات لهؤلاء العلماء القادرين على الاجتهاد، من أهل العلم والتقوى الذين أمر الله الأمة بالرجوع إليهم في كل شأنها كما قال تعالى منكرا على المنافقين:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(النساء: ٨٣).

كما أعرب رئيس جامعة الإيمان فى ختام كلمته عن أمله الكبير فى أن يضع المؤتمر العام الثامن للرابطة ومؤتمره العلمى حول تجديد الفكر الإسلامى لبنة قوية لإعداد القادرين على الاجتهاد والتجديد من أجل نهضة الأمة الإسلامية وحتى تواجه التحديات الكثيرة من حولنا.

الحفاظ على القيم الإسلامية هو الأساس للتجديد

وطالب رئيس جامعة صنعاء د. خالد طميم – بضرورة التكامل والتنسيق الفعال والشراكة الحقيقية بين الجامعات الإسلامية، من خلال منهج علمى واضح للعمل على تطوير الأداء، وتحقيق مفهوم الجودة الشاملة فى كل مناهج التعليم وليست المناهج الإسلامية فقط، منتقدا مستوى التعاون الحالى بين الجامعات الإسلامية، حيث لاتزال الاتفاقيات فيما بينها أقل من نظيراتها غير الإسلامية والعربية

وطالب بضرورة التجديد بعقلانية وبمنهج سليم وعلى أيدى علماء الدين المتخصصين. خاصة أن الحفاظ على القيم الإسلامية هو أساس اى تطوير أو تجديد، والعلاقة وثيقة بدون الإخلال بأصول الدين.

هذا وقد أشاد بالدور الكبير الذى تقوم به الرابطة لبحث القضايا التى تهم العالم الإسلامى، وتفعيل التنسيق بين كل أعضائها.

المحاور والبحوث

وعلى مدى ست جلسات نوقشت بحوث كثيرة أعدها الباحثون: ففى الجلسة الأولى كان المحور الأول: التجديد وضوابطه فى الإسلام وتناول بحوث نظرية التجديد فى الفكر الإسلامى للدكتور عبدالكريم زيدان ومفهوم التجديد للدكتور صالح الشيبانى. ومفهوم التجديد وشروطه وضوابطه للدكتور مظهر سيف المخلافى، التجديد فى الإسلام للدكتور عبدالعزيز السيلى. ضوابط التجديد فى الفكر الإسلامى للدكتور عبدالمؤمن شجاع الدين والتجديد دلالة وقضية للدكتور أحمد عرفات القاضى

أما الجلسة الثانية فكان المحور يدور حول: مجالات التجديد فى الفقه وأصوله والدعوة ومجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتناول هذا المحور بحوث تجديد الفكر الإسلامى فى مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية للدكتور نبيل السمالوطى، التجديد فى الفقه وأصوله للدكتور عبدالعزيز مبروك الأحمدى، مدى إمكانية التجديد فى فقه العبادات للدكتورة فتحية إسماعيل محمد، نظرات فى التجديد الفقهى فى العصر الحديث للدكتور محمد يافوت عبدالقادر. تجديد منهج الدعوة الإسلامية وفقا للمتغيرات الحديثة للأستاذ الباحث أحمد سفيان، الصفة الشرعية للتجديد الدينى للدكتور محمد السيد الدسوقى.

بيان صنعاء حول التجديد فى الفكر الإسلامى

وتناولت الجلسة الثالثة محور التجديد فى مجالات الإيمان والعقيدة والإعجاز العلمى والبحوث كانت: تجديد الإيمان للشيخ الدكتور عبدالمجيد الزندانى. التجديد فى مجالات الإيمان والعقيدة للدكتور عبدالعزيز القويان، نحو علم كلام جديد للدكتور بكر زكى عوض، التجديد فى مجالات الإيمان والعقيدة للدكتورة سنى أبو شادى. التجديد فى الإيمان للدكتور عبدالرحمن المراكبى، الإعجاز العلمى فى الطب النبوى للدكتور حسنى الحوشعى، الإعجاز العلمى فى الإسلام للدكتور صالح السامى

أما المحور الرابع فقد تناول نماذج من مجددين عبر التاريخ الإسلامى. ومن أهم بحوث هذا المحور: التجديد فى عهد الخلفاء الراشدين للدكتور مهدى فضل الله. عمر بن عبدالعزيز مجددا للدكتورة فتحية النبراوى، التجديد فى عصر الدولة الأيوبية للدكتور رأفت غنيم الشيخ، التجديد فى عصر دولة الموحدين بالأندلس للدكتور مصطفى رمضان. الإمام القرطبى فقيها مجددا للدكتور أحمد بن يوسف الدريوش. مظاهر التجديد فى منهج الطاهر بن عاشور للدكتور محمد مسعود جبريل. مظاهر التجديد عند شيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور عبدالوهاب الحميقانى، المنهج التجديدى لحجة الإسلام الغزالى للباحث الأستاذ وليد عبدالماجد كساب.

هذا وقد ناقش صفوة من علماء ومفكرى العالم الإسلامى يصل عددهم إلى نحو مائة عالم من أساتذة الجامعات الإسلامية والأوروبية وعلى مدار أربعة أيام ما يزيد على ستين بحثا فى مجالات التجديد فى الفكر الإسلامى.

وكان من الطبيعى أن يبرز المؤتمر مدارس التجديد المختلفة، وأهم أقطاب هذه المدارس، وأن علماء اليمن كان لهم إسهامات فى مجال تجديد الفقه وأصوله والدعوة، منذ وضع الصحابى الجليل معاذ بن جبل – رضى الله عنه – أصول الاجتهاد، ووافقه عليها الرسول ﷺ عندما بعثه إلى اليمن، كما تضمنت أعمال المؤتمر حلقة نقاشية دارت حول «واجب الجامعات والمؤسسات التعليمية والمجامع الفقهية، ودور الإفتاء، ومراكز البحوث وغيرها من المؤسسات فى الإسهام فى حركة التجديد وتطبيقه.

وانتهى المؤتمر إلى إصدار التوصيات التالية بهدف تفعيل الرؤى الفكرية التى اتفق عليها العلماء المشاركون فى المؤتمر:

■ يناشد المؤتمر الجامعات والمؤسسات

كما أعرب رئيس جامعة الإيمان في ختام كلمته عن أمله الكبير في أن يضع المؤتمر العام الثامن للرابطة ومؤتمره العلمي حول تجديد الفكر الإسلامي لبنة قوية لإعداد القادرين على الاجتهاد والتجديد من أجل نهضة الأمة الإسلامية وحتى تواجه التحديات الكثيرة من حولنا.

الحفاظ على القيم الإسلامية هو الأساس للتجديد

وطالب رئيس جامعة صنعاء د. خالد طميم – بضرورة التكامل والتنسيق الفعال والشراكة الحقيقية بين الجامعات الإسلامية، من خلال منهج علمي واضح للعمل على تطوير الأداء، وتحقيق مفهوم الجودة الشاملة في كل مناهج التعليم وليست المناهج الإسلامية فقط، منتقدا مستوى التعاون الحالي بين الجامعات الإسلامية، حيث لاتزال الاتفاقيات فيما بينها أقل من نظيراتها غير الإسلامية والعربية.

وطالب بضرورة التجديد بعقلانية وبمنهج سليم وعلى أيدى علماء الدين المتخصصين، خاصة أن الحفاظ على القيم الإسلامية هو أساس أي تطوير أو تجديد، والعلاقة وثيقة بدون الإخلال بأصول الدين.

هذا وقد أشاد بالدور الكبير الذى تقوم به الرابطة لبحث القضايا التي تهم العالم الإسلامي، وتفعيل التنسيق بين كل أعضائها.

المحاور والبحوث

وعلى مدى ست جلسات نوقشت بحوث كثيرة أعدها الباحثون، ففى الجلسة الأولى كان المحور الأول: التجديد وضوابطه في الإسلام وتناول بحوث نظرية التجديد في الفكر الإسلامي للدكتور عبدالكريم زيدان ومفهوم التجديد للدكتور صالح الشيباني، ومفهوم التجديد وشروطه وضوابطه للدكتور مطهر سيف المخلافي، التجديد في الإسلام للدكتور عبدالعزيز السبلي، ضوابط التجديد في الفكر الإسلامي للدكتور عبدالمؤمن شجاع الدين والتجديد دلالة وقضية للدكتور أحمد عرفات القاضي.

أما الجلسة الثانية فكان المحور يدور حول: مجالات التجديد في الفقه وأصوله والدعوة – مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتناول هذا المحور بحوث تجديد الفكر الإسلامي في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية للدكتور نبيل السمالوطي، التجديد في الفقه وأصوله للدكتور عبدالعزيز مبروك الأحمدى، مدى إمكانية التجديد في فقه العبادات للدكتورة فتحية إسماعيل محمد، نظرات في التجديد الفقهي في العصر الحديث للدكتور محمد ياقوت عبدالقادر، تجديد منهج الدعوة الإسلامية وفقا للمتغيرات الحديثة للأستاذ الباحث أحمد سليمان، الصفة الشرعية للتجديد الديني للدكتور محمد السيد الدسوقي.

بيان صنعاء حول التجديد في الفكر الإسلامى

وتناولت الجلسة الثالثة محور التجديد في مجالات الإيمان والعقيدة والإعجاز العلمي والبحوث كانت: تجديد الإيمان للشيخ الدكتور عبدالمجيد الزنداني، التجديد في مجالات الإيمان والعقيدة للدكتور عبدالعزيز الطويان، نحو علم كلام جديد للدكتور بكر زكي عوض، التجديد في مجالات الإيمان والعقيدة للدكتورة منى أبوشادى، التجديد في الإيمان للدكتور عبدالرحمن المراكبي، الإعجاز العلمي في الطب النبوى للدكتور حسنى الجوشعي، الإعجاز العلمي في الإسلام للدكتور صالح السباتي.

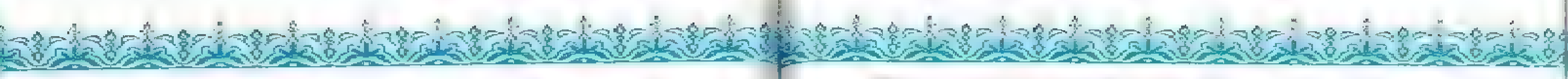
أما المحور الرابع فقد تناول نماذج من المجددين عبر التاريخ الإسلامي، ومن أهم بحوث هذا المحور: التجديد في عهد الخلفاء الراشدين للدكتور مهدى فضل الله، عمر بن عبدالعزيز مجددا للدكتورة فتحية النبراوى، التجديد في عصر الدولة الأيوبية للدكتور رأفت غنيم الشيخ، التجديد في عصر دولة الموحدين بالأندلس للدكتور مصطفى رمضان، الإمام القرطبي فقيها مجددا للدكتور أحمد بن يوسف الدريوش، مظاهر التجديد في منهج الطاهر بن عاشور للدكتور محمد مسعود جبريل، مظاهر التجديد عند شيخ الإسلام ابن تيمية للدكتور عبدالوهاب الحميقاني، المنهج التجديدى لحجة الإسلام الغزالي للباحث الأستاذ وليد عبدالماجد كساب.

هذا وقد ناقش صفوة من علماء ومفكرى العالم الإسلامي يصل عددهم إلى نحو مائة عالم من أساتذة الجامعات الإسلامية والأوروبية وعلى مدار أربعة أيام مايزيد على ستين بحثا في مجالات التجديد في الفكر الإسلامي.

وكان من الطبيعي أن يبرز المؤتمر مدارس التجديد المختلفة، وأهم أقطاب هذه المدارس، وأن علماء اليمن كان لهم إسهامات في مجال تجديد الفقه وأصوله والدعوة، منذ وضع الصحابي الجليل معاذ بن جبل – رضى الله عنه – أصول الاجتهاد، ووافقه عليها الرسول ﷺ عندما بعثه إلى اليمن، كما تضمنت أعمال المؤتمر حلقة نقاشية دارت حول «واجب الجامعات والمؤسسات التعليمية والمجامع الفقهية، ودور الإفتاء، ومراكز البحوث وغيرها من المؤسسات في الإسهام في حركة التجديد وتطبيقه.

وانتهى المؤتمر إلى إصدار التوصيات التالية بهدف تفعيل الرؤى الفكرية التي اتفق عليها العلماء المشاركون في المؤتمر:

■ يناشد المؤتمر الجامعات والمؤسسات





الإسلامية أن تحرص على القيام براجها نحو تكوين أجيال قادرة على مواجهة مشكلات الحياة، وتنشيط البحث العلمي في العلوم الإسلامية، والاجتهاد في استنباط الحكم الشرعي للمستجدات التي تحدث في حياة الناس عملا بقوله تعالى:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

(النساء: ٨٣)

■ ويرى المؤتمر أن الاجتهاد يتطلب تطوير مناهج الدراسات فيما قبل المرحلة الجامعية، توحيدا للإطار الفكري لأبناء الأمة الإسلامية، وتزويد الجميع بالمخزون الثقافي الإسلامي، ومهارات اللغة العربية، والمهارات العلمية والثقافية المناسبة، مع العناية بالمهارات التطبيقية.

■ ويهيب المؤتمر بالجامعات الإسلامية أن تدعم خطط الرابطة في تطوير مناهج الدراسات الإسلامية، وتأليف الكتب والمراجع التي تتمشى مع روح العصر، مع الاحتفاظ بثوابت الدين، وأن يكون موضوع التجديد موضع اهتمام بشكل خاص في الدراسات العليا.

■ ويطالب المشاركون رابطة الجامعات الإسلامية بعقد ندوات متخصصة لأهل الاختصاص لدراسة المتطلبات الدراسية والتربوية والعملية الكفيلة بتخريج علماء وباحثين، قادرين على الاجتهاد، ابتداء من التعليم الأساسي والثانوي والجامعي، وإمكانية إقامة دراسة تكميلية بعد الدراسة الجامعية والتدريب في المجامع الفقهية، وما يحتاجه الدارسون من تأهيل.

■ يؤكد المؤتمر على ضرورة اتباع المنهج الوسطي في حياة المسلمين، لأنه هو الذي يتفق مع حقائق الإسلام، بعيدا عن الغلو والتطرف من ناحية، وبعيدا عن التفريط والاتكاء على ما تقدمه لنا الحضارات الأخرى، دون تبصر من ناحية ثانية، وذلك اتباعا لقوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

(البقرة: ١٤٣)

■ يوصي المؤتمر بضرورة إحياء تراث المسلمين العلمي في إطار عمليات التجديد في سائر العلوم والمعارف والبناء عليها، لكي تلائم متغيرات الزمن وروح العصر، دون المساس بثوابت الإسلام ومقاصده، وما اتفق عليه العلماء.

■ يؤكد المؤتمر على ضرورة بذل الجهد لإعادة الإسلام إلى ما جاء به رسولنا الكريم ﷺ نقيا طيبا، وتخليص الدراسات الإسلامية مما شابها من ضعف وسوء في عصور مختلفة.

■ يؤكد المؤتمر على خطورة أن يتولى الاجتهاد من لم يتم تكوينه، تكوينا علميا، وفقا للضوابط التي وضعها الأصوليون، من حيث العلم بالكتاب والسنة، والتخصص في العلوم الإسلامية المؤهلة للاجتهاد، مثل: الفقه وأصوله، والفقه المقارن، والدراسات الإسلامية، وأصول الدين، والدعوة الإسلامية، مع ضرورة الإلمام التام بأعراف الناس وعاداتهم والمستجدات التي تحدث في الحياة.

■ يؤكد المؤتمر على أهمية الربط بين النقل والعقل عند التجديد والاجتهاد في العصور الحديثة، حتى يظل نور الوحي هاديا لحياة المسلمين، كما أنه ينبغي ألا نتجاهل دور العقل البصير في إيضاح مدى أهمية العلوم الطبيعية والأساسية، وما أنجزته أدمغة وعقول البشر على مدى التاريخ الإنساني، حتى يستفيد المجتهد والمفتي والمجامع المعنية بالاجتهاد من ثمرة العقل البشري، لتسهم بإضافة نور الرشد والهداية إليها.

■ يهيب المؤتمر بعلماء وأساتذة العلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعاتنا أن يلتزموا بالتوجيه الإسلامي للعلوم، فلا يقبلون أي فكر يتعارض مع حقائق الدين، مهما كانت أهمية محتواه، وأن يجتهدوا في تحقيق الوئام بين العلوم وكنوز التراث والفكر الإسلامي.

■ ينبه المؤتمر إلى الأهمية القصوى للنهوض باللغة العربية، باعتبارها وعاء الحضارة الإسلامية وأداة التعبير عن علومها، ويأسف المؤتمر للتردي الكبير الذي أصاب هذه اللغة على يد أبنائها، ويؤكد على ضرورة اتخاذ

خطوات سريعة لتحقيق هذا الغرض ومنها.

- زيادة الزمن المخصص لتدريس اللغة العربية في الخطط الدراسية بالمدارس والجامعات وتحسين المناهج وتبسيط النحو وقواعد اللغة.

- المسارعة بتعريب العلوم الطبية والهندسية وغيرها.

- الاهتمام بكتب التراث وتدريسها بشكل مناسب

- استخدام اللغة العربية الفصحى في التدريس بالنسبة لمختلف المواد الدراسية وفي المعاملات ومناشدة وسائل الإعلام في الدول العربية بالتحدث باللغة العربية الفصحى.

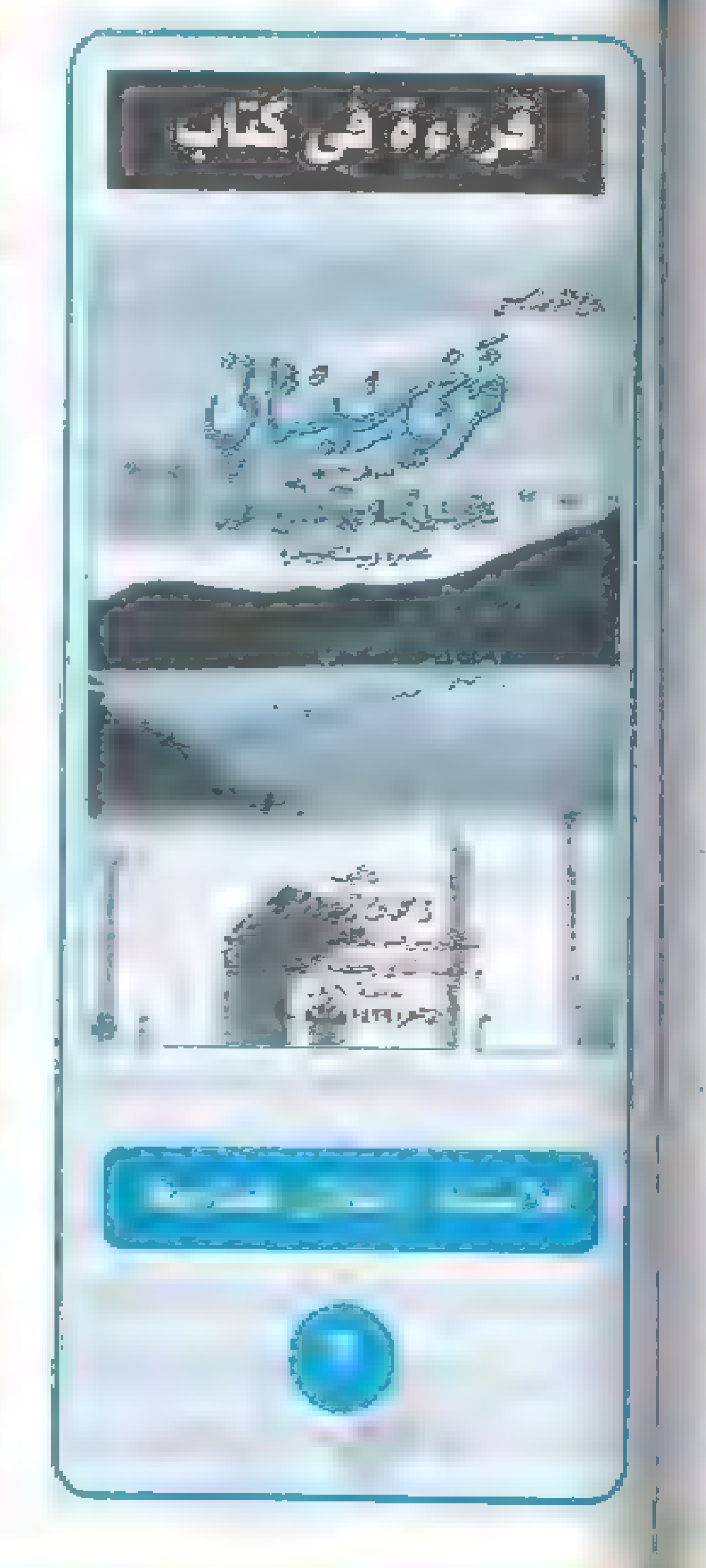
■ أيضا يؤكد المؤتمر على أهمية تطوير التعليم الجامعي في كل الدول الإسلامية، وتجويده وتعميقه عن طريق البحث الرصين، والتأليف المتميز، وتكامل تجارب الدول في التجديد، وإيلاء الدراسات الإسلامية ما تستحقه من عمليات التجديد، باعتبارها المكون الرئيسي لعقل ووجدان الشباب المسلم، ويطالب المؤتمر المنظمات المعنية بالتعليم في العالم الإسلامي، بإنشاء صندوق لدعم هذا التعليم، ينفق منه على البحوث والدراسات والكتب التي تتناول هذه الدراسات بشكل متميز يشترك في تمويله أغنياء المسلمين والمؤسسات القادرة في العالم الإسلامي.

■ كما يؤكد المؤتمر على أهمية بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والتي كان للمدرسة العلمية اليمنية قصب السبق في العمق فيها، ويوصي بدعم هذه البحوث من قبل الدول والحكومات والجامعات والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي، ونشر نتائج هذه البحوث واستخدامها في خدمة الحضارة الإنسانية.

وأخيرا: يناشد المؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية بتبني قضية التجديد والاجتهاد، باعتبارها ضرورة دينية، وذلك بمتابعة العمل على تفعيل هذه التوصيات في مختلف المجالات والهيئات المعنية.

***

وتتواصل المؤتمرات في مجال التجديد في الفكر الإسلامي، ويتحدث المفكرون والعلماء كثيرا من خلال البحوث العميقة والمليئة بالمصطلحات، ولكننا نود أن نرى النتائج الملموسة لتلك المؤتمرات وللجهود التي تبذل، فالمسلمون يواجهون بمشكلات تحتاج إلى حلول عاجلة وسريعة على ضوء التطورات المتسارعة في حياتنا.



بذهاب فرُّخيَ إلى بلاط السلطان محمود في غزنة تبدأ مرحلة جديدة لهذا الشاعر وهي مع ذلك لا تأخذ سمة واحدة، فهو مع كونه شاعر السلطان ومادحه، إلا أنه - أيضا - كان المتحدث بلسان الدولة بعد «عنصري» فكان الصديق في بلاط الأمير محمد وكان المادح في بلاط السلطان مسعود. وإن لم تتغير صفته كشاعر من شعراء الدولة الرسميين.

هكذا بدأت المؤلفة هذا الفصل الرابع من كتابها عن فرُّخي، وقد تناولت في هذا الفصل: شعر فرخي بشيء من البسط والتحليل، فعقدت مقارنة بين شعره في السلطان محمود وشعره في الأمير محمد، ثم خلصت إلى أن لشخصيته في البلاطين مظهرين متناقضين. فشعره في بلاط السلطان محمود يتصف بالروية والأناة بخلاف شعره في الأمير محمد حيث تقول ص ١٥٣:

«فشعره في بلاط السلطان محمود لا يصور اندفاعا ولا إسراعا وإنما يصور أناة وتمهلا وتعمدا لطول الروية والإمعان في التفكير، ونحن نقدر أثر إحساسه بأنه الصديق والنديم حين كان ينشد الأمير محمد في هذا الاندفاع وأثر إحساسه بأنه شاعر البلاط الرسمي عند السلطان محمود في هذه الأناة، فإذا أضفنا إلى ذلك أن تجربة فرُّخي كشاعر للبلاط عند السلطان قد علمته الاحتياط حين يتصل بالملوك والأمراء، وألقت في روعه أن الخير أن يصطنع الأناة والروية ولعل في أشعاره للسلطان محمود مظهرين مختلفين أحدهما: مظهر الأناة والحذر، أما الآخر فمظهر الحرص على إرضاء السلطان العظيم.

أما شعره في الأمير محمد فهو يلقي بين يديه بنفسه كلها وآماله كلها، ويكشف عن نفسه كلها، فلم يكن فيه أناة ولا حذر كشأنه في علاقته به، ولعل هذا ما أغضب منه الأمير محمد.

وجلّ صفحات هذا الفصل خصصته المؤلفة للحديث عمن مدحهم فرُّخي فقدمت سبعة عشر ممدوحاً، مؤيدة كلامها بالعديد من الشواهد من شعر فرُّخي في كل منهم، واكتفت بالإشارة إلى سبعة آخرين؛ خشية أن يطول مقام السرد، غير أنها لم تلق بالاً لهذا الاعتبار عند كلامها عن الممدوح الخامس «السلطان محمود» ولعل السبب في ذلك أنه صاحبه فترة أربت على الثلاثين عاما، ثم هي تسجل وفاءه لهذا السلطان حين تقول ص ١٦٧:

«ولم يختم فرُّخي شعره في السلطان محمود حين رثاه عام ٤٢١ هـ بل ظل يذكره في مدائح الأمير محمد ومن بعده السلطان مسعود صراحة حينا وضمنا حينا آخر، ففرُّخي أشاد بالسلطان محمود ومدحه، ومات السلطان محمود فبقي على الوفاء له، ولم ينقطع عن مديحه».

وتقف المؤلفة كثيرا أمام شعره الذي مدح به السلطان محمود لتظهر أهم مميزاته وهي: الكثرة، والتنوع والاختلاف ومتانة وقوة الوصف وأنه كثيرا ما كتب واصفا عن رؤية يصقلها بالفن، على عكس غيره مثل عنصري كان متأثرا بفنه.

وعن قوته في المديح تقول ص ١٨١: «إنه قد وثب بشعره حين اتصل بالسلطان محمود وثبته الأخيرة التي رفعته إلى الأوج وضمنت له مكانة بين الفحول من شعراء الأدب الفارسي، لا لأنه استحدث فنا جديدا، ولا لأنه جدد في أوزان الشعر وقوافيه بل لأنه ملك ناصية الفن حقا، وجعل يتصرف في معانيه وألفاظه كما كان يتصرف بها الفحول، وكان هذا واضحا في أول حياته حينما جاء إلى جغانيان ومدح أميرها ووزيرها فراعهم قوة سبكه، وجمال قوله، وقوة معانيه».

فلا نكاد ننهي هذا الفصل حتى يتأكد لنا أننا أمام أحد فحول الشعر الفارسي تمهيدا للولوج إلى الفصل الخامس حيث الحديث عن ديوان هذا الشاعر الكبير.

ديوان الشاعر

أما هذا الديوان فقد عالج فيه الشاعر الكثير من الأغراض التي عالجها شعراء عصره فمدح وعاتب واستعطف وتغزل ورثى، واعتذر ونثر الحكمة وأتى بالأمثال.

وقد عرضت المؤلفة الكثير من شعر فرُّخي في الغزل حيث تخلل الغزل معظم شعره كعادة شعراء عصره، كانت بدايات قصائدهم المختلفة تبدأ بالغزل بالإضافة إلى القصائد التي خصصت لذلك الغرض.

وعن شعر الغزل عند فرُّخي تقول المؤلفة ص٢٨٧: «ولكن على بعد غزل فرُّخي من العذرية وعلى بعده من العشق الحقيقي كان مؤثرا؛ لأنه كان صادقا ولأنه كان يترجم عن عواطف صحيحة مؤثرة في نفس قارئيه وسامعيه، وسواء كان فرُّخي حين يذكر النساء لا يصدر عن عاطفة قوية في نفسه أو حبا صحيحا، وسواء كان غزله هذا ضربا من اللهو أو فنا من المجون فقد وصف لنا الحب فأحسن الوصف في جودة من اللفظ والمعنى، ونحن لا يهمنا في هذا الغزل صدق فرُّخي أو عدم صدقه فيه، وإنما يهمنا هذا الغزل لنعرف شيئا من أخلاق هذا العصر، ومن أخلاق الجواري فيه وطبيعة الغزل بهن، ولهذه الأشياء قيمتها في الأدب والتاريخ».

أما عن الوصف فتصدر حديثها قائلة:

«ولم يخل ديوان شاعر من الذين وصل شعرهم إلينا في هذا العصر من وصف الخمر حتى إننا ليمكن أن نقول إن وصفها قد أصبح فنا – في هذا العصر – من الفنون لا يجوز للشاعر إغفاله أو القعود عن التسابق فيه،

وكأن القول في الخمر لم يكن يعتير صاحبه أو يكلفه عنتا!

وخلال هذا الفصل تجد المؤلفة لا تترك فرصة للمقارنة بين فرُّخي وبين أبي نواس إلا عمدت إليها ما وسعها السبيل إلى ذلك فتراها تقول:

«فإذا أتينا إلى فرُّخي فإننا نجده أشد شعراء هذا العصر عناية بالخمر وأكثرهم افتتانا بها وتلهفا عليها، وإننا لنجد لزاما علينا أن نشهد له بالسبق والتقدم في هذا الميدان – ميدان الشعر الفارسي –، ولعل الذي يدفعنا إلى ذلك هو عنصر الصدق الذي يشيع في شعره في هذا النوع من الفن، فقد كان حين يصف الخمر يقصد إلى ما يقصد إليه الشعراء المجيدون من وصف الحس والشعور وتمثيل العاطفة تمثيلا صحيحا ونحن نستنتج من شعره أنه يلتقي مع ابن المعتز وأبي نواس في أنه يحب الخمر عتيقة أزلية أسكرها الدنان من عهد آدم وترح:

خمر مثل ماء الورد متلألئة معتقة

سكرها الدنان من عهد آدم.

وأبو نواس يحبها معتقة أيضا:

رأت نوحا وقد شمطت وشابت

وقد شهدت قرونا قبل نوح

وتراها حين تستعرض شعر فرُّخي، كأنها تتكلم عن شعر أبي نواس. وكلما قدمت لفرُّخي بيتا قدمت نظيره عند أبي نواس

ثم تواصل عرض حديث الشاعر عن مجالس الشراب مستصحبة ما قاله أبو نواس في هذا الشأن لتثبت في النهاية تفوق أبي نواس على فرُّخي في هذا الفن

وما أن سلم لها هذا القصد، تراها تطلق النار عليهما معا حيث قالت بعد أن ذكرت نقاط الاختلاف بين الشاعرين ص ٢٩٩.

«ولكن هذا الاختلاف دل على اشتراكهما في تلك الآفة الذميمة وهي شرب الخمر والوله بذكرها وترتيب مجالسها والعناية بذكر تفاصيل هذه المجالس من وجود الجواري والقيان، والعزف على المزاهر والعيدان».

ولم يخل هذا الفصل من الحديث عن وصف الرياض والرياح والسحب والأمطار والزهور والطيور بالإضافة إلى الكثير من مفردات الطبيعة. فضلا عما حواه من فنون شعرية أخرى مثل: المديح والرثاء والحكمة وما عالجه الشاعر من قضايا سياسية.

شعر فرخي صورة صادقة لمجتمعه

وفي الفصل السادس توضح المؤلفة أن كثيرا من الشعراء والموسيقيين هتفوا بأعمال السلطان وحروبه ومجالسه.

«غير أن روح العصر لم تتجل في صدق وعمق إلا في شعر فرُّخي الشاعر الذي يمثل الصورة الحية الخالدة لأيامه، والعبقري الملهم الذي استوعب كل هذه المنابع الفنية، وصاغ منها أشعاره وقصائده فحفظت الأجيال لنا على مر الزمان اسمه. ففرُّخي في الحقيقة يصور جانبين عامرين من جوانب هذه الحياة: جانب الترف واللهو الذي كان يشيع في هذا العصر، ثم جانب الجد ووصف الجهاد والحرب. وفي الواقع أن فرُّخي كان أمينا كل الأمانة حين صور هذين الجانبين وديوانه حينما نقرأه نستطيع أن نرى فيه صورة واضحة لعصره وزمانه وحياته في هذا العصر، فهو أثناء مديحه يحدثنا عن أسماء الموسيقيين في عصره».

وتخلص المؤلفة في هذا الفصل إلى تأثر الشاعر بالحياة العسكرية والحربية التي عاشها السلطان محمود، وكان لها كبير الأثر على شعره وعلى شعر شعراء البلاط بصفة عامة ولقد لاحظت أن هذا الأثر يشيع في ديوان فرُّخي كله حتى في تصويره للطبيعة من حوله ومن الأمثلة التي ساقتها دليلا على ذلك قول الشاعر ص ٢٨٤ مصورا هجوم الخريف على الربيع بهذا التصوير الحربي:

– «وعبأ الخريف جيشه وقاده حتى باب الحديقة. يقصد أن يجعل منزل الربيع خرابا، وحينما فتح الربيع عينيه وجد منزله قد تخرب بيد عدوه.

– فولى جيشه الأدبار وكأنه الشهاب خائفا مرتعدا».

كما يشمل هذا الفصل في الصفحات من ٤٠٧: ٤٢٠ العديد من الأمثال التي راجت في مجتمع فرُّخي، واستخدمها في شعره.

نذكر منها:

– أيها الحبيب على إثر كلمة واحلة تفر مني

– إن خلقك لم يكن قطيعا هكذا

– لقد صرت سيئا لأنك تجالس أهل السوء

– وصرت شريرا لأنك تخالط الأشرار

مثل قوله:

– أحيانا تكون معي مثل الورد المتفتح

– أحيانا تكون عدوا لدودا كما يكون السكين مع اللحم.

الطبيعة الفنية لشعر فرخي

أما الفصل السابع والأخير فقد سردت فيه الخصائص الفنية لشعر فرُّخي وما احتواه من المعاني الجديدة التي لم يسبقه إليها أمثاله من الشعراء فتقول ص ٤٤٩:

«وصفوة القول: إن فرُّخي كان فنانا من طراز رفيع، كان قادراً على تصوير المشاهد المختلفة والوصول إلى بواطن الأحاسيس وخفايا الشعور، وكان هذا كله يتم بسهولة ويسر يقطع بعبقريته في هذا المجال».

ولم تتخل المؤلفة عن المقارنة في هذا الفصل الأخير فعقدت المقارنة مرة أخرى بين الشاعر وعنصري فتقول ص ٤٧٢:

«فرُّخي كثير الشبه جدا في سبكه بأبي نواس كما ذكرنا، وليس بالمتنبي كما ظن بعض النقاد.

والعنصري أحرص من فرُّخي جدا على متانة اللفظ وروعته في أغلب شعره لا يعدل عن هذه المتانة ولا ينصرف عن هذه الروعة إلا حين يضطره المعنى إلى ذلك اضطرارا لا مخرج منه، أما فرُّخي فهو سهل في شعره لا يريد أن يشق على نفسه وعلى سامعيه، وهو يرسل لسانه على سجيته كما يرسل نفسه على سجيتها».

ولم تنه المؤلفة هذا البحث القيم دون أن تسجل بعض المآخذ على شعر فرُّخي، فسجلت مآخذها على:

الأوزان الثقيلة وما حوته المعاني والألفاظ من عيوب ولولا هذا التسجيل اليقظ لهذه المآخذ لشاب الكتاب قصور هائل، لاحتواء الكتاب على الكثير من الأبيات التي تصف الخمر ومجالس الشراب، ولا تخلو من دعوة إلى شربها، وهو ما يرفضه الدين الحنيف ويأباه الخُلق الكريم.

وإذا كنا قد بدأنا كلامنا بأن المؤلفة محبة للشعب الأفغاني فإننا ننهيه بالقول بأنها عاشقة للغة الفارسية والأدب الفارسي، ولولا هذا الحب لما تجشمت كل هذه المعاناة في تتبع أعمال فرُّخي وعنصري وغيرهما من شعراء الأدب الفارسي.

هذه المعاناة التي تجشمت بعضا منها في عرض هذا الكتاب لإيماني بالأواصر التي تربط بين الأدبين العربي والفارسي، وما لها من صلة وثيقة بالدين الإسلامي.

وبعد، فالكتاب يعد إضافة حقيقية للمكتبة العربية بل ويعد أحد الجسور التي تربط بين الآداب الإسلامية في صورها المختلفة.

بين المجلة والقارئ

إعداد الأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

تنشر الصحف وتبث الفضائيات يوميا العشرات والمئات من الأخبار لمن نطلق عليهم ألقاب نجوم المجتمع أو نجوم الرياضة والفن والسياسة.

نشاهدهم ونسمع أخبارهم ونقرؤها.. فتملكنا الدهشة تارة.. والأسى تارة أخرى!!

الدهشة لأن هؤلاء النجوم يحيون حياة ملؤها البذخ والترف والرفاهية التي تغرق العصور!!

والأسى على ما آل إليه حالنا ونحن نرى الغني يكاد ينكر حق الضعيف والفقير في الحياة بكرامة!

ولكن ألم يكن في الرعيل الأول أصحاب جاه وسلطان وعز وغنى وقوة ومنعة؟! ترى كيف كانوا يعيشون؟ هل كان للضعيف الفقير بينهم مكان؟!!

فلنطل معا في عجالة موقف قلة لنفر قليل من الرعيل الأول، لنعرف الفارق بين ماض عريق تليد نعيش على ذكراه بعد أن فرطنا فيما جاهدوا وعاشوا من أجله.. أولئك جاهدوا من أجل أن يكون سلوكهم مطابقا مع تعاليم دينهم.. أما نحن فما أسرا حالنا!!

هذا سعيد بن عامر الصحابي الجليل استعمله عمر بن الخطاب واليا على حمص، وحدث أن ذهب عمر إلى حمص ليسأل أهلها: كيف حال الوالي فيهم فماذا حدث؟!

شكا أهل حمص لعمر من واليهم! فسألهم عمر عن الأسباب فأجابوه وسعيد بن عامر أمامهم:

■ لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار!

فقال عمر لسعيد: ما تقول؟ قال: والله إن كنت لأكره ذكره، ليس لي خادم، فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم.

■ فقدم القوم شكوى ثانية وهي أنه لا يجيب أحدا بليل!

فقال سعيد: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل.

■ فقدم القوم شكوى ثالثة وهي أن له يوما في الشهر لا يخرج فيه إليهم.

فقال سعيد: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار!

فأمر له عمر بن الخطاب بألف دينار وقال له: استعن بها على أمرك فما كان من سعيد بن عامر إلا أن فرقها على فقراء المسلمين فكتب أهل حمص إلى عمر يخبرونه بحال سعيد بن عامر وما فعله بالألف دينار التي أمر له بها وأنه قد صار أفقر فقراء حمص، فأرسل له عمر بأربعمائة دينار وأمره أن ينفقها على نفسه، وعلى عياله فأصاب سعيدا هم شديد، فلما رأت زوجه حاله سألته عما به فقال لها: إن أمير المؤمنين أرسل إلي بأربعمائة دينار وعزم عليّ أن أنفقها عليّ وعليك، وأن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا، والله ما أحب أن لي النعم وأني أحبس عن الفوج الأول!

فقالت له: لو تركها فاصنع بها ما شئت.

فخرج سعيد بالمال وقد جعله في صرر ووزعه في الناس!!

وهذا سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد هاجر إلى المدينة المنورة هو وغيره من المسلمين الفارين بدينهم من جحيم الكفر إلى حيث السلام.

وذات يوم شكا المسلمون إلى رسول الله ﷺ جشع يهودي يملك بئر ماء تدر عليه أرباحا طائلة ويبيع ماءها للمسلمين بما يعجزون عن سداده فجمع رسول الله ﷺ المسلمين وقال لهم: «من يشتري بئر رومة للمسلمين فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة» رواه الترمذي.

فتوجه عثمان بن عفان لليهودي يساومه عليها فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين وقال عثمان لليهودي: إن شئت جعلت على نصيبي قرنين وإن شئت فلي يوم ولك يوم، فقال اليهودي: بل لك يوم ولي يوم، فكان إذا ما جاء يوم عثمان أخذ المسلمون من الماء ما يكفيهم يومين، فلما رأى اليهودي ذلك قال لعثمان: «أفسدت عليّ ركيتي فاشتر النصف الآخر» فاشتراه عثمان بثمانية آلاف درهم.

فنزل فيه قول المولى عز وجل:

[illegible]

(البقرة: ٢٦١)

وهذا خالد بن الوليد.. سيف الله المسلول وقد انتصر انتصارا ساحقا على الروم في اليرموك فمدحه المادحون ومنهم الأشعث بن قيس فمنحه خالد عشرة آلاف درهم فعلم عمر وعاله أن يحدث هذا الأمر من خالد بن الوليد سيف الله المسلول، فأرسل إليه بلال بن رباح ليحقق معه ويتبين من مصدر أمواله.. أمن ماله أم من مال المسلمين؟ فإن كان من ماله فقد أسرف، وإن كان من مال المسلمين فقد خان!!

ويتوجه بلال إلى الشام ويواجه خالد بن الوليد على مرأى من المسلمين بما هو منسوب إليه من اتهام، فلما تيقن بلال أن المال كان خالد بن الوليد أمر فيه بما أمر عمر بن الخطاب.. بأن يعزل عن كل إمارة، وبأن يصادر نصف ماله.. لماذا؟!

لأنه لم يحسن التصرف فيه فماذا كان من خالد بن الوليد؟!

ثار بعض رجاله وغضبوا لما لحق بقائدهم وقالوا إنها هي القصة، فما كان من خالد إلا أن قال: سمعا وطاعة لأمير المؤمنين، ولم يتنازل عن نصف ماله بل تنازل عن كل ماله ومضى مقاتلا مجاهدا في سبيل الله لا تنكسر له حرب حتى إذا مات لم يكن في بيته سوى سيفه ودرعه وفرسه.

وهذا عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – خامس الراشدين يرد إلى بيت مال المسلمين كل ما يملك من مال وجواهر ونفائس يوم بايعه المسلمون بالخلافة، ثم لا يكتفي بذلك بل يتوجه إلى زوجه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان وهي من هي في العز والجاه فيقول لها: إما أن تردي حليك إلى بيت مال المسلمين، وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو «يقصد حليها» في بيت واحد، فقالت: لا بل أختارك أنت عليه وعلى أضعافه، فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين، وقيل إن جواهر فاطمة بنت عبد الملك كانت مما لم ير مثله.

فلما مات عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك بن مروان قال لفاطمة أخته: إن شئت رددته عليك «يقصد حليها وجواهرها» قالت: لا والله لا أطيبه حيا وأخالفه ميتا!!

واليوم نقرأ في الصحف أن أحد الأثرياء قد فتح خزائنه لتمويل شراء لاعبين جدد لتدعيم صفوفه!!

ونقرأ أن لاعب كرة قدم طلب مليونا من الجنيهات وآخر طلب مليونين، وثالث طلب ثلاثة ملايين!!

ونقرأ عن نجم سينمائي شهير أنه طلب مضاعفة أجره ليصل إلى مليون جنيه عن أي عمل فني يقوم ببطولته!!

ونقرأ أن نجمة سينمائية شهيرة طلبت خمسة ملايين من الجنيهات نظير مشاركتها في أحد الأفلام السينمائية!!

قد يقول البعض أن هذه الأخبار بها مبالغات ولكن من يطالعون هذه الملايين ومن يتقاضونها أكدوا صحتها في أحاديث مقروءة أحيانا ومسموعة أحيانا ثانية، ومرئية أحيانا ثالثة.

الملايين من الناس يقرأون هذه الأخبار ويسمعونها ويشاهدونها بانبهار وبعضهم لا يملك قوت يومه وثمن دواء علاجه أو مصاريف تعليم أبنائه ويتساءلون: وماذا عنا؟!

بُح صوت الوعاظ والفقهاء والقراء وهم يذكرون الأغنياء بحق الفقراء فيما يملكون من مال وما من مجيب إلا من رحم ربي.

ولكن الأغنياء لا يفتحون آذانهم ويأبون إلا إنفاقها فيما سبق من نماذج وبعضهم يضيق على الناس سبل العيش باحتكار السلع ورفع الأسعار بصورة فاحشة ليزدادوا ثراء بينما يموت غيرهم فقرا وجوعا ومرضا!!

فليقرأ هؤلاء قول المولى عز وجل ليتدبروه...

[illegible]

(محمد: ٣٦–٣٨)

[illegible] نجم أحمد

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ أحمد عبدالمحسن علي محمد – كبير إحصائيين بمدرسة الأورمان الثانوية العسكرية – إدارة الدقي التعليمية – جيزة:

واكبت مولده رسول الله ﷺ أحداث تنبئ بمقدمه:

■ قال حسان بن ثابت: والله إني لغلام يفعة (قوي) ابن سبع سنين أو ثمان أعقلُ كل ما سمعت؛ إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته بيثرب:

«يا معشر يهود»، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك مالك؟! قال:

«طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به».

■ ولما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جده عبدالمطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت به أن تسميه، فأخذه جده فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها، والتمس لرسول الله ﷺ المراضع، فكانت حليمة بنت أبي ذُؤَيْب السَّعْدِيَّة مرضعة رسول الله ﷺ.

■ يحكى أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له:

يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام».

■ يحكى أنه كان يوضع لجده عبدالمطلب بن هاشم فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك منهم: «دعوا ابني، فوالله إن له لشأنا» ثم يجلسه معه عليه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

وهذا لعلو شأن رسول الله ﷺ عند جده.

[illegible]

ومن فضيلة الشيخ: محمد محمود حمودة - موجه عام بشئون القرآن بالأزهر الشريف كانت هذه الكلمات:

إن أسعد لحظة في تاريخ الكون هي تلك اللحظة المباركة الميمونة التي ابتهجت فيها الأرض والسماء بما ملأهما من نور وضياء حين أشرقت على الوجود كله طلعة خاتم النبيين فما أسعد الذين شهدوا النور عندما أشرق النور واستقبلوا طلعة الصبح حينما بزغ الصبح، لقد سعدوا حقا بما رأت أعينهم وبما أدركت أحاسيسهم ومشاعرهم، فتلك آمنة بنت وهب أكمل سيدات بني هاشم، وكم بدا لها من حقائق وكم ظهر لها من أسرار، وكم تجمل أمام عينيها من مشاهد في الكون قريبة وبعيدة أبصرتها على ضياء وليدها الأعظم محمد بن عبدالله، وكم بدا لها من حقائق، وكم ظهر لها من أسرار، وكم تجلى أمام عينيها من مشاهد في الكون قريبة وبعيدة أبصرتها على ضياء وليدها الأعظم محمد بن عبدالله، وما أصدق العباس بن عبدالمطلب إذ يمدح ابن أخيه فيقول: أنت لما ولدت أشرقت الأرض وأضاء بنورك الأفق، ونحن في ذلك الضياء وفي ذلك النور وسبل السلام نعيش.

، نعم أشرقت الأرض وأضاء الأفق واختفى الليل البهيم الذي غشى العالم حينا من الزمان بظلامه الحالك وسحبه القاتمة، سحب الباطل والشر والكفر والضلال والجهل. وانتشر السلام وساد الأمان فيالها من إشراقة خالدة لم يزل يفوح شذاها ويضيء سناها إيذانا بمطلع فجر جميل فيه أهل الأرض أنه قد ولد محمد. عرفه جده عبدالمطلب حينما بشر به ووقف يتأمل ويرى إشراق وجهه وسطوع جبينه.

لم يكد يشاهده حتى سمت نفسه، وارتقى حسه وصفا وجدانه، وانطلق يقول بإلهام علوي: «أسميته محمدا ولسوف يكون محمودا في الأرض والسماء»، قالت آمنة: «لقد سمعت من يأمرني في النوم أن أسميه أحمد» فجاء إلهام عبدالمطلب ورؤيا آمنة تأكيداً على مكانة رفيعة لهذا الوليد الذي أشرقت بمولده الأرض والسماء إيذانا بفجر جديد هو فجر الإسلام. فجر لا إله إلا الله محمد رسول الله.

نعم المال الصالح للرجل الصالح

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ محمد عباس محمد عرابي

إن الله «سبحانه» جعل المال قواما للأنفس وأمر بحفظه، وقد مدح النبي ﷺ المال الصالح فقال: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». فلقد جعل الله (تعالى) المال سببا لحفظ البدن، وحفظه سبب لحفظ النفس التي هي محل معرفة الله والإيمان به، وتصديق رسله ومحبته والإنابة إليه، فهو سبب عمارة الدنيا والآخرة، وإنما يذم منه ما استخرج من غير وجهه وصرف في غير حقه واستعبد صاحبه وملك قلبه، ويذم منه ما يتوسل به صاحبه إلى المقاصد الفاسدة أو شغله عن المقاصد المحمودة.

ومن فوائد المال أنه قوام العبادات والطاعات، وبه حصل الإنفاق الواجب والمستحب، وبه حصلت

قربات الحق والوقف وبناء المساجد، وبه يتوصل إلى النكاح الذي هو أفضل من التخلي لنوافل العبادة، وعليه قام سوق المروءة، وبه ظهرت صفة الجود والسخاء، وبه وقيت الأعراض، وبه اكتسبت الأصدقاء، وبه توصل الأبرار إلى الدرجات العلى ومرافقة الذين أنعم الله عليهم، فهو مرقاة يصعد بها إلى أعلى غرف الجنة، ويهبط منها إلى أسفل سافلين إن لم يكن كذلك.

إن كان مالا صالحا أنفق في وجوه البر والصلاح وهو مقيم مجد الماجد، فاعتبروا يا أولي الألباب.

عروة بن الزبير

ومن الأستاذ فرج مجاهد عبد الوهاب - عضو اتحاد كتاب مصر - شربين دقهلية - كانت هذه الكلمة عن المحدث الفقيه عروة بن الزبير،

كان كثير الحديث فقيها عالما مأمونا ثبتا. اسمه عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد يرجع نسبه لقصي بن كلاب. كان صواما قواما، ذكر عنه ابن هشام أن أباه كان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر ويوم النحر، وقد مات وهو صائم. وذكر مالك بن أنس عن هشام بن عروة أنه كان يسافر مع عروة فيصوم هو ومن معه ويفطرون ولم يكن يأمرهم بالصيام ولم يكن هو يفطر، وأضاف أن عروة روى عن أبيه الزبير ابن العوام، حواري رسول الله ﷺ وعن زيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبي هريرة، والعبادلة الثلاثة: عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن العباس، وعن السيدة عائشة أم المؤمنين خالته رضي الله عنها.

وقد كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخرة مسجد الرسول بعد العشاء، وتحدثا ليلة وذكرا جور من جار من بني أمية وأقام معهم بالمدينة وهما لا يستطيعان تغيير ذلك، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهما، فقال عروة لعلي: يا علي اعتزال أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم فإن كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله فرجو الله أن يسلم مما أصابهم.

وأشار إلى مآثر عروة التي منها قراءته لربع القرآن كل يوم في الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت فيها رجله ثم عاود الليلة التالية، وكان قد أصاب رجل عروة مرض الأكلة أثناء حياته فقطعت وهو صائم، وقد ذكر أنه مات لعروة ابنه الأكبر أثناء حياته، فلما قدم المدينة سمعه الناس وهو يدعو في مسجد رسول الله ﷺ قائلا: اللهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت واحدا وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وأيم الله لئن أخذت فقد أبقيت ولئن ابتليت فطالما عافيت.

وقد توفي عروة سنة ٩٤ هجرية في منطقة سجاح من ناحية الفرع بالمدينة المنورة ودفن هناك يوم الجمعة.



للأستاذين: محمود الفشني - أحمد رضوان



٢٠٠٩ عام الإمام أبي حنيفة النعمان في طاجيكستان

قرر فخامة الرئيس إمام علي رحمان رئيس جمهورية طاجيكستان إعلان عام ٢٠٠٩م عام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في طاجيكستان، حيث ستقام احتفالات رسمية في شهر سبتمبر بمرور ١٣١٠ سنوات على مولد الإمام أبي حنيفة النعمان بمشاركة جمع غفير من الضيوف من كافة أنحاء العالم الإسلامي.

جدير بالذكر أن فخامة الرئيس إمام علي رحمان كان قد زار جمهورية مصر العربية في الفترة من ٤ إلى ٧ من فبراير ٢٠٠٩، وكان على رأس مستقبليه السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية، حيث استعرض الرئيسان العلاقات الثنائية وآفاق التعاون في مختلف المجالات.

وقد زار فخامته الأزهر الشريف والتقى بفضيلة

الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.

وتعد هذه الزيارة منعطفا مهما في تاريخ العلاقات الودية التي تربط بين مصر وطاجيكستان، وتعبيرا صادقا عن الرغبة المتبادلة في تنمية التعاون بين البلدين.

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي يدين تطاول صحفيون إسرائيل على رسول الله ﷺ

أدان الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو إقدام القناة العاشرة الإسرائيلية على التطاول على رسول الله وإهانة مشاعر وعقيدة المسلمين معتبراً أن هذا التطاول يؤكد الوجه الحقيقي العنصري للمؤسسة الإسرائيلية وسعيها الدءوب لخلق الفتن وإذكاء الصراعات لاسيما أن هذا التصرف المشين يأتي بعد أيام قليلة على بث مواد مسيئة للسيد المسيح وأمه البتول السيدة مريم عليها السلام.

وقال أوغلو: لقد صدمت مشاعر المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي من استمرار الحملة الشريرة التي تعرض لها الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، حيث إن هذه الحملة المشينة قد تجاوزت كل المحرمات ومضت في قذف النبي الكريم بالسباب والازدراء دون سمح يتبعه ويدين به أكثر من مليار ونصف مليار مسلم. وإن منظمة المؤتمر الإسلامي إذ تؤكد أن رسول الله يشكل خطاً أحمر عند أمة المسلمين فإنها تجدد دعوتها إلى خلق تحالف دولي لمكافحة ازدراء الأديان والمقدسات.

مليون و ٦٠٠ ألف نازح عراقي يواجهون مصيرا مجهولا باستمرار الاحتلال

أكدت المنظمة الدولية للهجرة أن مليوناً و ٦٠٠ ألف نازح عراقي يواجهون مصيراً مجهولا ما لم تتدخل المنظمات الدولية لمساعدتهم خاصة مع استمرار احتلال العراق وكشف تقرير للمنظمة التي تتخذ من جنيف بسويسرا مقرا لها، أن أولئك النازحين يعانون من مشاكل جمة وعلى رأسها البطالة ونقص الغذاء وعدم توفر مسكن ملائم أو رعاية صحية كافية وأوضح التقرير أن نحو ٢٠٠ ألف شخص عادوا إلى منازلهم بعد توقف أعمال العنف يعانون من أوضاع صعبة للغاية مضيفا أن العائلات العائدة تواجه مشاكل عديدة نظرا للأضرار التي لحقت بممتلكاتها، مشيراً إلى أن تلك العائلات تحتاج إلى حلول دائمة، فيما يبقى تحسين الوضع الأمني كي تكون العودة نهائية وناجحة.

٢٢ شخصية يهودية تدعو إسرائيل لانهاء الاحتلال ورفع الحصار

وجهت ٢٢ شخصية يهودية من ٤ بلدان هي: سويسرا والنمسا وألمانيا وإسرائيل نداء للحكومة الإسرائيلية لإنهاء الاحتلال وعدم إقامة المستوطنات ورفع الحصار عن الأراضي الفلسطينية.

وطالبت الشخصيات اليهودية ١٣ مليون يهودي في العالم بتوقيع النداء على شبكة الإنترنت وقال رئيس إحدى المنظمات اليهودية السويسرية الموقعة على النداء إننا نحمل بصورة مباشرة أو غير مباشرة يهود العالم مسئولية مايجري في الأراضي الفلسطينية.

٣٤٨ مليون دولار من البنك الإسلامي للمشروعات التنموية

وافق مجلس المديرين التنفيذيين للبنك الإسلامي للتنمية في ختام اجتماعات دورته الـ ٢٥٧ والتي عقدت برئاسة رئيس البنك د/ أحمد محمد على بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، على اعتماد تمويلات جديدة بأكثر من ٣٤٨ مليون دولار لصالح المشروعات التنموية بالعالم الإسلامي.

شملت الاعتمادات المساهمة في تمويل ٦ مشروعات إنمائية جديدة لصالح كل من كازاخستان واليمن والسودان ولبنان ومصر، إلى جانب تقديم ٤ منح ومعونات من صندوق الوقف التابع للبنك لصالح الصومال وثلاثة مجتمعات مسلمة في دول غير أعضاء وهي كينيا والهند وتنزانيا في إطار سعي البنك المتواصل من أجل المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي في الدول الأعضاء والمجتمعات المسلمة في الدول غير الأعضاء.

منظمة تركية تثبت استخدام إسرائيل لأسلحة محرمة دوليا

قدمت جمعية الدفاع عن المظلومين التركية «مظلوم- در» إلى محكمة اسطنبول تقريراً معملياً علمياً يثبت وجود مادة الفوسفور الحارق في بقايا القنابل التي استخدمتها القوات الإسرائيلية خلال الحرب على غزة.

وقالت الجمعية في بيان لها إنها ستضم هذا التقرير الذي صدر عن قسم الكيمياء بجامعة يلدز- الحكومية في اسطنبول إلى ملف الدعوى الذي رفعته في وقت سابق، وطالبت فيه بمحاكمة المسئولين الإسرائيليين بتهمة جرائم الحرب، ومخالفة القوانين الدولية.

أضاف البيان أن الجمعية ستراقب عن كثب هذه الدعوى ومسيرتها، حتى تتم محاكمة المسئولين الإسرائيليين، مشيرة إلى أن مجموعة من المراقبين الدوليين الذين كانوا في قطاع غزة وقت الحرب، أعلنوا أيضا أنهم عثروا على أدلة تؤكد استخدام الجيش الإسرائيلي لأسلحة محرمة دولياً.

مشروع لإنشاء مدرسة لتخريج الأئمة بالنرويج

قدم حزب العمال في النرويج مشروع قانون للحكومة يتبنى فيه إنشاء مدرسة خاصة لتعليم الأئمة بجامعة أوسلو أو بيرجن بالتعاون مع الحكومات الإسلامية التي ستقدم المعونات من الناحية العلمية والشرعية.

وقال عضو الحزب عبدالماجد جراد إن معظم الأئمة في النرويج يأتون من خارجها ولايجيدون اللغة النرويجية، وإن مسئوليتهم تجاه المسلمين لا تتوقف عند الوعظ والتعليم، وإنما في الإرشاد والإصلاح وتقديم النصح وهذه مشكلة لأن كثيراً من شباب المسلمين لايتقنون اللغة العربية جيداً وخاصة من ولد في النرويج، ولابد أن يكون الإمام ملما بثقافة وعادات ولغة المجتمع النرويجي.

مسلمو روسيا يشاركون بمنتدى دولي بموريتانيا

شارك وفد روسي يمثل المراكز الإسلامية الروسية في المنتدى الإسلامي الدولي الذي عقد في العاصمة الموريتانية «نواكشوط» تحت رعاية الرئيس الليبي معمر القذافي. ونقلت وكالة أنباء «نوفوستي» الروسية عن المتحدث باسم مركز التنسيق لمسلمي شمال القوقاز شفيق بشيخاتشيف قوله: «إن علماء ورجال دين من معاهد ومراكز إسلامية عالمية شهيرة سيبحثون في المنتدى سبل التقارب بين أعضاء الأمة الإسلامية والحوار بين المذاهب.

الهيئة الإسلامية العليا بالقدس تحذر من استمرار عمليات التهويد

حذرت الهيئة الإسلامية العليا في القدس المحتلة، من استمرار عمليات التهويد المنظمة التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي مؤكدة رفضها لكل أشكال الاعتداءات على الأحياء والأموات من أبناء الشعب الفلسطيني من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي وجماعاته اليهودية المتطرفة.

وأكدت الهيئة في بيان موقع باسم الشيخ عكرمة صبري رئيس الهيئة أن مصادرة الأراضي غير قانونية وغير شرعية ومرفوضة، وأن جميع المستوطنات المقامة على أرض مغتصبة هي غير شرعية أيضاً، وشددت على أن المقابر لها حرمتها لدى جميع الأديان، وإن أي اعتداء على مقبرة إسلامية هو مرفوض وغير شرعي وأوضحت الهيئة أن الإجراءات والاعتداءات ضد الأحياء والأموات تؤكد أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي غير معنية بالسلام، وإنما ترفع شعار السلام، للاستهلاك وللمماطلة والتسويف.

وأكدت الهيئة على عروبة وإسلامية مدينة القدس المباركة المقدسة، وقالت: إننا نحتفظ بحقنا الشرعي والديني فيها.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذين : عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

إعلان نتيجة اختبارات الوعاظ

صرح فضيلة الشيخ أحمد قنديل تركية مدير عام شئون مناطق الوعظ بمجمع البحوث الإسلامية بأنه بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الشيخ علي عبدالباقي، عُقدت اختبارات للسادة الوعاظ لرفع مستوى الوعاظ والترقيات الأدبية لهم لعام ٢٠٠٩، وقد عقد هذا الاختبار بمقر مشيخة الأزهر الشريف في الفترة ٢٠٠٩/٢/٨ إلى ٢٠٠٩/٢/٢٢ وسيتم إعلان نتيجة هذا الاختبار في نهاية شهر مارس الحالي.

الطلاب الوافدون

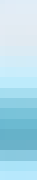
بلغ عدد الدارسين من أبناء جمهورية طاجيكستان ٥٢١ طالبا وطالبة بزيادة عن الأعوام السابقة موزعين على جميع المراحل التعليمية كالآتي:

الدراسات الخاصة	بنين	١٣٥ طالبا، بنات ٤١ طالبة.
المرحلة الابتدائية	بنين	٤٣ طالبا، بنات ١٩ طالبة.
المرحلة الإعدادية	بنين	٩٨ طالبا، بنات ٣٢ طالبة.
المرحلة الثانوية	بنين	٤٧ طالبا، بنات ١٤ طالبة.
جامعة	بنين	١٠٤ طالب، بنات ٣٦ طالبة.

والدراسات العليا طالبان.

وبذلك يصل العدد إلى ٥٢١ دارسا ودارسة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.



بيان من مجمع البحوث الإسلامية

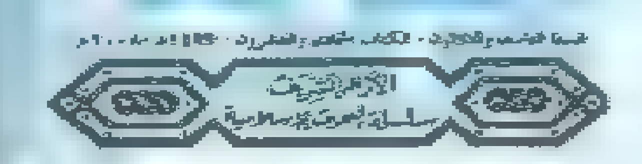
برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر عقدت يوم الخميس الموافق ٢٠٠٩/٢/٢٦ جلسة مجمع البحوث الإسلامية الشهرية، وقد أصدر المجمع بيانا حول برنامج بثته القناة الإسرائيلية العاشرة تضمن إساءات إلى الرسول الكريم ﷺ جاء فيه:

نشرت جريدة الأخبار فى عددها الصادر يوم الخميس بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٢٦ بأن القناة الإسرائيلية العاشرة بثت برنامجا أساءت فيه إلى رسول الله - ﷺ و مجمع البحوث الإسلامية يستنكر هذا السلوك المشين الذى يؤذى مشاعر المسلمين فى أنحاء العالم والمجمع يحذر هذه القناة التى تبث هذه الأعمال، من هذا العمل والذى سوف يؤدى إلى الصراع بين أهل الديانات المختلفة بدلا من لغة الحوار.

من إصدارات مجمع البحوث

أصدرت سلسلة مجمع البحوث الإسلامية طبعتها الثانية من كتاب (حديث القرآن عن نعمة الأمان) لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

حديث القرآن عن نعمة الأمان



وهو من سلسلة فضيلته التى تحمل عنوان: (هذا هو الإسلام) ويقع الكتاب فى ١٢٤ صفحة.

وفيه يشير إلى أن الإسلام دين أمن وأمان وسلم وسلام، شارحا للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تناولت كلماتها المتقاربة فى المعنى والمتلاقية فى المقصد والغاية عن نعمة الأمن والأمان والسلم والسلام والإيمان والاطمئنان والاستقرار، والتى هى فى مجملها من أعظم أنواع النعم والخيرات، ولا تتم مصالح الدين والدنيا إلا بهذه النعم، ومنها نعمة الأمان حيث يتضرع المسلم إلى الله ليحقق له أمنه وأمانه وسلمه وسلامته والاستقرار والاطمئنان. واعترافا منه بعطية الله له يقدم له الإخلاص فى العبادة والشكر على نعمته وطلب العيش فى أمن وأمان. وأكد فضيلته بأن على المسلم أن يلتزم بما قدمه سيدنا إبراهيم عليه السلام من دعوات كريمات من طلبه من الله بتحقيق نعمة الأمان وسعة الرزق ونشرها فى النفس والمجتمع ،والبعد عن كل قول وفعل يؤدى إلى اضطراب الأمن وإلى أن يسود الاطمئنان.

وقد حقق الله دعوات سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وكل من طلب الأمن والأمان وجعل البيت الحرام وما حوله فى نعمة الأمن والأمان والاستقرار .

وقد تناول الكتاب الأمثال فى الآيات المتعددة التى توجب الالتزام بالتفكر والتذكر والتزام الحق والعدل ،والخير واجتناب الباطل والظلم والشر، وقد شرح فضيلته الآيات التى أيدت رسالة سيدنا موسى - عليه السلام - وبينت أن نعمة الأمان هى رأس النعم التى منح الله بها نبيه، وكذلك الآيات التى بشرت رسولنا الكريم وتزيد المؤمنين أمنا وثباتا وترسيخ نعمة الأمان فى قلوبهم باستجابة دعائهم فى غزوة بدر.

وأكد فضيلة الإمام على أن أداء العبادات التى كلف الله بها عباده فى أمان واطمئنان دون فزع أو خوف تعد نعمة تستحق الشكر لهذا المنعم.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر فى كتابه بأسلوبه السهل عناصر الأمن والأمان مؤيدا كل ما قاله بآيات من كتاب الله وأحاديث النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

ثم ختم كتابه بتوجيهات نبينا الكريم ﷺ السامية والإرشادات القويمة بدعوة كل مسلم إلى نشر كل ما يتعلق بتثبيت نعمة الأمن والأمان فى الأفراد وفى الجماعات وفى الأوطان وفى كل مكان، فمن أصبح آمنا فى نفسه وفى ماله وسكنه وطريقه وعنده العافية فى بدنه وتوفر له قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا ،أى ملكها .هكذا أرشدنا رسول الله ﷺ فى حديثه.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلى مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ/ أحمد توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس مجلس النواب الإيطالي

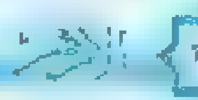
استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الاثنين ٢٠٠٩/٢/٢٣ السيد فرنكو فيني رئيس مجلس النواب الإيطالي والوفد المرافق لسيادته وقام فضيلة الإمام الأكبر بالترحيب بالضيف ومرافقيه في الأزهر الشريف موضحا لهم أن الدراسة بالأزهر تقوم على التوسط والاعتدال واعتبار أن الناس جميعا إخوة في الإنسانية وأن المجتمع الإنساني يجب عليه أن يتعاون لإحقاق الحق ونصرة المظلوم كما أن الاختلاف في المعتقد لا يمنع من التعاون وأن الذي يحاسب على العقائد هو الله. وعلى الحضارات أن تتعاون فيما بينها لأن التعاون يولد المحبة والرحمة والأمان والاطمئنان.

وأكد فضيلته بأن الله - تعالى - أوجد العقلاء لكي يصلحوا المخربين ولولاهم لفسدت الأرض. فنحن لا ننكر أن الحياة معركة بين العدل وبين الظلم، بين الاستقامة وبين الاعوجاج، بين الطمع والجشع وبين العفاف والقناعة. ولتصدي للظلم لابد أن يقف أهل الحق والعدل كالبنيان المرصوص لا يتفرقون في العمل. وأن من يحتمي ظالما ويقف بجانب المعتدي فهذا يؤدي إلى تقوية الإرهاب وانتشاره فمن يربي الذئب يأكله الذئب!

كما أكد فضيلة الإمام الأكبر بأن الجهاد في الإسلام شرع من أجل أمرين أساسيين .

أولا: الدفاع ضد عدو جاء يهاجم بلدي ومالي وأرضي

ثانيا: من أجل نصرة المظلوم فالمروءة الإنسانية تحتم علي أن أعاونه وكل من يتكلم عن الجهاد بغير ذلك فهو مخطئ ولذلك فنحن نرحب بالحوار الذي يبين للناس بأن هذا الكون أوجده الله عز وجل لكي يعمره الناس بالحق وليس بالباطل وبالخير وليس بالشر والعالم لا يستطيع أن يستغني بعضه عن بعض وخاصة في ظل التطور والتقدم المذهل الذي حدث في وسائل الاتصال التي جعلت العالم قرية صغيرة.



مشددا على أن ما حدث في ساحة مسجد الحسين وأدى إلى مقتل سيدة وإصابة أخريين من الأجانب عمل إجرامي لا تقره الأديان السماوية ولا العقول الإنسانية والذين قاموا بهذا التخريب يجب أن توقع عليهم العقوبات العادلة والرادعة في نفس الوقت.

ومن جانبه أشاد الضيف بحديث فضيلة الإمام الأكبر الذي يمتاز بالأقوال الرشيدة والحكيمة وأنه لأول مرة يعلم حقيقة الفرق بين الجهاد والإرهاب وأن أوروبا شهدت انقسامات بين المسيحيين أنفسهم كما أننا كأشخاص نشعر بما يعاني منه الشعب الفلسطيني من تمييز وظلم.

وفي نهاية اللقاء أوضح فضيلة الإمام الأكبر للضيف بأنه عندما يتم الاعتداء على أي شعب فمن حق هذا الشعب الدفاع عن نفسه وهذه قاعدة عامة.

ويستقبل نائب رئيس الهيئة الإسلامية العالمية للقدس

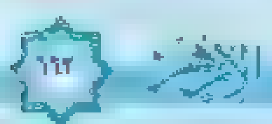
استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الخميس ٢٠٠٩/٢/٢٦ الشيخ يوسف جمعة سلامة نائب رئيس الهيئة الإسلامية العالمية للقدس وخطيب المسجد الأقصى والدكتور جواد عاشور والذي رئيس جامعة الأزهر بغزة حيث نقل لفضيلته تحيات الرئيس الفلسطيني محمود عباس أبو مازن.

كما أوضح لفضيلته أن الشعب الفلسطيني بأكمله يقدر الدور المصري عبر التاريخ وما قدمته مصر من آلاف الشهداء دفاعا عن القضية الفلسطينية وقد طمأن سيادته فضيلة الإمام الأكبر بأن الأمور الآن في فلسطين تسير سيرا حسنا.

وأشاد الضيف بدور المؤسسات المصرية الهامة في لم شمل الشعب الفلسطيني ودعم الفصائل الفلسطينية وشكر الإمام الأكبر على الدور الذي يقوم به الأزهر الشريف تجاه المعهد الأزهري بغزة الذي يبلغ عمره أكثر من (٧٠) عاما من إمداده بالمناهج الأزهرية والكتب الدراسية والمدرسين ذوي الخبرة العالية وقادة الفكر وإرسال العلماء المتخصصين في مراجعة مصحف القدس.

كما أشاد بجامعة الأزهر في غزة والتي بها حوالي (١٥٠٠٠) طالب وطالبة وبها كليات علمية ونظرية وتطبيقية وقد تخرجت دفعتين من الطلاب ومارسوا العمل بعد تخرجهم. ويرجع هذا الفضل إلى إشراف الأزهر الشريف وجامعته العريقة.

ومن جانبه دعا فضيلة الإمام الأكبر الشعب الفلسطيني بجميع فصائله أن يتوحدوا ويبذلوا الغالي من أجل لم الشمل مذكرين بأن الاختلاف في وجهات النظر يكون بعيدا عن الجوانب السلبية وأن تكون إيجابية وتهدف



لصالح القضية الفلسطينية وشعب فلسطين في إيجاد وطن حر مستقل ذي سيادة وقيادة فلسطينية موحدة.

الإمام الأكبر يستقبل وزير الزراعة الفلسطيني

كما استقبل فضيلته بمكتبه يوم الأربعاء الموافق ٤/٣/٢٠٠٩ السيد/ محمود الهباش - وزير الزراعة والشئون الاجتماعية بفلسطين - الذي نقل تحيات الرئيس الفلسطيني: محمود عباس (أبو مازن) لفضيلة الإمام الأكبر ولحكومة وشعب مصر وخاصة ما يقوم به الرئيس محمد حسني مبارك من مساع لحقن الدماء ووقف الحرب والقتال وما تقوم به حكومة مصر والهلال الأحمر من جهد كبير للشعب الفلسطيني، وهو أمر غير مستغرب على مصر التي لم تقصر أبدا في أداء الواجب وتقدم دائما كل غال للقضية الفلسطينية والتي على أثرها حلت بشائر الخير للم الشمل الفلسطيني وإنشاء التقارب ونبذ الخلاف والتوحد. ليكونوا كالبنيان المرصوص لنيل حقوقهم والعمل من أجل خدمة القضية الفلسطينية لتقوم دولة فلسطين في أقرب وقت وتؤسس على التعاون بين أفراد الأمة تحت قيادة شرعية برئاسة الرئيس أبو مازن.

كما وجه فضيلة الإمام نداء إلى الشعب الفلسطيني من خلال التليفزيون المرافق حثهم فيه على الالتفاف حول القيادة الشرعية الفلسطينية، وأن يثبت الله أقدام الرئيس الفلسطيني الذي تكن له ولإخوانه في فلسطين كل محبة وتقدير.

وبمناسبة المولد النبوي الشريف قدم فضيلة الإمام التهنئة لحكومة وشعب فلسطين.

ويستقبل وزير المعارف الافغاني

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الثلاثاء ١٧/٣/٢٠٠٩ الأستاذ الدكتور/ فاروق وردك وزير المعارف الأفغانستاني والوفد المرافق لسيادته والذي جاء حاملا تحيات السيد رئيس جمهورية أفغانستان الإسلامية لفضيلة الإمام الأكبر وشكره للأزهر الشريف لما يقدمه لأبناء أفغانستان من منح دراسية ورعاية كاملة لهم.

وانطلاقا من رغبة الأزهر الشريف ووزارة المعارف بجمهورية أفغانستان الإسلامية بإنشاء معهد ديني أزهري مصري في أفغانستان تحت الإشراف العلمي والفني لقطاع المعاهد الأزهرية بالأزهر الشريف لخدمة أبناء شعب أفغانستان وترسيخ أركان الدعوة الإسلامية ودعم العلاقات الثنائية في مجال التعليم بين مصر وأفغانستان تم الاتفاق على توقيع مذكرة تفاهم بين الجانبين يقوم الأزهر بانتقاء بعثة أكاديمية مصرية مشكلة من الكوادر المؤهلة بالأزهر الشريف لتدريس المناهج الأزهرية بالمعهد باعتبار أن أعضاء البعثة خبراء موفدون في مجال الدعوة الإسلامية. على أن يقوم الأزهر بإمداد المعهد بالكتب الدراسية والمراجع العلمية، وأن تكون السنوات والمراحل الدراسية بالمعهد مساوية ومطابقة لسنوات الدراسة بالمعاهد الأزهرية. كما يقوم الأزهر بإعداد ووضع الامتحانات لطلاب الشهادات الأزهرية بمراحلها الثلاث وتصحح الامتحانات وتعتمد تحت إشراف البعثة الأكاديمية المصرية وترسل كشوفها إلى قطاع المعاهد الأزهرية بمصر لاعتمادها. وخريجو المعهد الذين تنطبق عليهم الشروط والقواعد المنظمة لبرامج منح الأزهر الشريف يتم التحاقهم بالدراسة في جامعة الأزهر أو معاهده المتخصصة في مصر.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية تعلم اللغة العربية في مدارس أفغانستان منذ الصغر حتى يتسنى لهم قراءة القرآن الكريم والفهم الصحيح للإسلام.

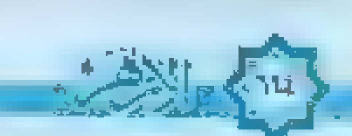
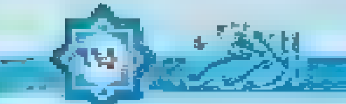
وفي نهاية اللقاء وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة للشعب الأفغاني طالبهم فيها بالابتعاد عن الخلافات فيما بينهم وأن يبدءوا حياة جديدة تقوم على التعاون والأخوة من أجل نشر الأمان والرخاء وأن يكونوا كالبنيان المرصوص.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ/ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الامام الاكبر يستقبل نائب رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الفرنسي -

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الأربعاء ٢٥/٢/٢٠٠٩ السيد/ جان فرنسوا بونسيه وزير خارجية فرنسا الأسبق ونائب رئيس لجنة الشئون الخارجية والدفاع في مجلس الشيوخ الفرنسي والسيدة/ مونيك سيربرتزيه بن جيجا وهي أيضا نائب رئيس اللجنة نفسها. وتأتي هذه الزيارة إلى الأزهر الشريف لما له من سمعة طيبة وعظيمة وتاريخية تشع بأنوار كثيرة حيث تناول اللقاء شرحا لفضيلة الإمام الأكبر للتعليم في الأزهر الذي تمتاز الدراسة فيه بالتوسط والاعتدال واعتبار أن الناس جميعا إخوة في الإنسانية. ويعد الأزهر ملتقى الحضارات من شتى بقاع الأرض حيث يوجد بالأزهر لجنة خاصة للحوار برئاسة وكيل الأزهر، كما بين فضيلته بأن الأزهر يدرس مناهج التربية والتعليم بالإضافة إلى التوسع في دراسة العلوم اللغوية والشرعية وحفظ القرآن الكريم. كما أن وظيفة الأزهر تعليمية تهدف إلى بيان الأحكام الشرعية، والأزهر بابه مفتوح لكل المصريين للدراسة فيه. ويأتي للدراسة فيه أيضا طلاب لأكثر من مائة دولة.

وفي نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر لما قدمه من شرح مفيد بين فيه موقف الأزهر الشريف.

b- Proverbs very brief:

Sunna has much of prophetic traditions which are very brief and easy to memorize

The prophet said "The relentless man has not crossed a land, and has not left a sumpter"

The prophet said this to a man strived for worship until his eyes sunk down, when the prophet saw him said to him," this religion is strong and goes deeply into it kindly and don't hase worshiping Allah because The relentless man has not crossed land and has not remained the sumpter" I.e. the man who strived for his walk and bother himself to get his goal, the prophet called him the relentless man.

The sumpter is every thing ridden and used it to reach your destination and this aphorism refers to the man who exaggerated to achieve his goal.

The prophet said "More people are wronged in two graces, the health and the spare time"

The prophet assimilated an able person to a trader who has the capital, he wants to gain profits with saving his capital, in this way he must be honest with whom he treats in order not to be wronged. The health and the spare time are capital so he should treat Allah by faith and fight himself and the enemy of the religion so as to receive good reward in this life and the life- hereafter.

The prophet said "An acute is one who kept himself away from worldly enjoyments and did for his life- hereafter" The wise is one who dose for his life hereafter.

The prophet said "Let what you make suspicious to what you don't make you suspicious"

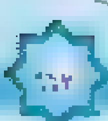
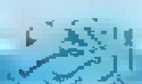
This means that the thing may be illegal, legal or suspected and the best is let the suspected thing.

The prophet said "Allah loves kindness in every thing"

The meaning is with kindness every thing came.

The prophet said "Fast in winter is the easy prey"

Meaning –the faster gets the reward without feeling thirst and hunger all the day.

The prophet said "The wise word is the objective goal of the believer"

Means, any one can utter wise words who does not seem to be capable of it, then it reached the one who always utters wise words, so he deserve more to accept it than who uttered it regardless of meanness of one who said these wise words.

The people are verified in understanding the meaning and derivation of the hidden facts.

I read the English proverb and its translation: a friend in need is a friend indeed.

Undoubtedly this proverb has many meanings the human needs!

On this proverb Mr. al Baalabky had commented: the oldest shape of this proverb in1278as: the honest friend who saved you in need.

The English poet Richard Bar Nfeld (1627-1578) said: the right friend who is hurry to save you if you in pain.

The shape of the proverb nowadays returns to 1678.

I had pondered over this proverb in its three shapes and the changes that it met and made it undoubtedly necessary since 1278 to 1678 and I made a comparison with the prophet tradition

The prophet said "Muslim is the mirror of his brother"

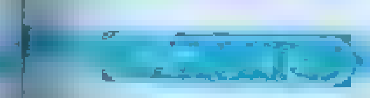
This Hadith take the same course of the proverb and near to it but the Hadith is older than the proverb because the prophet said it before 1400 years and still had its glamour and beauty.

Once gain, I say this comparison struck in my mind without intention because the prophetic tradition who didn't pronounce any word out of prejudice can't put in comparison with any human saying because it is unbalanced comparison.

But I asked aren't this style which came 14centuries ago and still had its glamour, beauty and easy a proof on his prophethood while the other texts became extinct.

This is our illiterate prophet who exceeded all by his rhetoric, literature and fluency and put the discrimination between all human to an end, thus, no difference between Arabic and non-Arabic except by religiousness and no difference between white and red. So, Allah sent him to all mankind.

Translated by: Eman Ali El-Khateb
Revised and Edited by: Dr. Ibrahim Al-Assil




Allah said "Now the truth has come to light" Yusuf: 51

Allah said "Ever tiding has its repository; and you will eventually know" Al-Anam: 67

Allah said" Every self shall be pledged for whatever it has earned"Al-Moddathir: 38

Allah said "Shall the recompense of fairness be (anything) except fairness"Al-Rahman: 60

Allah said " And non can fully inform you like One Who is Ever-Cognizant"Fatir: 14

PROVERBS IN HADITH (Prophetic traditions)

Prophetic traditions have much of proverbs. One of them has assimilation which makes the picture and meaning clear and other very brief to be memorized easily:

The prophet said "The similitude of mine and that of the apostles is like that of a person who built a house and he completed it and made it perfect but for the space of a brick. People entered therein and they were surprised at it and they said: Had there been a brick (it would have been complete in all respects). Allah's messenger (May peace be upon him) said:" I am the place where the brick (completing the building is to be placed), and I have to finalize the chain of Apostles".

This means that the prophet came as a seal to the previous religions.

Jabir said, the prophet said "My example and your example is that of a person who lit the fire and insects and moots began to fall in it and he would be making efforts to take them out, and I am going to hold you from the fire, but you are slipping from my hand".

In this Hadith the prophet assimilated the ignorant people falling into the fire because of their ignorance, haughty natures and whims , although the prophet prevented them from falling in that fire, by butterflies falling in fire due to their incapability of recognizing the effect of the fire. And, both, the insect and human, are going to put their life to an end due to their ignorance.

Ibn Bareda, his father said: The prophet went out one day calling three times, he said "Oh people do you know what is My example and your example? they said Allah and his prophet all-knowing He said My example and your example is that of people who feared of an enemy, so they send a man to keep an eye on the enemies, when he saw them, he came running to warn them, fearing that the enemies catch him before he warns his people, thus, he said waving his clothes in the air;" O my people!, the enemies have reached" three times".

Here, the prophet has assimilated himself to the man who warns his people of near torment.

The prophet said "The women must be treated by a good way because they are created from a rib (Costa) and its top is more curved and when you want to make it straight you will break it, and if you did not try to straighten it, it will remain curved, so treat the women with a good manner"

This Hadith indicates the woman didn't accept to make her straight as the rib or it refers to the divorce i.e. when you want her leave her crookedness, this will lead to divorce.

Aby Mossa al-Ashary said, the prophet said "The example of a good companion in compares ion with a bad one, is like that of musk seller and the blacksmith's bellows (or furnace); from the first you would either buy musk or enjoy its good smell while the bellows would either burn your clothes or you get a bad nasty smell thereof".

This Hadith urges to accompany the pious and virtuous people and its word is very easy.

Aby Mussa al-Ashary said the prophet said "The believer who reads the Quran as a citron its smell and taste are good, the believer who did not read the Quran as a date has no smell but has a good taste, the hypocrite who reads the Quran as a basil has a good smell but has a bitter taste, the hypocrite who did not read the Quran as a colocynth has neither smell nor taste"

This Hadith shows the merits of a Quran reader.

Aby Horayra said, the prophet said, "Will you find any sign of dirt on one's body who takes bathe five times daily in a brook running in front of his house?", the companions said, "No" The prophet said, "thus the five times daily prayers purge away the sins".

This means that the man is stained by dirties in his body and clothes, the five times daily prayer purge away his sin as bathing five times in a river washes out all his dirt on his body.

PROVERBS IN PROPHETIC TRADITIONS (Sunnatu Rasuli Allah (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By: Ustaz -Aadel Khfaja

Language in any place is necessary for the humans to expresses about his need, deal with his neighbors and express his feelings. Allah said" The All-Merciful, He taught the Quran He created the man and He has taught him distinct (speech)"

Ar-Rahman: 1-4.

Allah taught the man what he needs in his religion and life, legal and illegal, co-living and logic.Imam Albaydawy said "Al-bayan (the distinct ability to Speak) is the expression about intentions, feelings, and make the others understand them".

Allah decided that Arabic language is the language of Quran which is the constitution of the religion. Allah said "Surly We have sent it down as an Arabic, that possible you would consider" Yusuf: 2.

"The Arabic language is more fluent, clear and wider than any other language, and expresses the meanings more eloquently, thus Allah has sent down the Best Book with the best language to the best prophet by the Best Angel in the best Land during the best month (Ramadan), so it is completed with all sides".

The Arabic is rich with different styles. Proverbs are one of these styles with précis and clarity which shows it is the best style of the languages because it expresses a clear and more comprehensive meaning with little words.

For the important of the proverbs Allah has struck similitudes more and more in Quran because it has strong convince and impact in attention so it accompanied the hearer for long time for thinking, Allah said "And those similitudes We strike for mankind, that possibly they would mediate" Al-Hashr:21

The prophet is the most fluent among whole Arabs. He said "I had every word"

The prophet had part in his speech much of similitudes concerning giving glad tidings and warned in a good manner because he is the most fluent of Arabs.

PROVERBS IN THE LANGUAGE

Proverbs: Is an equalization word, means something like something.

Proverb taken from example so the proverbs are two kinds:

The first: Assimilation of the rational by sensible to become clear.

The second: The brief speech which is passed on by the tongue and it is the best one.

Al-askary said in his book "Every aphorism is called proverb".

The conditions which must be provided in proverbs:

1-The ease of the word

The proverb must clear the pictures on hearer, and empty from difficulty, unfamiliar and bad words.

2-Good assimilation:

It needs understanding, attention and accuracy to choose the words to get the meaning.

3-Brief statement:

Little words are easily and quickly memorized--this condition is more linked to the second type.

PROVERBS IN THE HOLY QURAN

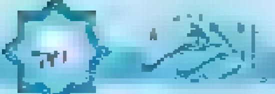
From the first type:

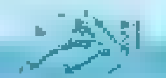
Allah said" Have you not seen how Allah has struck a similitude? A good word is as a good tree: its root is firm and its branch is in the heaven. It brings its crop every season by the permission of its Lord". Ibrahim: 42-25

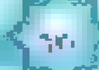
From the second type:

Allah said "Whenever they kindle fire for war, Allah will extinguish"Al Maida: 64

Allah said "The command is decreed whereon you ask for pronouncement" Yusuf: 41







never flattered an old or young person; neither did he flatter a strong or weak person at the account of the truth. They were symbols of manhood, heroism and truthfulness. Thus, they deserve to be described by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying, "My companions are like stars; if you follow any of them , you will be guided."

Lets discuss the ways of building the personality of the Muslim, as the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said. This personality was one of the most important factors of establishing the first Muslim society and a strong nation that was able to overcome corruption and tyranny. Moreover, it could establish a society which is built on justice and dignity. We should ask ourselves, "Where are we from this personality and where should we be?

The first basis of this personality is bearing the personal responsibility and creating the internal incentive that prompts the person to consider and account for his deed. Thus, we realize the importance of this attribute as the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) called his people at Al-safa directing them to this attribute. He told them that every person will be accounted for his deeds whether good or bad: if he behaves well, he will be destined to paradise; and if he behaves in a bad way, he will be destined to hell.

There are many verses in the Noble Qur'an that emphasize this meaning, stressing that fact that every person will be accounted for his own deeds. The aim behind this attribute is easing the souls and to let the Muslim feel that he is an independent person, who should not indulge in sins and errors. He should repent and purify his soul to feel innocent in front of his conscience and to feel comfortable in meeting Allah in the Day of Judgment.

The honorable Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) insisted on planting this attribute in the souls of his companions, as he ordered them not to follow one another in committing sins. He said, "Do not be flunky, saying, 'If the people do well, I will follow them..' Thus, he showed the aspects of independent personality.

He told the people who asked forgiveness for Fatimah Al-Makhzomiah, I never stop her hand to be cut "I swear if Fatima Bent Muhammad stole, Muhammad will cut her hands." Then he added, "Be informed Fatima Bent Muhammad and Saffiya, Muhammad's aunt that Muhammad will obey Allah in everything He orders him." Also, it is mentioned in a sacred hadith, " O my worshippers, I count your deeds; the one who is granted what he wants, he should thank Allah, and the one who does not find what he wants, he should not blame himself only."

Truthfulness is one of the aspects of the Muslim's personality. We find that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was keen on bringing up this good behavior in the Muslims, as truthfulness is the aspect distinguishing between an individual and another. There are many hadiths in which the Prophet prompts the people to be truthful, "If anyone is called to say the truth, he should do because he will not face except whatever he is destined to." You, Muslims, should contemplate at these strong meanings. The Muslim should not fear anyone except Allah.

It is mentioned in a sacred Hadith, "No one will die except after gaining his subsistence. Thus, do not be mean." Thus, the believer should not hide the truth, as there is a guarantee from Allah. Also, the Prophet said, "The person who does not tell the truth is dump devil." The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) here warns us against hiding the truth, and that the person should believe in himself and avoid the sources of cowardice, fear and weakness of personality.

Also, he the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) guided his companions to be truthful and brave in saying the truth in front of all of the standards of the society saying, "One of the aspects of our religion is giving advice." Then, one person asked him, "For whom, Allah's Messenger? He said, "For Allah, his Messenger and the Muslims."

The Muslims should obey Allah and avoid the forbidden matters. Also, the Muslim should advocate the truth whether he is called to say it or not." They should follow the sunnah of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in his sayings and deeds.

The rulers should be truthful in facing matters. They are human beings and not prophets. Every Muslim who is assured that there is a mistake in the ruler's policy, he should inform him in tactfulness to reach reform because common interest is owned by any individual. This is the aim behind this kind of truthfulness, which is at the top of truthfulness. The one who is killed for the sake of this truthfulness is a martyr. He said, "The one who is killed for facing an oppressing person is regarded as a martyr."

concern and caution, especially that there is material doubt in the evidences to which the Court resorted in this resolution.

These doubts render to the fact that they are taken from the sayings and vision of the rebellious groups in Darfur, which are the opponents of Al-Bashir and the government of Sudan. Some of these groups ask for independence and refuse any attempt for reconciliation and compromise.

It is doubtful that the International Criminal Court did not check these accusations by paying any visit to Darfur. This is strange that it resorted only to these opinions and accusations. It is worth mentioning that these rebellious groups want to get rid of Al-Bashir and do not care about the stability of Sudan. Thus, they welcomed the resolution, emphasizing that they want to arrest the President of Sudan and to deliver him to the International Court, if they could.

In this respect, we do not need to exert great effort to realize that this serious resolution issued by the International Criminal Court will have extremely serious effects on the safety and stability of Sudan, which face the most sensitive periods in its history. Also, it is liable to grave risks and dangers threatening the integrity and unity of its land.

However, all of the evidences and indications assure that the resolution of the International Court at this time will absolutely cause mess. The matter stirs the people who follow the situation in Sudan to assure that there are clear political factors and purposes of international powers behind the resolution of the Court, aiming to shake the stability of Susan to reach a different map and stance.

Public opinion in northern Sudan remains pro-Bashir. Crucially, the pro-Bashir stance is not restricted to president Al-Bashir's own ruling national congress party (NCP), but also includes important segments of the fractured opposition to his rule. Most significantly the Umma party- Sudan's largest opposition party whose leader, Al-sayed Al-Sadiq Al-Mahdi who denounced the indictment of the Sudanese president.

The indictment of president Al-Bashir is disastrous for all of us Sudanese, government and opposition. It is totally unacceptable and regrettable "Al-Mahdi said, it hampers Sudan's incipient steps to restore fully fledged democratic rule. It infringes on Sudanese national sovereignty."

President Mohammad Hosny Mubarak urged an emergency UN Security Council session to discuss the ICC indictment of Al-Bashir. Foreign minister Ahmed Abul-Gheit has already warned that the world needs to examine Sudan's domestic position carefully and sympathetically and reprieve the indictment.



The Muslim's personality as drawn by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)

By: Dr. Saad Ad-Din Al-Gizawy

The Muslims from every place in the world celebrate every year the birth of Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). Starting from the day in which the people celebrated this blessed memorandum at the Fatami era, the Muslims talk about this blessed occasion till the Day of Judgment. They used to write speeches and poetry about the virtues of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) that filled the whole humanity. They repeat the Prophet's (may the blessings and peace of Allah be upon him) attributes about which speech can not run away.

Why not?

Allah, Glory be to Him, sent him with guidance and Islam to be over any other religion. His Message is a mercy for mankind. The Prophet's (may the blessings and peace of Allah be upon him) greatness has many sides, in which the reformers find the virtues they want at every time and place. One of the attributes that society needs to build the individuals well is directing the human being towards his own self and acknowledging him with the values that distinguish him from the other creatures not to lose his will and to be dependent on the other people.

Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was sent to complete the morals and to direct the humanity to the virtues that reform his affairs. One of the great principle and morals is that the person should be brave in right and frank. He should consider Allah only in all of his actions. These attributes differ from one person to another, causing some people to be firm, while others rubbed out.

Thus, we realize that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was keen on bringing up the personality and dignity of his blessed companions till every one of them became like a nation. He did not know except the truth. He





AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiul -Akher,1430



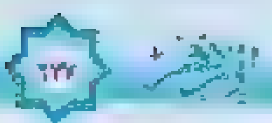
ENGLISH SECTION
April, 2009

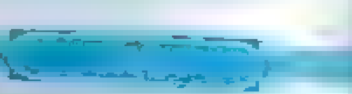
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾

(الأعراف/٤٣)

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."
(Al- A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University





The Resolution of the International Criminal Court is a Political One

By : Dr . Ibrahim Al-Assil

The speaker of the International Criminal Court assured in a statement declared on March 4th, 2009 that the resolution of the court against the President of Sudan, Umar Al-Bashir is not a political resolution, but a legal one that is issued after inspection and investigation for the accusation and evidences against him.

It is revealed that the President of Sudan, Al-Bashir is responsible for the crimes occurred in Darfur, which are considered as war crimes. The people who are acquainted with the hidden matters regard the resolution as doubtful in the light of the crimes committed in many places around us without any response from the side of the International Court.

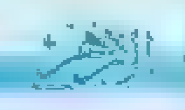
The most recent crimes that all the people remember are those committed by Israel in Gaza Strip, causing the martyrdom and injury of thousands of the Palestinians before the eyes of the whole world. However, neither did the International Court nor any other organization move to stop the clear criminal wars and massacre occurring at every night and day in Palestine.

The resolution was responded by public rejection and great demonstrations denouncing the resolution. On the official level, the government of Sudan declared its rejection for the resolution, assuring that it is a kind of plot against Sudan.

This resolution caused great disturbance due to the expected negative effects on the stability of Sudan and the possibility of reaching comprehensive peace . Egypt warned immediately after the issuance of the bill of indictment declared by the Prosecutor of the Court, Moreno Ocampo, against President Al-Bashir in the middle of the last year that there may be unwise and unacceptable handling of the Court of the issue of Darfur.

It is natural that Egypt is most caring about Sudan and the country that desires most to avoid the expected negative effects that may occur due to the resolution issued by the Court, calling for arresting the President of Sudan after his accusation of committing war crimes against humanity.

Due to this natural concern, we should say frankly and openly that this resolution is very serious and dangerous; and that these serious matters relating to law, international organizations and authorities including the International Criminal Court should not be handled by these provoking resolutions. However, they need more





فهرس العدد

■ مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثالث عشر
متابعة الأستاذ محمد جمعة ..... أ - ج

■ في ذكرى المولد النبوي (٢)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ٥١١

■ تفسير سورة النساء
فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ٥١٧

■ [illegible] المستشرقين
للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ٥٢٣

■ الرسول ﷺ والعلم الحديث
للأستاذ الدكتور محمد فتحي فرج ٥٢٧

■ المواطنة في الإسلام
للدكتور محمد الشحات الجندي ٥٣١

■ قصيدة العدد: محمد رسول الله
للشاعر المهجري إلياس قنصل ٥٣٦

■ السنة النبوية والتحديات البيئية برؤية إسلامية
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ٥٤٠

■ الصدقة في ميزان الإسلام
فضيلة الشيخ علي عبد الباقي ٥٤٤

■ صفحات من حضارة طاجيكستان
فخامة الرئيس إمام علي رحمانوف رئيس جمهورية طاجيكستان ٥٤٩

■ قصة العدد: من ساحة الإسلام
للأستاذ كامل محمود حبيب ٥٥٤

■ من أعلام الأزهر: محمد محمد [illegible]
للأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج ٥٦٢

■ العدل طريق السلام
فضيلة الشيخ عمر [illegible] ٥٦٦

■ [illegible]
للأستاذ الدكتور محمود عمارة ٥٧٢

■ حقيقة الجهاد: الشباب في موكب الإسلام
للشيخ محمد الغزالي، إعداد الشيخ علي خلف عبد الرحيم ٥٨٤

■ [illegible] القراء
للأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية ٥٩٠

■ كتاب الشهر
للدكتور إبراهيم عوض ٥٩٦

■ الخلافة الإسلامية.. والدولة المدنية
للأستاذ الدكتور محمد عمارة ٦٠٢

■ في زمن العولمة: فشل السياسة الأمريكية في إدارتها للنظام الدولي الجديد
فضيلة الشيخ صديق بكر عيطة ٦٠٨

■ أخلاق الإسلام في الحرب والقتال
فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف ٦١٤

■ مذبحة غزة والموقف التركي
للأستاذ صلاح عبد الرحيم ٦٢٠

■ بين الصحف والمجلات
للأستاذين محمد جمعة، علاء عبد الرحمن ٦٢٧

■ طرائف.. ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٣٣

■ مائة عالم ومفكر يطرحون قضايا التجديد في الفكر الإسلامي
للأستاذ عاطف مصطفى ٦٣٤

■ قراءة في كتاب
للأستاذ عدلي حجاج ٦٤٣

■ بين المجلة والقارئ
للأستاذ حمد علي النمر ٦٤٩

■ أنباء العالم الإسلامي
للأستاذين محمود الشلبي، أحمد رجب ٦٥٥

■ أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للأستاذين عبد الموجود [illegible]، يحيى سليمان ٦٥٩

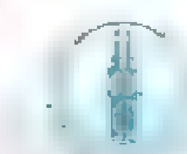
■ أنباء مكتب شيخ الأزهر
للأستاذ أحمد برعي ٦٦٢

■ القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد أ.د. إبراهيم الأصيل ٦٦٦

■ الفهرس ٦٧٨


هدية العدد
الإسلام أم الشيوعية
الأزهر
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ
وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
AZHAR
ZINE
الثمن
١٥٠ قرشا
مطابع

بسم الله الرحمن الرحيم







مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى

• داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

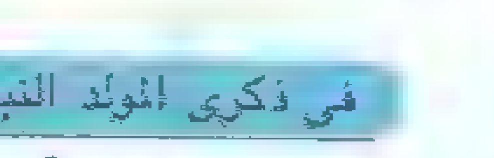
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت : ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم : مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩









عبقرية محمد.. للأستاذ العقاد

قال العقاد:

«قدمنا الكلام في فصول هذا الكتاب عن محمد ﷺ رئيسا، ومحمد صديقا، ومحمد زوجا، ومحمد أبا، وبقي جانب لا نتم بغيره الإحاطة بجوانب النفس الإنسانية في العلاقات بينها وبين سائر النفوس، وهو جانب المعاملة التي تكون بين الرجل ومن هم دونه، ممن يملك أمرهم ويقضي على زمامهم ولا يعتصمون منه بعاصم غير عاصم طبعه وخلقه، ونريد بهم الخدم والعبيد والأرقاء، وهي معاملة لها من الدلالة على الأخلاق ما يندر أن تدل عليه معاملة أخرى، لأنها تدل على طبائع النفس وعقائدها ولا تدل على أمر آمر أو مشورة شائع.

فالصداقة لها الحقوق المتكافئة بين الصديقين لا يستطيع أحدهما أن ينساها زمنا طويلا، إلا إذا ذكره بها مذكر من صديقه الحافظ لحقوقه، القادر على مقابلة الجفاء بمثله ولو في طريقة نفسه. والرياسة قد تخول الرئيس حق السيطرة وتفرض على المرءوسين واجب الطاعة، غير أنها قل أن تنطلق بغير وازع من خشية الغضب، أو خشية الانتقاص، يحسب له الرئيس كل الحساب أو بعض الحساب.

والأب يعطف على بنيه، فلا يحسب الناس لعطفه، لما ركب في طباع جميع الأحياء من حب الأب لولده، وإن اختلف الآباء في صفات العطف وفي استحقاقهم لبر الأبناء، وكذلك الزوج يرفق بزوجه، وليس له كل الاختيار في رفقه لما يكون بين الزوجين من دالة يحتز بها الضعيف ويستغني بها أحيانا عن القوة والرياسة.

أما العبد المملوك فلا عاصم له غير ما في نفس سيده من رحمة وخير، وإنه لمن الرحمة أن يتبع السيد أمر الدين مع عبيده وخدمه الذين لا ينصرهم عليه ناصر في هذه الدنيا، بل إنها الرحمة تؤثر ولو وقفت عند حدود الأوامر الإلهية، فإذا تجاوزتها إلى طواعية في الخير لم يفرضها الدين، ولم يطلبها العبد نفسه فتلك هي الرحمة في أصدق معانيها، وهي أدل الدلالات على لباب الأخلاق»[1].

فما رأي القارئ في مقدمة تحليلية دقيقة كهذه التي افتتح بها «العقاد» حديثه عن الرسول السيد؟ أيعاب «العقاد» على انفتاحه العقلي وتدفقه النفسي، فيرمى بالتكلف والافتعال؟ وإذا كان هذا الثمر الناضج وليد التكلف المفتعل، فأي ثمر يعطره لدى غير المتكلفين؟

وإذا أراد القارئ المثال الذي يوضح المقدمة فليسمع:

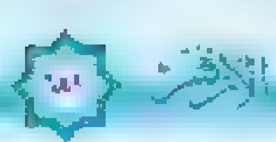
«لو وقف النبي عند هذا الحد - الحد الذي شرعه القرآن في معاملة الأرقاء لأحسن وأجمل، وامتاز بأمر دينه على كل محسن إلى الأرقاء في زمانه، إلا أننا نقرر الواقع ولا نعدوه قيد شعرة حين نقول: إن كثيرا من الأبناء لا يتصورون عند آبائهم خيرا من المعاملة التي ظفر بها خدم محمد وعبيده، ومن من الآباء يحسن إلى أبنائه خيرا من إحسان محمد لزيد بن حارثة وابنه أسامة؟

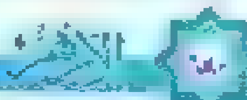
فقد أعتق زيدا ورآه أهلا للزواج بحفيلة من عرب قريباته إليه، وأولاه بحضه وتوقيره، وهي التي رآها بعد ذلك أهلا لزواجه بها وحظوته لديه، فلم يعطه الحرية وكفى، ولم يعطه المساواة في العيش وكفى، بل رفعه إلى المنزلة الاجتماعية التي يرتفع إليها السادة ولا يثبته شيء كما يثبته شرف المصاهرة.

ثم حفظ هذا البر الأبوي لابنه أسامة فولاه جيش الشام، وهو دون العشرين، وفي الجيش طائفة من كبار الصحابة، فلو كان للنبي ﷺ ولد ما تكفل به أحسن من هذه الكفالة، ولا ميزه أشرف من هذا التمييز.

نعم لم نعد الواقع ولا تجوزنا في الوصف حين قلنا: إن الابن لا يتمنى خيرا من معاملة محمد لعبيده، فقد عرف زيد فعلا أن محمدا خير من أب، ومن أسرة كاملة، يرجع إليها وترجع إليه، فبقي معه ولم يذهب مع أبيه، ولم يبق معه إيثارا لبركة النبوة، فإن محمدا لم يكن قد أرسل بالدعوة يوم اختاره زيد وآثره على جميع آله، وإنما بقي معه لأنه الإنسان الذي يعرف - حتى العبد الرقيق أن أصرة الإنسانية

(1) «عبقرية محمد» ص ١٨٠.





عنده أوثق من آصرة الأبوين عند آخرين».

هذا نمط من البيان الحي المؤثر بصدقه وصراحته ووضوحه تأثير الحق الجلي المتألق الشعاع، وإذا كان بعض ما يصور منهج «العقاد» في التحليل والتعليل فعلى الذين خالفوه أن يتقبلوا ما كتب من جديد، ليضعوه موضعه الصحيح.

لقد أوتي «العقاد» ملكة الإيجاز المحكم في أكثر ما ذبج من فصول هذا الكتاب، أوتي ملكة الإيجاز التي تحمل حوافل المعاني في أسطر محدودة، فتحسب كل كلمة تضم عالمًا من الأفكار القوية، وإنك لتقرأ الصفحة الواحدة من هذا الإيجاز المحكم في أخطر القضايا التي خاض فيها المرجفون حول رسول الله ﷺ فتحسب كل كلمة قذيفة منطلقة تصرع حصونًا من الأوهام المعترضة فتهوي متدكدكة البناء وقد تداعى الأساس!

لقد أفك الخراصون بما أفكوه حول تعدد زوجات الرسول ﷺ، ونرى من كتاب المسلمين من خصّ هذا الإفك بكتاب مستقل يدحض شبهاته الآثمة، فاستحق ثناء العارفين، ولكنّ «العقاد» يستطيع بإيجازه الدقيق أن يرمي القذائف الماحقة فلا تدع من باطل أتت عليه إلا جعلته كالهباء. لقد كتب أربع صفحات عن أسباب التعدد، أزالت كل لبس يحتمل. ثم ختمها بقوله عن هؤلاء الأفاكين المشهرين الذين نسوا كل حقيقة صريحة من حقائق حياة محمد ﷺ الزوجية، التي سجلت بأدق تفاصيلها، ولم يذكروا إلا أنه جمع بين تسع زوجات يقول «العقاد»:

«نسوا أنه اتسم بالطهر والعفة في شبابه، فلم يستبح قط لنفسه ما كان شباب الجاهلية يستبيحونه لأنفسهم من اللهو المطروق لكل طارق في غير مشقة عليهم ولا معابة.

نسوا أنه بقي إلى نحو الخامسة والعشرين لم يعمد في طلب الزواج الحلال وهو ميسّر له تيسره لكل فتى وسيم حسيب منظور إليه بين الأسر والفتيات.

نسوا أنه لما تزوج في تلك السن كان زواجه بسيدة في الأربعين اكتفى بها إلى أن توفيت وهو يجاوز الخمسين.

نسوا أنه اختار أحسنها في حاجة إلى التألف أو الرعاية ولم يختر جمالاً مطلوبًا للمتاع.

نسوا أن الرجل الذي وصفوه بما وصفوه من تغليب لذات الحس لم يكن يشبع في بعض أيامه من خبز الشعير، ولم يختر حياة القناعة قط لإرضاء نسائه أو إرضاء نفسه، ولو شاء لما كلفه إرضاء نفسه وإرضاءهن غير القليل بالقياس إلى ما في يديه.

نسوا كل هذا وهو ثابت في التاريخ ثبوت عدد النساء اللاتي جمع بينهن - عليه السلام - فلماذا نسوه؟

نسوه لأنهم أرادوا أن يعيبوا وأن يتقولوا وأن ينحرفوا عن الحقيقة، وقد كانت رؤية الحقيقة أيسر لهم من الإغضاء عنها لو أنهم أرادوها وتعمدوا ذكرها ولم يتعمدوا النسيان»[2].

لننتقل إلى أمثلة أخرى فنرى كيف استخدم «العقاد» وقائع السيرة استخدامًا جديدًا، واستنطقها معاني أخرى طريفة.

لقد قرأنا العشرات من الكتب مما قالوه عن «صلح الحديبية»، وجلهم قد سلسل الحوادث كما اطردت في تطورها الطبيعي، وعلق بما فتح الله به عليه مبينًا سلامة قصد الرسول ﷺ وشوق أصحابه إلى الحرم، وتطلع المهاجرين إلى رؤية ديارهم، ومعارضة قريش وبيعة الرضوان ومناقشة سهيل بن عمرو ثم اختلاف الصحابة ومناقشة عمر، وإرجاء العمرة إلى العام القادم، فإذا جاوزوا أحداث الوقائع إلى نتائج الصلح المشهورة التي غنمها المسلمون حين اعترفت قريش المشركة لأول مرة برسول الله كصاحب قوة عملية لها أثرها البارز في مجرى الأحداث، وحين انفسح المجال أمام محمد ﷺ لمراسلة الملوك واستقبال الوفود دون حذر، كل ذلك قد قاله القائلون عن صلح الحديبية، ولكن أحدًا لم يقل ما قاله «العقاد» حين استخرج من صلح الحديبية مبدأً ونهاية معاني طريفة، لم تعرف قبل ظهور «عبقرية محمد»، ولا نستطيع إيجاز ما قال الكاتب الكبير، لأن تعبيره الموجز المحكم يستنفد كل احتمال، ويتضائل من إحكامه المبين، وقصارانا أن نجتزئ ببعض عن بعض فنقل مما قال هذه الفقرات:

«بدأ رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الحج فلم يقصره في تلك السنة على المسلمين المصدقين برسالته، بل شمل كل من أراد الحج من أبناء القبائل العربية التي تشارك المسلمين في تعظيم البيت والسعي إليه فجعل له وللعرب أجمعين قضية واحدة في وجه قريش، ومصلحة واحدة في وجه مصلحتها، وفصل بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى، ثم أفسد على قريش ما تعمدوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى مناوأة محمد، والرسالة الإسلامية، فليس محمد وأصحابه أناسًا معزولين عن النخوة العربية يضعون من شأنها ويبطلون مفاخرها، ولكنهم إذن عرب ينتصر بهم العرب ولا يخذلون بانتصارهم، أو يقطعون ما بينهم وبين أجدادهم فإذا خالفوا قريشًا في شيء فذلك شأن قريش وحدهم أو شأن المتعصبين من قريش بالسيطرة على مكة، وليس هو شأن القبائل أجمعين.

ثم أفسد على قريش من جهة أخرى ما تعمدوه من إغضاب العرب على الإسلام بما ادعوه من قطعه

(٢) «عبقرية محمد» ص ١٥٤.

«رسول الله» للأرزاق، وتهديده للأسواق التي يعمرها الحاج ويستفيد منها الغادون إلى مكة والرائحون. فها هو ذا محمد نفسه يأخذ معه المسلمين إلى مكة كما يأخذ معه من شاء مصاحبته من غير المسلمين قصاد البيت الحرام. فإذا حال بينهم وبين ما يقصدون إليه، فتلك جنايته وذلك وزره على نفسه. وعلى قومه، ولا وزر فيما أصاب الأرزاق أو أصاب الأسواق على المسلمين»[3].

على هذا النمط الرائع الذي يمده البصر النافذ الثاقب سار «العقاد» فيما فتح الله عليه من جديد. وليس لي أن أشير إلى كل ما ينحو هذا المنحى فذلك بعيد.

فإذا تركنا موقف الحديبية إلى موقف نفسي غير سياسي فإننا نجد هذا التعبير أقوى وأشد وأحكم. فقد قرأنا عشرات البحوث حول وفاة إبراهيم نجل رسول الله ﷺ وحزن والده الكريم عليه. ولكن هيهات أن تقرأ مثل ما كتب «العقاد» حين قال:

«مات الطفل ولم يدرك الستين مصاب صغير إن كانت المصائب تقاس بسنوات المفقودين. ولكن المصائب في الأعزاء إنما تقاس بمبلغ عطفنا عليهم. والصغير أحوج إلى العطف من الكبير المستقل بشأنه. وإنما تقاس بموقع تعويلهم علينا وتعويل الصغير على وليه أكبر من تعويل الكبير. وإنما تقاس بمبلغ الأمل فيهم. والأمل يطول في بداءة الطريق. وقد يقصر في منتصف الطريق.

إنما تقاس آلام المفقودين بأعمار الفاقدين، وأي مصاب أفدح من مصاب الستين وما بعدها في الأمل الوحيد الواصل بينها وبين الزمان ماضيه وآتيه.

ما تخيلت محمداً في موقف أدنى إلى القلوب الإنسانية من موقفه على قبر الوليد الصغير، دارف العينين، مكظوم الوجد، ضارعاً إلى الله.

نعم قد تفتت الرجاء في نفوس الألوف بعد الألوف، وهي في هذا الموقف قد تنقطع لها رجاء عزيز، رجاء – وأسفاه – لا يحييه كل ما بقيته المصلح من رجاء.

وكأني بمحمد يوم ذلك كان أقرب إلى نفوس الخالفين من بعده مما كان مع الجالسين حوله ومع أقرب الناس إليه. كان أقرب الناس إليه زوجاته، أمهات المسلمين. وكن يحببنه غاية ما يحب النساء الأزواج. ولكن حبهن إياه لم يكن في هذا الموقف من المقربات العاطفات؛ لأنه حب أثار غيرتهن من أم الوليد المأمول. فاحتجب من عطفهن بمقدار تلك الغيرة. وبمقدار ذلك الحب. ولا لوم عليهن فيما طبع عليه الإنسان، وفيما لا يقصدنه ولا يقدرن عليه.

وكان أقرب الناس إليه أصحابه الخاشعون بين يديه. وكان إكبارهم لسيد الأنبياء ينسيهم أنه أب من الآباء بل إنه أب أرحم من سائر الآباء.

(٣) «عبقرية محمد» ص ٧٨

ظنوا أن النبي ﷺ لا يحزن، كما ظن قوم أن الشجاع لا يخاف ولا يحب الحياة. وأن الكريم لا يعرف قيمة المال. لكن القلب الذي لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم. والقلب الذي لا يخاف لا فضل له في الشجاعة. والقلب الذي لا يحزن لا فضل له في الصبر. إنما الفضل في الحزن، والغلبة عليه، وفي الخوف والسمو عليه، وفي معرفة المال والإيثار عليه»[4].

اللهم إن هذا بصر نافذ إلى أغوار الأغوار، وشعاع موصول بأعمق الأعماق. وليس «العقاد» فيه بأديب كاتب فحسب، بل أديب كاتب عالم فيلسوف!

وأذكر أن بعض النجباء من القراء قد استنكر أن يقول «العقاد»: (مات ذلك الطفل الصغير، ومات ذلك الأمل الكبير) ثم عقب بما فحواه أن هذا يأس يتنزه عنه مقام الأنبياء، والشبهة واردة لا محالة وقد عقب عليها «العقاد» بقوله:

«إن هذا ليس بيأس يتنزه عنه مقام الأنبياء، وإنما هو علم بأن الحياة قد أصبحت للإشاحة والإدبار، ومحمد – عليه السلام – كان يقول: «إن معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين»[5]. فلا يأس في انتظاره إدبار الحياة بعد الستين، إنما اليأس الذي يتنزه عن مقام النبي – عليه الصلاة والسلام – أن ييأس من أداء الرسالة التي بعث بها إلى الناس، وهذه قد تمت يوم مات إبراهيم. فلا يأس فيها ولا حرج أن يقبل النبي بعدها على أخراه. وما قلناه عن محمد «عليه السلام» بعض ما قاله بلسانه الشريف حين قال: «إن ما به من موت إبراهيم لبهد الجبال» ثم استرجع. وما يكون الاسترجاع إلا أن يذكر الإنسان في كل عمر أنه تارك الحياة، وراجع إلى الله. على أني أقف عند قول «العقاد»: إن اليأس الذي يتنزه عنه مقام النبي ﷺ أن ييأس من أداء الرسالة التي بعث بها إلى الناس، لأعارضه بقول الله – عز وجل:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ﴾

(يوسف: ١١٠)

إلا أن يكون يأس الرسل في الآية مقصوراً على اليأس من النصر في معركة معينة، لا أن يكون يأساً من تمام الأداء»[6].

د. / محمد رجب البيومي

(٤) عبقرية محمد ص ١٧٣. (٥) كنز العمال ٤٢٦٩٦.

(٦) بين الكتب والناس ص ٢٣٠

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال - تعالى - :

﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ۝ وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ﴾

(الآيتان: ٧-٨)

قال القرطبى ما ملخصه: نزلت هذه الآية فى أوس بن ثابت الأنصارى. توفى وترك امرأة يقال لها: أم كُجَّة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما: سويد وعرفجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته وبناته شيئا. وكانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرا ويقولون: لايعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة. فذكرت أم كُجَّة ذلك لرسول الله ﷺ: فدعاهما فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرسا، ولا يحمل كلا، ولاينكأ عدوا. فقال ﷺ: «انصرفا حتى أنظر مايحدث الله لى فيهن» فأنزل الله هذه الآية.

ثم قال: قال علماؤنا : فى هذه الآية فوائد ثلاث:

إحداها: بيان علة الميراث وهى القرابة.

الثانية : عموم القرابة كيفما تصرفت من قريب أو بعيد.

الثالثة: إجمال النصيب المفروض. وذلك مبين فى آية المواريث، فكأن هذه الآية توطئة للحكم، وإبطال لذلك الرأى الفاسد حتى وقع البيان الشافى[1].

هذا، ومن العلماء من أبقى هذه الآية الكريمة على ظاهرها، فجعل المراد من الرجال: الذكور البالغين. والمراد من الوالدين: الأب والأم بلا واسطة والمراد من الأقربين: الأقارب الأموات الذين يرثهم أقاربهم المستحقون لذلك والمراد من النساء الإناث البالغات.

والمعنى على هذا الرأى : للذكور البالغين نصيب ؛ أى حظا مما ترك آباؤهم وأمهاتهم وأقاربهم كإخوتهم وأخواتهم وأعمامهم وعماتهم وللإناث البالغات كذلك نصيب مما ترك آباؤهن وأمهاتهن وأقاربهن... إلخ.

وبهذا تكون الآية الكريمة قد اقتصرت على بيان أن الإرث غير مختص بالرجال كما كان الجاهليون يفعلون بل هو أمر مشترك بين الرجال والنساء ثم جاءت آيات المواريث بعد ذلك فبينت نصيب كل وارث.

قال الإمام الرازى: ذكر الله - تعالى - فى هذه الآية هذا القدر، وهو أن الإرث مشترك بين الرجال والنساء - ثم ذكر التفصيل بعد ذلك - فى آيات المواريث -، لأنه - سبحانه - أراد أن ينقلهم عن تلك العادة وهى توريث الرجال دون النساء - قليلا قليلا على التدريج، لأن الانتقال عن العادة شاق ثقيل على الطبع. فإذا كان دفعة عظم وقعه على القلب، وإذا كان على التدريج سهل. فلهذا المعنى ذكر الله - تعالى - هذا المجمل أولا ثم أردفه بالتفصيل[2] ومن العلماء من يرى أن المراد بالرجال الصغار من الذكور ومن النساء الصغار من الإناث، وعلل مراده هذا بأن فيه عناية بشأن اليتامى، وفيه رد صريح على ما تعوده أهل الجاهلية من توريث الكبار من الرجال دون الصغار سواء أكانوا ذكورا أم إناثا. ومنهم من عممهم فى الرجال والنساء فجعل المراد من الرجال الذكور مطلقا سواء أكانوا كبارا أم صغارا. وجعل المراد من النساء الإناث مطلقا سواء أكن كبارا أم صغارا.

ويكون المعنى : للذكور نصيب مما تركه الوالدان والأقربون من متاع وللإناث كذلك

---

(١) تفسير القرطبى جـ٥ ص٤٦
(٢) تفسير الفخر الرازى جـ٩ ص١٩٥ بتصرف وتلخيص

نصيب مما ترك الوالدان والأقربون.

وعليه يكون المقصود من الآية الكريمة التسوية بين الذكور والإناث في أن لكل منهما حقا فيما ترك الوالدان والأقربون.

ويبدو لنا أن هذا الرأي الثالث أولى؛ لأنه أعم من غيره، وأشمل في الرد على ما كان يفعله أهل الجاهلية من عدم توريثهم للنساء مطلقا ولا للصغار وإن كانوا ذكورا؛ ولأنه يشمل سبب نزول الآية نصا، فقد ذكرنا في سبب النزول أنها نزلت في شأن بنات أوس بن ثابت وزوجته.

وقد أكد - سبحانه - حق النساء في الميراث بأن اختار هذا الأسلوب التفصيلي فقال:

﴿[illegible]﴾

مع أنه كان يكفي أن يقول: للرجال والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون؛ وذلك للإيذان بأصالتهن في استحقاق الإرث، وللإشعار بأنه حق مستقل عن حق الرجال، وأن هذا الحق قد ثبت لهن استقلالا بالقرابة كما ثبت للرجال، حتى لا يتوهم أحد أن حقهن تابع لحقهم بأي نوع من أنواع التبعية. ثم أكد — سبحانه — هذا الحق مرة أخرى بقوله:

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ أي أن حق النساء ثابت فيما تركه المتوفى من مال سواء أكان هذا المتروك قليلا أم كثيرا لأن الذكور والإناث يتساويان في أن لكل منهما حقا فيما ترك الوالدان والأقربون حتى ولو كان هذا المتروك شيئا قليلا.

فقوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ عطف بيان من قوله ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ لقصد التعميم والتنصيص على أن حق النساء متعلق بكل جزء من المال الذي ترك الوالدان والأقربون، ثم أكد — سبحانه — حق النساء في الميراث مرة ثالثة بقوله:

﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ لأن قوله: ﴿نَصِيبًا﴾ منصوب على الاختصاص والاختصاص يفيد العناية.

أي أن لكل من الرجال والنساء نصيبا فيما تركه الوالدان والأقربون، وهذا النصيب قد فرضه الله - تعالى - فلا سبيل إلى التهاون فيه، بل لابد من إعطائه لمن يستحقه كاملا غير منقوص؛ لأن الله هو الذي شرعه، ومن خالف شرع الله كان أهلا للعقوبة منه - سبحانه -. قال صاحب الكشاف: «وقوله: ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ نصب على الاختصاص بمعنى: أعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لابد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به بعضهم دون بعض ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله:

﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾

(النساء: ١١)

كأنه قيل: قسمة مفروضة»[٢].

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص ٤٧٦

هذا، وقد استدل الأحناف بهذه الآية على توريث ذوي الأرحام؛ لأن العمات والخالات وأولاد البنات ونحوهن من الأقربين، فوجب دخولهم تحت قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

وثبت كونهم مستحقين لأصل النصيب بهذه الآية، وأما المقدار فمستفاد من آيات أخرى كما هو الشأن في غيرهم.

أما المخالفون للأحناف فيما ذهبوا إليه فيرون أن المراد من الأقربين الوالدان والأولاد ونحوهم وحينئذ لا يدخل فيهم ذوو الأرحام. وعلى رأي هؤلاء المخالفين يكون عطف الأقربين على الوالدين من باب عطف العام على الخاص.

كذلك استدل الأحناف بهذه الآية على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه - قبل استحقاقه - لم يسقط حقه[١].

ثم أمر الله تعالى عباده بالتعاطف والتراحم ولاسيما عند تقسيم الميراث، وإعطاء كل ذي حق حقه فقال تعالى:

﴿[illegible] مَعْرُوفًا﴾

(النساء: ٨)

والمراد بالقسمة: التركة التي تقسم بين الورثة.

والمراد بذوي القربى هنا عند جمهور المفسرين: الأقارب الذين لا ميراث لهم في التركة.

والمراد باليتامى والمساكين: الأجانب الذين لا قرابة بينهم وبين الورثة.

والمعنى: وإذا حضر قسمة التركة ذوو القربى ممن لا نصيب لهم في الميراث، واليتامى الذين فقدوا العائل والنصير، والمساكين الذين أسكنتهم الحاجة وأذلتهم وصاروا في حاجة إلى العون والمساعدة ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي فأعطوهم من الميراث الذي تقتسمونه شيئا يعينهم على سد حاجتهم، وتفريج ضائقتهم ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: قولوا لهم قولا جميلا يرضاه الشرع، ويستحسنه العقل، بأن تقولوا لهم - مثلا -: خذوا هذا الشيء بارك الله لكم فيه، أو بأن تعتذروا لمن لم تعطوه شيئا. والآية الكريمة معطوفة على الآية السابقة عليها وهي قوله - تعالى -:

﴿[illegible]﴾

.. إلخ

وليس المراد من حضور ذوي القربى واليتامى والمساكين أن يكونوا مشاهدين للقسمة، جالسين مع الورثة؛ لأن قسمة الأموال لا تكون عادة في حضرة هؤلاء الضعفاء، وإنما المراد من حضورهم العلم بهم من جانب الذين يقتسمون التركة، والدراية بأحوالهم، وأنهم في

(١) تفسير الآلوسي جـ٤ ص ٢١١.

حاجة إلى العون والمساعدة.

وقدم ذوى القربى على اليتامى والمساكين؛ لأنهم أولى بالصدقة لقرابتهم، ولأن إعطاءهم بجانب أنه صدقة، فهو صلة للرحم التى أمر الله تعالى بصلتها . وقدم اليتامى على المساكين؛ لأن ضعف اليتامى أكثر، وحاجتهم أشد.

والضمير المجرور فى قوله: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ يعود إلى ما ترك الوالدان والأقربون، أو إلى القسمة بمعنى المقسوم باعتبار معناها لا باعتبار لفظها . أى ارزقوهم من هذا الميراث أو المال المقسوم.

والأمر فى قوله: ﴿فَارْزُقُوهُمْ﴾ يرى بعض العلماء أنه للوجوب؛ لأنه هو المستفاد من ظاهر الأمر، وعليه فمن الواجب على الوارث الكبير وعلى ولى الصغير أن يعطيا لذوى القربى واليتامى والمساكين شيئا من المال تطيب به نفوسهم.

ومن أصحاب هذا الرأى من قال: إن من الواجب على الوارث الكبير أن يعطى هؤلاء المحتاجين شيئا من المال المقسوم. أما إذا كان الورثة صغارا فعلى الولى أن يعتذر لهؤلاء المحتاجين، بأن يقول لهم: إنى لا أملك هذا المال المقسوم، لأنه لهؤلاء الصغار وعندما يكبرون فسيعرفون لكم حقكم وهذا هو القول المعروف.

ويرى كثير من العلماء أن هذا الأمر بالإعطاء للندب لا للوجوب، وأن هذا الندب إنما يحصل إذا كان الورثة كبارا، أما إذا كانوا صغارا فليس على أوليائهم إلا القول المعروف.

ومن حجج هؤلاء القائلين بأن هذا الأمر للندب والاستحباب: أنه لو كان لأولئك المحتاجين من ذوى القربى واليتامى والمساكين حق معين لبينه الله ـ تعالى ـ كما بين سائر الحقوق، وحيث لم يبين علمنا أنه غير واجب، وأيضا لو كان واجبا لتوفرت الدواعى على نقله؛ لشدة حرص الفقراء والمساكين على تقديره ولو كان الأمر كذلك لثبت نقله إلينا، ولما لم يكن الأمر كذلك علمنا أنه غير واجب.

وقد رجح القرطبى كون الأمر للندب لا للوجوب فقال: والصحيح أن هذا على الندب؛ لأنه لو كان فرضا لكان استحقاقا فى التركة ومشاركة فى الميراث، لإحدى الجهتين معلوم، وللأخرى مجهول .. وذلك مناقض للحكمة وسبب للتنازع والتقاطع.

ثم قال: وذهبت فرقة إلى أن المخاطب والمراد فى الآية المحتضرون الذين يقسمون أموالهم بالوصية لا الورثة. فإذا أراد المريض أن يفرق ماله بالوصايا وحضره من لا يرث ينبغى له ألا يحرمه. وهذا ـ والله أعلم ـ يتنزل حيث كانت الوصية واجبة، ولم تنزل آية الميراث. والصحيح الأول ـ وهو أن الآية فى قسمة التركة وأن المخاطبين بها هم المقتسمون للتركة. وعليه المعول[٥].

هذا، ومن العلماء من قال: إن هذه الآية قد نسخت بآية المواريث التى بعدها وهى قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (النساء: ١١)

وقد حكى هذا القول ـ أيضا ـ ورد عليه الإمام القرطبى فقال ما ملخصه: بين الله ـ تعالى ـ فى هذه الآية أن من لم يستحق شيئا وحضر القسمة وكان من الأقارب أو اليتامى والفقراء الذين لا يرثون أن يكرموا ولا يحرموا إن كان المال كثيرا والاعتذار إليهم إن كان عقارا أو قليلا لا يقبل الرضخ ـ أى العطاء القليل ـ فالآية على هذا القول محكمة. قاله ابن عباس وامتثل ذلك جماعة من التابعين: عروة بن الزبير وغيره وأمر به أبو موسى الأشعرى.

وروى عن ابن عباس أنها منسوخة نسخها قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وممن قال إنها منسوخة: أبو مالك وعكرمة والضحاك.

والأول أصح؛ فإنها مبينة استحقاق الورثة نصيبهم، واستحباب المشاركة لمن لا نصيب له ممن حضرهم.

وفى البخارى عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية: هى محكمة وليست بمنسوخة.

وفى رواية قال: إن ناسا يزعمون أن هذه الآية نسخت، لا والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس[٦].

وقال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قسم ميراث أبيه عبد الرحمن، وعائشة حية.. فلم يدع فى الدار مسكينا ولا ذا قرابة إلا أعطاه من ميراث أبيه وتلا هذه الآية: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ .. إلخ[٧] والخلاصة: أن الذى تطمئن إليه النفس هو قول من قال: إن الآية محكمة وليست بمنسوخة؛ لأنه أثر عن بعض الصحابة والتابعين أنهم كانوا يفعلون ذلك ويأمرون به، ولأن الروايات القائلة بأنها منسوخة روايات مضطربة، بخلاف الروايات القائلة بأنها محكمة فهى ثابتة فى صحيح البخارى؛ ولأن الآية الكريمة لا تتعارض مع آية المواريث لأنها إنما تأمر بما يؤدى إلى التعاطف والتراحم بين الناس، وهذا أمر لا ينسخ، بل هو ثابت فى كل زمان ومكان .

ونرى كذلك أن الأمر فى قوله ﴿فَارْزُقُوهُمْ﴾ على سبيل الندب والاستحباب لا على سبيل الفرض والإيجاب ـ كما سبق أن بينا ـ .

---

(٥) تفسير القرطبى جـ٥ ص٤٨
(٦) تفسير القرطبى جـ٥ ص٤٩
(٧) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٥٥

دين القوة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»

الشرح والبيان

الإسلام دين القوة في كل شيء، والمؤمن مصدر الخير، سواء كان صاحب إيمان قوي أو ضعيف، وفي كل من القوي والضعيف خير؛ لاشتراكهما في الإيمان، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات، وقد حث رسول الله ﷺ المؤمنين - في هذا الحديث الشريف - على أن يحرصوا على طاعة الله - عز وجل - وأن يرغبوا فيما عنده، وأن يطلبوا العون منه على ذلك، وألا يقصروا في طلب العون، وألا يتكاسلوا عن طلب الطاعة، وأن يؤمنوا بالقدر، وأن يردوه إلى مشيئة الله تعالى، وأنه لن يصيبهم شيء إلا قد قدره الله عليهم؛ لأن الشيطان يلقي في القلب معارضة القدر، ويوسوس للإنسان به.

وقد كان الرعيل الأول والسلف الصالح - رضوان الله عليهم - يطبقون ذلك ويترسمونه في حياتهم وسلوكهم، فاستقامت لهم الأمور، وانتظمت بهم الشئون، وسارت بهم في طريق الكمال، لا تلتوي بهم مسالك الهوى، ولا تأخذ بهم تيارات الشهوة عما أعده الله لعباده المؤمنين من حياة عزيزة ناعمة، وسعادة أبدية خالدة.

فالإسلام دين القوة في كل شأن من شئونه، فهو قوي في أصله وفرعه، في مبدئه وغايته، لأن الذي شرع الإسلام إله قوي عظيم عزيز، قال تعالى:

﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز ﴾

(هود: ٦٦)

وقال:

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾

(الحج: ٤٠)

وقال:

﴿ ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ﴾

(الحج: ٧٤)

وقال:

﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ﴾

(الأحزاب: ٢٥)

وقد خلق الله - سبحانه وتعالى - الخلق ليعبدوه، وما هو بحاجة إلى عبادتهم، فهم الفقراء إليه وهو الغني الحميد، قال تعالى:

﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾

(فاطر: ١٥)

وقال:

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ۝ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ۝ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾

(الذاريات: ٥٦-٥٨)

ودستور الإسلام وقانون المسلمين الذي يحكمهم في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم هو القرآن الكريم المعجز في ألفاظه، المتعبد بتلاوته - قوي في حججه وبلاغته بحيث أخرس كل لسان، وأعجز كل بيان، وتحدى كل مقوال فصيح، جناً كان أو إنساً، وقد سجل القرآن الكريم هذا التحدي - ولايزال التحدي قائما إلى قيام الساعة - قال تعالى:

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾

(الإسراء: ٨٨)

بهذه القوة القادرة القاهرة تحدى الخالق الخلق جميعا أن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سور أو بمثل أقصر سورة منه، فعجزوا عن ذلك عجزا بينا، قال تعالى:

﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾

(الطور: ٣٤)

وقال:

﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾

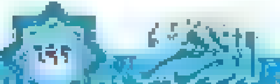
(هود: ١٣)

وقال:

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾

(البقرة: ٢٣)





شجاعة النبي ﷺ

والرسول الكريم ﷺ الذي بلغ القرآن ودعا إلى الإسلام – كان شجاعا قويا ذا عزيمة لا تقهر، وإرادة فتية لا تعرف التردد أو الوهن؛ فها هو ذا في غزوة حنين حين فر المسلمون عنه يثبت في الميدان كالطود الشامخ على بغلته البيضاء، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»[1] وأخذ يرددها حتى تجمع المسلمون حوله، بل استمع إليه حين طلبت قريش إلى عمه أبي طالب أن يتخلى عن نصرته أو يصرفه عن دعوته، فقال له عمه: أبق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فقال – عليه السلام – كلمته الشهيرة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه»[2]– عندها قال له عمه – حينما رأى قوته وصرامته – : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك إليهم أبدا.

وعند فتح مكة دخل المسلمون الحرم يطوفون حول الكعبة، فتهامس أهل مكة وهم يشيرون إلى أصحاب الرسول ﷺ قائلين: لقد أنهكتهم حمى يثرب، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يظهروا القوة في الطواف بالكعبة والسعي بين الصفا والمروة قائلا: «رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة»[3].

ولم يكن رسول الله ﷺ قوالا دون أن يكون فعالا، فدائما أبدا كان فعله يسبق قوله؛ لأنه القدوة، يقول علي – رضي الله عنه – «كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق ولقي القوم القوم – اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه».

إسلام عمر

ولقد نهج الصحابة – رضوان الله عليهم – منهج نبيهم ﷺ في الشجاعة والإقدام، فعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: «ما علمت أحدا هاجر إلا مختفيا غير عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فإنه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه، وحمل قوسه، وأخذ في يده أسهما، وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا، ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال: «شاهت الوجوه، من أراد أن تثكله أمه، وييتم ولده، وترمل زوجه – فليلقني وراء هذا الوادي» فما تبعه أحد منهم.

وهاهو ذا ابن عمر – رضي الله عنهما – يقول لأخيه يوم أحد: خذ درعي، فقال: أريد من الشهادة مثل الذي تريد، فتركاها جميعا:

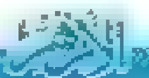
﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(آل عمران: ٣٤)

(١) كنز العمال، كشف الخفاء

(٢) سيرة ابن هشام المجلد الخامس

(٣) البداية والنهاية المجلد السابع



فالإسلام يأبى الذلة، وأتباعه لا ينامون على الضيم، الجهاد سبيلهم، والاستشهاد شرفهم وأمنيتهم

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾

(التوبة : ٥٢)

الإسلام حجة وبرهان

هذا والإسلام قوة في جميع المجالات، فهو قوة في العقل؛ لأنه يقوم على الحجة والبرهان، ويمج التقليد الأعمى، والمحاكاة الخالية من الدليل، وقد نعى القرآن الكريم على المشركين الذين تمسكوا بباطل لا سند لهم عليه غير أن آباءهم كانوا مقيمين عليه، فضعف عقولهم، وسفه أحلامهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

(البقرة : ١٧٠)

والإسلام قوة في البدن، قال رسول الله ﷺ: «إن لبدنك عليك حقا»[1]، ويفرض الإسلام على المسلمين أن يكونوا أقوياء في أبدانهم، وأن ينسلوا أبناء أقوياء، يعلمونهم السباحة والرماية وما يكسبهم المهارة والشجاعة.

والإسلام كذلك قوة في اللسان، فهو ينبذ الشكاية والهلع، والخوف والفزع، ويوجب على المسلم أن يكون جريئا بالحق على الباطل، غير هياب للأهوال، إذا عزم على شيء مضى فيه، وتوكل على الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

ولا يرضى له الضعف والتردد بأن يقدم رجلا ويؤخر أخرى، وإذا صادفته مشكلة – وما أكثر المشكلات! – وقف أمامها حائر الفكر، خائر الأعصاب، طائش الصواب، زائغ الرأي، لا يكاد يستقر على حال، بل يريده قويا في رأيه، راسخا في عمله، واضحا في هدفه، لا يعرف التردد سبيلا إلى نفسه، فإذا أصابه شيء من المكروه – فلا ييأس، وإذا فاته أمر كان يحرص عليه فلا يندم، وليقل بعد ذلك: «ما شاء الله قدر، وما أراد فعل».

ومن ثم جاهد المسلمون في سبيل الله أعداء الله وأعداءهم بكل ما أوتوا من قوة مضحين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله رغبة فيما عند

(١) مجمع الزوائد

الله، وحرصا على مرضاته، واستجابة لقول الرسول ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[5]، وقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»[6].

وقد وصف الله المؤمنين بأعظم الأوصاف، فقال:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

(الفتح: ٢٩)

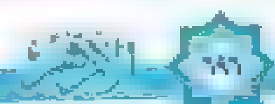
وهذا وصفهم في الكتب السماوية السابقة، ولا تكون الشدة إلا عندما تنتهك حرمات الله أو تتعدى حدوده، أما ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون فيما بينهم فالتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى، فلا شدة فيما بينهم ولا قسوة، وقد روى الإمامان البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، فصفة المؤمن أن يكون شديدا عنيفا على الكفار، رحيما برا بالأخيار، عبوسا غضوبا في وجه الكافر، بشوشا ضحوكا في وجه أخيه المؤمن.

والقوة بهذا المعنى مظهر من مظاهر الرجولة الحقة، وثمرتها محبة الله – عز وجل – ورضاه، وهي بهذا تكون صمام أمن للمجتمع من الأخطار والأعداء، وتكون – في الوقت نفسه – صيانة للعرض والنفس والمال، فلابد من تحصيل القوة والإعداد لها، لتكون رادعة في التعامل مع الكفار وغيرهم من أعداء الإسلام.

التشدد في العبادة !!

وقد نهى الإسلام عن القوة والتشدد حتى وإن كان ذلك في العبادة، رحمة بالنفس ورفقا بها، فقد روى البخاري – رحمه الله – عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: «دخل النبي ﷺ: فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت – أي: قل نشاطها في العبادة – تعلقت – أي: بهذا الحبل، لتستعيد نشاطها وقوتها – فقال النبي ﷺ: «لا، حلوه ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد». وروى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كانت عندي امرأة من بني أسد، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: من هذه؟ قلت: فلانة؛ لا تنام الليل – تذكر من صلاتها – فقال ﷺ: «مه – أي: كفوا – عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله – عز وجل – لا يمل حتى تملوا».

(٥) النسائي، كتاب الجهاد.
(٦) مسند أحمد، كتاب مسند المكيين.



الصدقة في ميزان الإسلام

صدقة تحصن الأموال وأخرى تداوي الأمراض

لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

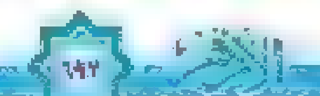
من فيض الأنوار المحمدية الهادية الواعظة صدقتان كريمتان، إحداهما تحصن الأموال وتحفظها وتباركها وتنميها، والأخرى تداوي الأمراض والأسقام وتشفي من العلل والأوجاع، الأولى تسمى زكاة مفروضة، والثانية تسمى صدقة تطوع. ولقد صدّر الإمام ابن حجر الهيتمي الفصل الأول من كتابه الإمامة فيما جاء في الصدقة والضيافة في الباب الأول بعنوان: الفصل الأول فيما يتعلق بالزكاة ترغيبا وترهيبا وفيه ما يلي:

الحديث الأول:

عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ».

أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والخطيب في تاريخ بغداد ومجمع الزوائد، وقال الهيثمي: فيه موسى بن عمير الكوفي متروك. كذلك رواه أبو داود في مراسيله، لكنه قال: «واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع».

وقوله: «حصنوا أموالكم بالزكاة» أي: بإخراجها،



فإنه ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة، فأداء الزكاة كالحصن للأموال تحرس بها وتحصن بأدائها من آفات عقوبات تركها، قال بعضهم: إنما أمر ﷺ بتحصين المال بالزكاة؛ لأن للمال مستحقين، المساكين والحوادث وأصحاب العوز والكربات والمطالب بحق الفقراء هو الله سبحانه وتعالى والحوادث التي تأتي بها الأقدار، فمن زكى فقد أرضى الله تعالى، فيجوز أن ترفع المقادير نزول الحوادث بمن أدى حق الله تعالى.

وقوله: «داووا مرضاكم بالصدقة» أي صدقة التطوع فإنها نعم الدواء ومن أنفع الدواء الحسي، من نحو إطعام الجائع وصنع المعروف لذي القلب الملهوف، وجبر القلوب المنكسرة كالمرضى من الغرباء والفقراء والأرامل والمساكين، الذين لا يؤبه بهم ولا يلتفت إليهم غالبا، ففي فعل ذلك لون من التداوي الروحاني. لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. فالطب نوعان: جسماني وروحاني والنبي ﷺ أرشد إليهما؛ فقال: «تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء» رواه الترمذي وصححه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين، وقال في حديث آخر: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء» اللفظ لابن ماجة وأخرجه البخاري بمعناه، وفي كلمات الرسول ﷺ في الحديث الذي معنا إشارة إلى هذا النوع من الدواء الروحاني وهو الصدقة، جاء في فيض القدير: كان المصطفى ﷺ يعالج الأمراض بثلاثة أنواع: بالأدوية الطبيعية وبالأدوية الإلهية - والتداوي بالصدقة منها - وبالأدوية المركبة منهما؛ أي الطبيعية والروحانية، وكان ذوو الفهم عن الله تعالى إذا كان لهم حاجة يريدون سرعة حصولها، كشفاء مريض مثلا يأمرون بصنع طعام حسن بلحم كبش كامل، ثم يدعون له ذوي القلوب المنكسرة (داعين الله فداء رأس برأس).

ومما جاء في إبراء الأمراض بالصدقة، ما روي عن علي بن الحسن بن شقيق قال: «سمعت ابن المبارك وسأله رجل: يا أبا عبد الرحمن قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجتها بأنواع العلاج وسألت الأطباء فلم أنتفع به، قال: اذهب فانظر موضعا يحتاج الناس فيه الماء فاحفر هناك بئرا فإني أرجو أن تنبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ» رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وقال: وفي هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبي عبد الله - رحمه الله - فإنه قرح وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب، وبقي فيه قريبا من سنة، فسأله الإمام أبو عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة، فدعا له وأكثر الناس التأمين. فلما كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة، فرأت في منامها رسول الله ﷺ كأنه يقول لها: قولي لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين، فأمر الحاكم بسقاية بنيت على باب داره وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد (الثلج) في الماء، وأخذ الناس في الشرب، فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء، وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن مما كان.

هذا والناظر في تجليات الرحمة الإلهية في الحديث الشريف، يجد عجبا؛ فإخراج القدر الواجب شرعا في المال هو الزكاة، فوق الثواب عليه من الله تعالى، وفوق الآثار الحسنة الأخرى من الخلف والثواب، فإن الله سبحانه وتعالى وهو المحسن الكريم يخشى من الزكاة حصنا حصينا منيعا يحاط به المال الذي أخرجت زكاته - بقدرة الله تعالى إحاطة إلهية - إحاطة حفظ وصيانة وحماية، فلا يتلف ولا يحترق ولا يناله سارق أو يتمكن منه معتد، على عكس المال الذي لم تخرج زكاته؛ فإنه يعرض للتلف والسرقة ومحو البركة منه. ولقد قص علينا القرآن الكريم في سورة القلم قصة أصحاب الجنة لما أرادوا منع حق المساكين في مالهم المتمثل في ثمار حديقتهم المثمرة فأبيدت واحترقت وحرمهم الله تعالى منها. قال تعالى:

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾

(القلم: ١٩ - ٢٠)

أي طاف على جنتهم تلك طائف من جهة الله تعالى فأحرقها فصارت كالبستان الذي قطعت ثماره.

وكذلك كل مال لا تخرج فيه الزكاة فإن الله تعالى يهلكه ويهلك أصحابه، كما فعل المنتقم الجبار بصاحب الجنتين الذي أمسك وبخل وشح واستكبر، قال تعالى:

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾

(الكهف: ٤٢)

أما صدقة التطوع غير المفروضة فهي أيضا مع ما لها من أجر وثواب عند الله تعالى، وما يترتب على إنفاقها في سبيل الله تعالى من خير في الدنيا والآخرة فإن الله تعالى يجعل فيها بإذنه تعالى دواء شافيا للمرضى، قال العلماء: وقد جرب الموفقون ذلك، فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ثم قالوا: ولا ينكر ذلك إلا من كثف حجابه، وأظلم قلبه، فيا سعادة من تسابق في الخيرات، وأخرج الزكاة وبذل الصدقات ابتغاء مرضاة الله وابتغاء وجهه الكريم فله الخير والمغفرة والأجر العظيم من رب كريم، وله قبل ذلك في الدنيا حماية إلهية لماله وشفاء ربانيا لأسقامه، ألا فتبارك الله المنعم الكريم، والشافي من كل الأمراض بإذنه تعالى ومنه دعوة من القلب لكل مؤمن أن يجرب بنفسه ذلك وهو واثق بقول الرسول ﷺ وبقدرة المولى عز وجل والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

نبذ الإسلام للإرهاب

الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية

لقد دعا الإسلام إلى الإيمان بجميع الرسل دون تعصب فقال تعالى:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (البقرة: ٢٨٥)

وجعلت عبادة الإسلام سمحة لا حرج فيها

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨)

وجاءت تنشد التيسير

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥)

[illegible] والرحمة في حال [illegible] في وقت اليسر [illegible] في وقت الحرب [illegible] ولا تحرق زرعا ولا [illegible]

هذه تعاليم الإسلام حتى في وقت نزول العدو فما بالك به في وقت السلم، إنه يعد العدوان على النفس الإنسانية خروجاً عن حظيرة الإسلام:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣)

يعد الإسلام العدوان على نفس واحدة بأنه عدوان على البشرية جمعاء لا على نفس واحدة قال تعالى:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢)

(١) البخاري، كتاب البيوع



فيعد العدوان على النفس الواحدة عدواناً على البشرية جمعاء لأن الاستهتار بحرمة النفس الإنسانية في موطن يغري بالاستهتار بها في مواطن أخرى، ولأن العدوان عليها في شخص يغري بالعدوان عليها في أشخاص بل في دولة برمتها:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة: ٣٢)

ويصور لنا سيدنا المصطفى ﷺ حرمة النفس الإنسانية وعظمتها ومكانتها حين يطوف بالكعبة المشرفة، وللكعبة حرمتها ومكانتها فيقول - وهو يلقي عليها نظراته الحانية -: «ما أطيبك وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً»[٢].

ويصون الإسلام حرمة النفس من أن يعتدى عليها حتى بمجرد التهديد والتخويف والترويع دون قتل فيحرم ذلك حيث جاء في الحديث: «من أشار إلى أخيه بحديدة لعنته الملائكة ولو كان أخاه لأبيه وأمه»[٣]، بل إن الإسلام يحرم الإرهاب حتى ولو كان بالنظرة التي يخيف الإنسان بها أخاه الإنسان فيقول: «من نظر إلى أخيه نظرة يخيفه من غير حق أخافه الله يوم القيامة»[٤]. ولا يقتصر أمر حرمة النفس الإنسانية وأمر صيانة الإنسان لها على هذا النحو فحسب بل إنه يصون حرمة النفس ولو كانت غير مسلمة ولو كانت غير تابعة لدين الإسلام.

فالإنسان الذمي يقول عنه سيدنا رسول الله ﷺ: «من آذى ذمياً فأنا خصمه»[٥]، وهو من له ذمة وأمان وعهد لا يصح أن نعتدي عليه ولا على أحد لم يحاربنا ولم ينازلنا المعركة.

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الممتحنة: ٨)

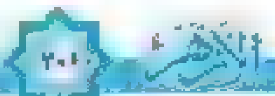
بل وضح الرسول ﷺ أنه بريء ممن اعتدى على حرمة نفس من غير المسلمين من أهل الأمان والعهد الذين لا يحاربوننا يقول: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[٦]. صلوات الله وسلامه عليك ياسيدي يارسول الله يامن جئتنا بالحنيفية السمحة التي حافظت بها على حرمة كل نفس إنسانية لأن القرآن الكريم هو الذي قال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

(الحجرات: ١٣)

إنه نادى الناس جميعاً، نادى المؤمنين وغير

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن
(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة
(٤) مصنف عبد الرزاق ٩٦٨٧
(٥) كشف الخفاء كنز العمال
(٦) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء



المؤمنين.. كرم بني آدم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

(الإسراء: ٧٠)

بكل عقائدهم، بكل هوياتهم وأوطانهم، لقد صان حرمة النفس الإنسانية أن يعتدى عليها أو أن تظلم بل إن سيدنا رسول الله ﷺ ضرب أروع المثل في سماحة الإسلام حتى مع أعدائه الذين نازعوه وناصبوه العداء فحين أسروا ثمامة وهو سيد بني حنيفة وصلب وعرض عليه الإسلام وكان يرفض ويقول: إن تقتل تقتل ذا دم أو تنعم تنعم على شاكر أو تسأل مالاً تعطَ.. فيتركه ويعرض عليه في اليوم الثاني وفي الثالث الإسلام فيرفض حتى إذا ما رآه لا حاجة له في أن يدخل الإسلام عفا عنه وقال: «أطلقوا سراحه» أطلقوا سراحه وعفا عنه رسول الله ﷺ لم يكرهه على الدخول في الإسلام.

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

ولكن انظروا إلى نتيجة هذه السماحة وروح الرحمة عندما لما عفا عنه وأطلق سراحه، وهو سيد قومه الذين ناصبوا المسلمين العداء بالأمس.. راجع الرجل نفسه وقال أهذه أخلاق بشر عاديين؟ كنت عدوهم وكنا نحاربهم بالأمس وأخذوني وأسروني ومع هذا لم يكرهوني على دينهم ولم يقتلوني وعرضوا عليَّ دينهم ورفضته، ومع هذا يعاملونني بهذه السماحة، والله ما هي بأخلاق بشر أبداً، وإنه للدين الحق والرسول الحق.. واغتسل الرجل وجاء والماء يقطر من أعضائه ليقولها صريحة مدوية: اعلم يا محمد ما كان من وجه أبغض إليَّ من وجهك وأصبح أحب الوجوه إليَّ، وما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك أصبح أحب البلاد إليَّ وما كان من دين أبغض إليَّ من دينك وأصبح أحب الأديان إليَّ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

الإسلام صان حرمة النفس

بهذا الأسلوب والمنهج دخل الناس في دين الله أفواجاً لأن الإسلام صان حرمة النفس الإنسانية وصان حرمة المسلم وصان حرمة غير المسلم.. أفدين هذه أخلاقه وتعاليمه يوصف بأنه دين إرهاب ودين تشدد ودين دموي؟

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

(الكهف: ٥)

ليس الإسلام بدين إرهاب بل إن الإسلام ضد الإرهاب، إن الإسلام يقاوم الإرهاب وإن المسلمين قاطبة لا يرضون الإرهاب في أي وطن كان.. في مصر أو في أي بلد عربي أو بلد أجنبي أو في أمريكا أو في غيرها، لا يرضى المسلمون الإرهاب بحال من الأحوال، إنهم يمقتونه في كل موقع وفي كل مكان ولا يقبلونه بحال من الأحوال.

لكن يجب على المجتمع الدولي أن يفرق بين ظواهر العدوان والإرهاب التي تمثل عدواناً وظلماً على النفس الإنسانية وعلى الأموال وعلى الأعراض وبين قوم يجاهدون ويدافعون عن أنفسهم وعرضهم وأرضهم ومقدساتهم، فإخواننا في القدس الشريف يدافعون عن أرضهم بين شعب اجتث من جذوره واقتلع من أرضه وأصبحوا لاجئين ويزرع في أرضهم مستوطنات غريبة فإن كافح هذا الشعب ليأخذ حقوقه وليأخذ حقه على الأرض وعلى ظهر هذه الحياة أيكون كفاحه من أجل أن يدفع الظلم والعدوان يسمى هذا إرهاباً؟ لا.. يجب أن نفرق بين هذا الذي يدافع عن أرضه وعرضه وبين المعتدي الذي يظلم الآمنين ويروع المطمئنين ويضرب كل مصالح الناس أياً كان هؤلاء الناس.. إننا ونحن نعادي الإرهاب يجب أن نوضح حقيقة يجب ألا تغيب عن الأذهان، إن المجاهدين في كل الأقليات الإسلامية في البوسنة والهرسك وفي فلسطين ليسوا إرهابيين لأنهم يدافعون عن دينهم وأرضهم وعرضهم التي أخرجوا منها بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.. العجوز الشمطاء التي تدفن تحت السقف والرجل الكبير الذي ترك موطنه والطفل الذي يضرب عياناً في وضح النهار وهو لم يحمل سلاحاً، هؤلاء جميعاً يستصرخون الضمير العالمي في كل فئة على ظهر الأرض..

إن أبناء الأخوة المؤمنين ترفض الإرهاب وتحض مقاومته في كل أوكاره وفي كل مكان وتنادي المجتمع الدولي أن يستجيب لدعوة القائد الرئيس مبارك الذي أخلص لقضية هذه الأمة وقضايا الإنسانية جمعاء حين طوف في أوروبا ونادى بمؤتمر دولي تقام فيه مناقشة من أجل حق الدماء، من أجل مقاومة الإرهاب، من أجل تصفية جيوبه في كل مكان، وليس من أجل ضرب دولة في جراء فئة قليلة انحرفت وظلمت، وهذا هو عين العدل والصواب ألا تأخذ بجريرة أفراد فئة دولة برمتها أو دولاً بل يجب على الأمة برمتها وعلى النظام الدولي أن يكون على وعي بهذا، وأن يكون مدركاً أن ديننا الإسلام لا يمكن أن يقبل الإرهاب أبداً، ونحن نعلن برفضنا من الإرهاب وجهادنا ضد الإرهاب ومقاومتنا للعنف والإرهاب ومن قبل الثمانينيات ونحن نقاوم الإرهاب ونحاوره في أكبر الندوات واللقاءات من أجل تصفية جيوبه حتى صفا مناخ مصر منه والحمد لله ونرجو الله أن يصفي العالم من الإرهاب بكل أشكاله إنه لسميع قريب.

حاجة ماسة لتوحيد الصفوف

لقد كنا في مؤتمر إسلامي عالمي للجامعات الإسلامية كنت أمثل فيه جامعة الأزهر، وقد أجمعت تسعون جامعة إسلامية على رفض الإرهاب وعلى الإعداد لمقاومته وعلى تأييد القائد والرئيس مبارك في دعوته لمؤتمر دولي تقوم فيه مناقشة بين سائر الدول لتصفية جيوب الإرهاب والاجتثاث من جذوره حتى يعيش عالمنا المفزع المروع بدل هذه الحروب وبدل هذه الملايين التي تهدر في ضياع الناس وسيلان الدماء وإهدار الدم هنا وهناك بدل ذلك تدفع هذه الأموال من أجل البطون الجائعة، من أجل الأقليات المعذبة، من أجل رغيف الخبز لهؤلاء الجياع والمحتاجين.. إننا في حاجة ماسة إلى أن نوحد صفوفنا في كل مكان وزمان وأن نكون جميعاً على قلب رجل واحد وأن نكون في استقرارنا ودعوتنا للسلام عاملين في حكمنا..



عندما ذاع وشاع قول شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا[1]

انبرى الشاعر السيد حسن القاياتي لابداء رأيه في هذا البيت، ونظن أن هذا كان في «صحيفة منبر الشرق»[2] وكان هذا الرأي القاياتي[3] يدور حول أن لفظ «الأخلاق» لا ينبغي أن يذكر على إطلاقه لأن الأخلاق قد تكون أخلاقاً حسنة أو عكس ذلك. فأي الصنفين أراده «شوقي» هنا؟

إن الأخلاق لا تذهب ولا تجيء وإنما هي جزء من كيان الفرد والجماعة، وسمة لازمة للمرء والمجتمع فيقال: إن من خلق هذا الإنسان الصبر أو الشجاعة أو الكرم مثلما يقال عنه من خلقه الاندفاع والتهور أو الجبن أو البخل وهكذا.

ومن هنا نرى أن من فروع علم الاجتماع ما يعرف «بالاجتماع الأخلاقي» الذي يتناول أخلاق المجتمع المتمثلة في العرف والعادات والتقاليد وغيرها مما اصطلح بتسميته «بالعقل الجمعي «Group mind» الذي هو من الجماعة بمثابة الضمير من الفرد فيصدر أحكاماً مباشرة على القيم الأخلاقية.

والحقيقة أن المناطقة الذين يكلفون بدقة الألفاظ وتحديد المفاهيم يقفون إلى جانب هذا النقد «القاياتي» لهذا البيت «الشوقي» الذي أصبح يجري مجرى المثل، وينتشر بين الناس - ولا سيما في مجال تربية الناشئة - «انتشار النار في الهشيم» كما يقال.

ولقد دعاني هذا إلى استقراء ما جاء في بعض معاجم اللغة للوقوف على القول الفصل في هذا المجال، فوجدت في مادة «خلق» ما يشبه الإجماع على أن الأخلاق هي جمع «خلق» وأن من معانيها «العادة أو السجية أو الطبع».

■ الخلق في القرآن والسنة

أما القول الفصل، والمرجع العدل فإننا نجده في كتاب الكتب «القرآن المجيد»، وفي أقوال الرسول الكريم ﷺ.

يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة القلم، وهو يقلد نبيه المصطفى ﷺ قلادة التشريف والتكليف جميعاً:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(القلم: ٤)

فالحكيم عز وجل لم يذكر لفظ الخلق هنا على إطلاقه ولكنه نعت هذا الخلق بالعظمة التي ترتفع بصاحبها إلى المقامات العلا.

وعندما تحدث النبي ﷺ عن رسالة الحقيقية لسمحاء قال: (بعثت لأتمم حسن الأخلاق)[4].

فهو عليه الصلاة والسلام هنا لم يذكر الأخلاق على إطلاقها، ولكنه خص مكارمها. كما نراه ﷺ في حديث آخر يؤكد الأهمية الأخلاقية في جلالة الرابطة الأسرية الذي يقوم على الزواج الموفق فيقول: (إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)[5].

فهو ﷺ هنا يقرن بين الدين والأخلاق المرتضاة، وكأنه ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى - ينبه البشرية إلى ما يحدث اليوم من أساليب الزواج الذي لا يرضاه خلق ولا دين، وما يسفر عنه من جرائم أسرية خطيرة. وما يصحب هذا من الطلاق «السريع» الذي هو نتيجة طبيعية للزواج «المتسرع»، وكذلك ما يجري على هامش هذا الانهيار من جرائم التحرش، والاختطاف والاغتصاب وغير ذلك من ألفاظ القاموس «الأخلاقي» المبتكر في إطار العولمة.

وإذا كان خلق المرء ذا طابع باطني داخلي فإن سلوكه هو المظهر الخارجي المعبر عن هذا الخلق. فأنت ترى خلق المرء في مرآة سلوكه، ويتفاوت الناس فيما بينهم في مدى تطابق السلوك الجلي مع الخلق الخفي لأن كثيراً من ذوي الغرض والمرض يخفون ما لا يعلنون، ويعلنون ما لا يخفون، ولكن كثيراً أيضاً من ذوي الفطنة

(١) من قصيدة لشوقي في تهنئة الخديو عباس حلمي بالعيد - نشرت في طبعة الشوقيات عام ١٨٩٨.

(٢) كان يصدرها الشيخ علي القاياتي بحيفا عام ١٩٢٢ ثم نقلها للقاهرة عام ١٩٢٧ واحتجبت بعد وفاته عام ١٩٥٥ وهو صحفي وشاعر مصري تعلم بالأزهر الشريف.

(٣) شاعر وكاتب وفقيه ووكيل الدراسة للإمام الراحل الشيخ مصطفى عبدالرازق، له ديوان مطبوع عام ١٩٠٨، وآخر مخطوط لدى أسرته، توفي عام ١٩٥٨.

(٤) عن أبي هريرة وغيره، «الموطأ لمالك بن أنس».

(٥) الترمذي والحاكم عن أبي هريرة «الجامع الصغير للسيوطي».

والكياسة لا تنطلى عليهم أساليب هؤلاء اللئام الذين هدهم الشاعر العربى القديم بقوله:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة[1]
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فمن يدعى أنه يتمتع بمهارة الإخفاء والخداع قد قيض له من يتحلى بمهارة الاكتشاف والاستجلاء.

ولعل هذا من سنن التوازن الأخلاقى بين الناس كشأن المادة التى يتعادل فيها السلب والإيجاب، ومن هنا يقال فى مثل هذا السياق (إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً) لأنك مهما أخفيت الحقيقة فإن الحق لك بالمرصاد إذ إن المواقف تتعدد وتتنوع، فالموقف الذى تكذب فيه قد يتلوه موقف آخر يكشف هذا الكذب ولو بعد حين، وعندئذ يقع الكذوب فى شر أعماله كما يقال.

وإذا كان هذا فى مجال الأقوال فإنه كذلك فى مجال الأعمال والأفعال، وذلك مثل اللص الذى يتظاهر بالأمانة، والقاتل الذى يتشدق بالبراءة، والزانى الذى يدعى الطهارة، والمرتشى الذى يتحلى بالنزاهة، وغير هذا وذاك من أدعياء الخلق الكريم بينما هم غارقون فى الخلق اللئيم.

ولعل هذا مما قرره القرآن الكريم فى آيات النفاق حيث يقول:

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف: ٣)

وكذلك فى قوله سبحانه:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

(النساء: ١٤٥)

والخلق الكريم يكسو أصحابه برداء الفضل والكرامة والمهابة وإن كانوا أحياناً فى نظر أصحاب المعايير الظالمة (على الهامش) مهملين، بينما الخلق اللئيم يلطخ ذويه بالضعة والمهانة والصغار وإن كانوا أحياناً أمام النظر الأعشى أفذاذاً وأساطين.

■ الأخلاق والفكر الإنسانى

ولقد شغل موضوع الأخلاق الفكر الإنسانى منذ القدم فى مختلف الحضارات والثقافات، سجلته مخطوطات البردى المصرية القديمة فى توجيهات الآباء لأبنائهم، وعرفته الفلسفة الإغريقية فيما قبل الميلاد حيث كانت «الفضيلة» هى محور كتاباتهم ومساجلاتهم عندما قال أفلاطون مثلاً: «إن الفضيلة وسط بين رذيلتين» وعندما خصص أرسطو كتاباً مستقلاً عن «الأخلاق» بل عندما قدم أستاذهم سقراط نفسه

[1] من معلقة زهير بن أبى سلمى — والخليقة هى طبيعة المرء وخلقه أى أن الأخلاق لا تخفى بحسنها وسوئها.

قرباناً على مذبح الدعوة إلى الخير والحق على أيدى «السوفسطائيين»[2] الذين تمتد سلالاتهم فى كل زمان ومكان.. وإلى الآن!!

وهكذا حتى رأينا «الخير» قد أصبح مبحثاً من أهم مباحث الفلسفة وقيمة عليا من القيم الثلاث التى تواضع عليها الفلاسفة وهى «الحق والخير والجمال» حيث يبحث الخير فى المعايير التى تميز بين الخير والشر فى سلوك الإنسان. وهل هو قيمة مطلقة ثابتة أم هو قيمة نسبية متغيرة فى الزمان والمكان. حتى حظيت فكرة الخير رحالها فى الفلسفة عند الفيلسوف الألمانى عمانويل كانط Kant الذى اعتبر الخير واجباً أخلاقياً يفرضه العقل بعيداً عن الأهواء والعواطف والانفعالات.

■ الطابع الأخلاقى فى الإسلام

ونحن لا نريد أن نتمادى فى هذا المجال «الأكاديمى» النظرى البحت بقدر ما نود أن نتناول مسألة الخير كمحور للأخلاق التى يغلب عليها الطابع العملى الذى ينظم حياة الناس ولا سيما فى معاملاتهم اليومية. وهذا ما نراه فى تعاليم الإسلام الذى يوجه سلوك الإنسان بصفة عامة والمسلم بوجه خاص توجيهاً يتسم بالفطرية والبساطة والوضوح دون تفلسف فى التفكير أو تقعر فى التعبير فى استقامة الخط المستقيم الذى يقود أوله إلى آخره بلا تشعث أو اعوجاج وذلك من منطلق قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

والمتأمل فى أوامر الإسلام ونواهيه يراها ذات طابع أخلاقى فهو لا يخصص للأخلاق باباً محدداً أو مبحثاً معيناً بل إنك ترى الإسلام يحض على مكارم الأخلاق وينفر من مساوئ الأخلاق فى كافة المجالات مثل المجال الأسرى، والاقتصادى، والسياسى، وغير ذلك سواء فى السلم أو الحرب، ونستنبط من هنا أن قوام بناء الحياة الإنسانية فى الإسلام هو المحور الأخلاقى المستقيم الذى تدور حوله عجلة الحياة فعندما يقول الإسلام للمسلم «افعل» فإنه يهديه إلى مواطن الخير وعندما يقول له «لا تفعل» فإنه ينبهه إلى مزالق الشر على أساس أن «الحلال بيّن والحرام بيّن» ولكن أصحاب الأهواء من سلالة قابيل يحاولون إسدال الستور وتشويه الأمور.

ومن هنا نلمس أهمية المؤشرات الأخلاقية النبيلة فى إضاءة الطريق نحو الحق، وبالتالى نحو الهدى الربانى المستقيم.

[2] ظهروا فى اليونان واتخذوا من الجدل صنعة وأسلوباً للمغالطة والكسب المادى.

■ الخلق النبيل في التراث العربي

ولقد سمعنا في الجاهلية عن أناس عرفوا الحق بفطرتهم فبحثوا عنه، وعرفوا الباطل بفطرتهم أيضاً ففروا منه والأمثلة على ذلك كثيرة.

قال الباجي[8]: كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث ﷺ ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه[9].

ألا تذكر قول الشاعر الجاهلي الذي دفعته كرامته وشهامته إلى صون حق الجوار عندما تبدو له جارته فيستحي من النظر إليها ثم يشيد بمبادئه الأخلاقية في هذا المجال:

وأغضُّ طرْفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها[10]

ألا تتأمل «أخلاقيات حاتم طيء» وهي أخلاقيات فاضلة شهيرة وجهيرة في الكرم وحسن الخلق حيث يقول لزوجته «ماوية» عندما عاتبته على كثرة البذل والعطاء:

«أماوي» إن المال غاد ورائح
ويبقى على الناس الأحاديث والذكر

وقد صدق حاتم الذي خلد ذكره الكرم ولم يخلده المال بل الذي نال تقدير النبي ﷺ، وذلك عندما أسر المسلمون ابنة حاتم في بعض الغزوات ثم وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، وقالت له: «يامحمد هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلي عني فلا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمل الضعفاء ويقري الضيف ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا بنت حاتم طيء» فإذا بنبي الأخلاق العليا والقيم المثلى ﷺ يقول لها:

«ياجارية هذه صفة المؤمن حقاً، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق»[10].

وهكذا تنتظم حبات الدين ورفيع السجايا في العقد الإسلامي الفريد.

وناهيك في هذا السياق بقول «قس بن ساعدة الإيادي»[11] وقد اقترب بفطرته النقية من طريق الحق قبل البعثة المحمدية المطهرة:

«يا أيها الناس اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم شيئاً فانتفعوا، إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا، تبا لأرباب الغفلة، أين الآباء والأجداد وأين المريض والعوّاد، وأين الفراعنة الشداد، كلا بل هو الله الواحد المعبود وليس بوالد ولا مولود».

ثم هذا «أمية بن أبي الصلت»[12] الذي ينسب إليه قوله:

كل دين يوم القيامة عند الله
إلا دين الحنيفة زور

وكان أمية يخبر بأن نبياً يبعث قد أظل زمانه.

■ الأخلاق الفاضلة والتربية

ولا شك في أن التربية الأخلاقية السليمة في المرتبة الأولى هي مسئولية المربين في كافة مجالات التربية المتعددة والمتنوعة. لقد كنا - ونحن ناشئة غضة - نتلقانا في مجال التربية جهتان هما: الأسرة ودار التعليم، وكان ما نسمعه من توجيهات أخلاقية في الأسرة هو نفسه الذي نسمعه في دار التعليم، بل كان هو ذاته ما نلمسه في الطريق فكان هناك اتساق واضح في المسيرة التربوية مما كان يعين على تكوين الشخصية الموحدة المتكاملة للناشئ في معظم الأحوال.

أما اليوم فقد تعددت وتضاربت مجالات التربية المقصودة وغير المقصودة، المسئولة وغير المسئولة، وأترك للقارئ المؤمن الكيس الفطن الاجتهاد في معرفة هذه المجالات المنتشرة على الأرض وعبر الفضاء، ومنها المحمول والمنقول، وغير هذا وذاك مما هو رهن الحس وليس رهن الفكر والوجدان.

وليت هذه المجالات تتفق معاً على أسلوب واحد في تربية الناشئة، لكنها - من أسف - متروكة للاجتهادات الشخصية، والمنافع الذاتية التي تلهث وراء الانتشار والترويج، والمال المدفوع ليس إلا، أما الجانب الأخلاقي السوي فهو في معظم الأحيان قد أصبح في خبر كان، ومن هنا أصبح الناشئ ممزق الشخصية مفتت الكيان في داخله صراع، وفي باطنه نزاع، وفي حياته ضياع يتساءل: أي هذه المجالات حق وأيها باطل؟ وأيها خير وأيها شر؟ دون أن يجد الجواب الكافي والرد الشافي مما يصيبه بالحيرة والإحباط.

---

(8) الباجي.
(9) المحرر: المعقول والمنزلة
(10) إتحاف السادة المتقين ٧/٤٩٤
(11) خطيب جاهلي يضرب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة. كان يؤمن بالتوحيد ويدعو العرب إليه، قيل إنه أول من خطب متكئاً على سيف أو عصا، ذكر رسول الله ﷺ أنه رآه يخطب بعكاظ على جمل أحمر (كتاب المعارف لابن قتيبة).
(12) شاعر عربي عاش في الجاهلية من السادات قال بالتوحيد ونبذ الأوثان، وزعم الكلمات الإلهية نشر شعره في ديوان طبع في لايبسك Leipzig بألمانيا عام ١٩١١م.

■ **التربية الأخلاقية مسئولية الجميع**

وهذا الناشئ في غالب الأحوال يمر بمرحلة المراهقة وهي مرحلة يمتزج فيها روح الإبداع ورغبة الاستمتاع.

ومن أسف أننا نسوق هذا المراهق البريء إلى مجرد الاستمتاع والانبهار بدلاً من الأخذ بيده إلى الإبداع والابتكار لينمو مثل أسلافه من العلماء والأدباء والمخترعين الذين غيروا بعضهم وجه الدنيا بإبداعاتهم في سن المراهقة، وذلك أن نعلم أن «ابن سينا» – كما يقول عن نفسه – عندما بلغ السابعة عشرة من عمره كان قد قرأ كل ما كان معروفاً في عصره من الكتب، وأن «اديسون»[13] كان عمره عندما اكتشف الكهرباء في مثل هذه السن المبكرة وكذلك «إسحق نيوتن» مكتشف قانون الجاذبية الأرضية.

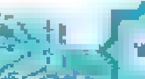
وناهيك بأصحاب هذه السن من فتية المسلمين الأوائل رضي الله عنهم من أمثال فدائي الفراش المحمدي ليلة الهجرة «علي بن أبي طالب» والفارس الشاب أسامة بن زيد قائد حملة «مؤتة» ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو وغيرهم من الطلائع التي حملت مسئولية الدعوة المحمدية الغراء وتبليغها إلى مختلف الأمصار بالقول والعمل جميعاً.

ومعنى هذا أن المرء مخلوق باستعداده الخير البريء، وبيئته هي التي توجه هذا الاستعداد إما إلى السمو والازدهار أو إلى الهبوط والانهيار، ونقصد بالبيئة هنا البيئة الاجتماعية بالذات وما تصطنعه من أساليب واعية للتربية، ويحضرنا هنا الحديث النبوي الشريف «ما من مولود يولد إلا على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[14] أرأيت أكثر خطراً وأعظم أثراً من ذلك في مجال التنشئة؟

وبعد، فما أحوجنا إلى تقوى الله سبحانه في توجيه أخلاقيات أبنائنا وبناتنا لأننا رعاتهم، «وكل راع مسئول عن رعيته»[15] وإلا فعل نكن قد قصرنا في حق الأجيال القادمة لأن الجيل المريض لن يلد إلا جيلاً أشد مرضاً وهكذا، وحسبنا هنا حديث النبي ﷺ: «لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»[16]

والله وحده هو الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل

(١٣) توماس اديسون Edison (١٨٤٧ – ١٩٣١) فيزيائي أمريكي، مخترع الآلات الكهربائية ومنها المصباح الكهربائي، وأول من حقق عملياً آلة الفونوغراف أو الحاكي.
(١٤) من حديث رواه أبو هريرة (تفسير ابن كثير لسورة الروم الآية ٣٠).
(١٥) من حديث لأحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي – عن ابن عمر (الجامع الصغير).
(١٦) للترمذي عن جابر بن سمرة (الجامع الصغير).



حوار لا تنقصه الصراحة حول مخطوطة مزعومة ٢

لفضيلة الشيخ/الطاهر الحامدي

يقول الله جل شأنه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)

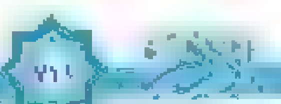
ويقول رسول الله ﷺ: «رحم الله امرءاً تكلم فغنم أو سكت فسلم»[1] ويقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[2].

ونحن نرى في هذه النصوص المحكمة دعوة صريحة وقيداً لازماً بإعطاء الكلمة حقها، ونحن نكشف من منطق هذه النصوص المحكمة:

أولاً: أن يكون الهدف منها خيراً وإلا فالسكوت أفضل منها، وهذا مقتضى الإيمان.

ثانياً: من أسباب استمطار رحمة الله تعالى: أن يحرص المسلم ويحقق قدر المستطاع من موضع كلمته وهل هي تعود عليه وعلى مجتمعه بالخير والغنم؟ وأن يكون قادراً على كبح

١ - كشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص ٤١٤.
٢ - البخاري ج ٨ ص ١٣، ١٩، ١٢٥.



جماحها فيسكت فيسلم منها ويسلم الناس حوله، وقبل كل شيء عليه أن يعلم أن حواسه التي وهبها الله تعالى له، وهي أمانة مستودعة من الله عنده مسئول عنها وعن حفظها وصيانتها وحسن استخدامها أو سوء استخدامها، فسمعه أمانة مسئول عنها، وبصره أمانة وفؤاده أمانة مستودعات عنده، وكثير غير هذه النصوص في تراثنا الإسلامي ما يحث على طيب الكلمة وحفظ اللسان نظيفًا والفؤاد نقيًا فلا يصدأ في مستنقع الكلمات.

وبرغم أن تراثنا الإسلامي غني بما هو مشرق وناصع بما يشرح الصدور ويزكي النفوس ويبعث على الرضا والنصوح، وأعتقد أن الاطلاع عليه ومراجعته جديرة بأن تبعث النفس من غفلتها وتعيد للقلب فترة عطرة، نحن في أمس الحاجة إليها، ورغم كل ذلك، وهو ليس خافيًا أو مجهولاً- فدائمًا- ولا أقول كثيرًا أو غالبًا- ما تظهر سخائم النفوس عند أول خلاف، فلا تعرف للكلمة حقًا ولا للأعراض حرمة، فيفتح مغلق الاتهامات على مصراعيه، ونلقي بها وننسى موضوع الخلاف ويجذبنا الغضب إلى ميادين أخرى تكاد تحجب عنا موضوعنا الذي نحن بصدده، ولو طبقنا هذا على موضوعنا اليوم وفعلنا مثل أسلافنا وتأدبنا بما قالوه عند اختلافاتهم وقمنا بتحرير محل النزاع والتزمنا به ولم نهتبل الفرص في أي خلاف علمي وحولناه وتحولنا به إلى صراعات جانبية يتشتت بها الموضوع ويفلت من أيدينا الهدف فضلاً عن أننا نرتكب بذلك حماقات ما كان ينبغي لها أن تكون، وليس هذا مجالها، وغالبًا ما يتوه منا البحث، ووجه الصواب فيما نحن بصدده أو يشوش عليه، وفي موضوع بحثنا أو خلافنا لو أردنا تحرير محل النزاع فيه لوجدناه في الإجابة عن هذا السؤال: هل الطريق الذي زعمه الحميري في أمر بحثه صادق أو شابه عيب أو العيوب؟

وليس موضوع الحديث نفسه، وبالتالي فليست أدلة النور المحمدي ثبوتًا أو نفيًا هي محل النزاع، كما أن حديث سيدنا جابر ثبوتًا أو نفيًا ليس هو محل النزاع، وبصرف النظر عن كون المخالف يؤمن بقضية النور المحمدي أو لا يؤمن بها ويصدق أو لا يصدق بها وبصرف النظر أيضًا عن ثبوت حديث سيدنا جابر أو عدم ثبوته وبمعنى آخر ثبوت نسبة حديث سيدنا جابر إلى مصنف الإمام عبد الرزاق أم عدم ثبوت هذه النسبة، لكني برغم قناعتي بالعيوب الجسيمة التي شابت مسلك الحميري فيما زعمه وقيام الحجة عليه في ذلك إلا أن الموضوع تفلّت من الباحثين عن قصد ظاهر إلى مواضيع أخرى هي:

أولاً: نفي حديث جابر.

ثانيًا: إنكار النور المحمدي.

ثالثًا: سباب ومهاترات ورمي بالكفر والزندقة ليس للحميري ومن مالأه في عبث الحصول على المخطوطة المزعومة، ولكن إلى غيرهم ممن ليست لهم يد فيما فعله الحميري وصاحبه، إنما هم آخرون ليست لهم علاقة بما فعله الحميري، وكلهم مات قبل ذلك بسنين طوال، فلماذا كان هذا الهجوم والقذف بالتهم؟

أقول إن المسألة ليست لها علاقة بالقضية موضوع البحث إنما هي أسباب أخرى أوهت البحث لأنها تنكبت المنهج الصحيح في النفي والإثبات، ومما يلفت النظر في كلام الذين ردوا على الحميري أنهم جميعًا يشتركون في نفي النور المحمدي كما يشتركون في القول بنفي حديث سيدنا جابر ولا لوم عليهم فيما يعتقدون ولا غضاضة فيه، فذلك لا يضير البحث ولا يزكيه. لكن الذي نلومهم عليه أنهم اندفعوا في ذلك واعتبروها فرصة ليصبوا جام غضبهم على التصوف، ورموا الصوفية بكل منقصة ونقيصة، وما ذلك إلا أنهم زعموا أن الحميري متصوف، وذلك جعلهم يغضبون والغضب يجرُّ إلى التجاوز في الحد، والغاضب كثيرًا ما يخطئ ولا يكون مصيبًا فيما يرى، لأن الغضب يُغَشِّي بصره ويَصُمُّ أذنيه، والرد على الحميري جاء في مجموعة مقالات ضُمَّتْ إلى بعضها البعض وصدرت في كتاب، وليس في ذلك ما يُعاب أو يلام لكن الذي آخذه على جامع المقالات أنه لم يراجعها بدقة، وأظن أنه اندفع في خصومات شخصية مع مدعي المخطوطة وتكفير له وللصوفية وللتصوف عمومًا مما جعله لا يلتفت إلى المخالفة بين بعض المقالات ففي صفحة ١١ يقول كاتب المقالة عن الحميري ولعله ما نصه: «وهكذا بعد ما أورد الحديث علق عليه وذكر الإشكالات التي يمكن أن يعترض بها على الحديث، وتكلف في الجواب عنها ومناقشتها ما أمكن من الكلام المتكلف والمتعسف كرد لتلك الاعتراضات وختم كتاب الإيمان بهذا الحديث المكذوب[٣٠] ثم يقول: وبعد أن ركب له

(٣٠) وهكذا وصف الحديث بأنه مكذوب مع أن الحديث ليس مكذوبًا وإنما هو ضعيف فقط

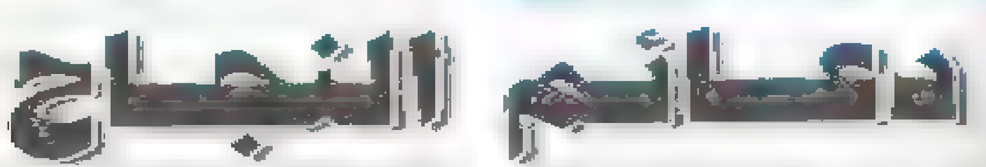
إسنادًا من أصح الأسانيد وأشهرها" جاء في مقالة أخرى صفحة ١٦ ما نصه: "... رجلاً من أهل الأهواء وسماسرة الضلال على نشر الجزء بكل وقاحة وجرأة (يقصد زعم العثور على الجزء المفقود وطبعه) فصدر الجزء حاملاً بصمات الكاذب معلنا بالفضيحة رافعًا عقيرته بالبراءة من نسبته إلى الإمام العلم عبد الرزاق بن همام لما في مطاويه من آثار لا خطام لها ولا زمام ركبت لها أسانيد اعترافا من الخلل والعلل ما ينادى بوضعها) انتهى كلامه بنصه.

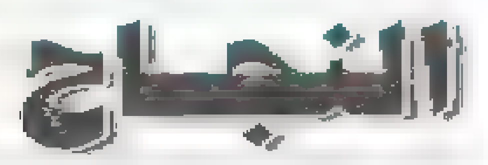
أعتقد أن هذا التباين أمر شديد الإلباس ويبعث على الاضطراب ويثير البلبلة والعجب ويحتاج إلى جواب، يشفي الغليل، وليس مبعث الاضطراب والبلبلة تباين القولين في السند فقط إنما الذى يبعث على الاضطراب وزيادة أنه ورد في مقالة أخرى صفحة ٤٧ مَنْ قال إنه لم يجد الخلل في الأسانيد فقط وإنما وجد في المتون أيضًا وهذا نص كلامه يقول: "وبعد الاطلاع وجدت أن هذا كتيب وليس بصحيح بل هو عبارة عن متون موضوعة وأسانيد مختلقة ركبت لها المتون، وكل من له تخصص في هذا الفن يعلم ذلك علم اليقين، والأدلة على ذلك كثيرة" انتهى كلامه بنصه وأيد كلامه بشواهد ذكرها، ورغم وجود أكثر من تسع مقالات لم تتعرض لموضوع المتن والإسناد وكذلك بيان مُوَقَّعٌ من أربعة مشايخ وآخر مُوَقَّعٌ من سبعة شيوخ يحملون درجة الدكتوراه، إلا أن أيًا من هؤلاء لم يلتفت إلى المقال الذى ذكر أن الحميرى لفق أسانيد صحيحة لِفِرْيَته، ولكن ما هو الحامل على هذا الاختلاف والاضطراب، كما أن السبب في أنهم تجاوزوا محل النزاع إلى مواضيع أخرى، أرى أن وراء ذلك مقت هذا الفريق كله للتصوف وللصوفية ولا اعتراض لنا عليهم فيما يحبون أو يكرهون، إنما الذى يعنينا أولاً وأخيرًا هو عدم الخروج بالبحث إلى مواضيع أخرى، فهو خروج عن محل النزاع ويحمل كثيرًا من التجاوزات التى لا تليق، وتبادل اتهامات بالكفر والزندقة والإلحاد، وهو ما تجاوزه الأستاذ الدكتور أحمد معبد بأسلوب مهذب وعبر عنه بقوله "انتقادات شخصية صدرت من الطرفين وهذه لا أرتضيها لخروجها عن الموضوع الذى ننشد الحق فيه".

وبعد فنكون بهذا قد تناولنا الشق الأول مما أشرنا إليه في مقالنا السابق ويبقى الحوار ممتدًا بإذن الله تعالى في الشق الثانى وهو النور المحمدى وسبب الهجوم عليه.

وسوف نتناول ذلك في العدد القادم بإذن الله تعالى.

خطبة الجمعة





دعائم النجاح

للأستاذ الدكتور

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

نحن نعيش في عصر المدنية والحضارة والتقدم، وقد اخترع فيه الإنسان ما اخترع، وابتدع فيه ما ابتدع، واستخدم قوى البر والبحر والجو، وتوسع في طموحه فأراد بلوغ السماء، ومع هذا كله لم يسعد الإنسان، ولم يشعر بالطمأنينة وراحة النفس، وها هو ذا العالم يعيش على حيرة وقلق، وما يتخلص من أزمة أو مشكلة إلا ليستقبل أزمة أو مشكلة، وما ذلك إلا لأن التقدم المادى الحسى لم يصاحبه ما يماثله من التقدم الروحى النفسى، بل هناك في العالم كثيرون لا يلتزمون بالمثل العليا، ولا يخضعون للقيم الروحية، وقد

انفصمت عرى الإيمان في نفوسهم، وضاع لديهم صوت الحق في زحمة الباطل ولم يستطيعوا برغم ما بذلوا أن يسعدوا أنفسهم فضلا عن أن يسعدوا غيرهم من الناس.

وهذا الشقاء الإنساني بحاجة ملحة إلى العلاج. وقد يتفلسف البعض ويتعمق في وصف هذا العلاج فيطيل ويرهق، ثم لا يأتي بما يجدي أو يفيد، ولكن الحق تبارك وتعالى أنزل في كتابه سورة تتكون من ثلاث آيات فقط، ومع ذلك يوجد فيها تشخيص العلة وتحديد الدواء، وتلك السورة هي سورة «العصر» التي يقول فيها الإمام الشافعي: لو لم ينزل إلا هذه السورة لكفت الناس... والتي كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا اجتمع منهم اثنان لم يفترقا حتى يقرأها أحدهما على صاحبه، ثم يسلم أحدهما على الآخر، وذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما في هذه السورة من منهج السعادة وطريق الفلاح.

يقول الحق جل جلاله في هذه السورة:

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

(العصر: ١-٣)

فأقسم الله سبحانه بالعصر، وهو الزمان الواسع المبهم، والله لا يقسم إلا بما له منزلة ومكانة، وكأن الله أقسم بالعصر لينبهنا على قيمة الوقت وكرامته، وأنه يجب علينا أن نملأه بالسعي الحميد والفعل المجيد، وأن نستغله أطيب استغلال، وأن نعمره بالصالحات والطيبات حتى لا نخسره أو نغبن فيه، فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»(١). وكم من مستخفين بقيمة الزمان مستطيلين له حرموا فائدته، وأصابتهم الخيبة والخسران:

أليس من الخسران أن لياليا

تمر بلا نفع، وتحسب من عمري؟

وينبهنا كذلك إلى أن الزمن له طهارته وصلاحيته، إذ لا عيب فيه، لأنه صالح لكي نملأه بما نريد، وإنما يصلح أو يفسد أهل الزمان:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

(العصر: ١-٢)

أي في ضلال ونقصان وحرمان، لأنه بسوء تصرفه وقبح عمله يخسر الكثير.. ويفقد السعادة والطمأنينة ورضا الله... وقد خلق الله الإنسان وميزه بكثير من المواهب والملكات والعطايا، وسخر له ما في هذا الكون. وهداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا. وأعد له امتحانا هو هذه الحياة بتجاربها ودروسها وألوان الخير والشر فيها. فرسب كثيرون في ذلك الامتحان، وحكم عليهم ربهم بجزاء الرسوب وهو الخسران والحرمان. ونجح فيه أهل الخير الذين أحسنوا الاستعداد له، واتصفوا بالصفات الكريمة التي تؤهل للفوز المبين في هذا الميدان. ولذلك استثناهم ربهم فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أيقنوا بوجود مبدع للكون مسيطر عليه، يرضى الخير ولا يرضى الشر، وأيقنوا بجمال الفضيلة فتحلوا بها، وأيقنوا بقبح الرذيلة فتخلوا عنها ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي ترجموا عن عقيدة الإيمان بأعمال تزكيها وتنميها.

(١) صحيح البخاري

والصالحات هي كل عمل جميل حميد جاء به الدين، وقبلته الفطرة الطاهرة، واستحسنه العقل السليم، وانتفع به الفرد أو الجماعة في الدنيا أو الآخرة، كالعبادات المشروعة، وخدمة الناس، وبذل الأموال في وجوه البر، والعدل في الحكم، والاستقامة في التصرف، والجد في الحياة، والتحلي بمكارم الأخلاق. وكلما اتسعت دائرة العمل الصالح في الأفراد والجماعات ارتفعت مكانته عند الله عز وجل.. وإنما تظهر ثمرة الإيمان وقيمته بالعمل الصالح الملازم له، ولذلك نجد ذكر الإيمان في القرآن يذكر معه العمل الصالح في أغلب المواطن، ولا تكاد تذكر كلمة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في القرآن إلا وتذكر معها كلمة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حتى تكررت عبارة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أكثر من خمسين مرة في القرآن الكريم.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾. أي أوصى كل واحد في الأمة غيره بلزوم الحق، وثبت هذا الحق في نفسه وحضه على اتباعه والدعوة إليه والدفاع عنه، والحق هو الشيء الثابت في ذاته لاعتداله واستقامته، وهو ضد الباطل فالمؤمنون الفائزون يتبادلون الوصية والنصيحة والتوجيه، كل منهم يكون ناصحا ومنصوحا، وموجها، ولا يستكبر مؤمن منهم أن يوصيه غيره، فالمسلمون كما قال الرسول: «تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»(٢). وهم يد على من سواهم. وعمر الفاروق، وهو من هو، كان يدعو لمن يأتيه بالنصيحة والتوجيه، فيقول: «رحم الله امرءا أهدى إلينا عيوبنا».

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. أي أوصى كل منهم أخاه بأن يصبر على الطاعات ويجد فيها، وبأن يصبر عن الرذائل بدوام هجرها والبعد عنها، ولن يكون للتواصي بالحق والتواصي بالصبر قيمة إلا إذا كان من يوصي بهما خاضعا لهما داخلا فيهما، فلا جدوى لوصية من ينصح بالحق وهو على الباطل مقيم، ولا ثمرة لمن يوصي بالصبر وهو لا يتحلى به..... وهي إذن أربعة عوامل للنجاح والسعادة الحسية والنفسية في هذه الحياة والفوز برضا الله: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فالإيمان في صدر الإنسان كشجرة ناضرة مورقة، تحتاج إلى ري وغذاء موصول، وهذا الغذاء هو العمل الصالح، كما يحتاج الإيمان إلى تثبيت وتأكيد، وهذا هو التواصي بالحق، كما يحتاج الإيمان إلى حصانة وحفظ، وهذا هو الصبر، والله مع الصابرين...

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

(الزمر: ١٠)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.. لقد رسم القرآن منهاج الحياة الفاضلة، وبين دعائم النجاح فيها، وبقي علينا التطبيق، فلنؤمن، ولنعمل عملا صالحا طيبا مثمرا. ولنتمسك بالحق ونتواص به. ولنلتزم الصبر وندع إليه نكن من الفائزين. والله يهدي العاملين:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

(الكهف: ١١٠)

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

(النحل: ١٢٧-١٢٨)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

(٢) مسند أحمد

﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
(النحل:٤٣)

استفتاءات القــــراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي الجمهورية

الشياه ولبن الكلاب!!

■■ السؤال من م.ع.خ:

■ ما حكم الشرع في الشياه التي رضعت لبن الكلاب لعدم وجود أمهاتها أو لقلة اللبن في ذلك الوقت: هل يجوز بيعها أو الأكل منها؟

الجواب:

لا يوجد مانع شرعي من بيع الشياه التي رضعت من لبن الكلاب لعدم وجود أمهاتها أو لقلة ألبانها، ولا مانع كذلك من أكلها؛ إذ لا يوجد ضرر صحي أو بيئي في ذلك على الإنسان ولا على الماشية من جراء تغذيتها على لبن الكلاب، كما أفاده رئيس شعبة البحوث البيطرية بالمركز القومي للبحوث ردًا على الاستفسار الذي أرسلته دار الإفتاء المصرية إلى المركز بهذا الشأن، وقد جاء في رد المركز أن لبن الكلاب إنما تتغذى عليه الحيوانات الرضيعة فقط وإذا شربه العجل الرضيع تحول في داخل جهازه الهضمي إلى مكوناته الأولية من أحماض أمينية ودهنية وسكريات وأملاح ومعادن وفيتامينات في صورة مبسطة يسهل امتصاصها وتمثيلها في جسم العجل مثل لبن الماشية ولا تضر العجل مطلقًا، وبالتالي فلا ضرر على صحة الإنسان إذا تغذى على لحوم تلك الماشية.

لا يقال: إن هذا من الجلالة وهي الماشية التي تتغذى على النجاسات والتي نهى الشرع عن أكلها إلا بعد حبسها؛ لأنا نقول: الماشية التي تتغذى على ألبان الكلاب هي الرضيعة منها لا الكبيرة، وهذا يقتضي مضي وقت كاف عليها بعد تناولها للبن الكلاب تزول فيه الكراهة الشرعية عند من قال بها، كما أن هناك من المذاهب الفقهية من لا يرون نجاسة الكلب أصلا ولا لبنه كالمالكية.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

سماعات المساجد

■ ما الحكم في قيام بعض أئمة المساجد بتشغيل السماعات الخارجية أثناء الصلاة بصوت مرتفع يزعج الخارجين عن المسجد من جيرانه؟

الجواب:

نص الفقهاء على أنه يشرع للإمام أن يجهر بتكبيرات الإحرام والانتقال وغيرها ليُسمع المأمومين؛ حتى يتسنى لهم متابعة حركاته والائتمام به، ومقتضى هذا أنه لا يشرع له ما زاد على ذلك، وإذا كانت إقامة الصلاة في المساجد والأذان من الشعائر المأمور بها فليس من مقصود الشرع وغاياته إسماع الناس صلاة الجماعة وقراءتها الجهرية، فإن تنبيه الناس إلى الصلاة إنما يحصل بالأذان الذي شُرع للإعلام بدخول الوقت، والإقامة التي شرعت لتنبيه المنتظرين للصلاة إلى الشروع فيها، فإذا رأى ولي الأمر أن في إذاعة الصلاة عبر مكبرات الصوت ضررًا على الناس وإزعاجًا لهم – كما هو حاصل الآن في كثير من الأحيان- فإن له أن يمنع ذلك، فإن الشرع أجاز له تقييد المباح للمصلحة، فكيف إذا لم يكن هناك ما يدل على مشروعية ذلك أصلا، وتصير مخالفته حينئذ بإذاعة الصلوات عبر المكبرات الخارجية حرامًا؛ لكونها افتياتًا على الإمام، مع ما في ذلك من أذى للمخلوق وإزعاج للناس في كثير من الأحيان.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

زكاة المال ودعم المستشفيات الحكومية

■■ السؤال من س.ش.ع:

■ من واقع عملنا في المجال الطبي فكثيرًا ما نتعرض لسؤال عن شرعية صرف زكاة المال في دعم المستشفيات الحكومية المجانية والتي جرى العرف أنها تعالج المرضى الفقراء، وقد يكون الدعم في شكل أجهزة طبية أو أدوية أو مستلزمات وأسرة أو صيانة للمباني.

الجواب:

الأصل أن الزكاة لا تكون إلا للأصناف الثمانية الواردين في قوله سبحانه:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾
(التوبة:٦٠)

أي أنها لبناء الإنسان قبل البنيان، واشترط العلماء فيها التمليك إلا حيث يعسر ذلك كما في مصرف (سبيل الله)، والمحققون من العلماء على قصر هذا المصرف على الجهاد والعلم والدعوة إلى الله تعالى؛ لأن الدعوة كما تكون بالسنان تكون باللسان أيضًا، كما قال تعالى في الجهاد بالقرآن:

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾
(الفرقان: ٥٢)

غير أن بعض العلماء جعل من مصرف (سبيل الله) مجالًا للتوسع في صرف الزكاة عند الحاجة

إلى ذلك في كل القرب وسبل الخير ومصالح الناس العامة، حتى مع انعدام شرط التمليك في ذلك، قال الإمام الكاساني في «بدائع الصنائع»: (وأما قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

فعبارة عن جميع «القرب» فيدخل فيه كل من سعى في طاعة الله وسبيل الخيرات إذا كان محتاجاً) اهـ.

وقال الإمام الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآية: (واعلم أن ظاهر اللفظ في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

لا يوجب القصر على كل الغزاة؛ فلهذا المعنى نقل القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد؛ لأن قوله:

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عام في الكل) اهـ.

وبناءً على ذلك فيمكن اللجوء إلى هذا القول عند الحاجة كما هو الحال في دعم المستشفيات المجانية بما يرجع بشكل مباشر إلى علاج المرضى؛ كالأجهزة الطبية والأدوية والمستلزمات والأسرة، أما ما يختص بالمباني وغيرها -إنشاء أو صيانة- مما يرجع على العلاج بشكل غير مباشر فنرى عدم التوسع فيه من الزكاة إلا عندما تمس الحاجة ولا يتوفر من موارد التبرعات والصدقات الجارية ما يفي بذلك.

ومع أن الزكاة في الأصل يختص مصرفها بفقراء المسلمين، إلا أنه يمكن استفادة غير المسلمين من المواطنين وغيرهم بالمرافق الخيرية التي أجاز بعض العلماء إقامتها من الزكاة، كمحال الطرق والجسور؛ لأن الاستفادة بالشيء بعد إنشائه غير ملكيته من أول الأمر؛ فهو كالمسلم الذي استحق الزكاة فأخذها وضيَّف بها غير المسلم، وهو جائز بلا خلاف، وقد عبر العلماء عن ذلك بقولهم: يجوز في الدوام ما لا يجوز في الابتداء.

ويجب أن يوضع في الاعتبار أن كفاية الفقراء والمحتاجين في الملبس والمأكل والمسكن والمعيشة والتعليم والعلاج وسائر أمور حياتهم هي التي يجب أن تكون في المقام الأول عند صرف الزكاة؛ تحقيقاً لحكمتها الأساسية التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»، ودعم المستشفيات الخيرية وإن كان مآله يرجع إلى علاج فقراء المرضى إلا أنه ليس فيه تمليك الزكاة المباشر المخصوص للفقراء الذي هو المقصود الأصلي لها، ومن ثم فقد أجيز ذلك استثناءً على خلاف الأصل للحاجة الداعية إليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

المرور بين يدي المصلين

■■ السؤال من ط.ظ.ص:

■ أثناء صلاة العشاء جماعة بالمسجد قام أحد الأشخاص بالمرور أمام المأمومين فأشار إليه أحد المأمومين ليمنعه من تخطي الصفوف والمرور أمام المصلين ولكنه لم يستجب وقام بالمرور أمام المصلين، وبعد الصلاة حدثت تعنيفات من المصلين لهذا الشخص لعدم استجابته للمصلين، رجاء التكرم بتوضيح الحكم.

الجواب:

عن عبدالله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: أقبلت راكباً على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بمنى إلى غير جدار، فمررت بين يدي بعض الصف وأرسلت الأتان ترتع، فدخلت في الصف، فلم ينكر ذلك عليَّ. رواه الشيخان.

قال الإمام النووي في شرح مسلم: (وفي هذا الحديث أن صلاة الصبي صحيحة، وأن سترة الإمام سترة لمن خلفه) اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (قال ابن عبدالبر: حديث ابن عباس هذا يخص حديث أبي سعيد: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه» فإن ذلك مخصوص بالإمام والمنفرد، فأما المأموم فلا يضره من مر بين يديه؛ لحديث ابن عباس هذا، قال: وهذا كله لا خلاف فيه بين العلماء).

وعليه فالسترة مشروعة للمنفرد والإمام، ولا مانع من المرور بين يدي صفوف المأمومين؛ بناءً على أن سترة الإمام تعد سترة للمأمومين، وليس معنى ذلك أن المرور بين الصفوف يكون بلا ضابط ولا حاجة، بل ينبغي أن يكون ذلك عند وجود الحاجة إليه، كأن لا يستطيع الوصول إلى الميضأة أو إلى مقاعده إلا بذلك، أو ليسد فرجة في الصف، أو غير ذلك؛ وذلك حتى لا يُشغل المصلون بغير حاجة معتبرة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الاقتراض من البنوك

■■ السؤال من أ.أ.ش:

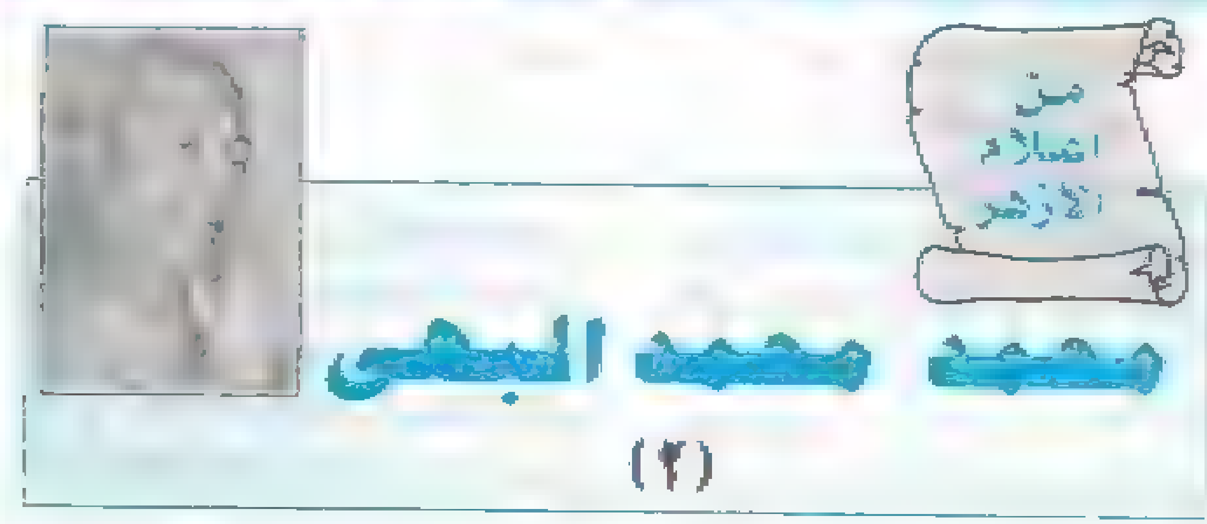
■ هل يجوز لي الاقتراض من البنوك التجارية بغرض التجارة حيث إن أساس مالي الشخصي لا يكفي لممارسة عملي التجاري -تجارة أقطان- وليس لي أي عمل آخر سواه؟

الجواب:

عقود التمويل الاستثمارية بين البنوك والهيئات العامة وبين الأفراد والمؤسسات والتي يتقرر الصرف فيها بناء على دراسات الجدوى للمشاريع والاستثمارات المختلفة -هي في الحقيقة عقود جديدة تحقق مصالح أطرافها، والذي عليه الفتوى أنه يجوز إحداث عقود جديدة من غير المسماة في الفقه الموروث ما دامت خالية من الغرر والضرر، محققة لمصالح أطرافها، كما رجحه ابن تيمية وغيره.

كما أن الشخصية الاعتبارية المتمثلة في الدولة والهيئات العامة لها من الأحكام ما يختلف عن أحكام الشخصية الطبيعية؛ حيث اعتبر الفقهاء أربع جهات لتغير الأحكام من بينها تغير الأحكام على قدر طبيعة الأشخاص، فأقروا -على سبيل المثال- عدم استحقاق زكاة على مال الوقف والمسجد وبيت المال، وجواز استقراض الوقف بالربح عند الحاجة إلى ذلك، ويجب عدم تسمية هذه العقود بالقروض؛ لأن ذلك يسبب لبساً مع قاعدة: «كل قرض جر نفعاً فهو ربا».

وبناء على ذلك وفي واقعة السؤال: فلا مانع من أخذ التمويل البنكي في تجارتك.



بقلم الأستاذ الدكتور/السيد أحمد فرج

٢- نقده للفكر الماركسي:

كان الدكتور محمد البهي قد شهد محاولات الاشتراكية العربية وحاجة رجالها في أن تكون دعوة لإصلاح المجتمع [illegible] العدالة الاجتماعية فيه. وكانت صدمته بالفكر الماركسي [illegible] موقف [illegible] الفكر في كتاب تهافت الفكر المادي سنة ١٩٧٥. وبين فيه [illegible] مدى [illegible] الفكر الماركسي النسبي وعجزه عن تحقيق العدالة الاجتماعية في [illegible] كل [illegible] أو عن [illegible] كل [illegible] المجتمع [illegible] على [illegible] المطلقة، وأن تكون السلطة بيد [illegible] وإن الذي حدث على أرض الواقع هو قيام هذا المجتمع بوسائل الترهيب والتعذيب والإذلال.

لقد أصبح المجتمع الماركسي مجتمع طبقة الدولة المتسلطة على مواطنيها بالظلم والتجويع والإذلال، ومحو إنسانية الإنسان ومحاربة الدين، ومنع المجتمع الماركسي من أن يطلع على الفكر الآخر غير الماركسي» [راجع تهافت الفكر المادي التاريخي، من ص ٧-٢٠٠]. ولم يقتصر تصدي الدكتور البهي للفكر المادي على كتاب «تهافت الفكر المادي التاريخي» فحسب بل تصدى له في كتاباته الأخرى عندما كانت تحين لذلك فرصة، ففي كتاب «القرآن الكريم يقول» كتب فصل «في المادية والماديين سنة ١٩٧٩»، حتى وهو يفسر القرآن كان يربط بين الفكر المادي الشركي لأهل مكة المعاندين للنبي ﷺ من جهة – وبين الفكر المادي الإلحادي الماركسي المعاصر من جهة أخرى، ويرى أنهما لا يختلفان. يقول في كتاب «القرآن الكريم يقول»: «الإسلام حريص في نظرته إلى الثروة والاقتصاد بوجه عام وتوظيفه التوظيف الشرعي الصحيح بوجه عام، على أن يجعل قيمة الإنسان من حيث هو إنسان مقدمة على ملكية المال.. والمؤمنون عرفوا بذلك في مواجهتهم للملحدين الماديين بإيمانهم بالله، وباليوم الآخر.. وبأنهم لا يؤثرون المال والاقتصاد على القيم الإنسانية، ولا يطغون بالمال والاقتصاد، ولا يجعلون منه طاغوتا ووثنا يُعبد» (ص ٥٨، ٦٦) ثم ندد بمن ينشرون الفكر المادي الإلحادي في أوطان المسلمين فقال: «والذين يدفعون المؤمنين إلى الطاعة لأعدائهم الملحدين، هم عصابة منهم تريد تلقينهم في مجتمع إسلامي ما: الأخذ بالاتجاه المادي في الحياة، وطرح القيم التي لديهم، وقام عليها استقلالهم، وتكونت منها ذاتيتهم.. ثم تبتدئ معاول الهدم والتخريب لهذه القيم حتى تأتي عليها، ثم لا يكون بديلاً عنها إلا الشقاء تحت عنوان «السعادة»، وإلا نار الحرمان تحت عنوان: جنة الأرض، وإلا القمع والإرهاب تحت عنوان «حرية المجتمع».

والإسلام إذ يحذر المؤمنين من خطر المادية الإلحادية لا يستهدف إلا توضيح أبعاد هذا الخطر، وهو خطر إنساني ومادي. وهو خسران للإنسان في مستواه الإنساني، وفي حياته المعيشية على هذه الأرض». (المرجع السابق ص ٦٨).

ولكي يكتمل منهج الدكتور محمد البهي في التصدي أولاً للفكر الغربي المادي سواء في المجتمع الرأسمالي أو المجتمع الماركسي فكلاهما فكر مادي بوجه ما – فإنه يضع أسس التقدم من منظور إسلامي للمجتمع الإسلامي، فيقدم في هذا المجال سفرين عظيمين في سنة ١٩٧٠:

الأول: الإسلام في حياة المسلم في فبراير سنة ١٩٧٠ في ٥١٦ صفحة.

والثاني: الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم في سبتمبر سنة ١٩٧٠ في ٥٠٣ صفحات.

الإسلام في حياة المسلم

ولقد أراد الدكتور البهي من كتاب الإسلام في حياة المسلم أن يضع الإسلام في عباداته وتعاليمه أمام المسلم في حياته اليومية كمنهج عملي للسلوك الفردي – وعلاقات كل فرد بكل الأفراد في المجتمع نفسه، كما أراد به أن يأخذ المسلم بمبادئ الإسلام في توجيه ذاته، وتكوين ضميره بالخشية من الله والإيمان به تعالى، وهديه في كل حركاته وسكناته، وعلى أن تقوم أعمال المسلم على التقرب من الله، عن طريق محاكاة صفات رب العزة فيما له من علم واسع، وقدرة على الخلق والإبداع التي لا تحد بحدود، وغنى لا ينفد في عدم الحاجة إلى

الغير، وأن يعرف المسلم أن منهج الإسلام واحد في المسجد والعمل وسياسة الحكم وأن الإسلام لا يعرف الطائفية، وأن يعرف المسلم أنه ليس معصوماً، فالعصمة لا تكون إلا لنبي، وأنه يحيا في دائرة التكاليف الشرعية التي تتواءم وطبيعته البشرية، فلا ينعزل عن متع الحياة مما أحله الله له، ولا ينغمس في الشهوات والمتع التي حرمها الله عليه، ذلك أن الإسلام منهج حياة وخطة عمل تتواءم مع الخصائص البشرية وإمكاناتها، هذا هو الإسلام الذي يسعد به المسلم» (راجع المقدمة).

الدين والدولة

أما الكتاب الثاني: «الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم» فقد أراد أن يرد به بطريق مباشر على هؤلاء الذين اعتقدوا مزاعم الغرب في أن الإسلام دين عبادة لا يجب أن يخرج من المسجد، وأن على المسلمين إذا أرادوا التقدم المدني فعليهم إقصاء الدين عن العلم، وعن حياتهم العملية.

قال الدكتور البهي: إن كتاب «الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم» يقدم للمسلم القواعد الرئيسية لرسالة الإسلام في حياة المجتمع الإنساني – ولنلاحظ هنا أنه قال المجتمع الإنساني وليس المجتمع الإسلامي، فكأنه أراد أن يعمم رسالة الإسلام كما أرادها الله تعالى دعوة عالمية، ترسم للإنسان طريقاً عملياً في نظام حكم إنساني يسمو فوق الحزبية والغرض والهوى في ظل مجتمع طابعه الالتزام دون القهر، يرفض المادية المقترنة بالشرك ويأخذ بالروحية الإنسانية المقترنة بالإيمان، وفي ذات الوقت لا ينسى نصيبه من الدنيا، فمن حقه أن تكون له ملكية خاصة بشرط أن تكون حيازة لصاحبها وارتفاقاً للمجتمع في الوقت نفسه مخالفاً بذلك نظم الحضارة الغربية الرأسمالية والماركسية جميعاً.

وفي تصوره لنظام الحكم «عند تحديد الدولة في الإسلام يرى أنه يجب توضيح طابعها الإنساني، ومبدأ الالتزام – دون الإلزام – للدولة الإسلامية، وضرورة كفالتها للشورى المتكافئة، وحرية الرأي في نقد سياسة الحكم الخارجية والداخلية. وأن الدولة الإسلامية دولة أخلاقية. وليست إرهابية بوليسية، ولا فردية استبدادية، كما أنها ليست دولة كهنوتية، وإنما هي إنسانية تخطئ وتصيب في تطبيقها لكتاب الله.

والمجتمع الإسلامي يقوم على أساس من الحرية الفردية في الإيمان بالله دون ما إكراه، ومن هنا يكون المؤمن ملتزما عن مشيئة حرة خالصة بتحقيق مبادئ رسالة الإسلام الكونية وما تضمنته من حقوق للإنسان وواجبات عليه.

وليعلم الإنسان أن الإسلام لم يتجاهل حركة التاريخ ومفهوم الحضارة والتطور البشري، والتقدم العلمي المدني الذي يرقى بالإنسان.

والكتاب يعطي صورة متكاملة لمنهج تخطيطي لمجتمع إنساني يقوم على مبادئ الإسلام، يريد أن ينفك عن التبعية الفكرية في نظام حكمه عن الغرب الرأسمالي والشرق الاشتراكي ويعيش في يومه وغده في مأمن من خوف التخلف، وفي حرية حقيقية، وتحرر من كل مصدر للإذلال.

إنه كتاب يقدم الحجة لأتباع المنهج الأجنبي، ممن صارت إليهم قيادة المجتمعات الإسلامية المعاصرة، بأن الإسلام دعوة للسلام، ونظام حكم وطريق دولة، الفرد فيها يمثل الأمة كلها، والأمة هي علاقات المودة والمحبة والتضامن والتعاون بين الأفراد جميعاً».

«هو نظام حكم ينفر من التخلف والجهل، ويبيد الجرائم والإرهاب ويدعو إلى العدل والإحسان. ويرفض الانتماء إلى أي مذهب» (راجع المقدمة).

إن الدكتور البهي رأى أن الحلول لمشكلات المجتمع الإسلامي تكمن في الحلول الإسلامية وليس في الحلول المستوردة خاصة في كتابه: الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة «تناول فيه الرأي الإسلامي في مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة المتمثلة في العلمانية والديمقراطية الغربية، ومشكلة الاقتصاد في المجتمع والعمل في المصانع، وزيادة السكان، وتجربة الصناعة المعاصرة. (د. محمود حمدي زقزوق: في ترجمة للدكتور البهي في «موسوعة أعلام الفكر الإسلامي»، ص ٩٢١).

وأهم ما يقال في رؤى الدكتور البهي أنها لم تأت عفو الخاطر، ولكن قصدها قصداً، فقد أراد أن يرد على هؤلاء المنغمسين في الثقافة الغربية، الذين يرون في اتباعها إنقاذ المجتمع الإسلامي، وهو نفسه يقول في سيرته الذاتية (ص ١٣٩، مكتبة وهبة، سنة ١٩٨٠) «أعتقد أني قد ساهمت إلى حد ما في عرض الإسلام في مواجهة التحديات الأيديولوجية الماركسية والمنطقية الوضعية».

ومع ذلك فلم يكن الدكتور محمد البهي يرفض الاطلاع على ثقافة الآخرين وعلمهم اطلاعاً واعياً، يستلهم ما ينفع ويترك ما يضر، كما فعل السلف في عصور التقدم الإسلامي وازدهاره.

ومن أهم كتبه عدا ما ذكر: «تفسير سور مكية تفسيراً موضوعياً بعنوان القرآن في مواجهة المادية» و«تفسير موضوعي لسور مدنية قسمها إلى قسمين الأول: «القرآن في بناء المجتمع»، والآخر «القرآن في تنظيم المجتمع»، وكان يود لو جمعهما في كتاب واحد ولكنه وافته المنية قبل أن يتم مشروعه، في ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٤٠٢ هـ – ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٨٢ م.

وفي كتاب «القرآن والمجتمع» يؤكد على أهمية المنهج القرآني في تحقيق سكينة نفس المسلم وسيادة علاقات المودة والرحمة في المجتمع الإسلامي، وهو الكتاب الذي سنكتب عنه في المقال التالي بإذن الله. ■

قصة العدد

معن بن زائدة

للدكتور / أبي حسام



جلس معن بن زائدة مع خادمه أسلم الكلبي في مغارة ضيقة بالبادية يتحدثان فيما حدث من الأمور الخطيرة التي جعلت رجلاً عظيماً مثل معن يستتر عن العيون، ويأوي إلى كهوف الجبال، ولا يستطيع أن ينهض من مكمنه إلا في حندس الليل، ومع ذلك يحذر أن تقع عليه عين، فهو خائف يترقب.

قال أسلم: قلتُ لك يا سيدي: إن عشرات الناس يتنعمون بخيرك، فقد كنتَ الجواد المرموق في أرجاء العراق يفد الناسُ إليك من كل فج، فتجزلُ العطاء ومن أياديك هذه القصور التي يسكنها مَنْ أغدقتَ عليهم الذهب والفضّة واللؤلؤ، فما أذهبُ إلى بعض هؤلاء فأخبره بأمرك، ليجعلَ لك مخبأً في منزله، تحلّه آمناً مستريحاً حتى يفرج البلاء !!

قال مَعن: ثكلتك أمك يا أسلم، إن اليدَ التي تأخذ لا تعطي، ولخيرٌ لي أن أُرمَى بسهمٍ فأقع فأُصرع في الصحراء لتأكل جثتي الطير والسباع من أنْ أسألَ أحداً من رعاياي أنْ أنزل عنده يوماً أو بعض يوم، لقد نسيتَ يا أسلم من أنا؟! وكما أنَّ اليد التي تأخذ لا تعطي كما أعلمتك، فإنَّ اليد التي تعطي لا تأخذ، وكيف وهي اليدُ العليا مهما تقلّب بها الزمان !!

قال أسلم: لقد كانَ في وسعك يا سيدي أنْ تنأى بنفسك عن مناصرة يزيد بن هبيرة، فلا تقود جيوشه في وجه أبي جعفر المنصور، وأنت تعلم أنَّ الدائرة قد دارت على بني أمية، وأن ابن هبيرة وحاشيته إلى غروب! بعد أن قُتل مروان بن محمد وتفرق الأمويون أباديد!

فعضّ معنٌ على شفته، وقال لأسلم: أنت لا تعرف أعباء الرجولة يا بنيّ، إن الرجولة همّة ومروءة، وقد كنتُ أميراً في دولة بني أميّة، أقودُ الجيوش وأتصدّر المواكب وأجمعُ المال لأعطيه ذوي الحاجات، حتى هتفتْ باسمي المحصنات في الخدور، فإذا استنصر بي يزيدُ بن هبيرة والي العراقين، وقد أحدق به الخطر من كل جانب، فلا بدّ أن أقف معه! لا فرقَ بين أن تردَّ سائلاً يطلب القوت، وأميراً مهزوماً يطلب النجدة، إنّ النفس التي تدعوك إلى إغاثة الجائع وهو فقير هي التي تدعوك إلى إغاثة الملهوف، وهو أمير، ثكلتكَ نفسي وشرفي إن جئتُ ساعة يُهتف بي! وما أنا من شيان!

سكت أسلم مفكراً، ومضت ساعة جثّلها الصمت، حتى وجد أسلم لسانه يتحرك في فمه فقال: ولماذا لا أذهب إلى بعض المرموقين من بني العباس، وكلهم يعرف حماستك وسجدك، فأسأله أن يتوسط لك عند أبي جعفر، ولقد يُرحب بمقدمك لتكون أميراً في دولته، وقائداً في جيشه فتصبح لك اليوم في العباسية مكانتك بالأمس في الأموية! ونأمن على أنفسنا مما يترصدنا من الأهوال.

تطلّع معن إلى أسلم، وقال في هدوء: بيني وبينك فارقٌ بعيد في التفكير يا أسلم، أنا أقدر إخلاصك وتفانيك، ولئن بدّلني الله يُسراً بعد العسر فستعرف كيف أكافئك على إخلاصك وتفانيك، ولكنْ عليك أن تعلم أن نفسي لا تطاوعني أن أسأل أحداً يشفع لي، ولو كان أخاً لأمير المؤمنين، ما تعودتُ أن أسأل أحداً يا أسلم، كنتُ في عهد الصبا واليفاعة مسئولاً ينتظر الناس شفاعتي تارة، وعطائي تارة أخرى، أأكون في عهد الكهولة سائلاً أتقدّم لهذا وذاك! وأنا معن بن زائدة فارس شيبان! لا تقلْ هذا.

فقال أسلم: إذن سيطول مقامنا في هذا القفر الجديد؟ وليس معنا ما نبلغُ به حاجة العيش! ولئن صبرنا حيناً على الشظف المُفضي إلى الجوع، فلن تستطيع الصبر مع هذا البلاء!

فابتسم معن وقال: لم يغبْ عنّي ما تفكّر فيه، وأنا كل يوم أُعرّضُ وجهي لحرارة الشمس إذا اشتعل القيظ، وأمنتُ ألا يراني أحد، ثم إني خففتُ شعر لحيتي ورأسي، وغيّرتُ هيئة

ملابسي، حتى صرتُ كبعض الجفاة من أعراب البادية! وجه كاسف مغبر، وثيابٌ بالية تنكرها، ومشيةٌ متخاذلة واهنة، وقد تمّ ذلك، لأستطيع التنكر في زي البداة، ويحملني البعير من الأنبار إلى منتجع آمن بمكة أو بنجد، فأتسمّى بغير اسمي، وأبدأ الحياة بكفاح يدي، وأنتَ بالخيار تصحبُني على الشرِّ، كما صحبتني على الخير، أم تُفارقُ إلى أهلك بالبصرة، ولن أشعر نحوك بغضب، إذْ صحبتني هذا الأمد، وقد حان أن تعمل لنفسك، ولستَ مطلوباً من أحد، فيعطر عليك الرواح والمجيء!

قال أسلم: معاذ الله يا سيدي أنْ أفارقك لحظة! سأظل من ورائك، أصدر عن أمرك، وأسعد بصحبتك.

فبادر معن يقول في ارتياح: إذنْ فلنستعدْ للرحيل إذا أظلم الليل، معنا الناقة نتعاقب عليها، فإذا طلع النهار، استرحنا في منزل مهجور، وقد نصل إلى ما تريد.

— ٢ —

ما كاد الليل ينشر ذوائبه في الأفق، حتى رأت الصحراء جملاً يخبّ سريعاً براكبه، ومن خلفه غلام يعدو، ولكنّ الأرض تنشق فجأة عن عملاق أسود، بيده سيفٌ لامع، وقد أقبل يعترض الراكب، ويصيح به في غضب، عرفتك يا معن! أنت طلبة أمير المؤمنين، وقد بذل في سبيل الحصول عليك جُعْلاً كبيراً، وأنا أحقّ به.

قال معن في ثبات: قل الصدق أيها الرجل؟ من أنا؟ ومن معن؟ لستُ أميراً ولا أعرفُ الإمارة، وأمير المؤمنين لا يسأل عن مثلي! نحّ سيفك عني!

قال العملاق: وتريد أن تخدعني، لقد كنتُ أتابعك صابراً، وأرقبك، وأنت تنتقل من مكان إلى مكان، حتى تزلتَ بهذه المفازة، وكم ضحكتُ حين أبصرتك في الهاجرة، تُعرض وجهك للشمس ليسوَد، وتأتي بالمقص فتزيل من شعرك! أليس كلامي صحيحاً يا معن؟!

قال معن: أرى فيك رجولة، ومثلك لا يخيّب رجاء طريد مطلوب؟

فرد العملاق: وما رجاؤك؟ أأطلقك هيهات! وأنت طلبة أمير المؤمنين؟!

فنظر معن إلى الرجل طويلاً، ثم قال له في صوت يشبه الهمس: معي عقد من الجواهر هو كلّ ما أملك، وقد كنتُ أعتزم السفر إلى مكة أو المدينة، فأبيعهُ وأستعينُ به في شراء منزل يكفي، أما وقد اعترضت طريقي، فهو ملكك عن سماح، ولكنّ مع ذلك شكرى الجزيل إذا قبلته وتركتني! الله الله في سفك دمي! فالمنصورُ لا يرحم، وما كنت مذنباً حين أخلصتُ لقوم كنت أميراً في دولتهم! وقد تفرّق عنهم القريب والبعيد، وعزّ عليّ أنْ أنكص عن موازرتهم في ساعة الهول. ثم كان ما كان!

أخذ العملاق عقد الجوهر، وجعل يقلّبه بين يديه وسأل معناً: كم يبلغ ثمن هذا العقد؟

فقال معن: عشرة آلاف دينار! وهي حلالٌ لك، أدفعها عن سماح وارتياح، فالله الله في دمي..

سكت العملاق الأسود، وقد طوى سيفه في جرابه، ثم قال لمعن:

لن أقبل هذا العقد، حتى أسألك عن شيء، وتصدق في الإجابة دون نكران!

فأسرع معن: قل ما تشاء! وإنّي لصادق فما تعودتُ الكذب؟ قال العملاق في استسلام: يا معن إن الناس يصفونك بالجود، حتى صرت في الإسلام قريناً لحاتم في الجاهلية، فأخبرني صادقاً، هل تصدقت مرة بمالك جميعه لسائل من سماحتك؟ فرد معن: كلاً. قال العملاق، هل تصدقت مرةً بنصف مالك؟ فقال معن: ولا هذا. قال العملاق: فهل تصدقتَ مرة بثلثه؟ فقال معن: ولا الثلث.

فجعل يذكرُ الربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع، حتى بلغ العشر فقال: هل تصدّقت مرةً بعشر مالك؟ قال معن: فاستحييتُ وقلت: أظنّ فعلت هذا؟ فضحك العملاق وقال: ما ذلك بعظيم، ثم رفع صوته وهو يقول: اسمع يامعن، أنا رَجُلٌ أكسب في الشهر الطويل عشرين درهماً، ولا تكادُ تقيم أَوَدي، وليسَ معي منها الآن درهم واحد، وهذا العقدُ بعشرة آلاف دينار، وقد وهبتُه لك، لتعلمَ أنّ في هذه الدنيا من هو أجود منك، ولتحقرَ بعد هذا كل معروف صنعته من قبل، ثم رمى بالعقد في حجر معن وانطلق، فسار معن يعدو خلفهُ وهو يقول: لقد فضحتني يارجل! لقد فضحتني يا رجل، ولَسفْكُ دمي أهونُ عليّ من أن تترك العقد وتسمعني ما سمعت!

فنظرَ العملاق ساخراً ثم قال: أردتَ أن تكذبني يا معن، لتكونَ أكرم مني وأفضل، هذا والله ما لا يكون، ولن آخذ للمعروف ثمناً، ثم إني سأنصحك بنصيحة فتقبلها من رجل يحب الكرماء، ويعلمُ أن المعروف لن يضيع!

قال معن: أنا سامعٌ نصيحتك فمؤتمر بها، فمثلكُ ينصح عن صدق، ويتكلم عن عقل، فقل ما لديك فأنا جد سميعُ.

فهمس العملاق، وكأنه يتحدث عن سر خطير وهتف بمعن:

اسمع يا رجل. المنصورُ مقيم بالهاشمية. وقد علمتُ أن جماعة من أنصار أبي مسلم يتحرّشون به، وسيهجمون عليه فيما أظن. فاغتنِم الفرصة. وكن قريباً من الموقعة، فإذا جدّ الجد تقدمت إلى كتيبة أبي جعفر ودافعت عنه، بما عُرف عنك من بسالة! وسيأتي النصر على يديك فتنكشف الغمّاء!

قال معن: أصحيح هذا، قرة العملاق! وما حملني على أن أكذب؟ غُذْ إلى الهاشمية مُتستِّرا وسترى!

وقع في روع معن أن العملاق صادق! فقال لأسلم هيّا كما بدأنا فعودا! فتوقّف أسلم كالمتردد، فقال معن: لي فراسة في الناس، وقد وقع حديث الرجل في نفسي، ولن أخسر شيئاً، فأنا مطلوب مطلوب. فلا تتشكّك يا أسلم، وهيّا، فقد يكون الفجر عن قريب

— ٣ —

كان مقتل أبي مسلم الخراساني يحزّ في نفوس كثير من أتباعه، وهم لا يستطيعون مجابهة الدولة عسكرياً بعد أن تفرقت كتائبهم وغاب عنهم القائد المغوار فلجئوا إلى الاحتيال بأن يغالوا في تعظيم المنصور تعظيماً يبعث الكراهية له في نفوس المسلمين، فذهبوا إلى القول بتناسخ الأرواح، وغالوا فادعوا أن روح الله عز وجل قد حلّت في نفس المنصور وطافوا بالقصر في غيبته يتأذّون مما اخترعوه. وكان حينئذ بمكة يؤدي شعيرة الحج وحين رجع وتسامع بما يقوله القوم، عرف المكيدة، ودعاهم رؤساء الفكرة فاعتقلهم بليل، وتحقق «الراوندية»، (وقد عُرفوا بهذه التسمية نسبةً إلى راوند وهي بليدة فارسية قرب قاشان)، أنهم معرّضون للاستئصال، وأن أبا جعفر يدبّر لهم المكيدة، فخرجوا في ستمائة فارس، واتجهوا إلى قصر المنصور بالهاشمية يحاصرونه، ومعهم السلاح والتحريق، وقد فُوجئ الخليفة بهذه الثورة المباغتة على حين قد ظنّ أن أعداءه من الراوندية قد انقمعوا في جحورهم بعد القبض على رؤسائهم، وأنهم لن يجرؤوا على العصيان ثم داهمته الطلائع تقتحم القصر، وعلم الخليفة أنه لو تأخر عن مجابهتهم فهو الصريع لا محالة، ثم زاد من رهبة الموقف أن الثائرين قد أغلقوا أبواب المدينة ليمنعوا أية قوة تمد لنجدة الخليفة المحاصر، فاستنصر أبو جعفر حرس القصر وهجم بنفسه جوار النار المشتعلة مع القلة القليلة من حرسه، ودارت معركة ذاتُ خطر. ثم أبصر المنصور بفارس ملثم يتقدم إليه ويأخذ بزمام فرسه، ثم يقول له:

ناشدتك الله أن ترجع، وسأتولى محاربة القوم عن كفاءة واستعداد! واندفع كالقدر المباغت إلى الراوندية يضرب عن يمين وشمال، ورأى الحرس أن القائد الملثم قد رجح بالكفة إلى ناحية المنصور، فاندفعوا وراءه في استبسال مرير، حتى انجلت المعركة عن هزيمة الأعداء، والمنصورُ مشرف من القصر يعجب لهذا الباسل الذي تقدم الجنود على غير انتظار، وكسب النصر في ساعات كان اليأس فيها أقرب من الرجاء، فقال: هو والله أسد الرجال، ولن أضيع مكافأته متى عرفته، ثم خرج من القصر صعيداً متهلل الأسرّة، وصاح بالملثم: من أنت يا أسد الرجال؟ قال: أنا معن، طلبتك يا أمير المؤمنين، وقد ادّخرني الله لهذا اليوم لتعرف أني أبذل الروح فداءك. وقد رأيتَ وقوفك في المعركة جريئاً غير هيّاب، فتشجعتُ واقتديتُ بك في بطولتك الحربية. فابتسم أبو جعفر، وقال: أنت بطلٌ يا معن، وأنا أعرفُ مقدرتك الحربية منذ كنتُ أحاصر ابن هبيرة في واسط، وقد أعطيتك الأمان كلّ الأمان، وأنت من الآن والي اليمن، فاذهبْ من فورك إلى إمارتك، حتى ترد القوم إلى الطاعة، وليس لهم سواك!

أشرق وجه معن، وصاح: أين أسلم، فتقدم إليه فاحتضنه يعانقه، فصاح به مستبشراً: عامل الخليفة في اليمن يا أسلم، لقد ظفرنا بعفو أمير المؤمنين!

قال أبو جعفر: من هذا الذي تحتضنه يا معن؟ إنك لتعرف أقدار الرجال، فصاح معن: تقدم يا أسلم فقبّل راحة أمير المؤمنين، ثم قال للخليفة: هذا رفيق الشدة يا أمير المؤمنين! كان عيني التي أبصر بها حين تخوفتُ عقابك، ولفظتني أقطار الأرض! وكنتُ كلّما حدّثتُ نفسي باليأس من العاقبة، صاح بي لا يأس من روح الله، فكان أشد مني يقيناً وأصلب إيماناً!

ثم ابتسم معن وقال: ولي رفيق آخر، لا أعرف اسمه يا أمير المؤمنين، وقد تلقّيتُ على يده ما عرّفني قيمة نفسي بالنسبة إليه، لأنه أعظم جوداً والله عيناي!

فقال أبو جعفر: أيوجد في العرب الآن من هو أجود من معن بن زائدة؟!

قال معن: نعم يوجد ويعرف، هو صاحب العقد الذي أبى أن يأخذه على شدة احتياجه. واندفع يقص على الخليفة ما كان من أمر العملاق الأسود. فجعل الخليفة يهزّ رأسه، ويحدق ببصره متعجباً، ثم قال: بربّك عرّفني به إذا اجتمع بك ذات يوم! فهو من ذخائر النفوس القوية! وقد لا نجد له نظيراً غير معن!!

من هدى الإسلام في القضاء على المنكر

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١)

بعد ١٤ عاما من تحريم الخمر في أمريكا انتصر الخمر على الأمر!! وذلك بالعود إلى إباحة شرب الشراب الممزوج بقليل من الكحول!! ويلاحظ التدرج في الإباحة تملقا للنفس الإنسانية.

ولكن هذه التجربة.. التي يراد بها إصلاح الأخلاق بالقانون.. منيت بالفشل الذريع!!

ولكن موقف الإسلام هنا مختلف تماماً:

إنما تعلق الأمر بالعقيدة: فلا مساومة.. وإذا تعلق بالعادة فهناك المرونة في التطبيق.

روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بالمدينة.. قال: «يا أيها الناس إن الله تعالى يُعَرِّض بالخمر.. ولعل الله سينزل فيها أمراً.. فمن كان عنده منها شيء فليبعه ولينتفع به.. قال:

فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال النبي ﷺ: إن الله تعالى حرّم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشربه ولا يبع.. قال: فاستقبل الناس بما كان عنده منها في طريق المدينة فسفكوها»[1].

[1] صحيح مسلم.

وفي الموقف دروس منها:

حث النصيحة دينا ودنيا على الإسراع في بيعها شفقة عليهم، وحتى لا تكون هناك خسارة.. فيكون الالتزام بالنهي بلا مقاومة.

وقوله «فسفكوها» دليل على وجوب الإسراع في التخلص من الحرام وقبل أن يؤثر التردد على العزم.

ويؤخذ من الحديث: تحريم بيع الخمر.. لماذا؟ لأن انتفاع الإنسان عن جوها بثمرها.. وإلا لو كان ثمنها حلالا لأبيحت ولم يكن تحريمها جديا.

وهذه الآية الكريمة تتمثل فيها روح الإسلام في هذا المجال.

ف الآية الكريمة لم تقل: حُرمت.. وإنما كان الأمر فوق التحريم: فالخمر والخوتها.

١- رجس.

٢- ومن عمل الشيطان.

وشرب الخمر هو فرصة الشيطان التي يثير فيها:

١- العداوة.

٢- ثم البغضاء.

٣- ثم يصدكم عن ذكر الله

٤- وعن الصلاة.

٥- ثم النذير المفعم ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾

ومعنى ذلك أن مادة التحريم وإن لم تذكر هنا، إلا أن الآية الكريمة ينذرهم بما هو أشد من التحريم.

وعلى الفور حدث الآتي، أخذا من الأحاديث الواردة في هذا الشأن.

أ- أريق الشراب.

ب- ثم حطموا الدنان.

ج- وما بقي منها غسلوه بالماء والطين.

د- وقرعوا البعض، واغتسل البعض.

هـ- وعلى مدى أيام.. وكلما أمطرت السماء فاحت أزقة المدينة رائحة الخمر.. من كثرة ما أريق فيها.

و- ولقد كانت الاستجابة مكتملة واعية.. وأروع ما في الكؤوس.. كانت تلامس الشفاه.

ولكنهم وفي لحظة الهيام هذه.. حطموا الكؤوس في الوقت الذي تمايل فيه الرؤوس قائلين:

انتهينا يارب.. انتهينا.

يحدث هذا.. بينما مجالس الأنس منعقدة وكل شيء يجري بالشراب مع الصحاب!!

أخرج ابن جرير قال: «بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن على رملة، ونحن ثلاثة أو أربعة.. إذ قمت حتى آتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه.. إذ نزل تحريم الخمر:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله:

﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾

قال: وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضها، وبقي في الإناء تحت شفته العليا، ثم صبوا ما في كؤوسهم فقالوا: انتهينا ربنا».

ومنذ ذلك اليوم اتفق المسلمون في أصقاع الأرض على اختلاف أوطانهم وأجناسهم على حرمتها ولا يشربها منهم إلا من هو شاعر بذنبه مقر بخطئه على فعله إلا فيما ندر، ونظرة الناس إليه نظرة ازدراء منذ ذلك العهد البعيد حتى الأجيال القريبة الماضية بل حتى جيلنا هذا مع ضعف الإيمان وقلة التربية وفساد الزاد ووعورة الطريق وانبهام السبيل.

ولقد نهضوا من مجالسهم تلك.. وما هنالك في الدنيا



أبغض إليهم من شرب الخمر؟!

إن عقل الإنسان أشرف صفاته.. والخمر عدو لعقل.

وكل ما كان عدو الأشرف فهو أخس!.. ذلك بأن العقل إنما سمي عقلاً.. لأنه يجري مجرى «عقال» الدابة.

فإن الإنسان إذا دعاه طبعه إلى فعل قبيح.. كان عقله مانعا له من الإقدام عليه.. فإذا شرب الخمر.. بقي الطبع الداعي إلى فعل القبائح خاليًا عن العقل المانع منها.

وكانت الخمر تشكل حاجزًا: «يعتقل» القوة المدركة، والتي لا تملك عندئذٍ سلطة الترجيح؛ لأن الشرب شل حركتها.

• الحقائق العلمية أعلى صوتاً

ومن نتائج ذلك ما يقوله العلماء:

إذا كان «للكحول» دورها في تثبيط خلايا الدماغ، فإن أخطر ما فيها هو تأثيرها في خلايا القشرة

وهي الخلايا المتحكمة في الإرادة.. الإرادة التي إذا شلت حركتها.. كان العنف.. وكان الاغتصاب.. بل وكان القتل.

ثم يقولون: «أول ما يفقد من وظائف المخ بواسطة الكحول هو القدرات الدقيقة على الحكم والملاحظة والانتباه.. أي الخصائص التي حصل عليها الإنسان بالتربية والتعليم التي تشمل مجموع قوى العقل والحكمة في الإنسان.. إن البحوث التي تفوق الحصر قد أكدت أن الكفاءة العقلية والبدنية تنخفض بتناول الكحول مهما كانت الكمية المتعاطاة قليلة. ونتائج البحوث تدل على أن الكحول يقلل من دقة النظر ومن القدرة على السمع الجيد والشم والطعم

كما أن توازن العضلات يفقد.. وتختل قدرة الشخص على تغير موقفه وأفعاله الانعكاسية خللاً مشينًا.

ولهذا فإن أي شخص مسئول أو عامل فني أو سائق لسيارة أو طائرة أو مركبة يعرض نفسه والآخرين لمخاطر جمة عندما يقدم على شرب الخمر أثناء عمله أو قبله مباشرة.

• الإثم الكبير

للمخدرات بصفة عامة آثارها الخطيرة: صحيًا.. واجتماعياً واقتصادياً ذلك بأنها:

تدمير للعقل وإهدار للطاقة، وإضاعة للثروة وفساد في المجتمع.

ونقرأ في ذلك:

• أوهام أو أضغاث أحلام

وقد زعم ناس أن في الخمر منافع حقيقية:

فهي تيسر الهضم، وتمد بالطاقة إلى غير ذلك مما توهموه.. وأشاعوه.

لقد كانوا يهرعون إلى السراب الذي قال الله عز وجل فيه:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾

(النور: ٣٩)

ومن حسابه أنه جُوزيَ بعكس مطلوبه.. فكان أن تورط فيما عنه هرب..

أجل.. كان هذا الحساب وبالاً من الطلب.. التي أشار إليها بعض الباحثين مفنداً هذه المزاعم:

هذا قول عجيب.. لا يصدر من لبيب؛ ولو كان في الخمر من المزايا بعض ما ذكر.. لما نهانا الله تعالى عنها.. وحرمنا منها.

والله تعالى ما نهانا إلا عما فيه فساد الدين و [illegible]

الصلاة أقدم عبادة بدنية

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الصلوات الخمس التي فرضها الله تعالى على عباده المسلمين هي خمس رحلات إيمانية أوجبها الله تعالى على عباده في أوقات متفرقة [illegible] يتخلص فيها الناس من ذنوبهم ويخرج [illegible] بالتكبير والمناجاة [illegible] والبداية [illegible] في [illegible] الرحلة الروحية [illegible] في مشاعر [illegible] كل [illegible] في هذه الحياة [illegible] [illegible] وإن تحققت [illegible] فقد كان من سنة النبي ﷺ إلى [illegible] في الصلاة [illegible] في الصلاة».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(البقرة: ١٥٣)

ويدعونا الحق تبارك وتعالى إلى الاستعانة بها للتغلب على مشاق هذه الحياة ويقرن بينها وبين الصبر فيقول عز من قائل:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

(البقرة: ٤٥، ٤٦)

وإذا كانت الصلاة المفروضة في الإسلام هي عماد الدين وهي العنصر الثاني من عناصر الشخصية الإسلامية بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقد كانت أقدم عبادة عرفت مع الإيمان ولم تخل منها شريعة من الشرائع السابقة وقد حكيت عن الأنبياء والمرسلين. فإبراهيم – عليه السلام – يسكن

(*) [illegible]

ذريته بواد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ويقول:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

(إبراهيم : ٣٧)

ويجىء فى عهد الله له ولولده إسماعيل عليهما السلام:

﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

(البقرة ١٢٥)

وتنادى الملائكة أم عيسى - عليهما السلام:

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

(آل عمران : ٤٣)

وعيسى عليه السلام يحدث بنعمة ربه:

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

(مريم : ٣١)

وينوه الله تعالى بشأن إسماعيل فيقول:

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾

(مريم : ٥٥)

ولقمان يعظ ابنه بالإيمان والإحسان إلى الوالدين وبمراقبة الله والخوف منه فى السر والعلن ثم يوصيه بالصلاة فيقول:

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(لقمان : ١٧)

ويأخذ الله الميثاق على بنى إسرائيل فتكون إقامة الصلاة من أهم مواده وعناصره فيقول تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

(البقرة : ٨٣)

كما بين سبحانه وتعالى فى آية أخرى أن الصلاة قرينة الإيمان وأن جزاءها هو المغفرة والرضوان فيقول عز من قائل مخاطبا بنى إسرائيل:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

(المائدة : ١٢)

ومن تلك الآيات الكريمة نجد أن مكانة الصلاة عند الله وفى دينه تالية لعنصر الإيمان فى جميع الرسالات وعلى ألسنة جميع الرسل وقد جاء الإسلام فنسج على منوال الرسالات المتقدمة وجعلها ركنا من أركان الدين وأفاض فى ذكر فوائدها ما أفاض وأمر بالمحافظة عليها وبالقيام فيها لله مع القنوت والخشوع وكمال التوجه إليه والتفرغ له وقال:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾

(البقرة : ٢٣٨)

الصلاة فى القرآن الكريم: وإذا كان الإسلام قد جعل الصلاة عماد الدين وجعل إقامتها من إقامة الدين واعتبرها تالية للإيمان فهى العنصر الذى يترجم الإيمان لدى الإنسان المؤمن فقد عرض القرآن الكريم للصلاة من جهات متعددة:

١- فقد عرض لها فى مفتتح أطول سورة وأولها بعد الفاتحة فى سورة البقرة على أنها من أوصاف المتقين الذين ينتفعون بهذا الكتاب الكريم والذين كانوا بتلك الأوصاف على هدى من ربهم وكانوا هم المفلحون وإن شئت فاقرأ قوله تعالى:

﴿ الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(البقرة ١-٥)

٢- وعرض القرآن الكريم للصلاة باعتبارها عنصرا من عناصر البر والتقوى والحق الذى رسمه الله لعباده ودعاهم إليه وجعله عنوانا على صدقهم فى الإيمان وعلى أنهم المتقون والبر كما هو معلوم لدى علماء الشرع هو جماع الخير كله وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

(البقرة : ١٧٧)

٣- وجعل إقامة الصلاة والحفاظ عليها فى أوقاتها بخشوعها وركوعها وسجودها دليلا على صدق الإيمان ويستحق فاعلها أن يدخل فى أخوة المؤمنين يقول تعالى:

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

(التوبة : ١١)

٤- وجعل القرآن الكريم الصلاة دليلا وعنوانا للتمسك بالكتاب وسبيلا للحصول على أجر المصلحين الذين يهدفون للحصول على هذا الثواب وعلى هذه المنزلة التى هى بغية الأنبياء

والمرسلين يقول تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

(الأعراف: ١٧٠)

٥ - كما بين القرآن الكريم أثر الصلاة في تهذيب النفوس ووقايتها من الفحشاء والمنكر وتطهيرها من غرائز الشر التي تفسد على الإنسان حياته فهي بمثابة سياج بين الإنسان وبين ارتكاب جرائم الشر والوقوع في الآثام. اقرأ قوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

واقرأ أيضا قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

(المعارج: ١٩ - ٢٣)

٦ - كما أوضح القرآن الكريم أن ترك الصلاة دليل وعنوان للانغماس في الشهوات وسبيل الوقوع في الغي والضلال وسبب من أسباب الخلود في النار يقول تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾

(مريم: ٥٩)

ومما ورد في شأن تارك الصلاة قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾

(المدثر: ٣٨ - ٤٧)

٧ - بل إن القرآن الكريم جعل الغفلة عنها وعن معناها وروحها آية من آيات التكذيب بيوم الدين وعلامة من علامات إنكار اليوم الآخر يقول تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

(الماعون: ١ - ٧)

ولعلنا ندرك أن ذكر الصلاة بين ما جاء في هذه السورة دلالة قوية على أن السهو عن روح الصلاة - الذي يجعلها صورة جافة لا يؤدى حق الله فيها من خشوع ومراقبة واستشعار عظمة - سبب قوي في التكذيب بيوم الدين وهو يوم القيامة كما أنه سبب في إهانة اليتيم وإهمال حق المسكين كما هو سبب في غرس شجرة الرياء في القلوب وانصراف الإنسان عن فضيلة التعاون وعن البر بأخيه الإنسان. من أجل ذلك قرنها الله تعالى بالصبر وجعلها عدة المؤمن في التغلب على مشاق الحياة والمعين له على التخلص من الشدائد والقوة الدافعة إلى مقاومة الغرائز الشريرة.

الصلاة سبيل التعارف: قد يعتقد البعض أن الصلاة مجرد عبادة شخصية يقوم بها المؤمن فيما بينه وبين ربه تقتصر فائدتها على تهذيب النفس وما هي - مع ذلك - جعلت عن طريق الاجتماع لها في المسجد سواء كان فرضا أم سنة أم تطوعا سبيلا لتعارف المؤمنين وتفاهمهم فيما يحتاجون إليه من خير في دينهم ودنياهم. وبذلك كان مكان اجتماعهم في الصلوات الخمس أشبه بالنوادي يخرج إليها أهل الحي الواحد في أوقات متعددة معينة على وجه منظم محدد وفيها يتعارفون ويتبادلون المنافع والآراء فيما يحتاجون إليه جماعات وأفرادا. وتحقيقا لهذه الغاية أوجب الجماعة في نطاق أوسع على أهل البلدة الواحدة أو ما هو في حكم البلدة الواحدة كل أسبوع وجعل ذلك شرطا في صحة الصلاة التي تؤدى في ذلك الاجتماع وهي «صلاة الجمعة» يجتمعون فيها للتعارف والتعاون واستماع الوعظ والإرشاد وبيان أحكام الله فيما يحل وما لا يحل وبذلك غدت هذه الصلاة لون المحاضرات والدروس الدينية يجتمع لها المؤمنون لتلقي أحكام الله ومعرفة دينه وصارت اجتماعات تعاونية ثقافية. ولم يقف الدين الإسلامي في الحث على الاجتماع عند هذا الحد الأسبوعي بل أوجبه بصفة أعم وأوسع في كل عام لأداء صلاة العيدين ثم أوجبه بصفة جامعة للمسلمين من كافة الأوطان والأقطار في أداء ركن من أركان الدين وهو الحج الذي يفد له المسلمون من كل فج عميق إلى بيت الله الحرام في مكة منبع الهدى والنور. وهناك يجتمعون لأداء المناسك ورؤية المشاهد وتذكر أماكن الوحي وآثار النبي ﷺ وصحبه الذين قاموا بتركيز هذا الدين وإرساء دعائمه ونشره على عباد الله في كافة أنحاء المعمورة.

الصلاة إظهار لتعظيم الخالق: إذا كانت هناك بعض مظاهر التعظيم بين المخلوقين يقوم بها بعض الناس لبعض. فيعظم بعضهم بعضا برفع الأيدي وبالقيام وبالانحناء وبالسجود وبالدعاء وترديد أقوالهم، كل هذا يفعله الناس في تعظيم ملوكهم ورؤسائهم وأرباب النفوذ منهم ولم تجر عادة الناس أن يفعلوا كل تلك المظاهر في تعظيم شخص واحد. فشرع الله الصلاة اعترافا بنعمته وعظمته وجمع في كيفيتها جميع ما تفرق عند الناس من أسباب التعظيم بداية من الإحرام بها بإعلان أن الله أكبر وأن الله أعظم من كل عظيم إلى أن يخرج من الصلاة بالتسليم وإفشاء السلام على جميع الخلائق فهو سبحانه المعبود وهو المعظم وليس لأحد من خلقه أن يفكر أو يستظهر أو يفكر شيئا غير ما رسمه من تعظيم هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الإسلام ودعوته إلى إقامة العدل بين الرعية

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

العدل اسم من أسماء الله تعالى، حث الإسلام على نشره وإقامته بين الناس، يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨)

ويقول - سبحانه -

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)

فلا تقوم دعائم الملك ولا ينتظم أمره، ولا يلتئم شمله ولا تعلو رايته إلا بالعدل، فبالعدل أسست الممالك، وبالعدل قامت السموات والأرضون، وبالعدل تسود المحبة والألفة بين الناس، ويعيش أفراد المجتمع في أمان واطمئنان، وهدوء واستقرار، ونعيم ورخاء.

ومسئولية الحاكم، والقاضي، ومَنْ يلي أمرًا من أمور المسلمين تتعلق مصالح العباد بقراره وحُكْمه أيا كان موقعه، مسئولية كبيرة، إن راعى الله فيها فجنّب هواه، ونطق بالحق، وحكم بالعدل، فثوابه عند الله عظيم، عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين «العادلين» عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما وَلُوا»[1] وعن عياض - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقْسِطٌ موفّق، ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم، وعفيف مُتعفف ذو عيال»[2] وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة: عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها، ويا أبا هريرة: جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله عز وجل من معاصي ستين سنة»[3].

وروى عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «السلطان ظلّ الله في الأرض، يأوي إليه كلُّ مظلوم من عباده، فإن عَدَل كان له الأجر، وكان - يعني - على الرعية الشكر، وإن جار، أو حاف، أو ظلم كان عليه الوزر، وعلى الرعية الصبر، وإذا جارت الوُلاة قحطت السماء، وإذا مُنعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنى ظهر الفقر والمسكنة، وإذا أخفرت الذمة أديل الكفار أو كلمة نحوها»[4].

أما إذا اتبع الحاكم، أو القاضي، أو مَنْ يلي أمراً من أمور المسلمين هواه، وجار في حكمه، وابتعد عن العدل، وركن إلى الظلم، فعاقبته والعياذ بالله جهنم وبئس المصير، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن بشر بن عاصم الجُشمي - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يلي أحدٌ من أمر الناس شيئا إلا وقفه الله على جسْر جهنم، فزلزل به الجسر زلزلة فناج أو غير ناج، فلا يبقى منه عظم إلا فارق صاحبه، فإن هو لم ينج ذُهب به في جُبٍّ مُظلم كالقبر في جهنم لا يبلغ قعره سبعين خريفا»[5].

ولتأكيد مراعاة العدل وتطبيقه قولا وعملا في جميع الأحوال دون النظر إلى المحكوم عليه قريبا أم بعيدا، يقول الله - تعالى -:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (الأنعام: ١٥٢)

بل أكثر من ذلك يجب مراعاة العدل

(١) مسلم والنسائي
(٢) الأصبهاني
(٣) الترغيب والترهيب جـ٣
(٣) مسلم
(٤) ابن ماجة

وتطبيقه قولا وعملا حتى ولو كان المحكوم لصالحه ممن يكرهه ويبغضه الحاكم أو القاضي أو الوالي، يقول الله – تعالى –:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

(المائدة: ٨)

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «ما من أمير «رئيس» عشرة إلا يُؤتى به مغلولاً يوم القيامة حتى يفكَّه العدل، أو يُوبقه الجَوْر»[٦].

وعن عوف بن مالك – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني أخاف على أمتي من أعمال ثلاثة، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: زلّة عالم، وحُكْم جائر، وهوى مُتبع»[٧].

جلس المأمون يوما للمظالم، فكان آخر مَنْ تقدم إليه – وقد هَمَّ بالقيام – امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى ابن أكثم، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي في حاجتك، فقالت:

يا خيرَ منتصف يُهدى له الرشَدُ
ويا إمامًا به قد أشرق البلدُ
تشكو إليك عميد القوم أرملةٌ
عَدَى عليها فلم يترك لها سبد
وابتزَّ مني ضياعي بعد منعتها
ظلمًا وفرَّق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا، ثم رفع رأسه وهو يقول:

في دون ما قلت زال الصبر والجلد
عني وأقرح مني القلبَ والكبدُ
هذا أذان العصر فانصرفي
وأحضري الخصم في اليوم الذي أعدْ
والمجلسُ السبتُ إن يُقضَ الجلوس لنا
ننصفك منه وإلا المجلسُ الأحدُ

فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟ فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين،

(٦) البزار والطبراني
(٧) البزار والطبراني

وأومأت إلى العباس ابنه. فقال الخليفة: يا أحمد بن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم. فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير، فأخفضي من صوتك، فقال المأمون: دعها يا أحمد فإن الحق أنطقها وأخرسه. ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وظلّم العباس بظلمه لها، وأمر بالكتابة لها إلى العامل الذي ببلدها أن يُوغر لها ضيعتها «يسقط عنها الخراج» ويُحْسن معاونتها، وأمر لها بنفقة.

وورد على الحجاج بن يوسف سُليك بن سُلكة فقال: أصلح الله الأمير، أرعني سمعك، وأغضض عني بصرك، واكفف عني غربك «حد السيف»، فإن سمعت خطأ أو زللاً دونك والعقوبة. قال: قل، فقال: عصى عاصٍ من عُرْض العشيرة «عامة الناس» فحُلّق على اسمي، وشُطب على اسمه لمنع العطاء عنه»، وهُدم منزلي، وحُرمت عطائي.

قال الحجاج: هيهات، أو ما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجني عليك وقد
تُعدي الصحاحَ مبارِكُ الجُرْب
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة
ونجا المقارفُ صاحبُ الذنب

قال سُليك: أصلح الله الأمير، إني سمعت الله عز وجل قال غير هذا، قال الحجاج: وما ذاك؟ قال: قال الله – تعالى –:

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾

(يوسف: ٧٨، ٧٩)

فقال الحجاج: عليَّ بيزيد بن أبي مسلم، فمثل بين يديه، فقال الحجاج: افكك لهذا عن اسمه، واصكك له بعطاء، وابن له منزله، ومُرْ مناديا ينادي: صدق الله، وكذب الشاعر.

طلب عمر بن عبدالعزيز حين ولي الخلافة إلى الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن – رحمه الله –:

«اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل

جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارا، ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها ووضعته كرها، وربته طفلا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة، وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم.

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله، وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها مَنْ يليها؟

وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم مَنْ يقتص لهم؟

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه. فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، ويسلمونك إلى مقرك فريدا وحيدا، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه.. واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل، قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك.

ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم.

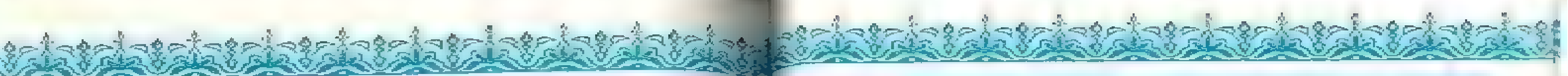
إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحا.. فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له ذلك من العافية والصحة.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم مَنْ وَلِيَ من أمر أمتي شيئا فَشَقَّ عليهم فاشْقُق عليه، ومَنْ ولي من أمر أمتي شيئا فَرَفَقَ بهم فارْفُق به»[١] ورواه أبو عوانة في صحيحه، وقال فيه: «مَنْ ولي منهم شيئا فشق عليهم فعليه بَهْلَةُ الله، قالوا: يا رسول الله: وما بَهْلَةُ الله؟ قال: لعنة الله».

ما أحوجنا اليوم – كي تصلح حالنا، ويزول كربنا، وتستقر عافيتنا، ويعود إلينا أمننا، ويستجيب الله دعاءنا، وينصرنا على أعدائنا – ما أحوجنا إلى نشر العدل بيننا، وأن نطبقه قولا وعملا في جميع جوانب حياتنا، وأن يلتزم بتنفيذه كل واحد منا في موقعه.

(١) مسلم والنسائي.



الخلافة الإسلامية: دولة مدنية مرجعيتها الإسلام

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية



الدولة الإسلامية دولة مدنية تقوم على المؤسسات والشورى هي آلية اتخاذ القرارات في جميع مؤسساتها، والأمة فيها هي مصدر السلطات. شريطة ألا تحل حراما أو تحرم حلالا جاءت به النصوص الدينية قطعية الدلالة والثبوت

هي دولة مدنية لأن النظم والمؤسسات والآليات فيها تصنعها الأمة وتطورها وتغيرها بواسطة ممثليها، حتى تحقق الحد الأقصى من الشورى والعدل، والمصالح المعتبرة التي هي متغيرة ومتطورة دائما وأبدا.

والأمة في هذه الدولة الإسلامية هي مصدر السلطات؛ لأنه لا كهانة في الإسلام، فالحكام نواب عن الأمة، وليس عن الله، والأمة هي التي تختارهم وتراقبهم وتحاسبهم وتعزلهم عند الاقتضاء.

وسلطة الأمة التي تمارسها بواسطة ممثليها الذين تختارهم بإرادتها الحرة، لا يحدها إلا المصلحة الشرعية المعتبرة، ومبادئ الشريعة، التي تلخصها قاعدة «لا ضرر ولا ضرار».

والدولة الإسلامية دولة مؤسسات. لأن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجامعة لكل التكاليف الاجتماعية والسياسية، لا يمكن إقامتها في الواقع المعاصر، إلا بواسطة المؤسسات.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

بل إن الدولة الإسلامية الأولى التي قامت بالمدينة المنورة على عهد رسول الله ﷺ قبل أربعة عشر قرنا، قد قامت على مؤسسات دستورية ثلاث:

١- مؤسسة المهاجرين الأولين - الأمراء -
٢- مؤسسة النقباء الاثني عشر - الوزراء -
٣- مجلس الشورى - المكون من سبعين عضوا -

وكانت الخلافة فيها بالبيعة والاختيار، وحق الدولة في طاعة الأمة مشروط باستقامة الدولة في أداء المهام المفوضة إليها من الأمة، «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

فالمؤسسية مبدأ عريق في الدولة الإسلامية، تستدعيه وتؤكد عليه التعقيدات التي طرأت على نظم الحكم في العصر الحديث.

ولأن الدولة الإسلامية دولة مؤسسات، كانت القيادة فيها والسلطة جماعية. ترفض الفردية والديكتاتورية والاستبداد. ولهذه الحكمة السامية لم يرد في القرآن الكريم مصطلح «ولي الأمر» بصيغة الفرد. وإنما جاء التعبير بصيغة الجماعة «أولي الأمر»

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(النساء: ٥٨، ٥٩).

فالطاعة للسلطة الجماعية، والرد إلى المرجعية الدينية - عند التنازع - للسلطة الاجتهاد والتشريع الجماعية.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

(النساء: ٨٣).

فسلطة الاجتهاد والتشريع التي تستنبط الأحكام هي سلطة جماعية كذلك، مع التأكيد على أن تكون هذه السلطة الجماعية من الأمة، معبرة عن هويتها ومصالحها.

والسياسة في الرؤية الإسلامية ليست من أمهات العقائد الدينية، وإنما هي من الفروع والفقهيات، أجمع على ذلك أئمة الفكر السياسي السني عبر تاريخ الإسلام، ولذلك فإن الاختلاف في السياسة معاييره «الخطأ، والصواب» و«النفع، والضرر»، وليس «الكفر، والإيمان».

والدولة الإسلامية تعتمد التعددية الدينية والسياسية والفكرية في الأمة، ليس باعتبارها فقط من تجليات الحرية وحقا من حقوق الإنسان، وإنما باعتبار هذه التعددية - فوق ذلك - سنة وقانونا كونيا، واجتماعيا، لا تبديل له ولا تحويل فالواحدية والأحدية هي فقط للخالق سبحانه وتعالى أما من عداه وما عداه، في عوالم الخلق، فقائم على سنة التعدد والتمايز والاختلاف.

ولغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى والدولة الإسلامية كامل حقوق المواطنة، وعليهم كامل واجباتهم، مثلهم فى ذلك مثل المسلمين، وبنص عهد رسول الله ﷺ للنصارى سنة ١٠هـ: «لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم».

فوحدة الأمة، والمساواة فى المواطنة لا يتأثران باختلاف العقائد الدينية، التى مردها وحسابها إلى الله سبحانه وتعالى يوم الدين.

والشورى فى الرؤية الإسلامية هى آلية اتخاذ القرارات فى كل ميادين الاجتماع الإسلامى، من الأسرة إلى الدولة، وعبر كل مؤسسات المجتمع، بل هى صفة من صفات المؤمنين:

- ففى الأسرة:

﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾

(البقرة ٢٣٣)

فى المجتمع والأمة:

﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾

(الشورى: ٣٦-٣٩).

- وفى الدولة والسلطة:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران: ١٥٩).

وهذه الشورى ملزمة، لأن الأمة أو جمهورها لا تجمع على ضلالة «إن أمتى لا تجمع على ضلالة». رواه ابن ماجة. فالعصمة فى النظام الإسلامى للأمة، وليست لحاكم أو فقيه أو زعيم أو حزب أو جماعة من الجماعات.

ولقد كانت الشورى ملزمة حتى فى عهد النبوة، ورسول الله ﷺ هو القائل لأبى بكر وعمر: «لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما» رواه الإمام أحمد، والقائل: «لو كنت مؤمرا أحدا دون مشورة المؤمنين لأمرت ابن أم عبد «عبد الله ابن مسعود»» رواه الترمذى وابن ماجة والإمام أحمد.

ولقد مدح القرآن الكريم ملكة سبأ لأنها تحكم بشورى مؤسسة الملأ أولى الأمر:

﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾

(النمل: ٣٢)

وذم فرعون لتفرده بالسلطة:

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾

(غافر: ٢٩)

ولذلك أجمع فقهاء الأمة على «أن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، وهذا ما لا خلاف فيه». القرطبى «الجامع لأحكام القرآن» جـ٤ ص٢٤٩.

ولأن الانفراد بالسلطة هو باب واسع من أبواب الاستبداد والطغيان

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾

(سورة العلق ٦، ٧)

كان تداول السلطة بين تيارات السياسة والفكر فى المجتمع الإسلامى، بالرجوع إلى الأمة، مصدر السلطات، والمستخلفة عن الله، هو المحقق لتجدد الحياة السياسية والحيلولة دون الاستبداد والطغيان

ولأن التوازن هو سر الحياة، والعاصم من الانحراف، كان تعدد السلطات والمؤسسات وتوازنها السبيل المحقق للعدل فى المجتمع والدولة الإسلامية.

فكما أن للتشريع مؤسسته فإن للقضاء مؤسسته، وللتنفيذ مؤسسته كذلك، والتوازن بين هذه المؤسسات وسلطاتها هو المحقق للعدل الذى تبتغيه الأمة من وراء قيام هذه المؤسسات.

ولأن الأمة فى الدولة الإسلامية هى مصدر السلطات فإن التشريع تتولاه المؤسسة التشريعية، فى إطار مبادئ الشريعة وقواعدها، انطلاقا من المبدأ القرآنى:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾

(النساء ٨٣).

لقد عرفت نظم الحكم فى الحضارة الغربية نظامين شهيرين:

١- دولة الكهانة الكنسية: فى العصور الأوروبية الوسطى، وكانت الدولة فيها دينية كهنوتية، تحكم باسم السماء والتفويض الإلهى المزعوم، أى أنها عرفت «اللاهوت» و«السلطة المعصومة» «السماء ← الدولة» ولا وجود للأمة وسلطتها فى هذا النظام.

٢- والدولة العلمانية: التى تختارها الأمة وفيها «الأمة» والدولة النائبة عن الأمة «الأمة ← الدولة» ولا وجود فيها للشريعة والمرجعية الدينية.

أما الدولة الإسلامية، فإنها نظام متميز وفريد، فالسيادة فيها للشريعة الإلهية، والأمة فيها هى مصدر السلطات، والمستخلفة عن الله - شارع هذه الشريعة - والدولة فيها مختارة من الأمة ومستخلفة عنها «الشريعة ← الأمة ← الدولة».

فهى الدولة الوحيدة الجامعة بين هذه المكونات الثلاثة: الشريعة.. والأمة.. والدولة. ولذلك فإنها الأقدر على تحقيق المصالح الشرعية المعتبرة للأمة، فى حدود الحلال والحرام الدينى ومنظومة القيم التى اجتمعت عليها جميع الشرائع السماوية.

قصيدة العدد

فلسطين

للشاعر الكبير / على الجارم

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما توالت انتصارات الجيش المصرى فى فلسطين عام ١٩٤٨م الى ان وصل الى مشارف تل أبيب، فتدخلت أمريكا وفرضت الهدنة على الجانبين من اجل صالح اسرائيل لتجنيبها عار هزيمة محققة.

تألق النصر فاهتزت عواليـنا ... واستقبلت موكب البشرى قوافينا
غنى لنا السيف فى الأعناق أغنية ... عزت على الأيك إيقاعا وتلحينا[2]
هزته كف من الفولاذ قبضتها ... فى الهول ما عرفت رفقا ولا لينا
من صخر «خوفو» لها دون الورى عضل ... جرى به دم عدنان شرايينا[3]
تفسى فدى الفارس المصرى إن خطرت ... به الركائب أو خاض الميادينا
تلقاه فى السلم ماء رق سلسله ... وفى الحروب إذا ما ثار آتونا[4]
يرى الدماء عقيقا سال جامده ... ويحسب النقع فيها مسك دارينا[5]
ما بين «عمرو» و«مينا» زانه نسب ... فمن كآبائه عربا فراعينا[6]
سل مصر عنهم سل التاريخ إن به ... سرا من المجد لا ينفك مكنونا[7]
سيوفهم كن للطغيان ماحقة ... وعدلهم كان للدنيا موازينا[8]
وجيشهم هزت الدنيا كتائبه ... وحكمهم ملأ الآفاق تمدينا

(١) تألق: لمع وظهر. عوالينا: أعالينا
(٢) الأيك: الشجر الملتف والمقصود الحدائق
(٣) «خوفو» ملك من ملوك مصر القديمة وبانى الهرم الأكبر. لها دون الورى: تفردت عن خلق. عدنان: جد العرب
(٤) سلسله: عذوبه وصفاؤه. آتونا: الأخدود من النار
(٥) عقيقا: نوع من الأحجار الكريمة حمراء اللون. النقع: الغبار. مسك دارينا: طيب من منطقة بالبحرين ينسب إليها المسك
(٦) عمرو: هو عمرو بن العاص داهية العرب وفاتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما. مينا: ملك من ملوك مصر الفرعونية وهو أول من وحد الوجهين البحرى والقبلى لمصر
(٧) لا ينفك: لا ينحل ولا ينفك. مكنونا: محروسا
(٨) ماحقة: قضت عليها.

يا ابنى الأسد أفنى مخلبا وربا ... لدى الصراع وأحمى الناس عرنينا[9]
يا دعا الحق لبيته جحافلنا ... وإن سطا الجور ردته مواضينا
عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست ... جباهنا تربها إلا مصلينا
لا يبرح النصر الأعوق رايتنا ... ولا غنى السيف إلا نواصينا[10]
نبى من أحجيات الدهر قرة ... وعنقاء تزحم فى الوكر الشواهينا[11]
وثابة ما له دار ولا وطن ... يسطو على دارنا قسرا ويقصينا[12]
فيا جبال القذفى الأحجار من حمم ... ويا سماء أمطرى مهلا وغسلينا[13]
ويا كواكب آن الرجم فانطلقى ... ما أنت إن أنت لم ترم الشياطينا[14]
ويا بحار احمرى للماء الأجاج دما ... إذا علت راية يوما الصهيونا[15]
لعهد عندهم خلف ومجحدة ... فما رأيناهم إلا مرائينا[16]
دلك السم فى الأسار ويلكم! ... ومن تحارب؟ جند أم ثعابينا[17]
مرحى بدولتهم! ماتت لولدها ... فكان ميلادها حزنا وتأبينا
جاءوا اسهى أرسالا على عجل ... فحبنما نطقوا كانوا معزينا
وفى تصفيقهم نوحا ومسدية ... وأصبح البشر تقطيبا وتغضينا[18]
رويها أقاموا سبك حبكتها ... ولا أجادوا لها لفظا وتلقينا[19]
قد جوستا أماماء أمهزلة؟ ... فالسخف يضحكنا والجهل يبكينا
هلا سيها دولة ضاق الفضاء بها ... فتحا وغزوا وإعزازا وتمكينا
بها قوانين من عدل ومرحمة ... قد نفذوا بعضها فى «دير ياسين»[20]
أسطولها ملأ البحر المحيط لها ... وجيشها ملأ الآطام تحصينا[21]

(٩) عرنينا: أنفا وكرامة
(١٠) الأعوق: المتعوق جهدا وإرهاقا
(١١) عنقاء: نوع من الطيور صغير. وعناء: حمقاء. الوكر: العش. الشواهينا: نوع من الطيور الجارحة وهى الصقور القوية على الصيد
(١٢) ثابة: نفثة وليس له وطن اشارة إلى اليهودى التائه
(١٣) حمم: جمر ملتهب. مهلا: نحاسا مذابا. غسلينا: ما انغسل من لحوم أهل النار وصديدهم
(١٤) الرجم: القتل وأصله الرمى بالحجارة
(١٥) الأجاج: المالح. صهيون: اتباع صهيون من اليهود تشير للإسرائيل
(١٦) خلف: كذب. مجحدة: مكروه. مرائينا: منافقين
(١٧) كان اليهود يضعون السم فى آبار العرب فى أوائل حربهم فى الأربعينيات
(١٨) تغضين: وجع وأسى
(١٩) سبك حبكتها: اتقنوها
(٢٠) دير ياسين: قرية فى فلسطين قام اليهود بذبح سكانها وشيوخها وأطفالها علنا احتفوا فى حربهم الأولى ضد العرب
(٢١) الآطام: البيوت المحصنة

تفدي فداء فلسطين وما لقيت ... وهل يناجي الهوى إلا فلسطينا

نفسي فداء لأولى القبلتين غدت ... نهبا يراح به للذئب تبيينا[22]

قلب العروبة إن قطعته زعنفة ... كنا لها ولأشقاها طواعينا[23]

وقلعة الشرق إن دمت جوانبها ... خضنا لها جنة القتلى مجانينا

وأسطر من تواريخ مخلدة ... كانت تحدث في الفصحى عناوينا

فقبلوا ترب «حطين» فإن به ... دم البطولة من أيام حطينا[24]

أرض يقبلنا بها الأرواح غالية ... داعي لها فيه يا أو ملبينا

ومسجد تنزل المختار ساحته ... تدوي به وصحبا مستميتينا[25]

أنرتضي أن ترى مسرانا بعدما ... ونكتفي بدموع في مآقينا

ما قيمة النفس إن هانت لطائفة ... لله صور فيها الذل والهونا[26]

وما نقول لأبطال لنا سلفوا ... إذا تهدم ما كانوا يشيدونا

وما نقول لعمرو حين يسألنا ... إن لم نجب فله بالسيف غازينا[27]

أتلك أندلس أخرى؟ فقد نبشت ... عن حقد سادتهم ما كان مدفونا[28]

سحقا لمكين «فردينانده» كم ذبحت ... واليوم تشحذ أمريكا السكاكينا!![29]

قد شردوا العرب واستاقوا حرائرهم ... فأين فتياننا؟ أين المحامونا؟[30]

من كل عاد له في الشر فلسفة ... أسرارها عند موشي وابن غوريونا[31]

لا يعرف الرزء في أهل ولا ولد ... ولا يرى غير جمع المال قانونا[32]

الألف تصبح في كفيه بين ربا ... وبين ما للت أدرية ملايينا

إن كان يحميهم المال الذي جمعوا ... فإن خالق هذا المال يحمينا

قالوا: أسود، فقلنا: في الجحور تجم ... فإن خرجتم يعد كوهين كوهينا

بني العروبة هذا اليوم يومكم ... سيروا إلى الموت إن الموت يحيينا

وحلقوا للعلا والمجد خالدة ... تبقى حديث الليالي في قراريها[33]

(22) أولى القبلتين: بيت المقدس وبها المسجد الأقصى.

(23) زعنفة: جماعة ليس لهم أصل واحد. لأشقاها: للشديد الشر. طواعينا: مخربين ومصيبين لهم

(24) حطين: اسم بلد في الشام اشتهرت بالمعركة التي انتصر فيها القائد صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين

(25) مسجد: المسجد الأقصى. المختار: سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

(26) الهونا: الهوان

(27) عمرو: عمرو بن العاص القائد العربي الشهير.

(28) يشير إلى مأساة انهيار حكم العرب في الأندلس

(29) فردينانده: القائد من قواد الفرنجة استطاع بالخديعة وتمكنه أن يطرد العرب من الأندلس خاصة بعد تفرقهم وانقسامهم

(30) استاقوا: أسروا واستعبدوا. حرائرهم: نساؤهم الأحرار.

(31) عاد: معتد ظالم. موشي وابن غوريون: هو موسى شرتوك وبن غوريون من أوائل وزراء دولة إسرائيل

(32) الرزء: المصيبة

(33) قراريها: فرحا في أبنائها

لقد صدقنا ودون العهد منقطع ... فجردوا حد ماضينا لآتينا

وقرعوهم قرابيننا عورة ... للسيف إن يرض هاتيك القرابينا[34]

ماذا إذا ما فقدنا إرث أمتنا ... وما الذي بعده يبقى بأيدينا

ذودوا كما يدفع الضرغام في غضب ... عن العرين أباة ضرغمينا[35]

لا ترحموا القوم في مال وفي عدد ... إن الشقاق فظيع ثم يمحقينا

إن تصوروا فلسطينا وجبهتها ... ضاعت عروبتنا والنقض تأتينا

فإن للشرق أعداء ذوي إحن ... الله يكفيه غواهم ويكفينا[36]

تنهم سهام خفيات مسممة ... من السياسة ترميه وترمينا

كم عقوا صورا شتى وكم خلقوا ... للغدر والفتك أشكالا أفانينا

بجيش مصر ولا ألوك تهنئة ... حققت ظن الليالي والمنى فينا[37]

صنت آخر علياها وأولها ... فما أواخرنا إلا أوالينا

خدمتها وثبة بدرية صرعت ... دهاة جيش يهوذا والدهاقينا[38]

شجاعة سرقت أحلام ساستهم ... وعلمت مترفيهم كيف يصحونا

تموج من ظفر حلو إلى ظفر ... مبارك الفتح والرايات ميمونا

فسبك الله أجسادا مسومة ... أعلامها تتهادى حول جبرينا[39]

وحيث حمت مهجات النيل ماشية ... فيها مطامحها فيها أمانيها

تشتاق للموت في شوق وفي جذل ... لأنهم في ظلال الله يمشونا

لا شك في عزمة المصري تختبل ... فبين فتياننا يلقى البراهينا

لا يستطيع خيال وصف جرأتهم ... ويعجز الشعر تصويرا وتلوينا

هم رياحين مصر نضرة وشذا ... لا أذبل الله هاتيك الرياحينا

صان الإله جيش الشرق عزته ... وصان أبطاله الغر الميامينا[40]

(34) قرابينهم: القربان ما يتقرب به إلى الرحمة والمجد. عورة: مطوية بلون الدم

(35) الضرغام: الأسد. ضرغمينا: عتاتيا

(36) إحن: حقد

(37) ألوك: أرسل إليك رسالة

(38) بدرية: نسبة إلى غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون على الكفار. جيش يهوذا: جيش اليهود الصهاينة. الدهاقين: الزعماء في الدين.

(39) جبرينا: سيدنا جبريل

(40) الميامينا: المباركين

في زمن العولمة

آثار العولمة .. وكيف نواجهها إسلامياً

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

لا نزال مع هذا النظام الدولي الجديد، وتداعياته العالمية والمحلية، وما يترتب عليه من آثار سلبية تتأرجح فيها اقتصاديات الدول الصغيرة والفقيرة بين أنياب الدول الغنية، والدول الصناعية الكبرى، ذات الشركات متعددة الجنسيات .. وما يجب على دول العالم الثالث، وفي مقدمتها بطبيعة الحال معظم الدول العربية والإسلامية، من الحيطة والحذر من الاستسلام الأعمى لما تأتي به «العولمة» من ضربات اقتصادية، وأزمات مالية تؤثر بالسلب على مستقبلها.

فلقد دأب منظرو العولمة على إعطاء الوعود البراقة، والتصريحات الوردية، التي تلقي الاطمئنان لدى من يلهثون للترحيب بهذا النظام الدولي .. غير أن الممارسة العملية، والتطبيق الفعلي للعولمة الاقتصادية، وهي من أهم مجالات هذا النظام الجديد، أثبتت عكس ذلك، على الأقل فيما يتعلق بالدول الصغيرة والفقيرة، وهي - في الأغلب الأعم - التي تنتج المواد الأولية لصناعات الدول المتقدمة.

ولقد ثبت دائماً أن الاقتصاد القائم على الجدارة العالية والتكنولوجية المتقدمة، وهو ما تنفرد به الدول الصناعية الكبرى ذات الشركات العابرة للقارات، يتسبب عن طريق إعادة الهيكلة، والتخلص من التعقيد والروتين وما يتبع ذلك من تقليص في فرص العمل، وتسريح للأيدي العاملة في تفاقم البطالة وفي خفض عدد المستهلكين في مجتمع الرفاهية، وبالتالي فقد لاحت في الأفق بوادر هزة اقتصادية واجتماعية يصعب التكهن بمدى خطرها الآن .. سواء تعلق الأمر بإنتاج السيارات وأجهزة الكمبيوتر، أو بصناعة المواد الكيماوية، أو الأجهزة الإلكترونية، أو بشبكة الاتصالات الهاتفية، أو بالخدمات البريدية أو بتجارة التجزئة، أو بالاقتصاد المالي .. نعم، سواء تعلق الأمر بهذه أو تلك، فإن الحال واحدة، وهي أنه حيثما تحررت المتاجرة بالبضائع والخدمات عبر الحدود الدولية بكل حرية، تعصف بالعمال بلا هوادة على ما يبدو، زوبعة هوجاء تتمثل في فقدان العمل البشري لقيمته، وفي ترشيد يقضي على فرص العمل، ففي الشطر الغربي من ألمانيا ضاع في القطاع الصناعي في الفترة الواقعة بين عام ١٩٩١ وعام ١٩٩٤م، أي في ثلاث سنوات فقط، ما يزيد على مليون فرصة عمل، علماً بأن ألمانيا في وضع لا بأس به مقارنة بالعديد من الدول الأخرى. ففي البلدان الأخرى المنضوية تحت راية «منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي» هذه المنظمة التي تجمع بين ٢٣ دولة صناعية غنية وخمسة بلدان جوار فقيرة، تقلص عدد فرص العمل ذات الأجر الجيد على نحو أسرع. ففي عام ١٩٩٦م زاد عدد السكان الذين يبحثون عن فرصة عمل من غير جدوى في بلدان منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي على ٤٠ مليون مواطن .. ومن الولايات المتحدة الأمريكية شمالاً حتى أستراليا جنوباً، ومن بريطانيا العظمى غرباً حتى اليابان شرقاً، ينخفض على نحو سريع، مستوى المعيشي الذي تمتع به الجمهور العام في الأمم الرائدة في الاقتصاد العالمي[1].

ونمت خسارة كبيرة تنبئ بمستقبل مليء بمفاجآت غير السارة للدول الصناعية الكبرى، لمسائلك بالدول الفقيرة التي لا تملك من تكنولوجيا الغد، ومن أدوات التقدم في الصناعة ما به تستطيع منافسة الدول الكبرى، بعد أن فتحت حدودها للسلع الصناعية المتقدمة التي ترد إليها عن طريق التبادل التجاري الحر.

الرفاهية والمصداقية

على ضوء هذا نظرياً كان الوعد بزيادة الرفاهية من خلال التجارة الحرة صادقاً بالنسبة للمستثمرين، ولقادة الشركات، إلا أنه يفتقد المصداقية بالنسبة لعمالهم والمستخدمين لديهم، وكذلك بالنسبة للعدد المتزايد من العاطلين عن العمل على وجه الخصوص، فبالنسبة لهؤلاء يفضي بالتقدم المزعوم إلى عكس المتوخى.

ومع مطلع التسعينيات على أدنى تقدير كان هذا المسار قد بدا جلياً ولم يعد في الإمكان تجاهله. ومع هذا، فبدلاً من أن تتخذ الحكومات الخطوات اللازمة للتخفيف من وطأته، راحت هذه الحكومات الآن تساعد على التعجيل به، فأنشأت بلدان أوروبا الغربية السوق الأوروبية المشتركة، وأخذت، وفقاً للخطة المسماة «أوروبا ١٩٩٢م»، تلغي من لشبونة وحتى كوبنهاجن تقريباً كل العوائق التي تمنع انتقال رأس المال والبضائع والخدمات عبر الحدود[2].

إذن، فنحن أمام سوق عالمية واحدة، لا يستطيع البقاء فيها إلا الأقوياء الذين يملكون أدوات

(١) فخ العولمة، تأليف: هانس بيتر مارتين وهارالد شومان ص ١٤٣، والكتاب من سلسلة عالم المعرفة التي تصدر في دولة الكويت الشقيقة.
(٢) فخ العولمة من ص ٢٠٣ إلى ص ٢٠٧.

القلم ويطورون من وسائل الإنتاج بما يحقق لهم الأرباح التي تتزايد يوما بعد يوم.

مما سبق يتبين أن المظاهر الاقتصادية للعولمة متعددة ومتنوعة. إلا أنها في مجملها تشير إلى أن العالم الذي تشكل في التسعينيات من القرن العشرين قد أصبح عالما بلا حدود اقتصادية. وأن النظم الاقتصادية أصبحت متداخلة ومتشابكة ومؤثرة في بعضها البعض. ولم تعد هناك حدود وفواصل بينها. ويتضح أن للعولمة الاقتصادية العديد من الآثار منها:

١ - تحويل العالم إلى عالم يهتم بالاقتصاد أكثر من اهتمامه بأي أمر حياتي آخر بما في ذلك الأخلاق والقيم الإنسانية التي تتراجع تدريجيا وتستبدل بها العلاقات الربحية النفعية.

٢ - الوصول إلى سوق عالمية واحدة بدون حواجز أو فواصل جمركية وإدارية أو قيود مادية أو فنية أو جنسية، أي إقامة سوق ممتدة ومتسعة تشمل العالم بكافة قطاعاته ومؤسساته وأفراده.

٣ - السيادة الاقتصادية للدول القومية من خلال تفكيك النظم الإنتاجية المتمركزة حول الذات الوطنية، وإعادة تركيب هذه النظم في نظام إنتاجي ذي بعد عالمي وتحجيم أدوار المؤسسات الاقتصادية في ممارسة وظائفها الاقتصادية[٣].

نزيف العقول

ومن المظاهر السلبية للعولمة الاقتصادية نزيف العقول والكفاءات العلمية رفيعة المستوى، حيث تعد هذه العقول والكفاءات العلمية في أي مجتمع موردا واستثمارا استراتيجيا وحيويا ونسيجا أساسيا من أنسجة المجتمع الذي ينبغي الحفاظ عليه وتدعيمه.

وفي عصر العولمة ومع إزالة كافة الحدود الفاصلة بين الدول بعضها البعض كنتيجة أساسية للتطور الهائل الحادث في الجانب الاقتصادي والمعلوماتي أصبح نزيف العقول العلمية العربية المتخصصة وهجرتها إلى الخارج من أهم التأثيرات السلبية التي تواجه التربية. لاسيما في ضوء السياسات الانتقائية التي تمارسها المجتمعات الغربية بهدف جذب العقول والمتخصصين من الكفاءات فتفتح لهم أبواب الهجرة والإقامة وتوفر لهم الامتيازات المادية واللا مادية اللازمة لذلك.

والخطورة هنا تكمن في التأثيرات التي تنجم عن هجرة هذه الكفاءات العلمية إلى الخارج؛ حيث تعد انتقالا حقيقيا غير مباشر للموارد الإنتاجية من الدول النامية إلى الدول المتقدمة. فكل فرد من هؤلاء يحمل معه قدرا من العلم والخبرة والمعلومات والمهارات. إما بالتعليم أو

[٣] الجودة والاعتماد الأكاديمي د. أحمد حسين عبد المعطي ص ٩٦، ٩٧

بالتدريب وما قد يصاحب ذلك من وقت وجهد ومال. ومن ثم فالانتقال بهذه الصورة يعد انتقالا لاستثمار بشري[٤]. وهو ما يوجب على الدول النامية أن تبحث عن الأسباب التي تؤدي إلى هجرة العقول العلمية المتخصصة من أوطانها بعد أن أنفقت الأموال الطائلة والجهد والوقت في تربيتها وإقامة صرحها الشامخ، حتى تسد منافذها وتستبدل بها أسبابا أخرى تدفع بها إلى الإقامة في مهدها.

إن البحث عن الأسباب التي تؤدي إلى هجرة العقول يعد أمرا ضروريا وحيويا. وأهم هذه الأسباب: الأسباب الاقتصادية وهي تتمثل في الآتي:

١ - البطالة، وضعف الحافز المادي، والافتقار إلى البنية الأساسية العلمية.

٢ - تهميش الطاقات والكفاءات العلمية في المجتمع.

٣ - التوترات الاجتماعية والسياسية التي قد يمر بها المجتمع في شتى مجالات الحياة.

٤ - تيسير التشريعات اللازمة لهجرة الكفاءات والعقول العلمية أمام أفراد المجتمع سواء في الحصول على الجنسية، وتوفير فرص العمل المناسبة لهم وخدمات البحث والإمكانيات اللازمة لذلك.

٥ - توفير البيئة المناسبة التي تتناسب مع ميولهم واهتماماتهم.

٦ - إتاحة الفرص المناسبة لهم لاحتلال مواقع قيادية في مجالات العمل المختلفة، وذلك وفقا لقدرات واستعدادات وإمكانيات كل فرد[٥].

هدف العولمة!

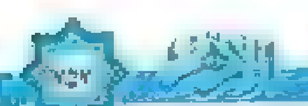
في مقال سابق، ذكرنا أن الديانة السائدة لدى الدول الراعية للعولمة هي اليهودية والنصرانية، وأن قيادتها موكلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وقد ترتب على ذلك أن الهدف الأصلي الذي يكمن وراء العولمة، هو تفكيك عقيدة المسلمين، والتشكيك في هذا الدين القويم. والنماذج الشاهدة على ذلك كثيرة، فمنها دراسة للدكتور جاك شاهين أستاذ علوم الاتصال الجماهيري بجامعة إلينوي الأمريكية، رصد فيها بيانات الإعلام الأمريكي تجاه الإسلام والمسلمين من خلال تحليل مضمونه خلال عشرين سنة مضت.

«يرى الدكتور شاهين أن صورة العربي المسلم في الذهن الغربي، يمكن تلخيصها بعبارة «الآخر الثقافي الخطير» الذي يهدد محاولات الانفراد الأمريكي بقيادة العالم بعد انهيار الشيوعية.

«وتصور وسائل الإعلام الأمريكية العرب الأمريكيين أنهم «غرباء» ويشكلون خطرا على

[٤] الجودة والاعتماد الأكاديمي ص ١٩٤، ١٩٥

[٥] المصدر السابق ص ١٩٥



الأمن القومي، وأنهم يقفون جنبا إلى جنب مع مهربي المخدرات والمخربين، ويؤازرون النشاط الإرهابي.

«وتخرج المكتبات الأمريكية سنويا مئات الكتب المعادية للإسلام وتحمل عناوين مثل «ميزان الإسلام» و«الإسلام الملتهب»، وكذلك مقالات تحت عناوين مثيرة مثل «جذور التعصب الإسلامي» و«الإسلام قد يكتسح الغرب» و«الحرب الإسلامية ضد الحداثة» و«القنبلة الرسمية الإسلامية».

«وقد أنتجت هوليوود - أكبر مدن السينما العالمية - ما بين عامي ١٩٨٦م و١٩٩٥م ما بين ١٥ إلى ٢٠ فيلما أسبوعيا (أي يعرض بشكل مسلسلات أسبوعية)، أظهرت فيها صورة بغيضة للعرب والمسلمين في أكثر من ١٥٠ فيلما، وكانت صورة العربي في العشرينيات من القرن العشرين تاجر عبيد وحشيا، وأصبح في السبعينيات والثمانينيات شيخا جروليا، والآن إرهابيا متعصبا يصلي قبل أن يقتل الأبرياء»[6].

وهذه الأكاذيب وغيرها الكثير تنشر على قنوات العالم التليفزيونية من خلال الأقمار الصناعية الغربية والأمريكية، فضلا عن القنوات المسيحية التي تطعن في الإسلام وفي عقيدته ورموزه مباشرة ليلا ونهارا. وهذا الجانب الثقافي الذي أسهمت فيه العولمة الغربية والأمريكية يضاف إلى ما سبق من سلبيات «العولمة الاقتصادية».

اقتراحان من جامعة الأزهر

ولمواجهة هذا الخطر الداهم بالعمل الإسلامي المنظم: هناك اقتراحان تقدمت بهما جامعة الأزهر الشريف:

■ أولهما: تقدم به الدكتور حسين شحاتة، أستاذ المحاسبة بجامعة الأزهر، مفاده: أن النظام الاقتصادي العالمي، والعولمة الاقتصادية شر كله يوجب المواجهة، وهو يتلخص في النقاط الآتية

١ - لابد من العمل والإنتاج وتحسين الجودة.

٢ - التعاون والتكافل والتنسيق بين رجال الأعمال العرب والمسلمين

٣ - يجب على المستهلك تفضيل المنتجات الوطنية على الأجنبية

٤ - تحقيق التكامل والتنسيق بين الدول العربية والإسلامية كخطوة أساسية نحو إنشاء السوق العربية المشتركة.

٥ - الولاء والانتماء والحب للوطن العربي والأمة الإسلامية.

■ أما ثانيهما، فقد تقدم به الدكتور محمد عبدالحليم عمر، أستاذ المحاسبة ومدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، حيث يقرر:

١ - لا نستطيع العيش بمعزل عن العالم.

٢ - التعامل مع نظام العولمة على أنه تطوير للعلاقات بين الدول.

٣ - يجب العمل على امتلاك أدوات وآليات العولمة وحسن استعمالها.

٤ - الإسراع باستكمال خطوات التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية وتفعيل دور المؤسسات الإسلامية، مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية.

٥ - زيادة حركة التجارة البينية والاستثمارات المشتركة بين الدول الإسلامية»[1] والملاحظ أن نص الاقتراحين لايتفقان إلا في نقطة واحدة: فإذا كان الأول يقوم على افتراض أن العولمة الاقتصادية شر يوجب المواجهة، فإن الثاني يرى أننا لا نستطيع العيش بمعزل عن العالم، وهو ما يوجب أن نعتبر هذا النظام تطويرا للعلاقات بين الدول. وإذا كان هذان الافتراضان يشكلان - كل لدى صاحبه - قاعدة مهمة في وجهة نظره، فإن كلا منهما - أي الافتراضين - لايمنعان أن يلتقي الرأيان في باقي النقاط؛ لأنها جميعها تلتقي حول العمل الإسلامي والعربي المنظم والإسراع نحو استكمال خطوات بناء السوق العربية المشتركة، وهو ما لم يتردد في الدعوة إليه مسلم أو عربي واحد. ونحن بحمد الله نرى انعقاد كثير من المؤتمرات الإسلامية والعربية من أجل تحقيق هذا الحلم الكبير؛ لتكون السوق العربية المشتركة بمثابة الإطار الذي تتكامل داخله اقتصاديات الدول الإسلامية والعربية؛ حتى لاتذوب في خضم السوق العالمية..!!

خصوصية الدول الإسلامية

ومما يؤكد على أن الأمة العربية والإسلامية لاتستطيع أن تعيش بمعزل عن العالم - حتى لو أرادت ذلك - أن «العولمة» فكر، وثقافة، وسياسة، وعلم... إلخ مثلما هي اقتصاد، وهذه المجالات وغيرها مما تسعى له «العولمة» لاتستطيع أمة من الأمم أن تعزل أي واحد منها عن الأمة الأخرى. فنحن - العرب والمسلمين - في مواجهة شديدة المراس نطالب فيها بالموازنة الذكية بين خصوصية الدول الإسلامية والعربية في تكوين اقتصاد إسلامي وعربي من خلال سوق عربية مشتركة؛ حتى نتفادى - بقدر المستطاع - تلك الهزات الاقتصادية والأزمات المالية العالمية، وبين اقتصاد عالمي شامل، ليس لنا بد من الإسهام فيه والتعامل معه باعتباره واقعا معيشا، وباعتبارنا جزءا من مكوناته، وقد تضافرت فيه الأسباب والآليات التي تجعل من العالم كله قرية صغيرة في السياسة والاقتصاد والثقافة والفكر والعلوم... وغيرها.

والله الموفق والهادي.

---

(٦) «الإسلام والعولمة» د. سامي محمد الدلال ص ٢٠، ٢١.

(١) انظر كتاب «الإسلام والعولمة» للدكتور الدلال من ص ٢٥٩ إلى ص ٢٦٤.

القوى الحزبية الإسرائيلية في الكنيست الجديد

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

أجريت الانتخابات البرلمانية الإسرائيلية يوم الثلاثاء ١٠ فبراير ٢٠٠٩، تنافس فيها ٣٣ قائمة حزبية، أبرزها الليكود وكاديما والعمل. فازت منها ١٢ قائمة حزبية، جاء على رأسها حزب كاديما الذي حصل على ٢٨ مقعدا في الكنيست الثامن عشر. وبلغ عدد أصحاب الحق في الاقتراع ٥,٢٧٨,٩٨٥ ناخبا، أدلى منهم بصوته ٣,٤١٦,٥٨٧ ناخبا وتم رفض ٤٣,٠٩٧ صوتا. ومن ثم بلغ عدد الأصوات الصحيحة ٣,٣٧٣,٤٩٠ صوتا. وقد بلغت نسبة التصويت ٦٤.٨٪ من إجمالي عدد أصحاب الحق في الاقتراع وهي أعلى نسبيا بالمقارنة مع ٦٣.٢٪ في انتخابات الكنيست السابقة عام ٢٠٠٦. وتعتبر إسرائيل دائرة انتخابية واحدة. ومن أجل الانضمام للكنيست يجب على كل قائمة حزبية الحصول على ٦٧,٤٧٠ صوتا وهي تعادل ٢٪ من إجمالي عدد الأصوات الصحيحة، وهي تسمى نسبة الحسم.

وقد حصلت القوائم الحزبية التي لم تتجاوز نسبة الحسم (٢٪) على ١٠٣,٩٠٤ أصوات ويتم توزيع المقاعد على القوائم الحزبية على أساس حساب ما يعادل كل مقعد من أصوات وبطرح عدد الأصوات التي لم تتجاوز نسبة الحسم من إجمالي الأصوات الصحيحة، وقسمة الناتج على عدد مقاعد الكنيست وقدرها ١٢٠ مقعداً، يكون النتيجة أن كل مقعد يعادل ٢٧,٢٤٦ صوتا، وبالتالي يسهل حساب ما يحصل عليه كل حزب من مقاعد في الكنيست، واللافت أنه وفقا للقانون الإسرائيلي يقوم الرئيس الإسرائيلي بتكليف رئيس الحزب الذي أوصت به غالبية نواب الكنيست بتشكيل الحكومة الجديدة، وليس بالضرورة الذي حصل حزبه على أكبر عدد من المقاعد، وقد حدث ذلك بالفعل عندما كلف الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز» زعيم حزب «الليكود» «بنيامين نتنياهو» بتشكيل الحكومة الإسرائيلية الجديدة على الرغم من حصوله على ٢٧ مقعدا بفارق مقعد واحد عن حزب كاديما الذي حصل على ٢٨ مقعداً، وبالتالي لم يكلف «تسيبي ليفني» زعيمة حزب الأغلبية بهذه المهمة.

وقد جاءت نتائج انتخابات الكنيست الثامن عشر على النحو التالي:

١- حزب كاديما برئاسة «تسيبي ليفني» حصل على ٧٥٨,٠٣٢ صوتا، أهلته للحصول على ٢٨ مقعداً في الكنيست الجديد موزعة على ٢٨ عضواً وهم: ١- تسيبي ليفني (رئيسة الحزب) ٢- شاؤول موفاز ٣- داليا إيتسيك ٤- تساحي هنجبي ٥- روني براون ٦- زئيف بويم ٧- مئير شطريت ٨- روحاما أفراهام ٩- آفي ديختر ١٠- مارينا سولودكين ١١- يوئيل حاسون ١٢- جدعون عزرا ١٣- يعقوف إدري ١٤- إيلي أفلالو ١٥- زئيف بيلسكي (عضو كنيست لأول مرة) ١٦- روبرت تيفيروس ١٧- حاييم رامون ١٨- نحمان شاي (عضو كنيست لأول مرة) ١٩- شلومو مولا ٢٠- رونيت طوبيق (عضو كنيست لأول مرة) ٢١- مجلي وهبة (عربي) ٢٢- راحيل إدتو (عضو كنيست لأول مرة) ٢٣- يوحنان بليسنر ٢٤- شاي حرمش ٢٥- يسرائيل حاسون ٢٦- آريه بيبي (عضو كنيست لأول مرة) ٢٧- عوتنيل شنلر ٢٨- أوريت زوارتس (عضو كنيست لأول مرة).

٢- حزب الليكود: برئاسة «بنيامين نتنياهو» حصل على ٧٢٩,٠٥٤ صوتا أهلته للحصول على ٢٧ مقعدا في الكنيست الجديد موزعة على ٢٧ عضوا وهم: ١- بنيامين نتانياهو ٢- جدعون ساعر ٣- جلعاد أردين ٤- روبي ريفلين ٥- بني بيجين ٦- موشيه كحلون ٧- سيلفان شالوم ٨- موشيه يعلون (عضو كنيست لأول مرة) ٩- يوفال شتاينتس ١٠- ليمور ليفنات ١١- يسرائيل كاتس ١٢- يولي إدلشتاين ١٣- ليمور ليفنات ١٤- حاييم كاتس ١٥- يوسي بيلد (عضو كنيست لأول مرة) ١٦- ميخائيل إيتان ١٧- دان مريدور ١٨- تسيبي حوتوفلي (عضو كنيست لأول مرة) ١٩- جيلا جمليئيل ٢٠- زئيف ألكين ٢١- ياريف لفين (عضو كنيست لأول مرة) ٢٢- تسيون بينيان (عضو كنيست لأول مرة) ٢٣- أيوب قرا (عربي) ٢٤- داني دانون (عضو كنيست لأول مرة) ٢٥- كرمل شاما (عضو كنيست لأول مرة) ٢٦- أوفير أكونيس (عضو كنيست لأول مرة) ٢٧- ميري ريجيف (عضو كنيست لأول مرة)

٣- حزب إسرائيل بيتنا: برئاسة «أفيجدور ليبرمان» حصل على ٣٩٤,٥٧٧ صوتاً أهلته للحصول على ١٥ مقعداً في الكنيست الجديد موزعة على ١٥ عضواً وهم:

١- أفيجدور ليبرمان ٢- عوزي لنداو ٣- ستاس ميسجنيكوف ٤- يتسحاق أهارونوفيتش ٥- صوفا لندفير ٦- أورلي ليفي (عضو كنيست لأول مرة) ٧- داني أيالون (عضو كنيست لأول مرة) ٨- دافيد روتم ٩- أنستاسيا ميخائيلي (عضو كنيست لأول مرة) ١٠- ياپا كيرشنباوم (عضو

كنيست لأول مرة) ١١- روبرت إيلطوف ١٢- حمد عمار (عربي وعضو كنيست لأول مرة) ١٣- موشيه ميتلون (عضو كنيست لأول مرة) ١٤- إيلشطوف ١٥- أليكس ميلر.

٤- حزب العمل: برئاسة «إيهود باراك» حصل على ٣٣٤,٩٠٠ صوت أهلته للحصول على ١٣ مقعداً في الكنيست الجديدة موزعة على ١٣ عضواً هم: ١- إيهود باراك ٢- يتسحاق هرتسوج ٣- أوفير بينيس ٤- شيلي بيرفرمان ٥- شيلي يحيموفيتش ٦- ماتان فيلنائي ٧- إيتان كابل ٨- بنيامين بن أليعازر ٩- يولي تامير ١٠- عمير بيرتس ١١- دانييل بن سيمون (عضو كنيست لأول مرة) ١٢- شالوم كمحون ١٣- أوريت نوكيد

٥- حزب شاس: برئاسة «إيلي يشاي» وحصل على ٢٨٦,٣٠٠ صوت أهلته للحصول على ١١ مقعداً موزعة على ١١ عضواً هم: ١- إيلي يشاي ٢- أرييل أتياس ٣- يتسحاق كوهين ٤- أمنون كوهين ٥- مشولام نهاري ٦- يعقوف مرجي ٧- دافيد أزولاي ٨- يتسحاق فاكنين ٩- نسيم زئيف ١٠- حاييم أمسلام ١١- أفراهام ميخائيلي.

٦- حزب يهدوت هتوراة: برئاسة «يعقوف ليتسمان» وحصل على ١٤٧,٩٥٤ صوتاً أهلته للحصول على ٥ مقاعد موزعة على ٥ أعضاء هم: ١- يعقوف ليتسمان ٢- موشيه جفني ٣- مئير بروش ٤- أوري مكليف ٥- مناحم موزس (عضو كنيست لأول مرة)

٧- حزب راعم تاعل (القائمة العربية الموحدة والحركة العربية للتغيير) برئاسة «إبراهيم صرصور» وحصل على ١١٣,٩٥٤ صوتاً أهلته للحصول على ٤ مقاعد موزعة على ٤ أعضاء هم: ١- إبراهيم صرصور ٢- أحمد الطيبي ٣- طلب الصانع ٤- مسعود غنايم (عضو كنيست لأول مرة)

٨- حزب الاتحاد القومي: برئاسة «يعقوف كاتس» وحصل على ١١٢,٥٧٠ صوتاً أهلته للحصول على ٤ مقاعد موزعة على ٤ أعضاء هم: ١- يعقوف كاتس (عضو كنيست لأول مرة) ٢- أوري أورييل ٣- أرييه إلداد ٤- ميخائيل بن آري (عضو كنيست لأول مرة)

٩- حزب حداش (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة): برئاسة «محمد بركة» حصل على ١١٢,١٣٠ صوتاً أهلته للحصول على ٤ مقاعد موزعة على ٤ أعضاء هم: ١- محمد بركة ٢- حانا سويد ٣- دوف حنين ٤- عفو إغبارية (عضو كنيست لأول مرة)

١٠- حزب ميرتس: برئاسة «حاييم أورون» حصل على ٩٩,٦١١ صوتاً أهلته للحصول على ٣ مقاعد موزعة على ثلاثة أعضاء هم: ١- حاييم أورون ٢- إيلان جيلئون ٣- نيتسان هوروفيتش (عضو كنيست لأول مرة).

١١- حزب البيت اليهودي: برئاسة «دانييل هرشكوفيتش» حصل على ٩٦,٧٦٥ صوتاً أهلته للحصول على ٣ مقاعد موزعة على ثلاثة أعضاء هم: ١- دانييل هرشكوفيتش (عضو كنيست لأول مرة) ٢- زفولون أورليف ٣- أوري أورباخ (عضو كنيست لأول مرة)

١٢- حزب بلد (التجمع الوطني الديمقراطي) برئاسة «جمال زحالقة» حصل على ٨٣,٧٣٩ صوتاً أهلته للحصول على ٣ مقاعد موزعة على ثلاثة أعضاء هم: ١- جمال زحالقة ٢- سعيد نفاع ٣- حنين زعبي (عضو كنيست لأول مرة)

سيطرة مطلقة لليمين المتشدد

وفي ضوء ما سبق يمكن رصد العديد من الملاحظات حول القوى الحزبية التي أفرزتها انتخابات الكنيست الثامن عشر الجديد فيما يلي:

جاءت الكنيست الجديد بتشكيلة حزبية تعكس تحولات رأي الشارع الإسرائيلي الذي يتجه إلى مزيد من التشدد، وتحوله عن اليسار إلى اليمين المتطرف، خاصة منذ وصول اليمين المتطرف «أرييل شارون» إلى السلطة عام ٢٠٠١.

يحتل اليمين الصهيوني والديني ٦٥ مقعداً من مقاعد الكنيست الجديد، ويتمثل ذلك في حصول حزب ليكود على ٢٧ صوتاً وحزب إسرائيل بيتنا على ١٥ مقعداً، وحزب شاس على ١١ مقعداً، وحزب يهدوت هتوراة على ٥ مقاعد، وحزب الاتحاد القومي على ٤ مقاعد، وحزب البيت اليهودي على ٣ مقاعد.

- حصول ما يسمى باليسار على ٥٥ مقعداً من مقاعد الكنيست الـ١٢٠ ويتمثل ذلك في حصول حزب العمل على ١٣ مقعداً، وحزب ميرتس على ٣ مقاعد، وحزب كاديما ٢٨ مقعداً (وإن كان حزباً في عهده الحرب على لبنان عام ٢٠٠٦، والحرب على غزة عام ٢٠٠٨) وحصول الأحزاب العربية الثلاثة على ١١ مقعداً وهي حزب راعم - تاعل ٤ مقاعد وحزب حداش ٤ مقاعد، وحزب بلد ٣ مقاعد

- حصول حزب كاديما على ٢٨ مقعداً في الكنيست الجديد بخسارة مقعد واحد من مقاعده في الكنيست السابقة عام ٢٠٠٦.

- حصول حزب ليكود على ٢٧ مقعداً في الكنيست الجديد بزيادة ١٥ مقعداً من مقاعده في الكنيست السابق وهو يعكس حالة التشدد واتجاه المجتمع الإسرائيلي ناحية اليمين المتطرف.

- حصول حزب إسرائيل بيتنا اليميني المتشدد على ١٥ مقعداً، بزيادة ٤ مقاعد من مقاعده في الكنيست السابق عام ٢٠٠٦، وهو ما يقف عقبة في وجه عملية السلام خاصة بعدما وقع معه «نتانياهو» اتفاقاً بضمه إلى حكومته الجديدة.

- حصول حزب شاس الديني الذي يمثل اليهود الشرقيين على ١١ مقعداً بخسارة مقعد واحد من مقاعده في الكنيست السابق.

- تراجع حزب العمل، مؤسس دولة إسرائيل تحت اسم حزب الماباي، تراجعاً شديداً في عدد مقاعده منذ عام ١٩٤٩، فقد حصل على ١٣ مقعداً فقط بخسارة ٦ مقاعد من مقاعده في الكنيست السابق، وهو ما يمثل ضربة قاصمة لعملية السلام.

- حصول حزب الاتحاد القومي الذي يمثل حزب المستوطنين على ٤ مقاعد بخسارة ٥ مقاعد من مقاعده في الكنيست السابق، وقد يرجع ذلك إلى انشقاق حزب البيت اليهودي عنه، مشكلاً قائمة حزبية مستقلة في الانتخابات التشريعية الجديدة.

- حصول حزب البيت اليهودي الذي كان جزءاً من حزب الاتحاد القومي، الذي يمثل المستوطنين

على ٣ مقاعد بعد أن دخل الانتخابات التشريعية الجديدة بقائمة حزبية مستقلة

– حصول حزب ميرتس «اليساري» الذي يدعو إلى دولتين لشعبين، على ٣ مقاعد فقط بخسارة مقعدين من مقاعده في كنيست عام ٢٠٠٦.

– حصول القائمة العربية الموحدة والحركة العربية للتغيير (راعم – تاعل) على ٤ مقاعد، وهي المقاعد نفسها في الكنيست السابقة بدون تغير.

– حصول الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (حداش) على ٤ مقاعد، وهي المقاعد نفسها في الكنيست السابقة بدون تغير.

– حصول التجمع الوطني الديمقراطي (بلد) على ٣ مقاعد، بخسارة مقعد واحد من مقاعده في كنيست ٢٠٠٦.

– دخول أول امرأة عربية إلى الكنيست (البرلمان) لأول مرة ضمن الحزب العربي «التجمع الوطني الديمقراطي» وهي النائبة «حنين زعبي».

– وجود ثلاثة نواب عرب ضمن قوائم حزبية إسرائيلية وهم: مجلي وهبه من حزب كاديما، وأيوب قرا من حزب الليكود، وحمد عمار من حزب إسرائيل بيتنا، وبذلك يصبح عدد أعضاء النواب العرب في الكنيست الجديد ١٤ نائبا.

اللافت للنظر أن حزب المتقاعدين الذي يمثل المعاشات، كان له ٧ مقاعد في الكنيست السابق، غير أنه لم يحقق نسبة الحسم (٢٪)، وقدرها ٦٧,٤٧٠ صوتا في الكنيست الجديد حيث حصل فقط على ١٧,٥٧١ صوتا وهي لا تؤهله للانضمام للكنيست.

والجدير بالذكر أن حصول الأحزاب العربية الثلاثة وهي القائمة العربية الموحدة والحركة العربية للتغيير، والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، والتجمع الوطني الديمقراطي، على ١١ مقعدا في الكنيست، لا يتناسب مع عدد الأقلية العربية في فلسطين التاريخية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ التي تبلغ ١,٤ مليون عربي فلسطيني، وربما يرجع ذلك إلى تضييق السلطات الإسرائيلية الخناق على الناخبين العرب في الوصول إلى صناديق الاقتراع، ناهيك عن انصراف البعض منهم عن الذهاب إلى هذه الصناديق للإدلاء بأصواتهم تراخيا وعدم اكتراث من جانبهم، وفي هذا السياق أفرزت نتائج الكنيست الـ١٨ (الجديد) عن احتلال الحزب اليميني المتطرف «إسرائيل بيتنا» المركز الثالث، قبل حزب العمل المؤسس لدولة الكيان الصهيوني، الذي احتل المركز الرابع، وهو ما يشير إلى صعود اليمين الصهيوني المتشدد، وحاول «بنيامين نتانياهو» زعيم الليكود والمكلف بتشكيل الحكومة، خطب ود «أفيجدور ليبرمان» زعيم حزب إسرائيل بيتنا للانضمام إلى الائتلاف الحكومي الجديد، وهو ما يشكل عقبة في طريق عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

أحد عشر مقعداً للعرب !!

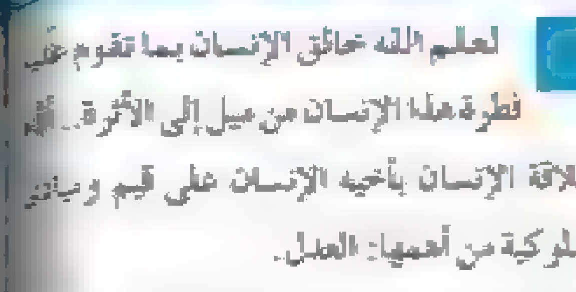
ومن جهة أخرى قام الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز» بتكليف «بنيامين نتانياهو» زعيم حزب الليكود في ٢٠ فبراير ٢٠٠٩ بتشكيل الحكومة الجديدة، وقال «بيريز» في بيان صحفي مشترك مع نتانياهو «إن غالبية الأحزاب التي التقى ممثليها أبدت رغبتها في رؤية حكومة واسعة» أما الأحزاب التي أبدت «لشيمون بيريز» دعمها تكليف «نتنياهو» فهي «الليكود» ٢٧ نائبا، و«إسرائيل بيتنا» ١٥ نائبا، و«شاس» ١١ نائباً، و«يهدوت هاتوراة» ٥ نواب، و«الاتحاد القومي» ٤ نواب، و«البيت اليهودي» ٣ نواب، وتشكل هذه الأحزاب اليمينية والدينية الستة ٦٥ نائباً في الكنيست البالغ عدده ١٢٠، أي أن الأغلبية المطلقة في الكنيست التي تسيطر عليها هي أحزاب تنحو ناحية اليمين المتشدد.

وفي هذا الصدد قال «نتانياهو» المكلف بتشكيل الحكومة موجها حديثه إلى الأحزاب الإسرائيلية «إن إسرائيل تقف اليوم أمام اختبار، إذ تواجه في هذه الفترة المصيرية تحديات كبيرة، فإيران تطور سلاحا نوويا، وتشكل التهديد الأكبر على وجودنا منذ الاستقلال عام ١٩٤٨، وأذرع إيران تلفنا من الشمال (يقصد حزب الله في لبنان) والجنوب (يقصد حماس في غزة).

وهكذا يرى اليميني المتطرف «نتانياهو» أن إيران تمثل أكبر تحد على الوجود اليهودي في فلسطين التاريخية المحتلة بما تطوره من سلاح نووي – على حد زعمه – متناسياً ما تملكه إسرائيل من ترسانة نووية تهدد بها المنطقة برمتها، ونتساءل إن كان «نتانياهو» حقا يريد أن تعيش إسرائيل في أمن وسلام فلماذا لا ترفع الحصار المحكم عن قطاع غزة، وتسحب قواتها من الجنوب اللبناني؟ إن «نتانياهو» لم يتطرق في حديثه إلى عملية السلام مع الفلسطينيين، لأنه متمسك «بلا عودة» إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧، «ولا عودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم عام ١٩٤٨»، «ولا لتقسيم القدس باعتبارها العاصمة الأبدية لإسرائيل، فهو يرفض في الأساس إقامة دولتين لشعبين.

حكومة متطرفة !!

وفي هذا السياق تقول «تسيبي ليفني» زعيمة حزب «كاديما» «كيف لي أن أنضم إلى حكومة تضم شاس الدينية الشرقية المتزمتة التي طالبتني بوقف المفاوضات مع الفلسطينيين، وتضم البيت اليهودي، وتضم نتانياهو نفسه الذي يرفض حتى الآن الحديث عن «دولتين لشعبين»؟ وتساءل «ليفني» ماذا أفعل في حكومة كهذه؟ ويبدو أن «ليفني» تفضل البقاء في صفوف المعارضة، حيث سبق أن أعلنت أن حزبها سيتجه إلى صفوف المعارضة إذا شكل زعيم الليكود «بنيامين نتانياهو» الحكومة الجديدة، وقالت في ختام لقائها مع «بيريز» أنها «لا تعتزم الجلوس في حكومة «نتانياهو» لأن لا قيمة لحكومة واسعة لا تقود لأي طريق» وفي الختام يمكن القول أن القوى الحزبية في الكنيست الجديد، غالبيتها من التيار اليميني والديني المتشدد، وهو ما يمثل خطراً أكبر على عملية السلام، ولا مفر أمام «نتانياهو» إلا اللجوء إلى هذه الأحزاب اليمينية لتشكيل حكومته الجديدة، لتبدأ فترة قاتمة جديدة من التشدد والتطرف من جانب القيادة السياسية اليمينية التي تسعى إلى الاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة تحت شعار «لا تفريط في أرض إسرائيل المحررة».



كتاب الشهر

NOAM CHOMSKY

تأليف: الأستاذ نعوم تشومسكي

تعريب:

الأستاذ/ إبراهيم محمد إبراهيم

عرض وتحليل ونقد

٣

لعلم الله خالق الإنسان بما تقوم عليه فطرة هذا الإنسان من ميل إلى الأثرة، أقام علاقة الإنسان بأخيه الإنسان على قيم ومبادئ سلوكية من أهمها: العدل.

ولأهمية تلك القيمة في العلاقات الإنسانية جعلها المولى سبحانه محور رسالة سيدنا شعيب إلى قومه، حيث ذكرها القرآن الكريم في أكثر من موطن، نحو قوله جل شأنه:

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ۝ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾

(هود: ٨٤- ٨٥)

ولخطورة تلك القيمة لم يكتف القرآن الكريم بالدعوة المطلقة إلى التزام من يحكم بين الناس بالعدل، كما جاء في قوله تعالى:

﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾

(النساء: ٥٨)

ولخطورة تلك القيمة خصص المولى سورة قرآنية بكاملها تنبه إلى جريمة من يتجاوز قيمة العدل، تقرر أن الخالق جل شأنه توعد من يرتكب جريرة التطفيف والكيل بمكيالين فقال:

﴿ ويل للمطففين ۝ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ۝ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ۝ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ۝ ليوم عظيم ﴾

(المطففين: ١ - ٥)

ولكنه سبحانه أراده من الإنسان عدلاً مطلقاً من الأغراض الشخصية، يفرض على كل من يتصدى للحكم بين الناس ألا يخضع في حكمه للهوى، ولا لخصوصية القرابة، ولا للتقدير الشخصي. فأمر المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالقسط، يراقبون الله فيما يصدر منهم فقال:

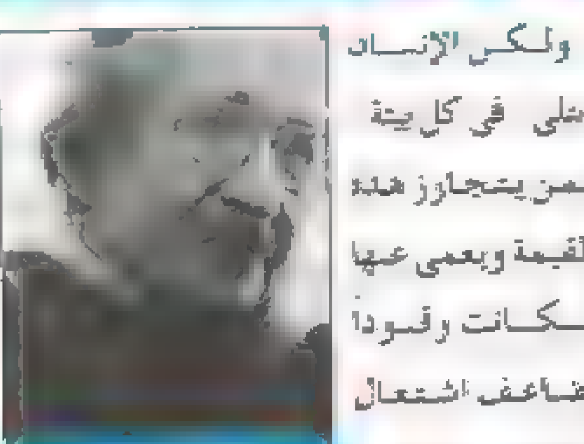
﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾

(النساء: ١٣٥)

كما أراده جل شأنه عدلاً لا يخشى معه من يتصدى للحكم بين الناس من غضب قوم، ولا يقصد إرضاء آخرين، فكان قوله سبحانه:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾

(المائدة: ٨)



ولكن الإنسان ابتلى في كل بيئة بمن يتجاوز هذه القيمة ويعمى عنها فكانت وقوداً يضاعف اشتعال القلق بين الناس، ويفقدهم الأمان، بل ويحضهم على البغضاء والكراهية التي أثمرت الإرهاب والعنف في شتى بقاع العالم.

وكان من أبرز من ابتلى الله الإنسانية بهم في هذا العصر.. قادة الولايات المتحدة الأمريكية ومن آزرهم من قادة الغرب الذين أوتوا من الإمكانات والفرص ما جعل منهم قادة العالم المتفردين بالتحكم في مصائره، فلم تردعهم مكانتهم التي أتيحت لهم عن الخضوع للهوى ونزواته، ولا وقتهم الوقوع فريسة الغرض الجائر، والتقدير الشخصي، على الرغم مما يعتريه ذلك من ضعف وهوان.

■ والكيل بمكيالين يؤكد الفضائح

فالواقع- كما ذكر تشومسكي- رصد إصرار الغربيين- وفي مقدمتهم أمريكا- على الكيل بمكيالين في مواجهة مشكلاتها، فالواقع يذكرنا

بإلقاء القنابل على المبنى الفيدرالى فى مدينة «أوكلاهوما»، حيث تلاحقت الدعوات الفورية مباشرة لقصف الشرق الأوسط - وكادت الكارثة تحدث - ولكن حين اكتشف أن هجوماً مدبراً فى الداخل عن طريق شخص لديه صلات بميليشيات عسكرية عندئذ تغيرت اللهجات الثائرة. فلم تصدر دعوات لمحو «مونتانا» و«أيداهو»، أو لمحو جمهورية «تكساس» التى كانت تنادى بالانفصال عن الحكومة الظالمة غير الشرعية فى واشنطون، بل كان هناك بحث عن مرتكب هذا العمل الذى عثر عليه وقدم للمحاكمة وأدين، وذلك بعد التخلص من ردود الفعل الثائرة.

فأمريكا بإزاء الآخرين - من شرق أوسطيين ومسلمين - تأبى إلا الاستسلام لردود الفعل الثائرة لدرجة اندفاعها إلى إعلان الحرب ضد جميع من لا ينضمون إليها أو لا يوافقونها فى لجوئها إلى العنف بالكيفية التى تراها هى، حتى أصبحت دول العالم أمام اختيار صارخ الوضوح: من لم ينضم إلى أمريكا فى حربها الصليبية فعليه أن يواجه احتمال الموت المحقق والدمار، دون اكتراث بما تعنيه تلك الصرخات من إعلان للحرب ضد الكثيرين من بلاد العالم

ومن أبرز مظاهر الكيل بمكيالين: أن الأمريكيين الذين يدعمون نظم الحكم العربية الاستبدادية، يحملون المواطنين العرب مسئولية استشراء هذا الظلم والاستبداد ويطالبونهم بالنهوض لمقاومة الإرهابيين ومحوهم.

وبمساندة الولايات المتحدة لتسلم الجيش زمام الأمور فى أندونيسيا سنة ١٩٦٥ أخذ هذا الجيش بتنظيم مذبحة لمئات الآلاف من المعدمين الأندونيسيين شبهتها المخابرات المركزية بجرائم هتلر، وستالين، وماو.

وحين أذيعت أخبار تلك المذبحة.. قوبلت فى وسائل الإعلام الغربية بحبور جامح، على الرغم من أن أحداً من الفلاحين الأندونيسيين لم يتسبب فى أى ضرر لأحد الغربيين.

بينما لم يحتفل إلا القلة فى أنحاء العالم بما وقع فى نيويورك، بل إن هذه الأحداث كانت مصدر حزن شديد حتى فى البلاد التى داست فيها واشنطون على الناس بأقدامها.

▪ وبوقاحة تحض على إرهاب الدولة

ومن هذا المنطلق .. أسهم بعض مفكرى أوروبا وأمريكا فى دعم السياسة الازدواجية فرأينا «مايكل وولتزر» يطالب بشبه حملة أيديولوجية تتناول جميع الحجج الخاصة بالإرهاب والتبريرات التى تساق لشرحه ورفضها جميعاً، داعياً بذلك إلى رفض جميع الجهود المبذولة لاستكشاف الأسباب التى تكمن وراء الأعمال الإرهابية الموجهة ضد دول معينة تقوم بدور إرهاب الدولة فى مواجهة من يقاومون الفظائع التى تصب على الشعوب مثلما تقوم به إسرائيل من اغتيال سياسى للفلسطينيين بحجة أنهم يدعمون الإرهاب، متجاهلاً الخسائر المصاحبة للإرهاب الإسرائيلى من نساء وأطفال، والذى تساعدها فيه طائرات الهليكوبتر الهجومية الأمريكية لمدة عشرة أشهر للحفاظ على استمرارها فى احتلالها الذى تعانى منه أكثر من خمسة وثلاثين عاماً.

ولما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٨٧ قرارها الرئيسى منددة بهذا الطاعون، مطالبة جميع الدول بأن تعمل بشدة للتغلب عليه، أيدت هذا القرار ١٥٣ دولة، ورفضته الولايات المتحدة وإسرائيل؛ لأنهما لا تقبلان أى تعريف للإرهاب يمنح الشعوب حق تقرير المصير، وحق الحرية والاستقلال المستمد من ميثاق الأمم المتحدة للشعوب الواقعة تحت نظم استعمارية وعنصرية حرمتها بالقوة من هذه الحقوق، فالولايات المتحدة وحلفاؤها لا يقبلون إلا إرهاب الأقوياء أو عملائهم، بل وتفرض على الدول أن تضم إليها فى محاربة الأحرار ومناهضة المقاومين تحت عنوان حرب الإرهاب، وإلا عدتهم أعداء يستحقون الدمار أو العقاب.

▪ وبوقاحة تزعم أن معارضيها يعادون حضارتها

ويرى «تشومسكى»: أن الفظائع التى ارتكبها المتطرفون الإسلاميون عند مهاجمتهم مركز التجارة العالمى سنة ١٩٩٣ إلى تدميره فى الحادى عشر من سبتمبر، ولا يقبل العقل إرجاعها إلى رفض «العولمة»، ولا إلى مخاصمة «الإمبريالية الاقتصادية»، ولا إلى الحقد على «القيم الحضارية» التى تقدمها أمريكا؛ لأن الواقع يؤكد أن هذه الأمور وأمثالها لا تهم هؤلاء المتطرفين على الإطلاق.

ويدعم هذا الزعم ما يروجه بعض مفكرى أمريكا هذه الأيام من الصراع بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، متجاهلين علاقة

الولايات المتحدة بكثير من الدول الإسلامية.

ففي أندونيسيا أكبر دولة إسلامية عدداً.. نجد الولايات المتحدة تساعد الرئيس «سوهارتو» في المذابح التي راح ضحيتها مئات الآلاف من الأندونيسيين وأغلبهم من الفلاحين.

ومن السعودية- أكثر الدول الإسلامية أصولية- جاءت المساعدات لإنزال أقصى قدر ممكن من الضرر بالسوفييت في أفغانستان، فكانت سبباً في إيجاد نظام متعصب.

وفي الثمانينيات من القرن العشرين دعمت الولايات المتحدة وإنجلترا صديقهما و حليفهما «صدام حسين» ليرتكب أبشع ما اقترف من الفظائع.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية هدفاً رئيسياً من أهداف الولايات المتحدة، لأن الكنيسة ارتكبت أشد الخطايا بتبنيها «الانحياز للفقراء».

فهذا وغيره أوضح دليل على أنه لا يوجد خط فاصل بين الحضارات يمكن بواسطته أن نسلم بأن هناك صراعاً بين الحضارات؛ إذ إن هذا لا يعدو أن يكون مجرد ستار كثيف يقصد من ورائه الإمعان في التضليل، والإصرار على الكذب.

فلا تصور من أي مجتمع متحضر أن يتساوى مع شيء مما تفعله الولايات المتحدة بالبشرية فضلاً عن قبوله والرضا عنه، ولا يوجد أي عقل متحضر يقوم بإغراق العالم في أتون حرب كبرى بدلاً من اتباع الوسائل التي يصفها القانون الدولي، ومبادئ حقوق الإنسان.

■ لهذا كانت مزاعمهم وقاحة

ويرى «تشومسكي»: أن الولايات المتحدة الأمريكية- بسياسة خرقاء، تعتمد تماماً على التقارير المخابراتية- هيأت الظروف لتلك الهجمات التي أصابتها، على ما صرح به «بريزنسكي» مستشار الرئيس «جيمي كارتر» للأمن القومي، في قوله: إنه في منتصف سنة ١٩٧٩ أراد أن يجر الروس للوقوع في «فخ أفغاني»، فحث على تقديم الدعم السري للمجاهدين الذين يقاتلون حكومة أفغانستان.. حتى يندفع الروس إلى أفغانستان لمساعدة الحكومة الأفغانية.

ومن هنا .. وجد المبرر لتقوم الولايات المتحدة هي وحلفاؤها بجمع جيش ضخم من المرتزقة يربو على مائة ألف استجلب ممن استطاعوا العثور عليه من أشد القطاعات تشدداً- خصوصاً من الإسلاميين المتطرفين الموصوفين بالأصوليين الإسلاميين - من جميع أنحاء العالم ليخلصوا أفغانستان من العدو الشيوعي الملحد، فحاربوا حرباً مقدسة، ضد المحتلين الروس، حتى اضطر الغزاة الروس إلى الانسحاب.

ولم تكن الحرب هي نشاطهم الوحيد، ففي سنة ١٩٨١ اغتالت القوات الموجودة في هذه الجماعات الرئيس أنور السادات الذي ساعد في إنشاء هذه القوات، وفي سنة ١٩٨٣ كان لأحد الانتحاريين دور جوهري في دحر العسكريين الأمريكيين وإخراجهم من لبنان.

ولما أقامت الولايات المتحدة الأمريكية وجوداً عسكرياً دائماً في السعودية.. أعلن ابن لادن وبقية القوات: أن هذا الوجود يماثل الاحتلال الروسي لأفغانستان، ولذلك وجهوا بنادقهم نحو الأمريكان، كما أعلنوا توجههم للقضاء على ما يسمونه الحكومات غير الإسلامية في مصر والسعودية وغيرهما من حكومات الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا. فقتلوا ما يقرب من ستين سائحاً في مصر سنة ١٩٩٧، وظلوا لعدة سنوات يقومون بنشاط في جميع أنحاء المنطقة، في شمال أفريقيا وشرقها، والشرق الأوسط، والبلقان.. إلى غير ذلك.

هذه صورة توضح أبعاد تفكير إحدى الجماعات التي أنتجتها حروب الثمانينيات، وتلك هي أبرز سمات سلوكها، والتي أعدت لتكون فخاً للإيقاع بالروس فيه.

فالولايات المتحدة الأمريكية التي تزعم أنها تحارب الإرهاب.. هي نفسها التي صنعت هؤلاء الإرهابيين وأعدتهم بكل وسائل الإعداد، كما أن ما يصدر عن هؤلاء الإرهابيين أو الأصوليين.. يرجع في واقعه إلى سياسات الولايات المتحدة.

كما أن الولايات المتحدة أمدت هؤلاء الموصوفين بالإرهاب بقوتهم من مخزون اليأس والغضب والإحباط الذي يمتد من الأغنياء حتى يشمل الفقراء.

إلى ما أمدتهم به من مخزون اليأس والغضب والإحباط الذي يمتد من العلمانيين إلى المتطرفين الإسلاميين.

وهذه أمور معروفة معرفة تامة لأي شخص يهتم بهذه المنطقة.

ومن الجلي الواضح لكل راغب في الإنصاف أن أصل هذا يرجع إلى حد كبير إلى سياسات الولايات المتحدة.

يتبع

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

يجب أن يوافق القول الفعل

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

(الصف: ٢ - ٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبخ نفسه».

وقال حكيم: «ما الدخان بأدل على النار من ظاهر الرجل على باطنه».

وقال أكثم بن صيفي: «فضل القول على الفعل دناءة، وفضل الفعل على القول مكرمة».

وقيل: «أحسن المقال، ما صدق بحسن الفعال».

وكان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له يوما وقد ألح عليه في الثناء: «أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك».

وقال بعض الحكماء: «لأن يكون لي نصف لسان ونصف وجه على ما فيهما من قبح المنظر، وسوء المخبر، أحب إلي من أن أكون ذا وجهين، وذا لسانين، وذا قولين مختلفين».

وقال زهير:

ومهما يكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

«العلم وفضيلة طلبه»

قال حكيم: «العلم أفضل مكتسب، وأكرم منتسب، وأشرف ذخيرة تقتنى، وأطيب ثمرة تجتنى، وبه يتوصل إلى معرفة الحقائق، ويتوصل إلى رضاء الخالق، وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها، وأكرم فروعه وأزكاها، لا يضيع ما صاحبه، ولا يفتقر كاسبه، ولا يخيب طالبه، ولا تنحط مراتبه».

وقال شاعر:

العلم فيه جلالة ومهابة
والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه
والعلم يبقى باقيات الأعصر

وقال غيره:

أجل ما يبتغي يوما ويكتسب
ويجتنى من حلى الدنيا وينتخب
علم شريف عميم النفع قد رفعت
لحامليه بآفاق العلا رتب
ذو عاقل عاش جميلا ساميا أبدا
لا يستضام ولا ينسى فيجتنب
وإن تمت فثناء شائع حسن
وبعدها رحمة ترجى وترتقب

من حكم أبي مدين

- للفقر نور ما دمت تستره، فإذا أظهرته ذهب نوره.
- أضر الأشياء صحبة عالم غافل أو صوفي جاهل.
- لا تعم عن نقصان نفسك فتطغى.
- من لم يستعن بالله على نفسه صرعته.
- من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه.
- الدعوى من رعونة النفس.
- من تزين بزائل فهو مغرور.

«ينبغي تجنب الحمقى»

قال الجاحظ: «لا تجالس الحمقى فإنه يعلق بك من مجالستهم يوما من الفساد، ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرا من الصلاح، فإن الفساد أشد التحاما بالطبائع».

وقال الأحنف بن قيس: «إني لأجالس الأحمق ساعة فأتبين ذلك في عقلي».

وقال لقمان لابنه: «لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال، فإنه كالسيف حسن مخبره، قبيح أثره».

وقال حكيم: «صحبة الأحمق غرر، ومجاورته خطر، والبعد عنه ظفر».

وقال مسكين الدارمي:

اتق الأحمق لا تصحبه
إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا
حركته الريح وهنا فانخرق
أو كصدع في زجاج فاسد
هل ترى صدع زجاج يرتتق

وإذا عاتبته كي يرعوى

زاد جهلا وتمادى في الحمق

وقال علي بن بسام

لا تيأسن من اللبيب وإن جفا

واقطع حبالك من حبال الأحمق

فعداوة من عاقل متجمل

أولى وأسلم من صداقة أخرق

«ذم التنافس فيما يفنى»

قال الفارابي

يناهس هذا لهذا على

أقل من الكلم الموجز

محيط السموات أولى بنا

فماذا التزاحمُ في المركز

«ما قيل في الصديق»

قال شاعر:

ليس الصديق الذي إن زل صاحبه

يوما رأى الذنب منه غير مغفور

وإن أضاع له حقا فعاتبه

فيه أتاه بتزويق المعاذير

إن الصديق الذي تلقاه يعذرني

ما ليس صاحبه فيه بمعذور

وقال شاعر آخر:

كم من أخ لك لم يلده أبو كا

وأخ أبوه أبوك قد يجفو كا

صافِ الكرام إذا أردت إخاءهم

واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا

والناس ما استغنيت كنت أخاهم

وإذا افتقرت إليهم رفضوكا

«تواضع المنصور»

خطب أمير المؤمنين المنصور الخليفة العباسي يوما فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله ﷺ:

أيها الناس اتقوا الله..

فقام إليه رجل وقال: أذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين.

فقال المنصور: مرحبا مرحبا. لقد ذكرت جليلا، وخوفت عظيما، وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم، والموعظة منا بدت، ومن عندنا خرجت، ثم مضى في كلامه

«ما قيل في فضيلة الوفاء للإخوان»

قال حكيم: «الوفاء أفضل شمائل العبد، وأوضح دلائل المجد، وأقوى أسباب الإخلاص في الود، وأحق الأفعال بالشكر والحمد».

وقال آخر: «الوفاء من شيم الكرام، والغدر من خلائق اللئام».

وقال غيرهما: «من صحب الناس بلسان صادق، وعاملهم بحسن الخلائق، وألزم نفسه رعي العهود والمواثق، فقد أرضى المخلوق والخالق».

وقال أديب: «من تحلى بالوفاء، وتخلى عن الجفاء، فذلك من إخوان الصفاء»

ولقد أحسن من قال:

إذا أنت محضت المودة صافيا

ولم ترع من وصل الصديق مجافيا

ورعيت بالعهد الذي خانه الورى

ولم أر مخلوقا على العهد باقيا

فقد حزت أسباب المكارم كلها

وحددت للعليا رسوما عوافيا

ومن أحسن ما قيل في الوفاء قول مسلم بن الوليد:

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومن أغرب ما أثر عن وفاء الإخوان ما ذكره الزبير بن بكار وقال: «استشهد باليرموك الحرث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فتدافعوه، كلما دفع إلى رجل منهم قال اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه» أي أن كل واحد منهم آثر صاحبه على نفسه.

«ما حد العقل؟»

قيل لحكيم: ما مقدار العقل؟ فقال: «ما لم ير كملا في إنسان فلا يعرف له مقدار»

وقال آخر: «لكل شيء غاية وحد، والعقل لا غاية له ولا حد، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب».

واختلفت فلاسفة المسلمين في ماهيته كما اختلفوا في حده، فقال بعضهم: هو نور وضعه الله طبعا، وغرزه في القلب، كالنور في العين، وهو ينقص ويزيد، ويذهب ويعود، وكما يدرك بالبصر شواهد الأمور، كذلك يدرك بنور العقل كثير من المحجوب والمستور، وعمى القلب كعمى البصر، قال الله تعالى:

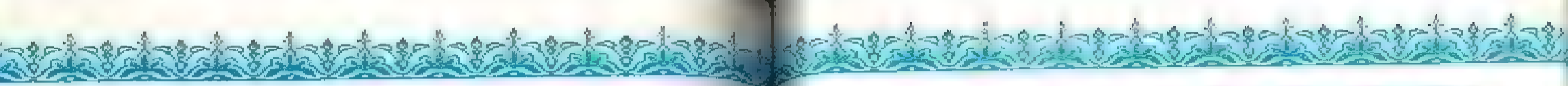
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

(الحج: ٤٦)

وقال النبي ﷺ «ليس الأعمى من عمي بصره، ولكن الأعمى من عميت بصيرته».

«دعـــاء»

اللهم إني أسألك أن تغفر لي ما مضى من ذنوبي، وتستر عيوبي، وأن تعصمني فيما بقي من عمري، وأن ترزقني أعمالا زاكية ترضى بها عني.



فلسفة البيئة والتحديات البيئية برؤية إسلامية (٢)

للأستاذ الدكتور /أحمد فؤاد باشا

وجد الإنسان نفسه متورطاً في الاستغلال [illegible] ونفسه دون النظر في آثار هذه الصورة على مختلف عناصر البيئة [illegible] التحذير من أخطار التلوث البيئي التي تصيب [illegible] من أهمها انعقاد ذلك مؤتمر قمة عالمية في تاريخ البشرية في مدينة ريو دي جانيرو بالبرازيل في يونيو عام ١٩٩٢ للنظر في المشكلات البيئية التي تهدد [illegible] الإنسان وحياته على كوكب الأرض والاتفاق على معاهدات تنظم [illegible] مختلف أشكال التلوث البيئي، وتلا ذلك بعد عشر سنوات انعقاد قمة الأرض [illegible] في جوهانسبرج بجنوب أفريقيا في الفترة من ٢٦ أغسطس حتى ٤ سبتمبر عام ٢٠٠٢م لوضع [illegible] يسمى «بالتنمية المستدامة» ومواجهة التهديدات [illegible] المتمثلة في تدهور النظم البيئية [illegible] على كوكب الأرض [illegible] الموارد الطبيعية بمعدلات أسية EXPONENTIAL تتجاوز [illegible] يسمح بالحفاظ على استدامتها، وفي [illegible] الذين يزدادون غنى وعالم الفقراء الذين يزدادون فقراً.

ولكن الضوابط والمعاهدات الدولية التي توصل إليها المجتمعون لم تحقق حتى الآن التوازن المطلوب بين الطموح الإنساني علمياً وتقنياً واقتصادياً من جهة، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها وتحقق التنمية المستدامة من جهة أخرى، لأنها وضعت بمعزل عن القيم والمبادئ الإيمانية الهادية

التي تعول قبل كل شيء على رقابة الضمير الذي يحترم القانون الإلهي لخير الناس أجمعين، فليس التلوث الذي تعاني منه البشرية اليوم في مختلف نظم البيئة سوى مظهر من مظاهر الفساد في الأرض الذي جلبه الإنسان لنفسه، وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

(الروم: ٤١)

والبيئة الصحيحة التي يتصالح فيها الفكر مع الواقع، في كنف الإيمان الخالص، هي الأقدر على بناء صرح الحضارة المتوازنة وفق قيم وتشريعات حكيمة تنظم الحياة في كل جوانبها ومرافقها.

والبيئة من المنظور الإسلامي مرتبطة بتحمل الإنسان، دون غيره من المخلوقات، لأمانة الاستخلاف في الأرض وتوفية الحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله من خلقه وخلقها، بعد أن سخر له كل ما في الكون من نعم ظاهرة وباطنة يتمتع بها ويمجد بانتفاعها رب العالمين، ولا يكون الإنسان جديراً بحمل الأمانة إذا أساء استعمال النعم المسخرة له، أو تصرف فيها على نحو غير مشروع، استصلاحها أمانة مقيمة، فالأرض بخيراتها وثرواتها مسخرة لخدمة البشر جميعاً قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾

(الرحمن: ١٠)

والإنسان مطالب بالعمل على إظهار عظمة الخالق عن طريق الانتفاع الإيجابي بكل المسخرات، قال تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾

(هود: ٦١)

أي جعلكم عماراً تعمرونها وتسكنون بها، وهذا لا يتأتى – بحكم الإسلام – إلا بأمرين: أولهما أن تبقى الصالح على صلاحه ولا تفسده، والثاني أن تصلح ما يفسد وتزيد إصلاحه ولا شك أن في الأمرين خير ضمان لحماية البيئة وسلامتها، وتحقيق التنمية واستدامتها.

البعد الإيماني

إن افتقار البشرية لهذا البعد الإيماني والشعور النفسي القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة، كما يعرضها المنهج الإسلامي المتفرد، هو الذي يدلنا على طبيعة الحرب التي شنها الإنسان على نفسه في غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية دون أن يفطن إلى

آثارهما السلبية، فهي حرب ضد الحياة والتنمية على كوكب الأرض، وضد حقوق الأجيال القادمة، والإنسان المنوط فيها هو ذاته الذي يسعى جاهداً لأن يكسبها، ولكن هيهات هيهات!! ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)

البعد الأخلاقي للتحديات البيئية المعاصرة والمستقبلية:

يعاني المجتمع البشري حالياً من إشكاليات أخلاقية في تعامله مع ما يواجهه من تحديات بيئية خطيرة نذكر منها:

(أ) التلوث الكهرومغناطيسي والنفايات الإلكترونية:

ينتج هذا النوع من التلوث من الموجات الكهرومغناطيسية التي تملأ الجو المحيط بنا، وتنشأ هذه الضوضاء اللاسلكية عن مئات المحطات الإذاعية والتليفزيونية التي تبث برامجها ليلاً ونهاراً دون انقطاع في مختلف أنحاء العالم، كما تنشأ الموجات الكهرومغناطيسية والمجالات المغناطيسية عن شبكات الضغط العالي التي تنقل الكهرباء مسافات بعيدة في كثير من الدول المتقدمة والدول النامية، وتتضمن هذه الشبكات عشرات من محطات القوى والمحولات ومحطات التقوية. أضف إلى ذلك شبكات الموجات الدقيقة (الميكروويف) المستخدمة للاتصالات الهاتفية في كثير من الدول، وتشير النتائج الأولية للأبحاث الجارية في هذا المجال إلى التأثير السيئ لهذا التلوث الكهرومغناطيسي على صحة الإنسان، وخاصة فيما يتعلق بعمل المخ وأداء الجهاز العصبي، فقد بينت بعض دراسات أجريت على الإنسان وجود آثار على معدل ضربات القلب وزمن الاستجابة عند التعرض لمجالات عالية الشدة.

وفيما يتعلق بأمواج الراديو وأمواج الميكروويف فإنها إشعاعات غير مؤينة، حيث إن طاقتها ضعيفة جداً لا تكفي لإحداث تأين في المادة، وتدخل أمواج الميكروويف وأمواج الراديو في كثير من التطبيقات التكنولوجية الحديثة، مثل عمليات صهر المعادن واللحام والتجفيف واللصق وإنتاج البلاستيك والتعقيم، وقد وضحت الدراسات أن أشعة الميكروويف لها بعض التأثيرات الضارة على صحة الإنسان، تظهر أعراضها في صورة الصداع والقلق النفسي والأرق وعدم القدرة على التركيز والشعور بالإعياء بصفة عامة.

وقد ثبت أن التعرض لأشعة الميكروويف يمكن أن يكون له تأثير على إصابة العين بالمياه البيضاء «كتاراكت» إذا تعرضت العين لهذه الأشعة بكثافات عالية، ونبهت بعض الأبحاث الجديدة إلى مخاطر قد تصيب الحمض النووي أو الدماغ بسبب تعرضه للتسخين، وأيضاً من خطر إصابة العصب السمعي بالسرطان.

ويزيد من احتمالات الضرر والأخطار ذلك الإكثار بمعدلات هائلة من استخدام الاتصالات اللاسلكية والموجات الكهرومغناطيسية الصادرة عن الأجهزة الإلكترونية والكهربائية المنتشرة في المناطق السكنية، وهو ما أصبح معروفاً باسم «خطر التلوث الإلكتروني» الذي ملأ الجو المحيط بالإنسان بما أسماه بعض الباحثين الضبخان «الضباب والدخان» الإلكتروني أو E-SMOG، يعني أننا لو استطعنا رؤية ما في الجو من موجات كهرومغناطيسية لكانت أشبه بالضباب أو الدخان من كثرتها.

النفايات الالكترونية!!

وقد ظهر في العقدين الأخيرين مصطلح جديد هو «التلوث الإلكتروني» انعكاساً لما يشهده العالم بعد ثورة المعلومات والاتصالات، من إنتاج كميات كبيرة من الأجهزة الإلكترونية والكهربية إلى الحد الذي جعل من مكونات هذه الأجهزة نفسها مصدراً مؤكداً لأخطار فرضت سطوتها على حياتنا اليومية، فهذه الأجهزة لا يتوقف سيل إنتاجها يومياً بكميات خيالية مع مرور الزمن والانتهاء من استخدامها، حيث تتحول إلى «نفايات إلكترونية» تضر بالبيئة وبالصحة العامة عندما يتم التخلص منها، يكفي أن نعرف، على سبيل المثال، أن عدد الحواسيب الشخصية المنتجة حتى أواسط عام ٢٠٠٦م يتجاوز حدود المليار، وبحسب التقديرات الإحصائية في ألمانيا وحدها ينشأ نحو مليون ونصف المليون طن من النفايات الإلكترونية، ومن هذه الكمية نحو ١٩٢ ألف طن من نفايات تكنولوجيا المعلومات (أجهزة – فاكس – طابعات – ناسخات – هواتف – شاشات حواسيب... إلخ)، وإحدى طرق التخلص من هذه النفايات هي دفنها في مطامر النفايات العادية، وإذا كانت مادة الرصاص الموجودة في المطامر هي أحد أكبر ملوثات التربة والبيئة والأخطار الصحية على النبات والبشر والحيوانات، فإن ما بين ٤٠ و ٥٠ بالمائة من مادة الرصاص الموجودة في المطامر هي نتاج الأجهزة الإلكترونية.

الدول الكبرى تصدر فضلاتها للعالم الثالث !!

ومما يدعو إلى الأسى والأسف أن الدول الصناعية الكبرى تتخلص من مثل هذه النفايات الإلكترونية بتصديرها لدول العالم الثالث أو الدول الفقيرة بثمن بخس بحجة المساعدة، حيث تمنع القوانين الصارمة في تلك الدول التخلص العشوائي، أو التسبب في إحداث أضرار بيئية. ومن ثم يتم تصدير هذه الفضلات على ظهور سفن دول آسيوية وإفريقية، لتقع في أيدي العمال الذين يعملون في قطاع إعادة التصنيع ويتعرضون لمخاطرها.

فالهند مثلاً، تعتبر من أهم الدول التي يتم تصدير تلك النفايات إليها لدرجة أن البعض لم يجد حرجاً في وصفها بمقبرة الفضلات الإلكترونية وقد انتبهت الحكومات الهندية مؤخراً لهذا الأمر – فأصدرت المحكمة العليا في الهند ١٩٩٧م قراراً يحظر استيراد الفضلات الإلكترونية، ولكنه لم يطبق عملياً بسبب تحايل المصدرين والمستوردين عليه.

وفي الصين، كمثال آخر، أكد تقرير صدر عن الأمم المتحدة أواخر عام ٢٠٠٦م أن قرى تقع جنوب الصين، يتم فيها تفكيك الأجهزة الإلكترونية القديمة، ومن ثم يتم رمي الأجزاء غير النافعة في الحقول وعلى ضفاف الأنهار، وهو ما أدى إلى تلوث المياه الجوفية وزيادة تلوث مياه الأنهار بمعدلات كبيرة. كما أن الأطفال والنساء العاملين في تفكيك هذه الأجهزة الإلكترونية في الصين تعرضوا لأمراض كثيرة، في مقدمتها السرطانات الصدرية والجلدية.

وقد أوضحت إحدى الجامعات الأمريكية في إحصائية لها مؤخراً أن الشركات الأمريكية تتخلص من نحو ٥٠ مليون جهاز حاسوب قديم سنوياً عبر تصديرها إلى الصين والهند وباكستان حيث شهدت هذه البلدان وغيرها بروز صناعة جديدة لتأهيل الحواسيب المتقادمة، ومما يزيد من خطورة هذه الظاهرة هو عدم وجود قوانين تحمي العاملين في مجال التخلص من النفايات الإلكترونية التي تظهر آثارها على المدى البعيد في تلك الدول.

وفي تقرير آخر صدر عام ٢٠٠٦م تحت إشراف الأمم المتحدة، وأعده نحو ١٣٠٠ باحث بشأن مصادر التلوث في العالم، وردت الإشارة إلى أن جهوداً عالمية يتعين بذلها باعتبارها ضرورية لمواجهة مثل هذه الأخطار التي تهدد حياة الإنسان، وبناء على هذا التقرير بادر البرلمان الأوروبي إلى إصدار قانونين ينظمان عملية إعادة تأهيل الأجهزة الإلكترونية المتقدمة وإيجاد آلية للتخلص من نفاياتها

وكانت اتفاقية بازل الموقعة في عام ١٩٨٩م بحظر توريد النفايات الإلكترونية إلى الدول الفقيرة والنامية قد نصت على وضع قوانين حماية للعاملين في مجال الصناعات الإلكترونية، وخاصة العاملين في إعادة تأهيل الأجهزة الإلكترونية المستعملة أو تفكيكها في الدول النامية، ولكن الغريب هو أن معظم الدول المتقدمة صناعياً لم توقع حتى الآن هذه الاتفاقية ومن ثم استمرت المشكلة في التفاقم، ففي دراسة أجرتها حديثاً هيئة تسمى «شبكة بازل للعمل» ظهر أن ما لا يقل عن مائة ألف حاسوب تدخل شهرياً إلى ميناء لاجوس النيجيري، منها ٧٥٪ تقريباً أجهزة تلفزيون ومعالجات حاسوبية وهواتف لا تعمل: أي «قمامة إلكترونية».

ثلاثة ملايين قتيل ضحايا العمل في المناجم!!

أما بالنسبة للهواتف الخلوية (النقالة أو المحمولة) فإن من أهم مكوناتها مادة الكولتان Coltan، وهي اختصار لكلمة Colonabotantalite ويستعمل هذا المعدن غير الخالص لمقاومته الكبيرة للحرارة والتآكل، وأيضاً لمرونته، لكنه يمثل مشكلة كبيرة في استخراجه من المناجم، حيث يترافق مع الاستخراج كوارث بيئية وصحية خطيرة، وقد صدرت تقارير عدة عن هيئة الأمم المتحدة والاتحاد الدولي للمحافظة على البيئة، في العامين ٢٠٠١، ٢٠٠٢م أدانت عمليات التنقيب غير الشرعية في مناجم معدن الكولتان في جمهورية الكونغو الديمقراطية، ودورها في حرب الإبادة التي تعرض لها مناطق المناجم، إذ بلغ عدد المتوفين ما بين عامي ١٩٨٨ و٢٠٠٢م أكثر من ثلاثة ملايين شخص!! هذا بالإضافة إلى دور هذه العمليات في القضاء على الغابات والجداول المائية، فضلاً عن المجازر ضد الحيوانات التي يصطادها عمال المناجم في بحثهم عن الطعام، ويتم نقل معدن الكولتان المستخرج من هذه المواقع بواسطة الطائرات، ثم يباع إلى شركات كبرى مختلفة الجنسيات، في أمريكا الشمالية وأوروبا وروسيا، دون مراعاة الأخطار الكبيرة الناجمة عن الاستخراج والبيع، وكان الاتحاد الدولي للمحافظة على الطبيعة في تقرير له عام ٢٠٠١م، قد ناشد حكومات دول العالم والمجتمع الدولي الامتناع عن شراء الكولتان.

هكذا يتضح أن صناعة التقنيات الإلكترونية والكهربية الحديثة بعيدة جداً عن الصورة المشرقة التي تحاول أن ترسمها لنا، ويؤمل أن تتخذ التدابير اللازمة في المستقبل القريب لإيجاد حلول توقف سيل الأخطار التي تجلبها هذه الأجهزة ونفاياتها وإشعاعاتها علينا وعلى بيئتنا.

يتبع

الأزهر

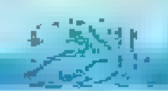
يوقع بروتوكول فهرسة مكتبة الأزهر

متابعة الأستاذ: محمد جمعة

وقع فضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاتة – الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بروتوكول تعاون بين الأزهر ومؤسسة «سقيفة الصفا العلمية» بهدف إنشاء فهارس لمخطوطات مكتبة الأزهر.

وقد صرح فضيلة الشيخ علي عبد الباقي بأن هذا العمل يهدف لصالح الأمة الإسلامية كلها والاستفادة من هذا التراث النادر، بما يخدم جهود الباحثين في شتى أنحاء العالم من جانب ومن جانب آخر يبرز الإنجاز الحضاري الفريد الذي قدمه علماء المسلمين للبشرية عبر عصور التاريخ.

كما أضاف فضيلته أنه سوف يتم توزيع هذه الفهارس على جميع مكتبات العالم وليس في مكتبة الأزهر فقط لفتح أبواب التعاون بين مكتبة الأزهر والمكتبات في أوروبا وأمريكا والعالم العربي والإسلامي. والأزهر به





ليبرز ما لديه من ذخائر ونفائس تظهر الوجه الحقيقي للإسلام الذي قدم خدمات جليلة للبشرية، وكذلك يهدف هذا العمل للمعاونة لتحقيق وتقليل الجهد المبذول في البحث والتنقيب عن هذه النفائس.

كما صرح فضيلة الشيخ مهدي سلطان – رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر – أن الفهارس الجديدة تتضمن الإضافات التي وردت إلى المكتبة بعد إصدار آخر فهرس في عام ١٩٦٢م على يد فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغي. كما أضاف فضيلته أن الفهارس الجديدة ستكون مختلفة عن الفهارس القديمة في طريقة العرض والتبويب وذلك نظرًا للتقنية الحديثة المتوفرة في عصرنا الحاضر.

وأعرب السيد عمر سالم محجوب رئيس مجلس أمناء سقيفة الصفا العلمية عن فخره لخدمة هذا الصرح العلمي الممتد تاريخه لأكثر من ألف سنة خدم فيها أجيالًا من أبناء الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ولا يزال عطاؤه مستمرًا، كما أعرب عن أمله في تضافر جهود مؤسسات ومراكز البحث العلمي في العالم الإسلامي من أجل عمل قاعدة بيانات للمخطوطات في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

جدير بالذكر أن سقيفة الصفا العلمية مؤسسة وقفية خيرية مسجلة في [illegible] تهدف لخدمة التراث الإسلامي من خلال خدمة المخطوطات كما أنها تهدف لترجمة علوم الحضارات الأخرى وإيصالها لمختلف الحضارات الموجودة في العالم. ومن أهم أعمالها فهرسة مخطوطات المكتبة الوطنية النمساوية.

وعند نهاية اللقاء والتوقيع من الجانبين بدأت أولى الخطوات لتنسيق العمل بين الجانبين بما يهدف تحقيق النفع الشامل.



لازالت أصداء الجرائم المروعة التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية خلال حملتها الغاشمة على قطاع غزة تفرض نفسها وبقوة على الصحافة المصرية والعربية. ونعرض في هذا الشهر عدة تقارير صحفية في هذا الخصوص تندد بالمذبحة الأليمة وتندد كذلك بالإصرار على استمرار إلصاق تهمة الإرهاب ظلما وعدوانا بالإسلام والمسلمين

مصداقية المحكمة الجنائية الدولية!!

تحت عنوان «جرائم حرب» جاءت كلمة الأستاذ/ عبد المحسن سلامة المنشورة في جريدة الأهرام بعددها الصادر في ٢٥/٣/٢٠٠٩م يقول فيه:

تقرير مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة يتضمن -لأول مرة- اتهامات رسمية لإسرائيل بارتكاب جرائم حرب في غزة، يجب ألا يمر مرور الكرام، وألا يتم السماح لأي دولة بالقفز فوقه أو نحيه تحت مسميات التلاعب بالألفاظ.

التقرير خطير، وصادر عن الأمم المتحدة ولا يمكن التشكيك في مصداقيته، ويؤكد أن الأدلة الأولية بشأن معارك غزة أثبتت فشل القوات الإسرائيلية في التمييز بين الأهداف المدنية والعسكرية في ساحة القتال، مما يجعل من هذه المعارك جرائم حرب يمكن التحقيق في ملابساتها وأحداثها وفقا للقانون الدولي، وهو المطلب الذي طالب به العديد من المنظمات الدولية والإقليمية خلال الفترة الماضية منذ انتهاء حرب الإبادة في غزة، حتى جاء هذا التقرير ليكون بمثابة القول الفصل في تلك القضية، في الوقت الذي يلاحق فيه الرئيس السوداني عمر البشير تحت دعوى أن العدالة لابد أن تأخذ مجراها، ولابد أن يمثل البشير أمام المحكمة!!

أي عدالة تلك التي تطارد البشير وتترك زعماء إسرائيل أحرارا طلقاء، وأياديهم ملوثة بالدماء، خاصة بعد صدور مثل هذا التقرير الخطير الذي اتهمهم صراحة بارتكاب جرائم حرب.

أعتقد أن مصداقية المحكمة الجنائية الدولية في اختبار حقيقي بعد صدور هذا التقرير، فليس هناك جهة أكثر حيادية من الأمم المتحدة حينما تتهم إسرائيل باستهداف مناطق مأهولة بالسكان المدنيين وعدم التمييز بين الأهداف المدنية والعسكرية. وإذا لم تلتفت المحكمة الجنائية الدولية إلى تلك الاتهامات فلن يتعاطف معها أحد لأنها تثبت مجددا أنه يتم تسخيرها لخدمة أهداف ومصالح معينة، بعيدا عن الحيادية التي تحاول التمسح بها.

في تصوري أن الأمر يحتاج إلى جهد شاق من العرب أولا للتضييق على إسرائيل، ومحاصرتها في المحافل الدولية، والضغط عليها بكل السبل والوسائل حتى تقبل الدول الخاضعة لها، وعلى رأسها أمريكا وبعض دول الاتحاد الأوروبي، فكرة تطبيق العدالة على القادة الإسرائيليين.

رسالة أبو العيش!!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ مسعود الحناوي مقاله المنشور في جريدة الأهرام بعددها الصادر في ٨/٤/٢٠٠٩م يقول فيه:

هل يمكن أن تتحول مأساة بربرية إلى شيء إيجابي للإنسانية؟!

هذا ما يحاول الطبيب الفلسطيني عز الدين أبو العيش أن يثبته من خلال تجربته المريرة.. فالرجل الذي فقدت بناته الثلاث في قصف بربري قامت به القوات الإسرائيلية على منزله في قطاع غزة في منتصف شهر يناير الماضي وهو في تغطية يعلق عليها تتصل بإحدى محطات التليفزيون الإسرائيلية وأخذ يصف على الهواء مباشرة -بلغة عبرية يتقنها- ما يتعرض له أسرته من أهوال!! وكيف أن بناته الثلاث اللاتي في عمر الزهور ما بين ١٣ و ٢٠ عاما يلفظن أنفاسهن الأخيرة الواحدة تلو الأخرى.. لعل ذلك يحرك في الضمائر الإسرائيلية الخربة ساكنا.. أو يهز تلك القلوب القاسية المريضة!!

بصوت تخنقه الدموع ويغلفه الأمل والإيمان قال أبو العيش في البرنامج التليفزيوني إنه يأمل أن تكون بناته هن آخر ضحايا الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي!!

ولأنه يدرك أن كل ذلك لن يغير من طبيعة وسياسات وممارسات حكومات إسرائيل شيئاً لم يكتف أبو العيش بذلك ولكنه قام بجولة في عواصم العالم يشرح فيها مخاطر الإنسانية المحدقة بقطاع غزة، ويدعو إلى تنفيذ مشاريع تطويرية في القطاع المحاصر.. كما ألقى خطاباً أمام البرلمان الأوروبي، حذر فيه من استمرار حصار بلاده وطالب بإنهاء عمليات القتل وهدم جدران الكراهية.. وبناء جسور المحبة!!

تلقفت وكالات الأنباء العالمية ما ترشيح أبو العيش رسمياً لنيل جائزة نوبل للسلام في خطوة وصفها الراحل بأنه قد حوّل مأساته إلى شيء إيجابي للبشرية، وأن ترشيحه يعد نصراً للشعب الفلسطيني وللإنسانية ولثقافة السلام؟

ولكن هل تفهم إسرائيل لغة أبو العيش، وهل يعي العالم مقاصده؟ ويدرك أبعاد رسالته؟

الكلمات لا تجد ما تصف به هذا الطبيب الفلسطيني الصلد، ولكنه بلا شك نموذج حي للفلسطيني العربي المسلم.

حكومة إسرائيلية تبدد أمل السلام!!

تحت هذا العنوان كتب محرر «كلمة» بجريدة عمان العمانية الصادرة في ٩ / ٤ / ٢٠٠٩م يقول:

بالرغم من أنه لم تمض سوى عدة أيام على تولي حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد بنيامين نتنياهو الحكم في إسرائيل إلا أنه أصبحت هناك قناعة واسعة الانتشار لدى الكثيرين، وحتى بين قوى إسرائيلية، وبين أصدقاء إسرائيل أنفسهم، بأن الحكومة الإسرائيلية الجديدة تبدد الأمل في إمكان التوصل إلى تسوية سلمية في الشرق الأوسط على أساس إقامة دولة فلسطينية مستقلة وقادرة على الحياة إلى جانب إسرائيل من ناحية، وعلى أساس الانسحاب من الجولان والأراضي اللبنانية المحتلة عام ١٩٦٧ من ناحية ثانية، إن لم تكن قد قطعت الطريق أو تكاد بالفعل.

وبالرغم من أن رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد حاول التقليل من الانزعاج العام من تصريحاته وتصريحات وزير خارجيته أفيجدور ليبرمان التي جعلت احتمالات السلام أبعد بكثير مما كانت عليه، وذلك بالتأكيد على أن حكومته سوف تحدد أجندتها للسلام خلال أسبوعين تقريباً، إلا أن ما هو معروف من مواقف لكل من نتنياهو وليبرمان يجعل من غير الممكن أن يثق العالم في أية محاولات تجميل وجه الحكومة الجديدة في رفض وزير خارجيتها مقررات أنابوليس التي أكدت على مبدأ إقامة الدولتين كسبيل للسلام بين إسرائيل والفلسطينيين، وعلى تناول قضايا الحل النهائي دون تأجيل على أية حال فإنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الانزعاج بسبب التصريحات الإسرائيلية امتد حتى إلى الشركاء

في الحكومة الأمريكية ذاتها، صحيح أن واشنطن قررت ألا تنتقد الحكومة الإسرائيلية الجديدة قبل قيامها بالسعي لعملية السلام والموقف منها، ولكن الصحيح أيضاً أن الرئيس الأمريكي باراك أوباما أكد وعلى نحو واضح، وأكثر من مرة أن بلاده ستواصل جهودها لتحقيق السلام في الشرق الأوسط على أساس الدولتين إسرائيل وفلسطين، وأنها ستعمل مع حكومة نتنياهو للوصول إلى ذلك. وهو موقف ينطوي على كثير من الدلالات، خاصة في ظل طبيعة العلاقة بين واشنطن وتل أبيب. والمدى الذي يمكن أن تصل إليه واشنطن في ممارسة تأثيرها وربما ضغوطها على الحكومة الإسرائيلية.

من جانب آخر فإنه من المهم والضروري الإشارة إلى حقيقة أخرى هي أن السلام والاستقرار في الشرق الأوسط وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة هو في الواقع في صالح إسرائيل، ربما أكثر من أي طرف عربي آخر. ليس فقط لأن الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل لا يمكن أن تحقق لها الأمن، فضلاً عن أن معادلة القوة في المنطقة لن تستمر في صالح إسرائيل إلى الأبد، ولكن أيضاً لأن السلام القائم على العدل هو وحده القادر على إخراج المنطقة من أتون الصراعات والحروب التي تعيش فيه منذ نحو ستين عاماً، وإذا كان العرب قد طرحوا المبادرة العربية للسلام منذ عام ٢٠٠٢ فإن الكرة هي بالفعل في الملعب الإسرائيلي خاصة أن المبادرة العربية لن تستمر طويلاً على الطاولة، فهل تختار إسرائيل السلام أم ستمضي في قطع الطريق عليه؟

المتعصبون في إسرائيل.. يتمردون على الأمم!

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية تقول» في عددها الصادر في ١٠ / ٤ / ٢٠٠٩م كلمة يقول فيها:

رد حاخام أرتاه وزير البيئة وأحد أركان الحكومة العنصرية المتعصبة في إسرائيل على دعوة الرئيس الأمريكي أوباما لقبول حل الدولتين، بأن إسرائيل لا تتلقى أوامر من أحد، ولو كان أوباما، وأنها لن تتحول إلى الولاية الحادية والخمسين من الولايات المتحدة الأمريكية.

يلقي هذا الرد المستفز مزيداً من الضوء على الطبيعة العدوانية الشرسة للحكومة القائمة في إسرائيل المفترض أن تكون شريكاً في مفاوضات السلام، بينما هي تغلق كل أبواب السلام، وتتمادى في مهاجمة رئيس الدولة الأم الولايات المتحدة الأمريكية التي كان لها قصب السبق في ولادة إسرائيل وحمايتها، وتزويدها بقدرتها على توجيه الضربات العسكرية للدول العربية واحتلال بعض أراضيها حتى الآن.

إن القبول بأي نوع من التفاوض مع هذه الحكومة العنصرية المتعصبة هو مضيعة للوقت يساعدها على الحياة بينما كل

الشواهد تشير إلى فترة حكم قصيرة لها خاصة بعد أن اصطدمت سياستها المعلنة والمستترة سياسة ومصالح اللوبي الأكبر الذي يحاول تجميل الوجه الأمريكي أمام العالم.

«رايتس ووتش» تتهم إسرائيل بارتكاب جرائم حرب بغزة لاستخدامها «الفوسفور الأبيض» بشكل غير مشروع

تحت هذا العنوان جاء هذا التقرير بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٦/٣/٢٠٠٩م جاء فيه:

أعلنت منظمة «هيومان رايتس ووتش» أن الجيش الإسرائيلي أطلق قذائف الفوسفور الأبيض بصورة غير مشروعة على مناطق ذات كثافة سكانية عالية في قطاع غزة خلال هجومه الأخير على القطاع مما أسفر عن مقتل وإصابة مدنيين بصورة غير ضرورية وكان يمكن تفاديها.

وقالت المنظمة مستشهدة باستخدام إسرائيل للفوسفور الأبيض كدليل على ارتكاب جرائم حرب: إن الجيش كان على علم بأن المخاطر تهدد مدنيين لكنه «عن عمد وإهمال» واصل استخدامها حتى الأيام الأخيرة من العملية وهو ما يعد انتهاكا صارخاً للقانون الدولي.

ودعت المنظمة إلى تحميل كبار قادة الجيش الإسرائيلي المسئولية، وحثت أمريكا - التي زودت إسرائيل بهذه القذائف - على إجراء تحقيق خاص من جانبها.

وذكرت المنظمة أن إسرائيل أطلقتها بصورة غير مشروعة على أحياء ذات كثافة سكانية كبيرة فقتلت وأصابت مدنيين ودمرت أبنية مدنية بينها مدرسة وسوق ومخزن للمساعدات الإنسانية ومستشفى.

وقال فريد إبراهامز الباحث في المنظمة: إن الجيش الإسرائيلي لم يستخدم الفوسفور الأبيض في غزة في الأماكن المفتوحة فقط كغطاء لقواته بل أطلق قذائف الفوسفور الأبيض مراراً على مناطق ذات كثافة سكانية عالية حتى عندما لم تكن قواته في المنطقة ومع وجود قذائف دخان أكثر سلامة، ونتيجة لذلك أصيب وقتل مدنيون بصورة غير ضرورية وكان يمكن تجنبها. ولم تقدم المنظمة أرقاماً محددة للخسائر البشرية مستشهدة بصعوبة تحديد كل حالة نجمت فيها الحروق عن قذائف «الفوسفور الأبيض».

وعثر باحثو المنظمة على بقايا قذائف وأجزاء من المواد المبطنة للذخائر وعشرات من قطع اللباد المحترق التي تحتوي على «الفوسفور الأبيض» في شوارع المدينة وأسطح المنازل وأفنية سكنية وفي مدرسة تابعة للأمم المتحدة.

وذكرت المنظمة: إن الجيش كان على علم بأن «الفوسفور الأبيض» يهدد المدنيين مستشهدة بتقرير طبي داخلي عن خطر الإصابة البالغة والوفاة عند ملامسته للجلد أو استنشاقه أو ابتلاعه. وأكدت أنه إذا كان هدف الجيش الإسرائيلي هو استخدام قذائف «الفوسفور الأبيض» لإطلاق ستار من الدخان فكان يمكنه الاستعانة بقذائف دخان غير قاتلة تنتجها شركة إسرائيلية. وأبدت المنظمة تشككها في أن يلبي التحقيق الداخلي الذي ستجريه إسرائيل شاملاً أو محايداً.

وقالت هيومان رايتس ووتش: إنها لم تعثر على أي دليل على استخدام حماس للدروع البشرية في الحالات التي بحثتها في التقرير، وأضافت: إنه في بعض المناطق بدا أن هناك مقاتلين فلسطينيين لكن هذا لا يبرر استخدام «الفوسفور الأبيض» في المناطق السكنية بدون تمييز.

ويشتعل «الفوسفور الأبيض» عند اتصاله بالأكسجين ويواصل الاشتعال إلى درجة حرارة تصل إلى ٨١٦ مئوية حتى يتم تكميمه أو يمنع عنه الأكسجين وعادة ما يستخدم لإطلاق ستار من الدخان ولكن قد يستخدم أيضاً كسلاح ويسبب حروقاً شديدة إذا ما لامس الجلد. ويسمح القانون الدولي باستخدام ذخائر «الفوسفور الأبيض» في الأماكن المفتوحة.

اليمن يحذر من مؤامرة في البحر الأحمر تواطؤ دولي مع القراصنة

نشرت جريدة الأهرام العربي بعددها الصادر في ١١/٤/٢٠٠٩م كلمة كتبها الأستاذ/ جمال مجاهد عن تقرير مجلس الشورى اليمني حول «القرصنة البحرية» جاءت على النحو التالي:

كشفت اللجنة المشتركة من اللجنة السياسية والعلاقات الخارجية ولجنة الدفاع والأمن بمجلس الشورى اليمني، أعدت تقريرا حول «القرصنة البحرية في السواحل الصومالية وخليج عدن» أوضح أن أطرافا دولية أخرى قد تكتسب حقوقا في المنطقة استنادا لقرارات مجلس الأمن الدولي التي خولتها استخدام القوة في مواجهة القرصنة والتي قد تستخدم للضغط على الدول العربية في حالة تضارب المصالح مع تلك الأطراف الدولية. مما يستوجب - بحسب التقرير - التعامل مع هذه القرارات بحذر وعدم القبول بما ذهبت إليه، والتأكيد على الالتزام بميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي الخاص بالبحار والمياه الإقليمية والتعامل مع البحر الأحمر كبحيرة عربية مغلقة، وهذا يتطلب موقفا عربيا موحدا واضحا.

واتهم التقرير القوات الدولية العاملة في منطقة البحر الأحمر وخليج عدن بالتواطؤ مع القراصنة الصوماليين. حيث أكد أن بعض تلك القوات الموجودة في المنطقة تقوم بتقديم معلومات للقراصنة عن وجود السفن المارة

وأحيانا تقوم بنقلهم مع رهائنهم بعد تزويدهم باحتياجاتهم إلى أماكن بعيدة عن الشواطئ الصومالية، والقصد من ذلك إظهار أن القراصنة أصبحوا قوة كبيرة ضمن مخطط من قبل بعض الدول الكبرى، بهدف التأثير على الممر الملاحي الذي يمتد من قناة السويس مرورا بالبحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب والعكس.

ولفت التقرير اليمني الرسمي إلى أن ثمة أجندة خفية تقف وراء قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٨٣٨ عام ٢٠٠٨، لأن أعمال القرصنة موجودة في أكثر من منطقة بحرية من العالم، ولا يتعامل معها مجلس الأمن الدولي ولا الدول الغربية بالطريقة التي جرى التعامل بها مع القرصنة في القرن الإفريقي وخليج عدن.

كما أحصى التقرير ٨٥ عملية قرصنة بحرية تمت خلال الفترة يناير - نوفمبر ٢٠٠٨م، تم الإفراج فيها عن غالبية السفن بطرق تفاوضية سلمية. وقدر مكاسب القرصنة من جراء عملياتهم خلال عام ٢٠٠٨ بنحو ٣٠ مليون دولار هي إجمالي مبالغ الفدية التي دفعتها شركات الملاحة الخاصة للقراصنة الذين احتجزوا سفنا مملوكة لها حتى أكتوبر ٢٠٠٨م.

وذكر التقرير أن الدول المطلة على البحر الأحمر هي المتضررة أكثر من غيرها في كل الحسابات، وقد كان مؤتمر القاهرة المنعقد في منتصف نوفمبر ٢٠٠٨ مؤشرا لصحوة هذه الدول التي حضرته...

وقال: إن وجود القوات الأجنبية في المياه العربية تحت ستار مكافحة القرصنة يشكل خطرا على الأمن القومي العربي، وقد يصبح كابوسا يمارس الضغط على الأمة العربية ويزيد من التدخل في الشؤون الداخلية العربية بما فيها فرض تسهيلات عسكرية لأساطيله.

وخلص التقرير إلى أن قضية المواجهة الاستراتيجية للقرصنة البحرية أصبحت ملحة وضرورية، إذ ينبغي على الدول العربية المشاطئة لخليج عدن والبحر الأحمر والقرن الإفريقي القيام بمسئولياتها مجتمعة من خلال صياغة استراتيجية متكاملة، وعلى جميع الدول أن يدعموها حتى تتمكن من الوقوف بحزم أمام هذا الخطر الذي يهدد الإقليم والمنطقة العربية والعالم، على أن تأخذ هذه الاستراتيجية بعين الاعتبار حل المشكلة الصومالية حلا جذريا وتأسيس نظام أمني بحري جماعي تقع مسئوليته المباشرة على دول منطقة القرن الإفريقي والبحر الأحمر.

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

رسالة مقدمة

ندوة

تطور العلوم الفقهية في عمان

الفقه الإسلامي والمستقبل: الأصول المقاصدية وفقه التوقع

خلال الفترة

(٨-١١) ربيع الثاني ١٤٣٠هـ / (٤-٧) إبريل ٢٠٠٩م

هذه الندوة

بقلم: مدير التحرير

يخشى الناس تغيير ما اعتادوا عليه، مخافة أن يأتي التغيير بما يسوء، فإذا كان ذلك التغيير يمس جانبا من العادات، كانت خشيتهم أشد، فتراهم يتمسكون بكل أشكال الموروث حتى لو جاء التغيير تغيرا شكليا لا يمس الجوهر أو المضمون.

وكيف لهم مسايرة ما يستجد من أمور في شتى مناحي الحياة، وأغلبها وافد إليهم من حضارات مختلفة لا تضع في حسابها ما يضعه المسلمون من اعتبارات أغلبها ينبع عن العقيدة؟! وكيف يقبلون تلك المعاملات الواردة وهم يقطعون بحرمتها لكونها شكلا من أشكال الربا على سبيل المثال؟

وحتى لا يجمد العالم الإسلامي عند نقطة، ينشط العلماء في أنحائه كافة للبحث عن الحلول، وهم في سعيهم الحثيث لمواكبة ركب التقدم الذي يتقدمه الغرب مشروع الجينوم البشري – مثلا – يبحثون وينقبون في موروثهم الديني عن ذلك الشكل الاقتصادي الذي يجب أن يقدموه للعالم بعد الانهيار الذي أصاب الاقتصاد العالمي، تأثرت به البلدان الإسلامية – أيضا – في سعيها وراء السراب الغربي.

إن نداءات علماء المسلمين اليوم تؤكد على ضرورة التركيز على الدراسات المستقبلية وهي قبل كل شيء ليست لونا من ألوان التخمين بل هي دراسات تعتمد على التاريخ - أساسا - وعلى تجارب الشعوب الأخرى وما حدث لها من تقدم أو انهيار لتتم الاستفادة منها، واتخاذ القرارات المناسبة قبل فوات الأوان. وهذا المسلك الذي يجتاح العالم تحت ما يسمى بالدراسات المستقبلية ليس بجديد على عالمنا وليس بغريب عن علمائنا وإننا لنجد هذه الدعوة إلى التفكير المستقبلي



في كتاب الله العزيز حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

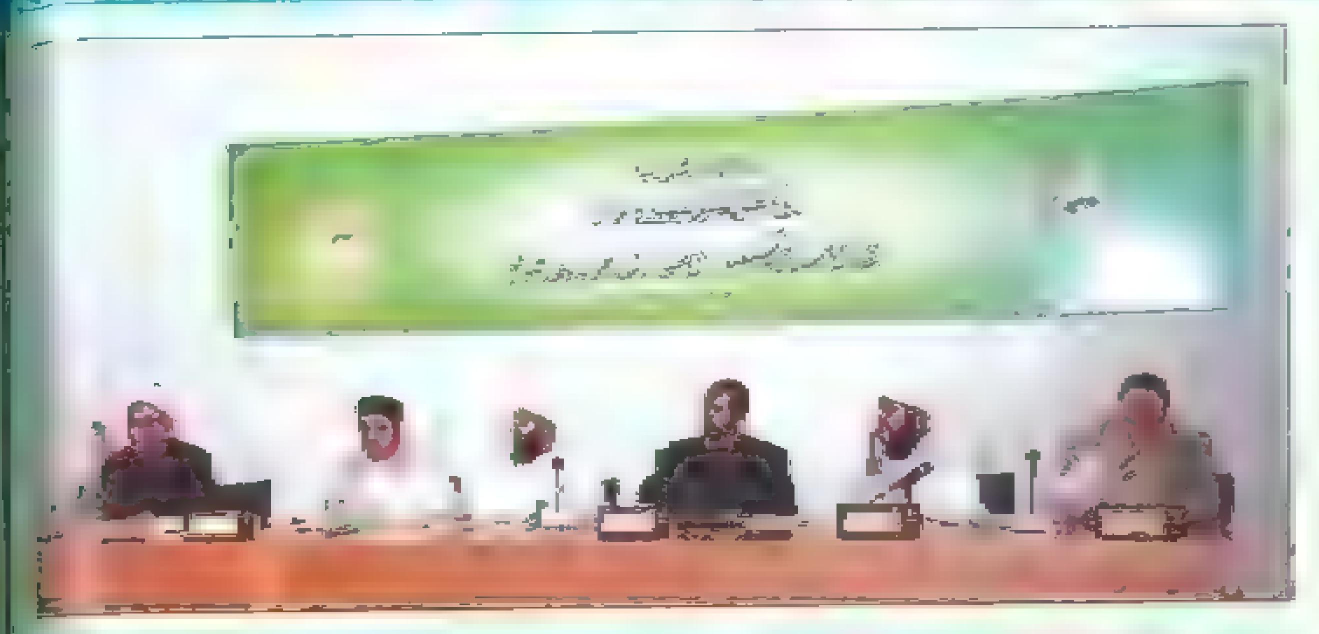
﴿ [illegible] ﴾

(الروم:٩)

وهي دعوة لدراسة الماضي تحوُّطا من ارتكاب أخطاء في المستقبل مثل أخطاء السابقين. وعلى هذا السبيل وفي هذا الهدى المبارك كان منهاج ندوة الفقه التي تتابعت جلساتها على مدى أربعة أيام متواصلة. ركزت فيها على ما ينفع الأمة الإسلامية ويحقق مصالح العباد ويسد الذرائع التي قد توقعهم فيما حرم الله تعالى.

وقد جذبت الندوة الانتباه إلى النظام الاقتصادي الإسلامي بعد وقوع العالم في أزمة النظام الرأسمالي.

ويمكننا القول: إن الندوة من خلال واحد وثلاثين بحثا في مجال فقه التوقع، قد قدمت رسالة واضحة للعالم عن علاقة السلام التي تربط المسلم بمجتمعه وبالعالم أجمع.



في الطور الثامن لندوة «تطور العلوم الفقهية» افتتح صاحب المعالي محمد بن علي بن ناصر العلوي وزير الشئون القانونية ندوة تطور العلوم الفقهية لهذا العام تحت عنوان «الفقه الإسلامي والمستقبل: الأصول المقاصدية وفقه التوقع». حضرها لفيف من أصحاب المعالي الوزراء وكثير من العلماء المهتمين بالشئون الفقهية من أربع عشرة دولة، بالإضافة إلى عدد غير يسير من علماء عمان (الدولة المضيفة) وعدد من الإعلاميين. وذلك بقاعة المحاضرات بجامع السلطان قابوس الأكبر بولاية بوشر

وجاءت فعاليات الندوة على النحو التالي:

بدئ الافتتاح بتلاوة مباركة لآيات من الذكر الحكيم ثم كلمة المفتي العام للسلطنة وقد جاء فيها:

إنها لفرصة سعيدة أن يجمعنا الله جميعا في هذا الصرح الكبير، وفي هذا اليوم الأغر وفي رحاب الفقه الذي هو أهم ما يسعى إليه الإنسان من أجل أن يحقق واجبات عبودية الله سبحانه وتعالى ويقوم بعبادته عز وجل كما فرضه الله تعالى عليه.

وأوضح أن الإنسان في هذه الحياة لم يخلق سدى ولم يترك هملا، خلق ليضطلع بأمانة كبرى عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، لذلك كان واجب عليه أن يعرف مداخل الأمور ومخارجها والله سبحانه لم يكل الناس لأهوائهم وعقولهم ونزعاتهم ونزغاتهم وإنما أرسل إليهم رسلا تترى ونزل عليهم كتبا تتلى.

(الأحزاب: ٧٢)

وجعل الله سبحانه كل حركة يتحركها الإنسان منضبطة بضوابط الشرع ومقيدة بأحكامه عز وجل ليختبر الله تعالى العباد هل يطيعون أم يعصون وأتم عليهم النعمة وأكمل لهم الدين ببعثه عبده ورسوله ﷺ بشريعة تشتمل على دقائق الأمور كلها، وتضع كل شيء موضعه في نظام رتيب لا إفراط فيه ولا تفريط.

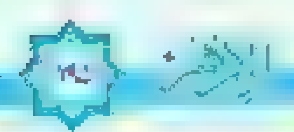
وقد شاء الله – عز وجل – أن تكون حياة البشر حياة متطورة لأن ذلك أمر موجود في طبيعة البشر، وهذا التطور لابد من أن يفرز كثيرا من المشكلات، هذه المشكلات تتسع لها شريعة الله – عز وجل – ولذلك نجد في كتاب الله – سبحانه وتعالى – ما يدل على ضرورة التخصص في علوم الشريعة والبحث فيها من أجل أن يكون بين البشر علماء ربانيون يأخذون بزمام القافلة الإنسانية في طريق الخير، والله – سبحانه وتعالى – يقول:

(التوبة: ١٢٢)

وقال سماحة الشيخ: نحن نجد الآن آيات الله – سبحانه وتعالى – تتجلى في الأنفس وفي الآفاق حيث شتى ومن هذه التجليات إفلاس النظم البشرية حتى يعود الناس إلى ربهم ويدركوا أن الإسلام هو دين الله تعالى الحق وأن شريعة الله سبحانه هي التي تسع أحوال الإنسانية، فكم مرت هذه الإنسانية بأطوار وتقلبات في الأحوال كانت الشيوعية في يوم من الأيام



مظهرا من مظاهر التقدم، وكان الناس ينظرون إليها على أنها هي الفردوس المنشود، وقد تهاوت بحمد الله وثبت فشلها والآن تسير الرأسمالية إلى هذا المصير نفسه بخطى حثيثة فما بقي للإنسانية إلا الإسلام. ولذلك ينادي الغربيون أنفسهم بالرجوع إلى شريعة الإسلام، بل الفاتيكان نفسه ينادي بالتحلي بالأخلاقيات الإسلامية في النظم الاقتصادية وهذا مما يجعل مسئولية هذه الأمة مسئولية كبرى تضطلع بأعبائها وأعباء علماء هذه الأمة الذين يجب عليهم أن يقدموا الإسلام بصورته الواضحة لينقذ هذا العالم من ورطته التي وقع فيها وما كان انعقاد هذه الندوة برعاية وزارة الأوقاف إلا من أجل السير بهذه الجهود إلى هذه الغاية النبيلة بإذن الله – سبحانه وتعالى –، ولذلك أرجو من العلماء أن يضطلعوا بأماناتهم بصدق وجدارة وأن يؤدوا واجبهم تجاه الإنسانية الحائرة التي تقف الآن على مفترق طريقين: إما أن ينقذها الإسلام وإما أن تهوي إلى غير قرار وأسأل الله أن يبارك في جهود الجميع وأن يفقههم لما يحبه ويرضاه.



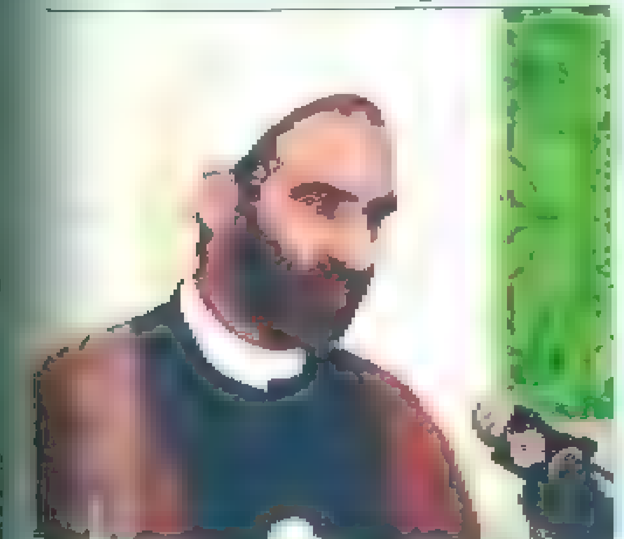


ثم جاءت كلمة فضيلة الشيخ علي عبدالباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، حيث قال:

تطرح علينا الندوة القضايا المعاصرة التي قد لا يكون لها مثيل في الماضي وهي بهذا تقول لنا أن الأمة الإسلامية بأجمعها في حاجة ماسة إلى إعداد الفقيه وأعني بالفقيه العالم الشامل الذي يجمع بين علوم الفقه والشريعة وبين التفسير وعلومه وبين الحديث وعلومه والعقيدة وعلومها، هذا العالم الشامل الذي ضرب لنا الأقدمون مثلا له حينما تعلموا جميعا العلوم الإسلامية، فكانت لهم السيادة والريادة ووضعوا من القوانين ومن المعاملات في كل مناحي الحياة، بل ذهبوا إلى هذا حينما جمعوا هذه العلوم كلها تعدوا إلى العلوم الدنيوية، فكان لهم الأثر في الطب وفي الهندسة، وفي الفلك وفي كل العلوم الطبيعية وكأنهم يقولون لنا أن كل العلوم مصدرها الشريعة الإسلامية، فهذا التطور الذي تطرحه علينا وزارة الأوقاف والشئون الدينية من خلال ندوة تطور العلوم الفقهية يتطلب كما قال سماحة الشيخ الخليلي إيجاد علماء يقودون العالم فيما يأتي وليس الأمة الإسلامية وحدها بعد انهيار النظم التي ادعت أنها تقود العالم في حياته وفي آخرته. ويبقى الإسلام هو رمز للصمود وللعطاء في هذه البلاد وفي العالم كله بقيادة العلماء وبرعاية السلطنة ورعاية حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله ورعاه.

وأكد سماحة الشيخ أحمد مبلغي من جمهورية إيران الإسلامية في كلمته: أن فقه الواقع له بعد واسع، وأنه روح هذا الفقه تسري في جسم الفقه كله حيث قال:

إن الفقه لو أراد أن يدخل عالم العولمة بقوة وقدرة استيعابية شاملة لابد له من أن يمر عبر بوابة فقه التوقع وأن المجالات التي تدخل تحت تغطية فقه التوقع هي ثلاثة.



الفقه والاستراتيجيات

المجال الثاني: فقه التداعيات والانعكاسات

...ري

المجال الثالث والأخير: اعتبار المستقبلية بالنسبة للقضايا التي تدرس وتعالج في الفقه أن ... يعير لها إلى الآن في جميع الأوساط ... لا بل في بعضها ما يعير للقضايا بعدان ... التاريخي والبعد الاجتماعي. وفي ضوء فقه التوقع أو فقه المستقبل أريد أن أضيف بعدا ثالثا وهو البعد الاستقبالي، وذلك لأن عمر الحاضر ... قصيرا جدا والمستقبل يأتي ويحتل مكانه بسرعة قبل أن نفهم وندري يأتي المستقبل ولا يمكن تحصيل ذلك بأن الحاضر قد انتهت ... في قصر عمره، لأن المستقبل يأتي بقدرة ... يحمل التحولات الكبيرة. فإذن إذا كان لكل ... بعد استقبالي فلابد للفقيه أن يدرس هذا البعد عندما يريد أن يستنبط حكم موضوع أو قضية ... ، وإلا ستكون دراساتنا الفقهية دراسات ... منقطعة وساذجة ولا تتمكن من أن يجعل الفقه ... في موضع يمكنه من الإجابة على متطلبات العصر

ثم ألقى فضيلة الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي رئيس ... كلمة قال فيها:

... تحقق من هذه الندوة وأمثالها إلى ما يحقق وجود ... الأمة وشخصيتها وذاتها لتثبت أنها أمة الوحي وأمة هذه الشريعة الخالدة من المعقول أن تهدد الشريعة حينئذ لكل ... الإسلامية والمسلم متعبد بكل ما جاءت به الشريعة الإسلامية ومعرفة سلوكيات المعاملات والعلاقات الخارجية بين المسلمين وغيرهم كل ذلك يستدعي أن يكون الفقيه على اطلاع واع وواضح للأحداث الجارية لأن فقه الإسلام العظيم فقه يتسم بالثبات ويراعي المتغيرات. فتراث هذه الشريعة يعبر عن الوحي الإلهي الراسخ في هذا الوجود الصادق الثابت والمعبر عن رسالة كلمة الحق، ومن الضروري أن يتفاعل الحق مع منطلقات الحاضر والتوجه إلى المستقبل

أما كلمة وزير الأوقاف والشئون الدينية التي ألقاها محمد بن سعيد المعمري فقد جاء فيها:

وإن ما تقوم به الوزارة من تنظيم سوى الندوات العلمية حول تطور العلوم الفقهية في عمان هو تطبيق لمضامين الدعوات السامية لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم.

وأوضح المعمري أن الوزارة دأبت من خلال سلسلة هذه الندوات أن تجمع به شتات أحكام الدين فتصوغها منظومة فكرية متكاملة، وتلتقط درر

العلم من أفواه رواده فحيلها عقدا تتغنى به الأمة، وتستوعب به مدارس الفقه لتكون مرجعا موسوعيا للمستقبل وهذا الدأب العماني أصيل في دروب التطور والتجديد، وتطبيق لمضامين دعوات جلالة السلطان قابوس بن سعيد الذي أحيا بهمته أجيال الحاضر، وبنى بعبقريته جذور مستقبل مشرق، فله الحمد سبحانه على نعمه، وله الشكر تعالى على توفيقه.

إن بحث مسائل مستقبلية لم تقع بعد، وفق أطر الحكمة وبعد النظر، والاستعداد لما سيأتي، على منهج الإبداع لا الابتداع فأضحى امتداح الفقيه بأنه سبق عصره، ميزة حسنة، وقيمة علمية مضافة، فلذلك ظل التجديد والنظر إلى المستقبل ضمن مساق أهداف وزارة الأوقاف والشئون الدينية، تطلعا إلى أفق رصين، يبسطه مداد العلماء، ويضم علم الأواخر إلى اجتهاد الأوائل، مستندا على قواعد العلوم مع محاسن التشريعية ومقاصدها، ولا يتعسف طريق الترف الفكري والتكلف النظري، وكلاهما يثقلان كاهل العلماء والناس على سواء.

وأضاف قائلا:

لقد تأخر المسلمون حين تغافل بعض العلماء عن الواقع وحاجاته وطبيعته، وغفل العامة عن الفقه ومقاصده ومراميه، واستغفلت الأمة عن شريعتها. فكان يسيرا على طغاتهم الاستبداد، والإغارة على منظومة الأخلاق، والتردي في مساوئ التقليد ولا نهضة للشعوب الإسلامية إلا في بناء [illegible] الواسعة، وأن يترجل فرسان العلوم، وتحيا [illegible] مراكز البحوث بكل تخصصاتها، ويعطى [illegible] الحقيقة فرصة النهوض والإبداع والتجديد.

وأوضح أن الوزارة تطمح من خلال تلك [illegible] إلى تقديم رؤية حضارية للإسلام [illegible] الإسلام بوصفه دينا إنسانيا، يقترح [illegible] لمشكلات العالم على أساس أن المسلمين جزء من شعوب الأرض تهمهم مصلحة هذا الكوكب [illegible] عليه، ويعملون على إصلاحه وبقائه للأحسن [illegible] في رقي وحضارة وأخلاق عالية.

وكان مما أكد عليه أن الوعي الذي تتوخاه [illegible] يتكامل مع الاجتهاد الجماعي، والنظر في [illegible] الفقه من زوايا عدة، وتقليب أوجه الرأي في [illegible] المستجدة، للوصول إلى قناعات فقهية تلبي [illegible] الناس، ويسعد بها المجتمع وهذه [illegible] أصل نزوله، إذ يقول الحق تعالى:

[illegible]

فما التشديد على الناس بغاية، ولا [illegible] الأحكام بمطلب، إنما هي الوسطية [illegible] حيث لا شطط ولا غلو.

وبعد كلمة الوزارة استمع الحاضرون [illegible] قصيدة «قف مع الإسلام» للشاعر سالم بن علي الكلباني لينتهي بذلك حفل الافتتاح، وتبدأ جلسات [illegible] في مناقشة واحد وثلاثين بحثا عرض [illegible]



بحث الدكتور الزحيلي يثير عددا من التساؤلات وهي:

١- هل النص والمصلحة صديقان حميمان متوافقان، أو أن بينهما تصادما وتعارضا؟

٢- كيف نحافظ على النصوص الشرعية في ضوء الاجتهاد المتحرك أو المرن؟

٣- هل راعت الشريعة مصالح الناس أم أهملتها؟

٤- كيف تحقق المواءمة بين الثوابت والمتغيرات؟

٥- هل يقف الفقيه في الجملة أمام التجديد والتطور أو يتفاعل ويتناغم معه؟

٦- ما مصير المصلحة المستجدة في مقابلة النص؟ أي قضية العقل والنقل.

٧- هل تقبل الشريعة مفهوم الحداثة أو تحتفظ بثوابتها وسلطانها الدائم على حكم الوقائع؟

٨- ما أصول المقاصد عند المذاهب المتعلقة وخاتمة المقاصد؟

٩- كيف يتم التفسير المصلحي للنصوص؟

١٠- هل مراعاة [illegible] مقصورة على فقه المقاصد؟

١١- هل تميز الشريعة بين المقاصد والوسائل، وهل نفرق بين المقصد الأصلي والتبعي؟

وفي إجابته عن السؤال الأول يقول:

الواقع أنه توجد علاقة حميمة بين النص والمصلحة ودل استقراء الأحكام الشرعية على أن جميع الأحكام المقررة في تكاليف العباد روعي فيها تحقيق مصالح العباد فلا تعارض ولا تصادم بين المصلحة والنص في الواقع إلا فيما يدور في أذهان بعض الناس باعتبار أن المصلحة إما عقلية أو طارئة أو وقتية لا استدامة ولا دوام لها.

وما قد يوهم أن المصلحة تعارض النص -وهو خلاف دائم- فلأنه ربما كان النص قد انتهى مفعوله وزالت حكمته، كانتهاء حكم وجوب الصمود أمام عشرة من الأعداء في الحرب، أو لعدم توافر مدلول النص كعدم وجود معنى تأليف القلوب للزكاة وعدم الحاجة إلى التأليف، وإيقاف تطبيق حد السرقة عام الرمادة (المجاعة) لوجود الشبهة المسقطة للحد، فالنص ما يزال ساري المفعول إذا توافرت شروط تطبيق النص.

وأما تصور تحكم الشيخ الطوفي في حال وجود تعارض بين المصلحة والنص، فالمراد النص الظني في تقديره، لا القطعي كالمقدرات والعبادات لأن الشارع حددها بوضوح، وأما النص الظني ففيه احتمالات في فهمه، وليس قطعي الدلالة، قال الشيخ الأستاذ محمد أبو زهرة[*] في تقديم المصلحة على النص إذا تعارضا: «إنه لا يمكن أن يكون ثمة تعارض بين مصلحة يقينية ونص قطعي».

وأما قول ابن القيم: «حيثما توجد المصلحة فثم شرع الله ودينه» فلم يرد بها أي مصلحة، وإنما ذكر ذلك بمناسبة الكلام عن العدل، والرد على من أنكر الأخذ بالقرائن وقصرها على الشهادة وحدها، وأراد إعمال المصلحة فيما لا نص فيه أو فيما فيه نص يحتمل أكثر من معنى، يترجح أحدها بالمصلحة.

وكلمة ابن القيم هي: «حيثما وجدت المصلحة أو وجدت أمارات العدل، وأسفر وجهه فثم شرع الله ودينه»[*]

[*] [illegible] ٢١٣

[*] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ١٤، [illegible]

وعن التساؤل الثاني:

كيف نحافظ على النصوص الشرعية في ضوء الاجتهاد المتحرك أو المرن؟

يقول: النصوص الشرعية تمثل شرع الله ودينه، فليست هي مثل القوانين الوضعية التي يفرزها العقل لإقرار ما عليه عمل الناس بغض النظر عن العقيدة والدين والأخلاق، فهي إذا شرع الله ووحيه لا نملك تعطيلها، ولا تجميدها، ولا تجاوزها.

لكن الشريعة الإسلامية هي في الواقع شريعة اليسر والسماحة والمرونة ومواكبة أحوال التغير والتطور والتجديد، ولم يهمل الله تعالى عقول هذه الأمة، بل منحها حق الاجتهاد عبر النصوص الظنية لمواكبة أحوال التطور والتغير والتجديد ورعاية المصالح الزمنية والأعراف.

وأصول الاجتهاد ومصادره كثيرة تتمثل في منطلقات النص: القياس والاستحسان والمصالح المرسلة والأعراف والعادات الصحيحة التي لا تصادم الشريعة، وكذا فتح الذرائع وسدها، والاستهداء بفقه الصحابة والتابعين فهو فقه جدير بالاعتبار، وكذلك فقه المذاهب، ثم الاستصحاب آخر المطاف.

ويخلص الزحيلي في نهاية بحثه إلى أن:

الإسلام وشريعته دين الواقع لا الخيال، ودين الخير لا الشر، ودين الصلاح والإصلاح لا الفساد والإفساد والبغي والضلال، وهو دين الكمال والمجد والخلود والعمل للدنيا والآخرة، وكذلك دين التكامل واليسر والسماحة والمرونة، فلا يضيق ذرعا بأحد، ولا بما يحقق الخير للناس جميعا، لأنه دين الرحمة العامة بالعالمين.

وهو يجمعه بين الاجتهاد المقاصدي أو فقه المقاصد وفقه القياس والتعليل والمصالح والاستحسان، وسد الذرائع والأعراف الصحيحة على أساس علم أصول الفقه، يحقق المنهج الأوسط والاتجاه الأعدل، ويحفظ للشريعة ظاهرة الوحي الإلهي وإعمال النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.



ويقع بحث الدكتور محمد كمال ... في مبحثين:

الأول: في الافتراض الفقهي والثاني في الفقه الافتراضي وأشار إلى أنهما اصطلاحان في معجم العقل ... يشتركان في أمور ويختلفان في أمور أخرى ... من الأدوات العقلية لتطوير الفقه، أما مواطن الاختلاف ... في أن الافتراض الفقهي مواجهة لقضية قائمة ... في أمر واقع، في حين نجد الفقه الافتراضي يبقى ... قائمة واستعدادا لأمر متوقع.

في المبحث الأول ناقش كلا من:

1- المفهوم الوضعي والشرعي للافتراض الفقهي

وتناول في هذا المبحث أيضا التعريف بشروط ... والموت الحكمي والموت التقديري.

أما المبحث الثاني فيتناول فيه نشأة الفقه الافتراضي وينتهي الباحث إلى أن الفقه الافتراضي ... وإرهاصات له - في الحياة العقلية عند فقهاء الصحابة وكبار ... حضور قوي، وتأثير ملموس في الرأي والحديث ... فقيه «عبدالله بن مسعود» مؤسس مدرسة ... الكوفة، والذي نحا نحو «عمر بن الخطاب» في البحث ... النص والمقاصد والانفتاح على آفاقها ... كان لا ... الفقه الافتراضي، ولعل ذلك كان أثرا من آثار بيئة ... فيها من حراك اجتماعي عقلي لا يكاد ينتهي ... فرض فقهاؤها هذه الكثرة من المسائل الفقهية الواقعية ... تحت العقل الفقهي، وحتى أصبح الفقه الافتراضي ... يؤثر على الفقه بحقيقته وعلمه.

ويقول: إن الموقف الحذر من الفقه الافتراضي والذي ... بعض أجلاء الصحابة منهم «عبدالله بن عمر» ... بن ثابت» و«عبدالله بن عباس» وبعض كبار التابعين ... «سعيد بن المسيب» و«إبراهيم النخعي» وهم جميعا ... عن «عبدالله بن عمر» ... كانوا من أهل التوسعة ... والتيسير على الناس، ومراعاة المصالح ... فيه غلاة وتطبيقه الأفق الواسع الذي تحرك فيه ... عن الفقه الافتراضي، وقلل عليه من شرائحه، وهذه ... السلبية لموقف هؤلاء من الفقه الافتراضي، لا ... الأسباب الموضوعية لإنكار بعض الصحابة ... الفقه الأرأيتي» وفي مقدمة هذه الأسباب ما يلي: ... عن رسول الله ﷺ من أحاديث تنهى عن كثرة ... المتفق عليه عند أحد الصحابة والتابعين - ... مشهود به - بالأحوط، رغم توجه المتأخرين لهذه ... يحرر المسائل ويرفع الحرج عن المجتهد ...

... من الجواز كان عند النص ... في ... لا يعلمه أحد إلا عالم ...

جـ - أصبحت التفريعات والفروض مدخلا لتصعيب الفقه، بل أصبحت عند المتأخرين ألغازا يعسر فهمها، أو افتراضا لما يستحيل وقوعه عادة، وكأن الأمر أصبح أقرب إلى الرياضة الذهنية منه إلى الدراسة الفقهية، وقد اعتذر البعض - كما نقل الحجوي الثعالبي - عن ذلك بأنهم فرضوا ما يقتضيه الفقه بتقدير الوقوع، ورده «المازري» الفقيه المالكي بقوله: إنه ليس من شأن الفقيه تقدير خوارق العادة».

أما بحث الدكتور عبدالله محمد قدعق، فقد تناول عددا من النقاط نذكر منها:

تاريخ تطور الفقه - أهمية الحاجة إلى فقه متجدد وفقه متطور - الاختلاف ليس دليلا على القصور - الإسلام والسياسة - الإسلام والمرأة - فقه التربية - أهمية الفقه الجنائي - الفقه الطبي - الفقه والواقع.. إلخ ويؤكد على أن:

لابد من التفريق فيما بين التأهيل للقول في العلم الديني وبين التأهيل للقول في التخصصات الأخرى، ففي الدين لا تكفي الشهادة الجامعية مهما علت، ولا الدرجة الوظيفية مهما تكن رفيعة، فكم من أصحاب هذين أو أحدهما، لو عرض على قاض عادل لرد شهادته، وأسقط عدالته، وكم منهم من لا بصر له بالأدلة وترتيبها وكيفية فهمها، فضلا عن القدرة على الاستنباط منها!!

ولابد أيضا من العلم بأن الاجتهاد الذي يدعو إليه الثقات - هو اجتهاد العلماء القادرين على ذلك، الذين يؤخذ من قولهم ويرد عليهم، والذي يسير على مناهج الاستدلال والبحث التي قبلها المسلمون على امتداد تاريخهم، لا الاجتهاد الذي يحلل صاحبه من كل قيد.



ويأتي بحث دكتور ناصر بن محمد الحجري مشتملا على أربعة مباحث هي:

مفهوم الفقه الإسلامي والعولمة العولمة نشأتها وتطورها، الشريعة الإسلامية والعولمة، الفقه الإسلامي في عصر العولمة.

وننطلق منه قوله: يذهب العديد من المفكرين إلى وصف العولمة بالأمركة من جهة، وسعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى توظيف العولمة من جهة أخرى، وعندئذ لابد من القول إن العولمة ليست الأمركة. كما يذهب إلى ذلك بعض المفكرين، لكون العولمة ليست وليدة اليوم، والولايات المتحدة الأمريكية كغيرها من الأمم «وسائلها وحلمها الذي تعبر عنه أسطورته ومن ذلك يمكن القول إن الأمركة هي أيديولوجيا أمريكية تدعو إلى تبني النموذج الأمريكي في الاقتصاد والسياسة، وفي طريقة الحياة بشكل عام، وإذا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق ذلك فإنها دون شك ستواجه مقاومة لتربعها على كرسي قيادة العالم، وإن الآخرين يتبعونها بمحض إرادتهم».

وخلص الباحث إلى بعض التوصيات نذكر منها:

إنشاء مؤسسات دعوية إعلامية تبين حقائق الإسلام ومبادئه ووجهات نظره في القضايا العالمية المعاصرة عبر قنوات متعددة كالقنوات الفضائية، والإذاعية، والصحف والمجلات

ضرورة أن تتعاون الهيئات والمؤسسات

...سية في البلاد الإسلامية على إصدار الأحكام الشرعية في القضايا الشائكة كقضايا الاقتصاد والاجتماع وغيرها، وأن تنهض بالتراث الفقهي ...ونشره نشرا علميا حديثا، ودراسته وفق ...علمية تنمي الملكات الفقهية، والقدرة على البحث والاجتهاد، ودون التعصب لمذهب ما أو ...مع مراعاة الانفتاح بكل الثقافات ...والمعارف العصرية.

أما بحث الدكتور سعيد بن سعيد العلوي

يهدف إلى التنبيه إلى نقاط ثلاث:

الأولى: التنبيه إلى المبادئ والكليات التي تحكم ...قضية المساواة بين الرجل والمرأة في كلتا المنظومتين الإنسانية العالمية «نسبة إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، والشريعة الإسلامية ...المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام».

...الثانية: جعلناها للتذكير بالقواعد الكبرى التي ...تؤسس مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة في الفقه الإسلامي فيكون بها، من جهة أولى، ...توضيح معنى تلك المساواة بذكر الأحكام التي ...تتصل بها، من جهة ثانية، الإبانة عن الحدود ...القصوى التي يصل إليها القول في المساواة بين ...الجنسين ولا يمكن تجاوزها.

...الثالثة: فقد جعلنا وقفات موجزة عند ثلة ...من الفقهاء المجددين في الفكر الإسلامي المعاصر ...نرى أن لهم ذكرا في التأصيل لأصول فقه ...المساواة بين الرجل والمرأة في الفقه الإسلامي ...بشر حصة، ثم إننا نريد - توضيحا للفائدة واستدعاء لحوار مثمر ولإعمال العقل الفقهي النقدي - أن نأتي على ذكر محاولة إسلامية نرى أنها لا تخلو من التعقيد لما نقول إنه فقه المساواة بين الرجل والمرأة.

وهكذا يسير الباحث في سلاسة ويسر في عرض أفكاره حتى ينهي بحثه بنتائج أهمها:

١- الإسلام نظام رباني يستقي تصوراته من معين عقيدي، وهو سر تميزه عن غيره من الأنظمة الإنسانية.

٢- النظام الاقتصادي يجمع بين مقاصد عالية كتعميم المال والعدالة في توزيع الثروات، مع مراعاة الواقع وظروفه وملابساته.

٣- الإسلام تجارة نتائجها قريبة الأمد وبعيدة الأمد أي تجنى ثمارها اليانعة في الدنيا وفي الآخرة حسب الالتزام التام بشرع الله تعالى.

ويقول في الفصل الثاني:

ولا تكمن أهمية العدالة والتعميم في مجرد إسناد المال إلى أهله، وإنما لهما أبعاد تخترق سجاف الظلمات لتنير للناس دروب اقتصادهم، وذلك لأن الظلم بقصر التوزيع على بعض الناس دون بعض يقتل المواهب ويئد الطموح، فالذي يكدح ويجد أن الأموال تساق لغيره والفرص تمنح لسواه يتكدر صفو فكره، فلا يتشجع على البذل والمثابرة بخلاف العدل فهو يفتح آفاق الطموح، والخلق يسير مع العدل في هذا المضمار، إذ حسن التعامل مع من شيد مشروعا تجني الأمة منه ربحا ، يدفعه قدما إلى الأمام وهو الذي حدا بأسامة بن زيد إلى تصدر الناس - وهو

لم يبلغ العشرين – على رأس جيش على حدود الروم.

وفى الفصل الثالث يقول:

من واقعية الدين مرونته، وإمكان كل جيل الاستفادة منه، فلكل عصر يشرب من معينه ما يحتاجه، ومن العجيب أن العصور انقلبت صورة التعامل فيها رأسا على عقب، فقد كانت التجارة فى الدول العربية كلها بسيطة جدا، ثم أديرت فى غير فلكها وتعقدت المعاملات الفردية، وتبعتها تعقيدات الشركات، ثم تبعتها تجارة المصارف ومعاملاتها والتجارة الرقمية والإلكترونية، ومع كل ذلك فإن معين الشريعة يتدفق باستمرار، وتجد الإنسانية فيه ما تحتاجه إلى قيام الساعة، وهذا من معالم ختم الدين ببعثة محمد ﷺ.

ولذا اشتملت الشريعة على أحكام نصية لا مجال للمساومة فيها كتحريم الربا والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل، وإباحة البيع والانتشار فى الأرض ما لم يرد مانع، وهذه الأحكام تعد الأسس التى يقوم عليها صرح الشريعة، وفى الوقت ذاته فتحت الشريعة باب الاجتهاد فى المتغيرات.

ثم يقول:

ولأجل هذه المصالح قد تمكن الدولة من اتخاذ بعض الإجراءات، فمثلا قد تقيد إطلاق حديث: «من أحيا أرضا مواتا فهى له»، وإن تباينت نظرات الفقهاء فى تخريجه، هل هو من قبيل التشريع الدائم أو من قبيل المصالح الوقتية القابلة للتغير؟

أما د. شوقى إبراهيم عبد الكريم [...] الذى جاء بحثه تحت عنو[ان]: منهج الفقه العمانى فى م[عالجة] القضايا المعاصرة فقد تناول ا[لعديد] من القضايا وموقف الفقه العمانى منها

حيث يقول فى مجال رؤية الهلال

ولم يقف الفقه العمانى فى هذه المسألة موقف الرافض لما يقدمه العلم فى هذا المجال، بل [...] مع النصوص وأخذ بما انتهى إليه [...]، فهو [لم] يترك العمل بأحاديث رؤية الهلال، وقب[ل] الشهادة فى إثبات الرؤية إذا كانت ممكنة [...] العلم بإمكانيتها، أما إذا كانت مستحيلة [...] معطيات العلم فلا تقبل شهادة من رآه ولو كا[ن] عدلا، إذ هى مناقضة للعلم المعتبر فى هذه [...]، إذ هو فى مقدماته قد وصل إلى ما يقرب من [...] فى هذا المجال

وفى قضية أخرى هى من نتاج التط[ور] الاجتماعى والحضارى الذى ألم بالمجتمع[ات] المعاصرة، وهى قضية التلقيح الصناعى بعد وفاة الزوج، إذ يتم أخذ حيوانات منوية للزوج المتوفى محفوظة فى مركز ما، ويتم إدخالها إلى رحم زوجته، وهذه القضية [...] الاجتهاد الفقهى العمانى، وقد أدلى الشيخ الخليلى فيها باجتهاده، فقال: [...] الإ[نجاب] الفطرى الذى أباحته شريعة الله تعالى [...] هو ما يكون بين زوجين مترابطين برباط الزوا[ج] المقدس ولم ينحل، ولا ريب أن هذه الرابطة تنحل بينهما بمجرد موت أحدهما أو تنايتتهـ[...] حسب بينهما فى الحياة من طلاق أو غيره، [و]عليه فحمل المرأة من زوجها المتوفى بعد [وف]اته من منيه المحفوظ لدى المصحات المختصة يعد من ضروب الزنى، ولا يكون هذا الحمل شرعيا، فلا يلحق المولود به نسبا، أما ما [ين]ادى به بعض الأطباء العرب من إنشاء مراكز تتمنى للتلقيح الصناعى، فهو أمر [ي]ؤدى إلى اختلاط الأنساب، وانحلال نظام الأسرة، وتقطع العلاقات والوشائج بين [ال]ناس، وما هو إلا شبيه بالإباحية الجنسية [الم]فرقة، والله المستعان.

[و]جاء بحث فضيلة الشيخ على عبد الباقى - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

فى سبعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: فى تكريم الله تعالى لجسد الإنسان.

والثانى: تعريفات لابد منها فى موضوع زرع الأعضاء.

والثالث: نقل الأعضاء فى الفقه الموروث.

والرابع: نقل الأعضاء فى الفقه الحديث.

الخامس: الآراء الطبية المتعلقة بنقل وزراعة الأعضاء.

والسادس: فتاوى أجازت نقل وزراعة الأعضاء.

والسابع: قرارات الندوات والمجامع الفقهية المتعلقة بنقل وزراعة الأعضاء.

والحق أن هذا البحث جاء مرجعا فى بابه.

وقد تناول البحث بشىء من البسط فى الفصل الخامس نقاط الخلاف فى هذه المسألة بين الأطباء



فأوضح آراء المعارضين وآراء المجيزين.

وأثار عددا من التساؤلات هي:

١- هل الأجهزة المعاونة على الإبقاء على الحياة تم اختراعها لتبقى على حياة البعض تمهيدا لنزع أعضائهم بمعرفتنا في الوقت الذي نريده قبل أن يأذن الله بانتهاء حياة هؤلاء المرضى؟

٢- كم عدد المرضى المطلوب قتلهم لحل هذه المشكلة المتفاقمة التي صنعناها بإهمالنا في الحفاظ على حياة مواطنينا ونسياننا لمبدأ الوقاية خير من العلاج؟

٣- هل يمكننا أن نقر أن هناك نوعين من الموت: الموت البيولوجي المعروف الذي لا يعلم توقيته إلا الله عز وجل، والنوع الآخر وهو ما يسمى بالموت الإكلينيكي الذي يتم بتوقيت - بتدخل إنساني بحت - قبل مفارقة الروح للجسد مما يمثل جريمة قتل عمد متكاملة الأركان.

٤- وإذا تم الاعتراف بالموت الإكلينيكي هل سيصدر قانون باعتبار كل مريض يتم تشخيصه في هذه الحالة - سواء كانت ستنزع أعضاؤه أم لا - ميتا ويعلن موته ونجيز ما يترتب على هذا من إجراءات شرعية؟! أم أننا سنعلن موت من نريد موته ونعتبر الآخر في مثل حالته المرضية حيا؟!

٥- هل تم شرح حقيقة الوضع الطبي لهؤلاء المرضى المشخصين خطأ «موتى جذع المخ» بصدق أم أنه يتم الإيحاء لذويهم بأنهم أموات أو على أحسن الفروض ميئوس من شفائهم؟

ثم يضع المسئولية كاملة في أعناق الأطباء إلى يوم القيامة حيث يقول:

إن ترجيح أحد الرأيين لرجال الطب أمر خارج اختصاص رجال الفقه، ولا يمكن لفقيه أن يرجح رأيا على الآخر، حيث إن لكل رأي أدلته ووجاهته، الأمر الذي يصعب على غير المتخصص ترجيح أحدهما على الآخر.

أما بحث فلاح بن أحمد الخليلي:

فيقع في أربعة فصول:

١- الربانية

٢- التعميم والعدالة

٣- الواقعية والإيجابية

٤- دور تلك الخصائص في حل الأزمة الحالية

ويبدأ الباحث القول بالتأكيد على أن الإسلام





يتميز عن غيره باحتوائه واشتماله على خصائص ربانية في جميع المجالات، وليس مجال الاقتصاد بعيدا عن المجالات الأخرى التي حظيت باهتمام الإسلام ورعايته، فلذا كان للاقتصاد الإسلامي خصائص الإسلام ذاته، فهو متصف بالربانية مشتمل على الوسطية ومتضمن للتوازن، وغير ذلك من الخصائص لأن جميع خصائص ... تتجلى بصورة واضحة فيه.

وبعد أن عرض لقضيتين أساسيتين في هذا الفصل هما:

١- المصالح ٢- سد الذرائع.

أصاب كبد الحقيقة حين قال: وأثر الربانية في الاقتصاد جد كبير، إن كنا نثق في شرع الله تعالى، وتعاملنا معه على أساس الثقة بفتح ... رحبة، وبحثنا نلتمس الحل من موضع ... توجهه، لا أن نلاحق السراب.

أما بحث الأستاذ الدكتور نور الدين مختار الخادمي فيتناول:

١- تحديد النص الشرعي، وأحواله، ومكوناته، وتحديده، والبعد المقاصدي له، وتحديده للحكم الشرعي، ثم يتناول البعد الأخلاقي للنص الشرعي، وتحديده للحكم الشرعي، والعناية بالجوانب المعرفية للمرجعية الأخلاقية والمقاصدية والبحث يقرر حقيقة مهمة، وهي أن النص الشرعي وحدة متكاملة معرفيا ومنهجيا، وهو ما يستلزم عمق النظر فيه والإحاطة بكل عناصره ومكوناته ومعطياته وربطه بغيره مما له صلة به، سواء من جهة تقرير العلم الكامل بماهيته، أو من جهة تقرير طبيعة معاملته للواقع وتأثيره فيه.





وعلى مدار أربعة أيام أنهى المشاركون مناقشاتهم بكلمة ألقاها عنهم الدكتور / عبدالله فدعق الهاشمي المكي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد،،

فإن نهضة عمان المباركة في كافة الميادين عموماً، وفي تطوير العلوم الفقهية خصوصاً لم تكن لتتم لولا توفيق المولى جل وعلا لجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم. ومن أبرز علامات هذا التوفيق متابعته المستمرة ـ حفظه الله ورعاه ـ لهذه الندوة العلمية العالمية السنوية. فاللهم أحسن إليه، وأجزه عنا جميعاً خير الجزاء، ووفقه دائماً أبداً يارب العالمين.

لقد سعت هذه الندوة المباركة: الفقه الإسلامي والمستقبل، الأصول المقاصدية وفقه التوقع، لاستقراء المستقبل الذي يعد أحد أهم مناهج العمل الناجح والأداء الفاعل.

وبالطبع نحن معاشر المشاركين لا نعني باستشراف المستقبل علم الغيب ـ فهذا علمه عند الله وحده، إنما نعني الموقف الإيجابي الذي يمكن فهمه من القراءة الصحيحة للواقع واتجاهاته، مع تحديد المقدمات الواضحة للخروج بنتائج تتعلق باحتمالات المستقبل.

ومن هنا فالفقه الافتراضي الذي كنا في رياضه، في رحاب هذا الجامع الأكبر عني ويعنى باستقراء

المستقبل لا باعتباره الشيء المقرر سلفاً والمفروض علينا، والذي يكتشف لنا شيئاً فشيئاً، ولكن باعتباره شيء يجب بناؤه وتشكيله، وهو ما يلخصه الحديث المشهور «اغتنم خمساً قبل خمس.. الحديث».

أيها الفضلاء... إن فقه التوقع الذي نختتم اليوم ندوته، على الضد من العشوائية والاستسلام لمعطيات الواقع أو ما سيقع، وهو في جوهره مجموعة البحوث المتعلقة بالتطور المستقبلي للبشرية، والمستمدة من المقاصد الشرعية، والمستندة على أصول الفقه، والقواعد الفقهية مما يسمح باستخلاص عناصر تنبؤية. ويحاول سبر أغوار المستقبل بهدف التعامل معه، ليس برفضه وإنما بمحاولة تحسينه وتطويره وتكييفه لمسايرة الجديد المتجدد، ومعايشة المستجدات، ومراجعة الأصول والأطر التي تحكم الواقع لاستنباط آليات التعامل مع الوقائع.

قد يسأل سائل فيقول: لماذا نستشرف المستقبل؟ والجواب ـ هو ما دام المستقبل مجهولاً، فلماذا لا نتصالح معه؟ لماذا لا نسهم في أداء واجب تقريب الشرع إلى الخلق، وتقريب الخلق إلى الحق سبحانه وتعالى.

إن الفقه التقديري طريق لذلك، بل ونوع من الفعل الإيجابي الذي وإن تأخرت وقائعه، سيساهم في التطوير والإضافة، وشتان ما بين الفعل ورد الفعل، وبين من ينتظر ما يأتي به المستقبل، ومن يسارع نحو المستقبل مستخدماً أدواته وآلياته.

أيها الكرام... المحصلة في فقه التوقع أنه ليس بالأمر السهل أو المعتاد تبعاً لحقيقة جوهره السابقة، لأنه ضد التحضير والاحتياط والتحوط والتغيير وعدم الركون إلى السائد واختراق المساحات القائمة وإيجاد أجواء تساعد على التغيير وتدعو إليه، والتحرر بتحدياته. ومن ثم فإن العالم المستشرف الذي يقوم بهذا الدور ويمارس هذه المهمة في المجتمعات يقوم بعمل شاق، وغالباً ما يكون هؤلاء المستشرفون عرضة للأذى والنبذ والكراهية والتبرم من قبل عامة المجتمع والدوائر الناقدة فيه، ما لم يكن الاستشراف معقولاً في مفاصل تلك الدوائر، وهذا لا يتم إلا في مجتمعات قد قطعت أشواطاً طويلة في الوعي بشرائع دينها.

ومن أهل الحيادية في فقه التوقع علينا تجنب الأفكار المسبقة أو الاقتناع لرؤية بعض الأمور التي تناسب أفكارنا وتجاهل أو نبذ الأخرى التي ترعجنا، فعلى سبيل المثال فإن تصنيف الناس تبعاً لمناهجهم وعقائدهم أمر حتمي، وتفسير الأمور حسب الموروث الثقافي والمفاهيم والبنى الفكرية الثابتة أمر خاطئ أيضاً. ومن الواضح أن فقه التوقع يقتضي الحيادية والإيمان بأن التغير هو إحدى سنن الحياة، ومن هنا فعلى الوزارات المعنية والمراكز البحثية فيها أن تعتمد المنهج النقدي في وسائلها، والبعد عن المواقف السلبية أو المتعلقة بها



الحضور الكريم... إن الفرق بين الأرصاد الجوية ورسم مستقبل الأمة هو عينه الفرق بين التنبؤ والاستشراف. وللأسف فنحن ما زلنا أسرى التنبؤ وردود الأفعال القاصرة والمتأخرة دوما، بل زلنا نفتقر للخطط البديلة التي يمكن أن نلجأ إليها عندما تفشل الخطة الأساسية نتيجة أحد المتغيرات

وبلا شك فإن فقه التوقع لابد أن يتم وفقاً لخطوات مرحلية ممنهجة تبدأ بتعريف المشكلة، ثم تحديد المتغيرات. ومن ثم تأتي مرحلة تجميع المعلومات لنستطيع في النهاية بناء الخيارات المستقبلية الممكنة. وعلى ذلك فإن نجاح نقاشات فقه التوقع ليس نشاطا فرديا بل هو عمل وجهد جماعي، تجلى واضحا في مستوى وزارة الأوقاف والشئون الدينية، وفي مقدمتهم وزيرها الموقر، معالي الشيخ عبدالله بن محمد السالمي، الذي وفر مع صحبه الكرام كل الإمكانيات اللازمة لإنجاح ندوتنا هذه لنتمكن من استشراف المستقبل، ووضع توصيات يمكن السير على هديها.

وفي الختام أؤكد باسمي وباسم أصحاب الفضيلة العلماء أن فقه التوقع ضرورة لبناء الفرد والأسرة والمجتمع وتطورهم في شتى القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية. فالمجتمع الذي لا يستطيع رسم خطوات المستقبل سيغوص في هموم الحاضر، وسينحصر في تقديس الماضي، ومن ثم يكون التأخر رهينه. وهذا ما تبدو عليه وللأسف الكثير من حالات مجتمعاتنا العربية والإسلامية. والواقع أثبت وبحث أن المجتمعات الناجحة هي التي تنتهج الاستشراف كأسلوب حياة. دمتم بخير.

توصيات ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وعلى من سار على هديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد:

فإن الشريعة الإسلامية فيها الوفاء بجميع ما يحتاج إليه الأنام من مصالح وأحكام ولم يمت نبي الإسلام عليه أفضل صلاة وأزكى سلام إلا بعد أن تركنا على محجة واضحة وطريقة سواء. وترك فينا الكتاب الكريم وسنته المطهرة وقد تضمنا من أصول التشريعات ما يفي بحاجات الناس ويحقق مصالحهم أفرادا وجماعات ويشمل أمور دينهم ودنياهم: عقيدة وأخلاقا ومعاملات وجعل فيهما من الكفاية والغنى ما يجعل المؤمنين بهما غير محتاجين فيما تعبدهم الله تعالى به من الأحكام إلى شيء سواهما.

ونظرا لتناهي نصوص الكتاب والسنة وعدم محدودية وقائع الحياة وحوادث الزمان، الأمر الذي يستدعي إعمال الفكر في النصوص للكشف عن حكم الله في الوقائع المتجددة.

وقد مارس فقهاء المسلمين على مر العصور وظيفة الاجتهاد التي أثبتت بما لا يدع مجالا للشك صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان مهما اختلفت الظروف ومهما تباينت

الملابسات.

وإيمانا من وزارة الأوقاف والشئون الدينية بمركزية الفقه في الثقافة الإسلامية وقدرته على معالجة قضايا الواقع جاءت هذه الندوة المباركة والتي حملت عنوان «الفقه الإسلامي والمستقبل: الأصول المقاصدية وفقه التوقع» المنعقدة بين الثامن والحادي عشر من ربيع الآخر عام ثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة، الموافق من الرابع إلى السابع من شهر أبريل للعام التاسع بعد الألفين للميلاد. وقد احتضن جلسات الندوة جامع السلطان قابوس الأكبر، هذا الصرح الذي أريد له من أول يوم وضع فيه أن يكون مركز إشعاع ونور ومنار هداية وعرفان.

تضمنت الندوة واحدا وثلاثين بحثا أسهمت في إحداث حراك معرفي وثقافي ساده الحوار الهادئ المتسم بروح الاحترام المتبادل والنقاش الجاد المفعم بأجواء الحرية والانسجام.

وبناء على الأبحاث التي قدمت والمناقشات التي أعقبتها توجز الندوة توصياتها في الآتي:

فقه التوقع عملية استنباطية تعنى بحمل الفقيه على تتبع مراد الشارع من أحكامه ليدرك أسرار التشريع فيحمل عليها ما استجد في دنيا الناس من أمور ليحصل على أحكام شرعية هي أقرب إلى مراد الشارع وأدنى إلى معالجة الواقع بحيث تكون أوضاع الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد.

عني فقهاء المسلمين منذ الرعيل الأول بمقاصد الشريعة الإسلامية تبيانا لأسرارها وتعريفا بأهدافها التشريعية وتنزيلا لواقعهم كما عاشوه هم على أصول التشريع، وتؤكد الندوة هنا على ضرورة استمرار النهج ذاته مما يحقق مصالح العباد في الدارين تمكينا لمبدأ عالمية الدين وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

يمثل علم أصول الفقه والقواعد الفقهية ومقاصد الشريعة الإسلامية وحدة واحدة ومنظومة مترابطة يكمل أحدها الآخر والاجتهاد لا يمكن أن يعطي ثماره دون أن يجمع المجتهد أطرافها ويأخذ بشروطها ومجامعها.

تؤكد الندوة أن أحكام الله معللة بأسباب ومغياة بأهداف تشريعية سامية فهي ليست تحكما. فينبغي للفقيه أن يربط الأحكام بعللها وبين حكمتها قدر استطاعته حتى يكون الحكم الشرعي أدعى إلى طمأنينة القلب، وأسرع إلى القبول وما عرفت علته كان تحمله أخف على النفس وهذا يعود - بلا شك - بتحقيق مقاصد الشارع.

تؤكد الندوة أن فقه التوقع مرتبط بالكتاب والسنة وهو لا يعني - كما يظن البعض - تفريغ الأحكام الشرعية من قوالبها فللنصوص التي جاء بها الشارع ضوابط لفهمها وأقيستها أئمة أصول الفقه فيكون الأخذ بالمقاصد الشرعية مشروطا بكونه دائرا في فسحة الإمكان اللفظي للنصوص الشرعية ولا يغلب أحد الجانبين على الآخر معا أن يكون الفقيه ساليا الشريعة مقاصدها لنظره إلى ألفاظها فقط من جهة، ودون إلماء قد يستبدله البعض من استبدال المقاصد بالنصوص الشرعية.

لا يؤدي فقه التوقع دوره إلا بتضافر الجهود ذات العلاقة بالواقعة فيدلي كل صاحب اختصاص بما يراه في مجاله. فالطبيب الماهر هو صاحب الكلمة الفصل في قضايا الطب، والفلكي الحاذق رأيه معتبر في حساب حركة الأفلاك. والاقتصادي المحنك هو صاحب القرار في قضايا المال والأعمال ثم تعرض القضايا بتصوراتها السابقة مجتمعة من قبل الفقيه على النصوص الشرعية لينزل أحكامها على الواقعات.

على الأمة الإسلامية في ضوء المتغيرات المتسارعة والتقدم العلمي والمعرفي وفي ظل العولمة المعاصرة أن تسعى للحفاظ على هويتها الثقافية والاجتماعية، وأن تستثمر هذا الواقع في التعريف بمبادئها ومثلها الإسلامية الراقية ولا يصح لها بحال أن تتخلى عن واجب البلاغ للدين والشهود على الخلق.

فقه التوقع مصطلح حديث يراد به أحد أمرين:

الأول: أمر واجب لا يستقيم الاجتهاد دونه وعلى الفقيه تقليب نظره في مآلات اجتهاده وأبعاد الحكم الذي يخرج به في ضوء نظرية المصالح والمفاسد بضوابطها الشرعية. وهو أمر أصلي في عملية الاجتهاد الفقهي. فلابد أن يتوقع الفقيه أبعاد الحكم وجوانبه المختلفة وما يمكن أن يفضي إليه، وما سيئول إليه الأمر في المستقبل، وينتج عن ذلك أن ما غلب على ظن الفقيه أنه سيؤدي إلى مخالفة للأصول المقاصدية الشرعية فلابد أن يدفع باسم رعاية المصالح وهو يستلزم في ذاته دفع المفاسد.

الأمر الثاني: وهو الفقه الافتراضي الذي يفترض النازلة قبل وقوعها ليلبسها لبوسها من الأحكام، ويبذل في سبيلها وسعه فخفف عليه وطأة الاجتهاد بعد نزولها، وقد اختلفت آراء المجتهدين في التعاطي مع هذا النوع من المسائل. غير أن الندوة أوصت أن الأخذ بالفقه الافتراضي السائق بمعناه السابق لا ينبغي أن يشغلنا التوقع فيه عن فقه الواقع. بل تجعل الأولوية للواقع ومع ذلك فلا مانع من توقع ما هو ممكن.

كان لعلماء المذهب الإباضي – كما هو حال إخوانهم العلماء من بقية المذاهب الإسلامية – إسهام في الأخذ بفقه التوقع وتفعيله في أرض الواقع فذكروه بشقيه، وعالجوا به مشكلات كانت تعيشها مجتمعاتهم فرجعت اجتهاداتهم بالمصالح وتوصي الندوة في هذا الجانب بنشر هذا التراث العماني وإخراجه الإخراج



الذي تسهل الاستفادة منه ويتيسر وصوله إلى أيدي الباحثين والمهتمين.

يوصي المشاركون بضرورة الاهتمام بتقديم دراسات عميقة في الاقتصاد الإسلامي الذي أصبح العالم اليوم لا سيما في ظل الأزمة الاقتصادية الدولية في حاجة ملحة إليه.

هنا وفي ختام هذه الندوة والتوصيات التي خرجت بها لا يفوت المشاركون أن يعبروا عن بالغ الشكر ووافر الامتنان لمولانا حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - يحفظه الله - على ما أولوه من حسن الوفادة وجميل الرعاية حفظ الله جلالته راعيا للنهضة وبانيا لدعائم العدل والتنمية سائلين الله العلي القدير أن يمد في عمر جلالته وينعم عليه بالصحة والعافية وأن يكلأه بعنايته ويحوطه برعايته ويحفظه ذخرا لقضايا وطنه وأمته.

كما يسر وزارة الأوقاف والشئون الدينية أن تعرب عن جزيل شكرها وبالغ تقديرها لراعي اختتام هذه الفعالية العلمية المباركة سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام للسلطنة.

كما أننا لا ننسى هذه الكوكبة من العلماء والمفكرين الذين شرفونا بمقدمهم وسعدنا طيلة أيام مضت بصحبتهم فبارك الله جهودهم ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

وليس يفوتنا أن نشكر الحضور الكرام على مشاركتهم سائلين الله تعالى أن تكون الندوة قد حققت أهدافها المأمولة والمرجوة. ووفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح، وإلى لقاء آخر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بين المجلة والقارئ

بقلم الأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

بماذا يتباهون؟!

عندما تخوض دولة حربا ينبغي أن تكون حريصة على توفير كل السبل لتحقيق النصر، ينبغي أن تتكفل كل سبل التأمين والحماية لهذا الجيش بالتدريب والتخطيط الجيد وبث الحماس والثقة في النفوس.

عندما تخوض حربا لابد أن توفر كل سبل التأمين والخدمة لشعبك، فلا يجد الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى والعجزة أنفسهم وقودا للحرب، يجب أن يتمتع هؤلاء الذين خرج أبناؤهم للجهاد بكل سبل الأمن والأمان، فلا يتعرضون فريسة لعدوان أو نقص في الغذاء والأدوية.

وهكذا كانت كل الحروب التي كتب الله للمسلمين فيها النصر في عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم، في غزوة مؤتة التي خرج فيها جيش المسلمين ردا على قيام أمير الغساسنة بقتل رسول رسول الله ﷺ وكان الجيش الذي خرج كافيا لقهره وتأديبه وعقابه، ولكن أمير الغساسنة استصرخ الدولة البيزنطية فضلا عن القبائل المحيطة به فتوفر له عددا هائلا، لم يرهب المسلمون الموقف وقاتلوا بشجاعة هائلة وسقط قادتهم الواحد تلو الآخر: زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة، وجعفر بن أبي طالب، ثم حمل الراية خالد بن الوليد فكان همه الأول هو الحفاظ على الجيش وعدم إفنائه في قتال غير متكافئ وتنظيم انسحاب منظم يحفظ للدولة هيبتها ولا يجعلها بحال من الأحوال مطمعا للعدو، فقام بتبديل مراكز قواته فجعل الميمنة محل الميسرة، والميسرة محل الميمنة وجعل جنود المؤخرة في المقدمة، وجنود المقدمة في المؤخرة ففوجئ العدو بوجوه جديدة في مواجهة فظنوا أنها إمدادات جاءتهم من المدينة فهالهم الأمر خاصة أن قتالهم ضد الفئة المؤمنة القليلة قد أنهكهم الأمرين، فتركوا خالد بن الوليد يناور ويحاور ويسحب بجيشه بكرامة وشرف وأحجموا عن مطاردته وعاد خالد إلى المدينة فلما هم أهلها بمعايرته وجنوده بسبب الانسحاب، قال رسول الله ﷺ: ليسوا الفرار، بل هم الكرار إن شاء الله، وقال

في خالد بن الوليد الذي حفظ للدولة جيشها سلما معافى: خالد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين. لماذا؟ لأنه حافظ على أرواح رجاله وحفظ للدولة هيبتها. الحفاظ على الأرواح وتأمين سبل العيش الكريم كان هدفا رئيسيا من أهداف الدولة الإسلامية في زمن الحروب فلم يحدث أبدا أن تعرض وجود الدولة الإسلامية لخطر الفناء والزوال أو على الأقل الدمار الشامل - على نحو ما تورط فيه الكثيرون - في كل الحملات والجيوش التي وجهها المسلمون لمواجهة أعدائهم.

كان الفاروق عمر يحاسب قادته حسابا عسيرا إذا تولى جندي واحد نتيجة إهمال أو تقصير من قادته. بل كان عمر شديد الحذر في توجيه الجيوش للفتح وكان همه الأول الحفاظ على دولته وعلى أرواح أبنائها وحرصها، من ذلك أنه رضي الله عنه وافق وهو متردد على خطة عمرو بن العاص لفتح مصر، بل شرع في العدول عن فتح مصر من الأساس تقديرا منه لقوة الروم الذين كان من الصعب عليهم القبول بالهزيمة مرتين - مرة في الشام التي سقطت ومرة ثانية في مصر درة تاجهم آنذاك - فأرسل إلى عمرو بن العاص وهو على وشك عبور الحدود المصرية يطلب منه العودة إن كان لم يعبر الحدود. فإن لم يكن فليمض على بركة الله وهو ما حدث بالفعل.

بل رفض الفاروق عمر بن الخطاب أيضا أن يسمح لمعاوية بن أبي سفيان عامله على الشام بأن ينشئ أسطولا حربيا وأن ينقل المواجهة العسكرية مع الروم من البر إلى البحر وذلك لعلمه بتوافر الخبرات الكافية لدى المسلمين في هذا النوع من الحروب فآثر الحفاظ على أرواح جنود المسلمين حتى يتيسر لهم اكتساب الخبرات التي تؤهلهم لركوب البحر.

أما اليوم فباسم الإسلام وباسم الجهاد تورط كثيرون في حروب مدمرة حصدت الكثير والكثير من الأرواح وحدثت خسائر مروعة وأصيبت الأمة بحالة من الذعر والرعب إزاء ما تنقله الفضائيات من أهوال. ترملت النساء وفقد الآباء أبناءهم في حين وقف قادتهم يتحدثون بما حققوه من نصر على العدو!

عن أي نصر يتحدثون؟ لقد حملوا شعوبهم ما لا يطيقون وعجزوا عن توفير الأمن لهم وفشلوا في تحقيق أي نصر. فماذا يتحدثون؟ الخراب والدمار الذي حل برعيتهم بينما كانوا هم وعائلاتهم في مأمن لا تلحق بالسطاء المنكوبين برعامات لم تراع فيهم حق الله ولم تحسن الإعداد والتدبير؟!

القيادة والزعامة ابتلاء من الله. وسيحاسب كل من قصر في حماية أرواح رعاياه. وليتذكر هؤلاء قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يبكي «لو أن بغلة عثرت بشط الفرات لحاسب الله عمر عنها لمَ لم تعبد لها الطريق يا عمر».

أحمد تقي الدين

النظافة .. سلوك إسلامي وحضاري

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ إبراهيم مسلم إبراهيم نحاس مدير عام المعاش - سنفهور - جها - قليوبية: إن من مبادئ وقيم ديننا الحنيف التي تربينا عليها وتربطنا بها في كل أساليب حياتنا (النظافة من الإيمان). ولأن الله جميل يحب كل جميل فقد أمرنا كمسلمين أن نعيش الحياة بكل ألوانها في إطار من الذوق والجمال والعلاقات الطيبة وأن نساير تطوراتها ومتغيراتها في سلوكيات حضارية منظمة ودافعة إلى التقدم لقوله سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

(الرعد: ١١)

ولأن قطار حياتنا يسير بعشوائية طغت على قيمنا وعاداتنا حتى تخطفنا عن ماء حاضرنا وركبنا شعب جمس وكسول بينما العالم من حولنا يطير في سرعة هائلة ومذهلة.

ونحن لا نتساءل في لوم أنفسنا - وقد سئمنا هذا الأسلوب - فالمهم لنا أن نهيب بالمسئولين في الدولة سرعة العمل على تنمية وعي المجتمع لإعلاء سلوكياتنا في التعامل مع النظافة واحترام البيئة في الأحياء الشعبية بالذات؛ لأننا نعاني - وخصوصا من هؤلاء الذين فقدوا الحياء واحترام الحرية بإلقاء القمامة في المنازل وأسطح المنازل والشوارع والحواريات وجوانب الطريق. ولا يحذرون من يتصدى لهم أو من يفض تلك الاشتباكات التي تنشب بين بعضهم البعض بسبب هذه الأخلاقيات والعادات السيئة الرذيلة.

ولأن ديننا هو دين الطهارة والنظافة بكل أنواعها ومجالاتها فقد أمرنا بالاهتمام بها صيانة للبيئة ورعاية للأمن الداخلي للمجتمع وصولا إلى الاستقرار وتحسين العلاقات العامة بين الأفراد. كما يعلمنا هذا الدين الحنيف أن جميع ما في البيئة من حيوان ونبات وجماد إنما هي ميسرات ومسخرات للإنسان تعتبر بمثابة الأمانات التي يجب المحافظة عليها وعدم إهمالها أو إفسادها أو إيذاء الغير بسوء استعمالها. لقول الله تعالى:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(الأعراف: ٥٦)

كما يقول الحبيب المحبوب ﷺ:

(اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل) (رواه ابن ماجه والحاكم)

أما عن النظافة الشخصية فيقول الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم في كتابه (الإسلام نسب) ص ٢٧: (من البديهي أن في الإنسان أمراضا ونجاسات لا يمكن إزالتها إلا بوصايا الإسلام. كما أن في بدن الإنسان عوارض وأمورا موجودة عند الولادة.

وهي تعد نجاسات لابد من إماطتها كلها أو إماطة فضلاتها وذلك مثل (السلى) (وهو الذى يكون فيه الولد) والسرة والقلفة والعقيقة الموجودة في الصبي عند الولادة وكالأظافر وشعر العانة وشعر الإبط.. إلى أن يقول شيخنا رحمه الله. ومتى بقيت نجاسة الإنسان وترايدت صار قلبه مكانا لتنزل الشياطين – وقد نبه إلى أنه لا يصلح لدخول جنته سبحانه من لم تطهر ذاته عن أشياء هي مخلوقة فيه. يقول تعالى:

﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

(آل عمران: ١٧٩)

فحق على الإنسان أن يراعي هذه القوى فيصلحها ويستعملها على الوجه الأكمل)

وعموما.. فلقد دعا الإسلام إلى النظافة وأوجب الوضوء عند كل صلاة.. كما دعانا إلى حسن معاملة البيئة بما فيها من إنسان وحيوان وجماد وأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها لنفسه أو يؤذى غيره بسوء استعمالها.. ومع دعوة ديننا تسير كل الدعوات الحديثة في كل دول العالم.. لذلك نكرر دعوتنا إلى كل المسئولين للقيام بعمل حملات توعية جدية ومركزة بتوظيف كل وسائل الإعلام الحكومية وغير الحكومية بما فيها الجمعيات الأهلية لتوعية المجتمع وتعديل سلوكياته نحو نظافة بلدنا بما يليق حتى نستطيع أن نلحق بركب الحضارة الحديثة.

بدعة اسمها (دار المسنين)

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذة هدى الكاشف: من أهم أسباب عمار الدار الدنيا الترغيب في المقاصد الصالحة وتعاطي الأسباب التي تقتضيها الحكمة الربانية ليعلم المسلم ما له من خير فيرغب فيه وما يسبب له الشر فيتجنبه، ومن ذلك رحمة الله بعباده أن جعل بعد شكره تعالى شكرا للوالدين فقال عز وجل:

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

(لقمان: ١٤)

وقد قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه عقب كل صلاة فقد شكرهما فما بالنا بمن نسي والديه على الإطلاق فتركهما وحيدين فيما يسمى بدار المسنين شاعرا بأنه قام بكل واجباته نحوهما بهذا النبي ينهيه من حياته. فكل ما تدور عليه الدوائر، فكيف يحدث هذا بيننا نحن المسلمين وديننا دين الرحمة ورسوله رحمة مهداة؟! وقد قال ﷺ:

(من لا يرحم لا يُرحم)[1] وقال (لا يدخل الجنة قاطع رحم)[2]، فهذا عين الإفساد في الأرض لأن الفساد لا يقتصر على مجرد فعل الفواحش بمعناها المحدود ولكنه أيضا بهذا الجرم في حق والديه، فيرتكب العاق لوالديه كبيرة من أكبر الكبائر لقوله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا فقال: ألا وقول الزور)[3]، فمن العجب هذا الخلل الرهيب الذي يجتاحنا، والتغريب لشرعنا وقيمنا يهدم صرح الأسرة المسلمة وكسر دعائمها في نفس الوقت الذي نعمل فيه على ترسيخ شرعنا في نفوس أبنائنا فنجد من يعبثون بتلك المعاقل بدعوى التقدم الحضاري ويجاهرون بأفكارهم المسمومة بتقليدهم الأعمى للغرب والذي أكثر ما يميزه الترابط الأسري للمسلمين، ولا أدري ما وجه الاستدلال على شرعية ذلك العمل المشين الذي يتسبب في خسارة الدنيا والآخرة فلقد قدم رسول الله بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله عندما سئل: أي العمل أحب إلى الله –عز وجل–؟

(قال: الصلاة على وقتها قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله)[4]،

كما أن برهما في حد ذاته جهاد، وقد سأل رجل النبي ﷺ فاستأذنه الجهاد فقال: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد)[5]، فتجريدنا من إسلامنا وهويتنا ردة حضارية ليست تقدما ولا علوا، فلا يقول قائل بأن الواقع مرير والحياة صعبة ومن يتواطأ معه في هذا يشاركه الذنب، فالدين يحكم الواقع وليس العكس، ومن فرط حرصه ﷺ على بر الوالدين حرصه على برهما وأقاربهما وأصدقائهما حتى بعد وفاتهما لكي يبسط الله لنا الخير في أرزاقنا ويستجيب دعاءنا، فلعلنا نواجه هذا التيار الجارف لمخاطر العولمة فنفقد القيم الشرعية لأبنائنا فهم الفروع التي يسهل كسرها بتضليلهم بعد محاولة خلع جذور آبائنا من بيوتنا، وليعلم العاقون لآبائهم أن بعض من هم في دور المسنين لا يتقون الله في آبائكم فلا يقدمون لهم الرعاية المستحقة على الرغم من المقابل المادى الكبير أحيانا، والآباء الضعفاء صامتون فلمن الشكوى بعد أن تخلى عنهم أرحامهم، فأرجو زيادة الاهتمام والرقابة ليلا ونهارا من المسئولين عن تلك الدور، وأن تخصص كل أسرة مسلمة من وقتها ولو القليل لزيارة هؤلاء الكرماء فلا نتخلى جميعا عنهم، أكرمنا الله وإياكم.

---

(١) البخاري: كتاب الأدب (٢) مسلم: كتاب البر والصلة (٣) البخاري: كتاب الشهادات
(٤) البخاري: كتاب مواقيت الصلاة (٥) البخاري: كتاب الجهاد والسير.

الصبر دواء وشفاء وضياء

وكتب الأستاذ محمد أحمد الديب عن الصبر دواء وشفاء وضياء.

قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(الزمر: ١٠)

يعني الذين صبروا على الطاعة والعبادة، وصبروا على الابتلاء، وإيذاء الآخرين لهم وصبروا على ترك المعصية، ابتغاء وجه الله وطلبا لرحمته وعفوه ومغفرته، والصبر هو حبس النفس وإخضاعها للعقل والدين، كما قال تعالى:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(الشورى: ٤٣)

وما أحوج كل مسلم أن يتسلح بالصبر في حياته ليحقق ما يرجوه كما قال تعالى:

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾

(البقرة: ٤٥)

وكما أوصانا ربنا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾

(آل عمران: ٢٠٠)

وبالصبر يتغلب الإنسان على كل صعب فيهون ويكون سهلاً بإذن الله كما قال رسولنا ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له». فالمؤمن دائما يرجع الأمور إلى ما قدر الله مع الاستعانة بالصبر، كما قال الرسول: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيرا» وقال الرسول الكريم: «إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب» متفق عليه. ومن أراد الشفاء عليه بالصبر فإنه له دواء وضياء وراحة في الأبدان، وقوة في الأعضاء، كما قال الرسول الكريم: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» يعني عينيه رواه البخاري. فالصبر أساس العبادة وأساس رقي الأمة وسر نهضتها ونجاحها في التصدي، والحافز للإنتاج وترشيد للعمل كما قال الرسول الكريم: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» متفق عليه. فالمسلم لا يجزع لما يصيبه لأن العلاج والدواء بين يديه في الكتاب والسنة كما قال الرسول الكريم: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه. فنرى المشاكل والصراعات تملأ كل مكان وساحات المحاكم بسبب الغضب وعدم ضبط النفس، وسيطرة الشيطان ووسوسته، وتعلق القلب بالدنيا أكثر من اللازم. فالصبر نصف الإيمان، وقوة في الأبدان، وراحة للأذهان وسلاح نقاوم به العدوان، ولو ترك الناس الصبر فلا حول ولا قوة إلا بالله سبحانه، فهو الصبور على معصية عباده لعلهم يتوبون ويرجعون إليه.

عباد الرحمن.. من هم؟

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور: محمد محمود العطار - كفر الشيخ:

الرحمن اسم من أسماء الله الحسنى، وعباده هم أولئك الذين نالوا رضاه تعالى بأعمالهم الصالحة والطيبة. فاستحقوا الإضافة إلى اسم الله تعالى الرحمن. وذلك بما عملوا من الصالحات والطيبات.

وعباد الرحمن قوم يسيرون في سكينة ووقار، ويعرضون عن الصغائر، قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

(الفرقان: ٦٣)

وعباد الرحمن يحرصون دائما على ذكر الله، ويقيمون الصلاة، حبا لله وخشية عذاب جهنم، قال تعالى

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾

(الفرقان: ٦٥، ٦٦)

وعباد الرحمن معتدلون في كل شيء، ويعبدون الله الواحد الأحد الفرد الصمد، ويبتعدون عن الشرك فلا يقتلون نفسا إنسانية بغير حق، ولا يرتكبون جريمة الزنى قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾

(الفرقان: ٦٧، ٦٨)

وعباد الرحمن لا يشهدون الزور، ويكرمون أنفسهم فيبتعدون عن اللغو، ويفهمون معاني آيات الله العزيز الرحيم قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾

(الفرقان: ٧٢، ٧٣)

وهؤلاء العباد الصالحون عباد الرحمن تجدهم يتمسكون ويتحلون بقيم إسلامية خالدة، فما أروع هذه القيم والسلوكيات التي إذا تحلى بها الناس في أي زمان ومكان، لأصبحت الحياة في ظلها إنسانية سامية وصافية بعيدة عن الأحقاد والصراعات، فهي قيم يسعد بها الإنسان وتعز بها الأوطان فيجب علينا التمسك بها في زمننا هذا حتى نكون خير أمة، قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)



﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(الإسراء: ٢٣)

بر الوالدين عبادة دينية وضرورة اجتماعية

بقلم / المنسى محمود حسين محمود عسل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ[1].

إن المنهج الإسلامي قرآنا كان أو سنة يبين لنا من خلال توجيهاته ووصاياه أن مراعاة حقوق الآخرين ثمرة من ثمرات التقوى، ومظهر من مظاهر حسن الأخلاق. وأهم هذه الحقوق التي يجب أن نربي أبناءنا عليها حتى إذا ما كبروا قاموا بأدائها في تواضع ومن غير تكلف (بر الوالدين)

فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ رغم أنفه ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ولم يدخل الجنة».

[1] رواه البخاري

في هذا الحديث بيان واضح وتوجيه وإرشاد لكل ابن وبنت فيما يتعين عليه من طاعة وبر وإحسان نحو أبويه لا سيما عند الكبر تلك هي سن الضعف والعجز والاحتياج إلى المعونة والإحسان من الأبناء وأن من لم يقم بذلك كما أمر الله ورسوله أذله الله وألصق أنفه في التراب وحرمه دخول جنته.

أكرم والديك تدخل الجنة

إننا نجد شبابا من الجنسين ذكورا كانوا أو إناثا ينسون آباءهم وأمهاتهم ويقصرون في حقوقهم لا سيما في سن الشيخوخة والضعف. فعندما يبلغ الأب والأم هذه السن لا يجدون من أبنائهم صنعة الصدر ولا البيت الذي يؤويهم وإذا وجدوه فمع ضيق وتبرم حيث إن ملاجئ العجزة أو بيوت المسنين هي مآلهم، ينقلون إليها حيث لا يخرجون منها إلا إلى القبور. ما الذي حدث؟!

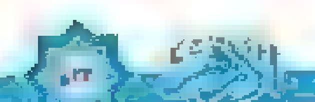
إن الوالدين في حياتنا نعمة، فالواحد منا يخرج إلى عمله وهو مطمئن إلى أن والديه قد دعوا له، وإذا عاد إلى بيته كان السؤال عن أبيه وأمه هو أول ما يعنيه ثم بعد ذلك يذهب إلى بيته وأولاده، لقد تغيرت أحوالنا وأوضاعنا لكن إلى أسوأ والقرآن الكريم يرشدنا إلى بر الوالدين والإحسان إليهما حيث قرن بين ذلك وعبادته وتوحيده في أكثر من آية قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(النساء: ٣٦)

والسر في هذا العطف أن نعماء الوالدين تنهمر على ولدهما في مراحل ضعف الإدراك وقلة الوعي سواء كان طفلا أو صبيا أو مراهقا، حتى إن الولد في هذه المراحل الثلاث من حياته يحسب أن ما يقدمه أبواه إليه شيء لازم وليس لهما بعد ذلك حقوق عنده. فنجد الولد العاق يقول لأبيه: «أنت لست صاحب فضل عليّ وأن ما قدمته لي شيء واجب عليك» وآخر يقول لأبيه الذي لا يستطيع أن يؤدي مطالبه التي كثرت: «لماذا أنجبتمونا مادمتم لا تستطيعون قضاء حوائجنا».

كذلك كما يصنع الإنسان العاق لربه سبحانه فإنه يحسب أن طعامه وشرابه وكساءه وكل ما يقيم عافيته شيء لازم على الله ومن ثم فقلما يحس بشكر الله العميق على ما أعطاه من نعم وما أولاه من فضل.



فضل بر الوالدين

وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يلفت أنظار الأبناء إلى فضل الوالدين فقد تعبا كثيرا في تربيتهم وتحملا كثيرا في سبيل راحتهم، وفي الوقت نفسه يلفت الأنظار إلى حقه الأكبر وامتنانه الأعظم فهو سبحانه خالق الوالد وما ولد، والكون وما حوى.

قال تعالى:

[illegible]

(الإسراء: ٢٣)

فهل يكون الجزاء من الولد بعد قوته واستغنائه وضعف الأبوين واحتياجهما أن يذهب الولد إلى بيت يروى فيه من اللذة والمتعة ويترك أبويه في ملاجئ أو في غيرها يخيم عليهما العزلة وتفر الفتاة؟

عن جابر بن عبدالله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبي أخذ مالي، فقال رسول الله ﷺ للرجل:

«اذهب فأتني بأبيك، فنزل جبريل على النبي ﷺ فقال:

«إن الله يقرئك السلام، ويقول: إذا جاءك الشيخ، فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ:

«مازال ابنك يشكوك أنك تأخذ ماله» قال: سله يا رسول الله، هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي؟ فقال النبي ﷺ: «إيه، دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك، ما سمعته أذناك» قال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا، قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذناي قال: «قل وأنا أسمع» قال: قلت:

غذوتك مولودا ومنتك يافعا

تعل بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت

لسقمك إلا ساهراً أتململ

تخاف الردى نفسي عليك وإنها

لتعلم أن الموت وقت مؤجل

كأني أنا المطروق دونك بالذي

طرقت به دوني فعيناي تهمل

فلما بلغت السن والغاية التي

إليها مدى ما فيك كنت أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة

كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي

فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال: فعند ذلك أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه، وقال: «أنت ومالك لأبيك»[1].

إن الشقي المحروم من يعق والديه. فلماذا لا تكون مظلة الوفاء والتراحم مخيمة علينا مؤدين تحتها حق الله وحق الوالدين؟

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»[2].

وفي رواية أن جاهمة – رضي الله عنه – جاء إلى النبي ﷺ يستشير الرسول ﷺ في الغزو فقال له: هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: «فالزمها فإن الجنة عند رجليها»[3].

وكما جاء: «الجنة تحت أقدام الأمهات»[4].

وبالوالدين إحسانا وخاصة الأم

إن للأم منزلة كبيرة في الإسلام فقد أعلى من شأنها وحافظ على طهرها وشرفها وعفافها، فالأم لها باع طويل في بناء المجتمع وإقامته على دعائم قوية وأسس متينة. فالأم عندما ترعى أولادها وتتولاهم بالتربية الصحيحة وتنشئهم على الصفات والأخلاق الحميدة، فإن ذلك سيكون له أثره الكبير في إقامة مجتمع فاضل متماسك يصعب التغلب عليه. فالأم تتعب من أجل راحة أبنائها وتشقى في سبيل سعادتهم ويكفيها ما تعانيه في مدة الحمل والولادة والرضاع، ولهذا فقد كرم القرآن الكريم الأم وخصها بالذكر في أكثر من آية وأمر بالإحسان إليها والطاعة لها والحرص على إرضائها، فإذا كان الإحسان والطاعة والتكريم للوالدين معا أمرا واجبا فإن طاعة الأم أمر أوجب، وإن بر الأم مقدم على بر الأب. فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟

---

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، والطالب... [illegible]
(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.
(٣) السنن الكبرى البيهقي.
(٤) كنز العمال.

قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك»[6].

في كتاب الله قوله تعالى:

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ﴾

(لقمان: ١٤)

بر الوالدين بعد موتهما

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له[7].

فالوالدان ينبغي أن نبرهما حتى بعد الموت. فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هل بقي عليّ من بر والديّ شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال: نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعد وفاتهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما[8].

وفي الصحيحين أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت عليّ أمي وهي مشركة فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قدمت عليّ أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك، فأنزل الله:

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾

(الممتحنة: ٨)

أمور ليست من البر

البيوت لا تقوم وتصلح ويسودها البشر والتواصل إلا بتقوى الله وحسن الخلق ولابد من هنات تقع وأخطاء ترتكب. والتغلب على الأزمات العارضة يحتاج إلى لباقة وذكاء ... وذلك سر ما روى عن مالك ابن أنس أن رجلا جاء شاكيا يقول أمرني أبي، ونهتني أمي، فما أفعل؟ قال له: أطع أباك ولا تعص أمك...!

وذهب أب غاضب إلى أحد الأئمة يقول له: مر ابني فليطلق امرأته! قال له الإمام: لماذا؟ قال: أكرهها. قال الإمام: كراهيتك لها لا تبيح طلاقها! فقال الرجل: ألم يأمر الرسول عبد الله بن عمر أن يطلق امرأته لأن أباه يكرهها؟ فقال الإمام: عندما تكون في دين عمر الإمام وتقواه وعدالته أكلف ابنك بما تريد!

وهناك أمور ليست من البر في شيء عندما تريد الحماة أن تبسط سلطانها على الزوج وزوجه والزوجة التي تريد أن تستأثر بزوجها على أمه وأبيه

خاتمة البحث

ومما يجب أن نفهمه أن الإحسان بالوالدين الذي أمرنا به في دين الفطرة هو أن نكون في غاية الأدب مع الوالدين في القول والعمل بحسب العرف حتى يكونا مغبوطين بنا وأن نكفيهما أمر ما يحتاجان إليه من الأمور المشروعة المعروفة بحسب استطاعتنا ولا يدخل في البر والإحسان شيء من سلب حريتنا واستقلالنا في شئوننا الشخصية والمنزلية ولا في أعمالنا التي هي خاصة بنا.

وأخيرا إذا أردت أن تكون بارا فعليك...

١- أن تطيع والديك في كل الأمور إلا معصية الله.

٢- أن تقبل يديهما صباحا ومساء وفي المناسبات

٣- أن تخاطبهما بلطف وأدب.

٤- أن تطيعهم ما يطلبان.

٥- أن تشاورهم في الأمور كلها.

٦- أن تكثر من الدعاء والاستغفار لهما.

٧- عدم الخروج من المنزل إلا بإذنهما.

٨- عدم إزعاجهما أثناء نومهما.

٩- عدم الضحك أمامهما بدون سبب.

١٠- عدم تناول الطعام قبلهما.

١١- عدم مصاحبة إنسان لا يرضيان عنه

١٢- التواضع لهما.

١٣- الإنفاق عليهما خاصة عند الكبر.

١٤- عدم رفع الصوت أمامهما.

١٥- عدم مقاطعتهما في الكلام.

١٦- أن تنهض لهما إذا دخلا عليك.

١٧- تقديمهما في الدخول والمشي والجلوس.

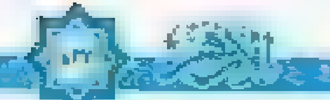
١٨- عدم تفضيل الزوجة والولد عليهما.

إن وسائل الحضارة الحديثة قد استهدفت حياتنا الاجتماعية وقد وصلت إلى حد بعيد إلى تدمير العلاقات الأسرية وتقطيع ما أمر الله به أن يوصل، فعلينا أن نحرص كل الحرص على الإحسان إلى الوالدين وأن نرحم شيخوختهما.

أهم المراجع

- القرآن الكريم.
- الأدب المفرد، للإمام البخاري
- بر الوالدين، لأحمد عيسى عاشور
- تربية الأولاد في الإسلام، لعبد الله ناصح علوان جـ ١
- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، لفضيلة الشيخ محمد الغزالي

(٦) رواه البخاري ومسلم. (٧) رواه مسلم وأبو داود.
(٨) رواه الطبراني في المعجم الأوسط.





للأستاذين: محمود القشتى - أحمد رضوان

توسعة المركز الإسلامى فى فيينا

أعلنت السلطات المحلية بالعاصمة النمساوية فيينا عن موافقتها النهائية على خطط توسعة المركز الإسلامى بمنطقة الحى العشرين بالمدينة، وذلك بعد تعثر البدء فى عملية البناء بسبب اعتراض سكان المنطقة على خطط التوسعة بحجة الإزعاج بسبب زوار المركز وعدم وجود أماكن انتظار كافية فى المنطقة للسيارات.

لجنة دائمة لحقوق الإنسان بمنظمة المؤتمر الإسلامى

أكد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو أن حقوق الإنسان وكرامته جزء أصيل من العقيدة الإسلامية وأحد مكونات الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامى، مشيراً إلى أن تعاظم الاهتمام الدولى بحقوق الإنسان فى العقدين الماضيين وتشعب مجالات هذه الحقوق أديا إلى حتمية تطوير ما جاء فى إعلان القاهرة لحقوق الإنسان لعام ١٩٩٠ بما ينسجم مع الخطاب العالمى الراهن وبما يفتح آفاقاً جديدة لمجال حقوق الإنسان فى العالم الإسلامى، جاء ذلك خلال الاجتماع الذى عقده فريق الخبراء الحكوميين المعنى بتأسيس اللجنة الدائمة المستقلة لحقوق الإنسان برئاسة الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو بمقر الأمانة فى جدة لبحث وثيقة أعدتها الأمانة العامة للمنظمة تتضمن تصوراً مبدئياً لهذه اللجنة وذلك بعد دراسة مستفيضة واتصالات مع الهيئات الدولية المعنية بهذا الشأن.

وتتضمن الوثيقة عرضاً شاملاً لمكونات هذه اللجنة ووصفاً لطبيعتها وتسميتها ومبادئها وأهدافها ووظائفها وأعضائها وخبراتها وتوصياتها وتصنيفها القانونى.

الأمم المتحدة تعترف: الأوضاع الإنسانية فى غزة مدمرة

دعت الأمم المتحدة إسرائيل إلى ضرورة الاستجابة للدعوات المتكررة لفتح جميع المعابر المؤدية إلى قطاع غزة باعتبارها القضية الأولى والثانية والثالثة التى يجب العمل على حلها فى الوقت الحالى.. واصفة الظروف الحالية لسكان غزة بأنها أصبحت مدمرة وقال جون جينج المسئول عن وكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للأمم المتحدة «الأونروا» فى قطاع غزة: إن الصواريخ الفلسطينية لا تسقط طوال الوقت على إسرائيل ويجب فتح المعابر فى فترات التهدئة على الأقل.

منتدى قضايا الوقف الفقهية بالمغرب يدعو لإحياء وتفعيل مؤسسة الوقف

دعا منتدى قضايا الوقف الفقهية الذى نظمته وزارة الأوقاف المغربية بالتعاون مع وزارة الأوقاف الكويتية والبنك الإسلامى للتنمية فى ختام أعمال دورته الرابعة بالعاصمة المغربية الرباط إلى إحياء وتفعيل مؤسسة الوقف ودعم المشروعات الاجتماعية والتنموية والعلمية استلهاما من الدور العظيم الذى قدمته هذه المؤسسة والتى قدمها الإسلام للأمة الإسلامية كما دعا المنتدى إلى العمل على إحياء الاجتهاد والبحث فى قضايا الأوقاف وإيجاد الحلول للمشكلات المعاصرة وتأصيل النظريات العامة لفقه الوقف والمساهمة فى إحياء سنة الوقف والتعريف به.

كما ناقش المشاركون فى المنتدى عدة محاور منها ضوابط دعم الوقف للموازنة العامة للدولة والاستبدال فى الوقف وأحكام أموال البدل وضوابط صرف ريع الأوقاف الخيرية وقواعد ترتيب أولويات الصرف إضافة إلى بحث عرض حول مشروع مدونة أحكام الوقف.

أسبانيا تحيى الذكرى السنوية لطرد المسلمين

أحيت أسبانيا الذكرى السنوية الـ ٤٠٠ لطرد نحو ٣٠٠ ألف من الموريسكون «مسلمو أسبانيا فى العصور الوسطى الذين أجبروا على اعتناق المسيحية» فيما يوصف بأنه سابقة مبكرة لعمليات التطهير العرقى الأوربية.

وأقيمت الاحتفالات فى أعقاب اجتماع عقد فى اسطنبول لمشروع تحالف الحضارات التابع للأمم المتحدة وهو من بنات أفكار رئيسى وزراء تركيا وأسبانيا رجب طيب أردوغان وخوسيه لويس رودريجيث ثاباتيرو.. وعبر المشاركون عن الأسف لطرد الموريسكون تماشياً مع مشروع تحالف الحضارات الذى يسعى لتعميق التفاهم بين الغرب والعالم الإسلامى.

المسلمون عنصر إيجابي في جيش بريطانيا

وصف وزير الدفاع البريطاني بوب إينسورث المسلمين الموجودين ضمن قوات الجيش بأنهم جزء إيجابي ولا يعدون أعداء بأي حال من الأحوال داعيا لمزيد من المسلمين للإقبال على التطوع في الجيش البريطاني. وقال إينسورث في كلمة أدلى بها لمؤتمر القوات المسلحة المسلمة أن ثمة عدوا داخل البلاد بيد أنه ليس الأقلية المسلمة، ولكن التطرف بصفة عامة مهما كان شكله أو خلفياته، وذلك في إشارة إلى الاتهامات التي تلاحق مسلمي بريطانيا في السنوات الأخيرة وتتهمهم بالتطرف والعدوانية والإرهاب.

وشدد الوزير البريطاني على أن القوات المسلمة جزء إيجابي من المجتمع البريطاني ومن المهم أن تعكس القوات العسكرية التنوع الكبير لعناصر المجتمع معربا عن اعتقاده بأنه ليس هناك تضارب بين كون الفرد مسلما وبين خدمته في القوات المسلحة البريطانية.

يذكر أن هناك ٣٩٠ مسلما يخدمون ضمن مختلف أركان القوات المسلحة البريطانية وقد تم تعيين أول ملحق ديني مسلم في الجيش البريطاني عام ٢٠٠١م.

تحذيرات من مشروع إسرائيلي جديد لهدم ١٧٠٠ بيت بالقدس

حذر الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في أراضي ٤٨ من مخطط إسرائيلي لهدم وإخلاء أكثر من ١٧٠٠ منزل في مدينة القدس خلال العام الحالي، مشيراً إلى أن المعلومات التي توافرت تشير لنية سلطات الاحتلال تنفيذ هذا المخطط، ما يعني تشريد أكثر من ١٧ ألف مواطن مقدسي من مدينتهم - ووصف الشيخ صلاح ما تمر به مدينة القدس في هذه المرحلة بأنه أخطر مرحلة تواجهها منذ احتلال المدينة عام ١٩٦٧م موجها نداء لشعوب وقادة الأمتين العربية والإسلامية لتحمل المسئوليات لإنقاذ المدينة مما تتعرض له من مخاطر التهويد.

وحذر الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية وخطيب المسجد الأقصى المبارك من الهجمة الشرسة على منازل المواطنين الفلسطينيين في القدس، والتي كان آخرها مخطط جماعات متطرفة للاستيلاء على سبعين عقاراً بحي البستان في سلوان، مناشدا المواطنين بضرورة التوحد، والوقوف جنبا إلى جنب، للتصدي لهذه الهجمة ضد الفلسطينيين ومقدساتهم. كما وصف محمد جاد الله من «الائتلاف الأهلي من أجل القدس» القرارات الإسرائيلية الأخيرة بأنها غير قانونية وغير معترف بها، ولا يعترف المقدسيون بالقضاء الإسرائيلي ولا بقراراته، ودعا قناصل الولايات المتحدة وأوروبا إلى تحمل مسئولياتهم تجاه ما يجري في القدس والضغط على حكوماتهم لوقف عمليات الهدم والاستيلاء على منازل المقدسيين.

داعية سعودي يطالب بإنشاء قناة عبرية لتفنيد أكاذيب إسرائيل

طالب الداعية السعودي الدكتور سليمان العودة نائب رئيس منظمة النصرة العالمية إلى إنشاء قناة ناطقة باللغة العبرية موجهة للشعب الإسرائيلي.

وأوضح أن هذه القناة تكون وظيفتها التعريف بالحقائق وفضح الممارسات العدوانية وكشف الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية كما سماها المفكر الفرنسي روجيه جارودي، وأشار إلى أن إسرائيل أنشأت قنوات باللغة العربية لتخاطب بها شعوبنا مثل قناة الشرق الأوسط التي يديرها اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل من مصر والدول العربية الأخرى.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي تكفل ألف طالب فلسطيني

قررت الندوة العالمية للشباب الإسلامي بمنطقة مكة المكرمة كفالة ألف طالب جامعي فلسطيني، يدرسون بالجامعة الإسلامية بغزة، حيث تبلغ كفالة الطالب الواحد ألف دولار أمريكي.

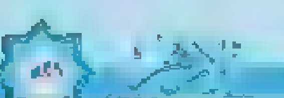
وقال الدكتور محمد بن سعيد دماس الغامدي رئيس اللجنة الطارئة لإغاثة غزة بالندوة أن هؤلاء الطلبة يدرسون في تخصصات مختلفة أبرزها الهندسة والطب وعلوم الحاسب الآلي وإدارة الأعمال والتربية والعلوم.

اجتماع وزاري عربي لمواجهة إجراءات تهويد القدس

طلبت السلطة الوطنية الفلسطينية عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب لبحث الإجراءات الإسرائيلية الأخيرة لتهويد القدس.

قال عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية، أن هناك احتمالا قويا لعقد اجتماع لمجلس الجامعة في الفترة المقبلة لبحث الوضع في غزة ونتائج لجان التحقيق في جرائم إسرائيل ضد قطاع غزة، كما أوضح أن لجنة القدس التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ستعقد خلال الأيام القادمة بالمغرب لبحث الوضع بالقدس.

أكد موسى أن الهدف من اجتماع عمان لم يكن إرسال رسالة للإدارة الأمريكية وإنما صياغة موقف عربي من عملية السلام في ضوء تناقص فرص السلام والعراقيل التي تضعها إسرائيل، مشيراً إلى أن العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني سيعبر عن الموقف العربي من عملية السلام في زيارته القادمة لواشنطن



أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذين : عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

مجلس مجمع البحوث الإسلامية يقرر عدم الموافقة على مقترح بمشروع قانون الزكاة

ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية الكتاب الوارد إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من الأستاذ الدكتور/ أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب بخصوص الاقتراح المقدم من عضو مجلس الشعب علم الدين السخاوي عن إصدار قانون حول الزكاة، حيث قرر المجلس:

الموافقة على ما ورد بالمذكرة من عدم الموافقة على مشروع الزكاة بعد دراسته دراسة متأنية، حيث سبق أن أصدر مجمع البحوث الإسلامية في جلسته الخامسة في دورته الثامنة والثلاثين بتاريخ ٥ يناير ٢٠٠٢م ما نصه:

قرر مجمع البحوث الإسلامية عدم الموافقة على مقترح بمشروع قانون الزكاة لأسباب من أهمها:

١ - إن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة وما كان ركناً من أركان الإسلام الخمسة لا يصح أن تتدخل القوانين بشأنه.

٢ - كل مسلم وجبت عليه الزكاة بتوافر شروطها إن تركها جحوداً بها فهو خارج عن الإسلام، أما إن تركها تهاوناً وكسلاً فهو عاصٍ تدعوه إلى الالتزام بأدائها ونرجو له التوبة

٣ - لا يستطيع أحد أن يجبر أحداً تجب عليه الزكاة أن يلزمه بدفعها إلى جهة معينة، وإنما هو يدفع الزكاة لمن يراه أهلاً لها.

أما مشروع القانون المقدم لمجلس الشعب من العضو علم الدين السخاوي فيرى المجلس - بعد دراسته - أنه يحتوي على إجراءات توقع الناس في حرج شديد والحرج الشديد يرفع عن الأمة الإسلامية ومن هذه الإجراءات:

١ - تقديم إقرار سنوي عن دخله والزكاة الواجبة عليه

٢ - أن يتخذ صاحب الزكاة دفاتر معتمدة يراجعها محاسب قانوني.

٣ - أن للعاملين في المشروع حق الضبطية القضائية

٤ - أن يصرف على العاملين من أموال الزكاة ١٢,٥٪ من الإيراد.

٥ - أن تتولى وزارة المالية القيام بهذا المشروع (ويبدو أنه لم ير ما يعانيه دافع الضرائب من بعض أفراد العاملين فيها).

٦ - تقديم مستندات تدل على صحة ما قدمه في إقراره

٧ - يتم إجراء بحث اجتماعي لمن يعطي الزكاة (ونحن نعلم ماذا يتم في هذه الأبحاث).

يعاقب كل من قام بتقديم بيانات غير صحيحة في إقراره وكل من امتنع عن تقديم الدفاتر والأوراق والمستندات أو أتلفها

وبالنسبة لمذكرة لجنة البحوث الفقهية بجلستها التاسعة في دورتها الخامسة والأربعين بتاريخ ٤/٣/٢٠٠٩م بشأن: «الكتاب الوارد إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق - وزير الأوقاف - حول انضمام مصر إلى الهيئة العالمية للزكاة».

قرر المجلس: عدم الموافقة من الناحية الفقهية على الانضمام لهذه الهيئة وذلك لأسباب من أهمها:

١ - لا يستطيع أحد أن يجبر أحداً تجب عليه الزكاة أن يلزمه بدفعها إلى جهة معينة، وإنما هو يدفع الزكاة لمن يراه أهلاً لها.

٢ - الأحاديث الصحيحة وردت بأن على كل دولة أو مدينة أو قرية أن تخرج الزكاة لأهلها. ومن الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذلك أن الرسول ﷺ قد قال لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين أرسله والياً على اليمن في السنة العاشرة من الهجرة قبل حجة الوداع: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب». رواه الخمسة.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل وزير شئون الديانات بولاية صكتو النيجيرية



التقى فضيلة الشيخ/ على عبدالباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه بالسيد/ موسى غرب ميتفير وزير شئون الديانات والتبرعات بولاية صكتو النيجيرية يرافقه السيد عمر الفاروق رئيس مجلس العلماء بالولاية.

تركز الحوار حول دور الأزهر الشريف التعليمى والدعوى فى مختلف دول العالم. وفى معرض حديثه عن دور الأزهر فى دعم الطلاب النيجيريين أشاد الوزير بالدور الحيوى والهام الذى يقوم به الأزهر فى كل دول أفريقيا والتى تدين بالولاء له لما قدمه على طول عمره المديد. وأضاف الوزير أن أفريقيا بالعموم ونيجيريا بالخصوص تدين للأزهر بالكثير وبالولاء لتاريخ الدور العلمى فى القارة بأسرها.

وأضاف الوزير أنه وعلى الرغم من الدور الكبير للأزهر والاهتمام بدولة نيجيريا بتخصيص ٧٠ منحة دراسية لطلابها، إلا أنه يطمع فى المزيد وذلك نظرا للمكانة السامقة للأزهر فى نفوس النيجيريين الذين ينظرون إلى الأزهر على أنه كعبة العلم الأولى فى العالم.

وبدوره أكد الشيخ على عبدالباقى الأمين العام على أن ما قاله الوزير بأنه واجب على الأزهر تجاه أبناء أفريقيا التى يربطها معنا مصير واحد. وأضاف الأمين العام أنه وعلى الرغم من الظروف الاقتصادية التى ألمت بالاقتصاد العالمى و الاقتصاد المصرى لا تمنع الأزهر الشريف أن يدخر أى جهد فى دعم أى منطقة فى العالم يحتاج منا المدرسين أو استقدام طلابه وذلك تأسيسا على المكانة والأمانة التى استخلف الله الأزهر عليها وهى الدعوة إلى الله بالوسطية والاعتدال.

حضر اللقاء الأستاذ/ إسماعيل أحمد أبو الهيثم مدير المركز الصحفى بمكتب فضيلة الأمين العام.

كــذب وافـــتـراء

تحت عنوان «الفضيانية تخترق الأزهر» نشرت جريدة الأسبوع تحت هذا العنوان الذى به اتهام صريح للأزهر وإدارة البحوث والتأليف والترجمة بمساعدة فرقة ضالة على نشر مبادئها الهدامة فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠/٣/٢٠٠٩م والعدد الصادر فى ١٠/٤/٢٠٠٩ قد أعلن المفتى عن قبل تكفير مؤسس هذه الفرقة.

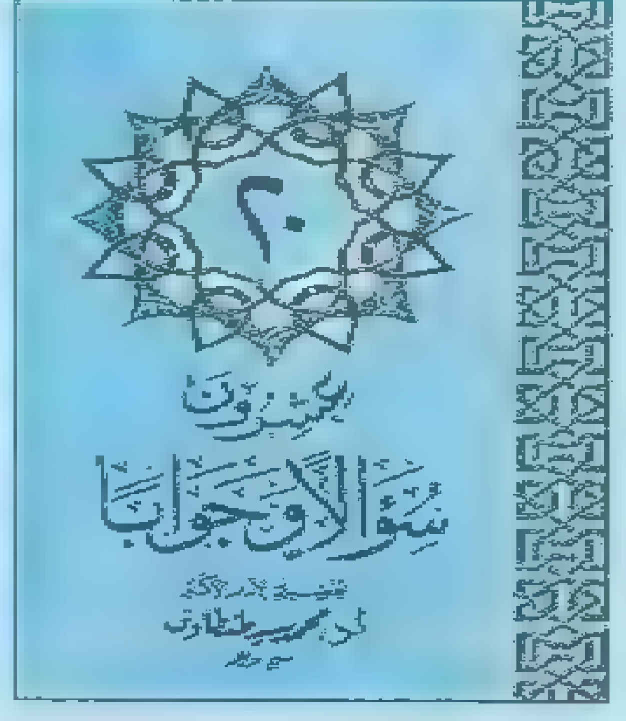
أولا: الكتاب الذى يتحدث عنه الأستاذ الصحفى هو «تعليم الخلافة الموحى بها إلى النبى ﷺ» قد ورد إلى الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة عام ٢٠٠٣م وتمت إحالته للفحص للأستاذ الدكتور/ محمد حسن ... وهو أستاذ متخصص فى تحت التصنيف بجامعة الأزهر الشريف وبعد فحصه من قبل الدكتور الفاحص جاء فى تقريره بالموافقة على ما جاء بالكتاب من معلومات وأفكار لا تتعارض مع أصول الدين ولا تروج لفكر دون الآخر ولا تعارض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولا يوجد أى شىء أو فكر من قريب أو بعيد يحرمه الجهاد كما ذكر الصحفى فى صحيفته.

وبما أن الفاحص أستاذ فاضل ومحايد يحكم على معلومات الكتاب طبقا للمقاييس الشرعية والتى تحكم العمل فى الطابع الدينى، لذلك فقد أجازت الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة - فى ١١/٨/٢٠٠٣م الكتاب مع العلم بأنا فى عام ٢٠٠٩م فأين كان الصحفى الفاضل كل تلك الفترة ومن أين جاء بتلك المعلومات التى نشرها.

ثانيا: لا معلوم من أين جاء الأستاذ الصحفى بالحديث على لسان فضيلة الشيخ/ ماهر الحداد. مجرد تصحيح بسيط، فضيلة الشيخ/ ماهر الحداد كان يتبوأ منصب مدير عام إدارة شئون مجلس المجمع ولجانه ولا علاقة له بإدارة البحوث والتأليف والترجمة كما أن فضيلة الشيخ/ ماهر الحداد قد توفى فى ٩/١١/٢٠٠٨ ويبدو أن الصحفى الفاضل قد أجرى معه الحديث بالمقابر بعد وفاته.

هذا إن دل على شىء فإنما يدل على كذب وافتراء هذا الصحفى وعدم مصداقيته.

من إصدارات مجمع البحوث الإسلامية



أصدرت سلسلة مجمع البحوث الإسلامية الطبعة الثانية من كتاب [عشرون سؤالا وجوابا] لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقد ذكر فضيلته في المقدمة أن الكتاب مجموعة من الأسئلة والأجوبة عن المعاملات في الشريعة الإسلامية بصفة عامة وعن معاملات البنوك بصفة خاصة. قصد من ورائها توضيح ما التبس في أذهان بعض الناس، والكشف عما اشتملت عليه شريعة الإسلام من إحقاق للحق وإبطال للباطل، ومن عدل مع العدو ومع الصديق، ومن قيام معاملاتها على مكارم الأخلاق (الحق ـ العدل ـ الصدق) ومن نبذها ما تأباه من غش وكذب واستغلال واحتكار وربا إلى غير ذلك.

والكتاب يقع في ٩٤ صفحة تشتمل على عشرين سؤالا والإجابة عنها بما أفاض الله عليه من إزالة ما علق بذهن الناس فيما استحدثه العصر الحديث من إنشاء بنوك يتم التعامل من خلالها لتيسير التبادل التجاري داخل البلد الواحد أو بربطه مع الدول الخارجية، وقد بين فضيلته المعاملات التي شرعها الله ـ تعالى ـ للناس لتبادل المنافع فيما بينهم والضوابط التي جاءت بها شريعة الإسلام لتنظيم المعاملات بين الناس. تعريف الربا والمنهج الذي سلكته شريعة الإسلام في تحريمه والحكمة من تحريمه. شرحه معاني: القروض ـ الديون ـ الودائع ـ الاستثمار والفرق بينها ثم أفاض في الإجابة لأكثر من خمسة أسئلة عن البنوك ومعاملاتها، وفي الثلاثة أسئلة الأخيرة أجاب فضيلته عما دارت عليه هذه الأسئلة بما قامت به دار الإفتاء المصرية بالإجابة عن كل سؤال طرح عليها وما تضمنته هذه الإجابة الناتجة عن الدراسة المستفيضة لهذه الموضوعات، ورد فضيلة الإمام الأكبر على الشبهات التي أثارها المعترضون على فتاوى دار الإفتاء المصرية بشأن معاملات البنوك، موضحا فضيلته بأن ما أصدرته دار الإفتاء المصرية بشأن بعض المعاملات للبنوك خاص بظروف مصر وبأحوال مجتمعها، وعلى علماء ومفتي كل بلد أن يقدروا أحوال بلادهم، وعلى حسب مذهبهم وفقههم وفهمهم لظروف بلدهم وما يصدره المفتي في الأمور الاجتهادية الفرعية.

وأخيراً فالكتاب مفيد لكل من يطلع عليه ليتبين ما غمض عليه من المعاملات المالية التي تتوقف عليها معايشه وتتوفر بها مصالحه وما تدعو إليه حاجته وفق ما شرعه الله وما أمر به نبيه

فتح باب القبول للطلاب الوافدين

صرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير إدارة الوافدين بمجمع البحوث الإسلامية أنه تقرر فتح باب قبول الأوراق للطلاب الوافدين الراغبين في الحصول على الثانوية الأزهرية من الخارج طبقاً للشروط الآتية:

١ـ معادلة المؤهل الدراسي الحاصل عليه كل طالب على أصل الشهادة بمعرفة الإدارة العامة للطلاب الوافدين

٢ـ موافقة السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على دخول الامتحان في حالة عدم معادلة المؤهل الحاصل عليه كل منهم.

٣ـ أن يقدم كل طالب ما يفيد عدم قيده بجامعة الأزهر أو فصله منها ويتم هذا عن طريق الإدارة العامة للطلاب الوافدين وترسل للإدارة العامة للامتحان لاتخاذ ما يلزم بشأن التقدم للامتحان من الخارج

مهدي شلتوت يزور مركز الشيخ جمعة الماجد للثقافة والتراث

بناء على دعوة من الشيخ جمعة الماجد قام السيد الأستاذ/ مهدي هادي شلتوت ـ رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر بزيارة مركز الشيخ جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي وذلك لتقييم ما تم إنجازه خلال تنفيذ المرحلة الأولى من بروتوكول التعاون الموقع بين الأزهر الشريف ومركز جمعة الماجد وبحث تذليل أي عقبات ومناقشة آفاق التعاون المستقبلي.

نشاط مكثف بقاعة مؤتمرات الأزهر

شهدت قاعة مؤتمرات الأزهر الشريف بمجمع البحوث الإسلامية نشاطا مكثفا تمثل في عقد عدة مؤتمرات كبرى وكان آخرها تكريم المتفوقين من حفظة القرآن الكريم بمعهد طلائع الأزهر النموذجي والمؤتمر الدولي التاسع عشر بكلية طب الأزهر، وحفل تخرج طلاب طب عين شمس والعديد من الملتقيات العلمية والثقافية. صرح بذلك الأستاذ/ محمد مبروك مدير الشئون الإدارية بمجمع البحوث الإسلامية.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ / أحمد توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس قبرص

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم الثلاثاء ٧ / ٤ / ٢٠٠٩م فخامة الرئيس ديمتريس كريستوفياس رئيس قبرص والوفد المرافق لسيادته يرافقه السيد المهندس/ سامح فهمى وزير البترول.

وفي بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق لسيادته في الأزهر الشريف. وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً عن الدراسة في الأزهر الشريف مؤكداً على أن الدراسة في الأزهر تقوم على أصول ثابتة تؤكد أن الناس جميعاً إخوة في الإنسانية وكلهم من أب واحد وأم واحدة ولكل إنسان عقيدته وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون. كما أننا لا نؤمن بتصادم الحضارات ولكن نؤمن بتعاون الحضارات الذي يعود على المجتمع الإنساني بالخير وخاصة أن العالم اليوم أصبح كقرية واحدة بفضل تطور التكنولوجيا الحديثة. ومصر بطبيعتها تؤمن بنشر الأمان والسلام والرخاء بين أفراد الأمة مشيراً إلى أن العاقلة دائماً لمن يدعو إلى الأمان والسلام والأخوة الإنسانية وتبادل المنافع بين الناس. ودائماً نقول إن العقلاء يجعلون بعضهم من بعض، وإن حوارهم دائماً يصل إلى نتائج حسنة لأنه يكون مبنياً على الإقناع والموضوعية التي تؤدى إلى الحق. ومع الصبر والثبات تتحقق الحوافز الطيبة وإن الصبر يعطينا الهدوء في التفكير من أجل بناء مجتمع سليم.

ومن جانبه أكد الرئيس القبرصي أنه منذ أن وطئت قدماه أرض مصر وبزيارته لصرح الأزهر الشريف وباستقبال القيادات المصرية جعله يشعر بالحب والأمان وقد تمثل ذلك في استقبال فخامة الرئيس حسنى مبارك وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر. مؤكداً على ما سمعه من فضيلة الإمام الأكبر بأن الرسل جميعاً علموا الناس الحب وأنهم جميعاً سواسية لأن الإسلام والمسيحية يدينان العنف لأنه دائماً يأتي بالحروب والدمار، وأن الإنسانية تعيش اليوم في خطر بسبب الجشع والحروب ونأمل أن تعم البشرية الخير والحب والرخاء.

وفي نهاية اللقاء تبادل الطرفان الهدايا التذكارية حيث قدم فضيلة الإمام كتاب الأزهر في ألف عام، كما قدم الضيف هدية رمز السلام (غصن الزيتون).

ويستقبل نائب رئيس برلمان كازاخستان

كما استقبل فضيلته يوم الاثنين ٦ / ٤ / ٢٠٠٩م السيد محمد كوسيف - نائب رئيس البرلمان - والممثل الخاص لجمهورية كازاخستان وذلك لتقديم الدعوة الرسمية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من السيد قاسم جومارت توقايف - رئيس الأمانة العامة لمؤتمر زعماء الأديان العالمية والتقليدية للمشاركة في المؤتمر الثالث لزعماء الأديان الذي سيعقد في الفترة من ١ - ٢ يوليو ٢٠٠٩م في مدينة أستانا بجمهورية كازاخستان. ويتناول المؤتمر حلقة عامة بعنوان (دور زعماء الأديان في بناء التسامح والاحترام المتبادل والتعاون بينهم). وقد أشاد الضيف بمحاضرات فضيلة الإمام الأكبر وعلماء الأزهر التي كان لها الأثر الفعال لدى حكومة وشعب كازاخستان في المؤتمرين الأول والثاني اللذين تم عقدهما في الأعوام السابقة بكازاخستان. وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حضور المؤتمر الثالث.

جائزة الملك فيصل العالمية

توجه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر صباح السبت الموافق ٢٨ / ٣ / ٢٠٠٩م إلى المملكة العربية السعودية بالرياض لحضور حفل منح جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها هذا العام. وتأتى هذه الزيارة بدعوة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي يقام الحفل تحت رعايته.

الإمام الأكبر يستقبل وزير البيئة السنغافورى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الأحد الموافق ٥ / ٤ / ٢٠٠٩م معالى السيد إبراهيم يعقوب - وزير البيئة والموارد المائية والوزير المسئول عن الشئون الإسلامية بسنغافورة - يرافقه سفير سنغافورة بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد الوزير ومرافقيه في مصر والأزهر الشريف مشيداً بالمجتمع السنغافورى وذلك أثناء زيارته الأخيرة لسنغافورة واصفاً إياه بأنه مجتمع منفتح لا تستطيع أن تفرق فيه بين مسلم وغير مسلم، والكل يعتز ببلده الذى يعيش فيه. فالكل إخوة في الإنسانية وأن لكل إنسان عقيدته. ثم أوضح فضيلته للضيف أن الأزهر يستقبل أبناء سنغافورة للدراسة فيه حيث إن عدد الدارسين يقارب ٢٦٦ طالباً وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة.

ومن جانبه أعرب الوزير السنغافورى عن بالغ سعادته بهذا اللقاء وحسن حفاوة الاستقبال له وللوفد المرافق، كما شكر الأزهر الشريف لاستقباله لأبناء سنغافورة. وقد طلب الوزير من فضيلة الإمام الأكبر توضيح بعض الأمور

الدينية له وسمي الاستفسار عن نقل الأعضاء موضحاً فضيلته أنه في سعة من أمر نقل الأعضاء بدون أخذ الأذن من المتوفى ولا أحد أي عضو لم يكتب في وصيته بعد أن تبرع بأعضائه. وقد أعطاه فضيلة الإمام الأكبر بيان مجمع البحوث الإسلامية في هذا الشأن.

ثم استفسر سيادة الوزير عن ما هو المقصود بالتجديد في الخطاب الديني فأجاب فضيلته بأن الأمور التي ليها مصلحة للأمة علينا أن نهتم بها ونجدد الأسلوب علماً أن هذا التجديد من أجل خدمة الأمة وفي حدود ما أحله الله وبعيداً عن المساس بالأصول الثابتة في الدين والأمور التي لا تقبل الاجتهاد. وعن استفساره بشأن تجديد الفقه أجاب فضيلته بأنه من الممكن أن نجدد الفكر بحيث لا يتغير المعنى بل يقرب الفهم. وعن استفساره بشأن حقوق المرأة في التكاليف الشرعية وفي أصل الخلقة فكلنا من أب واحد وأم واحدة وهناك مساواة في طلب العلم ومساواة في الكرامة الإنسانية.

الدورة التدريبية العالمية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي

الأزهر كرم أئمة الدورة التدريبية لعملة الثانية والثمانين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامي والتي عقدت في الفترة من ١ / ١ / ٢٠٠٩م ولمدة ثلاثة أشهر. شهد الحفل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف حيث أقيم الحفل يوم الثلاثاء الموافق ٢٤ / ٣ / ٢٠٠٩م بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف عقب أداء صلاة الظهر حيث كرم فضيلته أعضاء الدورة البالغ عددهم ٢٢ إماماً وواعظاً من (السودان - سيراليون - جامبيا - الصومال - الهند - نيجيريا - الجزائر).

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن هذه الندوات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض. نتناقش في أمور الدين والدنيا، ونتحاور في العقائد والمعاملات. فرسالتنا كدعاة هي الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، نبين للناس وجه الإسلام السمح الذي يأمر أتباعه بأن ييسروا ولا يعسروا، يبشروا ولا ينفروا، يصلحوا ولا يفسدوا، يعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم وينشروا مبادئ الإسلام السمحة على الناس يدافعوا عن الحق ويقفوا في وجه الباطل. فوظيفتنا أن نبين ما هو حق وندعو إليه ونحذر الناس من الباطل ونجنبه، موضحاً أن الإسلام دين يبني نفسه دفاعاً عن الإرهاب الذي هو عدوان على الأنفس والأموال فعلينا أن نجنب الباطل ونبين ما هو حق. ونتعاون لخدمة ديننا وأمتنا بأن نكون قدوة في مكارم الأخلاق وإحقاق الحق وإبطال الباطل. وفي نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق في عملهم ووزع على أعضاء الدورة المكتبة الإسلامية التي تحتوي على أمهات الكتب كما حصلوا على شهادات التقدير.

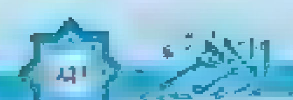
كما افتتح فضيلة الإمام الأكبر أعمال الدورة التدريبية رقم (٨٣) للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامي اعتباراً من ١ / ٤ / ٢٠٠٩م لعدد (١٥) إماماً وواعظاً من دول (الجزائر - السودان - نيجيريا - الكاميرون).

إعلان نتيجة كادر معلمي الأزهر للمرحلة الثانية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف صباح يوم الاثنين وبحضور معالي وزير التربية والتعليم الدكتور/ يسري الجمل، والدكتور/ محمود عاملي - رئيس أكاديمية المعلمين والدكتور/ نجيب خزام - رئيس المركز القومي للامتحانات - المؤتمر الصحفي المنعقد بمبنى مشيخة الأزهر حيث تم إعلان نتيجة كادر معلمي الأزهر للمرحلة الثانية، حيث كان عدد الذين وصلوا إلى حد التمكن المطلوب في المكونات الثلاثة (ناجح) عدد ١٠٤٢٤٤ بنسبة مئوية ٩٢.٣٪ وكان عدد الذين لم يصلوا إلى حد التمكن المطلوب في مكون واحد ٧٣٨٥ بنسبة ٦.٦٪ وعدد الذين لم يصلوا إلى حد التمكن المطلوب في مكونين اثنين ٨٢٣ بنسبة ٠.٧٪ وعدد الذين لم يصلوا إلى حد التمكن المطلوب في ثلاثة مكونات ١٥٣ بنسبة ٠.١٪ وبذلك يكون إجمالي الحاضرين ١١٢٧٠٥ بنسبة ١٠٠٪ وقد تم إلغاء امتحان عدد ٧ لتحويلهم في تخصص مخالف. كما تغيب ٤٩٤٥ ويكون الإجمالي العام ١١٧٦٥٧.

وقدم فضيلة الإمام الأكبر الشكر للقائمين على إعداد هذا البيان مشيراً إلى أننا نعمل جميعاً للرقي بالمعلم في كل مجال من مجالات تخصص المعلم بما يعود بالرقي على الطالب أو الطالبة لأننا نسعى جميعاً من أجل إيجاد معلم متخصص يؤدي رسالته بكل إخلاص وتفان بما يعود بالخير على المعلم والوطن والطالب، وإنه سيتم الإعداد لما يسمى بدل الاعتماد الذي هو مرتبط بالنجاح اعتباراً من ١ / ٥ / ٢٠٠٩م وسيعامل الإداريون بالأزهر كنظرائهم بالتربية والتعليم، ومن جانبه أكد الدكتور يسري الجمل أن الفائدة التي تحققت من تطبيق هذا الكادر: إعداد قاعدة بيانات متكاملة لكل معلمي ومعلمات الأزهر - الاستفادة من إعداد تلك المعلومات بالأسئلة في المواد الشرعية وهي إضافة لبيانات البنك - إعداد خريطة بالاحتياجات التدريبية لكل معلمي الأزهر من خلال ما أسفرت عنه نتائج اختبارات المرحلة الثانية.

وأشار سيادته إلى أن النتيجة أعلنت على موقع الأكاديمية المهنية للمعلمين وكل معلم يمكنه الاطلاع عليها من خلال رقمه السري حفاظاً على الخصوصية.



An-Naseriya school, A-Qamhiya school, Coptic school and As-Siofiva school…etc. Six of these schools were established during his period. Each one of them was a huge institution and a university, the matter that let the traveler, Ibn Gubair (540-614 H. 1145-1217 A.D) describe An-Naseriya school saying, "It is the best school in the area: I have never seen wider or more luxurious school than it. The one who wanders in it imagines that it is a country. It has bathroom and other utilities.

Also, he narrates about the generosity of Saladin in spending money over it, in addition to his, he said about its architecture, "He designed it with elegance and stylishness. The Sunni approach studied in theses schools-which were teaching the four Sunni approaches- substituted the intellectual emptiness of the "Ismaili –cover" belief. Thus, the intellectual "belongingness" occurred between "the nation" and "the state" replaced" alienation and separation", the matter that revived and rejuvenated the Egyptian energies in this respect.

Saladin, in his strictness in this matter, closed Al-Azhar-with its four Shiia beliefs- for five years, till its approaches and curricula changed to Sunni intellectual approach. Along with "the country", science and education, judiciary turned to Sunni belief.

At the economical side, "commitment" system was replaced by "military feudality" in investing the agricultural lands, the system that can be called "the economy of war and battle" or in the language of Islamic jurisprudence, a system similar to "subjecting land to Jihad for the sake of Allah"! The Egyptian lands were divided into twenty three regions and economical unions, being devoted to spend money over the divisions and soldiers' leaders!

Consequently, the economical powers were alerted along with rejuvenation in the intellectual side. Also, there was loyalty and belonging between the rulers and the ruled.

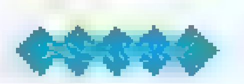
At the initial stage for the decisive battles by controlling the Crusade entities forcibly planted in the nation, Saladin started his first invasions against the Crusade garrisons in "kark fort" and "the south of Palestine" to widen and ensure the road linking Egypt to the East, for the sake of besieging the Crusaders. In achieving this goal, Saladin led four invasions in 568, 579, 580 and 583 H.

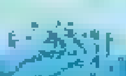
For the sake of reuniting the eastern front, which was scattered after the death of the martyr Noor Ad-Din, Saladin made alliance among the princes of "Mawsel", "Aleppo", "Peninsula", "Arpel", "Kifa", "Mardin", Quniya", and "Arminia. Also, he participated in this alliance stating that they will not fight each other. He did not hesitate to use power with the one who preached this agreement, like what he did with the prince of Aleppo in 579 H. 1183 A.D.

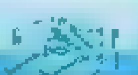
For the sake of strengthening the general front dedicating its energies, capabilities and fortified borderline cities to carry out the strategy of liberation, Saladin was strict towards all ideas, philosophies and ideologies contradicting Sunni belief-the creed and ideology of the majority- eliminating the heralds of "Ismaili belief". Moreover, he ordered his son-Aleppo ruler- to execute the philosopher of "Al-Ghanosiya- Al-Ishrafiya", As-Sahrordy, who was killed (549-587 H 1154-1191 A.D) for the intellectual confusion stirred by his debates with the jurists mixing civilizations and cultures.

They put "Zadshet" and "Plato" at the same rank with the Prophet of Islam?! Also, they mingle the debates of "Plato" with "Al-Kaldany inspiration" with the Noble Qur'an, the matter that melted the intellectual side by approving the approach of "analogy and parallelism" at the time when conflict with "the other" needed to approve the approach of "differences" to be distinguished from "the other". Furthermore, he needed to fill the souls with hatred for the other, as a condition for achieving victory?!

After all of these political, intellectual, economical and military achievements, Saladin led his troops, which he befriended its leaders and soldiers for a great battle, changing the method of conflict with the Crusaders. It was Hettin battle taking place in Rabie the second 22, 583 H. i.e. after ninety years of the Crusaders' attack to the Muslim lands!







[Luqman (The Sage): 10]

Also, Allah, Glory be to Him, says:

{Allah is He Who raised up the heavens without pillars you (can) see}

[Ar-Ra'd (Thunder): 2]

It is observed that this great Qur'an, as it speaks about (the pillars) was extremely miraculous in science for its accuracy in choosing the words and structuring the phrase assuring that Allah-Glory be to Him- was not addressing the human beings at the day of its descending only, but it addresses the whole humanity till the Day of Judgment. Thus, the holy verses approved the scientific discoveries in whole world. The holy verse did not only say:

{He raised up the heavens without pillars}

However, it said, "you (can) see". This word is the secret of the scientific miracle, as some scientists render it refer to the heavens. Thus, it means that the people see the heavens raised up without pillars. In this way, we can confess the ability of Allah, Glory be to Him, to raise the heavens without pillars, the explanation that some interpreters chose.

Others render it refer to the pillars. Thus, the verse means that the heavens are raised up with pillars that you can not see, the explanation on which the modern scientists agree, as it is harmonious with the modern universal theories and conform to the results of the accurate scientific research.

What are the pillars proven by the modern science while we can not see and the Qur'an talked about it more than fourteen centuries ago? It is the power of gravity, than make the parts of the higher universe cling to each other-as the scientists of the universe say- and make its shape like the tenacious building without any disorder. This conforms to the saying of Allah, Glory be to Him:

{Surely Allah holds the heavens and the earth (so) that they do not cease to exist; and indeed in case they cease to exist, decidedly no one would hold them both after Him}

[Fatir (The Originator): 41]

The following verse refers to the same matter:

{And of his signs that the heaven and the earth come upright by His Command}

[Ar-Rum (The Romans): 25]

Gravity power in this respect is a strong material that sticks each bloc in a building to the other, so as the building does not collapse. If Allah wills that the world ends, the strong material- I mean the gravity power disappears. Thus, the system of the universe becomes disordered, the universal building becomes disturbed. Thus, comprehensive destruction will occur announcing the Day of Judgment. This fact is referred to in the saying of Allah, Glory be to Him:

{When the heaven will be cloven}

[Al-Inshiqaq (The Cleaving): 1]

Jerusalem
The Consignment of Omar, Awaiting Saladin

By: Dr/ Muhammad Umarah

Member of Islamic Researched Institute

At that time, poetry was the means of expressing the nation's "culture" and "media"! When the unity of Egypt and the Eastern countries is realized, poetry expressed the role of this achievement in carrying out the strategy of liberating Palestine. Emad Al-Kateb congratulated Asad Ad-Din Shirkoh of his victory in Egypt, reminding him that this victory is for the sake of liberating Jerusalem:

You conquered Egypt, and I hope

You can conquer Jerusalem soon

When he congratulated Nour Ad-Din, he reminded him that the condition of liberating Jerusalem-the unity of Egypt and the Levant- came true:

Attach the Crusades, as this is the right time

Destroy them completely

Egypt's king and the Levant's king

Organized themselves for the sake of defending Islam

Meanwhile, the poet Ibn Asakir Ali Ibn Al-Hasan Hebatallah announced that there is no excuse for delaying the battle after being united against the Crusades. He told Nour Ad-Din:

There is no excuse for leaving Jihad

As you own now the area from Egypt to Aleppo

And the ruler of Al-Mawsel will respond

To your wish...thus start your strife

However, Nour Ad-Din died before carrying out the strategy discussed by the poets. After his death, Saladin found himself in front of the "practical tasks" necessary for achieving this strategy actually, not only in poetry.

The abilities and capabilities of Egypt-which were great- became frozen and isolated at the era of the Fatimi weakness, which extended to a century. Saladin had to renew these capabilities to gain victory over the Crusades.

After the end of the Fatimi Caliphate, he restored Egypt to the Abbasi Caliphate. He engaged in a great and long war at the cultural and intellectual side to substitute Sunni approach for the Ismaili attitude-"Al-Batineyya". He started to establish Sunni school,

The Qur'an and the Modern Science: The Creation of Heaven and Earth.. Between the Qur'an and the Modern Scientific Discoveries

By: the Honorable Sheikh/ Seddiq Bakr 'Eitah

Dr. "Moris Yokay" says in his book "the Qur'an and the Modren Science" says, "We should first assure that the Noble Qur'an-beofre everything- is a guiding book, which Allah did not send as a source of scientific knowledge, but its is a Message that stirs the mind to contemplate at the creation of Allah to realize the Divine Ability."

"Throughout meditating at this Book, the discerning people find in it bright "scientific references" from Allah-Glory be to Him- supporting them in confronting the materialistic pagan imprecations, even if they are covered by science.

"The Noble Qur'an is the eternal evidence and the miracle that witnesses its truth till the last day of life, even in its miracles or truthful knowledge, the matter that makes it impossible to be written by a human being"[1].

In the previous article, we discussed the great explosion which formed the beginning of the creation of our universe. We said that this explosion caused the extension of its splinters, in addition to smoky material after 300 thousand years passed after the creation of the universe. The smoky material was photographed by the US spaceship "Cop" which was released in 1989.

According to this fact, the scientists estimate the mass of the observed dim smoke by 90% of the universe mass. Thus, the universe mass increased more than the previously value estimated. It was noted that the smoke, black holes, dark material spreading in the universe and the recent (Niotrino) mass will increase the density of the universe more than the critical value, determined by Einstein. Thus, the universe will shrink in the future after universe stops its recent extending! This is predicted by the Noble Qur'an in the saying of Allah, Glory be to Him:

{The Day when We will fold the heaven as the Recorder's folding of the Books. As We began the first creation, We will bring it back again-a promise (binding) on Us. Surely We have been Performers.}

[Al-Anbiya (The Prophets): 104]

This fact is revealed by the scientists nowadays, as the universe will shrink in the future as Einstein predicted because expansion speed will decrease as time passes. Also, the high density of the universe causes the surmounting of the gravity exchanged between the galaxies. This causes the universe to shrink, as the galaxies turn in the adverse direction to meet with each other in the future in a new "shape" linking the heaven and the Earth and the area in between forming "the great ruin" in a new universal egg similar to its parallel in the past. Thus, the universe will go back to the same circumstances of the beginning as Allah promised, "We will turn back the universe as we began it."

The experimental scientists say, "The process of the universal expansion outward can not proceed eternally, as it is the result of the first explosion. As the rate of the universal expansion nowadays is slower than its earlier rate, there will be a time when the two forces become equal: the power pushing outward by the explosion and the power gathering inward due to gravity. Along with the weakness of the power pushing outward, gravity powers start accumulating the universe once again in one body similar to the initial body, from which the universe started. The scientists call this theory "extreme ruin."

The Qur'an precedes science with one thousand and four hundred years in indicating this scientific prophecy[2] by the saying of Allah, Glory be to Him:

{The Day when We will fold the heaven as the Recorder's folding of the Books. As We began the first creation, We will bring it back again-a promise (binding) on Us. Surely We have been Performers.}

The interpreters agree unanimously on the coming of this day-mentioned in the day of folding the heaven-which is the Day of Judgement, as Ibn Kathir narrated that Ibn Abbas said, "Allah will fold the seven heavens and seven spheres of earth including its their creatures to be in the size of mustard, as the recorder folds the books. Allah, Glory be to Him, says:

{And in no way did they estimate Allah His true estimate; and the earth all together will be His grasp on the Day of the Resurrection, and the heavens will be folded in His Right Hand. All Extolment to Him, and Supremely Exalted be He above whatever they associate (with Him)!}

[Az-Zumar (The Hordes): 67][3]

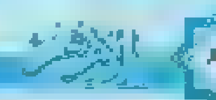
We want to know how the heavens and earth, where we live hearing about the great explosion and great shrinking (or what the scientists call great ruin) and during the life, which no one but Allah knows the time of its extinction, stand. There are many verses in the Noble Qur'an assuring that the heavens stand "without pillars you (can) see. The following is one of the verses of Allah (Glory be to Him) in this respect:

{He created the heavens without pillars you (can) see}

(1) The Qur'an and the Modern Science, p. 18, 19, Om Al-Qura Institution for Translation, Publication and Distribution- Al-Mansura. Dr. Moris Yokay wrote "The Qur'an, Torah, Injil and Science". The book from which we used is recordation of a lecture delivered in front of the British Commonwealth Institute in London about the Noble Qur'an and the modern science summing up his trip with the Qur'an and the way it guided him to Islam.

(2) Read, "Out of the scientific miracle in the Noble Qur'an", Dr. Zaghlul An-Naggar, Vol 1, p 44.

(3) Az-Zumar: 67. Read "The miracle of Qur'an in the scope of time and place", p 38, and the following them: Dr. Mansour Hasab An-Naby; " Out of the scientific miracle in the Noble Qur'an", Dr. Zaghlul An-Naggar, Vol 1, p 44, Ash-Shuruq International Library.



imperceptible, so, according to his claim, it came out that he posses much more knowledge about the historical circumstances and backgrounds of the verses of Holy Quran than the prophet's Companions (may Allah be pleased with them) and those of prominent Islamic Scholars, in past and present, from the beginning of the revelation till now. Moreover, I summarize the evidences concerning Veil I have previously mentioned at this juncture. Almighty Allah states in Holy Quran:" And let them fix closely their veils over their bosoms."(An-Nur (the Light):31.

And I shed light on interpretation of above mentioned Quranic Verse by quoting what the mother of believers, Aisha (may Allah be pleased with her) said: " May Allah bestow His Mercy on the first Muhajirat (emigrants). When Allah revealed...and draw their head covers over their necks and bosoms... they tore their (material) and covered themselves with it." [Al-Bukhari].

Murut is the plural of mert which means Garment made of woolen or linen women cover themselves with. (Al-Mogam Al-waseit Chapter of Letter Meem Page:899)

The Great Scholar, Ibn Uthaimin said" " Khemar which women cover their faces with like ghaqa. It is a type of Veil or mask of knights, and the women wear the veil (Khemar) on their heads and call it Ghtufa(Al-Mogam Al-waseit Chapter of Letter Al-Ghain Page:699)

Ibn Umar (May Allah be pleased with them) reported that the Messenger of Allah (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: On the Day of Resurrection. Allah will not look at the man who trails his garment along out of pride. The mother of believers Umm Salamah then asked: What should women do with (the hems of) their garments? He replied: Let them lower them a handspan. She said: Their feet would be exposed! He then said: Let them lower them a forearm's length but no more. [Reported by Abu Daud and tirmidhi].

When the mother of Belivers, Umme Salamah feels afraid for exposing the feet of women believers, so can any one, after that, imagine that Islamic Shariah will leniently legalize exposing those parts of body related to adornment and beauty.

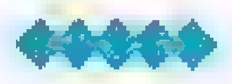
I conclude our evidences and proofs with a question addressed to Sheikh Abd Alziz Ibn Baz (may Allah have mercy upon him), one of the illustrious Islamic Scholars, and the question is as follows: What is the Islamic Verdict concerning those who make fun of those women practicing Veil as prescribed in Shariah and cover their faces and hands?

He answered that one who mocks at a Muslim men or women for his/her adherence to Islamic Shariah is an apostate, whether one mocked at her because she had veiled herself in accordance with Shariah Command or other than that.

Abdullah Ibn Umar (May Allah be pleased with both of them) narrated: " A person said at the battle of Tabuk: I have never seen any one whose belly is more hungry, whose tongue lies more or who is more cowardly in fighting than these reciters of ours" , an other person said," You lie, I will inform the Messenger of Allah(May the blessings and peace of Allah be upon him) of what you have just said, but the holy Quran has already informed Him." Abdullah bin Umar further said:" I saw him catching the bridle of Prophet's horse, while being hit by stones and saying:" 'O Messenger of Allah, we were only talking idly and jesting', and the Prophet, Allah bless him and give him peace, responded: 'Was it at Allah and His revelations and His messenger that ye did scoff?' " (Al- Tawbah (Repentance): 65)

Thus, here in this verse, scoffing at believers is considered tantamount to scoffing at Allah, Holy Quran and His Messenger. (Al-Buhuths Al-Islamia Magazine, issue: 21)

If making fun of veiled women, according to the answer to the above mentioned question by Great Jurist, Abd Alaziz Ibn Baaz is an apostasy , so what about those who haughtily reject the obligation of Veil? Allah knows the best!



has in no way gained (anything) and they have in no way been right-guided " (Al-Baqarah (the cow):16.

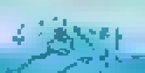
We began to think that, by course of time, this sort of people have entirely vanished or, at least, the storm has began to abate after the President Bush administration came to an end and Barak Hussain Obama took the charge as US president with a program showing the sign of begging a new era of cooperation, peace and dialogues with Muslims, till I read Muhammad Mustafa Rashid's article issued by Rose al Youssef weekly magazine on Saturday 12 March, 2009 with a photograph on the left side of the article who tried hard to add the title of Sheikh to his name.

I have never happened to hear his name before, so I made attempts with sheer purpose of looking for information about him available on internet, perhaps his biography. After a tiring search on net, I have found his photograph dressed in Western attire with long hairs in a press interview with Merv ana a journalist. The photographer who took his photos during this interview is known as Ihab Admawa. Here, I would like to summarize what I have extracted from his biography made available to Internet which is as follows: " I am Mohammad Mostafa Rashid, have obtained a Degree from Faculty of Shariah and Law at Al-Azahar University." He further said, "I am a sort of man who strongly condemns all forms of bigotry or fanaticism that is why I have accepted the cordial invitation sent twice to me by the Church in Cyprus, where I used to work, to attend their religious ceremonies. And I have been charged with apostasy after that."

Once again, returning to the Mohammad Mustafa Rashid's article titled "Al- Hegab lasa Faridat Al-Islame-yyah " Veiling is not an obligatory Islamic Observance" in which he alleged, as did those who preceded him, that the Quranic verses revealed concerning Veil (Hejab) are solely related to the Holy Prophet's wives, the mothers of believers, although the veiling Al- Hegab do apply to all Muslim women as well. However, he has intentionally or due to his lack of knowledge disregarded the one of the most important source of Islamic Shariah, the consensus on obligation of Veil from the time of the Holy prophet up till now, and he has entirely ignored the prophetic tradition concerning consenses of opinion among Muslim scholars: "My Ummah will never agree upon Error."

So, when he and some of his counterparts have made an individual opinion opposite to the majority, their opinion apart from consensus can not constitute a Ruling as Islamic Jurists have decided.

The writer has tried really hard to diminish the importance of Consensus of opinions, thus he said mockingly," A section of Grand Scholars, by laying much stress on the obligation of Veil(Hejab), has considered it as one the most important pillar of Islam. "



This ridiculous opinion manifests his lack of understanding and knowledge about Islamic Jurisprudence, because he seems incapable of noticing or understanding the difference between Umum al-fard and Arrukn (the general obligation and Pillar), for the five pillars of Islam are commonly known to every one, and none of the Islamic Scholars in past and present, has ever considered the practice of Veil as one the pillars of Islam.

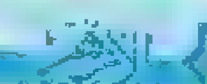
The sole purpose of the writer through these unreasonable opinions clashing with Islamic scholars is to diminish their achievements in this field and rank himself to the title of Sheikh.

Besides, he, after he had falsely accused these prominent Islamic scholars of their having considered Veil as one of the most pillars of Islam, went in excessively finding faults with them to the extent that they have drastically distorted the objectives of Islamic Shariah and its genuine and true explanation rejecting the important role of reason, devoting their whole attentions to quotations not based on reasoning or intellect, then they have improperly applied and explained the texts(Quran and Sunna) in accordance with their desires and whims blindly following some of our old scholars as if what they said or uttered is sacred which has closed the way to giving independent opinion by exerting efforts, throwing themselves far away from the genuine methods of deduction and explanation which illustrate the verses in accordance with the historical circumstances, factors or backgrounds.

He Further said, " It is for this reason that they wish to adopt the explanation in the way they want because their analytical capability failed to deduce the possible meanings from these verses at this point due to their mental disorder or lack of insight. and this not only happened to issue of Hejab (Veil) but also to many important issues.

This wholly absurd statement of the above mentioned writer, In other words, a man of disruptive affluence in the Muslim community, not only clearly demonstrates his ignorance, stupidity , lack of knowledge and incapability of distinguishing between Fard and Rukn (obligatory and Pillar or Basic fundamentals), but also shows his furious attack on eminent Islamic Scholars when he laid the blame on them and accused them of lacking deep understanding, insight and perception owing to mental block or disorder as he described in his article.

It is quite clear that both flaws (Mental disorder and lack of insight) are found in him, and that is, as far as our scholars are concerned, so they are exempted from both. And the frequent utterances given by him proves his ignorance and lack of understanding because there is no Ijtehad (independent opinion) with the clear texts (Quran and Sunna) As for as his claim that verses of Holy Quran related to issues of Veil(Hejab) have been explained apart from its historical factors, circumstances and backgrounds that is why , as he claimed, the ruling concerning Veil(Hejab) is become inaccurate and



AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al -oula,1430



ENGLISH SECTION
May, 2009

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Muhammad Mustafa Rashid's Azhari Degree never allows his aggravated assault on Fundamental facts of Islam, but it makes it more abominable ...!

By : Dr . Ibrahim Al-Assil

The adverse effect of former US president's policies hostile to Islam and Muslims has created a wide gulf between Western Christian countries and Muslims in the four corners of the World. If it aimed at oppressing and defaming the Muslim identity and behaviors or way of life , and interfering in their countries through coercive military powers, oppressing them and maligning their behaviors or conducts by completely disregarding the international laws and its recognitions , it has shed much blood of innocent Muslim old men, women and children and forced thousands of them to spend most of their lives behind bars with no consideration of human rights which has given rise to deep resentment and anger not only among Muslims but also the every individual of the Liberal world, including Americans. Furthermore, these adverse policies, by the same token, have at large encouraged despising Islam and strongly criticizing the Islamic observances, thus the Danish newspapers had published caricatures as an affront to the Personality of the Holy Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) whom Allah has sent to this earth as a mercy and benefactor to all human beings.

It is a matter of fact that, after having qualified from Universities, a section of people with feeble minds and sprits, driven by the evil whims, desires and lure of fame, high posts in the Western Universities, and temptation to dream of leading a joyful life in Christian Western Countries, such as America and Europe as a citizen, have intentionally fabricated lies against the Islamic religion when the national authority brought their deeds to account. In this respect, we can mentioned the name of the Academic Hamid Nasr Abu Zaid who wrote in his Book titled " Naqd Al-Khetab Al-Dini (Criticism of religious Address) because of which a verdict of his apostasy and separation from his wife had been issued. But, however, he has archived his desired target of this book as one of the Dutch Universities has provided him with a post. (He is still at the same university) Sometimes, some people, by this unreasonable criticism and severe attack on the Fundamental Principles of the Islamic Religion, seek a perpetual happiness and a comfortable life under the delusions, thus, they are counted among those, who Almighty Allah has mentioned about at several places in Holy Quran: " Those are they who have traded errancy for guidance; so, their commerce

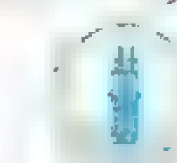


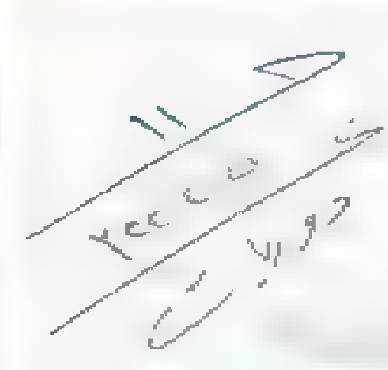
■ فى ذكرى المولد النبوى «٣»
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ٦٨٠
■ تفسير سورة النساء
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ٦٨٦
■ دين القوة
لفضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومى ٦٩٢
■ الصدقة فى ميزان الإسلام
لفضيلة الشيخ على عبدالباقى ٦٩٧
■ نبذ الإسلام للإرهاب
للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ٧٠٠
■ إنما الأمم الأخلاق .. ما حييت!
للأستاذ محمد مصطفى البيومى ٧٠٤
■ النور المحمدى
لفضيلة الشيخ مظهر المحمدى ٧٠٩
■ خطبة الجمعة «معالم النجاح»
للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى ٧١٥
■ استفتاءات القراء
للأستاذ الدكتور على جمعة ٧١٨
■ من أعلام الأزهر «محمد محمد البهى (٢)»
للأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج ٧٢٢
■ قصة العدد «معن بن زائدة»
الدكتور إلى حسام ٧٢٦
■ من هدى الإسلام فى القضاء على المنكر
للأستاذ الدكتور محمود عمارة ٧٣٢
■ الصلاة أقدم عبادة يقينية
لفضيلة الشيخ عمر الديب ٧٣٥
■ الإسلام ودعوته إلى إقامة العدل بين الرعية
لفضيلة الشيخ ٧٤٠
■ الخلافة الإسلامية ..
للأستاذ الدكتور محمد
■ قصيدة العدد «فلسطين»
مشاعر التكبير على المحيد ٧٥٠
■ آثار العولمة .. وكيف نواجهها إسلاميا
لفضيلة الشيخ صفى بكر عبدة ٧٥٤
■ القوى الحربية الإسرائيلية فى الكنيست الجديد
للأستاذ صلاح عبدالرحيم محمد ٧٦٠
■ كتاب الشهر
للأستاذ الدكتور إبراهيم عوضين ٧٦٦
■ طرائف .. ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ عبدالحليم ٧٧٣
■ الصحة البيئية والتحديات البيئية برؤية إسلامية (٢)
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ٧٧٦
■ الأزهر يوقع بروتوكول الفهرست مكتبة الأزهر
متابعة الأستاذ محمد جمعة ٧٨٠
■ بين الصحف والمجلات
للأستاذين محمد جمعة - علا عبدالرحمن ٧٨٤
■ تطور العلوم الفقهية فى عمان
للأستاذ عادل حماية ٧٩١
■ بين المجلة والقارئ
للأستاذ أحمد على الشين ٨١٥
■ حديقة الشباب
بقلم الصحفى محمود حسين محمود صالح ٨٢٣
■ أنباء العالم الإسلامى
للأستاذين محمود القشى - أحمد رضوان ٨٢٨
■ أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للأستاذين عبدالموجود أمين - يحيى سليمان ٨٣٣
■ أنباء مكتب شيخ الأزهر
للأستاذ أحمد توفيق ٨٣٨
■ القسم الإنجليزى
إشراف وإعداد: أ. د. إبراهيم الأصيل ٨٤٣



الإسلام أم التشيع
الجزء الثاني
الأزهر
AL AZHAR
أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۝ ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
الثمن
١٥٠ قرشا
مطابع

بسم الله الرحمن الرحيم





الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى

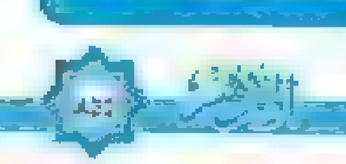
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩





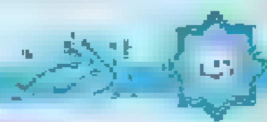
علي مبارك يصف الأزهر القديم

إذا نظرنا في أعمال علي مبارك باشا الإدارية عجبنا كيف اتسع عمره السعيد لهذه الأعمال الخارقة في عدة وزارات وإدارات، وكيف كان الرجل بارع الجهد في التربية والتعليم والهندسة والأشغال والمواصلات، لقد أدى ذلك بجهد جبابرة لا يعلمون أنهم جبابرة، لأن جبابرة العلم عقلاء حكماء، لا يرسلون النعر الصاخب، كما يرسله جبابرة الحروب والسياسة وهم أبقى على الزمان أثراً، وأعظم نفعاً. بل إن تسعة وتسعين في المائة من جبابرة الحرب والسياسة يتسمون ولا يصلحون، وتعمي نفوسهم فتكون بلادهم أول ما يصيبون من الهلاك والدمار!

أقول إن هذه الأعمال الإدارية الرائعة لا تترك مجالاً قصيراً للتأليف العلمي، والبحث النظري لكن إذا كان هذا الحال فسيحاً لمن يشمل مجلدات تقع في عشرين جزءاً تحت عنوان واحد، كما يشمل مختلف الفنون من تربية وهندسة وقصة، إذا جل مارس الرجل القصة الطويلة في جزءين كبيرين، كما فيهم مدلولها في منهجه الإصلاحي، وأصبح رجال الفكر يفسحون له مجالاً رائعاً في مضمار التفكير العلمي كما يفسح رجال الإصلاح الاجتماعي هذا الحال في مضمار التقدم الحضاري الأول:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد كما قال أحد الشعراء.

وحديث اليوم يقتصر على ما كتبه مؤرخ العظيم عن حالة الأزهر الاجتماعية والدينية في عصره.

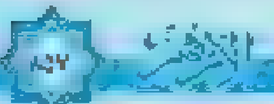


ولم يحل بعض في الأزهر وإن عانى في سبيل تعليمه أكثر مما كان يعانيه طلبة الأزهر من بلاء، إذ شق بأظفاره الناعمة طريقه الوعر بين الأشواك والصخور على طراوة العمر وصغر السن دون نصير غير همة عالية طلعت في نفس تعصامي الصعود، كما يتألق الكوكب الساطع في غيهب الليل لعيني مدلج وحيد يمضي وحده في ظلام حالك فيهديه الطريق، لقد هرب الطفل من بلده شريداً ينام في المغارات، وينتقل من صعب إلى صعب بوحي من إلهامه حتى اهتدى إلى مدرسة قصر العيني دون مرشد غير هاجس من ضميره، فكانت أولى خطوات النصر الحقيقي في سجل حياته، ومنها عرف الدرجة الأولى في السلم الممتد إلى ذروة النجاح، وأخذت الدرجات تسعى إلى قدمه مرحبة مزهوة حتى أبلغته إلى الأوج فحمل نعمة في تواضع العلماء لا في شموخ المتكبرين!

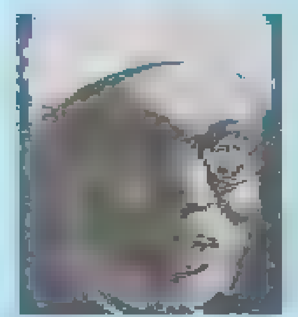
وقد نشأت في الأزهر متعلماً ومعلماً، وعرفت من تاريخه الحافل منذ أكثر من ألف عام ما يعرفه الأزهري المولع بتاريخ معهده، ولكني حين قرأت ما كتبه علي مبارك عن الأزهر في كتابه «الخطط التوفيقية» علمت الكثير مما كنت أجهل، بل علمت أن الذين كتبوا عن هذه الفترة من حياة الأزهر قد خضعوا لكل ما قال دون أن يشيروا إليه، ومنهم من نقل السطور سطراً سطراً دون أن يذكر المرجع أو المؤلف، فأصبح هو المرجع الأول للدارسين، كما سيجيء، وهو داء فاتك عند بعض أهل العلم، ولئن جاز ذلك قبل عصر الطبعة، فكيف يجوز بعد أن صارت نسخ الكتاب الواحد تبلغ الآلاف! وتزدحم بها خزائن المكتبات!

الالتحاق بالأزهر

لقد تحدث علي مبارك طويلاً عن كيفية الالتحاق بالأزهر، وتقدم الطلب الخاص بالمبتدئ، وإفساح المكان له، كما تحدث غيره، بل هجم على الحديث عن الحلقة العلمية مدللاً فذكر أن الطالب يأتي في سن البلوغ أو المراهقة، ويكون قد حفظ القرآن في مدة قبل المجيء، فإذا وفد غير حافظ اشتغل بالحفظ قبل الالتحاق، ثم يعقد له امتحان خاص بالحفظ وهو إجازة الشيوخ، فإذا تم التصديق على التحاقه انتظم في الدراسة كما يشاء، فالطالب لا يتقيد بمدرس أو بأستاذ، بل يجلس في إحدى الحلقات العلمية التي يهتدي إليها بمشورة الكثير من زملائه، ويجلس الأستاذ على كرسي خشبي، وله مكان جوار العمود اشتهر به فلا يجلسه سواه، كما أن طلبته الذين يعرفون مكانهم الخاص بالحلقة، صغيرة كانت أو كبيرة، ويبدأ الأستاذ درسه بالبسملة والحمد لله والصلاة على نبيه، وقد ظل هذا البدء متصلاً حتى هذا العهد، والتلاميذ يعرفون الكتاب الذي يشرح الأستاذ عبارته، فيفتحون الملازم لمتابعته، ويسألونه كما



يشاءون، ولكل طالب حريته التامة في السؤال، وفيهم من كبار السن من يحاولون المباهاة بما يسألون فيأتون بأسئلة عويصة يتحتم على الأستاذ أن يجيب عنها بإشباع، وقد عرف ذلك من قبل، فهو يتهيأ تهيؤًا تامًا في إعداد الدرس ليلا دون إبطاء، أما الطلاب فقد كانوا مثل الأستاذ تمامًا يقرءون الدرس الذي سيشرح في الغد قراءة مستوعبة. ويجتمع النبهاء منهم في رواق أو في صحن المسجد ليتداولوا الرأي فيما غمض من العبارة أو أبهم من القضية، حتى إذا استوثقوا من كل فكرة، حضروا إلى الدرس وقد عرفوا غوامضه التي لم يهتدوا إلى حلها، فأحسنوا الاستماع، وقد يبدو لهم من قول الأستاذ ما لا يرتاحون إليه من التوجيه، فلا يجدون حرجًا في مناقشته بجد، وقد يعارض الأستاذ اتجاههم ولكن بالحجة التي لا تدفع لأن المناقش مسلح بالدليل. وإذا علمنا أن الأستاذ كان يشرح في كتب معقدة ذات تعبيرات صارمة، وذات اختصار في العبارة أدركنا مدى الصعوبة التي يعانيها الأستاذ والطالب معًا. وقد أدركت في عهد الأزهر النظامي بعض ما يمثل هذا الاتجاه، إذ كان الزملاء يقرءون الدرس المقرر قبل الحضور، ويعدون ذلك وسيلة لاستيعاب ما يقول الأستاذ على وجه دقيق، ولعل من أعجب ما قرأت في هذا المجال ما رواه الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين عن شيخه الأستاذ عمر الشيخ أستاذ علم الأصول بجامع الزيتونة بتونس، حيث تعرض لشرح كتاب المواقف لأول مرة وهو من أعقد الكتب تأليفًا ومادة، فرأى أن يختار من نوابغ طلابه من يسهرون معه كل ليلة لقراءة الدرس المنتظر فيتفهم معهم وكأنهم أساتذة مثله حتى يتفقوا جميعًا على فكرة محددة، وكان من شمائله النبيلة أثناء الشرح بالجامع أن يقول للطلبة إن هذا رأي زميلكم فلان وقد وافقناه عليه بالأمس!! فهل ترى إخلاصًا للحقيقة العلمية أنبل من هذا الإخلاص!



الخضر حسين

وقد صدرت حواشٍ كثيرة في هذا العهد تدور حول شروح للمتن العلمي المقرر للطلاب. هذه الحواشي الضخمة مثل كتب الباجوري والإنبابي والدسوقي لم يكتبها الأستاذ في منزله معزولا عن طلابه، بل كان يشرح المتن والطلاب ينقلون الشرح عنه، فإذا مضى العام تهيأ لهم مما كتبوه مؤلف كبير، فيأتي صاحب المطبعة ليختار النسخة الواضحة مما كتب الطلاب لينشرها وتذيع في الوسط الأزهري وفي غيره من الأوساط العلمية، ويرى الأستاذ ذلك شيئًا طبيعيًا بل يشجع عليه لأن دروسه أصبحت علمًا ينتفع به، وإذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث أحدها «علم ينتفع به» كما جاء في الحديث الشريف![1]

ويظل الطالب غائبًا مدى يبلغ أكثر من عشر سنوات. فإذا آنس من نفسه الكفاءة العلمية التي ترشحه للتدريس، أعلن ذلك لزملائه الطلاب، ولمشايخه من الأساتذة فحددوا موعدًا للجلوس أمامه كي يشرح الدرس الذي يقررونه له. فإذا بدأ القول توالت عليه الأسئلة من كل صوب، وعليه أن يجيب عن كل سؤال دون تردد. وتمتد الجلسة حتى تحين الصلاة، فيقوم الجمع لأدائها، ثم تعقد ثانية وتتوالى الأسئلة والإجابة وفيها ما يدق ويعمق. فإذا وفق الله الطالب في جميع الإجابات كان ذلك شهادة له، يجوز بعدها أن يكون صاحب حلقة، وأن يجتمع حوله الطلاب، وكأنه نال درجة علمية ذات تقدير رسمي.

يقول علي مبارك: «وكان لا يتصدر للتدريس إلا من مارس الفنون المتداولة بالأزهر وتلقاها من أفواه المشايخ، وصار متأهلا للتصدر، حلالا للمشكلات ومعضلات المسائل. فلا يحتاج لاستئذان إلا على جهة الأدب والبركة، وإنما يعلم بعض المشايخ والطلبة فيحضرون درسه، ويتراكمون عليه، وهو يتأنق في الإملاء، ويسلك فيه طريق الإعراب والتوغل وبعض الحاضرين يتعصب عليه، والبعض ينتصر له. وإذا تلعثم في إجابة ربما أقاموه ومنعوه من التصدر وإذا عاند ربما ضربوه».

قد تكون هذه وسيلة دقيقة لاختبار الطالب، ولكنها محفوفة بالمكاره، إذ ربما تكاتف عليه خصومه فاعترضوه لا ليعرفوا مقدرته العلمية، بل ليسقطوه عن عمد، وللكثرة في هذه المناسبات قوتها في الصخب والتشويش فتطيح الأصوات الخافتة وينتهي الأمر بالخيبة والخذلان. كما أنه من الناحية الأخرى قد يجمع الطالب أنصاره من المشايخ والزملاء يبلغون حد الكثرة، والناس هم الناس، فيتفقون على نوع من الأسئلة يعرف الطالب إجابتها قبل الاختبار، ويعدي الجدارة في الإجابة عنها وقد أعدها من قبل، فينجح في الاختبار دون استحقاق!!

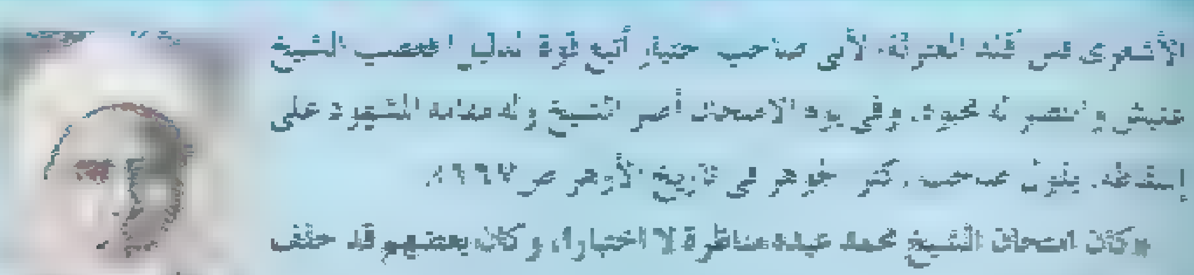
الامتحان الرسمي

شعر الشيخ مصطفى العروسي بما يوجه لطريقة اختبار المدرس من اعتراضات جدية، فرأى عقد امتحان فعليّ للطالب على نحو أفضل، ووجهه بالعزل من المشيخة فرأى خلفه الشيخ محمد المهدي العباسي أن يسير بالموضوع إلى غايته فاستأذن الخديو في إصدار قانون خاص لكل من يريد التدريس

(1) صحيح مسلم، 1631، كتاب الوصية، الحديث رقم (4310)، كتاب الوصية.

من المستحدثين، وجمع مجلسا من كبار العلماء لتحديد مواد هذا القانون. فتم الأمر على اختيار ستة من المشايخ الكبار للامتحان على أن يمثلوا المذاهب الفقهية المشهورة. أما مواد الامتحان فلا تترك للأساتذة دون ضابط كما كان يفعل من قبل، بل لابد من الامتحان في أحد عشر فنا، وهي العلوم المدروسة بالأزهر وقد حصرت في التفسير والحديث والأصول والتوحيد والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق. على أن من شروط من يتقدم أن يقدم طلبا يصرح فيه بأنه حضر هذه العلوم على الأساتذة ولا يبحث الطلب على الفور بل تمضي مدة للتأكد مما ذكره الطالب. ومما ييسر الأمر أن يتقدم بشهادة يوقع عليها جمع من المشايخ أقلهم ثمانية مقررين أنه حضر هذه العلوم وتراءى عليهم. فإذا تم ذلك عين له في كل فن من الفنون السابقة يوم خاص يمتحن فيه: فيقضي أحد عشر يوما في امتحان متصل. وينعقد الامتحان في بيت شيخ الجامع (هكذا قال على مبارك ولعله يريد في مقر عمله الرسمي بالأزهر) ومن الأسلوب المتبع آنذاك أن يجعل الطالب مدرسا يقوم بشرح المادة للأساتذة عنده، وهم بمنزلة الطلبة فيبتدئ القراءة وتتوالى عليه الأسئلة فيجيب. ويستمر الامتحان طيلة اليوم ولا ينقطع إلا لنحو الصلاة أو الغداء، فإذا وفق الممتحن للإجابة في الفنون جميعها كتبوه في الدرجة الأولى وإذا أجاب في أكثر الفنون نال الدرجة الثانية. وإذا لم يصل إلى الأكثر بل أجاد في النصف فقط أخذ الدرجة الثالثة. وتصدر له شهادة ترسل إلى المعية الخديوية للتوقيع عليها، وتخلع عليه فرجية وشريط مقصب. ويدفع عند السفر نصف الأجرة فقط حين يقدم هذه الشهادة التي منحت له! هذا ولا يمتحن في العام أكثر من ستة طلاب، فإذا تقدم أكثر من هذا العدد كان الترجيح في الاختيار لاعتبارات مهمة مثل التقدم في السن، أو الشهرة بالعلم، والوجاهة في مجتمع الطلاب!

سار الامتحان على هذا النحو، في عهد علي مبارك ولم يطرأ عليه من التغيير ما يمس جوهره ولكل شيء آفة ومن ذا الذي ترضى سجاياه. لقد كانت بعض الأغراض الشخصية تتدخل في تقدير الممتحن وقد تميل به إلى الفوز دون استحقاق أو الهبوط الظالم دون جريرة، وهذا ما لم يذكره علي مبارك تأدبا مع حذر الإساءة لمن يسميهم أهل الفضل، ولكن الشيخ سليمان رصد الحنفي، ذكر في كتابه الشهير (كنز الجوهر في تاريخ الأزهر) مظهرا من مظاهر التحيز الصارخ، يوم امتحان الشيخ محمد عبده، إذ تقدم لنيل الدرجة العلمية بعد أن ذاعت آراؤه الإصلاحية في الشعب، ومجالسته لجمال الأفغاني وتشيعه لآرائه الفلسفية، وقد روي عنه أنه أفتى برأي للمعتزلة يخالف رأي الجمهور، فثار عليه الشيخ عليش شيخ المالكية، واستدعاه وسأله: كيف تقلد المعتزلة؟ فقال له الشيخ بسماحته المعهودة: إذا كنت تركت تقليد


محمد عبده

الأشعري فلن أقلد المعتزلة، لأني صاحب اختيار أتبع قوة الدليل! فغضب الشيخ عليش وانتصر له محبوه، وفي يوم الامتحان أصر الشيخ وأنصاره المتعهدون على إسقاطه. يقول صاحب (كنز الجوهر في تاريخ الأزهر ص ١٦٧):

«وكان امتحان الشيخ محمد عبده مناظرة لا اختبارا، وكان ممتحنوه قد حلفوا بالطلاق أن لا يأخذ درجة التدريس، وأصر على ذلك ولكن الشيخ العباسي شيخ الأزهر قال: إنه لم يمتحن أعلم منه. وطلب إعطاءه الدرجة الأولى فتعقد الموقف وقام أحد المشايخ وكتب له الدرجة الثانية، وختم الورقة، ومر بها على المشايخ فوضعوا أختامهم من بعده ثم ختمها الشيخ العباسي كرها».

والحق لم يخل الامتحان من غرض، والذين يذكرون هذا الامتحان فيما كتبوه من تاريخ الأستاذ الإمام يحملون بالسخط الشديد على الشيخ عليش، ويعدونه رمز الجمود، والحق أن الرجل لا يتبع الهوى ولكنه يعتصم بما يراه الحق، وقد كان موقفه شجاعا في الثورة العرابية، إذ كان أول من أفتى بمروق الخديو توفيق وحين أخفقت الثورة وهو على فراش المرض الأخير لقي أقسى الإهانات، ورمي به في قصر العيني فلم يجد من يسعفه ثم رميت جثته وكأنه حيوان لا إنسان! وهذا ما قرره علي مبارك نفسه فيما جاء بخططه التوفيقية! وقد ذكرت ذلك من قبل في مجلة الهلال!

الحالة الاجتماعية

وفق علي مبارك في تصوير الحياة الاجتماعية لطلاب الأزهر تصويرا لا يتاح إلا لمن لابس هذه الحالة ملابسة ذاتية، ولعله اختار من كبار الأساتذة من وصف له الأمر وصفا تاما. فقد ذكر من عادات طلاب الوجه البحري أنهم يذهبون إلى بلادهم أثناء العام الدراسي وبخاصة في فترة الإجازات المعروفة حينئذ، ومنها إجازة مولد السيد البدوي وشهر رمضان فيأتون بالمؤونة الكافية، وقد يأتيهم من يأتيهم بها من ذويهم بواسطة القادمين من القرى إلى القاهرة لزيارة الأولياء، وأكثرهم يسكنون بالأزهر نفسه لقلة المال، وينشرون الخبز في صحن الجامع كي يجف بحرارة الشمس كما ينامون في الصحن صيفا وفي الأروقة والمقصورات شتاء لتجنب البرد. والذين يسكنون خارج الأزهر في حجر متواضعة زهيدة الأجر يباشرون ما يتطلب من الأعمال الضرورية كطبخ الطعام، وغسل الملابس، وطعامهم المعتاد هو الفول المدمس والكرات. ثم أهل الصعيد فيأتون بمؤونة تكفي لنصف العام من خبز مقدد

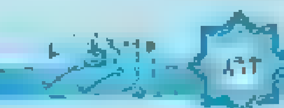
بالتناور وسمن وجبن ودقيق، كل بحسب مقدرته، وإذا فرغ الزاد كتبوا لأهليهم كي يرسلوا ما تيسر، ويسكنون الرواق الخاص بالصعايدة، ويقضون تسعة أشهر دون سفر للأهل نظراً لبعد المسافة، وقد يتزوج الطالب أثناء زيارته السريعة ويترك زوجته في حمى أمه وأبيه حتى يعود بعد عام في الزيارة القادمة فيتعرف عليها كأنها ابنتهم. ومنهم من يظل طيلة أعوام الدراسة بالقاهرة دون أن يزور أهله في العطلات السنوية، فإذا انتهى من الدراسة بعد أخذ الدرجة كتب لأهله كي ينتظروه بعد هذا الأمد الطويل فيتلقونه بالزغاريد وإقامة الأفراح، وأهل الصعيد أكثر تقشفاً من أهل الوجه البحري، ويختلفون في الزي - ما عدا العمامة - تبعاً لاختلاف بلادهم، وأهل الثراء منهم على قلتهم النادرة يلبسون الثياب المفرجة (الواسعة) من الجبب والقفاطين، والشرابات في أرجلهم مع الأحذية الجيدة.

هذا عن المصريين، أما أهل الأقطار الخارجية من الهنود والسارية والمغاربة والأتراك فهم أنعم عيشاً من المصريين، وأنظف ثياباً، إذ لهم مرتبات مالية تكفي وتفيض، كما يحملون من بلادهم نقوداً كثيرة، والفقير منهم قليل ويأتون كبار السن فوق العشرين، وأكثرهم يسكن أروقة الأزهر مع النظافة في المأكل والمفرش، وإذا قلت نقودهم تيسرت لهم من تبرعات الأمراء والموسرين لأنهم ضيوف!

ومن عادة أهل البلد إذا أتم أحدهم رسالته العلمية وعزم على السفر أن يقيم مأدبة حافلة لأصدقائه وأساتذته المجاورين، فيوقد الشموع بالرواق طيلة الليل ويطاف عليهم بالقهوة والمشروبات، وتلقى القصائد في وداع المسافر العزيز، وكلها تنويه بعلمه وما أحرزه من النجاح وما يرجى له مستقبلاً من خدمة الدين ونشر حقائق الإسلام!

كما أن من عادة الطلاب - مصريين وغير مصريين - أن يحتفلوا بانتهاء المقرر آخر العام فيأتوا بالمباخر والقماقم يفوح منها الطيب، وروائح العطور، ويدور الباعة يحضرون الفواكه والفطائر المسكرة، ثم يبدأ الحفل بتلاوة شيء من كتاب الله، ويرش ماء الورد أثناء القراءة وينثر عليهم اللوز والتمر، فإذا انتهى الحفل خرجوا جميعاً لتقبيل يد الشيخ الذي قام بالتدريس ومنهم من يلقي القصائد في مديحه.

وإلقاء القصائد ظل متوارثاً حتى أيامنا، وفي كتاب البدائع للدكتور زكي مبارك قصيدة ألقاها من نظمه في ختام دروس الشيخ يوسف الدجوي بالأزهر، إذ كان الأستاذ مدرساً للمنطق وكان الطالب من نابغي التلامذة، ولعلي شاركت في مثل ذلك حين كنت طالباً بمعهد الزقازيق وقد نسيت ما نظمت، ولكني قابلت بعد عشرين عاماً أحد أساتذتي فذكرني بقصيدتي، فجاملته مجاملة طيبة، وقلت آسفاً



إن القصيدة تحدثت عن طفل في المهد، وتفضل بإرسالها وقد استرسلت في هذه الناحية لأقول إن طالب القسم الثانوي كان ينظم القصائد المقبولة بالأمس وأكثر مدرسي اليوم لا يستطيعون قراءة قصيدة صحيحة فالتمس لهم عذراً!

على أني لمست في كتاب (الخطط التوفيقية) عطفاً وتسامحاً كبيراً في تراجم من تحدث عنهم من علماء الأزهر، فهو يخلع عليهم أحسن الألقاب، ويعزو إليهم كثيراً من الفضائل، وينقل عن الجبرتي فيما تحدث به عنهم في عصره، فيحذف الانتقادات الجارحة التي لم يكن الجبرتي يتحرز منها، مع أنه أزهري مثلهم، ولكل وجهة هو موليها، على أن علي مبارك لم يكن يكتفي بما قال الجبرتي بل أخذ يبحث عن الأحفاد ليأخذ عنهم ما لم يبلغه من غيرهم، ففي ترجمته للشيخ حسن العطار ذكر أنه لم يجد عنه ما يشفي الغلة، ثم علم أن ابن أخته لا يزال على قيد الحياة، فاتصل به ووجد لديه ترجمة لوالده جمعها له بعض فضلاء الوقت ممن سمع منه أو نقل عنه أو وجد مكتوباً مثبتاً في مؤلفاته، وإذن فالرجل لم يترك جهداً ما في كتابة كل ما يجب من أمور البحث الدقيق!

وبعض الذين يهولهم كثرة مؤلفات الرجل الكبير يقولون: إن عدداً من العلماء قد ساعده في تأليفها، وذلك احتمال قد يرد، ولكنه لا يغمط فضلاً لرجل حارب في كل اتجاه، وكتب في مجالات شتى من فنون القول، فلو خصص له ما كتب بعضه لكان مثلاً رائعاً في البحث والتنقيب، ونحن نرى كثيراً من الأساتذة الكبار من يستعينون ببعض تلاميذهم في مباحث شتى، ولا تكون هذه الاستعانة موضع نقد يوجب التشهير، والمرء قليل بنفسه!

أعظم ما آلمني في حياة علي مبارك أنه تلقى أزمات كثيرة في حياته دون أن يكون أحد أسبابها، ولكن تعاقب ذوي الأمر على الدولة كان بعض الدواعي الخفية لاضطهاده، إذ يغضب التالي على كبار موظفي الحكومة لأنهم كانوا عون سالفه، وهم في الواقع كانوا عون الأمة وسند نهضتها، وقد كان يلقى الموقف بشجاعة صابرة، ويقوم بما يوسد إليه مهما انحطت درجته عن كفايته، وكأنه أحد الذين خاطبهم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي بقوله:

(وكن رجلاً كالضرس يرسو مكانه
ليطحن لا يعنيه حلو ولا مر)

د. / محمد رجب البيومي



تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال - تعالى - :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

(الآيتان: ٩-١٠)

ثم أمر الله - تعالى - عباده بتقواه، وبالتمسك بالأقوال السديدة فقال تعالى:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

(الآية: ٩)

وللمفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة أقوال.

أولها: أن الآية الكريمة أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم مثل ما يحبون أن يفعل بذريتهم الضعاف بعد وفاتهم.

فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا ﴾.. إلخ.

يعني بذلك الرجل يموت وله أولاد صغار ضعاف يخاف عليهم العيلة والضيعة، ويخاف بعده ألا يحسن إليهم من يليهم يقول: فإن ولي مثل ذريته ضعافاً يتامى، فليحسن إليهم ولا يأكل أموالهم إسرافاً وبداراً خشية أن يكبروا[1].

قال الآلوسي: «والآية الكريمة على هذا الوجه تكون مرتبطة بما قبلها. لأن قوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ إلخ.

في معنى الأمر للورثة، أي أعطوهم حقهم دفعاً لأمر الجاهلية، وليحفظ الأوصياء ما أعطوه ويخافوا عليهم كما يخافون على أولادهم»[2].

وعلى هذا الوجه يكون المقصود من الآية الكريمة حض الأوصياء على المحافظة على أموال اليتامى بأبلغ تعبير، لأنه سبحانه قد نبههم بحال أنفسهم وذرياتهم من بعدهم ليتصوروها ويعرفوا مكان العبرة فيها، ولا شك أن ذلك من أقوى الدواعي والبواعث في هذا المقصود، لأنه سبحانه كأنه يقول لهم: افعلوا باليتامى الفعل الذي تحبون أن يفعل مع ذريتكم الضعاف من بعدكم، فجعل - سبحانه - من شعورهم باحتياج ذريتهم باعثاً لهم على الحنان على أيتامهم هؤلاء. ومن المفسرين الذين استحسنوا هذا القول الإمام ابن كثير، فقد قال بعد أن حكى هذا القول: وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامى ظلماً[3].

أما القول الثاني: فيرى أصحابه أن الآية الكريمة أمر لمن حضر المريض من العواد عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم، فيوصوا المريض في أولاده خيراً ويشفقوا عليهم كما يشفقون على أولادهم.

وقد وضح هذا القول الإمام الرازي فقال: إن هذا خطاب مع الذين يجلسون عند المريض فيقولون له: إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً، فأوص بمالك لفلان وفلانة، ولا يزالون يأمرونه بالوصية إلى الأجانب إلى أن لا يبقى من ماله للورثة شيء أصلاً، فقيل لهم: كما أنكم تكرهون بقاء أولادكم في الضعف والجوع من غير مال، فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الضعفاء من ماله.

وحاصل الكلام أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك، فلا ترضه لأخيك المسلم. فعن أنس قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[4].

وقد رجح هذا الوجه الإمام ابن جرير فقال: «وأولى التأويلات بالآية قول من قال: تأويل ذلك: وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم العيلة لو كانوا فرقوا أموالهم في حياتهم، أو قسموها وصية منهم لأولي قرابتهم، وأهل اليتم والمسكنة، فأبقوا أموالهم لولدهم خشية العيلة عليهم من بعدهم، فليأمروا من حضروه - وهو يوصي لذوي قرابته وفي اليتامى والمساكين وفي غير ذلك -

(١) تفسير ابن جرير ج ٤ ص ٢٢٣.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٥٦
(٣) تفسير الآلوسي جـ ٤ ص ٢١٣
(٤) تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ١٩٨

بما له بالعدل، وليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً، وهو أن يعرفوه ما أباحه الله له من الوصية، وما اختاره المؤمنون من أهل الإيمان بالله وبكتابه وسنته»(٤).

والقول الثالث: يرى أصحابه أن الخطاب في الآية للموصين، وأن الآية تأمرهم بأن يشفقوا على ورثتهم، فلا يسرفوا في الوصية لغيرهم، لأن الإسراف في ذلك يؤدي إلى ترك الورثة فقراء، ولقد قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»(٥).

والذي نراه أن الأمر بالخشية من الله يتناول جميع الأصناف المتقدمة من الأوصياء، وعواد المريض، والموصين وغيرهم ممن هو أهل لهذا الخطاب؛ لأن هؤلاء جميعاً داخلون تحت الأمر بالخشية من الله - تعالى -، وبالقول السديد الذي يحبه سبحانه ويرضاه.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ﴾ فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، ومفعوله محذوف لتذهب نفس السامع في تقديره كل مذهب، فيقدر كل سامع بحسب الأهم عنده مما يخشى أن يصيب ذريته.

والجملة الشرطية وهي قوله تعالى: ﴿لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ صلة للموصول وهو قوله ﴿الَّذِينَ﴾ وجملة ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾.

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: ما معنى وقوع ﴿لَوْ تَرَكُوا﴾ وجوابه صلة للذين؟

قلت: معناه: وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً - وذلك عند احتضارهم - خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم»(٦).

قال صاحب الانتصاف: وإنما لجأ الزمخشري إلى تقدير ﴿لَوْ تَرَكُوا﴾ بقوله شارفوا أن يتركوا؛ لأن جوابه قوله ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ والخوف عليهم إنما يكون قبل تركهم إياهم، وذلك في دار الدنيا، فقد دل على أن المراد بالترك الإشراف عليه ضرورة، وإلا لزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل، ونظيره: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق: ٢)

أي: شارفن بلوغ الأجل.

ثم قال: ولهذا المجاز في التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع، وهو التخويف بالحالة التي لا يبقى معها مطمع في الحياة، ولا في الذب عن الذرية الضعاف، وهي الحالة التي وإن كانت من الدنيا، إلا أنها لقربها من الآخرة، ولصوقها بالمفارقة صارت من حيزها، ومعبراً عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك(٧).

وقوله: ﴿ضِعَافًا﴾ صفة للذرية، وفي وصف

(٤) تفسير ابن جرير جـ ٤ ص ٢٧٦.

(٥) صحيح بخاري ٥ / ٨٢ - ٣٠٥

(٦) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤٧٨

(٧) هامش تفسير الكشاف جـ١ ص٤٧٨

تقوية بذلك بعث على الترحم وحض على امتثال ما أمر الله به

والفاء في قوله: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩)

لترتيب ما بعدها على ما قبلها. فقد رتب الأمر بالتقوى على الأمر بالخشية وإن كانا أمرين متقاربين، لأن الأمر الأول لما عضد بالحجة - وهي الخوف على ذريتهم - اعتبر كالحاصل فصح التفريع عليه.

والمعنى: فليتقوا الله في كل شأن من شئونهم وفي أموال اليتامى فلا يعتدوا عليها، وليقولوا لغيرهم قولاً عادلاً قويماً مصيباً للحق وبعيداً عن الباطل.

قال الآلوسي وقوله ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ أي: لليتامى أو للمريض أو لحاضري القسمة، أو ليقولوا في الوصية ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ فيقول الوصي لليتيم ما يقول لولده من القول الجميل الهادي له إلى حسن الآداب ومحاسن الأفعال، ويقول عائد المريض للمريض: ما يذكره بالتوبة وحسن الظن بالله، وما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة، ويقول الوارث لحاضر القسمة: ما يزيل وحشته أو يزيد مسرته، ويقول الموصي في إيصائه: ما لا يؤدي إلى تجاوز الثلث.

ثم قال: والسديد: المصيب العدل الموافق للشرع. يقال: سد قوله يسد - بالكسر - إذا صار سديداً والسداد - بالفتح - الاستقامة والصواب، وأما السداد - بالكسر - فهو ما يسد به الشيء(٨).

قال بعض العلماء: وفي الآية الكريمة ما يبعث الناس كلهم على أن يغضبوا للحق من الظلم، وأن يأخذوا على أيدي أولياء السوء، وأن يحرسوا أموال اليتامى، ويبلغوا حقوق الضعفاء إليهم، لأنهم إن أضاعوا ذلك يوشك أن يلحق أبناءهم وأموالهم مثل ذلك، وأن يأكل قويهم ضعيفهم، فإن اعتياد السوء ينسي الناس شناعته، ويكسب النفوس ضراوة على عمله(٩).

ثم توعد سبحانه الذين يعتدون على حقوق اليتامى بأشد أنواع الوعيد فقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)

وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ استئناف مسوق لتقرير ما فصل من الأوامر والنواهي السابقة التي تتعلق بحقوق اليتامى.

قال الفخر الرازي: اعلم أنه - تعالى - أكد الوعد في أكل مال اليتيم ظلماً، وقد كثر الوعيد

(٨) تفسير الآلوسي جـ ٤ ص ٢١٤ - بتصرف وتلخيص.

(٩) تفسير التحرير والتنوير جـ ٤ ص ٢٥٣ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

في هذه الآيات مرة بعد أخرى على من يفعل ذلك كقوله

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾

وكقوله

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾

ثم ذكر بعدها هذه الآية مفردة في وعيد من يأكل أموالهم، وذلك كله رحمة من الله تعالى باليتامى؛ لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله، لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى، بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى[10].

وقوله: ﴿ ظُلْمًا ﴾ أي يأكلونها على وجه الظلم سواء أكان الآكل من الورثة أم من أولياء السوء من غيرهم.

وقال سبحانه ﴿ ظُلْمًا ﴾ لكمال التشنيع على الآكلين، لأنهم يظلمون اليتامى الضعفاء الذين ليس في قدرتهم الدفاع عن أنفسهم.

أو أنه سبحانه قيد الأكل بحالة الظلم، للدلالة على أن مال اليتيم قد يؤكل ولكن لا على وجه الظلم بل على وجه الاستحقاق كما في حالة أخذ الولي الفقير أجرته من مال اليتيم أو الاستقراض منه، فإن ذلك لا يكون ظلماً ولا يسمى الآكل ظالماً، قال تعالى:

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء: ٦)

وقوله ﴿ ظُلْمًا ﴾ حال من الضمير في ﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ أي يأكلونها ظالمين. أو مفعول لأجله. أي يأكلونها لأجل الظلم.

قول القرطبي: روى أن هذه الآية نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية، ولهذا قال الجمهور: إن المراد الأوصياء الذين يأكلون ما لم يبح لهم من مال اليتيم[11] وقوله.

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

بيان لسوء مصيرهم، وتصوير لأضرار الأكل عليهم.

وللمفسرين في تفسير قوله – تعالى –:

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ اتجاهان...

أولهما: أن الآية على ظاهرها، وأن الآكلين لمال اليتامى ظلما سيأكلون النار يوم القيامة حقيقة.

وقد استدل أصحاب هذا الاتجاه على صحة ما ذهبوا إليه بآثار منها ما رواه ابن حبان في صحيحه وابن مردويه وابن أبي حاتم عن أبي برزة أن رسول الله ﷺ قال: يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم ناراً، قيل يا رسول الله من

هم؟ قال: ألم تر أن الله قال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾

وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال: انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير، رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في أفواههم حتى تخرج من أسفلهم ولهم خوار وصراخ. قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا[12].

ثانيهما: يرى أصحابه أن الكلام على المجاز لا على الحقيقة وأن المراد إنما يأكلون في بطونهم المال الحرام الذي يفضي بهم إلى النار.

وعليه فكلمة ﴿ نَارًا ﴾ مجاز مرسل من باب ذكر المسبب وإرادة السبب.

والمراد بالأكل في قوله ﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ مطلق الأخذ على سبيل الظلم والتعدي. وإنما ذكر الأكل وأراد به مطلق الإتلاف على سبيل التشنيع، لأن الأكل عن طريقه تكون معظم تصرفات الإنسان. ولأن عامة مال اليتامى في ذلك الوقت هو الأنعام التي تؤكل لحومها وتشرب ألبانها فخرج الكلام على عادتهم، ولأن في ذكر الأكل تشنيعاً على الآكل لمال اليتيم ظلماً، إذ هو أبشع الأحوال التي يتناول

مال اليتيم فيها، ولأن في ذكر الأكل مناسبة للجزاء المذكور في قوله:

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ﴾

حيث يكون الجزاء من جنس العمل.

قال ﴿ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ مع أن الأكل لا يكون إلا في البطن، إما لأنه قد شاع في استعمالهم أن يقولوا: أكل فلان في بطنه يريدون ملء بطنه فكأنه قيل: إنما يأكلون ملء بطونهم ناراً حتى يشبعوا بها، ومثله ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١١٨)

أي ظهرت بها وقالوها بملء أفواههم، ويكون المراد بذكر البطون تصوير الأكل للسامع حتى تتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمزيد تصوير.

وإما أن يكون المراد بذكر البطون التأكيد والمبالغة كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ (الأنعام: ٣٨)

والطيران لا يكون إلا بالجناح، والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة.

وقوله تعالى ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ تأكيد لسوء عاقبتهم يوم القيامة.

ويصلون مضارع صلى كرضى إذا قاسى حر النار بشدة وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ﴿ وَسَيُصْلَوْنَ ﴾ بضم ياء المضارعة والباقون بفتحها. والسعير: هو النار المستعرة. يقال: سعرت النار أسعرها سعراً فهي مسعورة إذا أوقدتها وألهبتها.

(١٠) تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ٢٠٠

(١١) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٥٣.

(١٢، ١٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٥٢

وإنما قال ﴿سَعِيرًا﴾ بالتنكير لأن المراد نار من النيران مبهمة لا يعرف غاية شدتها إلا الله تعالى أي: وسيدخلون ناراً هائلة لا يعلم مقدار شدتها إلا الله عز وجل.

أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وغيرهم أنه لما نزلت هذه الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه. فجعل يفضل له الشيء من طعامه، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد عليهم ذلك، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

الآية فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم(١٤).

قال الفخر الرازي: ومن الجهال من قال: صارت هذه الآية منسوخة بتلك، وهو بعيد؛ لأن هذه الآية في المنع من الظلم، وهذا لا يصير منسوخاً، بل المقصود أن مخالطة أموال اليتامى إن كانت على سبيل الظلم فهي من أعظم أبواب الإثم كما في هذه الآية، وإن كانت على سبيل التربية والإحسان فهي من أعظم أبواب البر كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾(١٥)

(البقرة: ٢٢٠)

وبعد: فهذه عشر آيات من سورة النساء، تقرؤها فتراها تكرر الأمر صراحة برعاية اليتيم وبالمحافظة على ماله في خمس آيات منها.

فأنت تراها في الآية الثانية تأمر الأولياء والأوصياء وغيرهم بالمحافظة على أموال اليتامى، وأن يسلموها إليهم عند بلوغهم كاملة غير منقوصة، وتحذرهم من الاحتيال على أكل هذه الأموال عن طريق الخلط فتقول:

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

(النساء: ٢)

وتراها في الآية الثالثة تبيح لأولياء النساء اليتامى أن يتزوجوا بغيرهن إذا لم يأمنوا على أنفسهم العدل في أموال اليتيمات، وحسن معاشرتهن، وتسليمهن حقوقهن كاملة إذا تزوجوهن فتقول:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾

(النساء: ٣)

وتراها في الآية السادسة تأمر الأولياء بأن يختبروا تصرفات اليتامى وأن يسلموا إليهم أموالهم عند بلوغهم وإيناس الرشد منهم فتقول:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾

(النساء: ٦)

(١٤) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٥٧.

(١٥) تفسير الفخر الرازي جـ٩ ص ٢٠٦

وتراها في الآية الثامنة تأمر المقاسمين للتركة أن يجعلوا شيئاً منها للمحتاجين من الأقارب واليتامى والمساكين فتقول:

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾

(النساء: ٨)

ثم تراها في الآية العاشرة تتوعد الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بأشد ألوان الوعيد فتقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

(النساء: ١٠)

وقد أمر القرآن أتباعه في كثير من آياته بالعطف على اليتيم، وبحسن معاملته، وبالمحافظة على حقوقه، ومن ذلك قوله - تعالى -

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾

(الإسراء: ٣٤)

وقوله - تعالى - ممتنا على نبيه محمد ﷺ

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾

(الضحى ٦-٩)

وقوله - تعالى - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

وعندما نقرأ أحاديث النبي ﷺ نراه في كثير منها يأمرنا برعاية اليتيم، وبالعطف عليه، وبإكرامه وعدم قهره وإذلاله، ويبشر الذين يكرمون اليتيم بأفضل البشارات، فقد روى البخاري وغيره عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بإصبعيه السبابة والوسطى» - أي: وأشار وفرج بين إصبعيه السبابة والوسطى -.

وإنما اعتنى الإسلام برعاية اليتيم لصغره وعجزه عن القيام بمصالحه، ولأن عدم رعايته سيؤدي إلى شيوع الفاحشة في الأمة، ذلك لأن اليتيم إنسان فقد العائل والنصير منذ صغره، فإذا نشأ في بيئة ترعاه وتكرمه وتعوضه عما فقده من عطف أبيه، شب محبا لمن حوله وللمجتمع الذي يعيش فيه. وإذا نشأ في بيئة تقهره وتذله وتظلمه نظر إلى من حوله وإلى المجتمع كله نظرة العدو إلى عدوه، وصار من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ لأنه سيقول لنفسه: إذا كان الناس لم يحسنوا إلي فلماذا أحسن إليهم؟ وإذا كانوا قد حرموني حقي الذي منحه الله لي فلماذا أعطيهم شيئاً من خيري وبري؟

لهذه الأسباب وغيرها أمر الإسلام أتباعه برعاية اليتيم وإكرامه وصيانة حقوقه من أي اعتداء أو ظلم.

السماحة من مكارم الأخلاق

لفضيلة الشيخ/ ابراهيم عطا الفيومى

روى الإمام البخارى - رحمه الله - فى صحيحه أن حذيفة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: كنت آمر فتيانى أن ينظروا ويتجاوزوا عن الموسر، قال: فتجاوزوا عنه».

التروح والبيان

يجب الإسلام بالمسلمين أن يتعاونوا وأن يتراحموا، وأن يكون خلق التسامح خلقاً أصيلاً من أخلاقهم، وأن ينبذوا التشدد والعنف، وأن يعيشوا على هذه الأرض إخوة متحابين متآلفين. لا تفرقهم الدنيا، ولاينزغ بينهم الشيطان، الغنى منهم يرحم الفقير ويعاونه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والفقير لايحقد على الغنى، ولا يكره له الخير، وذلك لايكون إلا إذا نزع الأغنياء من قلوبهم الأثرة وحب النفس، وأن يحبوا لغيرهم ما يحبونه لأنفسهم، وبذلك تصفو النفوس، وتحظى بالأمان والأمن.

أما إذا سيطرت المادة على النفوس وتكالب عليها الناس وتزاحم عليها الخلق وتنافسوا عليها فإن ذلك دليل على جفاء الطبع وجفاف العاطفة. وهذه قسوة تقطع صلة الإنسان بربه. روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: «إن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب».

فالسماحة خلق من أخلاق الإسلام، وهى من أخلاق الرسل «عليهم جميعا السلام»، وقد قال الله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾

(الأنعام: ٩٠)

وإذا بلغ المسلم هذه الدرجة يصبح أهلاً لرحمة الله «عز وجل» قال ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى وإذا قضى».

والحديث الذى أوردناه يحكى قصة رجل تلقت الملائكة روحه ممن كان قبلنا، فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ فقال: كنت آمر فتيانى - أى غلمانى - أن ينظروا ويتجاوزوا عن الموسر، وفى رواية «أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر». فقال الله عز وجل: تجاوزوا عنه، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، كما أن العقوبة من جنس الجريمة

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

(الكهف: ٤٩)

والسماحة كلمة عامة، فقد تكون فى البيع والشراء، فعلى البائع أن يكون لين الجانب، لايضن بما عنده، ولا يبالغ فى طلب الربح، ولا يساوم، وعلى المشترى أن يكون سهلاً قريباً، لايبخس السلعة، فإذا كانا كذلك بارك الله لهما. أما إذا غش البائع فإن الغش يمحق البركة، بل ويخرج من صفوف المسلمين. ففى الحديث عن أبى هريرة «رضى الله عنه»، فيما رواه أحمد وابن ماجه، أن النبى ﷺ مر برجل يبيع طعاماً «أى قمحاً» فأعجبه، فأدخل يده فيه، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء، فقال: «فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غش فليس منا».

ولذلك حرم الإسلام تطفيف الكيل وبخس الوزن، كما حرم الاحتكار، وعلى كل من يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً أن يمتنع عن كل ما حرم الله. وقد قال ﷺ - فيما رواه الترمذى -: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق».

وأبرز معنى هذا الحديث هو السماحة فى اقتضاء الدين، فالرجل المذكور تجاوز الله عنه لأنه كان يطلب دينه فى رفق ولين ورحمة وأدب، فلا يعنفه ولا يسمعه ما يكره، بل يطالبه بكل أدب، وربما أدى ذلك إلى حمل المدين على الوفاء بالدين فى أول فرصة تسنح له. وإن أعطى الحديث شيئاً فإنما يعطى أن أثقل ما يوضع فى ميزان العبد يوم القيامة.

أن يكون له دين على أخيه فيرحمه إن كان معسراً فينظره إلى ميسرة، أما إذا كان بحالة لا تسمح بالسداد فقد حمله الإسلام على أن يتصدق بهذا الدين، وأن يرى ساحة المدين، وأن يبتغى ما عند الله، فما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. قال تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

(البقرة: ٢٨٠)

وقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس «رضى الله عنهما» قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمح يسمح لك». وهذه السماحة ترفع صاحبها عند الخلق وعند الخالق، فعن أبى سعيد الخدرى «رضى الله عنه» عن النبى ﷺ قال: «أفضل المؤمنين رجل سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء سمح الاقتضاء»، ويكفى شاهداً على ذلك أن السماحة تكون سبباً فى دخول صاحبها المتخلق بها الجنة. روى أحمد عن عبدالله بن عمرو «رضى الله عنهما» قال: قال رسول الله ﷺ: «دخل رجل الجنة بسماحته قاضياً ومتقاضياً».

وكما تكون السماحة فى معاملة الناس تكون فى معاملة الأزواج قال تعالى:

﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(البقرة: ٢٣٧)

ولذلك قال الإمام على بن أبى طالب «رضى الله عنه»: «أقيلوا ذوى المروءات عثراتهم فما يعثر منهم

عشر "لا وبيده بيد الله يرفعه"، وقال محمد بن المنكدر:

«كان يقال: إذا أراد الله بقوم خيراً، أمّر عليهم خيارهم، وجعل أرزاقهم بأيدي سمحائهم».

ولنا في السلف الصالح والرعيل الأول أسوة طيبة، قال فرقد السبخي: «لم يكن أصحاب نبي قط -فيما خلا من الدنيا- أفضل من أصحاب محمد ﷺ، لا أضجع لقتاء، ولا أسمح أكفاء».

وقد أنشد الإمام الشافعي «رحمه الله»:

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى

ودافع ولكن بالتي هي أحسن

وليس التسامح مع المسلمين فحسب، فهو يكون مع غير المسلمين كما يكون مع المسلمين، والناظر في تصرفات قادة الفتوحات الإسلامية من أصحاب رسول الله ﷺ وولاته وتلاميذهم من التابعين وتابعيهم يرى أنهم كانوا أحرص على الرفق والسماحة في تنفيذ العهود والمصالحات، مما جعل المعاهدين والمصالحين يتعاونون مع المسلمين في صدق وإخلاص؛ نتيجة لما رأوه من العدالة الرحيمة في معاملة المسلمين إياهم.

وإن في روح الإسلام من السماحة الإنسانية ما لا يملك منصف أن ينكره أو يرتاب فيه، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلها، لا لجنس دون جنس، ولا لأتباع عقيدة معينة، إنما هي للإنسان بوصفه إنساناً، وعندما يؤدي الإسلام واجبه في هداية البشرية، وينهض بتكاليفه في دفع الظلم والفساد عنها، لا تبقى له سلطة تعسفية على فرد أو قوم، ولا تبقى في صدره إحنة على طبقة أو جنس، فالسماحة تمكن من إقرار السلام على الأرض، ومن تأليف الأجناس والألوان، ومن إشاعة روح الود والتراحم بين البشر جميعاً، ومن تنقية جو الحياة من سموم التحاسد الفردي، والتطاحن الطبقي، والتناحر العنصري. كما أنها تمكن من كف الحروب والمجازر التي تقوم على تلك الأسباب، وعلى الرغبة في الفتح والتوسع لمجرد الاستغلال المادي أو العظمة الكاذبة الناتجة عن القوة الطاغية. والإسلام بمبادئه يصور هذه الروح الإنسانية الخالصة. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

(الحجرات: ١٣)

وقد جاء في الحديث الشريف عن جابر بن عبدالله «رضي الله عنهما» قال: مرت بنا جنازة فقام النبي ﷺ وقمنا، فقلنا: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي، فقال: «أو ليست نفساً؟!» قال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا» -رواه البخاري.

وبهذه السماحة الإنسانية الخالصة سار خلفاء الرسول ﷺ وسار المسلمون في الغالب، فلم تكن إلا فلتات عابرة من التعصب في غير واجب ديني، وفي غير ظلم يدفع، أو فساد يرفع، وقد وقعت على أيدي أناس لا يعدون ممثلين للإسلام، ولا فاهمين لمبادئه العليا، وروحه الإنسانية.

ونحاول بنا لشبهه مع الحقيقة الأرواب الناطق بالصواب الذي وافق حكمه حكم الكتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب «رضي الله عنه»، من نفسه، فقد رأى شيخاً ضريراً يسأل على باب، فسأل فعلم أنه يهودي، فقال له: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل لخازن بيت المال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾

(التوبة: ٦٠)

وهذا من مساكين أهل الكتاب.

وتتجلى سماحة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» في تلك الشروط التي وضعها حين تسلم بيت المقدس والتي جاء فيها «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم». هذا وفرض عليهم خمسة دنانير من الموسرين، وأربعة من الطبقة الوسطى، وثلاثة من الفقراء.

وأعظم من هذا كله أنه لما زار الفاروق «رضي الله عنه» الأماكن المقدسة بصحبة البطريق ودخل معه كنيسة القيامة، فحان وقت الصلاة، فطلب البطريق إلى عمر أن يصلي فيها، ولكنه بعد أن فكر وقدر اعتذر قائلاً: إنه إن فعل ذلك فإن أتباعه فيما بعد قد يدعون أن هذا المكان محل لعبادة المسلمين، ويقولون: هنا صلى عمر. وحين حضرته «رضي الله عنه» الوفاة أوصى من يخلفه قائلاً: «أوصيه بذمة الله، وذمة رسوله، أن يوفي لهم بعهدهم وألا يكلفوا إلا طاقتهم».

وبمثل هذا التسامح وهذه العدالة استطاع الإسلام في الماضي، ويستطيع في المستقبل، أن يحقق السلام العالمي في الأرض؛ لأنه يمنح الناس ما لا تمنحه لهم عقيدة أخرى، ويسلكهم جميعاً في قافلة إنسانية واحدة يحسون في ظلها بالأمن والأمان والسلام. نعم، إن الإسلام قوة تحريرية تنطلق في الأرض لتقرير ربوبية الله وحده للعباد، ومن ثم تحرر البشر من أغلالهم، وتمنحهم الحرية والكرامة دون نظر إلى عصبية عنصرية أو طبقية، ومن ثم قال عمر بن العزيز «رضي الله عنهما» لعامله الذي أرسل إليه يشكو نقص الجزية؛ لأن الناس آثروا الإسلام، قال: «لقد بعث محمد هادياً، ولم يبعث جابياً».

علينا أن نحب السماحة؛ لحب الله ورسوله والملائكة المقربين لها، ولأن الإنسان السمح محبوب لدى أهله ومجتمعه، وبها ينعم الإنسان أكبر قدر من السعادة وهناءة العيش، وكيف لا؟! والسماحة تجلب الخير الدنيوي، وذلك بكثرة محبيه، وما دخل غير المسلمين في دين الله أفواجاً إلا لحبهم للمسلمين؛ لما رأوا من تسامحهم معهم ومعاونتهم إياهم.

والله الموفق.

أدب الأنبياء والمرسل مع الله - عز وجل -

لفضيلة الشيخ /فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إذا تتبعنا آيات القرآن الكريم، وتدارسناها بروية وفكر وإمعان، وتأملنا أحوال الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع الله، وخطابهم وسؤالهم ونداءاتهم وأحاديثهم مع الله - عز وجل - نجدها كلها مطعمة بالأدب قائمة به.

يقول الله - تعالى - عن نبيه محمد ﷺ حين أراه ما أراه ليلة الإسراء والمعراج

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾

(النجم: ١٧)

الزيغ هو الميل عن حدود الاستقامة، والطغيان تجاوز الحدود المشروعة.

أي: ما مال بصر النبي ﷺ عما أذن الله - تعالى - له في رؤيته، وما تجاوزه إلى ما لم يؤذن له في رؤيته، بل كان بصره ﷺ منصبا على ما أبيح له النظر إليه.

قال ابن كثير - رحمه الله - قوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾

قال ابن عباس: ما ذهب يمينا ولا شمالا، وما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطى، وما أحسن قول القائل:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو
رأى غيره ما قد رآه لتاها[1]

وهذا قمة الثناء على النبي ﷺ، وكمال أدبه مع الله - عز وجل - في ذلك المقام، لأن الإخلال بالأدب أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلع أمام المنظور، فالالتفات زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور طغيان ومجاوزة، فكمال إقبال الناظر على المنظور: ألا يصرف بصره عن يمنة ولا يسرة، ولا يجاوزه.

وهذا غاية الكمال والأدب مع الله - جل وعلا - الذي وصف رسوله محمدا ﷺ بقوله عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(القلم: ٤)

وتصديقا لقوله ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[2]

ويقول الله - تعالى - عن نبيه وخليله سيدنا إبراهيم - عليه السلام -

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

(الشعراء: ٧٨ - ٨٢)

تحكي الآيات السابقة على هذه الآيات الكريمة ما دار بين سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وبين قومه من مناقشات وحوار حول عبادتهم الأصنام التي لا تسمع دعاءهم إذا دعوها ولا تحس بعبادتهم لها، ولا تملك لها نفعا ولا ضرا، وإنكار سيدنا إبراهيم هذه الأصنام وأنها عدو له لأن عبادتها باطلة، وأن المستحق للعبادة والطاعة هو الله الذي يتصف بهذه الصفات الكريمة التي تليق بجلاله وهي:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: أنا أخلص عبادتي لرب العالمين، الذي أوجدني بقدرته، والذي يهديني وحده إلى ما يصلح لي شأني في دنياي وآخرتي و﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾، وهو - سبحانه - وحده الذي يطعمني من نعمه وفضله، ويشرب من فضل آلائه. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

وهنا يتجلى الأدب العالي لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع ربه وخالقه - عز وجل -، فقد أضاف المرض إلى نفسه - وإن كان الكل من الله - تعالى -، أي إذا مرضت فالشفاء من عنده - سبحانه.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾

أي: وهو - عظمت قدرته - الذي بقدرته وحده يميتني عند حضور أجلي، ثم يعيدني إلى الحياة مرة أخرى يوم البعث والنشور والحساب والجزاء. ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

(١) تفسير ابن كثير

(٢) [illegible] ١٨٩٥

أي: وهو وحده الذي أطمع أن يغفر لي ذنوبي يوم اللقاء؛ لأنه لا يقدر على ذلك أحد سواه.

وهذه الآيات الكريمة توضح لنا أسمى درجات الأدب من سيدنا إبراهيم – عليه السلام – مع ربه – عز وجل – فعندما تحدث سيدنا إبراهيم – عليه السلام – عن الخلق والإيجاد، والهداية والرشاد، وعن الطعام والشراب، وعن الإماتة والإحياء نسب ذلك كله إلى الله – عز وجل – وعندما تحدث عن المرض والضعف نسبه إلى نفسه، ولم يقل: وإذا أمرضني. التزاما منه بأسلوب الأدب مع الله – تعالى –.

ذكر المفسرون أن إبراهيم – عليه السلام – جيء به إلى النار – التي أعدها قومه لإحراقه بعد أن وبخهم وبكتهم على عبادتهم الأصنام – قالت الملائكة: يا ربنا ما في الأرض أحد يعبدك سوى إبراهيم، وأنه الآن يحرق فأذن لنا في نصرته!! فقال – سبحانه –: إن استغاث بأحد منكم فلينصره، وإن لم يدعُ غيري فأنا أعلم به، وأنا وليه، فخلوا بيني وبينه، فهو خليلي ليس لي خليل غيره، فأتى جبريل – عليه السلام – إلى إبراهيم، فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم!! فقال له جبريل: فلم لا تسأله؟ فقال إبراهيم – عليه السلام: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

إذعان تام، وتسليم مطلق، وأدب عال من سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – مع الله – عز وجل – فلم يقل: نجني يا رب، أو أنقذني يا رب، أو أغثني يا رب، وإنما قال في أدب وخشوع: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

ويقول الله – تعالى – عن نبيه موسى – عليه السلام –:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

(القصص: ٢٤)

حكت الآيات السابقة على هذه الآية الكريمة جانبا من قصة موسى – عليه السلام – عندما خرج من مصر خائفا من فرعون وملئه، يترقب التعرض له منهم، وتوجهه إلى قرية مدين، وعن همته العالية، وأخلاقه الفاضلة، وشهامته المثلى التي دفعته إلى أن يسقي للمرأتين أغنامهما أو مواشيهما.. وأنه بعد أن قام بهذا العمل العظيم الذي فيه إعانة الضعيف ونصرة المحتاج، توجه إلى الظل الذي كان قريبا منه في ذلك المكان فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

الأنبياء والرسل – عليهم جميعا الصلاة والسلام – عندما يناجون ربهم، ويتضرعون إليه يلتزمون بأسلوب الأدب السامي، فمع أن موسى – عليه السلام – كان في شدة الحاجة إلى طعام يسد رمقه، يدل على ذلك ما أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لما سقى موسى للجاريتين، ثم تولى إلى الظل، فقال: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، وإنه يومئذ فقير إلى كف من تمر»[1]

فمع معاناة موسى – عليه السلام – من ألم الجوع، وحاجته الماسة إلى طعام لم يقل: رب إني جائع أطعمني، التزاما منه بأسلوب الأدب مع الله – عز وجل – وإنما قال:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

ويقول الله – تعالى – عن آدم – عليه السلام –:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

(الأعراف: ٢٣)

حكت الآيات السابقة على هذه الآية الكريمة أن الله – تعالى – نهى أبانا آدم وزوجه أمنا حواء عن الأكل من شجرة معينة من أشجار الجنة، فأخذ إبليس يوسوس إليهما بأن يأكلا من الشجرة المحرمة، لتكون عاقبة ذلك أن يظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما – ولم يكتف إبليس بالوسوسة، وإنما خدعهما بقوله لهما: بأن نهي الله – سبحانه – لهما عن أكلهما من الشجرة إلا كراهية أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين، ولم يكتف إبليس بالوسوسة، والخديعة، وإنما أضاف إلى ذلك القسم المؤكد بأنه لهما من الناصحين.

وقد نجح إبليس في إغوائه لهما فأكلا من الشجرة، وكانت نتيجة ذلك أن تساقط عنهما لباسهما، وظهرت لهما عوراتهما، وأخذا يستران عوراتهما بورق الجنة، فعاتبهما الله – جل شأنه – بأن ذكرهما بنهيه لهما عن الأكل من هذه الشجرة، وتحذيره لهما من الشيطان وأنه عدو مبين لهما!!

وقد التمس آدم من ربه الصفح والمغفرة:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

أي: إننا أضررنا أنفسنا بالمعصية والمخالفة،

---

(1) تفسير الألوسي

وإن لم تغفر يا ربنا لنا ما فعلناه، وترحمنا بقبول توبتنا لنصيرن من الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة.

وهنا يظهر التزام آدم -عليه السلام- بأدب الحديث مع الله -عز وجل- في قوله هذا، فهو لم يقل: قدّرت عليّ وقضيت عليّ، وإنما نسب الفعل إلى نفسه، وطلب العفو والصفح والمغفرة من الله.

ويقول الله -تعالى- عن نبيه يوسف -عليه السلام-:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

(يوسف: ١٠٠ - ١٠١)

تحكي الآيتان الكريمتان جانبا من قصة يوسف -عليه السلام- بعد أن رحل يعقوب -عليه السلام- ومعه أبناؤه -إخوة يوسف- وأهله من أرض كنعان بفلسطين إلى مصر ليقيموا فيها، استجابة لدعوة يوسف لهم:

﴿... فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

(يوسف: ٩٣)

وكان عددهم ما بين الثمانين والتسعين.

وقد ذكر المفسرون أن يوسف -عليه السلام- وحاشيته ووجهاء مصر عندما بلغهم قدوم يعقوب بأسرته إلى مصر، خرجوا جميعا لاستقبالهم، وقد رحبوا بهم، وقال يوسف لهم:

﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾

(يوسف: ٩٩)

والمراد بالعرش: السرير الذي كان يجلس عليه يوسف. أي: وأجلس يوسف أبويه معه على السرير الذي يجلس عليه، تكريما لهما، وإعلاء لشأنهما.

﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أي: وخر يعقوب وأسرته ساجدين من أجل يوسف، وكان ذلك جائزا في شريعتهم على أنه لون من التحية، وليس المقصود به السجود الشرعي؛ لأنه لا يكون إلا لله -تعالى-.

وقال يوسف لأبيه: هذا السجود الذي سجدتموه لي الآن، هو تفسير رؤياي التي رأيتها من قبل في صغري وقصصتها عليك في حينها، قد جعل ربي هذه الرؤيا حقا، وأراني تأويلها وتفسيرها بعد أن مضى عليها زمن طويل. وقالوا: كان بين رؤيته وبين تحقق تأويلها أربعون سنة.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾

أي: قال يوسف لأبيه: وقد أحسن ربي بي إذ أخرجني من السجن بعد أن مكثت بين جدرانه بضع سنين. ولم يقل: أخرجني من الجب؛ حفظا للأدب مع إخوته حتى لا يجرح شعورهم، ولا يخجلهم بما جرى له منهم من إلقائهم له في الجب. ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ أي: وقد أحسن ربي بي أيضا حيث يسر لكم أموركم، وجمعني بكم في مصر بعد أن كنتم مقيمين في البادية، ولم يقل: وجاء بكم بعد أن رفع عنكم جهد الجوع والحاجة والفاقة أدبا معهم أيضا.

﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾

أي: أكرمني ربي أيضا بأن جمعني بكم في مصر، بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي. فأضاف ما جرى له من إخوته -من إلقائهم له في الجب- إلى السبب وهو وسوسة الشيطان، ولم يضفه إلى المباشر الذي نفذه، سترا على إخوته وتأدبا معهم.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

ثناء من يوسف -عليه السلام- على ربه أي: إن ربي وخالقي لطيف التدبير لما يشاء تدبيره من أمور عباده، رفيق بهم في شئونهم من حيث لا يعلمون. إنه -جل شأنه- هو العليم بأحوال خلقه علما تاما، الحكيم في كل أقواله وأفعاله.

ثم ختم يوسف -عليه السلام- ثناءه على الله -تعالى- بهذا الدعاء:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

أي: إنك يا رب أكرمتني وأحسنت إلي كثيرا، فقد أعطيتني شيئا عظيما من الملك والسلطان بفضلك وكرمك، وعلمتني -أيضا- شيئا كثيرا من تفسير الأحاديث والرؤى بتوفيقك وإحسانك، يا خالق السموات والأرض أنت هاديني ومرشدي وناصري ومعيني في الدنيا والآخرة، أبقني مسلما مدة حياتي، وتوفني عندما يدركني أجلي على الإسلام، وألحقني في قبري، ويوم البعث والنشور والحساب والجزاء بالصالحين من عبادك من النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقا.

فقه الأولويات والموازنات

تمهيد:

ما أحوج المسلم فرداً كان أو جماعة أو أمة أن يحيي فقه الأولويات على أساس أنه يشكل مدونة إصلاح تمحو الخلل في نظام الحياة، ويضع الأمور في نصابها الصحيح، ويقوم المعوج من الممارسات، ويصحح المغلوط من المفاهيم. وأحد المفاتيح المرصعة لذلك فقه الأولويات والموازنات وسع من الفقه الشرعي، يتمكن من خلاله ترتيب الاهتمامات، وتصحيح المسار للفرد والجماعة والأمة، وصياغة السلوكيات بغرض الاستقامة على طريق الإسلام الحق، والعمل على تصحيح العديد من سلوكيات المسلمين المغلوطة، وتقديم ما ينبغي أن يقدم وتأخير ما يجب أن يؤخر والبدء بالأهم فالمهم وفق مناهج منضبطة تتأسس على أسس شرعية.

أولاً: صور من الخلل الحاصل في سلوكيات المسلم في العصر الراهن من بينها:

- تكرار الحج كنموذج للفهم السقيم لأداء فرض من فروض الدين، لم يكلف الله به المسلم إلا مرة في العمر، فترى البعض أنه تكراره هو والعمرة علامة التدين والتطبيق السديد.

- إقامة الزوايا أسفل العمارات والبيوت الفارهة في أماكن ضيقة بحسبانها قياماً بقربة لا تعدلها قربة، في غفلة عن قيمة فقه الأولويات ومقاصد الشريعة، وعلى حساب قضايا البطالة (الإسكان، التعليم، الأمية) ومكافحة العنوسة في الزواج مع أهميتها وضرورتها لإحياء قيمة العمل والإنتاج وتشغيل الشباب متناسين قوله تعالى:

﴿... وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾

(التوبة: ١٩)

- حصر الإسلام في إطالة اللحى وتقصير الثياب والسواك، وحمل المسبحة، واعتبارها المظهر الصحيح للإنسان المسلم، غافلاً عن الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1].

- من المفارقات العامة التي شاعت في المجتمع:

- الاهتمام بالفن والرياضة وتعدد صورها وأشكالها الغارقة في اللهو والعبث بطريقة تفوق الاهتمام بالتعليم والثقافة والعلم الذي لا يأخذ حظه الكافي والواجب المطلوب كأهم استثمار للنهوض بالأمة، وتحقيق مشروعها الحضاري والقاطرة التي تدفع عجلة التنمية.

- جعل رياضة الأجساد مقدمة على رياضة تثقيف العقول والأفهام.

- عدم الاكتراث بأداء الواجبات المجتمعية:

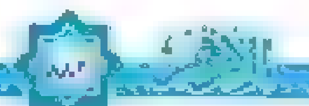
فقد اعتاد أناس على الاتصاف بالأنانية والذاتية المفرطة فهم يعيشون لأنفسهم غير عابئين بغيرهم من أفراد المجتمع متفقاً الآلاف المؤلفة من المال دون اكتراث بجاره الجائع، أو العريان، أو المريض، أو المشرد. وإخوانه من حوله يتعرضون للإبادة والمحارق والمذابح في أرض فلسطين والعراق والصومال.

وغفل عن أن الفقه السديد، هو تقديم حفظ الدين والذود عن الأوطان، فإنها أصل لكل شيء، وبحمايتها يمكن إقامة الفروض وأداء العبادات، وتكرار الحج لا يزيد على كونه فضيلة، لأن صاحبه أدى الفرض، كما أن حفظ النفس وإنقاذ الأرواح يكون بإطعام الجوعى وسد حاجاتهم، والقيام بضروريات حياتهم وهو مقدم على حج النافلة.

- تقديم السنن والمندوب على الأركان والفروض مع ما قد يترتب على ذلك من تفريط وإفراط.

كما في المداومة على الأوراد والنوافل على حساب الفرائض، فمن الناس من يقوم الليل في النوافل والتهجد، مقصراً في عمله المكلف

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة.



به الذي يقضي به مصالح الناس وهو التزامه اليومي، بسبب شدة التعب وسهر الليل. أو يكون من الظن بأن الله يعفيه من الحساب عنه بسبب حرصه على النوافل والأوراد، وأنها تشفع له غافلاً عن فريضة العمل التي بها عز الأمة ونهضتها. فالله تعالى كتب الإتقان والإحسان على كل شيء بقوله

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(البقرة: ١٩٥)

وقوله تعالى

﴿[illegible] إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

(النحل: ٨٨)

ومن وصايا الله العدل والإحسان

﴿[illegible]﴾

(النحل: ٩٠)

وهي دعوة للعمل والإتقان والجودة في العمل، والارتقاء بمكانته بحسبانه من مقومات تقدم الأمم. وفي الحديث: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[2].

مع أن العمل هو عز الفرد، وفيه نهضة الوطن ورفعة الأمة، وهو سبيل الفلاح والرقي فهو المحدد لمكانة الفرد والمجتمع، يبوأ به الشخص مكانه في الهيئة الاجتماعية:

﴿[illegible] عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

(الأنعام: ١٣٢)

والعمل يدركه الرب والرسول والمؤمنون، وهم شهود عليه:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا [illegible] فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(التوبة: ١٠٥)

فهو سبيل للتسابق والتنافس بين الأفراد والأمم، لإحراز القوة والغلب والغنى والمجد في الدين والدنيا. ولا غرو أن احتفى به الإسلام هذه الحفاوة البالغة، وأنزله هذه المنزلة السامقة. وشاهد هذه أن الله تعالى قرن العمل الصالح التابع بالإيمان به تعالى. ينبغي استعادتها في أقرب فرصة. فحال العالم الإسلامي، والمسلم في عالم اليوم هزيل عند إجراء المقارنة مع حال الإنسان الغربي والدول الغربية

قلب الفروع الفقهية إلى أصول:

فالناظر لممارسات بعض المسلمين يجد الحرص الشديد على الفروع وإهمال الأصول مع أن الفروع تقوم على الاجتهاد. ويعذر التقصير فيها، وهي في درجة تالية للأصول ومرتبتها متأخرة، فهذه هي منزلتها في الشرع. بينما الأصول من القواطع التي يجب القيام بها، باعتبارها من ثوابت الدين وعمده الأساسية. ولايعذر فيها الاختلاف. وربما كانت إشارة أبو حنيفة إلى مرتبتها، وتنوع العلم فيها بقوله:

«علمنا هذا رأي فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه».

بينما الأصول هي من المعلوم من الدين بالضرورة لايجوز الخلاف حولها ولا الجدال فيها. وهي قائمة على اليقين والقطعية والجزم، على خلاف الحال في الفروع التي تقوم على الظن، وتقبل الاحتمال، والعلم فيها يعتمد على القدرة والإمكان والعمل فيها يقبل المعاذير.

تحويل الخطأ إلى خطيئة:

وهو نمط آخر من الخلط في ترتيب الأولويات يقع فيه بعض الناس، متناسين أو جاهلين أن المخطئ معذور، وقد رفع الله عنه العقاب.

«رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[3].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

(البقرة: ٢٨٦)

وقوله تعالى

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾

(الأحزاب: ٥)

والإنسان عرضة للخطأ بمقتضى طبيعته البشرية. «فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[4].

بينما الخطيئة من الكبائر، وتتعلق بانتهاك مقوم من مقومات الدين وحقائقه الكلية، ولايجوز التهاون فيها ومرتكبها مستحق للعقاب الشديد:

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

(النساء: ١١٢)

والخطيئة من الكبائر التي تخل بحقائق الدين، وتصيب إيمان المسلم في الصميم.

نسبة الخطيئة إلى الكفر:

وهو من أكبر الكبائر، وهو صنيع بعض المتفيهقين، الذين حسبوا أنفسهم أوصياء على الإسلام المدافعين عنه، المنافحين عن حياضه مع أن القائل به يصف المسلم بالكفر ويخرجه من حظيرة الإيمان إلى الشرك، وهو مما لا يغفر الله لصاحبه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ [illegible]﴾

(النساء: ٤٨)

وخطورة هذا المسلك أن ترمي من يرتكب عملاً منافياً للدين بالزندقة والكفر، تهويلاً

---

(٢) كنز العمال ٩٠٢٨

(٣) تهذيب

(٤) الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع

وتفضيحاً ووصاية على دين الله. وهو ما ينطوي على تسوية بين المعصية والكفر، وجعلهما في مرتبة واحدة مع البون الشاسع بينهما، إذ إن العاصي مهما كانت معصيته لايخرج عن دائرة الإيمان، في حين أن الكافر خلع ربقة الإسلام من عنقه، وهوى إلى درك الكفر، وشتان ما بينهما.

- التنطع في الدين والغلو في الأشياء كلها، والتشدد في كل أمر، واعتماد التعسير بدلاً من التيسير على المسلمين وتحميل الأمور فوق طاقتها، والفظاظة والغلظة في التعامل، والتكليف بالأشد، وهو مخالف لقوله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

وفيه مجافية خلق صاحب الشريعة، لما وصفه ربه بقوله:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

والتنطع مذموم ومنهي عنه يقول الرسول ﷺ: «هلك المتنطعون»[1] قالها ثلاثاً تحذيراً من مردودها في التنفير من الدين وأثرها السلبي في الخروج على أوامره ونواهيه.

وقوله: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[2].

وقد ركب بعض المتدينين متن الشطط في هذا الصدد، وألزموا أنفسهم مسلكاً متشدداً، وألزموا غيرهم بها، واعتبروها من الفرائض التي بتركها يقع المسلم في مهاوي الكبائر والخطيئة.

مثال ذلك عدم الاكتفاء بأن الحجاب فرض، بحيث لا يظهر من المرأة إلا وجهها وكفاها.

لكن المتنطعين يأبون إلا النقاب لغير فرض عندهم، ولهم فيه فنون وشجون فلا ينبغي أن ترتدي المسلمة الحجاب لأنه غير كاف ولا واف كزي شرعي للمرأة المسلمة. وكأنهم لم يقرءوا قوله تعالى:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(النور: ٣١)

والذي يظهر الوجه والكفين والقدمين. والويل والثبور وعظائم الأمور لمن تركه، مع أن النقاب فضيلة وليس فريضة، وعادة وليس عبادة.

(ج)

[1] مسلم، كتاب العلم

[2] كنز العمال ٥٣٥١، ٥٣٢٣

النور المستطاع

حوار لا تنقصه الصراحة حول مخطوطة مزعومة ٢

لفضيلة الشيخ/الطاهر الحامدي

من العيوب التي تعتال الموضوعية الأفكار المسبقة التي يكنها صاحب الرأي، لأنه بداهة يصادر على المطلوب كما يقولون. ومن خطل الرأي يحاول الإنسان تبرير ما يراه دون نظر إلى الموضوع.

وهذا بكل تأكيد هو ما شاب موضوع الردود التي دحضت الدكتور الحميري في زعمه، ووضع كتابه المسمى «الجزء المفقود من الجزء الأول من مصنف الحافظ الكبير عبدالرزاق بن همام الصنعاني»

وزعم أننا نكر مسلك الحميري في زعمه العثور على مخطوطة الجزء المفقود من المصنف، وزعم إنكارنا مدقة به إنكاراً يصل إلى حد التجريح، ويكيل القاذيف لكتب وكتاب تأباه الأمانة العلمية وتترفع عنه في إباء كريم ساحة العلم والعلماء، ورغم كل ذلك وسواه له تماماً رفض خلط الأمور وتداخل الأوراق - كما يقولون - في مسلك الذين ردوا عليه.

ونحن نرى أنهم رغم بشاعة ما ارتكبه الحميري إلا أنهم جعلوا هذا في المرتبة الدنيا وصبوا جام غضبهم على مواقف أخرى وأثاروا عداوات وإحناً، أرهقت البحث وسلبت النزاهة والحيدة من قائليه، فضلاً عن أنها تخل بهدف الباحث وتهز الثقة في بحثه ومنحاه.

وقبل أن نعرض للموضوع نود أن نوجز - للقارئ الكريم - ملخص ما سبق وما نحن بصدده حتى يكون معنا في الحوار.

ورد في كتب العلماء نسبة حديث إلى الإمام عبدالرزاق الصنعاني، ومنطوق الحديث: «عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: ما أول ما خلق الله يا رسول الله؟ قال: نور نبيك يا جابر خلقه قبل الأشياء ومنه خلق كل شيء».

ولم يرد في الكتب التي نسبت الحديث إلى الإمام الصنعاني أكثر من مجرد النسبة، ولم تتعرض للسند ولا ذكرته، والمشكل أن الجزء المطبوع الذي بين أيدينا من مصنف [illegible] منقود منه جزء [illegible] هذا النص، ثم جاء الحميري في كتابه [illegible] وزعم أنه عثر على الجزء المفقود، وفيه نص حديث جابر.

ولقد [illegible] طائفة من [illegible] الحديث [illegible] هذا [illegible] [illegible] عرفه وبقدر علمه [illegible] [illegible] في [illegible] وموضوعية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] في موضوع خلاف [illegible] الحميري [illegible].

أما [illegible] الآخر فقد [illegible] في [illegible] إلى موضوعات أخرى غير نفي النور المحمدي وأبرز هذا النفي هجوماً عنيفاً على الصوفية وعلى أناس لا علاقة لهم بموضوع البحث، ولقد سبق أن تناولنا في مقالين سابقين الرد على مسلك الحميري وتأييد الذين هاجموا هذا المسلك الرديء، لكننا لا نوافقهم في اندفاعهم في موضوعات أخرى ليست في محل النزاع ولم تضف إلى البحث قوة، وإن كنا لا نشك في أنها أوهنت البحث، وليس لهم فيها أي حق وهي قضية النور المحمدي

فالنور المحمدي ثابت بالكتاب والسنة إلا أنهم نسوا ذلك أو تناسوه وانبروا في اندفاع غريب يهاجمون النور المحمدي لمجرد أن حديث جابر تناوله، وكأن الحميري هو الذي اختلق النور المحمدي مع أن جناية الحميري رغم جسامتها وعدم تسليمنا له بها هي مسلكه في زعمه العثور على المخطوطة المفقودة.

أما النور المحمدي فهو ثابت بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الصحيحة، وفي هذا كفاية للرد على وضع الوضاعين وأراجيف المبطلين وإنكار الجاحدين.

فمن القرآن قوله تعالى مخاطباً الرسول ﷺ:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٤٦)

ولا يخفى أن الداعي إلى الله بإذنه هو الرسول ﷺ وأنه هو السراج المنير ومهما قيل في معنى السراج المنير فإنه مجاز عن ظهور الحق وإنارة السبيل أمام الناس إلا أنه لا يمكن أن ينفي الحقيقة من هذه الآيات ويؤيده في ذلك قوله تعالى أيضاً

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾

(المائدة: ١٥)

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: إنه قيل: إن المراد بالنور هو ﷺ، ويقول الفخر الرازي في تفسيره ما نصه [illegible] «في ذلك أقوال»

القول الأول: أن المراد بالنور سيدنا محمد ﷺ وبالكتاب القرآن الكريم.

القول الثاني: أن المراد بالنور الإسلام وبالكتاب القرآن الكريم

القول الثالث: أن المراد بالنور والكتاب القرآن الكريم، [illegible] على هذا القول [illegible] ضعيف لأن العطف يوجب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، وتسمية سيدنا محمد [illegible] والإسلام والقرآن بالنور ظاهرة [illegible] واضح جلي - لأن النور الظاهر هو الذي يتقوى به البصر على إدراك الأشياء الظاهرة، والنور الباطن هو الذي تتقوى به البصيرة لإدراك الحقائق والمعقولات

أما عن ثبوت النور المحمدي من السنة فقد جاء فيه عدة أحاديث

أولاً: منها ما أخرجه ابن حبان - واللفظ له - كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٤ حديث رقم ٦٤٠٤، وأحمد في المسند (٤ - ١٢٧) حديث رقم ١٧٢٨٠ [illegible] طبعة الرسالة وغيرهما

عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته[1]، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام

ثانياً: أخرج الحاكم وصححه من حديث خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: أخبرنا عن نفسك، فقال: «دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له بصرى[2]»

ثالثاً: أخرج ابن إسحاق في سيرته من حديث حليمة السعدية بنت الحارث أم رسول الله ﷺ من الرضاعة قالت: خرجت في نسوة نلتمس الرضعاء «الحديث مطولاً» وفيه أن أمه [illegible] قالت: والله إن لابني هذا شأناً، إني حملت به فلم أحمل حملاً قط كان أخف منه ولا أعظم بركة، ثم رأيت نوراً كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى

قال الذهبي: هذا حديث جيد الإسناد وأرجو ألا يقول قائل: كيف تقول أنها قالت: إنها لم تحمل حملاً قط كان أخف منه مع أن أول حملها كان رسول الله ﷺ

أقول والله أعلم: إن «حملاً» المقصود به شيئاً تحمله وليس جنيناً.

نور الله منا ومنكم البصر والبصائر.

على أنني أحسب أن الإشكال الذي دار في خلد الرافضين لحديث جابر أن عبارة «من نور الله» توهم بالتجزئة لنور الله [illegible] عندهم أفادت التبعيض والواقع أنها لا تفيد التبعيض دائماً. ومن ذلك قوله تعالى

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾

(الحجر: ٢٩)

فهي تعني الابتداء

هذا يحقق ما وعدت به القراء عن النور المحمدي أما حديثي عن التصوف ورمي الناس بالكفر، فلا أحب أن أشغل الناس به ويكفي المسلمين ما يعانونه من فرقة والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

---

[1] منجدل في طينته: موجود فيها قبل نفخ الروح
[2] بصرى: مدينة في أرض الشام

قصيدة العدد

وحي يثرب

للشاعر الكبير / عزيز أباظة

أتلك روابيها العلا وهضابها ... وهذي القباب المشرقات قبابها

نعم إنها مثوى الرسول وروحه ... تقدس واديها، وطاب ترابها

أفئنا إليها خاشعات قلوبنا ... ملبية أحناؤها وشعابها

يلح بها شوق لأطهر مضجع فتندى ... وقد يشقي القلوب انجذابها

وتملأ أطواء النفوس مهابة ... توالى تغشيها لها وانتيابها

ترد الدموع السافحات وتنثني ... فلا ينثني تهتانها وانسكابها

ذكرت رسول الله والبيد حولنا ... تقاذفنا أسرابها وسرابها

على هجرة أفضت إليها زكانة ... وحكمة رأي لا يرث صوابها

أكاد أراه ثاني اثنين أمسيا ... على خطة ليست تهون صعابها

تضمهما ظلماء ضاف رواقها ... وتطويهما بيداء طاغ عبابها

وخلفهما قصرى قريش وتغتلي ... بأحقادها مخزومها وكلابها

أعدت مذاكيها، وسلت سيوفها ... بليل، وضجت بالحقود غضابها

يريدون شرا بالرسول ودينه ... وتلك منى أعيا قريشا طلابها

عفا الأسد من أهليه عنه، وسالموا ... عليه. فهيمت تبتغيه ذئابها

ليالي حتى غربت بعدها ... وبرحت. تاريخ الدنا وانقلابها

***

ولما بلغنا راوحتنا مشارف ... يرف عليها طهرها وانتسابها

وشدت إليها أعين الركب روضة ... تعالى على لحظ العيون جنابها

(١) تندى: سال بالدمع

(٢) زكانة: حدس وصحة فهم

(٣) قصرى قريش: مخزوم وكلاب: قبائل من قريش

(٤) المذاكي: الخيل

مباركة الأفناء لماحة السنى ... تضوع مسكا ساحها وقبابها

حوت واحد الأكوان مذ بدء خلقها ... إلى يوم يطوى كالزمان كتابها

وصمت سراج الخلق تهفو قلوبها ... إليه وتعنو بالنبيين رقابها

نبي جلاه الله للناس حجة ... فأقصر عنها شكها وارتيابها

وأرسله عتقا وأمنا ورحمة ... يضيء دياجير الوجود شهابها

وأيده بالدين يصفو معينه ... ويصفو، وبالأخلاق يذكو نصابها (٥)

سمته القروم الصيد من آل هاشم ... مطهرة أحسابها وأنسابها

وقفت، وما سلمت حتى ترادفت ... خواطر نفس يستحثيها مصابها

عهدت من الأيام أقلع أنسها ... ولم يبق إلا مرها وعذابها

وأطياف ذكرى، صابها مثل شهدها ... بروحي شهد الذكريات وصابها

ذكرت التي كانت تمنى لو انها تنسمت ... إلى روض الرسول ركابها

دعتني فلم أطلب، ونت فلم أجب ... فكان بكاء القانتات عتابها (٦)

وقلت لها في قابل فتمهلت ... فما إن دنا حتى نعانا ذهابها

وددت بعيني لو أجيبت طلابها ... وكان يسيرا أن يجاب طلابها

ذوت مثل أفواف الربيع ونوره ... جفاها الندى وانحل عنها سحابها

وصلت ممسيل الشمس يضفو سهاؤها ... ويرفل في وشي النعيم شبابها (٧)

تشبثت بالأستار يحجبن هالة ... من النور قد عزت وعز حجابها

وقلت ودمعي مسبل وأضلعي ... بما لعجت ما يستقر اضطرابها

سألتك ربي أن يعمر مقامها ... لديك ويسنى في جنانك مآبها

إليك مثابي ربنا ومثابها ... وفيك احتسابيها وجل احتسابها

***

على يثرب منا سلام ورحمة ... كموشي أنداء الصباح انسكابها

كفاها مني أن البقيع ترابها ... وأن قباب الروضتين قبابها

وأن شفيع المرسلين رسولها ... وأن كتاب العالمين كتابها

(٥) يصفو: يصفى ويصدق. نصاب: الأصل والحسب

(٦) أطلب: أجاب الطلب. القانتات: المطيعات

(٧) يضفو: يصفى ويسبغ، والإشارة هنا ليست عائدة على الشمس

قصة العدد

أربعة شهداء

للدكتور / أبي حسام

قال سعيد بن ثابت السلمي لصديقه نعيم بن وائل: انظر يا أخي أتدري من هذه العجوز التي تتوكأ على العصا ولا تستطيع المسير إلا بصعوبة؟

فنظر نعيم إلى المرأة التي يتحدث عنها صاحبه، وقال: وما يعنيني من أمر هذه المسكينة، والدنيا مليئة بمثيلاتها ممن لا يعرفهن أحد!

قال سعيد: لا يعرفهن أحد، إن هذه التي تجهلها الآن، يدور اسمها على كل لسان من أربعين عاما أو تزيد. وأنت تعرفها حقّ المعرفة بالسماع، ولكنك لم تعرفها معرفة العيان.

قال نعيم: أدهشتني يا أخي، أهذه المسكينة المتهدمة يدور اسمها على كل لسان منذ أربعين عاما أو تزيد؟ لا أكاد أصدق يا أخي.

فرد سعيد: ألا تعرف الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد أخت صخر بن عمرو التي رثته بشعر يتردد على كل لسان؟ إنها هذه يا نعيم!

دهش نعيم كمن يستمع إلى ما لا يتوقع من غرائب الأنباء وقال: عجبا، وما وقوفها في هذا المكان وترددها عليه، حيث ألفت أن أراها عند حين.

فعاجله سعيد بقوله: تخرج كل يوم إلى فضاء المدينة تتلمس الأخبار القادمة عن حروب المسلمين في القادسية إذ أن أولادها الأربعة هناك! ولا تعلم قائما يتحدث عن معارك الحرب فتسأله عن أحبائها هناك!

قال نعيم: ليتنا نتحدث إليها يا سعيد، وستسر حين أسمعها ما أحفظ من مراثيها الجياد. فهز سعيد رأسه آسفا، وقال: حاولت ذلك يا أخي من قبل، فما رجعت بطائل. لقد أسمت أدب في شيخوختها الباردة عن حديث الشعر والشعراء.

أطرق نعيم برأسه إلى الأرض، وقال: عجب، أهذه هي العجوز التي تقطع قلب دريد بن الصمة حسرة لأنها رفضت الاقتران به في إصرار.

فقال سعيد: كان ذلك أيام الصبا الفينان، وهي يومئذ زهرة بني سليم، وصاحبة الكلمة النافذة عند أبيها البطل وأخويها الماجدين، تبدي الرأي المعارض في قوة، وتقول الشعر الرائع في حرارة وتراسل لداتها في الأمسيات الحالمة حين يتشقق السمر ويدور الحديث، وكلهن معجبات مبهورات، هؤلاء هن الفتيات، فما ظنك بالفتيان؟ لقد اعتز دريد بن الصمة بمكانته في هوازن، وبتاريخه الناصع في ميدان الثأر الحربي، والإعداد القتلى، وبشعره النابض الذي يتردد على الأفواه. فتقدم إلى والدها وهو يظن أن إشارة منه تكفي للإذعان؟ وهو بعد قرين الوالد عمرو بن الشريد في الرياسة والجاه، وزميل الأخ معاوية بن عمرو في حومة القتال! فكيف يخيب له رجاء؟

قال نعيم: مسكين هذا الشيخ المتوله. لقد رآها متبذلة عن ساعديها، تهنأ بعيرا لها، وقد حسرت عن وجهها ظانة أن أحدا لا يرقبها. فأحدث بمجمع قلبه، وتابعها في حذر إذ ذهبت إلى النبع تغسل يديها، وكشفت عن ساقيها وهي تتقدم إلى الماء، فلم يمتلك صبرا، وهرع لساعته إلى عمرو يطلب يدها، وتحير الوالد فيما يقول؟

ثم تكلف الاتساع وقال لدريد: إن الخنساء ليست ككل الفتيات. إنها صعبة الجماح، وإن أمرها بيدها، وسأذهب إليها فأذنيها منك.. لأتحدث إليها في أمرك من وراء ستار، بحيث لا تراك ولا تراها.

فإذا رحبت بك فيا فرحة الأبد، وإذا أعرضت فقد سمعت، وما لي معها عقد ولا حل.

سكت دريد يعالج هما طرأ عليه ولم يكن يتوقعه وقال في تخاذل: هو ما تراه يا سيد بني سليم!

وذهب الوالد، وحدثت ابنته في مكانها القريب، فإذا بها تصرخ في وجه أبيها؟ ما هذا الذي تقول يا أبي؟

أتراني تاركة بني عمي كأمثال الرماح إلى شيخ بني جشم، وهو هامة اليوم والغد، أتقبل هذا عاقلة بنت أب عاقل وأخت فتية عقلاء! فخرج الأب كاسفا محزونا، وأعفاه دريد من الأخذ والرد، فقال له قد سمعت! ومضى لطيته! هذه العجوز المتهدمة اليوم، هي زهرة الأمس الناضرة وهذه القامة المنحنية أمامك، هي التي طعنت قلب دريد بأحد الرماح!

حدق سعيد في وجه نعيم وقال له: لماذا لم تكمل الحديث، فإن الرواية لم تتم بعد؟

فقال نعيم: هذا مبلغ ما أعلم، فهل لديك من مزيد، فأسرع سعيد يقول: إن الحر مشتهر متعالم فقد صمم دريد على أن يعيد الكرة مع معاوية بن عمرو شقيق الخنساء، وهو صديقه الوفي. فلعله يلين من قناة الشابة المستعصية! وظن معاوية أن رجاءه الملح سينتهي بالقبول من الخنساء فأخذ يمهد بما رأى، ويعرّض ملوّحا، فلا يجد ما يدل على الاستجابة، ثم رأى أن يصرّح متدفعا، فقال للخنساء: هو صديقي، وقد استشفع بي وأنا حريص على صداقته! فجابهته الشابة القوية بقولها: تريد أن تبيعني سلعة لصديقك لتضمن صداقته! فهل حسبتني شاة أو بقرة يا معاوية، ابحث له عن سلعة أخرى غيري! ولا تطل، وهرع معاوية إلى والده، فقال له: إذا رفضت رجائي

فكيف تتخيل أنها ستقبل رجالك يا معاوية!

فاشتعلت الحمية في صدر الشقيق الغاضب، وصاح منفعلاً: ماذا أسمع اليوم، ألستُ رجلاً وهي فتاة! وسمعت الخنساء ما قال الأخ، فتقدمت لتقول له: إذا كان في وهمك أن الرجل هو الذي يقبل ويرفض، فصخر أخي أشد منك بأساً، وأرجح عقلاً وسأذهب إليه ليقف أمامك بعد أن سكت أبوك! فقال عمرو: لم أسكت يا خنساء، ولكني صرّحت له بما لم يسمعه راشداً فآثر اللجاج، وما أحب أن يصطدم بأخيه صخر.

تطلّع معاوية مندهشاً وقال: ألصخر رأى في خطبة دريد؟ فقالت الخنساء: وقد عزم على أن أترك منزل أبي فلا ألقاك، فإذا جئت إليّ في منزله فستعرف ما يقول! وكان معاوية لا يقوى على مجابهة صخرٍ فأسرها في نفسه، ورجع حزيناً إلى دريد ينبئه بما عجز عنه بعد أن تأزم الموقف، وامتنع الوفاق!

وحانت لفتة من سعيد إلى العجوز المرتعشة في ملتقى النظر، فوجدها تميل ثم تهوى على الأرض، فلم يتمالك أن قفز مع نعيم إلى حيث هوت. وقال لها برفق:

ما أصابك يا أماه، نحن فداؤك؟ وكانت مالكة لسمعها، واعية لكل نبأة ولفظة، فحاولت النهوض متخاذلة وساعدها سعيد ونعيم حتى استطاعت الجلوس على الأرض، وبدا على وجهها ابتسام شاحب وهي تسأل: من أنتما؟ وما الذي عناكما من أمري!

فانطلق سعيد يقول: عجباً يا أماه، كل الناس يشيدون بشعرك، ويهتفون باسمك، ثم تسألين ما الذي عناكما من أمري!

قالت الخنساء: وهل أدركتما عهدي فتعلمان ما كان!

فابتسم سعيد قائلاً: لم ندرك ولكننا نحفظ التاريخ، وقد حانت لنا الفرصة لنصنع اليوم مجداً طريفاً إلى مجدك التليد؟

ردت الشاعرة تقول: أي مجد طريف تصنعانه اليوم إلى ما تحكيانه عني من نوادر التاريخ؟

قال نعيم: أليس انتظارك كل يوم أبناءك الأبطال على مشارف المدينة مجداً طريفاً!

فأطرقت الشاعرة إلى الأرض وقالت في هدوء: إنه الإسلام يا ولديّ، لقد بعث في نفسي جذوة ملتهبة نحو الجهاد، ولئن لم أستطع أن أشارك في الحومة، لقد صممت على أن يشارك فيها مَنْ هم أعز عليّ من نفسي: أشبالي الأربعة!

فقال سعيد: نعرف أنك أنت التي دفعت الأبطال الأربعة إلى حومة الجلاد!

فارتفع صوتها محتجة، وصاحت: لا والله إنها جبلّة البنين، وحقّ الرجولة، وشهامة العربي هي التي أجّجت في صدورهم الحماسة، وقد رأيت منهم ما أعجبني، فقلت لهم في قوة لا ترتفع إلى حماستهم المشبوبة: أي بنيّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت آباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية، اصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة. أي بني اطلبوا الموت توهب لكم الحياة.

قال نعيم: خطيبة أنت يا شاعرة العرب، ما كنت أعلم أن الخطابة تستوي مع الشعر في حد موازنة، كما علمت اليوم.

فابتسمت الخنساء وقالت: خطيبة أنا؟ أنت لم تشهد الخطباء، حين قامت حرب ذي قار بين العرب والفرس، كما تقوم حرب اليوم، كنت شهدت مراحل الاستعداد وفي صدري حمية مشتعلة. ولم أنس الخطيب الأول في المعركة شيبان بن مسعود حين تصدر القوم، واندفع كالرعد القاصف يقول:

«يا معشر العرب، هالك معذور خير من ناج فرور، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، والطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور، وإن الصبر من أسباب الظفر، قاتلوا فما للمنايا من بد. فتح لو كان له رجال. يا معشر العرب، شدوا واستعدوا وإلا تشدوا تردوا»

لقد خيل إليّ يا ولديّ وأنا أسمع هانئ بن مسعود أني أرى قذائف تسقط من السماء ملتهبة، لا كلاماً يهتف به بطل شجاع، وقد تحقق النصر في معركة ذي قار، كما سيتحقق بإذن الله في معركة اليوم.

قال سعيد: أنا فرح جداً بعزائك يا أماه، فإنه يبعث فينا العزيمة والمضاء!

فقالت الخنساء: كيف لا أتفاءل يا بني، والنصر اليوم أقرب من الأمس، لقد كنا يوم ذي قار ندافع عن الأرض فقط، أما نحن اليوم فندافع عن الإسلام، ندافع عن الحق والحرية والإنصاف! وأبطال الأمس لم يكونوا يحلمون بجنة عرضها السموات والأرض، أما أبطال اليوم فإذا رزقوا الشهادة فهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله!

انطلقت الوجوه بالبشر، وقال سعيد: والله لقد سمعت كلاماً كثيراً من رؤساء القوم، فما سمعت أحلى من هذا الكلام! يا له مجلساً لو احتشد لسماع الخنساء فيه مئات من الفتيان! فيسمعون ما هز نفوسنا ورفع أعطافنا من البيان والإيمان.

هزت الخنساء رأسها، وقالت في هدوء: لا بيان لديّ ولست صاحبة استرسال!

قال سعيد: لا بيان لديك! وأين شهادة النابغة الذبياني لك في سوق عكاظ؟!

فابتسمت الخنساء قائلة: وهل أدركت عهد النابغة في عكاظ يا بني، حتى تعرف ما قال؟

قال سعيد: أدركه والدي ثابت السلمي وحدثني بما كان!

فانطلقت الخنساء تهتف: أأنت سلمي مثلي؟ وأبوك من بني سليم، أنت إذن بنيّ على الحقيقة لا على الافتراض، قال سعيد: حدثني والدي أنه رأى النابغة يجلس مجلس الحكومة في سوق عكاظ،

تحت خيمة كبيرة من أدم أحمر، ووفود الشعراء تقاطر على مجلسه وكل شاعر ينشد أحسن ما قال، أنشده حسان بن ثابت، وأنشده الأعشى أبو بصير وأنشدته شاعرة العرب الخنساء ففضلها على حسان!

قال نعيم: ولماذا تذكر النابغة وتنسى رسول الله ﷺ وقد سمع شعرها، وقال كلمته النافعة: إيه يا خناس. قالت الشاعرة: حقًا سعدت بلقاء الرسول، ولقاء عائشة، ولقاء عمر بن الخطاب، وكلهم قد سمع شعري، وناقشني وبخاصة ابن الخطاب!

ثم اعتدلت متحمسة وهي تقول: كان ابن الخطاب راوية للشعر، عارفًا بعيونه وحكمه، وقد آثر الاستماع إلى مراثيّ في صخر حين شكا لي إخوتي إليه، إذ رأوا كثرة تفجعي على صخر، وشاهدوا ما ألبس من هذا الصدار الأسود، ولكنه طلب أن أسمعه فلما أنشدته بعض ما قلت، طأطأ برأسه إلى الأرض متفكرًا وقال: دعوها كما تشاء، إنها تنفث عن صدر محترق، ولابد للحزين أن ينفث، وإذا قال ذلك عمر الحازم الأريب فقد أدرك ما يشتعل في جنبات نفسي من لهيب، وعرف أن الشعر تنفيس وتعويضٌ استرواح فكيف يمنع حزينة أن تنفث وتستروح!

ثم تراءى على البعد غبار وسمع ضجيج، فعرف الثلاثة أن نفرًا من المسافرين قدموا إلى المدينة، فصاحت الخنساء أتراهم قدموا من القادسية! انظرا يا ولديّ فقد عجزت عن السير!

وتطلّع الصديقان، فرأيا الرايات المعلمة، فقالا: صحّ ظنك يا أماه! هذه رايات النصر، وما سُمعت الجلبة من بعيد إلا لتعبر عن فرح وابتهاج

فصاحت الخنساء: هيًا يا ولديّ اصحباني معكما. لا أطيق السير وحدي فقد عجزت!

قال الصديقان: نذهب نحن ونأتيك بالخبر اليقين بعد لحظات! لن نتأخر يا أماه!

وعاد سعيد ونعيم صامتين لا يجرؤان على الحديث، فظنت الخنساء أن الأنباء قد جاءت بمصرع أحدهم، ولا يستطيعان البواح. فصاحت قولا: مَن الشهيد؟! إنه في جنة الله! وسكت الصديقان فقالت الخنساء: أذهب أنا متساندة وأدعكما! فقال سعيد في حزن: لعله أولادك الأربعة شهداء في جنة الله، وقد تم النصر بما أبدوا مع إخوانهم البواسل من كفاح! كان الواحد منهم كما سمعت الآن يتقدم إلى المعركة، ويقول لأخيه هيا معي، لا تنس وصية العجوز، لا تنس وصية العجوز.

فابتسمت الخنساء بدلا أن تعبس وقالت: الحمدلله الذي شرفني بقتلهم، وإني لأرجو أن يجمعني الله وإياهم في مستقر رحمته، وقد تعزيت عنهم بما تم من نصر الله! لم أجزع على صخر، لأني لا أعرف مصيره في الآخرة! ألي جنة هو أم في نار، فنحت عليه كما تعلمون. ولكني لن أنوح على أفلاذي الشهداء وهم أحياء في رضوان الله. اجمعني معهم يا رباه.

وسارت الخنساء إلى منزلها، وسعيد ونعيم يعجبان لما أبدت من جلد. وقد صاحا معا كأنه يصدران عن نفس واحدة. هكذا يصنع الإيمان!

الصدقة تحمي صاحبها من فتنة القبر

الصدقة في ميزان الإسلام

لفضيلة الشيخ / على عبدالباقي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

إن الصدقة مكرمة عظمى تتعلق بالقبر وفتنته وعذابه. فلقد شاءت حكمة الله تعالى في خلقه أن يبتلي الناس في الحياة الدنيا، المرة بعد المرة، حتى يتبين منهم المؤمن والكافر، التقي والفاجر، الصادق من الكاذب. حيث يقول تعالى:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

(العنكبوت : ٢ ، ٣)

حتى إذا انتهت مسيرة الإنسان على هذه الأرض وأشرف على الموت، كانت الخاتمة على حسب حال الإنسان فيما بينه وبين ربه، إما فتنة خير وتوحيد، وإما فتنة شر وكفر، حتى إذا قبض وأدخل القبر كانت فتنة الآخرة فتنة القبر، حين تعود الروح إلى الجسد بأمر الله تعالى ويبدأ الملكان الموكلان به في سؤاله،

وفي هذه الحال الدقيقة، يواجه المؤمن بالفتنة الشيطانية اللعينة، تريد أن تصل إليه من أي جهة من جهاته الأربع، من قبل رأسه، أو عن يمينه، أو عن شماله، أو من عند رجليه ولو تمكن الشيطان اللعين من الدخول إليه عن طريق أي جهة من الجهات الأربع السابقة لفعل حتى يتمكن من إغوائه والتشويش عليه والمكر

بعد أنها إذا لم يستطع الشيطان أن يدخل إليه لوجود حرس شديد يمنعه، فسيكون المؤمن في منجاة منه، فيجيب الملكين إجابة حق تنجيه من فتنة القبر وعذابه.

وتسأل الله أيها الإخوة عن طبيعة هذا الحرس الشديد الذي يحمي المؤمن، ويدافع عنه في تلك اللحظات الحاسمة والبالغة الشدة والحرج؛ إن الحرس أيها المكرم يتمثل في بعض أنواع من الطاعات الأساسية التي يؤديها المؤمن لوجه الله تعالى.

النوع الأول: منها يتمثل في الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، والنوع الثاني: الصيام وهو الركن الرابع في الإسلام، والنوع الثالث: الزكاة وهي الركن الثالث في الإسلام، والنوع الرابع: فعل الخيرات، وفي المقدمة منه، صدقة التطوع، والصلة والمعروف والإحسان، ولقد جاء في خبر حراسة الطاعات السابقة للمؤمن في قبره عند السؤال في قوله (ﷺ): أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «إن الميت يسمع خفق[1] نعالهم إذا ولّوا[2] مدبرين، فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصوم عن يمينه، وكانت الزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ويؤتى من عن يمينه فيقول الصوم ما قبلي مدخل، ويؤتى من عن يساره فتقول الزكاة ما قبلي مدخل، ويؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات ما قبلي مدخل، فيقال له: اقعد فيقعد، وتمثل له الشمس قد دنت[3] للغروب فيقال له ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم، وما تشهد به؟ فيقول: دعوني أصلي، فيقولون: إنك ستفعل ولكن أخبرنا عما نسألك عنه، قال: وعم تسألوني؟ فيقولون: أخبرنا عما نسألك عنه، فيقول: دعوني أصلي فيقولون: إنك ستفعل ولكن أخبرنا عما نسألك عنه، قال: وعم تسألوني، فيقولون: أخبرنا ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به عليه؟ فيقول: محمد، أشهد أنه عبد الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من قبل النار فيقال له: انظر إلى منزلك وإلى ما أعد الله لك لو عصيت فيزداد غبطة وسرورا، ثم يفتح له باب من قبل الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك، وإلى ما أعد الله لك فيزداد غبطة وسرورا، وذلك قول الله تبارك وتعالى:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

(إبراهيم ٢٧)

قال: وقال أبو الحكم، عن أبي هريرة: فيقال له: «ارقد رقدة العروس الذي لا يوقظه إلا أعز أهله إليه أو أحب أهله إليه»، ثم رجع إلى حديث أبي سلمة عن أبي هريرة قال: «وإن كان كافرا أتي من قبل رأسه فلا يوجد شيء، ويؤتى عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم يؤتى عن يساره فلا يوجد شيء، ثم يؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء فيقال له: اقعد فيقعد خائفا مرعوبا، فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم، وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل؟ فيقولون: الرجل الذي كان فيكم، قال: فلا يهتدي له، قال: فيقولون: محمد فيقول: سمعت الناس قالوا فقلت كما قالوا، فيقولون: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من قبل الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك، وإلى ما أعد الله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبورا، قال: ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، قال: وذلك قوله تبارك وتعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾

(طه ١٢٤)

إن الحديث الشريف السابق يرينا كيف أن الصدقة فرضا وتطوعا تحمي المؤمن من فتنة القبر من جهتين اثنتين، الأولى عن يساره وهي الزكاة، والثانية من عند رجليه وهي فعل الخيرات حماية تمثل نصف الحماية الكلية للطاعات في الجهات الأربع للإنسان، وتلك رحمة من الله تعالى يرحم بها عبده المنفق في سبيله فرضا وتطوعا، ويحفظه من فتنة القبر وعذابه، ولقد وقف رسول الله (ﷺ) خطيبا فكان مما قال: «ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريب من فتنة الدجال، لا أدري أي ذلك قالت أسماء، يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحا فقد علمنا إن كنت لموقنا، وأما المنافق أو المرتاب لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» (صحيح البخاري).

ولقد قال ابن القيم: «إن مذهب سلف الأمة أن المرء إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا، يحصل له معها النعيم أو العذاب، فإذا كان يوم القيامة أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وجميع هذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ولقد كان الرسول (ﷺ) يعلم أمته كيف يدعون الله تعالى ليقيهم شر الفتن ومنها القبر وعذابه.

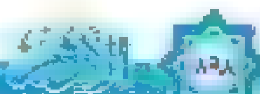
فعن أنس بن مالك قال:

«كان رسول الله (ﷺ) يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات»
(صحيح مسلم)

فلنتق الله ولنحرص على الأخذ بالأسباب المنجية من فتنة القبر وعذابه وفي مقدمة ذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج للمستطيع وأعمال الخيرات التي يحبها الله تعالى ويرضاها، ومن أفضلها الصدقات لوجه الله تعالى.

وندعو الله بالدعاء الذي ذكره أحد الصالحين في ختام حديثه عن عذاب القبر حيث قال: «اللهم إن عذاب القبر حق وقد استعاذ منه نبيك محمد (ﷺ) وأمر بالاستعاذة منه، فأجرنا اللهم بمنك وكرمك منه، وعافنا من الأوزار، واجعله خير منزل لنا في عالم البرزخ، كيما يكون روضة من رياض الجنة تؤذن بحسن العاقبة، يوم يعرض الخلق على جبار السماوات والأرض، لا تخفى منهم خافية، إنك يا ربنا خير مسئول وأعظم مأمول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(١) خفق: صوت وقع النعل على الأرض.
(٢) ولّى الشيء ويولّي: إذا ذهب هاربا ومدبرا، وتولى عنه: إذا أعرض.
(٣) دنت: اقتربت.




أثر الغش في المجتمع

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وضعت الشريعة الإسلامية آدابا للتعامل بين البشر وحرمت الغش والاستغلال تحريما قاطعا واذا نظرنا إلى حال الإنسان في هذه الحياة نجد أن له جانبين:

- **الأول : جانب مادى أساسه المعاملات .**
- **الثانى : جانب روحى أساسه العبادات.**

والجانب المادى يتطلب أن يحصل الإنسان على حاجاته من مأكل ومشرب وملبس . والجانب الروحى يتطلب أن يهذب نفسه ويطهر قلبه وأن يتقرب إلى خالقه عن طريق إخلاص العبادة له وحده وامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه . ولما كان الجانب المادى يتسع لكثير من الشهوات والاستكثار من المال والتكاثر وكلها اعتبارات قد يتزلق بها الإنسان عن مستوى الفضيلة ويغش في سبيلها ما يعكر صفو الجانب الروحي ويبعده عن رحمة الله ورضاه ومن أجل هذا نجد أن الشريعة قد وضعت آدابا للبيع والشراء بل إنها حثت عليهما ورغبت فيهما تحصيلا للرزق . ووضعت آدابا يجب مراعاتها في هذه المعاملة التى تعتبر بحكم الطبيعة أساساً لقضاء المصالح وتوفير الحاجات على وجه يسلم الإنسان فيه من الغش والخديعة والتضليل وما إلى ذلك مما يدنس نفسه ويصرفه عن جانب الروح الذى به تتحقق إنسانيته الفاضلة ويسمو به إلى درجة المقربين عند الله.

مفهوم البيع والشراء فى الإسلام:

قد يظن البعض أن الغش الذى حرمه الإسلام إنما هو خاص ببيع السلع وشرائها ولكن الحقيقة التى أرادها الإسلام من البيع والشراء إنما هى معاملة عامة ومجموعة من المعاملات المتبادلة

فالمزارع لابد له من البيع والشراء وكل عامل فى عمله يبيع ويشترى وحتى الموظف والإدارى فى ديوانه والمدرس فى مدرسته والواعظ فى وعظه والمجاهد فى الميدان والحاكم فى حكمه، كل هؤلاء يبيعون ويشترون، يبذلون العمل ويأخذون البدل ويتفاوتون من الأجور فمن أخلص فى عمله وأتمه على الوجه الذى يحقق المقصود والغرض الذى يعمل من أجله ويرضى به ربه كان ما يتقاضاه من الأجر فى مقابل العمل محفوفاً بالخير والبركة مثمراً فى نفسه وأسرته، وكان هو محل ثقة عند من يعامله فعظم مكانته فى النفوس ويقبل الناس عليه ويزداد خيره. أما من أساء فى عمله أو قصر أو خدع وغش وجعل همه أن يحصل على الثمن والأجر على النحو الذى يرضى شهوته فقط غير مكترث بالمصلحة العامة ولا بالفائدة التى تعود على المجتمع وغير مقدر لغضب الله وسخطه، كان فيما يتقاضاه من الذين يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً. سيكتشف أمره ويفتضح شأنه ويعرف بالغش والخديعة، فتسوء سمعته بين الزملاء والرؤساء ولا يلبث حتى ينبذه من الجميع وينفر الناس حتى من لقائه ويطرح مثل الثوب الخلق.

الغش فى المعاملة:

وقد حرم الإسلام الغش فى مختلف الأحوال وقد أثر عن النبى ﷺ أنه نعى على هؤلاء الذين يغشون فى معاملاتهم التجارية، فقد جاء فى الصحيحين أنه ﷺ «مر برجل يبيع الطعام فأعجبه ظاهره فأدخل يده فيه فوجد به بللا فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء – يعنى أن المطر نزل عليه – فقال ﷺ: فهلا أبقيته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غشنا فليس منا». فهذا حكم عام حكم به النبى ﷺ على من غش وخدع فى الطعام، والطعام مادة ينقضى أثرها بسرعة، وقد لا يكون الغش فيها فلكم الأثر الذى يحدثه الغش فى الجوانب الأخرى من جوانب الحياة، بحكم النبى ﷺ على من غش فى الطعام بخروجه من جماعة المؤمنين، وأن الإيمان يقتضى الصدق ويقتضى



التقوى ويقتضي الإخلاص والغش يقوض كل ذلك، فيجعل صاحبه كذابا ويجعل صاحبه منافقا. وإذا كان الغش وهو تقديم الباطل في ثوب من الحق يكون في الرأي والعمل والفتوى والإرشاد والتوجيه والوظيفة فإن غش الطعام في الإفساد أقل بكثير من الغش في هذه الجوانب الممتد أثرها، الشامل ضررها وهو فيها أجدر بأن يخرج صاحبه من صفوف المؤمنين ويهوى به في مكان سحيق؛ ولهذا نجد أن الغش سبيل لقطع الصلات بين أفراد المجتمع ونشر البغضاء والأحقاد بين الناس وهو كما ذكرنا ليس الغش في الطعام أو المأكل والمشرب فقط بل يمتد إلى سائر المعاملات بما فيها الوظائف التي يتقاضى عنها الموظف أجرا أو مقابلا. إن من يغش في كيلو من الفاكهة أو اللحم أو يغش في متر من القماش وذلك بتقديم الخبيث باسم الطيب والردىء باسم الجيد أو عن طريق انتقاص الكيل والميزان. إن من يفعل ذلك يكون لديه الاستعداد والنزعة النفسية إلى أكل أموال الناس بالباطل وانتقاص حقوق الآخرين وانتقاص هذه الحقوق يؤدى إلى نزع الثقة وزعزعتها، انظر إلى هؤلاء الذين يعيثون في الأرض فسادا بغش اللحوم الطيبة بالأخرى المحرمة أو الميتة كيف تطاوعهم ضمائرهم ثم أين دينهم الذى يدينون به حتى يفعلوا مثل هذه الجرائم؟! إن مثل هذه الأفعال التي تأباها النفوس السليمة ويبغضها أصحاب الحجى وتؤدى إلى نشر الفساد في الأرض وضياع مصالح العباد ولعل هذا هو مبعث العناية الإلهية في أن يبعث رسول من رسل الله – وهو شعيب عليه السلام – يدعو الناس أولاً إلى توحيد الله ثم يتبعه بالنهي والتحذير من الغش في المكيال والميزان ونقصهما معتبراً أن ذلك إفساد في الأرض بعد إصلاحها يقول تعالى:

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾

(الأعراف: ٨٥)

لم يكن هدف الحكمة الإلهية بتخصيص الكيل والميزان في رسالة شعيب – عليه السلام – هو الوقوف بها عند حد ما يكال أو يوزن من طعام أو شراب وإنما الهدف هو اقتلاع الخلق الذى يدفع الإنسان إلى انتقاص الحقوق والكيد لأصحابها عن طريق الغش والخديعة، وعن طريق تسخير [المنافع] العامة وحقوق الناس في سبيل الحصول على المنافع الخاصة وهذا هو الذى يعقب حقاً الإفساد في الأرض وزلزلة الحياة العامة على أصحابها، ومن أجل ذلك فالواجب على الموظف والكاتب والموجه والمستشار والمعلم أن يأخذوا لأنفسهم من تخصيص الكيل والميزان في رسالة شعيب وقولهما بعبادة الله واعتبار انتقاصهما فساداً في الأرض – يجدر بهم جميعاً أن يأخذوا لأنفسهم أعظم عظة وأكبر عبرة، وأن انتقاص الكيل والميزان فيما وراء السلع المادية لأشد خطراً وأقبح أثراً وأعم ضرراً من انتقاص صاع أو جرام من مكيال أو ميزان؛ وذلك لأنه من حق الإنسان في هذه الحياة أن يتمتع بحقه كاملاً غير منقوص، ومن حق المؤمن على أخيه أن يمكنه من حقه ويعاونه في الحصول عليه، ومن حقه أن يرشده إذا طلب منه أن يدله، وأن يمحضه النصح بما طلب منه النصح، وأن يفي له إذا عاهده، وأن يصدقه إذا حدثه. إن كل ذلك مبادلة ولكنها ليست في السلع ولا في الطعام ولا في الشراب وإنما هي مبادلة في الخلق والمروءة والصدق والإيمان، والانحراف فيها عن مقابلة الخير بالخير تطفيف في الكيل وانتقاص للحقوق وقد جعله الله علامة من علامات التكذيب بيوم الدين وأنزل في شأنه سورة كاملة هي سورة المطففين استهلها بقوله تعالى:

﴿ويل للمطففين ۝ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ۝ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ۝ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ۝ ليوم عظيم ۝ يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾

(المطففين: ١ – ٦)

من أجل ذلك نهج الإسلام نهجاً يحمي به المجتمع ويجعله بناء قوياً متماسكاً كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وكالجسم إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى، بهذا الوضع الذى يركزه الإسلام ويدعو إليه ويحذر مخالفته أو التهاون فيه ويعتبر التهاون إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، بهذا كان من غير المعقول أن يبيح انتقاص الحقوق والغش والخداع الذى هو الفساد في الأرض الذى هو مخالف للحكمة الإلهية من خلق الإنسان وهو التعمير والإصلاح والخلافة كي يعمر ولا يخرب، ويصلح ولا يفسد، ويعدل ولا يجور، ومن هنا كانت الحاجة إلى أن يحمل أولو الأمر بما أعطاهم الله من السلطان على منع الغش والخداع حتى يسود الأمن وترفرف السعادة على بني المجتمع، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

السياحة والسائحون في المنظور الإسلامي

إن الإسلام دين العمل والتقدم، يدعو أتباعه أن يعملوا وأن يتقدموا، وأن يسيروا في الحياة وأن ينظروا إلى ما في كتاب الكون المفتوح، وأن يعتبروا بما في الكون من أسرار وعبر، وظواهر حضارية وآثار تاريخية، للاستفادة منها، والوقوف على جهود السابقين، ربطا بين الماضي والحاضر، وأتاح للناس جميعا أن ينظروا إلى ما في الكون من ظواهر كونية، وآثار وحضارات لأمم سالفة وحياة معاصرة.

وكما أباح الإسلام لنا أن نذهب إلى سائر بلاد الدنيا، أباح لغيرنا أن يأتي بلادنا، وأن يرى حضارتنا، وأن يظل التواصل بين الدول، تعاونا في مسيرة الحياة من أجل السلام والرخاء والأمن والاستقرار، والتعرف على الحضارات الماضية والمعاصرة، والسياحة في الأرض، والسير والنظر في شئون الحياة.

ويتنزل السائحون بلادنا بعقد أمان، فهم في ذمتنا ولهم عهدهم وأماناتهم، فلا يصح أن يتعدى عليهم أحد، بل يجب أن نحافظ عليهم، وفاء بعقد الأمان بيننا وبينهم، فهم بمجرد حصولهم على إذن الدخول لبلادنا أخذوا عقد الأمان، وأصبحوا في ذمتنا وأصبحوا أمانة في أعناقنا

والإسلام يتيح لأتباعه أن يبروا غير المسلمين الذين لم يحاربوهم وذلك في قول الله تعالى:

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)

وإلى جانب أنهم نزلوا بلادنا بعقد أمان فهم أيضا بهذا نزلوا ضيوفا وللضيف حقوقه التي يجب أن تؤدى، ولنفسه حرمتها التي يجب أن تكون مصونة، ووصايا الإسلام بالغرباء والضيوف لا تقف عند حد الحفاظ عليهم وعدم العدوان على أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم، بل إن الإسلام جعل علامة الإيمان بالله واليوم الآخر أن نكرم ضيوفنا وذلك في قول رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»

بل إن الإسلام يعتبر الضيف الغريب الذي لا يعرفه أهل البلد الذي ينزله يعتبره الإسلام أولى بالمساعدة والعون، لأن ضيف الإنسان منا هو الذي يعرفه، وأما الذي لا يعرفه أحد فهو ضيف الله

وإلى جانب كون السائحين نزلوا بلادنا بعقد أمان، وأنهم ضيوف بلادنا، فإن الإسلام صان حقوق غير المسلمين بصفة عامة، فمن آذاهم فإن رسول الله ﷺ خصمه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته».

وخطورة ارتكاب جريمة الاغتيال والخيانة والتي تتمثل في العدوان على النفس الإنسانية، جعل الإسلام العدوان على نفس واحدة كالعدوان على الناس جميعا، حيث قال تعالى:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢).

بل بلغت عناية الإسلام برعاية حقوق غير المسلمين، أن تبرأ رسول الله ﷺ من كل من يحاول ضرب غير المسلمين أو العدوان عليهم، حيث قال رسول الله ﷺ «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يدعو لعصبية أو ينصر عصبة أو يغضب لعصبية فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه» رواه مسلم.

وإن في المعاملة الحسنة للسائحين والضيوف بصفة عامة مظهرا دينيا وحضاريا وإنسانيا يعكس صورة مشرقة لعقيدتنا وأمتنا في الخارج،

وأما التعامل العدواني فله مردوده العكسي الذي يسيء إلى سمعة الإسلام ويشوه صورة المسلمين في الخارج.

مع أن الإسلام ليس كما يصوره الخارجون عن التعاليم الإسلامية بأنه دين تشدد، بل هو دين الرحمة والتسامح قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وبهذا الخطاب الرباني، خاطب رب العزة رسوله ﷺ موضحا له جوهر الإسلام، وبأنه دين الرحمة.

ولقد دعا الإسلام إلى معاملة الأسرى خير معاملة، مع أنهم كانوا يحاربوننا من قبل، ومع هذا – لما صاروا لا شوكة لهم وأصبحوا ضعفاء لا يملكون دفاعا ولا قوة – دعا الإسلام إلى الرفق بهم وأمر بالإحسان إليهم، بل وإيثارهم بالخير، يقول الله تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾

(الإنسان: ٨، ٩)

وكان رسول الله ﷺ – حتى في وقت الحروب ومع من يحاربون المسلمين، يأمرهم ألا يقتلوا رجلا كبيرا ولا امرأة ولا طفلا صغيرا وألا يقطعوا شجرا، وألا يهدموا بناء.

إن بيننا وبين السائحين عهدا، هذا العهد موجود أيضا بيننا وبين كل الضيوف والغرباء الذين يتزلون بلادنا بمجرد الموافقة على دخولهم من أولياء الأمر.

وهذا العهد الذي نزلوا به آمنين يجب أن نصونه وأن نكون أوفياء به، فقد قال تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾

(الإسراء: ٣٤)

وقال سبحانه:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

(النحل: ٩١)

وحذر الإسلام من نقض العهد والغدر فيه فقال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(النحل: ٩٢)

وينظر الإسلام إلى تطبيق مبدأ الوفاء بالعهد كاملا غير منقوص وبحيث لا يتجزأ فكما يكون

الوفاء بالعهد مع المسلم يكون أيضا مع غير المسلم، لأن الفضيلة لا تتجزأ، فلا يصح أن يكون الإنسان وفيا مع المسلم وغادرا مع غيره بل يجب أن يكون وفيا مع الجميع

يقول الرسول ﷺ: «أيما رجل أمن رجلا على دمه، ثم قتله فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافرا» رواه ابن حبان.

ولقد دافع الإسلام عن غير المسلمين الذين منحهم عقد الأمان وأدخلهم في ذمته وأمانته فقال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا [illegible] ﴾

(المائدة: ٢)

وفي هذه الآية الكريمة نداء للمؤمنين ينهاهم فيه رب العزة سبحانه عن استحلال حرمات الله وعن أن يتعدوا حدوده، وألا يستحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه، ولا القاصدين البيت الحرام، ثم وجههم ألا يحملهم بغضهم لقوم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام على أن يعتدوا عليهم: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

(المائدة: ٢)

وذلك لأن البعض تسول له نفسه أن يتعاون مع الغير على الإثم والعدوان فنهى عن ذلك.

لقد نهى الله تعالى المؤمنين عن الاعتداء على هؤلاء القوم الذين صدوهم عن المسجد الحرام في عام الحديبية وقبله أيضا، مع أن نفوس المؤمنين كانت تحمل كراهية الذين صدوهم وتركوا في وجدان المؤمنين جروحا ومع هذا نهاهم عن أن يمسوهم بسوء لأن للأمة الإسلامية رسالة عظمى تتواءم مع عظمة دورها ورسالتها، إنها تبعة القيادة لهذه الأمة لابد أن تنسى ما يقع عليها من أذى أعدائها وأن تقدم من نفسها أسمى نموذج للقدوة وللصورة المثلى التي تجذب الناس إلى هذا الدين، وليست الصورة العدوانية التي تنفر الناس منه.

إن عقود الأمان يجب الوفاء بها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾

(المائدة: ١)

فما دام عهد خير وسلام وأمان فيجب الوفاء به مع كل إنسان وفي كل وقت.

وقد شهد رسول الله ﷺ حلف الفضول وعمره عشرون سنة، وأثنى عليه عندما ذكره في الإسلام فقال: «لقد شهدت في دار عبدالله ابن جدعان حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت» رواه الحميدي وابن كثير في التفسير.

وكانوا قد تحالفوا في هذا الحلف واتفقوا على أن يردوا الحق لصاحبه وأن يقفوا إلى جانب المظلوم والغريب والأجنبي وكل من شكا ظلم الغير، وتحالفوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه.. وكان سبب هذا الحلف شكوى إنسان غريب من زبيد قدم مكة بتجارة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فنادى الزبيدى الأحلاف فأبوا أن يعينوه.. فنادى بأعلى صوته من فوق جبل أبي قبيس يستغيث فقام الزبير بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وقال: ما لهذا؟ فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة، في دار عبدالله بن جدعان، فصنع لهم طعاما وتحالفوا في شهر ذي القعدة في شهر حرام وتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة، وما رسا ثبير وحراء «جبلان» مكانهما وعلى التآسي في المعاش.

فسمت قريش ذلك الحلف «حلف الفضول» وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى، فدفعوها إليه وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب:

حلفت لنعقدن حلفا عليهم
وإن كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا
يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا
أباة الضيم نمنع كل عار

فإذا كان هذا خلق العرب في الجاهلية وقبل الإسلام، فما بال البعض يتعدى الحرمات ويهدر حق الغريب والضيف؟ إنها ليست أخلاق العرب ولا ثبت بلادنا هذا الذي يحدث من غدر أو عدوان.

لقد كانت الفاجعة في الشهر الحرام ومع ضيوف غرباء هم ضيوف مصر، جاءوها بعقد أمان بيننا وبينهم

إن واجبنا جميعا أن نتعاون على درء هذا الخطر الذي يستهدف عقيدتنا وديننا لتصويره بصورة غير لائقة ولا صحيحة ويستهدف اقتصادنا وأمننا.. وأن تضافر الشعب مع الدولة يستوجب على كل فرد أن يكون حارسا أمينا لسلامة وطنه وأمته، وأمنه واقتصاده.

وبالله التوفيق

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(النحل: ٤٣)

استفتاءات القراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية

■ **ما حكم الأذان الثاني يوم الجمعة؟**

■ **الجواب:**

شرع الله الأذان لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة وتنبيههم للإقدام عليها، وشرعت الإقامة لاستنهاض الناس لأداء الصلاة، وشرع أذان واحد لكل فريضة، وكان زمن التشريع للأذان بعد الهجرة في السنة الأولى، كما ثبت في حديث رؤيا عبد الله ابن زيد وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – رواه الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وكان لكل فريضة أذان واحد وإقامة، وكانت الجمعة كسائر الفرائض في عهد النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –، وزاد عثمان – رضي الله عنه – الأذان الثاني يوم الجمعة للحاجة إليه وهي كثرة الناس، فعلم أن الأذان مشروع بأصله وليس هناك مانع من زيادة أذان مشروع في وقت يحتاج الناس إليه، كما فهم بلال – رضي الله عنه – ذلك عندما صلى سنة الوضوء مع كونها لم تكن مشروعة بخصوصها.

وأورد الإمام البخاري زيادة عثمان – رضي الله عنه – للأذان الثاني؛ فعن السائب بن يزيد – رضي الله عنه – قال: «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –، فلما كان عثمان – رضي الله عنه – وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء» وسماه البخاري الثالث؛ لأنه يسمي الإقامة أذانا.

وما فعله عثمان – رضي الله عنه – لم يشذ به عن باقي الأمة؛ فقد أقره الصحابة في عهده، وثبت الأمر على ذلك بعده في عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إلى يومنا هذا، ولقد روى البخاري نفس الحديث برواية أخرى زاد فيها «عن الزهري قال: سمعت السائب بن يزيد – رضي الله عنه – يقول: «إن الأذان يوم الجمعة الجُمُعَة كان أوله حين يجلس الإمام يوم الجمعة على المنبر في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – فلما كان في خلافة عثمان – رضي الله عنه –.. وكثروا أمر

عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث، فأذن به على الزوراء فثبت الأمر على ذلك».

ويقول ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (٣٩٤/٢): «والذي يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد إذ ذاك؛ لكونه خليفة مطاع الأمر» إلى أن قال: «وكل ما لم يكن في زمنه ﷺ يسمى بدعة، لكن منها ما يكون حسنًا، ومنها ما يكون بخلاف ذلك، وتبين بما مضى أن عثمان أحدثه لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة قياسًا على بقية الصلوات، فألحق الجمعة بها، وأبقى خصوصيتها بالأذان بين يدي الخطيب، وفيه استنباط معنى من الأصل لا يبطله».

ومما سبق تعلم أن الأذان الثاني للجمعة سنة سيدنا عثمان - رضي الله عنه -، وقد قال النبي ﷺ: «من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين» رواه ابن حبان والحاكم، وعثمان - رضي الله عنه - من الخلفاء الراشدين، ولقد قام الإجماع العملي من لدن الصحابة إلى يومنا هذا على قبول الأذان الثاني، فالذي يطعن فيه وينكره فإنه يطعن في إجماع وفي شعائر الإسلام التي ارتضاها العلماء عبر القرون، والذي يدعي أنه بدعة ضلالة يخالف ما تواتر عن النبي ﷺ من أن الله سبحانه لا يجمع أمته على ضلالة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

النذر.. والصدقة على الميت

■ ومن ش. م. ح جاء السؤالان التاليان:

السؤال الأول: نذر رجل قائلاً: «لو صح ابني من المرض فسأطعم المصلين الحاضرين في يوم الجمعة في هذا المسجد»، فهل يجوز للأغنياء أن يأكلوا من هذا الطعام؟

أو نذر: «لو صح ابني من المرض فسأضحي بالغنم في يوم عيد الأضحى»، فهل يجوز للأغنياء أن يأكلوا من هذا اللحم؟ أريد الجواب على مذهب الحنفية.

السؤال الثاني: إذا مات الإنسان دعا أهله العلماء والعامة بعد أيام إلى بيته، فيجتمعون ويصلون ويسلمون على النبي ﷺ ويدعون للميت ولسائر المسلمين الأحياء والأموات، وفي هذه الحفلة يقدم أهل الميت طعامًا للحاضرين في الحفلة للاستجابة للدعوة ولإدخالهم السرور على أهل الميت، فهل في هذه الحفلة أي محظور شرعًا؟ وهل يجوز للناس أن يأكلوا من هذا الطعام؟

■ **الجواب:**

أولاً: النذر عبادة مشروعة، وهو لا يصح عند السادة الحنفية إلا إذا كان قربة مقصودة وكان من جنسها واجب شرعي؛ ومن أجل ذلك صح النذر بالتصدق عندهم لأن الصدقة من جنسها فرض وهو الزكاة، فلما كانت لا تصح للأغنياء لم يصح نذر الصدقة لهم أيضًا؛ فإن النذر بإعطاء الأغنياء أصالة أو تبعًا نذر لمخلوق وهو لا يجوز، وليس هو قربة مقصودة ولا من جنسها واجب شرعي؛ قال العلامة الحصكفي في «الدر المختار»: (ومن نذر نذرًا مطلقًا، أو معلقًا بشرط، وكان من جنسه واجب) أي فرض كما سيصرح به تبعًا للبحر والدرر (وهو عبادة مقصودة) خرج الوضوء وتكفين الميت (ووجد الشرط) المعلق به (لزم الناذر)؛ لحديث «من نذر وسمى فعليه الوفاء بما سمى» (كصوم، وصلاة، وصدقة) ووقف (واعتكاف) وإعتاق رقبة، وحج ولو ماشيًا؛ فإنها عبادات مقصودة، ومن جنسها واجب؛ لوجوب العتق في الكفارة، والمشي للحج على القادر من أهل مكة، والقعدة الأخيرة في الصلاة وهي لبث كالاعتكاف، ووقف مسجد للمسلمين واجب على الإمام من بيت المال، وإلا فعلى المسلمين (ولم يلزم) الناذر (ما ليس من جنسه فرض؛ كعيادة مريض، وتشييع جنازة، ودخول مسجد) ولو مسجد الرسول ﷺ أو الأقصى؛ لأنه ليس من جنسها فرض مقصود، وهذا هو الضابط كما في الدرر. قلت: ويزاد ما في «زواهر الجواهر»: وأن لا يكون مستحيل الكون، فلو نذر صوم أمس أو اعتكافه لم يصح نذره. وفي القنية: نذر التصدق على الأغنياء لم يصح ما لم ينو أبناء السبيل».

وهذه عبارة «القنية» كما ذكرها ابن نجيم في «البحر الرائق»: «نذر أن يتصدق بدينار على الأغنياء ينبغي أن لا يصح. قلت: «القائل هو ابن نجيم» وينبغي أن يصح إذا نوى أبناء السبيل؛ لأنهم محل الزكاة، ولو قال: إن قدم غائبي، فلله علي أن أضيف هؤلاء الأقوام وهم أغنياء لا يصح» اهـ.

قال ابن عابدين في «رد المحتار على الدر المختار» (٤٣٩/٤): «قلت: ولعل وجه عدم الصحة في الأول عدم كونها قربة، أو مستحيلة الكون لعدم تحققها؛ لأنها للغني هبة كما أن الهبة للفقير صدقة» اهـ.

وقال الطحطاوي في «حاشية على الدر المختار»: «قوله: على الأغنياء لم يصح» لأنه ليس من جنسه واجب. «وقوله: ما لم ينو أبناء السبيل» لأنهم مصرف الزكاة. وفي الهندية: نذر أن يتصدق بدينار على الأغنياء ينبغي أن لا يصح، وقيل: ينبغي أن يصح إذا نوى ابن السبيل».

ونقل ابن نجيم في «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» عن الشيخ قاسم أنه قال في «شرح الدرر»: «وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون لإنسان غائب أو مريض، أو له حاجة ضرورية فيأتي بعض الصلحاء فيجعل سترة على رأسه فيقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي، أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع كذا، أو من الزيت كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها: أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق، ومنها: أن المنذور له ميت والميت لا يملك، ومنها: إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر، اللهم إلا أن قال: يا الله إني نذرت لك إن شفيت مريضي، أو رددت غائبي أو قضيت حاجتي أن أطعم الفقراء الذين بباب السيدة نفيسة أو الفقراء الذين بباب الإمام الشافعي، أو الإمام الليث، أو أشتري حصرًا لمساجدهم، أو زيتًا لوقودها أو دراهم لمن يقوم بشعائرها إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء، والنذر لله عز وجل وذكر الشيخ إنما هو محل لصرف النذر لمستحقيه القاطنين برباطه، أو مسجده، أو جامعه فيجوز بهذا الاعتبار؛ إذ مصرف النذر الفقراء وقد وجد المصرف، ولا يجوز أن يصرف ذلك لغني غير محتاج ولا لشريف منصب؛ لأنه لا يحل له الأخذ ما لم يكن محتاجًا أو فقيرًا، ولا لذي النسب لأجل نسبه ما لم يكن فقيرًا،

ولا لذي علم لأجل علمه ما لم يكن فقيرًا، ولم يثبت في الشرع جواز الصرف للأغنياء، للإجماع على حرمة النذر للمخلوق، ولا ينعقد ولا تشتغل الذمة به، ولأنه حرام بل سحت، ولا يجوز لخادم الشيخ أخذه ولا أكله ولا التصرف فيه بوجه من الوجوه إلا أن يكون فقيرًا، أو له عيال فقراء عاجزون عن الكسب وهم مضطرون فيأخذونه على سبيل الصدقة المبتدأة، فأخذه أيضًا مكروه ما لم يقصد به الناذر التقرب إلى الله تعالى وصرفه إلى الفقراء، ويقطع النظر عن نذر الشيخ، فإذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربًا إليهم، فحرام بإجماع المسلمين ما لم يقصدوا بصرفها للفقراء الأحياء قولًا واحدًا» اهـ.

وعلى ذلك فالنذر بإطعام أهل المسجد (أغنياء وفقراء) لا يصح أن يأكل منه الأغنياء عند الحنفية قولًا واحدًا، وفي إبطال النذر وتصحيحه مع دفعه للفقراء قولان:

– فمن الحنفية من يراه باطلًا كما هو ظاهر ما سبق من أن النذر للأغنياء لا يصح أصلًا.

جاء في «تنقيح الفتاوى الحامدية» لابن عابدين: «(سئل) في رجل أشهد عليه أنه إن أخذ بنته من جدتها يكون في ذمته لطبيخ ولي البلدة كذا من القروش فهل إذا أخذها من جدها لا يلزمه شيء؟

(الجواب): نعم؛ لأن النذر لا يكون لمخلوق، ولا تسمع الدعوى عليه بذلك، ولا يقضي القاضي بالنذر وإن كان صحيحًا كما في الخيرية وغيرها».

– ومنهم من يصححه ويجعله للفقراء دون الأغنياء، قال العلامة الرافعي في تقريراته على ابن عابدين (٢/١٠٥): «قوله (قلت: ولعل وجه عدم الصحة..) قلت: بل نذره أن يتصدق بدينار صحيح، وقوله بعده «على الأغنياء» رجوع؛ فلا يصح، نظير ما لو نذر ركعتين بلا طهارة «سندي» اهـ.

وهذا المسلك هو الأنسب بمقصود الشارع في تصحيح كلام المكلم مهما أمكن ذلك لاسيما إن ساعده العرف؛ فإن إعمال الكلام أولى من إهماله، وهو الذي نفتي به في مسألة إطعام المصلين الحاضرين يوم الجمعة في المسجد؛ لأنه لم ينص هنا على الأغنياء، فيقوى القول بتصحيح النذر بناءً على أنه عام أريد به الخصوص، أو أنه عام مخصوص؛ إذ لا يصح صرف النذر إليهم وهم الأغنياء، وينصرف حينئذ جزمًا إلى الفقراء من المصلين الحاضرين ويحرم على الأغنياء الأكل منه.

وكذلك الحال في نذر الأضحية، فقد اتفق الفقهاء على أن نذر الأضحية يوجبها على الناذر، سواء أكان غنيًا أو فقيرًا، وعند الحنفية أنه إذا نذر أضحية فإنه تجب عليه أضحيتان، إحداهما واجبة بالشرع، والأخرى واجبة بالنذر، إلا إذا كان نذره هذا في أيام النحر وقصد به الإخبار عن الواجب عليه فينصرف النذر إلى الأضحية الواجبة بالشرع، قال ابن عابدين في حاشيته «رد المحتار على الدر المختار» (٦/٣٢٠): «(وإن لا يكون واجبًا عليه قبل النذر) في أضحية البدائع: لو نذر أن يضحي بشاة – وذلك في أيام النحر، وهو موسر – فعليه أن يضحي بشاتين عندنا، شاة للنذر، وشاة بإيجاب الشرع ابتداء، إلا إذا عنى به الإخبار عن الواجب عليه، فلا يلزمه إلا واحدة، ولو قبل أيام النحر لزمه شاتان بلا خلاف؛ لأن الصيغة لا تحتمل الإخبار عن الواجب إذ لا وجوب قبل الوقت، وكذا لو كان معسرًا ثم أيسر في أيام النحر لزمه شاتان. اهـ.

والحاصل أن نذر الأضحية صحيح، لكنه ينصرف إلى شاة أخرى غير الواجبة عليه ابتداء بإيجاب الشرع، إلا إذا قصد الإخبار عن الواجب عليه وكان في أيامها» اهـ.

ولا يجوز أن يأكل منها الأغنياء أيضًا، ولا أن يأكل منها صاحبها، وبذلك قال الشافعية أيضًا، قال العلامة ابن نجيم في «البحر الرائق شرح كنز الدقائق»: «وإذا لم تكن واجبة وإنما وجبت بالنذر فليس لصاحبها أن يأكل منها شيئًا ولا أن يطعم غيره من الأغنياء، سواء كان الناذر غنيًا أو فقيرًا؛ لأن سبيلها التصدق، وليس للمتصدق أن يأكل من صدقته ولا أن يطعم الأغنياء» اهـ.

ثانيًا: لا مانع من مثل هذا الاجتماع شرعًا، بشرط أن لا يكون في ذلك تجديد للأحزان، وأن لا يكون ذلك من مال القصر، فإن كان ذلك مما يشق على أهل الميت أو يجدد أحزانهم فهو مكروه، وإن كان من مال القصر فهو حرام.

ومع أن جماعة من متأخري الحنفية يذهبون إلى القول بالكراهة، إلا أن العلامة الطحطاوي الحنفي حقق أن ذلك جائز ولا شيء فيه، ونقل ذلك عن محققي الحنفية، فيقول في «حاشيته على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح» (٣٣٩ – ٣٤٠): «قوله: وتكره الضيافة من أهل الميت.. إلخ، قال في البزازية: يكره اتخاذ الطعام في اليوم الأول والثالث، وبعد الأسبوع، ونقل الطعام إلى القبر في المواسم، واتخاذ الدعوة بقراءة القرآن، وجمع الصلحاء والقراء للختم أو لقراءة سورة الأنعام أو الإخلاص. اهـ. قال البرهان الحلبي: ولا يخلو عن نظر؛ لأنه لا دليل على الكراهة إلا حديث جرير المتقدم، وهو ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح عن جرير بن عبدالله: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة. اهـ. يعني وهو فعل الجاهلية، وإنما يدل على كراهة ذلك عند الموت فقط، على أنه قد عارضه ما رواه الإمام أحمد أيضًا بسند صحيح وأبو داود عن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما رجع استقبله داعي امرأته فجاء وجيء بالطعام، فوضع يده ووضع القوم فأكلوا ورسول الله ﷺ يلوك اللقمة في فيه.. الحديث، فهذا يدل على إباحة صنع أهل الميت الطعام والدعوة إليه، بل ذكر في البزازية أيضًا من كتاب الاستحسان: وإن اتخذ طعامًا للفقراء كان حسنًا. اهـ. وفي استحسان الخانية: وإن اتخذ ولي الميت طعامًا للفقراء كان حسنًا، إلا أن يكون في الورثة صغير فلا يتخذ ذلك من التركة. اهـ. وقد علمت ما ذكره صاحب «الشرعة» اهـ. يشير إلى ما نقله قبل ذلك (٣٣٩) عن صاحب «شرعة الإسلام والسنة» من قوله: «والسنة أن يتصدق ولي الميت له قبل مضي الليلة الأولى بشيء مما تيسر له، فإن لم يجد شيئًا فليصل ركعتين ثم يهدي ثوابهما له». قال: «ويستحب أن يتصدق على الميت بعد الدفن إلى سبعة أيام كل يوم بشيء مما تيسر» اهـ.

وبناءً على ذلك: فلا مانع من إقامة مثل هذه الحفلة، ولا حرج من الأكل من طعامها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

خطبة الجمعة

النظام فى الإسلام

الحمدلله عز وجل، هو الذى أبدع الكائنات بقدرته، وسوى أمور الخلائق بحكمته ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢). أشهد أن لا إله إلا الله، الحق كتابه، والعدل بابه. ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (الرعد:٨) وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، ربى قومه فأحسن تربيتهم، وعلم أتباعه فأجاد تعليمهم، فكان إمام الأنبياء وقائد الحكماء فصلوات الله وسلامه عليه وعلى ذريته وآله، وصحبه ورجاله، فأولئك تحروا رشدا.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

النظام هو أساس هذا الكون الرحيب الواسع، ولو فسد النظام فى الكون لفسد أمر السموات والأرض ومن فيهن؛ وقد أبدع الخالق البارئ المصور ملكه على أدق نظام وأعمق إحسان.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

(القمر: ٤٩)

وقال: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾

(الملك: ٣).

وقد أوجد الله الإنسان والمكان والزمان، وألهمنا أن لكل إنسان فى الحياة عملا محددا يقوم به، وينبغى له أن يحسنه، وأن لكل مكان أشياء تناسبه وتلائمه، وأن الزمان يجب أن يكون فرصة للعمل والسعى، وإلا انقلب غصة

مهلكة. ولا يمكن الانتفاع بهذا الزمن على وجهه إلا إذا عرف الإنسان له حدودا، وأخضعه للنظام والترتيب ولاءم بين زمانه وأعماله، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى مثل هذا الضبط والتنظيم فى قوله

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ... ﴾

(يونس: ٥)

وقال: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(يس: ٣٨ - ٤٠)

والمشاهد بين الناس أن كثيرا منهم لا يحسنون العمل أو التصرف فى الحياة بسبب جهلهم مبادئ النظام وقواعد الترتيب. إنهم يخبطون عملا بعمل، وقد يقبلون على العمل فى غير إقبال فلا يأتى على وجهه الحسن، وقد يؤخرون العمل عن أوانه، فيجور على وقت غيره من الأعمال، وقد يسرفون فى العمل حينا بلا ضرورة فيؤدى بهم هذا الإسراف بعد قليل إلى إسراف فى الركود والكسل، إلى غير ذلك من مظاهر الفوضى والاضطراب.

والإسلام الحكيم القويم قد أعطى النظام حقه الموفور من العناية والاهتمام ليلفت الأبصار والبصائر إليه، ويحمل أتباعه عليه، فلا يقولون ولا يعملون ولا يسعون فى حياتهم إلا بنظام وإحكام، وإذا نظرنا إلى القواعد التى بنى عليها الإسلام وجدناها تنهض بالنظام وعلى النظام، فكلمة التوحيد: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» نظام فى الاعتقاد، إذ هى إقرار بالعبودية لإله واحد لا يشاركه فى ملكه أو تدبيره سواه، وإذا توافر الإخلاص فى هذا الاعتقاد اعتدل العبد على طريق واحد مستقيم، ولم تتفرق به السبل عن سبيل ربه، ولا شك أن توحيد الطريق حتى يكون معروف الغاية والنهاية نظام وأى نظام:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

وهذه هى الصلاة اليومية المتكررة خمس مرات فى اليوم والليلة، قد أقامها الله عز وجل على النظام والتحديد، ولم يتركها مبهمة غامضة لهوى المرء الذى قد يضل وقد ينسى، بل قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾

(النساء: ١٠٣)

أى: فرضا ثابتا ثبوت الكتابة فى الورق. ﴿ مَّوْقُوتًا ﴾ أى: منجما موزعا فى أوقات معلومة محددة، لابد من أدائها فيها بقدر الإمكان، والله يطالب بها فى مواعيدها حتى فى مواطن عدم الاستقرار، فهو يقبل الصلاة مقصورة فى السفر، ومقسومة فى حالة الحرب، وغير كاملة الهيئات والحركات فى المرض القاتع

من الإتيان بكل حركاتها، فتلك الأداء المحدد في الموعد المحدد خير من تأخيرها عن ميقاتها لتأديتها فيما بعد، وهذا تنظيم بليغ، وربط حكيم بين الوقت والعمل المخصص له.

وهذا هو الصيام.. لم يكتب الله تعالى علينا مطلق صوم، ولم يكلفنا بعدة صوم مجهولة أو متروكة لتقدير كل إنسان، بل نظم ذلك وحدده فقال تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾

(البقرة: ١٨٣-١٨٤)

أي: محدودات معينات بالعدد، وهي أيام رمضان الذي ذكره عقب ذلك بقوله:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾

(البقرة: ١٨٥)

وزاد الإسلام الصوم تنظيما وتحديدا، فجعل لبدايته حدا معلوما هو الفجر، ولنهايته حدا معلوما هو غروب الشمس، وتلي السنة القرآن في تحديد الصيام، فيقول الرسول عن الهلال: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين»[1]

والزكاة وهي نصيب الفقراء في مال الأغنياء، وهي الحق الواجب المعلوم للسائل والمحروم، لم يتركها الله سبحانه غامضة مبهمة، ولم يكلها في مقاديرها ومواعيدها إلى النفوس التي قد تشح وقد تبخس، بل حدد الإسلام مواعيدها ومصارفها، وأحصت السنة الأشياء التي تجب فيها، وفصلت الكثير من أمورها، وفي القرآن الكريم قوله عن الزرع:

﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

(الأنعام: ١٤١)

فزكاة الزرع تجب يوم القطاف والجني عندما يطيب الزروع، وزكاة المال تجب عندما يحول عليه الحول، وتم على حيازته العام، والمقدار معلوم، فهو في زكاة الزرع إما العشر وإما نصف العشر، وهو في زكاة المال ربع العشر، والمستحقون للزكاة ثمانية أصناف حددتهم آية التوبة والآية الكريمة السابقة تنهى عن الإسراف وتلم أمره، والإسراف إما إفراط أو تفريط، وليس بينهما إلا التوسط والاعتدال، وذلك هو عين النظام.

ثم يأتي الحج، ذلك الفرض الواجب في العمر مرة واحدة.. لم يدعه الله للهوى والاختيار، بل حدد وقته، ونظم عمله، ورتب شئونه، ودعا الناس إليه في وقت واحد، ومكان واحد وحول بيت واحد، ولهدف واحد، والقرآن الكريم يقول:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(البقرة: ١٩٧)

فيؤدي المسلم الحج في أشهره المعلومات المحدودة، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، والوقوف بعرفة يجب أن يكون في اليوم التاسع من ذي الحجة وبقية المناسك في أيام العيد، وبعد الآية السابقة بآيات يقول القرآن

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾

(البقرة: ٢٠٣)

والأيام المعدودات هي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، وهي الأيام المحددة لرمي الجمرات ونحر الضحايا والهدي، وقد جمعت الآية بين التحديد وبين التوسعة الخفيفة، فمن فعل ذلك في اليومين الأولين جاز، ومن تأخر إلى الثالث جاز، ولكنه لا يخرج عن الثلاثة، وهذا تيسير من جهة، وتنظيم من جهة أخرى

ولو استعرضنا أمور الزواج والطلاق والنفقة والعدة والرضاع والحضانة والمعاملات المختلفة في الإسلام، لوجدناها مقامة على التنظيم والتنسيق، ففيها شروطها وحدودها ومواقيتها وأوضاعها الخاصة المميزة وهذا كله يوحي إلى المسلم بأن يكون في أمره كله على نظام، لأن النظام يوفر الجهود، ويضاعف الثمرة، بينما تذهب الفوضى بالخيرات وتقضي على الثمرات:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(هود: ١١٢)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام...

ما أحوجنا في حياتنا الخاصة والعامة إلى النظام، فالمعلم محتاج إلى النظام كي يحسن التعليم والتقويم، والعامل محتاج إلى النظام كي يتقن أداء واجبه ومضاعفة إنتاجه، والتاجر محتاج إلى النظام لينسق سلعه ويرتب بضائعه، فيصونها ويجيد عرضها، ولا يخلط العسل بالخل، ولا السكر بالملح، ولا الفل بالبصل، والتلميذ محتاج إلى النظام يؤدي واجباته المدرسية في مواقيتها، ولا يؤخر عمل اليوم إلى غد، والدولة لابد لها من النظام ليقوم كل موظف فيها بأداء واجبه في موعده بلا تسويف أو تأخير (حتى لا يتركوا الناس على أبواب المصالح والمكاتب) فلنعتصم بالنظام، ولنحرص على النظام، ولنصبر عليه ولنداوم فيه، فإنه طريق الحق والخير:

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

(العصر: ١ - ٣)

﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

(المائدة: ١١٢)

---

(١) كنز العمال

مسئولية الإنفاق داخل الأسرة

المستشار حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

من المهام الرئيسية الملقاة على عاتق رب الأسرة، تفقد أحوال كل فرد من أفرادها، للوقوف على مراحل التربية السليمة له، على غرار الأسلوب الذي اتبعه سيدنا زكريا عليه السلام، عندما كان يكفل السيدة مريم، وسألها عن مصدر الرزق الذي وجده عندها، ولم يحضره هو قائلاً:

﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

(آل عمران: ٣٧)

ومن أبرز سمات هذه المهمة، ما يتعلق بالإنفاق داخل الأسرة، ولأهمية هذا النوع من الإنفاق، فإنه يتعين الوقوف على النقاط الآتية:-

أولاً: أهمية الإنفاق الأسري:-

إن النفقة على الأهل تأتي في المرتبة الأولى للنفقات، بل هي مقدمة على الزكاة والصدقة، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»، وفي بيان وجه العظمة في هذه النفقة يقول العلماء: إن النفقة على الأهل هي فرض عين على العائل، وهي لا تسقط عنه إلا بالأداء أو الإبراء، ولكن سائر النفقات ولو كانت في سبيل الله هي من فروض الكفاية التي إذا فعلها البعض سقطت عن الكل.

والسبب في فرضية النفقة على الأهل هو أن هذه النفقة ضرورية لهم، ولابد من القيام بها وإلا ضاعوا، وفي ضياعهم إثم كبير، كما أخبر الصادق الأمين ﷺ بقوله: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول»[1]، والأهل هم أول من يعولهم الإنسان، فمنهم الولد والوالد، ومنهم الزوجة والخادم، ومنهم سائر القرابات، ولكل ذي عقل أن يتأمل ما سيصير إليه حال أي واحد من الأهل -ولاسيما إذا كانت امرأة- تكل عائله عن الإنفاق

(١) كشف الخفاء ١٩٣٤.

عليه، وكم من انحرافات أخلاقية، ومخالفات قانونية كان الدافع إليها تقصير العائل في القيام بهذا الفرض، ولهذا لم تترك الشريعة الغراء أداء هذه النفقة لمجرد تفضل العائل بل أوجبت عليه ذلك طواعية، وإلا أجبره القاضي عليه.

ثانياً: الثواب على الإنفاق الأسري:-

من فضل الله تعالى على المسلم أنه يجزل له الثواب المضاعف، إذا هو أنفق على أقاربه المحارم، لأن هذا العمل يتضمن صلة الرحم، وبذل المال لتقرير طاعة الله تعالى، فهذه النفقة تعتبر صدقة لمن أخرجها، فقد روى الحاكم والنسائي عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها، كانت له صدقة»، وإذا كانت الصدقة خيراً، فإن الأهل هم أولى الناس بها، لقوله ﷺ: «خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[2].

وعلى هذا يمكن القول: إن النفقة على الأهل باعتبارها صدقة، تحقق عدة أغراض متكاملة في آن واحد، فهي صلة للرحم، وحفظ للأهل من الضياع، وتزكية ونماء للمال، وثواب جزيل في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: صورة واقعية للإنفاق الأسري:-

يعتبر من خير النفقة، ما يقدمه العائل في سبيل تحقيق العفاف في أهل بيته، وذلك بمساعدة من هو في سن الزواج على القيام بأعبائه، لأن هذا تطبيق عملي للسنة النبوية المطهرة، فقد روى الديلمي في الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «زوجوا أبناءكم وبناتكم»، قيل: يا رسول الله: هذه أبناؤنا تزوج، فكيف ببناتنا؟!، فقال ﷺ: «حلوهن بالذهب والفضة، وأجيدوا لهن الكسوة، وأحسنوا إليهن بالنحلة، ليرغب فيهن».

إن الواقع الذي نعيشه الآن، يفرض علينا نظرة أكثر اتساعاً للحياة عن ذي قبل، فقد أصبحت تكاليف الزواج تثقل كاهل أسرة الشاب والفتاة على السواء، ولا يستطيع أي منهما تحمله وحده دون الآخر، ومن هنا كانت المشاركة بينهما من الضرورة بمكان، وليت الأمر يقف عند حد المهر والهدايا، بل يتعدى ذلك إلى الحصول على مسكن الزوجية، وإعداده بما يليق بحال الزوجين، ولا شك أن أي شاب أو فتاة يعجز بمفرده عن القيام بكل هذه الأعباء الجسام.

إن القيام بهذا الأمر يدخل في الحقوق المقررة للولد على والده، فقد روى الديلمي في الفردوس وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «إن من حق الولد على والده: أن يعلمه الكتابة، وأن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ»، ولا يقتصر أمر تزويج الولد على مجرد إبداء الرأي في اختيار الزوجة، بل يتعدى ذلك إلى تقديم العون

(٢) تفسير ابن كثير ج١

المادى المناسب الذى يوصل إلى إتمام الزواج، بشرط أن يكون فى مقدور العائل القيام به دون إرهاق.

رابعاً: الإنفاق الأسرى مسئولية الرجل:

جعلت الشريعة الغراء هذا الإنفاق من الواجبات المفروضة على عائل الأسرة، ولم تتركه لمحض التفضل والإحسان، بل رتبت على هذا الواجب مسئولية مباشرة يتحمل هذا العائل تبعاتها، فقد روى النسائى وابن حبان عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته». وفى رواية: «فأعدوا للمسألة جواباً. قالوا: وما جوابها، قال: أعمال البر».

وقد اجتمعت كلمة فقهاء الشريعة الغراء، على أن الإنفاق على الأسرة، من الواجبات المفروضة التى تقع على عاتق الزوج وحده، ولو كان فقيراً وكانت الزوجة غنية، فقد أمر الحق تعالى الأزواج بالنفقة على الزوجات، فى قوله المحكم:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾

(الطلاق: ٦)

بل إن رسول الله ﷺ، طلب من الرجل منذ بداية التفكير فى الزواج، أن يحسم مسألة قدرته على الإنفاق الأسرى، بحيث لا يقدم على إتمام الزواج، إلا بعد التأكد من توافر هذه القدرة لديه، وإلا فعليه التوقف تماماً عن هذا التفكير، حتى لا يقع فى دائرة الظلم التى تجعل من الزواج فى هذه الحالة حراماً ... معها على الرجل، أن يلجأ إلى بديل الزواج، وهو الصوم. فقد روى الإمام أحمد عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

ومع وضوح هذا الواجب والمسئولية المترتبة عليه، إلا أن استقراء الواقع العملى يرشح للقول، بأن هناك بعضاً من الرجال سيطر عليه الخمول عن الحركة، والسعى فى مناكب الأرض، وقعد عن النهوض بواجب الإنفاق على أسرته، وقد يركن فى ذلك إلى حجج واهية، تنم عن سوء فهم لطبيعة الحياة الزوجية، وحقيقة دور الرجل فيها، وقد يعلل بخروج الزوجة إلى ميدان العمل، وحصولها على دخل مالى من هذا العمل، يمكن التعويل عليه فى الإنفاق الأسرى، وربما يكون بديلاً عن دور الزوج فى هذا الإنفاق.

وهنا تثور قضية الزوجة العاملة، كما لو كانت مدرسة، أو محامية، أو مولدة، أو ممرضة، وتشتغل بحرفتها خارج البيت، كل النهار أو بعضه، ثم تعود إلى بيت زوجها، وقد اختلف الفقهاء حول هذه المسألة، ولكن الرأى الراجح عندهم يذهب إلى أن الزوجة العاملة تستحق النفقة على زوجها، لأنها معذورة فى ذلك، لاشتغالها بمصالحها، ولأن الاحتراف فى حد ذاته ليس مانعاً من استحقاق النفقة. إنما المانع هو خروج الزوجة من منزل الزوجية بدون إذن الزوج، سواء صاحبه الاحتراف أو لا، بشرط أن يكون هذا العمل مشروعاً. وهذا ما أخذ به المشرع القانونى، عندما قرر فى المادة الأولى من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠، المعدلة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥: أن خروج الزوجة إلى العمل المشروع، لا يعتبر سبباً لسقوط نفقتها، ما لم يظهر أن قيامها بهذا العمل كان مشوباً بإساءة استعمال الحق، أو منافى مصلحة الأسرة، وطلب الزوج منها الامتناع عن القيام به، ما لم يكن قد سبق له الرضاء بخروجها للعمل صراحة أو ضمناً، ومن ذلك تزوجه بها وهى تعمل دون اعتراض منه على ذلك.

ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة، أن جعلها تحتفظ بذمتها المالية المستقلة عن الرجل، فكل ما تملكه الزوجة تضمه ذمتها المالية، ولا ينتقل إلى ذمة زوجها المالية، إلا بتصرفها الصحيح فيه، ومن أوضح الأمثلة على ذلك: مرتب الزوجة العاملة، فهو حق خالص لها، وليس لزوجها أى حق فيه، ولو كانت هى غنية وهو فقير.

خامساً: ترشيد الإنفاق الأسرى:

إذا كانت الأسرة تعد فى ذاتها مؤسسة، تحتاج إلى من يحسن إدارتها، فقد جعل الشارع الحكيم هذه المهمة الجليلة من اختصاص الرجل، بل قصر عليه وحده دون غيره، القيام بواجب الإنفاق داخل هذه المؤسسة، وذلك بمقتضى قول الحق تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

(النساء: ٣٤)

وقوله تعالى:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾

(الطلاق: ٧)

ومع هذا فإن القيام بهذه المهمة يحتاج إلى تعاون جميع أفراد الأسرة مع الرجل، لتحقيق النجاح والمستوى الأفضل لهذه المؤسسة.

ومعيار الإنفاق الرشيد فى الأسرة، هو ما جاء به منهج السماء، الذى ميز أمة الإسلام عن غيرها من الأمم، بأن جعلها الخالق تعالى أمة

وسطاً. ومن عناصر هذه الوسطية، الاعتدال في الإنفاق، حيث لا إفراط ولا تفريط في استخدام المال، فقد قال الحق تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

(الفرقان: ٦٧)

ويترتب على الأخذ بهذا المعيار، رفض نوعين من السلوك في الإنفاق، هما التقتير والتبذير، وقبول سلوك واحد فيه هو القصد والاعتدال. لقد نهى الله سبحانه عباده عن البخل والتقتير، وعن الإسراف والتبذير، في قوله تعالى:

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾

(الإسراء: ٢٦، ٢٧)

لأن عاقبة هذين السلوكين هي اللوم من الغير، والحسرة من النفس، التي أشار إليها قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

(الإسراء: ٢٩)

وهذا النهي يشمل حتى استعمال الأشياء المباحة، مثل الأكل والشرب واللباس والزينة، لقوله تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

(الأعراف: ٣١)

وقد قال رسول الله ﷺ، فيما رواه النسائي والحاكم والإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «كلوا واشربوا، وتصدقوا، والبسوا، في غير إسراف، ولا مخيلة».

والإسراف والتبذير في الإنفاق، إذا ما ترتب عليه تبديد المال وضياعه، فإنه يعد إحدى صور السفه في التعامل مع المال، يسمى فاعله سفيهاً، ومن حرص الشريعة الغراء على حفظ المال، أنها تتطلب حسن التصرف فيه على النحو المبين بأحكامها التفصيلية في هذا الشأن، وإلا وقع باطلاً كل تصرف يخالفها، ولو كان المتصرف هو صاحب المال ومالكه، وفي هذه الحالة يعين القاضي من ينوب عنه، ممن له القدرة على التصرف الحسن في هذا المال، يسمى القيم على مال السفيه.

أما من يلجأ إلى أسلوب التقتير على عياله، فقد استحق أن يدخل تحت قول رسول الله ﷺ، الذي رواه صاحب الفردوس عن جبير بن مطعم: «ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله» أي: ليس من خيارنا.

وإذا كانت النفوس جبلت على البخل، فيجب على من كانت نفسه هكذا، أن يروضها على التخلص من هذه الصفة الذميمة، وتدريبها على الكرم حتى تتخلق به، ولكن إذا ظلت هذه الصفة عالقة بصاحبها، فما هو الحل بالنسبة لذوي الحاجات من عياله؟! وبالبحث في السنة النبوية المطهرة نجد هذا الحل، فيما رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن المثنى عن يحيى عن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها: «إن هندًا بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان (زوجها) رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

وقد مدح رسول الله ﷺ المعتدلين في الإنفاق، بقوله الذي رواه ابن النجار عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «رحم الله امرءاً اكتسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره وحاجته»[1]. أي بتدبير واعتدال من غير إفراط ولا تفريط.

وقد أوضح رسول الله ﷺ أن القصد في الإنفاق ينفي الفقر ويحقق الغنى، وذلك بقوله الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما عال من اقتصد»، أي ما افتقر من أنفق دون تجاوز الحد إلى الإسراف. وروى البزار عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ بمكة، وهو صائم، فأجهده الصوم، فحلبنا له ناقة في قعب، وصببنا عليه عسلاً، نكرمه به عند فطره، فلما غابت الشمس، ناولناه، فلما ذاقه قال: ما هذا؟ قلنا: لبناً وعسلاً، أردنا أن نكرمك به، أحسبه قال: أكرمك الله، بما أكرمتني، ثم قال: «من اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقره الله، ومن تواضع رفعه الله، ومن تجبر قصمه الله».

وإذا كانت مؤسسة الأسرة لها راع، وهو غالباً الرجل على نحو ما سلف، فإنه يكون مسئولاً عنها، لدخوله تحت قول الرسول الكريم ﷺ «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في أهله، وهو مسئول عن رعيته...»[2]. ومن منطلق هذه المسئولية فيجب على راعي الأسرة، أن يوجه باقي أفرادها، ولاسيما الشباب منهم، إلى حسن استخدام المعيار الأمثل في الإنفاق، وذلك بالإمساك بميزان الاعتدال فيه، وهو القصد في الإنفاق بلا تقتير ولا تبذير، وهنا يظهر دور رقابة الأسرة على كل فرد فيها، عندما يتعامل في المال، ومن المفروض أن تتسم هذه الرقابة بالإيجابية، التي تحقق النفع للجميع.

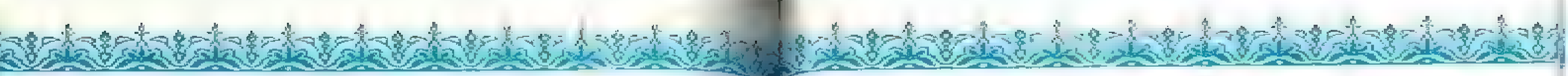
والله تعالى ولي التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) كنز العمال ٢ / ٩٣٠٧

(٢) البخاري ٨٤٤





للأستاذ الدكتور/السيد أحمد فرج

التعريف بالشيخ محمد الغزالى
(١٣٣٥-١٤١٦ هـ / ١٩١٧ - ١٩٩٦ م)

هو الداعية الإمام المجدد فى الدعوة الشيخ محمد الغزالى السقا، صاحب التصانيف العديدة المفيدة فى مجال الدعوة إلى الله وقضايا العصر [illegible] الغزالى [illegible] حجة الإسلام الإمام أبى حامد محمد الغزالى، صاحب كتاب [illegible] قال الشيخ محمد الغزالى فى حوار معه: «كان والدى رحمه الله يحب شيخ الإسلام [illegible] الغزالى [illegible] وروى أن تسمى محمد الغزالى جاءت عقب رؤيا منامية رأى فيها [illegible] ذكر قسمه محمد الغزالى [illegible] ما كان الأمر فإن التسمية [illegible] فى تفكيره [illegible] الغزالى صاحب كتاب «تهافت الفلاسفة» [illegible] ابن رشد صاحب كتاب «تهافت التهافت». كما [illegible] فى الفكر [illegible] مجلة «المسلمون» العدد الثانى فى ١٠ المحرم ١٤٠٢ هـ / ٦-١١-١٩٨١، ص ٣

ولد محمد الغزالى فى قرية «نكلا العنب» من قرى مركز إيتاى البارود، محافظة البحيرة، وهى المحافظة التى خرج منها من علماء الدين الأعلام: الشيخ محمد عبده، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ د.محمد البهى، فى يوم السبت ٥ من ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ/ ٢٢ من سبتمبر ١٩١٧ لأب [illegible] متدين فقير زاهد ذى نزعة صوفية.

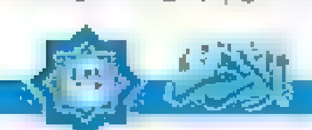
كان محمد الغزالى بكر أبيه، وأكبر إخوته السبعة، فكان محل عناية أبيه الذى كان يطمح فى أن يكون ابنه إماما فى علوم الدين كالإمام أبى حامد الغزالى [illegible] وجهه وهو صغير إلى حفظ القرآن، ليعده للدراسة الأزهرية، فحفظ القرآن الكريم وهو فى العاشرة من عمره، ثم عزم والده - مع قلة ذات يده - على أن يتعهد [illegible] أزهريا، ولم تكن بمحافظة البحيرة وقتذاك معاهد أزهرية، ففكر الوالد الفقير فى أن يلحق ابنه بمعهد الإسكندرية الابتدائى الأزهرى، وفى ذلك يقول الشيخ محمد الغزالى: «[illegible] ما يمت من متاع قليل لكى يذهب بى، أو يذهب معى إلى أقرب مدينة يقع فيها معهد دينى أزهرى، فهاجر من قريته «نكلا العنب» بمحافظة البحيرة إلى الإسكندرية، وفى معهد الإسكندرية تأثر الطالب محمد الغزالى بشيخين كان لهما تأثير قوى فى تكوينه النفسى والتربوى، والميل إلى [illegible] عن قضايا المجتمع، هما الشيخ إبراهيم الغرباوى، والشيخ عبد العزيز بلال، ولقد وصفهما الشيخ محمد الغزالى وهو فى الخمسينيات من عمره فقال: إنهما كانا يشتغلان بالتربية النفسية، مع درجة عالية فى العبادة والتقوى، وكانا يرجعان الدرس بمراقبة الله تعالى وطلب الآخرة» المرجع السابق.

ومن معهد الإسكندرية الأزهرى حصل على الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩٣٢ م، ثم حصل على الإجازة الثانوية الأزهرية من المعهد نفسه فى سنة ١٩٣٧م، وكان من أصغر الطلاب سنا، ومن خلاصتهم تفوقا.

وفى سنة ١٩٣٧م انتقل إلى القاهرة ليلتحق بكلية أصول الدين بمبناها القديم مبنى الخازندارة الذى كان ملحقا به مسجد ومستشفى، على نفقة الخازندارة تلك السيدة التى لم ينس الشيخ محمد الغزالى أن يتذكرها فى كتبه إذا ذكر النساء، ويقول: «إنها امرأة بألف رجل».

وفى خلال السنوات الأربع بكلية أصول الدين من سنة ١٩٣٧م إلى سنة ١٩٤١ م حدثت أهم التحولات فى حياة محمد الغزالى، سواء فى داخل الكلية أو خارجها، ففى الكلية تتلمذ على شيوخ عظماء كان لهم تأثير كبير فى تكوينه الثقافى خاصة الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد العظيم الزرقانى، وفيهما قال الشيخ محمد الغزالى: «وفى كلية أصول الدين تأثرت بالشيخ عبد العظيم الزرقانى صاحب كتاب: «مناهل العرفان فى علوم القرآن» وكان عالما يجمع فى دروسه بين العلم والأدب، وعبارته فى كتابه المذكور تدل على أنه راسخ القدم فى البيان وحسن الديباجة ونقاء العرض، وفى علم التفسير تأثرت بالشيخ محمود شلتوت إذ كان يدرس لنا التفسير، وكانت له قدرة عظيمة فيه، إلى جانب رسوخ قدمه فى مجال الفقه، وعلوم الشريعة إجمالا، وكان -رحمه الله- شخصية بارزة يلتف حوله الكثيرون» المرجع السابق نفسه.

كان تأثير الشيخ محمود شلتوت الأعم فى تلميذه فى دروس التفسير، خاصة فى نظرته الشمولية المتعمقة لمقاصد القرآن الكريم ومراميه، وفهمه



فهما موضوعيا. وبجانب هذين الشيخين تأثر بالشيخ محمد عبد الله دراز، فقد كان شديد الإعجاب بمنهجه العقلي في الدراسات الإسلامية، وفي نظرته الموضوعية في تفسير القرآن الكريم التي ظهرت في تفسيره لسورة البقرة تفسيرا موضوعيا في كتابه «النبأ العظيم».

كان هؤلاء الشيوخ أهم من أثروا فيه بكلية أصول الدين، أما خارج الكلية فقد كان تأثير مدرسة المنار يفوق غيرها من مؤثرات، فقد عكف على قراءة مؤلفات الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا، ثم كانت له مدرسته الخاصة فقد أخذ ينهل من جميع التيارات الفكرية في التاريخ الإسلامي والدراسات الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ، ومزج هذا كله بالفهم الصحيح للكتاب والسنة «المرجع السابق نفسه».

وكان بجانب تحولات حياته بكلية أصول الدين، تحولات خارجها يأتي في مقدمتها تعرفه بالشيخ حسن البنا وتأثره به، ثم ترك جماعته بعد موته خلافه مع من جاءوا بعده، وزواجه وهو لا يزال طالبا بكلية أصول الدين، والعمل خطيبا لأحد المساجد الأهلية ليكون هذا العمل مصدر رزق له يساعد به الأسرة الفقيرة.

الشيخ محمد الغزالي في مجال الدعوة إلى الله:

وبعد تخرجه من الكلية بعام واحد في سنة ١٩٤٢م عين إماما وخطيبا بمسجد «العتبة الخضراء» بقلب القاهرة، وهو من المساجد التابعة لإدارة المساجد بوزارة الأوقاف، ثم تدرج في مناصب الوعظ والإرشاد فتولى وظيفة مفتش مساجد، فوكيلا لإدارة التفتيش على المساجد فمديرا لإدارتها، فمديرا عاما للدعوة والإرشاد بوزارة الأوقاف في يوليو سنة ١٩٧٢م، فوكيلا لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة الإسلامية في مارس سنة ١٩٨١م إلى أن أحيل إلى التقاعد في العام التالي.

ولم يكن الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - في مجال الدعوة إلى الله مجرد داعية يعظ الناس في الحلال والحرام، وفي الترغيب والترهيب، ولكنه عني أن يبين لهم تكامل الإيمان بين العقل والنقل، وأن الله تعالى جعل كل ما خلق في هذا الكون مسخرا لنفع الإنسان، وأنه سبحانه وتعالى أحب للإنسان ألا ينفصل الثقة الكونية عن الإيمان، كما بين الشيخ محمد الغزالي للناس كيف يتعاملون مع القرآن فهما وتطبيقا، ومع السنة النبوية المبينة للقرآن الكريم، كما بين لهم أن محاور القرآن الكريم خمسة هي الإيمان بالله الواحد الأحد، وأن البعث والجزاء حق، وأن كل ما في الكون دال على خالقه، وأن المسلم لكي ينال الجزاء الأوفى عليه أن يعمل في الدنيا بأخلاق طلاب الآخرة، وأن القرآن ميدان تشريع، وتذكرة بتاريخ الغابرين والحاضرين، وميدان تربية للمسلم.

موقف الشيخ محمد الغزالي من مدرستي العقل والنقل:

استطاع الشيخ محمد الغزالي أن يوفق بين مدرستي النقل والعقل وأن يجمعهما معا منهج فكره وقوله وعمله، إلا في المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله، وإلى ذلك يشير الشيخ محمد الغزالي فيقول «آخذ بمذهب السلف عندما تكون القضية في موضوع ليس من ميادين العقل البشري، ولا مجال لأدواته فيها، ونحن نعلم أن مجال المتاح لنا هو عالم الشهادة، أما عالم الغيب فإن تفكيرنا فيه فإن تفكيرنا يكون قاصرا» «المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص ١٦».

والشيخ الغزالي في ذلك متبع لمدرسة المنار التي استمدت من الإمام أحمد بن تيمية إذ كان يجمع بين واردات: النقل والعقل ويوازن بينهما، مع عدم النظر في المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله، مع عدم تجاهل مدارك العقل في الموازنة والاختيار والموازنة بين وجهات الرأي المختلفة والتنسيق فيما بينها. ولقد بين الدكتور محمد عمارة ذلك فقال: «مدرسة المنار سارت على نحو متميز، إذ حددت لها منهجا - عرفت به - هو منهج الاختيار الشخصي، والتنسيق فيما بينها. ولقد بين الدكتور محمد عمارة ذلك فقال: إن مدرسة المنار سارت على نحو متميز إذ حددت لها منهجا - عرفت به - هو منهج الاختيار الشخصي، والتنسيق بين وجهات النظر، ورفعت من شأن العقل، واعتبرته أصلا للنقل، كما أنها ترى إيقاعات الكتاب أولى بالاتباع من أحاديث الآحاد، وترفض القول بالنسخ في القرآن، وتنكر أن يكون في القرآن نص انتهى أمده، وترى المذهبية فكرا إسلاميا قد ينتفع به، ولكنه غير ملزم، وتنكر التقليد المذهبي، وتحترم فقه الأئمة، وتأمل أن يسود الإسلام العالم بعقائده وقيمه الأساسية» «راجع موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، ص ٩٧٨، وراجع الشيخ محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية الإسلامية بين المسلمين، ص ٦٩ - ٧٠، دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٩٩٣م».

ويؤكد الشيخ محمد الغزالي على أهمية رعاية المصلحة ويقول «والمصلحة لابد من رعايتها إذا ارتبطت المصلحة بالنص الشرعي، فهو دليلها وضمانها، وأي تعطيل فيه: فهو تضييع لها، والفقه الصحيح أن تعرف على المصلحة. وفي مجال المصالح المرسلة يستطيع الساحة للمسلمين أن يصنعوا الكثير لأنفسهم، على ألا يصطدموا بنص قاتم، فإن النصوص معاقد المصلحة العامة» «مجلة الأمة القطرية، ص ٧١ - ٧٢، العدد ١٠، السنة الأولى - شوال ١٤٠١هـ».

صفات الشيخ محمد الغزالي:

كان الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - ربعة في الطول، حنطي اللون، مستدير الوجه، خفيف شعر اللحية قصيرها، وكان متأنقا في ملابسه، وكان ضحاكا، وكان إذا استطاب له المجلس أشاع فيه المحبة والألفة، ولكنه كان يغضب ويثور دفاعا عن

عارم الله، وكان شجاعاً في الحق لا يخشى في الله لومة لائم، وكان شديد الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ، عميق الإيمان بالإسلام، وكان كثيراً ما يجهش بالبكاء في ذكره لله تعالى، ولرسوله ﷺ وفي حبهما، وكانت أحب أوقات الكتابة إليه بعد صلاة الفجر، ويقول في ذلك: «عند هذا الوقت أشعر باجتماع فكري ويقظة أعصابي، وقدرتي على إفراغ ما في نفسي فوق الصفحات، وتغلب أن تكون الكتابة الأولى هي الأخيرة، وقلما أغير منها أو أزيد عليها إلا القليل، بل قلما أعود إلى قراءة كتاب أصدرته إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة في ذلك، كمناقشة أو حوار حوله» مجلة المسلمون العدد ٢ المحرم ١٤٠٤ هـ ص ٢٣.

وكان رحمه الله قوى الحجة في الدفاع عن رأيه.

المناصب التي شغلها:

كان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وكان عضواً بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، وعضواً بالمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، وعضواً بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت. كما شغل وظيفة: رئيس التكية المصرية التي تخدم فقراء الحجيج، وتقدم لهم الطعام بمكة المكرمة في سنتي ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م. وعمل أستاذاً زائراً بدولة قطر بين سنتي ١٩٨٢ - ١٩٨٥م، ودعته حكومة الجزائر - حكومة الرئيس الشاذلي بن جديد سنة ١٩٨٥ ليشرف على جامعة الأمير عبد القادر الجزائري وعلى مجلسها العلمي، وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٨٨ م.

الجوائز التي حصل عليها:

١- وسام الأمير، وهو أعلى وسام بالجزائر سنة ١٩٨٨.

٢- جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٩٨٩.

٣- جائزة الامتياز من باكستان سنة ١٩٩٦م.

٤- جائزة الدولة التقديرية من مصر سنة ١٩٩١م.

٥- جائزة علي وعثمان حافظ لفكر العام سنة ١٩٩١م.

وكانت أهم رحلاته الدعوية إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٩٦ م لحضور احتفالية العيد الخمسيني للأمة المتحدة ممثلاً للأزهر، ثم دعاه مسلمو الولايات المتحدة إلى ندوات دينية تثقيفية لمدة ثلاثة أسابيع.

وبعد أسابيع قليلة من عودته الحميدة من الولايات المتحدة، دُعي لحضور المؤتمر الوطني للثقافة بالجنادرية بالرياض بالمملكة العربية السعودية، وفي جلسة مساء يوم الجمعة ٢٧ شوال سنة ١٤١٦ هـ ٩ مارس سنة ١٩٩٦ لبى نداء ربه إثر أزمة قلبية. فأمر خادم الحرمين الملك فهد بنقل جثمانه إلى المدينة المنورة ليدفن بالبقيع مع صحابة رسول الله ﷺ، وكان ذلك آخر عهده بالدنيا وآخر كراماته رحمه الله.

المساجد مصانع الرجال

للدكتور/ حمدي فتوح والي

لا نستطيع ونحن نبحث لأمتنا عن موضع قدم بين أمم الأرض في سباق الحضارات المحموم أن نتصور نهضة إسلامية حقيقية تستهدف أفراد الأمة جميعاً دون أن يكون المسجد هو منطلقها وركيزتها، وقاعدة نهضتها ومنطلق غرسها.

وإذا كان المطلوب من الأمة أن تستعيد أمجادها، وتصل ما انقطع من تيار الوحي المتدفق على القلوب لترويها، وعلى العقول لتمدها بالجديد النافع في جميع ميادين الحياة، فإن المسجد كان - ولايزال - هو المنطلق لذلك.

ومن هنا نستطيع أن نفهم سر التوجيه الإلهي لرسول الله ﷺ منذ أول يوم بدأ فيه تأسيس الدولة بقوله:

[illegible] المطهرين

(التوبة: ١٠٨)

ومن يتأمل الآية الكريمة يجد التركيز على صفة التطهير والتطهر واضحاً. لندرك يقيناً أن تطهير القلب من كل مظاهر الشرك، وتنقية النفوس من كل لوثات الهوى، وتخليص العقول من اختلال التصور واضطراب الفهم، كل ذلك كان يمثل الأساس المكين الذي يعين النفس على بداية العمل لصناعة القواعد التي قامت عليها دولة الإسلام، وأنه لا سبيل إلى مخاطبة الأمم من حولنا قبل أن نبدأ ببناء أنفسنا، فنتخلص من كدر الحس، واضطراب الفهم، وقسوة القلب، وتلبط النفس في وحل اللذات والشهوات.

إنها إذن مرحلة صقل روحي وتطهير قلبي،

وتهذيب نفسي؛ تهيىء جميع أجهزة الاستقبال في الكيان الإنساني لمهمته الأولى وهي التلقي عن الله، ليبدأ من بعدها تكوين العقل والقلب والوجدان والشعور.

وعندما يتم للنفس ذلك، يكون النبع قد صفا، والمورد قد عذب، وعندها سيكثر الزحام على هذا النموذج الفريد والمورد العذب كثير الزحام.

إن المسجد في خطابنا الدعوي ليس مجرد مكان للعبادة أو مواضع للسجود؛ فالعبادة في الإسلام لا تقتصر على أداء الشعائر كما يظن كثير من الناس، وإنما العبادة تتسع لتشمل كل نشاط يصدر عن الإنسان قاصدًا به إرضاء الخالق سبحانه وتعالى في كل ما يتعلق بشئون الحياة، حتى الأمور التي يجد المرء فيها لذته من التمتع بالمأكل والمشرب والملبس وامتلاك المال والإفضاء بشهوته إلى زوجته، كل ذلك يصير نوعًا من العبادة إذا قصد بذلك كله عمارة الحياة وتسخيرها لله، وهكذا يتسع مفهوم العبادة ليشمل أمور السياسة والإعلام والتعليم وممارسة التجارة والصناعة والزراعة، ما دامت النية تتجه في ذلك كله إلى التمكين للإسلام في الأرض، والتقدم به إلى العالمين، وكما يتسع مفهوم العبادة ليشمل جميع مناشط الحياة، فإن مفهوم المسجد يتسع ليتحول في الإسلام إلى كل ما يشير إلى منظومة القيم الإيمانية التي جاء بها الوحي وتلقاها رسول الله ﷺ وبلغها للناس على سبيل التكليف والإلزام وليس مجرد مكان للسجود، فرسولنا ﷺ هو القائل: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»(1) فكل مكان طاهر في الأرض هو مكان صالح لأداء وصناعة الرجال، نجد ذلك في أكثر من موضع في كتاب الله، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

(النور: ٣٦ - ٣٧)

ومن يتأمل في الآية الكريمة يدرك أن الله تبارك وتعالى ربط بين المساجد وبين الرجولة، والرجولة هنا لا تعني الذكورة، وإنما تعني الشدة والكمال كما ورد في لسان العرب، ولذا جاء في الحديث كانت السيدة عائشة رضي الله عنها رَجُلَة الرأي(2).

ومن يتعقب كلمة «رجل» و «رجال» في كتاب الله يلاحظ ربطًا وثيقًا بين وصف الرجولة وبين الإيجابية والمروءة والمواقف النبيلة، وهي كلها أوصاف تحتاج إليها الأمم عند إعادة البناء، كما يلاحظ أن غالب تلك المواقف ارتبطت بالمسجد، كما أشرنا إلى ذلك في أول المقال.

وفي آية الأحزاب جاء وصف الرجال بالصدق عند اللقاء والصبر عند ملاقاة الأعداء:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

(الأحزاب: ٢٣)

وفي سورة النور جاء وصف الرجال بعمق الإيمان وصدق اليقين ودوام العبادة، وتصديهم لمعالي الأمور، وترفعهم عن سفاسفها:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

(النور: ٣٦ - ٣٧)

إن مهد الرجولة التي صنعها المسجد لم تعمد إلى تعبئة مواقف البطولة والثبات، ولا إلى ذكر ملامح من المروءة والوفاء، وإنما عمدت الآية إلى رسم المشهد الذي يحدد سمات هؤلاء الرجال، وهذا المشهد يدل على خصائص هذه الفئة، فهم رجال تصنع أفكارهم وعقائدهم وتصنع مشاعرهم وعواطفهم في منازل الوحي، يعرضون أنفسهم لنفحات ربهم دائما بالغدو والآصال، إنها الصلوات الخمس التي يؤديها الرجال بين يدي خالقهم سبحانه فيتلقون منه الود والحب، ويستمدون منه القوة والقرب، ويشهدونه على قلوبهم وقد ملئت إيمانًا وصدقًا، وعلى مشاعرهم وقد شحنت حبًا وحياءً. أما ما يشغلهم ويستولي على كيانهم ويستغرق همتهم ويملأ وجدانهم فهو ذكر الله.

أما الذكر الذي ينتج هذا النوع من الرجال فهو الذكر الذي يثمر معية دائمة والتزاما كاملا ومعايشة حميمة لهموم هذا الدين والعمل له، لا يشغلون عنه بهموم شخصية أو بمآرب دنيوية أو التحصيل لحظوظ النفس من الأموال والأولاد والرياش والمتاع.

وإنك لتلاحظ معي في وصفهم بالانصراف عن الاستغراق في هموم البيع والتجارة أنه انصراف عن شيء مباح، وأن هذا النوع من الانشغال لا يقدح في دين المرء ولا أمانته، لكنهم مع هذا ليسوا من هذا الصنف العادي الذي يرضى من الدنيا بمتاعها الفاني، وتقف همته عن حظوظ نفسه وإمتاع جسده وتنعيم أهله والعيش في قوافل الآكلين والشاربين، المنصرفين عن هموم الأمة وقضاياها وجروحها والجهاد من أجل إعادة كيانها ومجدها، وإنما هم طراز من البشر همتهم عالية ونفوسهم سامية، وحياتهم عالية لا ينفقونها إلا في معالي الأمور:

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾

(النور: ٣٧)

وذكر الله - كما ينبغي أن يكون - هو حالة من الحضور الدائم مع الله تجعل القلب في وجل، والروح في تشوق، والنفس في انشراح، والضمير في أمان واستقرار.

---

(1) صحيح البخاري.

(2) لسان العرب، مادة رجل، ص ١٥٩٤، ج٣.





البطولة [illegible] أصحاب الهمم الشامخة وذوي العزم الراسخة [illegible] الحق [illegible] الأمور [illegible]

[illegible]

ولكن سرعان ما تتبدد الهفوة، وتنقشع الغفوة، وتتجلى الصحوة، ويلمع المعدن النفيس من بين ثنايا الصدأ الخسيس، ويغلب الجوهر الأصيل على العرض الدخيل، وتسلل الشمس في حياة البطل بوهجها القاهر فتمزق فلول السحب وبقايا الظلام.

وهكذا تفرض البطولة الأصيلة نفسها حيث ينبغي أن تكون.

وقد يظن المفكر المتسرع أن البطولة فقط هي بطولة القتال والنزال، ذلك هو الظن القريب إلى العقل الذي لا يريد أن يعمل ملكاته في التفكر العميق، والتدبر الدقيق.

إن البلاء في الحروب قد يكون مفروضا على المرء دون رغبة منه، أو اقتناع لديه كما قد يكون مكروها على البعض مع الكراهة مصداقا لقول الحق سبحانه:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾

(البقرة: ٢١٦)

وقد قيل قديما: «مكره أخاك لا بطل».

وتكون البطولة المتميزة هي التي تدفع إليها الإرادة الوطيدة، ويصاحبها الاختيار دون الإجبار، ومن ثمة تصبح كافة المواقف التي يتعرض لها المرء تتطلب البطولة، فحياة الإنسان حبلى بالمواقف التي تحتاج إلى الجهاد، ولا سيما جهاد النفس إذ قد تكون البطولة في مواجهة المرء لنفسه التي بين جنبيه فيكبح جماحها عن الشطط والجموح، كما يمكن أن تكون عند الصبر على المكاره، وفي كظم الغيظ والعفو عند المقدرة وغير ذلك من المواقف الحياتية المتشعبة كما وكيفا والتي يعايشها المرء في نفسه وفي غيره.

والبطولة استعداد كامن في بعض الأنفس الكريمة، ولكنها تتجلى سافرة في المواقف التي تستدعيها إلى حيث تنطلق فجأة انطلاق النار بعد خمود.

يوسف البطل

ألا تعجبك بطولة يوسف الصديق عليه السلام؟ وهو ما نشرف اليوم بتدبر سيرته المبهرة، هذه البطولة التي تجلت في المواقف العديدة المتتابعة مثل صبره على كتمان رؤياه عن إخوته استجابة لنصح أبيه، رغم أن الناشئ في مثل سنه المبكرة قلت يحلو له أن يقص ما يراه في النوم بل وما يتجدد في المنظر بل نعمه يطيب له أن يعرض رؤيا المرء على أنها رؤية حقيقية للعيان. وكذلك بطولته الخارقة في رد كيد الشيطان الذي تجسد في إغراءات امرأة العزيز له، وبطولته في الدفاع عن نفسه بجرأة وإصرار أمام عزيز مصر دون تهيب أو مبالاة حيث تغلب بطولة الحق على الإدعاء المدعى.

وكذلك بدت للعالمين البطولة اليوسفية الرائعة وهو يواجه حياة جديدة وغريبة لم يعهدها عندما بيع بيع الرقيق لأسرة حيث نأى عن حنان الأم الرءوم وحب الوالد الأب الحاني الكريم.

وناهيك ببطولة هذا الصديق – عليه السلام – حين يزج به في السجن المظلم الموحش مفضلا ببطولته الفذة ذلك السجن الذي هو أحب إليه من تلبية كيد أولئك النسوة اللواتي أحققن الانبهار المجنون بحسن هذا الملك الكريم.

وهكذا تتعدد صور الطاقة البطولية التي شحنت بها هذه الشخصية اليوسفية الفريدة، والتي أرادها الله مثالا علميا مبهرا ومثلا ميدانيا معبرا أمام الفتية والشباب بل أمام الكهول والشيوخ الذين سرعان ما يتهافت الكثير منهم حول مغريات النفس ودعوات الشيطان، وتهديدات القهر والقوة في كل زمان ومكان، بينما كان ينبغي على ضعاف الأنفس والكرامة أن يلهمهم هذا المثال الأخلاقي اليوسفي الرفيع كلما دهمتهم الشهوة، وأحاط بهم في سوط الطغاة، ودوى في أسماعهم صوت البغاة.

ولا شك في أن مقاومة الفتى في هذه المرحلة الباكرة من السمو لإغراءات ذات المنصب والجمال لهي مقاومة جديرة بالإعجاب والتقدير والاقتداء.

وهكذا ساقت الأقدار الغلام اليوسفي - عليه السلام - إلى «الذي اشتراه من مصر» حيث كانت تنتظره من التجارب والخبرات ما يعجز عن مواجهته المجربون من ذوي الحنكة، ومن الأعباء ما ينوء بحمله أولو القوة، وكان ذلك هو محك البلاء في هذه السن الناشئة والناضجة معا، فهي سن صغيرة الكم ولكنها كبيرة الكيف حيث كانت المواقف التي تعرض لها هذا الفتى تتطلب الكثير من الجهد، والعظيم من المعاناة، والعميق من الصبر والاحتمال.

ولكأننا بيوسف - عليه السلام - في لقائه مع «التي هو في بيتها» قد أصبح هو السيد المالك وليس المشترى المملوك، وكأننا بسيدة الدار قد تخلت عن كيانها الملكي وصارت أسيرة مدعنة لهذا الجمال اليوسفي الأخاذ الذي لم تشهد مثله من قبل ولم تكن تنتظر مثله من بعد.

حديث النفس في عمق المحنة

ولئن اختلفت اجتهادات المفسرين الأجلاء حول تفسير المشهد المعقد بين يوسف - عليه السلام - وبين امرأة العزيز ولا سيما في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾

(يوسف: ٢٤)

فإن يوسف - عليه السلام - دون شك قد قاوم كل المقاومة، وعاند كل العناد، والأمر البين هنا هو أنه - عليه السلام - لم يكن يقاوم أو يعاند سيدة البلاد بقدر ما كان يذود نفسه، ويعاندها وينأى بها عن السقوط في بئر جديدة أشد خطرا على كيانه الطاهر من الجب الذي ألقاه فيه إخوته، وعندئذ يكون قد نجا من جب الكيد الأخوي، ليهوي في جب الكيد النسوي الكنود[1] إذ مثل أمام فكره الغض والناضج معا ما حباه «العزيز» من كريم المثوى وطيب المأوى كما مثل أمام فكره الثاقب كيف تخون الحليلة الماجنة حليلها الكريم، كما تعمق ببصرته النقية الناقدة قول أبيه يعقوب - عليه السلام - في تأويل رؤياه النبوية الصادقة:

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(يوسف: ٦)

عندما أدرك أنه محاط بسياج إلهي متين وأن الذي يتدفق في عروقه ليس مجرد دماء بشرية وإنما هي أنوار نبوية تعقد عزمه وتحفظ كيانه، وتنبثق إليه منذ جده الأكبر خليل الحق وأبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام -، عندئذ كبرت أمامه الكبيرة، وتضخم الذنب، وأشرق في وجدانه النور الذي كشف له كيف ابتلي آباؤه الأنبياء، وكيف كانوا أبطالا عظماء على مستوى تحمل هذه الابتلاءات بالإيمان العميق، والإرادة الصادقة، والصبر الجميل، وهل يكون هو - وهو خلاصة هذا الموروث العظيم أقل إيمانا وأوهن إرادة وأضعف صبرا؟!

لقد نجاه الله من ابتلاء عقوق الأخوة، وها هو ذا في ابتلاء جديد شديد، ولا شك في أن الله الذي حفظه بالأمس سيشد أزره اليوم إذا تقرب إليه بصمود النفس، ومقاومة الباطل، فليصمد إذن وليقاوم

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

(يوسف: ٦٤)

ذلكم هو الحوار الذي أجراه الحق سبحانه وتعالى في أعماق يوسف - عليه السلام - بينه وبين نفسه المطمئنة ليخذل النفس الأمارة فتنحي بطولة الفتية الصبرة لتكون دائما مثالا قد أعلاه للشباب جيلا بعد جيل بعيدا عن الشباب الذي يسعى إلى مهاوي الفتنة بقدميه، ويمضي بنفسه إلى التهلكة لقاء لحظة شيطانية خبيثة ولذة جسدية عارضة دون مبالاة بما سيتبع هذه اللذة المؤقتة العابرة من ألم معنوي دائم، وقديما نبه بعض الحكماء إلى مثل ذلك حين قال: «الألم الذي يتبعه لذة خير من اللذة التي يتبعها ألم»، فالمعاناة التي تقود إلى الخير هي سمة السلوك السوي القويم، والبطولة النفسية المحمودة.

ألا تأملت طالب العلم الذي يضيع وقته لهوا وعبثا (ولذة) غير عابئ بما ينتظره من امتحان على الأبواب، وإذا به لم ينفعه لهوه (اللذيذ) عند رسوبه (الأليم) والحياة من حولنا في كل مجالاتها تشير إلى صدق هذه المقولة التي وجدناها مثالا رائعا في «أحسن القصص» التي خصص لها القرآن الكريم سورة كاملة وشاملة عن سيرة يوسف - عليه السلام -

وحسبك أن تتأمل هذا المعنى الحكيم في قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

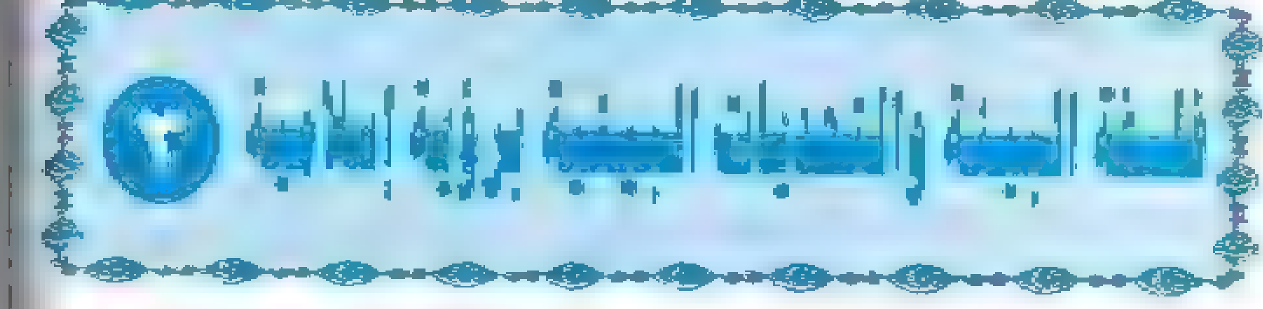
(الزخرف: ٨٣)

وهكذا تجلت بطولة «الصديق» - عليه السلام - فيما تلا ذلك من مواقف ومن ابتلاءات، ومثل ترحيبه - أيما ترحيب - بالسجن رغم ما فيه من مشقة عظيمة إلا أن يوسف - عليه السلام - كان يرى في السجن لذة أعظم، وكان أحب إليه وآثر عنده من الانزلاق في تيار الشهوات والنزوات الذي أفرغت امرأة العزيز وصويحباتها كل ما لديهن من طاقة في تزيينه وتحسينه بكيدهن العظيم.

(يتبع)

[1] الكنود: الكافر بالنعمة (الصحاح).

[2] من هؤلاء الفيلسوف الإغريقي الأصل زينون الرواقي (٢٦٤ق.م) الذي دعا الإنسان إلى الاستجابة للعقل الذي هو قانون طبيعي يعلو على العواطف والأهواء (الموسوعة الفلسفية المختصرة - بتصرف).



للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

(ب) احترار الأرض وتغيرات المناخ:

سوف تنجم عن التغير المناخي موجات حر وعواصف وفيضانات تلحق الأذى بعدد كبير من الناس. كما أن أمراض المناطق المدارية سوف تصبح أوسع انتشارا مع احترار المناخ. وسوف تؤدي التغيرات التي تطرأ على أنماط الأمطار إلى نقص محلي في الغذاء ومياه الشرب المأمونة. كذلك سوف تؤدي الهجرات البشرية الواسعة النطاق، والتي تنجم عن ارتفاع مستويات البحر، وغير ذلك من الإجهادات التي يتسبب فيها المناخ، إلى إفقار عدد كبير من الناس. وتشير بعض الإحصاءات إلى مدى ما سوف يسببه تغير المناخ من أذى، فعدد الوفيات نتيجة لموجة الحر التي أصابت أوروبا في عام ٢٠٠٣م يقدر بنحو ٣٥٠٠٠ نسمة، وفي عام ١٩٩٨م أحدثت الفيضانات في الصين الضرر بنحو ٢٤٠ مليون شخص. وحسب تقديرات منظمة الصحة العالمية تجاوز عدد الوفيات جراء التغير المناخي حتى عام ٢٠٠٠م نحو ١٥٠,٠٠٠ نسمة سنويا.

ولما كانت المشكلة على هذا النحو تدعونا إلى اتخاذ موقف أخلاقي يوازن بين أهمية الرخاء الذي يعيشه الجيل الحاضر مقابل احتمال التغيرات المناخية التي تحد من سعادة الأجيال القادمة، فإن أهل الاختصاص في الاقتصاد والفلسفة الأخلاقية يطرحون نظريتين أخلاقيتين. إحداهما تتبنى مبدأ الأولوية Prioritarianism عندما يحصل شخص ما على منفعة ذات قيمة اجتماعية أعلى من قيمتها عندما يحصل عليها شخص غير فقير، فمبدأ الأولوية هذا يعطي الأولوية للأقل ثراء، والأخرى نظرية بديلة تتبنى مبدأ المنفعة Utilitarianism التي تتحقق بالقيمة نفسها بصرف النظر عمن يحصل عليها.

وإذا كان من الممكن معالجة العديد من المسائل الأخلاقية بالفطرة السليمة أو بالاستناد إلى معرفة رفيعة المستوى، فإن المبدأ الأخلاقي الأول ينبئنا بأنه يجب أن نحاول التوقف عن إلحاق الضرر بالآخرين من أجل منافعنا الخاصة، وأن نعوض الناس الذين نلحق الضرر بهم، والمبدأ نفسه ينبئنا أيضا بأن ما يجب أن نقوم به في مجال التغير المناخي ليس مجرد تقدير المنافع مقابل التكاليف، وإن كان الأمر كذلك جزئيا، وإنما يكون بالتضحيات التي ينبغي أن يقدمها الجيل الحالي للإقلال من غازات الدفيئة مهما بلغت تكاليف تخفيف التغير المناخي. ولا شك أن علم الاقتصاد يتميز بطرائق مجدية لتقدير المنافع مقابل التكاليف في الحالات المعقدة، ومن ثم باستطاعة الاقتصاد أن يكون في خدمة الأخلاقيات للتعامل مع التحديات البيئية.

(جـ) الموصلات الفائقة والطاقة النظيفة:

لقد كان مفهوم الأمن القومي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة مقتصراً على البعد العسكري متمثلاً في ضمانات الحفاظ على الأسرار السياسية والحربية وتوفير القدرات اللازمة لحماية حدود البلاد والدفاع عنها، لكنه – مع استقلال عدد كبير من بلدان العالم الثالث الساعية إلى التحرر سياسياً واجتماعياً واقتصادياً – أصبح يمثل أيضاً توفير الحماية الكاملة للوطن والمواطن في آن معاً، ومن ثم فإنه يعني توفير الضمانات الكافية لحماية العقل والثقافة والهوية والقيم والخصوصيات المميزة للمجتمع بأسره. ولهذا فإنه، أي الأمن، يعتبر من الاحتياجات الأساسية للإنسان الفرد، ومن أبسط حقوقه في الإحساس بالطمأنينة والأمان على يومه وغده.

ولما كانت مراكز البحوث العلمية والتقنيات المتقدمة قد تدخلت خلال العقود الأخيرة في رسم وتوجيه الاستراتيجيات المتعلقة بكل صور الأمن وعناصره، وأصبحنا في عصر الغزو والتهديد عن بعد بتخريب النفوس والعقول، بات ضروريا أن نفطن إلى أهمية التعليم والبحث العلمي لتلبية احتياجات الأمة وضمان أمنها القومي الشامل المعتمد على التفوق في علوم وتقنيات حاكمة لحركة الحياة في المستقبل القريب والبعيد.. ومن هذه العلوم والتقنيات الحاكمة تخصصات نوعية في مجالات الطاقة والفضاء والبيولوجيا والمعلومات والاتصالات والمواد الجديدة وغيرها، وهذه كلها من علوم العصر التي لا غنى لباحث أو دولة عن التعمق فيها ومتابعة مستجداتها لتحقيق الأمن الصحي المتمثل في اكتشاف الأمراض وتوفير الغذاء والدواء، وتحقيق الأمن البيئي بالتحكم في العلاقة بين طموح الإنسان تقنياً وصناعياً وتأثير ذلك على توازن البيئة من حوله وحسن استثمار مواردها، وتحقيق الأمن

الاقتصادي المؤدي إلى رفع مستوى المعيشة والارتقاء بحياة الفرد وتنمية المجتمع.

وفي مجال الموصلات الفائقة حدث في فبراير ١٩٨٧م – بعد أن أظهرت اليابان تفوقها في هذا المجال المتعلق بأنشطة حيوية عديدة – أن اقترح الرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريجان» موسوماً للمنافسة في هذه التقنية النظيفة، وطالب باستثناء المعلومات التي تنتجها معامل الأبحاث الحكومية من قانون حرية المعلومات Freedom of information Act (FOIA)، وذلك خشية أن تضر هذه المعلومات بالمركز التنافسي الاقتصادي والأمن القومي الأمريكي.

والموضوع من هذه الناحية يطرح مسألة تتعلق بأخلاقيات العلم والبحث العلمي، فضلاً عن أنه يتصل، من ناحية أخرى، باقتصاديات العلم والبحث العلمي، حيث أصبحت «المعلومة» في عصر العولمة والمعلوماتية الآن، سلعة وموضوعاً للإنتاج في صناعة جديدة هي «صناعة المعرفة» التي حلت تدريجياً محل المادة الخام في الإنتاج.. الأمر الذي جعل مكانة المواد الأولية الطبيعية أكثر تدهوراً؛ لأن الحاجة إليها تقل تدريجيا، مما ينعكس سلبياً على حياة الأمم التي تلهث وراء تقنيات تحكر العولمة إنتاجها.

خاتمة.. بلغة الأرقام

من أهم خصائص دراسات التقويم والجدوى، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الحيوية في حياة الأفراد والمجتمعات، أنها تعتمد على التقديرات الإحصائية والتعبير عن الأشياء بكمياتها حتى تسير المقارنات وتتضح الفروق وتبرز المعدلات الحقيقية لجهود التنمية في صورة أرقام ونسب مئوية تقطع الطريق على المزايدين والمضللين، وتدعم مبررات المتفائلين أو المتشائمين.

تقول إحصائيات الرصد العالمي: إن حوالي خمس سكان العالم يعيشون الآن بمتوسط دخل يقل عن دولار في اليوم، وحوالي السدس يفتقرون إلى مياه الشرب النقية، وحوالي الثلث يفتقرون إلى الصرف الصحي الأساسي، وأن العدد سيتضاعف أكثر من مرة ونصف المرة بحلول عام ٢٠٥٠م ليبلغ حوالي عشرة مليارات نسمة، وأن مصادر الوقود التقليدية من بترول وفحم وغاز طبيعي سوف تنقضي بمقدار ٨٠٪، وأن الغابات القائمة على المطر سوف تنخفض بنسبة ٤٥٪. كذلك تقول الإحصاءات الحديثة: إن ٩٦٪ من الزيادة السكانية تحدث في الدول النامية، وإن دخل الفرد أعلى ٤٠ مرة في الدول المتقدمة من الدول الأقل نمواً، وإن معدل وفيات الأطفال أعلى عشر مرات في الدول النامية منه في الدول الصناعية.

من ناحية أخرى، توضح الدراسات والإحصاءات البيئية أن حوالي ربع فصيلة الثدييات البالغ عددها حوالي ٤٧٠٠ نوع و١١٪ من إجمالي فصيلة الطيور البالغ عددها حوالي ٩٧٠٠ نوع في المتوسط قد اختفت تماماً، وذكرت تقارير البنك الدولي التي قدمها في الآونة الأخيرة بشأن تقديرات تكلفة التدهور البيئي في بعض البلدان العربية، أن إجمالي تكلفة الضرر الناجم عن التدهور البيئي في الدول العربية بناء على بيانات عام ١٩٩٩م تتراوح بين ٢,١٪ إلى ٤,٨٪ من إجمالي الدخل القومي، ويقصد بالتدهور البيئي استنفاد الموارد الطبيعية وزيادة معدلات التلوث، بما في ذلك زيادة تآكل التربة وملوحتها وسوء إدارة مياه الصرف، وغير ذلك مما تبعه بالضرورة زيادة تكلفة الأضرار بمعدلات تنذر بعواقب وخيمة في المستقبل القريب وتؤثر سلباً في الاقتصاد القومي.

ومن المنطقي أن تلقي هذه الضرورة الإحصائية بظلالها على جوانب أخرى في حياة الناس والدول والمجتمعات، لعل أهمها تزايد الفجوة المعرفية بين الشمال والجنوب، ومن ثم تعميق جذور التبعية الاقتصادية من جهة الذين لا يعلمون وتوسيع دائرة الهيمنة بأشكالها المختلفة من جانب الذين يعلمون. خاصة بعدما أصبح أكثر من ٨٠٪ من البشرية ليست لهم مدخلات في المعرفة العلمية والابتكارية اليوم، ولعل هذا كله يساعد على تحليل ما يتعرض له العالم من صراعات وعنف، وما استجد عليه من موضوعات اجتماعية وأخلاقية وثقافية تحتاج إلى أسلوب جديد ومتجدد في التعامل معها.

إن كل ما ذكرناه من أرقام وإحصاءات هو مجرد أمثلة لمؤشرات عامة توضح أن المجتمعات الجديرة بالصدارة في حضارة القرن الواحد والعشرين هي التي نجحت أو تسعى إلى النجاح في امتلاك القدرة العالية لإحداث التنمية الفكرية والبيئية، ولديها القدرة على مواجهة التحديات وابتكار حلول للمشكلات وتحقيق تكامل تام بين فروع المعرفة من جهة ومختلف مجالات النشاط الإنساني من جهة أخرى، وبقدر قوة كل منظومة وقدرة ترابطها مع غيرها في كل هذه الميادين، تكون قدرة المنظومة الكبرى التي تقود حركة المجتمع على طريق التقدم والرخاء.

نعم.. المعرفة والتفاعل البناء هما وقود الإصلاح الحقيقي الذي يفي باحتياجات الحاضر دون انتقاص من حق الأجيال التالية في استيفاء احتياجاتهم، وهنا يتعين على أعضاء المجتمع الواحد أن يتفاعلوا ويتعاونوا لتحقيق برامج إصلاحية حقيقية قائمة على العلم وفقه الواقع، كما يتعين على البلدان العربية والإسلامية مجتمعة أن تتعاون مع بعضها البعض بإطلاق برامج مشتركة ومشروعات بحث وتطوير تحدد فيها سلم الأولويات، مع الأخذ في الاعتبار مجموعة السياسات والرؤى المستقبلية التي تحقق التواصل مع العالم، وهو تواصل يزداد بطبيعته يوماً بعد يوم بفعل نمو الارتباط الاقتصادي المتبادل، والتوسع المطرد في مساحة التداخل بين المصالح والثقافات وأساليب الحياة والإنتاج، والسرعة الهائلة في تطور نظم الاتصال والمعلومات واتساع مداها على نحو يغطي عالمنا بشبكة من العلاقات تتعدى الحدود الجغرافية.

فى دورته التاسعة عشرة بالشارقة
مجمع الفقه الإسلامى الدولى يؤكد على ضرورة:

للأستاذ / عاطف مصطفى

نشر الثقافة البيئية بمختلف الوسائل التى تؤدى إلى نظافة البيئة وحمايتها من المخاطر

رسالة مجمع الفقه الإسلامى الدولى تبلور فى إثراء مسيرة الاجتهاد الجماعى فى الفقه الإسلامى باعتبار أن هذا المجمع هو المرجعية الفقهية الرائدة فى الأمة، وقد عززت الحاجة إلى هذا التجديد فقد استشرت فى الآونة الأخيرة الاجتهادات الفردية العشوائية غير المسئولة، والتى تحت بجزء من الخطاب الإسلامى منحى التطرف والغلو والإفراط، بما نجم عنه الكثير من الضرر فى داخل العالم الإسلامى وخارجه، وقد اقتضى الأمر الآن التصدى لهذا التيار، لإعادة أمور الفقه والاجتهاد إلى جادة الصواب ودرء المفاسد والشبهات التى تسبب بها ذلك الانحراف.

جاءت هذه الكلمات لأكمل الدين إحسان أوغلو الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى لتبين أهمية الدور الكبير لمجمع الفقه الإسلامى العالمى والذى عقدت دورته التاسعة عشرة بإمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة فى الفترة من ١ – ٥ جمادى الأولى عام ١٤٣٠هـ الموافق ٢٦ – ٣٠ أبريل عام ٢٠٠٩م.

ويضم المجمع ممثلين عن الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى من الفقهاء ومن أهل الفتوى بكل الدول الإسلامية ودول الأقليات الإسلامية.

شارك فى هذه الدورة من مصر فضيلة الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية والدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، والذى أعد تقريرا متصلا للمجمع حول الدراسات المقدمة فى موضوع «البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامى» والذى تناول ما يتم فى دورات المجمع.

■ قضايا تهم المسلمين :

والموضوعات التى تم بحثها فى هذه الدورة وعلى مدى أربعة أيام هى على الترتيب الآتى:

■ حرية المدنية فى الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها

■ حرية التعبير عن الرأى ضوابطها وأحكامها.

■ دور الرقابة الشرعية فى ضبط أعمال البنوك الإسلامية، أهميتها، شروطها، طريقة عملها.

■ الصكوك الإسلامية «التوريق» وتطبيقاتها المعاصرة وتداولها

■ العنف فى نطاق الأسرة.

■ وقف الأسهم والصكوك والحقوق المعنوية والمنافع

■ تطبيق نظام البناء والتشغيل والإعادة «B.O.T» فى تعمير الأوقاف والمنافع والمرافق العامة

■ مرضى السكرى، والصوم.

■ البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامى:

وقد اختار مجلس مجمع الفقه الإسلامى الدولى الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام ليكون مقررا لموضوع البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامى وقدم فى هذا الموضوع ثمانية عشر بحثا مجموعة من كبار الفقهاء والباحثين قام بعرضها جميعا، وأعد مشروعات للقرارات والتوصيات المتصلة بالموضوع.

د. جعفر عبد السلام

ويشير الدكتور جعفر إلى ثمانى دراسات أرسلتها الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامى إليه لعرضها وهى:

■ «البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامى»

لفضيلة الدكتور علي جمعة.

- «التدابير الشرعية في المحافظة على البيئة بين النظرية والتطبيق» للدكتور محمد جبر الألفي.
- «التدابير الشرعية في المحافظة على البيئة بين النظرية والتطبيق» للدكتور محمد الزغلول.
- «البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي» للشيخ أحمد البعمي.
- «البيئة في الفقه الإسلامي رعاية وتنمية» للشيخ خليل الميس.
- «البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي» للدكتور عبد القادر محمد أبو العلا.
- «حق الإنسان في بيئة صحية مناسبة» للدكتور جعفر عبد السلام.
- وأما الدراسة الثامنة فكان عنوانها «البيئة من منظور إسلامي» للدكتور عبدالسلام العبادي.

وتضمنت معظم الأوراق المقدمة للمؤتمر عناصر البيئة سواء في المفهوم الإسلامي، أو مفهوم علوم الحياة وهما لا يختلفان كثيرا.. فالبيئة تشمل قسمين أساسين:

- **أولا البيئة الطبيعية:** وهي كل ما يحيط الإنسان من ظاهرات أو مكونات طبيعية، حية وغير حية من خلق الله تعالى.

- **ثانيا: البيئة الصناعية:** وهي التي يشيدها الإنسان من خلال تفاعله مع البيئة الطبيعية كالمصانع والسيارات وما شيد من منشآت.

د. عبدالسلام العبادي

ولما غدا مسلما باعتبار الإنسان جزءا لا يتجزأ في هذه المعادلة القائمة على اعتباره الفاعل الأساسي في بناء الأرض وإعمارها، وما يتبعه من تحقيق مصالحه وإشباع رغباته ضمن أسس قوامها التوازن الذي دعا إليه الخالق جل وعلا، فقد عد من الثابت بالتالي تحديد مقومات التوازن، سيما في ضوء ما غدا ظاهرا، ولا يغيب على أحد من مشكلات بيئية يندى لها الجبين.

■ موقع الإنسان في الكون:

وقد تناولت كافة الأبحاث الخاصة بأبعاد علاقة الإنسان بالبيئة وأوضحت أن البيئة خلقها الله تعالى للإنسان. وسخر له كل مواردها وقدر له فيها أرزاقها، وبعبارة أخرى فإن موقع الإنسان في هذا الكون يتحدد بالدور الذي ينبغي عليه القيام به لتحقيق المهمة التي نيطت به، فالإنسان خليفة مؤتمن، ومن ثم يجب عليه أن يحافظ على هذا الكون المستخلف فيه، حتى يؤدي الأمانة التي حملها على خير وجه.

وكما تكون عبادة الإنسان لربه الالتزام بمقتضى شرعه، كذلك من أوجه العبادة أن يحسن الإنسان إلى البيئة بعمارتها، وعمارة الأرض تتم بالبناء والغرس والزرع، وهكذا تدخل عمارة الأرض في نطاق الخلافة.. يقول سبحانه وتعالى:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

(هود: ٦١)

ومما يدخل في نطاق الخلافة كذلك، احترام توازن البيئة وعدم الإخلال بهذا التوازن وعدم تخريبها.

■ الاستخدام الجائر:

وقد عالجت البحوث هذه المسألة كما يشير د. جعفر عبدالسلام في تقريره المستفيض الذي قدم للمؤتمر خلال جلساته، وأوضحت أن البيئة سخرها الله للإنسان بكافة عناصرها، وأن الإنسان هو الذي أخل بهذا التوازن. وأحدث دائما ما يسيء إلى البيئة بتصرفاته، سواء بالاستخدام الجائر لهذه العناصر أو بإحداث ملوثات البيئة الذي يسيء إليها ويدمرها.

واستفاضت البحوث في الحديث عن المنظومة البيئية، والتي تفترض التوازن الكامل بين عناصر البيئة من ناحية، وكذلك التوازن بين مختلف عناصرها. ويقول الله سبحانه وتعالى:

د. علي جمعة

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

(الملك: ٣ - ٤)

لذا استخلصت معظم الأوراق مفهوم التوازن البيئي، وتنقل هنا عن الشيخ أحمد البلعي تعريفا لهذا التوازن: «ما يتمتع به نظام الطبيعة من روابط ديناميكية متداخلة لأجزائها، تنتج عن هذه الروابط دورات طبيعية ومتناسقة تمكن الطبيعة من إطالة الحياة على سطح الأرض وإدامتها».

ويضرب أمثلة للتوازن البيئي، والتوازن الحاصل بين نسبة تواجد الأوكسجين والكربون

على وجه الأرض، والتوازن الحاصل بين أخذ الإنسان والنبات للأوكسجين والكربون وبين إطلاقهما لهما.

ويقرر فضيلة الدكتور علي جمعة أن العلاقة بين الإنسان والكون تقوم على التوافق والانسجام، وأنه منذ أن هبط الإنسان على الأرض، وقد ارتبط تطوره العقلي والحضاري بحسن توافقه وتكيفه مع الكون والبيئة وحسن استخدامه وانتفاعه بمفردات الحياة، فلا يحق له بأي حال الإساءة إليها، بل يحق عليه احترامها ورعايتها.

والإسلام تعامل مع الطبيعة والكون من منطق الحب والاحترام، وهو مستوى رفيع يزيد على مستوى المحافظة والتنمية.

وإن الإسلام وجه الإنسان إلى إنشاء علاقة بينه وبين الجماد فيها مشاركة وحنين وشوق

وإن الكون في المنظور الإسلامي طائع لله يسبح ويسجد، يحب الطائعين ويبكي رحيلهم عن الدنيا ويبغض العاصين الكافرين.

التوصيات

■ تفعيل دور المنظمات البيئية في الدول الإسلامية.

وقد صدر قرار ضمن قرارات وتوصيات المؤتمر، بشأن البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي بعد المناقشات المستفيضة من قبل أعضاء المؤتمر وتقرر الآتي:

■ تحريم إلقاء أية نفايات ضارة على أية بقعة من بقاع العالم، وإلزام الدول المنتجة لهذه النفايات بالتصرف بها في بلادها، وعلى نحو لا يضر بالبيئة، مع التزام الدول الإسلامية بالامتناع عن جعل بلادها مكانا تلقى فيه أو تدفن فيه هذه النفايات.

■ تحريم كافة الأفعال والتصرفات التي تحمل أية أضرار بالبيئة أو إساءة إليها، مثل الأفعال والتصرفات التي تؤدي إلى اختلال التوازن البيئي، أو تستهدف الموارد أو تستخدمها استخداما جائرا لا يراعي مصالح الأجيال المستقبلية، عملا بالقواعد الشرعية الخاصة بضرورة إزالة الضرر.

■ وجوب نزع أسلحة الدمار الشامل على مستوى جميع الدول، وحظر كل ما يؤدي إلى تسرب غازات تساعد في توسيع ثقب طبقة الأوزون وتلويث البيئة استنادا إلى القواعد الفقهية الخاصة بمنع الضرر.

■ كما يوصي المؤتمر: بتشجيع الوقف على حماية البيئة بمختلف عناصرها الأرضية والمائية والفضائية.

■ إنشاء لجنة للدراسات البيئية من منظور إسلامي بمجمع الفقه الإسلامي الدولي، تختص برصد كافة الدراسات والاتفاقيات والمشكلات المتصلة بالبيئة.

■ التعاون مع المجمع الدولي بمختلف الصور في سبيل حماية البيئة ومنع تلويثها، والانضمام إلى الاتفاقيات والعهود الدولية التي تعقدها الدول لمنع التلوث والإضرار بالبيئة، شريطة ألا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية أو تحمل إضرارا بالدول الإسلامية.

■ حث الدول الإسلامية على تفعيل دور المنظمات البيئية التي أوجدتها منظمة المؤتمر الإسلامي والهيئات التابعة لها، مع ضرورة التعاون الوثيق مع مجلس التعاون العربي الخاص بالبيئة، وكذلك مجلس التعاون الخليجي المهتم بها.

■ الإكثار من الصناعات «صديقة البيئة» ودعمها بكافة الطرق الممكنة.

■ حث الدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي على الاستمرار في إصدار التشريعات والقوانين المنظمة للبيئة والمانعة من تلويثها، مع الاستعانة بسلطة القانون الجنائي، بتوقيع عقوبات على الإضرار بالبيئة، وتشديد أجهزة الرقابة على مختلف التصرفات والأفعال التي قد تحمل الإضرار بأي عنصر من عناصر البيئة: المياه أو الهواء أو التربة.

■ كما طالبت التوصيات المؤسسات المعنية بالشئون الدينية في الدول الإسلامية بتزويد الأئمة والدعاة بالمعلومات البيئية ونشر البحوث والدراسات المتعلقة بالبيئة ووسائل الحفاظ عليها.

■ نشر الثقافة البيئية بمختلف الوسائل التي تؤدي إلى نظافة البيئة وحمايتها من كافة المخاطر.

■ البث المنظم لمخاطر البيئة في وسائل الإعلام.

■ التربية السوية، سواء داخل المنازل، أو في مناهج الدراسة بمختلف مراحلها.

■ الاهتمام بفقه البيئة من خلال دراسات الفقه الإسلامي بكليات الشريعة والدراسات الإسلامية.

إن ما تشهده من أخطار تهدد البشرية من حين إلى آخر يجعلنا كمجتمع مسلم، نحرص على نظافة البيئة، وإسلامنا الحنيف قد حض على النظافة وهي من الإيمان.

ونظافة البيئة هي من واجبات كل مسلم واهتمامنا بها يجعلنا نسلم من أمراض تأتي إلينا من مجتمعات أخرى، الله وحده يعلم مدى خطورتها، وما يمكن أن يحدث للبشرية من جرائها وانتشارها بين البشر.

العرب والأفارقة ثقافة مشتركة

تتمتع القارة بوحدة مكانية لا شك فيها. فالقارة تمتد طوليا من الشمال إلى الجنوب في اتصال أرضي لاتقطعه فواصل، وعرضيا تمتد من البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي في الغرب دون فواصل، وهي بذلك متصلة مترابطة، تمثل كيانا جغرافيا متوازيا من الجبال والوهاد والهضاب والسهول والمنخفضات والصحارى والغابات.

ورغم اتساع القارة وامتدادها إلا أن هذا الامتداد متصل لاتقطعه فواصل مانعة تعوق الاتصال بين أجزائها.

للأستاذ الدكتور / عبدالله نجيب محمد

وبالنسبة للعالم تقع في القلب منه، وتشكل سواحلها جسراً بين آسيا وأوروبا بحيث أصبحت في جملتها حلقة الاتصال بين القارتين. وكان لهذا الموقع الفريد على أقصر الطرق بين آسيا من ناحية وأوروبا من ناحية أخرى أثر كبير؛ جعل من القارة في جملتها صاحبة الوساطة التجارية العالمية بين القارتين، وأصبحت مسالكها البرية والبحرية معابر طبيعية تسهل التبادل التجاري، كما تسهل تبادل الأفكار والآراء وكافة المظاهر الحضارية والثقافية.

وربطت الطرق البرية والنهرية والبحرية بين أجزاء القارة منذ أقدم العصور، ولم تقم الصحارى ولا الغابات كفواصل بين أجزائها، بل ربطت الطرق البرية والبحرية والنهرية بينها، فاتصلت حياة الجماعات السكانية، واختلطت وتزاوجت، وتبادلت السلع والمنافع، كما انطبعت حياتهم جميعا بطابع يكاد يكون واحداً، وهذا الاتصال يعكس نفسه على سائر الظواهر التاريخية والسياسية والحضارية.

ولم تكن هذه المواقع وهذه المسالك البرية والبحرية والنهرية بأقل خطورة في الماضي عنها الآن، فقد لعبت دوراً بارزاً في العالم القديم وكان للمسالك البرية عامة خاصة، والتي تمر عبر الصحارى الممتدة أثر كبير في تاريخ القارة، ومن ثم قامت المراكز التجارية القديمة كمحطات لقوافل التجارية

وفي العصور الوسطى قامت مراكز جديدة من أهمها القاهرة والإسكندرية وأسيوط وقوص في مصر والقيروان في شمال القارة أو دمشت وكانو في وسطها، وفي غرب أفريقيا قامت مدينة تمبكتو طوال القرنين الخامس عشر والسادس عشر كمركز من أهم المراكز التجارية والثقافية في القارة، ومن هذه المراكز أيضا سنار وعيذاب وسواكن وزيلع وعطبرة وبربر ومقديشو في الجزء الشمالي من شرق القارة. وكيلوا وزنجبار وممباسا في الجزء الجنوبي. وجميعها قد قامت كمراكز للتجارة والثقافة في أفريقيا

ومن هذه المراكز المهمة في جنوب القارة مدينة سوفالا في موزمبيق التي أصبحت سوقا تجارية مهمة ترد إليها منتجات أفريقيا الوسطى والهند ويصدر منها الذهب

أما **الطرق البحرية**، عبر القارة فقد عرفتها أول الشعوب البحرية في العالم المصريون ثم الفينيقيون، الذين حملوا التجارة إلى مناطق العالم القديم، ووصلوا إلى أقاصي الهند والصين في الشرق وجزر ماديرا في الغرب واكتشفوا الجزر البريطانية، ورجعت سفنهم محملة بالحرير والعاج وريش النعام إلى جانب ألوان من المعرفة والأفكار نقلتها إلى كثير من مناطق العالم

ويعتبر الطريق الملاحي إلى الهند أول الخطوط البحرية العالمية في التاريخ وعنه نقلت البضائع إلى شرق أفريقيا ومصر، وارتاده العرب القدماء والفرس.

هذه المميزات المكانية قد أكدت عوامل الارتباط والوحدة وقللت من أوجه الخلاف.

ومما يلاحظ أن التنوع في مظاهر السطح واختلاف التضاريس بين أجزاء القارة لم يؤد إلى تباين أساسي في الصفات العامة في القارة بل لعله يعطي ميزة التنوع في الإنتاج أو يشارك مع الاختلاف في المناخ والنبات في التكامل الاقتصادي وإثراء التبادل التجاري.

كذلك فإن القارة تحيط بها حدود طبيعية واضحة المعالم فالبحر الأبيض يحيط بها من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب والمحيط الهندي من الشرق والجنوب أيضا، وقد أدت هذه الحدود الطبيعية الواضحة إلى تحديد شخصية القارة، وحمتها من الذوبان في العناصر الهندوأوروبية، بل جعلتها ذات مقدرة فريدة في امتصاص العناصر الوافدة إليها.

الوحدة البشرية:

وإذا تناولنا الجزء الخاص بالإنسان، وعلى رأسه المؤثرات البشرية المشتركة فإننا نلاحظ ترابطاً أقوى، هنا وقد شغلت قضية تقسيم البشر إلى أجناس وأعراق، مساحة هائلة في القرون الثلاثة الماضية وأثارت هذه المشكلة الأنثروبولوجية جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية مازالت مستمرة إلى يومنا هذا.

وإذا رجعنا إلى أصل المشكلة نجد أن مبتكريها ومبتدعيها هم اليهود ومن تابعهم من الأوروبيين،

خاصة مع بداية التوسع الاستعمارى الغربى فى أفريقيا وآسيا.

وكما يعلم أن الأديان السماوية قد ذكرت أن أصل الإنسان واحد، وأن آدم أبو البشر، إلا أن اليهود، ومن خلال تحريفهم بعض أسفار التوراة، تحدثوا عن أولاد نوح عليه السلام الثلاثة: سام وحام ويافث، وذكروا أن سام هو جد الساميين، وأن يافث هو جد الآريين وأن حام هو جد الحاميين السود، وذكروا فيما ذكروا أن نوحا لعن حام ودعا على أبنائه بأن يكونوا عبيدا لأبناء أخويه. ومن هذه الأسطورة انطلقت الدراسات والنظريات العنصرية التى شغل بها الغربيون العالم كله حتى الآن، وقد اتخذوا منها مبررا لاستعمارهم واستغلالهم لشعوب العالم، خاصة فى أفريقيا السوداء، حيث ادعى بعضهم - وبعضهم مبشرون برسالة المسيح - أن السود ملعونون بنص التوراة، وأن الله قد أراد ذلك. ومن التفرقة العنصرية لذكر ذلك فى الأناجيل من ذكر بعضهم أن السود بلا أرواح بشرية كتب عليهم أن يكونوا أرقاء وقاطعى أخشاب وساقيى مياه، وهى عقيدة تقع موقع القلب من التفرقة العنصرية.

ابتدع داروين نظريته التطورية (التى احتفظ فيها بأساس مادى مرئى فى شكل الظواهر الوراثية) وعلى أساس هذه النظرية قام كثيرون بادعاء التفوق العرقى للجنس الأبيض. وتأكد واستمر النظرية النازية ابتداء من هتلر ومن بعده من المفكرين الزاعمين أن الأسود حسب أصله يعتبر نصف قرد، واستمر علماء المورفولوجيا المعدودون يعملون على تأجيج نار العنصرية، ومن بعضهم قام «ليبى» بتقسيم الجنس البشرى إلى ستة أعراق: الأمريكى والأوروبى والأفريقى والآسيوى والمتوحش والشاذ.

ومفهوم العرق أو الجنس الذى انتشر فى إطار نظرية داروين التطورية يعد الآن من الناحية العلمية مفهوما خاطئا، ففى عام ١٩٥٢ نشر «ليفنجستون» مقاله الشهير فى «عدم وجود أعراق بشرية» منطلقا من حقيقة التشعب العظيم للمسألة، وضعف معايير وصف الأعراق، وأوصى بالتخلى عن نقطة العنف «البنى» فى التصنيف.

وفى نهاية القرن الماضى عقدت ندوة علمية بالقاهرة، تبنتها اليونسكو أشار فيها بعض العلماء إلى أن المعايير التقليدية التى يأخذ بها علماء الأنثروبولوجيا (نسبة عرض الوجه إلى طوله - طول الأطراف - طبيعة الشعر - لون البشرة وغير ذلك) لم تعد تلقى قبولا فى الوقت الحاضر، وأوصت الندوة بضرورة إجراء مزيد من الدراسات عن مفهوم الجنس بناء على أن علم البيولوجيا وعلم الوراثة يذهبان إلى أن مفهوم الجنس لم يعد له أى معنى.

والحقيقة أن كل علماء الأنثروبولوجيا قد توصلوا فى عقولهم بالفعل إلى الاستنتاجات المستقاة من انتصار نظرية أصل البشرية الواحد، ولكنهم لم يجازفوا بصياغتها بلغة واضحة، وعلى كل حال فقد أثبتت الدراسات أنه لا يوجد مجال للشك أن المعايير الخارجية مثل لون البشرة والإشارة الدماغية والإشارة الأنفية وقطع الجمجمة تختلف وتحصل فى كل مرة على نتائج متباينة، كذلك فإن الدراسات الأخيرة فى جينات البشرية جعلت أخيرا كل البيولوجيين يرفضون وجود أعراق فى الجنس البشرى. وفى العصر الحديث، وبعد انحسار الاستعمار يركز الغرب بشكل عام على محاولة خلق حزام مسيحى جنوب النطاق الإسلامى لمنع الإسلام من التسرب جنوب هذا الخط الذى يمتد من كينيا مرورا بجنوب السودان وتشاد وصولا إلى الكاميرون، وقد نجحوا إلى حد كبير فى تحقيق مخططاتهم. ومع ذلك نجد أن المسيحية فى أغلب المناطق يكاد يكون سطحيا إلى حد كبير، كما تقوم حركة أفرقة المسيحية على أكبر نطاق فى القارة.

جاء الإسلام إلى أفريقيا فى موجات ثلاث منذ أول سنة للهجرة (٦٢٢م) حيث هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة، وقبل مرور عشرة أعوام من وفاة الرسول ﷺ ٦٣٢م، كان الإسلام قد امتد إلى مصر بقوة وانتشر خلال السنوات ٦٦٦م - ٦٧٠م عبر شمال أفريقيا.

وقد تلقى الإسلام بديانات قديمة كانت موجودة فى القارة قبل ظهوره بوقت طويل، ومع ذلك توغلت دعوته فى مصر وشمال أفريقيا، وامتد من مصر إلى حدود الحبشة على ساحل البحر الأحمر ومن هناك إلى الصومال وإثيوبيا، وعبر النيل إلى السودان وأوغندا، وامتد فى القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر إلى أفريقيا الغربية، واستقر معها حتى وصل إلى السنغال وغينيا وسيراليون وداهومى (بنين)، ووصل إلى نيجيريا والكاميرون.

ومن الجزيرة العربية امتد فى الموجة الثانية إلى إثيوبيا، ثم تمكن من الجزر والسواحل الممتدة على شواطئ البحر الأحمر والمحيط الهندى من الصومال إلى موزمبيق، وعند إلى منطقة البحيرات. والتقى بالتيار الوافد من الشمال، وما أن حل القرن الرابع عشر، حتى كانت المدن الإسلامية قد انتشرت على طول سواحل أفريقيا الشرقية من مقديشو إلى سوفالا.

ويغلب الإسلام الآن على حزام عرضى يمتد من إريتريا إلى السنغال مرورا بشمال السودان وتشاد والنيجر ومالى (بالإضافة إلى النطاق العربى)، وإلى الجنوب من هذا النطاق يمتد نطاق عرضى آخر يتواجه فيه الإسلام والمسيحية، يبدأ من إثيوبيا إلى خليج غينيا مرورا بجنوب السودان وأفريقيا الوسطى والكاميرون ونيجيريا وبنين وكوت دى فوار وغانا بالإضافة إلى غينيا وليبيريا وسيراليون. ويشكل المسلمون نحوا من نصف عدد سكان هذا النطاق. أما النطاق الجنوبى، فتغلب عليه المسيحية، ويتند من سواحل المحيط الهندى فى كينيا وتنزانيا وموزمبيق مرورا بأوغندا ورواندا وبوروندى بالإضافة إلى الكونغو والجابون وأنجولا. كما يشمل دول جنوب

أفريقيا (زامبيا - زمبابوي - بتسوانا - ناميبيا - جنوب أفريقيا) وهذا النطاق يجد به أعداد كبيرة من المسلمين خاصة في كينيا وتنزانيا.

أما الموجة الثالثة فبدأت من حوالي سنة ١٧٥٠م حتى الآن، وتولاها أفراد متحمسون للرد على البعثات والإرساليات التبشيرية الأوروبية والأمريكية.

وبينما تقدر نسبة المسلمين بحوالي ٢٥٪ من تعداد شعب بنين فإن هناك دلائل على وجود نشاط إسلامي قوي في قبائل اليوروبا في الشرق حيث يكثر بناء المساجد والمدارس الإسلامية.

أما سيراليون، فيتساوى فيها عدد المسلمين والمسيحيين ويحتفظ فريق كبير من أهلها بعقائدهم القديمة.

وفي ليبيريا يوجد عدد من المسيحيين ضعف عدد المسلمين تقريباً، وأغلب السكان مازالوا على عقيدتهم القديمة، ويتركز المسلمون في الشمال ويوجد مسجد في «مونروفيا» وتعترف الدولة بالأجازات الإسلامية وقد نشطت الدعوة الإسلامية مؤخراً، وتكسب المزيد من الأنصار يوما بعد يوم، ونشطت الأحمدية منذ سنة ١٩٥٧م في الدعوة الإسلامية على مذهبها وقد اكتسبت عددا لا بأس به.

أما في جنوب غانا فيوجد مسلمون ومسيحيون، ولكن أغلب السكان مازالوا على عقائدهم القديمة، وأنشئت الجمعية الإسلامية سنة ١٩٣٢م لتحض الدعوة الإسلامية والنظم والشرائع الإسلامية وأنشئ حزب الاتحاد الإسلامي سنة ١٩٥٤م وكان له دور مهم في التعليم والسياسة، ومنذ استقلال غانا سنة ١٩٥٧م بنى الأحمدية حوالي ٢٥٠ مسجداً وأسسوا مدارس كثيرة، ويتوقع الدكتور نويل كينج عالم اللاهوت المسيحي بجامعة غانا للإسلام أن يحقق مكاسب ضخمة في غانا في السنوات القادمة[1].

أما نيجيريا فيغلب الإسلام على أهلها وفي سنة ١٩٤٨م تم تنظيم مجلس نيجيريا الإسلامي لنشر الإسلام ودعم العلاقات بين نيجيريا ومصر والبلاد الإسلامية الأخرى، وما إن حلت سنة ١٩٥١م حتى عقد مؤتمر إسلامي في مدينة بنين حضره مندوبون من سيراليون وغانا وزامبيا، وهناك تقرر تكوين جمعية غرب أفريقيا الإسلامية التي تضم الدول الأربع.

وقد دخل الإسلام نيجيريا منذ أمد بعيد واعتنقه قبائل الهوسا، ثم بدأ دخول قبائل اليوروبا التي تسكن غرب نيجيريا في الإسلام في بداية القرن الحالي، وانتشر انتشارا واسعا بينها، وتوجد اليوم مئات المساجد في البلدان ومئات المدارس الإسلامية، وتهتم جمعية «أنصار الدين» بنشر التعليم بين المسلمين.

وفي لاجوس، يبلغ النشاط الإسلامي ذروته، وأنشئت المدارس والمساجد وللأحمدية نشاط واسع في نيجيريا، فهم أنصار يتزايدون يوما بعد يوم.

ومن المميزات المشهورة في أفريقيا، فهو دين الأغلبية في إريتريا والصومال وجيبوتي، أما إثيوبيا تعتبر فيها ما لا يقل عن نصف عدد سكانها من المسلمين.

أما كينيا فيها حوالي ٣٠٪ على الأقل من سكانها مسلمون، يتركزون في الجزر والساحل الكيني الممتد من جنوب الصومال إلى حدود تنزانيا، وخاصة في جزيرة لامو وماليندا (مانداكا) بين باتي ولاموريبا أو جزيرة الخضراء ومانتاسا أو مانتيا (مافيا) ومثل هذه نسبة من المسيحيين والباقي على أديانهم التقليدية.

وكذلك الأمر في تنزانيا، حيث نجد حوالي ٤٥٪ من سكانها مسلمين وأقل من هذه النسبة مسيحيين، والباقي على أدياتهم القديمة، ويتركز المسلمون في الجزر والساحل، وأهم الجزر زنجبار ومافيا وكيلوا وشانك وتوجاتو وعيا وفوما.

وانتشر الإسلام من مدن الساحل باجاموبو وسعادني وبانجاني إلى البحيرات الكبرى، فيكتوريا وتنجانيقا، ونشأت مراكز تجارية في كازح (تابورا الآن) حيث يتفرع الطريق متجها إلى أوجيجي Ujiji على البحيرتين، وبدأ الإسلام يشق طريقه إلى القبائل الديجو Digo وقبائل الزارامو والقبائل التي تقيم حول دلتا نهر روفيجي Rufiji وتبعها وانتشر عبر تنجانيقا وشمالاً في أوزامبارا إلى مقاطعة كلنجارو.

وفي أوغندا امتد الإسلام إلى دولة بوجندا القديمة من الجنوب الغربي حول شواطئ بحيرة فيكتوريا منذ سنة ١٨٤٤م، ووصل شمالاً إلى مدينة كاكورو في مقاطعة كارجوي كما وصلت مؤثرات إسلامية من الشمال من السودان عن طريق القوات السودانية وقد تزايد انتشار الإسلام خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م - ١٩١٨م ووصل إلى قبائل الهيهي Hehe وتزايد نفوذه بسرعة في منطقة موروجورو وفي التلال المحيطة بلغا ولم يأت عام ١٩٤٥م حتى كانت أكثرية السكان من المسلمين، ودخلت قبائل ماكوا وماكوتتي والياو في الإسلام الذي تدفق عبر نهر لوجندا وفي سنة ١٩١٠م دخل نياسلاند لأول مرة وتمكن من الياو وهم أكثر القبائل تمسكا بالإسلام في المنطقة، ووصلت تأثيرات إسلامية إلى الكونغو، وأنشأ عماني هو حميد الدين المرجبي دولة إسلامية على أحد فروع نهر الكونغو قضى عليها البلجيك[2].

يحاول المسلمون الآن، وفي كل مكان في القارة الأفريقية، مد جسور الالتقاء والتعاون في مجالات العلم والثقافة، ويحاول العرب من جانبهم الأخذ بيد الأفارقة ومساعدتهم على الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية ويحتاج الأمر إلى خطة عربية شاملة للحفاظ على هويتنا الثقافية المشتركة.

---

(١) راجع: عبدالغفار ميلاد، المسلمون في السنغال، معالم الحاضر وآفاق المستقبل، كتاب الأمة ١٢ (قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ١٩٨٦م).

(٢) ... مختصر ترجمتها عن الإسلام في شرق أفريقيا لد. محمد عاطف النواوي.

أفريقيا (زامبيا - زمبابوي - بتسوانا - ناميبيا - جنوب أفريقيا) وهذا النطاق يجد به أعداد كبيرة من المسلمين خاصة في كينيا وتنزانيا.

أما الموجة الثالثة فبدأت من حوالي سنة ١٢٥٠م حتى الآن، وتولاها أفراد متحمسون للرد على البعثات والإرساليات التبشيرية الأوروبية والأمريكية.

وبينما تقدر نسبة المسلمين بحوالي ٢٥٪ من تعداد شعب بنين فإن هناك دلائل على وجود نشاط إسلامي قوي في قبائل اليوروبا في الشرق حيث يكثر بناء المساجد والمدارس الإسلامية.

أما سيراليون، فيتساوى فيها عدد المسلمين والمسيحيين ويحتفظ فريق كبير من أهلها بعقيدتهم القديمة.

وفي ليبريا يوجد عدد من المسيحيين ضعف عدد المسلمين تقريباً، وأغلب السكان مازالوا على عقيدتهم القديمة، ويتركز المسلمون في الشمال ويوجد مسجد في «مونروفيا» وتعترف الدولة بالإنجازات الإسلامية وقد نشطت الدعوة الإسلامية مؤخراً، وتكسب المزيد من الأنصار يوماً بعد يوم، ونشطت الأحمدية منذ سنة ١٩٥٧م في الدعوة الإسلامية على مذهبها وقد اكتسبت عدداً لا بأس به.

أما في جنوب غانا فيوجد مسلمون ومسيحيون ولكن أغلب السكان مازالوا على عقائدهم القديمة، وأنشئت الجمعية الإسلامية سنة ١٩٣٢م لنشر الدعوة الإسلامية والنظم والشرائع الإسلامية وأنشئ حزب الاتحاد الإسلامي سنة ١٩٥٤م بدور مهم في التعليم والسياسة، ومنذ استقلال غانا سنة ١٩٥٧م بنى الأحمدية حوالي ٢٥٠ مسجداً وأسسوا مدارس كثيرة، ويتوقع الدكتور «...» عالم اللاهوت المسيحي بجامعة غانا للإسلام أن يحقق مكاسب ضخمة في غانا في السنوات القادمة(١).

أما نيجيريا فيغلب الإسلام على أهلها وفي سنة ١٩٤٨م تم تنظيم مجلس نيجيريا الإسلامي لنشر الإسلام ودعم العلاقات بين نيجيريا ومصر والبلاد الإسلامية الأخرى. وما إن حلت سنة ١٩٥٦م حتى عقد مؤتمر إسلامي في مدينة بين حضره مندوبون من سيراليون وغانا وليبيا، وهناك تقرر تكوين حزب غرب أفريقيا الإسلامية التي تضم الدول الأربع.

وقد دخل الإسلام نيجيريا منذ أمد بعيد واعتنقه قبائل الهوسا، ثم بدأ دخول قبائل اليوروبا التي تسكن غرب نيجيريا في الإسلام في بداية القرن حتى انتشر انتشاراً واسعاً بينها. وتوجد الآن مئات المساجد في البلدان ومئات المدارس الإسلامية وتهتم جمعية «أنصار الدين» بنشر التعليم بين أبناء المسلمين.

وفي لاجوس، بلغ النشاط الإسلامي ذروته وأنشئت المدارس والمساجد وللأحمدية نشاط واسع في بحيرة لهم أنصار يتزايدون يوماً بعد يوم.

ومن المسيرات المشهورة في أفريقيا، فهو دين الأغلبية في إريتريا والصومال وجيبوتي. أما إثيوبيا فيشهد، فيها ما لا يقل عن نصف عدد سكانها من المسلمين.

أما كينيا ففيها حوالي ٣٠٪ على الأقل من سكانها مسلمون، يتركزون في الجزر والساحل الكيني الممتد من جنوب الصومال إلى حدود تنزانيا، وخاصة في جزيرة لامو ومنبسا (مامباكا) بين باتي ولاموونجا أو جزيرة الخضراء ومافاسا أو مافيا (مافيا)، ومثل هذه النسبة من المسيحيين والباقي على أديانهم التقليدية.

وكذلك الأمر في تنزانيا، حيث نجد حوالي ٤٥٪ من سكانها مسلمين وأقل من هذه النسبة مسيحيين والباقي على أديانهم القديمة. ويتركز المسلمون في الجزر والساحل. وأهم الجزر زنجبار ومافيا وكيلوا، وشنجو وتوماتو ونجا وقوسا.

وينتشر الإسلام من مدن الساحل بالجاموبو وسلاري وباغاي إلى البحيرات الكبرى، فيكتوريا وبحيرة تنجانيقا، وأنشئت مراكز تجارية في كازح Kaze (تابورا الآن) حيث يتفرع الطريق متجهاً إلى بحيرتي أوجيجي Ujiji على البحيرتين. وبدأ الإسلام يشق طريقه إلى القبائل الديجو Digo وقبائل الزرامو والتي تقيم حول دلتا نهر روفيجي Rufiji وتجهت الدعوة الإسلامية في اتجاه الخطوط الحديدية وتبعها وانتشر عبر تنجانيقا وشمالاً في أوزاميارا إلى مقاطعة كليمنجارو.

وفي أوغندا امتد الإسلام إلى دولة بوجندا القديمة من الجنوب الغربي حول شواطئ بحيرة فيكتوريا منذ سنة ١٨٤٤م، ووصل شمالاً إلى مدينة كافورو في مقاطعة كاراجوى كما وصلت مؤثرات إسلامية من الشمال من السودان عن طريق القوات السودانية وقد تزايد انتشار الإسلام خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م - ١٩١٨م ووصل إلى قبائل الهيهي Hehe وتزايد نفوذه بسرعة في منطقة موروجورو وفي التلال المحيطة بها ولم يأت عام ١٩٤٥م حتى كانت أكثرية السكان من المسلمين، ودخلت قبائل ماكوا وماكونتي والياو في الإسلام الذي تدفق عبر نهر لوجندا وفي سنة ١٩٩٠م دخل نياسالاند لأول مرة وتمكن من الياو وهم أكثر القبائل تمسكاً بالإسلام في المنطقة، ووصلت مؤثرات إسلامية إلى الكونغو، وأنشأ عماني هو حميد الدين المرجبي دولة إسلامية على أحد فروع نهر الكونغو قضى عليها البلجيك(٢).

يحاول المسلمون الآن وفي كل مكان في القارة الأفريقية، مد جسور الالتقاء والتعاون في مجالات العلم والثقافة، ويحاول العرب من جانبهم الأخذ بيد الأفارقة ومساعدتهم على الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية ويحتاج الأمر إلى خطة عربية شاملة للحفاظ على هويتنا الثقافية المشتركة.

---

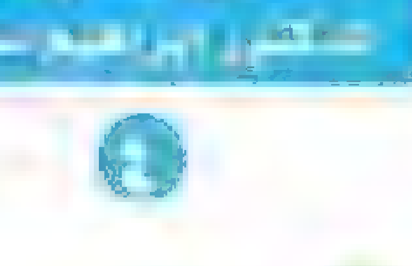
(١) راجع: عبد القادر سيلا: المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، كتاب الأمة ١٢، قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ١٤٠٦هـ.

(٢) راجع: حسن إبراهيم: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، د. محمد عبد... الحربي.

تأليف: الأستاذ نعوم تشومسكى

تعريب:

الأستاذ / إبراهيم محمد إبراهيم





(الكهف: ١٠٤ - ١٠٥)

ورد إلى خاطرى هذا القول الكريم وأنا أشاهد (جورج بوش) - بغطرسته - فى بداية ولايته - وتهاويه - فى نهاية تلك الولاية، خصوصا عند زيارته للعراق - التى دفعه طغيانه إلى تدميرها وإبادة مئات الآلاف من أهلها - وكيف استقبل هناك بحذاء أحد العراقيين يصوب إلى رأسه وهو بين حاشيته وحلفائه وحراسه

ورحت أتدبر مظاهر غطرسته فى شرق الأرض وغربها، حتى كاد أن يردد مقالة فرعون من قبل فيقول فى تعال وغطرسة:

﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾

(النازعات: ٢٤)

فكما أرانا الصحفى العراقى بحذائه هذا الرجل فى ضعفه وصغاره وهوانه.. أرانا (نعوم تشومسكى) المفكر اليهودى الأمريكى هذا الرجل فى غطرسته وضلالاته، وافتراءاته وغروره، وأباطيله، فرأيت الرجل مجردا مما أحاط به نفسه من هالات التكبر والعجرفة، ضال السعى فى الحياة الدنيا، محبط الأعمال، مذموما مدحورا.

فقد أراد «تشومسكى» وغيره من معارضى أمريكا وتجبره أن يرصدوا أطرافا من تلك الأضاليل، ويحاولوا تفسيرها لعل الآخرين يجدون فيها العظة، على نحو ما رأينا فى مصاحبتنا



(نعوم تشومسكى) المفكر الأمريكى من مظاهر الوقاحة البوشية العفنة



ولهذا كانت وقاحتهم مركبة

فالأستاذ (نعوم تشومسكى) فى رفضه إرهاب هؤلاء المتسلطين وعنصريتهم يرصد بعض ممارساتهم الإرهابية قائلا: وتعدد ممارسات الإرهابية الأمريكية حتى كانت أمريكا هى الدولة الوحيدة التى أدانتها المحكمة الدولية لارتكابها الإرهاب الدولى بسبب الاستخدام غير المشروع للقوة لتحقيق أهداف سياسية، وأمرتها المحكمة بأن تضع حدا لهذه الجرائم وأن تدفع تعويضات كبيرة، ولكنها قابلت هذا الحكم بازدراء.

إلى إصرار منها على الممارسة الإرهابية.. تصاعدت الحرب الإرهابية فى (نيكاراجوا) وامتدت الحرب الإرهابية تطبيقا للسياسة الرسمية القاضية بمهاجمة (الأهداف اللينة) التى لا توجد قوات تدافع عنها كالجمعيات الزراعية، والعيادات الصحية، بدلا من الاشتباك مع جيش (نيكاراجوا).

وتتضح الوقاحة الأمريكية فى غضبها الثائر من فكرة إعطاء (نيكاراجوا) الحق فى الدفاع عن نفسها، حتى ضغطت على حلفائها لإيقاف تزويد (نيكاراجوا) بالسلاح، وكشفت الشائعات الكاذبة بأن روسيا تعاون (نيكاراجوا) بالمقاتلات النفاثة لكى تكسب صمت المتشككين فى الممارسات الأمريكية.

هذه الوقاحة الأمريكية والغربية التى تبرز هيمنة (ثقافة الإرهاب) المتأصلة فى الغرب والتى تسود الحضارة الغربية.

ولم تكن الممارسات الإرهابية مقصورة على أحداث (نيكاراجوا)، بل امتدت إلى شتى أنحاء العالم، كما تقرره السيارة المفخخة خارج المسجد فى بيروت سنة ١٩٨٥ لتقتل شيخا مسلما كتبت له النجاة لتقتل ثمانين مدنيا، وتصيب مائتين وخمسين ويعلن عن هذه الوقاحة فى صراحة إطلاق يد إسرائيل لتغزو لبنان الذى خلف نحو ثمانية عشر ألف قتيل من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين، ولم يكن ذلك من إسرائيل دفاعا عن النفس، كما أعلنت هى نفسها، كما يعلن عنها ما قدمته أمريكا من الأسلحة لقمع تركيا التمرد الذى قام به الأكراد فى الجنوب الشرقى.

وأوضح دليل على هذه الوقاحة البالغة ما تكشفه قرارات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة المعارضة، كما نرى في قرارهما شن هجوم على الصرب؛ فتحول الإرهابيون إلى مقاتلين من أجل الحرية، وبعد الحرب صار المقاتلون من أجل الحرية هم وأقرب شركائهم (إرهابيين)، و(سفاحين) حين نفذوا ما عدوه من وجهة نظرهم أعمالا مشابهة لأسباب مشابهة في مقدونيا، وذلك لأنها أحد حلفاء الولايات المتحدة.

إن التنديد بالإرهاب يجب أن يكون تنديدا بجميع الأعمال الإرهابية، وليس فقط بتلك التي تسمى: (إرهابية) لأسباب دعائية تطلقها الولايات المتحدة وحلفاؤها.

ومن الوقاحة رفض الحكمة والتعقل

وفي الفصل السابع (قدر كبير من ضبط الأعصاب) تناول (تشومسكي) ما قدم لإدارة (بوش) من تحذيرهم من الرد على أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١ بهجوم كبير يقتل الكثير من الأبرياء، وتحذيرهم من الرد بقتل ابن لادن الذي يتهمونه بالتورط في تلك الجرائم.

ولكن إدارة (بوش) رفضت هذا التحذير، وانساقت وراء الداعين إلى الاستخدام المفرط للخطاب العسكري وما يقود إليه من العمل على إبادة حكومات؛ فقد طلبت واشنطن من باكستان قطع إمدادات الوقود، ومنع قوافل الشاحنات التي تقدم الكثير من الغذاء والقوت لسكان أفغانستان المدنيين. فلبى المسئولون في باكستان طلب واشنطن، كما أن التهديد بالضربات العسكرية أدى إلى سحب عمال المعونة الدولية، مما أعاق برامج المساعدة.

وهكذا سارعت واشنطن بالعمل العسكري الذي أدى إلى موت أعداد هائلة من الأفغان، وإلى تزايد معاناتهم، فقد بات الملايين منهم على حافة المجاعة، مما جعل الكثيرين من السكان يرحبون بالطاليان حين دحروا الفرق المحاربة المجرمة التي تأمل واشنطن وموسكو في استغلالها لأغراضها الخاصة.

ومع هذا.. تعلن إدارة بوش تمسكها بعبارة (عدالة بلا حدود) بما توحي به من إعطاء صورة ألوهية للذات، على الرغم من تشابهها مع عبارة (الحروب الصليبية).

ولقد سارت واشنطن في هذا الطريق على الرغم من أن الأمم المتحدة بينت أن التهديد بحدوث مجاعة في أفغانستان تهديد كبير، وعلى الرغم من اشتداد النقد الدولي لهذه الأفعال حتى اضطر الخبراء إلى حث الولايات المتحدة على تحسين صورتها عن طريق زيادة المساعدات للاجئين الأفغان!

وكان على الإدارة الأمريكية أن تنهض بتقديم تلك المساعدات، دون استشارة لمجموعة متخصصي الدعاية لكي ينقذوا الأرواح، وليس لمساعدة الجهود الرامية إلى العثور على جماعات الإرهاب داخل أفغانستان لعلهم يفوزون بقلوب الناس وعقولهم.

والإصرار على العنف الطاغي

فالذي يحرك الإدارة الأمريكية.. إنما هو بث الرعب والفزع في قلوب كل من تتوسم فيهم الانتقاص من هيمنتها الإمبراطورية في العالم، وليس الثأر لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وإلا لاستجابت لما تطلبه دول العالم منها بأن تقدم بعض الأدلة التي تربط بين ابن لادن والجريمة، حتى يتيسر حشد دعم هائل وراء جهد دولي بالطرق الدبلوماسية، تحت مظلة الأمم المتحدة وقالوا إنها للإمساك به ومحاكمته هو وشركائه

ولكن هذه التحركات قد رفضتها الإدارة الأمريكية بازدراء لصالح استخدام القوة، معتمدة على تصريحات قائمة على الجدل التاريخي، والمعلومات المخابراتية، دون العثور على أي توثيق - ولو كان ضئيلا - حتى إن صحيفة (وول ستريت جورنال) وصفت تلك التصريحات بأنها أقرب إلى الاتهام منها إلى الأدلة التفصيلية، بينما انساقت حكومات الشرق الأوسط ومنظماتها وراء تلك التصريحات الدعائية

والعجيب أن (طالبان) حين طلب منها تسليم ابن لادن، طلبوا من أمريكا أن تظهر الدليل على تورط ابن لادن حتى يسلموه إليهم، ولكن (بوش) رفض ذلك قائلا: «إن طلبنا غير قابل للتفاوض».

ويلفت (تشومسكي) النظر إلى أن الهند لو طلبت من أمريكا تسليم (وارين أندرسون) رئيس مجلس إدارة شركة (يونيون كاربايد) المسئولة عن تسريب الغاز الذي أدى إلى قتل ستة عشر ألف نسمة سنة ١٩٨٤ على الرغم من توفر الأدلة الدامغة، ولقد حدث مثل هذا الرفض حين طلبت حكومة (هايتي) من الولايات المتحدة تسليم (إيمانويل كونستانت) أحد أقسى زعماء القوات شبه العسكرية الذي كان مدعوما من إدارة (بوش) الأب، وإدارة (كلينتون) والذي حوكم غيابيا في (هايتي)، وحكم عليه بالسجن المؤبد لما قام به من دور في المذابح التي قتل فيها خمسة آلاف شخص، ولكن طلب التسليم قوبل بالرفض لما سيؤدي إليه تسليمه من فضح الصلات الحرجة بواشنطن.

التحول إلى الاستبداد النازي

ويرى (تشومسكي) أن اعتناق الأمريكيين المبادئ العنصرية النازية الاستبدادية دفع بإدارة (بوش) إلى استثمار الممارسة العنصرية الاستبدادية بمواصلة مسيرة (كلينتون) سنة ١٩٩٣ الذي أبلغ الأمم المتحدة - في وقاحة: أن الولايات المتحدة سوف تتصرف كما فعلت من قبل بصورة انفرادية حين يكون ذلك ضروريا وتابعه - في ذلك - كبار المسئولين الأمريكيين الذين صرحوا سنة ١٩٩٩ - في وقاحة كذلك - بأن الولايات المتحدة ملتزمة بالاستخدام المنفرد للقوة العسكرية دفاعا عن مصالحها الحيوية في الوصول بلا عوائق للأسواق الرئيسية، وإمدادات الطاقة، والموارد الاستراتيجية، وأي شيء قد ترغب واشنطن في أن يكون ضمن حكمها.

غير أن (بوش) أبعد في هذه الممارسات، على الرغم مما يسببه ذلك من القلق بين الحلفاء الذين لا يستطيعون إلا التأييد الصامت والطيع تجاه القوة.

فالولايات المتحدة تحتفظ لنفسها بالحق في التصرف كما تشاء، دون اكتراث بالمؤسسات الدولية، ولا بما يتطلبه القانون.

وكان من أبرز ما جأت إليه إدارة (بوش) لتلبس نازيتها ثوب الديمقراطية.. حرصها على منع التدفق الحر للمعلومات في الخارج، حتى تظل هي المصدر الإعلامي الوحيد الذي يزيف كيف شاء، ويحتي ما يشاء من الممارسات إلى غير ذلك. ولذلك شعرت بالحقد والخوف من قناة (الجزيرة) الإخبارية التليفزيونية الفضائية في (قطر) بسبب فضحها الصريح لسجلات الولايات في مجال حقوق الإنسان، حتى لقد أكد أمير (قطر) أن واشنطن طلبت من قطر أن تكبح جماح قناة الجزيرة. وحتى لقد صرح رئيس منظمة المؤتمر الإسلامي للصحافة الأمريكية أن وزير الخارجية الأمريكيه (كولن باول) ضغط عليه كي يكبح جماح الجزيرة.

بينما قدمت (النيويورك تايمز) تقريرا يعلن عن الإعجاب بنهجها، جاء فيه: «لقد كونت هذه الشبكة سمعة باعتبارها تقدم تقارير مستقلة من مواقع الأحداث، تختلف اختلافا حادا عن محطات التليفزيون الناطقة باللغة العربية.

من كل ما يؤكد: أن الإدارة الأمريكية تعتمد على ما تقيمه من حواجز تحول دون التدفق الحر للمعلومات؛ ليقينها أن ممارستها تعتمد على انتهاك حقوق الإنسان، والاستبداد الدكتاتوري النازي البغيض.

ولاريب في أن هذه الممارسات الأمريكية تفرض على الناشطين الاجتماعيين الساعين إلى المستقبل من احتمال وقوع المزيد من الأعمال المشجعة والمقوية للأمل في الحرية، وحقوق الإنسان، والديمقراطية.. تفرض على هؤلاء تشديد جهودهم للوقوف على العوامل التي تكمن وراء هذه الجرائم التي جلبت على سكان الولايات المتحدة كل هذا الكره.

يفرض هذا على هؤلاء دون أي خوف أو قلق، مما سوف يبوء المتشددون اليمينيون من حديث هيستري متشنج مشحون بالأكاذيب المقصودة كي يظل هؤلاء الناشطون الحكماء قريبين بقدر الإمكان من الحقيقة والأمانة.

وبعد ...

فإن الكتاب - على ما يوفره من صورة أقرب إلى الصدق للإدارة الأمريكية، خصوصا في عهد (بوش) - مجهد أيما إجهاد لمن يقرؤه، بسبب ما يفرضه على قارئه من تشتت ذهني يقطع عليه الاسترسال والتواصل مع ما يضمه من أفكار بدرجة تجعل الوقوف على مضمونه أمرا متعذرا أو بالغ الصعوبة؛ لقيامه على التزام «تشومسكي» حماية سائليه المتنوعين ومختلفي المشارب والاتجاهات وما قد تستلزمه بعض الإجابات من تكرار واستدراك.

وأرى: أن الدكتور نعوم تشومسكي قد اضطر إلى الوقوع في ذلك اضطرارا؛ لأنه التزم بذكر ما قدم له من أسئلة ليذيل كل سؤال بالإجابة الكاشفة.

مما كان يحوج إلى أن يعمل على التنسيق بين هذه الأسئلة، فيجعل كل مجموعة متشابهة في وحدة فصلية.

هذا إلى أن إجاباته - في بعض الأحيان - كانت تتعلق بمواقف أخرى، أو أحداث سابقة، فاضطر إلى الاكتفاء بالإشارة إليها لعلمه أن سائله ملم بها.

ولكن تقديم الإجابات لقارئ آخر كان يفرض عليه التعريف بتلك المواقف أو الأحداث.

أما لغة المترجم - ولا أقول لغة المؤلف - فهي واضحة، يغلب عليها السلامة من الاضطراب والتعالي من الأخطاء، مما كان له أبعد الأثر في تخفيف شيء من الإجهاد على القارئ.

وأيا ما كان الأمر.. فالكتاب يقدم صورة رسمها إنسان مفكر أميل إلى الموضوعية، يرجو الحرية الصحيحة لأمته وللإنسانية جمعاء، فلا تضاره في تحقيق ذلك.. استطاع - بما أوتيه - أن يقدم رؤيته للإدارات الحاكمة في الولايات المتحدة؛ مبرزا أهم أخطائها التي جرت عليها كراهية كثير من شعوب العالم، والتي أغراها بالاستمرار عليها نفاق كثير من حلفائها الضعفاء، واستجابة بعض الحكام لها، لما تحققه لهم من هيمنة ظالمة على شعوبهم.

في زمن العولمة

ثقافة العولمة بين التأثر والتأثير

للأستاذ / صديق بكر عيطة

من سنة الله في خلقه، أن جعل ـ سبحانه ـ قدرا من التشابه بين الأفراد والجماعات في المعارف والعلوم والعادات والتقاليد.. إلخ. وقدرا آخر من الاختلاف في هذه المجالات أيضا..!! فبقدر مجموعة المتشابهات، تكون وحدة البشرية، ويتم التصالح على أسس العيش السلمي، الذي تتبادل فيه المصالح، وتقوى به الروابط الاجتماعية والسياسية والفكرية. وبقدر مجموعة المختلفات يكون التفاوت والتكامل والتعاون. قال الحق ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه الكريم، وهو يخاطب الناس جميعا

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

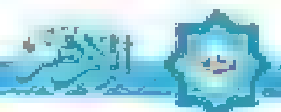
(الحجرات: ١٣)

وقال ـ عز شأنه ـ:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

ومن مجموع المتشابهات والمختلفات تتكون شخصية الأفراد والجماعات والأمم، ومنه تتكون ثقافة الشعوب، فالثقافة في معناها العام: مجموعة الأفكار والعادات والتقاليد والعقائد، التي تحكم رؤية الأفراد والجماعات للحياة، وما تقوم عليه من معايير تعطي حكما صارما لما ترتضيه لنفسها في حياتها العاجلة



ولأحقة تلك سنة الله في خلقه:

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

(الأحزاب: ٦٢)

ومن حكمة الله ـ عز وجل ـ أن جعل للإنسان قدرا من الاختيار في هذه المتشابهات والمختلفات؛ حتى لا يشعر بالضعف والقهر أمام نتيجة أعماله وما قد يصيبه من خير أو شر.

فكل حركة في الكون تسير وفق السنن الربانية طوعا، إلا مسيرة الحركة البشرية، فإن الله ـ تعالى ـ منحها إرادة الاختيار، فهي إما سائرة باتجاه السنن، فتتنزل لها «سنن التأييد»، وإما منحرفة عنها فتتنزل لها «سنن التجريد» ـ أي تجريدها من أسباب حصول كمال الفلاح وتمام النجاح ـ وإما عكسها فتتنزل لها «سنن التعذيب» إما مؤقتا وإما على سبيل التأبيد. قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾

(الحج: ١٨)[1]

والسجود هنا، الذي يصدر ممن في السموات ومن في الأرض، وكذلك الشمس والقمر، وكل ما تشتمل عليه الآية المباركة من مخلوقات.. يعني ـ والله أعلم ـ الانقياد لمشيئته ـ تعالى ـ وإرادته التي لا يفلت منها شارد أو وارد.

إذن، فالاختلاف من سنن الله في خلقه كالتشابه، وهو من أسباب بقاء الحياة واستمرارها في كل عصر ومصر «فمن المؤكد أن سلوكيات الناس في مختلف بقاع العالم أو في مختلف العصور أو الديانات أو الجماعات اللغوية تتباين فيما بينها ـ هكذا يقول «عمانويل فالرشتاين» في كتابه «ثقافة العولمة»[2] ـ وبطرق يمكن تحديدها وملاحظتها بسهولة، فمن يسافر من النرويج إلى أسبانيا مثلا يلاحظ أن مواعيد ازدحام المطاعم لتناول وجبة العشاء تختلف كلية في البلدين، ومن يسافر من فرنسا إلى الولايات المتحدة يلاحظ أن تكرار دعوة الغرباء للزيارة المنزلية متباين تماما. ولا شك أن طول ملابس النساء في البرازيل يختلف اختلافا بينا عنه في إيران. وهكذا».

(1) د. صبحي محمد الملاح في كتابه «الإسلام والعولمة» ص ٣٣

(2) ترجمة: عبدالوهاب علوب ـ والكتاب ضمن نشاط مكتبة الأسرة ٢٠٠٥م، ص ٣٥، ٣٦.

هذا (وباختصار شديد) هو ما يتعلق بالثقافة بوجه عام. فماذا عن ثقافة العولمة؟ ماذا عن الثقافة التي سادت وتسود في عصر العولمة، أهي بمعناها الذي عرفناه طوال تاريخنا الثقافي؟ وهل هي تخضع للمؤثرات التي عايشناها في الماضي محليا وعالميا؟ أو أنها صارت تحت مؤثرات دولية جديدة أكثر قوة وأوسع فاعلية؟!

بمعنى أكثر تحديدا: ما موقعها بين العولمات؟ هل هي من الوضوح بنفس الدرجة التي تتمتع بها العولمة الاقتصادية؟ وماهي الخصائص التي تميز الثقافة في عصر العولمة؟.

عن التساؤل الأول يجيب الأستاذ الدكتور عبدالخالق عبدالله ـ وهو يعقد مقارنة بين عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد ـ في بحث له تحت عنوان «العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها»[٣] يقول سيادته: «إذا كانت العولمة الاقتصادية واضحة كل الوضوح، فإن العولمة الثقافية ـ وعلى العكس من ذلك ـ ليست بنفس وضوح العولمة الاقتصادية، كما أنه إذا كانت العولمة الاقتصادية تبدو للبعض مكتملة على أرض الواقع، والعالم قد أوشك أن يكون معولما عولمة اقتصادية كاملة، فإن العولمة الثقافية ليست بنفس القدر من الاكتمال، والعالم بعيد كل البعد من أن يكون معولماً عولمة ثقافية كذلك فإنه إذا كانت العولمة الاقتصادية هي محصلة لتاريخ طويل من التطورات الاقتصادية والتجارية والمالية، والتي تسارعت خلال عقد السبعينيات والثمانينيات. فإن العولمة الثقافية هي في المقابل ظاهرة جديدة وتمر بمراحلها التأسيسية الأولى، ولم تبرز كحقيقة حياتية إلا خلال عقد التسعينيات...».

إذن، فعولمة الثقافة، لا تزال أقل تأثيرا في تكوين شخصية الفرد والأمة لأن الشعوب - وبخاصة شعوب الدول النامية، وبخاصة من الشعوب الإسلامية والعربية – تنظر إلى ثقافة الغرب بعين الحذر والشك في أهدافها بالرغم من قوتها وتأثيرها الواضح في النشء والأجيال الصاعدة. وبسبب جرأتها على القيم الدينية والثوابت العقدية والأخلاقية هذا من جانب ومن جانب آخر. لأنها تدخل في بناء الشخصية الإنسانية، وهي لا تتطور بنفس سرعة التطور الاقتصادي والتجاري، فبناء الأمم والشعوب، يستغرق وقتاً أطول وجهداً أكبر.

أما السؤال الثاني، الذي يتعلق بالخصائص التي تميز ثقافة عصر العولمة، فيجيب عنه الدكتور أحمد زايد في بحث له تحت عنوان «عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية»[٤] يقول سيادته عن خصائص ثقافة عصر العولمة:

- إنها ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقنيّ وعلمي؛ فهي تنقل عبر الوسائل الاتصالية الحديثة، وهي بذلك ثقافة مصنوعة بحسابية، ولتحقيق أهداف معينة تختلف تماماً عن الثقافة التي تتسم بالتلقائية والنمو العفوي. فهي تميل إلى ثقافة الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية الغربية.

- وهي ثقافة تُفرض من أعلى دون أن يكون لها قاعدة شعبية مع أنها يُفترض فيها أنها موجهة إلى الشعوب، ولذا فهي موجهة بالدرجة الأولى إلى نُخبة من البشر في كل أمة، وهي الطبقة التي بيدها مقاليد الشعوب ومصائرها، ولذا فإن المستقبلين الفعليين لثقافة العولمة، هم نخبة من كل مجتمع.. مع وعي النخبة المستقبلة بحدود هذه الثقافة وطبيعتها، ومع ذلك فلا شك في أن عناصر من ثقافة العولمة تتسرب عبر قطاعات أعرض من هذه النخبة، ولكنها في هذه الحالة لا تكون ثقافة عولمة متكاملة بقدر ما تكون شذرات منها، يستقبلها الأفراد كلٌّ حسب إمكاناته وقدراته.

- وإذا كانت ثقافة العولمة تقوم على أساس اختيار العناصر التي توجه إليها ابتداء، فإنها - بالتالي - تساعد على تركيز القوة، وهي هنا ليست قوة سياسية فقط، بل قوة التكنولوجيا المرتبطة بالمشروعات الصناعية ذات الصبغة العالمية كشبكات الكمبيوتر والإنترنت. فهذه الشبكات أصبحت مصدراً رئيسياً لثقافة العولمة، بجانب الشبكات التليفزيونية التي ترتبط على نحو أو آخر بالشبكة العنكبوتية «شبكة الإنترنت العالمية».

تلك أهم خصائص الثقافة في عصر العولمة وأوضحها، غير أننا نلحظ أن بينها قدراً كبيراً من العمل المشترك على تذويب الثقافات الوطنية، والقيم الدينية والأخلاقية وإضعاف

(٣) مجلة عالم الفكر - المجلد الثامن والعشرون - العدد الثاني ص ٢٤- أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٩

(٤) مجلة عالم الفكر مجلد ٣٤ عدد ١- يوليو/سبتمبر ٢٠٠٥ بتصرف في العبارة

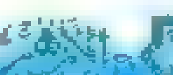
الثوابت العقدية، فما هو المدى الذى تؤثر فيه العولمة الثقافية على المضمون الثقافى للشعوب بجانبيه المادى والمعنوى؟ لقد أسفر البحث عن ثلاثة اتجاهات أساسية هى:

الاتجاه الأول: يرى صعوبة قيام ثقافة مُعَوْلَمة، لأن الثقافة الأصلية فى أى مجتمع قادرة على الاحتفاظ بخصوصيتها وتنوعها أمام تيار العولمة بوسائل عديدة، طالما بقيت الفروق قائمة بين الأفراد وبين الدول.

الاتجاه الثانى: يتفق مع الاتجاه الأول، ويؤكد على أن الثقافة لا تُعَوْلَم، وأن الصورة الحالية للعولمة الثقافية هى فى حقيقة الأمر نوع من الهيمنة الثقافية، أو الغزو الثقافى لثقافة معينة، وهى الثقافة الأمريكية على الثقافات الأخرى، وبهذا فالعولمة من الوجهة الثقافية تعنى: خلق ثقافة عالمية، عن طريق توحيد الأداء والأفكار وتنميطها عالميا - أى وضعها فى إطار نمط معين - وفرض أذواق واحدة عن طريق سوق استهلاكية عالمية فى الفكر والسلوك بما يهدد الخصوصية الثقافية لأى مجتمع. صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية، التى يخوضها الغرب ضد هويات الشعوب وثقافة الأمم بهدف فرض هيمنة ثقافية واحدة وإخضاع العالم لسيطرة حضارة واحدة هى حضارة الغرب وثقافة الغرب

الاتجاه الثالث: وهو يرى أن الثقافة يمكن أن تُعَوْلَم، وأن العولمة الثقافية تسعى إلى الوصول لنمط جديد من الثقافة يقوم أساساً على التنوع الثقافى وليس الهيمنة الثقافية، وهذا النمط الثقافى يجمع الثقافات المختلفة فى بوتقة واحدة، بحيث تكون الثقافات الوطنية مزيجاً من ثقافة عالمية وثقافة محلية، وهو ما يدعو إلى فتح الأبواب على مصاريعها أمام التعاون الثقافى بين الدول، وتقليل الرقابة والعوائق التى تعترض سير المعلومات والثقافات عبر الحدود بغية الوصول إلى عالم بلا حدود ثقافية، كما هو عالم بلا حدود اقتصادية، حيث تنتقل الأفكار والمعلومات والاتجاهات والقيم والسلوكيات بحرية كاملة على الصعيد العالمى، وبأقل قدر من التدخل الحكومى بهدف ترسيخ قيم ثقافية رئيسية مشتركة تجمع الثقافات المحلية والعالمية فى بوتقة واحدة (*)

(*) اقرأ كتاب العولمة والاعتداد بالهوية للدكتور أحمد حسين عبدالمعطى من ص ٩٦ إلى ص ٩٩



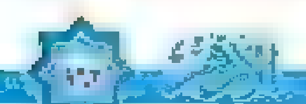
والذى نراه فى هذا الصدد، أن كلا من الاتجاهين الأول والثانى، لا يشكل أحدهما بديلا للآخر، وليس لواحد منهما أثر فى مستقبل ثقافة العولمة، وإنما هما أسباب فقط. لا يفضل كل منهما من ثقافة تحفظ للأمة خصوصيتها وإن كان الاتجاه الثانى يعود ليعترف تحت ضغط الواقع المشاهد، أن ثقافة العولمة تعنى خلق ثقافة عالمية عن طريق توحيد الآراء والأفكار، وتنميطها عالمياً، وفرض أذواق واحدة عن طريق سوق استهلاكية عالمية فى الفكر والسلوك بما يهدد الخصوصية الثقافية لأى مجتمع.. وهو ما يجعله قريب الشبه من الاتجاه الثالث، الذى يرى أن الثقافة يمكن أن تعولم، وأن الهيمنة الثقافية تسعى للوصول لنمط جديد من الثقافة يقوم أساسا على التنوع الثقافى، وليس الهيمنة الثقافية.. هذا الاتجاه يقوم أيضاً على حسن النوايا تجاه ثقافة الآخرين، الذين يملكون من آليات ووسائط التأثير فى الشعوب الأخرى ما لا يملكه غيرهم.

إذن، فنحن فى مواجهة «سلطة تكنولوجية» ذات منظومة معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، «وإنما تطرح حدوداً فضائية ترسمها شبكات اتصالية ومعلوماتية على أسس سياسية، اقتصادية، ثقافية لتقيم عالما بلا حدود يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على رغم تنوع رسائله التى تُبثّ عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة لتخاطب مستهلكين متعددى العقائد والرغبات.

«وتتمثل فى إجبار حكومات بعض الدول على الاهتمام ببعض القضايا والمشكلات العالمية مثل قضايا حقوق الإنسان والبيئة وغيرها. وهو الأمر الذى قد يؤثر فى السياسات الداخلية وصانعيها فى الدول المختلفة، وإضعاف نظم الإعلام الوطنية وزيادة تبعيتها للدول الغربية، التى لا تمتلك القدرات التكنولوجية والاتصالية الهائلة».(*)

وهو ما يدعونا لكثير من الحذر، حيث إن لنا من القيم والثوابت الدينية والأخلاقية ما لا ينبغى التفريط فيه أو الاستهانة به أمام الزحف الإعلامى الهادر، الذى نواجهه فى عصر العولمة، وهو ما سيكون موضع بحثنا فى المقال التالى إن شاء الله تعالى.

(*) المصدر السابق



كيف تخرج أمتنا من المأزق الحضاري

١

الدكتور محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

عندما نشخص حال الأمة، فنقول: إنها تعيش «محنة كبرى».. ثم نحاول «تقديم» رؤية عملية، منهجية متسمة بالواقعية، للخروج بالأمة من هذا المأزق الحاد والمرير، وذلك لإيقاظ الإنسان العربي والمسلم الغارق في «نوم اليقظة».. فإننا نحاول صياغة «دليل عمل» للنهضة العربية الإسلامية المنشودة، يرشد الذين يعملون في ساحة العمل لهذا المقصد النبيل، ويجتذب من في خارجها إلى هذه الساحة.

وحتى نجيب عن سؤال: كيف تخرج أمتنا من هذا المأزق الحضاري، الذي يأخذ منها بالخناق؟ لابد من معرفة الأسباب التي دفعت الأمة إلى هذا المأزق.. لأن علاج أسباب التراجع الحضاري هو السبيل إلى الإقلاع الحضاري من هذا المأزق الذي ترديا فيه.

لقد بدأت أمتنا طورها الحضاري العربي الإسلامي بنهوض وازدهار، تعلمت منه الدنيا، ولا نزال نباهي به حتى الآن، فلماذا حدث استبدال التخلف بالتقدم؟.. والجمود بالتجديد؟.. والأزمة بالانطلاق؟.. والقيود بالانعتاق؟

إن الوعي بأسباب التراجع الحضاري، وسمات استبدال أسباب التراجع بأسباب التقدم، هو الذي يضع عقولنا وأيدينا على المفهوم الصحيح والحقيقي لمقولة: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

فليس المراد الهجرة من الزمن الحاضر إلى الزمن الماضي.. وإنما المراد – الوعي بأسباب النهوض الأول، ومناهجه، لنسلكها سبلاً للنهوض الجديد المنشود.

لقد بدأ الإسلام بتحديد منهاجه في التغيير الكافل إخراج الناس من الظلمات إلى النور.. والذي يبدأ بتغيير النفس الإنسانية، وإعادة صياغة الإنسان بالإسلام

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

(الرعد: ١١)

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

(الأنفال: ٥٣)

فالتغيير – سواء في اتجاه التقدم والنهوض، أو في اتجاه التخلف والجمود – إنما يبدأ بالصياغة الإيجابية أو السلبية – للإنسان.

وعندما بدأ رسول الله ﷺ بأداء أولى الصناعات الإسلامية الثقيلة: صناعة الجيل الفريد، المؤسس للنهضة، نهض هذا الجيل بتغيير الواقع، وبناء الدولة، وتطبيق الشريعة.. ثم توالى التراكم المعرفي في علوم الدين والدنيا – الشرعية والمدنية – تلك التي كونت الحضارة العربية الإسلامية، التي غيرت وجه الدنيا ومجرى التاريخ.

وكان طبيعياً أن تأتي دولة الخلافة الشورية الكاملة والراشدة على النحو الذي جاءت عليه لأنها كانت صورة للجماعة التي أعيدت صياغتها بالإسلام.

لكن.. لأن النموذج الإسلامي – في الدين والدولة والحضارة – قد قام في مواجهة تحديات شرسة، مثلتها في ذلك التاريخ – بعد الشرك العربي – قوى الهيمنة الكبرى: الفرس والروم.. فلقد كانت الفتوحات الإسلامية لإزاحة الهيمنة الكسروية والقيصرية عن المحيط الإسلامي، ضرورة حياة لهذا النموذج الإسلامي الوليد.. وبسبب من عقيدة وروح الجهاد الإسلامي، كانت السرعة القياسية التي تمت فيها هذه الفتوحات، التي حررت الشرق من الفرس والروم.. ففي ثمانين عاماً فتح المسلمون أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون!

لكن هذه السرعة في الفتح – التي تمثل إيجابية – فضلاً عن كونها ضرورة سياسية – نفخر بها ونعتز.. قد أثمرت واقعاً سلبياً خطيراً.. وذلك عندما أدخلت في إطار الدولة الإسلامية، وفي رعيتها أمماً وشعوباً وقبائل لم تتم صياغتها وتغييرها وتربيتها بمناهج الإسلام.. فدخلت في باطن الجسد الإسلامي أشياء غريبة عن طبيعته ومزاجه وهويته الإسلامية.. وزاد من فعل وتأثير هذا «الجسم الغريب» الذي أدخل في باطن الجسد

الإسلامي، أن الإسلام قد قرر لرعيته الأمم والشعوب حرية الاعتقاد، وفقاً للمبدأ القرآني والقاعدة الشرعية

﴿لا إكراه في الدين﴾

(البقرة: ٢٥٦)

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾

(الكهف: ٢٩)

فبدأ الجسد الإسلامي، وأنموذجه في الدولة، يعاني من تأثيرات هذا «الجسم الغريب» الذي أدخلته سرعة الفتوحات في أحشاء النموذج الإسلامي قبل أن تتم إعادة صياغته وفق مناهج الإسلام.

وإذا تذكرنا دور الفرس في مقتل عمر بن الخطاب.. ودور ثوار الأقاليم والأطراف في مقتل عثمان بن عفان، ندرك دور هذا «الجسم الغريب» في أحداث الفتنة الكبرى، تلك التي انتهت بحلول الخلافة الناقصة، والملك العضوض محل الخلافة الشورية الراشدة، فكان النموذج الجديد صورة للواقع الجديد، كما كان النموذج الراشد صورة للجيل الفريد!

وتلك كانت بداية التراجع في تاريخ حضارة الإسلام.

لكن.. لأن علماء الأمة وفقهاءها - في جملتهم - لم يستنفدوا طاقاتهم في مصارعة «الدولة»، وإنما شغلوا أنفسهم بتربية الأمة، ونشر الإسلام ولغته، وصناعة الحضارة، فلقد امتدت الأمة وقامت التربية.. وازدهرت الحضارة، على النحو الذي جعل «الأمة» أعظم من «الدولة».. وكان البناء الذي تعلمت منه الدنيا، والذي نباهي به حتى الآن - بل ونعيش عليه - رغم الفتنة والفرقة والانحراف.

وإذا كان من سنن الظواهر التاريخية والتغير والحضارية - دائماً وأبداً - وجود مسافات وفوارق بين «المثال - النموذجي» وبين «الواقع - الممكن»، فإن غيبة الجيل الفريد - المؤسس - الذي تربى في مدرسة النبوة، والذي صنعه الرسول ﷺ على عينه، قد أعقبها تراجع تدريجي في نوعية ومثالية التربية والصياغة.. وواكب هذا التراجع زيادة حجم النوعية التي لم تتربّ تربية ذلك الجيل الفريد.. فأخذت شوائب البدع وثقافات وتصورات الديانات والفلسفات التي أدخلتها الفتوحات إلى داخل الساحة الإسلامية تثمر تشققات فكرية، وصراعات مذهبية، ونزاعات سياسية، وعصبيات عرقية وإقليمية، أخذت تغالب بغلوها الشعوبي أو الباطني أو النصوصي الحرفي وسطية الإسلام وأمته.. ولقد بلغت هذه التناقضات - أحياناً - درجة النزعات المسلحة، وأثمرت - في بعض الأحيان - تمزقات في وحدة الدولة من قبل الشعوب الواقعة في الأطراف.. فانضم الانشقاق على الخلافة المركزية إلى الشقاق على الوسطية الإسلامية، الأمر الذي هدد روابط وحدة الكيان الإسلامي ونموذجه الفكري تهديداً جدياً.

وصاحب تصاعد مخاطر تلك التهديدات خطران تعرض الصف إليها:

أولهما: انغماس كثير من العرب في الترف حتى وجه وأسبابه في غنى الأقاليم التي فتحوها.. فتحولوا من قوة جهادية خشنة وضاربة دون الدولة وفكريتها، إلى مواطنين شغلتهم شواغل الدنيا عن حياة الجهاد.. لقد انشغلوا بطيبات المباحة عن مكاره فريضة القتال!..

وثانيهما: استمرار وتصاعد التحديات الخارجية.. فالقسطنطينية - عاصمة الروم - ظلت تجيش الجيوش ضد الدولة الإسلامية.. ثم جاءت حقبة الحملات والغزوات الصليبية التي امتدت - باستعمارها الاستيطاني - قرنين من الزمان «٤٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١ م»..

وزاد من مخاطر هذه التحديات الخارجية ذلك الخطر الذي استعانت فيه الصليبية بالوثنية التترية، التي دمرت بغداد «٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م» واجتاحت المشرق الإسلامي، وهددت حتى الوجود الإسلامي، لولا أن شاء الله هزيمتها في عين جالوت «٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م»..

ولقد ألجأت حدة المخاطر - تمزقات الأقاليم واستقلال الأطراف.. وصراعات «الشعوبية» و«العصبية العربية».. وحدة الانقسامات الفكرية في العقل المسلم.. واشتداد الغزوات الخارجية على الأطراف، بل واجتياحها قلب دار الإسلام ومركز الخلافة.. ألجأت هذه المخاطر دولة الخلافة العباسية - منذ خلافة المعتصم العباسي «١٧٩ - ٢٢٧ هـ / ٧٩٥ - ٨٤١ م» إلى استخدام الترك المماليك قوة ضاربة للدولة، بحسبانهم الأكثر طواعية للخلافة من العرب ومن الفرس.. فلما تضخمت مؤسستهم العسكرية، أصبحت الخلافة لعبة في أيديهم، «فعسكرت الدولة».. وامتدت «العسكرة» إلى «الفكر»، عندما ضاقت الدولة بأهل العقلانية المؤمنة فأحلت محلهم «أهل الحشو» الذين لا يتجاوزون ظواهر النصوص.. وبدلاً من الوسطية التي كانت تجمع ما بين العقل والقلب، وتؤلف بين «الرأي» و«الأثر»، أثمر الصراع والفصام النكد بين الفقهاء والصوفية ثقافة «إسلامية» قاصرة أو مغشوشة، عرفنا فيها: فقهاء لا قلوب لهم.. وصوفية لا عقول لهم.. وفقها وقف عند شكل الشعائر والعبادات.. وتصوفا باطنيا منفلتا من ضوابط الشريعة وحدودها.

وإذا كانت دول العسكر - الزنكية «٥٢١ - ٦٤٨ هـ / ١١٢٧ - ١٢٥٠ م» والأيوبية «٥٦٧ - ٦٤٨ هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠ م» والمملوكية «٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م» قد حفظت الوحدة لأغلب دار الإسلام، ونجحت في كسر شوكة الغزوة المغولية، واقتلاع الاستعمار الاستيطاني الصليبي، فإن فقرها الفكري والحضاري

- بسبب غربتها عن لسان الإسلام وعقلانية فكريته - قد وقف بانتصاراتها عند ميادين القتال.. على حين نهض «الفرنجة» - بعد هزيمتهم العسكرية - حضارياً، فأعادوا كرة الغزو لديار الإسلام - بعد أن ضموا إلى قوتهم القاتلة عافية الثورة الصناعية والنهضة الأوروبية الحديثة.. فكانت دورة غزوة الخمسمائة عام التي لا زلنا نعاني آثارها حتى الآن.. فبعد اجتياح غرناطة «٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م» واقتلاع الإسلام من غربي أوربا، بدأ الفرنجة الالتفاف حول عالم الإسلام - عن طريق رأس الرجاء الصالح، وصولاً إلى جنوب شرقي آسيا ومنطقة الخليج - ثم ثنوا بضرب قلب العالم العربي بغزوة بونابرت لمصر والشام «١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م».

ولقد أضافت هذه الغزوة الغربية الحديثة إلى المأزق الحضاري الذي تعاني منه الأمة العربية والإسلامية تحدياً جديداً، هو تحدي «التغريب.. والاستلاب الحضاري.. ومسخ ونسخ وتشويه الهوية الإسلامية».. فأصبحنا نواجه مأزقاً حضارياً انضم فيه «التغريب الوافد» إلى «التخلف الموروث».. وعبر الصراع الفكري بين أنصار جناحي هذا التحدي - المقلدين لماضينا، الجامدين على تجارب الأسلاف.. والمقلدين للغرب، العاملين على صب نهضتنا في قوالب الآخر الحضاري - .. عبر هذا الصراع تخلق في واقعنا الفكري والثقافي والتربوي استقطاب حاد، أحدثت صراعاته تستنزف جل طاقات الفريقين، الأمر الذي أعجزهما - كليهما - عن تحقيق المشروع النهضوي الذي يبشر به، لأن الصراع الحاد بينهما جعلهما كلاعبي لعبة «شد الحبل» - التي لا غالب فيها ولا مغلوب - انتهت طاقات الفريقين فيها عند درجة «الصفر»!..

أما التيار الوسطي - الذي حاول تجنب غلو التقليد لتجارب ماضينا وغلو التقليد للنموذج الغربي الوافد - فلا يزال يعاني - مع عقبات الواقع ومشكلات النهوض - من معارك وصراعات واستنزاف الجامدين والمغربين كليهما!..

تلك هي قصة أمتنا وحضارتنا مع النهوض الأول.. ومع الأسباب التي حولت نهوضها وازدهارها الحضاري إلى هذه «المحنة» التي تأخذ منها بالخناق.

وإذا كان لهذه الصفحات - كما اجتهدت في تكثيف أسباب النهوض الأول، وأسباب التراجع الحضاري - أن تجتهد في الإشارة - مجرد الإشارة - إلى معالم النهوض الجديد المنشود، وسفر الإقلاع الحضاري المعاصر.. فإنها تذكر بما قلت من المعنى الذي الحاوية لقولة: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».. فسنن التقدم كسنن التراجع - إلهية لا تبديل لها ولا تحويل.

[illegible]

«النساء ١٢٣»

(يتبع)

الإعلام.. والحضارة الإسلامية

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم عويس
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

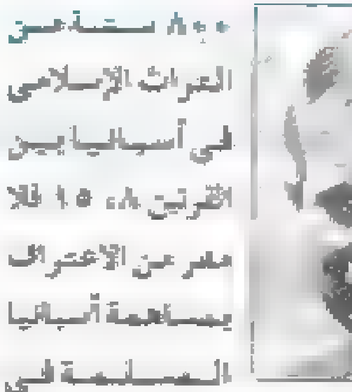
يعد موقف الإعلام الإسلامي من الحضارة الإسلامية دائرة أساسية في نطاق هذا الإعلام يجب أن يوليها اهتماما كبيرا

- ويؤكد المؤرخ العالمي الموسوعي «ول ديورانت» في موسوعته «قصة الحضارة» أن المسلمين عاشوا - من خلال حضارتهم المتفوقة - أساتذة العالم لعشرة قرون.

- والحق أنه لولا الحضارة الإسلامية لما كانت الحضارة الأوروبية، ولما دخلت البشرية عصر المعرفة

ولبقيت سادرة في ظلام العصور الوسطى.. فالإسلام وحضارته أحدثا تحولا في التاريخ الإنساني كله.. فبعد أن كان الإنسان عابدا للطبيعة أصبح مسخرا لها.. وبعد أن كان العلم يبغض فيه بواسطة رجال اللاهوت.. أصبح تحصيل العلم عبادة يتقرب بها إلى الله كما أصبحت قراءة الكون ومعرفة تجليات الله فيه عبادة متميزة

ويعترف الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا بفضل الحضارة الإسلامية الحضري على الحضارة الأوروبية، وذلك في كلمته التي ألقاها في جامعة «أكسفورد» في شهر أكتوبر من العام ١٩٩٣ م، حيث يقول: «وإذا كان الغرب يسيء فهم طبيعة الإسلام، ولا يزال هناك جهل كبير حول ما تدين به حضارتنا وثقافتنا للعالم الإسلامي، إنه نقص نعانيه من دروس التاريخ الضيق الأفق الذي ورثناه. فالعالم الإسلامي في القرون الوسطى من آسيا الوسطى إلى شاطئ الأطلسي كان يعج بالعلماء ورجال العلم، ولكن بما أننا رأينا في الإسلام عدوا للغرب وثقافته الغربية بنظام حياتها ومجتمعها، فقد تجاهلنا تأثيره الكبير على تاريخنا، فلنأخذ - مثلا - كيفية تقليلنا من أهمية





الأمير تشارلز

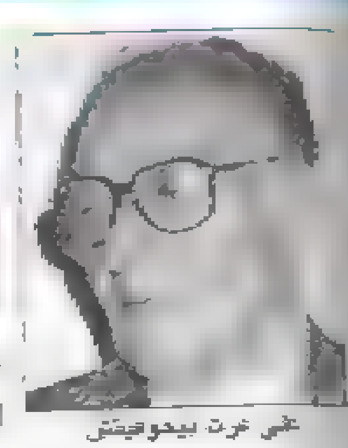
٨٠٠ سنة من التراث الإسلامي في أسبانيا بين القرنين ٨، ١٥ فلا مفر من الاعتراف بمساهمة أسبانيا المسلمة في الحفاظ على الدراسات الكلاسيكية في العصور المظلمة والانطلاقات الأولية لعصر النهضة، ولكن أسبانيا المسلمة كانت أكثر من مخزن للحضارة الإغريقية التي التهمها العالم الغربي المعاصر، إذ لم تقتصر أسبانيا المسلمة على جمع وحفظ المحتوى الثقافي للمدنيتين الإغريقية والرومانية فحسب، ولكنها قامت بتفسيرهما والتوسع فيهما، وأسهمت من ناحيتها في الجهد البشري في عدة قطاعات في العلوم والفلك والرياضيات والجبر «وهي كلمة عربية بحد ذاتها» والقانون والتاريخ والطب وعلم المستحضرات الطبية والبصرية والزراعية والهندسية المعمارية والفين والموسيقى.. لقد رعى الإسلام وحافظ على السعي وراء العلم والمعرفة.. وفي القرن العاشر كانت قرطبة أكثر مدن أوروبا حضارة.

ويقول الأمير «تشارلز» أيضًا: «كثيرة هي السمات واللمسات التي تعتز بها أوروبا الحالية التي هي فعلا مقتبسة من أسبانيا المسلمة: الدبلوماسية والتجارة الحرة، والحدود المفتوحة، وأساليب البحث الأكاديمية في علم أصل الإنسان، والإتيكيت والأزياء والأدوية البديلة والمستشفيات، فكل هذه وصلتنا من هذه المدنية العظيمة، وكان الإسلام في القرون الوسطى معروفًا بالحلم والتسامح عندما كان يسمح لليهود والمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية، واتخذ ذلك مثالا، لم يتعلمه الغرب لسوء الحظ لعدة قرون. إن الأمر العجب هو وجود الإسلام في أوروبا كجزء منها منذ أمد طويل، أولا في أسبانيا، ثم في البلقان، وكذلك مساهمته في حضارتنا التي كثيرا ما نعتقد خطأ بأنها حضارة غربية كليا.

■ المعطيات الحضارية للإسلام

إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع ميادين الجهد البشري، لقد ساعد الإسلام على تكوين أوروبا المعاصرة فهو جزء من تراثنا، وليس شيئًا مستقلا بعيدا عنا».

ومع ما في شهادة الأمير «تشارلز» من وضوح وشمولية تكفيان في بيان تألق الحضارة الإسلامية وفضلها على الحضارة العربية - إلا أننا نرى اللوحة تزداد تألقا عندما نضيف إليها شهادة المستشرق الدنماركي «جوستاف جرونباوم» حول المعطيات الحضارية للإسلام فيقول: «في ظل القيم الأساسية للإسلام يطرح الإسلام أسئلة جوهرية ثلاثة، ويقدم إجابته عليها وهي: كيف تعيش حياة صحيحة؟ وكيف تفكر تفكيرا صحيحا؟ وكيف تقيم نظاما صحيحا؟ ويجيب قائلا: ولقد قدم الإسلام أجوبة على هذه الأسئلة في التربية الصحيحة للفرد، والترتيب النسبي لمناشط الإنسان، وتحديد القصد



علي عزت بيجوفيتش

والمجال بالنسبة لسلطة الحكم أو ممارسة القوى السياسية. وكذلك بنى الإسلام نظاما لمقيم يتوازن الواجبات والحقوق في السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي وعلاقات الفرد بقرابته أو بالجماعة كلها

ولم تكن ثمرات الحضارة التي أرسى دعائمها الإسلام في حياة المسلمين مقتصرة عليهم وحدهم، بل تجاوزت حدودهم وبلغ تأثيرها غيرهم

لقد كان تأثير القيم الحضارية للإسلام عاما وشاملا ضمن ثلاث دوائر يكمل بعضها الآخر، وتؤسس في مجموعها منظومة متكاملة لبناء النموذج الحضاري الإسلامي، وهذه الدوائر الثلاث هي: «دائرة الإنسان، ودائرة المجتمع، ودائرة العالم».

ومن البديهي أن قيمة التوحيد هي القاعدة الأساسية للإيمان ولطبيعة الحضارة الإسلامية، فالإسلام يعطي مساحة واسعة لتوضيح صلة الإنسان بالخالق - عز وجل - من خلال التعريف به وصفاته وكيفية عبادته ودعائه، وتوجيه مشاعر الإنسان نحوه، وتتسم العلاقة بينهما بالحب والطاعة، خلافا لمشاعر الأمم الأخرى التي اعتبرت نفسها في صراع مع الآلهة التي اخترعها كاليونان، حيث نازعوا آلهتهم للحصول على أسرار الطبيعة، ولا زالت ورثتهم: «الحضارة الغربية» تعبر بـ«قهر الطبيعة»، و«موت الإله» في أدبياتها وفلسفاتها الحداثية.

■ الإسلام بين الشرق والغرب

ويجلي المفكر الإسلامي «علي عزت بيجوفيتش» رئيس جمهورية البوسنة والهرسك السابق - خاصية التوحيد الفارقة للإسلام فيقرر في كتابه القيم: «الإسلام بين الشرق والغرب»: أن الغرب بشقيه الديني والمادي - لم يفهم رسالة الإسلام، ولم يدرك طبيعته، فهو يقول: «إن موقف الإسلام الوسط» يمكن إدراكه من خلال حقيقة أن الإسلام كان دائما موضع هجوم من الجانبين المتعارضين: الدين والعلم.

فمن جانب الدين «اللاهوتي» اتهم الإسلام بأنه أكثر لصوقا بالطبيعة والواقع مما يجب، وأنه متكيف مع الحياة الدنيا.

ومن جانب العلم «المادي» اتهم بأنه ينطوي على عناصر دينية وغيبية.

وفي الحقيقة يوجد إسلام واحد فحسب، ولكن شأنه شأن الإنسان له روح وجسد.



رجاء جارودى

وفى مقابل حضارتنا الإنسانية التى سادت العالم لعشرة قرون تقدم الحضارة الأوروبية نموذجا عنصريا استعلائيا ماديا عزائريا تعانى منه البشرية أشد المعاناة.

ويعد المفكر الفرنسى المسلم «رجاء جارودى» من أكثر المفكرين الغربيين نقدا للحضارة الغربية ونموذجها عندما أعلن «انتحار» هذه الحضارة. وقال: «لقد انتحرت الحضارة الغربية بسبب أنه خلال القرون الخمسة المنصرمة لم تعد الحضارة الغربية إلحادية فحسب، بل أصبحت تتصف بالشرك: فالتمر والجنس والعنف والمال والقومية غدت غايات فى ذاتها، وبتعبير آخر أصبحت آلهة مزيفة لهذه الحضارة».

وهذا يعنى أن الزعم بدعوى «عالمية» النموذج الحضارى الغربى يتناقض مع تلك الدعوات المتعالية من بعض مفكرى الغرب الناقدين لحضارتهم والمطالبين بالبحث عن بدائل حضارية أخرى، فضلا عن ذلك فإن هذا الزعم ينم عن روح استعلاء تتقمص المروجين له وتتفق مع نظرة واضحة فى عقول كثير من الغربيين تؤمن بـ «مركزية» الغرب وتفوقه على «الآخرين».

- وهنا يجب على الإعلام الإسلامى أن يجاهد فى مجال التعريف بأيادى الحضارة الإسلامية على الإنسانية، وفى مجال بيان ما تقدمه الحضارة الإسلامية لعالمنا المضطرب اليوم.

وأول ما يعطيه الإسلام - بعد عقيدة التوحيد - أنه لا يفرق بين الناس بحسب ألوانهم وأعراقهم وأجناسهم وأزمانهم، حيث يقرر القرآن هذه الحقيقة الخالدة بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

ومن القيم الحضارية التى أرساها الإسلام: ضمان الحقوق الأساسية للإنسان، وعلى رأسها حرية الاعتقاد، حيث ينص القرآن على أنه:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

■ الانفتاح على الحضارات الأخرى

ويدعو الإسلام إلى العلم البناء الهادف لعبادة الله وبناء الحياة، ويعلى من شأنه على نحو فريد لا تجده فى أى دين آخر، فطلب العلم فريضة، والمسلم يدعو ربه قائلا:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

ويدعو الإسلام إلى العمل الصالح الذى تزكو به النفوس وتتوسع بسببه دوائر البر والتقوى عن طريق العلاقات الإنسانية. إنه العمل الذى يسعى للنفع ويزيد الثروة، ويحفظ كرامات الأفراد، ويصل بالأمة إلى غايتها من السيادة والسعادة.

وقد نظم الإسلام للمجتمع قواعد أخلاقية توفر له سياجا متينا يحفظه من الانحرافات ويقيه من المهلكات ويعالج ما قد يعتريه من مشكلات. وذلك من خلال يعطى التوازن بين هذا البعد الداخلى النفسى والتربوى، والبعد الخارجى القانونى.

ولم يكتف الإسلام فى نموذجه الحضارى بالإقرار العام بالمساواة بين البشر، وصيانة حقوق الفئات غير المسلمة فى المجتمع الإسلامى، بل غرس فى نفوس أتباعه مبدأ الانفتاح على الحضارات الأخرى والاستفادة من ثمرات العلوم والمعارف والتجارب الإنسانية السابقة منها واللاحقة.

وفى النهاية نؤكد أن هذا النموذج الحضارى الإسلامى - فى مواجهة النموذج الغربى - يجب أن يحظى باهتمام كبير من وسائل الإعلام كلها، فعليها واجب ضرورى هو: أن تقوم بتجلية معالم النموذج الحضارى الإسلامى، وبيان معطياته العديدة عبر إتقانها لوظائفها الاجتماعية المنوطة بها. وهذا - لا ريب - يحتاج إلى وعى بصير بالمهمة والأهداف، ورسم سليم للخطط والسياسات وتنفيذ محقق للبرامج والأعمال، ولابد من انطلاق ذلك كله من رؤية استراتيجية شاملة ومتكاملة يشترك فى صياغتها قادة الفكر والرأى وصانعو القرار السياسى وعلماء التربية والاجتماع وخبراء الإعلام.

■ إمكانيات المستقبل

ويبقى أن نشير إلى أنه فى ختام البحث الذى قدمته منظمة الإذاعات الإسلامية، قد انتهت إلى ضرورة أن ننظر إلى إمكانيات المستقبل أمام الإعلام الإسلامى بوجه عام، وعلى الساحة الدولية بوجه خاص، وذكرت أن هذا النظر يقودنا إلى ما يلى:

١- أصبح العصر يحتمل أكثر من نموذج حضارى، وفكرة سيطرة حضارة بالشكل القديم سوف تختلف فى القرن الخامس عشر الهجرى والصراع الحضارى حاليا صراع إعلامى قبل وبعد الصراع الاقتصادى والسياسى والعسكرى «والثقافى».

٢- إن فكرة الوسطية التى يقدمها الفكر الإسلامى حل إيجابى لأزمة التقدم المعاصر ولأزمة التخلف المعاصر أيضا.

٣- فالتقدم فى أزمته المعاصرة لن يجد الحل إلا فى فكرة الوسطية الإسلامية، لأنها ليست وسطية بالمعنى السلبى، ولكنها وسطية إيجابية «ديناميكية» وهذه ظاهرة لا يجوز أن تغيب عن ينظر إلى المستقبل إعلاميا. من



تهويد القدس

تحت عنوان «لا تفاوض مع الاستيطان والتهويد» كتب محرر «الجمهورية تقول» كلمته بعددها الصادر في ٢٨-٤-٢٠٠٩ يقول فيها:

كشفت الإذاعة العسكرية الإسرائيلية عن مخطط استيطاني جديد يبتلع ١٢ كيلو مترًا مربعًا من الأراضي الفلسطينية في محيط مدينة القدس المحتلة لبناء ٦ آلاف وحدة سكنية تضاف إلى مستوطنة «معاليه أدوميم» شرقي القدس، بما يسمح بقطع التواصل الجغرافي بين جنوب الضفة الغربية ووسطها لإضافة عقبة جديدة أمام إقامة الدولة الفلسطينية.

يقدم استمرار عمليات الاستيطان جنبًا إلى جنب مع مخططات تهويد القدس دليلًا جديدًا يؤكد عدم رغبة إسرائيل في السلام، وتخاذلها من المفاوضات وسيلة لكسب الوقت اللازم لنشر المستوطنات حتى لا تقوم الدولة الفلسطينية الموعودة، وتهويد القدس العربية وإدماجها في الشطر الغربي حتى يتم ابتلاع العاصمة المفترضة للفلسطينيين.

■ كما كتب محرر «الجمهورية تقول» كلمة تحت عنوان «التصدي بحسم لمخططات تهويد القدس» نشرت في جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ ١٢-٥-٢٠٠٩م يقول فيها:

تناقلت وكالات الأنباء تقارير لمنظمات إسرائيلية غير حكومية تكشف عن خطة سرية للحكومة اليمينية المتطرفة في إسرائيل لتعزيز قبضتها على القدس العربية المحتلة ضمن مخطط التهويد الذي بدأ تنفيذه على مر الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة منذ احتلال المدينة في عدوان يونيو ١٩٦٧.

أفاد أحد هذه التقارير منسوبًا لجماعة «أرعيم» أن حكومة نتنياهو تحرص على تطويق المدينة المقدسة بالحدائق والمزارات والأماكن السياحية التي تعكس ما تقدمه إسرائيل من التاريخ اليهودي للمدينة. وأكدت أن تنفيذ هذه الخطة يتطلب إبعاد الفلسطينيين المقيمين في هذه المناطق وإنهاء الوصاية الإسلامية على الأماكن المقدسة في المدينة.

إن المتطرفين المتعصبين الذين دفع بهم الناخب الإسرائيلي إلى قمة السلطة يسارعون إلى الإجهاز على عروبة القدس، مستغلين فرصة احتدام الخلافات العربية والإسلامية التي باتت تشكل تهديدًا خطيرًا ليس لمستقبل القضية الفلسطينية وحدها بل لسائر القضايا الأخرى التي تتطلب تضامنًا عربيًا وإسلاميًا يتجه للهدف الحقيقي، وهو إحباط المخططات التي يعدها المتعصبون المتطرفون في إسرائيل يحتجزون من الاعتراف بها.

القدس أعوام.. لا مجرد عام

تحت هذا العنوان كتب الدكتور يوسف نوفل في جريدة الأهرام الصادرة في ١١-٥-٢٠٠٩م مقالًا يقول فيه:

انطلقت تفاعلات الثقافة العربية الإسلامية مع إعلان القدس عاصمة للثقافة، متناسين أن القدس أعوام لا عامًا واحدًا، بل إنها عقود وقرون وتراث وتاريخ لن نحمله الناس، لكن التاريخ لن يحمله كما تحمله الإنسان، وزوره العصابات الفكرية، ولابد من مقاومة لمثل الإحتلال وتلك التزوير، لإظهار ما خفي، وإحياء ما مات، واستعادة ما نسيه أو تناساه، وذلك باستعادة ذاكرة القدس وإحياء ماضيه، لا بالخطب والشعارات، وإنما بنشره وإذاعته بين الناس بوسائل النشر التقليدية والإلكترونية الحديثة، ونقله وترجمته إلى لغات الأرض، تيسيرًا لاطلاع الناس عليه، ومن ثم الاطلاع على حقيقة التي لا مراء فيها، لا التاريخ المزيف الذي تحمله أجنحة الإعلام المعادي الضلال. ولو تم ذلك الشيوع بقدر الأرض في شتى وسائل النشر من الكتاب، والتلفزيون، والإنترنت لامتلك القدس ناصية الحديث عن منابر الأمم المختلفة، وصفحات وقنوات الإعلام الغربي والأمريكي آلاف الساعات. كل هذا يمكن تحقيقه بصناعة الحقيقة، ومن أمثلة ذلك «تاريخ القدس» مؤرخ القدس، وابنها الذي ولد وتربى بها، وكان كبير قضاتها مجير الدين العليمي ٨٦٠ - ٩٢٨هـ وهو الكتاب العمدة «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» والذي طبع بعمان ١٩٧٣، والذي حاز مكانته بين ما سبقه أو تلاه من كتب عن بيت المقدس، وقد عرض فيه تاريخ بيت المقدس وأسماء مدينة القدس وحدود بنائها، وآثار الأنبياء بها، وأحوالها، ورجالاتها عبر العصور، وما وقع فيها من أحداث، بما في ذلك أماكنها وحاراتها، ومزاراتها، وغزوها، إلى آخر ما هنالك من حديث تفصيلي، ما أكثر ما قاله الشعراء في القدس، وتغنى به الغربيون، وما أكثر ما حفلت الخطب بالتراكيب المنمقة، والعواطف المتأججة، لا ضير في ذلك كلية، ولكن التاريخ الإعلامي السائد المسيطر في حاجة إلى مواجهة متكافئة، ليست في إلهاب الأكف، وتأجيج المشاعر على نحو جزئي موقوت، بل في حاجة إلى مقارعة الحجة بالحجة في شكل الحوار الإعلامي على نحو ما نعرف من سياسات الإغراق التجارية، فالمعركة ساخنة، والنار مشتعلة، وفي هذا السياق ربما كان من الأجدى طباعة هذا الكتاب أو ما شابهه، أو تحقيقه، وهو كثير كثير، ولن يستعصي الاختيار على علمائنا ومؤرخينا وحبذا لو تمت إضافة الحواشي والتعليقات،

والملحقات. وخلافها مما نشر في هذا الكتاب أو في غيره وجُمع على يد أحد المتخصصين في تاريخ العصور القديمة والوسطى والحديثة لأن في صدور مثل هذه الوثائق التاريخية لا باللغة العربية وحدها بل بلغات الأرض ونشرها سيرا قديما وحديثا معا. ونحن نجاهد في أوسع نطاق ما يكون لسد دعمًا حيا متجددا لقضيتنا وتلك مهمة جليلة لا ينهض بها فرد. بل ينبغي أن تضطلع بها مؤسسات عربية كبرى على رأسها مؤسسة الرئاسة الفلسطينية وجامعة الدول العربية بمنظماتها المعنية. والمنظمات العربية والإسلامية المتعددة واتحادات الجامعات العربية والإسلامية. وبذلك تظل في الفضاء سفراء دائمين متحركين ناطقين بلغات الأرض يتسللون إلى الناس من كل مكان ويقتحمون بهم في كل حين. كما يخترقون آذانهم فرادى وجماعات صباح ومساء. وذلك أجدى في قضايانا وأنفع

الأسيرات الفلسطينيات

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ علاء الشيرازي المنشورة في جريدة الشروق بعددها الصادر بتاريخ ٢٩/٤/٢٠٠٩م يقول فيها:

تفيد إحصائيات صادرة عن وزارة الأسرى الفلسطينية أن قوات الاحتلال الإسرائيلي اعتقلت منذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن أكثر من عشرة آلاف مواطنة فلسطينية من بينهن قرابة (٨٠٠) اعتقلن خلال انتفاضة الأقصى وبقي منهن حتى الآن في السجون الإسرائيلية (٦٨) أسيرة.

ويقول عبد الناصر فروانة الأسير السابق والباحث المختص بشئون الأسرى إن بعض المناضلات يرتبط اسمهن بصورة وثيقة بحركة التحرر الوطني الفلسطيني. كان لهن دور مميز في العمل العسكري من المناضلة الشهيدة شادية أبو غزالة — وهي أول شهيدة فلسطينية عسكرية واستشهدت عام ١٩٦٨م، والمناضلة الشهيدة دلال المغربي والمناضلات الاستشهاديات هنه صراعة وهنادي جرادات وآيات الأخرس وعندليب الطكوات

وكشفت دراسة حديثة أعدتها مؤسسة مانديلا لرعاية الأسرى عن أن عدد الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال ٦٨ أسيرة يقبعن في سجني الدامون وتلموند منهن ٢٤ في سجن الدامون و٤٤ في تلموند و٢١ منهن متزوجات، ١٢ أسيرة لديهن أطفال خارج السجن.

ويبلغ عدد الأسيرات اللاتي تم اعتقالهن هذا العام ١٢ أسيرة، ثلاث منهن تم اعتقالهن مرتين وواحدة منهن تم اعتقالها بعد يوم من الإفراج عنها، وجميعهن من منطقة الخليل، وتوجد الغالبية العظمى منهن في سجن تلموند، ومنهن ٥ أسيرات قاصرات لم يتجاوز عمر أي واحدة ١٨ عاما. كما أن بينهن أرامل والعديد من الأمهات اللواتي تركن أطفالهن دون رعاية.

ويشير فروانة إلى أن الأساليب التي تتبعها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في اعتقال الفلسطينيين لا تختلف من الرجال إلى النساء فالاعتقال يصاحبه في كل الأحوال تعريض المعتقل للضرب والإهانة والترهيب والترويع

المحجبتان

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمود عيسى في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٣٠/٤/٢٠٠٩ يقول:

شهد شهر أبريل دخول أول مسلمة محجبة إلى البيت الأبيض، وكذا دخول أول مسلمة محجبة إلى المجلس البلدي في مدينة ... حيث اختار الرئيس الأمريكي باراك أوباما المصرية الأصل المولودة في حي السيدة زينب «داليا مجاهد» عضوا ممثلا للمسلمين في مجلسه الاستشاري لشئون الأديان والطوائف، وهي مؤلفة كتاب «من الذي يتكلم نيابة عن الإسلام؟... ما يفكر به مليار مسلم»

والمستند إلى أكثر من خمسين ألف مقابلة في أكثر من ٣٥ دولة مسلمة أو فيها أقلية مسلمة معتبرة، ليكون بذلك واحدا من أكبر وأشمل الدراسات المتعلقة بالعالم الإسلامي بينما دخلت الفلسطينية الأصل «أسماء عبد الحميد» مجلس البلدي الدنماركي كعضو رديف عن مدينة أودنسي — ثالث أكبر مدن الدنمارك — كما أنها أيضا عضو رديف في البرلمان عن حزبها في البرلمان. وهذه المصادفة السعيدة تعكس عددا من الدلالات المهمة، لعل أهمها هو وجود كوادر من ذوي الأصول الإسلامية في كل من أوروبا وأمريكا، يمكنها أن تلعب دورا قويا في تصحيح صورة المسلمين، والتعبير عن قضاياهم العادلة في الغرب الأوروبي والأمريكي إذا أتيحت لها الفرصة أو سعت هي بإخلاص لتحقيق هذا الهدف.

وثمة عبارات مبشرات نقلتها وسائل الإعلام على لسان كل من داليا وأسماء، تؤكدان هذه الدلالة، فقد قالت الأولى عندما سئلت في لقاء تليفزيوني عن الدولة الإسلامية التي سترشحها للرئيس الأمريكي كي يزورها فأجابت عنها بقولها: «سأنصحه بزيارة غزة فهي خير معبر عن حال المسلمين وما يتعرضون له من مذابح وقيود» فيما قالت الثانية للصحفيين: «أريد من الناس أن يقيموني على ما يوجد في رأسي وليس على ما يوجد على رأسي، وأن يقيموني على السياسات التي أدافع عنها وعلى أرائي، وليس على ما أرتديه أو على طريقة أدائي تحية السلام»

القضاء الإسباني.. وجرائم الحرب الإسرائيلية

كتب الأستاذ إبراهيم نافع مقالا — في عموده «حقائق» — المنشور في جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٣/٥/٢٠٠٩م يقول فيه:

قرر قاضي التحقيق الإسباني مواصلة النظر في الدعوى التي رفعها المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان ضد وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق بنيامين بن اليعازر، وستة من كبار القادة العسكريين بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وتتعلق بالغارة التي شنتها طائرات إسرائيلية مقاتلة في ٢٢ يوليو من عام ٢٠٠٢م على منزل بحي الدرج بقطاع غزة استهدف القيادي في حركة حماس صلاح شحادة، وتم قصف المنزل بقنبلة زنة طن رغم معرفة القيادة الإسرائيلية وجود مدنيين وأطفال في المنزل، وأن قنبلة على هذا الوزن سوف تدمر المنزل بالكامل، وتؤدي إلى قتل مدنيين أبرياء، وحسب المعلومات المتاحة من مصادر إسرائيلية، فإن عددا من القادة ممن قادوا القوات الجوية الإسرائيلية في ذلك الوقت

الجنرال دان حالوتس «بأن استخدام هذا الطراز من القنابل في قصف المنزل سوف يترتب عليه عدد كبير من القتلى من المدنيين. وأن الجنرال حالوتس لم يبال بالأمر، بل أصدر أوامره بتنفيذ العملية. فكانت النتيجة مقتل صلاح شحادة، و ١٤ مدنيا فلسطينيا من بينهم عدد من الأطفال. وقد تبادل القادة العسكريون التهنئة بعد تنفيذ العملية.

وقد مارست إسرائيل ضغوطا هائلة على عدد من الدول الأوروبية من أجل وقف النظر في الدعاوى التي رفعها عدد من النشطاء ومراكز حقوق الإنسان الفلسطينية والأوروبية. وحققت ما أرادت في بلجيكا، ويبدو أنها في طريقها لتحقيق النجاح نفسه في إسبانيا. حيث سبق للنيابة العامة الإسبانية أن أوصت في الثاني من أبريل الماضي بحفظ الدعوى مؤقتا على أساس أن إجراءات قضائية تتعلق بالقضية قد بدأت في إسرائيل. لكن القاضي فرناندو أندرو «تجاهل توصية النيابة العامة، وقرر المضي قدما في الدعوى على أساس أن السير في الدعوى يأتي من منطلق الاختصاص العالمي للقضاء الإسباني». ويرى الفلسطينيون أن مواصلة السير في الدعوى يمثل انتصارا رمزيا للشعب الفلسطيني. ويؤكد أهمية السير في هذا الطريق عبر امتلاك المعلومات والوثائق، والتعاطي مع المجتمع الدولي، بعيدا عن الصراخ والهياج.

■ الجدير بالذكر أن جريدة الخليج بعددها الصادر بتاريخ ٧/٥/٢٠٠٩م نشرت تقريرا إخباريا بعنوان «النيابة الإسبانية تجدد مطالبتها بحفظ التحقيق في اغتيال شحادة» يتضمن ما يلي:

جددت النيابة الإسبانية توصياتها بتخلي قاض إسباني عن التحقيق في الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة في يوليو ٢٠٠٢ الذي أودى بحياة ١٤ مدنيا فلسطينيا معظمهم من الأطفال والقيادي في حركة حماس صلاح شحادة.

وجددت النيابة مطالبها، معتبرة أن «الإجراءات القضائية التي تتخذها إسرائيل يجب أن تعتبر كافية» وأضافت «ليست هناك وقائع ومؤشرات وعناصر في قرارات المحكمة العليا في إسرائيل تشكل مساسا بمبدأي الحياد والاستقلال اللذين حددتهما المحكمة الجنائية الدولية».

ورأى القاضي أندرو - أن إسرائيل لم تجر «أي تحقيق حتى الآن من شأنه أن يتسبب بتضارب في الاختصاصات».

أنفلونزا الخنازير

تحت عنوان «الخطر.. والدعم الشعبي المطلوب» جاءت افتتاحية الأهرام المسائي الصادرة بتاريخ ٣/٥/٢٠٠٩م على النحو التالي:

لاشك أن خطورة وباء أنفلونزا الخنازير وتطوراته السريعة على مستوى العالم يحتاج تحركا مكثفا من جميع المؤسسات الحكومية والأهلية لمنع دخول المرض إلى مصر، والذي أصبح يهدد العالم بكارثة جديدة، خاصة إذا تطور إلى مستوى أكثر مما هو عليه الآن. ومن المؤكد أن التحرك الحكومي منذ الإعلان عن انتشار المرض في بعض الدول يعكس استشعار الحكومة بخطورة الوباء..

ويقينا أن الدور الشعبي في مواجهة الوباء يكتسب أهمية كبيرة لأن المواطنين يجب أن يكونوا على وعي تام بخطورة الوباء، وأنهم يجب أن يتعاونوا من أجل حماية مصر منه. وعدم تكرار بعض الأخطاء التي حدثت في مواجهة أنفلونزا الطيور التي كلفت مصر الكثير منذ دخول هذا الوباء حتى الآن.

ومن الأهمية تكثيف برامج التوعية الجماهيرية وإبراز خطورة الوباء على المواطنين، ومشاركتهم في حملات الوقاية لتوفير الدعم الشعبي للجهود والإجراءات التي تقوم بها أجهزة الدولة في مواجهة الوباء..

وفي هذا السياق تضطلع وسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني بدور مهم في توعية المواطنين بوعي الخطر والاستجابة للإجراءات التي يتم اتخاذها لحماية مصر.

«أمريكا وإسرائيل ومراجعة لن تحدث»

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ فرج مجاهد عبد الوهاب في جريدة المسائية الصادرة في ١٠/٤/٢٠٠٩م يقول:

لاشك أن انتشار أسلحة الدمار الشامل في منطقة الشرق الأوسط المثقلة بالخلافات والنزاعات يشكل خطرا لا تقتصر آثاره الوخيمة على دولها وشعوبها وإنما يتعداها إلى دول العالم وشعوبه فالشرق الأوسط يمثل محورا استراتيجيا له دوره الفعال في المجريات الدولية، وقد أدركت الدول العربية أهمية السلام لها ولغيرها من الدول وأسباب تحقيقه والمحافظة عليه منذ وقت مبكر وكانت مصر في مقدمة الدول التي وقعت على المعاهدات والاتفاقات الدولية التي تحظر انتشار أسلحة الدمار الشامل وفعلت ذلك في المحافل الدولية لاسيما على منبر الأمم المتحدة حيث لابد من إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل.

والذي يثير الدهشة أن أمريكا تنتهج سياسة مزدوجة تجاه دول الشرق الأوسط بهذا الخصوص، ففي الوقت الذي تصر فيه على إخضاع كل دول المنطقة لإجراءات الرقابة والتفتيش الصارم على منشآتها النووية وبرامجها لصناعة الأسلحة فهي لم تطالب إسرائيل ولن تطالبها بأي شيء من هذا القبيل واستجابت دول الشرق الأوسط وسمحت بالتفتيش النووي على منشآتها دون قيود أو شروط.

وسط كل هذا نجد رئيس لجنة الطاقة النووية الإسرائيلية يصرح أكثر من مرة بأن بلاده لن تتخلى عن خيارها النووي في تحد واضح وصريح لكل الأعراف والقوانين الدولية.

والبرنامج النووي الإسرائيلي من أقدم البرامج في دول الشرق الأوسط فقد تم تأسيس لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية في سنة ١٩٥٢م أي بعد أربع سنوات من قيام الدولة الصهيونية، ووضعت تحت إشراف وزارة الدفاع مباشرة وكان المسئول الأول عنها شمعون بيريز.

وشرعت إسرائيل في إرساء حجر الأساس لأهم وأكبر مفاعل نووي عندها في ديمونة عام ١٩٥٧م. والتاريخ في الحكومة الأمريكية في عهد الرئيس أيزنهاور تنبهت لذلك وحاورت مع إسرائيل لكن محاولاتها فشلت.

وفي ظل السياسة الجديدة والنظام الجديد لعهد الرئيس أوباما تفاءل البعض بإمكان أن تضغط أمريكا على إسرائيل والحقيقة أنني لست كذلك وعلى هؤلاء أن يراجعوا أنفسهم.

القوى الحزبية غير المشاركة في الكنيست الجديدة

تحدثت في المقال السابق عن القوى الحزبية التي فازت بعضوية الكنيست الجديدة، وهي ١٢ قائمة حزبية إسرائيلية، غلب عليها الطابع اليميني القومي والديني المتشدد.

أما في هذا المقال فسنلقي الضوء على القوى الحزبية التي أخفقت في دخول الكنيست الجديدة وهي ٢١ قائمة حزبية، لعدم تمكنها من الحصول على نسبة الحسم ٢٫٠٪ المؤهلة لعضوية المجلس النيابي في اسرائيل. ولقد حصلت هذه القوائم الحزبية الخاسرة مجتمعة على ١٠٣٩٠٤ أصوات. وبالتالي لم يكن لها حظ الانضمام إلى الكنيست الجديدة، اذ انه من أجل عضوية الكنيست يتعين على كل قائمة حزبية أن تحصل على ٦٧٤٧٠ صوتا كحد أدنى

ومن أجل استكمال ملامح صورة الحياة الحزبية في إسرائيل، في ضوء نتائج انتخابات الكنيست الثامنة عشرة الجديدة، نرى أنه من الواجب أن نستعرض فيما يلي، تتمة للفائدة، بيان ما حصلت عليه تلك القوى الحزبية التي أخفقت في الحصول على عضوية البرلمان الإسرائيلي، من أصوات، والوقوف على برامجها الحزبية حتى نعرف يسارها من يمينها، وتوجهاتها السياسية من القضية الفلسطينية:

١- قائمة حزب الحركة الخضراء - ميماد: وتضمنت هذه القائمة ١١٩ مرشحا برئاسة ميخائيل ملكيور، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٢٧٧٣٧ صوتا، وهي لا تؤهله لدخول الكنيست.

ويدعو برنامج هذا الحزب إلى السعي إلى تغيير جذري في الاهتمام بقضايا البيئة، وخلق مزيد من فرص العمل، وتشجيع الصناعة الخضراء غير الملوثة للبيئة، وتأييد الحل القائم على إقرار السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، على أساس مبدأ إقامة دولتين لشعبين والدعوة إلى التفاوض مع الفلسطينيين وكذلك مع سوريا وباقي دول المنطقة.

٢- قائمة حزب المتقاعدين: وتضمنت هذه القائمة ٢٦ مرشحا برئاسة رافي إيتان، وتأسس هذا الحزب عام ١٩٩٦، وحصل على ١٧٥٧١ صوتا، وهي لا تؤهله لدخول الكنيست.

ويدعو برنامج هذا الحزب إلى حماية حقوق المتقاعدين من أصحاب المعاشات، والمسنين في إسرائيل من خلال حماية حقهم في السكن، وتوفير الخدمات الصحية الجيدة لهم، والعمل من أجل حماية المقابر اليهودية، وتحديد الحدود السياسية التي تضمن الوجود الآمن لدولة إسرائيل.

٣- قائمة حزب عاليه يا روق: وتضمنت هذه القائمة ٩ مرشحين برئاسة جيل كوفتش، وتأسس هذا الحزب عام ١٩٩٩، وحصل على ١٣٤٣٢ صوتا، وهي لا تؤهله لدخول الكنيست.

ويدعو برنامج هذا الحزب إلى ضمان الحقوق الكاملة والمتساوية لكل فرد، ويدعم حرية الفرد وكذلك تشجيع التعليم العالي المجاني، والعمل على زيادة رواتب المدرسين، والحفاظ على جودة البيئة والدعم الحكومي للزراعة

٤- قائمة حزب الخضر: وتضمنت هذه القائمة ٣٣ مرشحا برئاسة بير فيستر، وتأسس هذا الحزب عام ١٩٩٧، وحصل على ١٢٣٧٨ صوتا، وهي لا تؤهله لدخول الكنيست

ويدعو برنامج هذا الحزب إلى إضفاء اللون الأخضر على البيئة لضمان مجتمع صحي، والعمل من أجل دفع عملية السلام بين إسرائيل والفلسطينيين والدول العربية

٥- قائمة حزب إسرائيل حزاقا «إسرائيل قوية»: وتضمنت هذه القائمة ٤٨

[illegible]

مرشحا برئاسة إفرايم سنيه، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٦٧٢٢ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست.

ويدعو برنامج هذا الحزب إلى العمل من أجل التفوق العسكري الإسرائيلي في مواجهة كل التهديدات الإقليمية، والتركيز على القضاء على التهديد الإيراني، والعمل من أجل إنهاء الصراع مع الفلسطينيين على أساس إقامة دولتين، وإقامة دولة رفاه اجتماعي تتمتع باقتصاد عصري.

٦- قائمة حزب صبار «حزب الشباب المولودين في إسرائيل»: وتضمنت هذه القائمة ٣٠ مرشحا برئاسة بوعاز طوبوروفسكي، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٤٧٥٢ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو برنامج هذا الحزب إلى النهوض بالشباب، وإصلاح جهاز التعليم من خلال تقليل كثافة الفصول وزيادة رواتب المدرسين، وتخفيض الرسوم الدراسية في مؤسسات التعليم العالي، وتوفير شقة لكل زوج شاب، والرقابة على قيمة الإيجار في المدن الكبرى.

٧- قائمة حزب كوح لهشبيع «قوة التأثير»: وتضمنت هذه القائمة ١٣ مرشحا برئاسة يوحاى دوفد، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٣٦٩٦ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو

برنامج هذا الحزب إلى تحقيق الرفاه الاجتماعي داخل المجتمع الإسرائيلي والعمل من أجل دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في مؤسسات التعليم العادية، وتأييد الخدمة الوطنية لكل من لا يقدر على أداء الخدمة العسكرية مثل العرب الذين يجب أن يعلنوا الولاء للدولة، وستكون الخدمة الوطنية شرطًا للمساواة في الحقوق، والعمل من أجل أن تكون إسرائيل دولة يهودية ديمقراطية، تهتم بكل مواطنيها بغض النظر عن الدين والجنس والعرق، وتأييد المفاوضات من أجل إقرار السلام

٨- **قائمة حزب دعم «حزب العمال»**، وتضمنت هذه القائمة ٤٠ مرشحا برئاسة أسماء إغبارية، وتأسس هذا الحزب عام ١٩٩٦، وحصل على ٢٦٤٥ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو برنامج هذا الحزب إلى دعم عملية السلام القائمة على الانسحاب الإسرائيلي من كل الأراضي المحتلة، بما في ذلك القدس الشرقية، وتأييد إقامة دولة فلسطينية مستقلة، والعمل من أجل المساواة في الحقوق الكاملة لكل السكان العرب في إسرائيل، والعمل من أجل ضمان مستقبل العمال عن طريق تأمين معاش يتيح للعامل حياة كريمة بعد إحالته للتقاعد، ومكافحة البطالة.

٩- **قائمة حزب إسرائيل المتجددة**، وتضمنت هذه القائمة ٩ مرشحين برئاسة ميخائيل نودلمان، وتأسس هذا الحزب عام ١٩٩٥، وحصل على ٢٥٧٢ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست

ويدعو برنامج هذا الحزب إلى تحويل إسرائيل إلى دولة للرفاه الاجتماعي، من خلال مكافحة الجوع والفقر بين سكان إسرائيل، وتوفير السكن الملائم للشرائح الفقيرة من خلال تشجيع المستثمرين على بناء وحدات سكنية صغيرة للمستحقين في المقام الأول، ثم بعد ذلك لكل من يرغب في الحصول على وحدة سكنية، والعمل على سن قانون لمنع رفع أسعار الوحدات السكنية، والعمل على إلغاء أقساط القرض العقاري عن المتقاعدين الذين حصلوا عليه بعد سن الخامسة والخمسين

١٠- **قائمة حزب «الناجون من النازية وخريجي عاليه ياروق»**، وتضمنت هذه القائمة ١٧ مرشحا برئاسة وحيد شيه طوف، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٢٣٤٦ صوتا لا تؤهله لدخول الكنيست. ويدعو برنامج هذا الحزب إلى المساواة في الحقوق، ودعم حرية الفرد، وتوفير حياة كريمة للناجين من النازية في إسرائيل، والحفاظ على جودة البيئة، وسن تعليم إلزامي مجاني يشمل أيضا الدراسات الأكاديمية، والحفاظ على حقوق الحيوان.

١١- **قائمة حزب ليدر**، وتضمنت هذه القائمة ١٦ مرشحا برئاسة ألكسندر ردكو، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٣، وحصل على ١٨٨٧ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست.

ويدعو برنامج هذا الحزب باعتباره يمثل المهاجرين الروس إلى توفير حياة كريمة لهؤلاء المهاجرين، والعمل على دمجهم في المجتمع الإسرائيلي من خلال برامج تعد لهم.

١٢- **قائمة حزب تسوميت**، وتضمنت هذه القائمة ١١ مرشحا برئاسة موشيه جرين، وتأسس هذا الحزب عام ١٩٨٣، وحصل على ١٥٢٠ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست.

ويدعو برنامج هذا الحزب إلى ضمان الأمن الكامل لدولة إسرائيل، والسلام مقابل السلام كشرط عقارض، ويعارض إعادة مرتفعات الجولان إلى سوريا نظرا لأهميتها الاستراتيجية. ويرى في التعليم قيمة أساسية في حياة الشعب اليهودي، ومن هنا يلزم التركيز على تعميق التراث اليهودي، وزيادة رواتب المدرسين، والاعتماد على إنتاج زراعي إسرائيلي فقط، والعمل على تحلية المياه وتحقيق الأمن الغذائي للشعب الإسرائيلي.

١٣- **قائمة حزب كوح هاكيسف «قوة المال»**، وتضمنت هذه القائمة ٧ مرشحين برئاسة يعلي ليفنجر، وتأسس هذا الحزب عام ١٩٩٦، وحصل على ٨٠٠٨ أصوات، لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو برنامج هذا الحزب إلى زيادة الميزانيات المرصودة للتعليم والصحة والبنى التحتية، والعمل على القضاء على التكتلات المصرفية، وتحديد نسب فوائد مناسبة للمودعين تشجيعا للادخار، وإلغاء الأحكام الصادرة ضد عملاء البنوك التي لا تلبي معايير الحماية، وخفض الأرصدة المصرفية، وإلغاء الحكم الجديد الذي يتيح للبنوك سحب رخصة القيادة.

١٤- **قائمة حزب حقوق الرجل في الأسرة**، وتضمنت هذه القائمة مرشحين فقط برئاسة يعقوب شلوسر، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٩٢١ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو برنامج هذا الحزب إلى المساواة بين الرجال والنساء في حقوق الأحوال الشخصية، وحقوق العمل، وحقوق التمثيل، والمساواة في التعليم والسكن وفرص العمل، والمساواة أمام القانون

١٥- **قائمة حزب «الإسرائيليون»**، وضمت هذه القائمة ٢٣ مرشحا برئاسة جدعون دورون، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٨٥٦ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو برنامج هذا الحزب إلى القضاء على مشاكل المجتمع الإسرائيلي، والحفاظ على هوية المواطنين الإسرائيليين، وصياغة طريقة انتخابات الكنيست على أساس المناطق الانتخابية، بحيث يكون المرشح على علم بمشاكل سكان منطقته، والمساواة بين الرجال والنساء في الحياة السياسية، والعمل على تشكيل حكومة مستقرة يكون أغلب وزرائها من ذوي الخبرة، وليسوا بالضرورة أعضاء كنيست.

١٦- **قائمة حزب أور**، وتضمنت هذه القائمة ١٩ مرشحا برئاسة يارون يدعان، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٨٩٥ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست.

ويدعو برنامج هذا الحزب إلى المساواة في الحقوق والواجبات لكل مواطن، والمساواة في التعليم في ظل وجود جهاز تعليمي واحد، والعمل من أجل تقليل كثافة الفصول الدراسية وتحسين أوضاع المدرسين، والعمل من أجل التدريس الإلزامي للغة العبرية واللغة العربية في كل المدارس، وتشجيع المتميزين في البحث العلمي في إسرائيل، والفصل بين مؤسسات الدين والدولة، والعمل من أجل سن قانون حرية الدين، وألا يكون هناك أي وضع قضائي للمؤسسات الحاخامية يلزم من لا يرغب في اتباع تعاليمها، وتأييد الاقتصاد الحر مع تدخل الدولة المحدود في النشاط الاقتصادي، وضرورة ترسيم حدود دائمة وواضحة لدولة إسرائيل، ويؤيد برنامج الحزب إقرار السلام الدائم مع الدول العربية المجاورة ومع الشعب الفلسطيني.

١٧- **قائمة حزب أحريوت «المسئولية»**، وتضمنت هذه القائمة ١٥ مرشحا

برئاسة يعقوف بجسلاي، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٨٠٢ صوت، لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو برنامج هذا الحزب إلى الحفاظ على استقلال دولة إسرائيل، وتبنى التراث اليهودي، والحفاظ على وجود أغلبية يهودية داخل إسرائيل ودعم العلاقة والتكافل بين اليهود في إسرائيل ويهود الشتات، واستمرار السيطرة على الأراضي اللازمة لضمان أمن إسرائيل مثل هضبة الجولان، وغور الأردن والأراضي الضرورية في يهودا والسامرة «الضفة الغربية»، والعمل على اتخاذ القرارات المتعلقة بحدود وأمن وهوية دولة إسرائيل.

١٨- قائمة حزب بريت عولام «تحالف أبدى»

وتضمنت هذه القائمة ١٧ مرشحا برئاسة كبرت حولان فور، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٥، وحصل على ٦٧٨ صوتا لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو برنامج هذا الحزب إسرائيل إلى العمل من أجل نشر السلام بين الجمهور الإسرائيلي، والحرص على علاقاتها مع جيرانها، وتوسيع نطاق الخدمة الوطنية على كل من لا يؤدون الخدمة العسكرية، والعمل على سن دستور يبنى على أساس القيم الرئيسية بتسجيل الزواج والطلاق والوفاة.

١٩- قائمة حزب ليف «قلب»

وتضمنت هذه القائمة ٩ مرشحين برئاسة أليكس تنسر، وتأسس هذا الحزب عام ١٩٩٩، وحصل على ٦٣٢ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست.. ويدعو برنامج هذا الحزب إلى تحسين مستوى المعيشة لجميع طبقات الشعب اليهودي في إسرائيل من حيث العمل والسكن والتعليم والصحة، ومساعدة من لم يحصلوا على مصدر دخل كاف، ومن لا يغطي المعاش نفقاتهم العادية.

٢٠- قائمة حزب لازوز

وتضمنت هذه القائمة ٤ مرشحين برئاسة يسرائيل شتركمان، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٨، وحصل على ٦٢٣ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست ويدعو برنامج هذا الحزب إلى العمل من أجل تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي والأمني، والعمل من أجل النهوض بالتعليم من خلال تقليل كثافة الفصول الدراسية وتأهيل المعلمين، والعمل من أجل سن قوانين لحماية البيئة، وتشجيع استخدام الطاقة البديلة، وتحلية مياه البحر لتوفير مياه الشرب للمواطنين الإسرائيليين.

٢١- قائمة حزب «محاربو المجتمع المتحدون»

وتضمن هذه القائمة ١٠ مرشحين برئاسة يحال أتكوروى، وتأسس هذا الحزب عام ٢٠٠٦، وحصل على ٦١١ صوتا، لا تؤهله لدخول الكنيست، ويدعو برنامج هذا الحزب إلى تحسين مستوى معيشة العاملين في إسرائيل، وتوفير فرص العمل، والمساواة في الحقوق، ودعم الأمن الشخصي والاقتصادي لكل مواطني إسرائيل، ودعم حقوق العائلات الصغيرة، ومحاربة الفساد، ومكافحة الجريمة، وكشف فساد السلطة، والدعوة للشفافية ودعم سيادة القانون.

والملاحظ للنظر في الختام - بعد العرض السابق للقوى الحزبية الإسرائيلية التي خسرت في انتخابات الكنيست الثامنة عشرة الجديدة - أن حزب «المتقاعدين وأصحاب المعاشات» الذي كان له ٧ مقاعد في الكنيست السابق عام ٢٠٠٦، لم يحقق في الانتخابات التشريعية الأخيرة، نسبة الحسم المؤهلة لدخول البرلمان الإسرائيلي «الكنيست»، وهو ما يراه رئيس الحزب بمثابة إعلان فشلا ذريعا للكتلة البرلمانية.

الشباب.. ووقت الفراغ
(رؤية إسلامية)

بقلم د/ محمد محمود العطار

الشباب عصب الحياة، وعماد نهضة الأمم، ومستقبلها في كل الميادين، وأساس رقيها وتقدمها. والشباب أساس البناء الذي تبدأ منه حركة الإصلاح، فإذا صلح الشباب صلحت الأمة، وإذا فسد الشباب أصاب الفساد الأمة.

ولقد أنعم الله على الإنسان بالوقت، ففاز من استغله في بناء حياته وسار على الطريق المستقيم، وخاب من هضمه بسلك طريق لا يقبله الله ورسوله ثم المجتمع. فعمر الإنسان هو وقته، وهو زمن يقضيه، ينفعه أو لا ينفعه، وما فات منه لن يعود.

فالوقت ركيزة الحضارة الإنسانية الفاعلة بكل أبعادها الروحية والمادية، ضائعه لا يعوض بأي وجه ولا شكل، لا يشترى، ولا يوفر فائته.

ويوجهنا القرآن الكريم إلى ضرورة استثمار الوقت الإنساني وتوجيهه بما يرضي الله وإلى صالح الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١٠، ١١).

وقد روى معاذ بن جبل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»(١).

إن كل شيء مفقود يمكن للإنسان أن يسترجعه إلا الوقت، فما من يوم ينشق فجره إلا وينادي مناد من قبل الحق: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد فاغتنمني وتزود مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

وتؤكد السنة النبوية على أهمية الوقت وضرورة استثماره: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(٢).

فيجب أن نغتنم حياتنا، فإن الله تعالى قد أخبرنا أن الموتى يطلبون الرجعة إلى الدنيا عند الموت لما رأوا من

(١) رواه الترمذي
(٢) رواه البزار والطبراني

قيمة الحياة، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾

(المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)

إن المرء مسئول يوم القيامة عن الوقت الذي قضاه، والعمر الذي عاشه في الحياة، فعليه أن يغتنمه بالعمل الصالح وبكل ما هو مفيد ونافع، قال تعالى:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(التوبة: ١٠٥)

ووقت الفراغ هو الوقت الذي يتجرد فيه الإنسان من المهام الملزم بقضائها مباشرة، أو غير مباشرة نظير أجر معين، أو هو الوقت الحر لدى الإنسان الذي لا يقضيه في أي نشاط لكسب عيشه فوقت الفراغ هو الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة الهوايات، والترويح، والتسلية، وتجديد النشاط بالرياضة والاستجمام.

ويعتبر وقت الفراغ من أهم التحديات الأساسية في حياة الشباب، إذ أن الفراغ لدى الشباب يطمر الوف الكفايات والمواهب ويخفيها وراء ركام هائل من الاستهانة والاستكانة، لذا فالتغلب على وقت الفراغ بعمل ما هو نافع قد يساعد على تكيف الشباب الذي يضيق بدراسته إلا عن طريق هواية يمارسها الفرد في وقت فراغه يمكن له أن يتخلص من الضيق الذي ينتابه ومن لم يقبل على العمل بجد.

فالفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية، فالنفس لابد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة تبلد الفكر وضعف العقل وقلت حركة النفس واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب، وربما حدث له أرادات سيئة شريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ.

قال الإمام ابن الجوزي: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل».

ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع فراغ الشباب الذي يتميز بقوة الغريزة والجدة.

وجاء في صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[٢]

مجالات شغل أوقات الفراغ:

يعتبر الفراغ عند الشباب أحد الأسباب الرئيسية لانحرافه نحو الإدمان وتعاطي المخدرات، فكثير من الشباب لا يقبل على ممارسة الرياضة لشغل أوقات الفراغ، فضلاً عن قصور الوعي الديني عند الشباب بسبب عدم قيام الدعاة بتوجيهه مما يؤدي بالشباب إلى الوقوع ضحية الأفكار والشعارات الخداعة. كما أن الفراغ الثقافي أمام الشباب وعدم توافر المكتبات العامة في الأحياء الشعبية كل هذا من شأنه أن يدفع الشباب إلى الانحراف والتعصب، لذا واجب أن توفر للشباب مجالات مختلفة لقضاء وقت فراغهم تحت إشراف الكبار مع إشعارهم بالحرية والاستقلال، وهذا يحول دون انحرافهم الخلقي، أو سقوطهم في شباك التطرف والتعصب الأعمى ومن أهم المجالات التي يمكن للشباب أن يمارسوها ما يلي:

القراءة:

قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾

(العلق: ١-٥)

تعد القراءة من أكثر أنواع النشاط استخداماً عند الشباب، فهي لا تكلف أي نفقات، كما يمكن للفرد أن يقضي فيها بعض الوقت خاصة وأن بعض الشباب يجد في القراءة ترويحاً عن النفس، لذلك فهو يفرق بينها وبين قراءة مواده الدراسية، إذ يعتبر المواد الدراسية عملاً بينما القراءة الترويحية تعد شغلاً مثمراً لوقت الفراغ.

النشاط الرياضي:

يعتبر النشاط الرياضي هو أحد المجالات الأساسية التي يتجه إليها الشباب في أوقات فراغهم ويجب عدم النظر إلى النشاط الرياضي على أنه مضيعة للوقت والجهد على نحو ما يحدث في مدارسنا للأسف ولكن يجب أن يؤخذ بجد. وأن يشترك الشباب في لعبة أو أكثر من أجل تصريف طاقاته الحيوية والانفعالية مثل مسابقات الجري وركوب الخيل والسباحة، وكلها رياضات تعلم الشجاعة والقوة والجرأة وتطرد الخوف والانطواء، قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: مر رسول الله ﷺ على نفر من أسلم يتنضلون (يتسابقون في رمي السهام)، فقال لهم: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً»[١].

النشاط الترفيهي:

يرتبط وقت الفراغ بالترويح عن النفس، ولكن الترويح عن النفس لا يعني الاستسلام للترف، ولكن يمكن للشباب أن يكتسب العديد من الفوائد من خلال ترويحه عن نفسه إذا مارس أي نشاط تثقيفي عن طريق الذهاب للمسرح أو مشاهدة برامج ثقافية في التلفاز، أو القيام برحلة هادفة.

النشاط الاجتماعي:

يميل الشباب بفطرته إلى تكوين الجماعات والصداقات، لذا يجب توجيه الشباب إلى ما هو صالح ومفيد مثل توجيههم إلى ألوان النشاط المختلفة بدلاً من قضاء أوقاتهم على المقاهي، كما يمكن إشراكهم في أنشطة تخدم الوطن مثل محو الأمية أو المساهمة في نظافة المدينة.

الإسلام.. ووقت الفراغ:

الإسلام دين يعرف قيمة الوقت وخطر الفراغ، ويقدر خطورة الزمن ويؤكد الحكمة الغالية «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك». وما فشت المنكرات

(١) رواه البخاري والترمذي وابن ماجه

(٢) رواه الحاكم في المستدرك



وازدادت حدة العصبيات ولا انتشرت الجرائم إلا بسبب ازدياد نسبة الفراغ لأنه يفتح على الشباب أبواباً عديدة.

ولقد عنى الإسلام بالشباب، ونبه على أهمية رعايتهم وتربيتهم على أساس الإيمان بالله ومراقبته وطاعته وطاعة رسوله، وتزكية نفوسهم بالعلم، وتوفير القدوة الصالحة، وإبعاد صور الفساد عن طريقهم، فالشباب هم قوة الإسلام، ولقد تناول الإسلام مشكلات الشباب جميعاً.

والجهد الإسلامي لحل مشكلة وقت الفراغ بين الشباب ينبغي أن ينصرف باتجاهين: فكرى، عملي

والجهد الفكرى يتعلق بتصحيح المفاهيم المتعلقة بالوقت في حياة المسلم وملكيته، وكيفية تقسيمه وحدود حرية التصرف فيه، من خلال عدة محاور:

– ترسيخ معنى ملكية الوقت (العمر) لله تعالى، وأن الإنسان مستخلف فيه.

– تكثيف وترشيد الفكر الإسلامي في موضوع وقت الفراغ (الترويح) بما يكشف للشباب المسلم بأن وقت الترويح هو جزء من نسيج البناء الاجتماعي للأمة، وحلقة من حلقات عطائها الاجتماعي والحضاري وليس مهدراً، أو وقتاً زائداً عن الحاجة.

– توسيع آفاق التصور لدى الشباب المسلم، فيما يتعلق بمفهوم العبادة في الإسلام، لأن هذا سيضفي على كافة جزيئات النشاط الإنساني نوعاً من القداسة، بما في ذلك وقت الترويح إذ يشعر الإنسان المسلم إن ما يقوم به من نشاط ترويحي هو عمل مقدس يثاب عليه إذا أحسن، وقد يجازى إذا أخطأ وانحرف.

والجهد الإسلامي العملي لحل مشكلة وقت الفراغ بين الشباب فهو الذى يرجع إلى السيطرة العملية على النشاط الترويحي في المجتمع، وذلك باعتبار أن وقت الفراغ يرتبط ارتباطاً متلازماً بمسألة الترويح ومن ثم فإن معالم هذا النشاط الترويحي هو:

– أن يكون النشاط الذى يمارسه الشباب في وقت الترويح، داخل في حيز الإباحة الشرعية، ولا يكون من المحرم شرعاً عمله.

– أن يكون نوع النشاط الترويحي يعزز قيم الانتماء إلى الأمة ويمهد للشباب طريق الاعتزاز بدينهم وشخصيتهم الحضارية.

– أن يكون النشاط الترويحي متصلاً وظيفياً بالهموم المستقبلية للأمة بحيث يكون وقت الترويح محققاً ومشاركاً في تقريب الأهداف الاستراتيجية للأمة

إن الشباب هو فترة البذل والعطاء والجهاد، والشباب هو الفرصة الذهبية في العمر كله، فمن استغل شبابه فيما ينفعه فاز ونجا، وأظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومن ضيع شبابه في الشهوات والملذات خاب وخسر، إن مات فجأة ندم، وإن هرم ندم، لأنه إن مات انقطع عمله، وإن هرم انحنى ظهره، وضعف قدمه، وضعف سمعه وبصره، فلا يقوى على ما يريد من الأعمال الصالحة إن أرادها.

(٤) رواه البخاري وأحمد وابن ماجة

رجل من أهل الجنة

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

هذه مؤهلات واحد من البشر حلو الخصال، كريم السجايا، لين العريكة، جميل الأخلاق، وضع قدمه على الطريق الصحيح، حتى قوى عوده وزرع فحصد، وما فعل ... إلا انسجاماً مع فطرته السليمة التى فطر الله الناس عليها ودعاهم إليها ليفوزوا في الدنيا والآخرة، ويعمروا ... السعادة في الدارين. إنه واحد من الصحابة، حدث رسول الله ... صحابته الكرام عنه وهم جلوس وهو ﷺ يوسعهم تشع أنواره عليهم ويسطع لألاء حكمته وهو يحدثهم ... «يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة». ليدخل عليهم رجل قد علق نعله بإصبعه ولحيته تقطر ... ويتكرر ذلك المشهد المهيب مرتين بعد ذلك أو ... ، فيستثير همة الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو وقد تاقت نفسه إلى أن يسمو تلك المكانة الرفيعة تشبهاً بذلك الصحابي الذي أنبأه رسول الله ومبلغ الإيمان عن حظه الخلد وجنة الرضوان فيتجه ابن عمرو ويقول: ... إني لاحيت أبي فحلفت على أن لا أبيت في بيته ثلاثة ... فهلا استضفتني هذه الأيام عندك، فيستضيفه الصحابي في منزله ويشرع الضيف في مراقبة ذلك ... مراقبة تستمر كل دقيقة بل لا تضيع لحظة تمضي فيها بذلك العبد المخلص، ولكن ما أدهش ابن عمرو وأوقعه في حيرة يرجو منها خلاصاً أن ذلك الرجل لم يكن يأتي بشيء غير عادي، كل ما كان يفعله هو أنه يصلي الصلوات الخمس ويذكر الله ويؤدى ما أنيط به من واجبات وما تحمل من مسئوليات أسرية واجتماعية لافرق بينه وبين غيره من الناس سوى أنه كلما تقلب في فراشه ذكر الله واستغفره. فلما مرت الليالي الثلاث وأخفق ابن عمرو في استجلاء السر الذي سعى في طلبه لم يغلق نفسه من أن يبدي للصحابي ما قد أخفاه عنه، وصارحه أنه لم يكن بينه وبين أبيه خصام، وإنما دفعه لما قام به ما سمعه من إخبار رسول الله ﷺ عند دخوله بأنه من أهل الجنة، وهو ما أدهش الحضور من الصحابة الأماجد وأن ذلك حدث أكثر من مرة، فإذا بذلك الصحابي الجليل يحدث ابن عمرو بما سعى سعيه ليكتشف السر في استحقاق الصحابي الجليل تلك المنزلة الرفيعة. فيخبره الصحابي السر ويقول: إني حينما آوي إلى فراشي لا أحمل لأحد حقداً ولا ضغينة ولا غلا ولا حسداً، وحينما أضع رأسي على وسادتي أتمنى الخير لكل الناس، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1] فيبارك له ابن عمرو قائلاً: تلك التي أوصلتك وتلك قاصمة الظهر فحافظ عليها، ويوصيه ويؤكد عليه الوصية.

[1] صحيح البخاري كتاب الإيمان.



قراءة في كتاب

علي الجارم

فصل الخطاب

رجل ينتمي إلى عصر تتضح فيه معالم الجمال؛ حيث كانت اللغة الفصحى في ثوبها القشيب يتغنى بها رجال أحبوها، فكان ممن نظموا فيها قصائد تضارع تغريد الطيور في أنغامها وتزيد عليها بما حوته من فصوص الحكمة.

وهو بعد ثالث ثلاثة حملوا ألوية الشعر في ذلك العصر الجميل، أما أحدهما فحمل لقب أمير الشعراء، وأما الآخر فحمل لقب شاعر النيل، وفاز هو بلقب «شاعر العروبة والإسلام».

وهو الذي قال:

يا بنتي إن أردت آية حسن
وجمالاً يزين جسما وعقلا
فانبذي عادة التبرج نبذا
فجمال النفوس أسمى وأعلى
يصنع الصانعون وردا ولكن
وردة الروض لا تضارع شكلا

إنه الشاعر الكبير علي الجارم، الذي تعرض لهجوم خرج عن إطار النقد الموضوعي، فكان أحد الأسباب الداعية لتأليف كان هذا الكتاب.

مؤلف الكتاب:

هو الأستاذ الدكتور أحمد علي الجارم الأستاذ المتفرغ بكلية الطب بجامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومقرر لجنة المصطلحات الطبية به، ولد في ٢٢ من فبراير عام ١٩٢٨، وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة عام ١٩٥٠، وحصل على دكتوراة في الأمراض الباطنية عام ١٩٥٨ وابتعث إلى لندن عام ١٩٦٢ في بعثة علمية لما بعد الدكتوراة.

له العديد من الأبحاث العلمية نذكر منها:

«الأمراض المتوطنة في أفريقيا وآسيا».

- والمرض عند الدخل الجارية والأمراض المعدية بالإنجليزية.

ومن مؤلفاته الأدبية:

الجارم في ضمير التاريخ

- الجارم في عيون الأدباء.

الجارم تاثرا وغيرها

بالإضافة إلى هذا الكتاب الذي تناوله بالعرض.

ويتمتع المؤلف بعضوية العديد من الهيئات العلمية منها معهد تيودور بلهارس - أكاديمية نيويورك للعلوم، وحدة أمراض الكبد ووحدة مناظير الجهاز الهضمي بكلية الطب جامعة القاهرة، ورئيس شعبة الأمراض المتوطنة والمعدية بالجمعية الطبية المصرية.

حصل المؤلف على جائزة الدولة للإبداع في العلوم الطبية.

■ صدر الكتاب عن الدار المصرية اللبنانية، ويقع في ٣٩٠ صفحة مقاس ١٧سم × ٢٤سم.

وعن أسباب تأليف هذا الكتاب يقول المؤلف ص ١٧: «وتمر الأيام والسنون، والنهضة الأدبية في مصر، والتي قامت على أكتاف «الجارم» وأضرابه يعرفها الجميع ويتدارس العلماء والمتخصصون كيف هذا الشعور - الذي كاد يلحق باللغة العربية ذاتها - فرأيت أن أسهم في هذا الجهد بأن أقدم لهم السيرة الذاتية لهذا الشاعر العظيم، والعالم الفذ، سنة إثر سنة، مسجلاً ما قام به من جهد خارق في سبيل اللغة العربية الشريفة، لغة القرآن الكريم، وكان ذلك ليس فقط لأنه والدي الذي عايشته عن كثب هذه الفترة الطويلة سواء في حياته أو بعد مماته ولكن لأهداف عدة أخرى أسمى من ذلك وأرفع شأناً؛ منها الصدق والشرف والحق والقيم السامية».

- أحمد علي الجارم

ومن أسباب تأليف هذا الكتاب - أيضاً - أن يرد على من أساءوا إلى أبيه حيث يقول ص ١٨:

«كما أردت أن أسجل مؤامرة الصمت والتعتيم على «الجارم» بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، كما أوردت بعض نماذج للذين حقدوا على «الجارم» أثناء حياته غيرة وحسداً، وكان على رأسهم - وللأسف الشديد: الدكتور طه حسين، ثم الدكتور زكي مبارك، ثم الدكتور بشر فارس غفر الله لهم جميعاً.

علي الجارم شاعر مصر الكبير من المهد إلى اللحد

يتصدر هذا الفصل صورة شهادة النسب النبوي الشريف لعائلة الجارم ص ٢٥، ويبدأ هذا الفصل بذكر عام ١٨٨١م الذي ولد فيه الشاعر، ثم ينتقل المؤلف إلى سنة ١٨٩٥ التي



نظم فيها على الجارم أول قصيدة له عن وباء الكوليرا.

وتراه قد وفق أيما توفيق – وهو ما يزال بعد في سن مبكرة – حين رفض التشبيه الشائع لميكروب الكوليرا «بالوباء» وشبهه «بالمتعجل» وقد رآه يحصد الأرواح حصداً، إذ يقول:

أي هذا (الكروب) مهلاً قليلا

قد تجاوزت في سراك السبيلا

لست كالوباء أنت كالمتعجل الحصا

د إن أحصدوا الك السنبلا

ما غلبت النفوس بالعزم لكن

هكذا يغلب الكثير القليلا

والشطر الأخير يوضح إلمام الشاعر – وهو ابن الرابعة عشرة – بالكثير من المعلومات البيولوجية عن الميكروبات وطريقة تكاثرها وكيف أنها تنتصر بكثرة أعدادها الهائلة داخل الجسم.

ويتضح في هذا الفصل الجهد الكبير الذي بذله المؤلف في ترتيب ما كتبه الشاعر سنة بعد سنة وهو ما أوضح بشكل كبير المراحل التي مر بها الجارم إلى أن وصل إلى مرحلة النضوج والإبداع، وهو أمر يحمد عليه المؤلف. ولعل انصهار الشاعر بقضايا وطنه واشتراكه الدائم في المناسبات هو ما ساعد المؤلف على إنجاز هذا الترتيب، ونأمل أن ينشط أحد الباحثين لعمل دراسة عن هذا التطور البلاغي عند الجارم فيخرج منها بالكثير.

ولعل القارئ يوافقني الرأي حين يقرأ ما كتبه الشاعر بعد ذلك بثلاثة أعوام، أي في عام ١٨٩٨، حين زار الفيوم في الإجازة الصيفية بصحبة أبيه الذي كان يعمل قاضياً شرعياً لمديرية الفيوم، فيتأثر الشاعر بالفيوم وبأهلها ويحسن معاملتهم له، فيقول:

سأذكر الفيوم إني ذاكر

عهدكم والذكر في العهد وفاء

وهو ما يؤكد أن الشاعر قد كتب هذه القصيدة بعد أن ترك الفيوم، وألجأه الشوق إلى التذكر والوفاء، حيث كتبها في نفس العام بعد عدة أشهر – مثلاً – فهنا يستحق الوقوف أمامها لإجراء مقارنة بينها وبين قصيدة الكوليرا على ما بينهما من زمن قصير، لنجد قفزة كبيرة لصالح هذه القصيدة وبخاصة حين يقول في وصف جمال الفيوم:

هي في الأمس سواها في غد

وهي في الصبح سواها في المساء

بعد ذلك بعامين يخطو الشاعر خطوة واسعة ليتغنى في مصر قصيدة مطلعها

طريق العلا وعر، مقيته الجد

وهل يجتني من غير تعب شهده

ومنها

غد المعالي نحو مجدي ركابها

وحدث إذا كنت تعزى عنه

وهو يذكرنا بفخر الشعراء الأوائل في عصور الشعر الزاهر حين قال قائلهم:

ونشرب إن وردنا الماء صفواً

ويشرب غيرنا كدراً وطيناً

في قفزة تلك التي قفزها الشاعر خلال عامين فقط!

وبعد عام واحد أي في عام ١٩٠١ تزداد قفزات الشاعر الواثبة أو قل ارتقاء الشاعر في سلم الشعر فيكتب قصيدته وإلى الأستاذ الإمام، وقد زادت الحركة التي يحركها الشيخ محمد عبده في المجتمع فيحرص على المقاطع عنه يقول:

عدوت فأرددت بين الناس معرفة

والنجم يعلو فيبدو شبه مفقود

ولنا أن نتأمل دقة التعبير في هذا البيت الذي يصف علو الإمام حتى أصبح علماً بين الناس، فإذا دفعه طموحه للسعي إلى مزيد من الارتقاء، كان السبب في بعده عن مدى عقول الناس فأصبح في نظرهم شبه مفقود!!

■ إن روح المحافظة عند النص الوامقة بالقوة من حين لآخر عندما كانت في ثوب الاحتشام بل هي مشتقة من مطالب الشرع الحنيف، تروح تلازم به قلبه ساكنة عند ساعة والتعالة تالحة عن رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح والتابعين الأطهار يحفظ لنا التراث منها الكثير. ولا يفقد شاعرنا الكبير هذه الروح الرحة بل نرى ما يتألق في شعره في عام ١٩٠٧ حيث يقول:

في رمضان غير أن سرت

يريدونه صوماً تضيق به النفس

صوم صوم المسلمين بيارد

وصوم النصارى حينه تعرب الشمس

ولا شك في هذه الدعابة تشفي ما تسوء عني من يقدم صائمين فطاراً يخلو من اللحوم، لكنه أضاف إلى صومهم عن الطعام صوماً آخر هو صوم النصارى عن كل ذي روح ويترك الترتيب الذي التزمه المؤلف في كتابه لنسير مع الدعابة وروح الشاعر المرحة فننتقل إلى عام ١٩٢٤ حيث يعود الغد إلى أقصاه وما أقساه حين يصف شيخاً متصابياً يقول:

شيخ تولى أخذ الصبا

يمشيه نحس وبات القلود

يتغازل إذ يغازل من قيام

وإن صلى يصلي من قعود

وهو هنا لاذع لكل من سعى إلى الحياة بقوة فإذا سعى إلى الآخرة لازمه الفتور!!

ونقفز قفزة أخرى إلى عام ١٩٣٠، فاصطيد طرفة أخرى من شعر ذلك العملاق الكبير لتستبين روح الدعابة والفكاهة التي لا تفارقه حتى وهو يرد على بعض المتفقهين عليه حيث يقول:

تبـا لمـه مـن قتيل

ضعفاً ورزحاً وطيبة

لو كان من قسوة سرح

لما ركبت السفينة

ورحم الله شاعرنا الكبير وغفر له، كان الأجدر به أن يقول: فعاجلت وكوب السفينة أو قريباً من هذا المعنى، لأن الثقلاء لابد أن مكانهم خارج السفينة، ولكنها روح الدعابة حكمت هذا الموقف بأن يترك له المكان دون النظر إلى الدقة.

ونختم هذه اللطائف بما قاله عام ١٩١٢م وهو في طريق عودته من بعثته بإنجلترا إلى بلدته وشيد مارا بمدينة دمنهور ولم تكن في حالة طيبة فقال:

لما مررت دمنهوراً وليت بها

بحراً من الطين لا ينفك مسجورا

سبحانك اللهم تحيي الخلق من عدم

وما تركت دمنهور دمنهورا

والطرائف والنوادر في شعر الجارم ونثره ليست بالشيء القليل وهو ما دعا الأستاذ عباس محمود العقاد إلى أن يقول: (كان الجارم زينة المجالس كما كان يقال في وصف الظرفاء

من أدباء الحضارتين العباسية والأندلسية، تجلس إليه فتسمع ما شئت من نادرة أدبية أو ملحة اجتماعية أو شاهد من شواهد اللغة أو نكتة من نكت الفكاهة، ولا تدري كلمة تهيأ لكلامه فإذا أنت سامع بعد هنيهة لقد ترقب النكتة فتسمع العامية وقد تسأل عن الشاهد فتسمع (الفكاهة) التي لا تعثر كما يقول فقهاء البلد.

وتعود مرة أخرى إلى عام ١٩٠٧ نستكمل ما بدأناه فنقف عند قول عباس محمود العقاد: إنما ترى عليا برقه ودعابته حينما نسمع حنينه إلى الشباب في قوله:

هات عهد الشباب إن غاص في الما
ء وإن غاب في السماء المهينة

ما أراني من غيرة غير ثوب
ضمه أردانه عمي علاته

رب شيخ في غرة الطفل حتى
ويراه الرهبان من أمواته

وفي عام ١٩٠٨ يحصل الجارم على شهادة دار العلوم، ويتم إيفاده إلى إنجلترا باعتباره أول الخريجين، ويرتدي الزي الأفرنجي ويضع القبعة على رأسه شأن الإنجليز، ويرسل إلى والده صورته في هذا الزي ومعها يقول:

ليست القبعة بمبعدنا
عن الأوطان معهد الشجون

إن هي غيرت شكلي فإني
متى أضع العمامة تعرفوني

وهو يلفتنا إلى قول الشاعر سحيم الرياحي:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني



العقاد

ونستقل إلى عام ١٩١٠ حيث يستقبل الشاعر لزيارة عمي بقوة مبصرًا عندما لقي الفلاة شاعر شعث تكالف الشباب في لقاء نشاه غيرة يقول:

ضرب عمري في شباب عند
عمي فلا يشكو ولا يبتدئ

لقد بسمة لها به تنكسر
حين يحط في الفلاة ويعنه

فغادة الأعمى لسرور راءة
في توجه خطوة بسرعة

وكم تخلد الشوقي إلى التذكر وإذا لأهل تيود فقد عاوده الحنين إلى بلده في إنجلترا فنظم في عام ١٩١٥ قصيدة من أروع ما يقال في الحنين ومن أصدق الشعر الوجداني رجع فترة كبيرة من فترات الجارم في عالم الشعر إذ يقول:

طائر يشدو على فنن
جدد الذكرى لذي شجن

كان لي إلف فأبعده
قدر عني وأبعدني

فاسمه الدهر أذكره
وهو مد الدهر يذكرني

وفي عام ١٩٢٦م يكتب قصيدة (الحب والحرب) والتي افتتحها بقوله:

ما نقصت ملاحظة الحسان
وسلوت كل مليحة إلا

ونسجل هنا تعليق شيخنا الكبير المبجل الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي على هذه القصيدة إذ يقول:

«كان والعاصم للشاعر تعصمه الفحولة عن كل شبهة في خلقه وسلوكه.

لم يقف بهذا الغزل عند فوره بقول شعر الحب وقفًا على غزل التحرير، فكتب أجمل ما يعبر عن شعلة حانية بل ما يعبر عن جسده وطلل الشباب رزق الموهبة الشاعرة، وإنجاز الأديب لا يسكت عن مصر ماكر. فعاد ليكرر في قصيدة تالية ألقاها في حفلة افتتاح نادي الرابطة الأهلي بجزيرة وفي جمع حافل من مئات الشباب والشيوخ يتحدث فيها عن طهارة الحب وشرفه وارتفاعه عن النقائص الآثمة، وأثره في الإذكاء الفني للشاعر إلى عبارات مزدهرة والكرامة والحرية فهو سر من أسرار السماء يختص به ذو الوجدان العفيف والإحساس الشريف. وقد نشرت القصيدة أول ما نشرت في مجلة (سركيس) الصادرة في عام ١٩٢٦ وفيها يقول:

رب حب ما تكتمه شعلة
غير محمود مسعرة وكتمانا

رب حب أحلام الشباب جنية
ما تطيب الأيام والأحلاما

رب حب بارعة الكريم نيرة
فيصون سعه أو ينيل عصاما

حب من سر السماء فسمه
وحبة لنا ما ظنت أو أبهاما

رجب البيومي

وحقًا لا نستطيع أن نلم بكل ما في الكتاب أو نتوقف في تحليل عند كل سنة كما فعل صاحب الكتاب.

فليس أمامنا سوى أن نقفز السير إلى عام ١٩٢٧ حيث حفل تولية الشاعر أحمد شوقي إمارة الشعر فنقف عند قول الجارم:

وقفت تجدد آثارها
وتنشر للعرب أشعارها

***

وترسم (أندلسًا) بالسراج
فتلمس كفك أسوارها

وإن وصف الحرب خلت الحروب
تشد من الأرض أقطارها

تحسك حينك ذمرة تختلف
فتاة وترهب جبارها

وعلى البعد نلمح قصيدة كالنجم الهادي نراها تألق في عام ١٩٣٢، وكيف لا.. وهي تهدي النفس إلى فعل الخير وتحثهم على الخير الصالح جمعية رعاية العميان إذ يقول فيها:

من مجيري من حالكات الليالي؟
ثوب الدهر حالكن ومالي

قد طوتني الظلام حتى كأني
في دياجي الوجود طيف خيال

رب أعمى له بصيرة كشف
غفلت من غياهب الأسدال!

أخذ الله منه شيئًا وأعطى
وأعاض المكيال بالمكيال

يلمح الخطرة الخفية للنفس
لها في الصدور دبُّ النمال

د. محمد رجب البيومي: الجارم شاعر العروبة - نشر الهيئة المصرية العامة ١٩٩٨



نزل الوحي في الترفق بالأعـ

ـمى وبسط اليدين للسؤال

وفي عام ١٩٤٤ نراه يحمل همومه ويروعه أن يرى

الشباب في نعومة فيقول :

ويل الشباب من النعومة إنها

أعراض سم للشعوب وشيك

ما أحسن الزمن الجديد بغية

قتلوه في الصفيف والتمليك !

قلب كقرط الغانيات مفزع

وإرادة من حيرة وشكوك

عاشوا صعاليك الحياة وليتهم

فازوا بصدق عزيمة الصعلوك !

نبقت ليالي الأنس من أخلاقهم

قزع النعامة وازدهاء الديك

وهل النعومة التي عاشها الشباب أيام الجارم تضارع

النعومة التي يعيشها بعض الشباب في أيامنا تلك ؟

وما عسى الجارم لو عاش إلى أيامنا هذه أن يقول للشباب :

المنعّم منهم والمقهور طلبا للقمة العيش ؟!

ونختم وقفتنا مع أشطار الجارم بهذه القصيدة التي قالها

بمناسبة إنشاء جامعة الدول العربية عام ١٩٤٤م إذ يقول :

إذا ضيع التاريخ أبناء أمة

فأحسبهم في شرعة الحق ضيعوا !

أبى الدهر أن ينقاد إلا لعزمة

يخر لها الدهر العتي ويخضع

وسر العلا نفس كما شاءت العلا

طموح، ورأى من شبا السيف أقطع

ومن يحتجب في الحياة زحامها

فليس له في ساحة المجد مشرع !

وليت الأخ يذكرنا بقول الشاعر الفرنسي في القاموس الثاني :

ومن لم يعانقه شوق الحياة

تبخّر في جوها واندثر

لاشك أن الهجوم على الشاعر الكبير أغضب ابنه



أحمد شوقي

(مؤلف الكتاب) مما دفعه لكتابة فصل كامل بعنوان مؤامرة الصمت والتعتيم على الشاعر الكبير علي الجارم .. وحق له أن يرد لينتصف لأبيه ولكن كم كنت أود أن يكون الرد في كتاب منفصل ليبقى صفاء ما كتبه الشاعر بعيدا عن كل ما كتبه الآخرون

إن النقد لاشك ضروري إذا كان في إطار من الالتزام الواعي، ولقد قال أمير الشعراء أحمد شوقي

أنا من بدّل بالكتب الصحابا

لم أجد لي وافيا إلا الكتابا

والملاحظة على هذا البيت واضحة لأن الباء تدخل على المتروك فالمتروك هنا هو الكتب، ولم يقصد أمير الشعراء هذا المعنى، إذ عجز البيت يقول عكس ذلك

لقد كان أمير الشعراء ولكنه هذا أمير الشعر ووقع في الوهم، ومثل هذه الهنات لا تقلل من مكانة العظيمة شوقي.

وإذا كان للنقاد ملاحظات على شعر الجارم فيها وجهت فيها أن يقال ما يقال طلبا للخصومة والجدال، فيبقى في إطار الملاحظات الشخصية ويبقى الرجل على عرشه .. شاعر العروبة والإسلام . —

بين المجلة والقارئ

يعدها الأستاذ: أحمد السيد تقي الدين

سامحكم الله!!

أخرج الإمام مالك – رضي الله عنه – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، وخرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له. فقالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرا؟ فقال ﷺ: في كل ذي كبد رطبة أجر».

وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض».

أسوق هذه الأمثلة من حديث رسول الله ﷺ ردا على ما أثارته العديد من الصحف والفضائيات عن الأسلوب اللاإنساني الذي اتبعه المسلمون مع حيوانات مدللين على ذلك بالتصرف الذي اتبعته أجهزة الدولة في مصر – للأسف الشديد – في التعامل مع الخنازير في ضوء الوباء العالمي المنتشر وذلك خوفا من انتقاله إلى بلادنا – لا قدر الله .

وفي ضوء مبلغ التعويض الذي تقدمه الدولة عن كل خنزير يتم إعدامه والذي وصل إلى ألف جنيه للخنزير الواحد طلب مربو الخنازير إعدام قطعان كبيرة منها مصابة وغير مصابة طمعا في مبلغ التعويض، فتكدست الخنازير بصورة هائلة، فوجدت الأجهزة المعنية أن أسهل الطرق لإعدام هذه الخنازير هو الإلقاء بها في حفر في الصحراء وهي حية، ثم تغطيتها بالجير الحي وسكب الماء فوقها لتموت حرقا وهو مشهد سيء للغاية فالحيوانات تموت تعذيبا وبالتأكيد كانت هناك وسائل أفضل بكثير من هذا الأسلوب الذي يرفضه الإسلام ولا يقبله على الإطلاق.

لقد حرم الإسلام أكل لحم الخنزير ولكنه لم يقل أبدا بتعذيبه حتى ولو كان حاملا للأمراض والأوبئة.

العالم من حولنا يتهم الإسلام بأنه هو السبب في إعدام الخنازير في مصر بهذا الأسلوب الهمجي والإسلام بريء من هذه الهمجية فشريعة الإسلام حددت أسلوبا لذبح الحيوان. بحيث يتم سريعا وبدون أن تتألم الذبيحة أو تعذب، والحيوانات الحاملة للأمراض والأوبئة تعامل بقدر المعاملة مع أهمية دفنها بأسلوب يقي المجتمع من خطر الأمراض التي تحملها.

أما أن تعدم الحيوانات حرقاً بالجير الحي وتترك لتموت موتا بطيئا فهذه خطيئة لا يقرها الإسلام مطلقا.

بل وينهى عنها كما في الحديث الشريف الذى رواه الإمام مسلم في صحيحه: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح»

ترى كيف ستتعامل أجهزة الدولة في حال أصيب البشر عندنا – لا قدر الله – بالوباء القاتل؟ هل سيقوم بإلقاء المصابين أحياء في حفر بالصحراء. وتغطيتهم بالجير الحي ثم تسكب عليهم الماء ليحترقوا تخلصا من الوباء

سامحكم الله أسأتم للإسلام أبلغ إساءة.

أحمد تقي الدين

العمل الصالح وقيمته الاجتماعية

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الشيخ / إبراهيم أحمد محمد جاد الكريم – واعظ بمنطقة وعظ قنا.

العمل كلمة تدل على الحركة، حسية كانت أو معنوية أو كليهما معا. فالحركة الحسية كحركة الجوارح، والمعنوية كحركة القلب. والحركة من كليهما معناها تزامن عمل القلب مع عمل الجوارح. فالحركة الحسية أو المعنوية إذا كانت منضبطة على منهاج الله تعالى سمي العمل الناتج عنها عملا صالحا.

فإذا اجتمعت حركة الجوارح وحركة القلوب على هذا المنهج الإلهي فإن هذا هو مطلب الإسلام من الناس وبغيته منهم.

أما إذا كان العمل الناتج عن حركة الجوارح أو حركة القلب أو من كليهما عملا يسيء إلى النفس أو إلى الناس أو إلى الدين، فإن هذا العمل يسمى عملا سيئا لأنه عمل لا ينفع الإنسان ولا غيره من البشر، بل ويسيء إلى الدين نفسه.

لذلك كانت دعوة الإسلام.. دعوة إلى العمل الصالح بمفهومه الواسع الذى يشمل أعمال الدنيا وأعمال الدين. دعوة إلى اتحاد عمل الجوارح وعمل القلوب على منهج الله تعالى ومنفعة الإنسان ومنفعة الناس من حوله. دعوة تعكس مبادئ الدين في نفوس أتباعه وسلوكهم في المجتمع. فالعمل الصالح له قيمته الاجتماعية مهمة، التى تعود نتائجها الإيجابية على الفرد وعلى الناس في المجتمع.. فالعمل الصالح سبب للسعادة والحياة الطيبة التى يبحث عنها الناس وهذا ما أكده المنهج الإلهي الذى يدعو إلى العمل الصالح.

يقول الله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(النحل: ٩٧)

يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية «هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل التابع لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله ﷺ بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمل في الدار الآخرة» – مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٤٦

فالعمل الصالح سبب لسعادة الإنسان. والسعادة عملة نادرة في حياة تموج بالصراعات والنزاعات والانغماس في الماديات فإذا وجدت السعادة اطمأن القلب وارتاحت النفس وهذا يعود بالنفع على الإنسان وعلى مجتمعه.

فالمجتمع يبحث عن الاستقرار والاطمئنان. فإذا سعى كل إنسان لتحقيق العمل الصالح في بيته ومجتمعه كانت السعادة المرجوة

والعمل الصالح كذلك نجاة للإنسان من الفتن وهذا ما عبر عنه بيان النبوة في الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي الرجل مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا» (رياض الصالحين حديث رقم (٨٧)).

فإذا سارع الإنسان بالعمل الصالح لدينه ودنياه حفظه الله من هذه الفتن التى وصفت كأنها قطع الليل المظلم كناية عن شدة الحيرة والتخبط لدرجة أن الإنسان يبيع دينه لأجل دنياه.. وهذا ما يرفضه الإسلام، فالإسلام يحث على العمل الصالح في الدين والدنيا.. وإذا تحقق العمل الصالح للدين والدنيا حفظ للمجتمع أمنه واستقراره. من الحيرة والضلال.

والعمل الصالح أمان للإنسان في الدين والدنيا فالله تعالى يقول.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

(طه: ١١٢)

فإذا كان العمل الصالح أمانا للإنسان فإنه أمان للمجتمع كذلك. فأى مجتمع يسعى لتحقيق العمل الصالح – العمل المتقن النافع الذى يقبله الله تعالى ويقبله الناس فإنه مجتمع يحقق الأمان لأفراده والأمان نعمة عظمى لأى مجتمع بشري.

والعمل الصالح بناء لعقيدة المسلم الصحيحة. حيث يرتبط العمل الصالح بالإيمان ارتباطا وثيقا. في كثير من الآيات القرآنية يقترن الإيمان بالعمل الصالح، لمن اكتمل إيمانه وعمل صالحا بشر بالنعيم والثواب العظيم ودخول الجنة يقول الله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

(البقرة: ٢٥)

العلاج الربانى

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذة هدى الكاشف:

الدنيا مزرعة الآخرة، لم يخلقها الله لنجمع كنوزها ولا لنسكن قصورها فتنفعنا يوم لا ظل إلا ظله، فالدين كل لا يتجزأ: فنأخذ ما نأخذ ونترك ما لا يوافق هوانا.

لذا علينا التسليم المطلق لله مع الأخذ بالأسباب لأنها سنة واجبة، وحينئذ لا تتوطن فيروسات الأوبئة في الأحياء ولا في الضمائر فلا نجد ما يطلق عليه أنفلونزا الخنازير ولا غيرها.

ذات يوم سأل الربيع الشافعي عن التسليم لله فقال: هو نصف الإيمان، فقال الربيع: بل الإيمان كله يا إمام...!! فقال الشافعي: الحق معك يا ربيع

وقد دخل بعض الرجال على أحد العارفين في مرضه فقال له: عافاك الله يا سيدي، فقال الشيخ: إن العافية هي كل ما يريدها الله لا كما نريدها نحن، لقد سأل العافية عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ومات من طعنة مجوسي له في المسجد، وسأل العافية عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ومات مقتولا في بيته من الفئة الباغية وهو يقرأ القرآن، وسأل العافية علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ومات مقتولا وهو في طريقه إلى المسجد.

فالعافية هي ما أراده الله، القائل:

﴿ [illegible] أحسن عملا ﴾

(الملك: ٢)

فهذا تراثنا الإسلامي غني بما يوقظ الضمائر ويزكي النفوس فأين نحن منه ؟!! فلو تمسكنا به ما أصبحنا أمة بائسة تعيسة مستغرقة الوعي لا تتبع من الأمم حولها ولكن فقط بعثرها ما يضرهم، وأين التمسك بقرآننا الذي شغل أعداءنا أكثر من الكثير منا ليجدوا فيه ما يحاربوننا به عن علم أحيانا أو جهل أحيانا أخرى !!!

ولكن جعل الله كيدهم في نحرهم، فعلماؤهم يعملون ليثبتون صدق قرآننا فيزدادون علما ونزداد نحن تثبيتا وتصديقا حتى يوفق الله ويصلح حالنا فنسبقهم أيضا في العلم كما سبقناهم سالفا، فلقد اكتشف بعض العلماء البريطانيين بأجهزتهم الدقيقة الإلكترونية أن لأمة النمل لغة خطاب يمكن سماعها وفهم معناها مستجيبا لقيادته متحركا وفقا لأصوات خاصة به، وهذا الذي جاء به قرآننا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا في سورة النمل.

وفهم سيدنا سليمان لغة النمل فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النمل: ١٨، ١٩)

اللهم إنك عفو غفور تحب العفو فاعف عنا

عمير بن الحمام

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ / فرج مجاهد عبد الوهاب عضو اتحاد كتاب مصر – شربين – دقهلية:

هو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري من بني سلمة وهو واحد من الأنصار الذين آووا المهاجرين في ديارهم وواسوهم في أموالهم ونصروهم على أعدائهم، ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم وجعل ذلك قرآنا يتلى فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحشر: ٩)

ولقد آخى النبي ﷺ بين عمير بن الحمام وبين عبدة ابن الحارث المطلبي، وقد قتل الاثنان يوم بدر.

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال: «بعث رسول الله ﷺ بسيسة عينا – متجسسا ورقيبا – ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه – قال: فحدثه الحديث، قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: إن لنا طلبة – أي شيء نطلبه – فمن كان ظهره حاضرا – دابته – فليركب معنا، فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة، فقال: لا، إلا من كان ظهره حاضرا، فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه – حتى أكون أنا أمامه متقدما في ذلك الشيء فلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها – فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» قال يقول عمير بن الحمام الأنصاري:

يا رسول الله: «جنة عرضها السموات والأرض»، قال: «نعم» قال: «بخ بخ» – كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه في الخير – فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ ؟» قال: «لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها» قال: «فإنك من أهلها» فأخذ تمرات من قرنه – من جعبة النشاب – فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

هكذا كان الصحابة يعلمون أن الجهاد طريق الجنة، وسبب لدخولها، ولذلك ضربوا أروع الأمثلة في التضحية بالنفس والمال في سبيل الله.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

في الموعظة الحسنة

قال حكيم: السعيد من وعظ بغيره، وهو لا يريد من وعظه غيره، ولكنه يريد من رأى سوء أثر المعاصي على غيره فاعتبر بها في نفسه.

وقال الحسن البصري: اقرعوا هذه النفوس فإنها طلعة، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور، واعصوها فإنها إن أطيعت نزعت إلى الشر.

وكان يقول عند ختم مواعظه: يالها من موعظة لو صادفت من القلوب حياة.

وكان ابن السماك يقول إذا فرغ من كلامه: ألسن تصفه، وقلوب تعرفه، وأعمال تخالفه.

وقال حكيم: الكلمة إذا خرجت من القلب، وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان.

يريد بهذا أن يقول: إن فاقد الشيء لا يعطيه، فمن كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ولا ينتهي عنه لا يكون لقوله وقع في نفس السامع.

ولكن ربما يخالف ما تقدم فقد قال: أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا، أن تعملوا بأحسن ما تسمعون منا.

أحسن ما قيل في شكر المنعم

أورد الثعالبي عبارات من الشكر فقال: «شكري لا يقع في نعمه الظاهرة موقع النقطة من الدائرة. لأشكرنك شكر ماء القلب والظمآن، شكر حسان إلى غسان. لأشكرنك شكر الأسير لمن أطلقه، والمملوك لمن أعتقه. لأشكرنك شكر الرياض لندى، وزهر لديم».

وقال الأمير أبو الفتيان محمد بن حيوس:

سأشكر ما دام اللسان يطيعني ... صنوفاً أتت من جودك المتتابع

ترادفت عندي من لا يمل سماحة ... عليك ولا يسدى إليك بشافع

وقال إبراهيم بن المهدي مخاطباً الحسن بن سهل وقد شفع له عند المأمون:

رددت مالي ولم تمنن علي به ... وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

لئن جحدتك ما أوليت من حسن ... إني لفي اللؤم أحظى منك بالكرم

وقال آخر:

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة ... أعلى من الشكر عند الله في الثمن

إذاً منحتكها مني مهذبة ... حذواً على حذو ما أوليت من حسن

وقال آخر:

لقد أفرطت في بري ... وقد قصرت في الشكر

وشكري عنه إحسانا ... ك كالقطرة في البحر

معرفة الشر لا للعمل به

قيل لعمر بن الخطاب: إن فلاناً لا يعرف الشر. قال: ذلك أحرى أن يقع فيه.

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب فقال: كان والله له فضل يمنعه من أن يخدع، وعقل يمنعه من أن ينخدع.

وقال إياس: لست بخب، والخب لا يخدعني.

وكان عامر بن عبدالله بن الزبير في غاية التفضل والدين، وكان حسن الظن بالناس، فبينما هو جالس بالمسجد، إذ أتي بعطائه فنسيه، وهو منصرف إلى منزله، فلما صار في بيته ذكره فقال لخادمه: اذهب إلى المسجد فأتني بعطائي، فقال له الخادم: وأين تجده؟ قال: سبحان الله ويبقى أحد يأخذ ما ليس له.

وقال أبو أيوب: من أصحابي من أرجو بركة دعائه ولا أقبل شهادته.

قال ابن عبد ربه صاحب العقد: وكانوا يستحسنون الحنكة للفتى، والتجربة للحدث، ويكرهون الشيب قبل أوانه، ويشبهون ذلك بيبوس الثمرة قبل نضجها، وأن ذلك لا يكون إلا من ضرر فيها. فنعت الإخوان جميعاً: وأكرمهم عشرة، وأنفعهم حلماً، وأنبههم نفساً من لم يكن بالشاطر المتفتك، ولا الزاهد المتنسك، ولا الماجن المتظرف، ولا العابد المتقشف. قال الشاعر:

وفتى زهير قد أتاك على فتى ... حسن بلاغته في شباب غلام

طلب الرزق بالسفر

روي أن عقبة بن ربيعة شاور أخاه شيبة في الهجرة فقال: إني قد أجدبت، ومن أجدب انتجع فأي قصد إلى موطن الخصب، أخذ هذا المعنى أبو تمام الطائي فقال:

أراد بأن يحوي الغنى وهو وادع ... ولن يفترس الليث ظلاً وهو رابض

وقيل لأعشى بكر الشاعر: إلى كم هذه النجعة والاغتراب، أما ترضى بالخفض والدعة، فقال: لو دامت الشمس عليكم لمللتموها.

أخذه أبو تمام فقال:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

وقال المأمون بن الرشيد: لا شيء ألذ من سفر في كفاية، لأنك في كل يوم تحل محلة لم تحلها، وتعاشر قوماً لم تعاشرهم.

أخذ هذا المعنى شاعر فقال:

لا يمنعنك خفض العيش في دعة ... من أن تبدل أوطاناً بأوطان

تلقى بكل بلاد إن حللت بها ... أهلاً بأهل وإخواناً بإخوان

نموذجان من عيون الخطب

كان عمر يقول في آخر خطبه: «اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين»

وخطب علي -رضي الله عنه- يوماً فقال: «أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغداً السباق، فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل»

وخطب معاوية بن أبي سفيان يوماً وكان شديد الحر فقال: «إن الله خلقكم فلم ينسكم، ووعظكم فلم يهملكم» فقال:

﴿ [illegible] وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٤]

وخطب يزيد بن معاوية بعد موت أبيه وتوليه الخلافة فقال: «الحمد لله ما شاء صنع، من شاء أعطى ومن شاء منع، ومن شاء خفض ومن شاء رفع، إن أمير المؤمنين معاوية كان حبلاً من حبال الله تعالى مده ما شاء أن يمده، ثم قطعه حين أراد قطعه، وكان دون من قبله، وخير من بعده، ولا أزكيه عند ربه وقد صار إليه، فإن يعف عنه فبرحمته، وإن يعاقبه فبذنبه، وقد وليت الأمر بعده، ولست أعتذر من جهل، ولا آسى على طلب علم، وعلى رسلكم إذا كره الله شيئاً غيره، وإذا أراد أمراً يسره».

وخطب سليمان بن عبد الملك فقال: «إنما الدنيا دار غرور ومنزل باطل، تضحك باكياً وتبكي ضاحكاً، وتخيف آمناً وتؤمن خائفاً، وتفقر مثرياً وتثري فقيراً. اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان، كما يجلو الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عسعس».

«أحسن ما قيل في العقل»

قال الأصمعي: «لو صور العقل لأضاء معه الليل، ولو صور الجهل لأظلم معه النهار».

وقال شاعر:

وأفضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه

يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

وشين الفتى في الناس قلة عقله ... وإن كرمت أعراقه ومناسبه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

«الاختلاط»

زعم السفور والاختلاط وسيلة ... للمجد قوم في الجهالة أغرقوا

كذبوا متى كان التعرض للخنا ... شيئاً تعز به الشعوب وتسبق

محمد حسن النجمي

«من بلاغة علي بن الحسين بن علي»

لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة وجملة الحال في فضل التبيين لأعربوا عن كل ما يتلجلج في صدورهم، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم، وعلى أن درك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة والفكرة القصيرة المدة، ولكنهم من بين مغمور بالجهل، ومفتون بالعجب، ومعدول بالهوى عن باب التثبت، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم.

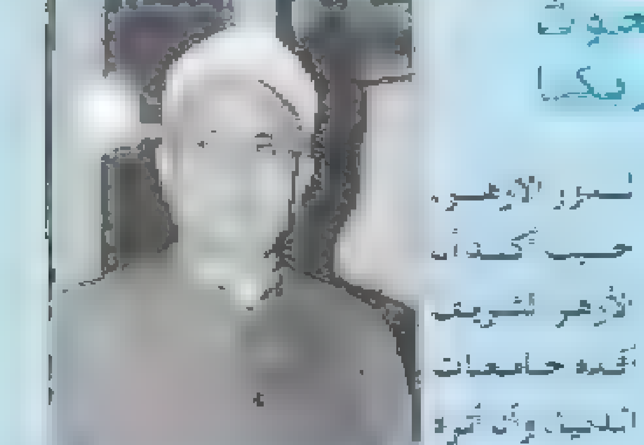
«دعاء»

اللهم أخرجني من ذل نفسي، وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي، بك أستنصر فانصرني، وعليك أتوكل فلا تكلني، وبجنابك أنتسب فلا تبعدني، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني، وببابك أقف فلا تطردني، وإياك أسأل فلا تخيبني.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذين: عبد الموجود أمين - يحيى سليمان

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل وفداً أمريكياً



التقى فضيلة الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه مع وفد السفارة الأمريكية والمكون من [illegible] مكتب حقوق الإنسان والشؤون الاجتماعية والإنسانية التابع لمنظمة الأمم المتحدة فرع الولايات المتحدة وصحبته [illegible] مستشار الشؤون الشرعية والسياسية [illegible] متخصصة في حقوق الإنسان، و[illegible] سكرتير ثان بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة، وذلك تمهيداً لزيارة مرتقبة لرئيس الوفد للقاهرة.

وفي بداية اللقاء رحب الأمين العام بالوفد وأثنى فضيلته على مثل هذه اللقاءات التي تزيل كثيراً من الاعتقادات التي تبنى على خلفية مغلوطة، وقال: إن من شأن هذه اللقاءات أن تزيد من المحبة والإخاء الإنساني، وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً لدور الأزهر، حيث أكد أن الأزهر الشريف أقدم جامعات العالم، وأن أثره في الدول العربية ملحوظ وغير منكور، وأن المؤسسات التي تعمل في هذا المجال مدينة له بالفضل، لما له من أيادٍ بيضاء على كل علماء تلك المؤسسات، فضلاً عن تعلمهم بالأزهر.

وأضاف أن الأزهر الشريف قد اكتسب على مدار أكثر من ألف عام ثقة كل الجاليات الإسلامية التي حرصت على طلب علماء الأزهر لتعليم أبنائهم.

وقد أوضح فضيلة الأمين العام أن الأزهر يستقبل أبناء ١٠٥ دولة ويرسل علماءه إلى مختلف دول

العالم، لتدريس الإسلام بعيدا عن التعصب والغلو ملتزما بأدب الحوار.

الاختلاف سنة الحياة

وفي معرض حديثه عن وسطية الأزهر واعتدال نهجه الفكري مع العلم والمنطق والفطرة أكد الشيخ علي عبدالباقي أن الاختلاف في العقائد سنة الحياة، والقرآن الكريم أوضح لنا ذلك بقوله:

[illegible]

(هود: ١١٨ - ١١٩)

إن الأزهر يعلم كل العلم أن الاختلاف سيبقى، من هنا جاءت قناعته أن دوره محصور في عرض الإسلام بصورته الصحيحة والعمل على تنقيته مما لحق به من مفاهيم مغلوطة وتقديمه للناس بصورته الأولى.

الجهل بالإسلام

وبدوره أكد السيد آلرك كيشاب رئيس الوفد سعادته الغامرة لزيارة الأزهر والتعرف عن قرب على هذا الفكر المستنير، وأنه واحد من ملايين الأمريكيين الذين يجهلون الكثير عن الإسلام، وأنه أيضاً واحد من آلاف الأمريكيين من مختلف طبقات المجتمع الأمريكي (محامين، سياسيين، صحفيين، حقوقيين، متخصصين) الذين يقدرون الاختلاف بين الشعب الأمريكي والشعوب والثقافات الأخرى، للوقوف على أماكن الاختلاف، وإيجاد قواسم مشتركة يمكن الارتكاز عليها لبناء جسور مودة مع شعوب العالم.

وأضاف أن المسلمين اليوم في أمريكا يتمتعون بحرية غير مسبوقة من حيث ارتداء الحجاب وبناء المساجد وإقامة الشعائر.

واعترف رئيس الوفد الأمريكي أنه وبرغم من كل ما يقدم للمسلمين الأمريكيين إلا أن الصورة لم تكتمل بعد، وأن هناك بعض الأخطاء التي ترتكب ضد المسلمين في أمريكا، وسيلفظها الشعب الأمريكي رويداً رويداً، وأنهم في طريقهم لترشيد حرية الرأي والتعبير حتى لا تكون معول هدم.

وقد عقب الأمين العام على ذلك بقوله: إن الإسلام يحترم كل رأي بشرط أن يكون هذا الرأي بناء يعزز القيم والمبادئ ولا يهدمها.

وأوضح الأمين العام أن الكلمة في الإسلام لها قيمتها وخطورتها وقدم الدليل على ذلك بقوله تعالى:

[illegible]

(إبراهيم: ٢٤-٢٦)

حرية العقائد

وفي معرض حديثه عن حرية العقائد ونظرة الأزهر للمخالفين له في العقيدة أكد الأمين العام أن الأزهر جزء من المؤسسة الإنسانية العالمية حيث مع هذه المؤسسة لا ينصب على العقيدة فقط، ولكن هناك قواسم مشتركة بيننا من أجل تقديم كل ما ينفع الإنسانية ويدفع عنها كل مكروه. وأكد الأمين العام: أن الأزهر استمد هذه النظرة من القرآن الكريم بقوله تعالى:

[illegible]

(القصص ٥٦)

وقوله تعالى:

[illegible]

(الغاشية: ٢٢)

وقوله تعالى:

[illegible]

(الشورى: ٤٨)

من هذا المنطلق عاش غير المسلمين في دولة الإسلام إلى اليوم: أملاكهم، وأولادهم، وأماكن عباداتهم محترمة ومصانة من يد كل عابث.

ولم يحدث أبداً أن سب إنسان مسلم أي دين، لأننا نؤمن بالأنبياء والأديان التي سبقتنا ونحترمها جميعا.

من هنا يستوجب عليكم احترام عقيدتنا كما نحترم عقيدتكم.

النظرة الأمريكية تجاه الرسوم الدانماركية

وقد علق رئيس الوفد على قول الأمين العام باحترام العقيدة الإسلامية، بقوله: إننا وبرغم جهلنا بالكثير عن الإسلام، إلا أن المجتمع الأمريكي الحكومي أدان الرسوم الكرتونية الدنماركية ولم يعترف بها.. وخرجت كثير من المؤسسات الحكومية تندد بهذه الأعمال في الصحف.

وأضاف: نعم هناك من تجاوب معها، الأمر لا يعدو أن يكون احترام الحريات خصوصاً وأن أمريكا تكفل كل الحريات.

وبدوره لفت الأمين العام النظر إلى أن الحريات ليست مطلقة وأن منطقة الأديان، لابد وأن تكون محظورة ويجب عدم الاقتراب منها، الأمر الذي دفع كافة المؤسسات الحكومية والأهلية في المجتمع الإسلامي إلى المطالبة بقانون يحرم ازدراء الأديان ومعاقبة المنحرفين الخارجين على النظام العام العالمي الذين يهجمون على الأديان.

أوباما والعالم الإسلامي

وحول الدوافع التي دفعتهم لزيارة القاهرة أوضح رئيس الوفد الأمريكي أنهم جاءوا ضمن الوفد المصاحب لزيارة الرئيس أوباما لتلك المنطقة المهمة في العالم والتي أصبحت محط أنظار القوى الدولية الفاعلة من أجل السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، وهذا الاهتمام الواضح للعيان هو محصلة سنوات طويلة من الجهد والتحرك المسئول من قبل القيادة المصرية لتهدئة الأمور المتفجرة، حيث قال: جئنا لتبادل الاحترام وتقليل الاحتكاكات مع الدول والثقافات والشعوب.

وتمنى رئيس الوفد على الأزهر الشريف أن يتوصل إلى آلية لدعم الاحترام بين الشعوب، لما في عقلية الأزهر من استنارة مرشحة لذلك.

ومن جهته أكد الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية أن هناك دلالة لابد أن يصاحبها توقف الأيدي الأمريكية ووسائل الإعلام عن بث روح العداء والكيل بمكيالين تجاه الأمور الواضحة.

وقال الأمين العام هناك أمور لابد أن تكون حيادية عند التعرض لموضوع الشرق الأوسط فلا ينبغي أو يصح أن تصور دفاع الفلسطينيين عن أنفسهم أنه إرهاب في الوقت الذي ترى ما تقوم به إسرائيل من هدم وقصف وإبادة جماعية للأطفال والشيوخ والعجزة على أنه دفاع عن النفس.

وأضاف الأمين العام أن ما أحرج العقل تجاه الشعب الأمريكي هو وقوفها خلف ظهر إسرائيل في كل ما تقوم به من انتهاكات فضلا عن استخدام حق الفيتو تجاه كل القرارات التي تبسط الشرعية وتحقق العدل للشعب الفلسطيني.

وأكد الأمين العام أن القضية الفلسطينية وموقف أمريكا المساند لإسرائيل هو لب العلاقة التي تربط العالم الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي يتعين على أمريكا أن تتجاوز دورها الوسيط المحايد إلى المشارك والمقترح والمراقب، وأن تعلم أن السلام المستقر والدائم بالمنطقة سيدفع جموع الشباب لرؤية أمريكا بعيون غير التي يرونها بها الآن.. ودلل فضيلة الشيخ علي عبدالباقي الأمين العام على ذلك بقوله: إن مجرد إعلان الرئيس أوباما عن إيجاد الدولتين والعمل على حل الأزمة حلا عادلا.. مجرد الكلام أحدث ارتياحا.

واختتم الأمين العام حديثه للموقع الأمريكي مؤكدا أنه متفائل بالرئيس أوباما وبرجاحة عقله وبرجاحة رؤيته تجاه العالم الإسلامي والقضية الفلسطينية بوجه مخصوص وندعو الله أن يكون كما ننتظر أن يظهر ذلك على أرض الواقع في المستقبل القريب حتى تتغير النظرة تجاه الولايات المتحدة ويصبح قصد الإدارة الأمريكية الحالية التعامل مع شعوب العالم بشكل مختلف عن سابقيه التي أحدثت شرخا عميقا في تلك العلاقات.

حضر اللقاء الأستاذ إسماعيل أحمد أبو الهيثم مدير المركز الصحفي بمكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الطلاب الأفارقة بالأزهر الشريف

أصدرت الإدارة العامة للطلاب الوافدين تقريرا إحصائيا عن عدد الطلاب الدارسين بالأزهر الشريف من دول قارة أفريقيا حيث بلغ عدد الطلاب الوافدين من دولة السنغال (٣٩٤) طالبا وطالبة، ومن كينيا (٩٤) طالبا وطالبة، ومن ساحل العاج (١٦٧) طالبا وطالبة، ومن زيمبابوي (٥) طلاب، ومن غانا (١٠٩) طلاب وطالبات، ومن بنين (٨٣) طالبا وطالبة، ومن بوروندي (١٥٤) طالبا، ومن جنوب أفريقيا (٤٨) طالبا وطالبة، ومن النيجر (١٨٦) طالبا وطالبة، ومن توجو (٣٠) طالبا بإجمالي عام ١١٦٥ طالبا وطالبة يدرسون بمختلف مراحل التعليم الأزهري من مرحلة التعليم الأساسي وحتى مرحلة الدراسات العليا، وذلك فضلا عن مرحلة الدراسات الجامعية.

صرح بذلك فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.

الصيام فقها وعبادة

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب (الصيام فقها وعبادة) لفضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر السابق ويقع الكتاب في ١٢٧ صفحة وقد شمل ثمانية فصول تضمنت: تعريف الصيام وحكمه والصيام في الشرائع السابقة والنية وأحكامها - آراء العلماء ورأي مجمع البحوث الإسلامية في ثبوت رؤية الهلال - كيف يكون الصوم مقبولا - أحكام وآداب عامة: الإفطار، السحور، صلاة التراويح ومكانها ووقتها - الاحتفال بليلة القدر - الصيام والصحة ونصائح طبية للصائم - صيام الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته - الاعتكاف - وكما شمل هذا الكتاب الأحكام العامة شمل أيضا بعض الفتاوى في فصله الرابع من مفسدات الصوم، حالات توجب القضاء، وكيفية القضاء، ما يستحب للصائم ومن يباح لهم الفطر، المسافر، الحامل، المرضع، الشيخ الكبير، المريض، إلى غير ذلك من الفتاوى المجاب عنها مثبتة على مذاهب الأئمة الأربعة.

والكتاب في مجمله مفيد للعامة قبل الخاصة لأنه بسيط في أسلوبه سهل في مذاقه واضح المقصد.



صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث وسلسلة البحوث.

مشروع حفظ مخطوطات مكتبة الأزهر

يقوم سمو الشيخ ماجد بن محمد بن راشد آل مكتوم رئيس هيئة الثقافة والفنون بإمارة دبي والسيد جمعة الماجد رئيس مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي بعقد أعمال إعادة تشغيل مشروع سمو الشيخ محمد بن راشد لحفظ مخطوطات مكتبة الأزهر ونشرها على شبكة الإنترنت، وذلك في يوم ١٩/١٠/٢٠٠٩ بمقر مكتبة الأزهر الشريف.

صرح بذلك فضيلة الشيخ مهدي شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر.



للأستاذين: محمود الفشني - أحمد رضوان

مخططات إسرائيلية لتهويد البلدة القديمة في القدس

ذكرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية أن الحكومة الإسرائيلية ومنظمات الاستيطان تعمل حالياً لإحاطة المدينة القديمة للقدس بـ٩ ساحات وممرات مشاة ومواقع، لتغيير الحالة الراهنة في المدينة على نحو كبير، وقالت الصحيفة: إنه في تقرير تم تقديمه إلى رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت في ١١ سبتمبر الماضي وصفت هيئة تنمية القدس، الغرض من المشروع بأنه يهدف إلى خلق سلسلة من المواقع المحيطة بالمدينة القديمة، في نطاق تعزيز القدس كعاصمة لدولة إسرائيل.

وأشارت إلى أن البرنامج تديره مكتب رئيس الوزراء وعمدة القدس سراً، ولا ينخرط في أي شكل من أشكال المناقشات العامة.

من ناحية أخرى، أفادت مصادر باسم رئاسة الحكومة الإسرائيلية بأنه تم تكليف وزير الخارجية أفيجدور ليبرمان القومي المتطرف بالحوار الاستراتيجي مع الولايات المتحدة.

٤٦٦ مليون دولار تكلفة إزالة آثار العدوان الإسرائيلي على غزة

أكد تقرير حديث لجامعة الدول العربية أن تكلفة دعم قطاع التشغيل، وخلق فرص عمل، وإزالة آثار العدوان الصهيوني الأخير على قطاع غزة سوف تصل إلى نحو ٤٦٦ مليون دولار.

وقدّر التقرير الذي أعدته لجنة خاصة في قطاع حتى يتقدم بخطة تتضمن دعماً فورياً وعاجلاً للعاطلين عن العمل، ودعم مشاريع تنمية في حدود ٥٠٠٠ مشروع يقدر بعشرة آلاف دولار للمشروع الواحد بقيمة إجمالية ٥٠ مليون دولار، وتمويل مشاريع تشغيل جديدة بعشرة آلاف دولار لحوالي ٢٣ مشروعاً بقيمة تصل إلى ٢٣٠ مليون دولار، فضلاً عن دعم مشاريع الإعمار للأبنية والمراكز والمعاهد المتضررة.. وقالت لجنة الصناعة في الوفد الذي أرسلته الجامعة إلى غزة أن الخسائر المباشرة لقطاع الصناعة تصل إلى ١٤٠ مليون دولار، مشيرة إلى أن قطاع الكهرباء تلقى ضربة قاسية خلال الحرب على غزة.

وكانت حرب الآلة العسكرية الصهيونية في حق قطاع غزة خلال الفترة ما بين ٢٧ ديسمبر وحتى ١٨ يناير الماضيين قد أدت إلى استشهاد ما يقرب من ١٥٠٠ فلسطيني وإصابة ٥٤٠٠ آخرين، وتدمير نحو ٩٠٪ من المقار الحكومية، وأكثر من ٤ آلاف منزل تدميراً كلياً، و١٦ ألفاً أخرى تدميراً جزئياً.

الأمم المتحدة تطالب إسرائيل بوقف فوري لسياسة الهدم في القدس

طالبت المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان إسرائيل بالتوقف الفوري عن طرد الفلسطينيين وهدم منازلهم في القدس الشرقية وكشفت أن نحو ٦٠ ألف فلسطيني مهددون بفقد منازلهم جراء هذه السياسة. جاء في إحصائيات وردت في تقرير صادر عن مكتب الأمم المتحدة للشئون الإنسانية أنه يوجد ١٥٠٠ أمر هدم لمنازل أقيمت بدون تصريح من مدينة القدس في إسرائيل في شرق المدينة موضحاً أنه إذا نفذت أوامر الهدم فإن نحو ٩ آلاف فلسطيني سيشردون من ديارهم، وقد استولت إسرائيل على القدس الشرقية في حرب ١٩٦٧ وتعتبر كل المدينة عاصمة لها وهو زعم لا يلقى اعترافاً دولياً فيما تريد السلطة الفلسطينية في المستقبل. وقال تقرير الأمم المتحدة أن ٢٨٪ على الأقل من المنازل الفلسطينية و٦٠ ألف مسكن عرضة للخطر لأن هذه المنازل بنيت بدون تصريح وهو ما يشكو الفلسطينيون من أنه مستحيل الحصول عليه من البلدية التي تطرحها على أنها مناطق خضراء من جانب بلدية القدس وتشمل هذه المناطق حي سلوان، حيث تزمع البلدية هدم ٨٨ مبنى سكنياً لإقامة منطقة أثرية.

الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية أمر مستحيل

أكد الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى أن مطلب إسرائيل الاعتراف بها كدولة يهودية لاستئناف عملية السلام أمر مستحيل، لأن إسرائيل لا تريد مفاوضات سلام ولا تريد قيام دولة فلسطينية. وقال موسى في تصريحات صحفية: إن الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية يعني إنكار حقوق خمس الناس في إسرائيل لأنهم عرب ويسكن هناك مواطنون درجة ثانية، وأكد أن ليس لدولة تقوم على التفرقة العنصرية والتمييز، وأكد موسى أن المطلوب من إسرائيل أولاً هو إعلان قبولها قيام دولة فلسطينية حقيقية يعيش أهلها على أرض فلسطين التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧، وأوضح موسى أن ما تقوم به الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تجاه مفاوضات السلام ما هو إلا خداع ومجرد كلام للبيع في الأسواق حيث لم يتحقق أي شيء على الصعيد، مشيراً إلى أن الجانب العربي لا يريد أن يضيع الوقت في انتظار موافقة حكومة نتنياهو أو غيرها على قيام الدولتين ولكن يجب أن يكون هناك موقف دولي في هذا الشأن.

اليهود يعرضون مليون دولار لكل متر مربع فى القدس العربية !!

كشف رئيس الحركة الإسلامية فى الداخل الفلسطينى الشيخ رائد صلاح عن قيام جمعيات استيطانية إسرائيلية بعرض ملايين الدولارات على فلسطينيين فى القدس الشرقية القديمة مقابل التنازل عن منازلهم ومحالهم التجارية.

وأشار إلى أن جمعية «عطيرات كوهانيم» الاستيطانية التى تنشط فى القدس القديمة وباتت تضع يديها على عشرات العقارات فى المدينة عرضت على أحد سكان القدس شراء محله التجارى البالغ مساحته ١٠ أمتار مقابل أكثر من مليون دولار للمتر الواحد كما عرضت على صاحب منزل مساحته ١٢٠ مترا مربعا مبلغ ١٢٠ مليون دولار إلا أنهما رفضا ذلك وحذر صلاح من نكبة جديدة لمدينة القدس فى حال تنفيذ مخططات بلدية القدس العبرية وضع تنفيذ قياس هندسى جديد لكافة المنازل للبحث عن أى زيادة فى البناء لإصدار أمر بهدم الصالح أو المبنى بأكمله

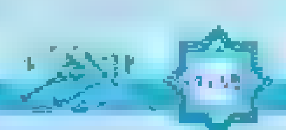
دورة فى النمسا للتعريف بنبى الرحمة

نظم المركز العالمى للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته التابع لرابطة العالم الإسلامى فى العاصمة النمساوية فيينا الدورة الخاصة الرابعة عشرة لبرنامج التعريف بنبى الرحمة محمد ﷺ تحت عنوان «كيف تعرف بالرسول» لتحرير المسلمين.

مؤتمر دولى للتراث العمرانى فى الدول الاسلامية

أعلنت الهيئة العامة للسياحة والآثار بالسعودية عن تنظيم مؤتمر دولى للتراث العمرانى فى الدول الإسلامية ودوره فى التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية برعاه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز خلال العام القادم فى مدينة الرياض.

يشتمل المؤتمر على سلسلة من المحاضرات وورش العمل التى تقام فى مدينة الرياض وعدد من مدن المملكة بهدف استعراض الوضع الراهن للتراث العمرانى فى الدول الإسلامية والوسائل الحديثة لتفعيل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وعرض عدد من التجارب الدولية الناجحة والتعريف بالمشاريع الهادفة للمحافظة على التراث العمرانى وتنميته فى الدول الإسلامية ويصاحب المؤتمر اقامة معرض عن التراث العمرانى تشترك فيه عدد من الدول الإسلامية المهتمة بالتراث العمرانى إلى جانب عدد من الحرفيين



البرلمان الصومالى يصوت بالأغلبية على تطبيق الشريعة

صوت البرلمان الانتقالى الصومالى بالإجماع فى مقديشيو على مشروع قانون طرحته الحكومة لتطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد التى تشهد حربا أهلية مستمرة منذ ١٩٩١. قال نائب رئيس البرلمان عبدالله عثمان بوقوى الذى ترأس المداولات فى غياب رئيس البرلمان عدن محمد نور أنه حضر الجلسة ٣٤٠ عضوا فى البرلمان وصوتوا بالإجماع على تطبيق الشريعة الإسلامية فى الصومال. يقع قسم كبير من الصومال خارج سيطرة المؤسسات الانتقالية الصومالية الممثلة بالبرلمان والحكومة ويسيطر إسلاميون على الجزء الأكبر من وسط الصومال وجنوبه وينقسم شمال البلاد إلى كيانين يتمتعان بالحكم الذاتى هما منطقة بونت لاند وجمهورية صومالى لاند

استفتاء فى ألمانيا حول تدريس الدين

بدأ فى العاصمة الألمانية برلين استفتاء شعبى بشأن تخيير التلاميذ بين مادتى الأخلاق والدين لتدريس إحداهما كمادة إلزامية فى المدارس الحكومية ليكون ثانى استفتاء شعبى فى تاريخ برلين ويشارك فيه نحو ٢,٤٥ مليون شخص.

يأتى الاستفتاء انطلاقا من المبادرة الشعبية «سكان برلين من أجل الدين» التى تريد أن يتم تخيير أولياء الأمور والتلاميذ اعتبارا من الصف الأول لدراسة إحدى مادتى الأخلاق والدين كمادة إلزامية.

يذكر أن مادة الأخلاق إجبارية على التلاميذ ابتداء من الصف السابع فى حين لا تزال مادة الدين اختيارية.

وكانت ميركل أعربت فى وقت سابق عن تأييدها لتدريس الدين كمادة أساسية فى المدارس ببرلين على غرار ما يحدث فى ولايات ألمانية أخرى.

إصدار أول مجلة إسلامية فى الدنمارك

أصدر مثقفون مسلمون فى الدنمارك العدد الأول من مجلة «جازيته» الشهرية، وهى أول مجلة دنماركية تعنى بالشئون العربية والإسلامية، وعاداتها وثقافتها فى المجتمع الغربى، وتحتوى المجلة على عدة مقالات وتحقيقات ومقابلات مع عدد من أفراد الجالية الإسلامية إلى جانب بعض الدنماركيين الذين يعايشون الحياة الاجتماعية بشكل يومى فى المجال الثقافى وحتى السياسى، بالإضافة لاعتناء المجلة بالصحة العامة كالتحذير من الأمراض الخبيثة إلى جانب تقديم النصح للعاملين فى المجال الاقتصادى.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ / أحمد توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل سفير سنغافورة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٩م معالى السيد / [illegible] - سفير دولة سنغافورة بالقاهرة وتأتى هذه الزيارة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده بجمهورية مصر العربية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في الأزهر الشريف، وحمل السفير فضيلته التحية من رئيس دولة سنغافورة والحكومة والشعب، مشيداً بالعلاقات الطيبة بين البلدين.

كما أبدى فضيلة الإمام الأكبر إعجابه بالمجتمع السنغافورى وذلك أثناء زيارته الأخيرة لسنغافورة، ووصفه بأنه مجتمع متسامح لا تستطيع أن تفرق فيه بين مسلم وغير مسلم والكل يعتز ببلده سنغافورة التي يعيش فيها لأنهم إخوة في الإنسانية، وتمنى فضيلته لسنغافورة دوام التقدم والرقى.

كما أشاد فضيلة الإمام الأكبر بطلبة سنغافورة الذين يتلقون دراستهم بالأزهر بكل نشاط وخلق رفيع.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر الشريف لأبناء سنغافورة الذين يدرسون في الأزهر وجامعته الشريفة من رعاية شاملة، كما أثنى على فترة تواجده بمصر والتى يعتبرها من أفضل فترات حياته [illegible] الشعب المصرى الذى يمتاز بالكرم والمحبة.

وفى نهاية اللقاء تمنى فضيلة الإمام الأكبر للضيف التوفيق فى عمله الجديد.

الإمام الأكبر يستقبل المتحدث الرسمى للبرلمان المجرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الأربعاء ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٩م - السيد / جابور فيلاجوش - المتحدث الرسمى للبرلمان المجرى.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف فى الأزهر الشريف، ثم قدم فضيلته شرحاً موجزاً عن التعليم بالأزهر

الشريف وجامعته الذى تعتز [illegible] فيه بالتوسط والاعتدال، وأن الناس إخوة فى الإنسانية وهذه الأخوة الإنسانية تستوجب من الجميع التعاون وتبادل المنافع فيما بينهم. وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وكل إنسان حر فى عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله عز وجل وليس البشر، واتفق الطرفان على أن الغفوة [illegible] الإنسانية [illegible] وجدت لتعاون على الخير وجلب الخيرات والرخاء والأمن بين أفراد المجتمع الإنسانى كله. وأن أقرب طريق لنشر الأمن والسلام هو تعارف الأفراد وتعاون الدول، وأن يسمع كل فريق للآخر بعقل متفتح ونية صادقة. وأن [illegible] بسبب الهدوء والأمان بين الشعوب، وأن الحروب فيها الويلات للجميع، كما أن الحروب لا يمكن أن تحل المشكلات ولابد أن نسعى للحلول المؤدية للسلام لأنه على مر التاريخ لم تأت الحروب بخير.

ويستقبل وفد مجلس شورى مسلمى روسيا

- كما استقبل فضيلته وفد مجلس شورى المفتى والإدارة الدينية لمسلمى القسم الأوروبى لروسيا برئاسة السيد / [illegible]

وقد جاءت هذه الزيارة فى إطار التعاون الثقافى المشترك بين الأزهر وروسيا الاتحادية، حيث يوجد طلاب من روسيا الاتحادية يدرسون بالأزهر الشريف. وأن الدراسة فى الأزهر تتميز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى [illegible].

ومن جانبه شكر الوفد الأزهر الشريف على ما يقدمه لأبناء روسيا من خدمات تعليمية ورعاية صحية ومعيشية [illegible] البحوث الإسلامية. وأن الهدف من هذه الزيارة هو الاستفادة من مناهج الأزهر التعليمية وذلك من خلال اطلاعهم على كتب تخدم [illegible] المرحلة الإعدادية، وأنه سيتم التنسيق مع المختصين بتعليم بالأزهر لاتمام هذا التعاون.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عبد الفتاح علام - وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ / على عبد الباقى - أمين عام مجمع البحوث الإسلامية.

الإمام الأكبر يستقبل مدير مركز الحوار بجامعة لاتروب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبه يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ / ٤ / ٢٠٠٩م وفد مركز الحوار بجامعة لاتروب الأسترالية برئاسة الأستاذ الدكتور / جوزيف كاميلرى مدير مركز الحوار بجامعة لاتروب، وتأتى هذه الزيارة ضمن جولات قام بها الوفد فى منطقة الشرق الأوسط حيث زاروا كلا من سنغافورة وماليزيا وبعض الدول العربية من أجل التقريب بين المسلمين والمسيحيين وتعزيز حوار الأديان وسماع رأى الحكماء فى الأزهر الشريف وبخاصة فضيلة الإمام الأكبر المعهود عنه الحكمة والرأى [illegible].

ومن جانبه رحب فضيلة الإمام بمثل هذه المؤتمرات التى تدعو إلى ما ينفع الناس ونشر السلام والرحمة والأخوة الإنسانية بين البشرية. كما أكد فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام تعتبر الناس جميعا إخوة فى الإنسانية ولكل

بين عقيدته والعقائد لا تنازع ولا تشترى، وأن الذى يحسب على العقيدة هو الفداء والاحتفال فى الخلافات لا يسمح على العدوان. وفيما يتعلق بمشكلة الأوروبيين نقول للناس كونوا معتدلين ولا تكونوا متحرشين إنما هو دور رجال الدين فى التوعية وهو ما أمرنا به الإسلام بتعاليمه المختلفة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح علام – وكيل الأزهر الشريف

قانون التوثيق وقانون التلقيح الصناعى

وافق مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر خلال جلسته الشهرية التى عقدت يوم الخميس بتاريخ ٣٠/٤/٢٠٠٩ على مذكرة لجنة البحوث الفقهية بشأن تعديل بعض أحكام القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٤٧ والخاص بإصدار قانون التوثيق حيث سبق للمجمع مناقشته فى جلسته بتاريخ ٢٨/٢/٢٠٠٨ وأرسل للمجلس الشعب التوصية ومفادها أن المشروع يخالف أحكام الشريعة الإسلامية ومخالف للدستور على السواء لأن الزواج المستوفى للأركان والشروط الشرعية هو الزواج وتم فى ذلك العقد والإشهار بأى وسيلة كانت فهو عقد صحيح وبذلك لا يجوز إيقاع أى عقوبة على من باشر هذا العقد أو شهد عليه حيث لا جريمة فى مباشرة ما أجازه الشارع.

كما وافق المجلس مذكرة لجنة البحوث الفقهية بشأن الاقتراح المقدم من عضو مجلس الشعب بأن تقدم حيث حول مشروع قانون تنظيم عمليات التلقيح الصناعى وأطفال الأنابيب إلا إذا توافرت عدة شروط:

١ - أن يثبت بناء على تقرير طبى صادر من ثلاثة أطباء ثقات متخصصين فى أمراض النساء أن الزوجة لا يمكنها الحمل إلا بهذه الطريقة.

٢ - أن تكون العمليات المزمع إجراؤها بين الزوجين أثناء قيام الحياة الزوجية

٣ - أن يحصل الطبيب على موافقة كتابية من الزوجين بعد تبصيرهما بكافة المخاطر المحتملة للعملية ونسبة نجاحها والطفل الذى يولد من خلال هذه الطريقة هو طفل شرعى

مادة (٢) يحظر التعامل مع الجينات التى تهدف إلى التحكم فى جنس الجنين.

مادة (٣) يحظر اللجوء إلى التلقيح الصناعى أو الإخصاب الخارجى فى الأنابيب عن طريق الاستعانة بنطفة متبرع أو بويضة امرأة غير الزوجة.

مادة (٤) يحظر إجراء عملية الإخصاب الخارجى فى الأنابيب التى تتم بين بويضة الزوجة ونطفة الزوج ثم تعاد البويضة المخصبة منها للزرع فى رحم امرأة أخرى غير الزوجة.

مادة (٥) لا يجوز إجراء عمليات التلقيح الصناعى إلا فى المستشفيات والمراكز الطبية التى يرخص لها وزير الصحة بذلك.

مادة (٦) فى حالة مخالفة المواد السابق ذكرها يعاقب المخالف بالحبس وبغرامة لا تقل عن (١٠) آلاف جنيه ولا تجاوز (٥٠) ألف جنيه.

مادة (٧) يجب أن تقيد العمليات المشار إليها فى سجلات خاصة تثبت فيها شخصية كل من الزوجين وكافة البيانات الخاصة بهم.

اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

- برئاسة فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح علام – وكيل الأزهر الشريف عقدت يوم الأحد ٣/٥/٢٠٠٩ جلسة المجلس الأعلى للآباء والمعلمين حيث تم عرض أعمال لجنة متابعة تنفيذ قرارات المجلس، كما تم عرض تقرير ما تم تنفيذه من خطة الأنشطة ٢٠٠٨/٢٠٠٩م، كما عرض خطة الأنشطة والخدمات الطلابية للعام ٢٠٠٩/٢٠١٠ كالتالى:

- متابعة اللجنة الانتهاء من صرف المساعدات الاجتماعية للطلاب ذوى الظروف الاجتماعية الخاصة والبالغ عددها ٢٠ ألف حالة بإجمالى ٢ مليون جنيه.

- إقامة حفل تكريم الطلاب المتفوقين من الأيتام طلاب المعاهد وعددهم مائة طالب تم منح كل طالب ١٠٠٠ جنيه بالتعاون مع جمعية دار الأورمان.

- متابعة إتمام شراء ٣٢٠٠ جهاز حاسب آلى بإجمالى مبلغ قدره (٤٤٤١٦٠٠ جنيها) وسيتم توزيعها على المناطق الأزهرية بمعرفة الإدارة العامة للكمبيوتر التعليمى طبقا لخطة التوزيع المعتمدة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

متابعة تنفيذ المشروعات المقترحة بالخطة ووحدات التغذية بما يعود بالفائدة على طلاب المعاهد ويحقق الهدف المنشود.

كما تم عرض خطة الأنشطة والبرامج خلال العام ٢٠٠٩/٢٠١٠ فى الفترة من ١/٧/٢٠٠٩ وحتى ٣٠/٩/٢٠١٠ حيث تم تخصيص مبلغ (٤١٩٦٥٠ جنيها) على مسابقة حفظ القرآن الكريم – الرياضات – المسابقات الاجتماعية – المسابقات الرياضية – المسابقات الثقافية – المؤتمرات – تكريم أوائل الشهادات العامة الأزهرية والحرة – الكرة – وفى مجالات المعسكرات للمتميزين فى الأنشطة المختلفة (اجتماعى – رياضى – ثقافى – كشفى – إسكان) فتم تخصيص (٨٣٧٠٠٠ جنيها).

- وفى مجال معسكرات الأنشطة النوعية والرحلات فتم تخصيص مبلغ (١٣٩٨٠٠ جنيه).

وفى مجال المتنوعات وتشمل الدعم لمعارض الأنشطة والأرشحة وخلافه فتم تخصيص (٥٩٨٥٠٠ جنيها) وبذلك يكون الإجمالى العام لمجالات المسابقات والاحتفالات والمؤتمرات والمعسكرات فى الأنشطة المختلفة للمتميزين والأنشطة النوعية والرحلات وفى مجال المتنوعات هو مبلغ (٧٥٠٠٠٠ جنيه).

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح نوردو – رئيس قطاع المعاهد الأزهرية

These words signify that if the Egyptians want to invent, this will be through the slang, as it has hidden power that pushed the people to invent! This speech aims at delusion and a malicious intention: dispersing powers, shaking confidence in the National language and breaking the nation by breaking subdividing the language into dialects.

Some people may wonder: Isn't the slang the language of the people and we are in the era of people now? Doesn't it have the priority to be followed in writing literature and culture? This is a true word that intends delusion. Popularity does not mean participating in creating and spreading diseases, imposing it on the rest of our cultural entity. However, it means getting introduced to the pains of the people along with curing the disadvantages and shortages and promoting its standards whatever different.

Popularity does not mean triteness and mixing its styles, however, it aims at educating and improving the taste of the people. This can not be reached except throughout one language including the attributes of the people and reflects their experiences and traditions. Dialects can not perform this serious role, rather, it is like the patched dress that has neither beginning nor end and its material can not be known.

We should refer to the fact that the call for using slang lacks sound thinking, as it leads to serious results, the most important of which is the earlier historical events that predict that if each of the Islamic and Arab countries uses its dialect as the language of writing and literature, the spiritual link will be cut and the people will be culturally and politically separated. This may lead to absolute lingual separation of each country or environment. It is established in the language sciences that when the dialects get separated and have their own rules, they may be completely separated throughout the years, resulting in different languages.

I do not think that the callers for using the slang aim at these serious effects that threaten the Muslims in general and the Arabs in particular, as well as get rid of its nationality that depend on the unity of language and culture. Also, I do not think that they want to impose a certain dialect on all of the societies.

Thus, we may wonder, which dialect is chosen for this role and destiny? Preferring one dialect to the other is not accepted by any logic or sound thinking.

All of the dialects are equal in rank in the scientific point of view. Each people calls for the preference of their dialect for external or hidden causes.

Moreover, the chosen dialect should be faced by difficulties at carrying out, including educational difficulties and others stemming from emotional objection from the side of the other people, whose dialects are destined to die.[4]

It is clear now that it is not a matter of slogans released by advocators and opposers, but this case needs sound thinking and deep study for our problems, cultural status and social and political organizations.

It is clear now that it is obligatory to use one language that has general attributes.

This language exists among us: it is the Arabic language that has sound rules and styles fixed by the scientists of the Arabic language. It gives us honor that it is the language of the Noble Qur'an as well as the good literature including poetry and prose and the intellectuals who are jealous for the Arabic language.

The continuous struggle between the dialects and this language and the attempt of these dialects to overcome and weaken it are matters that can be eliminated and alleviated by certain methods implemented by the linguists.

These methods are tried by many nations to alleviate the seriousness of these dialects and to narrow the gap between the dialects creating the common language. When you listen to this language, you do not find the local entity or the narrow environmental attribute of the speaker.

One of these methods is the unity of culture; we do not mean culture in its distinctive meaning, but in its general meaning that signifies unity of behavior, traditions and values.

This cultural unity will not be implemented without social approximation among the standards to bring them closer to each other. Thus, they will accept one kind of culture, which can be done by media means such as journalism, radio, book, theatre, cinema and others.

The political unity of the peoples has great effect in bringing dialects closer to each other and in developing a common language.

History, in the present and the past- is full of examples that assure the truth of what we say

In Greece, there were many dialects, when the country was divided into smaller town, but it had a common language after the unity of these towns politically and the establishment of a central government dominating them.

This was also the case in Germany, when it was divided into towns and provinces, each of which had a certain dialect. Then, it had a unifying language after the political unity and the translation of Luther for the Holy Book in styles and expressions not particular to a certain territory.

There are other detailed factors in this respect, all of which-along with the previous ones-serve one aim: developing common language uniting the citizens of a nation.

These methods are possible to implement and to apply. Thus, we, the Muslims, should walk on this way to support the eternal Arabic language, as this is the way of glory and power.

The power of the nation in the unity of its language...!

By: prof Dr. Kamal Besher
The former president of the Arabic Language Academy

It was settled for the intellectuals that language is the most important element of nationalism and its factors; rather, for some of them, it is the first basis that consti- tutes the axle around which the other factors rotate either near or far. In this case, they do not err, as language is the sacred bond that links the members of the society, and the means by which the society that has different purposes can be powerfully united.

Thus, it is not strange that the lingual side of any nation is a distinctive element that constitutes its entity, and gives it a distinctive character. This matter is not skipped by the scientists and scholars, as they considered language as an essential condition in defining a certain nation. The following words were said by Arndt, who defined the German nation saying, "It is the place in which the German language is pronounced. It is the country in which "praise be to Allah" is said in German."

Moreover, language is not a set of sounds or words that are pronounced by a cer- tain person whenever he wants, but it is, in essence, an extract of experiences, tradi- tions and values that prevail in the society to which this person belongs. Thus, if he wants to maintain his personality and subjectivity, he should not renounce the lan- guage of his nation, because it will be alienation from the common rules and methods of the people.

If he likes to deviate from the language of the society-in this way he becomes isolat- ed and denounced by the society-he announces, consequently, his rebellion against its traditions and values along with the behavior that becomes part of its life and attrib- utes. He does not get that when he renounces the language of his society, he renounces its social system, as the language of a certain society is a sort of social behavior.

Many researchers and intellectuals realized this fact, as they declared that it is diffi- cult-if not impossible-that one nation get united and powerful without depending on a unifying language collecting the hearts and feelings of its citizens. Thus, they will be led by one hand and one heart towards their aspirations and goals because the unified language represents a kind of similarity of opinion, thinking, behavior and way of liv- ing. Also, the unity of language is the way of unifying culture and approximation of opinions along with constituting feelings throughout the unity of hopes and pains.

This is the matter with the unity of language and its effect in the society. If this great building is cracked, and the language is subdivided into dialects, this becomes the first danger that warns against the dispersion of word and a threat for unity and nationalism. This is because the difference in language-which is the way of commu- nication-signifies either directly or indirectly the difference of tastes and general ideas, difference of social and cultural circumstances.

These factors cause the destruction of nations, disruption of their unity and weak- ening their power. The danger may intensify, i.e., when the dialects continue to diverse and differ becoming separated languages, the way it happened in the French, Italian, Spanish and others, which are dialects of Latin, and the way it happens to Arabic, Hebrew and other languages derived from old S?mi language.

Thus, it is true to say that calling for using the slang in writing and literature in the Islamic and Arab countries, it is a call from the side of the ignorant and malicious, who should rather study their original language. This advice does not imply any fanaticism or inactivity, as we do not ask for impossible matter-but we ask for strengthening the way of leadership, which is the original Arabic language. The call of using the slang is malicious, as it causes the disunity of the nation and the collapse of its entity and personality as we mentioned previously.

It can not be hidden that the call for using the slang is a colonist call, as the colo- nizer knows quite well that the unity of language has a great effect in strengthening the citizens and collecting their feelings against them. Thus, he exerts great effort in weakening and getting rid of it to get his goals and demands.

We did not hear in old or modern history that the colonizers with their different nationalities support the language of the country they occupied or managed to spread it or leave it free. On the contrary, they managed to invent tricks to fight it, either by imposing their language and culture or by isolating it from the society to which it belongs, leaving the dialects grow and develop to win over the national language.

The examples of these two methods of fighting the national languages are known and familiar in the African and Asian countries that were afflicted by occupation. Sir. William Willkoks, one of the British colonizers, said in this regard in 1893, "The main reason for Egyptians' loss of the power of invention is using the original Arabic lan- guage in reading and writing."

Moreover, they stopped serving the Qur'an in the way their ancestors behaved.

You see the Muslims divided into sects against the Noble Qur'an:

1- The sect of the arrogant: They became detached from the religion to their present life. They were blinded by the decorations of the present life, money and power, believing that happiness is hidden behind the material part of life. They did not find a need for the Qur'an, the matter that urged them to turn away from its verses. They did not realize its lessons and were preoccupied with trivial matters that are not important to educate the souls.

{And of mankind are (they) who trade diverting discourse to lead into error away from the way of Allah without knowledge, and to take it to themselves in mockery; those shall have a degrading torment} [Luqman (The sage):6]

2- The sect of the foreign culture-deluded: They thought that this kind of knowledge and philosophy is the right one. They preferred these cultures, which diverted them from the Qur'an and its sciences and morals. They disregarded it, claiming that they did not know much of it, as it contains the stories of the earlier people along with the law of the Arabs living in deserts. They followed the rules of the devils, and depended on them in organizing their affairs.

{So have you seen him who has taken to him his prejudice to be his god, and Allah has led him into error out of a knowledge, and has sealed his earing and his heart, and made an envelopment on his beholding? Who shall then guide him ever after Allah? Will you then not be mindful?} [Al-Jathiyah (Kneeling):23]

3- The sect of the common people and semi common people:

They failed to make good use of the Noble Qur'an in the way that Allah wanted. Then, they managed to use it in a wrong way that the Qur'an refuses. Moreover, they were helped by the people who are supposedly assigned to maintain the Qur'an. These people read it at the tombs and out of the doors of the mosques to beg and in the roads. They took from it the amulets to treat the serious diseases by reciting, writing, censing or reading it over the water before drinking.

Thus, they humiliated the Qur'an, the most valuable thing in their life, and presented it in a denounced and bad way.

The conclusion:

The status of this nation will not be reformed except in the way the earlier people did. The Qur'an was the leader and secret of happiness of our ancestors. Thus, it should be the leader of our nation; consequently, our nation will restore its previous glory.

{Is it not due time for the hearts of (the ones) who have believed to submit to the Remembrance of Allah and that which came down of the (truth), and that they should not be as the ones to whom the Book was brought aforetime? Then (their) span became long to them, so their hearts hardened; and many of them are immoral. Know that Allah gives life to the earth after its death. We have already made evident for you the signs that possibly you would consider.} [Al-Hadid (Iron):16-17]

May Allah grant us success to follow the straight path, the path of the ones whom You have favored, other than that of the ones against whom You are angered, and not (that of) the erring.



Thus, the occupational countries were, at any time they entered an Islamic country, keen on separating and detaching the people of the country from memorizing the Noble Qur'an. The representatives of the occupation often present hatred among Muslim people when they feel that the matters are very difficult where the Qur'an dominated its people.

The earlier Muslims believed in these matters and that the Qur'an is the source of power and the right path, thus they put it in the first position of sanctification and pounced at memorizing and studying it to get out its precious values.

Some of them got introduced to its styles which included sorts of eloquence and rhetoric, while others analyzed its stories, lessons and the intended secrets that take the human beings to the sublime levels. All of them perceived the signs of preachment and guidance along with its effect on souls and hearts. The Noble Qur'an had the power to guide the people to lessons and values that are essential for life.

Thus, the earlier Muslim scholars were preoccupied with the Noble Qur'an and started to spread the legislation bases and morals in all of the Islamic nations till they became happy and advanced, as the power of their quantity was accompanied by the power of spirit and wakefulness of conscience. The individual used to act for the sake of the society, whose individuals were happy.

Cooperation and well-being dominated the souls. It was a society that believed in monotheism and in the Qur'an and the sunnah of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). At that time, you could not see a bribee, a thief, a forger, a swindler or a wanton. Only you would find altruism and love among the members of the nation. There was neither separation nor hatred among the member of the society.

The Muslims were like the correlated bricks in a building, and this correlation is the cause of power and welfare. The concern for understanding the Qur'an is the reason for the welfare and progress for the Islamic nation. If we adhered to the instructions of the Qur'an, we would have been at the top of the nations and the Muslims would not have retarded. The understanding of the Noble Qur'an became not as good as it was previously. Also, the religious conscience that linked the hearts of the Muslims is not like its previous status.

Now, the Muslims became retarded when the Islamic light is extinguished in their hearts. If you remember the old history, you will find that the Muslims progressed, when Islam was at the bottom of their hearts. When their true religion is mixed with the alien traditions and idiocy became piety. Then, it was emphasized at the people's hearts that Islam came not to organize the present life to the extent that they thought that civilization is far from religion and progress is away from its path. However, returning to the true Islam is the basis on which our society should depend to progress and surpass the other societies.

The Noble Qur'an filled the hearts of the previous believers to the extent that it guided them to light. When it was recited, their eyes became full of tears and their hearts full of fear. When their minds contemplate at the universe, their belief become deeper.

This Noble Qur'an guides the people to the rightist path and carries good tidings to the Muslims of great reward. When it was recited to priests and clergymen, their eyes were full of tears as they knew the right facts.

Also, our ancestors truly believed in the Noble Qur'an and extracted its lessons for their life. They knew from it the orders and the prohibited acts. They continued in this way till their hearts were full of the light of the Qur'an.

It was the source of creed, morals and legislation. Thus, their hearts and souls became sublime and they walked towards welfare and prosperity. The light of the Noble Qur'an spread when the people living between the borders of China from the east and those of Andalusia to the west were united. The kings surrendered to them, and the word of Allah became the highest, and that of the disbelievers were the lowest.

Thus, Allah carried out His promise to the believers. This was the Qur'an that Allah sent, and this was the status of the earlier Muslims with the Qur'an. Then, what is the status of the Qur'an for the Muslims nowadays?

The Muslims followed the Noble Qur'an in their personal and social life, and they were rightfully directed and guided by it. The successors of those people deviated from the guidance of this Book believing that Allah will forgive them. Did not Allah gave them the responsibility of studying this Book and not to say about Allah except the right facts?

The successors of those people were directed by their desires, and believed in spoiled creeds and illusions. Thus, their will weakened and they became separated.

used it innately as part of the language of discourse that was prevailing before the descending of the inspiration. This language became a science taught not to limit the understanding of the inspiration to the Succession generations. Al-Azhar opposed the attempts to revive the slang and local dialects and the attempt to write the Arabic letter in non-Arabic letters.

At-Tebian magazine mentioned in the issue of Zul-Qe'dah, 1429 A.H that Al-Azhar has its clear effect on the branches stemming out of it, such as the Faculty of Sciences House(Dar-Aloloum) and the School of legislative Judiciary madrsatul-Qadae Esharei . History can not forget the roles of Mohammad Abdo, Imam Hassan At-Tawil, Sheikh Hussein Al-Marsefy, and the previous Al-Azhar Sheikh Mustafa Abd Al-raziq in teaching the legislative and foreign sciences in the Faculty of Sciences House and the School of legislative Judiciary.

Thus, many genius intellectuals in Islamic sciences and modern Arabic literature were graduated from these two faculties. History can never forget the effect of Sheikh Muhammad Al Khudary in establishing the Egyptian university.

Also, it can never forget the writers, poets, preachers, judges and political leaders taught by the Sheikhs of Al-Azhar. The prince of poets, Ahmad Shawqy, was affected by his Sheikh Muhammad Al-Basiony and his speeches for the students of Al-Azhar. The poet of the Nile, Hafiz Ibrahim was taught by Muhammad Abdo. and Mahmoud Samy Al-Baroudy was taught by Sheikh Al-Marsefy. He said about him in poem :

I searched among the people

And did not find a more perfect person than Al-Marsefy

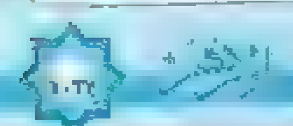
The prince of poets, Ahmad Shawqy, praized Al-Azhar in a poem:

Salute Al-Azhar and spread gems in the whole world

It is like pearls spread in the sky

Thanks to the way of teaching specific to Al-Azhar before establishing the methodical faculties, Al-Azhar attracted many students from all around the world to study, as studying at that in Al-Azhar was open, and every sheikh has his own way of teaching, and the student is free to attend the lessons he wishes. Studying in Al-Azhar was remarked by conversation and discussion along with dialogues between the students and the sheikhs to improve thinking and understanding.

The language of teaching in Al-Azhar was and is still the eloquent Arabic language. Other departments that depend on English and other languages were introduced recently in the university such as the Faculty of languages and translation, the department of Islamic Shari'a and law in the Faculty of Shari'a, in which study is in English.



The Noble Qur'an and its language are the source of power for the Muslimsi!

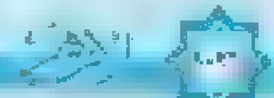
By: The honorable previous Azhar Grand Imam, Mahmoud Shaltout

This is the Noble Qur'an which Allah sent to Mohammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) to make the people understand its verses and instructions. Moreover, they should obey its orders perfectly, avoid the prohibited acts, be guided by its light, adhere to its morals to be happy in the present life and the Afterlife. Thus, they do not know disgrace or humiliation.

Thus, you see that the Noble Qur'an brings to us a perfect eternal system for the humanity not only in the present life or religion, but it combines between the system of the present life and religion. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Allah sent the Noble Qur'an full of orders, prohibited acts, and examples. It includes your news and the news of your precedents and ancestors. It directs you throughout the time; and its wonders do not diminish. It is the real truth without joking.

The one who quotes it is considered truthful; the one who judges by it is considered fair; the one who uses in arguments becomes rightful; the one who swears by it becomes just; the one who sticks to it gets gaining. The one who abides by it becomes guided to the right path; the one who uses any other thing in his judgment becomes misguided. It is the clear light, right path and Allah's strong bond that protects the one who abides by it. It saves its followers from misguidance and its wonders do not come to an end.

The Noble Qur'an is the alleviation of hearts, as it makes the people who stick to it powerful, without being humiliated by any human being; rather, they live in powerful freedom endowed to them by Allah. They are merciful towards each other, living in truthfulness, cooperation, intimacy and sympathy. They do not want anything except being united strong nation against evil, aggression and tyranny. Thus, their enemy does not find any gap to reach them.



AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al-a'khera, 1430



ENGLISH SECTION
May, 2009

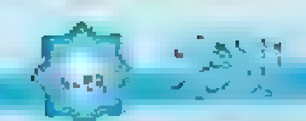
In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM AL-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



The efforts of Al-Azhar in preserving the Arabic Language...!

By : Dr . Ibrahim Al-Assil

Al-Azhar was established since one thousand and fifty years as a university teaching Arabic and Islamic sciences. Its concern for the Arabic language was based on religion, as the inspiration including Qur'an and Sunnah is sent in this language. Allah, Glory be to Him, said:

{The trustworthy Spirit has come down with it. Upon your heart, that you may be one of the constant warners, in an evident, Arabic tongue.}

[As-Shu'ara (The Poets): 193-195]

It is impossible to understand the significances of the inspiration without mastering the Arabic language, which Allah, Glory be to Him, has chosen to be the language of His inspiration. Thus, the Arabic language derived its eternity from the Islamic religion. The mastering of Arabic was the first step to understand the inspiration. Also, it derived its perseverance from Allah's promise to preserve the Noble Qur'an. Allah, Glory be to Him, said:

{Surely We, Ever We, have been sending down the Remembrance, and surely We are indeed Preservers of it.}

[Al-Hijr: 9]

Arabic may be the only Sami language that maintained its grammar unlike the other Sami languages thanks to Al-Azhar. It studies these important parts of Arabic grammar, inflection, etymology, rhetoric and literature, the matter that helped to verify the eloquent Arabic style and to distinguish the Qur'anic style from Arabic poetry. Moreover, it helped to form metrics to prove that the Noble Qur'an is not poetry, and that Allah's Messenger (May the blessing and peace of Allah be upon him) is not a poet. Allah, Glory be to Him, said:

{And in no way did We teach him poetry; and in no way does it behoove him. Decidedly (this revelation) it is nothing (else) except a Remembrance and an evident Qur'an}

[Ya-sin: 69]

Al-Azhar continued to commit itself to educating the classical Arabic to be the same of what used at the time of the descending of the inspiration, as the Arabs





فهرس العدد

■ علي مبارك يصف الأزهر القديم (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ٨٥٩

■ تفسير سورة النساء
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ٨٦٤

■ السماحة من مكارم الأخلاق
لفضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومي ٨٧٢

■ أدب الأنبياء والرسل مع الله عز وجل
لفضيلة الشيخ فوزي الزفزاف ٨٧٦

■ فقه الأولويات والموازنات
للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي ٨٨٢

■ النور المحمدي: حوار لا تنقصه الصراحة حول مخطوطة موضوعة (٣)
لفضيلة الشيخ طاهر الحامدي ٨٨٧

■ قصيدة الغد من وحي يثرب
للشاعر الدكتور [illegible] ٨٩٠

■ قصة الهند: أربعة شهداء
للدكتور [illegible] ٨٩٢

■ الصدقة في ميزان الإسلام: الصدقة تحمي صاحبها من عذاب القبر
لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي ٨٩٧

■ أثر الخلق في المجتمع
لفضيلة الشيخ [illegible] ٩٠٠

■ السياحة والسائحون في المنظور الإسلامي
للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ٩٠٤

■ استفتاءات القراء
للأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية ٩٠٩

■ خطبة الجمعة: [illegible] في الإسلام
للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي ٩١٤

■ مسئولية الإنفاق داخل الأسرة
للمستشار حسن حسن منصور ٩١٨

■ من أعلام الأزهر: الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي
للأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج ٩٢٤

■ المساجد مصانع الرجال
للدكتور [illegible] ٩٢٩

■ دروس قرآنية في التربية النبوية
للأستاذ محمد مصطفى [illegible] ٩٣٠

■ فلسفة البيئة والتحديات البيئية برؤية إسلامية (٣)
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ٩٣٦

■ نشر الثقافة البيئية
للأستاذ عاطف مصطفى ٩٤٠

■ العرب والأفارقة ثقافة مشتركة
للأستاذ الدكتور عبد الله [illegible] محمد ٩٤٦

■ كتاب الشهر
للأستاذ الدكتور إبراهيم عوض ٩٥٦

■ في زمن العولمة: ثقافة العولمة بين [illegible]
للأستاذ [illegible] ٩٥٨

■ كيف نخرج أمتنا من المأزق الحضاري (١)
للدكتور محمد عمارة ٩٦١

■ الإعلام والحضارة الإسلامية
للأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس ٩٦٩

■ بين الصحف والمجلات
للأستاذين [illegible] ٩٧٤

■ القوى الحزبية غير المشاركة في الكنيست
للأستاذ صلاح عبد [illegible] محمد ٩٨٠

■ مساحة الشباب: الشباب ... ووقت الفراغ .. رؤية إسلامية
للدكتور [illegible] ٩٨٥

■ رجل من طراز [illegible]
للأستاذ [illegible] ٩٨٩

■ قراءة في كتاب: [illegible] .. فصل الخطاب
للأستاذ [illegible] ٩٩٠

■ بين [illegible]
للأستاذ [illegible] ٩٩٧

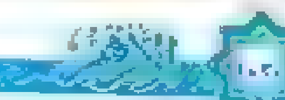
■ [illegible]
[illegible] ١٠٠٢

■ أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للأستاذين [illegible] ١٠٠٥

■ أنباء العالم الإسلامي
للأستاذين [illegible] ١٠١٠

■ أنباء مكتب شيخ الأزهر
للأستاذ [illegible] ١٠١٥

■ القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد أ.د. إبراهيم [illegible] ١٠٢٩



هدية العدد
تكريم الله تعالى لنبيه محمد

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

VOL. 82 - Part VII



AL AZHAR MAGAZINE

July, 2009
Part VII



باب الكعبة المشرفة

الثمن
(١٥٠ قرشا)

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى

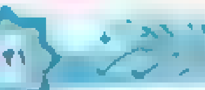
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩



أين المقال الأدبي الذاتي؟ هل من جواب؟

كثرت الصحف والمجلات كثرة مستفيضة، وقد حفلت بشتى أنواع الفنون، [illegible]

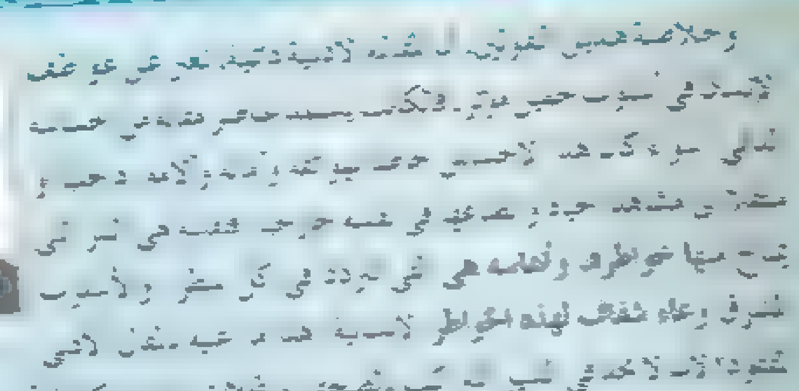
[illegible]

[illegible] فإذا الطعام ضائع مفقود، وإذا الشهوة إلى التهامه لا [illegible]

[illegible]

[illegible] وقد نقل الأستاذ عباس محمود العقاد قول [illegible]

[illegible] دائماً بأن يحس الكاتب إحساساً قوياً بموضوعه وأن يعبر عنه بعبارة قوية رائعة.



العقاد — طه حسين

[illegible] عن ضياع هذا الفن وأسفت لفقده [illegible]

[illegible] في زمن الاحتلال والإقطاع [illegible] وأنشد ما ألقى أن يذكر المنفلوطي – رحمه الله – [illegible]

[illegible]

في الفلك غير معطين جياع

[illegible]

ما يصنع الطروب إلا الهوى

[illegible] في الأعماق

[illegible] ضرورة ملزمة تلجئهما للحديث في [illegible] من رواج لون التحليل القصصي [illegible] فهو يصيب الحركة المسرحية [illegible] تحت لواء واحد وإذا كانت [illegible]

* مجلة الهلال أكتوبر سنة ١٩٨٣ [illegible]

[illegible] في مختلف فروعه.

فكيف يقال: إن المقال قد ضاق بهما، وضاقت به [illegible] كتب المقال الأصيل في بعض [illegible]

[illegible]

مسعود

[illegible]

وكم ذا بمصر من المضحكات!

[illegible]

[illegible] لأن نهج الكاتب أن يحشد ويجمع لا أن يحلل ويبسط.

[illegible]

١٩٤٧ مجموعة مصطفاة [illegible] دار الهلال [illegible]

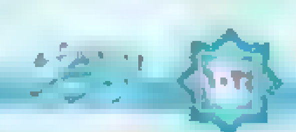
[illegible] مقالة جبران خليل جبران التي [illegible]

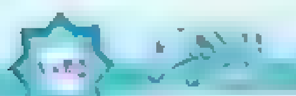
والكاتب في هذا التصوير هدف يرمي إليه هو أن [illegible]

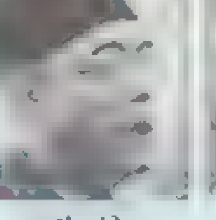
«حبيبتي يا أختي منزل منفرد عن جميع المنازل والأحياء [illegible]

[illegible] لا تستطيع أن تهبط به إلى وادٍ وطئته أقدام غيرك».

[illegible]









الرافعي — أحمد أمين

الخمسين في عمر الإنسان، [illegible] حسين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] جاوزوا الأربعين، وأنهم يتصرفون في التقديم والتأخير تصرف الآباء مع الأبناء في الأدب والمعاملة ورأيت أبناء الخمسين وقد بدت منهم شيطنة التلاميذ في معاملة الأساتذة الذين يوقرونهم ويحبونهم، ولا يخلو بعضهم من [illegible] الشيطنة [illegible].

[illegible] مقتضيات الشباب بل لعلها تزيده.

وللمازني وأحمد أمين وأمير بقطر مقالات نفسية رائعة أكتفي بالإشارة إليها.

هذا عن علم النفس، أما عالم المرأة فقد حفل بمقالات رائعة ما بين شرقية وغربية، [illegible] وبراعة التحليل.

أما مصطفى صادق الرافعي فيتحدث عن صورة المرأة [illegible] في رسالة كتبها إليها [illegible] حول النفس كأنها جو من الفرح لا من نسمات الجو.

ولقد بديع: ناضر كقطعة من زهور الروض.

[illegible] ومقالات [illegible] كثيرة فكيف أحصرها؟

أما ما يتصل بحديث الأسرة فقد حفل [illegible] كبير، حيث حرص فيه [illegible] كثير من أمثال طه حسين، وعبد العزيز البشري ومنصور فهمي وإبراهيم المازني ومحمد حسين هيكل، فكيف أختار من هؤلاء جميعاً؟

جرى [illegible] عن البشري قوله:

[illegible] في قلب الوالد [illegible] أرى [illegible]

أحب أولادي لأني أحب نفسي، [illegible]

[illegible]

وحديث طه حسين عن الأسرة [illegible]

[illegible] محمد حسين هيكل [illegible]

ولعلي قد قدمت من النماذج الرائقة [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

عبد العزيز البشري — محمد حسين هيكل

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال - تعالى - :

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

(الآية : ١١)

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لقوله - تعالى - :

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾

الآية

«هذه الآية الكريمة والتى بعدها والآية التى هى خاتمة هذه السورة هن آيات علم الفرائض.

وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث، ومن الأحاديث الواردة فى ذلك مما هو كالتفسير لذلك

وقد ورد الترغيب فى تعلم الفرائض فقد روى أبو داود عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: العلم ثلاثة وما سوى ذلك هو فضل: آية محكمة - أى غير منسوخة - أو سنة قائمة - أى ثابتة - أو فريضة عادلة - أى عادلة فى قسمتها بين

صحيحيها».

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تعلموا الفرائض وعلموه الناس؛ فإنه نصف العلم وهو أول شىء ينسى.. وهو أول شىء ينزع من أمتى».

ثم قال ابن كثير: وقال البخارى عند تفسير هذه الآية عن جابر بن عبدالله قال: عادنى رسول الله ﷺ وأبو بكر فى بنى سلمة ماشيين فوجدنى النبى ﷺ لا أعقل شيئا. فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علىّ فأفقت فقلت: يا رسول الله ما تأمرنى أن أصنع فى مالى؟ فنزلت

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾

الآية

وفى حديث آخر رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله!! هاتان ابنتا سعد بن الربيع. قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا. وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا. ولا تنكحان إلا ولهما مال. فقال ﷺ «يقضى الله فى ذلك» فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال ﷺ: «أعط ابنتى سعد الثلثين، وأمهما الثمن، وما بقى فهو لك».

ثم قال ابن كثير: والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتى. فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات ولم يكن له بنات، وإنما كان يورث كلالة

والحديث الثانى عن جابر أشبه بنزول هذه الآية هذا. وقوله - تعالى -

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾

بيان لما إذا مات الميت وترك أولادا من الذكور والإناث.

وقوله ﴿يُوصِيكُمُ﴾ من الوصية، وهى - كما يقول الراغب - (٢): التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم: أرض واصية أى متصلة النبات ويقال: أوصاه ووصاه.. ويقال: «تواصى القوم إذا أوصى بعضهم بعضا...»(٢) والمراد بقوله ﴿يُوصِيكُمُ﴾ أى يأمركم أمرا مؤكدا.

والأولاد: جمع ولد - بوزن فعل مثل أسد - والولد: اسم للمولود ذكرا كان أو أنثى والحظ: النصيب المقدر.

والمعنى: يعهد الله إليكم ويأمركم أمرا مؤكدا فى شأن ميراث أولادكم من بعد موتكم أن يكون نصيب الذكر منهم فى الميراث نصيب الأنثيين.

وصدر - سبحانه - هذه الأحكام بقوله ﴿يُوصِيكُمُ﴾ اهتماما بشأنها، وإيذانا بوجوب سرعة الامتثال لمضمونها، إذ الوصية من الله - تعالى - إيجاب مؤكد، بدليل قوله - تعالى -:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

(الأنعام: ١٥١)

أى أوجب عليكم الانقياد لهذا الحكم إيجابا مؤكدا.

وحرف «فى» هنا للظرفية المجازية، ومجرورها محذوف قام المضاف إليه مقامه، لأن ذوات الأولاد

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٥٧

(٢) المفردات فى غريب القرآن: ص ٥٢٥ للراغب الأصفهانى

لاتصلح ظرفا للوصية. والتقدير: يوصيكم الله في توريث أولادكم أو في شأنهم.

وبدأ - سبحانه - ببيان ميراث الأولاد، لأنهم أقرب الناس إلى الإنسان، ولأن تعلق الإنسان بأولاده أشد من تعلقه بأي إنسان آخر.

وقوله [illegible] جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب لأنها في موضع التفصيل وتبيين جملة [illegible].

وقد جعل - سبحانه - نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى، لأن التكليفات المالية على الأنثى تقل كثيرا عن التكليفات المالية على الذكر، إذ الرجل مكلف بالنفقة على نفسه وعلى أولاده وعلى زوجته وعلى كل من يعولهم، بينما المرأة نصيبها من الميراث لها خاصة لا يشاركها فيه مشارك.

وبهذا يتبين أن الإسلام قد أكرم المرأة غاية الإكرام، حيث أعطاها هذا النصيب الخاص بها من الميراث بعد أن كانت في الجاهلية لاترث شيئا.

ولم يقل - سبحانه - للذكر ضعف نصيب الأنثى، لأن الضعف قد يصدق على المثلين فصاعدا، فلا يكون نصا.

ولم يقل للأنثيين مثل حظ الذكر ولا للأنثى نصف حظ الذكر، لأن المقصود تقديم الذكر لبيان فضله ومزيته على الأنثى.

وعبر بالذكر والأنثى دون الرجال والنساء، للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك أصلا، كما هو زعم أهل الجاهلية، حيث كانوا لايورثون الأطفال ولا النساء.

وبعد أن بين - سبحانه - كيفية قسمة التركة إذا كان الورثة أولادا ذكورا وإناثا، عقب ذلك ببيان كيفية تقسيم التركة إذا كان الورثة من الأولاد الإناث فقط فقال - تعالى -

[illegible]

قال الآلوسي: الضمير للأولاد مطلقا. ولزوم تغليب الإناث على الذكور لا يضر، لأن ذلك مما صرحوا بجوازه مراعاة للخبر ومشاكلة له. ويجوز أن يعود إلى المولودات أو البنات اللاتي في ضمن مطلق الأولاد.. والمراد من الفوقية زيادة العدد لا الفوقية الحقيقية[3] ...

والمعنى: فإن كانت المولودات أو البنات نساء خلصا زائدات على اثنتين بالغات ما بلغن فلهن ثلثا ما ترك المتوفى.

وهذه الجملة الكريمة قد بينت بالقول الصريح نصيب الأكثر من البنتين وهو الثلثان إلا أنها لم تبين نصيب البنتين بالقول الصريح.

وقد روى عن ابن عباس أنه قال: الثلثان فرض الثلاث من البنات فصاعدا وأما فرض البنتين فهو النصف. ودليله صريح منطوق الآية، فقد اشترطت أن أخذ ثلثي التركة للنساء يكون إذا كن فوق اثنتين أي ثلاثا فصاعدا، وذلك ينفي حصول الثلثين للبنتين.

وقال جمهور العلماء: البنتان لاحقتان بالبنات، فلهما الثلثان إذا انفردتا عن البنين كما أن البنات لهن الثلثان كذلك.

وقد بسط الفخر الرازي أدلة الجمهور على أن نصيب البنتين كالبنات فقال ما ملخصه: وأما سائر الأمة فقد أجمعوا على أن فرض البنتين الثلثان. قالوا: وإنما عرفنا ذلك بوجوه:

أولها: من قوله - تعالى - [illegible] وذلك لأن من مات وترك ابنا وبنتا فها هنا يجب أن يكون نصيب الابن الثلثين لقوله - تعالى - [illegible] فإذا كان نصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين ونصيب الذكر ها هو الثلثان، وجب لا محالة أن يكون نصيب الأنثيين الثلثين.

الثاني: إذا مات وترك ابنا وبنتا فههنا يكون نصيب البنت الثلث بدليل [illegible] فإذا كان نصيب البنت مع الولد الذكر هو الثلث، فلأن يكون نصيبها مع ولد آخر أنثى هو الثلث أولى، لأن الذكر أقوى من الأنثى وإذا كان للبنت الثلث مع أختها وللأخرى كذلك فقد صار لهما الثلثان.

الثالث: أن قوله - تعالى - [illegible] يفيد أن حظ الأنثيين أزيد من حظ الأنثى الواحدة. وإلا لزم أن يكون حظ الذكر مثل حظ الأنثى الواحدة وذلك خلاف النص. وإذا ثبت أن حظ الأنثيين أزيد من حظ الواحدة فنقول: وجب أن يكون ذلك هو الثلثان. لأنه لا قائل بالفرق.

والرابع: أنا ذكرنا في سبب نزول الآية أنه أعطى بنتي سعد بن الربيع الثلثين، وذلك يدل على ما قلناه.

الخامس: أنه - سبحانه - ذكر في هذه الآية حكم الواحدة من البنات وحكم الثلاث فما فوقهن ولم يذكر حكم الثنتين وذكر في شرح ميراث الأخوات - في آخر السورة [illegible] فهنا ذكر ميراث الأخت الواحدة والأختين دون الأخوات، فصارت كل واحدة من هاتين الآيتين مجملة من وجه ومبينة من وجه فنقول: لما كان نصيب الأختين الثلثين كانت البنتان أولى بذلك، لأنهما أقرب إلى الميت من الأختين.

والوجوه الثلاثة الأول مستنبطة من الآية، والرابع مأخوذ من السنة. والخامس من القياس الجلي[4] ...

هذا وقد صح عن ابن عباس أنه رجع إلى قول الجمهور فانعقد الإجماع على أن للبنتين الثلثين.

ثم بين - سبحانه - الحكم فيما إذا ترك الشخص بنتا واحدة فقال: [illegible]

أي وإن كانت المولودة أنثى واحدة ليس معها أخ ولا أخت فلها النصف أي نصف ما تركه المتوفى.

وإلى هنا تكون الآية قد ذكرت ثلاث حالات للأولاد في الميراث:

الأولى: أن يترك الميت ذكورا وإناثا، وفي هذه الحالة يكون الميراث بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

الثانية: أن يترك الميت بنتين فأكثر وليس معهما أخ ذكر: وفي هذه الحالة يكون لهما أو لهن الثلثان خلافا لابن عباس في البنتين - كما سبق أن بينا.

الثالثة: أن يترك الميت بنتا واحدة وليس معها أخ ذكر. وفي هذه الحالة يكون لها النصف.

قال بعض العلماء: هذا توريث الأولاد. ويلاحظ ما يأتي:

(3) تفسير الآلوسي: جـ 4 ص 211، بتصرف وتلخيص.

(4) تفسير الفخر الرازي: جـ 9 ص 206.

أولاً: أن نصيب الأولاد إذا كانوا ذكوراً وإناثاً إنما يكون بعد أن يأخذ الأبوان والأجداد والجدات وأحد الزوجين أنصبتهم. فإذا كان للمتوفى أب وزوجة وأبناء وبنات، فإن القسمة للذكر مثل حظ الأنثيين تكون بعد أخذ الأب والزوجة نصيبهما.

ثانياً: أن الأولاد يطلقون على كل فروع الشخص من صلبه: أي أبنائه وأبناء أبنائه وبناته وبنات أبنائه. أما أولاد بناته فليسوا من أولاده. وقد خالف في ذلك الشيعة فلم يفرقوا في نسبة الأولاد بين من يكون من أولاد الظهور ومن يكون من أولاد البطون. أي: لا يفرقون بين من توسط بينه وبين المتوفى أنثى ومن لا تتوسط.

ثالثاً: أن أبناء المتوفى وبناته يقدمن على أبناء أبنائه وبنات ابنه. أي: أن الطبقة الأولى تمنع من يليها.

رابعاً: أن بنات الابن يأخذن حكم البنات تماما إذا لم يكن للشخص أولاد قط لا ذكور ولا إناث»[5].

وبعد أن بين - سبحانه - ميراث الأولاد أعقبه بيان ميراث الأبوين فقال:

﴿[illegible]﴾

وقد ذكر - سبحانه - هنا ثلاث حالات للأبوين.

أما الحالة الأولى: فيشترك فيها الأب والأم بأن يأخذ كل واحد منهما السدس إذا كان للميت ولد. وقد عبر - سبحانه - عن هذه الحالة بقوله:

﴿[illegible]﴾ أي لأبوي الميت ذكرا كان أو أنثى. والضمير في «أبويه» كناية عن غير مذكور. وجاز ذلك لدلالة الكلام عليه.

والمراد بالأبوين: الأب والأم. والتثنية على لفظ الأب للتغليب.

وقوله ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ بدل من قوله ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ بتكرير العامل وهو اللام في قوله ﴿[illegible]﴾ وفائدة هذا البدل أنه لو قيل: ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه.

وقوله «السدس» بيان للنصيب الذي يستحقه كل واحد من الأبوين.

أي: أن لكل واحد من أبوي الميت السدس مما ترك من المال ﴿إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: إن كان لهذا الميت ولد ذكرا كان أو أنثى واحدا كان أو أكثر.

قال القرطبي: فرض الله - تعالى - لكل واحد من الأبوين مع الولد السدس، وأبهم الولد فكان الذكر والأنثى فيه سواء. فإن مات رجل وترك ابنا وأبوين فلأبويه لكل واحد منهما السدس وما بقي فللابن. فإن ترك ابنة وأبوين فللابنة النصف وللأبوين السدسان وما بقي فلأقرب عصبة وهو الأب لقول رسول الله ﷺ «ما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر» فاجتمع للأب الاستحقاق بجهتين: التعصيب والفرض»[6].

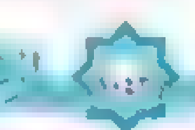
والحالة الثانية: وهي ما إذا مات وورثه أبواه، وقد بين - سبحانه - حكمها بقوله:

﴿[illegible]﴾

---

(٥) تفسير الآية الكريمة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة. مجلة لواء الإسلام. السنة الثالثة عشرة ص ٧١٥.

(٦) تفسير القرطبي: جـ ٥ ص ٧١.



أي: فإن لم يكن للميت ولد ولا ولد ابن وورثه أبواه فقط، ففي هذه الحالة يكون لأم الميت ثلث التركة، ولأبيه الباقي من التركة وهو الثلثان. إذ لا وارث له سواهما. فإذا كان معهما أحد الزوجين كان للأم ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة وثلثاه للأب، وهذا رأى جمهور الصحابة وهو الذي اختاره الأئمة الأربعة وأكثر فقهاء الأمصار.

أما الحالة الثالثة: وهي ما إذا مات الميت وترك الأبوين ومعهما إخوة أو أخوات فقد بين - سبحانه - حكمها بقوله:

﴿[illegible]﴾

أي: فإن كان للميت إخوة من الأب والأم أو من الأب فقط أو من الأم فقط ذكورا كانوا أو إناثا أو مختلطين ففي هذه الحالة يكون لأم الميت سدس التركة والباقي للأب ولا ميراث للإخوة لحجبهم بالأب وبهذا نرى أن إخوة الميت ينقصون الأم من الثلث إلى السدس وإن كانوا محجوبين بالأب.

وإذ شرط الله في إنقاص نصيبها من الثلث إلى السدس الجماعة من الإخوة علم أن الأخ الواحد لا يحجبها عن الثلث، بل يبقى لها الثلث.

أما الأخوان فيرى جمهور الصحابة والعلماء المجتهدين أنهما ينقصانها من الثلث إلى السدس. لأنه قد ورد في اللغة إطلاق الجمع على الاثنين كما في قوله - تعالى -

﴿[illegible]﴾ (التحريم: ٤)

ولأن الشارع قد جعل الأختين كالثلاث في الميراث. وكذلك جعل الاثنين كالثلاث ولا فرق بين الذكور والإناث.

ويروى عن ابن عباس أن الأخوين لا ينقصان الأم من الثلث إلى السدس فشأنهما شأن الأخ الواحد لأن الله - تعالى - قال: ﴿[illegible]﴾ بصيغة الجمع، والجمع أقله ثلاثة بخلاف التثنية والعمل على ما ذهب إليه الجمهور.

وإلى هنا تكون الآية الكريمة قد بينت ميراث الأولاد والأبوين. ثم عقبت ذلك ببيان الوقت الذي تدفع فيه هذه الأموال إلى مستحقيها من الورثة فقالت: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أي هذه الفروض المذكورة إنما تقسم للورثة من بعد إنفاذ وصية يوصي به الميت إلى الثلث، ومن بعد قضاء دين على الميت.

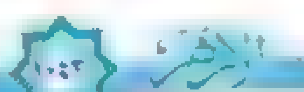
فالجملة الكريمة متعلقة بما تقدم قبلها من قسمة المواريث، فكأنه قال: قسمة هذه الأنصبة من بعد وصية يوصي بها الميت ومن بعد قضاء دين عليه ثم بين - سبحانه - حكمة هذا التقسيم، وأكد وجوب تنفيذه فقال:

﴿[illegible]﴾

قال الألوسي: الخطاب للورثة. وقوله ﴿آبَاؤُكُمْ﴾ مبتدأ، وقوله ﴿وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ معطوف عليه.

وقوله ﴿لَا تَدْرُونَ﴾ مع ما في حيزه خبر له. و(أي) إما استفهامية مبتدأ. وقوله ﴿أَقْرَبُ﴾ خبره والفعل معلق عنها فهي سادة مسد المفعولين. وإما موصولة. وقوله ﴿أَقْرَبُ﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة الموصول. وأيهم مفعول أول مبني على الضم لإضافته وحذف صدر صلته.

والمفعول الثاني محذوف. وقوله ﴿نَفْعًا﴾ نصب



عنى التمييز وهو منقول من الفاعلية [illegible]

[illegible]

عن صية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية [illegible]

والمعنى أن الله - تعالى - قد فرض لكم هذه الفرائض، وقسم بينكم الميراث هذا التقسيم العادل فعليكم أن تلتزموا بتنفيذ قسمة الله التى قسمها لكم، ولا يصح لكم أن تحكموا أهواءكم فى أموالكم، فإنكم لا تعلمون من أنفع لكم من أصولكم وفروعكم فى دنياكم وآخرتكم.

وقد صدر - سبحانه - الجملة الكريمة بذكر الآباء والأبناء لقوة قرابتهم واتحاد اتصالهم، ومع ذلك لا يدرون النافع منهم، لأن الله - تعالى - وحده هو العليم بأحوال عباده، وبما تسره وتعلنه نفوسهم.

ثم أكد الله - تعالى - وجوب الانقياد لما شرعه لهم فى شأن المواريث بتأكيدين أولهما، قوله - تعالى - ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أى: فرض الله ذلك التقسيم للميراث فريضة، وقدره تقديرا فلا يجوز لكم أن تخالفوه، لأنه تقدير الله وقسمته، وليس لأحد أن يخالف قسمة الله وشرعه.

وقوله ﴿ فَرِيضَةً ﴾ منصوب على أنه مصدر مؤكد لنفسه، على حد قولهم: هذا ابنى حقا، لأنه واقع بعد جملة لا تحتمل لها غيره، فيكون فعله الناصب له محذوفا وجوبا. أى فرض ذلك فريضة من الله.

وأما التأكيد الثانى، فهو قوله - تعالى - ﴿ [illegible] ﴾ أى أن الله - تعالى - كان عليما بما يصلح من العباد فى دنياهم وآخرتهم. حكيما فيما قضى وقدر من شئون وتشريعات، فعليكم أن تقفوا عند ما قضى وشرع لتفوزوا بعونه ورعايته ورضاه.

قال الفخر الرازى ما ملخصه: «ومناسبة هذا الكلام هنا أنه - تعالى - لما ذكر أنصباء الأولاد والأبوين، وكانت تلك الأنصباء مختلفة.. والإنسان ربما خطر بباله أن القسمة لو وقعت على غير هذا الوجه لكانت أنفع له وأصلح، لا سيما وقد كانت قسمة العرب للمواريث مخالفة لما جاء به الإسلام. لما كان الأمر كذلك أزال الله هذه الشبهة بأن قال: إنكم تعلمون أن عقولكم لا تحيط بمصالحكم، فربما اعتقدتم فى شىء أنه صالح لكم وهو عين المضرة، وربما اعتقدتم فيه أنه عين المضرة وهو عين المصلحة، وأما الإله الحكيم الرحيم فهو عالم بمغيبات الأمور وعواقبها، فاتركوا تقدير المواريث بالمقادير التى تستحسنها عقولكم، وكونوا مطيعين لأمر الله فى هذه التقديرات التى قدرها لكم، فقوله:

﴿ [illegible] ﴾

إشارة إلى ترك ما يميل إليه الطبع من قسمة المواريث على الورثة. وقوله: ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى وجوب الانقياد لهذه القسمة التى قدرها الشرع وقضى بها»[8].

(٧) تفسير الألوسى جـ ٤ ص ٢٢٧ (٨) تفسير الفخر الرازى جـ ٩ ص ٢١٨

الزكاة والصدقة وعلاج مشكلة الفقر فى الإسلام

الصدقة فى ميزان الإسلام

لفضيلة الشيخ / على عبدالباقى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

[illegible] الإسلام [illegible] على العمل [illegible] فى [illegible] الرزق [illegible] فى الأرض ابتغاء فضل الله تعالى، [illegible] الكريم وفى [illegible] السنة النبوية المطهرة [illegible] فى القرآن الكريم [illegible] العمل [illegible] عليه قوله تعالى: ﴿ [illegible] ورسوله والمؤمنون [illegible] عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (التوبة: ١٠٥)

وقوله عز وجل: ﴿ [illegible] ﴾ (الجمعة: ٩ - ١٠)

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الملك: ١٥)

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (المزمل: ٢٠)

هذا ولقد قرن الحق تعالى بين الإيمان والعمل الصالح في عشرات من الآيات القرآنية مما يصعب حصرها هنا.

ومما جاء في السنة المطهرة عن العمل وقيمته قول الرسول ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»

رواه البخاري وابن ماجه

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «سئل رسول الله ﷺ: أي الكسب أفضل؟ قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»

وروى الطبراني أيضا عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه. فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟. فقال رسول الله ﷺ: إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله. وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله. وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله. وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»

وقال ﷺ في البخاري في الأدب المفرد وفي مسند أحمد: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»

«فهذا الحديث الشريف يؤكد لنا أن العمل في تعاليم الرسول ﷺ وأحاديثه عصب الحياة وسر بقائها، ومن ثم فهو واجب الأحياء حتى الرمق الأخير فيهم أو في الدنيا. فالقيامة قد قامت وزلزلتها حاضرة، ورعبها شديد، والأكل من ثمر النخل مستحيل، لكنه العمل الذي سوف يبقى أثره عند الله تعالى، ويكون عليه الأجر الوافر من الله الكريم.

لقد علمنا رسول الله ﷺ أن الإسلام عقيدة إلهية صادقة، يظهر أثرها الطيب في عالم الواقع، فيثمر فيه الخير والعمل والنماء، فتعمر القلوب بتوحيد الله تعالى وبنوره وهداه، وتعمر الأرض برزق الله تعالى الذي يتفجر منه العمل المثمر والسعي الكريم، وهذا هو الطريق الصحيح لكل قادر على العمل. أما غير القادرين عن العمل ومن لهم أحوال خاصة أدخلهم تحت أحد مصارف الزكاة. فلقد اهتم الإسلام بهم اهتماما شديدا فجعل لهم حقا معلوما في مال الأغنياء، وهو ما يسمى بالصدقات المفروضة، كما فتح لهم باب صدقة التطوع لسد حاجتهم وكفاية مؤنتهم.

ولقد رفع الله مكانة الصدقات المفروضة في الإسلام فجعلها ركنا من أركانه العظيمة، وحث عليها في أكثر من سبعين موضعا في القرآن الكريم، تارة باسم الزكاة في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٤)

وتارة باسم الصدقة كما في قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(التوبة: ١٠٣)

وتارة باسم الإنفاق في سبيل الله تعالى، كما في قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ١٩٥)

وتارة باسم الحق المعلوم، كما في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

(المعارج: ٢٤-٢٥)

كما قرنها بالإيمان والعقيدة حيث قال جل شأنه:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ٢٦٧)

وقرنها تبارك وتعالى بالصلاة التي هي عماد الدين فقال جل شأنه:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ٢٧٧)

كما رتب القرآن الكريم عليها الزكاة في الدنيا وحسن المثوبة في الآخرة فقال:

﴿[illegible]﴾

(سبأ: ٣٩)

وعلى ما تقدم فإن الزكاة الشرعية قد تسمى «زكاة» ولا يطلق هذا الاسم إلا عليها، وقد وردت كلمة الزكاة في القرآن الكريم ثلاثين مرة، ثمان منها في السور المكية، والباقي في السور المدنية. وقد يطلق على الزكاة المفروضة اسم الصدقة.

وقد وردت كلمة الصدقة و(الصدقات) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، كلها في القرآن المدني، منها ما يراد به الزكاة المفروضة، ومنها ما يراد به صدقة التطوع، كما في قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ٢٧١)

والجمهور على أن الآية في صدقة التطوع، هذا ولما كانت الزكاة المفروضة هي الأصل لسد حاجة المستحقين وكانت صدقة التطوع تالية مكملة لها كان لزاما علينا أن نتكلم عن الزكاة المفروضة في الإسلام ولو بشيء من الإيجاز كما ذكرنا وكذلك بيان قيمة العمل لكل من يستطيع قبل أن يسأل الصدقة سواء المفروضة أو التطوع.

المقام المحمود

[illegible]

الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأرضين، مدبر أمر الخلائق أجمعين، باعث الرسل الكرام (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) إلى المكلفين، لهدايتهم وبيان شرائع الدين. أحمده (سبحانه) على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه. وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الغفار، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، الشافع المشفع. صلى عليك الله يا سيدي يا رسول الله يا حبيب الله:

يامن له عز الشفاعة وحده ... وهو المنزه ما له شفعاء

وفي هذا المعنى أنشد الإمام البوصيري (رحمه الله):

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ... لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به ... مستمسكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين في خَلق وفي خُلُق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأتباعه صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم العرض واللقاء وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فيقول ربنا (سبحانه) مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)

أي: اذكر يوم القيامة وأهواله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم، والمقام الرفيع، والشهادة على أمتك في هذا اليوم العصيب

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٦)

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨- ٨٩)

ويوافق هذه الآية الآية التي انتهى إليها ابن مسعود (رضي الله عنه) حينما طلب إليه ﷺ أن يقرأ عليه القرآن، فقال له: أقرأ وعليك أنزل؟! قال ﷺ: «اقرأ علي، فإني أحب أن أسمعه من غيري»، فقرأ (رضي الله عنه) صدر سورة النساء، فلما وصل إلى قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)

قال له رسول الله ﷺ: «حسبك»، فقال ابن مسعود (رضي الله عنه): فالتفت فإذا عيناه تذرفان[1].. وهذا من كمال شفقته ورحمته ﷺ بالأمة، وصدق رب العالمين إذ يقول:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

والمعنى: كيف يكون حال الكفار والفجار حين نأتي من كل أمة بنبيها ليشهد عليها، ونأتي بك - يا محمد - لتشهد على العصاة والمنافقين من أمتك، يوماً يفضح أمرهم، وينكشف سترهم:

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢)

يوماً يود الكفار والفجار أن لو تنشق الأرض فتبلعهم فيكونون تراباً، لما يرون من أهوال القيامة. قال تعالى:

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: ٤٠)

ومن هنا يتضح لنا أن الأنبياء هم الشهداء على أممهم، وذلك لبيان فضلهم. وأفضل الأنبياء المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم منهم وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم سلام الله)، ويؤيد ذلك قوله سبحانه:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب: ٧)

وأفضل أولي العزم سيد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ. قال تعالى:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠)

وهو - وإن كان آخرهم زمناً - أولهم رتبة وشأناً ومقاماً؛ لأنه لبنة الإكمال والإتمام لصرح الرسالات السماوية، وفي هذا المعنى يقول الرسول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]، ويقول: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة لزاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

وهو ﷺ - كما أخبر عن نفسه - سيد ولد آدم يوم القيامة، قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض[3]، وأول شافع وأول مشفع»، وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون. قال تعالى:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩)

وهو صاحب الحوض المورود. قال ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً»[4].

وهو إمام النبيين، خطيبهم وصاحب شفاعتهم يوم القيامة، قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين، خطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»[5].. وهو صاحب لواء الحمد يوم القيامة، وأكرم ولد آدم على

(1) فتح الباري على صحيح البخاري ٨/ ٢٥٠
(2) سنن البيهقي ١٠/ ١٩٢
(3) مسند أحمد ٢/ ٥٤٠
(4) صحيح البخاري ٨/ ١٤٩
(5) مسند الإمام أحمد ٥/ ١٣٧

الله قال ﷺ: «وأنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر»(٦) وهو ﷺ: أول من يقرع باب الجنة. وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمد. فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك» فمن أراد من أمته وعشاق سنته المطهرة أن يشرب من حوضه الشريف شربة لا يظمأ بعدها، وأن يكون يوم القيامة تحت لوائه، وأن يحظى بشفاعته. فعليه أن يقيم شريعته، وأن يلتزم بسنته، وأن يكثر من الصلاة عليه؛ فقد جاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»(٧). وقد جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا. فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته ويقول: ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله. فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا. فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله. فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته، ائتوا عيسى. فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا محمدًا؛ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال ﷺ: فيأتوني، فأستأذن. فإذا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، سل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حدًا، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدًا مثله فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع رأسك، سل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حدًا، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. ثم قال «صلى الله عليه وسلم» في الثالثة أو الرابعة: فأقول: يارب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن. أي: وجب عليه الخلود. ثم تلا:

﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

(الإسراء: ٧٩)

ثم قال: «هذا هو المقام المحمود الذي وعده نبيكم».

سيدي يا رسول الله:

لك في القلوب محبة ووفاء

المال منا والنفوس فداء.

سيدي يا رسول الله، لقد بعثك الله بأفضل كتبه، وشرع لك أفضل شرائع دينه، فلا عجب والحال هذا أن تكون أمتك خير الأمم:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وأعدل الأمم:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

(البقرة: ١٤٣)

(٦) كنز العمال ٣١٨٧٨

(٧) صحيح مسلم - كتاب الصلاة ١٠

وأمته. وإن كانت آخر الأمم خلقًا، وأن الأمة قال ﷺ: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم».

فمن أراد أن يحظى بشفاعة النبي والرسول العظيم ﷺ. فليقل كلمة التوحيد بإخلاص. قال ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»(٨). وروى البخاري ومسلم رحمهما الله أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار» قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذًا يتكلوا». فأخبر بها معاذ رضي الله عنه عند موته تأثمًا. أي: خوفًا من الوقوع في الإثم بكتمان العلم(٩).

هذا ومن المعلوم أنه لا شفاعة لمشرك ولا لكافر ولا لمنافق ولا لمكذب بالدين:

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝﴾

(المدثر: ٤٨-٥١)

وقد ورد في الحديث عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة: ١١٣)

وأنزل الله في أبي طالب:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (القصص: ٥٦)

ولما قال العباس بن عبدالمطلب للنبي ﷺ: «هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال: نعم، هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

لكن أمة الحبيب محمد ﷺ أكرمها الله بشفاعته، وفي هذا المعنى يقول ﷺ: «لكل نبي دعوة يدعوها، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»(١١). وقد قال ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة»(١٢)... أحباب رسول الله ﷺ، هذا هو رسول الله ﷺ بين الرسل، وتلك هي أمته بين الأمم، فعلينا أن نلتزم بطاعة الله ورسوله؛ لنكون أهلًا لهذا الانتساب مستحقين لذلك الشرف. قال تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾

(النساء: ٦٩)

(٨) سنن البيهقي [illegible] ٢٩٠٨

(٩) صحيح البخاري ١/٣٦

(١٠) [illegible]

(١١) صحيح البخاري ٨٢/٨

(١٢) صحيح مسلم ٣٢٥

دور الفقــه الإسلامـى

فى إحياء الضمير الجمعى

[illegible]

«الضمير الجمعى» تعبير صاغه علماء الاجتماع وتلقفه رجال السياسة قاصدين به «الرأى العام» وكثيرا ما يكون التعبير به عندهم وسيلة من وسائل وخز المجتمع إذا لم يدر ذلك ورغبوا فيه. ومهما يكن من أمر فإن الأمة الجماعية لن تبلغ نشاط الفرد ليبلغ نموذجا عبقريا ومهما كانت حدة وتيرا سحب ذلك لا يعنى بالضرورة قوة حقيقية للجماعة ومن الممكن أن تنهار الجماعة أو الأمة فلا يكفى أن يكون النشاط فرديا ولا يكفى أن تكون القوة فى الأشخاص.

إنما لابد أن يكون الإحساس جماعيا بمعنى أن رد الفعل وقوة الإصلاح العملى بأى خلل أو قصور لابد أن يكون جماعيا. فقوة الإصلاح الحقيقى يلزمه أن تكون نقية من شوائب التبعية أو الطمع فى ذهب الأجهزة التنفيذية مثلما يصنع كثير من رجال الأعمال فى كل مكان، فهم يداورون سوءات الأنانية فى محاولات مكشوفة للمهرولة خلف الأجهزة التنفيذية أو طمعا فيما يدره عليهم الإعلام من أضواء أو قل -إن شئت الدقة- أموال. وعلى أى حال أنا لا أقصد رد الفعل بالناس. فهذا مرفوض عندى فهو لا يعنى قوة الفعل الإيجابية النظيفة الخالية من شوائب الأثرة والطمع وحب المحمدة. وكما يقولون فإن فلسفة رجال الأعمال فى ذلك إلقاء الشباك لعلها تخرج منه بصيد سمين مرغوب فيه. فلربما يرفض هذا المنهج السمح ويأبى حب المحمدة بعد العمل ويكون بعضه أشد للذين يحبون المحمدة من غير عمل فهم لا يجيدون عملا أصلا ولا يرغبون فى ذلك. ولقد نعى القرآن الكريم موقف المتسولين للمحمدة من غير عمل فقال فى وعيد شديد زاجر لهذا الداء الوبائى الذى يصيب المجتمع ويجعله فى حلاوة مدمرة قال تعالى:

﴿[illegible]﴾ (آل عمران: ١٨٨)

حيث أعلم أن الآية نزلت فى قوم من المنافقين كذبوا فى أعذار قدموها لرسول الله ﷺ وظاهرا لم يرفضها رسول الله ﷺ ففرحوا بقبول أعذارهم. هذا وإذا كان أسلوب رد الفعل غير مرغوب فيه ولا مستحسن كما أن حب المحمدة بعد الفعل تترفع عنه النفوس الكريمة والطويات النقية فإن حب المحمدة مع عدم الفعل جرم توعد الله مقترفيه بالعذاب الأليم. إن كل ما سبق ليس هو مقصودنا من هذا الحديث إنما مقصودنا بيان أسلوب ومنهج الفقه الإسلامى فى رفع وتقوية «الضمير الجمعى» فى حياة الأمة لأن ما سبق من أساليب ظاهرها العمل لصالح الجماعة فهى أساليب مرفوضة.

ويمكن بيان الأساليب المرفوضة باختصار فيما يلى:

١- العمل الفردى المؤقت الذى يصب فى صالح فئة مهمشة من الأمة لما يشوبه من المظهرية.

٢- العمل الذى تدعو إليه الأجهزة التنفيذية فيجرون إليه النخبة الاقتصادية بقصد تبادل المنافع مع الأجهزة التنفيذية ولا مانع من حصد جهد إعلامى مجانى.

٣- جماعات الذين يتكلمون كثيرا ولكنهم لا يعملون ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وكل هذه مظاهر سيئة مرفوضة تضعف الأمة وتوهن عزمها وتهد كيانها لأن صلاح الأمة لا يتم إلا إذا كان فيها رأى عام يقظ وضمير حى للجماعة كلها وبقدر يقظة ضمير الجماعة بقدر ما تنهض الأمة حيث إن «الضمير الجمعى» هو الذى يقوم شذوذ وانحراف بعض الأفراد.

وقد امتاز الفقه الإسلامى بوعى راق يأخذ بيد الجماعة إلى مستوى المسئولية الجماعية التى تقوم اعوجاج الأفراد.

ولقد ظلت النظرة إلى الفقه الإسلامى مقصورة على أنه أحكام للعبادات والمعاملات فقط إلا أن النظرة المتأنية إلى هذه الأحكام نلمس فيها نموذجا رائعا على إحياء رشيد لضمير الجماعة للقيام بدوره الفعال فى سبيل نهوض الأمة. من هذه الأحكام على سبيل المثال «فرض الكفاية» وهو مصطلح يضع الأمة كلها أمام مسئولياتها الجماعية حيال تنفيذ أمر ما فهى مسئولة كلها إذا لم يقم فرد أو مجموعة أفراد لتنفيذ هذا الأمر. وفى رأينا أن مدلول فرض الكفاية وجدواه يكمن فى أنه وسيلة فعالة فى تحريك الأغلبية الصامتة ومقاومة السلبية المميتة واللامبالاة عند الكثيرين والقضاء على الأثرة وحب الذات واستنهاض الإيثار وإحياء مصلحة الجماعة وإعمال الواجب الشرعى فيما يلزم عمله وما يوجب الشرع الإتيان به، ومما لا شك فيه أن السلبية القاتلة فى الأمور العامة تسربت فاعلة مدمرة لكل ما هو مرفق عام. فإننا نستخدمها استخداما سيئا مما يؤدى إلى تلفها ولا نبالى بطفها مع أن الجماعة هى الخاسرة فى فوت المنفعة وفى دمار ما هو عام. ومن أمثلة الواجب على الكفاية أو الواجب الكفائى «صلاة الجنازة».

فصلاة الجنازة واجب وليست سنة لكنها واجبة

على الكفاية بمعنى أنه يجب على كل جماعة المسلمين إذا مات واحد منهم أن يصلوا عليه، لكن إذا قام بالصلاة أى عدد فإن الحكم يسقط عن الباقين فأنت ترى «الواجب الكفائى» إذا نهض به جماعة أو بعض أفراد منهم فيكون بذلك أداء للمجموع. فهل فهم المسلمون الذين يصلون على موتاهم من أول الدعوة حتى الآن وإلى أن تقوم الساعة حكمة مشروعية فرض الكفاية. فالشارع الحكيم يبغى إلى جانب أن تقوم جماعة بالدعاء والشفاعة للميت بالصلاة عليه يبغى أن يحس مجموع أفرادها بالمسئولية الجماعية. فهذا هو المقصود والله أعلم وربما ظن بعض القاصرين أن الواجب الكفائى مقصور على العبادات وحدها وهو فى الأمور التعبدية فقط والحقيقة أنه يجرى فى الأمور الدنيوية أو الحياتية التى يعيشها الناس، والذى يحزننى حقا أن الناس لم تتخذ من منهج الفقه الإسلامى حافزا أو دافعا يدفعها إلى الأمور العامة والمصالح الجماعية التى يجب أن تتوفر للأمة وحتى أكون أكثر وضوحا وتحديدا أذكر مثالا يوضح الاهتمام بالشأن العام فى بلاد أكثر منا تقدما ورقيا وما تقدمت وما رقت إلا لأن أفرادها عندهم وعى جماعى بمعنى أنه يهمهم الشأن العام كما يهمهم الشأن الخاص. ذكر لى رجل دبلوماسى وصل إلى أعلى درجات التعليم وأعتقد أنه فى أعلى درجات الوعى والرقى.. والحق أنه قال بكل حسرة: كنت فى سويسرا فى مهمة رسمية وأثناء تجوالى فى أحد الشوارع أشعلت سيجارة ثم ألقيت بقاياها فى الطريق غير مكترث وإذا بسيارة كانت تسير بسرعة عادت للخلف بسرعة وقال لى قائدها معنفا فى لهجة حادة لو أنك فى بلدك كنت تفعل هذا ولم يتركنى إلا بعد أن التقطت سيجارتى وألقيتها فى سلة المهملات. وحكى لى صديق آخر فقال: كنت أستقل المترو فى أحد بلاد أوروبا وهناك المدخنين مجموعة داخل عربات المترو وكل مجموعة لا يدخن فيها من غير عربة المترو الذى يستقله فأشعل سيجارة ولم يلتفت إلا وقد قام أحد الركاب كان يجلس فى عربة أخرى عابرا وليس جنبا عاد مسرعا وقال بصيحة مرة أطفئ السيجارة ولا أعرف لسرعة... لكن تأكد لى أنه لا أحد من الراكبين مصلحة خاصة مباشرة أو غير مباشرة فيما فعل لكن احترام الجماعة يفرضه الآحاد على كل معتد ثم نكسا ما حسرة لا يستفاد من فهمنا ولا من ديننا.

ولكن هذه حكمة تشريع «فرض الكفاية» فيما أحسب والإحساس والشعور بالمسئولية الجماعية واحترام الجماعة وإرساء قاعدة هيبة المجموع دون أن يكون للفرد مصلحة خاصة. فهل نتعهد به «فرض الكفاية» فى العبادات فقط أو فى المعاملات أيضا وهل هو فى صلاة الجنازة فقط أو أنه يتمثل فى مسائل أخرى فى حياتنا... نبحث عن كل ذلك فى تراثنا العظيم، فإن موقفات الشافعى حتى يرى فقيه الجيد الوضيء.

(يتبع)

فى كل محنة منحة



فى حياة الأمم والشعوب، مواقف فاصلة، وأيام تواجههم فيها الفتن والابتلاءات، والشدائد والتحديات ومع كل محنة منحة، لأن الله تعالى يبتلى العباد ويختبرهم ليمحصهم وليخرجوا من الشدائد أقوى وأكثر صبرا وإدراكا لحياتهم، وأكثر معرفة لأعدائهم وأصدقائهم.

ولقد ... وأنها يحتاج فى ... معنوية ... إلى ... وعزيمة قوية وقد قال الله سبحانه:

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾

(العصر ١ - ٣)

ولقد ... فى ... الابتلاءات ... يكون لهم البشرى، قال الله تعالى:

﴿... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ...﴾

(البقرة ١٥٥)

وليس الصبر ... السلبية وليس ... بل هو جهد يبذل من النفس الإنسانية ... والاجتهاد ولا يكون ... من جهة ... والابتلاءات ... يكون الصبر ... وهذا هو معنى الصبر الجميل الذى أمر الله تعالى به فى قوله:

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾

(المعارج ٥)

ومن ... أنه ... فيعرف فى الشدائد عدوه من صديقه كما قال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير
وإن كانت تغصصنى بريقى
وما شكرى لها حمدا ولكن
عرفت بها عدوى من صديقى

ومن ... الصبر ... أعداء ... وقال رسول الله ﷺ: «... النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

وبالإيمان الصادق والخلق الفاضل والصبر الجميل يترسم المسلم طريق الحق، وتأخذ نفسه طريقها إلى أعلى المراتب قال ابن تيمية - رحمه الله: «بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين» ثم تلا قول الله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (السجدة: ٢٤)

ولقد مرت أمتنا في المرحلة السابقة ببعض الشدائد التي واجهت فيها بعض بلادها وأوطانها في غزة وفلسطين عدواً شرساً استخدم أبشع أنواع الأسلحة المحرمة ولم يصغ سمعاً لحقوق الإنسان، ولا إلى نداءات السلم والأمان.

وكان الواجب على أبناء أمتنا العربية والإسلامية وفي مقدمتهم أبناء غزة وفلسطين، أن يكونوا على قلب رجل واحد وألا يتفرقوا وألا يتشرذموا حتى لا تصبح بلادهم هدفاً لعدوهم ولطالما حذر الرسول ﷺ من ذلك حين قال «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟

قال: لا بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

رواه أحمد وأبو داود.

وها نحن أولاء في هذه المرحلة الحاسمة التي تمر بها أمتنا، تواجه منعطفاً خطيراً تطل منه الفتن الهوجاء التي تفرق بعض أوطاننا ودولنا وفصائلنا ولو ترك المشققون لما أرادوا فستكون النتيجة ضياع الأمة وقضيتها، ولا حل إلا في توحيد الصف واتباع جماعة المسلمين وإمامهم، كما جاء في حديث حذيفة الذي رواه البخاري وغيره حيث قال حذيفة رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. قلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بالخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم إليها قذفوه فيها. قلت: صفهم لي يا رسول الله. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني حين يدركني ذلك؟ قال: الزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: اعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك» أو ما معناه. رواه البخاري.

وفي هذا الحديث تأكيد على أهمية وحدة الأمة، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، حتى عندما تحدث الفتن ولا تكون لهم جماعة ولا يكون لهم إمام لم يبح الرسول ﷺ اتباع الجماعات المتفرقة بل أمر باعتزالها حتى لا تتشعب الفتن وتزداد.

إن الصدق مع الله سبحانه وتعالى يستوجب وحدة الصف والجهاد في سبيل الله والشهادة في سبيله

﴿[illegible] تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)

وعلى هذا النهج علم الرسول ﷺ أصحابه فها هو ذا عبدالله بن رواحة بعثه رسول الله ﷺ في سرية فوافق غدوها يوم جمعة فتأخر عبدالله بعض الوقت رغبة في صلاة الجمعة خلف رسول الله ﷺ لا هرباً من الجهاد، فلما قضيت الصلاة سأله رسول الله ﷺ «ما بال عبدالله لم يغد مع أصحابه؟» فقال: أحببت أن أصلي معك يا رسول الله وها أنا لاحق بهم، فقال النبي ﷺ: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم». رواه أحمد.

ومعلوم أنه إذا دخل العدو أرض الإسلام يصبح الجهاد فرض عين على الجميع ويكون بالمال والنفس والكلمة، كما قال رسول الله ﷺ «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[2] بل إذا أسر من المسلمين أحد لا يصبح لأحد حق فيما هو فائض عنده حتى يفك أسر المأسورين.

إن الإسلام إذ يقرر هذه الحقائق يصوغ من الأمة الإسلامية وحدة قائمة على أخوة الإسلام

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)

إن واجب أمتنا أن تكون الشدائد دافعاً لها لتكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً كما قال رسول الله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه» رواه البخاري.

وإن أمتنا بتضامنها ووحدتها يصبح مثلها مثل الجسد الواحد فإذا شكا بلد من البلاد أو وطن من الأوطان في أي بقعة... من بقاع العالم شكت الأمة كلها وإذا اعتدى الظالمون على جزء من الأمة هبت عن بكرة أبيها منافحة عن هذا الجزء، وهكذا فمثلها مع أوطانها مثل الجسد الواحد كما شبهها الرسول ﷺ حين قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[3].

فواجب أمتنا ألا يخذل بعضها بعضاً، وألا يتخلى بعضها عن بعض، فقد قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

إن واجب أمتنا أن توقن بأن المحن تولد المنح وتفرز الرجولة والبطولة والتضامن، وتصهر معادن الرجال ليؤدوا رسالتهم في تضامنهم وفي وحدتهم وفي عودتهم وإنابتهم لربهم الذي بيده الأمر كله وبيده النصر، فعلى الأمة أن تحقق النصر لدين الله ولتوجيهات عقيدتها حتى يحقق الله تعالى ما وعد به المؤمنين في قوله سبحانه وتعالى:

﴿[illegible]﴾ (الحج: ٤٠ - ٤١)

وإذا كانت في كل محنة منحة، فرب منتظر المنحة قريباً، بنصر وفتح قريب وعودة القدس الحبيب.

(٢) مسند أحمد

(٣) المعالم السائرة للنبي ٦ / ٢٥٣

فقه الأولويات والموازنات



ومن الغلو تحويل المكروهات إلى محرمات
فهو صنيع جماعة يسألون ويتحسسون ويغلون في السؤال، ويتحولون في ذلك حتى يشددوا على أنفسهم وعلى الناس، ولايقبلون حكم الشيء الهين واليسير، وإنما ينقلونه من اليسر إلى العسر، ومن الفرج إلى الضيق، ومن التوسع إلى الضيق. مع مخالفة ذلك لأساس من أسس الإسلام

﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة: ١٨٥)

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج: ٧٨)

واعتباره من الخطير والجليل فيما يعد ثلمة في الدين.

فقد جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن دم البعوض، وفي رواية فسأله عن المحرم يقتل الذباب. فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق. قال: ها انظروا إلى هذا، يسأل عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله.

وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول الولد ريحانة وريحانتي الحسن والحسين[1].

وفي الرواية الأخرى: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله.

■ تنامي الأفكار التكفيرية واستسهال الرمي بالشرك والخروج عن الملة:

مع أن الكفر من أشد الظلم، وما يؤدي إليه من الوصف بالردة وخلع الولاء والخيانة والانقلاب على المجتمع، ومفارقة الجماعة

والكفر ينقسم إلى كفر عقدي، الإشراك بالله ورسوله، وهو الذي لا يغتفر، ولا يبقى به إسلام.

وكفر عملي، التمرد السلوكي على التشريع وارتكاب الكبائر (الفسق) وهو أقل من سابقه ولاينخلع به المسلم عن إسلامه شريطة ألا يعتقد به حلال، ومنشأ ذلك عقم التفكير وسطحية الفكر والجهالة والانشغال بالمسائل الهامشية والتفريعات الجانبية على حساب القضايا الكبرى في العقيدة والشريعة والحياة

■ فوضى التكفير الناشئ عن احتكار العلم الديني والغرور والاعجاب بالنفس:

وهذا من المهلكات التي حذر منها الرسول ﷺ: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه[2]

- الإغراق في النافلة والاهتمام بها والحرص عليها وشغل الناس بها عن الفريضة وعدم الاعتناء بجوهر الدين ولبابه

مع أن تعاليم الإسلام تأبى ذلك، فإن من المقرر شرعاً إن الله لايقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة. فلا يقبل بحال تضييع الفرض والادعاء بأداء النوافل والزوائد، فهذا قلب للحقائق، وكما يقول الراغب:

لايقبل نفل من أهمل الفرائض، ولا فضل من ترك العدل.

ولهذا قيل: لايستطيع الوصول من ضيع الأصول؛ لأنه بذلك انحرف عن صحيح الدين، وترك معلوماً من الدين بالضرورة. والقول الفصل أن الفرائض غير النوافل ولكل حكمه.

وفي الحديث: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رخصة لكم ليس بنسيان فلا تبحثوا عنها»[3].

■ أولوية فرض العين على فرض الكفاية:

فرض العين، هو الفرض المطالب به كل مسلم بعينه.

وفرض الكفاية، ما يجب على مجموع المسلمين لا جميعهم، فمتى أداه البعض سقط عن الباقين.

وأصول الإسلام تتضمن فرض العين والكفاية مع الفارق في الطلب في كل منهما، مع أنهما من أس الدين وحقائقه العليا. أما حقيقة الإسلام، فإنه يشتمل على الأصول الخمسة:

١ - كنز العمال رقم ٣٤٢٨٧

٢ - كنز العمال رقم ٤٣٨٦٧

(٣) سنن البيهقي ١٩٥٠٩.

الإيمان بالله ووحدانيته والملائكة والكتب والرسل (النبوة) واليوم الآخر (المعاد) والإيمان بالقدر داخل في جملة الإيمان بالله تعالى.

وشاهد ذلك قوله تعالى:

﴿[illegible] وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ [illegible]﴾

(البقرة: ٢٨٥)

وأصل ذلك كلمة التوحيد لا إله إلا الله: فإنها ذروة سنام الإسلام، فهي مفتاح الدين، وأن لها أشعة كما يقول ابن القيم تبدد من ضباب الذنوب وغيومها. ومن ثم فإنها تبعث في الكون وفي نفس المسلم الإشراق والضياء، وإذا تغلغلت إلى نفسه مع أصول الإسلام الأخرى وخالطت سويداء قلبه صيرته عبداً ربانياً، وجعلت سلوكه نموذج المسلم النافع في شئون الدين والحياة.

■ احتكار فهم الدين وصواب وحاكمية هذا الفهم:

فإن من الناس من ينصب نفسه باعتبار أنه صاحب ولاية وحاكمية أوتي العلم وفصل الخطاب، قوله الحكمة، ورأيه السداد. مع أنه يغيب عنه، أمر الدين، ويفتقر إلى العلم بما هو ضروري مثل الفرق بين الإسلام والإيمان.

فالإسلام نطق الظاهر بالشهادتين. أما الإيمان فهو تغلغل الإسلام في القلب، والعمل بالجوارح.

فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. وأصوله ثلاثة: التوحيد، النبوة، المعاد.

وقد عاب القرآن صنيع هؤلاء الذين لا يدرون حقائق الإسلام، ويقولون على الله بغير علم في مثل قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

(البقرة: ٧٨)

ونعت مسلكهم بالخيبة والخسران بقوله:

﴿[illegible]﴾

(النحل: ١١٦)

وكم جنى هذا القول الجاهل على الدين من مآس وكوارث ينبغي وقاية الفرد والأمة من عواقبها.

ولا يقف أمر هذه الآفة عند حد إضفاء الشرعية والهداية والاستقامة على مسلكهم، وإنما وصف من يخالفهم بالكفر أو الضلال، وسلب الإيمان أو الهدى عنهم، واتهامهم بالفسق والخروج عن جادة الشريعة، وتنصيب أنفسهم على عقائد الناس كمحاكم



تفتيش توزع صكوك الغفران، وهو ما يؤثمه الإسلام أشد التأثيم. وقد نجد نموذج ذلك في تصدي جماعة من الأدعياء في العلوم الشرعية، والمتصدرين الإفتاء في توافه المسائل وجللها، بضيق أفق ونزعات تكفيرية، تكفر وتتجنى، وتحرم وتحلل. مع أن بضاعتهم مزجاة وفكرهم محدود، ولم يرزقوا فقه الدين.

إن واجب من يتصدر البلاغ بالإسلام للناس ويعرفهم بفقهه وحضارته، أن يعي هدف الخطاب الإسلامي، فإنه طريق بلاغ الدين ووسيلة التعريف به، وسبيل هداية الفرد، وصلاح الجماعة وإسعاد الأمة.

■ دعائم سبل الخروج من المأزق الراهن:

١- إحياء الإسلام المتجدد الذي يفي بمتطلبات تغير العصور، وتعاقب الأجيال القائم على صحيح الدين.

ذلك أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، يتعامل مع التعددية الدينية والثقافية والجنسية واللغوية ويقبلها ويستوعبها. يشهد عليه ذلك الكم الوافر من الأمم والشعوب التي انضوت تحت لوائه، واعتنقته عقيدة وأخلاقاً وشريعة وحضارة فالخطاب فيه يعتمد على الثوابت والأصول.

لكنه لا يغرق في الماضي ولا يوغل في التعبد بنصوص الأقدمين، فإن سالك دربه لا يوغل في الزمن الفائت، ولا يقف عند حرفية مفرداته وواقعه، ويهمل ما هو كائن وحاصل، وإنما يبادر إلى البحث عن الحلول الناجعة للمعضلات والمشكلات الضاغطة، بهدف تخليصهم من المعاناة، وتلبية احتياجاتهم المشروعة والوفاء بمصالحهم، فإن المصالح الحياتية مطالب شرعية، وهو ما خصه القرآن بقوله تعالى:

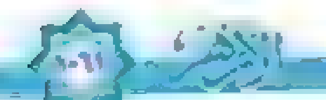
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾

(هود: ٨٨)

ويقول ابن القيم: «وحيثما تكون المصلحة فثمة شرع الله».

٢- التبصر بفقه النصوص، وتلمس مقاصد ومرامي الشريعة:

فإن إدراك فقه النصوص، وإعادة قراءة النص في ظل المعطيات المستجدة، وحقائق الحياة المعاشة، يحتاج إلى إيقاظ العقول، وتربية العلماء والفقهاء على المنهج الإسلامي، وفهم الواقع المعيشي، واستنفار الجهود نحو العلم بصحيح الإسلام، والاهتمام بما هو حاصل وكائن وتلمس الحل والعلاج له من نصوص الشرع، والاعتماد على الآفاق الرحبة



التشريعية قد تعمل على تشغيله السديد للنصوص، واستحضار المقاصد الشرعية للعمل على إصلاح سلوكيات الفرد والجماعة، والنهوض بالأمة، وإقامة تكاملها وتوازنها المادى والروحى، ومصلحتها الدينية والدنيوية.

٣- تغليب الخطاب العقلانى على الخطاب العاطفى:

فإن رب الإنسان خلقه من المادة والروح وركب فى جسده العاطفة والمشاعر والأحاسيس.

وعلى هدى ذلك، فإن الخطاب الإسلامى يوازن بين قلب الإنسان وهو مركز العاطفة والإحساس فيه، والعقل مكمن الفكر ومركز الإبداع، القائم على الحجة والبرهان وهو ما يجدر بالمسلم أن يعمل عقله فى فهم النص وأن يعتبر مراميه، فإن العقل أداة التكليف وسبيل معرفة دلالة النص واستخلاص الحكم منه إنما يكون بالعقل، وهو ما يحفز المسلم إلى تنمية ملكاته الإبداعية وقدراته الاجتهادية. وبه يتحقق النهج الإصلاحى للإسلام، بما يؤدى إلى تجديد الفكر والحياة، وبعث الهمم والعزائم لإصلاح الدنيا بالدين، والارتقاء بالكون.

٤- البعد عن الخصومة والتنفير والتيئيس

وهى من مضادات الدعوة وآفة تفر من المتين، ومن الدعاة إلى الله فليعلموا أن الدعوة إلى الله إنما تكون بالتبشير وفتح أبواب الرحمة والرجاء، والنأى عن خطاب الترهيب والتيئيس والتنفير من الدين والانكفاء والانعزال عن الناس بالادعاء بقول الحق تعالى:

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾

(الذاريات: ٥٠)

والاتجاه إلى التبشير لقول الرسول ﷺ «بشروا ولا تنفروا»[٤] والإسلام عبادة وقيادة وإيمان وعمل وحياة بالناس ومع الناس والرسول ﷺ يقول: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[٥].

٥- الإحاطة بمنظومة العبادة وعدم قصرها على الجانب الأخروى بمضمونها الهادف إلى إيجاد الشخصية الجادة المخلصة للدين والوطن:

كما يتجلى فى التركيز فى الخطاب على العبادة فى أبعادها الشاملة من منظورها الدينى وإعمال أدوارها وأبعادها الأخرى: البعد الروحى، والاجتماعى، والاقتصادى، والسياسى، والأخلاقى، والحضارى، وهى أبعاد تعم مناحى الحياة جميعا، وتجعل من الدين قوة دافعة فى التنمية الذاتية والاجتماعية.

٤- البخارى، كتاب العلم رقم ٦٧٠

٥- كشف الخفا ٢٦١٧

٦- تربية الأنفس وإصلاح الفرد قبل إصلاح الأنظمة والمؤسسات:

إن تربية الفرد هى أساس كل صلاح، وعماد قوة المجتمعات وأساس بناء الفرد، هو تعمير قلبه وعقله بالإيمان والعمل الصالح، وذلك بغرس الإيمان والعمل النافع باعتبارهما طوق النجاة، ومصدر كل ارتقاء ونهضة، والأساس فى تشكيل بنية الشخصية المؤمنة والواثقة وصلاح النفوس وتلك كانت مهمة الأنبياء الأولى وورثتهم من بعدهم، وأعظم ميراث للنبوة على مدى الأجيال وتعاقب القرون.

فالإيمان هو الذى أوجد رجالا ونساء، كان الواحد منهم أمة وقيمة وقامة صنعت الأحداث والتاريخ:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

(الأحزاب: ٢٣)

فقد كان الواحد منهم قدوة فى مسلكه، حصيفا فى عقله ورأيه، صلبا شامخا فى موقفه قدوته وخلق صاحب الرسالة:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(الأحزاب: ٢١)

وجال صنعوا حضارة الإنسان فى ظلال الإيمان مع إنكار الذات رباهم الرسول على القرآن، وصنعهم على عينيه فتحلقوا بأخلاق الصبر والثبات على المبدأ وعلى جهاد النفس والشيطان وتحمل المسئولية تجاه الله والناس.

فإن التربية على التحلى بالثبات والنهوض بالمسئولية من سمات الشجاعة والإخلاص والولاء للعقيدة والمبدأ، وهو لون من الجهاد.

وقد ذكر ابن القيم فى الهدى النبوى ثلاث عشرة مرتبة من مراتب الجهاد.

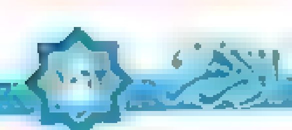
أربع منها فى جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر، كما يشير الحديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر قال: جهاد القلب»[٦]. واثنتان فى جهاد الشيطان وثلاث فى جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات وأربع فى جهاد الكفار منها الجهاد بالقلب واللسان والمال.

والمؤجل منها هو الجهاد بالنفس أو باليد، وبهذه المنظومة المتكاملة للجهاد يستكمل المسلم سائر أنواع الجهاد الأخرى، فالصور الأخرى للجهاد ضرورية له، وممهدة لارتياد طريقه، على أساس أن الجهاد المعروف فيه هلاك النفس وهو رغم ذلك موسوم بأنه الجهاد الأصغر

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

(ق: ٣٧)

٦- كشف الخفا ١٣٦٢





لفضيلة الشيخ / عمر الديب

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن القرآن الكريم يشير إلى أطوار النشأة الإنسانية وإن كان لا يحددها مما يدل على أن الإيمان بالخالق المدبر هو وحده الطريق إلى بلوغ الكمال المقدر لهذه النشأة في الحياتين الدنيا والآخرة ونحن نجد أن القرآن الكريم حينما يدلل على الإيمان في حياة الإنسان ذاته يسوق له أطوار وجوده ونموه مبتدئا بأصل النشأة الإنسانية يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

(المؤمنون ١٢ - ١٤)

وإن نظرة الآيات وهي تتحدث عن أطوار النشأة وتتابعها بهذا النظام وبهذا الاطراد تعد من دلائل الإيمان بما يشهد بوجود المنشئ أولا وما يشهد بالقصد والتدبير في تلك النشأة وفي اتجاهها أخيرا فلا يمكن أن يكون الأمر مصادفة عابرة بدون قصد ولا تدبير ثم تسير هذه المسيرة التي لا تنحرف ولا تتخطى ولا تتخلف ولا تسير في طريق آخر من شتى الطرق التي يمكن عقلا وتصورا أن تسير فيها ثم تسير النشأة الإنسانية في هذا الطريق دون سواه من شتى الطرق الممكنة بناء على قصد وتدبير من الإرادة الخالقة المدبرة في هذا الوجود وفي عرض الأطوار بهذا التتابع الذي يعرض تصويرا لعموم الخلق ما يشير إلى أن الإله وحده الخالق المدبر هو الذي يقوى ربط الأسباب بين المخلوق والخالق لتلك الحقيقة التي قد تنبه الآيات تثبت أن الإنسان مر بأطوار متسلسلة من الطين إلى الإنسان، فالطين هو المصدر الأول أو الطور الأول والإنسان هو الطور الأخير. وهي حقيقة نعرفها من القرآن الكريم ولا نطلب لها مصداقا من النظريات العلمية التي تبحث عن نشأة الإنسان أو نشأة الأحياء. إن القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة لتكون مجالا للتدبر في صنع الله وللتأمل للنقلة البعيدة بين الطين وهذا الإنسان المتسلسل في نشأته من ذلك الطين ولا يتعرض لتفصيل هذا التسلسل لأنه لا يعنيه في أهدافه الكبيرة. أما النظريات العلمية فتحاول إثبات سلم معين للنشوء والارتقاء توصل حلقات السلسلة بين الطين والإنسان وهي تخطئ وتصيب في هذه المحاولة التي سكت القرآن عن تفصيلها. وليس لنا أن نخلط بين الحقيقة الثابتة التي يقررها القرآن، حقيقة التسلسل وبين المحاولات العلمية في البحث عن حلقات هذا التسلسل وهي محاولات التي تخطئ وتصيب وتثبت اليوم وتنقض غدا كلما تقدمت وسائل البحث وطرقه المختلفة في يد الإنسان فإذا كان العلم بعد أن تقدم ووصل إلى قمة الاكتشافات والاختراعات توصل إلى ما أخبر به القرآن الكريم قبل أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان فقام بتحليل المواد التي يتكون منها جسم الإنسان فوجد أنه يشتمل على نفس العناصر التي يتكون منها الطين.

أما كيفية تسلسل الإنسان من الطين فمسكوت عنه كما قلنا لأنه غير داخل في الأهداف القرآنية وقد يكون حقيقته على النحو الذي تقول به النظريات العلمية وقد لا يكون وتكون الأطوار قد تمت بطريقة أخرى لا يعرفها أحد وبسبب عوامل وعلل أخرى لم يكشف عنها الإنسان ولكن مفترق الطريق بين نظرة القرآن إلى الإنسان ونظرة تلك النظريات أن القرآن الكريم يكرم هذا الإنسان ويقرر أن فيه نفخة من روح الله هي التي جعلت من سلالة الطين إنسانا ومنحته تلك الخصائص التي بها صار إنسانا وفارق بها غيره من الأحياء وهنا تفترق نظرة الإسلام افتراقا كليا عن نظرة الملحدين ولذلك عندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم خاطبهم قائلا

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

(الحجر ٢٩)

وتلك النشأة كانت نشأة جنس الإنسان من سلالة من طين فأما نشأة الفرد الإنساني فتمضي في طريق آخر ذكرته الآيات في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾

(المؤمنون ١٣)

فإذا كان الجنس الإنساني نشأ من سلالة من طين فقد كان تكرار أفراده بعد ذلك وتكاثرهم فقد جرت مشيئة الله وسنته أن يكون عن طريق نطفة ماء تخرج من صلب الرجل فتستقر في رحم المرأة. هذه النطفة تحتوي على عشرات الآلاف من خلايا تستقر منها خلية واحدة كامنة من تلك النطفة تستقر ثابتة في الرحم العابرة بين عظام الحوض التي توفر لها الحماية من التأثر بالهزات الجسمية ومن كثير مما يصيب الظهر والبطن من لكمات وكدمات ورجات وتأثرات. ومن النطفة إلى العلقة حينما تخرج خلية الذكر بويضة الأنثى وتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الأمر تتغذى بدم الأم ومن العلقة إلى المضغة حينما تكبر تلك النقطة العالقة وتتحول إلى قطعة من دم غليظ مختلط وتمضي هذه الخليقة في ذلك الخط الثابت الذي لا ينحرف ولا يتحول ولا تتوانى حركته المنتظمة الرتيبة وبتلك القوة الكامنة في الخلية المستمدة من الناموس الماضي في طريقه بين التدبير والتقدير حتى تجيء مرحلة العظام

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾

فمرحلة كسوة العظام باللحم

﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾

وهنا يقف الإنسان في دهشة أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيرا بعد تقدم علم الأجنة التشريحي. فقد ثبت التقدم العلمي أن خلايا العظام غير خلايا اللحم وثبت أيضا أن خلايا العظام هي التي تتكون أولا في الجنين ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام

وقد [illegible] وهي [illegible] التي يسجلها القرآن الكريم

[illegible]

فسبحان العليم الخبير أليست تلك الدلائل تهدي القلوب الحائرة إلى الإيمان بالله الخالق القادر، وبعد تلك الأطوار تأتي مرحلة الإنسان المخلوق ذي الخصائص المميزة يقول تعالى

[illegible]

فإذا نظرنا إلى جنين الإنسان نجد أنه يشبه جنين الحيوان في [illegible] ولكن جنين الإنسان ينشأ خلقاً آخر ويتحول إلى تلك الخليقة المتميزة المستعدة للارتقاء ويبقى جنين الحيوان في مرتبة الحيوان مجرد من خصائص الارتقاء [illegible] [illegible]

فتبارك الله أحسن الخالقين

الذي أودع فطرة الإنسان تلك القدرة على السير في هذه الأطوار وفق السنة التي لا تتبدل ولا تتخلف حتى تبلغ بالإنسان ما هو مقدر له من مراتب الكمال الإنساني على أدق ما يكون النظام..

[illegible]

[illegible]

[illegible]

دروس قرآنية في التربية البطولية (٢)

[illegible]

[illegible]

(الروم ٤١)

يقول الرحمة المهداة ﷺ: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا

تعلم شماله ما تنفق يمينه)[1].

شهادة تقدير إلهية

أفرأيت في تأملك لهذا الحديث الشريف كيف يترجم للمعاني الأخلاقية المطهرة التي حباها البارئ العظيم سبحانه للكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف الصديق – عليه السلام – عندما قال على لسانه الفتى الناشئ وهو يقاوم بخلقه الرفيع وسلوكه المنيع إغراءات «ذات المنصب والجمال»:

(يوسف: ٢٣)

ثم وهو يناجي ربه وقد أحاطت به المحنة والابتلاء:

(يوسف: ٣٣)

ثم كان جزاء هذا الخلق السامي الرفيع أن يتجلى عليه صاحب التجليات العظمى بشهادة التقدير الإلهية.

(يوسف: ٥٦)

ثم تتجلى أخلاق الفضل والتسامح لدى الصديق – عليه السلام – فلا يكم عن إخوته المثل الأخلاقية التي يتحلى بها لعلهم يهتدون بها إلى ما يليق بنسبهم النبوي الشريف فيضع أمامهم نصيحته الغالية التي خطتها السماء وصدقتها التجربة :

(يوسف: ٩٠)

ثم يتجلى خلق التواضع لله عز وجل والامتثال له والعرفان بنعمته والتذلل ببابه والتعلق بأعتابه :

(يوسف: ١٠١)

وهكذا تتعانق بطولة الكرامة الإنسانية أمام الخلق، وعبودية التذلل والاعتبار أمام الخالق.

ولله كم كانت مسيرة العمر «اليوسفي» المديد[2] غنية بالتجارب والابتلاءات التي عرضها الحق سبحانه علينا دروساً ناطقة وملامح صادقة جديرة بالتفكر والتأسي والاعتبار.

---

(١) رواية [illegible] عن أبي هريرة [illegible] لأحمد في مسنده والبخاري ومسلم والنسائي [illegible] الجامع الصغير للسيوطي.

(٢) عاش يوسف عليه السلام على أرجح الأقوال مائة وعشرين عاماً.

بطولة التوبة

ثم ها نحن أولاء إزاء صورة مبهرة أخرى في مرآة البطولات النادرة وفي معرض «أحسن القصص» الذي أبدعه الخلاق العظيم في كتابه الكريم، وهذه الصورة البطولية الخلاقة هي «التوبة».

إن التوبة عن هوى النفس، ومهاوي الشهوات هي بطولة بحق تتطلب من صاحبها القوة والقدرة جميعاً. القوة على غلبة هذا الخصم العنيف والعنيد الذي يعبر عنه بالهوى، والقدرة على [illegible] على هذه [illegible] ومواصلتها حتى يندحر هذا الخصم في [illegible] بلا [illegible].

ولا شك في أن مثل هذه البطولة [illegible] تتطلب من صاحبها [illegible] وعزيمة [illegible] وطاقة قادرة ومقتدرة وعزم لا يلين.

وإن المرء ليبهره في هذا المجال حقاً وأيما إبهار البطولة النادرة، والشجاعة الآسرة وهو يستمع في إنصات – برواية الصدق في القرآن الكريم – إلى سيدة مصر وامرأة عزيزها «زليخا»[3] وهي تفاجئ الناس في عصرها وفي كل عصر بصيحتها البطولية التاريخية في سمع الزمان!

(يوسف: ٥١)[4]

وتأمل هنا صيغة التأكيد بحرفي «إن واللام» إقراراً بالظلم وتبرئة للمظلوم بعد سلسلة من النكايات التي افتعلتها لتوقع به إما في الجنس أو السجن.

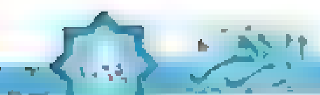
ومن معالم البطولة هنا أن تعترف «زليخا» هذا الاعتراف بحضرة الملك والنسوة اللاتي قطعن أيديهن بينما كان يوسف – عليه السلام – لم

---

(٣) [illegible] (الموسوعة العربية الميسرة – بتصرف).

وذكر [illegible] تاجاً على رأسها فأخبرت بأنها ستكون ملكة لمصر، ولم يتحقق هذا إلا عندما تزوجت يوسف عليه السلام حين صار ملكاً على مصر [illegible].

(٤) وحصحص الحق حصحصة أي بان بعد كتمانه (المنجد)



يرى رهن السجن. كما أن من معاني هذه البطولة أن تطمئن زوجها بأنها حقاً راودت يوسف ولكنها لم تخن زوجها إذ لم تسفر هذه المراودة عن شيء يسيء إلى كرامة زوجها.

ثم تواجه المرأة نسوة [illegible] وهي كبيرة نساء مصر آنذاك بأنها كانت أسيرة شهوة عارمة. وشق محبوب مما قادها إلى فعل الأفاعيل مع فتاها الذي حظي بالجمال الصارخ والذي حظي بشطر الحسن[5] مما دفع النسوة اللاتي قطعن أيديهن انبهاراً بجماله إلى أن يهتفن مأخوذات:

﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾

(يوسف: ٣١)

وهي النسوة اللاتي قيل إن عددهن كان خمساً: امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب، وقيل: إن امرأة العزيز دعت أربعين امرأة منهن هؤلاء الخمس.

وقد قيل إن من فرط هذا الحسن اليوسفي أنه - عليه السلام - كان إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء.

وهكذا فتنت «زليخا» بالحسن اليوسفي وعشقته [illegible] لفتنة ولكن هيهات

ولا شك في أن إباء يوسف - عليه السلام - وسموه وكرامته وشجاعته في المقاومة والصمود. على ضعف مكانه ورقة مكانته. قد أثار هذا كله في ذات الملكة [illegible] وحرك محبوبتها وأيقظ كل [illegible] فاستعادت سيادتها أمام نفسها، وتذكرت بعزتها التي تعرت منها حيناً من الوقت فاستفاقت من النشوة. واستيقظت بعد الغفوة، وكانت هذه هي بطولة التوبة الصادقة أن يدفع المرء كيانه إلى سطح لوح الخلاص ليسبح فوق الماء بعد أن أوشك على الغرق والسقوط [illegible] صادقة لا تعرف التراجع أو النكوص.

وهكذا اعترفت «زليخا» بخطئها مرتين: مرة عندما قدمت غلامها الذي فتنت به أمام نسوة المدينة مولية لهن وعاتبة عليهن:

﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾

(يوسف: ٣٢)

ومرة أخرى عندما استفاقت من غيبوبة اللاشعور إلى صحوة الشعور حيث أشرقت أمامها [illegible] حصحصة الحق. غير أن الاعتراف الأول كان تمادياً في البهتان وأما الاعتراف الثاني فقد كان توبة عن العصيان وعودة إلى مشاعر الكرامة في الإنسان.. وشتان.

حتى إن الفضيل بن عياض[1] يرحمه الله حدثنا في ذلك «أن زليخا وقفت على الطريق حين مر يوسف فقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته والملوك عبيداً بمعصيته» وكان زوجها «قطفير» قد مات آنذاك ومن ثمة طلب يوسف - عليه السلام - من الملك (الريان بن الوليد) أن يجعله على خزائن الأرض[2] وكانت منه [illegible] ثلاثين سنة فلما ملك طلب يوسف [illegible] «راعيل» أو «زليخا» حيث أنجب [illegible] ولدين هما: («أفراثيم»، و«ميشا» أو «منشى»)، ومن هذه السلالة اليوسفية كان «يوشع بن نون»، و«رحمة» امرأة أيوب - عليه السلام -.

تلك مثل تربوية عليا ونماذج تعليمية فضلى، لم تنزل من السماء إلا لترتفع أنفسنا بها إلى مراقي الهدى، ومعارج اليقين وإن لم نفعل فحسبنا عتباً ولوماً من القرآن الكريم عندما يقول لنا في إنكار واستنكار:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

(المؤمنون: ١١٥)

وإننا لنعتقد في يقين أن أول من يحاسب هو المعلم وكل من وقف معه في أداء رسالة «صنع الأجيال» على مدى ما قام به في أداء هذه الرسالة، وإننا لنصيخ السمع يوم القيامة لصوت السماء وهو يخاطب هؤلاء فيما نتوقع (ألقيت على كواهلكم مسئولية رعاية البنات والبنين أطهاراً أبرياء فماذا صنعتم لهم، وماذا فعلتم بهم ليقوموا بحق الخالق وواجب الخلق أيها الآباء والمعلمون والمربون على كافة المستويات؟).

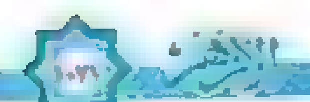
---

(٥) روي في حديث (الإسراء والمعراج) أن النبي ﷺ مر بيوسف عليه السلام في السماء [illegible] أعطي شطر الحسن [illegible] يوسف [illegible]

(٦) [illegible] «الكشاف للزمخشري».

(١) هو مؤرخ وفقيه وشاعر مغربي (١٠٨٣ - ١١٤٩م)، [illegible] في «سبتة» ودرس على ابن رشد وغيره، تولى القضاء في سبتة وغرناطة، من أبرز مؤلفاته «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» و«مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار»، الشهير باسم «القاضي عياض» (الموسوعة الميسرة)

(٢) قيل إن خزائن الأرض هي الأهرام التي تجمع فيها الغلات لاستهلاكها من السنوات العجاف.



أدب الأنبياء والرسل مع الله - عز وجل -

(٢)

لفضيلة الشيخ: فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

ونتابع الحديث عن أدب الأنبياء والرسل مع الله – عز وجل – فيقول الله – تعالى – عن نبيه عيسى – عليه السلام –:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١١٦– ١١٨)

قال القرطبي – رحمه الله –: اختلف في وقت هذه المقالة؛ فقال قتادة وابن جريج وأكثر المفسرين: إنما يقول له هذا يوم القيامة.. وقال السدي وقطرب: قال له ذلك حين رفعه إلى السماء وقالت النصارى فيه ما قالت، و«إذ» في كلام العرب لما مضى.

والأول أصح؛ يدل عليه ما قبله من قوله:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١٠٩)

كما يدل عليه ما بعده، وهو قوله:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١١٩)

وعلى هذا تكون «إذ» بمعنى «إذا» كما في قوله:

﴿ [illegible] ﴾

(سبأ: ٥١)

أي: إذ فزعوا، فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي؛ لأنه لتحقق أمره وظهور برهانه كأنه قد وقع[1].

والمعنى: واذكر أيها الرسول الكريم – والخطاب عام لكل إنسان – وقت أن يسأل الله – تعالى – عبده ورسوله عيسى – عليه السلام – فيقول له: يا عيسى أأنت قلت للناس ﴿ [illegible] ﴾ أي: [illegible] أي من غير الله.

والمقصود بالاستفهام في قوله [illegible] توبيخ المكفرة من قومه وتبكيت كل من نسب إلى عيسى وأمه ما ليس من حقيقتهما، وفضيحة هؤلاء على رءوس الأشهاد في ذلك الموقف العصيب؛ لأن عيسى – عليه السلام – سينفي عن نفسه أمامهم أنه قال ذلك، وإنما أمرهم بعبادة الله وحده.

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١١٦)

أي: قال عيسى مجيبا ربه بكل أدب وإذعان: تنزيها لك يا إلهي عن أن أقول هذا القول، فإنه ليس من حقي ولا من حق أحد أن ينطق به.

ويتجلى أدب الرسل والأنبياء عند مخاطبتهم ومحادثتهم وحوارهم مع الله – تعالى – في هذا الرد السامي في الأدب، فقد صدّر عيسى – عليه السلام – كلامه بالتنزيه المطلق لله – عز وجل – ثم عقب ذلك بتأكيد الإذعان لله بأن أعلن بأنه ليس من حقه أن يقول هذا القول؛ لأنه عبد لله – تعالى – ومخلوق بقدرته، ومرسل منه لهداية الناس، فكيف يليق بمن كان شأنه كذلك أن يقول [illegible]

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١١٦)

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١١٦)

قمة أدب حديث عيسى – عليه السلام – مع الله – عز وجل – ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ﴾، لم يقل: لم أقله، وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب.

ثم أحال عيسى – عليه السلام – الأمر على علمه – سبحانه – بالحال وسره، فقال: ﴿ تعلم ما في نفسي ﴾ ولا يخفى عليك شيء فيه، ثم برأ نفسه عن علمه بغيب ربه وما يختص به – سبحانه – فقال: ﴿ ولا أعلم ما في نفسك ﴾

أي: تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم، وتعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وتعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل.

ثم أثنى على ربه ووصفه بتفرده بعلم الغيوب كلها فقال: ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾، وقد أكد عيسى – عليه السلام – ذلك بـ«إن» المؤكدة، وبالضمير «أنت»، وبصيغة المبالغة «علام»، وبصيغة الجمع للفظ «الغيوب»، فلم يقل: أنت عالم الغيب.

وبعد هذا التنزيه من عيسى – عليه السلام – لله – عز وجل – وبعد هذا النفي المؤكد لما سئل عنه؛ ينفي عيسى – عليه السلام – أن يكون قد قال لهم غير ما أمره ربه به – وهو محض التوحيد – فقال:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١١٧)

أي: ما قلت لهم يا إلهي:

﴿ [illegible] ﴾

وإنما القول الذي قلته لهم هو الذي أمرتني أن

(١) تفسير القرطبي.

[illegible] وأنت علام الغيوب [illegible]
[illegible] حتى [illegible] وحقيقته فيجب على خلقه
أن تدين لك بالعبادة والخضوع والطاعة، وأنت تعلم
[illegible] رقيبا وشهيدا
على قومي، وداعيا لهم إلى إخلاص العبادة لك، والعمل
بموجب أمرك مدة إقامتي فيهم.

ويستمر عيسى - عليه السلام - في التزامه بالأدب السامي في كلامه مع الله - عز وجل - في قوله:
﴿[illegible]﴾ [illegible] ما أمرتهم إلا بما أمرتني به. إلا أنه وضع القول موضع الأمر نزولا على موجب أدب الحديث مع [illegible] نفسه وربه آمرين معا...

﴿[illegible]﴾ [illegible] في تفسيره[2]
﴿[illegible]﴾ أي: قبضتني بالرفع إلى السماء حيا.

[illegible]

قال بعض [illegible] إلى السماء حيا، فإطلاق لفظ [illegible] من التوفي وهو أخذ الشيء [illegible] التوفي [illegible] تعالى:

﴿[illegible]﴾
(آل عمران: 55)

ولا يصح [illegible] التوفي [illegible] عيسى في وقت [illegible] رفعه إلى السماء [illegible] وقد يريد الله السماء أن تكون قرارا بعد الموت، وإن كان الرفع [illegible].

[illegible] فلما قبضتني بالرفع إلى السماء حيا انتهت مهمتي بعد فراقي لقومي، وكنت أنت وحدك الحفيظ عليهم الرقيب لأحوالهم، العليم بتصرفاتهم، الخبير بما أحسن [illegible] لا يخفى [illegible].

﴿[illegible]﴾ [illegible] الأدب مع الله - عز وجل - في هذا المقام أي: شأن السيد رحمة عبيده والإحسان إليهم، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيدا لغيرك. فإذا عذبتهم - مع كونهم عبيدك - فلولا أنهم عبيد سوء من أبخس العبيد وأعتاهم على سيدهم، وأعصاهم [illegible] لأجودين، وأعظم المحسنين إحسانا عبيده؟ لولا فرط [illegible] عن طاعته، وكمال استحقاقهم للعذاب.

﴿[illegible]﴾ قمة الأدب في [illegible] مع الله - عز وجل - [illegible] الرحيم لأنه قال ذلك في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة بل هو مقام براءة منهم، فلو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم، لأشعر باستعطافه ربه على أعدائه الذين قد اشتد غضبه [illegible] في غضب [illegible] عليهم [illegible] بما [illegible] ورحمته ومغفرته [illegible] ذكر [illegible] وحكمته المتضمنين لكمال القدرة والعلم.

[illegible]

تمرد [illegible] عن [illegible] عن [illegible] ولا [illegible] عليهم [illegible] فقد [illegible] لغيره لعجزه عن الانتقام منه، ولجهله بمقدار إساءته [illegible] والكمال هو: مغفرة القادر العالم، وهو العزيز الحكيم. وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب.

وفي بعض الآثار: «حملة العرش أربعة: اثنان يقولان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك [illegible] سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك»، [illegible] كل [illegible].

﴿[illegible]﴾ (النساء: 12)

وقوله:

﴿[illegible]﴾
(النساء: 149)

روى الإمام أحمد عن [illegible] - رضي الله عنه - [illegible] حتى [illegible].

﴿[illegible]﴾
(النساء: 118)

[illegible] حتى [illegible] قال [illegible] عز وجل [illegible] لا يشرك [illegible].

[illegible] عن [illegible] - عليه السلام -
﴿[illegible]﴾
(الأنبياء: 83)

تحكي الآية الكريمة جانبا من قصة أيوب - عليه السلام -.
قال ابن كثير - رحمه الله -: يذكر الله - تعالى - عن أيوب - عليه السلام - ما كان قد أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده. وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرون، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره ثم ابتلي في جسده. ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته. وقد كان نبي الله أيوب غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك[3].

فقد طال مرضه واستطال بلاؤه في ماله وأولاده، وعظم هجران الناس له - إلا زوجته الوفية - ومع ذلك لم ييأس أيوب الصبر ولم يتخل عنه، كان صبره متجاوزا البلاء ومتفوقا عليه.

والضر - بالفتح - يطلق على كل ضرر - والضر - بالضم - خاص بما يصيب الإنسان في نفسه من مرض وأذى وما يشبههما.

أي: واذكر أيها الرسول الكريم - والخطاب عام - عبدنا أيوب - عليه السلام - وقت أن نادى ربه، وتضرع إليه بقوله: يا رب إني قد أصابني ما أصابني من الضر والبلاء والتعب وهجر الناس لي، وأنت أجل وأعظم رحمة من كل من يتصف بها.

وهنا يتجلى الأدب السامي لأيوب - عليه السلام - في حديثه مع ربه - عز وجل - فلم يزد في تضرعه عن وصف حاله:
﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ (الأنبياء: 83)
ووصف خالقه - جل شأنه - بأعظم صفات الرحمة دون أن يطلب شيئا، التزاما منه بأدب الأنبياء والرسل في حديثهم مع الله - عز وجل.

قال صاحب الكشاف - رحمه الله -: «ألطف - أيوب - في السؤال؛ حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب»[4].

---

(2) تفسير صفوة البيان لمعاني القرآن، لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف.

(3) تفسير ابن كثير.
(4) تفسير الكشاف.

موسى عليه السلام (التربية النفسية)

من السذاجة أن يعتقد مسلم أنه أعرف على أنبياء الله من غيره وأن من حقه أن يواجههم وأنه كان في عقله أفضل منهم في نفسه كما من السذاجة أن يخطر بالشكوى في عصمة الأنبياء الأكرم وفي عصمة النبي أو من هو في مقامه لا سيما أن موسى - عليه السلام - قد اعترف بخطئه وقال مستغفرا ربه

﴿ [illegible] ﴾

[illegible]

[illegible]

والبس التحرير

موسى - عليه السلام - نموذج يحتذى

رسل الله أجمعون يمثلون القدوة الحسنة وقد أرسلهم الله مبشرين ومنذرين ومعلمين

﴿ [illegible] حجة بعد الرسل ﴾

(النساء: ١٦٥)

ولكل أمة رسول يناسبهم ويناسب تفكيرهم النظري والعملي وقد قالوا لموسى:

﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾

(البقرة: ٥٥)

وانظر إلى قوله تعالى

﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾

(البقرة: ٦٥)

وفي قوله تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٦٧)

فقالوا لموسى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٦٨)

ولم يقف الأمر عند ذلك فقالوا لموسى

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٦٩)

إلى آخر الآيات لأنهم لا يؤمنون إلا بالأشياء المنظورة فعلى الرغم من رجاحة عقليتهم ليذبحوا البقرة.

﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾

(البقرة: ٧١)

ويقول الله لهم:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة ٨٣)

فإن الله يقول عنهم

﴿ [illegible] إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾

(البقرة ٨٣)

إلى آخر الآيات كان هذا شأنهم مع أنبيائهم وعلى رأسهم موسى واستمروا على ذلك حتى جاء القرآن:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٨٩)

فكيف التعامل مع هؤلاء الناس والحالة هذه؟ إن الأسلوب النظري لا يجدي معهم فلتكن تجربة أخرى بالأسلوب العملي لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولتجرى التجربة على يد رسولهم الذي صنعه الله على عينه والله سبحانه يقبل التوبة من عباده ويعفو عن عباده ويعفو عن السيئات لمن أخلص وصدق بل أكثر من ذلك فإن الله يقول في سورة الزمر:

﴿ [illegible] ﴾

(الزمر: ٥٣)

فلتكن تجربة عملية تجرى على يد هذا الرجل العصبي المزاج أي صاحب الانفعال العصبي الشديد في الأزمات ولتكن التجربة عملية ليبين للناس كيف الخلاص من هذا المرض العصبي ولتكن التجربة على يد رجل صنعه الله على عينه، أليس ذلك درسا عمليا بين الله فيه كيف الخلاص من هذا المرض إن إبراهيم - عليه السلام - ألقي في النار فصبر وقال الله للنار:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٦٩)

فلم تضره النار.

ها هو ذا موسى - عليه السلام - وقد

﴿ [illegible] ﴾

(القصص: ١٥)

وهنا قال موسى لربه:

﴿ [illegible] ﴾

(القصص: ١٦، ١٧)

ليس هذا درساً علمياً لكل عاصٍ فرعون وموسى هو الدرس التعليمي للتخلص من هذه الأزمة النفسية(٢) أن القوة الطاغية قاتلة فهل نقل هكذا بعض القوى الضعيفة لا يمكن الخلاص منها بالتوبة والرجوع إلى الله والرضى بما من الله على به كليم الله موسى الذي صنعه الله على عينه وكلمه الله تكليما.

وتجربة علمية أخرى تمر بها موسى عليه السلام وقعت في حرج شديد

﴿[illegible]﴾

(الأعراف ١٤٣)

هذه دروس علمية تبين كيف الخلاص من تراخ النفس بالتوبة النصوح

إن موسى عليه السلام نموذج بشري يعلم الناس كيف الخلاص من الأزمات النفسية أو العصبية وموسى عبد من عباد الله صنعه الله على عينه وكلمه تكليما وهو المعلم الأول لبني إسرائيل وسنستمع لشوقي وهو يقول:

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي
يبني وينشئ أنفسا وعقولا
سبحانك اللهم خير معلم
علمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت بالتوراة موسى مرشدا
وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا
فسقى الحديث وناول التنزيلا

أرأيت أن الذي يبني وينشئ أنفسا وعقولا وهكذا كان موسى بالتربية يبني وينشئ أنفسا وعقولا وإذا كانت الأحداث السابقة تبني وتنشئ نفساً وتقدم النموذج العصبي الذي تمكن علاجه كما حدث مع موسى عليه السلام أثناء مقدمات النبوة الفعلية وإن شئت فقل النموذج البشري العصبي الذي تم علاجه مع موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر الذي علمه الله أكثر مما كان عند موسى من العلم وهو مثال النموذج البشري العصبي الذي ينبغي ألا يعترض على علم الله تعالى

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾

(يوسف ٧٦)

إن الكلمة الأخيرة في العلم تكون لله وهذه تقول في آخر سورة لقمان

﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾

(لقمان ٣٤)

لقد ظن موسى أنه أعلم من في الأرض فأجيب بأن هناك من هو أعلم منه فطلب من الله أن يلقاه

(٢) الجزء الأول من الشوقيات ص ٢١٨، ٢١٩ [illegible]

عنده ليزداد منه علماً فأخبره الله بأنه في مجمع البحرين وهنا قال موسى لفتاه:

﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا﴾

(الكهف ٦٠)

وتبدأ الرحلة العلمية المباركة موسى عليه السلام وفتاه ومعهما غداؤهما متجهة إلى مجمع البحرين فوجدا عبداً من عباد الله يقول الله عنه:

﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾

(الكهف ٦٥)

ويكون حوار بين التلميذ وأستاذه يمثل قمة عصبية أخلاقية في علاقة التلميذ بأستاذه ففي أدب وتواضع يقول التلميذ لأستاذه

﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾

(الكهف ٦٦)

ويرد عليه أستاذه رداً علمياً خلقياً معللا

﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا ۝ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾

(الكهف ٦٧، ٦٨)

ويرد موسى عليه السلام على أستاذه

﴿قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ۝ قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾

(الكهف ٦٩، ٧٠)

وتبدأ رحلة التلميذ وأستاذه قبل أن تبدأ رحلة الشقاق بين الاثنين بسنوات عدة – ويكون خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار. ويعترض موسى على أستاذه وعلى تصرفاته تجاه هذه الأحداث ويكون الفراق بين التلميذ وأستاذه.

﴿قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾

(الكهف ٧٨)

أرأيت أن التجربة العلمية العملية بين التلميذ وأستاذه ليست قصة للعبرة والتوجيه العلمي والأدبي لا تخص موسى عليه السلام وحده ولكنها نموذج علمي ينبغي أن يحتذى به. ولكن الظن أن موسى ليس وحده المقصود وإنما كان بطل القصة بين ما ينبغي أن يكون عليه التلميذ حين يتلقى عن أستاذه وأن يلتزم بآداب الدرس. فهو بطل القصة التي ينبغي أن تحتذى في التربية والتعليم وليس المقصود منها وبها الشخص بموسى عليه السلام فهي نموذج تربوي لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين التلميذ والأستاذ وطريقة التدريس والهدف من البناء العلمي العملي وكيف يتم التعاون بين التلميذ وأستاذه من أجل أسلوب تربوي سليم يوصل إلى الغاية المنشودة من التربية والتعليم.

إن حديثنا عن موسى عليه السلام يقصد به بناء النفس اللوامة التي تخطئ وتدرك أنها أخطأت وترغب في العودة إلى الصراط المستقيم بصدق وإخلاص ومن هنا تكون النفس المطمئنة ويكون العقل السليم في الجسم السليم. ومن هنا تبدأ المسيرة التربوية الصحيحة ألهمت يا أخي القارئ أن أحول ذلك مع تمنياتي لك وأرجو لك السداد في مستقبل أيامك وأن يكون الهدوء طريقك في البحث العلمي لتحقيق الغاية المنشودة في الطريق إلى الله وإلى الاستقامة على الطريق المستقيم

وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه

اليتيم من الإطعام.. إلى الإكرام

للدكتور / محمود عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

من معاني اليتم: الاغتراب.. والعزلة.. وإذن.. فاليتيم هو: الغريب – المعزول.

وقد جاء في «النهاية لابن كثير»:

النساء كلهن يتامى. أي: ضعائف»[1]

وقد خص التهانوى ذلك فقال:

اليتيم: إنسان بلا أب.. وحيوان بلا أم.. وجوهر بلا نظير..

حق اليتيم:

وإذن.. فلان اليتيم منقطع.. معزول.. كثير [illegible] لا يلتفت إليه أحد

فلا يكفي إطعامه سدًا لجوعة البطن.. ولكن لأنه فقد نعمة [illegible].. فهو أشد حاجة للإحساس بأنه موجود وله حضور في هذا المجتمع الذي يعيش فيه

إنه في حاجة إلى «التكريم» والاعتراف به كإنسان.

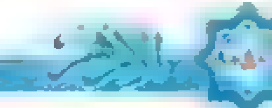
وهذا هو الذي حدث مع الرسول ﷺ وهو غلام:

كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول هذا الفراش حتى يخرج.. وكان ذلك منهم احترامًا لأبيهم الذي كان زعيم «قريش».. ولكن الرسول ﷺ وهو غلام – كان يخترق هذه السنة الاجتماعية وذلك بجلوسه على ذلك الفراش.. وإذا أراد أعمامه تأخيره – طبق فهمهم.. زجرهم عبد المطلب قائلًا:

دعوا ابني.. فوالله إن له شأنًا.. ثم يجلسه معه على الفراش، ولا يكتفي بذلك ولكنه كان: يمسح ظهره بيده.. بل كان يسره كل ما كان يصدر عنه من أفعال وأقوال.

فلما مات.. «عبد المطلب» كان في كفالة عمه

1- النهاية لابن كثير ,ـ ٥ ، ٢٩٢.



الشقيق «أبي طالب» الذي بالغ في تكريمه امتدادًا لما كان يفعله أبوه عبد المطلب.

ومن صور تكريمه له:

أنه كان لا ينام إلا وهو بجواره:

بل كان يصطحبه معه كلما سافر [illegible]

وسلوك «أبي طالب» هذا.. ومن قبله أبوه «عبد المطلب» يؤكد حاجة اليتيم إلى مزيد من [illegible] الذي فقده برحيل والده

ومن أجل ذلك يقول عز وجل

[illegible]

(الفجر: ١٧)

وقد تلى الآية «تطعمون»

[illegible]

(الضحى: ٩)

والمقصود هو أن أكثر الناس لا يلتفتون إلى اليتيم لأنه

ضعيف لا يرجى من قبله نفع [illegible] ولا غيره إن حق سبحانه وتعالى يذكره [illegible] النبي من حين توفي أبوه وهو جنين، وماتت أمه وهو ابن ست سنين فتم يتمه من الأبوين [illegible]

وعليه أن يرد هذا [illegible] أجمل ما سبق به.. وذلك بالإحسان [illegible] إلى اليتيم [illegible]

التنويه بكفالة اليتيم:

ومن حضه ﷺ على تكريم اليتيم قوله:

«أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين...»[2] ثم كان من وصاياه ﷺ: «امسح رأس اليتيم»[3].

من مظاهر تكريم اليتيم:

١- حفظ ماله. ونقرأ في ذلك قوله عز وجل:

[illegible]

(الكهف: ٨٢)

والمعنى: أن القرية قد امتنعت عن الضيافة.. ثم إن أهلها مقيمون فيها ثابتون: لا يتحولون.. وما يترتب على ذلك من الاستيلاء على الكنز إذا ما شاهدوه.. وكان لابد من الحفاظ عليه.. ونذكر هنا قول علمائنا:

وقد دل هذا على أن صلاح الآباء داع إلى العناية بالأبناء.

٢- استثمار ثروة اليتيم حتى لا تأكلها النفقة ونقرأ في ذلك قوله سبحانه وتعالى:

[illegible]

(النساء: ٥ - ٦)

(٢) صحيح البخاري ٧/٦٨، سنن أبي داود (٥١٥٠)

٣- مسند أحمد

فقال تعالى: [illegible]

والمعنى حاولوا أن تكونوا أمناء مع هؤلاء اليتامى.

فإذا كانوا سفهاء غير راشدين فلا تمكنوهم من الأموال التي هي عصب الحياة.. واستثمروها أنتم لحسابهم.. وعلى هذا التصرف الحكيم قول معروف يجبر خاطرهم ويؤكد لهم أن ما يرونه من عدم إيتائهم أموالهم ليس تشفيا ولا انتقاما.. وإنما هو من أجل مصلحتهم وحفاظا على أموالهم.

وكان من تكريم اليتامى دفعهم إلى الأسواق ليمارسوا بأنفسهم عمليات البيع والشراء تدريبا لهم على حسن التصرف في أموالهم.. فإذا بدرت منهم بوادر تدل على رشدهم سُلمت إليهم أموالهم ولاداعي للانتظار حتى يكون تصرفهم راشدا مائة في المائة، ويكفي أن تبدو منهم بوارق تدل على حسن تصرفهم في المستقبل القريب والمستقبل البعيد.

٣- الحفاظ على كرامة اليتيم وعزته.. التي كان الحفاظ عليها يساوي الدين كله ونقرأ في ذلك قوله عز وجل:

[illegible]

(الماعون: ١ - ٢)

فرد اليتيم والتجهم له يساوي التكذيب بالدين.. وليس وراء هذا التحذير وراء، إذ المعنى أن قهر اليتيم ماسح كل ما فعله من الطاعات مهما كان شأنها..

يضاف إلى ذلك أن هذا اليتيم إذا كان قريبا لك: من لحمك ودمك: فإن الإحسان إليه يكون أدخل في الإنسانية.

ونقرأ في ذلك قوله عز وجل:

[illegible]

(البلد: ١١ - ١٥)

٤- أن يكون اليتيم في بيتك.

فلا يكفي أن ترسل بالصدقة إلى اليتيم ليخلو لك الجو مع أهلك في بيتك.. وإنما الأهم من ذلك: أن يكون واحدا من أسرتك يظلكم جميعا سقف البيت:

وذلك بعض ما يفهم من قوله ﷺ:

عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال:

(من مسح رأس يتيم - لم يمسحه إلا لله - كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات.. ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم «عنده» كنت أنا وهو في الجنة كهاتين..)[٤] وهي دعوة إلى الاقتراب من اليتيم اقترابا يشعر هو به.. على أن يتم ذلك في بيتك وهو المعنى المفهوم من قوله ﷺ «عنده».

٥- التحذير من ظلم اليتيم:

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال:

إني فقير ليس لي شيء ولي يتيم قال: فقال: «كل من مال يتيمك: غير مسرف، ولا مبذر ولا متأثل»[٥]

والمطلوب هو: الأخذ بالمعروف. وبلا طمع في مال اليتيم. وإلا عرض نفسه لخطر عظيم.. لأن من الأمور المهلكات الموبقات: (أكل مال اليتيم) رواه البخاري ٢٧٦٦

الرسول: القدوة:

وكان هذا التكريم محضورا في وجدان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.. لأنهم وجدوا فيه ﷺ قدوتهم في هذا الباب. فلم يكن يقول إلا ما يفعله قال ﷺ لما استشهد جعفر - رضي الله عنه -

«اللهم اخلف جعفرا في أهله وبارك لعبدالله في صفقة يمينه. قالها ثلاثا مرارا. قال: (أي عبدالله بن جعفر) فجاءت أمنا. فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح له فقال: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة»[٦]

وهكذا لم تكن الوصاة باليتيم حبرا على ورق.. أو شعارات يتكفكف بها القائد آلام أمته، وإنما كانت مسئولية محددة يلزم نفسه بها.. قال ابن بطال:

حق على من سمع هذا الحديث يعني قول الرسول ﷺ (أنا وكافل اليتيم - الحديث) أن يعمل به.. ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة.. ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك» (الفتح ١٠/ ٤٥٦)

أعني إنها أسمى منزلة: لأنها صحبة رسول الله.. وفي الجنة: في الفردوس الأعلى وعلى هذا الأساس كان تصرف الصحابة رضوان الله عليهم:

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

«إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن احتجت أخذت منه بالمعروف.. فإذا أيسرت قضيت» (الدر المنثور ٤/ ٤٣٦) وتأمل مدى احترام حق اليتيم والذي يفرض على المؤمن أن يكون في التعامل معه قرآنيا: يأخذ منه بالمعروف.. وإذا تيسر مال في المستقبل رد هذا الذي أخذه في رقبته دينا يجب الوفاء به.

وذلك ما أشار إليه ابن عباس في قوله تعالى:

[illegible]

(النساء: ٦)

قال: ولي اليتيم إن كان غنيا فليستعفف وإن كان فقيرا أخذ من فضل يديه.. وأخذ بالقوت لا يجاوزه. وما يستر عورته من الثياب: فإن أيسر قضاه.. وإن أعسر.. فهو في حل.

وعنه أنه قال:

إن كان غنيا.. فلا يحل له أن يأكل من مال اليتيم شيئا.. وإن كان فقيرا.. فليستقرض منه: فإذا وجد يسرة.. فليعطه ما استقرض منه: فذلك أكله بالمعروف، وهو ما روى عن أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها.. في (الفتح ٥/ ٤٦٠)

مشروطا بواجب الكفيل.. وهو ما قال ابن عباس - أيضا: عندما جاءه رجل فقال له: إن في حجري أيتاما وإن لهم إبلا فماذا يحل لي من ألبانها»

فقال: «إن كنت تبغي ضالتها.. وتهنأ جرباها.. وتلوط حوضها.. وتسعى عليها.. فاشرب: غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب»[٧] ولعمري إنها مسئولية كافل اليتيم التي تجعل منه.. «خادما» بكل ما تحمل الكلمة من معنى:

والتي تفرض عليها أن يكون لا لليتيم وحده.. وإنما لمواشيه أيضا.. ومع ذلك: فعليه - إذا أيسر - أن يرد إلى اليتيم ما أخذه.. فقد كان قرضا.. ولم يكن أجرا!!

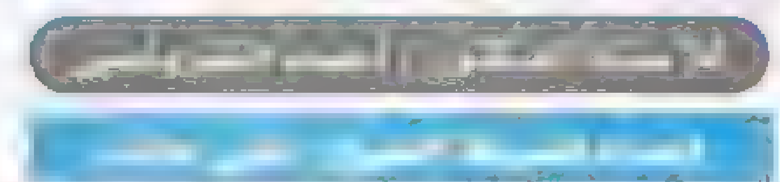
يتبع

(٤) البغوي: ١/ ٥٥٣، القرطبي ٢٠/ ١٠٢.

(٥) أبو داود رقم ٢٨٧٢، النسائي ٦/ ٢٥٦، مسند أحمد ٢/ ١٨٦.

(٦) مسند أحمد ١/ ٢٠٤، البداية والنهاية ٤/ ٢٥٢، مسند ابن أبي شيبة ١٢/ ١٠٥.

(٧) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي



إننا عائدون

الحمد لله عز وجل ...

(البقرة: ٢٦٩)

أشهد أن لا إله إلا الله، جعل اليقين صفة المؤمنين، وجعل اليأس خلق الكافرين

(يوسف: ٨٧)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، ظن بربه ظناً جميلاً، فكان أقوم طريقة وأهدى سبيلاً. فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وذريته، وصحبه وشيعته، وأتباعه وأنصار دعوته:

(الرعد: ٢٩)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.. تقبل علينا ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وهي ليلة لها ذكرى مجيدة عاطرة في تاريخ الإسلام والمسلمين، ففي مثل هذه الليلة أسرى الله الواهب الرزاق بحبيبه ونبيه، ورسوله وصفيه، محمد ﷺ من مكة البلد الحرام إلى بيت المقدس بفلسطين بلد أبي الأنبياء إبراهيم عليه وعليهم الصلاة والسلام، ثم أشرقت الأرض بنور ربها في اليوم التالي، وغدا محمد ﷺ على قومه يحدثهم بما أكرمه الله به، ثم نزل الوحي بعد ذلك يذكره ويركيه، فيقول:

(الإسراء: ١)

وقد جرت عادة المسلمين إذا احتفلوا بالإسراء أن يقتصروا على ترديد قصة الإسراء، ويبينوا: متى وقعت؟ وكيف كانت؟ ويوردوا الشواهد والدلائل على وقوع الإسراء وإمكانه، ولكن المؤمن ابن وقته، ولذلك يجب علينا اليوم أن نتخذ من ذكرى الإسراء عظة تنفعنا في ديننا ودنيانا، وتثير هممنا وعزائمنا، حتى نؤدي الدين المستحق في أعناقنا ورقابنا نحو بلد الإسراء وهي فلسطين.

إني أفهم أن الله سبحانه قد جعل بيت المقدس (وهي القدس عاصمة فلسطين) واسطة العقد في رحلة الإسراء والمعراج، ففي بيت المقدس انتهت رحلة النبي في الأرض، ومن بيت المقدس بدأت رحلته إلى السماء في المعراج، وكأن الله تعالى يريدنا بهذا أن نفهم أن فلسطين هي واسطة العقد في وطننا الإسلامي، فيجب ألا تهون علينا أو تضيع من أيدينا، ولكن هذا الجزء قد ضاع مع الأسف من أيدينا، ضاع بليل الخيانة والغدر، واغتصبه منا العداة الدخلاء، ولو استقمنا على الطريقة في الاحتفال بالإسراء اليوم لجعلنا عماد الاحتفال هو الحديث عن فلسطين، ولجعلنا شعار كل احتفال ذلك الهتاف الذي صار رمزاً لاسترداد فلسطين، وهو «إننا عائدون». نعم، إننا لا بد عائدون، وإن العودة مفروضة علينا شرعاً ووطنية أن نؤمن بأننا عائدون إلى فلسطين لنردها إلى أهلها الشرعيين، ونعمل بما تحتمه العقيدة، وأن نعمل كل ما نستطيع لتحقيق هذه العودة في وقت قريب.

نعم إننا عائدون إلى فلسطين لأننا نؤمن بالله سبحانه، والله جل جلاله من أسمائه «المبدئ المعيد» وكما أخرجت جلت حكمته من فلسطين نسلاً من المشردين، سيعيدهم إليها حينما تتحد الأمة وتصبح صفاً منيعاً مرصوصاً يتجه نحو السيادة والقيادة.

(آل عمران: ١٣٩)

ونحن عائدون إلى فلسطين لأنها موطن إبراهيم ومولد عيسى ومسرى محمد، وفيها القبلة الأولى التي ظل الرسول ﷺ يتجه نحوها في صلاته وقتاً طويلاً، وفيها ثالث الحرمين وهو المسجد الأقصى الذي يقول فيه الرسول ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى»[1].

ونحن عائدون لأن تاريخنا الإسلامي يوحي إلينا بالعودة، فهذا رسول الله ﷺ يضطره الطغاة من المشركين إلى ترك مكة والهجرة إلى المدينة، ولما صار النبي بظاهر مكة في طريق الهجرة التفت إلى البلد الحرام وقال يخاطبها: «والله إني لأعلم أنك خير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[2]، ويروي الرواة أن النبي لما بلغ مكان «الجحفة» في طريقه إلى المدينة اشتد شوقه إلى مكة، فأنزل الله عليه قوله:

(القصص: ٨٥)

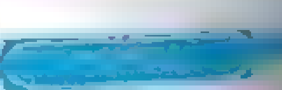
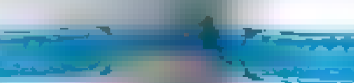
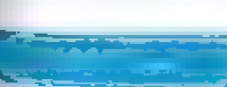
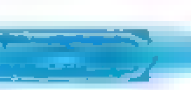
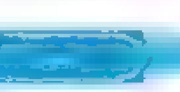
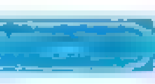
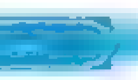
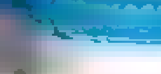
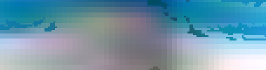
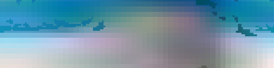
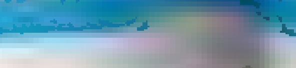
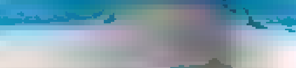
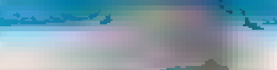
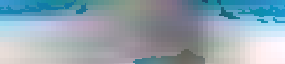
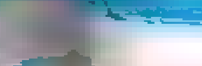
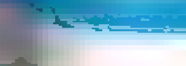
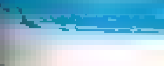
أي لرادك إلى مكة التي أخرجوك منها، وتمضي الأيام متتابعة، وتتوالى سنوات يتوالى فيها انتصار الكتيبة المؤمنة على الفئة الباغية، ويصبح الضعفاء أقوياء، ويذل الجبابرة بعد العسف والكبرياء، ويعود محمد ﷺ إلى مكة بعد بضع سنوات فاتحاً منتصراً، بينما لو قيل للناس يوم خرج من مكة أنه سيعود إليها منتصراً مسيطراً، لسخروا من ذلك القول، وعدوه من أضغاث الأحلام، ولكن هذا هو الذي كان، وعاد محمد ﷺ إلى مكة بعد أن خرج إلى المدينة، فكانت عودته شاهداً على نصرة الله لعباده:

(القصص: ٥ - ٦)

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم.



ونحن عائدون إلى فلسطين بإذن الله، لأن ديننا قد علمنا أن نحيا على وطيد الأمل وعميق الرجاء، وألا نفتح في صدورنا أو عزائمنا بابًا للخور أو الضعف، وألا نعرف طريقًا إلى اليأس أو القنوط، وكيف وقرآننا المجيد يقرع أسماعنا صباح مساء بقوله:

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦)

وقوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح: ٥ – ٦)

وقوله: ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (الزمر: ٥٣)

وقوله: ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴾ (الحجر: ٥٥)

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ (الشورى: ٢٨)

وقوله: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (الحجر: ٥٦)

والعربي المؤمن بربه وصدق وعده يقول:

إذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره، واطمأنت
وأرست في مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا
ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث
يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت
فموصول بها الفرج القريب

ومنذ قرون جاءت الصليبية الغربية الطاغية فاحتلت أرض فلسطين وغيرها من بلاد الإسلام والعروبة، وفعلت فيها الأفاعيل، وظلت قرابة مائة عام حتى قيض الله للمسلمين البطل الإسلامي الفاتح صلاح الدين الأيوبي الذي نفض التراب عن جذوة الجهاد المتقدة في صدور المؤمنين، وأحسن الإعداد والاستعداد للقاء الغاصبين، وأقدم فضرب ضربته الواثقة الموفقة، فإذا الصليبية ترحل خاسرة مندحرة، وإذا فلسطين تعود إلى أبنائها المسلمين، وتردد في ضمائر الناس قول ربهم الذي بهرت الدلائل على حقه وصدقه:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧)

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠)

وليس على الله بعزيز ولا بمستبعد أن يعيد التاريخ نفسه فتعود فلسطين اليوم كما عادت بالأمس:

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ (المعارج: ٦ – ٧)

يا أتباع محمد ﷺ

لن يسأم هذا الصوت تكرار الحديث عن فلسطين؛ لأنها الجرح الدامي في كبد المسلمين، ولأنه لا قرار لنا ولا استقرار إذا لم تعد إلينا فلسطين، ولو تذكرنا محنة المشردين من أبناء فلسطين وهم يقولون [illegible] بجموع اللاجئين وعرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، وحضر [illegible] قول ربكم:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء: ٩)

فلنتذكر عند الاحتفال بالإسراء بلدة الإسراء، ولنتذكر المشردين من أبنائها في آفاق الأرض، ولنبذل كل ما نستطيع لنعد أنفسنا ليوم العودة ويوم الخلاص:

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الروم: ٤ – ٥)

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (المجادلة: ٢١).

قصيدة العدد

دنيا الشباب

للشاعر الكبير / أحمد محرم

لا ذكرها نجد، ولا أنا مُثمر … دنيا يُقال لها الشبابُ المُثمرُ
مخضرة الأكناف، دانية [illegible] … يسقي جنائنها النعيمُ المُمطرُ
شتى[1] [illegible] تكاد تُخمر من أنفاسها … وشعاعُ رونقِها المحبَّبُ تَغمُرُ
كل الثمار جنيت من ريحانها[2] … وعجبتُ مما الريحانُ مما يُثمرُ
تنفس صادحة فتطرب فتية … ويصيح مزمارٌ ويهتف مِزهرُ[3]
رفت حواشيها[4]، ورفرف حولها … زمنٌ حواشيه أرقُّ وأنضرُ
ضحكت حوادثه، فتبدو مشرقًا … من خلفها الزاهي، وراح مُنوَّرُ[5]
[illegible] أرى مغنى الحياة [illegible] … فيها إذا جهل الحياة [illegible]
[illegible] الشهور عند صلاته … وأعل منه [illegible] الأشهر
من الشيوخ البيض ما [illegible] كتابها … قل للشيوخ هو (الكتاب الأخضر)[6]
[illegible] إلى [illegible] وزموره … فالنغمُ يشرب والحوادث تسكر
ذهب الشباب، وما الشباب بهين … ماذا صنعت بشيق يتذكر[7]

1- [illegible]
2- [illegible]
3- [illegible]
4- [illegible] جمع الحاشية وهي الجانب.
5- [illegible] الشرق، [illegible] الأمر أعجبه.
6- [illegible] الأخضر [illegible].
7- [illegible] والشوق [illegible].

كيف انقضيت وكنت فيك واسعـ [illegible] — يعمر [illegible]

لولا مشاغبة الحوادث ما رنت — بك من صروف الدهر [illegible] مشكر(٢)

ولقد ملكت فنلت في حد الفتى — ما نال كسرى ذو الجنود وقيصر(٣)

ملكت الكتائب والسرايا والخطوب — بيض القواضب والعتاق الضمّر(٤)

وهوى البيداء فكل حصن خاشع — بعد الطماح، وكل قصر مقفر(٥)

دنيا الشباب، وما الشباب بمستبق — وعذرته من ظالم لا يعذر

أعطى الكثير من المطالب والمنى — ولما استرد على الخصاصة(٦) أكثر

[illegible] منا ملكت سفينة — يحيا العديم بها، ويرضى المعسر(٧)

ولرب غاربة وفتن مرهق — [illegible] لا تنتظر

إني لتخدعني حياة كلها — كمد، وعيش ما يطاق مرير

أنكرت نفسي، واعتريت(٨) [illegible] — [illegible] يمثل عن دمي ويصور

وأقول: أين دمي، وهل أبقى البلى(٩) — [illegible] قطرة [illegible] وتدخر

[illegible] أحداث تفل [illegible] — [illegible] ما تضمر(١٠)

أفنيته، وقطرته من [illegible] إلى — عيني، ذلكم البلاء(١١) الأكبر

---

(١) واحد السماكين وهما كوكبان نيران يقال لأحدهما الرامح وللآخر الأعزل.

(٢) صروف الدهر نوائبه. والشكر [illegible]

(٣) كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم.

(٤) [illegible]

(٥) الطماح الشموخ والارتفاع، والمقفر الخالي.

(٦) [illegible]

(٧) العديم الفقير، والمعسر الذي افتقر وقلت ذات يده.

(٨) [illegible] توقع ما يحذره.

(٩) [illegible]

(١٠) [illegible]

(١١) [illegible]

(١٢) [illegible]

مهلاً، لكن الويل ما تبغين بي — جف المعين وغاض ذاك الكوثر(١)

دنيا الشباب، غدرته في عدره — وعلمته ما كان ممن يغدر

رمت الخطوب به، فراح [illegible] — ومضى يروع بالفراق ويذعر(٢)

ولقد خصرت بلاءه ونكاءه — [illegible] أحيط به، فيبتسم للخنجر

[illegible] يقول: "أنت ويحك" تاركي — وأقول: ويحي – هل تعود فأصبر؟

عندي رسائله يسيل حنينه — فيها، فويت(٣) أن تذوب الأسطر

صحت الشيب لها، فقلت شمت(٤) — [illegible] يا حار البنية(٥) تمكر

كم زفرة ما تستعين جوانحي(٦) — فيما جنى [illegible] المتفجر

أقعصت كشائها(٧) إذ جمعت يدي — وجرى دمي متدفقاً يتسعر(٨)

دنيا الشباب، فهواك ذو جبرية(٩) — تطوى الحياة على يديه وتنشر

لا أنت راجعة، ولا أنا [illegible] — ولئن جزعت لقد [illegible] أخفر

[illegible] عرقي، في جوارح راجز — تهوى الشعوب بقاعه والأعصر(١٠)

لا تغفلي سبب النجاة على يدي — زعت العواصف بي، وطاح المعبر(١١)

ولئن غنيت لتعلك غير بديعة — أي الرجال على الحوادث يصبر؟

[illegible] الخامع الغاعي لغوى — ورمى السلاح الطامع المتنمر(١٢)

---

(١) [illegible] موضع [illegible] وغاض الماء غار أو نقص، والكوثر الشرب العذب.

(٢) الخطوب جمع الخطب وهو الأمر العظيم المكروه، [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) [illegible]

(٦) [illegible] والجوانح جمع الجانحة الأضلاع تحت الترائب [illegible]

(٧) [illegible]

(٨) [illegible]

(٩) [illegible]

(١٠) [illegible]

(١١) [illegible]

قصة العدد

أذان في غير موعد

للدكتور / أبي حسام

[illegible]
المنصور والرشيد والمأمون، فلم تلبث أن تزول.

قال المعتضد: إن ما أقابله من المعضلات يفوق ما تتحدث عنه. وليس لدينا من العدد و[illegible] والمال ما كان لدى المنصور والرشيد والمأمون. بل ليس لدينا من الرجال من رزقوا الحزم الصارم والكفاح الجاد.

تغيرت وجوه القوم حين لمسوا تعريضاً من الخليفة بعدم كفاءتهم الإدارية، وحنكتهم السياسية. وأدرك الخليفة أنه أحرجهم بما قال، فأراد أن ينتقل إلى صميم المشكلات، فقال:

في كل يوم نلاقي خارجياً وقحاً، يجمع الجموع، ويقود الناس إلى العصيان ولاينحصر الأمر في مكان واحد، بل يتعداه إلى شتى ربوع الخلافة. ولئن اجتمع هؤلاء على رأي فماذا يصنع الخليفة ببغداد؟ لقد ثارت الكوفة بقيادة اللعين حمدان بن قرمط، وأيده في البحرين أبوسعيد الجنابي، وبهما انتشر أمر القرامطة واستفحل، وثار نصر السامانى في بلاد ما وراء النهر، واحتشدت خلفه الجموع وأعلن الاستقلال. كما برز ابن حوشب في بلاد اليمن يدعو إلى الفاطميين في المغرب، وقد علمت أنهم يعدون العدة لاقتحام مصر، والاستيلاء عليها، أما عمرو بن الليث الصفار فقد استولى على أكثر بلاد فارس وأصبح صاحب الأمر فيها، فماذا بعد هذا كله؟ كان أبوجعفر يجد من رجاله من يقود الجيش لهزيمة المارقين. بل كان يتقدم الجيش بنفسه في مواقع كثيرة. وأنا أنظر فإذا الأتراك يمتلكون أمر الجيش، ولايهمهم غير السلب والنهب. ولكل فريق منهم أنصار لا يلتفتون إلى غير منافسيهم من بني جنسهم. أما حماية الدولة خارج بغداد فمما لايخطر لهم على بال! وقد دعوتهم إلى الجهاد فأظهروا الاستعداد. وسرعان ما قابلني قادتهم محتجين بأن خصومهم متربصون بهم، إذ إن بأسهم بينهم شديد شديد. ولن يتركوا بغداد إلا إذا نفروا جميعاً، فوافقت على ذلك، فأظهروا الخلاف في أمر القائد لمن يكون؟ وكل يرى نفسه الأجدر الأحق.

أفيرجى النصر على يد هؤلاء؟ إن ثورة الزنج بالبصرة قد أكلت الأخضر واليابس بها، ولكنها وجدت جيشاً متحد الرأي، استطاع أن ينقذ الناس من شرها، فأين أجد هذا الجيش؟

ثم اعتدل في مجلسه، واتجه بالحديث إلى وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب ليقول له في جد حاسم:

أنت تعلم يا عبيد الله أني قمت بالإصلاح الداخلي، فحاربت الملاحدة والزنادقة، وحرمت تداول كتبهم، ومنعت المنجمين أن يجلسوا في الطرقات ليخدعوا الناس بما يزورون، وعلوت المنبر للخطابة، وتقدمت إلى المحراب للصلاة لأعيد سنة الخلفاء الراشدين، وعدلت نظام المواريث ليسير وفق ما شرع الله وسن الرسول! كل ذلك قد قمت به لأن أمر الإصلاح الداخلي في يدي، أما أمر الأتراك وهم قادة الجيش فلم أقدر عليه بعد! ولكني أحاول.

وهنا سمع الأذان يجلجل فوق المئذنة، فاضطرب الخليفة، ودهش المجتمعون لأن ساعة الفجر لم تحن بعد، فلم يمض بعد صلاة العشاء إلا وقت يسير، لايسمح بارتفاع الأذان قبل موعده! هل جن المؤذن؟

ولم ينتظر المعتضد، بل استدعى من يأمره بإحضار المؤذن على وجه الاستعجال دون انتظار.

لم يكن المؤذن هو المؤذن الرسمي، ولكنه إمام المسجد نفسه، وهو رجل ذو مكانة عالية في بغداد، وداعية مسموع الشورة، والناس جميعاً يحملون

بشجاعته الخرينة في مواجهة الطغيان. وما كان مثله أن يزعج الناس بأذان في غير موعده. وقد أدرك المعتضد أن وراء الأذان أمراً خطيراً سيقف عليه. فقال للشيخ الإمام (حين حضر إليه سريعاً): لابد من حدث خطير يا شيخ!

قال الإمام: وأي حدث أشنع من هتك الأعراض، واغتصاب المسلمات على أيدي الفجرة من الأتراك.

قال المعتضد في اهتمام: الفجرة من الأتراك! ما شأن هؤلاء؟

فقال الإمام: قبل أن تسمع القصة أرسل حراسك لنزل (باكباك) القائد التركي فوراً ليعيث مسكينة خطفها ساعة الأذان رغم أنفها. ومع صراخها الهائج!! أرسل حراسك الآن يا مولاي. فالأمر فضيحة لا يجب أن نسكت عليها حتى يتم الخطر.

ولما كان المعتضد يقدر في الإمام شجاعته، ويعرف صدقه وإخلاصه، فقد بادر بإرسال كوكبة من الحرس لتقتحم منزل (باكباك) وتحضره مع الضحية دون إبطاء.

ورأى الخليفة أن الشيخ الإمام لا يزال واقفاً ينتظر أمر الجلوس، فأشار عليه أن يجلس إلى جواره. ثم التفت إلى جلسائه، موجهاً الخطاب إلى وزيره عبيدالله بن سليمان

كنا يا سليمان، في حديث الجيش التركي، ومدى قدرته على النضال؟ أسمعت الآن في أي ميدان يحارب هؤلاء!

قال سليمان: إنها الفرصة السانحة لتأديب الفجرة. وما عليك إلا أن تعلق هذه الحادثة. ومعها عقابها الصارم، لتكشف الأمور في بغداد.

فاستأذن الشيخ الإمام كي يتكلم. فقال له الخليفة: أفصح عما تريد

قال الإمام: نحن الآن في ليلة الجمعة. أيأذن لي أمير المؤمنين أن أجعل موضوع الخطبة في الغد هذا الاعتداء الفاجر؟ وسأنتظر ما يصنع أمير المؤمنين عند وصول هذا الوعد لأكمل القصة بدءاً وانتهاء.

فرد عبيدالله بن سليمان يقول: أما تخاف على نفسك أن يحقد الأتراك؟

فصاح الإمام: الخوف! الخوف! الخوف هو الذي جعلنا نرى الباطل، ونسكت عنه. والساكت عن الحق شيطان! على أني لست وحدي.

قال المعتضد: ومن معك؟

فصاح الإمام في انفعال: من معي؟ معي الفقهاء والعلماء والمحدثون وأئمة المساجد في بغداد. ولدى كل منهم ما يقول ويعرف من أنباء هذه الشرذمة التي تسيطر على الناس!

صاح المعتضد: كان هناك أنباء من هذا الطراز؟

فقال الإمام: لدى كل عالم من الزملاء ما يكفي لتأليف كتاب

فقلب المعتضد كفا على كف، ونظر إلى من حوله متأففاً، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله!! أتحدث هذه النوائب، ولا أجد منكم من يقوم بتبليغي عنها! حتى

حضر الشيخ عن طريق الأذان! كنت أسأل نفسي لماذا قامت الثورات في الكوفة والبحرين واليمن وفارس، وما وراء ثورتهم على الخلافة العباسية! والآن علمت أن هذه البلاد النائية تعرف مخازي بغداد، وفظائع الأتراك، وتحجبها عن أمير المؤمنين!

ثم دخل الحاجب يعلن قدوم امرأة مخضبة وباكية. فأمر أمير المؤمنين بدخال المرأة أولاً. وسرعان ما قدمت وهي لا تكاد تتماسك من الذعر. وقد سقطت مرتين على الأرض، وكان منظرها يحرك ما وراء الخاصرون، حين كشفت عن جسمها، وظهرت آثار السياط! وبعد برهة تمالكت نفسها وقالت بألفاظ متقطعة: رفضت يا أمير المؤمنين، فأخذ السوط يلهب جسدي لأستسلم، وكنت أخشى أن الشيخ الإمام لن يتركني، فكنت أتشجع، حتى سمعت أصوات الحرس فعلمت أن مصيري قريب!

قال المعتضد: اهدئي يا سيدتي، وسيعوضك الله حسن الجزاء على يدي. ثم أشار باصطحابها إلى حجرة مجاورة مع الشيخ الإمام، فهبطا مذعنين، وعلق أمير المؤمنين: حان دورك يا ذنب!

دخل الرجل متجهماً عابساً، فسأله المعتضد غاضباً: ماذا صنعت يا وغد؟

قال في استعلاء: لقد جاءت إلى منزلي دون أن أعرفها، وحين رأت الحراس خافت على نفسها وادعت أني خطفتها، وهي دعوى كاذبة لا شاهد عليها

قال أمير المؤمنين موجهاً الحديث إلى وزيره عبيدالله بن سليمان: ناقشه أيها الوزير

فقال سليمان في هدوء: ألم تأخذها عنوة من الطريق؟

فصاح في إصرار: كلا. كلا. فهي التي حضرت باختيارها.

فرد سليمان: أتعرف مسلك إلى المسجد الكبير ببغداد؟

فعجب يقول: هي كاذبة؟

- ألا تتناقش مع الشيخ الإمام وقد حاول حمايتها، فهددته بالسوط، وحملت الأخيذة معك كرهاً واغتصاباً

- لم يحدث ذلك، ولم أر الشيخ الإمام منذ زمن.

- ولكن حديث الإمام، وأشهر كذبت الأقاويل.

- هو الآن لا يعلم شيئاً. وأخشى أن يبعث إليه من يوحي له بأن يقول غير الحق، ليتفق مع المرأة في دعوى التزوير

- هو الآن لا يعلم شيئاً؟

- نعم. وأخشى أن يوحي إليه بما يدل الواقع، طمعاً في رضا الناس

وهنا صفق المعتضد، وأمر باستدعاء المرأة وحدها، فأمرها أن تكشف عن مواضع السياط. ثم قال لباكباك

- لم تعمل هذه الجروح التي لا تزال تنزف بالدماء؟

- لا أعلم، ولعل أحد الحراس قد ضربها بسوطه في الطريق.

- ألم تكن معها وهي قادمة؟

- كنت أفكر في نفسي، ولم ألتفت إلى ما يدور حولي.

وصفق المعتضد ثانية، وأمر باستدعاء الشيخ الإمام، فذعر باكياك، وصاح منفعلاً: أهو موجود الآن؟

قال المعتضد: ومن قبل أن تجيء، لأنه أذن الفجر قبل موعده، فعملت على إحضاره لأعلم ما يريد، فهل تنكر دخولك المسجد، وتهجمك عليه حين أراد إنقاذ من استجارت ببيت الله!

ودخل الشيخ، فحدج باكياك بنظرة ملتهبة، ثم قال: أخزاك الله! كما أردت أن تخزى المحصنات الآمنات.

ولم يجد باكياك بداً من الاعتراف، فأقر بما كان، وأمر المعتضد بتأليف لجنة قضائية عاجلة لمحاكمته في صباح الغد.

فصاح الإمام: النص صريح. هذا مما يحاربون الله ويسعون في الأرض فساداً:

[illegible]

(المائدة: ٣٣)

قال عبدالله: هذا ليس لك أيها الشيخ، إنما هو للقاضي المسلمين، وستعقد المحكمة في الصباح، قبل صلاة الجمعة، وسيأتيك الحكم لتعلنه على الناس في خطبة الأسبوع كما قلت من قبل!

قال الشيخ: هو كما تريد، ولكني أستسمح أمير المؤمنين في رجاء.

فرفع المعتضد رأسه، مصوباً نظره إلى الشيخ، وسأل: هل بقي لديك شيء؟

قال الإمام: إن حالة المرأة من الفزع، وقسوة السياط، مما لا يطاق، وأرى أن يتفضل أمير المؤمنين فيشملها بعطفه الكريم، فهي مسلمة شريفة، وقد قاومت في سبيل طهارتها مقاومة الأبطال، وجود الخليفة غامر وسيع.

قال الخليفة: أحسنت يا شيخ، فقد تحدثت عما كان يجول بخاطري وما كان لي أن أتركها دون ثواب. ولكن لدي أنا رجاء خاص بك أيها الشيخ.

قال الإمام: رجاء! أستغفر الله، بل أمر يا مولاي

فرد المعتضد في ابتسام: عليك أن تراقب هؤلاء الأوغاد، وإذا بدا لك ما تكره، فسارع بالوصول إلي، فإذا كان الوقت ليلاً، والمسألة عاجلة فاصعد إلى المئذنة، وادعني إليك عن طريق الأذان!

فبدا الارتياح على الوجوه، ونهض المعتضد فنهض سماره من خلفه، إذ علموا انتهاء الاجتماع وخرجوا مع الشيخ فرحين بما تم من نصر المظلوم وعقاب الظالم، ومهنئين الشيخ على أناته الحسنة وابتكاره السديد.

ثقافة العولمة.. أين نحن من هذا الزحف الإعلامي الهادر؟!

[illegible]

عرضنا في مقال سابق [illegible] عصر العولمة [illegible] وصعبها في قوالب معينة كما يجري [illegible] وسائل [illegible] المتلقين في محل [illegible] في الشعوب [illegible] الموجات [illegible] أكثر [illegible] ثقافة [illegible] هذا المقال، نواصل الحديث حول علاقة المسلمين بثقافة العولمة، وأين نحن من هذه الثقافة

[illegible]د دورنا الذي يجب أن نضطلع به، وكيف يجب أن

• [illegible] يحفظ علينا ذاتيتنا الإسلامية والعربية على كل المستويات [illegible] يكن لنا دور الريادة والقيادة في هذه [illegible] لأن ذلك من صميم رسالة الإسلام وهو [illegible] المستوى الذي جعله الله للناس كافة. قال الله عز وجل

[illegible]

(أول سورة الفرقان)

فنحن –المسلمين– مكلفون من قبل الله –عز وجل– بإخراج أهل الأرض جميعاً من الظلمات إلى النور، ومن الجهالة والضلال إلى نور العلم وإلى الطريق المستقيم،

نحن مكلفون بأن نقود شعوب العالم رويدا رويدا إلى ثقافة نظيفة خالية من الدنس، ثقافة تبني الإنسان بناء عفا راسخا ثابت القدم على طريق الحق والفلاح. قال الحق - تباركت أسماؤه -:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل: ١٢٥)

ومجادلة أهل الكتاب لا تكون مفيدة، ولا ينتظر منها النتيجة المرجوة، إلا إذا لبست لكل حال لبوسها، واتخذت من أسباب النجاح والفلاح ما يناسب آليات العصر الذي يعيشه المدعوون.

لقد عرف الغرب منذ زمن بعيد أن قضية الدين لدى الشعوب تشكل أهم ما يشغل الأفراد والجماعات، لأنها تحمل في طياتها أهم معايير الثقافة - وبخاصة لدى الأمة الإسلامية - : ما تأخذ منها وما تدع؛ فكان تركيز الغرب في حملاته المتكررة والمتنوعة على الدين، يريدون من خلال حملاتهم هذه أن يضعفوا وازع الدين في نفوس المسلمين، ليسهل عليهم بعد ذلك إعادة بنائهم بناء أيديولوجيا يتفق مع مصالحهم هم، ومن هنا كانت «الأديان والأيديولوجيات من أهم مظاهر العولمة الثقافية

بيد أن العولمة الثقافية التي تزداد الحديث عنها في التسعينيات، تعني أكثر من مجرد قيام دين من الأديان بالدعوة إلى توحيد العالم، وهي الدعوة التي كانت وستظل قائمة دائما بدوام الأديان السماوية الصحيحة

إن العولمة الثقافية هي ظاهرة جديدة، وتستمد خصوصيتها من عدة تطورات فكرية وقيمية وسلوكية برزت بشكل واضح خلال عقد التسعينيات، ويأتي في مقدمة هذه التطورات انفتاح الثقافات العالمية المختلفة، وتأثرها ببعضها البعض»(١)

ثم تعالوا بنا نلقي نظرة فاحصة وصادقة على أوضاعنا الراهنة وسط هذا الزخم الهائل من التطورات السريعة والمتلاحقة في مجال الثقافة، لنتعرف من خلال ذلك على مكمن الخطر الذي يهدد مستقبلنا الثقافي.

«لقد غزت العولمة بلادنا الإسلامية، وأطبقت عليها إطباقا شديدا، وإن فكرنا وتفكيرنا تتنفس من خلال رئتين إحداهما صليبية، والأخرى يهودية، إننا نلبس مثل الذي يلبسون، ونتعرى كما يتعرون، ونأكل بالطريقة التي يأكلون بها، بل نأكل الذي يأكلون، ونشرب كما يشربون، ونمشي ونسعى ونتكلم ونتحرك ونقوم ونجلس ونشاهد الذي يشاهدون، ونقضي أعمارنا أمام الشاشات نتنقل بين قنوات الفضائيات أو في أحضان الشبكات العنكبوتية «الإنترنت»، حيث لا يحلو لنا إلا ما فيه الخرائب والموبقات، تماما كما هم يشتهون.

«لقد استحكموا في أنفسنا في تلك الجوانب التي ذكرت، فضلا عن نظرتنا إليهم نظرة المبهور المنبهر بالذي نتصور عليه، ولكننا للأسف لا نرتشف العلم كما يرتشفون، ولا نصنع الآلات والأجهزة كما يصنعون، ولا نخترع كما يخترعون، ولا نكتشف كما يكتشفون، ولا نتطور كما يتطورون، ولا نخطط ونبرمج كما يخططون ويبرمجون، ولا نحمي بلادنا كما يحمون.. ولا.. ولا.. إننا في كل ذلك عالة عليهم، نحن نعطيهم المواد الخام ثم نستورد منهم الجاهز»(٢)

تلك - والله - حقيقتنا في عالم اليوم، وهي تشكل ثقافتنا العامة، إذا استثنينا تمسكنا بقيم ديننا وآدابنا الإسلامية، وذاتيتنا العربية والشرقية، تلك التمسكات التي لا نزال - بحمد لله - حتى الآن نطبقها، أما ما عدا ذلك فنحن نكاد نكون غربيين في كل شيء، وهو ما يجعلنا مدعوين لإعادة النظر في سلوكنا الفردي والجماعي، بل حياتنا كلها سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي.

لقد أصبحنا أسرى ثقافة العولمة، وهذه الثقافة لا تعبر تلقائيا بقدر ما تجري صناعتها عبر وسائل الاتصال، فهي على رغم تجسدها في صور واقعية في السلوك والتفكير تكون من نتاجات عقلية مصنوعة، أي أن ثقافة العولمة هي بناء عقلي أشبه بمفهوم الدولة التي تجري صناعتها في عقول أو ذهنيات عبر جماعات النخبة والمثقفين، من خلال الممارسات والطقوس السياسية التي تعول على التقاليد تارة، وعلى الثقافة الحديثة تارة أخرى على نحو عام، تصنع ثقافة العولمة من خلال عملية انتقائية يجري بمقتضاها جمع عناصر ثقافية من هنا وهناك، إذ تسهم مدخلات تقنيات الاتصال لتشكيل أبنية ثقافية عبر قومية تتجاوز حدود المكان الذي انطلقت منه، والزمان الذي ظهرت فيه. وفي ضوء هذا فإن ثقافة العولمة لا تتشابه بالضرورة مع الثقافات المحلية، ولعل وجه الاختلاف الرئيسي في هذا الصدد هو ما يتعلق بـ «تاريخية الثقافة»، فالثقافة الوطنية - ثقافة الأمة أو الشعب أو الدولة في وطن من الأوطان - هي ثقافة ترتبط بتاريخ معين وبهوية معينة، بينما ثقافة العولمة لا تاريخ لها ولا هوية، إنها تتعدى التواريخ الخاصة، وتتعدى الهويات الخاصة إلى الفضاء العالمي الذي لا هوية له، ولذلك يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن ثقافة العولمة لا ذاكرة لها»(٣).

ولكن الذي يهمنا هنا بالدرجة الأولى، وينبغي ألا تغيب عن أعيننا تلك القيم العليا التي أكسبنا الإسلام خلقها، والتي يخشى عليها أن تهتز أركانها في نفوس شبابنا الذين انبهروا بثقافات الغرب وقيمهم، ونقصد بذلك «اكتساب الأخلاق والقيم بعدا عالميا، أي التعامل مع الأخلاق والقيم المتعارف عليها كأخلاق عالمية، والتي جعلت القيم والأخلاق تأخذ بعدا غير متعارف عليه، وهذا البعد قد يحمل في مضمونه نوعا من الهيمنة للأخلاق والسلوكيات الغربية السلبية بهدف سيادتها على جميع دول العالم - وبخاصة الدول الإسلامية - وفي هذا تهديد لمنظومة القيم الأخلاقية لأي مجتمع مثل السلبية وغيرها من الأنماط السلوكية»

قد يقول قائل: إن هناك بعض القيم الإنسانية الإيجابية، التي قد تأتي ضمن ثقافة العولمة، والتي تدعم المنظومة القيمية لأي مجتمع مثل قيمة قبول الآخر،

(١) مجلة عالم الفكر، عدد ٢ مجلد ٢٨ ص ٧٥ د. عبدالخالق عبدالله

(١) [illegible] الإسلام والعولمة، للدكتور [illegible] محمد [illegible] ص ٣٠٣ - ٣٠٥

(٢) مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٢ العدد ١ يوليو - سبتمبر ٢٠٠٥ بحث بعنوان [illegible] وتفكيك الهويات الوطنية، د. أحمد زايد ص ٤٩، ٥٠

(٣) أحمد حسين عبدالمعطي في كتابه [illegible] ص ١٠٠ بتصرف يسير

والموضوعية في الحكم، وقبول النقد حينما يكون من المحكوم للحاكم، وتدعيم روح الفريق، وحب الإتقان، والالتزام وتحمل المسئولية.. وغيرها من القيم الإيجابية التي قد تأتي ضمن قيم ثقافة العولمة.. نعم قد يقول قائل بهذا، ولكننا نرد عليهم قائلين: ليسوا هم السابقين إليها، إنها وغيرها من الفضائل، قيم وأخلاق إسلامية لحما ودما وعظاما، حيث سبق هذا الدين بكل هذا وذاك وحفلت به آيات الكتاب العزيز، وأحاديث رسول الله ﷺ ومواقفه الشريفة، ومواقف أصحابه الكرام عمليا على أرض الواقع خير شاهد، ولايزال التاريخ يحفظ بكل ذلك في صفحاته المشرقات، ألا يجمع كل هذه القيم مثل قوله تعالى:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

(المائدة ٤٩)

وقوله – عز شأنه –

﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل ١٢٥)

وقوله – تعالت كلماته –

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(العنكبوت: ٤٦)

وقصة اليهودي التي نزلت ببرائته من السرقة آيات من كتاب الله تتلى إلى يوم الدين، قال الحق – تباركت أسماؤه:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ١٠٥–١٠٩)

وهي قصة مشهورة! ولا يغيب عن بالنا أيضا موقف عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه – من المرأة التي ردت عليه في مسألة المهور، حتى قال: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»! وقصة الرجل الذي قال لعمر «والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا». فقال عمر «الحمد لله الذي جعل في أمة محمد ﷺ من يقوم اعوجاج عمر بسيفه»! ألا تحسب هذه القصص – وغيرها الكثير والكثير في تاريخ الإسلام – نماذج رائعة للموضوعية في الحكم، وقبول النقد من المحكوم تجاه الحاكم، ولو كان رئيس الدولة الإسلامية؟!

ألا يكفي دليلا على أن المسئولية في الدولة الإسلامية يتحملها كل فرد في الأمة قول الرسول ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم».

وقول عمر بن الخطاب حينما سئل عن الشروط التي يراها في الوالي: «أريد رجلا إذا كان في الرعية كان كأميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه واحد من الرعية»!

ألا يحمل هذا دليلا واضحا لا مرية فيه على أن الإسلام هو السباق إلى كل خلق حميد، وإلى كل مكرمة من القول والفعل! وعن إتقان العمل، ألا يدل على أنه خلق إسلامي حميد قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»!! وقبل هذا وفوقه قول الله – عز وجل –

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

(التوبة ١٠٥)

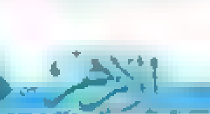
وهناك الكثير والكثير مما لا يحصيه هذا المجال من الشواهد القولية من نصوص القرآن والحديث، والعملية مما هو مبثوث في بطون الكتب من القيم والأخلاق، التي لم يسبق إليها الإسلام سابق، والتي يتشدق بها الغرب الكافر، وفي نفس الوقت الذي يمد فيه اليهود بالمال والسلاح والخبراء لقتل المسلمين في فلسطين شيوخا كانوا أو أطفالا أو نساء بلا رحمة! ليدل ذلك على أن ما يتشدقون به من القيم والأخلاق لا يعبر عنه واقع، ولا يحمل دليلا واحدا على الصدق والموضوعية*

ومع هذا، فلا مفر لنا من الاشتراك في بناء ثقافة عولمية شاملة، لأننا جزء من هذا العالم، ولكن لابد لنا من التسلح بمزيد من الوعي الإسلامي والعربي، ونحن نتعامل مع واقع شديد الحساسية وبالغ الخطورة، سوف تكون له أبلغ النتائج في حياة أمتنا الإسلامية والعربية في المستقبل.

إن «العولمة الثقافية» تعني انتقال تركيز اهتمام ووعي الإنسان من المجال المحلي إلى المجال العالمي، ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي، ففي ظل العولمة الثقافية يزداد الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية، وستبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية، التي ربما ستحل تدريجيا – وربما على المدى البعيد – محل الولاءات والانتماءات الوطنية، الإنسانية ستعود إلى ذاتها ككتلة واحدة ذات مصير واحد، وبقاء وفناء واحد، وتشترك مع بعضها البعض في قيم عميقة تتخطى كل الخصوصيات الحضارية والثقافية. ففي ظل العولمة الثقافية يكتشف الإنسان بعده العالمي، ويتعرف على هويته الإنسانية أكثر من أي وقت آخر. لكن بروز الهوية العالمية في ظل العولمة، لا يعني تلقائيا تراجع أو تهميش أو نفي الهوية الوطنية المفرده.

ويتلخص موقفنا في ظل عولمة الثقافة في جملة واحدة نكون أمة مسلمة، رسالتها هداية الأمة إلى طريق الفلاح، وإخراجها من الظلمات إلى النور – أو لا نكون

* مجلة عالم الفكر – المجلد الحادي والعشرون – العدد ٢ – د. شكري [illegible] ص ٧٦



عقوبة الفطرة

للدكتور/ حمدى فتوح والى

كد [illegible] سوء القصد وفساد [illegible] لكنهم لا يدركون [illegible] الحظ وسوء المصير

[illegible] تكاد تتماسك من شدة البكاء والنحيب وسألتها فى لهفة

- ماذا وراءك؟ - قالت فلان «تقصد زوجها» - قلت ماذا به؟

- قالت يكاد يموت مما حدث له بالأمس - قلت وماذا حدث له؟

[illegible]

ولأنى كنت على دراية بأحوال تلك الأسرة، فقد تلقيت هذه الأخبار برغم فظاعتها بشىء من الهدوء، لأنى لم أتعجب لما حدث. ولم يكن عجبى لتأخر هذا الذى حدث. فكل المؤشرات والمقدمات. كانت تشير بقوة إلى هذه النتيجة. فطريقة التربية. وطبيعة النشأة وتجاوز الضوابط الشرعية والأخلاقية. كانت كلها تؤكد أن الكارثة قادمة. فمنذ السنوات الأولى لدخول الأولاد إلى مراحل التعليم. لم يشعر هذين الأبوين بشىء إلا السعى لدى زملائهم المدرسين وتوصيتهم بشدة ليمنحوا الأولاد نجاحا مجانيا دون أى رصيد من تعلم أو فهم أو تحصيل. وبرغم أن الأبوين حاصلان على مؤهلات جامعية. ويعملان فى حقل التعليم. فإن أحدا منهما لم يبذل جهدا يذكر مع أولاده ليصل بهم إلى مستواهم. ويتأكد من فهمهم، حتى إن احتاج الأمر إلى مشاركتهم باللعب. وتفويت بعض ما يحبون من ألوان اللعب والمرح فى حكمة وكياسة تؤكد لديهم حب العمل وتعود الصبر والدأب. وإنما اتجهت همتهما إلى كيفية نقل الأولاد إلى الصفوف التالية دون رصيد يذكر من التحصيل والتعليم، حتى إذا انتهت حدود وصيتهما ونقل الأولاد إلى مستوى لا يقدرون على الولوج فيه. ظهر عجز الأولاد صارخا وجاء الرسوب كاسحا وفاضحا، وضاق صدر الوالد

بما رأى من عجز الأولاد وأخذ يطلب منهم ما ليس فى مقدورهم، وأراد من ابنه أن يكون على مستوى أقرانه الذين صبروا من قبل على مرّ التعلم، وبلغوا ما بلغوه بالتعب والجهد وطول السهر.

ولأن الولد صار جسما فتيا وشابا قويا مع فراغه من مقومات العقل والفضل، فقد تحول إلى قنبلة محشوة بالأهواء والشهوات، مدعومة بالغرائز والشهوات. كل هذا مع إحساسه بعجزه عن مسايرة أقرانه، ورغبة [illegible] الملحة فى أن يجدوا فيه ما كانوا يؤملون، فكان [illegible] معه كقول القائل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجرى على اليبس

لقد قصر هذا الوالدان همتهم على كيفية الحصول على ما ليس لهما، واختارا أن يسلكا الطريق الأسهل، الذى يسلكه اللص ويستبيحه لنفسه كلما رأى ثروة [illegible] فاحتال لأخذها دون تعب أو نصب أو بذل أى مجهود، وهى الطريق التى يسلكها من يدفع رشوة ليحصل على رغبته لم يتعب فيها أو كلية لم يستوف شروطها، وهى نفسها الطريق التى يسلكها الطامحون فى زيادة الثروة فلا يترددون في سلوك من أموال الغير [illegible] والثروة دون مبالاة بالحلال والحرام.

وذلك لا يمنعنى فى هذه الحال إلا أن أذكر هؤلاء جميعا بقول الخالق الحكيم سبحانه

[illegible]

(المائدة ١٠٠)

[illegible] يؤكد لهم أن عدل الله سبحانه يأبى أن يقر هذا [illegible] هذه الأعمال. ولهذا فإن على [illegible] من سوء العاقبة لهؤلاء الناس ومن سوء المصير. ووقائع [illegible] الآية تثبت صحة القاعدة الشرعية التى تقول «من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه».

إن الله تبارك وتعالى أقام كونه على قواعد ثابتة وعلى مبادئ راسخة، ورتب المسببات على الأسباب، وكما رتب النتائج على المقدمات رتب العيش الناعم الطيب على العمل الصالح فقال تعالى

[illegible]

(النحل ٩٧)

وبهذا فإنه لا يستقيم فى ميزان الله أن يستوى الشىء وضده:

[illegible] إنما يتذكر أولو الألباب

(الزمر ٩)

وإذا كانت الآية قد اكتفت بالسؤال وسكتت عن الجواب للعلم به ضرورة وواقعا، فإن الحق تبارك وتعالى يؤكد هذه الحقيقة ويصرح بها فى موضع آخر، فيقول سبحانه

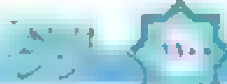
[illegible]

(المائدة ١٠٠)

وإذا كان كثير من الناس ممن حرموا الفطنة والذكاء وحسن التفكير قد أغراهم شيطانهم بأنهم قادرون على مخالفة الفطرة، ومغالبة نواميس الله فى الكون، فيطلبون الارتفاع بغير أسبابه، وينشدون النجاح بغير وسائله، فإنهم يطلبون المستحيل ويمثل هذا السلوك لديهم دليلا على سوء الفهم وسوء المصير، ولهؤلاء الواهمين المخدوعين نذكرهم بقول الحق الحكيم سبحانه

[illegible]

(الكهف ١٠٣، ١٠٤)




إن الله تبارك وتعالى قد سمى نفسه الحكيم، فهو لا يخلق شيئاً عبثاً ولن يترك الناس سدى

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨)

إن ثقتي في عدل ربي تجعلني في مأمن من ظلم نفسي وفي أمان من ظلم الناس لي لأنني أدرك عن يقين أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأدرك يقيناً أنه قادر على استخلاص الحق من سالبه مهما كان هذا الآخذ حويطاً وحريصاً وذكياً، إنه قد لا يأخذ منه الحق مالاً أو عقاراً، وإنما يأخذه حرماناً وتعويقاً، إنني أنظر في أحوال الناس فأقرأ ما لا تحويه الكتب ولا تضمه خزائن الحكم، عندما أرى إنساناً تورع عن الحرام، وهو قادر على كسبه فأبدله الله عن ذلك توفيقاً وبركة في أولاده حتى صاروا جميعاً مضرب المثل في التفوق والاستقامة والتزام الدين، وانظر إلى آخر لم يتورع عن كسب المال، فخلط الحرام بالحلال، فسلط الله عليه ولداً من صلبه، لم يترك رذيلة إلا فعلها، ولا جريمة إلا ارتكبها حتى صير حياة أبيه موتاً وماله نقمة، ونعيمه شقاء وبؤساً، ولله في خلقه شئون.

إن من يقرأ قول الخالق الحكيم:

[illegible] (يونس: ٤٤)

يدرك أن ما يقع في الكون من مظالم ومصائب، وما يصيب الناس من أوبئة وكوارث، وما ينالهم من الخوف والجوع والنقص في الأموال والأنفس والثمرات إنما يقع ابتلاء واختباراً، وتمييزاً وتمحيصاً

[illegible] (الشورى: ٣٠)

ويدرك أيضاً أن الفساد الواقع في حياة الناس إنما جاءهم بسبب ظلمهم وتجاوزهم حدود ربهم، واستيلاء الجشع والطمع وحب النفس على حياتهم:

﴿[illegible] لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)

فهلا استشعر الناس سبب ما هم فيه فتابوا وأنابوا وأصلحوا؟!

إن الله تبارك وتعالى قدر في الأرض أقوات الناس قبل أن يخلقهم، ومهد لهم سبل العيش فيها، وضمن لهم السعادة وطيب العيش إن هم استقاموا على أمره وساروا على منهجه:

[illegible] (الجن: ١٦- ١٧)

ومن رحمة الله تبارك وتعالى بالناس أنه لم يتركهم لأهوائهم حتى لا يستبد القوي بالضعيف، والغني بالفقير، وإنما وضع لهم شريعة حكيمة، ومعالم قويمة لا يزيغ عنها إلا هالك [illegible] فقال:

[illegible] (الجاثية: ١٨- ١٩)

ثم عقب على هذا البيان الكريم بقوله مظهراً حكمته ورحمته:

﴿[illegible] وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية: ٢٠)

إن الله تبارك وتعالى خلق النفوس سوية، وخلق الأرض مهاداً للناس، وجعل الرزق فيها كافياً للناس أجمعين، ووعد الناس الزيادة منه والبركة فيه إن هم أنابوا إليه واستقاموا على شريعته، وتحاكموا إلى كتابه وأصاخوا السمع إلى آياته:

[illegible] (الأعراف: ٩٦)

إن أحداً لا ينكر أن موجة الغلاء التي ضربت الأرض كلها في وقت واحد، [illegible] المفسدين في الأرض الذين حولوا غذاء الناس من قمح وذرة وقصب السكر وغير ذلك من المحاصيل إلى وقود وطاقة بديلاً عن البترول والفحم، يحرقون ملايين الأطنان من القمح ليستخرجوا منه الطاقة، غير عابئين بالأكباد الجائعة والقلوب المحترقة لإخوانهم في الإنسانية الذين يشاركونهم العيش على الأرض، تلك الأرض التي قدر الله فيها أقواتها لتكفي أهلها جميعاً، فاستبدت فئة بحقوق أخرى فظهرت المجاعات والأوبئة والكوارث، فريق من يموت جوعاً وفقراً ومن يموت تخمة وبطراً.

[illegible] (هود: ١١٧)

[illegible] (يونس: ٤٤)

إن أعظم استثمار يمارسه الناس اليوم وهم آمنون مطمئنون إلى نتيجته هو إصلاح القلوب والضمائر وتغيير النفوس والمشاعر وتربية الأبناء على مراقبة الله تبارك وتعالى في كل أمر، عندها يطمئن الوالد على ولده، ولا يخشى الشيخ الفاني تبعة الزمان وغدر الأيام لأنه وضع أبناءه في كنف الله واتقى فيهم سيده ومولاه، وذلك من قول ربه:

[illegible] (النساء: ٩)

كما يأمن صاحب الأموال على أمواله واثقاً أنها لابد ستزكو وتكثر وتزداد وتضاعف؛ لأنه يثق يقيناً في قول مولاه:

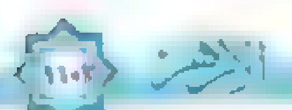
[illegible] (الروم: ٣٩)

أما إن كان حريصاً على إرضاء الله بتسخير المال لتنفيذ مراده سبحانه وتعالى فسيتحول المال من مجرد وسيلة للتنعم الحلال والحياة الطيبة، إلى نوع من ممارسة التعبد لله، وإلى وسيلة من أعظم الوسائل لضمان النعيم المقيم في الآخرة، عندما تتجه نية المنفق إلى هدف يحبه الله، ويحض عليه كرد العدوان، وتحصين الثغور ودعم الجهاد، وتحرير البلاد في وقت الحرب، وإلى تفريج الكربات، وحل الأزمات، وإقامة المشروعات لنفع عباد الله في أوقات السلم، وعندها يحمد المال ويحمد صاحبه، لقول نبينا ﷺ: «نعم المال الصالح للعبد الصالح»[1].

إن ما يقع للبشرية اليوم من كوارث ومصائب وأوبئة وأمراض ليس إلا رسالة إلهية واضحة المعاني ناصعة الدلالات، إن لم تجد من يحسن فهمها وإدراك مغزاها أصابه ما بعدها من تهديد ووعيد، وهو ما نفهمه من قول ربنا سبحانه:

[illegible] (الأنعام: ٤٢- ٤٥)

(١) أحمد وابن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه



﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(النحل ٤٣)

استفتاءات القـــراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية

التوسـل بالنبـى ﷺ

السؤال من القارئة أ.س - شبين الكوم - منوفية:

■ ما حكم التوسل بالنبى ﷺ وصحابته وآله؟

الجواب:

الوسيلة في اللغة: القربة، وقضية حياة المسلم هي أن يتقرب إلى الله ويحصل رضاه وثوابه، ومن رحمة الله بنا أن شرع لنا كل العبادات وفتح باب القربة إليه، فالمسلم يتقرب إلى الله بشتى أنواع القربات التي شرعها الله عز وجل، وعليه فإن القرآن كله يأمرنا بالوسيلة إلى الله، أي بالتقرب إليه سبحانه.

وقد اتفقت المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالنبي ﷺ بل استحباب ذلك، وعدم التفريق بين حياته وانتقاله الشريف ﷺ، ولم يشذ إلا ابن تيمية حيث فرق بين التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد انتقاله ﷺ ولا عبرة لشذوذه، وفيما يلي نسرد الأدلة من الكتاب والسنة التي كانت لإجماع المذاهب الأربعة وهي:

أولا: أدلة القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى:

﴿[illegible] إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(المائدة ٣٥)

وفي ذلك أمر للمؤمنين أن يتقربوا إلى الله بشتى أنواع القربات، والتوسل إلى النبي ﷺ في الدعاء من القربات، التي ستثبت تفصيلا في استعراض أدلة السنة. وليس هناك ما يخصص وسيلة عن وسيلة، فالأمر عام بكل أنواع الوسائل التي يرضى الله بها، والدعاء عبادة ويقبل طالما أنه لم يكن بقطيعة رحم أو إثم، أو احتوى على ألفاظ تتعارض مع أصول العقيدة ومبادئ الإسلام.

٢ - قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الإسراء ٥٧)

وفي هذه الآية يثني الله عز وجل على هؤلاء المؤمنين الذين استجابوا لله وتقربوا إليه بالوسيلة في الدعاء.

٣ - قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(النساء ٦٤)

وهذه الآية صريحة في طلب الله من المؤمنين الذهاب إلى النبي ﷺ واستغفار الله عند ذاته صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة، وأن ذلك أرجى في قبول استغفارهم. وهذه الآية باقية وحكمها باق.

ثانيا: أدلة السنة:

١ - عن عثمان بن حنيف - رضي الله عنه - أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك». قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه في» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه جماعة من الحفاظ منهم: الترمذي وابن خزيمة والطبراني والحاكم.

وهذا الحديث دليل على استحباب هذه الصيغة من الأدعية، حيث علمها النبي ﷺ لأحد أصحابه، وأظهر الله معجزة نبيه ﷺ حيث استجاب لدعاء الضرير في نفس المجلس.

وإذا علم رسول الله ﷺ أحداً من أصحابه صيغة للدعاء ونقلت إلينا بالسند الصحيح دل ذلك على استحباب الدعاء بها في كل الأوقات حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وليس هناك مخصص لهذا الدعاء لذلك الصحابي وحده، ولا مقيد لذلك بحياته ﷺ فالأصل في الأحكام والتشريعات أنها مطلقة وعامة، إلا أن يثبت المخصص أو المقيد لها.

قال الشوكاني في «تحفة الذاكرين»: «وفي الحديث دليل جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطي المانع، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن».

ومما يدل على أن هذا الدعاء عام في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد انتقاله الشريف أن ذلك الصحابي الجليل أرشد من له حاجة إلى هذا الدعاء بعد انتقال النبي ﷺ. وذلك فيما رواه الطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في دلائل النبوة: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في حاجة له، فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف رضي الله عنه، فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف

رضي الله عنه: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان وأجلسه معه على الطنفسة وقال له: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال ما كانت لك من حاجة فائتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير.. ثم ذكر الحديث.

قال العلامة الحافظ السيد عبدالله بن الصديق الغماري: «وهذا إسناد صحيح، فالقصة صحيحة جداً، وقد وافق على تصحيحها أيضاً الحافظ المنذري في الترغيب، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد» اهـ.

والقصة تدل على ما يدل عليه الحديث مع إغلاق الباب على من حاول أن يزعم أن الحديث خاص بحياة النبي ﷺ ولا مخصص كما ذكرنا. ولكن ذلك يشد العضد ويزيد الصواب إن شاء الله تعالى.

٢ ـ حديث الخروج إلى المسجد للصلاة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يخرج إلى الصلاة: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته» رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة، وهو حديث صحيح؛ صححه كل من الحافظ البغوي، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري، والحافظ الدمياطي، والحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر العسقلاني.

والحديث يدل على جواز التوسل إلى الله في الدعاء بالعمل الصالح وهو سير المتوضئ إلى الصلاة، وبحق السائلين لله.

٣ ـ حديث أنس رضي الله عنه عند موت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما، وهو حديث طويل، وفي آخره أن النبي ﷺ قال: «الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين» رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأبو نعيم في الحلية وغيرهما.

والحديث في سنده مقال، إلا أن معناه مؤيد بما مر من أحاديث صحيحة.

٤ ـ توسل آدم عليه السلام بنبينا ﷺ أن يغفر الله له. وذلك في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يارب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك» رواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك، وقد صححه الحاكم حيث عقبه بقوله: «هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب». وقد تابع الحافظ الذهبي عندما حكم بوضعه، لأن في سنده عبدالرحمن، وعبدالرحمن ليس بكذاب ولا متهم، بل هو ضعيف فقط، ومثله لا يجعل الحديث موضوعاً، وأقصى ما فيه أن يكون ضعيفاً، والضعيف يعمل به في فضائل الأعمال.

وفي الحديث دلالة واضحة على جواز التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء.

٥ ـ حديث «أعينوا عباد الله»: عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان، وقال عن سنده الحافظ الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

وفي الحديث دليل على الاستعانة بمخلوقات لا نراها، قد يسببها الله عز وجل في عوننا ونتوسل بها إلى ربنا في تحقيق المراد كالملائكة، ولا يبعد أن يقاس على الملائكة أرواح الصالحين فهي أجسام نورانية باقية في عالمها.

٦ ـ قصة الاستسقاء بالنبي ﷺ عند قبره في زمن عمر: فعن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال: «أصاب الناس قحط في زمان عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: ايت عمر، فأقرئه مني السلام، وأخبره أنهم يسقون، وقل له: عليك بالكيس الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبر عمر فقال: «يارب ما آلو إلا ما عجزت». رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وهو حديث صحيح صححه الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال في «فتح الباري» ما نصه: «وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار قال: «أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر.. الحديث. وقد روى سيف في «الفتوح» أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة» اهـ.

وهذه الرواية صحح إسنادها كذلك الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»، وصححها أيضاً كبار الحفاظ، فتصلح أن تكون دليلاً على جواز

لطلب من النبي ﷺ الاستشفاع والدعاء بعد انتقاله الشريف ﷺ.

٧- قصة الخليفة المنصور مع الإمام مالك رضي الله عنه وهي: «أن مالكاً رضي الله عنه لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي - ثاني خلفاء بني العباس - يا أبا عبد الله أأستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله». وفيه إشارة إلى اعتبار حديث توسل آدم عليه السلام عند الإمام مالك، وأنه يرى أن من الخير استقبال قبر النبي ﷺ والاستشفاع به ﷺ.

وقد روى هذه القصة أبو الحسن علي بن فهر في كتابه «فضائل مالك» بإسناد لا بأس به. وأخرجها القاضي عياض في الشفاء من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه. كذلك ذكرها السبكي في شفاء السقام، والسمهودي في وفاء الوفاء، والقسطلاني في المواهب اللدنية. قال ابن حجر الهيتمي في «الجوهر المنظم»: قد روي هذا بسند صحيح. وقال العلامة الزرقاني في «شرح المواهب»: إن ابن فهر ذكر هذا بسند حسن. وذكره القاضي عياض بسند صحيح.

وللعلامة الشوكاني كلام مفيد في هذه المسألة نسوقه على طوله لما فيه من الفوائد. يقول رحمه الله تعالى في كتابه «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»: «وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي ﷺ إن صح الحديث فيه. اهـ. ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم أن أعمى أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت في بصري فادع الله لي. فقال له النبي ﷺ: «توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إني أستشفع بك في رد بصري، اللهم شفّع النبي فيّ» وقال: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك». فرد الله بصره.

وللناس في معنى هذا قولان:

أحدهما: أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا. وهو في صحيح البخاري وغيره. فقد ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء، ثم توسل بعمه العباس بعد موته. وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعاً وداعياً لهم.

والقول الثاني: أن التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه. ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته، وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً

سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في التوسل بالعباس رضي الله عنه. وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين:

الأول: ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

والثاني: أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله. فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة. فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم. وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر: ٣)

ونحو قوله تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)

ونحو قوله تعالى:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ (الرعد: ١٤)

ليس بوارد، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه. فإن قولهم:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر: ٣)

مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده، بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك. وكذلك قوله:

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)

فإنه نهي عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول: بالله وبفلان، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله، فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم. وكذلك قوله:

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ (الرعد: ١٤)

لأنه فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه. وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما

ذكره في كتسدلالهم بقوله تعالى

(الانفطار: ١٩-١٩)

فإن هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدين وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أن من توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر يوم الدين. ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو في ضلال مبين. وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله

(آل عمران: ١٢٨)

وقوله تعالى

(الأعراف: ١٨٨)

فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر الله شيء وأنه لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره. وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء. وقد جعل الله لرسوله المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لاتكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله قد نزل قوله تعالى:

(الشعراء: ٢١٤).

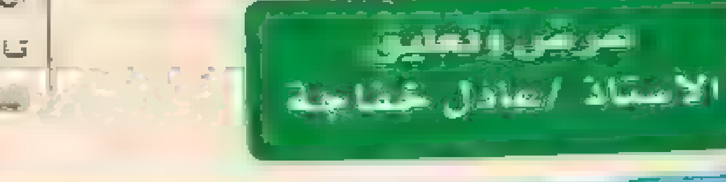
«يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا. يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا»، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه لايستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه. وأنه لايملك لأحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئاً من الله. وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لايتوسل به إلى الله. فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين «انتهى كلام الشوكاني».

ولكل هذه الأدلة الصريحة من كتاب ربنا وسنة نبينا أجمع علماء الأمة من المذاهب الأربعة وغيرهما على جواز واستحباب التوسل بالنبي في حياته وبعد انتقاله واتفقوا على أن ذلك مشروع قطعا ولا حرمة فيه. وهو ما ندين لله به أن التوسل بالنبي مستحب وإحدى صيغ الدعاء إلى الله عز وجل المندوب إليها، ولا عبرة لمن شذ عن إجماع العلماء.

وكذلك القول في التوسل بآل بيت رسول الله وأولياء الله الصالحين. فإن جمهور العلماء على أنه مشروع ولاحرمة فيه



قراءة في كتاب



في كتاب ربنا العزيز قوله تعالى

(الحج: ٢٦)

وهذه الإشارة القرآنية تحث المسلمين وتلفتهم إلى الدراسات التاريخية، وهذه الدراسات لا تؤتي ثمرتها إلا بجمع الآثار والاحتفاظ بها لاستقراء مفرداتها.

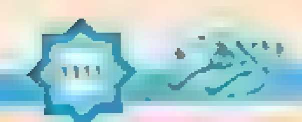
وهذه الدراسات لابد أن ترتكز مباحثها على دعامتين أساسيتين:

- أولاهما: إثبات الحقائق وتوثيقها
- وثانيهما: التفسير التاريخي والحكم لها أو عليها.

والدراسات التاريخية بصفة عامة مليئة بالعقبات والصعوبات، ولكنها السبيل إلى الوصول للحياة الكريمة التي أرادها الله – تعالى – للمسلمين من خلال الوصول إلى فهم أوضح لسنن الله الكونية.

ومن هذه الدراسات التاريخية. يخرج هذا الكتاب الذي يتناول واحدة من أشرف الدراسات التاريخية، لأنها في تاريخ عمارة وكسوة الكعبة

تابع



مؤلف الكتاب

مؤلف الكتاب.. أو الفارس الذي تحمل مشاق الطريق عبر حجاب هو الدكتور محمد بن حسين الموجان.. من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض.

الكتاب

يقع الكتاب في أربعمائة وست وخمسين صفحة من مقاس ٢٨ × ٣٥,٥ سم من الأوراق المصقولة عالية الجودة.

صدر عن مركز الكون للثقافة والإبداع. والكتاب عرض وافٍ لتاريخ الكعبة المشرفة «عمارة وكسوة» ثرى بالصور والرسومات المهمة من الناحيتين التاريخية والجمالية وبه الكثير من الصور التي تنشر لأول مرة والدراسات التي لم يسبق إليها المؤلف.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى تمهيد وبابين.

■ فالتمهيد تناول فيه نشأة مكة المكرمة وموقعها، ووسطيتها، وأسماءها، وفضائلها، وخواصها، وحرمتها، وحدود حرمها.

■ والباب الأول: تحدث فيه عن عمارة الكعبة المشرفة ويشتمل على تسعة فصول وهي على التوالي: بناء الكعبة قبل إبراهيم – عليه السلام – وبناء الكعبة في عهد إبراهيم – عليه السلام – وعمارة العمالقة وجرهم، وعمارة قريش والكعبة في عصري الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وعمارتها في العصر الأموي، والأعمال المعمارية في العصرين العباسي والمملوكي، وعمارتها في العصر العثماني، والأعمال المعمارية في العصر السعودي.

■ أما الباب الثاني: فهو عن كسوة الكعبة المشرفة ويشتمل على عشرة فصول وهي على التوالي: كسوة الكعبة قبل الإسلام، وكسوتها منذ فجر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي، وكسوتها في العصر العثماني، وتطور كتابة وزخرفة الكسوة وتعدد قطعها وإنشاء دار خاصة للكسوة، ووصف كسوة الكعبة في العصرين المملوكي والعثماني والاحتفال بكسوة الكعبة في العصرين المملوكي والعثماني، وكسوة الكعبة المشرفة في العصر السعودي، ووصف كسوة الكعبة المشرفة في العصر السعودي، ومراسم تسليم كسوة الكعبة المشرفة وتركيبها في العصر السعودي.

وعن أسباب تأليف هذا الكتاب يقول مؤلفه:

إن بيتاً تناوب على بنائه ورفع قواعده وتجديده وتعاهده أقطاب الخلق وقادتهم، وتنافس في ذلك كل معظم له ومهتم به، لجدير بجمع أحداثه والكتابة عن تاريخه وإبراز أهميته في حياة الناس، ودوره في خدمة التوحيد ورعاية الحق ونشر العدل.

ثم يقول: وقد وفقني الله تعالى لسبر أغوار هذا الموضوع، والبحث في تاريخ عمارة وكسوة الكعبة المشرفة، فعكفت الليالي والأيام بل الشهور والأعوام أتعقب الدلائل التاريخية، والآثار النادرة أستقرئ مدلولاتها، وأستنطق رسومها، وأسجل ما بعد وأستخلص نتائجها.

نعم إن الناظر لحجم الكتاب من حيث مساحة صفحاته وعدد الصفحات لابد أن يدرك غزارة المادة التي تضمنها هذا الكتاب بين دفتيه ولكن.. من يتصفح الكتاب يعلم كم من الوقت أنفقه المؤلف لجمع هذه المادة.. سواء المادة التاريخية المبثوثة في كثير من الكتب.. أو الرسوم والقطع الأثرية المتناثرة في كثير من البلدان وفي حوزة بعض المهتمين بالتراث الإسلامي والخط العربي.

بالإضافة إلى حرص المؤلف الواضح أن يخرج الكتاب منسقاً بصورة موسوعية.

من أجل ذلك قاسى المؤلف وكانت رحلته مع الكتاب رحلة شاقة.

إذ يقول: وكانت رحلتي مع الكتاب شاقة بعض الشيء لعدة أسباب في جميع مراحلها بدءاً من جمع المادة والبحث عن غيرها ..... يتعلق بكسوة الكعبة المتناثرة في بلاد شتى من هذا العالم الواسع، وتنسيقها وتصميم الكتاب، فبعد جمع المادة العلمية تبين بعدها لا يعطيها إلا الله حاجة فيما يتعلق بكسوة الكعبة المشرفة فقد واجهت صعوبات جمة تمثلت في ندرة المادة المهمة وتعتيمها في بعض الفترات التاريخية أو ندرتها في المصادر التاريخية والفقهية والجغرافية وكتب الرحلات والوثائق وغيرها من مخطوط ومنشور، وإن وجدت المادة المذكورة فتغلب عليها الناحية التاريخية الحولية أكثر من كونها وصفية، مما لا يمكن معه الاعتماد عليها في وصف أجزاء كسوة الكعبة المشرفة إلا ما ندر وفي الفترات المتأخرة.

ولذا بذلت جهوداً مضنية في البحث عن كساوى الكعبة المشرفة ولا سيما تلك التي تنتمي إلى العصور المتقدمة، فلم أجد لها أثراً لدى أسرة آل الشيبي سدنة الكعبة المشرفة، ولا لدى أصحاب المجموعات الخاصة في الداخل، مما اضطرني إلى السفر مرات عديدة إلى دول شتى لجمع المعلومات والبحث عن كساوى الكعبة المشرفة المنتشرة في متاحف العالم، ولدى أصحاب المجموعات الخاصة في الخارج، وقد لقيت في هذه الأسفار كثيراً من الصعوبات وكثيراً من المفاجآت وكثيراً من الصعوبات، كما لقيت كثيراً من المساعدات فكم من مرة أصبحت في بلد وأمسيت في آخر وكم من مرة تأخرت الطائرة، وكم من مرة اضطررت للسفر براً لمسافات طويلة تستغرق حتى وقتاً ليس بالقليل وتخفق معنوية.

وقد صادفتني عقبات كثيرة في المتاحف عند طلب التصريح للبحث والدراسة وعانيت معاناة كبيرة في البحث عن أصحاب المجموعات الخاصة، كما عانيت من كثرة المواعيد وكثرة الأعذار فقد كان معظمهم يتحاشون الإفصاح عما لديهم من كساوى للكعبة المشرفة خوفاً عليها، وبعضهم يبالغ في أسعارها مما يعيق عملية التصوير حتى قررت أن أتوقف عن متابعة البحث في الموضوع كله، وأصرف النظر عن فكرة إخراج الكتاب عدة مرات. ولكني استخرت الله وواصلت البحث من جديد فحصلت بعد جهد كبير ووقت ليس بالقصير على التصريح للبحث في متحف طوب قابي في استانبول، وهناك عثرت على قطع نادرة مخزونة من كسوة الكعبة المشرفة مؤرخة من العصر المملوكي تعد أهم وأندر ما تم العثور عليه حتى الآن.

ومن تركيا إلى مصر:

وإذا كان الرجل قد وجد الكثير من القطع النادرة في استانبول، فإنه لم يدخر جهداً إذا علم بوجود غيرها في القاهرة إذ يقول:

كما عثرت على مجموعة من قطع حزام الكعبة المشرفة لسنوات مختلفة من صناعة دار الكسوة بمكة المكرمة محفوظة في متحف قصر الجوهرة بالقاهرة.

وكذلك لم يدخر جهداً حيث سافر إلى كل من سوريا وبريطانيا والمغرب، حيث علم بوجود قطع نادرة في متحف قصر العظم بدمشق، وقطع أخرى ضمن مجموعة الدكتور خليلي بلندن، وقطعة بتطوان بالمغرب وغيرها الكثير.

وإلى مصر مرة أخرى:

ولم يكد يطمئن المؤلف إلى ما جمع، ويستريح فؤاده إلى تكامل مادته العلمية، حتى تناديه مصر مرة أخرى إذ يقول: «وبعد كتابة هذه المقدمة والانتهاء من إعداد الكتاب أعلن عن ظهور قطعتين من حزام كسوة الملك عبدالعزيز آل سعود أهديتا إلى مكتبة الإسكندرية من ورثة طلعت حرب في مصر، تلقاهما هدية من الملك عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م.

وقد سررت بالخبر وسافرت على الفور إلى الإسكندرية فاطلعت عليهما، وقمت بدراستهما دراسة تاريخية وفنية.

هكذا حال البحث العلمي.. عناء يطوه عناء، ومشقة يخلفها التعب.. ولكن ما أحلى الثمرة!

لقد أصبح بين أيدينا كتاب يمكن أن نصفه بأنه: «الكعبة

لمن أراد البحث في كسوة الكعبة»

ولكن ألا تدعونا هذه الرحلة «المكوكية» إلى البحث عن كيفية تجميع كل ما يتعلق بالكساوى في متحف وطني بالسعودية؟ إن لهذا التجميع من تسهيل ربط هذه الحلقات بعضها وتوفير جهد ووقت ومال الباحثين؟! وهل كل الباحثين والدارسين يتوفر لهم ما توفر للمؤلف من طاقة وقدرة على البحث وصبر كاد ينفد لولا لطف الله؟

ومن هذه الدراسة المستفيضة نقطف يسيراً من كثير، ليطلع القارئ على بعض كنوز حواها هذا الكتاب القيم، حيث يقول بعد أن عرض تضاريس مكة:

إن مكة مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات، أي أن الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة توزيعاً منتظماً وأن مدينة مكة المكرمة في هذه الحالة تعتبر مركز الأرض اليابسة.

وتعزى الدراسات والبحوث التي تثبت وسطية مكة المكرمة للكرة الأرضية، فقد أعلنت نتائج دراسة علمية أجراها المعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية في القاهرة - أشرف عليها الأستاذ الدكتور مسلم شلتوت - أن الكعبة تمثل مركز الأرض.

وتؤكد الدراسة أن مكة المكرمة مركز لدائرة نصف قطرها ثمانية آلاف كيلو متر.. هي أطراف القارات القديمة آسيا وإفريقيا وأوروبا، كما أنها مركز لدائرة نصف قطرها حوالي ثلاثة عشر ألف كيلو متر، تمر بأطراف القارات الجديدة أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، واستراليا، والتجمدة الجنوبية.

وصفوة القول: إن الكعبة أول بيت وضع على وجه الأرض على نقطة تقاطع محور التوازن الذي تقع عليه مكة المكرمة، والكوكب الأرضي يدور حول محور التوازن وبالاتجاه نفسه، وقد أتى الطواف حول الكعبة في دائرة مصغرة ضمن الدائرة الكبرى التي يدور حولها الكوكب الأرضي. ألا يحق للمسلمين بعد ذلك جعل مكة المكرمة أساساً للتوقيت الرسمي؟ فنقول «حسب توقيت مكة المكرمة».

ونقول «هو» «يشبع مرحلة» لا نص فوق «يالب» نقولها؟

ثم ننتقل إلى صفة بناء إبراهيم - عليه السلام - للكعبة المعظمة، فبعد أن يقدم وصفها طولاً وعرضاً وارتفاعاً يقول:

وقد يتساءل القارئ: لماذا بنى إبراهيم -عليه السلام- البيت «الكعبة» على هذا الشكل البسيط المتواضع في العمارة، فلم يعن بضخامة البناء أو زخرفته، وهو الذي طاف البلاد من العراق إلى بيت المقدس إلى مصر، وشاهد المباني الضخمة التي أقامها الناس لأغراض عديدة، ولكنه بناء الكعبة على تلك الصفة البسيطة التي يقول عنها ابن عباس - رضي الله عنهما -: «والله ما بناه بقصة ولا مدرة ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه، ولكنهما أعلماه فطافا به»

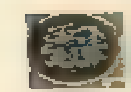
ثم يجيب عن هذا التساؤل قائلاً:

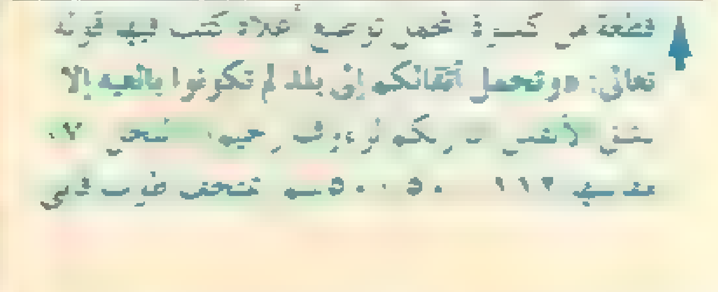
وهذا لا شك من الأمور التي اعتاد عليها الأنبياء عند قيامهم ببناء بيوت الله، لأن القصد من وراء بناء هذه البيوت هو ابتغاء وجه الله تعالى أولاً، ولكي تؤدى فيها عبادة الله ويذكر فيها اسمه ثانياً، وهذا ما نهجه نبينا محمد ﷺ وسلم لما هاجر إلى المدينة المنورة، فقد بنى مسجده على شكل بسيط متواضع باللبن والطين وجذوع النخل.

وهناك الكثير من اللطائف المثبوتة في جنبات الكتاب، كل ذلك وأنت تمتع عينيك بجمال الصور للكعبة وعمارتها وكسوتها على مر العصور فتستشعر عبق الإيمان من خلال صفحات الكتاب والتي لم يتح لنا إلا نشر اليسير منها في هذا العرض ولنترك القارئ يتابع بعض ما سمحت به صفحات المقال.



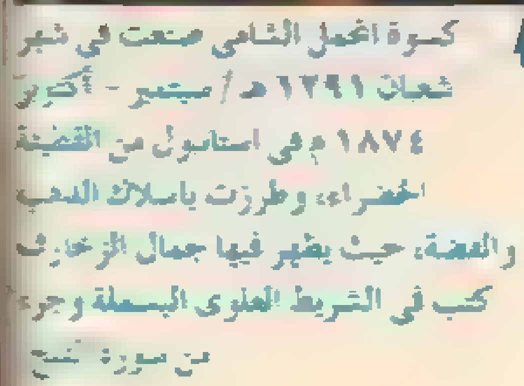
باب الكعبة المشرفة صنع بأمر الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٦٣هـ ١٩٤٣م وركب عليها بدلا من باب السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٥هـ ١٦٣٥م وهو محفوظ الآن في معرض عمارة الحرمين الشريفين بمكة المكرمة





قطعة من كسوة المحمل توضع أعلاه كتب فيها قوله تعالى: «وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم» النحل ٧ مقاسها ١١٢ × ٥٠ ، ٥٠ سم متحف طوب قبي





كسوة المحمل الشامي صنعت في شهر شعبان ١٢٩١ هـ / سبتمبر - أكتوبر ١٨٧٤ م في استانبول من القطيفة الخضراء، وطرزت بأسلاك الذهب والفضة، حيث يظهر فيها جمال الزخارف كتب في الشريط العلوي البسملة وجزء من سورة الفتح

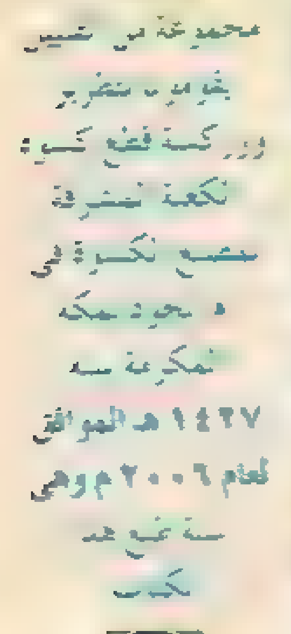


كسوة المحمل المصري المصنوعة من الحرير الأحمر المطرزة بأسلاك الذهب والفضة صنعت في عهد الملك فؤاد الأول سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧م محفوظة في متحف الإثنوغرافي بالجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة





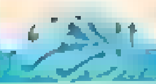




مجموعة من العمال يقومون بتطريز وتركيب قطع كسوة الكعبة المشرفة بمصنع الكسوة في [illegible] بمكة المكرمة سنة ١٤٢٧ هـ الموافق لعام ٢٠٠٦ م وهي سنة صنع هذه الكسوة



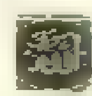








ستارة باب التوبة من عهد السلطان عبد الحميد الثاني والخديو عباس حلمي الثاني مؤرخة سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م وتتميز بتنوع الألوان وجمال الزخارف ورصانة وقوة الخط ورشاقته مقاسها ٢٨٠ × ١٦٠سم



ستارة باب الكعبة المشرفة صنعت في دار الكسوة [illegible] مكة المكرمة سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م في عهد [illegible] عبد العزيز [illegible] الكسوة الكعبة المشرفة بمكة المكرمة [illegible] الكسوة [illegible] ٢,٥٠ × ٣,١٠م وهي [illegible]

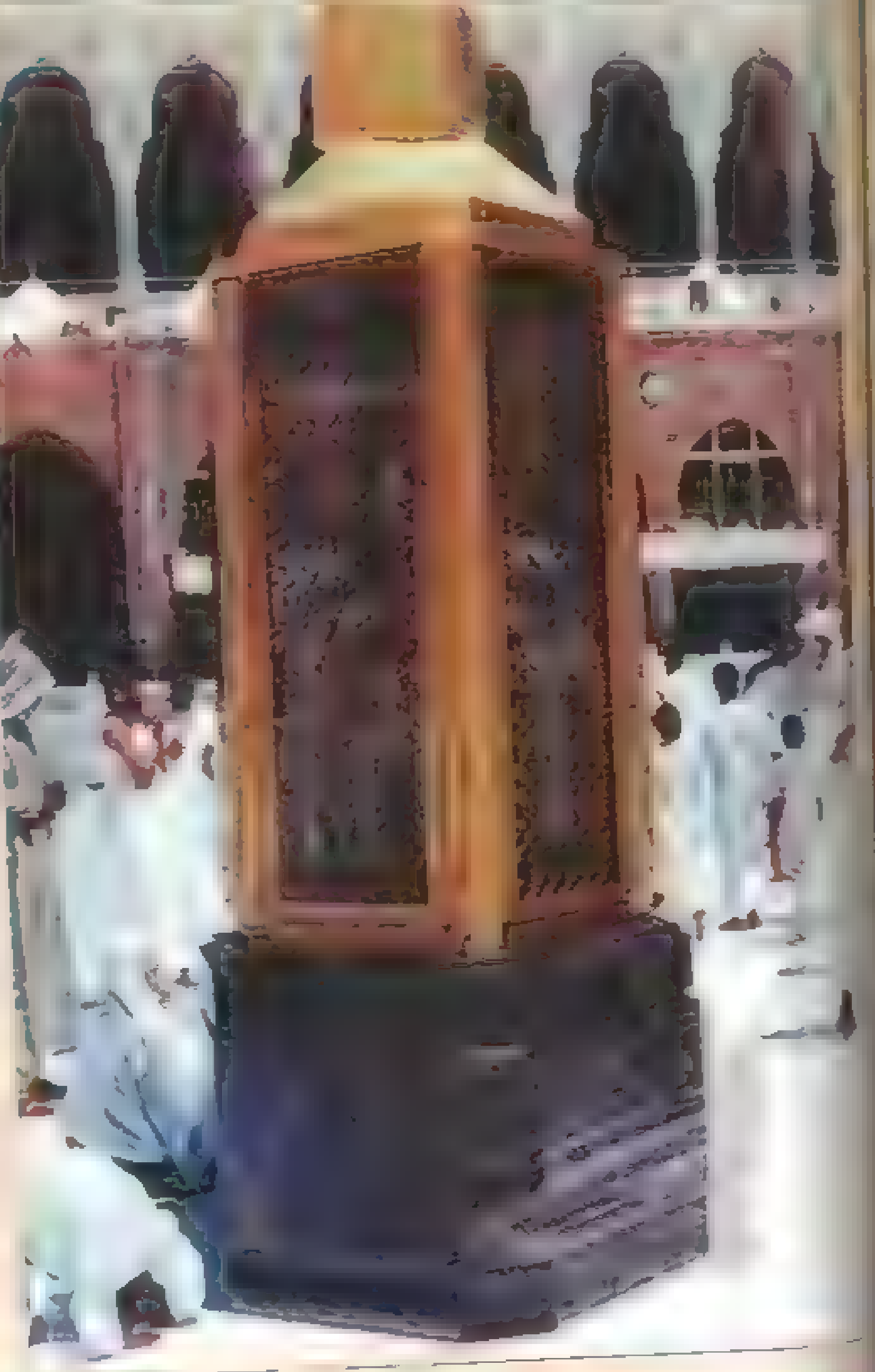




الحجر الأسود بعد تركيب الإطار الفضي الخاص عليه
في الترميم السادس للكعبة المشرفة الذي تم في عهد
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل
سعود سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

صورة مقربة لمقام إبراهيم الخليل عليه السلام
حيث يظهر أثر قدميه الشريفتين على الحجر الذي كان
يقف عليه

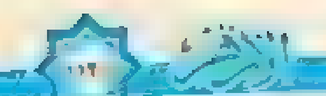


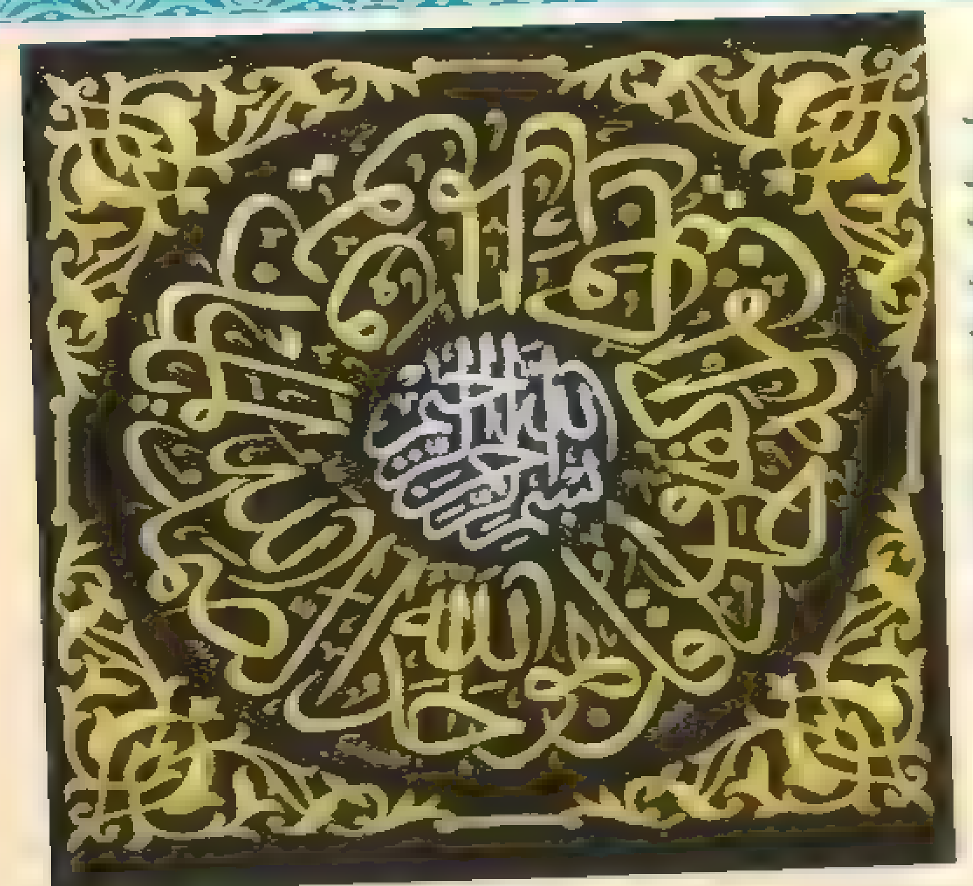




مقام إبراهيم عليه السلام
بعد وضعه داخل الغطاء
البلوري وهو محمي
بمقصورة من النحاس لها
قاعدة من الرخام الأسود
تم تصميمها في عهد الملك
فيصل بن عبد العزيز ثم
غيرت المقصورة بأخرى
من النحاس المطلي
بالذهب وعمل لها قاعدة
من الرخام الأبيض في
عهد خادم الحرمين
الشريفين الملك فهد بن
عبد العزيز آل سعود





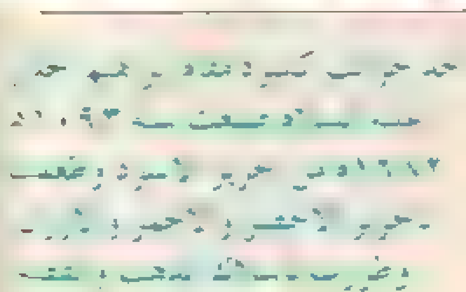


كردشية من الكردشيات الأربع التي توضع في أركان الكعبة المشرفة من حرير مطرز عليها بسملة وسورة الإخلاص على شكل دائرة صنعت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م



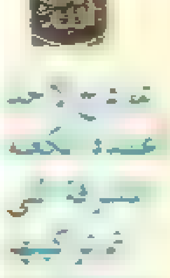
كردشية من كسوة الكعبة المشرفة مطرزة بأسلاك الذهب والفضة، وهي إحدى الكردشيات الأربع التي كانت توضع على أركان الكعبة المشرفة كتب فيها البسملة وسورة الإخلاص على شكل دائرة وكتب في مركزها لفظ الجلالة ... سم ٣٥ وهي من كسوة ١٣٨١هـ ١٩٦٢م ومحفوظة في متحف قصر خزام بجدة





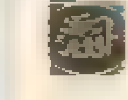
جزء من ستارة باب الكعبة المشرفة صنعت سنة ١٠٩٣هـ ١٦٨٢م من حرير بالأسود وعليه حرير الأخضر والأحمر والأزرق وطرزت بأسلاك الذهب والفضة





قائم أحد أعمدة الكعبة المشرفة التي تم تركيبها داخلها بعد ترميمها في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م وقد حلي كل عمود بحلية من الذهب عليها زخارف نباتية وكتب عليها بعض أسماء الله الحسنى





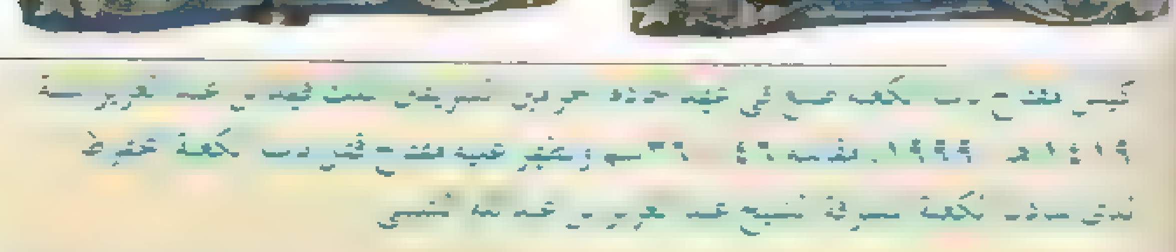




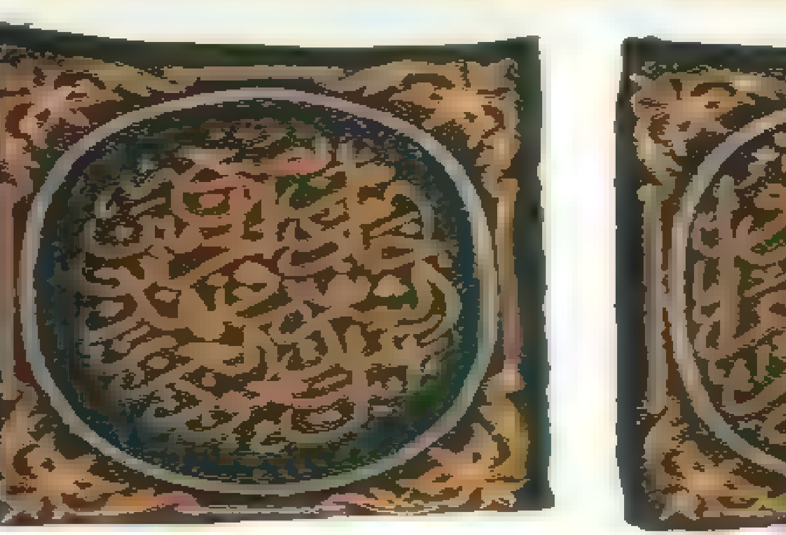
وجه وظهر كيس مفتاح الكعبة يرجع إلى عصر السلطان عبد الحميد والخديو محمد توفيق مؤرخ في سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م مقاسه ٦٢ × ٣٢سم



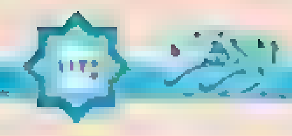
ظهر كيس مفتاح باب الكعبة المشرفة يعود لعهد السلطان عبد المجيد خان ... مؤرخ سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م مقاسه ٣٤ × ٢١٫٥سم



كيس مفتاح باب الكعبة صنع في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، مقاسه ٤٦ × ٣٦سم وتظهر عليه مفتاح قفل باب الكعبة المحفوظ لدى سادن الكعبة المشرفة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الشيبي




كيس مفتاح مقدم من عهد الملك فهد بن عبد العزيز صنع في مصنع كسوة الكعبة المشرفة ... سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م













قفل صنع من الحديد في عهد السلطان بايزيد الثاني وعليه تاريخ صنعه في أواخر شهر ربيع الأول سنة ٩١٥هـ يونيو ١٥٠٩م ويحتمل أن يكون هذا القفل صنع لباب الكعبة

وبعد...

فإذا كان المؤلف قد قدم الشكر لكل من ساعده وسانده وقدم له العون - واستغرق ذلك تسع صفحات كاملة - فإنه لا يسعنا إلا أن نقدم له خالص الشكر والامتنان لإخراجه هذا الكتاب الفخم الرائع الفريد الذي حوى دراسة حبيبة إلى نفس كل مسلم زار البيت وإلى كل مسلم تتوق نفسه لزيارة بيت الله الحرام.

ثم أما بعد:

فإن كتاباً في حجم هذا الكتاب وفخامته، لن يكون باستطاعة كل مسلم أن يقتنيه. ولأهميته أسأل الله تعالى أن تتاح رؤيته من خلال المكتبات العامة..

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.







الصهيونية والعنف

من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى

تأليف

الدكتور عبد الوهاب المسيري



إذا كانت الرحمة - وهي إحدى نعم الله التي لا تحصى - تحيي قلب الإنسان وتلينه، فتجعل من هذا الإنسان ملاذاً لكل ذي حاجة، فامتن الله تعالى بها على الإنسان، كما صرح به قوله جل شأنه:

(آل عمران: ١٥٩)

وإذا كانت نعمة الرحمة مما يرجوه حملة العرش من ربهم لكل من وقاهم السيئات من الذين آمنوا، فيضيفوا في تسابيحهم الدعاء للذين آمنوا قائلين:

(غافر: ٩)

إذا كان لهذه النعمة ذلك الفضل العميم الشامل الذي يمكن لكل في نفس أخيه الإنسان ما يقوى أواصر الأخوة، ويهيئ لكل إنسان فرص نجاحه في القيام بدور الخلافة في الأرض

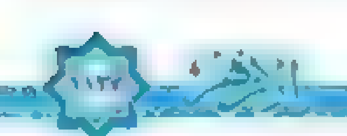
ولأهمية تلك النعمة الجلى للإنسان جعلها المنعم عز وجل أملا يرجى لكل من أطاعه وأطاع رسوله، فقال:

(آل عمران: ١٣٢)

كما جعلها أملا يرجوه كل من يستمع إلى القرآن وينصت إليه عند قراءته فقال

(الأعراف: ٢٠٤)

وأملا لكل من ينهض للإصلاح بين المؤمنين فقال



[illegible]

(الحجرات: ١٠)

إذا كانت نعمة الرحمة على تلك الدرجة من الأهمية للإنسان – فردا وجماعة – بمنطق القرآن الكريم وتوجيهاته، فإن القسوة تصيب قلب الإنسان فتجرده من نعمة الرحمة، وتصيبه بالجمود الصخرى الذى ينأى به عن كل أسباب الرحمة، ويباعد بينه وبين خشية الله التى يمكن أن نلمسها فى بعض الحجارة، على نحو ما نعت به القرآن الكريم بعض بنى إسرائيل فى قوله تعالى:

[illegible]

(البقرة: ٧٤)

وهذه القسوة إنما تصيب من يتجرأ على نقض المواثيق والتنكر للعهود، حيث تجد القسوة فى قلوبهم أخصب مرعى لها، فيتجرأون على تحريف كلام الله غافلين عما حولهم من آيات مذكرة بما سقط فيه بعض بنى إسرائيل الذين حدثنا عنهم الكتاب الكريم فى قوله تعالى:

[illegible]

(المائدة: ١٣)

وفى قوله تعالى:

[illegible]

(الحج: ٥٣)

وإن هذه القسوة تبلغ بمن تصيب قلبه إلى درجة الغفلة عن الاتعاظ بما يحدث حولهم، وإلى تقبل السلس لتزيين الشيطان كل الممارسات التى تهوى بهم فى مهاوى الدمار، على الرغم من تحذير القرآن الكريم لهم فى قوله تعالى:

[illegible]

(الأنعام: ٤٣ – ٤٥)

ولهذا جاءت الموازنة القرآنية بين من برئ صدره من هذا المرض الخطير فكان على نور من ربه وبين من غرته الحياة الدنيا، فأسلم قلبه للقسوة بما تولده من ظلم وعنف يقودانه إلى استحقاق الويل والضلال المبين، كما صرح بذلك فى قوله تعالى:

[illegible]

(الزمر: ٢٢)

ولقد شاء الله تعالى أن نعايش فى واقعنا الحى نماذج من هؤلاء القساة الذين تحجرت قلوبهم، فأتوا بأسلوب العنف فى علاقاتهم بالآخرين من بنى الإنسان، دون رادع من قيمة، ولا وازع من أخلاق.

هؤلاء القساة الذين توافدوا على الأرض الفلسطينية بغية الانتهاء فى غربتهم إلى غيرها من بقاع العالم الإسلامى متخفين فى أزياء الحرية والديمقراطية والعلمانية، متدرعين بقوى الاستعمار الصليبى الغربى.

ولقد نهض الدكتور عبدالوهاب المسيرى بهتك الستر التى تخفوا وراءها، وفضح ما يضمرونه من شرور فى كتابه (الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى الانتفاضة الأقصى)، تبيانا للأبعاد البنيوية للإرهاب والعنصرية الصهيونية والنموذج الكامن وراء الحوادث المتفرقة، وكشفا لأشكال العنف الصهيونى التى تؤكد جميعها أن هذا العنف جزء عضوى من الظاهرة الصهيونية نفسها بمقوماتها الغربية العرقية الاستعمارية التى لا تعرف سوى الإبادة والقمع العسكرى سبيلا لتحقيق ما تريد من مكاسب، والتى يرفضها الدين اليهودى.

والدكتور عبدالوهاب المسيرى غنى عن التعريف بعد أن قدمه (كتاب الشهر) بمجلة الأزهر أكثر من مرة.

ويقع الكتاب فيما يقرب من ثلاث وخمسين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط، تضم أربعة عشر فصلا وملحقاً للتعريف ببعض المصطلحات، قدمته دار الشروق بالقاهرة فى طبعته الأولى سنة ١٤٢١ هـ سنة ٢٠٠١ م.

اليهودية فى الرؤية الصهيونية

ففى الفصل الأول (النقد الصهيونى للشخصية اليهودية) يرصد الدكتور المسيرى أبرز خصائص اليهود فى الرؤية الصهيونية، فيجملها فى خصيصتين اعتمد فيهما الصهيونيون على تتبع حياة اليهود فى ظل الحضارة الغربية.

١ – أما الخصيصة الأولى فهى هامشية اليهود التى يؤكدها استقبالهم الحضارة الغربية الحديثة بتفوقهم على هامش الحياة اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا، استسلاما لما توارثوه فى ظل النظام الإقطاعى، فلم يكن لهم دور اقتصادى أو إنتاجى، حتى صاروا عرضة لاضطهاد المجتمع الذى لم يعد فى حاجة إلى خدماتهم، ولم يعد يرى لهم نفعا، على الرغم مما بذلته الحكومات الأوروبية والنمساوية من جهود لتحويلهم إلى قطاع اقتصادى منتج، ولكن تمت الجهود باءت بالفشل.

ولكن الدكتور المسيرى يرى أن وصف اليهود بهذه الخصيصة ناشئ عن التعميم الصهيونى، لأن تلك الهامشية لا تشمل جميع اليهود، وإنما هى مقصورة على يهود شرق أوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر فحسب، ففى غرب أوروبا قد كان لليهود دور حيوى فى المجتمعات الزراعية التقليدية هناك.

د. عبدالوهاب المسيرى

وفى العالم الإسلامى لم يكن الوجود اليهودى هامشيا حيث تفاعلوا فى محيطهم الحضارى، واصطبغوا به، فأبدعوا من خلاله، وانخرطوا فى سائر المهن والوظائف.

وكذلك كان حال اليهود فى الولايات المتحدة، حيث كان وجودهم هناك فى صميم المجتمع منذ البداية.

فالواقع يعلن: أنه إذا كان هناك أى وجود هامشى غير منتج حتى الآن، فهو وجود الدولة الصهيونية الوظيفية الممولة من الخارج التى أسست على أرض الفلسطينيين وحولت هؤلاء الفلسطينيين إلى عمالة رخيصة مع قمعهم وإجهاض تطلعاتهم وأحلامهم المشروعة.

٢ – وأما الخصيصة الثانية فهى شذوذ اليهود الذى يتبدى اقتصاديا فى اشتغالهم بأعمال السمسرة والمضاربات والأعمال الهامشية غير المنتجة مثل التهريب، وتجارة الرقيق الأبيض، والتسول، ويتبدى

سياسياً في العجز وعدم المشاركة في السلطة وفي ازدواج الولاء عند اليهودي الذي يدفعه إلى الاندماج في المجتمعات الغربية.

والصهيونيون – في وصم اليهود بالشذوذ بسبب تلك السمات – يتجاهلون أنها سمات لا تخص اليهود، إذ هي السمات المشتركة لأية جماعة وظيفية. فهي تمثل ظاهرة إنسانية اجتماعية عامة لا تسم بأي شذوذ، ولكن الصهيونيين والمعادين لليهودية. يخصون اليهود بذلك لأنهم يعزلون أعضاء الجماعات اليهودية عن محيطهم الحضاري والاجتماعي، ثم يحكمون عليهم بالشذوذ.

هذا إلى أن عدم مشاركتهم في السلطة، وانعدام سيادتهم ناشيء عن اعتماد هؤلاء الصهيونيين إلى افتراضات اختزالية يرفضها الواقع الذي يقرر أن أعضاء الجماعات اليهودية كانوا في كثير من الفترات يشاركون في السلطة من خلال المؤسسات التقليدية، شأنهم في ذلك شأن الجماعات الدينية والعرقية الأخرى، ولا أدل على ذلك من مشاركتهم في صنع القرار الأمريكي حديثاً، سواء بالمشاركة الفعلية أو بتأثير الضغط لصالح الدولة الصهيونية.

الصراع بين الصهيونيين والجماعات اليهودية

ويستعرض الدكتور المسيري أحوال الجماعات اليهودية في مختلف بقاع العالم، منبهاً إلى انقسام الجماعات اليهودية في كل من الدولة العثمانية، والدول الأوروبية الشرقية والغربية، فكان لكل جماعة طقوسها ومعتقداتها، وكان هذا الانقسام تحت سيطرة المؤسسة الحاخامية

غير أن التحدي الأكبر للمؤسسة الحاخامية جاء من بين صفوف دعاة حركة التنوير (هسكلاه) مع نهاية القرن الثامن عشر بتأييد من التجار اليهود الذين كانوا يشكلون جزءاً من الاقتصاد الرأسمالي الصاعد الجديد، لذا جعل وجود الجماعات الوظيفية - اليهودية وغير اليهودية - غير ذي موضوع، وقد تلقى هؤلاء تعليمهم خارج المحيط اليهودي التقليدي، وكانوا قادرين على التعامل بكفاءة مع العالمين اليهودي والمسيحي، والتقليدي والحديث، لطرحوا أنفسهم باعتبارهم القيادة المنطقية للجماعات اليهودية القادرين على التحدث باسمها، والمعبرين عن مصالحها

وحينما ظهرت الحركة الصهيونية كانت معظم أشكال القيادة التقليدية لليهود لا تزال سائدة برغم تزايد تحديث الجماعات اليهودية، ودمجهم في مجتمعاتهم، ولذلك أعلنت منظمات أحباء صهيون أنها تنطلق من مفاهيم حديثة مثل تطبيع الشخصية اليهودية، وحل المسألة اليهودية عن طريق الاستعمار

وطلب مفكروها تقديم المساعدات للمشروع الاستيطاني، طالبين التوسط لدى الحكومات المعنية ليرودوهم بالدعم المالي المطلوب.

وظلت الحركة الصهيونية قابعة داخل هذه الرؤية الضيقة إلى أن جاء (تيودور هرتزل) الذي حدث الحل الصهيوني، فخرج به من الإطار اليهودي التقليدي، وطرح المسألة في إطار استعماري غربي لا علاقة له بأشكال القيادة التقليدية المألوفة لدى اليهود، فتوجه إلى الدول الغربية الاستعمارية، حيث نجح فيما فشل فيه أحباء صهيون ويهود شرق أوروبا، فأسس المنظمة الصهيونية العالمية التي أصبحت الوسيط المباشر بين أعضاء الجماعات اليهودية والقوى الإمبريالية.

وقد ظن صهاينة الغرب أن هيمنتهم على المنظمة مستمرة، وأن صهاينة الشرق سيستمرون في تلقي الأوامر والإذعان لها، لكن بعد موت (هرتزل) بفترة قصيرة استولى صهاينة شرق أوروبا على المنظمة لتمركز اليهود في (بولندا)، و(روسيا) وبعد وعد (بلفور) قامت الزعامة الصهيونية بدور الوسيط، فرعت تهجير الفائض اليهودي من أوروبا إلى فلسطين، تخلصاً منهم وتأسيس قاعدة للاستعمار الغربي، على أن يقوم الغرب بحمايتهم في المقابل، وقد قبل الغرب هذه الرؤية، ومن أجل هذا تم توقيع وعد بلفور

ومن الأمور التي تستحق التأمل أن معظم كبار المفكرين من أعضاء الجماعات اليهودية لا ينتمون إلى الحركة الصهيونية، مما هيأ الفرصة لسقوط قيادة الجماعات اليهودية في يد صغار المفكرين الصهيونيين

وقد اشتعل الصراع على زعامة الجماعات اليهودية بعد وعد (بلفور)، فبدا في مظاهر مختلفة

فقد دار الصراع عنيفاً بين أعضاء الجماعات اليهودية الذين يحرصون على مصالحهم الشخصية، وبين المنظمة الصهيونية التي تريد أن توظف كل شيء لصالح المستوطن الصهيوني.

كما نشب الصراع على قيادة الجماعات بين الصهيونيين في إسرائيل، وبين المنظمة الصهيونية العالمية، حيث حسم هذا الصراع إلى حد ما لصالح الصهيونيين المستوطنين.

إلى جانب صراع ثالث حول القيادة داخل المستوطن الصهيوني، كما أنه لا يوجد تجانس كبير بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل وزعاماتها.

ولذا.. فقد نشب كثير من الصراعات بينهم حول توجه الدولة الصهيونية وقيادتها، مثل الصراع الإثني بين الإشكناز وبقية أعضاء المستوطن من يهود (سفارد)، وعرب، وغيرهم.. ومثل الصراع بين المؤسسة العمالية وبين بعض كبار الممولين ودعاة الاقتصاد الحر، ومثل الصراع بين الدينيين واللادينيين الذي أخذ في التصاعد.

وانضم إلى الصهيونيين – في صراعهم مع اليهود – المجتمع الغربي الذي اندفع مع ظهور الثورة التجارية إلى الهجوم على اليهود لانعدام نفعهم مؤكدين: أن الجماعات اليهودية شخصيات هامشية غير نافعة بل طارئة يجب التخلص منها، حتى وصل هذا التيار إلى قمته في الفكر النازي، حيث قام النازيون بتقسيم اليهود إلى: يهود غير قابلين للترحيل، ويهود قابلين للترحيل

ومن هنا... حرصت الدولة الصهيونية على أن تؤكد كونها أداة نافعة، بأن تكون حصناً ضد الأصولية الإسلامية، وحاملة طائرات لأمريكا على الرغم مما يعنيه هذا من كونها كياناً غير مستقل.

ثم اتجهت لتكون (سوبر ماركت) مثل (سنغافورة)، ومركزاً للسمسرة والصيارفة، وركيزة أساسية لقطاع اللذة (ملاهٍ – كباريهات – مصحات – سياحة)، فكان حرصها على توقيع اتفاقية السلام، ورفع المقاطعة العربية

ومن هنا... يرى الصهيونيون أن معاداة اليهود ظاهرة طبيعية، ورد فعل طبيعي وحتمي لوجود اليهود كجسم غريب في المجتمعات المضيفة، فالعداء لليهود إنما هو دفاع مشروع عن الذات.

فالموقف الصهيوني من اليهود لا يختلف في أساسياته عن موقف المعادين لليهود، ولم يتغير هذا الموقف بعد تأسيس الدولة الصهيونية، بل زادت المعاداة حدة، كما توضحه العلاقة بين المستوطنين الصهيونيين المولودين في فلسطين (جيل الصابرا) وبين يهود المنفى (يهود العالم).

(يتبع)





للأستاذ الدكتور/السيد أحمد فرج

كان الشيخ محمد الغزالي يرى كما يرى ... أن الثقافة الإسلامية قبل الثورة لكي تبعث تراجعت تراجعا في مجالات السياسة والاجتماع، فجاءت مدرسة المنار لتعلن على الناس أن الإسلام حركة عقل، وحركة نفس، وأن من خصائص الحضارة الإسلامية أنها حرصت على العقل ... وقدرة على التعبير، وكانت رسالة المنار ... عليها أن يستعملوا العقل، ويردوا الأمة إلى الشرع الصحيح، ويوجهوا المسلمين إلى الجامعة الإسلامية، دون التعصب ... على أن يكون العقل كما صوره القرآن الكريم ... على التوحد في فهم الأصول والفروع دون تعصب لمذهب أو رأي، مع الدعوة إلى الكتاب والسنة والاستمداد منهما.

وقد أرادت مدرسة المنار أن توقظ العقل المسلم، وتشيع في أجواء المسلمين روحا جديدة تستنهضهم لكي ينظروا في الكون، ويعملوا فيه العقل ليفيدوا من منافعه، ويعرفوا الخير ويدعون إليه، ويقيموا العدل ويحكموا به، ويجعلوا شريعة الله أساس الحكم في زمنه.

وخلاصة القول أن مدرسة المنار هي التي رفعت راية الحق وقالت: إن الإسلام وحده، هو وجودنا المادي والأدبي، وهو الوصل بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا (راجع كتاب علل وأدوية فصل مدرسة رائدة، ص ٨٧-٩١).

إن الرجال الثلاثة الذين بنوا مدرسة المنار الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا بحسب الشيخ محمد الغزالي هم قادة الفكر الواعي الذكي أصحاب فكر متميز، ومقولة مدعومة، لهم بصر بعلل الضعف لدى أصاب الأمة الإسلامية، ولذا فقد كان همهم بعث العقل الإسلامي، والعودة به إلى نقاء السلف الأول. يقول الشيخ محمد الغزالي: «وفي رأيي أن مدرسة المنار هي المهاد الأوحد للصحوة الإسلامية الحاضرة» (علل وأدوية ص ١٠٣).

ولأن الشيخ محمد الغزالي امتداد هذه المدرسة، فقد واصل مسيرتها، وحقق نجاحا بشفافية أسلوبه، وحرارة قلبه، ورجاحة عقله، وقوة حجته.

مسيرة الشيخ محمد الغزالي الدعوية والفكرية:

بدأ الشيخ محمد الغزالي مسيرته في الدعوة إلى الله، وفي الفكر الإسلامي في سنة ١٩٤٧م وامتدت إلى سنة ١٩٩٦م أي إلى يوم وفاته. فقد توفي -رحمه الله- في أثناء مشاركته لندوة علمية في ٩ مارس ١٩٩٦م.

كانت كتابات الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- أعمالا فكرية وسياسية واجتماعية وتربوية، في إطار الدين الإسلامي، تعبر عن مشاكل العصر، وتقترح له الحلول وعلى سبيل المثال، ففي كتابه «علل وأدوية» الذي طبع للمرة الأولى سنة ١٩٨٤م يوازن بين الآراء والأفكار ويختار منها أصلحها وأنفعها، وكان هذا ديدنه في أغلب كتبه. وما يطرحه فيها من علل المسلمين التي تتطلب علاجا وحلا.

ويقسم الأستاذ طارق البشري مسيرة الشيخ محمد الغزالي العلمية والدعوية إلى ثلاث مراحل وأتبعها بمرحلة رابعة كما سيأتي، لكل مرحلة سمات تميزها:

المرحلة الأولى: من سنة ١٩٤٧م إلى منتصف الخمسينيات فكان يدعو إلى شمولية دعوة الإسلام بالوصل بين الدين والدنيا والمادة والعقل والروح في صياغة تربوية، خاصة للناشئة والشباب. فكان يضع أمامهم المشكلات الاجتماعية والسياسية وحلولها ويبين موقف الإسلام منها في مثل كتبه: «الإسلام والأوضاع الاقتصادية» سنة ١٩٤٧م، و«الإسلام والمناهج الاشتراكية» سنة ١٩٤٨م وكان هدفه إيقاف مد التيارات الماركسية التي بدأت تطل بوجهها في الساحة الثقافية العربية، وأراد أن يبين للشباب خاصة، أن الحل في الإسلام، فهو كفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية، وليس في المذاهب الاشتراكية الوافدة.

وفي هذه المرحلة ذاتها كتب: «الإسلام المفترى عليه من الشيوعية والرأسمالية» في سنة ١٩٥١م وكانت هذه السنة من السنين المثمرة فكتب فيها «عقيدة المسلم» و «تأملات في الدين والحياة» ثم كتب «خلق المسلم» سنة ١٩٥٣م، و «في موكب الدعوة» سنة ١٩٥٤م وفي هذه الكتب الأربعة الأخيرة برز توجهه التربوي الذي أراد أن يربي عليه الشباب المسلم، قبل أن يغرس فيهم بذور النهضة الإسلامية، لكي تكون نفوسهم مستعدة لتقبلها.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي تبدأ من منتصف الخمسينيات حتى نهاية السبعينيات، وكانت الجماعات الإسلامية قد أقصيت عن المشاركة في رسم أوضاع المجتمع، والمستقبل، وأبعد فيها الفكر

الإسلامى عن أن يكون مشاركا فى صياغة المرجعية الشرعية والسياسية والاجتماعية» (طارق البشرى: شخصيات وقضايا معاصرة ص ١٠٧، كتاب الهلال، مايو ٢٠٠٢)

فى هذه المرحلة كانت الأولوية فى طرح الحلول العلمانية، فسيطرت على الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية، وكان ذلك كفيلا بإحداث تحول فى كتابات الشيخ محمد الغزالى، إذ أحس بالحاجة إلى أن يقف مدافعا عن الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخا، فقدم فكرا واعيا بعيدا عن التعصب، يبين محاسن الإسلام، ويبرز مساوئ خصومه من علمانيين رأسماليين وماركسيين، ومن مبشرين ومستشرقين فكتب: «الاستعمار أحقاد وأطماع» سنة ١٩٥٧، و«التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام»، و«حقيقة القومية العربية» فى سنة ١٩٦١م، و«الإسلام فى مواجهة الزحف الأحمر» سنة ١٩٦٦. و «حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث» سنة ١٩٦٩، و«معركة المصحف» سنة ١٩٧١، و«ظلام من الغرب» سنة ١٩٧٣م، و «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين».

فى كتاب معركة المصحف فى العالم الإسلامى أراد الشيخ محمد الغزالى أن يهدم الحواجز المفتعلة بين بلدان العالم الإسلامى، تلك الحواجز التى صنعها أعداء المسلمين لتحول دون تواصل المسلمين مع القرآن الذى يحوى بين دفتيه مراد الله تعالى من عباده، كما أراد أن يبين لهم قواعد الدين الواحد الذى جاء به المرسلون عليهم السلام، من أول آدم إلى محمد ﷺ. كما أراد الشيخ محمد الغزالى فى هذا الكتاب أن يبين أمرين مهمين يتضمنان كل الأمور الدينية والدنيوية: أولهما أن الإنسان سيد الكون، وقد أراد الله تعالى له أن يباشر سيادته على كل شىء فيه، وأن يسخره فى مرافقه باستخدام العلم وقدرات العقل، وخبرات التجريب، والثانى: أن يتعلم الإنسان من إرشاد المصحف أن إعمار الحياة الدنيا على الأرض تمهيد لما بعدها من حياة باقية خالدة فى الآخرة، ثم إنه يلخص ذلك بقوله: «إن المجتمع المسلم مجتمع يعلو الحمد لله تعالى، مع أصوات الآلات فى المصانع» (راجع المقدمة، ص ٣-١١).

وفى كتاب «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين» يكشف الشيخ محمد الغزالى عن مطاعن المبشرين والمستشرقين فى الإسلام، ويبين أنهم يستفرغون كل ما فى أحشائهم من أحقاد على الإسلام وبغض له ولأهله، تحت غطاء البحث العلمى، وهم أبعد ما يكونون عن نزاهة العلم والتجرد له.

ولقد دعا الشيخ محمد الغزالى فى أغلب مؤلفاته فى هذه المرحلة إلى فهم واع بالتوحيد الذى هو قانون الوجود ونظام الحياة، وطريق تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، وأهمية النظر فى الآفاق فى الآيات الكونية، وأثر ذلك فى تربية النفس وتزكيتها، وكان فى الوقت نفسه يدعو إلى الاجتهاد فى تخريج كنوز القرآن وجواهره ودرره، وينبه إلى عدم صحة مقولة: إن باب الاجتهاد قد أغلق، وأن السلف لم يترك للخلف شيئا يجتهدون فيه، ذلك أن باب الاجتهاد مفتوح، ولن يغلق أمام من يقدرون على الاجتهاد بشرائطه.

فى كتب هذه المرحلة يبين الشيخ محمد الغزالى أيضا أن الغرب لم يكفه احتلال أرض المسلمين، ولكنه أراد أيضا أن يغزو عقول هؤلاء المسلمين، ويصرف المسلمين عنه، وأن ينشئ أجيالا منهم تبتعد عن تعاليمه، وتتجاهل مطالبه، أو تجهلها كل الجهل. (ظلام من الغرب، ص ١٣٣)

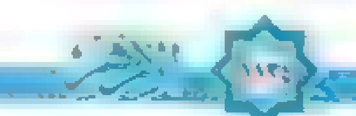
ومن هنا كان دفاع الشيخ محمد الغزالى فأثبت كيف أثرت الحضارة الإسلامية العالم، فقد بعث الإسلام حركة إحياء كونية عامة لمعانيها، عمت مشارق الأرض ومغاربها، فالإسلام عرف حرية الفكر، وأمن من خوف ومن خوف، وإعلاء شأن العقل والعلم، والعدل الاجتماعى، والكرامة السياسية، والحضارة البشرية، وكان الإسلام فى كل هذه المنظورات باعث النهوض، ومحفز الهمم، وسر تفجر الطاقات الإنسانية العظمى.

المرحلة الثالثة: من منتصف السبعينيات إلى أواخر الثمانينيات، وهى الفترة التى شهدت صحوة إسلامية، كما شهدت تحولات فى الطريق إلى الصحوة، فقد كان الشيخ محمد الغزالى فى المرحلتين الأولى والثانية يقف عليه المدافع ليصد حملات المعادين للإسلام سواء كانت هذه التيارات من الداخل أو من الخارج، فإنه فى المرحلة الثالثة كان منظرا مجددا فى الفكر الإسلامى أكثر منه داعية، ومن ذلك من كتبه: «ليس من الإسلام» و «كيف نفهم الإسلام»، و «قذائف الحق» و «الدعوة الإسلامية فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى»، و«دستور الوحدة الإسلامية بين المسلمين»، و«المحاور الخمسة للقرآن الكريم».

المرحلة الرابعة: وتبدأ فى أواخر الثمانينيات: وقد أدمجها الأستاذ طارق البشرى فى المرحلة الثالثة، وتبدأ من أواخر الثمانينيات، وكتب فيها: «السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث» فى سنة ١٩٨٩، و «أزمة الشورى فى المجتمعات العربية والإسلامية» سنة ١٩٩٠م، و «كيف نتعامل مع القرآن» و «تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل»، و «نحو تفسير موضوعى للقرآن الكريم» وهى الكتب التى كتبها بعد سنة ١٩٩٠ إلى أن لقى ربه فى سنة ١٩٩٦م.

وكان الشيخ محمد الغزالى قد قال لمحاوره (مجلة «المسلمون» العدد ٢ فى ١٠ المحرم سنة ١٤٠٢هـ ص ٣) «أتمنى أن أكتب التفسير الموضوعى للقرآن الكريم، فإن كل سورة من القرآن الكريم وحدة متماسكة تشدها خيوط خفية تجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها، وتدور السورة كلها على محور ثابت، وأتمنى وضع كتاب جامع فى ذلك».

ولقد أخذت هذه الكتب الأخيرة من كتب الشيخ محمد الغزالى طابعا جديدا بعيدا عن الطريقة الدعوية، أو طريقة الدفاع عن الإسلام، إذ كان الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله – فى هذه الكتب منظرا لتوجه جديد فى مسيرة قضايا الإسلام.



الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة إلى الدين

■ للأستاذ / عاطف مصطفى ■

انطلاقاً من حرصها على رسالتها ودورها المهم تواصل رابطة العالم الإسلامي ومقرها مكة المكرمة مؤتمراتها الناجحة والتي تهدف إلى التصدي لأولئك الذين يحاولون النيل من الإسلام ونبيه محمد ﷺ - عقدت الرابطة مؤتمراً دولياً في صنعاء عاصمة اليمن بعنوان: "الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة إلى الدين" في الفترة من ١٢ - ١٣ صفر ١٤٣٠ هـ الموافق ٧ - ٨ فبراير ٢٠٠٩ وشارك في المؤتمر علماء ومفكرون إسلاميون لبحث سبل تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام والرد على أولئك الذين يسيئون إلى النبي من حين إلى آخر بدعاوى حرية التعبير التي زادت على الحد كثيراً.

ويهدف هذا المؤتمر إلى التأصيل العلمي لمفهوم الإعلام وأهدافه ومهامه وبرامجه ووسائله التي تدعم قيم الحق والعدل والسلام في هذا العصر.

- إيجاد نظام إعلامي إسلامي قادر على الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية وخدمة المصالح العقدية والاجتماعية والتربوية المشتركة للمسلمين إزاء التحديات المعاصرة.

- تحقيق المساندة الإعلامية المنظمة لجهود العلماء وبرامج المنظمات الإسلامية في توحيد الصف الإسلامي تجاه المشكلات والتحديات والحملات التي تواجه المجتمعات الإسلامية.

- إيجاد صيغ عملية للتعاون بين مؤسسات الإعلام ومؤسسات الدعوة في الدفاع عن الإسلام وتصحيح الصور المغلوطة التي يروجها أعداؤه عنه، ومواجهة حملاتهم الإعلامية المغرضة وعلاج آثارها في المجتمعات الإنسانية.

- تعزيز مجالات الحوار الحضاري بين الإعلاميين المسلمين، ومؤسسات الإعلام الدولي سعياً للتعاون المشترك في خدمة الحق والعدل والسلام والمصالح الإنسانية المشتركة.

- تسخير الإعلام الدولي لخدمة مهام الحوار في الحد من التوصل إلى صور مرعبة من التصادم والعداء والتعايش بين شعوب العالم.

- تحقيق التواصل مع مؤسسات التعليم والثقافة في الغرب لتعديل الصور النمطية المسيئة للإسلام في المناهج الدراسية وأوعية الثقافة الغربية.

■ **مواجهة ظالمة**

وفي الجلسة الافتتاحية أشار الدكتور علي محمد مجور رئيس الوزراء اليمني إلى أن مؤتمر الإعلام المعاصر يكتسب أهميته من موضوعه وتوقيته، فهو يحتفي بقضية كانت ومازالت إحدى أولويات الأمة الإسلامية في سياق تأكيد حضورها الفاعل والمؤثر في هذا العالم وباعتبارها حاملة لرسالة دينية وحضارية وإنسانية عظيمة ترتكز على مبادئ التوحيد والعدل والحق والمساواة بين الأمم والشعوب كما صاغتها الإرادة الإلهية من عليائها لا تصنع فيها ولا تكلف، ولا مجال للشطط في التعبير عنها وتجسيدها أو تفسيرها على نحو ما تقضي به النزاعات والأهواء.

وبين د. علي مجور حاجة الدول الإسلامية إلى تطوير إمكاناتها وتوظيفها وفق نهج مؤسسي، يقوم على توظيف قدرات ومهارات الأفراد، ويبني مناعتهم، ويحد نقص الأفكار والمبادرات مؤكداً أن الخطوة الإعلامية حينما تعزز بروح المبادرة فإنها تكون قد امتلكت ناصية الحرية المسئولة التي ينبغي أن يتحلى بها أداء الإعلامي، وهو يتجه برسالته إلى الآخر مجلياً الصورة الحقيقية للإسلام بالحجة والبرهان الواضحين.

كما بين أنه ليس هناك أولوية ينبغي أن تحكم أداء منظومتنا الإعلامية من التلازم الإيجابي والخلاق بين أصحاب الفكر المستنير من علماء الأمة وبين الإعلام والذي سيضمن فعالية الرسالة التي سيحكمها إعلامنا إلى الآخر، ويضمن تأثيرها ونجاحاتها وقدرتها على تغيير ما علق لديه من قناعات ومفاهيم مغلوطة عن الإسلام والمسلمين.

وفي نهاية كلمته أعرب رئيس الوزراء اليمني عن أمله في الجهود الكبيرة التي يجب أن يقوم بها العلماء والمؤسسات الإعلامية، لإنهاء هذا التقاطع الحاد بين الإرهاب والمسلمين، والعمل الجاد لتأسيس فهم جديد لظاهرة الإرهاب، باعتبارها ظاهرة عابرة للحدود وللأديان والثقافات، كما تبرهن على ذلك الأحداث التي شهدتها الإنسانية عبر تاريخها.

■ **اهتمام عالمي بالإسلام**

وفي كلمته في افتتاح أعمال المؤتمر قال الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: إن الموضوع الذي تم اختياره لهذا المؤتمر «الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة للدين»، من الموضوعات التي تعتبرها الرابطة في الدرجة الأولى من الترتيب للقضايا الإسلامية، وذات أهمية خاصة في الرصد والمتابعة، وفيما تضع من خطط وبرامج وما تقوم به من الأنشطة انطلاقاً من أن الدين أعز ما تملكه الأمة، وتتميز به عن غيرها فهو قلبها النابض ومصدر عزتها وكرامتها، وطريقها الوحيد إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فأي مساس به لابد أن يحرك غيرتها ونخوتها.

وأشار د. التركي إلى أن الحديث عن الإسلام والحياة الإسلامية بشكل أو بآخر، أصبح من أبرز

الاهتمامات الفكرية والإعلامية والسياسية المعاصرة في العالم العربي، وانعكس بتفاعلاته وأصدائه في العالم الإسلامي في صورة من الخلفية والحوار الفكري غير المباشر.

وهذا الاهتمام المتزايد له أسباب عديدة، من أهمها افتراض الإسلام خصما جديدا للغرب بعد سقوط المعسكر الشيوعي، وهو افتراض تسانده أطروحات الصراع الحضاري، ومنها قضايا العنف والإرهاب التي طفت بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وتكاثر الجاليات المسلمة في البلاد الغربية، وما تواجهه من مشكلات في التوفيق بين الاندماج والمحافظة على الهوية الإسلامية، ومنها تزايد الانفتاح الثقافي العالمي، بسبب تطور تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال والإعلام.

■ عجز الخطاب الإعلامي

وقال معالي القاضي حمود بن عبدالحميد الهتار وزير الأوقاف والإرشاد اليمني: بعد إقرار الشرعية الدولية لحقوق الإنسان المتمثلة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين الخاصين بالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، واتساع دائرة الإعلام لتشمل كل جوانب الحياة في عصر ثورة المعلومات والفضاءات المفتوحة، ظهرت بعض المقالات والكتب والرسوم والأفلام المسيئة للأنبياء والكتب السماوية عموما، ولمحمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، وللقرآن خصوصا، برزت تيارات فكرية دينية متطرفة إسلامية ومسيحية ويهودية، وظهر عجز الخطاب الإعلامي عن التعريف بالإسلام والمسلمين والدفاع عن مقدساتهم ومعالجة قضاياهم، وتحقيق الأهداف الإنسانية المشتركة في هذا العصر.

من هذا المنطلق بدت الحاجة ملحة لعقد مؤتمر «الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة للدين» والذي احتضنته صنعاء عاصمة اليمن وحضره كوكبة من علماء الدين والمتخصصين في الإعلام.

■ تأثير الإعلام على القيم الأخلاقية

وفي الجلسة الأولى للمؤتمر برئاسة الدكتور عبد... التركي ناقشت المحور الأول من محاور المؤتمر بعنوان «دوافع الإساءة إلى الإسلام والمسلمين وأسبابها»، استعرض الدكتور عبدالله بن سعيد الغامدي الأستاذ بجامعة أم القرى والدكتور حسين عبدالله العمري الأستاذ بكلية الآداب جامعة صنعاء ورقتي عمل حول الحروب الصليبية وأثرها التاريخي في تشويه صورة الإسلام.

وقد أوضحت الورقتان أن مظاهر الإساءة للدين الإسلامي تعود في أحد جوانبها التاريخية لتأثيرات الدعاية التي أطلقها فرسان الحروب الصليبية لتبرير تلك الحرب على المشرق العربي والإسلامي، ومحاولة إلصاق بعض التهم بالإسلام، وإقناع الرأي العام في المجتمعات الأوروبية بدعم تلك الحروب ونوهت إلى أن بعض الفرق الصليبية بعد خروجها من المشرق العربي والإسلامي وعودتها لأوروبا، حيث تعرض كثير من أفرادها للملاحقات هناك، ظلت تحتفظ بعدائها للإسلام والمسلمين، وتحمل معها ثقافة الكراهية والكيد ومنها فرقة التيوتون.

وفي نفس الجلسة استعرض الدكتور سعد إسماعيل الصيني المستشار السابق في رابطة العالم الإسلامي والدكتور سعيد حارب المهيري مستشار جامعة الإمارات العربية المتحدة ورقتي عمل حول الانحلال والإلحاد وعلاقتهما بنشوء حرية تعبير غير الملتزم.

وتناول الصيني والمهيري تأثير الإعلام على القيم الأخلاقية من حيث محتوى وبرامج وسائل الإعلام المختلفة بوظائفها المتعددة، وما تخلفه من تأثيرات سلبية أو إيجابية على سلوك الأفراد والتي تزداد في ظل الفضاءات الإعلامية المفتوحة وتراجع وضعف القنوات الرسمية.

■ أطماع الغرب في العالم الإسلامي

وفي الموضوع الثالث من المحور الأول حول الأطماع السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي وأثرها في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين. تحدث نائب رئيس جامعة صنعاء الدكتور أحمد محمد بكسي والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية الدكتور جعفر عبدالسلام عن مداخل الأطماع السياسية المختلفة في العالم الإسلامي وتأسيسها للإساءة إلى الإسلام تحت شعارات وأيديولوجيات مختلفة. وإظهار العداء للمعارضين للمصالح الغربية في العالم الإسلامي.

ولفتا إلى محاولة الغرب تحقيق أطماعه في العالم الإسلامي من خلال المداخل الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية.

وفي هذه الجلسة المهمة طرحت العديد من المداخلات حول استراتيجية مواجهة الإساءة للإسلام والمسلمين، وبناء خطاب إسلامي ناجح وقادر على مخاطبة الآخر، ومواجهة حملات التشهير والإساءة للإسلام والعمل على تعزيز الثقافة والهوية الإسلامية من خلال إجادة صناعة الرسالة الإعلامية الهادفة وتطوير مضمون هذه الرسالة.

وقد أكدت المداخلات على أهمية وجود إعلام يحمل الشخصية الإسلامية النقية، المعبرة عن سماحة الإسلام ووسطيته ومبادئه السامية، وكذا ضرورة التحرر من مظاهر التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية.

وفي الجلسة الثانية والتي عقدت بالقاعة الكبرى بفندق موفنبيك صنعاء صباح الأحد ١٣ صفر ١٤٣٠ هـ الموافق ٨ فبراير ٢٠٠٩ م، تمت مناقشة المحور الثاني للمؤتمر بعنوان (أزمة الوعي بالدين والأخلاق في الإعلام المعاصر) وترأس هذه الجلسة الدكتور عبدالعزيز المقالح مستشار رئيس الجمهورية اليمني.

■ تحديد مضامين الخطاب الاعلامي وأساليبه

وفي نهاية المؤتمر صدر البيان الختامي والذي دعا رابطة العالم الإسلامي ووزارة الأوقاف والإرشاد في الجمهورية اليمنية إلى تكوين لجنة مشتركة، تضم رجال الفقه والثقافة والإعلام لوضع برنامج عمل بمعالجة الإساءات إلى الإسلام وتبريراتها، في إطار البحث العميق في الجذور والأسباب الحقيقية الكامنة وراء الحملة العدائية على الإسلام، التي تخطت حدود المواثيق والأعراف الدولية.

وحث البيان المشاركين على التواصل والتعاون مع المؤسسات الإعلامية والثقافية التي تهتم بشكل موضوعي بالإسلام، بدافع التعرف على حقيقته وحضارته، وتأثيره في ثقافة الشعوب المسلمة، ومدرسة النخب العسكرية والسياسية الغربية التي تدافع عن خيار التعامل مع العالم الإسلامي، من

منطلق الاعتراف بكونه رصيدا حضاريا أصيلا بما يزخر به من إمكانيات قادرة على الإسهام فى حل المشكلات الإنسانية المعاصرة.

كما حثهم على تنظيم المزيد من مؤتمرات الحوار ومنتدياته مع توسيع مشاركة وسائل الإعلام الإسلامى فى هذا المجال، لتقوم بدورها الواعى فى التعريف بالإسلام والرد على الإساءات وتصحيح الصور النمطية السلبية عن مبادئه وشريعته الغراء.

وطالب البيان المنظمات والمؤسسات الإعلامية بتنسيق مواقفها والارتقاء بخطابها الإعلامى إلى مستوى المهمة المناطة بها، وإعادة النظر فى طريقة عملها تجنبا لنقاط الضعف والابتعاد عما يؤدى إلى التفرق والالتفاف حول منظومة الأفكار الإسلامية بدل مجموعة الأفراد المتحزبة.

كما طالب المؤتمر الإعلاميين المسلمين بتفويت الفرص على المسيئين للإسلام وعدم الانجرار إلى مزالق الإعلام المعادى للإسلام الساعى لإثارة الكراهية وأنواع الصراع الحضارى والثقافى والدينى وأن يحرصوا على إبراز المنهج الإسلامى فى مجالات الحريات وحقوق الإنسان والعدالة والمساواة والتعريف بالجانب الاجتماعى فى الإسلام وبيان محاسنه، فيما يتعلق بشئون المرأة والزواج والأمومة والطفولة، وبيان عظمة شخصية الرسول ﷺ، وبيان مواقفه التى تكشف المعانى الإنسانية والتربوية العظيمة.

ودعا البيان الإعلاميين المسلمين إلى توضيح موقف الإسلام والمسلمين من المتغيرات السياسية والاقتصادية والتعايش السلمى بين الأمم، وإقامة دورات تأهيلية لإعلاميين متخصصين لمعالجة الإساءات الموجهة للإسلام والمسلمين، بحيث يتحقق فيهم التمكن الجيد من العلم الشرعى وخاصة القرآن والسنة وما كان عليه سلف الأمة الصالح والمعرفة الجيدة بالواقع عموما، وواقع الثقافات والمجتمعات الغربية، والمعرفة العامة بالشبهات المثارة ضد الإسلام بين الغربيين والردود التفصيلية عليها، والمتابعة الدائمة لاتجاهات الرأى العام ووسائل الإعلام تجاه القضايا والموضوعات الإسلامية، وتأصيل فكرة حرية التعبير وفق الضوابط الخلقية والقوانين الدولية التى تمنع الإساءة للأديان. كما أوصى بيان صنعاء بتشكيل الهيئة العليا للإعلام الإسلامى لتنفيذ ما وضعه من خطط فى مجال توظيف وسائل الاتصال الحديثة فى خدمة الأهداف الإسلامية، والتنسيق بين وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى، والتوسع فى الاستفادة من شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت».

وطالب بيان صنعاء بتكوين خلية إعلامية عليا يشارك فيها علماء وإعلاميون للنظر فى السبل التنفيذية والوسائل العملية التى تضمن تحقيق أهداف العمل المشترك بين مؤسسات الإعلام والمنظمات الإسلامية والعلماء والدعاة، مع التوسع فى الحوار بين الهيئات الإسلامية وعلماء الاجتماع والإعلاميين المسلمين.

وقد طرح المشاركون فى «مؤتمر الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة إلى الدين» فكرة إقامة منتدى فكرى على مستوى بشراكة رابطة العالم الإسلامى وتنظيمها، يكون الهدف منه رصد كل ما يسيء إلى الإسلام فى الإعلام المعادى، وفتح قنوات حوار مع العلماء والخبراء والأكاديميين غير المسلمين، لتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام فى المجتمعات المختلفة، والعمل على إزالة كافة مظاهر سوء الفهم

الإعلام الإسلامى

[illegible]

والإعلام الغربى

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم عويس
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

خلال عدة قرون لم تكن الرسالة الإعلامية [illegible] كانت تحمل دائما هدفا [illegible] العقائد [illegible] وتحدد الدول التى تستعمرها أو تسعى لاستعمارها [illegible] الاتجاه التحريرى المعتدل هو [illegible] قد الدين [illegible] الإسلام [illegible] لقيمه الباطلة، مما أوجد [illegible] الإعلامية المسموعة والمرئية [illegible] والانحلال [illegible] الإسلام الصحيح [illegible] من قيم ومبادئ؟

كما عملت الوسائل الإعلامية الأوروبية على تحصير العالم وتصبيغه بالأفكار السامة، وبدت الأمة المسلمة تعيش حالة ضياع يقترب من حالة كثير من مجتمعاتهم الأوروبية وصدق الله العظيم إذ يقول:

[illegible]

[illegible] النساء: ٤٤.

أما الاتجاه التعصبي الثقافى الموجه، فقد تصدرته الكنيسة والجمعيات الدينية الغربية فى محاولة لتنصير أبناء المسلمين، وقد زاد الطين بلة تعاون الكنيسة مع حركات التغريب فظهرت العديد من المطبوعات من صحف ومجلات ونشرات، ثم استحدثت الإذاعة على المستوى القومى والشعبى، حيث استغلت بعض الهيئات الغربية الضرب بمحطات خاصة كما حدث فى البرتغال وبطاليا وهولندا وإندونيسيا وفى العالم العربى الآن.

كما صاحب عدة موجة من الإعلام الموجه حملة من شبهات استهدفت الإسلام والمسلمين حتى

حملات مباشرة، فظهرت كتابات تطعن في عقائد المسلمين وتتناول الأنبياء والرسل بالشكوك في رسالتهم وسيرتهم.

وفي مواجهة وسائل الإعلام العالمي الحديثة وآثارها الكثيرة، وفي طليعتها الإعلام الغربي المتأثر بالمادية والباحث عن اللذة والرفاهية والانحلال، والمنطلق من نزعة عنصرية قومية استعلائية مركزية في مواجهة هذا الإعلام الغربي يأتي الإعلام الإسلامي بديلا مختلفا في منطلقاته، معبرا عن الإسلام وقيمه وعقيدته ومبادئه الإنسانية العامة، والتي تتمثل في بعض الأسس الأصيلة التي تبرز تمايز أسس الرسالة الإعلامية في المجتمع المسلم عن الأسس الموجودة في المجتمعات الأخرى.

ومن هذه المنطلقات الإعلامية الإسلامية التي تشكل أسس المواجهة ووضع المفاهيم البديلة:

- منطلق العقيدة التي تقوم على فطرة الإنسانية، لأن هدفها أخروي ودنيوي معا ولا تخضع إلا لله.
- ومنطلق العلم الذي هو طريق المعرفة الحقة. فالرسالة الإعلامية الإسلامية تؤتي ثمارها بقدر ما يتوافر لها من زاد علمي صحيح.
- ومنطلق الأخلاق التي هي سمت الإنسانية الفاضلة ودستور التعامل بين البشر، إذ إن الإعلام الإسلامي يصدر عن نفسية تؤمن بالصدق والأمانة والطهارة.
- ومنطلق الإنسانية بما تحمله من معاني الرحمة والتكافل والأخوة بين البشر، فهذا المنطلق الإنساني يجعل الإعلام الإسلامي أقدر من غيره على التأثير والتجاوب.
- ومنطلق الجمال شكلا ومضمونا.. فقد دعا الإسلام إلى جمال الملبس والمسكن والتعامل الإنساني.
- ومنطلق المصلحة العامة للأمة والحرص على أمن المجتمع واستقراره بعيدا عن الشائعات المغرضة ووسائل التحريض على الهدم ضد فئات المجتمع وقادته.

والمهم أن تتوافر الإرادة القادرة على استفادة الدعوة الإسلامية من جميع المخترعات الحديثة في المجالات والنظم كافة، حيث إن الأصل هو ابتغاء وضع [illegible] سمحة الإسلام في مجالات معاصرة ضرورية لرقي الأمة المسلمة وعزتها.

والإسلام لا يقف حائلا دون الاستفادة من هذه التقنيات لتكون في خدمة الدعوة الإسلامية، شريطة عدم نقل الأفكار والاتجاهات الغريبة، فالوسائل خيرة محايدة تنقل ما يطلب منها، كما أن استخدام الوسائل الحديثة لا يعني إهمال الوسائل التي جاءت في الهدي القرآني والسنة المطهرة، والتي عرفها تاريخنا وتراثنا، وكان لها فضل كبير في مجال الدعوة الإسلامية وبناء قيم الأمة وحمايتها، بل إن وسائل التقنية الحديثة يمكنها مساعدة الوسائل الإسلامية الأصيلة عن طريق استخدام التسجيلات ومكبرات الصوت - مثلا - في المساجد، واستعمال الأقمار الصناعية في موسم الحج وغير ذلك.

ومهما تكن الدوافع الموجبة لاستيعاب التقنية الحديثة فإن التكامل بين الوسائل الحديثة ووسائلنا الأصيلة ضروري، فالمقرئون، والخطباء، والوعاظ، والمؤذنون، والأئمة، والمنشدون، والمؤتمرون، وطلاب المدارس والجامعات والمعاهد، والتجار، والعلماء، والخبراء والمدرسون، والمؤلفون، والمذيعون، والصحفيون.. كلهم يعتبرون إعلاميين.

[illegible] عن دور الأب ومسئوليته المباشرة عن أسرته والاتصالات الفردية واللقاء الشخصي، [illegible] في [illegible] [illegible]. [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

علمية الإعلام الإسلامي ورسالته الأخلاقية

لا يحتاج [illegible] الإعلامي [illegible] وهو يضع أمامه الإسلامية الإعلامية [illegible] الإعلام [illegible] [illegible] وهذه مكانته [illegible] الإعلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والدعوة فيها تعني [illegible] من [illegible] في مكة يستنكرون أن يكون [illegible] محمد ﷺ رسولا فكيف أن يكون رسولا [illegible].

ولا شك أن علمية الإعلام تتطلب جهودا كبيرة وأدوات أساسية.

فلتحقيق علمية الإعلام يجب تعلم لغات العالم، بحيث يكون هناك متخصصون في كل لغة، وكذلك يلزم لعلمية الإعلام نشر اللغة العربية، فهي عامة عمود الإسلام وحاملة محتوى القرآن.

كما أن علميته تتطلب من الإعلامي الإلمام بعلوم كثيرة وفنون عصرية مستحدثة، مثل علوم الاجتماع والجغرافية البشرية، والاتصال والتربية.. إلخ ذلك أن البيئة ونفسيات الشعوب وطباعهم وعاداتهم تختلف من قطر لقطر بل من بلد إلى بلد.

كما أن من متطلبات العلمية في الإعلام الإسلامي الالتزام بالخلق الإسلامي وتجنب الكذب.

ولئن كنا قد ألمحنا بإيجاز شديد إلى الأخلاقيات التي يجب أن يلتزم بها الإعلام الإسلامي، فإننا نؤكد هنا بشيء من التفصيل على أهم أخلاقيات هذا الإعلام باعتباره الكلمة الطيبة التي تشبه الشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وعلى رأس هذه الأخلاقيات:

١- الالتزام بالحق، وهو عكس الباطل قال تعالى:

﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ (الأنفال: ٨)

وقال تعالى:

﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ (يونس: ٣٢)

- والحق لا يقبل التجزئة فلا يختار الإعلام نصف الحق، ولا يختار من الحقيقة ما يلائمه ويدع ما يجور تصرفه. وأيضا يجب ألا يسارع الإعلام إلى نشر المعلومات المبنية على الظن، لأن ذلك ينشر الخداع، ويحجب الحق، بل يفقد الإعلام مصداقيته.

٢- والصدق قرين الحق، وهو النقل الواقعي للأحداث دون تهويل أو تهوين أو تحريف، والصدق أساس من أسس الإعلام الإسلامي، فيجب أن يتحرى فيه الصدق، ولو في مجال الترفيه أو الإعلانات والدعاية. قال النبي ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ويل له».

- والصدق في الإعلام يشمل «صدق الخبر» أي الالتزام بالحقيقة المجردة بغير زيادة ولا نقصان.

وصدق الصياغة: وهو يقتضي تطابق المضمون الحقيقي مع أسلوب الصياغة وصدق القصد، وهو يتضح في قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

والقول السديد هو القول الذي يتحقق فيه جانبا الصدق والخير معا.

وصدق الحكم: بمعنى أن يكون الإعلام متجردا نزيها في حكمه على الأمور وتقديره لها.

والصدق بكل أشكاله وفي كل حالاته أساس من

أسس الإعلام الإسلامي.

٣- العدل والإنصاف: وهما من أخلاقيات الإعلام الإسلامي الأساسية، فيجب أن يكون عادلا في أحكامه منصفا في عداوته يعطي كل ذي حق حقه، فلا يحمله الانتماء إلى غمط الناس حقهم أو يحمله العناد إلى إنكار الحق أو إخفاء جوانب الخير في الأعداء أو المنافسين، أو يعمد إلى تغيير المعلومات أو تحريفها لتتناسب مع الهوى في النيل من الآخرين، أو انتقاص قدرهم أو تحميل الأمور ما لا تحتمل، قال تعالى:

(النساء: ١٣٥)

ومن العدل والإنصاف أيضا البعد عن المبالغة مثل المدح المذموم الذي يخلع على الحكام أو القادة أو ذوي النفوذ، فتغدق عليهم الألقاب العظيمة والصفات الكاملة، ويرفعون فوق مستوى غيرهم من البشر:

(ق: ١٨)

وقد كان النبي ﷺ يكره الإطراء والمديح، ويقول في المداحين: «احثوا في وجوههم التراب».

٤- الموضوعية: فالموضوعية أساس من أسس الإعلام الإسلامي أيضا، وهي تعني صدق تصوير الواقع وبيان مختلف الأوجه على حقيقتها ودقة استخدام الألفاظ حتى لا توهم السامع -أو القارئ- بغير الحق.

والموضوعية انحياز للحق وحياد في النقل، وأمانة في العرض، وتوثيق للمعلومة توثيقا مبنيا على الحقائق والشواهد الثابتة، وعدم الدخول في العموميات لحشد العواطف والتأثير النفسي لإخفاء جوانب من الموضوع، أو عرضه بشكل مشوه أو مغرض، أو على العكس بشكل جذاب يضلل الناس ويخدعهم.

٥- الواقعية المنهجية: عن طريق اتساق المنهج الإعلامي الإسلامي مع الإسلام كله، بحيث يلتزم بالدعوة إلى الحق والعدل والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكمة في البلاغ.

٦- الشمولية: فالإعلام المرتبط بالإسلام يمثل الإسلام الوسطي الشامل الذي يعالج كل جوانب الحياة ومشكلاتها.

٧- الثبات ويكون في الأسس والمبادئ والمرونة وتكون في مواكبة التطور والمستحدثات الجديدة التي لا تخرج عن الثوابت.

وأخيرا.. ومن خلال هذا العرض الذي قدمنا فيه كثيرا مما يتصل بالإعلام العام والإعلام الإسلامي، يتأكد لنا مدى الاتفاق بين الإعلاميين فيما يتصل بالموضوعية والعلمية وأسس الإعلام ومفاهيمه.

- وستجد خصيصة المنهج الإسلامي - والإعلام الإسلامي - الكبرى، وهي خصيصة الوسطية تتماح وسط كل الحقائق، فهي ليست مجرد صفة أو ركيزة، بل هي روح عامة لا تقوم الحياة الصحيحة ولا الأسس والمفاهيم الصحيحة بدونها، وإلا وقع التفريط والإفراط واختلت موازين العدل والتعامل الإنساني وسادت الفوضى في عالمي الفكر والسلوك.

فالوسطية -أخيرا- هي الطريق الواضح الفطري المنقذ لحضارة الإنسان!

كيف تخرج أمتنا من المأزق الحضارى

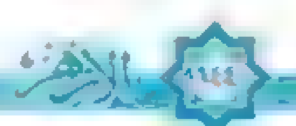


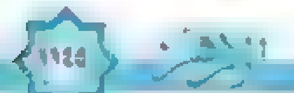
[illegible] سبيل الإعلاء الحضاري والخروج من الأزمة الكبرى التي [illegible] الأمة، هو العودة إلى المنهج الوسطي الذي حدده الإسلام [illegible] التعبير الذي حدده الإسلام.

[illegible] الوسطية في علاقة [illegible] [illegible] تجاوزها التطور وطواها الزمان.

وهي وسطية تعني رفض غلو الحداثة الغربية، التي تعني قطيعة معرفية مع كل الموروث.. وأيضا رفض غلو الجمود والتقليد، الذي يجعل كل الموروث ثوابت، يضفي عليها قداسة العلوم من الدين بالضرورة

والوسطية في علاقة «ذاتنا» الحضارية والثقافية «بالآخر» الحضاري والثقافي، تعني التميز في الفكر بين علوم المادة، التي تمثل حقائقها وقوانينها مشتركا إنسانيا عاما لكل البشرية، يجب أن نسعى إلى ضمها- وبين علوم العقائد والفلسفات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والآداب والفنون والقيم والأخلاق.. فهي هذه المنظومات الثقافية تمثل الخصوصيات التي تتمايز فيها وبها الأمم والحضارات، فلا الانغلاق مفيد- بل





ولا هو ممكن ... ولا التبعية والتقليد لكل النموذج الوافد مفيدان.. بل إن كليهما - الانغلاق والتبعية - إنما يمثلان التقليد الذي يقتل روح الإبداع.. فالانغلاق على تقليد الماضي يستهلك الذات، والتبعية بالتقليد للآخر تفقد الذات خصوصيتها وتميزها، وتحرمها من ضرورات وحوافز الخلق والتجديد والإبداع.. فكل منهما عدو للنهوض الحضاري.

والوسطية في العلاقة بين «العقل» وبين «النقل» تخرج الأمة من المعركة الوهمية التي تشل قدراتها.. فالعقل - في ديننا وحضارتنا - لا يقابله النقل، وإنما يقابله الجنون.. والعقل هو سبيلنا لفقه النقل، لكنه - ككل ملكات الإنسان - نسبي العلم والإدراك، فلابد له من النقل ليعلم به ما لا يستقل بإدراكه من نبأ السماء وعلم الله - سبحانه - الشامل والكلي والمحيط.

فنحن يجب أن نقرأ النقل بالعقل، ونحكم العقل بالنقل وهذه الوسطية تخرجنا من غلو النصوصية الحرفية التي تتنكر لعقلانيتنا المؤمنة.. ومن غلو العقلانية الغربية اللادينية التي تزعم تأليه العقل، فترفع شعار: «لا سلطان على العقل إلا للعقل».

والوسطية في العلاقة بين «الجوامع» الموحدة لأمتنا.. وبين «التنوع» في إطار هذه «الجوامع» هي المنهاج الذي يحقق وحدتنا في «العقيدة.. والشريعة.. والأمة.. والحضارة.. ودار الإسلام.. مع التنوع والاختلاف والتعددية في إطار كل جامع من هذه الجوامع الخمسة.. فمذاهب الفقه - علم الفروع - تتنوع في إطار جامع الشريعة الإلهية الواحدة..

والشعوب والقبائل والقوميات الإسلامية تتنوع في إطار وحدة الأمة.. والعادات والأعراف تتمايز في إطار وحدة الحضارة الإسلامية.. والأقطار والأقاليم تتمايز وتتعدد في إطار وحدة دار الإسلام.. وهذه الوسطية تخرجنا من غلو المركزية القاتلة للتنوع.. ومن غلو الخلاف والتشرذم المنافي لعوامل الوحدة.

وإذا كان جماع رسالة الإسلام هو الإحياء الذي يحرر طاقات وملكات الإنسان، عندما يضع عن كاهله الأغلال

[illegible]

(الأنفال: ٢٤)

[illegible]

(الأعراف: ١٥٧)

إذا كان «الإحياء» هو أكثر المصطلحات تعبيراً عن معنى الإسلام في الإنسان الذي يتدين التدين الصحيح والصحي بهذا الدين، فإن نقطة البداية لهذا الإحياء هي تحيا نفس ... وقلب وعقل وروح هذا الإنسان ... فكل مناهج التغيير ومشاريع النهضة التي تقفز على تغيير النفس وتربية الضمير، وإعادة صياغة الإنسان بالإسلام، هي حرث في البحر، لا يتجاوز أثرها النخبة التي تبشر بها،

إنعاء القول لها عند الإنسان، الذي هو المقصد الأول والأعظم لهذا التغيير.. وصدق الله العظيم:

﴿ [illegible] ﴾

(الرعد: ١١)

وحراً.. فإذا كانت «اليقظة» لا يمكن أن يجامع الإحباط، لأنه:

﴿ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

(يوسف: ٨٧)

فإن هذه «المحنة الحضارية» التي تأخذ بخناق أمتنا على مرارتها - لا يجب ولا يمكن أن تبعث اليأس من التجديد والنهوض والإصلاح

فنحن أبناء حضارة ارتبطت بالإسلام الدين، بل لقد حدثت هذه الحضارة - كإبداع بشري - ثمرة لهذا الدين - الذي هو وضع إلهي - ومن هنا، فلقد ارتبط «النسبي» بـ«المطلق» في هذه الحضارة الإسلامية، على النحو الذي حدث في ارتباط لغتنا العربية - وهي وضع بشري - بالبلاغ القرآني - الذي هو وحي إلهي - فاكتسبت حضارتنا ولغتنا الخلود، بسبب الارتباط بالدين - الذي تعهد الخالق - سبحانه - بحفظه من الزوال ومن التحريف

فحضارتنا الإسلامية - كلغتنا العربية - تمرض وتتراجع.. لكنها لا تموت، لأنها ضرورة من ضرورات الدين الخالد والشريعة الخاتمة، اصطبغ فيها «النسبي» بالخالد، على النحو الذي ميزها عن غيرها من

الحضارات.. فهي تعرف دورات الازدهار والتراجع ثم الازدهار مرة أخرى.. وحقب التقدم والتخلف ثم التقدم من جديد. وصدق رسول الله ﷺ عندما يعلمنا هذه السنة من سنن مسيرتنا الحضارية، فيقول، عن حال العدل والجور في تاريخ الإسلام: «لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره. ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره» - رواه الإمام أحمد.

فالعدل قادم.. والنهوض آت لا ريب فيه.. يؤكد ذلك ويزكيه - أيضاً - إفلاس وتراجع صيغ وأيديولوجيات وفلسفات النهوض والتقدم غير الإسلامية، التي وإن حققت - أحياناً - قوة «الفرعونية» ووفرة «القارونية»، فلقد عجزت عن تحقيق التوازن، الذي هو سر سعادة الإنسان.. لكن.. فرق بين الإيمان بعودة أمتنا إلى النهوض.. بل وإلى إمامة الدنيا - وبين اعتبار ذلك «حتمية» من «الحتميات».. فلقد غدت الحتميات - حتى عند الذين قالوا بها - حديث خرافة من الخرافات.. فنهوض أمتنا سنة من السنن.. لكن إعمال هذه السنن رهن بإقامتنا لأسبابها ومقدماتها.. فالقوانين - حتى ولو كانت وضعاً إلهياً - لا تعمل وحدها.. وإنما لابد لها من إرادة إنسانية، وفعل خلاق يضعها في الممارسة والتطبيق.




خطاب الرئيس الأمريكى بين الصحف العالمية

رصدت جريدة الشروق تحليلات الصحف الغربية لخطاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما

ومن ذلك ما أوردته صحيفة واشنطن بوست الأمريكية أن خطاب أوباما خلا من ذكر مصطلحات مثل «إرهابيين» أو «إرهاب» مستبدلا ذلك بمصطلح «المتطرفين» الذين يتبنون العنف كما كانت هناك فكرة أن المستوطنات الإسرائيلية غير شرعية وأن الفلسطينيين «عانوا من أجل إقامة وطن لهم».

كما كان هناك استدلال بآيات من القرآن الكريم وبعض من المصطلحات الإسلامية وفي معرض مناقشته للصراع العربي الإسرائيلي كان أوباما واضحا في التعبير عن دعمه لإسرائيل كما كان تعاطفه مع معاناة الفلسطينيين جليا. وفي عاصمة عربية تحدث عن أن الروابط بين إسرائيل والولايات المتحدة لا يمكن كسرها وأدان معاداة السامية وإنكار الهولوكوست.

كما أشارت الصحيفة إلى ما وصفته بالتوازن في تطرقه للإسرائيليين والفلسطينيين حين قال «إن لكل منهما طموحاته المشروعة ولكن ماضيهما تاريخ مؤلم يجعل من الصعب الوصول إلى حل» وعلى النقيض مما قاله وصفه «طموح فلسطيني مشروع» لكن الرئيس ... حدا للاستيطان اليهودي في الضفة الغربية ... قائلا «إن الولايات المتحدة لا تقبل شرعية المستوطنات الإسرائيلية المستمرة».

كما ذكرت الصحيفة أن ... الأمريكي ... بشكل مباشر ...

بعد دعوته لإيران بالتخلي عن طموحها النووي ... من نشر الأسلحة النووية التي قد توقع عليها إسرائيل. وذلك حين قال «إنني مدرك أن البعض يعترض على حيازة بعض الدول لأسلحة لا توجد لدى دول أخرى ولا ينبغي على أي دولة أن تختار الدول التي تملك أسلحة نووية وهذا هو سبب قيامي بالتأكيد مجددا وبشدة على التزام أمريكا بالسعي من أجل عدم امتلاك أي من الدول للأسلحة النووية وينبغي على أي دولة بما في ذلك إيران أن يكون لها حق الوصول إلى الطاقة النووية السلمية إذا امتثلت لمسئولياتها بموجب معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية وهذا الالتزام هو التزام جوهري في المعاهدة ويجب الحفاظ عليه من أجل جميع الملتزمين به».

■ أما الصحافة الإسرائيلية فقد كانت لها كلمتها في رؤيتها للأحداث وذلك ما أوردته صحيفة هآرتس بقولها «لو وفى الرئيس الأمريكي باراك أوباما ببعض ما قطعه على نفسه من عهود في خطابه فيوم بجامعة القاهرة في الرابع من يونيو ٢٠٠٩م سيذكر في تاريخ العالم كآخر أيام حقبة مستمرة».

هكذا قرأت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية في افتتاحيتها خطاب أوباما، محذرة أن تحقيق هذه الوعود سيحقق وضعا جديدا.

فيما دعت صحيفة «جيروزاليم بوست» إلى أن الدول والجماعات ستستغرق أياما وربما أسابيع أو شهورا لقراءة ٥٨٠٤ كلمات التي تألف منها خطاب أوباما. وترصد الصحيفة الإسرائيلية ما تعتبره أمورا جيدة وسيئة في خطاب القاهرة بالنسبة للإسرائيليين. الجيد: تشديد أوباما في قلب العالم العربي على أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن زعزعتها وأنها مبنية على روابط ثقافية وتاريخية، حديثه في القاهرة عن معاداة السامية والهولوكوست.

السيئ: استخدام أوباما عبارة «على الجانب الآخر» ليتنقل من الحديث عن معاناة اليهود والهولوكوست إلى معاناة الفلسطينيين، استخدامه عبارة «مقاومة من خلال العنف» للتعبير عما يقوم به الفلسطينيون من أعمال إرهابية.

■ ووصفت التغطية الصحفية البريطانية بكونها إيجابية تجاه الخطاب على الرغم من مطالبة البعض بأن يتبع الرئيس أوباما قوله بالفعل.

كانت أبرز التعليقات على الخطاب مقال روبرت فيسك الكاتب المختص في الشئون الدولية والمنشور في صحيفة «إندبندنت» البريطانية حيث شبه مقاله واصفا الرئيس الأمريكي بأنه يمكن أن يكون واعظا أو مؤرخا أو اقتصاديا، حيث يمكن أن ننسى في بعض الأحيان أن باراك أوباما هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

لكنه تساءل بعدها «هل يمكن أن تشفي كلماته جراحا خلفتها قرون من الصراع بين الإسلام والمسيحية؟» أو هل تحمل ترجيحا للصراع العربي - الإسرائيلي بعد ٦٠ عاما مطالبا الرئيس الأمريكي بأن يقدم للشرق الأوسط عدالة لا مجرد كلمات.

أما جوناثان فريدلاند الكاتب السياسي في صحيفة الجارديان البريطانية فقد اعتبر الخطاب أقوى خطاب يمكن أن يلقيه رئيس أمريكي.

وكتب فريدلاند أن الخطاب حاول أن يرأب الصدع المستمر لعقود وربما لقرون بين العالم الإسلامي والغرب.

ومن ناحيتها نشرت صحيفة التايمز البريطانية تحقيقا تحت عنوان «الخطاب الذي أغضب المستوطنين» مشيرة إلى دعوة

الرئيس الأمريكي لإسرائيل بوقف الاستيطان ودعمه القوي لحل الدولتين، ونشوء دولة فلسطينية، الأمر الذي من الممكن أن يؤثر سلبا على الاستيطان في الضفة الغربية.

■ طي صفحة صدام الحضارات ■

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمد نور الدين في جريدة الخليج الصادرة في ٧/٦/٢٠٠٩ يقول:

يثير خطاب أوباما في جامعة القاهرة العديد من التعليقات ويفتح صفحات واسعة من الحوار لكن الخلاصة الأساسية الأهم في تقديري أنه يطوي تماما صفحة «صدام الحضارات» التي شكلت العنوان الخفي الحقيقي لمرحلة «الحرب على الإرهاب» التي استمرت خلال حقبة المحافظين الجدد والرئيس بوش، وتحديدا منذ أحداث الحادي عشر من أيلول «سبتمبر».

هذا لا يعني بالضرورة أن الأزمة السياسية بين الولايات المتحدة والعالم العربي والإسلامي ستنتهي اليوم أو أن [illegible] للصراع ستتلاشى. لكنه في المقابل يمنح عناوين أخرى للصراع تستعيد المقاربة الواقعية السياسية على مجال المصالح الاستراتيجية والأمن بدلا من [illegible] المذاهب الدينية والثقافية والحضارية الصورة الواضحة لدى القاعدة والمحافظين الجدد لدى الإدارة الأمريكية السابقة.

ولعل الإشارة الأبرز في هذا السياق تمثلت في تأكيد أوباما على «المشترك الإنساني» [illegible] «الاختلاف الديني» والحضاري بين المسلمين والغرب وهي الصورة التي عممتها الولايات المتحدة الأمريكية. وهو وإن كان يذكر بمآثر العلماء والمعرفة للحضارة الإسلامية فإن الرسالة السياسية الأهم تتمثل بأن الإدارة الأمريكية اليوم تقطع [illegible] طروحات صامويل هنتنغتون وبرنارد لويس وتلميذهما المخلص نائب الرئيس الأمريكي السابق ديك تشيني.

وبعث في الوقت نفسه رسالة إلى المجتمع الأمريكي تضرب بالعمق «الصورة النمطية» التي تكرست من خلال وسائل الإعلام والنخبة السياسية والتراث الحضاري بأن الحضارة الإسلامية هي حضارة متخلفة والدين الإسلامي يقف ضد العلوم والمعرفة والتنوير وأن المسلمين لا يفقهون غير القتل والانتقام وبث الرعب لدى الناس. ما أراده خطاب أوباما للأمريكيين أن هناك صورة مشرقة للحضارة الإسلامية وآيات القرآن وتعاليم الإسلام مغايرة تماما للصورة التي تلقتها الأجيال الأمريكية وكونت منظورها للإسلام والمسلمين، فالقرآن يدعو إلى التسامح الديني والشراكة الإنسانية والمجتمعات المسلمة عموما ليست مجتمعات متطرفة منغلقة بل هي مجتمعات تقبل التعدد والتنوع الحضاري والديني وأوباما نفسه شهد خلال فترة في إندونيسيا حالة من التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين.

وكرسالة حسن نية انتقد أوباما صراحة انتهاكات حقوق الإنسان التي كانت تقوم بها الإدارة الأمريكية خلال المرحلة السابقة بتعذيب المعتقلين والسجناء، وأعلن عن إغلاق معتقل جوانتانامو مع بداية العام المقبل.

رسائل أوباما عموما جيدة وتحمل مضامين تصالحية على الصعيد الديني والأهم أنها تنزع عن الصراع بين أمريكا والعالم الإسلامي الثوب الديني والحضاري لتضعه في سياقات سياسية وواقعية لكن في المقابل فإن هذه السياقات ذاتها وهي عامل رئيسي ينتج حالة الغضب الإسلامي من الولايات المتحدة الأمريكية ويدفع إلى استمرار الأزمة وتفاقمها.

ولئن كان أوباما يستذكر بعض ضحايا أحداث الحادي عشر من أيلول والضحايا المدنيين لعمليات القاعدة والمجموعات المسلحة، فإنه فاته ولو للحظة على الضحايا المدنيين الذين سقطوا في العراق وأفغانستان في الحروب الأمريكية وما بعدها

[illegible] مضاعفة للضحايا الأمريكيين لأحداث الحادي عشر من أيلول.

[illegible] أوباما [illegible] الانحراف [illegible] نيويورك في [illegible] الحضارة العربية في [illegible] عنه للفلسطينيين.

ربما أدرك أنه [illegible] وهو يتغاضى عن غطرسة الإسرائيلية في غزة وحرب [illegible] ارتكبته من مجازر كبرى بحق الفلسطينيين، هذا [illegible] في الموقف الأمريكي هو الذي يمنح القاعدة [illegible] شعبيتها وقدرتها على التجنيد داخل العالم العربي والإسلامي وهو الوقود الحيوي لقوة القاعدة [illegible] من خلال شرائحه الأكثر من المسلمين مع خطابها الديني والسياسي.

على الأغلب أن [illegible] ذلك الخطاب التصالحي من أوباما مع العالم الإسلامي [illegible] مقولات «صدام الحضارات» لأنها المقولات التي تستثمرها القاعدة في [illegible] والتحشيد وراء خطابها الذي يتأسس على حتمية الصدام بين الإسلام والغرب.

■ أوباما.. ورسالة للمسلمين ■

كتب الأستاذ محمد الزرقاني مقالا في عموده كلام صريح نشر في جريدة الخبر اليومية ٦/٦/٢٠٠٩ يقول فيه:

تحظى زيارة الرئيس الأمريكي باراك حسين أوباما إلى القاهرة بالرغم من أنها لا تستغرق سوى ساعات قليلة، فالهدف منها كان محددا في إلقاء خطاب إلى العالم الإسلامي وهي في هذه الحدود وهذا التوقيت تعد فكرة جديدة وصادمة – صدمة إيجابية بالطبع – [illegible] العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين العالم الإسلامي [illegible] كانت قد وصلت في عهد سلفه الرئيس السابق جورج بوش «الصغير» وعلى مدى ثماني سنوات إلى [illegible] فقد شعر المسلمون بأن بوش يكن العداء لدينهم ونبيهم، ولم يسع بوش من جانبه لكي يغير من هذا الشعور، فكان انحيازه سافرا إلى إسرائيل وكان يسارع إلى تقديم المبررات لجرائمها وعدوانها المتكررة على الشعب الفلسطيني حتى قبل أن [illegible]

وفي «المضمون» كان «الشكل» الذي قدم به الرئيس أوباما خطابه إلى العالم الإسلامي [illegible] «السلام عليكم» ثم استشهاده بالعديد من آيات القرآن الكريم، [illegible] بهدوء وثقة وتمكن. [illegible] «المضمون» فقد كان أيضا [illegible] الشعور بالراحة والثقة [illegible] صاحب فكر [illegible] مفتوح [illegible] ورغبة عارمة في الحوار مع الآخر بعد ثماني سنوات [illegible] مع الآخر [illegible] فقط. وليس هناك من دور [illegible] الآخر [illegible] وكان خطاب [illegible] رسالة للمسلمين في العالم كله [illegible] رسالة إلى العرب نفسه [illegible] على المسلمين [illegible] مرحلة جديدة [illegible]

■ يهودية إسرائيل.. ضد شعارات أوباما ■

تحت هذا العنوان جاءت كلمة تحرير «الجمهورية» تقول «العدد الصادر في ١١/٦/٢٠٠٩م:

[illegible] جورج بوش [illegible] الأمريكي [illegible] عقب لقائه مع بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي [illegible] الغربية [illegible] عن ضرورة [illegible] حل الدولتين وقيام دولة فلسطينية وأخرى إسرائيلية ووصفها بأنها يهودية

في إشارة منه إلى قبول الولايات المتحدة الأمريكية لما يشعر به المتعصبون في إسرائيل من يهودية [illegible] مستهدفين بذلك مصادرة حق اللاجئين الفلسطينيين منذ نكبة ١٩٤٨ في العودة لأراضيهم واستعادتهم لممتلكاتهم [illegible] فتح الباب لتهجير من يسمون بعرب إسرائيل الذين يعيشون الآن في أراضيهم الفلسطينية تحت حكم الاحتلال.

إن القبول بيهودية الدولة الإسرائيلية يحمل معه خطورة تتناقض مع ما قاله الرئيس الأمريكي باراك أوباما في خطاب القاهرة الإسلامي عن حوار الحضارات، والتسامح الديني. [illegible] في القدس وغير ذلك من العبارات التي تتسامح وقبول الآخر التي لا تخدم مصلحة غلاة المتعصبين الإسرائيليين المتشبثين بدولة يهودية نقية وترعاها الولايات المتحدة الأمريكية في عهدها الجديد.

■ أوباما [illegible] صراع الحضارات ■

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ محمد علي إبراهيم المنشور بجريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ٥/٦/٢٠٠٩م يقول فيه:

كل من سمع خطاب الرئيس الأمريكي أوباما في جامعة القاهرة أدرك أن هناك عهداً جديداً قد بدأ بين المسلمين وأمريكا. الخطاب أكد في كل فقرة منه على الاحترام المتبادل بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة. استوقفني الرئيس الأمريكي وهو يتطرق إلى إندونيسيا مسقط رأسه التي عاش فيها جزءاً من عمره. أشار إليها باعتبارها دولة ذات غالبية إسلامية يعيش فيها المسيحيون [illegible] ولكن لا أعلم [illegible] الرئيس أوباما [illegible] التسامح الذي رآه في إندونيسيا سبقه الأزهر في مصر [illegible] جامعة إسلامية في العالم العربي والإسلامي لها مكانة الأزهر الشريف. الأزهر الشريف يتعلم طلابه الذين يأتون إليه من دول [illegible] وإندونيسيا وأفريقيا [illegible] أن الإسلام دين يقبل الآخر وهو دين تسامح وتعايش [illegible] الطلاب [illegible] مبادئ العقيدة والشريعة ويحملون في عقولهم القدرة على التحاور مع الآخر وتقبله.

الإسلام كما قال أوباما في خطابه هو دين تسامح مع الأديان الأخرى. لقد قاطع جمهور الحاضرين في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة الرئيس أوباما ٣٤ مرة تصفيقاً لخطابه. قارن ذلك بالرد [illegible] الذي حظي به خطاب الرئيس السابق جورج دبليو بوش في [illegible]

لقد تحدث أوباما عن الإسلام في خطاب تاريخي ينهي [illegible] أن هناك صراع حضارات بين الغرب والحضارات الأخرى، لأن الإسلام دين لا يعرف التصادم [illegible] الآخر.

كان جميلاً من الرئيس الأمريكي أن يستشهد بالقرآن في خطابه. ولعلها أول مرة في التاريخ الأمريكي يستشهد فيه رئيس الولايات المتحدة بآيات القرآن الكريم [illegible] الإسلامي وهو [illegible] القرآن الكريم يقول:

[illegible]

(المائدة ٣٢)

ولذلك فإن الرئيس الأمريكي يبرئ الإسلام من التطرف والعنف والإرهاب [illegible] أمريكية [illegible] المسلمين.

لقد قال الرئيس الأمريكي في خطابه إن مسؤوليته هي الدفاع عن الإسلام [illegible]

يسمون متطرفين الآن وفي أي وقت آخر أن [illegible] يسيئون إلى الإسلام قبل أن يتهمه الآخرون [illegible] بريئة.

لقد انطلقت من القاهرة دعوة للمصالحة الحقيقية بين المسلمين وأمريكا. وعلينا أن نحسن استغلال هذه الدعوة للتوافق مع المجتمع الدولي لمكافحة التطرف والعنف [illegible] مقاومة [illegible] وبين قتل الأبرياء.

■ هجوم اليهود على اوباما ■

كتب الأستاذ سمير رجب في عموده "خطوط فاصلة" في جريدة الجمهورية الصادرة في ٧/٦/٢٠٠٩ يقول:

"يبدو أن الرئيس الأمريكي باراك أوباما كان يعلم تماماً أنه سوف يكون عرضة لهجوم اليهود الذين [illegible] جماعات ضغط عديدة ومؤثرة داخل المجتمع الأمريكي وذلك بعد إشادته بالإسلام والمسلمين [illegible] الحرب ضدهم وبعد مطالبته إسرائيل بوقف الاستيطان."

لقد خرجت العديد من الصحف الأمريكية على مدى اليومين الماضيين لتنشر أخبار [illegible] توقعات [illegible] أن أوباما يدرس حالياً فرض عقوبات ضد إسرائيل إذا استمرت في بناء المستوطنات [illegible] نتنياهو [illegible] عن استعداده حتى [illegible] وقف القرارات التي تتخذ [illegible] المتحدة [illegible]

[illegible] تحريض اليهود [illegible] كلمة الحق في محاولة للإجابة على [illegible] أمريكا لا تستطيع وحدها فرض حل بين الفلسطينيين والإسرائيليين [illegible] تقديم تنازلات في أي شيء آخر."

"الأكثر والأكثر، تلك الهجمة العنصرية داخل الكنيست الذي وقف [illegible] كيف يقارن [illegible] بين اليهود [illegible] الذين تعرضوا [illegible] وبين الفلسطينيين الذين قال إنهم عانوا على مدى ستين عاماً من [illegible] – حسب ادعاءات هؤلاء الأعضاء [illegible] الحرب ضد إسرائيل عام ١٩٤٨ فكان جزاؤهم التشريد والذبح والقتل."

"وهكذا يقف الإسرائيليون كالعادة [illegible] كل [illegible] يحاول أن يصحح لهم [illegible] المخادعة الكاذبة."

"[illegible] خلال ٤٨ ساعة أصبح أوباما بالنسبة لليهود [illegible] فرعون موسى [illegible] باراك أقوى وأطغى من فرعون."

[illegible] الأبيض [illegible] لا حرج [illegible] صور أوباما وهو يرتدي الكوفية الفلسطينية وتحت كل صورة عبارة تقول: [illegible] باراك حسين [illegible] لليهود!!"

صورة ثالثة تجمع بين أوباما وبين الرئيس الإيراني أحمدي نجاد [illegible] قنبلة نووية [illegible] كلمات: [illegible] تدمير إسرائيل."

[illegible] الإرهاب [illegible] رئيس أمريكي [illegible] لأول مرة [illegible]

عقود وصنع [illegible] وبين النور والظلام والله سبحانه وتعالى [illegible]
سيؤول إليه مصيره [illegible]

على الجانب المقابل.. ينبغي على العرب والمسلمين أن يعملوا [illegible] مع هذا الرئيس الذي أبدى [illegible] وجودها في هذا الزمان.. وأثبت من حسن النوايا [illegible] في الشرق والغرب [illegible] في أمريكا.. بلد السيد الصهيوني.. الذي لا [illegible]

إن المساندة العربية بشتى الوسائل واجبة وضرورية، ولابد [illegible] ذلك. فليس بعيدا أن تثيره إرادة الرجل [illegible] تكون الطامة الكبرى..!

■ رئيس أمريكي «شكل تاني» ■

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ إبراهيم سعدة في جريدة أخبار اليوم الصادرة في ٦/٦/٢٠٠٩ [illegible] الرئيس الأمريكي [illegible] الكبرى بجامعة القاهرة

[illegible]

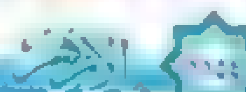
[illegible] الأمريكية في القدس [illegible]

[illegible] كان الرجل حريصا على إرضاء الجميع [illegible]

[illegible] في الوقت نفسه مع مواقف وسياسات ومخططات الحكومة الإسرائيلية الحالية برئاسة المتطرف بنيامين نتنياهو [illegible] الرئيس الأمريكي في [illegible] اليمينية الإسرائيلية؟!

عندما يقف الرئيس الأمريكي ليلقي خطابه التاريخي من جامعة القاهرة مكررا ومؤكدا التزام إدارته بتحريك مسيرة السلام على أساس قيام الدولتين [illegible] والفلسطيني [illegible] إن أمريكا اليوم [illegible] على الأكثر

وعندما يقف الرئيس الأمريكي ليلقي خطابه التاريخي من جامعة القاهرة مكررا مطالبته لإسرائيل بوقف توسيع [illegible]



[illegible] من جانب الحكومة الإسرائيلية [illegible] الأمريكية في القدس [illegible] على طريقة [illegible] القنبلة المتاحة أمام أقوى وأغنى دولة في العالم"

[illegible] الرئيس الأمريكي [illegible] في حكمه [illegible] الولايات المتحدة الأمريكية على [illegible] الكونجرس [illegible] الصراع الفلسطيني الإسرائيلي [illegible] الكونجرس سيرفض هذا الاقتراح بإجماع الأصوات!

ويبقى أمامنا أربعة خيارات فقط قابلة للتطبيق وصعبة التنفيذ هي بالترتيب.

[illegible] الولايات المتحدة [illegible] الرئيس جورج بوش الأب [illegible] في انتخابات فترة الرئاسة الثانية"

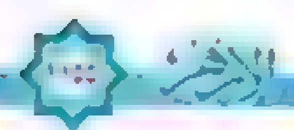
[illegible] الأمريكية [illegible] الشركات والأفراد [illegible]

يمكن للولايات المتحدة أن تتحرك داخل كواليس مجلس الأمن من أجل إصدار قرار بإجماع الأصوات - أو بأغلبية على الأقل - يلزم بناء وتوسيع المستوطنات الإسرائيلية. لو حدث فستكون المرة الأولى والوحيدة التي [illegible] أمريكا.. فهل تستطيع؟"

[illegible] الأمريكية [illegible] الاتحاد الأوروبي [illegible] ثنائية متعددة المستويات!

[illegible] الأمريكية، وما أقواه [illegible] هذا اللوبي"

[illegible] في طرح وشرح موقفه [illegible]



الائتلاف الحكومي الجديد في إسرائيل

بقلم/ صلاح عبدالرحيم محمد

[illegible] الحكومة الإسرائيلية [illegible] حزب كاديما الذي حصل على أكبر [illegible] الأصوات في الانتخابات [illegible] التي جرت في العاشر من فبراير ٢٠٠٩ [illegible] حل «دولتين لشعبين»، وفقا لتفاهمات مؤتمر أنابوليس. ومبدأ الأرض مقابل [illegible] تمسك وبإصرار بالجلوس في مقاعد المعارضة في الكنيست الجديد.

ومن هنا اتجه «نتانياهو» إلى «أفيجدور ليبرمان» زعيم حزب «إسرائيل بيتنا»، ووقع معه الاتفاق الأول لتشكيل الحكومة في ١٢ مارس ٢٠٠٩، حيث حصل الأخير على ٥ حقائب وزارية هي الخارجية، والأمن الداخلي، والبنى التحتية، والاستيعاب، والسياحة.

ومن جهة أخرى وقع «نتانياهو» في ٢٢ مارس ٢٠٠٩، الاتفاق الثاني مع «إيلي يشاي» زعيم حزب «شاس» الديني المتطرف، الذي يمثل اليهود الشرقيين، حصل بموجبه على ٤ حقائب، هي الداخلية، والإسكان، والأديان، ووزير دولة في ديوان رئيس الحكومة.

ومن ناحية أخرى بادر «نتانياهو» بتوقيع اتفاق مع زعيم حزب العمل «إيهود باراك» بعد مفاوضات صعبة، حصل فيها على ٥ حقائب، هي الدفاع، والتجارة والصناعة، والعمل، والزراعة، وشئون الأقليات، كما نجح «نتانياهو» في ضم حزبي البيت اليهودي، ويهدوت هاتوراة، إلى الائتلاف الحكومي، حيث حصل الحزب الأول على وزارة العلوم، أما الحزب الثاني فقد حصل على منصبين أحدهما نائب وزير الصحة، والآخر منصب نائب وزير التعليم، والمسئول عن ملف التعليم الحريدي (التعليم الديني) والجدير بالذكر أنه في ٣١ مارس ٢٠٠٩ قام «نتانياهو» بتقديم حكومته الائتلافية الجديدة إلى الكنيست الثامن عشر الجديد لنيل الثقة.

وقد أيد ٦٩ نائبا من أعضاء الكنيست الجديد، المؤلف من ١٢٠ مقعداً، التشكيل الحكومي الجديد في إسرائيل، واعترض عليه ٤٥ نائباً، وامتنع خمسة أعضاء عن التصويت، وغياب [illegible]، واستمرت المناقشات حوالي ست ساعات، أدى بعدها «نتانياهو» بصفته رئيس الوزراء الجديد يمين الولاء، وفي ضوء هذا التشكيل الحكومي الجديد فقد «نتانياهو» ائتلافه الذي ضم الليكود «٢٧ مقعدا» وإسرائيل بيتنا «١٥ مقعدا» والعمل «١٣ مقعدا» وشاس «١١ مقعدا» والبيت اليهودي «٣ مقاعد» بالإضافة إلى حزب «يهدوت هاتوراة» (٥ مقاعد) الذي انضم لاحقا بعد جلسة التصويت وبذلك يملك بالتالي هذا الائتلاف الحكومي الإسرائيلي ٧٤ مقعداً من مقاعد الكنيست الجديد.

وبدأت الحكومة الإسرائيلية الجديدة تسلم مهامها الجديدة يوم الأربعاء ١/٤/٢٠٠٩ في مقر الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز»، الذي خاطب نتانياهو بقوله: «إن الحكومة التي تقودها، يجب أن تبذل جهودا فائقة لتحريك عملية السلام، قدما في كل الجهات. إن الحكومة التي انتهت ولايتها تبنت رؤية دولتين لشعبين التي دعمتها الإدارة الأمريكية، وقبلتها غالبية دول العالم وحكومتك يجب أن تحدد شكل الواقع المقبل». وبذلك فقد طالب «بيريز» صراحة «نتانياهو» بالسعي إلى تحقيق رؤية «دولتين لشعبين» وفي كلمته أمام الكنيست قال رئيس الحكومة الإسرائيلية الجديدة «نتانياهو»: «سنسعى مع السلطة الفلسطينية من أجل السلام في ثلاثة مسارات، هي الاقتصادي، والأمني، والسياسي، وسنخوض مفاوضات السلام الدائم مع السلطة الفلسطينية بهدف التوصل إلى اتفاق نهائي».

وتوضح هذه الكلمة من جانب نتانياهو أن السلام في نظره هو السلام الاقتصادي لا السلام الذي يؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة، فهو يقدم الاقتصادي والأمني على السياسي، وأن السلام الإسرائيلي هو مطلوب لذاته أي السلام مقابل السلام لا السلام مقابل الأرض أي أن هذه الحكومة اليمينية الجديدة تسعى إلى إقامة «حكم ذاتي للفلسطينيين دون الأرض». ومن ثم فإن هذه الرؤية الإسرائيلية التي يتبناها رئيس الحكومة الإسرائيلية الجديدة لا تتجاوب مع مبادرة السلام العربية، ولا تتعاطى مع توجهات الإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة «باراك حسين أوباما» التي تؤيد إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

وفي هذا السياق قال «نتانياهو» أنه «يريد أن

تركز تحديدات على تقوية الاقتصاد الفلسطينى فى الضفة الغربية بدلاً من القضايا المتعلقة بالأرض التى عرقلت تحقيق تقدم نحو التسوية».

وأضاف «نتانياهو» موجهاً حديثه إلى القادة الفلسطينيين: «أقول للقيادة الفلسطينية، إذا كنتم تريدون السلام بحق، «فبالإمكان الوصول إلى السلام» أى السلام بالشروط الإسرائيلية التى يأتى على رأسها رفض مبدأ حل الدولتين. ولا شك فى أن من شأن امتناع نتانياهو عن الالتزام الصريح بما يسمى «حل الدولتين» من أجل تسوية الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى» أن يضعه فى مواجهة مباشرة مع كل من الولايات المتحدة بإدارتها الجديدة، والاتحاد الأوروبى اللذين يريدان إقامة دولة فلسطينية إلى جانب الدولة الإسرائيلية الحالية.

واللافت أن نتانياهو تلا برنامج حكومته الائتلافية الجديدة، ولم يتضمن أية إشارة إلى دولة فلسطينية. واكتفى بالقول إنه «يلتزم إحراز تقدم فى عملية السلام مع جيراننا، ومع العالم العربى عموماً» وقال «أفيجدور ليبرمان» فى أول تصريح له بعد تسلمه وزارة الخارجية: «إن الحكومة الجديدة لن تلتزم مبادئ مؤتمر أنابوليس وأنها ملزمة فقط بخريطة الطريق، بصفتها اتفاقاً دولياً التزمت به إسرائيل».

وأضاف «ليبرمان»: «إن الحكومة السابقة قدمت تنازلات، لم تساهم فى دفع عملية السلام أو فى [illegible] مكانة [illegible] بل بالعكس [illegible] حديثه بقوله: «إن السلام لا يتحقق بالتنازلات».

ومن هنا طالبت زعيمة المعارضة «تسيبى ليفنى» رئيس الحكومة الجديدة «بنيامين نتانياهو» بأن ينأى فوراً عن تصريحات وزير خارجيته لأن هذه التصريحات تعيد إسرائيل سنوات إلى الوراء وأضافت «ليفنى»: «إن اليمين يعلن دائماً أن لا شريك فى الجانب الفلسطينى، كتبرير لعدم تقدم المفاوضات، والآن نحن لسنا الشريك».

وإذا كان «نتانياهو» قد فضل عدم التعقيب على كلام «ليفنى» فإن وزير حماية البيئة فى الحكومة الإسرائيلية الجديدة «جلعاد أردان» من الليكود رد بقوله: «إن نتانياهو يؤيد بكل تأكيد التصريحات المتشددة لوزير خارجيته». وأضاف «أردان»: «إن حكومات اليسار فشلت بسبب التنازلات التى قدمتها سلفاً». وفى هذا السياق صرحت «تسيبى ليفنى» لصحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية يوم الجمعة ٣ / ٤ / ٢٠٠٩ «إن هذه التصريحات من جانب «ليبرمان» تمحو كل ما حققته إسرائيل من إنجازات سياسية فى الحلبة الدولية فى السنوات الثلاث الأخيرة، وتشكل عودة إلى عام ٢٠٠٢، وإلى اشتراط تطبيق خريطة الطريق بوقف العنف الفلسطينى» وأضافت «ليفنى»: «ينبغى أن تكون مرحلة المفاوضات أولى المراحل، على أن يخضع تطبيق نتائج هذه المفاوضات لشروط الخريطة الدولية».

ويكفى فى هذا الصدد أن ليفنى كشفت حقيقة نوايا نتنياهو المتمسك برفض حل الدولتين، فى تضييع الوقت والتهرب من استحقاقات السلام حينما قالت: «إن ليبرمان بعودته إلى الشروط التى طرحت عام ٢٠٠٢، إنما يدرك أنه إلى حين تطبيق الفلسطينيين شرط «القضاء على الإرهاب»، لن يحصل أى تقدم وهذا ما يريده، لكنه يتجاهل حقيقة أن إسرائيل قطعت منذ ذلك الوقت شوطاً، وتخلت عن الارتباط ومن جانب آخر أشار المحلل الإسرائيلى «عقيفا إلدار» فى صحيفة «هاآرتس» إلى حقيقة أن إسرائيل لم تنفذ التعهدات التى أخذتها على عاتقها فى خريطة الطريق، فيما يتعلق بوقف النشاط الاستيطانى فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.

وأضاف «إلدار» قوله: «إن ما يحاول ليبرمان فعله هو أن يحول خريطة الطريق من آلية لدفع حل الدولتين إلى عقبة أمامه» وأوضح «عقيفا إلدار» كيف كثفت الحكومة السابقة بقيادة «إيهود أولمرت» النشاط الاستيطانى فى الأراضى العربية المحتلة، حينما أشار إلى أنه «خلال حكومة أولمرت، مع وزير دفاعه «إيهود باراك» شهدت الأراضى المحتلة نشاطاً استيطانياً مكثفاً، حيث تم بناء ٤٥٦٠ وحدة سكنية جديدة فى مستوطنات الضفة الغربية، بينها ٥٦٠ وحدة سكنية فى البؤر الاستيطانية غير القانونية، وجرى نشر عطاءات لبناء ١٥٢٣ وحدة سكنية فى الضفة الغربية، بالإضافة إلى ٢٤٣٧ وحدة سكنية فى القدس الشرقية ولا شك أن هذا يبين أن حكومة أولمرت السابقة لم تلتزم بخريطة الطريق التى تنص على وقف النشاط الاستيطانى.

وقد جاء فى الخطوط العريضة لهذه الحكومة الائتلافية الإسرائيلية الجديدة برئاسة «نتانياهو» أنها «ستعمل على دفع عملية السلام، وستعالج الأزمة الاقتصادية، وستتحرك من أجل خلق الشروط العامة التى تتيح نمواً حقيقياً، وتوفير فرص عمل، وستعمل على تقليص الفجوات الاجتماعية، وستحارب الفقر بواسطة التعليم والتشغيل وزيادة المساعدات للشرائح الضعيفة، كما أنها ستضع قضية الهجرة والاستيعاب فى رأس طموحاتها، من أجل تعزيز الهجرة من كل أصقاع الأرض، وستجعل قضية التربية والتعليم فى مركز أولوياتها الوطنية وستعمل على إدخال إصلاحات فى جهاز التعليم، وستعمل على الحفاظ على الطابع اليهودى للدولة، وعلى تراث إسرائيل، واحترام الديانات المختلفة فى الدولة».

وفى ضوء ما جاء فى هذه الخطوط العريضة للحكومة الإسرائيلية الجديدة يمكن رصد عدة ملاحظات على النحو التالى:

- لم تتضمن هذه الخطوط العريضة للحكومة الجديدة ما هو المقصود بدفع عملية السلام؟

هل هو السلام من أجل السلام، أم السلام مقابل إعادة الأرض المحتلة إلى أصحابها الشرعيين. كذلك جاءت هذه الخطوط خلواً من ذكر مبدأ «حل الدولتين»، وهو ما يشير إلى رفض هذه الحكومة لهذا المبدأ، وإلا لكانت نصت عليه صراحة.

- جاء في هذه الخطوط العريضة أن الحكومة ستضع قضية الهجرة والاستيعاب في رأس طموحاتها، وهو ما يؤكد الدور الصهيوني لهذه الحكومة في تشجيع الهجرة اليهودية من كل أنحاء العالم، كما يؤكد أيضاً أن إقامة المستعمرات الصهيونية ضرورة لاستيعاب هؤلاء المهاجرين اليهود، وهو ما يعني في ذات الوقت أن إسرائيل على استعداد لاستقبال أي يهودي تلبية لقانون العودة، ورفض عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم عام ١٩٤٨ لذلك فإن إسرائيل تزعم أنها تمثل الشعب اليهودي أينما وجد. ومن هنا يمكن القول أن إسرائيل هي دولة من المهاجرين اليهود.

- ومن هذا المنطلق جاء النص في برنامج الحكومة الجديدة بالحفاظ على الطابع اليهودي للدولة الذي يعني تفريغ فلسطين التاريخية من الأقلية العربية، أو على الأقل أن تكون الغالبية العددية لليهود، لذلك يصر «أفيجدور ليبرمان» على مطالبة هذه الحكومة أن تكون المواطنة مقابل الولاء في دولة إسرائيل، وإلا فالترحيل سيكون من نصيب العرب ومن ثم تتحدث الحكومة الإسرائيلية الجديدة حالياً عن ضرورة اعتراف الفلسطينيين المسبق بيهودية الدولة الإسرائيلية وتزعم أن عدم الاعتراف بذلك يعرقل عملية السلام.

أما فيما يتعلق بتركيبة الحكومة الإسرائيلية الجديدة برئاسة «بنيامين نتانياهو» فتجمع بين اليمين العلماني الذي يمثله حزب إسرائيل بيتنا، واليمين الديني الذي يمثله كل من حزب شاس، وحزب البيت اليهودي، حيث يمثل الأول اليهود الشرقيين، والثاني يمثل اليهود الغربيين الذين يشجعون الاستيطان اليهودي في فلسطين أما حزب العمل فقد كان يصنف على أنه حزب يساري، وأصبح الآن أقرب إلى يمين الوسط. ويرى محللون أن ضم حزب العمل إلى الائتلاف الحكومي الجديد هو تجميل لصورة هذه الحكومة اليمينية المتشددة، وحماية لها من الضغوط الأمريكية.

وفي هذا الإطار يقول الكاتب البريطاني «باتريك سيل»: «يعتبر ضم حزب العمل إلى الائتلاف الحكومي الجديد في إسرائيل مجرد خطوة تجميلية. فلم يدعم «نتنياهو» يوماً فكرة قيام دولة فلسطينية، كما أنه لم يأت على ذكر تجميد الاستيطان في الاتفاق الذي عقده مع «إيهود باراك»، وفوق ذلك فقد وافق الأخير على عدد من مشاريع البناء في الضفة الغربية في الأشهر الأخيرة

ويقول الكاتب الكبير «جهاد الخازن» في صحيفة الحياة في ٢٠٠٩/٤/٤ «إن وزارة المال ذهبت إلى البروفيسور «يوفال شتاينتس» وهو فيلسوف وأستاذ علوم إنسانية ولا خبرة اقتصادية له من أي نوع» كما يقول أيضاً «إن وزارة التجارة والصناعة، كانت من نصيب «بنيامين بن اليعازر» وخبرته عسكرية فقط، وسيشرف نتانياهو نفسه على إدارة الاقتصاد. وهو أيضاً ليس خبيراً في الاقتصاد» وتذكر صحيفة هآرتس الإسرائيلية أن ثلاثة «إيهود باراك» وزير الدفاع، و«ليبرمان» وزير الخارجية، و«موشيه يعلون» وزير الشئون الاستراتيجية، ستتداخل مهام بعضهم مع البعض، ولن يقبل ليبرمان الأقل خبرة مسبقة بخبرتهما العسكرية الاستراتيجية السابقة

كما تشير هذه الصحيفة إلى أن هؤلاء الثلاثة أو اثنين منهما على الأقل ستتداخل مهام وزارتيهما مع وزارة ابتكرها «نتانياهو» لوزير من حزب ليكود، هو «دان مريدور» وهي وزارة «شئون المهام السرية» التي ستشرف على مهام وعمل أجهزة المخابرات الخارجية «الموساد» وأجهزة الأمن السري الداخلي «الشاباك»

وفي هذا السياق يقول «إفرايم هاليفي» رئيس الموساد من عام ١٩٩٨ وحتى ٢٠٠٠ للقناة الأولى الإسرائيلية: أنه «لم يفهم كيف يمكن لهذه الوزارة المختصة بشئون المهام السرية العمل، ما دام الموساد يتبع لرئيس الحكومة و«الشاباك» لوزير الأمن الداخلي، والمخابرات العسكرية «أمان» لرئيس الأركان ووزير الدفاع؟»

ويرى البعض: أن الحكومة الإسرائيلية الجديدة هي من أكبر الحكومات في تاريخ إسرائيل، فعدد وزرائها ٣٠ وزيراً، و٩ نواب وزير، وهو ما يجعلها غير متجانسة، برغم تكوينها اليميني، كما يصرف قادة الكتل البرلمانية المشاركة في الحكومة (إسرائيل بيتنا، والعمل، وشاس) وكأنهم هم الرؤساء الفعليون للحكومة لذلك يصف البعض الآخر هذه الحكومة، بحكومة الرئيس أو الرؤساء، وليست حكومة البرنامج السياسي، إذ لو كان «نتانياهو» حريصاً حقاً على حكومة مستقرة لكان قبل بالتناوب في الحكم مع «تسيبي ليفني» زعيمة حزب كاديما (٢٨ مقعداً)، لكنه يريد أن يكون هو الرئيس لهذه الحكومة الجديدة، مهما كان الثمن. ويمكن القول، في الختام، أن الحكومة الائتلافية الجديدة في إسرائيل، سيكون عمرها قصيراً، ما لم يسع «نتنياهو» مرة أخرى، ويصدق إلى إقناع «تسيبي ليفني» بوصفها زعيمة حزب الأغلبية، للانضمام إلى هذا الائتلاف الحكومي الجديد، بعد إعلان قبوله التناوب معها على رئاسة الحكومة، والاعتراف بمبدأ «حل الدولتين» باعتباره السبيل الوحيد لتسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

تناسب الأصحاب

قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»(١).

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: «الصاحب مناسب».

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من صاحب على صاحب».

وقال بعض الحكماء: «اعرف أخاك بأخيه قبلك».

وقال بعض الأدباء: «يظن بالمرء ما يظن بقرينه».

وقال عدي بن زيد:

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولاتصحب الأردى فتردى مع الردي

قال الإمام الماوردي عقب هذا الكلام: «فلزم من هذا الوجه أيضا أن يحترز من دخلاء السوء، ويجانب أهل الريب، ليكون موفور العرض، سليم العيب، فلا يلام بلائمة غيره».

وهذا قبل التثبت والارتياء، ومداومة الاختبار والابتلاء، متعذر بل مفقود. وقد ضرب ذو الرمة مثلا بالماء فيمن حسن ظاهره، وخبث باطنه، فقال:

ألم تر أن الماء يخبث طعمه
وإن كان لون الماء أبيض صافيا

الأدب حلية العاقل

روى الأصمعي أن أعرابيا قال لابنه: يا بني، الأدب دعامة أيد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب.

وقال حكيم: الأدب صورة العقل، فصور عقلك كيف شئت.

وقال آخر: العقل بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب كالشجر المثمر.

وقال غيره: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب، لأن من ساء أدبه، ضاع نسبه، ومن قل عقله، ضل أصله.

وقال بليغ: الأدب يستر قبيح النسب.

السفور بعد الحجاب

قل لمن بعد حجاب سفرت	أبهذا يأمر الدين الشرف
أسفوراً واختيا بحظره	ونقى الله وآداب السلف
ليست المرأة إلا درة	تيكون الدر إلا في الصدف

(١) صحيح البخاري



فما هذا السويق؟

قال الأصمعي: مررت بأعرابية وبين يديها فتى في السياق(٢)، ثم رجعت ورأيت في يدها قدح سويق تشربه، فقلت لها: ما فعل الشاب؟ فقالت: واريته، فقلت: فما هذا السويق؟ فقالت:

على كل حال يأكل القوم زادهم
على البؤس والبلوى وفي الحدثان

ما قيل في تأديب الصغار

قال بعض حكماء السلف: من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا.

وقالوا: أطبع الطين ما كان رطبا، وقوم العود ما كان لدنا.

وقالوا: من أدب ولده أرغم حاسده.

وقال ابن عباس – رضي الله عنه –: من لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكبر حيث يحب.

وقال حكيم: ما أشد فطام الكبير، وأعسر رياضة الهرم.

وقال صالح بن عبدالقدوس شعرا:

وإن من أدبته في الصبا	كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا	بعد الذي أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه	حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد له جهله	كذي الضنى عاد إلى نكسه
ما تبلغ الأعداء من جاهل	ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال شاعر غيره:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا	فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت.

الغوغاء

نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قوم يتبعون رجلا أخذ في ريبة فقال: لا مرحبا بهذه الوجوه التي لاترى إلا في كل شر.

وقال دعبل الشاعر:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم
الله يعلم أني لم أقل فندا

إني لأفتح عيني حين أفتحها
على كثير ولكن لا أرى أحدا

(٢) السياق: نزع الروح، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه

حمقا

مشيناها خطى كتبت علينا	ومن كتبت عليه خطى مشاها
وأرزاق لنا متفرقات	فمن لم تأته طوعا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض	فليس يموت في أرض سواها

أراكم تعنفونني في الإقدام

قال المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعنفونني في الإقدام، قالوا: إي والله إنك لتغرر بنفسك في المهالك، قال: إليكم عني! فوالله لولا أن آتي الموت مسترسلا، لأتاني مستعجلا، إني لست آتي الموت من حبه، إنما آتيه من بغضه، ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام المري:

أرى كلنا يهوى الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبًّا

فحب الجبان النفس أورده التقى
وحب الشجاع النفس أورده الحربا

دعاء

اللهم إنا لانحمد على أعمالنا، بل نحمد على فضلك وإحسانك، ياواسع الكون برحمتك.

يا شامل الخلق بنعمتك، ارحم عبادك فإنهم لايطيقون عذابك.



بين المجلة والقارئ

[illegible] أحمد تقى الدين

تجارة مع الشيطان !!

فجعت كما فجع الملايين من أبناء هذا البلد بكارثة القمح الغير صالح للاستهلاك الآدمي لاحتوائه على نسب عالية من الأعشاب، والحشائش السامة والحشرات.

القمح واحد من أهم السلع الغذائية في مصر بل وفي العالم كله ويعتبر سلعة إستراتيجية لأن رغيف الخبز الذي يصنع من القمح هو أرخص غذاء في مصر على الإطلاق.

الأخبار المنشورة بالصحف عن كارثة القمح تؤكد أن العينات التي تم تحليلها من شحنات القمح التي ضبطتها السلطات المصرية تؤكد أنها تحمل الموت لكل من يتناوله.. ليس موتا سريعا.. بل موتا بطيئا.. بالفشل الكبدي والسرطان!!

وهناك شائعات تؤكد أن هناك كميات بسيطة تسللت للمستهلك المصري المنكوب بأولئك الباحثين عن الثراء ولو على جثث خلق الله!!

الكارثة الأكبر أن الدول المصدرة.. وفق ما نشرته الصحف تؤكد أنها سلمت المستوردين المصريين شحنات سليمة من القمح، وأن المستوردين وقعوا بالفعل على سلامة الشحنات التي تسلموها، وتلمح – أي الدول المصدرة – إلى أن المستوردين قاموا ببيع شحنات القمح السليمة الصالحة للاستهلاك الآدمي قبل وصولها إلى مصر وقاموا بشراء شحنات أخرى من القمح الغير صالح للاستهلاك الآدمي بأرخص الأسعار سعيا وراء جني مكاسب هائلة!!

مضى شهر حتى الآن والصحف المصرية على مختلف انتماءاتها.. قومية وحزبية تتناول أخبار هذه الكارثة وتطالب بوضع معايير صارمة لمراقبة الأغذية المتداولة في الأسواق حفاظا على أرواح البشر من كوارث هائلة تحمل الأمراض الفتاكة من تلك النوعية التي تنتقل من جيل إلى جيل بالوراثة.

وكارثة أخرى نشرتها الصحف المصرية الصادرة يوم الخميس ١٨ يونيو تؤكد أن حملات تفتيش مديرية الطب البيطري بمحافظة دمياط تمكنت من ضبط كميات هائلة من لحوم الخنزير المفرومة المطروحة تباع في المحلات على أنها لحوم عجول وأغنام!!

كيف السبيل إلى إصلاح الضمائر التي لا تفكر إلا في الثراء.. ضمائر أبت إلا أن تتاجر مع الشيطان.

هذه الضمائر لن يردعها إلا عقاب رادع. أما أحكام الحبس والغرامة فستشجع أصحاب الضمائر الخربة على المزيد والمزيد من الجرائم.

هؤلاء مجرمون وقتلة.. ويجب التعامل معهم على أنهم مجرمون وقتلة.

تعذيب البشر بالأمراض الفتاكة عمدا مع سبق الإصرار جريمة ينبغي أن يعاقب عليها القانون بعقاب رادع.. أما أن يحكم عليهم بالغرامة فهذا لن يردعهم لأنهم سيسددون الغرامة من حصيلة بيع الأغذية الفاسدة.. والحبس لن يضرهم في شيء لأنهم سيخرجون ليعاودوا نشاطهم ويتحايلون بشتى الطرق لاستمرار تجارتهم مع الشيطان.

ما يفعله هؤلاء إفساد في الأرض، ومحاربة لله ورسوله وإزهاق لأرواح حرم الله قتلها. وتنتهي شرع المولى عز وجل العقاب الرادع

[illegible]

(المائدة – ٣٣)

أحمد تقى الدين

من رحلة الأرض إلى رحلة السماء

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ إبراهيم أحمد محمد جاد الكريم – واعظ دشنا – قوص – قنا، قال:

على غير العادة يأتي أمين الوحي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في هذه المرة يريد صحبته.. إلى أين؟ ولماذا؟

لم يسأله النبي ﷺ لأنه يعلم أن جبريل عليه السلام لا يأتي إلا بخير، يخرج النبي ﷺ من بيت أم هانئ.. وعند المسجد الحرام ما بين الحجر والحطيم يشق صدره ﷺ فيخرج منه حظ الشيطان ويملأ بالإيمان والحكمة.. ولعل هذا بداية لمراسم الرحلة المباركة.

وتأتي دابة دون البغل وفوق الحمار لها قدرة عجيبة في سرعة الانتقال تسمى بالبراق.. وتبدأ رحلة الإسراء بالسير ليلا فتتعدد المشاهد وتتابع الصور والأحداث.. وأخيرا ها هو قد وصل للمكان الموعود إنه بيت المقدس.. المسجد الأقصى حيث هذا الوفد المهيب من الأنبياء والمرسلين.. يستقبلون سيد المرسلين وإمام المتقين ﷺ فيقفون صفوفا متراصة ينتظرون من يؤمهم.. فيأخذ جبريل عليه السلام بيد الحبيب المصطفى ﷺ ليصلي بهم إماما – صلاة تشريف لا صلاة تكليف.. وجلال الأمر قال الله تعالى:

[illegible]

(الإسراء: ١)

وهنا قد انتهت الرحلة الأرضية.. وأمين الوحي عليه السلام مازال موجودا مع الصادق الأمين ﷺ.. فمازالت هناك مفاجآت أخرى إنها هو المعراج وها هي رحلة السماء سيدا... يصعد ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام يستفتح له السماء واحدة بعد

الأخرى ليلتقى بالعديد من الأنبياء فى السماوات السبع وهنالك شاهد ما شاهد من آيات ربه الكبرى.. وعند سدرة المنتهى هذه الشجرة التى ينتهى إليها علم الملائكة - ظهر جبريل عليه السلام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها.. وتوقف جبريل عليه السلام عن الصعود فيقول له النبى ﷺ أفى هذا المكان يترك الخليل خليله؟!

ويجيب جبريل عليه السلام - يا محمد - وما منا إلا له مقام معلوم.

وتقدم الحبيب المصطفى ﷺ فى ساحات القدس ومعارج الأنس - فى ملكوت الجلال وكمال الجمال.

فى مكان لم ولن يصل إليه مخلوق قبله ولا بعده. إنها لحظات يعجز عن وصفها اللسان ويعجز عن وصفها وتصويرها البيان.

وهنالك قدمت التحيات الطيبات المباركات من الرسول ﷺ للمولى الجليل - تبارك وتعالى - الذى تفضل بالمنحة العظمى والعطية الكبرى - فرض الصلاة على النبى ﷺ وأمته حقا إنها رحلة الصفاء والعطاء... رحلة الأرض والسماء... رحلة الإسراء والمعراج.

الإسـراء والمعـراج

وتحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد عبدالمحسن على محمد - مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية - إدارة الدقى - جيزة:

ذهب جمهور من المفسرين والفقهاء إلى أنهما وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة واستدلوا بقوله تعالى: «سبحان الذى أسرى بعبده» «الإسراء». حيث إن التسبيح يكون عند الأمور العظام، ولو كان مناما لما بادرت قريش إلى إنكاره، ولأن العبد عبارة عن مجموع الروح فى الجسد، ولو كان مناما لم يقل بعبده بل بروح عبده، ولأنه حمل على البراق، والروح لا تحمل، وإنما يحمل البدن.

* قال ابن المنير: يؤخذ من قوله سبحانه وتعالى: «أسرى بعبده» ما لا يؤخذ لو قيل: بعث إلى عبده. لأن الباء تفيد المصاحبة، أى صحبه فى مسراه بالعناية.

ويرى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: أن موقف كفار قريش وإنكارهم على النبى ﷺ هذا الحدث العظيم دليل على أن ذلك كان فى اليقظة.

ولو كان مناما ما اعترضوا عليه، لأن الأمر لا يعدو أن يكون أكثر من رؤيا، لذلك كان قولهم: نحن نضرب إليها - الشام - أكباد الإبل شهرا، وتدعى أنك أتيتها فى ليلة، وهذا تأكيد على أنهم أدركوا أنها لم تكن مناما ولا كانت بالروح.

* وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان بروحه فى المنام، واستدلوا بقول السيدة عائشة: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ وإنما أسرى بروحه» رواه ابن إسحاق فى السيرة.

وبقوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾

(الإسراء ٦٠)

والرؤيا إنما تطلق على ما كان مناما.

* أفاد الأديب مصطفى صادق الرافعى فى معنى هذه الآية لمحة دقيقة فقد قال: والذين قالوا إن الإسراء والمعراج كان رؤيا رآها النبى صلوات الله وسلامه عليه وآله واحتجوا على ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾

(الإسراء ٦٠)

وإنما كان التعبير بلفظ الرؤيا وهى تكون مناما لتقى تأثير الحواس على الروائى والذات أو الطبيعة الآدمية بجملتها كانت فيه كالنائمة عن حياتها لأرعبة بحقائقها فليس نائم كالنائم ولا مستيقظا كالمستيقظ.

* قال الحافظ ابن كثير: والحق أنه عليه الصلاة والسلام أسرى به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكبا البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين، ثم أتى بالمعراج فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السماوات السبع وسلم على الأنبياء الذين فى السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم.

الحياء.. من دعائم الإيمان.. فى المجتمع المسلم

«عن الحياء» جاءت كلمة الأستاذ إبراهيم مسلم إبراهيم النجار مدير عام تنظيم وإدارة بمدينة شبين القناطر (؟) - قليوبية: الحياء خلق جميل يجب أن يتحلى به المسلم فهو إحدى السمات البارزة لرسولنا رسول البشرية ومعلمها الأول محمد ﷺ والذى كان أشد الناس حياء وأكثرهم إحصاء كما يصفه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

[illegible]

(الأحزاب ٥٣)

وفى آية أخرى:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

ويقول عنه على كرم الله وجهه - «كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة».

وعن الحياء عند الله سبحانه وتعالى وما لدى من ترغيبه لعباده يحكى لنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه «أنه دخل على رسول الله ﷺ فوجده يبكى فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال «أخبرنى جبريل - عليه السلام - أن الله يستحى من عبد يشيب فى الإسلام أن يعذبه، أفلا يستحى الآثم أن يذنب بعد ما شاب فى الإسلام».

ويقول ﷺ «الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» (رواه البخارى ومسلم).

أما نقيض الحياء: البذاء: والبذاء فحش فى القول وجفاء فى الكلام وهى صفات أهل النار، وفى هذا يقول ﷺ «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة.. والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار» (رواه مسلم) هذا هو خلق محمد ﷺ وحياؤه وهو قدوتنا ومثلنا الأعلى والذى قال عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» والحياء من مكارم الأخلاق ويجب أن نتبعه ولا نحيد عن منهجه امتثالا

لقوله تعالى

﴿[illegible]﴾

(الحشر: ٧)

ويقول تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

(آل عمران: ٣١)

وبوجوب اتباعه ﷺ يكون الإسلام قد أسس بنيان الحياة على تقوى الله ورضوانه ومحبة رسوله ﷺ فما بالنا قد شغلتنا أموالنا وأهلونا فانحدرت سلوكياتنا وقل منا الحياء وساء الخلق.. إن ما يحدث من خروج على الحياء في مجتمعنا هو من أسباب انتشار مبادئ وأخلاقيات العولمة والمستحدثات الجنسية الخليعة.. فقد أصبحنا نرى بين الحين والآخر حوادث خارجة على الحياء وعلى تقاليد المجتمع.. فمازلنا نعيش آثار فضيحة شبكة تبادل الزوجات وما تراه من فضائح العرى والانحلال في القنوات التليفزيونية ومعاكسات الشباب الفاسد في الشوارع.. والأمثلة كثيرة ومفزعة نتيجة التجرؤ على قيمنا ومبادئ ديننا.

وقد ساءني ما شاهدته في أحد البرامج الجماهيرية التي تبثها إحدى القنوات الفضائية الأجنبية عبارة جاءت على لسان أحد المداخلين وهو مصري وكان الاستفتاء المطروح هو: هل يسمح بارتداء الحجاب لمذيعات التليفزيون؟ وقد ذكر في مداخلته أن مصر بلد علماني ولا يصح للمذيعة أن تظهر على الشاشة وهي محجبة فلا حجة بقطعة القماش التي يسمونها الحجاب لكي تفرض عقيدتها على الناس... وفي هذا جهل فاضح بالدين واعتراض وتجنٍ على نص الدستور المصري في أن مصر بلد مسلم ويستمد قوانينه من الشريعة الإسلامية.. ونجد آخر بسبب قلة الحياء والجهل بالدين يسأل على صفحات إحدى الصحف (وهو يعمل مدرساً) عن جواز الاستمتاع بالخادمة في المنزل كالأمة. ولا يعلم أن الخادمة التي تكنس وتنظف البيت بأجر معلوم هي غير الأمة التي يمتلكها صاحبها بسبب الحرب وأن نظام الرق هذا قد ألغي دولياً وإسلامياً.

إن موجة قلة الحياء هذه قد انتشرت في أغلب المجتمعات الإسلامية ويعمل على إذكائها دعاة العولمة والانتهازيون معدومو الحياء. وقد تنبه لها الكثيرون. فقد قررت أخيراً إندونيسيا وهي أكبر دولة إسلامية في عدد السكان. أقرت قانون محاربة الإباحية ويواجه من يخالفه عقوبة السجن لمدة قد تصل إلى اثنتي عشر عاماً أو دفع غرامات باهظة. وياليت ذلك يعمم في كل المجتمعات الإسلامية.

ونحن إذ نضم صوتنا لهذه الدعوة نأمل أن تتضافر وزارات الشباب والرياضة والإعلام والأوقاف والمجلس القومي للمرأة والجمعيات الأهلية وكل ما يتصل نشاطه بتنمية المجتمع وتوعية أفراده لتبني هذه الحملة لبناء الإنسان وتوعيته وتهذيب سلوكه أفضل ما نهدف إليه لتأكيد الأصالة وحب الانتماء واحترام الآخرين

والله الهادي إلى سواء السبيل

من
أعلام
التلاوة

الشيخ شعبان الصياد

ويسرد الأستاذ فرج مجاهد عبدالوهاب عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية جانباً من حياة القارئ الشيخ شعبان الصياد رحمه الله. ولد الشيخ شعبان عبدالعزيز الصياد بقرية صراوة التابعة لمركز أشمون بمحافظة المنوفية وذلك في ٢-٩-١٩٤٠م وهي قرية تعرف بقرية القرآن الكريم حيث تتميز بكثرة الكتاتيب والمحفظين الأجلاء الذين حفظ وتخرج على أيديهم بعض الأعلام والمشاهير بمصر.

نشأ الشيخ شعبان الصياد في أسرة ريفية متواضعة عن أم ريفية وأب هو الشيخ عبدالعزيز إسماعيل الصياد الذي كان يتمتع بجمال في الخلق والخلق إضافة إلى جمال وعذوبة صوته الذي كان يعرفه الجميع في القرية وفي المدن والقرى المجاورة. فقد كان صوته ملائكياً يشبه إلى حد كبير صوت الشيخ محمد رفعت وذلك حسب روايات من عاصروه. وكان الشيخ عبدالعزيز (والد الشيخ شعبان الصياد) يدعى إلى السهرات والمناسبات وذاع صيته وقدم نفسه إلى الإذاعة المصرية وكان ذلك في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي وعندما ظهرت نتيجة امتحانه أمام لجنة الاستماع في الإذاعة وتم إرسال خطاب له للحضور إلى الإذاعة، كان هذا اليوم نفسه هو يوم وفاته في عام ١٩٤٤ وكان الشيخ شعبان الصياد لم يتجاوز الرابعة من عمره.

إذاً فقد نشأ الشيخ شعبان الصياد في بيت مليء بآيات الله عن أب يحمل كتاب الله ويمتلك صوتاً جميلاً عذباً. فورث الشيخ شعبان الصياد هذا المسلك حيث التحق بكتاب الشيخ خلاد أبوعربية العالم الجليل بالأزهر الشريف والذي عرف عنه قدرته الفائقة وتمكنه الشديد بأصول تجويد القرآن الكريم وعلى يديه عرف الشيخ شعبان الصياد أسرار وأصول القراءات السبع وساعده في سرعة الحفظ والأداء إقباله الشديد اللافت للنظر على هذا الحفظ. مما جعل شيخه يثني عليه دائماً. وبين الحين والحين يجعله يتلو بصوته الجميل مما حفظه من القرآن الكريم أمام زملائه وغالباً ما كان يحظى بحوافز بسيطة للتشجيع والتحفيز على الاستمرار في التميز، حتى أتم حفظ القرآن الكريم وهو في سن السابعة من عمره.

بعد ذلك كان من الطبيعي أن يكمل المسيرة الدينية التي نشأ عليها، فالتحق بالمعهد الديني

الابتدائى وأثناء دراسته بالمعهد كان أساتذته يعلمون موهبته الصوتية، فكانوا دائماً يجعلونه يتلو عليهم آيات الله البينات فى الفصل الدراسى، وذاع صيته حتى أنه كان يفتتح أى مناسبة بالمعهد الذى يدرس به.

وأتم الشيخ شعبان الصياد تعليمه الجامعى وتخرج فى كلية أصول الدين شعبة العقيدة والفلسفة وحصل على الليسانس بدرجة جيد جداً فى عام ١٩٦٦ ورشح للعمل بالسلك الجامعى كمحاضر بالكلية ولكنه رفض وكان رفضه من أجل القرآن الكريم حيث قال إن الجامعة وعمله بها كمحاضر وأستاذ سيحتم عليه التزامات تجاه الجامعة والطلبة مما يعيقه عن رسالته التى يعشقها ويؤمن بها وهى تلاوة القرآن الكريم

لا تلوموا الخنزير

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الدكتور محمود أحمد إبراهيم – أمين كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر بالقاهرة:

لقد حرم الله علينا أكل لحم الخنزير – بنص صريح فى ثلاثة مواضع فى القرآن الكريم أولها فى سورة البقرة آية (١٧٣) وثانيها فى سورة المائدة (٣) والموضع الثالث فى النحل (١١٥) – لحكمة يعلمها الله علمناها أم لم نعلمها، فأول علمنا بخطر لحم الخنزير كونه عائلا للدودة الشريطية الخطرة التى إذا أصابت الإنسان أودت بحياته، وثانى علمنا أحداث اليوم وما تردد من الخطر الداهم (أنفلونزا الخنازير) التى أربكت العالم بأسره فكل منها وجل وحذر وآثارها الاجتماعية والاقتصادية السيئة لم تتضح معالمها بعد، فقد بدأت تتأثر السياحة وبدأ الناس يحجمون عن المصافحة ، الأمر الذى سيؤدى إلى فتور فى العلاقات الاجتماعية على المدى الطويل.

وكان الحل قرار ذبح الخنازير العائل الوسيط لفيروس أنفلونزا الخنازير قرار علاج ووقائى ضد المرض الجديد (أنفلونزا الخنازير) حتى لا ينتشر بين المصريين، حيث ثبت سرعة انتشاره من الخنازير للبشر ومن البشر إلى البشر فى الوقت الذى لم يتوصل العلماء إلى علاج له ولم يكتشفوا له مصلا حتى الآن

ونرى الحالة الراهنة كأنما بالخنزير يقول بلسان الحال: أنا مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى خلقنى لمهمة تنظيف البيئة من مخلفاتكم وقاذوراتكم وحرم عليكم أكل لحمى لحكمة يعلمها فلما تجاوزتم حدودكم وعصيتم ربكم بأكل لحمى أصابكم ما أصابكم، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم فأنا برىء من تهمكم وما جنيتموه على من اتهامات أدت إلى إبادة بنى جنسى كما تبيدون أنفسكم بحروبكم الطاحنة من أجل دنيا فانية.

الزنى ومفاسده

الشيخ / عبد المجيد أبو بكر

إن أمريكا – وهى الدولة العظمى – فشلت فى تقويم أخلاق شبابها لذا أصبح مستقبلها فى خطر – كما صرح بذلك مسئول أمريكى "كنيدى" عام ١٩٦٢ بأن شبابها مائع غارق فى الشهوات لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه. ويؤيد ذلك بأنهم وجدوا من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين. لأن الشهوات التى أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية"

وصل الأمر إلى أن بوش الابن رأى أن إصلاح تربية أو التعليم لن يكون إلا بالفصل بين الفتيات والفتيان فى مدارس أمريكا، ودعما لهذا القرار صرح ناطق باسم البيت الأبيض بأن المدارس التى تطبق نظام التعليم المنفصل ستحظى بدعم يفوق الذى يخصص للمدارس المختلطة"

وقامت منظمات المجتمع المدنى الأمريكى بحملات لنشر العفة بين الشباب الأمريكى هذا هو واقع الدول المتحضرة والمتقدمة التى تسعى بكل ما تملك من أجل نشر العفة والفضيلة بين الشباب والقضاء على الزنى.

لكن إسلامنا – الذى يصفونه بالإرهاب والرجعية والتخلف – دين الطهر والعفاف حرم علينا كل ما يؤدى إلى الضياع والهلاك منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان.

تحذير الاسلام من الزنى:

الزنى فيه مناقضة لصلاح العالم، وخراب الدنيا

(١) تربية الأولاد – د. عبدالله علوان ١ / ٢١٦
(٢) مجلة منار الإسلام – عدد يوليو ٢٠٠٢م

والدين، لذا جعله الله من أكبر الكبائر بعد الشرك به، ثم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ثم الزنى حيث قال:

[illegible]

(الفرقان: ٦٨ - ٧٠)

والقرآن يحذرنا من مجرد مقاربته، وهي مبالغة في التحرز، لأن الزنى تدفع إليه شهوة عنيفة، فالتحرز من المقاربة أحسم، فقال:

[illegible]

(الإسراء: ٣٢)

يعني حرم وحظر من دواعيه ومقدماته من قبلة ولمس وما شابه.

والآية التي تسبق هذه قوله تعالى :

[illegible]

(الإسراء: ٣١)

يأتي سؤال: هل هناك مناسبة وصلة بين قتل الأولاد والزنى؟

إن في الزنى قتلا من نواح شتى:

١- أنه قتل ابتداء، لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها.

٢- التخلص من آثار ذلك بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد.

٣ - إذا ترك الجنين للحياة ترك لحياة شريرة مهينة إذن فهي حياة مضيعة في المجتمع وهو قتل.

٤- به تضيع الأنساب وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد وتنحل الجماعة وتتفكك روابطها، فينتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات وهو قتل.

٥- إن سهولة قضاء الشهوة عن طريق الزنى يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، والأسرة هي المحضن الصالح للفراخ الناشئة، لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه [٣].

عقوبة الزنى وفضيحته في الدنيا والآخرة:

لما كان الزنى من أقبح الجرائم وأخطرها على النفس والنسل والعقل والدين، شدد العقوبة عليه في الدنيا بحيث جعل حده من أغلظ الحدود، فالجلد مائة والتغريب لغير المحصن، والرجم بالحجارة حتى الموت للمحصن.

إذ عقوبة القاتل أخف من عقوبة المحصن الزاني، لأنه يقتل بالسيف ضربة واحدة، وهذا أهون بالطبع من الرجم بالحجارة.

وما أعده الله للزاني في الآخرة أخزى وأنكى، وتصديق ذلك قول الله:

[illegible]

(النور: ٢٤)

(٣) الظلال ٤/ ٢٢٢٤.

مفاسد الزنى الاجتماعية والخلقية:

ومفسدة الزنى مناقضة لصلاح العالم، فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها ونكست رؤوسهم بين الناس.

وإن حملت من الزنى فقتلت ولدها جمعت بين الزنى والقتل، وإن أبقته نسبته إلى الزوج فأدخلت على أهلها وأهله أجنبيا ليس منهم فورثهم وليس منهم

فكم في الزنى من استحلال الحرمات، وفوات حقوق، ووقوع مظالم؟

ومن نتائجه أنه يوجب الفقر، ويقصر العمر، ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس

ويشتت القلب ويمرضه إن لم يمته، ويجلب الهم والحزن والخوف، ويباعد صاحبه من الملك ويقربه من الشيطان.

لهذه المفاسد اتخذ الإسلام أسبابا وقائية تحفظ الجماعة الإسلامية من التردي و الانحلال.

ضمانات الإسلام من الوقوع في الزنى:

من هذه الضمانات والتدابير الإيجابية ما يلي:

١- تيسير أمر الزواج دون مغالاة في المهور، خاصة إذا علمنا إحصائية قررت أن نسبة العنوسة في مصر تقدر بـ٩ ملايين عانس.

وهذا إنذار بالخطر، لأن هذه النسبة عبارة عن قنابل موقوتة قد تنفجر في لحظة من اللحظات إن لم نيسر لها الطريق الشرعي الحلال.

٢- نهى الإسلام عن الاختلاط حتى بين الإخوة والأخوات عند بلوغهم سن العاشرة فأمرنا بالتفريق بينهم في المضاجع.

ونهى عن الاختلاط في دور العلم، لذا خصص النبي ﷺ يوما للنساء يجتمعن فيه لطلب العلم ولم يجعلهن يشاركن الرجال في مجالسهم.

هذا يعني أن ما ينادى به الغرب الآن من الفصل بين الفتيات والفتيان هو لنا فيه تبع.

٣- التوصية بغض البصر ومنع العيون الخائنة من البحث عن العورات.

٤- حث الإسلام على الزواج لمن استطاع، ويوصي بالصوم لمن لم يستطع.

٥- حرم الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية سدا للذريعة.

٦- شدد عقوبة الزنى بين الجلد والتغريب لغير المحصن، والرجم للمحصن.

٧- أمر الإسلام الرجل ألا يغيب عن أهله من أربعة إلى ستة أشهر.

٨- نهى عن التبرج بالزينة، ودعا إلى إشاعة الملابس السابغة المحتشمة التي تكرم جسد المرأة وتحميه.

هذا هو الإسلام الذي دعا إلى الطهر والعفاف بالتحذير من الزنى وقرر الضمانات والوقاية منه هل بعد ذلك يوصف الإسلام بالرجعية والتخلف ؟!

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾

(المجادلة: ٢)

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ/ أحمد توفيق

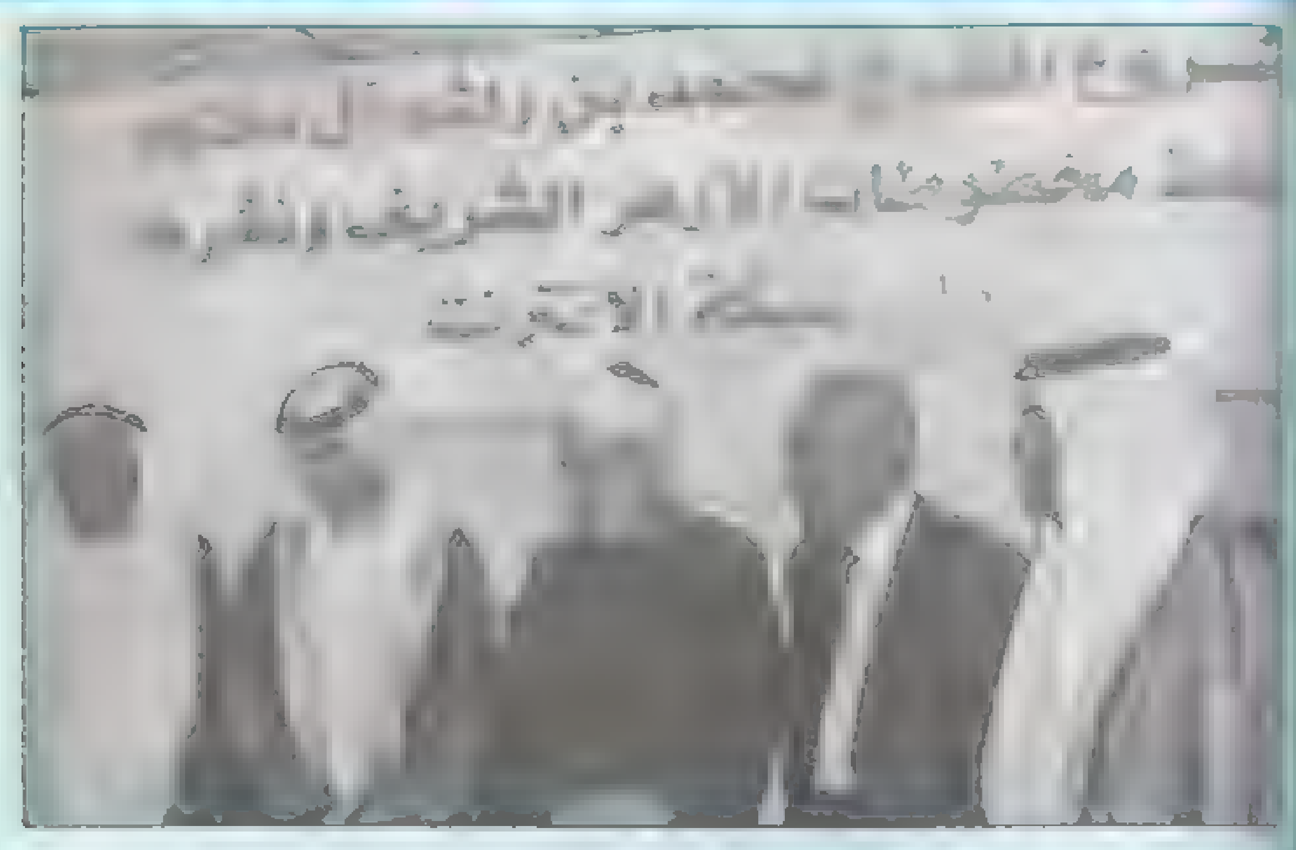
مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس هيئة الثقافة والفنون بدبي

■ استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر بمكتبه يوم الاثنين ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٩م وفدا رفيع المستوى من إمارة دبي الشقيقة برئاسة سمو الشيخ ماجد بن محمد بن راشد آل مكتوم رئيس هيئة الثقافة والفنون بدبي. وكذلك معالي جمعة الماجد رئيس مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد في رحاب الأزهر الشريف ومكتبته العريقة. ثم توجه الحضور إلى مكتبة الأزهر. حيث شاهد الحضور عرضا يجمع بين الأصالة والمعاصرة لمكتبة الأزهر التي يرجع تاريخ إنشائها إلى ما قبل عام ٥١٧ هجرية ضمن الجامع الأزهر الشريف وفي عام ١٨٩٧م صدر قرار مجلس إدارة الأزهر بإنشاء مكتبة الأزهر بتوصية من الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية آنذاك.

ثم قام الأستاذ مهدي شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر بتقديم شرح لتاريخ المكتبة قديما وحديثا أكد خلاله أن مكتبة الأزهر القديمة نقلت محتوياتها إلى المقر الجديد عام ١٩٩٤ الذي يتكون من ١٤ طابقا تم تخصيص تسعة طوابق منها لتضم مقتنيات المكتبة. بينما خصصت الطوابق من السادس إلى العاشر لحفظ الكتب المطبوعة. والطوابق من الحادي عشر إلى الرابع عشر لحفظ المخطوطات. كما يضم الطابق الأرضي قاعة النور والأمل وهي قاعة مجهزة بأجهزة سمعية وبصرية ومزودة بأوعية للمعلومات المطبوعة بطريقة برايل ويضم الطابق الأول قاعة الإمام محمد عبده. وهي قبلة الباحثين في علوم الحديث والتفسير والنحو والصرف والبلاغة. أما الطابق الثاني فيضم قاعة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر للباحثين في علوم الكيمياء والفيزياء والتاريخ. كما يوجد بنفس الطابق قاعة اطلاع للبحث



المفرد وهي مخصصة لأصحاب الرسائل والبحوث الخاصة

وكذلك تضم المكتبة متحفا مؤقتا يزخر بنوادر مقتنيات الأزهر الشريف من المخطوطات النادرة.

وبالتعاون مع مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسة مجلس الوزراء تم تصميم وتنفيذ قواعد بيانات التي تهدف إلى حفظ مطبوعات ومخطوطات مكتبة الأزهر لتكون على الشكل وجه تدعى إدام الحضارة.

كما أكد الأستاذ مهدي شلتوت أن مكتبة الأزهر تشهد في عصر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر تطورا في كل المجالات وعديد من المشروعات التي تمت قدرت مكتبه في أداء رسالتها سواء في الداخل أو الخارج أهمها:

مشروع تطوير المكتبة الأزهرية وتحويل المخطوطات التي تقتنيها المكتبة من الشكل الورقي إلى الشكل الالكتروني وقد بدأ العمل في هذا المشروع عام ٢٠٠١م بتبرع من سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة ورئيس الوزراء - حاكم دبي.



المشروع الذى أطلق موقع إلكترونى للمكتبة على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»، والذى من خلاله تم الانتهاء من المسح الضوئى لعدد ١٢٠ ألف مخطوط يحتوى على ٢.٥ مليون ورقة فى المرحلة الأولى من المشروع وجارى استكماله فى المرحلة الحالية للمشروع.

المشروع الثالث ترميم المخطوطات بالمكتبة بالتعاون مع مركز معالى الشيخ جمعة الماجد للثقافة والتراث الذى بدأ عام ٢٠٠٥م، ولم يستهدف إعداد المكتبة بمستلزمات ترميم المخطوطات من أجهزة وآلات متقدمة، بالإضافة لعقد دورات تدريبية متخصصة فى مجال الترميم، حيث تم الانتهاء من ترميم ٩٨٨٣ ورقة مخطوط أثناء بدء العمل خلال عام ٢٠٠٨م وبذلك يبلغ إجمالى ما تم ترميمه حتى الآن «٢٣٨٠٠» ورقة مخطوط، بالإضافة إلى ٣٤ خريطة نادرة و٢٥١ سجلا من أقدم سجلات المكتبة يرجع تاريخ بعضها لأكثر من مائة عام وكذلك أطلس جغرافى.

وفى نهاية الزيارة أشاد جميع أعضاء الوفد بما تم إنجازه من إعادة هيكلة مشروع الشيخ محمد بن راشد لحفظ المخطوطات بالمكتبة كما أثنى الحاضرون على تفعيل مشروع ترميم المخطوطات وفق أحدث النظم والأساليب العلمية.

الامام الاكبر يستقبل وفد الشباب السعودى

■ استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى – شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء ١٦/٦/٢٠٠٩ وفد الشباب السعودى الذى يزور مصر من خلال بروتوكول التبادل الشبابى بين مصر والسعودية.

وفى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف ثم قدم فضيلته شرحا موجزا عن التعليم فى الأزهر الشريف وأن الدراسة فيه تتميز بالاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى، مبينا أن الدراسة فى الأزهر تمتاز عن الدراسة فى غيره بالتعلم المتوسع فى دراسة المواد العربية والشرعية وحفظ القرآن الكريم.

وعن سؤال لفضيلة الإمام الأكبر حول توحيد الأهلة بين الدول الإسلامية، أجاب فضيلته بأن بعض الفقهاء يرى أنه بالنسبة للهلال إذا ثبتت رؤيته فى بلد إسلامى ويجمعه مع غيره خط واحد فعلى بقية البلاد الإسلامية التى على نفس الخط أن تتبع هذا البلد الذى ظهر فيه الهلال، وبعض الفقهاء يرى أنه ليس من الضرورى أن يتبع ما رآه الآخرون وأن لكل بلد مطلعه بشرط ألا يصوم أقل من ٢٩ يوما كما أنه لابد أن يؤخذ بعلم الحسابات الفلكية فى استطلاع الهلال.

وعن سؤال لفضيلته عن وجود الشيعة فى مصر، أجاب فضيلته أنه لا وجود للشيعة فى مصر كمذهب شيعى، لكن معنى الشيعة فى مصر أن يكون هناك إنسان له عاطفته مع آل البيت.

وعن سؤال لفضيلته عن دور دار الإفتاء المصرية أجاب فضيلته أن وظيفة دار الإفتاء هى الرد على الأسئلة الشرعية كما أنه توجد فى مصر محاكم تشترك فى الأمور التى تتعلق بالأسرة.

وعن سؤال لفضيلته عن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر أجاب فضيلته أن لكل إنسان عقيدته ولا حجر على العقائد والإسلام يعتبر الناس جميعا إخوة فى الإنسانية، وفى مصر يتساوى المسلم والمسيحى فى الحقوق والواجبات.

الامام الاكبر يستقبل وزير التربية الوطنية بجزر القمر

■ استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى – شيخ الأزهر الشريف – بمكتبه يوم الأحد الموافق ٣١/٥/٢٠٠٩ السيد الدكتور كمال الدين أفرتان – وزير التربية الوطنية والتعليم العالى والبحث العلمى – جمهورية جزر القمر المتحدة يرافقه السيد جعفر عبدالله – سفير جزر القمر بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى الوزير ومرافقيه بالأزهر الشريف. وقد جاءت هذه الزيارة فى إطار التعاون المشترك بين الأزهر الشريف وجمهورية جزر القمر المتحدة. حيث إن جزر القمر أعدادا كثيرة من الطلاب بقدر

عددهم بحوالي ١٢٠٤ طلاب يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة يتعلمون علوم الدين على يد علماء الأزهر الذين يتميزون بالوسطية والاعتدال.

ومن جانبه نقل معالي الوزير تحيات وشكر السيد رئيس جمهورية القمر المتحدة إلى فضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر الشريف لأبناء جزر القمر الذين يدرسون في الأزهر من خدمات تعليمية ورعاية صحية وإعاشة بمدينة البعوث الإسلامية.

كما أوضح معالي الوزير أن الأزهر الشريف له سمعة طيبة ومكانة عظيمة في قلوب شعب جزر القمر بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة. كما طلب معالي الوزير من فضيلة الإمام الأكبر الموافقة على إنشاء معهد أزهري بجزر القمر وزيادة المنح الدراسية لطلبة جزر القمر.

ومن جانبه وافق فضيلة الإمام الأكبر على إمدادهم بالمدرسين والكتب والمناهج الدراسية بعد الانتهاء من بناء المعهد وحضر اللقاء فضيلة الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

ويستقبل سفيرة الولايات المتحدة

■ كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه يوم الاثنين الموافق ١-٦-٢٠٠٩م السيدة السفيرة مارجريت سكوبي - سفيرة الولايات المتحدة بالقاهرة.

وتأتي هذه الزيارة من جانب السفيرة لتقديم الشكر للأزهر الشريف وشيخه على إتاحة الفرصة لهم لعقد اللقاء وعلى التعاون الذي قدمه الأزهر لزيارة الرئيس أوباما في مصر وإلقاء خطابه من جامعة القاهرة وعلى الدعوة التي قدمت باسم شيخ الأزهر ورئيس جامعة القاهرة لحضور خطاب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية باراك أوباما بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة.

الامام الاكبر يستقبل وزير الهجرة الكندى

■ استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف - بمكتبه يوم الأربعاء الموافق ٢٠-٥-٢٠٠٩م السيد جيسون كيني - وزير الهجرة والجنسية والتعدد الثقافي الكندي - يرافقه السيد/ فيري دي كير كوف - سفير كندا بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالي الوزير والوفد المرافق لسيادته في الأزهر الشريف. موضحا للسيد الوزير أن الأزهر الشريف عمره الآن أكثر من ألف عام. وأن الدراسة فيه تتميز بالوسطية والاعتدال. لأننا كمسلمين نعتبر أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة. والأديان السماوية جميعها تؤكد هذه الحقيقة ونحن نؤمن بأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون. كما أننا لا نؤمن بتصادم الحضارات ونقول بتعاون الحضارات لأن التعاون ينشر الإسلام والرخاء والأمان. أما التصارع فيؤدي إلى التخريب والدمار.

ومن جانبه أعرب السيد الوزير عن تقديره العظيم لفضيلة الإمام الأكبر لإتاحة الفرصة له لهذا اللقاء. وقد أوضح سيادته أن دولة كندا يوجد فيها العديد من الثقافات المختلفة والجنسيات المختلفة من ١٨٠ دولة. وأن كندا بها الآلاف من المصريين يعملون فيها. وقد حققوا نجاحات واستطاعوا أن يندمجوا مع المجتمع الكندي وهم يحترمون القوانين الكندية.

كما أشاد السيد الوزير بحكمة فضيلة الإمام وبالعلاقات الطيبة التي تربط بينه وبين قداسة البابا شنودة. وأكد فضيلة الإمام أنه تربطه علاقة قوية بالبابا شنودة وأنه يحترمه. وتربطهما علاقة محبة ودائما تتبادل الآراء فيما بينهما كما أنهما متفقان في كل الأمور. كما أوضح فضيلته للسيد الوزير أنه في مصر لا فرق بين مسلم ومسيحي فيما يتعلق بالحقوق والواجبات لأن الدستور المصري ينص على المساواة بين المواطنين الذين يحملون الجنسية المصرية والكل يعمل من أجل خدمة مصر ونشر الأمن والسلام. وأن الأديان السماوية جاءت كلها تدعو إلى أن نتعارف ولا نتحارب. نتآلف ولا نتعادى. نتعاون ولا نتصارع. وهذا ما تعود بالحياة القوية ومتقدمة.

وفي نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر للضيف كتاب الأزهر في ألف عام.

الازهر يوفد ١٤ واعظا لدول العالم الاسلامى

■ أصدر فضيلة الإمام الأكبر قرارا بالموافقة على إيفاد ١٤ واعظا إلى دول العالم الإسلامي لنشر الثقافة الإسلامية خلال شهر رمضان وهم:

الاسم	جهة الإيفاد
عبده عبد العال عبد الفتاح عبد الوهاب	مسجد وادي الإيمان بلوس أنجلوس - كاليفورنيا
محمد أحمد محمد محمد حسين	جامعة نيكس بولاية نورث كارولينا الأمريكية
صبري سعد الدين علي جيدي	المركز الإسلامي في دوسلدورف - ألمانيا
عشماوي عبد الغني عشماوي حسب الله	المركز الإسلامي الجمعية الفلاح بسيون - سويسرا
عبد العزيز متولي سيد أحمد عيسى	الجمعية الإسلامية بجمعية شيلين بأوسلو - النرويج
سيد محمد مصطفى حمزاوي	المركز الثقافي الإسلامي دورتمند - مسجد عباد الرحمن - إيطاليا
محمد عبد العظيم أحمد عوضين	مسجد الاتحاد الإسلامي للكوريين
محمد عبد السلام محمد أحمد	سراييفو
محمود أحمد عيسوي مرزوق	مسجد السلام - مالقا - إسبانيا
محمد حسن عبد الله التقي	مسجد التقوى في سان بدرو - إسبانيا
ربيع محمد عبد الجواد سعد	مسجد المحسنين بمدينة توري مولينوس - إسبانيا
عبد الرحمن عبد التواب عبد الرحمن راشد	مسجد بن الملحة - إسبانيا
محمد عطية أبو الحسن عبد المجيد	مسجد الخيرات بمدينة ماربيا - إسبانيا
ثروت عبد محمد محمود	مسجد الرشيد بمدينة أدمنتون بمقاطعة ألبرتا - كندا

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل وفد جامعة نوتردام

■ استقبل فضيلة الشيخ علي عبدالباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفدا من جامعة نوتردام الأمريكية يضم طلاب الماجستير والليسانس و٣ قساوسة وذلك للتنسيق والحوار بين الأزهر ومؤسسة تبادل وتعاون الحضارات بجامعة نوتردام وبناء جسور التفاهم مع المجتمع الأمريكي الذي يحمل كثيرا من الصور المغلوطة عن الإسلام.

رحب الأمين العام للمجمع بالضيوف موضحا المنهج الذي يقوم عليه الأزهر الشريف من نشر الوسطية والاعتدال والبعد عن كل أنواع العنف والتطرف من خلال مناهجه الدراسية وعلمائه المنتشرين في أكثر من ٩٥ دولة يقومون بتعليم المسلمين في تلك البلاد صحيح الدين.

وأوضح أن الإسلام يؤمن بالاختلاف في العقائد وعلى المسلم أن يؤمن بهذا الاختلاف لأنه ينبع من مبدأ المساواة بين البشر جميعا فحقوق الإنسان مكفولة للجميع ومن يفرق بين المسلم ونفسه وغيره ففي ذلك لأن الاختلاف إرادة الله ومرجعه أن يكون هناك حساب وعقاب وجنة ونار ولو كنا جميعا على دين واحد لكنا مسخرين للعبادة.

وأضاف أن الحوار لغة الحياة ومن هذا المنطلق فإن في الأزهر حوارا مع الفاتيكان وكنيسة كانتربري من أجل نشر الخير ونبذ التعصب للأديان أو للأعراق أو العصبيات. والأزهر دائما من المعاونين في مد يده للتعاون مع كل البشر وكل الدول من أجل خير البشرية وتوضيح المفاهيم الصحيحة للإسلام.

وأشار الأمين العام إلى أن الدين جاء ليضع من منظور الإنسان حارسا على نفسه وأعطى الحرية للفرد لممارسة الحياة كما يشاء. لكن في نفس الوقت هناك حق تواجهه مسئولية وهي قاعدة شرعية «أنت حر ما لم تضر غيرك». لكن حينما تضر حريتك حرية الآخرين فعندها تقف ولا يحق للإنسان أن يصنع ما يشاء بما يفسد الكون وعليه رعاية أخيه الفقير ومد يد العون ... ذنب يجب أن يذكره أخوه ليعود إلى الصواب.

الإمام الأكبر يعتمد نتيجة الابتدائية الأزهرية

■ اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر صباح يوم الاثنين الموافق ٨/٦/٢٠٠٩م نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسي ١٤٢٩/١٤٣٠هـ - ٢٠٠٨/٢٠٠٩م على مستوى الجمهورية بقطاع المعاهد الأزهرية. وكانت النسبة المئوية للنجاح ٧٣.٣١٪ وكان إجمالي المتقدمين ١٦٧٨٩٣ طالبا وطالبة نجح منهم ١٢١٩١٣ ومن لهم حق دخول الدور الثاني ٤٥٩٨٠ طالبا وطالبة.

والعشرة الأوائل من المبصرين على مستوى الجمهورية هم:

م	الاسم	المنطقة	الترتيب
١	محمود عطية عبدالنبي مرسي	الجيزة	الأول
٢	سميرة ياسر محمد محمود	القاهرة	الثاني
٣	إسراء كمال الشربيني محمد	الدقهلية	الثالث
٤	إسراء مجدي محمد حسن	الإسكندرية	الرابع
٥	طه طارق محمد محمد	بني سويف	الخامس
٦	إسراء عاطف عبدالمنعم علي	الإسكندرية	الخامس م
٧	هاجر محمد منير عطية	شمال سيناء	الخامس م
٨	ندى الشوربجي مصطفى الطبال	الغربية	السادس
٩	دعاء صالح محمود صالح	الدقهلية	السادس م
١٠	تقى عبدالرحمن رمضان وهدان	جنوب سيناء	السادس م
١١	تقى عامر مصطفى عامر	الشرقية	السادس م

وأوائل المكفوفين على مستوى الجمهورية

م	الاسم	المنطقة	الترتيب
١	عبدالرحيم محمد على إبراهيم	أسوان	الأول
٢	محمد عبدالعظيم رمضان مصطفى	الإسكندرية	الثانى
٣	محمد أكرم أبو العباس عثمان	الدقهلية	الثالث
٤	محمد شعبان كمال عبدالحميد	بنى سويف	الرابع
٥	شهد عبدالرحيم عادل الحيشى	القاهرة	الخامس
٦	سارة محمد رضا عبدالفتاح	القليوبية	السادس
٧	محمود أحمد عبدالوهاب الدقن	الشرقية	السادس م
٨	عبدالرحمن هشام محمد عبدالرحمن	المنوفية	الثامن
٩	عبدالرحمن صلاح محمد عبدالرحمن	الدقهلية	التاسع
١٠	عمر فوزى السيد عشرى	الإسكندرية	العاشر
١١	أحلام خالد عفيفى محمد	القاهرة	العاشر م

شهد اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ عبدالفتاح علام - وكيل الأزهر الشريف والنسبة لأستاذ عبد الغنى عبدالخالق - رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ عبدالفتاح فرغلى - رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وفضيلة الشيخ عبدالتواب عبدالحكيم قطب - رئيس الإدارة المركزية للتعليم الأساسي بقطاع المعاهد، وفضيلة الشيخ محمد حمدى - رئيس الكنترول للشهادة الإعدادية الأزهرية والسادة أصحاب الفضيلة القائمون على أعمال الامتحانات.

وسيتم نشر النتيجة على موقع الأزهر على شبكة الإنترنت وهو www.alazhar.Gov.eg



الإمام الأكبر يتفقد امتحانات الشهادة الإعدادية

■ تفقد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - صباح يوم السبت ٣٠/٥/٢٠٠٩م لجان امتحانات الشهادات الأزهرية الإعدادية والثانوية بمجمع معاهد مدينة نصر الإعدادى الثانوى للفتيات والدكتور طلعت السيد النموذجى الإعدادى الثانوى بنين.

حيث بدأ أول أيام امتحانات الشهادات الأزهرية الإعدادية والثانوية بقسميها «العلمى والأدبى»، والقراءات وأدى طلاب القسم الأدبى الامتحان فى مادتى الفقه والإنشاء وأدى طلاب القسم العلمى الامتحان فى مادة الفقه، كما أدى طلاب الشهادة الإعدادية الامتحان فى مادتى الفقه والإنشاء.

وقد نبه فضيلة الإمام الأكبر على القائمين بالامتحان بتوفير الجو النفسى للطلاب لإتاحة الفرصة لكل طالب لأن يؤدى امتحانه بكل يسر وسهولة وتوفير متطلبات الممتحنين من ماء وتهوية مناسبة.

وقد أكد فضيلته أن الامتحانات تسير فى جو من الهدوء والاطمئنان النفسى، وأن جميع وسائل الراحة متوفرة من ماء وإضاءة والقائمين على راحة الطلاب من إداريين وملاحظين وعمال، وكانت الامتحانات فى مستوى الطالب المتوسط. كما كانت جميع الأسئلة من المنهج الذى تم تدريسه خلال العام الدراسى.

وفور عودة فضيلته من الجولة قام بالاتصال بجميع المناطق على مستوى الجمهورية للتأكد من سير الامتحانات وعدم وجود أية مشاكل تعوق سيرها ونبه فضيلته على رؤساء المناطق بضرورة المتابعة اليومية وإبلاغ القطاع فور حدوث أية مشكلة حتى يتخذ اللازم نحو سرعة حلها على الفور.

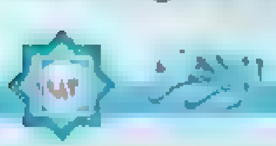
رافق فضيلة الإمام الأكبر فى جولته فضيلة الشيخ عبدالفتاح فرغلى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

توزيع جوائز رعاية الشباب

■ برعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - ومشاركة الندوة العالمية للشباب الإسلامي قامت مدينة البعوث الإسلامية يوم الأربعاء الموافق ٢٠/٥/٢٠٠٩م بتوزيع جوائز رعاية الشباب على الطلاب المشاركين والفائزين فى أنشطة رعاية الشباب الثقافية والدينية والخدمة العامة والجوالة.

وصرح الشيخ عبدالمنعم حافظ عودة مستشار شيخ الأزهر لمدن البعوث الإسلامية أن عدد الطلاب المشاركين فى الأنشطة ١٧٠ طالبًا تم توزيع الجوائز على المشاركين فى النشاط الثقافى وعددهم ٧٧ طالبًا والنشاط الدينى ٥٣ طالبًا والخدمة العامة والجوالة ومركز تعليم التجارة ٨٣ طالبًا والخدمة العامة والجوالة وعمل الرسم على الزجاج ٥٣ طالبًا.

كما تم توزيع الجوائز على الطلاب الفائزين فى الأنشطة وعددهم ١١٩ طالبًا وتم توزيع الجوائز على الفائزين فى النشاط الثقافى مسابقة المعلومات العامة ٣١ طالبًا وحفظ القرآن الكريم ٢٨ طالبًا والخدمة العامة والجوالة مركز تعليم التجارة ٣٠ طالبًا والخدمة العامة والجوالة وعمل الرسم على الزجاج ٣٠ طالبًا





أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذين : عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

بيان مجمع البحوث الإسلامية
حول خطاب الرئيس أوباما للعالم الإسلامى
فى الرابع من يونيو ٢٠٠٩ بجامعة القاهرة

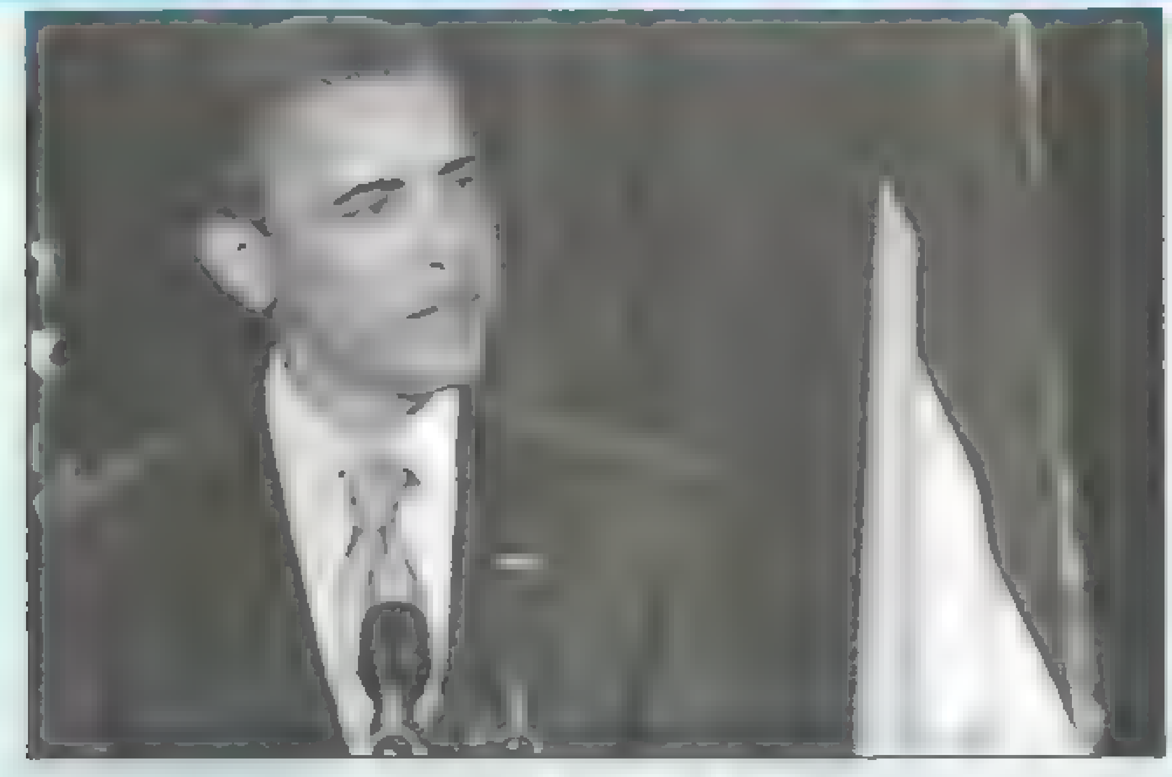
بمناسبة زيارة الرئيس باراك أوباما التاريخية لمصر وخطابه الموجه للعالم الإسلامي الذي ألقاه بجامعة القاهرة يرحب أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بزيارة الرئيس أوباما ويعتبرونها مؤشرا واضحا على الاحترام المتبادل بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الأمر يلقى ترحيبا بالغا انطلاقا من حقيقة أن الرئيس أوباما اختار مصر لتكون المكان الذي يوجه من خلاله خطابه للعالم الإسلامي، تقديرا لمكانتها الخاصة وتأثيرها العميق على العالم الإسلامي باعتبار مصر بلد الأزهر الشريف أكبر المؤسسات العلمية والتعليمية الإسلامية حضورا وتأثيرا في العالم.

إن أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يعتبرون خطاب الرئيس أوباما دليلا على بدء عهد جديد واعد من العلاقات بين أمريكا والعالمين العربي والإسلامي، يمهد الطريق أمام حوار حقيقي بين الحضارات بدلا من الصراع الذي قد يرغب بعضهم في إقناعنا بأنه حقيقة حتمية ويثني الأعضاء على تقدير الرئيس أوباما للدين الإسلامي وللإسهامات الحضارية الإسلامية عبر القرون في تشكيل عالم اليوم وتأكيده على سعي أمريكا لشراكة قوية وشراكة حقيقية مع العالم الإسلامي تنطلق من الاحترام المتبادل أساسا لها.

ويود الأعضاء من جانبهم التأكيد على أنهم يشاركون الرئيس أوباما رغبته في إرساء السلام العادل والشامل والدائم في الشرق الأوسط وخاصة بين فلسطين وإسرائيل، ويطالبونه ببذل قوة مساعيه قدما في تحقيق هذا السلام في المنطقة، كما أنهم يرحبون أيضا بمبادرته لإنهاء احتلال العراق وسحب القوات الأمريكية منه، ويؤكد الأعضاء على ضرورة إطلاق مبادرة مماثلة خاصة بأفغانستان.

ويؤكد الأعضاء للشعب الأمريكي على أن المجتمعات المعاصرة للمسلمين مماثلة للمجتمعات معظم الأمريكيين، وعلى أن لديهم رغبة مشتركة في أن يحيوا حياة كريمة يسودها السلام، وكلاهما يواجه تهديدا مشتركا يتمثل في التطرف والإرهاب الذين يرفضهما أتباع كل الأديان وأصحاب العقول السليمة.

ومن جانبهم، يؤكد أعضاء مجمع البحوث الإسلامية على أن الأزهر عبر تاريخه الطويل يساوي في التعامل بين السنة والشيعة ويركز نفسه على نشر الرؤية الوسطية للإسلام القائمة على احترام المذاهب والمدارس الفقهية المعتمدة



والعقيدة الأصيلة المفعمة بالعمق الروحي.

ولا تقتصر دراسة طلاب الأزهر على العلوم الشرعية والعربية والعقلية، ولكنهم يدرسون أيضا الأخلاق الإسلامية التي هي جزء لا يتجزأ من العبادة الصحيحة المؤثرة وبث ثقافة الحوار والتسامح، ولا تزال هذه المنهجية الشمولية للتعليم الديني متجذرة فيهم لتقابل العصر، كما أن طلابا من جميع أنحاء العالم يدرسون بالأزهر، وهؤلاء الطلاب يعودون إلى بلادهم ليس بالعلم فحسب، وإنما بذلك النموذج من التعليم المعتدل الذي هو على مر عشرة قرون، إلا أنه يظل قادرا على تلبية احتياجات المجتمع الإسلامي في عالم متغير.

لقد سعى الأزهر حيث ما وقف طويلا إلى التعاون مع المجتمعات الدينية الأخرى سواء داخل العالم الإسلامي أو على المستوى الدولي، وهذه الروح للحوار واضحة في تصريحات شيوخ الأزهر وعلمائه، وكذلك في أنشطة عديدة.

إن أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يؤكدون على أن هناك مساحة كبيرة وواسعة يمكن فيها أن يتعاون كل من العالم الإسلامي والولايات المتحدة معا، وتشمل رفض الإرهاب، والدفاع عن القيم الأخلاقية للعدل والرحمة وتعزيزهما ونشر المودة وبناء جسور التفاهم والقضاء على المفاهيم المغلوطة والقوالب النمطية بين جميع شعوب العالم.

ويؤكد أعضاء المجمع ضرورة ترجمة هذه الاقتراحات المشتركة إلى عمل وبرامج ملموسة لتحقيق هذه الأهداف السامية.

والله الموفق

أ.د. محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر
رئيس مجمع البحوث الإسلامية



الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية في حوار مع [illegible] المستشار الأول لوزارة الأوقاف بإقليم كردستان

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يلتقى مستشار وزارة الأوقاف بإقليم كردستان

استقبل فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية السيد/ عثمان رشاد المستشار الأول لوزارة الأوقاف بإقليم كردستان بالعراق والوفد المرافق له والمكون من السيد حمال خف قادر مدير عام ديوان الوزارة والسيد/ طاهر مورف كريم مدير معهد الأزهر بكردستان والسيد/ باوان صالح على مدير الشهادات في ديوان الوزارة.

وقد أشاد الشيخ على عبدالباقى أمين عام المجمع بعمق العلاقة التى تجمع الأزهر مع الشعب العراقى عامة والأكراد بصفة خاصة، وعد أن بين الأمين العام دور الأزهر فى الحفاظ على الثابت من الدين وأصول العقيدة وتنقية الإسلام من الشوائب والفضول، وتقديمه للمجتمع الإنسانى خاليا من الشوائب والفضول نقيا، كما أنزله الله وأراده سبحانه وأشار فضيلته إلى قيام الأزهر بتقديم كل الممكن من أجل تدعيم أواصر المحبة وتعميق العلاقات مع كل شعوب العالم.

وقال فضيلة الشيخ على عبدالباقى الأمين العام: إن الأزهر يجرى حوارا مع كل الأطياف الفكرية والمذاهب الفقهية وأن استراتيجيته هى بناء الجسور مع كل المؤسسات والمنظمات من أجل الإسهام فى تقدم البشرية.

وبدوره أشاد السيد عثمان رشاد المستشار الأول بوزارة الأوقاف بإقليم كردستان بحفاوة اللقاء مشيدا بدور الأزهر والذى شبهه بمنارة الإسكندرية والتى تهدى السفن إلى الطريق الصحيح، فإن الأزهر يهدى سفينة الحياة إلى بر الأمان وشاطئ النجاة.

الأمر الذى يدفع إقليم كردستان إلى توطيد العلاقات مع تلك المؤسسة الأعرق والأهم فى العالم، وأوضح [illegible] أن كلمة كردى إنما تعنى جنسا ولا تعنى دينا، وأن الأكراد منهم المسلم ومنهم المسيحى ومنهم غير ذلك، فالكردية قومية وعرقية ونسب وليست ديانة.

وأكد [illegible] أن الهدف من الزيارة توطيد العلاقات بين الأكراد بكردستان وتلك المؤسسة العملاقة، كما أنها جاءت فى إطار الاستعانة بالأزهر الشريف فى بناء الأطفال الأكراد على طريقة الأزهر، حيث تولى الحكومة الكردستانية أهمية بالغة للطلاب باعتبارهم الخندق الأمامى للفكر الإسلامى.

وقد تقدم الوفد بالأوراق الدالة على طلبهم بتولى الأزهر الشريف الإشراف العام على معهد الأزهر بكردستان، وطلب معادلة الشهادات بين الأزهر الشريف ومعهد الأزهر بكردستان.

هذا وقد صيغت اتفاقية التعاون بين الأزهر فى مصر وكردستان ووقع عليها الشيخ على عبدالباقى أمين عام المجمع والشيخ عبدالفتاح [illegible] رئيس قطاع المعاهد الأزهرية بعد موافقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما جاء بالاتفاقية من بنود.

حضر اللقاء الأستاذ/ إسماعيل أحمد أبو فهيشم مدير المركز الصحفى بمكتب فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الدين

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية الطبعة الثانية من كتاب (الدين.. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز عضو جماعة كبار العلماء، ولأهمية الكتاب رأى مجمع البحوث الإسلامية إعادة طبعه لعموم الفائدة.

وقد شمل الكتاب مقدمة وأربعة أبحاث، ففى المقدمة عرض المؤلف - رحمه الله - تاريخ علم الأديان فى العصر الفرعونى - الإغريقى - الرومانى - المسيحى - الإسلامى - الحديث.

■ فى البحث الأول (فى تحديد معنى الدين) أوضح: المعنى اللغوى وتعريفات المعنى العرفى وتصنيفه ونقدها - [illegible]

[illegible]

■ وفى البحث الرابع (فى نشأة العقيدة الإلهية) بين دعائمها فى العقل الغريزى - عواملها فى الوعى المتيقظ والشعور المتوقد.. الوضع التاريخى، والوضع العملى واختلاف المذاهب. والكتاب فى مجمله مفيد فى مادته العلمية، وفى أسلوب عميق رفيع المستوى أوضح المؤلف ومهد لكيفية دراسة تاريخ الأديان بأن تحرر العقول [illegible]

أنه ليس لذلك إلا وسيلة واحدة هي التفكر والتدبر الهادئ المتحرر من كل قيد عدا قيد الطاعة والتعلق السليم بتعاليمه وبآياته بها تقارئ ما تقرأ وتهتدي إلى سواء السبيل وحرى بنا أن نتوقف عن الخوض.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث وسلسلة البحوث

بلسان عربي مبين

ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية مذكرة لجنة بحوث القرآن الكريم بالمجمع حول ترجمة القرآن الكريم بحروف صوتية باللغات الأجنبية، وقد خلص ما انتهت إليه مذكرة لجنة بحوث القرآن الكريم من تحريم ترجمة القرآن الكريم بحروف صوتية باللغات الأجنبية مهما كانت الأسباب والدواعي والمبررات، أما ترجمة معاني القرآن الكريم فهو مباح فقط. لأن القرآن الكريم نزل وسيظل إلى أن تقوم الساعة بلسان عربي مبين، فلا يجوز بأي حال من الأحوال كتابته بلسان غير عربي.

وقرر المجلس أن القرآن الكريم لا يؤخذ إلا بالتلقي، ولا يمكن الوقوف على هدايته إلا بتعلم لغته التي نزل بها

بيان مجمع البحوث الإسلامية

أصدر مجمع البحوث الإسلامية بيانا يرحب بكل جهد إعلامي يبذل من أجل خدمة الإسلام والمسلمين. ويؤكد الأزهر أنه لا صلة له إطلاقا بأي قناة إعلامية من حيث التمويل والإدارة وأنه على استعداد للتعاون مع كل وسائل الإعلام بالنصح والتوجيه في كل ما من شأنه خير الإسلام والمسلمين.

مسابقة لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

بناء على قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ناظر وقف المستشار: محمد شوقي الفنجري بالاشتراك مع بنك فيصل الإسلامي المصري رقم (٥٧) لسنة ٢٠٠٧م بشأن مسابقة لجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تحت مسمى (وجوه الإعجاز القرآني في اللغة أو الاقتصاد أو علوم الأحياء) تعلن اللجنة النتيجة النهائية للمسابقة وهي كالتالي:

(أ) الجوائز الأصلية:

الجائزة الأولى: وفازت بها الدكتورة/ نادية محمد النجار - مصر - أستاذ العلوم اللغوية المساعد بكلية الآداب جامعة حلوان وقيمتها عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) جنيه.

وعنوان البحث: «من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم (سورة يوسف نموذجا)».

الجائزة الثانية: وفاز بها الأستاذ/ صالح عبد القوي السنباني - اليمن - رئيس قسم الإعجاز العلمي بجامعة اليمن وقيمتها عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) جنيه.

وعنوان البحث: «أثر تدريس وحدة مطورة من مادة الأحياء متضمنة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة».

الجائزة الثالثة: وفاز بها الدكتور/ السيد عطية عبد الواحد - مصر - أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد والعلوم السياسية بكلية الحقوق - جامعة عين شمس - وقيمتها عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) جنيه عن بحث: «القيم الأخلاقية في السياسة المالية والاقتصادية».

(ب) الجوائز التشجيعية المميزة:

خمس جوائز تشجيعية مميزة بواقع ألفي (٢٠٠٠) جنيه لخمسة فائزين وهم:

١- الدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب - مصر - أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - القاهرة.

وعنوان البحث: «من الإعجاز البلاغي في أساليب القرآن الكريم».

٢- الدكتور عمر عبد الهادي عتيق - الأستاذ المساعد - فلسطين - بجامعة القدس المفتوحة - جنين.

وعنوان البحث: «إشراقات دلالية في الإعجاز النحوي».

٣- وفاء عبد اللطيف طه حسين - مصر - طالبة بالدراسات التكميلية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - دكتوراه - جامعة القاهرة.

عنوان البحث: «وجوه الإعجاز القرآني في الاقتصاد».

٤- صبيحة صلاح عبد الرسول سليمان - مصر - طالبة بالثانوية العامة - مدرسة المعادي الثانوية بنات

عنوان البحث: «وجوه الإعجاز العلمي القرآني في الأحياء».

٥- عزة عبد الرزاق قطب - مصر - مدرس قرآن كريم

عنوان البحث: «وجوه الإعجاز العلمي في علوم الأحياء».

(ج) الجوائز التشجيعية:

عشر جوائز تشجيعية بواقع ألف (١٠٠٠) جنيه لعشرة فائزين وهم:

١- الدكتور عبد القوي محمد أحمد الحصيني - اليمن - أستاذ الأدب والنقد المشارك - عميد كلية التربية والعلوم والآداب بجامعة تعز

وعنوان البحث: «الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم».

٢- الدكتور/ مصعب حمود محمد الزيدي - العراق - أستاذ اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة إب اليمن.

عنوان البحث: «تأملات في إعجاز الذكر الحكيم في سورة الفاتحة».

٣- الأستاذ/ السيد حامد السيد علي - مصر - كاتب إسلامي.

وعنوان البحث: «من روائع البيان في لغة القرآن».

٤- الدكتورة/ نبيلة حبيب سيد حبيب - مصر - مدرس بقسم اللغة العربية بكلية الألسن - جامعة عين شمس

وعنوان البحث: «التراكيب في القرآن الكريم - دراسة لغوية نصية».

٥- الدكتور/ محمد محمد عبد العليم دسوقي - مصر - أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - القاهرة.

وعنوان البحث: «البدء بحروف المعاني والوقوف عليها، وأثر ذلك في إثراء المعنى».

٦- الدكتور/ بهاء الدين محمد جمال الدين الندوي الفيلاري - الهند - نائب عميد مجمع دار الهدى الإسلامي - كيرالا.

وعنوان البحث: «وجوه الإعجاز في اللغة».

٧- الدكتور/ عبد العظيم أحمد عبد العظيم - مصر - الأستاذ المساعد بقسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية - فرع دمنهور.

وعنوان البحث: «وجوه الإعجاز القرآني في الاقتصاد».

٨- الأستاذ/ يحيى حسين محمد أبو حلاجل - مصر - طالب بكلية التربية - الفرقة الرابعة شعبة علوم بيولوجية - جامعة حلوان

وعنوان البحث: «الإعجاز القرآني في علوم الأحياء».

٩- الأستاذ/ أحمد المرسي حسين جوهر - مصر - وكيل وزارة بالتربية والتعليم - سابقا - وعنوان البحث: «الإعجاز القرآني في علوم الأحياء - البيولوجيا».

١٠- الدكتور/ علي فريد محمد علي - مصر - أستاذ أمراض النساء كلية طب جامعة عين شمس، وعنوان البحث: «الإعجاز العلمي في آية النحل».



للأستاذين: محمود الفشني - أحمد رضوان

اتفاقية شاملة للتعاون بين دار الإفتاء المصرية ومجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة

وقع الدكتور علي جمعة مفتي مصر والدكتور عبدالسلام داود العبادي أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي اتفاقية للتعاون المشترك بين دار الإفتاء المصرية ومجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة لوضع وتنفيذ خطة شاملة للتعريف بالإسلام وإزالة الشبهات والرد على حملات التشكيك في الدين الإسلامي ويتمثل هذا التعاون في إصدار الرسائل وإعداد البرامج وإلقاء المحاضرات مع تبادل المعلومات والخبرات والزيارات المحققة لهذا الهدف.

وشملت الاتفاقية التي تم توقيعها على هامش الدورة التاسعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي أقيم مؤخرا في مدينة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة وضع خطة شاملة للتعاون في إصدار الفتاوى في المسائل التي يكثر السؤال عنها، وكذلك الموضوعات الشائكة التي تستدعي ذلك.

كما نصت بنود الاتفاقية على التعاون المشترك في مجال البحوث والدراسات الشرعية وخاصة قضايا التراث الإسلامي وحمايته وتحقيقه ونشره وتوزيعه بشتى الطرق الممكنة مطبوعة وإلكترونية بالإضافة إلى تنظيم الدورات التدريبية بين الطرفين، والبحث والنظر في مختلف القضايا ودراسة التحديات التي تواجه الأمة بالأسلوب الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة ويوضح تعاليمه. كما اتفق الطرفان على تبادل الخبرات في مجال الفتوى والقرارات الفقهية الصادرة عن المؤسستين في القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية.

اللغة العربية في المدارس المتوسطة بالدنمارك

قررت بلدية العاصمة الدنماركية كوبنهاجن أن تكون اللغة العربية من اللغات المختارة في مدارسها المتوسطة إلى جانب الفرنسية والألمانية حيث بلغت نسبة الطلاب من أصول عربية في المدارس المتوسطة ١١٪ ويبدي عدد كبير من الطلاب الدنماركيين رغبتهم في تعلمها للتواصل مع أصدقائهم العرب إلى جانب الشركات التجارية التي ترغب في توظيف من يتكلم العربية في الدول العربية لدعم تجارتها في الشرق الأوسط

المسلمون يعانون من التمييز في أوروبا

أكدت منظمة الاتحاد الأوروبي للحقوق الإنسانية في تقرير لها أن ثلث المسلمين في بلدان الاتحاد عانوا من التمييز ضدهم في السنة الماضية. غير أن العديد منهم لا يتقدم بشكاوى لانعدام ثقتهم في السلطات. وكشفت المنظمة أن ١١٪ من المشتكين تعرضوا إلى جرائم ذات دوافع عنصرية. وذلك حسب التقرير الذي يضيف أن جنسية الأشخاص المعنيين حسبة لتمييز تعنيف ومدة إقامتهم فيه عامل مهم في تعرضهم لمثل الأحداث. كما تقول المنظمة إن المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و٢٤ عاما كانوا أكثر تعرضا للتمييز. بينما لم يلحظ فرق يذكر بين ما تعرض له الذكور والإناث من تمييز ودعت المنظمة في تقريرها الدول السبع والعشرين الأعضاء في الاتحاد لمواجهة هذه الظاهرة وتوعية الأشخاص المعنيين بطرق تقديم الشكاوى

ويقول التقرير، وهو جزء من دراسة أوسع حول تجارب المهاجرين والأقليات في ١٤ بلدا أوروبيا، إن معظم أحداث التمييز ضد المسلمين وقعت في أماكن العمل. وقال مدير المنظمة «موريس كجيرم» إن عدد تلك الأحداث في أماكن العمل مقلق للغاية لأن العمل جزء أساسي من عملية الاندماج في المجتمع.

وجاء التقرير أن ٧٩٪ من المسلمين الذين تعرضوا للتمييز لم يتقدموا بشكاوى مما يعني أن آلاف حالات التمييز والجرائم العنصرية لم يسمع عنها قط.

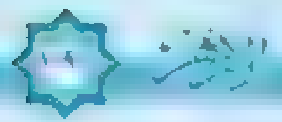
وذكر التقرير أن ٥٩٪ من المسلمين المستطلعة آراؤهم لا يؤمنون بأن تقديم شكاوى سيغير شيئا من وضعهم. بينما قال ٣٨٪ إنهم يتعرضون للتمييز طوال الوقت، لكن معظمهم لا يعلمون أي جهة للشكوى.

ملتقى دولي للاقتصاد الإسلامي بروسيا

نظمت وكالة نوفوستي الروسية للأنباء الملتقى الدولي الأول في روسيا للاقتصاد الإسلامي في مدينة قازان بجمهورية تتارستان في يونيو الماضي. وشارك فيه ممثلون عن مختلف مؤسسات الأعمال وخبراء في مجال الاقتصاد والمال الإسلامي من روسيا وبلدان رابطة الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق والشرق الأوسط وأوروبا وجنوب شرق آسيا. وناقش المشاركون إمكانية وآفاق ممارسة النشاط المصرفي الإسلامي في روسيا والاستثمار في اقتصادها.

المسلمون يحافظون على مقدسات غيرهم بتفان وإخلاص

لا تترك إسرائيل أي فرصة دون أن تتحدث عما أسمته المقدسات اليهودية الموجودة في الدول العربية والتي تعرضت حسب الزعم الإسرائيلي لتهديد، وتعمل إسرائيل على ترويج تلك الأكاذيب عبر كل وسائل الإعلام المتاحة والهدف الواضح من هذا الترويج هو تشويه صورة المسلمين



محاكمة صاحب فيلم «فتنة» بتهمة إهانة القرآن!

أعلنت النيابة العامة في هولندا أنها ستحيل عضو البرلمان جيرت فيلدرز إلى المحاكمة بتهمة إهانة القرآن وإثارة الكراهية والعداء ضد المسلمين، وأن الملاحقة القانونية لفيلدرز باتت الآن أمرا واقعا لا تراجع فيه من قبل المدعي العام.

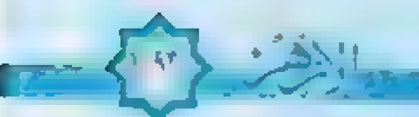
يأتي قرار النيابة العامة بعد أكثر من عام مضى على مطالبة آلاف المسلمين بهولندا بمحاكمة فيلدرز زعيم حزب اليمين المتطرف «هولندا الحرة» وإقامة عشرات الدعاوى القانونية ضده، حيث سبق أن قالت النيابة العامة: إن تصريحات فيلدرز قد تكون استفزازية لفئات في المجتمع وهم المسلمون، ولكنها لا تحرض على العداء والكراهية، غير أن المسلمين استأنفوا قرار النيابة الأول، فجاء القرار الثاني بضرورة إحالته للمحكمة. وقرر المدعي العام إحالة الأمر إلى المجلس القضائي الأعلى لبحث لائحة الاتهام، وستكون إحالة فيلدرز للمحاكمة بتهمة إهانة الإسلام والقرآن الأولى في تاريخ هولندا.

كان فيلدرز قد أذاع في أبريل من العام الماضي فيلما تسجيليا يحمل اسم «الفتنة» أهان فيه القرآن، وطالب بتمزيق آياته أو إحراقه زاعما أن آياته تدعو للإرهاب، كما وصف القرآن قبل إذاعة الفيلم بأنه يشبه كتاب «كفاحي» للنازي أدولف هتلر، مما تسبب في توتر العلاقات بين هولندا ودول العالم الإسلامي، وقد أعلن منذ وقت قريب أنه يعتزم عمل جزء ثان من فيلمه «فتنة» المسيء للإسلام.

اشتباكات بين المسلمين والشرطة اليونانية احتجاجا على تمزيق المصحف

قامت مجموعة من المسلمين بعمل مظاهرة احتجاجا على واقعة قيام شرطي يوناني بتمزيق المصحف، وتدخلت قوات الشرطة اليونانية لتفريق مئات من المسلمين الذين قذفوها بالعصي والحجارة أمام البرلمان، وقال أحد مسلمي اليونان: إنه خلال قيام الشرطة بعمليات تفتيش في مقهى مملوك لسوري أخذ ضابط مصحفا خاصا بأحد الزبائن ومزقه وألقاه على الأرض وداس عليه، وقالت الشرطة إنها فتحت تحقيقا داخليا وسار حوالي ١٥٠٠ مسلم في شوارع أثينا للاحتجاج على الحادث، وهتفوا «الله أكبر» وحملوا لافتات كتب عليها «ارفعوا أيديكم عن المهاجرين» وهذه هي المظاهرة الثانية منذ الواقعة، وكان ألف مهاجر بينهم كثيرون من سوريا وباكستان وأفغانستان قاموا بمسيرة إلى ميدان «زوموتيا» بوسط العاصمة.

وقال مهاجر مسلم عرف نفسه باسم سعيد: نريد أن نعيش هنا في سلام، لا نريد مشاكل، لكننا نريد أن يعاقب رجل الشرطة.



لكن التقرير الذي أعدته وكالة الأنباء الفرنسية يرد على تلك المزاعم وبقوة ويقول التقرير كيف يروج البعض أن المسلمين يهدمون كل ما يخالف عقيدتهم في الوقت الذي تؤكد فيه الشواهد كلها أن المسلمين حافظوا على العديد من الأماكن المقدسة التي لا تخصهم لكنهم حافظوا عليها من منطلق حفاظهم على حق الآخرين في العقيدة.

وقال تقرير وكالة الأنباء الفرنسية: إن من أبرز الأمثلة على حفاظ المسلمين على مقدسات الآخرين ما يتعرض له قبر نبي اليهود دانيال في العراق الذي يحظى برعاية عراقية إسلامية فائقة رغم أن اليهود الذين كانوا يرعونه هاجروا من العراق مع بداية الخمسينيات.

ويضيف التقرير إن جميع الأماكن المقدسة التي تنتمي للديانة اليهودية لم تمس كما يروج البعض، بل ظلت على حالها وتم الاعتناء بها حتى أصبحت أكثر جمالا من ذي قبل، بل إن من يحرس تلك الأماكن معظمهم من المسلمين.

هيئة الإذاعة البريطانية تعتذر للمسلمين

اعتذرت هيئة الإذاعة البريطانية للمسلمين رسميا على موقعها الإلكتروني عن اتهامها بتشجيع الجنود البريطانيين في الخارج، وطالب أن يكون الاعتذار على الهواء، وعرضت ٣٠ ألف جنيه استرليني تعويضا.

وعرضت الإذاعة البريطانية تسوية القضية ودفعها في اتهام أحد المشاركين في برنامج «وقت الأسئلة» للمسلمين بالتقاعس عن إدانة الهجمات التي تعرض لها الجنود البريطانيون في أفغانستان، واستشهد المسلمون على كذب ادعاء الإذاعة بقول الشيخ محمد عبد الباري أمين عام المجلس الإسلامي بصحف بريطانيا الكبرى عام ٢٠٠٧م أدان فيه الهجمات التي يتعرض لها الجنود البريطانيون، بل سعى المجلس لإطلاق سراح جندي بريطاني مختطف في العراق.

داعية أمريكي: مؤتمر دولي بهولندا لتوضيح صورة الإسلام

طالب المشاركون في فعاليات المؤتمر الوطني الإسلامي الأول الذي عقد بهولندا بتحويل المؤتمر إلى مؤتمر دولي ينتقل كل عام في دولة لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام.

وأكد الداعية الأمريكي المسلم خالد ياسين، أن من يتناولون الإسلام بسوء ويطاولون عليه بالاتهامات، ليس لهم احتكاك حقيقي بالإسلام الحقيقي أو تعاملات مع المسلمين، وقد تكون لهؤلاء تعاملات محدودة مع قلة من المسلمين أساءت التعبير أو التصرف، مما يعطي انطباعات خاطئة، ولا يجب على هؤلاء التعميم بأن الإسلام هو هذه القلة فقط، وأكد ياسين - في المؤتمر الذي استمر ٣ أيام بمشاركة عدد من الأئمة ودعاة هولنديين ومن قطر والسعودية وأمريكا، أن المرأة لها مكانتها وحقوقها من قبل أن تبادر القوانين المعاصرة أو المواثيق الدولية بالتحرك لحماية هذه الحقوق، ومن يدعي أن الإسلام يهدر حقوق المرأة إنما يدعي على الإسلام ظلما وعلى المرأة في العصر الحالي ألا تنكر على الإسلام دوره في تحريرها من قيود العبودية والجهل.



relation improving the human society is more sublime than those mentioned in Torah, Injil and the books of the two testaments: the Old Testament and the new Testament. Its reformations reach the highest levels.

"The one who looks at the stories of Adam, Noah, Ibrahim, Lout, Ishaq, Yaqub, Yusuf in the Genesis in addition to the life of Musa, dawud, Suliman, Ibrahim and other prophets in all of the old Testaments, will see Allah's attribution with ignorance and repent for the creation of the human beings and his desire for avenging them.

The enemies of the religion claimed that the Qur'an is fabricated by Mohammad, and it has come out of his internal revelation, as he is sharply intelligent. They thought that it was not sent by Allah, Glory be to Him.

However, we say that Muhammad had intelligent soul, pure heart and sound thinking, but Allah, Glory be to Him, chastened his soul and attributed him with these wonderful attributes. Also, Allah made him hate the blights of Pre-Islam and prevented him from wine and women along with worshipping idols to prepare him for this sublime mission. Allah brought him up in an unique way that has never happened to anyone else. Allah, Glory be to Him, praised him in the Noble Qur'an saying:

{And surely you will have indeed of a magnificent character.}

[Al-Qalam (The Pen): 4]

Also, Allah said:

{So it was by some mercy from Allah that you have been lenient with them; and if you had been stern and harsh of heart, they would indeed have broken away from round about you. So be clement towards them, and ask forgiveness for them, and take counsel of them in the command. Yet when you are resolved, then put your trust in Allah; surely Allah loves the ones trusting (in Him).}

[Al-Imran (The Household of Imran): 159]

The Prophet said about himself, may the blessings and peace of Allah be upon him, "Allah brought me up in a unique way." When he was forty years old, Allah destined him for the Revelation. Then the verses descended to his honorable pure heart to turn the nation upside down and to bear afterwards the great responsibility, and to spread the religion at the east and the west. Also, it was able to carry out the miracles that all of the previous and coming reformation at the historical times.

"In ten years, the Arab nation, which was the oldest nation on earth, was unified after separation and enmity. This unification rendered to the Noble Qur'an, which was sent by Allah, Glory be to Him.

{And in case they would like to deceive you, then surely Allah is enough for you; He is The One Who has aided you with His victory and with the believers. And He has brought their hearts together. If you had expended whatever is in the earth altogether, in no way could you have brought their hearts together; but Allah has brought them together; surely He is Ever-Mighty, Ever-Wise.}

[Al-Anfal (The Spoils): 62-63]

Also, the nation was unified by the best morals and clear policy set by Allah and His saying:

{So it was by some mercy from Allah that you have been lenient with them; and if you had been stern and harsh of heart, they would indeed have broken away from round about you. So be clement towards them, and ask forgiveness for them, and take counsel of them in the command. Yet when you are resolved, then put your trust in Allah; surely Allah loves the ones trusting (in Him).}

[Al-Imran (The Household of Imran): 159]

The Arabs were the most disobedient nation because of their freedom, power and non-affliction with tyrant kings that humiliate the nation. Muhammad succeeded in spreading the Da'wah in a short period that did not exceed two decades. Then, he attacked the Persians and the Romans to call them for the eternal Message.

{Say, "O population of the Book, come to a level word between us and you, that we worship none except Allah, and that we do not associate anything with Him, and that some of us do not take to themselves others as lords, apart from Allah." So, in case they turn away, then say, "Bear witness that we are Muslims."}

[Al- Imran (The Household of Imran): 64]

"If you refused, you will be destined to the sin of the Magi"

If you refused, you will be destined to the sin of the Arisians."

Muhammad's success in spreading the religion is a miracle in itself. This success is caused by Allah, and the holy verses which He sent to his pure honorable heart. Muhammad was not the one who ordered, but he informed the people with the Message as it descended to him by Jibril-may the peace of Allah be upon him-and as it rested in his pure soul.

"The liars would not say these claims about Islam, if they searched seriously in the reality of Islam and the personality of the Messenger, and the way Allah prepared him for the Message. This is possible due to their progress in analytical psychological and social science from one side, the existence of the accurate information about the personality of the honorable Prophet from the other side. Allah had his own way in selecting those great people, who held the banner of Islam. If they studied the Noble Qur'an honestly to reach the reality, they would not say these claims.

"The misunderstanding of Islam in the west in general is caused by the intended distortion of Islam long centuries ago. The campaigns that attack Islam today are not caused by new circumstances, rather, by old precipitations that were deeply rooted in the western mentality since the Crusades campaigns even before them; when the Muslims conquered Andalusia, and the Ottomans conquered Constantine and besieged Vienna."

"The middle eras in Europe witnessed many fabrications against Islam and Muslims. The Christians spread fabrications and lies against Islam and the Prophet. The greatness of Islam and the honorable Prophet needs only for being recognized-independent thinking and mind free of fanaticism, heart that does not respond to the rugged verdicts and an ear that listens attentively to the truth. Allah is truthful as he says:

{And if Allah had known of any charity in them, indeed He would have made them hear; they would have turned back (while) veering away from (His words).}

[Al-Anfal (The Spoils): 23]

Religion in the Life of the Human Beings

The reality of the Revelation of Muhammad'!

By: the Honorable Sheikh. Seddik Bakr Eitah

One of the sublime inevitable facts is that the believing in religion is regarded as part of the general human creation. The initial look at the universe and life in general emphasizes that that there is spirit streaming in the parts of the universe, linking them with the links of origin and aim in an astonishing harmony. In this way, we can feel that the Creator is only One, and that there is no conflict or discord among the different elements.

The initial look at the creatures around us assures this idea. This spirit includes the human being himself, linking him to the other creatures to the extent that that he is not alien to it. He does not think to create another world for himself, or to change anything else in the law of the universe.

The only thing that the human being can do to prove to himself his ability is to take a certain material of the universe to change its form to another one, after using his mind, which Allah endowed him. The human being adapts the material of the universe to his new goals. However, this material is after all a part of the universe created by Allah. Allah, Glory be to Him, says:

{O company of the jinn and humankind, in case you are able to penetrate through the regions of the heavens and the earth, then penetrate (them)! You will not penetrate except with an all-binding authority.}

[Ar-Rahman: 33]

Of course, the human being can not do this, as he is an integral part to the creatures of the heavens and earth. Here, the scientific law, "material does not diminish or revive out of nothing." The strong bond that links the human being to the spirit of the universe around him is called "religion" in its general frame and broad concept. "Religion, in this concept, is feeling of natural connection between the human being and the spirit of the universe."

"If religion is the natural relation between the human being and the spirit of the universe at the level of feeling the relation between his material and that of the universe, he can not, whatever effort he exerts, exempt himself from working for it. If we say, "the human being can not live without religion, we will exaggerate in this way, but we will be consistent with the nature of things."

"If his feeling for religion became lifeless, it is only an external feeling, not in its essence, nor in his feeling of his need for it." Read with me the saying of Allah, Glory be to Him, in the blessed verse, which assures that the human being's need for religion is innate. Also, he feels that there is a dominating Power in the universe, especially in the critical moments in which the untruthful aspects fall as the leaves in autumn. It is regarded as an inevitable fact, also it is part of his personality.

Allah, Glory be to Him, says:

{And when adversity touches man, he invokes us to his side, or sitting, or upright, then as soon as We have lifted him his adversity, he passes on, as if he has not invoked Us to an adversity that touched him. Thus, whatever they were doing was adorned for the extravagant.}

[Yunus (Jonah): 12]

The heavenly Messages starting from Adam-may the peace of Allah be upon him- to Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) aim at setting the relation on a straight path, so as the human being can realize the clear borders between the human being and the Creator of the universe in a very organized way.

When the human beings go astray and forget some of the content of the Message, Allah sends a Messenger for them to put them once again on the straight path. Then, the last of the Messengers came with the last Message to prevail in the whole universe with its tolerant instructions. Muhammad came with many miracles that address the human mind in its ripest state to assure that this religion is the last religion, and that its instructions are the most useful Message sent to the humanity.

However, humanity does not treat this Message fairly. I mean the stance of the recognizing and admitting the sacredness of the Message, and that it was sent by Allah. But, it was divided into two groups:

{A group He has guided, and errancy has come true against (another) group." Surely they have taken to themselves Ash-Shayatin for patrons, apart from Allah, and they reckon that they are (rightly) guided.}

[Al-A'raf (The Battlements): 30]

The Islamic Da'wah continued to struggle with disbelieving throughout the duration of the Message. At the end, it gained victory in spite of the various factors that foreshowed that the religion will die from the very beginning. However, Allah, Glory be to Him, was moving the battle from seven heavens. Allah, Glory be to Him, says:

{They would (like) to extinguish the light of Allah with their mouths; and Allah refuses (anything) except to perfect His light, though the disbelievers hate (that). He (is) The One, Who has sent His Messenger with the guidance and the religion of Truth that He may make it topmost over all religion, though the associators hate (that).}

[At-Tawbah (Repentance): 32-33]

{Surely We indeed vindicate Our Messengers and the ones who have believed in the present life and upon the Day when the (noble) Witness rise up.}

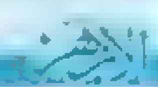
[Ghafir (The Forgiver): 51]

The enemies fought Islam extremely without mercy using tongue and sword. The tongue battle was tougher than that of sword, as they stirred many suspicions, which can not stand against the clear fact. This battle continued since the first day of the emergence of Islam till today.

These enemies claimed that the Qur'an is fabricated by Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the legislative, doctrinal and moral bases are created by Muhammad along with the instructions driven from Torah and Injil as well as his discussions with the leaders of Christians and Jews, with whom he met on his travel.

We shall respond to the claims of those liars, who claim objectivity and neutrality in their search for absolute truth about religions and their sources, whatever right or wrong. We will leave response to the other claims in the following essay.

The one, who looks at the instructions and bases of Islam in creeds, worshipping and legislation without fanaticism, which drives the person away from the right path in comparing the Islam with the previous religions, especially Torah and Injil, will see that "The creeds of Islam including worshipping Allah alone, attributing Him with Perfection, which is implied through mental and scientific evidences, along with its purifying worshipping rituals that promotes mind and its fair leg-



He called for respecting human rights and minorities insisting that Islam is a religion calls for tolerance and asking the western countries to let their Muslim citizens freely practice their religious customs. He also emphasized that the women should not be deprived of education because depriving them of education leads to injustice. He also said that his country would set up Centers for scientific superiority in America, Middle East and South Asia.

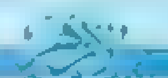
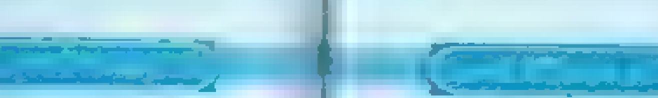
He said the Palestinian situation is too difficult ..America does not turn away her back from the legal ambitions of Palestinians for achieving an independent state and their dignity.

For a long time there has been a block road.. the way to find out solution to this problem has been blocked for many decades two countries have legal ambitions and painful history makes the compromise a difficult case and easy to raise a charge against each others .. The Palestinians indicate the policy of displacement that led to setting up Israeli-state, while the Israelis show the continuous hostility and attacks from inside and outsides its boarders during its history.

If we look at this conflict from one side or other it will be a blind look and can not see the truth, and the sole solution lies in achieving the both countries ambitions by setting up two states where the Palestinians and the Israelis can live in peace and tranquility, this solution suits Israel, Palestine, America and the whole world. I'm personally determined to achieve the goal with great patience required by this mission and obligations upon which two countries have agreed about road map plan with clear features in order to achieve peace. The time demands us in general and two countries in particular to shoulder the responsibility, and the Palestinians should avoid the violence because the resistance with violence and killings is a wrong action that never succeeds.

Negroes in America had suffered from slavery and racial discrimination for centuries, and not the violence, but their peaceful persistence with great examples America always puts emphasis on enabled them to achieve their rights. This story is told by people of South Africa, South Asia, East-Europe and Indonesia. It is a simple story with reality which proves that violence is a blocked road, and attacking through missiles on sleeping children or killing the women through blasts in buses and cars is not a sign of bravery and power, this is not the way to gain moral authority, but the way that renounces the moral authority.

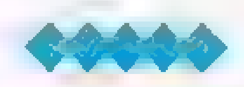
It is time for Palestinians to focus on their abilities and the Palestinian Authority should improve its capability to govern among foundations fulfill the needs of the people. Hamas enjoys the effect from some Palestinian with great responsibility on their shoulder to play an important role in achieving the hopes and ambitions for the unity of Palestinians, and must put an end to the violence and accept previous accords and the right of the existence of Israel. And United States of America does not accept continuous process of Israeli Settlements; it violates the previous agreements and ruins the peace efforts.

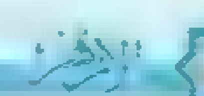




It is time to stop this settlement, and Israel should fulfill all obligations assuring that the Palestinians can live, work and develop their societies, and there should be an investigation about living standard of Palestinian, it is the most important part of road-map to achieve peace, and Israel should take concrete steps to achieve this progress.

Eventually, the Arab countries should admit that Arab peace initiatives were a beginning but not the end of their responsibilities. We should not use the Arab- Israeli conflict after the day to turn the eyes of the Arab nation from the other problem, rather it must be a reason to act to help the Palestinian people to develop their own institutions, which will be the recognitions, which will be the recognition of the legitimacy of Israel and the choice of progress rather than the investigator of which have been in the past .American policy will be unified with those who seek to achieve peace. We can not impose peace, but quietly and with conviction, many Muslims know that Israel will not go, as well as the Israelis know the need for a Palestinian state. It is time for us to act to achieve what many know as the truth. We have poured many tears and much blood shed, we all have a responsibility for the day when the Israelis and the Palestinians view the live and lead their children without fear and when they become the real partners of the holy land of the place of peace three great religions, which is God's will for us.

When the city of Jerusalem will be the permanent home for the Jews, Christians and Muslims and the place where all the children of Abraham to live in peace, as stated in the story of Ezra Both Moses and Jesus and Muhammad, peace be upon him participating in prayer together. The third source of tension is a common concern rights and responsibilities of the States; especially those related to nuclear weapons matters, which Iran oppose it. Would be difficult to overcome decades of mistrust, and we would go ahead with courage and determination of the correctness.





His soul was pure to the extent that he saw true visions during all of his life before the Message. He was ascetic to an extent that is not known by his advocators and opponents? Thus, the Prophet can be set forth and saw the miracles of Allah.

The modern science admits in its facts the ability of the transformation of material into energy. Thus, the human being can surpass the limit of time, the fact which is tested by many countries by increasing the speed of movement to a well-known extent. The supernatural scientists say, "The human being may be transformed into energy, then is transformed into material once more. But they do not know the circumstances under which this can be done. If this is possible, he can reach distances timelessly.

If the equipments are the ways to reach this aim, will these equipments reach the Power of Allah in the verse, "Surely His Command, if He wills a thing, is only to say to it, "Be!" and it is." Thus, the Night Journey could be performed by body also. The evidence that it occurred by his honorable body is that he told his people that he saw caravans, one of which was misguided.

He drank from a vessel with the caravan, spilled the rest and covered the vessel. The caravan is anteceded by a camel with a sign, and it will reach them after three-day walk. This came true. No one should accuse his of denying afterwards.

{All Extolment be to (to Him), Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further Mosque, around which We have blessed, that We might show him (some) of Our signs. Surely He, Ever He, is The Ever-Hearing, The Ever-Beholding}

[Al-Isra (The Night Journey): 1]

Thus, the incidents of the Night Journey occurred by body and soul. Allah says:

{All Extolment be to (to Him), Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further Mosque}

The two incidents of the Night Journey occurred at one night. The human being consists of body and soul, the movement in body and souls renders this event as miracle. However, visions are far from this meaning, and can occur to all of the people.

If this event was a vision or a dream, the people would not get amazed by it. There is no amazement in one's dreaming of going to the Levant or India watching many things. Also, the people of Quraish would not deny it and would not ask the Prophet about the description of the Further Mosque and the caravans visiting the Levant. The Prophet answered them correctly. Thus, the apostasy of some of them would be meaningless. If I say that I dreamed of traveling for pilgrimage and saw many things, there would not any miracles or signs either few or many.

If this event was by soul only, the people of Quraish would not debate with the Prophet and no one apostatized. They used to tell him that they spend a month to reach the Levant riding their camels and he says that he went to Jerusalem and came back to Mecca at one night and became with them in the morning. The claim that vision can not occur except in death is not right, as it can occur in a state of wakefulness, as the scientists say. Rendering it as a miracle is enough to reveal its significance. Also, Allah says in Surat Al-Najm:

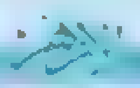
{And indeed he did already see him (during) another descent, At the Lote-Tree of the Utmost Boundary}

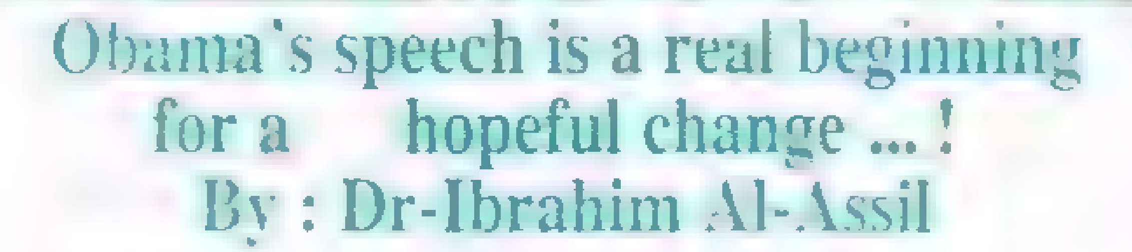
Till He says:

{In no way did beholding swerve}

The one who has the least right sense says that this information can not be told about a vision. The one who became aware of the sayings concerning the Night Journey, he will not doubt that it happened in complete wakefulness.







US president Barak Hussein Obama arrived in Cairo on Thursday, June4, 2009 for a one day visit.

He held talks with President Muhammed Husni Mubarak at the Qobba palace. Later on, he delivered a widely anticipated speech at Cairo University addressed to the Muslim world.

Obama traveled to Cairo from Saudi Arabia, where he met with king Abdullah.

He had visited Turkey Muslim country, weeks ago and visited several religious sites in a sign of mounting American interest in the civilization, Muslims had built over the years.

In Cairo Obama spoke about his fathers Islamic heritage and his childhood in Indonesia, one of the most populous Muslim nations.

Never reading from a paper and well-read in history, the US president delved deep in the accomplishments of Americans Muslims, and the contributions, the Islamic culture has contributed to civilization over the centuries.

Al-Azhar, for more than one thousand year lightened the minds and paved the way for a genuine cultural civilization obama said .

US president Barack Obama said that Muslims represent a good example to the rest of the world, and America is not a selfish Emperor that seeks its own interests only. "Any global regime that has sense of superiority complex will end probably in complete failure". He said in his address to the Islamic World during his historical visit to Cairo University. America will soon establish a" New American Fund" in order to support the Technology development in Islamic Countries" He said.

He, regarding the prevailing violence and extremism in various parts of the world, further said, his country will face these extremists and defend his country without harming the sovereignty and laws of these countries." He stressed that the solution to ongoing Arab-Israel conflict lies in establishing two separate states so that both can live in peace and tranquility, indicating that setting up an independent Palestine-state will suit the interest of Palestinians, Israel , America and the whole world. "America does not accept the continuous settlement process and Hamas should put an end to violence", he said. He said about his historical visit to Cairo, he feels proud describing AL-Azhar Al-Shareef - once- again as beacon of light for whole world, and Cairo University as a minaret of knowledge and progress.



[Taha: 1-2]

Allah reveals that the Prophet watched the universe to keep his heart steady and to ease his soul. Also, he met with the other Prophets to become intimate with them because Allah, Glory be to him, said:

(So endure (patiently), as the Messengers endowed with resolve (endured) patiently)

[Al-Ahqaf (The Sand Dunes): 35] Thus, he had to meet with the Messengers to keep his heart firm. The aim behind the Night Journey was to ease the soul of our beloved Prophet and to compensate for the torture he encountered from the part of the disbelievers.

The Night Journey is an Islamic fact that descended by the Revelation to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Surat Al-Israa started with the word "All Extolment" to reveal the greatness of this event, and it is one of the issues about which many questions and enquiries are raised. Many people ask whether it happened by soul, by body or by both of them?

The deniers doubt the Ability of Allah. Thus, the verse says, "Who made His bondman to set forth by night" which is regarded as an evidence that it occurred by body and soul. The event is a miracle, in the sense that it differs from the normal and familiar laws, traditions and conventions. If it occurred by soul only, it would not be a miracle as the visions are not considered miracles.

Both of the incidents of the Night Journey occurred by body and soul while the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was completely aware of the incidents he encountered in this journey. Thus, when the people of Quraish asked him about the caravan coming from the Levant and the time it will reach Mecca, he replied with the proper answer.

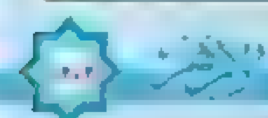
This incident emphasizes that the Night Journey was a unique Islamic event that can not be properly understood by mind, because it is not accustomed to the issues related to Allah's ability. The true Muslim should believe these issues without being confused by questions that misguide him.

The deniers should not deny this miracle and forget that a believer transferred the throne of Belqis from Yemen to Jerusalem in the twinkling of an eye, and an ifrit of the jinn told the Prophet Sulaiman (may the peace of Allah be upon him), "I will come up with it to you before you rise up from your station." One of the Miracles of the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was the Night Journey.

Hend Bent Abi Taleb, her surname is Om-Hani (who was the Prophet's cousin) said, "The Prophet spent the night at my home and he prayed Al-Isha prayer and we slept. Before the dawn, Allah's Messenger awakened us and we prayed with him. He said, 'Om Hani', I prayed Al-Isha prayer here as you saw, then I went to the Inviolable Mosque where I prayed. Then I pray with you Al-Fajr now as you see.' She told him, 'Do not tell the people about this event not to accuse you of lying and hurt you.' He said, 'I swear that I will tell them about it.'"

When the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) informed the people with this event, the opponents found a reason for accusing him of lying, but rather, some of the Muslims apostatized, as their minds did not realize the event of the Night Journey. If they understood the secrets of the Night Journey, and believed in the possibility of being performed by anyone, then how could it be a miracle? Did they think about the miracles of the previous Messengers? Did their minds or those of the previous people realize the miracles and their secrets? Was it possible for people other than the Prophets to do similar miracles? Thus the miracle is defined as a supernatural event that the normal human beings can not perform.

Ibrahim (may the peace of Allah be upon him) was thrown in fire, but he was not hurt by the will of Allah. He tore some birds into pieces throwing them to different mountains, and when he called them, they flew to him by the Will of Allah. Musa (may the peace of the Allah be upon him) threw his stick, which sways such as a snake snatching the sticks of the other magicians by the



Will of Allah. Isa (may the peace of Allah be upon him) created shapes like birds, in which he blew rendering it a real bird by the Will of Allah. Does mind understand these miracles? Can any human being other than the Prophets and Messengers do what the Prophets can do? Thus, why the opponents of the Prophet Muhammad attack him for the miracle of the Night Journey?

Science carries in its progress new evidences for the miracles of the Noble Qur'an with the meaning of the scientific verses emphasizing that the Islamic creed and obligations are in conformity with the spiritual and physical needs of the human being. Also they are the path to his happiness in the worldly life and the hereafter. It is emphasized that Islam is the last religion and its Messenger is the last of Messengers and Prophets. Moreover, progress in the various scientific fields revealed some of the scientific facts, proving that the Night Journey occurred in the way explained by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

The human being has been and is still the subject matter of the scientists' researches since the day when science started to discover the secrets of the human being till recently. Science assured that in sleeping the human being's soul leaves him temporarily, but is still joined to the body by an airy cord. It can move from one place to another and meet with other souls of human beings either alive or dead. These souls can not go farther than the length of the airy cord. Carrington and Muldoon say in their book (The Departure of Soul from the Body): Researchers presented previously many theories to explain dreams, but they were all rejected, because none of them was suitable.

For example, the chemical theories try to account for sleeping by assuming the formation of poisonous materials inside the human body during wakefulness. Other theories state that sleeping is due to special glands. However, these theories were not able to explain the facts. In fact, we will never reach the right theory that explains sleeping unless we admit the existence of a vital power and human soul that withdraw either wholly or considerably from the body at the sleeping hours.

The researches followed each other till science reached another fact that death and sleeping are considered from one respect, as sleeping is the minor death. As in death, the airy cord is cut and the soul meets other worlds and reaches other dimensions. The Noble Qur'an precedes science as it admitted this fact in the following holy verse:

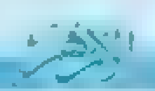
(Allah takes up the selves at the time of their death and the ones which have not died, in their sleeping. Then He holds back the ones against which He has decreed death, and sends forth the others till a stated term)

[Az-Zumar (The Hordes): 42]

If sleeping is a state of the departure of the soul that occurs daily, as the soul wanders in fixed worlds, the departure of the soul of Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) will reach places and worlds further than those reached by the normal human beings. The modern science proved that an ascetic person with pure soul can watch and sense another world in which he sees indescribable matters.

The one who admits this fact is not a religious scholar, philosopher or a novelist, but one of the greatest doctors, Dr. Alexis Carrell, the winner of Nobel Prize in medicine and surgery. He says in his book, "Sufism is a strict spiritual exercise that requires first hard asceticism, it is a difficult way that requires leaving the worldly affairs. Then at night, the ascetic person feels the pains of the purifying life, gets seperated from his soul gradually. Then he reaches a luminous world in which he can not describe what he sees because his soul rushes farther than the limits of place and time. Then, it is linked to indescribable matter."

If this is the case with an ascetic person, what will be the case with the Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) whose heart got rid of any other thing except Allah.





AL-AZHAR MAGAZINE

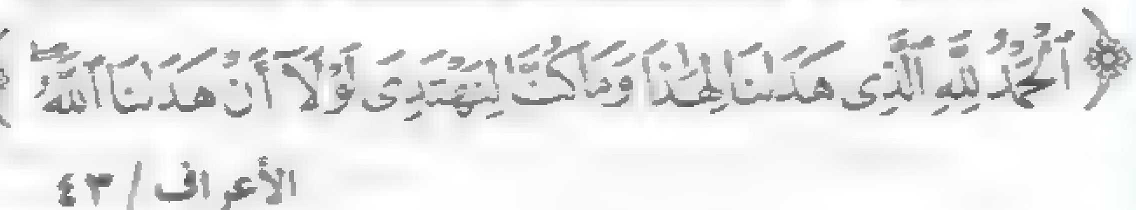
Rajab. 1430



ENGLISH SECTION

July. 2009

In the name of Allah the Beneficent the Merciful



الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."

(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Night Journey and the Ascent...! (Al-Isra'a wa Al-Mi'raj)

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah, Glory be to Him, honored His Prophet Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) with the miracles of the Night Journey to glorify and memorialize him eternally. The Noble Qur'an referred to these miracles saying:

{All Extolment be to (to Him), Who made His bondsman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further Mosque, around which We have blessed, that We might show him (some) of Our signs. Surely He, Ever He, is The Ever-Hearing, The Ever-Beholding}

[Al-Israa (The Night Journey): 1]

Allah, Glory be to Him, said:

{Will you then wrangle with him about what he sees? And indeed he did already see him (during) another descent. At the Lote-Tree of the Utmost Boundary. At it is the Garden of Abode. As that which envelop the Lote-Tree.}

[An-Najm (The Star): 12-16]

The scientists revealed that the two incidents of the Night Journey occurred at one night, during which the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was awake. Also, they occurred by the body and soul of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). The famous right hadiths in Sahih Al-Bukhary and Muslim emphasized this information.

The Night Journey was intended to ease the heart of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) due to the various events that overburdened him including his sorrow for the death of Lady (Assayda) Khadija (may Allah be pleased with her) and his uncle Abu Taleb. The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) was set forth from the Inviolable Mosque to the Furthest Mosque, then to a place, that Allah destined him to reach in the sense of nearness.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) ascended to the heavens, saw miracles and met with other Prophets. It was a generous hosting and compensation from Allah to recompense him for the hardships, difficulties, calamities and torture encountered by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Allah, The Ever-Merciful, eased the Prophet's wounded soul and grieved heart. In the Night Journey, the Prophet saw the miracles of Allah as well as the Divine Protection to him and His Da'wah. He became sure of the success of his victory over his enemies. Allah, Glory be to Him, notified His Great Universe, enlightening the Prophet's heart.

The Night Journey was intended to keep the heart of the Prophet steady after watching the Great Universe and hidden matters. He was set forth to the heavens to be elevated and to see what no other human being ever saw. It is as if Allah, Glory be to Him, was telling Muhammad that the aim behind the Night Journey is to see Our Great Miracles, as the inhabitants of Mecca annoyed and dismissed you, and the inhabitants of Taif tortured and hurt you. Allah, Glory be to Him, says:

{And indeed We already know that, for you, your breast straitens by what they say.}

[Al-Hijr: 97]

Allah, Glory be to Him, says:

{Taha. In no way have We sent down the Qur'an upon you for you to be wretched}

فهرس العدد

- بين الفكر الأدبي الذاتي؟ هل من جواب (الافتتاحية)

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ١٠٣٣

- تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ١٠٣٨

- الصدقة في ميزان الإسلام

لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي ١٠٤٥

- المقام المحمود

لفضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومي ١٠٤٨

- دور الفقه الإسلامي في حياة [illegible]

لفضيلة الشيخ [illegible] ١٠٥٢

- في كل محنة منحة

للأستاذ الدكتور [illegible]

- فقه الأولويات [illegible]

للأستاذ الدكتور محمد [illegible]

- [illegible]

لفضيلة الشيخ [illegible]

- دروس قرآنية في التربية [illegible]

للأستاذ محمد مصطفى [illegible]

- أدب الأنبياء والرسل مع الله عز وجل

لفضيلة الشيخ [illegible] ١٠٧٢

- موسى عليه السلام والتربية [illegible]

للأستاذ الدكتور [illegible] ١٠٧٦

- [illegible] من الاعتقاد إلى الإكرام

للدكتور محمود عمارة ١٠٨٠

- خطبة الجمعة: [illegible]

للأستاذ الدكتور محمد [illegible] ١٠٨٤

قصيدة العدد: دنيا الشباب

للشاعر الكبير أحمد [illegible] ١٠٨٧

قصة العدد: أذان في غير موعد

للدكتور [illegible] ١٠٩٠

- في زمن [illegible]

للشيخ [illegible] ١٠٩٥

- عقوبة الفطرة

للدكتور [illegible] ١١٠٠

- مشكلات القراء

للأستاذ الدكتور [illegible] ١١٠٤

- قراءة في كتاب [illegible]

للأستاذ [illegible] ١١١٢

- كتب التنوير: الصهيونية [illegible]

عرض وتحليل ونقد الدكتور إبراهيم عوض ١١٢٧

- من أعلام الأزهر: الشيخ محمد الغزالي

للأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج ١١٣٢

- الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة إلى الدين

للأستاذ عاطف مصطفى ١١٣٦

- الإعلام الإسلامي بديل الإعلام الغربي

للأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس ١١٤١

- كيف نخرج أمتنا من مأزق التخلف الحضاري؟

للدكتور محمد [illegible] ١١٤٥

- بين الصحف والمجلات

للأستاذين محمد جمعة - [illegible] ١١٤٨

- [illegible]

للأستاذ صلاح محمد رجب [illegible] ١١٥٦

- [illegible]

للشيخ [illegible] ١١٦٢

- بين اللغة و[illegible]

للأستاذ أحمد السيد علي [illegible] ١١٦٤

- صفحة الشباب

الشيخ عبد المجيد أبو بكر ١١٧٠

- أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ أحمد توفيق ١١٧٤

- أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذين عبد الموجود [illegible] - يحيى سليمان ١١٨٤

- أنباء العالم الإسلامي

للأستاذين محمود الشناوي - أحمد رضوان ١١٩٠

- القسم الإنجليزي

إشراف وإعداد د. إبراهيم [illegible] ١٢٠٥



AL AZHAR
MAGAZINE
sha'ban, 1430 A.H Aug., 2009
VOL. 82 Part VIII

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ



تأملات في خطاب الرئيس باراك أوباما من منظور إسلامي

لفضيلة الإمام الأكبر

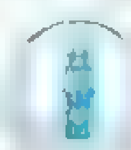
الدكتور / محمد سيد طنطاوي

شيخ الأزهر



الثمن ١٥٠ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

شعبان ١٤٣٠ هـ - أغسطس ٢٠٠٩م - الجزء الثامن - السنة (٨٢)

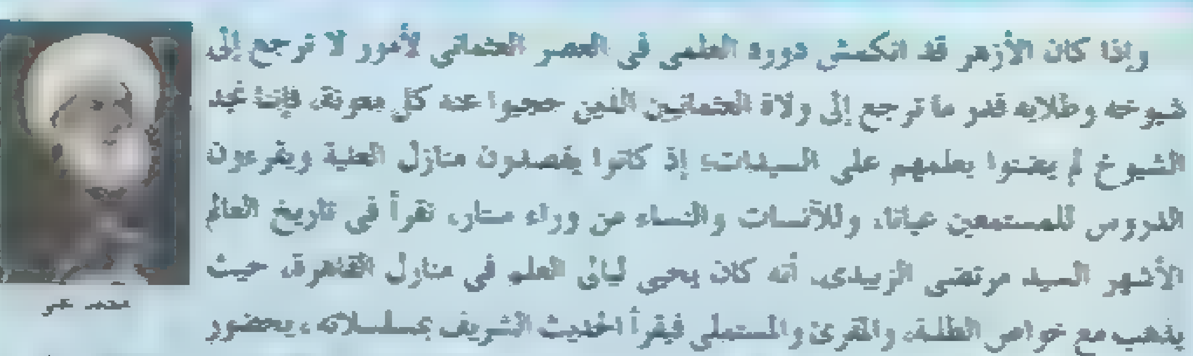




فتيات عالمات في تاريخ الأزهر

[illegible]

ولكن المؤرخ الكبير شمس الدين السخاوي قد أفرد جزءاً خاصاً من كتابه (الضوء اللامع) لتراجم النساء فذكر تراجم لألف امرأة، أكثرهن من مصر، منهن المحدثة والمقرئة والفقيهة والأديبة والشاعرة؛ فلعمري من يكون أساتذة هؤلاء المتعلمات غير شيوخ الأزهر، إذ ليس غيرهم في الميدان؟ ومن قبل جعل ابن سعد جزءاً خاصاً من الطبقات مقصوراً على الصحابيات؛ فإذا قال قائل إن المرأة قد تعلمت على أيدي شيوخ الأزهر في العصر المملوكي فمعه الدليل من كتاب الضوء اللامع.



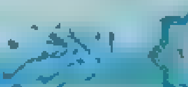


وإذا كان الأزهر قد انكمش دوره العلمي في العصر العثماني لأمور لا ترجع إلى شيوخه وطلابه قدر ما ترجع إلى ولاة العثمانيين الذين حجبوا عنه كل معونة، فإننا نجد الشيوخ لم يعتنوا بتعليمهم على السيدات؛ إذ كانوا يقصدون منازل العلية ويفرعون الدروس للمستمعين عياناً، وللآنسات والنساء من وراء ستار، نقرأ في تاريخ العالم الأشهر السيد مرتضى الزبيدي أنه كان يحيي ليالي العلم في منازل القاهرة، حيث يذهب مع خواص الطلبة والمقرئ والمستملي فيقرأ الحديث الشريف بمسلسلاته، بحضور الناس والنساء والبنات من خلف الستار يسمعن ويفهمن، فإذا فرغ من الدرس كتب الكاتب أسماء الحاضرين المشاهدين من الرجال، والمستمعات الحاضرات وراء الستار في صحيفة تشهد لهم بالسماع، وتحفظ في المنزل للتذكار. وبعض السامعين والسامعات في نقاش علمي حتى يحيي الدرس القابل فيسألون ويسألن عما يستدركه من مسائل، وإذا كان يفهم على أبعاد تتفاوت، وفيمن سمعت أسماؤهم وأسماؤهن من يعتز به من أهل الدرس والتحصيل. ويعد ذلك ميزة كبيرة على النظراء.

إن اهتمام الطبقة من السيدات بسماع الحديث، ولو من وراء ستار، جعلهن على درجة من اليقظة الحرة، والحمية الباسلة يجب أن تسجل لهن، ولا أدري لماذا يتجاهل هذه اليقظة المبكرة لدى من يكتبون تاريخ هذه الحقبة وما تلاها، فيسكتون عن النساء المتصلات سكوتاً تاماً، ولا يذكرون غير حركات الجهلات من ذوات الأجنحة والتمائم والتعاويذ! لقد سجل الجبرتي في كتابه موقفاً باهراً للسيدات المتعلمات تدل على حمية المرأة وشدة شعورها بحقها الشرعي، وانتقامها من الظلم والاضطهاد، ومن أمثلة ذلك ما رواه في أحداث سنة ١٢٢٩هـ حيث قصد إلى الجامع الأزهر جمع كبير من النسوة اللاتي نهبت أرضهن بالالتزام عند محمد علي. فلما دخلن الجامع الأزهر صرخن في وجوه العلماء، وأبطلن دروسهم، ومزقن أوراقهم ومحافظهم، وبددن كتبهم. فاضطر العلماء إلى الفرار، فعدن إليهم صباح كل يوم وعطلن الدروس، ومزقن الكتب حتى نلن حقوقهن، وقد وصل الأمر إلى المسئولين فأرسلوا إلى الشيوخ يعرفون سبب هذه الظاهرة النسائية، وقد تكرر ذلك فكان صداه قوياً لدى الحكام!! والحقوق هي أموال لهن نهبها ولاة الأمر دون استحياء.

إن الجبرتي قد سجل عدة مواقف من هذا التظاهر في شهور متوالية، فماذا لا تكون السطور الأولى في كتاب النهضة النسائية للمرأة المسلمة التي بعثت تطالب بحقها، فتوجهت إلى العلماء إذ المفروض فيهم أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر تبعاً لما يقررون في دروس الفقه والتفسير، هذا الوعي الحر لدى المرأة هل صدر تلقائياً دون دراسة أو تحصيل؟ لا أجد من يصدق ذلك!

لقد كان حديث تعليم المرأة في مصر بعض شيء على المعاصرين، لأن ما ذكره السخاوي عن وجود هذه الكثرة الكاثرة في عصره من المتعلمات، يدل دلالة قاطعة على أن تعليم المرأة لا يقتصر على عدة نساء وجدن البيئة العلمية في منازلهن المتصلة بالدراسة، بل يدل على أن حركة دائبة ذات رواج أحدثت هذا الكم

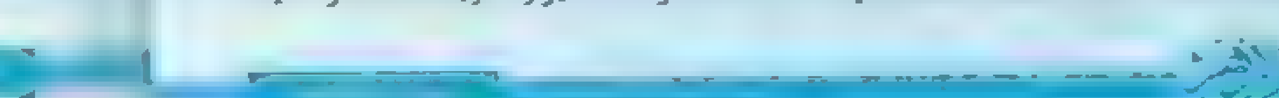


بكثير من العالمات المعاصرات. والسخاوي قريب العهد من الجلال السيوطي، ذكر فيما ذكر في كتابه بغية الوعاة أنه قرأ العلم على سيدات فضليات مبرزات متخصصات في الدراسة الدينية، فسمى السيدة الفاضلة نشوة خوند المكتبة الملكية، بنت خليل الجوزي، وهاجر بنت محمد، وأم الفضل المقدسية، وزينب بنت عبد الله، وكمالية بنت أبي بكر، وأمة الخالق بنت العقبي، وفاطمة بنت علي، وأمة العزيز بنت محمد، وخديجة بنت خليل ... وغيرهن. وإذا جمعنا هذا العدد من النسوة المتخصصات في العلم ... من فرغ، وقد كانت المدارس الدينية منتشرة في القاهرة ومصر جميعها مدعماً بإنشائها صلاح الدين الأيوبي حتى بلغت في القاهرة وحدها أكثر من خمسين! وأساتذتها جميعهم من علماء الأزهر، فهي تابعة ... فروع خرجت منه. هذه المدارس لم تكن وقفاً على البنين بل لابد أن تكون البنات بين من يتعلمون، والدليل الذي لا يغفل ... تلك ... التي تحدث عنها السخاوي، وهذه الصحبة العاطرة من السيدات العالمات اللاتي كن أساتذة الجلال السيوطي! واللاتي باهى بهن مفاخراً.

ثم كان حديث السيوطي عن أستاذاته ... دفعني إلى تتبع خط رقيق يرسم سير التعليم النسوي في مصر. فكتبت بمجلة الهلال الغراء مقالاً تحت عنوان (هل تعلمت المرأة في الأزهر القديم؟) (أكتوبر سنة ١٩٥٥) ... قراءتي عن السخاوي والسيوطي ... وقفت متسائلاً: إذا كان السيوطي العالم الموسوعي ... أكثر من عشر سيدات عالمات، وإذا كان الأزهر بمدارسه المتفرعة عنه مركز الحركة العلمية في آخر عصر المماليك، فأين تعلم هؤلاء الفضليات دروس العلم إن لم يكن أخذن المعرفة عن شيوخ الأزهر في جامعه نفسه، أو في مدارسه التابعة له، أو في مجالس العلم في بيوت الطبقة من الوجهاء.
وكان هذا هو الخيط الأول في مقال الهلال!

أما الخيط الثاني فيتمثل فيما قرأته بمجلة الرسالة بالعدد الصادر بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٤١ تحت عنوان «فتيات في الأزهر» حيث يقول الكاتب: ذكر المستشرق الإنجليزي ... في كتابه «الحياة الفكرية والتعليمية في مصر» ... خلاصته أن ... الحملة الفرنسية أثناء قدومها في مصر، وجدت في صحن الأزهر ... يتعلمن في حلقات العلماء، ويتفقهن في الدين. وكانت هذه علامة غريبة ... حولها. ... في معهد ... الفتيات يحضرن الدروس الدينية، ويستمعن إلى التفسير والحديث.

والسؤال الذي نوجهه إلى من يتشككون في قول المستشرق الإنجليزي هو: ما الذي يدفعه إلى أن يذكر عن هؤلاء الأزهريات ما ذكر إن لم يكن قد قرأ ما كتبه بعض رحالة الحملة الفرنسية وتأكد منه؟ بل ما الذي دفع من كتب من علماء الحملة إلى تسطير أمر كهذا إن لم يكن شاهده بنفسه؟ ... معاً ... في أن يقرر تعليم المرأة بالأزهر دون أن تقوم عليه الشواهد الناطقة؟ بل نعجب لماذا هؤلاء لا يسكتون عما يرون ريب كل أو شيئاً



المسارعة إلى تصديقهم حين يتحدثون عن النسويات فحسب، ... سكتوا فكيف ... صيحات المتشككين؟

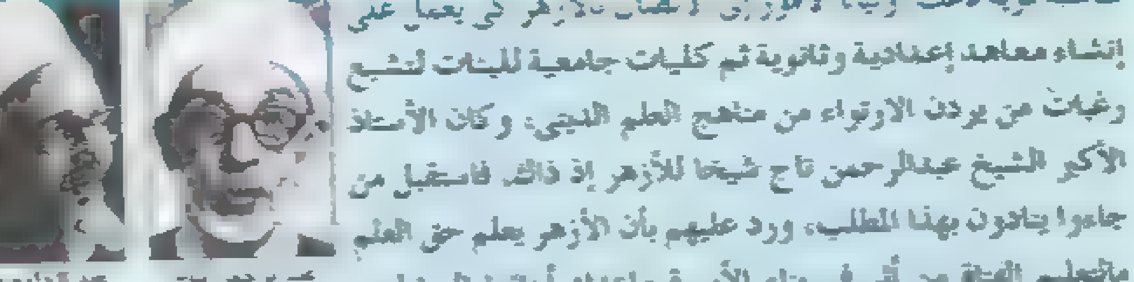
لقد كتب إدوار وليم لين كتابه الشهير «المصريون المحدثون» ... مصر، وقد كان الأزهر ... العلم والمعلمين، وكل ... في مجالسهم التي تحدث عنها ... يذكر ... المصريين كما ذكر ... الأزهريات في ساحة ... الأزهريين ... في حلقات الدرس فهو لم يعلم ... ولديه القاعدة تقول «من حفظ حجة على من لم يحفظ» وقد حفظ المستر دودج الإنجليزي ما لم يحفظه مواطنه إدوار وليم لين.

ننتقل إلى الخيط الثالث وهو أهم الخطوط جميعها، وهو ما ... الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون في مقال رائع حفلت به مجلة الهلال (نوفمبر سنة ١٩٣٤) حيث تحدث عن سيدة تسمى فاطمة العوضية تقدمت لامتحان «العالمية» وهي أرقى شهادات الأزهر حينئذ، وهو امتحان لا يتقدم له إلا من قضى نحو عشرة سنة دراسية بالأزهر على الأقل حتى يجوز له أن ينال أرقى الشهادات. قال الأستاذ: وكانت لجنة امتحان العالمية تطوف بالمعاهد الملحقة بالأزهر لامتحان طلبة الشهادة فيها، فتقدمت لجنة من علماء الأزهر في معهد طنطا سنة ١٩١١ لامتحان طلبته، وتقدمت الشيخة فاطمة العوضية للامتحان وكان موضوع درسها في علم الأصول «لا تكليف إلا بفعل» من كتاب جمع الجوامع، وهو باب عويص تكثر فيه المشكلات والتدليل، وقليل من الشيوخ من يحذقه أو يجوزه بسلام، وما إن أخذت الشيخة فاطمة مقعدها من اللجنة حتى أمطرها أعضاؤها وابلاً من الأسئلة المعقدة في هذا الباب العويص. ... الأزهر في ... مرتجفاً حقاً. وكان السؤال في حاجة للطالب أن يكون ملماً بما كتب في ... والتقرير، وأن يكون قادراً على الجمع بين الآراء والخلافات وتصحيح المسائل ... دقيقة وحصيفة، ... التي قررها العلماء من قبل، والتعرف في ذلك كله بعمق الفهم والقدرة على الترجيح. وقد ... الشيخة فاطمة تجيب عن الأسئلة، واللجنة تهاجمها بمعضلات المسائل، وقد سألها الشيخ الدسوقي العربي ... الاسم والحرف يكتفيان بها كالفعل، فأجابت: إذا شيء وإذا شيء، ... الفعل ... المكتفي ... بالأحكام، وليس الفعل المفتقر للحرف والاسم فأعجب الأعضاء بهذا الجواب الطريف».

وقد عقبت في مقالي على هذا النص العلمي بما لا أحتاج إلى سرده، كما أني ذكرت دليلاً ... لا حاجة إلى التطويل بسرده، فليقرأه من يريد الاستيعاب. ولكن ذلك ... تعلمن في الأزهر ... إلى ما قبل تطوير الأزهر ... دون ... في الامتحان، ولست أنكر أنهن كن قلة ... حشود الطلاب، ولكن القصة ... تعليم البنات بالأزهر القديم! وقد اتضحت بالدليل.

ثم تقدمت الأيام في سيرها المتراحب، فأنشئت كلية جامعة للبنات في جامعة عين شمس، وكانت







عبد الرحمن تاج — عبد الحليم محمود

مناسبة قوية دعت أولياء الأمور إلى الاتصال بالأزهر كي يعمل على إنشاء معاهد إعدادية وثانوية ثم كليات جامعية للبنات لتشبع رغبات من يردن الارتواء من منهج العلم الديني، وكان الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج شيخا للأزهر إذ ذاك فاستقبل من جاءوا ينادون بهذا المطلب، ورد عليهم بأن الأزهر يعلم حق العلم ما لتعليم الفتاة من أثر في بناء الأسرة وإعداد أبنائها الصالحين، وليس تقصيره اليوم في جانب تعليمها تنكرا لحقها في الالتحاق. ولكن الظروف الاقتصادية كانت من قبل سببا مباشرا في احتجاب الفتاة عن الدراسة الأزهرية وقد تهيأت الفرصة الآن لكي يتحقق رجاؤكم في إنشاء معاهد للفتيات وكلياتهن بالأزهر بعد خطوة أولى قد سبقت هذا العام وهي الاتفاق بين الأزهر ووزارة التربية والتعليم على ضم مراكز تحفيظ القرآن الكريم للأزهر، وفيها مراكز خاصة للبنات يمكن أن تتحول إلى معاهد دينية خاصة بهن، وذلك ما أرجو أن يتحقق في أقرب وقت يستطاع

ولم يمض غير أمد محدود حتى أنشئ أول معهد ثانوي للفتيات في المعادي، واحتوت له عميدة فاضلة من مربيات وزارة التربية والتعليم، وعين له وكيل أزهري مختص، فتسابق إقبال الجمهور عليه فأنشئت من بعده معاهد مماثلة في سوهاج وطنطا والمنصورة، وكان العمل جاريا على أن تزود هذه المعاهد الثانوية من يحصل على الإعدادية العامة بالمدارس، إذ لم تكن للأزهر معاهد إعدادية للبنات، فرأى الأزهر أن يقوم بإنشاء معاهد إعدادية للفتيات تكون هي المنبع الطبيعي لكليات الأزهر، وقد كان، فاحتفت هذه المعاهد في الازدهار الوثاب ونجاحه في عهد الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود الذي استطاع باتصاله الخاص بذوي الثراء في مصر والعالم العربي أن يفسح للأزهر في إنشاء فروع كثيرة للكليات والمعاهد، ومن بينها معاهد الفتيات، ما كانت لتتم على هذا الوجه المنتشر في كل مركز من مراكز المديريات بل في كثير من القرى الريفية لولا جهود د. عبدالحليم فأشبعت رغبات من يريدون التعليم الأزهري في سرعة عاجلة تمت بنشاط الإمام عبدالحليم محمود – رحمه الله –، ثم تابع خلفاؤه المسيرة في خطة متابعين..

هذا عن المعاهد الثانوية والإعدادية الخاصة بالفتيات. أما الكليات فقد بدأ عرضها في عهد الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت إذ صدر قرار جمهوري في سنة ١٩٦٢ بإنشاء كلية للبنات الإسلامية تشمل شعبا أربعا هي شعبة الدراسات الإسلامية وشعبة الدراسات العربية، وشعبة الدراسات الاجتماعية، وشعبة المعاملات والإدارة، واشتدت الرغبة في الالتحاق بهذه الشعب، على نحو حار أمامه المسئولون، لأن الكلية الواحدة لم تعد تتسع للوفود التي تأتي من المعاهد والمدارس وبعض طالبات الثانوية العامة في فترة امتدت إلى سنوات. فرئي أن تتحول الكلية إلى كليات مختلفة وأنشئت تبعا لذلك كليات الطب والعلوم والتجارة والدراسات الإنسانية والدراسات العربية والإسلامية، وامتدت فروعها إلى عواصم المحافظات على النحو

المشاهد الآن، ولم أكن من المذاكرة، ولا أستطيع الاستقصاء إلا بعد انتظار لا يتاح على أن نقاشا دار حول إنشاء كليات للبنات في مصر، أزهرية وغير أزهرية، نقاشا تزعمه الدكتور طه حسين، حيث أثير وجها لإنشاء كليات مستقلة بالبنات في القرن العشرين كما يرسم صورة للتأخر الحضاري! هكذا قال، فرد عليه الأستاذ الكبير الشيخ عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء قولا فيما قال: لا يستطيع الدكتور طه حسين ولا أمثاله أن ينكروا أن أسرا كثيرة تستحي اليوم أن تزج ببناتها وسط الشباب.

طه حسين

أو تنكر أن الاختلاط الجنسي كان مشأمة تعلقل شرها في الوسط العائلي بعد أن تسربت نزعة الاختلاط الجامعي إلى البيوتات بما فشا فيها من التقاليد الجامعية.

ثم كتبت المربية الفاضلة الأستاذة أسماء فهمي – رحمها الله – ردا واقعيا على الدكتور طه قالت فيه إنها سافرت إلى أمريكا في رحلة استطلاعية فوجدت هناك مائة وأربعا وخمسين كلية خاصة للبنات، ولن تكون في مصر رجعيين إذا أنشأنا معاهد للبنات، وكليات جامعية خاصة بهن كما يتوهم الدكتور؛ لأنه لا ينكر أن أمريكا ذات سبق حضاري، وقد علمت شرور الاختلاط مما يحدث في الكليات الأخرى، فأنشأت هذه الكليات المستقلة تماما

ولو امتدت الحياة بالأستاذ الدكتور طه حسين – رحمه الله – إلى العصر الذي نعيش فيه الآن، وقرأ عن محنة الزواج العرفي – وما أكثر مآسيه – في الجامعات المختلفة، بحيث بلغ هؤلاء في جامعة واحدة أكثر من خمسة آلاف، لو امتدت به الحياة وشاهد لوعة المساكين من الآباء حين يفاجئون بحمل غير متوقع لعشيقات أكذبهم جاء عن طريق سري لم تعرفه الأسرة حتى بدت شواهده، فأخذوا يتوارون خجلا من مجاوريهم في المساكن والشوارع لعدة، ومنهم من آثر البقاء في البيت أسابيع متوالية، والمرارة تملأ حلقه فلا تريحها أمواج البحر بما يرى من التفوه من سوء ما بشر به. أقول لو امتدت الحياة بالدكتور الآن لصرخ في وجوه القائمين على بعض الكليات، حين يجعلون المحاضرة الأولى في التاسعة صباحا، والثانية في الواحدة مساء، والثالثة في السادسة ليتسنى للمتدينين أن يوفقوا حاجاتهم في اليوم الواحد كما يشتهون فماذا يفعل الطلاب والطالبة في هذا الفراغ الممتد بين المحاضرات غير الحديث عن الزواج العرفي وما هو أفدح منه بلاء! لقد كان يصرخ من اجتماع الكافتيريات وحلوات الحدائق فيجد نفاحا بالخمل فالوضع على رءوس الأشهاد، وصرنا نردد قول البحتري:

يشق الجيب ثم يجيء وقت
يعود لديه تشقيق الجيوب!

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال - تعالى - :

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾

(النساء: ١٢)

بعد أن بين - سبحانه - ميراث الأولاد والأبوين شرع فى بيان ميراث الأزواج فقال - تعالى - :

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ ...﴾

أى: ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم من المال إن لم يكن لهؤلاء الزوجات المورثات ولد ذكرا كان أو أنثى، واحدا كان أو متعددا، منكم كان أو من غيركم فإن كان لهن ولد فلكم أيها الأزواج الربع مما تركن من المال.

وبهذا نرى أن للزوج فى الميراث حالتين: حالة يأخذ فيها نصف ما تركه زوجته المتوفاة من مال إن لم تترك خلفها ولدا من بطنها أو من صلب بنيها أو بنى بنيها... إلخ، فإن تركت ولدا على التفصيل السابق كان لزوجها ربع ما تركت من مال وتلك هى الحالة الثانية للزوج، ويكون الباقى فى الصورتين لبقية الورثة.

وقوله: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ متعلق بكلتا الصورتين.

أى: لكم ذلك أيها الرجال من بعد استخراج وصيتهن وقضاء ما عليهن من ديون، ثم بين - سبحانه - نصيب الزوجة فقال:

أى: أن للزوجات ربع المال الذى تركه أزواجهن إذا لم يكن لهؤلاء الأزواج الأموات ولد من ظهورهم أو من ظهور بنيهم أو بنى بنيهم.. إلخ فإن ترك الأزواج من خلفهم ولدا فللزوجات ثمن المال الذى تركه أزواجهن ويكون المال الباقى فى الصورتين لبقية الورثة.

ونرى من هذا أن الزوجة على النصف فى التقدير من الزوج، وهو قاعدة عامة فى قسمة الميراث بالنسبة للذكر والأنثى، ولم يستثن إلا الإخوة لأم والأبوين فى بعض الأحوال. وقوله

﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾

متعلق بما قبله

أى: لكن ذلك أيتها الزوجات من بعد استخراج وصيتهم وقضاء ما عليهم من ديون.

ثم بين - سبحانه - ميراث الإخوة والأخوات لأم فقال - تعالى -

والكلالة: هم القرابة من غير الأصول والفروع.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت ما الكلالة؟ قلت: تطلق على واحد من ثلاثة: على من لم يخلف ولدا ولا والدا، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد، ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة، كما تقول: ما صمت

عن عي، وما كف عن جن.

والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء، قال الأعشى: فآليت لا أرثي لها من كلالة.

فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالّة ضعيفة، وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه سئل عن الكلالة فقال: الكلالة من لا ولد له ولا والد.[1]

والظاهر أن كلمة «كلالة» هنا وصف للميت الموروث؛ لأنها حال من نائب فاعل قوله ﴿يُورَثُ﴾ وهو ضمير الميت الموروث، والتقدير: وإن كان رجل موروثا حال كونه كلالة، أي: لم يترك ولدا ولا والدا، ويرى بعضهم أن كلمة كلالة هنا: وصف للوارث الذي ليس بولد ولا والد للميت، لأن هؤلاء الوارثين يتكللون الميت من جوانبه، وليسوا في عمود نسبه، كالإكليل يحيط بالرأس، ووسط الرأس منه خال، من تكلله الشيء إذا أحاط به، فسمي هؤلاء الأقارب الذين ليسوا من أصول الميت أو من فروعه كلالة، لأنهم أطافوا به من جوانبه لا من عمود نسبه، وعلى هذا الرأي يكون المعنى وإن كان رجل يورث حال كونه ذا وارث هو كلالة، أي أن وارثه ليس بولد ولا والد له.

والمراد بالإخوة والأخوات هنا: الإخوة والأخوات لأم، بدليل قراءة سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت من أمه» ويدل عليه - أيضا - أن الله - تعالى - ذكر ميراث الإخوة مرتين: هنا مرة، ومرة أخرى في آخر آية من هذه السورة وهي قوله:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾

(النساء: ١٧٦)

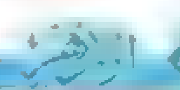
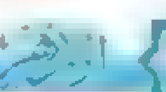
وقد جعل - سبحانه - في الآية التي معنا للواحد السدس وللأكثر الثلث شركة، وجعل في الآية التي في آخر السورة للأخت الواحدة النصف، وللاثنتين الثلثين، فوجب أن يكون الإخوة هنا وهناك مختلفين دفعا للتعارض، ولأنه لما كان الإخوة لأب وأم أو لأب فحسب أقرب من الإخوة لأم، وقد أعطى - سبحانه - الأخت والأختين والإخوة في آخر السورة نصيبا أوفر، فقد وجب حمل الإخوة في آخر السورة على الأشقاء أو الإخوة لأب، كما وجب حمل الإخوة والأخوات هنا على الإخوة لأم، والمعنى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ أي: يورث من غير أصوله أو فروعه ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ أي: تورث كذلك من غير أصولها أو فروعها.

والضمير في قوله ﴿وَلَهُ﴾ يعود لذلك الشخص الميت المفهوم من المقام، أو لواحد منهما - أي الرجل والمرأة - والتذكير للتغليب، أو يعود للرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما في هذا الحكم

وقوله ﴿[illegible]﴾ أي: من الأم فقط [illegible] أي الأخ والأخت

---

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص ٤٨٦ - بتصرف وتلخيص-

﴿[illegible]﴾ مما ترك ذلك المتوفى من غير تفضيل للذكر على الأنثى؛ لأنهما يتساويان في الإدلاء بـ[illegible] الأنوثة ﴿[illegible]﴾ أي: الإخوة والأخوات لأم، أكثر من واحد فهم شركاء في الثلث، يقتسمونه فيما بينهم بالسوية بين ذكورهم وإناثهم، والباقي من المال الموروث يقسم بين أصحاب الفروض والعصبات من الورثة.

وبذلك ترى أن الإخوة والأخوات من الأم لهم حالتان:

إحداهما: أن يأخذ الواحد أو الواحدة السدس إذا انفردا.

والثانية: أن يتعدد الأخ لأم أو الأخت لأم وفي هذه الحالة يكون نصيبهم الثلث يشتركون فيه بالسوية بلا فرق بين الذكر والأنثى.

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بقوله ﴿[illegible]﴾

أي: هذه القسمة التي قسمها الله - تعالى - لكم بالنسبة للإخوة للأم إنما تتم بعد تنفيذ وصية الميت وقضاء ما عليه من ديون، من غير إضرار الورثة بوصيته أو دينه، وفي قوله ﴿[illegible]﴾ قراءتان سبعيتان.

إحداهما بالبناء للمفعول أي ﴿[illegible]﴾ بفتح الصاد. فيكون قوله ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور، أي من بعد وصية يوصي بها أو دين حالة كون الموصي به أو الدين غير مضار، أي غير متسبب في ضرر الورثة.

والقراءة الثانية بالبناء للفاعل أي (يوصِي) - بكسر الصاد - فيكون قوله ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حال من فاعل الفعل المذكور وهو ضمير (يوصي)

أي: يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ أي غير مدخل الضرر على الورثة، وبهذا ترى أن مرتبة الورثة في التقسيم تأتي بعد سداد الديون وبعد تنفيذ الوصايا ولذا ذكر سبحانه هذين الأمرين أربع مرات في هاتين الآيتين تأكيدا لحق الدائنين والموصى لهم وتبرئة لذمة المتوفى فقد قال بعد بيان ميراث الأولاد والأبوين ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾

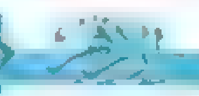
وقال بعد بيان ميراث الزوج ﴿[illegible]﴾

وقال بعد بيان ميراث الزوجة: ﴿[illegible]﴾

وقال بعد بيان ميراث الإخوة والأخوات لأم ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾

وقد قدم - سبحانه - الوصية على الدين في اللفظ مع أنها مؤخرة عن الدين في السداد، وذلك للتشديد في تنفيذها، إذ هي مظنة الإهمال، أو مظنة الإخفاء، ولأنها مال يعطى بغير عوض فكان إخراجها شاقا على النفس، فكان من الأسلوب البليغ الحكيم العناية بتنفيذها، وكان من مظاهر هذه العناية تقديمها في الذكر.

وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال: فإن قلت: لم قدمت الوصية على



الدين والدين مقدم عليها في الشريعة؟ قلت: لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض، كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها، فكان أداؤها مظنة للتفريط، بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين.

فإن قلت: ما معنى ﴿أَوْ﴾؟ قلت معناها الإباحة، وأنه إذا كان أحدهما أو كلاهما، قدم على قسمة الميراث كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين. فأو هنا جيء بها للتسوية بينهما في الوجوب(1).

وقوله تعالى ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ يفيد النهي للمورث عن إلحاق الضرر بورثته عن طريق الوصية أو بسبب الديون.

والضرر بالورثة عن طريق الوصية يتأتى بأن يوصي المورث بأكثر من الثلث، أو به فأقل مع قصده الإضرار بالورثة فقد روى النسائي في سننه عن ابن عباس أنه قال: «الضرار في الوصية من الكبائر» وقال قتادة: كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه.

والضرر بالورثة بسبب الدين يتأتى بأن يقر بدين لشخص ليس له عليه دين دفعا للميراث عن الورثة، أو يقر بأن الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه ووصل إليه، مع أنه لم يحصل شيء من ذلك.

وقد ذكر - سبحانه - هذه الجملة وهي قوله ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ بعد حديثه عن ميراث الإخوة والأخوات من الأم، تأكيدا لحقوقهم، وتحريضا على أدائها، لأن حقوقهم مظنة الضياع والإهمال، ولايزال الناس إلى الآن يكادون يهملون نصيب الإخوة لأم.

وقوله ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ نصبت كلمة ﴿وَصِيَّةً﴾ فيه على أنها مصدر مؤكد أي: يوصيكم الله بذلك وصية. والتنوين فيها للتفخيم والتعظيم، والجار والمجرور وهو ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لوصية: أي وصية كائنة من الله، فمن خالفها كان مستحقا لعقابه.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ تذييل قصد به تربية المهابة في القلوب من خالقها العليم بأحوالها، أي والله عليم بما تسرون وما تعلنون، وبما يصلح أحوالكم وبمن يستحق الميراث ومن لا يستحقه وبمن يطيع أوامره ومن يخالفها حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فهو - سبحانه - يمهل ولا يهمل، فعليكم أن تستجيبوا لأحكامه، حتى تكونوا أهلا لمحبته ورضاه.

يتبع

(1) تفسير الكشاف جـ1 ص 48.



الأدب مع الله - عز وجل - في العبادة

لفضيلة الشيخ: فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إذا أمعنا النظر بفكر مستنير وعقل رشيد إلى رسالة الإسلام التي أشرق نورها على الإنسانية وجاهد رسولها محمد ﷺ جهادا كبيرا في مد شعاعها المضيء على الكون كله. ودعا الإنس والجن إلى اعتناقها والإيمان بها عن قناعة وحرية واختيار نجد أنها لا تنشد ولا تبغي أكثر من تهذيب أخلاق الناس، وتدعيم فضائلهم، وإنارة آفاق الاستقامة والكمال أمام بصائرهم. وغرس قيم الإصلاح فيما بينهم ونشر الشعور والحب فيما بينهم حتى يسعوا إليها عن بصيرة، ويؤمنوا بها عن يقين.

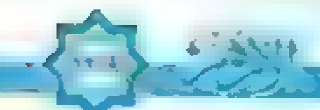
إن الله - جل شأنه - خلق الخلق لعبادته:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

(الذاريات: ٥٦- ٥٨)

والعبادات التي شرعها الإسلام وبنى أركان الإسلام عليها، ويؤديها المسلم إلى ربه - عز وجل - الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، منوط قبولها عند الله بالتزام مؤديها الأدب مع الله - تعالى - عند أدائها.

والمقصود بالأدب مع الله - تعالى - هو قيام المسلم بتنفيذ أحكام دينه ومراعاة التأدب بآداب الإسلام ظاهرا وباطنا.. قولا وعملا، ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله - عز وجل - إلا بثلاثة أمور: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علما وعملا وحالا.



ومن الأدب مع الله - تعالى - عندما يؤدي المسلم الصلاة - كركن من أركان الإسلام - أن يؤديها في وقتها بخشوع وخضوع وإخلاص لله رب العالمين، وأن تنهى مؤديها عن ارتكاب الفواحش وعن إتيان المنكر، وقد جاء في حديث يرويه الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه - عز وجل -: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب»(٢)

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: من كمال أدب الصلاة أن يقف العبد بين يدي ربه مطرقاً خافضاً طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق».

ومن الأدب مع الله في العبادة السكون في الصلاة وهو الدوام الذي قال الله تعالى فيه:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

(المعارج ٢٣)

سئل عقبة بن عامر عن قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

أهم الذين يصلون دائماً؟ قال: لا، ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه. [illegible] الدوام عليها والمداومة عليها؛ فهنا الدوام والمداومة في قوله - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

(المعارج ٣٤)

وشمل الدوام سكون الأطراف والطمأنينة. وأدب المسلم في استماع القراءة أن يلقي السمع وهو شهيد. والمقصود أن الأدب مع الله - تبارك وتعالى - هو القيام بتعبيد أحكام دينه، والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً.

ومن الأدب مع الله التوجه إليه - سبحانه - بالدعاء خالصاً خفياً من الشرك والرياء. قال تعالى:

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾

(الفرقان ٧٧)

ودعا الرسول ﷺ إلى الاستعانة بالله - عز وجل -، واستعان به قائلاً: «اللهم أعني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك»(٣)

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أنه قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً. قلنا: يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً. فقال: «ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد، وأنت المستعان وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

ومن الأدب مع الله - تعالى - ذكره وتسبيحه وتحميده، وليس بعد تلاوة كتاب الله - عز وجل - عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله - سبحانه

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/٢٨٤، ٤٢٧.

(٣) الترمذي.

وتعالى - وترديد تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله، وفي [illegible] له الأدعية الصالحة.

والعبد حين يشتغل بذكر الله - تعالى - فيه يكون قريباً من الله، وفي تلك الحالة فإن الله يذكره ويرعاه ويحفظه. قال ثابت البناني - رحمه الله -: إني أعلم متى يذكرني ربي - عز وجل -. ففزع الحاضرون لذلك، وسألوه: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني، وذلك لقوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

(البقرة ١٥٢)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإذا تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا مشى إلي أتيته هرولة»(٤)

[illegible] على الخير، وله سرعة الاستجابة، وتسبيح الله وحمده [illegible] وتفريج الكرب، وانشراح الصدر، [illegible] النفس [illegible] الأخطار والابتلاء، ومدخل لرضاها [illegible]

ولقد أرشد الله - جل وعلا - رسوله الكريم محمداً ﷺ في الدعوة إلى تسبيح الله وتحميده وذكره عند [illegible] صدره، وبعد [illegible] من موقف المشركين منه حين يدعوهم إلى الإيمان بالله وعبادته، وترك الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، وتعرضهم له بالأذى والإهانة..

فيقول - سبحانه -:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

(الحجر ٩٧ - ٩٩)

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف سيئة»(٥)

ومن الأدب مع الله - تعالى - الثناء عليه وشكره على آلائه العظيمة الكثيرة

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

(النحل ١٨)

والمراد بالنعمة جنس النعمة سواء كانت في النفس أو في المال أو في الولد، أو فيما سخره الله للإنسان في الكون براً وبحراً وجواً، فهي من كثرتها وتنوعها لا يستطيع الإنسان حصرها.

ومع كل هذه النعم المتعددة التي أنعم الله بها على عباده، والتي لا يستطيعون حصرها وعدها لكثرتها وتنوعها فإنه - بنعمته وكرمه - يعطي العباد ما يسألونه زيادة على ذلك، وهذا العطاء يستوجب شكر الله وطاعته.

وكان رسول الله ﷺ لا يفتر عن شكر الله بالقول والعمل، ليلاً ونهاراً، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى

(٤) [illegible] ٦/٥.

(٥) [illegible]

قام حتى تتفطر رجلاه «أي تتشقق». فقالت له عائشة: يا رسول الله: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا»[6]؟!

والرسول – عليه الصلاة والسلام – يحض على تقديم الشكر لمن يقدم المعروف والمساعدة والعون، عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[7].

فإذا كان ذلك مطلوبا لمن يقدم العمل من البشر، فمن باب أولى تقديم الشكر لله – عز وجل – على عطائه ونعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى.. وذلك بالتزام الأدب في عبادته، واستخدام هذه النعم فيما يرضي الله – سبحانه وتعالى.

عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[8].

وجماع الأدب مع الله – عز وجل – في العبادة «أيا كان نوعها» أن يلتزم المسلم بالإخلاص في أدائها.. إن الإخلاص روح الدين ولباب العبادة، وأساس قبول الأقوال والأعمال والعبادات عند الله لأنه يحرر العبد من عبودية غير الله، ويقوي إيمان الإنسان، ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان.

فالإخلاص هو الأساس في قبول العبادة عند الله، وهو الأساس في قبول الدعاء واستجابته، فالعمل الصادر عن الإنسان – أيا كان – إذا قصد به صاحبه وجه الله، وظهرت الشواهد على ذلك، فإنه يعد مخلصا؛ لأنه خالص من الشرك والرياء، والمراءاة، والشهرة، والتزلف إلى الرؤساء والحكام ومن بيدهم الجاه والسلطان، لأن العمل الإنساني قد يشوبه شيء ما من ذلك، فإذا صفا عن شوبه، وخلص منه سمي خالصا. فالإخلاص ينافي الشرك، والرياء، والغش، والخداع، والاحتيال، والكذب، والنفاق.

أما إذا شابت العبادة شيء يعكر إخلاصها لله ضاع أجرها وثوابها، قال شهر بن حوشب: جاء رجل إلى عبادة بن الصامت، فقال: أنبئني عما أسأل عنه، أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد؟! فقال عبادة: ليس له شيء إن الله – تعالى – يقول في حديث قدسي: «أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه»[9].

وقال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى:

[illegible]

([illegible] الكهف ١١٠)

وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله ﷺ.

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[10].

إن إخلاص العبادة لله يعطي العابد قوة يحاربه بها الشيطان، ويغلب عليه، ويمنحه منعة تحفظه من شرور الناس، فإذا تحصن العابد بالإخلاص في عبادته هانت الدنيا في عينه، وعز وساد وانتصر على كل إغراء، واستحق أن ينال من الله الثواب والجزاء.

أما إذا خلت العبادة من الإخلاص، وشابها النفاق والرياء، وكدرها التباهي وحب الظهور، وصار الحرص على متاع الدنيا هو الدافع إليها، فقد فقد العابد نصر الله وتأييده، وحرم الثواب والجزاء.

روي عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا: أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تريناه الجنة – وفي رواية –: قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك، وما أعددت فيها لأوليائك لكان أهون علينا، قال: ذاك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي.. اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب»[11].

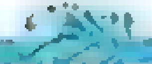
وعن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «أرأيت رجلا غزا، يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، فأعاد ثلاث مرات، يقول له رسول الله – عليه الصلاة والسلام –: «لا شيء له»، ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه»[12].

إن العمل الخالص الطيب – ولا يقبل الله إلا طيبا – هو الذي يقوم به صاحبه بدوافع اليقين المحض، وابتغاء وجه الله، دون اكتراث برضا أو سخط، ودون تحر لإصابة رغبة أو كبح رغبة.

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر – رضي الله عنه – خرج إلى المسجد فوجد معاذا عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارزني بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»[13].

(٦) صحيح البخاري ٢: ٦٣، ٦: ١٦٩، صحيح مسلم ٧٩: ١٠.
(٧) مسند أحمد ٤: ٢٧٨، ٣٧٥.
(٨) مسلم [illegible]
(٩) إتحاف السادة المتقين ٨: ٣٦٣، ١٠: ٦٣.

(١٠) البخاري ومسلم.
(١١) الطبراني في الكبير، والبيهقي.
(١٢) النسائي.
(١٣) ابن ماجه والحاكم والبيهقي.





أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر «رضي الله عنهما» يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

الشرح والبيان

في هذا الحديث نصيحة غالية، وعظة بليغة وجهها رسول الله ﷺ للصحابي الجليل عبدالله ابن عمر «رضي الله عنهما» فقال له: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، و(أو) هنا للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى «بل»، فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يؤويه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل؛ لأنّ الغريب قد يسكن في بلد الغربة، بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع، وبينهما أودية مردية، ومفاوز مهلكة، وقطّاع طرق، فإنّ من شأنه ألا يقيم لحظة، ولا يسكن لمحة، ولذلك أعقبه بقوله: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء»، والمعنى: استمر سائرا ولا تفتر، فإنك إن قصّرت انقطعت وهلكت في تلك الأودية، وهذا معنى المشبّه به، وأمّا المشبّه فهو قولك: «وخذ من صحتك لمرضك»؛ إذ العمر لا يخلو من صحة ومرض، فإذا كنت صحيحا فسر سير القصد، وزد عليه بقدر قوتك مادامت فيك قوة، بحيث يكون ما بك من تلك الزيادة قائما مقام ما لعله يفوت في أثناء المرض والضعف.

وهذا الحديث أصل في الحثّ على الفراغ عن الدنيا والزهد فيها والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة، وقال الإمام النووي (رحمه الله): معنى الحديث: لا تركن إلى الدنيا، ولا تتخذها وطنا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه.

وفي الحديث الشريف توجيه إلى أن نشتغل في الصحة بالطاعة، بحيث لو حصل تقصير في المرض فإن الطاعة في الصحة تجبر ذلك، كما أنّ العمل في الحياة الدنيا - بالطاعات والعبادات - يرفع الدرجات في الآخرة، وقد قال الإمام عليّ بن أبي طالب «رضي الله عنه» (ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل).

وهكذا الإسلام دين يضمن بعباداته وتعاليمه سعادة أتباعه في الدنيا والآخرة، ولذلك نظّم الإسلام حياة المسلم على أساس من الاعتدال والتوسّط بين الاستمتاع بالدنيا والاستعداد للآخرة، بحيث لا يطغى جانب على جانب، قال تعالى:

(القصص: ٧٧)

وفي هذا المعنى يقول المصطفى ﷺ: «من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى» (أخرجه أحمد).

ولكنّ الناس تختلف طبائعهم وتتفاوت عقولهم، وبالتالي تتباين غاياتهم ومصائرهم، قال تعالى:

(البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢)

وقال:

(الإسراء: ١٨ - ١٩)

ومن الآيات الكريمة نستخلص أن بعض الناس رأى الدنيا دار قرار فركن إلى شهواتها، وعكف على ملذاتها وزخارفها، وقال: لا دار لي سواها، وكأنه نسي أنه دخلها عاريا من كل شيء حتى من ملابسه، ولابدّ له أن يخرج منها عاريا أيضا كما دخلها ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

(الأعراف: ٢٩)

تاركا خلفه كلّ ما جمع، متحملا تبعاته، فهل هذا من العقل؟! - كلا - لهذا كان رسول الله ﷺ - وهو من هو في رجاحة العقل وسداد الرأي، لأنّه مؤيد بالوحي! - يقول: «يقول ابن آدم: ما لي ما لي، وهل لك - يا ابن آدم من مالك - إلا ما أكلت

فانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»

– رواه مسلم عن عبدالله بن الشخير «رضي الله عنه»

وقد روى الإمام مسلم كذلك عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، ولذلك أنشد الشافعي «رحمه الله» في ذمّ الدنيا والتمسك بها:

وما هي إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همُّهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وأنشد الآخر:

يا من بدنياه اشتغل   قد غرّه طول الأمل
ولم يزل في غفلة   حتى دنا منه الأجل
الموت يأتي بغتة   والقبر صندوق العمل

وقد قال عبدالله بن مسعود «رضي الله عنه»: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له».

ولقد مرّ عبدالله بن المبارك «رحمه الله» على مقبرة ومزبلة فقال:

(هنا كنز الرجال، وهنا كنز المال، وفيهما العبرة حيث الكل إلى زوال؛ المال والرجال.

قال تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

(الرحمن: ٢٦–٢٧)

كذلك نستخلص من الآيات القرآنية الكريمة أن بعضاً آخر من الناس رأى الدنيا قنطرة يعبرون عليها إلى الآخرة، ومطية يركبونها إليها، فأطاعوا ربهم فيها، وأخذوا منها ما يلزمهم باعتدال دون سرف أو تقتير، واستعدوا في الوقت نفسه للآخرة بما ينبغي من الإيمان والعمل الصالح، وهؤلاء هم العقلاء من الناس؛ حيث عملوا بقول الرسول «صلوات الله وسلامه عليه» – فيما رواه الترمذي عن عبدالله ابن مسعود «رضي الله عنه» –: «مالي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها».

هذا وقد روى ابن ماجه في سننه – وصححه الشيخ الألباني «رحمه الله» عن سهل بن سعد الساعديّ «رضي الله عنه» قال:

«أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، دلّني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ (ازهد في الدنيا يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك)».

وقد جاء في الأثر: «أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم»، وجاء أيضاً: «ولاتسبوا الدنيا؛ فنعم المطية للمؤمن، عليها يبلغ الخير، وعليها ينجو من الشر».

كذلك نستخلص من الآيات الكريمة أنّ من الناس من جهل الدنيا والآخرة فعاش فيها عيش الدواب، يعمل نهاره وينام ليله، ويأكل كما تأكل الأنعام، فما استفاد من دنيا، ولا استعد لآخرة، وذلك ما عليه معظم الناس في هذا العصر.. ومن الناس من رأى تفاهة الدنيا وعلم أن أيامها معدودة، فزهد فيها وتركها، وشغل نفسه بالآخرة، عبد ربه كما أمر، وفعل الخيرات، وسارع إلى صنوف القربات، ففاز بأعلى الدرجات في الجنة.

وقد روى البخاري «رحمه الله» عن أنس «رضي الله عنه» عن النبي ﷺ قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة».

وروى الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله «رضي الله عنهما» أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفته (يعني: جانبه) فمرّ بجدي أسك (يعني: صغير الأذنين) ميّت، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أنّ هذا له بدرهم؟»

فقالوا: «ما نحب أنّه لنا بشيء، وما نصنع به؟!» قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟! فقال: «والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم».

لذلك ينبغي أن نخرج من كلّ هذا وقد وضع كلّ منا نفسه ضمن طائفة من هذه الطوائف؛ ليعرف كلّ منا غايته ومصيره، ويروى الإمام مسلم «رحمه الله» عن أنس بن مالك «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة (أي: يغمس غمسة) ثم يقال: يا بن آدم، هل رأيت خيراً قطّ؟ هل مرّ بك نعيم قطّ؟ فيقول: لا والله يا ربّ، ويؤتى بأشدّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا بن آدم، هل رأيت بؤساً قطّ؟

هل مرّ بك شدّة قطّ؟ فيقول: لا والله يا ربّ، ما مرّ بي بؤس قطّ، ولا رأيت شدّة قطّ».

وهكذا فإن غمسة واحدة في النار تنسي صاحبها نعيم الدنيا كلّه، وغمسة واحدة في الجنة تنسي صاحبها بؤس الدنيا وشدتها، ومع ذلك نرى الطامعين في الدنيا المتكالبين عليها المتنافسين على ملذاتها وشهواتها أكثر من الراغبين في الآخرة، الطامعين في رضوان الله والجنة، فقد روى الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء «رضي الله عنه» عن النبي ﷺ قال: «ماطلعت شمس قطّ إلا بعث بجنبتيها ملكان، إنهما ليسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يأيها الناس هلمّوا إلى ربكم، فإنّ ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، وما غربت شمس قطّ إلا وبجنبتيها ملكان يناديان: «اللهم عجّل لمنفق خلفاً وعجّل لممسك تلفاً، اللهم اجعلنا من المنفقين الكرماء، ولا تجعلنا من الممسكين البخلاء.

معالم الإنسانية فى الإسلام

د. محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تمهيد:

انجرفت البشرية في العصر الحديث في تيار المادية الطاغية، وبحث خاصة لقيم الإنسانية مما تحدو الأسرة إلى أهمية عرض أهم معالم الإنسانية في الإسلام التي جاء بها الإسلام الجامع للأديان كدين عالمي احتوى الحق الذي جاءت به الرسالات السماوية وكملت به حلقة الديانات الإبراهيمية. ومن ثم كان الإسلام متصالحا مع هذه الأديان، حريصا منذ البداية على الوفاق لا الاختلاف، وعلى إزالة سوء الفهم ونبذ الكراهية بين أتباع الأديان لا يفتح خصومة مع أحد ولا يكره أحدا على عدم عقيدة. الأمر الذي جعل الإسلام دينا يجمع بين البشر لا يقيم حواجز بينهم، يتكامل مع غيره من الأديان، ويقارب بين أتباعها.

ونعرض فيما يلى أهم المعالم الإنسانية لهذا الدين:

- أهمية البحث تأتي في إطار الجهود الجادة لتصحيح الأفكار المغلوطة بين أتباع الأديان والثقافات.

١ ـ البشر خلق الله يتمتعون بالإنسانية، وهم شركاء في الكون وخلفاء عن الله فيه.

٢ ـ اعتراف الإسلام بالأديان الإبراهيمية

٣ ـ رحابة المنظومة الإسلامية لقبول الأديان.

٤ ـ المؤمن بالإسلام ليس محمديا وإنما هو مسلم يعبد الله رب العالمين

٥ ـ المسلم لا يكون مسلماً إلا بالإيمان بسائر الرسل والكتب والأديان السماوية

٦ ـ الناس متساوون ومكرمون في الإسلام بلا تفرقة ولا تمييز بينهم

٧ ـ الآدمي له حرمة وحصانة إنسانية حال الموت وحال الحياة

٨ ـ التعايش بين المسلمين وغير المسلمين بموجب التعارف الأممي والبشرى.

٩ ـ العقل هو مصدر القوة المفكرة ومنبع الملكة المحصنة للعلم.

١٠ ـ العقل أداة التكليف في الخطاب الإسلامي.

١١ ـ المسلم محب لإخوانه وللآخرين، بارٌّ بهم عادل معهم

١٢ ـ الاجتماع أساسه الأخوة الإيمانية والإرث المشترك للإنسانية

حتمية الحوار لتصحيح المفاهيم المغلوطة بين أتباع الأديان والثقافات

يأتي هذا البحث في إطار الجهود الجادة التي تضطلع بها المؤسسات المسئولة المعنية بقضايا الأمة المهمومة بالدين والوطن لتفعيل الحوارات بين أتباع الأديان وخلق مناخ أفضل، تصحيحاً للمفاهيم المغلوطة المتعلقة بالقضايا ذات الاهتمام المشترك في الدين والحياة، من أجل تجنب الصدام والصراع الذي يكتوى به عالمنا اليوم وتهيئة الظروف لقيام عالم أكثر تسامحا، وصولاً إلى تصحيح المفاهيم الحقيقية عن الإسلام والأديان وإزالة أسباب سوء الفهم والصراع الذى طالما عانى منه البشر، وتسبب في نشوب الصراعات والحروب.

فمازال الاعتقاد السائد بين الغربيين أن الإسلام دين استعماري منذ أن وطأ المسلمون أرض الأندلس، وحاصر الأتراك أسوار فيينا، وشاع في الأوساط العالمية أن المسلمين إرهابيون وأصوليون، يرفضون الآخر، وأن المسلمين يعبدون محمداً، وعلى الجانب الآخر فإن هناك صوراً مغلوطة لدى بعض المسلمين عن المسيحية مثل الاعتقاد لدى البعض بأنه يجب محاربة المسيحيين لمخالفتهم على دينهم، وأنهم بهذا الوصف هم أعداء للمسلمين، وأنه يجب الجهاد لمجرد هذه المخالفة في الدين، إذ يحق لنا محاربتهم ومقاتلتهم بحسبانهم من الكفار، مع أن العلة في الحرب تكون بسبب مهاجمتهم لنا وغزوهم لبلادنا، وليس لمجرد المخالفة في الدين. كما أن صورة أتباع كل دين لدى الآخر هي جد مشوهة وبغيضة، منطقها العداوة وسوء الفهم، وهي صور مجسدة في نظرة الغرب إلى الإسلام

مرتكزات المنظومة الإنسانية فى الإسلام

أسس الإسلام منظومته العقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية على مرتكزات تكرس

المعاني الإنسانية التي ينبغي أن تهيمن على العلاقات بين البشر على اختلاف انتماءاتهم ومعتقداتهم بما يبقى على هذه المعاني الإنسانية أياً كانت الصراعات ومهما تعددت الرؤى والأفكار، تستجلي بعض جوانبها، وهي جديرة بإبرازها في ظل المسخ الذي تتعرض له بفعل النظرة الغربية للإسلام والمسلمين، في ظل طغيان المادة وعبادة المال، الذي يطبع العصر الذي نعيش فيه، بفعل اتجاهات الحضارة الغربية.

(١) البشر خلق الله يتمتعون بالانسانية، وهم شركاء في الكون وخلفاء عن الله فيه

لعل نقطة البداية في المفهوم الإسلامي عن الخلق أن البشر عباد الله، وأنهم يتمتعون بوصف الإنسانية، وهم شركاء في الكون خلفاء عن الله في الأرض، بغرض إعمارها وتنميتها، وأنهم خلقوا مختلفين في العقائد والأديان والأجناس والألوان واللغات، وأنه مهما كان هذا الاختلاف ودرجته، فإن الكل خلق الله إليه مصيرهم وهو الحاكم بينهم، يفصل في أمر اختلافهم، لبيان ما كانوا عليه من صواب أو خطأ في هذه الحياة.

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى: ١٠)

(٢) اعتراف الإسلام بالأديان الإبراهيمية

إن الإسلام هو الدين الذي يقبل الآخر، وتتسع آفاقه للتعايش مع المعتقدات والأديان الأخرى، فهو يعترف بالأديان الإبراهيمية المسيحية واليهودية، وأنها أديان إلهية تنبع من مشكاة واحدة وهي والإسلام من عند الله، وهو لذلك يطلق نداءه الخالد لأتباعها للتعاون والالتقاء على كلمة سواء، وسلوك طريق التعايش بديلاً عن الصدام والرفض والصراع، وها هو القرآن يقرر ذلك بجلاء:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ٦٤)

(٣) رحابة المنظومة الإسلامية لقبول الأديان غير السماوية

إن مساحة قبول الآخر، ودائرة التعددية والاختلاف بين البشر ليست مغلقة ولا مقصورة على الأديان السماوية وحدها، وإنما تمتد لتشمل الديانات والمعتقدات الأخرى، بقوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٦٢)

يقول الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ١٧)

وبذلك يكون مآل الاختلاف في العقائد، وتمييز المقبول منها من غير المقبول مرجعه إلى الله خالق الجميع، المعبود بحق دون سواه، وأن الشراكة الإنسانية تقتضي التواصل والتحاور معهم باعتبارهم يشكلون نصف البشرية.

(٤) المؤمن بالإسلام ليس محمدياً وإنما هو مسلم يعبد الله رب العالمين

إن الإيمان في الإسلام، والانتماء فيه إنما يكون لله تعالى. وأن من يعتنق هذا الدين ليس له إلا اسم واحد يسمى مسلماً لأنه أسلم الوجه لله، وهو يعبد الله ولا رب له سواه، وأن المسلمين لا يسمون محمديون، وإنما هم عباد الله، والقرآن صريح في قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ٧٨)

والرسول ﷺ هو القائل: «إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»[1]. والقرآن يتوج ذلك بوصف الرسول ﷺ بالنبوة والبشرية بقوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

(٥) المسلم لا يكون مسلماً إلا بالإيمان بسائر الرسل والكتب والأديان السماوية

إن المسلم يؤمن بالله خالق الكون الواحد الديان، وإيمانه لا يكتمل ولا يكون مقبولاً إلا بالإيمان بكافة الرسل وبالكتب السماوية والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن والملائكة، وأنه لا يفرق بين أحد من رسله، كما يؤمن بالحساب وبالقضاء والقدر، ويشعر المؤمن في كل مشاهداته اليومية بوجود الله من خلال كتابه المسطور، وعبر كونه المنظور، وتمثل فروض العبادة من الصلاة والزكاة والصوم والحج حقوقاً لله تعالى وواجبات على الإنسان الوفاء بها؛ لأنها أوامر إلهية وتعبير عن الإذعان والطاعة لله رب الوجود وخالق الأكوان، الذي يجلي حقيقة الإيمان ويبين صحيح الدين.

«يتبع»

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة (٣٣٠٣)

الإسلام دين الإنسانية الخالد

الدكتور / حمدى فتوح والى

إن الإسلام ليس نظرية فى شئون السياسة والاقتصاد، وليس مجرد طريقة فى الأخلاق والسلوك، وإنما هو منهج حياة كامل، بدأ بنزول القرآن، ونما معه آية آية، وتطور مع فعل رسول الله خطوة خطوة، ومنذ أول آية منه، ومع أول خطوة فيه، رأينا الدعوة تعمد إلى استنفار الهمم، واستجماع الطاقات، واستثمار كل موروث الخير فى قلوب الناس، للاستفادة منه فى إحداث عملية التغيير، هذا التغيير الذى بدا واضحا أن الأرض كانت فى أشد الاحتياج إليه، بعد أن استبد بزمام الأرض شياطينها، وامتلك ناصيتها مفسدوها.

وبعد غياب الإسلام عن الساحة العالمية، خلافة راشدة، وقيادة فتية، عادت الأرض مسرحا للشهوات، وميدانا للعصبيات والقوميات، ومرحلا يعلى بالحروب والصراعات، وبدا واضحا أن السيادة فى الأرض لم تعد لمن يملك منهجا حكيما، أو تصورا سليما، وإنما أصبحت ملكا لمن يملك القوة التى يملى بها على الآخر ما يريد، وهذا ما يفسر السباق المحموم إلى التسلح والذى بلغ حد الجنون.

وأوقع بالأرض حربين عالميتين فى أقل من أربعين عاما، ضاع ضحيتها مئات الملايين من البشر بلا ذنب جنوه، أو جرم ارتكبوه، سوى ما يحققه ساستهم من أفكار شيطانية، ونزعات إجرامية، ونعرات قومية، ومواضعات جاهلية، ولاتزال البشرية تدفع ثمن انحرافها عن الفطرة، وافتقادها للمنهج، وعتوها عن أمر الله حروبا طاحنة، وأمراضا مستعصية، وقلقا فى النفوس واضطرابا دائما فى العقول والقلوب

لقد جربت البشرية الحديثة ألوانا من مناهج البشر، فلم تزدها هذه المناهج إلا فسادا وضلالا، ولم يجنوا فى ظلها إلا العناء والشقاء.

إن خلاص النوع الإنسانى لا يعقل ولا يمكن أن يكون، إلا بعقيدة روحية إيجابية عاطفية، صالحة لتوحيد الناس فى نظام واحد، يتكفل بحاجات الضمائر والمشاعر والوجدان كما يلبى حاجات الأجسام والعقول.

والأنظمة البشرية القائمة اليوم لاتملك شيئا من مقومات هذا الخلاص، فإذا كانت الأنظمة البشرية قادرة على إنشاء شركات تجارية تستطيع توزيع الأرباح توزيعا دقيقا بالأسهم والدولار والسنت، فإنها لا تستطيع أن تخلق فى الإنسان تلك العواطف النبيلة التى تسمو به على مطالب الجسد، وتكبح فيه نوازع الأثرة العمياء وهو مغتبط قرير الفؤاد.

يقول الأستاذ العقاد: «لم تفلح عقائد الغرب فى إحياء تلك العاطفة الروحية؛ لأن أوروبا قد انحرفت بالمسيحية عن سواتها، ولأن المسيحية تعنى بخلاص روح الإنسان فى حياته الأخروية، ولا تعرض عليه حلا من الحلول التى تقبل التطبيق فى الحياة الدنيا بين وحدة عالمية من جميع العناصر والأقوام، ولو كانت مسيحية الغرب علاجا لمشكلات الإنسان فى العصر الحاضر لعالجت المادية الماركسية التى طغت على روسيا الخبيثة، واقتلعتها من أحضان الإيمان بالله»[1].

ونحن نقول إن الأستاذ العقاد رغم ما لمسه من إفلاس الحضارة الغربية، وإدراكه لعجزها عن معالجة المادية الماركسية فى روسيا، فإن ذلك لايعنى أنها

العقاد

نجحت فى معالجة مشكلات أبنائها فى الغرب، فقادة الحضارة الغربية يشهدون بأنهم أخفقوا تمام الإخفاق فى أن يمنحوا الناس بحضارتهم لحظة من أمان أو اطمئنان.

يقول مستر «إيدن» رئيس وزراء بريطانيا:

«إن أهل الأرض كانوا يرجعون فى أخريات هذا القرن[2] إلى عهد الهمجية والوحشية، ويعيشون عيشة الكهوف والمغارات، ومن الغريب المضحك أن البلاد والدول تنفق ملايين الجنيهات على وقاية نفسها من آلة فتاكة تخافها، ولكنها لا تتفق على ضبطها، وإنى أتعجب فى بعض الأحيان وأقول: كيف لو زار العالم الجديد زائر من كوكب آخر وهبط إلينا، فما عسى أن يشاهده؟ سيجدنا نعد العدة لإهلاك بعضنا بعضا ونتبادل الأنباء عنها، ويخبر بعضنا بعضا كيف نستعمل هذه الآلات الجهنمية»[3]

ولا أظن القارئ يحتاج إلى دليل على عجز الحضارة الغربية عن تقديم منهج حضارى يشبع إنسان هذا العصر ماديا ومعنويا؛ لأن ما يسمعه ويقرأه ويشاهده أكبر وأصدق من كل ما يقال.

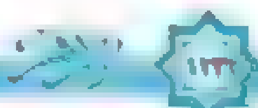
وقد صرح «كنيدى» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦٢ أن ٨٥,٧٪ من الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين، لأن الشهوات التى غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ويقول: إن مستقبل أمريكا فى خطر؛ لأن شبابها مائع

---

(١) الإسلام دعوة عالمية. الأستاذ/ عباس العقاد ص ١٣٦

(٢) يقصد القرن العشرى.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. مكتبة السنة ص ٣١٦.



مستغرق في الشهوات. الأمر الذي سيحجبهم عاجزين عن النهوض لمفقدة على عواتقهم»[4]

تلك شهادة بعض أعلام الحضارة الغربية على حضارتهم وهي أيضا شهادة الواقع الذي لا يستطيعون جحده أو إنكاره.

ويقول الأستاذ العقاد عن المفكر الهندي العلامة السيد محمد علي صاحب الترجمة المشهورة للقرآن الكريم، قوله:

«إن الشيوعية شر من نظام رأس المال، لأن شرور هذا النظام تتمثل كلها في أصحاب رءوس الأموال، ومن حظ الشيوعية أنها تحصر رءوس الأموال في يد فرد واحد، أو جملة أفراد، لأن الدولة تصون بالقوة التي لا تقاوم، ولا تملكها الأغنياء مهما بلغ نصيبهم من الثراء. وقصارى الأمر إذا اجتمعت الأموال في أيدي الحكومة أن يصبح الحكام عصبة مستعمرة تملك مع الرئيس محل الشركات والمصارف الكبرى، وتصول على الناس بقوة لا تملكها تلك المنشآت»[5] وهذا ما حدث في منظومة الدول الشيوعية حتى وصل الأمر بالناس حدا لا يطاق، ولم تستطع الفطرة تحمل هذا العبء الثقيل فطرحته عن كاهلها في بداية التسعينيات من القرن الماضي ليكون هذا التحول بشارة خير للإسلام، ودليل صدق لرؤية المؤمنين الصادقين من العلماء العاملين ومقدمة لتصديق بقية البشارة بسقوط الشق الآخر، الذي يمارس اليوم عربدة في الأرض أصبحت لا تطاق.

ومن المناسب في هذا المقام أن أقدم للقارئ العزيز إحساسا أفاء الله على رجل من أحبابه عاش مجاهدا وعالما، ولقي الله شهيدا، هو الدكتور «عبدالله عزام» الذي أدرك ببصيرته الإيمانية سقوط الحضارة الماركسية الإلحادية قبل سقوطها الفعلي بعقد واحد من الزمان فيقول: «إن شجرة المادية بفرعيها الغربي- الشعبي- العلماني- والشرقي الإلحادي، تتآكل اليوم وينخر بها السوس من كل طرف وجزء من كيانها. لقد بدأ نعش مدنيتها الأولى، لأنها قامت على غير أساس، وبنيت على غير هدى. لقد أراد زارعها الغربي أن يتحدى طبيعتها وفطرتها وظن أنه يستطيع أن ينمو صنفها فبرز عنها سلالات، وأراد أن يغرس النور في بلاد الإسكيمو والصنوبر والتفاح في خط الاستواء[6]

ففشل فشلا ذريعا، وراح جهده هباء منثورا، لأنه تحدى إرادة الله وناموسه فقهره. لقد زرع الغربي حضارته بعيدا عن الله، وخنق فيها الروح منذ اللحظة الأولى، فولدت ميتة بلا روح، مادية بلا حياة، لا يجري الدم في عروقها، وولدت الحضارة الغربية مشلولة الدماغ، وظن الغربي أنه يستطيع علاج هذا الشلل، ولكن كلما تقادم الزمن ورثت الأيدي بين الشلل في الأعضاء والعطل في جميع الأنحاء» إلى أن يقول:

«إنني أرى الدمار في فرعي الحضارة، الغربي والشرقي، ولكني أرى أن الضمور والاصفرار في الفرع الشرقي أشد وأكثر. هذا مع تأكدي- والله أعلم- أن الشجرة بفرعيها ستذوي، وليس زمن سقوطها النهائي بعيدا، لأنها سنة الله القائل:

[illegible]

(يونس ١٣)

---

4) الإسلام ومستقبل البشرية، د. عبدالله عزام ص ٣٣
5) الإسلام دعوة عالمية، عباس العقاد ص ١٣٤
6) يقصد بلوغ الجهد وعمل الشيء في غير موضعه و[illegible] في غير بيئته
7) الإسلام ومستقبل البشرية د. عبدالله عزام مكتبة [illegible] ص ٣٦

[illegible]

(يونس ٨١)

وها هي الشيوعية قد سقطت وصدقت نبوءة الرجل وتحقق حدسه، فلم يمض بعد كلامه هذا سوى اثنتي عشرة سنة وسقطت الشيوعية سقوطا مهينا، بعد أن فشلت فشلا ذريعا. ولا يزال الشق الآخر من الحضارة المادية يتلبط في وحله ويتخبط في ظلامه، ويضطرب في سيره ويترنح في خطواته استعدادا للسقوط الأخير، الذي حكم به الخالق الحكيم على كل من ينازع الله في سلطانه، ويسعى في الأرض بالإفساد والتخريب ﴿ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾

إن الحياة في نظر الرجل الغربي صراع لا يهدأ، وقتال لا يتوقف فهو لا يعرف الحياة إلا قويا غالبا، أو مغلوبا مقهورا، أما أن يتسع أفقه ليقبل الآخر شريكا محببا في حب ووئام فهذا ما لا يخطر للرجل الغربي على بال، لأن الذين يصنعون له فكره، ويصنعون له خططه، ويمدون أصحاب القرار السياسي بتصوراتهم وأفكارهم، لا يستمدون تصوراتهم من وحي إلهي، أو منهج رباني، وإنما المرجع الحقيقي، والمكون التاريخي والعمق الثقافي، يعود إلى العقلية الرومانية الوثنية التي ظلت صاحبة التأثير الفعلي على عقلية الغرب، الذي لم يعرف النصرانية إلا طلاء خارجيا ظاهرا، اعتنقها بشيحة بسبب سياسية قاهرة فرضها الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع الميلادي.

يقول المستشرق النمساوي «ليوبولد فايس» الذي ولد ونشأ في ظل العقلية الأوروبية «إن المدنية الأوروبية لا تزال في واقعها وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة»[8] وما كان الرجل صادقا مع نفسه فقد خلع عن عنقه وعمة الانتساب إلى هذه الحضارة الحيوانية وأعلن الدخول في الإسلام وكتب كتابه العظيم «الإسلام على مفترق الطرق» والذي قبسنا منه هذه الكلمات.

ومن يقرأ مقالة المفكر الأمريكي المعروف «هنتنجتون» التي تعد هي المرجع الفكري لأصحاب القرار السياسي في أمريكا والتي جاءت بعنوان «صراع الحضارات» يدرك طبيعة العقلية الأمريكية التي لا تؤمن بغير القوة، ولا تبني سياستها أو تضع قرارها إلا على هذا الأساس.

وهو أساس ينطلق من إلغاء الآخر، والتعامل مع أهل الأرض جميعا بمنطق الإله الذي لا يقبل أن يرد أمره، أو يستهجن فعله، أو ينازع في سلطانه، وهو مقام لا ينبغي إلا لله سبحانه وتعالى.

لقد استكبر الإنسان الغربي في الأرض، واستعلى على البشر، ومكر السيئات، وأظهر الفساد في البلاد فجنى حصاد ما زرعت يداه، جنى الشوك والشقاء والقلق والبلاء.

إن الحضارة المادية بشقيها الشرقي والغربي، دخلت مرحلة الاستبدال والتغيير، ولكن من المرشح لوراثة الإنسان الغربي في قيادة الأرض؟ وأي حضارة هذه التي ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟ إنه الإسلام.. دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجا واحدا.

[illegible]

(آل عمران ١١٠)

---

8) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد ص ٤١

لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي

نفحات الرحمة و بشريات الخير

إعداد: الشيخ / علي حامد

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير
وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم

أما بعد.

فقد كان سلفنا الأول مرتبطاً بالقرآن الكريم على نحو يجدى عليه في الدنيا والآخرة. كان إذا قرأه أو سمعه تدبره. فنزلت الآية على عقله هدى وضياء، ونزلت على قلبه برداً وسلاماً. ولا يزال من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين يقرءون القرآن على هذا النحو.

إن الله فاوت بين الناس فيما منحهم من مواهبه. قد تكون هناك أصوات حسنة، وقد تكون هناك أصوات معتادة. الذى هدى إلى ألفاظ الأذان من صحابة النبى عليه الصلاة والسلام رجل وضيء القلب، عظيم الإيمان، بلغ من صفائه أن نضح قلبه بإلهام من الوحى الأعلى. ومع ذلك فإن كلمات الأذان - كما عرضت على النبى [1] - تخير لها عليه الصلاة والسلام من يؤديها بصوت رقيق. فاختار بلال بن أبى رباح وقال: (فإنه أندى صوتاً) [1]

والقرآن الكريم يقرؤه الكثيرون. ولعل البعض أن يكون أندى صوتاً من الآخر. هذه مواهب. ولعل البعض يكون بعمق إخلاصه، وصدق أدائه، وحلاوة ترتيله أسبق إلى القلوب، فهو يملؤها خشوعاً لله، واستجابة لتوجيهاته، وكما قيل: الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً، والكتاب المطبوع طبعاً حسناً يمكن أن يعرض فيه الحق عرضاً مغرياً بالقبول، هذا شيء نذكره بين يدى الكلام عن أثر القرآن فى نفوس المستمعين.

قرأت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج يعس* بالمدينة ذات ليلة. فمر بدار رجل من المسلمين. فوافقه قائماً يصلى. فوقف يستمع قراءته فقرأ [illegible] حتى بلغ:

[illegible]

(الطور: ٧ - ٨)

قال: قسم - ورب الكعبة - حق. فنزل عن حماره - هكذا يقول ابن أبى الدنيا - واستند إلى حائط. فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله. فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه*

هذا رجل رقيق القلب، شديد الإحساس بخشية لله، شديد التكبير لما يقع منه من أخطاء. فهو يظن أن أخطاءه جبل إذا انهد على رأسه أودى به. فهو لذلك هياب من الوعيد الإلهى.

هذا شىء ينبغى أن يذكره المسلمون عندما يستمعون إلى القرآن. وتمر بهم آيات كثيرة فيها الوعيد الشديد ومع ذلك فكأن القلوب مغلقة بالرصاص أو بالحديد لا يخشع أحد، ولا يكترث أحد، كأن القرآن يتلى بين من لا حى!!

ندع سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وخشيته لله عز وجل التى جعلته يمرض عندما أحس كأن لفحاً من الوعيد الإلهى قد يصيبه مع أنه رجل من المبشرين بالجنة، ندع هذا لنرى كلاماً آخر فيه بشريات، فالناس تحب البشريات أكثر مما تحب عناصر الرهبة والتخويف

يروى الحاكم عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: إن فى سورة النساء خمس آيات ما يسرنى أن لى بها الدنيا وما فيها:

[illegible]

(النساء: ٤٠)

[illegible]

(النساء: ٣١)

﴿... يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ...﴾

(النساء: ٤٨)

[illegible]

(النساء: ٦٤)

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

(النساء: ١١٠)

---

(١) هذه العبارة وردت ضمن حديث طويل رواه أبو داود فى سننه فى كتاب الصلاة - باب كيف الأذان ١/١٩٩

* يعس: [illegible]
* رواه ابن أبى الدنيا، نقله ابن كثير فى تفسيره ٧/٤٠٩.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ (النساء: ٢٦)

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٢٧)

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (النساء: ٢٨)

﴿[illegible]﴾ (النساء: ٣١)

﴿[illegible]﴾ (النساء: ٤٨)

﴿[illegible]﴾ (النساء: ٤٠)

﴿[illegible]﴾ (النساء: ١١٠)

﴿[illegible]﴾ (النساء: ١٤٧)

وعن شرح هذه الآيات نذكر منها دون ترتيب وإنما نريد أن نتبع المعنى، ونريد أن نأخذ الثمرات ما اقترب منها لأيدينا.

الآية الأولى من الآيات الخمس:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ [illegible]﴾ (النساء: ٣١)

ما هي الكبيرة؟ الكبيرة ما ورد في الإسلام مقرونا بلعن، أو مقرونا بوعيد شديد، أو مقرونا بعقاب فيه رهبة وفيه تخويف، هذه هي الكبيرة، والكبائر كثيرة، فإذا برئ الإنسان من هذه الكبائر وابتعد عنها، ثم وقعت منه صغائر – والصغائر كثيرة – فإن الله يغفر لعباده الصغائر فضلاً منه:

﴿[illegible]﴾ (النساء: ٣١)

وهنا يجعل أدب الإسلام يسيطر علينا عندما نرى بعض المخطئين، فما يجوز أن نتهمهم بالفسوق والكفر لأنهم ارتكبوا أشياء هي صغائر، وهذه الصغائر مغفرة يوم يجتنبون الكبائر.

والآية الأخرى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٠)

ما أظن أحداً يخاف من الله ظلماً، فإن الله عدل، وإذا سألتني قلت: والله نحن نخاف من العدل ؛ لأننا إذا عوملنا بالعدل ما ننجو من العقاب، ماذا لو قيل لك: أنت أطعت، وأنا أطعمت وسقيت وكسوت وآويت؟

فبقدر ما كسوتك وآويتك وأطعمتك وسقيتك تذهب العبادات التي عبدتني بها، وتبقى عريان بعد ذلك تحتاج إلى الفضل الإلهي!!

إننا لو عوملنا بالعدل هلكنا؛ لأننا في الحقيقة فقراء إلى فضل الله، وإلى عفو الله، وإلى رحمة الله، وإلى مغفرة الله، فنحن من ناحية العدل موقنون بأن الله عدل، ولكن الحاجة الملحة هي أن نكون أهلاً لفضل الله وعفوه ورحمته، وهذا العفو، وهذه الرحمة ما يلقاها متكبر

(٤) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير ٢/٣٠٥، وقال: هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه، فقد اختلف في ذلك.

(٥) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٥/١٦١.

الآية الأخرى:

﴿[illegible]﴾ (النساء: ١١٠)

ليس في الإسلام أكثر من أن الإنسان بوا تسع أن يغسل نفسه. وقلب الإنسان كبدنه. فكما أن البدن – على ظهر الأرض – يتعرض للغبار والأتربة والجو. وكما أن هناك أجهزة للعرق وللفضلات تجعل هذا الجسم محتاجا باستمرار إلى التطهير والتنقية فكذلك القلب الإنساني يحتاج باستمرار إلى التطهير.

وعندما تخطئ لا تذهب إلى بشر لتقول له: أنا أخطأت فاغفر لي – كما يوجد في بعض الديانات – لا. أنت أخطأت أنت الذي ترجع إلى ربك وتصطلح على سبيلك، وتستأنف حياة أنقى وأرقى.

الآية الخامسة:

﴿[illegible]﴾ (النساء: ٦٤)

هذه الآية كشفت عن مكانة النبي ﷺ وأن استغفاره للمخطئين باب عظيم إلى التوبة عليهم ورضوان الله الذي يغفر لهم.

هذه هي الآيات التي اتفق ابن مسعود رضي الله عنه مع ابن عباس رضي الله عنهما على أنها من مفاتيح الرجاء ومن أبواب الرحمة، وزاد ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث آيات متتابعات هي:

﴿[illegible]﴾ (النساء: ٢٦)

القرآن الكريم نزل ليجعل الأمة الإسلامية امتدادا للنبوات القديمة لنوح وموسى وعيسى في العقائد وأصول الإيمان ومكارم الأخلاق. أما الفروع الفقهية، والشرائع العملية فقد قال الله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (المائدة: ٤٨)

والآية الثانية:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ [illegible]﴾ (النساء: ٢٧)

الله جل جلاله في دينه ومراده من خلقه وهديه وأمره ونهيه إنما يريد أن يرفع مستوانا، وأن يزكي سرائرنا، وأن يبيض صحائفنا، أما غيره فيريد أن يزيغ بنا، وأن نخرج عن الحق، وأن نلوث بالأقذاء والأهواء، وأن يعلنا عن ربنا وولي نعمتنا.

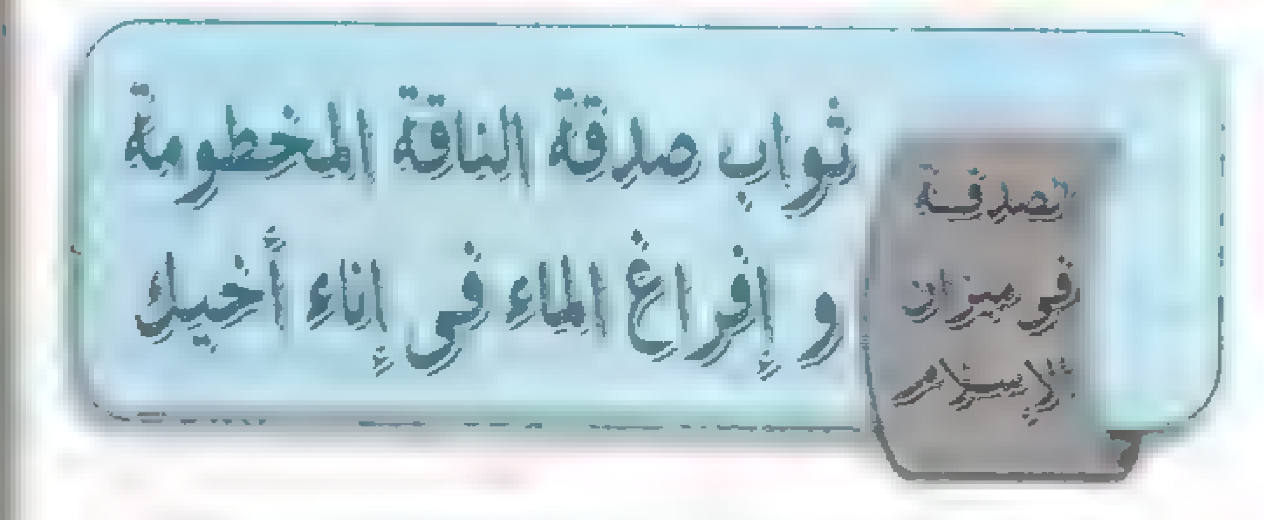
الآية الثالثة:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨)

رعاية للضعف البشري، رعاية لأننا خلقنا من طينة هذه الأرض، رعاية لما يغلب غرائزنا من نزوات السوء، رعاية لذلك كله عاملنا رب العالمين بهذه السماحة، يضاعف الحسنات، ويغفر السيئات، ويغفر ما دون الشرك، ويقبل الكثير رحمة منه بعباده:

﴿[illegible]﴾ (غافر: ٧)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.



لفضيلة الشيخ / على عبدالباقى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحقيقة أننى أردت فى هذا المقال أن أظهر نوعين من الصدقة: نوعا يحتاج إلى مال وآخر لايحتاج إلى مال. حتى لاييأس أحد حظه لفقره ويعلق آماله لو كان عنده مال لفعل وفعل. وإنما أردت أن يعلم الجميع كل فينا يملك بل وما يستطيع. إذ إفراغ الماء فى إناء أخيك لا يحتاج إلى مال بل يحتاج إلى جهد ونفس. وبذلك قد تنال ثوابا أكثر ممن لديه مال.

النوع الأول: ثواب صدقة الناقة المخطومة فى سبيل الله.

عن أبى مسعود الأنصارى- رضى الله عنه - أن رجلاً تصدق بناقة مخطومة فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: «ليأتين أو لتأتين بسبع مائة ناقة مخطومة»[1].

هذا الحديث الشريف يبين لنا فضل وثواب من تصدق بناقة مخطومة فى سبيل الله- عز وجل ليستعين بها الغزاة فى حمل أمتعتهم أو الركوب عليها ونحو ذلك. والناقة المخطومة: أى ذات الخطام، والخطام للبعير أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان، فيجعل فى أحد طرفى حلقه، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يشد منه البعير، وأما الذى يجعل فى أنف البعير فهو الزمام، وكون الناقة مخطومة، فيه دلالة على الصحة والقوة وأنها جيدة، فالخطام لايكون إلا للبعير أو الناقة الكبيرة الجيدة، وثواب من تصدق بتلك الناقة المخطومة فى سبيل الله ثواب وأجر سبعمائة ناقة، ويحتمل كما هو الأظهر عند الإمام النووى أن يكون له فى الجنة سبعمائة ناقة مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه، كما جاء فى خيل الجنة ونجبها. أو عدل ذلك ثوابا، وهذا الثواب موافق لقول الله تعالى فى سورة البقرة عن المنفقين أموالهم فى سبيل الله:

[illegible]

(البقرة: ٢٦١)

فهنيئا بهذا الأجر العظيم والثواب القيم وما فوقه مما يكرم الله به عباده المتصدقين فى سبيل الله حيث يضاعف لهم أجرهم أضعافا كثيرة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

النوع الثانى: ثواب صدقة إفراغ الماء من دلوك فى دلو أخيك.

روى الترمذى عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك فى إناء أخيك».

قوله: وأن تفرغ من دلوك فى إنائه: الدلو: إناء يستقى به من البئر، والإناء: الوعاء للطعام والشراب، فالدلو وعاء كبير، أما الإناء: فوعاء صغير، والحديث الشريف يصور لنا مسلما فى دلوه ماء، وقد التقى بأخيه المسلم الذى ليس عنده ماء ومعه وعاء صغير للشراب، وفى هذه الحالة فإن الإسلام الذى يدعو إلى الرحمة والعطف والبر يدعو من فى دلوه الماء أن يبادر بإفراغ بعض منه فى وعاء أخيه، فهذا من المعروف الذى أمر به الإسلام وحث عليه، وهو فى نفس الوقت صدقة مقبولة عند الله، ويزاد الأجر ويضاعف الثواب إذا كان هذا الإفراغ فى الأحوال التى يصعب فيها وجود الماء، كأن يكون فى صحراء، أو فى رحلة ما، أو سفر طويل أو نحو ذلك فإن هذا يكون من أعظم الصدقات وأقرب القربات إلى الله تعالى، لأن فيه الإبقاء على الحياة وصدق الله القائل:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

(المائدة: ٣٢)

(١) مسند الإمام أحمد

دور الفقه الإسلامى

فى إحياء الضمير الجمعى (٢)

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

يخطئ كثير من الناس حين يفهمون أن الفقه الإسلامى علم خاص بالعبادات بمعنى أنه يبحث كيفية وقوع العبادة صحيحة. كالصلاة والصوم والحج. وكيف تكون باطلة أو فاسدة وشروط صحتها وشروط وجوبها... الخ.

وهم يخطئون - فى رأيى - لأنهم ضيقوا معنى الفقه بهذا الفهم القاصر ولئن جاز لى أن أقسم الفقه كما قسمه أهله فإننى أقول: إنهم قسموه إلى عبادات ومعاملات، وهذا بمعنى معروف معلوم لا خلاف عليه، ولئن عقدنا مقارنة كمية بين ما تشغله العبادات وما تشغله المعاملات لرجحت كفة المعاملات فهى أكبر حجماً وأعمق دراسة وأصعب فى التحصيل على الطالب المجد، وهذا الفهم السطحى أو المسطح للفقه أفرز تصوراً خاطئاً للدين ورسم صورة مغلوطة عنه فى أذهان كثيرين، أن الدين شعائر فقط محصورة أو محاصرة فى داخل المسجد وكفى، فبعض الناس وهم الدهماء فهموا ذلك واستراحوا لهذا الفهم وأخلدوا إليه وماتت ضمائرهم وعاشوا فى دنياهم وفى معاملاتهم مع الناس لايراعون إلاً ولا ذمة، فقد أدوا شعائرهم بانتظام: صاموا، وصلوا، أو قل - إن شئت الدقة - قاموا وقعدوا وامتنعوا عن الطعام واعتقدوا أن هذا كل ما يطلبه الدين منهم، أو كل ما يريدونه هم من الدين، من أجل هذا للسلك لشاذ فسدت دنيا الناس وساءت معاملاتهم. وأصبح الدين شكلاً يقلد وطقوساً تؤدى. وأنتج هذا المناخ أفواجاً من الناس تخاصموا دون وعى بأسباب الخصومة.

الطائفة الأولى تملك عاطفة مهتاجة واندفاعاً فى غيرة على الدين لا نشك فيها لكنها متهورة، لاتعرف طريق التريث والأناة والطائفة الثانية: وجفلت من الدين والتدين بعد أن نظرت إلى الطائفة المندفعة المتهورة فخافت من الدين؛ لأنها تصورته حدوداً وقصاصاً وحصوصاً أنها ترتع فى فساد المال والعرض. فهى ترتعد من القصاص والحدود كما أنها نظرت فى الجماعة الأولى المتزمتة التى تفصل عن قاعة بليدة بين الشعائر والمعاملات. فرأت أنها تمثل توحداً يحتذى أو مثلاً تطمح النفس إلى الوصول إلى ساحته. ظهر صاحبى فجأة بعد طول غياب قائلاً فى شماتة متسمة فى سخرية ما الذى جرى لك بعد أن تركتنى هل أصبحت منظراً للمجتمع، فتركت موضوعك (الفقه) الذى عهدتك تألفه وطوحت بك بعيداً بعيداً إلى علم الاجتماع والبحث فى طبقات أو فئات المجتمع؟

قلت فى غيظ مكتوم: تصورت غيبتك عاكفاً على علم تدرسه أو سياحة فى دنيا الله تفكر فى مخلوقات الله وكونه، ثم أردفت قائلاً موضحاً محاولاً أن يفهم ما أنا بصدده وأحسبه واضحاً من عنوان المقال. دور الفقه الإسلامى فى إحياء الضمير الجمعى - أنا لم أترك موضوع الفقه فأنا أعشق الفقه منهجاً ودراسة. فمنذ كنت فى سنوات الصبا طالباً بالأزهر الشريف أحببت الفقه كمادة تدرسها، برغم أن كثيراً من زملاء الدراسة كانوا يضيقون بالفقه كمادة دراسية وهم يحبون أو يفضلون بعض المواد الدراسية الأخرى، وأنا أحب الفقه كمنهج بمعنى أن كتب الفقه الإسلامى تبدأ بتسلسل محبب منطقى واضح لايسبق باب باباً آخر، فمثلاً لايبدءون بالصلاة إنما كل كتب الفقه تبدأ بدءاً منطقياً لا بالوضوء لكن بما يسبق الوضوء وهو بحث المياه التى يجوز منها الوضوء، ثم بحث دخول الخلاء ثم الوضوء ثم الصلاة وهكذا فى كل أبواب الفقه فى كل المذاهب. كما أنهم لا يدرسون أحكام الطلاق قبل أبواب الخطبة والنكاح وهكذا.. ورغم هذا التسلسل المنطقى الواضح فإنى أحس كأن المسلمين لم يستفيدوا شيئاً من منهجية الفقه، فهم لم يعرفوا منهجية واضحة فى حياتهم خصوصاً على مستوى الجماعة، أو كأن الضمير الجمعى عندهم لم يعد له وجود فى كل ما هو عام، هذا بعض ما جعلنى أحب الفقه فضلاً عن أسباب أخر ودوافع عديدة منها ما نحن بصدده اليوم.. وهو فرض الكفاية، وكنت قد وعدتك بالحديث عن فرض الكفاية فى مقال سابق، وأن فرض الكفاية ليس خاصاً بالعبادات فقط، وهذه هى روعة الفقه الإسلامى، فهو أيضاً يشمل مجالات عدة فى الحياة، يؤطرها الفقه ويؤصلها فى فرض الكفاية، وإن كانت هى فى مضمونها ومحتواها مظاهر دينية تخرج عن إطار المسجد وعن حدوده، وهذا هو وعى الفقهاء المسلمين

بالدين. فهم لم يحصروه في حدود المسجد مهما كان المسجد واسعاً فسيحاً. ومهما حوى من أعداد المسلمين. فإن الدين الحقيقي خارج المسجد. كما هو في داخله. لكن بعض قصار الفهم ضيقوا الدين. ولو شاءوا لأغلقوا عليه باب المسجد. وكما قلت سابقاً إن هذا الفهم القاصر للدين أنتج نوعين من الناس، نوع ملكته العاطفة الدينية. والغيرة على الدين من أن يُضيق عليه ويُحبس خلف جدران المسجد فثاروا في عاطفة مهتاجة واندفاع غير محمود. فطالبوا بجعل الدين منهج حياة وتصوروا خطأً كأنهم هم الذين أطلقوا الدين من عقاله وأن الدين ينحصر في القصاص والحدود ولا شيء غير ذلك.

والنوع الثاني- متطرف لكن تطرفه في مواجهة التطرف الأول وهم يرفضون أن يخرج الدين من محبسه ليقوم اعوجاج الحياة. وأعتقد أننا تناولنا الطوائف الثلاث وأوضحنا تباينها واعوجاج مسلكها في فهم الدين والحياة. على أن الذي يعنيني أن أوضحه الآن هو بيان تهافت منهج النوع الأول الذين فهموا الدين طقوساً تؤدى. وحركات يأتيها المسلم ليس إلا . فهذا منهج مرفوض لأنني لا أتخيل أن منهج الإسلام الواضح الشامل للحياة كلها يمكن أن يضيق وأن يحمل هذا السخف البليد. كيف يكون ذلك؟ والرسول ﷺ الذي حمل إلينا هذا الدين وتركه أمانة بين أيدينا أراده منهج حياة كيف يستقيم هذا مع من يتصورون أن الدين داخل المسجد. كيف والرسول ﷺ يعرف المسلم الحق فيقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1] أليس هذا أجدر بأن يكون في معترك الحياة لا خاملاً قابعاً يزعم أنه يتعبد لربه، ويظن أنه بلغ غاية الدين وأيضاً قوله ﷺ «لا إيمان لمن لا أمانة له»[2] أليس هذا شاملاً الحياة كلها خارج المسجد في المكتب وفي المصنع وفي الحقل، وفي كل الموانئ والثغور فلماذا ضيقنا الدين؟

ويقول النبي ﷺ: «إماطة الأذى عن الطريق صدقة»[3] أليس هذا خارج المسجد. وبالله عليك قل لي متى قال النبي ﷺ «من غشنا فليس منا»[4] هل قاله فوق المنبر أم في صحن المسجد أم في السوق؟ أيها المسلمون، هذا هو الدين وقلت لك، إنني سوف آخذك إلى رحاب الفقه الجيد المستنير لتعلم أن الدين ليس في الصلاة والصوم فقط إنما الصلاة والصوم هي وسائل ليستقيم الفرد وينصلح وتستقيم وتنصلح الحياة.

(١) صحيح مسلم

(٢) مسند الإمام أحمد

(٣) الطبراني في الكبير

(٤) صحيح مسلم

(٥) هو الإمام القدوة، صاحب الرؤية الصوفية الشفافة والفهم العميق لأسرار الشريعة

وقلت لك إنني سآخذك إلى كتاب «الموافقات» للإمام الشاطبي[5] لترى أن فرض الكفاية ليس خاصاً ولا مقصوراً ولا محصوراً في العبادات فقط وإنما يشمل المعاملات أيضاً. وهو في المعاملات أشمل وأكثر يقول الإمام الشاطبي. في طلب الكفاية: «يقول العلماء بالأصول: إنه متوجه على الجميع لكن إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين. ثم يقول لكن الضابط للجملة من ذلك أن الطلب وارد على البعض ولا على البعض كيف كان. لكن على من فيه أهلية القيام بذلك الفعل المطلوب. ثم يقول بعد أن بين أدلة فرض الكفاية من الكتاب قال والثاني: ما ثبت من القواعد الشرعية القطعية في هذا المعنى كالإمامة الكبرى أو الصغرى.

ألا ترى أن هذا خارج إطار المسجد؟ ألا ترى أن هذا يشمل الحياة كلها؟ ثم يقول الإمام الشاطبي: فإنها تتعين على من فيه أوصافها المرعية لا على كل الناس وسائر الولايات بتلك المنزلة إنما يطالب بها شرعاً باتفاق من كان أهلاً للقيام بها والغناء فيها؟

ثم يقول بعد كلام رائع جميل ليس باليسير فهمه ولا فائدة من الاسترسال فيه لكل الناس: «لأن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة فهم - أي الناس - مطالبون بسدها على الجملة فبعضهم هو قادر عليها مباشرة وذلك من كان أهلاً لها. والباقون وإن لم يقدروا عليها قادرون على إقامة القادرين. فمن كان قادراً على الولاية فهو مطلوب بإقامتها. ومن لا يقدر عليها مطلوب بأمر آخر وهو إقامة ذلك القادر وإجباره على القيام بها».

(أرأيت إلى فرض الكفاية تحول من الوجوب على القادر إلى الوجوب على غير القادر بإجبار القادر على القيام بالواجب). فالقادر إذاً مطلوب بإقامة الفرض وغير القادر مطلوب بتقديم ذلك القادر.

أرأيت إلى رفض السلبية واللا مبالاة بأمر المسلمين؟ وواجب دفع القادر على القيام بواجبه أياً كان؟ «إذ لا يتوصل إلى قيام القادر إلا بالإقامة».

أي دفع الناس للقادر وحمله على أداء ما عليه وجب وما هو له أهل»

«من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» وإلى معنى آخر من الفرائض الإسلامية التي ترغم أفراد المجتمع على حمل مسئوليتهم تجاه أمر من الأمور وسوف نتناولها في كتب الفروع[6]، وهي ما يعرف في الفقه الإسلامي «بالقسامة». تسألني ما هي القسامة أقول لك في اللقاء القادم بإذن الله أنقل لك من كتب السلف ما تقر به عينك وتعلم أن الدين ليس حبيساً كسيحاً أو عليلاً داخل المسجد إنما هو قوي قادر يروض شهوات وغرور الجامحين.

(٦) ولا في الشرح الصغير للعارف بالله الفقيه سيدي أحمد الدردير.

(٧) في كتاب المجموع شرح المهذب للنووي

(٨) في كتاب نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار للإمام شمس الدين المعروف بقاضي زاده



لفضيلة الشيخ / عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وصلة الإيمان بالعمل هي مثل صلة الإنسان بالسلوك فعندما يؤمن الإنسان بالله العظيم ويؤمن بأن اليوم الآخر لا ريب فيه ويصدق بما جاء به المرسلون فإن الإيمان بكل هذا يدفعه إلى أن يجهز نفسه ويستعد ليوم اللقاء ويدفعه أيضا إلى الاستقامة على الصراط القويم بل يبحث عن صالح الأعمال التي تجعله يتوق إلى اللقاء المرتقب بين يدي الله وذلك مثله مثل الشجاع الذي لا يهاب الإقدام في ميادين الخطر ومثل الكريم الذي ينفق في مواطن البذل ومثل الإنسان الصادق الذي يتحرى الحق والصدق عند الحديث في أمر من الأمور

والذي يتدبر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد الصلة والصلة الكاملة بين قرن الإيمان بالعمل حتى إنه ليقال إنه لا إيمان بلا عمل ولا عمل مثمر بدون إيمان ولقد حاول أعداء الإسلام أن يحققوا له الهزيمة في المعارك التي دارت فلم يستطيعوا وكانت الدائرة عليهم ففكروا في هزيمته من الداخل فدسوا على المسلمين من يصور لهم الإسلام بأنه كلمة لا تكاليف لها ولا [illegible] عند الله تعالى وفي ظل هذا المفهوم المعوج الذي يصور الإسلام على أنه مجرد كلمات تقال وتحرك بها الشفاه ثم بعد ذلك ترى أن أحدهم لا يدخل مسجداً ولا يقيم فريضة ولا يحترم لله شعيرة بل إنه ليعيث في الأرض فساداً فيشرب الخمر ويأكل الربا وينتهك الأعراض بل إن بعض المسلمات تأتي بغير المسلم وتقنعه بأن ينطق بالشهادتين حتى يصير مسلماً ويكون زواجه منها صحيحاً مطابقاً للشريعة الإسلامية فهذا المسلم المزعوم لا تربطه بالإسلام إلا شهادة أعطيت له بأنه نطق بالشهادتين وصار مسلماً يحق له الزواج من مسلمة. وهكذا نرى أن بعضاً من المتحدثين باسم علماء الدين لا يكترث بمثل هذه الأمور فيجد أن المرء إذا حرك شفتيه بكلمة التوحيد تحصن وراءها وعفا نفسه من القيام بواجبات الإيمان والنهي عما حرم الله من الموبقات المهلكات والعجيب في الأمر أن الذين يقومون بمثل هذه الأفعال يزعمون أن الدين يبيح ذلك طالما أنه يحتمي بكلمة التوحيد فهؤلاء هم الغافلون المغرورون لدينهم الذين قال الله فيهم:

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ٥١)

إن الله عز وجل جعل العمل رسالة الوجود ووظيفة الأحياء وما من آية في كتاب الله ذكرت الإيمان مجرداً بل عطفت عليه عمل الصالحات أو تقوى الله أو الإسلام له حتى صارت صلة العمل بالإيمان هي العروة الوثقى التي لا يعتريها وهن وإن النكوص عن القيام بالأعمال الصالحة لهو دليل فراغ القلب من العقيدة. وبعده عن الإيمان يقول تعالى في وصف هؤلاء:

﴿[illegible] لِلْمُصَلِّينَ﴾

(الماعون: ١، ٣)

وإن القرآن الكريم ليصور لنا أن الإيمان يلحق الأعمال فيصلحها ويصلها بالله تعالى يقول تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الأنبياء: ٩٤)

وأكثر من ذلك فهناك ميزان ينصب يوم القيامة فما الذي يوزن في الدار الآخرة؟ أليست الأعمال التي عملها الإنسان وهي التي تميل بالإنسان إلى النعيم المقيم في رحمة الله خالداً مخلداً أو تميل به إلى الجحيم - والعياذ بالله - يقول تعالى موضحاً ومبيناً عدل الله في قضائه:

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ٨، ٩)

فهؤلاء الذين غرتهم الأماني ويقولون نحن نحسن الظن بالله تعالى نقول لهم: اقرءوا القرآن وانظروا كم أمة هلكت بسوء عملها فها هم قوم لوط نقم الله عليهم بإهلاكهم أجمعين بسوء عملهم وارتكابهم الفاحشة وقوم شعيب أهلكوا لبخسهم المكيال والميزان وقد وضح القرآن الكريم مصائر هؤلاء الفاسقين. ثم بعد ذلك يخرج من أمة المسلمين من يزعم أن الإسلام والإيمان يكتفي بالوفاء بحقها التصديق القلبي دون حاجة إلى العمل بل ولا مانع من ارتكاب السيئات والمعاصي طالما أن هناك إيماناً بالله فهل أمة الإسلام هي بدع من الأمم السابقة وتريد أن ترتكب السيئات دون حذر أو وجل؟ إنا نقول لهم إن الإسلام ليس بدعاً من الشرائع السابقة فيوجب الإيمان دون العمل وقد قص علينا القرآن الكريم قصص السابقين لنتعظ بها ونأخذ منها العبر يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن [illegible]﴾

(يونس: ١٣، ١٤)

فلنعلم أن الله رقيب على أعمالنا وهو سبحانه يكلفنا بالإيمان والعمل جميعاً ثم ينظر وفاءنا بما كلفنا به من أعباء وهو سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها فلا يحملها مالا تطيق من أعمال حتى يجازي كل نفس بما عملت

(الزلزلة: ٧ ، ٨)

ولذلك كانت تقوى الله تعالى والخوف منه هي أساس النجاة وهي الهداية إلى صراط الله العزيز الحميد وقد خاطب الله سبحانه وتعالى أبناء آدم كافة بهذه الحقيقة الواضحة التي لا التواء فيها وألهمهم في جلاء وقوة أن نجاتهم في الصلاح والتقوى لا في المعاصي والبعد عن طاعة الله تعالى يقول الحق جل شأنه:

(الأعراف: ٣٥ ، ٣٦)

إن النصوص التي تهدينا إلى تلازم الإيمان والعمل كثيرة يزخر بها القرآن الكريم وتستفيض بها السنة النبوية المطهرة وتضع الحق في إهابه وتخط لكل مسلم غايته وتحفظ له مكانته بل إنها تقرع الأسماع بذلك الأمر الحاسم:

(التوبة: ١٠٥)

من أجل ذلك نقول لكل هؤلاء: إن النطق بالشهادتين بداية لما بعده من اعتقاد وعمل وإنما هؤلاء الذين يعتقدون أن مجرد النطق بكلمة التوحيد فيه الكفاية والغناء فهم لا يبصرون ولهم قلوب لا يعقلون بها بل لهم أعين لا يبصرون بها ذلك أن كلمة التوحيد ما هي إلا نافذة تفضي بالإنسان إلى مساحات رحبة وآفاق ممتدة يتذوق فيها الإنسان حلاوة الإيمان ويتشرب القلب فيها حقيقة التوحيد الخالص كلما سجد لبارئه وبادر إلى مرضاته ونفر عن كل ما يغضبه تعالى وأدى الواجب وترك ما نهى الله عنه، وذلك أن كلمة التوحيد ليس المقصود بها طهارة الفم وحده مقابل كلمة الشرك التي تعني توجه القلب إلى ما سوى الله تعالى وعمل الجوارح لغير الله. فهي تلوث الفم والجوارح. فإذا لم يسيطر التوحيد على القلب والجوارح ويتحول إلى قوة باعثة إلى العمل الصالح فلا قيمة له، إن كلمة التوحيد تحمي البشرية كلها وتحصنها ضد قوى الشر والخضوع للآلهة المزيفة التي لا تستحق أن تعبد من دون الله ولا يقصد بتلك الآلهة الأصنام والحجارة فحسب بل يقصد بها كل ما يقطع صلة الإرادة الإنسانية بالله ويربطها بغير رباط الخوف والرجاء والرغبة والرهبة والألم والأمل فهو ذريعة للشرك - والعياذ بالله تعالى . وهناك العديد مرقت المعاصي صلتهم بالله شر ممزق وظلت أهواؤهم تجمح بهم بعيداً عن الله حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم. ولو عقدنا مقارنة بينهم وبين أهل الجاهلية الأولى ما وجدنا فارقاً بين إنكار وإنكار

ولابين جحود وجحود إلا أن هؤلاء نطقوا بكلمة التوحيد ولم يفهموها وأولئك فهموها ولم ينطقوا بها ولذلك نجد أن البشرية جمعاء تحلق في أجواء مشرقة بتوحيد الله وذلك لأن التوحيد مثله مثل بذرة في القلب الخصب تظهر آثاره ظلالا وارفة وثمرات شهية تظهر أعمالا طابعها الإسلام وأكثرها فلنستمع إلى قول الحق تبارك وتعالى مبينا لنا قيمة العمل الصالح مقترنا بالإيمان .

(إبراهيم: ٢٤ ، ٢٥)

وهذه الكلمة الطيبة أعلى عند الله قدرا وأعلى شأنا من أن يتلاعب بها منافق أو متلاعب بالإيمان. فالإنسان عندما يكون شاغراً من الأعمال لا تنفعه دعوى الإيمان وحدها، بل لابد لهذا الإيمان من تصديق بالعمل وترجمة لهذا الاعتقاد لا تكون إلا بعطاء من الأعمال الصالحة التي تقوي الصلة بين الخلق والخالق وقد أعجبني في هذا المقام ما جاء على لسان الراحل الكريم فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - حين يبين لنا الفرق بين الإيمان مقترنا بالعمل والإيمان بلا عمل حيث يقول - رحمه الله - «أعرف في إحدى المدن مصنعين للنسيج يدير الأول أجنبي يخشى الاتهام بالتعصب فهو يأذن لعماله أن ينصرفوا ساعة لصلاة الجمعة. أما الآخر ويديره مسلم بشهادة الميلاد - فهو دعي للإسلام لا يخشى الاتهام بشيء فهو يضن على العمال بالوقت الذي سمح به الأجنبي للصلاة!! ولعلك إذا جادلته في هذا الصد عن سبيل الله تطاول على الصلاة والمصلين ناسباً إليهم كل رذيلة، أفمثل هذا الذي لا يكترث بشعائر الإسلام يسلك في عداد المؤمنين؟» والإسلام قرر ما ينبغي عمله في الشئون المتصلة بنواحي الحياة كافة من أحكام ومعاملات وأخلاق، ولهذا فقد كان موقف المؤمنين تجاه ذلك واحدا لا يتغير وهو الخضوع المطلق إلا أنه كما ذكرنا آنفا أن بعض العوام يفهمون أن حسن الصلة بالله تعالى - وهو من فضائل الإيمان - يجبر النقص في باقي الفرائض ثم يتدرج هذا الفهم حتى يصل بهم إلى أن هذه الفرائض والواجبات من الممكن أن تتلاشى ويبقى الإيمان المجرد عنها. إن العالم اليوم فقير إلى الإيمان الحق الذي يضم العمل الذي يتطلبه ذلك الإيمان ويجعل الإنسان وثيق الصلة بالله تعالى وذلك أن الإيمان له مقتضيات وواجبات يلتزم المؤمن بها وبغيرها يكون إيمانه ناقصاً وربما يكون فارغاً إلا من الشكل ولا مضمون له وحتى يكون الإيمان بالله اعتقاداً راسخا لدى الإنسان يجب عليه أن يقدم الدليل على ذلك بالأعمال الصالحة التي تربطه وتصله بالخالق صلة وفاء وبر وتربطه بالحياة رباط إنتاج وجد، فبذلك يكون المؤمن مؤمناً حقاً، هذا والله يوفقنا إلى ما يترجم إيماننا إلى أعمال صالحة وأن يتقبلها منا إنه سميع مجيب الدعاء.

دور الأسرة في مواجهة الأزمة الاقتصادية

للمستشار: حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

أصبح من سمات العصر الذي نعيشه هذه الأيام كثرة وتنوع الأزمات المالية والاقتصادية التي تجتاح العالم، ولا تكاد تنجو منها أية دولة مهما كانت قوة اقتصادها ووفرة مواردها، مما يستوجب على المجتمع ضرورة إعادة النظر فيما لديه من عادات في الاستهلاك، واستخدام أفضل الأساليب فيه، مما يخفف من حدة وشراسة هذه الأزمات على الناس كافة، ولا سيما أن هذه العادات لا تقف عند حد الاستهلاك الغذائي، بل تمتد إلى مجالات أخرى من الاستهلاك، وخاصة المتعلق منها بالخدمات والمرافق العامة، كالمياه والطاقة الكهربائية وغيرها، مما يعود [illegible] بالنفع على كل أفراد المجتمع.

وإذا كانت الأسرة تعد في ذاتها أولى مؤسسات المجتمع، فإنها تحتاج إلى من يقوم على إدارتها، ومن هنا فقد جعلت الشريعة الغراء هذه المهمة الجليلة من اختصاص الرجل، بل قصرت عليه وحده دون غيره، القيام بواجب الإنفاق داخل هذه المؤسسة، وذلك بمقتضى قول الحق تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤)

وقوله تعالى:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ (الطلاق: ٧)

ومع هذا فإن القيام بهذه المهمة، يحتاج إلى تعاون جميع أفراد الأسرة مع الرجل، ولا سيما الزوجة التي تحسن تدبير أمور المعاش، حتى يتحقق النجاح والمستوى الأفضل لهذه المؤسسة، وقد أثنى الرسول ﷺ، على الزوجة التي تفعل ذلك، ووصفها بالصلاح، بقوله فيما رواه أبو داود والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟، المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته، في نفسها وماله». أي تحفظ سره، وتطيع أمره، وإذا غاب عنها، تحمي ماله، وتراعي عياله.

والأسرة على هذا النحو، يمكن أن تقوم بدور خلاق في ترشيد الاستهلاك في داخلها، ومنها يمتد إلى سائر المجتمع، باعتباره نوعاً من السلوك القويم، الذي يجب أن يحتذى به، والسير على منواله. ولبيان عناصر هذا الدور، تجدر الإشارة إلى النقاط الآتية:-

أولاً: سلبيات استهلاكية في حياة الناس

تعتبر عادات الناس في الاستهلاك، من المؤشرات الواضحة على الحالة الاقتصادية لأي مجتمع، وغالباً ما تنصب هذه العادات على إشباع الرغبات العاجلة، من المأكل والمشرب ومستعمل أدوات الاتصال والمواصلات، وغير ذلك من متطلبات النفس في معاشها اليومي، وكثيراً ما يلجأ كثير من الناس، إلى الحصول على أكبر كمية من السلع الاستهلاكية، واكتنازها بما يزيد على وفرة حاجياته على المدى القريب، وربما المدى البعيد، وهو نوع من الأنانية وحب الذات، قد يتسبب في حرمان الغير من هذه السلع، رغم أنه في أمس الحاجة إليها منه.

وقد أشارت الشريعة الغراء إلى مثال على إحدى هذه السلبيات، وهي التي تتعلق بإشباع شهوة البطن، فقد نظمت السنة النبوية المطهرة كيفية التعامل معها، وذلك كما روى الترمذي والحاكم والإمام أحمد، عن المقدام بن معد يكرب - رضي الله عنه -، أن الرسول ﷺ، قال: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه». وقد قال العلماء: إن ملء الأوعية، لا يخلو عن طمع أو حرص في الدنيا، وكلاهما شر على الفاعل، والشبع يزيغ صاحبه عن الحق، ويغلب عليه الكسل، فيمنعه من التعبد، ويكثر غضبه وشهوته، ويزيد حرصه، فيوقعه في طلب ما زاد على الحاجة، وقال الغزالي: لما ذكر هذا الحديث لبعض الفلاسفة، قال: ما سمعت كلاماً في قلة الأكل، أحكم منه.

ثانياً: معيار الاستهلاك الرشيد:-

إذا كان الاستهلاك يرد على السلع والخدمات، التي تلبي حاجيات الإنسان، فإن الترشيد فيه، يعني الترشيد في الإنفاق، ومعيار الإنفاق

الرشيد في الأسرة يأتي من خلال ما جاء به منهج السماء، الذي ميز أمة الإسلام عن غيرها من الأمم، بأن جعلها الخالق – تعالى – أمة وسطاً، ومن عناصر هذه الوسطية، الاعتدال في الإنفاق، حيث لا إفراط ولا تفريط في استخدام المال. فقد قال الحق تعالى:

[illegible]

(الفرقان: ٦٧)

ويترتب على الأخذ بهذا المعيار، رفض نوعين من السلوك في الإنفاق، هما التقتير والتبذير، وقبول سلوك واحد فيه هو القصد والاعتدال. فقد نهى الله – سبحانه – عباده عن البخل والتقتير، وعن الإسراف والتبذير، في قوله تعالى:

[illegible]

(الإسراء: ٢٦، ٢٧)

لأن عاقبة هذين السلوكين هي اللوم من الغير، والحسرة من النفس، التي أشار إليها قوله تعالى:

[illegible]

(الإسراء: ٢٩)

وهذا النهي يشمل حتى استعمال الأشياء المباحة، مثل الأكل والشرب واللباس والزينة، لقوله تعالى:

[illegible]

(الأعراف: ٣١)

وقد قال رسول الله ﷺ – فيما رواه النسائي والحاكم والإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – «كلوا، واشربوا، وتصدقوا، والبسوا، في غير إسراف، ولا مخيلة».

والإسراف والتبذير في الإنفاق، إذا ما ترتب عليه تبديد المال وضياعه، فإنه يعد إحدى صور السفه في التعامل مع المال، يسمى فاعله سفيهاً، ومن حرص الشريعة الغراء على حفظ المال، أنها تتطلب حسن التصرف فيه، على النحو المبين بأحكامها التفصيلية في هذا الشأن، وإلا وقع باطلاً كل تصرف يخالفها، ولو كان المتصرف هو صاحب المال ومالكه، وفي هذه الحالة، فإن الأمر يرفع إلى القاضي، ليعين من ينوب عن هذا المالك، ممن له القدرة على التصرف الحسن في هذا المال، يسمى القيم على مال السفيه

ثالثاً: نبذ البخل من الحياة الأسرية:

إذا كان البخل من الصفات المذمومة في الإنسان، فإنه يكون أشد ذماً، إذا وقع من

العائل على أسرته، وغالباً ما يكون البخل في حالة الضن بالمال، فإذا اتسعت دائرة الإمساك لتشمل المال وغيره من الأشياء، فإن البخل يسمى بالشح الذي هو من لوازم الطبع، ومن كان هذا طبعه، يوصف بأنه شحيح، وقد جعل الله – تعالى – من يتقي هذه الصفة من المفلحين، بمقتضى قوله الكريم:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(الحشر: ٩)

والأصل أن عائل الأسرة، يبسط يده بالعطاء لكل أفرادها، ملتزماً منهج الوسطية في الإنفاق، الذي تقرره الشريعة الغراء بمقتضى قوله تعالى:

[illegible]

(الفرقان: ٦٧)

أما من يخالف هذا المنهج، ويلجأ إلى أسلوب التقتير على عياله، فقد استحق أن يدخل تحت قول رسول الله ﷺ، الذي رواه صاحب الفردوس عن جبير بن مطعم: «ليس منا من وسع الله عليه، ثم قتر على عياله». أي ليس من جماعتنا.

وإذا كانت النفوس جبلت على البخل، فيجب على من كانت نفسه هكذا، أن يروضها على التخلص من هذه الصفة الذميمة، يحاول أن يتخلق بالكرم، ولكن إذا ظلت هذه الصفة عالقة بصاحبها، فما هو الحل بالنسبة لذوي الحاجات من عياله؟!، وبالبحث في السنة النبوية المطهرة نجد هذا الحل، فقد روى البخاري في صحيحه عن محمد بن المثنى عن يحيى عن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها: «إن هنداً بنت عتبة – رضي الله عنها – قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان (زوجها) رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف». ومن هذا الحديث استنبط العلماء الأحكام الآتية:-

١ – إن السيدة هند لم تصف زوجها أبا سفيان بالشح في كل أحواله، ولكنها وصفت حالها معه، في عدم الإنفاق الكامل عليها وعلى أولادها، وهذا لا يقتضي البخل مطلقاً، لأن كثيراً من رءوس القوم يفعل ذلك مع أهله، ويؤثر عليهم الأجانب استئلافاً لهم.

٢ – إن قول رسول الله ﷺ لهند: «خذي» هو أمر يفيد إباحة الأخذ من مال الزوج دون علمه، ولا حرج عليها في ذلك.

٣ – إن نفقة الزوجة والأولاد واجبة على الزوج والأب، وعليه الوفاء بها لهم، وإلا تحصلوا عليها ولو بدون علمه، ولكن بشرط أن يكون بحسب العرف الجاري بين الناس، وهو ما عبر عنه الحديث: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

٤ - يجوز للمرأة أن تقوم على رعاية أولادها وكفالتهم والإنفاق عليهم.

ونظراً لظروف العصر وفساد كثير من الذمم، وكثرة الدعاوى الباطلة، يمكن القول بأنه لا يجوز للزوجة أو الولد، أن يأخذ من نفقاء نفسه، من مال العائل البخيل دون علمه، ولكن يجب عليه أن يرفع الأمر لولي الأمر المختص، وهو هنا القاضي، ليقرر النفقة المناسبة لحال كل من العائل والمعول، لأن كلمة بالمعروف الواردة في هذا الحديث، وهي بمعنى المتعارف عليه بين الناس، تفيد أن العرف باعتباره من مصادر الشريعة الغراء، هو المرجع في معرفة استحقاق النفقة، وهذا العرف ليس خاصاً بمكان معين، بل هو متسع ويحتاج إلى بحث متكامل، لا يتسنى لغير القاضي الوقوف عليه، والحكم بمقتضاه بل من الأمور غير المقبولة شرعاً وأخلاقياً، البخل بالنفقة على من تجب لهم، وهم أقرب الناس إلى صاحب المال، وهذا من أكبر الآثام كما أخبر رسولنا الكريم ﷺ الذي قال «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»[1] بل هو من المهلكات التي ذكرها ﷺ، في قوله الذي رواه ابن حبان عن أنس رضي الله عنه: «ثلاث مهلكات، هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه»

رابعاً: ثمرة ترشيد الاستهلاك:-

إذا ما استعمل المرء المعيار الذي جاءت به الشريعة الغراء في الإنفاق، لابد أن يجني الثمار الطيبة من وراء ذلك، ومنها مواجهة الأزمات، التي تبرز وقت الحاجة وضيق ذات اليد، ولذلك مدح رسول الله ﷺ المعتدلين في الإنفاق، بقوله الذي رواه ابن النجار عن السيدة عائشة - رضي الله عنها: «رحم الله امرءاً اكتسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره وحاجته» أي بتدبير واعتدال، من غير إفراط ولا تفريط.

بل إن هذا القصد في الإنفاق، وقاية من الفقر قبل وقوعه، ويحقق الغنى، فقد روى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ: «ما عال من اقتصد»، أي: ما افتقر من أنفق، دون تجاوز الحد إلى الإسراف وروى البزار عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ بمكة، وهو صائم، فأجهده الصوم، فحلبنا له ناقة في قعب، وصببنا عليه عسلاً، نكرمه به عند فطره، فلما غابت الشمس، ناولناه، فلما ذاقه قال: ما هذا؟ قلنا: لبناً وعسلاً، أردنا أن نكرمك به، أحسبه قال أكرمك الله، بما أكرمتني، ثم قال: «من اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقره الله، ومن تواضع رفعه الله، ومن تجبر قصمه الله».

خامساً: الترشيد في إخراج الزكاة:

وبمناسبة الحديث عن ترشيد الإنفاق، فهناك أمر يجب التنويه إليه، لأهميته في حياة المسلم، ويدخل في إطار ترشيد الانتفاع بالمال، في حياة الفرد والمجتمع، ألا وهو تحري الدقة فيمن يستحق الزكاة وصدقة الفطر، فمن الملحوظ أن هناك غفلة لدى كثير من المسلمين، عن بعض أحكام التعامل مع ركن الزكاة بصفة عامة، ومع صدقة الفطر بصفة خاصة، فعلى الصائم أو صاحب المال الواجب فيه الزكاة، أن يتحرى بدقة صاحب المصرف الشرعي المستحق لها، حتى يضعها في يده، بما يضمن له أداء هذا الواجب، حتى تتحقق الغاية السامية من تشريعه، وهنا تجدر الإشارة إلى ما ذكره فقهاء الحنابلة، من أن الفقراء والمساكين المستحقين للزكاة، ينقسمون إلى ثلاثة أنواع هي:

١ - شخص يستطيع أن يعمل، ويكسب ويغني نفسه، كالصانع والتاجر والزارع وغيرهم، ولكن ليست لديه أدوات الصناعة، أو رأس مال التجارة، أو أرض الزراعة، فله أن يأخذ من مال الزكاة ما يكفي لشراء هذه الأدوات، أو بدية رأس المال، أو قيمة إيجار الأرض الزراعية، ليتمكن من مزاولة النشاط الذي يكتسب منه ما يكفيه طوال حياته، دون حاجة إلى أخذ الزكاة مرة أخرى.

٢ - شخص يستطيع أن يعمل ويكفي نفسه، ولكنه متفرغ لتحصيل العلم، وتعليمه للغير، ولا يمكنه الجمع بين الكسب وطلب العلم، فإنه يأخذ من مال الزكاة، ما يعينه على القيام بمهام العلم، لأن عمله هذا من قبيل فرض الكفاية، الذي يعم نفعه سائر المسلمين، ولكن على العكس من ذلك، المتفرغ للعبادة لا يأخذ من مال الزكاة، لأن نفع العبادة يعود عليه وحده، فكما ورد في بعض الروايات أن الرسول ﷺ رأى رجلاً منقطعاً للعبادة، فسأل عمن ينفق عليه، فقيل: إنه أخوه، فقال ﷺ: «أخوه أعبد منه».

٣ - شخص عاجز عن الكسب، كالمريض المقعد، والشيخ الهرم، والطفل اليتيم، وغيرهم، فهؤلاء يأخذون من مال الزكاة ما يكفي حاجتهم الأصلية، حتى يزول عنهم سبب عدم القدرة على الكسب.

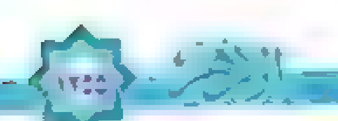
وإذا كانت مؤسسة الأسرة لها راع، وهو غالباً الرجل على نحو ما سلف، فإنه يكون مسئولاً عنها، لقول الرسول الكريم ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في أهله، وهو مسئول عن رعيته...»[2]، ومن منطلق هذه المسئولية، فيجب على راعي الأسرة، أن يوجه باقي أفرادها، ولا سيما الشباب منهم، إلى حسن استخدام المعيار الأمثل في الإنفاق، وذلك بالإمساك بميزان الاعتدال فيه، وهو القصد في الإنفاق بلا تقتير ولا تبذير، وهنا يظهر دور رقابة الأسرة، على كل فرد فيها، عندما يتعامل في المال، ومن المفروض أن تتسم هذه الرقابة بالإيجابية، التي تحقق النفع للجميع..

والله تعالى ولي التوفيق..

---

(١) سنن أبي داود باب الزكاة رقم: ١٤٤٢

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٢٣٢



رعاية الشباب

فى ضوء القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور: أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إذا نظرنا إلى رعاية الشباب في ضوء القرآن الكريم، فإننا سنقف أمام عطاء غامر، ودروس باهرة، تتضافر في إبراز ما للشباب من أهمية، وتلقي الضوء على كيفية المحافظة عليهم، وتوجيههم وتربيتهم وتعليمهم

وسنحدد الحديث هنا عن رعاية الأبناء في أربعة عناصر

أولا: إنهم نعمة من الله سبحانه وتعالى، يتمناها الناس، كما تمناها الأنبياء، فلذا يدعون ربهم أن يهبهم ذرية طيبة

ثانيا: رعاية الله تعالى لهم منذ الإقرار في الرحم، إلى أن يخرجوا إلى الوجود

ثالثا: المحافظة على حياة الأبناء ورعاية طفولتهم والدفاع عنهم، وتوفير السعادة لهم.

رابعا: تربيتهم وتعليمهم

* أما بالنسبة للأمر الأول، وهو أنهم يعتبرون نعمة من أكبر النعم التي يتمناها الناس كما تمناها الأنبياء، ويدعون ربهم بها فترى قول الله تعالى في وصف عباده الذين شرفهم بالإضافة إليه، وسماهم عباد الرحمن أن تعالى:

[illegible]

(الفرقان: ٧٤)

وقال سبحانه في شأن زكريا عليه السلام:

[illegible]

(آل عمران: ٣٨)

وأنهم أيضاً زينة الحياة الدنيا، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذه النعمة قد ينالها البعض ولا ينالها آخرون، وما يمنح الله لعباده منها قد يكون ذكراً وقد يكون أنثى، وقد يكون الأبناء من الذكور والإناث، وقد لا يحب الرجل مطلقاً بأن يكون عقيماً، وذلك كله إن دل على شيء فإنما يدل على سعة علمه تعالى وحكمته، وقدرته وإرادته، قال سبحانه:

[illegible]

(الشورى: ٤٩-٥٠)

ومن أجل هذا: فإن القرآن الكريم حين يشير إلى الأبناء باعتبارهم زينة يتزين ويتمتع بهم الإنسان، كما يتزين ويتمتع بالمال، فإنه يردف الحديث بأن الأبقى ثواباً ونفعاً، وأن خير ما يتحقق للإنسان من أمل في الآخرة، مما كان يتمناه ويؤمله في الدنيا، إنما يكون في الباقيات الصالحات من أعمال الخير، التي تبقى ثمرتها، فقال سبحانه:

[illegible]

(الكهف: ٤٦)

وهداية الأبناء أمنية الآباء التي يدعون بها لهم ولأنفسهم.

قال تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام، وحرصه على هداية بنيه:

[illegible]

(إبراهيم: ٣٥)

ويصور القرآن الكريم أثر الآباء في الأبناء، حين تصح عقيدتهم ويسلكون الصراط المستقيم، ويتبعون هدى الله فتتبعهم ذريتهم على طريق الإيمان، قال سبحانه:

[illegible]

(الطور: ٢١)

* وأما بالنسبة للأمر الثاني، وهو رعاية الله للأبناء بعد الإقرار في الرحم فقد وضح القرآن الكريم أطوار الخلق، مبيناً كيف كانت رعاية الله للإنسان، منذ اللحظة الأولى التي كان فيها نطفة، ثم تدرج إلى علقة، ثم مضغة... إلى أن يخرج طفلاً ثم إلى أن يكبر، واستدل بهذه الأطوار على كمال قدرته تعالى على البعث.

قال سبحانه:

[illegible]

(الحج: ٥)

كما راعى الإسلام للأبناء حق الرضاع حتى يضمن للطفل من اللحظات الأولى ما تنهض به حياته، وتقوم عليه فقال سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

* وأما عن الأمر الثالث، وهو المحافظة على حياة الأبناء، والدفاع عنهم، وتوفير السعادة لهم، فقال الله تعالى:

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ... ﴾

(الإسراء ٣١)

تعالى:

﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾

(الأنعام ١٥١)

كما راعى الإسلام - في سبيل المحافظة على حياة الأبناء وحمايتهم وصيانتهم من التعرض لهزات الزمن، وتقلب الحياة. فأمر الأوصياء أن يخشوا ربهم ويتقوه في أمر اليتامى، وأن يتصرفوا معهم بما يحبون أن يفعل بذريتهم الضعفاء بعد موتهم. قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٩)

* وأما بالنسبة للأمر الرابع، وهو تربية الأبناء وتعليمهم، فقد قدم لنا القرآن الكريم صورة من الوصايا في إطار متكامل ترسم للشباب معالم الطريق، وملامح الخطة المستنيرة المستقيمة التي تظل موصولة بالله وبالمجتمع الذي يعيشون فيه. وهذه الوصايا يقدمها القرآن على لسان لقمان، يقول سبحانه

﴿ [illegible] ﴾

(لقمان ١٣ - ١٩)

إن أولى الوصايا وأول أساس من أسس التربية والتوجيه: «العقيدة» التي تتمثل في توحيد الله تعالى، ثم جاء بالوصية بالوالدين، وهي وإن لم ترد على لسان لقمان، إلا أنه أوردها هنا تأكيداً لتصحيح مسار العقيدة، والمبالغة في عدم التهاون بها، حتى وإن كان ذلك ممن وصى الله بهما بعده مباشرة وهما الوالدان ثم كان التوجيه إلى علم الله الذي أحاط بكل شيء، ولطفه الذي يدرك كل دقيق من الأمور، وكل خفي عن الناس. ثم الوصية بالصلاة التي تعني الصلة بالله تعالى والتي من ثمراتها تهذيب النفس، والانتهاء عن الفحشاء والمنكر:

﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾

(العنكبوت ٤٥)

ثم تنتقل الوصايا من الصلاة التي بها تهذب النفوس، وتكمل في هداها إلى ما يهذب من الغير ويكمل هداه، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكل ذلك في حاجة إلى الصبر والاحتمال واستمرار مواصلة السير. ولا يكفي لتهذيب الغير وإرشاده والتقويم من اعوجاجه مجرد النصيحة، أمرا بالمعروف ونهياً عن المنكر، بل لابد من المعاملة الحسنة مع الغير، وممارسة القدوة، والتطبيق العملي معه كما لابد أيضاً من التواضع والتآلف، هكذا سارت بنا هذه الوصايا الحكيمة، ترسل عطاءها وهداها، رعاية للشباب، في جميع الجوانب، ما يتصل منها بعقيدته وصلته بالله، وما يتصل منها بسلوكه وتهذيبه وتنشئته تنشئة صالحة، وما يتصل منها بعلاقاته الإنسانية في أسمى صورها العديدة والرشيدة.

* ويرسى القرآن الكريم أصولاً في الآداب العالية، ومن بينها أدب الاستئذان فيما يتصل بالأسرة والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، والشباب الذين بلغوا الحلم، وذلك عند دخولهم على الكبار، في وقت الراحة والخلوة.

قال الله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النور: ٥٨-٥٩)



لم أجد أحداً..

للشاعر المهجري الكبير / إيليا أبي ماضي

قالت: سكت وما سكت سدى
إنا عرفنا فيك ذا كرم
فاطلق يراعك ينطلق خببا
ما قيمة الإنسان معتقدا
والجيش تحت البند محتشدا[1]
والنور مستترا؟ فقلت لها
ماذا يفيد الصوت مرتفعا
والنور منبثقا ومنتشرا
إن الحوادث في تتابعها
ما خانني فكري ولا قلمي
كان الشباب وكان لي أمل
وصحابة مثل الرياض شذى
لكنني لما مددت يدى

ذهب الصبي ومضى الهوى معه
فاليوم إن أبصرت غانية
وإذا تدار الكأس أصرفها
وإذا سمعت هتاف شادية
كفنت أحلامي وقلت لها
وقع الخطوب على أخرسني
عمرو صديق كان يحلف لي
وإذا مشيت إلى المون مشى

أعيا الكلام عليك أو بعدا؟!
ما إن عرفنا فيك مقتصدا
واحلل لسانك يحلل العقدا
إن لم يقل للناس ما اعتقدا؟
إن لم يكن للحرب محتشدا؟
كفى الملامة واقصرى الفندا
إن لم يكن للصوت ثم صدى؟
إن لم يكن للناس فيه هدى؟
أبدلنني من ضلتي رشدا
لكن رأيت الشعر قد كسدا..
كالبحر عمقا. كالزمان مدى
وصواحب كورودها عددا
وأدرت طرفي لم أجد أحدا!..

أصبابة والشيب قد وفدا؟
أعضى كأن بقلبي رمدا
عني. وكنت ألوم من زهدا
أمسكت عنها السمع والكبدا
نامي! فإن الحب قد رقدا
وكذا العواصف تسكت الغردا
إن تحت ناح وإن شدوت شدا
وإذا قعدت لحاجة قعدا

صدقته، فجعلته عضدى
لكنني لما مددت يدى
هند. وأحسبني إذا ذكرت
كانت إلهها، كنت أعبده
كم زرتها والحي منتبه
ولكم وقفت على الغدير بها
والأرض ترقص تحتنا طربا
ولكم جلسنا في الرياض معا
وأنلنا فوق الأرض متسدن
قد كان شغفني الحب مقتربا
لكنني لما مددت يدى
قومي. وقد أطربتهم زمنا
هم عاهدوني إن مددت يدى
قالوا غدا تهمي سحائبنا
وظننت أني عدت أرى
فذهبت أمشي في الثرى مرحا
نبه المجاهد نال بغيته
لكنني لما مددت يدى
هم هددوني حين صحت بهم
ورأيت في أحداقهم شررا
وسمعت صائحهم يقول لهم
فرجعت أحسبهم برابرة
مرت ليال ما لها عدد
رقباء إن أبصرت واحدهم
وإذا رقدت رقدت مضطربا
لكنني لما مددت يدى
لا تذكروهم لي، وإن سألوا
لا تملأ البرهان واحدهم
يا ليتني ضيعت معرفتي

وأقمت من نفسي له عضدا
وأدرت طرفي لم أجد أحدا!..
أطأ الأفاعي، أو أجس مدى
وأجله، والحسن كم عبدا
وتركتها والحي قد هجدا
والريح تنسج فوقه زردا
والشهب ترقص فوقنا حسدا
لا طارئا نخشى ولا رصدا
والغيم فوق البدر قد جمدا
وشكت إلى الشوق مبتعدا
وأدرت طرفي لم أجد أحدا!..
ساقوا إلى الحزن والكمدا
ليمد كل فتى إلى يدا
فرجعت أدراجي أقول غدا
إن غار تحت الأرض أو صعدا
ما بين جلاسي ومنفردا
أو تيه مسكي إذا سعدا
وأدرت طرفي لم أجد أحدا!..
صبحاني الشعراء منتقدا
ورأيت في أشداقهم زبدا
أن اقتلوه حيثما وجدا
في مهمه وأظنني ولدا
وأنا حزين باهت كمدا
ذعر الشويهة أبصرت أسدا
وإذا صحوت صحوت مرتعدا
وأدرت طرفي لم أجد أحدا!..
لا تذكروني عندهم أبدا
وله وعود تملأ البلدا
من قبل أعرف منهم أحدا*

(١) والجيش: معطوفة على «الإنسان» في بيت السابق أي ما قيمة الجيش. وكذلك «والنور» فهي معطوفة على «الإنسان» أيضا

* غربا: منصوبة على أنها حال مسبوق بأن محذوفة والتقدير: من قبل أن أعرف منهم أحدا

اليتيم بين الإطعام.. إلى الإكرام

للدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

منهج في تكريم اليتيم :

كان «ابن سيرين» أحب الأشياء إليه في مال اليتيم: أن يجتمع إليه نصحاؤه وأولياؤه.. فينظروا الذي هو خير له وكان «طاووس» إذا سئل عن شيء من أمر اليتامى قرأ:

(البقرة: ٢٢٠)

وإذن.. فليس من مصلحة اليتيم ولا من خيره أن ينفرد به ولي واحد.. بلا رقيب.. وإنما من مصلحته أن يكون هناك أكثر من ولي يراقب بعضهم بعضا

ومن تكريم اليتيم: أن يكون له حق الدفاع عن نفسه:

عن سعيد بن جبير قال

إن رجلا من غطفان. كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم. فلما بلغ. طلب ماله.. فمنعه عنه.. فخاصمه إلى النبي ﷺ فنزلت :

(النساء ٢)

واجب الولي :

وواجب الولي هو: كفالة اليتيم.. ويعني ذلك: أن يؤويه في بيته ليكون كواحد من أولاده.. لأن معنى كفالته: صحبته وتربيته.. وإعداده ليكون مالكا في المستقبل أمر نفسه.. ولا يتم ذلك إلا بالإيواء والرعاية.

أما ضربه وإيذاؤه.. فذلك ما لا يكون:

كان أبو سفيان ينحر جزورا في كل أسبوع.. فما طلب يتيم منه شيئا ضربه فأنزل الله في ذلك سورة الماعون

والمفروض أن نسمح مع اليتيم بإسقاط الحواجز المانعة من التواصل وذلك بعض ما يفهم من قوله عز وجل.

(البقرة ٢٢٠).

أي: فهم إخوانكم.. وقد فرض عليكم ما لا يحكم في مخالطتهم فاشكروا نعمة الله تعالى بفعل ما تقدرون عليه

أضرار سوء معاملة اليتيم :

كنا تحدثت عن أسباب غلاء الأسعار. واختفاء بعض السلع الضرورية وكان جميلا أن نجد علة ذلك في القرآن الكريم.. وذلك قوله - عز وجل - في سورة الفجر:

(الفجر: ١٥ - ٢٠)

والمعنى: إن الإنسان في غيبة الإيمان يعبد الله على حرف

إن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه: وكما يقول الرازي:

لا يهمه إلا الدنيا ولذاتها وشهواتها:

فإن وجد الراحة في الدنيا يقول: ربي أكرمني.. وإن لم يجد هذه الراحة يقول: ربي أهانني.. وهذا خطأ من وجوه

أحدها: أن سعادة الدنيا وشقاوتها في مقابلة ما في الآخرة من السعادة والشقاوة: كالقطرة في البحر. فمهما كانت سعادة الإنسان في الدنيا.. فلا قيمة لها إن كان في الآخرة شقيا.

وثانيها: أن حصول النعمة في الدنيا وحصول الآلام في الدنيا.. لا يدل على الاستحقاق، وإلا.. فقد يوسع سبحانه على الكافر.. ويضيق على المؤمن.. لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى:

والجواب على هذا المنطق الخاطئ هو:

أن ضيق الرزق - ومنه اختفاء بعض السلع - وغلاء الموجود منها - كان لهذه الأسباب:

أولا: لا تكرمون اليتيم: بترك بره وأخذ ماله ظلما..

كما وأنكم لاتطعمون المسكين بل لا تأمرون أحدا بإطعامه .

ثم تأكلون نصيب اليتامى من الميراث سهلا بلا عمل.. كفعل البطالين .

ثم تحرصون على الدنيا بحبكم المال الكثير حبا شديدا

وهكذا يضيع الأيتام على موائد اللئام.. من غير نكير يكف هذه الشراهة التي صار بها الضعفاء كلهم أيتاما.. بلا مدافع ولا نصير.. ولهذا.. كان الغلاء الذي صار نتيجة حتمية لهذا الانحراف، أما سلفنا الصالح فقد كانوا أفضل منا:

فقد كانوا يسألون عن الإيجابيات إرادة الالتزام بها.. بنفس القوة التي كانوا بها يسألون عن السلبيات فرارا من آثارها.

لقد سألوا عن الخمر والميسر والحيض.. ثم سألوا عن واجبهم إزاء هؤلاء الضعاف من اليتامى.. وذلك قوله عز وجل:

(البقرة: ٢٢٠)

إنهم إخوانكم في الإنسانية.. وتفرض عليكم هذه الأخوة أن تشاركوهم حياتهم ولاتعتزلوهم.. ليمارسوا الحياة عمليا في ظل من محبتكم التي لا

تحمى عنهم به.

وذلك هو وفاؤكم لهم.. وذلك هو إحسانكم إليهم الذى تستنزلون به الرخاء..

«إن خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه.. وإن شر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»

ويلاحظ فى آيات سورة الفجر مايلى:

أن اليتيم فى حاجة إلى التكريم الأدبى أكثر من حاجته إلى لقمة الخبز..

على أن يكون ذلك باستمرار . ومن المجتمع كله.. كما يفيد التعبير بالفعل المضارع الذى يفيد التجدد والاستمرار.. بمعنى أن يكون تكريمه ظاهرة اجتماعية.. وليس فقط حالات فردية

وإذا كان جميلا أن يكون لليتيم يوم فى العام نذكر فيه به.. فأجمل من ذلك أن يكون ذلك مستمرا ودائما.

اليتم ليس عيبا :

وليس وصف اليتيم عيبا بدليل أن القرآن الكريم كرره.. وإنما العيب أن يهمل شأن اليتيم الذى لا يكتفى فقط بإطعامه.. لابد مع ذلك.. وفوق ذلك: لابد من إكرامه ذلك بأن من معانى اليتم: الانقطاع. والعزلة. والإهمال.

ولن تصل اليتيم بالمجتمع.. ولن نعيد إليه اعتباره باللقمة نطعمه بها.. وإنما بالتكريم الذى لا يحس معه «بالدونية» بل يشعر أنه إنسان له وجوده.. وله آباء صدق بعد غياب أبيه..

وإذا كانوا فى الأمم الأخرى يشفقون على اليتيم.. فنحن فى نظرتنا إليه أجدى وأنفع.. إن اليتيم قد تؤذيه نظرة الإشفاق التى يحس معها بالضياع والحاجة.

ولكن الإسلام يحض على اعتباره رجلا له وزنه بين طبقات المجتمع . بل إنه القياس الذى يقيمه الله تعالى شاهدا على تقدم الأمة: فكان خير البيوت وخير المجتمعات من قدمت إلى هذا اليتيم يدها لينهض من كبوته.. ثم يواصل السير إلى أكرم مصير .

من آثار كفالة اليتيم :

إننا بحسن رعاية اليتيم نحقق ما يلى كما لاحظه الخبيرون:

أولا : التخلص من آفات الحقد والكراهية.. وما يترتب على ذلك من شيوع روح الحب وما يتم فيها من أعمال كبار.

ثانيا : رعاية اليتيم طريق إلى جنات عدن وفى صحبة رسول الله ﷺ وناهيك بهذا فوزا عظيما ينبغى أن يتنافس فيه المتنافسون.

ثالثا : ربما كان فى كيان اليتيم موهبة يزهو بها المجتمع ويزكو

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

(١) سنن ابن ماجه. كتاب الأدب ، الترغيب والترهيب ، باب حق اليتيم

قصة العدد

مكيدة الخيزران

للدكتور / أبى حسام

حضت الخيزران إلى جاريتها خالصة وفى ملامحها ما يوحى بالاكتئاب، فقالت لها جاريتها:

مولاتى إن القصر تحت أمرك كل من فيه يلتمس إشارة منك ليلبى ما تطلبين، وأمير المؤمنين المهدى طوع إرادتك لا يضن عليك إلا كان يسيرا هب يقدمه عن طواعية. فماذا أراك فى هذه الأيام صامتة متبرمة وكأنك تخفين خطرا يشغلك؟

قالت الخيزران: صدقت يا خالصة. أنت وحدك التى أحبها من بين جوارى القصر وأبدى لها ما تكن طوايا. أنت فارسية مثلى وتفهمين ما لا يفهمه سواك؟

قالت خالصة: أنا خادمتك يا مولاتى قبل كل شىء! ولكن روحى فداك عن سخاء وطيب نفس

فتبسمت الخيزران وقالت: أنا أحكم فى القصر يا خالصة كما تقولين ولكنى أريد أن أحكم خارج القصر ليصبح أمر الدولة بيدى. لست أكتفى بالطعام واللباس وطاعة الجوارى والغلمان. إنما أريد أن يعرف كل من فى بغداد من الوزراء والرؤساء فى موضع الرجاء والتقييد!

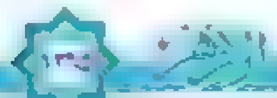
قالت خالصة: هذا من شأن أمير المؤمنين وهو لا يريد أن يرهقك بأعبائه الثقال، وزوجات الخلفاء لم يعهد لهن تدخل فى مثل ما تريدين.

نظرت الخيزران نظرة غاضبة وصاحت بخالصة: ما لى وزوجات الخلفاء من قبل، أنا فارسية أعلم أن ملوك الفرس كانوا يشركون زوجاتهم فى الحكم ولكل منهن تاريخ، كما أن لكسرى تاريخا، فلماذا لا أكون شريكة فعلية كما كانت شيرين شريكة خسرو وهو كسرى فارس!

أطرقت خالصة تفكر فى دهشة وقالت لم أسمع بشيرين ولا بخسرو من قبل، ومولاتى تعرف ما لا أعرف فهل تتفضل على بقليل من أمر شيرين؟

قالت الخيزران: كانت شيرين مالكة قلب خسرو قبل أن يلى العرش، وقد قامت عقبات شديدة قبل أن تظفر بزواجها، فكافح من أجلها، وتعرض إلى الموت ليحقق فى سبيل الاقتران بها، ثم ابتسم له الحظ فكانت ملكة القصر، ثم زاد سلطانها، فأصبحت مالكة الأمر فى فارس، فلماذا لا أكون مثلها يا خالصة وهل ينقصنى شىء؟!

قالت خالصة: أعلم أن تأثيرك على مولاى المهدى قوى نافذ، ويمكنك أن تعيدى فى بغداد عهد شيرين فى فارس إذا



مللت احتمالك الخلاف في هدوء واحتيال!

كان المهدي لين العريكة، وقد سعد بخلافته كل السعادة، إذ مهد له والده السبيل إلى الاستقرار، وقد تدفق الثراء على الدولة وشعر الناس بأمن نفسي ورخاء مادي في عصره، فلم يكن بالداخل ما يؤرقه. أما ثورات الخارج فقد كفاه وزراؤه وقواده عبء مقاومتها. كما أنه يكن للخيزران حبا عميقا، فهي زوجته بعد أن كانت جاريته، أعتقها حين ولدت عليه الهادي والرشيد، أو موسى وهارون، وهما وليا العهد من بعده، شاء أن يجعلهما متعاقبين، أكبرهما موسى، وله التقدم، وثانيهما هارون، وله الإمارة على الشرق في عهد أخيه، حتى تسمح الظروف بتوليه. وكل ذلك بتدبير الخيزران، إذ كانت ترى اتصال الخلافة بولديها مما يؤكد مكانتها، لأنها اليوم زوجة الخليفة، وغدا تكون أمه فهي ذات الموقع المكين.

انتظرت عودة المهدي بعد حديثها مع خالصة، وقد لبست أحسن زينتها، وهيأت في نفسها ما تقوله. ثم مهدت للحديث بما يفضي إليه، فسألت المهدي عن زوجة أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس، فقال: إنها أم سلمة بنت يعقوب المخزومي. فقالت: وما درايتها بالملك، فابتسم المهدي وقال: كان أبو العباس عزوفا عن النساء جملة، وقد حاول خالد بن صفوان أن يغريه بذكر الجواري وأوصافهن الساحرة فانتهره وقال له: العجيب ممن يترك مجالس العلماء والحكماء، ثم يدخل إلى امرأة لا يسمع منها إلا سخفا ليقتل رهين مجلسها!

قالت الخيزران: إذا كانت أم سلمة جاهلة لا يسمع منها أبو العباس غير السخف، فما حال زوجة أبي جعفر المنصور يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: لقد تزوج ابنة منصور الحميرية، قبل أن تسقط خلافة بني أمية، وقد اشترطت عليه ألا يتزوج غيرها وألا يتسرى وشغلته أعباء الخلافة عن النساء، فظل معها وحدها.

قالت الخيزران: لو كانت ابنة منصور ذات دراية وذكاء لشاركت المنصور أعباءه، وكانت موضع استشارته السياسية، فهونت عليه ما يلقى! أنا مثلا يا أمير المؤمنين أترك كل ما يحول بخاطرك وأمس شئون الدولة، وأعرف المخلص من الغادر ممن يجتمعون حولك! وأريد أن أكون عونك فيما تلو من الأمور.

فأطرق المهدي كالمفكر، ثم عدت إليه [illegible] وقال أنا سعيد بأن تكوني شريكة [illegible] [illegible] وعلم الوزراء والقادة أن الخيزران أصبحت ذات شأن في تصريف الأمور، فسعوا إليها طائعين، وكانت تبذل وساطتها إذ تلزم الأمر بين المهدي وبعض مرءوسيه، وأصبح لها من الكتاب والحجاب والزوار ما جعلها موضع الأمر والنهي، وهكذا نجحت الخيزران فيما اعتزمت على تحقيقه حينا من الدهر، ثم فاجأها القدر باختطاف المهدي من قصره [illegible] فصبرت واحتسبت، وفي نفسها أمل يتجدد، لأن موسى الهادي [illegible] وسيكون أطوع لها من زوجها، فقد أرضعته لبانها، وتعهدته بعطف الحنو. وقد [illegible] على المهدي [illegible] المهدي [illegible] مكانتها، ويسير على ما تحب وترضى دون نزاع

كان في الهادي على حداثة سنه صلابة وغيرة، فقد شاهد وفودا من الرعية تؤم دار الخيزران، وهي ترحب [illegible] دون [illegible] تسير مختالة بحاشية كبيرة من الأتباع، كلهم يصدر عن رغبة ويذهب بتوجيهها إلى من تريد، ولبث ألا يخطبها [illegible] حتى [illegible]. كلا [illegible] بين جنبيه ولد المهدي [illegible] في عينيه [illegible]، وهي بعد لا تحجم لحظة في النصح والإغراء [illegible] فيما يحدث وما [illegible] من عادته أن ينكر في ثياب [illegible] يركب [illegible]، ويحضر بعض [illegible] مخافة الرعية في [illegible] بغداد، فيحضر يسمع ما [illegible] يقول عن والدة [illegible] الخيزران، [illegible] يقول إن الخيزران أم الخليفة [illegible] يقول إن الخيزران تحب الرشيد أكثر مما تحب الهادي، [illegible] يحيى بن خالد البرمكي لأنه هو الذي يتولى شئون الرشيد، لقد سمع الهادي ما سمع من هذه الأقاويل، ثم رأى أن يحسم الأمر على نحو لا يقترب من والدته أحد ممن يجتمعون بها من القواد والرؤساء، وطلب من وزيره الربيع بن يونس [illegible] في مجلس الاجتماع، وهم في [illegible] ما حجبهم [illegible] أمير المؤمنين وهو غاضب شديد الغضب، وسترون [illegible] وأخذوا يتهامسون في ضيق، ثم أقبل الهادي حتى [illegible] الشرر من عينيه، [illegible] حتى [illegible] نظرات الكراهية والاشمئزاز ثم تساءل:

[illegible]؟

[illegible] جميعا نحن فداؤك يا أمير المؤمنين ولا يلحق بك [illegible]

[illegible]؟ أمي أم أمهاتكم؟

فقالوا في دهشة: ومن أمها إذا قرن بسيدتنا الخيزران أم أمير المؤمنين؟

فعلا صوت الخليفة وهو يقول: أيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال: فعلت أم فلان، وصنعت أم فلان، وأعطت أم فلان، وحرمت أم فلان؟

فقالوا في انكسار: ما أحد منا يحب ذلك يا أمير المؤمنين!

فصاح الهادي متعجبا: إذن ما بالكم تقصدون أمي، فتتحدثون معها، وتتوسلون بها، وتسعون إليها لقضاء حاجاتكم عندي؟

فسكت الحاضرون وأسقط في أيديهم على حين ارتفع صوت الهادي بقوله: لا أعلم أحدا بعد اليوم ذهب إلى والدة أمير المؤمنين في أمر، إلا طارت رقبته عن جسده وسترون، فخرج كل حاضر، وهو يلمس رقبته وقد أخذ على نفسه أن يجانب قصر الخيزران، إذ هو باب الموت القريب ولم تكن الخيزران على علم بما كان، فحضرت كعادتها ترعى أمورا لبعض الرؤساء، وعدتهم بها، وفي اعتقادها أن الأمر لا يعدو كلمة أو كلمتين، ثم يوافق الخليفة على ما تريد ولكنها فوجئت بوجوم لم تعرفه، ثم بتحفز للثورة لا تدري سببه، فرأت أن تتجاهل إحساسها وقدمت طلبها في اعتزاز، فرفض الهادي على الفور، فصاحت به: لابد من إجابة طلبتي فقد وعدت بها القائد عبد الله بن مالك.

فصاح الهادي: ويل لابن الفاعلة، لقد عرفت تردده على بابك، وسيكون لدمعي شأن في مخدعه، قالت الخيزران مذعورة: وهل تنتقم من أناس يخدمونني ويبذلون أنفسهم في سبيلي؟ إذن والله لن أكلمك بعد الآن وسأخاصمك حتى الممات، وهمت بالانصراف، فصاح بها الهادي: انتظري لتسمعي ما أقول، فلابد لي أن أتكلم، ويعقب الكلام عاجل التنفيذ، ثم ارتفع صوت الهادي

وهو يقسم قائلاً:

«والله لقد نفيت قريبي من رسول الله ... إذ سكت عنك بعد الآن. لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قواد أو خاصتي أو خدمي، لأضربن عنقه، ولأقبضن ماله. فمن شاء فليلزم ذلك. ما هذه المواكب التي تغدو كل يوم إلى بابك؟ أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يحصنك. إياك بعد الآن أن تفتحي فمك في أحد من الرجال، أو تصحبي في حاجة لمسلم أو ذمي. إذا كنت تغارين لولدك هارون فقد ستخلعه من ولاية العهد بعدي، لتعرفي أن عصرك الآن قد تجدد. ولا سبيل لك إلى السيطرة مهما حدثتك كواذب الأحلام. اذهبي الصرفي لمنزلك، واحذري ثم احذري!»

لم تذهب الخيزران إلى منزلها حاملة لهم واحد، بل لهمين كبيرين، همها في نفسها حين حرمت السيطرة على الرؤساء والقواد، والتعود على الوزراء والحجاب، وهمها في ولدها هارون الذي سيفقد ولاية العهد، فيفقد الخلافة بعد. وتخيل المكيدة زوجة الهادي والثة الخليفة المنتظر وقد كادت تستقر في منزلها، حتى أرسلت في ظلام الليل من يحمل رسالة خاصة إلى يحيى بن خالد البرمكي مربي الرشيد، تعلمه بالمكيدة المرتقبة، ولتعمل مكيدته في ثناء الهادي عن مقصده، فلا بد أنه سيدعوه وشيكاً ليأمره بالانصراف عن رعاية الرشيد، وتركه لتخلو فيبعد عنه من الآن.

ولم يعني أن يصبح يحيى بن خالد في أمر فوق طوقه به الهادي المضطرب، وقد كان قد أغضب ولده ومن أرضعه لبانه في حب وحنو فسيرعى مكانته لحجي قرشي لا نصير له ولا عون. لقد جاءته الأنباء بأن الهادي قد اعتزم أن يخلع أخاه هارون من ولاية العهد. ولكن الهادي لم يقطف ثمرة. وليس من المعقول أن يجرؤ على مغضبته في أمر صمم عليه وبادر باتخاذ الخطوات الأولى في تنفيذه، فلينتظر حتى يدعوه أمير المؤمنين. وكان في حاشية الهادي من أوغر صدره على يحيى، وتخيل أنه يشجع أخاه على عصيانه ومنابذته، فاستشاط الهادي غضباً. وأمر باستدعاء يحيى إليه، وسرعان ما كان بين يديه، فصاح به منفعلاً: ما لي ومالك يا يحيى؟ فقال يحيى في تودد: أنا عبدك يا أمير المؤمنين، فماذا يكون بين العبد ومولاه؟ فصاح الهادي: لم تدخل بيني وبين أخي هارون لتفسده علي؟ فقال يحيى في ضراعة: من أنا يا مولاي حتى أفسد ما بينك وبين أخيك؟ إن سيدي المهدي رضي الله عنه قد أقامني على تربيته وخدمته فقمت بما أمرني به، ثم أمرتني أنت بذلك فانتهيت إلى أمرك وعملت برأيك، فإن رأيت أن تعزلني عنه فلك رأيك، هل كنت أعزل نفسي عنه دون أمرك فأكون عاصياً، أو أنني أنتظر ما تأمر به وتريد؟

فسكت الهادي هنيهة ثم قال: جاءتني الأنباء بأن أخي هارون يريد أن يتنازل عن ولاية العهد لولدي، وأنت الذي تحرضه على الاستمساك بها. أليس كذلك يا يحيى؟

فجلس يحيى على الأرض في ضراعة، وقال متوسلاً: تأذن لي يا أمير المؤمنين أن أفضي إليك بما لم أقله لأحد، وما ... به شفتاي قبل الآن، ولكنه يتردد في صدري دون إعلانه.

قال الهادي: قل يا يحيى وسأسمع.

واصل يحيى ضراعته وهو يقول: أسأل الله أن يجعلني فداء أمير المؤمنين، وأن يقدمه يومي قبله إذا عرض له مكروه، لقد فكرت في أن ولدك حفظه الله لم يبلغ الحلم، ولا يدري أحد منا يا يحيى الأجل متى يقع، وعد الله في أمير المؤمنين جعلني الله فداءه، وقدمه يومي ويوم أولادي على يومه، أتكون أنت عمومتك من بني العباس يرضون بولدك الصغير أو بهارون وقد خلع وهو أصغر منهم. إنهم سيرضون الأمر من أبناء المهدي جميعاً. ولكن إذا انتظرت حتى يبلغ ولدك سن الرشد ثم جعلته ولي عهدك والرشيد من بعده، كان ذلك أصلح وأوفق. هذا ما حاك به صدري وما أفضيت به إلى أحد قبلك، والأمر لك. وقد أردت أن أمتنع عن رعاية الرشيد، فمرني مطاع.

قال الهادي وقد تأثر بكلام يحيى: حببت له ما جرى يا يحيى. وإني أرى أن تدع رعايتك لهارون كما كنت، على أن يكون مقرباً ما بيني وبينه لا مباعداً، فلك عقل وتدبير.

قال يحيى: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين.

علمت الخيزران بما دار بين يحيى والهادي، وكانت من الدهاء بحيث تستشف السرائر، وتعرف مطاوي الخبث المستكنة خلف الظواهر، فأخذت تفكر: هل سيستجيب الهادي لمشورة يحيى، أو أنه يمهله ليدبر أمراً يقضي على الرشيد وحاشيته، وأمه حميدة؟ إنها تعرف العداوة في عين الهادي، وتعرف أنه طائش متسرع، وقد يدبر لها مكيدة تقضي عليها ولدها الحبيب هارون، فماذا عسى أن تصنع؟

وتنقطع أفكار الخيزران عن هذه المتاهة، وبعد أن قلبت الأمر على وجوهه المختلفة، صاحت: أين أنت يا خالصة؟ قالت ذلك حين شغلتها الهواجس المؤلمة، وأرادت أن تشاطر جاريتها الأمينة على أسرارها ثم بهضت إلى حجرتها المجاورة، فصحبت خالصة حين أبصرت سيدتها ولقيتها من البوح في دجى الظلام على غير العادة، ونهضت من فراشها مسرعة، فقالت لها الخيزران، وقد جلست معها على أريكة متواضعة جوار السرير:

خالصة، أنت تعلمين أن الهادي يضمر لي الشر، ولو وقف الأمر عندي لهان، ولكنه سيجرف معي هارون. فماذا ترى؟

قالت خالصة: أنا فداؤك وفداء الرشيد يا مولاتي. فماذا تأمرين؟

نظرت الخيزران كي تتأكد أن المكان خال، وقالت فيما يشبه الهمس: «لا بد أن يكفي الهادي قبل أن يكفيني» قالت: ثلاثاً حالصة بقول الخيزران، لأنها تعلم شعورها نحو ... وقالت في دهشة: وكيف يا مولاتي؟

وقالت الخيزران: أمة العزيز جارية الهادي، والمشرفة على طعامه وشرابه وملبسه ونومه. هي مفتاح المكيدة، تطيعك خالصة كأنك ... وقالت أمة العزيز زوجة في مولاي موسى، ولا يمكن أن تمسه بسوء. فعضت الخيزران على شفتها، وقالت تجيبين أسرار زميلاتك يا خالصة. إن أمة العزيز تعشق موسى، ولكنها لن تطمع فيه بحال. وزوجة لها بالمرصاد، ويمكن أن نطمعها في هارون؟

قالت خالصة: وكيف؟ فردت الخيزران: هذا ما جئت ليك به الساعة في جنح الظلام، إن موسى تغيب عن القصر في رحلة فلو أنها ستستغرق يومين فادعي إلى أمة العزيز، واخدعيها بما وسعك من الحيل، وقولي لها: إن هارون يهواك، وتحدث معي أنه يتمنى ولا عقبة أمامه غير موسى، فلا فرق من أمره صرت زوجته وسيدة القصر دون منازع، ولن تعترض الخيزران في شيء بل تسلم لك القيادة. هيا يا خالصة.

رجع موسى إلى القصر بعد أيام مساء، وأمر بالسكون أثناءه كي يستريح في نومه، وعودته الأطباء فقدموا له ما يحسه من الدواء، وأوصوا أمة العزير أن تراقب مواعيد العلاج فلا تتخلى عن سيدها طيلة الليل، ولذا فهي تراقبه مرافق لتسرع بالدواء في أحمد موعد، واستجدت أمة العزيز الأطباء خدعة، وأرت أن تضع السم بدل الدواء، فإذا ظهر ما يدل على هياجه تجمعت مع بعض الجواري فحملنه بالجلوس على وسادة فوق وجهه ويجتمع أنفاسه وضيق النفس فيستريح.

وفي الصباح ... القصر بالصياح ... في الصباح: مات أمير المؤمنين، مات أمير المؤمنين!

رفع الملام عن شيخ الإسلام

للدكتور/ محمد عمارة

شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م).. هو: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر، النميري الحراني.

فيلسوف السلفية وحكيمها الذي انتقل بها من مرحلة الوقوف عند النص وحده، والوقوف عند ظاهر النص - إلى مرحلة فلسفة النص وعقلنته.

وهو واحد من أبرز المجددين في عصره، الذي جمع إلى الاجتهاد.. والجهاد فيه الفرد - بالفكر والسيف - تقديم مشروع فكري لتجديد الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.

ولو أن المشروع التجديدي لابن تيمية قد وجد الدولة.. والسياسة التي تنهض به لتغيير وجه العالم الإسلامي ووجهته لاختصرت الأمة من عصور التراجع الحضاري عدة قرون!

ولقد ظلت لابن تيمية هذه المكانة المتميزة والمرموقة في حركة الإصلاح الإسلامي، منذ عصره، وحتى هذه اللحظات.

لقد كان ابن تيمية علامة الناقدين والناقضين للفكر اليوناني منطقاً وفلسفة - ومن أبرز الذين اجتهدوا الإبداع لتنقية الإسلامي الفكر اليوناني، الذي تسرب إلى كثير من مناحي الفكر الإسلامي - كما كان من أبرز الناقضين للفكر الباطني الغنوصي، الذي مثل - مع الفكر اليوناني - جناحي التهديد لتميز الوسطية الإسلامية الجامعة والموازنة.

ولد ابن تيمية بحران.. ونبغ واشتهر بدمشق - وتجلت آيات نبوغه - في المناظرة والاستدلال والتفسير والإفتاء والتدريس - وهو دون العشرين من عمره. ولقد كان قلمه ولسانه فرسي رهان في التعبير عن إبداعات عقله المفكر - وكانت فتاواه - التي خالف في بعضها عدداً من علماء عصره - من أسباب محنته. وميادين جهاده - فسجن بمصر - القاهرة والإسكندرية - فما أطلق سراحه رحل إلى دمشق (٧١٢ هـ - ١٣١٢ م). ثم أعيد اعتقاله بها (٧٢٠ هـ - ١٣٢٠ م). ثم أطلق سراحه مرة أخرى، ثم أعيد اعتقاله إلى أن مات معتقلاً بقلعة دمشق (٧٢٨ هـ - ١٣٢٨ م).

ولقد حول ابن تيمية [illegible]

[illegible] في عدد [illegible] الإسلام [illegible]

ولقد خلف ابن تيمية من الآثار الفكرية [illegible] ألف كراسة [illegible]

[illegible] الشرعية [illegible] عكست [illegible] عصره [illegible]

[illegible] مخالفين مسلمين وغير مسلمين.

ومن هذه الآثار الفكرية [illegible]:

١ - [illegible]

٢ - الإيمان.

٣ - منهاج السنة النبوية.

٤ - درء تعارض صريح المعقول مع صحيح المنقول.

٥ - الرد على المنطقيين.

٦ - نقض المنطق.

٧ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

٨ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

٩ - الصارم المسلول على شاتم الرسول.

١٠ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

١١ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.

١٢ - العقيدة الحموية.

١٣ - التوسل والوسيلة.

وعشرات الرسائل التي رد فيها على المخالفين.

■ ولكن هذا [illegible] ابن تيمية [illegible] والمنطقي - الفكري لتيار الإسلام. كذلك كان جهاده - بالعلم واللسان - لتحصين العقل المسلم ضد الاختراق الفكري الذي تمثل في الباطنية الغنوصية وفي الفلسفة اليونانية اللادينية.. وأيضاً ضد الجمود والتقليد.. والبدع والخرافات.. وعلى امتداد التاريخ - منذ عصره وحتى الآن - كان ولايزال واحداً من أبرز الملهمين لدعوات الإصلاح والتجديد على امتداد عالم الإسلام.

■■

■ ولقد كانت النظرات الجزئية والمجتزأة لهذا المشروع التجديدي المتكامل الذي أبدعه شيخ الإسلام ابن تيمية، والتي غفل أصحابها عن رؤية المعالم المتكاملة لهذا المشروع.. كانت وراء سوء الفهم وسوء الظن الذي ووجه به هذا الإمام العظيم.. سواء من بعض معاصريه.. أو حتى في العصر الذي نعيش نحن فيه!..

نعم.. لقد كان ابن تيمية - ومشروعه الفكري التجديدي - ولايزال في حاجة ماسة إلى القراءة الأمينة التي تعيد اكتشافه والتي تفقهه في ضوء العصر الذي كتب فيه، والتي تميز فيه بين «المنهج» وبين «التطبيقات» وبين «الأصول - الثوابت» وبين «الفروع.. المتغيرة» [illegible] من المتعصبين له والمتعصبين ضده جميعاً!!.. وحتى تنقشع السحب عن عبقريته الإسلامية فيعود إلى موقعه المناسب من إمامة الصحوة الإسلامية المعاصرة مع غيره من أقرانه ومن تلاميذه الأئمة الأعلام.

■ لقد تراكمت الكثير من سحب الأوهام حول فكر ابن تيمية فحجبت - أو كادت - حقائق فكر هذا الإمام العظيم.. حتى ظنه البعض:

- عدواً للعقل، وكارهاً على الخلافة!..

- وضيق الصدر بالخلاف.. يكفّر المخالفين!..

- حتى رأينا - في واقعنا الراهن - من يسمى نفسه «فيلسوف العلمانية» يبعث شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه إمام الرجعية.. وزعيم الإرهابيين!

نعم.. حدث كل هذا الخلط وسوء الفهم - مع افتراض حسن النية - من غيبة الرؤية المتكاملة لفكر ابن تيمية ومشروعه التجديدي، وقتبه في ضوء العصر الذى عاش فيه.. والتحديات التى واجهت العقل المسلم فى ذلك التاريخ.

■ إن خصوم ابن تيمية لم يفقهوا ما أبدعه فى العقلانية الإسلامية المتميزة.. وما قدمه من نظرية متكاملة فى علاقة التكامل بين المعقول والمنقول.. ذلك الإبداع الذى مثل «دولة» فى العقلانية المؤمنة.. والذى تشير إلى عنوانه فى هذه السطور، التى يقول فيها: «إن ما عُرف بصريح العقل لا يُتصور أن يعارضه منقول صحيح قط. وقد تأملت ذلك فى عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانها، بل يُعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع. وهذا تأملته فى مسائل الأصول الكبار، كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك. ووجدت ما يُعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط. بل السمع الذى يقال إنه يخالفه إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصلح أن يكون دليلا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟!

ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول، بل يخبرون بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته[1].

والقول كلما كان أفسد فى الشرع كان أفسد فى العقل، فالحق لا يتناقض، والرسل إنما أخبرت بحق، والله فطر عباده على معرفة الحق، والرسل بعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة. قال الله تعالى:

[illegible]

(فصلت: ٥٣)

فأخبر أنه سيريهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة لأن القرآن الذى أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول»[2].

■ وكثيرون - من خصوم ابن تيمية ومن أنصاره - يظنون أن الرجل لم يكن من القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين، بحسبان أن ذلك هو قول المعتزلة، الذين وقف ابن تيمية من بعض [illegible] موقف الناقد.

ولو قرأ هؤلاء وهؤلاء ما كتبه ابن تيمية فى التحسين والتقبيح العقلى لانقشعت عنهم هذه الظنون والأوهام.. فلقد كان يرى أن هذا القول هو قول جمهور أهل السنة والجماعة.. وفى ذلك قال:

«وأكثر الطوائف على إثبات الحسن والقبح العقليين، وهو قول الحنفية، ونقلوه أيضا عن أبى حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ ٦٩٩ - ٧٦٧م) نفسه. وهو قول كثير من المالكية والشافعية والحنبلية، كأبى الحسن التميمى (٣٧١هـ) وأبى الخطاب، وغيرهما من أئمة أصحاب أحمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥م). وكأبى على بن هريرة (٣٤٥هـ) وأبى بكر القفال الشاشى (٣٦٥هـ) وغيرهما من أصحاب الشافعى، وكثير من أصحاب مالك (٩٣ - ١٧٩ هـ ٧١٢ - ٧٩٥م)، وكذلك من أهل الحديث، كأبى نصر السجزى (٤٤٤هـ)، وأبى القاسم سعد بن على الزنجانى (٤٧١هـ) وغيرهما.

بل هؤلاء ذكروا أن نفى ذلك هو من البدع التى حدثت فى الإسلام فى زمن أبى الحسن الأشعرى (٢٦٠ - ٣٢٤هـ ٨٧٤ - ٩٣٦م) لما ناظر المعتزلة فى القدر بطريق جهم بن صفوان (١٢٨ هـ ٧٤٥م)، ونحوه من أئمة الجبر، فاحتاج إلى هذا النفى.

قالوا: والا نفى الحسن والقبح العقليين مطلقا لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، بل ما يؤخذ من كلام الأئمة والسلف فى تعليل الأحكام وبيان حكمة الله فى خلقه وأمره، وبيان ما فيما أمر الله به من الحسن الذى يُعلم بالعقل وما فى مناهيه من القبح المعلوم بالعقل، ينافى قول نفاة الحسن والقبح من العقل. لعاد يرجع إلى كون الأفعال ملائمة لهم ومنافرة لهم، وهذا مما لا ريب فيه أنه يعرف بالعقل. ولهذا اختار الرازى (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ ١١٥٠ - ١٢١٠م) فى آخر عمره أن الحسن والقبح العقليين ثابتان فى أفعال العباد. وقد قيل: إن ذلك فى حق الله تعالى أيضا مبنى على معنى محبة الله ورضاه، وغضبه وسخطه، وفرحه بتوبة التائب، ونحو ذلك.

والعقل، فأخص صفات العقل عند الإنسان أن يعلم الإنسان ما ينفعه ويفعله، ويعلم ما يضره ويتركه. والمراد بالحسن هو النافع، والمراد بالقبيح هو الضار. فكيف يقال إن عقل الإنسان لا يميز بين الحسن والقبيح؟ وهل أعظم محاسن العقلاء إلا معرفة هذا من هذا؟ إن جنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الحميدة، وينفر عمن يتصف بالقبائح، فهذا نجد جنس الإنسان يحب سماع كلامه ورؤيته، وهذا ينفر عن رؤيته وسماع كلامه. إن العقل يحب الحق ويعتقده، ويحب الجميل ويعتقده، وإن محبة الحمد والشكر وكراهة الذم من العقليات. وإن للإنسان قوتين: قوة علمية فهى تحب الحق، وقوة عملية فهى تحب الجميل، والجميل هو الحسن، والقبيح ضده»[3].

نعم.. هكذا تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن قدرة العقل على التحسين والتقبيح.. فأزال أوهاما متراكمة فى عقول له خصومه وأنصاره أجمعين!.. فهلا أعادوا قراءته؟! وهلا فقهوا عباراته الجميلة والعميقة التى يقول فيها: «إن جنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الجميلة، وينفر عمن يتصف بالقبائح.. وإن العقل يحب الحق ويلتذ به، ويحب الجميل ويلتذ به.. وإن للإنسان قوتين: قوة علمية فهى تحب الحق، وقوة عملية فهى تحب الجميل، والجميل هو الحسن، والقبيح ضده.. وهل أعظم محاسن العقلاء إلا بمعرفة هذا من هذا؟!.. فكيف يقال إن عقل الإنسان لا يميز بين الحسن والقبيح؟!».

وكثيرون - من خصوم ابن تيمية.. ومن أنصاره - هم الذين توهموا رفضه للتأويل بتعميم وإطلاق.. ولو أنهم فقهوا موقف الرجل لعلموا موقفه من هذه القضية الشائكة.. وهو موقف متوازن وموضوعى.. يقول فيه:

«.. والتأويل المقبول ما دل على مراد المتكلم.. فالتأويل إذا لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة فى كلام من تكلم بلفظه من العرب هو من باب التحريف والإلحاد لا من باب التفسير وبيان المراد..

وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التى أخبر عنها، وذلك فى حق الله هو كنه ذاته وصفاته التى لا يعلمها غيره.. ولهذا قال السلف: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه.

وكذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن

---

(١) ابن تيمية «درء تعارض صريح المعقول لصحيح المنقول» جـ ١ ص ٨٣ طبعة القاهرة ١٣٢١هـ.

(٢) ابن تيمية «منهاج السنة النبوية» جـ ١ ص ٨٢ طبعة القاهرة ١٣٢١هـ.

(٣) [illegible] «كتاب الرد على المنطقيين» ص ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٣ [illegible]

وكانوا يقولون: «إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب، فإن ما أعده الله لأوليائه من النعيم لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر.

ومن قال إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان مراده لا يعلمه إلا الله، فهذا ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله، وقالوا إنهم يعلمون معناه.

والآيات التي ذكر الله فيها أنها متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، إنما نفى عن غيره علم تأويلها لا علم تفسيرها ومعناها...»[4].

■ وفي قضية تكفير من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله كان ابن تيمية - ككل أئمة أهل السنة والجماعة - شديد الحذر والتحذير من التكفير على خلاف ما يتوهم الذين لا يفقهون حقيقة موقف الإسلام من هذه القضية التي يتحدث عنها ابن تيمية في حسم ووضوح فيقول: «... والذي نختاره ألا نكفر أحدا من أهل القبلة. والدليل عليه أن نقول: المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها، مثل أن الله تعالى هل هو عالم بالعلم أو بذاته؟ وأنه تعالى هل هو موجد لأفعال العباد أم لا؟ وأنه هو متحيز؟ وهل هو في مكان وجهة؟ وهل هو مرئي أم لا؟ لا تخلو إما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف، والأول باطل، إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان الواجب على النبي ﷺ أن يطالبهم بهذه المسائل ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل بل ما جرى حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم علمنا أنه لا تتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول، وإذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الإسلام، وذلك يقتضي الامتناع عن تكفير أهل القبلة.

إن التكفير حكم شرعي، متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرا في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صوابا في العقل تجب في الشرع معرفته، وإن التكفير يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه.

وقد نقل عن الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ ٧٦٧ - ٨٢٠ م) رضي الله تعالى عنه أنه قال: لا أرد شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية[5]. فإنهم يعتقدون حل الكذب.

أما أبو حنيفة - رضي الله تعالى عنه - فقد حكى الحاكم (٣٣٤ هـ ٩٤٥ م) صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة أنه لم يكفر أحدا من أهل القبلة.

وحكى أبو بكر الرازي عن الكرخي (٢٦٠ - ٣٤٠ هـ ٨٧٤ - ٩٥٢ م)، وغيره مثل ذلك»[6].

هكذا حسم ابن تيمية قضية تكفير أحد من أهل القبلة الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، في المسائل الخلافية التي اختلف فيها المسلمون لا يتوقف عليها الإيمان بأصول الدين، وأركان الإسلام التي جاءت بها النصوص قطعية الدلالة والثبوت.

وغني عن البيان أن هذا الموقف هو موقف أئمة المذاهب المعتبرة في فكر الإسلام.

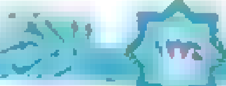
يتبع

---

(٤) ابن تيمية «درء تعارض العقل والنقل» أو «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» جـ ١ ص ١١٥ - ١٢٠.

(٥) الخطابية: من غلاة الشيعة، أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب - مولى بني أسد - وهم يعتقدون ألوهية الأئمة، وأنه لا يعدم ولا يموت، ...حلت مع ... فيهم، وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - هو الناطق، وعلي هو الصامت، وقد ... بالكوفة - أيام الدولة العباسية، وقتل زعيمهم سنة ١٤٣ هـ.

(٦) ابن تيمية «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» جـ ١ ص ٥٠، ١٤٤، ١٤٥.



فكر

في زمن العولمة

جدليـة الثقافـة في عصر العولمة

الشيخ / صديق بكر عيطة

في مقالنا السابق ناقشنا موقفنا بين الزحف الإعلامي الهادر في ثقافة العولمة، وتأكيد ... ثقافة حمل ... ثقافة العربية الإسلامية وبين الثقافات العالمية التي انتشرت وتنتشر في عصر العولمة، فلا نستطيع أن نغلق على أنفسنا ... ليس ... من طبيعة ثقافتنا في أي عصر ... ... في عصر السموات المفتوحة ... الاتصالات عبر ... .

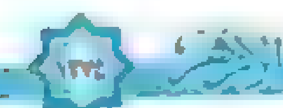
كما أن هذا الانغلاق ليس من طبيعة الثقافة الإسلامية، التي فتح بابها القرآن الكريم، وهو كتاب البشرية كلها في كل زمان ومكان، وقد أنزله الله - عز وجل - ليكون هداية للناس كافة وإلى يوم يبعثون، قال تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)

وقال عز شأنه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

فلو كان الانغلاق من طبيعة الثقافة الإسلامية، لما عرفت الدخيل والمعرب، ولما أخذت وأعطت في كل فروع العلم والمعرفة التي تجاوزت نطاق التخصص إلى إطار الموسوعية الفضفاضة، كما



تحاورت بإطار لغة بعينها، بل كل لغات المرحلة بين وسيطة مثل السريانية، وبين لغات عميقة لها أرومتها التي تضرب في العمق الثقافي على طريقة اليونانية والهندية والفارسية.

معادلة صعبة!

ولكن ماذا تعني «جدلية الثقافة» هنا؟ تعني باختصار شديد «بحث العلاقة المعقدة بين العولمة، وواقع الثقافات المحلية والإقليمية، وأشكال التعامل مع العولمة قبولا ورفضا، وتوفيقا وتكييفا وتعديلا أو إعادة إنتاج مركز من جديد»[1].

إذن، فنحن - المسلمين - أمام معادلة صعبة، لابد لنا من أن نحققها، وهي تتلخص في تقديم ذاتنا، ورسالتنا التي كلفنا الله بنشرها بين العالمين عقيدة، وعملا، ونموذجا للحياة الإنسانية الكريمة، مستفيدين بما أنتجته قريحة الغرب الحضارية التقنية في الوسائل والآليات، مما يساعدنا في نشر مبادئ وقيم الإسلام العظيم، دون أن نميت حضارة هذا الدين لتغريق بمادية الغرب، ودنس العولمة البشرى فيهم كما سنوضح بعد.

فالعلاقة هنا بين المسلمين وغيرهم يجب أن تقوم حركتها على الأخذ والرد اللذين تحكمهما أهداف السبيل حيث تتجلى مظاهره في أخذ كل ما فيه مصلحة الإنسانية عامة، ورفض كل ما فيه تحطيم الأخلاقي والإنساني، ولكي ننجح في حركتنا لابد أن يقوم هذا التدافع بعد أن نضع في اعتبارنا ونصب أعيننا أن الحالة الحركية التي تعبر عن عالمية الإسلام تستند إلى عنصرين رئيسين:

- العموم بالنسبة للوجهة
- الرد الإنساني المسلم بالإسلام

وأن الحالة الحركية للعولمة البشرية تستند أيضا إلى عنصرين رئيسين:

- منهج بشرية وضعية
- الرد الإنساني تحت المنهج

إن التدافع في زمننا الحاضر لا نستطيع أن نفهم دعائمه وامتداداته ما لم نبين المكثر الإيماني لهذه الأمة، بما يحمل في جوفه من رصيد عظيم، ابتداء من دعوة نوح - عليه السلام - وإلى يومنا هذا، ومرورا عبر الزمان والمكان بجميع دعوات الرسل - عليهم السلام - والتي كانت رسالة النبي ﷺ مسك ختامها. إن هذا المكثر العظيم على مستوى الصراع التاريخي عبر العقائد والعقول والوسائل، هو دليل لا غنى عنه يستشرف عبر ضوء مصابيحه مستقبل أفق التدافع بين عالمية الإسلام، وعولمة البشر[2].

فالإسلام في حالته الحركية والعقدية والثقافية دين العالم، حيث خرجت من عباءته «دعوة صريحة إلى وجوب الإيمان بكل الرسل والرسالات»

﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (البقرة: ٢٨٥)

(١) مجلة «الرابطة» العدد (٤٧٤) ذو الحجة ١٤٢٦هـ، ديسمبر ٢٠٠٥م ص ٥٥ - أ.د. عبد الله العطاري.
(٢) د. جعفر إبراهيم: مجلة «عالم الفكر» - المجلد الثامن والعشرون - العدد الثاني - أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٩م ص ٩٦
(٣) د. سامي محمد الدلال في كتابه «الإسلام والعولمة» ص ٨٩

وهو استكمال الإيمان بالله وكتبه ورسله، الأمر الذي يجعل الإسلام متفردا ومتميزا بطرح قضية المشترك الثقافي في دعوته للإصلاح والأخوة والمساواة والتكافل والتكامل والشورى... إلخ.

ثقافة العولمة لا تاريخ لها!!

وفي عباءة الثقافة الإسلامية كان هذا المشترك الذي يلتقي فيه العربي مع أخيه البخاري مع الخوارزمي مع الفرغاني، دون تفرقة، ولا اعتراف بحدود الإقليم والمكان، ولا حدود النشأة والميلاد، فكانت الثقافة هي البوتقة بين العرب وكل منتقي الأمم المشاركة في بناء منظومة حضارتهم على غرار ابن سينا والرازي والإدريسي وابن النفيس وابن المغيث وابن حيان وابن رشد والكندي والفارابي وابن حمدون وجابر الفرغاني، وغيرهم من أساطين الفكر الذين صنعوا المشترك إنتاجا وإبداعا، ثم قدموا نشره وتوزيعه نقلا وتأثيرا في ظل منظومة حركة الترجمة، وتدوين علوم الأوائل، وقد تحاوروا في دار الحكمة «المكتبة» منذ الخليفة الرشيد، ومن بعده المأمون، فالتقى العربي والهندي والفارسي واليوناني والسرياني في سياق المشترك الإنساني في أرقى صوره»[5].

وإذا كانت ثقافة العولمة لا تاريخ لها، فإن ثقافة الإسلام ذات تاريخ عريق، فقد دخلت الأمة الإسلامية القرن العشرين الميلادي، وهي مكتنزة لرصيد حضاري عظيم في جميع المجالات وعلى كل المستويات، غير أن هذا الرصيد كان قد تحول معظمه إلى تراث علاه الغبار، وأصبح قصائد يتغنى بها الشعراء، وأوراقا صفراء على شكل مخطوطات موزعة في المكتبات في شتى بقاع العالم، ويوم أن كان هذا الرصيد حقيقة حية كانت أرجاء العالم الإسلامي تضج بالعلماء وطلبة العلم، وكانت جيوش الإسلام تفتتح الأقاليم والبلدان، وتطيح بعروش الطغاة والمشركين، وتنشر العدل والقسط في كل مكان.

وعلى الرغم من أن التتار سودوا ماء دجلة ببغداد بملايين الكتب فإن المكتبات العربية وغير العربية لا تزال تحتفظ بمعاجم تراجم العلماء في العقيدة والحديث والتفسير والأصول والسيرة واللغة والجبر والحساب، والمثلثات والضوء والكيمياء والفلك والطب والصيدلة والفيزياء والهندسة والزخرفة والبناء، وقادة الجيوش والفلاسفة والمفكرين والصناعيين والمهنيين، وسوى ذلك مما يشكل لبنات البناء في أية حضارة، ويوم كان الظلام يخيم على أغلب الأرض، سواء في أقاصي آسيا وأوروبا وإفريقيا، كان نور العلم وضياؤه يشع بإبهار على ربوع البلاد الإسلامية قاطبة، ويوم كان الفقر يعشش في تلك البلاد كان أمراء المسلمين يوزعون المال فلا يجدون من يأخذه!! وهل مر على البشرية يوم كذلك اليوم الذي يخاطب فيه الخليفة السحابة قائلا: «أمطري حيث شئت فإن خراجك سيرجع إلي...»[6]!!

4- عبد الله العطاري، مجلة «الرابطة» العدد (٤٧٤) ذو الحجة ١٤٢٦هـ، ديسمبر ٢٠٠٥م ص ٥٤
5- د. سامي محمد الدلال «الإسلام والعولمة» ص ٢٧٧، ٢٧٨.

إن هذه الثقافة التي جاء بها الإسلام، وأنتجت بدورها هذه العقول التي كان لها باع طويل، دور رائد في إنتاج حضارة إسلامية وعربية عرفت بالعالمية، وأخرجته من عصور الظلام إلى عصور العلم والتقدم ما كان لها أن تموت، وما كان لها «أن تقبع بخير كانت.. حتى وإن علاها الغبار حينا من الزمان».

إن الثقافة العربية – بفعل عوامل دينية وتاريخية وقومية وشعبية – ما زالت تقف على قدميها، وتصارع عوامل تآكل ثقافية داخلية، وعوامل تفتيت إطارية سياسية واجتماعية من حولها. ولعل من أهم العوامل الداخلية، نزعة مناهضة الثقافة لدى الفئتين الأساسيتين اللتين كانتا في الماضي تسعفان الثقافة بالأيدي والعدد، وهما فئة السيادة السياسية والطبقة الحاكمة، وفئة السيادة الاقتصادية والاجتماعية وقطاع الأعمال الخاص، وهاتان الفئتان تتعاونان الآن، ليس على تهميش دور الثقافة فقط، ولكن أيضا على صرف مستهلكي الثقافة «أي الجمهور المتلقي» عن أية ثقافة جادة وتزييف المادة الثقافية التي يفترض أن تطرح بين يديه وتحويلها إلى بهرج إعلامي ترفيهي، وتسخير المنجزات الاتصالية الفائقة لهذا الغرض، فالاهتمام بالثقافة موجود، ولكنه مقلوب»[7].

تلك هي طبيعة الثقافة الإسلامية العربية التي فتح بابها على مصراعيه كتاب الله – عز وجل – حينما نزلت أولى آياته المباركات:

[illegible]

(العلق: ١، ٥)

والملحظ الدقيق هنا يتركز في أن الآيات حثت على القراءة دون تحديد لما يقرأ.. فقط، لفتت الآيات الأذهان إلى أن القراءة، لابد أن يعي القارئ بها وجه الله – عز وجل – وأنها لابد أن تقوم على [illegible] ومن هنا كان المسلم مؤهلا بطبيعة تكوينه الإيماني لالتهام كل ما تصل إليه يده مما أنتجته القريحة [illegible]

ثقافة عالمية ارتبطت بالدين

[illegible] في عصرنا الحاضر وبخاصة فيما بعد مرحلة الحداثة والتحديث. فلا بد من الحوار، وثقافتنا لا تخشى هذا الحوار [illegible]

[illegible]

(النحل: ١٢٥)

(٦) [illegible] الاتصال والعولمة، للدكتور [illegible]

(٧) د. حيدر إبراهيم [illegible] مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٨ - العدد الثاني - أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٩م ص ٥٦.

وليس من المبالغة [illegible] الإسلامية. قد نهضت على أسس [illegible] المطلوب الجدلي المشروط بالحسنى والدعوة بالحكمة، واحترام الآخر [illegible] العصرية. وعقائده [illegible] ما درجت عليه من انفتاح ذهني عبر حركة الترجمة من العربية [illegible] دون تحفظ أو تعقيد، فكانت [illegible] الترجمة [illegible] دون جمود أو انغلاق، بقدر ما كانت سبيلا من سبل المشاركة والإضافة والابتكار، وهذا هو المحك في أصول التناقض والتلاقي بين الثقافات، وهو نفسه الفاصل الحقيقي بين ثقافة حية وثقافة ميتة[7].

إعادة قراءة !!

[illegible] فكيف يتم إنتاج الثقافة العربية أو الإسلامية اللائقة بالمسلمين في هذا العصر، وإعدادها للتصدير للغرب؟ إنها الثقافة التي تقوم على الخطوات التالية:

١- إعادة قراءة واقع المجتمعات الإسلامية قراءة شفافية بعيدا عن المغالاة والمغالطة، ملتزمين الحيدة والموضوعية، بما يستدعي تصحيح صورة المسلمين – وليس صورة الإسلام، فالإسلام هو الدين الصحيح، الذي ورث الأديان السماوية السابقة كلها وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها – لدى الآخر، مع رفض اعتداءات الآخر على حقوق الإنسان تحت زعم نشر الحرية، أو فرض رياح التغيير بالقوة، أو المساس بالأصول، أو تهميش القوميات.. أو الاستخفاف بالثوابت والمقدسات.

٢- الاهتداء بحقبة السلف الصالح في سياق التأليف والإبداع في كل العلوم الطبيعية والتجريبية، وما يلفها جميعا من ذلك التداخل الرائع بين قضايا العلم والإيمان دون اعتبار الدين حجر عثرة في سبيل التقدم والاندفاع تجاه الأفضل.

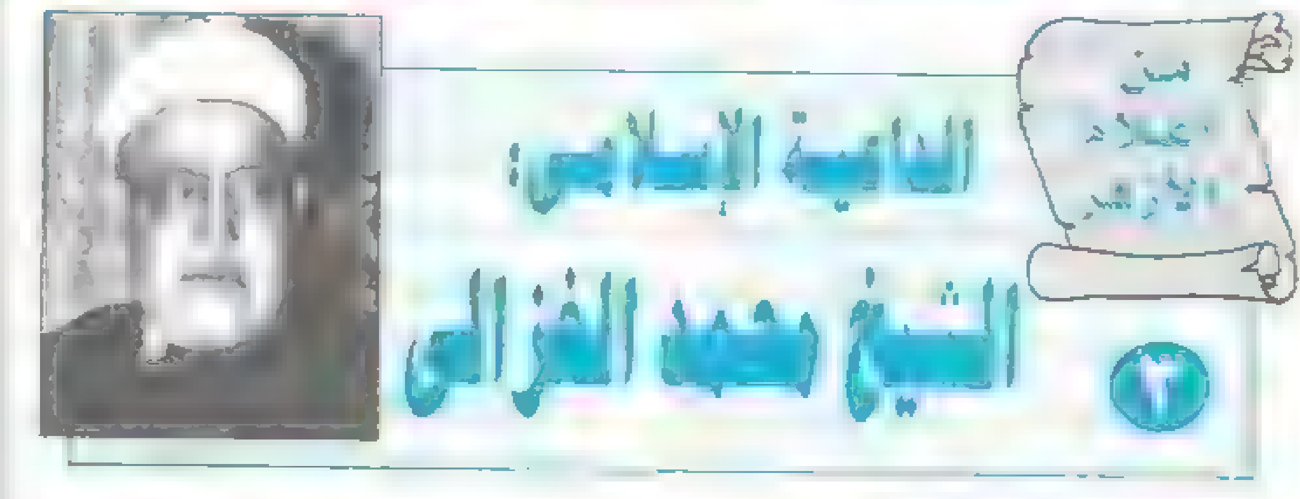
٣- تحديد مفهوم الإصلاح وبواعثه وآلياته في مساحة إحياء علوم الدين والدنيا دون انحياز أو تعصب، فمن حق كل شعب وكل أمة أن تأخذ بما تراه صالحا لبناء أجيالها، ورسم سياسة حياتها وواقعها ومستقبلها.

٤- الشجاعة في مواجهة الاتهام والافتراءات الباطلة، ومنها مثلا: ما ألصق بالإسلام من صور الإرهاب أو التخلف، وهو ما ليس منه بالفعل، بل هو منها براء[8].

إن ثقافتنا الإسلامية والعربية لهي جديرة بأن تصارع ثقافة الآخرين، وأن تصرعها، وتخلصها من شوائب المدنية الزائفة، وأن تحولها إلى دماء صالحة تتدفق في شرايين البشرية علما وثقافة وفنا يقوم على حراسة الحق والخير والجمال

(٧) د. عبدالله الطاري – مجلة الرابطة العدد (٤٧٤) ذو القعدة ١٤٢٦هـ ديسمبر ٢٠٠٥م ص ٥٥

(٨) [illegible] مجلة الرابطة ص ٥٥ – ٥٨



للأستاذ الدكتور/السيد أحمد فرج

تحولات الشيخ محمد الغزالى فى مرحلته الفكرية الأخيرة:

بدأ الشيخ محمد الغزالى فى كتاباته الأخيرة مفكراً فى مجالات

١ - الدراسات القرآنية عامة.
٢ - دراسات فى السنة.
٣ - دراسات فى التفسير الموضوعى للقرآن.
٤ - تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل.
٥ - قضايا المرأة.

أولاً: دراسة قرآنية فى كيف نتعامل مع القرآن؟

هى محاورة - كما أسماها الشيخ محمد الغزالى - على طريقة السؤال والجواب، أعدها الأستاذ عمر عبيد حسنة مدير تحرير كتاب الأمة، ليجيب عنها الشيخ محمد الغزالى، وهدفها استخلاص وعى قرآنى، دون إحداث قطيعة معرفية مع الموروث السائد فى علوم التفسير، من خلال قراءة القرآن فى إطار وحدته الكلية، وانتفاع الإنسان به انتفاعاً يتسع على مر العصور، إذ إن القرآن لا يتوقف عطاؤه فى أى عصر من العصور إلى قيام الساعة قال تعالى:

(فاطر: ٣١ - ٣٢)

ويلمس القارئ فى هذه المدارسة انفتاحاً حضارياً بوعى منهجى يتطلب تواصلاً جديداً مع معطيات القرآن.

إن الدافع لهذه المدارسة المشاركة فى علاج الأزمة الفكرية التى تعيشها الأمة الإسلامية بين الانجذاب للماضى أو للحياة المعاصرة، وعجزها فى الوقت نفسه عن أن تتفاعل مع العصر، كما عجزت عن اكتشاف مضمون المتغيرات فى العالم تاريخياً وثقافياً واجتماعياً، بسبب الاعتقاد السائد بأن السلف الصالح اجتهد، ولم يترك للخلف شيئاً يجتهد فيه، ومن ثم أغلق باب الاجتهاد، فهم لا يعلمون أن السلف الصالح اجتهدوا لعصرهم، فى قضايا عصرهم، وإننا الآن فى حاجة إلى الاجتهاد فى قضايا عصرنا، اجتهاداً يواكب المتغيرات التى أحدثها عصرنا

إن المشكلة التى أراد أن يعالجها الشيخ محمد الغزالى بمدارسة القرآن هى: إعادة المسلم إلى قراءة حديثة متدبرة للقرآن الكريم، لتدبر معانيه، ووعى مغزى آياته ومقصودها فى الآفاق وفى الأنفس، يقول الشيخ محمد الغزالى: «يجب قراءة القرآن الكريم قراءة متدبرة واعية تفهم آياته فهماً عميقاً، وتعى معناها مع إدراك مقاصدها، إذ لابد من الفهم والتدبر والتبين لسنن الله فى الأنفس والآفاق، وفى كل ما يحتاج إليه المسلمون لاستئناف دورهم المفقود (كيف نتعامل مع القرآن، ص ٢٨، دار الوفاء، المنصورة سنة ١٩٩٠م).

أراد الشيخ محمد الغزالى أن يفهم المسلمون المعاصرون كتابهم الحكيم، فهما جديداً تتعمق فيه الرؤية للنفس والكون والتاريخ، مع توحيد الله سبحانه وتعالى، لأن القرآن يعرض الكون، وهو يبنى العقيدة، ويربى الخلق فى الوقت نفسه. فالنظر فى الكون والواقع والتاريخ يقود إلى الإيمان، والإنسان بجهده العقلى إذا قرأ آياته فى موضوع واحد بعينه، أو عدة آيات فيه، رأى الكلام عن الله عز شأنه، وعن الكون، والجزاء والنفس البشرية، والإيمان والأخلاق، ووجد بين كل ذلك تماسكاً لا يعرف إلا فى القرآن الكريم.

ثانياً: السنة

ألف الشيخ محمد الغزالى كتاب «السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث» وهو من أصغر كتبه حجماً، ولكنه شغل الناس، وكثر جدلهم حوله. ولقد أراد الشيخ محمد الغزالى بهذا الكتاب ما يلى:

١ - أن يوثق الروابط بين الحديث، ومدلولات القرآن الكريم، لأن أية دراسة فى العلوم الإسلامية لن تكون مكتملة وجدية إلا بالأمرين معاً.

٢ - تنبيه الناس إلى أهمية دور العقل فى التعامل مع السنة، لأن الحقائق فى المنهاج الإسلامى لا تخالف المساحة العقلية المقررة لها، وهذه الحقائق افتقدت فى مسيرتنا التاريخية لا سيما فى القرون الأخيرة (ص ١٢).

٣ - التصدى للأقوال الضعيفة، والمذاهب العسرة التى ترجح الآراء التى كانت مرجوحة أيام الازدهار الثقافى الأول (ص ١٣).

٤ - تنبيه إلى أخطاء بعض شباب الاتجاهات الإسلامية الغالية الذين يتناولون بعض كتب الحديث ثم يحسبون أنهم

أحاطوا بالإسلام علماً بعد قراءة عابرة.

٥ - التنبيه إلى الأخطاء التى انحرفت بالأمة، وأذهبت ريحها، وإعطاء صورة عملية للإسلام تمحو الشبهات القديمة، وتنصف الوحى الإلهى.

٦ - التأكيد على العمل بالقرآن أولاً، مع فهم الحديث، فإن القرآن هو الإطار الذى تعمل الأحاديث فى نطاقه يعضده قول الشافعى: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن وقال ﷺ: ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه يعنى السنة (ص ١٤٣)

وهذا الذى جاء فى كتاب الشيخ محمد الغزالى، «السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث» لا يقلل من أهمية دور السنة فى العقيدة والشريعة والفقه. وقد يدور نزاع حول حديث ما من حيث نسبته إلى صاحب الرسالة، وهذا النزاع لا يمس الأساس الراسخ أن كتاب الله وسنة رسوله هما أصل الإسلام ومعالم الأسوة الحسنة، وأن حديث رسول الله ﷺ، يضاف إلى كتاب الله فى بيان تعاليم الإسلام (الغزالى: تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل، ص ١٤٣، ١٤٥) ولكن هناك من الأحاديث ما لا أصل له، تسللت إلى كتب السنة. وهو ما يجب أن نتحرز منه.

ويطالب الشيخ محمد الغزالى أن نأخذ الدرس من الأئمة الفقهاء المحدثين مثل الإمام مالك بن أنس الذى عاش فى دار الهجرة بين أهل المدينة، وفيهم أحفظ الناس لحديث رسول الله والإمام البخارى الذى ضرب المثل فى تحرى الأمانة فى اختيار الحديث الصحيح.

ولم يكن الشيخ محمد الغزالى رحمه الله أول العلماء فى العصر الحديث الذين طالبوا بغربلة كتب السنة مما تسلل إليها من الأحاديث المنكرة والموضوعة، فهو مسبوق بالشيخ محمد ناصر الألبانى، والشيخ عبدالله الصديق الغمارى.

ثالثاً: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

قبل أن يتحدث الشيخ محمد الغزالى عن التفسير الموضوعى، تكلم فى التفسير الموضوعى، أى التفسير التحليلى حيث يتعاون التفسير اللغوى والبيانى والفقهى فى توضيح المعنى وتحديده، ثم يأتى بعد ذلك التفسير الموضوعى للآيات، أو السورة، أو السور التى تتناول موضوعاً واحداً.

ولقد نبه القدامى من العلماء إلى أهمية هذا العلم (التفسير الموضوعى) وسموه علم المناسبة، قال أبوبكر بن العربى الفقيه المالكى صاحب تفسير (أحكام القرآن) فى كتابه «سراج المريدين». «ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى، منتظمة المبانى، علم عظيم. وأفرد له الشاطبى فى كتاب «الموافقات» الجزء الثالث فصلا مهماً، أوضح فيه ضرورة رد الكلام على أوله، وأوله على آخره. لكى يحصل مقصود الشارع فى فهم المكلف. وأول من أفرد كتاباً له هو أبوبكر النيسابورى، وكان يشرح لسامعى دروسه فى التفسير «لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه، وما الحكمة فى ذلك». ولقد أشار السيوطى إلى هذا العلم فى كتابه القيم «الإتقان فى علوم القرآن».

ومن السابقين إلى هذا النوع من التفسير فى العصر الحديث الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير بعض سور القرآن، ثم جاء الشيخ محمد عبدالله دراز فى تفسيره الموضوعى لسورة البقرة فى كتاب «النبأ العظيم» ولقد رأى الشيخ محمد عبدالله دراز أن باب التفسير الموضوعى مفتوح لكل مسلم أعطاه الله تعالى فهما فى كتابه العزيز، على شريطة القصد والأناة فى سير العقل، مع الاستفادة بمصباحين مهمين هما اللغة والشرع ثم ينظر فى السورة نظرة تنتظم أطرافها وأوسطها، للوقوف على التناسق بين الأجزاء والتوافق فى التراكيب «الرجع إلى محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم ص ١٥٣» و«مدخل إلى القرآن، ص ١١٩».

ولقد فسر الشيخ محمود شلتوت الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً يحتذى.

ومع أن الشيخ محمد الغزالى مسبوق فى مجال التفسير الموضوعى، غير أنه قصد إلى استخراج القضايا الكلية وحدها من القرآن الكريم، وكان قد بدأ بعزمه على تفسير القرآن تفسيراً موضوعياً فى حديث سابقة، وفى كتب سابقة ففى كتاب «نحو التفسير الخمسة للقرآن الكريم» فسر سورة الواقعة تفسيراً موضوعياً (ص ١٦٢ - ١٧٠). وفى كتاب: «تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل» فسر سور الطلاق (ص ١٣٢ - ١٣٤) قبل أن يكتب تفسيره الموضوعى للأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم وهو تفسير وجيز فى خمسين وخمسين ومائة صفحة. قال فى مقدمته: «لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع فى السورة، وتأسيت فى ذلك بالشيخ محمد عبدالله دراز عندما تناول سورة البقرة فجعل منها باقة واحدة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتابه «النبأ العظيم».

كان منهج الشيخ محمد الغزالى فى التفسير الموضوعى أن يختار الآيات التى تبرز ملامح السورة، ويترك غيرها للقارئ يضمها إلى السياق المشابه، حتى لا يطول الكلام.

هذا فضلاً عن أن الشيخ محمد الغزالى يميل بطبعه إلى الإيجاز فى عرض الأفكار، ويؤكد ذلك بقوله: «والإيجاز مقصود لدى» ولعل هذا القصد جعل تفسير الشيخ محمود شلتوت يزيد على ثلاثة أضعاف تفسير الشيخ محمد الغزالى للأجزاء العشرة نفسها، مع أنه لاحق، والشيخ محمود شلتوت سابق، رحمهما الله تعالى.

ولكن يمتاز عرض الشيخ محمد الغزالى لموضوع السورة بأنه ربط أحداث المسلمين فى الماضى بأحداثهم فى الحاضر، وتنبيههم إلى الثوابت ليتمسكوا بها، كما تمسك بها سلفهم الصالح، وإلى أن يأخذوا بالنافع من المستجدات الكونية، لأن الله تعالى يخاطبهم بها. ولأن الله تعالى أراد الحفاظ على المجتمع الإنسانى وحمايته، كما أراد الحفاظ على الأسرة، وعلى الأفراد بأن يسلكوا الطرق التى تنفعهم وتحقق سعادتهم الدينية والدنيوية.

الإعلام الإسلامي: نطاقه ووسطيته

أ.د/ عبدالحليم عويس - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

يطلق الإعلام الإسلامي على تلك الممارسات التي قام بها المسلمون في عصر الدعوة. وفي العصور اللاحقة، أو في حقل المجهودات العلمية في مجال الاتصال التي قدمها المسلمون المنتمون للإسلام. وثمة تحديد مختصر للإعلام الإسلامي [illegible] من القرآن [illegible] الصحابة [illegible]. [illegible] وسائل الإعلام والاتصال الحديثة فلم يعرف أكثرها إلا في العصر الحديث.

وفي [illegible] تطورت [illegible] بل تعددت التخصصات في دراساتها، والتخطيط لها وتنفيذها[1].

وفي نطاق الإعلام العام أو الإنساني، وفي نطاق الإعلام الإسلامي - أيضا - تتكون الممارسات أو المواد الإعلامية من عدد من العناصر تسهم بطريقة مباشرة في صنع الممارسة أو المادة الإعلامية.. وأبرز عناصرها ما يلي:

■ العناصر البشرية القادرة على إعداد المضمون الإعلامي أو تقديمه مع استثمار الوسائل الآلية في مراحل الإنتاج والإرسال.

ويدخل ضمن هذه الفئة: معدو البرامج، والمخرجون، ومهندسو الصوت والصورة، والديكور، والإضاءة، ومصممو الملابس، والرسامون، والمصورون، ومقدمو البرامج، والممثلون، والمذيعون، والموسيقيون..

وهؤلاء يخضعون لشروط تكوين الإعلامي المسلم القادر على استيعاب تطورات العصر، وعلى فهم الحقائق الإسلامية، وإنزالها على العصر.

■ المحتوى العقدي [illegible] الفكري

ويبرز هذا العنصر - وهو [illegible] للمسلم [illegible] «عقيدة وشريعة» [illegible] وأكثر ما يبرز هذا العنصر في مضمون المادة المراد إيصالها إلى الآخرين. وقد يظهر في الطرق التي يتم توجيهها استثمار العناصر البشرية وقدراتها، أو استثمار الآلات والأجهزة الصماء، أو استثمار الدراسات والأبحاث العلمية النظرية والتطبيقية[2].

■ مضمون الرسالة الإعلامية الإسلامية:

وقد يخدمه المضمون الإسلامي بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، أو لا يخدمه، بيد أنه يجب ألا يخالفه[3].

■ الآلات والأجهزة [illegible] الوسائل [illegible]

وهذه تدخل في عملية أداء الممارسة الإعلامية أو [illegible]، وعملية نشرها وتوزيعها أو إيصالها، أو [illegible] من قبل الجمهور، ويبدو جليا أن هذه الآلات [illegible] بعض الآلات الموسيقية - هي معدات محايدة من حيث [illegible] للشريعة الإسلامية أو عدم [illegible]

■ الدراسات والأبحاث الإعلامية.

ويرى بعضهم أن ما تنتجه الدراسات والأبحاث من نظريات أو قواعد وأصول [illegible] - هي محايدة [illegible] وقواعدها ومفرداتها فهي قابلة للتسخير في صالح الخير والشر[4]. لكننا نرى أنه عند الالتزام بمنهجية البحث العلمي الموضوعي الباحث عن الحق سوف تتجه النظريات والقواعد إلى الفطرة السوية التي هي - في نهاية الأمر - ليست إلا الإسلام القائم على العدل والتوحيد والقيم العليا والوسطية.

■ العقيدة ووسطية الإعلام الإسلامي

[illegible] التوحيد [illegible] الله عن كل مظاهر الشرك هو [illegible] في نطاق الإعلام الإسلامي وهو القاعدة الأساس للعقيدة الإسلامية [illegible] الله خالق [illegible] والإنسان مستخلف في الأرض ومكرم، ومخلوق [illegible] في أحسن تقويم، وهو عبد لله وحده. والعلاقة بين الله والإنسان هي علاقة الخالق بالمخلوق، والمعبود بالعابد، وهي علاقة تتسم بالحب والرعاية [illegible] والعبودية الواحدة [illegible] المستخلف المكرم

[illegible] (الإسراء: ٧٠)

فعبادة الله هي العبادة السيدة للإنسان في الكون، وهي التي تسخر له كل شيء بإذن الله[5].

وبينما يقرر الإسلام - بكل حزم - وحدانية الله واستحقاقه وحده للعبادة والتوجيه فإنه يوفر للإنسان - بهذه العقيدة - الطمأنينة والأمان عوضا عن الخوف والتمزق الروحي:

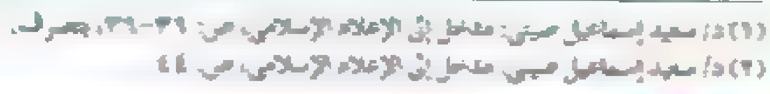
[illegible] (الرعد: ٢٨)

كما أن هذه العقيدة ترتفع بالقلب وتطلعات سامقة وتعده بحياة دنيوية طيبة

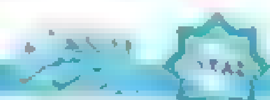
[illegible] (النحل ٩٧)

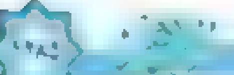
وعقيدة التوحيد - فضلا عن ذلك كله - تحرر الإنسان من الخضوع للآلهة الكاذبة التي تتسلط على حياته، ولذلك عندما تساءل قائلون: وفي هذا العالم المكتظ بسلطات الآلهة الكاذبة المطلقة، هل يبقى أي دور لرسالة الإسلام التي رفضت شعار عدم ألوهية الإنسان، وأنه لا يستحق هذه المنزلة، وأن الله وحده واحد وله الحكم والملك كله؟ يأتينا الجواب صريحا من علي عزت بيجوفيتش قائلا: إننا نرى أن هذا المبدأ الإسلامي الداعي إلى تحرير الإنسان من الآلهة الكاذبة سيظل مبدأ معاصرا لا يعفو عليه الزمن[6].

وليست العقيدة الإسلامية مجرد إيمان عقلي أو وجداني، بل هي تنظيم للحياة وفق شريعة الله، لأن لله وحده حق التشريع حلالا أو حراما:



(١) د/ سيد إسماعيل صبري: مدخل إلى الإعلام الإسلامي، ص: ٣١-٣٦، بتصرف.
(٢) د/ سيد إسماعيل صبري: مدخل إلى الإعلام الإسلامي، ص: ٤٤
(٣) المرجع السابق، ص: ٤[illegible]
(٤) المرجع السابق، ص: ٤٥-٤٦
(٥) المرجع السابق، ص: ٤٥-٤٦
(٦) نقلا عن: د/ عبدالقادر طاش، ص: ٨١





[illegible]
(يوسف: ٤٠)

[illegible] العقيدة [illegible] على [illegible] تنعكس هذه العقيدة على الشريعة، وعلى الولاء والطاعة لما أمر الله به، وحده أوامر الله، والشريعة [illegible] مع بيانها العقلي والمنطقي، وهي التي تبرز الاجتهادات التي تجيب عن كل تطور معتمدة على المصدر الواحد وهو العقيدة ونبعها الذي لا ينضب، وهو القرآن الكريم [illegible].

والعقيدة الإسلامية – في بنائها للحياة – تعتمد على [illegible] وسطية الحل للمشكلة الإنسانية، فالمسلم مؤمن بالله الواحد ومصدق للأنبياء والرسل من [illegible] محمد [illegible] والرسل كافة، وهذه هي شمولية البعد الزماني[7].

وفي البعد المكاني نجد الأرض كلها تعني السكان في مجال العقيدة الإسلامية، فليست لسكان مكان دون مكان ولا لجنس دون جنس ولا لون دون لون. وليست لذكر دون أنثى أو العكس، وإنما مجالها الكرة الأرضية جميعها.

وفي [illegible] الإسلامي [illegible] الذي ارتكز عليه هذا الحل[8].

لقد ارتكزت العقيدة الإسلامية على «وسطية [illegible]» هذه الثلاثية: وهي شمولية البعد الزماني أي التاريخي لعبادة الله وحده. أولا، وشمولية البعد المكاني، حيث إن الأرض كلها مسجد ثانيا، والوسطية بين إشباع مطالب الجسد وإشباع مطالب الروح – ثالثا – هذه الثلاثية هي وصف حقيقي عميق للعقيدة الإسلامية[9].

و[illegible] في الإسلام [illegible] وهي متكاملة مع العقيدة والشريعة – ليست مجرد طقوس [illegible] عن [illegible]، [illegible] هي في جوهرها الوسيلة الرئيسية لليقظة العقلية والحسية، والوسيلة الرئيسية للمحافظة على جوهر العقيدة [illegible] في عقل [illegible] وقلبه بلا إفراط ولا تفريط.

والدعوة الإسلامية هي نتيجة ضرورية للإيمان بالعقيدة والشريعة – وهي تكاد توازي مفهوم الإعلام، لأن الدعوة بالإسلام والتعريف به فرض كفاية في الفقه الإسلامي [illegible] المسلمين [illegible] جميعا، والدعوة جزء من الإعلام الإسلامي.. أو هي الجزء الأيديولوجي «العقائدي» فيه، علما بأن الدعوة لا تشمل وسائل الإعلام فحسب، بل تشمل القدوة الحسنة والإجراءات الاقتصادية المشابهة لدعم المؤلفة قلوبهم وما شابه ذلك[10].

[illegible] التمسك بعقيدة التوحيد بفرض [illegible] منهجية [illegible] للفكر والحياة، أشار إليها الأمير تشارلز عندما ذكر أن التوحيد يؤدي إلى تعلمنا كيف نفهم وكيف نعيش في [illegible] المسيحي الذي يفتقر إلى المسيحية التي [illegible] الإسلام في جوهره [illegible] مدمجة، ويرفض أن يفصل بين الإنسان والطبيعة أو بين الدين والعلم أو بين العقل والمادة، كما حافظ على وجهة نظر ميتافيزيقية موحدة للإنسان وللعالم الذي يحيط بنا[11].

المسؤولية في العقيدة الإسلامية:

تأتي المسئولية في العقيدة الإسلامية بعداً أساسيا يدخل في نطاق الإعلام الإسلامي مرتبطا بالعقيدة الإسلامية التي تغرس في الإنسان المسلم قيمة المسئولية أمام الله وأمام المجتمع المسلم والحياة الإنسانية.. وفي ضوء هذا التأثير العقدي، فإن الإعلام مسئول عن تبصير الناس بالحقائق من منطلق الولاء لله والخوف من حسابه، والولاء للوطن أو للأمة.. فإذا لم يكن هناك ولاء لله، فلا أقل من أن يكون هناك ولاء للوطن والمنهج العلمي والمصلحة العامة.. أما في الإسلام – إعلاما وتربية – فالشعور بالمسئولية أمام الله هو الدافع الأول للالتزام وللشعور بالمسئولية الإعلامية.

وحسبنا أنه من شروط الوصول إلى الإيمان في الإسلام «العمل الصالح» فتعريف الإيمان عند المسلمين «ما وقر في القلب وصدقه العمل»، وهذا هو مظهر المسئولية الأكبر.. وما من آية في كتاب الله ذكرت الإيمان مجردا، بل عطفت عليه «عمل الصالحات»، أو «تقوى الله»، أو «إسلام الوجه لله»، بحيث أصبحت صلة العمل الصالح بالإيمان صلة عضوية.

– وثمة آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد الالتزام بالمسئولية بطريقة مباشرة منها:

﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٥٦)

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)

[illegible] (مريم: ٩٥)

[illegible] (الصافات: ٢٤)

– أما الأحاديث النبوية عن المسئولية وحدودها الاجتماعية فهي كثيرة، ومن أشهر هذه الأحاديث في المسئولية ما رواه ابن عمر – رضي الله عنه – أنه سمع الرسول – ﷺ – يقول: «كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته، قال وحسبته قال والرجل راع في مال أبيه»[12].

وهكذا يكون الإعلامي راعيا مسئولا عن رعيته، وهذه الرعية قد تصل إلى عدد من الملايين [illegible] عبء يتحمله الإعلامي إذن؟ إنه عبء ثقيل.. وإنها لمسئولية كبرى!

ويقين – فإن للعقيدة الإسلامية – تأثيرها القوي – في وجدان الإعلامي المسلم وأقواله وأفعاله – إذا ما كانت هذه العقيدة قد دخلت إلى أعماقه صحيحة فاعلة خالية من الشوائب ونزعات التواكل والسلبية.

---

(7) د. محمد سيد محمد [illegible] الفكر العربي [illegible] ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م ص ٥٠
(8) المرجع السابق ص ٥٠
(9) المرجع السابق ص ٥٠
(10) د. محمد سيد محمد: المسئولية الإعلامية في الإسلام، ص ٥٢، ٥٣
(11) علا عن عبدالقادر طاش، مرجع سابق ص ٧٨
(12) صحيح البخاري.

إساءات الغرب للإسلام لن تتوقف وعلينا وضع استراتيجية للحد منها

للأستاذ / عاطف مصطفى

الحرص على دراسة ظاهرة الإعلام الغربي، [illegible] الإسلامي [illegible]
الله عليه وسلم تدعونا [illegible] الذي يمثل [illegible]
أكسبه قدرة ملموسة على الاستقطاب والتأثير [illegible] في دعم
المذهب التي يؤمن بها، وأضحى الإعلام خاصة الغربي [illegible] الأوروبي
توفرت لوسائله من [illegible] والتحديث [illegible] ليكون سلاحاً [illegible]
يتعدى دوره الترويجي والإخباري [illegible]
ليس في المجتمع الغربي فقط بل في كافة [illegible] المجتمع الإسلامي

وصح قول القائل من يملك الإعلام في هذا الزمان فإنه يملك زمام الشعوب.

ومنذ زمن تنزل القرآن الكريم وبعثة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، كانت هناك وسائل إعلامية معادية للإسلام، دأبت على حربه وتشكيك أهله، ومع تنوع صورها ووسائلها إلا أنه قد جمع بينها رابط الكيد والعداء للإسلام، فضلا عن الكذب والخداع وتشويه الحقائق كما نراه الآن في صحف الغرب وفي أوطان بعينها دأبت على الإساءة لنبينا الكريم واتهمت الإسلام بالإرهاب، وبأن الإسلام لم ينصف المرأة وجعلها مهمشة، فلا هي ترث ولا يستأنس برأيها في الشهادة، وإن كان فعلى النصف من الرجل، فضلا عن أن الزوج يتزوج عليها أكثر من واحدة!

كما يتشدق الإعلام الغربي بحقوق الإنسان، ونسوا أن الإسلام هو أول دين يعترف بحقوق الإنسان وقالوا إن هذه الحقوق مستحدثة والفضل فيها يرجع إلى المنظمات الحقوقية المنتشرة في أرجاء العالم.

في العدد الماضي تناولنا بعض الجلسات الخاصة بمؤتمر «الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة إلى الدين» والذي عقد مؤخرا باليمن. ونتوقف هنا عند قضايا عديدة أثيرت من خلال الأوراق والبحوث التي قدمت خلال جلساته. خصوصا أن ظاهرة الإساءة إلى الإسلام ليست بالأمر الطارئ. كما أسلفنا. ولكنها تتجدد بعنف ربما منذ منتصف القرن الماضي وحتى الآن. هذه الإساءة أدت إلى ظاهرة «الإسلامفوبيا» كما تسمى في الغرب الآن. وفي الولايات المتحدة بشكل خاص!

يشير الكاتب محمد السماك الأمين العام للقمة الروحية الإسلامية في بحثه بعنوان «دور الإعلام في مواجهة الإساءة إلى الإسلام» مبينا تحديد مظاهر وأسباب الإساءة إلى الإسلام ومنذ بزوغ فجر الإسلام وهم في الغرب يحاولون العمل على تحقيق الهدف المقدس من الحروب الصليبية، وتحويل الشرق إلى المسيحية وربطه بالغرب، وإلى الأبد وصولا إلى العصر الحديث.

«ثقافة كراهية الإسلام»

فقبل وفاة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون صدر له كتاب عنوانه «اقتناص اللحظة»، كشف فيه بكثير من الوضوح عن ثقافة كراهية الإسلام فقال في الصفحة (١٩٥) من هذا الكتاب:

«يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة، وإن نمو عدد أتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيسياً، وإن الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعنيف. إن وجهة النظر هذه. يضيف نيكسون. تعتبر أن الإسلام والغرب على تضاد، وأن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه يتألف من معسكرين، لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام، ودار الحرب».

كما عكس نيكسون في كتابه صورة بشعة عن العالم الإسلامي عندما قال في (ص ١٩٤): «إن معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، قذرين، برابرة، غير عقلانيين، لايسترعون

الستينات. إلا أن الخط خالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط.

وأيضاً بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي وحل حلف وارسو. جرى تصعيد متعمد لعدوانية الغربية ضد الإسلام، حتى أن «هيلموت سونتفيل» مدير معهد بروكنجز في واشنطن قال: «إن حلف شمال الأطلسي سوف يعيش. وإن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة. وستبقى هذه المجموعة متماسكة معاً من خلال الشعور بخطر خارجي المتمثل من الفوضى أو التطرف الإسلامي». ويعزى هذا التطرف الإسلامي دائماً وباستمرار إلى نصوص قرآنية، مع استبعاد أي عامل سياسي أو اجتماعي آخر.

ويعرض البحث نماذج من كراهية الغرب للإسلام من خلال إعلامهم وكتبهم ومؤتمراتهم. ففي ربيع سنة ١٩٩٠ ألقى هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التي يتحتم على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب». وفي نهاية الستينيات قالوا: إن أخطر التحديات للغرب ستأتي من ناحيتي الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط.

وكانت مجلة الأيكونوميست البريطانية المعروفة برصانتها قد نشرت في الوقت نفسه على غلافها موضوعاً بعنوان: «الإسلام الأيديولوجية البربرية المعادية للغرب». وهذه الأيديولوجية قائمة على القرآن الكريم وعلى التزام المسلمين به.

ويتعرض البحث لنماذج من صحافة الغرب حيث يشير إلى دراسة نشرتها مجلة ألمانية متخصصة في الدراسات الاستراتيجية إثر انتهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية في عام ١٩٩٠ أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسي «ون كلايس»: لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نتخلى عن خلافاتنا وخصوماتنا السابقة، وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعاً وهو الإسلام. إن الأصولية الإسلامية هي على الأقل في مستوى خطورة الشيوعية سابقاً. ومن شأن هذه المقارنة أن تقدم للغرب القرآن الكريم على أنه مماثل «للمانيفستو» الشيوعي. وبالتالي فإنه كما كان كارل ماركس ولينين مصدر الخطر على الغرب والرأسمالية، كذلك هو الإسلام ممثلاً بالقرآن والنبي محمد عليه السلام.

صراع المجابهة مع الإسلام

ويواصل الغربيون نظرتهم السوداء للإسلام.. ففي يونيو من عام ١٩٩٤ انتهت مهمة الجنرال جون كالفان القائد الأعلى لقوات حلف شمال الأطلسي. وفي الاحتفال التكريمي الذي أقيم له في بروكسل، ألقى كلمة تحدث فيها عن الآفاق المستقبلية للحلف ولدوره. تستوقفنا من كلمته هذه العبارة الآتية: «لقد ربحنا الحرب الباردة. وها نحن نعود بعد ٧٠ عاماً من الصراعات الضالة إلى محور الصراع القائم منذ ١٣٠٠ سنة. إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام».

الصحوة في طريقها للظهور:

ولو وصلنا إلى المحاولة الإرهابية الأولى التي استهدفت برجي التجارة العالمية في نيويورك في عام ١٩٩٣. فقد نشرت مجلة نيوزويك الأمريكية بتاريخ ١٥ مارس ١٩٩٣ دراسة مطولة نشرت على الغلاف كما يلي: «الرعب القادم، الإرهاب اليوم: الدور الإسلامي» وقد تصدرت الغلاف صورة لشاب ملتح يحمل صفحة من القرآن الكريم مكتوباً عليها الله محمد.

وفي ذلك الوقت دعا رئيس مجلس النواب الأمريكي السابق نيوت غينغريش الغلمي إلى وضع استراتيجية متكاملة لمحاربة التوتاليتارية الإسلامية».

أيضاً يلاحظ المفكر الأمريكي صموئيل هنتنجتون في دراسة نشرتها مجلة الشئون الخارجية (فورن أفيرز) الأمريكية، ونقلت مقتطفات منها صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية (عدد ٨ ٩ ١٩٩٣) إن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية تفصل الشعوب عن هويتها المحلية. وفي معظم أنحاء العالم يتقدم الدين لملء هذا الفراغ. على يد حركات غالباً ما تتصف بالأصولية كالمسيحية الغربية واليهودية والبوذية والهندوسية والإسلام.

وفي مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الأمريكية (٢٨ ٦ ١٩٩٣) سألت المجلة البروفيسور هنتنجتون: إنك تؤكد أن الصراع المقبل الذي سيواجهه الغرب سوف يأتي من العالم الإسلامي. لماذا؟

أجاب هنتنجتون على السؤال بقوله: إن الإسلام هو الديانة الأشد صراحة في العالم خارج المسيحية. لا يوجد فصل بين الدين والسياسة.

ثانياً: هناك شعور بأن العالم الإسلامي قد تعرض للضرب، واستغل على يد الغرب، وأن ثمة نوعاً من الصحوة في طريقها إلى البروز مصدرها القرآن.

إن الصراع سيأخذ عدة أشكال والواحد منا لا يريد أن يظن بأن هذا يعني قيام حرب ماحقة بين الإسلام والغرب.

حملات لا تتوقف ضد الإسلام

ظاهرة الإساءة للإسلام في الغرب عبرت عن نفسها في العديد من الكتابات الصحفية والنشرات والتعليقات الإخبارية، كما تجلت في إصدار مؤلفات أو إعادة نشر مؤلفات أخرى هاجمت الإسلام وعبرت عن كراهيتها له.

ويشير بحث بعنوان «الأطماع السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي وأثرها في تأسيس الإساءة» للدكتور جعفر عبدالسلام: لعل من أشد الظواهر التي عبرت عن هذه الإساءة تلك المحاضرة التي ألقاها بندكت السادس عشر في جامعة ريجنزبورج اللاهوتية بألمانيا مسقط رأسه في يوم السادس عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠٦ في ذكرى ضرب برجي التجارة العالميين في نيويورك من قبل من يزعمون أنهم جماعات إسلامية، بل في نفس اليوم الذي كان يعقد فيه مؤتمر دولي في كازاخستان لزعماء الأديان العالمية من أجل تعميق الحوار والتفاهم بين كافة الأديان.

إن هذه الحملة ضد الإسلام والتي تتهمه بالإرهاب وتتهم أهله بالتحجر والجمود وكراهية الآخر، بدأت تتزايد بشكل كبير حتى أنه لا يمر يوم دون إضافة تهم وأوصاف جديدة تنال من الإسلام وأهله.

والواقع أن هذه الادعاءات تسيء إلى الإسلام والمسلمين وتؤدي إلى تأجيج الكراهية لهم، مما ينذر بعواقب سيئة على العلاقات الدولية، والعلاقات مع الغرب على وجه الخصوص، وإلى فتح ملفات مغرضة تسيء إلى الدول الإسلامية وعلاقاتها بالمجتمع الدولي كذلك. والسؤال الذي نطرحه هنا، متى بدأت هذه الظاهرة والتي تثير تساؤلات كثيرة ويجيب عنها الدكتور جعفر عبدالسلام في بحثه. حيث يشير إلى أن ظاهرة الإساءة للإسلام ظاهرة قديمة ولكنها تتجدد في ظل تطور وسائل الإعلام وثورة الاتصالات والمعلومات التي اجتاحت عالمنا.

وبقدر ما كانت ثورة الاتصالات والمعلومات برداً وسلاماً على البشرية، بقدر ما أدت إلى نتائج بالغة السوء على أجزاء كبيرة من العالم.

وبالنسبة لعالمنا الإسلامي فإنه قد أصبح بالإمكان تبليغ دعوة الإسلام بسهولة ويسر إلى كل مكان.

أطماع يسيل لها لعاب الغرب!.

فمنذ توسعت الفتوحات الإسلامية في العالم ظهرت الأطماع السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي، نظرا للموقع الاستراتيجي، حيث تقع البلاد الإسلامية في وسط الكرة الأرضية، وبالتالي فإنها تتحكم بأهم الممرات المائية والبرية والجوية في العالم مثل مضيق جبل طارق ومضيق هرمز وقناة السويس ومضيق عدن وغيرها.

والمقومات البشرية في عالمنا الإسلامي تجعل الغرب حاقدا علينا حيث يمتد العالم الإسلامي على ما يزيد على: ١٩ ألف كيلو متر مربع وهو ما جعله أكبر تجمع سكاني يتوزع على أربع قارات، غير أنها تتركز أساسا في قارتي أفريقيا وآسيا، كما يبلغ عدد سكان العالم الإسلامي مليارا و٣٦٢ مليون نسمة من مجموع سكان العالم البالغ حوالي ستة مليارات نسمة

ويشير د. جعفر عبدالسلام في القسم الثاني من الدراسة: «الحملات الصليبية نموذج صارخ للأطماع الغربية» إلى كلمات بطرس ناسك «إن العالم الإسلامي هو الذي يفيض لبنا وعسلا».

وهذه الكلمات تفسر الدور الأقوى للحملات الصليبية على العالم الإسلامي ومن بعدها الاستعمار البغيض الذي جثم على الشعوب لنهب الثروات وظلم الإنسان المسلم وحرمانه من التمتع بحريته وثرواته ورغم العداء التاريخي بين اليهودية والمسيحية، إلا أننا نجد اتحادا حديثا بينهما في مواجهة الإسلام وانتشاره.

إن الإعلام الإسلامي في ظل تلك الحملات الظالمة مدعو الآن وأكثر من أي وقت مضى إلى أن يرتفع إلى مستوى الرسالة التي يحملها، وإلى مستوى التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي، وأول مستلزمات الاستجابة إلى هذه الدعوة، الجمع بين الإيمان السليم والقوي من جهة، وبين فن الإعلام ومهنيته وآلياته الحديثة من جهة ثانية.

فالإعلام فن قائم بذاته وهو صناعة عصرية في آن، وعندما يكون الإعلام الإسلامي إسلاميا، بمعنى أن يكون مؤتمنا على رسالة دينية، فإنه يصبح على درجة كبيرة جدا من المسئولية، ففي فشله إساءة إلى الإسلام، ولعلاقة الإسلام بالعالم، وفي نجاحه نجاح للدعوة إلى الله.

بين ثقافة النقد وثقافة النقل في التراث الإسلامي

للأستاذ / محمد مصطفى البسيوني

[illegible] لتخصية، وتسير الأمم الى الامام

[illegible] نور منذ مئات من السنين

ولئن كان فلاسفة اليونان قد أخذوا فكرة «النقد ووجهة النظر» من الصدامات والحروب الطاحنة التي دارت بين آلة الحرب المتغطرسة في «اسبرطة» وبين آلة الجد الأحمق العقيم في «أثينا»[2] فإن فلاسفة المسلمين قد أخذوا فكرة «النقد ووجهة النظر» هذه عن الآيات المحكمة المنزلة عليهم من لدن حكيم عليم عندما كان القرآن الكريم يلحي بالـلائمة على الكفار لتقليدهم الأعمى لآبائهم، وأخذهم عن أسلافهم دون سبب معقول أو سند مقبول، وكان القرآن يمد لهم قائلاً:

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(البقرة: ١١١)

فهم يقلدون لمجرد التقليد، ويجنحون إلى سهولة المحاكاة بدلاً من إعمال الفكر قائلين في صلف وعناد:

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١٠٤)

وقد أعماهم عن الحق مبلغهم الأحمق إلى ما يسميه علماء الاجتماع «عادة الأسلاف».

ولقد كان غريباً مفرطاً في الغرابة أن تنحو هذه العقول التي كانت تجد في الجدل وصناعة الكلام مثل هذا الاتجاه نفسه. إذ لو أنهم كانوا ذوي عقول تافهة أو أحلام هشة لما أنزل عليهم الحق تبارك وتعالى هذا القرآن المعجز العظيم بالمستوى الذي يتحدى جدلهم بالقول المفحم، ويتحدى كلامهم بالمعنى الملجم. حتى لم تمض فترة وجيزة حتى كشفت أنوار القرآن عن أصالتهم بين مقتنع مجيب وبين عتل مريب.

ولم ينكر الإسلام على هؤلاء تأثرهم بالأجيال السابقة إنكاراً تاماً، وهنا تأتي فكرة «النقد» أي «الكشف عن الإيجابيات والسلبيات».

فيقول النبي ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1] أي أنه كانت هناك أخلاق كريمة ولكن شابتها الشوائب وحامت حولها الشبهات فجاء الإسلام لينقي هذه الخصال الأخلاقية الكريمة من تلك الشوائب، ويمسح عنها تلك الشبهات، كما فعل القرآن الكريم عندما تدرج وفق الطبيعة البشرية في تحريم الخمر والميسر.

وكم يحدثنا التراث العربي عن أصحاب الخُلق الكريم الذين لم يشهدوا ظهور الإسلام مثل «حاتم طيء» الذي عُرف «بحاتم الطائي»، وكيف ضُرب به المثل في إكرام الضيف حتى لقد كان يعتق عبده إكراماً لضيفه وقد اشتهر عنه حديثه إلى عبده قائلاً:

أوقد «أي النار» فإن الليل ليل قرُّ
والريح يا غلام ريح قرُّ

---

(١) [illegible]

(٢) على يد جماعة السوفسطائيين.

(١) في رواية «بعثت لأتمم حسن الأخلاق» عن أبي هريرة وغيره. [illegible]

إن جَلَيتُ «أي النار» ضيفًا فأنت حرٌّ.

إشارة إلى أنهم كانوا يوقدون النار ليلا فوق الجبل حتى تهتدى بها القوافل والأفراد فيستضيفهم صاحب النار، ويفسح لهم فى الدار.

ومن هنا قالت الخنساء رضى الله عنها أم الشهداء الأربعة فى الإسلام وهى ترثى - فى الجاهلية - أخاها غير الشقيق (صخرا) بما لم يعرف الشعر العربى فى الرثاء مثله:

وإن «صخرا» لتأتم الهداة به.

كأنه علم (أى جبل) فى رأسه نار.

فانظر إلى الإسلام ماذا فعل مع ابنة حاتم الطائى عندما أخذت ضمن الأسرى فى إحدى الغزوات فأكرمها النبى ﷺ وقال فى أبيها خيراً، ذلك الكريم الذى عاتبته زوجه لبسط يده بالمال للآخرين فرد عليها قائلا:

«أماوىّ».. إن المال غاد ورائح

ويبقى على الناس الأحاديث والذكرُ

وقد بقى فعلا ذكر حاتم ولم يبق ماله.

فالإسلام إذن لا يمزق الوشائج بين الأجيال، ولا يقطع الصلة بين الأرحام، ولايضعف العرى بين الأقارب فهو الذى يحض بكل قوة وحماس على صلة الأرحام سواء فى القرآن الكريم أو السنة المشرفة، ألم ينذر القرآن الكريم قاطعى الأرحام بقوله العزيز:

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

(البقرة: ٢٧)

ثم ألم يمنع النبى ﷺ عبدالله بن أبى بن سلول من قتل أبيه المنافق عندما طلب عبد الله رضى الله عنه ذلك من النبى ﷺ حتى لايحمل دم أبيه إذا قتله غيره، فإذا بالنبى ﷺ يمنعه حتى لا يقال إن محمدا يحرض الأبناء من أصحابه - رضى الله عنهم - على قتل آبائهم، وذلك برغم ماكان عليه أبىّ بن سلول من النفاق القاتل، والحقد الدفين والمين على محمد ﷺ وأصحابه، وموقفه فى غزوة «أحد» معروف عندما خرج مع المسلمين قاصدين ساحة أحد ثم رجع مع عشيرته من منتصف الطريق، فاستحق لعنة الله التى حلت به وبأمثاله من المنافقين الذين هم فى الدرك الأسفل من النار، والذين ألهبهم القرآن الكريم بالغضب واللعنة فى سورة «براءة» التى تسمى كرما من الحق وفضلا بسورة «التوبة» حيث يخاطب المولى عز وجل حبيبه ﷺ خطابه الحكيم في شأن هؤلاء

﴿[illegible]﴾

(التوبة: ٨٠)

وهكذا نرى الإسلام لا يقبل تبعية الأجيال وطاعة بعضها البعض تبعية حمقاء أو طاعة عمياء، كما أنه لا يرفض وفاء الأجيال بعضها لبعض، وتمثل الجيل اللاحق لخطوات الجيل السابق طالما كان معيار هذا التمثل هو طريق الحق والهدى والصواب.

ولو كان الإسلام يرفض الماضى كله إذن لرفض الكتب السماوية السابقة، ولنأى عن مسيرة الأنبياء والرسل السابقين، ومعاذ الحق، وحاشا للإسلام أن يحدث ذلك ويكفي فى هذا السياق أن يشبه الرسول الكريم ﷺ من سبقوه من الرسل باللبنات التى يقوم عليها البناء إلا لبنة واحدة فيقول ﷺ عن نفسه «أنا هذه اللبنة» مشيراً إلى الاتساق والاتفاق بينه وبين إخوانه المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، ومشيرا كذلك إلى أن دين الله دين واحد، وإن تعدد حملة رسالته إلى البشر بتعدد الزمان والمكان.

وإن التواصل (المستنير) بين الأجيال والذى دعا إليه الإسلام كتاباً وسنة هو ما يحتاج إليه المسلمون أشد الحاجة اليوم ولا سيما فى زحام التغيرات (المادية) التى تطرأ على المجتمعات كل يوم بل فى كل ساعة، مما كان له آثاره (المعنوية) التى تخشى أن تجنح بالأجيال على شاطئ غير أمين، وبر غير مأمون.

ولو أن علماء الإسلام السابقين اعتمدوا على ثقافة النقل وحدها لما تعددت المذاهب الفقهية، ولما اختلفت تفاسير القرآن الكريم وفقا للقواعد والمبادئ والأسس التى يحيط بها المتخصصون، ولما كان هناك مبرر لمبدأ الاجتهاد والقياس.

ومما لست أنساه من مأثورات شيخنا العلامة المجدد الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله - أن الرسول ﷺ كان أقدر الناس وحده على تفسير القرآن الكريم إذ عليه أنزل وبه عمل، ولكنه ﷺ أراد بوحى من الحق أن يترك هذا لأخيار المسلمين حتى يعملوا عقولهم المؤمنة البصيرة ويشحذوا قرائحهم الموقنة المنيرة ويستلهموا مدد المولى سبحانه وتعالى فى تأكيد الحقيقة العظمى أن القرآن هو كتاب كل زمان ومكان إلى

*) شرفني الحق سبحانه وتعالى بالعمل فى معيته [illegible] فيما بين ١٩٥٩، ١٩٩٣ بالبعثة التعليمية المغربية

أن تقوم الساعة، ويستنيروا بهدى القول النبوى الكريم «أنتم أدرى بشئون دنياكم» وقوله ﷺ «أهل مكة أدرى بشعابها» ولقد فتحت ثقافة النقد فى التراث الإسلامى مغاليق العقول فتفتقت عن علوم ومعارف لم يكن للعالم آنذاك عهد بها وإلا فكيف دحض الحسن بن الهيثم رائد علم الضوء فكرة أرسطو «أن العين ترى بسقوط أشعتها على الجسم» فقال ابن الهيثم بخطأ ذلك لأن هذا معناه «أن العين يمكن أن تبصر فى الظلام» وأبدع فكرته عن الإبصار «بأن العين ترى بسقوط الأشعة من الجسم عليها» وذلك فى كتابه الشهير (المناظر). وأيضاً كيف اكتشف العالم المسلم ابن «النفيس» الدورة الدموية الصغرى وهو الكشف الذى انتحله فى الغرب «هارفى» فيما بعد فى غفلة من المسلمين الذين كانوا قد آثروا فى هذه الغفلة ثقافة (النقل) السهلة الميسورة التى تكاد لاتعى دعوة الخلاق العظيم:

﴿ قل سيروا فى الأرض ﴾

(الأنعام: ١١)

وذلك فى مواقف عدة فى القرآن الكريم.

وقد ساعد على ذلك أن المجتمع المسلم كان مصدرا للثقافة والحضارة معا إلى غيره من المجتمعات قبل أن يصبح هذا المجتمع المسلم مستوردا من غيره لكل شىء بما فى ذلك «الحضارة والثقافة» وكان لابد أن يحدث ذلك حيث إن النهر فى مساره يتجه دائما إلى مهابط الفراغ.

وينبغى فى هذا الصدد أن نذكر أن علماء الاجتماع يقولون إن كل مجتمع له جانبان: جانب مادى (ويسمونه بالجانب الحضارى)، وجانب معنوى (ويدعونه بالجانب الثقافى) ثم يقررون أن الجانب المادى هو أسرع تغيرا من الجانب المعنوى لأن (المادة) شىء ملموس محسوس يلمسه البشر بسرعة ويحسون فوائده وعوائده فى الحال، كتغير وسائل الاتصال التى تدخل اليوم كل خطة فى مجال قوله تعالى:

﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾

(النحل: ٨)

بينما تتباطأ التغيرات المعنوية (الثقافية) لأنها ترتبط بالموروثات الفكرية التى قد تنفر من أى تغير يطرأ عليها. وقد قيل «إن المرء عدو ما يجهل». فأنت قد ترى إنسانا يمسك فى يده (بالمحمول) ويمشى به فى الشارع متبخترا ذهابا وإيابا، ثم تبحث عن الذى يحكيه هذا الإنسان لحدثه عبر هذا (المحمول) فتجده كلاماً قد ينم عن فكر سطحى أو «ثقافة» هزيلة.

ويسمى علماء الاجتماع تغير الحضارة المادية بطريقة أسرع من الثقافة المعنوية بالتخلف الثقافى أو الفجوة الثقافية.

وهذا التفاوت بين الحضارة والثقافة لم يظهر فيما مضى فى المجتمع الإسلامى الذى كانت تشرق عليه شمس النهضة الحقيقية حيث كانت الثقافة المعنوية المتمثلة فى تغلغل تعاليم الإسلام فى عادات القوم وتقاليدهم وأعرافهم بل وعلومهم واتجاهاتهم وأفكارهم وعلاقاتهم وأساليب تربيتهم لأبنائهم وبناتهم وغير ذلك من الأساليب اليومية للحياة. كانت هذه كلها مواكبة لما كان المسلمون يصطنعونه من وسائل مادية سواء فى المسكن أو المدرسة أو المسجد أو المختبر أو أدوات الطعام والشراب وغير ذلك من (تقنيات) مادية آنذاك.

ولم يشك مسلمو تلك العصور السالفة من أنهم يعانون من التخلف الثقافى أو «الفجوة الثقافية» لأن الإسلام قد رباهم على أن المجتمع المسلم متكامل الثقافة والحضارة جميعاً، وأن هناك اتساقاً بين مقومات المجتمع المسلم ومقومات الشخصية الإنسانية المسلمة.

وإذا عدنا مرة أخرى إلى علم الاجتماع نراه فى هذا المجال يصطنع مصطلحين أحدهما «الاستعارة الثقافية» والآخر هو «الاقتباس الثقافى». والاستعارة الثقافية هى تناقل الخبرات الثقافية والأفكار بين المجتمعات فى أخذ وعطاء دون استغراق أحد هذه المجتمعات فى كيان غيره بما يهدد بمحو هويته وشخصيته.

أما الاقتباس الثقافى فإنه يشير إلى اعتماد مجتمع على غيره ثقافيا بحيث يتسم غالبا بالأخذ دون العطاء

فأين يا ترى نريد نحن أن يكون موقعنا بين هذين المصطلحين؟؟؟

وليس شك في أن كلا مما تمتزج لديه مشاعر الحنين و«الأنين» إلى التربية المثلى التي دعا إليها الإسلام في «إعلان حراء» على لسان جبريل عليه السلام و «إعلان عرفات» على لسان محمد ﷺ وإلى أن تقوم الساعة. وهي التربية التي تطبع (ولا تصنع) المسلم على الفكر (الناقد) المميز بين الغث والسمين، بدلا من الفكر (الناقل) الذى يستسلم أمام موجات الزحف المبهرج والمزركش، والذى يحمل السم في الدسم بنفس الطريقة التي واجه بها المسلمون الأوائل الثقافات اليونانية والفارسية وغيرها فرفضوا منها السقيم وقبلوا منها المستقيم

ومن هنا نرى أن التمييز بين الفكر الناقد والفكر الناقل ليس نهجا تربويا مستحدثا وإنما هو نهج تربوى إسلامى سابق وقد جئنا عليه بأمثلة في مستهل حديثنا هذا حينما ذكرنا موقف الإسلام (قرآنا وسنة) من العلاقة بين الأجيال.

فإذا اتفقنا على هذا كان لابد من القول إن هذا الضرب من التربية لايتم إلا من خلال تشكيل الناشئة الغضة التي أصبحت وحدها هي الأمل (النقي) لعملية إعادة بناء المجتمع من جديد حيث نهيئ لأجيالنا التي (تحبو) اليوم فرص (المشي) الهادف الواعي بعد أن نغذوها بطرق التفكير الرصين وكيفية التعبير السوى المبين. ثم أسلوب السلوك الذى يستبين طريق النور في وسط الظلمات وهو الطريق الذى يرضى الله ورسله والوطن والضمير

وهكذا نتعهد بعون الله سبحانه في هذه «البذور» اليرينة حتى تصير يوما «جذورا» راسخة و«فروعا» قوية و«أغصانا» وارفة تحمل مسئولية المجتمع وترفع راية القيم وتقود من يأتي بعدها إلى سواء السبيل

إن ثقافة النقد التي تشع من بين ثنايا تعاليم الإسلام هي ثقافة الحركة الديناميكية التي تميز بين الخبيث والطيب والتي تفرق بين الزبد الذى يذهب جفاء وبين ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، بينما ثقافة النقل العاجزة عن التفكير والإبداع هي ثقافة البلادة والتخلف والخمول وهي ثقافة السهولة المتراخية التي تعبر عن عقدة (جلد الذات) أحيانا وما يسمى (بعقدة الخواجة) أحيانا أخرى وهكذا

والمجتمع الذى يحيا حياة النقل مجتمع يعطى الاستهلاك كل همه ويميل إلى (الاجترار) دون (الابتكار) ويجنح إلى التقليد دون التجديد وينعكس هذا على أسلوبه في التربية فيميل أبناؤه إلى الصم دون الفهم، والقفز إلى النتائج قبل تفنيد المقدمات. وكثيرا ما يتمرد أفراده على القيم ويتسمون بضحالة الهمم.

ذلك أنهم قد تركوا الضوابط والروابط التي رسمها الحق سبحانه ليكونوا بحق:

[illegible]

(آل عمران: ١١٠)

وإنها لمسئولية تربوية من الدرجة الأولى أن نصوغ شخصية أبنائنا من جديد على ثقافة النقد البناء المستنير الذى هو قيمة كبرى من قيم تراثنا الإسلامى العريق الذى دعا إلى التوكل ونبذ التواكل حين يقول نبينا ﷺ «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»[2]

والتوكل هو أن تعمل بفكر وحساب، وجهد وثواب، آخذا بالأسباب، وإلا فهل تقبل أن تكون أقل مرتبة من الطير التي تبذل الجهد «فتغدو» «خماصا» وتروح «بطانا»

ولقد حاج بعض تلاميذ الشيخ محمد عبده شيخهم الإمام حول هذا الحديث بعد إساءة فهمه ومرماه فأجابهم الأستاذ الإمام «أرأيتم لو أن الطير ظلت في أعشاشها دون غدو ورواح هل كان يمكن أن تشبع بعد جوع»؟

وإن إلقاء هذه المسئولية التربوية برمتها على أجهزة التعليم فقط يعيدنا مرة أخرى إلى ثقافة النقل إذ إن هذه المهمة هي مسئولية كل من له علاقة مباشرة أو غير مباشرة «بالتنمية التربوية» في المجتمع استجابة لحديث النبي ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[3] ولاينبغي في هذا أن نردد التعبير الشائع الذى حملته إلينا الثقافة المعاصرة وهو أن «الكرة في ملعب كذا» لأنه إذا كانت تلك المهمة التربوية الخطيرة بمثابة «الكرة» فإنها تتقاسمها كل الملاعب وتتحملها كل الجهات

(٢) [illegible] «لو أنكم توكلون على الله حق توكله» عن عمر - الجامع الصغير

(٣) عن ابن عمر - الجامع الصغير

مع آيات «التفكُّر» في القرآن والكون

بقلم: أ.د. أحمد فؤاد باشا

في اللغة فكّر، وافتكر، وتفكّر في الأمر أعمل عقله فيه.

[illegible]

وما عدا ذلك جاء على صيغة المضارع، جمع.. مما يعني إشارة واضحة إلى [illegible] **في الإسلام ومدى قيمة الجهد التشاوري والتعاوني فيه**

وعلى مستوى المفهوم يرى أهل الاختصاص أن «التفكر» غريزة فطرية وحاجة عقلية، وضرورة معرفية، يتيحها التعليم والعلم والتجريب. والتفكر عملية وصل بين التصورات والمفاهيم المجردة والمستنبطة من هذه الخبرة بالآخرة، وبين الخالق ومخلوقاته. فالذين يتفكرون يعرفون بتصوراتهم ومفاهيمهم من الغيب في الآخرة، ومن المخلوقات إلى خالقها

ومن الناحية العلمية، فإن «التفكر» يمر بثلاث مراحل، بدءاً بالمرحلة التي تتم عن طريق الإدراك الحسي المباشر بالنظر والسمع واللمس، أو عن طريق التحليل والمعرفة العقلية الموضوعية. ثم ينتقل الإنسان من هذه المعرفة المشتركة إلى مرحلة التذوق عن طريق النظر في جمال التنسيق وعظمة الصنع عبر أحاسيس مرهفة، ومشاعر صادقة. وتنتهي هذه المعرفة إلى معرفة الخالق المبدع وهو الله سبحانه وتعالى[1].

فالنظر في المخلوقات لا يعدو أن يكون مرحلة بدائية يشترك فيها الإنسان والحيوان. كما تكون مرحلة التذوق لدقة الصنع وجمال التنسيق قد تعتري أصحابها بعض الفتور عن إتقانها أو تكرارها، لكن المرحلة الثالثة التي تأتي بربط هذا الإدراك والتذوق بجمال الكون ودقة صنعه بمبدعه جل وعلا، هي النعمة الكبرى التي لا تكون إلا لمؤمن.

ولقد ربط القرآن الكريم في بلاغة معجزة بين النظر إلى آيات الله الكبرى في خلق الكون، وذكر الله تعالى في جميع أحوال الذكر، والتفكر والتعقل وصولاً إلى الإيمان بالله الخالق وباليوم الآخر، والتوجه إليه سبحانه بالدعاء كما هو مع العابد، وأكد في وضوح بيّن أن الإتقان سمة في نسيج محكم يسمه حقائق الكون والحياة.

وحصر ذكر الله بين قوسين محيطين به من التفكر في بديع خلقه، وذلك في قوله تعالى:

[illegible]

(آل عمران ١٩٠ - ١٩٤)

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده، فقال البخاري رحمه الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال:

[illegible]

ثم قام فتوضأ واستن، ثم صلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح[1].

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعدما مضى ليل فنظر إلى السماء، وتلا هذه الآية:

[illegible]

إلى آخر السورة، ثم قال: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن بين يدي نوراً، ومن خلفي نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، وأعظم لي نوراً يوم القيامة»[2].

وعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أعجب ما رأته من رسول الله ﷺ بكت وقالت: كل أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال: «ذريني أتعبد لربي عز وجل»، قالت، فقلت: والله إني لأحب قربك، وإني أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، قالت: فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة:

[illegible]

ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»[3].

وجاء في معنى الآية أن الله تعالى يقول:

---

(١) د. جمال أحمد بشير بادي، ود. مصطفى محمد عجيلي Creative Thinking From Islamic Perrpectrve التفكير الإبداعي من منظور إسلامي، مركز البحوث في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٤م.
وراجع مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد ٤١، صيف ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م
الموقع الإلكتروني http: www.eiiit.org

(١) مختصر تفسير ابن كثير.
(٢) رواه ابن مردويه عن ابن عباس.
(٣) رواه ابن مردويه وعبد بن حميد، عن مختصر تفسير ابن كثير.

﴿ وَالْحَـٰمُوتِ وَالْأَرْضِ ﴾

أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار، وأشجار ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص. ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من طول هذا فيطول الذي كان قصيرا، ويقصر الذي كان طويلا، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال الله تعالى ﴿ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها.

وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾

(يوسف ١٠٥)

ثم وصف الله تعالى أولي الألباب فقال:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم، ويتفكرون في خلق السموات والأرض، أي يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته. وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة. وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة. وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه بكى يوما بين أصحابه فسئل عن ذلك فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر[1].

ومن هنا فأولو الألباب الذين يستحضرون في نفوسهم عظمة الله وجلاله في كل الأحوال

ويتفكرون في خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب قائلين: ربنا ما خلقت هذا إلا لحكمة قدرتها. وتنزيهاً لك عن النقص، بل خلقته دليلا على قدرتك وعلى بالغ حكمتك. فاحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا في طاعتك[2].

ومن الآيات الكونية التي كشف العلم الحديث عن بعض أسرارها ظهور السماء باللون الأزرق في وضح النهار، ثم تحولها إلى اللون الأحمر لأشعة الشمس الأفقي وقت الغروب أو الشروق. فقد اتضح أن اللون الأكثر تشتتا في الطيف الشمسي هو اللون الأزرق ذو الطول الموجي الأقصر. ويحدث هذا بصورة أوضح عندما تكون الشمس في سمت الرأس وكبد السماء.

وتتحول زرقة السماء شيئا فشيئا وقت الغروب أو الشروق، حيث يخترق الإشعاع الشمسي جو الأرض في مسافات طول كثير، ويظهر تشتت اللون الأحمر ذي الطول الموجي الأكبر أكثر من غيره.

ولو ارتفع الإنسان في الفضاء فإنه سوف يمر بطبقات جوية تختلف خصائصها وتتميز بعضها عن بعض. فهو يشاهد السماء تأخذ في الزرقة الشديدة شيئا فشيئا حتى ما يبلغ عتبة الفضاء الخارجي الخالي من المواد التي يتألف منها الغلاف الجوي والأتربة العالقة به بدت له السماء معتمة كأنها ليل حالك السواد على الرغم من سطوع الشمس فوق الأفق.

وينشأ تعاقب الليل والنهار من دوران الأرض حول محورها، ومرجع التفاوت الزمني بين الليل والنهار هو دورة الأرض حول الشمس وميل محورها عن مستوى مدارها، فتختلف الفترات الزمنية لهما طولا وقصرا باختلاف الفصول وعروض البلاد. ومن حكمته جل شأنه أن تعاقب بين الليل والنهار وتراوحهما على فترات قصيرة يؤدي إلى اعتدال في درجة الحرارة، وتنشأ ويبقى فيه الصالحة للحياة والأحياء[3].

والتفكر والتذكر مرادفات كثيرة في القرآن الكريم مثل «النظر» و«التبصر» و«التدبر» و«الاعتبار» و«التعقل» و«التفقه»، وما إلى ذلك من الكلمات ذات الرمز في مجموعها إلى تلك الحركة الذهنية والإدراكية لكل ما في الوجود من آيات ومعجزات تدل على قدرة الخالق الواحد جلا وعلا - وعلى عظمته وحكمته، ولهذا وجه القرآن الكريم النظر إلى ضرورة إعمال العقل والتفكر لفهم التجارب والنواميس الإلهية في الآفاق وفي الأنفس. وجعل التفكر في الأنفس وفي مخلوقات الله تعالى سبيلا إلى الإيمان وسبيلا إلى معرفة الحق، فقال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة الروم: ٨)

ونظرا لأن التفكر والتعقل ومرادفاتهما من الملكات التي وهبها الله تعالى للإنسان وكرمه بها، فقد أولاها الإسلام مكانة سامية ترقى إلى مستوى الفريضة[4]، ولا يأتي ذكرها في القرآن الكريم إلا في مقام التعظيم من شأنها ومن يحسن الانتفاع بها، أو في مقام التنبيه إلى وجوب إعمالها واللجوء إليها للتمييز بين الحق والباطل، أو في مقام الاعتبار الذي يعني النظر في مآلات الأمور وكيفية انتهائها لاستخلاص العظة والعبرة في مسيرة الحياة. قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢١٩، ٢٦٦)

وقال سبحانه:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ١٧٦)

وقال جل شأنه:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام: ٥٠)

وهكذا يصبح كما سبق أن ذكرنا أن التفكر غريزة فطرية، وفريضة إسلامية، وحاجة عقلية، وضرورة معرفية وحضارية، ولهذا فإنه من الضروري إزالة العوائق التي تحول دون التفكر السليم، مثل الجهل، والإعراض عن الحقيقة بعد معرفتها، واتباع الهوى، والتعصب الأعمى، وما إلى ذلك من أمور تتنافى مع خصائص التفكر العلمي السليم[5].

(١) مختصر تفسير ابن كثير.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(١) مرجع سابق.

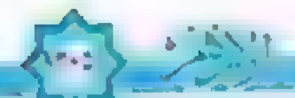
(٢) د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، دار الهداية، القاهرة ١٩٩٧.

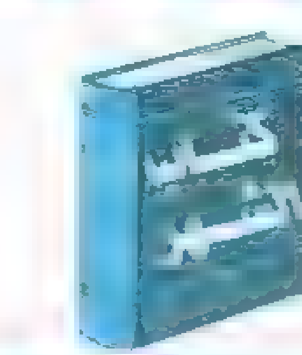
(٣) راجع: عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية.

راجع أيضا: د. عبد الحليم محمود السيد، التفكير الإسلامي: مفهومه وخصائصه وأساليب تنميته في المجتمعات الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، مرجع سابق.

(٤) د. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ١٩٨٤م.

(٥) د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي، دار الهداية، القاهرة ١٩٩٧م.





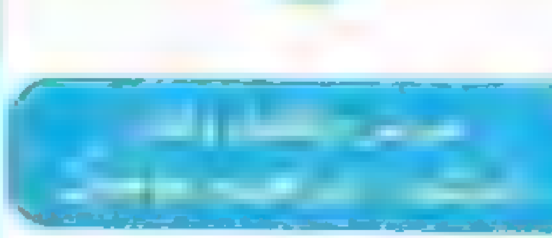
الصهيونية والعنف

من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى

تأليف

الدكتور عبد الوهاب المسيرى





أن يقتل إنسان إنسانًا آخر سعيًا لينهب ما يملكه هذا الآخر من مال أو أرض.. فهو مسلك قد يقبله العقل على مضض، حين يخدعه نزوعه فيعلى من قيمة المال إلى هذه الدرجة!

وأن يقتل إنسان إنسانًا آخر حرصًا منه على أن يسلب منه ما نال هذا الآخر من حظوة أو مكانة، فهذا مسلك قد يجد من المسوغات الخداعة ما يجعله مقبولاً لدى من يعلى من قيمة السلطة إلى هذه الدرجة!

وأن يقتل إنسان إنسانًا آخر نال من رضوان الله تعالى ما لم ينله هو.. فهذا مسلك سبق إليه أحد ابنى آدم حين وجد أن الله تعالى تقبل من أخيه قربانه، ولم يتقبل منه هو ما قدم من قربان. فهو مسلك قد تسوله الغيرة والأثرة التى تهيمن على النفس البشرية فى خطة من خطات الضعف التى تفقدها التوازن!

وأن يقتل إنسان إنسانًا آخر لأنه تفوق عليه فيما ينافسه فيه، ولم يتمكن من اللحاق به. فلم يجد مندوحة فى أن يقدم على قتله، بدلاً من بذل المزيد من الجهد ويخلص نفسه للمنافسة الخلاقة، فهو مسلك من لا يقدر قيمة الخلق ولا يعى دور العلاقة الخيرة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

أما أن يقتل إنسان إنسانًا آخر - لا لسبب من هذه الأسباب الذاتية - لأن هذا الآخر حاول أن يفعل دور الإنسان مع أخيه الإنسان، فأراد أن يأخذ بيده وينتشله من مهاوى الفساد والضياع، ويهديه الصراط المستقيم، مستهينا بكل حاجاته الذاتية، وحظه الشخصية حتى يحقق لأخيه ذلك، دون أن يكون له مطمح فيما يملك. ولا تطمع فى أى شىء مما بين يديه. فهذا مسلك لا يقبله عقل ذى عقل، ولا تسيغه نفس مهما كانت مقوماتها. إلا أن تكون تلك النفس واقعة فى أسر الهوى الشرير، حتى تمكن منها الشر، وطغى عليها، فتحول بها عن الفطرة السوية، وأعماها فلم تعد تجد فى الكون - على امتداده - شريكا لها جوبها وتعدوبه.

ويزداد أمر هذا المسلك سوءًا، وغرابة، وإيغالا فى الشذوذ عن الفطرة إذا أصبح سمة ملازمة، وخصيصة لا تنفك عمن هوى فى دركاتها.. على ما نبهنا إليه القرآن الكريم مما أصاب طائفة من بنى إسرائيل لم ينفك واحد منهم عن استقبال ما من الله به عليهم من هداة وأنبياء ومرسلين كلفهم الله عز وجل - جل وعلا - أن يستردوهم إلى الصراط المستقيم، ويبصروهم بالحقائق الغائبة عنهم، دون أى أجر لقاء ذلك. كما صارحوهم بذلك فى غير مواربة، كما جاء على لسان نوح - عليه السلام - فى قوله تعالى

(هود: ٢٩)

وكما جاء على لسان هود - عليه السلام - فى قوله تعالى

(هود: ٥١)

ولكن شذوذ هؤلاء يذهل كل عاقل متدبر، إذ دفعهم إلى قتل هؤلاء المرسلين والمصلحين فى غير روية ولا تدبر. على ما وصفهم به القرآن الكريم فى قوله تعالى المستنكر عليهم لوقوعهم فى ذلك

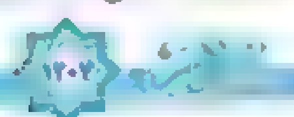
(البقرة: ٨٧)

ومما يضاعف العجب والدهشة من سلوك هؤلاء أن نجدهم يقابلون بقتل الأنبياء وعصيان الله رب العالمين نعمه - جل شأنه - التى حقق بها مسألتهم، كما جاء فى قوله تعالى مذكرا إياهم بما هم عليه من ضعة وسوء مسلك

(البقرة: ٦١)

ولذلك... جردوا اليهود من اليهودية

والدكتور المسيرى يقفنا على بعض مظاهر هذا الشذوذ، ففى الفصل الثانى (العنف والرؤية الصهيونية) يذكر أن الصهيونيين - مع انتمائهم



اليهودية، وعداوتهم لليهود المتمسكين بيهوديتهم - عملوا على استغلال اليهود في تحقيق دورهم الاستعماري، بادئين ذلك بتمييز اليهود عن غيرهم على أساس عضوي، حيث قرروا أن اليهودية ليست مسألة دين، وإنما هي مسألة عرق فحسب، فأساس الهوية اليهودية هو الانتماء العرقي والجنسي، حتى إن القاضي الأمريكي (لويس برانديز) عرّف اليهودية بأنها مسألة تتعلق بالدم.

ولما تحولت الحياة الغربية عن العنصرية كان لابد من العدول عن استخدام كلمة (عرق)، فبدأوا يعرفون اليهودي على أساس إثني يقوم على التراث والثقافة المشتركة، على الرغم من أن التعريف الإثني لا يختلف في جوهره عن التعريف العرقي، فكلاهما يفرز نظرية في الحقوق (العرقية أو الإثنية) تعطي صاحب الهوية العرقية أو الإثنية مزايا معينة، وقوة مطلقة تنكرها على غيره من البشر.

فالصهيونيون يذهبون إلى أن اليهود يتسمون بالنقاء الحضاري والإثني مما يؤكد أن النقاء الثقافي والإثني غير منفصل عن النقاء العرقي.

هذا مع أن هناك ثقافات يهودية مختلفة باختلاف التشكيلات الحضارية التي يوجد اليهود داخلها، فالامتزاج مع الحضارات والشعوب الأخرى ليس أمرًا معيبًا أو مشينًا، فهو قانون الوجود الإنساني.

ولكن الصهيونيين - شأنهم شأن المعادين لليهود - يحاولون خلع صفة النقاء الحضاري والعرقي على اليهود، وفي هذا إنكار لإنسانيتهم، لأنهم بذلك لا ينتزعون اليهود من سياقهم التاريخي المتعين فحسب، إنما هم ينتزعونهم من سياقهم الإنساني الوحيد.

والعنف هو فكرهم ورؤيتهم عن العنف

ويرى الدكتور المسيري أن العنف أصبح إحدى المقولات الأساسية للإدراك الصهيوني للواقع والتاريخ، ويتمثل هذا في رفض الصهيونيين قبول الواقع والتاريخ العربي في فلسطين، فتقديس الذات الصهيونية واليهودية هي مركز هذا الواقع ومرجعيته الوحيدة.

ويرى أن نشأة الصهيونية في تربة أوروبا الاستعمارية التي سادت أوروبا هو الذي أكسبها ذلك العنف، مع تميز عنفها بسمات من أبرزها:

١ - أن الصهيونية تجمع بين الاستعمار والاستيطان الإحلالي الذي لا يتحقق إلا بإجلاء الأرض من سكانها الأصليين مما يتجه إليه من اللجوء إلى أقصى درجات العنف اللفظي والإرهاب الفعلي.

٢ - أن الصهيونية تشكل نسقًا مغلقًا مغلقًا حول نفسه، يخلع القداسة على الذات، ويجعلها موضع الحلول والكمون، ويحجبها عن الآخرين، فيهدر حقوقهم ويبيدهم.

ولهذا تحولت العهد القديم إلى فلكلور للشعب اليهودي، يبرز بعض التي تقوم بقتل وسفك الدم ونهب كل ما تصادف - لأن الإله يحل فيه.

ومن هذا المنطلق أعاد الصهيونيون كتابة ما يسمونه التاريخ اليهودي، فعثروا العناصر الحلولية الوثنية مؤكدين جوانب العنف فيه فصوروا الأمة اليهودية في نشأتها في صورة جماعة محاربة من الرعاة الوثنيين الغزاة، ولهذا لا يتردد (جابوتنسكي) في رفض تاريخ اليهودي الذي يسيطر عليه الحاخامات والمفكرون اليهود.

وغني عن القول إن العنف الصهيوني الإدراكي يصل إلى ذروته في إدراك العرب والتاريخ العربي، إذ يحاول الصهيونيون - بسبب مشروعهم الاستيطاني الإحلالي - أن يلتزموا الصمت تمامًا تجاهه، فلا يذكرونه من قريب أو من بعيد.

ويعد هذا العنف الإدراكي سمة أساسية في التصور الصهيوني للذات، وللواقع، وللتاريخ، وللآخر، وقد يعبر هذا العنف عن نفسه بطريقة مباشرة، كما قد يعبر عن نفسه بطريقة غير مباشرة عن طريق عشرات القوانين والمؤسسات.

وهذا العنف الإدراكي الصهيوني للواقع والتاريخ كان له دوره - كذلك - في العمل على تغيير الواقع ورفض الرؤية اليهودية الحاخامية مستعينين في ذلك بأسلوب (تحديث الشخصية اليهودية) أو علمنتها، فرفضوا دعوة الحاخامات للانتظار في صبر وأناة لعودة الماشيح.

ولهذا اخترعوا فكرة اليهودي الخالص

وانطلاقًا من النظرية (الشعبية الدينية)، والنظرية العرقية (الإثنية) قرر الصهيونيون طرد اليهود من أوروبا، وإحلالهم في أرض فلسطين بعد طرد العرب من بلادهم؛ ليتمكن الشعب اليهودي [illegible] المطرود من أوروبا من الاستيطان في أرض العرب، بعد أن تصبح أرضًا بلا شعب.

ولذلك أطلق الصهيونيون عنصريتهم على العرب وعلى الجماعات اليهودية، على الرغم مما بذلوا - وما زالوا يبذلونه - في سبيل ذلك من ألوان العنف ضد العرب، وضد الجماعات اليهودية كذلك، ويرجع هذا السلوك مما يؤمن به الأوروبيون بمركبهم الاستعماري العنيف من تفوق حضاري عرقي على أعضاء الحضارة الشرقية الذين ورثوا الحضارات الشرقية المتخلفة، وعلى أن هذا التفوق تمثل في بقاء الرجل الأبيض الذي يجعل منه المركزية النهائية للكون والتاريخ، مما يجعل حقوقه مطلقة، وتجب حقوق الآخرين.

ومن هنا اتجه بعض المفكرين الصهيونيين إلى قصر لفظ (يهودي) على اليهود البيض (الإشكناز) وحدهم، لأن طبيعة حياتهم في أوروبا، وما تعرضوا له من اضطهاد قد مكنهم من اجتياز عملية طويلة من الاختيار، وصراع مرير من أجل البقاء، ولذلك كانوا وحدهم - دون اليهود غير البيض (السفارد) - القادرين على حمل عبء الرجل الأبيض، واغتصاب آسيا وأفريقيا.

يضاف إلى أسطورة اليهودي الأبيض - التي اخترعها الصهيونيون - أسطورة اليهودي الخالص التي اخترعوها كذلك، زاعمين أن اليهود يشكلون جنسًا مستقلاً، وليسوا واحدة من سلالات الجنس الأبيض، أو الحضارة الغربية، فاليهودي الخالص غير مرتبط بأي جنس أو حضارة.

ولذلك فهو وحده نقطة الحلول والركيزة

الأساسية للتاريخ والتكوين، وليس الجنس الأبيض – وله وحده حقوق مقدسة وخالدة لا تتأثر بأية اعتبارات أو مطالب تاريخية.

ولذلك.. نصح (مناحم بيجين) بعض الصهيونيين المستوطنين بأن يصروا على أن فلسطين هي أرض إسرائيل، وأن من يدعي أنه صاحب فلسطين فهو غاز مغتصب يجب أن ينزع منه ما اغتصبه، حتى تصح دعواهم: إن فلسطين أرض بلا شعب.

فالصهيونيون لا يكتفون بما استقرت عليه العنصرية الاستعمارية التقليدية من تفوق حضارى، دون أن تنكر وجود الآخر، ولكن عنصريتهم تلك تدفعهم إلى رفض الاعتراف بوجود الآخر حتى تخلص لهم دعوى: (فلسطين أرض بلا شعب).

وفكرة اليهودى الخالص تنبثق عنها فكرة الدولة اليهودية الخالية من أية عناصر غير يهودية؛ ولذلك فهم دائمو التأكيد على قضية البقاء اليهودى من خلال التذكير الدائم بمحاولة إبادتهم (الهولوكوست)، أو من خلال دمجهم في غيرهم وافقادهم الهوية الخاصة بهم.

وتهجير الوجدان اليهودى

وفى الفصل الرابع (الإرهاب الصهيونى ضد اليهود) نبه الدكتور المسيرى إلى أن قيام الحضارة الغربية على هذا قد هيأ الفرصة إلى ظهور (الترانسفير) المستمر، حتى إنها رأت في الجماعات اليهودية مادة بشرية تنقل وتوظف.. نبه إلى قيام الحضارة الغربية على هذا قد هيأ الفرصة إلى ظهور الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة.

وقد وضح هذا في قيام الصهيونية بين اليهود بتهويد الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة، حتى أصبح التهجير والهجرة (الترانسفير) مسألة مطروحة داخل وجدانهم، وحتى أصبحت تلك الصيغة الأساسية الشاملة في جوهرها عملية تهجير (ترانسفير) لمجموعة من المصطلحات والمفاهيم الدينية من مستواها الدينى والمجازى إلى المستوى الزمنى المادى الحرفى، حيث نقلت مصطلح (شعب الله المختار) من الالتزام بمجموعة من العقائد ليصبح شعبا عرقيا، أو مادة بشرية فائضة، ونقلت مصطلح (صهيون) من كونه المكان الذى سيعود إليه (الماشيح) في آخر الأيام ليصبح بقعة جغرافية في الشرق الأوسط ذات قيمة استراتيجية واقتصادية ينهجر إليها الفائض البشرى، ويوطن ويوظف فيها.

وبهذا عملوا على نقل اليهود من المنفى إلى فلسطين، ونقل الفلسطينيين من فلسطين إلى المنفى؛ مستعينين على ذلك بكل الوسائل بما فيه القسر والعنف، والإرهاب؛ متذرعين بما افترضه الصهيونيون من أنهم يعرفون ما فيه صالح أعضاء الجماعات اليهودية، وأن يهود المنفى غافلون عما يحيق بهم من أخطار مادية ومعنوية.

بل إن آلة الإرهاب الصهيونية لم ترحم المهاجرين اليهود أنفسهم. حيث تصدت المنظمات العسكرية الصهيونية لكل من تستشعر منه ميلا معارضا للفكر الصهيونى وللتوجهات الصهيونية السلوكية.

يتبع

حل الدولتين بين الالتزام الأمريكى والتهرب الإسرائيلى

بقلم/ صلاح عبدالرحيم محمد

[illegible] لتطبيق هذه الرؤية

وتحدث الرئيس الأمريكى «أوباما» في جامعة القاهرة، عن حل الدولتين. فقال: «إن الحل الوحيد يكمن في تحقيق طموحات الطرفين من خلال دولتين، يعيش فيهما كل من إسرائيل والفلسطينيين في أمن وسلام، وهذا يصب في مصلحة إسرائيل، ومصلحة فلسطين، ومصلحة أمريكا، ومصلحة العالم» وأضاف «أوباما» قوله: «أنا أنوى شخصياً السعى لبلوغ هذا الهدف بكل الصبر الذى تتطلبه هذه المهمة، فالالتزامات التى وافق عليها الطرفان، بموجب

خريطة الطريق، واضحة من أجل تحقيق السلام». وفي هذا السياق وجه الرئيس الأمريكي «أوباما» حديثه إلى الإسرائيليين قائلاً: «على الإسرائيليين أن يقروا بأنهم مثلما لا يمكن نكران حق إسرائيل في الوجود، لا يمكن نكران حق الفلسطينيين في الوجود» كما تحدث عن عدم شرعية المستوطنات فقال: «إن الولايات المتحدة لا تقبل شرعية استمرار المستوطنات، فأعمال البناء هذه، تنتهك الاتفاقات السابقة، وتقوض جهود تحقيق السلام، لقد حان الوقت لوقف هذه المستوطنات».

واعترف الرئيس الأمريكي في خطابه يوم الخميس ٤ / ٦ / ٢٠٠٩ في جامعة القاهرة بمعاناة الفلسطينيين اليومية من جراء الاحتلال الإسرائيلي فقال: «هم يعانون الإهانة والمذلة اليومية الصغيرة والكبيرة، منها التي تترافق مع الاحتلال» وخاطب «أوباما» حركة حماس قائلاً: «يتوجب على حماس، وضع حد للعنف، والاعتراف باتفاقات سابقة، والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود» هكذا اعتبر الرئيس الأمريكي مقاومة المحتل الإسرائيلي من جانب حركة حماس، نوعاً من العنف الذي يجب التخلي عنه، ورداً على سؤال حول ماذا عن الموقف من حماس؟ أجاب المبعوث الأمريكي لعملية السلام في الشرق الأوسط «جورج ميتشل» قائلاً: «هناك تصريحات مهمة ومثيرة من قيادة حماس، إنما نراقب موقف الحركة. هدفنا إيجاد حل على أساس مبدأ الدولتين، ونأمل في أن تعدّل «حماس» موقفها لتكون جزءاً من الحل، والمضي قدماً للوصول إلى حل الدولتين، ولا شك أن هذا الاعتراف الصريح من الجانب الأمريكي، لأول مرة، باعتبار حماس جزءاً من الحل، وليس جزءاً من المشكلة، أمر يشجع الفلسطينيين على إنهاء حالة الانقسام بينهم، وتوحيد الصف بين حماس وفتح، للتوصل إلى موقف مشترك قبل استئناف المفاوضات مع إسرائيل حول قيام الدولة الفلسطينية المرتقبة.

وقد أقرت إدارة أوباما، إمكان التعامل مع حكومة فلسطينية بها عناصر من حماس، والحقيقة أن هذه الرؤية الأمريكية الجديدة لحركة حماس مثلت ما يشبه الصدمة للإسرائيليين، فحمل «نتانياهو» في المقابل معه إلى واشنطن في زيارته الأخيرة لها، ملف إيران النووي، وحديثا ملتويا عن خطورة برنامجها النووي الذي يُعد التهديد المركزي لإسرائيل والمنطقة كلها، والهدف هو محاولة إقناع

الإدارة الأمريكية الجديدة بأولوية بحث الملف النووي الإيراني، وإرجاء بحث الملف الفلسطيني فيما بعد. ومن هذا المنطلق يرى وزير الخارجية الإسرائيلي «أفيجدور ليبرمان» أن إيجاد حل للبرنامج النووي الإيراني، يجب أن يسبق أي حل للقضية الفلسطينية، ويقول «يسرائيل كاتس» وزير النقل الإسرائيلي في هذا الصدد «ليس للرئيس الأمريكي أية مصلحة في إضعاف إسرائيل، في وقت تفرض حماس، وإيران، وحزب الله الوقائع على الأرض»، كما يذهب محللون إلى أن الخطر الذي تشكله إيران على منطقة الشرق الأوسط، بامتلاكها السلاح النووي، قد لا يكون باستخدامها هذا السلاح ضد إسرائيل أو غيرها، إنما في توظيفها امتلاك السلاح النووي بهدف الهيمنة الإقليمية، وفي ما يؤدي إلى ذلك السلاح من سباق على التسلح النووي في كل منطقة الشرق الأوسط. أما الخطر الإسرائيلي الذي تشكله إسرائيل فهو لا ينحصر في استحواذها على السلاح النووي، وصمت العالم عليه، بلا مراقبة، وبلا محاسبة، بل إن الخطر في تهرب إسرائيل من استحقاقات عملية السلام، ومحاولة التخلص من الفلسطينيين، ومحو تاريخ فلسطين من خريطة العالم، عبر عمليات التهديد، وفي هذا الإطار يرى «إيهود باراك» وزير الدفاع الإسرائيلي ضرورة السير في المفاوضات على أساس حل الدولتين، حتى يمكن – في حالة حدوثه – أن تلعب إسرائيل في اتجاهين، الأول: الإصرار على اعتراف الفلسطينيين والعرب بيهودية الدولة الإسرائيلية والثاني: إقناع واشنطن بأهمية تضامن الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل من أجل القضاء على الخطر النووي الإيراني، واللافت أن القول المسبق بيهودية دولة إسرائيل يعني أولاً استحالة عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم عام ١٩٤٨. وثانياً تهديد الأقلية العربية في إسرائيل بالترحيل من أجل توفير النقاء العرقي اليهودي للدولة العبرية، ولقد بدأ رئيس الحكومة الإسرائيلية «بنيامين نتانياهو» برفع شعار ضرورة اعتراف الفلسطينيين بيهودية الدولة الإسرائيلية قبل استئناف المفاوضات معهم، غير أن واشنطن أصرت على تأكيد رفضها لهذا الشرط الإسرائيلي، وهو ما أدى إلى تراجع مؤقت أمام الضغط الأمريكي، حيث صدر بيان حكومي إسرائيلي أشار إلى «أن الاعتراف بإسرائيل «دولة يهودية» شرط للتقدم في المفاوضات مع

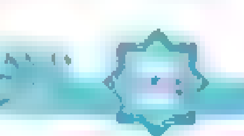
الفلسطينيين من أجل التوصل إلى تسوية سلمية» وأضاف البيان «أن إسرائيل تنتظر من الفلسطينيين أن يعترفوا بها على أنها دولة الشعب اليهودي» وذكر مراقبون في إسرائيل أن وزير الدفاع الإسرائيلي «إيهود باراك» يعارض اشتراط استئناف المفاوضات، باعتراف الفلسطينيين بإسرائيل دولة يهودية. غير أنه يتفق مع رئيس حكومته. على أن هذا الاعتراف ضروري عندما يتم التوصل إلى تسوية سلمية، ومن المعروف أن غاية إسرائيل من اشتراط هذا الشرط هو إسقاط حق العودة، لذلك يأتي مطلب الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، وضم مساحات محددة من أراضي الضفة الغربية «المستوطنات الكبرى»، واعتبار القدس الموحدة العاصمة الأبدية للشعب اليهودي، وإقامة دولة فلسطينية بحيث تكون منزوعة السلاح، وفرض قيود على علاقاتها مع دول المنطقة.

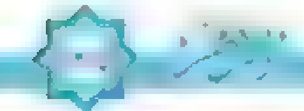
ومن ناحية أخرى أنه مع إعلان الرئيس الأمريكي «أوباما» ضرورة تجميد الاستيطان الإسرائيلي، استعاد «نتانياهو» أسلوبه المراوغ بقوله: «ربما يمكن إزالة البؤر الاستيطانية التي جرى إقامتها بشكل غير شرعي، لكن لا يمكن منع النمو الطبيعي للسكان في المستوطنات الأخرى». وتحدث الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز» عن الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية قائلاً: «إن ثمة قبولاً في إسرائيل بوجوب تفكيك البؤر الاستيطانية غير القانونية، بينما في مسألة البناء في المستوطنات الكبرى لسد حاجات النمو الطبيعي للسكان، فيجب مواصلة الحوار». وأضاف «بيريز» مغالطاً «أن التمحور في قضية واحدة – الاستيطان – من مجمل القضايا التي يجب حلها، لا يخدم العملية السياسية الأوسع، المفترض أن تحدد جدول الأعمال بين إسرائيل وجاراتها»، وعلى الجانب الآخر استدرك وزير الخارجية الإسرائيلية «ليبرمان» بقوله: «أنه لا يمكن فرض سلام، وثمة محاولات لقلب الأمور رأساً على عقب. فيجب أولاً بناء الأسس للسلام، مثلما يتم أولاً بناء أساسات البيت، وليس من السقف، ويرى «ليبرمان» أن الترتيب الصحيح هو «الأمن ثم الاقتصاد المستقر، وبعد ذلك العملية السياسية» وأضاف «ليبرمان» «أن كل محاولة لقلب هذا الترتيب، ستفشل مثلما فشلت سابقاتها».

وفي هذا الإطار كرر رئيس الوزراء الإسرائيلي «بنيامين نتانياهو» رفضه الطلب الأمريكي وقف البناء في المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية المحتلة، واعتبره ضمن «المطالب غير المعقولة» فقال «نتانياهو»: «لا يمكن تجميد الحياة في المستوطنات»، وفي أول ظهور له أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست الإسرائيلي قال «نتانياهو»: «إن إسرائيل لن تبني مستوطنات جديدة في الأراضي المحتلة، وتلتزم تفكيك البؤر الاستيطانية العشوائية، لكننا لن نجمد الحياة في يهودا أو السامرة «الضفة الغربية».

وأضاف «نتانياهو» رداً على ملاحظات لجنة الخارجية والأمن في البرلمان الإسرائيلي حول الطلب الأمريكي بوقف البؤر الاستيطانية غير المرخصة، لكن هناك مطالب منطقية أخرى، وأخرى غير منطقية، ومصير المستوطنات سيتحدد في مفاوضات الحل الدائم» وتساءل هل الطلب الأمريكي، يقتصر فقط على تفكيك البؤر الاستيطانية العشوائية دون المستوطنات الكبرى؟ ومتى سيتحدد بالضبط مصير المستوطنات؟ ومتى يأتي الحل الدائم، إذا كانت إسرائيل تشترط على الفلسطينيين الاعتراف بيهودية دولة إسرائيل قبل استئناف المفاوضات حول حل الدولتين؟ لقد هاجمت زعيمة المعارضة «تسيبي ليفني» رئيس الحكومة الإسرائيلية «نتانياهو» على سياسته. ورأت أنه قد يتسبب في انهيار دبلوماسي، وحذرته من أن «العمل على كسب الوقت سيأتي بنتائج عكسية» وكتب المعلق السياسي الإسرائيلي «بن كسبيت» في صحيفة «معاريف» الإسرائيلية «إن نتانياهو بات يدرك بعد لقائه «جورج ميتشل» ألا مفر أمام حكومته من الاعتراف بمبدأ الدولتين، وعليه سيحاول تغليف اعترافه في المستقبل بدولتين للشعبين بتحفظات كثيرة ومتنوعة، تماماً كما فعل شارون إزاء خريطة الطريق» وأضاف «بن كسبيت» موضحاً النوايا الحقيقية لنتانياهو بقوله: «لا شك أن النتيجة النهائية ستكون الاعتراف بمبدأ الدولتين، وما يحدث الآن هو «مناورة» تتعلق بالتوقيت وليس بالجوهر» وأضاف «بن كسبيت» أن نتانياهو يحاول أن يرهن هذا الاعتراف «حل الدولتين» باعتراف فلسطيني بمبدأ الدولة اليهودية».

وحدد «بنيامين نتانياهو» طبيعة الدولة الفلسطينية المرتقبة في خطابه الذي ألقاه يوم الأحد ١٤ / ٦ / ٢٠٠٩ في جامعة بار إيلان بقوله «تماماً كما يرغبون منا أن نعترف بدولة فلسطينية؛ عليهم أن يعترفوا بإسرائيل دولة يهودية وطبعاً فإن الدولة الفلسطينية يجب ألا تهدد الدولة اليهودية. ومن هنا ضرورة أن



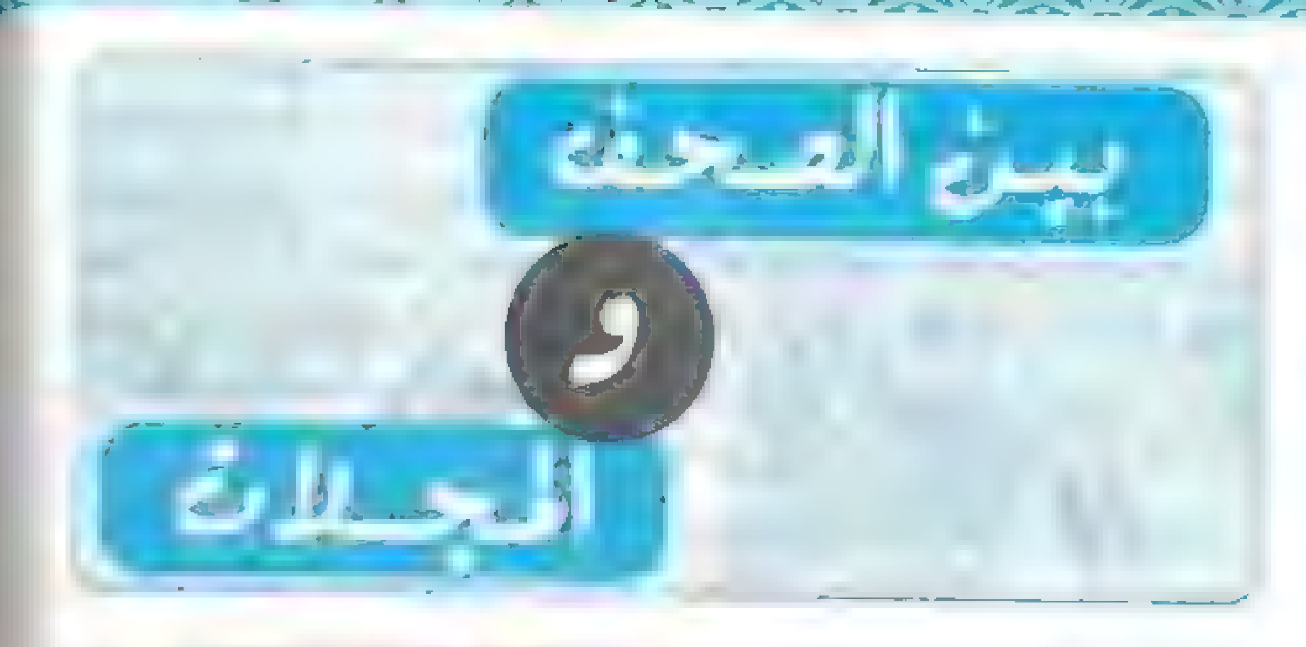


تكون دولة منزوعة السلاح. لقد دافع «نتانياهو» عن الشروط التي وضعها لإقامة دولة فلسطينية، لا تتمتع بسيطرة جوية على فضائها الجوي، ولا بحق إبرام اتفاقات عسكرية، وأن توفر لإسرائيل ضمانات أمنية كافية، إن الحقيقة التي يجب أن يعلمها كل مهتم بالشأن الفلسطيني والإسرائيلي أن الأساس الذي يتبناه رئيس الحكومة الإسرائيلية لإقامة الدولة الفلسطينية، إذا قدر لها أن تكون هو نموذج إمارة «أندورا» التي تحدثت عنه وسائل إعلام إسرائيلية، تلك الإمارة التي تقع جنوب غرب أوروبا، تجاورها من الشمال فرنسا، ومن الجنوب أسبانيا وهي إمارة صغيرة، ليس لها جيش يتولى الدفاع عنها، وبلا سياسة خارجية وتتولى كل من فرنسا وإسبانيا الدفاع عنها، أي إمارة تدين بالولاء لفرنسا وإسبانيا، وبذلك هي إمارة منزوعة السلاح، هذا هو النموذج الذي رسمه «نتانياهو» للدولة الفلسطينية الوليدة، أي دولة بلا جيش، لا تتمتع بأي سيادة ولا تملك من عناوين السيادة غير علم يرفرف عليها، ونشيد وطني يردده تلاميذ المدارس كل صباح، وهو ما تحدث عنه رئيس الوزراء الإسرائيلي في خطابه في جامعة بار إيلان يوم الأحد ١٤ / ٦ / ٢٠٠٩ حينما قال: «إن الإسرائيليين يصرون بالطبع على أن تكون الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح».

وفي تعليقاتهم على خطاب نتانياهو أكد محللون سياسيون في إسرائيل على ثلاثة أمور رئيسية، الأول: إقرار زعيم معسكر اليمين في إسرائيل «بنيامين نتانياهو» للمرة الأولى، مبدأ حل الدولتين، وقبوله دولة فلسطينية منزوعة السلاح، والثاني: أن الخطاب كان صهيونيا بامتياز، وأن مضمونه هو موضع إجماع الأحزاب الصهيونية الرئيسية في الدولة العبرية والثالث: هو أنه مع الشروط التي وضعها «نتانياهو» على الفلسطينيين، لن يتحقق أي تقدم على المسار التفاوضي لأن «نتانياهو» طالب الفلسطينيين عمليا بالتنازل عن مبادئهم الوطنية الأساسية، وعلقت زعيمة المعارضة الإسرائيلية «تسيبي ليفني» على خطاب «نتانياهو بقولها: «إن نتانياهو قام بخطوة في الاتجاه الصحيح، لكن امتحانه سيكون في أعماله لا في كلماته»، وكتب المعلق السياسي في صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية «ألوف بن» معلقاً على الخطاب بقوله: «إن المواقف التي أدلى بها نتانياهو، تتماشى ومواقف غالبية الإسرائيليين. كما تؤكدها استطلاعات الرأي. وفي مقدمتها مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل دولة يهودية. وبأن تكون الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح» وأضاف «ألوف بن»: «إن نتانياهو» لم يتنازل عن أي شيء ملموس في خطابه بل حدد «سقفاً عالياً» لن يتيح أي تسوية، إنما سيديم الوضع القائم» ويرى المحرر الإسرائيلي «ناحوم برنياع» في صحيفة «يديعوت أحرونوت» «أن فرص التوصل إلى تفاهم على إقامة دولة فلسطينية، تكاد أن تكون ضئيلة أو معدومة» وأضاف «برنياع»: «إن نتانياهو وجه كلامه أيضاً إلى أذني الرئيس الأمريكي «أوباما» بعد أن وجد نفسه في طريق مسدود مع الرئيس، لذا كتب الخطاب ليشكل أداة إنقاذ»، وكتبت معلقة الشئون الحزبية في صحيفة «يديعون أحرونوت» «سيما كدمون» معلقة على ما جاء في خطاب نتانياهو بقولها: «إنه على الرغم من أن نتانياهو بدا كمن يتقيأ كلمتي «دولة فلسطينية»، وغلفهما بشروط وتحفظات، لا يبدو أنها ستحقق يوماً، لكنه قالهما». هكذا وصفت «سيما كدمون» ما جاء على لسان نتانياهو من كلمتي دولة فلسطينية، كمن يتقيأ شيئاً كريها من معدته.

وفي هذا السياق اتفق المحلل السياسي الإسرائيلي «بن كسبيت» مع «كدمون»، فقد كتب في صحيفة «معاريف» يقول: «أنه لو كان نتانياهو مؤمنا حقاً بوجود بصيص أمل، في أن يستجيب الفلسطينيون لجزء من شروطه، لما طرحها» وتساءل هل هناك أدق من هذا التحليل الدقيق لما يعتمل في نفس نتانياهو من مرارة تجاه الفلسطينيين، جعلته يضع شروطاً تعجيزية لا يستطيع معها الفلسطينيون الموافقة عليها، لأنها تعارض مع مبادئهم الوطنية؟ وفي الختام يمكن القول أن تمسك إسرائيل بمواصلة البناء في المستوطنات بدعوى تلبية حاجات النمو الطبيعي للسكان، ومطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بيهودية دولة إسرائيل مقابل اعتراف إسرائيل بحل الدولتين، واستمرار الحصار الخانق على قطاع غزة، ما هي إلا عراقيل تصر عليها إسرائيل لتجميد عملية السلام والحيلولة دون قيام دولة فلسطينية متواصلة جغرافياً وقابلة للحياة، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق، هو: هل يمكن للإدارة الأمريكية الجديدة أن تضغط على إسرائيل في اتجاه تطبيق حل الدولتين؟





إعداد الأستاذين: محمد جمعة - علا عبد الرحمن

الرئيس مبارك فى مقال لـ "وول ستريت جورنال" الأمريكية

أوردت صحيفة الجمهورية بعددها الصادر فى ٢٠ / ٦ / ٢٠٠٩م مقال الرئيس محمد حسنى مبارك الذى نشرته صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية قال الرئيس:

جاء خطاب شرم الشيخ لدى القاهرة الرئيس باراك أوباما فى القاهرة بمثابة نقطة تحول فى العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامى، فرسالته كانت واضحة وصحيحة ولا لبس فيها ولا وهى بين قضايا السياسة والسياسات وليس صدام القيم هى التى تفصل بين أمريكا والعالم الإسلامى، وحسم هذه القضايا هو الذى سيسد هذا الانقسام.

وسعى أوباما لاتخاذ خطوات شجاعة التى طرحها الرئيس أوباما خطوات للأمام تخط مسارًا جديدًا فى العلاقات بين أمريكا من ناحية والعرب والعالم الإسلامى من ناحية أخرى والتى تتطلع إلى العمل مع الرئيس أوباما من أجل تحقيق هذا الهدف.

فعلى مدى عقود من الزمن انخرط العالم العربى فى عملية مجهدة من المراجعة للذات حول كيفية مواكبة قوى التغيير التى تعصف داخله تمثل فى ذلك التوقعات المتصاعدة للأجيال الشابة التى تنمو سريعًا، وتصاعد الصراعات الإقليمية التى تزعزع الاستقرار، وتضخم تيار التعصب والتطرف.

مصر فى الصدارة

وقد كانت مصر دومًا فى الصدارة من المواجهة مع هذه التحديات. سواء من حيث كونها أول من بادر بعقد السلام مع إسرائيل، أو التعامل مع مخاطر انتشار أسلحة الدمار الشامل، أو مواجهة خطر الإرهاب من خلال الوسطية والتسامح الديني بشكلان من تراث الدين. وعبر هذه التحديات وما وراءها، عكفت مصر على عملية إصلاح تشهد نجاحًا فى توفير فرص أكبر للشباب، والمزيد من التمكين للمرأة، فضلاً عن المزيد من التعددية والحوار الداخلى. ونحن نقر بصراحة بأن الطريق أمام هذه العملية لا يزال طويلاً حتى تفى تطلعاتنا

التزام.. وتحديات

وقد حان الوقت لكى تحدد الأطراف التعامل مع هذه التحديات العميقة، ومن بين طائفة التحديات التى نواجهها، القضية الفلسطينية التى تتطلب تحركًا عاجلاً نظرًا للحالة الحرجة التى تمر بها عملية السلام بعد سنوات من الجمود وقد أبدى الرئيس أوباما رغبته فى تولى زمام المبادرة من أجل تحقيق السلام فى الشرق الأوسط وعلى العالم العربى أن يرد من جانبه بمبادرة مباشرة

تفاصيل التسوية النهائية معروفة

وأضاف الرئيس مبارك القول:

رغم الانتكاسات التى شهدتها السنوات القليلة الماضية. فمن الأهمية بمكان أن نتذكر أن العديد من عناصر الحل قد تم التفاوض عليها بالفعل، فبعد ما يربو على عقدين من التفاوض بين الإسرائيليين والفلسطينيين منذ بداية عملية السلام، أصبحت العديد من تفاصيل التسوية النهائية معروفة جيدًا، علاوة على ذلك، فإن مبادرة السلام العربية التى تبنتها القمة العربية فى بيروت عام ٢٠٠٢ تطرح إطارًا إقليميًا لمثل هذه التسوية، فلأول مرة فى تاريخ هذا الصراع، تلتزم الدول العربية بالإجماع بالتطبيع الكامل مقابل الانسحاب الكامل إلى خطوط ١٩٦٧ وحل قضية اللاجئين الفلسطينيين من خلال التفاوض.

والآن يتطلب الطريق إلى التسوية النهائية القيادة وتضافر الجهود من قبل كل الأطراف. وقد بذلت مصر على مدى السنوات القليلة الماضية جهودًا مضنية لتوحيد القيادة الفلسطينية بشكل يضمن التزامها بحل تفاوضى حول دولتين. كما حاولت مصر التوسط حول اتفاق طويل الأمد لوقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس يمضى بالتوازى مع وساطتنا لتبادل السجناء. وقد حددت خلال زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتانياهو لمصر مؤخرًا مضى التزامنا باستئناف هذه الجهود.

والآن ينبغى أن تقترن هذه الخطوات بعملية جادة للتفاوض حول التوصل إلى اتفاق للوضع النهائى بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية. ويجب أن تعطى الأولوية لحسم مسألة الحدود الدائمة لدولة فلسطينية ذات سيادة، ومتصلة

الأراضي على أساس حدود ٧ ١٩٦. وإن هذا من شأنه أن يطلق التحرك على صعيد أغلب قضايا الوضع النهائي الأخرى بما فيها المستوطنات والأمن والمياه والقدس.

التزامات قوية

وسيتوقف نجاح هذه المفاوضات على التزامات قوية من قبل الأطراف لدعم مصداقية العملية. فيجب أن يتوقف التوسيع العنيد للمستوطنات الذي أدى إلى تآكل الثقة بين الدولتين، وأن يتوقف معه حصار غزة. ومن جانبهم ينبغي أن يواصل الفلسطينيون تطوير قدرات مؤسساتهم مع التغلب على انقساماتهم من أجل تحقيق تطلعاتهم إلى الدولة.

وبينما يمكن أن يأتي التطبيع الكامل مع إسرائيل فقط بعد تسوية شاملة تشمل المسارات السورية واللبنانية والفلسطينية. فإن الطرف العربي يقف مستعدا لملاقاة الخطوات الجادة التي تتخذها إسرائيل نحو السلام.

والتوصل إلى تسوية تدريجية هو أمر في متناول الأيدي. تسوية تمنح الفلسطينيين الدولة والتحرر من الاحتلال كما تمنح إسرائيل الاعتراف والأمن لكي تعيش في سلام مع تأكيد الرئيس أوباما لقيادة الولايات المتحدة في المنطقة. تبدو في الأفق ثمة فرصة نادرة. ومصر من جانبها تقف مستعدة لاقتناص هذه الفرصة وأنا على ثقة من أن العالم العربي سيفعل الشيء ذاته

وقد علق الأستاذ/ محمد أبو الحديد - على مقال الرئيس- في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٥ / ٦ / ٢٠٠٩م قائلا:-

■ اختيار الرئيس [illegible] المقال السياسي. لفتت النظر بداية كلمة المقال ومضمونه معا. لأن الرئيس يفعل ذلك لأول مرة

وربما لو ألقى الرئيس خطابا بنفس مضمون المقال ما كان له أن يحقق ذات التأثير. لأن الناس كانت ستنظر إليه على أنه أمر مألوف وعادي

■ حقق المقال «عصفة» الرؤية المصرية والعربية لكيفية تحقيق السلام الإسرائيلي الفلسطيني. وهذا أمر في غاية الأهمية. لأن المقال تضمن - مع الرؤية - التزامات محددة على الأطراف أن يقوموا بها

■ وصلت الرسالة إلى حيث يجب أن تصل .. إلى إدارة الرئيس أوباما. وإلى الرأي العام الأمريكي .. وإلى الرأي العام والحكومات في أوروبا ومختلف دول العالم.

■ من يعيد قراءة المقال سوف يجد فيه أصداء سريعة لقضايا عديدة أثارها الرئيس الأمريكي في خطابه بجامعة القاهرة. فقد جاءت في المقال إشارات إلى «قوى التغيير» في العالم العربي وإلى التطلعات المتصاعدة للأجيال الشابة وإلى «تصاعد الصراعات الإقليمية». وإلى «مخاطر انتشار أسلحة الدمار الشامل» و«مواجهة خطر الإرهاب» وإلى قيم «التسامح والوسطية». وإلى «الإصلاح» الذي يوفر فرصا أكبر للشباب والمزيد من التمكين للمرأة [illegible]

والمزيد من التعددية والحوار الذي يحتويه الآخر.

ولهذا وجدنا الاستجابة الأمريكية لمضمون المقال فورية، وعلى لسان وزيرة الخارجية الأمريكية- التي أشادت بالمقال .. وأكدت تطلع الإدارة الأمريكية للعمل مع مصر والرئيس مبارك لتحقيق ما جاء فيه

وهكذا توالت ردود الفعل الإيجابية من مختلف أنحاء العالم.

أي أن الرسالة وصلت.. ووصلت من أكبر دولة عربية. ومن أقدر زعيم عربي .. مصر .. ومبارك .. ووصلت واضحة. وإلى من استهدفتهم بالضبط وهو المطلوب.

حظر النقاب في فرنسا انتهاك لحقوق الانسان!!

تحت عنوان «ساركو والنقاب» كتب الأستاذ/ عامر تمام مقالا نشر في جريدة «أخبار اليوم» بالعدد الصادر بتاريخ ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٩م يقول فيه:-

«يرى الرئيس الفرنسي ساركوزي أن النقاب ينتهك حرية المرأة ورمز لاستعبادها إلا أن الانتهاك الحقيقي هو انتهاك ساركوزي نفسه للحرية وإجبار النساء المسلمات على ارتداء ملابس لا يرغبن في ارتدائها وفي حين أن تعداد المسلمين في فرنسا يقترب من خمسة ملايين قالت صحيفة كريستيان سانيس مونيتور الأمريكية أن قرابة مائة امرأة مسلمة فقط هن من يرتدين «النقاب» وأضافت أن النساء اللواتي لا يرتدينه يشعرن بالغضب أيضا من تصريح ساركوزي باعتباره يمثل حظرا يهدد الحرية الدينية وقالت منظمة «هيومن رايتس ووتش» الأمريكية المدافعة عن حقوق الانسان أن حظر النقاب في فرنسا سيشكل انتهاكا لحقوق الإنسان مشيرة إلى أن الحظر لن يحقق حرية النساء. الحرية التي يتغنى بها ساركوزي .. كما يعتقد الغربيون منه .. موجودة في أمريكا التي تسمح بارتداء النقاب وأكد رئيسها أوباما في خطابه الذي وجهه للعالم الإسلامي بالقاهرة إن علينا ألا نقول للناس ماذا يلبسون»

ارهاب المسلمين في بلاد الحريات

كتب الأستاذ/ سمير رجب كلمة في عموده «خطوط فاصلة» المنشور في جريدة الجمهورية بعددها الصادر بتاريخ ٢ / ٧ /٢٠٠٩م يقول فيه:

الاضطهاد الذي يعاني منه المسلمون الآن في شتى بقاع الأرض.. قتل وضرب.. وتعذيب وخطف وسحق بينما المجتمع الدولي ساكن لا يتحرك..

■ لقد تابعنا الحادث البشع الذي تعرضت له [illegible] المصرية «مروة الشربيني» داخل قاعة إحدى محاكم ألمانيا والتي عادت إلى بلدها جثة هامدة في صندوق ليواريها تراب الوطن

■ ثم لم تكد تمضي ساعات قليلة حتى أشعل المتطرفون الأمريكان النار في الشيخ وعلى محمد إمام أحد مساجد ولاية كاليفورنيا.. ليسقط هو أيضا صريع نوازع الغل والكراهية.

■ كما تدافعت الحرب ضد المسلمين في الصين الذين يعيشون في ظل حكم شيوعي متسلط لا يعرف دينا ولا

يعترف بأية قوانين إلهية ولا يبالون بالقيم والمبادئ التي يعتنقون إذلال أسرى الحرب والاضطهاد والقهر والعسف

ويبدو أن التنكيل قد طفح بهم بعد أن زج بهم برغم عدالة قضيتهم في السجون، فأرادوا التعبير عن مشاعرهم فقد تعرت الأمن عصفهم حصنًا ليسقط ١٤٠ قتيلاً دفعة واحدة، فضلاً عن ٨٥٠ جريحًا.

■ ما شر المعتقدات الذي جمع هؤلاء الصحب يحتشدون في عاصمة قبلية «شنجيانغ» تضم قومية «الويغور» التي يبلغ تعدادها سبعة ملايين و٢٠٠ ألف نسمة، وفي نفس الوقت الذي كانت تسفك فيه دماء المسلمين وسط الشوارع وداخل الأزقة فرعت ميليشيات الحزب الشيوعي لتحطيم مساجدهم وأضرحة أئمتهم وكأن هناك إصرارًا على الانتقام وطريقة الخلق بالله سبحانه وتعالى - ورسوله الكريم.

■ الأمر المستحيل الذي يدق الرؤوس بعنف أين حكومات العالم الإسلامي وأين المنظمات الإقليمية والدولية، وأين الغيورون على الدين في كل مكان على ظهر الكرة الأرضية..

قضايا الوضع النهائي بين الثوابت الفلسطينية والشروط الإسرائيلية

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ نبيل محمود السهلي - كاتب فلسطيني - مقالاً في جريدة الحياة الصادرة بتاريخ ٢٠٠٩/٧/١م يقول فيه:

تطرق بنيامين نتنياهو خلال خطابه الأخير إلى أهم القضايا التي ترتبط مع ظهور القضية الفلسطينية، وأكد على ثوابت إسرائيل المعهودة من تلك القضايا، وبالنسبة لقضية الأرض وقضية اللاجئين الفلسطينيين فإنه رأى الحل في خارج إسرائيل، وبالتالي عدم تحميلها أية مسئولية سياسية أو قانونية عن نشأة القضية وتداعياتها. كما أكد نتنياهو على ثابت من ثوابت الخطاب السياسي الإسرائيلي حول بقاء القدس بشقيها الغربي الشرقي والغربي عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل. ويعتمد نتنياهو في ذلك على وقائع تحاول المؤسسات الإسرائيلية فرضها على الأرض في مدينة القدس بغية تهويدها والإطباق عليها، وفي هذا السياق تشير الدراسات المختصة إلى أن السياسات الإسرائيلية استطاعت أن تنال من المدينة، فثمة هناك طوق من المستوطنات الإسرائيلية يصل عددها إلى ٢٦ مستوطنة حول القدس الشرقية ويتركز فيها نحو ١٩٠ ألف مستوطن إسرائيلي. وثمة محاولات إسرائيلية - مازالت تشهدها القدس - لتهويد الأحياء العربية القديمة من خلال الاحتفاريات المستمرة لهدم منازل العرب وطردهم والسيطرة أيضًا على ما تبقى من عقارات ومحال تجارية عربية بغية تهويدها وفرض الأمر الواقع الاحتلالي. وقد تم إنفاق نحو ٧٠ مليون دولار أمريكي منذ عام ١٩٦٧ لبناء تلك المستوطنات.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن نتنياهو اشترط مبدأ التفاوض مع الفلسطينيين والوصول إلى دولة فلسطينية منزوعة السلاح باعتراف فلسطيني بفكرة يهودية الدولة، وبالتالي محاولة شطب القرار ١٩٤ من أجندة الأمم المتحدة فيما بعد، فضلاً عن سعي إسرائيل إلى تهميش الأقلية العربية داخل الخط الأخضر، وتهيئة الظروف إن أمكن لطرد عدد كبير منها إما إلى الضفة الغربية أو إلى خارج فلسطين، وهذا الخيار أشار إليه شيعو وزير خارجية إسرائيل

في أكثر من مؤتمر ومناسبة في إسرائيل خلال السنوات القليلة الماضية وأثناء الحملات الانتخابية التي سبقت فوز اليمين الإسرائيلي.

وفي مقابل الثوابت الإسرائيلية التي قدمها وأكد عليها نتنياهو إزاء القضايا الجوهرية في إطار الصراع العربي الإسرائيلي تؤكد السلطة الفلسطينية ومرجعيتها الأساسية منظمة التحرير الفلسطينية على الثوابت إزاء قضايا الوضع النهائي، فيشير الفلسطينيون إلى ضرورة إيقاف النشاط الاستيطاني وتفكيك المستوطنات في الضفة الغربية، ويؤكدون في الوقت ذاته على ضرورة أن تفضي أية مفاوضات مع إسرائيل إلى دولة فلسطينية كاملة السيادة على كامل مساحة الضفة والقطاع وعاصمتها الجزء الشرقي من مدينة القدس، وبعد رفض السلطة الفلسطينية الاعتراف بيهودية الدولة خلال جلسات مؤتمر أنابوليس قبل عامين مازالت السلطة ترفض الاعتراف بالفكرة المذكورة والتي اشترطتها إسرائيل لقبول قيام دولة فلسطينية منزوعة السلاح، كما تؤكد منظمة التحرير الفلسطينية في الوقت ذاته على حق عودة اللاجئين وفق قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة وفي مقدمتها القرار ١٩٤ الصادر في نهاية عام ١٩٤٨.

حتى لا تتكرر جرائم الحرب الإسرائيلية

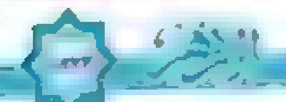
تحت هذا العنوان جاء رأي الأهرام المنشور بعددها الصادر بتاريخ: ٢ / ٧ / ٢٠٠٩م يتضمن ما يلي:

أخيرًا خرجت منظمة دولية محترمة، هي منظمة العفو الدولية، لتفضح بالحقائق والأرقام جرائم إسرائيل خلال حربها الوحشية على غزة في ديسمبر ويناير الماضيين، وأعلنت أن ما حدث كان جريمة حرب يجب ألا يفلت مرتكبوها من العقاب. وفي تقريرها الذي يقع في ١١٧ صفحة، قدمت المنظمة الأدلة على اتهام حقيقية ضد إسرائيل وجيشها الذي قتل ١٤٠٠ فلسطيني وجرح ٥ آلاف آخرين، ودمر مناطق واسعة من قطاع غزة.

ولأن الأخطر في اتهامات المنظمة التي جاءت بعد تحقيقات ميدانية في القطاع، أنها تؤكد أن الجيش الإسرائيلي لم يميز بين الأهداف المدنية والعسكرية مع أنه كان يدرك جيدًا وجود مدنيين في المناطق التي استهدفها، الأمر الذي كانت نتيجته مقتل مئات المدنيين الأبرياء ومعظمهم من الأطفال والنساء، ولأن هذا سيجعل المجتمع الدولي أمام أدلة الاتهام تلك، لا يستدعي الأمر تحويل هذه الاتهامات من مجرد سطور على ورق إلى قضية عاجلة تنظرها إحدى المحاكم الدولية، خاصة أن المنظمة ليست فلسطينية أو عربية بل دولية محترمة مقرها لندن.

صحيح أن تقرير منظمة العفو اتهم حماس والمنظمات الفلسطينية الأخرى بإطلاق مئات الصواريخ على جنوب إسرائيل مما أسفر عن مصرع ٣ مدنيين ونزوح الآلاف من منازلهم، فإن ذلك لا يقاس بحجم الجريمة الكبرى التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي بدم بارد وبصمت من العالم.

ونرجو ألا يكتفي الساسة والمثقفون العرب بالتعليق على هذا التقرير والكتابة عنه في صحف عربية أو التحدث



في الإعلام العربي، بل مطلوب منهم نقل ذلك إلى الرأي العام العالمي والضغط من أجل أن يلقى المسئولون عن جرائم والانتهاكات الجسيمة العقاب الرادع، لأن ما حدث في غزة ليس أول ما تعرضت له كوسوفو والبوسنة ورواندا، وغيرها من المناطق التي تحرك العالم لنصرة المظلومين فيها، إن عدم محاسبة إسرائيل وجيشها على جرائم غزة كفيل بتكرار حدوثه في المستقبل على الأرض الفلسطينية والأراضي العربية الأخرى.

ومن هنا فإنه من الضروري أن يكون هناك تحرك عربي جماعي يضغط من أجل ألا يفلت المسئولون الإسرائيليون من العقاب.

السيادة الناقصة!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عبدالمعطي احمد مقاله المنشور في جريدة الاهرام الصادرة في ٦/٧/٢٠٠٩م يقول فيه:

القوات الأمريكية في العراق أكملت انسحابها من المدن، وسلمت المسئولية الأمنية فيها للقوات العراقية وسط العراقيين فرحوا بتحرير مدنهم وقراهم من رق الاحتلال الأمريكي.

والحكومة العراقية احتفت بالمناسبة وأطلقت على يوم الثلاثين من يونيو «يوم السيادة الوطنية»، كما أطلقت الألعاب النارية في سماء بغداد لتعطي انطباعاً للعراقيين بأن الاحتلال قد زال.

لكن الخوف من انفلات السيطرة الأمنية لا يزال قائماً، فلا يزال مسلحون يفجرون تفجيرات بسيارات مفخخة، وتفجيرات انتحارية تهدف إلى زعزعة الاستقرار، وإلى دفع العراق إلى الانزلاق مجدداً نحو هوة الصراع الطائفي.

ولا تزال هناك أعداد كبيرة من الأمريكيين موجودة تحت مسميات «مستشارين» و«مدربين» و«ذوي خبرة»، وهناك أيضاً تخوف من أن يحاول المتشددون ذلك، كما حدث قبل الانسحابات البريطانية التي ستجرى في يوليو من العام المقبل.

ولا يزال على أرض العراق ١٣١ ألف جندي أمريكي سوف ينخفض عددهم إلى ١٢٨ ألفاً فقط في نهاية هذا الخريف تمهيداً لترحيلهم تماماً في نهاية عام ٢٠١١.

ثم إن الاتفاقية الأمنية الموقعة بين العراق والولايات المتحدة في ديسمبر عام ٢٠٠٨ تقضي بأن تحتفظ الأخيرة بالعناصر اللازمة لحماية العراقيين من التدخلات والاعتداءات، وهذه النقطة بالذات ستكون الحجة القوية لاستمرار وجود المجموعات المسلحة التي تمد أية محاولات لتحقيق الأمن للشعب العراقي.

ومع أن الأمريكيين يؤكدون أنه لا عودة لهم إلى شوارع بغداد وبقية المدن الرئيسية، فإنه إذا عاد العنف مرة أخرى فربما نجد الجنود الأمريكيين يجوبون شوارع المدن العراقية من جديد.

نتمنى أن يعود السلام والاستقرار إلى العراق، وأن يتمكن أشقاؤنا في هذا البلد من لملمة جراحهم، وأن يوحدوا طوائفهم وأن يتصالحوا، وأن يحلوا مشكلاتهم بروح الأخوة، ليستأنف العراق مسيرته نحو مستقبل أكثر إشراقاً

رحيل عالمين جليلين

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عبدالمعطي عمران كلمته المنشورة في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢/٧/٢٠٠٩م يقول فيها:

فقدت مصر عالمين جليلين، قضيا حياتهما في خدمة الدعوة الإسلامية والدفاع عن دين الله بالحجة والمنطق والبرهان، وكانت لهما جهود كبيرة في التصدي لحملات الأكاذيب المغرضة والاتهامات الباطلة التي يروجها أعداء الإسلام ضد مبادئه وشريعته وأخلاقه، وساهما بجهد وافر في توعية طلاب العلم الشرعي في الداخل والخارج، وإعدادهم لتحمل مسئولية رفع راية الدعوة والتصدي للتيارات الهدامة والأفكار الوافدة الخطيرة على المجتمع.

وقد أسهم كل منهما طوال حياة عامرة حافلة بالعطاء لدين الله، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم فضلاً عما كانا يتمتعان به من أخلاق حميدة وسجايا كريمة. إنهما الشيخ د. سميع عبدالخالق محمود عميد كلية أصول الدين الأسبق، ود. محمد إبراهيم الجيوشي عميد كلية الدعوة الأسبق. فعندما تلقيت نبأ وفاة د. سميع عبدالخالق محمود رحمه الله تذكرت قول الرسول ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء»، والدكتور سميع عبدالخالق أحسبه كذلك فقد كان من خيار الناس وكان أخلاقاً تمشي على الأرض، سمحاً متواضعاً … في الخلق والتواضع والزهد والتفاني في خدمة الآخرين وحل مشكلاتهم وكان يعامل طلابه في الكلية كأبنائه يسعى لحل مشكلاتهم ويساعدهم على التفوق … وكان كل من يراه يحبه ويتعلق به، وكنت واحداً ممن أحبوه.. رحم الله الفقيد رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وعوضنا فيه خيراً.

ولم تكد تمضي جنازة د. سميع رحمه الله حتى كان قد تلقيت نبأ د. محمد إبراهيم الجيوشي الذي كان رئيساً للمركز الإسلامي … لمدة ١٥ عاماً، وقد عرفت كم كان هو الآخر … بالأزهر وزيه الأزهري ويحرص على الظهور به في كل مناسبة. وأذكر له واقعة تدل على مدى اعتزازه بالأزهر وسمته الأزهري، حيث رشحته ذات مرة للحديث في برنامج إسلامي بالقناة الإخبارية … فوجئت به يتصل بي معتذراً أنه لن يحضر، فسألته عن السبب فعلمت أن رئيسة القناة اعترضت على زيه الأزهري، وأصرت على أن يتم تسجيل صوته فقط دون صورته، وعلمت منه أنه رفض … ونشرنا هذه الواقعة في اللواء الإسلامي، واستنكرنا هذا الاعتراض وعدم التقدير للعلماء، وبعدها اتصلت بي … رئيسة القنوات المتخصصة في ذلك الوقت لتستوضح الأمر، وأبدت أسفها لما حدث، وطلبت مني أن أبلغ الدكتور الجيوشي رحمه الله اعتذارها شخصياً، وتدعوه إلى تصوير حلقات البرنامج بزيه الأزهري الذي قالت عنه إنه شرف للتليفزيون وللبرنامج.

رحم الله د. سميع عبدالخالق ود. محمد إبراهيم الجيوشي، وأخلف لهما العطاء جزاء ما قدما لدينهما ولأمتهما وعوضنا عنهما خيراً وإنا لله وإنا إليه راجعون».

طرائف.. ومواقف

للشيخ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من نصح الآباء للأبناء

■ قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني لا تضحكن من غير عجب، ولا تمش في غير أرب، ولا تسأل عما لا يعنيك.

يا بني لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت، ومال غيرك ما تركت.

يا بني إنه من يرحم يرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يقل الخير يغنم، ومن يقل الباطل يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم.

يا بني زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك، فإن القلب يحيا بنور العلماء، كما تحيا الأرض الميتة بماء السماء.

■ وقال أعرابي لابنه: يا بني إنه قد أسمعك الداعي، وأعذر إليك الطالب، وانتهى الأمر فيك إلى حده، ولا أعرف أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطأ الأمل.

■ وقال علي بن الحسين لابنه: يا بني اصبر على النوائب، ولا تتعرض للحتوف، ولا تجب أخاك من الأمر إلى ما مضرته عليك أكثر من منفعته لك.

فضيلة الصمت

لا ينكر فضيلة الكلام إن صدر عن حكمة وقصد كريم، ولكن للصمت فضيلة أيضا، فما في كل موطن يحسن الكلام، ولا في كل مجلس يجمع ثمره المنطق. والعاقل من قام بكل منهما في موضعه.

سأل رجل عمر بن عبد العزيز قائلا: متى أتكلم؟ فقال له الخليفة: متى اشتهيت أن تصمت. قال الرجل: فمتى أصمت؟ قال عمر: إذا اشتهيت أن تتكلم.

هذا كلام حكيم، فإن الرجل متى أحب أن يتكلم واندفع في القول جمع إلى بعض الصواب كثيرا من الخطأ، ولكنه إذا اشتهى أن يصمت ثم تكلم اقتصر على قول ما يجب قوله فلم يقع في الخطأ الذي يجره عادة حب متابعة الكلام.

غنى النفس

قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس»(1)... وقال محمود الوراق:

من كان ذا مال كثير ولم	يقنع فذاك الموسر المعسر
وكل من كان قنوعا وإن	كان مقلا فهو المكثر
الفقر في النفس وفيها الغنى	وفي غنى النفس الغنى الأكبر

من الكلمات الطريفة

■ دخل ابن السماك على محمد بن سليمان بن علي، فرآه معرضا عنه، فقال له: مالي أرى الأمير كالعاتب علي؟ قال الأمير: ذلك لشيء بلغني عنك كرهته.

قال ابن السماك: إذن لا أبالي. قال الأمير: ولم؟ فقال ابن السماك: لأنه إن كان ذنبا غفرته، وإن كان باطلا لم تقبله.

■ وعتب رجل من بني هاشم على المأمون فعاتبه فيه، فقال: يا أمير المؤمنين من حمى مثل جانبي، ولبس ثوب حرمتي، ومت بمثل قرابتي، غفر له فوق زلتي. فقال له المأمون: صدقت يا ابن عمي وصفح عنه.

■ وكان سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي قد نذر إن آلت إليه الخلافة ليقطعن لسان يزيد بن راشد، لأنه كان يطالب بخلع سليمان بن عبد الملك من ولاية العهد وإحلال عبد العزيز بن الوليد مكانه. فلما آلت إليه الخلافة دخل عليه يزيد بن راشد فجلس على طرف السماط متنكرا، ثم قال: يا أمير المؤمنين كن كنبي الله أيوب ابتلي فصبر، وأعطي فشكر، وقدر فغفر.

فقال له أمير المؤمنين: من أنت؟ فأجابه: أنا يزيد بن راشد، فعفا عنه.

الاحتياط لتوقي النوازل

قال حكيم: الحازم يحتال للأمر الذي يخافه لعله أن لا يقع فيه، فليس من القوة التورط في الهوة، ومن لم يتأمل العواقب حين غضبه لم يقع سيف جهله إلا على مقتله.

وقال شاعر في هذا المعنى:

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده
أضاع وقاسى الصعب وهو مقصر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا
به الأمر إلا وهو للقصد مبصر

الأخ

قال حكيم: الإخاء جوهرة رقيقة وهي ما لم ترقها وتحرسها معرضة للآفات، فرض الأخ بالحلم له حتى يصل إلى قربه، وبالكظم حتى يعتذر إليك من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك بالفضل، ولا من أخيك بالتقصير.

قال عبد الصمد بن المعذل:

من لم يردك ولم ترده	لم يستقمك ولم تقده
قرب صديقك ما نأى	ورد المقارب واسترده
وإذا وهت أركانه	ومن أخي ثقة فشده

دعابات شعرية

■ قال العتبي: دخل ابن دعبل على بشر بن مروان لما تولى الكوفة فقعد بين السماطين، ثم قال: أيها الأمير إني رأيت رؤيا فأذن لي في قصصها. فقال: قل. فأنشد:

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد
في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك رعتني بوليدة
مغنوجة حسن علي قيامها
وببدرة حملت إلي وبغلة
شهباء ناجية يصر لجامها

قال له بشر بن مروان: كل شيء رأيت فهو عندي إلا البغلة فإنها دهماء فارهة. فقال ابن دعبل: امرأتي طالق ثلاثا إن كنت رأيتها إلا دهماء إلا أني غلطت!

■ وروى الشيباني عن البطين الشاعر أنه قدم على علي بن يحيى فكتب إليه:

رأيت في النوم أني راكب فرسا
ولي وصيف وفي كفي دنانير
فقال قوم لهم حذق ومعرفة
رأيت خيرا وللأحلام تعبير
رؤياك فسر غدا عند الأمير تجد
تعبير ذاك وفي الفال التباشير
فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا
وعند مثلك لي بالفعل تيسير

فأمر له علي بن يحيى بكل ما ذكر في شعره.

كتمان النوائب

سمع الفضيل بن عياض رجلا يشكو بلاء نزل به، فقال له: يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟! وقال: من شكا مصيبة نزلت به فكأنما شكا ربه.

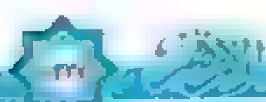
وقال دريد بن الصمة يرثي أخاه:

قليل التشكي للمصيبات ذاكر
من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

دعاء

اللهم ارحمنا إذا برق البصر، وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر، وارحمنا يا ربنا يوم يقول الإنسان أين المفر.

(1) مسند الإمام أحمد.



اختيار الزوجين فى الإسلام

الطالبة / عبير فتحى محمد عبدالعال

** مقاصد وشروط الاختيار فى الزواج **

الزواج [illegible] تعود على المعانى الروحية والعاطفية أكثر مما تقوم على معنى آخر وهو عقد لاتراد به صفقة عابرة و[illegible] سريع [illegible] سبحانه وتعالى القائل

[illegible]

[illegible] (الروم: ٢١)

لذا فإن الزواج هو عقد يقوم على اشتراك طرفيه فى الحياة. شركة يراد بها الدوام والاستقرار. شركة متشابكة الأطراف كثيرة التبعات فى شئون الحياة ما خفى منها وما ظهر وما عظم منها وما صغر وهذا جلال شأن الزواج

وفى اختيار الزواج يجب أن يتمتع طرفيه بالإرادة الكاملة والرضا التام أكثر من أى طرفين فى عقد آخر فليس لأى من كان أن يكره أحد طرفيه على الإقدام عليه ولا على الارتباط بمن يريد الارتباط به وفى حالة الاختيار يترك كل منهما وشأنه ولا سلطان عليه على ألا يمس حقوق الآخرين وألا يسىء استعمال هذا الحق وعلى الطرفين أن يبغى كل منهما المشورة وسعيهما إلى الاستقامة لاحتياجهما إليه

الأسس الصحيحة فى الاختيار

إن الكتاب والسنة قد بينا فى مواضع كثيرة الصفات التى يجب أن تكون الأسس الصحيحة فيها لاختيار الزوج المسلم لزوجته والزوجة المسلمة لزوجها وهى صفات تكفل للأسرة سلامة البنيان وتحقق المقاصد السامية التى شرع الزواج من أجلها وهى:- (الإحصان - والعفاف - والتوالد - والسكن - والمودة - والتراحم). وإذا ما توافرت هذه الصفات والمقاصد عند الاختيار فيكون الاختيار سليما

وهناك صفات أخرى يمكن البحث عنها عند الاختيار لشريك الحياة والعمر مثل (المال - والجمال - والحسب)

أما من لا يبالى بالصفات الأساسية ولا يعنيه من أمر الزواج إلا أن يكون صفقة تجارية أو طريقا لشهوة بهيمية فإنه بعيد عن مقصد الشرع الحنيف وفى ذلك قال رسول الله ﷺ : (لاتتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولاتتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرساء سوداء ذات دين أفضل)[1]. وقال ﷺ : (من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا. ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة. ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن بها فرجه أو يصل بها رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه)[2]

أدب عشرة النساء

إن الحياة بين الزوجين يجب أن يسودها التواد والتراحم. وإن الرجل قوام على زوجه ورب الأسرة وراعيها، لذا فعليه أن يحسن القيام بالرعاية وأن يعامل رعيته بلين ولطف من غير ضعف وكذا بحزم من غير عنف وأن يرعى حقوق زوجته المشروعة وأن يتأدب بآداب الدين الإسلامى فى ذلك. فقد عظم الله سبحانه وتعالى حق النساء على أزواجهن.

وقال تعالى:-

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء: ٢١)

وقال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء: ١٩)

وفى صحيح البخارى قال ﷺ: (استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء).

وقال ﷺ : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله)[3]. وقال ﷺ : (خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى)[4].

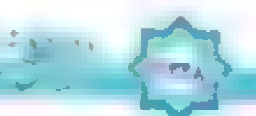
---

(١) [illegible] ٥ ٠ ٤ ٢

(٢) سنن أبى داود مسند أحمد ٢ ٠ ٢٥

(٣) كنز العمال ٤٤٥٨٩، الدر المنثور ١: ٢٥٧.

(٤) كنز العمال ٤٤٩٤٤



خطبة النساء
مالها وما عليها

إن اسم الخطبة شرعاً أطلق عليها التماس الرجل من المرأة أو من وليها أن يتزوج بها وإذا ما أراد الخاطب أو قبلت خطبته وتم العقد في وقتها فقد انتهى الأمر وكان الزواج.

أما إذا قبلت الخطبة على أن يتم عقد الزواج فيما بعد فقد تمت بذلك المواعدة على هذا الزواج وهذا الوضع هو الذي يظهر فيه شأن الخطبة للنساء والحديث عنها.

إن الشريعة الإسلامية ليس فيها أمر ولا نهي في ذلك ولم تضع لهذا الوقت أحكاما ولم تحدد له أغراضا ولا تنظر إليه على أنه فرصة تعطى للخاطبين ليختبر كل منهما صاحبه وليتبين ماهو عليه من خلق وثقافة وتجربة ولا على أنه فرصة لشيء من التحريات الرسمية أو غير الرسمية فالشأن فيه أولا وأخيرا هو شأن الخاطبين والأغراض التي تقصد منه. فما كان من هذه الأغراض مشروعا فهذا لا حرج فيه. وأما ما كان من هذه الأغراض غير مشروع فهو مهدر ومبغوض دينا وخلقا.

أسباب فشل الخطبة أو الزواج

إن كثيراً من الناس يتحرفون في الخطبة عن المقاصد التي شرع الزواج من أجلها ولا يهتدون من أمرها بهدى الدين الإسلامي الحنيف مما يجعل الخطبة أو الزواج قد يفشلان ويقضي بذلك على آمال شاب وفتاة يرقبان سعادة وهناء واستقرارا وتكوين أسرة وذلك كله نتيجة المغالاة والتشدد في الأمور المالية.

صحيح أن الله سبحانه وتعالى قد فرض المهر في الزواج. وأن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قد سن وليمة الزواج وأمر بها ولكن بدون مغالاة. فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: (إن أعظم النكاح بركة أيسره مئونة».

لذا نجد أكثر الناس في وقتنا الحاضر تسودهم المغالاة في المهور والنفقات للزفاف والجهاز وما أشبه ذلك وأن هذا يكون أقرب إلى المساومات التجارية فيكون فيها الأخذ والرد والشد والجذب في هذه المسائل المالية وهذه التصرفات تكون من الأسباب الأساسية في فشل الخطبة أو الزواج.

الحضارة والعادات واستعمالهما الخاطئ في الخطبة

إن الخطبة المقبولة ليست زواجا ولا شبه زواج وما هي إلا مواعدة لاتثبت حقا ولا تحل محرما ولا تحرم حلالاً فإن المخطوبة لاتستحق بخطبتها أي شيء من مهر أو نفقة كما أن الخطيبين أجنبيان بعضهما عن بعض أي أن عليهما أن يغضا أبصارهما إذا التقيا. لايحل للمخاطبة أن تتزين حين تلقى الخطيب ولا تبدي أمامه من زينتها، كما أن الخلوة محرمة عليهما ولا يحل لهما الانفراد بعضهما ولا أن يخرجا معاً لأنهما أجنبيان عن بعضهما وأن الخطبة لاتحرم الأصول والفروع.

أما في وقتنا الحالي فنجد خلاف ذلك فنرى كثيراً من المسلمين قد فتنوا ببعض العادات والتقاليد الغريبة عن الإسلام واعتبروها من مقومات الحضارة فيلقون الحبل على الغارب للخاطبين، يمرحان معاً ويخلوان ببعضهما ويخرجان منفردين مع بعضهما كما يشاءان بلا رقيب أو وازع من خلق أو دين وهذا غير مقبول في الإسلام.

الأخطاء التي ترتكب بسبب النضوج الجسمي للشباب وبعد الوازع الديني

إن الشباب والشابات في أول مرحلة من مراحل النضوج الجسمي يمرون بطور هو الغاية في الخطر طور مليء بفورة الشباب الجامحة، طور قليل الخبرة والتجارب طور لا يزال فيه كل من الوازع الديني والخلقي لين العود في مراحله الأولى وأخطر ما في هذه المرحلة هو الاختلاط بين الشباب والفتيات.

فنجد الاختلاط اليوم قد بلغ الذروة في الطرقات وفي الحقول والمصانع والمتاجر ودور العلم ووسائل المواصلات وفي جميع مرافق الحياة نرى اختلاط الشباب بالفتيات وقد امتلأت الحياة في وقتنا الحاضر بأساليب من الخبث والخديعة من الشباب للفتيات لم تكن مألوفة من قبل ولم نكن نجدها في عاداتنا وتقاليدنا لأن الوازع الديني هذه الأيام قد ضعف وبسبب ذلك تقع ووقعت مآس هي غاية في القسوة شهدت دور القضاء الكثير منها وأكثرها ما يقع بين الشاب والفتاة على غير علم من الأسرة ودائماً ما تقع هذه المآسي باسم الزواج أو الخطبة من أصحاب النفوس الضعيفة الخبيثة وأصحاب الخديعة من الشباب حتى تقع الفريسة من الفتيات في ظروف تخضع معها الفتاة للرغبات الشيطانية نظراً للكلام المعسول الذي يصل لآذانها، ولعدم خبرتها ثم تحدث الكارثة ويحدث بعد ذلك النواح والعويل والندم ولكن بعد فوات الأوان.

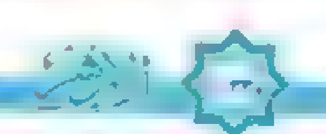
وفقنا الله ووفق شبابنا وفتياتنا المسلمات إلى الطريق القويم الصحيح في اختيار شريك الحياة والله تعالى الموفق والمستعان.

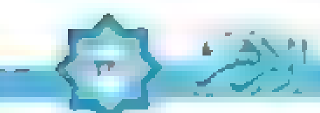
المراجع:

١ – كتاب الأسرة في التشريع الإسلامي (للصف الثاني الثانوي) طبعة ١٩٨٨ – ١٩٨٩، تأليف الأستاذ/ محمد أحمد فرج السنهوري.

٢ – أعداد من مجلة المجاهد الصادرة عن القوات المسلحة.

٣ – أعداد من مجلة الوعي الإسلامي الصادرة عن الشئون الإسلامية بدولة الكويت.





استفتاءات القراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور
علي جمعة
مفتي الجمهورية

تسويد النبي ﷺ في التشهد

■ [illegible] ... بولاق - القاهرة
ما حكم تسويد النبي ﷺ في التشهد؟

■■ الجواب: [illegible] الأدب مع سيدنا محمد ﷺ حين خاطب جميع النبيين بأسمائهم أما هو فلم يخاطبه باسمه مجردا بل قال له:

[illegible]

وأمر بالأدب معه وبتوقيره فقال:

[illegible]

(الفتح ٨ - ٩)

ومن توقيره تسويده كما قال السدي فيما ذكره القرطبي في تفسيره، وقال قتادة: «أمر الله بتسويده وتفخيمه وتشريفه وتعظيمه» أخرجه عبد بن حميد وابن جرير الطبري في التفسير، ونهانا أن نخاطبه ﷺ كما يخاطب بعضنا بعضا فقال سبحانه:

[illegible]

(النور ٦٣)

قال قتادة: «أمر الله عز وجل أن يهاب نبيه ﷺ وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود» أخرجه ابن أبي حاتم وغيره في التفسير. فكان حقا علينا أن نمتثل لأمر الله، وأن نتعلم مع حب رسول الله ﷺ الأدب معه، ومن الأدب معه أن نسوده كلما ذكر، وأن نصلي عليه كلما ذكر، وألا نخاطبه باسمه مجردا عن الإجلال والتبجيل، ولا فرق بين النداء والذكر في ذلك؛ فكما يشرع استعمال الأدب والتوقير والتعظيم عند دعائه ﷺ يشرع كذلك عند ذكر اسمه ﷺ والصلاة عليه من غير فرق؛ لوجود العلة في كلا الأمرين، وهي النهي عن مساواته بغيره من المخلوقين، وذلك حاصل في الذكر كما هو حاصل في الخطاب والنداء، والحكم يدور مع علته وجودا وعدما.

وقد أجمعت الأمة على ثبوت السيادة للنبي ﷺ وعلى علميته في السيادة، قال الشرقاوي: «فلفظ (سيدنا) علم عليه ﷺ»، وأما ما شذ به البعض للتمسك بظاهر بعض الأحاديث متوهمين تعارضها مع هذا الحكم فلا يعتد به، ولذلك أجمع العلماء على استحباب اقتران اسمه الشريف ﷺ بالسيادة في غير الألفاظ الواردة المتعبد بها من قبل الشرع.

كما اتفقوا على عدم زيادتها في التلاوة والرواية.

أما التلاوة: فإن القرآن كلام الله تعالى لا يجوز أن يزاد فيه ولا أن ينقص منه، ولا يقاس كلام الله تعالى على كلام خلقه.

وأما الرواية: فإنها حكاية لما روي وشهادة عليه، فلابد من نقلها كما هي.

أما بالنسبة للوارد فمذهب جمهور العلماء والمحققين من أصحاب المذاهب الفقهية المعتمدة وغيرهم أنه يستحب قرن الاسم الشريف بالسيادة أيضا في الأذان والإقامة والصلاة، بناء على أن الجمع بين الأدب والاتباع أولى من الاقتصار على الاتباع، لأن الجمع أولى من الترجيح، وفي الأدب اتباع للأمر بتوقيره وتعظيمه الذي لا تحصل منه صلاة ولا أذان ولا إقامة. وقد علم النبي ﷺ أمته الأدب معه حيث أخبر بالسيادة عن نفسه الشريفة بقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»، وقال لمن خاطبوه بقولهم (أنت سيدنا): «قولوا قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» رواه الإمام أحمد واللفظ له وأبو داود وغيرهما، فأقر ذكر السيادة ونبه على صحة المعنى بالتحذير من إهمال الفرق بين سيادة المخلوق والسيادة المطلقة للخالق سبحانه من جهة أخرى، وخوطب المصطفى ﷺ بـ«يا سيدي» فأقر ذلك ولم ينكره؛ فعن سهل بن حنيف -رضي الله عنه- قال: مررنا بسيل، فدخلت فاغتسلت فيه، فخرجت محموما، فنمى ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «مروا أبا ثابت يتعوذ»، فقلت: يا سيدي، والرقى صالحة؟ فقال: «لا رقية إلا في نفس أو حمة أو لدغة» رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي في «عمل اليوم والليلة» والحاكم في «المستدرك» وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي إقراره ﷺ لذلك إذن منه في خطابه وذكره بذلك وأنه أمر مشروع، ولا فرق في ذلك بين أن يكون داخل الصلاة أو خارجها، بل ذلك في الصلاة أولى؛ لأن الشرع راعى الأدب مع النبي ﷺ في الصلاة بصورة مؤكدة؛ فشرع للمصلي مخاطبة المصطفى ﷺ داخل الصلاة وجعلها تبطل بمخاطبة غيره، وأوجب الله تعالى على المصلي أن يجيب النبي ﷺ إذا خاطبه أثناءها ولا تبطل بذلك صلاته؛ مبالغة في الأدب معه ﷺ ومراعاة لحرمته وجنابه الشريف، وهذا جار أيضا في الأذان والإقامة، وتخصيصهما من ذلك لا دليل عليه بل هو على عمومه.

وإذا قيل بالترجيح بينهما فالأدب مقدم على الاتباع، كما ظهر ذلك في موقف سيدنا علي -رضي الله تعالى- عنه في صلح الحديبية حيث رفض أن يمحو كلمة (رسول الله) عندما أمره النبي ﷺ بمحوها؛ تقديما للأدب على الاتباع، وظهر ذلك أيضا في تقهقر سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الصلاة بعد أمر رسول الله ﷺ له بأن يبقى مكانه وقال له بعد الصلاة: «ما كان لابن أبي

قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ».

وهذا هو المعتمد عند الشافعية - كما نص عليه الجلال المحلي، والشيخان: ابن حجر والرملي، وعند الحنفية - كما أفتى به العلامة القحفازي واعتمده البرهان الحلبي والإمام الحصكفي والطحطاوي - وعند المالكية - كما قال الإمام العارف ابن عطاء الله السكندري وجزم به القاضي ابن عبد السلام وأبو القاسم البرزلي واعتمده الإمام الحطاب والأبي - ونقله ابن المنذر عن الإمام إسحاق بن راهويه في صلاة الجنازة.

وفيما يلي بعض النصوص والفتاوى الفقهية في ذلك.

فمن أهل الحديث:

الإمام المجتهد إسحاق بن راهويه كما نقله الإمام أبو بكر بن المنذر في كتابه «الأوسط» من استحباب تسويد النبي ﷺ في الصلاة عليه في صلاة الجنازة، فقال: «وقال إسحاق: إذا كبر الثانية صلى على النبي ﷺ، وأحب الصلاة إلينا على النبي ﷺ ما وصفه ابن مسعود؛ لأنه أجمل ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ، أن يقول: «اللهم اجعل صلاتك وبركاتك ورحمتك على إمام المتقين، وسيد المرسلين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً، يغبطه الأولون والآخرون» اهـ.

ومن السادة الحنفية:

العلامة علاء الدين الحصكفي حيث يقول في «الدر المختار شرح تنوير الأبصار»: «وندب السيادة؛ لأن زيادة الإخبار بالواقع عين سلوك الأدب، فهو أفضل من تركه. ذكره الرملي الشافعي وغيره. وما نقل «لا تسودوني في الصلاة» فكذب. وقولهم «لا تسيدوني» بالياء لحن أيضاً، والصواب بالواو» اهـ.

وقرر ذلك العلامة ابن عابدين في حاشيته عليه. ورد اعتراض من ادعى مخالفة ذلك لمذهب الحنفية.

ومن السادة المالكية:

الإمام العارف بالله تعالى أبو الفتح ابن عطاء الله السكندري حيث يقول في «مفتاح الفلاح»: «وإياك أن تترك لفظ السيادة، ففيها سر يظهر لمن لازم هذه العبادة» اهـ.

وقال الإمام الأبي المالكي في «إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم»:

«وما يستعمل من لفظ (السيد) و(المولى) حسن وإن لم يرد، والمستند فيه ما صح من قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم». واتفق أن طالبا يدعى بابن عمرين قال: لا يزاد في الصلاة (على سيدنا)؛ قال: لأنه لم يرد، وإنما يقال (على محمد)، فنقمها عليه الطلبة، وبلغ الأمر إلى القاضي ابن عبد السلام، فأرسل وراءه الأعوان، فاختفى مدة ولم يخرج حتى شفع فيه حاجب الخليفة حينئذ فخلى عنه، وكأنه رأى أن تغيبه تلك المدة هي عقوبته» اهـ.

وقال الإمام الحطاب المالكي في أول شرحه «مواهب الجليل» بعد أن نقل ما سبق عن الأبي:

«وذكر الجزولي عن بعضهم أنه أنكر أن يقولها - يعني لفظ (السيد) - أحد، ثم قال: وهذا إن صح عنه غاية الجهل، قال: واختار شيخ شيوخنا المجد اللغوي صاحب القاموس ترك ذلك في الصلاة اتباعاً للفظ الحديث، والإتيان به في غير الصلاة. وذكر الحافظ السخاوي في «القول البديع» كلامه. وذكر عن ابن مفلح الحنبلي نحو ذلك. وذكر عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أن الإتيان بها في الصلاة ينبني على الخلاف: هل الأولى امتثال الأمر أو سلوك الأدب؟ قلت: والذي يظهر لي وأفعله في الصلاة وغيرها الإتيان بلفظ (السيد)، والله أعلم» اهـ. قال الإمام أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بردلة المالكي في «نوازله» تعقيباً على ذلك: «والذي حرره الشيخ الحطاب هو ما عليه الناس» اهـ.

وقال السجلماسي في «نوازله»: «الأولى والمؤكد ذكر السيادة مطلقاً، ولو في الصلاة. نص على ذلك الشيخ ابن عطاء الله والإمام الحطاب، وألف القسطنطيني على ذلك، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، وهو المعول عليه» اهـ.

ومن السادة الشافعية:

قال العلامة الجلال المحلي: «الأدب مع من ذكر مطلوب شرعاً بذكر السيد، ففي حديث الصحيحين: «قوموا إلى سيدكم» أي سعد بن معاذ، وسيادته بالعلم والدين، وقول المصلي (اللهم صل على سيدنا محمد) فيه الإتيان بما أمرنا به وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو أدب، فهو أفضل من تركه فيما يظهر من الحديث السابق، وإن تردد في أفضليته الشيخ جمال الدين الإسنوي، وذكر أن في حفظه قديماً أن الشيخ ابن عبد السلام بناه على أن الأفضل سلوك الأدب أو امتثال الأمر، وأما حديث «لا تسيدوني في الصلاة» فباطل لا أصل له كما قاله بعض متأخري الحفاظ» اهـ.

وقال العلامة شمس الدين محمد الرملي في «نهاية المحتاج»: «والأفضل الإتيان بلفظ السيادة، كما قاله ابن ظهيرة وصرح به جمع، وبه أفتى الشارح - يعني الجلال المحلي -؛ لأن فيه الإتيان بما أمرنا به وزيادة الإخبار بالواقع الذي هو أدب، فهو أفضل من تركه، وإن تردد في أفضليته الإسنوي» اهـ.

قال العلامة نور الدين علي الشبراملسي في حاشيته عليه:

«(قوله: لأن فيه الإتيان إلخ) يؤخذ من هذا سن الإتيان بلفظ السيادة في الأذان، وهو ظاهر؛ لأن المقصود تعظيمه ﷺ بوصف السيادة حيث ذكر.

لا يقال: لم يرد وصفه بالسيادة في الأذان؛ لأنا نقول: كذلك هنا، وإنما طلب وصفه بها للتشريف، وهو يقتضي العموم في جميع المواضع التي يذكر فيها اسمه عليه الصلاة والسلام» اهـ.

ومن غير أصحاب المذاهب الفقهية:

يقول العلامة محمد بن علي الشوكاني في «نيل الأوطار»: «وقد روي عن ابن عبد السلام أنه جعله من باب سلوك الأدب، وهو مبني على أن سلوك طريق الأدب أحب من الامتثال، ويؤيده حديث أبي بكر حين أمره ﷺ أن يثبت مكانه فلم يمتثل، وقال: «ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ»، وكذلك امتناع علي عن محو اسم النبي ﷺ من الصحيفة في صلح الحديبية بعد أن أمره بذلك، وقال: «لا أمحو اسمك أبداً»، وكلا الحديثين في الصحيح؛ فتقريره ﷺ لهما على الامتناع من امتثال الأمر تأدباً مشعر بأولويته» اهـ.

بينما يرى بعض العلماء أولوية الاقتصار في

الألفاظ المتعبد بها على ما ورد، اتباعاً للفظ الوارد وفراراً من الزيادة فيه، واحتجوا بعدم ورود ذلك عن الصحابة والتابعين والسلف الصالحين، وأن ذلك لو كان راجحاً لورد عنهم. ومن الفقهاء المتأخرين من قال بأفضليتها في التشهد وتركها في الأذان من غير تحريم.

والخلاف إنما هو في الأفضلية لا في الجواز، فإن الجميع متفقون على جواز كلا الأمرين، بل إنهم عدوا دعوى التحريم مستوجبة للعقوبة كما سبق. ومن ادعى التحريم من المتأخرين فهو محجوج بذلك وبأنهم قطعوا بغلط من ادعى بطلان الصلاة بذكرها.

وأجاب الجمهور عن ما احتج به من رجح ترك السيادة بأجوبة منها:

١ - أن كثيراً من العبادات الشرعية تؤخذ أحكامها من الأدلة الشرعية المتعددة، منها ما يدل عليها بخصوصه ومنها ما يدل بعمومه، ومنها ما يدل بمنطوقه ومنها ما يدل بمفهومه. ولا توجد أحكامها مجموعة في دليل واحد. فألفاظ التشهد والأذان جاءت في موضع، والأمر بتعظيم النبي ﷺ وتسويده اعتقاداً ونطقاً إذا جاء في موضع أو ذكر جاء في موضع آخر، وليس في كلا الأمرين ما ينافي الآخر، فاستحباب التسويد خرج مخرج التعميم، ولم يرد في الشرع ما يخرج الأذان والإقامة والصلاة من ذلك. ولا يلجأ إلى الترجيح إلا عند تعذر الجمع، بل يحمل المطلق على المقيد، والجمع بين الدليلين مقدم على العمل بأحدهما، فتعين العمل بالأمرين معاً.

٢ - أن غاية ما في الأمر أن ترك ذكرها في ألفاظ الأذان والإقامة والتشهد في السنة النبوية الشريفة قولاً وتقريراً يدل على عدم وجوبها لا على عدم مشروعيتها، فلا يصح الاحتجاج بمجرد الترك على التحريم أو الكراهة أو البدعة، لا سيما فيما له أصل صحيح متقرر في الشرع لا مخصص له كتعظيم النبي ﷺ، سواء كان ذلك الترك من النبي ﷺ أو من صحابته الكرام.

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف، لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت، أو لما هو أفضل منه، أو لعله لم يبلغ جميعهم علم به» اهـ نقلاً عن «حسن التفهم والدرك لمسألة الترك» للحافظ عبدالله بن الصديق الغماري.

٣ - أن ذكر السيادة عند اسم الشخص المشرف والموقر من تمامه وكماله عادة وعرفاً، سواء في ذلك مخاطبته في حضوره وذكره في غيبته، كما أن ترك ألقاب التوقير مما يلام عليه بحيث قد يتهم فاعل ذلك بمخالفة الأدب، وخاصة في هذه العصور المتأخرة التي صار ذكر السيادة في عرف أهلها من لوازم التقدير والاحترام، وقد جاء الشرع الشريف باعتبار العرف فيما لا يخالف الشرع، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

٤ - أن دعوى عدم الورود ليست صحيحة، فقد وردت السيادة في الصلاة على النبي ﷺ عن الصحابيين الجليلين عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما. فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه». فقالوا له: فعلمنا. قال: «قولوا: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون» رواه ابن ماجه في «السنن» وأبو يعلى في «مسنده» والطبراني في «المعجم الكبير»، وحسنه الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» والحافظ البوصيري في «إتحاف الخيرة»، وصححه الحافظ مغلطاي.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي الشافعي في «الدر المنضود»: «وهو شامل للصلاة وخارجها».

ونقل ابن المنذر عن الإمام إسحاق بن راهويه فيما سبق ما يقتضي إثباته لهذه الرواية وصحة العمل بها.

والرواية عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما رواها أحمد بن منيع في «المسند» وإسماعيل بن إسحاق القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» بلفظ صلاة ابن مسعود رضي الله عنه.

٥ - والجواب عن قصر الأفضلية على التشهد دون الأذان: أن الدليل الشرعي الخارجي الذي دل على استحباب ذكر السيادة في التشهد مع عدم ذكر النبي ﷺ لها فيه دل أيضاً على استحباب ذكرها في الأذان والإقامة من غير فرق، كما أن المقصود الأعظم من الأذان الإعلام بدخول وقت الصلاة، وهذا المقصود لا ينافيه التأدب مع رسول الله ﷺ فيه بذكر سيادته الدالة على تعظيمه وشرف قدره ﷺ.

وقد ألف العلامة شهاب الدين أحمد بن يونس الحميري القسنطيني الجزائري المغربي المالكي رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وغيرها، كما ذكر الحافظ السخاوي في ترجمته من «الضوء اللامع»، وجاء العلامة الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله فألف في هذه المسألة كتاباً حافلاً ممتعاً سماه (تشنيف الآذان بأدلة استحباب السيادة عند ذكر اسمه ﷺ في الصلاة والإقامة والأذان) جمع فيه كل ما يتعلق باستحباب ذكر الاسم الشريف مقترناً بالسيادة، مقرراً أنه لا تنافي بين الأدب والاتباع، لأن في السيادة اتباعاً للأمر بتوقيره ﷺ والنهي عن مخاطبته كما يخاطب الناس بعضهم بعضاً. وليس في الشرع نهي عن تعظيم النبي ﷺ في الأذان أو الصلاة، بل من خصائصه ﷺ أنه هو وحده الذي يمكن أن يخاطبه المصلي دون أن يخرج من صلاته كما سبق.

ومما سبق ومن النظر في كتب المذاهب الفقهية المعتمدة يعلم أنه ذهب إلى استحباب تقديم لفظ (سيدنا) قبل اسمه الشريف ﷺ في الصلاة والأذان والإقامة وغيرها من العبادات جمهور فقهاء المذاهب الفقهية وغيرهم، وهذا هو ما عليه الفتوى، فالأدب مقدم دائماً معه ﷺ. هذا عن الأفضلية، أما عن الجواز فكلا الأمرين جائز، والأمر في ذلك واسع، وليس لفريق أن ينكر على الآخر في الأمور الخلافية التي وسع من قبلنا الخلاف فيها، والتنازع من أجل ذلك لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله ﷺ. وعلى ذلك فليس تسويده ﷺ في الأذان والإقامة والتشهد مخالفاً للشرع، بل فاعل ذلك محمود ومثاب على فعله هذا



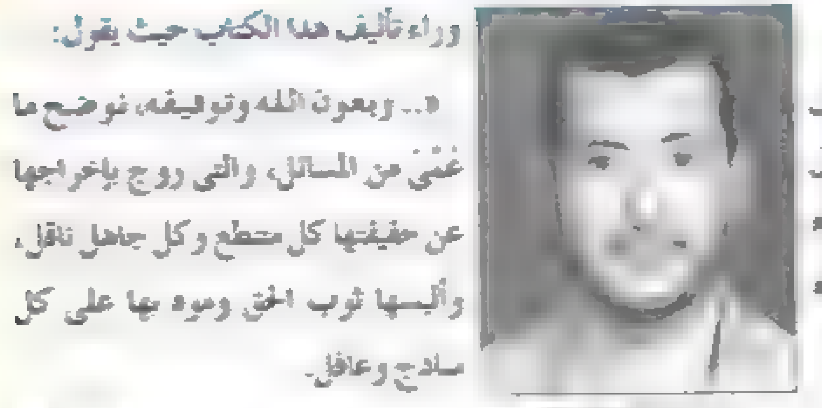
إن انتشار الطرق الصوفية في شتى البلاد الإسلامية خير دليل [illegible] التصوف في [illegible] مسلمين ولا [illegible] التصوف في التاريخ الإسلامي أو [illegible] من التصوف [illegible]

الإحسان.

[illegible] بين أيدينا يعرض لشيء من هذا التصويب.

[illegible]

هو الدكتور سعيد أبو الإسعاد وكيل المشيخة العامة للطرق الصوفية وحاصل على ليسانس الدراسات الإسلامية عام ١٩٨١ وبكالوريوس طب الأزهر عام ١٩٨٧


د. سعيد أبو الإسعاد

ومن مؤلفاته:

(١) سبل الخيرات المنصوصة بزيارة آل البيت والصالحين بمصر المحروسة، صدر عام ٢٠٠٤م

(٢) هذا الكتاب الذي نقدمه للقراء صدر (٢٠٠٥م)

(٣) البيان الجازم أن التصوف لتزكية الإنسان نهج لازم صدر عام ٢٠٠٧م

(٤) الإنسان كما أراده الرحمن وليس كما يريده الشيطان صدر عام ٢٠٠٨م

(٥) [illegible] الإنسان في سيرة المبعوث رحمة للإنسان «السيرة المصرية» صدر (٢٠٠٩م)

(٦) [illegible] دعاة [illegible] صدر (٢٠٠٩م)

(٧) [illegible] على [illegible] أبي بكر وعمر رضي الله عنهما [illegible] محنة التصوف [illegible] تاريخ)

أسباب تأليف الكتاب:

ونستشف من استفتاح المؤلف - الوارد ص ٧ - الدافع وراء تأليف هذا الكتاب حيث يقول:

«.. وبعون الله وتوفيقه، نوضح ما عُمّيَ من المسائل، والتي روج بإخراجها عن حقيقتها كل متنطع وكل جاهل ناقل، وألبسها ثوب الحق وموه بها على كل ساذج وغافل.

ولكسب رحمة من وراء هذا العمل أن تساهم في بقعة الضوء على وحدة خلق التصور لأدوات ودلائل ملاكها وأساسها كتاب الله وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، عسى الله أن يفتح بها آذانا صما، وأعينا عمياً وقلوباً غلفا.

وتشفع هذا الجهد بتوجه إلى العلي القدير أن يتقبله منا بقبول حسن، وينبته نباتاً حسناً، ليفيد منه كل مؤمن فالح وسعيد صالح. إذ الإيمان القائم على تقوى من الله ورضوان، سبيل للسعادة من دون شك، كذلك الفلاح المرجو في الآخرة، غاية العمل الصالح في الدنيا من غير ريب.

والله نسأل أن يردنا إلى دينه رداً جميلاً، وأن يجمعنا في رحاب إسلامنا العظيم ذي الرحمة العامة للخلائق أجمعين، وأن يهدينا لاتباع إجماع الأمة وسنة الأوائل، فالعودة إلى الحق شيمة العاقل الفاضل.

وأسأل الله كذلك أن يجزي خيراً من كان للخير داعياً، وإليه ساعياً وأن يجعله صافياً، وبالحبيب



الأعظم ﷺ موصولاً وواصلاً..»

فهو يهدف من وراء عمله هذا مجابهة الجهال الذين أخرجوا العديد من المسائل عن حقيقتها.

كما يبغى من وراء ذلك التنبيه إلى العودة إلى الحق، لأن ذلك من شيم العاقل الفاضل.

الكتاب:

يقع الكتاب فى مائتين واثنين وثمانين صفحة من قطع ١٧ × ٢٤سم على ورق فاخر مصقول.

صدر عن شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع. والكتاب مجموعة من المقالات تهدف فى المقام الأول إلى تصحيح بعض مسائل العقيدة وهى كالتالى:

ضوابط تغيير المنكر، بشرى النبى ﷺ لأمته بأنها لن تشرك من بعده أبداً، مشروعية الاستعانة والتوسل والوسيلة من صريح «الكتاب» وصحيح «السنة»، إجماع الأمة على أن زيارة قبره ﷺ أعظم قربة، ومشروعية الصلاة فى المساجد التى بها قبور وأضرحة، مشروعية (قراءة الفاتحة) والانتفاع بـ (قراءة القرآن) للأحياء والموتى، الذكر الجماعى والجهر به، صحابة «رسول الله» ﷺ هم صفوة من عبد الله، التثبت والثبات بيقال ما خصصه المولى لأوليائه من كرامات، مذهب أهل السنة والجماعة تنزيه الله عن المكان والجهة، بيان أن بدعة الهدى تلحق بسنة المصطفى ﷺ، شرعية الاحتفال بمولد «النبى» ﷺ، بيان أن المقصود بالإطراء بعيد فى معناه عن مديح سيد الأنبياء ﷺ، «الشرعة والطرقة» فى قول «مدد وطرقة»، نفى الشك والريب بإيضاح ما أثير من تساؤلات حول الغيب، محبة آل البيت الكريمين لرسول الله ﷺ، تلقيباً لأهل الفضل والصلاح سلوك تقره الشريعة، البركة والتبرك، كلمة «سيدى» و«مولاى»، تقبيل أيدى العلماء والصالحين، حكم الصلاة على رسول الله ﷺ بعد الأذان، المفهوم الصحيح لقول رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»، الحكم المسلم والتحذير من الخروج عليه، التعامل مع «غير المسلمين» ما له وما عليه، إطلاق اللحية «من سنن العادة لا من سنن العبادة»، مشروعية اتخاذ السبحة، مشروعية إباحة السماع لطيب الأصوات وإعطاء شروطه كسائر المباحات.

ونعرض فى السطور التالية مختصراً لنص مبحث عن صحة الصلاة فى المساجد التى بها قبور وأضرحة يقول:

زعم قوم أن الصلاة فى المساجد التى بها «أضرحة» باطلة، وزعموا أن الصلاة لا تجوز فى هذه المساجد، واستخدموا كلمات البدعة والحرام والضلال، ووصل الأمر إلى خداع البسطاء من الناس بأدلة فى غير موضعها، وإن شئت الدقة فقل: إنهم استغلوا نصوصاً من القرآن والسنة ليست فى موضع الاستدلال الصحيح. وقد ساق المؤلف عشرة أدلة على صحة الصلاة فى المساجد التى بها قبور ونكتفى بعرض بعضها حيث يقول: تعددت آراء الصحابة «رضوان الله عليهم» عند وفاة «رسول الله» ﷺ فى مكان دفنه، فمنهم من قال: عند المنبر، ومنهم من قال: بالبقيع، ومنهم من قال: عند القبلة. وقال سيدنا «أبو بكر» رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما مات نبى قط إلا يدفن حيث تقبض روحه». فقال سيدنا «على» رضى الله عنه: وأنا أيضاً سمعته[1].

وهنا لنا سؤال محدد: هل كان «الصحابة» يقترحون أو يفعلون شيئاً يبطل الصلاة فى المسجد؟ أم أنهم يعلمون بقاء بركة وجود المبارك فى المسجد.

وإذا كان المسلم يبحث عن القبول والبركة فى المكان كـ (عرفة والكعبة) وفى الزمان كـ (رمضان ووقت السحر)، وفى الشخص الصالح الحى كـ (أهل القرآن وأهل العلم والصلاح) فهل يحجر عليه طلب البركة والقبول عند الصالح إذا مات؟ وهل تعدم بركة ومقام الصالحين عند الله بموتهم؟

ويقدم دليلاً آخر حيث يقول:

هل قرأ المنكرون تاريخ بناء المسجد الحرام وعلموا أن بين الحجر الأسود وزمزم والمقام (تسعين نبياً) مدفونين[2] ولو منعت الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة لكان المنع أولى بالمسجد الحرام الذى تضاعف فيه بركة الصلاة بمائة ألف. وها أمر (الله) تعالى باتخاذ أثر قدم (الخليل) عليه السلام مصلى

﴿ [illegible] مُصَلًّى ﴾

(البقرة ١٢٥)

ومن هذه الأدلة أيضاً يقول:

بعض المغرضين والمغرر بهم يقولون بمنع الصلاة والزيارة لمساجد الصالحين بدعوى سد الذرائع خوفاً من الشرك قائلين إن (يغوث ويعوق ونسر) كانوا عباداً صالحين عبدوا من دون الله.

ونحن نقول (تلك أمة قد خلت) فالأمة المحمدية محفوظة بكتاب ربها وسنة نبيها، والخير فيها إلى يوم القيامة.

ونقول تعقيبا على ذلك:

نعم .. إن المسلم يبحث عن القبول والبركة فى المكان كـ (عرفة والكعبة) ولكنه لا ينادى غير رب الكعبة ورب عرفة.

وإن المسلم يبحث عن القبول والبركة فى الزمان كـ (رمضان ووقت السحر) ولكنه لا يستيقظ إلا لينادى رب السحر.

---

[1] أخرجه «الترمذى» وابن ماجه وفى رواية «الموطأ»: ما دفن نبى قط إلا فى مكانه الذى توفى فيه [illegible]

[2] فى سنن أبى داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بين زمزم والحطيم [illegible] نبى [illegible]

فإذا التمس المسلم القبول والبركة في الشخص الصالح الحي كـ(أهل القرآن وأهل العلم والصلاح) فعليه أن يكون في معيتهم وقلبه معلق بالله ـ تعالى ـ ولسانه يلهج بالطلب من ربه وربهم الذي أنعم عليهم بالقرآن وبالعلم وبطريق الصلاح.

ثم يقول المؤلف: فهل يحجر عليه طلب البركة والقبول عند الصالح إذا مات؟

أقول: لا يحجر عليه، ولكن على من يقصده طلبا لبركته أن ينظر إلى موضع قدميه لئلا تزل قدمه بعد ثبوتها .. وعليه أن يعلم أنه جاء إلى موضع البركة ولا يطلب حاجته إلا من الله، ولا يتوجه بالدعاء والتضرع إلا إلى خالقه وحده.

لماذا نقول: ﴿ بِئْسَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﴾ ونستريح إلى أننا أمة غير تلك الأمة، وبيننا من يغفل عنهم عن جهالة .. فهذا ما لا يجب أن يفرط فيه العلماء بل هو واجبهم الذي لابد أن يقوموا به لتبصير الناس بأمور دينهم.

وعن اختصاص كلمة (السيد) بالله عز وجل يقول:

يظن البعض أن كلمة (سيدى) أو (مولاى) لايجوز إطلاقها إلا في حق (الله) سبحانه لحديث (السيد الله)[3].

وهذا قصور في الفهم يجب عدم الالتفات إليه، لأن القائل (السيد الله) هو القائل (أنا سيد ولد آدم)[4] وهو القائل ﷺ (إن ابني هذا سيد)[5] وهو القائل: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[6] وهو القائل: (قوموا إلى سيدكم)[7].

ودفعا لما قد يتوهمه البعض من وجود تعارض بين هذه الأحاديث وبين قوله ﷺ: (السيد الله) فلعل هذا من باب قوله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[8].

وذلك لأن الخبر إذا أطلق يكون محمولا على الكمال، وقد نص على ذلك (سيبويه) كقولك (الرجل زيد) تريد الكامل في الوصف لا على الوصف عن غيره.

ومن عادة العرب أن يوقعوا على الشيء الذي يخصونه بالمدح اسم الجنس، ألا ترى كيف سموا الكعبة (البيت)، وعليه يكون قوله (السيد الله) محمولا على الكمال المطلق.

وكما هو معلوم أن الاشتراك في الوصف لايعني التكافؤ في شبهه وأقداره، وهذه حقيقة نجد تأكيدها في (القرآن) فقد وصف (الله) تعالى بعضا من رسله ببعض أسمائه كوصف سيدنا (إسماعيل) عليه السلام بـ(الحليم) وسيدنا (إسحاق) عليه السلام بـ(العليم)، وقال على لسان سيدنا (يوسف) عليه السلام [illegible] ووصف سيدنا (محمدا) ﷺ بقوله:

[illegible]

ونكتفي بهذا، ونحيل القارئ إلى باب استفتاءات القراء المنشور بهذا العدد لمزيد من الاستفادة. ثم يتناول المؤلف لفظ مولانا فيقول:

وكلمة (المولى) قد تطلق ويراد بها المملوك، وقد تطلق ويراد بها السيد، وتطلق أيضا ويراد بها النصير، ومنها الولى ولا بأس أن تطلق كلمة (مولانا) على ولى الأمر في الدنيا والدين يقول تعالى:

[illegible]

(المائدة: 56)

وقد جاء ذلك واضحا في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان.

عن (أبي هريرة) رضي الله عنه أن (رسول الله) ﷺ قال:

(لايقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك، اسق ربك، وليقل: سيدي، مولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي).

وعن شرعية الاحتفال بمولد النبي ﷺ يقدم المؤلف تسعة أدلة نذكر منها قوله:

إنه ﷺ كان يعظم يوم مولده، ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه، وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود، إذ سعد به كل أهل الوجود، وكان ﷺ يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء في الحديث عن أبي قتادة (أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: فيه ولدت وفيه أنزل علي)[9].

وهذا في معنى الاحتفال به إلا أن الصورة وإن تعددت ولكن المعنى موجود سواء أكان ذلك بصيام أم بإطعام طعام أو باجتماع على ذكر أو صلاة على (النبي) ﷺ أو سماع شمائله الشريفة.

ودليل آخر يستنبطه المؤلف من الربط بين بعض آيات القرآن، إذ يقول:

إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(يونس: 58)

فالله تعالى أمرنا أن نفرح بالرحمة، و(النبي) ﷺ أعظم رحمة قال الله تعالى:

---

(3) أخرجه (أحمد) و(أبو داود)

(4) أخرجه مسلم و أبو داود من حديث أبي هريرة [illegible]

(5) أخرجه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي

(6) أخرجه أحمد والترمذي

(7) أخرجه الشيخان وأبو داود عن أبي سعيد، والمقصود به (سعد بن معاذ) رضي الله عنه

(8) أخرجه مسلم عن جابر، كما أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي عن ابن عمرو.

(9) صحيح مسلم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

وهو استنباط طيب يحمد المؤلف عليه، ويكون الاحتفال بالمولد النبوى نوع من ذكر نعم الله على المؤمنين وكذلك إلقاء الخطب والدروس التى تذكر المؤمنين بفضل رسول الله ﷺ

فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

وبعد أن قدم المؤلف أدلته على شرعية الاحتفال بالمولد النبوى وأنه تطبيق عملى لإظهار التحدث بـ(نعمة الله) التى أمرنا الله بها: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ باعتبار أن سيدنا محمد ﷺ هو النعمة الكبرى، بل أجلّ النعم التى أنعم بها على الخلق يقول ص١٥٢:

«وقياسا على ما أسلفناه بشأن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بالأدلة الواضحة ينسحب حكم مشروعية إحياء ذكريات موالد أولياء الله جميعا» بشروطها المقررة.

تعقيبا على ذلك أقول: كم كنت أتمنى أن يبدأ المؤلف هذا الكتاب بتمهيد يتكلم فيه عن تلك (الشروط المقررة)، فمن حقها فى هذا الكتاب العديد من الصفحات وليس مجرد كلمتين، وبخاصة ونحن نسمع عن بعض المخالفات فى مثل هذه الاحتفالات وهو ما يرفضه كل مسلم، ناهيك عن أهل الصفاء الباحثين عن القرب.

نحن - بحق - فى حاجة إلى توعية العامة من الناس إلى أصول هذه الاحتفالات حتى لا تقل خروجا عن الدين الصحيح.

وقريبا من هذا يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه «عقائد الحق»: «.. والشأن كذلك مع أقوام قد تروج أحفال المولد بهم أو قد يصرعون بالصلاة على رسول الله - ﷺ - فى أعقاب الأذان أو قد يؤلفون صلوات من عند أنفسهم يحار المرء فى تراكيبها لإغراقها فى الخيال، وقد يكون حبهم تمسك شديدا ببعض النوافل وهروبا تاما من بعض الفرائض أو حبانا لا ندى معه ولا عطاء.

ثم أما بعد.. فالكتاب به جهد واضح ملموس فما ذكر المؤلف جملة إلا أيدها بآية قرآنية أو حديث نبوى شريف، وهو ما يشهد أنه أفرغ وسعه فى معالجة قضايا عقائدية مهمة

ثم إن الكتاب يمتاز بميزة مهمة ألا وهى ضبط كل حروف كلماته بالشكل. وهو أمر يمنع اللبس أو الاشتباه، فكل ما هو مكتوب يعبر عن مراد الكاتب وكم أتمنى أن يتبع هذا النهج فى كل الكتب التى تقدمها لأبنائنا الطلاب فى جميع المراحل الدراسية لأنه منهج آمن للخطأ

وعلى الله قصد السبيل.

بين المجلة والقارئ

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

الإعلام والإسلام .. إلى أين؟!

نشرت إحدى الصحف المصرية القومية صورة كبيرة لطفلة صغيرة ترتدى الحجاب وهى تتنزه مع والدها على كورنيش النيل.. جلست الطفلة على إحدى المقاعد وشرع أبوها فى تصويرها

قام المصور بالتقاط هذا المشهد لتنشره الصحيفة مصاحبة هذا التعليق «طفلة غاية فى البراءة لم تعرف حتى الآن معنى أن تكون أنثى أو ذكرا.. أجبروها على ارتداء الحجاب دون سبب.. والدها هذا السعيد ببراءتها يصورها على كورنيش النيل بعدما سجنها وراء هذا الغطاء الذى بالتأكيد ستكرهه عندما تكبر.. ويكون وقتها لديها القرار فى ارتدائه من عدمه.. لكنها للأسف ظاهرة واضحة هذه الأيام.. قتل البراءة بالحجاب!».

هذه الصورة، وهذه التعليق ينبغى أن تكون لنا معه وقفات وتساؤلات:

أولاً: كيف سمح المصور لنفسه بانتهاك خصوصية أب وابنته ونشر صورتهما بصاحبة هذا التعليق، فهل كهذا فى أى مجتمع متحضر لا يمكن أن يمر مرور الكرام فعندما تقوم بتصوير شخص فلابد أن تقوم باستئذانه ما لم تكن حفلاً لمصاريح قانونية يوافق لها القضاء والقضاء وحده ولا أحد سواه، إلا إذا قام المصور بحجب وجوه الأشخاص الذين التقطت صورهم عندها قد يختلف الأمر! ولكن هذا لم يحدث، فوجه الأب واضح تماماً ولم يهتم المصور بإخفائه!!

ثانياً: ما هو المصدر العلمى الذى اعتمد عليه كاتب التعليق وأبرزه فى عنوانه: «قتل البراءة بالحجاب!» وهل لديه فتوى شرعية أو قانونية بهذا الشأن؟! الحجاب فريضة شرعية على كل مسلمة مكلفة.. الطفلة غير مكلفة.. هذا صحيح فهى غير مطالبة بارتداء الحجاب شرعاً كما أنها غير مطالبة بالعديد من التكاليف الشرعية الأخرى كالصوم مثلاً ولكن هذا ليس معناه أن التكاليف الشرعية ومنها الحجاب والصيام قاتلة للبراءة، فأنا عندما أجعل ابنى الصغير الذى لم يبلغ الحلم يصوم ساعات محدودة فى نهار رمضان لا أقتل براءته وإنما أعوده على أداء فريضة شرعية فإذا ما انتصف اليوم قدم له الطعام وأفتنه على نجاحه فى صوم جزء من نهار رمضان.

أما بالنسبة للحجاب فقد تختلف مع الأب إذا ما جعل ابنته ترتدى الحجاب ويقيد حركتها به، لأنها لن تستطيع أن تجرى وتلهو مع قريناتها من الأطفال، واللعب واللهو من الأمور التى لا يمكن إنكار أهميتها فى تربية الطفل

وتنشئه، ولذا شخصيا لا أحبذ على الإطلاق أن يرتدى الأطفال الحجاب قبل سن التكليف الشرعى.

ولكن ليس معنى هذا أن لبس الحجاب - وهو الفريضة الشرعية - وفهمه بأنه قتل للبراءة.. وليس معنى هذا أن أسخر من والدها وأسفه سلوكه!! هذا أسلوب غير متحضر فى الحوار على الإطلاق.

للأسف الإعلام المصرى بوجه عام وللأسف الشديد يبحث عن الإثارة ويتلمسها فى الفرائض الدينية ويحرص على السخرية من المتمسكين بها وكان آخرها تلك الفضيحة المدوية التى فجرها إعلامى مصرى شهير على إحدى الفضائيات لم اعتذر عنها، ألا وهى «فضيحة منتخب الساجدين» هذا التعبير استخدمه المذيع اللامع جدا فى إحدى الفضائيات الشهيرة معلقا على هزيمة المنتخب المصرى لكرة القدم أمام المنتخب الأمريكى فى بطولة كأس العالم للقارات، حيث أكد أن سبب الهزيمة هو أن عددا من لاعبى المنتخب قضى ليلة المباراة فى أحضان عاهرات!! وحدث بركته وما سبه من فضائح مدوية عاد ليعتذر بعد أن تبين له عدم مصداقية مصدره. و لاعتذر للأسف جاء عمود أشر ولم يكن بنفس مستوى السخرية من «منتخب الساجدين» وهو وصف أطلقته وسائل الإعلام العالمية على منتخب مصر لأنه اشتهر بالسجود شكرا لله بعد كل هدف يسجله.

ولا أعلم لماذا استخدم المذيع لفظ «منتخب الساجدين» على وجه التحديد والذى وصفه بـ «الفضيحة» هل أراد السخرية من الساجدين لله الذين لم يمنعهم سجودهم من الوقوع فى المعصية. هل أراد السخرية من كل ساجد لله. ماذا أراد من وراء تعبيره؟ لا أدرى!

ولكن عقب انطفاء جذوة الفضيحة - فضيحة «عاهرات منتخب الساجدين» المزعومة - وافتضاح كذبها



مروة الشربينى

قمعى وتسمى القاطع لأجيرة لأمر بحديث أخريف لهم شتعلت الأمور مرة أخرى لأن الاتحاد المصرى لكرة القدم احتج بعنف على المدربات الدينية فى أرض الملعب وطالب بحظره وسحبت لجنة الاتحاد الدولى لكرة القدم وعن حظر السجود فى ملاعب كرة القدم وعلى الفور شنت الصحافة والإعلام المصرى حملة شديدة بعد الشرحه من الاتحاد الدولى لكرة القدم وبسرعة تم وتناسوا أنهم معصومون ومتورطون فى التطاول على الإسلام وعلى المسلمين وما يرتكب بحقهم من جرائم فى العالم كله وآخرها جريمة مقتل مسلمة مصرية فى ألمانيا وهى الدكتورة مروة الشربينى التى قتلها متعصب ألمانى لأنها مسلمة ولأنها محجبة وليس لأنها ليست ألمانية كما يشاع فالقاتل نفسه ليس ألمانيا خالصا بل هو من أصل روسى ولديه بها جنسيات متعددة ولكن ليركز كل التركيز على الإسلام والمسلمين. ووفق ما نشرته الصحف فقد صرخ القاتل فى وجه الدكتورة مروة قبل أن يشرع فى قتلها «لا بد من الحرب القومى» فكيف لمن يكون لأمثالك من المحجبات وجود فى ألمانيا ولا تستحق الحرب القومى»

إن عنف أوربا والغرب ضد الإسلام وضد الحجاب فهذا أمر له دوافعه وحقيقته الصريحة

أما أن يقف الإعلام المصرى ليتهم الحجاب بقتل البراءة، ويتهكم على «منتخب الساجدين» ويصفه بـ «الفضيحة» فهذا أمر يحتاج لإعادة فهمه الأسباب والتنوع

أحمد تقى الدين

من صفات الداعية «القدوة الحسنة»

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ محمد عباس محمد عرابى

التربية والدعوة بالسلوك أجدى وأفضل من ألف محاضرة، وكم خطبة... سلوك الداعية بين الناس فى حسن خلقه وأدبه، ومظهره ومخبره، وطيب حديثه، أفضل من كثير من الخطب والمحاضرات والدروس

قال الله - تعالى - على لسان نبيه شعيب - عليه السلام -:

[illegible]

(هود، ٨٨)

وفى صحيح البخارى ومسلم عن أسامة بن زيد - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون له: يا فلان ما لك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» رواه البخارى ومسلم

ويقول الشاعر:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما
إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا
والموبقات لعمرى أنت جانيها

ويقول شاعر آخر:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويهتدى
بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

من أعلام الإسلام: الإمام على زين العابدين

ومن الأستاذ / فرج محمد عبد الوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية كانت هذه الرسالة عن الإمام على زين العابدين

فى شعبان سنة ٣٨هـ ولد الإمام على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم جميعا -. وعلى زين العابدين هو الوحيد من أبناء الإمام الحسين الذكور الذى بقى على قيد الحياة بعد موقعة كربلاء، وذلك لأنه كان مريضا فلم يقتله الأمويون

ويروى المؤرخون ذلك الموقف الذى يدل على شجاعة على زين العابدين وجرأته، وكان لا يزال صغير السن. فبعد موقعة كربلاء واستشهاد الإمام

الحسين، سبي الأسرى وعلى رأسهم السيدة زينب أخت الحسين إلى عبيدالله بن زياد والي الكوفة ويرى هذا الصغير يخاطب عبيدالله في جرأة: إلى كم تهتك عمتي بين من يعرفها ومن لا يعرفها؟ فالتفت إليه عبيدالله وقال: من أنت؟ فقال في رباطة جأش: أنا علي بن الحسين. فرد عبيدالله: أليس الله قتل علي بن الحسين؟ فقال: كان لي أخ يسمى عليا قتله رجالك بأسيافهم. فقال عبيدالله: بل قتله الله. فقال زين العابدين: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها. فقال عبيدالله: أوبك جرأة على جوابي؟ وأمر رجاله أن يضربوا عنقه. فتعلقت به عمته السيدة زينب وقالت: يا ابن زياد حسبك ما سفكت من دمائنا، والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه!! وهنا قال علي زين العابدين: اسكتي يا عمة حتى أكلمه. والتفت إليه قائلاً: أبالقتل تهددني أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟ فنظر إليه عبيدالله ثم قال: عجباً للرحم والله إني لأظنها ودت أني لو قتلتها معه!! دعوه فإني أراه به مشغولا.

والإمام علي زين العابدين هو الإمام الرابع عند طائفة الإمامية الاثنا عشرية أكبر طوائف الشيعة حالياً. والمعروف أن الشيعة هم شيعة الإمام علي بن أبي طالب، وقد ظهروا أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما ثم نما المذهب وترعرع في عهد الخليفة علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - إذ كان كلما احتك بالناس ازدادوا إعجاباً بقوة دينه وعلمه. وفي عهد الأمويين حينما اشتدت المظالم على أولاد علي وكثر نزول الأذى بهم ازدادت محبة الناس لهم فاتسع نطاق المذهب الشيعي ويتفق الشيعة على أن علي بن أبي طالب هو الخليفة المختار من النبي كما يتفقون على أن الإمامة من بعده هي في أولاده الحسن ثم الحسين، ولكنهم اختلفوا بعد ذلك إلى أكثر من سبعين فرقة. ويرى الاثنى عشرية والإسماعيلية أن الإمامة بعد الحسين علي زين العابدين ومن بعده لمحمد الباقر ثم لأبي عبدالله جعفر الصادق ثم يختلفان بعد ذلك، فبينما يرى الاثنى عشرية أن بعد جعفر الصادق ابنه موسى الكاظم يرى الإسماعيلية أن بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل ثم يستمر الاثنى عشرية حتى الإمام الثاني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري والذي اختفى وسيظهر ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً هكذا يقولون.

صدام الآراء وطمس الحقيقة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ السيد حسين العزازي - وكيل وزارة سابق للكهرباء والطاقة:

- ما أكثر ما يذاع ويشاع ويكتب عن تناقضات واختلافات في الآراء ما بين التوثيق والتصديق الذي يقابل بالرفض والتعليق وعلى الرغم من أن سبل الحساب والمقارنة قد أصبحت سهلة ومتاحة وبالإمكان تباين النتائج في حدود أقرب للموقع منها للتخمين والاحتمال، فإن معايير جديدة أصبحت تشكك في سلامة القراءة المجردة أو الحصر الكمي للأرقام على كافة الأصعدة حيال أمورنا الحياتية وممارساتنا اليومية فيما يشكل علاقة المواطن بالحكومة وحقه في التعليم والتعبير والمشاركة وسبل الحياة المتاحة في الغذاء والكساء والمسكن والعلاج وصولاً لإسهامه في صنع القرار.

- فمن مادح إلى قادح ومن شاكر إلى ناكر ومن صامت إلى ثائر والجمهور في حيرة من أمرهم وإلى من يحتارون ومع من يتفقون أو يختلفون والنتيجة طمس الحقيقة وتمييع الواقع وخلق حالة من الالتباس والنفور مما يؤدي للإحباط والعزلة واستشعار الغربة والضياع. ولهذا مردوده المادي والمعنوي وتأثيره الهدام على عملية بناء الثقة وتقويض جسور التواصل والإخلال بأمن الجماعة وسلب مصداقيتها وقناعتها فيما تسمع أو ترى ليتحول كل شيء في رأيها إلى ترهات مآلها التكذيب كقصة الراعي والذئب.

والمسئولية تقع بالدرجة الأولى على المثقفين ورجال الإعلام وقيادات السلطة التنفيذية والتشريعية ممن يسمحون بثغرات في الطرح والعرض بالمغالطة أو التحامل على غير أساس أو مبرر وبما يشكل ساحة للتراشق والمعارضة التي تمارس النقد اللاذع والقذف الجارح متذرعة بالدفاع عن حقوق المظلومين وأصحاب المصلحة ممن لا يملكون سنداً ولا مدداً. ومن المناسب أن نعلق في هذا السياق على بعض القضايا التي تعرضت للشد والجذب إلى مستوى الوقيعة ومن ذلك قضية أموال أرباب المعاشات وطريقة إدارتها والتصرف فيها إلى حد الادعاء بتبديدها وإهدارها على حين يرد المسئولون بل تنميتها واستثمارها. نفس الموقف بالنسبة لقضايا الأسعار وضبط الإنتاج ومراقبة الأسواق وكذلك السياسة الزراعية ومشروعات الإسكان وتكاليف البناء وصولاً للدائرة الديمقراطية والتمثيل النيابي وانتهاء بعلاقاتنا الخارجية وتحديداً ما يتصل بالقارة الأفريقية وتركها نهباً للقوى الاستعمارية وفي مقدمتها إسرائيل بكل ما تمارسه من استفزاز وتغير خاصة في دول حوض وادي النيل.

- والتسليم بالرأي يقوم على الاستقراء والتمحيص وإن كان كل ما يسوق الأدلة والبراهين ويبرز الموقف برأي يرفض وآخر يدحض، وفي ظل تعدد منافذ التعبير تعرض المواطن البسيط - والذي يشكل ثلاثة أرباع المجتمع - لحالة التوهان وفقدان الثقة بين من يؤكد ومن يكذب، وأولى بهؤلاء وهؤلاء أن يتقوا الله فينا وأن يتخلوا من عقدة تصفية الحسابات وأن يتكلموا معنا بصراحة وسماحة وتقديم المعلومة مجردة من أي مبالغة وأن يقدموا الحلول الناجعة والحجج الدامغة وألا يتركوا مجالاً للتشكيك الذي يضرب الانتماء والولاء في مقتل.

وعلى الذين يتولون السموم أن يدركوا أنهم عرضة لاستنشاقها والتأثر بها ومن يشعل الحريق لا يسلم من الشرار.

ومن الأستاذ محمد صلاح العيطوى - إجازة عالية فى الشريعة والقانون - خبرة - عمراية عربية - كانت هذه الكلمة

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

أمر من الله تعالى للمسلمين بالاتحاد الذى فيه قوتهم وعزتهم ونهى منه سبحانه عن التفرق الذى فيه ضعفهم وذلهم وهوانهم، فإذا ما انساق العالم الإسلامى لتعاليم الإسلام لأصبح قوة لا تضاهيها قوى الأرض وذلك لما لديه من إمكانات وثروات وبما يحتله موقعه الإستراتيجى المتميز من أهمية بالغة، ونظرة سريعة نجد أن أراضى العالم الإسلامى تمتد إلى مساحات واسعة ذات تنوع مناخى، ومن ثم تنوع الإنتاج

ومساحة العالم الإسلامى تقترب من ربع مساحة اليابسة أما عن موقعه فنجده يطل من الغرب على المحيط الأطلسى، ومنه يمتد البحر الأبيض المتوسط ويجرى ذلك أكبر حركة ملاحية فى العالم، بينما يطل من الجنوب الشرقى على المحيط الهندى ومنه إلى البحر الأحمر والخليج العربى، كما يتحكم عالمنا الإسلامى فى مضايق تؤثر فى حركة الملاحة كمضيق البوسفور والدردنيل نافذة الاتحاد الروسى فى الشرق والذى يتحكم فى الملاحة بين البحر الأسود والمتوسط، ومضيق جبل طارق الذى يعد منفذ الغرب على البحر المتوسط، ومضيق باب المندب الذى هو منفذ الشرق إلى البحر الأحمر، ومضيق ملقا جنوب شرق آسيا، وقناة السويس التى هى حلقة الوصل بين الشرق والغرب، هذا فضلا عن الثروات الطبيعية التى يحويها عالمنا الإسلامى، حيث يحتل المرتبة الأولى فى إنتاج البترول فى العالم، بل أن منظمة الدول المصدرة للبترول «أوبك» والتى تنتج أكثر من ثلث إنتاج العالم من البترول تلعب الدول الإسلامية فيها دوراً بارزاً، حيث إن المنظمة تتشكل من ١٣ دولة منهم ١١ دولة إسلامية، والدولتان الباقيتان هما الإكوادور وفنزويلا. فضلا عن أن عالمنا الإسلامى يحتل المركز الأول فى إنتاج بعض المعادن كالقصدير والكروم والبوكسيت والمنجنيز، والمركز الثانى عالمياً فى إنتاج الفوسفات والنحاس، ومن هنا تبدو الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية لعالمنا الإسلامى بما يعد مناخاً مناسباً لتحقيق التكامل الاقتصادى ومن ثم تحقيق الوحدة بما يؤدى لإقامة المشروعات الاقتصادية والصناعية والزراعية مما يعود على الشعوب الإسلامية برغد العيش ومن ثم تتحقق الرفاهية والسعادة بدلا من المجاعات وتدنى مستوى المعيشة الذى يعانى منه المسلمون فى شتى بقاع الأرض

الله أسأل أن يوفق حكامنا المسلمين لما فيه خير البلاد والعباد وأن يسوقهم إلى الحق سوقاً إنه ولى ذلك والقادر عليه وهو حسبى نعم المولى ونعم النصير.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ/ أحمد توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل الوفد القضائى الليبى

أكد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى لقائه مع الوفد القضائى الليبى برئاسة المستشار عبد السلام [illegible] رئيس المحكمة العليا [illegible] الجماهيرية العربية الإسلامية [illegible] أن منهج الدراسة فى الأزهر يقوم على الاعتدال والبصر والسماحة ونحن نقوم بتدريس المذاهب الإسلامية دراسة مقارنة تقوم على الموضوعية لأن المذاهب الإسلامية جميعها تتفق فى الأصول، وإن وجد خلاف فيكون فى الفروع والمستحبات والمكروهات وتؤكد على أن كل من ينطق أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مسلم

ومن جهته أشاد رئيس الوفد بالأزهر الشريف ودوره الإيجابى الذى يعتبر [illegible] من خلال تدريسه المناهج الإسلامية بوسطيتها واعتدالها





الإمام الأكبر يستقبل سفير سيراليون

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم ٢٤/٦/٢٠٠٩م السيد / وموب موتو - سفير جمهورية سيراليون بالقاهرة والذي نقل تحيات وشكر رئيس جمهورية سيراليون والشعب السيراليوني إلى فضيلة الإمام الأكبر وإلى الأزهر الشريف منارة الإسلامية في الشرق الأوسط والعالم أجمع لما يقدمه لأبناء سيراليون الذين يدرسون على منح الأزهر وما يتلقونه من رعاية تعليمية. وتكفل الأزهر بتسكينهم بمدينة البعوث الإسلامية وتقديم كل ما يحتاجونه من رعاية كاملة. وأشار إلى أن العديد من أبناء سيراليون الذين درسوا بالأزهر يعملون في مناصب هامة. كما قدم شكره للأزهر على تدريب أئمة من سيراليون في دورات تدريبية كل ٣ شهور يتلقون فيها تعاليم الإسلام السمحة والمعتدلة، وقد عمل كثير منهم بعد عودتهم إلى سيراليون في جهات مهمة بسيراليون. كما طلب السيد السفير المزيد من المنح الدراسية لأبناء سيراليون.

ومن جانبه أبدى فضيلة الإمام الأكبر موافقته على تقديم العون والمساعدة من الأزهر الشريف لأبناء جمهورية سيراليون الشقيقة كما تمنى فضيلة الإمام الأكبر أن تعيش جمهورية سيراليون رئيساً وحكومة وشعباً في تقدم مستمر، وأن يجنب سيراليون الصراعات الأهلية لأن الصراعات لا تأتي بخير أبداً.



ويستقبل السفير الإيطالي

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه يوم ١٨/٦/٢٠٠٩م السيد [illegible] سفير إيطاليا بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بسعادة السفير في الأزهر الشريف، مشيداً [illegible] وإيطاليا عبر التاريخ.

ومن جانبه أكد السفير سعادته [illegible] فضيلة الإمام الأكبر وإتاحة الفرصة له [illegible] رئيس مجلس النواب الإيطالي الذي يحتل المرتبة الثانية في دولة إيطاليا [illegible] الدعوة الموجهة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة إيطاليا للمشاركة في مؤتمر [illegible] الحكومة الإيطالية، والذي يشارك فيه كبار القادة والمسئولين الدينيين من كافة [illegible] ضيف الشرف لهذا اللقاء. [illegible] من خلال التعاون يمكن تكثيف الحوار في [illegible] يتعلق بالجالية الإسلامية والجالية المصرية الموجودة في إيطاليا حيث [illegible] ويتضاعف عدد المساجد التي نتمنى أن تكون في أبهى صورة [illegible] الحكومة الإيطالية تدعم وتشيد أماكن العبادة [illegible] بأجمل وأكبر مسجد في [illegible]. كما دار النقاش حول أهمية [illegible] الأئمة الموجهين دينياً [illegible]

العنف والكراهية، لأن الهوة التي يعيشها المسلمون في الغرب تتطلب أن يكون هناك تعاون بين أتباع الأديان الأخرى. وأنه من خلال الأئمة والوعاظ يمكن مساعدة المسلمين الإيطاليين في معرفة دينهم معرفة أفضل حتى يدرسوا شعائر دينهم بطريقة تؤدي إلى التعايش مع من يؤمنون بديانات أخرى. وأشار السفير إلى أنه سيكون هناك تواصل لتنظيم هذه اللقاءات لرفع مستوى ما يتمتع به فضيلة الإمام من مكانة وسلطة دينية وعقل راجح يستطيع من خلاله أن يساعد المجتمع الإيطالي خاصة في فهم صحيح الدين الإسلامي، حيث إن هذا المجتمع الإيطالي متعدد الأعراق والديانات. وهو في أمس الحاجة للحصول على النصائح والتوجيهات من جانب مسئول كبير مثل فضيلة الإمام الأكبر لتوضيح صورة الإسلام ووسطيته واعتداله.

وفي نهاية اللقاء وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية الدعوة حينما يتيسر ذلك وتوكول ... في ذلك من خلال الطرق الدبلوماسية بين البلدين مصر وإيطاليا.

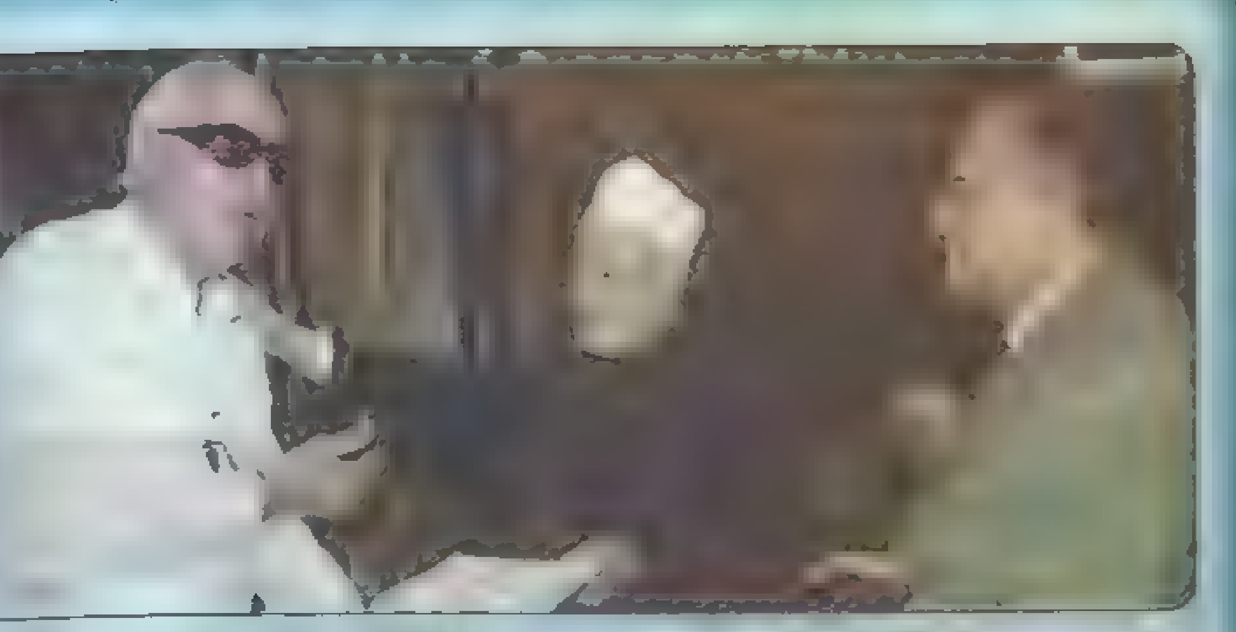
الإمام الأكبر يستقبل سفير كوريا الجنوبية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي – شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأربعاء الموافق ٨/٧/٢٠٠٩م السيد السفير/ جونج كون بون – سفير كوريا الجنوبية بالقاهرة وتأتي هذه الزيارة في إطار توليه مهام منصبه كسفير لبلاده بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير في مصر والأزهر الشريف مشيرا إلى الروابط المتعددة بين البلدين وأن الأزهر يسعده أن يتعاون مع السفير وأن نستقبله في الأزهر في أي وقت، كما أشاد فضيلة الإمام الأكبر بالتقدم العلمي لجمهورية كوريا الجنوبية وأن ... علامة واضحة على حرص ... على تعلم الشعب الكوري.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال وإتاحة الفرصة له لنيل هذه الزيارة وطلب فيها السيد السفير تخصيص منح دراسية للطلبة الكوريين للدراسة بالمعاهد الأزهرية حيث إن عدد المسلمين في كوريا ما يربو على ١٣٥ ألف مسلم كوري وحوالي ١٠٠ ألف مسلم من دول أخرى، كما أشار سيادته إلى أن عدد المسلمين في كوريا يزداد كل عام حيث إن الإسلام في كوريا منذ العقود ... منذ أكثر من ٥٠ عاما وأنهم يأملون في إنشاء فرع لجامعة الأزهر في كوريا. كما رغب في زيارة فضيلتكم لجمهورية كوريا.

وفي نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر أنه على استعداد لتلبية دعوة ... السفير من خلال الطرق الدبلوماسية وأن الأزهر لا يدخر وسعا في التعاون العلمي البناء.



ويستقبل وزير الطاقة الهندي

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه يوم ٢٨/٦/٢٠٠٩م الدكتور فاروق عبد الله وزير الطاقة الهندي ورافقه سفير الهند بالقاهرة والمستشار ...

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف في مصر والأزهر الشريف مشيرا إلى أن العلاقة بين مصر والهند علاقة قديمة وحميمة منذ عهد الرئيس نهرو وأن حضارة الهند القديمة والحديثة لا يستطيع أحد أن ينكرها وأن بالأزهر وجامعته طلبة من الهند يدرسون على منح الأزهر ويقترب عددهم (١٧٦) وهم يلزمون مناهج الأزهر ووسطيته واعتداله وهم فيما بعد ... الأزهر يعلمون سماحة الإسلام لذويهم.

ومن جانبه عبر الضيف عن قلقه الشديد لوجود التيار الأصولي الذي يهدد الإسلام وكذا تكفير المسلم لأخيه المسلم من بعض المسلمين في الهند الذين يتحولون إلى تيارات دينية متشددة تسيء إلى الإسلام والمسلمين ويحاولون فرض رأيهم وسيطرتهم بالقوة وهم بهذا يسيئون إلى الإسلام الذي ينتمون إليه. ومن أجل ذلك جئت إلى الأزهر الشريف الذي نعتمده بوسطيته واعتداله لكي يوضح لنا ما يجب تحديده للتقريب بين هذه الطرق والمذاهب.

ومن جانبه أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الكثير من المسلمين في دولة الهند يختلفون في فهم الإسلام فيما بينهم وأن مسألة اختلاف الناس في فهم الإسلام أمر طبيعي ما دام هذا الاختلاف لا يؤدي إلى تكفير المسلم للمسلم. ومن هنا نستطيع التغلب عليه. ووظيفتنا أن نوضح للناس أن الإسلام هو دين الاعتدال لجميع الأطراف كما أن الإسلام بعيد كل البعد عن التطرف وعن التعصب الأعمى وعن العصبية الجاهلية ولكن لا

أستطيع ... [illegible] ... إلا أنه لا بد وأن محمد رسول الله لكى تصح ... [illegible] ... على ... [illegible] ... الطرق والطوائف ... [illegible] ... من لسان صادق ... [illegible] ... فى ... [illegible] ... نتيجة ترضى جميع الأطراف ... [illegible] ... الاختلاف فى الرأى لا يفسد ... [illegible]

....

الإمام الأكبر يؤكد: [illegible] عقيدته ولا إجبار على العقائد



[illegible] ... الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء ١٦/٦/٢٠٠٩ ... [illegible] ... السعودى لدى ... [illegible] ... مصر من خلال بروتوكول التبادل الثقافى بين مصر والسعودية.

وفى ... [illegible] ... الإمام الأكبر بالوفد فى الأزهر الشريف ثم قدم فضيلته شرحاً موجزاً عن التعليم فى الأزهر ... [illegible] ... الاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى، مبيناً بأن الدراسة فى الأزهر ... [illegible] ... التربية والتعليم بالتوسع فى دراسة المواد العربية والشرعية وحفظ القرآن الكريم.

وعن سؤال لفضيلة الإمام الأكبر حول توحيد الأهلة بين الدول الإسلامية؟

أجاب فضيلته بأن بعض الفقهاء يرى أنه بالنسبة لهلال رمضان إذا رؤى فى بلد إسلامى ويجمعه خط ... [illegible] ... الإسلامية على نفس الخط أن تتبع هذا البلد الذى ظهر فيه الهلال، وبعض الفقهاء ... [illegible] ... الآخرون ... [illegible] ... لا يصوموا أقل من (٢٩) يوماً كما أنه لابد أن يؤخذ بعلم الحسابات الفلكية فى استطلاع الهلال.

وعن سؤال لفضيلته عن وجود الشيعة فى مصر؟

أجاب فضيلته: بأنه لا وجود للشيعة فى مصر كمذهب شيعى ولكن معنى الشيعة فى مصر أن يكون هناك إنسان له عاطفته مع أهل البيت.

وعن سؤال لفضيلته عن دور دار الإفتاء المصرية؟

أجاب فضيلته بأن وظيفة دار الإفتاء هى الرد على الأسئلة الشرعية كما أنه توجد فى مصر سيدات تشارك فى الأمور التى تتعلق بالأسرة.

وعن سؤال لفضيلته عن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر؟

أجاب فضيلته: بأن لكل إنسان عقيدته ولا إجبار على العقائد والإسلام اعتبر الناس جميعاً أخوة فى الإنسانية، وفى مصر يتساوى المسلم والمسيحى فى الحقوق والواجبات.

الدورة التدريبية لوعاظ العالم الاسلامى

كرم الأزهر أئمة الدورة التدريبية العالمية الثالثة والثمانين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى بدأت فى الفترة من ١/٤/٢٠٠٩ ولمدة ثلاثة أشهر. شهد الحفل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى – شيخ الأزهر رئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف حيث أقيم الحفل يوم الثلاثاء الموافق ٢٣/٦/٢٠٠٩ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف عقب أداء صلاة الظهر حيث كرم فضيلته أعضاء الدورة البالغ عددهم ٢٠ إماماً وواعظاً من (الجزائر – السودان – نيجيريا – الكاميرون – بنجلاديش).

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن هذه اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض، نتناقش فى أمور الدين والدنيا، ونتحاور فى العقائد والمعاملات. فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، نبين للناس وجه الإسلام السمح الذى يأمر أتباعه بأن يبنوا ولا يهدموا، يعمروا ولا يخربوا، يصلحوا ولا يفسدوا، يعملوا من أجل خدمة دينهم وأمتهم ويبشروا بمبادئ الإسلام السمحة على الناس ويدافعوا عن الحق ويقفوا فى وجه الباطل. فوظيفتنا أن نبين ما هو حق وندعو إليه ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه، موضحاً بأن الإسلام دين ينهى نهياً قاطعاً عن الإرهاب الذى هو عدوان على الأنفس والأموال فعلينا أن نحارب الباطل ونبين ما هو حق، ونتعاون لخدمة ديننا وأمتنا بأن نكون قدوة



في مكارم الأخلاق وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وبين أن الإسلام قد بدأ بالسلام لكل من يمد يده إليه بالسلام. كما أكد فضيلة الإمام على أن الدراسة بالأزهر تقوم على الوسطية والتسامح والاعتدال، ونحن دائماً نقول للطلاب والحوار عليكم أن تفهموا الإسلام فهماً سليماً حتى يسود الأمة الأمن والرخاء والثقة بين الناس من حاكمين ومحكومين وأنهم رسل الأزهر في بلادهم. وفي نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق في عملهم ووزع على أعضاء الدورة المكتبة الإسلامية التي تحتوي على أمهات الكتب كما حصلوا على شهادات التقدير كما عبر فضيلته بأن هذه الدورات لها أهمية كبرى في نقل الأئمة والوعاظ من خلال المحاضرات التي يستمعون إليها والمناقشات مع نخبة من كبار العلماء ثم يحصلهم بما يعبرون عنه والأساليب الجديدة التي يشهدها العصر.

حضر الحفل فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ولفيف من علماء الأزهر والسادة سفراء الدول المشارك أبناؤها في الدورة

تكريم أوائل الشهادات الأزهرية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر حفل تكريم أوائل الشهادات العامة الأزهرية عن العام الدراسي ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩م وذلك بقاعة الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر يوم الخميس ١٦/ ٧/ ٢٠٠٩ حيث هنأ فضيلته الأوائل وتمنى لهم التوفيق في دراستهم المستقبلية وأنهم أبناء الأزهر الذين نفخر بهم دائماً

وقام فضيلته بتكريم الأوائل لعدد ١٢٢ طالباً وطالبة حيث حصل الأوائل من الثانوي الأزهري «مكفوفين» وعددهم خمسة حصل كل فائز على ١٥٠٠ جنيه من حساب مجلس الآباء.

كما تم تكريم عدد عشرة (مبصر) وحصل كل فائز على ١٥٠٠ جنيه.

وفي أوائل القسم العلمي وعددهم أربعة عشر فائزاً حصل كل فائز على ١٥٠٠ جنيه وعن القسم الإعدادي (مبصر) تم تكريم عدد عشرة أوائل حصل كل فائز على ١٤٠٠ جنيه. وعن القسم الإعدادي «مكفوفين» تم تكريم عدد عشرة أوائل حصل كل فائز على ١٤٠٠ جنيه وفيما يخص الفائزين في المرحلة الابتدائية فتم تكريم أحد عشر مبصراً حصل كل فائز على ١٣٠٠ جنيه وتكريم أحد عشر كفيفاً بواقع ١٣٠٠ جنيه لكل فائز. كما تم تكريم خمسة فائزين في عالية القراءات من المبصرين بواقع ١٤٠٠ جنيه لكل فائز. وخمسة فائزين «مكفوفين» لعالي التخصص بواقع ١٤٠٠ جنيه لكل فائز. كما تم تكريم أوائل شهادة التخصص لعدد خمسة فائزين «مبصرين» حصل كل فائز على ١٤٠٠ جنيه كما حصل المكفوفون وعددهم خمسة لعالي التخصص على ١٤٠٠ جنيه لكل فائز.

وفي شهادة إجازة التجويد عدد (٦) مبصرين حصل كل فائز على ١٤٠٠ جنيه. كما حصل المكفوفون لعالي التخصص وعددهم (٤) فائزين على ١٤٠٠ جنيه لكل فائز. وحصل الفائزون في ثانوية البعوث الإسلامية وعددهم عشرة على ١٣٠٠ جنيه لكل فائز- كما حصل الفائزون في إعدادية البعوث الإسلامية وعددهم عشرة على ١٢٠٠ جنيه لكل فائز هذا وقد بلغ إجمالي قيمة الجوائز ١٦٧٤٠٠ جنيه. هذا وقام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع أجهزة تسجيل لكل كفيف من الفائزين. كما قام فضيلته بتسليم شهادات تقدير لكل متفوق وكذلك توزيع المصاحف على الفائزين.

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

عقد المجلس الأعلى للأزهر جلسته رقم (١٧٠) برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمقر مشيخة الأزهر حيث تمت الموافقة على

- إضافة فقرة جديدة لنص المادة رقم (٣٥) من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بخصوص إنشاء معهد فوق متوسطة ببعض الكليات بالجامعة.
- قواعد وشروط قبول الطلاب المصريين والطلاب الوافدين وشروط إعادة القيد لمرحلة الإجازة العالية بكليات الجامعة للعام ٢٠٠٩/٢٠١٠م.



- تعديل مسمى كلية اللغة العربية بناحية برج نور الحمص - مركز أجا - محافظة الدقهلية لتصبح كلية القرآن للبنات.
- إنشاء كلية باسم كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للطلاب الوافدين غير الناطقين باللغة العربية.
- إضافة شعبة جديدة باسم المرحلة الخاصة بكليات الشريعة والقانون، الدعوة الإسلامية، الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة. وكذا إضافة فقرة جديدة إلى اللائحة الداخلية لهذه الكليات.
- إنشاء «مركز الخدمات والأنشطة التابعة لجامعة الأزهر» واعتباره وحدة ذات طابع خاص.
- تعديل نص المادتين رقمي (٣ و ١٩) من اللائحة المالية والإدارية الخاصة بمركز تطوير جامعة الأزهر بمدينة نصر «وحدة ذات طابع خاص».
- الموافقة من حيث المبدأ على إتاحة برنامج تعليمي متميز في العلوم الإسلامية والعربية يتم تنفيذه عن طريق التعليم عن بعد ليتاح لجميع الراغبين في أماكنهم تيسيراً لهم وتحقيقاً لنشر دور الأزهر في العالم.
- الموافقة على إعلان كلية الدراسات الإنسانية فرع جامعة الأزهر للبنات بالقاهرة عن عدد (٤) وظائف مدرس مساعد بقسم اللغة الأوردية من الإناث خريجات الجامعات المصرية.
- الموافقة على تعديل بعض بنود لائحة صناديق تحسين الخدمة بالمدن الجامعية للطلاب والطالبات.
- الموافقة على قيام مشيخة الأزهر بطبع الكتب التراثية للعام الجامعي (٢٠٠٩ - ٢٠١٠) على أن تقوم الجامعة بتوزيعها مجاناً على الطلاب.
- الموافقة على فصل شعبة الهندسة بنات التابعة لكلية الهندسة بنين بمدينة نصر لتكون كلية الهندسة بنات مستقلة بذاتها.
- معادلة درجة الدكتوراة في العلوم الطبيعية من جامعة ريجنسبورج بألمانيا عام ٢٠٠٩ بدرجة الدكتوراة التي تمنحها الجامعات المصرية في التخصص المناظر.
- معادلة درجة الدكتوراة من جامعة كلاوستال بألمانيا عام ٢٠٠٧م بدرجة الدكتوراة التي تمنحها الجامعات المصرية في التخصص المناظر.
- معادلة الدكتوراة من جامعة اكستر بانجلترا عام ٢٠٠٩ بدرجة الدكتوراة التي تمنحها الجامعات المصرية في التخصص المناظر.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذين: عبد الموجود أمين - يحيى سليمان

نساء تحدث عنهن القرآن

أصدرت سلسلة مجمع البحوث الإسلامية الطبعة الثالثة من كتاب نساء تحدث عنهن القرآن لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر. وقد تضمن الكتاب بحوثاً خاصة بالنساء اللاتي تحدث عنهن القرآن الكريم حيث فصل القرآن الكريم الحديث عن جوانب من خصائص النساء ومن صفاتهن ومن أحوالهن ومن عواطفهن، ومما أعطاه لهن من حقوق ومما كلفهن به سبحانه من واجبات.



ومن النساء اللاتي تحدث عنهن القرآن: السيدة سارة امرأة خليل الله إبراهيم - عليه السلام -، أم موسى - عليه السلام - المرأتان اللتان ترتبطان بجانب من قصة سيدنا موسى - عليه السلام - مريم ابنة عمران، بلقيس ملكة سبأ، زليخا امرأة العزيز، خولة بنت ثعلبة، كما تضمن الكتاب الحديث عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

وختم فضيلته الكتاب بكلمات واضحات عن تعدد الزوجات بالنسبة للرسول ﷺ وبالنسبة لأتباعه

والكتاب في مجمله مفيد للعامة قبل الخاصة فهو بسيط في أسلوبه، سهل في معانيه واضح القصد.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلي مدير عام إدارة إحياء التراث.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل مستشار سفارة جزر القمر بالقاهرة



التقى فضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه [illegible] مستشار سفارة جزر القمر بالقاهرة [illegible] وتطوير العلاقات.

وقد أشاد فضيلة الأمين العام بعمق العلاقات بين البلدين على جميع الأصعدة خاصة بين الأزهر الشريف ومؤسسات [illegible] بدولة جزر القمر.

وقد رحب الأمين العام بأي مقترحات إضافية لتفعيل التعاون [illegible] وأكد على أن الأزهر لا يألو جهدا في تقديم كل أنواع الدعم سواء كان بإرسال مدرسين أو وعاظ أو استقدام طلاب أو عقد دورات للأئمة [illegible] أو إنشاء معاهد للأزهر [illegible] في كل أرجاء المعمورة. وأعرب فضيلة الأمين العام عن سعادته بتولي خريجي الأزهر الشريف من مختلف البلدان للمراكز المتقدمة في بلادهم الأمر الذي يعكس [illegible] خريجي الأزهر [illegible] من خريجي الأزهر الشريف [illegible]

[illegible]

بها من قبل الأمين العام، [illegible] الخدمات القيمة التي [illegible] [illegible] من أبناء [illegible] الذين تخرجوا في جامعة الأزهر [illegible] الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

مجمع البحوث الإسلامية يرفض سلب الولاية على الصغير

ناقشت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية في جلستها التي عقدت يوم الخميس ٢٥/٦/٢٠٠٩م [illegible] ١٩٥٢ بتقرير سلب الولاية على النفس.

وقرر المجلس [illegible] فضيلة الإمام الأكبر باقتراح قانون للأحوال الشخصية لغير المسلمين.

[illegible] صرح بذلك فضيلة الشيخ [illegible] مدير عام الإدارة العامة لشئون اللجان والأروقة.

المؤتمر الرابع لمشروع ذاكرة العالم العربي

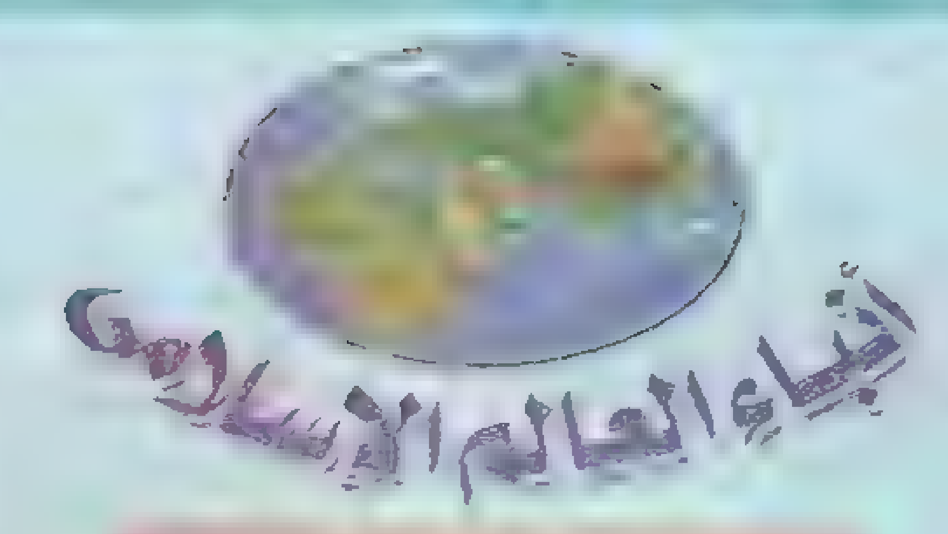
[illegible] المؤتمر الرابع لمشروع ذاكرة العالم العربي [illegible] من ١٧ إلى ١٩/٧/٢٠٠٩م [illegible] الأستاذ [illegible] رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر وعضو اللجنة [illegible] للمؤتمر.

الوافدون من دولة كازاخستان

[illegible] ٣٥٣ [illegible] ١٧٣ [illegible] ١١ [illegible]

[illegible] ٦٦ [illegible] ٤٨ [illegible] ٣٣٠ [illegible]

صرح بذلك فضيلة الشيخ [illegible] مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.



للاستاذين: محمود الفشني - أحمد رضوان

فضيلة الإمام الأكبر يؤكد:

مروة شهيدة ولابد من موقف حاسم ضد الإساءة للمسلمين

طالب فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر المجتمع الدولى و المؤسسات الدينية والمدنية باتخاذ موقف حاسم لإيقاف ما سماه بالتعصب الغربى فى الإساءة للإسلام والمسلمين فى كرامتهم وأمنهم. وحذر فضيلة شيخ الأزهر من التهاون في التعامل مع مثل هذه الحوادث الإرهابية وتأثيرها السلبى على استمرارية جهود مخلصة للتفاهم وإثبات حسن النوايا تجاه الإسلام والمسلمين مشيراً إلى أنه آن الأوان لنفى تهمة الإرهاب عن المسلمين والاعتراف بكونها واقعا لدى الجميع.

وأكد فضيلة الإمام أن السيدة الفقيدة فى حكم «الشهيدة» لأنها تعرضت للقتل البشع لا لذنب اقترفته. وإنما لتمسكها بتعاليم دينها وشريعته داخل وطنها وخارجه. مشيراً إلى أن الحجاب فرض إسلامي على كل فتاة وامرأة بالغة، ولا يجوز معاقبة من تريد أن تستر جسدها أو منعها.

واستنكر فضيلته اعتراض الغرب على الزى الإسلامى قائلا: إذا كانوا لا يفهمون مقصده الشرعى فليعتبروه من الحريات الشخصية التى يدافعون عن أصحابها ليل نهار – موضحاً أنه لا مجال هنا لتذرع بالجهل وعدم الفهم، واصفاً ما حدث بأنه جريمة من أشد ألوان الإجرام وقال: إن الإسلام لا يستبيح أبدا قتل النفس بغير ذنب ولا يتسامح مع من يقدم على إزهاق روح بريئة مهما كانت عقيدة صاحبها، مشيرا إلى مسئولية المجتمعات الغربية والمؤسسات عن تنظيف عقول هؤلاء المتطرفين ومنع خطرهم من الاستفحال.

المركزان الإسلامى واليهودى فى ألمانيا يدينان اغتيال مروة الشربينى

أدان المركز الإسلامى المركزى والمركز اليهودى بألمانيا مقتل الشهيدة المصرية مروة الشربينى ضحية الحجاب على يد متطرف ألمانى قال المركزان فى بيان مشترك أن الشهيدة راحت ضحية العنصرية والتطرف.

جدل حول حملة الرئيس الفرنسى ساركوزى الجديدة ضد النقاب

تفجرت موجة من الجدل وتباينت آراء رموز الجاليات المسلمة فى فرنسا، حول تصريحات الرئيس الفرنسى نيكولاى ساركوزى الأخيرة أمام البرلمان فى فرنسا، بالقرب من باريس. حول الحجاب والنقاب للمرأة ما بين مؤيد ورافض، حيث التقى عميد مسجد باريس الكبير دليل أبوبكر بقوله: «إن تصريحات الرئيس الفرنسى حول النقاب إنما هى منسجمة تماما مع مبادئ العلمانية المطبقة فى فرنسا.

بينما أعرب رئيس المجلس الفرنسى للديانة الإسلامية محمد موسوى عن صدمته بشأن تشكيل لجنة تحقيق بشأن النقاب، موضحاً أنه يعول على التربية أكثر منها على القانون لتشجيع النساء على التخلى عن النقاب.

وكان ساركوزى قد أكد على أن «النقاب الذى يغطى المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها إنما يشكل علامة استعباد لها، وأن ارتداءه غير مرحب به فى فرنسا.

وقال: «لا يمكن أن نقبل فى بلادنا نساء سجينات خلف سياج ومعزولات عن أى حياة اجتماعية ومحرومات من الكرامة. هذه ليست الرؤية التى تتبناها الجمهورية الفرنسية بالنسبة لكرامة المرأة» حسب قوله!!

كما أعرب عن تأييده لقيام لجنة تحقيق حول مصير الحجاب الكامل فى فرنسا وهى اللجنة التى كان ما يقرب من ٦٠ نائباً قد طالبوا بها. فى خطوة أعادت الجدل من جديد حول العلمانية. ذلك الموضوع شديد الحساسية فى فرنسا

وفى محاولة من الرئيس الفرنسى للتخفيف من حدة الهجوم على النقاب. قال عبارات يراها البعض تحمل الكثير من التناقض. حيث أكد على أن «العلمانية ليست رفضاً للديانات بل مبدأ يقوم على الحياد والاحترام» مضيفاً أنه فى الجمهورية يجب احترام الدين الإسلامى بنفس قدر احترام باقى الأديان.

ويذكر أن فرنسا شديدة التمسك بالنظام العلمانى هى الدولة الأوروبية الوحيدة التى حظرت الحجاب بشكل صارم. وبموجب قانون حظر فى المدارس عام ٢٠٠٤م.

الأحزاب اليمينية فى النرويج تشن حملة ضد المسلمين

شنت مجموعة من الأحزاب اليمينية النرويجية المتطرفة هجمة جديدة ضد الوجود الإسلامى بالنرويج، مروعين الشعب النرويجى بطرح تساؤل يقول: هل يتحول العلم النرويجى عن شكله الحالى فى المستقبل لتزينه نجمة وهلال وتصبح الجالية الإسلامية تشكل غالبية فى بعض المدن على الأقل وتسن تشريعات إسلامية فى البلاد وتحكمها الشريعة. كما فى بعض الدول الإسلامية؟!

ورددت الأحزاب اليمينية ضد الوجود

الإسلامي في النرويج، أنه في عام ٢٠٨٥ سوف يحصل المسلمون على غالبية ويحكمون البلد وأن حساباتهم لا أساس لها من الصحة العلمية والاجتماعية. وتروج تلك الأحزاب لمقولة: أن هناك مشروعاً لأسلمة النرويج، وذلك لترويع الشعب النرويجي وإبعاده عن صداقة الجالية الإسلامية. حيث يتربع على رأس المناهضين للإسلام حزب الخطوة للأمام الذي ينشر كل حين زوبعة من الخوف والرعب في قلوب الشعب من زيادة أعداد المسلمين وحصولهم على الأغلبية السكانية في المستقبل القريب حيث يشن حملة على المسلمين.

ومن جانبها رفضت الجالية الإسلامية هذه الاتهامات واصفة إياها بأنها مغرضة، رافضة في الوقت نفسه فكرة أنهم لا يملكون مقومات القيادة الإدارية والاقتصادية والسياسية للتصرف في أحوال البلاد. وأنهم ضيوف في النرويج ومواطنون لا يسعون إلى نشر الدين الإسلامي كراهية. وأنهم يشكلون نسبة ٥٪ من الشعب النرويجي. وأن الحملة تضليلية ضدهم وتحتسم على الخيال، واعتبرت تلك الأفكار عنصرية ضدهم.

وزير داخلية ألمانيا يدعو للاعتراف بالإسلام

أعلن وزير الداخلية الألماني فولفجانج شويبلة أنه يسعى على المدى البعيد لتحقيق اعتراف رسمي بالدين الإسلامي في البلاد. ومنح المنظمات الإسلامية وضعاً قانونياً مشابهاً لما تتمتع به الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية.

وعبر الوزير الألماني عن أسفه لعدم دعوة أي من ممثلي المسلمين للمشاركة في احتفال رسمي أقيم في ٢٣ مايو الماضي بمناسبة مرور ٦٠ عاماً على تأسيس ألمانيا الحديثة وصدور دستورها. وشدد على أن ما حدث في هذا الاحتفال شكل خطأ لن يتكرر في المناسبات القادمة. واعتبر شويبلة في مقابلة أجرتها معه صحيفة «دير تاجستسبيجل» الصادرة في برلين أن تراجع مستوى الأحكام المسبقة تجاه المسلمين، وتضاؤل حجم المعارضة الشعبية لبناء المساجد في السنوات الأخيرة، يعد مؤشراً على عدم وجود مخاوف من الدين الإسلامي في المجتمع الألماني. وعزا الوزير الألماني تأخر اعتراف بلاده الرسمي بالإسلام حتى الآن إلى «افتقاد الدولة الألمانية لشريك واحد تحاوره ممثلاً للأقلية المسلمة المقدرة بأكثر من ٣،٥ مليون نسمة».

وقال الوزير الألماني: «إن اتفاق السلطات الألمانية مع ممثلي المسلمين على القواعد المنظمة لتدريس الدين الإسلامي في المدارس الحكومية تعد إنجازاً مهماً لهذا المؤتمر. الذي سيبحث إمكانية تأسيس أقسام لتأهيل المعلمين والأئمة المسلمين بالجامعات الألمانية ومشاركة التلميذات المسلمات في الأنشطة الرياضية المدرسية.

مؤتمر إسلامي بلندن
يدعو لنبذ التفرقة المذهبية بين المسلمين

دعا المشاركون في المؤتمر الثالث لمنتدى الوحدة الإسلامية، الذي انعقد في العاصمة البريطانية لندن، إلى تشكيل لجنة متابعة بهدف تفعيل التوصيات بعد كل مؤتمر على أن تقدم تقريراً في بداية كل مؤتمر عما حدث في الفترة السابقة ورصد التطورات الإيجابية والسلبية في مسيرة التقارب. وضرورة التفاهم بين العلماء والمفكرين من كل المذاهب الإسلامية حول قضايا الاختلاف ضمن أجواء عقلانية هادئة.

وأوصى بضرورة تبني موقف إسلامي موحد إزاء المواقف والفتاوى التي تؤدي إلى تأزيم العلاقات واحتقان المواقف، والتحرز من كل ما من شأنه تفريق كلمة المسلمين وإضعاف موقعهم ومخاطبة المرجعيات الدينية والمؤسسات في كل البلاد الإسلامية لإقامة مؤتمرات لتوحيد الصف الإسلامي، ودعم العاملين في مجال التقريب.

وأوصى بمطالبة كافة القوى الدينية والسياسية في البلاد الإسلامية ومن منطلق الأخوة الإسلامية بإيقاف الشعارات المتطرفة أياً كان مصدرها، ويدعونها أيضاً لعمل ديني وثقافي نوعي يهدف لوقف التطرف وتحريم القتل على الهوية الدينية أو المذهبية أو العرقية.

كما أكد البيان الختامي على ضرورة التأكيد على صيانة دم المسلم وعرضه وماله، ودعوة جميع الأطراف إلى الابتعاد عن التسميات المذهبية في الخطاب العام، ما أمكن والتأكيد على التسمية التي ارتضاها الله لأتباع دين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام، «هو سماكم المسلمين».

تخصيص مكان للصلاة في الجامعة الحرة بهولندا

نجح الطلاب المسلمون في الجامعة الحرة بالعاصمة الهولندية أمستردام في الحصول على مكان مخصص لإقامة الصلاة بالحرم الجامعي، لتكون للجامعة بذلك الريادة بين بقية الجامعات الهولندية، في مثل هذا السماح والتسامح الديني مع المسلمين وقد خصصت الجامعة ثلاث غرف، واحدة منها لصلاة الرجال، والثانية للسيدات والثالثة لقراءة القرآن أو الكتب الدينية الإسلامية، أو لمن يرغب في اعتزال زحام الجامعة للقراءة والتأمل من الطلاب المسلمين واعتبر الطلاب المسلمون - بالجامعة، على الرغم من عدم تجاوزهم ألف طالب - ذلك انتصاراً لهم، حيث كانوا يقفون في حيرة كبيرة، ليس

فقط لعدم وجود مكان لأداء الصلاة. ولكن لانتشار أسباب الفتنة بسبب ملابس الطالبات الهولنديات. الأمر الذى كان يتعذر معه إقامة الصلاة فى أى قاعة من قاعات المحاضرات

وأكد الطالب التركى إدو وساحان «٢٥ سنة» أن هذه البداية الطيبة، ستشجع بقية الطلاب المسلمين بالجامعات الهولندية الأخرى. على المطالبة بأماكن تخصص للصلاة. فلا يعقل إرجاء الصلاة فى يوم دراسى طويل حتى العودة إلى منازلهم. مشيرا إلى أن تشدد بعض الجامعات برفض تخصيص أماكن للصلاة بزعم عدم تحويل حرم الجامعات إلى أماكن للعبادات. إنما يتعارض مع التسامح الدينى وحرية العبادة التى يكفلها الدستور الهولندى.

برنامج جامعي لمواجهة تحديات الإساءة للإسلام

اعتمد المجلس التنفيذى لاتحاد جامعات العالم الإسلامى مشروع برنامج عمل جامعى لمواجهة تحديات الإساءة للإسلام وللمسلمين وذلك فى ختام دورته الرابعة عشرة بمقر جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية فى العاصمة السعودية الرياض. ودعا المجلس التنفيذى للاتحاد إلى تكثيف الاتصال بالجامعات الأعضاء والمؤسسات العربية الإسلامية المانحة لدعم المشروع وتنفيذ برامجه. كما وافق المجلس على الدعوة التى تقدمت بها جامعة الدول للعلوم الاقتصادية فى «باكو» بجمهورية أذربيجان. باستضافة الدورة الخامسة عشرة للمجلس فى مارس ٢٠١٠. ووافق المجلس على قبول انضمام اثنتى عشرة جامعة جديدة إلى عضويته

اتهام مؤلفة بريطانية بمعاداة السامية

تتعرض الكاتبة البريطانية الشهيرة كاريل تشرشل لحملة شرسة من اللوبى الصهيونى لتأليفها مسرحية «سبعة أطفال يهود». التى كتبتها كرد فعل لمذبحة غزة على يد الجيش الإسرائيلى

تزايدت الحملة مع عرض المسرحية فى العديد من الدول أهمها الولايات المتحدة واستراليا وأخيراً فى مسرح الجامعة الأمريكية بالقاهرة حيث أخرجها باللغة العربية طالب فلسطينى تفضح المسرحية سياسات إسرائيل العنصرية منذ نشأتها حتى المذبحة الأخيرة مما أثار غضب اللوبى الصهيونى الذى اتهم المؤلفة بمعاداة السامية بالإضافة إلى مشاركتها فى تأسيس جمعية التضامن مع فلسطين فضلا عن تخصيص دخل مسرحيتها السابقة «بعيد جداً» عام ٢٠٠١ لدعم المسارح الفلسطينية

فى مؤتمر حماية البيئة بتركيا:

واجب دينى وحضارى

أكد الدكتور على جمعة مفتى مصر أنه يجب على الإنسان تحمل مسئولية إعمار الكون والمحافظة على البيئة فى مقابل ما ينعم به من تسخير الكون لخدمته وسعادته مؤكدا أن المحافظة عليها مسئولية يحاسب الإنسان عليها فى الآخرة ويجزى بمقتضى فعله فيها وقال فضيلة المفتى. إنه لا يحق للإنسان - تبعاً للمنهج الإسلامى - أن يستأثر بخيرات الكون وضياته دون غيره على المستوى الزمانى أو المكانى وإن الخلافة والأمانة التى هى وظيفة الإنسان فى الأرض تعنى ضرورة الاعتناء بالبيئة وبجميع الكائنات وأن الانتفاع بها حق مكفول للجميع ومشترك بين الناس بصفتهم الإنسانية وأكد فضيلة الدكتور على جمعة أن الإسلام تعامل مع الطبيعة والكون من منطلق الحب والاحترام. وهو مستوى رفيع يزيد على مستوى المحافظة أو التنمية وأن الكون فى المنظور الإسلامى طائع لله يسبح ويسجد. يحب الطائعين ويمكن رحيلهم عن الدنيا ويبغض العاصين الكافرين.

الهيئة الإسلامية تحذر من خطر تدويل القدس

أصدرت الهيئة الإسلامية العليا بالقدس بيانا استنكرت فيه الدعوة. المتجددة إلى تدويل مدينة القدس. وأكد الشيخ عكرمة صبرى رئيس الهيئة أن تدويل القدس أمر مرفوض عند كل عربى ومسلم، وأن طرح الرئيس الأمريكى باراك أوباما لهذه الفكرة لن يلقى قبولا. مشدداً على أن القدس عربية خالصة وليس لأحد أى حق فيها.. جاء فى البيان: أن مدينة القدس ربطها الله تعالى بمكة المكرمة والمدينة المنورة. وهى مسرى سيدنا محمد . وقبلة المسلمين الأولى وهى جزء من عقيدة كل مسلم ولا تفريط فى ذرة من ترابها. وكل ما يجرى فيها من تهويد وتغيير لمعالمها أمر مرفوض وجريمة منكرة

كما أكد البيان على تأييد الفتوى الصادرة من علماء الأمة الإسلامية التى تحرم تدويل القدس أو التنازل عن شبر منها. كما تحرم بيع الأراضى أو مبادلتها بشكل مباشر أو غير مباشر

the head of the hypocrites exploited this opportunity to disgrace her and Allah's Messenger (May the blessings and pace of Allah be upon him). This lie was circulated in every place. At this moment, Allah's Messenger consulted his companions regarding her, some of whom preferred getting separated from her, and others preferred keeping the relation with her and disregarding the rumors of the hypocrites.

At last, after a month of this incident, Allah revealed her innocence surat An-Nur :

{Surely the ones who came with the falsehood are a band of you; do not reckon it evil for you, it is charitable for you. Every person of them will have whatever vice he earned (charged) to him; and whoever of them took upon himself the greater part of it, he will have a tremendous torment}

[An-Nur (The Light): 11]

Then Allah, Glory be to Him, says:

{Surely the ones who love that (the) obscenity should be widespread among the ones who have believed, (they) will have painful torment in the present (life) and the Hereafter; and Allah knows, and you do not know}

[An-Nur (The Light): 19]

It is worth mentioning to be aware of the mistake in which many people fall, as they think that the verse of washing with clean sand or earth descended concerning this invasion. This illusion backs to the incident that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) went out for another invasion after this one.

Also, the necklace of 'Aisha was lost in this invasion. The Prophet sympathized with the people to stay at this place while they ran out of water. Then, Abu Bakr told 'Aisha, "In ever invasion, you become a source of suffering and distress, and the people do not have water." Allah sent town the verse of washing with clean sand or earth. Thus, this incident was mixed with the one occurred in Al-Muraisi' invasion in the minds of people for the loss of 'Aisha's necklace in both of them.

In this invasion, the hidden matter of the head of the hypocrites became clear due to the problem occurred between his laborer and that of Omar over water. He incited his people belonging to Al-Khazraj against the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and insulted the Muslims. He asked the inhabitants of Medina not to expend on the immigrants to leave the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him).

He promised to dismiss the immigrants from Medina. Zaid Ibn Al-Arqam heard what Ibn Obay said and informed the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him). However, Allah's enemy denied what he had said and swore that he did not say any such thing. Allah sent down a verse to deny what he said. Allah, Glory be to Him, said :

{They are the ones who say, "Do not expend on the ones who are in the presence of the Messenger of Allah until they break away." And to Allah belong the treasuries of the heavens and the earth, but the hypocrites do not comprehend. They say, "Indeed in case we return to Al-Madinah, indeed the mightier ones will definitely drive the humbler ones out of it." And might belongs to Allah, and to His Messenger, and to the believers, but the hypocrites do not know}

[Al-Munafiqun (The Hypocrites): 7]

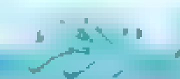
At the night of the middle of this blessed month, the Muslims' Qibla changed from Jerusalem to the Inviolable Mosque and Allah, Glory be to Him, said:

{We have already seen the turning about of your face to the heaven, so We will indeed definitely turn you towards a Qibla that shall satisfy you. So turn your face towards the Inviolable Mosque and wherever you are, then turn your faces towards it. And surely the ones to whom the Book was brought do indeed know that it is the Truth from their Lord, and in no way is Allah ever heedless of whatever they do.}

[Al-Baqarah (The Cow): 144]

This is the reason for the gathering of the Muslims in Mosques at the night of the middle of Sha'ban and invocating the famous invocation, which they believe that the Prophet was saying at this night. It gives the Muslims' Qibla honor that it is the only Qibla that Allah ordered the Muslims to be directed to. Unlike Jerusalem, the Qibla of the Jews and Christians, there is no order in Torah to be directed towards the rock. However, when the Jews come out of Jerusalem, they put the ark in front of them and prayed towards its direction. If they come back to Jerusalem, they put the ark on the Rock and prayed towards its direction. When the ark is raised, they prayed towards its direction, which is the Rock.

The Christians followed the Jews in this respect, as their leaders believed that the Jews' Qibla is theirs also. No doubt that the Ka'ba is the Qibla to which Allah directed us. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "They envy us mostly for Friday, to which Allah guided us and from which they are deviated, and the Qibla to which Allah guided us and from which they are deviated, as well as saying "Amin" after the Imam."



Sha'ban and its position among the other months

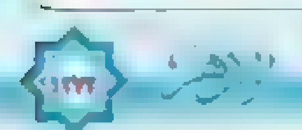
Usataz: Mahmoud Lotfy Abd Al-Kerim

Allah's Messenger (May the blessing and peace of Allah be upon him) attached importance to Sha'ban. This is revealed by fasting much in it. Al Bukhary, Muslim and Ibn Hanbal said that 'Aishah may Allah be pleased with her said: "The Prophet may the blessing and peace of Allah be upon him) fasted in Sha'ban more than he did in any month else, as fasted in the whole of it. In other words, he used to fast much of it or he fasted in the whole of it. Also, it was said: "I did not see the Prophet (May the blessing and peace of Allah be upon him) completing the fasting of any month except Ramadan, and he did not fast in any other month more than he did in Sha'ban.

To understand this Hadith with its three narrations, we should remove the apparent opposition among them. We see the word "apparent" opposition because there is not real opposition, and there is a possibility of matching these narrations in many respects. For example, we can say that the word "whole" in some of the narration of the Hadith means "most"; and this meaning is possible is the Arabs' speech.

Also, it can be said that the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) fasted in some years the whole of Sha'ban, while in other years he fasted most of its days not to let the people believe that it fasting is obligatory as fasting in Ramadan.

The wisdom behind fasting in Sha'ban most or the whole of it is revealed in the hadith narrated by Abu-Dawod and An-Nesa'y about Osama Ibn Zaid who told the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him), "O Allah's Messenger! I did not see you fasting in any month such as Sha'ban. The Prophet (May the blessing and peace of Allah be upon him) said, "He said the people ignore this month, as it is between Rajab and Ramadan. In this month, the deeds are elevated to Allah, and I like my deeds to be elevated when I am fasting."



The people ignore "glorifying Sha'ban by fasting in the way they do in Rajab and Ramadan. Many important events occurred in this month, some of which we will mention in this article. One of the events that occurred in this month is Al-Mresi' invasion in which the incident took place to 'Aisha in the year in which the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) married Gwairah Bent Al-Harith. Allah revealed in this incident what the hypocrites were hiding.

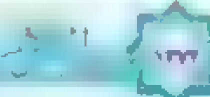
The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was informed in Sha'ban in the sixth year after hegira that Al Harith Ibn Diraz (The master of Al-Mustaliq family) went out with his family to fight the Muslims. Then, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) asked the people to meet them. The people hurried to obey the Prophet and a group of hypocrites went out with them. This incident occurred on Monday 3rd of Sha'ban.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) went to Al-Mresi'. One of the Mothers of Believers that came out in this invasion was 'Aisha. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) used to choose by lot the Mother of Believers whom he would accompany. This time, 'Aisha was chosen.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) arranged his companions in lines, gave the banner of the immigrants to Abu Bakr As-Seddiq and the banner of the advocators to Saad Ibn 'Ibadah. The invasion ended with the victory of the Muslims and the defeat of the disbelievers. One of the captives was Gwaira bent Al Harith-the lady of the family-who was captured by Thabet Ibn Qais. Then, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) married her. For this reason, the Muslims released the captives, of whom the Prophet's in-laws, as it was mentioned.

'Aisha discovered in one of the houses in which they stayed the loss of her necklace, which she liked. She started to search for it in the place where she lost it. When she was searching for the necklace, the Muslims left the place heading for Medina. No one noticed the absence of 'Aisha, but they carried her howdah on the camel believing that she was in it. When she came back with the necklace, she did not find anyone. Then, she sat in her place believing that they will come back to her. She fell asleep and was awaken by Safwan Ibn Al-Mu'atal saying: "O the wife of Allah's Messenger!" Then, he made the camel kneel down and she mounted it without speaking to her.

Afterwards, he reached Medina after the arrival of the Muslims. Allah's enemy,



and prosper their lives due to the fact that the strong Palestinian economy will promote peace and moderates and weakens the extremists. Nevertheless, he conditioned that the Palestinians should be directed towards peace, fighting terrorism and should bring their children upon peace and stopping inciting against Israel.

In this way, Netanyahu linked his readiness for "immediate" negotiations to conditions that Israel was not able to implement for decades, such as imposing order in Gaza. Also, his readiness for non-conditioned negotiations means that the negotiations should be unconditioned from the side of the Palestinians only. Moreover, his request for overcoming Hamas denotes **a frank call for launching Civil war in Palestine.**

The equation here is frank and clear: if his allies from the Europeans and the Americans see that the solution is establishing a Palestinian state, Israel has the right to determine the features of this state and the way for attaining it. The Palestinian state which Netanyahu wants is completely **equal to his vision for autonomy.**

Also, its establishment will remain linked to the Palestinians' abandonment for the right of return, Jerusalem and security, and their acceptance of permitting the Israelis to use their air field with international guarantees of non-permission of weapons and missiles that is similar to international siege. It is in the way the security agreement signed by Tsipy Livny with the US foreign Minister days before the end of the rule of the previous US President.

The economic solution reminds us of the historical statements about "improving the life of the Palestinians" instead of ending the occupation. It adds a mixture of comprehensive normalization conditions with the Arab countries and fighting terrorism. It calls the leaders of the Arab countries to cooperate with the Palestinians and the Israelis to reach economic peace which is an essential element for realizing political peace throughout improving projects able to flourish the region or exploiting the advantages of the region and its geographical position.

Moreover, he calls the investors in the Arab world to help the Palestinians and Israelis to push the economy forward. He did not mention the way to attain this regional openness at the time in which the occupation continues and Israel strengthens its hatred and discrimination for **the closest neighbors of the Palestinians.**

The speech neglected the reference of the peace process. Except for a reference to international agreements, the speech neglected to refer to any arrangements for the peace process such as declaring Naples, road map or the results of the negotiations of Olmert with President Abbas. Also, it neglected any reference to any Arab peace initiative. This does not mean that we do not have any references, as some of them are stained by lawful dialogue as well as unfairness towards the legitimate and determined rights of the Palestinians.

The Problem here is that Netanyahu wants to start from the very beginning the negotiations concerning establishing Palestinian state after ten years, which was aimed by the international efforts intending to establish Palestinian state in 1999. Moreover, he devotes what is called "negotiational legitimacy" instead of "international legitimacy" that carries out some sort of negotiational balance to the Palestinians in the context of the horrible imbalance in the power balances.

Inspite of Netanyahu's eloquent speech about his love for peace and his sacrifices for it along with his readiness to meet the Arab leaders at any time and place for the sake of implementing peace, **he neglected to mention the occupied Syrian and Lebanese territories.**

To conclude, Netanyahu's speech reflects his arrogance, boastfulness and his psychological complexes. Just as Obama came to the region to direct his speech to the Arab and Islamic worlds, Netanyahu tried to do the same; and just as Obama delivered his speech from scientific university in Cairo, Netanyahu delivered his speech from the religious Bar Avlan University in Tel Aviv, as if he equals himself to the US president. As for the subject, Netanyahu found himself under the pressure of Obama and his extremist rightist coalitional government. As Obama promised to keep establish two states and making the establishment of Palestinian state and the US benefit and Israel security, Netanyahu faces a coalition that refuses the establishment of Palestinian state.

He refuses to deal with Syria, and he in short refuses peace in all ways. Netanyahu's dilemma is to either selecting confrontation with the US President, consequently he will face the same he confronted in the case of Clinton and what Eshaq Shamir confronted with Bush, the father. As for his confrontation to his coalitional government, it disappears gradually and he is obliged to make new elections; he already knows that it will end with the return of Tsipy Livny as the Prime Minister.

The only solution for him to come out of this dilemma is to deliver this evasive speech, by which he aimed at deluding the world that he and his government seek peace and the establishment of Palestinian state. However, he removed any illusion of peace especially after the speech of Obama. The most serious matter mentioned in his speech was his condition that the Palestinians should confess the Judaism of Israel, the matter that results in not only eliminating the Palestinians' right of return but also dismissing the Palestinians in 48 of the occupied **territories throughout carrying out his imaginative plan.**

What is more dangerous is that this confession will be retrospective to all of the Zionist philosophies and principles, being embodied by the "the Jewish state". In return for this Palestinian confession, they do not have out of this suggested state except the national song and the flag. It is really disfigurement without sovereignty on or in the land as well as the sky, **as it will be governed by Israel despite being disarmed completely.**

Moreover, it has no right to deal with any other country. However, he wanted, by presenting his view concerning the Palestinian state, to give the world impression of flexibility, and that it is relinquishment of the traditional Zionist Likudy situation that refuses completely any form of Palestinian state. Actually, this presentation was welcomed even apparently by the **USA, considering it as "the basis."**

The clear fact is that with the recent information, we find that there are serious obstacles and problems obstructing the way to mere thinking about this idea. The limitation of the US pressure on Israel is not the most dangerous problem. However, the most dangerous obstacle is the Palestinian dispersion which will hinder any attempt to establish a state. Thus, Egypt will host the sects on the 7th of next July to sign an agreement for which Egypt interfered with all of **its weight to gain success in this respect.**

Natenyahu's Dilemma did not come to an end by his contradicting speech ...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The speech delivered by the Israeli Prime Minister on last Sunday June 14, 2009, did not present any new matters, as it was in essence a normal speech. It was mere repetition for the core of the familiar speeches of the Israeli rightists. It was similar to the speeches delivered by Begin and Sharon several times. However, Netanyahu was keen on making preparations for it, considering it a historical speech. A sector of the public opinion in Israel received it with apparent satisfaction.

He faced extreme embarrassment for refusing what was mentioned by President Obama, who called for political settlement of establishing two states with two capitals in Jerusalem. Although Netanyahu and his consultants felt angry of the speech, they agreed on welcoming it as it is neither proper nor suitable for the benefit of Israel to comment negatively on the speech. Along with the continuation of the U.S efforts to resume the negotiations, Netanyahu declared a speech to fix his view of the political settlement.

Throughout ten days, the Israeli media was full of news about the speech. Netanyahu put a draft for the speech and was helped by thirty consultants in writing it. He did not present the head lines of the speech to his partner in the governmental coalition, the Minister of Defense Yahud Barak. He consulted with the Israeli President, Shimon Peres about the speech. Then, Netanyahu decided to deliver his speech from Begin-Al-Sadat Center in Yara Aylan University in Tel Aviv.

He stirred great reaction and a flood of analyses, why did he choose this place? Is it because Begin-Al Sadat Center was the place that witnessed the signing of the first Arab Israeli peace treaty? Is it because the one who killed Rabin was a student in the religious University? In general, after ten days of continuous work and deliberate stirring from the side of Netanyahu and the Israeli media, the speech was still normal. Apparently, it was delivered from a room less than normal, as it can not be compared with the big celebrations room in Cairo University.

The attendees were not at the level of the attendees of Obama in form and in essence. As for the level of the content of the speech, it was concerned with the Israeli land and what it includes from the West Bank for Jews and Samaritans according to the order of Torah. He repeated the familiar negations for the return of the refugees, the re-division of the Holy City, stopping establishing in settlements and a list of consequent conditions on the Palestinians to declare Israel a Jewish State or a state for the Jewish people. The one who wants peace should eliminate Hamas Movement first. Israel will grant them a state without the elements of sovereignty. Any country consists of region, people and government that practices sovereignty.

The region is part of the Israeli land that will be ceded while the people live on it. However, Sovereignty will be practiced by Israel over the terrestrial and marine and aerial boundaries. It steals from the country the right to have armed forces, conclude an agreement or a treaty with any neighboring country. What is new in this speech? Speech about Palestinian country is not new, as Sharon spoke about this matter. Also, the conditions and limitations of sovereignty are not created by Netanyahu, as they were mentioned by Begin in Camp David negotiations. Shamir and Sharon mentioned them in detail. The question is: is there anything new in this speech?

Certainly, there is something new: the first is that Netanyahu realizes the international siege from the part of the United States and the European Union. Thus, it is a critical political speech. The second is that Obama's speech and the movements of Mitchel and his negotiations caused severe anxiety for the government of Netanyahu. Speech about the Mitchel's last round was detailed and discussed the details of the speech and view of Obama concerning stopping the establishment of settlements during this year, ending the siege imposed on Gaza Strip.

Netanyahu's speech as well will deal with the governmental coalition. In this way, we can understand the welcoming of the White House of the speech. It seems that Netanyahu is in need for this kind of support to carry out the vision of the USA President Obama, which ends with an independent Palestinian State, which has Jerusalem as its capital. As for limitations concerning the right of return and the weapon of the new born country and its boundaries, they are under negotiation.

If Begin was disappointed in advance because he knows the requested price for a political settlement, the USA sees it as a national benefit. Netanyahu's planning became undoubtedly clear in his speech when he called the Palestinians and the executive authority to start "immediate" peace negotiations "without previous conditions."

He set seven conditions in advance including: declaring Palestine truthfully in a way that makes Israel a national country for the Jewish people, agreeing on finding a solution to the problem of the Palestinian refugees outside the borders of Israel. Moreover, Jerusalem will remain a unified capital for Israel, and every territory owned by the Palestinians will be disarmed with hard guarantees of peace for Israel, ensuring that the Palestinians will not be able to own rockets or missiles. Also, they ensure that Palestine will not form an army or close their air field in front of Israel or to form military coalitions.

Moreover, Israel should have defensive borders. As for the matter of the territories, it should be discussed in a final settlement. The Palestinian authority should impose order in Gaza Strip and overcome Hamas, as Israel will not meet with "terrorists". As for the obligations undertaken by the Israeli Prime Minister, Israel has no intention to establish new settlements or confiscating lands for the sake of widening the area of the existing settlements, however he excluded the natural growth of the settlements.

Also, he is ready to promote the movement and free access to the Palestinians to facilitate

This is due to the fact that all the people will be accounted for their deeds, and every thing they do is written in their book.

{They will find all that they did placed before them, and not one will thy Lord treat with injustice.}

[Al-Kahf (The Cave): 49]

As for the virtue of the night of the middle of Sha'ban, Ad-Darqutny and Ibn Shahin narrated by the attribution of Hassan Ibn Ali-may Allah honor him- that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "When the night of the middle of Sha'abn comes, pray at night and fast in the morning, as Allah descends to the lowest heaven saying," Is there any one asking for forgiveness to be forgiven? Is there anyone asking for livelihood? Is there any afflicted person asking for removing affliction? And so on, till dawn.

At-Tabrany narrated about Mu'az Ibn Jabal, "Allah looks at His worshippers at the night of the middle of Sha'ban to forgive all of His creatures except a disbeliever or a quarreler, "and in another narration, "or a self-killer". At-Termezy narrated in "An-Nawader", along with At-Tabrany and Ibn Shahin being assured by the Mother of the Believers, 'Aishah-may Allah be pleased with her, "This is the night of the middle of Sha'ban in which Allah forgives the people asking for forgiveness and mercy, while he delays the spiteful people for their spite.

There are many Hadiths around this meaning to reveal that the Muslims should invocate Allah at this night.

There are many Hadiths concerning this meaning and denoting the commemoration of this night due to the acceptance of invocations in it, and that worshipping is preferable in it.

Al-Bayhaqy narrated in a long Hadith about 'Aishah-may Allah be pleased with her- saying, "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said that Jibril came to me and said, 'this is the night of the middle of Sha'ban, and Allah forgives people as many as the number of the hair of cattle of Bany Kalb "a big tribe"

Allah does not look at a disbeliever, a quarreler, a person undutiful to his parents and a wine addict. She said that he kneeled for a long time and heard him saying, "Lord save me with Your mercy from Your punishment, save me with Your satisfaction from Your discontent, save me from You and I can not praise You as much as You do." When he woke up, I told him this invocation, and he told her to learn them well and to inform the Muslims of them, as Jibril informed the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) of them, ordering him to say at kneeling.

In this Hadith, we can find acknowledgment of the virtue of this night as well as instruction to worshipping and selecting the best invocations to guide oneself and others.

In any case, worshipping in Sha'ban in general and at this night in particular is a sublime behavior in bringing up habits and elevating the soul to glory and perfection by passing through a wider field in Ramadan.

If the Muslim gets used to fasting some days in Sha'ban, fasting in Ramadan will not be tiresome after getting used to it.

The earlier Muslims behaved in that way as Anas (may Allah be pleased with him) Said If Sha'ban comes, they fasted some of it, recited some surahs of the holy Qur'an and gave alms to the poor and needy in Ramadan.

The incident that gave the night of the middle of Sha'ban historical significance is that Allah changed the Qibla from Jerusalem to the Ka'ba in its morning.

This transfer represents general examination for all of the people especially the Muslims.

Allah tests the strength of the Muslims' belief from one time to another. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) liked to direct himself to the Ka'ba and told Jibril, "I wish that Allah changes my Qibla from that of the Jews, and he told him, "I am a mere bondsman; invocate Allah to do this for you.

Then, he turned his face towards heaven and asked Allah for this demand till Allah sent down His verses.

{Verily, We have seen the turning of your face towards the heaven. Surly, We shall turn you to a Qibla (prayer direction) that shall please you, so turn your face in the direction of Al-Masjid al-Haram.}

[Al-Baqarah (The Cow): 144]

It was mentioned that while the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was praying Az-Zuhr prayer in Bani Salama Mosque directing himself to the Furthest Mosque, the following verse was sent down to him:

{and wherever you people are,turn your face in that direction .}

[Al-Baqarah (The Cow): 144]

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) prayed the first two prostrations as the direction of the Furthest Mosque, and directed himself in the last two prostrations to the Inviolable Mosque.

Thus, this mosque is called the mosque of the two Qibl'as and is visited by the people coming to Medina.

Then, Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) stayed there till Al-Asr prayer directing himself to the Qa'ba emphasizing this rule, strengthening the Muslims and preparing them for facing the enemies of Islam.



AL-AZHAR MAGAZINE

Sha'ban, 1430



ENGLISH SECTION

August, 2009

In the name of Allah the Beneficent the Merciful

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."

(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Sha'ban Month...! (shahru sha'ban)

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Sha'ban occurs between Rajab and Ramadan, as it prepares the Muslim people for Ramadan.

The Muslims should prepare themselves for Ramadan by fasting some days in Sha'ban in order to get them ready for benevolence, mercy, patience, tolerance, good will, self-control, order and other virtues for which fasting was legislated.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) used to invocate Allah at the beginning of Sha'ban saying, "O Allah , make the months of Rajab and **Shab'an blessed for us and let us reach the month of Ramadan."**

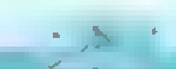
The Mother of the Believers, 'Aishah (may Allah be pleased with her) said that she heard the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) saying: "Allah opens the doors of good in four nights: the night of Alfina, Altir, the night of the middle of Sha'ban and that of Arafat till the call of prayer." Also, it was narrated that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "If Sha'ban begins **purify your souls and better your will.**

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) gave importance to Sha'ban in a special way, as 'Aishah, the Mother of the Believers said: "The Prophet never fasted any month wholly except Ramadan and he did not fast in any month more **than he did in Sha'ban."**

Osama Ibn Zaid (may Allah be pleased with them) said "I said O prophet of Allah I don't see you fasting in any other month like you fast in Shab'an. He said: " That is a month to which people don't pay attention, between Rajab and Ramadan, and it is a month in which deeds are elevated to the Lord of the worlds. I like for my deeds to be elevated when I am fasting".

This month has a unique attribute: the deeds are elevated to Allah, Glory be to Him. Thus, it is preferable to fast much in it, as Allah did not create the world in vain, but He **created it to worship Him.**

Also, Allah subjected everything in heavens and earth for the human being, and demanded him to worship Him alone and to employ all of His graces to carry out the **imposed matters and to avoid the forbidden maters.**



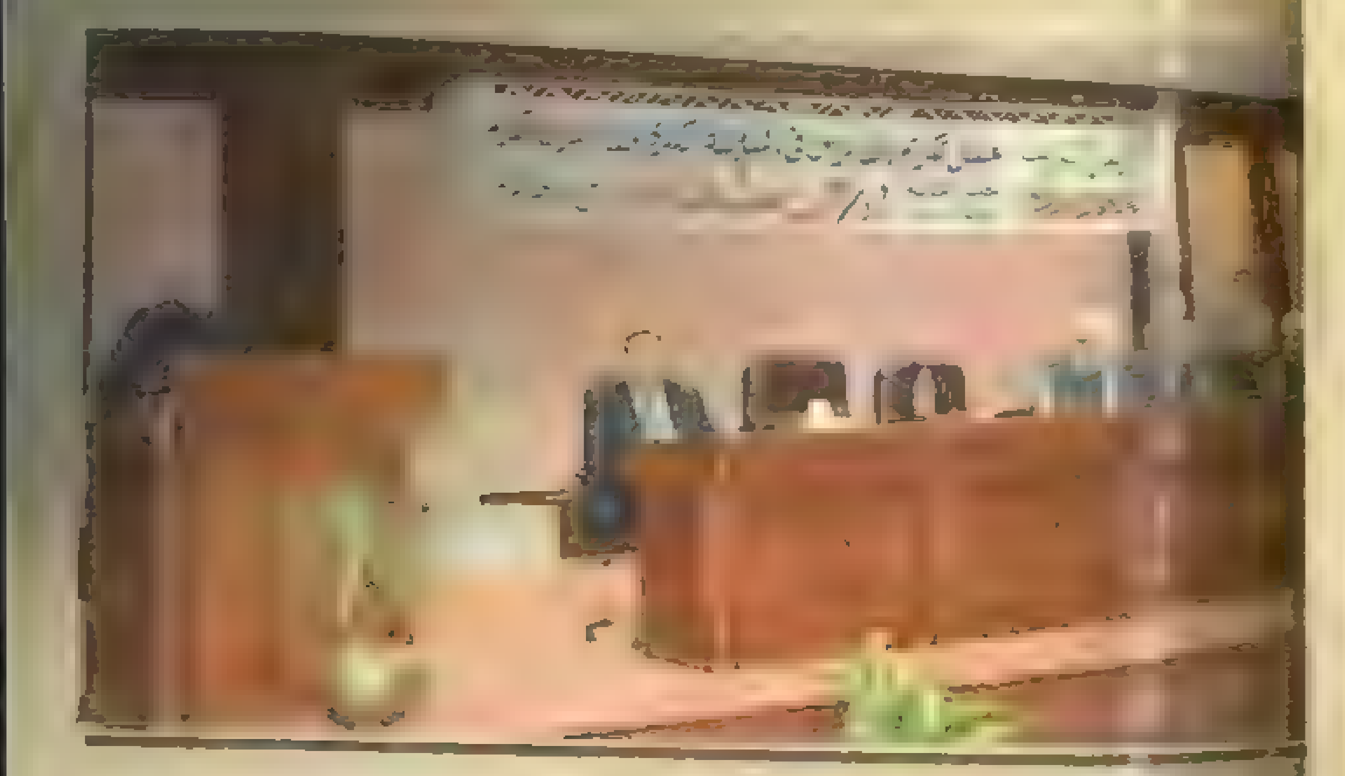
فهرس العدد

- شخصيات خالدات في تاريخ الأزهر
  الافتتاحية ١٢٠٨
- تفسير سورة النساء
  لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ١٢١٤
- الأدب مع الله - عز وجل - في العبادة
  لفضيلة الشيخ فوزي الزفزاف ١٢١٩
- الصفة: اصحبوا نبيكم وعضوا لأخوتكم
  لفضيلة الشيخ رجب عبد القوي ١٢٢٤
- معالم الإنسانية في الإسلام
  للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي ١٢٢٨
- الإسلام دين الإنسانية الخالد
  للدكتور حسن الشرقاوي ١٢٣٣
- خطبة الجمعة: نفحات الرحمة وبشريات الخير
  لفضيلة الشيخ محمد الغزالي ١٢٣٦
- الصدقة في ميزان الإسلام
  لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي ١٢٤٠
- دور الفقه الإسلامي في إحياء الضمير الجمعي (٢)
  لفضيلة الشيخ الطاهر الخلفي ١٢٤٣
- صلة الإيمان بالعمل
  لفضيلة الشيخ عمر الطيب ١٢٤٦
- دور الأسرة في مواجهة الأزمة الاقتصادية
  للمستشار حسن حسن منصور ١٢٥٠
- رعاية الشباب في ضوء القرآن الكريم
  للأستاذ الدكتور محمد عمر هاشم ١٢٥٩
- قصيدة الحمد لله جد الحمد
  للشاعر المهجري إيليا أبو ماضي ١٢٦٠
- النبي من الاعتداء .. إلى الإكرام
  للدكتور محمود عمارة ١٢٦٢
- قصة محمد بمكتبة الكونجرس
  للدكتور أبو حسنة ١٢٦٥
- رفع الملام عن شيخ الإسلام
  للدكتور محمد عمارة ١٢٧٠
- في زمن العولمة: جدلية الثقافة في عصر العولمة
  للشيخ صديق بكر عيطة ١٢٧٥
- من أعلام الأزهر: الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي
  للأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج
- الإعلام الإسلامي: نشأته ووظيفته
  للدكتور محمد حسين عويس ١٢٨٤
- ساحات الحرب للإسلام
  للأستاذ عاطف مصطفى ١٢٨٨
- بين ثقافة النقد وثقافة النقل في التراث الإسلامي
  للأستاذ محمد مصطفى السيوي ١٢٩٤
- مع آيات التمكين في القرآن الكريم
  للأستاذ الدكتور أحمد ١٣٠٢
- كتاب الشهر: الصهيونية والعنف
  عرض وتحليل الدكتور إبراهيم عوض ١٣٠٩
- حل التوافق بين الاقتراح الأمريكي والمطلب الإسرائيلي
  للأستاذ صلاح عبد الرحيم محمد ١٣١١
- بين الصحف والمجلات
  للأستاذين محمد حمدة - علاء عبد الرحمن ١٣١٨
- طرائف ومواقف
  للشيخ عبد الحميد محمد عبد الحميد ١٣٢٦
- مسابقة الشباب
  لجنة عبد الحي محمد عبد العال ١٣٢٨
- مساجلات القراء
  للأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية ١٣٣٢
- قراءة في كتاب سبيل الخيرات كنوز الباقيات الصالحات
  للأستاذ عادل جمعة ١٣٣٨
- بين الجنة والفرق
  للأستاذ أحمد السيد علي ١٣٤٥
- أنباء مكتب شيخ الأزهر
  للأستاذ أحمد توفيق ١٣٥١
- أنباء مجمع البحوث الإسلامية
  للأستاذين عبد الموجود - يحيى ١٣٦١
- أنباء العالم الإسلامي
  للأستاذين محمود الشيمي - أحمد ١٣٦٤
- القسم الإنجليزي
  ترجمة وإعداد الأستاذ الدكتور إبراهيم الأصبح ١٣٨١

العدل الاجتماعي في الإسلام



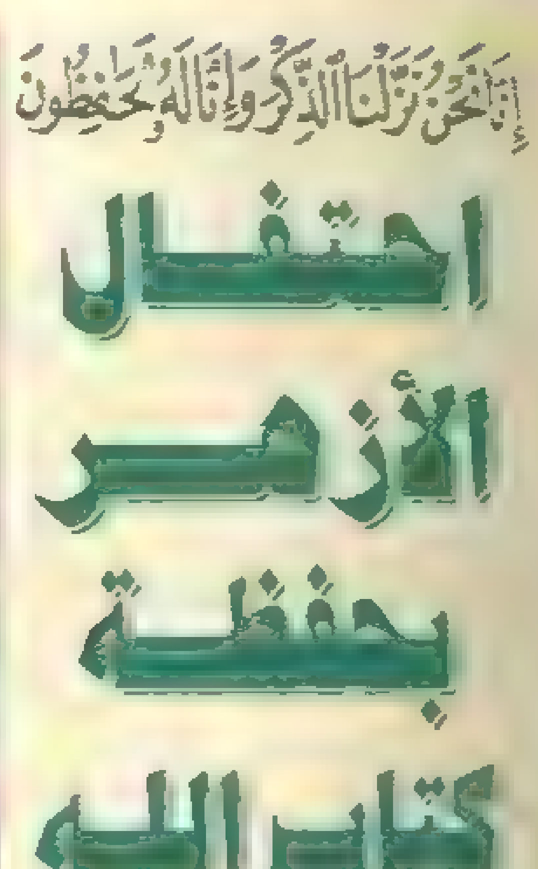
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ



احتفال الأزهر الشريف بحفظة كتاب الله

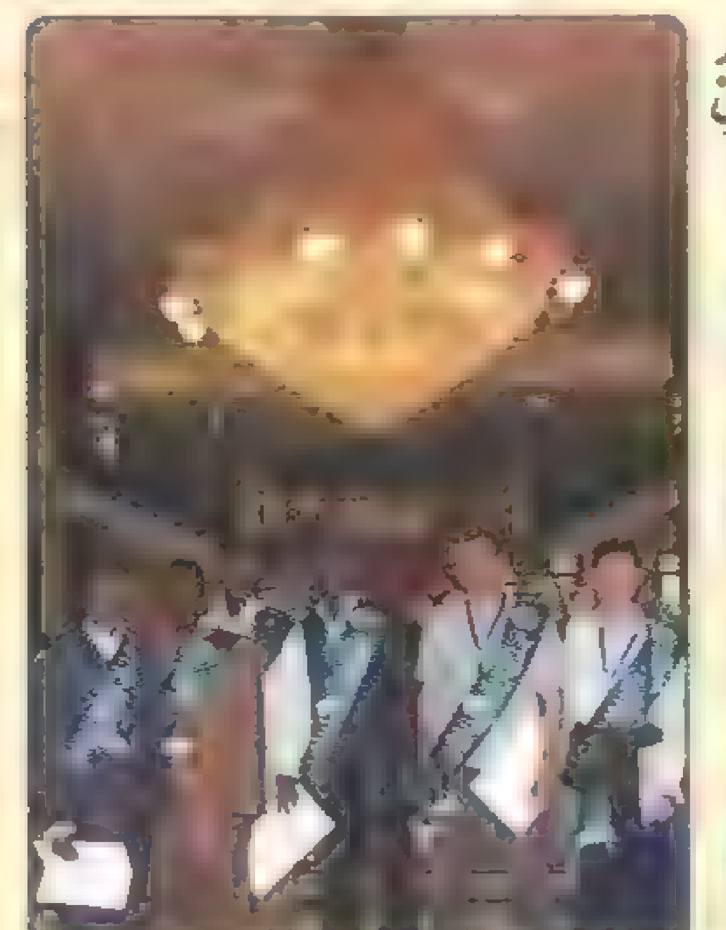
AL AZHAR
MAGAZINE
Ramadan 1430 A.H. Sep. 2009
VOL. 82 Part IX





إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

احتفال الأزهر بحفظة كتاب الله



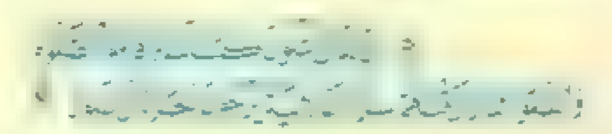


الأزهر يواصل مسيرة الشرف

بقلم / مدير التحرير

القرآن الكريم كلام رب العالمين بقراءته يؤجر المسلم وينال الخير في الدنيا والآخرة، وحفظ القرآن في الصدور من أفضل الأعمال وأجلها وأزكاها. وهو صورة عظيمة من صور التمسك بالقرآن الكريم وما حواه من تعاليم إلهية، وكفى حفظة القرآن الكريم فخرا أنهم على مكانة عظيمة عند ربهم، فقد صح من حديث ابن عمر مرفوعا إلى النبي ﷺ : «أنه يقال لقارئ القرآن يوم القيامة: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها».

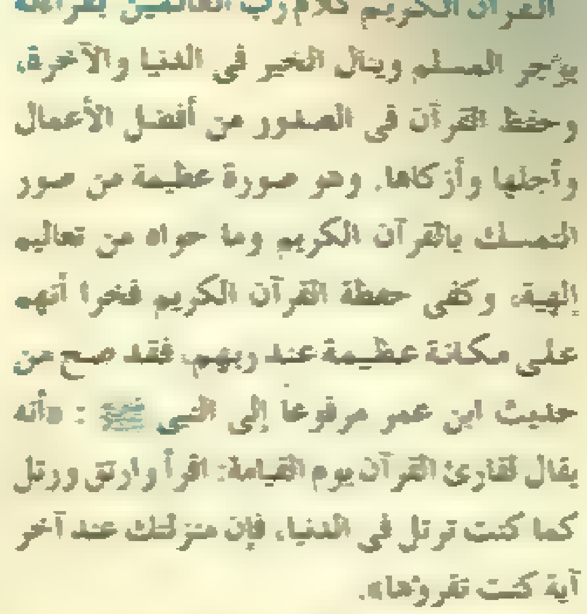
وأي مكانة يمكن أن يصل إليها الإنسان أعلى وأعظم من تلك المكانة التي أشار إليها الحق تبارك وتعالى في قوله:

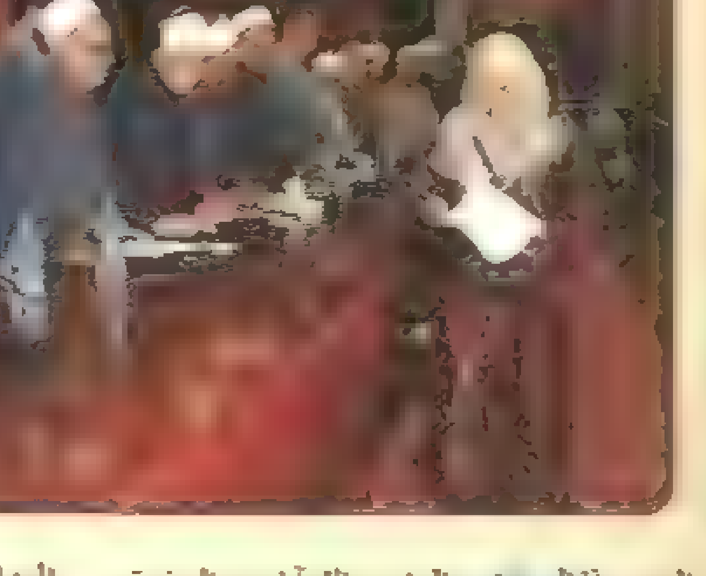


(فاطر: ٢٩)

كما جاء عن ابن عمر موقوفاً عليه: «من حفظ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه» وقال أبو الدرداء : «احفظوا القرآن فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن».

وقد حثنا رسول الله ﷺ على حفظ القرآن الكريم وتلاوته لأنه الطريق المؤدي إلى كل الخير، فقال ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» رواه مسلم.





ولقد اهتم المسلمون منذ الصدر الأول بالقرآن وأولوه غاية اهتمامهم

وهاهو الأزهر الشريف يواصل مسيرة الشرف بالحفاظ على كتاب الله باعتباره المصدر الرئيسي الذي تقوم عليه الثقافة الإسلامية وباعتباره الدرع الواقية للبناء الاجتماعي لأمتنا الإسلامية فهو الحصن الذي تتكسر عليه محاولات إضعاف اللغة العربية ونشر السلوكيات الغربية المنافية للتعاليم الإسلامية. إن حفظ القرآن يتمثل في معرفة أحكامه، والعمل بهذه الأحكام، التزاما بأوامره واجتنابا لنواهيه؛ وتعليمه للآخرين ويكون بمدارسته وإرشاد الناس إلى أحكامه، حتى يكون سلوك المجتمع المسلم متطابقا مع تعليم القرآن.

من أجل ذلك أقام الأزهر هذه المسابقات لتشجيع حفظة القرآن ماديا ومعنويا وهو ما يظهر واضحا جليا في تجمع أبناء الأمة الواحدة على اختلاف مشاربهم وبعد أوطانهم نراهم وقد جمعهم القرآن ووحد بينهم، البشر على وجوههم والفرحة في قلوب المشاهدين كما هي في قلوب المكرمين وليتحقق بهذه الأعمال قول الحق تبارك وتعالى

(آل عمران: ١١٠)

حدث رائع شهدته القاعة الكبرى بمركز مؤتمرات الأزهر الشريف يوم الاتنين ٦ من شعبان ١٤٣٠هـ الموافق ٢٧ من يوليو ٢٠٠٩م

الحدث كان تكريم الطلاب الفائزين فى مسابقة حفظ القران الكريم لعام ٢٠٠٨/٢٠٠٩ وكذلك تكريم المحفظين والإشادة بما بذلوه من جهد رائع فى حفظ كتاب الله فى صدور ابناء المسلمين

شهد الحفل توزيع مبالغ مالية على الحافظين والمحفظين هى الاكبر فى تاريخ الازهر حيث بلغت قيمتها الاجمالية ١٧ مليون جنيه

اكتظت القاعة بالمئات من المكرمين وذويهم من الأقارب والأصدقاء فضلا عن المحفظين وعلماء وقيادات الأزهر الشريف، وسفراء الدول الإسلامية

ابتسامة الفرحة والفخر تكسو الوجوه. الفرحة والفخر ليس فقط للتكريم الذى نظمه الأزهر الشريف لأبنائهم حفظة كتاب الله ولكنها فرحة وفخر بالإنجاز الرائع الذى حققه أبناؤهم وهو حفظ كتاب الله العزيز ليتحقق فى أبنائهم قول المولى عز وجل

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(الحجر: ٩)

ولا تقتصر الفرحة والفخر على المكرمين وحدهم ولا على ذويهم ولكن تمتد مشاعر الفرحة والفخر لتشمل المحفظين الذين شملهم تكريم الأزهر.. وهيهات أن تكون فرحة المحفظين وفخرهم مبعثها الجوائز المالية التى رصدها الأزهر لهم نتيجة ما بذلوه من جهد.

ولكن فخرهم الحقيقى كان بالثمرة.. بالحصاد الذى تمثل فى (١٨٦٢٨٥) حافظا للقرآن على مستوى الجمهورية صعد منهم للتصفيات النهائية للمسابقة (٣٠٩٦٢) استحق منهم (١٦٦٠٣) الحصول على جوائز مالية لتميزهم على قرنائهم فى أحكام التلاوة والتجويد

إنجاز رائع بالفعل استحق معه المحفظون كل التحية والتقدير والإشادة نتيجة ما بذلوه من جهد رائع دفع الأزهر الشريف لتكريمهم. فقد استحق منهم (١٦١١٢) محفظا الحصول على جوائز نقدية تراوحت ما بين (٤٠٠٠) جنيه إلى (٦٢٩٠٠) وفقا لعدد الطلاب الذين قام المحفظ بتحفيظهم كتاب الله.

أما عن الفرحة الكبرى فقد تجلت فى عيون علماء الأزهر الأجلاء وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وهو يرى النجاح الحقيقى للأزهر الشريف فى حفظ كتاب الله فى صدور



أبناء الأزهر، وأبناء مصر، وأبناء العالم الإسلامى كله حيث مثلت المسابقة ملتقى لأبناء أمة القرآن على اختلاف جنسياتهم، فقد توحد الجميع تحت راية كتاب الله.. ويالَه من توحيد.

عدسة (الأزهر) كانت هناك لترصد تلك المشاعر الفياضة نقدمها لقرائنا الأعزاء.. ليرى من خلالها أهم الإنجازات الحقيقية للأزهر الشريف.. حفظ كتاب الله فى صدور أبناء أمة الإسلام.. لترد على كل من شكك فى دور الأزهر وطعن فى علمائه والصور أصدق من الكلمات فنحن نقدم الحقيقة المجردة.. حقيقة دور الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام والمسلمين تحت رعاية شيخه الجليل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

● فى بداية الحفل تحدث فضيلة الشيخ / حداد عبدالعال أحمد / مدير عام شئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

فضيلة مولانا الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

فضيلة الأستاذ الشيخ/ وكيل الأزهر

السادة الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فلقد حبا الله مصر بأزهرها، وحبا الأزهر براعيه وشيخه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بحرصه الدائم على الحفاظ على القرآن الكريم وتكريم حفظة القرآن الكريم متأسيا فى ذلك بقول الرسول ﷺ «القرآن أفضل من كل



شيء فمن وقره فقد وقر الله ومن استخف بالقرآن فقد استخف بجلال الله، حملة القرآن هم المعظمون كلام الله، فمن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله». صدق الرسول الكريم

ومن هذا المنطلق نهج مولانا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نهجه المحمود في تكريم حفظة القرآن الكريم من طلاب ومحفظين حتى يعلى شأنهم ويحفزهم على الاستمرار في الحفظ والأداء

وخير ما نبدأ به حفلنا هذا هو القرآن الكريم، مأدبة الله في أرضه وقارئنا فضيلة الشيخ الدكتور/ فرج الله الشاذلي – الموجه بالأزهر الشريف والقارئ بالإذاعة والتليفزيون

■ كلمة فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية

وفي كلمته في الحفل، أكد فضيلة الشيخ عبدالفتاح درغير رئيس قطاع المعاهد الأزهرية أن تكريم الأزهر لطلابه المتفوقين دليل على أن الأزهر الشريف لا يضن على طلابه المتفوقين بما يحقق لهم أسباب التفوق

وأضاف: إن المتتبع لمسيرة التعليم بالأزهر يلمس حرص فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر على أن يضع نصب عينيه الحفاظ على مسيرة تحفيظ القرآن الكريم بالمعاهد الأزهرية، وحرصه على توفير جميع المقومات لإنجاح المسابقة، واختيار الكوادر القائمة عليها من محفظين وأجهزة ووسائل متقدمة لها صلة بالتحفيظ



كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

سعادتي لا توصف، وألفاظ اللغة العربية لا تكفي للتعبير عن سعادتي بتكريم حفظة القرآن الكريم، فنحن نجد كل السعادة حينما نلتقي مع حفظة القرآن الكريم، ومع الذين يقومون بتحفيظه

إن أعداد المتقدمين للاشتراك في هذه المسابقة تعكس اهتمام مصر وشعبها بتحفيظ القرآن الكريم لأبنائها، وتؤكد اهتمام الأزهر الشريف بتحفيظ أبنائه القرآن الكريم، حيث تقدم ١٨٦٢٨٥ متقدما للمسابقة، والمصعدون منهم ٣٠٩٦٢، والذين حصلوا على جوائز مالية ١٦٦٠٣ طلاب حصلوا على ١١٥٨٧٣٥٠ جنيها، في حين حصل المحفظون على جوائز مالية بلغت قيمتها ٥٤٠٨٩٠٠ جنيه

عندما نجد هذه الأعمال نقول: بارك الله في مصر، وبارك في أبنائنا وبناتنا في الأزهر الشريف، ودائما نؤكد: ليس أزهريا من لم يحفظ القرآن الكريم، لأن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز عن غيرها بثلاث ميزات

١– حفظ القرآن الكريم، ففي المرحلة الابتدائية يحفظ الطالب أو الطالبة ١٨ جزءا بمعدل ١٥ حصة في الأسبوع، أي نحو ٤٠٪ من حصص الدراسة، وفي المرحلة الإعدادية يحفظ الطالب ٧ أجزاء، وفي المرحلة الثانوية يحفظ الطالب أو الطالبة ٥ أجزاء، حتى يلتحق الطالب بالجامعة وهو حافظ للقرآن الكريم كاملا

٢– كما تمتاز الدراسة في الأزهر بالتوسع النسبي فيما يتعلق بالنواحي الشرعية من فقه وحديث وتفسير وعلوم القرآن

٣– وهناك توسع نسبي فيما يتعلق باللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب ونجعل لكل مادة في المعاهد الأزهرية كتابا، بينما الدراسة بالتربية والتعليم تجمع هذه المواد في كتاب واحد.

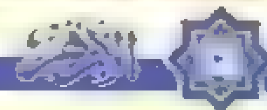
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.



بيان بأسماء المكرمين من حفظة القرآن الكريم في مسابقة القرآن الكريم
في المستويات الثلاثة للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م (طلاب المكاتب)

م	الاسم	مكتب / معهد	المستوى	النسبة	المستحق بالجنيه	المنطقة
١	محمد عمر عبد المقصود عبد العال	مكتب علاء السيد عبد شحاته	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	الشرقية
٢	عبد الرحمن أحمد محمد الحميد	مكتب حسن سعيد العسكري	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	الإسكندرية
٣	هند حمد طه حمد	مكتب علي محمود إبراهيم	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	قنا
٤	طه عبد الله محمد	مكتب محمود محمد شعبان	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	الفيوم
٥	حسن يوسف محمد حسان	مكتب رشاد محمود فرج	الثاني ٢٥ جزء	١٠٠%	١٠٥٠	الأقصر







بيان بأسماء المكرمين من حفظة القرآن الكريم في مسابقة القرآن الكريم
في المستويات الثلاثة للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م (طلاب المعاهد الابتدائية الأزهرية)

م	الاسم	مكتب / معهد	المستوى	النسبة	المستحق بالجنيه	المنطقة
١	محمد محمود محمد عبد الله حسن	معهد النجاح الابتدائي	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	البحيرة
٢	أحمد شعبان محمد كمال أبو الخير	معهد الزيتون الابتدائي	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	[illegible]	القاهرة
٣	سلمى إبراهيم عبد المعطي إبراهيم	معهد [illegible] الابتدائي	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	الغربية
٤	نورهان المحمدي عرفي حسن	معهد [illegible] الابتدائي	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	الدقهلية
٥	يوسف هشام السيد الصعيدي	معهد الهدى [illegible] الابتدائي	الثالث ١٨ جزء	١٠٠%	٧٠٠	كفر الشيخ
٦	ندى سعد جابر محمد	معهد [illegible] الابتدائي	الثالث ١٨ جزء	١٠٠%	٧٠٠	بني سويف
٧	عبد الرحمن إبراهيم عبد الرحمن [illegible]	معهد محلة أبو علي الابتدائي	الثالث / ١٨ جزء	١٠٠%	٧٠٠	الغربية



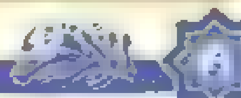




بيان بأسماء المكرمين من حفظة القرآن الكريم في مسابقة القرآن الكريم
في المستويات الثلاثة للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م (طلاب المعاهد الإعدادية الأزهرية)

م	الاســـــم	مكتب / معهد	المستوى	النسبة	المستحق صلاحيته	المنطقة
١	[illegible] احمد	معهد [illegible] الإعدادي	الأول ٣٠ جزء	%١٠٠	١٢٠٠	كفر الشيخ
٢	محمد السعيد سعيد عبد [illegible]	معهد سلامون الإعدادي	الأول ٣٠ جزء	%١٠٠	١٢٠٠	الدقهلية
٣	مصطفى محمد مصطفى عبده	معهد [illegible] الإعدادي	الأول ٣٠ جزء	%١٠٠	١٢٠٠	الغربية
٤	محمد [illegible] محمد [illegible]	معهد [illegible] الإعدادي	الثاني ٢٠ جزءا	%١٠٠	١٠٥٠	الإسماعيلية
٥	حماده شوقي محمد حسن	معهد أبو المطامير الإعدادي	الثاني ٢٠ جزءا	%١٠٠	١٠٥٠	البحيرة



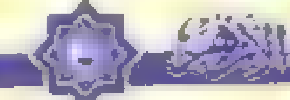


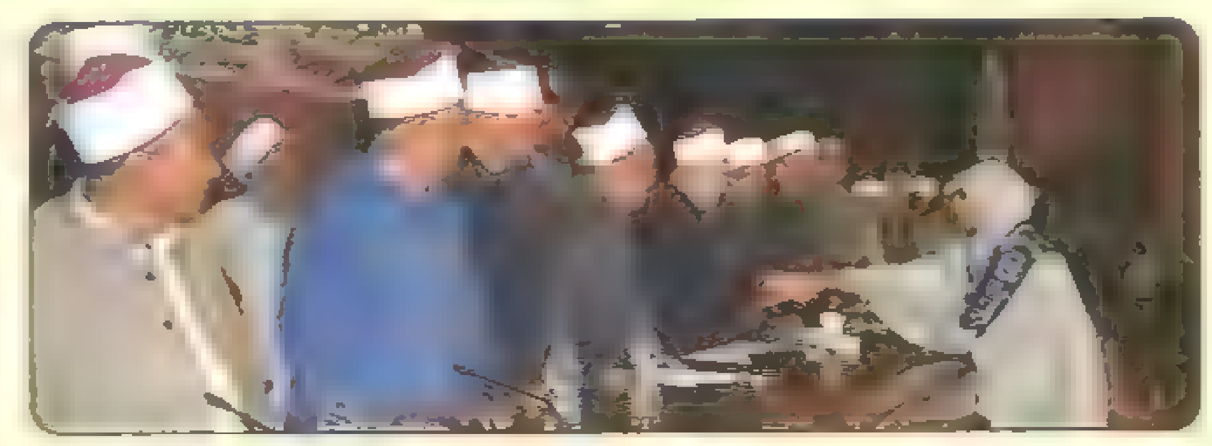


بيان بأسماء المكرمين من حفظة القرآن الكريم في مسابقة القرآن الكريم
في المستويات الثلاثة للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م (طلاب المعاهد الثانوية الأزهرية)

م	الاســـــم	مكتب / معهد	المستوى	النسبة	المستحق صلاحيته	المنطقة
١	سهام محمد هاشم [illegible]	معهد [illegible] المراغة الثانوي	الأول ٣٠ جزءا	%١٠٠	١٢٠٠	سوهاج
٢	سارة [illegible] رمضان عبد [illegible]	معهد [illegible] طوخ الثانوي	الأول ٣٠ جزءا	%١٠٠	١٢٠٠	القليوبية
٣	رقية سعيد محمد مبروك	معهد [illegible] الثانوي	الأول ٣٠ جزءا	%١٠٠	١٢٠٠	المنوفية
٤	محمود رجب محمود شحاتة	معهد القيس الثانوي	الأول ٣٠ جزءا	%١٠٠	١٢٠٠	المنيا







بيان بأسماء المكرمين من حفظة القرآن الكريم في مسابقة القرآن الكريم
في المستويات الثلاثة للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م (طلاب جامعة الأزهر)

م	الاســـــم	الكلية	المستوى	النسبة	المستحق بالجنيه	فرع الجامعة
١	علاء عاطف عبد العزيز موافي	أصول الدين	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	الزقازيق
٢	محمود أبو الفتوح محمد علي	الصيدلة	الأول ٣٠ جزءا	١٠٠%	١٢٠٠	القاهرة
٣	محمد ثيس محمد خليل	الهندسة	الأول ٣٠ جزءا	١٠٠%	١٢٠٠	القاهرة
٤	صفاء شلبي عطية أبو حسين	الطب البيطري	الأول ٣٠ جزءا	١٠٠%	١٢٠٠	القاهرة
٥	عبده حامد عبده الفقي	الشريعة	الأول ٣٠ جزءا	١٠٠%	١٢٠٠	طنطا
٦	صفاء صلاح عبد الرؤوف الحميس	الدراسات الإسلامية والعربية	الأول ٣٠ جزءا	١٠٠%	١٢٠٠	المنصورة

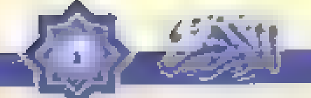






بيان بأسماء المكرمين من حفظة القرآن الكريم في مسابقة القرآن الكريم
في المستويات الثلاثة للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م (طلاب البعوث)

م	الاســـــم	كلية معهد	المستوى	النسبة	المستحق بالجنيه	الدولة
١	حبيب مختار	الشريعة والقانون	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	نيجيريا
٢	محمد علي مامور مختار	الشريعة والقانون	الأول ٣٠ جزء	١٠٠%	١٢٠٠	الصومال
٣	إبراهيم مكور	الشريعة والقانون	الأول ٣٠ جزء	٩٨%	١٢٠٠	المغرب
٤	علي فضل	الشريعة والقانون	الأول ٣٠ جزء	٩٨%	١٢٠٠	تشاد
٥	مجلسوي محمد الأمين	الشريعة والقانون	الأول ٣٠ جزء	٩٨%	١٢٠٠	غينيا كوناكري
٦	محمد أحمد جلو	أصول الدين القاهرة	الأول ٣٠ جزء	٩٨%	١٢٠٠	مالي
٧	محمد حبيب الله	اللغة العربية	الأول ٣٠ جزء	٩٧%	١٢٠٠	الهند
٨	محمد رفيق علام رسول	أصول الدين القاهرة	الأول ٣٠ جزء	٩٧%	١٢٠٠	باكستان
٩	عبد الفتاح محمد معلم	معهد بعوث القاهرة ث	الأول ٣٠ جزء	٩٦%	١٢٠٠	الصومال
١٠	عبد العزيز حسن	معهد بعوث القاهرة ث	الأول ٣٠ جزء	٩٦%	١٢٠٠	النيجر
١١	سكنتروف محمد	معهد بعوث القاهرة ث	الأول ٣٠ جزء	٩٥%	١٢٠٠	طاجكستان
١٢	شوكت منصور	معهد بعوث القاهرة ث	الأول ٣٠ جزءا	٩٥%	١٢٠٠	نيبال
١٣	رحمة الله كجيك	معهد بعوث القاهرة ث	الأول ٣٠ جزء	٩٥%	١٢٠٠	الصين
١٤	[illegible] أبو بكر	معهد بعوث الإسكندرية ث	الأول ٣٠ جزء	٩٥%	١٢٠٠	الكاميرون
١٥	[illegible] عبد الهادي	معهد بعوث الإسكندرية ث	الأول ٣٠ جزء	٩٥%	١٢٠٠	فلسطين

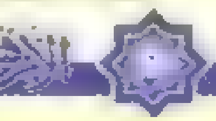




بيان بأسماء المكرمين من محفظي القرآن الكريم في مسابقة القرآن الكريم في المستويات الثلاثة للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م

م	المحفظ	عدد الطلاب	المستحق بالجنيه	المنطقة
١	محمد بيومي أبو زيد عمران	١١٦ طالب	٦٢٩٠٠	قنا
٢	محمد صلاح محمد بدر	٧٨ طالبا	٤٢٤٠٠	بني سويف
٣	أشرف محمد عبد الرحمن	٦٦ طالب	٣٦٦٠٠	المنوفية
٤	أحمد عبد علي عبد الحميد	٦٥ طالب	٣٦٦٠٠	بني سويف
٥	شعبان زكي حسين	٥١ طالب	٢٧٠٠٠	القليوبية
٦	سيد أحمد علي عبد السلام	٤٧ طالب	٣١٦٠٠	البحيرة
٧	عبد الظاهر عوض ضفتوى عمر	٤٨ طالب	٢٥٩٠٠	الفيوم
٨	فوزي موسى علي	٣٦ طالب	١٧٤٠٠	كفر الشيخ
٩	نهاد فؤاد محمد	٣٨ طالب	٢١٣٠٠	[illegible]
١٠	سحر أحمد محمد	٣٦ طالب	١٦٩٠٠	سوهاج
١١	محمود حسن علي	١٩ طالب	١٣٠٠٠	الأقصر
١٢	عبد الشريف حسن عمران	٣١ طالب	١٦٠٠٠	الأقصر
١٣	سعد إبراهيم إبراهيم	٢٩ طالب	٢٣٠٠٠	الدقهلية
١٤	سميح عزت عبده توفيق	٢٨ طالب	١٥١٠٠	الدقهلية
١٥	فتحي سعد علي شبيب	٢٧ طالب	١٥٣٠٠	الغربية
١٦	عبد السلام مصطفى عيسى	٢٣ طالب	١٤٥٠٠	الجيزة
١٦	جمعة صبري محمد حسين	٢٤ طالب	١٣٢٠٠	أسوان
١٨	حسين كامل حسن	٢٣ طالب	١٢٧٠٠	الجيزة
١٩	حسن علاء زيدان	١٩ طالب	١٢٢٠٠	الإسكندرية
٢٠	كريم عبد الحميد حسن	١٤ طالب	٨٩٠٠	الشرقية
٢١	صلاح عبد الحافظ محمد	١٤ طالب	٦٥٠٠	الوادي الجديد
٢٢	منصور هارون سليمان	١٣ طالب	٧٣٠٠	مرسى مطروح
٢٣	ماهر نصر الدسوقي حسن	١٤ طالب	٧٢٠٠	دمياط
٢٤	حسن عبد العزيز حسن	١٣ طالبا	٦٦٠٠	أسيوط
٢٥	جمال عبد القادر عتبة	٧ طلاب	٥٣٠٠	شمال سيناء
٢٦	هبة السيد أبو هاشم	٧ طلاب	٤٠٠٠	بورسعيد





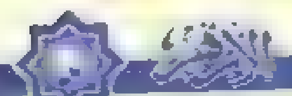


(بيان)

بإنجازات الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم لعام ٢٠٠٨/٢٠٠٩م

م	البيان	عدد الطلاب
١	عدد المتقدمين على مستوى الجمهورية	١٨٦٢٨٥
٢	عدد المصعدين للتصفية على مستوى الجمهورية	٣٠٩٦٢
٣	عدد الحاصلين على جوائز مالية	١٦٦٠٣
٤	عدد المحفظين المستحقين للجوائز	١٦١٢
٥	اجمالي مبلغ الميزانية	١٧٠٠٠٠٠٠









الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

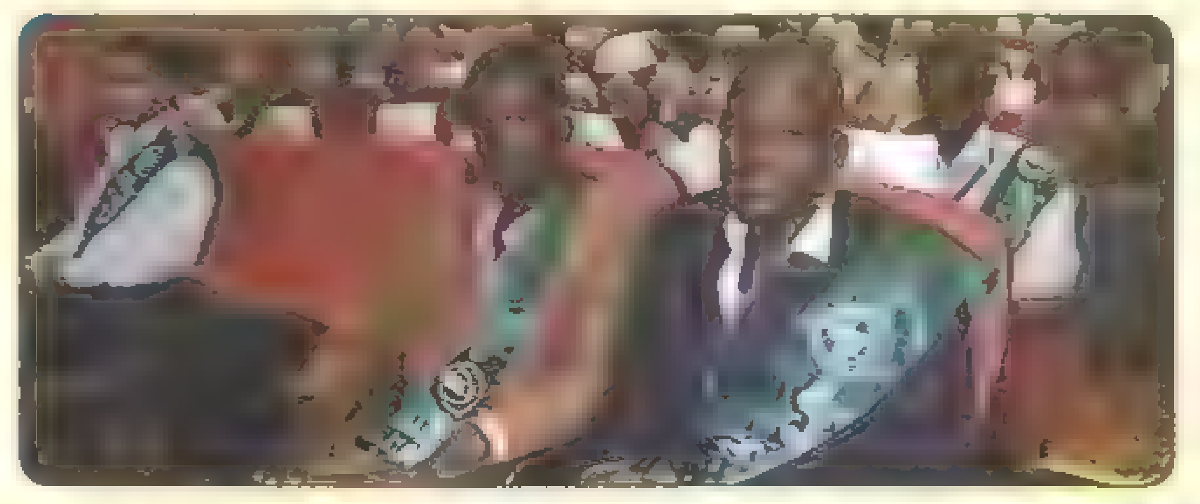
رمضان ١٤٣٠هـ - سبتمبر ٢٠٠٩م - الجزء الثامن - السنة (٨٢)



(بيان)

بعدد الطلاب الحاصلين على جوائز مالية فى مسابقة القرآن الكريم لطلاب المعاهد الأزهرية ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم وطلاب جامعة الأزهر والبعوث الإسلامية لعام ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩م

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الإجمالى
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]



من عجائب التاريخ

"يصومون الدهر كله"!!

لعل الناس يصومون الدهر كله ولا يشعرون

أليس كثير من الناس لا يأكلون غير وجبتين اثنتين في اليوم و[illegible] وجبة السحور قُبيل الفجر، ووجبة الإفطار عند الغروب! فهو قريب جدا ممن يصومون [illegible] في غير شهر الصيام! دون أن يشعر بأنه يؤدى فريضة [illegible] على الترك يوم الجزاء.

كان الأستاذ الخبير الشيخ محمد أبو عليان المرزوقي من كبار علماء الأزهر في أوائل القرن الماضي. وأحد كاتبي الحواشي العلمية على تفسير الكشاف، كان يتناول الإفطار عقب صلاة الفجر مباشرة، ثم يذهب إلى الجامع الأزهر ليتولى شرح الدروس الصعبة في الأصول والمنطق وعلم التوحيد، فلا يفرغ إلا عند غروب الشمس فيصلي المغرب. ويرجع إلى بيته فيتناول طعام العشاء. ويستريح حتى ينهض إلى صلاة الفجر، فما الفرق إذن بينه وبين من يتناول طعامي السحور والإفطار في رمضان، أما يعتبر قريبا جدا ممن يصومون الدهر. والشيخ لا يأخذ إجازته الرسمية من دروس الأزهر، إلا في شهر رمضان. ورمضان موسم الصوم الديني. وإذن فحياته صيام في صيام!

وكذلك تحدث الجاحظ في كتاب «الحيوان» عن قاضي البصرة عبدالله بن سوار فقال إنه كان يصلي الغداة في منزله ثم يأتي مجلسه بالمسجد، فيظل منتصبا فيه لا يتحرك له عضو كأنه صخرة منصوبة. ولا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود كعادته فلا يقوم حتى تأتي صلاة العصر فيؤديها ثم يرجع إلى مجلسه حتى تجيء صلاة المغرب. فيجلس كما اعتاد. وتأتي صلاة العشاء فيقوم لها ثم ينصرف بعد أدائها. وهو في كل ذلك لا يشرب ولا يأكل ولا يحتاج إلى الوضوء صيفاً وشتاءً وربيعاً وخريفاً. وقد مكث على حاله هذا طيلة عمله بالقضاء في البصرة. وقد قضى به وقتاً طويلاً. والذي يقضي وقته من مطلع الشمس إلى ما بعد صلاة العشاء لا يأكل ولا يشرب، ولا يترك عادته في ذلك مرة واحدة ألا يكون شبيهاً بمن يصوم الدهر؟ دون أن يحس أنه صائم!

وقد سجلت الصحف الماضية أسماء كثيرة عن أناس اشتهروا بصوم الدهر. وذكرت من غرائبهم ما لا يكاد يصدق. وأول ما قرأت من أسماء هؤلاء هو ما قاله الدكتور زكي مبارك بالعدد (٣٢٢) من الرسالة «لقد كانت مصر مملوءة بغرائب التماثيل. فحطمها المسلمون ليمحوا شواهد الفرعونية المصرية. والذين قرءوا المقريزي يذكرون ما فعل الشيخ محمد صائم الدهر. فقد طاف بمصر من الشمال إلى الجنوب ليهشم ما ترك المصريون القدماء من الأوثان والأصنام وهو الذي جدع أنف أبي الهول. ولو استطاع لحوّله إلى رماد. وبعد إسلام أهل مصر بقيت فيهم بقايا من احترام التماثيل فكان الشيخ محمد صائم الدهر يسطو عليها من وقت إلى وقت فيهشم منها ما يستطيع».

وما ذكره زكي مبارك عن تحطيم التماثيل الفرعونية نصرة للإسلام، كذبةٌ بلقاء لأن التماثيل بقيت إلى الآن دون أن يعصف بها المسلمون. وكانوا أقدر القادرين على إزالتها لو أرادوا. ولا يُعقل أن يقوم رجل واحد بتحطيمها سائراً من الشمال إلى الجنوب وهو مع ذلك صائم الدهر. وقد كان كلام زكي موضع سؤال بالعدد (٣٢٧) عن الشيخ الصائم وعن عصره، وتاريخ نشاطه المزعوم. فلم يُجب زكي مبارك بشيء! والذي يعنيني من ذلك كله أن رجلاً وصف بأنه صائم الدهر في مصر. واشتهر صيامه هذا بين الناس.

وقد قرأت في تراجم الأولياء والصالحين ما يدل على هذا الاتجاه، ولا أستطيع أن أرجع إلى ما قرأت منذ مدى متطاول. ولكني أذكر أن رحلة ابن بطوطة الشهيرة، تحدثت عن عُبّاد من هذا الطراز قابلهم الرحالة الكبير، وأنس بهم ودوّن بعض أخبارهم، وكان في الشيخ انجذابٌ شديد إلى زيارة مقابر الراحلين من الأولياء وتدوين ما يسمع من غرائبهم. كما لا يخفى اهتمامه بالباقين على الحياة من القوم. فقد سجل عنهم ما بقي تاريخاً يذكر. وفيهم نفر من صائمي الدهر لا أستطيع حصرهم لأن الوقت يضيق بي في القراءة المتواصلة، ولكني أذكر منهم ما يكفي للدلالة على وجودهم المؤثر في حياة الزهد والتصوف. وهو ما يعنينا في هذا المقال.

حين مر ابن بطوطة بجبال كامرو. وهي جبال متسعة تتصل بالصين من ناحية وبلاد التبت من ناحية ثانية. سمع بذكر ولي من كبار الأولياء هو الشيخ جلال الدين التبريزي فتكلّف الجهد في المسير إلى لقائه، وقيل إنه معمّر بلغ من العمر مائة وخمسين عاماً. قضى أربعين عاماً منها صائماً لا يفطر إلا في العيدين. وكانت له بقرة خاصة يقوم على رعايتها وتغذيتها ويفطر من حليبها دون غيره. كما كان يقوم الليل كله متهجداً. وقد أسلم على يده الكثيرون من أهل الخان. وفي يوم دخولي عليه لبس جبةً ثمينة لم يكن يلبسها من قبل. فرغبت من نفسي وتمنيت أن يعطيني إياها. فلما حان الوداع خلع الجبة وأعطانيها. وقال مريدوه إن الشيخ عرف رغبتك في مثلها. فلبسها على غير عادته ليخلعها عليك. واستطرد الرحالة إلى ذكر كرامات للرجل، يعجز القارئ من تلخيصها. وقد كان ابن بطوطة يصدق كل كرامة تروى ويسجلها على أنها حق وقع، مع استحالة وقوعها عقلاً. وهذا ما نبه إليه الأستاذان أحمد العوامري - ومحمد أحمد جاد المولى محققا «مهذب رحلة ابن بطوطة»، ليعفنا صحة هذه الأحداث عن التصديق. لأن المهذب كان مقرراً على الطلاب. حين كنا طلاباً، والدراسة دراسة. ونحن من هذا نعلم أن الرجل صام أربعين عاماً متتابعة. وأنه كان لا يأكل

إلا من عمل يده حتى يقوم على تربية شجرة أعدها لشرابه، ولا أقول لطعامه لأنه كان يكتفي بالبن وحده! وهو تقشف غريب في بابه.

وحين طاف ابن بطوطة بالهند ذكر من أخبارها ما لا يكاد يوجد عند غيره. لأنه تتبع عادات القوم اجتماعيا وديني وثقافيا تتبعا يدل على أنه أقام أمدا طويلا يرصد ما يراه رصدا واعيا. وطبيعي أن يحرص على لقاء كبار علمائها وأوليائها ومن استفاض ذكرهم في الولاية الربانية. ومن هؤلاء صائم الدهر الشيخ الصالح نظام الدين البداوني. وهو يعظ الناس في كل جمعة. ويتوب على يده الكثيرون. فيحلقون رءوسهم. ويتواجدون في حلقات الذكر مستهمين صارعين. كما قابل ابن بطوطة في (دهلي) الشيخ الصالح العابد صدر الدين الكهراني. وكان كما يقول الرحالة يصوم الدهر ويقوم الليل. وقد تجرد من الدنيا ومظاهرها الخادعة. وكان يزوره السلطان ووزراء الدولة فيحتجب عنهم. ويرجعون دون رؤيته. وقد أراد السلطان أن يقطعه قرى كاملة يطعم منها الفقراء. والواردين عليه. فأبى ولم يقبل. ومن غرائبه أنه كان لا يفطر عند الغروب يوميا بل بعد ثلاثة أيام متواصلة. كأنه يرى مواصلة الصوم على مدى هذه الأيام أقرب إلى الله وهو تعذيب لا مبرر له. كما أن رفضه إقطاعا يكون خيره منحة للفقراء والمساكين يدل على قصر النظر. لأن أصحاب الحاجة كثيرون في هذا العهد الإقطاعي. فإذا أتيح لهم مورد دائم للرزق كان ذلك من أفضل وسائل الخيرات.

وفي بلاد فارس قطع الرحالة أمدا طويلا في اجتياز ربوعها. ومما شاهده مدينة «لار» وهي كما قال: مدينة كبيرة كثيرة العيون والبساتين والأسواق. وقد عرف بها الشيخ الصالح محمد أبادلف. وكان له زاوية كبيرة. جعلها منحاً للقاصدين من الغرباء وأتباعه يمرون على دور المدينة فيأخذون من كل بيت الرغيف والرغيفين ليجمعوا طعام العشاء. وأهل المدينة يعرفون ذلك فيستعدون للعطاء عن سعة. ثم يجمع فقراء المدينة ومن معهم من الضيوف على الطعام فيقضون أربهم منه في رعاية الشيخ أبي دلف.

أما أبو دلف فهو صائم الدهر. وحين دخل الرحالة في مقامه وجده جالسا على التراب. وعليه جبة صوف بالية. بهيئة لا تدل على أنه رئيس القوم. وهذا الذي يجلس على التراب. ويلبس الصوف البالي يبعث فاخر الطعام وألذ الفواكه إلى الوافدين عن سعة. فإذا هموا بالرحيل كساهم وقدم لهم من الخيول القوية ما يكون مطاياهم في الطريق. والناس يعجبون لكثرة إنفاقه. مع أنه لا مورد لديه. ولا يعلم له جهة موسرة تقدم إليه ما يعينه على المعروف الخيرين. وابن بطوطة يقول في سذاجة إن كثيرا من الناس يقولون إنه ينفق من الكون. «وقد فسر الأستاذ العوامري وجاد المولى هذه العبارة بأن معناها أن الله يرزقه من حيث لا يدري. وقالا هذا بعيد. والذي أرده أن كثيرا من المحسنين الموسرين يعرفون همته العالية في استضافة الفقراء وإطعام الوافدين، يرسلون إليه سرا ما يعينه على المعروف. وأنا أعرف اليوم من شيوخ الصوفية في الأقاليم المصرية من يقيم الموائد الحافلة كل جمعة بحيث تتسع لخمسين من الآكلين. ورزقه محدود. وراتبه لا يكفي منزله. ولكن أتباعه يحملون إليه ما يقوم بمروءته عن حب وسماح!

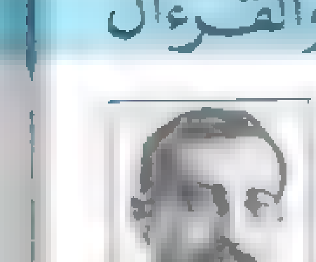
أما في تركيا فقد قابل الرحالة في مدينة «تيره» بالقرب من أزمير، وهي مدينة زاهرة ذات بساتين وأنهار وفواكه. قابل من يعرف بأخي محمد وهو من كبار الصالحين. ومن صائمي الدهر. وله جهد مشكور في انتشار طائفة الفتيان المعروفين بالأخية. جمعا عن عربي لكلمة الأخ. فهو اصطلاح تركي مشتهر والأخي رجل يجمع أهل صناعته على تقديمه لرئاستهم. فيبنون الزاوية الواسعة. وبها الفرش والمصابيح والكراسي. وكل ما يريح الضيف الوافد. وبعد صلاة العصر يحضر الإخوة إلى رئيسهم ويقدمون له ما يتبرعون به من كسب اليوم فيشتري الفواكه والغذاء عن سعة. ويأكلون جميعا في فرح وبهجة. على أنهم يحتفلون بالغريب الوافد وكأنه من أعز أصدقائهم. ولا يزال موضع احتفائهم مهما طالت إقامته حتى ينصرف. وحديث هؤلاء الكرام مشتهر ذائع. وهو أعظم مثل يقدمه المجتمع الإسلامي دليلا على التكافل الاجتماعي في تواضع لا يعرف المدح والمباهاة!

وما رآه ابن بطوطة في مدينة «تيره» رأى مثله تماما في مدينة «برصا» وقد وصفها وصفا يدل على سعة عمرانها. وجمال أسواقها وشوارعها. وتحدث عن الزاوية التي بناها الإخوة للضيفان بما يشبه حديثه عن تيره. غير أنه قال إن الضيف بها يستمر ثلاثة أيام حتى يستقر على مأوى أو عمل يكتسب منه. ومن يريد أن يحصه بالذكر في هذا المقام هو صائم الدهر الفقيه الواعظ مجد الدين القونوي. فقد ألقى موعظة بالغة التأثير. وكان إذا صام لا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام. إذ يقضي هذه الساعات الطويلة دون طعام أو شراب. وكان لا يأكل إلا من عمل يده. ولا منزل له. إذ يبيت في المقبرة. ويعظ في المجالس العامة فيتوب على يده كثير من الناس وإذا كان أبو دلف يجلس على التراب. ويلبس الجبة البالية فإن مجد الدين لا يأوي في منزل يحصه بل في مقبرة!! وهي مبالغة في الزهد لا تستند إلى أصل شرعي. فقد كان رسول الله ﷺ يظهر في أجمل مظهر. قال ابن عباس رأيت على رسول الله أجمل ما يكون من الحلل، وقد لبس الإزار والرداء والجبة. ولبس فروة مكفوفة بالسندس وكان له جبة خراسانية لينة. وكان يحب في الطعام الحلوى. وقد أكل الضأن والدجاج والجزور. وأكل الشواء والرطب والتمر. وشرب اللبن خالصا ومشوبا. وكان لا يشرب إلا النطيف العذب. ويحب البارد والحلو، وكل ذلك يندرج في قول الله عز وجل:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾

(الأعراف:٣٢)

على أن مقولة أن المغالاة في العبادات ليست في الصوم وحده. فنحن نرى أناسا يصلون صلاة التهجد بالليل فيزيدون الركعات إلى ما فوق الثلاثين. ونرى أناسا يقرءون في الركعة الواحدة السورة الطويلة كالأنعام والكهف وفي الحج نرى أناسا يكررون الذهاب إلى مكة والمدينة مرات ومرات تبلغ العشرين. وينفقون في ذلك مالو تصدقوا به على الفقراء لكان أقرب إلى الله وأنفع وقد نصحت أحدهم وهو من أفاضل العقلاء أن يكتفي بخمس عشرة حجة قام بها ويتبرع بنفقات السفر لخزانة الفقراء فأبى وقال إنها


إبراهيم المازني

عادة تجرى فى نفسى مجرى الدم ولابد أن أمر بيدى على شباك رسول الله فأستشعر برد الهناء، وفى الزكاة نرى من يجاوز النصاب كثيرا إلى سواه، وذلك وحده الحميد فى باب الطاعات، فإذا أصر بعض الناس على صيام الدهر فهم من هذا الطراز.

وهذه الرغبة فى المعنويات وفى ضروب أخرى من العبادات نرى بجوارها رغبات مدمنة فى الماديات، فمن الناس من يصر على حمل الأثقال الحديدية المجهدة ويرى ذلك مدعاة فخار. وفيهم من يأكل طعام عشرة فيقضى على المائدة المكدسة وحده. وهذا ما رأيناه عيانا. وفيهم من يجر العربة بشعر رأسه ومن يقفز من الدور الرابع إلى الأرض دون أن يكسر له عضو. فلا تعجب إذن مما قاله ابن قطوعة عن أحد الصالحين من أنه كان يواصل الصوم. فلا يذوق الطعام أو الشراب إلا كل عشرة أيام مرة واحدة. وإن كنت أجد حيرة شديدة فيما أقرأ ولكن أدع بعض الهندى نفسه فى الصندوق عشرين يوما أو أكثر. ثم يكشف عنه بعد هذا الأمد فإذا به صحيح بنفسه. وكأنه نام يوما أو بعض اليوم! ويعدون ذلك رياضة روحية! وهى أقسى من الصوم المتتابع دون جدال.

لقد تعبت كثيرا فى البحث عن مقال كتبه الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازنى. يتحدث فيه عن عرائب فى دنيا الطعام تدل على الصبر عنه فوق المستطاع حتى وجدته بمجلة الرسالة (العدد ١٩٦) تحت عنوان (الخزيرة والتاريخ الإسلامى) وفيه يقول «دعيت إلى الغداء فى وادى فاطمة أثناء رحلته إلى الحجاز، فأكلنا، ثم خرجنا نتروح فلقينا جماعة من البدو. فقال لهم أحدنا إن السرادق مملوء بأطايب الطعام. فاذهبوا ثم كلوا ما لذ وطاب. فذهبوا وتخلف واحد معنا معتذرا بأنه أكل بالأمس. فاستغربت. كيف يكون طعام الأمس مانعا من طعام اليوم. ثم جاء إلى مصر صديق من أبناء سوريا. كان فى حاشية الملك عبدالعزيز ويعرف من أسرار الحجاز ما لا نعرف. فحدثته عن قصة البدوى الذى رفض طعام اليوم لأنه أكل بالأمس. فقال إن البدوى يأكل فى وقت ما من الطعام بعض أقات من الفحم. وكيلة من الأرز بعد أن يبيت أياما تبلغ العشرين لا يأكل غير التمر القليل. فإذا أكل هذا الطعام الكثير وأثقل به معدته احتاج إلى يوم أو عدة أيام كى يهضم ما أكل» وهكذا يظل صائما عن الطعام دون أن يفرض عليه، يظل صائما وهو مستريح.

وقد رجعت إلى بعض المصادر الفقهية أسألها عن صوم الدهر هذا أحلال مباح، أو محرم ممنوع؟ فوجدت اختلافا شمل وجوه التحريم والتحليل والكراهية مما جعلنى أغرق فى طوفان لا أدرى ساحلا لموجه، وقد عجبت لابن حزم حين أفتى بالحرمة، وأوجب العقاب بالصائم، مع أنى أرى ولست فقيها أن الثواب على قدر المشقة ومن اعتقد أنه يقوم بطاعة ربه فى مواصلة الصوم فلابد أن يثاب! والله يعفو عن المذنب. فكيف يجازى الطائع!

هذه بعض الخواطر الثابتة لشهر الصوم، وقد يكون بها ما يفيد!

د. / محمد رجب البيومى



تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال - تعالى -:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء: ١٣-١٤)

أكد - سبحانه - وجوب الانقياد لأحكامه. وبشر المطيعين بحسن الثواب وأنذر العصاة بسوء العقاب فقال:

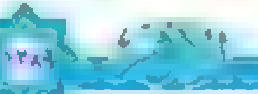
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

واسم الإشارة «تلك» يعود إلى الأحكام المذكورة فى شأن المواريث وغيرها، والمعنى: تلك الأحكام التى ذكرها - سبحانه - عن المواريث وغيرها «حدود الله» أى شرائعه وتكاليفه التى شرعها لعباده.

والحدود جمع حد: وحد الشىء طرفه الذى يمتاز به عن غيره، ومنه حدود البيت أى أطرافه التى تميزه عن بقية البيوت.

والمراد بحدود الله هنا الشرائع التى شرعها - سبحانه - لعباده بحيث لا يجوز لهم تجاوزها ومخالفتها.

وقد أطلق - سبحانه - على هذه الشرائع كلمة الحدود على سبيل المجاز لشبهها بها من



حيث إن المكلف لا يجوز له أن يتجاوزها إلى غيرها.

ثم قال – تعالى –: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أى فيما أمر به من الأحكام، وفيما شرعه من شرائع تتعلق بالمواريث وغيرها.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

أى: تجرى من تحت أشجارها ومساكنها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أى باقين فيها لا يموتون ولا يفنون ولا يخرجون منها وقوله:

﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

أى وذلك المذكور من دخول الجنة الخالدة الباقية بمن فيها هو الفوز العظيم، والفلاح الذى ليس بعده فلاح.

ثم قال – تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أى فيما أمر به من أوامر وفيما نهى عنه من منهيات ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ التى تتعلق بالمواريث وغيرها بأن يتجاوزها ويخالف حكم الله فيها.

﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ أى: يدخله نارا هائلة عظيمة خالدا فيها خلودا أبديا إن كان من أهل الكفر والضلال، وخالدا فيها لمدة لا يعلمها إلا الله إن كان من عصاة المؤمنين.

وقال هنا: ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ بالإفراد، وقال فى شأن المؤمنين ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ بالجمع، للإيذان بأن أهل الطاعة جديرون بالشفاعة، فإذا شفع أحدهم لغيره وقبل الله شفاعته، دخل ذلك الغير معه فى رضوان الله.

أما أهل الكفر والعاصى فليسوا أهلا للشفاعة، بل يبقون فرادى، تحيط بهم الذلة والمهانة من كل جانب.

أو للإشعار بأن الخلود فى دار الثواب يكون على هيئة الاجتماع الذى هو أجلب للأنس والبهجة.

وبأن الخلود فى دار العقاب يكون على هيئة الانفراد الذى هو أشد فى استجلاب الوحشة والهم.

وقوله: ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أى لهذا العاصى لله ولرسوله، والمتعدى للحدود التى رسمها الله: عذاب عظيم من شأنه أن يخزى من ينزل به ويذله:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

(فصلت: ٤٦)

وإلى هنا تكون الآيات الكريمة قد وضحت أحكام المواريث بأبلغ بيان، وأحكم تشريع، وبشرت المستجيبين لشرع الله بجزيل الثواب، وأنذرت المعرضين عن ذلك بسوء المصير.

هذا، ومن الأحكام والفوائد التى يمكن أن نستخلصها من هذه الآيات ما يأتى:

أولا:

أن ترتيب الورثة قد جاء فى الآيتين الكريمتين على أحسن وجه، وأتم بيان، وأبلغ أسلوب وذلك لأن الوارث – كما يقول الإمام الرازى – إما أن يكون متصلا بالميت بغير واسطة أو بواسطة، فإن اتصل به بغير واسطة فسبب الاتصال إما أن يكون هو النسب أو الزوجية، فحصل هنا أقسام ثلاثة:

أولها: أشرفها وأعلاها الاتصال الحاصل ابتداء من جهة النسب، وذلك هو قرابة الولادة ويدخل فيها الأولاد والوالدان، فالله – تعالى – قدم حكم هذا القسم.

وثانيها: الاتصال الحاصل ابتداء من جهة الزوجية، وهذا القسم متأخر فى الشرف عن القسم الأول؛ لأن الأول ذاتى وهذا الثانى عرض، والذاتى أشرف من العرض.

وثالثها: الاتصال الحاصل بواسطة الغير وهو المسمى بالكلالة، وهو متأخر فى الشرف عن القسمين الأولين، لأنهما لا يعرض لهم السقوط بالكلية وأما الكلالة فقد يعرض لهم السقوط بالكلية، ولأنهما يتصلان بالميت بغير واسطة بخلاف الكلالة.

فما أحسن هذا الترتيب، وما أشد انطباقه على قوانين المعقولات[1].

ثانيا:

أن الآيتين الكريمتين قد بينتا الوارثين والوارثات ونصيب كل وارث بالأوصاف التى جعلها الله – تعالى – سببا فى استحقاق الإرث كالبنوة والأبوة والزوجية والأخوة، وقد ألغتا بالنسبة إلى أصل الاستحقاق الذكورة والأنوثة والصغر والكبر وجعلتا للكل حقا معينا فى الميراث، وبهذا أبطلتا ما كان عليه الجاهليون من جعل الإرث بالنسب مقصورا على الرجال دون النساء والأطفال، وكانوا يقولون: «لا يرث إلا من طاعن بالرماح، وذاد عن الحوزة، وحاز الغنيمة».

ثالثا:

أن قوله – تعالى –: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ إلخ يعم أولاد المسلمين والكافرين والأحرار والأرقاء والقاتلين عمدا وغير القاتلين إلا أن السنة النبوية الشريفة قد خصصت بعض هذا العموم، حيث أخرجت الكافر من هذا العموم حديث:

«لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»، وعلى هذا سار جمهور العلماء فلم يورثوا مسلما من كافر ولا كافرا من مسلم.

وذهب بعضهم إلى أن الكافر لا يرث المسلم ولكن المسلم يرث الكافر.

كذلك نص العلماء على أن الحر والعبد لا يتوارثان؛ لأن العبد لا يملك، وعلى أن القاتل عمدا لا يرث من قتله معاملة له بنقيض مقصوده.

رابعا:

أن نصيب الأولاد إذا كانوا ذكورا وإناثا يكون بعد أن يأخذ الأبوان والأجداد

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ٩ ص ٢٢٠.

والجدات وأحد الزوجين أنصبتهم.

وأن الأولاد يطلقون على فروع الشخص من صلبه، أى أبناءه وأبناء أبنائه، وبنات أبنائه.

وأن أبناء الشخص وبناته يقدمن على أبناء أبنائه وبنات أبنائه، أى أن الطبقة الأولى تستوفى حقها فى الميراث قبل من يليها.

وأن الأبناء والأبوين والزوجين لا يسقطون من أصل الاستحقاق للميراث بحال، إلا أنهم قد يؤثر عليهم وجود غيرهم فى المقدار المستحق.

وأنه متى اجتمع فى المستحقين للميراث ذكور وإناث من درجة واحدة، أخذ الذكر مثل حظ الأنثيين إلا ما سبق لنا استثناؤه.

خامسا:

لا يجوز للمورث أن يسىء إلى ورثته لا عن طريق الوصية ولا عن طريق الدين ولا عن أى طريق آخر، لأن الله - تعالى - قد نهى عن المضارة فقال:



وإن بدء الآيتين الكريمتين بقوله



(النساء : ١١)

وختم أولاهما بقوله:

﴿فريضة من الله﴾ (النساء : ١١)

وختم ثانيتهما بقوله: ﴿وصية من الله﴾

هذا البدء والختام جديران بأن يغرسا الخشية من الله فى قلوب المؤمنين الذين يخافون مقام ربهم، وينهون أنفسهم عن السير فى طريق الهوى والشيطان.

سادسا:

أنه يجب تقديم حقوق الميت على تقسيم التركة، فقد كرر الله - تعالى - قوله:

﴿[illegible]﴾

كما سبق أن بينا.

قال القرطبى: «ولا ميراث إلا بعد أداء الدين والوصية؛ فإذا مات المتوفى أخرج من تركته الحقوق المعينات، ثم ما يلزم من تكفينه وتقبيره، ثم الديون على مراتبها، ثم يخرج من الثلث الوصايا، وما كان فى معناها على مراتبها أيضا، ويكون الباقى ميراثا بين الورثة.

وجملتهم سبعة عشر، عشرة من الرجال وهم: الابن وابن الابن وإن سفل والأب وأب الأب وهو الجد وإن علا، والأخ وابن الأخ، والعم وابن العم، والزوج ومولى النعمة، ويرث من النساء سبع وهن: البنت وبنت الابن وإن سفلت، والأم والجدة وإن علت والأخت والزوجة، ومولاة النعمة وهى المعتقة..»[٢]

---

(٢) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٦١.

حكمة الصوم

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الصوم عبادة قديمة: قديم الإنسان والآية الأولى من الآيات التى نزلت فى إطار واحد وفى مكان واحد من سورة البقرة يقول تعالى فى الآية الأولى مخاطبا عباده المؤمنين:

﴿[illegible]﴾ (البقرة: ١٨٣)

فقد صرحت الآية الكريمة بأن الصوم عبادة قديمة كتبها الله وفرضها على الأمم السابقة، وفى الواقع أن الصيام شأن عرفه الإنسان من قديم الزمان، فقد عرفه المتدين وسيلة من وسائل التقرب إلى الله وعرفه الوثنى الذى لا يعبد آلهة طريقا من طرق التهذيب والرياضة، إذن فهو ليس خاصا بطائفة دون طائفة ولا برسالة دون رسالة، وربما كان شأنا فطريا يشعر بالحاجة إليه فى فترات متباعدة أو متفرقة كل كائن حى وإن اختلفت صوره وأوقاته باختلاف العصور والأمم.

والصوم فى الإسلام: قد فرضه الله فرضا عاما على جميع القادرين والمكلفين فى شهر رمضان، وقد جاء قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (البقرة: ١٨٥)

مشيرا إلى الحكمة فى اختياره لهذا الشهر لهذا الصوم المفروض، وهى أن الوقت الذى ظهرت فيه النعمة الكبرى التى يجب أن تشكر - وهى نعمة البدء بإنزال القرآن على النبى ﷺ - ولا ريب فى أن القرآن من أقوى ما يطهر القلوب ويسمو بالأرواح وناسب ذلك أن يكون الشكر من جنس النعمة فى المعنى والأثر عبادة تطهر القلوب وتسمو بالأرواح وهى الصوم.

حكمة فرضية الصوم: جرى على ألسنة الناس وشاع بينهم أن الصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب والملامسة الجنسية، وبهذا يظن كثير من المسلمين أن الإنسان متى أمسك عن هذه الأمور الثلاثة طوال يومه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فقد صام وأدى ما فرض الله عليه من تكاليف فريضة الصوم، وحقيقة الأمر أن هذا بيان للصوم بالنسبة إلى مظهره وإلى الجانب السلبى منه فقط، وكلا الأمرين المظهر والجانب السلبى لا يكونان حقيقة الصوم التى كلف به عباده وفرض عليهم، فإن الله سبحانه بدأ آية الصوم بقوله:

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ (البقرة: ١٨٣)

وختمها بقوله:

﴿[illegible]﴾ (البقرة: ١٨٣)

وقوله

﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ (البقرة ١٨٥)

وفيما يلي بيان لحكمة من الصوم

﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ (البقرة ١٨٣)

ولا ريب في أن البناء يوصف الإيمان أولا وهو أساس الخير ومنهج الصلاح ومنبعه. وفي ذكر التقوى آخرا وهي روح وسر الفلاح إرشاد قوي ودلالة واضحة على أن الصوم المطلوب ليس هو مجرد الإمساك عن الطعام والشراب. وإنما هو الإمساك عن كل ما ينافي الإيمان ولا يحقق الوصية بالتقوى والمراقبة للضمير.

وإن الذي يتجه إلى غير الله بالقصد والرجاء لا صوم له والذي يفكر في الخطايا ويشعل جذوة الحقد والكذب ويحارب الله ورسوله في جماعة المؤمنين لا صوم له. والذي ينطوي قلبه على الحقد والحسد والبغض لجمع كلمة الموحدين ويعمل على تفريقهم وإضعاف قوتهم وسلطانهم لا صوم له والذي يحمي الظالمين من المسلمين ويخذل الضعفاء ويخون المخلصين لا صوم له. والذي يستغل مصالح المسلمين العامة ويستعين بمال الله على مصالحه الشخصية ورغباته وشهواته لا صوم له. وكذلك من يمد يده أو لسانه أو جارحة من جوارحه بالإيذاء لعباد الله أو انتهاك حرمات الله لا صوم له. فالصائم مثالا في صورة إنسان لا يكذب ولا يرتاب ولا يغش ولا يسرق ولا يشارك في عيب أو سوء ولا يخدع ولا يأكل أموال الناس بالباطل. وهذه كلها ليست من صفات المؤمنين الذين فرض الله عليهم الصيام وخاطبهم به. هذا هو معنى الصوم الذي يجمع صورته وهي الإمساك عن المفطرات ومعناه وهو تقوية روح الإيمان بالمراقبة. وبهذا يجمع الصائم بصومه بين تنقية النفس وتطهيرها من الملوثات وتحليتها وتزكيتها بالطيبات وإلى هذا يشير الرسول ﷺ بقوله:

«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(٢). وقوله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، وإنما الصيام من اللغو والرفث»(٣).

وحسب في ذلك أن نذكر قول الله تعالى

﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ (المائدة: ٢٧)

ولهذا فلا يكفي جانب الحرمان من الطعام والشراب هو الهدف الذي قصد بافتراض الصوم على المسلمين. وإنما هو مظهر مادي للصوم تكمن وراءه حكمته الحقيقية وهي غرس المراقبة وخلق الصبر في نفوس المؤمنين. وبهما تتعمق النية وتقوى العزيمة فيثبتون أمام حوادث الدهر وما يعترضهم من عقبات وما يواجههم من مصاعب. وفي الحياة نوازع الشهوة والهوى. وفيها دوافع الغضب والانتقام وفيها التقشف من السراء والضراء. وفي الحياة الخروج عن الأوطان ومفارقة الأهل والإخوان. وفي الحياة الجهاد في سبيل الله وفي سبيل الذود عن الحمى والكرامة. وفي الحياة كثير من الخطوب والمشاق التي تعترض الإنسان فما أحوجه إلى أن يتدرع بخلق الصبر ويتحصن وما أحوجه إلى أن يتسلح بسلاح المراقبة والاستعانة بالله والتوجه إليه والاعتماد عليه. ومن هنا فرض الله صوم رمضان وهو شهر من اثني عشر شهرا متتابع الأيام تغرس بهما التابع ملكة الصبر والمراقبة ثم جعله في كل عام ليتكرر الغرس ويتجدد الغرس. ومن هنا وجب على الصائم أن يستمر في كل ليلة من ليالي هذا الشهر متدرعا بالصبر متسلحا بالمراقبة. فلا يسرف فيما كان محظورا عليه بصومه حتى لا يطغى عليه مصباح الإشراق الذي أحسه في نهاره ولا ينقطع عنه التتابع الروحي ويعود إلى شره وطغيانه. وبهذا تتحقق حكمة الله في التعبد بالصوم ويكون الصوم مددا قويا لعنصر الخير في الإنسان مسعدا له على عمره وعلى بني وطنه وجنسه ويعيش عيشة راضية سداها المحبة والإخاء ولحمتها التعاون والسلام وبهذا يقترب من

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) صحيح ابن خزيمة.

المثل الأعلى ويتحقق بالتكاليف الإلهية والواجبات الاجتماعية قوة لا تعرف الضعف وثبات لا يعرف القلق وإخلاص لا يعرف الرياء ويقين لا يعرف الشك فتطيب الحياة ويسعد الناس في حياتهم.

مظاهر اليسر في الصيام: الله - سبحانه وتعالى - رحيم بعباده وهو عليم بهم وبأحوالهم وبقدر ما يستطيعون من تكاليف. ولهذا فهو سبحانه عندما فرض عليهم الصيام راعى مصالح الضعفاء وذوي الحاجات ممن لا يقدرون على أداء هذه الفريضة وما قد يطرأ على بعضهم من أعذار لا يستطيعون بها أداء هذه الفريضة فرخص للمريض والمسافر الإفطار في رمضان. واكتفى منهما بالقضاء في أيام الصحة والإقامة.

﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ (البقرة ١٨٤)

ويرى بعض العلماء أن قوله تعالى

﴿ أو على سفر ﴾ (البقرة ١٨٤)

تجعل رخصة الإفطار خاصة بمن يباشر السفر بالفعل أي قد قام بالسفر. ثم بعد أن يصل إلى المكان الذي يقصده ويقف به السفر فإنه يجب عليه أن يعود إلى الصوم ولو كان في غير بلده وليس الأمر كما يظن الناس أن الرخصة ثابتة في السفر مادام بعيدا عن وطنه وإنما هي خاصة بزمن السفر ومباشرته كما يدل عليه قوله تعالى

﴿ على سفر ﴾ (البقرة ١٨٤)

ومن مظاهر اليسر في فريضة الصوم بعد ذلك أن الله تعالى أباح للأصحاء المقيمين الذين شق عليهم الصوم ويجهدهم جهدا شديدا يعرض حياتهم للخطر. وذلك مثل الشيخ الكبير والحامل والمرضع أجاز لهؤلاء الفطر في رمضان. ونظرا لأن هؤلاء قد لا يدركون أياما يستطيعون فيها القضاء فقد اكتفى منهم أن يطعموا مسكينا واحدا عن كل يوم يفطرونه من أيام شهر رمضان. وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة ويستفاد منها

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ (البقرة ١٨٤)

ويقول المفسرون إن معنى يطيقونه يتحملونه بشدة ومشقة. وذلك من قولهم فلان يطيق حمل الصخرة العظيمة حيث يحملها بشدة وهم لا يقولون فلان يطيق حمل الورقة لأنها ليست مظنة لشدة ولا مشقة. والحكمة من هذا التيسير جاءت في ختام آية الصيام التي جاءت قاعدة تشريعية عظيمة. وهي أن تكليف الله لعباده لا يقصد منه إرهاق ولا تعسير وإنما قصد منه التقوى والتطهير. ولنمشي على اليسر والبعد عن العسر مع المحافظة على الإكمال والإتمام وتعظيم الله على هدايته وشكره على نعمه.

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ (البقرة: ١٨٥)

وهكذا كانت تلك الفريضة هي العبادة التي حققت الإخلاص في العبادات كلها هي وسيلة لاتصال العبد بربه. ولهذا ورد في الحديث القدسي أن العبادات كلها تعود فائدتها للعبد ماعدا الصوم، لأنه عبادة سرية بين العبد وربه. فلا يعلم أحد أنك صائم أو مفطر سوى علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى. من أجل ذلك كان جزاء هذه العبادة أيضا سرا بين العبد وربه يقول الرسول ﷺ فيما يرويه عن رب العزة في الحديث القدسي «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»(٤). والله نسأل أن يتقبل صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا وقراءتنا وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه سميع قريب مجيب الدعاء

(٤) أخرجه البخاري.

الصوم باب من أبواب الخير

لفضيلة الشيخ / أبراهيم عطا الفيومى

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله اخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار. قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال له: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل. ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ [illegible]﴾ (السجدة: ١٦) حتى بلغ ﴿[illegible]﴾. ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه ثم قال: كف عليك هذا. قلت: يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟!..

رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

اللغويات:

الصوم جنة: أى وقاية

ذروة سنامه: أعلى سنام البعير، وذروة كل شىء أعلاه

ألا أخبرك بملاك ذلك كله: أى: ما يقوم به. فملاك الأمر: بفتح الميم وكسرها: ما يقوم به. يقال: القلب ملاك الجسد.

ثكلتك أمك يا معاذ: يقال: ثكلته أمه أى فقدته.

حصائد ألسنتهم: ما قيل فى الناس باللسان، وقطع به عليهم، والمراد: جزاء الكلام المحرم وعقوباته. فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، خيراً كان أو شراً.

الشرح والبيان

إن أسمى غايات المؤمن أن ينجو من النار، وأن يحظى برضوان الله والجنة، ولذلك كان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم إنى أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل». وقد حرص راوى الحديث سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه على أن يتقدم إلى النبى ﷺ بسؤال يضمن له الجنة، ويبعده من النار، فقال: «يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار». وفى رواية الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- فى حديث معاذ أنه قال: «يا رسول الله إنى أريد أن أسألك عن كلمة قد أمرضتنى وأسقمتنى وأحزنتنى. قال: «سل عما شئت». قال: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة لا أسألك غيره». وإن دل هذا على شىء فإنما يدل دلالة قاطعة على اهتمام معاذ رضى الله عنه بالأعمال الصالحة، وحرصه عليها، لينال ثوابها. وفى ذلك دليل على أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة. ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(الزخرف: ٧٢)

وقد جاء فى الأثر: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فإن مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله فيها، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فيها».

وأما قوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله» -كما ورد فى الحديث المتفق عليه- فالمراد -والله أعلم- أن العمل بنفسه لا يستحق به أحد الجنة لولا أن الله عز وجل جعله -بفضله ورحمته- سبباً لذلك، والعمل نفسه من فضل الله ورحمته على عبده، فالجنة وأسبابها من فضل الله ورحمته.

فأجابه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بقوله «لقد سألت عن عظيم». وذلك لأن دخول الجنة والنجاة من النار أمر عظيم جداً، ولأجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل». وقال رسول الله ﷺ: «وإنه ليسير على من يسره الله عليه» إشارة إلى أن التوفيق بيد الله عز وجل، فمن يسر الله عليه الهداية اهتدى، ومن لم ييسّر عليه لم يتيسر له ذلك.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾

(الليل: ٥-١٠)

وقال رسول الله ﷺ: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة».

وكان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه: «واهدنى ويسّر الهدى لى»، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يدعو: «اللهم يسّرنى لليسرى، وجنبنى العسرى».

هذا ودخول الجنة مترتب على الإتيان بأركان الإسلام الخمسة وهى: التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج الماثلة فى قوله ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت».

هذا ولما رتب رسول الله ﷺ دخول الجنة على الإتيان بأركان الإسلام الخمسة- دله بعد ذلك على أبواب الخير من النوافل، فإن أفضل أولياء الله عز وجل المقربون، الذين يتقربون إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض، وقد جاء فى الحديث القدسى الشريف: «ما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه».

وابتدأ رسول الله ﷺ أبواب الخير وأسهلها بقوله: «الصوم جنة» وفى رواية الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «الصيام جنة وحصن حصين من النار».

وفى رواية أخرى: «الصوم جنة من النار كجنة أحدكم من القتال» يعنى: أن الصيام يقى صاحبه من

الوقوع في المعاصي التي تؤدي به إلى شر - عياذاً بالله - كما يقي الترس المقاتل من الإصابة والهلاك.

هذا والصوم منه ما هو واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو صوم رمضان. أما الصوم في غير رمضان فينقسم قسمين: صوم واجب، وهو صوم الكفارات والنذور. وصوم التطوع كصيام ستة أيام من شوال، وصيام تسعة ذي الحجة، وصيام يوم عاشوراء، وصيام ثلاثة أيام في كل شهر.. إلى آخره.

وقد قال ابن القيم - رحمه الله وطيب ثراه -: «هو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال. فإن الصائم لا يفعل شيئاً وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده. فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته. وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه. والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده - فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وتلك حقيقة الصوم. وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها. فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات. فهو من أكبر العون على التقوى. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة ١٨٣)

وقال الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين»: «في الصوم خصيصة ليست في غيره، وهي إضافته إلى الله عز وجل، حيث يقول سبحانه في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به»، وكفى بهذه الإضافة شرفاً، كما شرف البيت بإضافته إليه في قوله

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

(المطففين ٢٦)

وإنما فضل الصوم لمعنيين: أحدهما أنه سر وعمل باطن لا يراه الخلق ولا يدخله رياء. والثاني أنه قهر لعدو الله؛ لأن وسيلة العدو الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب. وما دامت أرض الشهوات مخصبة فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى، وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك».

وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إن عرى الدين وقوامه الصلاة والزكاة لا يفرق بينهما، وحج البيت وصيام رمضان، وإن من أصلح الأعمال الصدقة والصيام».

فالصيام من أفضل الأعمال التي يقدمها المرء طاعة لربه ويلقى خالقه لدى وجهه خيرة والصحة. ولذلك قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء». فالصائم يكون قريباً من الله عز وجل، مستحضراً لعظمته وسلطانه ورقابته، وبالتالي لا يجرؤ على مخالفته، ولا يدخر وسعاً في تقديم ما يرضيه سبحانه. يتسابق على الطاعات، ويتنافس على أعمال البر وسائر القربات. لا يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره. فلا ترتفع يده إلا بالضراعة والدعاء، ولا تمتد إلا بالإحسان والإعطاء. وقد قال الإمام البغوي رحمه الله في قوله تعالى: «السائحون»: السائحون هم الصائمون. وسمي الصائم سائحاً؛ لأن الذي يسيح في الأرض متعبداً لا يكون له زاد، فحين يجد يطعم. والصائم كذلك يمضي نهاره لا يطعم شيئاً. ومن ذلك نتبين أن فوائد الصوم كثيرة متعددة، وفي مقدمتها أنه يثمر مراقبة الله عز وجل في السر، وأنه يثمر النجاة من النار والفوز بالجنة، وأنه يثمر محبة الله وطاعته، وأنه

يهذب الطباع ويكبح جماح النفس، وأنه طهرة للنفس ووقاية للبدن، وأنه صمام أمن من الوقوع في المحرمات، وأنه كذلك يورث الخشية من الله عز وجل، وأنه يشعر الصائم بحاجة الفقير والمريض فيسارع إلى الصدقات، وأنه حرب على الشيطان، وقد جاء في الحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق فضيقوا مجاريه بالجوع». وقد أنشد بعضهم:

أنت في دار شتات فتأهب لشتاتك

واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك

وليكن فطرك عند الله في يوم وفاتك

هذا والصوم من الأعمال العظيمة، والعبادات الكبيرة. روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: «ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟» قال: «لا تستطيعونه». قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه». وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله».

ويأتي بعد صيام التطوع - الصدقة، بخاصة صدقة السر. فقد روي عن علي بن الحسين - رضي الله عنهما - أنه كان يحمل الخبز على ظهره بالليل يتبع به المساكين في ظلمة الليل ويقول: «إن الصدقة في ظلام الليل تطفئ غضب الرب عز وجل». وقد قال الله تعالى:

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾

(البقرة ٢٧١)

فدل على أن الصدقة تكفر بها السيئات، إما مطلقاً وإما صدقة السر.

وكذلك صلاة الرجل في جوف الليل تطفئ الخطيئة بها كالصدقة، فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل». وروى الترمذي عن بلال رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد».

أما قوله ﷺ: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه». فالمراد بالأمر: الدين الذي بعث به، وهو الإسلام.

وأما قوامه الذي يقوم به كما يقوم الفسطاط على عموده - فهو الصلاة. وأما ذروة سنامه - وهو أعلى ما فيه وأرفعه - فهو الجهاد. وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض.

وأما قوله: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله» - فقد فسره رسول الله ﷺ بأن أخذ بلسان نفسه، ثم قال: «كف عليك هذا». وهذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه.

وأعتقد أن الصائم يكون أملك للسانه من غيره. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث». وقال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

وفقنا الله عز وجل لصيام رمضان وقيام ليله، لندرك الثواب الذي أعده الله لمن صامه وقامه. قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». وينبغي ألا نقصر الصوم على صيام رمضان، فإن صيام التطوع من الأمور التي يحبها الله عز وجل، فينبغي علينا أن نحب ما يحبه الله عز وجل. وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه.

فلسفة الصيام في شريعة الإسلام

للأستاذ الدكتور/محمد فتحي بيومي

للصيام في شريعة الإسلام منزلة عظيمة، ومكانة سامية، إذ هو ركن أساسي من أركانه، وقد فرضه الله تعالى في السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة، وقد كتبه الله تعالى علينا نحن المسلمين كما كتبه على الأمم السابقة من قبلنا لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، والعلة في ذلك كما أوضحها الله تعالى في عجز هذه الآية الكريمة تتمثل في قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: ١٨٣).

أما ما يجتهد المفسرون والمفكرون في محاولة بيانه والوصول إليه فهو الكيفية التي يعمل بها الصيام عمله في المسلم، لعله ينجح في تحقيق الهدف من الصيام، والوصول إلى هذه الثمرة المباركة وهي التقوى

اجتهادات محمودة:

والذين أدلوا بدلوهم في هذا المجال كثيرون، ولعلنا نستطيع في عُجالة تلخيص أفكار بعضهم في هذا الشأن في الخطوط العريضة التالية.

فالأستاذ الإمام محمد عبده – رحمه الله – يبين، في قطعة قصيرة دالة، بعض النواحي التربوية التي يؤصلها رمضان في نفس المسلم من المراقبة والضمير اليقظ والصبر وضبط النفس وكلها ضروري لتمام الإيمان بالله تعالى وتعظيمه، مما ينعكس على نزاهة المسلم في الدنيا وسعادته في الآخرة، كل ذلك في أسلوب أدبي رفيع، وعبارة تتميز بالسلاسة والوضوح والإيجاز رغم ما تنطوي عليه من معان عميقة، يقول الإمام: «إن أمر الصيام موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه فيه إلا الله تعالى، وهو سر بين العبد وربه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه وتعالى، فإذا ترك الإنسان شهواته

ولذاته التي تعرض لها في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه، والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر كامل في السنة، ملاحظا عند عروض كل رغبة له من رغائب النفس أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد الشوق إليها، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى، والحياء منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى، والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا ولسعادتها في الآخرة».

أما أستاذنا العقاد فقد اجتهد أيضا، وأوضح لنا أن الصيام يؤدي إلى تربية الإرادة، ففي مقال له بعنوان: «رمضان شهر الإرادة»، يبرز فيه العقاد دور الصيام في تأصيل هذه المزية التي هي من ألزم الصفات للأغنياء والفقراء على السواء، حيث يقول: فالإرادة لازمة في كل تكليف وفي كل تبعة وفي كل فضيلة، فلا قوام للفرائض والفضائل جميعا بغير هذه الإرادة.

وهي لازمة للفقير لزومها للغني، فإن كان أحدهما أحوج إليها من الآخر فهو الفقير، لأن الغني قد يجد عنده ما يعوض التفريط في أعمال الإرادة والعزيمة والحزم والمضاء، وليس هذا العوض ميسورا للفقير إلا بزيادة الجهد والعناء.

الإرادة إذن هي فضيلة الفضائل في الصيام، ومتى عرفت هذه الحكمة فآداب رمضان كلها محصورة فيها مستفادة من معناها، ولا حاجة بالصائم إلى أدب غير أنه يريد الصيام، وأنه يقوم بفريضة يطلبها ويطلب نفعها ويحمل جهدها، وإن لم تكن مفروضة عليه، فليس من أدب رمضان أن يتململ الصائم وأن يجهجه لمحدثيه وأن يبدو منه ما يدل على الضيق بالفريضة، كأنه مكره عليها، مطيع لها بغير رضاه.

وليس من أدب رمضان أن يهرب الصائم من إرادته بقضاء النهار كله في النوم تاركا للطعام لأنه غافل عن مواعيده غير منتبه إليه، وليس من رمضان أن يفلت زمام الإرادة بعد غروب الشمس فلا يعرف الصائم له إرادة تصده عن الإفراط في الطعام والشراب، إلى موعد الإمساك.

أما الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله – شيخ الجامع الأزهر الأسبق، فيبرز دور الصيام في تحقيق بعض الأهداف وتأصيل بعض الصفات الحسنة في الإنسان المسلم فيقول: وصوم رمضان «عبادة تتفق في هدفها مع أهداف القرآن في تربية العقول والأرواح وتنظيم الحياة، يوحد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل، وأوقات الطعام والشراب، ويفرغ عليهم جميعا صبغة الإنابة والرجوع إلى الله، ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والتقديس، ويكفها عن الإيذاء والتجريح، ويسد عليهم منافذ الشر والتفكير فيه، ويملأ قلوبهم بمحبة الخير والبر لعباد الله، ويغرس في نفوسهم خلق الصبر الذي هو عدة الحياة، وهكذا يريد الله أن يكون الإنسان».

وفي كتابه صغير الحجم، عظيم القدر بعنوان «أسرار العبادات في الإسلام» تحدث الشيخ الجليل الدكتور عبدالحليم محمود – طيب الله ثراه – عن «حكمة الصوم بين الأوهام والحقائق» حديثا عذبا غير تقليدي، فبعد أن سرد آراء بعض الكتاب

والمفكرين، مع بعض التعقيبات المقتضبة والتعليقات النقدية التي يسوقها فضيلته على هيئة إشارات لطيفة يفهمها القارئ من بين السطور، يقول: حينما تحدث عن الصوم نتجه إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عن الصوم، فنستلهمها الحكمة وفيها، لو تأملنا، الحكمة واضحة في تعبير غاية في الدقة، يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٨٣)

في هذه الآية يحدثنا الله، سبحانه وتعالى، أنه كتب علينا الصيام وفرضه، لغاية معينة، ذكرها في قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وعبر القرآن بكلمة «لعل» ولم يقطع ولم يجزم بأن ثمرة الصوم لا محالة، تحقق التقوى؛ لأن الصوم يعد نفس الصائم للتقوى.

إنه إعداد وتهيئة، إن مثله – بالنسبة للصائم – كمثل زارع، تعد له الأرض وتهيأ، وتعطى له محروثة، لا حشائش فيها، مهيأة تماما التهيئة، وما عليه إلا أن يتصرف حسبما يريد، فإن شاء، ألقى فيها البذور، ثم تركه يذبل ويموت، وإن شاء تركها مهملة، تنمو فيها الحشائش الخبيثة من جديد، وتعود تربة غير صالحة، وإن شاء ألقى فيها البذر وتعهده حتى يترعرع ويستوى على سوقه، ويؤتى أكله، كل هذه منطو في جملة ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فإذا ما تعهد الإنسان نفسه التي أعدت بالصوم، وانتهى إلى التقوى، كان جزاؤه حقيقة عند الله، عظيما، ومن هنا مفتاح فهم الأحاديث التي رويت في الصوم، والتي لا نفهم فيها حقيقيا إلا إذا راعينا أن الصائم، يتعهد نفسه التي مهدت وأعدت بالصوم.

ولعل شيخنا الجليل – رحمه الله – بهذه الكلمات البسيطة السهلة والسلسة، والتي يستقيها من روح القرآن ومفاهيمه الرفيعة قد اقترب كثيرا من المعنى الحقيقي لحكمة الصيام السامية

تجربة علمية ونتيجتها المثيرة

وإذا كان الصيام طبقا لتعريفه الشرعي هو الإمساك عن الطعام والشراب ومجامعة النساء من مطلع الفجر الصادق حتى غروب الشمس، فإن ذلك ببساطة معناه أن الصائم في امتثاله لأمر الله تعالى بالصيام قد تخلى عن تلبية حاجتين غريزيتين أو فطريتين، وهما غريزة تناول الطعام وغريزة ممارسة الجنس، والأولى من شأنها الحفاظ على حياة الإنسان، وأما الثانية فمن شأنها الحفاظ على نوعه؛ ولذلك فقد جعلهما الله تعالى حاجتين فطريتين ليحافظ المرء على حياته ويحافظ أيضا على نوعه ونسله من الاندثار والانقطاع، والجدير بالذكر أن هاتين الغريزتين كما تحكمان حياة الإنسان، تحكمان أيضا حياة سائر الكائنات الحية الأخرى لا سيما الكائنات الحيوانية.

ومن طرائف نتائج بعض البحوث العلمية، التي يجريها علماء سلوك الحيوان والفسيولوجيا، في معاملهم ومختبراتهم، وينقله عنهم الباحثون في مجالات علوم النفس والأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، نتيجة تجربة أجراها هؤلاء العلماء على مجموعة من ذكور الفئران البالغة التي حرمت لمدة طويلة من الطعام وممارسة الجنس. وحينما تم إنهاء هذا الصيام أو هذا الحرمان من كلتا الحاجتين، وذلك بتوفير كل من الطعام والإناث لهذه الذكور في توقيت واحد، ترددت الفئران بين الإقبال على الطعام والإقبال على ممارسة الجنس، وأدى ذلك إلى إنهاك ما تبقى من قواها حتى أدركها الإعياء والهلاك قبل أن تدرك غلبتها من أي من تلكما الحاجتين الأساسيتين!

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قوة وأهمية هاتين الحاجتين الفطريتين لدى جنس الحيوان الأعجمي، الذي يتميز عن الحيوان الناطق في كونه يتصرف بتلقائية فطرية مفرطة، دون مداراة أو دبلوماسية مصطنعة، ومن ثم فدراسة سلوكها تشي بما يمكن أن تكون عليه حال الإنسان فيما لو تخلى عن تلك المداراة أو ذلك التلطف المصطنع، ولهذا السبب فقد كان نقاد يعتبر سلوكها الغريزي «الصورة» الأصلية أو الحقيقية لسلوك الإنسان ذاته!

والخلاصة.

والذي يمكن أن نخلص إليه من هذه التجربة، التي أجريت على الحيوان، وتصدق على كل ذات كبد رطبة أيضا، أن هاتين الحاجتين الأساسيتين من حاجات الكائنات الحية هما من القوة بمكان وأن كل واحدة منهما تبز قرينتها في القوة والشدة، ولا أدل على ذلك من تعهد الرسول ﷺ حينما قال لأحد الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين: «اضمن لي ما بين لحييك وما بين فخذيك أضمن لك الجنة».

وحينما يتخلى الإنسان المسلم عن هاتين الشهوتين (شهوة البطن وشهوة الفرج) وهو أرقى مخلوق خلقه الله، وخلق كل الأشياء من أجله – طبقا لما جاء بالحديث القدسي – وبذلك تضاعف لديه قوة هاتين الحاجتين، ومع ذلك يتركهما طاعة لله تعالى لتحقق المعنى القرآني العظيم:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(الذاريات: ٥٦)

وعند تحقق ذلك، بالشروط التي بينها لنا النبي ﷺ في الصيام الصحيح من حفظ الإنسان لسائر أعضائه وجوارحه، يصبح العبد ربانيا، متشبها في ذلك ببعض الصفات الملائكية، وقريبا من قطف ثمرة هذا الحرمان الذي ارتضاه – طاعة لله تعالى – وهي الاقتراب من درجة التقوى، التي عرّفها الخليفة الراشد الذي تربى في حجر النبوة علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – حينما قال: «التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل».

ولفضل الصيام على سائر العبادات الأخرى في الإسلام، لكونه أمانة وسرا بين العبد وربه، نسبه الله تعالى لنفسه كما ورد في مضمون الحديث الذي رواه البخاري وأبو داود: «الصيام جنة فإذا كان أحدكما صائما، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم إني صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها».

فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

النحل ٤٣

استفتاءات القراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية

يوم الشك

ما هو يوم الشك؟ ولماذا يحرم صومه؟

- الجواب:

هذه المسألة فيها ثلاثة أحاديث شريفة:

الأول: عن صلة بن زفر قال: كنا عند عمار بن ياسر رضي الله عنه، فأتي بشاة مصلية فقال: «كلوا» فتنحى بعض القوم فقال: إني صائم، فقال عمار: «من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم ﷺ» رواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم، قال الترمذي: «حديث عمار حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبدالله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق؛ كرهوا أن يصوم الرجل اليوم الذي يشك فيه، ورأى أكثرهم إن صامه فكان من شهر رمضان أن يقضي يوماً مكانه» اهـ.

والثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم» رواه الجماعة، قال الترمذي: «حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم؛ كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول شهر رمضان لمعنى رمضان، وإن كان رجل يصوم صوماً فوافق صيامه ذلك فلا بأس به عندهم» اهـ.

والثالث: حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له» متفق عليه.

■ وبناءً على ذلك فقد اختلف العلماء في تحديد يوم الشك:

فعند جمهور العلماء من الحنفية والشافعية: يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شهر شعبان إذا تحدث الناس بالرؤية ولم تثبت، أو شهد بها من ردت شهادته لفسق ونحوه، فإن لم يتحدث بالرؤية أحد فليس يوم شك حتى لو كانت السماء مغيمة؛ وذلك عملاً بظاهر قول عمار بن ياسر رضي الله عنه: «الذي يشك فيه الناس» من غير التفات إلى وجود غيم أو انتفائه.

أما المالكية فإنهم يجعلون مناط الشك هو الغيم، فلو كانت السماء مصحية فليس يوم شك؛ لأنه إن لم ير الهلال كان من شعبان جزماً، ويجعلون قوله ﷺ: «فإن غم عليكم فاقدروا له» تفسيراً ليوم الشك، واعترض ذلك ابن عبدالسلام من المالكية بأن قوله عليه الصلاة والسلام: «فإن غم عليكم فاقدروا له» – أي: أكملوا عدة ما قبله ثلاثين يوماً – يدل على أن صبيحة الغيم من شعبان جزماً.

ويقابلهم الحنابلة الذين يوافقون الجمهور، لكنهم يرون في ظاهر المذهب عندهم أن وجود الغيم ينفي كونه يوم شك؛ لأنه حينئذ يعد من رمضان، ويجعلون قوله ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له» مسوقاً لبيان التفرقة بين حكم الصحو والغيم؛ فإذا كانت رؤية الهلال شرطاً للصوم في الصحو فالمغايرة تقتضي عدم كون الرؤية شرطاً في الغيم، ومعنى «فاقدروا له» عندهم: أي: فضيقوا له وقدروه تحت السحاب؛ عملاً بمذهب راوي الحديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما في ذلك.

وتوارد روايات الحديث الصحيحة الصريحة على تفسير «فاقدروا له» بإكمال عدة شعبان ثلاثين يرجح مذهب الجمهور في ذلك؛ حملاً للمطلق على المقيد، والسنة هي أولى ما تبين به السنة، ولذلك اختار كثير من محققي الحنابلة والمالكية مذهب الجمهور، قال الإمام النووي في المجموع: «فالصواب ما قاله الجمهور، وما سواه فاسد مردود بصرائح الأحاديث السابقة».

وقد صنف بعض العلماء في تحديد يوم الشك، كما فعل مفتي مكة المكرمة العلامة الشيخ إبراهيم بن حسين بن بيري الحنفي (ت١٠٩٩هـ) في رسالته التي سماها «إزالة الضنك في المراد من يوم الشك».

■ أما حكم الصوم يوم الشك فله حالتان:

– الأولى: أن يصام عن رمضان بنية الاحتياط له، فهذا هو المراد بالنهي عند جمهور العلماء، ثم منهم من جعله حراماً لا يصح صومه كأكثر

الشافعية، ومنهم من رآه مكروهاً كالحنفية والمالكية والحنابلة، فإن ظهر أنه من رمضان أجزأه عند الليث بن سعد والحنفية، ولم يجزئه عند المالكية والشافعية والحنابلة.

وهذا عند الحنابلة في غير يوم الغيم؛ فأما يوم الغيم فإنهم أوجبوا صيامه عن رمضان في ظاهر الرواية عندهم ولم يجعلوه يومَ شك؛ عملاً بمذهب راوي الحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كما سبق، وللإمام أحمد رواية أخرى توافق الجمهور أخذ بها كثير من محققيهم؛ لتوارد الروايات الصحيحة الصريحة على ذلك، حتى قال الإمام ابن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى - فيما نقله عنه الحافظ ابن عبدالهادي الحنبلي في «تنقيح التحقيق» -: «الذي دلت عليه الأحاديث في هذه المسألة - وهو مقتضى القواعد - أن أي شهر غم أكمل ثلاثين؛ سواء في ذلك شهر شعبان أو شهر رمضان أو غيرهما» اهـ.

وقد سبق نقل كلام الإمام النووي في ذلك.

الثانية: أن يصام عن غير رمضان، فالجمهور أنه يجوز صومه إذا وافق عادة في صوم التطوع كما هو نص حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ويلتحق بذلك عندهم صوم القضاء والنذر، أما التطوع المطلق من غير عادة فهو حرام على الصحيح عند الشافعية إلا أن وصله بما قبله من النصف الثاني فيجوز، ولا بأس به عند الحنفية والمالكية.

وقد صنف الأئمة في هذه المسألة، منهم: الحافظ الخطيب البغدادي الشافعي (ت٤٦٣هـ) في كتابه «النهي عن صوم يوم الشك»، والحافظ أبوالقاسم عبدالرحمن بن منده الحنبلي (ت٤٧٠هـ) في كتابه «صيام يوم الشك» خالف فيه ما هو المذهب عند الحنابلة من صيام يوم الغيم، والحافظ أبوالفرج ابن الجوزي الحنبلي (ت٥٩٧هـ) في كتابه «درء الضيم واللوم في صوم يوم الغيم»، والعلامة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ) في كتابه «تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان».

■ أما عن الحكمة في النهي عن صومه:

ففيها خلاف يذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» بقوله: «والحكمة فيه: التقوي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط، وهذا فيه نظر؛ لأن مقتضى الحديث أنه لو تقدمه بصيام ثلاثة أيام أو أربعة جاز.. وقيل: الحكمة فيه خشية اختلاط النفل بالفرض، وفيه نظر أيضاً؛ لأنه يجوز لمن له عادة كما في الحديث، وقيل: لأن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم، وهذا هو المعتمد» اهـ.

وهذا الذي اعتمده الحافظ في حكمة النهي

يزيد وضوحاً عند معرفة منهج الإسلام في رؤية الهلال؛ فإن الحاكم هو الذي يقضي بصحة بينة الرؤية - عند إمكانها فلكياً -، فإذا حكم بعدم ثبوت الشهر فإن حكمه هذا يرفع النزاع في الأمر القضي ظاهراً وباطناً ويحسم مادة الخلاف فيه، وليس المسلم مكلفاً - تحت أي سقف معرفي يعيش فيه - بالوصول إلى ما في الواقع ونفس الأمر، بل المظنة في ذلك تنزل منزلة المئنة، والأخذ بغلبة الظن واجب شرعي، وهذا يعلم المسلمين القوة والثبات في دينهم، والجدية في أمر عبادتهم، ويحذرهم من أن يكونوا نهباً لخطر الشائعات بين أهل البلد الواحد عن طريق تحدث بعض الناس بينهم بالرؤية وإحداثهم للبلبلة والفوضى في ذلك مع عدم الحكم بثبوتها، وإذا كان هذا عصياناً للمصطفى ﷺ في حق من دعا إلى رؤية لم تثبتها البينة الصحيحة وترك الأخذ بالظن الغالب إذا قضى به الحاكم، فما بالنا بمن يخالف الجماعة ويشق عصا الطاعة ويزرع بذور الفرقة والاختلاف بالتشبث والدعوة إلى رؤية قطع الحساب الفلكي القطعي ببطلانها ولم يعتمدها أهل بلده، كما يفعله كثير من المعاندين في هذا الزمان، في زيغ عن الحق من غير حجة ولا برهان من عقل أو نقل، واقعين بذلك في محظورين: تفريق الجماعة، والأخذ برؤية موهومة علم بطلانها بالضرورة، وناهيك بذلك خروجاً عن الجادة وعصياناً لسيدنا النبي المصطفى أبي القاسم ﷺ والله سبحانه وتعالى أعلم.

التكبير في العيدين

سؤال من القارئ: ن. خ. بورسعيد:

هل صيغة التكبير المعروفة في العيدين بدعة؟

الجواب: التكبير في العيد مندوب، وقد ورد الأمر الشرعي به مطلقاً، قال تعالى:

﴿[illegible]﴾

(البقرة: ١٨٥)

فالأمر فيه على السعة؛ لأن المطلق يؤخذ على إطلاقه إذا لم يرد ما يقيده في الشرع، ولم يرد في صيغة التكبير شيء بخصوصه في السنة المطهرة، ولكن درج بعض الصحابة منهم سلمان الفارسي - رضي الله عنه - على التكبير بصيغة: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد»، كما وردت الزيادة والاختلاف عليها عن بعض الصحابة والسلف رضي الله عنهم، ونقل الإمام البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما زيادة: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر وأجل، الله أكبر على ما هدانا».

ولذلك قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في

كتاب «الأم» (١/٢٧٦): «فيبدأ الإمام فيقول: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر» حتى يقولها ثلاثاً، وإن زاد تكبيراً فحسن، وإن زاد فقال: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، الله أكبر، ولا نعبد إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله والله أكبر» فحسن، وما زاد مع هذا من ذكر الله أحببته».

وقال الجلال المحلي في «شرحه على منهاج الطالبين» (١/٣٨٥): «وصيغته المحبوبة: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد، ويستحب أن يزيد) بعد التكبيرة الثالثة (كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً) وفي الروضة وأصلها قبل (كبيراً) الله أكبر، وبعد (أصيلاً) لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده».

وهذه هي الصيغة التي يكبر بها أهل مصر من قرون طويلة، ويزيدون عليها الصلاة على النبي ﷺ فيقولون: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً»، وهي صيغة شرعية صحيحة وصفها الإمام الشافعي رضي الله عنه بالحسن كما سبق.

كما أن زيادة الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته في ختام التكبير أمر مشروع أيضاً، فإن أفضل الذكر ما اجتمع فيه ذكر الله ورسوله ﷺ. كما أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ تفتح للعمل باب القبول فإنها مقبولة أبداً حتى من المنافق كما نص على ذلك أهل العلم، لأنها متعلقة بالجناب الأجل ﷺ.

وبناء على ذلك فمن ادعى أن هذه الصيغة المشهورة بدعة فهو إلى البدعة أقرب، حيث تحجر واسعاً وضيق ما وسعه الله تعالى ورسوله ﷺ، وقيد المطلق بلا دليل، ويسعنا في ذلك ما وسع سلفنا الصالح من استحسان مثل هذه الصيغ وقبولها وجريان عادة الناس عليها بما يوافق الشرع الشريف ولا يخالفه، ونهي من نهى عنها غير صحيح لا يلتفت إليه ولا يعول عليه.

خطبة الجمعة

ذكرى غزوة بدر



الحمد لله عز وجل، ناصر أوليائه وخاذل أعدائه

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ١١)

ونشهد أن لا إله إلا الله جعل العاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: ٧)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله لم تصده القلة أو العيلة عن مواطن اليقين والثبات

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤)

فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله المهتدين بهديه في الظلمات، وأصحابه المستخفين بالملمات، وأتباعه المنتفعين بالعبر والعظات

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (فاطر: ١٨)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام

في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة بدر الكبرى التي نزل فيها القرآن والتقى الجمعان: فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة، ونحن في أشد الحاجة إلى العناية الواسعة بمثل هذه الذكرى الواعظة الخالدة ومع

كثرة الثمرات الكبيرة التي نجنيها إذا أحسنا الاحتفال والاستقبال لذكرى هذا اليوم الجليل الخالد في هذه الأيام.... فإن دراسة ما يتعلق بيوم بدر لون من الفقه في دين الله «ومن يرد الله به خيرا يفقه في الدين»[١].

كما قال الصادق المصدوق عليه صلوات الله؛ فغزوة بدر لم تكن معركة بين طائفتين فحسب، بل صارت كقطعة من الدين والعقيدة، لأن الله تبارك وتعالى قد خلد سيرة هذه الغزوة في سورتي الأنفال وآل عمران من القرآن، والقرآن هو كتاب ربنا المتعبد به، وهو يتلى بيننا كل يوم، ونحن نرتله ونردده في الصلوات وغير الصلوات، ونعبد خالقنا بهذه التلاوة، ونثاب عليها منه سبحانه، ومن عجيب صنع الله للمسلمين أن فرج لهم بين تاريخهم ودينهم، ففي صفحات تاريخهم تتبدى ملامح الكثير من تعاليم هذا الدين؛ فحين يتدارس المسلمون غزوة بدر يكونون كالمتدارسين للقرآن دستور الإسلام: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٢].

ومن ثمرات العناية بذكرى غزوة بدر تحقق معنى البر والوفاء، لأنها استعراض لجانب من جوانب السيرة النبوية، وفي استعراض هذه السيرة العاطرة تمجيد لصاحبها الرسول ﷺ ذلك النبي الذي تعب لنستريح، وجاهد لنسعد، ومهد الطريق الصعب أمامنا لنسلكه هينا لينا مستقيما:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

(التوبة: ١٢٨)

ثم هؤلاء الصحابة الذين رافقوه وأخلصوا لدعوته. وجاهدوا في سبيل الله فأحسنوا الجهاد. وبذلوا من نفوسهم ونفائسهم.... أليس من الوفاء لهم والعرفان لمكانتهم أن نتذكر تاريخهم ونستعرض سيرتهم، وخصوصاً أن حياتهم قد ارتبطت منذ آمنوا أوثق الارتباط بحياة هذا النبي الأمي الكريم الذي أخرج الناس بفضل ربه من الظلمات إلى النور؟

وهناك ثمرة أخرى من مدارستنا لغزوة بدر وأمثالها من مواطن الجهاد ومواقف النضال. فالسابقون الذين ثبتوا في هذه المواقف كانوا قد تعرضوا لأزمات عاتية وشدائد مزلزلة. فوفقهم ربهم فسلكوا فيها طرق الكفاح والنضال، ففازوا وأفلحوا، ونحن اليوم يمر علينا ما يشبه هذه الأزمات، وكأن التاريخ يعيد نفسه، فالباطل يتنمر، والبهتان يستأسد، والحق غريب مضيع، والقابض على دينه أو حقه أو مبدئه كالقابض على الجمر؛ ولو أننا أخذنا القدوة والأسوة من جلال هذه الذكرى، وفعلنا مثلما فعل الأولون لنجحنا مثلما نجحوا، وفزنا كما فازوا والأمر كما قال القرآن:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(البقرة: ٢٤٩)

إننا نرى اليوم صراعاً يدور بين الحق والباطل، وكذلك كان الحال يوم بدر، واليوم يتصارع الكفران والإيمان، وكذلك كان الموقف يوم بدر، حتى قال الرسول ﷺ يدعو ربه: «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»[٣].. واليوم يستبد الطغاة البغاة. فيعتدون على الآمنين، ويسلبون حقوق الضعفاء، وغزوة بدر كانت انتصافاً من الظالمين للمظلومين، ومن الباغين للمهضومين المجرمين، ومن هنا دعا النبي ربه من أجل أتباعه يوم بدر فقال: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم»[٤] وحقق الله لرسوله دعاءه. فعاد قومه بالغنم والثواب معا.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

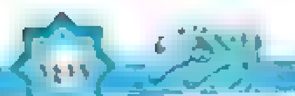
(الحديد: ٢١)

ومن العجيب الغريب أن المسلمين خرجوا مع النبي يوم بدر، وهم لا ينوون قتالا، وإنما يريدون قافلة التجارة الخاصة بكفار مكة، ليستولوا عليها في مقابل جانب مما استولى المشركون عليه من أموال المسلمين وحقوقهم، وليقطعوا الطريق على تجارة قريش إلى الشام، وفي ذلك ما يجعل قريشا تخضع وتلين، فلا تكابر ولا تطغى، ولم يفرض الرسول على أحد أن يخرج معه، ولم يستحث متخلفاً تخلف، ولذلك لم يأخذوا للمعركة أهبتهم، ولم يعدوا القتال عدتهم؛ ومع ذلك شاء الله أمراً آخر، إذ وجد المسلمون أنفسهم أمام العدو وجها لوجه، وليس بأيدي المسلمين سلاح يكفي أو عتاد يغني، ومع ذلك أقبلوا على المعركة صابرين واثقين بنصر الله، وثبتوا حتى صاروا هم الغالبين، وعلموا الدنيا أن الإقدام خير من الإحجام، وأن المنية خير من الدنية، وأن الله مع المخلصين.

وأمام الفئة القليلة المؤمنة التي سيقت إلى المعركة قضاء وقدراً، ولم تكن تريد حرباً، تكتل الجمع المشرك الباغي يحرص على العدوان في زهو وخيلاء، فهذا أبو سفيان يرسل لأهل مكة بأنه لا حاجة لخروجهم بعد أن أفلت ونجا بالقافلة، ولكن الغرور الكافر المتمثل في أبي جهل يأبى إلا الخروج، ويصر على أن يذهبوا إلى مكان بدر

(١) أخرجه البخاري ١/٢٧، ٤/١٠٣.
(٢) أخرجه أبو داود جـ٢ (١٤٥٥)

(٣) مسند الإمام أحمد ١/٣٢
(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/٥٧



ليأكلوا الذبائح ويشربوا الخمور ويسمعوا الغناء ويشاهدوا الرقص حتى يسمع بقرانهم الناس؛ فماذا كانت العاقبة؟.. خذل الله الكافرين المغترين، وأذاقهم الويل والثبور وهم كثرة مسلحة، وأعز الله المؤمنين الخاشعين وهم قلة عزلاء.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

(آل عمران: ١٢٣)

وكم في غزوة بدر من دروس، فهذا رسول الله ﷺ نراه مع أنه معصوم ومؤيد بوحي السماء ومقود بتوجيه العليم الخبير:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

(النجم: ٣-٤)

نراه لايستبد بالرأي، ولاينفرد بالتنفيذ، ولايجعل من نفسه طاغية فردًا، أو حاكمًا بأمره، بل يستشير قومه، فيجيبه قائل المهاجرين: «يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون».

ويعيد الرسول قوله: «أشيروا عليّ أيها الناس» وهو يقصد الأنصار ليطمئن إلى موافقة الجميع، فيجيبه قائلهم: (يا رسول الله، امض لما أردت فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد). وهكذا لا يعالى القائد ولايتميز على جنوده، بل يشاركهم الشدة والمحنة، ولا يقبل هذا التميز إذا عرضوه مختارين، فهذا رسول الله ﷺ يشترك معه اثنان في ركوب بعير على التعاقب لقلة الدواب، فيقولان له: اركب يا رسول الله ونحن نمشي عنك. فيأبى ويقول: «ما أنتما بأقوى على المشي مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما»(*)!

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

هذا بعض الحديث عن يوم بدر الجليل الخالد في التاريخ، ونحن نحتفل بالكثير من الذكريات والمناسبات المدنية والاجتماعية، وقد يكون بعضها غير أهل لما نبذله فيه من عناية، أو ما نحشد له من قوى وطاقات، فكيف بنا نقصر في الاحتفاء اللازم بيوم بدر، ولو أدرنا حديثه والاحتفال به كما ينبغي ويجب، لاستفدنا جلائل الدروس والثمرات في نواحي حياتنا المختلفة:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

(ق: ٣٧)

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(*) أخرجه أحمد في مسنده ١٥/٤٢٢

الأدب مع الخلق

لفضيلة الشيخ «فوزي الزفزاف»
عضو مجمع البحوث الإسلامية

هلّ على المسلمين شهر رمضان المعظم، شهر القرآن الكريم، شهر الخير والنفحات الربانية، شهر الصيام والقيام، شهر الصلة والبر والإحسان، شهر الجود والكرم والعطاء، شهر العبادات والصبر على ترك العادات، شهر كبح الشهوات وهجر اللذات، شهر الانتصار على النفس والهوى، شهر ترويض الغرائز والانفعالات، شهر الشعور بجوع الفقراء والمساكين، شهر الإحساس بآلام المحتاجين، شهر الانتصارات والفتوحات الإسلامية.

والصوم الذي فرضه الإسلام، وجعله ركنًا من أركانه، حدد القرآن الكريم الثمرة المرجوة من فرضه في قوله - تعالى -:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: ١٨٣)

لقد عنت خاتمة الآية الكريمة، وبينت حكمة مشروعية الصيام، وهي أنكم بأدائكم لهذه الفريضة على وجهها الصحيح تنالون درجة التقوى والخشية من الله. وبذلك تكونون ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه. فلم ينظر إذن إلى الصيام على أنه حرمان مؤقت في زمن معين من شهوات النفس، ومن تناول الطعام والشراب على وجه مخصوص، ومن عدا هذه الأمور الحسية يفعل الصائم ما يشاء وما يريد: من الكذب والغيبة والنميمة والخداع والغش والاعتداء على حقوق الآخرين وأكل أموال الناس بالباطل. إلى آخر الأقوال والأعمال التي تتنافى مع تحقيق التقوى والخشية من الله، التي هي الهدف من فريضة الصيام، كلا وكلا فالهدف والغاية والعلة من الصيام - كما حددتها الآية الكريمة - هي تحقيق تقوى الله والخشية والخوف منه، وخضوع الصائم لمراقبة الله عليه في كل تصرفاته وأحواله وأقواله

وأفعاله.. ويستلزم ذلك مجانبة الصائم لكل ما حرم الله ونهى عنه، وغرس خلق الصبر في نفوس الصائمين، ليثبتوا لحوادث الدهر وما يعترضهم من عقبات، وفي الحياة نوازع الشهوة والهوى، وفي الحياة دوافع الغضب والانتقام، وفي الحياة التقلب بين النعماء والضراء.. وفي الحياة كثير من الخطوب والمشاق التي تعترض الإنسان.. فما أحوجه إلى أن يتدرع بخلق الصبر ليثبت ويتحمل! وما أحوجه إلى أن يتسلح بسلاح المراقبة والاستعانة بالله والرجوع إليه والاعتماد عليه.

ومن هنا فرض الله صوم رمضان، وهو شهر من اثني عشر شهرا، متتابع الأيام، ليغرس بهذا التتابع ملكة الصبر والمراقبة، ثم جعله في كل عام ليتكرر الدرس ويستمر الغرس. ومن هنا أيضا وجب على الصائم أن يستمر في كل ليلة من ليالي هذا الشهر متدرعا بالصبر، متسلحا بالمراقبة، فلا يسرف فيما كان محظورا عليه بصومه حتى لا ينطفئ عليه مصباح الإشراق القلبي الذي أحسه في نهاره، ولا ينقطع عنه التتابع الروحي، ويعود إلى شرهه وطغيانه.

إن أداء فريضة الصيام على الوجه الذي ينبغي، والذي يحقق الثمرة المرجوة منه، يتطلب أن يلتزم المسلم بسلوك الأدب في معاملته مع الخلق[1].

وأدب الإنسان مع الخلق: هو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم، فلكل مرتبة أدب يجب أن يراعى ويؤخذ في الاعتبار عند المعاملة.

فمع الوالدين: أدب خاص بهما، ومع العالم: أدب خاص بالنسبة له، ومع الحاكم: أدب خاص يليق به وبمكانته، ومع الأقران والأصدقاء: أدب خاص يناسبهم، ومع الأجانب والغرباء: أدب غير أدبه مع عصبته وذوي رحمه، ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته.. وهكذا، وهناك أدب عام مع الناس جميعا.

ولكل حال من أحوال الإنسان في حياته اليومية أدب: فللأكل آداب، وللشرب آداب، وللمشي آدابه، وللركوب آداب، ولدخول البيوت والخروج منها آداب، وللإقامة والسفر آداب، ولليقظة والنوم آداب، وللكلام والصمت آدابه، وللتحديث والاستماع آداب، وللتبول وقضاء الحاجة آداب.. وهكذا.

وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وانعدام أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل فقدان الأدب، فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نجى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة؟!

وتأمل أحوال كل شقي ومغتر ومدبر كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان؟!

إن حسن الخلق والأدب هو مقام الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سنته بفضل من الله – عز وجل – الذي أمرنا بذلك في قوله – جل شأنه –:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

(الأحزاب: ٢١)

الأسوة: القدوة، هذه الآية الكريمة وإن كان نزولها في غزوة الأحزاب، إلا أن المقصود بها وجوب الاقتداء بالرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله، كما قال – تعالى –:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾

(الحشر: ٧)

(١) بجانب التزامه الأدب مع الله – عز وجل – في العبادة، كما أوضحنا ذلك في المقال السابق.

أي: لقد كان لكم أيها الناس قدوة حسنة في نبيكم ﷺ، وهذه القدوة الحسنة كائنة وثابتة للمؤمنين حق الإيمان، الذين يرجون ثواب الله – تعالى –، ويؤملون رحمته يوم القيامة، إذ هم المنتفعون بالتأسي برسولهم ﷺ، وهذه الأسوة الحسنة بالرسول ﷺ ثابتة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ولمن ذكر الله – تعالى – ذكرا كثيرا؛ لأن الملازمة لذكر الله – تعالى – توصل إلى طاعته والخوف منه – سبحانه –، وجمع – سبحانه – بين الرجاء والإكثار من ذكره؛ لأن التأسي التام بالرسول ﷺ لا يتحقق إلا بهما.

إن آيات القرآن الكريم التي دعت الإنسان إلى التزام الأدب مع الخلق في معاملته معهم وعلاقته به كثيرة وشاملة لجميع جوانب الحياة.

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

(النساء: ٨٦)

لقد أرشد الله – تعالى – المؤمنين إلى طائفة من مكارم الأخلاق، منها التزام الأدب في التعامل بعضهم مع بعض، الذي يقوي رابطتهم، ويشيع الألفة والمودة والمحبة بينهم، تعليمهم أدب اللقاء والتحية.

وكان من عادة العرب إذا لقي بعضهم بعضا أن يقولوا على سبيل المودة: حياك الله، فلما جاء الإسلام أبدل ذلك بالسلام والأمان، بأن يقول المسلم لأخيه المسلم: السلام عليكم، وأضيف الدعاء له برحمة الله وبركاته.

قال ابن كثير – رحمه الله – قوله – تعالى –

﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

(النساء: ٨٦)

أي: إذا سلّم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم، فالزيادة مندوبة والمماثلة مفروضة، عن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «السلام عليكم يا رسول الله، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، فقال له رسول الله ﷺ: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»، ثم جاء ثالث فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال له: «وعليك»، فقال له الرجل: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أتاك فلان وفلان فسلما عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت عليّ، فقال «إنك لم تترك لنا شيئا»، قال الله – تعالى –:

﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

فرددناها عليك.

فالآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى أن يردوا التحية على من يحيونهم، وأن يفشوا هذه التحية بينهم؛ لأن إفشاءها يؤدي إلى توثيق علاقات المحبة والمودة بين المسلمين، وأنها من الآداب التي حث الإسلام المسلمين على الالتزام بها.

وقد ورد الحض على إفشاء السلام في أحاديث كثيرة، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه

تحيتم؟ أفشوا السلام بينكم».

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

(النساء: ٨٦)

أي: إن الله - تعالى - كان ومازال مهيمنا على عباده، بصيرا بكل أقوالهم وأعمالهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسيحاسب الناس يوم القيامة على كل أقوالهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها بما يستحقون:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

(الزلزلة ٧، ٨)

إن مجالات أدب الإنسان مع الخلق كثيرة، وتوجيهات آيات القرآن الكريم فيها متعددة، والعلاقة بين الأدب في التعامل مع الخلق وبين حسن الخلق علاقة واضحة لا ريب فيها؛ لأن حسن الخلق هو الجانب النفسي الذي تنتج عنه الآداب الحميدة، وأنواع السلوك المرضية، وحسن الخلق هو الذي يشكل قواعد السلوك أو الأدب مع الخلق.

وقد كشف الصادق المصدوق - عليه الصلاة والسلام، الذي أوتي جوامع الكلم - القناع عن القاعدة الأساسية التي أساسها حسن الخلق، وتطبيقها سلوك الأدب مع الخلق عندما قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

فمن باب المحبة لله - عز وجل - والإيمان به، والمحبة لرسول الله ﷺ، والتصديق بما جاء به تؤخذ محبة الخلق والأدب معهم ومعاملتهم بحسن الخلق.

ومن قام بذلك حصل على محبة الله - عز وجل - لأنه يصبح محسنا صابرا طاهرا تقيا تقيا، وهنا يحوز المحبة مع مولاه وينال حبه ورضاه، قال تعالى:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(البقرة: ١٥٣)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(البقرة: ١٩٥)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

(البقرة: ٢٢٢)

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

(آل عمران: ٧٦)

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

(آل عمران: ١٤٦)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(المائدة: ٤٢)

كما أنه ينال الجائزة الكبرى في الآخرة وهي رفقة رسول الله ﷺ في الجنة، ففي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام: «إن أحبكم إليَّ وأقربكم

(٢) البخاري - الفتح ١/ ١٣

مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون[٣] المتشدقون[٤] المتفيهقون[٥]»[٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»[٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أحسن الناس إسلاما أحسنهم خلقا»[٨]. وقال عليه الصلاة والسلام: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[٩].

ولهذا كان رسول الله ﷺ يدعو الله - عز وجل - فيقول: «اللهم كما أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي»[١٠].

إن الإنسان إذا أحبَّ لأخيه ما يحبه لنفسه جاهد نفسه وطرح عنها مطامع النفس الأمارة بالسوء، وحبها للكثير والتكاثر، وما يجلبه ذلك من مذموم الأخلاق من طمع وكبر وحسد وظلم وغير ذلك من الصفات السالبة لمكارم الأخلاق ومحمودها، واستبدل عوضا عنها الحب في الله ورسوله، والإيثار والجود والسخاء بالمال والتواضع، وقرنها بالإنفاق والزكاة، والصدقة والجهاد، وغلفها بالإحسان والرحمة والشفقة والرأفة والعفو والرفق، والوفاء والتناصر والمؤازرة والستر، وتوجها بالعدل والقسط والأمانة والصدق.

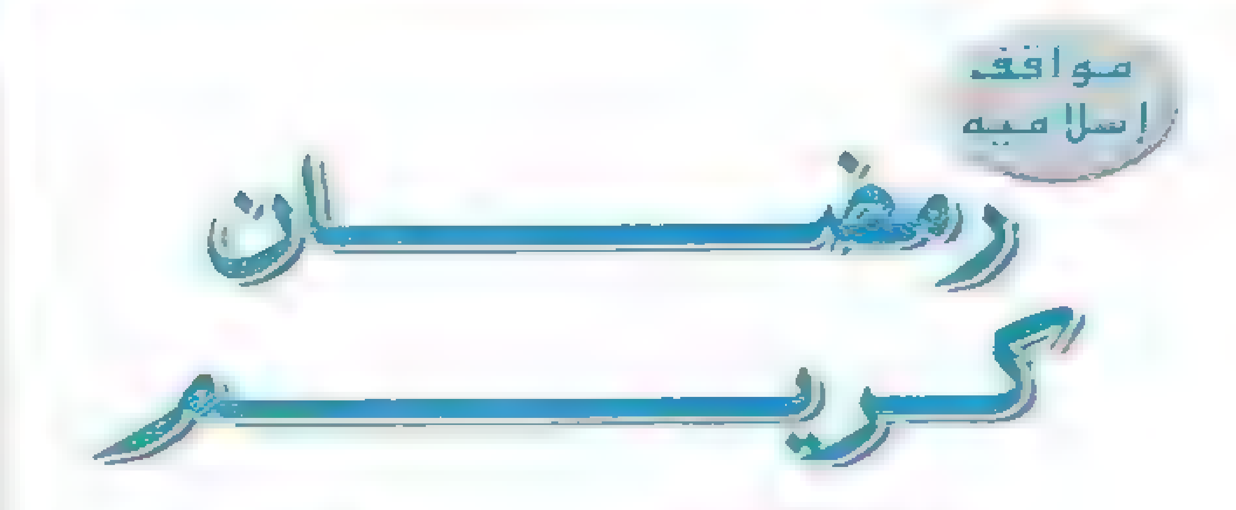
عن معاذ - رضي الله عنه - قال: «أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات، قال: «لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت، ولا تعق والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركنّ صلاة مكتوبة متعمدا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمرا فإنها رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حلّ سخط الله - عز وجل -، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإن أصاب الناسَ موتان وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على عيالك من طَوْلك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبا، وأخفهم في الله»[١١].

عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: أمرنا رسولُ الله ﷺ بسبع: «بعيادة المريض، واتّباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المُقْسِم، ونهى عن الشرب في الفضة، ونهى عن تختُّم الذهب، وعن ركوب المياثر، وعن لُبس الحرير والديباج، والقَسِّيّ والإستبرق»[١٢].

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يُحزنه»[١٣].

لقد أكد رسول الله ﷺ على المسلم التزام الأدب مع الخلق حتى يكون صومه مقبولا في قوله عليه الصلاة والسلام: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[١٤]، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحدٌ أو جهل عليك فقل: إني صائم»[١٥].

(٣) الذين يكثرون الكلام.
(٤) المتوسعون في الكلام المستهزئون.
(٥) المتكبرون.
(٦) جمع الجوامع، ٦٠٩٥، ٦٠٩٦.
(٧) إتحاف السادة المتقين بأحياء علوم الدين ٣٢٣/٧.
(٨) الدر المنثور، ٧٥/٢.
(٩) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٩.
(١٠) إتحاف السادة المتقين، ٩١/٧.
(١١) أحمد والطبراني.
(١٢) البخاري ومسلم.
(١٣) الترمذي، ٢٨٢٥.
(١٤) البخاري.
(١٥) ابن خزيمة.



للدكتور / محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.. ثم الحمد لله وسلام على عبده الذى اصطفى: محمد ﷺ: اصطفاه ربه رحمة للعالمين وذلك قوله عز وجل:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
(الأنبياء: ١٠٧)

إنه تعالى يشرفه بالخطاب ثم هو رحمة لكل ما فى الكون وما فيه رحمة مقصورة عليه.. هذه الرحمة التى كان من صورها أنه يدفع الأمة بكلتا يديه لتكون فى مساقطها وذلك قوله ﷺ: «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها: لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً».

«رواه الطبرانى فى الكبير عن محمد بن مسلمة» عن جامع الأحاديث للسيوطى ج / ٢/ ٤٣٧

ورمضان بالذات ما أكثر ما فيه من النفحات:

«إذا كان أول ليلة من رمضان: فتحت أبواب السماء: فلا يغلق منها باب حتى يكون آخر ليلة من رمضان» (وفى رواية: أبواب الجنان) وليس عبد مؤمن يصلى فى ليلة فيها إلا كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة بكل سجدة، وبنى له بيتا فى الجنة.. فإذا صام أول يوم من رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه إلى مثل هذا اليوم من شهر رمضان.. واستغفر له كل يوم سبعون ألف ملك: من صلاة الغداة إلى أن توارى بالحجاب..» رواه البيهقى.

وقال ﷺ: «يا أيها الناس: قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر.. من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه.. ومن أدى فريضة فيه.. كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه.. من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه.. وعتق رقبته من النار.. وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء: قالوا يارسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. فقال رسول الله ﷺ: يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن.

وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار..» رواه أبو خزيمة فى صحيحه وابن حبان.

وقال ﷺ: «ولله عز وجل عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة: عتقا من النار سبعون ألفا فإذا كان يوم الفطر أعتق الله مثل ما أعتق فى جميع الشهر ثلاثين مرة: ستين ألفا.. ستين ألفا» رواه البيهقى، وهو حديث حسن.

ولنا أمام هذه الأحاديث وقفات:

أ- بقدوم رمضان تقيد مردة الشياطين.. وإن بقى شياطين الإنس وبقى من شياطين الجن ما لا خطر من ورائه.. يعنى أن فرصة التحرر من وسوسة أخطر الشياطين صارت متاحة بما خف من ضغطها على أعصاب المسلم.. ثم صارت المعركة محصلة وكان الإفلات فيها من قبضة الشيطان محتملا.. وكما يضاعف الآمال فى ممارسة الطاعة أن الله تعالى يتفضل فيأمر بأن تفتح أبواب الجنان: ترغيبا فى الصوم المنتهى بالصائم إلى جنة الخلد.

ب- وإذا كان البشر بين الحين والآخر يغيرون دستور العامل بينهم.. وإذا كان «صاحب العمل» اليوم قد يجود عكافأة يمنحها عماله تقديرا منه للجهد المبذول.. إذا كان الأمر كذلك.. فإن الخالق سبحانه يغير فى هذا الشهر بالذات حين يعطى عبده أضعاف أضعاف ما يستحقون من الأجر.. حتى إن جزاء السجدة الواحدة يعطيهم عليها ألفا وخمسمائة حسنة.. مضافا ذلك الفضل إلى مغفرة ذنوب سنة كاملة مضت من عمره.. فى الوقت الذى يضج الكون كله بأصوات سبعين ألفا من الملائكة: يستغفرون له.. «وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا»[1].

هذا فى الدنيا.. فإذا كان يوم الحساب كانت له فى الجنة قصور وليس قصرا واحدا.. وذلك بعدد مرات سجوده لله تعالى.. بل إن ذلك الفضل ليتسامى إلى الحد الذى يغير فيه قانون الحساب تماما: فطاعة واحدة.. تساوى فى أجرها أجر فريضة. وفريضة واحدة.. تساوى سبعين فريضة.. بحيث يصير العمر خصبا خصوبة مضافة إلى ليلة القدر التى تساوى وحدها عمر إنسان تخطى الثمانين عاما!

جـ- وعندما أخبرهم ﷺ بأن من فطر صائما غفر الله له ذنوبه مع ضمان عتقه من النار.. عندئذ استكثر الصحابة ذلك الجزاء الجليل على هذا العمل القليل.. فقالوا: يارسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم!

يقولون ذلك ظانين أنه ما دام الجزاء هكذا كبيرا.. فلابد أن تكون الأكلة «مشبعة» يستحقون

(١) الترغيب والترهيب ١٤٧٦ المجلد الثانى.

بها هذا العطاء العظيم!

ولكن الرسول ﷺ بين لهم أن المهم هو أن فطر الصائم ولو بأدنى شيء.

د- عطاء العبودية :

ورمضان شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة.. وآخره عتق من النار. وإذن.. فواجب المسلم أن يتحرى مساقط هذه الرحمة بمنبتها وهو الإحسان.. ونذكر هنا ذلك المستهتر الذي سخر من زميله العابد فقال له: لئن رددت إلى ربي سأكون مرحوما.. لأن رحمته تعالى وسعت كل شيء.

ثم تلا قوله عز وجل:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(الأعراف: ١٥٦)

فقال له زميله العابد: حفظت شيئا وغابت عنك أشياء!!

فالمسألة ليست حظيرة من غير باب.. وإنما الأجدر بالرحمة ما أشارت إليه الآية نفسها:

﴿ [illegible] ﴾

(الأعراف: ١٥٦)

فبهت الذي سخر!!

وإذن فالتعرض للرحمة بسببها وهو الإحسان.. على نحو ما فصله الآية الكريمة.. ثم يظل المسلم بإحسانه في ظل من رحمة الله تعالى المنشورة عليه وعلى أمثاله.. حتى إذا انتصف الشهر.. كانت المغفرة في انتظاره.. والتي يمسح الله تعالى بها ما يكون قد قصر فيه.

وهذه المغفرة أيضا ليست ضربة لازب.. وإنما لابد من التعرض لها بالاستغفار.. وليكون على رجاء العتق من النار.. مع هذه الملايين من الطائعين الذين يعتقهم الله من النار.. وبالمئات في رمضان.. وذلكم هو عطاء العبودية الذي يكون شكرا لعطاء الربوبية، بمعنى أن هذه النفحات لن يستحقها فعلا :

١- أن تكون في الإحسان: كالريح المرسلة كما كان ﷺ .

٢- إذا سابك أحد أو قاتلك.. فاعف عنه قائلا.. وبصوت مسموع.. مرتين: إني صائم.. إني صائم.. أعني إذا وصل بالعدوان إلى حد الاشتباك بالأيدي فكن حليما..

٣- الاستغفار الدائم.. وبهذا يتضح لنا معنى قولنا: رمضان كريم.. أجل: إنه كريم بهذه النفحات التي نستنزلها بعطاء العبودية: تصدقا وعفوا وتذللا..

ومهما فعلنا فإن ما نفعله في ضوء عطاء الله تعالى يؤكد أنه تعالى: يعاملنا بالفضل.. لا بالعدل.. وبالإحسان.. وليس بالميزان.

هـ- والرحمة الموعودة تبقى منشورة على المحسنين.. حتى تضاف إليها المغفرة ثم العتق من النار ضمن هذه الأعداد الهائلة من المعتقين يوميا.. أي أن مسلسل العطاء الرباني يظل مستمرا.. كما يحمّل الصائم مسئولية مواصلة الإحسان حتى بعد رمضان: إن التقوى المغيا بها الصوم.. محطة وليست نهاية.. محطة يكون الصائم فيها قد تزود بطاقة تعينه على مواصلة السير إلى نهاية الشوط: يقول عز وجل

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

فأنت تتزود بالتقوى التي كانت من آثار الصيام.

وتأمل آيات القرآن الكريم لتعلم أن الذي أمرك بالصيام في الآية الثالثة والثمانين بعد المائة – في سورة البقرة – هو سبحانه الذي يحرضك على العفو في نفس السورة.. وفي الآية السابعة والثلاثين بعد المائتين:

﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(البقرة: ٢٣٧)

والعفو فضيلة إنسانية من مكونات التقوى.

أما توقف نبع الخير عن الجريان.. وبعد انتهاء رمضان.. فإنه يسلب الصائم حقه في نفحات رمضان.. وإنما هذه النفحات لمن يدفع الثمن مدركا ما يلي:

أن رب رمضان.. هو رب شوال.. وأن من علامات قبول الصيام.. هو الاستقامة في شوال.. في الوقت الذي يكون فيه الانفلات دليلا على أن الصائم.. لم ينل من صيامه فقط إلا الجوع والعطش:

إن المسلم لا يعبد الزمان.. كما أنه لا يعبد المكان.. وإنما يعبد رب الزمان ورب المكان سبحانه وتعالى، وذلك بعض ما يشير إليه قوله عز وجل

﴿ [illegible] ﴾

(النحل ٩١)

لقد كان من حكمة الصيام تخليص المسلم من شوائب المادية.. ليعود كما كان إنسانا.. ومن ثم.. فهو مطالب أن يواصل رحلة الطهر.. متسلحا بالتقوى.. والتي بها يصير ربانيا يقول للشيء كن فيكون!!

إنك بالنفس.. لا بالجسم إنسان.. وهو المعنى الذي أسجد الله به الملائكة لآدم عليه السلام.

– واللمحة هنا لشيخنا الغزالي – وذلك قوله عز وجل:

﴿ [illegible] ﴾

(ص: ٧١، ٧٢)

إن تكريم الإنسان بالسجود له لم يكن لمادته: لطوله أو عرضه.. وإنما لشيء أعظم من هذا كله وهو: النفخة الإلهية التي جعلت منه خليفة لله في أرضه.. وبهذه النفخة صار سيد هذا الكون.. بل سيد الأكوان كلها.. وهو مطالب أن يحتفظ بهذه السيادة.. عن طريق الأداء المخلص لما كلف به من طاعات.. هي في نفس الوقت معراجه اليومي.. الذي يجدد به حياته..

إن رمضان.. كما قيل بحق: كريم..

ومن شكر هذه النعمة أن تكون كريما..

قصة العدد

منازلة جريئة

للدكتور / أبي حسام

كان القيظ بمكة حاراً يلهب الوجوه بشواظه، وكانت الريح تهب فتحمل الرمال الساخنة إلى الوجوه الساقمة فتزيدها نقمة وعنتاً. ولكن ذلك لم يمنع من بقي بمكة من المشركين أن يقفوا على الطريق المؤدية إلى المدينة يرتقبون الأخبار عن غزوة الأحزاب. فقد خرج صناديد قريش بزعامة أبي سفيان بن حرب وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص إلى قتال المسلمين في المدينة، وكلهم ثقة في النصر الحاسم الذي يقتلع أصحاب محمد من جذورهم إلى حيث لا يسمع بهم أحد، لأن المشركين ليسوا وحدهم، فمعهم كتائب غطفان وأسد وسليم وغيرهم ممن حرضهم زعماء اليهود على الالتحام في المعركة ذات النتيجة المحسوبة، إذ كيف تطيق الأقبية المنحصرة في المدينة أن تواجه القتال المحتشدة حين تهجم كالسيل فلا تدع طريقاً بها حتى تملأه كالمطر المنهمل. ومن وراء ذلك قريظة التي استجابت إلى لؤم حيي بن أخطب فنقضت العهد لتكون شوكة من الخلف. فيقع المسلمون بين المطرقة والسندان. كيف يشك أحد في نتيجة المعركة وقريش ليست وحدها كما كان الأمر في بدر وأحد. ولكنها تستعين بأقوى ظهير. لقد فرغ المشركون بمكة إلى الدروب يتسمعون أنباء النصر المرتقب، عن ثقة جازمة لا يتطرق إليها أدنى شك. وقد أبصروا قادماً يعدو على فرسه، وفي وجهه مظاهر تنم عن فجيعة متوقعة. فأقبلوا يتساءلون: ما خطبه؟ فصاح في فزع: قتل ابن عمي عمرو بن عبد ود بطل قريش! قتل ابن عمي عمرو بن عبد ود بطل قريش. فلم أطق الاصطبار، وهربت فزعاً. لم يقتل عمرو وحده ولكنه قتل مع جماعة من الصناديد حاولوا اقتحام الخندق. فترصده علي بن أبي طالب، ونازله منازلة عادت عليه بالويل! ولا أظن الأمر يقف عند هذا الحد.

انتقل الخبر الصاعق إلى كل فرد من ساكني مكة، وهرعت النساء إلى بيت عمرو بن عبد ود يقضين جوار أهله فيما نزل بهم من الخطب الكارث، وهن يقلن: لابن أبي طالب يوم قريب لمن بقيت من قريش بعد مصرع عمرو، لابن أبي طالب يوم مرتقب فتصبري يا زلفاء!

وقفت الزلفاء صامتة لا تبدي حراكاً، ثم قالت في هدوء: إن علي بن أبي طالب لم يقتل أخي عمراً، ولكن قتلته سمية بنت حكيم!

فرفع النساء وجوههن إلى الزلفاء متعجبات وصحن: وما خطب سمية بنت حكيم يا زلفاء وهي لم تذهب مع القوم لتصل إلى المسلمين في حومة القتال؟

فجلست الزلفاء على الأرض تقلب كفاً على كف، ولا تنطق بشيء، وقد زاد قولها من حيرة صويحباتها فاندفعن يسائلن:

أبيني يا زلفاء إن حديثك لعجيب، ما خطب سمية بنت حكيم؟ فتطلعت الزلفاء في ألم، ثم قالت في حزن كظيم: كان أخي عمرو بن عبد ود هادئاً في منزله، لا يريد أن يسير مع القوم، إذ كان يرى أن جراح المسلمين وحدها بعد أن خرجوا من مكة، فليسوا منا ولسنا منهم، ولذلك ذهب إلى بدر مضطراً، ولم يبد من البسالة ما عهد من مثله، ثم تأخر عن أحد فلم ينهض مع العصبة، وهم بالتخلف عن معركة الأحزاب، فجاءت سمية تزورني وصاحت به: يا عمرو، ما انقطاع أهلك عنك، وأنت قاعد في حجرتك، وبنو قومك يتسابقون إلى لقاء الصابئين في يثرب. ما انقطاع قريش بشجاعتك التي ضرب بها المثل، وأنت مثلي ومثل الزلفاء لا تنهض إلى اللقاء! لقد هربت يوم أحد، وقال الناس: إنك كنت مسافراً تضرب في أحشاء الجزيرة حيث لا يعلمك أحد، وها أنت ذا بمكة، تدعي الفروسية، وتفاخر بأيامك السالفة ذات الصيت الرنان، فهل تجرؤ على أن تفاخر بوقائعك بعد اليوم، وأنت قابع في منزلك لا تريم؟!

قال عمرو: لم يشركني أحد في الرأي، ولكنهم أجمعوا على القتال، وبعثوا إلي لأكون تابعاً أسير وراء أبي سفيان، أيرضيك هذا؟

قالت سمية: هذا خطأ معيب، ولكن عليك أن تنصر قومك، ثم يكون العتاب بعد المعركة، لا أراك يا عمرو إلا أن سئمت القتال، وأحدث تحذر العواقب.

فصاح عمرو: ماذا تقولين أيتها المرأة؟ أسئم القتال وسيفي معي، وحصاني صاحبي، وتاريخي يريدني حماسة واشتعالاً؟ لو لم تكوني في منزلي لطردتك!

قالت سمية: نعم، لأنك منذ اليوم لا تتشجع إلا على النساء!

ثارت حمية عمرو، فامتشق حسامه وأعد فرسه، وانطلق يعدو إلى حيث يلحق بالقوم، وهو يقول لسمية في غضب: سترين كيف أتشجع على الرجال، وأعود بأفخر الأسلاب!

دق الباب طارق، فأسرعت الزلفاء إلى لقاء

القادم، فإذا هو نوفل بن سهل الذي جاء بالنبأ من المعركة، قد قدم ليعزي الزرقاء ابنة عمّه في أخيها، وتطلّعَ نوفل فوجدَ الدار مليئة بالمعزّيات من القرشيات، وكلهن يتطلّعن إليه، ويَصحْن: هيّا يانوفل تحدثْ إلينا بما كان!

فقال نوفل: وما غناءُ الحديث، جئت لأقف مع ابنة عمي في يومها الحزين، لا لأثير الأحزان وأصفَ ما رأيته رأي العيان!

قالت الزرقاء: هيّا يا نوفل فواللات إني لأعلم بسالة عمرو وشجاعته، وما أشك أنه دافع دفاع الصناديد، ولكنّ الأجل يا نوفل! تحدثْ بما رأيت، فكلنا آذان!

قال نوفل: لا تصدّقنَ ما حدث لغرابته، إنها بعض ساعة تغير فيها الموقف إلى ما لم نكنْ نتصور! كنا نعتقدُ أننا سنقتحم المدينة عند الوصول إليها، ومعَنا سيوفُنا ورماحنا وخيولنا، ومعنا الجيشُ الجرار من قريش وغطفان وسليم وكنانة والأحابيش وقريظة، فما يشكُ أحد في استئصال المسلمين، ولكننا فوجئنا بخندق قد حفر حول المدينة يمنع الخيل من العبور، ويُوقف التقدم المرتقب، ودارت المناوشات بالسهام والنبال ولكنّ اللقاء متعذر!

تأججت الحميّة في نفس عمرو، فاستلّ سيفه، وركب فرسه مختالاً حتى قرب من الخندق! مرتفعاً بقامته الفارعة كأنه جبل فوق جبل، وفوق صدره درعه المقنعة بالزرد والحديد، وجعل يرْسل بصره في ازدراء إلى جماعة المسلمين، ويصيحُ: تتحصّنون بالخنادق! ألاَ من بطلٍ يقف أمامي!! كلكم جبناء؟ أينَ جنّتكمْ التي تتحدثون عنها؟! لماذا لاتسارعون إليها، وسيفي هو الطريق؟! ألا من مبارز؟ أيها الرعاديد؟!

جعلَ عمرو يميس فوق الحصان، تائهاً معجبا، ثم يقهقه في استهزاء وهو يصيح: أين أصحاب الجنة؟ أكرهتموها الآن؟!

كنا نرى المسلمين في الصف المقابل يتشاورون، ثم ينكصون ولا يتقدم أحد. غير شاب ربْعة تدفقت حميته فامتشقَ سيفه، فكان محمد يثنيه فيجلس، وعمرو ينادي: إلى الجنة يا جبناء فيقوم الشاب متحفزا، ومحمدٌ يثنيه فيجلس، ثم يمعن عمرّو في السخرية والاستهزاء، فيصيح الشاب: أنا له يارسول الله، ويتقدّم! فإذا هو علي ابن أبي طالب؟

أجلْ، يتقدم عليّ من عمرو فينظر إليه مستهزئا، وتزدريه عيناه؛ إذ كانَ يريد بطلا مجرّبا يراه كفؤاً له، كي يباهي بمصرعه على يده، وكانَ يظن الشاب سيرتعد من مشهده فوق الفرس ومعه الحسام كشعلة من نار، والدرع الممتدة فوقَ الصدر كالثوب الفضفاض، ولكنه رأى الشاب يضحك، ويصيحُ: هيّا يا عمرو، فقد حان يومك.

تعجّب الفارس الصوّال من جُرأةٍ لم يعهدْها في مُنازليه، وكأنّه أُعجب بشجاعة منازله، وظنّ أنه مع هذه الشجاعة يجهلُ من هو عمرو. هذه فتى غرّ من الأوس أو الخزرج، لم ينشأ في مكة، ولم يسمع من أمر عمرو شيئاً. فسأله في عنف:

من أنت، أيها الفارس الصغير؟

فقال الفارس الشاب في اعتداد: أنا علي بن أبي طالب.

فتراجع عمرو وقالَ في هدوء: أنت ابن أبي طالب. لقد كان صديقي، رحلتُ معه إلى الشام واليمن ورأيتُ منه الوفاء والإخلاص والمروءة. يا ابن أخي إني أُشفق عليك. فاذهبْ، وابعثْ سواك! فقال علي: ولكني أعرفك يا عمرو، وأعلمُ أنك كنت تعاهد قومك ألاّ يدعوك رجل من قريش إلى خلال ثلاث إلا أجبته إلى واحدة منهن!

قال عمرو: نعمْ، والذي فلَقتَ تعلم مَن أنا؟ وتعرف وقائعي؟ ثم تغامر بالوقوف أمامي لتلقى مصرعك. أليس هذا حمقاً؟!

قال عليّ: لاتترك السؤال إلى غيره؟ ألست تعاهد قومك ألاّ يدعوك رجل من قريش إلى خلال ثلاث، إلا أجبته إلى واحدة منهن!

فقال عمرو: نعم، وهذا عهدي أوفي به دون نكوص!

فرد عليّ في شجاعة: وإذن فأنا أدعوك إلى الإسلام، فهو جديرٌ بمروءتك وبسالتك، وستحيا به حياةً باسلة، فيكون أشرف ختام!

فاستضحك عمرو، ومال برأسه إلى الوراء كالمستهزئ، وقالَ: هذه واحدة، فما الثانية يا ابن أبي طالب! إنك لتسرف في الخيال كالشعراء.

قال عليّ: ترجع حيث أتيت، وحينئذٍ لا أنازلك، وأكفَ شرّي عنك!

فغضب عمرو غضباً بانَ له شررٌ من عينه، وقالَ في حنق: تكفُ شرّك عني، أتقولُ هذا لبطلِ قريش! لقد جاوزتَ حدّك يا بنيّ!!

قال عليّ: أما الثالثة، فأنا أدعوك للنزال!

نظر عمرو إلى الفضاء، كأنه يفكر في ماضٍ بعيد، وقال: في رفق، أنتَ ابنُ أخي، وشابٌ صغير، وغيرُك من أعمامك أَوْلى بموقفك ممّن هو أسنّ منك، فإني أكرهُ أن أريق دَمَك حياء من ذكرى أبيك!

فقال عليّ: ولكني لا أكرهُ أن أريق دمك، وأنت تتحدى المسلمين.

ثارتْ ثائرة عمرو فاستلّ سيفه، وهجمَ كالصاعقة على عليّ؛ فاستطاعَ أن يميل عنه، وأن يحاوره عن شمال ويمين، ثم انتهزَ فرصة مواتية فأصابَ عنق عمرو، فسقطَ صريعا وحاول النهوض فعاجلَه سيف عليّ فما نهض، وشاهدَ المسلمون مصرع عمرو فدوّوا بالتكبير والتهليل، ورأيت الاضطراب في صفوف المشركين، فكادَ يعمى عليّ لمصرع عمرو، ولم أعد أنتفع بنفسي، وعرفت أن بقائي لن يفيد قومي، فجئتُ أعدو، ولا واللات لا أعرفُ كيف

ذهبت ولا كيف أتيت!

قالت الزلفاء: مهلاً يا نوفل! لا تتحدثْ بعد عن أخي! لقد أدّى واجبه، وسقط صريعا دون جبن، وأنا أعرف ابن أبي طالب، وأعرفُ أباه حين كان يزورنا ونزوره! وإخالُ أن أخي كان في حرب مع نفسه أمام من يعدّه ابن أخيه، فلم يكن حريصاً على مصرعه، ولو سلمت عواطفه من ذكرى أبي طالب، لكانَ الأمر غير ما كان!

فقال نوفل: حقّاً ما تقولين، ولكنّ الناس لا يعلمون أنكم كنتم تتزاورون، وعليٌّ نفسه على ما بدا من حديثه لم يكنْ يعمه، لقد كان شجاعاً باسلاً في موقفه الجرئ.

أرادتْ بعض الجالسات أن تُغيّر مجرى الحديث، فقالت لنوفل: لقد كنتَ حديث العهد بالمعركة فماذا ترى في أمرها؟ ولمن تظن الغلبة!!

فقال نوفل: لم أكنْ أتوقع أن يستمر القتال أياماً معدودات. وفوجئنا جميعا بالخندق، والمناوشات الدائرة بالسهام والنبال تدلّ على أن الخسارة لدينا أكثر، إلاّ إذا جدّ جديد، وقد وقفنا في الكثرة التي جمعها حُيي بن أخطب من قبائل غطفان وسليم وكنانة وأسد والأحابيش، ولكنّ كلّ قبيلة لا تخضع لغيرها، ولم يدلّ أبوسفيان ما ينبئ عن مقدرته في القيادة، ومصرعُ عمرو في رأيي يدلّ على النهاية المتوقعة! وبخاصةٍ إذا كان الزاد وشيكَ النفاد، ولا طعام للخيل والناس في بريّة جرداء، بل لا شراب إلاّ بالجهد العسير!

صاحت الزلفاء: لقد كدّرتنا يا نوفل! فكفى.

رأى الحاضرون ضيق الزلفاء، فآثروا الانصراف، وخلت الأخت وحدها، مفكرةً في مصرع أخيها البطل تارة، وذاهبةً بخيالها إلى عهد بعيد حين كانت في سن الثانية عشرة من عمرها، وكان الصبي الصغير علي بن أبي طالب يأتي مع أبيه إلى منزلهما، فيحادث الوالد أخاها عمرو وكان منها بمنزلة الأب، وتجلس مع عليّ يتحدثان! أكانت الأيام تدّخر هذه العاقبة الأثيمة لهذا البطل الكبير على يد هذا الصبي الصغير، إنها لا تشعرُ بكراهية نحو عليّ لأنّه يؤدي واجبه في معركة تتعلق بمصير دينه، وسلامة ابن عمه، كما تعلم أن أخاها ذهب مضطرا تحت تأثير امرأةٍ متحمسة لم تستطع إقناعه بمنطق فثارته بالتهياج، وكانت النتيجة أن مات غريبا، ودفن حيث لا تعلم عنه شيئا، وجاشت بعض الخواطر في صدرها فقالت هذا البيت الذي تردده كتب التاريخ

لو كان قاتل عمرو غير قاتله

بكيته أبداً مادمت في الأبد

ثم استرسلت في خواطرها إلى أن ضاق بها المنزل فخرجت إلى فضاء متسع حوله وهي تقول في حسرة: لعنك الله يا سمية بنت حكيم! لعنك الله يا سمية بنت حكيم!!

الصدقة في ميزان الإسلام

صدقة الصلاة على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين وعطاءات أخرى بعد عطاءات

لفضيلة الشيخ / علي عبدالباقي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

كثير منا يفهم الصدقات أو ينظر إليها على أنها دفع مال للمحتاج فقط ولا يعلم أن أعمال الخير كلها والتي لا تحتاج إلى مال هي من أهم الصدقات المقبولة عند الله، وفي ذلك عليك أن تتأمل قول الرسول ﷺ الذي رواه أبو يعلى وابن حبان والحاكم في المستدرك «أيما رجل كسب مالا من حلال فأطعم نفسه وكساها فمن دونه من خلق الله له زكاة». ويقول «أيما رجل مسلم لم يكن له صدقة فليقل في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها له زكاة».

فهذه الأحاديث الشريفة تطلعنا على أن الفرد حين يسعى للإنفاق على نفسه أو على أهله، فإن هذا له به ثواب عند الله. وكذلك تطلعنا على صدقة الدعاء من المسلم للمسلمين والمسلمات، ومعنى الصلاة على المؤمنين والمؤمنات الدعاء لهم بظهر الغيب خاصة عندما يكون مقرونا بالصلاة على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وأتباعه. وتلك رحمة من الرحمن على عباده المسلمين الذين لايجدون ما يتصدقون به حيث يفتح لهؤلاء باب القبول تشجيعا لهم على فعل

أوقاتهم بما ينفع أنفسهم حتى لا يستعملهم الشيطان فيما يغضب الله عز وجل.

وفي ذلك تأمل ما يلي من العطاءات:

حيث توجد صدقات أخرى غير مالية يتعدى أثرها إلى الغير، وتكاد ألا تحصر؛ لأنها تشمل كل معروف يقدم إلى الغير تعاونا وبرا ورحمة وشفقة ومن ذلك:

■ صدقة الصلاة مع من حضر إلى المسجد بعد أن صلى الناس صلاة الجماعة، ولم يكن معه أحد يصلي معه كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود: «عن أبي سعيد أن رجلا جاء وقد صلى النبي ﷺ فقال: ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه».

■ وصدقة هداية السبيل لمن لا يعرفه:

قال ﷺ: «وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة»، أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن حبان في صحيحه.

■ وصدقة هداية الأعمى:

روى أحمد وابن حبان عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه قلت يا رسول الله من أين أتصدق وليس لنا أموال قال لأن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر وتهدي الأعمى».

■ وصدقة إسماع الأصم والأبكم:

جاء في الحديث السابق: «وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك ولك في جماعك زوجتك أجر قال أبو ذر كيف يكون لي أجر في شهوتي فقال رسول الله ﷺ أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره فمات أكنت تحتسب به قلت نعم قال فأنت خلقته قال بل الله خلقه قال فأنت هديته قال بل الله هداه قال فأنت ترزقه قال بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر».

■ صدقة الدلالة على حاجة:

جاء أيضا في الحديث السابق قوله: «وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها».

■ صدقة الترجمة إلى العربية تعبيرا عما يقوله الأعجمي:

قال ﷺ: «إن المؤمن يؤجر في هدايته السبيل، وفي تعبيره بلسانه عن الأعجمي،...» أخرجه الطبراني في الأوسط.

■ صدقة قول الحق:

قال ﷺ: «ما من صدقة أحب إلى الله من قول الحق» أخرجه البيهقي عن أبي هريرة.

■ صدقة حفظ اللسان:

قال ﷺ: «أفضل الصدقة حفظ اللسان»

أخرجه الديلمي عن معاذ بن جبل.

■ صدقة الشفاعة

قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة صدقة اللسان، قالوا: يا رسول الله، وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة يفك بها الأسير، ويحقن بها الدم، ويجري بها المعروف، والإحسان إلى الأخ المسلم». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الكبير.

■ صدقة إعانة الرجل على دابته ليحمل عليها

قال ﷺ: «وتعين الرجل على دابته تحمله عليها أو ترفع له متاعه عليها صدقة».

أخرجه الشيخان عن أبي هريرة

■ صدقة إعانة ذي الحاجة والملهوف.

عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة قالوا يا نبي الله فمن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا فإن لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف».

أخرجه الشيخان

■ صدقة الأمر بالخير أو الإمساك عن الشر

جاء في الحديث السابق بعد قوله: «فيعين ذا الحاجة الملهوف». قالوا فإن لم يجد قال: «فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة».

■ صدقة المعاونة على الشيء.

قال ﷺ: «... وعون الرجل أخاه على الشيء صدقة» أخرجه الطبراني عن ابن عباس

■ صدقة تسليمه على من لقيه.

عن أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقي صدقة ...».

رواه أبو داود. هذا وليس ذكر ما تقدم من الصدقات غير المالية التي يتعدى أثرها إلى الغير حصر لها، بل هو بعض منها، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «كل معروف صدقة» أخرجه البخاري عن جابر ومسلم عن حذيفة.

قال ابن أبي حمزة: يطلق اسم المعروف على ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر، سواء جرت به العادة أم لا، فإن قارنته النية أجر صاحبه جزما، وإلا ففيه احتمال، ثم قال: والإخبار بأنه صدقة من باب التشبيه البليغ، وهو إخبار بأن له حكم الصدقة في الثواب، وأنه لا يحتقر الفاعل شيئا من المعروف ولا يبخل به، وفي الحديث أن الصدقة لا تنحصر فيما هو أصلها ـ وهو ما أخرجه الإنسان من ماله متطوعا ـ فلا تختص بأهل اليسار، بل كل أحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال من غير مشقة، فإن كل شيء يفعله الإنسان أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة.

وأيضا قوله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.

فقد دل الحديث على أن الدلالة على الخير يؤجر بها الدال عليه كأجر فاعل الخير، وهو مثل حديث: «من سن سنة صالحة في الإسلام فعمل بها بعده كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

والدلالة تكون بالإشارة على الخير بفعل الخير، ولفظ (خير) يشمل الدلالة على خيري الدنيا والآخرة، فلله در الكلام النبوي، ما أشمل معانيه، وأوضح مبانيه، ودلالته على خيري الدنيا والآخرة[1]!

(١) سبل السلام، شرح بلوغ المرام جـ ٤



أوقاتهم بما ينفع أنفسهم حتى لا يستعملهم الشيطان فيما يغضب الله عز وجل.

وفي ذلك تأمل ما يلي من العطاءات:

حيث توجد صدقات أخرى غير مالية يتعدى أثرها إلى الغير، وتكاد لا تحصر؛ لأنها تشمل كل معروف يقدم إلى الغير تعاونا وبرا ورحمة وشفقة ومن ذلك:

■ صدقة الصلاة مع من حضر إلى المسجد بعد أن صلى الناس صلاة الجماعة، ولم يكن معه أحد يصلي معه كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود: «عن أبي سعيد أن رجلا جاء وقد صلى النبي ﷺ فقال ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه».

■ وصدقة هداية السبيل لمن لا يعرفه:

قال ﷺ: «وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة» أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن حبان في صحيحه

■ وصدقة هداية الأعمى:

روى أحمد وابن حبان عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه قلت يا رسول الله من أين أتصدق وليس لنا أموال قال لأن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر وتهدي الأعمى»

■ وصدقة إسماع الأصم والأبكم:

جاء في الحديث السابق: «وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك ولك في جماعك زوجتك أجر قال أبو ذر كيف يكون لي أجر في شهوتي فقال رسول الله ﷺ أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره فمات أكنت تحتسب به قلت نعم قال فأنت خلقته قال بل الله خلقه قال فأنت هديته قال بل الله هداه قال فأنت ترزقه قال بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر».

■ صدقة الدلالة على حاجة:

جاء أيضا في الحديث السابق قوله: «وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها».

■ صدقة الترجمة إلى العربية تعبيرا عما يقوله الأعجمي:

قال ﷺ: «إن المؤمن يؤجر في هدايته السبيل، وفي تعبيره بلسانه عن الأعجمي...» أخرجه الطبراني في الأوسط.

■ صدقة قول الحق:

قال ﷺ: «ما من صدقة أحب إلى الله من قول الحق» أخرجه البيهقي عن أبي هريرة.

■ صدقة حفظ اللسان:

قال ﷺ: «أفضل الصدقة حفظ اللسان».

أخرجه الديلمي عن معاذ بن جبل.

■ صدقة الشفاعة:

قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة صدقة اللسان، قالوا: يا رسول الله، وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة يفك بها الأسير، ويحقن بها الدم، ويجرى بها المعروف، والإحسان إلى الأخ المسلم». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الكبير.

■ صدقة إعانة الرجل على دابته ليحمل عليها:

قال ﷺ: «وتعين الرجل على دابته تحمله عليها أو ترفع له متاعه عليها صدقة».

أخرجه الشيخان عن أبي هريرة

■ صدقة إعانة ذي الحاجة والملهوف

عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة قالوا: يا نبي الله فمن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا فإن لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف».

أخرجه الشيخان

■ صدقة الأمر بالخير أو الإمساك عن الشر:

جاء في الحديث السابق بعد قوله: «فيعين ذا الحاجة الملهوف». قالوا فإن لم يجد قال: «فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة».

■ صدقة المعاونة على الشيء

قال ﷺ: «... وعون الرجل أخاه على الشيء صدقة» أخرجه الطبراني عن ابن عباس.

■ صدقة تسليمه على من لقيه

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقي صدقة».

رواه أبو داود. هذا وليس ذكر ما تقدم من الصدقات غير المالية التي يتعدى أثرها إلى الغير حصر لها، بل هو بعض منها، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «كل معروف صدقة» أخرجه البخاري عن جابر ومسلم عن حذيفة.

قال ابن أبي حمزة: يطلق اسم المعروف على ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر، سواء جرت به العادة أم لا، فإن قارنته النية أجر صاحبه جزما، وإلا ففيه احتمال، ثم قال: والإخبار بأنه صدقة من باب التشبيه البليغ، وهو إخبار بأن له حكم الصدقة في الثواب، وأنه لا يحقر الفاعل شيئا من المعروف ولا يبخل به، وفي الحديث أن الصدقة لا تنحصر فيما هو أصلها، وهو ما أخرجه الإنسان من ماله متطوعا، فلا تختص بأهل اليسار، بل كل أحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال من غير مشقة، فإن كل شيء يفعله الإنسان أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة.

وأيضا قوله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.

فقد دل الحديث على أن الدلالة على الخير يؤجر بها الدال عليه كأجر فاعل الخير، وهو مثل حديث: «من سن سنة صالحة في الإسلام فعمل بها بعده كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

والدلالة تكون بالإشارة على الخير بفعل الخير، ولفظ (خير) يشمل الدلالة على خيري الدنيا والآخرة. فلله در الكلام النبوي، ما أشمل معانيه، وأوضح مبانيه، ودلالته على خيري الدنيا والآخرة[1]!

معالم

الإنسانية فى الإسلام

للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية



تمهيد :

انحرفت البشرية فى العصر الحديث فى تيار المادية الطاغية، وبحث حالة القيم الإنسانية مما تحتم الإشارة إلى أهمية عرض أهم معالم الإنسانية فى الإسلام التى جاء بها الإسلام الجامع للأديان كدين عالمى ختم الحق عز وجل به الرسالات السماوية، وتكتمت به حلقة الديانات الإبراهيمية. ومن ثم كان الإسلام متصالحا مع هذه الأديان، حريصا منذ البداية على الوفاق لا الاختلاف، وعلى إزالة سوء الفهم وسد الكراهية بين أتباع الأديان لا يقيم خصومة مع أحد ولا يكره أحدا على اعتناق عقيدة. الأمر الذى جعل الإسلام دينا يجمع بين البشر لا يقيم حواجز بينهم، يتكامل مع غيره من الأديان، ويقرب بين أتباعها. وسنتكلم فى هذا العدد عن أهم معالم الإنسانية بهذا الدين.

(٦) الناس متساوون ومكرمون فى الإسلام بلا تفرقة ولا تمييز بينهم

يقرر الإسلام الكرامة للإنسانية جميعا، ولا يميز بين إنسان وآخر بسبب الدين أو الجنس أو اللغة أو اللون أو المكانة الاجتماعية، ونصوصه واضحة وقاطعة فى هذا الأمر، فالله تعالى يقول:

﴿ولقد كرمنا بنى آدم [illegible] وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾

(الإسراء: ٧٠)

وأن الناس جميعا من أصل واحد لا فرق بين المسلم وغير المسلم ولا بين الرجل والمرأة:

﴿[illegible]﴾

(النساء: ١)

ليؤكد الحقيقة جزءا من عقيدة المسلم، وعلى أساسها يتشكل سلوكه مع الآخر، مما يرسخ وحدة الأصل الإنسانى.

(٧) الآدمى له حرمة وحصانة إنسانية حال الموت كحال الحياة

إنه من أجل ذلك وتجسيدا لهذه الكرامة، فإن غير المسلم يتمتع بالاحترام والحرمة الإنسانية حيا وميتا. وفى حالة موته بصفة خاصة فإن على كل مسلم أن يحترم ويحترم حرمة غير المسلم وتقدير شأنه، وإنزاله المكانة اللائقة، وفى موقفه تجاهه كحق خالص لغير المسلم بمقتضى إنسانيته. وهو ما روى فى موقف الرسول ﷺ عندما مرت عليه جنازة ليهودى، فنهض لها واقفا فقال له بعض الصحابة: إنها ليهودى فقال: «أليست نفسا»(*).

ودلالة هذا الصنيع النبوى تتجلى فى المسلك الذى ينم على التوقير للنفس البشرية مجردة عن أى اعتبار آخر، وأن هذا حق ثابت لكل نفس فى كل حال، كما يعبر عن استنكار وتخطئة لمن اعتقد أو فهم غير ذلك.

(٨) التعايش بين المسلمين وغير المسلمين بموجب التعارف الأممى والبشرى

إن البشر إنما خلقهم الله ليتعايشوا ويتعارفوا، وليس ليتصارعوا ويتقاتلوا، ويحتدم الخلاف، ينكر كل فريق على الآخر الحق فى الحياة أو الحرية أو يحتكر الحقيقة أو يستأثر بخيرات وموارد الرزق وأسباب الحياة ويحرم الآخرين منها، فهذا انحراف عن منهج الله ومعاندة لنواميس الكون لا يستقيم به وجود، ولا تتحقق به الخلافة التى أرادها الله وخلق من أجلها الإنسان، وهيأ له الكون وسخر له هذا الوجود وإنما يجعل الاجتماع الإنسانى محكوما بشريعة الغاب. وعلى كل إنسان أن يدرك هذه الحقيقة المقررة وأن البشر وجدوا ليتعايشوا بقوله تعالى:

﴿يا أيها الناس [illegible] وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

(الحجرات: ١٣)

﴿[illegible]﴾

(المائدة: ٢)

(٩) العقل هو مصدر القوة المفكرة، ومنبع الملكة المحصلة للعلم

العقل فى الإسلام محور كرامة الميزان ذو مكانة فى أصول الاعتقاد والتشريع، وهو سبيل الفهم، ومصدر العلم، وحفاوة الإسلام بالعقل والدعوة إلى التفكير والنظر لا يعدله دين آخر، إيمانا بأن العقل هو الجوهرة النفيسة فى الإنسان، ومظهر تميزه وآية فخاره، والمستقرئ للنصوص يواجه بكم وافر من الآيات الحاثة على التفكر والنظر والاعتبار

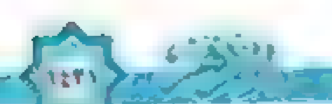
﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾

(العنكبوت: ٤٣)

﴿[illegible] يا أولى الأبصار﴾

(الحشر: ٢)

(*) البخارى ومسلم والنسائى فى سننه والإمام أحمد فى مسنده.



﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(آل عمران: ١٩٠)

ومن يتأمل مغزى هذه الآيات وهي تبلغ العشرات، يدرك هذه المنزلة الرفيعة للعقل بوضوح كأصل من أصول الإسلام، وأن دعوة الإسلام في هذا السياق هي انقلاب فكري لاشبيه له قصد به تحرير العقل من الأغلال وتوظيفه في معرفة الله والاستدلال على المنهج الإلهي الصحيح، والارتقاء بهذا الكون وعمران الأرض.

(١٠) العقل أداة التكليف في الخطاب الإسلامي

وكان من الطبيعي إزاء ذلك أن يكون العقل هو أداة التكليف في الخطاب الإسلامي مناط المسئولية، وأن من لا عقل له لا تكليف عليه. وربما فاجأ البعض بعض الأحاديث التي تقرن العقل بالدين وتجعلهما صنوانًا، وهي وإن كانت ضعيفة إلا أن معناها يتوافق مع الدلالات القرآنية في هذا المجال مثل حديث: «الدين هو العقل، ولا دين لمن لا عقل له» في الوقت الذي ذكرت فيه دائرة معارف القرن التاسع عشر على لسان بعض قادة الأديان: «أطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى».

وهو كلام يصطدم مع أخص خصائص الإنسان وآية فخره وتميزه بإعمال ملكة العقل المفكر لبلوغ كل إنجاز وبدونه لم يتمكن من بلوغ ما حققه من تقدم علمي وتطور تكنولوجي في العصر الحديث، فضلا عن أن التهوين من دور العقل يتناقض مع قوله تعالى:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾

(آل عمران: ١٨)

وقوله تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

(المجادلة: ١١)

وقد قدرها ابن عباس بأنها سبعمائة درجة.

وقوله جل شأنه:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

(فاطر: ٢٨)

وإنما تبوأ العلماء هذه المكانة السامقة بفضل ملكات عقولهم واستنارة أفئدتهم.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

(المائدة: ٥٤)

فيه تتنافس العقول. وتتفجر الملكات البشرية بغض النظر عن الدين الذي يؤمن به، فهي حظوظ أنعم الله بها على الإنسان ودوره في أن يستثمر هذه الجوهرة بما يجعل العقل قاسما مشتركا بين البشر للتفكير الذي يجمع بينهم ويحقق مصالحهم.

(١١) المسلم محب لإخوانه وللآخرين، بار بهم عادل معهم

الإنسان الذي يصنعه الإسلام هو إنسان المحبة لا إنسان الكراهية والعنف والإرهاب، فهو يشعر أنه عضو في جماعة، يندمج في أسرته، وينخرط في مجتمعه لا يعتزل عن الناس، ولا يعيش لنفسه. وإنما يتأثر بمن حوله ويؤثر فيهم. فله على أبويه حق التربية والرعاية والإنفاق حتى يبلغ أشده ويكتفي بعمله ويستقل بنفسه. وعليه لهما حق البر والطاعة والإحسان. وعليه في محيط دائرته أن يتواصل مع إخوانه، وأن يحسن إليهم، وأن يصل رحمهم، وأن يعطيهم ويعطفهم، وهو منهي عن قطيعة الرحم باعتبارها من أشد المنكرات. والتحذير منها قاطع:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾

(محمد: ٢٢-٢٣)

والمسلم في الإسلام عضو في الجماعة العامة، وهو لبنة طيبة وعنصر نافع في الأمة التي ينتمي إليها، والأسرة الدولية التي يتعامل معها في أرجاء العالم من حوله. فهو مدعو إلى البر بالمخالفين له الذين لا يناصبونه العداء ولا يضمرون له الكيد.

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(الممتحنة: ٨)

وهو مأمور بإشاعة الأمن والانضواء في مسيرة السلم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾

(البقرة: ٢٠٨)

والأمان هو مقتضى الإيمان

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

(قريش: ٣-٤)

وبه يتحقق العمران وخلافة الإنسان لله

ثم إن المسلم مأمور بأن يشاعر غير المسلم ويتزوج غير المسلمة ويحسن إليها، ولا يضيق عليها في دينها، وإنما يتواصل معها ليكون أولاده ثمرة هذا التزاوج الإنساني.

ثم إن هذا الإنسان ينتصر للخير، ويحارب الشر، ويجاهد في الحياة، وينشد مجتمع الرحمة والفضيلة، وهو جلد وصبور على مشاكل الحياة، مستعد لمواجهة مصاعبها لا يعتزل عنها ولا يهرب منها ومسلكه في ذلك كما في الحديث:

«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[٢] الأمر الذي يجعل المسلم إيجابيا في مجتمعه يتحلى بالجلد والصبر وصولا إلى رقي هذا المجتمع وتقدمه.

(١٢) الاجتماع أساسه الأخوة الإيمانية والإرث المشترك للإنسانية

الاجتماع الذي ينشده الإسلام، هو اجتماع إنساني مؤسس على الأخوة، أخوة الإيمان:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾

(الحجرات: ١٠)

وأخوة الإنسانية هي القاسم المشترك بين المسلم وغير المسلم. فالإنسان إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق. والمجتمع في الإسلام هو مجتمع الرحمة، رحمة الإنسان بالإنسان بصفته الإنسانية المجردة، بقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

ومن تجليات الأخوة قد:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٣].

وفي حديث آخر: «لا يدخل الجنة إلا رحيم، أما إنها ليست برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة»[٤].

فهي إذن رحمة تعم الناس جميعا وتظلهم بظلالها الوارفة، ولا تنحصر في المسلم، فمن حصرها في المسلم فإن فهمه سقيم وعليل لا يعبر عن صحيح الإسلام.

---

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد.

(٤) رواه البيهقي.

(٣) متفق عليه.

دعائم رابطة الأخوة في الإسلام

للمستشار. حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

الأخوة قوام الحياة الإنسانية؛ لأن الأصل في وحدة [illegible] كما قال عنه الرسول ﷺ: كمثل الجسد [illegible] وهي أقوى [illegible] ما قامت على الإيمان، كما وصفها الحق تعالى في قوله [illegible] ولهذا قيل: رب [illegible] كل [illegible] وكما يقال للرجل: قل لصاحبك كذا [illegible] وتذكر [illegible] الأخوة، يفيد عطف أحدهما على صاحبه [illegible] الإسلام [illegible] الرابطة قد [illegible] البشري، فتصبح الأخوة في الإنسانية.

وقد قال بعض العلماء: إن المراد بالأخ هو المشارك الآخر في الولادة من الطرفين أو أحدهما، أو الرضاع، ويستعار في كل مشارك لغيره، في القبيلة أو الدين أو صنعة أو معاملة أو مودة أو غيرها من المشاركات، على نحو ما ورد في قوله تعالى

﴿[illegible]﴾

(آل عمران ١٥٦)

أي: لمشاركيهم في الكفر، وقوله تعالى عن السيدة مريم

﴿[illegible]﴾ (مريم ٢٨)

يعني في الصلاح لا النسبة، وقوله تعالى

﴿[illegible]﴾ (الأحقاف ٢١)

وتسميته كذلك للتنبيه على شفقة الأخ على أخيه، كما قال الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وهناك العديد من الوسائل والعوامل التي تقوي دعائم روابط الأخوة بين الناس بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة، نذكر منها على سبيل المثال الأمور الآتية:

أولاً: تبادل الزيارة:

وهي الزيارة الخالصة في الله، بعيداً عن المصالح الدنيوية المؤقتة، كما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «زار رجل أخاً له في قرية، فأرصد (وكل) الله له ملكاً على مدرجته (طريقه)، فقال: أين تريد؟، قال: أخاً لي في هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تربها (تصلحها)؟، قال: لا، إلا أني أحبه في الله، قال: فإني رسول الله إليك، إن الله أحبك كما أحببته»، ولا سيما إذا كان الأخ في حالة من الضعف، والحاجة لمواساة الآخرين كالمرض وغيره، كما روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً» وقال تعالى: زيارة الإخوان في الله من جواهر عبادة الله، وفيها الزلفى والقربة إلى الله، مع ما فيها من ضروب الفوائد وصلاح القلب، لكن بشرط، عدم الإكثار في الأغراض الدنيوية، وعدم الرياء والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك. وقال البوني: إن هذا الحديث يشير إلى أن من أتى بحركة بعقد صحيح، غير ملتفت فيه لغير الله تعالى، أمده الله تعالى بأنوار إيمانية، وقوة روحانية، ومحبة عرفانية.

ثانياً: التواد والتعاطف:

إذا كانت وحدة النفس هي الأصل في الخليقة الإنسانية، فإن دوام استقرار حياتها، يقتضي التمسك بهذا الأصل، وذلك بتحقيق الترابط بين أفراد هذه الخليقة، مهما اختلفت أجناسهم أو أوطانهم، ولا سيما إذا توافرت لهم عناصر التوحد فيما بينهم، كالدين أو اللغة أو التاريخ أو غيرها، وفي هذا الإطار يمكن فهم ما رواه مسلم والإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». أي: كما أن الرجل إذا تألم بعض جسده، سرى ذلك الألم إلى جميع جسده، فكذلك المؤمنون ليكونوا كنفس واحدة، إذا أصاب أحدهم مصيبة يغتم جميعهم، ولذلك ورد في رواية أخرى: «المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وقد قال العلماء: إن هذا الحديث يفيد تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والتعاضد، في غير إثم ولا مكروه، ونصرتهم والدفاع عنهم، وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم وغير ذلك.

ومن أوجه العظمة في هذا الحديث، ما عبر به من السهر والحمى، كوسائل تدعو لحماية الفرد المصاب من أمة المؤمنين، وأنها لاتقتصر على مجرد الوسائل المادية، كأسلحة الحرب أو الدفاع، بل تضمنت الوسائل الأدبية والمعنوية، والتي تدخل فيها المباحثات والمشاورات السياسية والدبلوماسية، والتي أصبحت في العصر الحديث، لا تقل فاعلية في الوصول إلى حلول المعضلات الكبرى من الوسائل المادية التقليدية، ولكن من أفضل وسائل نصرة المؤمنين في كل عصر، أن توحد كلمتهم فيما بينهم في مواجهة عدوهم، وإلا فيصدق فيهم قول الحق تعالى:

﴿[illegible]﴾ (الأنفال: ٤٦)

ومما يؤكد عمومية هذه الوسائل وفاعليتها، ما رواه البخاري والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه (تمنعه) عن الظلم، فإن ذلك نصره)، لأن في هذا المنع من الظلم وقد لا يكون بالبد، نصرة للظالم على شيطانه الذي يغويه، وعلى نفسه الأمارة بالسوء لأنه لو ترك على ظلمه جره إلى الاقتصاص منه.

ثالثاً: النظر للأخ على شوق:

إذا كانت العبادة هي عمل، يقوم به العابد تقرباً للمعبود، فإن قوام الأعمال جميعها، هو النية، التي قال عنها الرسول ﷺ، في حديثه المشهور: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...»، ولكن من المعلوم في فقه الشريعة الغراء، أن صور هذه الأعمال ومنها العبادات، متعددة ومختلفة فيما بينها، بحسب طبيعة كل عبادة، وبحسب الأشخاص العباد، رغم أن المعبود واحد لا شريك له، فقد تكون العبادة بفعل إيجابي كالصلاة والحج، وقد تكون بالامتناع كالصوم، وقد تكون بالجمع بينهما، كالنظر محل له خصوصية لدى المعبود، اقتضت تكريم صاحب هذا المحل.

ولا يهم أن يكون هذا النظر باعتباره عبادة، موجهاً إلى إنسان أو إلى جماد، إذ القصد الأسمى منه هو تعظيم الخالق محل النظر، وقد أشارت السنة النبوية المطهرة، إلى بعض أنواع محل النظر التي تمثل هذه العبادة، ومنها في القمة، النظر إلى الإنسان، باعتباره صنعة الله، وأفضل صورة مخلوقاته، فقد روى الحكيم الترمذي، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن الرسول ﷺ، قال: «نظر الرجل إلى أخيه على شوق، خير من اعتكاف سنة في مسجدي هذا»، وروى ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «خمس من العبادة: قلة الطعم، والقعود في المساجد، والنظر إلى الكعبة، والنظر في المصحف، والنظر إلى وجه العالم»، وفي رواية أخرى عند الثاني: «خمس من العبادة، النظر إلى المصحف، والنظر إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر في زمزم، وهي تحط الخطايا، والنظر في وجه العالم».

وحتى تتحقق لهذه العبادة ثمرتها في القبول والإثابة عليها، يجب أن يقصد الناظر التقرب بها إلى الله، برؤية المنظور إليه، لأنه بالنظر إلى الكعبة يستروح إليها، لكونها بناية الله، وبالنظر إلى القرآن يستروح إليه، لكونه كلامه تعالى، وبالنظر إلى كل من الأخ أو العالم أو أحد الوالدين يستروح إليه، لكونه محل مشاهدة نور الجلال والجمال الرباني، الذي أشرق في صدره.

ويكفي لبيان فضل هذه العبادة، ما ورد في حديث الأول، من أن ثوابها أكثر أجراً، من اعتكاف سنة في مسجده ﷺ. وكما هو معلوم، فإن الاعتكاف في هذا المسجد مضاعف. فكما أن الصلاة به تعدل ألفاً. فكذا اعتكاف يوم فيه بألف يوم في غيره

رابعاً: المشاركة في المناسبات:

إذا كان لكل عبادة جوهر، فإنها أيضاً لا تخلو من مظهر يدل عليها، ومن العبادات ما يكون المظهر فيها بارزاً بصورة أوضح من الجوهر، لحكمة عليا أرادها الشارع الحكيم، تحقيقاً لمصلحة عامة اقتضته، ومن بين هذه العبادات تأتي صلاة العيدين، الفطر والأضحى، فقد شرع الله تعالى كلا من هذين العيدين، عقب أداء ركن من أركان الإسلام الأساسية، فكان عيد الفطر عقب صوم رمضان، وكان عيد الأضحى مع أداء مناسك الحج.

والحكمة السامية التي أرادها الله تعالى، من تشريع صلاة العيد، هي إظهار الفرح والسرور بهذه المناسبة السعيدة، وبيان ما عليه المسلمون، من وحدة وتعاون ومحبة فيما بينهم، بما يجعلهم قوة متماسكة في نظر أعدائهم، ولإبراز هذه المظاهر في العيد استن رسول الله ﷺ صلاة العيد في الخلاء ليشهدها الجميع.

وعملاً بهذه السنة في صلاة العيد، فإن المسلمين يبكرون بالذهاب إلى ساحات رحبة أعدت لإقامة هذه الصلاة في أماكن متعددة، ومن المفترض في هذه الساحات، أنها متماثلة في كل شيء، وأن كل مسلم يؤم أية واحدة منها دون تمييز، لأنها جميعاً أعدت للصلاة وذكر الله تعالى، ولكن من الظواهر السلبية، التي تقع عليها العين في هذا اليوم، أن ترى أشخاصاً يمرون على هذه الساحات القريبة منهم أو المجاورة لهم، ويذهب إلى أماكن أبعد، بحجة أن المصلين في بعض هذه الساحات، يأتون ببدعة لم يفعلها رسول الله ﷺ، عندما يرددون عبارات معينة، مثل: «اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً»، ولايقف الأمر عند هذا

الخلف فقد يدعى كل من الطرفين أنه على الحق المبين، وأن الآخر على غير ذلك، مما يساعد على نمو بذور الخلاف بين أتباع الدين الواحد، دونما قضية مصيرية تستحق مثل هذا الخلاف.

ودون خوض في سجال الأخذ والرد حول البدعة، نكتفي بالإشارة إلى الحكمة من تشريع صلاة العيد، وهي حكمة ليس هناك ما يعادلها أو يقترب منها في خدمة الإسلام والمسلمين، فليس بعد إظهار قوة الإسلام، ووحدة وتعاون المسلمين من غاية، تهون في سبيلها كل الكلمات والحروف، بل الأموال والأرواح.

إن المسلم العاقل يجب أن يعمل ميزان حكمه على الأمور، ويراعي قضايا دينه الكلية، ويتمسك بها، ويبتعد عن صغائر الخلافات، التي لا طائل من ورائها، وأن يضع نصب عينيه تحقيق وحدة وقوة أمته المسلمة، حتى تستعيد مكانتها العالية في مقدمة أمم الدنيا كلها.

وفي هذا الإطار يمكن الوقوف على حقيقة فهم، ما أخبر عنه الرسول الكريم ﷺ في أحاديث كثيرة، من: إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام، فإطعام الطعام في هذه الأحاديث جاء عاماً، يشمل إطعام الغني والفقير على السواء، فقد روى الترمذي وابن ماجه والحاكم عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: أول ما سمعت من كلام رسول الله ﷺ أن قال:

«أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»، ومما يؤيد هذا العموم، ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان والسيوطي في الجامع الصغير عن حبان بن أبي جبلة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أسرع صدقة إلى السماء أن يصنع الرجل طعاماً، ثم يدعو إليه أناساً من إخوانه»، وما رواه البيهقي عن بديل والسيوطي في الجامع الصغير أن النبي ﷺ قال: «لأن أطعم أخاً في الله مسلماً لقمة، أحب إليّ من أن أتصدق عليه بدرهم».

والإسلام لم يحظر على الناس الاستمتاع بالطيبات من الرزق، سواء كان ذلك لهم أو لغيرهم من خلق الله أجمعين، ومن باب أولى من تربطهم أخوة الدين، ولاسيما إذا وقع هذا في المناسبات المفرحة التي يأتي على قمتها الأعياد الدينية، والمناسبات الكريمة كذكرى المولد النبوي الشريف، وغير ذلك، فالنص القرآني عام، في قوله تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

(الأعراف: ٣١)

وقوله تعالى أيضاً:

﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ٣٢)

وكما ذكر المفسرون: لا سرف في مباح، وأن من أخرج حق الله من ماله، ومهما أنفق منه بعد ذلك في المباحات فلا شيء عليه.

خامساً: توثيق روابط الصداقة:

الله تعالى الذي خلق الإنسان، وهو أعلم بمن خلق، قدر فيه هذه الخالة، وما تتطلبه من معونة للتغلب عليها، وذلك على نحو ما أفصح عنه القرآن الكريم، من حال أصحاب النار من الكفار والعصاة، الذين يقول الله تعالى في حقهم:

﴿[illegible]﴾

(الشعراء: ٩٩-١٠١)

ومن لطائف الإشارة في هذه الآيات، ما ذكره المفسرون، من أن طلب المعونة عن طريق الشفاعة، جاء بصيغة الجمع «شافعين»، ولكن طلبها عن طريق الصداقة، جاء بصيغة المفرد «صديق»، وذلك لكثرة الشفعاء، وقلة الصديق، ولاسيما إذا كان صديقاً حميماً.

والصداقة رابطة إنسانية، تجمع شخصين أو أكثر، ولو لم يكونوا على دين واحد، وقد احترم الإسلام هذه الرابطة، وقدرها حق قدرها، وجعلها بمنزلة القرابة النسبية، وذلك عندما رفع الحرج عمن يتناول الطعام في بيت الصديق، كما هو الشأن في بيوت أصحاب هذه القرابة، على نحو ما أشار إليه قول الحق تعالى:

﴿[illegible]﴾

إلى أن قال:

﴿[illegible]﴾

(النور: ٦١)

وأيضاً للصديق الحق في الإنفاق عليه، كما هو مقرر لمن تجب على الإنسان نفقته، كالولد والزوجة وغيرهما، فقد روى البيهقي عن أبي حمزة إبراهيم رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «كل نفقة ينفقها المسلم، يؤجر فيها على نفسه، وعلى عياله، وعلى صديقه، وعلى بهيمته...»، وقد كان سيدنا أبوبكر رضي الله عنه هكذا، النموذج الأمثل للصديق الحميم، لسيدنا رسول الله ﷺ، قولاً وعملاً، فكان صادقاً صديقاً، فنعم الصديق.

إن ظروف الحياة المشتركة في المجتمع، مع تداخل وتعقيد المصالح فيه، وتكاثر الفتن التي تلاحق الإنسان ليلاً ونهاراً، تفرض عليه البحث عن الصديق الحميم، الذي يتخذه عدة وذخيرة، لمواجهة الأعباء التي تثقل كاهله في هذه الحياة، وليعلم أن الصديق الحق، كما جاء في الأثر: من صدقك، وكان معك، وإذا ما ريب الزمان صدعك، شتت فيك شمله ليجمعك، ومن هنا كانت ندرة الصديق، المستجمع لهذه الخصال، فما أحوجنا لهذا الصديق، في زمن عز فيه كل حميم!!

والله تعالى ولي التوفيق،،

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«جوده ﷺ»

قال ابن عباس - رضي الله عنه -: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة.

وقال سيدنا علي - رضي الله عنه - فيما يصف ﷺ: كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

من عيون الخطب

خطب المأمون في يوم عيد فقال:

عظم قدر الدارين، وتباين جزاء العاملين، وطالت مدة الفريقين، الله الله إنه الجد لا اللعب والحق لا الكذب، وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب، والصراط والقصاص، والثواب والعقاب، فمن نجا يومئذ فقد فاز، ومن هوى فقد خاب، الخير كله في الجنة، والشر كله في النار.

قال الشعبي: ما سمعت أحدا يتكلم إلا تمنيت أن لو سكت مخافة أن يخطئ إلا زيادا فإنه كان لا يزداد إكثارا إلا ازداد إحسانا، خطب يوما فقال: «أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون، أن تنتفعوا منا بأحسن ما تسمعون، فإن الشاعر يقول:

اعمل بقولي ولا تنظر إلى عملي

ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

قيل إن هذا البيت للخليل بن أحمد، ولكن النقاد جوزوا أن يكون الخليل قد استشهد به وليس له.

وخطب الحجاج يوما فقال: «أما بعد فإن الله كتب على الدنيا الفناء، وكتب على الآخرة البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء، ولا فناء لما كتب عليه البقاء، فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقصروا طول الأمل، بقصر الأجل»

وقال أئمة الخطابة: خير الكلام ما لم يكن عاميا سوقيا، ولا غريبا وحشيا.

وقال أبو الأسود الدؤلي لولده: يابني إذا كنت في قوم فلا تكلمهم بكلام لم يبلغه سنك فيستقلوك، ولا بكلام هو دونك فيزدروك ويحقروك.

العقل أكرم المواهب

قال ابن عباس دخلت على عائشة رضي الله عنهما فقلت لها: يا أم المؤمنين، أرأيت الرجل يقل قيامه، ويكثر رقاده، والآخر يكثر قيامه ويقل رقاده: أيهما أحب إليك؟

قالت: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال لي: أحسنهما عقلا.

قلت: يارسول الله إنما سألتك عن عبادتهما.

فقال: ياعائشة إنهما لا يسألان عن عبادتهما، إنما يسألان عن عقولهما، فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الجنة مائة درجة، تسع وتسعون منها لأهل العقل، وواحدة لسائر الناس».

وروى البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «لكل شيء وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية، وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة، أفضلهم عقلا».

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: إني لأعجب ممن رزق العقل كيف يسأل الله معه شيئا آخر.

وقالت عائشة رضي الله عنها: أفلح من جعل الله له عقلا.

وقال مطرف: ما أوتي العبد بعد الإيمان بالله تعالى أفضل من العقل.

وقال الأصمعي: لو صور العقل لأضاء معه الليل، ولو صور الجهل لأظلم معه النهار.

وقال بزرجمهر: العقل كالمسك إن أخفيته عبق، وإن بعته نفق.

وقال شاعر:

لله در العقل من رائد

وصاحب في العسر واليسر

فقرات بليغة لبعض الأكابر

قال ابن عباس رضي الله عنه: الرخصة من الله صدقة، فلا تردوا صدقته.

وقال: لكل داخل هيبة، فابدءوا بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدءوا باليمين.

وقال ابن مسعود: الدنيا كلها هموم، فما كان منها في سرور فهو ربح.

وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غرماؤه.

وقال: أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار.

نقول: لسنا نرى هذا الرأي فإن السفهاء إذا أكرموا استهتروا في غيهم، وأمعنوا في بغيهم، فما يكفوننا من العار والنار يكفينا الله إياه بكمال الرجولة، وتمام الفضيلة.

وقال المغيرة بن شعبة: العيش في بقاء الحشمة، وفي كل شيء سرف إلا في المعروف.

وقال مصعب بن الزبير: التواضع من مصايد الشرف.

عشرة آلاف لبيتين

دخل شاعر من أهل الرى يقال له «أبو زيد» على عبدالله بن طاهر صاحب خراسان، فأنشده هذين البيتين وهما:

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا
من شاذ مهر ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تلبسه
من هوذة بن على وابن ذى يزن

فأمر بعشرة آلاف درهم جائزة على هذين البيتين، ودخلت ليلى الأخيلية على الحجاج فأنشدته:

إذا ورد الحجاج أرضا مريضة
تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها
غلام إذا هز القناة سقاها

فقال لها لا تقولى غلام ولكن قولى همام، وقال ياغلام أعطها خمسمائة.

قالت أحسبها إبلا. فرد عليها قائلا بقوله: إنما أمر لك الأمير بشاء، قالت: الأمير أكرم من ذلك، فاضطر الحجاج أن يوافقها على ظنها فجعلها إبلا على استحياء وإنما كان أمر لها بشاء.

حسن البديهة

عزل عثمان رضى الله عنه عمرو بن العاص عن ولاية مصر وأسندها إلى عبدالله بن أبى سرح، فكثر خراجها عما كان عليه على عهد سلفه، فلما لقيه عثمان يوما قال له: لقد درت اللقحة بعدك ياعمرو!

فأجابه عمرو على الفور: ولكنكم أعجفتم صغارها ياأمير المؤمنين! كنى عثمان عن مصر باللقحة وهى الناقة الحلوب، وأخبره بأنها أتت بلبن غزير بعده، فأجابه عمرو بقوله: ولكنكم أهزلتم صغارها بعدم ترككم لها ما يكفيها من اللبن استئثارا به.

ورئى يوما كثير راكبا ومحمد بن على الباقر رضى الله عنه يمشى معه، فقال له قائل: أتركب ومحمد يمشى؟! فقال: هو أمرنى بذلك، فطاعتى له فى الركوب أفضل من عصيانى له فى المشى.

وركب الرشيد ومعه جعفر فرأيا أحمالا مقبلة، فسأل الرشيد عنها فقيل له: هدايا خراسان.

فقال الرشيد لجعفر: أين كانت هذه أيام أخيك؟ (وكان واليا عليها) قال فى دور أصحابها ياأمير المؤمنين!

ولكنه الآن أشد

قيل للحسن: إن فلانا فى النزع، فقال: مازال فى النزع منذ خرج من بطن أمه ولكنه الآن أشد: وهذا حميد بن ثور وهو من فحول الشعراء يقول فى بعض قصائده:

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة
وحسبك داء أن تصح وتسلما

دعاء

ومن دعاء الحسين بن على - رضى الله عنه -: إلهى نعمتنى فما وجدتنى شاكرا، وابتليتنى فما وجدتنى صابرا، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدة بترك الصبر، إلهى لا يكون من الكريم غير الكريم.

قصيدة العدد

وجودى (١)
صرخة شاكية من شاعر مظلوم

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

وجودى، لست لى، فلمن تكون؟ ... أسر أنت عن نفسى مصون؟
يغيب حقائق الأشياء علمى ... وتعصف بى حواليك الظنون
أمن نفسى على نفسى غطاء؟ ... فكيف أنا؟ أشك أم يقين؟

•••

وجودى، ما عرفتك غير معنى ... تغلغل فى الخفاء، فما يبين
عريق فى الظلام، ولا مناص ... ولا جسر يلاذ به أمين
أقيم عليه سور من عباب ... تصل على جوانبه المنون
أطل، ويضرب التيار وجهى ... فأين أنا؟ أحر أم سجين

•••

وجودى، أين أنت؟ ألا سبيل ... إليك، فيهدأ العانى الحزين؟
ومن أنا فى بنى الدنيا؟ وما لى ... وللدنيا؟ وما وعت القرون؟
أتشغلنى الحياة بكل حى ... وتولعنى بمن طوت المنون
أريد هوادة، وتثور حولى ... همومٌ، ما لعاصفها سكون
وتسلبنى خطوب الدهر نفسى ... فما خطبى؟ أحى أم دفين؟

•••

وجودى، ما وجدتك غير خصم ... تلين قوى الخصوم، ولا يلين

---

(١) الديوان ج٢، ص ٣٩٥

قريب مصرة لا بد منه ... إذا راسي فمعنى التقريب
تطيل عداوتي، وأنا المعادى ... وتهدد قوتي، وأنا المعين
أريد الصمت أستبقيك جهدي ... وتنطقني الحوادث والشئون
وما لي أرقب الغيب فأشقى؟ ... وما انتقي؟ أحمد أو مجنون؟

•••

وجودي، ما الوجود، وما ورائي؟ ... إذا عدت النوى، ومضى الرهين؟
رأيت المرء لا يحييه عقل ... ولا يهديه في الأحياء دين
سأنت نعلم كل شيء عليه ... فلا مسمع أفاد، ولا ضنين
وما تغني الشروح، وإن تناهت ... إذا استعصت على العقل المتون
وما العقلاء إلا في ضلال ... إذا استولى على الدنيا الجنون

•••

ديار الشرق، هل بك من قطين؟ ... دعيني؟ ما الديار، وما القطين؟
ظمئت، وفي فمي الأدب المصفى ... وضعت، وفي يدي الكنز الثمين
ظلمت أبي وغيري إن مثلي ... لفسال في التوابع لا يهون
كريم تدفع الأخلاق عنه ... ويمنع ركنه الأدب الحصين
أقول فيهزع الشعراء صوتي ... وما أنا في بني وطني ظنين
لربي ما عملت وعند قومي ... ديوني، حين تقتص الديون
أمن أدبي تبيت الطير تبكي؟ ... فما أدبي؟ أشدو لم رنين؟

•••

وجودي، أين كنت، وليت شعري ... على طول المقام، متى تبين؟
لئن أعجبتني فرغبت حيا ... لذلك ما جنى الرأي الغبين؟
كبرت، وما عرفت مكان نفسي ... فما أدري أنبح أم جنين؟

•••

وجودي، حان موعد كل صاد ... وأبطأ موعدي، فمتى يحين؟
نهاني عن حياة السوء علمي ... بما يصم الرجال، وما يزين
أشد على القنود يدي، وإني ... لفي زمن جهالته قنون
يصون الحر مهجته فيبقى ... ويهلك نفسه الصرع المهين

رأيت العز أجمع في يراع ... يصون جلاله خلق متين
وما يبقى الهزبر بغير ناب ... ولو أن السحاب له عرين

•••

سل «الهرم» المخلد بعد «خوفو» ... أيضرع للخطوب ويستكين؟
خصيم الدهر تستحيي قواه ... على ما كان منه وما يكون
يزلزل راجف الأحداث منه ... وقور في زلازلها رزين
فتى الدولات، يلهمها هداها ... ويوقظها إذا غفت العيون
ويهدي المالكين، فلا غرور ... إذا قهروا الشعوب، ولا فتون
نصيح لا يغش، ولا يداجي ... وقاض لا يضل، ولا يخون
زها نبت الممالك في ثراه ... وطاح على جوانبه الدرين [1]
مشيع نعشها؛ إن كان موت ... وإن يك مولد فهو الشنين [2]
ترى دارت عليه رحى الليالي ... فما رقت، ولا انقطع الطحين
حمى «فرعون» دمر كل عال ... وهيب جناه العالي المكين
أعقلتة الخلود يطل منها ... على الدنيا إذا نزل الأذين؟
تمر به العصور، فتستمر ... يحاذر أن يراه مستبين
سناء العبقرية في سناها ... بنسأة شبابها الليق الفطين
تدين له الصواعق، وهو راس ... بمصطدم الصواعق لا يدين
تشكت طول صحبته الليالي ... وملّ جواره الرصد الكمين

•••

وجودي، أنت لي، ولكل حر ... حديث جلالة، نعم الخدين
حسن ما رأيت، ولا خلود ... خلود ما بنيت، ولا حسين
إذا عز السبيل على أناس ... فأنت إمامهم، وأنا الضمين

---

(١) الدرين: ما اسود وقدم من النبات.

(٢) الشنين: من يقوم بخدمة العريس في العرس، والأمر متقارب.



إن الإسلام دين عالمي، ختم الله سبحانه برسوله ﷺ الأنبياء والمرسلين، وختم بدستوره السماوي وهو القرآن الكريم جميع الكتب السماوية، وختم بدعوته العامة الخالدة جميع الدعوات السابقة.

فدعوة الإسلام عالمية للناس كافة.

وحديثنا عن عالمية الإسلام يتركز في المحاور الآتية:

أ. د أحمد عمر هاشم

عضو مجمع البحوث الإسلامية

رئيس جامعة الأزهر السابق

أولا: القرآن الكريم وهو الأساس الأول لعالمية الإسلام.

ثانيا: الرسول المبعوث رحمة للعالمين وهو سيدنا محمد ﷺ.

ثالثا: الدعوة الإسلامية العالمية برسالتها العامة الخالدة.

رابعا: واجب الأمة حيال الدعوة العالمية ومواجهة التحديات

ولنبدأ بالأساس الأول لعالمية الإسلام وهو القرآن الكريم، الذي جاء ذكرا للعالمين.

أولا: القرآن الكريم

إن القرآن الكريم، هو كلام الله سبحانه الذي أنزله على رسوله ﷺ تبيانا لكل شيء وذكرا للعالمين، وهدى للمتقين.

وقد أنزل القرآن الكريم حاملا صفة العموم والعالمية والخلود قال الله تعالى:

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾

(القلم: ٥٢)

وقال الله جل شأنه

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾

(التكوير: ٢٧)

فوضح رب العزة سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم لم ينزل لقوم دون قوم بل هو ذكر للعالمين، ليهتدوا به إلى الله، ويسيروا على منهاجه ففيه نبأ من قبلهم وخبر من بعدهم وحكم ما بينهم وهو الذي فرق بين الحق والباطل، فهو الفرقان أنزله الله على رسول الله ﷺ ليكون للعالمين نذيرا فقال الله تعالى

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

(الفرقان: ١)

وهذه الآية الكريمة من صدر سورة الفرقان هي آية مكية تشير إلى أن رسالة الإسلام عامة من أول وهلة لا كما يزعم البعض أنها نشأت أول ما نشأت محلية ثم كانت عالميتها بعد اتساع الفتوح، فهي عالمية منذ عهدها الأول.

وعبر في الآية عن القرآن بكلمة «الفرقان» لأنه فرق بين الحق والباطل كما فرق بين عهد محلي إلى عهد عالمي حيث بلغت الإنسانية نضجها ورشدها، به عهد انتهت فيه الإقليمية، وابتدأت فيه العالمية وقد وصف الله تعالى القرآن الكريم وهو الكتاب الخالد والخاتم بأنه أحسن ما أنزل إلى الناس فقال الله تعالى

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾

(الزمر: ٥٥)

وعالمية القرآن وخلوده تكفل الله بحفظه فقال سبحانه

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

(الحجر: ٩)

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ولخلود القرآن ونزوله وحيا من الله عاما وخالدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولكونه معجزة كبرى رجا رسول الله ﷺ أن يكون أكثر الأمم تابعا يوم القيامة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

ونلاحظ أن القرآن الكريم هو الكتاب المحفوظ من رب العالمين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وما من كتاب إلا واعتراه التغيير أو الزيادة والنقص وما من نظرية إلا واحتاجت عبر الزمن إلى تعديل أو تغيير إلا القرآن الكريم فإنه باق محفوظ، وصالح لكل زمان ومكان برغم أنه نزل منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ويبقى كما هو صالحا ومصلحا لكل زمان ومكان لا يحتاج إلى تغيير.

ثانيا: الرسول ﷺ المبعوث رحمة للعالمين

لقد ختم الله سبحانه وتعالى رسله وأنبياءه بسيدنا محمد ﷺ قال الله سبحانه:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

(الأحزاب: ٤٠)

ولأنه ﷺ خاتم النبيين فقد جاء بالشريعة الباقية الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وكان ﷺ مبعوثا رحمة للعالمين.

ولقد كان الرسل السابقون يبعث كل رسول إلى قومه خاصة قال الله تعالى في شأن نوح عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

(هود: ٢٥)

وقال سبحانه في شأن هود عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾

(هود: ٥٠)

وقال الله تعالى في شأن صالح عليه السلام:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾

(هود: ٦١)

وقال الله تعالى في شأن شعيب عليه السلام:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾

(هود: ٨٤)

وقال الله سبحانه في شأن عيسى عليه السلام:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

(الصف: ٦)

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد وضح أن كل رسول من الرسل السابقين كان يرسل إلى قومه خاصة حتى بلغت الإنسانية نضجها فجاءت الرسالة العامة الخالدة والرسول الخاتم الذى لا رسول بعده ولا نبي، فهو مرسل للناس عامة قال الله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سبأ: ٢٨)

وقال الله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وقال الله جل شأنه:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

وقد بين صلوات الله وسلامه عليه مكانته من إخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين فوضح أنه خاتمهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» رواه البخاري ومسلم.[1]

وكونه ﷺ ختما للأنبياء والمرسلين خصوصية من خصائصه تحدث عنها في قوله: «وختم بي النبيون» ومعنى هذا أنه لا نبي بعده ولا رسول وقد وضح أنه لا نبي بعده ولا رسول وقال «وأنا العاقب فلا نبي بعدي» وكما كان خاتم الأنبياء والمرسلين فإنه أول المسلمين كما قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام ١٦٢ - ١٦٣)

ثالثا: الدعوة الإسلامية العالمية برسالتها العامة الخالدة

والناظر إلى الدعوة الإسلامية يرى أنها عالمية، وأن رسالتها العامة الخالدة قد أكملها الله سبحانه حيث أكمل بها الدين وأتم النعمة ورضي الإسلام دينا فقال الله جل شأنه:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة ٣)

وجاءت رسالة الإسلام عامة خالدة متممة لما سبقها من الرسالات يصدق كتابها وهو القرآن الكتب السماوية الصحيحة التي أنزلت على الرسل السابقين ويهيمن عليها قال الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

(المائدة ٤٨)

ولقد أشار القرآن الكريم إلى وجوب التمسك بالإسلام وعدم طلب شيء سواه، وأنه من يبغي شيئا من الدين أو الهدى من غير كتاب الله فهو في ضلال ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة وهي التمسك به وعدم طلب شيء سواه وأن من يبتغي شيئا غير الإسلام فهو مرفوض غير مقبول قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾

(آل عمران ٨٥)

هذا وإن عموم الرسالة للزمان والمكان وختمها للرسالات خصوصية من خصوصيات رسول الله ﷺ حيث قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» رواه البخاري.

رابعا: واجب الأمة حيال الدعوة العالمية ومواجهة التحديات

إن واجب الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها حيال الدعوة العالمية أن تقوم بنشرها ودعوة الناس إليها، اقتداء برسول الله ﷺ حيث كان يبعث بالكتب إلى ملوك الأرض ورؤسائها يدعوهم إلى الإسلام مثل كتابه إلى هرقل عظيم الروم وغيره من ملوك الأرض والرؤساء.

وما دامت الدعوة عالمية، وما دام رسول الله ﷺ دعا العالم إليها فواجب أمته من بعده أن تدعو الناس وأن تقوم برسالة رسولها ﷺ من بعده، فإنها صحت خيريتها على الأمم لقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحقيق الإيمان بالله، كما قال رب العزة سبحانه وتعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)

وقد توعد الله تعالى الذين يتخلون عن إقامة دينه ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فقال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

(طه: ١٢٤ - ١٢٦)

ومما لا شك فيه أن آليات نشر الدعوة العالمية الآن أصبحت ميسرة، ويمكن أن تقوم بها الأمة وأن تبلغ العالم الذى جهل بعض الناس فيه عظمة الإسلام ومكانة رسول الله ﷺ فنالوا من الدين، وتطاولوا على أشرف المرسلين ﷺ.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(الصف: ٨)

(١) البخاري ٤: ٢٢٥.

تأملات إسلامية..
في الأزمة العالمية

ان من يظن - وبعض الظن اثم - أن الاسلام لم يزل في حاجة الى تأكيد او برهان او إثبات هو شخص واهم. إما لأنه شاك او مكابر. لأن الاسلام منذ اللحظة الاولى التي انزل فيها على محمد ﷺ استقبلته عقول واعية. وقلوب زكية وأنفس مطمئنة احتكمت الى الفطرة النقية والطبائع النقية ولم يصرفها عنه دعاوى أصحاب الأبصار العمى والقلوب الغلف.

فالإسلام منذ عبر عن كلمة الحق الحاسمة إلى الأرض من فوق جبل حراء ومنذ صمد في تحفز في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند سفح الصفا لينطلق انطلاقة الثقة بلا تردد من جوار البيت الحرام في صيحته المدوية التي فاجأت الصناديد، وأربكت الجبابرة وحيرت أصحاب الكلمة بالبيان المعجز المبين الذي انساب بعد ﴿ اقْرَأْ ﴾ (العلق: ١) انسياب الجدول الرقراق ثم تدفق هادراً تدفق أمواج الشلال حتى صار المكذبون لا يكادون يلاحقون هذا السيل السماوي الهادر بآياته العجيبة التي تأخذهم من كل جانب دون أن يملكوا له دفعاً ولا رداً إلا أن يقولوا في استسلام «إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وأنه يعلو ولا يعلى عليه»[2].

منذ هذه البداية الإسلامية التي لا تنتهي بنهاية إلا يوم الدين حيث تنصب الموازين القسط ويبعث الحق بين عنت المكذبين المتجبرين، وتثبيت المصدقين المؤمنين سارت المسيرة الإسلامية يقودها القرآن الكريم وتحدوها السنة المطهرة، وهي المسيرة الحافلة بجهاد السيف عند الحاجة وجهاد النفس دائماً وقد أضاءت هذه المسيرة بكشف بكتابها المسطور - وهو القرآن - عن أسرار الكتاب المنظور وهو الكون فكشف من أضاءت أعماقهم بنور الحق عن أسرار هذا الكون تنطق بعظمة الخالق وعرفنا من هؤلاء كوكبة لا يزال جهادهم الإيماني يعمر بطون المؤلفات والإنجازات رغم أنها تركت عالمنا إلى عالم البرزخ ليوم مخلفة عبقريات نادرة تشهد بقدرة الحق سبحانه على أنه:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾

(البقرة: ٢٦٩)

وهي التي ألهمت شاعرنا المعاصر:

الناس صنفان موتى في حياتهم
وآخرون ببطن الأرض أحياء[3]

وهي قبل هذا وبعد هذا تؤكد أن هذا الإسلام «دين معاصر دائماً» لا تحده الأعصر، ولا تحدده الأزمان لأنه دين الله خالق الأعصر والأزمان.

أقول قولي هذا وأنه أثير انبهار المؤمن المصدق وأعجب تعجب المسلم المتأمل وذلك عندما يطالعنا الإعلام المعاصر ولاسيما الجاد - وقليل ما هو - وهو يعرض للأزمة المالية العالمية الحالية التي صنعها الإنسان بفكره العنيد، وعقله الكنود[4] في صلف وعتو وغرور[5].

يقول هذا الإعلام، وتنقله عنه ما يعرف «بالشبكة العنكبوتية» المعبر عنها «بالإنترنت»

«إنه قد تم اجتماع اتحاد البنوك العالمي في ٢٤ مارس ٢٠٠٩ من أجل طرح حلول الأزمة المالية العالمية، وكان الخبراء يتوقعون أن يسفر هذا الاجتماع عن تخفيض كبير للفائدة في البنوك العالمية مما يعد خطوة نحو التطبيق العملي للاقتصاد الإسلامي الذي يقوم على تحريم الربا، ولم يقف الأمر عند توجه الاقتصاديين الغربيين نحو الاقتصاد الإسلامي بل نجد أن أكبر مؤسسة مسيحية بالغرب تحث الاقتصاديين على وضع أسس الاقتصاد الإسلامي في الحسبان، حيث أكد «الفاتيكان» أنه ينبغي على البنوك الغربية أن تنظر إلى القواعد المالية الإسلامية بتمعن من أجل أن تستعيد الثقة وسط عملائها في خضم هذه الأزمة العالمية».

وقالت صحيفة «الفاتيكان» الرسمية المعروفة باسم «أوسير فاتور رومانو»: «قد تقوم التعليمات الأخلاقية التي ترتكز عليها المالية الإسلامية بتقريب البنوك إلى عملائها بشكل أكثر من ذي قبل فضلاً عن أن هذه المبادئ - الإسلامية - قد تجعل هذه البنوك تحظى بالروح الحقيقية المفترض وجودها بين كل مؤسسة تقدم خدمات مالية»

وأضافت الجريدة «أن على البنوك الغربية أن تستعمل أدوات مثل السندات الإسلامية طويلة الأجل أو ما يعرف بالصكوك كضمانة إضافية».

أما خبراء الاقتصاد الإسلامي فقد أكدوا أن الحل الأمثل للأزمة المالية التي تهدد الاقتصاد العالمي يكمن في الاقتصاد الإسلامي وأن اعتراف الفاتيكان بمثالية هذا الاقتصاد دليل واضح على أمان ورسوخ قيمه الاقتصادية.

هذا وقد ردد البعض إن النظام الرأسمالي يقوم

---

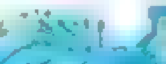
(١) أنزل الإسلام في رسالته التي تمت على محمد ﷺ وقبل ذلك اعتنقه وبشر به الأنبياء والمرسلون

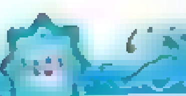
(٢) من اعتراف الوليد بن المغيرة بعد أن استمع إلى القرآن الكريم من رواه جابر

(٣) من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي

(٤) الكافر بالنعمة (المعجم)

(٥) سبقتها أزمة مالية في ثلاثينيات القرن الماضي ولكن الإنسان الغافل لا يستفيد من تجاربه





على اليد الخفية الهادفة إلى الربح بأية وسيلة في المقام الأول[6] كما أن النظام الاشتراكي يقوم على اليد الباطشة. أما الاقتصاد الإسلامي فهو اقتصاد أخلاقي وقيمي في المقام الأول، واعتراف المؤسسات والمنظمات الغربية بأن نحو ٥٦ مؤسسة نقدية إسلامية في أمريكا وأوربا كانت هي الأقل تأثراً بالأزمة إلى حد أن الأزمة لم تمسها في الأساس بالإضافة إلى توصيات لجنة الموارد في مجلس الشيوخ الفرنسي والتي أكدت ضرورة الأخذ بنظام التمويل الإسلامي لتصويب أخطاء النظام المتبع

وجدير بالذكر في هذا السياق الجدل الذي دار أخيراً في البرلمان البريطاني حول هذه الأزمة المالية العالمية حيث ارتفعت أصوات تندد بالنظام الاقتصادي الذي بدأ ظهوره في أوربا منذ حوالي ثلاثة قرون على أيدي الإنجليز ثم سار في ركاب الاستعمار الأوروبي العسكري والثقافي إلى مختلف بقاع العالم، وهو اقتصاد - كما ذكر بعض أعضاء البرلمان البريطاني - يفتقر إلى الأخلاقيات القويمة ولا سيما في آفتين هدامتين هما آفة الربا وآفة سيطرة الأقلية على المال تتصرف فيه بما يفيدها دون الأغلبية العظمى من الناس وكأن العضو الإنجليزي يردد هذا كأنما يحس بعقدة الذنب.

وكأنما بهذا الصوت الذي تردد صداه في قاعة البرلمان البريطاني يتحدث بلسان القيم المالية الإسلامية التي ترفض بشكل قاطع وحاسم عملية الربا وذلك في عدة آيات من القرآن الكريم حتى إن الذكر الحكيم هدد المتعاملين بالربا بحرب من الله ورسوله:

﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

(البقرة: ٢٧٩)

فما أبشع وما أخطر. كما كان النبي ﷺ حريصاً على تنبيه المسلمين إلى ذلك في خطبته الجامعة المانعة في عرفات في الحجة المحمدية المعروفة حتى قال عليه الصلاة والسلام «وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب»[7] فتأمل كيف قرن النبي ﷺ الربا بالجاهلية وكيف بدأ في هذا بعمه

أما الآفة الأخرى التي تردد ذكرها تحت قبة البرلمان البريطاني وهي آفة استحواذ القلة على المال دون غيرهم فكأن صاحبها كان على علم بما قرره القرآن الكريم من أن المال ينبغي ألا يكون دولة بين البعض دون غيرهم لأن وظيفة المال وظيفة إنسانية واجتماعية وليست احتكارية استغلالية قال تعالى:

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾

(الحشر: ٧)

وقد كان شيخنا الإمام محمد متولي الشعراوي يكرر في أحاديثه الشهيرة أن الشيوعية في تطرفها والرأسمالية في جنوحها مآلهما إلى الزوال أو الاضمحلال لتبقى بعد ذلك «الوسطية الإسلامية» ويبدو اليوم أن الأحداث الاقتصادية في العالم تقترب من ذلك المعنى لولا الدعاوى والأهواء فالإسلام منذ أذن الله أن ينبثق من لدنه عز وجل

(٦) كتاب [illegible]
(٧) نور اليقين: للشيخ محمد الخضري بك.

نوراً يهدي الصالحين إلى قيم العمران. عمران المادة والروح جميعاً، وعماداً لبناء الحضارات والمدنيات والثقافات الحقيقية والبناءة. نقول إن الإسلام منذ ذلك قد أصبح بذاته برهاناً على حقيقته الربانية ودليلاً على ماهيته الإلهية وأي برهان أو دليل خارج الحقيقة والماهية الإسلامية هو أمر مفتعل يصنعه المشككون والشكاكون. فإذا كانوا من غير المسلمين فهذه هي طبيعة الأشياء، وأما إن كانوا - والعياذ بالله - من المحسوبين على الإسلام والمنتسبين إليه في بطاقات الميلاد فقط فندعو رب الإسلام أن يهديهم وإيانا إلى الصراط المستقيم الذي يحقق في صدورهم أن «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات».

وهكذا ندرك أن الإسلام لم يعد - ولم يكن من قبل - في حاجة إلى المتقعرين والمتحذلقين من المستشرقين والمستغربين - مع الأسف - الذين تجري أقلامهم وتتحرك ألسنتهم بأن الإسلام هو دين الحق، وهو دين الدنيا وعمارتها ودين الآخرة ونعيمها دون أن تصدق أقوالهم على أفعالهم.

وعلى الذين يريدون - بصدق - أن يدفعوا عن الإسلام كيد الكائدين، وافتراء المفترين وحقد الحاقدين أن يكونوا هم أولاً في حياتهم مثلاً حقيقية ناطقة بالأقوال والأفعال للإسلام عقيدة صادقة وشريعة نابضة بالحق والعدل والخير، وبهذا يكونون قد استجابوا للقرآن الكريم واتخذوا من الرسول العظيم ﷺ أسوة حسنة فقد كان عليه الصلاة والسلام كما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها «كان خلقه القرآن»[8]

ثم يعلمنا - بفضل الله - كيف نستحق النجاة من مقت الحق سبحانه الذي يقول:

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

(الصف: ٣)

وليس معنى هذا أننا - حين نشيد بالنهج الإسلامي في الاقتصاد - نكون من المتكلفين بالقول إن كل ما وصل إليه الإنسان اليوم من إبداعات ومخترعات قد سبق إليها القرآن الكريم فإن هذا كلام مردود على أصحابه لأن القرآن الكريم أزلي أبدي، وما وصل إليه الإنسان محدود نسبي، ولكن يمكن القول بأن هذا مما بشر به القرآن الكريم مثل قوله تعالى في وسائل المواصلات وأسباب الاتصال:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(النحل: ٨)

وخاتمة هذه الآية تفتح أمام العقل البشري المجال لما يلهمه الله به من آلات التواصل بين الناس ومن هنا لا يكون «الهاتف النقال» مثلاً هو آخر المطاف ولا الطائرة ولا غيرها مما يقع في وهم البعض أن هذا هو غاية وسائل المواصلات والاتصالات.

ولنا في هذا أن نتأمل قوله تعالى وهو يمن على أهل مكة رزقه وخيراته سبحانه:

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(القصص: ٥٧)

إذ إن المسلم الذي ينعم عليه ربه عز وجل بزيارة البيت الحرام حجاً أو عمرة يرى من حول البيت كل ما شاهد أو لم يشاهد في أي بلد آخر من المآكل والمشرب والملبس وأسباب المدنية المختلفة كيفاً والمتعددة كماً مصداقاً لهذه الآية الكريمة: ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كافة أنحاء العالم

(٨) أحمد في مسنده ومسلم والنسائي (الجامع الصغير)

شرقه وغربه وشماله وجنوبه حتى إنك - وأنت تستقبل القبلة من بيتك في بلدك فإنما تستقبل معها العالم كله ممثلا في متجهاته ومتحركاته فتدرك أن الكعبة المشرفة لا تتوسط العالم جغرافيا فحسب بل إنها تتوسط بؤرة العالم التي يتحدر إليها من كل مكان ﴿ [illegible] ﴾.

ونعود معا إلى الشيخ الشعراوي فقد تحدث في أواسط السبعينات بحضور خطاب مدرج ومستتر لفضيلته يرحمه الله في جمعية الشبان المسلمين في الفيوم وكان ذلك في يوم مجموع له الناس. وقد تحدث عن ذكرياته عندما كان وزيرا للأوقاف حيث زار «تشيكا» للتعرف على الحالة الإسلامية هناك. وزاره هناك طبيب تشيكي قدم إليه على أنه أكبر عالم من علماء طب الأمراض الجلدية في أوربا. ويقول الشيخ: «فأردت أن أتحدث إليه لعل هذا الحديث يكشف لي عن معلومة تعينني في الدعوة»[9] فسأله - والكلام للشيخ - ماذا تسمون في الطب جرثومة مرض «الجذام»؟ فإذا بالعالم الطبيب يجيب بأن اسمها «وجه الأسد» وينطقها الإمام الشعراوي بالإنجليزية «Lion Face» واستفسر الشيخ عن سبب هذه التسمية. وهنا دعاه العالم التشيكي إلى معمله في الغد حيث أطلعه على جرثومة «الجذام» تحت «الميكروسكوب» فهال الشيخ أن الجرثومة فعلا تمثل وجه أسد يتحرك حركة دائرية ويكاد يزأر.

ويضيف الشيخ «فهتفت مهللا ومكبرا: سبحان الله وصدق رسول الله، لقد كنا كعلماء نعتقد أن النبي ﷺ عندما قال «فر من المجذوم فرارك من الأسد»[10] إنما كان يبالغ في التحذير من هذا المرض. ولكن هذا الموقف جعلني أومن أن محمدا ﷺ كان يحذر الناس من حقيقة لا مبالغة فيها ولا تهويل وكان يمكنه عليه الصلاة والسلام أن يذكر أي حيوان مفترس آخر مثل النمر أو الضبع أو غيرهما، ولكنه:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

(النجم ٣)

قال الحقيقة ولم يرد عليها لأن القوم آنذاك كانوا غير مهيئين لمثل هذه الحقائق العلمية الدقيقة.

واستطرد الشيخ: لقد كان أعظم وأدق من يفسر القرآن الكريم هو النبي ﷺ ولكنه أراد أن يفسح المجال للعقل البشري المجتهد عبر العصور تأكيدا لامتداد الدعوة وتيسيرا لفتح أبوابها باعتبارها دعوة ربانية تعمر الكون جميعا ولا تتقوقع وراء جدر فكرية سميكة يغلفها الغموض المظلم المقيت»

وصدق القادر المقتدر عز وجل القائل

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(فصلت: ٥٣)

إن آيات الله سبحانه في كافة المجالات تتجلى أمامنا عامرة بالعبر الصادقة والصور الناطقة التي تتطلب منا أبصارا مبصرة، وبصائر مستبصرة

إن اتساق المخلوق مع سنن الخالق هو أهم ما يحقق عمارة الأرض وفق الميزان الرباني الذي ذكره القرآن الكريم في سورة الرحمن

وإن المطلع على ما جاء به الإسلام أهله من تراث عظيم يرى أن هذا الدين القيم قد جاء بأحكام تتصل بالشئون الاجتماعية والسياسية والمالية وغيرها مما

(٩) كان موضوع محاضرة الشيخ لبلنت «واجب الدعوة المعاصر» طلب المزيد من علمه

(١٠) من حديث شريف رواه البخاري وأحمد في مسنده

يصلح الإنسان لعمارة الأرض ومما يصلح الأرض لخدمة الإنسان.

وقد أجمل الإسلام العظيم هذه الأحكام قصدا إذ إنه لو كان قد أتى بها مفصلة لتقيدت بها الأجيال المتعاقبة. ولأصاب الناس من ذلك عنت كبير بينما هو دين التيسير الذي يقول قرآنه الحكيم

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

ويقول رسوله الكريم ﷺ: «يسروا ولا تعسروا»[11].

وهكذا نرى النظم الإسلامية ليست نظما جامدة تقف عند جماعة خاصة أو حقبة معينة من الزمن، أو تتصحف بجدران الصوامع الصماء ولكنها نظم مرنة قد أتاح الخالق عز وجل لأصحابها حرية تكييفها وتطويعها وفق ظروفهم وأحوالهم التي خلقوا لها وخلقت لهم. وهذا من أسرار عظمة الإسلام الذي نزل من لدن الخالق الحكيم عز وجل الذي يقول:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

فالإسلام ليس دين عصر محدد من العصور وشرائعه ليست شرائع زمن محدود من الأزمنة. إنما هو «الدين المعاصر» دائما يجد أهل كل عصر فيه حاجاتهم فيستنيرون بنوره، ويهتدون بهديه.

وإذا كنا هنا بصدد الكلام عن الدور المالي والاقتصادي للإسلام في مواجهة الأزمة المالية المعاصرة التي صنعها الإنسان ضمن ما صنع من تدوث في البيئة، وتمرد على السلام، وحمق في توجيه العلم، فإنه ينبغي أن نؤكد هنا لمن يعرف ومن لا يعرف أن الإسلام قد وضع دعائم التنظيم الحديث منذ أكثر من أربعة عشر قرنا. فمثلا من الناحية المالية نجد أنه قد وضع الأصول الجوهرية لأحكم وأعدل سياسة مالية فرسم للموارد التي تؤدى إلى بيت المال ليتفق منها على كافة المصالح العمومية. وهذا يتفق مع قاعدة «عمومية الميزانية» المعروفة في المالية العامة الحديثة، كما رسم وجوه الإنفاق الرشيد[12].

وكان من اتساق الأمور أن يجتهد السلف الصالح وفق ما أراده الدين الحنيف في الكشف والاستنباط الفقهي بما يتفق وأسلوب عصرهم ومعارف زمانهم. وخلفوا لنا ميراثا غنيا تتجلى فيه عبقريات العصور والمدارس الفكرية الرائدة والأزمان المتعاقبة التي رضيت بالإسلام دينا فارتبطت به وربطته بها في مختلف مناحي الحياة، وظل الأمر يسير على الجادة إلى أن نسي الناس أو تناسوا حتى تورطوا في سوء استخدام المال وبدلا من أن يكون هذا المال - كما أراده الإسلام - وسيلة لبيع السلع وشرائها أصبح هو نفسه سلعة في الأسواق المالية تباع وتشترى إلى أن حدث ما نراه وما نعلمه، ثم اضطر المعاندون والمكابرون إلى إطلاق صيحاتهم - طوعا أو على رضا - بأنه لابد في هذه الأزمة من العودة إلى السنن الإسلامية للمال في تعاملاته «لا يصح إلا الصحيح»

وصدق الله العظيم

﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(الصف: ٨)

(١١) من حديث عن أنس - الجامع الصغير

(١٢) الدكتور محمد عبدالله العربي - نظم المالية العامة والتشريع المالي - الكتاب الأول

الأسس المشتركة بين الإعلامين الإنساني والإسلامي

في البداية يخضع «الإعلام» للتوجيه الوضعي، بينما يخضع «الإعلام الإسلامي» للتوجيه الديني. ومع ذلك فثمة أرضية مشتركة بين الإعلامين، وثمة فروق أيضا. والإعلام هو العلم الذي يدرس اتصال الإنسان اتصالا واسعا بأبناء جنسه.. اتصال وعي وإدراك، وما يترتب على عملية الاتصال هذه من أثر ورد فعل، وما يرتبط بهذا الاتصال من ظروف زمنية ومكانية وكمية ونوعية[1].

وثمة تعريف آخر لعلم الإعلام أو علم الاتصال يرى أن علم الاتصال بالجماهير هو العلم الذي يدرس الظاهرة الاجتماعية المتمثلة في اتصال الجماهير ببعضها بعد دراسة منظمة، والتي لا يمكن أن تعيش بدونها أية جماعة إنسانية أو منظمة اجتماعية[1].

أ.د. عبدالحليم عويس

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

وقد حظي تعريف «أوتوجرت الألماني» باحترام الدارسين، فقد عرف الإعلام بقوله: «الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه»[2].

وقد عرفه الدكتور عبداللطيف حمزة بقوله: «تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم»[3].

ونستطيع القول بأن الوظائف المعاصرة للإعلام يمكن النظر إليها نظرة جديدة تعتمد على التوسع الذي طرأ على وظائف وسائل الإعلام، وعلى تطور الخدمة الإعلامية في المجتمعات المعاصرة.

ومن النظر لتطور وظائف الإعلام المعاصر يمكن أن نحصرها في الوظائف التالية:

(١) د. محمد سيد محمد: المسئولية الإعلامية في الإسلام، ص ٣٩، دار الفكر العربي ط٣، مصر.

(٢) عبداللطيف حمزة: الإعلام والدعاية ص ٦٧ نشر القاهرة ١٩٧٨م، ط ٢.

(٣) عبداللطيف حمزة: المرجع السابق ص ٧٥.

١- الوظيفة الإخبارية.

٢- وظيفة التنمية.

٣- الوظيفة التربوية.

٤- وظيفة الشورى أو الوظيفة الديمقراطية.

٥- الوظيفة الترفيهية.

٦- الوظيفة التسويقية أو وظيفة الإعلانات.

٧- وظيفة الخدمات العامة[4].

والجدير بالذكر هنا أن الإعلام بمعناه العام وفي إطاره الإسلامي قد التقيا في الوظائف السابقة، مع وجود ضمانات وضوابط أكثر في الإعلام الإسلامي، فيما يتصل بمفاهيم هذه الوظائف. كما يلتقي الإعلامان أيضا في النشاط الذي يمارسه الإعلام من خلال سمات أو صفات ضرورية تجعله إعلاماً بناء لا هداماً.

وأبرز هذه الصفات والخصائص الإعلامية المشتركة ما يلي:

١- تزويد الناس بالأخبار الصحيحة.

٢- المعلومات السليمة.

٣- الحقائق الثابتة، وذلك لتكوين رأي عام حول هذه المعلومات.

٤- الموضوعية والواقعية والحياد.

٥- التعبير عن عقلية الجماهير واتجاهاتها أو ميولها العقلية والتوافق مع احتياجاتها.

٦- الوضوح، عكس الغموض، والقدرة على التعامل - والسمو - بالروح الاجتماعية والتقاليد السائدة.

٧- الصراحة لأنها تقنع القارئ أو المستمع أو المشاهد.

٨- الدقة التي توجب التوثيق، فيجب ذكر المصادر في كل حالة.

٩- الصدق في صياغة الأخبار وطرحها.

١٠- التنوير أو التثقيف للأمة.

١١- مخاطبة العقول لا الغرائز[5].

ويلتقي الإعلام بمعناه المطلق، والإعلام الإسلامي - بالضرورة - في أركان العملية الإعلامية باعتبارها ظاهرة اجتماعية[6] وهي:

المرسل أو المصدر (Source)، الرسالة (message)، الوسيلة (media)، المستقبل أو المتلقي (receiver)، التأثير (effect)، رد الفعل (feed back).

فهذه الأركان تمثل الهيكل العضوي الضروري لعملية الإعلامية، ولا يستطيع الإعلام أن يتخلى عن واحد من أعضائها.. فكلها كالجسد الواحد القائم على التشابك والتناسق.

* أما رجل الإعلام وهو المرسل أي الشخص الذي يقوم بمهمة إعداد الرسالة الإعلامية وإصدارها من خلال أية وسيلة إعلامية.. رجل الإعلام هنا يجب أن يمتلك مواصفات رجل الإعلام وهي:

١- أن يمتلك قدراً من الموهبة في مجال الإعلام.

٢- أن يكون على قدر كاف من الخبرة المهنية

(٤) د. محمد سيد محمد: المسئولية الإعلامية في الإسلام، ص ٣٨، وما بعدها بتصرف.

(٥) محمد خير رمضان يوسف: من خصائص الإعلام الإسلامي ص ١٣، ١٤ إصدار رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٤١٠هـ.

(٦) د. محمد سيد محمد: المسئولية الإعلامية في الإسلام، ص ٣٤.

على أساس علمي.

٣- أن يكون على قسط وافر من الثقافة العامة.

٤- أن يكون متفهما لقضايا المجتمع الداخلية والخارجية.

٥- أن يملك القدرة على التكيف في مخاطبة الجمهور.

٦- أن يكون الإعلامي شخصية أخلاقية.

٧- أن يكون مؤمنا بسمو رسالته[٧].

ولا خلاف بين الإعلام الإنساني العام، والإعلام الإسلامي الخاص في أهمية تحقق هذه الشروط في رجل الإعلام.. إنها شروط أساسية ضرورية لكل إعلامي، وثمة شروط أخرى تضاف إليها في رجل الإعلام المسلم المؤمن بعقيدة التوحيد وبالشريعة الإسلامية، وبالرسالة الحضارية نحو الإنسانية.

ومع ذلك فنحن - للأسف - نجد كثيراً من الإعلاميين يبيعون أنفسهم للنظم الحاكمة، فيتجهون حسب مقتضيات الوظيفة.. بل إننا نجد ما هو أدهى، وهو وجود دول تفرض على رجل الإعلام، أن يكون ظلا لها، بلا رأى، ولا شخصية.

وقد تحاسبه حساباً عسيراً على أية جملة ينطق بها لا ترضيها، وليس شرطاً أن تكون دولة نامية محكومة بعسكريين استبداديين.. فثمة دول كبيرة - مثل أمريكا - تفرض على رجل الإعلام أن يقول ما تشاء، وأن يمتنع عن ذكر الحقائق التي يعرفها، وذلك مثلما رأينا الإعلام الأمريكي الموجه، أثناء حروب أفغانستان والعراق وحرب غزة، كما نجد هذا الإعلام الأمريكي تابعاً للإعلام الصهيوني، وهذه كارثة إعلامية معاصرة، تفقد رجل الإعلام وجوده، وتجعله مجرد بوق من الأبواق.

وأيا كان الأمر؛ فإننا نجد تشابهاً كبيراً بين الإعلام الإنساني من الناحية التنظيرية، وبين الإعلام الإسلامي.

أما الظروف التي لا تسمح بالالتزام، والتي تفقد العملية الإعلامية بعض أركانها، لاسيما في ركنيها الكبيرين وهما: المرسل والرسالة. هذه الظروف يجب أن تقاوم من كل العالم، حتى تعود للإعلام مصداقيته، ويحقق رسالته، وهي رسالة علمية وعالمية معاً.

الأسس والمفاهيم الإعلامية الأساسية

في البداية لابد لنا أن نشير إلى أن تكوين الإعلامي الملتزم بالأخلاقيات - أو الإعلامي المسلم الملتزم - عمل ضروري للقيام بدور تعزيز ثقافة الوسطية - إنسانيًا - من خلال وسائل الإعلام، فوسائل الإعلام هي أدوات تنفيذية لا إرادة لها ولا وعي لديها.

وإنما يبعث فيها الإعلامي الملتزم برسالة أخلاقية وإنسانية - الروح والوعي، وذلك عندما يحسن اختيار النص الذي يقدمه، ويحسن توجيه النص توجيهاً إيجابياً حتى لا يكون النص مجرد أداة جامدة ذات طبيعة قانونية جافة، خالية من الإشعاعات والومضات الروحية.

* ومن المعروف أنه حتى وكالات الأنباء ونشرات الأخبار تخضع لتأثير الإنسان الذي يصوغها ويكيفها تكيفاً محققاً لأهدافه وعقائده.

* إن حاجتنا ماسة في الإطارين الإعلامي والإسلامي لتكوين الأطر الفنية المنتمية للأهداف الإنسانية وللثوابت الحضارية الإنسانية، حتى يستطيع التحكم في أجهزة الإعلام وقيادتها، بدلا من أن تقودنا هي بما فيها من محلي وعالمي أغلبه غث غير مفيد، أو مستورد مسموم يخفي في طياته ما يحقق الأهداف التي رسمها أعداء الإنسانية الذين يعملون على نشر الظلم والعنصرية والإلحاد، وإشاعة التيارات الهدامة وسلوكيات الأعداء وأساليب حياتهم لتحقيق أهدافهم بشكل غير مباشر ودون مواجهات عسكرية.

* ويقيني: إننا لو أنفقنا المبالغ التي نهدرها على ساعات الإرسال الفائضة عن الحاجة الحقيقية للتنمية وفق خطة مدروسة في تكوين أطر فنية واستحداث برامج ذات أهداف ومضامين إنسانية وأخلاقية ومشوقة في الوقت ذاته - لنجحنا في الاستفادة الفعلية من الإعلام، واستطعنا أن نرعى فنانين ومعسكريين وأدباء وممثلين ومخرجين ومسرحيين ومعدى برامج يكون لهم دورهم في إشاعة الثقافة وتنمية الوعي لدى جمهور المشاهدين، وحبذا أن نوجه الكثير من هؤلاء الذين يتعاملون الآن مع هذه الأجهزة وجهة إيجابية.

ومن المعروف أن كثيراً من أنصار الإنسانية والمصلحين الأخلاقيين الذين أرادوا تقديم أسس ومفاهيم - في المجالات الإعلامية والثقافية والدعوية - قد اتجهوا - في معظم توجيهاتهم - إلى التبصير بحركات الهدم للإنسانية ومخططات الأعداء الماكرة وبالغزو الفكري والإعلامي والثقافي الذي يلبس أثوابًا خادعة كالحرية والعولمة.. منفقين كثيرا من الوقت والجهد في هذا المجال، متناسين أن الأصل هو في الاتجاه إلى البناء الذاتي للإنسان والإنسانية وتكوين المجتمعات الإنسانية وتعميق مفاهيمها.. حتى لا نكون مثل ذلك الذي يبدأ في بناء البيت ببناء الأسوار وذلك لتحصين بيت لم يوجد أصلاً، لكن الشيء الطبيعي الذي تفرضه قوانين الحياة والعمل أن تنفق الإنسانية الجهد والوقت في بناء الأساس المتين لحياة إنسانية عادلة رحيمة أخلاقية.. ولا يجوز أن نبني الأسوار، قبل أن نبني البيت، فالإنسانية في حاجة ماسة إلى بناء عالم جديد يقوم على التراحم والعدل والأخلاق واحترام الدين والحقوق الإنسانية.

صراع الحضارات !!

وفي ظل عالم أصبح قرية إلكترونية لا يسمح ببناء أسوار حاجزة للإعلام المعاصر في هذه القرية الإلكترونية؛ بل إنه قادر على الدخول إلى المكان مع الهواء، وبالتالي من العبث تبديد الطاقة في شيء يجب ألا يأخذ منا إلا نسبة ١٠٪ من الجهد والوقت، وأما ٩٠٪ فتتجه إلى البناء.. بناء الإنسان الإعلامي القادر على تقديم حقائق الأشياء بطرق فنية مقبولة.. وبناء المجتمع الذي يتمتع بموقف إيجابي تجاه الإعلام الصالح، وبموقف معاكس ورافض للإعلام الفاسد.

لقد أصبح معروفاً أن هناك صراعاً بين الحضارات - على الأقل - في المستويات الإعلامية والثقافية والتربوية، فهناك حضارة مركزية تريد الهيمنة على كل الحضارات وإقصاء هويتها.. وهذا أمر لم يعد من الضروري الإلحاح أو التركيز عليه بأكثر مما يستحق، حتى لا ننسى البناء الذاتي للإنسان

(٧) حامد عبدالواحد: الإعلام في المجتمع الإسلامي ص ٣٠ طبع رابطة العالم الإسلامي بمكة ١٩٨٤م.

الإعلامي القادر والمجتمع الصالح والواعي.. فالبناء للإنسان الإيجابي، الإنساني النزعة، مرحلة يجب أن تسبق هدم أفكار الآخرين.

بنـــاء الأمـــة

وفي عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين - كنموذج وقدوة - كان العالم يعيش في ظلام دامس وعقائد مختلفة ووثنيات مسيطرة بأشكال مختلفة.. ومع ذلك فإن الرسول ﷺ والراشدين رضي الله عنهم شغلوا بالدرجة الأولى ببناء الإنسان الفرد والأسرة في مكة، وبالإنسان المجتمع والدولة في «المدينة المنورة»: وهذا المسلك النبوي يؤكد الحقيقة التي نريد تأصيلها هنا وتقديمها للإنسانية للإفادة منها - وهي أن المقاومة لأي غزو فكري يستهدف عقيدتنا لن تكون مجدية وفعالة في هذا العصر إلا إذا واكبتها - مرحلة خطيرة أساسية هي مرحلة البناء العقدي والنفسي والفكري للأمة.. وذلك أن الجراثيم المبثوثة عبر الهواء تدخل الأجسام كلها.. لكن الأجسام الضعيفة الهشة هي التي تهوي تحت ضرباتها الغازية.

* ونؤكد أيضًا أنه لا مجال لفرض ستار حديدي على الأفكار مهما كان قساوتها، ومهما كان حرص أية دولة على مقاومتها.

- كما أنه من البديهيات كذلك أن الخير والشر - بشتى صورهما - موجودان بدرجات (ما) في شتى العصور وشتى المجتمعات.. وكل هذا يؤكد الحقيقة الحضارية التي أشرنا إليها، وهي أنه لابد من اهتمام متوازن بين عمليات البناء العقدي للأمة - أية أمة - وعمليات المقاومة للأخطار الوافدة.. وكثيراً ما علمنا التاريخ أن حضارات كثيرة لم تسقط لمجرد غزوات خارجية، فكرية أو مادية، وإنما تسقط الحضارة - بالضرورة - حين تنشق من داخلها وتخرب أبنيتها:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٥٣)

ولئن كنا نردد دائماً تلك العبارات التي تؤكد قدرة الإسلام - مثلاً - على مواجهة كل تحديات العصر، وعلى وقاية أبنائه من كل التيارات الهدامة[٨] التي أصبح العالم يموج بها، وعلى معالجة مشكلات الفكر والوجدان والجسم والمشكلات الاجتماعية والأخلاقية[٩] فإن هذه الحقيقة لا تتجسد إلا بإخراجها من النطاق النظري المجرد إلى مخططات ومناهج علمية قابلة للتنفيذ والتطبيق، وانطلاقاً من فلسفة إنسانية إعلامية متكاملة البناء «الأيديولوجي» لتواجه الأيديولوجيات والفلسفات المهددة للحضارة الإنسانية، وتنير الطريق أمام هذه الأجيال التي تعيش عصراً كثرت فيه الفتن والمغريات وطغت المادية وانتشر الإلحاد. وبالتالي أصبح المستقبل الإنساني محفوفاً بالخطر، وتوشك سفينة الإنسانية - في ظل هذه الأوضاع وغيرها - على الغرق!!

- إن عملية البناء الذاتي هذه هي أهم مرحلة من مراحل المقاومة للفكر الفاسد، بل هي أهم مراحل المقاومة على الإطلاق.. إنها الأساس الذي تقف عليه مراحل المقاومة الأخرى.. ومن هنا يجب أن يكون ماثلاً في وعي الإعلامي الملتزم بعامة والمسلم بخاصة قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)

وتجربة الرسول الأعظم في بناء الإنسان والمجتمع في مكة والمدينة.. تؤكد أنه من الواجب أن تشع كل إبداعات الإعلام - في نطاقه الإنساني - وكل صور أدائه مرتبطة بقانون تغيير ما بالنفوس إلى التي هي أقوم.. والإعلام الإسلامي يجب أن يكون الرائد والقدوة للعالم كله في ذلك.

وسواء كان «الإعلام» - إعلاماً مطلقاً - أو إسلامياً، فإن الطبيعة الإعلامية تلتقي في وظائف أساسية - تمثل قوام العملية الإعلامية - مع الإعلام الملتزم، إسلامياً أو غير إسلامي - ومن هذه الوظائف القيام بمراقبة البيئة المحيطة، والعمل على ترابط أجزاء المجتمع ووحدته في مواجهة البيئة، والاهتمام بنقل التراث الثقافي عبر الأجيال المتتالية.

* ويضاف إلى هذه الوظائف وظيفة التسلية أو الترفيه، في إطار ترويحي وأخلاقي وتربوي، وهناك - أيضاً: وظائف التعزيز والمساندة والتعليم والحفاظ على أخلاقية الإعلان التجاري.

- ويؤكد هذا التطور المتواصل لوظائف الإعلام في المجتمعات الحديثة أن الوسيلة الإعلامية غدت مؤسسة اجتماعية تمارس دوراً كاملاً، في حياة أفراد المجتمع مثل بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

وبالتالي، ففي ظل هذه الوظائف العديدة والمتنامية لوسائل الإعلام الجماهيرية يتعاظم تأثير هذه الوسائل - بوصفها مؤسسة اجتماعية فاعلة - على الأفراد والجماعات[١٠].

الوعي والتنشئة والاتصال الإنساني

وانطلاقاً من هذه الرؤية الإعلامية التنظيرية يمكننا اختيار ثلاث مهمات للتوظيف والتأثير الإعلامي، لمعرفة مدى ما يمكن أن تسهم به وسائل الإعلام في مجال إبراز وترسيخ المعطيات الحضارية الإنسانية والأخلاقية في المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الأخرى.

وهذه المهمات هي:

أولاً: مهمة تشكيل الوعي المرتبطة بعمليات صناعة الرأي العام.

ثانياً: مهمة التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي، المرتبطة بعمليات تغيير المواقف إلى الصواب وبلورة السلوكيات بين أفراد المجتمع وبخاصة الأطفال والناشئة منهم.

ثالثاً: مهمة التبليغ والاتصال الإنساني[١١] التي تستهدف إبلاغ رسالة الحق والخير والهدى للآخرين، وتوضيح الحقائق.

---

(٨) عبدالمعطي محمد بيومي: أحمد عبدالحميد الشاعر: الإسلام والتيارات المعاصرة. الطبعة الأولى، القاهرة، دار الطباعة المحمدية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ١٥٤ وما بعدها. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الطبعة الأولى، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي: ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م) ص ١٥ وما بعدها.

(٩) الجهني مانع: الثقافة الإسلامية وأثرها في مجال الإعلام، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، بحوث ووقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض في ٢٣ من شوال ١٣٩٩هـ - ١٦ من أكتوبر ١٩٧٦م، الطبعة الثانية ص ٣٤٣، سنة ١٤٠٥هـ.

(١٠) د. عبدالقادر طاش: الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي - ص ٢٢ - مكتبة العبيكان ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(١١) د. عبدالقادر طاش: الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي - ص ٩٢ (بتصرف).

الإعلامي القادر والمجتمع الصالح والواعي.. فالبناء للإنسان الإيجابي، الإنساني النزعة، مرحلة يجب أن تسبق هذه الأفكار الأخرى.

بناء الأمة

وفي عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين - كنموذج وقدوة - كان العالم يعيش في ظلام دامس وعقائد محتة ووثنيات مسيطرة بأشكال مختلفة. ومع ذلك فإن الرسول ﷺ والراشدين رضي الله عنهم شغلوا بالدرجة الأولى ببناء الإنسان الفرد والأسرة في «مكة»، وبالإنسان المجتمع والدولة في «المدينة المنورة». وهذا المسلك النبوي يؤكد الحقيقة التي نريد تأصيلها هنا وتقديمها للإنسانية للإفادة منها - وهي أن المقاومة لأي غزو فكري يستهدف عقيدتنا لن تكون مجدية وفعالة في هذا العصر إلا إذا واكبتها - مرحلة خطيرة أساسية هي مرحلة البناء العقدي والنفسي والفكري للأمة وذلك أن الجراثيم المبثوثة عبر الهواء تدخل الأجسام كلها. لكن الأجسام الضعيفة الهشة هي التي تهوي تحت ضرباتها المدمرة.

• ويؤكد البعض أنه لا مجال لفرض ستار حديدي على الأفكار مهما كان فسادها. ومهما كان حرص أية دولة على مقاومتها.

- كما أنه من البديهيات كذلك أن الخير والشر - بشتى صورهما - موجودان بدرجات (ما) في شتى العصور وشتى المجتمعات. وكل هذا يؤكد الحقيقة الحضارية التي ألمحنا إليها - وهي أنه لابد من اعتماد متوازن بين عمليات البناء العقدي للأمة - أية أمة - وعمليات المقاومة للأخطار الوافدة.

وكثيراً ما علمنا التاريخ أن حضارات كثيرة لم تسقط لمجرد غزوات خارجية، فكرية أو مادية، وإنما تسقط الحضارة - بالضرورة - حين تتشقق من داخلها وتخرب أسسها:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال ٥٣)

ولئن كنا نردد دائماً تلك العبارات التي تؤكد قدرة الإسلام - مثلاً - على مواجهة كل تحديات العصر، وعلى وقاية أبنائه من كل التيارات الهدامة[٨] التي أصبح العالم يموج بها، وعلى معالجة مشكلات الفكر والوجدان والجسم والمشكلات الاجتماعية والأخلاقية[٩] فإن هذه الحقيقة لا تتجسد إلا بإخراجها من النطاق النظري المجرد إلى مخططات ومناهج علمية قابلة للتنفيذ والتطبيق، وانطلاقاً من فلسفة إنسانية إعلامية متكاملة البناء «الأيديولوجي» لتواجه الأيديولوجيات والفلسفات المهددة للحضارة الإنسانية، وتنير الطريق أمام هذه الأجيال التي تعيش عصراً كثرت فيه الفتن والمغريات وطغت المادية وانتشر الإلحاد، وبالتالي أصبح المستقبل الإنساني محفوفاً بالخطر، وتوشك سفينة الإنسانية - في ظل هذه الأوضاع وغيرها - على الغرق!!

إن عملية البناء الذاتي هذه هي أهم مرحلة من مراحل المقاومة للفكر الفاسد، بل هي أهم مراحل المقاومة على الإطلاق. إنها الأساس الذي تقف عليه مراحل المقاومة الأخرى.. ومن هنا يجب أن يكون ماثلاً في وعي الإعلامي الملتزم بعامة والمسلم بخاصة قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد ١١)

وتجربة الرسول الأعظم في بناء الإنسان والمجتمع في مكة والمدينة، تؤكد أنه من الواجب أن تشع كل إبداعات الإعلام - في نطاقه الإنساني - وكل صور أدائه مرتبطة بقانون تغيير ما بالنفوس إلى التي هي أقوم. والإعلام الإسلامي يجب أن يكون الرائد والقدوة للعالم كله في ذلك.

وسواء كان «الإعلام» إعلاماً مطلقاً - أو إسلامياً، فإن الطبيعة الإعلامية تلتقي في وظائف أساسية - تمثل قوام العملية الإعلامية - مع الإعلام بمفهومه إسلامياً أو غير إسلامي - ومن هذه الوظائف القيام بمراقبة البيئة المحيطة، والعمل على ترابط أجزاء المجتمع ووحدته في مواجهة البيئة، والاهتمام بنقل التراث الثقافي عبر الأجيال المتتالية.

• ويضاف إلى هذه الوظائف وظيفة التسلية أو الترفيه، في إطار ترويحي وأخلاقي وتربوي، وهناك - أيضاً - وظائف التعزيز والمساندة والتعليم والحفاظ على أخلاقية الإعلان التجاري.

ويؤكد هذا التطور المتواصل لوظائف الإعلام في المجتمعات الحديثة أن الوسيلة الإعلامية غدت مؤسسة اجتماعية تمارس دوراً كاملاً في حياة أفراد المجتمع مثل بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

وبالتالي - ففي ظل هذه الوظائف العديدة والنامية لوسائل الإعلام الجماهيرية يتعاظم تأثير هذه الوسائل - بوصفها مؤسسة اجتماعية فاعلة على الأفراد والجماعات[١٠]

الوعي والتنشئة والاتصال الإنساني

وانطلاقاً من هذه الرؤية الإعلامية المتطورة يمكننا اختيار ثلاث مهمات للتوظيف والتأثير الإعلامي، لمعرفة مدى ما يمكن أن تسهم به وسائل الإعلام في مجال إبراز وترسيخ المعطيات الحضارية الإنسانية والأخلاقية في المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الأخرى.

وهذه المهمات هي:

أولاً: مهمة تشكيل الوعي المرتبطة بعمليات صناعة الرأي العام.

ثانياً: مهمة التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي، المرتبطة بعمليات تغيير المواقف إلى الصواب وبلورة السلوكيات بين أفراد المجتمع وبخاصة الأطفال والناشئة منهم.

ثالثاً: مهمة التبليغ والاتصال الإنساني[١١] التي تستهدف إبلاغ رسالة الحق والخير والهدى للآخرين، وتوضيح الحقائق

(٨) عبدالمعطي محمد بيومي، أحمد عبدالحميد الشاعر: الإسلام والتيارات المعاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الطباعة المحمدية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ١٥٤ وما بعدها. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الأولى، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي: ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ١٥ وما بعدها.

(٩) فهمي قرة: «الثقافة الإسلامية وأثرها في مجال الإعلام»، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، بحوث ووقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض في ٢٣ من شوال ١٣٩٦هـ - ١٦ من أكتوبر ١٩٧٦م، الطبعة الثانية ص ٣٤٣، سنة ١٤٠٥هـ.

(١٠) د. عبدالقادر طاش: الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي، ص ٢٢ - مكتبة العبيكان ط ١ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م

(١١) د/ عبدالقادر طاش: الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي - ص ٩٢ (بتصرف).



قراءة إيمانية في كتاب الكون والحياة

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

١- خلق الإنسان.. علمه البيان

ليس الدور الذي تلعبه اللغة في حياة الفرد والجماعة منحصرا في القدرة على الإبلاغ وتوصيل المعاني المجردة، فتلك أهداف يمكن أن تؤدى حتى في غياب اللغة، ولكن اللغة هنا تمثل أولى درجات تميز الكائن البشري على ما عداه من الكائنات، ولعل هذا يبدو في عدها الميزة الأولى التالية لخلق الإنسان نفسه في التعبير القرآني:

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

(الرحمن: ١-٤)

فالامتنان بالبيان يأتي مباشرة بعد نعمة الخلق ذاتها، وهذه الهبة يتم اكتسابها التدريجي مع النمو الأول خلايا الطفل في شهور عمره الأولى، من خلال لبن الأم وصوتها، ومن هنا جاء مصطلح «لغة الأم» الذي نطلقه دائماً على اللغة التي تلقاها الإنسان بفطرته وغريزته، وتعلمها كما تعلم الأكل والشرب والمشي، ربما بدون جهد إرادي منه، ولكن من خلال الاستجابة الغريزية لدوافع البقاء والتحضر، ولغة الأم هذه تكاد تعاصر في تخلقها في الكائن البشري نفسه مرحلة تخلُّق خلايا المخ والذاكرة، وأوعية الاحتفاظ بالمشاعر ذاتها، ولهذا فإن لغة الأم تصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصية صاحبها، وتظل حتى وإن زاحمتها لغات أخرى فيما بعد، هي أقرب اللغات للتعبير عن الخلجات العميقة إرسالاً واستقبالاً، على اختلاف ميادين الإرسال والاستقبال"[1]

وربما يظن البعض أن المحادثة والكلام بلغة ما أمر عادي، ولا يفطن الكثيرون إلى إعجاز هذه النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان، ففي اللحظة التي يريد فيها الإنسان أن يتكلم تصل من الدماغ سلسلة من الأوامر إلى الحبال الصوتية واللسان، ومن هناك إلى عضلات الفكين. إن المنطقة التي تحوي أنظمة الكلام في الدماغ ترسل الأوامر الضرورية لكل العضلات التي تقوم بواجباتها أثناء الكلام على النحو الذي هيأه الخالق لإحداث النطق وتعليم البيان. واللسان هو هذا الجسم اللحمي المستطيل المتحرك في الفم والذي يستخدم في التكلم والتذوق والبلع والمضغ، كما أن اللسان هو اللغة، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾

(إبراهيم: ٤)

وقوله:

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾

(الشعراء: ١٩٤- ١٩٥)

وقوله

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾

(الأحقاف: ١٢)

وقوله:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾

(مريم: ٩٧)

وقوله:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾

(الروم: ٢٢)

ويقال لمن عجز عن الكلام، ولمن لا يفصح: أبكم. قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

(النحل: ٧٦)

والمقصود من المثل الاستدلال بعدم تساوي هذين المذكورين، على امتناع التساوي بينه سبحانه، وبين ما يجعلونه شريكاً له من الأصنام وأنواع المعبودات. ويلاحظ الربط على الدوام بين الصمم والبكم في التعبير القرآني، فإن ملكة الكلام لابد لها من ملكة السمع، وإلا فكيف للإنسان أن يتعلم ما يتعلق به من كلام؟

وقد يكون البكم كاملاً كهذا الذي يصحب حالات الصمم الكامل، أو يكون من أمراض الكلام التي تعرف بالعِيّ، وهذه ذات أنواع، فقد تكون القدرة الذهنية على صوغ الكلام سليمة لكن جهاز الأداء مختل إما في المسالك العصبية أو العضلات الكلامية أو العضلات التنفسية أو الحنجرة، فيجد صعوبة في إبراز الكلام، وقد يسيل لعابه أو يشرق، ولكن قد تكون ملكة الصياغة نفسها مصابة فيشعر أنه لا يجد الكلمات المعبِّرة، أو يجري بكلام غير مترابط، أو يسقط من الحديث كلمات أو ينطقها خطأ، أو يهرف بما لا معنى له، وقد يتزامن النوعان ويتشابكان، وأسباب هذه الحُبسة الكلامية كثيرة، ومواطنها متعددة، فقد تكون في العصب الأعلى أو الأسفل، أو في المخيخ، أو الجهاز الهرمي، أو

---

(١) د. أحمد درويش، إنقاذ اللغة.. إنقاذ الهوية.. تطوير اللغة العربية. نهضة مصر، ٢٠٠٦م

خارج الجرمي، أو مناطق متعددة من المخ[٢].

٢- من آيات الله في السماء:

يقول الله - تعالى - في قرآنه الكريم:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: ٥٣)

ومن آيات الله في السماء كوكب المشترى الذى تزيد كتلته على ضعف مجموع كتل الكواكب الأخرى في المجموعة الشمسية، كذلك يبلغ حجمه ٣١٨ مرة مثل حجم الأرض، ولهذا يطلق عليه «عملاق» كواكب المجموعة الشمسية، ويمكن لمن يرصده أن يتمتع بمنظره البهيج عندما يراه يتلألأ في الليالي الصافية.

وقد اكتشف العلماء أن لكل كوكب يومه وعامه الخاصين به طبقاً لسرعة دورانه حول نفسه وحول الشمس، فاليوم على كوكب الزهرة مثلاً يعادل ٢٤٢ يوماً على الأرض، بينما تعادل السنة على الزهرة ٢٢٥ يوماً على الأرض، أى أن الفصول الأربعة على كوكب الزهرة تتعاقب كلها خلال يوم واحد من أيامه، لأن يوم الزهرة يعادل سنة تقريباً، أما اليوم على كوكب المشترى فيعادل عشر ساعات على الأرض، والسنة على المشترى تعادل ١٢ سنة أرضية، ولتبسيط ذلك نقارن بين عمرى طفلين مولودين في لحظة واحدة، أحدهما على الأرض والآخر - فرضاً - على المشترى، فإن الأول عندما يصل إلى سنّ الستين على الأرض، يكون عمر الثاني خمس سنوات من سنوات المشترى.

وكتلة المشترى الكبيرة تجعل جاذبيته للأشياء أكبر مرتين ونصف تقريباً من جاذبية الأرض، وهذا معناه أن جسما يبلغ وزنه خمسة وأربعين كيلو جراماً على الأرض يتضاعف وزنه مرتين ونصف تقريباً عندما يوجد على سطح المشترى، أما المسافة الفاصلة بين كوكب المشترى والشمس فتبلغ في المتوسط ٧٧٧ مليون كيلو متر، أى ما يزيد على خمسة أمثال المسافة بين الأرض والشمس، ولذلك فإن ما يصل إليه من الأشعة الشمسية لا يكفى لتدفئة جوانبه، فلا تبلغ درجة حرارته العظمى سوى ١١٧ درجة مئوية تحت الصفر، أما الدرجة الصغرى هناك فلا تزيد على ١٨٤ م تحت الصفر، وهذه درجات من البرودة لا نعهدها على كوكب الأرض حتى في أقصى المناطق الثلجية.

وكان العلماء حتى عهد قريب يصنفون المشترى على أنه كوكب غير أرضى نظراً لعدم تمكنهم من إثبات وجود القشرة الصلبة التى تغلف نواته، مثلما هى الحال مع الكواكب عطارد والزهرة والأرض والمريخ لكن التحاليل الدقيقة للصور الفضائية المأخوذة حديثاً في رحلات مركبات الفضاء «بيونير - ١٠ و ١١»، و«فوييجر - ١ و ٢» قد مكنت العلماء من الاستدلال على وجود أرض صلبة تعادل في كتلتها عشرة أمثال كتلة كوكب الأرض.

ومن فضل الله علينا، نحن أهل الأرض، أن سخر الكواكب الكبيرة لحماية الأرض من المذنبات والأحجار الشاردة وكان آخر هذه الحوادث في عام ١٩٩٤ م، حينما تمكن الكوكب العملاق من اصطياد أحد المذنبات المعروف باسم «شوميكر»

(٢) قاموس القرآن الكريم، معجم الطب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت: ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م

فأسقطه وأشعله هناك في الفضاء الخارجي قبل أن يصل إلى الأرض، وحدث بذلك انفجار هائل يعادل في قوته عدة عشرات الملايين من القنابل النووية.. فسبحان الله العظيم الذى جعل حياتنا على الأرض محمية من كل أذى.. وهو وحده القادر على ذلك.

٣- هذا خلق الله:

أخبر الله - تعالى - في قرآنه الكريم بقصة الهدهد عندما أخبر سيدنا سليمان عليه السلام بما تفعله بلقيس ملكة سبأ هى وقومها من السجود لغير الله، والهدهد طائر جميل هادئ الطبع، يبلغ متوسط طوله ٢٨ سم، وتوجد على الجناحين والذيل وكذلك طرف التاج، خطوط سود وبيض مميزة، وريش التاج طويل ويمكن ضمه أو نشره على شكل مروحة عند الشعور بالخطر، كما أنه يُصدر هسيساً عالياً عندما يقترب منه عدو من جوارح الطير.

وفى الغالب يبدو الهدهد مرفوع الرأس عالياً ليظهر منقاره الحاد المقوس الطويل، كما يقوم بنشر جناحيه الكبيرين المستديرين ورفرفتهما عند الطيران الذى يشبه طيران الفراشات، ويعيش الهدهد منفرداً أو في أزواج، وله رجلان متوسطتا الطول، تحمل كل منهما ثلاثة أصابع أمامية وإصبعاً خلفياً، وكلها ذوات مخالب حادة مقوسة.

ويعيش الهدهد في المناطق الزراعية والغابات الدفيئة في كل من أوربا وآسيا وأفريقيا، وتهاجر الجماعات التى تعيش في الشمال إلى أفريقيا الاستوائية عندما تنخفض الحرارة في فصل الشتاء، ويفضل الهدهد الحياة بجوار الأنهار والبحيرات وينابيع المياه، وينشط نهاراً لالتقاط الحشرات ويرقاتها من التربة مما جعل الناس في المناطق الزراعية يطلقون عليه لقب «صديق الفلاح».

وعش الهدهد عبارة عن حفرة ضحلة في جذع شجرة، أو بين ما على الأرض من صخور يبطنها بطبقة رقيقة من القش أو النباتات المتحللة، وبعد التزاوج تضع الأنثى من بيضتين إلى تسع بيضات مرة أو مرتين كل صيف، ويكون لون البيض بين الأصفر والزيتونى.

وتبدأ الأم في حضانة بيضها بعد وضعها بيضتها الأولى مباشرة، وتستمر في ذلك لمدة ستة عشر يوما، وبعد الفقس تقوم رعاية الأبوين للصغار نحو ٢٧ يوماً ثم تعتمد بعد ذلك على نفسها.

هذا هو طائر الهدهد وخصائصه كما يراها علماء البيولوجيا، أما منطقه فهو سرّ من أسرار خلقه، كشفه الله - تعالى - لنبيه سليمان عليه السلام الذى عُلّم منطق الطير، فأحاطه الهدهد بما لم يحط به من أمر ملكة سبأ وقومها الذين يسجدون للشمس من دون الله، قال تعالى:

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۞ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۞ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۞ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۞ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾

(النمل: ٢٠ - ٢٨)



شعر:
السيد الصديق حافظ

الجودُ معدنُك، وخيلك تسبقُ ... كرمٌ كريمٌ ليس فيه تملُّقُ!

في كلِّ يومٍ للمكارمِ موعدٌ ... ومفاخرٌ يزهى بهنّ ويرتقى!

هذي الجفانُ وتلك ساحةُ حيّهِ ... بالضيفِ عامرةٌ تموجُ وتفهقُ!

وجهُ الكريمِ لهُ رُواءٌ مبهجٌ ... وحديثه عذبُ الموارد شيّقُ!

سمحُ الخليقةِ باسمٌ متهلّلٌ ... يلقى الضيوفَ ووجههُ يتألّقُ!

وعلى وجوهِ الممسكين كآبةٌ ... تُوحي بهمٍّ وصدورُهم تتمزّقُ!

من يُوقَ شُحَّ النفسِ عاش مكرّمًا ... ويبوءُ بالخزي البخيلُ ويُمحَقُ!

إنّا نزلنا في رحابك ساعةً ... قلبُ الزمان لمثلها يتشوّقُ!

في ظلّ دانية القطوف رحيبة ... الروحُ والريحانُ فيها يعبقُ!

يحنو النخيلُ على الضيوف مرحّبًا ... ويكادُ يرقصُ دوحُها ويصفّقُ!

دارُ الكريمِ كريمةٌ أرجاؤها ... شماءُ يعلوها الجلالُ ويسمقُ!

عطريّةُ النفحاتِ طيبةُ القِرى ... حسناءُ تفرحُ بالضيوفِ وترفقُ!

دارٌ بمسجدِها القلوبُ تواثبتْ ... ولها بمسجدها هوًى وتعلّقُ!

الضيفُ في طهريّنٍ ساحةُ مسجدٍ ... أو مسجدٍ وهما بمثلك أخلقُ!

إنّي بدارِك سابحٌ ومسبِّحٌ ... نفسي تصيحُ بها وجسمي المرهقُ!

يا مسبحًا فيه القلوبُ سابحةٌ ... كاللازوردِ غزيرةٌ تتدفقُ!

هل تغسلُ الأمواهُ[1] كلَّ مكابرٍ ... وتُذيبُ أدرانَ الغرورِ وتمحقُ؟!

جاءوا إليكَ نفوسُهم تواقةٌ ... ظمأى إلى مُلقى النمير تشوّقُ!

خلعوا لديكَ – عدا الحياءِ – ثيابَهم ... وبلُجّكَ انتزعوا العناءَ وأغرقوا!

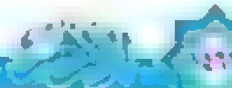
حتى إذا طعموا وتمّ نديُّهم ... صعدوا إلى أفقِ البيانِ وحلّقوا

وشدا بشعري صادحٌ مترنّمٌ ... نمّتْ لهُ الحسنى وصحّ المنطقُ!

فلتبقَ دارُ الجودِ شامخةَ الذُّرا ... طولَ الزمانِ جديدُها لا يَخلَقُ!

---

(١) الأمواه: جمع ماء وقد وردت في قول المتنبي:
وأمواهٌ تصلُّ بها حصاها ... صليلَ الحَلْيِ في أيدي الغواني



رفع الملام عن شيخ الإسلام

وبعد هذه الاشارات الى موقف شيخ الاسلام ابن تيمية. وخياراته الفكرية و لفقهية. ندرك الحاجة الماسة الى اعادة قراءة تراثه قراءة واعية ومتكاملة. لا لانصافه فقط - وتلك فريضة فكرية -وانما لاعادة مشروعه التجديدى كى يفعل فعله المناسب فى يقظة الأمة الإسلامية من جديد.

ويزيد من اهمية هذه القضية انصاف الرجل.. والدعوة الى الاستفادة من تراثه الفكرى - ان ائمة الصحوة الإسلامية واعلام الاحياء الاسلامى الحديث قد وقفوا هذا الموقف من تراث شيخ الاسلام.. الامر الذى يدل على ان تراثه الغنى قد كان حاضرا وفاعلا فى فكر هؤلاء الأئمة الأعلام.

■ فالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده «١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩- ١٩٠٥م» قد دعا إلى إنصاف ابن تيمية من افتراءات خصومه.. ووصفه بأنه «أعلم الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين».. وذلك عندما تحدث عن الظلم الذى لحق عددا من أئمة الإسلام وعلمائه.. من مثل حجة الإسلام الغزالى «٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨- ١١١١م» الذى أحرقت كتبه فى «غرناطة» فى عصر المرابطين «٤٨٣ - ٥٤١ هـ ١٠٩٠ - ١١٤٧ م».. وشيخ الإسلام ابن تيمية، الذى قال عنه الأستاذ الإمام:

«لقد قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين فى ابن تيمية - وهو أعلم الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين - : إنه ضال مضل، وجاء على أثر هؤلاء مقلدون يملأون أفواههم بهذه الشتائم، وعليهم إثمها وإثم من يقفوهم بها إلى يوم القيامة.»[1].

أما عن تأثير ابن تيمية فى حركة الإصلاح الإسلامى بالمغرب العربى.. فإن الشيخ محمد البشير الإبراهيمى «١٣٠٦ - ١٣٨٥ هـ ١٨٨٩- ١٩٦٥م» يشير إليه فى مواطن عديدة من آثاره الفكرية، فيقول عن الأئمة الأعلام الذين نهجوا رواد هذا الإصلاح الإسلامى الحديث، والذين أناروا الطريق فى مواجهة الفكر الخرافى المتحالف مع الاستعمار والسحق الحضارى:

«ومازلنا نلمح وراء كل ناجية فى تاريخ الإسلام نجما يشرق، ونسمع بعد كل خفتة فيه صوتا يخرق، من عالم يعيش شاهدا، ويموت شهيدا، ويترك بعده ما تتركه الشمس من شفق يهدى السارين المدلجين إلى حين.. وما علمنا فيمن قرأنا أخبارهم، وتقفينا آثارهم من علماء الإسلام، مثلا شرودا فى شجاعة النزال بعد الحافظ الربيع ابن سالم، عالم الأندلس.. ولا علمنا فيهم مثالا فى شجاعة الرأى العام أكمل من الإمام أحمد بن تيمية.. فقد شنها حربا شعواء على البدع والضلالات أقوى ما كانت رسوخا وشموخا، وأكثر أتباعا وشيوخا، يظاهرها الولاة القاسطون ويؤزرها العلماء المتساهلون المتأولون.

وقد ادخر الله لهذا العصر الذى تأذن فجر الإسلام فيه بالانبلاج، الواحد الذى يذ الجميع فى شجاعة الرأى والفكر وقوة العلم والعقل، وجرأة اللسان والقلب، وهو محمد عبده، فهز النفوس الجامدة، وحرك العقول الراكدة، وترك دويا ملأ سمع الزمان، وسيكون له شأن»[2].

ثم ينبه الشيخ البشير الإبراهيمى - من موقع الرجل الثانى فى حركة الإصلاح الإسلامى - بالجزائر إلى دور فكر شيخ الإسلام ابن تيمية - مع فكر الشيخ محمد عبده - فى تبلور بواكير هذا الإصلاح الدينى - الذى واجهت به جمعية العلماء المسلمين بالجزائر - تحالف «الطرقية والاستعمار الفرنسى» فيقول:

«إنهم، قبل أن يظهر الإصلاح بهذا الوطن، وتلهج الألسنة باسمه، كانوا يلعنون ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م) وابن حزم (٣٨٤- ٤٥٦ هـ ٩٩٤- ١٠٦٤م)، ومحمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩- ١٩٠٥م)، وغيرهم من أئمة الإسلام الذين جهروا بإنكار البدع، فلما ظهر الإصلاح بالمظهر الفردى كان أمضى سلاح يقاومونه به قولهم: «تيمى، عبداوى»! نسبة إلى ابن تيمية ومحمد عبده!»[3].

ثم يتحدث عن دور مجلة «المنار» للشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) وكتب ابن تيمية وابن القيم (٦٩١- ٧٥١هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م)، والشوكانى

(١) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جـ ٣ ص ٣٥٩ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة دار الشروق القاهرة ١٩٩٣م.

(٢) «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمى» جـ ٤ ص ١٢٣. جمعها وقدم لها: د. أحمد طالب الإبراهيمى. طبعة بيروت ١٩٩٧م.

(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ١٢٧

(١١٧٣ - ١٢٥٠هـ ١٧٦٠ - ١٨٣٤م) في هذا الإصلاح الديني. فيقول:

«ويضاف إلى هذا قراءة «المنار». واطلاع بعض الناس على كتب المصلحين القيمة. ككتب ابن تيمية وابن القيم والشوكاني. فهذا عامل له أثره في التمهيد للدعوة الإصلاحية»

أما رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر الإمام عبد الحميد بن باديس (١٣٠٨ - ١٣٥٩هـ ١٨٨٩ - ١٩٤٠م). فإنه يعيد نشر محاضرة الأستاذ محمد كرد علي (١٢٩٢ - ١٣٧٢هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٣م) عن الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ - ١٣٣٨هـ ١٨٥٢ - ١٩٢٠م)

«لقد ولع في صباه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية. وكانت جمهرة الفقهاء في عصره تكفر ابن تيمية تعصبا وتقليدا لمشايخهم. فلم ير الشيخ طاهر الجزائري لتحبيبهم بابن تيمية إلا نشر كتبه بينهم من حيث لا يدرون! فكان يستنسخ رسائله وكتبه ويرسلها مع من يبيعها في سوق الوراقين بأثمان معتدلة. لتسقط في أيدي بعضهم فيطالعوها. وبذلك وصل إلى غرضه من نشر آراء شيخ الإسلام التي هي لباب الشريعة»

■ وكما رأت الدعوة الإصلاحية - ببلاد المغرب الإسلامي - في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية «لباب الشريعة الإسلامية». كذلك رأت فيه حركة الصحوة الإسلامية ببلاد المشرق الإسلامي - في القارة الهندية - أبرز المجددين في التاريخ الوسيط لأمة الإسلام.

ففي دراسة العلامة أبو الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩م) لتاريخ تجديد الدين الإسلامي وإحيائه. عرض لمشاريع التجديد وإنجازات المجددين. وأجرى دراسة نقدية - ومقارنة - بين هؤلاء المجددين. وفي دراسته المقارنة بين حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م) وبين شيخ الإسلام ابن تيمية. رجح المودودي كفة شيخ الإسلام على كفة حجة الإسلام. وكتب يقول:

«لقد تخللت عمل الغزالي التجديدي - مع عظمته التي أكسبته صفة «حجة الإسلام» - نقائص من الجهة العلمية والفكرية. تنقسم على ثلاثة أنواع:

نوع منها كان مأتاه ضعف الإمام في علم الحديث.

والنوع الثاني. كان منشؤه استيلاء العلوم العقلية على ذهنه.

والنوع الثالث. وقع في أعماله لميلانه المتطرف إلى التصوف..».

وبعد هذا النقد لمشروع الغزالي التجديدي. تحدث المودودي عن مشروع ابن تيمية لتجديد الدين وإحيائه. فرآه «قد وفق في توسيع دائرة العمل الذي تركه الإمام الغزالي بوجه أحسن وأتم. فهو:

أولا: نقد المنطق والفلسفة اليونانية انتقادا أشد وأدق مما فعله الإمام الغزالي.

وثانيا. أقام من الأدلة والبراهين على استقامة عقائد الإسلام. وأحكامه وقوانينه ما كان يفوق أدلة الإمام الغزالي سوعا في العقل وأحوى منها لروح الإسلام

وثالثا. لم يجتزئ برفع النكير على التقليد الجامد فحسب. بل ضرب المثال بمزاولة الاجتهاد على طريقة المجتهدين من القرون الأولى.

رابعا: جاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق جهادا قويا عنيفا. ولاقى في سبيل ذلك أعظم المصائب.

ومضافا إلى هذا العمل التجديدي. جاهد بالسيف همجية التتار ووحشيتهم..».

ولا ينسى المودودي - مع هذا الإعجاب بشيخ الإسلام ابن تيمية - أن ينبه على الثغرة التي أضعفت مشروعه التجديدي. وهي افتقاره إلى «السلطة السياسية» التي تضعه في الممارسة والتطبيق. فابن تيمية - برأي المودودي «لم يوفق لبعث حركة سياسية في المسلمين. يحدث بها الانقلاب في نظام الحكم. وتنتقل مقاليد الحكم والسلطة من أيدي الجاهلية إلى أيدي الإسلام».

هكذا. غدا المشروع التجديدي لشيخ الإسلام ابن تيمية عاملا فاعلا في حركة الإحياء والإصلاح والتجديد الإسلامي في عصرنا الحديث وواقعنا المعاصر. سواء منها «الإصلاح الفكري» أو «الإصلاح الحركي».. ولقد استوت في ذلك سائر بلاد الإسلام من محمد عبده. مهندس المشروع الإحيائي للنهضة الإسلامية الحديثة. إلى رشيد رضا. الذي حمل «المنار» فكر هذه النهضة إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي على امتداد نحو أربعين عاما. إلى أئمة الإصلاح الإسلامي ببلاد المغرب الإسلامي. الشيخ عبد الحميد بن باديس.. والشيخ محمد البشير الإبراهيمي.. إلى شبه القارة الهندية - بمشرق العالم الإسلامي - عند العلامة المودودي. ومن قبله ولي الله الدهلوي (١١١٠ - ١١٧٦هـ ١٦٩٩ - ١٧٦٢م)

هكذا رأينا الرجل الذي مات مظلوما مسجونا. قد غرس في ساحة العقل الإسلامي بذور الكلمات «الواعية - الطيبة» التي بارك الله فيها. فغدت القمة التي يستظل بها زعماء الإصلاح الديني على امتداد عالم الإسلام

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

(إبراهيم: ٢٤، ٢٥)

لقد مثل ابن تيمية هذا الصرح الخالد في تاريخ الفكر الإسلامي. وجسد هذا العطاء المتجدد في مناهج الإحياء والتجديد لفكر هذه الأمة. لأسباب كثيرة. منها:

١ - إخلاصه للإسلام وأمته وحضارته ودياره. وتكريس كل حياته وجميع طاقاته لهذه الرسالة العظمى. حتى لقد غدا - في هذا الميدان - علما

٤٠ المصدر نفسه جـ١ ص ١٨٢

٥ ابن تيمية: حياته وأفكاره جـ٤ ص ١٥٦، ١٥٧. جمعه وقدمه د. عمر الطالبي طبعة الجزائر سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م

٦ أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ص ٧٣، ٧٦، ٧٩ ترجمة محمد كاظم سباق طبعة بيروت سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م

من أعلام العلماء الذين هم ورثة الأنبياء. العلماء العدول، الذين ينفون - بالوسطية الإسلامية الجامعة - عن هذا الدين «تحريف الغالين وانتحال المبطلين»

٢- واحتضانه تراث الإسلام على اختلاف مذاهب أئمة الإسلام.. دونما تعصب لمذهب دون الآخر، أو تخندق في فرقة دون سواها.. فلقد كان مدافعا عن الحق - كما أراه ذلك اجتهاده - وناقدا للخطأ - كما أراه ذلك اجتهاده - مع الدعوة إلى «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» الذين خالف اجتهاده اجتهاداتهم.. فكان هذا العنوان الذي اتخذه لأحد كتبه منهاجا في تعامله مع الأئمة الذين تركوا بصماتهم على الفكر الإسلامي، على امتداد تاريخ الإسلام، وتنوع المذاهب التي ذهب إليها هؤلاء الأئمة الأعلام.

٣- وبلوغه - على درب الإخلاص لمشروعه التجديدي - إلى درجة «الجهاد» لتحقيق «الاجتهاد»!.. فلم يكن ابن تيمية مجرد فقيه.. وفيلسوف.. وإنما كان «مجددا» لفكر الأمة وحياتها وواقعها الذي تعيش فيه.. وفي هذا الميدان قدم حياته وحريته قربانا في هذا «الجهاد».

٤- كذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية مرابطا على ثغور الإسلام.. لا يكتفي بالجهاد الداخلي - في عقل الأمة وواقعها - وإنما كان شديد البصر والبصيرة بالمخاطر الخارجية التي تحدق بحضارة الإسلام وديار الإسلام.. وفي هذا الميدان كان شديد الوعي «بفقه الأولويات»، حتى لقد حمل السلاح وحارب الصليبيين والتتار تحت قيادة الدولة السياسية التي مات في سجونها! فضرب لنا مثلا في الوعي الحضاري بفقه الأولويات ولازلنا في حاجة إلى فقهه حتى هذه اللحظات!

وإذا كانت الدراسات التي كتبت عن ابن تيمية - فضلا عن تراثه الفكري - إنما تكون مكتبة غنية ومتكاملة في فكرنا الإسلامي.. فإن ما أشارت إليه هذه الصفحات من مواقفه - التي غفل عن حقيقتها الكثيرون من خصومه ومن أنصاره - وخاصة موقفه من العقل وعلاقته بالوحي والشرع والنقل، وموقفه من التأويل ورفضه القاطع لتكفير من يشهد أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وكذلك حضوره في دعوات الإحياء الإسلامي الحديثة وعند حركات هذا الإحياء إنما تمثل نماذج لميادين تحتاج إلى دراسات وفقه ووعي بما قدمه ابن تيمية في هذه الميادين.

إن هذا الإمام العظيم، الذي مثلت سلفيته صحوة الفكر الإسلامي، هو ذاته الذي عد إماما لدعوات العقلانية والاستنارة في عصرنا الحديث. ولذلك كان حراما - وإجراما - أن يقول عنه ذلك الذي يسمي نفسه فيلسوف العلمانية - «إنه مصدر الرجعية وزعيم الإرهاب»! وأن تقول عنه طريقة صوفية تملأ بطونها بسحت الدنانير النفطية «إنه الخبيث.. المتكبر ناقص العقل الذي في قلبه مرض.. المكذب لرب العالمين.. الخارج من الدين.. الذي استبدل عقيدة التثليث بعقيدة التوحيد»!! .. حرام أن يقال هذا الفحش على هذا الشيخ من شيوخ الإسلام!

الصهيونية والعنف

من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى

تأليف

الدكتور عبد الوهاب المسيري



إذا كانت مشيئة الله تعالى قد اقتضت أن يحمل للبشرية بذور الحضارة من أبناء إبراهيم عليه السلام أبناء إسماعيل في الأرض العربية، وأبناء أخيه إسحاق في الأرض الكنعانية.

فإن هذه المشيئة قضت أن يكون لكل دورة لناسب نبيه في نماء هذه البذور الحضارية في تكامل مستقبلي لا يعرف التضاد ولا التعارض.

ولكن أبناء إسحاق (بنو إسرائيل) شذ منهم عن السلوك الحضاري جماعة كفروا بالله الخالق فلم يقدروه قدره وانطلقوا في غيهم يعمهون، حتى أصابتهم لعنة أنبيائهم والطرد من حظيرتهم لوقاحتهم في انتهاك كل المحاذير، ووقوفهم في وجه كل تقدم حضاري، وإشاعتهم الفرقة والتشتت بين أبناء مجتمعهم، وعيثهم في الأرض فسادا بالقتل والعدوان والاستيلاء القهري على ما في حوزة الآخرين، وإشعال نيران الفتنة والحرب في كل مكان يحلون به، ظنا منهم أن هذا وحده هو الطريق الذي يحقق لهم السيادة والتفرد... على نحو ما وصفهم به القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿... عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

(المائدة: ٧٨ - ٧٩)

بل بلغ بهم الشذوذ عن جادة وظيفتهم الإنسانية، أن ساد الطمع حياتهم - فكرا وسلوكا، وخلقا - فتجرأوا على الله جل شأنه بالبخل، لأنه لا يلبي رغباتهم ولا يتركهم على هواهم يوقدون نيران الحروب والصراع بين الناس ليمزقوا

شمل الجمع، ويصبح لقمة سائغة يفعلون بكل منهم ما يشاءون من قهر وإذلال، واستعباد. وتحكم في الهواء الذي يتنفسون، على ما قدمته الصورة القرآنية لهم في قوله عز وجل:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ [illegible] وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(المائدة: ٦٤)

ولهذا ركزوا على وصف العربي بالتخلف

فإذا كانوا - بجحودهم - لم يتورعوا عن وصف الله خالقهم بالبخل ليحققوا ما يريدونه من التهوين من شأن الله في نفوس الآخرين، كي يخلو لهم طريق التمكن والسيطرة.

فلا غرابة في أن يهونوا من شأن الآخرين كي يحكموا قبضتهم على أعناقهم، على نحو ما رصده الدكتور المسيري، في الفصل الخامس (العنف الفكري ضد العرب) وأصل الدكتور المسيري استعراضه لمظاهر العنف الصهيوني - فكريا وسلوكياً - فلفت النظر إلى أن الصهيونيين يصمون الشخصية العربية انطلاقاً من الصور الاستعماري الاستعلائي الأوروبي للشعوب الشرقية الملونة، لإيمانهم: أن الصهيونيين جزء لا يتجزأ من الحركة الاستعمارية الغربية.

فالصهيونيون - مع تصويرهم اليهودي بأنه كيان خالص - يصمون الإنسان العربي - خصوصاً الفلسطينيين - داخل مقولة (الأغيار) حتى يصبح بغير ملامح ولا قسمات، ولذلك فهم لا يتحدثون عن (اليهود والعرب)، ولكن يقولون: (اليهود وغير اليهود)

وهؤلاء الأغيار تتسمهم الأدبيات الصهيونية دائماً وقفة متربصين باليهود، معادين أزليين لهم، كي يحرروا أنفسهم من مسئولية الجرح الغائر المسألة الفلسطينية، والإنسان العربي.

وإلى جانب هذا العنف الفكري ... أو النظري ... تقوم الاستراتيجية الصهيونية الإدراكية، حيث تتعامل مع القومية العربية على أنها أمر واقع يفرض نفسه، مع تقليص فعاليتها حتى لا تضم الفلسطينيين.

وبهذا .. تبدو حركة الصهيونيين الاستيطانية مختلفة عن (الغربية)، فهي لا تهدف إلى غزو الفلسطيني واستعباده، ولكنها تكتفي بالاستيلاء على الأرض الفلسطينية دون سكانها أو بتعبير آخر تكتفي بتهميش الفلسطيني (الضحية) دون حاجة إلى استجلاب عداء الآخرين، ولا تزال محاولة تهميش العرب نمطاً أساسياً في الإدراك الإسرائيلي للعربي، وتتمثل محاولة تهميش العرب في عدم ذكر العربي بخير ولا بشر، متغاضين عنه لا اكتراث به.

فتفريغ فلسطين من كل سكانها أو من معظمهم ... هو أحد ثوابت الفكر الصهيوني الذي تضمنته الصيغة الصهيونية الأساسية بشكل صامت، إذ لو تم الاستيلاء على الأرض وبقي سكانها عليها لأصبح تأسيس الدولة الفلسطينية مستحيلاً.

ومن هنا ... كان اختفاء - أو إخفاء - العرب حسب قراءة أي نص صهيوني، وفهم أي برنامج صهيوني أمر صعب حتى - إذا لم يكن مستحيلاً - من دون افتراض مقولة (العربي الغائب) كمثل أعمى، ونقطة تحقق للاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

السمات الأساسية للاستيطان الصهيوني

وفي الفصل السادس (الاستعمار الاستيطاني: الغربي والصهيوني) ذكر الدكتور المسيري: أن الاستيطان الصهيوني له سمات مميزة تنبع من أسطورة الاستعمار الاستيطاني التي تقوم على انتقال كتلة بشرية من مكانها وزمانها إلى مكان وزمان آخر بإبادة السكان الأصليين، أو طردهم أو استعبادهم، أو خليط من كل هذه الأمور، ومن أبرز هذه السمات:

١ - رفض تاريخ اليهود في المنفى تمهيداً لتحقيق الاستيطان في صهيون، باعتباره نقطة البداية في ظل الإعلان الدائم عن كون الدولة الصهيونية واحة الديمقراطية في الشرق، وقاعدة الحضارة الغربية فيه.

٢ - إنكار المستوطنين اليهود تاريخ السكان الأصليين في الأرض التي سيهاجرون إليها، مدعين أنها أرض بلا شعب، وزاعمين: أن فلسطين هي إسرائيل أو صهيون، وأن تاريخها قد توقف عند رحيل اليهود عنها، ولن يستأنف هذا التاريخ إلا بعودتهم إليها.

٣ - التأكيد على أن الأرض التي يستوطنونها تسع حسب رؤية الإنسان الأبيض الفلاحية، لأن هذه الأرض ليس لها حدود واضحة، ففكرة الحدود فكرة إنسانية حضارية غير طبيعية، أما عالم الطبيعة فلا يعرف الإنسان، لأنه لا يعرف الحدود.

٤ - تقرير أن السكان الموجودين بالأرض العذراء قليلو العدد متخلفون، يفتقرون إلى الفنون، والعلوم، والمهارات المختلفة، فهم عادة مجرد رحالة لا يستقرون في أرض ما، وهم شعب لا تاريخ له (كالثعالب والذئاب)، ولذلك... هم لا حقوق لهم.

ومن هنا... أخذ الحل النهائي - بعد اتفاقية أوسلو - شكل عزل السكان الأصليين داخل مجموعة من القرى والمدن، ومحاصرتهم بالقوات العسكرية الإسرائيلية، والطرق الالتفافية.

٥ - تبرير الرؤى الاستيطانية الإحلالية عن طريق القصص الخيالية، فهم يرون أنفسهم من الآباء (البطاركة) الذين تركوا بلادهم ليستقروا في بلاد أكثر اتساعاً، ويرون أنهم مثل العبرانيين يخرجون من مصر أو بابل إلى أرض المنفى البغيضة، ويخلصون من تاريخها ليعودوا إلى صهيون الجديدة.

أبرز أهداف الاستيطان

ومن هذه السمات يحدد الدكتور المسيري أبرز أهداف الاستيطان الصهيوني في الأراضي المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ في الآتي:

١ - جعل المستوطنات رأس جسر لكسب مزيد من الأرض عن طريق نزع الملكية، وإزالة المزروعات، واقتلاع الأشجار، ورفض التصريح بإقامة مبان جديدة، أو إصلاح المباني القديمة.. إلى غير ذلك.

٢ - العمل على جعل العودة إلى حدود سنة ١٩٦٧ مستحيلة، وذلك بخلق أوضاع استيطانية في الأراضي المحتلة يكون لها دور أساسي في رسم حدود الكيان الصهيوني.

ومن أبرز المشروعات الاستيطانية مشروع (إيجال آلون) الذي استهدف بناء حاجز بين الضفتين الغربية والشرقية لتجزئة الضفة الغربية وجعلها منطقتين.

٣ - إيجاد القاعدة البشرية من المهاجرين اليهود من مختلف أنحاء العالم.

٤ - العمل الدائب على قطع التواصل بين مناطق سكنى الفلسطينيين، بحيث ينقطع الاستمرار بين المراكز السكانية الفلسطينية الأساسية، خصوصاً بعد أن فشلوا في اضطرار الفلسطينيين إلى ترك الأرض لتصبح أرضاً بلا شعب، وبذلك تحول الضفة الغربية إلى (كانتونات) ممزقة، مفصولة بعضها عن بعض، لا تربطها سوى ممرات محدودة تحيط بها من كل المستوطنات والثكنات العسكرية للجيش الإسرائيلي تمنع الفلسطينيين من التحرك بحرية داخل الأراضي المحتلة.

٥ - تهيئة الفرصة لوجود عسكري إسرائيلي، سواء من خلال قوات الجيش الرئيسية، أو عن طريق الاستعانة بمستوطنين مسلحين يتبعون هذه القوات، أو باستخدام وحدات من جيش الاحتلال يتم نشرها.

الاستيطان بين إسرائيل وجنوب أفريقيا

ويذكر الدكتور المسيري أنه يوجد نوعان من الاستعمار الاستيطاني مع أن النوعين يقومان على أساس واحد يتمثل في هجرة جماعية منظمة لكتلة سكانية من العالم الغربي لأرض خارج أوروبا تحت الإشراف الكامل لدولة غربية تسمى الدولة الأم أو بدعم مالي عسكري منها.

١ - النوع الأول : منها هو الاستعمار الاستيطاني المبني على التفرقة اللونية (الأبارتهيد) وجنوب أفريقيا من أفضل الأمثلة على ذلك النوع، إلى جانب الولايات المتحدة من منتصف القرن التاسع عشر.

٢ - والنوع الثاني : منها هو الاستعمار الاستيطاني الذي يهدف إلى استغلال الأرض بدون سكانها - وهو النوع الإحلالي - حيث يحل العنصر السكاني الوافد محل العنصر السكاني الأصلي بعد طرده أو إبادته. والنموذج الأول لهذا النوع يتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات الاستيطان الأولى. والنموذج الثاني الحديث يتمثل في الحركة الصهيونية.

كما تحولت الولايات المتحدة الأمريكية من النمط الاستيطاني الإحلالي إلى النمط المبني على «الأبارتهيد» تحولت الدولة الصهيونية بعد سنة ١٩٦٧ من النمط الإحلالي إلى النمط المبني على «الأبارتهيد».

والناظر في الاستيطان في أرض فلسطين والاستيطان في جنوب أفريقيا يلاحظ أن بين الاستيطانين توافقًا يتمثل في:

أ) أنهما بنا حيًا استيطانيًا يخدم المصالح الغربية على عدة مستويات، نظير الدعم والحماية الغربيين. حتى أن الشخصيات الأساسية وراء إصدار وعد (بلفور) هي نفسها الشخصيات التي كانت وراء إصدار إعلان اتحاد جنوب أفريقيا.

ب) أنهما يقومان على إعطاء إحدى الشركات حق استغلال رقعة من الأرض ثم تتحول هذه الشركة إلى حكومة المستوطن وقد قامت الوكالة اليهودية بهذا الدور الاستيطاني الصهيوني.

جـ) أنهم يلتزمان باستمرار العلاقة بينهما وبين الدولة الأم حتى بعد إعلان استقلال الدولة الاستيطانية. لأنه يرى نفسه جزءًا لا يتجزأ من التشكيل الحضاري الغربي.

د) أنهما يعاديان التاريخ. فكما جاء المستوطنون من أوروبا - التي لفظتهم - إلى أرض عذراء لا تاريخ لها حسب تصورهم جاء المستوطنون الصهيونيون إلى فلسطين (صهيون الخالدة).

هـ) أنهما يتبنيان رؤية قومية عضوية، لأنهما يريان أن ثمة وحدة عضوية تضمهم كلهم، وتربطهم بأرضهم على الرغم من الانقسامات بين كل جيب استيطاني. فالمستوطنون في جنوب أفريقيا قد انقسموا شيعًا وجماعات. من أهمها العنصر الهولندي، والعنصر البريطاني. والمستوطنون في إسرائيل قد انقسموا انقسامات حادة بين أعضاء الجماعات اليهودية المختلفة التي هاجرت إلى إسرائيل من أبرزها (السفارد، والإشكناز)، يؤكد التفاوت بين كل قسم منهم أن لكل منهم بنية ينسب لها التفوق العرقي والحضاري الذي يمنحهم كل الحقوق المطلقة، بينما يوصم السكان الأصليون بالتخلف العرقي والحضاري الذي يحرمهم من كل الحقوق إلا بعض الحقوق العرضية التي لا تتعارض مع حقوق الآخرين.

و) انطلاقًا من هذا التقسيم . تحدد مفهوم المواطنة في البلدين. فالمواطن ليس من يعيش في الجيب الاستيطاني، وإنما هو صاحب الحقوق المطلقة. كما يتضح من قانون العودة الإسرائيلي الذي يمنح حق العودة لليهود فحسب، وكذلك يتضح من قوانين الهجرة في جنوب أفريقيا، وعلى حساب الفلسطينيين في فلسطين وتقاضي العمال من السكان الأصليين أجورًا أقل كثيرًا مما يتقاضاه الاستيطانيون.

ز) ظهور مفهوم قومي، قومية أصحاب الأرض الفلسطينيين أو الأفارقة، وقومية مصطنعة هي قومية المستوطنين الذين لا تتوافر لهم قومية أصيلة. ومع هذا يحتفل بالقومية الاصطناعية الواحدة، وتصبح رموزها هي الرموز السائدة في الدول الاستيطانية وفي مجال التعليم.

ح) حرص الجيب الاستيطاني في جنوب أفريقيا وفي فلسطين على تدفق الهجرة ، وتستصدر التشريعات المختلفة من أجل هذا - لتقديرهم أن الهجرة قضية أمنية عسكرية لمواجهة تكاثر السكان الأصليين.

ط) إحساس المستوطنين الواعيين الدائم أن السكان الأصليين لن يتنازلوا عن المطالبة بحقوقهم والمحاربة من أجلها، وإحساسهم أن وجودهم مهدد بالزوال دائمًا. رغم كل عمليات القمع والعنف الشرس الذي يمارسونه مع السكان الأصليين من إبادة، وطرد، واسترقاق، ومذابح مباشرة، وعقاب جماعي، ووضع هؤلاء السكان الأصليين في معازل جماعية ... إلى غير ذلك.

إسرائيل بين صهيونية السكان وصهيونية الأراضي

وفي الفصل السابع (الطبيعة العسكرية للاستعمار الاستيطاني الصهيوني) فقد قدم تمهيدًا يوضح - بالوثائق والأحداث الواقعية - هذه الطبيعة قبل سنة ١٩٤٨، وتطورها بعد ذلك إلى سنة ١٩٦٧. مؤكدًا أن تلك الطبيعة في احتلال فلسطين، حيث تأخذ التوسعية شكل الزحف من المستوطنات المختلفة التي يتم تشييدها، ويتم تسميتها توسيعًا لتطويق العرب داخل معازل.

ويتم هذا الزحف كذا عليها أن تحقق الطرق التي تسوغ الزحف التوسعي، وتضفي عليها الشرعية، وعندما تلوح فرصة لتوسيع الحدود يتم تحديد الوسائل التي تحقق ذلك. فالفكرة الصهيونية قائمة على التوسع والاستيلاء على الأرض.

وقد وضح هذا في استغلال حرب سنة ١٩٦٧ حين احتلت الأراضي العربية في سيناء، والجولان، والضفة الغربية، وغزة حيث رأى الكيان الصهيوني أنه حقق نصرًا لا سابق له، ووصل إلى الحدود الآمنة على الرغم مما يمكن أن ينشأ عن هذا التوسع من خلل. إذ هذا التوسع الجغرافي لا يمكن أن يملأ بالصهيونيين. مما اضطرهم إلى ضم عناصر غير يهودية أخذة في التكاثر، بجانب قلة نسلهم في حق الكتلة السكانية اليهودية، وزيادة معدلات النزوح إلى الخارج. مما خلق مشكلة سكانية للكيان الصهيوني تشكل خطرًا على الطابع اليهودي للدولة الصهيونية، وفرض عليه تناقضًا عميقًا بين طابع الدولة الصهيونية الإحلالي وبين طابعها التوسعي.

ومن هنا .. ظهرت قوة داخل الكيان الصهيوني ترى أن التوسع وضم الأراضي قد يضر بطبيعة الدولة اليهودية، لأن الأراضي العربية تأتي معها كتلة عربية سكانية. بينما يرى أنصار الصهيونية السكانية أنه لابد من الفصل بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والسماح بقدر من الحكم الذاتي يسهم في واقع الأمر في عزلهم عن الإسرائيليين. ويحوي التقسيم الديموجرافي المرتقبة، وبعد اتفاق أوسلو (سبتمبر سنة ١٩٩٣) تطبيقًا لفكرة منح الفلسطينيين حكمًا ذاتيًا في الضفة وغزة.

ويرى عدد من اليمين الديني والعلماني، رفض التنازل عن أية منطقة ضمن حدود أرض إسرائيل التاريخية بصورة مطلقة، حفاظًا على مقولة (أرض إسرائيل من النهر إلى النيل).

ومن هنا بدأ الانقسام يأخذ شكلاً جديدًا، يتمثل في الحديث عن إسرائيل الكبرى جغرافيًا، في مقابل إسرائيل العظمى اقتصاديًا، بدلاً من الصهيونية السكانية وصهيونية الأراضي.

«يتبع»



من أعلام الأزهر

الداعية الإسلامي: الشيخ محمد الغزالي

للأستاذ الدكتور/ السيد أحمد فرج

رابعا قضية المرأة

كان الشيخ الغزالي يدرس المرأة في كتبه بعض الفصول القصيرة، وأحيانا بعض الفقرات القصيرة، وكان في الغالب يذكر فيها موازنة بين حظ المرأة الأوروبية والأمريكية من حضارتهما، وحظ المرأة المسلمة التي تعيش في مجتمع مسلم له خصائصه. وعلى سبيل المثال لا الحصر فيما في كتب الإسلام والطاقات المعطلة، وحقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، وفقه السيرة، ومعركة المصحف في العالم الإسلامي، وليس من الإسلام، وغيرها يؤكد على أن الإسلام أنصف المرأة من الأفهام المخطئة، ومن التقاليد الراكدة التي فرضت على عشرات النساء في البيوت حتى يتوفاهن الموت، وجعلت تشريعنا الإسلامي كذلك حظا أصحاب المغتربات العربية التي تريد نقل العلاقة الفاسدة بين الذكر والأنثى في الغرب إلى بلادنا. ومع هذا وذاك فقد حدد وظيفة المرأة المسلمة بقوله: [illegible] على من لم [illegible] بتوظيف المرأة في كل عمل ولا أحتسب كالرجل في كل ميدان (راجع معركة المصحف ص ٢٦٥ - ٢٦٦).

وفي موضع آخر أعاد الشيخ محمد الغزالي الكلام نفسه بصيغة أخرى فقال: ولعل أخبث ضروب التربية هو ما يعتمد على حبس المرأة داخل نطاق من الغربة العقلية والأدبية. كما أن العجز عن ضبط الصلات الجنسية في الحدود التي شرعها الله هو سقوط للفطرة والخلق، وتمرد على شرائع الله (ليس من الإسلام ص ٢٣٧).

وكان الشيخ محمد الغزالي يرى أن الحل الأمثل هو العودة إلى الكتاب والسنة، ففيهما آداب شتى للنظر والاستئذان والتكشف والتستر، وسفر المرأة. ولكن الشيخ محمد الغزالي في كتاب «ركائز الإيمان» يتوسع في الكلام عن قضية المرأة، ويجعل لها فصلا مستقلا عنوانه «أشرف وظائف المرأة» وفيه يقول: «إن الإسلام رد عن المرأة طغيان القسوة من الرجل، وأتاح لها أن تتزود من العلم بما تشاء، وخص لها حقوقها المادية. وفي نطاق تعاليم الإسلام لا يقل وعي المرأة عن الرجل بقضايا الدين والدنيا، ولكن توزيع الأعباء أعطى كلا من الجنسين نصيبه من العناء بحسب خصائص الذكورة والأنوثة بدون تعسف، ولذلك يجب أن يدل الزوجان اهتماما شديدا للخصائص العضوية في الذكر والأنثى، كذلك لوظائف كل منهما الطبيعية، فهناك اختلافات بين الجنسين، ولذلك فلا مناص من أن يحسب حساب هذه الاختلافات في إنشاء عالم متمدن» (راجع ركائز الإيمان بين العقل والقلب. فصل أشرف وظائف المرأة).

ورأى الشيخ محمد الغزالي أن الجاهلين بتعاليم الإسلام قد فرضوا حصارا ثقيلا على حياة المرأة العلمية والعقدية، وحولوها إلى مسخ لا مكان له في دنيا ولا في دين. بالصورة التي نسبت إليها الأوضاع الاجتماعية في الأمة الإسلامية (راجع مجلة منشورة العدد الأول، ٣ من محرم ١٤٠٢هـ - ٣٠ - ١٠ - ١٩٨١م ص ٦١).

وإن ما يعتقده المتقعرون على المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية - كما يرى الشيخ محمد الغزالي - مخالف أشد المخالفة لتعاليم الإسلام، فعند فتح رسول الله ﷺ مكة خرجت النساء لمبايعة النبي ﷺ، وتلقي تعاليم الإسلام منه. فكأنه ﷺ أخذ النساء بالمشاركة السياسية، والتعليم في آن واحد، وبإذن رسول الله هذا أصبحت علاقة النساء المسلمات بالحياة العامة قائمة تسير في خط يحاذي مسيرة الرجال. ولقد روى البخاري عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: (كنا نغزو مع النساء مع رسول الله ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة) هذا ما كان في عهد النبي ﷺ ثم السلف الصالح الذين كانوا يعرفون الأبعاد الصحيحة للدين، وهذا ما لم يفهمه أصحاب النظرة الضيقة من المتزمتين الذين صدوا الأبواب على النساء ولم يأذنوا إلا بحبسها. (راجع المرجع السابق نفسه).

ظل موضوع المرأة يشغل الشيخ محمد الغزالي، فكان ينثر آراءه في فقرات من كتبه أو في فصول منها، وفي حواراته في الصحف والمجلات، ثم جمع ذلك كله وزاد عليه في كتاب هو «قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة» جمع كل ما يخص المرأة المسلمة في توجهها في العلم والأدب والنقد والتاريخ، والفتوى الغابرة والمعاصرة، ولكنها جميعا كما قال الشيخ محمد الغزالي في المقدمة، تتصل بقضايا المرأة في الأسرة والمجتمع.

لقد كان شأن المرأة مما أهم الشيخ محمد الغزالي في داخل الأسرة وخارجها، ومن ثم ألفه في كتاب «قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة» يتلمس كل ما للمرأة من الكتاب والسنة، ويطلب من كل رجل مسلم أن يفهم أن القرآن قد سوى بين المرأة والرجل في جملة الحقوق والواجبات بالتماثل وليس بالتطابق لقوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(البقرة: ٢٢٨)

والمماثلة في الآية الكريمة مماثلة الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل كما بين الزمخشري في تفسير الآية في الكشاف لأن هناك أعمالا للرجل لا تليق بالنساء، وأن هناك أعمالا للنساء لا تليق بالرجال. يقول الشيخ محمد الغزالي: «إن الذي يعنيه القرآن الكريم يحس بالمساواة العامة الإنسانية بين الذكور والإناث، وأنه إنما أعطى الرجل حقا أكثر، فلقاء واجب أثقل» (ص ٣٥).

ومع ذلك فإن الشيخ محمد الغزالي يبرز لبعض النساء دورا فاق دور الرجال، ويضرب المثل بالخازندارة التي شيدت مبنى كلية أصول الدين «القديم» ومسجدا للعبادة، ومستشفى لعلاج الناس، لقد استودعت الخازندارة الله مالها، وجاهدت في سبيله بخدمة العلم والعبادة، وتقديم العلاج والدواء للمرضى، والزاد

للجياع، والعلم لطلابه. (ص ٨٨).

وفي نهاية الكتاب يطالب الشيخ محمد الغزالي المجتمع المسلم بتصحيح مفاهيم يجب أن تصحح وفي مقدمتها، أن قوامة الرجل على المرأة لا تعني القهر. (ص ١٧١).

خامسا: تراث الإسلام الفكرى في ميزان الشرع والعقل

يقصد الشيخ محمد الغزالي -بهذه القضية- تنقية الإرث الإسلامي الفكري من الشوائب التي علقت به، كما يقصد به دعوة إلى إقامة الدين وعدم التفرق فيه لقوله تعالى:

﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

(الشورى: ١٣)

ذلك لأن المسلمين هم حملة الحق، فأوجب الله تعالى عليهم أولا: أن يقيموا الدين، ويتمسكوا بعقيدة التوحيد وما انبنى عليها من تشريعات وأحكام، وثانيا: أن يتحدوا ولا يتفرقوا ليكونوا كيانا واحدا متماسكا قويا، يصد كيد الأعداء المتربصين بالإسلام خاصة العدو الزاحف من الغرب بأسلحة التدمير الشامل، وما يتبعه أو يتقدمه من قوى المبشرين والمستشرقين، ومن أخوتهم المخلصين.

إن الذي أقلق الشيخ محمد الغزالي أن الأمة الإسلامية تركت الأهم وشغلت نفسها بغير المهم من إرثها الثقافي والحضاري العظيم، وأخذت تجادل في القشور وليس في اللباب، والجدل في القشور غايته الضلال، وهو ما انتهت إليه الأمة الإسلامية، فهي خمس العالم في العدد، وأكثر من خمسه في المساحة، وفي خيرات الأرض من باطنها وسطحها، ومع ذلك إذا بحثت عنها في حقول المعرفة لا تجدها، وفي ساحات الإنتاج لا تحس بها، وتبحث عنها في مجال التعاون المؤثر فيما بينها، والحريات المصونة، والعدالة، وفي سلم الارتقاء البشري فتجد صفر اليدين» (ص ٧).

والشعوب الإسلامية من أفقر الشعوب، وعلماؤها في الطبيعيات والكيمياء والعلوم التطبيقية متخلفون عن غيرهم، وعلماء الدين فيهم مشغولون بالقشور دون اللباب والشباب الذين يريدون الإجماع على كلمة حق يفتقدون المرشد الرائد ويقضون العمر دون أن يصلوا إلى شيء ومن هنا أخذ الشيخ محمد الغزالي يرشدهم إلى الطريق الصحيح باتباع ما يلي:

١- طلب المعرفة الإسلامية ضرورة علمية وإسلامية قال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣١ - ٣٢)

ومعنى الآية أن الله تعالى جعل لآدم علما غير محدود، وجعل علم الملائكة محدودا، وليس معنى العلم هنا أن الله تعالى علم آدم علوم الطبيعة والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم، لكنه عز شأنه أعطاه الأسس التي يقوم عليها العلم الذي يقوم على البحث والتجربة بما يتلاءم مع كل عصر من العصور. ولذلك فلم تكن رسالات الأنبياء من لدن آدم تعليم الناس العقائد فقط، بل تعليمهم الصنائع بجانب تعليم العقائد قال تعالى في شأن داود عليه السلام:

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠)

فالصناعة التي تعلمها داود عليه السلام لم تكن من أجله وحده، ولكن له ولقومه وللناس من بعده.

وليعلم المسلم أن مصدر العلم الذي علا بآدم على الملائكة هو علم الكون المادي، فإن العلم بالكون هو صميم الإنسانية، والجهل به لا يعذر الإنسان فيه، وقد أبان القرآن ثلاثة أسباب لهذا العلم الكوني هي:

أولا: دلالته على خالق الكون.

ثانيا: ارتباط الحياة الإنسانية بكل ضروراتها، وحاجياتها، وتحسيناتها بهذا الكون

﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (ص: ٣٢).

ثالثا: حماية الحقوق، وهذا لا يتأتى إلا بالانتفاع بمادة الكون كالحديد مثلا وبالعلم التجريبي الذي يطوع الحديد في المنافع المادية الحضارية، والقوة العسكرية، قال تعالى:

﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾

(الحديد: ٢٥)

٢- لقد خص الله تعالى الأمة الإسلامية بمكان متميز في المكان، وفي النوع البشري. قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

لقد جعل الله عز شأنه الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس بموائق الفطرة، واحترام العقل المأمور بالنظر في المعارف الكونية والإنسانية لقوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٨٥)

إذن فما الذي هوى بالمسلمين في القرون الأخيرة؟! وما علاج ذلك؟

علاج ذلك ضرورة تجديد التفكير الديني وهذا لا يتم إلا كما يلي:

١- السير في طريق الارتقاء الثقافي، والإحاطة بالآماد التي بلغها غيرنا

٢- وجوب إدراك المستوى العمراني والصناعي والتجاري والعلمي الذي يسود العالم.

٣- دراسة السياسة الحكيمة التي تحقق العدل، والقوة العسكرية التي تذود عن الأرض، وتحقق الأمن والاطمئنان.

٤- محاربة الانحراف الديني الضال، والانحراف الثقافي والفكري الذي يشغل حيزا كبيرا من الساحة الثقافية الآن.

٥- إعادة بناء الأمة الإسلامية على أساس أن الوحي الإلهي حياة، وأن دراسة الكون المادي واستغلال منافعه بنوع الإيمان.

٦- غربلة الإرث الإسلامي الفكري، واستبعاد الشوائب التي علقت به (راجع فصل أبعاد الوحي الأعلى في كتاب: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل).

٧- توعية الدعاة وتعليمهم التعليم الصحيح، قبل العمل بالدعوة.

٨- تربية النشء التربية الصحيحة بدون غلو بالعودة إلى حقيقة الدين، وجعل العلاقات بين الناس محكومة بعلاقة التقوى وخشية الله. (ص ٩٠).

٩- أن يفهم المسلم أن الحضارة لا تخاصم الكون، أو تخاصم الإنسان وتجافي فطرته لأن القرآن يبني الإيمان على فهم الكون، ودراسة الإنسان.

١٠- التسامح والحب، وطلب العذر عن الاختلاف في المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد والاختلاف.

١١- أن يهتم المجتمع المسلم بتعليم النساء، فما من ناحية من نواحي الحياة إلا وللمرأة فيها نصيب موفور، وكذا في النهضة الثقافية والعلمية والأدبية (ص ١٦٤).

١٢- إحياء اللغة العربية، وحمايتها من عبث المستشرقين، ومن عبث من يوافقهم في المجتمع العربي.

١٣- تعريب التعليم الجامعي ضرورة علمية إسلامية، فإن اللغة العربية من أغنى لغات العالم بالألفاظ الدالة، والمعاني، وأقدرها على التصوير الجمالي، وابتكار المصطلح العلمي.

١٤- بث حب اللغة العربية في الناشئة، فقد نزل بها القرآن، وهذا دليل على صلاحيتها علميا وإنسانيا، وعلى أنها أقدر اللغات على حمل مفاهيم الحضارة وترشيدها، وقدرتها على بناء المعاني، والتعبير عن عبقريات تقدم الإنسان في كل العلوم، وفي كل العصور. (ص ٢٠١)

١٥- وأخيرا أن يكون للمسلمين وحدة ثقافية تجمعهم، توحدهم علميا وثقافيا وفكريا، وتقودهم إلى التقدم المدني والأدبي والعلمي الكوني.

رحم الله الشيخ محمد الغزالي.

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر

ملتقى خريجي الأزهر يؤكد على أهمية وضع ضوابط الحوار مع الغرب

«دعوة ساسة الغرب إلى رفع المظلة ضد المجتمعات الإسلامية وتحقيق العدالة التى تمثل روح الإيمان فى رسالات السماء».

للأستاذ / عاطف مصطفى

تواصل لقاءات علماء ومفكرى المسلمين من كل بلاد العالم على أرض مصر كنانة الله فى أرضه، يتدارسون معا كل ما يهم المسلمين وإعلاء الدين الإسلامي الحنيف.

تفتح القاهرة عاصمة مصر ذراعيها بكل الحب والتقدير لمسلمى العالم. وتحت هذه المظلة وبرعاية كريمة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى، كان اللقاء حميما فى الملتقى العالمى الرابع لخريجى الأزهر بعنوان «الأزهر والغرب- ضوابط الحوار وحدوده» والذى عقد فى الفترة من ٥ - ٧ رجب ١٤٣٠هـ الموافق ٢٨ - ٣٠ يونيو ٢٠٠٩م ورئاسة فضيلة الدكتور أحمد محمد الطيب رئيس رابطة خريجى الأزهر.

وفى حفل الافتتاح الذى كان فى مقدمة الحاضرين به فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف والرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف ووزير الأوقاف الدكتور محمود حمدى زقزوق وحشد كبير من الوزراء وسفراء الدول الإسلامية والعلماء الضيوف ومن الأزهر الشريف.

تناول الدكتور أحمد الطيب رئيس الرابطة فى كلمته فى الجلسة الافتتاحية الدور الكبير الذى لعبه الأزهر فى حياة المسلمين قائلا: ما عرف أن التاريخ عرف مؤسسة علمية أخرى صمدت فى وجه الزمان وشاركت الأزهر فى هذه الفترة المعمورة، والحضارات الأخرى لم تقدم- فيما نعلم- معهدا علميا تواصل عطاؤه العلمى وتوهجه الروحى أكثر من ألف عام.

ولقد عرف التاريخ قبل الأزهر وبعده مؤسسات ثقافية وجامعات علمية كبرى فى العصور القديمة والعصور الوسطى، غير أن المؤسسات قد بادت وأصبحت أثراً بعد عين، بينما بقى الأزهر الشريف بمآذنه وأروقته عامراً بالعلوم والمعارف منذ نشأته وحتى يومنا هذا.

وحتى المساجد الكبرى التى عرفتها القاهرة قبل الأزهر مثل: جامع عمرو بن العاص وجامع أحمد بن طولون، لم يقدر لأى منها أن يواصل عطاءه العلمى بعد بناء الأزهر، فسرعان ما انتقلت الحركة العلمية والتعليمية من هذه المساجد إلى صحن الأزهر وأروقته.

وأشاد د. الطيب بدور الأزهر على مر التاريخ بقوله: ورغم أن الأزهر كان مخططا له أن يكون مركزاً علمياً لنشر الدعوة الفاطمية وعقائد المذهب الشيعى الإسماعيلى، الذى كان يمثل المذهب الرسمى للدولة الفاطمية آنذاك، إلا أن الله أراد أن يكون منارة تشع منها علوم المسلمين من أهل السنة بمختلف مذاهبهم الفقهية وتوجهاتهم العقلية، ومشاربهم وأذواقهم الروحية.



وما لبث الأزهر أن أصبح المرجعية الكبرى للعالم السنى الناطق الرسمى باسم وسطية الإسلام، والحارس الأمين على تعددية الأنظار فى مذاهب المسلمين الفقهية والفلسفية والعقدية واللغوية والأدبية، جنباً إلى جنب مع العلوم الفلكية والرياضية والطبية.

■ فهم الإسلام الصحيح عقيدة وشريعة وسلوكا

وعن دور الأزهر الذى أدهش علماء الشرق والغرب، أشار الدكتور أحمد الطيب إلى أن التعليم الأزهرى الذى يقدمه الأزهر لطلابه يتمثل فى تأهيلهم لفهم الإسلام فهماً صحيحاً.. عقيدة وشريعة وسلوكا، فهما يقوم على تأصيل قاعدة التعددية، وقبول الرأى الآخر والانفتاح على النزعات التراثية والعصرية، والتى تضمن للعقل الأزهرى أن يكون عقلاً حواريا، ينفر من الانكفاء على مذهب واحد يؤمن به ويعمى عن المذاهب الأخرى التى صاغت العقل الإسلامى عبر تاريخه الطويل، وأهلت المسلمين لصنع حضارة إنسانية

كبرى لا زالت حتى هذه اللحظة موضع دهشة كثير من علماء الحضارة والتاريخ من الشرق والغرب.

وهذه التعددية التي تشكل «لب» المنهج العلمي في الأزهر، إنما تعود إلى الحقيقة الكونية والإنسانية التي يؤكدها القرآن الكريم، وهي أن الله تعالى لو أراد أن يخلق الناس على عقيدة واحدة ولغة واحدة ولون واحد وثقافة واحدة لفعل، لكنه لم يرد هذه التماثل وهذا التوحد، وشاءت إرادته أن يخلق الناس مختلفين في كل ذلك، بل شاءت إرادته أن يستمر قانون الاختلاف بين البشر لغة وعقيدة ولوناً وثقافة، إلى آخر لحظة في عمر هذا الكون.

■ الغرب غير المنصف لفهم الإسلام وحضارته

كما استعرض رئيس جامعة الأزهر دور صناع القرار في الغرب، وكيف أنهم غير منصفين ولا جادين في فهم الإسلام، وحضارته الإنسانية العالمية فهماً صحيحاً، وأنهم يتعاملون معه بألف مكيال ومكيال، بينما يتعاملون مع سائر الأديان والعقائد الأخرى بمكيال واحد، وقد صنعوا منه في الآونة الأخيرة عدواً مشتركاً، أو قرباناً يقدم على مذبح وحدة الغرب وتماسكه!

وحسبنا هذا التعميم المعيب من بعض الغربيين الذين يعممون أحكامهم المسيئة على الإسلام والمسلمين، انطلاقاً من تصرفات فئة شاردة انحرفت بفهم الإسلام إما إلى حرفية شديدة الانغلاق والتزمت، وإما إلى عنف مسلح اتخذته أسلوباً في التغيير، ومنهجاً في الحوار.

وفي المقابل فإن بعض المسلمين في الشرق لم يتخلصوا من عيب التعميم حين وضعوا الغرب كله في سلة واحدة، وحكموا عليه حكماً كلياً بأنه شر مستطير وعدو متربص بالإسلام والمسلمين، يجب مواجهته وتحين الفرص لتحجيم آثاره وإلحاق الأذى والضرر بالغربيين وبمصالحهم حيثما كانوا ولو بالقتل والتدمير.

■ حوار يضع النقاط على الحروف

لقد أصبحنا جميعاً في أشد الحاجة إلى حوار مباشر بين الطرفين يضع النقاط على الحروف، ويوفر الفرصة لرؤية مشتركة، تكون بمثابة إعلان عن بدء مرحلة جديدة لحوار موضوعي عقلاني بين الأزهر كمرجعية كبرى للعالم، وبين هذه النخبة المتميزة من المفكرين وعلماء الأديان من الغربيين ورجال الدين الذين استجابوا لدعوة رابطة خريجي الأزهر وتجشموا وعثاء السفر من مختلف أرجاء العالم، يحدوهم هذا المقصد النبيل والنية الصادقة من أجل مستقبل أفضل لبني الإنسان.

حوار موضوعي يتوخى فيه الجميع التأكيد على القواسم الإنسانية والحضارية المشتركة بين الشرق والغرب، وبما يحقق اعتماد ملامح لغة جديدة في الحوار، يقدرها الأزهر ويحترمها الغرب، وهذا هو ما تهدف إليه الرابطة العالمية لخريجي الأزهر الشريف، وهي تستعد لبث خطابها العالمي عبر موقعها على شبكة المعلومات الدولية التي نتوقع أن ينضم تحت لوائها ٣٦٤٣١ خريجاً من جامعة الأزهر، ينتشرون خارج مصر في مشارق الأرض ومغاربها.

■ ٣٤ بحثا نوقشت خلال الجلسات

استمر المؤتمر لثلاثة أيام، وحضره نخبة متميزة من كبار المفكرين والباحثين ممثلين للديانات السماوية الثلاث من شتى بقاع العالم، نوقش خلالها أربعة وثلاثون بحثاً تضمنت المحاور الآتية:

- أهمية أن يكون هناك حوار مستمر بين الأديان.
- أهم أسباب الاحتقان في علاقات الغرب والإسلام.
- دور الأزهر المنتظر لإزالة تلك الأسباب.
- القيم المشتركة بين الأديان كأساس للعلاقات الإنسانية العالمية.
- مجالات الحوار المثمر ومجالات الجدل العقيم.
- مسارات ممكنة لتصحيح النظرة المشوهة للإسلام.

الحضارة الإسلامية والتعايش بين الأديان.

كان من بين بحوث الملتقى الرابع لخريجي الأزهر

- ظاهرة المفاهيم المشوشة عن الإسلام في الغرب.

ودور الأزهر في معالجتها للباحث الدكتور محمد بشاري.

- أهمية استمرار الحوار مع الأديان للدكتور مرزوق أولاد عبدالله.
- القيم المشتركة بين الأديان كأساس للعلاقات الإنسانية العالمية د. إكرام الخطيب - خطيب وإمام قصر الرئاسة - إسلام أباد - باكستان.
- القيم الإسلامية والقيم الإنسانية المشتركة بين الأديان للدكتورة فوزية العشماوي.
- مجالات الحوار المثمر ومجالات الجدل العقيم للدكتور أحمد جان.
- دور المصريين في إنقاذ التعليم بتايلاند للباحث د. حسن مادمارن.
- الإسهام الكاثوليكي في الحوار مع الإسلام للباحث جيمس هيفت رئيس معهد الدراسات الكاثوليكية - جامعة كاليفورنيا الشمالية - مسلمو كوريا.. الواقع والتحديات د. سونج كونج «حمزة».

■ ماذا عندهم.. وماذا عندنا؟!

في بحثه المهم بعنوان «الحوار بين الموضوعية وإشكالية التميز» للدكتور إبراهيم أبو محمد رئيس مجلس إدارة المؤسسة الاسترالية للثقافة الإسلامية يشير إلى قضايا كثيرة بدأها بهذا العنوان: قبل البداية.. حول عنوان الملتقى «الأزهر والغرب آفاق الحوار وضوابطه» تناول في الفصل الأول من البحث: السياق الزمني والتاريخي الذي يتم فيه الحوار، المبحث الأول: الوجود الإسلامي في مجتمع الغرب بين الرفض والاحتواء وفي المبحث الثاني تناول «تناقض الواقع عندنا وعندهم».

يقول: إن الواقع عندهم يتعلق بأن قوى كبرى في أوج قدرتها وتقدمها وقيادتها للعالم.. فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تحول البطل المملوء بغرور القوة إلى وحش جديد، يثير الرعب بالدعوة لحروب عبثية، يدفع العالم إليها

ويجند لها الدول والجيوش، ويعلن شعاره المعروف «من ليس معنا فهو ضدنا».

فإذا أضيف إلى هذا الوحش قوة الاتحاد الأوروبي، أو ما يسمى بالتحالف العالمي ضد الإرهاب، وهي مجموعة من الدول تتباين فيما بينها، وتختلف في أجناسها ولغاتها وثقافاتها، ومع ذلك تلتقي في وحدة أوروبية لها قوة دفاع مشتركة، وسوق أوروبية مشتركة، وعملة مشتركة، وتتعامل مع قضايا العالم بصور مشتركة يحمي مصالحها، ويحقق أهدافها، ويفرض احترامها بين دول العالم، وتسعى وتتطلع دول كثيرة للانضمام إليها.

هذا عندهم!

فماذا عندنا؟!

على الناحية الأخرى يشير الدكتور إبراهيم أبو محمد إلى أن العالم الإسلامي في مواجهة ما يحدث في الغرب، كان يجلس على شاطئ الأحداث متفرجاً، يستقبل ولا يرسل، ولا ينفعل ولا يعمل، وتلك كارثة تعطل دوره ورسالته، وتحوله في حلبة الصراع إلى مجرد عينة تجرى عليها التجارب، وتؤخذ منها النتائج

إننا أمة بدولها ومجتمعاتها لها دين واحد ولغة واحدة، وهمومها تكاد تكون واحدة. تواجه أطماعاً واحدة، ومع ذلك تختلف فيما بينها ولا تتفق على شيء واحد، تملك من الإمكانات ما يجعلها في مقدمة الأمم، ولديها من الثراء والثروة ما يمكنها من تجاوز كل عقبات التخلف، ومع ذلك تعيش في أسوأ درجات ضعفها.

إن في حياتنا الفكرية والثقافية عشوائيات كثيرة، تمكنت من مزاحمة الفكر الصحيح، وعكرت المنابع الصافية في تراثنا الفكري، وعطلت النهضة وأخرت دور المجددين.

■ ننطلق وفق رؤيتنا وثوابتنا

وطالب د. إبراهيم أبو محمد في بحثه بأن الاستجابة للتحدي الذي يواجه الأمة الإسلامية، لابد أن تنطلق من رؤيتنا نحن، وبعيوننا نحن، ووفق ثوابتنا، ثم لابد أن تكون تلك الاستجابة محسوبة بما نملك فعلاً، لا بما نتمنى أن نملك

ونقطة البدء هنا تبدأ بتنظيف الحقل الذي اختلط حابله بنابله، وذلك يتطلب المصالحة مع الذات الفكرية والثقافية، وإنهاء القطيعة بيننا وبين تراثنا، وليس مقبولاً أو معقولاً أن نتكئ على الذات مكتفين بالماضي التليد، ذاكرين بأنه قد كان لنا مكان الصدارة في يوم ما، وكنا نحن العالم الأول.

هذا هو السياق التاريخي والزمني الذي يتم فيه الحوار، وهو سياق مشحون بالمتناقضات عندنا وعندهم، مما يذكرني بالمعنى المقلوب والمعكوس مع الاعتذار للشاعر الذي قال:

فـرح هنـا وهنـاك قـام المـأتم
شعـب يـنـوح وآخـر يتـرنـم

■ الدعوة إلى كلمة سواء

تتواصل البحوث من بينها بحث د. جيمس هيفت رئيس معهد الدراسات الكاثوليكية بجامعة كاليفورنيا والذي استعرض فيه الإسهام الكاثوليكي مع الإسلام.

كان أبرز ما تناوله في بحثه قوله: من المحتمل أنكم على علم تام بسلسلة الأحداث التي جرت بين الكاثوليك والمسلمين بدءاً من سبتمبر ٢٠٠٦م عندما قام البابا بندكت السادس عشر بإلقاء محاضرة أكاديمية بجامعة ريجنسبرج بألمانيا، فقد قام البابا بالاقتباس بشكل غير لائق من كلام أحد المنظرين المسيحيين في القرون الوسطى، وهو الإمبراطور باليولوجوس الذي كان يهاجم النبي محمد

ولقد تسبب هذا الخطاب على الفور في إثارة غضب الكثير من المسلمين في شتى أنحاء العالم، ولكن ما حدث بعد ذلك يعطيني أملاً عظيماً لعلاقة الإسلام مع الكاثوليكية ومع الغرب.

يضيف د. هيفت في بحثه في الملتقى: وبعد مرور أقل من شهر على هذا الحدث، فقد ردت جماعة من العلماء المسلمين، مكونة من ثمانية وثلاثين عالماً، بتذكير البابا ليس فقط باعتماد المسيحية في القرون الوسطى على المفكرين المسلمين، ولكن أيضاً بالطبيعة الجدلية التي تحتويها تعليقات باليولوجوس هذا إلى القول بحقيقة أن أي مفكر مسلم يقوم بتهميش دور العقل، لا يعتبر ممثلاً للفكر الإسلامي بحال من الأحوال، وبعد مرور عام على ذلك الأمر قام مائة وثمانية وثلاثون مفكراً من العلماء المسلمين بمخاطبة مسيحيي الغرب من خلال وثيقة مكتوبة بعربية كبيرة عنوانها «كلمة سواء بيننا وبينكم». واستناداً إلى الكتب المقدسة في الأديان الثلاثة.. من الكتب اليهودية المقدسة «خاصة سفر التثنية» والعهد الجديد والقرآن الكريم، تجد أن هذه الكتب الثلاثة تدعو إلى كلمة سواء عن أهمية حب الله وحب الإنسان لجاره، ولكن الأمر الذي وجدته هاماً في هذه الوثيقة هو التأكيد ليس فقط على الخطر الذي يتهدد العلاقات السلمية بين أتباع الأديان الثلاثة، ولكن الخلاص النهائي حيث تختتم الوثيقة حديثها بالإشارة إلى نص قرآني يتكرر ذكره كثيراً في حوار الأديان وهي قول الله تعالى:

[illegible]

(المائدة: ٤٨)

يستعرض الباحث بعض مؤتمرات الحوار: مثل حوار قطر في مايو ٢٠٠٨ وحوار مدريد في يوليو ٢٠٠٨ والتي دعت إلى التسامح بين الأديان واحترام جميع البشر.

ويشير إلى مؤتمر مدريد الذي أكد على قيمة الحوار كأفضل الطرق للفهم المتبادل والتعاون بين الأديان، كما أن البيان الذي صدر عن هذا المؤتمر قد أدان الإرهاب كإحدى العقبات الكبرى الخطيرة التي تعيق الحوار والتعايش السلمي بين أتباع الأديان المختلفة.

■■

المؤتمر ناقش كل البحوث بصراحة مطلقة، وصدرت عنه توصيات مهمة نرجو أن نرصدها ونؤكد على أهميتها وضرورة تفعيلها من خلال اللجان المسؤولة، حتى يتحقق الأمل المنشود من وراء الحوار والذي يقوده الأزهر وعلماؤه.

هويتنا الواقية

د. حمدى فتوح والى

إذا كانت أمم الأرض قد عرفت هويتها، وحددت غايتها، ووظفت معاهدها ومدارسها، وإعلامها وثقافتها، لتعميق هذه الهوية، ووضوح تلك الغاية، فإني أرى أبناء أمتي قد نعموا نوما طويلا وغابوا عن واقع الحياة غيابا معيبا.

وقد يكون لدى كل واحد من أبناء الأمة من المشاغل الذاتية، والهموم الشخصية ما يكفي لصرف طاقته في محاولة حلها، وقضاء الوقت في معاناتها، والخروج من أسرها، وإذا سقط كل واحد من الأمة في دائرة تلك الاهتمامات الصغيرة، فمن تجد الأمة من يفكر لها، ويتفرغ لرسم سياساتها، وضبط أمورها، وهذا أعظم ما يسعى إليه أعداء الأمة والساعون إلى تدميرها

ومن هنا كان لزاما على كل من يستطيع التفكير السليم لإخراج الأمة من أزمتها الحضارية، أن يبذل الجهد، ويمحض النصح، ويستقصي الطاقة ليصل بأمته إلى وضوح الهدف، وصفاء الرؤية وتحديد ملامح الطريق دون غبش، أو ضباب أو تضليل.

فبينما تسعى دول لا تملك حضارة ولا تراثا، ليقنعوا العالم - ظلما وزورا - أنهم أبناء حضارة،

وصناع ثقافة، وأصحاب تاريخ قديم وعريق كالذى نسمعه من أمريكا وإسرائيل، إذا بأمتنا الإسلامية تنسلخ من جلدها، وتهرب من مجدها، وتتوارى من تراثها

إن أدق تشخيص لحالة أمتنا اليوم مصابون بما يشبه الشلل المعنوى، أو هي كما يقول الشيخ محمد الغزالى «تشبه أحياء انقطع عنها التيار الكهربائي، فغرقت في الظلام، ولابد من إصلاح الخلل الذى حدث كي يسطع التيار مرة أخرى، وعلاج الأعطال الشديدة أو الخفية بالكلام البليغ، والنصح المخلص لا يكفي، بل لابد من إزالة أسباب الخلل، ومن إعادة الأوضاع إلى أسسها السليمة، إلى فطرتها الأولى»[1]

﴿ [illegible] ﴾

(الروم: ٣٠)

(١) الطريق من هنا - الشيخ محمد الغزالى ص ٢٧، دار البشير للطباعة، سنة ١٩٨٧م.

لقد ظن كثير من الناس أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام.

لم يتهم أحد من المسلمين الأوائل أنه يستطيع أن يكون مسلما بالنية الطيبة.. وهو يخالف الإسلام في سلوكه الواقعي اعتمادا على أن الله عرب قلوب، وأنه مطلع على بواطن النفوس، مدرك لنواياها الطيبة الخفية وراء الأعمال[2] وإنما أدركوا أن النية والعمل وجهان لأمر واحد لا دلالة لأحدهما بدون الآخر[3].

إن الله - سبحانه وتعالى - وهو القادر على نصر أمته دون مشقة أو عناء هو الذى اشترط لإنزال نصره شرطا لا يتم إلا به، وهو أن يرى من الأمة إيمانا والتزاما بدينه، وغيرة على شريعته، وجهادا في سبيله، وانتصارا لدعوته

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ٤٠)

﴿ [illegible] ﴾

(محمد: ٧)

ومن المعلوم أن الله - سبحانه وتعالى - غير محتاج إلى نصرة أحد، وإنما يريد بنصرته - تعالى - إطاعة أمره، واجتناب نواهيه، ولكن المسلمين أهملوا جميع ما أمرهم به كتابهم في ذلك أو أكثره، واعتمدوا في استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين

ولو كان مجرد الدعاء يغنى عن الجهاد لاستغنى به النبى ﷺ وصحابته وسلف هذه الأمة، فإنهم الطبقة التي هي أولى بأن يسمع الله دعاءها. ولو كانت الآمال تبلغ بالأدعية والأذكار دون الأعمال والآثار لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع[4]. ولم يقل الله سبحانه

﴿ [illegible] ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

شهادة المستشرقين:

وحتى يدرك المخلصون من أبناء الإسلام مدى وحشية المؤامرة وبشاعة الكيد ويدركوا أيضا مدى عظمة الإسلام وعمقه وقوته، فإني أسوق إليهم بعض أقوال المستشرقين من أعداء الإسلام لنعرف كيف يخططون، وفيما يفكرون - أملا أن تحرك تلك الأقوال في نفوس المخلصين همة، وتثير في قلوبهم حمية، وتشعل في كيانهم غيرة

يقول المستشرق الإنجليزى المعاصر «هاملتون جب» «هل يمكن أن تقع يوما ما تحت وطأة الخطر الإسلامي؟ ثم يجيب هو عن السؤال فيقول «أجل إنهم اليوم ضعاف متفرقون لا نرى لدى شعبهم عزما كيدا يحميهم على التضحية، ولا نرى عن ذوى الرأى والوجاهة فيهم أنهم يستطيعون الخلوص معا جمعة جديدة يتحدثون فيها عن مشاكلهم، فضلا عن أن يتمكنوا من حلها. لكن المسألة الكبرى هي مسألة الزعامة فحينما يجد الإسلام «صلاح الدين الجديد» رجلا يجمع بين الحكمة والسياسة العظيمة، وبين شعور برسالته الدينية يبلغ أعماق نفسه فإن ما عدا ذلك ينحل من تلقاء نفسه»

ويقول أحد علماء جامعة السوربون في مؤلفاته:

(٢) هل نحن مسلمون - محمد قطب، دار الشروق، ص ١٨.

(٣) لماذا تأخر المسلمون - شكيب أرسلان ص ٤٩، دار البشير للطباعة

(٤) انظر كتاب: وجهة الإسلام - هاملتون جب ص ٢٣٢.

إن العالم فيه ثلاث قوى.. قوة الشرق، وقوة الغرب، وهناك قوة ثالثة لو عرفت نفسها أمكنها أن ترث القوتين وهذه هي القوة الكامنة وراء يقظة المسلمين، لأن لهم نظرة انفردوا بها عن العالم في تنشئة الرجال». [٥]

ويؤكد ذلك ما صرح به المستشرق «سالازار» في حديث له مع بعض الصحفيين من أن الخطر الحقيقي إنما هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون من تغير نظام العالم فقيل له: إنهم في شغل عن أن يفكروا في هذا بخلافاتهم ونزاعاتهم، فقال: إنني أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا». [٦]

ويعبر عن هذا المعنى مستشرق آخر هو «مرمداد يوك باكتول» بطريقة أخرى فيقول: إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي كانوا نشروها بها سابقا، إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول لأن العالم الخاوي من القيم لا يستطيع أن يقف أمام روح حضارتهم. [٧]

ولا يخفى مفكروهم وعلماؤهم مدى ما يشعرون به من خطر، وما يعتمل في صدورهم من خوف ورعب، إذا استيقظ الإسلام، وعاد ليقود الأرض من جديد فيقول «جوستاف بوخ» في كتابه «الحساب الأخير»: إن العالم الإسلامي قد أفلت من قبضة الموت، الذي أعده ونسق أكفانه الاستعمار الأوروبي، وإن العالم الإسلامي يسرع الخطى إلى الشباب، ليصفى حسابه مع الاستعمار الأوروبي الصهيوني، وهو حساب عسير ورهيب». [٨]

وواضح في شهادات هؤلاء المستشرقين مدى الرعب الذي يستشعرونه من عودة الإسلام وهذا الرعب الذي تلحظه في كلمات هذا الكاتب، يأتي صدى لما يستشعره هو وقومه من عقدة الذنب تجاه الإسلام، هذا الذنب الذي يراه الكاتب لبشاعته وعمقه غير قابل للصفح والغفران وهو شعور يتسق وما يضمرونه من مكر سيئ وكيد رهيب.

وإذا كان بغضهم للإسلام الذي رضعوه صغارا، وتلقفوه في مدارسهم فتيانا، ومارسوه تشويها وطعنا بألسنتهم وأقلامهم شيوخا، قد حال بينهم وبين الدخول في هذا الدين الذي أدركوا عظمته وعرفوا حقيقته فإن هناك من أهل الغرب من استمع لنداء الفطرة، واستجاب لداعي الخير، ومال بعقله وقلبه إلى هذا الدين ومن هؤلاء المنصفين الكاتب النمساوي «ليوبلد فايس» الذي لم يملك نفسه أمام عظمة الإسلام فأعلن إسلامه، وانبرى يدافع عن هذا الدين العظيم الذي غفل عنه أهله، وفرط في حقه ذووه.

يقول هذا الرجل: «كنت كلما زدت فهما لتعاليم الإسلام من ناحيتها الذاتية وعظم ناحيتها العلمية، ازددت رغبة في التساؤل عما دفع المسلمين إلى هجر تطبيقها تطبيقا تاما على الحياة الحقيقية ثم يقول: لقد ناقشت هذه المشكلة مع كثير من المسلمين المفكرين في جميع البلاد ما بين طرابلس الغرب إلى هضبة «البامير» في الهند، ومن البوسفور إلى بحر العرب، فأصبح ذلك تقريبا شغلي الشاغل حتى استولى في النهاية على سائر أوجه اهتمامي بالعالم الإسلامي من الناحية الثقافية، ثم زادت رغبتي في ذلك شدة حتى أني - وأنا غير المسلم - أصبحت أتكلم عن المسلمين أنفسهم مشفقا عليهم وعلى الإسلام من إهمال المسلمين وتراخيهم إلى أن كان يوم في خريف عام ١٩٢٥ وأنا يومئذ في جبال الأفغان فقد نبهني حاكم إداري شاب بقوله: ولكنك مسلم، غير أنك لا تعرف ذلك من نفسك لقد أثرت في هذه الكلمات، غير أني بقيت صامتا، ولكن لما عدت إلى أوروبا مرة ثانية في عام ١٩٢٦ وجدت أن النتيجة المنطقية الوحيدة لميلي هذا أن أعتنق الإسلام»

وعندما سئل عن سبب اعتناق الإسلام قال:

لا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضا، ويشد بعضها بعضا، فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض «قد وضعت مواضعها» هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي. [٩]

وهذه شهادة أخرى من رجل غربي منصف، ولم ينهزم أمام موروثه البغيض ولم يضعف أمام سلطان الهوى، وكيد الشيطان وهو المستشرق المجري «جرمانوس» يقول:

«وإنني وأنا الرجل الأوروبي، الذي لم يجد في بيئته إلا عبادة الذهب والقوة والسطوة الميكانيكية، تأثرت أعمق التأثر ببساطة الإسلام، وعظمة سيطرته على النفوس، إن الشرق الإسلامي سيبقى مسيطرا على قلبي بروحانيته ومثله العالية فالإسلام يحافظ دائما على مبادئه الداعية إلى الحرية والإخاء والمساواة بين أبناء الجنس البشري، إنه لا يوجد في تعاليم الإسلام كلمة واحدة أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلم، أو يمنع زيادة حظه من النور والقوة والمعرفة ثم يعلنها الرجل في صراحة ووضوح ليسمع بها قومه ممن أعماهم التعصب الأعمى، والحقد البغيض فيقول: لقد أخطأ الأوروبيون إذا لم يفهموا الإسلام على حقيقته، وبالتالي لم يتشبعوا بروحه.

إن ما يميز الإنسان عن الحيوان هو إدراكه أن في الكون قوانين روحية تحكمه وأنه تسيره قوى غير محسوسة، وهذه الحقيقة هي أساس كل دين ولكنه لا يوجد دين يؤكدها أكثر من دين الإسلام». [١٠]

إن من أعجب العجب أن يدرك أعداؤنا سر قوتنا، وتميز شريعتنا وربانية دعوتنا، فيعملون جاهدين لصرفنا عن إدراك هذا السر بألوان من الإغواء والإغراء، حتى لا يستيقظ فينا حسنا الإيماني، ووازعنا الديني، وتميزنا الحضاري.

إن العالم الغربي على اختلاف ملله ونحله، لم يعد يشغله إلا عودة الإسلام ولهذا فقد اتفقت كلمتهم على عداوة الإسلام وإبادته، وإن غلفوا دعواهم بأغطية كاذبة من دعاوى الإرهاب حتى لا يوقظوا في الأمة ضميرها الإيماني النائم، فيرتد مكرهم عليهم وينقلب السحر على الساحر، فمتى نتجه لإسلامنا ونكتشف ذواتنا، ونثق بأنفسنا، ونستعيد هويتنا الضائعة؟

---

(٥) لم هذا الرعب كله من الإسلام - جودت سعيد. منشورات مسجد جامعة دمشق ص ٢٠.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق - نقلا عن مجلة الباحث - لصالح العشماوي من مقال لمحب الدين الخطيب.

(٨) انظر كتاب دولة القرآن لمحمد عبد الباقي سرور.

(٩) الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد ص ١٥-١٤.

(١٠) أسباب تقدم الشعوب الإسلامية - د. عبد الكريم جرمانوس - لاهور - سنة ١٩٥٢م.

في خطاب نتنياهو

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم

إنه في الرابع عشر من يونيو ٢٠٠٩ أي بعد عشرة أيام من إلقاء الرئيس الأمريكي باراك حسين أوباما خطابه بجامعة القاهرة ومن مركز بيجين - السادات بجامعة بارإيلان الدينية في تل أبيب وجه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو خطابه، مستهلا الحديث عن السلام بوجه عام باعتباره أمنية الشعب الإسرائيلي، كما تحدث عن السلام الإقليمي للتصالح مع دول المنطقة من أجل توسيع دائرة السلام حول الجميع مطالبا زعماء الدول العربية بالتعاون مع الفلسطينيين وإسرائيل من أجل تطوير مشاريع تحتاجها المنطقة مثل تحلية مياه البحر، واستغلال الطاقة الشمسية والاستفادة من الموقع الجغرافي الحيوي لهذه المنطقة، ومد خطوط الغاز والنفط، وطرق المواصلات التي تربط أفريقيا بآسيا من جهة وآسيا بأوروبا من جهة أخرى.

كما تناول في حديثه ما أسماه «السلام الاقتصادي» للفلسطينيين من أجل رفع مستواهم المعيشي، واعتبره مفهوما أساسيا «للسلام السياسي»، أي أن السلام الاقتصادي للفلسطينيين مقدم على السلام السياسي الذي في إطاره، يتمتع هؤلاء الفلسطينيون بدولة مستقلة ذات سيادة، أي أن نتنياهو يريد أن يوحي للعالم أنه ليس هناك حاجة للتركيز على السلام السياسي في هذه المرحلة الراهنة، بل ينبغي توفير الرفاه الاقتصادي للفلسطينيين أولا قبل حصولهم على ما يسميه السلام السياسي،

الذي يقتضي انسحاب القوات الإسرائيلية من الضفة الغربية ورفع الحصار عن غزة، وإقامة الدولة الفلسطينية. ويذهب نتنياهو إلى أن الخطر الإيراني، هو الخطر الأشد على إسرائيل، وعلى الشرق الأوسط، وعلى الإنسانية كلها، ويرى ضرورة العمل بلا كلل من أجل تشكيل «جبهة عالمية» لمواجهة خطر البرنامج النووي الإيراني، وهو يضع هذه المهمة في صدارة أجندة حكومته الجديدة، بينما تأتي المسألة الفلسطينية في المرتبة التالية. وانتقل في حديثه عن عدم رغبة إسرائيل في الحرب فقال «أنا لا أريد الحرب، ولا أحد في إسرائيل يريد الحرب»

ونتساءل إذا كانت إسرائيل حقا لا تريد الحرب، فلماذا لا تترك الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ سواء في فلسطين أو في سوريا، أو في مزارع شبعا في لبنان لأصحابها؟ وإذا كانت إسرائيل بالفعل لا تريد الحرب فلماذا هذه الترسانة الضخمة من الأسلحة التقليدية وغير التقليدية التي تمتلكها؟ أليس ذلك تهديدا للجميع؟

ويتساءل رئيس الوزراء الإسرائيلي «نتنياهو» في خطابه قائلا «علينا أن نسأل أنفسنا: لماذا لا يزال السلام بعيدا إلى هذا الحد، رغم أيادينا الممدودة له؟

ولماذا يستمر الصراع منذ أكثر من ستين عاما؟»

■■ والإجابة عن هذين التساؤلين يعرفها «بنيامين نتنياهو» نفسه، إذ إن إسرائيل لا تريد إلا السلام مقابل السلام، وليس الأرض مقابل السلام، أي أنها تريد فرض السلام بالشروط الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني الذي سلبته أرضه، واغتصبت دياره، وانتهكت حقوقه.

والعجيب في الأمر أن «نتنياهو» يحاول قلب الأمور على غير وجهها الصحيح عندما قال: «إن جذر الصراع، كان ولا يزال يتمثل في رفض الإقرار بحق الشعب اليهودي في دولته الخاصة، في وطنه التاريخي»

ونتساءل: كيف يعترف شعب، احتلت أرضه وطرد معظم أبنائه من وطنه الأم بالقوة القاهرة، بحق الشعب اليهودي في دولة على هذه الأرض السليبة التي يزعم «نتنياهو» أنها الوطن التاريخي لهذا الشعب اليهودي؟ ونتساءل: ألم يقرأ «نتنياهو» سفر يشوع ١٥ : ٦٣، وسفر القضاة ١٩ : ١١ - ١٢ من العهد القديم من كتاب اليهود المقدس حتى يعلم أن هذا الوطن التاريخي كان يسكنه في قديم الأيام اليبوسيون العرب قبل دخول العبرانيين إليه، وكيف كانت القدس العربية مدينة غريبة عليهم حيث لم يكن يسكنها أحد من بني إسرائيل. إن فلسطين هي الوطن التاريخي للعرب اليبوسيين منذ فجر التاريخ، وليس العكس.

ومن ناحية أخرى فإن جذر الصراع وجوهره هو رفض إسرائيل الانسحاب من الأرض العربية المحتلة ويرى نتنياهو أن اتفاقيات السلام مع كل من مصر والأردن، أنهت الصراع مع إسرائيل، وهو ما أدى إلى السلام بينهما حينما قال «لقد خرجت مصر والأردن من دائرة العداء وأن توقيع اتفاقيات السلام معهما، قاد إلى إنهاء الصراع معهما، وهذا أدى إلى السلام».

ونتساءل: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا تجلس إسرائيل إلى مائدة المفاوضات مع الفلسطينيين بنية صادقة، وإرادة مخلصة للتوصل إلى اتفاق سلام معهم، وتبادر بقبول الانسحاب غير المشروط من الأراضي التي جرى احتلالها في ٥ يونيو ١٩٦٧، إذا أرادت حقا إنهاء الصراع مع الفلسطينيين؟. وتحدث رئيس الوزراء الإسرائيلي عن الموقف الفلسطيني الرافض للاحتلال، متعمدا المغالطة بقوله: «إن الوضع ليس مشابها مع الفلسطينيين، فكلما اقتربنا من اتفاق السلام، يبتعدون عنه، وهم يعودون ويطرحون مطالب لا تستقيم مع الرغبة لإنهاء النزاع» ويقول إن مطالب الفلسطينيين واضحة، فهم يريدون أرضهم التي احتلتها

إسرائيل عام ١٩٦٧، وليس أرضيهم عام ١٩٤٨.

معتقل غزة !!

ولا شك أن ذلك مطلب عادل يستقيم مع الرغبة في إنهاء الصراع بين الجانبين، فإذا كانت إسرائيل تريد التوصل بالفعل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين، فلماذا لا تعيد إليهم أرضيهم المحتلة؟ ويحاول «نتنياهو» تضليل الرأى العام العالمي حينما قال: «إن الكثيرين يأتون ويقولون لنا إن الانسحاب هو مفتاح السلام، وفعلا انسحبنا (يقصد الانسحاب من قطاع غزة) والواقع أن كل انسحاب من جانبنا، جوبه بموجة إرهاب انتحارية كبيرة، وبآلاف الصواريخ. لقد جربنا الانسحاب باتفاق، والانسحاب من دون اتفاق انسحاب شامل وانسحاب جزئي.

■■ ونتساءل: هل انسحبت إسرائيل من الضفة الغربية؟ وهل فكت حصارها الخانق لغزة وفتحت معابرها المغلقة؟ وهل رفعت الحواجز أمام تنقل الفلسطينيين؟ والإجابة واضحة بالنفي

إن هذا الكلام من جانب نتنياهو يشير إلى الانسحاب من قطاع غزة من جانب واحد، متجاهلا الحصار المحكم على قطاع غزة، وتحويله إلى معتقل، وسجن بعد أن أغلقت معابره، إن الانسحاب المشار إليه هو مجرد إعادة انتشار للقوات الإسرائيلية المنسحبة، ونتساءل: أليس من حق أهالي غزة العمل على فك هذا الحصار المميت، ومقاومة المعتدى الإسرائيلي؟ واستمر «نتنياهو» في مغالطاته فيقول: «في عام ٢٠٠٠، كما في الماضي، عرضت حكومة إسرائيل من منطلق صادق، انسحابا شبه كامل لإنهاء النزاع،

وفي المرتين جوبه بالرفض» إن هذا القول من جانب نتنياهو، يشير إلى المفاوضات التي جرت بين إسرائيل في عهد «إيهود باراك» (من ١٩٩٩ - ٢٠٠١) مع الرئيس الفلسطيني الراحل «ياسر عرفات» برعاية الرئيس الأمريكي الأسبق «بيل كلينتون»، حيث كادت أن تصل المفاوضات بين الجانبين إلى اتفاق سلام لولا التعنت الإسرائيلي في إملاء شروطه المجحفة التي رفضها الرئيس الراحل «ياسر عرفات» ومن جانب آخر، فإن وصف الاحتلال الإسرائيلي بأنه مجرد نزاع، وكأنه نزاع على الحدود، لا يستقيم وواقع الصراع المحتدم بين الجانب القائم بالاحتلال، والجانب الخاضع لهذا الاحتلال، الذي يريد أرضه المحتلة.

تضليل وتزييف

ويواصل «نتنياهو» محاولات تضليل الرأى العام وتزييف الحقائق فيقول: «لقد انسحبنا حتى السنتيمتر الأخير من قطاع غزة. واقتلعنا عشرات المستوطنات (المستعمرات) وآلاف الإسرائيليين من بيوتهم، وتلقينا مقابل ذلك أمطارا من الصواريخ على مدننا. في الحقيقة إن نتنياهو يريد أن يقول إن الانسحاب لا جدوى له، فقد قالها بالفعل حينما قال: «إن الزعم بأن الانسحاب يجلب سلاما مع الفلسطينيين أو على الأقل يقربه، هو زعم لم ينجح في اختبار الواقع» وكأن نتنياهو يريد أن يعلن بصراحة أنه لا انسحاب من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، عقابا للشعب الفلسطيني على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وهو بذلك يريد أن يحكم على المفاوضات بالفشل قبل أن تبدأ. إن خطاب

نتنياهو، والحالة هذه، يحوى الكثير من المغالطات التي لا يمكن قبولها، حيث لا تستقيم مع العقل والمنطق ومن ناحية أخرى يطالب «نتنياهو» الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل كدولة قومية للشعب اليهودى، أى أن نتنياهو يريد من الفلسطينيين الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية قبل إقامة الدولة الفلسطينية المرتقبة.

ولا شك أن هذا القول من جانب «نتنياهو» يعني أن لا عودة للفلسطينيين إلى ديارهم عام ١٩٤٨، وضرب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ عرض الحائط، واعتباره كأن لم يكن، ومن جهة أخرى التأكيد على رغبة إسرائيل في أن يترك باب توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية مفتوحا على مصراعيه، مع أن المبادرة العربية للسلام، نصت على رفض التوطين الذى يتنافى والوضع الخاص في البلاد العربية المضيفة.

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين !!

وفوق ذلك فإن يهودية الدولة التي يطالب «نتنياهو» اعتراف الفلسطينيين بها تستهدف من ناحية أخرى الأقلية العربية الحاملة للجنسية الإسرائيلية في إسرائيل، فإما القبول بالهوية اليهودية للدولة الإسرائيلية، وإما أن يرحلوا عنها إلى الدولة الفلسطينية التي يطالب بها الفلسطينيون، وتحدث «نتنياهو» عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وضرورة حلها خارج حدود إسرائيل، قائلا «من أجل أن يكون هذا الإقرار، ذا طبيعة عملية، يتطلب الأمر موافقة على أن تجد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حلا لها خارج حدود دولة إسرائيل» ونتساءل مرة أخرى: كيف يمكن حل هذه المشكلة خارج حدود إسرائيل، وتجاهل القرار رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨ الخاص بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم عام ١٩٤٨؟ إن هذا يعني عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى مدنهم وقراهم التي أرغموا على الرحيل منها بفعل قوة الاحتلال الغاشمة والإبقاء عليهم داخل مخيماتهم في الدول العربية المضيفة، وكأن دولة الاحتلال الصهيوني تريد من الدول العربية التي استضافت هؤلاء اللاجئين، أن تستوعبهم، وتمنحهم جنسياتها، وهو ما يعني أن تتحول الدول العربية المضيفة لهم، إلى أوطان بديلة، وفي هذا السياق يحاول نتنياهو إقناع العالم بهذا المطلب فيقول: «إن اسرائيل الصغيرة من دون موارد طبيعية وفي هذه القطعة الصغيرة من الأرض، استوعبت مئات الآلاف من اللاجئين اليهود من الدول العربية الذين تركوا بيوتهم، وفقدوا كل شيء».

إن نتنياهو يريد أن يقول بصراحة إن إسرائيل الصغيرة لا يمكنها إلا أن تستوعب فقط الشعب اليهودى دون غيره، فهى دولة لليهود فقط. وعليه فينبغى على الدول العربية التي رحل منها اللاجئون اليهود إلى اسرائيل، أن تستوعب جميع اللاجئين الفلسطينيين بما فيهم عرب ١٩٤٨ ومن هنا نجد نتنياهو يؤكد على ذلك من غير خجل حينما قال: «إن العقل والمنطق يلزمان بأن تجد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حلا إلزاميا لها خارج حدود إسرائيل» ويرى «نتنياهو» أنه بالنوايا الحسنة، وبتمويل دولى يمكن حل هذه المشكلة الإنسانية مرة واحدة إلى

الأبد. ونتساءل مرة أخرى: كيف يمكن إلغاء حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم بإرادة منفردة من جانب إسرائيل ؟

دولة يهودية مسلحة ودولة فلسطينية منزوعة السلاح !!

إن كرز الدنيا لا يمكن أن تعوض الفلسطينيين عن وطن اغتصب بالقوة المسلحة، وأرغم أصحابه على تركه، لتحتله جماعات أخرى، رحلت عن أوطانها الأصلية. والأغرب أن يرى «نتنياهو» أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، هي مجرد مشكلة إنسانية يمكن حلها بطريقة أو بأخرى، متناسيا أنها مشكلة سياسية في المقام الأول، أوجدها الاحتلال الإسرائيلي منذ عام ١٩٤٨، ويبدو أن «نتنياهو» اعترف على استحياء بحل الدولتين لتفادى الغضب الأمريكي، حينما قال: «في رؤيتي للسلام، يعيش في أرضنا الصغيرة، شعبان حران، جنبا إلى جنب، بحسن جيرة وباحترام متبادل، لكل شعب علمه، ونشيده الوطني، وسلطته ولا أحد منهما يهدد أمن ووجود الآخر». لكن «نتنياهو» من جانبه طالب - في مقابل حل الدولتين - الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل كدولة للشعب اليهودى في قوله: «يجب على الفلسطينيين الاعتراف حقيقة بإسرائيل كدولة للشعب اليهودى» وهو اعتراف يسبق إقامة الدولة الفلسطينية المرتقبة، هذا هو الشرط الرئيسى الذى وضعه رئيس الوزراء الإسرائيلي مقابل حل الدولتين. ويحدد «نتنياهو» طبيعة هذه الدولة الوليدة قائلا: «في كل تسوية سلمية يجب على كل أرض تقع تحت سيطرة الفلسطينيين، أن تكون منزوعة السلاح، مع ترتيبات أمنية صلبة لدولة إسرائيل»، وهكذا يشترط «نتنياهو» في مقابل قيام الدولة الفلسطينية شرطين، الأول: الاعتراف بيهودية إسرائيل، أى أن تكون إسرائيل فقط ملكاً للشعب اليهودى، ولا يقيم فيها إلا من يحمل الهوية اليهودية، أما الشرط الثاني: فهو أن تكون الدولة الفلسطينية القادمة، منزوعة السلاح، أى دولة بلا جيش يدافع عنها، ويحمى حدودها، وأن تكون السيطرة الجوية والبحرية والبرية لإسرائيل، وبالتالى دولة لا تملك من عناوين السيادة، غير العلم والنشيد الوطني، وربما تكون تابعة لدولة الاحتلال الإسرائيلي التي منحتها حق الوجود.

غـــزة !!

وفي هذا السياق طالب «نتنياهو» قيادة السلطة بشرط ثالث وهو ضرورة إحكام قبضتها على قطاع غزة في قوله: «على السلطة الفلسطينية أن تفرض النظام في قطاع غزة، والتغلب على حماس، لأن إسرائيل لن تجلس على طاولة المفاوضات، مع إرهابيين يريدون تدميرها». وكما ترى فإن إسرائيل تريد أن يزيد الوضع اشتعالا، وتحدث المواجهة بين فتح وحماس، وإلا فلا جلوس إلى مائدة المفاوضات مع قيادة السلطة الفلسطينية، وبالتالى فلا مجال للحديث عما يسمى بالدولة الفلسطينية التي يطالب الفلسطينيون بها.

وأضاف «نتنياهو»: «إذا حصلنا على هذه الضمانة لنزع السلاح وللترتيبات الأمنية لإسرائيل وإذا اعترف الفلسطينيون بإسرائيل كدولة للشعب اليهودى، فسوف نكون على استعداد لاتفاق سلام حقيقي للوصول إلى حل دولة فلسطينية منزوعة السلاح إلى جانب الدولة اليهودية».

القــدس !!

وتحدث «نتنياهو» عن القدس الموحدة وعن الحدود القابلة للدفاع عنها فقال: «إسرائيل بحاجة إلى حدود قابلة للدفاع عنها، والقدس عاصمة دولة إسرائيل تبقى موحدة، عبر استمرار منح حرية العبادة لكل الأديان» ويعنى هذا النص عدم تفكيك المستوطنات الكبيرة التى ستقوم إسرائيل بضمها إلى الدولة اليهودية، برغم اعتبارها عائقاً أمام قيام دولة فلسطينية مستقلة متواصلة جغرافيا وقابلة للحياة.

كما يعنى أيضا عدم تقسيم القدس بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والإصرار من جانب إسرائيل على الإبقاء على القدس موحدة، عاصمة أبدية لدولة الشعب اليهودى، ومنح حرية زيارة الأماكن المقدسة لكل أصحاب الديانات ترضية لهم. وتناول «نتنياهو» في خطابه مسألة المستعمرات اليهودية فقال: «لا نية لدينا لبناء مستوطنات جديدة أو مصادرة أراض لتوسيع مستوطنات قائمة لكن ثمة حاجة للسماح للسكان بالعيش حياتهم الطبيعية». أى أن إسرائيل ليس في نيتها مواصلة البناء إلا في إطار ما يستلزمه النمو الطبيعي للسكان في المستعمرات الكبرى من توسعات. ومن المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة «باراك أوباما» تطالب إسرائيل بتجميد الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وتشير مصادر إسرائيلية إلى أن اللقاء الذى حدث يوم الاثنين ٦ يوليو ٢٠٠٩ في لندن بين الوفد الأمريكي الخاص إلى الشرق الأوسط «جورج ميتشل» ووزير الدفاع الإسرائيلي «إيهود باراك» أثمر مزيدا من التقدم في الاتصالات مع الولايات المتحدة في مسألة تجميد البناء في المستوطنات.

تجميد مؤقت ومواصلة للبناء !!

كما نقلت وسائل إعلام عربية يوم ٨ يوليو ٢٠٠٩ أن وزير الدفاع الإسرائيلي قال: «إن ثمة صيغة تتم بلورتها بين واشنطن وتل أبيب، تقضي بأنه في موازاة موافقة إسرائيل على «تجميد مؤقت» للبناء في المستوطنات شرط أن يكون جزءا من عملية سياسية إقليمية شاملة، توافق الولايات المتحدة على مواصلة بناء أكثر من ألفي وحدة سكنية، تم إقرار بنائها، وهي الآن قيد البناء» لذلك نقلت هذه المصادر الإعلامية الإسرائيلية «أن التجميد المؤقت للبناء، سيكون بمثابة السلم للأمريكيين للنزول عن الشجرة في مطالبهم المتشددة بوقف الاستيطان» وهو ما يعنى أنه ربما تحدث ليونة في المستقبل بشأن تجميد البناء في المستعمرات اليهودية من جانب الإدارة الأمريكية الجديدة ويمكن القول - في الختام - أن خطاب نتنياهو يرسم أبعاد التآمر الصهيوني على القضية الفلسطينية، وهو ما يعرقل إمكانية التوصل إلى تسوية سلمية للصراع العربي - الإسرائيلي في ظل حكومة إسرائيلية يمينية متشددة.

قراءة في كتاب

الإيقاع الصوتي في الشعر العربي

الدكتور/ محمد رزق شعير

[illegible]

[illegible] مريم ٨٣

يستشهد ابن جنى بهذه الآية في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني عند حديثه عن تقارب الحروف لتقارب المعاني فيقول: أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين.

وكأنهم - أي: علماء التفسير - خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفس من الهز.

وللعلماء إشارات كثيرة مبثوثة في كتب التفسير تربط بين الصوت والمعنى وهذا الكتاب إحدى الدراسات الحديثة في هذا الجانب.

مؤلف الكتاب:

هو الدكتور محمد رزق شعير، حاصل على درجتي «دكتوراة» إحداهما في «الأدب» والأخرى في «فقه اللغة» والمؤلف له باع طويل في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ومبعوث إلى دولة أوزبكستان لتدريس اللغة العربية لأبنائها.

أسباب تأليف الكتاب:

تأثر المؤلف برأي أحد علماء الغرب الذي يقرر فيه أن «تتابع المقاطع على نحو خاص سواء كانت هذه المقاطع أصواتا أو صوراً للحركات الكلامية، يهيئ الذهن لتقبل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره، لا يكيف جهازنا في هذه اللحظة بحيث لا يقبل إلا مجموعة محدودة من المنبهات الممكنة».

ومن هنا تولدت لديه فكرة هذا البحث حيث وجدها جديرة بالخوض في معالمها العلمية والفنية.

وكذلك اطلع المؤلف على رأي لعالم آخر هو دافيد ابركرومبي يذهب فيه إلى أن معظم علماء الأصوات لا يلقون بالا إلى العروض، كما أن العروضيين لا يلقون بالاً إلى علم الأصوات وأرجع السبب إلى أن الفريقين لم يتفقا على أسس معرفية مشتركة.

ويقرر المؤلف أنه كتب هذا البحث من أجل هذا السبب، حيث يقول:

«وهذه الملاحظة هي التي دفعتني إلى كتابة هذا البحث المهم الذي يتجاهله الكثير من الأدباء والنقاد ويعدونه أمراً فطريا يدرك بالسليقة. ولا يحتاج إلى دراسة أو بحث»

وهو بهذا يحسب للمؤلف. فهو لا يكتفي بما يقوله الآخرون بأن هذا أمر فطري بل يخضعه للدراسة. حتى يصل إلى أسرار التميز عند فحول الشعراء.

الكتاب:

يقع الكتاب في مائة وسبع وثلاثين صفحة من قطع ١٥ × ٢١ سم.

ويتكون من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فجعلها لبيان أهمية البحث، وأما المباحث الأربعة فجاءت على النحو التالي

■■ المبحث الأول عن: «الصوتيات وعلاقتها بالشعر»:

تناول فيها عدة مسائل مهمة؛ وهي: المجال الصوتي في الشعر، حرف الروي وأصوات اللغة، الإيقاع الصوتي في الأدب، عناصر النص الأدبي، التركيب الصوتي، الصوت في الكلام، التصنيف الصوتي، تقسيم الأصوات إلى صوامت وصوائت، الوضوح السمعي في التصنيف الصوتي.

■■ المبحث الثاني عن: «القافية وأثرها الصوتي»:

وقد خصصها لعدة مسائل مهمة؛ وهي: ماهية القافية، القافية في الاصطلاح، حروف القافية، الروي، تعيين الروي، الوزن وأثره في قبول النسق الشعري، البصمة الإيقاعية.

■■ المبحث الثالث عن: «القافية والحالة النفسية للشاعر»:

عرض فيها عدة مسائل مهمة؛ وهي: القافية والحالة النفسية للشاعر، سينية البحتري، الإيقاع الصوتي في سينية البحتري، قصيدة (النبي المجهول) لأبي القاسم الشابي.

■■ المبحث الرابع عن: «الإيقاع الصوتي في ديواني»:

«النقش فوق الحدقة» للشاعر/ أمين مرسي، و«طلقات الأشعار» للشاعر/ محمد محمود عبدالعال.

قدم فيه تعريفاً عاماً بالديوانين والجو النفسي المهيمن على القصائد ومدى ملاءمته لاختيار حرف الروي، حيث قام بربط بين القافية ومضمون القصيدة الفكري والوجداني، وحلل عدداً من القصائد في الديوانين - بقوافٍ مختلفة. للاستدلال بها على فكرة البحث.

أما الخاتمة فقد لخص فيها أهم ما جاء بالكتاب من أفكار حول هذا الموضوع الصوتي الشعري.

وفي المبحث الأول يقرر المؤلف أنه لو أمكن أن تتكرر أصوات نصف شطر دون إخلال بالمعنى ودون تكلف أو تعسف لصح أن تسمى كل تلك الأصوات المكررة قافية. وعلى قدر الأصوات المكررة تتم موسيقى الشعر وتكمل. وقد عد القدماء كثرة الأصوات المكررة براعة في القول. لولا ما دخل هذه الكثرة في العصور المتأخرة من تكلف أخرجها عن حسن القول.

وعن الإيقاع الصوتي في الأدب يقول:

الإيقاع الصوتي هو الدرجة الأولى للإيقاع في الأدب: هو إيقاع يجتمع في صورته الخاصة - في الشعر - في التكرار والتوقع. وفي استخدام جرس اللفظ وما يمكن أن يدل عليه. «فتتابع المقاطع على نحو خاص سواء كانت هذه المقاطع أصواتاً أو صوراً للحركات الكلامية. يهيئ الذهن لتقبل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره. إذ يتكيف جهازنا في هذه اللحظة بحيث لا يتقبل إلا مجموعة محدودة من المنبهات الممكنة

ويبرهن المؤلف على ذلك أن العين أثناء قراءة كلام مطبوع تتوقع بدون وعي أن يكون هجاء الكلمات كالمعتاد وأن تظل حروف الطباعة كما هي. فكذلك الذهن بعد قراءة بيت أو بيتين أو نصف جملة نثرية يكون مهيأ لعدد معين من التتابع الممكن. وهو أمر نلمسه عند قراءة أي نص. على المستوى النثري والذهني ثم يوضح المؤلف أمراً آخر وهو أن كثيراً من الأصوات في اللغات تعتبر في الواقع جزءاً من معناها وأحياناً كل المعنى في الألفاظ ذات الدلالة الصوتية. وهي في العربية ألفاظ أصوات الطبيعي والأفعال مثل زئير وشقشقة... إلخ. وهو ما يسمى عادة بالعنصر الملازم للصوت والعنصر المتعلق به. وهكذا نسير مع المؤلف لنصل إلى أن الأدب هو «الاستخدام الفني للطاقات الحسية والعقلية والنفسية والصوتية للألفاظ

ويدلل المؤلف على أهمية علم الصوتيات في كثير من موضع حيث يقول:

وإذا كان علم الصوتيات فرعاً من علم اللغة فمن الواضح أولاً أنه ذو أهمية كبيرة بالنسبة إلى بقية المجالات في دراسة اللغة. فمن الصعب أن تكون لغوياً أو أديباً دون أن تكون لديك معرفة متينة في علم الصوتيات

وعلى هذا النسق سار المؤلف ليثبت أهمية علم الصوتيات لكل من علماء اللهجات والعلماء الذين يتكلمون عن المفهوم البنيوي.

ونلتقط من ثنايا كلامه شيئاً نراه مهماً إذ يقول:

«إن الوضوح السمعي للأصوات اللغوية أمر في غاية الأهمية. فهو أساس من الأسس التي تعتمد عليها اللغة في نجاحها وأدائها لمهمتها بوصفها أداة تعبيرية منطوقة ومسموعة. مما يستوجب وضوح أصواتها وقوة رنينها وجرسها»

وهو أمر يفيد منه خطباء المساجد. إذ الخطيب الناجح هو من يسعى إلى دراسة كل ما يساعده أن يكون فعالاً ومؤثراً في مجتمعه

وينهي المؤلف هذا الفصل بالوصول إلى أن الأصوات الصامتة أقل وضوحاً في السمع من أصوات المد واللين وأن أبرز خواص أصوات المد هي قوة الوضوح السمعي

■ القافية وأثرها الصوتي:

أما المبحث الثاني فيذهب فيه المؤلف إلى أن معرفة الوزن يمكن أن تسهم في تذوق الشعر والتمتع به. فالإحساس بالهندسة الموسيقية للقصيدة تساعد المتلقي على الولوج إلى أعماق النص والإحساس به. بل إن الأمر يمكن أن يصل إلى ما هو أبعد من ذلك.

بمعنى أن السامع أو المتلقي يمكنه من خلال معرفته للأوزان الشعرية أن يستمتع بالعمل الشعري وتقديره. وأن يشعر من خلاله بقدرة الشاعر على تشكيل مادته وتوجيهها وجهة معينة تبعاً لإرادته. فالإبداع الشعري صورة من صور الإرادة الإنسانية وقدرتها على التأثير. والنسق نظام. ولابد من إرادة وراء كل نظام. والشعور بإرادة الشاعر وقدرته من أسباب المتعة التي يحدثها النسق الشعري في نفس المتلقي

ويخلص المؤلف من هذا المبحث إلى أن:

الكلام الموزون ذو الإيقاع الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجيباً، وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقطع لتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى. والتي تنتهي بعد عدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها القافية. فنحن نسمع بعض مقاطع الشطر. ونتوقع البعض الآخر. وذلك حين تتمرن الآذان الكافي على سماع هذا النظام الخاص في مقاطع الوزن. فعملية التوقع المستمرة حين سماع الإنشاد تسترعي منا الانتباه وتنشطه

■ القافية والحالة النفسية للشاعر:

وفي المبحث الثالث يوضح المؤلف أن تكرار الشاعر لحرف بعينه. قد يكون له مغزى نفسي عميق. فقد يرجع هذا إلى صورة الحرف أو شكله. وما يوحي هذا الصوت في نفس الشاعر من إيحاءات نفسية معينة. تعكس شعوراً يسيطر عليه. وهو بصدد ممارسته لتجربته الفنية في هذه القصيدة أو تلك

أو قد يكون الباعث على ذلك ناحية عضوية. نشأت عن شعور نفسي معين جعل الشاعر يستصعب نطق بعض الحروف ويستسهل نطق أخرى

ويمثل المؤلف لما يقول بـ «سينية البحتري» التي تصور صدق التجربة الشعرية ومطابقتها لحالة الشاعر النفسية والشعورية فيعلق على هذه القصيدة التي مطلعها

صنت نفسي عما يدنس نفسي
وترفعت عن جدا كل جبس
وتماسكت حين زعزعني الدهر
التماسا منه لتعسي ونكسي

فيقول المؤلف: يلاحظ هنا أن السين المكسورة جاءت حرفاً لروي هذه القصيدة ومجيء هذا الحرف بالذات هنا له دلالة نفسية عميقة. فحرف السين من حروف الصفير. التي تنسل هاربة من بين الأسنان والفم يكاد يكون مغلقاً

وهذه الظاهرة الصوتية تحدث لمن يحسون بشيء من الجهد والإرهاق البدني أو النفسي. لذى ينعكس على طريقة نطقهم للكلام واختيارهم بطريقة لا شعورية لبعض الحروف والأصوات التي تتلاءم وهذا الإحساس الذي ينتابهم

وقد كان هذا الشاعر في حالة نفسية يرثى لها، فقد فقد كثيرا من الروابط التي تربطه بالحياة؛ فقد المال والجاه، والصحب والخلان، وأصبح وحيدا غريبا في وطنه، ومع ذلك فإنه لم يفقد قيمه ومثله العليا. فلم يهن نفسه ولم يذلها.

ولم يتزعزع ويضعف، بل تماسك ووقف صلبا شامخا أمام هذه النوائب؛ ومن ثم فليس بعجيب أن تأتي السين المكسورة حرف روي لهذه القصيدة ملائمة في نطقها وصوتها الخافت لهذا الإحساس وذلك الانكسار النفسي الذي ينتاب هذا الشاعر ويدفعه كذلك وبطريقة لا شعورية إلى ترديد هذا الحرف في البيتين الأول والثاني من هذه القصيدة أربع مرات.

ويؤكد المؤلف على هذا المعنى أن السين المكسورة إذا جاءت حرفا لروي القصيدة تعطي هذه الدلالة النفسية العميقة، ويستشهد بقصيدة أبي القاسم الشابي (إلى الجهول) التي يقول فيها:

أيها الشعب ليتني كنت حطابا
فأهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول إذا سالت
تهد القبور رمسا برمس
ليتني كنت كالرياح فأطوي
كل ما يخنق الزهور بنحسي
ليتني كنت كالشتاء أغشي
كل ما أذبل الخريف بقرسي
ليت لي قوة العواصف يا شعبي
فألقي إليك ثورة نفسي

فالسين المكسورة معبرة عن الإحساس الذي ينتاب الشاعر إزاء شعبه، فصوت الشاعر يعلو أول البيت ولكنه ينخفض ويخفت في نهاية كل بيت وكأن شعورا داخليا هو الذي يدفع الشاعر إلى هذا.

■ النقش فوق الحدقة:

وفي المبحث الرابع يتناول المؤلف حرفا آخر هو حرف التاء يلقي عليه الضوء ليظهر الأثر الصوتي لهذا الحرف إذ يقول: حرف التاء، وظفه الشاعر في قصيدة «مناظرة» تتلاءم لجو النفسي لطرفي المناظرة؛ حيث يحرص كل طرف على تحقيق هدفه. ولنتابع هذه المناظرة لنرى هل المؤلف محق فيما ذهب إليه أو لا؟

يقول السيف للمدفع	أنا رمز البطولات
وكم من غزوة حدثت	ولي فيها مروءاتي
أنا في الحرب تجربة	لهيب أسمي المقامات
عدو الله يخشاني	وأربات الجبانات
أبث الحمد أسراري	فهل يحكيك آياتي؟
فقال المدفع العاتي	أنا ذخر الصناعات
أحدث عن صواريخ	لها معنى تحياتي
فمن منا بماضيها	بقرب المسافات؟
أفق يا سيف لا تنكر	مع التضحية في ثبت
كفاك الفخر بالماضي	ألا فكرت في الآتي؟

والواضح أن الشاعر وفق أيما توفيق في هذه القصيدة وبخاصة في توخية العدالة التي عمد إليها في مساواته بين الفريقين، الفريق الأول الذي يتحدث عن التاريخ التليد والذي رمز إليه بالسيف وبين الفريق الآخر الذي يتحدث عن الواقع بما يذخر به من صناعات واختراعات تواكب الحياة المعاصرة ورمز إليه بالمدفع فجاءت الأبيات في شقين متساويين.

■ رسالة جامعي عاطل لأمه

ومازلنا مع إيحاءات الحروف وما تحمله من معان؛ يجليها المؤلف بإلقاء الضوء على حرف آخر هو حرف النون من خلال تحليله لقافية قصيدة «رسالة جامعي عاطل لأمه» وهي من ديوان النقش على الحدقة.

إذ يوضح المؤلف أن حرف النون – من خلال وصف مخرجه – هو صوت انحرافي؛ حيث يتجافى من ناحيتي اللسان؛ فانحرافية هذا الحرف تتلاءم وطبيعة ما قال الشاعر وصفا للشاب العاطل ولنتابع القصيدة لنرى هل أصاب المؤلف في حكمه أم لا؟

يقول الشاعر:

أماه صار الحرف فوق لساني
فشربت كأس البؤس والحرمان
وإليك يا أماه أحكي قصتي
حتى أخفف شدة الغليان
ضاعفت من جهدي ونلت شهادة
في جامعات العلم والعرفان
وذهبت أبحث عن وظيفة عامل
في مهرجان اليأس والخذلان
فدخلت في فلك البطالة مجبرا
ومع الفساد تزايدت أشجاني
وسألت عن سر اغترابي حائرا
فأشرت يا أماه نحو الجاني
ما أنا فأنشير صوب كتائب
للنهب، والطغيان والعدوان
وأرى اللصوص يدنسون ديارنا
أما البنوك فحالها أبكاني
تعطي القروض إلى القرود لأنها
أمنت عقاب السجن والسجان

وإذا كانت الأبيات السابقة تكفي للدلالة على مراد المؤلف ورأيه إلا أن خاتمة القصة جديرة بالإشارة إليها لما فيها من صمود هذا الشباب وإيمانه بالله وقناعته بأن الحق لا بد سينتصر ويشير إلى ارتباطه الشديد بوطنه.

أليس حب الوطن من الإيمان؟!

ثم أليس من واجبنا أن ننشر للشاعر هذه الأبيات؟!

إذ يقول:

وهنا على مضض سأختم قصتي
متذرعا بالصبر والإيمان
إذ عشت كالسيف المهند معدما
فأنا وهذا الغمد مقترنان
وبرغم ما يجري فإن قناعتي
بالحق تهزم زمرة الشيطان
ولذا جعلت من الكنانة جنتي
وملأت من عبق لها وجداني

ثم أليست هذه الأبيات الأخيرة المليئة بالصبر المشعة بالإيمان، قد نزعته من عالمه المظلم وحالة الاستكانة التي ألمت به ونقلته إلى عالم آخر ملأ وجدانه بعبق الكنانة؟

فهل مع هذه الانتفاضة بقية من انحراف برغم استمرار القافية النونية؟!

ثم أما بعد

فقد أجاد المؤلف حين عرض هذا البحث الشائق فكان استكمالا لما بدأه ابن جني ولكن بمصطلحات وأدوات العلم الحديث



إعداد الأستاذين : محمد جمعة - علا عبد الرحمن

كتاب جديد يسيء إلى الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم

نشرت جريدة اللواء الإسلامي الصادرة في ٢٠٠٩/٨/٦م تقريرا عن كتاب أعاد للأذهان أزمة الرسوم الدنماركية والذي جاء فيه:

شهدت الجزائر موجة من الجدل والغضب بسبب إصدار شيخ إحدى الزوايا الصوفية لكتاب يتضمن رسوما تجسد الرسول ﷺ والصحابة - رضوان الله عليهم - وجبريل - عليه السلام - بالإضافة إلى وضع صورة الأمير عبد القادر رمز المقاومة الجزائرية في إطار نجمة داود. وتضمين الكتاب لصور إباحية.

كان الكتاب الذي حمل عنوان «التصوف.. الإرث المشترك» لشيخ الزاوية العلاوية خالد بن تونس الذي أصدره خلال احتفال الزاوية بالذكرى الأولى لتأسيسها، وفضلاً عن استهجان المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر تلك الصور، التي من بينها صورة جبريل - عليه السلام - أثناء حادثة فداء إسماعيل - عليه السلام - بالكبش - لدى إقبال نبي إبراهيم - عليه السلام - على ذبحه امتثالاً لأمر الله تعالى.

وحذر المجلس من مسألة أخرى رأى أنها أشد خطورة. وهي دمج نصوص غريبة في هذا الكتاب تكاد تصور الديانات على أنها «دين واحد» وشن عدد من شيوخ الزوايا الجزائرية هجوما حادا على شيخ الزاوية العلاوية تمثية مستغانم واصفين إياه بالزندقة، وبأنه دجال القرن الواحد والعشرين، وبالسقوط في أحضان الصهيونية التي تريد أن تلغي جميع الأديان لتسيطر هي على العالم، وتنفذ أهدافها الخبيثة.

وقال شيخ الزاوية البوريدية - إحدى كبرى الزوايا الجزائرية - الشيخ عبدالقادر البوريدي تعقيباً على الكتاب إن الزاوية البوريدية تندد بشدة وترفض ما جاء به دجال القرن الواحد والعشرين من تصوير شخصية سيدنا محمد ﷺ وبعض الأنبياء والصحابة والملائكة في كتاب العار والخزي المسمى «التصوف.. الإرث المشترك». مشيراً إلى أن صاحب الكتاب يصرح بحقده المكنون في قلبه منذ نشأته حتى مسح عليه وأصبح من الزنادقة والسماسرة الذين باعوا دينهم وشرفهم للحظة الماسونية الصهيونية. ومن أهدافها توحيد الأديان أو بعبارة أخرى «عولمة الدين» أي كل الأديان السماوية تمحى لتحل مكانها العقيدة الصهيونية، فإذا وصلوا إلى هذا الهدف الخبيث تأتي المرحلة الثانية وهي اضمحلال جميع الحكومات الإقليمية لتكون حكومة واحدة وعلى رأسها الصهيونية. وخلص البوريدي إلى القول أن شيخ الزاوية البوريدية ومريديها ومشايخ الشاذلية في مشارق الأرض ومغاربها يتبرأون من هذا الفعل الخبيث. داعين الله أن يكفي الأمة شر صاحب الكتاب والذي من ورائه.

ومن جانبه هدد رئيس الجمعية علماء المسلمين الشيخ عبدالرحمن شيبان بالتصدي لكتاب بن تونس وقال إن لن نسكت عن الإساءة للرموز المقدسة في الإسلام وإن الجمعية تلقت باستغراب واستنكار ما نقله صاحب هذا الكتاب الذي تضمن فعلاً صوراً للرسول الكريم ﷺ وحوله صحابته - رضوان الله عليهم أجمعين - وهو يلقنهم القرآن الكريم بالإضافة إلى صورة سيدنا جبريل - عليه السلام - في صورة امرأة. مضيفاً إن هذا الكتاب فيه مساس بمقدسات الإسلامية والرموز الوطنية؟ على اعتبار أن المؤلف تضمن كذلك صورة للأمير عبدالقادر الجزائري وسط نجمة داود رمز الصهيونية والكيان الصهيوني.

أما المفكر الإسلامي الجزائري الدكتور عمار الطالبي. فوصف الخطوة التي أقدم عليها بن تونس بأنها سلوك محرف لصوفي. وقال أما خاتم سليمان أو نجمة داود - عليه السلام - فإنها من الإسرائيليات التي تسربت إلى المسلمين، وما حوله من أساطير شعبية. فليس في القرآن ولا السنة ما يجعل هذا الخاتم من تراث الإسلام ورموزه

ولو فرضنا أنه استعمل في بعض الأشياء فليس ذلك حجة شرعية تجيز أو توجب اعتباره. واستعماله اليوم وقد تطورت أحواله وأصبح رمزاً للعلم الصهيوني الذي احتل فلسطين حيث مقدسات المسلمين. فلا يجوز أن تركب صورة رمز من رموز الوطن وهو الأمير عبدالقادر على هذه النجمة السداسية، التي أصبحت علماً للكيان الصهيوني. كما جعل الهلال تحت إطار النجمة السداسية.

وقال الدكتور الطالبي إننا نريد في عصرنا هذا الذي تتكالب فيه الأمم علينا أن نواجه جميعاً التحديات التي تحيط بنا، سواء في ذلك الصوفية والسلفية والأشاعرة والسنة والشيعة. ولا مجال للخصومات والمعارك الوهمية التي تقوض أركان وحدة الأمة وحذر المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر من مسألة أخرى أشد خطورة وردت في الكتاب. وهي دمج نصوص غريبة تكاد تصف الديانات السابقة على أنها دين واحد.. مجدداً الدعوة إلى التفريق بين علاقة الأديان فيما بينها. وبين دعوة الدين الحنيف إلى الحوار عملاً بنص القرآن ﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (فصلت ٣٤)

وبالنسبة لاحتواء الكتاب على صورة نجمة داود السداسية في مشهد يحيط بصورة الأمير عبدالقادر. فقد استنكر المجلس اجتماعها مع صورة رمز من رموز المقاومة. وهي - أي نجمة داود - التي أصبحت رمزاً للصهيونية المعروفة بعداوتها للإسلام»

أيها المسلمون.. أغيثوا القدس!

تحت هذا العنوان كتب الشيخ الدكتور / يوسف جمعة سلامة خطيب المسجد الأقصى المبارك في جريدة اللواء الإسلامي يقول:

قضية فلسطين قضية إسلامية وعربية. فهي تقع في وجدان كل مسلم يشعر بانتمائه لهذه الأمة ويعتز قلبه بالإيمان الصادق. ويجيش صدره بعزة الإسلام. ذلك أن فلسطين تضم مدينة القدس التي لها مكانتها الدينية المرموقة. والتي تحاول سلطات الاحتلال ابتلاعها بكل قوة تحت غربة تاريخية يسوقها الإعلام الغربي والإسرائيلي. ومكانة القدس وفلسطين عظيمة في عقيدة المسلمين. حيث توج ذلك الفضل والتشرف بمعجزة الإسراء والمعراج عندما أسرى بسيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى المبارك بيت المقدس.

كما أن المسجد الأقصى المبارك كان قبلة المسلمين الأولى منذ أن فرضت الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى بصفة خاصة ومدينة القدس بصفة عامة تتعرض في هذه الأيام لمجزرة كبيرة تقوم سلطات الاحتلال الإسرائيلي بتنفيذها. حيث تهدف من ورائها إلى تهويد المدينة المقدسة. وطرد سكانها الفلسطينيين. وطمس الهوية الفلسطينية العربية من خلال إزالة الأحياء القديمة والمقابر التاريخية المحيطة بسور القدس. وسرقة الآثار العربية والإسلامية. كما قامت بإجراءات عديدة تمثلت ببناء آلاف الوحدات الاستيطانية. كما أنها تعمل على توسيع مستوطنة معاليه أدوميم وذلك بمصادرة «١٢» ألف دونم قرب المستوطنة من أجل ضمها إليها. وكذلك مخططاتهم لبناء كنيس يهودي فوق المدرسة التنكزية الملاصقة للمسجد الأقصى المبارك. والذي يعتبر أضخم كنيس في العالم. ويشكل طوقاً دائرياً مع مجموعة من الكنس اليهودية حول المسجد الأقصى المبارك. وكذلك إصدار بلدية الاحتلال في القدس مئات أوامر الهدم الإدارية بحق أبنية ومساكن المقدسيين. حيث إنهم يخططون لهدم آلاف الوحدات السكنية في مدينة القدس من أجل إحداث تغيير ديموغرافي داخل المدينة المقدسة. وكذلك أوامر بالهدم داخل كنيسة الأرمن الكاثوليكية التاريخية في البلدة القديمة بمدينة القدس.

إننا نحمل الحكومة الإسرائيلية مسئولية تلك الأعمال الخطيرة. ونحذر من أن ذلك سيؤدي إلى عواقب وخيمة لا يستطيع أحد التنبؤ بنتائجها. ونؤكد أن المساس بالمسجد الأقصى المبارك هو مساس بعقيدة جميع المسلمين في العالم ويتنافى مع الشرائع السماوية. وكل القوانين والمواثيق والأعراف الدولية. ولذلك يجب على الأمة العربية والإسلامية أن تعمل على تحرير الأقصى والقدس.

والحمد لله فإن المسلمين اليوم يمتلكون كل أسباب القوة من أموال طائلة. وأعداد بشرية هائلة. وخيرات وفيرة. ومع ذلك فهم لم يحرروا فلسطين. وتساءل لماذا؟ إن الجواب يأتي صريحاً من القرآن في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال ٤٦)

فعدم قيامهم بتحرير فلسطين حتى الآن يعني أنهم في حالة من الضعف الإيماني. وذهاب القوة. والفشل. وسبب الفشل هو: التنازع، والاختلاف، والفرقة.

هذا هو واقع المسلمين عامة والعرب منهم خاصة. فلديهم قوى لو اجتمعت لما استطاع أحد كسرها. ولكنها بسبب تفرقها وتنازعها تلاشت هذه القوة فسهل على العدو هزيمتها. كما يحكى في ذلك قصة الرجل الحكيم الذي كان له اثنا عشر ولداً. فلما حضرته الوفاة استدعى أولاده جميعاً. فاجتمعوا عنده. فطلب حزمة من العصي. فأحضرت فطلب من كل واحد منهم أن يكسرها مجتمعة فعجز فأعطى كلا منهم عصا فكسرها بسهولة. فقال لهم: يا بني كونوا جميعاً ولا تتفرقوا فيسهل كسركم.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً   وإذا افترقن تكسرت أحادا

فلماذا هذا التشتت بين أمة التوحيد والوحدة؟ ولماذا لا يعود المسلمون إلى دينهم ليستعيدوا وحدتهم التي فيها سر قوتهم وعزتهم وكرامتهم وتحرير مقدساتهم ومنها المسجد الأقصى المبارك وفلسطين؟ ونتمنى أن تستجيب الأمة لاستغاثة الأقصى والقدس وفلسطين.

الأسف وحده لا يكفي!

تحت هذا العنوان كتب محرر «كلمة اليوم» في جريدة أخبار اليوم الصادرة في ٢٠٠٩/٨/٥م يقول:

سكتت أمريكا على أفعال إسرائيل اللاإنسانية ضد الفلسطينيين دهراً وتطلقت أخيراً في عهد إدارة الرئيس باراك أوباما - أسفاً. فقد اعتبرت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون أن ترحيل سلطات الإسرائيلية لأسرتين فلسطينيتين من منزلهما في القدس الشرقية «مؤسف للغاية» وقالت في مؤتمر صحفي عقدته بواشنطن إن هذه الأعمال مؤسفة للغاية. سبق وقلت إن طرد العائلات وتدمير المنازل في القدس الشرقية يتناقض مع واجبات إسرائيل.

ونحسب أن صبر العرب والمسلمين قد نفد في مرحلة الاحتضار على الأقل من أفعال إسرائيل التي لا تعتد بأحد ولا تستجيب لدعوة عقل. وترفض تلبية النداء لسلام عادل ودائم وشامل في المنطقة فتواصل الاستيطان في القدس الشرقية والضفة الغربية غير مكترثة بعواقبه المدمرة.

وبعد أن بح صوت مصر من المطالبة بضرورة وقف الاستيطان اليهودي الذي ينخر كالسوس في عظام الأراضي الفلسطينية المحتلة بدأت الإدارة الأمريكية برئاسة أوباما مطالبة إسرائيل بتجميد تام للاستيطان في الضفة الغربية والقدس الشرقية بهدف تحريك عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين. لكن إسرائيل التي لا يعنيها إلا نفسها. تتمسك بمواصلة البناء في المستوطنات وتزعم أن القدس عاصمة موحدة لها وتتحدث في ذات الوقت عن السلام!!

بل إن أفعال إسرائيل تتناقض مع أدنى متطلبات السلام الذي وضعت لبنته الأولى في مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ على مبدأ «الأرض مقابل السلام» أي أن تعيد إسرائيل للعرب كل الأراضي التي احتلتها في حرب الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ مقابل أن يعترف العرب بها ويقيموا علاقات طبيعية معها. وتصور أن مطالبة أمريكا في الآونة الأخيرة للعرب ببدء التطبيع مع إسرائيل جانبها الصواب. لأن المطلوب الآن هو أن تثبت إسرائيل أولاً جديتها في العملية السلمية بوقفها السعي لفرض أمر واقع وتوقفها عن تهويد القدس ونهب الأراضي المحتلة والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. أما مطالبة العرب بالتودد لإسرائيل والاكتفاء بالأسف لأفعالها، فإنه لن يغير من الواقع شيئاً ولن يزيد عن كونه مجرد «تطييب خواطر» لن يكون له أي أثر بشأن عملية السلام المجمدة.

تجريم الحزن!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ فرحات حسام الدين في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٩/٧/٢٨م يقول:

سؤال غريب .. الإجابة عنه ستكون أكثر غرابة! السؤال هو: لماذا قدمت الحكومة الإسرائيلية الحالية المتطرفة برئاسة بنيامين نتنياهو مشروع قانون .. يناقشه الكنيست الآن للتصديق عليه ليصبح قانوناً ملزماً رسمياً - يجرم ويمنع فلسطينيي ١٩٤٨ من اعتبار يوم ١٥ مايو يوم حداد.

والإجابة هي أن ذلك اليوم حسب التقويم العبري هو اليوم نفسه الذي تحتفل فيه إسرائيل بيوم استقلالها وقيامها عام ١٩٤٨ ويعتبره اليهود يوم الفرح بتأسيس دولتهم ويجب ألا يحوله فلسطينيو ١٩٤٨ إلى مأتم ويوم حداد

فإحياء ذكرى النكبة يذكر العالم باغتصاب واحتلال اليهود أرض فلسطين وتدمير أكثر من ٥٣١ قرية ومدينة وتهجير سكانها، وارتكاب أكثر من ٥٠ مذبحة موثقة تاريخياً ودولياً، وقتل ٣٠ ألف فلسطيني، وتهجير ٨٤٠ ألفاً آخرين ومصادرة أراضيهم.

أما الأمر الأكثر غرابة فهو ادعاء الحكومة الإسرائيلية بأن هذا القانون يرتبط ارتباطاً وثيقاً بديمقراطية إسرائيل. فإذا كانت الديمقراطية هي حكم الأغلبية والأغلبية في إسرائيل لليهود الذين يحتفلون بيوم الاستقلال ويرونه عيداً وطنياً فالمطلوب من الأقلية (فلسطينيي ١٩٤٨) عدم إبداء حتى الحداد والحزن في ذلك اليوم.

إلا أنني أستطيع القول إن الديمقراطية ليست حكم الأغلبية فقط دون التزامها بالقيم التي لا تتجاوزها وفي مقدمتها العدالة والمساواة واحترام حقوق الأقلية والأفراد.

وإذا كان فلسطينيو ١٩٤٨ الأكثرية قبل اغتصاب اليهود لفلسطين، وأصبحوا بعد قيام الدولة العبرية أقلية. فإن لهم حقوقاً في مقدمتها حرية الرأي والتعبير عن المشاعر بإحياء ذكرى النكبة الثابتة والموثقة تاريخياً. ولا يعقل أن يجرم أو يعاقب عرب ١٩٤٨ لأنهم يعبرون عن مشاعرهم جراء ما أصابهم نتيجة نكبتهم في وطنهم وأرضهم.

وهذا القانون ليس إلا واحداً من القوانين العنصرية التي تتبناها حكومة نتنياهو في حق فلسطينيي ١٩٤٨ لتزوير التاريخ والحقيقة.

ولأول مرة نسمع أو نقرأ عن تشريع أو قانون يجرم ويعاقب من يحزن أو يبدي الأسى والحداد على ما أصابه وشعبه من نكبة حتى بعد أن رفع عرب ١٩٤٨ شعاراً وسطاً يصرخون به هو «يوم استقلالهم .. يوم نكبتنا»

ساسة إسرائيل .. واتهامات الفساد!

كتب الأستاذ/ سمير رجب في عموده «خطوط فاصلة» في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠٠٩/٨/٤م يقول:

لماذا ساسة إسرائيل تطاردهم دائماً .. اتهامات بالفساد..؟؟

أرييل شارون رئيس الوزراء الأسبق الذي مازال جسده «محنطاً» في أحد المستشفيات حتى الآن .. طالته الشظايا من كل جانب .. ولولا الغيبوبة التي ألمت به .. لكان وراء القضبان منذ زمن بعيد!

نفس الحال بالنسبة لإيهود أولمرت .. لم يجرؤ على خوض الانتخابات تاركاً قيادة حزب كاديما لتسيبي ليفني التي سقطت به، ومعه..!

حتى رئيس الدولة «شيمون بيريز» .. مازالت التحقيقات جارية في البلاغات المقدمة من سيدات وفتيات أدلين فيها بمعلومات مخزية تتعلق بالتحرش بهن قبل وبعد توليه السلطة..!

ومع هؤلاء جميعاً «إبراهام هيرشيزون» وزير المالية في حكومة أولمرت الذي صدر حكم قضائي بسجنه خمس سنوات بعد إدانته باختلاس نصف مليار دولار من أموال جمعيات كان قد أقامها بطريقته الخاصة مهمتها تشجيع الهجرة إلى إسرائيل..!

الآن يجيء دور «أفيجدور ليبرمان» وزير الخارجية الرجل صاحب الصوت الأجش.. الذي دأب على إطلاق تصريحات مستفزة ضد العرب والمسلمين تحمل كلها تهديدات بالقتل.. والإبادة بحجة ولائه لدولة إسرائيل وللحركة الصهيونية التي تحميها، وتدعمها.. بينما هو في الأصل مرتش، ومختلس، ومزور.. الأمر الذي يؤكد أن كل ما يقوله، ويفعله ليس إلا تغطية لجرائمه يشيب لها الولدان .. وأيضاً لإيهام الإسرائيليين قبل غيرهم بأنه يعمل لصالحهم بينما العكس هو الصحيح تماماً..!

إذن لابد من أن المناخ العام هو الذي يفرز تلك العناصر الفاسدة والتي تتولى مناصب رفيعة في الدولة..!

ها هي الأحزاب .. التي تتكالب بين كل فترة وأخرى على اقتناص الغنائم .. وفي سبيل تحقيق الأهداف الشاذة سريعة لا يتورع جميع المنتمين إليها أو غير المنتمين عن اتباع الوسائل المشروعة وغير المشروعة، كما يفتح الأبواب على مصاريعها لتدمير الجسور.. وتمزيق الخيوط، واستخدام النصال الحادة في طعن الظهور والصدور.. سواء بسواء!!!

ثم.. ثم.. نأتي إلى بيت القصيد..

ماذا تريد من «مجموعة من البشر» .. جبلوا على سرقة أراضي الآخرين، واغتصاب حرماتهم. لا يردعهم رادع، ولا يعترفون بقانون، أو شرعة..؟؟

طبيعى أن يتألموا حتى ولو تقطعت حظوظهم، وأن يسامحوا كل ما هو باطل، مادام كل منهم مطمئناً إلى أنه فى نهاية المطاف سوف يفوز بعدة ملايين من الشياكل يخطفها ويجرى. وهكذا دواليك"

الإخاء الإنسانى فى الإسلام

تحت هذا العنوان كتب الدكتور/ أحمد محمود كريمة فى جريدة عقيدتى الصادرة فى ٢٨/٧/٢٠٠٩م يقول:

حدد الإسلام علاقة الشعوب والأمم بعضها، علاقة تقوم على الالتقاء على الحق وليس على قرابة أو جنس أو بيئة أو لون. فالأصل أن يتعارف الناس ويلتقوا لا أن يتفرقوا ويختصموا. والالتقاء بسلم وسلام وأمان هو الأصل الذى خلق الله – تعالى – الناس عليه، وأن التفرق والاختلاف انحراف عن ذلك الأصل.

لقد أقام الإسلام مبدأ الإخاء الإنسانى على الرحم المشتركة – أصل التناسل والتكاثر – آدم وحواء، قال الله عز وجل:

﴿[illegible]﴾ (النساء: ١)

وهذه الرحم المشتركة ضاربة فى أعماق الزمان متخطية حدود المكان، متأصلة فى النداء الربانى والنبوى «يا أيها الناس»، «يا بنى آدم».

وقد أرسى الإسلام دعائم راسخة للإخاء الإنسانى منها:

عدم رمى البشر بخطيئة متوارثة تلحق الأجيال دون مسوغ، فالوحى الإلهى يقرر:

﴿[illegible]﴾ (النجم: ٣٨، ٣٩)

لم يجعل الإسلام طائفة من البشر مستعلية على غيرها تدعى لنفسها السيادة والأفضلية، فلا ميزان للأفضلية ليس لعنصر من العناصر تدعى سلالة من السلالات، بل ليس لعربى فضل على أعجمى، ولا لأعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى:

﴿[illegible]﴾ (الأعراف: ٣٥)

المساواة بين البشر أمام قانون السماء، بصرف النظر عن المعتقد والجنسية واللون والنوع، فالعدل المطلق فى شتى مناحى الحياة هو الأساس الذى تقوم عليه مهمات الأنبياء والرسل – عليهم السلام – فى هذه الحياة.

﴿[illegible]﴾ (الحديد: ٢٥).

فهذه الدعائم ومثيلها وشبيهها ونظائرها تؤصل وترسخ الإخاء الإنسانى عبر الأعصار والأمصار، بصورة عملية أخذة

أنبـــاء مكتب شيخ الأزهـــر

للأستاذ/ أحمد توفيق
[illegible]

الإمام الأكبر يرسل ببرقية تهنئة للرئيس مبارك بمناسبة ليلة النصف من شعبان

أرسل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف – برقية تهنئة للسيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك – رئيس جمهورية مصر العربية – بمناسبة حلول ذكرى ليلة النصف من شعبان. هذا نصها:

السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

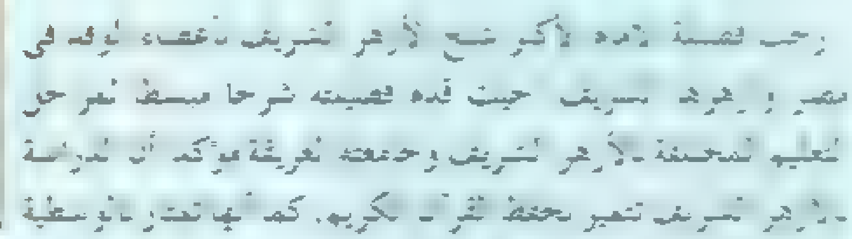
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فبمناسبة ذكرى ليلة النصف من شعبان أتقدم لسيادتكم بخالص التهنئة القلبية وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يعيد على سيادتكم أمثال هذه الأيام المباركة بالخير والبركات، وأن يمتعكم بموفور الصحة والعافية. كما أدعوه سبحانه وتعالى أن يعيد على مصرنا الحبيبة وعلى الأمة العربية والإسلامية مزيداً من الخير والأمن والسلام.

شيخ الأزهر الشريف

أ.د. محمد سيد طنطاوى

الإمام الأكبر يستقبل وفدا أمريكيا من الطلبة والمدرسين



استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى – شيخ الأزهر الشريف – بمكتبه صباح يوم الخميس الموافق ٢٠٠٩.٧.١٦ م وفدا أمريكيا من الطلبة والمدرسين ضمن برنامج تعلم اللغة العربية فى إطار بروتوكول التعاون بين جامعة الأزهر وجمعية الأمين بأمريكا يرافقهم الدكتور عبدالدايم نصير نائب رئيس جامعة الازهر

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأعضاء الوفد فى مصر والأزهر الشريف حيث قدم فضيلته شرحا مبسطا لمراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة مؤكدا أن الدراسة بالأزهر الشريف تتميز بحفظ القرآن الكريم. كما أنها تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والبعد عن العصبية البغيضة، مشيرا إلى أن الغرض فى تقويم الطلاب أن الناس جميعهم من أب واحد وأم واحدة ويتحلى بالعدل ويتحلى بمكارم الأخلاق والعدل والمساواة والبعد عن الغرور وأن يعطى كل إنسان حقه كما أن لكل إنسان عقيدته ولا إكراه على العقيدة. كما يتميز الدين الإسلامى بأن تحيته السلام إلى كل من يحييه بل إن السلام فى الإسلام عند الرد على العدوان وعند البغى وعند التخريب وعند قتل الآمنين سواء كانوا من المسلمين أو غير المسلمين. مؤكدا على أهمية تعلم اللغة العربية حتى يستطيع الإنسان أن يقرأ ويفهم معانى القرآن. كما أكد فضيلته على أن الإسلام يعتبر الناس جميعا إخوة فى الإنسانية على اختلاف عقائدهم وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله. وأما من يعتدى على كرامتنا فإن علينا أن ندافع عن أنفسنا. وأشار فضيلته إلى أن كل من يعيش فى بلد عليه أن يكون مصدر خير لهذا البلد وأن يتحلى بالقدوة الطيبة والصدق والعمل والأمانة وأداء الواجب. وهذا هو المسلم الحقيقى الذى لا يحمل غير الخير للبلد الذى يعيش فيه. وأن يبتعد عن العصبية البغيضة والعصبية الضيقة. لأن الإسلام يعتبر الناس جميعا إخوة فى الإنسانية. فلا بأس أن تتعامل مع غير المسلم ما دام غير المسلم لم يسئ إليك. وهذه هى أصول الإسلام.

حضر اللقاء السيد الأستاذ عماد الدين عبدالخالق رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر.

لقاء موسع لرؤساء الادارات المركزية ومديرى العموم بالازهر

عقد يوم الثلاثاء الموافق ١٤ ٧ ٢٠٠٩م بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر اللقاء الموسع للسادة رؤساء الإدارات المركزية ومديرى العموم بالأزهر الشريف برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى – شيخ الأزهر.

لوضع الترتيبات والمتطلبات المتعلقة بالعام الدراسى الجديد ٢٠٠٩ ٢٠١٠ التى تشمل ما يلى

١- اتخاذ الإجراءات العاجلة لترتيب أوضاع المقار التعليمية ومرافقها عقب الانتهاء من أعمال امتحانات الدور الثانى مباشرة والوفاء بمتطلباتها من مقاعد وأثاث وترميمات وجميع الاحتياجات اللازمة لمسيرتها التعليمية

٢- التأكيد على ضرورة اتخاذ الإجراءات الفعالة التى تضمن توفير الكتب الدراسية بالمعاهد الأزهرية قبل بداية العام الدراسى

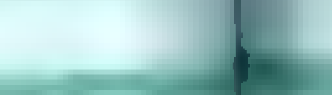
٣- كما وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمراعاة ظروف الطلاب غير القادرين بإعفائهم من دفع الرسوم المقررة طبقا للأبحاث الاجتماعية التى تفيد ذلك.

٤- الوقوف على ما اتخذته المناطق من إجراءات حول مسابقة المعلمين الأخيرة والاطمئنان على مدى التزامها بتطبيق معاييرها الموضوعة طبقا للمادة ١٨ من القانون.

٥- حث المناطق الأزهرية على ضرورة تفعيل دور المكتبات المدرسية وضرورة انتفاع الطلاب بخدماتها العلمية والثقافية.

٦- توجيه المناطق على ضرورة الحفاظ على مسيرة تحفيظ القرآن الكريم ودعم المعاهد باحتياجاتها من محفظين وأجهزة التسجيل وشرائط التلاوة ومتابعة ما من شأنه دعم مسيرة تحفيظ القرآن الكريم بالمعاهد الأزهرية.

٧- تكليف المناطق بتكثيف الإشراف على المعاهد الأزهرية بصفة دورية والوقوف على مدى التزام هيئة التدريس بالخطة والمنهج ومتابعة انتظام الطلاب بالدراسة وتعميق انتمائهم لمرافقهم التعليمية حرصا على مستقبلهم



اجتماع الجمعية العمومية العادية لصندوق التكافل للعاملين بالأزهر

برئاسة فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر الشريف ورئيس مجلس إدارة صندوق التكافل الاجتماعي للعاملين بالأزهر عدا الجامعة وعضوية فضيلة الشيخ محمد عبد المجيد الخولي الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وأمين صندوق التكافل الاجتماعي والأستاذ عمر داود عبد الخالق رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر مدير إدارة الصندوق عقد يوم السبت ١١ ٧ ٢٠٠٩ اجتماع الجمعية العمومية العادية لصندوق التكافل للعاملين بالأزهر عدا الجامعة حيث تم التصديق على محضر الجمعية العمومية العادية بجلسة ٢٦ ٧ ٢٠٠٨.

كذا التصديق على محضر الجمعية العمومية غير العادية بجلسة ٢٠٠٨/٧/٢٦.

كما تمت الموافقة على تقرير مجلس الإدارة عن السنة المنتهية ٣١ ١٢ ٢٠٠٨ وإبراء ذمتهم

كما تمت مناقشة تقرير مراقب الحسابات والتصديق على الميزانية العمومية وحساب التعويضات والإيرادات والمصروفات عن المدة من ٢٠٠٨/١/١ حتى ٢٠٠٨/١٢/٣١، حيث جاءت تعبر بوضوح عن المركز المالي الحقيقي لصندوق التكافل في ذلك التاريخ

كما تم تنفيذ نص المادة رقم «٢٣» من الباب السادس من اللائحة التنفيذية للصندوق على تعيين الجمعية العمومية للصندوق مراجع لحسابات الصندوق وتحديد أتعابه وأن يكون من المقيدين بالسجل العام للمحاسبين والمراجعين ليكون المحاسب القانوني هو محمد إمام محمد عوض.

كما تم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة بدلا من الذين انتهت مدة عضويتهم القانونية. حيث تم الترشيح بالتزكية للقسم الأول أحمد حسن محمد عثمان منطقة بني سويف، القسم الثاني عبد الغني أبو الحسن محمد منطقة قنا، القسم الخامس الحاج رجب محمد منطقة الغربية، القسم السابع سليمان أحمد منطقة القاهرة.

الامام الاكبر يرأس اجتماع المجلس الاعلى للازهر

أوصى المجلس الأعلى للأزهر برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر في جلسته التي عقدت يوم الثلاثاء ٢٨ ٧ ٢٠٠٩ بأن كل من التحق بالمعاهد الأزهرية عام ١٩٦١ وحصل على الشهادة الإعدادية الأزهرية نظام ٤ سنوات وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية نظام ٥ سنوات يستفيد من حكم القانون ١٩ لسنة ١٩٧٣ ببقائه في الخدمة حتى تاريخ بلوغه سن الخامسة والستين

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الإدارة المركزية لشئون الأفراد بالأزهر بتنفيذ هذه التوصية

حضر الاجتماع فضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف والدكتور أحمد الطيب رئيس الجامعة والشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر والمستشار حسني محمد أحمد عاشور الرئيس بمحكمة استئناف القاهرة مساعد أول وزير العدل والسادة أعضاء المجلس.

الإمام الأكبر يشهد حفل تكريم المتسابقين الفائزين في مشروع الحضارة الفكري

ورعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف أناب فضيلته الشيخ عبد الفتاح علام وكيل الأزهر يوم الأحد الموافق ٢٦ ٧ ٢٠٠٩م بمركز مؤتمرات الأزهر لحضور الاحتفال الذي أقامه قطاع المعاهد الأزهرية لتكريم الطلاب الفائزين في مسابقة الحضارة الفكرية للأنشطة الرعوية للطلاب عن عام ٢٠٠٨ ٢٠٠٩م



حيث تم تسليم الجوائز للطلاب الأزهرية الفائزة على المستوى الكلي

■ أولا منطقة المنوفية الأزهرية حصلت على أوسكار المجموعة الأولى لفوزها بالمركز الأول للنشاط

الاجتماعي والعلمي والرياضي ومكاتب الخدمة بنين والمركز الأول للنشاط الرياضي فتيات. بالإضافة إلى المركز الثاني في الكشافة والثالث ثقافي فتيات.

■ ثانيا: منطقة القاهرة الأزهرية حصلت على المركز الثاني للمجموعة الثانية لفوزها بالمركز الأول في النشاط الاجتماعي والثقافي بنين والمركز الأول في النشاط الرياضي فتيات. بالإضافة إلى المركز الثاني في الكشافة والثاني رياضي بنين ومكاتب خدمة، والثاني اجتماعي فتيات والثالث علمي فتيات.

■ ثالثا: منطقة الإسماعيلية الأزهرية حصلت على المركز الثالث للمجموعة الثالثة لفوزها بالمركز الأول في النشاط الاجتماعي والثقافي والرياضي بنين والمركز الأول في النشاط الاجتماعي فتيات. بالإضافة للمركز الثاني علمي والثالث مكاتب خدمة بنين.

كما تم تسليم شهادات التقدير وجوائز مالية ودروع وكئوس للمناطق الفائزة بحوالي مبلغ ٥٠ ألف جنيه من ميزانية مجالس الآباء والمعلمين.

الإمام الأكبر يعتمد نتيجة الدور الثاني للشهادة الابتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف - يوم الأربعاء الموافق ١٢/٨/٢٠٠٩م نتيجة امتحان الدور الثاني للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م على مستوى الجمهورية.

حيث تقدم لأداء الامتحان الدور الثاني ٤٥٩٨٧ تلميذ وتلميذة تخلف منهم ٢٤٨٦ تلميذ وتلميذة. حضر منهم ٤٣٥٠١ تلميذ وتلميذة نجح منهم ٣٨٩٠٢ تلميذ وتلميذة. ورسب منهم ٧٠٨٥ تلميذا وتلميذة. وبذلك تصبح النسبة المئوية للنجاح بالدور الثاني ٨٩.٤٣٪ ولما كانت النسبة المئوية للنجاح في الدور الأول ٧٣.٣١٪ فبذلك تكون النسبة المئوية العامة للنجاح في الدورين الأول والثاني معا ٩٦.٥٧٪.

شهد اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ عبد الفتاح علام - وكيل الأزهر الشريف - وفضيلة الشيخ عبد الفتاح الديري - رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ محمد عبد المجيد الخزرجي - الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ محمد جميل رئيس كونترول الشهادة الابتدائية والسادة أصحاب الفضيلة القائمون على أعمال الكنترول بالشهادة الابتدائية.

وشهد حفل تكريم أوائل الشهادات العامة الأزهرية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر - حفل تكريم أوائل الشهادات العامة الأزهرية الابتدائية والإعدادية والثانوية بقسميها الأدبي والعلمي والثانوية قطاع غزة وحفظة القرآن الكريم وشهادة التجويد وعالية القراءات والتخصص عن العام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م وذلك بقاعة الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر يوم الخميس ١٦/٧/٢٠٠٩م.

حيث هنأ فضيلته الأوائل وتمنى لهم التوفيق والتقدم في دراستهم المستقبلية وعلى الدوام لكي يظل الأزهر فخورا بهم دائما.

وقد تم تكريم الأوائل لعدد ١٢٢ طالبا وطالبة بحوالي مبلغ ١٩٧٤٠٠ جنيه من حساب مجلس الإدارة حيث حصل كل فائز من الخمسة الأوائل من الثانوي الأزهري القسم الأدبي كتشجيع على ١٥٠٠ جنيه. كما تم تكريم عدد عشرة مبصرين من القسم الأدبي وحصل كل فائز على ١٥٠٠ جنيه.

وحصل أوائل القسم العلمي وعددهم أربعة عشر فائزا على ١٥٠٠ جنيه لكل فائز، وعن القسم الإعدادي مبصر تم تكريم عدد عشرة أوائل حصل كل فائز على ١٤٠٠ جنيه. وعن القسم الإعدادي كفيف تم تكريم عدد عشرة أوائل حصل كل فائز على ١٤٠٠ جنيه. وفيما يخص الفائزين في المرحلة الابتدائية تم تكريم الأوائل من المبصرين وعددهم خمسة عشر. حيث حصل كل فائز على ١٣٠٠ جنيه. وتكريم خمسة عشر كفيفا بواقع ١٣٠٠ جنيه لكل فائز.

كما تم تكريم خمسة فائزين في عالية القراءات من المبصرين بواقع ١٤٠٠ جنيه لكل فائز وخمسة فائزين كفيف نفس التخصص بواقع ١٤٠٠ جنيه لكل فائز. وتم تكريم أوائل شهادة التخصص لعدد خمسة فائزين مبصرين حصل كل فائز على ١٤٠٠ جنيه. كما حصل كل فائز من المكفوفين وعددهم خمسة لنفس التخصص على ١٤٠٠ جنيه لكل فائز.

وفي الشهادة العالية للتجويد وعددهم ٩ مبصرين حصل كل فائز على ١٣٠٠ جنيه. كما حصل كل من المكفوفين لنفس التخصص وعددهم ٥ على ١٣٠٠ جنيه لكل فائز. وفي الشهادة الثانوية للبعوث الإسلامية حصل العشرة الأوائل على ١٣٠٠ جنيه لكل فائز. كما حصل الفائزون في الإعدادية للبعوث الإسلامية وعددهم عشرة على ١٢٠٠ جنيه لكل فائز.

هذا وقد قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع أجهزة التسجيل لكل كفيف من الفائزين. كما قام فضيلته بتوزيع شهادات التقدير لكل متفوق. وكذلك توزيع المصاحف على الفائزين. شهد الحفل لفيف من قيادات الأزهر

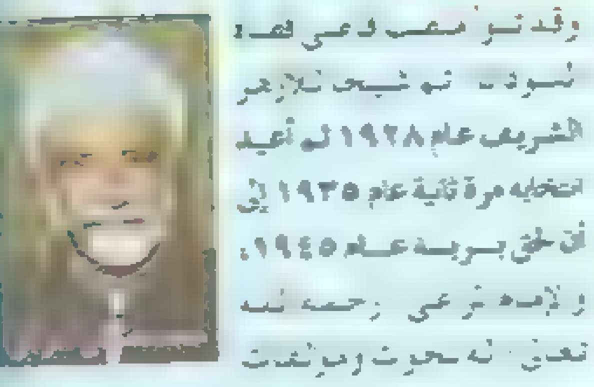
أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد الأستاذين: عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

تفسير القرآن الكريم

أصدرت إدارة إحياء التراث بمجمع البحوث الإسلامية كتاب تفسير القرآن الكريم للمرحوم محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر السابق الذى ولد سنة ١٨٨١م وتوفى سنة ١٩٤٥ وقدم للكتاب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى قائلاً: نشأ فضيلته فى رحاب الأزهر طالباً ثم مدرساً ثم قاضياً. وقد ضربت الأمثال بنزاهته وعلمه.





وقد تولى منصب قاضى قضاة السودان، ثم شيخاً للأزهر الشريف عام ١٩٢٨ ثم أعيد انتخابه مرة ثانية عام ١٩٣٥ إلى أن لحق بربه عام ١٩٤٥، وللإمام المراغى رحمه الله تعالى بحوث ومؤلفات متنوعة منها على سبيل المثال لا الحصر بحوث فى ترجمة معانى القرآن الكريم وفى الاجتهاد وفى التشريع الإسلامى فى السودان وفى الأزهر وفى قوانين الزواج والطلاق.

أما بحوثه التى تتعلق بتفسير القرآن الكريم فكثيرة منها:

تفسير سورة لقمان - تفسير سورة الحجرات - تفسير سورة الحديد، وتفسير آيات بعضها من سورة البقرة ومن سورة آل عمران والنساء والأنعام ومن سور أخرى.

ومنهج فضيلته فى تفسير القرآن الكريم عرف بأنه:

١- يمتاز بالوضوح وباختيار أصح الآراء وتفصيل وبيان هدايات القرآن الكريم.

٢- وكان يثنى على المفسرين القدامى والمحدثين.

٣- عدم الخوض فيما أبهمه القرآن الكريم من أحكام.

٤- حرصه على إبراز المشكلات الاجتماعية وبيان علاجها من شريعة الإسلام.

٥- عنايته بإظهار أن شريعة الإسلام حثت أتباعها بالأخذ بالأسباب والقوة العادلة الرشيدة.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلى مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث الإسلامى.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يستقبل مدير عام العلاقات الخارجية والمفوض بوزارة الإرشاد والأوقاف السودانية

التقى فضيلة الشيخ على عبدالباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه بالسيد/ الفاتح مختار محمد مدير عام العلاقات الخارجية والمفوض بوزارة الإرشاد والأوقاف السودانية.

تركز الحوار حول دور الأزهر الشريف التعليمى والدعوى فى مختلف دول العالم وخاصة دول قارة أفريقيا وبالأخص دول حوض النيل. وأكد فضيلة الأمين العام على عمق الروابط الأخوية التى تربط شعبى مصر والسودان على جميع المستويات، وأضاف الأمين العام أنه لا يصح عند الحديث عن السودان أن نتحدث عن شعبين وإنما شعب واحد نشأ فى شمال البلاد وبعضه الآخر فى الجنوب. وأن الأزهر الشريف يولى الطلبة السودانيين كل الرعاية من منطلق هذه النظرة.

وفى معرض حديثه عن التعاون بين مجمع البحوث الإسلامية ووزارة الإرشاد والأوقاف السودانية أكد الأمين العام للمجمع سعادة المجمع بالتواصل مع كل المؤسسات الإسلامية فى كل بقاع الدنيا من منطلق ترسيخ دور الأزهر قديماً وحديثاً ومن أجل القيام بهذه المهمة الملقاة على عاتقه على خير وجه.

وقد رحب الأمين العام بأى مقترحات لتفعيل التواصل مع وزارة الإرشاد والأوقاف، مشيراً إلى أن الأزهر الشريف لن يدخر أى جهد فى دعم الأشقاء فى الجنوب، خصوصاً فى هذه الآونة التى تتطلب تكثيف التعاون، وذلك لمواجهة التحديات التى باتت تواجه المنطقة.

ومن جانبه أعرب السيد/ الفاتح مختار محمد عن سعادته للحفاوة التى قوبل بها من الأمين العام، والتى شجعته على طلب استقدام عدد من العلماء الأزهريين لتوعية أهالى دارفور، حيث يرى المسئول السودانى أن أصل المشكلة فى دارفور هى الجهل بأمور الدين والتى من شأنها أن تزيد الأمور الصغيرة وتعقدها.

وأضاف المسئول السودانى أن وزارة الإرشاد والأوقاف السودانية رأت أن أنسب الحلول التى يمكن أن تواجه به الأحداث فى دارفور هو الاستعانة بالدعاة الأزهريين وذلك لاعتدال توجههم وسماحة عقيدتهم، فضلا عن المكانة الأدبية والدينية لهم فى قلوب أهالى دارفور. من هنا جئنا إلى الأزهر الشريف يحدونا الأمل فى الاستجابة لهذا الطلب. ولكننا فوجئنا بالاستجابة الفورية من قبل فضيلة الأمين العام.

هذا وقد أصدر فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية أثناء الاجتماع توجيهاته للأمانة المساعدة للدعوة والإعلام الدينى بالعمل على تحديد العناصر الجيدة من الوعاظ ذوى القدرات العلمية والقادرة على

[illegible] فى [illegible] وذلك [illegible] الواجب الأدبى تجاه الأهل فى [illegible]

كما وافق فضيلته على الاقتراح الذى تقدم به المسئول السودانى بتأهيل عدد من دعاة [illegible] فى السودان بالأزهر الشريف ضمن برامج [illegible] الدعاة فى الأزهر الشريف، ووعد فضيلته بتقدير عدد من البحوث والدراسات التى تقدم بها الضيف ولو على حسابه الخاص

وفى نهاية الاجتماع وعد الأمين العام الضيف السودانى بزيارة دعاة الأزهر الشريف على أرض [illegible] وذلك لتحميسهم على الأداء المتميز ولشد أزرهم. وبدوره قدم الضيف الشكر على حفاوة الاستقبال وسرعة تلبية الطلبات.. حضر اللقاء الأستاذ [illegible] مدير المركز الصحفى بمكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية [illegible]

التقى فضيلة الشيخ/ على عبدالباقى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمكتبه بالسيد/ يزيد بن كيشك المستشار التعليمى والثقافى بسفارة ماليزيا بالقاهرة [illegible] ومجمع البحوث الإسلامية.

تضمن اللقاء بيان دور الأزهر الشريف فى إرساء ثقافة الاعتدال فى ربوع العالم، وكذا العمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من التعصب والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتحليتها فى جوهرها الأصلى الخالى من الشوائب والعمل على توسيع نطاق العلم بها لكل مستوى [illegible]



كما تضمن اللقاء بحث سبل التعاون مع دولة ماليزيا [illegible]

هذا وقد [illegible] المسئول الماليزى [illegible] على الأثر [illegible]

هذا وقد وعد فضيلة الأمين العام [illegible] العمل ستقوم الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بحشد كل طاقاتها لفحص العمل بأقصى سرعة لتلبية طلب الإذاعة الماليزية.

وبدوره قدم المسئول الماليزى شكره على حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة وكريم الاستجابة.

حضر اللقاء الأستاذ إسماعيل أحمد أبو الهيثم مدير المركز الصحفى بمكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

إعلان نتيجة إعارات مبعوثى الأزهر

صرح فضيلة الشيخ [illegible] الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية [illegible] حركة الإعارات للمبعوثين [illegible] الأزهر الشريف للعام الدراسى ٢٠٠٩/٢٠١٠ لعدد ٢٢٥ مبعوثاً من بينهم ١٣ رئيساً لبعثات الأزهر فى الخارج، و٨ لسكرتارية البعثات، و١٢ مدرساً للغات الأجنبية الإنجليزية والفرنسية لدول العالم المختلفة بالمراكز الإسلامية

وجارى العمل لاتخاذ إجراءات السفر للمبعوثين [illegible] مقار بعثاتهم، وسوف يتم عقد ندوة تثقيفية بمركز الأزهر للمؤتمرات يحضرها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وممثلون لوزارة الخارجية والجهات الأمنية وذلك لتوعية المبعوثين بمهمة الأزهر الشريف فى نشر الدين الإسلامى، وإظهار سماحة الإسلام واهتمامه بالبشرية جميعاً دون تمييز أو تفرقة بين جنس أو لون إنما يكون الاهتمام الأول بالعمل الصالح والكلمة الطيبة

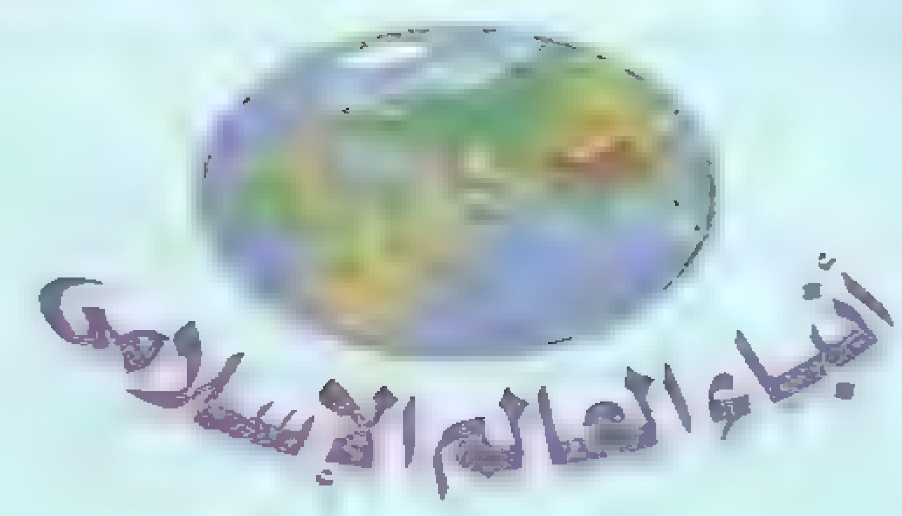
فتح باب تحديد المستوى للطلاب الوافدين

صرح فضيلة الشيخ [illegible] مدير عام الإدارة [illegible] لشئون الطلاب الوافدين [illegible] قبول طلبات امتحان تحديد المستوى للالتحاق بالمعاهد الأزهرية للعام الدراسى ٢٠٠٩/٢٠١٠ وذلك وفق الشروط المعلنة بالإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.

مكتبة الأزهر تشارك فى فعاليات المؤتمر الرابع لذاكرة العالم العربى

شاركت مكتبة الأزهر فى فعاليات المؤتمر الرابع لذاكرة العالم العربى [illegible] المغرب [illegible] السيد الأستاذ [illegible] محمود [illegible] رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر، عضو اللجنة [illegible] والأستاذ محمد [illegible] عضو [illegible]

حيث شهدت [illegible] فعاليات الاجتماع الرابع لمشروع ذاكرة العالم العربى، الذى تضطلع فيه مصر بالقيام بدور رئيسى لإنقاذ التراث الحضارى والثقافى للعالم العربى، بناء على توصية من وزراء الاتصالات العرب فى اجتماعهم السنوى عام ٢٠٠٦م.




للأستاذين: محمود الفشني - أحمد رضوان

مجمع الفقه الإسلامي بجدة يؤيد تأجيل الحج والعمرة لكبار السن والمرضى والأطفال

أيد مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة الدعوة التي أطلقها مفتي الديار المصرية الأستاذ الدكتور علي جمعة وعدد من علماء مصر بتأجيل أداء الحج والعمرة هذا العام لكبار السن والأطفال والحوامل وأصحاب الأمراض المزمنة للحفاظ على حياتهم من خطر الإصابة بفيروس «إتش ١ إن ١» المعروف باسم انفلونزا الخنازير خلال الزحام الشديد.

وقال بيان للمجمع: إن الشريعة الإسلامية حرصت على حياة البشر ومنع كل ما يضر بصحتهم، فإذا صدر رأي طبي من المختصين يبين خطورة الحج على الصحة، فالشرع يجب أن يتبعه نظراً لأن الفقهاء يحترمون أهل الاختصاص وعلى هذا فالمجمع لا يمانع من تأجيل الحج والعمرة للمرضى وكبار السن بخصوص إمكانية إصدار فتوى حاسمة بمنع حج الأطفال والحوامل وكبار السن والمصابين بأمراض شديدة. قال البيان: إن القضية تبقى مرهونة باجتهادات كل دولة والمجمع الفقهي يهتم بهذه القضايا التي تحرص على حياة المسلمين وعلى ضوء ما يستقر عليه الأطباء لا يمنع المجمع في إصدار فتوى بهذا الخصوص تتفق العلماء والأطباء على ذلك

القضاء البلجيكي يلغي قرار منع محجبة من دخول إحدى المدارس

ألغى مجلس الدولة البلجيكي قرارين صادرين من مدرسة حكومية بلجيكية يقضيان بفصل معلمة مسلمة لأنها كانت ترتدي الحجاب داخل حرم المدرسة ولكن خارج قاعة الدرس واعتبر القاضي الذي أصدر الحكم قرار المدرسة بأنه إساءة إدارية بالغة بحق المعلمة التي كانت تقوم بصورة مؤقتة بتدريس التربية الإسلامية.

واعتبر القاضي أنه لم يثبت في ملف القضية أن ارتداء غطاء الرأس خارج قاعة الدرس يؤثر سلبا على أداء المعلمة، كما اعتبر أنه لا يمكن استخدام «الإعلان الخاص بحيادية التعليم» لمنع ارتداء غطاء الرأس. ويشكل هذا القرار سابقة قضائية في بلد يعتبر ارتداء الحجاب في المدارس أمراً مثيراً للجدل.

حجاب للشرطيات البريطانيات قبل دخول المساجد

قامت منظمات [illegible] في بريطانيا بتوزيع أغطية رأس تحمل شعار الشرطة البريطانية على [illegible] في جهاز [illegible] الأسود والأحمر الأزرق، كي ترتديها الشرطيات عند دخول مساجد المسلمين في المنطقة. وقالت صحيفة [illegible] البريطانية [illegible] توزيعها على سبع شرطيات من [illegible] رئيس الشرطة وعلى ثماني شرطيات من شرطة دعم [illegible] بالتعاون مع منظمات إسلامية في المقاطعة.

ونقلت الصحيفة [illegible] رئيس الشرطة [illegible] وضع الحجاب قبل دخول [illegible] للمعتقدات الثقافية والدينية [illegible] سيحظى بترحيب كثير من العاملين في سلك الشرطة.

الحكومة الألمانية تدرس إعادة هيكلة تدريس مادة الدين الإسلامي

[illegible] شاركت في [illegible] الإسلامي [illegible] فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية [illegible] الاحتقان في العلاقة بين الإسلام والغرب من خلال استقبال وفد [illegible] في دراسة [illegible] مناقشة [illegible] على الدين الإسلامي من خلال دورة دراسية [illegible] العلماء والمثقفين والشخصيات الإسلامية [illegible] خطوة لإعداد دراسة إمكانية هيكلة تدريس الدين الإسلامي في ألمانيا بالمدارس الألمانية الحكومية ولاية [illegible] خلال السنوات القادمة، وذلك عقب حالة الاحتقان التي سادت العلاقات الإسلامية الألمانية بعد مقتل الشهيدة مروة الشربيني.

ومن جانبه أكد فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية أن مقتل الشهيدة مروة الشربيني يحتم على المؤسسات الدينية العمل على التواصل مع الغرب وفتح قنوات اتصال تقوم على الاحترام المتبادل والبحث عن القدر المشترك للانطلاق منه في سبيل نشر السلام وإعمار الكون.

إسرائيل تعرض أراضي الفلسطينيين للبيع

صادق الكنيست الإسرائيلي على قانون جديد يسمح بخصخصة واسعة النطاق لما يعرف بـ«أراضي الدولة» ويمكن الصندوق القومي لإسرائيل من شراء أراضي اللاجئين الفلسطينيين ومن ثم بيعها لليهود.

وينص القانون الجديد الذي طرحه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو على بنود كثيرة منها خصخصة الأملاك والأراضي غير الزراعية بما فيها المناطق السكنية والمناطق الصناعية والتجارية على أن تقتصر هذه ٤٪ من الأراضي في المرحلة الأولى وبموجب القانون الجديد الذي صدق عليه مأغلبية كبيرة ستقوم ما تعرف بـ«دائرة أراضي إسرائيل» ببيع عشرات آلاف الدونمات للصندوق القومي الإسرائيلي الذي يملك مساحات أرض واسعة باسم الشعب اليهودي في العالم، وتقضي ضمنا برفض بيعها أو تأجيرها للعرب، وأثار القانون حفيظة فلسطينيي الداخل الذين حاولت فعالياتهم السياسية والأهلية إحباطه بضغوط سياسية ومسارات قضائية لاعتباره انتقاصا عنصريا على حقوقهم المدنية كمواطنين. ويكرس ضائقتهم السكنية والاقتصادية ويحول دون استرجاع أراضيهم المصادرة (٢١ مليون دونم) التي لم تستخدم للصالح العام، علاوة على كونه نهبا لأملاك اللاجئين الفلسطينيين.

موجة من الغضب بسبب كتاب جزائري يتضمن صورا تجسد الرسول والصحابة

شهدت الجزائر موجة من الجدل والغضب بسبب إصدار شيخ إحدى الزوايا الصوفية لكتاب يتضمن رسوما تجسد الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم وجبريل (عليه السلام) بالإضافة إلى وضع صورة الأمير عبدالقادر رمز المقاومة الجزائرية في إطار نجمة داود وتضمين الكتاب لصور إباحية مما أعاد للأذهان أزمة الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول ﷺ كان الكتاب الذي حمل عنوان «التصوف.. الإرث المشترك» لشيخ الزاوية العلاوية خالد بن تونس والذي أصدره خلال احتفال الزاوية بالمئوية الأولى لتأسيسها.

وقد استهجن المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر تلك الصور، التي من بينها صورة لجبريل «عليه السلام» [illegible] بالكبش لدى إقبال النبي إبراهيم «عليه السلام» على ذبحه امتثالا لأمر الله تعالى. وحذر المجلس من مسألة أخرى رأى أنها أشد خطورة، وهي دمج نصوص غريبة في هذا الكتاب تكاد تصور الديانات على أنها «دين واحد».

وشن عدد من شيوخ الزوايا الجزائرية هجوماً حاداً على شيخ الزاوية العلاوية بمدينة مستغانم، واصفينه بالزندقة وبأنه دجال القرن الواحد والعشرين، وبالسقوط في أحضان الصهيونية [illegible]

كاتب أمريكي يتهم منظمة إسلامية بالتبشير وآخر يتطاول على الإسلام ويصفه بالدين المتخلف!!

وصف الكاتب الأمريكي المتطرف دانيل بايبس مبادرة منظمة إسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتوزيع نسخ مجانية من القرآن الكريم بأنها تبشير صريح في أوساط الأمريكيين.

وزعم بايبس في مقال نشره على موقعه الالكتروني أن منظمة كير الإسلامية التي أطلقت الحملة تم تأسيسها على أيدي حركة حماس الفلسطينية مضيفا أن نظرة من قرب على سجل كير تكشف أجندتها الخفية والمشتركة بين جميع الإسلاميين وهي تعزيز الشريعة.

وتابع بايبس مزاعمه قائلا: إن هذا يتحقق من خلال طريقتين أولا بوسيلة غير مباشرة من خلال التأثير على الرأي العام الأمريكي عبر النظام التعليمي والإعلام والفنون والقضاء والعملية السياسية ومن خلال وسيلة أكثر مباشرة بتحويل الأمريكيين إلى الإسلام ومهما حاولوا أن يصوروا هذه الخطوة على أنها ليست دعوة لكن شهادات معتنقي الإسلام تكرر أن وضع القرآن في يد غير المسلمين هو أفضل الرهانات لجعلهم يعتنقون الإسلام.

ولم يكن بايبس هو الأمريكي الذي تطاول على [illegible] على الإسلام واصفا إياه بالدين المتخلف الذي يستعبد السود وزاعما أن الإسلام هو الدين الوحيد على الأرض الذي مازال يمارس العبودية على حد تعبيره. واتهم المذيع الأمريكي ويدعى جيم كوين في برنامجه «حجرة الحرب مع كوين وروز» التي تبثه محطة كلير تشانيل» الإسلام بأنه الدين الوحيد على كوكب الأرض الذي مازال ينخرط في العبودية. وأبدى كوين دهشته من عدد السود في هذا البلد!

أستاذ كوري يصحح المفاهيم الخاطئة عن القرآن

أشار الكاتب الكوري الجنوبي كوغ-إدجو المتخصص في الثقافة الإسلامية في كتابه الذي ألفه مؤخرا-بعنوان «البحث عن معاني القرآن الكريم» في محاولة منه لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن القرآن والإسلام إلى عدم وجود القرآن المترجم وأن الكتب الموجودة عبارة عن محاولة لترجمة معاني القرآن وقد تخرج كوغ في قسم اللغة العربية في جامعة هنكوك للدراسات الأجنبية بسول، ومن كلية الدراسات العليا في نفس الجامعة وحصل على الدكتوراة في دراسة القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان، وعمل أستاذا في جامعات البلاد وفي جامعة الأردن ويقيم في مصر حاليا لدراسة الثقافة الإسلامية بعد انتهاء فترة تدريسه في جامعة الأردن في بداية العام الجاري، وذكرت وكالة «يونهاب» الكورية الجنوبية أن كوغ قدم تفسيرا لمعاني القرآن الكريم في كتابه الأخير «البحث عن معاني القرآن الكريم» الذي يتكون من ٢٤٠ صفحة من النواحي النحوية والدينية. وقال كوغ «إن فهم معاني القرآن الكريم لابد منه لفهم الثقافة الإسلامية، إلا أن معظم كتب ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الكورية وباللغات الأخرى تحتوي على العديد من الأخطاء، كما أن الأخطاء التي ترد في ترجمة معاني القرآن الكريم تنتشر بسرعة فائقة عبر الإنترنت مما يسبب رعبا وسط الناس في أنحاء العالم».

الجامعة العربية تحذر من تطبيق إسرائيل شعار «يهودية الدولة»

حذرت جامعة الدول العربية من خطورة إقدام الحكومة الإسرائيلية على الهجوم على إحدى الأسر المقدسية وطردهم من منازلهم، واصفة تلك الخطوة بالـ «خطيرة» التي تعزز سياستها نحو تطبيق شعار «يهودية دولة إسرائيل».

حملت الجامعة العربية المسئولية على عاتق اللجنة الرباعية وعلى مجلس الأمن لوقف هذا العدوان الميت، مؤكدة أن الشعب الفلسطيني يملك معظم أرض فلسطين التاريخية وبشكل خاص في القدس الشرقية والغربية، وهو حق لا يسقط بقوة الاحتلال الإسرائيلي ولا بإجراءاته العنصرية.

جاء ذلك في بيان لقطاع فلسطين والأراضي العربية المحتلة التابع للجامعة العربية الذى أشار إلى قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلية في الثاني من أغسطس ٢٠٠٩، معززة بأجهزة الأمن، وبعدد كبير من غلاة المستوطنين المتطرفين، بالهجوم على منزلي أسرة الغاوى وحنون المقدسيتين في ضاحية الشيخ جراح في القدس المحتلة، وإلقاء أمتعتهما وأطفالهما في الشارع، واستعمال القسوة البالغة. بدعوى أن هذين المنزلين ملك لأسر يهودية قبل النكبة عام ١٩٤٨، رغم ما قدمته هاتان العائلتان المقدسيتان من وثائق تثبت ملكيتهما منذ زمن الدولة العثمانية إلى المحكمة الإسرائيلية كما أدانت الجامعة العربية قرار المحكمة الإسرائيلية واعتبرتها جزءاً من أجهزة الأمن الإسرائيلية المعدة لتهويد القدس وتفريغه من سكانها.

بريطانيون غير مسلمين يلجئون للمحاكم الإسلامية

قال مسئولون قضائيون بريطانيون أن أعداداً متزايدة من البريطانيين غير المسلمين يتوجهون إلى المحاكم الشرعية للفصل في نزاعاتهم القانونية. وأعلن مسئولون في محكمة التحكيم الإسلامية في بريطانيا أن ٥٪ من القضايا تعود إلى غير المسلمين الذين يلجئون إلى المحاكم العاملة وفق الشريعة الإسلامية، لأن المحاكم البريطانية مكلفة أو بسبب عمليتها المعقدة.

ويقول فريد شيدى الناطق باسم الشيخ فايز الخطاب صديقى الذى كان أول من أنشأ محكمة إسلامية في بريطانيا تصدر أحكاماً ملزمة أن ما لا يقل عن ٢٠ قضية هذا العام تعود إلى غير المسلمين

بين المجلة والقارئ

للأستاذ: أحمد السيد تقى الدين

الشيعة والسنة.. من ضد من ولحساب من؟!

قلنا ولازلنا نقول: المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يجمعهم شعار واحد هو «لا إله إلا الله محمد رسول الله» يحجون ويعظمون بيتا واحدا هو الكعبة المشرفة.. قبلتهم التي يتوجهون إليها في صلواتهم، لا فرق في ذلك بين سني وشيعي.. جميعهم يزورون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.. جميعهم يحبون ويعظمون أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام. جميعهم يصومون شهر رمضان المبارك. جميعهم يحتفل بعيدى الفطر والأضحى.. وغير ذلك.

وقبل هذا كله كتبنا قرآننا واحد.

أى أن أسباب الوحدة الإسلامية قائمة بالفعل.. فلماذا تنمو أسباب الفرقة والخلاف بيننا.. لقد صُدمت وبقوة أثناء متابعتى لأحد البرامج على إحدى الفضائيات لمناقشة قضية تطاول أحد من يقال عنهم «رجل دين مسلم» على زوجات رسول الله ﷺ الأطهار، وصحابته أبى بكر وعمر وعثمان.. والتطاول كان باسم التشيع للإمام على - كرم الله وجهه- وهو من المتطاولين براء!!

رجل الدين المدعى تم القبض عليه بمعرفة جهاز مباحث أمن الدولة وحاول انكار التهمة الموجهة إليه ولكنه جوبه بوجود أشرطة تسجيل وأقراص مضغوطة بصوته تحمل طعنا وسبا في صحابة رسول الله ﷺ وزوجاته الأطهار، بل ووقف ابنه - ابن العالم المتهم بسب صحابة رسول الله ﷺ - يشهد ضد أبيه ويؤكد التهمة عليه.

البرنامج الذى جرى بثه على إحدى الفضائيات استضاف الابن وأستاذ جامعي مصرى، ومحاميان عن المتهم تضمن مناقشات مثيرة. فقد دافع المحاميان عن قيام العالم المذكور بسب صحابة رسول الله وأنكرا تماما صحة ما ورد في كتب الحديث عن رسول ﷺ من أن أبا بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة.. وهاجما الابن الذى أصر على اتهام أبيه بالتورط في سب صحابة رسول الله ﷺ وزوجاته الأطهار، واتهما الابن بعقوق والده، فرد الابن بقوله: لا أبيع ديني مقابل رضا أبي!! فرد أحد المحامين بقوله: «كان يمكنك الصمت» فرد الابن: الساكت عن الحق شيطان أخرس وهذا ليس مجرد سكوت عن الحق.. إنه الفارق بين الكفر والإيمان!!

ازداد النقاش اشتعالا بين الطرفين ويتضح بجلاء

الجامعة العربية تحذر من تطبيق إسرائيل شعار «يهودية الدولة»

حذرت جامعة الدول العربية من خطورة إقدام الحكومة الإسرائيلية على الهجوم على إحدى الأسر المقدسية وطردهم من منازلهم، واصفة تلك الخطوة بالـ «خطيرة» التي تعزز سياستها نحو تطبيق شعار «يهودية دولة إسرائيل».

حملت الجامعة العربية المسئولية على عاتق اللجنة الرباعية وعلى مجلس الأمن لوقف هذا العدوان المبيت، مؤكدة أن الشعب الفلسطيني يملك معظم أرض فلسطين التاريخية وبشكل خاص في القدس الشرقية والغربية، وهو حق لا يسقط بقوة الاحتلال الإسرائيلي ولا بإجراءاته العنصرية.

جاء ذلك في بيان لقطاع فلسطين والأراضي العربية المحتلة التابع للجامعة العربية لدى أشار إلى قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلية في الثاني من أغسطس ٢٠٠٩، معززة بأجهزة الأمن، وبعدد كبير من غلاة المستوطنين المتطرفين، بالهجوم على منزلي أسرة الغاوي وحنون المقدسيتين في ضاحية الشيخ جراح في القدس المحتلة، وإلقاء أمتعتهما وأطفالهما في الشارع، واستعمال القوة البالغة، بدعوى أن هذين المنزلين ملك لأسر يهودية قبل النكبة عام ١٩٤٨، رغم ما قدمته هاتان العائلتان المقدسيتان من وثائق تثبت ملكيتهما منذ زمن الدولة العثمانية إلى المحكمة الإسرائيلية كما أدانت الجامعة العربية قرار المحكمة الإسرائيلية واعتبرتها جزءاً من أجهزة الأمن الإسرائيلية العاملة لتهويد القدس وتفريغها من سكانها.

بريطانيون غير مسلمين يلجئون للمحاكم الإسلامية

قال مسئولون قضائيون بريطانيون إن أعداداً متزايدة من البريطانيين غير المسلمين يتوجهون إلى المحاكم الشرعية للفصل في نزاعاتهم التجارية.

وأعلن مسئولون في محكمة التحكيم الإسلامية في بريطانيا أن ٥٪ من القضايا تعود إلى غير المسلمين الذين يلجئون إلى المحاكم العاملة وفق الشريعة الإسلامية، لأن المحاكم البريطانية مكلفة أو بسبب عملياتها المعقدة.

ويقول فريد شيدي المتحدث باسم الشيخ فيصل حطب صديقي الذي كان أول من أنشأ محكمة إسلامية في بريطانيا تصدر أحكاماً ملزمة: إن ما لا يقل عن ٢٠ قضية هذا العام تعود إلى غير المسلمين.

بين المجلة والقارئ

للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

الشيعة والسنة.. من ضد من ولحساب من؟!

قلنا ولازلنا نقول: المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يجمعهم شعار واحد هو «لا إله إلا الله محمد رسول الله» يحجون ويعظمون بيتا واحدا هو الكعبة المشرفة.. قبلتهم التي يتوجهون إليها في صلواتهم، لا فرق في ذلك بين سني وشيعي.. جميعهم يزورون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.. جميعهم يحبون ويعظمون أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام. جميعهم يصومون شهر رمضان المبارك. جميعهم يحتفل بعيدي الفطر والأضحى.. وغير ذلك.

وقبل هذا كله كتابا قرآنا واحدا.

أي أن أسباب الوحدة الإسلامية قائمة بالفعل.. فلماذا تنمو أسباب الفرقة والخلاف بيننا.. لقد صُدمت وبقوة أثناء متابعتي لأحد البرامج على إحدى الفضائيات لمناقشة قضية تطاول أحد من يقال عنهم «رجل دين مسلم» على زوجات رسول الله ﷺ الأطهار، وصحابته أبي بكر وعمر وعثمان.. والتطاول كان باسم التشيع للإمام علي - كرم الله وجهه - وهو من المتطاولين براء!!

رجل الدين المدعي تم القبض عليه بمعرفة جهاز مباحث أمن الدولة وحاول إنكار التهمة الموجهة إليه ولكنه جوبه بوجود أشرطة تسجيل وأقراص مضغوطة بصوته تحمل طعنا وسبا في صحابة رسول الله ﷺ وزوجاته الأطهار، بل ووقف ابنه - ابن العالم المتهم بسب صحابة رسول الله ﷺ - يشهد ضد أبيه ويؤكد التهمة عليه.

البرنامج الذي جرى بثه على إحدى الفضائيات استضاف الابن وأستاذ جامعي مصري، ومحاميان عن المتهم تضمن مناقشات مثيرة، فقد دافع المحاميان عن قيام العالم المذكور بسب صحابة رسول الله وأنكرا تماما صحة ما ورد في كتب الحديث عن رسول ﷺ من أن أبا بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة.. وهاجما الابن الذي أصر على اتهام أبيه بالتورط في سب صحابة رسول الله ﷺ وزوجاته الأطهار، واتهما الابن بعقوق الوالد، فرد الابن بقوله: لا أبيع ديني مقابل رضا أبي!! فرد أحد المحامين بقوله: «كان يمكنك الصمت» فرد الابن: الساكت عن الحق شيطان أخرس وهذا ليس مجرد سكوت عن الحق.. إنه الفارق بين الكفر والإيمان!!

ازداد النقاش اشتعالا بين الطرفين ويتضح بجلاء

قوة منطق الابن .. لأنه منطق الإيمان بثوابت عقيدة أهل السنة والجماعة.

والسؤال الذي يفرض نفسه .. ماذا يكسب الشيعة أو المتشيعون للإمام على - كرم الله وجهه - من سب صحابة رسول الله ﷺ وزوجاته الأطهار .. ماذا يستفيدون من إثارة حنق وغضب المسلمين السنة ضدهم.

ألم يبلغ علمهم أن أبابكر وعمر وعثمان وعلى، قاتلوا جنباً إلى جنب تحت راية رسول الله ﷺ راية التوحيد .. راية لا إله إلا الله محمد رسول الله. قاتلوا من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .. وضحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس.

ألم يبلغ علمهم أن أبا بكر وعمر هما أول من سير الجيوش لرفع راية التوحيد في ربوع بلاد فارس؟ أم ترى أن أهل فارس اليوم يحقدون على أبي بكر وعمر لإدخالهما الإسلام لبلادهم؟!

ألم يبلغ علمهم أنه لم يكن هناك شيعة ولا تشيع على عهد رسول الله ﷺ؟!

ألم يبلغ علمهم أنه لم يكن هناك شيعة ولا تشيع على عهد الإمام على - كرم الله وجهه؟!

ألم يبلغ علمهم أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» (أخرجه ابن ماجة)

لا نقول لهم اتركوا ما أنتم عليه من مذهب ولكن دعونا وما نحن عليه عملا بقول رسول الله ﷺ «لا ضرر ولا ضرار» (موطأ مالك).

أحمد تقى الدين

الصـــوم

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور: **محمد محمود العطار - كفر الشيخ**:

الصوم رياضة روحية، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام، لحديث «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا» (متفق عليه)

وقد فرض الله عز وجل الصيام على أمة محمد ﷺ في شعبان في السنة الثانية من الهجرة، كما فرضه على الأمم التي سبقتها، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٨٣)

وكان الصوم في رمضان لنزول القرآن فيه، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٨٥)

والصيام هو امتناع عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله. قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٨٧)

وليس المقصود من الصيام الجوع والعطش، بل هما مظهران ماديان للصيام، تكمن وراءهما حكمة الصوم الحقيقية، وهي تربية الضمير وغرس خلق المراقبة والصبر وبهما تصدق النية، فالصوم يوقظ العواطف الإنسانية النبيلة، فيحس الصائم بإحساس الفقير ويتعاطف الأغنياء مع المحتاجين، وينزع الحقد من صدور الفقراء، وتشيع الرحمة والألفة في المجتمع المسلم في ظل المنهج الإسلامي.

ويتكرر صوم رمضان كل سنة ليتكرر الدرس ويتمو الغرس فلا يسرف في الطعام والشراب حتى يستمر نور الإشراق القلبي والروحي، ويكون الصوم مدداً قوياً للإنسان بالخير، فيزكو قلبه وتصفو نفسه وتتهذب روحه، ويمسي الصائم منبعاً ثراً للخير على نفسه ومجتمعه، ويحيا حياة الحب والوئام والتعاون والسلام، فيتلقى التكاليف الشرعية والواجبات الاجتماعية بقوة وثبات وإخلاص وإيمان.

إلى جانب إصلاح الخلق، وتنظيف البدن من الرواسب وتخفيف وطأة السمنة، فتطيب الحياة ويسعد الناس في ظل المنهج الذي رسمه الله لعباده.

إن الصوم تربية للنفس بالعزيمة القوية الصادقة، وذلك للتخلص من ذميم العادات وتربية ملكة التقوى.

من فضائل رمضان.. صلة الرحم

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ إبراهيم مسلم إبراهيم النجار - مدير عام تعليم وإدارة سابق - ميت غمر - قليوبية:

إن سر عظمة فريضة الصوم أنها أمر خفي بين العبد وربه وأكبر مظهر من مظاهر الإخلاص له سبحانه وتعالى.. فتحية الإجلال والإكبار لهذا الشهر الذي فضله الله تعالى بأن أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.. كما عمه بالعطاء الإلهي والتكريم السماوي

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١٨٥)

ومع الشهر الفضيل يتجلى التسامي الروحي والأخلاقي في وحدة المسلمين والتقائهم وصلة رحمهم بعضهم بعضا.. ففي لحظة التفاف المسلمين حول موائدهم مع انطلاقة مدفع الإفطار تهتز قلوبهم خشوعا وطاعة لله.. ويسود الحب ويكثر التودد والتواصل وتبادل الموائد.. وتنعقد مجالس العلم ﷺ «إن هذا القرآن مأدبة الله فخذوا منه ما استطعتم» (أخرجه الدارمي).. كما يقول «رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس» (أخرجه الطبراني)، وقد روى البخاري ومسلم قوله صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (أخرجه مسلم) ويقول تعالى

(آل عمران: ١٠٣)

إن التواصل مع الله بالعبادة والتقارب بين المؤمنين بالمودة والرحمة التي جعلها الله جزءا من اسمه سبحانه وتعالى كما جاء في حديث عبدالرحمن بن عوف عن رسول ﷺ يقول الله تعالى: «أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته» (أخرجه أبو داود) وعن علي كرم الله وجهه قال قال ﷺ «من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه».

وفي شهر الخير والبركات والصدقات . يزكي نبينا الحبيب هذه الفضيلة فيقول: «إن الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» (أخرجه النسائي) وعن معاذ بن أنس أنه قال: «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك». كذلك يؤكد على وجوب صلة الرحم للآباء بعد موتهم في الصوم والحج عنهم والتصدق والدعاء لهم كما حكى عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي توفيت وعليها صوم شهرين قال (صومي عنها) فقالت إن عليها حجة فقال: (فحجي عنها) قالت: فإني تصدقت عليها بجارية فقال (قد آجرك الله) (أخرجه المستدرك على الصحيحين للحاكم).

ورغم تعظيم الإسلام لفضيلة صلة الرحم فإن البعض يقع في رذيلة القطيعة والهجر التي نهانا عنها ﷺ بقوله «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (متفق عليه) وشهر رمضان كريم يجب أن يسود فيه التسامح والتصالح بين المسلمين.

سلوكيات مرفوضة

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ محمد عباس محمد عرابي:

يسمع الكثير منا، ويرى بأم عينيه العديد من السلوكيات التي يمجها الذوق السليم، والتي تتنافى مع الآداب والأخلاقيات التي يحثنا عليها ديننا الحنيف. ونظرا لتفشي، وانتشار هذه السلوكيات في مجتمعنا بصورة لافتة للأنظار كان من الواجب علينا مناقشتها وعلاجها

فمن السلوكيات التي تتكرر يوميا: مشهد سائق السيارة الذي يفتح الراديو أو المسجل بأعلى صوت، وكأن السيارة لا تسير إلا بهذا الإزعاج الذي يصم الآذان، وإذا ما طلبت منه خفض الصوت أو إغلاق الجهاز فكأنك ارتكبت جريمة معه..

وهذا شاب لا يحلو له التدخين إلا في الأماكن العامة المكتظة بالأطفال الرضع والكبار ومن يتأذى برائحة دخان السجائر، وعندما تحدثه بمخالفة سلوكه للأنظمة واللوائح والقوانين التي تجرم هذا السلوك كأنك تخاطب القمر " لا أذن تسمع ولا فؤاد يعقل.. وثالث يجلس على كرسيه في المواصلات العامة وهو من هو في قوة بنيانه، وقوة تحمله، ويرى عجوزا يستند على عكازه، وينظر إليه نظرات شفقة ولا يتحرك من مكانه ليجلسه فما فائدة الشفقة؟!! وهذا الجار الذي يصر على مشاجرة جيرانه لأتفه الأسباب كلعب طفل أمام بيته، أو الوقوف أمام بيته دون

بة سيئة، أو بكاء طفله لـراعه مع طفل الجيران وبصر ألا ينتهي الشجار دون أن تسال فيه الدماء وتكسر العظام وأحيانا خسائر في الأرواح فأين حقوق الجار التي أوصى بها قرآننا ونبينا ﷺ

إن هذه السلوكيات وغيرها كثير تحتم على العقلاء منا ضرورة وضع حد لها وعلاجها وهذا يفرض على المؤسسات التربوية تعليم مراعاة الذوق في التعامل مع الآخرين فالدين المعاملة وديننا يحث على التحلي بمكارم الأخلاق. وليعلم شبابنا أن خير الناس أنفعهم للناس وأن المرء يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم، هدى الله شبابنا للإقلاع عن السلوكيات المرفوضة ومعاملة الناس بالحسنى، شفقة على الصغير، واحتراما للكبير ومراعاة لحقوق الجيران والله الموفق والمستعان

مائدة الرسول في رمضان

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ أحمد عبدالمحسن علي محمد - مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية للبنين إدارة الدقي - جيزة:

لم يظفر إنسان في هذا الوجود كائناً من كان بما ظفر به سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ من حفاوة بحياته وتسجيل أمين لحركاته وسكناته، كل ذلك وعاه التاريخ وسجله وسطره بحروف من نور تألقت في أرجاء الدنيا وعطر طابت به أنفاس الحياة إلى أسوة حسنة تجد فيها الإنسانية نورها وهداها قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

(الأحزاب: ٢١)

ولنقترب من مائدته ﷺ وهو يتناول طعامه

«إفطاره وسحوره» في شهر رمضان فقد أفطر عليه الصلاة والسلام قبل أن يصلي، وفطره على تمرات فإن لم يجد فعلى شربة ماء، وهذا من كمال إشفاقه على أمته ونصحهم فتناول الشيء الحلو مع خلو المعدة منشط للغدد الهضمية، أما الماء فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع من اليبس فإذا أرطبت بالماء كَمُلَ انتفاعها بالغذاء بعده هذا مع ما في التمر والماء من الخاصية التي لها تأثيرها في صلاح القلب، قال ﷺ : «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد تمراً فالماء فإنه طهور» (أخرجه الترمذي).

وكان الرسول ﷺ يقول عند فطره: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت» (أخرجه أبو داود).

وقد وضع رسول الله للمائدة آدابا تنم عن ذوق رفيع، وأدب عال فكان ﷺ لا يعيب طعاماً قط، فإن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه وسكت وكان لا يجمع على مائدته ألوانا من الطعام ويكتفي بالقدر القليل، ويأكل الطعام الخشن وكان يغسل يديه قبل الطعام وبعده، وكان إذا وضع يده في الطعام قال بسم الله قال ﷺ : «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسى أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره» (أخرجه أبو داود).

وكان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وجعلنا مسلمين» (أخرجه أبو داود)، وإذا رفعت المائدة من بين يديه قال: «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» (أخرجه أبو داود).

وكان سحور رسول الله قريباً من الفجر ليستعين الصائم به على صوم النهار ويجد عنده من القوة ما يستطيع به تحمل أعباء الصوم ومن هنا أوصى الرسول الكريم بطعام السحور، قال ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة» (أخرجه البخاري).

والسحور من خصائص أمة سيدنا محمد ﷺ، فإن أهل الكتاب كانوا لا يتسحرون، قال ﷺ : «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر» (أخرجه مسلم).

هذه مائدة رسول الله ﷺ في إفطاره وسحوره نلمح من خلالها الأسوة الحسنة والعمل الصالح قال تعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

(الحشر:٧)

وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» (أخرجه ابن ماجة).

وعلينا أن نقتدي برسول الله ﷺ في سنته ففي ذلك الخير والعزة.

من أعلام الإسلام

الإمام أحمد بن حنبل

وعن الإمام أحمد بن حنبل جاءت مساهمة الأستاذ فرج محاهد عبد الوهاب عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية.

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي الأصل ولد في بغداد عام ١٦٤هـ وتوفي فيها عام ٢٤١هـ

لم يربه أبوه لأنه تركه طفلا. نشأ في بغداد في طلب العلم وخدمته. وسافر في طلب الحديث من شيوخه. وسمع من أئمة زمانه . وكان الحديث قد كثرت رحلته وصنفت كتبه وتميز صحيحه من موضوعه، وقد طوف الأمصار حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث وانتقى منها مسنده الذي ضمنه أكثر من أربعين ألف حديث، واستنبط مذهبه من السنة مشوبا بشيء من القياس والرأي. وكان يعتنق المذهب الشافعي وهو من أكبر تلاميذه البغداديين ظل مصاحبا له حتى ارتحل الشافعي إلى مصر. وقال الشافعي خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل».

كان الإمام أحمد رحمه الله متأدبا غاية الأدب متواضعا غاية التواضع. يرى ذلك عليه من غير تصنع ولا محاباة، فكان من فرط تعظيمه لمشايخه لا يتكلم في مجالسهم بشيء، ويجيب من يسأله في ذلك قائلاً بأن «الإنسان له لسان واحد وأذنان ليسمع أكثر مما يتكلم»

لم يتزوج إلا بعد الأربعين حتى لا ينشغل عن العلم فبلغ من العلم ما أراد ووضع «المسند» في الحديث. وكتاب «طاعة الرسول»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ».

ويعرف أتباعه بالحنابلة وأكثرهم من الشام والعراق لما انتشرت فتنة خلق القرآن في عهد الخليفة المأمون. سيق الإمام أحمد بن حنبل إلى بغداد. وحمل على أن يقول بأن القرآن مخلوق متابعة للرأي الرسمي آنذاك. فلم يقلها. وثبت على رأيه. فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع، وكان ذلك عام ٢٢٠هـ.

المعجزات الكونية فى ليلة القدر

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الدكتور أحمد مصطفى شريف – استشاري طب الأطفال بالإسكندرية:

في كل عام تحدث في ليلة القدر والصباح التالي لها ظواهر كونية سوف يقف العلم عندها طويلا للبحث والدراسة وقد أخبرنا بها رسول الله ﷺ – فقال: (ليلة القدر طلقة بلجة، لا حارة ولا باردة، تتضح كواكبها، ولا يخرج شيطانها

حتى يضيء فجرها»[1].

وتأتى ليلة القدر فى فصل الصيف أو فى فصل الشتاء، لكنها تكون معتدلة المناخ بقدرة الله، وتظهر وتتضح أعداد لا حصر لها من النجوم فى ليلة القدر بالمقارنة بالليالى الأخرى، وتكون كمية الإنارة فى ليلة القدر كبيرة فقال قال - ﷺ - : «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا»[2]، بالرغم من أنها فى الليالى الأخيرة من الشهر ويكون القمر أقل إنارة، بل يختفى القمر ونوره نهائيا لو جاءت ليلة القدر ليلة ٢٩ رمضان، وقال ابن حجر فى الفتح - كتاب ليلة القدر: «وقيل الأنوار فى كل مكان ساطعة حتى فى المواضع المظلمة» وقد التقط بعض المسلمين صورا لعلامات ليلة القدر «نور وسحب مضيئة ولفظ الجلالة «الله» فى سماء القاهرة ليلة ٢٥ رمضان ١٤٢٧ هـ وهى بموقع www.Laylatalqadr 24.com

والمعجزة الكونية الأخرى هى عدم حدوث شهب فى ليلة القدر رغم أن علم الفلك يقول: يحدث يوميا من ٣ - ٥ شهب تزداد قرب الفجر وأحيانا تأتى ليلة القدر فى أوقات يحدث فيها زخات شهابية «أعداد كبيرة من الشهب»، وهذه الشهب تصيب أى شيطان يحاول التصنت على أخبار السماء كما فى قوله تعالى:

﴿... فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن: ٩)

ولو قال المسلمون لأحد من علماء الغرب إن هذه الشهب هى لرجم الشياطين فى السماء مثلما يتم رجم الشيطان على الأرض فى الحج فلن يصدق قول الله عز وجل:

﴿... وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ...﴾ (الملك: ٥)

وسيقول: نرى الشهاب، ولكن أين الشيطان الذى يصيبه هذا الشهاب! ولكنه سيقتنع عندما يتأكد أن الشهب لا تحدث فى ليلة القدر رغم دورانها فى كل شهور السنة الشمسية، ولن يجد تفسيرا لذلك سوى قوله - ﷺ - فى الحديث السابق: «ولا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها»، ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها حتى تصبح»[3]، فلا يرمى الشيطان فى ليلة القدر لأنه لا يخرج، أما فى أيام رمضان الأخرى فإنه يتم تقييد مردة الشياطين وليس كل الشياطين فقد قال رسول الله - ﷺ - عن شهر رمضان: «وتغل فيه مردة الشياطين، ويصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه فى غيره»[4].

وتحدث أيضا معجزة كونية مؤكدة فى الصباح التالى لليلة القدر أخبرنا بها النبى - ﷺ - فقال: «إن أمارة

(١) ذكره ابن حجر فى فتح البارى - كتاب ليلة القدر وقال: لابن خزيمة من حديث جابر مرفوعا
(٢) أخرجه أحمد والبيهقى والطبرانى وقال الهيثمى بمجمع الزوائد ٥١٩٠ - ٣/٥: رجاله ثقات
(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد والبيهقى وصححه الشيخ الألبانى كذلك.
(٤) الحديث أخرجه أحمد والبزار والبيهقى، مردة: جمع مارد أى شديد ومكابرة

ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها حتى تصبح، وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ»[5]

وفى رواية فى صحيح الجامع للألبانى برقم «٥٤٧٢» قال ﷺ: «... ولا يرمى فيها بنجم»

من حكمة الله تعالى أن جعل العلامة المؤكدة على ليلة القدر فى الصباح التالى لها حتى لا ينشغل المسلم بالعلامات ويترك عبادة ربه، فقد لا يلاحظ أهل المدن الأنوار الزائدة فى ليلة القدر، وذلك لانعكاس أنوار المصابيح الكهربائية فى الشوارع على صفحة السماء ولكن تشرق الشمس بعد انتهاء ليلة القدر بيضاء كالقمر ليلة البدر وبدون شعاع، بل سترى الشمس تتحرك فى لمعان وبريق أى ترقرق «كرؤيتنا السراب من بعيد». وهذا ما أخبرنا به المصطفى - ﷺ - فقال: «الشمس تطلع بيضاء ترقرق»[6] وفى صحيح مسلم أجاب عن لماذا بيضاء! فقال: لغلبة نور تلك الليلة على ضوء الشمس، وسترى أمام الشمس ما يشبه الشبكة أو المصفاة والشمس تتحرك وتدور خلفها فيكون شكلها كما وصفها النبى - صلى الله عليه وسلم - بدقة وإعجاز قال: «صبيحة ليلة القدر تطلع الشمس لا شعاع لها كأنها طست حتى ترتفع»[7] والطست: إناء معدنى مستدير.

وهذا الشكل العجيب للشمس يستمر حتى ترتفع أى حوالى نصف ساعة من لحظة شروقها، وأود أن أؤكد أن الشمس لا ترقرق وتكون كالطست إلا فى صبيحة ليلة القدر فقط لأنه قد يستمر شروق الشمس بلا شعاع وضعيفة حمراء لمدة يومين بعد ليلة القدر.

والعجيب أن الشمس تتغير ويصبح شكلها كالقمر تبعا للتقويم القمرى فى شهر رمضان، فلو جاءت ليلة القدر ليلة ٢٧ ثم فى العام التالى جاءت ليلة ٢٩، فإنها تتغير بعد سنة قمرية ويومين، ولا يحدث التغير فى شكل الشمس فى شهر من شهور السنة الشمسية، بل العجيب أيضا أننا لا نستطيع أن ننظر للشمس عند اختفائها أثناء الكسوف الكلى لما فيه من ضرر على شبكية العين، ولكننا ننظر للشمس بلا ضرر فى صبيحة ليلة القدر عندما تكون كالقمر ولمدة نصف ساعة متصلة حتى ترتفع وترجع لطبيعتها قوية ككل الأيام الأخرى.

ومن الظواهر الكونية العجيبة التى ذكرها النبى - ﷺ - فى أحاديثه السابقة عن أمارات وعلامات ليلة القدر أنها «صافية.. ساكنة.. لا برد فيها ولا حر..» رغم أنها قد تأتى وقت رياح الخماسين والعواصف الترابية والرملية أو تأتى فى الشتاء أوقات الرياح الشديدة الباردة «الزمهرير» ولكن دائما تأتى ليلة القدر لتكون ساكنة وصافية لنرى هذا الاحتفال الكونى بها، فتتزين السماء بهذا العدد الهائل من المصابيح كما قال ﷺ: «... تضيء كواكبها».

وفى الختام هل تتم دراسة كل هذه الظواهر والعلامات الكونية فى ليلة القدر وصبحها باهتمام لبيان الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة للعالم أجمع، حيث أصبح العلم الآن هو لغة العصر!!

(٥) أخرجه أحمد وابن أبى شيبة [illegible] وفى صحيح مسلم «بيضاء لا شعاع لها»
(٦) أخرجه أحمد وأبو داود وصححه ابن خزيمة وابن حبان والألبانى
(٧) ذكره البيهقى فى شعب الإيمان - باب ٢٩ - الفصل الرابع، ترقرق: بريق ولمعان

صلة الرحم وضرورتها الاجتماعية

بقلم/ عبد الباسط محمد السيد
الطالب بالفرقة الثانية بكلية أصول الدين

لقد ربط الإسلام بين جوانب المجتمع الإسلامي بروابط وثيقة، وشد بين علاقات الأفراد والجماعات بوشائج من القوة بمكان بحيث لا تنفصم عراها ومن هذه الروابط رابطة مهمة لا تقل أهمية عن غيرها من الروابط ألا وهي **صلة الرحم.**

لقد حث الإسلام على صلة الرحم وجعل لها مكانة عظيمة تأتي مباشرة بعد بر الوالدين وجعل هذه الصلة لذوي القربى الذين اشتركوا في رحم واحدة يأتي في المرتبة الأولى الإخوة والأخوات ثم يليهم الخالات والأخوال **والعمات والأعمام وأبناؤهم**

ولقد جاء الإسلام بصلة الرحم بعد توحيد الله تعالى وبر الوالدين وذلك في قوله تعالى:

﴿[illegible] وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ (النساء ٣٦)

وما يدل ذلك إلا على أهمية هذه الصلة التي كررها الله في كثير من آياته. وكشفت من الآيات الدالة على عظم هذه الصلة أنه سبحانه قرنها بتقواه، وذلك في قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾ (النساء ١)

والمعنى اتقوا الله بطاعتكم إياه واتقوا الأرحام أن تقطعوها، لكن بروها وصلوها. فإن في قطعها لذنبا كبيرا وحملا عظيما يصيب حياتكم فيفسد عليكم. وتدل هاتان الآيتان على أن ذوي القربى لهم حقوق يجب أن تؤدى في الدنيا بإيصال كل خير لهم ودفع كل شر عنهم بحسب الاستطاعة وقدر الطاقة. فقد تتنوع هذه الصلة حسب حال الرحم الموصولة. فإن كان القريب فقيرا ومن المستحقين للزكاة ففي هذه الحالة تكون الصلة بالمال. وفي هذه الحالة يكون الأجر مضاعفا، فلا تكون الصدقة وحدها بل تكون صدقة وصلة لقول النبي [illegible]: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة»[1]. وإن كان القريب مظلوما فصلته بنصره ورفع الظلم عنه. وإن كان القريب ضالا فصلته بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالرفق واللين والموعظة الحسنة، ودون تعنت وضجر فقد ذكر الله الحوار الذي دار بين إبراهيم - عليه السلام - وأبيه. وما كان من استغفار إبراهيم لأبيه. وكما ذكر الله سبحانه صلة الرحم وذا القربى في كثير من آياته بما حثا عليها أو تحذيرا من قطعها كذلك ورد في السنة الكثير. ألا ترى أن الله عز وجل

1- الترمذي ٦٥٨ وأبو داود ٢٣٥٥.

اشتق للرحم اسما من اسمه سبحانه وهذا الاسم هو «الرحمن» الذي وسعت رحمته كل شيء فقال عز من قائل في الحديث القدسي: «خلقتك بيدي وشققت لك اسما من اسمي وقربتك من مكاني وعزتي وجلالي لأصلن من وصلك ولأقطعن من قطعك ولا أرضى حتى ترضين»[2]. فصلة الله تعالى للعبد هي هدايته ورحمته، وقطيعة الله للعبد هي غضبه وعقابه ويدل هذا الحديث على أن لذوي القربى حقوقا إن أهملوها في الدنيا طالبوا بها في الآخرة وأن رضا الله سبحانه متوقف على رضا الرحم، وكذلك من الأحاديث الواردة في الترهيب من قطيعة الرحم والمبينة لأثر ذنب قطيعة الرحم ما روي في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله [illegible] اقرءوا إن شئتم

﴿[illegible]﴾ (محمد ٢٢-٢٤)

وقال أيضا «لا يدخل الجنة قاطع»[3]

فعلى العاقل أن يلتزم هذه العبادة ولا يتركها تهاونا أو حتى تكاسلا لما فيها من الأجر العظيم. وأنها سبب من أسباب دخول الجنة ومن قبل الدخول في رضا الله سبحانه فعن أبي أيوب الأنصاري أن رجلا قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال القوم ما له ما له؟ فقال رسول الله: أرب ما له فقال النبي [illegible]: «تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم»[4] فهنا هو حث الإسلام على صلة الرحم، وهنا يكون الإسلام قد أرسى مبادئ الرحمة والمودة والألفة بين أبناء المجتمع الإسلامي الذي يحيى ويبعد كل البعد عن النزاع والشقاق والبغض والكراهية وذلك بإعطاء ذوي القربى حقوقهم وهذه الحقوق تتلخص فيما يلي:

1- السؤال عنهم وعن أحوالهم وزيارتهم بين الحين والآخر، وتفقد أمورهم.

2- مشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم وقبول دعوتهم وزيارة مرضاهم والصلاة والترحم على موتاهم.

3- الإسراع إلى معاونتهم عند الحاجة وتنفيس الكرب عنهم ومراعاة جبر خواطرهم.

4- إيثارهم في الصدقة والإحسان والهدايا على من سواهم.

5- الصبر على أذاهم إذا بدا منهم أذى والمبادرة إلى صلحهم عند المفارقة.

6- بذل النصح لهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالموعظة الحسنة والرفق واللين.

وهذه الحقوق بأدائها في المجتمع الإسلامي ويقوى بذلك؛ لأن هذه الحقوق تؤدي في النهاية إلى مجتمع متماسك أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانه، وذلك لأن المجتمع الإسلامي لا يأخذ ثوابته من شرق أو غرب أو من فكر بشري متقلب قابل للخطأ والصواب، بل يأخذه من كتاب ربه: القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ومن السنة النبوية المطهرة الموضحة للقرآن الكريم، وبتأدية حقوق ذوي القربى يسعد الفرد ويسعد معه المجتمع الإسلامي بطاعة الله تعالى ورسوله، وذلك يؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة قال تعالى:

﴿[illegible] وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم ٣٨)

2- الترمذي كتاب البر والصلة.
3- متفق عليه
4- صحيح ابن حبان

[illegible] extremely the economy of Quraysh as well as its military power.

The caravan fled from the Muslims [illegible]. All of Quraysh went out [illegible] except Abu Lahab, who sent Al-As Ibn Hisham Ibn Al-Mughirah [illegible]. When the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) [illegible] the Muslims: "These are the camels of Quraysh; come out to meet them. Allah may grant you victory."

The Muslims went out [illegible] Ramadan. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) [illegible] Amr Ibn Umm Maktoom to perform prayer with the people [illegible] who did not come out with [illegible] Uthman Ibn Affan [illegible] who did not come out [illegible] because of the [illegible] of his mother.

There were two black banners in front of the Muslims. The number of the Muslims who came out was three hundred and [illegible]. The mother of Waraqah Ibn Nawfal wanted to come out with them; she told the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him): "Let me come out with you. May Allah grant me martyrdom."

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) told her: "Stay at home and Allah will grant you martyrdom." He called her the martyr. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) told the immigrants and the advocators: "Quraysh came out of Mecca with all its power; what is your opinion?"

Al-Miqdad Ibn Amr said on behalf of the immigrants: "Continue to what Allah ordered you and we will accompany you. [illegible] We swear that we will fight with you as long as we live. We will accompany you everywhere."

Sa'ad Ibn Mu'az said on behalf of the advocators: "We will obey you in everything you order us to do. [illegible] We will fight with you. [illegible] We will accompany you [illegible]. We hope that Allah makes us the cause of your happiness [illegible] and we will be with you wherever you want."

The Prophet and the Muslims stayed at a place near Badr and sent Ali, Az-Zubair, and Sa'd Ibn Abi Waqqas to know the news of Quraysh; they found two men from Bani Al-Hajjaj and Bani Al-As, whom the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) asked about the residence of Quraysh and their number saying: "Tell me about Quraysh."

They said: They are behind this sand hill and are numerous.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) asked: What about their number?

They said: They are numerous and strong.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) asked: How many are they?

They said: We do not know.

The Prophet asked: How many camels they slaughter daily?

They said: Nine in one day and ten in the other.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said [illegible]: "The [illegible] number is between nine hundred and one thousand." [illegible] two men that the masters of Quraysh [illegible]. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) told his companions: "This is Mecca throwing to you its dear livers."

Two of the companions heard two female slaves quarreling, and one of them told the other: "The camels will come back [illegible] and I will work and give you your debt back."

Al-Hubab Ibn Al-Munzer told the Prophet: "O Allah's Messenger, this is not a good residence. [illegible] We fight and drink and they do not drink."

The Prophet responded [illegible]. Sa'd Ibn Mu'az told the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him): "We may build an arbour for you and leave the mounts with you. If we win, we come back [illegible]. The people who lagged behind [illegible] they would not leave you. May Allah let them [illegible] and fight with you."

Abu Sufyan knew about the coming out of the Muslims. He hired Damdam Ibn Amr Al-Ghaffari sending him to Mecca, where he [illegible] camel. Moreover, he tore his shirt [illegible] and said: "O Quraysh, [illegible] matter: your money is with Abu Sufyan. Muhammad and his companions [illegible] the caravan carrying your money. Please help." Abu Sufyan [illegible] the sea coast and was far from Muslims. He was saved [illegible]. Quraysh knew about his rescue as Abu Sufyan sent to them a message saying: "You came out to save your money, men and goods, but Allah saved them. Come back."

Abu Jahl refused to come back and said: "We will not come back [illegible]. We will reside three days there eating, drinking wine and [illegible]. All the Arabs hear about us and continue to fear us forever."

Hakim Ibn Hezam and Otba Ibn Rabi'a [illegible] come back, but Abu Jahl was angry with them and sent to Amer Ibn Al-Hadrami a message saying: "[illegible] come back with the people while I saw your revenge with your eyes. Come and avenge your brother's death." Banu Zahra, the relatives of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) from the side of the mother, and Banu Adiy [illegible] wanted to come back, but Abu Jahl disallowed them.

Al-Aswad Ibn Abd Al-Asad Al-Makhzoomi was one of the Qurayshis who came out, and Hamza Ibn Abd Al-Muttalib killed him with his sword. Then Otba Ibn Rabi'a, his brother Shaiba and his son Al-Walid came out, but Obaydah Ibn Al-Harith, Hamza and Ali attacked them. Hamza and Ali killed Shaiba and Al-Walid [illegible], while Obaydah was injured by Otba.

extremism to an individual accident. He asked them not to hesitate to ask for help at any time and under any circumstances. He talked to the scholars who did not attend the meeting throughout the Egyptian Radio.

Moreover, he told the journalists that the letters of consolidation and consolation are received daily at his office from the side of heads and professors of the Academic German Universities. The last letter was a consolation card sent from the German Academic Institution for Science Exchange (DAAD) which was sent to Dr. Hany Helal, the Minister of Higher Education and Scientific Research. It expresses their refusal of this accident.

About the aggravating anger concerning the murder of Dr Marwa Ash-Sherbiny, the martyr of religious commitment, Dr. Tag Ad-Din assured that the Embassy of Egypt and the cultural office moved rapidly to follow up the accident moment by moment. The Ministry of Higher Educations did not delay in offering material and spiritual support to the family of the Egyptian envoy and his martyred wife as well as transporting her dead body. From another side, Dr. Maged Ash-Sherbiny, the consultant of the Minister of Higher Education and Scientific Research arrived at Germany. It is decided that Dr. Ash-Sherbiny and Dr. Tag Ad-Din will meet the father of Scholar Okwy, the Egyptian envoy at the airport. The father decided to receive the corpse of Marwa first in Egypt, then to travel to see his son, who is treated in the intensive care in one of the hospitals in Germany.

Dr. Helal declared to the journalists that he asks every Egyptian scholar who studies abroad to regard himself belonging to the envoys department in the Ministry of Higher Education. He referred to the situation of the previous situation of the Ministry in defending an Egyptian scholar in the USA, who was treated as a terrorist. The Ministry undertook all of his costs, and devoted an attorney for him, the matter that charged her with half Million Pounds till he gained disavowal.

The Teaching Staff Club of Al-Azhar University condemned in its statements the terrorist acts committed against the Muslims, and called for the punishing quickly the committer of the crime of the martyr "Dr. Marwa Ash-Sherbiny" in Germany. Also it called the professors of law in the University to undertake the case as soon as possible and to study the situation of the victimized husband who is treated in a hospital. The statement warned against negligence towards treating this terrorist incident, in which the martyr "Dr. Marwa Ash-Sherbiny" was killed only for adhering to the instructions of her religion outside her country. The Western society claimed its adherence to these personal liberties.

From the other side, Dr. Abdullah Zain Al-Abidin, the head of the pharmacists syndicate, that the syndicate called the Egyptian pharmacists in Germany to coordinate the following up of the lawsuit of Dr. Marwa Ash-Sherbiny "The Martyr of Veil". Moreover, he mentioned that the syndicate called the International Union for the Pharmacists to inform it with the Egyptians' condemnation to the murder of "Dr. Marwa". The famous writer Dr. Abd Al-Monem Said, the chairman of Al-Ahram Newspaper, wrote an article on Monday, 20th of July in Al-Ahram Newspaper entitled "Encountering Fanaticism, Racism and Hatred". He mentioned a statistic about the growing up of the fanaticism against the Moslims in Europe.

Ramadan is not The Month of Laziness and Sleeping...!

By: Ustaz Mohammad Farag

Many people err when they see that Ramadan is the month of laziness and sleeping. However, it is the month of efforts and victorious principles and word of right. Allah wanted to teach the Muslims this lesson, and let three of the greatest campaigns (Gharawat) occur in Ramadan, two of which had great effect on Islam and the history of humanity. Badr campaign was the beginning of the stability of the Islamic Da'wah in the Arab Peninsula.

Al-Fath (conquest) campaign was the great door from which the companions of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) rushed from Mecca to the other parts of the Peninsula, rather to Persia, Roman countries in Egypt, the Levant and the north of Africa. They spread their Da'wa and the people believed in it.

The group of Hamza

In Ramadan of the first year of Hijra, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) delegated his uncle, Hamza Ibn Abd Al-Muttalib with thirty immigrants to Seif Al-Bahr near Al-Ais. He gave him a white banner to be carried by Abu Marthad to get in the way of caravan of Quraysh in its way to the Levant.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) thought to confiscate the trade of Quraysh back and forth to punish the disbelievers of Mecca to weaken their financial power and their military power as well. The caravan was led by Abu Jahl Ibn Hisham, and it consisted of three hundred riders from Mecca. The two groups met, but Magdy Ibn Amr Al-Juhany caused the two groups to leave. Then, they left without fighting.

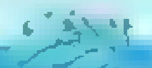
We notice two things in this group.

The first is that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) did not send anyone of the advocators (Al-Ansar) because they agreed with him to defend him only, and not to attack. The second is that the number of the Muslims was less than that of their enemy. This is a strong evidence of the Muslims' belief and the dependence on Allah in their Jihad.

Badr Campaign:

This strong fighting between the Muslims and the disbelievers in Badr was in Ramadan. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) knew about the coming out of a caravan from Quraysh in which, as it was said, Quraysh collected all of its money, as there was no money there.

Their money reached fifty thousand dirham. Their goods was carried by thousand camels led by Abu-Sufian Ibn Harb and twenty seven of its men, among whom was Makhramah Ibn Nofal and Amr Ibn Al-As. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon



[illegible]

against the Muslims and Arabs in many Western capitals.

[illegible]

should not be described in this way

[illegible]

[illegible]

[illegible]

of protecting the deceased

[illegible]

the Arabs that they are terrorist or aggressive.

[illegible]

[illegible]

Western responsible persons would have hurried to interfere

[illegible]

ed to defend her identity, entity and religious commitment.

[illegible]

The consultant met the President actually

[illegible]

deserve life."

[illegible]

[illegible]

was prescribed for a whole month, but they do not specify it, and other narrations say that it is the month of Ramadan.

On that account, the first opinion, which stress that the simile is made in absolute obligation only, is close to understanding because it achieves the required obligation; it is pacifying the soul for fasting without letting any embarrassment, confusion or anxiety overcome **the heart and soul.**

The people of books are meant by the verse" (the ones) who were ever before you" as Ibn Katheer narrated from Ataa Al-Khorasany who narrated on the authority of Ibn Abbas Ibn Al Shaaby and others interpreters are of the opinion that the meaning is the previous nations from very close to Adam (peace and blessings be upon him) and it is a clear opinion because the fast is an ancient worship and is found in all previous religions that embraced by the worlds societies even if, as I mentioned before, the manner of performance and days of fasting in different periods. If we return back to see how other nations used to perform this act of worship, we find that fasting is a kind of change in situations between exaggeration and negligence, sometimes, it means depriving the soul of what it desires for a specific period of time. Some nations greatly exaggerate in fast, thus they completely deprive themselves of what is lawful for them even to the extent that they almost kill them, while some of them overdo in fasting. This is a kind of burden they put on themselves without receiving any proof for this act as required by the Sharia. This is not essence of real command revealed by the Sustainer of the universe because those who have deep knowledge about Heavenly revelations, understand this heavenly revelation contains kindness and easiness for the followers, thus it does not put the burden unbearable to them.

Thirdly, Allah's saying " that possibly you would be pious " is an indication of wisdom behind the fast and declaration that Allah has wisely placed every thing in its proper place thus he only commands his slaves for what provides particular or general prosperity, as he only prohibits to do what definitely causes damage and harm to the Mukallaf (one who is asked to do what is prescribed on him) or society he lives in, and the fast falls into this general framework of Allah's Commandments, that is, the order to do it brings goodness and benefit to both the Mukallaf and the society as well which is referred to in Quranic Verse " that possibly you would be pious ", that is, by virtue of the fast you are always protected against any kind of expected physical, psychological or social diseases, thus it protect every one against this ailment if performed by the Mukallaf observing all its conditions and morals in accordance with Authentic Prophetic traditions. As for safeguarding against social and **spiritual disease, it would be in tow methods:**

First: the fast is a secret between a slave and his Lord, and does not fear any one except Allah in observing this act of worship, that is why a Hadith Qudsi states: "He gives up drinking and eating for my sake."

So, when he refrains himself from desires and its permissible pleasures of eating delicious food, tasty drinks and sexual appetite and desires at the stated time in order to observe the commandments of Allah by struggling against desires, and abstains from what he wills or longs only for Allah's sake, it reflects his firm will and determination that enable him to avoid forbidden longings.

Dr. Marwa Ash-Sherbiny: The Martyr of Commitment and Victim of Racism...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

On Friday, 3rd of July, 2009, a horrible crime with all standards occurred, representing disgrace for the contemporary Western civilization and the Western address which represents itself as defendant of human rights and a model for others. It is a real deterioration **for every effort done for establishing a real dialogue.**

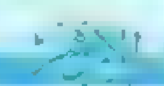
There is a German youth, aged 28 years, commits a terrorist act overtly in the court in front of the jury. The victim is an Egyptian lady that is attributed with good knowledge and morals. She is Dr. Marwa Ash-Sherbiny whom was stabbing by the criminal Alex Dabliew 18 stabs of knife. He held it inside Landes court hall in Drosden, Germany. He was not satisfied by this act, but he stabbed her husband, Ali Okkaz - a lecturer in genetics in **Al-Monofiya University – during his attempt to save his wife.**

The accident occurred due to a conflict regarding wearing veil, or it seems to be so to be one of the most horrible scenes caused by this case recently in Western Europe. The accident backs to one year ago, as there was heated argument between the martyr pharmacist and this German man in children garden, when she asked him to leave the swing **for her child (aged 3 years).**

However, he insulted and accused her of being terrorist because of wearing veil. Then, the criminal used to provoke the Egyptian lady, as he dwelled at a house near her house in which she lived with her husband. Also, he tried many times to take off her veil. The departed tolerated this situation, but the German neighbors exerted pressure on her to complain against the criminal in the court that sentenced him to pay 780 Euro.

The court mentioned that it was assured of the criminal's description of Dr. Marwa as "the Muslim Terrorist" only because she wanted to give her child a chance to play with a swing in the public children garden in Drosden. On Friday 3rd of July, the court was considering the appeal in which the criminal asked for canceling this decision. During the session, the criminal stabbed the pharmacist several times causing her death in front of all of the attendees.

When her husband tried to save his wife, he stabbed him causing severe wounds in liver and lungs. He was surrounded by security inside the court hall. When the judge summoned the police, one of security members shot the husband instead of the killer.



Allah's messenger is reported to have said in a Hadith Qudsi:

"Fasting in month of Ramadan is for me and I myself will reward for that."

And because it purifies the soul from [illegible], lust and evil desires and saves from [illegible], so the human beings become purified, transparent and exalted even he attains the heights of perfect integrity through fasting with complete sincerity and dedication to His Lord, and [illegible] in the horizon of [illegible], and prepares himself so as to understand the deep meaning of Holy Quran and find out every meaning it demands from human being, which put on his head the crown of the true successor of Almighty Allah on this earth, thus by virtue of following the [illegible] of holy Quran they with sincere hearts (the believers) attain the privilege of leading the nation with sovereignty and [illegible] power over whole earth. In actual fact the believers had been crowned with such a power, when they fasted with sincerity as Allah commanded.

The deeds of the holy Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) in Ramadan strongly support this meaning. He especially used to recite the Holy Quran with the Archangel Gebriel at every night of Ramadan as stated in the Authentic Prophetic tradition: the messenger of Allah was the most generous of all human beings and he becomes more generous when the Archangel Gebriel met him and he used to meet him every night in the month of Ramadan to teach him Holy Quran, the prophet is more generous to do good deeds than the fast wind.

Thus the efforts of Muslims welcome this sacred month with energy, seriousness and embark upon [illegible] obedience to Allah particularly in this month as Allah said concerning this blessed month: "O you who have believed, prescribed for you is the fast as it was prescribed for the ones who were ever before you that possibly you would be pious. For a prescribed number of days; so, whosoever of you is sick or is on a journey, then a (fixed) number of other days; and against the ones who can afford it there should be a ransom of food for an indigent man; yet whosoever volunteers charitably, then it is most charitable on his part; and to fast is more charitable for you in case you know. The month of Ramadan is the month wherein the Quran was sent down, guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion; so, whosoever of you is present at the month then he should fast it." (Al Baqarah: The Cow: 183-185)

Through these verses with their wise and miraculous style, concise and admirable context Almighty Allah, the omniscient describes four matters, all is good and mercy to all Muslims, and He describes the rule concerning fast and wisdom behind it and pacifies the **souls of those who are obliged to fast and Has described a Stated time.**

Firstly: His saying "prescribed on you is the fast" is the explanation of the previous rule of fast, that is, it is an obligatory, so the obliged one will be rewarded for fulfilling it and will be punished for neglecting it. Fasting was obliged in second year of the Hijra, and is one of the five pillars of Islam which are known as the [illegible] for the religion, so the one who repudiate them will be deemed a disbeliever, and the fast means abstaining from all lusts and desires for a whole day from dawn to the sunset.

Secondly: His saying, " As it was prescribed for the ones who were even before you " is an indication of appeasing the souls of obliged ones by virtue of fulfilling this obligatory act and its description is as follows: Commanding to fulfil something and charging someone with it causes bitterness and burden in soul, and sometimes dislikes such commands, and when more pain, trouble and [illegible] of the [illegible] and length is added to the bitterness of this command, this bitterness is doubled and the soul [illegible] the submission, all this is included in commanding for fast, so in this account Allah has [illegible] the souls of those obliged to fast by saying: " As it was prescribed for the ones who were even before you " that is the fast was not prescribed for you [illegible] upon you, but Allah has prescribed it for you after it has been obligatory upon previous nations, and it is quite clear that if a difficult thing has become common to every individual, it **becomes easier than ever before.**

As there is an easement and pacification for the soul in fulfilling this obligatory task, besides, there is an indication of how [illegible] from the nation of Adam to the followers of the last messenger of Islam are united in principles which aim at achieving the human prosperity and providing them with power even though there exist many differences among the manners of [illegible] due to the differences in eras, places and circumstances.

And there is a kind of [illegible] to those who obliged to fast in Allah's saying: "for a prescribed number of days" because the phrase clearly indicates that it is some days and only not a [illegible] days nor the obligatory of the age so as not to burden the soul with difficul**ties and making its performance impossible.**

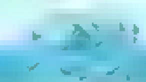
Then what is meant by the simile made in "as it was prescribed on those who preceded you"?

Is this simile made in order to describe the features of the fast, or the number of its days? Some interpreters are of opinion that this simile is made to [illegible] obligation of it, that is, fasting is prescribed upon you as it was prescribed upon those preceded you, but what has been taken from the explanation of Ibn Katheer suggest that the simile is in the character of the fasting and the number of its days, not in absolute obligation of the fast, and he supported his opinion on [illegible] and [illegible] narrations that [illegible] of the ruling because he narrated that in the beginning of Islam fasting was similar to the fasting of the previous nations three days of every month. It was narrated from Muadh, Ibn Masood, Ibn Abbas, Ataa and Al Dhahak Ibn Muzahem, and he added: "fasting was prescribed in the period of Noh until Allah abrogated it by the fasting of month of Ramadan."

And a second time he narrated on the authority of Abbad Ibn Mansour that Al Hassan Albasri read the above mentioned ayah and said: "Yes, I swear by Allah that He has prescribed the fasting upon all the previous nations as He prescribed it upon us, i.e. a complete month and a prescribed number of days", and he did not specify the month of fasting.

And a third time he narrated on the authority of Ibn Abi Hatem from a Hadith (prophetic tradition) narrated on the authority of Abdullah Ibn Omar that he heard the prophet (May the blessings and peace be upon him) saying: "Allah prescribed the fasting in month of **Ramadan upon the nations before you."**

We understand by these narrations that some scholars said " fasting was prescribed upon the previous nations for three days of every month " while other narrations suggest that it



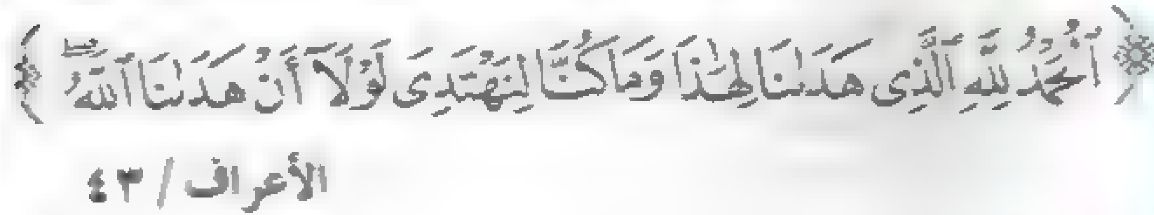


AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan, 1430



ENGLISH SECTION
September, 2009

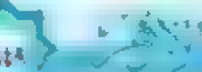
In the name of Allah the Beneficent the Merciful



الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."
(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



* Ramadan Month...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

In Every passing day and successive years there are important lessons, warnings and wisdom behind them. Those who are fortunate enjoy them, and the confused and deviating ones seek guidance by them. "He is the one who has made the night and the day time a succession for whosoever is willing to constantly remember or whomsoever is willing to give constant thanks." [Al- Furqan (The Criterion): 62]

This is the reason we observe Islamic scholars, writers strive to shed lights on its various merits and virtues and draw the attention of Muslim to it in various parts of the worlds so as to benefit from this golden opportunity of this blessed occasion and [illegible] prepare themselves to get graces and blessings and store a large pile of rewords Allah will grant them by virtue of this great month.

This is the kind act from these Islamic scholars and writers who pay their deep internal gratitude for it, and we pray Allah to grant them success in what they target at. Although the age comes to an end, and the life goes by but the effect and wisdom behind this sacred month never comes to an end.......

The first blessing of Allah Almighty has bestowed upon them through this month was the Glorious Quran with clear guidance, general and comprehensive constitution for the benevolence of this world steeped in deep ignorance and [illegible], a call towards right path and the true way of life, so the one who adhered himself to it got the right path shown by Allah, and the one who neglected and looked for guidance save this has gone astray and is ruined.

The nation does not get exhausted or tired with repetition of the virtues and merits of this holy month and its charismata do not seem to come to an end. Allah Almighty says in Holy Quran:

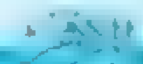
"And bring them out of the darkness [illegible] into the light by his permission, and He guides them to the straight path." [Al- Ma'idah (The Table): 16]

Among these blessings Allah has given to them is the obligation of fasting in every year of this sacred month reminding them of His perpetual grace and favors upon them, the revelation of the Holy Quran,

the beacon of light for those going astray and the brilliant shine of belief and light of deep strong conviction for the pious.......

Allah has chosen fasting among other worships as a token of gratitude for revealing Holy Quran because fasting is a particular worship related to Allah and other act of worship do not associate with it.

* "The month of Ramadan is the month in which the Quran was sent down, a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance, and criterion; so, whosoever of you is present at the month, then he should fast it...." [Al-Baqarah (The Cow): 185]



■ حفل الأزهر بحفظة كتاب الله .... أ - ع

■ من عجائب التاريخ يصومون المعركة الافتتاحية
[illegible] ١٣٨١

■ تفسير سورة [illegible]
[illegible] ١٣٨٩

■ حكمة الصوم
[illegible] ١٣٩٣

■ الصوم [illegible]
[illegible] ١٣٩٦

■ السماحة [illegible] في شريعة الإسلام
[illegible] ١٤٠٠

■ [illegible]
[illegible] ١٤٠٤

■ حفلة [illegible] ذكرى غزوة بدر
[illegible] ١٤٠٩

■ الأدب مع [illegible]
[illegible] ١٤١٣

■ [illegible]
[illegible] ١٤١٩

■ [illegible]
[illegible] ١٤٢٢

■ [illegible] في [illegible] الإسلام
فضيلة الشيخ علي عبد [illegible] ١٤٢٧

■ معالم الإنسانية في الإسلام
[illegible] ١٤٣٠

■ [illegible] الأخوة في الإسلام
[illegible] ١٤٣٤

■ طرائف .. ومواقف
[illegible] ١٤٤٠

■ قصيدة العيد [illegible]
[illegible] ١٤٤٣

■ [illegible] الإسلام
[illegible] ١٤٤٦

■ [illegible] .. في [illegible]
للأستاذ محمد مصطفى [illegible] ١٤٥٠

■ الأسس المشتركة بين الإعلامين العالمي والإسلامي
للأستاذ الدكتور عبد [illegible] ١٤٥٦

■ قراءة [illegible] في كتاب [illegible]
[illegible] ١٤٦٢

■ [illegible] في [illegible]
[illegible] ١٤٦٦

■ رفع الملام عن شيخ الإسلام
الدكتور محمد [illegible] ١٤٦٨

■ كتب [illegible] الصهيونية و[illegible]
[illegible] ١٤٧٣

■ من علماء الأزهر الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي
للأستاذ الدكتور [illegible] ١٤٧٨

ملتقى خريجي الأزهر يؤكد على أهمية وضع ضوابط الحوار مع الغرب
للأستاذ عاطف مصطفى ١٤٨٩

■ [illegible]
[illegible] ١٤٨٨

■ قراءة نقدية في خطاب نتنياهو
للأستاذ صلاح عبد الرحيم ١٤٩٢

■ قراءة في كتاب الإيقاع الصوتي في الشعر العربي
للأستاذ [illegible] ١٤٩٨

■ بين الصحف والمجلات
للأستاذين محمد [illegible] - علاء عبد الرحمن ١٥٠٤

■ أنباء مكتب شيخ الأزهر
للأستاذ أحمد [illegible] ١٥١٦

■ أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للأستاذين عبد [illegible] - يحيى سليمان ١٥١٨

■ أنباء العالم الإسلامي
للأستاذين محمود [illegible] - أحمد رضوان ١٥٢٢

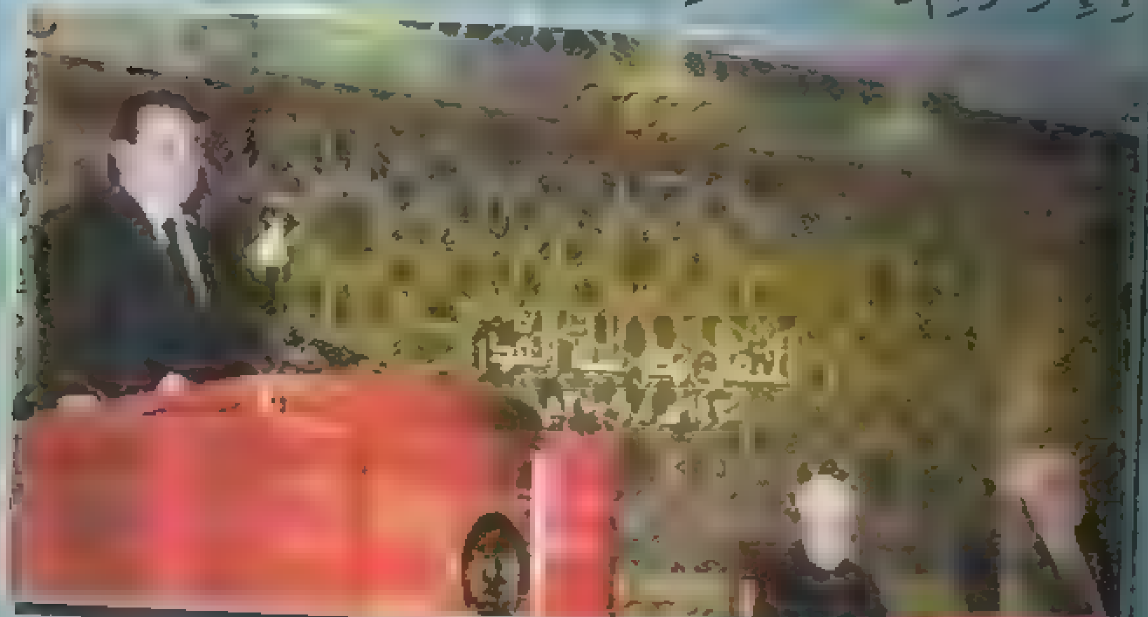
■ [illegible]
[illegible] ١٥٢٧

■ صفحة الشباب [illegible]
[illegible] ١٥٣٦

■ [illegible] الأخيرة
[illegible] ١٥٣٨ ١٥٤٩

الأزهر

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ



مبارك في الاحتفال بليلة القدر

إن ثقتنا بالله دون حدود .. نؤمن بمحكم كتابه..

نّة المطهرة لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

AZHAR
MAGAZINE

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢
لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥



احتفال مصر الإسلامية بليلة القدر

كلمة الرئيس مبارك فى احتفال ليلة القدر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



وجه الرئيس حسنى مبارك كلمة إلى العالم الإسلامى فى الاحتفال بذكرى ليلة القدر أكد فيها أن قلوب المسلمين ستظل معلقة بالقدس الشريف، والمسجد الأقصى، وأن الأوان قد حان لإنهاء معاناة الشعب الفلسطينى، وطالب علماء المسلمين بأن يربطوا تعاليم الإسلام السمحة بمشاكل الناس وتطلعاتهم، وأكد قدرة الأمة الإسلامية على النهوض بالعمل، وليس بالتواكل أو التمنى، وقال إن القرآن الكريم حذرنا من الفرقة والانقسام، وحان الوقت لننسى خلافاتنا وندافع عن قضايانا ومصالح شعوبنا بصوت واحد، وطالب الرئيس دول الغرب بأن تتعامل مع دول العالم الإسلامى تعاملاً يقوم على الثقة والاحترام المتبادل وأن تتجاوب مع القضايا العادلة للعرب والمسلمين، كما طالب الأمة الإسلامية بأن تقف وقفة تقول إن لنا قضايا عادلة وأننا طلاب عدل ودعاة سلام وأصحاب حقوق لن نتنازل عنها، وهذا نص كلمة الرئيس.

■ فضيلة الامام الاكبر

شيخ الجامع الأزهر..

■ العلماء الأجلاء..

■ ضيوف مصر الأعزاء..

■ الإخوة والأخوات

يوشك شهر رمضان على الانتهاء، بروحانياته وبركاته وفضله.. ونلتقى معا فى رحاب ليلة القدر.. فيها أنزل القرآن هدى للناس.. ليخرجهم من الظلمات إلى النور.. وليتم الله كلماته ورسالاته ونعمته على العالمين.

يسعدنى أن أشارككم الاحتفال بهذه المناسبة العطرة.. وأن أتوجه بالتهنئة إلى شعب مصر، وشعوب أمتنا العربية والإسلامية وجالياتهم على اتساع العالم.

كما يسعدنى أن أتوجه بالتحية إلى علماء مصر ودعاتها.. ورجال الأزهر الشريف.. رمز اعتدال الإسلام ووسطيته وسماحة تعاليمه.

■ العلماء الأجلاء..

■ الإخوة والأخوات..

يأتى احتفالنا برمضان المعظم وليلة القدر.. ولايزال العالم الإسلامى فى مواجهة تحديات عاتية.. يأتى بعضها من خارجه.. والبعض الآخر من بين أبنائه.. يشهد العديد من دوله وشعوبه أوقاتا صعبة.. ما بين صراعات مسلحة وخلافات وتشرذم.. وأمثلة عديدة للانقسام فى منطقتنا العربية وخارجها.. بين أبناء البلد الواحد.. والشعب الواحد.

لقد بدا عالمنا الإسلامى خلال السنوات الماضية، وكأنه بات مستهدفا، فى أوطانه وهويته ومقدرات أبنائه، ما بين حروب فرضت عليه من خارجه، ومحاولات تستخف باستقلال إرادته، وأخرى تتطاول على مقدساته، تتهم المسلمين بالإرهاب، وتنسب للإسلام ما ليس فيه.

إن الأمة الإسلامية فى حاجة الآن أكثر من أى وقت مضى، لوقفة صدق ومصارحة تجاه الآخر، ولوقفة مماثلة مع النفس.

وقفة مع العالم من حولنا، تدافع عن هويتنا ومقدساتنا، تكشف الوجه الحقيقى للإسلام، وصحيح تعاليمه، تدفع عن المسلمين وصمة الرجعية والتخلف والتطرف.. تقول إن لنا قضايا عادلة.. وأننا أصحاب حقوق لن نتنازل عنها.. وأن المسلمين طلاب عدل ودعاة سلام.

لقد استمعنا للخطاب الذى وجهه الرئيس (باراك أوباما) للعالم الإسلامى من القاهرة.. ورحبنا به باعتباره قد فتح صفحة جديدة فى

علاقات الولايات المتحدة والعرب بالمسلمين. ونتطلع مخلصين لأن تشهد هذه المرحلة تعاملا جديدا ومغايرا.. يقوم على الثقة والاحترام المتبادل والمصالح المشتركة.. ويتجاوب مع القضايا العادلة للعرب والمسلمين.

سوف تظل القضية الفلسطينية على رأس هذه القضايا.. فهي مفتاح السلام والأمن والاستقرار في الشرق الأوسط.. وهي قضية شعب طالت معاناته.. وطال تطلعه لقيام دولته المستقلة. ستظل قلوب المسلمين متعلقة بالقدس الشريف والمسجد الأقصى.. أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي الخاتم.. وقد آن الأوان لأن تصل الدعوة لقيم الحرية والعدل إلى شعب فلسطين.. لتنهي معاناته وتقيم دولته.. ولتضع علاقات العرب والمسلمين مع إسرائيل والغرب على مسار صحي جديد.

■ الإخوة والأخوات..

إن علينا أن نعترف بحاجتنا لوقفة مصارحة مع أنفسنا.. لنراجع أحوالنا وأحوال عالمنا العربي والإسلامي، وقفة تتمعن في جوهر الإسلام وتعاليمه.. تصل ماضي العرب والمسلمين بحاضرهم ومستقبلهم.. تستلهم الإسهام العظيم لأمتنا في حضارة وتراث الإنسانية.. وتستمد منه المزيد من العزم والثقة.

علينا أن نجيب – بمنطق المصارحة – على تساؤلات عديدة.. كيف كانت أمتنا العربية والإسلامية؟ وكيف هي الآن؟ وإلى أين تمضي؟.

يؤكد لنا القرآن الكريم أننا أمة واحدة.. ويحذرنا من عواقب الفرقة والانقسام.. فهل هذا هو حالنا اليوم؟ وهل حان الوقت لننهي خلافاتنا.. ونلتف حول ما يجمعنا لا ما يفرقنا؟ كي نتحدث بصوت واحد.. دفاعا عن قضايانا ومصالح دولنا وشعوبنا.

لقد نزلت أولى آيات القرآن في مثل هذه الليلة المباركة.. فكانت دعوة للقراءة والعلم وإعمال العقل.. دعانا الإسلام للسعي والاجتهاد وإتقان العمل.. نهانا عن الغلو والتطرف.. ودعا لمكارم الأخلاق.. فأين عالمنا الإسلامي الآن من كل ذلك؟ في معاملاتنا وسلوكنا وثقافة مجتمعاتنا؟

إن ثقتنا بالله دون حدود.. نؤمن بمحكم كتابه.. وبالسنة المطهرة لنبي الإسلام.. صلوات الله وسلامه عليه، نعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. ونعلم أن أمتنا العربية والإسلامية إنما تنهض بنهوض دولها



وشعوبها.. ونوقن بقدرتها على تحقيق ذلك.. ليس بالتواكل أو التمني.. وإنما بفكر وسواعد أبنائها.

تلك هي المسئولية المشتركة لأوطان أمتنا وشعوبها.. وتلك هي الأمانة التي يحملها دعاتنا وعلماؤنا وكتابنا ومفكرونا.. نشر الوعي بما دعا إليه الإسلام من القيم والمبادئ السامية.. تربط تعاليمه السمحة بشواغل الناس ومشكلاتهم وتطلعاتهم.. تستمد منها ما يعينهم في حركة الحياة ويدفع بهم إلى الأمام.. ونعمل معا يدا بيد لتحقيق نهضة دولنا وشعوبنا.. لنكون – بحق – خير أمة أخرجت للناس.

■ الإخوة والأخوات..

إننا في مصر جزء أصيل لا يتجزأ من أمتنا العربية والإسلامية.. قضاياها هي قضايانا.. طموحاتها هي طموحاتنا.. وتجمعنا بها روابط العقيدة والقربى والتاريخ والمصالح المشتركة.

كما أننا جزء لا يتجزأ من هذا العالم.. لا نملك الانعزال عنه.. ولابد أن نتعامل مع ما يتيحه من فرص ومكاسب.. وما يطرحه من أزمات وتحديات.

نسعى جاهدين نحو المستقبل الأفضل لوطننا.. والحياة الكريمة لأبنائنا.. تواجه– كغيرنا – بعض الصعاب والتحديات.. لكننا ماضون على الطريق.. واثقين في عون الله وتوفيقه.. موقنين بقدرات شعبنا وإرادته وتصميمه.

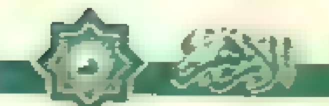
نمضي في طريقنا بمجتمع متماسك لبلد عريق.. واقتصاد عززت قوته سياسات الإصلاح.. وجيش متطور قادر تسليحا وعتادا ورجالا.. وشعب يمتلك إمكانات بشرية ضخمة.. هي أغلى ثرواتنا.

لدينا طموحات مشروعة نمضي في تحقيقها يوما بعد يوم.. لا تشغلنا قضايا الداخل المصري عن قضايا أمتنا.. نتمسك بهويتنا العربية وننفتح على العالم من حولنا.. نستلهم مبادئ الإسلام وجوهر تعاليمه.. ونحاصر قوى التطرف أيا كانت.. نسعى لصالح وطننا وأمتنا.. وننشد الخير للجميع.

ندعو الله في خشوع هذه الليلة المباركة.. أن يحفظ مصر بلدا آمنا.. وأن يقي شعبها عثرات الطريق.. وندعوه سبحانه أن يوفقنا – عربا ومسلمين – في جمع شملنا وتوحيد كلمتنا.. وأن يسدد على الطريق خطانا.. إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

كل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



كلمة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

وفى كلمته بالاحتفال أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن ليلة القدر تفتح فيها أبواب السماء وتسمو فيها الطاعات وتصعد فيها العبادات التى لها ثمرات، أولها جلب الخير ودفع الضر، وأن الصلاة نور والصدقة برهان والصوم جنة والصدق نجاة والصبر ضياء.

وقال إن من بركات هذه الليالى الكريمة أنها زاخرة بالعبادات ومن ثمرات العبادات أيضا تفريج الكروب وإجابة الدعاء، مستشهدا بتسبيح يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت، حيث أنقذه من كربه. وإن العبادات من شأنها أن تنجى من كيد الكائدين وشهوات الضالين مدللا بقصة سيدنا يوسف الذى لجأ إلى الله بالعبادة والذكر والدعاء لتفريج الكرب.

وقال إن العبادات تحث على العدل والصدق فى الأقوال والأفعال، وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن من ثمرات العبادات من صلاة وزكاة وحج واعتناق للفضائل واجتناب للرذائل أنها تجلب الخير وتدفع الشر، والذرية الصالحة التى تنفع



دينها ودنياها، وتنجى من كيد الكائدين ومن شهوات الضالين وتحقق العدل فى الأحكام والأقوال والأفعال.

وفى ختام كلمته توجه بدعاء إلى الله فى هذه الأيام المباركة بأن يديم على مصر وشقيقاتها والعالم أجمع نعمة الأمان والسلام والرخاء والأطمئنان وأن يجنب مصر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف



كما ألقى الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف كلمة أمام الرئيس مبارك قال فيها تعد المناسبات الدينية فرصة مواتية فى حياة الناس للتأمل والمراجعة واستخلاص الدروس والعبر وشهر رمضان يعد من المناسبات العظيمة التى لايجوز أن تمر على المسلمين دون أن تترك أثرا فى تفكيرهم ومسار حياتهم فقد نزل القرآن الكريم فى هذا الشهر المبارك ليكون منهج حياة للمسلمين، وهذا أمر فى غاية الأهمية، إذ من شأنه أن يحرك العقول والقلوب لتدبر هذا المنهج الإلهى والسير على هداه.

ويكفى أن نشير فى هذا المقام إلى الطابع العام لهذا المنهج الإلهى والذى يتمثل فى التلازم التام بين العقل والدين، فهما نعمتان عظيمتان من الله للإنسان إذا أحسن توظيفهما فى مرضاة الله فى الدنيا والآخرة وجوهر العلاقة بين العقل والدين تتضح بجلاء فى عدم اشتمال الدين على شىء يتعارض مع مقررات العقل، وعدم اشتمال العقل على شئ يتناقض مع تعاليم الدين فكلاهما وجهان لعملة واحدة، وكلاهما أثر من آثار الله وآثار الله لايناقض بعضها بعضا.

وكما أن الإنسان فى حاجة إلى العقل لتدبير شئون حياته وبناء حضارته الانسانية على أساس من العلم فهو فى حاجة إلى الدين الذى يؤكد صلته بخالق الكون، وينمى لديه الجوانب الروحية والأخلاقية التى تساعده على تصحيح مساره على الأرض.

مسارات أربعة

ومن المعلوم أن شبكة علاقات الإنسان فى هذه الحياة تصب فى مسارات أربعة:

علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بالآخرين وعلاقته بالله سبحانه وتعالى، وعلاقته بالبيئة التى يعيش فيها وما تشتمل عليه من كائنات حية وغير حية.

والإنسان فى أشد الحاجة إلى بذل أقصى ما فى طاقته من جهد للتوصل إلى سلامة هذه العلاقات جميعها وتصحيح مساراتها والدين والعقل معا كل فى مجاله يحققان للإنسان المصالحة مع نفسه ومع الآخرين ومع الله ومع البيئة التى يعيش فيها وإذا تم له ذلك تحقق له السلام النفسى والدينى والمجتمعى والبيئى.

وشهر رمضان يذكرنا بهذه المعانى النبيلة ويهيئ لنا فرصة مواتية للحصول على طاقة روحية تجدد حياتنا، وتشحذ عزيمتنا وتقوى إرادتنا، وتجعلنا أكثر قدرة على

مواجهة كل العقبات وتحدى كل الصعاب على المستويات الفردية والاجتماعية.

وفى الوقت الذى نذكر فيه هذه القيم العظيمة والمعانى السامية التى تحفزنا إلى التقدم وتأخذ بيدنا نحو النهوض نجد أن هناك موجات من التخلف الفكرى والدينى بدأت تزحف على مجتمعاتنا نتيجة لما تبثه بعض الفضائيات من فتاوى متخلفة شغلت بها أوقات الناس واختزلت الإسلام فى أمور هامشية لا أصل لها فى الدين وفى ذلك إساءة بالغة إلى الدين وتضليل لعقول الناس.

التوعية الدينية السليمة

ومن أجل تصحيح الأفكار الدينية الخاطئة والمفاهيم المغلوطة أخذت وزارة الأوقاف على عاتقها مهمة التوعية الدينية السليمة بصحيح الدين لمواجهة ما طرأ على مجتمعاتنا من سلبيات وفى هذا الصدد أصدرت الوزارة فى الفترة الأخيرة مجموعة من المطبوعات التى توضح المفاهيم الدينية الصحيحة فى مختلف القضايا التى تشغل اهتمامات الناس، وتم توزيعها على الدعاة فى كل مكان لمعاونتهم على ترسيخ القيم الدافعة لتقدم المجتمع فى النفوس وتوعية المواطنين بجوهر الاسلام وحمايتهم من أى فكر متخلف ينشره على الناس دعاة بعض الفضائيات.

وستظل مصر بإذن الله تحمل لواء الاعتدال والوسطية فى فهم الدين بعيدا عن تيارات التشدد والانغلاق التى تشد الناس إلى التخلف الفكرى والدينى.

السيد الرئيس

إن المسابقة العالمية فى حفظ القرآن الكريم التى تتبناها مصر برعايتكم الكريمة تهدف إلى غرس المعانى السامية التى أشرنا إليها فى نفوس الأجيال الجديدة.

ومن هنا كان الحرص على أن يشتمل المستوى الأول من المسابقة بجانب حفظ كامل القرآن الكريم على تفسير جزء كامل من القرآن يتغير كل عام حتى يفهم المتسابقون ما يحفظون ويعملوا بما جاء فيه. فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا حفظ الواحد منهم عشر آيات من القرآن لا يتجاوزها إلى غيرها إلا بعد أن يعمل بما جاء فيها وها هم الفائزون فى هذه المسابقة فى أقطار إسلامية عديدة يتشرفون اليوم بتلقى جوائزهم التى فازوا بها من سيادتكم.

جائزة للباحثين

ومن المآثر العظيمة التى أضفتموها إلى الاحتفال بذكرى ليلة القدر تكريمكم للفائز بجائزة مبارك للدراسات الاسلامية تلك الجائزة التى أصبحت حافزا قويا للباحثين فى الدراسات الإسلامية للتنافس المثمر فى مجال البحوث العلمية المتصلة بقضايا الأمة.

ولاشك فى أن رعاية مصر لقيم الاسلام وتعاليمه منذ أكثر من ألف عام من خلال الأزهر الشريف واهتمامكم شخصيا بتوفير كل الدعم والرعاية للحفاظ على مقدسات الأمة وقيمها، قد هيأ لمصر دور الريادة الإسلامية فى العالم الإسلامى وستظل مصر على الدوام وفية لالتزاماتها الدينية نحو عالمها الإسلامى حريصة على إرساء دعائم الإخاء والتسامح والسلام بين البشر جميعا من كل الأديان والحضارات.

نسأل الله العلى القدير فى هذه الليلة المباركة أن يكلأكم بعنايته وأن يحفظكم لمصر ويحفظ مصر بكم وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يعيد هذه الأيام المباركة على الأمة الاسلامية وعلى البشرية كلها بالخير واليمن والبركات.

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

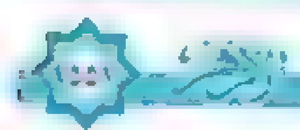
سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوروبا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الاسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

شوال ١٤٣٠ هـ - أكتوبر ٢٠٠٩م - الجزء التاسع - السنة (٨٢)



صحائف من العصر المملوكي

درس في التصوف بالأزهر

كان ابن عطاء الله السكندري من أكابر الفقهاء في عصره، وكان يدرس الفقه المالكي على طلابه بالجامع الأزهر، فيأتي بما يبهر تلاميذه من دقة بحث، وسلامة استنباط، وجودة مقارنة، ولم يكن متعصبًا لمذهبه، بل كان يقارن وجهات النظر المختلفة، ثم يرجح ما يميل إليه من الآراء، وإن كان الترجيح في غير مذهبه، لذلك عده ابن السبكي شافعيًا وترجم له في طبقات الشافعية، لما ذاع عنه من ترجيح بعض الآراء في المذهب الشافعي، ومن سعة علمه أنه لم يكن معروفًا في عصره إلا لدى أفذاذ من كبار الفقهاء، وقد اشتهر بحربه للمتصوفين والتهجم عليهم، إذ كان الخلاف في عصره مشتدًا بين من يسمون رجال الشريعة، ورجال الحقيقة، ويعنون بالأولين رجال الفقه، وبالآخرين رجال التصوف، وهي تسمية بعيدة عن الصواب، لأن رجال الحقيقة رجال شريعة أولًا، ولن يكون رجل حقيقة إلا إذا تضلع من شرع الله قرآنًا وسنة وقياسًا وإجماعًا. وقد أصبحت هذه القضية واضحة مشرقة بيننا اليوم، ولكنها في عصر ابن عطاء التبست على الناس، أدى إليه الغرض المنحرف تارة، والقصور العلمي تارة أخرى..

أجل كان ابن عطاء الله السكندري خصمًا للصوفية في أوائل عهده العلمي، ثم فوجئ طلابه بالأزهر وزملاؤه في المدارس العلمية المنتشرة في القاهرة بانضمامه إلى فريق المتصوفة، وأخذه العهد على يد أبي العباس المرسي رحمه الله، وكان رأس الشاذلية في عصره، وله منطق علمي جذب إليه الأنظار، مع سلوك خلقي رفيع جعله موضع الاحتذاء، فوجئ الوسط العلمي بما عده تحولًا خطيرًا في اتجاه ابن عطاء، فانتشر الجدل بين تلاميذه وتطلعوا إلى استكناه الحقيقة منه، وطار النبأ إليه فوعد القوم بأنه سيلقي درسه المعتاد بالأزهر شارحًا ما اهتدى إليه من الحق، وحدد الوقت المنتظر فتطلع العلماء والتلاميذ معًا إلى شهود هذا المجلس النادر، وما حان الوقت المرتقب حتى غص الأزهر بمن ازدحموا فيه من المتعطشين لحديث الشيخ بعد تحوله!!

وقد جاء ابن عطاء على عادته، فوجد الازدحام متراكبًا من تلاميذ الأزهر وشيوخه مما لا عهد له به فعرف أن الأمر من الخطر بحيث يجب أن يكشف القناع عن جوانحه مؤمنة في صدق وإخلاص، وهو يعلم أن الوصول إلى الحقيقة لا يتطلب حلاوة في المنطق، وبراعة في الأسلوب، قدر ما يتطلب الصدق الصادق والإخلاص الدقيق، لأن الله عز وجل قد جعل للصدق مسحة وللكذب [illegible]، وابن عطاء الله أديب قوي ذو أسلوب مكين، وكتبه العلمية تعد ذخائر رائعة للأدب في عصره، ولو اتجه مؤرخو العصر المملوكي إلى الأدب الصوفي لعدوه من أرقى الصحف النثرية التي تركها هذا العصر، ولكنهم شغلوا بالرسائل والمقامات عن أدب ابن عطاء وهو أولى بالتقديم.

بدأ الشيخ حديثه بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه، ثم قال إنه يعلم الدافع القوي لهذا الازدحام الحاشد، ولن يكون صاحب خطابة وشقشقة ولكنه سيروي ما كان من تحوله إلى التصوف بعد مهاجمته ليضع تجربته أمام أحبائه ولن يلزم بها أحدًا، وحسبه أنه سيصدق في حديثه صدقًا يرى فيه النجاة، ولا عليه إذا خالفه مخالف، فلو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة.

ثم قال الشيخ، وقد أعاد ما ذكره مسطورًا في كتابه الخالد «لطائف المنن» في صحيفتي (٦٨، ٦٩):

كنت لأول أمري أنكر على الشيخ أبي العباس المرسي كل ما يبلغني عن نهجه الصوفي، وأنتم تعرفون ذلك عني، ولهذا اجتمعتم اليوم لتعرفوا سر التحول من جهة إلى جهة، وكان إنكاري لما يبلغني من نهجه عن [illegible] عن سماع موثوق به، بل عن تعليقات تأتي إلي من خصومه، فقلت في نفسي: إن إنكارك على الرجل مسلكه دون أن تجلس معه وتسمع منه لبعيد عن الصواب، فقد يكون المتحدثون عنه غير صادقين فيما يدعون، فكيف تخاصمه مستندًا إلى أقوال لا تحقق صدورها منه، ثم رأيت أن أتصل بالمقربين إليه من تلاميذه، قبل أن ألج حماه، فتحدثت إلى أحدهم ممن يعدون رأسًا من رؤوس الشاذلية، فأخذت أتحدث وهو يسمع، وكنت شديد اللهجة في الخطاب فقلت له في تحد واضح: ليس إلا أهل العلم الظاهر، وأنتم تدعون أمورًا عظيمة ظاهر الشرع يأباها، فابتسم الرجل وكأنه كان يتوقع أن أقول ما قلت، فقال لي: إنك في علمك الغزير، ومقامك الكبير أجل من أن تقتضب الحديث، ولكني أدعوك إلى مقابلة سيدي أبي العباس المرسي، وهو يعرف قصدك، ويشيد بتحقيقاتك العلمية، وقد تتغلب على رأي صائب، وأبو العباس ينشد الحق، وأنت أيضًا تنشده، وليس لديكما من التعصب ما يدفعكما إلى التطاول والملاحاة، فوقع كلام الرجل في نفسي، وقلت له: سأسير معك إلى سيدك، سأسبر غوره، لأن لصاحب الحق أمارات تلوح في سمات وجهه قبل أن تلوح في منطق لسانه، وما مضت لحظة حتى كنت في مجلس أبي العباس، وقد تصدر أصحابه يشرح الدرس الصوفي كعادته، فجلست أستمع فراعني من حديثه غمر صاعد إلى أرقى ما يتصوره سامع الوعظ، إذ كان

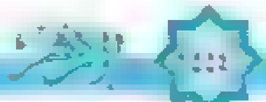
أبو العباس يتحدث عن الأنفاس التي تتتابع على الإنسان، نفسًا بعد نفس، أو بمعنى آخر يتحدث عن درجات الصعود في مراقي السمو الإنساني، إذ جعل يقول: إن الأحوال المتعاقبة على النفس في تطورها الروحي ثلاثة أولها الإسلام وثانيها الإيمان وثالثها الإحسان، وإن شئت قلت هي ثلاثة أولها العبادة وثانيها العبودية وثالثها العبودة، وإن شئت قلت أولها الشريعة وثانيها الحقيقة وثالثها التحقق. وما زال أبو العباس يقول: إن شئت قلت، وإن شئت قلت، وإن شئت قلت، ويأتي عقب ذلك بهذه الثلاثة حتى بهر عقلي. وعرفت أن الرجل يغترف من بحر إلهي لا ساحل له. وأن له من المدد الرباني ما ليس لمعاصريه. فأذهب الله ما كان بصدري نحوه، وخرجت دون أن أقسم، ثم ذهبت إلى منزلي وقابلت أهلي وأولادي فلم أجد لدي من الطاقة ما يدفعني إلى مجالستهم كعهدي المعهود معهم، ووجدتني في حاجة إلى أن أخلو إلى نفسي. أحدثها وتحدثني، وأناقشها فيما سمعت من أحوال الشريعة والحقيقة والتحقق، وما يدور حولها مما يشابهها من المعاني، وصعدت إلى السطح فجعلت أنظر إلى السماء وكواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته، حتى امتلأ صدري بمعان لا أقوى على كتمانها، وصممت أن أزور الرجل الكبير من الغد.

وما أذن الفجر حتى ذهبت إلى المسجد، فصليت معه، وانتظرت بعد الصلاة إلى خلوته، فاستأذنت في لقائه، وسرعان ما أذن، فلما دخلت عليه قام منتصبًا، وتلقاني بمثابة وإقبال، حتى دهشت خجلا، واستصغرت نفسي أن أكون أهلا لذلك، ثم جمعت نفسي المتفرقة وقلت يا سيدي لقد أحببتك حين جلست في مجلسك بالأمس، فقال مبتسما: وأنا أرجو أن يحبك الله كما أحببتني، وانطلق لساني فجعلت أشكو إليه ما يقع في نفسي من الخطرات، وما يتبع ذلك من الشجون والأحزان. فقال على الفور هذا الكلام الذي أسمعني الله بحفظه دون أن يضيع منه حرف واحد. قال أبو العباس: الأحوال أربعة لا خامس لها: النعمة والبلية والطاعة والمعصية. فإن كنت في النعمة فمقتضى الحق منك الشكر، وإن كنت في البلية فمقتضى الحق منك الصبر، وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك، وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار.

كان هذا الحصر الدقيق للأحوال بعد عهد الله بلسما لنفسي، إذ عرفت موضعي من ربي، فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبًا لبسته زمنا ثم نزعته، وعند ذلك رجعت إلى بيتي حتى أنست به، وجعلت أشعر بالوحشة إذا فارقته. وفي مرة سألني كيف أنت مع الشجون التي كنت تعاني منها؟ فقلت: والله لقد كنت ثم كنت، وإني الآن أبحث عن الهم فلا أجده. فابتسم الشيخ ابتسامة التشجيع، وجعل يردد هذين البيتين:

ليلي بوجهك مشرق ... وظلامه في الناس ساري

فالناس في سدف الظلا ... م ونحن في ضوء النهار



فكان لهذين البيتين صدى قوي في إحساسي، وظهر أثر ذلك في وجهي، فابتسم أبو العباس وقال لي: الزم، ثم الزم. فو الله لئن لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين، مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم المستتر الذي لا يدركه إلا الصادقون.

سكت ابن عطاء برهة، ونظر إلى وجوه الحاضرين فلحظ أثر التأثير في سماتهم، ورأى من بينهم من يحب الكلام فأذن له أن يتحدث. فنهض أحد تلاميذه المعروفين بنبوغه في حلقات الفقه المالكي يسأل: نحن نعرف الإسلام والإيمان والإحسان، وهي الثلاثة الأولى في مقام الارتقاء، ولكن بقية ما قلته فلم نصل بها إلى مقصد شافٍ.

فتهلل وجه الشيخ بالبشر، وقال: المعرفة شيء والعمل وفق المعرفة شيء آخر. فالكثير يعرف ولا يعمل، وإذا كان معنى الإسلام الانقياد إلى ما توجبه الشريعة من أوامر ونواه فهو الانقياد الخضوعي إلى أوامر الشريعة فأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. وإذا كان الإيمان هو معرفة ما يجب نحو الله من لوازم العبودية، ووجوب الخضوع، فهو قصد الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا كان الإحسان هو مقام شهود الحق تعالى بالقلب، فقال لي: كيف تشهده وهو محجوب عن الأبصار؟!

هنا صفق ابن عطاء بيده، وكانت تلك عادته حين يهم بمصافحة أمر عسير يريد أن يلفت إليه الأذهان، ثم قال في صوت عال كمن يريد محاسبة صدق دعواه: إن الله محجوب عن الأبصار لا عن البصائر، والذين يعرفون الله حق معرفته يشهدون آثار وجوده فيما أبدع من صور، وخلق من أكوان، ثم استرسل في نفس إلهي يقول فيه:

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي أظهر كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد ليس معه شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود شيء؟ وهنا صاح قائل: ألا رفقت يا مولاي فهذا كلام يستحق التسجيل بالكتابة ليتلقفه المشوقون وحرام أن يضيع في الهواء. فقال ابن عطاء: وسأسجله إن أذن الله وبعض اللقاء، فسار من ورائه مريدوه!

د./ محمد رجب البيومي



تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

(النساء ١٥، ١٦)

وقوله ﴿وَاللَّاتِي﴾ جمع التي، وهي تستعمل في جمع من يعقل. أما إذا أريد جمع ما لا يعقل من المؤنث، فإنه يقال: التي. تقول: أكرمت النسوة اللاتي حضرن. وتقول: نزعت الأثواب التي كنت ألبسها. وهذا هو الرأي المختار.

وبعضهم يسوي بينهما فيقول في الجمع المؤنث لغير العاقل: اللاتي.

وقوله ﴿يَأْتِينَ﴾ من الإتيان ويطلق في الأصل على المجيء إلى شيء. والمراد به هنا الفعل. أي واللاتي يفعلن ﴿الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ﴾.

والفاحشة: هي الفعلة القبيحة، وهي مصدر كالعاقبة. يقال: فحش الرجل يفحش فحشا. وأفحش إذا جاء بالقبيح من القول أو الفعل.

والمراد بها هنا: الزنى.

وقوله ﴿مِن نِّسَائِكُمْ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: يأتين الفاحشة حال كونهن من نسائكم.

والمراد بالنساء في قوله ﴿مِن نِّسَائِكُمْ﴾: النساء اللاتي قد أحصن بالزواج سواء أكن في عصمة أزواجهن أم لا. وهذا رأي جمهور الفقهاء.

وبعضهم يرى أن المراد بالنساء هنا مطلق النساء سواء أكن متزوجات أم أبكارا.

والمعنى: أن الله - تعالى - يبين لعباده بعض الأحكام المتعلقة بالنساء فيقول:

أخبركم - أيها المؤمنون - بأن اللاتي يأتين فاحشة الزنى من نسائكم، بأن فعلن هذه الفاحشة المنكرة وهن متزوجات أو سبق لهن الزواج ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ أي فاطلبوا أن يشهد عليهن بأنهن أتين هذه الفاحشة المنكرة أربعة منكم أي من الرجال المسلمين الأحرار.

وقوله ﴿فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي فإن شهد هؤلاء الأربعة على هؤلاء النسوة بأنهن قد أتين هذه الفاحشة، فعليكم في هذه الحالة أن تحبسوا هؤلاء النسوة في البيوت ولا تمكنوهن من الخروج عقوبة لهن وصيانة لهن عن تكرار الوقوع في هذه الفاحشة المنكرة.

وليستمر الأمر على ذلك ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: حتى يقبض أرواحهن الموت أو حتى يتوفاهن ملك الموت.

وقوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ أي: أو يجعل الله لهن مخرجا من هذا الإمساك في البيوت، بأن يشرع لهن حكما آخر.

وقوله ﴿وَاللَّاتِي﴾ في محل رفع مبتدأ وجملة ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ خبره.

وجاز دخول الفاء في الخبر لأن المبتدأ أشبه الشرط في كونه موصولا عاما صلته فعل مستقبل.

وعبر - سبحانه - عن ارتكاب فاحشة الزنى بقوله: ﴿يَأْتِينَ﴾ لزيد التقبيح والتشنيع على فاعلها؛ لأن مرتكبها كأنه ذهب إليها عن قصد حتى وصل إليها وباشرها.

واشترط - سبحانه - شهادة أربعة من الرجال المسلمين الأحرار، لأن الرمي بالزنى من أفحش ما ترمى به المرأة والرجل، فكان من رحمة الله وعدله أن شدد في إثبات هذه الفاحشة أبلغ ما يكون التشديد، فقرر عدم ثبوت هذه الجريمة إلا بشهادة أربعة من الرجال بحيث لا تقبل في ذلك شهادة النساء.

قال الزهري: مضت السنة من لدن رسول الله ﷺ والخليفتين من بعده أن لا تقبل شهادة النساء في الحدود.

وقرر أن تكون الشهادة بالمعاينة لا بالسماع. ولذا قال: ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ أي إن ذكروا أنهم عاينوا ارتكاب هذه الجريمة من مرتكبيها، وشهدوا على ما عاينوه وأبصروه ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾.

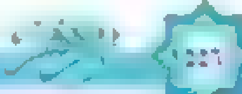
وحتى في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ بمعنى إلى. والفعل بعدها منصوب بإضمار أن. وهي متعلقة بقوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ غاية له.

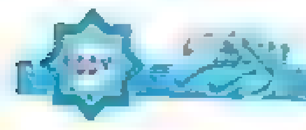
والمراد بالتوفي أصل معناه أي الاستيفاء وهو القبض. تقول: توفيت مالي الذي على فلان واستوفيته إذا قبضته. وإسناده إلى الموت باعتباره تشبيه بشخص يفعل ذلك. والكلام على حذف مضاف أي: حتى يقبض أرواحهن الموت. أو حتى يتوفاهن ملائكة الموت.

و(أو) في قوله ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ للعطف. فقد عطفت قوله ﴿يَجْعَلَ﴾ على قوله ﴿يَتَوَفَّاهُنَّ﴾ فيكون جعل غاية لإمساكهن بعد.

فيكون المعنى: فأمسكوهن في البيوت إلى أن يتوفاهن الموت، أو إلى أن يجعل الله لهن سبيلا أي مخرجا من هذه العقوبة.

وقد جعل الله - تعالى - هذا المخرج بما شرعه بعد ذلك من حدود بأن جعل عقوبة الزاني البكر: الجلد، وجعل عقوبة الزاني الثيب: الرجم وقد رجم النبي





ماعز بن مالك الأسلمي، ورجم الغامدية، وكانا محصنين.

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال - تعالى -: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ الآية. فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك - أي لإمساكهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت.

قال ابن عباس: كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم.

وكذلك روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطاء وقتادة وزيد بن أسلم والضحاك أنها منسوخة. وهو أمر متفق عليه.

روى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال: (كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي أثر عليه وكرب لذلك وتغير وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فلما سري عنه قال: خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا. الثيب بالثيب، والبكر بالبكر. الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة. والبكر جلد مائة ونفي سنة).

وقد رواه مسلم وأصحاب السنن من طرق عبادة ابن الصامت)[1].

هذا وما ذكره ابن كثير من أن هذا الحكم كان في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بما جاء في سورة النور وبما جاء في حديث عبادة بن الصامت، وهو مذهب جمهور العلماء.

وقال صاحب الكشاف: (ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة، ويوصي بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال. ﴿أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل الحد، لأنه لم يكن مشروعا في ذلك الوقت)[2].

وقال أبو سليمان الخطابي: هذه الآية ليست منسوخة، لأن قوله: ﴿فأمسكوهن في البيوت﴾ إلخ. يدل على أن إمساكهن في البيوت ممتد إلى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا. وذلك السبيل كان مجملا، فلما قال النبي ﷺ خذوا عني... إلخ، صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا لها)[3].

ثم بين - سبحانه - حكما آخر فقال:

﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾

أي واللذان يأتيان فاحشة الزنى من رجالكم ونسائكم فآذوهما بالشتم والتوبيخ والزجر الشديد ليندما على ما فعلا، وليرتدع سواهما بهما.

وقد اختلف العلماء في المراد بقوله: ﴿واللذان﴾.

فمنهم من قال المراد بهما الرجل والمرأة البكران اللذان لم يحصنا.

ومنهم من قال المراد بهما الرجلان يفعلان اللواط.

ومنهم من قال المراد بهما الرجل والمرأة لا فرق بين بكر وثيب.

والمختار عند كثير من العلماء هو الرأي الأول. قالوا: لأن الله - تعالى - ذكر في هاتين الآيتين حكمين:

أحدهما: الحبس في البيوت

والثاني: الإيذاء. ولاشك أن من حكم عليه بالأول خلاف من حكم عليه بالثاني، والشرع يخفف في البكر ويشدد على الثيب. ولذلك لما نسخ هذا الحكم جعل للثيب الرجم وللبكر الجلد. فجعلنا الحكم الشديد وهو الحبس على الثيب، والحكم الآخر وهو الإيذاء على البكر.

فهو وقد نسخ حكم هذه الآية بآية النور، حيث جعل حكم الزانيين البكرين الجلد مائة.

أخرج ابن جرير عن الحسن البصري وعكرمة قالا في قوله - تعالى - ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ الآية. نسخ ذلك بآية الجلد وهي قوله - تعالى - في سورة النور

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ الآية[4].

ومن العلماء من قال بأن هذه الآية غير منسوخة بآية النور، لأن العقوبة ذكرت هنا مجملة غير واضحة المقدار لأنها مجرد الإيذاء، وذكرت بعد ذلك مفصلة مبينة المقدار في سورة النور أي أن ما ذكر هنا من قبيل المجمل، وما ذكر في سورة النور من قبيل المفصل، وأنه لا نسخ بين الآيتين.

هذا، ولأبي مسلم الأصفهاني رأي آخر في تفسير هاتين الآيتين، فهو يرى أن المراد باللاتي في قوله: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ النساء السحاقيات اللاتي يستمتع بعضهن ببعض وحكمهن الحبس. والمراد بقوله: ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ اللائطون من الرجال وحكمهم الإيذاء.

وأما حكم الزناة فسيأتي في سورة النور.

قال الآلوسي: (وقد زيف هذا القول بأنه لم يقل به أحد، وبأن الصحابة قد اختلفوا في حكم اللوطي ولم يتمسك أحد منهم بهذه الآية. وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم إلى نص يدل على الحكم دليل على أن الآية ليست في ذلك، وأيضا جعل الحبس في البيت عقوبة السحاق لا معنى له. لأنه مما لا يتوقف على الخروج كالزنى. فلو كان المراد السحاقيات لكانت العقوبة لهن عدم اختلاط بعضهن ببعض لا الحبس والمنع من الخروج، وحيث جعل هو عقوبة دل ذلك على أن المراد باللاتي يأتين الفاحشة الزانيات..)[5].

والذي نراه أن هذا الحكم المذكور في الآيتين منسوخ، بعضه بالكتاب وبعضه بالسنة.

أما الكتاب فهو قوله - تعالى - في سورة النور

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ (النور 2)

وأما السنة فحديث عبادة بن الصامت الذي سبق ذكره

وإنما قلنا ذلك لأن ظاهر الآيتين يدل على أن ما ذكر فيهما من الحبس والإيذاء هو تمام العقوبة، مع أنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه عاقب أحدا من الزناة بالحبس أو بالإيذاء بعد نزول آية سورة النور. بل الثابت عنه أنه كان يجلد البكر من الرجال والنساء، ويرجم المحصن منهما، ولم يضم إلى إحدى هاتين العقوبتين حبسا أو إيذاء، فثبت أن هذا الحكم المذكور في الآيتين قد نسخ.

ثم بين - سبحانه - الحكم فيما إذا أقلع الزاني والزانية عن جريمتهما فقال: ﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما﴾ أي فإن تابا عما فعلا من الفاحشة، وأصلحا أعمالهما ﴿فأعرضوا عنهما﴾ أي: فاصفحوا عنهما وكفوا عن أذاهما ﴿إن الله كان توابا﴾ أي: مبالغا في قبول التوبة ممن تاب توبة صادقة نصوحا ﴿رحيما﴾ أي: واسع الرحمة بعباده الذين لا يصرون على معصية بل يتوبون إليه منها توبة صادقة.

(1) تفسير ابن كثير جـ 1 ص 462
(2) تفسير الكشاف جـ 1 ص 487 .
(3) حاشية الجمل على الجلالين جـ 1 ص 365
(4) تفسير ابن جرير جـ 4 ص 297
(5) راجع تفسير الآلوسي جـ 5 ص 136 - طبعة منير الدمشقي

الإسلام دين التضامن

أ.د./ أحمد عمر هاشم - عضو مجمع البحوث الإسلامية

الإسلام هو دين التضامن والتعاون، دعا أتباعه إلى حل مشكلاتهم وإلى أن يتعارفوا ويتآلفوا، قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)

وأمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)

■ وقد دعا الإسلام إلى مقاومة البطالة، والحث على العمل وتيسير السبل له بحيث لو كان إنسان لا يجيد صنعة ولا يهتدى إليها أن نوجهه إلى ذلك. عن أبي ذر رضى الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله قال: قلت: أى الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا، قال: قلت فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعا أو تصنع لأخرق، قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس «فإنها صدقة منك على نفسك» رواه البخاري ومسلم. ومعنى الأخرق: الجاهل الأحمق الذى لا يهتدى إلى صنعة.

وهكذا يكلف الإسلام المجتمع أن يفسح أمام الناس طريق التعاون والسعي على المعيشة والعمل، وأن يتيح القادر لغير القادر الطريق للعمل كما كان رسول الله ﷺ يفعل إذا وجد سائلا حثه على طريق العمل ولو بأقل أنواع العمل وهو الاحتطاب أى يجمع الحطب ويبيعه، فهذا خير من سؤال الناس، وهذا التوجيه للعمل أفضل أنواع التضامن والتعاون.

■ ووضح الإسلام أن الجزاء من جنس العمل، حيث يكافئ الله من أعان أخاه في الدنيا وفي آخرته. عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» رواه مسلم.

■ وفي حالة الغلاء والحاجة يكون من واجب المجتمع الإسلامي أن يتعاون أفراده على سد حاجة المحتاجين بل إن رسول الله ﷺ أثنى على هؤلاء الأشعريين الذين كانوا في وقت الحاجة يتضامنون فيما بينهم، يتضامن صاحب السعة مع المحتاج. عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم» رواه البخاري ومسلم.

■ ولقد جعل الإسلام أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخال السرور على الناس وأحب الناس إلى الله تعالى هو أنفعهم للناس وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أى الناس أحب إلى الله تعالى؟ وأى الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دينا أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشى مع أخ في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام» رواه الطبراني في الكبير.

■ ومما لا شك فيه أن الناس معادن، فمنهم من جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه» رواه ابن ماجه.

■ وقد وضح الرسول ﷺ أن من يتجاوز عن الناس في الدنيا يتجاوز الله عنه في الآخرة فيكرمه ويرحمه كما كان كريما ورحيما مع الناس في دنياه.

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالا فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال:

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٤٢)

قال: يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان من خلقي الجواز - أى التسامح - فكنت أتيسر على الموسر وأنظر المعسر فقال الله «أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدى» رواه البخاري ومسلم.

■ وفي إطار تضامن المسلمين وتعاونهم يجعل الإسلام منهم جسدا واحدا، يشعر كل عضو في الجسد بما يشعر به سائر الأعضاء، كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» رواه البخاري.

ويؤكد الإسلام على رعاية حقوق المسلمين ومساعدتهم وتعاونهم وتوثيق العلاقات الإنسانية التي تصون حقوق الإنسان وترعى حاجة المحتاجين، فيجعل من أسمى الطاعات وأزكى العبادات السعى على مصالح الناس، والمشى من أجل قضاء حوائج الناس

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبا حزينا؟

قال: نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ لفلان عليّ حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه.

قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر – والعهد به قريب ودمعت عيناه – أنه قال «من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين» رواه البيهقي.

■ والذين يخصهم الله بالخدمة عن الناس ويقضون لهم حوائجهم يجعل الله تعالى هذه النعمة فيهم ماداموا يؤدون حقها للناس ويعطفون عليهم، فإذا ملّوا قضاء حوائج الناس نقلها الله منهم إلى قوم غيرهم.

قال رسول الله ﷺ: «إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يملوهم، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم» رواه الطبراني.

■ ويقرر الإسلام ضرورة من كان عنده مازاد على حاجته أن يعطي من كان محتاجا لا يملك ضروريات الحياة، وهذا العطاء من أكبر الدلائل على الإيمان.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال رسول الله ﷺ «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل» رواه مسلم.

■ وقد يحدث التعاون من الملائكة للناس الصالحين؟ عندما يكونون من أهل المساجد الذين تعلقت قلوبهم بها فيلازمون بيوت الله سبحانه وتعالى، هؤلاء الذين يسمون بأوتاد المساجد؛ لأنهم ملازمون لها شبههم الرسول ﷺ بالأوتاد لملازمتهم للمساجد وطول إقامتهم فيها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن للمساجد أوتادا هم أوتادها لهم جلساء من الملائكة، فإن غابوا سألوا عنهم، وإن كانوا مرضى عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم» رواه أحمد.

ولا شك أن المراد بملازمة المساجد، ملازمتها في وقت الفراغ وحيث لايترتب عليها ضياع العمل الواجب عليه في الحياة.

■ ومن وجوه التعاون الشفاعة عند بعض المسئولين حين يشفع من له جاه أو منصب لإنسان محتاج يريد الوصول إلى حقه أو يريد الوصول إلى أمر ليس فيه عدوان على حق الآخرين وتلك هي الشفاعة الحسنة وهي بعيدة كل البعد عن الشفاعة السيئة التي يأخذ الإنسان بها حق إنسان آخر فتلك شفاعة سيئة محرمة.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال:

«اشفعوا فلتؤجروا، وليقض الله على لسان رسوله ما شاء» رواه البخاري ومسلم.

■ ويشبه الرسول ﷺ تضامن الإنسان المؤمن مع أخيه المؤمن بالبنيان المرصوص الذي يتماسك بعضه ببعض، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» ثم شبك بين أصابعه. رواه البخاري ومسلم.



زكاة الأموال حق لا إحسان

روى الجماعة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوما أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

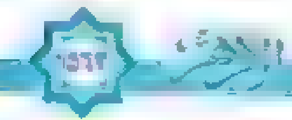
الشرح والبيان

إن الإسلام دعوة إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة والطاعة، ولذلك لما بعث رسول الله – ﷺ معاذ بن جبل – رضي الله عنه – واليا أو قاضيا على اليمن سنة عشر من الهجرة النبوية – قال له: إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، لأن الصلاة هي الصلة بين الله وعباده، فإذا حافظ عليها الإنسان وأداها في أوقاتها مستكملة الأركان، مستوفاة الشروط – حالت بينه وبين ارتكاب المعاصي والمنكرات، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

وكانت له عونا على فعل الطاعات وعمل



الخيرات، ولذلك قال المصطفى ﷺ: «فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم»، والمراد بالصدقة الزكاة الواجبة وهي اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وسميت زكاة لما يكون فيها من البركة وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات، قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

(التوبة: ١٠٣)

وهي أحد الأركان الخمسة، وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية، وقد فرضها الله تعالى بكتابه وسنة رسوله ﷺ وإجماع أمته.

ثم قال لمعاذ رضي الله عنه: «فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم» أي: نفائس أموالهم، وطالبه بالترفع عن الظلم، فقال: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

فالزكاة إذن ركن من أركان الدين وعبادة من العبادات التي نتقرب بها إلى رب العالمين، وتكافل اجتماعي يضمن سعادة الفرد والناس أجمعين، فلا يكتمل إسلام المسلم إلا بأدائها.

روى الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج».

فالزكاة إذن عبادة مالية، أي: حق ثابت في المال بصرف النظر عن مالكه، فهي تؤخذ من أموال الصبية والمجانين مع أنهم غير مكلفين بالعبادات الأخرى كالصلاة والصيام والحج، وبهذا يتضح جليا أن الزكاة ليست منحة ولا إحسانا من الأغنياء إلى الفقراء، يعطيها من شاء منهم، ويمنعها من شاء، وإنما هي حق ثابت للفقراء في أموال الأغنياء. قال تعالى:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

(الذاريات: ١٩)

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

(المعارج: ٢٤ - ٢٥)

وقد روى الطبراني رحمه الله في الأوسط والصغير عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا، ويعذبهم عذابا أليما».

فحكمة الله عز وجل اقتضت أن المال يكفي الأغنياء والفقراء إن هم تصرفوا فيه بما أمر الله عز وجل كما يقتضيهم الإيمان.

قال تعالى:

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

(الحديد: ٧)



ولما امتنع الأغنياء عن إخراج الزكاة كان للدولة أن تجبرهم على إخراجها، لأنه حينما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، امتنع بعض الناس عن إخراج الزكاة، وقالوا: إنما هي فريضة في حياة رسول الله ﷺ فقال الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»، وقال: «والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه».

ولقد قاتلهم الصديق - رضي الله عنه - حتى خضعوا وأخرجوا زكاة أموالهم.

ومن عجيب أمر الإسلام أنه فرض الزكاة بنسب محدودة لا ترهق الأغنياء ولا تعجزهم، ولكنها تسعف الفقراء وتعاونهم وترفعهم عن ذل الحاجة وهوان المسألة، كما أن الزكاة تنشر في المجتمع الإسلامي روح التعاون والتعاطف والمحبة، ويعيش الناس معذلك، ويرضى عنهم رب العباد.

هذا وقد يتساءل البعض: هل تغني الضريبة الحكومية التي تفرضها الدولة عن الزكاة الواجبة؟ والجواب: لا تغني الضريبة عن الزكاة، لأن الزكاة - كما ذكرنا - حق الفقراء والمساكين، أما الضريبة فحق الدولة لتنشئ بها المصالح العامة، ولتدفع بها رواتب الجند والموظفين وما إلى ذلك.

ولأن الزكاة فريضة من الله، أما الضريبة فمن تشريع البشر، والزكاة ثابتة النسبة إلى قيام الساعة، أما الضريبة فمتغيرة بتغير الآراء، وخاضعة لحاجة الدولة، كذلك تختلف الزكاة عن الضريبة في معناها ومنزلتها، ويكفي أن الذي يجازي المانعين للزكاة الجاحدين لفرضيتها، الله عز وجل، أما الذي يعاقب المتهربين من دفع الضرائب فهي الدولة، وبالجملة فمن أدى زكاة ماله محتسبا فقد نال خيره وتجنب شره، روى الطبراني وابن خزيمة عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره».

ولكن الناس طبعوا على الشح والبخل والأثرة وحب النفس، فحارب الإسلام فيهم هذا الخلق بكل الوسائل، قال تعالى:

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾

(الإسراء: ١٠٠)

أي: بخيلا شحيحا، فينبغي على الإنسان أن يستل من نفسه الشح والبخل لينال الصلاح والفلاح، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(الحشر: ٩)

إذ الشح لا خير فيه، بل هو شر كله، قال تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(آل عمران: ١٨٠)

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ

قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

ثم إن الشح من السبع الموبقات، كما في حديث النسائي – رحمه الله – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل يا رسول الله: وما هي؟ قال: الشرك بالله والشح.. إلى آخر الحديث»، فالشح جاء بعد الشرك بالله مباشرة، ليدل على شدة قبحه، ولأنه طريق إلى المعاصي والمنكرات، وقد جاء في الحديث الذي أورده أبو داود عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا.. إلى آخر الحديث».

وقد لا نجد أصرح ولا أقوى من هذا التعبير في تصوير الخطر الاجتماعي الذي ينبعث من الشح في حق الفقير، فقد حقد الفقراء على الأغنياء، حين أحسوا أثرتهم واستغلالهم، فهبوا ينادون بإلغاء نظام الملكية الفردية في بعض الأمم التي تدعي التحضر والتمدن، وعلى رأسها روسيا الشيوعية، فاضطرب حبل الجماعة، واختل توازنها، وانتهى بهم الأمر إلى إنكار الأديان والقوانين، وأريقت بسبب ذلك دماء الملايين من أبناء البشرية. وما كان ذلك إلا نتيجة إهمال الأغنياء حقوق الفقراء، واستغلالهم لصالحهم ومنفعتهم.

لهذا هدد الإسلام الأغنياء الذين قصروا في حق الفقراء، واستعبدوا جانبهم. فقال رسول الله ﷺ: «ألا وإن الله سيحاسبهم حسابا شديدا، ويعذبهم عذابا أليما»، ويكفي أن روسيا الشيوعية التي تبنت إلغاء الملكية الفردية لجأت إلى احترامها بعد أن رأت العواقب الوخيمة المترتبة على إلغائها، وثبت لها بوضوح وجلاء أن الشيوعية هي الإله الذي فشل في توفير الخير لعباده!

ومن ثم عنى القرآن الكريم بالفقراء والمساكين، حتى إنك لا تكاد تجد سورة من سور القرآن الكريم إلا وفيها ذكر للفقير والمسكين أو ذكر لأحدهما، جعل لهما القرآن حقا في الصدقات المفروضة

﴿ [illegible] ﴾

(التوبة: ٦٠)

وفي الغنيمة

﴿ [illegible] ﴾

(الأنفال: ٤١)

وفي التركة إذا قسمت بمحضر منهما:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

(النساء: ٨)

وفي كفارة اليمين

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ٨٩)

وفي كفارة الظهار

﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾

(المجادلة: ٤)

وهكذا لم يقصر الإسلام الزكاة على الصدقة الواجبة، بل تعداها إلى صدقة التطوع، حتى لا تكون الأموال حكرا على الأغنياء:

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾

(الحشر: ٧)

ولا يشن عليهم الفقراء الحروب الطاحنة والأحقاد المدمرة.

وإذا ما تدبرنا الأسباب التي تدفع الأغنياء إلى البخل بحق الفقراء وجدنا أن ذلك يكمن في البخل أو الإسراف، ومن ثم نهى القرآن الكريم عنهما، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

(الإسراء: ٢٩)

وتوعد المتصف بهما بالعقاب الأليم والعذاب الشديد، فقال عز شأنه:

﴿ [illegible] ﴾

(النساء: ٣٦ – ٣٧)

وقال:

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾

(الإسراء: ٢٧)

وقال:

﴿ [illegible] ﴾

(الفجر: ١٧ – ١٨)

وقال عن أصحاب سقر

﴿ [illegible] ﴾

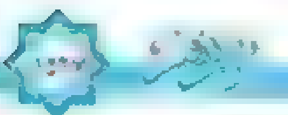
(المدثر: ٤٢–٤٤)

وكذلك توعد رسول الله ﷺ الذين لا يؤدون زكاة أموالهم فقال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان فيأخذ بلهزميه – أي: بشدقيه – فيقول له: أنا مالك أنا كنزك»، ثم تلا ﷺ قوله تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١٨٠) الآية الكريمة.

وفقنا الله جميعا إلى ما يحبه ويرضاه.



الموقف الإيمانى بين الآخرة والأولى

للأستاذ: محمد مصطفى البسيونى

ودار الفلك دورته إلى حيث لا يعلم إلا الله خالق الفلك وخالق الزمان والمكان. ودار مع الفلك رمضان ببركاته وحسناته وخيراته بل و[illegible] عن [illegible] [illegible] طيلة [illegible] تعبد أو [illegible] معه

ويتصور [illegible] [illegible] [illegible] أن رمضان قد (انتهى) بينما الحقيقة أننا نحن [illegible] [illegible] كل [illegible] وذلك لأن رمضان يتحرك في حركة دائرية مع [illegible] يتصل آخرها بأولها بينما نحن نسير في حركة [illegible] [illegible] [illegible] أن تعود بنا كما بدأنا.

ونحن لا نسير في هذا الخط المستقيم إلى مجهول بل إلى معلوم نعلمه تماما ولو كخطوط عريضة، علمنا إياه القرآن الحكيم وشرحه لنا الرسول الكريم ﷺ عندما قال لنا القرآن في محكم آياته

﴿[illegible]﴾

(آل عمران: ١٨٥)

وعندما خاطب الحق سبحانه حبيبه وصفيه ﷺ بقوله الصحيح وأسلوبه الصريح:

﴿[illegible]﴾

(الزمر: ٣٠)

وقوله

﴿[illegible]﴾

(الأنبياء: ٣٤)

ذلك هو المستقبل المحتوم لكل منا، وهو لا يدخل في شعورنا في منطقة النسيان ولكنه يكمن في منطقة الغفلة أو التغافل.

بينما لو تأملنا الحقيقة نرى أن تذكر هذا المصير دائما عند (المؤمن الكيّس الفطن) هو الدافع الحقيقي للسلوك نحو الحياة الفاضلة والمعيشة الكريمة والسلوك البناء القويم.

وهكذا يكون رمضان (معسكرا إيمانيا) تمضي فيه فكرتنا عن المصير إلى إثراء الحياة الدنيا بمقومات [illegible] في معاملة المؤمن لربه وفي حسابه لنفسه وفي علاقاته مع غيره من الناس.

فبدلا من أن نتحدث عن رمضان بأحاديثنا الساذجة التي ترتبط بالشموع والفوانيس وطيب المأكولات وغنى له وغير ذلك مما تفيض به الأغاني الفجة والأهازيج السطحية التي لا تنم عن عائد حقيقي من معاشرتنا لنفحات الأيام الرمضانية فيما ينفعنا بعد انقضاء أعمارنا على الأرض، نقول بدلا من ذلك كان ينبغي أن نعظ بتتابع الأيام ومضي الأعوام.

ولا يظن ظان أننا بهذا نشيع روح اليأس من الحياة في النفس، لكننا في الحقيقة نحاول أن نروض أنفسنا على تقبل الحقائق ونكبح جماح النفس الأمارة التي تفعم مشاعرنا بالإفراط في الأمل غير المسئول، وذلك حتى لا تنالنا الآية الكريمة:

﴿[illegible] ويلههم الأمل فسوف يعلمون﴾

(الحجر: ٣)

وغني عن البيان الأمل الحقيقي هو ما اتجه نحو حياة حقيقية بينما الأمل الكاذب الزائف هو ما اتجه نحو حياة كاذبة زائفة.

وإن من الفيوضات الربانية في هذا المجال ما جاء في قوله تعالى من تعبير الصورة أو تصوير تعبيره القيامة:

﴿[illegible]﴾

(الإسراء: ١٣ - ١٤)

وتأمل كلمة (نخرج له) هنا، من أين يخرج هذا البيان الذي سجلت فيه أعمال المرء في دنياه بأيدي الكرام الكاتبين؟ إنه (الأرشيف) السماوي - ولله المثل الأعلى - حيث تُحفظ فيه كل صغيرة وكبيرة قام بها الإنسان في حياته الدنيوية، ثم هو لا يُتلى عليه يوم الدين، بل إنه هو نفسه الذي يطلع عليه فلا مجال هنا مطلقا للمكابرة أو المغالطة التي كان يصطنعها من قبل في حياته الدنيوية الزائغة والزائلة وحسبه هنا في موقف الحق أن يحاسب نفسه بنفسه عندما يقرن ما جاء في سجله في الأرض على بنود الهداية الربانية في السجل حيث السجل الأعظم الذي ضم نماذج الأعمال المؤدية إلى الجنة وتلك التي تسوق إلى النار، وهي نماذج النظم والبشريات التي كان الأنبياء والرسل قد حملوها من قبل إلى بني البشر من لدن فاطر السموات والأرض سبحانه.

فالمرء وهو يحاسب نفسه في الموقف العظيم بعد أن يقرأ كتابه يطابق ما هو كائن على ما ينبغي أن يكون.

ويقال في كثير من الأحيان أن الحياة الآخرة هي حصاد الأعمال الدنيوية التي يحياها الناس على

تفاوت أعمارهم بين طفل ويافع وكهل وشيخ إلى أرذل العمر

والحقيقة كما نرى أن أعمال المرء في الدنيا هي في الواقع صدى لمدى إيمانه بالآخرة، ومن هنا فإننا نعتقد أن المقدمة في هذا المجال هي اليوم الآخر بينما النتيجة هي الأعمال التي نقوم بها في الدنيا وفق ما نعتقده أو نتصوره أو نؤمن به عن الآخرة.

فكلما كان إيمان المرء بالآخرة وما فيها من جزاء إيمانا صادقا عميقا وليس مجرد تقليد لما يسمع أو يرى كلما كانت أعماله في الدنيا نتيجة تتسق مع مدى صدق هذه المقدمة ويقين المرء نحوها.

ولماذا نذهب بعيدا وقد أمضينا أكثر من نصف قرن في مهنة التعليم بين المدارس والجامعة وعشنا على الطبيعة كيف يتوقف التزام طالب العلم بدروسه ومدى الاهتمام بها بمدى ما يقر في عقله ووجدانه من أهمية امتحان آخر العام، فإذا كان يقينه بعملية الامتحان يقينا مهتزا غير أكيد اهتز إقباله على الدرس والاستيعاب والتحصيل، فكرته عن امتحان آخر العام هي التي تحدد سلوكه نحو دروسه ومدى الإقبال عليها مما يشحذ قريحته، ويصقل فكره، فينكب ليل نهار على الكتاب المدرسي. فإذا احتواه مقعد الدراسة كان كيانه كله متجها نحو أستاذه يلتقط منه كل كلمة ويستوعب منه كل فكرة، ويدوّن عنه أي سؤال يتوقع - ربما - وروده فيما بعد في الامتحان فإذا ضعف يقينه بامتحان آخر العام لم يلق بالا إلى درس أو مدرس أو كتاب.

ولئن ظهر في فلسفة التربية آراء تنادي بأن امتحان آخر العام ينبغي ألا يكون هو غاية المطاف وأنه يجب الاعتماد على تنمية شخصية الطالب فكرا ووجدانا وسلوكا، فإن هذا كله مع أهميته القصوى إلا أنه أساليب تربوية تأتي ضمن مسيرة الدراسة حتى حلول عملية الامتحان التي هي المحك الحقيقي لمدى جدية الطالب - بالدرجة الأولى - وتجاوبه مع (المنهج) واستجابته (للمعلم)، واحترامه لـ(يوم الامتحان) الذي كنا نعلم في صغرنا أن فيه (يكرم المرء أو يهان).

وهكذا كانت فكرة الامتحان المدرسي فكرة فطرية لدى الإنسان منذ القدم حتى قبل أن توجد دراسة منظمة أو مناهج مقننة، وقد استمدت فطرتها من طبيعة الإنسان الذي يبحث دائما عن نتائج أعماله ومدى ما حققه من إيجابيات أو أخفق فيه من سلبيات.

فهل - بعد هذا - قد وفق هذا المثال التوضيحي في تقريب موضوع الامتحان المدرسي ومدى هيبته وأهميته من موضوع يوم الحساب وتهيبه والسعي من أجل الظفر فيه بحسن الثواب وطيب المآب، وذلك مع الفارق الذي لا يحده حد بين المجال الإلهي المطلق الثابت والمجال البشري النسبي المتغير؟

ولهذا اقتضت حكمة الحق جل وعلا في قرآنه الكريم - والله أعلم بمراده - أن تتعدد الآيات التي تقرن بين الإيمان بالله واليوم الآخر ذلك أن الإيمان باليوم الآخر هو الذي يحدد هذا السلوك الدنيوي، وفي هذا السياق نجد أن من أولى آيات المصحف الشريف كيف يصف الحق سبحانه المؤمنين بقوله

(البقرة ١-٤)

ولقد سارت السنة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام هذا المسار، حتى لقد كان النبي ﷺ يندد دائما بحب الدنيا وكراهية الموت.

وإذا كانت سنة الأشياء أن تسير الأمور من الأعلى إلى الأسفل، ومن الدائم إلى المؤقت فإن معنى هذا أن الأساس في اتجاه الأمور هو يوم الدين الذي يحدد لأهل الدنيا خطة السير، واتجاه المسير لكي يعملوا في إطاره ووفق منهجه.

وإنه ليحلو للبعض أن يصف الإسلام بأنه (دين ودنيا) حيث نجد في هذا التركيب تعبيرا لغويا محببا، ومعنى هذا أن الدين شيء والدنيا شيء آخر، وهذا منطق الذين يفصلون بين الدنيا والدين، فيقولون مثلا هذا رجل دنيا، وهذا رجل دين أو عالم دين.

والحق الذي لا مراء فيه أن الله عز وجل لم يخلق الدنيا إلا ليظلمها الدين، ولم ينزل الدين إلا ليظلم الدنيا ويحدد سننها وقوانينها وأساليب عمارتها. فالمخترع الذي يخترع آلة ما لابد له من أن يرفقها بقواعد حسن تشغيلها وسلامة صيانتها وهذا ما يعرف في لغة الناس اليوم بـ(الكتالوج) ولله المثل الأعلى.

ومن هنا أخبر البديع عز وجل ملائكته الذين سبق وجودهم وجود البشر:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
(البقرة ٣٠)

ومن هنا أشفق ملائكة الرحمن على هذه الأرض التي خلقها الله من أن يفسد فيها هذا الخليفة المنتظر. ولكن الحق - جل وعلا - طمأنهم بأنه يعلم ما لا يعلمون، ومن هنا أنزل الدين في رسالات متوالية ومتتالية على هذا الخليفة البشري ليساعده على حسن استخدام الأرض وسلامة صيانتها وضمّن سبحانه هذه الرسالات بيان الجزاء الموعود لهذا الخليفة البشري إن أحسن تحمل أعباء الخلافة أو أساء. ومن هنا جاءت حكمة (الدنيا والآخرة). ومن هنا أيضا نتبين أنهما جناحا الدين وحاشا لطائر أن يحلق دون جناحين

التحليق والتوازن.

وعندما تبلورت الرسالات الإلهية جميعا في الرسالة الجامعة الخاتمة وهي رسالة محمد ﷺ كان علينا أن نعي أن الإسلام ليس دينا ودنيا فقط كما يقال ولكنه (دنيا وآخرة) ولا يقع في روع المرء هنا أن الإسلام يسمح بما تسمح به الدنيا من أمور مباحة وغير مباحة، ومن هنا سمى البعض بعض السلوكيات أنها دينية وبعضها دنيوية. فاختلطت الأمور ولاسيما بالنسبة لأصحاب الإيمان الضعيف. ولكننا نعني هنا أن الإسلام (دنيا) للعمل و(أخرى) للجزاء، وبنفس السياق نقول أن الإسلام عمل وجزاء، فلا عمل بلا جزاء ولا جزاء بدون عمل، ومن هنا يوضح القرآن الحكيم هذه العلاقة عندما يقول:

(التوبة: ١٠٥)

كما أننا إذا قلنا إن الإسلام دين ودنيا فقد يتبادر إلى الذهن أن الإسلام من حيث هو دين فهو مجال للصلاة والزكاة والصيام وهكذا ليس إلا.

ولعله من المناسب هنا أن نتدارك ونتذكر معا أخبار ليلة المسجدين في رحلتي الإسراء والمعراج، وكيف أن محمدا ﷺ :

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

(النجم: ١٨)

ومنها صور توضيحية، أو كما نقول نحن في مناهج طرق التدريس (وسائل إيضاح) تبين الجزاءات التي تنتظر أصحابها يوم الدين :

﴿ [illegible] سليم ﴾

(الشعراء : ٨٨-٨٩)

مثل النار التي يطعمها آكلو أموال اليتامى في بطونهم، ومثل الذين يتسافون في العلاقات الجنسية المحرمة بدلا من الزيجات المشروعة.

وفي هذا يقول ابن هشام من حديث المعراج[1] قال: (أي نبي الله ﷺ) : (ثم رأيت رجالا لهم مشافر (شفاه الإبل) كمشافر الإبل وفي أيديهم قطع من نار كالأفهار (كالحجارة) يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب قال : قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهن).

وغير هذا وذاك من الأمثال الربانية التي نعطيها ونحن على قيد الحياة صورا تقريبية بينما يؤمن النبي ﷺ والمؤمنون بأنها صور حقيقية لمصائر البشر يوم القيامة، ولعل هذا يقربنا من معنى قوله ﷺ (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ولا تدرون تنجون أو لا تنجون)[2].

ولعل هذا أيضا يقربنا من الحكمة الإلهية من استضافة الحق سبحانه وتعالى لنبيه المصطفى ﷺ في معجزة الإسراء والمعراج بالإضافة إلى ما يردده الكثيرون من أن المقصود بهذه الرحلة المقدسة هو مواساة الحق - جل وعلا - لحبيبه ﷺ في مناسبة وفاة السيدة أمنا الرءوم خديجة رضي الله عنها (التي لم يبدله الله خيرا منها) كما قال عليه الصلاة والسلام فيما بعد لعائشة رضي الله عنها، وكذلك وفاة عمه أبي طالب - والد (علي) فدائي الفراش النبوي وجعفر الطيار رضي الله عنهما - الذي وقف من ابن أخيه موقف الدرع المتين والحصن الحصين ضد المشركين والمعاندين برغم أنه هو نفسه لم يعتنق هذا الدين، وهي قضية تحتاج إلى دراسة وبحث دون المرور عليها مر الكرام أو من تدعي ثقافة النقل دون النقد.

نقول : أنه إلى جانب ما يقوله البعض من مواساة الإلهية والتسرية الربانية للنبي ﷺ في مصابه الجلل نقول فيما نعتقد أن رحلة السماء والمسجدين كانت حدا فاصلا بين عهدين : قبل الهجرة حيث الدعوة في بدايتها متأنية متدرجة مستكشفة. وعهد ما بعد الهجرة بعد ذلك حيث عدم اكتفاء المؤمنين بالإعلان عن الدين الجديد، والتلقي دون التحضر فكان من حكمة العلام الحكيم جل وعلا أن يطلع نبيه عليه الصلاة والسلام على هذه الحقائق التي رآها رأي العين واليقظة لمصائر البشر حتى إذا جد الجد بعد ذلك في المدينة المنورة، وكانت المواجهة الميدانية المصيرية بين الحق والباطل كان صاحب الدعوة، وقائد المسيرة على دراية ميدانية أيضا بما ينتظر الناس من مصير مجسم وقضاء محتم قد فاض به المولى سبحانه عليه ليثبت فؤاده على تثبيت، ويدعم يقينه على تدعيم.

وهكذا احتمل يقينه المحمدي الفذ ألاعيب ابن سلول ورهطه وأساليب اليهود في نقض العهود وما يعرف عنهم اليوم (باللف والدوران)، وهو أسلوبهم حتى اليوم كأنه جزء من جيناتهم البيولوجية الوراثية، كما احتمل ﷺ ملاحقة قومه له في مهجره يزحفون إليه بباطلهم وحقدهم على الصادق الأمين الذي ربي في حجورهم وبين ظهرانيهم ولم يعهدوا عليه كذبا أو جهالة قط.

﴿ [illegible] ﴾

([illegible] : ٤٦)

ولقد كان جرحه الشريف عليه الصلاة والسلام بسفح (جبل أحد) على سبيل المثال أهون عليه من أن يترك هذا الأمر، فينزلق الناس إلى الهاوية التي رآها بعينيه الشريفتين في معارج السماء، وذلك من منطلق الرحمة المحمدية: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون).

وعندما تلقى القوم نبأ الإسراء والمعراج كان للموقنين منهم مثل (الصديق) رضي الله عنه يقينا جديدا وناطقا يضاف إلى خبر السماء في القرآن الكريم فوضعه هؤلاء الموقنون المصدقون نصب أعينهم يخشون ربهم ويخافون عذابه حتى أصبحت هذه الأمثال (الأخروية) منهاجا تربويا ينظم أعمالهم (الدنيوية)

وهكذا صار تلاميذ محمد ﷺ النجباء يترسمون في أعمالهم في الحياة الدنيا الخطوات الإيمانية التي يرجون بها اجتياز هذا الامتحان الرباني المصيري الذي نبههم إليه النبي ﷺ في وعي أمين وعرض رصين ويقين مكين وإيمان متين.

وما أجمل قوله تعالى في هذا السياق :

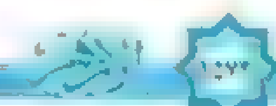
﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾

(البقرة : ٢٨١)

فهلا وعينا فاتقينا يا.. أولي الألباب ؟!

(١) سيرة النبي ﷺ لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام.

(٢) الطبراني في الكبير، والحاكم، والبيهقي، عن أبي الدرداء (الجامع الصغير).



أكبر عوائق نجاح الحوار بين الحضارات:

سياسة الظلم التي يمارسها الغرب ضد المجتمعات الإسلامية

توصيات الملتقى الرابع لخريجي الأزهر تتفق على أن:

■ الأزهر هو المؤسسة العلمية التي صمدت في وجه التاريخ لأكثر من ألف عام.. يمثل المرجعية الكبرى للإسلام بمنهجه الوسطي القائم على التسامح والاعتدال وهو المؤهل بتاريخه ومنهجه لإدارة الحوار مع الديانات السماوية الأخرى.

الأزهر والغرب.. ضوابط الحوار وحدوده، مؤتمر أبرز أهمية الدور الذي يؤديه الأزهر في علاقة المسلمين بالغرب وضرورة الاهتمام بقضايا محددة أثار فيها عدد من المفكرين الذين حضروا هذا المؤتمر برعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.. هؤلاء المفكرون الذين شاركوا في ندوات المؤتمر من أمريكا وفرنسا والأرجنتين والفاتيكان وماليزيا وباكستان وسويسرا وهولندا وتايلاند واستراليا وأوزبكستان والمالديف.

للأستاذ/ عاطف مصطفى

ومعظم المشاركين من مختلف أنحاء العالم متخصصون في علوم الأديان، ومن بينهم أولئك الذين يتمتعون بنشاط يتجلى في مجال دعم الحوار بين الأديان، وهي القضية التي يحرص عليها المسلمون سواء في مصر أو في المملكة العربية السعودية التي أقامت عدة مؤتمرات في العام الماضي للحوار بين الأديان في مكة ومدريد وفي واشنطن بالأمم المتحدة.

وحرص المؤتمر على قضية تأصيل الحوار والتواصل بين الشعوب على مستوى العالم، وخاصة العالم الغربي.

فمن خلال هذه المؤتمرات والملتقيات، نستطيع الارتقاء بفكر خريجي الأزهر كما يشير الدكتور أحمد الطيب رئيس الملتقى الرابع لخريجي الأزهر الذي عقد بالقاهرة في ٢٨ يونيو الماضي وليكون لهؤلاء الخريجين المتميزين دور مؤثر وفعال في كيفية إدارة الحوار مع الآخر من أجل التقريب وجهات النظر بين الغرب والعالم الإسلامي، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتوضيح صورته الحقيقية التي تدعو للوسطية والاعتدال والسماحة ووحدة الصف، ولتوضيح أنه دين يخاطب كل مفكر وكل عالم.

■ الأزهر مؤسسة تعليمية مستقلة

وكان من أهم ما أكد عليه المؤتمر أمام حشد كبير من مفكري الغرب ومن خريجي الأزهر المنتشرين في كل بقاع الدنيا أن الأزهر الشريف مؤسسة تعليمية مستقلة ليس لديها أجندة سياسية، إنما الهدف الأساسي هو توضيح الصورة الحقيقية للإسلام لدى الغرب مع وضع ضوابط محددة للحوار من بينها وأهمها الاحترام المتبادل والمساواة وتوقير الأديان.

كما حينما نتوقف عند تلك البحوث التي نوقشت في المؤتمر من خريجي الأزهر الشريف، نجدها تتكلم في حدود الدور الكبير الذي يقوم به الأزهر سواء لضبط الحوار أو لمواجهة التحديات التي تواجه المسلمين عامة وأولئك الذين يعيشون في الغرب.

وتبرز د. فائزة علي شيرالعلي من ألبانيا وهي إحدى خريجات الأزهر الشريف إسهامات الأزهر من خلال بحثها بعنوان الدور الأزهر في تحقيق التواصل مع الغرب حيث تقول.. يمثل الأزهر حضورا بارزا في الحياة الإسلامية منذ إنشائه بما له من إسهام كبير يشمل كافة نواحي الحياة، فقد كان له دوره الريادي على صعيد العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وآدابها بالإضافة إلى المعارف الإسلامية.. كما كان للأزهر الدور القيادي في توجيه الأمة الإسلامية وإرشادها للسير وفقا لمنهج إسلامي يحقق تمسكها بالقيم الإسلامية، فضلا عن أن الأزهر له دوره المشهود في الدفاع عن الإسلام ونشر صحيح مبادئه ضد المتآمرين عليه.

ويواجه العالم الإسلامي الآن تحديات ومخاطر عديدة تهدد حاضره ومستقبله، في ظل العولمة والمتغيرات الدولية والإقليمية وعدم إنصاف الغرب في علاقته مع المسلمين.

■ الإساءة للمقدسات الإسلامية

ومن أبرز التحديات التي تواجه المسلمين من قبل الغرب، الإساءة لرسولنا الكريم وللمقدسات الإسلامية، تذرعاً بحرية الرأي والتعبير والتطاول على معتقداتنا، كما يؤجج مشاعر الغضب ويثير حالة من التوتر مع الغرب، ومنها اتهام الإسلام بالإرهاب، ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر يسعى الغرب للقضاء على التعليم الديني في البلاد الإسلامية، بحجة أنه المنبع الأول للإرهاب.

يشير البحث إلى أن موقف الغرب من الإسلام هو سلوك طبيعي بالنظر إلى الصورة النمطية المزعجة التي قدمت، وتقدم له حول الإسلام والمسلمين بشكل خاطئ ومنحرف ومنكر للحقائق.

وهذه النمطية للإسلام والمسلمين تعطي انطباعات سيئة عن كل ما هو عربي وإسلامي لا يتوقف عن الشكوى من عدم فهم الغرب للإسلام والمسلمين بل يتطلب ردود فعل مناسبة وفعالة لتغيير هذه الصورة التي أصبحت مترسخة في أذهان معظم الغربيين في ظل غياب عربي وإسلامي من الساحة الإعلامية والثقافية الغربية.

■ مسئولية كبيرة على الأزهر

وانطلاقا من هذه الظواهر فعلى الأزهر مسئولية كبيرة لمواجهة المخاطر التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون في كل مكان بالعالم، لتخفيف حالة التوتر مع الغرب، وللدفاع عما يتعرض له المسلمون ورد الحملات

العدائية التي شهدناها في الآونة الأخيرة، وذلك من خلال علمائه الأجلاء.

ولا تتحقق هذه المحاولة إلا باحتضان الأزهر خريجيه من الوافدين في مختلف بقاع العالم، والتواصل معهم لتقريب وجهات النظر، والوقوف صفا واحدا في مواجهة تلك التحديات، لتقديم الحلول لها، حتى تعم الفائدة من أجل عمل جاد يخدم الإسلام والمسلمين ولابد أن يواصل الأزهر دوره وريادته الفكرية في عالمنا الإسلامي، ولأنه يمثل الوسطية الإسلامية.

والأزهر عليه دور كبير بتطوير الدعوة وإعداد الكوادر المتميزة من الخريجين والخريجات، خاصة الذين يجيدون اللغات الأجنبية مع امتلاك الوسائل التي يمكن من خلالها توصيل مبادئ الحق والخير لكل الناس، ولأن الداعية الذي يمتلك القدرة على التعامل مع وسائل الإعلام، يتجاوز تأثيره الحدود، ويستطيع أن يحقق الرسالة المنشودة.

وعلى هؤلاء الخريجين من دول العالم المختلفة والذين يحظون بمكانة مرموقة في مجتمعاتهم ولهم دورهم المؤثر التعريف بالأزهر ودوره في نشر الدعوة الإسلامية وتعاليمه وغاياته النبيلة لصالح المسلمين والإنسانية كلها. وينبغي أن يستمر دور الأزهر وتأثيره في العالم الإسلامي ولا يتوقف في مواجهة مدارس الغلو والتشدد والتي أساءت إلى المسلمين.

■ حوار متواصل

وللأزهر دور كبير أيضاً في تخفيف حالة التوتر القائمة بين الغرب والمسلمين وذلك من خلال الحوار المتواصل والنقاش المستمر للتعريف بالإسلام وسماحته وأنه دين الوسطية والتسامح بين المسلمين وغيرهم من شعوب العالم.

ويمكن استخدام شبكة المعلومات «الإنترنت» للقيام بهذا الدور ولكي ينجح الحوار مع الغرب فلابد من خطوة مهمة، وهي مراجعة خطابنا السياسي والثقافي، خصوصا تلك المنغلقة والمتشددة التي تولد سوء الظن بين أبناء الحضارات المختلفة، وتوفر خطابا مرنا في مواجهة الغرب، بدلا من تبني خطاب الاعتزال، خوفا من الغزو الثقافي للآخر، وخاصة أن الإسلام دين التعارف والتواصل المستمر مع كافة شعوب الدنيا.

■ تصحيح النظرة المشوهة

وفي إطار حوار متكامل ومتكافئ بيننا وبين الغرب تناول الرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف السابق بعض المسارات الممكنة لتصحيح النظرة المشوهة للإسلام في الغرب مشيرا في المسار الأول: إلى ضرورة إيجاد حلول عملية للنزاعات الإسلامية الداخلية مبينا أن النزاع المزمن بين الفرق والمذاهب الإسلامية، وبين الدول الإسلامية قد أدى إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم، فمما يؤسف له أن كثيراً ممن ينتمون إلى الأمة الإسلامية، لا يتعلمون من الماضي وتجاربه القاسية والمريرة. وإذا أردنا أن نصحح صورة الإسلام فلابد من تسوية هذه النزاعات، ولابد أن يتم توحيد الصف الإسلامي لكي نعطي للعالم قولا وفعلا صورة مشرقة للإسلام والمسلمين.

وبين عبدالقيوم دعوة الإسلام للترابط والتآلف والتراحم من خلال آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة ومنها:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(الأنفال: ٤٦)

ومنه قوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه» (متفق عليه)

المسار الثاني: توحيد الفكر الإسلامي ووجهات النظر في المسائل السياسية، وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الجهاد وأحكامه وشروطه، والحالات التي يتعين فيها، ومعاملة أهل الذمة، والعلاقات مع الدول غير الإسلامية، والتعاون الدولي في شئون الأمن والسلام، وبرامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ومحاربة الاستعباد.

المسار الثالث: إبراز الصورة المشرقة الحقيقية للإسلام وقيمه ومبادئه وأخلاقياته، فالإسلام هو دين الرحمة والسماحة واليسر، يدعو إلى العدل والسلام، ويصون حرية الفرد وكرامته بغض النظر عن عقيدته ولونه وقومه. وهذه ليست مجرد شعارات يرفعها الإسلام وإنما هي مبادئ أساسية راسخة قام عليها بنيان الإسلام، وقد جعل العدالة قوام الدولة وأساسها المتين، وأمر بإقامة العدل بين الناس أجمعين، دون تفريق بين رجل وامرأة، وبين مسلم وذمي، وبين أبيض وأسود.

يقول الله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(المائدة: ٨)

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿[illegible]﴾

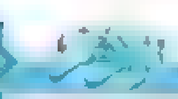
(الممتحنة: ٨)

ونصل في بحث مأمون عبدالقيوم في المسار الرابع إلى موضوع المؤتمر.. «الأزهر والغرب - ضوابط الحوار وحدوده» حيث يشير إلى أن إقامة حوار جاد بين مفكري الإسلام وبين مفكري الأديان الأخرى، وذلك عن طريق إقامة ندوات ومؤتمرات مشتركة بيننا وبينهم، بالتعاون مع المؤسسات الخاصة في الأقطار الإسلامية ومع مثيلاتها في البلاد غير الإسلامية يشارك فيها العلماء والمفكرون والمثقفون من الطرفين لتوضيح حقيقة الأديان السماوية، وضرورة التعايش السلمي بينها، ويقوم فيها علماؤنا ببيان مزايا الإسلام، من أنه دين يدعو إلى السلم والسلام، ويدعو إلى الترابط والتراحم والحياة المشتركة بين الناس جميعا، ويدعو إلى المساواة وإقامة العدل، وبناء حياة أفضل.

■ البعد عن التشكيك

ومما لا شك فيه أن أعداء الإسلام الذين يقومون بحملات ضد الإسلام والمسلمين بوسائل شتى، لو عرفوا حق المعرفة سماحة الإسلام ويسره وعدله، وعدم تشدده، ودعوة الإسلام إلى صيانة حقوق الآخرين وحماية كرامتهم وإنسانيتهم، وإقامة علاقات طيبة مع أهل الذمة والبلاد غير الإسلامية، أساسها الاحترام المتبادل والرغبة في السلام، وفي التعاون المشترك البناء لتحقيق مزيد من التقدم والرفاهية لامتنعوا عن حملات التشويه التي يقومون بها ضد الإسلام، وضد صاحب رسالة الإسلام سيدنا محمد ﷺ، ولعاشوا مع المسلمين في وئام وأمن وسلام، ولعمل المسلم وغير المسلم جنبا إلى جنب من أجل رقي المجتمع الإنساني ورخائه وازدهاره بعيدين عن الإرهاب والاضطراب والقلق والتطرف والتشدد.

يقول الله تعالى في محكم كتابه:



[illegible] ٨٠)

ويختم عبدالقيوم بحثه مكررا هذه الآية الكريمة أمام حشد كبير من علماء ومفكرى الغرب وخاصة العدد الكبير الذى شارك فى المؤتمر من أمريكا وحرصوا على المشاركة فى الحوار البناء على مدى أيام المؤتمر، فى محاولة للوصول إلى صيغة مناسبة للحوار، والذى مازال الكل يتحمسه بالرغم من مؤتمرات عدة أقيمت، ولكنها لم تحقق شيئا حتى الآن.

■ مؤسسة علمية صمدت لأكثر من ألف عام

ولابد لنا أن نشير إلى عدد من الباحثين المسلمين الذين يعيشون فى الغرب، وفى فرنسا على سبيل المثال يتحدثون عن التطور الكبير الذى حدث لمسلمى فرنسا، والنظرة التى تغيرت بالنسبة للإسلام والمسلمين ومن هؤلاء الباحثين الدكتور محمد البشارى وهو رئيس لمؤسسة تعليمية إسلامية فرنسية وهى «معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية» وهو معهد أنشئ بجهود المسلمين فى عام ٢٠٠٦ بمدينة «ليل» بشمال فرنسا وبالقرب من بلجيكا

وهو يشير إلى المشكلات التى تواجه التعليم الإسلامى هناك والتحديات التى تواجهه فى فرنسا وفى أوروبا على وجه التحديد ومن أهمها مشكلة الإمكانيات المادية ثم مشكلة عدم توافر هيئة تدريس ثابتة ومتفرغة للمعهد، فالأساتذة يعملون بنظام الانتداب، ويتقاضون مكافآت بعدد ساعات العمل، ومنهم من يعمل لتحسين دخله، فيترك المعهد عند أول فرصة يجد فيها موقعا آخر يعطيه مكافأة أكبر، وهكذا ينعكس ضعف الإمكانيات المادية على المستوى المرجو للعمل العلمى والأكاديمى بهذا المعهد ابن سينا.

ويبذل الباحث سعيه المستمر لعقد اتفاقيات تعاون مع الجامعات لمعادلة شهادة المعهد بالشهادات التى تمنحها فى مثل التخصص، وكذلك لمد المعهد بأساتذة يعملون طوال العام بنظام الإعارة

والأمل - كما يقول - معقود على الأزهر من خلال جامعته لتحقيق هذه الأهداف، نظرا لأن معهد ابن سينا اتخذ فى اعتباره منذ نشأته أن تكون برامجه موازية لبرامج شعبة الدراسات الإسلامية باللغة الفرنسية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

■ توصيات تؤكد على الدور العالمى للأزهر فى إنجاح الحوار

وقد صدرت توصيات أبرزت اتفاق المشاركين فى أعمال الملتقى الرابع لخريجى الأزهر على أن الأزهر الشريف هو المؤسسة العلمية التى صمدت فى وجه التاريخ لأكثر من ألف عام يمثل المرجعية الكبرى للإسلام بمنهجه الوسطى القائم على التسامح والاعتدال، وهو المؤهل بتاريخه ومنهجه لإدارة الحوار مع الديانات السماوية الأخرى من منطلق إيمانه بالتعددية التى تشكل منهجه فى الدراسة والدعوة.

■ إن الاختلاف بين البشر فى العقائد والأفكار سنة كونية ومشيئة إلهية عبر عنه القرآن فى قوله تعالى:

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ (هود: ١١٨)

وهذا الاختلاف إذا أحسن استثماره يمثل مصدر ثراء تتكامل فيه الأمم وتتعلى به الحضارات.

■ إن الحضارات الإنسانية فى جوهرها تعنى التقدم المادى والروحى، والانفتاح على الأديان وتبادل ثمرات العقول، وهى بهذه الطبيعة حضارات تتعاون ولا تتصارع، ولذلك فإن الاختلاف فى الرؤى والتصورات بين هذه الحضارات ليس سببا للصراع بين الشعوب والاقتتال بين أبناء الحضارة الواحدة

■ إن التعايش السلمى والتعاون بين الديانات السماوية أصبح ضرورة ملحة فى حقبة لازمت فى حقبتها الأيديولوجيات السياسية مستغلة الأديان فى تحقيق أطماعها، لذلك يجب على معتنقى الديانات السماوية أن يتحملوا مسئولياتهم فى انتشال المجتمعات الإنسانية من وحدة التعصب والأنانية، ويتمثلوا توجيهات السماء فى نشر روح المحبة والإخاء.

■ إن دعوات الحوار بين الحضارات لا تزال حتى الآن شعارات تتردد فى المنتديات والمؤتمرات، دون أن تتحول إلى منهج علمى يقود إلى التقريب، لذلك يتبنى ملتقى خريجى الأزهر وضع ميثاق للحوار يقوم على الاعتراف المتبادل بين الأديان السماوية، والبحث عن القواسم المشتركة وأوجه الاتفاق لاستثمارها فى التقريب بين الأمم.

■ ضرورة وضع ضوابط لأطر الحوار وحدوده، والوقوف عند مناطق الالتقاء التى تدعم فكرة الإيمان، وتشيع أخلاقيات العلم والسياسة والاقتصاد.

■ إن الحوار الذى يهدف إلى الغلبة وإثبات التميز ويفتقد تكافؤ الفرص بين الأديان ليس حوارا يستهدف بناء الجسور، ويقود إلى استجماع طاقات أهل الإيمان للقضاء على النزاعات ومواجهة التحديات الكبرى التى تهدد الحضارات الإنسانية.

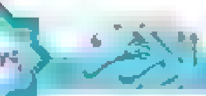
■ كما اتفق المشاركون فى الملتقى على أن أكبر العوائق أمام نجاح الحوار بين الحضارات هو سياسة الظلم التى يمارسها الغرب ضد المجتمعات الإسلامية وهو ما يضع على عاتق المجتمعات المسيحية مسئولية دعوة ساستهم إلى رفع هذا الظلم والسعى إلى تحقيق العدالة التى تمثل روح الإيمان فى رسالات السماء.

■ أشار البيان الختامى للملتقى الرابع للرابطة العالمية لخريجى الأزهر: إلى أن العالم الغربى قد أمضى قرونا عديدة بعيدا عن فهم الإسلام، مما أدى إلى خلق روح من العداء المتبادل، وهو اليوم مطالب ببذل جهود مخلصة للتعرف على الإسلام الحقيقى من مرجعياته، بمثل ما هو مطلوب من المسلمين أن يحسنوا الاستماع إلى الآخرين، وأن يتبنوا خطابا جديدا ووسائل أكثر قدرة على التعريف بالإسلام وحسن تقديمه لغير المسلمين.

■ إن مساحات الاتفاق بين الديانات أكبر من فجوات الاختلاف ومجالات العمل من خلال القيم التى أجمعت عليها الأديان، هى القادرة على إصلاح ما أفسدته السياسة، الأمر الذى يدعو إلى الاعتماد على المؤسسات العلمية التى تهدف إلى التعاون وتضييق الهوة بين أتباع الديانات.

وأخيرا.. إن الرابطة العالمية لخريجى الأزهر تملك قدرات كبيرة لدعم الدور العالمى للأزهر، لما تتمتع به من ولاء للأزهر، ولتوجهاته الممثلة لروح الاعتدال والوسطية.

لذلك يوصى المؤتمر بتسجيل الرابطة فى المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للأمم المتحدة (الإيكوسوك) حتى تتمكن من تعظيم قدرتها على الحوار مع المؤسسات الحديثة واستثمار طاقتها فى تحقيق رسالة الأزهر.



﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

النحل ٤٣

استفتاءات القــــراء

يجيب عنها الأستاذ الدكتور على جمعة

مفتى الجمهورية

زكاة الزروع والثمار

السؤال من القارئة م.ح.ج

١ـ هناك نوع من البلح يختلف عن التمر في أنه لايجف ولا يصلح للتخزين أكثر من أسبوع إلا أن يجمد في الثلاجات. وهو موجود في الأسواق الآن. وهو أصناف منها الزغلول والسمانى والحيانى ونوع يسمى «عجشة» وغير ذلك وإذا تخلف يصير رطبا. وتوجد هذه الأنواع على السواحل الشمالية لمصر من الإسكندرية إلى دمياط. فهل تجب في هذا النوع زكاة الزروع؟

٢ـ هناك رأى لأبي حنيفة أنه لا زكاة على الأرض التي يؤخذ عنها خراج، أى التي يدفع أصحابها ضرائب عنها للدولة. فما مدى صحة هذا الرأى؟ وما رأى الشافعى في هذه المسألة، وعلى الأخص في مذهبه الجديد؟

٣ـ إذا كان صاحب الأرض التي تخرج الثمار مدينا دينا يستغرق المحصول ويزيد عنه فما موقف صاحب الأرض من الزكاة؟

الجواب

أولا: المقصود بالتمر الذى تجب فيه الزكاة بالإجماع هو ثمر النخل، أيا كان نوعه، سواء أكان مما يصير تمرا أم لا. يقول العلامة ابن حجر الهيتمى الشافعى في «تحفة المحتاج» (٣/٢٤٥): «(ويعتبر) الرطب والعنب أى بلوغه خمسة أوسق حالة كونه (تمرا أو زبيبا إن تتمر أو تزبب) غير مسقى طين في حب ولا ثمر صلة حتى يبلغ خمسة أوسق «(وإلا) يتتمر، ولا يتزبب (فـ) يوسق (رطبا وعنبا) ويخرج منه لأن هذا أكمل أحواله» اهـ.

ومنه يعلم أن الزكاة واجبة في كل أنواع التمر.

ثانيا: يعرف الحنفية الأرض الخراجية بأنها (السواد وما فتح عنوة وأقر أهلها عليه أو فتح صلحا)، ويرون أن الأرض الخراجية لا زكاة فيها، بناء على أنه لا يجتمع في الأرض حقان: عشر وخراج. وخالفهم الأئمة الشافعي ومالك وأحمد، يقولون بجمع الزكاة والخراج، ويفرقون بين سببيهما بأن الخراج هو حق الأرض، وأن الزكاة هي حق الزرع، فهما حقان مختلفان سببا ومعنى ومصرفا، ولا علاقة بينهما، فلا يمنع أحدهما الآخر.

والمحققون من متأخرى الحنفية قد قرروا أن أراضى مصر الآن لم تعد خراجية، وأن الخراج ارتفع عنها لعودها إلى بيت المال بموت ملاكها، فإذا اشتراها إنسان بعد ذلك من بيت المال شراء صحيحا ملكها ولا خراج عليها؛ لأن الإمام قد أخذ البدل للمسلمين.

وحرر العلامة ابن عابدين ـ ردا على من أسقط من الحنفية الزكاة فيها ـ أن الزكاة واجبة مع سقوط الخراج؛ لأن وجوب العشر في كل أرض يملكها مسلم، وهو ثابت بالكتاب والإجماع، فيرد الأمر إلى الأصل.

قال العلامة ابن عابدين في حاشيته (٤/٢٠٩): «(قوله: لا عشر ولا خراج) لم يذكر في «البحر» العشر، وإنما قال: «بعد ما ذكر أن الخراج ارتفع عن أراضى مصر لعودها إلى بيت المال بموت ملاكها. قال: فإذا اشتراها إنسان من الإمام بشرطه، ملكها صحيحا ملكها، ولا خراج عليها. فلا يجب فيها خراج؛ لأن الإمام قد أخذ البدل للمسلمين، فإذا وقفها سالمة من المؤن فلا يجب الخراج فيها، وتمامه فيما كتبناه في رسالتنا المرضية في الأراضى المصرية» اهـ.

ثم ذكر العشر في تلك الرسالة فقال: إنه لا يجب أيضا؛ لأنه مؤنة ... إلخ نقلا.

قلت: ولا يخفى ما فيه؛ لأنهم قد صرحوا بأن فرضية العشر ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول، وبأنه زكاة الثمار والزروع، وبأنه يجب في الأرض غير الخراجية، وأنه يجب فيما ليس بعشرى ولا خراجى كالمفاوز والجبال، وبأن سبب وجوبه الأرض النامية بالخارج حقيقة، وبأنه يجب في أرض الصبي والمجنون والمكاتب؛ لأنه مؤنة الأرض، وبأن الملك غير شرط فيه بل الشرط ملك الخارج، فيجب في الأراضى الموقوفة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة ٢٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام ١٤١]» اهـ.

ومنه يعلم أن الزكاة لا تسقط عن الأراضى التي تدفع عنها ضرائب للدولة، سواء على قول الحنفية أو على قول الجمهور.

ثالثا: اختلف العلماء في حسم الديون من الزرع المزكى قبل إخراج زكاته، فمنهم من قال بحسم ديون تكاليف الزرع دون غيرها من الديون، ومنهم من أجاز حسم جميع الديون، ومنهم من جعل إخراج الزكاة قبل حسم الديون مطلقا، وهذا الرأى الأخير هو الأنسب بتفريق الشرع بين ما سقى بكلفة وما سقى بغير كلفة؛ حيث أوجب في الأول نصف العشر وفي الثاني العشر كله؛ اعتبارا للتكاليف، ولو كانت الديون تخصم من الزكاة لأغنى ذلك عن هذا التفريق؛ كما أن هذا الرأى هو الأرفق خاصة بالفقراء والمساكين.

يقول الإمام الكمال بن الهمام في «فتح القدير»: «قال: وكل شىء أخرجته الأرض مما فيه العشر لا يحتسب فيه أجر العمال ونفقة البقر)؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكم بتفاوت الواجب لتفاوت المؤنة فلا معنى لرفعها.

(قوله: مما فيه العشر) الأولى أن يقول: مما فيه العشر أو نصفه كي لا يظن أن ذلك قيد محترز.

(قوله: لا يحتسب فيه أجر العمال ونفقة البقر) وكرى الأنهار وأجرة الحارس وغير ذلك، يعني لا يقال بعدم وجوب العشر في قدر الخارج الذى بمقابلة المؤنة، بل يجب العشر في الكل، ومن الناس من قال: يجب النظر إلى قدر قيم المؤنة فيسلم له بلا عشر ثم يعشر الباقي؛ لأن قدر المؤنة بمنزلة السالم له بعوض كأنه اشتراه، ألا يرى أن من زرع في أرض مغصوبة سلم له قدر ما غرم من نقصان الأرض وطاب له كأنه اشتراه.

ولنا: ما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام: «فيما سقى سيحا ... إلخ» حكم بتفاوت الواجب لتفاوت المؤنة، فلو رفعت المؤنة كان الواجب واحدا وهو العشر دائما في الباقي؛ لأنه لم ينزل إلى نصفه إلا للمؤنة، والفرض أن الباقي بعد رفع قدر المؤنة لا مؤنة فيه، فكان الواجب دائما العشر، لكن الواجب قد تفاوت شرعا مرة العشر ومرة نصفه بسبب المؤنة، فعلمنا أنه لم يعتبر شرعا عدم عشر بعض الخارج ـ وهو القدر المساوي للمؤنة ـ أصلا» اهـ.

لكن إن كان يشق على صاحب الزرع الأخذ بهذا القول، خاصة إذا كان يحتكر محصول الأرض ليدفع منه الدين، فلا مانع في هذه الحالة من تقليد من أجاز خصم الديون كلها من المحصول؛ لأن المشقة تجلب التيسير، وإذا لم يبلغ الباقي نصابا

فلا زكاة عليه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

مصارف زكاة الفطر

السؤال من القارئ: ك. ش. خ

■ من أنشطة جمعيتنا مشروع [illegible] الإنفاق على [illegible] الفقراء، ومشروع كفالة اليتيم [illegible] الصرف على البنات نقديا وعينيا، ومشروع المساعدات [illegible] [illegible]

الجواب

مصارف زكاة الفطر هي مصارف الزكاة [illegible] عند الجمهور [illegible] [illegible] من الخروج عن ذلك.

ولا مانع من [illegible] في الإنفاق منه على الفقراء سائر أيام السنة إذا كانت الحاجة والمصلحة تقتضيان ذلك، مع التنبيه على أن ذلك لا ينبغي أن يكون أمراً عاماً تصرف فيه كل زكوات الفطر حتى لا [illegible] المقصود الأعظم من زكاة الفطر هو كفاية حاجة الفقراء في يوم العيد [illegible] من البلدان والمجتمعات الفقيرة التي قد لا يجد الكثير من الناس فيها ما يوسعون به على أنفسهم وأهليهم يوم العيد.

والله سبحانه وتعالى أعلم

مواريث

السؤال من القارئ: أ. ش. ط

■ توفي [illegible] الوصية الواجبة؟

الجواب

إذا كانت وفاة المذكور [illegible] سنة ١٩٤٦م [illegible] رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦م [illegible] المذكورين فقط يكون في تركته وصية واجبة لبنتي ابنه المتوفى [illegible] ٢٦ [illegible] المذكور.

فتقسم التركة [illegible] منها جزءان، وقيمتهما سبعة قراريط [illegible] والباقي وقدره أربعة أجزاء [illegible] ورثته الأحياء وقت وفاته [illegible]

[illegible]

[illegible] سنة ١٩٤٦م [illegible]

والله سبحانه وتعالى أعلم

احتفالية جمهورية طاجيكستان بالإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان



الإمام الأعظم والأخلاق الإنسانية

لفخامة رئيس جمهورية طاجيكستان
إمام على رحمن

انتشار المذهب الحنفي

لفضيلة الشيخ/ على عبدالباقى شحاتة

نظرة إلى موقف الإمام الأعظم من علم الكلام

للأستاذ الدكتور/ سعيد أحمدوف

الإمام أبو حنيفة النعمان وعبقرية الفقيه

للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة

الإمام الأعظم والأخلاق الإنسانية

إمام علي رحمن
رئيس جمهورية طاجيكستان

إن للمجتمع البشري إلى جانب القوانين والقيم الخاصة بإدارته مجموعة من المعايير والمبادئ الأخلاقية التي تنظم سلوك أعضائه والعلاقة بينهم. وإذا كانت قوانين البشر وضوابطهم المحددة هي التي تنظم حقوقهم وحرياتهم في المجتمع فإن المعايير الأخلاقية هي التي تحدد سلوكهم فيما بينهم وتجاه الأسرة وفيما بين فئات المجتمع. ويتوقف تطبيق هذه المعايير الأخلاقية على ضمير الفرد وعادات كل شعب وفئاته الاجتماعية. ويمكن الحكم على مستوى تقدم هذا الشعب أو ذاك بدرجة تطور أخلاقه الاجتماعية. وكلما سمت أخلاق المجتمع كلما ازداد تقيده بمقتضيات القانون. من ثم فإن رقي مستوى أخلاق المجتمع يرتبط برسوخ الدولة ومدى ثباتها. وإذا كانت الدولة قوية وراسخة وذات قوانين حسنة نافذة فإن مستوى أخلاق المجتمع يمكن أن يسمو أيضا. وبالعكس فضعف الدولة يساعد على تدني الأخلاق في المجتمع. وتجربة سنوات الاضطراب في طاجيكستان تشهد بأن مستوى الجريمة في المجتمع يرتفع وتزداد سلوكيات أعضائه المشينة حين تضعف أركان الدولة.

كما أن تغيرات الأزمات وتدني مستوى معيشة الناس تؤثر سلبيا على أخلاق المجتمع والأخلاق تنم عن مستوى معنويات المجتمع فهي دليل على درجة رقيه وهي مؤشر السلم والاستقرار. وهي تعكس حياة الناس ومعتقداتهم في هذا البلد أو ذاك. وكلما ازدادت الأخلاق في المجتمع ازداد الاستقرار والتقدم فيه. من هنا كان اهتمام الساسة والعلماء والحكماء بالمسائل الأخلاقية منذ القدم وإلى يومنا هذا. فكان لهم دور كبير في الارتقاء بها ويعد الإمام الأعظم من بين هؤلاء الأعلام.

ويبين تحليل مسألة الأخلاق في تعاليم الإمام الأعظم أن هذه التعاليم الأخلاقية لهذا الفقيه العظيم مستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية. وكانت حكمته ونصائحه نابعة من القرآن يقول تعالى في كتابه العزيز

﴿[illegible]﴾
(الحديد: آية ٢٥)

كما أن العدل من أهم المعايير الأخلاقية التي تحدد العلاقة بين أفراد المجتمع في الأمور الدينية والدنيوية في إطار محدد وتقيم حياتهم على أسس راسخة وتحق الحق وتثبته ويبين القرآن الكريم خصال العدل الحميدة وسلوكه الحسن إذ يقول تعالى

﴿[illegible]﴾
(الإسراء: آية ٤١)

ورد وصف الأخلاق الحميدة في عديد من آيات الكتاب العزيز حيث يدعو الله تعالى المؤمنين إلى محاسن الأخلاق

﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾
(الأعراف: آية ١٩٩)

فكلام الله تعالى كما نلاحظ يزخر بالحكمة والموعظة الحسنة والترغيب في محاسن الأخلاق فجوهر القول إن النصح والموعظة الحسنة جوهر حكمة الإسلام ويتضح هذا الدستور الأخلاقي القرآني في أحاديث النبي ﷺ أيضا وتحوي الأحاديث النبوية كافة موضوعات الأخلاق في الحديث الشهير «الدين النصيحة»[1] وأشار الرسول ﷺ في كافة أحاديثه إلى الأخلاق الحميدة من عدل وإنصاف ورحمة ومودة ومساواة وأخوة وتسامح وحق الجار وتكريم المسن والوالدين؛ ويمكن تلخيص بعض دعوات الرسول الأكرم ﷺ في الحديث التالي «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. كلكم لآدم وآدم من تراب. ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. خيركم عند الله أتقاكم، المسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يخذله»[2].

إن شخصية النبي ﷺ نموذج للأخلاق الإسلامية وكان نبي الإسلام ﷺ فريد عصره في حسن خلقه وصدق قوله وأمانته. وجوهر حسن الأخلاق أن يكون مثالاً للاستقامة والصدق والأمانة والمحبة والاحترام وتحمل المسئولية وإتقان العمل والوفاء سواء في الدين والشريعة أو في الحياة اليومية والأسرية وفي الحياة الاجتماعية والشخصية. وهذه هي الصفات التي كان نبي الإسلام ﷺ النموذج الأسمى لها في حياته. وهناك من القصص والروايات الكثير مما يشهد بذلك. وعلى كل فرد مسلم أن يسعى للاقتداء لا بأقوال الرسول ﷺ وحسب، بل بأفعاله وتصرفاته التي تعد دستوراً للأخلاق الحميدة.

وكانت هذه الينابيع المقدسة جوهر تعاليم الإمام الأعظم الأخلاقية في عمله ونشاطه وحياته. ولبيان ما أسداه الإمام الأعظم لتطور الأخلاق من خدمات جليلة لابد من عرض النقاط الأساسية في تعاليمه. كان مبدأ الأول الذي تحتل مكانة سامية في تعليمات الإمام الأعظم مبدأ العدل. ولابد من الإشارة إلى أن العدل كغيره من المفاهيم الأساسية في علم الأخلاق

---

(١) صحيح البخاري
(٢) مسند الإمام أحمد

كـ لا يزال يحتل مكانة خاصة في تعاليم حكماء اليونان والعجم القدماء، ولا سيما في أعراف العجم وتراثهم. إلا أن هذا المبدأ برز في تعاليم أبي حنيفة نظرًا لتدوينه الفقه الإسلامي. فلقيت المسائل الفقهية وتحديد المعايير الشرعية مع أخذ العدل المستمد من القرآن والأحاديث النبوية في الاعتبار تتخذت قضاياه المهمة مكانها في فقه أبي حنيفة. فالعدل هو تلك المتطلبات الأخلاقية التي تحدد الأخلاق الاجتماعية وسياسة الدولة والحكام والطبائع الإنسانية الأساسية. والعدل هو المتطلبات الأخلاقية ومعيار كل صلة أخلاقية. ولا شك أنه حين يجرى الحديث عن العدل في الدولة وسياسة الدولة فإن هذه المفاهيم تجد تطبيقها في معيار القوانين وتحت حكم القانون. إلا أنها في هذا الصدد تهتم أيضًا بتطبيقها على أفراد المجتمع وتتعلق بعدالتها إلى حد ما. ومن ثم فإن أبا حنيفة يعتبر عدل المسئولين شرطًا مهمًا للعدل الاجتماعي. ويستند في بيان حكمه إلى ما ورد في القرآن الكريم. وفي القرآن ورد مفهومان عن العدل هما العدل والقسط. فورد «القسط» فيه بمعنى «العدل» في أكثر من عشرين موضعاً، مما يدل على أهمية المسألة. ومعناهما في القرآن الكريم شديد الاتساع. وفي الوقت نفسه فإن الله في هذا الصدد حدد تمامًا. فقوله تعالى في الآية ٩٠ من سورة النحل:

[illegible]

(النحل: آية ٩٠)

ويتبين من التفاسير أن الإمام الأعظم وتلاميذه كانوا يعتبرون هذه الآية من أشمل الآيات.

وهكذا فالعدل بمعناه الاجتماعي مرتبط بسلوك كل فرد، كما في بيع السلع مثلاً. فالعدل يرد كثيرًا بمعنى توازي كفتي الميزان. ففي سورة المطففين وردت إشارة إلى من يطففون موازينهم في البيع وتحذير لهم. ففي الآيات الأولى من هذه السورة يقول تعالى:

[illegible]

(المطففين: ١-٣)

والإشارة إلى العدل هنا وإن كانت موجهة للبائعين فإنها تتصل أيضًا بكل من يخادعون أو يغشون. فمن يتبعون سبيل الغش والخداع ويغالون في البيع في الأسواق اليوم يجب أن يعلموا أن الإسلام أنذرهم بأنهم سيلقون جزاءهم عن سلوكهم المشين. وكان الإمام الأعظم يدين في تعاليمه المغالاة في البيع، بل أدانها في فتاواه أيضًا، وبين بسلوكه الشخصي أن هذا ليس عملاً حسنًا ولا ينبغي للمسلم أن يقدم عليه. وكان أبو حنيفة تاجرًا أيضًا، وكان يبيع كل سلعة حسب قيمتها الفعلية. وذات مرة كانت بضاعته معيبة، فأكد على خادمه أن يبين العيب للمشترين. إلا أن الخادم نسى تنبيه أبي حنيفة وباعها بثمن أغلى دون أن يذكر ما بها من عيب. ولكن حين علم الإمام الأعظم بما حدث أمر بالبحث عن المشترى ويرد بقية ماله له. إلا أن المشترى كان سافر من الكوفة إلى المدينة، فتوجه أبو حنيفة من الكوفة إلى المدينة ورد له المبلغ الزائد. وبالإضافة إلى العدل أولى الإمام الأعظم في تعاليمه الأخلاقية اهتمامًا بثلاثة أركان أخرى من أركان علم الأخلاق وقدم لها تفسيره في كتبه في علم الأخلاق.

وأوضح أبو حنيفة في فقهه العدل وصوره من عدل اجتماعي وعدل فردى والعدل كمعيار لسائر السلوكيات.

وكان أبو حنيفة يقرن المعايير الأخلاقية بالمعايير الحقوقية، وكان يعتبرهما معًا شرطًا للكمال الإنساني. ويتضح من تعاليم أبي حنيفة عن ارتباط الحقوق بالأخلاق أن المجتمع الإنساني لا يستطيع أن يعيد من تحت الأخلاقية أو الحقوقية وحدها. بل إن أحكام الشرع توسع دائرة تطبيق المعايير الأخلاقية في بعض المواضع. كما يرتبط العدل بالحقيقة والبحث عن الحقيقة. والحقيقة كمعيار أخلاقي لها نظام محدد بين الصدق أو الكذب والصدق وقول الصدق وسائر المتطلبات الأخلاقية. وأثنى الحكماء في كل زمان على الصدق والحقيقة. وحكم القرآن الكريم هو

[illegible]

(فاطر: ١٠)

وللصدق والحقيقة مكانة كبرى في الشريعة الإسلامية عند أبي حنيفة. وكان يعتبر الحقيقة معيار الأعمال الشرعية. وكان يحكم الحقيقة أيضًا في سلوكه وأعماله. وعندما طلب منه الخليفة المنصور فتوى بحقيقة أهل الموصل أثبت صراحة عدم أحقية الخليفة. فلم يخف الحقيقة وأعلنها صريحة على الرغم من خوفه تعصى على حياته. ووضع أبو حنيفة أسس الأخلاق الشرعية وربط المعايير الأخلاقية بأحكام الشرع واستطعمها من جاء بعده من الباحثين ممن وضعوا الأعمال الأخلاقية الكبرى، ولم يقتصر تأثيرها على أتباع المذهب الحنفي، بل امتد ليشمل سائر المذاهب ومنها مذهب الإمام الشافعي. وكان أبو حنيفة ملمًا بما كتب السلف وخلا من أعمالهم في فقههم. وإلى جانب ما كتب العجم في الأخلاق كان أبو حنيفة ملمًا بما كتب أفلاطون وأرسطو في الأخلاق وإن لم يذكر اسم أى منهما، لأن هذه الكتابات انتشرت في الخلافة في أواخر عمره حتى إن ابن النديم ذكر في «الفهرست» أكثر من أربعين مصنفًا منها. وفي القرن السادس وتحت تأثير الفقه الإسلامي وترجمة الكتابات الأخلاقية في العهود القديمة تم تقسيم الأخلاق إلى موضوعات. ومن ذلك تقسيم علم الأخلاق إلى ثلاثة موضوعات في «أخلاق ناصرى» الذى دونه ناصر الدين الطوسي: الموضوع الأول: التحلي بمكارم الأخلاق وتربية الأخلاق. والموضوع الثاني: آداب رعاية الأسرة وسمو العلاقات الأسرية (ربما على ضوء تعاليم أبي حنيفة حيث ورد في كتب الأخلاق بعنوان «علم تدبير المنزل»). والموضوع الثالث والأخير من موضوعات علم الأخلاق: أخلاق الحكام وولاة الأمر ورجال الدولة أى آداب الحكم والولاية.

كانت الأخلاق في حياة الإنسان والأسرة والمجتمع والدولة تمثل الموضوعات الأخلاقية عند أبي حنيفة حيث كان يولى اهتمامًا خاصًا لنفس الإنسان واختياره ويركز على سمو مكانة سمات الإنسان والنفس الناطقة ويركن إلى التأكيدات القرآنية على فضل الإنسان وسموه على سائر الكائنات. وأخلاق الإنسان وإن كانت ترتبط بقضاء الله وقدره فإن أبا حنيفة أكد على إمكانية تهذيب الأخلاق وكمال أخلاق الإنسان. وحسن أخلاق الإنسان وقبحها ترتبط بسعيه وعمله. وخير جوانب آداب الحكم في الكتابات الأخلاقية والفقهية الحنفية هي رعاية الرعية. وبلوغ السعادة هو مقصد النشاط الأخلاقي، وصار بلوغ السعادة فيما بعد من المسائل الأخلاقية المهمة في أعمال أعلام الأدب والعلم عند الطاجيك

ودونت في هذا الموضوع كتب عديدة يمكن أن نذكر منها «كتاب التنبيه على سبيل السعادة» للفارابي و«التنبيهات والإشارات» لابن سينا. ويهتم الأدب الكلاسيكي الطاجيكي والفارسي ببيان المسائل الأخلاقية منذ القرن الأول وإلى يومنا هذا. وغني عن البيان أن هناك أعمالاً أخلاقية كبرى دونت من قبيل قصائد الأستاذ رودكي و«مثنوي معنوي» لجلال الدين البلخي، و«قابوسنامه» لعنصر المعالي كيكاوس، و«بوستان» و«گلستان» لسعدي، و«خردنامه اسكندري» لنظامي الكنجوي، و«بهارستان» لجامي. وأوضح أبو حنيفة مبادئ هذا النهج في فقهه. ولم يكتف أبو حنيفة بتضمين فكره الأخلاقي في القضايا الفقهية، بل ترك كتباً في النصح خصصها للمواعظ والأخلاق. وعلى رأس هذه الأعمال ما خصص منها لخصال العدل والاستقامة وتحصيل العلم. ولا تتصل كتبه في النصح بالحياة الشخصية أو الفردية وحسب، بل بسائر جوانب الحياة الاجتماعية بصورة وثيقة. فكانت موجهة لإصلاح حياة المجتمع. ويتضح فكر أبي حنيفة الأخلاقي في كتب النصح هذه بصورة تترك أثراً عميقاً في النفس، وهي قيمة ومفيدة من كافة الأوجه، وهي تصلح لكل الأزمان والعصور، ولأن تكون دستوراً لحياة الفرد والمجتمع. ويذكر الباحثون كتب النصح التالية لأبي حنيفة: نصيحة الإمام الأعظم لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، نصيحة الإمام الأعظم ليوسف بن خالد السمتي، نصيحة الإمام الأعظم لأبي عصمة نوح بن أبي مريم بشأن القضاء، نصيحة الإمام الأعظم لابنه حماد، نصيحة الإمام الأعظم لجمع من الرفاق وأهل الشريعة. وفي نصيحته لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الذي تولى قضاء الخلافة مدة طويلة أورد بيان التقوى والمعايير الأخلاقية وغير ذلك من الأفكار المهمة فيما يتصل بالعلاقة بالملك والناس والزوج والأسرة. وفي نصيحته ليوسف بن خالد السمتي أكد بصورة أكبر على العلاقة بالأصدقاء وآداب المعاشرة والحوار. ومن النقاط المهمة في هذا الصدد العلاقة بأتباع الأديان الأخرى. فأكد أبو حنيفة على ضرورة اتباع السلوك المناسب وحسن المعاشرة مع أتباع الأديان الأخرى وعلى ضرورة التعايش معهم. ولتحصيل العلم موقع أساسي في كافة نصائح الإمام الأعظم. وفي الوقت نفسه يمكن ذكر روايات عن سلوكه الذي يتسم بالتسامح وينم عن اقتران نصائحه بالعمل. فنصيحة الإمام الأعظم «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها» مثلاً طبقت عملياً في قصته مع الخليفة المنصور. فأراد الربيع وهو أحد رجال البلاط أن يجعل أبا حنيفة يبدو متهماً في نظر الخليفة فصار هو المتهم. فبإيراده حديثاً لعبد الله بن عباس وهو صحابي جليل، أكد الربيع على أن المرء إذا أقسم ثم بعد يوم أو يومين قال «إن شاء الله» فإنه لا يأثم. إلا أن أبا حنيفة أفتى على خلاف ابن عباس بأن من أقسم ولم يقرن قسمه بمشيئة فهو آثم. فسأله المنصور قائلاً: «هل صدق الربيع؟» فأجابه الإمام الأعظم قائلاً: «يا أمير المؤمنين، لو صدق رأي الربيع لما كانت لبيعتك من الناس أية فائدة. فيبايعك أحدهم وبعد أن يعود لداره يقول «إن شاء الله» فلا يكون لقسمه أي أثر ولا يكون آثماً في حالة حنثه بيمينه». وما أن سمع المنصور رد أبي حنيفة حتى قال للربيع: «لا يمكن لك أن تدينه». وبعد انقضاء المجلس قال الربيع لأبي حنيفة: «كادت روحي تزهق اليوم». فقال الإمام:

«لكن هذا ما تضمره أنت لي. ولكني لم أفعل سوى أن دفعت عن نفسي» (شبلي النعماني. ملامح الإمام الأعظم (بالطاجيكية). دوشنبه. ص ١١٣-١١٤). كما تؤكد الروايات على أن رد أبي حنيفة على الخوارج كان بجدارة بالغة القوة.

وفي النصائح التي أسداها لأبي يوسف يدور الحديث عن العلاقة بالملك. وهناك بعض النقاط المهمة فيها مما يمكن ذكره عن آداب العلاقة بالملك. ومنها عدم الكذب في حضرة الملك، والامتناع عن كثرة التردد عليه، والامتناع عن الثرثرة، ومعرفة قدر الذات ومقدار الناس. عدم قبول المرء ما يسند إليه ما لم يكن بمقدوره أداؤه. وأن ينأى المرء بنفسه عن حاشية الملك طالما ظل في خدمته. ويستشف من هذه العبارات أن أبا حنيفة كان يولي اعتباراً كبيراً لإدارة شؤون الدولة وخصال عمال الدولة والسلوك اللائق. فهو لم يكن يريد تشتيت انتباه الحاكم، فحين ينصرف الحاكم عن مسائل الحكم ويغفل عنها يقع في الخطأ نتيجة للكذب. وكان يعتبر الصدق في العمل والسلوك وحسن التعامل بين الناس والمجتمع والرحمة بالصغير والمسن من أهم الواجبات الأخلاقية. فالرحمة والعطف والشفقة من الصفات الإنسانية والإسلامية. فالنبي ﷺ قال: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا»[3]. وهذا الحديث الشريف ورد ذكره في بيان أبي حنيفة الأخلاقي ولا سيما في كتبه في النصح.

وكما ورد في علم الأخلاق فإن نصائح الإمام الأعظم شملت المجتمع والأسرة وكل فرد على حدة. ولا بد لنا أن نتعرف بشكل أفضل وأوضح على تعاليم أبي حنيفة الأخلاقية يجب أولاً أن نطالع أعماله النافعة للدين والأمة القيمة. ويجب أن تتدارس أعماله التاريخية وأقوال تلاميذه ومعاصريه. وفي هذا الصدد يبقى تأمل مسألة الحسن والقبح والسعادة وما يتصل بالأسرة ورعاية الأسرة ثم يرتبط بالأخلاق وتطوير الأخلاق بصورة أفضل. وغني عن الذكر أن هناك فئة من السلوكيات تندرج في المجتمع الإسلامي ضمن الخير وفئة أخرى ضمن السوء. وربط أبو حنيفة الحسن والقبح بكافة الأحكام من منظور الشريعة الإسلامية وحددهما في ضوء المعايير الإسلامية نفسها. وكان يعتبر الحسن والقبح مرتبطين بالخير والشر واستخدم في وصف الخير وميل الناس إلى الشر. وكان يرى أن الخير والشر مرتبطان بتقدير الله واعتبر الإنسان مسؤولاً بناءً على ما لديه من حرية الاختيار. وهو يوصي بضرورة معرفة الخير والشر أولاً ثم السعي إلى الأعمال الخيرة حتى يطهر الإنسان نفسه بحسن السلوك والفكر ويتخلص من سيئ الأعمال.

وكثير من هذه التعاليم ما يعد ضرورياً من أجل تقدم المجتمع اليوم وحل المشكلات الاجتماعية على ضوء هذه التعاليم الأخلاقية يؤدي إلى حسن المجتمع حسناً ويحصنه. والاقتداء بها يخلص مجتمعنا من بعض المشكلات التي تواجهه اليوم.

وطاجيكستان التي تمر اليوم بحقبة من الإحياء الثقافي وتتجه نحو إنشاء مجتمع مدني تعتبر ترسيخ الأخلاق الاجتماعية مسألة استراتيجية مهمة في هذا السبيل. والأخلاق الاجتماعية لمجتمع اليوم وتطوره إلى مجتمع ديمقراطي ومدني يشمل مسائل تحدد

[3] مسند الإمام أحمد.

بالضرورة المعالم المعنوية للجمهورية في المستقبل. وهي أولاً وقبل كل شيء تطبيق الحريات الفردية وتنوع الفكر وامتزاج العناصر الأخلاقية المؤثرة والأعراف الأخلاقية السامية، والسمو بالمسئولية عن حاضر الجمهورية ومستقبلها ونشر مبادئ التعايش والحلم وحسن العمل والكف عن كافة أشكال الضغط والعنف مما يعد معيارًا لأخلاق الفرد وفئات المجتمع وتطبيقًا للاحترام ومشاعر الأخوة في المجتمع. فهل هناك في مجتمعنا اليوم أعمال أنجزت في هذا الاتجاه؟ لا شك أن هناك محاولات مهمة تمت في هذا الاتجاه، منها تقبل القوانين والتنظيمات التي تنظم حرية المواطنين وحرية نشاطاتهم، ومراعاة القوانين التي وضعت لصون المجتمع وتطبيق الخطط التي تخدم مجالات المعرفة والثقافة. وهي أمور ترتقي بالأخلاق الاجتماعية وتدعم وحدة المجتمع وتماسكه. وربما نمكن ذكر الإصلاحات التي جرت في مجال المعارف التي ينعم بها كافة أفراد المجتمع على سبيل المثال. واتباع الطرق التعليمية الحديثة ورفع مستوى التعليم والتربية الأخلاقية كلها تحتل مكانة رفيعة. وبفضل التطور الثقافي المعاصر في طاجيكستان تم إحياء الكثير من التقاليد والقيم الثقافية وامتزجت بالعناصر الثقافية المعاصرة، وأصبحت الأهداف الأساسية لهذه الأعمال الثقافية تشجيع الأخلاق الحميدة. وفي تربية أخلاق المجتمع هناك ثلاثة عناصر مهمة معاصرة تحتفظ مكانتها، هي سيادة القانون أي مطابقة كل تصرف للمرء مع أحكام القانون، مبدأ القانون للجميع بما في ذلك الحكومة والمواطن، ومسئولية الدولة في إيجاد المناخ الملائم. وتم القيام بكثير من الأعمال من أجل تطبيق هذه العناصر في المجتمع.

فنشهد اليوم نشاطًا حرًا تمارسه ثمانية أحزاب وما يقرب من ١٥٠٠ جمعية أهلية في الجمهورية. وأنشطتها المثمرة مكفولة، وتتم مناقشة مختلف قضايا الحياة في المجلس من جانب الأحزاب والجمعيات. ومن خلال أنشطتها تترسخ عناصر أخلاق المجتمع الديمقراطي في طاجيكستان وتزدهر. والمكانة التي يوليها المجتمع للتربية الأخلاقية لا سيما لدى الشباب تجعل من الممكن أن ينتشر تأثير المبادئ الأخلاقية السامية بين مختلف طبقات المجتمع في المستقبل وتجعل مجتمعنا الأخلاقي يتخذ المزيد من سمات المجتمع الديمقراطي المعاصر. ويتم تشجيع الأخلاق المعاصرة بحيث يمكن لها بالإضافة إلى تقاليد الأخلاق الوطنية ولشرائح الطبقات الاجتماعية وثمرة جهد كل شخص في المجتمع أن تضيف في مجموعها حسنًا جديدًا. وإلى ذلك يجب أن نضيف أن كافة النزعات الأخلاقية تبدو واضحة في المجتمع المعاصر بما في ذلك طاجيكستان. ومما لا شك فيه أن من الطبيعي أن يواجه المواطنون مصاعب جمة في البلدان التي تواجه مشكلات اقتصادية كبرى، وهو أمر يلاحظ في مواضع أخرى إلا أن مشكلات المجتمع الاقتصادية تضاعفها إلى حد ما. من ثم فمهمة الدولة وأفراد المجتمع هي أن يهيئوا ظروفًا أفضل للعمل والنشاط وسبلا أخلاقية أفضل لكسب الرزق والمعاش لكافة أفراد المجتمع والارتقاء بالتربية الأخلاقية في الأسرة والمدرسة والمجتمع بأسره. ويجب الارتقاء بدور الأسرة في تربية الأبناء ورفع مستوى المعلومات ونشر الأخلاق الحميدة. وكثير من أرباب الأسر وعلى الرغم من ثرائهم يولون القليل من الاهتمام لتنشئة الأبناء ولا صلة لهم بالمدرسة. والنتيجة أن

[illegible] في مثل هذه الأسر لا يحصلون تربية [illegible] [illegible] حنيفة يحض على صفاء الصلات وتقاربها في الأسرة. وبين سمو مكانة المرأة واحترام الأب والزوج وحسن تنشئة الأبناء. وهو يؤكد على أن الأسرة يجب أن تقوم على أساس التفاهم والاحترام [illegible] ومن [illegible] شرعية حقوق [illegible] الزوجين والوالدين والأبناء أساسية وأكد على علاقات الأسرية. وحدد في فقهه مبادئ النكاح والطلاق والإرث وحقوق كل عضو في الأسرة. وعلى [illegible] ذلك قامت أحكام الحياة الأسرية على مر القرون. وهذا الإقرار بالحقوق الأسرية من أهم ما ورد في فقه الإمام. وتأثير المبادئ التي حض عليها أبو حنيفة واضح في العلاقات الأسرية الحالية لدى شعب[نا] بل إنها تساعد في بعض المواضع على تطبيق [قانون] الأسرة لجمهورية طاجيكستان. وقانون الأسرة في جمهورية طاجيكستان ليس مجرد معايير قانونية [وضعت] تحت تأثير المعايير القانونية لعالم اليوم بل إنه [أخذ] في الاعتبار روح ومضمون السنن الدينية لشعبنا [أيضًا]. ويرى أبو حنيفة أن الأخلاق أو النظام الأخلاقي عبارة عن الأخلاق الأساسية (المبادئ الأخلاقية) والأخلاق الوصفية والأخلاق النظرية. والأخلاق الأساسية: هي معرفة السلوك الصحيح والخطأ. و[هذا] النوع من الأخلاق يعتبره أبو حنيفة أساسيًا في فقهه. والأخلاق الوصفية: هي فكر الناس عن صواب هذا الفعل أو ذاك أو خطئه مما يؤخذ في الاعتبار في وصف الأخلاق. أما الأخلاق النظرية فتعنى بالحكم الأخلاقي وشرح المفاهيم والمعايير الأخلاقية. وفي أعماله الفقهية أضفى أبو حنيفة قيمة كبيرة على هذه النقاط وحدد محاسن الأخلاق من منظور الشريعة الإسلامية آخذًا في اعتباره رأي الناس في السلوكيات الحسنة والسيئة. فهو يعتبر معاملات الناس وما استقروا عليه مصدرًا لأحكام الشرع ويقدر كثيرًا من سلوكيات الفرد من منظور العرف. والحقيقة أن الفرد نفسه يحسن الحكم على حسن السلوك وسوئه. ومنبع معايير حسن الأخلاق وسوئها والمقبولة بين الناس هي الفطرة الإنسانية ولا حاجة لها إلى مزيد من الشرح والإيضاح. والمقصود بالأخلاق هو ذلك الفرع من المبادئ والنظام الذي يؤدي العمل به إلى استقرار المجتمع. ومسألة مبادئ حمل الأمانة هي المبدأ الأخلاقي الذي يجمع عليه الناس في العالم بأسره. من ثم فالخلق وحسن السلوك لا يتغيران في كل زمان ومكان وهما سواء عند البشر جميعًا ولا تختلف عليهما أية حضارة. أي أن الأخلاق هي ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات مهما كانت للإنسان من مميزات غيرها كالتفكير واللسان، فالأخلاق هي أسمى ما يميز الإنسان وهي أفضليته. والمجتمع المتحضر الذي نبنيه ينبغي أن يتحلى بالأخلاق التي تحفظ المجتمع. لذا فعلينا أن نعمل على تطوير أعرافنا الأخلاقية وتكامل إفادة أفراد المجتمع جميعًا منها وأن تتبع المعايير الأخلاقية لكافة البشر. ومجتمعنا بصورة عامة يتحلى بمحاسن الأخلاق. ولكن هذا لا يسري على تصرفات كل أفراد المجتمع وسلوكياتهم. فمن بين الشباب هناك من يضطرون للإقدام على تصرفات سيئة ويضرون مجتمعهم بما يقدمون عليه من سوء الأفعال ويؤذون المحيطين بهم. ولا شك أن المعايير القانونية المحددة في القانون تقدر بعضًا من هذه السلوكيات وتسد الطريق أمام التصرفات السيئة، ولكن يجب أن تحتل الأخلاق مكانًا أساسيًا في علاقات الناس. وهناك معايير وسلوكيات تكتسب قيمتها من النزعة الإنسانية، أي

ليست لها معايير قانونية. وهذه يعين المجتمع على تنشئتها وصلاحها عن طريق الترغيب في حسن الأخلاق. وفي هذا الصدد يمكن أن يحتل تنفيذ حسن الأخلاق والترغيب فيها ولا سيما المبادئ الأخلاقية والسلوكيات الخاصة بالأسلاف مكانها اللائق بها.

وفي فقه أبي حنيفة يرد وصف العدل والكمال الإنساني. ويعتبر الظلم أساس نقض الأخلاق. لأن رفع الظلم والجور والاعتداء على حقوق الغير له مكانة خاصة فيه. وورد فيه أن حسن العدل وقبح الظلم لهما مصدر فطري وهما من مسائل التوحيدية. وهذه العقيدة تم التوسع في شرحها فيما بعد في علم الأخلاق وأسفرت عن نشأة النظرية الأخلاقية العقلية.

ويعتقد الإمام الأعظم أن الخلق حصن أسس الكمال والسعادة في حياة الإنسان ودينه حتى تصبح عملاً يساعد على كمال الإنسان أخلاقيًا. ويحدد العقل تصرفات المرء بتوجيه من هذه الهداية الفطرية. ويرى الإنسان الفضائل وكذا الرذائل في مرآة الفطرة ويميز بينهما، ومن هنا فإنه يستحسن العدل والاستقامة والمروءة وغير ذلك. وفي هذا الصدد يمكن تفسير سمات عنصر الفطرة كما بينه الإمام الأعظم والأعمال الأخلاقية الفطرية لا ترتبط بزمان أو مكان ولا شعب أو عرق. بل لها صفة العمومية.

تبين المصادر التاريخية والروايات المتعلقة بنشاط الإمام الأعظم أن سلوكه وأخلاقه الشخصية صارت نموذجًا يحتذى على مر العصور. وتنسب إليه الباحثون خير الصفات الإنسانية. يقول محمد الأنصاري «في كل حركاته وسكناته، حتى في حديثه وجلوسه وقيامه كانت أمارات العلم والفراسة تبدو واضحة على الإمام أبي حنيفة» (سيماى امام اعظم ابو حنيفه (ر). الترجمة الطاجيكية لـ صبرة النعمان» لشبلي النعمان. دوشنبه، ٢٠٠٩، ص ١٦١). ويقول علي بن عاصم «لو وضعت عقول نصف رجال الدنيا في كفة ميزان وعقل الإمام أبي حنيفة في الكفة الأخرى لرجحت كفة عقل الإمام» (المصدر نفسه، ص ١٠١ - ١٠٢). وفي سلوكيات الإمام نلاحظ طباع العدل والإنصاف والتقى وحضور النفس والتواضع والتسامح والسخاء والهدوء وحب الخير في أعلى درجاتها وفي ذروة كمالها. وهناك في هذا الصدد روايات وافرة تنم عن نموذج الإمام الأعظم الرفيع في حسن الأخلاق. فكانت رقة قلبه تصل إلى حد الحزن الشديد لرؤية من أصابتهم مصيبة. وذات مرة جاء رجل إلى حلقة المسجد وقال إن فلانًا سقط من فوق السطح. فأسرع الإمام الأعظم من فوره وهو حافي القدمين إلى دار هذا الرجل واشتغل بمواساته ومداواته وظل يعوده كل صباح حتى نهاية مدة مرضه. ولكنه كان إذا ألمت به حادثة يصبر ويتحمل. وكان يعف عن الغيبة ويصون لسانه من القبائح.

وكان شديد الزهد كثير التعبد. وكان شديد الورع في تعبده. تقول زائدة (وهي من مشاهير فقهاء عصر الإمام) «أردت أن أسأل الإمام أبا حنيفة في أمر ضروري. فذهبت وأديت صلاة العشاء وراءه. ثم انتظرت إلى ما بعد أداء صلاة النوافل حتى أسأله فاشتغل بتلاوة القرآن. وعندما وصل إلى الآية

﴿ وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾

(الطور: ٢٧)

ظل يكرر الآية حتى الصباح». ومن صفاته الأخرى التي ما فتئ الباحثون يوردونها في كتاباتهم سخاء أبي حنيفة وصدقه في العمل. يقول تلميذه أبو يوسف الذي لازم الإمام في قضاء الخلافة فترة طويلة: «كان شديد الجود ولم يكن يعلن عن حاجته لأحد. وكان يستهين بالمنصب والجاه والثروة في الدنيا. كما كان يجود بماله. وكان شديد الجود في نشر العلم أيضًا». وذات مرة ذهب الإمام لعيادة مريض. وفي الطريق التقى رجلًا كان مدينًا للإمام. فغير الرجل طريقه لكن الإمام الأعظم ناداه وسأله عما جعله يغير طريقه. فأجابه الرجل قائلًا: «أنا مدين لك بألف درهم. فاستحييت منك لأني لم أرد دينك». فتنازل الإمام أبو حنيفة له عن دينه.

وفيما يتعلق بحرمة الوالدين فقد تناولها الإمام الأعظم في فقهه في ضوء آيات القرآن وأحاديث النبي. وكان هو نفسه مثالًا يحتذى فيها. فالإمام أبو حنيفة حرم من أبيه قبل بلوغه وظل في رعاية أمه. وكان أبو حنيفة يتفانى في خدمتها دائمًا. وكانت أمه تثق في الوعاظ. وكان في الكوفة واعظ يدعى عمرو بن ذر. وكانت أم أبي حنيفة تكن له ثقة واحترامًا كبيرين. وكانت تأمر ولدها ألا يسأل غيره في شئون الدين. وكان يطيع أمر أمه وكان يلجأ إليه للسؤال في شئون الدين ويعود إليها بالرد. إلا أن عمرًا كان دائم الاعتذار قائلًا: «كيف ينبغي لي أن أفتح فمي أمامك؟». وكان أبو حنيفة يقول له: إن هذه رغبة أمي. وفي كثير من المواضع كان عمرو لا يعرف ردًا للتساؤلات وكان يطلب من أبي حنيفة أن يقول الرد ثم يردده. وكانت أم أبي حنيفة تذهب بنفسها أحيانًا للسؤال عن أمر يعن لها. وكانت الأم تركب وأبو حنيفة يمشي. وكان يحدث كثيرًا ألا يعرف عمرو جواب تساؤلاتها وكان يسأل أبا حنيفة ثم يقول الجواب لأم أبي حنيفة. وذات يوم سألت الأم أبا حنيفة في أمر عن لها فأجابها. ولكن لكي تقتنع الأم سألت عمرًا فقال لها ما قال أبو حنيفة. قال عمرو: «جواب أبي حنيفة صحيح». فاقتنعت الأم. يتبين من ذلك أن أبا حنيفة على الرغم من أنه كان هو الذي يجيب عن تساؤلات الأم فإنه كان يلبي أمرها دون تردد. وكان يأخذها إلى عمرو أو يحمل تساؤلاتها إليه. ما يدل على سمو احترامه أمه.

أسس الفقه الحنفي شروطًا محددة للزوج والزوجة منها رضا كلا الطرفين واحترام كل منهما الآخر وتربية النشء الصالح والمحبة والعفة والطهر وتحديد واجبات كل من الرجل والمرأة. ومن واجبات المرأة القيام بشئون البيت والعفاف والطهر في علاقاتها والامتناع عن كل ما لا يليق مع زوجها وتنشئة الأبناء وحسن معاملة زوجها. وكذلك يجب على الرجل أن يكون حذرًا في علاقته بزوجته وألا يتركها وأسرته دون نفقة. وعلى الزوج أن يولي زوجته احترامًا وكرامة وألا يؤذيها وأن يبدي لها المحبة والخير دائمًا. وتطبيق هذه الأحكام من شأنه أن يرسخ دعائم الأسرة. والإسلام وهو دين الاعتدال يرفض الرهبانية التي تدعو إلى ترك الدنيا والامتناع عن الزواج. فاعتبر الزواج من السنن التي تدعم الأسرة بحكم الشرع ويحرم العلاقة بين الرجل والمرأة خارج نطاق الزواج.

والمسألة الأهم هي تنشئة الأبناء. وتعد أعمال أبي حنيفة ونصائحه خير دليل لتربية الأبناء. فأبو حنيفة يعتبر تعليم العلم للأبناء من أسمى واجبات الوالدين. وعندما يتأمل المرء تنشئة الأبناء على ضوء تعاليم أبي حنيفة يدرك كثيرًا من متطلبات تنشئة الأبناء في أسر مجتمع اليوم. ومن ذلك على سبيل المثال تأكيد أبي

حيث على عمد سياسة الوقف دون حظر وعمد العودة
على إبداء الشباب الركيكة والعامية الشعر وإبداء
الشباب الخبيثة، والمحاكاة بالشخصيات المعروفة.
ووسط تنشئة الأبناء في الأسرة والمدرسة فالشباب من
خلال اليوم نحو إبداء الشباب عن الثقافة والتحصيل
العلمي والأولويات المرحلة بل عملت وزارة التربية
لاتخاذ قرار خاص بحظر الفوضى في الثياب، لأن
هذا من شأنه أن يضعف من حب الشباب للمطالعة
والعلم وإقبالهم عليهما ويغرس في نفوسهم حب
المظهرية والسلوكيات العقيمة. وتعد مسألة التعليم
والتربية اليوم من الأمور التي تحظى بالأولوية في
البلاد فقد أولت الحكومة اهتماما جديا بتطوير
التعليم وفي زيادة مخصصاته باستمرار. ولفتت
المسؤولين إلى تطوير التعليم ورفع مستوى معلومات
القراء وتوجيه الشباب لتعلم مستحدثات العصر في
البلاد. وفي هذا المجال يكتسب نداء قائدنا لتعليم
الحديث أهمية خاصة وفي تربية جيل الشباب يعتبر
تعاون الأسرة والمدرسة شرطا أساسيا لنجاح
التعليم وتعمل الدولة على تهيئة الظروف اللازمة
لهذا التعاون بينهما وتعمل بصورة خاصة على رفع
مستوى المعلم وتشجيع القراء على التعلم والتشبث به
ثقة في هذا الشأن ومن مستحدثاته التي تم تعزيزها
وسوء استخدام الآلات الحديثة والانشغال بها يخل
بمسار التعليم.

كان الإسلام يحض على المحبة بين الناس والأخلاق
الرفيعة بينهم ويعتبر تربية الفضائل والسلوك
الحسن ضرورة وكان يسعى أن يحفظ عقول العامة
عن وجه الفطرة السليمة والتوجه فالدين لا يحض
على تربية الفضائل الحسنة وحسب، بل ينهى عن
الشيء من الصفات وقبحها، ومن آيات القرآن ما
هو بمثابة دستور أخلاقية تضمن للإنسان السعادة في
حياته وتحض على الخلاص من السلوكيات القبيحة
على سبيل المثال فالآيات ١٥١ - ١٥٣ من سورة
الأنعام والتي تحض على التحلي بالصفات الحسنة
وتنهى عن الصفات السيئة تعد بمثابة دستور
أخلاقية.

[illegible]

(الأنعام ١٥١ - ١٥٣)

هذه الدساتير الأخلاقية القرآنية العشرة هي أساس
النظرية الأخلاقية للعقيدة تسمع لدى الإمام الأعظم
أبي حنيفة هو نفسه - يطبقه ويحض غيره على تطبيقه.
وكسب المال والنعمة أمر عزيز في الفقه الحنفي
وهو ليس محرما، بل إنه يعتبر أن العمل والكسب
والنشاط القويم له ثواب كبير، ويعتبر ما يتركه الإنسان
من بعده من ثروة حلال خيرا، وهو في الوقت نفسه
ينهى عن كنز المال ويعتبره من السيئات ويحرم الربا
وتبين الأعمال الفقهية لأبي حنيفة أن الإنسان
والمجتمع لا ينبغي أن ينشغلا بهوس تكديس المال
والثروة، إذ أن المجتمع في هذه الحالة يصبح عرضة
للصعاب الأخلاقية والمثل الإنسانية السامية فتهدي
المجتمع إلى القيم البشرية الرفيعة وتنشر الثقافة
والفضائل وفي الوقت نفسه تكفل تقدم المجتمع وفي
هذا الصدد يمكن القول إن الدين يشكل حجة كبرى
لتقويم أخلاق المجتمع، فهو يتحدث عن الأفق السامي
الذي يهدي العقل وعن الأحكام التي تحكم حياة كل
صاحب دين ويحثه على اكتساب القيم الأخلاقية
الرفيعة. ومما لا شك فيه أن إدراك كثير من القيم
الإنسانية ممكن بالعقل والفطرة الإنسانية، إلا أن هذا
الطريق صعب ويداخله الشك ولا يمكن لكثير من
الناس أن يدركوا صدقه، وفي هذا الصدد فإن تعاليم
حسن الأخلاق تثير في الإنسان السعي لإدراك القيم
الأخلاقية. ومن يرى تعاليم الأخلاق السامية التي
وردت في الفقه الحنفي بفطرته السليمة وعقله
يحس بسمو تعاليمه في حقيقة الأخلاقية، وكيف تيسر
إدراك ميزان معرفة حسن العمل وقبحه في الفقه
الحنفي أمكن التعرف على حسن السلوك وسوئه
بوضوح. وتعاليم الفقه الحنفي تعتبر معرفة حسن
الأخلاق وقبحها أمرا عقليا ووجدانيا ويتخذ من
الضمير شاهدا في الحكم عليها، إذن فالضمير هو
الحكم في المعرفة الأخلاقية. ومبادئ حرية الضمير
التي تعد في عصرنا نموذجا للقيم الأخلاقية هي التي
تحمي ما اكتسبه الإنسان من حريات في مجتمع
طاجيكستان. وحرية الضمير التي هي أولا حرية
العقيدة الدينية وأي شكل آخر من أشكال العقيدة
مكفولة تماما من الناحية القانونية وإن القانون الخاص
الذي تم إصداره بشأن حرية الضمير يهيئ الفرصة
كاملة لكل شخص في العبادة والتعليم الديني وكل
مواطن له كامل الحرية في اختيار عقيدته الدينية وأداء
شعائرها. وتكفل الدولة صون حقوقه وقانون
حرية الضمير والتنظيمات الدينية ينطبق مع
المواثيق الدولية لحرية الضمير ويعكس التعهدات التي
التزمت بها طاجيكستان بتوقيعها المواثيق الدولية.
والجانب المهم في هذا القانون أنه يعكس تطابق
المعايير مع القيم الأخلاقية التي تمثل أخلاق الشعب
الطاجيكي وأعرافه الرفيعة.

وأخلاق المجتمع مسألة تخرج عن نطاق الشعب
والأمة وتتسم بطابع إنساني عام ولا تقتصر القيم
الأخلاقية على نطاق خاص بالناس وهي من ناحية
تشمل سلوك كل فرد في المجتمع وكل فئة في الأمة.
ومن ناحية أخرى هناك قيم تحدد سلوك البشر كافة
وكل واجبات كل فرد وكل جماعة وأمة ودولة
محددة، وواجب الشعب في بلادنا هو تطويرها
أخلاقيا في ضوء هذه القيم الوطنية والمبدئية للشعب
الطاجيكي والبشر كافة من أجل السعادة للناس من
تعاليم علماء العلم والثقافة والدين تتفق لا مع القيم
الأخلاقية للمجتمع المعاصر وحسب، بل مع أكثر
الأخلاقية في معظم النواحي وتعمل على تقدم المجتمع
أخلاقيا ومعنويا، والأهم في هذا المجال تربية الشباب
أخلاقيا. فالتطوير المعنوي للمجتمع ومستقبل الأمة
والبلاد يرتبطان بتهيئة مناخ أخلاقي سليم للشباب.
والاحتفال بذكرى الإمام الأعظم ونشر التعاليم
الأخلاقية لهذا العالم يساعد على فهم القيم الأخلاقية
في مجتمع طاجيكستان المعاصر وتحسين المناخ
الأخلاقي ورفع معنويات الشعب في كافة الجوانب
ونشر العدل وحسن السلوك في المجتمع ويدعم
التفاهم والتسامح والسلم والأمن ورفاهية المجتمع

نظرة إلى موقف الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان من علم الكلام

بقلم: أ.د. سعيد [illegible]
ترجمه عن الطاجيكية: د. [illegible]

ان قضية انشغال الامام الاعظم ابى حنيفة النعمان (رحمه الله) بعلم الكلام وان كان امرا ثابتا الا ان هناك من المحققين من ينظر اليه بنظرة الشبهات. ولا سيما المعتزلة الذين يدعون أن ابا حنيفة لم يؤلف كتابا فى هذا العلم وان المؤلفات التى تعزى اليه مثل الفقه الاكبر والعالم والمتعلم لا تصح نسبتها اليه. وان المواقف التى اتخذها بعض الفقهاء وبعض المذاهب الاسلامية تجاه علم الكلام قد تقوى لدى البعض تلك الشبهات. فعلى سبيل المثال. ذهب الامام مالك (رحمه الله) إلى أن علم الكلام لا يعد من أصول الدين بل يسمى من انشغل به بأهل البدع والأهواء [١].

وكما ثبت أن الإمام الشافعى (رحمه الله) قال «حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشائر والقبائل. هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على كلام أهل البدعة» [٢] وحتى إن الإمام أبا يوسف لا يجيز الصلاة خلف المتكلمين [٣] ومن الذين اتخذوا موقفا صارما من علم الكلام الإمام أحمد بن حنبل، حيث اعتبر المتكلمين من الزنادقة [٤]

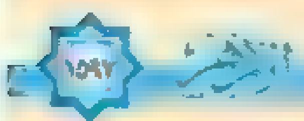
وكما يستفاد من أخبار العلامة الكردرى فى كتابه: «مناقب أبي حنيفة» أن الإمام نفسه كان ينهى على ابنه حماد ألا يخوض فى علم الكلام. والروايات والأخبار فى هذا الباب كثيرة. ولكن الظاهر أن الإمام الأعظم كان يشتغل بعلم الكلام أو بعلم العقائد بتعبير أدق وخلف مؤلفات فى هذا المجال. وقد ثبتت نسبة عدة كتب مثل الفقه الأكبر والعالم والمتعلم والوصايا إلى الإمام أبى حنيفة نسبة صحيحة فلا طائل من وراء البحث فى هذا المقام وان الشبهات التى تثار حول هذا الموضوع لا يلتفت إليها. ولكن الأمر الذى يهمنا هو أى نوع من علم الكلام كان موضع مؤاخذة المدارس الفقهية. والكلام فى هذا المقام يتركز على ما كان يدور من مساجلات كلامية فى أواخر حياة أبى حنيفة الذى بدوره كان يميل فى البداية إلى هذا العلم ثم عدل عنه ومنع ابنه من الاشتغال به.

وبعد ظهور المرجئة والقدرية والجبرية والباطنية والظاهرية اتسع نطاق البحث حتى إن الوضع أدى بالمسلمين إلى أن يخوضوا أحيانا فى نقاشات غير علمية تعارض نوعا ما عقيدة أهل الحديث والسلف الصالح وتستند إلى أصول وقواعد واستدلالات لا تتفق مع منهج الصحابة والتابعين. وأضف إلى ذلك أن علم العقائد وإن كان أساسا لعلم الكلام إلا إنه لم يكن يتكون من أبحاث كلامية مطلقة. وإنما كان جزءا من الفقه العقائدى، وبعبارة أخرى كان علم الكلام يمر بمرحلة التكوين. فلهذا يخبر فرقسون عندما يتحدث عن الصدر الأول لظهور علوم الإسلام أن شرح العقيدة كان من قبل السلف الصالح، أى إن فى هذه المرحلة من انتشار الإسلام كانت مسائل العقيدة تستمد من القرآن الكريم وتنشر بين الناس [٥]. والكلام هنا يدور حول أصول الإيمان والتى سماها ابن خلدون «التكاليف القلبية» وهى عبارة عن ستة أركان: الإيمان بالله والملائكة والكتب السماوية والرسل واليوم الآخر والإيمان بالقدر. وإن أصول العقيدة وإن اختلفت عن التكاليف البدنية إلا أن بين الجانبين ارتباطا قويا، حيث يطرق علم الفقه أحيانا إلى دراسة المسائل العقائدية. فبناء على ذلك لم يكن عدم ارتياح أئمة الإسلام نحو علم الكلام ناتجا عمّا يتعلق بالفرائض والواجبات والسنن، وإنما كان اعتراضهم على مباحث كلامية حشوية صرفة لا طائل من ورائها.

ويرى بعض الباحثين أن الدراسات الكلامية فى تلك المرحلة لم تكن تقوم على القياس المنطقى وإنما كانت تشبه السفسطة. وكما هو معروف أن البحث السفسطائى لا يهمه الوصول إلى الحقيقة وإنما يهدف إلى حمل الآخرين على معتقده، كما حدث فى اليونان القديم أن طائفة كانوا يروجون الأفكار السفسطائية وكانوا يستغلونها لصالحهم، وذلك بجانب منطقية سقراط. وهذا النوع من

(١) سعيد [illegible] ... [illegible]
(٢) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري
(٣) نفس المرجع
(٤) نفس المرجع
(٥) [illegible] فرقسون «علم الكلام»





البحث وإن كان يتسم بالسلامة المنطقية في الظاهر، بيد أنه في حقيقة الأمر يحمل في طياته خطأ منطقياً. ومن هذا القبيل الحكم بأن ما لم تفقده فأنت مالكه، فإنك لم تفقد القرن، إذن أنت لك قرن.

وإن محاولات المتكلمين التي استكرهت الفقهاء تشبه هذه السفسطة ولا تنسجم في الحقيقة مع طبيعة الدين الذي أساسه اليسر. وكان ازدهار العلوم الإسلامية يسير وفق متطلبات العصر وحاجة المسلمين. وقد فرض ظهور الفقه والمدارس الفقهية ضرورة تنظيم أفعال واعتقادات المسلمين عامة والأحكام الشرعية خاصة. فنظرا لأن لأحكام الإسلام مكانة عالية فبعد انتشار الإسلام ظهر علم جديد [illegible] الأحكام وتمحيصها وتدقيقها وسمي هذا العلم الجديد بالفقه. ومن معاني الفقه في اللغة الوقوف والاطلاع ودرك الأمور الدقيقة والخفية، أي الوقوف على الأحكام الشرعية.

وإن تعريف الفقه وسرد فضائله مسألة لا تتصل ببحثنا وإنما نريد أن نبين هنا العلاقة بين الفقه وعلم الكلام والقواسم المشتركة بينهما وفق ما ذكره المحققون. وكثيرا ما يرتبط علم الفقه باسم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي كان يتمسك بالاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية. فإذا دار الحديث في الفقه في مسائل العقائد، كان التعويل أيضا على القرآن والسنة في الاستدلالات العقلية والنقلية من خلال ذكر وتفسير الآيات المتعلقة بمسائل العقيدة ونقل الأحاديث النبوية. فإذا ما أرادوا أن يضيفوا شيئا زائدا على ما ذكرناه جنحوا إلى التمثيل الذي هو جزء من هذه الأدلة والذي يعتمد على مصادر الإسلام. وحسب ما يقوله فولفسون كانوا يستخدمون التمثيل كثيرا في مسائل الإيمان. وهو غالبا ما يتم بصورة التشبيه. فمثلا قال سيدنا عمر (رضي الله عنه) لبعض قضاته: «ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور بنظائرها»[6].. وكان يستخدم هذا النوع من القياس (التمثيل) في الفقه منذ بداية ظهوره. وفي الفقه أيضا كان يتم مناقشة مسائل الإيمان بالرجوع غالبا إلى استدلالات تجاربية وعاطفية. وإن الاستدلال النقلي كان هو الأغلب والأشهر بالنسبة للاستدلال العقلي والنظري. كما أن هذه المرحلة كانت عصر جمع وتدوين للأحاديث ولم يكن تم بعد احتواء جميع مسائلها وموضوعاتها.

وفي السنوات الأخيرة من حياة الإمام الأعظم اتسع نطاق الرأي والرجوع إلى الاستدلالات العقلية، لأن في هذه الحقبة من التاريخ تطورت لدى المسلمين عملية ترجمة الآثار القديمة لفلسفة اليونان والعجم وبحسب ابن خلدون «بدأ نشاط تأليف الرسائل»[7]. بيد أن الإمام الأعظم تمسك بأصول وقواعد كان يستخدم من خلالها العلم والقياس بطريقة أخرى وغلب اهتمامه إلى الاستدلالات العقلية في تناول قضايا الإيمان.

(7) مقدمة ابن خلدون

لقد عاش الإمام في زمن كان ينتابه التوتر والثورات. والتحركات المعادية للخلافة الأموية كانت قد بلغت ذروتها وظهرت بلدان ودويلات خرجت على طاعة الخليفة. وعلى عهد الأمويين وإن كانت الدولة تعول على الدين كأساس للسياسة في الظاهر إلا أنها تبنت الانحياز للقومية العربية وكانت تلاحظ ظاهرة فصل الدولة عن الدين. وكانت الحركات الشيعية بدورها تهدف إلى إزالة هذه الأفكار. وإن تولي العباسيين لزمام الأمور وإن كان نتيجة محاولات للوصول إلى الخلافة لمنع هذه العنصرية والانفصال وإن اضمحل نفوذ العنصر العربي إلى حد ما. فلهذا ازداد تأثير القوميات والثقافات الأخرى للدولة وتوسعت حدود انتشار الحكمة اليونانية والأعجمية. وإن ترجمة وجمع التراث القديم لقوميات الخلافة أسهمت في اتساع نطاق دراسة وتحقيق العلوم الدنيوية. فمن أجل ذلك تسرب منطق كبار فلاسفة اليونان في الفكر الإسلامي. ولكنني أعتقد أنه لا يستقيم لنا أن نقول إن منطق فلاسفة اليونان وعلى وجه خصوص منطق أرسطو تطرق إلى المذاهب الإسلامية المختلفة بما فيه المدارس الفقهية وعلى هذا الأساس ظهرت مدارس وأفكار أهل الرأي، لأن منطق اليونان، بما فيه أرسطو مرتبط بفلسفته. حتى إن فلسفة الاعتزال وكلامه لها طابع إسلامي وتستمد من العقائد والتعاليم الإسلامية. فضلا عن المدارس الفقهية. ومن هنا يمكن تقييم هذا التأثير على وجه العموم بأنه تحريك للعقلانية فحسب. ومن جانب آخر حتى في حالة عدم انتشار الفلسفة اليونانية فإن واقع الإسلام نفسه يلح على ضرورة الرجوع إلى العقل والعلم والحكمة لأن هذا من صميم تعاليم هذا الدين الحنيف. فمن أجل هذا عندما يدور الحديث على القياس وأصول عقلية أخرى، لابد من الاعتراف بأن هذه الأمور ثمرة للفكر الإسلامي، وإذا ما ظهرت المشابهة عند المقارنة فيجب الحكم بأنه مما اتفق عليه الفكر الإنساني. فعلى كل حال إن أصول أبي حنيفة الفقهية ومنهجه في القياس ما هي إلا تطور تدريجي للتمثيل الذي كان يستخدمه أصحاب الحديث. ولا ينبغي الفصل بين القياس والتمثيل أو الاعتقاد بأن بينهما مجافاة. وكما يتبين لنا من علم المنطق أن كل استدلال لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة: الاستدلال التمثيلي والاستقرائي والقياسي. أي إذا كان انتقال الحكم في الاستدلال من جزئي إلى جزئي فهو تمثيل ومن جزئي إلى كلي فهو استقراء ومن كلي إلى جزئي فهو قياس. والتمثيل هو نقل الحكم من شيء إلى آخر لمشابهة بينهما. يقول ابن سينا في شرح التمثيل: «إن المثال هو الحكم على شيء بصفة يوجد نظيرها في شيء آخر»[8]. والقياس في عرف علماء الفقه والكلام يستعمل بمعنى التمثيل. ومعظم المدارس الفقهية يستخدمون هذا التمثيل في المسائل التي لم يرد فيها نص لبيان أحكامها. والتمثيل لا يحتل مرتبة عالية في علم المنطق في مجال الوصول إلى الحقيقة، بينما يحظى باهتمام كبير في الأحكام الشرعية

(8) دانشنامه علائي، ابن سينا، باللغة الفارسية

والشعر والخطابة. والتمثيل في المنطق مرحلة بدائية للاستدلال فهو يعد أرضية للاستقراء. وكل من التمثيل والاستقراء يدخلان في دائرة الاستنتاج الاستقرائي. والاستنتاج الاستقرائي هو نوع من الاستنتاج الافتراضي لا يتوصل به إلى دلالة قاطعة إلا بعد استقراء وتتبع جميع الأفراد الداخلة تحت موضوع البحث أو هو بتعبير آخر تفحص جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي.

والمماثلة التي يبنى عليها القياس (بمعنى التمثيل) إنما تتحقق لوجود علة جامعة بين الأمور التي يتم المقايسة بينها من غير التشابه الحسي الظاهري بينها. فعلى سبيل المثال ينص القرآن الكريم على حرمة الخمر التي تتخذ من عصير العنب[9] وهذا الحكم يسري في الفقه على النبيذ وشراب التمر وأنواع أخرى من الأشربة المسكرة. والعلة الجامعة بين هذه الأمور الإسكار[10]. ومثل هذه الأمثلة نجدها كثيرا في فقه الإمام الأعظم. وكان يتم استخدام التمثيل في مسائل الإيمان قبل ظهور المعتزلة وكان يسير في طريق التكامل من بعض النواحي التي تشبه القياس المنطقي. وفيما بعد عندما صار علم الكلام علما مستقلا وكثر النقاش والبحث في صفات الله ومسائل القرآن تحول التمثيل إلى القياس الفلسفي والمنطقي. وللإمام أبي حنيفة قصب السبق في هذا المجال وذلك من خلال نقاط عدة ذكرها في كتابه «الفقه الأكبر». والميزة الخاصة لاستدلالات أبي حنيفة الفقهية والكلامية استخدامه الرأي الحر في القياس ورجوعه إلى الاستحسان. والبعض يعترض على أبي حنيفة أنه يميل كثيرا إلى الرأي ويقل الرجوع لديه إلى الاستدلال بالحديث. وهذه القضية قد أخذت حظها من البحث والنقاش شيء من التفصيل في الكتب التي ألفت عن حياة أبي حنيفة ومناقبه مع نقض تلك الشبه والاعتراضات ونحن نحيل القارئ في هذا الأمر إلى تلك الكتب والمصنفات. ونود أن نعرض من خلال بحثنا هذا جانب آخر من هذه القضية وهو العلاقة بين الرأي والرواية. وجدير بالذكر في هذا المقام أن الرأي من الاستدلال العقلي الذي يعول على العلم اليقيني وقد جعل القرآن الكريم العلم على ثلاث مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. وكل ذلك له مقتضياته. فحق اليقين نصيب الأنبياء والأولياء. وفي علم الإلهيات يحتل الاستدلال العيني المرتبة الأولى للإثبات وهو كذلك ثلاثة أنواع: الاستدلال العيني في حدود الاستدلال النظري، والاستدلال العيني في حدود التجربة (الاستدلال الاستقرائي أو التجريبي) والاستدلال العيني في حدود التاريخ (الاستدلال التاريخي والنقلي)[11]. وكما يقول أبو زهرة، كان الإمام الأعظم يرى أن جميع النصوص والأمور الشرعية يمكن إدراك معانيها والحكمة منها بالعقل والرأي إلا العبادات لأنها من الأمور التوقيفية التي لا مجال لإدراكها إلا بالتسليم والانقياد والاتباع للسنة. فعلى سبيل المثال لا يمكن الوصول إلى وجه الحكمة في كون الصلوات المفروضة خمس مرات في اليوم لا ثلاث ولا سبع[12]. فيظهر لنا أن الإمام أبا حنيفة لا يرى أن

(9) القرآن الكريم، سورة البقرة (219)، سورة المائدة (92-93)
(10) مقدمة ابن خلدون
(11) رسالة في معرفة الدين، أحمد برقي، خلاصة [illegible]
(12) الإمام أبو حنيفة، الشيخ محمد أبو زهرة

العقل والرأي سلطة مطلقة في معرفة الدين بل إن هناك أمورا خفية خارج حدود عقولنا وليس فيها للرأي مجال. وهذا لا يعني أن هناك صراعا بين الإيمان والعقل ولكن فيه تأكيد أن الإيمان أولى من المعرفة العقلية وأنه أوسع وأشمل من أن تندرج تحته أدلة عقلية وعاطفية. وقد أكد محمد إقبال على هذا المعنى من خلال معرفته النبية قائلا: «إذا تحدثنا بصورة كلية، فيمكن تقسيم الحياة الدينية إلى ثلاثة أطوار وبإمكاننا أن نسمي هذه الأطوار بأنها: الإيمان والتفكر والكشف (الاختراع). ويتسم الطور الأول للحياة الدينية بشيء من التسليم والانضباط. حيث إن الفرد أو الجماعة يتقيدون بتسليم بلا شرط ولا اعتراض من غير محاولة الوصول إلى الحكمة الخفية لهذا الأمر»[13]. ويمكن مشاهدة التطبيق العملي لهذا الطور من خلال إيمان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم). فإن سيدنا إبراهيم في بداية أمره لا يحبط إيمانه وحبه لله عز وجل بأي نوع من التساؤل والاستفسار ولا يسأل عما يؤول به إيمانه. ومن جانب آخر يقوم بامتثال أوامر الله تعالى بكل حماس وصدق ويتفانى على أحسن وجه.

والطور الثاني للحياة الدينية هو الإدراك العقلي والوصول إلى الرؤية المنطقية للعالم. وبحسب محمد إقبال «إن الحياة الدينية تنتقل إلى أمل الحصول على الاتصال المباشر بالحقيقة المتفتحة»[14]. وللشرح الأمثل للطور الثالث (الكشف) يعول محمد إقبال على كلام أهل التصوف قائلا: «لا يمكن فهم الكتاب السماوي إلا بعد أن يصل المؤمن إلى حالة الوحي التي كان يشهدها النبي»[15]. وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الكشف لا يعني أن الوحي حاصل لجميع المؤمنين لأنه من خصائص الأنبياء وإنما يعني ذلك الإدراك العميق لأحكام ومعاني الآيات الربانية وهذا مما يتيسر لبعض العارفين والأولياء. ويرى محمد إقبال أن المحاولة العقلية لإزالة العوائق التي يضعها العالم أمامنا، تنمي آفاق تفكيرنا وبالتالي تؤدي بنا إلى قابلية أفضل لمواجهة الجوانب الدقيقة للإعجازات الإنسانية فضلا عن إسهامها في تنمية وإثراء جوانب حياتنا»[16]. وعندما يدور الحديث من زاوية المنطق الذي هو فرع للعلم، لا ينبغي التصور بأن الدين من شأنه أن يتم مقارنته بفرع من فروع العلم وتسوية تعاليم الدين به. ويقول إقبال «إن الدين ليس بالشيء الذي يمكن مقارنته بأحد فروع العلم وليس بالفكر المجرد ولا بالفكر العاطفي المجرد وإنما هو بيان وتعبير شامل عن الكيان الإنساني»[17].

ويستنتج مما سبق أن المعرفة الدينية لا تحصل من وسائل منطقية فحسب بل إن لها وسيلة أسمى تتصل بباطن الإنسان والإلهام الشخصي للمتدين. فبجانب ذلك يجب القول بأن أحد أهم الجوانب لأصول الفقه وعلم الكلام لدى أبي حنيفة يتمثل في التيار القياسي الذي هو قريب من القياس الفقهي. وكما ذكرنا آنفا أن

(13) تجديد تفكير ديني في الإسلام، محمد إقبال، [illegible]
(14) نفس المرجع
(15) نفس المرجع
(16) نفس المرجع
(17) نفس المرجع

القياس الفقهي يختلف عن القياس المنطقي الذي أرسى أرسطو قواعده، بيد أنه قد حصل التقارب بينهما في استدلالات أبي حنيفة.

كما يدفعنا إلى القول بأن القياس يصير رديفا للاجتهاد. ونحن نلاحظ خصائص القياس في «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة من خلال المسائل الآتية: نقض مزاعم الزنادقة والمناظرة في إثبات وجود الله تعالى. وكما يروى في كتب مناقب أبي حنيفة أنه كان في موعد مع الزنادقة ليثبت لهم وجود الله تعالى فقبل انعقاد المجلس طلب منهم أن يتريثوا قليلا حتى يفكر في أمر أخبر به مؤخرا. فقالوا ما الأمر؟ فقال إني أخبرت عن فلك كبير حامل لصنوف من البضائع التجارية يجري في الماء ويقتحم الأمواج دون أن يقوده قائد. فقال هؤلاء الملحدون: «ما هذا الهراء الذي تقوله، فإنه لا ينطق به عاقل؟» فقال الإمام: ويل لكم! أترضون أن تفتقر سفينة إلى قائد، بينما هذه الموجودات من العالم العلوي والسفلي لا تفتقر إلى رب وخالق يدبر أمرها؟». فنرى في هذا المثال التشبيه بين الفلك وموجودات الكون. وهو وإن أشبه بتمثيل الأقدمين إلا أن فيه قضايا منطقية محددة وهي: السفينة تحتاج إلى قائد، وموجودات العالم تفتقر إلى خالق وكما يحتاج السفينة إلى قائد يديرها فإن الموجودات أيضا تفتقر إلى خالق يوجدها ويدبر أمرها. هذه هي القضايا المتناثرة التي نجدها في التمثيل السابق ويمكن التنسيق بين هذه القضايا وترتيبها وصياغتها من خلال قياس منطقي من مقدمتين ونتيجة بالشكل الآتي:

المقدمة الصغرى: هذه الموجودات التي نشاهدها في الكون تسير بنظام دقيق وترتيب لا خلل فيه.

المقدمة الكبرى: كل ما كان كذلك فهو يفتقر إلى موجد وخالق ومدبر.

النتيجة: هذه الموجودات في الكون تفتقر إلى خالق يدبر أمرها وهو الله تعالى.

فإننا نرى خصائص القياس القطعي جلية في حكم هذا التمثيل.

وجاء في الفقه الأكبر: «ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسميه مؤمنا حقيقة ويجوز أن يكون مؤمنا فاسقا غير كافر»[٨].

وهذا الحكم من حيث الشكل يشبه نوعا من القياس المنطقي الذي له صور وأشكال عدة، حيث فيه تصديق وإنكار لقضايا مختلفة ففيه تصديق للإيمان والمعصية وإنكار للكفر والفسق فتم إنكار الكفر بناء على تصديق الإيمان والمعصية والفسق.

وعن وجه المناسبة بين القياس والاستحسان الذي دار حوله نقاش كثير بين العلماء، فإننا نرى مدى اتصال الاستحسان بالقياس عند أبي حنيفة إذ من الملاحظ أن الاستحسان يمثل نوعا قياسيا نابعا من منطق قوي ولكنه يختفي فحواه في بعض الأحيان. ويمكن اعتباره كطريقة قياسية بما استخدمه من أجل بيان يسر الشريعة وسماحتها وسهولة فهمها، وذلك مصداقا لقول الله تعالى في الآية ١٨٥ من سورة البقرة

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

وقد وجد الاستحسان نظيره في المنطق الحديث والذي يتعلق بالنتيجة التي تنتج من الأدلة المنطقية ومن وجه الحكم لتصديق تلك النتيجة، والمثال الواضح لهذه القضية هو الحكم عن نظرية النسبية المتعلقة بالجاذبية التي تتمتع بها الأجرام السماوية مثل قرص الشمس تجذب الضوء إلى نفسها كما تجذب الأجسام. وطبقا للحسابات الناتجة من هذه النظرية فإن ضوء النجم البعيد الواقع قرب الشمس يصل إلى الأرض كأنه يميل إلى الشمس ولكن واقع الأمر لا يوافقه. ولا يمكن مشاهدة هذه العملية في وضع طبيعي لأن النجوم القريبة من الشمس تختفي تحت ضوئها. وإنما يتيسر تصويرها عند كسوف الشمس فقط. فهذا يعني أن هناك حادثة ترتبط بالقانون ولكنها خفية عن الأنظار ويمكن الحكم عليها من خلال استدلالات قوية أخص من الاستقراء ويعد الاستدلال التمثيلي من الاستدلال القياسي.

والمسألة الأخرى التي توضح خصائص عقيدة أبي حنيفة هي المقارنة بين آراء الإمام والآراء الكلامية للفرق الأخرى مثل القدرية والمرجئة والمعتزلة والظاهرية والسلفية وبيان وجوه الاتفاق والاختلاف فيها. وإن عقيدة الإمام عقيدة عامة تبين تمثل الفرق ولا تنتمي إلى أية منها. ومن خلال موقف الإمام تجاه قضايا الإيمان والقدر وكلام الله والثواب والعقاب والحسن والقبح والعدل نجده قد استمد عقيدته من المنابع الأصيلة للإسلام واعتمد غالبا على الأدلة النقلية. فكما نرى أن أهم موضوع في كتابه الفقه الأكبر هو قضية الإيمان. فإن عقيدة الإمام في هذا الباب لا يخرج عما قرره القرآن والسنة. فهو يرى أن الإيمان ليس تصديقا بالقلب فحسب بل لا بد من الإقرار باللسان وهذا خلاف ما يعتقده المرجئة حيث إنهم يقصرون الإيمان على التصديق القلبي فقط. ولقد أكد القرآن الكريم على هذا المعنى في مواضع كثيرة منها الآية ٨٣ من سورة المائدة والآية ١٣٦ من سورة البقرة والآية ٢٦ من سورة الفتح والآية ٢٤ من سورة الحج والآية ١٢ و١٤ من سورة الأعراف وفي سورة الإخلاص. فيما أن الإمام يعتقد أن مرتكب الكبيرة من المسلمين لا يكفر فاغتر البعض بهذا القول فنسبوه إلى الإرجاء مع أن هذا المبدأ مما اتفق عليه أئمة أهل السنة والجماعة. ونقطة التباين بين عقيدة الإمام والمرجئة في هذه القضية أن المرجئة يزعمون أن المعصية لا تضر مع الإيمان كما أن الطاعة لا تنفع مع الكفر. ولكن الإمام الأعظم بريء من تلك التهم ومن هذه المقولة الفاسدة براءة الذئب من دم يوسف، إذ أنه يرى أن مرتكب الإثم فاسق ومستحق للمعاقبة وأمره مفوض إلى الله، إن شاء عذبه في النار بما ارتكبه من الإثم وإن شاء عفى عنه. وهناك أدلة كثيرة قد أوردها العلماء لنفي رمي الإمام بالإرجاء.

لقد تعرض الإمام في كتبه الفقه الأكبر والعالم

(٨) [illegible] الأكبر

والمعلم والرسالة إلى عثمان بن مسلم البتي والرد على القدرية للقضايا العقائدية التالية: الإيمان، والأسماء والصفات، والقدر، ومسألة خلق القرآن، والشفاعة، والغيبيات المتعلقة بالآخرة، والإمامة وغير ذلك. وبداية ينبغي التنبيه هنا إلى أن هذه القضايا كانت موضع بحث ونقاش وأخذ ورد بين الفرق والجماعات في عصر أبي حنيفة حيث إن الإمام أعرب عن موقفه تجاهها باتجاهه طريق أهل السنة والجماعة. وإن هذه المسائل لم تكن تدرس في علم مستقل كعلم الكلام الذي صار فيما بعد علما شرعيا برأسه واكتسب طابعا فلسفيا، وإنما كان داخلا في موضوعات الفقه. وإذا كان الإمام أبو حنيفة كما ذكرنا قد انشغل في بداية أمره بالكلام فهذا لا يعني أنه خاض في المسائل الكلامية أولا ثم عدل عنها إلى الفقه، ذلك بأن الكلام لم يكن منفصلا عن الفقه. وإن القضايا المتقدمة قد نتجت عنها حوارات ونقاشات واسعة النطاق ومن خلال هذه المعارك الكلامية تباينت مواقف الفرق وأظهر كل فرقة من نفسها صفة تميزها عن غيرها فنسب إلى تلك الصفة، فسميت فرقة المرجئة بالإرجاء والقدرية بالقدر والجبرية بالجبر والباطنية بالباطن إلى غير ذلك من الفرق التي اشتهرت كل منها بالقضية التي كانت تتبناها. وإن الإمام الأعظم لم يأبه لتلك الانحرافات التي شايعتها الفرق المختلفة ولم يمل إلى أي منها وإنما ظل راسخا على عقيدة أهل السنة والجماعة وقدم خدمة كبيرة للإسلام بالدفاع عن هذه العقيدة الصافية بما توفر لديه من الأدلة النقلية والعقلية. فهو بذلك يعد من أوائل الأعلام الذين مهدوا الطريق وأرسوا القواعد لمدرستي المتكلمين من أهل السنة: الماتردية والأشاعرة. والجالب للانتباه أن الإمام أبا الحسن الأشعري (٨٧٣-٩٤١) مع أنه اتبع مذهب الإمام الشافعي في الفروع الفقهية، يربط آراءه الكلامية بآراء أبي حنيفة العقائدية حتى عد بعض المحققين المذهب الأشعري من المدرسة الكلامية الحنفية.

ولا ينبغي تناسي هذه الحقيقة: أن علم الكلام الذي يتعلق بمسائل الإيمان والعقيدة ما كان يهمه الارتباط بإحدى المدارس الفقهية ولكن الاتباع لعقائد أبي حنيفة إنما هو في الواقع اتباع لعقيدة أهل السنة والجماعة. ويقول عبد الله أحمديان عن هذا: «لقد أسس الماتريدي مدرسة وسطية وافقت المدرسة الأشعرية إلى حد ما فنجد أن أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري قرروا على مر العصور كتاب «شرح العقائد النسفية» كمادة تعليمية في مناهج تدريس مدارسهم وما زال هذا الأمر مستمرا في مدارسهم إلى الآن. والحال أن مؤلف الكتاب/ نجم الدين أبو حفص عمر النسفي وكذلك شارحه سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٢٢-٧٩٣هـ ١٣٢٢-١٣٩٥م) كليهما من أتباع المدرسة الماتريدية ... ومع أن أغلب الماتريدية من الأحناف وأكثر الأشاعرة من الشافعية وبينهم مساجلات كثيرة في الفروع الفقهية إلا أنهم متفقون على أصول

يعتقد به، وإن حصل اختلاف ففي المسائل الفرعية»[19]. والمقارنة بين العقائد الماتريدية والأشعرية قضية أخرى ولكن الذي يهمنا في هذا المقام أن عقيدة أبي حنيفة لها ميزة كلية حظيت بقبول المدرستين وساهمت في تقريبهما.

وإن قضية صفات الله تعالى تعد من أهم المباحث في الآراء العقائدية للإمام أبي حنيفة وهذا المبحث مع أهميته ومكانته في علم الكلام لم يعط له شراح ومحققي تراث أبي حنيفة حقه في الشرح والتوضيح المفصل. وكتب قليلة، مثل مناقب الإمام الأعظم وشرح الفقه الأكبر لملا علي القاري وشرح عقائد أهل السنة وغيرها من الكتب التي لا تعدو أصابع اليد قد تعرضت لهذا الجانب من عقيدة أبي حنيفة. وإن الإمام الأعظم يؤكد أنه «لا يشبهه شيء من الأشياء من خلقه ولا يشبه شيئا من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية»[20]. وإن معرفة الله تعالى من خلال صفاته يعتبر أمرا متفقا عليه لدى المتكلمين. فإن الإمام أبا حنيفة كان مدركا لهذه الحقيقة وأكد على أن أسماء الله تعالى وصفاته الذاتية والفعلية والتي وصف نفسه هي السبيل لمعرفته عز وجل. حيث قال: «لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية. أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة. وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته لم يحدث له اسم ولا صفة»[21]. فالصفات الذاتية عنده سبعة وهي الحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة.

ولم يحذ الإمام أبو حنيفة في تقرير الصفات حذو المجسمة والمشبهة الذين كانوا يدعون أن الله جسم وحملوا صفاته على مقتضى الحس والتشبيه بالمخلوقات. ومثل هذه العقائد الزائفة تنسب إلى علي بن منصور وهشام بن الحكم ومحمد بن الخليل ويونس بن عبد الرحمن. والإمام أبو حنيفة بعيد كل البعد عن هذه العقيدة. لقد قال الإمام في الوصية: «نقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج»[22].

وفي القرآن الكريم آيات خفيت معانيها وهي الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم[23]. والراسخون في العلم هم الأنبياء والأولياء والعلماء العظام الذين وهبهم الله معرفة أسرار كلامه وهذه الآية الكريمة تشهد لعلو شأن العلماء وعظم قدرهم عند الله تعالى. وإنما ذكرنا هذه المسألة في هذا المقام للإشارة إلى أن عقيدة أبي حنيفة (رحمه الله) تختلف في بعض المسائل عن سائر مذاهب أهل السنة والجماعة وإن كانوا متفقين على أكثر المسائل.

(١٩) مختصر تحليل كلام أبي حنيفة، ملا عبد الله أحمديان، طهران.
(٢٠) الفقه الأكبر.
(٢١) الفقه الأكبر.
(٢٢) الوصية للإمام أبي حنيفة.
(٢٣) القرآن الكريم، سورة [illegible] ٧.

الإمام أبو حنيفة وعبقرية الفقيه

لفضيلة الشيخ / على عبد الباقى شحاتة
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله المبعوث رحمة للعالمين. سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا هديه وأحيوا سنته أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

لقد كان للأئمة المجتهدين أثر عظيم فى إثراء الأمة الإسلامية بالناحية الشرعية المتمثلة فى هذا التراث الهائل من الثروة الفقهية التى تنظم علاقة الإنسان بربه وكذلك علاقة الإنسان بالإنسان حتى تنضبط حركة الإنسان فى الكون بما يرضى رب العباد. فجزاهم الله عنا خيرا وجعل ذلك الجهد فى ميزان حسناتهم. ونفعنا به. آمين.

قيمت فى الآونة الأخيرة عدة مؤتمرات للاحتفال بالإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان فى بلاد المشرق فى طشقند وغيرها، والبوم معنى الاحتفال به يعنى فى دوله طاجيكستان. مما يدل على أن مذهب أبى حنيفة قد انتشر فى شرق الدولة الإسلامية بصورة واسعة مثلها فى غرب الدولة الإسلامية؛ ولذلك اخترت أن أوضح هذا المذهب للإمام أبى حنيفة حيث إنه كانت عديدة حول هذا الإمام من نواح متعددة، وأعجبنى بالأخص ما كتبه عنه فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد أبو زهرة رحمة الله عليه وهو من العلماء الأفذاذ فى العصور الأخيرة فى الناحية الفقهية. ولذلك سأتحدث عن هذا الانتشار من وجهة نظر هذا العالم الجليل.

نشأ المذهب الحنفى بالكوفة ثم تدارسه العلماء بعد وفاة صاحبه ببغداد ثم شاع من بعد ذلك وانتشر فى أكثر البقاع الإسلامية. فكان فى مصر والشام وبلاد الروم والعراق وما وراء النهر. ثم جاوز الحدود فكان فى الهند والصين. ويكاد يكون هو المنتشر فى هذه البقاع النائية إلى الآن.

ولقد نال مذهب أبى حنيفة بنيل النصرة الرسمية التى سمحت بالانتشار والاتساع من وقت أن ولى الصاحب الأول لأبى حنيفة، وهو أبو يوسف منصب القضاء فى الدولة العباسية، فكان القضاة من أتباع المذهب الأكثر فى القضاء فى كل البلاد وحتى الدولة العباسية نعمة سعى ولكنه أصبح ذلك قضاة لا يولى قاض من غير مرة. فلم يكن يولى قاض

فى البلاد الإسلامية إلا من يشير به ويرغب به. وكان لا يولى إلا أصحابه. الذين يرتضون طريقته فى الاجتهاد فى القضاء. وهى طريقة أبى حنيفة فى الاستنباط. فانتشرت بهذا عند العامة آراء فقهاء العراق فى كل البقاع الإسلامية ما عدا الأندلس التى انتشر بها المذهب المالكى منذ نشأ المذهب. ولذلك قال ابن حزم: مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرياسة والسلطان، الحنفى بالمشرق والمالكى بالأندلس.

ولقد كان لذلك المذهب قوة فى كل بلد كان للحنفيين سلطان غالب فيه يضعف بضعف نفوذهم ويقوى بقوته، وقد كان سلطانهم قويا لا يزاحم فى العراق وما قاربه وما حوله. وبعبارة أدق كان سلطانهم فى المشرق قويا، وإذا ضعف نفوذهم الإدارى قام مقامه نفوذهم الدينى. فكان لهم فى بغداد نفوذ يكفى لأن يستفيد منه ذلك المذهب، وكانوا يؤازرونه كل المؤازرة. وكان أهل بغداد يميلون كل الميل لمذهب أبى حنيفة ويؤازرون أصحابه فى نصرته، ولما أخذ المذهب الشافعى يفد إلى بغداد ويذيع فيها لم يغلب المذهب الحنفى قط، بل كانت له الغلبة، ولقد حسن أبو حامد الإسفراينى مرة للقادر بالله العباسى، فولى البازرى الشافعى القضاء. فثارت بغداد وصارت حزبين قامت بينهما الفتن. ولم تهدأ الحال حتى اضطر الخليفة إلى جمع الأشراف والقضاة وأخرج إليهم رسالة تتضمن: أن الإسفراينى أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والأمانة وكانت على أصول الدخل والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من السداد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من إيثار الحنفية وتقليدهم صرف البازرى وأعاد الأمر إلى حقه، وأجراه إلى قديم رسمه، وحمل الحنفية على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والإعزاز.

وكان يشاطر الخلفاء الإعزاز بالمذهب الحنفى الدول الشرقية التى استبدت بالحكم دونهم، كالسلاجقة وآل بويه؛ لأن ثقافتهم الإسلامية كانت على مقتضى هذا المذهب. هذه إشارة إلى ما اكتسبه المذهب الحنفى من نفوذ فى أول الأمر بسبب اختيار الخلفاء لقضاة من أئمته والمجتهدين فيه. ولقد كان يكتسب مع ذلك النفوذ الرسمى من إلف الناس له ومن نشاط العلماء فيه، العمل على نشره ومن المناظرات التى كانت تقوم بينهم وبين غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى فى الوقت الذى كثرت فيه هذه المناظرات. وإن ذلك النشاط الذى كان يختلف قوة وضعفا باختلاف العلماء فى البلاد هو الذى أبقى ذلك المذهب فى بلاده بعد أن ضعفت نصرة الدولة له، فقد انتشر فى بلاد بسبب نشاط علمائه فيها وضعف بسبب ضعف علمائه فى بلاد أخرى. ولنذكر بعض البلاد مبتدئين من الغرب إلى الشرق، حيث بقى واستقر.

ففى أفريقيا طرابلس وتونس والجزائر، لم يكن مذهب أبى حنيفة فى أول الأمر غالبا أو شائعا، بل تغلب عليه مذاهب أهل السنة والآثار إلى أن تولى قضاءها أسد بن الفرات بن سنان، وقد سمع أسد من أصحاب مالك وأصحاب أبى حنيفة، ولكن كان ميله إلى أهل العراق فعمل على نشر مذهبهم لما تولى قضاء إفريقية حتى ظهر ظهورا كبيرا. وحتى لقد قال ابن فرحون: إن المذهب الحنفى ظهر ظهورا كثيرا بإفريقية إلى سنة ٤٠٠ هـ وانقطع بعدها ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديما إلى الأندلس.

وقد قال المقدسى فى أحسن التقاسيم: إن أهل صقلية حنفيون، وذكر أنه سأل بعض أهل الغرب: كيف وقع مذهب أبى حنيفة – رحمه الله – إليكم، ولم

يكن على سلطتكم؟ قالوا: لما قدم وهب بن وهب من عند مالك - رحمه الله - وقد حاز من الفقه والعلوم ما حازه استنكف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه فرحل إلى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلا. فلما طال مقامه عنده قال له: ارجع إلى ابن وهب فقد أودعته علمي كفيتكم به الرحلة. فصعب ذلك على أسد وسأل هل يعرف لمالك نظير؟ قالوا: فتى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة. قالوا: فرحل إليه وأقبل عليه محمد إقبالا لم يقبله على أحد ورأى فهما وحرصا فلما علم أنه قد استقل، وبلغ مراده فيه سيبه إلى المغرب، فلما دخلها اختلف إليه الفتيان ورأوا فروعا حيرتهم، ودقائق أعجبتهم ومسائل ما طنت على أذن ابن وهب، وتخرج به خلق وفشا مذهب أبي حنيفة في بلاد المغرب، قلت: فلم لم يفش في الأندلس؟ قالوا: لم يكن بالأندلس أقل منه هاهنا، ولكن تناظر الفريقان يوما بين يدي السلطان، فقال لهم: من أين كان أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة. فقال: ومالك. قالوا: من المدينة. قال: عالم دار الهجرة يكفينا. فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان.

هذا الخبر يدل على أن مذهب أبي حنيفة نشره أسد ابن الفرات بالمغرب وأنه انتشر أيضا بالأندلس، ولكنه لم يمكث بالأندلس طويلا وبعد سنة ٤٠٠ هـ ضعف أمره بالمغرب حتى لم يعد له ذكر بها.

وأما مصر فقد عرفت المذهب العراقي في عهد المهدي عندما تولى قضاءها إسماعيل بن اليسع الكوفي، وقد كان يرى إبطال الأحباس كما يرى أبو حنيفة ولم يكن ذلك سائغا عند فقهاء مصر، ولذا ذهب إليه الليث بن سعد فقيهها وقال له: جئت مخاصما لك. فقال له في ماذا؟ قال: في إبطال أحباس المسلمين، وقد حبس رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير، فمن بعد كتب كتابا جاء فيه: وليتنا رجلا يكيد سنة رسول الله ﷺ بين أظهرنا مع أنا ما علمناه في الدينار والدرهم إلا خيرا، فعزله المهدي.

وكان المذهب الحنفي ممكن السلطان في مصر ما قوي سلطان العباسيين عليها، ولكنه على أي حال لم يكن له في الشعب المكان الذي له في أمصار الشرق، بل كان أكثر الشعب إما على مذهب الشافعي الذي كان لمقامه في مصر أثر في تأثر الشعب به، وإما على مذهب مالك الذي كان له تلاميذ كثيرون من أمثال ابن وهب وابن الحكم وغيرهما.

وكذلك كان في مصر مع القاضي الحنفي قضاة من المذهب الشافعي والمالكي فكان القضاء بين هذه المذاهب الثلاثة يتولاه الحنفية تارة والمالكية أخرى والشافعية ثالثة.

واستمر الأمر كذلك إلى أن استولى الفاطميون على مصر فجعلوا مذهب الشيعة الإسماعيلية هو المذهب الرسمي، فكان منهم القضاة، ولكن ذلك لم يقض على المذاهب الأخرى، بل كان الناس في عباداتهم يسيرون على مقتضى مذاهبهم، والدولة تغض النظر عن ذلك في أكثر الأحيان حتى إنهم كانوا في أكثر أيام الدولة يسمحون بإقامة التراويح في المساجد الجامعة وغير الجامعة، ولم ينظروا إلى معتنقي أي مذهب نظرة معاداة وإن كانوا لا يسمحون للأخذ بالمذهب الحنفي بالظهور، ولم يصنعوا ذلك الصنع مع الآخذين بالمذاهب الأخرى، بل إنهم في بعض عهودهم أقاموا قضاة من مذهب مالك والشافعي، فكان ثمة أربعة قضاة اثنان شيعيان أحدهما إسماعيلي والآخر إمامي، وقاضيان آخران أحدهما شافعي والآخر مالكي.

ويُنسب في معاداة الفاطميين للمذهب الحنفي وتخصيصه بالمقاومة من بين المذاهب الأربعة أنه كان مذهب الدولة العباسية، وأنه كان في مصر يستمد نفوذه من نفوذ تلك الدولة، وهم كانوا يقاومون نفوذها فكان من ذلك مقاومة ذلك المذهب، ولما قامت الدولة الأيوبية اتجهت إلى إعادة ثروة المذهب الشافعي والمذهب المالكي إلى ما كان من قبل وأنشأوا المدارس لهذين المذهبين، وذلك لأن صلاح الدين كان شافعيا، والشعب كان للمذهب المالكي فيه سلطان ولكن لما آل الأمر في الشام إلى نور الدين الشهيد، وكان حنفيا وله كتاب في مناقب أبي حنيفة نشر مذهبه في الشام ومن الشام قدم إلى مصر، ولكنه في هذه المرة نزل في الشعب لا في الحكومة كما قدم أولا في عهد سلطان العباسيين.

ولما كثر المعتنقون للمذهب من الشعب ورغب صلاح الدين في توثيق العلاقة بينه وبين الدولة نعسبة - أنشأ للحنفية مدرسة السيوفية - بالقاهرة وأخذ المذهب بعد ذلك يقوى وينتشر بكثرة بين أفراد الشعب، هذا بالإضافة إلى أن المذهب يدرس الآن في الأزهر الشريف سواء في معاهده أو في جامعته.

ولما أنشأ نجم الدين أيوب المدرسة الصالحية رتب دروسا للمذاهب الأربعة. وكثر ذلك النوع من المدارس في دولتي المماليك وجعل في عهد هاتين الدولتين قضاة أربعة من بينهم واحد حنفي، ولما استولى العثمانيون على مصر كان القضاء كله على مذهب أبي حنيفة، فرغب كثيرون من طلبة العلم في معرفته واستفاد من ذلك نفوذا كبيرا، وعاد كما بدأ يعاونه السلطان وتكثر الفتيا به والأحكام.

وإذا انتقلنا إلى الشام وما حولها فإنا نجد المذهب الحنفي فيها أمكن.

وإذا كان الذين حكموا مصر والشام وحاولوا الغض من المذهب الحنفي في مصر حاولوا مثل هذه المحاولة في الشام، فإن المحاولة فيها لم تجد جدواها في مصر لأن المذهب كان منتشرا بين آحاد الشعب، ولم يكن مقصورا على الجهات الحكومية.

أما بلاد المشرق والعراق وما وراءه، أي: خراسان وسجستان وما وراء النهر فكان المعتنقون للمذهب الحنفي كثيرين، وكان الشافعيون ينازعونهم أحيانا الغلبة وكانت المناظرات تعقد بينهم في المساجد وفي مجالس الأمراء والمحافل العامة، وأفاد الفقه وأدب البحث والمناظرة من تلك المحاولات فوائد جمة، وإن كان الجدل قد نمى روح التعصب وأطلق الألسنة بالطعن من بعض من لا يحسن القول. وكان التعصب المذهبي هو السبيل للجمود الفقهي من بعد.

وكان المذهب الحنفي على أهل أرمينية وأذربيجان وتبريز وأهل الري والأهواز، ثم كان في أول الأمر بإقليم فارس كثير من الحنفية ثم غلب عليها المذهب الشيعي الاثنا عشري.

والهند فيها المذهب الحنفي يكاد ينفرد بالسلطان، والمذهب الذي يجاوره فيها الشافعي ولا يتجاوز عددهم مليونا أو نحوا من هذا، والباقون من الحنفية، ومسلمو الصين ويجاوز عددهم أربعين مليونا كذلك أكثرهم من الحنفية.

وهكذا نرى المذهب الحنفي شرق وغرب وكثر الآخذون به والسالكون لطريقه، ولو أنه فتح باب التخريج لاستخرج العلماء من قواعده أحكاما صالحة تتسع لكل البيئات

والله سبحانه وتعالى أعلم

الإمام أبو حنيفة وعبقرية الفقيه

[illegible] عادل خفاجة

قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر»[1].

إن في الحديث الشريف إشارة واضحة إلى ضرورة الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص. وأن المجتهد إذا أفرغ الوسع ولم يفرط، فإنه يثاب على اجتهاده سواء أخطأ أو أصاب. ويضاعف له الأجر إذا أصاب

وليس لعالم أو فقيه أن يجتهد في أمر ورد فيه نص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ. وهو ما أوضحه حديث رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن، قال: «كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو (قال معاذ) فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال: الحمدلله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ»[2].

إن قول سيدنا معاذ -رضي الله عنه-: «أجتهد رأيي لا آلو» وجد استحسانا عند النبي ﷺ، حتى إنه ضرب صدره ودعا له وأقره على هذا المنهج القويم في القضاء.

وقد اجتهد الصحابة رضوان الله عليهم في عهد النبي ﷺ، وأجاز اجتهادهم جميعا ومن ذلك حين أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر في بني قريظة، فلما حان الوقت وهم مازالوا في الطريق، صلاها البعض في الطريق وقالوا: لم يرد منا تأخير الصلاة وإنما أراد سرعة النهوض وأخرها البعض الآخر وصلاها في بني قريظة تمسكا بالنص.

فهؤلاء السلف الصالح بعضهم تمسك بالنص والبعض الآخر تمسك بالمعنى، فلم يعنف النبي أحدا منهم.

واجتهد الصحابيان اللذان خرجا في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، (فتيمما) صعيدا طيبا فصليا، ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر. ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له، فقال

[illegible] أصبت السنة وأجزأتك صلاتك. وقال للذي توضأ وأعاد: لك الأجر مرتين»[3].

واجتهد سعد بن معاذ في بني قريظة، وحكم فيهم باجتهاده فصوبه النبي ﷺ وقال: لقد حكم فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات[4].

هكذا نرى الصحابة [illegible] الاجتهاد في زمن الرسول ﷺ [illegible] مدرسة الاجتهاد فبدأت في الظهور حتى إذا [illegible] عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ليفقه أهل الكوفة ويكون لهم [illegible]. ثم نشأ من بعدهم فقهاء كان منهم إبراهيم النخعي الذي اشتهر [illegible] أكثر أهل الكوفة [illegible]

[illegible] حماد بن أبي سليمان الذي تتلمذ عليه [illegible] الأعظم أبو حنيفة النعمان.

وقد لازم أبو حنيفة أستاذه حماد ثماني عشرة سنة حتى [illegible] أبو حنيفة.

وكان لأبي حنيفة أساتذة متعددون فقد تلقى العلم عن كبار أئمة عصره، منهم:

عطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤هـ الذي سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وغيرهم، والذي يقول فيه ابن عباس: يا أهل مكة تجتمعون عليّ وعندكم عطاء!

ومنهم نافع مولى ابن عمر المتوفى سنة ١١٧هـ الذي روى عن مولاه وعن عائشة وأبي هريرة وغيرهم.

ومنهم الإمام الفقيه الحافظ عامر الشعبي المتوفى سنة ١٠٣ أو ١٠٤هـ.

وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان -كما تقدم- وحماد أخذه عن إبراهيم بن يزيد النخعي المتوفى سنة ٩٥هـ وأخذه إبراهيم عن خاله علقمة بن قيس النخعي الكوفي المتوفى سنة ٦٢هـ والذي ولد في حياة رسول الله ﷺ وسمع من عمر وعثمان وعلي وتفقه بابن مسعود، وكان أنبل أصحابه، وأخذ ابن مسعود عن رسول الله ﷺ وقال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تعالى إلى رسوله ﷺ ثم صار إلى الصحابة ثم صار إلى التابعين ومنهم أبو حنيفة، فمن شاء فليرض، ومن شاء فليسخط»[5].

هذا هو الإمام أبو حنيفة، وهؤلاء أساتذته: فهم جميعا مصابيح الهداية، وصفوة العلماء، ومع ذلك لم يسلم من نقد قادح وغمز مهين، وحسبه أنه متفرد بما أنعم الله عليه من علم وعقل حتى ينال منه الجاهلون ويخرجه العاقون عن الملة!!

ولكن الحق لا يعدم من المدافعين من يميط اللثام عنه فيبدو كفلق الصبح.

وقد وجه بعض العلماء إلى مذهب أبي حنيفة انتقادات منها:

- أن أدلة المذهب ضعيفة.
- وأن أبا حنيفة يستعمل الرأي ويقدم القياس على النص.

وردا على ذلك يقول الإمام الشعراني:

«قد من الله عليّ بمطالعة مسانيد الإمام أبي حنيفة من نسخة صحيحة عليها خط الحافظ الزيلعي والحافظ الدمياطي وغيرهما، فوجدته -رضي الله عنه- لا يروى حديثا إلا عن خيار التابعين الثقات العدول الذين هم خير القرون بشهادة الرسول ﷺ كالأسود وعلقمة وعطاء وعكرمة ومجاهد والحسن البصري وأضرابهم من الرواة الذين بينه وبين النبي ﷺ ثقات عدول ليس فيهم كذابون بل هم أعلام، وناهيك بعدالة من أخذ عنه الإمام الأعظم

(١) [illegible]
(٢) مسند الإمام أحمد.

٣ المستدرك على الصحيحين.
٤ عون المعبود.
٥ سيد عفيفي: الإمام الأعظم أبو حنيفة.. مجلة الأزهر المجلد ١١ عام ١٣٥٩ ص ٣٧٠ : ٣٧١.

وارتضاه لأحكامه ديناً مع شدة ورع الإمام وتحرزه وشفقته على الأمة المحمدية»[6].

ثم يقول: إذا قال أحد الحفاظ بضعف شيء من أدلة مذهب أبي حنيفة فذلك محمول جزماً على ضعف الرجال النازلين في السند بعد موت الإمام الأعظم إذ رووا ذلك عن طريق غير طريق الإمام، أما كل حديث وجدناه في مسائل الإمام فهو صحيح؛ لأنه لو لم يكن صحيحاً لما استدل به، وكفى صحة للحديث استدلال مجتهد به.

ويجب العمل به ولو لم يروه غيره، ولا يقدح في صحته وجود كذاب أو متهم بكذب في سنده النازل عن الإمام[7].

أما قولهم: إن أبا حنيفة يستعمل الرأي ويقدم القياس على النص، فهو زعم بعض المتعصبين الذين تجاوزوا الحد في ذم أبي حنيفة، وإن كان تعصبهم ينقلب إلى المدح والثناء عليه، فليس الرأي بمذموم ولا القياس إلا إذا لم يكن مندرجاً تحت أصل من أصول الشريعة، ولم يصادف قاعدة من قواعدها، وكل كلام شهدت له الشريعة بالصحة أو وافق الأصول، أو اندرج تحت القواعد فهو من السنة وليس من الرأي المذموم[8].

وإذا ذهبنا إلى قول الإمام نجده يقول:

«عجبٌ للناس!! يقولون إني أفتي بالرأي، ما أفتي إلا بالأثر» ويروى أن محمد الباقر لما التقى الإمام أبا حنيفة قال له: أنت الذي حولت دين جدي وأحاديثه بالقياس؟

فقال أبو حنيفة: معاذ الله، فقال محمد: بل حولته، فقال أبو حنيفة: اجلس مكانك، كما يحق لك حتى أجلس كما يحق لي، فإن لك عندي حرمة كحرمة جدك ﷺ في حياته على صحابته، فجلس ثم جثا أبو حنيفة بين يديه ثم قال: إني سائلك عن ثلاث كلمات فأجبني: الرجل أضعف أم المرأة؟ فقال محمد: المرأة. فقال أبو حنيفة: كم سهم للمرأة؟ فقال: للرجل سهمان، وللمرأة سهم. فقال أبو حنيفة: هذا قول جدك، ولو حولت دين جدك لكان ينبغي في القياس أن يكون للرجل سهم، وللمرأة سهمان؛ لأن المرأة أضعف من الرجل. ثم قال: الصلاة أفضل أم الصوم؟ فقال: الصلاة أفضل. قال: هذا قول جدك، ولو حولت قول جدك لكان القياس أن المرأة إذا طهرت من الحيض أمرتها أن تقضي الصلاة ولا تقضي الصوم. ثم قال: البول أنجس أم النطفة؟ قال: البول أنجس. قال: فلو كنت حولت دين جدك بالقياس، لكنت أمرت أن يغتسل من البول، ويتوضأ من النطفة، ولكن معاذ الله أن أحول دين جدك بالقياس. فقام محمد فعانقه وقبل وجهه وأكرمه»[9].

ثم نجد الإمام أبا حنيفة يبين منهجه فيقول: «آخذ بكتاب الله تعالى، فإن لم أجد في كتاب الله تعالى فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد في سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت منهم، وأدع قول من شئت منهم، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فأما إذا انتهى الأمر وجاء إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين وعطاء وسعيد بن المسيب وابن جبير.. فقوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا»[10].

وقد أورد الإمام الذهبي عن أبي حنيفة أنه قال:

«ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال»[11].

إذا علمنا أن الرواة لم يحصروا في أن أبا حنيفة اتقى

(6) المرجع السابق: ص ٤٢٣.

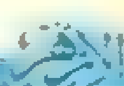
(7) السيد عفيفي: المرجع السابق.

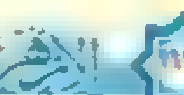
(8) المرجع السابق ص٤٩٧.

(9) ذكر هذه المناظرة الموفق المكي في مناقبه.

(10) سير أعلام النبلاء ص٦

(11) وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق إحسان عباس ص ٥ ص ٤١٩ دار صادر - بيروت





بعض الصحابة ورآهم كثير من هؤلاء وروى عنهم، فإن ذلك يضعه في جملة التابعين، على قول بعض العلماء، ويكون قوله السابق «هم رجال ونحن رجال» ينطبق وكونه معهم في نفس الرتبة. ويؤيد صحة هذا القول أنه لم يقل ذلك بالنسبة للصحابة. وقد تجرأ بعض مدعي العلم في عصر الحديث فرددوا هذه العبارة[12] وكم نعجب حين نسمع ونرى على الفضائيات قوماً يفتون بخلاف ما أجمع عليه العلماء، ويخرجون على كثير من الأصول المشتهرة ويرددون قول الإمام «هم رجال ونحن رجال». ولا ندري ما مفهوم هؤلاء للرجال وعددهم؟

على أي حال.. فهذه حالة من فتاوى الإمام ومواقفه التي تكشف عن عبقريته، حتى عده من أبي الرجال كان[13].

روى الخطيب عن أبي يوسف أنه قال: «دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور - وكان يعادي أبا حنيفة -: يا أمير المؤمنين، هذا أبو حنيفة يخالف جدك. كان عبد الله بن عباس يقول: إذا حلف اليمين، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين. فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة. قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم. فضحك المنصور، وقال: يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة. فلما خرج قال الربيع: أردت أن تشيط بدمي؟ قال: لا، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي»[14].

هذا ما كان من الربيع، ولم يقتصر العداء عليه، بل هذا موقف آخر ومكر حميد يقوده أبو العباس الطوسي.. إذ يروي الخطيب أيضاً: «أن أبا العباس الطوسي كان سيئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك. فدخل أبو حنيفة على أبي جعفر، وكثر الناس فقال الطوسي اليوم أقتل أبا حنيفة. فأقبل عليه، فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يأمر الرجل منا بضرب عنق الرجل، لا يدري ما هو، أيسعه أن يضرب عنقه. فقال: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال: بالحق. قال: أنفذ الحق حيث كان، ولا تسل عنه. ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته»[15].

من هذه المواقف السابقة يتضح لنا بعض من جوانب هذه الشخصية الفذة، فنرى قوة شخصيته، وحسن إدراكه، وسهولة وصوله إلى الدليل.

من أهم ما يلفت في فقه الإمام وفكره

أ- مراعاته للجانب الإنساني في الفتوى

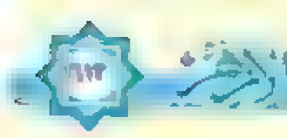
ب- ابتداعه فكرة المجمع الفقهي في صورته الأولية

تداعى مراعاة الجانب الإنساني في الفتوى ليتضح ذلك من الفتوى التالية

عن وكيع قال: رأيت أبا حنيفة وسفيان ومسعراً وجعفر بن زياد والحسن بن صالح اجتمعوا في وليمة بالكوفة، حضر فيها الأشراف والموالي. وقد زوج رجل ابنيه من ابنتي رجل، فلما اجتمع الناس إلى ذلك خرج إليهم المولى. فقال: أصابنا مصيبة عظيمة. قيل: ما هي؟ قال: غلط علينا فزفت إلى كل واحد غير امرأته. فقال: أنت أبوهما؟ قال: نعم. قال سفيان: هذه حكم فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب جميعها، كانت معاوية وجاء إليه فيها. فقال علي: لمثل مسألة الرسول معاوية أتت؟ إن هذا لم يكن بمثلها. أرى أن على كل واحد من الرجلين العقر بما أصاب من المرأة؛ لأنه وطئها بشبهة، وبرد المهر كله للموطوءة. ولو جمعت منه حرمة نسب، وترجع كل واحدة من المرأتين إلى زوجها بعد انقضاء عدتها من وطء

(12) الرعي بالوفيات باب الإمام أبو حنيفة

(13) السيد عفيفي.. حياة الإمام أبي حنيفة ص ٩٧ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٥٠ هـ



تشبيه ولا شيء شبيه في نعت

والناس سكوت يسمعون من سفيان ويستحسنون قوله. وأبو حنيفة في القوم وهو ساكت. فالتفت إليه مسعر وقال له: قل فيها يا أبا حنيفة. قال سفيان: وما عسى أن يقول غير هذا؟ فقال أبو حنيفة: عليّ بالغلامين فأحضرا. فقال لكل واحد منهما: أتحب أن تكون عندك المرأة التي زفت إليك؟ قال: نعم. قال: فما اسم امرأتك التي هي عند أخيك؟ قال: فلانة بنت فلان. قال: قل هي طالق مني. ثم إن أبا حنيفة خطب خطبة النكاح وزوج كل واحد منهما المرأة التي كان مسها. ثم قال أبو حنيفة: جددوا عرسا آخر. فعجب الناس من فتيا أبي حنيفة[14].

هكذا وجدنا في فتوى الإمام أبي حنيفة أنه لم يفرغ اهتمامه على استخراج الحل بل اهتم أيضا بطلب الغلامين وتوجيه السؤال إلى كل منهما وفي ذلك مراعاة لكل من الجانب الفقهي والجانب الإنساني لأنهما يشكلان المسألة فلقد كان أبو حنيفة صاحب فكر عميق، ولا يكتفي بالبحث في النصوص بل كان يبحث عن العلل والغايات، وإن ما يأتي به من إجابات فذة لهو صورة لهذا العقل الذي أولاه الله إياه.

ولعل ما ناقشه الإمام من حرية المرأة في الزواج يشهد له باحترام إنسانية المرأة فيما لو بلغت الفتاة وتريد اختيار زوج لها وتعسف الولي في استخدام الحق الذي جعله الله له. فكان نظره إلى جانب رغبة الفتاة بشرط مراعاة الكفاءة في الزوج.

ابتداعه فكرة المجمع الفقهي في صورته الأولية:

ذهب كثير من المؤرخين إلى أن تلاميذ الإمام بلغ عددهم أكثر من ألف تلميذ، فمنهم من كان يرحل إليه يستمع ثم يعود إلى بلده، ومنهم من كان يلازمه، وكان الإمام يتخير منهم من يتفرس فيهم صلاحيتهم للإفتاء والقضاء، وكان لا يضم للحلقة إلا من انتظم معه في الدرس مدة عام كامل، فيشكلون مجلسه الفقهي، وكان يتعهدهم بالنصح والإرشاد وكان إذا ما أراد بحث مسألة جمع أصحابه، وعرض عليهم نفس القضية ليبدي كل واحد منهم ما يراه مدعما بالدليل، وكان من بين تلاميذه الفقهاء والقراء والمحدثون. ولقد بقي معهم في ذلك كله [illegible] وكانت هذه الحلقة نواة لحلقة استمرت حتى صارت فيما بعد المجمع الفقهي بمجموعه لا يبغي أحد فيه غير وجه الله تعالى.

ولقد أحس أبو يوسف من نفسه مقدرة على الإفتاء، وعقد لنفسه مجلسا في المسجد فتأخر عن مجلس أبي حنيفة فسأل الإمام عنه فأخبر أنه عقد لنفسه مجلسا، فدعا رجلا كان له عنده قدر وقال له: سر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهم، فصار إليه بعد أيام، فطلب الثوب فقال له القصار: ما لك عندي شيء، وأنكره، ثم إن صاحب الثوب رجع إليه فدفع إليه الثوب مقصورا، هل له أجرة؟ فإن قال له أجرة فقل له أخطأت، وإن قال لا أجرة له فقل أخطأت. فسار إليه فسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة، فقال: أخطأت. فنظر أبو يوسف ساعة ثم قال: لا أجرة له. فقال: أخطأت.

فقد وعى أبو يوسف من الأستاذ في تلميذه [illegible] إن الإمام لما قال له يوما [illegible] عنه كثير هو نفسه الذي يحسبه من غرور، فقام أبو يوسف من ساعته إلى أبي حنيفة. فلما دخل عليه قال له أبو حنيفة: ما جاءت بك إلا مسألة القصار، وما ذلك إلا لحرص أبي حنيفة على تلميذه وعلى حلقته الفقهية حتى تكون له في هذه الآراء التي شكلت منهجه الذي ملأ طباق الأرض. فالإسلام دين تجديد وإصلاح وقد أشار إلى بعض ما ورد عن صحابة رسول الله ﷺ في اجتهاده في أمور لم يرد فيها نص وما الإمام في اجتهاده إلا متبع لصحابة رسول الله ﷺ. فصار الإمام في التجديد مما لا يدانيه نظير

(١٤) السيد عفيفي.. حياة الإمام أبي حنيفة ص ٩٦



خطبة الجمعة

الإسلام والمتغيرات الدولية

لفضيلة الشيخ: محمد الغزالي

اعداد فضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله ذى الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام

﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ غافر ٣

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ الإسراء ١١١

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. ولله الحمد. الله أكبر كبيرا. والحمد لله كثيرا. وسبحان الله بكرة وأصيلا

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك. وله الحمد وهو على كل شيء قدير

كل شيء هو خالقه. كل حي هو رازقه. كل نور هو مشرقه

سبحانه تبارك اسمه. سبح كل شيء بحمده. وخضع كل شيء لعظمته وخشع كل شيء لعظمته ورهبته. سبحانه في الأرض والسماء

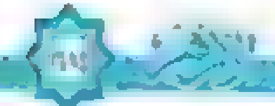
﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الجاثية ٣٦، ٣٧

وأشهد أن محمدا رسول الله. خيرة الله من خلقه وصفوته من عباده. [illegible]

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين

أما بعد

فنحن الآن نلقي نظرة إسلامية على أحوالنا والمتغيرات العالمية حولنا، وهي نظرة نستلهم الله فيه



الرشد، ونسأله أن يحيينا على الصدق، وأن يجعلنا بالعبرة التي ينبغي أن نستخلصها من هذا كله.

وقبل أن أخوض في بعض العناوين التاريخية أحب أن أقول للناس كلهم : إن الإسلام دين يقوم على الإقناع الحر والدعوة المجردة، لا يعرف ضغطا ولا إكراها لا ماديا ولا معنويا، إنه يعرض ما عنده، ويترك لذوي الألباب أن يختاروا ما شاءوا.. وفي حماس العرض قد يكون الإنسان شديد اللهجة قوي النبرة. ولكن الله يقول لنبيه - ﷺ - وهو يعرض ما عنده :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ٩٩)

وليس هذا حكرا على دين محمد ﷺ بل الأديان كلها منذ بعث نوح عليه السلام ترفض الإكراه وتقوم على الدعوة المجردة، ولذلك يقول نوح لقومه:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (هود : ٢٨)

منذ بدأ محمد ﷺ دعوته ما أكره أحدا على الدخول في دينه ولا عامل خصومه إلا بالبر والقسط

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

على هذا الأساس بدأت دائرة الدعوة الإسلامية تتداح في جزيرة العرب، ودخل عرب الجزيرة في الإسلام بعد عشرين سنة وهم داخرون يعلمون أن الحرية الدينية وحدها هي السبب الذي دخلوا منه في هذا الدين العظيم. ولكن العدو من حول الجزيرة لم يعامل العرب بالإنصاف ولا بالقسطاس، بل وجدنا شيئا آخر، فإن الدولة الرومانية - وكانت الدولة الأولى في العالم يومئذ بعد أن انتصرت على الفرس في معركة هائلة استردت فيها الصليب الأعظم وفرضت سلطانها على الدنيا - أبت أن يأخذ الإسلام مداه، فحاصرت جزيرة العرب من الشمال.. ويقرأ المسلمون وفيه أن الرومان رفضوا أن تنطلق الدعوة الإسلامية من جزيرة العرب، وأنهم أرسلوا جيشا لهم من نحو مائتي ألف مقاتل لقتال المسلمين في (مؤتة) وأرغموا المسلمين على الانسحاب جنوبا - ومؤتة في جزيرة العرب تساوي (بنها) مثلا أو (طنطا) في مصر.

نقول للرومان : من جاء بكم من قارتكم إلى داخل جزيرة العرب تقاتلون الإسلام وتقتلون القادة المسلمة لنهم الجيش؟ جاءوا بهم لتطفئوا وتعتصب. ثم تطلق المسلمون يثأرون لأنفسهم ويمدون دعوتهم وذهبوا إلى (تبوك) وتراجع الرومان قليلا كي يلتقطوا أنفاسهم ويجمعوا قواهم، وفوجئ المسلمون بأن النبي ﷺ قد مات، ولكن خلفاءه رضي الله - تعالى - عنهم مضوا في نفس الخطة وقاتلوا الرومان لماذا قاتلنا الرومان؟

إن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران : ١٩)

فهل نعرض الإسلام على الناس؟

لا. لا. لا قل نعم

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ (آل عمران : ٢٠)

ما عرض الدين وأقول للناس : هل يعجبكم هذا الدين؟ فإن أعجبهم ودخلوا فيه فمرحبا بهم وهم إخواني، وإن قالوا : لا نريد دينك، أقول لهم : عندي معكم أمرين :

الأمر الأول : هل تتركوني أدعو لديني دون فتنة؟

الأمر الثاني : هل تسمحون لي أن أعرض ديني على غيركم؟

فإن قالوا : نعم، قلت لهم كما قال ربي لنا

﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (النساء : ٩٠)

وإن قالوا : إن عقيدتك تدعو إلى الإسلام عند حمل السلاح، وإذا دخل أحد في الإسلام عذبناه حتى يرتد، عرفت الحرب سبيلها وليست معتدية وإنما قتال لاعتداء، لا يعرفه دين الله

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٠)

فماذا نصنع إذا كان غيرنا يريد فتنتنا، ويريد إغلاق أفواهنا، ويأبى أن يترك الإسلام بالقلم واللسان يتحرك؟!

أوجه النظر إلى أمرين

إن محمدا ﷺ رحمة للعالمين.

■ لقد كان الاستعمار الروماني يضغط بصدره الثقيل على جزيرة العرب وعلى وادي النيل وعلى الشمال الإفريقي وعلى آسيا الصغرى، فإذا كان الإسلام قد قاتل الاستعمار الروماني وأطلق الشعوب السجينة من سجنها الكبير وأعطاها الحرية فهل يلام لأنه حرر الشعوب؟

الحقيقة أن الإسلام - بالفتوح التي قام بها - حرر شعوبا كانت سجينة، ورفع رءوسا كانت ذليلة، بل إن الأقباط في مصر استقبلوا الفاتح المسلم ببشاشة وحفاوة لأن الاستعمار الروماني كان قد عزل البطريرك وقتل أخاه حرقا ثم رمى بجثته في الإسكندرية على شاطئ البحر، ففرح الأقباط بدخول الإسلام لأنه دخل محررا مقرا حرية التدين!!

إني أقول بملء فمي وأقول بفخر واعتزاز : نحن المسلمين ابتدعنا الحرية الدينية في الأرض، وما كانت أوروبا تعرفها، بل يعرف العالم كله أن الكاثوليك في فرنسا - منذ قرنين اثنين - أوقعوا مذبحة بالبروتستانت قتل فيها ثلاثون ألف بروتستانتي في مذبحة (سانت بارتلميو) (*) وهي مذبحة هائلة عندما وقعت فرح الفاتيكان بها وصك نقودا تخليدا لذكراها.

(*) مذبحة سانت بارتلميو : مذبحة دموية جرت في يوم عيد القديس بارتلميو بباريس عام ١٥٧٢ دبرتها ملكة فرنسا كاترين دي مديتشي ضد البروتستانت واشترك في تدبيرها دوق دوجيز ودوق جيز وراح ضحيتها أعداد كبيرة من الفرنسيين البروتستانت بلغ عددهم نحو ٣٠ ألفا تضمهم في باريس ومن بينهم الأميرال كوليني

هذا عمل لا يعرفه الإسلام في تاريخه أبداً، نحن ابتدعنا حرية الرأي وحرية الدين ولا نزال حراس الدين الحر..

لكن أوروبا بعد خمسة قرون عادت مرة أخرى فأعلنت علينا حرباً صليبية ظلت ثلاثة قرون بعد أن جرّت إليها التتر، والتاريخ الأوربي يقول: إن إسقاط بغداد كان في معركة تترية صليبية، وسقوط بغداد كان سقوطاً رهيباً.

والثلاثة قرون التي هوجمت فيها الأمة الإسلامية شهدت ثماني حملات صليبية، وأكتفي في تلخيص هذه الحملات بكلمات لـ (فيليب حتي).. وهو مستشرق ماروني أمريكاني - قال: في القرن الثاني عشر من الميلاد كان كل شيء يؤذن بزوال دين محمد، فقد نجح الصليبيون في اكتساح فلسطين، وتسللوا ودخلوا مصر، وتسللوا يعبّدون طريقهم إلى الحجاز، ونجح التتار في إسقاط بغداد، ويوشك أن تلتقي ذراعا الكماشة على العالم الإسلامي فيموت!!

لكن المسلمين إبان الأزمات العضوض وأيام الضوائق المهلكة يجمعون على دينهم ويتساندون على صفوفهم، ويكونون جبهة تستميت في الدفاع عن موروثاتهم وعقائدهم.

ولذلك يقول (فيليب حتي): فلما جاء القرن الثالث عشر للميلاد كان هناك سؤال آخر: هل سيبقى شيء أمام دين محمد!!

استعاد المسلمون بيت المقدس، ودخل التتر في الإسلام، وجاء القرن الثامن الهجري والأمة الإسلامية قد غسلت أرضها غسلاً من بقايا الصليبية الزاحفة. ونجا المسلمون من البلاء الذي أريد بهم.

أكنا نحن في هذا معتدين؟

غزينا في عقر دارنا، قتل التتر مليوني شخص في بغداد، اسودّ النهر مرة بالكتب التي ألقيت فيه، واحمر مرة أخرى بالدماء التي سالت إليه!!

حدث للأمة الإسلامية ما حدث، ثم شاء الله أن يقود الأتراك العالم الإسلامي فثأروا لما حدث وأسقطوا عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، واتجهوا في غرب أوروبا حتى وصلوا إلى (فيينا) وظلوا نحو أربعة قرون يقفون على هذا الأساس.

لكن الذي حدث بعد ذلك - وتلك الأيام نداولها بين الناس - أن الأوروبيين استردوا أنفاسهم وهجموا مرة أخرى، وسقط العالم الإسلامي بقضه وقضيضه.

لكن هذا العالم الإسلامي - كما قلت - مرن على أن تجتاح أرضه ثم يلتقط أنفاسه ويصطلح مع ربه ويعود إلى قواه، وبدأنا فعلا حروب تحرير انتهت بأن مصر - ولله المنة - تحررت وأن العلم الإسلامي انتشر في بلاد كثيرة واستقلت أرضون كثيرة منه، فماذا حدث؟

حدث زحف آخر، فإن الصليبية العالمية اصطلحت مع الصهيونية العالمية وزرعت دولة إسرائيل على أكبادنا وأنقاضنا، ورضي المظلوم ولم يرض الظالم، ورضي المقتول ولم يرض القاتل، ورضي المغتصب المسروق ولم يرض السارق المغتصب. وأرى أن يترك العرب مكانا يعيشون فيه ثم إن إسرائيل تريد إسرائيل الكبرى، ومعنى هذا أن قيام إسرائيل الكبرى يحتاج أن تحتاج في قضائها الخيرى واستدادها لتبتلع مصر والعراق والسعودية والأردن وسوريا ولبنان وفلسطين!!

ومعنى هذا أيضاً أن المعركة التي يريد اليهود فرضها معركة دينية. إذ تحتوي فيها هيكل حميه. وإذا حدث لعرب ما حدث للمسلمين من عنتهم!!

إن المحرومات والحرمات هي التي ستتمس منها وخلف اليهودي لإقامة إسرائيل الكبرى ليطحن حتى الخضر واليابس ولتقدم على سواه.

لذا يجب أن نصطلح وأن نتعاون وأن ننسى خصومات وأن نتآخى وأن نتدارس كيف تنتهي هذه المحنة وكيف نتلافى هذه المآسي. يجب أن تحرك المسلمين حركة تقارب وتعاون وتآخٍ. لابد من هذا ولا منعه.

وإذا كنت أودع رمضان فإنني أقول للمسلمين بيتين قيل إنهما للإمام الشافعي وقبل أن أذكرهما أذكر هذا التمهيد لهما:

الأعمال قسمان: أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وقد اتفق علماء الإسلام على أن أعمال القلوب أخطر من أعمال الجوارح، أعمال القلوب هي الأساس، وأعمال الجوارح هي شيء ثانوي، معاصي القلوب هي المهالك، ومعاصي الجوارح هي شيء ثانوي، معاصي القلوب مثل الكبر والرياء والحسد والحقد، ومعاصي الجوارح مثل السرقة والنظرة الدنيئة.

يقول الإمام الشافعي:

وذرة من القلب العلي
من الرغب والصدق والتوكل
أثقل عند الله من جبل
شحن من ظاهر الأعمال
ذرة من عمل القلب التقي لطيف أرى الذي

يستهدف وجه الله أفضل من جبل من الأعمال التي يقوم بها البدن في غيبة القلب.

خلوا من الأعياد الناحية الدينية فقط ثم قولوا: لا عيد لنا حتى نطهر الأرض ممن وسخ أرضنا وأهان ديننا وأسقط رايتنا وجعلنا نعيش غرباء في هذا العالم!!

إنني أطلب من المسلمين أولا، أن يصلحوا ذات بينهم، وثانيا: أن يجمعوا حكومات وشعوبا حتى يدرسوا كيف يغيرون عاداتهم، وكيف يغيرون تقاليدهم، وكيف يغيرون أحوالهم، وكيف يستعدون لعدو قرر ذبحهم وهو ينتظر الوقت المناسب لتنفيذ ما قرره، كأنه حكم علينا بالإعدام وهو ينتظر اليوم الذي ينفذ فيه هذا الحكم، أننام؟ أنلهو؟ أنتمتع؟ أنتخاصم؟ أنتفرق؟ أنجري وراء القضايا الصغيرة، أنهتاج للأمور التافهة؟

يا إخواني يجب أن نغير أحوالنا وأعمالنا، وأنا كإنسان مسئول عن الناحية الدينية سأقنع إخواني الإسلاميين أن يلغوا ما بينهم من فروق وأن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يقولوا كما قال المجتهد الأول: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب!!

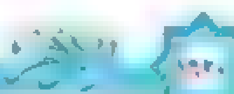
وأقول للحكومات العربية كلها: تآخوا، تعاونوا، التصقوا بشعوبكم، هذا هو المستودع الذي تأخذون منه الرجال.

العيد لمن

لفضيلة الشيخ فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

انقضى شهر رمضان المبارك، شهر الخير والبركات، شهر التوبة والمغفرة، شهر الروحانيات والنفحات الربانية، شهر الصلة والبر والإحسان، شهر كبح الشهوات وهجر السيئات، شهر الانتصار على النفس والهوى وعلى الغرائز، الشهر الذي فضله الله على بقية شهور السنة بأن أنزل فيه القرآن، وجعل أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، الشهر الذي خصه الله -تعالى- بليلة القدر، الليلة التي أسعد الله بها أمة حبيبه ونبيه ورسوله محمد ﷺ، الشهر الذي يتجلى الله فيه على عباده الصائمين فيمنحهم من فضله وكرمه أكثر مما يرجون وأضعاف أضعاف ما يدعون، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسًا لم يعطهن نبي قبلي: أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدًا، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعًا. فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ فقال: لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»(1).

(1) الترغيب والترهيب.



ويستقبل الآن شهر شوال يجني الصائم فيه ثمرة صيامه وعبادته، ثمرة طاعته لله واجتهاده وإخلاصه في التقرب إلى الله، يفرح فيه الصائم الفرحة الأولى الكبيرة في دنياه، وهي كانت تتكرر مع حلول مغرب كل يوم من أيام شهر رمضان الكريم، تصديقًا لقول الرسول ﷺ: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»(2).

ويسعد يوم عيد الفطر بعد شهر رمضان الكريم فرحة عيد الفطر، أحد عيدين اثنين شرعهما الله للمسلمين يتجمعون فيهما للعبادة، وراحة للأجساد، وشكر الله على نعمه، وعملًا في زيادة روابط التآخي والحب والتآلف والسرور والتعاون والتلاقي بين المسلمين، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «ما هذان اليومان؟» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكما خيرًا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر»(3).

ولكن لمن هذا العيد؟ ومن يستحق أن يسعد ويفرح بعيد الفطر؟ ومن الذي يستحق عفو الله -تعالى- في قوله الكريم بعد العيد؟ ومن الذي نال دخول الجنة من باب الريان؟ فعن سهل -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد»(4).

■ العيد لمن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، وامتنع فيه عن كل ما حرم الله، وابتعد فيه عن كل ما نهى الله عنه، وراقب الله في كل أعماله.

■ العيد لمن أقبل على طاعة الله في شهر رمضان بخشوع وخضوع، خال من النفاق والرياء، يرجو مغفرته، ويخشى عقابه، ويطمع في جنته.

■ العيد لمن شعر بجوع الفقراء وآلام المساكين وحرمان المحتاجين، فبادر إلى مساعدتهم والعطف عليهم والإحسان إليهم في السر والعلن، في غير نفاق ولا رياء، ولا دعاية ولا إعلان.

■ العيد لمن أدى فرائض الصلاة في وقتها، وزاد من سننها، وأكثر من نوافلها، وأقام صلاة القيام، وتهجد بالليل والناس نيام.

■ العيد لمن أدى الأمانات في شهر رمضان.. ومن الأمانات المحافظة على وقت العمل الذي يأخذ عنه أجرًا، فلا يتراخى ولا يتكاسل في أداء ما كلف به من أعمال بحجة الصيام.

■ العيد لمن قام بأداء عمله على خير وجه في رمضان، وسارع إلى قضاء مصالح العباد، وراقب الله في وقت عمله فلم يضيعه في المجاملات والأحاديث مع المعارف والأصدقاء.

■ العيد لمن اهتم بصلة الرحم فبادر إلى صلتها: فزار المريض، وأعان المحتاج، وسلم على الحاضر، وسأل عن الغائب، وأغاث الملهوف، وفرج كرب المكروب، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله -تعالى- خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم:

[illegible]

(محمد: ٢٢، ٢٣)

(2) صحيح مسلم، كتاب الصيام، رقم ١٩٤٥.
(3) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، رقم ٩٥٩.
(4) صحيح مسلم، كتاب الصيام، رقم ١٩٤٧.
(5) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة رقم ٤٦٣٤

■ العيد لمن اقترن صومه بالامتناع عن الأكل والشراب والشهوات، بالامتناع عن الغيبة والنميمة، وهتك أعراض الناس بالقيل والقال.

■ العيد لمن اجتهد في قراءة القرآن الكريم في هذا الشهر الكريم الذي نزل فيه القرآن، راجيا أن ينال ثواب حسنات التلاوة، فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[6].

■ العيد لمن فاز بنفحة الله في شهر رمضان الذي اختصه الله -تعالى- بالخير الكثير، والفضل العميم، والذي لو يعلم الناس ما فيه من الخير والفضل والبركة لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان، ففي الحديث الشريف: «إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها، فلعل أحدكم تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا»[7].

■ العيد لمن أثر الصوم فيه فهذبت روحه، وتطهر قلبه، وصفت نفسه، واستقامت جوارحه، وامتثل خشية ربه فصار يراقب الله في أقواله وأفعاله.

■ العيد لمن غرس الصوم فيه قوة الإرادة، وصدق العزيمة، والقدرة على التحكم في العادات، والتغلب على الشهوات، والصبر على الحرمان، والجلد على الآلام.

■ العيد لمن اتقى الله في جوارحه فكف لسانه عن فضول الكلام ولغوه، وشغل لسانه بالذكر والتسبيح والصلاة على رسول الله ﷺ، وامتنع عن الدخول في الجدل الذي لا فائدة فيه، ولا خير يرجى منه.

■ العيد لمن جدد التوبة مع الله، فاجتهد في العبادة، وداوم على الاستغفار، وشغل نفسه بالعلم النافع، وحرص على أن يكون لسانه دائما رطبا بذكر الله.

■ العيد لمن أدى حقوق الجار، وراعى مشاعره ومشاعر أهله وأولاده، وقدم له العون والمساعدة إن كان محتاجا، وزاره إن كان مريضا، وواساه إن كان في مصيبة، وفقد توجيهات الرسول ﷺ في قوله: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[8].

■ العيد لمن حظي ونال فضل ليلة القدر التي قال الله سبحانه وتعالى في شأنها:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

(القدر: ٣)

فقد شرفت هذه الليلة بنزول القرآن الكريم فيها، وخصها الله بأن العبادة فيها أكثر ثوابا وأعظم قبولا من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وأن جبريل عليه السلام يتنزل مع الملائكة في هذه الليلة المباركة إلى الأرض بأمر من الله تعالى وإذن ربه لنشر الخير والبركات والأمن والسلام والنفحات من الله تعالى على من يفوزون بفضل هذه الليلة من المؤمنين الذين يحيونها في طاعة الله وعبادته، وذكره وتسبيحه إلى أن يطلع الفجر، في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

■ العيد لمن بر والديه وأطاعهما، وتقرب إلى الله بالإحسان إليهما، والتزم بطاعة أمر الله في قوله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(النساء: ٣٦)

وقد وصية الله في قوله:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

(لقمان: ١٤)

فقد قرنت الآية الكريمة عقب شكر الوالدين بعقب شكر الله- بعد أن أشارت إلى ما تحمله الأم من مشقة وتعب في الحمل والرضاعة، وإلى ما تحمله الأب من جهد ونصب في النفقة والتربية.

■ العيد لمن تجنب الإساءة إلى الوالدين أو إلحاق الأذى بهما، وامتثل حكم الله في قوله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

(الإسراء: ٢٣، ٢٤)

عن معاوية بن جاهمة السلمي -رضي الله عنه- قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: «ويحك أحية أمك؟» قلت: نعم، قال: «ارجع فبرها»، ثم أتيته من الجانب الآخر، فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: «ويحك، أحية أمك؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «فارجع فبرها»، ثم أتيته من أمامه فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة قال: «ويحك، أحية أمك؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «ويحك الزم رجلها فثم الجنة».

■ العيد لمن أحيا ليلة العيد بطاعة الله- تعالى- بالذكر والدعاء والصلاة وتلاوة القرآن امتثالا لقول الرسول ﷺ: «من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[9].

■ العيد لمن أخرج صدقة الفطر وأعطاها للفقراء والمساكين والمحتاجين امتثالا لقول الرسول ﷺ: «أغنوهم في هذا اليوم عن المسألة»[10].

■ العيد لمن أدخل البهجة والسرور والفرحة على زوجته وأولاده وأفراد أسرته، وأشرك اليتامى في إدخال البهجة والسرور والفرحة عليهم بالعطف والحنان والمودة لهم، فلا يشعرون باليتم والوحدة والحرمان.

أخي المسلم

راجع نفسك وحاسبها، واستعرض أعمالك وأقوالك وتصرفاتك، وعلاقتك مع الله ومع الآخرين في شهر رمضان الكريم.. فإن كنت ممن يصدق فيهم ما سبق فاحمد الله واشكره على أن وفقك إلى صوم شهر رمضان، وإلى عبادة الله وطاعته فيه، ونيل فضل شهر رمضان وخيره، واسعد وافرح بالفرحة الأولى في دنياك فرحة عيد الفطر المبارك، وأبشر بالفرحة الثانية في أخراك عند لقاء ربك ومولاك.

وإن كنت غير ذلك- والعياذ بالله- فلا تلومن إلا نفسك، فقد أتاك شهر الخير والنفحات فلم تغتنمه، وأتيحت لك فرصة الطاعة فأعرضت عنها، وفتحت لك أبواب الجنان فلم تدخلها.

ندعو الله ضارعين أن نكون من الفائزين في شهر رمضان، الموفقين إلى طاعة الله فيه، المستحقين لشفاعة الصيام والقرآن الذين يسعدون بالفرحتين.

(٦) سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن عن رسول الله رقم ٢٨٣٥.
(٧) المعجم الأوسط بعنه مقارب رقم ٢٨٥٦
(٨) صحيح البخاري كتاب الأدب
(٩) الترغيب والترهيب
(١٠) سنن الدار قطني، إعلام الموقعين لابن القيم والفتاوى الكبرى لابن تيمية.

من قصص المروءة

للدكتور/ أبي حسام

كان خزيمة بن بشر الأسدي من أعيان الجزيرة ووجهائها وله في الموصل صيت بعيد في الكرم والسخاء، فما يقع أحد في أزمة إلا قصده، فأزاح غمه وأسبغ عليه بما آتاه الله من فضل، وكان الناس يقولون في عصره حينما يشهدون من عطائه الكثير يضربون المثل بحاتم الطائي، ومن حاتم الطائي إذا قيس بخزيمة الأسدي، كان قصارى عزم حاتم أن يذبح للضيفان ناقة أو شاة ولا يتجاوز ذلك، أما خزيمة فيعطي المال والكساء والغذاء كل يوم.

وكانت امرأة خزيمة كامرأة حاتم تماما، تعنفه على كثرة الإنفاق وتقول له: ستترك عيالك فقراء يلتمسون البر من الناس، فيقول لها: إن الله يعطي الحسنة بعشرة أمثالها،

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾

(سبأ: ٣٩)

ويذكر لها من الأحاديث ما يسكت لسانها بعض الوقت، ولكنها حين تجد خزيمة يزيد في البر [illegible] حتى يستنفد ما لديه من مال تسرع إلى معارضته، ولقد بارحت بيتها إلى بيت والدها غضبا منه وقالت: لقد تزوجت رجلا أهوج يتجاوز المعروف إلى السفه، ويحاول إرضاءها فيريها أنه لن يعود ثم لا يلبث أن يأتيه السائلون فيجيب داعي المروءة.

وفي عام من الأعوام، عزم على زيارة بيت الله الحرام وتهيأ للرحلة في قافلة حافلة وفي الطريق إلى مكة اعترض القافلة بعض قطاع الطريق، ومعهم السلاح والقوة، فنهبوا كل ما بها من العتاد والمال، وقتلوا من تعرض لمقاومتهم، وشاء خزيمة أن يقدم لهم كل ما يحمل على أن يتركوه وشأنه، مع راحلته التي يرجع بها ثانية دون أن يقدر على تمام الحج، فوافق قوم وعارض آخرون، ثم رأوا أن يصفحوا عنه دون [illegible] فرجع [illegible] على قدميه حتى [illegible] ومضى في الطريق دون وعي [illegible]

وشاء الله أن يمر به عابر في الصحراء [illegible] فكشف عن وجهه فعرف أنه خزيمة بن بشر الأسدي فترفق به حتى أنقذه من عثرته، وعرض عليه أن يركب ناقته حتى يبلغ داره، فحمد الله [illegible] من يأخذ بيده

حزنت امرأته حين رأته في حال لا تسر، ثم استعانت بمن أوصله إلى منزله، وأجزل له خزيمة الثواب، وأرادت الزوجة أن تعيد كرتها في التحذير من الإسراف فقالت: لو كانت حسناتك [illegible] تحميه، لنجت عنك الأشرار، فاترك عادتك في السخاء الممقوت وارع أمر نفسك وبيتك، فالكرم لا يحميك شيئا كما شاهدت وعاينت.

فقال لها معارضا: أخطأت الظن، فقد مات كثير من زملائي في القافلة، وأحياني الله بما قدمت من معروف، [illegible] له في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وطال الجدال بينهما على غير جدوى، وكان أن أصر خزيمة على عادته في السخاء وفتح بيته لكل قاصد وسائل، والزوجة ترى المال يتناقص يوما بعد يوم، فتعض بأسنانها على إصبعها ندما، وكان أن جاء اليوم الذي ينضب فيه المنبع، فلا يجود بقطرة ماء، فأسف خزيمة لنفاد ماله، وأغلق منزله كيلا يحرج بسؤال السائلين!

وتناقل القوم حديث خزيمة ولم يرحمه من أتحفوا بره ومعروفه فجعلوا يشمتون به، ويقولون إنه كان أهوج أخرق حمقا، وإنه كان يتباهى بالجود لا رغبة في الخير، ولكن حبا في الثناء! ووصله ما قيل، فجعلت زوجته الناقمة تزيده تعنيفا فيقول لها: ومالي ولهؤلاء! لم أكن أنتظر المثوبة منهم فأحزن لما يذيعونه، إنني كنت أنتظرها دائما من الله ولن يضيع أجر عامل مهما أبطأ الثواب!

وفي إحدى الأمسيات جاء حديث خزيمة في مجلس والي الجزيرة عكرمة الفياض، فتحدث القوم عن فقره بعد ثرائه، وأنه لم يعد يفتح منزله لأحد، بل صار موصدا في الصباح والمساء، وعكرمة الفياض يعلم عن خزيمة فضله الكبير، وهمته العالية، فعز في نفسه أن يثرى المرابون والبخلاء وأن يتباهوا بما يملكون، ثم يغلق خزيمة منزله، وقد كان فيما كثير الزحام، وسحابا دائم الغوث، وضاقت به نفسه، فرأى أن يفارق الندوة لبعض أموره، وانفض السامر فاتجه إلى خزينة ماله، وأحضر أربعة آلاف دينار ووضعها في كيس من الكتان، وأمر غلامه أن يصحبه في حندس الليل إلى منزل خزيمة، فقالت له زوجته: ألا تنتظر إلى الصباح، فصاح بها: أحاذر أن يراني أحد، فيعلم أنني جئت معطيا، والله وحده صاحب العطاء، ثم طرق الخادم الباب ففتحه خزيمة متسائلا، فغير عكرمة من صوته ومد له يده بالكيس، فتساءل في عجب: من أنت؟ فقال: لا أفصح عن نفسي، فقال: والله لا آخذ حتى تفصح، فقال: أما وقد أقسمت فإني جابر عثرات

الكرام! والصفات تغنى عن الأسماء! وأسرع بالعودة وقال لخادمه: إن عرف أحد ما صنعت فلن يكون لك عندى بقاء!

أخذ خزيمة الكيس دهشا، ولم يكن بالمنزل سراج لضيق ذات اليد، فجعل يمس الدنانير بيده فيجدها ثقيلة ويحاول عدها فلا يقدر، وكذلك حاولت زوجه، حتى إذا تألق نور الصباح أسرعا إلى عد النقود فإذا هى أربعة آلاف من الدنانير لا من الدراهم، فقال لزوجه: أعلمت أن الله لا يضيع أجر المحسنين؟ فسكتت كالذاهلة ثم قالت: لن يجود بهذا بشر، ما أراه إلا ملكا من السماء!

كل ذى نعمة محسود، وقد حسد نفر من أهل الجزيرة عكرمة الفياض على كرمه الغزير، وحب الناس إياه، واجماعهم على مروءته فكتبوا إلى أمير المؤمنين سليمان بن عبدالملك بدمشق، وكان قد تولى الخلافة منذ عهد قريب بعد أخيه الوليد بن عبدالملك، كتبوا إليه يقولون إنه ينفق مال الدولة ذات اليمين وذات الشمال ويتشبه بالمهلب بن أبى صفرة، وأولاده محاولا أن ينشئ طائفة تشيد بفضله، وتتغنى بمكارمه فتأثر سليمان بما سمع وسأل حاشيته: من من أعيان الجزيرة وأهل نعمتها يصلح لولايتها؟، فقالوا ليس فيها إلا خزيمة بن بشر الأسدى، فنظر سليمان كالمأخوذ، وقال لم لم تذكرونى به؟، إنه من الخلصاء الذين استشارهم أخى الوليد فى خلعى عن ولاية العهد فلم يوافق، وقال له: إن هذا يجر فيما بعد إلى أن يتلاعب الناس بالعهود، وتضيع هيبة الخلافة والخلفاء، ولابد أن أجزيه خير الجزاء وسيكون هو والى الجزيرة فاكتبوا إليه بلقائى سريعا دون إبطاء!

وصلت رسالة سليمان إلى خزيمة، فبادر بالصعيد، واستقبله أمير المؤمنين عاتبا عليه أنه لم يحضر لتهنئته بالخلافة، شاكرا موقفه من الوليد، وسأله عن حاله، فقال: أصدقك يا أمير المؤمنين، إنه تقلبت بى أحوال عاصفة، قذفت بى من السعادة إلى الشقاء، ثم إلى السعادة من حيث لا أدرى ولا أحتسب، فقد جريت على عادتى من حب الخير والعطف على الناس بما فى يدى، وكثرت حاجات السائلين فاكتسحت كل ما لدى، واضطررت إلى أن أغلق على بابى، حتى قصرت ثمن الزيت الذى يضىء السراج، ثم ألهم الله أحد الأجواد فطرق على بابى بالليل، وناولنى كيسا به أربعة آلاف دينار، وحاولت أن أعرفه فأنكر اسمه فلما أصررت على معرفته قال: أنا جابر عثرات الكرام! ومضى وتركنى وزوجى فى ذهول!

فقال سليمان: ولم لم تأت إلى والمال موفور، وخير الله كثير؟ قال هذا ما كان يا أمير المؤمنين، فقال سليمان: إذا جاء يوم وعرفت من هو جابر عثرات الكرام فائتنى به سريعا، لأنه آية الآيات فى بذل المعروف خفية واحتسابا، لا مباهاة وتفاخرا كمن يبذلون أموالهم رئاء الناس!

ثم قال له: لقد كثرت الشكوى من عكرمة الفياض وقد عزلته ووليتك مكانه، وهذا كتاب ولايتك، فاذهب إلى دار الإمارة، وحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، لأنه بعثر مال المسلمين تظاهرا بالجود والكرم ليجمع إليه قلوب الناس تشبها بأولاد المهلب، ولابد أن يؤدى كل ما أنفقه فى غير أمور الدولة فإن عجز فقيده بالأغلال وأرسله مكبلا إلى، وسأنظر فى أمره متى جاء!

ومضت أيام الرحلة من دمشق إلى الجزيرة، وحضر خزيمة متجها إلى دار الإمارة، وكان عكرمة قد علم بعزله من قبل فاستقبل خزيمة هاشا مستبشرا، ولكن خزيمة أراه كتاب العزل ومعه عنف بالمحاسبة الشديدة، ثم إرساله مجفوا إلى أمير المؤمنين، فاستحاب فى استسلام، ورأى خزيمة أن يحبسه فى دار الإمارة حتى يقف على ما كان من تصرفه فى أموال المسلمين فكان ما أراد.

وبعد شهر من [illegible] فى محبسه، جاءت زوجة عكرمة حزينة [illegible]. [illegible] زوجة خزيمة [illegible] ترفض [illegible]. [illegible] فى [illegible] خزيمة كى يطلق زوجها من الأسر. [illegible] أن تقول لها [illegible] من [illegible] على خزيمة لا [illegible]. [illegible] حتى [illegible] لها [illegible] جابر عثرات الكرام" لا تعرفين [illegible] خزيمة فى حبس [illegible]"

خرجت زوجة خزيمة وكأن [illegible] على غير [illegible] وصاحت هاتفة [illegible]. [illegible] خزيمة [illegible] فى [illegible] من يوم. كل وقته يقول: ليتنى أعرفه [illegible] حميد. ثم تركت [illegible] إلى بيت الإمارة، وعجب خزيمة من مجيئها [illegible] على غير موعد، وظن فى الأمر خطورة غير متوقعة، وجعل يسأل: أسرعى، أسرعى، قولى ماذا أتى بك؟ فقالت له: إن جابر عثرات الكرام هو عكرمة الفياض الذى وضعته فى الأغلال، فوقف خزيمة مذهولا يقلب كفيه، ونادى بالحارس فاصطحبه إلى محبس عكرمة والدموع تتقاطر من عينيه، وهو يقول: قابلت يا عكرمة إحسانك إلىّ بالجحود والنكران، هات قيدك لأضعه فى يدى، وسأذهب مغلول اليدين معك إلى سليمان فقد قال لى: إذا قابلت جابر عثرات الكرام فلا تتركه واصطحبه إلىّ، وها قد أسعدنى الله بلقائك، وإلى دمشق من الغد.

وفى صباح يوم قريب جاء إلى سليمان من يستأذنه فى دخول خزيمة الأسدى مع صاحب له، فهش أمير المؤمنين لما سمع، وطلب حضورهما الفورى دون مهل، ولم ينتظر خزيمة أن يأذن له أمير المؤمنين بالحديث فقد صاح متعجلا: يا أمير المؤمنين، هذا جابر عثرات الكرام الذى أنكر ذاته، وكان من سوء حظى أن أضع يديه فى الأغلال، وقد أطلقته لأضع يدى مكان يده فى القيد لو أراد أمير المؤمنين!

فاحتضنه سليمان ورحب به، وقال له يا عكرمة: لقد كان خيرك لغيرك وبالا عليك، حسدك القوم فقالوا عنك الزور والبهتان، ومثلك لا ينفق إلا استجابة لداعى المروءة والوفاء، وحاجتك من الآن لدىّ مقضية فاكتب بها، وستجد التعضيد والقضاء!

أما أمر خزيمة الآن فهو بيدك، فإن شئت أبقيته أميرا على الجزيرة، وإن شئت عزلته.

فقال عكرمة: بل يرد إلى عمله مكرما يا أمير المؤمنين، فقال سليمان: إذن تكون أنت واليا على أرمينية، ولك هذه الثروة من الدنانير لتقضى بها واجب المروءة، وتلبى داعى الإحسان!



المحاور الخمسة للقرآن الكريم كما يراها الشيخ محمد الغزالي

للأستاذ الدكتور/السيد أحمد فرج

هذا الكتاب من آخر ما كتب الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - وفيه أراد أن يبين أن محاور خمسة أفاض القرآن الكريم في ذكرها لأنها أمهات المسائل في القرآن. أما هذه المحاور الخمسة فهي:

١- الله الواحد
٢- الكون الدال على خالقه
٣- القصص القرآني
٤- البعث والجزاء
٥- التربية والتشريع

وإن القرآن الكريم الذي ضم هذه المحاور الخمسة، هو وحي الله تعالى الذي يهدي الناس إلى الحقائق الكونية. ويخرجهم من الظلمات إلى النور. وجمع كل ما تفرق من رسالات الأنبياء السابقين وتضمن من الوصايا ما يضبط سير البشر. كما أكد مؤلفه.

بدليلين أحدهما: تاريخي، والآخر: موضوعي.

فالأول [illegible] والثاني [illegible] وفي مقدمة [illegible] المؤلف على [illegible] في [illegible] لأهميتهما

الأول: أنه ليس هناك وحي محفوظ من الكتب السماوية إلا هذا القرآن الذي لا ريب فيه. ولن يعرف أحد الله تعالى معرفة صحيحة إلا من [illegible] في معانيه ومعاريه

الثانية أنه لم يتح لصاحب رسالة دينية سابقة أن قام بإقامة دولة في حياته، كما تحقق للنبي محمد ﷺ. وهذا دليل على أن الحق عز شأنه [illegible] إرادته حفظه عن طريق القرآن الكريم في حياة النبي الذي نزل عليه

ويدعو مؤلف الكتاب الشيخ محمد الغزالي كل مسلم

ومسلمة إلى تدبر آيات القرآن لرى الحديث دائما متصلا عن الله تعالى، وما يجب له، وعن جعل الحياة [illegible] معها لا بعدها. وهذا دليل التوحيد، وغرس الفطرة في الإنسان التي جعلته مؤهلا لحمل الأمانة وخلافة الله عز شأنه في الأرض.

ويؤكد المؤلف على أن القرآن الكريم لا يحتوي على مباحث نظرية مجردة [illegible] أو قصص من اختلاق [illegible] الخيال [illegible] كتاب يعرف الناس بربهم بإثارة العقل، وتعميق النظر، وتكوين المعرفة في مهابة الله، وخشية في الضمير، وهو للناس [illegible] يمشوا في الأرض ورؤوسهم مرفوعة إلى السماء [illegible] (ص ٢٠).

▪ المحور الأول: الله الواحد

الله الواحد هو المحور الأول من محاور القرآن الكريم الخمسة.

يقول المؤلف: إن حديث القرآن عن الله الواحد الأحد الفرد الصمد يتسمت بطريقين:

الأول: [illegible] للعقول لله وقيمته [illegible] واستعداد وجوده [illegible] أنه من لا يستحق أن يتحقق [illegible] عن خلق [illegible] الشيء [illegible] خالق واحد أحد فرد صمد لا شريك له في ملكه وخلقه

[illegible]

(طه ٦)

[illegible]

(الزمر: ٦٢-٦٤)

ومن ثم فقد أعلى القرآن الحرب على من يشركون بالله، وعلى مقدساتهم، واستثار العقل لتصدعها وتنكر بها

[illegible]

(الأحقاف: ٤، ٥).

والله غني مطلق مستغن عن غيره قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

(الإخلاص)

وهي الآية والسورة [illegible] تبين الحق لله الواحد القهار.

▪ إن التوحيد قانون الوجود ونظام الحياة:

وكل شيء في هذا الكون ليس له وجود من ذاته فهو من خلق الله تعالى. وليس مخلوق خضع للإحياء والإماتة والإخصاب والإجداب وجود، إلا بإذن الله.

إن وحدانية الله حقيقة أزلية أبدية، وكذلك الفقر العام إليه، فالعالم أجمع من العرش إلى الفرش (ص ٣٢)

ويعرف الله إلى عباده بأسمائه الحسنى، وهي أسماء كاشفة لصفات الكمال المقترنة بذات الله، وهي مبثوثة في طول القرآن وعرضه، لتبين للناس حقيقة الألوهية وتشدهم إلى ربهم. منها آيات بينات في قوله تعالى

[illegible]

[illegible]

(الحج ٥٨ - ٦٥)

إن هذه الآيات تسمي في شأن حث رب العالمين، صاحب النعم على الإنسان وخالقه وخالق الأرض والسماء، إن هذه الآيات منادٍ ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم، ولا صوت أندى من صوت هذا النداء الرباني في توحيد الله تعالى والإيمان به، ولا دليل أدل على وحدانيته.

وفي هذا الخبر يشير الشيخ محمد الغزالي إلى موضوع حول القدر والخير.

والقدر مقدور بالعلم الإلهي الذي سطره الله تعالى في كتاب حافظ شامل محيط، يقول تعالى:

[illegible]

(الحج ٧٠)

وهذا الكتاب يشتمل على الغيب والشهادة

[illegible]

(سبأ ٣)

وقال تعالى:

[illegible]

(الأنعام ٥٩)

وإن هذا العلم الإلهي الأعلى يتناول مسلك البشر حين يعملون فيه ويتأولون في أعمالهم وغير ذلك من الأعمال، لكنه لا يلجئهم إلى ما ولا إلى جهة، وليسوا مسئولين عنه ولا مؤاخذين به، وهو ما يتعلق بالقدر ويوجد في أعمالنا ونحن محاسبون عليه.

إن المؤلف ينفي أن الإنسان محكوم بالقدر ومجبر، بل نعمل في ... وحده، محكوم ولا مكلف ... قضاء وقدر أي في كتابه وعلمه ومحاسب في موقفه، حيث يقول المؤلف: الله لن يسألنا عما لا إرادة لنا فيه، ولكنه سيسألنا عما منحت لنا فيه حرية الاختيار (ص٣٥).

والإنسان بعمله سيحيى ويبعث، ومن الضلال أن يقرن الحرية بأن العمل سبق في الكتاب، فإنه لا حجة للإنسان بأن هذا كتب إلا، وهذا يكشفه قوله تعالى:

[illegible]

(الأنعام ١٠٤)

إن علم الله السابق يلائم ما هنالك، وحكمه من كل شيء غير الأحرار، يقول المؤلف: إن علم الله الأعلى وعلمه بكل شيء مستيقن، وعلمه السابق الذي لا يختلف ليس ... في حكمة ولا علاقة، إنه لا يعني إلا أنه علم الله الذي يستوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل، ولكن إن حكمه من علاقات ما هنالك، هو أن فكرة الله فيهم، وذلك هو على كل شيء (ص٣٧).

وبينت القرآن الكريم الكثيرة تقول عن رب العزة للناس الذي منحهم عقلا يفكر وفطرة تنعت على التوحيد والاستقامة، فمن عمل فذلك له، ومن لم يعمل فعليه ما هنالك.

ويعرض الفطرة في الإنسان، هو التوحيد، قال تعالى:

[illegible]

(الأعراف ١٧٢ - ١٧٤)

إن الله تعالى هداهم هداية البيان، وعرض في طريقهم السبل إلى الحق، وبين لهم ما كتب عليه بعض البشر من الضلال، وفصل لهم الآيات ليثبت هداية على الهداية والحق، وترك لهم العمل إلى النجاة أو إلى الضلال، لكن الذي يكون أن ... مخيرين على سلوك الطريق إلى الهدى أو إلى الضلال، على ما يرغبون ويطيعون، وهو الذي يحذرهم المؤلف ويحذر منهم بقوله: (كل ميل بعقيدة القدر إلى الجبر تحريف متعمد لدين الله وتزييف للناس) (ص٣٩).

والتنبيه على ترك الناس البحث وإعطائهم ذلك الربط القرآني المحكم بين العمل والجزاء، والقرآن حريص على إعلان هذه الحقيقة وإبرازها. ومن هذا الكلام يتبين أن الشيخ محمد الغزالي رفض عقيدة الجبر، ورأى أن كل أثر مروي يرى الجبر في الإنسان لا يجب الالتفات إليه، فقد يكون فيه من يكره نقضه أو كذب على رسول الله ﷺ، ذلك لأن حقائق الدين الثابتة بالعقل والنقل والخصائص المادية والفكرية والنفسية للأشياء لا يهدمها حديث. والحق أنه ... تصوير القدر على النحو الذي جاءت به بعض المرويات غير صحيح، ويعني لا يندرج تحت ... روح الكتاب وعمومه (ص٤٥).

ويعرض الشيخ محمد الغزالي بعض الأحاديث في القدر ويعلق عليها قائلا ... قريب ... بعامة ... تستقبل على درجة الصحة، يقول الله تعالى:

[illegible]

(النجم ٣٩ - ٤٠)

وهذه الآية تؤكد أن عقيدة التوحيد منهج حياة غير محكوم بالجبر

■ وفي القرآن تنمية للعقائد:

لقد بنى القرآن الكريم العقائد من الثوابت التي تنشأ، ونعمة السلوك الإنساني، فيحض التوحيد لله وعبادته (ص٥١) في أن يحسن الإنسان العمل، لأن الله تعالى يحب الإحسان فيه، يقول تعالى:

[illegible]

(البقرة ١٩٥)

فلا يحب من الإنسان العجز والتقصير والفوضى والعبث، ويحب من الإنسان أن يعمل عملا أن يحمده بإحسان وإخلاص، ويضع عليه طابع الإجادة والجمال.

ويبني الشيخ محمد الغزالي كلامه في هذا المحور الله الواحد بقوله: إن القرآن أرسى التوحيد أولا في النفوس، وجعله بعد ذلك في دروب الحياة دون ما عائق، وجاء دور الشريعة بعد رسوخ العقيدة لتصوغ القوالب التي يتم فيها العمل الصالح، وتحدد فيه ما ترى من أمر ونهي وحلال وحرام، لأنه لا قيمة لشريعة لا على مهاد راسخ من الإيمان بالله الواحد (ص٥٤).

ولقد أراد الشيخ محمد الغزالي أن يبين أن التوحيد حياة للمؤمن في الدنيا وحياته في الآخرة، والارتباط بالله الواحد أثر في أعمال في الصلاة وكافة العادات، كما هي في جمعة مرافق الناس التي تدرس للتعليم، وتمتد الموتة وتوجه أجورهم إلى كل شيء في الحياة وفق مرضاة الله تعالى.

وتوحيد الله الواحد يزكي الأدب النفسي والأدب الاجتماعي، والأدب العسكري، كما جاء في السنة: (لا تمس النار عينا بكت من خشية الله، ولا تمس النار عينا غضت عن محارم الله، ولا تمس النار عينا باتت تحرس في سبيل الله).

وعلينا أن نجعل التوحيد منهج حياة، وروح أمة، وركائز ذات وعالمها

قيمة العمل فى الإسلام

للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

للعمل قيمة عظمى فى الإسلام فهو أحد الدعائم الكبرى للإيمان وفى [illegible] والإسلام [illegible] تكفل تحقيق [illegible] فى الحفاظ على حياة الفرد والجماعة [illegible] على المستوى الفردى والمستوى الدولى. فالعديد من [illegible] المجتمعات العربية تعانى الفقر والعوز والحاجة وهى حاجة ماسة تمس ضروريات الحياة [illegible] من الطعام والشراب والمسكن والعلاج والتعليم [illegible] المجتمعات الإسلامية تعيش تحت خط الفقر وهو ما [illegible] الرسول ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[1].

واحتكام الإسلام واضحة فى ضرورة مكافحة الفقر، وضمان احتياجات الإنسان، والتحذير منه إلى حد وصف الرسول بقوله «كاد الفقر أن يكون كفراً»، نتيجة الآثار المدمرة الناشئة عنه من التخلف والقهر والعوز والفاقة وتجلياته واضحة ملموسة فى الواقع المعيشى للمجتمعات العربية والإسلامية

ومن مظاهر الفقر البطالة والتخلف، بكل ما يترتب عليه من حرمان وتسول وبطالة وانحراف وإهدار للطاقات وضياع للموارد، وهى مشكلة قائمة على المستوى المحلى داخل كل دولة إسلامية، وعلى مستوى العالم الإسلامى، وعلى المستوى الدولى حيث إن هناك حوالى ٥٥٠ مليون نسمة يعيشون على أقل من دولار فى اليوم، كما أن هناك نسباً عالية للبطالة والعمالة [illegible] فى العالم وخاصة فى الدول الإسلامية، [illegible] البطالة قنبلة موقوتة توشك على الانفجار.

وقد نتج عن ذلك تخلف وتعثر فى عمليات التنمية فى دول العالم العربى والإسلامى [illegible]، وهذا يتناقض مع الأمر القرآنى [illegible] وهى التنمية بقوله تعالى:

﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود: ٦١)

أى: طلب منكم إعمارها، ووسيلة العمارة العمل، ومفاد هذا أن التنمية فرض محتم على الفرد والجماعة.

[illegible] يؤكد أن التنمية بالعمل تعتبر واجبة، حالة [illegible] التى تجعل دول العالم الإسلامى عالة على غيرها من الدول الأخرى، قد يترتب عليه من [illegible] والتأثير على حرية قرارها ورسم مستقبلها [illegible] مكانتها فى المجتمع الدولى؛ لذا نحن بحاجة ماسة لاستعادة قيمة العمل، وإشاعة ثقافة [illegible] إلى الإنتاج على المستوى الفردى والجماعى، وتوجيه الفرد وتنمية استعداده [illegible] فى التنمية المطلوبة.

[illegible] يعتبر العمل هو عنصر الإنتاج الأساسى، وعده الإسلام أفضل أنواع الكسب [illegible]: «ما أكل أحد قط طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[1].

وسئل الرسول ﷺ أى الكسب أفضل قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[2].

والعمل يشمل كل فعالية اقتصادية مشروعة فى مقابل أجر سواء كان هذا العمل بدنياً كان أم ذهنياً.

وتحرم الشريعة الكسب عن طريق الأنشطة غير المشروعة: المخدرات، والبغاء، وغسل الأموال، والخمر، والخنزير، لما ينشأ عنها من تعطيل ملكات العقل وانتهاكها لقيم الشرف والحصول على المال بالطرق غير المشروعة.

وثمة حقائق أساسية عن العمل كواجب دينى ومعاشى

تتجلى فى أن هناك مسلمات تمثل ضمانات للعمل المطلوب فى النظر الإسلامى، نجملها فيما يلى:

- أن العمل فريضة إسلامية للقادر عليه، لإغناء نفسه، وتوفير ضروريات حياته لنفسه ولمن يعول، وجاء الخطاب الإسلامى مقرراً لهذه الحقيقة، بصيغة الفرضية والتكليف، على المستوى الفردى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: ٧)

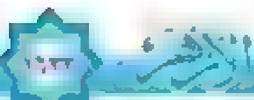
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل: ٩٧)

(١) كشف الخفاء

(١) صحيح البخارى

(٢) مسند أحمد





وعلى مستوى الخطاب العام

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥)

بحسبانه وسيلة ناجعة لتقدم المجتمع وبلوغه مكانة مرموقة بين الأمم والشعوب.

■ ضبط الإسلام سلوك الفرد في أدائه وتوجيهه إلى العمل النافع الذي يسد حاجة الفرد، وينفع المجتمع، ويترك أثره المحسوب على حياة الفرد والأمة. وهو مغزى التأكيد القرآني على العمل النافع بقرنه العمل الصالح، فالخاسرون من الناس هم الذين لم يؤمنوا ويعملوا الصالحات، وهو نص قوله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ١-٣)

■ تبرز قيمة الفرد وتتحدد مكانته، ويتبوأ موقعه في المجتمع بقدر عمله وحسب مجهوده وعطائه، وما يحققه لمجتمعه. وهو ما يظهر في قوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٢)

وبذلك يتبوأ الفرد المكانة المرموقة في الهيئة الاجتماعية بقدر عمله وإبداعه فيه.

■ إن الأمر الإسلامي للفرد والجماعة بالتكليف بالعمل والإتقان والإبداع فيه ضمانة يضمن له إخراجه من حالة الفقر والفاقة والعجز والتسول إلى الوفاء بضروريات حياته وحاجاته الأساسية، وهو الملحظ في حديث الرسول ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه»[4]

وفي الأثر: مكنسة فيها دناءة خير من مسألة الناس.

■ وجوب إتقان العمل وعدم التوقف عن الإجادة فيه، وتطويره من أجل الحصول على كسب أعلى وعائد أكبر. والدلالة على هذا واضحة كما في الحديث: «إن الله عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»(*). وقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[5]

والإتقان يكون ببذل أقصى الجهد، بغية الوصول إلى أعلى إنتاجية، والتميز في نوعه والارتقاء بدرجته. وتعتبر الجودة قيمة أساسية من قيم العمل في الإسلام، والجودة تكون بالبحث المتواصل لابتكار أفضل الأساليب لتحسين المنتج، وزيادة عائده، والتفنن في تكميته، والتحول من الجيد للأجود، سعيًا لأعلى تنمية ممكنة.

وسبيل ذلك العلم والمعرفة المستدامة الهادفة إلى زيادة إنتاجية الفرد، وتعظيم التنمية في المجتمع، لذلك كان العلم هو سبيل الرفعة والفلاح في قوله تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)

وهو ما ينقص الممارسات العملية للفرد والجماعة في المجتمعات العربية والإسلامية، وما تسجله من إحصائيات صادقة عن إنتاجية الفرد والشعوب في بلاد العروبة والإسلام.

٤ صحيح البخاري

٥ صحيح البخاري

(*) المعجم الأوسط للطبراني

إن شعار المؤمن: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)

يتطلب التزود بالعلم للسعادة في الدين والدنيا، والارتقاء بالعمل والعاملين.

■ يفرض الإسلام فرضًا محتمًا على كل فرد السعي للحصول على عمل يسد حاجته ويفي بضرورياته الأساسية، وواجب الدولة والمجتمع معًا إتاحة فرص العمل المنتج والكسب النافع لمن يطلبه. قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ (الملك: ١٥)

وقوله تعالى:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠)

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»

وقد يتطلب ذلك من الدولة تمليك الشباب القادر بعض عناصر الإنتاج، كما في إتاحة الفرصة أمامه للعمل بالمشروعات الصغيرة، وتعمير الصحراء استمدادًا من الحكم الشرعي في إحياء الموات، وعمارة الأرض، وهو مطلب فردي وجماعي.

وهو ما قرره الحديث: «من أحيا أرضًا ميتة فهي له»[6] وفيه إشارة إلى إعلاء الكسب بالعمل اليدوي، وإعلاء مكانة القائمين عليه، والدعوة إليه باعتباره طريق النماء ووسيلة التنمية. وقد ثبت أن الرسول ﷺ قد شارك صحابته في العمل بيده في أكثر من مناسبة، ومن المعلوم أنه عمل بيده الشريفة في بناء مؤسسة الإيمان الأولى في الإسلام مسجد قباء، كما لم يتحرج من عمل أو يأنف من قدره، يشهد لذلك مقولته لبعض صحابته تقبيله النعل «وعلى جميع الخطاب» وهو أمر له مغزاه في هذا الخصوص. ما أحرى بنا العرب والإسلام أن تصحح مفاهيم مغلوطة عن تدني قيمة العمل وصاحب العمل اليدوي، ووضعه في أسفل السلم الاجتماعي، ولنعلم أن أحد أسباب تخلفنا احتقار هذا النوع من العمل والنظرة الدونية له.

حق العمل في المواثيق الدولية

اهتمت المواثيق العالمية بحق العمل، وعلى رأس هذه المواثيق: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي قرر العديد من الحقوق:

ففي المادة ١٧

لكل فرد حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره

لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفًا

حق العمل واختياره والحد من البطالة

وفي المادة ٢٣ من الإعلان:

- لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية، كما أن له حق الحماية من البطالة

تقرير حق الأجر العادل واللائق بالكرامة الإنسانية

- لكل فرد أن يقوم بعمل له الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان، تضاف إليه عند اللزوم وسائل أخرى للحماية الاجتماعية

لكل شخص الحق في أن ينشئ وينضم إلى نقابات حماية لمصلحته

يقول عمر رضي الله عنه: «يامعشر الفقراء ارفعوا رءوسكم، فقد وضح الطريق فاستبقوا

٦ صحيح البخاري

أجورهن ولا تكون عالة على المسلمين».

الحق في الراحة وتحديد حد أدنى لساعات العمل

مادة ٢٤

لكل شخص الحق في الراحة، وفي وقت الفراغ، ولا سيما في تحديد معقول لساعات العمل، وفي عطلات دورية بأجر.

الحق في مستوى معيشي مناسب

مادة ٢٥

لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية، وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة، والمرض، والعجز، والترمل، والشيخوخة، وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.

- الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الحق في العمل واختياره لكسب معيشة الفرد

مادة ٦:

تقر الدول الأطراف في الاتفاقية الحالية بالحق في العمل الذي يتضمن حق كل فرد في أن تكون أمامه فرصة كسب معيشته عن طريق العمل الذي يختاره أو يقبله بحرية. وتتخذ هذه الدول الخطوات المناسبة لتأمين هذا الحق.

صياغة برامج وسياسات لتحقيق النمو الشامل

وتشمل الخطوات على برامج وسياسات ووسائل للإرشاد والتدريب الفني والمهني لتحقيق نمو اقتصادي واجتماعي وثقافي مطرد، وعمالة كاملة ومنتجة في ظل شروط تؤمن للفرد حرياته السياسية والاقتصادية.

حق الفرد في ضمان مستوى معيشي لائق وكريم

مادة ١١

حق كل فرد في مستوى معيشي مناسب لنفسه ولعائلته، وكذلك في تحسين أحواله المعيشية بصفة مستمرة.

مادة ٧:

من تعهد الدول للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

حق كل فرد في التمتع بشروط عمل صالحة وعادلة تكفل:

١ - مكافآت توفر لكل العمال كحد أدنى، وهو ما حتمته الشريعة في وجوب توفير حد الكفاف، ويأتي بالعدل شبح الجوع.

٢ - الحق في أجور عادلة ومكافآت متساوية عن الأعمال متساوية القيمة دون تمييز من أي نوع، وعلى وجه الخصوص وبما يكفل للنساء شروط عمل لا تقل عن تلك التي يتمتع بها الرجال مع مساواة في الأجر عن الأعمال المتساوية.

وفي الإسلام يستحق كل عامل أجره فور عمله «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[8].

٣ - الحق في معيشة شريفة لهم ولعائلاتهم كحق من حقوق الكرامة لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (الإسراء ٧٠)

٤ - ظروف عمل مأمونة وصحية.

٥ - أوقات للراحة والفراغ، وتحديد معقول لساعات العمل، وإجازات دورية مدفوعة، وكذلك مكافآت عن أيام العطلة العامة، وهو ما أشار إليه الحديث

«روحوا القلوب ساعة فساعة»[9].

مادة ٨

حق كل فرد في تشكيل النقابات والانضمام إلى ما يختار منها في حدود ما تفرضه قواعد التنظيم المعني، من أجل تعزيز وحماية مصالحه الاقتصادية والاجتماعية، وهذا جائز باعتباره وسيلة إلى المصلحة المحققة منه تقتضي قاعدة «الوسيلة إلى الواجب واجبة».

المشكلات المتعلقة بالعمل والعمالة

سوء أحوال العمالة بسبب استغلال أرباب الأعمال لهم، وعدم الحصول على الراحة الكافية لهم أسبوعياً، كذلك تشغيل الأطفال والنساء، والعمل في المناجم والتفتيش.

الحاجة إلى بث العدل الاجتماعي في علاقة أصحاب العمل والعمال.

أهداف منظمة العمل الدولية ILO

تدعيم أسس السلام العالمي ببث العدالة في النظام الاجتماعي.

إعلان فيلادلفيا الملحق بميثاق منظمة العمل الدولية ١٩٤٤م «العمل ليس سلعة».

الفاقة تهدد الرخاء، وتؤدي إلى عدم الاستقرار في النظام الاجتماعي.

- تشغيل الأيدي العاملة بأجور تكفل المعيشة.

- توفير تغذية كافية وسكن مناسب وأوقات للراحة وهو ما كفلته القواعد الشرعية ومنظمة العمل الدولية وجعلته هدفاً لها.

«كلفوهم من الأعمال ما يطيقون».

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦)

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (النساء ٢٨)

﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء ٢٨)

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة ٢٨٦)

توسيع نطاق الضمان الاجتماعي والتكافل المعيشي، وهو ما نبه عليه الإسلام وجعله أصلاً من أصول شريعته في الجنة بقوله تعالى:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ (طه ١١٨)

وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان ٨ - ٩)

وقد تبنت منظمة العمل الدولية الضمان الاجتماعي والعناية الطبية هدفاً تسعى إلى بلوغه، وواجباً على جميع الدول اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيقه.

---

(٨) سنن ابن ماجة

(٩) كنز العمال

طريق الأمة.. إبداع لا ابتداع

للمستشار / حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

عندما حان وقت صلاة الجمعة، فى أحد الأيام القليلة الماضية، دخلت إلى أقرب مصلى لأدائها، وافتتح الخطيب الشاب الخطبة بالحديث المشهور عن البدعة، فقلت: هذه مقدمة، وربما يكون الموضوع غير ذلك، ولكن تبدد هذا الخاطر، عندما انصب جل كلامه على شرح هذا الحديث، وفى البداية تطلعت النفس إلى سماع ما يشفى الغلة، من العلم النافع، حول هذا الموضوع المهم، ولاسيما فى هذا الوقت الذى يحتاج فيه الناس، إلى من يرشدهم إلى ما يؤهلهم لملاحقة التطورات المذهلة فى الدنيا، من حول أمة الإسلام.

فى البدء استبشرت خيراً، عندما سرد هذا الخطيب أقوال العلماء فى أقسام البدعة، وأن منها البدعة الواجبة، كتعلم النحو الذى تفهم به الشريعة، والبدعة المحرمة، كمذهب القدرية والخوارج، والبدعة المندوبة، كإحداث المدارس وبناء القناطر، والمكروهة، كزخرفة المساجد، والبدعة المباحة، كالمصافحة عقب صلاتى الصبح والعصر، ولكنه وقف عند هذا الحد، من قبيل التخريف الواحد، ونحن لا نرى تقسيم البدعة إلى هذه الأقسام، لكننا نرى أن البدعة كلها ضلالة ومحرمة، حيث أخبر الله تعالى أن الشريعة قد اكتملت فى وفاة الرسول ﷺ، فقال سبحانه:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة ٣)

ولقد ذكر حديث الافتتاح «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار»

وعلى منطق هذا الخطيب، فإن الاشتغال بتعلم وإقامة المدارس وبناء القناطر وغيرها، مما ورد من أقسام البدعة من الضلال الذى يصير فاعله أو المستفيد منه فى النار والعياذ بالله تعالى، ويقاس على ما ذكره من أمثلة لهذه الأقسام، كل وسائل الحياة المعاصرة، التى لا غنى لأى إنسان عنها، ومنها أشياء عديدة يستعملها مباشرة هذا الخطيب نفسه، فهو يتنقل بسيارة، ويرتدى جلباباً، ويمشى على سجادة، ويسمع حكمه عن الضلال من خلال مكبر صوت، وغير ذلك، وكثير من ثمار إعمال الفكر الإنسانى، الذى أنعم الله على نفسه وغيره كل ثواب نشر كله، ذلك فكرة لا تحكم عليه بالضلالة

إن إثارة ذلك الموضوع على هذا النحو، يستوجب على المسئولين عنه وقفة حاسمة، فلا تعليق عليه ولا تأويل لمثل هذا الخطيب، وهذا الأمر ليس بجديد، ولذلك بالرجوع إلى الفكر الواعى لعلماء الأمة الثقات، والأخذ عنهم الرأى الصائب فى مثل هذه المسائل الدقيقة، التى تتطلب الفهم العميق لما جاءت به الشريعة الغراء من أحكام تجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وهذا يقتضى أن نتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة من خلال بيان النقاط الآتية:

أولا: تحديد مفهوم البدعة:

فكما قال صاحب القاموس: البدعة هى الحدث فى الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبى ﷺ من الأهواء، وقال غيره هى اسم من ابتدع الشىء، أى اخترعه وأحدثه، ثم غلبت على ما لم يشهد الشرع بحسنه، وعلى ما خالف أصول أهل السنة والجماعة فى العقائد، وأن يكون الحامل عليه مجرد شهوة

وفى هذا الإطار تذكر بعض الأحاديث النبوية التى تشير إلى ذم البدعة، ومنها ما رواه الإمام أحمد عن غضيف بن الحارث رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة»، وفى رواية أخرى عند الطبرانى «ما من أمة ابتدعت بعد نبيها فى دينها بدعة إلا أضاعت مثلها من السنة»، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة، وقد قال العلماء: لأنهم متساوون فى الأفعال من الضلالات، ولأن المتبعين لا يتركون السنة فى تهذيب أنفسهم، بالاقتداء فى الاهتداء بهدى نبيهم، تولاهم الشيطان، وسلك بهم سبل الهلاك، ولو كانت البدعة بحق، لا عرف صاحبها الحق، وما ترك سنة إلا أحب بدعة، وقوله مثلها، يفيد حلول أحد المتقابلين محل الآخر، لشبهة التناسب بينهما، كما فى قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾

(الإسراء ٨١)

وقد تكفل الله تعالى بحماية دينه الحنيف من المبتدع الضالة المضلة، فقد روى عبدالرحمن السلمى صاحب حبيب الأولياء، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «إن الله تعالى عند كل بدعة كيد بها الإسلام وأهله، ولياً صالحاً يذب عنه، ويتكلم بعلاماته، فاغتنموا حضور تلك المجالس بالذب عن الضعفاء، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلا»

وبذلك تكون البدعة على خلاف السنة، والتى هى ما شرعه النبى ﷺ من الأحكام، فقد تكون فرضاً كزكاة الفطر، وقد تكون غيره، كصلاة العيد والجماعة، فقد روى مسلم والترمذى والنسائى والإمام أحمد عن جرير رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «من سن فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء»

ثانيا: هل حقا كل بدعة ضلالة؟!

إن الأساس الذى يستند إليه دعاة البدعة فى كل ما هو جديد، الحديث النبوى الشريف، الذى رواه مسلم والنسائى والإمام أحمد عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه، كأنه منذر جيش، يقول: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأن أفضل الهدى هدى محمد، وشر

الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فتكم الساعة بغتة، بعثت أنا والساعة هكذا، صبحكم الساعة ومساكم، أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا فلأهله، ومن ترك دينا أو ضياعا فإليّ وعليّ، وأنا ولي المؤمنين».

إلا أن هذا الحديث يحتاج في فهمه إلى عقل متفتح، يلم بمعاني جوامع الكلم، ومقاصد من أوتيها ﷺ من هذا الكلم، فإذا كانت عبارة «كل بدعة ضلالة» تفيد الاستغراق، أي تشمل جميع البدع، فإن العقل والمنطق يقضيان بأن يكون ذلك واردا على البدع المحدثة في أمور الدين من العقائد والعبادات، دون البدع المحدثة في العادات أو المعاملات، التي تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا تعارض مع صحيح الدين، فليس من العقل أو المنطق في شيء، أن يقول قائل: إن بناء السدود وتشييد القناطر ومناهج التعليم وغير ذلك، من البدع التي تدخل تحت هذا الاستغراق، فتكون ضلالة، وتكون هي وصاحبها في النار والعياذ بالله، بل إن من العلماء من قال: إن المراد بالمحدث الذي هو بدعة وضلالة، ولو كان من العبادات، ما لا أصل له في الشرع، والحامل عليه مجرد إرضاء شهوة النفس، أو جاء على خلاف محدث له أصل في الشرع، إما بحمل النظير على نظيره، أو لغير ذلك.

وللخروج من هذا الإشكال، أطلق العلماء على الأعمال المستحدثة، التي لها أصل في الدين، ما يمكن تسميته بالبدعة الحسنة، وذلك على نحو ما روى الترمذي وابن ماجه عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «اعلم يا بلال» قال: «ما أعلم يا رسول الله» قال: «إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي، كان له من الأجر مثل من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله، كان عليه مثل آثام من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا» وقد قال العلماء: في الحديث إشارة إلى أن بعض البدع غير ضلالة أي في العادات، وقد يكون في العبادات، على نحو ما يروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عندما جمع المسلمين على صلاة التراويح في شهر رمضان، وقال: «نعمت البدعة هي».

ثالثا: متى تبدع هذه الأمة:

على ما يبدو أن هناك خصاما، بين بعض المنتسبين للإسلام وعقارب ساعة الزمن، فالناس من حولنا، أيا كان انتماؤهم من حيث الدين أو الجنس أو الوطن، أو غير ذلك، يتعاملون مع هذه الساعة، وفق دوران عقاربها، في حركة منتظمة، على مر الأيام والسنين، واحترام الجديد الذي تنتجه هذه الحركة، مع المحافظة على ثوابت حياة تلك الشعوب، المستمدة من تعاليم دينه والأخلاق، التي لا خلاف حولها، ومن ثم فقد تحقق لهم قدر لا يستهان به من التقدم في شتى مجالات الحياة، على الرغم من أن ديننا، حمل ما لا يحصى من أسباب هذا التقدم، وأمرنا بالأخذ بها.

وكثيرا ما كنت أجد نفسي في حيرة، عند سماع كلمات يرددها بعض من يفكر من الشرق أو الغرب على السواء، فحواها أن المسلمين موقعهم، خارج التاريخ منذ أكثر من أربعة قرون، وكنت أشعر أن هذه الكلمات تحمل اتهاما مبالغا فيه، لأمة دينها يضعها في قلب التاريخ، ولكن هذا الشعور يأخذ في الانحسار، عندما أجد علماء هذه الأمة، قد شغلوا أنفسهم بأمور، أبسط ما يقال عنها: إنها من المسلمات، التي لا تقبل الجدل حولها، بأي حال من الأحوال، ولكن البعض من هؤلاء العلماء، لا يجد أيضا من الحكم عليها بالبدعة رغم أنها من صميم أعمال العادات، ولا تمت للعبادات بصلة، كالأمور المتعلقة بالبحث العلمي، في المجالات المختلفة من طب وهندسة وفلك وغيرها.

إن من أوجه العظمة في دين الإسلام، أنه احترم التخصص في العلوم، ولم ينكر على المسلم أن يأخذ بعلوم الدنيا، كما هو الشأن في علوم الآخرة، فقد روى مسلم والإمام أحمد والبيهقي عن أنس بن مالك والسيدة عائشة رضي الله عنهما، أن الرسول ﷺ، قال: «إذا كان شيء من أمر دنياكم، فأنتم أعلم به، وإذا كان شيء من أمر دينكم فإليّ»، وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه ... تقولون ... كان أمر دنياكم فشأنكم، وإذا كان أمر دينكم فإليّ».

وقد ضرب الرسول ﷺ المثل الرائع، في احترام هذا التخصص، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك والسيدة عائشة رضي الله عنهما، قالا: «مر النبي ﷺ بقوم يلقحون النخل، فقال: لو لم تفعلوا لصلح، فخرج شيصا، فقال: أنتم أعلم بأمر دنياكم»، وقد قال العلماء: إن الرسول ﷺ أراد أن يقول أنتم أعلم بأمر دنياكم مني، وأنا أعلم بأمر أخراكم منكم، فإن الأنبياء والرسل إنما بعثوا لإنقاذ الخلائق من الشقاوة الأخروية، وفوزهم بالسعادة الأبدية، وهذا يؤكد حرص الإسلام على انطلاق البحث العلمي في شتى فروع المعرفة، دون أن ينحصر أتباعه في عبادات لا تكفي وحدها، لتحقيق رسالتهم الجليلة في الحياة.

والإبداع الذي نطمع أن تحققه أمة الإسلام، لا يقتصر على ناحية واحدة في الحياة، كالعبادات المرتبطة من صلاة وصوم وحج وعمرة وغيرها، ولكن يجب أن يمتد حتى يشمل كل مناحي هذه الحياة الدينية والدنيوية، فيكون هناك الإبداع العلمي والتقني والثقافي والاقتصادي وغير ذلك، على نحو ما أدركه سلف علماء الإسلام، الذين برعوا وأبدعوا في الطب، فكان منهم ابن سينا، والرياضة والحساب، فكان منهم الخوارزمي، والكيمياء، فكان منهم جابر بن حيان، وغيرهم الكثير والكثير، مما يعجز الحصر عن الإحاطة بهم، ومن العيب والعار على أحفاد هؤلاء العلماء النجباء أن يتخاذلوا في السير على منوالهم، ويحصروا في دائرة البدعة والضلالة، فيما هو خارج هذه الدائرة.

وفي بعض الأحيان ينظر المرء حوله فيعجبه ما يراه من إقبال كثير من المسلمين على أمور العبادة، ويتوقف عند الكثير من أحوال هؤلاء العباد، ويسأل نفسه بين الحين والآخر: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا نحن على هذه الدرجة من التخلف في شتى مجالات الحياة؟! وربما تسيطر الحيرة على النفس من هذا الأمر، ولا سيما والعلم اليقيني أن الدين، الذي طلب من أتباعه القيام بهذه العبادات، هو ذاته الذي أمرهم بعمارة الأرض، واتخاذ كل الوسائل، التي تحقق لهم الرقي والتقدم في كل هذه المجالات، حتى قيل: إن التفكير فريضة إسلامية.

إن اعتدال الميزان في يد المسلم، يقتضي منه تحقيق الاستواء بين كفتيه، وذلك بالتعامل مع الدنيا والآخرة على قدم المساواة، بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى، وهذا ما لفت إليه النظر الرسول ﷺ، بقوله الذي رواه صاحب الفردوس عن أنس رضي الله عنه: «أصلحوا دنياكم، واعملوا لآخرتكم، كأنكم تموتون غدا» وذلك كما قال العلماء: أي أصلحوا معاش دنياكم، بجهد ما في أيديكم، بحسبه بحلال المكاسب لمعونته على دينكم، ومكارم أخلاق الإسلام التي فيها عمارة آخرتكم.

والله تعالى ولي التوفيق

اليهود والقرآن

يريدون أن يبدلوا كلام الله!

بعد هزيمة الشيوعية، وانشجار ظهيرها الأقوى "الاتحاد السوفيتي" على نفسه لم يعد أمام الدول الغربية والقوى الصهيونية العالمية إلا الإسلام: عقيدة وشريعة باعتبارهم نظاما متكاملا للحياة البشرية السوية يمكن أن يتحدى النظم الوضعية التي تتشدق بها الدول المعادية للإسلام، ولذلك فقد وضعت هذه الدول مجموعة من الخطط لمواجهة الصحوة الإسلامية المتصاعدة، والتي ظهرت مؤخرا على الساحة الدولية، ومحاولة قتلها في مهدها قبل أن تستفحل؛ لأن هذه الدول تعلم جيدا أن صحوة الإسلام سوف ينتج عنها بالتأكيد قوة إسلامية كبرى تقف بالمرصاد في هذه المنطقة لكل أساليب الغزو الفكري والثقافي القادمة من الغرب، وتحد من اندفاعة قوى السلب والنهب والسيطرة على مقدرات الشرق التي تقوم بها تلك الدول، وهذه حقيقة لا شك فيها.

وهذه الخطط تقوم على عدة أمور:

- الضغط على الدول التي وقفت ضد التحالف الغربي أثناء حرب الخليج.

- مطاردة العناصر الإسلامية، وطردهم من وظائفهم الحكومية، ومحاولة تشويه سمعتهم.

- إثارة المشاكل المذهبية داخل الدول الإسلامية، حتى لا تجد عندها من الوقت ما تنفقه في وجه هذا الغزو العسكري والفكري الذي تشنه الدول الغربية.

- العمل على تثبيت بعض الأنظمة العربية والإسلامية التي تسير في ركابها، إما بالمعونات المشروعة، وإما بإسقاط بعض الديون التي تكبلها وتقيد حركتها الدولية، وتضعف قدرتها الاقتصادية.

والهدف من ذلك كله تفريغ الشرق من الإسلام ومن القرآن الكريم.

والحق أن هذه الأهداف ليست وليدة اليوم، ولا حتى الأمس القريب، وإنما هو خط تصاعدي بدئ في الإعداد له وتنفيذه منذ زمن بعيد، ولكن بأسلوب «خطوة بعد خطوة»! على عادة الغرب، يقول المسيو كيمون، وهو أحد الكتاب الغربيين في أواخر القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين، وقد كان يحاول تشويه سمعة الإسلام، وبث روح العداء في طريقه لدى الغرب: «إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك فيهم فتكا ذريعا، بل هي - يعني الديانة الإسلامية، لعنه الله - مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي، يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن معاقرة الخمور، ويجمح في القبائح».

ويواصل المسيو كيمون حديثه في تشويه صورة الإسلام قائلا: «وما قبر محمد في مكة - وهو جهل من الكاتب؛ لأن قبر محمد ﷺ في المدينة المنورة وليس في مكة - إلا عمود كهربائي، يبث الجنون في رءوس المسلمين...».

ويعتقد هذا الكاتب وأمثاله أن المسلمين وحوش ضارية، وحيوانات مفترسة كالفهد والضبع.. وأن الواجب إبادة خمسهم والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع «ضريح محمد» في متحف اللوفر، وهو حل بسيط وفيه مصلحة الجنس البشري، أليس كذلك؟![1]

ولا يظن ظان أن هذه مجرد تخريفات لا تمت إلى السياسة بصلة كبيرة، خرج بها مارق من مارقي الكتاب الغربيين، وإنما هي تعبير صريح عما يجول في عقول الكتاب والمفكرين والساسة في الدول الغربية، فضلا عن تأثيرها الواضح في تشكيل مشاعر ووجدانات الشعوب الأوروبية، التي تسير في نفس الطريق، لتظل شعلة العداء في نفوسهم تجاه الإسلام وأهله متقدة ومتصاعدة، حتى يحين أوان تنفيذ المراحل التالية واحدة تلو الأخرى..!! بدليل أن السياسة الغربية عموما قد انتقلت من مجرد اعتبارها آراء فردية لمجموعة من الكتاب إلى اعتبارها طريقا عمليا يقوم قادة الدول الغربية بتنفيذه الذي يتخذ كل يوم بعدا جديدا.. وما تصريحات بابا الفاتيكان الأخيرة.. وما رسومات الصحافة الدنماركية، ووقوف حكومات الدول الغربية وراءها بدعوى حرية الرأي عنا ببعيد.. وما تصريحات الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الصغير الذي أعلن أنه منذ اليوم - الحادي عشر من سبتمبر - في حرب صليبية ثانية ضد الإسلام عنا ببعيد أيضا..!

وهانحن أولاء نشهد اليوم ما يقوم به اليهود من رعاية وتمويل أكبر مخطط إجرامي يستهدف إلغاء القرآن الكريم من بلاد الإسلام تمهيدا للقضاء على هذا الدين من فوق ظهر الأرض في سنوات معدودة، وذلك من خلال عمل كتاب يسمى «الفرقان الحق» ليكون بديلا عن كتاب الله العزيز - خاب ظنهم، وطاش سهمهم، ورد الله كيدهم في نحورهم!

[illegible]

(الأنفال: ٣٦ - ٣٧)

---

(١) عن كتاب «الشيخان: الأفغاني ومحمد عبده وهما يردان على افتراءات المستشرقين على الإسلام والمسلمين» ص ٢٥، ٢٦، والكتاب من منشورات مكتبة مصر ٣ ش كامل صدقي - الفجالة.





﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(فصلت: ٤٠)

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

(البقرة: ٧٩)

والفرقان اسم من أسماء القرآن العظيم، إذا جاء مفردا، وصفة من صفاته إذا جاء مقترنا باسم القرآن، فمن الأول جاء قوله تعالى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

(الفرقان: ١)

ومن الثاني جاء قوله تعالى:

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾

(الإسراء: ١٠٦)

والفرقان اسما كان أو صفة، يعطي معنى أن الله عز وجل فرق به بين الحق والباطل، كما يدل على أنه نزل على قلب رسول الله ﷺ مفرقا ومنجما حسب الوقائع والأحداث.

وأعداء القرآن في هذا العصر يدركون هذه الخصائص، وقد استغلوا مطلقيها استغلالا سيئا في اختيار اسم كتابهم المكذوب «الفرقان الحق»، وبهذه الصيغة التي تعني بوضوح أن فرقان المسلمين ليس بحق، وإنما الكتاب الذي كتبوه - خاب ظنهم - هو الحق دون سواه، يقصدون بذلك صرف المسلمين عن كتاب الله - وسيخزيهم الله الخزي العظيم.

لقد قام هؤلاء الأفاقون بتشويه سمعة كتاب الله، زاعمين أنه من صنع محمد، وليس كتابا سماويا، وأنه يدعو إلى سفك الدماء، ونشر الرعب والفزع بين الناس، نظرا لما فيه من الآيات التي تحث على الجهاد في سبيل الله، والتصدي للأعداء في مثل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة: ١٢٣)

ويتجاهلون أن هذه الآية وأمثالها قد نزلت لتحث على جهاد المعتدين، الذين يتربصون بديار الإسلام، ويتحينون فرصة ضعف تسنح لينقضوا عليها. قال تعالى:

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴾

(النساء: ١٠٢)

فهو الدين حينما يدعو إلى اليقظة والقوة إنما يدعو إلى ذلك ليحمي السلام والأمن اللذين يجب أن يسودا البشرية كلها. لا فرق في ذلك بين جماعة وجماعة، ولا بين أهل ملة وملة أخرى. ما دام لا يعتدي أحد على المسلمين.

وأعداء الله يتجاهلون أن الآيات التي تدعو إلى الجهاد إنما تعني الجهاد ضد المعتدين الذين يخرجون المسلمين من ديارهم وأموالهم بغير حق. قال عز من قائل:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٨-٩)

ويتجاهلون كذلك أن الله عز وجل حينما دعا المسلمين إلى التسلح والاستعداد للقتال لم يكن ذلك دعوة للعدوان، وإخراج أهل الملل الأخرى من ديارهم وأموالهم ونشر الفزع بين الناس. وإنما كان حماية للسلام الاجتماعي، ونشر الأمن بين الأمم، وهو مطلب إنساني شامل. قال السيد المسيح عليه السلام: «ما جئت لألقي سلاما وإنما جئت لألقي على الأرض سيفا». وهناك المثل الغربي المشهور «إذا أردت السلام فكن مستعدا للحرب». والقوة في نظر الإسلام ليست بمعزل عن هذا المطلب الإنساني العام. قال عز من قائل:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الأنفال: ٦٠-٦٢)

يرى اليهود والنصارى أن سيادة القرآن تنافي السلام العالمي، يقول المتطرف اليهودي «شاكوه ميناد»: «إن إحدى الأفكار المهمة أن كتاب القرآن هو الذي يحوي العديد من المبادئ والأهداف التي تتصادم مع سلامة الإنسانية، والأعمال الإرهابية المتصاعدة يجب أن تختفي من الحركة العالمية الجديدة»*.

وقد صدر بالفعل بعض أجزاء هذا الكتاب المسمى بـ «الفرقان الحق»، وقد خطط له أن يكون مكونا من اثني عشر جزءا، يشتمل الجزء الأول منه على ٣٦٨ صفحة، ويقع الجزء الثاني في ٣٠٠ صفحة، وأما الجزء الثالث فيقع في حوالي ٢٥٧ صفحة، وهكذا إلى آخر الأجزاء الاثني عشر.

ومن أجل الخداع وتهيئة الجو النفسي لتقبل مثل هذا العمل التخريبي، جمعت بعض أجزاء هذا الفرقان المزعوم، سورا تشابهت بعض أسمائها مع أسماء بعض سور القرآن الكريم، كما تمت كتابته على طريقة الرسم العثماني. وإن من يقرأ بعض سور هذا الكتاب لا يخرج إلا بانطباع واحد، هو أن هذه السور لا يراد بها إلا تخريب العقائد السماوية الصحيحة، واقتلاعها من ثوابتها الدينية، والوقوف بها في الهواء، بحيث تنسى عقيدتها الصحيحة ولا تستقر بها على مفهوم صحيح واضح، تطمئن له النفس، ويستريح له المنطق السليم. إنه يرى هجوما صريحا على الإسلام، ونبي الإسلام ﷺ والتلويح بأن هذا القرآن بشري المصدر وليس وحيا من عند

* الفرقان الحق الأمريكي القرآن [illegible] ص ١٥ [illegible] محمد

الله – تبارك وتعالى – وأنه ما جيء به إلا لتضليل البشر، وغرس روح القسوة والعلظة في النفوس، وتكريس العداوة بين المسلمين، وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى.

جاء فيما يسمى بسورة «الأرض» وهي ضمن الجزء الثاني من هذا الفرقان المزعوم، وقد تم تسريبه من خلال إحدى الجماعات المسيحية اليهودية، وهو بطبيعة الحال موجه إلى الفلسطينيين: «أيها البشر، الأرض واسعة عمروها بأيديكم وفكروا بعقولكم، فأرضكم ليست مقدسة، وحدودكم ليست ثابتة فأجيال تنقل وتترك الديار، وأجيال تحل وتمسك بالديار، فلا تجعلوا الأرض أبدا مثارا لخلافاتكم وعداواتكم، فالعداء يولد البغض والحقد والكراهية. والأرض التي تحمل العداء بين البشر وبعضهم، لابد أن تتأملوا في أركانها وأجزائها، ستجدون أن الجزء الأكبر تشغله الجبال والصحراء الشاسعة وهي الأراضي التي لا يتحمل الإنسان أن يطأ بقدميه عليها، فمادامت أرضا مهجورة وغير مأهولة، ولا تحمل إلا الطبيعة المؤقتة، فلماذا نقاتل بعضنا بعضا من أجلها؟! وكما جاء فيها أيضا: «من يملك التفاحة بيده فهي له. ولا يحق للآخر أن يدعي ملكيته لها، ولكن على من يمسك التفاحة أن يعطي من يدعي الملكية جزءا من تفاحته، حتى يأكل الاثنان وتصبح القسمة المشتركة بينهما عنوانا للحياة»!

وواضح من خلال هذه السطور أنها موجهة إلى الفلسطينيين ليهجروا أرضهم أو أن يرضوا بالفتات الذي يلقى به اليهود إليهم مما لا يسمن ولا يغني من أرضهم المسلوبة[3].

وفي سبيل تمرير هذه الجريمة الكبرى، عزموا على القيام بثلاثة أعمال متوازية:

الأول: أن يكون الخبث في هذا الكتاب بصفة مشتركة تجمع بين اليهود والنصارى، وأن يكون الكتاب مبشرا بالديانة المسيحية شريطة ألا يتعارض مع اليهودية. أي أن هناك تصالحا يراد له أن يتحقق بين اليهودية والمسيحية، وهو قفز من فوق أحداث التاريخ، وإلا فعلام تقوم فلسفة الصليب الذي هو تجسيد تاريخي لجريمة الصلب التي وقعت في حق المسيح – حسب عقيدة النصارى – بيد اليهود؟!

الثاني: محاصرة حدود الدول الإسلامية – حصارا عسكريا – وبخاصة الدول المطلة على البحر المتوسط، ثم التوغل إلى بقية الدول الأخرى مع إحكام القبضة على كل من مصر والسعودية وإيران وباكستان، لأن هذه الدول تمثل الثقل البشري والاقتصادي والحضاري للأمة الإسلامية.

الثالث: تكثيف الدعاية ضد القرآن الكريم، بأنه كتاب محرف وغير صالح للحياة البشرية، وأنه كتاب تاريخي. بمعنى أنه لا يجوز له أن يتخطى مرحلته التاريخية التي جاء من أجلها.

هذا ونرجو الله عز وجل أن يوفق قادة الدول العربية والإسلامية للموقف الصحيح، الذي يتصدى لهذه الهجمة اليهودية الصليبية التي لا يشبه لها تاريخ مثيلا.

(٣) ارجع في هذه النصوص إلى كتاب «خرافة الفرقان الأمريكي للقرآن» للأستاذ يعقوب كمال محمد ص ٩ – ص ٢٢

الدروز في إسرائيل

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم

إن الأمر الجيد أن يعرف كل عربي أن الدروز في إسرائيل هم جزء لا يتجزأ من الأقلية العربية فيها. وكان العرب الدروز عند قيام دولة الاحتلال الصهيوني في فلسطين التاريخية عام ١٩٤٨ يبلغ عددهم حوالي ١٣،٨٠٠ نسمة. أما في الوقت الحاضر فيبلغ عددهم حوالي ١٢٠ ألف نسمة يشكلون نسبة ١.٧٪ من عدد سكان إسرائيل البالغ ٧.٢ مليون نسمة. والدروز موزعون على ١٧ بلدة. يعيش ٤٣٥٠٠ منهم في ١١ بلدة عربية درزية، بينما ٧٦٥٠٠ منهم يعيشون في ٦ بلدات عربية مختلطة. وإسرائيل منذ إعلان قيامها وهي تضع خطة مدروسة لفصل الدروز عن باقي الأقلية العربية فيها، تمثلت في اتخاذ العديد من الإجراءات والقرارات من أهمها إقامة جهاز قضائي للدروز منفصل عن الجهاز القضائي للمسلمين، وإنشاء مجلس ديني للدروز، وفرض التجنيد الإجباري على الشباب الدرزي دون فرضه على باقي الأقلية العربية من مسيحيين ومسلمين، وإقامة جهاز تعليمي خاص بالدروز، غير مرتبط بجهاز التعليم العربي في إسرائيل.

والحقيقة أن إسرائيل لا تعتبر الدروز عربا أو فلسطينيين، بل طائفة خاصة لها وضعها المتميز. وقد سعت إلى تنظيم هذه الطائفة على أسس عرقية ودينية. وعلى الرغم من أن اللغة العربية هي لغة الدروز، فقد شجعوا ما يسمى بـ «الأدب الدرزي» والهدف هو تعميق الشعور باستقلالية «الهوية الدرزية». وقد وصل الأمر إلى الاستخفاف بوعي الدروز في مراحل السلطات التعليمية الإسرائيلية أعدت لهم مناهج خاصة بالعلوم الطبيعية مثل «كيمياء الدروز» و«فيزياء الدروز» وغيرها من أجل تعميق الشعور لدى الطالب الدرزي بأنه ينتمي إلى «طائفة مستقلة» لا يربطها بالعرب والفلسطينيين أي رابط، وبخاصة أن

الطلاب الدروز درسوا ما يسمى «بالتاريخ الدرزي» الذي يركز على العلاقة التاريخية بين الدروز وإسرائيل. واللافت أنه بعد قيام إسرائيل قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بمصادرة معظم الأراضي الدرزية، وهو ما أدى إلى حرمان العرب الدروز من مصدر رزقهم الوحيد وهو الزراعة، ومن هنا وجد الشباب الدرزي في الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي المصدر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في حياتهم المعيشية حتى إن بعض قيادات الطائفة الدرزية كانت قد وقعت في عام ١٩٥٥ على عريضة تطالب الحكومة الإسرائيلية بفرض الخدمة العسكرية الإجبارية على الشباب الدرزي، وقد تحقق ذلك عندما أصدر «دافيد بن جوريون» أول رئيس وزراء إسرائيلي قرارا عام ١٩٥٦ بوصفه وزيرا للدفاع حينذاك يلزم أبناء الطائفة الدرزية العربية بالخدمة الإجبارية في الجيش الإسرائيلي. ومنذ ذلك الوقت يخدم الشباب الدرزي في معظم الوحدات العسكرية في الجيش الإسرائيلي. ومن هنا تفرض الخدمة العسكرية الإلزامية على جميع الشباب الدرزي، باستثناء المتفرغين منهم لشئون العبادة، شأنهم في ذلك شأن الشباب اليهودي المتدين «الحريديم».

ويخدم الشباب الدرزي بصفة خاصة في ألوية المشاة المقاتلة، ويعمل معظمهم في فروع الشرطة الإسرائيلية المختلفة خاصة «حرس الحدود»، ودوائر السجون. ومن جهة أخرى تستعين أجهزة المخابرات الإسرائيلية بمجتمعات الدروز في محاولة تجنيد عملاء لها من بين الفلسطينيين، إلى جانب قيام بعضهم بالتجسس على الدول العربية، مثل «عزام عزام» في تجسسه على مصر.

وعلى الرغم من إخلاص الدروز للدولة اليهودية إلا أن هيئة أركان الجيش ترفض تجنيدهم في بعض أفرع الجيش الإسرائيلي، مثل سلاح الجو، والاستخبارات العسكرية، أو صفوف المخابرات العامة. بل لقد وصل الأمر إلى أسوأ من ذلك. [illegible] كيف [illegible] حركة «كاخ» المتطرفة. [illegible] تطالب بطرد أبناء الطائفة الدرزية من إسرائيل. على الرغم من خدمتهم في الجيش الإسرائيلي؟

أصيب بكل ثقة [illegible] يحرص على تدمير حفلات مكثفة [illegible] طردهم. ومن جانب آخر [illegible] في منتصف مارس ٢٠٠٩ كشفت دراسة أجرتها «لجنة المبادرة الدرزية العربية» التي تعترض على تجنيد الشباب الدرزي في الجيش الإسرائيلي، عن نتائج تبين من خلالها أن ٤٠٪ من الشباب الدرزي يرفضون أداء الخدمة العسكرية الإلزامية في صفوف الجيش الإسرائيلي، وهو ما أصاب دوائر صنع القرار في الحكومة الإسرائيلية، والقيادات الدرزية المتعاونة معها بصدمة شديدة، وقد بدأ أبناء الطائفة الدرزية في إسرائيل يدركون أن خدمتهم الإلزامية في الجيش الإسرائيلي لم تشفع لهم لدى إسرائيل من أجل إنصافهم ومساواتهم على الأقل باليهود الذين لا يخدمون في الجيش الإسرائيلي من أتباع التيار الديني الحريدي.

وإزاء هذا الواقع بدأ الكثيرون من مثقفي الدروز يطالبون برفض الخدمة الإجبارية في الجيش الإسرائيلي وحل مشكلة «الهوية القومية» للدروز في إسرائيل بإعادة الانتماء بالبعد القومي العربي والتاريخي الفلسطيني، لدرجة أن «حسين عباس» الشاب الدرزي الذي خدم في الجيش الإسرائيلي طوال ٣٠ عاما، حتى نال رتبة «عميد» يقول: «إن كراهية الإجراءات العنصرية ضد الدروز، جعلتني أشعر بعد هذه الخدمة الطويلة في الجيش الإسرائيلي أني عربي رغم أنفي، ولذا فإنني لن أجعل أيا من أبنائي يخدم في هذا الجيش مهما كلف الثمن». وفي هذا السياق يقول الصحفي الدرزي «هشام نفاع»: «لقد أدت خدمة الدروز في الجيش الإسرائيلي لعشرات السنين إلى فقدان معظمهم الشعور بالانتماء للأمة العربية والشعب الفلسطيني».

وعلى الرغم من التضحيات التي قدمتها قرية «بيت جن» الدرزية التي فقدت أكبر عدد من أبنائها في حروب إسرائيل ضد العرب والفلسطينيين، إلا أن وزارة الإسكان الإسرائيلية قامت بمصادرة جميع أراضي القرية بدعوى أنها تقع ضمن «محميات طبيعية»، ومنعت السكان من فرصة لاستغلالها في الزراعة والإسكان. [illegible] الشباب الدرزي [illegible] على أزواج شعرية [illegible] على شقة لكي يبدأ حياته الأسرية [illegible] من قبل «لجنة المبادرة العربية الدرزية». وحتى أشرح للدروز أن الادعاء الإسرائيلي بأنهم سيحصلون على حقوق أكثر من غيرهم إذا خدموا في الجيش الإسرائيلي غير صحيح، فنحن نعرف أن هناك قرى عربية في إسرائيل لا يخدم أبناؤها في الجيش، وتعيش وضعا اقتصاديا أفضل بكثير من القرى الدرزية».

وفي هذا الصدد يقول «سعيد نفاع» عضو حركة «معروفيون الأحرار»، وهي حركة تعمل ضد الخدمة الإجبارية للشباب الدرزي في الجيش الإسرائيلي: «إن مشكلة الدروز هي [illegible] الشباب الدرزي [illegible] [illegible] من الاعتماد على الجيش الإسرائيلي، وعلينا أن نعلم أولادنا أن يختاروا الدراسة الأكاديمية بدلا من الخدمة العسكرية، وتشجيعهم على عدم الاعتماد من الناحية الاقتصادية على جيش الإسرائيلي». وتحدث «فؤاد داهش»، وهو طالب درزي في جامعة حيفا بمرارة عن تردي أوضاع الدروز فيقول: «إن الدروز لا يستفيدون من خدمتهم في الجيش الإسرائيلي على صعيد الرقي بأحوالهم ورفع مستوى معيشتهم، ويكفي أن تعلم أن الدروز هم أقل الطوائف العربية تمثيلا في الجامعات». ويقول «حاتم حلبي» عضو حركة «المعروفيون الأحرار»: «إن الموضوع برمته «مادي»، إذ إن هناك محاولات لتحويل أبناء الطائفة الدرزية إلى معتمدين على الجيش الإسرائيلي، حيث إن مصدر الرزق الوحيد لـ ٢٧٪ منهم هو الجيش الإسرائيلي، ويأتي هذا على حساب التعليم الأكاديمي وبلورة «الهوية القومية»، والشعور بالانتماء للشعب الفلسطيني العربي».

وفي هذا السياق يتحدث «مكد نكد» وهو درزي فيقول: «إنه يوجد اليوم انفتاح أكبر في المجتمع الدرزي تجاه رفض الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، إذ بدأت الطائفة الدرزية تدرك أنهم يدفعون بدماء أبنائهم، ولا تحصل على شيء في مقابل ذلك».

وقد أجاد «خليل أسعد» وهو درزي ترقى في المناصب العسكرية حتى وصل إلى رتبة «عميد» في الجيش الإسرائيلي، عندما قال واصفا بدقة أحوال الدروز في إسرائيل «ما العمل، فالدروز في إسرائيل سيظلون «عربا» في الحقوق، يهودا في الواجبات». وفي هذا الإطار تقول «آنام كمال منصور» ابنة «كمال منصور» الذي كان يعمل مع الرئيس الإسرائيلي السابق «موشيه كاتساف» كمستشار له لشئون الأقليات: «إن المأساة الحقيقية هنا أنه على الرغم من ولاء الدروز للدولة اليهودية إلا أنهم لا يتمتعون بالمساواة». وتضرب «آنام» مثلا واضحا على التمييز ضد العرب، حتى الدروز منهم فتقول: «لقد أرسلت الطائفة اليهودية في «شفا عمرو» دعوة إلى خمسة

طلاب متفوقين من جامعة حيفا لزيارة مليجتهم، وكنت أستحق الحصول على بطاقة من البطاقات الخمس، لكن حينما علموا أنني لست يهودية «درزية» تم إسقاطي من قائمة المدعوين».

ويقول «رفيق سلامة» الذي تم إقصاؤه من رئاسة مجلس محلي قرية «بيركاء» الدرزية بقرار من وزارة الداخلية الإسرائيلية في أبريل عام ٢٠٠٧: «إننا نحن الدروز نرى أننا نقدم كل شيء، ولا نحصل على أي شيء، فلا توجد هنا أماكن للتنزه، ولا ملاه وقد سقط ٥١ صاروخ كاتيوشا على قريتنا في حرب لبنان الثانية، وإننا مهملون، ونفقد هويتنا». ويضيف «سلامة»: «إن عرب إسرائيل لديهم وسادة ينامون عليها بالليل، حيث يشعرون بأنهم فلسطينيون، ولكننا لا نعلم من نحن، وإنني أحسد الدروز في لبنان وسوريا لأنهم يعلمون من هم». ويواصل «سلامة» قوله: «وفي النهاية سيكون مصيرنا مثل الميليشيات في جنوب لبنان «جيش جنوب لبنان» الذي كان مواليا لإسرائيل، وتخلت عنه في نهاية الأمر»!

ويوجز الشيخ «رمال» من قرية «بيركاء» الدرزية أحوال الدروز في إسرائيل بقوله: «إن الخطأ الذي تم اقترافه في الماضي هو الموافقة على تجنيد الدروز في الجيش الإسرائيلي، لقد قام الإسرائيليون بتجنيد الدروز، ولم يحصلوا في مقابل ذلك على شيء، فقد أخذوا أراضيهم مثل العرب بالضبط، وساروا يهدمون المنازل التي كانوا يبنونها على أراضيهم، ولم يحظوا بأي مساواة».

ويقول «سعيد نفاع» سكرتير عام المنظمة العربية للدفاع عن حقوق الإنسان في إسرائيل، وهو درزي: «يعد قانون التجنيد الإجباري الذي صدر عام ١٩٥٦ لتجنيد الشباب الدرزي في الجيش الإسرائيلي إحدى الأدوات التي استخدمتها إسرائيل لضرب العرب الفلسطينيين». ويرى «سعيد نفاع» أن هذا القانون يهدف إلى تحقيق العديد من الأهداف، أولا: ضرب من تبقى من أبناء الدروز، وسلبهم أي إمكانية لوحدة على أساس قومي، والوقوف في مواجهة أي طموحات قومية للأقلية العربية، وثانيا: منع التوقيعة المتمثلة في المنطقة والمتمثلة في كل من سوريا ولبنان التي تتبع تركيبة تعبيرية لتركيبة الشعب الفلسطيني، وثالثا: محاولة تحقيق مكاسب دعائية، تلفت النظر إلى أن العرب يحصلون دليل على دعقرطيته الدولة الإسرائيلية في تعاملها مع الأقليات. ويتحدث «سعيد نفاع» «دأبت السلطات الإسرائيلية على جعل خصوصية للدروز، حيث جعلت لهم لا طائفة، وفوق ذلك بدرجة كبيرة لتستفيد منا مسعود ذلك لقومية الدرزية، فأنشئت محاكم دينية خاصة وعيادة خاصة ومناهج تعليمية خاصة، توجهها بما أسمته «التراث الدرزي»، وكل ذلك في خدمة «محفظ محو الذاكرة القومية» للعرب الدروز لجعلهم أداة قمع يمكن استخدامها لتحقيق أهدافها السابقة».

واتكشفت أكذوبة «خصوصية الدروز» الملقية عن كاهلهم إجباريا عندما منعت السلطات الإسرائيلية وفدا درزيا من السفر للحج في أواخر عام ٢٠٠٣، بحجة الحفاظ على أمن وسلامة الوفد، ولقد أكد «مهد صحاو» ممثل الطائفة الدرزية في الخليل في مؤتمر الدروز في العاصمة الأردنية عمان يوم الأحد ٢٠٠١/٨/١٩م «أن إسرائيل استطاعت عبر سلسلة من السياسات المدروسة سحب أبناء الطائفة الدرزية في فلسطين من عمقهم العربي»، وقد شهد مؤتمر الدروز في عمان بهدف الدعوة إلى عدم مشاركة الدروز في قتل وإرهاب الفلسطينيين الذي يتم عن طريق خدمتهم الإجبارية في الجيش الإسرائيلي، ووضع حد للمناهج التعليمية الخاصة التي تفرضها السلطات التعليمية الإسرائيلية على مدارس الدروز التي تهدف إلى محو الذاكرة العربية للطائفة الدرزية.

وقال «مهاد ملحم»: «إن السلطة الإسرائيلية ترفض تعامل معه كأقلية عربية، كما تعمل على العرب، وتعمل كذلك على عائلات، بهدف رفض ذاتي هذه الطرف، وتسعى إلى إخراجنا من دائرة الصراع العربي الصهيوني»، وأكد «ملحم»: «إن التمييز الذي تم ممارسته على كل من هو ليس يهوديا في إسرائيل، قد عانى منه جميع الأقليات والعائلات في إسرائيل».

وعن حالة الاجتماعية والاقتصادية لأبناء الدروز في إسرائيل تحدث «ملحم» قائلا: «إنه تم فصلنا جغرافيا عن باقي الأقليات العربية، ولا تختلف الأوضاع الاقتصادية بين جميع الفئات غير اليهودية في إسرائيل، فالبطالة موجودة بصورة واضحة بين جميع الفئات، ومنها الطائفة الدرزية، حيث إن هناك أعمالا محددة يعملون فيها»، ويواصل «مهاد ملحم» حديثه عن أحوال الطائفة الدرزية فيقول: «إنه على الرغم من ولاء الدروز لإسرائيل، قامت بمصادرة أراضيهم وهي تعلم أن الدروز في الأصل «فلاحون»، ولا يعملون إلا في الزراعة، ومن ثم قامت بدفع الشباب منهم نحو الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، ومن هنا أصبح هناك قطاع كبير يعمل في أجهزة الأمن، ويقوى خدمته من أبناء الطائفة الدرزية يتكسبون من خدمتهم في الجيش الإسرائيلي»، ويرى «مهاد ملحم»، شيخه ممثلا للطائفة الدرزية في الجليل حديثه بقوله: «لقد نجحت إسرائيل إلى حد كبير في محو الذاكرة العربية للدروز من أذهان غالبية شباب الطائفة، إضافة إلى أن السلطة القائمة والمسيطرة على الطائفة «سلطة عشيرية»، وهي التي تحكم الطائفة الدرزية، وترى أن مصالحها في بقاء الحال على ما هو عليه»، ويذكر في هذا الخصوص أن من يحكم الطائفة الدرزية الآن العائلات التي كانت تحكم من زمن الأتراك. وسأكتفي في ختام حديثي عن الدروز بالإشارة إلى استطلاع لرأي عينة من الدروز تحدثت عنه صحيفة «معاريف» الإسرائيلية بعددها في ٢٠٠٧/١١/١٦م أكدت من خلال نتائجه أن الدروز يكنون إخلاصا تاما للدولة اليهودية، فردا على السؤال الأول الذي يقول: هل الدروز مواطنون من الدرجة الثانية؟ أجاب ٧٠٪ بنعم، في مقابل ٢٧٪ منهم قالوا: لا، وجاء في السؤال الثاني ماذا تشعر تجاه إسرائيل؟ أجاب ٥٢٪ منهم بحبها، بينما أجاب ٤٨٪ منهم بحبها لكن عاتب عليها.

وجاء السؤال الثالث: هل اليهود في نظرك إخوة أم جيران أم أعداء؟ اختار ٥٦٪ منهم إخوة، و٣٩٪ جيران، و١٪ أعداء.

ووفقا للاستطلاع عرف ٨٢٪ أنفسهم على أنهم «إسرائيليون»، بالإضافة إلى كونهم «دروزا»، واختار ٩٪ تعريف أنفسهم «عربا»، و١٪ فقط عرفوا أنفسهم «فلسطينيين».

وتوصلت صحيفة «معاريف» من خلال قراءة النتائج إلى الاستنتاج بأن السواد الأعظم من الدروز يؤيدون أن تحدث منه على عكسه، لكن الدونية تعلق في وجوههم وهم يشعرون بالغبن والإهانة من جانب الحكومة الإسرائيلية، وتساءل: أليس ذلك دليلا كما قال «مهاد ملحم» ممثل الطائفة الدرزية في الجليل، على أن إسرائيل نجحت إلى حد كبير في محو الذاكرة العربية من أذهان غالبية الشباب الدرزي الذي يكن الولاء التام للكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة؟! كما تساءل أيضا: هل يمكن للدروز العرب أن يعودوا مرة أخرى إلى أحضان الشعب الفلسطيني، ويدركوا أكذوبة الخصوصية الدرزية التي تحاول إسرائيل رفع رايتها لتمزيق الأقلية العربية؟!



الصهيونية والعنف

من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى

تأليف

الدكتور عبد الوهاب المسيري





من يتأمل سور القرآن الكريم وآياته يتبين: أن بني إسرائيل - على تباين فرقهم واختلاف نزعاتهم وتوجهاتهم - قد نالوا القسط الأكبر من الحديث عن سائر الأمم ورسلهم، منذ تردد فيهم صوت جدهم إسرائيل «إسحاق» ومن تلاه من رسل الله وأنبيائه عليهم السلام، داعياً إياهم إلى إخلاص العبادة لله الواحد الأحد التي وصى بها أبو الأنبياء جميعاً إبراهيم عليه السلام، ومذكراً بما أنعم به عليهم وبما فضله به على عالمي أزمانهم، رجاء أن يثوبوا إلى الرشد، ويخلصوا دينهم لله.

وكان من أبرز ما دعاهم إليه تحذير الذين يقصر بهم عن حقيقتهم وعما يجب عليهم تجاه ربهم حتى ظنوا أن ما يتمتعون به من نعم الله عليهم إنما هو خصوصية لهم لأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم - لهذا - فوق المحاسبة والمساءلة والعقاب، فلم يلتفتوا إلى تحذيره إياهم من التمادي في هذا الطريق بنحو قوله جل شأنه:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: ٤٠ - ٤٢).

ولم يكتفوا بل تحذيره إياهم من الاغترار بما هم فيه بل بين لهم الأرض التي تحرك بين ترديعهم ليتوبوا إلى الرشد. وقدم لهم صورة من تاريخهم الماضي والحاضر والمستقبل تعد تبعيته فيما يفتح لهم طريق الارعواء والتنبه إلى أن تلك خصوصية محدودة بحدود الطاعة لله وإخلاص العبودية له في نحو قوله عز وجل:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾

(الإسراء: ٤ - ٧).

وقد أوضح لهم في أواخر نفس السورة كيفية تحقيق وعد الآخرة في قوله:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾

(الإسراء: ١٠٤).

■ ولهذا تتجه إلى إسرائيل العظمى

فهذا القول الكريم ينبههم إلى أن قوى داخلية سوف تسوقهم مستقبلاً، فيعود جماعات ووحدانا من كل حدب وصوب استجابة لمطامعهم سعياً لتحقيق وعد الآخرة كي ينالوا حقهم، حيث يزعمون أنهم يسعون لإقامة دولتهم العظمى على حساب الآخرين.

ونجد فيما يرى المحتوى من رصده الدكتور عبد الوهاب المسيري، إذ لاحظ أن مفهوم إسرائيل الكبرى القائم على التوسع الجغرافي قد بعد مفهوماً في فكر الاستراتيجي الصهيوني في إسرائيل بعد ظهور النظام العالمي الجديد الذي غير وظيفة إسرائيل ووظيفة دورها.

فإسرائيل تحاول الآن أن تلعب دوراً وظيفياً جديداً يتطلب منها التغلغل في العالم العربي بالتعاون مع بعض النخب الثقافية والسياسية كجزء من عملية تمرير المنطقة وضمها إلى السوق العالمية والنظام العالمي الجديد.

فانصراف إسرائيل عن مشروع «إسرائيل الكبرى» جغرافياً، وتحولها إلى مشروع «إسرائيل العظمى» اقتصادياً وسياسياً وتكنولوجيا يحقق الأهداف الصهيونية بصورة أكثر وضوحاً وأطول عمراً، وأقل كلفة وخسارة بشرية.

ولهذا.. يلزم أن تقبل «إسرائيل العظمى» التنازل عن بعض الأراضي العربية المكتظة بالسكان، والتي تعدها حقاً تاريخياً، وجزءاً من أراضي إسرائيل التوراتية، وبهذا - كما يقول بيريز - ستكون قد أدت واجباً تاريخياً تجاه نفسها، حيث ستضمن رفع المقاطعة العربية، وفتح أسواق المنطقة أمام بضائعها.

وهذا المشروع هو الذي سوف يحقق لها الأمن، ويحقق (إسرائيل العظمى) التي سوف تحكم العرب جميعاً - وليس الفلسطينيين وحدهم - وتمكنها من السيطرة على كامل المنطقة وثرواتها، وتمكنها من تطويع الشعب العربي، وتخريب النسيج الاجتماعي في العالمين العربي والإسلامي.

ولكن فريقاً كبيراً من اليمين الصهيوني مازال يؤمن في قرارة نفسه بفكرة «إسرائيل الكبرى» جغرافياً، ليقينهم من أنه بدون هذا الكيان لن تكتمل الهجرة، ولا الصعود إلى أرض الميعاد، ولا أمن إسرائيل

وسلامتهم.

■ قوة لا تقهر.. ولكنها مهددة بالفناء

وفي الفصل الثامن (الأمن الصهيوني/ الإسرائيلي القومي) ذكر الدكتور المسيري: أن الهاجس الأمني، وعقلية الحصار اللذين يسيطران على الوجدان الإسرائيلي نتيجة لمحاولة القوة والسلاح من أجل توطين كتلة سكانية في وطن انتزع من أهله الأصليين وطردهم. هذا الهاجس، وتلك العقلية هما في الحقيقة ثمرة أمور عديدة، منها:

١- أن الأرض التي يدعون ملكيتها هي في الواقع ليست أرضهم كما هو مستقر في وجدانهم، وهي -كذلك- ليست أرضا بلا شعب. ٢- وأن أهلها لم تتم إبادتهم، ولم يستسلموا كما كانوا يتوقعون. ٣- وأن قرارات هيئة الأمم المتحدة بحق العودة مازالت سارية المفعول.

٤- وأن التفوق العسكري الإسرائيلي، والعجز العسكري العربي ليس مسألة أزلية.

ولذلك نرى أن الهاجس الأمني، وعقلية الحصار المسيطرين على الوجدان الإسرائيلي يدفعانهم دائما للسعي إلى زيادة القوة العسكرية، والدعم الاقتصادي، والتفوق التكنولوجي، والمزيد من السيطرة على الأرض.

ونرى أن هذا الهاجس الأمني يقف عقبة كأداء في المجال الاقتصادي، لتغلبه على الجدوى الاقتصادية. كما أن هذا الهاجس يشكل عائقا ضخما في مجال التطبيع.

وأن هذا الهاجس الأمني جعل نظرية الأمن القومي في إسرائيل ذات مركزية خاصة بالنسبة للكيان الصهيوني، معبراً عن نفسه في كثير من المفاهيم التي تشكل ركائز نظرية الأمن في إسرائيل التي تدور جميعها حول فكرة البعد الزمني والارتباط بالمكان، تحقيقاً لفكرة الأمن السرمدي.

ولهذا.. يصبح أمراً ضرورياً محاصرة العنصر الفلسطيني، وقمعه بضراوة أو دفعه للهرب فلابد من ضربهم باستمرار لبث روح اليأس فيهم، وإقناعهم بأن الاستمرار في تبني الصراع العسكري كوسيلة لاستعادة الحقوق أمر غير مجد.

لكن هذا يعد أن نظرية الأمن الإسرائيلي تؤكد البعد المكاني الجغرافي (اللاتاريخي اللازمني) بشكل مبالغ فيه، وتهمل البعد التاريخي (الزماني- الإنساني)، وإذا هي قبلت هذا البعد فإنها تفعل ذلك صاغرة، وتحاول الالتفاف حوله تماماً، مثلما تلتف الطرق الالتفافية الصهيونية حول القرى العربية.

■ ولهذا تتوعد الدول العربية بالحرب

ويرى الدكتور المسيري أن هذا يفسر اعتماد نظرية الأمن الإسرائيلي على فكرة الحدود الجغرافية الآمنة، ذات الطابع الحيوي التي تستند إلى معطيات جغرافية، مثل الحدود الطبيعية، حتى لقد طرح «حاييم أورونسون» ما سماه الخط النووي، بأن تقيم إسرائيل داخل حزام مسلح تحميه الأسلحة النووية متحصنة من العنصر البشري المتحد بالحد الصهيوني نفسه، كما نرى في سلسلة المستوطنات التي تحيط بحدود إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان، والنقب.

وهذه المستوطنات- في تقديرهم- تحافظ على العمق الاستراتيجي للمراكز البشرية والاقتصادية، وتحول دون تعرض إسرائيل للهجمات العربية. كما أنها تحقق النصر في حالة الهجوم وفق قدر ممكن من الخسائر في الجانب الإسرائيلي، وتوفر الفرصة للقوات الإسرائيلية كي تقود عملياتها الانتقامية والتوسعية في الدول العربية المجاورة.

وإزاء مشكلة غياب العمق الاستراتيجي للكيان الصهيوني يحدد الفكر العسكري الإسرائيلي ما يسمى «ذرائع الحرب»، فالدولة الصهيونية تعد كل دولة عربية مسئولة عن أي نشاط فدائي ينطلق من أراضيها، والرد على هذا النشاط يعد ذريعة من ذرائع الحرب، مثلها مثل قيام حشود عسكرية عربية على أي جانب من حدود إسرائيل، وتغيير ميزان القوى العسكرية على حدود إسرائيل، وحصول الأطراف العربية على أسلحة نوعية في سباق التسلح، وإغلاق الممرات المائية والمضايق، إلى آخر ذلك.

■ تفكير صهيوني شاذ يودى بها

ويرى الدكتور أن الحركة الصهيونية قد حددت لفكرة الأمن «الجغرافي»، وأسقطت العنصر التاريخي، متصورة أنه عن طريق الاستيلاء على أي جزء من العالم العربي- بمعاونة الولايات المتحدة- تحل مشكلة الأمن القومي.

ولكن الانتصارات الإسرائيلية كانت تؤدي دائما إلى نتيجة عكسية، حتى وصلت التناقضات إلى قمتها مع انتصارها سنة ١٩٦٧، حيث حسمت مع حرب السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣، ثم مع الانتفاضة الفلسطينية التي أكدت العجز الصهيوني.

والحقيقة التي غابت عن الزعامات الصهيونية أن أمن إسرائيل يمثل مشكلة كبيرة، لأن إسرائيل كيان مزروع بلا جذور، ممول من قبل يهود الغرب، والدول الاستعمارية الغربية.

وقد فاتهم أن الأمن لا يتحقق داخل المكان- وحسب- عن طريق الآلات والردع التكنولوجي، وإنما يتحقق داخل الزمان، فالأمن الدائم والنهائي والحقيقي إنما هو علاقة بين مجموعات بشرية تعيش داخل الزمان، وليس أسطورة تفرض عن طريق الآلات والردع التكنولوجي على الرغم من نجاح تلك الزعامات الصهيونية في إقناع المؤسسة الحاكمة والجماهير الإسرائيلية أنه لا يمكن أن تتعايش إلا داخل هذا الكيان الصهيوني الشاذ.

فالصهيونية هذا الكيان هي السبب في تعدد أبعاده، وهي السبب في الزج بالجماهير الإسرائيلية في حروب متتالية، فلا أمن إلا من خلال إطار ينظم كل سكان المنطقة ولا يستبعد الإسرائيليين أو الفلسطينيين.

وقد شبه أحد الكتاب الإسرائيليين نظرية الأمن الصهيونية بالعبادة الوثنية للعجل الذهبي الذي رقص حوله الإسرائيليون، مهملين عبادة الله الخالق المتجاوز للطبيعة والمادة والمكان.

■ ولهذا تغير مفهوم الأمن القومي

ويذكرنا الدكتور المسيري: أن الأمن القومي الإسرائيلي المنطلق من مقولة «فلسطين أرض بلا شعب» يفرض على الإسرائيليين أن يعملوا على إخفاء الفلسطينيين وطمس وجودهم بكل وسيلة متاحة.

ومن هنا.. قام مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي على إنكار الوجود العربي، والوجود العربي، وبخاصة: الوجود الفلسطيني.

ولكنهم - تحت ضغط المتغيرات والمعطيات الخارجية التي فرضتها الحروب العربية الإسرائيلية - اضطروا إلى إحداث تغيرات مرحلية في مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي:

١- فإذا كان مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي يقوم في بدايته على «الضربة المضادة الاستباقية» المطلقة من عدم السماح بنقل ميدان الحرب في أرض إسرائيلية، إذ كان مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي يقوم في بدايته على هذا، فلقد اضطرت إلى قيام الأمن القومي على نظرية «الحدود الآمنة» القائمة على حدود يمكن الدفاع عنها، دون اللجوء إلى حرب وقائية.

٢- ولقد أكدت حرب سنة ١٩٧٣ فشل معظم نظريات الأمن الإسرائيلي المكانية، حتى اضطرت إلى نظرية «ذريعة الحرب» التي تذهب إلى حتمية تبني استراتيجية الحرب الوقائية، وتوجيه الضربات المسبقة في حالة تعرضها لتهديد عربي، والتي أثمرت عقد اتفاق التعاون الاستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة سنة ١٩٨١، وأدت إلى الهجوم على العراق، ثم لبنان، ثم تونس.

٣- كما أن المقاومة في الجنوب اللبناني والانتفاضة لفتت الأنظار عن مفهوم الحرب الخاطفة، متجهة إلى طرح إمكانية حرب عزيمة تعتمد على الاحتكاك المباشر على الأرض التي يفترضون أنها لا شعب لها ولا تاريخ.

لقد كانت الانتفاضة قوة ضاربة وجهت لنظرية الأمن الإسرائيلي: حيث أصبح بعدها إنكار وجود الشعب الفلسطيني غير ممكن، ولم يكن هناك مفر من الاعتراف بهم بوصفهم الفلسطينيين كما في مؤتمر مدريد، واتفاقية أوسلو.

هذا، وإن حرب الخليج الثانية أدت إلى بروز عدد من العجوزات في مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي، حيث أوضحت: أن الجيش الإسرائيلي لا يمتلك قدرة ملائمة مضادة للتهديدات الصاروخية، وأكدت: استحالة قيام الجيش الإسرائيلي بتطبيق مفهومه الأمني التقليدي، القائم على نقل الحرب بسرعة إلى أرض الخصم.

■ ولهذا يتشبثون بفرض عدم التكافؤ

ولأن البحث الأمني يسيطر على الإسرائيليين، ارتبطت حاجتهم للسلام بالخوف متعدد المصادر، فراحوا يفرضون على جيرانهم العرب من الشروط ما يطمئنهم في مرحلة ما بعد التسوية.

١- فرضوا احتلال الترتيبات الأمنية والعسكرية حيزاً مهماً من اتفاقية السلام، والاتفاقات المتعددة اللاحقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، وأصروا على تضمين الاتفاقات مع الدول العربية بنوداً تلزم الجانب العربي بمناطق منزوعة السلاح... وإدخال تعديلات على الحدود لمصلحة توسيع إسرائيل.

٢- وعملوا على تحويل مرحلة الحكم الذاتي الفلسطيني المنصوص عليها في اتفاق أوسلو إلى مرحلة اختبارية لمنظمة التحرير والسلطة الفلسطينية يكون مقياسها أمن مستوطنات إسرائيل وحينئذ تدخل مرحلة حكم ذاتي وما بعد ذلك...

٣- واشترطوا أن تقبل الدول العربية التي تستضيف التجمعات الفلسطينية توطينهم على أراضيها.

٤- واعتمدوا مقولة: إن التفوق العسكري الإسرائيلي هو الذي يرغم الدول العربية على التفاوض معها، مع استخدام العلاقة المتميزة التي تربط إسرائيل بالولايات المتحدة دعامة من الدعائم الأمنية، والتأكيد على أن وجود حالة عدم الاستقرار في الشرق الأوسط يشكل تهديداً لأمن دولة إسرائيل، ومناقضة لأية حرب بشكل لا تتحمله... من الأسلحة.

٥- وحصروا مفهوم المنطقة العربية منزوعة السلاح بديلاً عن مفهوم العمق الاستراتيجي، فهي لا تنطبق على أوضاع الجبهة العربية الإسرائيلية فقط، وعن قابل للتطبيق على الجبهات الأخرى بدون دخول ترتيبات إضافية.

٦- وأكدوا على مفهوم الحرب الاختيارية بديلاً للحرب الدفاعية أو الإجهاضية، وبتعميم لما سمت الحرب التي تخوضها إسرائيل محض اختيارها بدافع من رغبتها في تحقيق مصالحها القومية، حتى تؤكد أنها انتقلت من دولة تبحث عن الاعتراف والقبول إلى دولة تؤكد دورها السياسي والاستراتيجي في المنطقة.

٧- وعملوا على الانفراد بامتلاك إسرائيل قدراتها الخاصة، بصرف النظر عن الارتباط العميق بدولة عظمى تسندها سياسياً وعسكرياً.

ومن هنا.. ظهر ما يسمى «عقيدة بيجن» التي تعني منع دول الشرق الأوسط من امتلاك الأسلحة النووية ومن امتلاك التكنولوجيا النووية.

■ فهو سلام مبني على الحرب والظلم والعنف لتيئيس العرب

وفي الفصل التاسع «الرؤية الصهيونية/ الإسرائيلية للصراع وللحكم الذاتي» ذكر الدكتور المسيري: أن الصهيونيين - باختلافاتهم - يتفقون حول... هو الأكثر شيوعاً لتحديد منه بدنية لتنفيذ المشروع الصهيوني.

وهذا النمط يؤكد أن دولة موجودة... الصهيونية جزء من التشكيل الاستعماري الغربي الذي لا يمكن تقديره أن يستمر إلا بحد السيف، ولذلك حرصوا على تسليح المستوطنين الصهيونيين، مثلما تسلح المستوطنون الأوروبيون في كينيا وغيرها.

وتهدف القوة العسكرية بتحويل العرب إلى اليأس الكامل الذي يدفعهم إلى الاستسلام، إذ هذا هو السلام الذي يجب أن يكون مع العرب، لأن أي سلام مبني على العدل خرافة وخدعة، لأنه سيؤدي إلى سيطرة العرب على الأمور.

أي إن الاتفاق الذي يتحدث عنه هؤلاء القادة الصهيونيون ليس اتفاقاً مع العرب باعتبارهم كياناً مستقلاً له حقوقه، وشعوره التاريخي والحضاري، إنما هو اتفاق مع عرب تم تطبيعه وترويضه عن طريق القوة والخوف الحديدي، حتى يقبل التعاقد حسب الشروط...

يؤكد هذا ما يصرح به قادة الصهيونية نفسه عن السلام، والحرب والتخويف، والأحلاف العربية اليهودية، والاتحاد مع العرب وحرصهم الدائم على التوصل إلى السلام المبني على الحرب والعنف، وسعيهم الدائم إلى الأمن المبني على الإكراه والعنف.

يتبع



إعداد الأستاذين : محمد جمعة - علا عبد الرحمن

رسالة إلى أمريكا

تحت هذا العنوان وردت افتتاحية الأهرام العربي الصادرة في ٢٢/٨/٢٠٠٩م جاء فيها:

جاءت زيارة الرئيس حسني مبارك إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتؤكد أن مصر كأكبر بلد في الشرق الأوسط تبعث رسالة حضارية واضحة عنوانها أن السلام الشامل والعادل هو السند الحقيقي للاستقرار، وأن سياسات جر المنطقة نحو مستنقع العنف تارة، والضغط على أطراف فرعية، سياسات عاجزة وقاصرة عن إدراك معنى الشرق الأوسط وتاريخه الطويل.

وكانت تصريحات الرئيس مبارك الرافضة لوجود قواعد عسكرية على أرض مصر، أو الدخول فيما يسمى المظلة الأمنية الأمريكية رسالة واضحة وقوية إلى الذين يريدون توريط مصر وشعبها في معارك طواحين الهواء.

القاهرة التي أقامت علاقات قوية مع واشنطن منذ منتصف السبعينيات، لم تكن لتقبل أن تكون مجرد عاصمة تدور في فلك الأمريكي. كونها واحدة من العواصم الكبرى المشبعة بأهمية حضارية في العالم، كانت قد بلغت شراكة قائمة على الاحترام، وقد كان ذلك عندما رفضت المشاركة في حروب عبثية أرادها المخططون الجدد وأعوانهم في الشرق الأوسط تحت مسمى نشر الليبرالية. وفي السنوات الخمس الماضية شهدت علاقات القاهرة وواشنطن شداً وجذباً، ذلك لأن القاهرة وسياستها رفضت السياسات الإسرائيلية القائمة على التعنت للشعب الفلسطيني والتحايل على السلام بصيغة يهودية الدولة العبرية كما رفضت غزو العراق وشن حروب تحت مسمى [illegible] هو الحرب على الإرهاب، وقد خسرت واشنطن صورتها في العالم أجمع، وتحولت إلى قوة احتلال، وكررت أخطاء فرنسا وبريطانيا والقوى الاستعمارية حيث احتلال أراضي الدول الأخرى.

أما الحدث فكان محاولة من القاهرة لتعريف واشنطن بأن الشرق الأوسط ليس البلدان في شرق آسيا أو البلدان في قلب أوروبا، حتى تدرك أن استقرار المصالح الأمريكية فيه لا يقوم على العدوان بل على الإسهام في حل القضية الفلسطينية التي تسبب فيها الغرب نفسه، ودعم الولايات المتحدة الأمريكية. والقاهرة ذكرت مراراً أن السلام العادل هو العنوان الذي يريد أن يذهب إليه أحد، حتى ذلك في ارتكاب مجازر ووقوع ضحايا أبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم يريدون العيش على أراضي أجدادهم. ولعل المبادرة الأمريكية المرتقبة والتي سوف يعلنها الرئيس الأمريكي باراك أوباما ستكون بداية التصحيح لظلم وقع على الشرق الأوسط طويلاً.

حصاد حملة «مسلمو أمريكا يلبون النداء»

كتبت الأستاذة داليا مجاهد في جريدة أخبار اليوم الصادرة في ٥/٩/٢٠٠٩م تحت هذا العنوان تقول:

الحملة القومية الأمريكية «مسلمو أمريكا يلبون النداء» والتي كانت تهدف إلى تشجيع الأمريكيين المسلمين على الاستجابة لنداء الرئيس الأمريكي أوباما وغيره من أجل الخدمة. وهو المشروع الذي عكف عليه المجتمع الأمريكي المسلم طوال فصل الصيف والذي سينتهي في الحادي عشر من سبتمبر الحالي. وقد حان الوقت للحديث عن حصاد ذلك المشروع.

كان هدف الحملة ١٠٠٠ يوم من الخدمة تطوعاً من المؤسسات الإسلامية خلال فصل الصيف. وأود أن أؤكد على أن ٢٥ ولاية من مراحل هذا المشروع متعاونون مع مجتمع ديني آخر. ولتحقيق ذلك، عملت المؤسسات المسلمة الدينية والمهنية والمدنية والتعليمية أن تحشد طاقتها البشرية لتلبية النداء من أجل الخدمة. وهذا يعني تلبية نداء الرئيس الأمريكي والأسمى من ذلك تلبية نداء الله بخدمته عن طريق خدمة الآخرين. وقد تحمس جميع الأمريكيين المسلمين في مزيج رائع من شتى الدول والأجناس والأوضاع الاقتصادية والتفوا حول تلك الحملة وشاركوا بحماس بالغ.

وفي إطار ذلك قام الأئمة بإلقاء خطب حول أهمية الخدمة في المساجد. كما أرسلت منظمات الحقوق المدنية المسلمة تنبيهات عبر شبكات الآلاف من الأشخاص لتلبية النداء من أجل الخدمة. وطلبت جمعيات الطلاب المسلمين بالجامعات من طلابها أن يشاركوا. وقامت الهيئات المهنية المسلمة بدعوة أعضائها للمشاركة. كما طلبت المؤسسات الخيرية المسلمة من متطوعيها أن يتطوعوا لمساعدة المحتاجين فضلاً عن قيام الأطباء المسلمين بالتطوع لعلاج المرضى. وتقديم المحامين المسلمين استشارات قانونية مجانية. وتبنى الجيل المسلم أسر اللاجئين، بالإضافة إلى قيام المنظمات الطلابية المسلمة بإطعام من هم بلا مأوى. وقيام المؤسسات الخيرية المسلمة بالتبرع بالكتب لمدارس الأمريكيين

لاصحين الذين شكلوا فرق الأوربين والتي تعمل من نقص في التمويل. علاوة على قيام الأمريكيين المسلمين بتغليف الأغذية وشحنها وجمع الملابس لكل ملائمة للمساعدة وبناء المنازل في هو بلا مأوى

وبعد صيف مزدحم بالعمل تشارك أكثر من ٣٠٠٠ يوم من الخدمة، تم تنفيذ ٩٣ مبادرة منها بالتعاون مع مجتمع ديني آخر، وفي الواقع شكلت المشروعات الخدمية بين الأديان والتي قادها مسلمون غالبية المشروعات التي تم تنفيذها جميعا. فقد كان الأمريكيون المسلمون حقا في طليعة تلك المبادرة يمارسون عقيدتهم ويحسنون من مجتمعاتهم

ولم يحاول البيت الأبيض ذلك. فقد أقر الرئيس أوباما في تحيته الرمضانية بقيادة الأمريكيين المسلمين في صيف الخدمة وذلك بقوله: إن منظمات تمثيلية من بينها المنظمات الإسلامية كانت في صدارة المشاركة في حملة صيف الخدمة وألقى لسان الرسمي الصادر عن الحكومة بمناسبة أسبوع الخدمة بين الأديان الضوء بشكل بارز على المشاريع التي قدمها الأمريكيون المسلمون.

ثم تحمد ذلك مقالتها بقولها: ومن المتمني أن يكون ذلك الإنجاز تدريجيا نقطة تحول في المجتمع الأمريكي المسلم، من مجتمع يحاول فيه لبعض في مجتمع مشارك في المسئولية، ومن الشعور بالحصار إلى الشعور بالانفتاح والقدرة على التعبير، وهو نتيجة بارزة بما يمكن للمجتمع أن يقدمه وكيف أن الأمريكيين المسلمين بالرغم من تنوعهم وافتقارهم لقيادة مركزية يمكنهم أن يتحدوا حول هدف واحد من أجل الصالح العام.

البشر حيوانات تجارب فى معامل ديمونة!

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ ايمن عبدالعزيز تقريرا نشر فى الاهرام بعددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٤م يتضمن مايلى:

هذه الفضيحة الخطيرة كشفت عنها النقاب مؤخرا صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية. حيث أعلنت أن عاملا سابقا في مفاعل ديمونة النووي بصحراء النقب، رفع دعوى قضائية منذ أربعة أشهر أمام محكمة العمل الإسرائيلية اتهم فيها إدارة المفاعل بإجباره مع ٤ آخرين من زملائه عام ١٩٩٨ على التطوع بشرب اليورانيوم في إطار تجربة للكشف عن كيفية تخلص الجسم من اليورانيوم عن طريق البول

ووفقا لأوراق الدعوى فإن العامل «حاييم مالبت» والحاصل على درجة الماجستير في الكيمياء - قال إنه عام ٢٠٠٨ كشف أن تلك التجربة أجريت بدون موافقة كتابية من العاملين ودون تحذيرهم من المخاطر أو التأثيرات الصحية الخطيرة للتجربة. وهو ما يخالف اعلان هلسنكي الخاص بإجراء التجارب العلمية على البشر

وفي نهاية التقرير يقول الكاتب: «إن هيئة الطاقة النووية في إسرائيل أصدرت بيانا وصفت فيه أن التجربة أجريت على العاملين بالمفاعل. وأن سياسة الهيئة تحترم سلامة وصحة العاملين فيها على قمة أولوياتها.»

تعليق الاستيطان.. مناورة جديدة

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية» تقول، كلمته فى العدد الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٧ قائلا:

أكد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية عدم وجود قرار عربي بالتطبيع مع إسرائيل في الوقت الذي قررت فيه الحكومة العنصرية المتطرفة بقيادة نيتانياهو استمرارها في إقامة مئات المساكن الاستيطانية والمضي قدما في تنفيذ آلاف الوحدات التي يجري العمل فيها. فالقضية العربية دون تقدم، بينما تعلن إسرائيل ما أسمته تعليق الاستيطان لفترة مؤقتة وليس تجميده وبلقه في القضية دون تقدم. فالخطة التي أعلنت الحكومة العنصرية تطبيع بعد موافقة أمريكية عليها حتى الاستيطان فيها وكأنها أرض إسرائيلية أو بلا صاحب وأن سكان هذه الدورة الإستراتيجية الأمريكية التي يجري تسويقها لأن تدفع الدول العربية للتطبيع مع إسرائيل لا تنطلى على أحد فى بسركوب لعادة تخطيط الإسرائيلي التوسعي ومخططه الأمريكي سابقا وحاضرا ومستقبلا لم يتطلب مزيدا من الوعي حتى لا تقع الدول العربية ضحية للأمر في مزيد من الفشل بين أهدافها وتوسيعه واعتبار القضية الفلسطينية قضية كل العرب. لا تقربنى من أنها لا يحقق الحد الأدنى المتمثل في مبادرة السلام العربية التي تحاول إسرائيل ومعها الولايات المتحدة الأمريكية تفريغها من مضمونها

خطر.. انتبهوا!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ فرحات حسام الدين فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٠٠٩/٨/١٨ يقول:

وضعت خادمة في دولة خليجية للأسرة التي تعمل لديها في الغسالة الأوتوماتيك وضغطت مفتاح التشغيل - قبل مغادرتها المنزل إلى المطار - على موعد إقلاع الطائرة التي تقلها عائدة إلى بلدها الآسيوي، وذلك انتقاما من الزوجة والزوج اللذين قررا تسفيرها بسبب غيرة الزوجة وشكها في زوجها.

وعادت الأم من عملها مبكرا فوجدت طفلها الصغير جثة هامدة مشوهة، وما زالت الخادمة التي كانت تحمل كل تفاصيل كيف عذبتي الخادمة غرة ـة

وخادمة ثالثة غرست إبرة عبـة صغيرة خلف أذن الطفل الصغير حتى يكف عن البكاء الدائم. كما وضعت في زجاجة الرضاعة منوما حتى يتوقف عن الإزعاج، ومن أغرب حوادث الخدمات في دول الخليج العربية تلك الخادمة التي أحبت مخدومها وتسببت لدى أبيها العقم وخصصت نوعا من السحر الأسود، ولم يجد علاجا شافيا له، بعد كثرة سعي للعلاج

ومن أشهر حوادث الخدمة في دول الخليج هروب بعض الفتيات من الأسر الكثيرة مصحوبات مع من أحببن من الخدم الرحل إلى دولهم، وكان ذلك سببا في ستصدار السلطات الخليجية قرارا بالحصر عن ضرورة أن تشتمل حوارات

الأصليين الذين سكنوها قبل وجود الأوروبيين والتي تعاني من نقص في التمويل. علاوة على قيام الأمريكيين المسلمين بتنظيف الأنهار والمتنزهات وجعل المباني أكثر ملاءمة للبيئة وبناء المنازل لمن هم بلا مأوى.

وبعد صيف مرت خلاله أكثر من ٣٠٠٠ يوم من الخدمة. تم تنفيذ ٩٣ مبادرة منها بالتعاون مع مجتمع ديني آخر. ففي الواقع شكلت المشروعات الخدمية بين الأديان والتي قادها مسلمون غالبية المشروعات التي تم تنفيذها. حيث كان الأمريكيون المسلمون حقا في طليعة تلك المبادرة يمارسون عقيدتهم ويخدمون مجتمعاتهم

ولم يغفل البيت الأبيض ذلك. فقد أقر الرئيس أوباما في تحيته الرمضانية بقيادة الأمريكيين المسلمين في صيف الخدمة وذلك كون المنظمات الدينية بما فيها المنظمات الإسلامية كانت في صدارة المشاركة في حملة صيف الخدمة. وألقى البيان الرسمي الصادر عن الحكومة بشأن أسبوع الخدمة بين الأديان الضوء بشكل بارز على المشاريع التي قدمها الأمريكيون المسلمون.

ثم تحدث ذلك المقال قائلا: ومن المهم أن يكون ذلك الإنجاز التاريخي نقطة تحول في المجتمع الأمريكي المسلم من مجتمع محروم إلى مجتمع مشارك في شئونه. ومن الشعور بالحصار إلى الشعور بالانفتاح والقدرة على التغيير. وهو يعد بروزا مذهلا للمجتمع ككل وكيف أن الأمريكيين المسلمين بالرغم من تنوعهم وافتقارهم لقيادة مركزية يمكنهم أن يتحدوا حول هدف واحد من أجل الصالح العام.

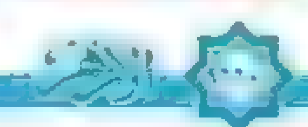
البشر حيوانات تجارب في مفاعل ديمونة!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ ايمن عبدالعزيز تقريرا نشر في الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٤م يتضمن ما يلي:

هذه الفضيحة الجديدة كشفت عنها النقاب مراسلة صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية. حيث أعلنت أن عاملا سابقا في مفاعل ديمونة النووي بصحراء النقب. رفع دعوى قضائية منذ أربعة أشهر أمام محكمة العمال الإسرائيلية اتهم فيها الإدارة بإجباره مع ٤ آخرين من زملائه عام ١٩٩٨ على التطوع بشرب اليورانيوم في إطار تجربة للكشف عن كيفية تخلص الجسم من اليورانيوم عن طريق البول.

ووفقا لأوراق الدعوى فإن العامل «جونيس مليت» والحاصل على درجة الماجستير في الكيمياء. قال إنه في عام ٢٠٠٨ اكتشف أن هذه التجربة أجريت بدون موافقة كتابية من العاملين ودون تحذيرهم من المخاطر أو التأثيرات الصحية الخطيرة للتجربة. وهو ما يخالف إعلان هلسنكي الخاص بإجراء التجارب الطبية على البشر

وفي نهاية التقرير يقول الكاتب: إن الجهات النووية في إسرائيل أصدرت بيانا أوضحت فيه أن التجربة أجريت طوعا على العاملين المتطوعين. وأن منشأة ديمونة تعتبر سلامة وصحة العاملين فيها على قمة أولوياتها!



تعليق الاستيطان.. مناورة جديدة

تحت هذا العنوان كتب محرر «الجمهورية» تقول، كلمته في العدد الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٧ قائلا:

أكد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية عدم وجود قرار عربي بالتطبيع مع إسرائيل في الوقت الذي قررت فيه حكومة العنصرية المتطرفة بقيادة نتنياهو البدء في إقامة مئات المساكن الاستيطانية والمضي قدما في تنفيذ آلاف الوحدات التي يجري العمل فيها بالضفة الغربية دون القدس. بما تقوله إسرائيل ما أسمته تعليق الاستيطان لفترة مؤقتة وليس تجميده أو وقفه في الضفة دون القدس المحتلة التي أعطت الحكومة العنصرية لنفسها الحق بعد موافقة أمريكية ضمنية على الاستيطان فيها وكأنها أرض مرغوبة أو بلا صاحب أو ساكن. إن هذه المناورة الإسرائيلية الأمريكية التي يجري تسويقها لأن تدفع الدول العربية للتطبيع مع إسرائيل لا تنطلي على أحد بعد أن بات يدرك أبعاد المخطط الإسرائيلي التوسعي والدعم الأمريكي سابقا وحاضرا ومستقبلا تتطلب مزيدا من الوعي حتى لا تقع الدول العربية في لعبة الأمر في مزيد من التنازلات بين هدفها ومواجهة أخطار القضية الفلسطينية قضية كل العرب. لا تعلق على حل لها لا يحقق الحد الأدنى للحق في مبادرة السلام العربية التي تحاول إسرائيل ومعها الولايات المتحدة الأمريكية تفريغها من الداخل.

خطر.. انتبهوا!

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ فرحات حسام الدين في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٩/٨/١٨ يقول:

وضعت الخادمة المولود الجديد للأسرة التي تعمل لديها في الغسالة الأوتوماتيك ووضعت مفتاح التشغيل - قبل مغادرتها المنزل إلى المطار - على موعد إقلاع الطائرة التي تقلها عائدة إلى موطنها الآسيوي. وذلك انتقاما من الزوجة والزوج اللذين قررا تسفيرها بسبب غيرة الزوجة وشكها في زوجها.

وعادت الأم من عملها مبكرا فوجدت طفلها الصغير جاثيا عند شمعة مشتعلة. ولما سألته أجاب: كنت أصلي. كنت أعبد النار كما علمتني الخادمة المجوسية

وخادمة ثالثة غرست إبرة صغيرة خلف أذن الطفل الصغير حتى يكف عن البكاء لدى تدليله كما وضعت في رضاعته نوعا من الخمر حتى يتوقف عن الإزعاج. ومن أغرب حوادث الخادمات في دول الخليج العربية تلك الخادمة التي أحبت مخدومها الشاب الذي لم يعرها اهتماما فأصابته بنوع من السحر الأسود. ولم يجد علاجا شفي منه. وظل كالرجل العجوز.

ومن أكثر حوادث الخدم في دول الخليج هروب بعض فتيات من الأسر الكبيرة متجهات مع من نجح من الخدم الرحيل إلى دولهم. وكان ذلك سببا في اتخاذ السلطات الخليجية قرارها الخاص بضرورة أن تشتغل جوازات



مقر النساء على صورهن بعد أن كان ذلك ممنوعاً.

هذه الحوادث المؤسفة وغيرها التي شغلت صفحات الحوادث بالصحف الخليجية الأيام الماضية وهي دخيلة على الخليج تعرض المجتمعات للسرقات حيث يبلغ عددهن ثلاثة ملايين يعملن في دول الخليج بعد أن أصبحن مظهراً من مظاهر الثراء والتفاخر حتى بات عددهن يفوق عدد بعض الأسر.

إن مدى خطورة تلك الظاهرة التي دفعت بعدد من مجلس التعاون الخليجي بدراسة أسبابها وحضورها وسلبياتها وآثارها المضرة على تنشئة وتربية ولغة وثقافة وأخلاقيات الأجيال في دول الخليج.

وعلى العكس من ذلك تحظى ظاهرة الخادمات بالاهتمام البالغ من الدول المصدرة لهن وذلك بإنشاء مدارس ولتأهيلهن للعمل في السوق الخليجية كي يحققن عائداً سنوياً لدول شرق وجنوب شرق آسيا يقدر بـ ١٠ مليارات دولار بعد تدريبهن على فنون الكاراتيه والتايكوندو للدفاع عن أنفسهن عند اللزوم وحماية الفتيات الخليجيات في الأسواق عند مشاكسة الشباب لهن. إنه الخطر ... فهل نعي؟!

فقدان أفريقيا

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عامر تمام مقاله المنشور في جريدة الأخبار بعددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٧م يقول فيه:

في الخمسينات من القرن الماضي وفي ذروة الصراع العربي الإسرائيلي قامت رئيسة وزراء إسرائيل الصهيونية «جولدا مائير» بزيارة إلى أفريقيا في محاولة لكسب تأييد دول القارة السمراء.

والآن وبعد حوالي أكثر من نصف قرن تواصل إسرائيل مطامعها في أفريقيا. الزائر هذه المرة هو وزير الخارجية المتطرف ليبرمان. أما أهداف الزيارة فقد تجاوزت مجرد كسب تأييد أفريقيا والاعتراف بإسرائيل التي أصبحت - للأسف - ليست في حاجة لهذا الاعتراف.

أول هذه الأهداف هو ضرب العمق العربي المتمثل في مصر في منطقة حوض النيل التي لا تخفى أهميتها بالنسبة للقاهرة. على حد أن التوقيت فقد جاء عقب الخلاف بين مصر ودول حوض النيل بشأن إعادة تقسيم مياه النيل.

ثاني الأهداف وفقاً للصحافة هارتس هو عقد مزيد من صفقات الأسلحة مع الدول الأفريقية. الأمر الذي يذكي الحروب الأهلية والاضطرابات في هذه الدول. ليس بخافٍ أن تجارة السلاح تمثل أحد المكونات الرئيسية للاقتصاد الإسرائيلي وهو ما أكده تقرير منظمة العفو الدولية التي كشفت عن الدور الإسرائيلي الكبير في تغذية الحروب الأهلية التي تتسبب في مقتل آلاف الأبرياء يومياً.

هذه الزيارة ظاهرها الرحمة بالنسبة للدول الأفريقية وباطنها العذاب ... كيف؟

أولاً: تقول إسرائيل أن الزيارة تهدف إلى زيادة الاستثمارات في أفريقيا بما يساهم في تنمية هذه الدول أما الحقيقة فهي عقد صفقات أسلحة لتغذية الحروب الأهلية. أما بالنسبة للعرب فهي تقول أنها تواجه التوغل الإيراني في أفريقيا. أما الحقيقة فهي تريد كسب هذه الدول واستخدامها كورقة ضغط على الطرف الفاعل في الصراع العربي والإسرائيلي وهو مصر..

الزيارة ناقوس خطر لمصر التي عليها التحرك قبل فقدان أفريقيا.

مقالات تهدد أمن اسرائيل

تحت هذا العنوان كتبت الأستاذة بثينة شعبان مقالاً نشر في جريدة الأحرار بعددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/٩/١م

أثار التحقيق الذي نشرته صحيفة «أفتون بلاديت» السويدية للصحفي السويدي دونالد بوستروم عن قيام قوات الاحتلال الإسرائيلي بقتل الفلسطينيين بهدف سرقة أعضائهم بعد الوفاة. صخباً سياسياً وصحفياً عالمياً من إسرائيل. هذا إلى التغطية السريعة على جريمة كبرى ترتكب منذ سنوات عديدة أمام أنظار العالم وخبره، ولها شواهد لا تخفى عن التعامل الرسمي الإسرائيلي مع المدنيين الفلسطينيين المكافحين من أجل الحرية والخلاص من الاستعباد الأجنبي.

بدأ هذا العمل الإجرامي عام ١٩٩٢ حين أخذ الفلسطينيون يشهدون ارتفاعاً حاداً في اختفاء شبابهم وعن عودة جثث ذويهم تحتفظ بها قوات الاحتلال وهي مفرغة من الأعضاء كالقلب والكليتين والكبد والعينين.

يقول دونالد بوستروم «كنت عام ١٩٩٢ في المنطقة أعمل على تأليف كتاب وتلقيت اتصالات من موظفين في الأمم المتحدة عدة مرات يعربون بها عن قلقهم من أن سرقة الأعضاء تحصل فعلاً. ولكنهم غير قادرين على فعل شيء. تحدثت مع عدة عائلات فلسطينية كشفت عن سرقة أعضاء من أجساد أبنائهم قبل قتلهم. كما شهدت على حالة الشاب ... رائق الخحورة ... بلال أحمد غانم. كان بلال غانم واحداً من بين ١٣٣ فلسطينياً قتلوا في العام ١٩٩٢ بطرق مختلفة وتم تشريح ٦٩ جثة منهم.

ثم أثبتت التحقيقات في مدينة نيوجيرسي الأمريكية أن الحاخام ليفي إسحاق وحاخامات آخرين قد عملوا على مدى سنوات ضمن شبكات لبيع كلى الشهداء الفلسطينيين المقدمة من مستشفيات إسرائيل في السوق السوداء الأمريكية.

أضف إلى هذا أنه في عام ٢٠٠٣م كشف في مؤتمر طبي أن إسرائيل هي الوحيدة التي لا تدين فيها مهنة الطب سرقة الأعضاء البشرية. ولم تتخذ إجراءات قانونية ضد الأطباء المشاركين في مثل هذه الجريمة وبل بالعكس. فإن كبار الأطباء والعاملين في المستشفيات الكبرى في إسرائيل يقومون بإجراء عمليات سرقة الأعضاء وزرعها



قسوة الطفولة

للشاعر السوري الأستاذ/ أمجد الطرابلسي

غـد بـه لـلـوطـن الغـا ... لـي ولـلآلام الـرزوم
عـد بـه لـلـوكـن الـبـا ... كـي وللصحب الوجوم
عـد بـه نـنـشـر الـنـدا ... وى وللزهـر الكظيم
وارحـم لـيـتـه لـمـس لـصـ ... ـب عيشا أو يتيم
زهـرة فـواحـة مـطـ ... روحـة فـوق الأديم
ونـدت فـي عـنـفوان الـ ... حـن ما بين الرجوم
تـطـأ الأقـدام حـافـيـ ... هـا على الترب ألوحيم
أيـهـا الـطـفـل وهـل أر ... هـب من طفل غشوم
مـا جـنـى تـربـك حـتـى ... يـبه ألوان الهموم
هـو يـا طـفـل حـريـص ... حـالـع غـيـر لطيـم
صـعـت يـجـهـل بـث الـ ... حـزن والكرب العظيم
أي مـسـكـين عـريـب ... أي مظلوم مصيبه
حـمـمـه الأرعـب لايـ ... هـمـس بالخطب الجسيم
يـتـنـري فـرقـا كـالـر ... هـر فـي مـسـرى السـيـم
أو كـعـصـن مـرعـش مـا ... بـين عصف وهـريـم

***

لـيـه يـب طـفـل تـكـي ... لـي دجـى الليل البهيم
تـنـمـشـي فـوق أغـصـا ... ن الـربـى مشـي الـنـسـيـم
تـسـأل الأزهـار عـنـه ... وعـاقـيـد الكروم
وشـيـمـات لـلـواهـي ... ونـشـارات الغيوم
لـم تـذق طـعـم الكـرى في ... وكـرهـا الداجي الوجوم
الكرى والملـع مـا بـيـ ... ـن شـر وغـيـم
والحـوى يعصف بالأضـ ... ـلاع والقلب الهشيم

كـرى بـعـد فـرق لا ... عـن و فـقـد النديم
عـب لا تـدري نحـى ... هـرة بعـض الـربـيـم
سـحـيـن تـقـعـي الحـب ... سـق ه فـرحـة يـوم

***

ـب يـا عـصـفـور مـن يـر ... ف بالعـو لكظيم
عـب تـعـجـب حـيث يـا مـ ... كـين مثـني عـن عـيـم
هـحـت فـي قـسـي حـرجـ ... عـذب جـد فـسـبـيـم
عـيـر عـطـف الأم مـن أيـ ... داه فـي تـقـلب تكـبـيم
لـو ذقـته تـبـت نـسـي عـر ... قـدمـه بعـض رسـوم

***

ـه يـا عـصـفـور هـدى ... ـنـة تـعـني الـنـعـيم
هـكـذا الـنـاس! فـمـن عـا ... دو مـن بـيـت هـضـيـم
عـائـلـه يـقـسـو عـلـى الـ ... سـحـق اختـيـار الـقـدوم
وحـرب مـوال يـحـ ... ـسـو على الحـرج الأليم
تنـصور الشـه بـشـوى ... الـبـراح والحب الرحيم
وتـدمـع لحمـر ... سـهل من نكوح نهديم
ـاكن الفردوس لا يـد ... رك ويـلات الجحيم
وهـو فـي الأحلام والـ ... ـلذات والعـز المقيم
ليس طعم العـيـش الـمـد ... ـاق مـن لـذع الحميم!
ليس عمر النعمة الخـلـ ... ـوة مـن لفح السموم!
ليس أشـداء الأعـاريـ ... ـه وهمسات النحوم
مـن عـوبـيـل الأكـبـد الحر ... ى وأنـات الحـلـوم!

***

عـد بـه للـوطـن الغـا ... ـالي ولـلآلام الـرزوم
زرحـم الـمـعـد فـلـيـس ... ـحـفه عـمـر لـئـيـم
ـك فـلـك لا يـعـرف الـسـرا ... ـفـة أو أنـس الكـلـوم
يـتـلـهـى بـالـسـلـم الـمـهـ ... ـراق والـمـدمـع الـنـحـيـم
كـيـف تـعـقـر عيشة الخـ ... ـر وأفـراح الكـريـم
وعـنـي لأرى شـقـي ... واحـد بـعـد غـمـوم
كـن رحـيـمـا إنـمـا الإ ... ـلـه ذو قلب الرحيم

(١) كتبت هذه القصيدة ولم ريب في مدرسة طفلا صغيرا يبني بعصب عصفور صغير ... وكله فرح وسرور بالعوبته



يقول الحق سبحانه وتعالى

(الجن: ١٣)

إن الجن هنا يحدثون عن قصة دخولهم فى أفق الإيمان فيقولون ما تشير إليه الآية الكريمة بلا تردد أنه بمجرد أن سمعنا القرآن متلواً من قبل الرسول ﷺ آمنا به عن اقتناع ورضا لأننا شعرنا بأنه نفس الهدى وعينه وليس فقط أمرا موصوفا بالهدى ومنذ اللحظة التى أعلنا فيها الإيمان دخلنا فى محيط الأمان.. لماذا؟ ذلك ما يشهد به العقل. فقالوا ما حكاه عنهم القرآن الكريم:

إن من يجدد إيمانه بالعمل الصالح تثبيتا له.

﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾

(الجن: ١٣)

فإنه لن يخاف من أحد: لن يخاف نقصاً ولا عدوانا من أحد.. بل هو آمن فى سربه.. لماذا؟ لأنه لم يؤذ أحدا.. ومن ثم فهو آمن من الأذى يلحق به.. شريطة أن يكون إيمانه مستمرا متجددا.. صاعدا فى سلم الزيادة.. فكيف يخاف؟! وقبل هذا فهو فى كنف ربه الذى شاهد من إحسانه ما يجعله آمنا ؟! وذلك ما يشير إليه قوله عز وجل فى:

(التغابن: ١١)

فهو: على نور من ربه يرى ما حوله وما فوقه وما تحته.. فلا يخاف ولا يضطرب، بينما غيره يخبط فى ظلمات الكفر على غير هدى:

(فصلت: ٤٤)

(النحل: ١٠٤)

أجل: لا يهديهم الله سبحانه بل يقذف فى قلوبهم الرعب من كل شىء.. وعلى كل شىء!! وتظل حياته فى قلق دائم بسبب ما ظلموا.. وما يشنه الظلم فى قلوبهم من خوف العقاب عاجلا أو آجلا.. فهم يحسبون كل صيحة عليهم يلتفتون مذعورين.. متوقعين العقاب كل لحظة.. بينما المؤمنون آمنون.. لأنهم لم يظلموا.. فلم يتوقعوا جزاءً من أحد؟! وذلك تمهيد يدخل بنا فى صميم الموضوع فنقرأ قوله عز وجل:

(الأنعام: ٨١ - ٨٢)

المقصود بالأمن، يقول صاحب «بصائر ذوى التمييز»: ورد فى التنزيل على خمسة أوجه:

الأول: بمعنى الإقرار باللسان.

(المنافقون: ٣)

أى: آمنوا باللسان وكفروا بالجنان.

الثانى: بمعنى التصديق فى السر والإعلان:

(البينة: ٧)

الثالث: بمعنى التوحيد وكلمة الإيمان:

(المائدة: ٥)

أى بكلمة التوحيد.

الرابع: إيمان فى ضمن شرك المشركين أولى الطغيان:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾

(يوسف: ١٠٦)

وقولنا: إيمان فى ضمن الشرك هو معنى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

(الزخرف: ٨٧)

معنى الإيمان

قال أبو القاسم: الإيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التى جاء بها محمد ﷺ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾

(البقرة: ٦٢)

ويوصف به كل من دخل فى شريعته: مقراً بالله وبنبوته.

وتارة يستعمل على سبيل المدح يراد به: إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء:

١- تحقيق بالقلب.

٢- إقرار باللسان.

٣- وعمل بحسب ذلك: بالجوارح.. ويقال لكل واحد من الاعتقاد.. والقول الصدق.. والعمل الصالح: إيمان.. إلا أن الإيمان هو التصديق الذى معه الأمن وقوله تعالى:

(النساء: ٥١)

مذكور على سبيل التدليل، وأنه قد حصل لهم الأمن الذي لا يحصل به الأمن الدنيوي من شأنه تغلب ما لم يكن مطبوعاً عليه أن يطمئن إلى الحق.

وهذا كما يقال: إيمانه الكفر، وتحيته القتال (١).

ويقال في اللغة: «الأمون»

«الناقة» التي يؤمن فتورها، وعثارها، وهي الناقة النجيبة.

وهو المعنى الذي ذهب إليه «محمد بن الخضر» بقوله: اعلموا أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

ويعني ذلك أن المعرفة بالقلب لا تجزئ إلا أن يكون معها الإيمان باللسان قولاً، وبالجوارح عملاً، فالمؤمن الحق هو من استجمع هذه جميعاً، ومن استجمعها فهو المؤمن حقاً.

وقد حاول البعض إفراغ «الإيمان» من مضمونه العملي، فتأخرت الأمة، وكان اللائق بموقع الأمة الوسط أن يكون العمل جزءاً من جوهر الإيمان، حتى تستطيع مواجهة من يتربصون بنا الدوائر، وهو الأمر الذي أدركته بعض الفرق الإسلامية التي جعلت من العمل الصالح جزءاً من الإيمان، فتحركت أمتنا، وانتعشت بهذه الحركة، غدونا من واحتضنت كيانها.

ولكن ما ذهبت إليه موقف القرآن والسنة معاً، أما القرآن فقد جعل العمل الصالح مع الإيمان سبيل النجاة، وذلك قوله عز وجل:

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

(سورة العصر)

فإذا كان العمر يتناقص فإن المؤمن بالإيمان والعمل الصالح يجعله متنامياً.

وأما السنة، ففي مثل قوله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (١)

المؤمن الذي كان شكره في السراء وصبره في الضراء تعبيراً عن رضاه بقضاء مولاه، فكان إيمانه إيجابياً عملياً، ولا ننسى كيف كانت إماطة الأذى عن الطريق جزءاً منه، وبهذا المعنى يكون الإيمان على غاية ما تكون الأهمية كضابط لحركة الإنسان، وإلا فما أتعس الحياة في غياب الإيمان الضابط للربط، وهو الأمر الذي أشار إليه الكاتب الغربي «دستويفسكي» بقوله: (إذا لم تعتقد بوجود الله، فإن كل شيء يصبح مباحاً) أما في ظل الإيمان به عز وجل فإن الحياة تصبح واحة جميلة بهية، ونحن نذكر هنا قوله عز وجل:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة ١٧٩)

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.

نذكره لنرد به على ما قضى به الإسلام من قصاص وحدود، لنقول: إن الإسلام حين يأمر بالقصاص فلأن ذلك يكون ردعاً ونكالاً لكل من تسول له نفسه الفساد في الأرض، وهو ما يفسره قولهم: القتل أنفى للقتل.

ومن أجل ذلك كان لنا في هذا القصاص «حياة».

حياة منكرة فهي عظيمة، لما يترتب على القصاص والحدود من وقف نزيف الدم ليعيش الكل في أمان.

وبذلك يكون من إعجاز القرآن أن تنشق الحياة من تأديب الجاني، حتى لا تتكرر الجريمة والعقاب، بمعنى أن الحياة تخرج من رحم الموت؟!

إن عقاب القتلة والمفسدين إنما هو ردع لكل معتد على قيمة «الأمن» الذي هو ثمرة الإيمان، وحتى تظل الحياة كما أرادها سبحانه مستمرة يسعد فيها الإنسان.

■ أهمية الإيمان

للإيمان أثره البالغ في نفس الإنسان، وفي هذا يقول «هنري لنك» في كتابه (العودة إلى الإيمان) ولم يوجد بعد ذلك البديل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الإيمان بالخالق، وبناموسه الخلقي الإلهي في قلوب الناس.

ويقول «إينشتين»: إن جوهر الشعور الديني في صميمه هو أن نعلم بأن ذلك الذي لا سبيل لمعرفة كنه ذاته موجود حقاً، ويتجلى بأسمى آيات الحكمة، وأبهى أنوار الجمال، والعلم بلا إيمان يمشي مشية الأعرج، والإيمان بلا علم يتلمس تلمس الأعمى.

وقد فهم ذلك الفيلسوف «فولتير» فقال ساخراً موجهاً حديثه للملحدين: «لماذا تشككون في وجود الله؟! ولولاه، لخانتني زوجتي، وعقني ولدي، وسرقني خادمي».

وعلى نفس الوتر تضرب «سوتيلانا» بنت «ستالين» والتي قالت: (إن السبب الحقيقي لهجر وطنها وأولادها هو الدين

فقد نشأت في بيت ملحد: لا يعرف أحد من أفراده الرب، ولا يذكر عندهم عمداً ولا سهواً ولما بلغت سن الرشد وجدت في نفسها من غير أي دافع خارجي إحساساً قوياً بأن الحياة من غير إيمان بالله ليست حياة.. كما لا يمكن أن يقام بين الناس أي عدل أو إنصاف من غير الإيمان بالله، وشعرت في قرارة نفسها أن الإنسان في حاجة إلى الإيمان كحاجته إلى الماء والهواء)

وهذه الشهادة القاطعة بأهمية الإيمان وأثره في حياة الإنسان لها مذاقها حين ينطق بها ناس من الغرب كانت لهم بالأمس أقلام ولم تكن لهم عقول لكنهم اليوم يشهدون بصحة ما كانوا ينكرون (!!)

ونعود إلى الآية الكريمة التي رد بها الخليل عليه السلام شبهاتهم: فماذا فيها من معان؟! لقد أصر قومه على باطلهم واستكبروا استكباراً

مؤكدين أنهم تبع لآبائهم فيما كانوا يعبدون.. ويجيبهم الرد الحاسم القاصم.. ومعناه:

أنه لا يخاف من أصنامهم التي لا تنفع ولا تضر.. ومن ثباته: إعراضه عليه السلام عن ذكر شبههم.. لأنها لا تستحق أن تذكر:

ألا وإن العاقل هو: الذي لا ينبغي له أن يخاف إلا من يأمن ضره.. وهم بمخالفتهم معه تعالى وهو النافع الضار: على خطر عظيم.. وهم الخائفون حقا.. وليس هو لأنه في حماية الإيمان.. في ظل من الأمان!! أما هم: فلأنهم لا يملكون على ما يزعمون برهانا فهم الخائفون.. أو ينبغي أن يكونوا كذلك.

إن الآمن حقا هو: المؤمن بالله عز وجل والمعنى: وكيف أخاف الأصنام التي لا قدرة لها على النفع والضر.. وأنتم لا تخافون من الشرك.. الذي هو أعظم الذنوب؟!!

ماذا جرى لكم؟! تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن.. ولاتنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف؟! فأينا أحق بالأمن؟! أنا أم أنتم؟!

طبعا: الأحق بالأمن هو: من كان بقلبه مصدقا.. ولم يفعل ما يناقض هذا التصديق، وذلك بعض ما يشير إليه قوله عز وجل:

﴿[illegible] لهم الأمن وهم مهتدون﴾

(الأنعام: ٨٢)

روى عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قرأ [illegible] فلما قرأها فزع.. فأتى أبي بن كعب فقال: يا أبا المنذر قرأت آية من كتاب الله.. من يسلم؟! فقال: ما هي؟! فقرأها عليه.. فأينا لا يظلم نفسه؟! فقال: غفر الله لك!! أما سمعت الله تعالى ذكره يقول:

﴿[illegible]﴾

(لقمان: ١٣)

إنما هو: ولم يلبسوا إيمانهم بشرك!! والموقف – على أي حال – شاهد بفرط حساسية الصحابة.. وفرط ذكائهم أيضا: فلم يكونوا يعتقدون أن الإيمان مجرد اعتقاد نظري.. ولكنهم بدليل هذا الفزع من ابن الخطاب رضي الله عنه ولجوئه إلى أبيّ رضي الله عنه ولكنهم كانوا يعرفونه تصديقا وعملا.. ولقد كان معنى «التصديق» حاصلا قطعا.. ولكنهم خافوا أن يكون في حركتهم قصور يخدش معنى هذا الإيمان.. فلما عرفوا أن المراد بالظلم هو: الشرك.. استقرت بلابل أفكارهم.. لأنهم مؤمنون حقا.. ولن يكونوا من المشركين

والأمر على ما قيل:

كيف كان حس هذا الرهط الكريم.. بهذا القرآن الكريم.

كيف كانت جدية وقعه في نفوسهم؟!

كيف كانوا يتلقونه وهم يشعرون أنه «أوامر مباشرة للتنفيذ.. وتقريرات حاسمة للطاعة.. وأحكامه نهائية للنفاذ؟!

وكيف كانوا يفزعون حين يظنون أن هناك مفارقة بين طاقاتهم المحدودة.. ومستوى التكليف المطلوب.

وكيف كانوا يجزعون أن يؤاخذوا بأية درجة من درجات التقصير.. والتفاوت بين عملهم وبين مستوى التكليف.. حتى يأتيهم من الله ورسوله التيسير.

ونقول أيضا:

كيف كان الإنسان – مهما كان موقعه القيادي– يلجأ في الملمات إلى واحد من إخوانه من جلّة العلماء.. ليعينه على أمر الله تعالى.. فيما يشبه أن يكون تعاونا على البر والتقوى تسعد به الأمة.. وتفوّت به مكر أعدائها!!

وكيف يكون المسئول في الملمات عند حسن الظن به.. مجيبا بما يطمئن الخاطر.. ويرد الشارد ويقضي على الوساوس.. كما يمليه واجب الأخوة الإسلامية الرابطة.. والتي بها تظل الأمة المؤمنة شجىً في حلق أعدائها المتربصين بها.. بهذا التعاون الوثيق.. وهذا التجاوب بين طبقات الأمة التي تقف إلى جانب اللهفان والأسيان.. حتى يعود إلى الصف المؤمن.. بدل أن يكون فريسة في يد الشيطان.. الشيطان الذي يخوف من الإنسان.. لا على الإنسان.

ألا إنها وحدة الإيمان.. وما يثمره من أمان!!

وكيف لا يثمر الأمان وهو توكل على الحكيم العليم القادر سبحانه.. وبراءة من حول الإنسان وجهله وضعفه الذي لايغني عنه شيئا!

إنه اللياذ بحصن الأمان.. والإقرار بعجز الإنسان!

أما بعد

فالرسول ﷺ مأمور باتباع إبراهيم عليه السلام في قوله عز وجل:

﴿[illegible] اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من [illegible]

(النحل: ١٢٣)

ونحن كذلك مأمورون باتباعه في ثباته وثبات قومه، وذلك قوله تعالى:

﴿[illegible]﴾

(الممتحنة: ٤)

وواجب الأسوة يفرض علينا ألا نخاف اليوم ممن يزعمون أنهم لايخافون:

يجب علينا أن نتمسك بهذا الذي استمسك به إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه: إذ قالوا لقومهم:

﴿كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾

(الممتحنة: ٤)

إنه ثبات المؤمنين في مواجهة الملحدين.. والله مع المؤمنين.. وكفى به تعالى وليا وكفى به نصيرا

إن المؤمن من الإيمان في حصن الأمان

قبل وقوع الخطر.. لايخاف

فإذا وقع فإنه لايحزن

وبانتفاء الخوف والحزن تبقى عناصر بنائه..

فلا تغيب

الأولاد في الأسرة

للشيخ: السيد محروس السيد

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (الكهف: ٤٦)

وضع الله في الأبناء قرة أعين للآباء لأنهم الامتداد الطبيعي للأسرة فيقول عز من قائل

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ (الفرقان: ٧٤)

وهم القوة المؤازرة لذويهم قال تعالى

﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ (الإسراء: ٦)

ليكونوا شفعاء في الدنيا وهم في الآخرة ريحانة لآبائهم في الجنة أو كأنهم عصافير خضر في الجنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام(١)

ووجود الأولاد داخل الأسرة يقوم على ما فطر عليه الآباء من حب لهم وهذا الحب هو منبع رعايتهم وأصل الحنو عليهم وإعدادهم حتى فطروا على ذلك فشغلوا أنفسهم وحب الآباء للأبناء مركب فطري خلقه الله سبحانه وتعالى في النفس ونص عليه القرآن الكريم والسنة الشريفة وهو في المسلمين حاجة دعاء من إبراهيم عليه السلام لأولاده وذريته قال تعالى

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾ (إبراهيم: ٤٠)

(١) مسند أحمد باقي مسند المكثرين

ولقد اهتم الإسلام بالأولاد ولا عجب أن يهتم بهم حتى قبل ميلادهم عندما اهتم الإسلام بالأم حتى ذلك الرضيع وحث الآباء على حسن اختيار الأم التي تعطي أطيب الثمر لزوجها وأولادها وتورث أبناءها الإيمان والصلاح وتورث صحة لائقة في بطون أمهاتهم. فالعناية بالحامل وترغيبها في طيب الطعام والشراب والدواء والغذاء وتهيئة الراحة النفسية والسكينة يعود كل ذلك بالصحة على الجنين لأن الجسم السليم للطفل يساعد صاحبه في السيطرة على نفسه وعلى أعضاء جسمه ومنها الأعضاء التي توفر الصحة للجنين. وحتى ينمو الجنين نموا متكاملا أباح الإسلام للحامل والمرضع أن تفطر في شهر الصيام حتى لا يؤثر الصيام على حملها وعليها وعلى الرضيع فيما بعد

ويحرص الإسلام على أن يستقبل الوليد بالأذان والإقامة في أذنيه ليكون أول ما يصافح سمعه في هذه الحياة الدنيا كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الله وعظمته وكلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ولقد غير الإسلام نظرة أولئك الذين يسرون بميلاد الذكور ويغضبون لميلاد الإناث فيقول تعالى

﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ۝ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾

(النحل: ٥٨ - ٥٩)

والأحاديث التي وردت في الإحسان إلى البنات وتكريمهن كثيرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار(٣)

وكان رسول الله ﷺ أبا بنات وكانت فاطمة رضي الله عنها أحب الناس إليه

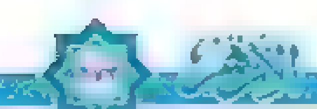
كما اهتم التشريع بالطفل بعد مولده فقد نظم قواعد خطبة ورضاعة تعطى للطفل ووقت الرضاعة ليست عشوائية وهي أن ترضعه حولين كاملين وذلك لتتم الصحة للطفل لأنه الغذاء الأمثل من الناحية التركيبية. كما أن الرضاعة الطبيعية لازمة لسلامة صحة الطفل النفسية وحمايته من الانحرافات السلوكية المختلفة.

كما شرع الإسلام الختانة والعقيقة للمولود عند سابع أيامه. وإذا كان الإسلام قد اهتم بالجانب المادي في تربية الأولاد فقد اهتم أيضا بالجانب المعنوي والروحي

كما يوصي الإنسان بالعطف والرحمة والرفق في تربية الأولاد خاصة اليتيم. كما يوصي الإسلام بالعدل بين الأولاد فإن هذا سبب انحراف الأولاد نتيجة التفرقة بينهم في العطاء

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة.
(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة.





■ المنهج الإسلامي في التربية

(الأعراف: ٥٤)

لابد ونحن نتكلم عن تربية الأولاد أن نركز على المنهج الإسلامي في مجال التربية ونتعرف عليه في محاولاتنا للتعرف على المنهج الإلهي في مجال تنظيم الأسرة.

إن الإسلام أعطى الأولاد العناية الخاصة من يوم أن يفكر الرجل في الاقتران بزوجة يسكن إليها وتكتمل سعادة كل منهما بالآخر، وحتى تخرج هذه الأسرة للحياة جيلا صالحا من الرجال والنساء يوصي الإسلام باختيار الأم الصالحة ويدعو المؤمنين إلى استقبال الوليد بفرحة ورضا ذكرا كان أم أنثى مع إحسان تسميته والحرص على سلامته والتدرج في تربيته بحنان ورفق وحكمة حتى ينشأ الأولاد مزودين بكريم الخصال وجميل الفعال ومن ربى ولده صغيرا سعد به كبيرا، يرجو كل أب وأم أن يجعل الله لهما من ذريتهما قرة أعين قال تعالى:

(الفرقان: ٧٤)

وعموما فالتربية تشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية فتتناول السلوك والعاطفة والاتجاهات الإصلاحية وإيقاظ المشاعر السامية والتدريب على القيم والخلق الجميل، وضمان الآباء لصلاح الأبناء أن يتقوا الله ويقولوا قولا سديدا مصداقا لقوله تعالى:

(النساء: ٩)

وإن من عظمة وجمال وتكامل المنهج الإسلامي للتربية أنه لا يربي ملكة على حساب ملكة أخرى، ولكنه يراعي احتياجات الملكات كلها من عواطف وغرائز ووجدانيات ومشاعر وأحاسيس وخلافه، فمنهج التربية في الإسلام يقنن لكل الملكات حتى يسير الوليد من بداية نشأته في مستوى متوازن، فيجب أن يكون غاية التربية وهدفها النهائي هو تحقيق العبودية لله تعالى في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية.

ويوجهنا الإسلام إلى أننا إذا أردنا أن نحقق لأولادنا وسائل الأمن والأمان والحماية والضمان فما علينا إلا أن نخشى الله ونتقيه ونقول قولا سديدا، فنخشى الله في أنفسنا وفي أولادنا وفي كل أمور حياتنا.

■ ضمان الإسلام لتوفير احتياجات الطفل

الاهتمام بالجانب المادي

الرضاعة:

لقد شجع الإسلام على الرضاعة الطبيعية واعتبرها من حقوق الطفل على والدته قال تعالى:

(البقرة: ٢٣٣)

وقد دلت الدراسات النفسية والطبية على أن حولين هو الزمن الضروري لغذاء الطفل من لبن أمه وذلك لما له من أهمية قصوى في نمو ونشأة الطفل إلى جانب الفوائد النفسية التي تعود على الطفل من الرضاعة. فالطفل بحاجة نفسية ماسة إلى الالتصاق بأمه والشعور بها ماديا، لأن شعوره بعطفها عليه وهي تضمه وحنوها عليه لازم لبناء شخصية الطفل السوية السليمة وحسن تطوره وتجنبه الانحرافات السلوكية، لأنه يكون أكثر اطمئنانا وثقة وسعادة وعندما يكبر يكون أكثر عطاء وموائمة واتزانا.

وقد جرت الأبحاث حول بداية نشأة الطفل، تحديدا في الخمس سنوات الأولى من عمره بين الأطفال الذين تربوا في الملاجئ والأطفال الذين تربوا بين ذويهم، وأثبتت الدراسات أن أطفال الملاجئ أكثر عنفا وأن سلوكياتهم شاذة عن الأطفال الذين هم في نفس أعمارهم ولوحظ أيضا ضآلة أحجامهم، والبعض الآخر من هؤلاء الأطفال يشعرون بعدم الثقة في أنفسهم وفيمن حولهم ويفضلون العزلة، بعكس الأطفال الذين تربوا مع ذويهم.

أما بالنسبة لفوائد الإرضاع للأم فهو يعطي الأم الشعور بالراحة والاطمئنان وأنها أدت واجبها ولم تحرم ابنها من غذائه الذي خلق له وأنها أتمت عملها.

■ الحضانة:

الحضانة للنساء في وقت وللرجال في وقت والأصل فيها النساء لأنهن أشفق وأرفق وأهدى إلى تربية الصغار ثم تصرف إلى الرجال، لأنهم على الحماية والصيانة وإقامة المصالح أقدر. وأيضا للطفل أن يبدي رغبته في الإقامة سواء مع الأم أو مع الأب. كان أحد الآباء لجأ للقضاء ليأخذ ابنه من أمه وبعد أن عرضا على القاضي أدرك قدرة كل منهما على العناية بالطفل ورعايته ولم يجد سبيلا إلا أن يسأل الطفل مع من يريد أن يعيش، فأجاب الطفل مع أبي، فقالت الأم: اسأله لماذا يريد أن يذهب مع والده. قال الطفل: لأنه يتركني ألعب وألهو، أما أمي فتضربني وتذهب بي للكتاب كل يوم فقضى القاضي بأن يتربى الطفل مع والدته لأنها أقدر من الوالد على تربيته.

وقال ابن القيم: (لما كان النساء أعرف بالتربية وأقدر عليها وأصبر وأرأف وأفرغ لها، لذلك قدمت الأم في ولاية الحضانة) وذلك من محاسن الشريعة والاحتياط للأطفال والنظر إليهم، ولم يهمل الإسلام الطفل أو يجني عليه أو على الأم أو على الأب في حال تنازع الوالدين لما كانت المرأة بحكم غريزة الأمومة أعظم شفقة وأكثر حنانا من الرجل، فقد جعلت الشريعة الإسلامية حق حضانة الصغير إلى الأم ما لم تتزوج حتى وإن كانت الأم كتابية لأن الشفقة لا تختلف باختلاف الدين.

■ الإنفاق:

عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: الأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[4].

فعلى الآباء حق النفقة على أبنائهم، نفقة الطعام والكسوة والتهذيب حسب قدرتهم والإعداد للحياة فمن فرط في ذلك وأهمل فقد لزمه إثم كبير لقوله

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح

ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)[5].

وأيضا يجب على الآباء ألا يقصروا على أن ينموا الترف فى أسرهم ويركزوا عليه، وإنما يجب أن ينموا فيها الشرف مع الترف فى وقت واحد، فترف وحده من دون شرف يحدث الخلل وهنا تأتى أهمية الجانب المعنوى فى التربية.

■ الاهتمام بالجانب المعنوى

يجب على الآباء والمربين من الأهلين وغيرهم أن يبسطوا مبادئ الأخلاق التى نادى بها الإسلام ويزودوا بها الأبناء لينشئوا على المكارم والفضائل ومن شب على شىء شاب عليه.

■ الحنان والرحمة والرفق فى تربية الأولاد

عن أنس رضى الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبى فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال رسول الله ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)[6] والرسول ﷺ كان فى الصلاة التى كانت قرة عينه والتى كان يقف فيها بين يدى ربه حتى تتورم قدماه حين يسمع بكاء طفل يسرع فى صلاته، عاطفة رقيقة وقلب ملؤه الحنان للطفل الصغير الذى لا يعرف أسباب ما يوجعه ولا يزيله حتى يسرع إليه أبوه وأمه.

وإن معاملته لأحفاده الحسن والحسين وهو فى أثناء الصلاة داخل المسجد تعطينا مثلا طيبا رائعا لحنان ورحمة النبى بالصبية الصغار.

فقد روى الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال: (دخلنا على النبى ﷺ وهو يمشى على أربعة: أى على يديه ورجليه وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول: نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما).

وأبصر الأقرع بن حابس التميمى النبى ﷺ وهو يقبل الحسن والحسين فقال للرسول: إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم فنظر إليه الرسول ﷺ وقال: «من لا يرحم لا يُرحم»[7].

إن رسولنا الكريم يقدم لنا وللإنسانية مثلا من أروع الأمثلة للعطف الأبوى الكريم صلوات الله وسلامه عليه بقلبه الفياض بالرحمة والعطف الأبوى يتجلى فى إكرامه وعطفه على أحفاده وعلى الصبية أجمعين، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنت مع النبى ﷺ فمر على صبيان يلعبون فسلم عليهم فكان رسول الله ﷺ يبدأ بالتحية على الأطفال عندما يمر بهم ليعطيهم الثقة وعزة النفس وسماحة الإسلام ويحترم رسول الإسلام شخصية الطفل كإنسان كبير.

■ تقويم الطفل بالحسنى واللين

إن تنمية الملكات الفاضلة والقيم الإنسانية والمثل العليا لدى الطفل وإشباع غريزتى حب الذات وحب التكامل لا تتحقق إلا بالاحترام لشخصية الطفل وإكرامه وإحساسه بأنه عضو فعال فى الأسرة وفى المجتمع، ويقول رسول الله ﷺ «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[8]، لأن الحب والحنان عاملان أساسيان فى تربية الطفل وفى توطيد العلاقات الإنسانية الطيبة بين أفراد الأسرة فيسود بينهم الود والتعاطف والاحترام المتبادل، لأن أسلوب التحقير والإهانة والعنف فى معاملة الأولاد من أهم العوامل التى تسبب ظاهرة الشعور بالنقص والانحرافات النفسية والخلقية فى حياة الطفل، وعلينا إن وقع من الطفل خطأ أو صدرت منه هفوة أن ننبهه على خطئه برفق ولين مع إقناعه بالحجج التى تساعده على الاقتناع واجتناب الخطأ وكانت هذه الطريقة المثلى فى التأديب هى طريقة رسول الله ﷺ المثل الأعلى والأسوة الحسنة ﷺ ومن النماذج العلية فى المعاملة لمن يخطئ كبيرا أو صغيرا برفق ولين وللإصلاح وتقويم الاعوجاج.

■ العدالة

ومن أهم الجوانب التى يجب أن يهتم بها المربى العدالة بين الأولاد وعدم التفرقة بينهم والمفاضلة فى العطاء، لذلك يجب على المربى ألا يفاضل بين المربين من حب وعطف وحنان ورحمة ورعاية أو مفاضلة مادية من عطايا أو ميراث أو خلافه، لذلك أمر رسول الله [illegible] الآباء أن يتقوا الله ويعدلوا بين أولادهم روى ابن وهب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله والدا أعان ولده على بره»[9]؛ لأن إيثار فرد بالحب دون الآخرين ينشئ فى نفس الآخرين عقدة النقص، لذلك قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى فى القبل»[10] وقال أيضا: «اعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر»[10].

كل هذه التوجيهات النبوية تؤكد مبدأ تحقيق العدالة والمساواة والمحبة والرعاية والعطف والرحمة فيما بين الأولاد.

■ التربية على القيم والفضائل

أوجب الإسلام الاهتمام بالجانب الروحى وذلك بالحث على تأديب الأولاد وتربيتهم على القيم والفضائل باصطحابهم إلى المساجد وتدريبهم على الصلاة وتعليمهم الفرائض والسنن وتحفيظهم القرآن الكريم مع تعليمهم الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ فى كل أمور الحياة حتى ينشأ الطفل موصولا بربه فى كل خطواته وسكناته وكذلك تنشئتهم على القيم النبيلة الخلقية بتربيتهم على الصدق مع التركيز على القدوة السلوكية للطفل من أمه وأبيه والحلم وعدم الغضب والإيثار والإنفاق فى سبيل الله.

الوالد لا يريد لولده إلا الخير وما يكون له إلا ناصحا فهذا لقمان الحكيم يعظ ابنه وينهاه عن الشرك لأنه ظلم عظيم ويدعوه أن يتوجه إلى الله بالصلاة والتوجه إلى الناس بالدعوة إلى الله مع التواضع وعدم التعالى على الناس وهذه هى وصية رسول الله ﷺ لابن عباس: «يا بنى احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[11].

المراجع

١- الأسرة فى ضوء الكتاب والسنة

د. سيد فرج

٢- تربية الأولاد وبر الوالدين وصلة الرحم

صلاح عبد الغنى محمد

٣- الإسلام أهدافه وحقائقه

د. سيد حسين نصر

٤- ركائز الإيمان الشيخ محمد الغزالى

٥- تنظيم الإسلام للمجتمع

---

(٥) سنن أبى داود، كتاب الزكاة

(٦) سنن الترمذى، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ

(٧) صحيح البخارى كتاب الأدب

(٨) مسند الإمام أحمد

(٩) الجامع لابن وهب

(١٠) مستخرج أبى عوانة

(١١) مسند أحمد ١ - ٢٩٣، ٣٠٧.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

تواضع

■ وقف بكر بن عبدالله المزني يوم عرفة وسط الحجيج، وقال: ما أشرفه من مقام لولا أني فيهم.

■ وكان عطاء السلمي إذا أصاب الناس، أو أهل بلد بلاء أو فناء أو كرب أو مصائب - يقول: كل هذا من أجل ذنوب عطاء، لو مات عطاء لاستراح الناس منه.

■ وكان الحسن البصري يقول: ليس لأمثالنا نوافل إنما النوافل لمن كملت فرائضه.

■ وكان الفضيل بن عياض - وهو من هو في الزهد والورع والصلاح - يعاتب نفسه قائلا: يافضيل، كنت في شبابك فاسقا، ثم صرت في كهولتك مرائيا.. والله للفسق أهون من الرياء.

■ وسئل إبراهيم التيمي يوما: ما تقول يافقيه في مسألة كذا؟! فقال: إن زمانا صرت أنا فيه فقيها لزمان سوء.

ما قيل في قبول العذر

كتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبدالملك الزيات:

أبا جعفر ما أحسن العفو كله
ولاسيما عن قائل ليس لي عذر

وقال أبوتمام الطائي:

البر بي منك وطّا العذر عندك لي
فيما أتاك فلم تقبل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي
مقام شاهد عدل غير متهم

وقال شاعر وقد بالغ:

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه
وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

ونحا نحوه صاحب العقد فقال:

عذيري من طول البكا لوعة الأسى
وليس لمن لا يقبل العذر من عذر

ولغيره وقد أجاد:

فيمن سينا كالذي قد عافه
فعفو جميل كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو عندك للندى
أتيت به أهلا فأنت له أهل

وقال أبو العيناء:

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه
محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

للشعر سلطان

قال الأديب الكبير صاحب العقد الفريد ابن عبدربه: دخلت على أبي العباس القائد فأنشدته:

الله جرد للندى والباس
سيفا فقلده أباالعباس
ملك إذا استقبلت غرة وجهه
قبض الرجاء إليك روح الباس
وبه عليك من الحياء سكينة
ومحبة تجري من الأنفاس
وإذا أحب الله يوما عبده
ألقى عليه محبة للناس

ثم سألته حاجة فيها بعض الغلظ فتلكأ عليّ، فأخذت مسحاة من بين يديه فوقعت فيها على البديهة:

ما ضر عندك حاجتي ما عزها
عذرا إذا أعطيت نفسك قدرها
انظر إلى عرض البلاد وطولها
أو لست أكرم أهلها وأبرها
حاشى لجودك أن يوعر حاجتي
ثقتي بجودك سهلت لي وعرها
لا يحتمي حلو المحامد ماجد
حتى يذوق من المطالب مرها

زلة العالم

من كلام العرب: إذا زل العالِم زلّ بزلته عالَم!! وذلك لأن للعالم تبعا يقتدون به.

قال الشاعر:

إن الفقيه إذا غوى وأطاعه
قوم غووا معه فضاع وضيّعا
مثل السفينة إن هوت في لجة
تغرق ويغرق كل ما فيها معا

من قال لا أدري فقد أفتى

افتتح إمام البيان الجاحظ كتابه البيان والتبيين بقوله: «اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من شر العي والحصر».

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[1]

(١) أخرجه الترمذي

وقال حكيم «من العلم ألا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم، فحسبك جهلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم».

وقد أجاد زرارة بن زيد حيث يقول:

إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده

أطال فأملى أو تناهى فأقصرا

ويخبرنى عن غائب المرء فعله

كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

وقال على بن أبى طالب: «ما أبردها على القلب إذا سئل أحدكم فيما لا يعلم أن يقول: الله أعلم»!

وقال عبدالله بن عباس: «إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله».

وقال أحد العلماء: «هلك من ترك لا أدرى».

«ما أثر عن الكرماء»

قال أبو سويد أخبرنى الكوفى قال: اعترض فتى من التجار الفضل بن يحيى بن خالد فى وقت خروجه إلى خراسان، وشكا إليه ما سلبه منه قطاع الطريق، ثم أخذ بعنان دابته وقال:

سأرسل بيتا ليس فى الشعر مثله

يقطع أعناق البيوت الشوارد

أقام الندى والبأس فى كل منزل

أقام به الفضل بن يحيى بن خالد

قال فأمر له الفضل بمائة ألف درهم

وروى الحى أن مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور رفع إلى زبيدة ابنة جعفر زوجة هارون الرشيد قصيدة يمتدح بها ابنها محمد بن الرشيد، وفيها يقول:

لله درك يا عقيلة جعفر

ماذا ولدت من العلى والسودد

إن الخلافة قد تبين نورها

للناظرين على جبين محمد

فأمرت أن يملأ فمه درا.

«لا تقبل النميمة»

قال أبو الأسود الدؤلى:

لا تقبلن نميمة بلغتها

وتحفظن من الذى أنباكها

إن الذى أهدى إليك نميمة

سينم عنك بمثلها قد حاكها

دعــــاء

اللهم أعطنى من الحلم أجمعه، ومن العلم أنفعه، ومن الرزق أوسعه، واجعلنى من عبادك الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

(٢) تخريج

بين المجلة والقارئ

للأستاذ أحمد السيد تقى الدين

متى نتصالح مع أنفسنا؟!

ترى هل يأتى ذلك اليوم حقا؟!

ترى هل من الممكن أن نرى أمتنا الإسلامية وقد استردت عافيتها؟! الحال اليوم صار لا يسر عدوا ولا حبيبا!!

فى المشرق العربى صراع ما بين العراق وسوريا، فضلا عن الاقتتال العراقى ـ العراقى، فضلا عن الخوف والقلق من أحلام إيران التوسعية فى منطقة الخليج.

فى فلسطين صراع فلسطينى ـ فلسطينى يصل إلى حد الاقتتال والتصفية الجسدية برغم أن الشعب الفلسطينى لايزال يعانى من وطأة الاحتلال والحصار الإسرائيلى.

فى اليمن تسيل الدماء أنهارا بفعل قتال رهيب بين المسلمين هناك.. قتال لم يحترم قدسية الشهر الفضيل، فأفسد على الناس صومهم وعباداتهم وافتقدهم أمنهم وأمانهم.

فى السودان لا تزال الفتن تندلع هنا وهناك.

فى الصومال كارثة.. حرب أهلية زاد زمنها على ثلاثين عاما ولا أمل فى إيقافها بعد أن استعذب القوم.. دوى القنابل وطلقات الرصاص

أما فى أفغانستان فحدث ولا حرج

عدد القتلى الذين سقطوا بفعل الاقتتال الإسلامى ـ الإسلامى خلال السنوات العشر الأخيرة وحدها يفوق التصور، حجم الدمار والخسائر رهيب يفوق وبكثير أعداد من سقطوا شهداء فى ساحة الشرف والجهاد بدءا من حملة نابليون على مصر وانتهاء بشهداء الحروب العربية ـ الإسرائيلية

ماذا يريد المتصارعون المسلمون؟! عن أى شىء يبحثون؟! ألم يبلغهم قول رسول الله ﷺ «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار». فقلت يارسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول، قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه» أخرجه البخارى فى صحيحه.

المتصارعون وللأسف يرفعون شعارات إسلامية يبررون بها حروبهم، بل قل جرائمهم.. أجل إنهم مجرمون.. جرمهم لم يتوقف عند إزهاق الأرواح.. جرمهم امتد إلى عقيدة التوحيد يشوهونها يوما بعد يوم وينفر العالم منها.. أصبح

لعدوٍ ينظر إلى عقيدة الإسلام على أنها عقيدة تدعو [illegible] والحرب.. كيف لا.. وقد صار اقتتالنا مضرب الأمثال في الوحشية والهمجية.

ترى هل يأتي يوم نتصالح فيه مع أنفسنا؟ أليس من أجل أنفسنا.. ولكن من أجل إسلامنا.. ترى هل يأتي ذلك اليوم؟

أحمد تقي الدين

رمضان فى دولة أوروبية

ومن الدكتورة فتحية الفرارجي كانت هذه الكلمة عن شهر رمضان في أوروبا والشباب في الغربة في دولة أوروبية:

هل قضيت رمضان خارج مصر؟ هل شعرت بعيداً عن الأهل؟ هل كنت صائماً وجميع من حولك مفطرون؟ هل قضيت العمر وحدك في توقيت غير توقيت الآخرين؟

للسحور والإفطار والأذان وصلاة التراويح بمصر لها خصوصية في الجو وتشعر أنك تعيش في الغربة في دولة أوروبية فهو شعور آخر وطعم مختلف بكل المقاييس. في مصر نسمع الأذان في كل حين ووقت. أما في الغربة فعليك أن تتابع إذاعة يمكن أن تذيع الأذان حسب التوقيت المحلي هناك كإذاعة الشرق بباريس.

ولكن كيف يقضي المسلمون هذا الشهر هناك؟

منهم من يصوم ويعيش وسط الفرنسيين في مسكن من هو يعيش هذه اللحظات مع ذاته لا يشعر بمشاركة هذه اللحظة من خارج أسرته التي يعيش معها ويمكن أن يدعو بعض الأصدقاء ليشاركوه، وهناك البعض الآخر الذي يعيش في منطقة بها عرب كثيرون ومن لم يقل كثيراً حسه بالغربة في هذا الشهر الكريم. ومن المسلمات من يصمن وهن كاسيات عاريات ويسرن على الرجال [illegible] كعادة النساء الفرنسيات. وهناك [illegible] مسلمون ولكن لا يصومون فهم متحررون في الحياة دون حفاظ على أركان الإسلام من صلاة وصيام.

في ذات يوم في وقت الإفطار [illegible] كانت سيدة جزائرية [illegible] وقد تعجبت [illegible] وقفت تتحدث عن [illegible] لابنها ولكنه كان في مشكلة كبيرة لأنه تعود على شرب الخمر ولذلك لا يستطيع الصيام [illegible] وأوضحت أنه لم يتعود على الصيام منذ صغره وكان ذلك في [illegible] وتعجبت في نفسي، [illegible] على الأسرة [illegible] تحافظ على [illegible] من [illegible] الخمور وأنها لا تعود [illegible] على الصيام ومن هنا بدأت ألاحظ ما يدور بالمجتمع وما يحدث.

يعلن في وسائل الإعلام عن بداية شهر رمضان عند المسلمين ويعرفون معناه أنه أحد الأركان الخمسة من الإسلام وأن المسلمين يمتنعون عن الطعام والشراب من شروق الشمس وحتى غروبها لمدة شهر هو الشهر الذي يفرح نفسه

كيف يرى الأوروبيون هذا الشهر؟

في الحقيقة هناك فئات مختلفة:

فئة تراه على أنه شئ ديني لدى المسلمين وفئة أخرى تبدأ التفكير في هذا الأمر من ناحية القدرة عن الإمساك عن الطعام وخاصة في البرد، الوقت الذي تزداد فيه حاجة الإنسان إلى الطعام أو في الحر، حيث تكون الحاجة إلى الشراب، ومن ثم لماذا يتحمل المسلم كل هذا؟ ما الدافع؟ وبالتالي يبدأ الكثيرون في القراءة والاطلاع عن المسلمين وأحوالهم. ولكن البعض الآخر يرى أن هذه الشعائر قاسية وصعبة وتتوجه بطرق وأخرى باتجاه مضاد ولكن أخطر شيء هو ما يبث في نفوس الأطفال والشباب المسلمين.

ففي المدارس منذ بداية العام وحتى نهايته يتناول الأبناء وجباتهم في المطعم الخاص بكل مدرسة ومع حلول شهر رمضان يبدأ أولاد المسلمين بالامتناع عن الطعام والشراب وبالتالي يبدأ الإلحاح: لماذا أنت صائمون؟! أنتم أطفال وصغار على ذلك! وهذا شيء قاسٍ عليكم. ومن ناحية أخرى إذا حاول الأهل أخذ أولادهم وقت الوجبات والعودة بهم بعد انتهاء الغداء تقوم المدرسة بتوجيه العديد من الدعوات إلى أولياء الأمور لتناول الإفطار الصباحي أو الغداء تحت مسمى التعارف والتقارب بين أولياء الأمور والطلاب. من هنا يصبح هناك صراع بين البيت والتمسك بالدين وبين المجتمع وخاصة المدرسة التي تضع الأطفال المسلمين تحت ميكروسكوب كبير يكبر أي هفوة صغيرة ويتصيد أي رد فعل لتشويه صورتهم. فعلى سبيل المثال ذات يوم بالمرحلة الإعدادية أذيع بنشرة أخبار الساعة الثامنة وهي النشرة الرئيسية بالتلفاز الفرنسي أن أولاداً مسلمين قاموا بضرب فتاة مسلمة داخل المدرسة لأنها كانت تأكل في رمضان، ومن هنا لم تعد المشكلة فقط مشكلة صيام أو إفطار، بل أيضاً ظاهرة عنف واضطهاد الرجل المسلم للمرأة المسلمة.

لذلك فإن أبناء المسلمين بالخارج يعانون من مشاكل اضطهاد وحث رهيب على الانسلاخ من الدين. علاوة على السخرية من أسمائهم وتحويرها إلى مسميات مستفزة يرددها المعلم بداخل الفصل ويردده زملاء التلاميذ المسلمين بالفناء وخارج المدرسة مما يثير الغضب والثورة، ولكن إذا عبر عن ذلك يعاقب ويتهم بالهمجية والبربرية والإرهاب.

■ من هنا اقترح العديد من الأمور المهمة:

١- ضرورة اصطحاب الأطفال في الصلوات إلى المساجد وتحبيبهم في الدين وإعطائهم الهدايا عند ترددهم على المساجد فمثلاً في شهر رمضان تقدم لهم الفوانيس وفي العيد البالونات والقصص الدينية المناسبة لسنهم.

٢- مساعدة المسلمين وتأمينهم بإزالة الرهبة من ترددهم على المساجد، فإن المتمسك على دينه في هذا الزمن كالماسك على الجمر، كما علمنا الحبيب المصطفى ﷺ.

٣- العنصر الأهم مساعدتهم في تعلم اللغة العربية لأن الكثير منهم لايعرف لغة القرآن ومن ثم لايصلي.

٤- عقد مسابقات حفظ القرآن بشكل دوري وتحفيز ذلك بإقامة رابطة تحفيظ القرآن الكريم للمسلمين المغتربين.

٥- مراجعة ومراقبة الكتب المترجمة عن الإسلام والمسلمين والتصحيح بشكل علمي سليم.

٦- إقامة معارض الكتب وعرض الكتب الموثوق فيها وعقد الندوات والمؤتمرات وخاصة فتح باب المناقشات حتى يجد المسلمون المنهجية العلمية في بناء التفكير وتزداد ثقتهم بذاتهم ويسمع ما يدار بخاطرهم ومساعدتهم في حل المشكلات التي يواجهونها.

٧- إقامة هيئة علمية مع العلماء الأجلاء للرد عن كل ما يشوه صورة الإسلام في وسائل الإعلام وأن يكون لها الحق القانوني في الرد على الزائف في نفس الوسيلة الإعلامية التي تصرح معلومات خاطئة

٨- تخصيص مؤهلين لتعليم الأطفال الدين وأخلاق الإسلام ليكون مرجعا للأطفال والكبار.

٩- حماية المسلمين ممن يبثون الأفكار الإرهابية المتطرفة لأن صورة العنف عن الإسلام تبث في نفوس الأطفال ومن ثم الخوف من المسمى ذاته.

١٠- تنظيم جلسات اجتماعية للتعارف بين مسلمي الدولة الأجنبية والمسلمين المغتربين لمساعدتهم على اندماج أفضل بالمجتمع، فكما قال المولى عز وجل في كتابه العزيز.

[illegible]

(الحجرات: ١٣)

١١- إقامة المعارض التي يعرض فيها الموهوبون منتجاتهم لتشجيعهم وفي ذات الوقت تنمية الجانب المادي.

١٢ - أن تكون لهم جريدة بلغة البلد الأم واللغة العربية لحرية التعبير عن ذاتهم وإثبات وجودهم.

١٣ - أن مشهد تجمع المسلمين بأجناسهم المختلفة وقت الصلاة خاصة يوم الجمعة وفي العيد وتقديم الوجبات في رمضان مظهر جميل من مظاهر الوحدة، ولكن أهم شيء هو وحدة النفس البشرية والوقوف بجانبها وسط التيارات التي تغفل كل شيء عن ماهية أخلاق الإسلام.

مسجد أبو القاسم القبارى من مساجد مصر

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد كتاب مصر:

هو أبو القاسم بن منصور بن يحيى المالكي الإسكندري المعروف بالقباري، ولد سنة ٥٨٧ هـ وأدرك في طفولته السنوات الأخيرة من عصر صلاح الدين، وعاش شبابه في عصر الملك الكامل محمد الأيوبي وهو عصر أبرز ما امتاز به نهضة علمية مزدهرة وكان مالكي المذهب وكان مصرياً أصيلاً من أهالي الإسكندرية، وتتلمذ على يد كبار علماء الدين الذين كانت تعمر بهم الإسكندرية في ذلك العصر، ولكن القباري ابتلي بما نغص عيشه وحرمه لذة الاستماع إلى العلم وهو ثقل السمع. ومع هذا كان يحرص على حضور مجالس العلماء، فإذا انقضى المجلس لجأ إلى رفاقه يسألهم أن يعيدوا عليه مما فاته، والقباري آثر حياة الزهد والعبادة وكان الناس يقصدونه من كل مكان ويسألونه الدعاء ولكن كان يصرفهم بأقوال التمنيات يقول: «للطالب ما يحتاج» أو «اذهب لكل أحد ما أحب لنفسه» فسألوه عن سر عدم الدعاء لهم فحدث للناس بقصة أنه في أحد مجالس العلم لم يستطع أن يستمع إلى كل ما قاله المدرس فسأل أحد أصدقائه أن يعيد عليه ما فاته فنفر صديقه في وجهه فحزن ورجع إلى منزله وتوضأ وصلى ركعتين وبكى وقال: «ابتليتني بحب العلم وثقل السمع حتى تكبر على فلان اليوم وبخل بما لا يضره» ودعوت عليه ولم يمر وقت طويل حتى ظهر عليه أعراض المسكر والإعراض عن العلم وترك التزيي بزي أهله «لبس الفقهاء» وسقط عن تلك المرتبة فأقسم على نفسه أن لا يدعو لأحد أو على أحد، فقد آثر العزلة واختار مكاناً خارج مدينة الإسكندرية من الناحية الغربية منها واتخذ بستاناً يفلحه ويأكل منه وبنى فيه داراً يسكنها ويتعبد فيها ولم يكن يتبع طريق المدعين من المتصوفة والفقراء ويلتزمون تبعاً لذلك حياة الكسل والتراخي، بل كان شبيهاً بأبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي ويرى أن العمل فريضة وعبادة، وأن السؤال مذلة ومهانة وعرف الناس جميعاً للقباري صلاحه وتقواه فكانوا يترددون على بستانه لزيارته والتبرك به وعرف حكام مصر قبل العامة للشيخ قدره ومكانته ولكنه كان يأنف من مقابلتهم. وزار الإسكندرية في يوم السلطان الملك الظاهر بيبرس عام ٦٦١ هـ واستأذن في زيارته فلما أتاه وتحدث إليه لم يكن للشيخ حاجة يطلبها إلا أنه قال له: أنصحك أن تعنى بعمارة الثغر «الإسكندرية» وتحصنه فقدر بيبرس النصيحة وخرج قاصداً الأسوار فطاف بها وأمر بترميمها والعناية بها وتوفي الشيخ القباري - رحمه الله- ٦٦٢ هـ عن خمسة وسبعين عاماً ودفن في بستانه وأقيم على ضريحه مسجد صغير.

نظافة المساجد... عبادة ووقاية

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ محمد مختار عبد قنديل - مهندس استشاري - عضو اتحاد الكتاب:

المساجد بيوت الله في الأرض أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بالغدو والآصال اختصها بالتكريم لكثرة واجتماع ذكر الله فيها مالك السموات والأرض ومالك الملك.

والمساجد بهذه الصفة يجب أن تكون أنظف

البيوت على وجه الأرض والواقع يقول بغير ذلك، فهناك مساجد نظيفة جداً وهناك مساجد تحتاج إلى جهد مخلص وعمل متواصل للنظافة

في المسجد يضع المسلم رأسه حيث يضع أخوه المسلم قدميه وأقدام بعض المصلين عارية ولكنها غير نظيفة وأقدام بعضهم تكسوها جوارب برائحة أو بغير رائحة

والميضأة نظيفة أو غير نظيفة، الصابون سائلة أو غير موجودة وهل يجب جوارب من خشب خفيفة ميسرة أو لليأس من اللصوص

ومساجد المدن ربما كانت أوفر حظاً من مساجد القرى والنجوع والكفور حيث قد لا تتوفر المياه، وورود مساجد المدن يمضون متوضئين أما رواد مساجد الريف فيأتون للوضوء وربما للاستحمام والصلاة في المسجد

وفي صلاة الجمعة يحتشد المسلمون للصلاة ويحتفظ بعض الشباب بعطره ويحتفظ عن الغسل غسل الجمعة في بيته مع من لا يغتسل في بيته وبعض المصلين يغتسل في المسجد

والخطيب يطيل ولا يراعي حالة المصلين كبار السن أو المرضى ويطيل فيما لا فائدة منه حيث يشرح بعض الأمور التي لا تهم عامة المصلين وإنما يحتاجها الدارسون والمتعمقون في الدين. لقد استمر أحد الخطباء على مدى عام كامل يحكي قصص خمسة وعشرين نبياً من الذين ذكروا في القرآن

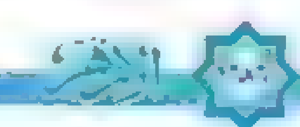
هل نظافة المساجد ولا نزال نرى بعض السجاد والموكيت ونرش الروائح الطيبة في مكان سجودنا وهل يؤدي عمال المساجد وخدمها واجباتهم في نظافة المساجد أم يقفون عند الأبواب لتحصيل إتاوات حفظ الأحذية، ومعظم رواد المساجد الكبرى والمسجد الحرام لم يجد عمالاً يؤجرون على حفظ الأحذية رغم كثرتها وشدة الزحام هناك

هل يحمل المسجد بيت الله قدوة في النظافة والطهارة والرائحة الطيبة الجميلة ونحن مقبلون على شهر رمضان حيث يمتلئ المسجد كل ليلة طوال الشهر كما أننا مقبلون على وباء ينتشر بقوة في الأماكن المزدحمة.

لنفكر قليلاً ونقول إن المسجد كأحسن ما يكون أفضل من التكييف الذي تنفق عليه أموال طائلة لترطيب الجو لأقل من ساعة أما النظافة فهي مظهر دائم لبيت من بيوت الله.

هل يتحدث خطباء الجمعة عن النظافة والوقاية من الأمراض كثيراً لتأصيل عادة النظافة في المسلمين نظافة البدن والثوب والمكان وهل يتحدث خطباء المساجد عن ذنب من يسرق حذاء المسلم من المسجد أو مصباحاً أو مصحفاً أو أي شيء من ممتلكات بيوت الله. التي تحرسها الملائكة ويشملها الله برعايته

تنظيف المسجد وصيانته وتجميله عمل يثاب عليه المسلم الذي يساهم بالجهد أو بالمال ووقاية من الأمراض والأوبئة وليكن شعارنا «مسجد نظيف لمسلم نظيف ومسلمة نظيفة»



أنبـــاء مكتب شيـخ الأزهـــر

للأستاذ أحمد توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب فضيلة الإمام الأكبر



استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمكتبه بالجامع الأزهر الموافق ١٦/٨/٢٠٠٩ الدكتور محمد الهباش وزير الأوقاف الفلسطيني الذي نقل لفضيلة الإمام الأكبر تحيات الرئيس الفلسطيني أبو مازن وتأتي هذه الزيارة في إطار توديع معالي وزير الأوقاف للوفد الفلسطيني الذي يتوجه من الأراضي المصرية إلى المملكة العربية السعودية لأداء مناسك العمرة.

وقد طلب معالي وزير الأوقاف الفلسطيني من فضيلة الإمام الأكبر زيارة ... لأبناء فلسطين

للدراسة في الأزهر الشريف لما للأزهر من قيمة دينية كبيرة. والأزهر هو السد المنيع بتعاليمه المعتدلة في مواجهة التطرف. كما طلب سيادته إرسال الأئمة والوعاظ إلى فلسطين للوعظ وإلقاء الخطب والدروس الدينية خلال شهر رمضان المبارك.

ومن جانبه وعد فضيلة الإمام الأكبر معالي الوزير بدراسة الطلبات والعمل على تنفيذها

الإمام الأكبر يجتمع برؤساء المناطق الأزهرية



ترأس فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف عقد يوم الثلاثاء ١٨ ٨ ٢٠٠٩ الاجتماع الموسع لرؤساء الإدارات المركزية ومديري عموم المناطق الأزهرية، حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن جميع المقار التعليمية تم تجهيزها وتوفرت مستلزماتها من مقاعد ووسائل وأجهزة. كما أكد فضيلته على أن جميع الكتب الدراسية قد تم تسليمها لتكون حاضرة في أيدي الطلبة في بداية العام الدراسي بوقت كاف مع التأكيد على عدم زيادة المصروفات عن العام الماضي وتسليم الكتب للطلاب في حالة دفعه للمصروفات قبل بدء الدراسة في حالة رغبته في الاستذكار أو الاطلاع

وتمت مناقشة ما يجب اتخاذه من إجراءات لمواجهة انتشار مرض أنفلونزا الخنازير بين طلاب المعاهد خلال العام الدراسي من حيث الوقاية والنظافة لكل من العاملين والطلاب بالمعاهد الأزهرية ورفع الوعي من خلال النشرات واللوحات الإرشادية للتوعية بقواعد الصحة العامة وأساليب الوقاية من المرض، والاهتمام بنظافة دورات المياه والفصول وتوفير متخصصين في النظافة وكذا توفير المنظفات والأدوات المستخدمة للتطهير، مع الاهتمام برفع الوعي الصحي للنظافة الشخصية بين الطلاب والعاملين.

كما تمت مناقشة قرار شيخ الأزهر الصادر برقم (٧١٧) لسنة ٢٠٠٩م، والذي تم توزيعه على المناطق، والذي يوضح عملية تنظيم وحدوية الوظائف لمعلمي المعاهد الأزهرية بمسمياتها المستحدثة بالقانون رقم ١٥٦ لسنة ٢٠٠٧ والذي يحدد مسمى المعلم المساعد والمعلم والمعلم أول والمعلم أول (أ) والمعلم خبير وكبير معلمين. كما تشغل وظيفة شيخ معهد أو وظيفة وكيل معهد بالاختيار من بين شاغلي وظيفة معلم أول (أ) ممن تتوافر فيهم شروط شغلها وفقاً للضوابط المنصوص عليها بالمادة الثانية من هذا القرار. ويكون لكل معهد شيخ معهد ووكيل معهد أو أكثر بحسب عدد الفصول ونمط الحلقة التعليمية بالمعهد.

كما يشمل القرار التأكيد على المناطق أن تقوم بالإعلان عن شغل وظيفة شيخ معهد أو وكيل معهد طبقاً للشروط المعلنة بالقرار، وتقوم المناطق بتشكيل لجنة للاختيار وإرسالها إلى قطاع المعاهد للمراجعة وإصدار قرار بذلك. وبالنسبة للشيوخ ووكلاء المعاهد الموجودين حالياً يبقى كل منهم في عمله لحين اختيار من تنطبق عليه الشروط.

ويجتمع بوفد من وزارة الصحة

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف يوم الأحد ١٣ ٩ ٢٠٠٩ بوفد من وزارة الصحة ورئاسة التأمين الصحي برئاسة الدكتور عمر قنديل وكيل وزارة الصحة للطب الوقائي وحضر الاجتماع السادة أصحاب الفضيلة رؤساء الإدارات المركزية ومديرو عموم المناطق الأزهرية.

وجاء الاجتماع لتفعيل أوجه التعاون بين وزارة الصحة والأزهر من أجل التعامل مع جائحة أنفلونزا الخنازير في المدارس وتهدف الخطة لرصد المرض في المدارس والإبلاغ فوراً عن ظهور حالات. وهي تستهدف بذلك الاكتشاف المبكر للحالات بنوعيها البسيطة والحرجة من أجل الحد من انتشار المرض في المدارس وبين أفراد المجتمع بهدف التدخل السريع واتخاذ القرارات اللازمة بالتنسيق بين التعليم الأزهري والصحة والتأمين الصحي أثناء الجائحة.

كما قام الدكتور/ عمر قنديل بشرح مبسط للمرض منذ ظهوره موضحاً بشكل تفصيلي عدد الحالات المصابة، وعدد الحالات التي شفيت وعدد الوفيات وفترة حضانة المرض والتعامل مع المريض والمصابين به وطرق الوقاية والحالات التي يؤخذ فيها عقار التاميفلو.

وأوضح سيادته الفئة العمرية التي يتم حجزها بالمستشفيات. كما بين سيادته خطورة المرض لمرضى الروماتيزم في القلب أو الجهاز التنفسي أو مرضى الفشل الكلوي والفشل الكبدي، موضحاً الإجراءات الوقائية التي اتخذتها وزارة الصحة بالتعاون مع وزارة التربية ووزارة التعليم والتعليم العالي والتوعية الصحية ودور المنسق الأخصائي الاجتماعي في حالة اكتشاف حالة مرضية وطرق التعامل معها.

كما أشار إلى أنه سيتم تدريب الفرق على مستوى المحافظات ومراكز رفع الوعي لدى المدرسين من خلال المحاضرات النظرية وعقد الندوات. كما أوضح أنه سيتم توزيع منشورات ولوحات إرشادية وكتيبات الإجراءات التي يجب اتخاذها بالإضافة إلى الملصقات التي تشتمل على شرح مفصل لكل الخطوات التي يجب اتخاذها في كل حالة.

وقد بين سيادته الدور الأساسي للمنسق الذي من خلاله تتم أولى الخطوات وكذا الإجراءات التي يجب اتباعها عند اكتشاف الحالة، وما هي الإجراءات التي تتخذ لغلق فصل أو لغلق المدرسة.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر أن هذه المسائل يجب أن تؤخذ بالجدية واليقظة والحساب الدقيق لأن هذه المسائل لا تحتمل التأخير أو التهاون فيجب الجدية والتنبيه الصحيح للأمور حتى تتم الإجراءات وفقاً للخطط الموضوعة.

الإمام الأكبر يعتمد نتيجة الدور الثاني للشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر صباح يوم الاثنين الموافق ٣١/٨/٢٠٠٩م نتيجة امتحان الدور الثاني للشهادات الأزهرية الإعدادية والثانوية والبعوث الإسلامية والقراءات للعام الدراسي ١٤٢٩/١٤٣٠هـ - ٢٠٠٨/٢٠٠٩م على مستوى الجمهورية.

حيث بلغت النسبة المئوية العامة للنجاح بالإعدادية للدور الثاني ٩٥.٣٪ وبذلك تكون النسبة العامة للنجاح للدورين الأول والثاني معاً ٩٧.٠٩٪ وقد بلغت النسبة المئوية للنجاح بالثانوية الأزهرية للدور الثاني ٨٣.١٠٪ وبذلك تكون النسبة العامة للنجاح للقسمين العلمي والأدبي في الدورين الأول والثاني معاً ٩١.٩٪. وقد بلغت النسبة العامة لشعبة القراءات في الدور الثاني ٨٣.١٠٪ وبذلك تصبح النسبة العامة للنجاح في الدورين الأول والثاني معاً ٨٦.٢٪. وقد بلغت النسبة المئوية لنتيجة شهادة التجويد في الدور الثاني ٨٤.٧٪ وبذلك تصبح النسبة المئوية للدورين الأول والثاني معاً ٨٧.٨٪. وقد بلغت النسبة المئوية للدور الثاني لنتيجة شهادة التخصص ٨٩.١٪ وبذلك تصبح النسبة العامة للنجاح في الدورين الأول والثاني معاً ٨٧.٩٪. كما بلغت النسبة المئوية للدور الثاني لنتيجة الشهادة الإعدادية لمعهد البعوث الإسلامية ٦٧.٥٪ وبذلك تصبح النسبة العامة للنجاح في الدورين الأول والثاني معاً ٨١.٥٪. كما بلغت النسبة المئوية للدور الثاني للشهادة الثانوية لمعهد البعوث ٨٦.٨٪ وبذلك تصبح النسبة العامة للنجاح في الدورين الأول والثاني معاً (٩٥.٢٪).

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنأ فيها الناجحين وحثهم على مزيد من الجهد والمثابرة في دراستهم الجامعية. كما شكر القائمين على أعمال الامتحانات على ما بذلوه من جهد طيب لإظهار النتيجة بصورة مشرفة.

تكريم أوائل الشهادات الأزهرية

كما التقى فضيلة الإمام الأكبر بالطلبة الأوائل من القسمين العلمي والأدبي الذين فازوا بتوجههم إلى القرية الذكية ليتم تكريمهم على مستوى الدولة ويلقوا تكريمهم من معالي رئيس الوزراء. وألقى فضيلته كلمة شكر فيها الأوائل على جهودهم المبذولة التي قادتهم إلى التفوق.

■ والمتفوقون المكرمون من القسم الأدبي هم:

١- أحمد محمد السيد فرج/ كفر الشيخ ٢- عائشة جمال سعد علي/ القاهرة ٣- لمياء محمود عبد القادر/ الغربية ٤- شيماء محمد حسن محمد/ أسيوط ٥- بسمة محمد عبده/ القاهرة ٦- عبد الله أحمد العيسوي/ الدقهلية ٧- شيماء حسن محمد موسى/ الغربية ٨- صفية عبد التواب عبد التواب علي/ الدقهلية ٩- دينا سامي حسن أحمد/ الشرقية ١٠- زينب صبري سليمان محمد/ بني سويف.

■ المتفوقون المكرمون من القسم العلمي هم:

١- عمرو محمد عبد الحميد/ دمياط ٢- أحمد شوقي محمود السيد/ الشرقية ٣- دعاء حسن أحمد الشوربجي/ الغربية ٤- محمد حامد رضا عبد الهادي/ أسيوط ٥- أحمد محمود السيد أبو الجود

المنوفية ٦ - إسماعيل محمود عبد المنعم سليم / الشرقية ٧ - إيمان السيد محمد أبو الوفا / الغربية ٨ - غادة أحمد عباس حاد الله / القاهرة ٩ - محمد السيد محمد نعمة / الدقهلية ١٠ - محمد رأفت عبد المنعم / الدقهلية ١١ - محمد عبده سعد يوسف / دمياط ١٢ - محمد كمال عبد الرحيم / الإسماعيلية ١٣ - مروة عبد الفتاح عبد الحي / كفر الشيخ ١٤ - هند على عبد التواب / الشرقية.

بقرار من فضيلة الإمام الأكبر:
الكتب الشرعية توزع مجانا على الطلاب الوافدين

قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بتوزيع الكتب الشرعية على الطلاب وطالبات جامعة الأزهر الوافدين على منح من الأزهر داخل وخارج مدينة البعوث الإسلامية مجانا تحفيزا لأبناء الدراسة من أبناء الأزهر حيث يتم توزيع الكتب على طلاب كليات أصول الدين والشريعة والقانون والدعوة والدراسات الإسلامية والتربية والتجارة والهندسة والطب واللغات والترجمة لجميع الفرق الدراسية بالنسبة للطلاب وبالنسبة للطالبات يتم توزيع الكتب على الطالبات بكليات الدراسات الإسلامية شعب علم الاجتماع، وعلم النفس والتربية وكلية الدراسات الإسلامية شعب أصول الدين والشريعة الإسلامية، واللغة العربية لجميع الفرق الدراسية.

الدكتور / محمد عبدالعزيز واصل وكيلا للأزهر



بناء على ماعرضه فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر صدر قرار رئيس جمهورية مصر العربية بتعيين فضيلة الشيخ الدكتور / محمد عبد العزيز واصل وكيلا للأزهر اعتباراً من ١ / ٩ / ٢٠٠٩. وحتى تاريخ بلوغه السن المقررة لانتهاء الخدمة.

أنبـاء مجمع البحوث الإسلامية

أعدها الأستاذان : عبدالموجود أمين - يحيى سليمان

الندوة التثقيفية لمبعوثي الأزهر الشريف

شهد مركز مؤتمرات الأزهر الشريف بمدينة نصر وقائع الندوة التثقيفية لمبعوثي الأزهر الشريف

وقد تفضل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بافتتاح الندوة بكلمة شدد فيها على ضرورة عدم التدخل في شئون الغير، وأن يحرص المبعوث الأزهرى على أن يكون واجهة مشرقة للإسلام وللأزهر الشريف ولمصر من خلال سلوكه وتعاملاته اليومية وفي أدائه لمهمته المتمثلة في تعليم وتثقيف المسلمين في البلاد المبتعثين إليها، وتعريف الآخر بسماحة الإسلام وتعاليمه الحنيفة. واختتم فضيلة الإمام الأكبر كلمته متمنياً لمبعوثي الأزهر الشريف التوفيق في عملهم وخدمة الإسلام والمسلمين.

شهد وقائع الندوة فضيلة الشيخ على عبدالباقى شحاتة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين المساعد للبعوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ عبدالرحمن شاهين مدير عام الإدارة العامة للبعوث

المسلمون والآخر

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب بعنوان: المسلمون والآخر حوار وتفاهم وتبادل حضارى للدكتور عبدالباسط أحمد أمين الباحث بمجمع البحوث الإسلامية ويقع الكتاب في ١٣٦ صفحة ويشتمل مقدمة وفصلين وقد أوضح فيه أنه يجب على المسلم أن يتبع منهج الإسلام وأصوله الحكيمة والمبادئ التي تقوم عليها العلاقات بين المسلم وغيره كما أرسى قواعدها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حتى يقوم المسلم بالرد على ما يثار حول الإسلام وحملة أعدائه لتشويه صورته في أعين أبنائه وغيرهم، والكتاب في منهج واضح وبأسلوب سهل يستفيد منه العامة والخاصة وقد ألقى الضوء في الفصل الأول على العلاقة التي تكون بين المسلم وغيره كما جاء في القرآن الكريم. وما يجب أن تكون عليه في حالة السلم. وما يجب أن تكون عليه في حالة الحرب، ومن هذه العلاقات أوضح في



الفصل الثاني من الكتاب ما يجب أن يكون عليه الحوار والتفاهم لأنهما من المبادئ الأساسية في الفكر الديني الإسلامي، ويظهران في المنهج القرآني وأسلوبه في إيصال الحقائق وتنوعت أشكال الحوار بتنوع المقاصد والأهداف تماشياً مع الفطرة الإنسانية وأسلوب الحوار يتسم بالحكمة والتعقل والاعتدال ثم ختم المؤلف الفصل الثاني بالمبحث الثاني وعنوانه: «التبادل الثقافي والحضاري بين المسلمين والآخر» لما أثبتت حضارة الإسلام عبر تاريخه أنها حضارة حوار وتواصل وتداخل مع الحضارات الأخرى بالعلم والمعرفة وأن الإسلام جعل الآخر جزءاً أصيلاً من الأمة الإسلامية، وقام بتأسيس قنوات التفاعل الإيجابي مع مجتمعات متنوعة دون أن يفرض نفسه عليها.

وهكذا يستفيد القارئ من الكتاب أن الحضارة الإسلامية هي حضارة تقارب وتفاهم وتبادل وتعاون وتكامل وحوار مع جميع الحضارات الأخرى.

صرح بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن العسيلي مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث وسلسلة البحوث.

يبلغ عدد طلاب (تايلاند) الذين يدرسون بالأزهر الشريف ١٦٥٧ طالباً وطالبة على النحو التالي:

- مرحلة الدراسات الخاصة ٣٩ طالبا، وخمس طالبات.
- مرحلة التعليم الابتدائي ٢ طالبات.
- مرحلة التعليم الإعدادي خمسة طلاب، وطالبات.
- مرحلة التعليم الثانوي ٧٢ طالباً، وست طالبات
- مرحلة التعليم الجامعي ١٠٥٦ طالباً، و ٤٦٠ طالبة
- مرحلة الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) تسعة طلاب.

صرح بذلك فضيلة الشيخ [illegible] المدير العام للإدارة العامة لشئون الطلاب الوافدين.



للأستاذين: محمود الفشني - أحمد رضوان

رسائل تحذيرية تركية لأمين الناتو لاحترام الإسلام

ذكر عدد من الصحف التركية أن رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان وجه عدة رسائل إلى الأمين العام الجديد لحلف الناتو أندرس فوغ راسموسن خلال حفل إفطار أقامه حزب العدالة والتنمية الحاكم في تقرق حملت طابع التحذير والتأكيد على احترام الدين الإسلامي والنبي محمد ﷺ وقالت صحف «راديكال» و«ميلليت» و«خبر تورك» إن أردوغان استعار في كلمته التي ألقاها في حفل الإفطار بعض مقولات الفيلسوف جلال الدين الرومي من أجل التأكيد على روح التسامح في الإسلام ومنها أن على الفرد أن يتصرف بما يتفق مع هيئته وأن تكون هيئته متفقة مع تصرفاته.

واعتبرت أن أردوغان باستخدامه هذه المقولة أراد أن يلقن راسموسن درساً في تسامح الإسلام، مشيرة إلى أنه وجه عدة رسائل تحذيرية إلى راسموسن في كلمته بتأكيده على أنه لا يحق لأحد أن يهاجم الإسلام بالإرهاب لأن الإسلام دين يحرم الإرهاب كما أن الإسلام لا يمكن تصنيفه إلى إسلام معتدل وإسلام غير معتدل، وأن المسلمين يحترمون جميع الأنبياء وعلى الآخرين أن يحترموا نبي الإسلام ﷺ، وأن من يفعل غير ذلك فهو من الجهلاء.

أكثر من ٣ آلاف مسجد تفتح أبوابها في ألبانيا

دخل الإسلام ألبانيا مع الفتح العثماني والذي ظلت ألبانيا تحت إدارته خمسة قرون ازدهر فيها الإسلام حتى أصبح الآن ٧٥٪ من سكان ألبانيا مسلمين، وقد أقيمت المساجد حتى بلغت أكثر من ثلاثة آلاف مسجد انتشرت في جميع أنحاء الدولة، علاوة على المعاهد والمدارس والمكتبات الإسلامية التي أنشئت لدعم رسالة الإسلام. ولذلك فإن

رمضان في ألمانيا صلاة وعبادة وقراءة القرآن والكتب الدينية، أما مشاهدة البرامج فتكثف معظمها للبرامج الدينية والثقافة الإسلامية.

الصحف الأمريكية تحرص على نشر مواقيت الصيام

دخل الإسلام في المجتمع الأمريكي عن طريق المهاجرين من الشرق الأوسط وأفريقيا والدول الإسلامية الآسيوية وأنجبت الأجيال الأولى أجيالاً ثانية، ومن ثم تكاثر المسلمون في المجتمع الأمريكي وخاصة مع بدء اعتناق الأمريكيين الأصليين للإسلام، الأمر الذي جعل الإسلام هو الدين الأكثر نمواً في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويقول سالم محمد بالدراسات الإسلامية: احتفظ المسلمون المقيمون في أمريكا بالعادات والتقاليد الإسلامية في خلال شهر رمضان، فكل أسرة تحمل تقاليدها وتعمل على إحيائها في بلاد الغربة، وأهم هذه العادات الاجتماع على طعام الإفطار على مائدة واحدة من أجل تقوية العلاقات الأسرية، ويشهد أيضا الشهر الفضيل الالتزام الجماعي بالصيام والحرص على أداء صلاة التراويح، إلى جانب تنظيم المؤسسات والجمعيات الخيرية الإسلامية الأنشطة التعريفية بالصيام وفضله وبالإسلام عامة، فيتحول الشهر إلى مناسبة دعوية للمسلمين وغير المسلمين.. ومن مظاهر تفاعل المجتمع الأمريكي اهتمام وسائل الإعلام بحلول الشهر الكريم ونشر الصحف مواقيت الصيام.

عرب ٤٨ يرفضون المحاولات الإسرائيلية لتعديل المناهج الدراسية

أكد محمد بركة النائب العربي بالكنيست الإسرائيلي أن الشعب الفلسطيني يرتبط بعلاقة حميمة مع الزمان والمكان ومسمياته، كون فلسطين هي وطن عرب ٤٨ داخل الخط الأخضر وشدد بركة في تصريحات لقناة العربية على أن الفلسطينيين داخل الخط الأخضر ليسوا بحاجة إلى السلطات الإسرائيلية لصياغة المناهج التعليمية التي توضح هويتهم وأدبياتهم وأضاف بركة أن الشعب الإسرائيلي يوصف بـ «شعب مهجر من دول عدة» ولا علاقة لهم بفلسطين في حاجة إلى إيجاد قواسم مشتركة بينهم وبين أفراد مجتمعهم.

وأشار بركة إلى رفض لجنة المتابعة العليا التي تعنى بشئون العرب داخل الخط الأخضر لما تحاول وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية أن تفرضه على المدارس العربية وأضاف جرليسه: في المقابل نسعى إلى تعزيز وتعميق الهوية الوطنية والقومية العربية كرابط أساسي يجمعنا بالواقع الوطني الفلسطيني المتميز.

وعلى صعيد متصل أوضح عاطف مهدي رئيس لجنة متابعة قضايا التربية والتعليم للعرب في إسرائيل أن الطلاب العرب داخل الخط الأخضر يعانون من نقص الوسائل التعليمية إلى جانب العجز في أعداد الفصول الدراسية التي تقدر بما يقل عن ٩٢٢٦ فصلا دراسيا بما يعادل ٥٠٠ مدرسة كاملة لاستيعاب الطلاب العرب، وكانت إسرائيل على لسان وزير التربية والتعليم جدعون ساعر أعلنت في وقت سابق بأنه سيتم منع استخدام كلمة النكبة في مناهج التعليم على أن تستبدل بكلمة مأساة بدلا منها بما يعني تهويد المناهج العربية في المدارس داخل الخط الأخضر.

التحقيقات الألمانية: قتل مروة الشربيني جريمة عنصرية

نشرت مجلة «دير شبيجل» تقريراً يفيد بتأكيد المحققين أن حادثة مقتل «مروة الشربيني» انطلقت فقط من خلفية معاداة الأجانب وكانت النيابة العامة قد صرحت في وقت سابق بأن الجريمة «جاءت فقط بدافع الكراهية لغير الأوروبيين والمسلمين» الأمر الذي قد يجيب عليه الدفاع بأن الحادثة كانت وليدة الانفعال فضلا عما قيل عن محاولة الجاني الانتحار أثناء اعتقاله. واعتبرت اللجنة أن القضية القادمة ستكون معقدة بالنسبة للشهود الذين شهدوا الواقعة داخل قاعة المحكمة كما ستعقد جلسات المحاكمة في ذات القاعة التي شهدت مقتل مروة.

الدنمارك تعيد التصويت حول بناء أول مسجد

بعد أن صوت مجلس بلدية كوبنهاجن بالموافقة على بناء أول مسجد في الدنمارك قرر المجلس إعادة التصويت مرة أخرى إثر احتجاج اليمين المتطرف المعارض للمشروع وكان مجلس بلدية كوبنهاجن قد صوت في ٢٧ أغسطس الماضي بغالبية كبرى لصالح [illegible]

على مساحة نحو ٢٠٠٠ كيلو متر مربع في موقع مصنع آلات مهجور في الحي الشعبي شمال غرب كوبنهاجن والمسجد ستعلوه قبة زرقاء ترتفع ٢٤ مترا ومئذنتان طولهما ٣٢ مترا وتبلغ تكلفته نحو ٦ ملايين يورو تكفلت بها جمعية أهل البيت الشيعية التي اقترحت المشروع وقال كارل كريستيان ليحس رئيس مجموعة حزب الشعب الدنماركي اليميني المتطرف في مجلس البلدية قدمنا اقتراحات للمجلس من أجل مناقشة المشروع مجدداً في ١٧ سبتمبر لأننا علمنا منذ ذلك الحين أن النظام الإيراني سيكون على الأرجح الممول لهذا المسجد الكبير.

عودة الهدوء بين المسلمين والهان في أورومتشي

بدأت الأوضاع تعود إلى طبيعتها في مقاطعة أورومتشي الصينية وانتشرت الشرطة الصينية بكثافة بعد مظاهرات أسفرت عن سقوط عدد من القتلى وبدأت محلات تجارية - كان معظمها مغلقا - تفتح أبوابها وعادت حركة النقل العام جزئيا ورفعت بعض القيود على حركة السير وارتفع عدد السيارات الخاصة وسيارات الأجرة في وسط المدينة، لكن الإجراءات الأمنية بقيت مشددة بوجود أعداد كبيرة من رجال الشرطة الصينية المسلحة في الشوارع. وقالت الصحف المحلية إن بلدية أورومتشي أمرت بإجراء عمليات مراقبة أمنية صارمة لأشخاص وتفتيش ممتلكاتهم عند مداخل حوالي ٣٠ سوقا وأكدت صحيفة مورنينج نيوز أن سلطات المدينة تصر على أن عدم الامتثال لهذه القواعد الأساسية قد يؤدي إلى إغلاق الأسواق.

loose the great side of his identity and remain parasite on the west looking at by a sort of admiration, sanctification and worship and in its submitting to it a great honor".

This is the devilish aim of which dreams of orientalists are planning to it. Cut the relation of the Muslim to his past, and tom sense with the majesty of this past and its holiness. They want him to hate his religion. Upon that he doesn't find before him except what the orientalists presented him and beautified them. In this knowing he doesn't consider a partner but a humble follower. He doesn't arrive to the grade of feeling with the group but will remain hated from this group who tempted and hated him because this kind of people which facilitated on him the betrayal of his people doesn't be more than enemies.

The push towards the Muslim to leave his roots and hate his past doesn't be intended from it to embrace the christianity where this is considered a honor in their point of view these stupid Muslims don't deserve. The intent is leaving the elements of strength which hates the subordination and enthronement with the jewish crusading cause et. after he removes his creed and principles and this great advantage alone.

The devils of the west know certainly that the strong of Muslim in his dogma so exposure it is the important and great aim in the priorities of their life.

"They would fain that you should disbelief as they have disbelieved (and) then you would be equal; so do not take for yourselves patrons from them until they emigrate in the way of Allah; yet in case they turn away, then take them and kill them where you find them; and do not take to yourselves from among them a patron or a ready vindicator".[An-Nisa(Women):89].

Gostaf Lobon in his book "Arab culture" said

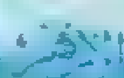
"In fact, the nations didn't know merciful conquesters as the Arabs. Islam is the one which gives the muslims the mercy and true tolerance. We saw different shapes a war of opium the wars of the modern colonization were the strongest. The strongest also is the tyrany of Zionism and [illegible] and shed the blood, aggression and [illegible]. This is a certificate from a man who fostered the milk of the christianity crafted with the cunning for Islam.

He came to the Islamic country researching about the places of weakness to present it as a gift to the leaders of the crusades but he didn't find escape before [illegible] this fact and he has to admit to it especially that is a fact wins with consensus of the [illegible] of the orientalists but from them who had the psychiatric power and announce it and most of them can't announce that.

From the first kind who did not find a way but announcing his admiration although he strengthened his religious fanaticism Historian English known "Arnold Toynbee" who says:

"I envy the followers of the Arab society because of what the Arabian nation guarantees them; It's in his home as he is in Islamic Arabian nation".

This is a certificate of a man from the most western writers in the Twentieth century, it is the German orientalist :" Bawel Shmitz " who said in his book " Islam is the world-Is tomorrow power " which he wrote in the thirties from the twentieth century: the history will repeat itself beginning from the east returning to begin from the area in which the world's power in the first era of Islam. And this strength will appear in the coherence of Islam and its military unity. Also, this strength will affirm its existence if the Muslims realiz how to benefit from it.


Does the west know the worth of Islam ?

By : Dr. Hamdy Fatouh Waly

Our nation is in need to spiritual , intellectual and cultural [illegible] that [illegible] brain draw , forming its thinking , arrangement of its priorities and [illegible] of the [illegible] tures of its friends and enemies to be good at practicing the love and hatred [illegible] to worship Allah , the Almighty , by charity of the allegiance and [illegible] knowl edge

Our enemies have succeeded in ignoring of the dogma role in our life . Also they could persuade our nation with the international dealing leaving aside of the dogma as a disgraceful fanaticism

They didn't stop at that but distort every symbol related to the Islamic idea. Because of the matter of the nation is depended on Islam , the enemies found themselves before hard problem which is how to persuade a nation rules with Islam in the [illegible] make [illegible] a law , deal with [illegible] rightly be guided , return to historically and in creed , with what is contrary to that at all .

Because of the difficulty of that problem and its dangerous , the [illegible] and Jewish [illegible] doesn't despair but does well the study of the problem and [illegible] in diagnosis then put the work system which [illegible] its duties skillfully and prepared the circumstances to perform these duties in skillful way .

The group began to study the power constituents which guarantee [illegible] They exposure and insisted on the necessity of weakening then destroying it .

Lest the talk is divergence from me or invention and deduction , I will leave the great thinkers of the west who led the recent crusade and achieve the goal . They [illegible] the armies to the dangerous results . I will leave the field to them to know from them the reasons of power in our religion , then we will see how they dealt with these reasons .

And what is the result of their planning ?

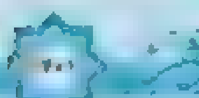
An of the responsible in the French Foreign Ministry told in 1952

" the true dangerous which threats us directly is Islam [illegible] "

We have to give this world what he wishes and strengthen [illegible] in the industrial and technical . If we can't plan this plan , and the giant released [illegible] complex of his technical and industrial weakness , the dangerous of the [illegible] and what is behind it became one of the great Islamic energies with which the west destroy his leading role in the world "

The American orientalist O.K. Smith said: [illegible]

" If the Muslims took the freedom in the Islamic world and lived under the [illegible] of



their systems . Islam will gain in these Islamic states".

[illegible] Asia Chapter [illegible] that the [illegible] Islamic states a system to prevent [illegible] Islam in the Islamic nations consequently victory on the west , his culture and [illegible]

The west was [illegible] itself and define the danger [illegible] It [illegible] the nature of the dangerous and how to destroy [illegible] consequently the [illegible] who devote their efforts for studying Islam and entering in its secrets are met with seriousness and interest .

For this , it's not strange that these are active to study our religion and creed [illegible] who serve their creed [illegible] when they present to their [illegible] and leaders the results of researches . These results were as the keys which ran in the selves of Muslims sons and changed it.

They [illegible] the power sites in Islam consequently warn their leaders from it. Moreover [illegible] to know how to weaken these elements and destroy them.

[illegible] they studied the weakness sites and could skillfully exploit and arrive through them to what they want.

[illegible] system which all Muslims nation in one entity is the danger which the west frightened from his entity and future.

[illegible] don't forget what had happened to their fathers from defeats during the repeated crusades with Muslims.

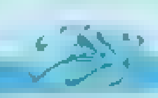
[illegible] doesn't move but by a man that is the Muslim Caliph [illegible] shake their thrones by a sign of his hand or a word of his mouth

[illegible] Europe was frightened from the sick man because behind him three millions from Muslims are ready for fighting by a sign of his finger "

From the hand that the west knew of Islam danger and their knowing of its chance [illegible] their great thinkers who [illegible] against Islam [illegible] picture for [illegible] between their western [illegible] and Islam

The orientalist " Hamelton Jib" said

"The Westernization of East [illegible] cut the east connection with his past [illegible] If we could cut the relation between thinking and creed , the past [illegible] the past [illegible] a dark [illegible] its people leave and





their reward from the providence of their Lord, and no fear shall be on them, neither shall they grieve" (Al-Baqarah The Cow 274). Allah said: "Take of their riches a donation, to purify them and to cleanse them thereby, and pray for them; surely your prayer is a reassurance for them. Allah is Ever-Hearing, Ever-Knowing" (At-Tawbah Repentance 103). Allah said: "and expend of what We have provided you even before the death comes up to one of you, then he says, Lord! Had You deferred me to a near term, so that I may donate alms, and so I may become one of the righteous" (Al-Munafiqun The Hypocrites 10). Allah said: "and expend; that is most charitable for yourselves. And whoever is protected against the avarice of his self, then those are the ones who are prosperous" (At-Taghabun Mutual Fraud 16). From the previous verses Allah exalted tells us about the great requital which He prepared for donators to the needy and [illegible] and He promises them to [illegible] the [illegible] ten times but He [illegible] to seven hundred [illegible] and more as long as they expend [illegible] charity that has no show-[illegible] but seeking gracious satisfaction of Allah and [illegible] have any recompense from anyone nor thankfulness but they expended it for the sake of Allah only. On that account Allah [illegible] what they expended as a loan for Him. Allah Exalted, Allah is indeed Ever-Sufficient [illegible] with the world. The purpose from this is the interest of bondmen and purifies them from the soul diseases which disturb their calmness and serenity. The worst of this diseases is the selfishness and the alms treated it. Allah Exalted [illegible] we should not fear of the poverty or suppose that the alms decreases the money so Allah gives emphasis to His bondmen that He outspreads the subsistence for whomsoever He decides of His bondmen and whatever thing the bondmen expend for the face of Allah He [illegible]. Allah said: "Say, surely my Lord outspreads the provision for whomsoever He [illegible] of His bondmen and He estimates it for him; and whatever thing you expend, He will then replace it and He is The Most Charitable of providers" (Saba Sheba 39). Allah Exalted has asserted on this fact that may has some doubt to some believers so he defers the alms of his money till the death comes up to him and the signs of this deferring will be clear without any doubt before his witnesses so he should presents the charity before he says: Allah said: "then he says, Lord! Had You deferred me to a near term, so that I may donate alms, and so I may become one of the righteous" (Al-Munafiqun The Hypocrites 10). The manner of the Holy Quran is driven between the [illegible] and warning. Allah Exalted knows best the state of his creatures. Allah knows that the [illegible] is sufficient to some of them while the warning is sufficient to other to reforming him. Allah outspreads the provision to honor his bondmen or definitely try them also he may hold the provision to definitely try them too to see and hear their supplication for reward and punish the other for their impatience and naughtiness. In this verses there is a warned for the believers from the coming up the death before they becoming from the righteous. They should be cautious of punishment of Allah and avoided it by avoiding the sins and doing the righteousness deeds to bring them near to Allah and among of this deeds the obligatory donation and alms which protects them from the avarice of themselves. The believers have already a fair example in the Messenger of Allah; his instructions and sayings are the most charitable sustenance and the best way to obtain the satisfaction of Allah. Abu Hurairah May Allah be pleased with him narrated that: "A man said, O Messenger of Allah which donation is the best? The prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: Your donation when you are avaricious of it and hope to live and fear of poverty and don't defer it till the death comes up to you then you say to someone so and so but it will be [illegible]." Abu Hurairah (May Allah be pleased with him) said that the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said that: "Every day two angels descends from the sky one of them says O Allah gives the one who gives charities more money more than he have and the other says O Allah make the one who does not give charities lose all his money." This Hadith emphasizes and clarifies what has been mentioned in previous verse. There is also awakening of a desire to expend the money in the sake of Allah in charities because Allah Glory Be To Him compensates quickly the one who expends much money in charities in the sake of Allah. Also there is a threat for those who refrain from giving charities. The prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: give charities, the person may walk with his donation but the one who is given this donation says if you came with it yesterday I would have accepted it." This Hadith urges to expend money in charities in the sake of Allah and this before the one does not find any one accepts his almsgiving from him. There is also a hint to the Muslim that he should not think that his charity is little as Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "who gives zakat even if it was like a dried date from a lawful gain - Allah does not accept except lawful - Allah accepts it then grows it to its owner as you bring up a [illegible] until it becomes like a mountain. "a dried date" means as: What is little that this charity." But as Allah Knows that it is from a lawful gain He provides it till it becomes such as a mountain. We have two great benefits from this Hadith. The first: we should not think that his charity is little because the value with the [illegible] is much. The second: as for Allah "the lawful gain has standards differ from our standard" Allah Glory Be to Him accepts the charity according to its source and [illegible] not according to it's value and quantity. This meaning is [illegible] to Prophet's (May the blessings and peace of Allah be upon him) saying: "Allah does not look neither at your outer appearance nor at your properties but He looks at your hearts and works." We do not forget to mention some thing from the sayings of the Prophet's companion who followed his teachings, so we say that it has been narrated about Ali that he said to a man from Hamdan that the donations are connected to thank and thank is connected to increase, and they are connected with each other, the increase will discontinue if the worshipper stopped thanking. Omar Ibn Abd Al-Aziz said: "connect donations of Allah with thank to Allah Glory Be to Him" and thanking Allah with refraining from committing sins. The alms which the face of the prophet is glad for it the alms which he pray Allah for it when he saw a group of people from Modar in ragged clothes so the prophet is sad from their status and call the Muslims to supported, sympathized them and merciful toward one another. Amr Ibn Gareer Ibn Abdu Allah narrated that he said we were in the prophet's house in the morning then a group of people come to the prophet and they are naked, gird with a swords and all of them are from Modar so the prophet's face is changed and entered and went out the house then he ordered Belal to call to the prayer. He prayed then addressed and said "O you mankind, be pious to your Lord Who created you of one self........." to the end of the verse "Allah has been Ever-Watchful over you" (An-Nesa(Women(1)

They should improve the good aspects of their life and get rid of the bad aspects.

[illegible] unity and unification granted by Allah to them.

[illegible]

[illegible] social aspects.

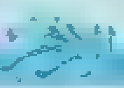
[illegible] and its night.

[illegible] one who lacks it.

[illegible] are preferred by Allah.

[illegible]

[illegible] give alms.

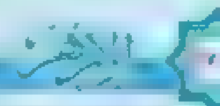



The donation (alms) in balance of Islam...!

By : The Honorable Sheikh Aly Abdul-Baqi

The Secretary General of The Islamic Researches Academy

[illegible]



When Islam came it did not want to cancel the Arabs' feasts lest to feel nostalgia to the pre-Islamic feasts and their old habits and pride that revive their fanaticism and tribalism. It substituted their feasts with two feasts that unify them by one slogan that has no boastfulness.

The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) presented to Medina and the Arabs two feasts in which they entertain themselves. He asked them what are these two days? They said: "These are two days in which we entertain ourselves in the pre-Islamic era. He said, " Allah substituted these two days with two better feasts: the feast and the Bairam.

By these two feasts, the feasts of the Arabs and Muslims become united. Islam cancelled the other feasts that were spread in countries and tribes. Islam guided us to celebrate these two feasts and made them a way for obeying Allah, benevolence in the society as well as spreading love and cooperation among the Muslims.

Allah let these feasts become occasions for satisfying Allah and helping the needy. Allah ordered the Muslims to start their day of both of the feasts with extra prayer called feast prayer to start the day with blessing and obeying and praising Allah for His Graces.

This prayer is performed by the Muslim boys and the women to be plenty in front of the enemies and to be strong. Allah ordered the Muslims to exalt and glorify Him at night and day secretly and overtly.

As for the society, Allah ordered that the Muslims expend money over the poor and the needy in a limited sum imposed on the individuals. This is called the charity of breakfast in the lesser feast and limited amount of sacrifice meat in the Bairam. Allah wants to show happiness and cheerfulness at the faces of our brothers, disregard slips and to help the needy Muslims not to let the joys of feasts limited to the rich and the others live in poverty and deprivation.

With these advices the feasts became social occasions in which the rich share the poor the joy in a modest atmosphere, predominated with altruism and the desires and hopes of the individuals as well as the welfare of the communities are carried out.

The occasions of feasts call for generosity in the souls of the individuals. It is preferable to exploit these chances in establishing successful projects. The Prophet (May the blessing and peace of Allah be upon him) called the Muslim women in the feast to participate in these projects and they obeyed him and carried out his wish.

They used to give charity by earrings, necklaces and rings till they collected at this day much money, which was spent over the need of the Islamic community. Al-Bukhary narrated that Abdul Rahman Ibn Abes said: "I heard that it was said to Ibn Al-Abbas: "Did you witness the feast with the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him)

He said, "Yes, and except for my young age, I would not have witnessed it".

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) came to the house of Kathir Ibn Al Salt and prayed. Then he delivered a speech and went to the women in the company of Belal to preach them. He asked them for giving charity and they donated their jewelry to Belal's clothes. Then, he went with Belal to his home.

Joy, cheerfulness and happiness are spiritual matters felt by the human soul and heart and appear on the lineaments of the face. In the feast, the people are used to visit the relatives, come out in the gardens and parks and hold ceremonies. These acts are governed by the legislation concerning allowance or prohibition.

Before we demonstrate the rule of these acts, we say that Islam set the celebration of two feasts in the year after the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) immigrated from Mecca to Medina.

The Hermain and An-Nesaay narrated in the right attribution that Anas Ibn Malek said, "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) went to Medina and the people had two days to entertain themselves. He said, "Allah (Glory be to Him) substituted these days with two better days: the lesser feast and the Bairam."

The meaning of this Hadith is understood, the entertainment is allowed in the feast either by games, swords or other tools to express joy and happiness. Anas' saying - to entertain you in it- is general and absolute without limitation of restriction.

It is mentioned in As Saheehayne a sentence that shows overtly that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) allowed the guineas to play in his house after mosque. Also he allowed his wife (Aisha) the Mother of the Believers to look at them. He told them by the means of encouragement "Here you are Banu Arfedah" (it is a nickname known by the Arabs for the guineas).

It seems that this did not appeal to Omar Ibn Al Khattab - may Allah be pleased with him - due to the strictness and power in defending the right known about him. He wanted to prevent them from this act, but the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) forbade him.

Al Bukhary and Muslim mentioned that Ibn Hurayrah - may Allah be pleased with them - said: "As the guineas were playing with their spears at the mosque of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), Omar entered and threw pebbles at them. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Let them, Omar".

Aisha the wife of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "I saw the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) hiding me with his clothes while I look at the guineas during their playing in the mosque.

It is demonstrated from the right Hadiths mentioned in this regard that our religion allows us to celebrate the lesser feast and the Bairam and express joy and cheerfulness by different means without committing sins. This is no [illegible] in any Book or the right Sunna as well as in the opinion of the Muslim scholars as that was not allowed in any era.

The meaning behind the above mentioned details is that the civilized nations and peoples celebrate their glories and remarkable deeds to improve social progress, intellectual development and excellence in the different aspects of life.

If this happens to the nations with social awareness and mental maturity, it is more appropriate that the Islamic people and the Arab nation treat this feast as a blessed occasion in which they contemplate at their religious and social life.

AL-AZHAR MAGAZINE

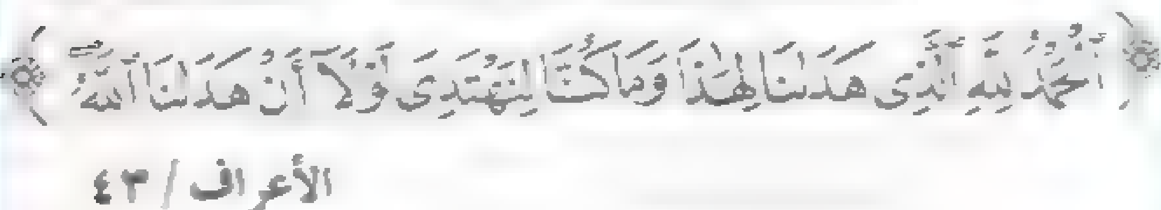
Shawwal, 1430



ENGLISH SECTION

October, 2009

In the name of Allah the Beneficent the Merciful



الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guide, unless Allah has guided us."

(Al-A'raf 43)

Editor: Dr. IBRAHIM Al-ASSIL

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Joys of the Feast...! (Afrahul- Eid)

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The faster has tow joys: one of them at breakfasting, the second when he meets Allah."

The Muslims from all over the sides of the wide Islamic world share the joy of feast. They share many aspects of joy in spite of the divergence of their homes, languages and cultures.

They take from one source and pass by one experiment in Ramadan. Then, they differ in some aspects in which they submit to their local environment and old heritage.

Feasts are occasions for joy, delight and innocent entertainment as well as an occasion for meeting, renovating cordiality and memories among relatives and friends.

The feasts are old human phenomena of which nature a human is fond, and they have no instinct. The monotony of life and sequence of work make life boring, and the mind and body must have time to relax. The life system should change to refresh the energy and harmonize the souls.

The feasts in the old nations were restricted to natural or military occasions. Then, these nations became affected by civilization and now have many occasions such as days to celebrate liberty, autonomy, science, art, childhood, maternity and other feasts that were affected by the civilization, from which each nation took its share.

The nations have diverse traditions in choosing the places of celebrating the feasts and their aspects. Some nations see that they should celebrate in temples and the mountains or in caves in valleys, while others see that they should celebrate in gardens and meadows. Some rich people like to celebrate on the board of their yachts or planes.

Also the aspects of celebrating differ according to the creed of some nations. The religious nations try not to come out of the instructions of religion in their entertainment, food and drinking.

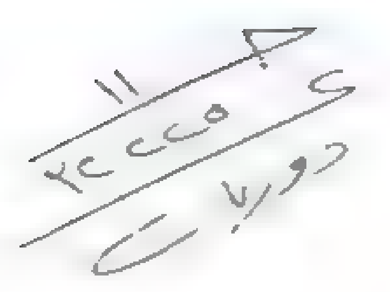
One of the Arabic feasts that are worth mentioning is what was taking place in Okaz market, which is similar to the modern science feast. The Arab tribes used to come to it in Zul Qe'da from many places reciting their poetry in these communities in a way that resembles contests nowadays. These contests had judges of experienced and skilled men of letters who were completely aware of the aspects of perfection and deficiency.

When the poets end reciting poetry, they judge them. Every tribe used to celebrate the winning poet by holding banquets. Also, the other tribes used to come to congratulate them for success in this literary contest.

- ● الافتتاحية: درس في التصوف للأزهر
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ١٥٥٢
- ● تفسير سورة النساء
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ١٥٥٦
- ● الإسلام دين التضامن
للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم .. ١٥٦٠
- ● زكاة المال حق لا إحسان
لفضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومي ١٥٦٣
- ● الموقف الإيماني بين الآخرة والأولى
للأستاذ محمد مصطفى البسيوني ١٥٦٨
- ● أكبر عوائق نجاح الحوار بين الحضارات
سياسة الكيل التي يمارسها الغرب ضد المجتمعات الإسلامية
للأستاذ ناجح مصطفى ١٥٧٤
- ● استفتاءات القراء
للأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية ١٥٨٠
- ● عام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان . ١٥٨٣
- ● الإمام الأعظم والأخلاق الإنسانية
للرئيس إمام علي رحمن - رئيس جمهورية طاجيكستان ... ١٥٨٤
- ● نظرة إلى موقف الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في علم الكلام
للأستاذ الدكتور سعيد أحمدوف ١٥٩٦
- ● مظهر المذهب الحنفي
لفضيلة الشيخ علي عبد الباقي شحاتة ١٦٠٦
- ● الإمام أبو حنيفة وعبقرية الفقيه
للأستاذ علي حشيش ١٦١٠
- ● حقيقة الجمعة الإسلام والتغيرات الدولية
لفضيلة الشيخ محمد الغزالي .. ١٦١٥
- ● العيد لمن
لفضيلة الشيخ الزين عبد الله ١٦٢٠
- ● قصة العدد من قصص القرآن
للدكتور ... ١٦٢٤
- ● من علماء الأزهر ...
للأستاذ الدكتور ... ١٦٢٨
- ● قيمة العمر في الإسلام
للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي ١٦٣٣
- ● طريق الأمة إبداع .. لا ابتداع
للمستشار حسن حسين منصور ١٦٣٨
- ● اليهود والقرآن يريدون أن يبدلوا كلام الله
للشيخ صبحي بكر علي عطية ١٦٤٢
- ● الدروز في سوريا
للأستاذ صلاح عبد الرحيم ١٦٤٧
- ● كتاب الشهر: الصهيونية والعنف
للأستاذ إبراهيم عوض ١٦٥٢
- ● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذين محمد جمعة - علا عبد الرحمن ١٦٥٨
- ● قصيدة العدد: قسوة الطفولة
للشاعر ... للأستاذ محمد علي ... ١٦٦٤
- ● الإيمان سبيل إلى الأمان
للأستاذ الدكتور محمود عمارة ١٦٦٦
- ● الأولاد في الأسرة
الشيخ السيد عروس السيد ١٦٧٢
- ● موقف .. وموقف
للشيخ عبد الحفيظ عبد الحميد ١٦٧٨
- ● بين السنة والقرآن
للأستاذ محمد ... ١٦٨١
- ● بناء مكتب شيخ الأزهر
للأستاذ ... ١٦٨٧
- ● أنباء مجمع البحوث الإسلامية
إعداد الأستاذين عبد الموجود أمين - يحيى سليمان . ١٦٩٣
- ● أنباء العالم الإسلامي
إعداد الأستاذين محمود العشري - أحمد رضوان .. ١٦٩٥
- ● القسم الإنجليزي
إشراف وإعداد د. إبراهيم ... ١٦٩٨



الأزهر
AZHAR
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من
ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا
2009







الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا مريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا مريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا امريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٢٨٥٩٩



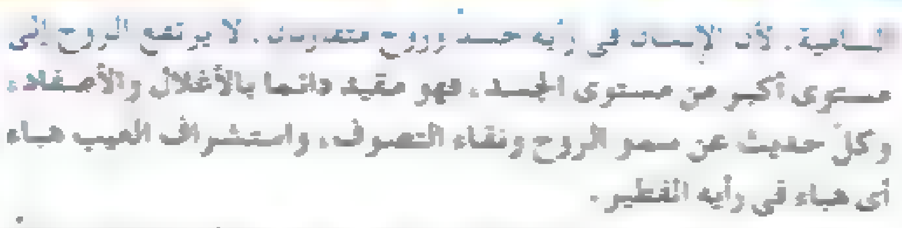
أخلاقيات العصر

شفافية الروح كما يراها العقاد : إشراقات صوفية

اتجه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ إلى الكتابة الإسلامية بعد أن جاوز الخمسين من عمره السعيد، أو بعبارة أخرى بعد أن هضم ما اطلع عليه من شتى الثقافات المعاصرة والغابرة، هضمًا تميز به، لأنه لم يكن يقرأ قراءة المتعجل القلق، ولكنه كان يتناول كل فكرة يقع عليها بالتعليل والتحليل، ومايزال بها حتى يتجلى له وجه الرأي في خطئها أو صحتها، فقد بلغ هذا الحد تحدث عنها حديث الدارس المفتش، وله في الحكم عليها بصيرة تمتد إلى أعمق الأعماق من مطوياتها الدفينة، لذلك كان قارئ العقاد ـ صغر أو كبر ـ يظفر دائمًا بالجديد من فكره، حيث لا ينقل الحقائق مجردة من تعليقه توضيحًا أو تأكيدًا، كما لا يترك الشبهات تمر دون تفنيد ملزم يتطاير بها في وجه الريح.

وقد تحدث العقاد ـ في مجالات شتى ـ عن سبحات الروح، وعن الخوارق التي ينكرها أنصاف المتعلمين، إنكارًا يعتمد على مغالاة مفرطة، كما أن هؤلاء يتباهون بهذا الإنكار، وكأنه مزية دالة على النبوغ العقلي، والترفع المتعالي عن معتقدات يرونها غير جديرة بسموهم العقلي، وتبرزهم الفكري، فيحسبون أنهم على شيء بهذا التعالي المتعاظم، مع أنهم لا يملكون معشار ما يملك العقاد من حجج وبراهين.

لقد حلا لأحدهم أن يتحدث عن قوة الروح الإنسانية لدى المتصوف العابد حديث الساخر الزاري، فهو ينكر ما تستعد له الروح الإنسانية من إلهامات صادقة إذا واصلت التفكير في ملكوت السموات والأرض، وإذا أخلصت لله عملًا وقولًا وعبادة، وإذا آثرت التحلي بخلائق الإسلام العالية من صبر وزهد وعطف ورحمة وعفاف، فترتفع بذلك النقاء الروحي إلى مستوى لا يسمو إليه من يرتكس في أوحال الشهوات، أجل ينكر هذا المتعالم كل هذه المعاني



السامية، لأن الإنسان في رأيه جسد وروح متعادلان، لا يرتفع الروح إلى مستوى أكبر من مستوى الجسد، فهو مقيد دائمًا بالأغلال والأصفاد، وكل حديث عن سمو الروح ونقاء التصوف، واستشراف الغيب هباء أي هباء في رأيه الفطير.



العقاد

هكذا ظن من ألف في هذا المجال، ثم أهدى كتابه للأستاذ العقاد ظانًا منه أنه سيجد التأييد المرحب به من الكاتب العملاق، وكانت الصدمة أليمة، حين ينظر العقاد إلى سبحات الروح وإشراقات النفس نظرة متسامية فيخطئ صاحب هذه الشطحات بما لا يستطيع معه الجدال.

من منطق العقاد

يقول العقاد فيما كتبه تعليقًا على كتاب «هذه هي الأغلال» بمجلة الرسالة ٢٨/١٠/١٩٤٦م:

«إن الملكات الجسدية ـ فضلًا عن الملكات العقلية والروحية ـ قابلة للسمو والمضاعفة إلى الحد الذي لا يخطر على بال ولا يصدقه إلا من شاهده، وقد رأينا ورأى معنا ألوف من أبناء هذا البلد رجلًا أكتع يستخدم أصابع قدمه في أشياء يعجز الكثيرون عن صنعها بأصابع اليدين، فهو يكتب بها ـ بأصابع قدمه ـ ويشعل عيدان الثقاب، ويصنع بها القهوة، ويصبها في الأقداح، ويشربها ويديرها على الحاضرين، ويسلك خيطًا في ثقب إبرة، ويخيط الثوب الممزق، ويوشك أن يصنع بالقدم كل ما يصنع باليد.

ورب من يقذف بالحربة على مسافات فتقع حيث يشاء، ورب من ينظر في آثار الأقدام فيخرج منها أثرًا واحدًا من عشرات، ولو تعدد وضعه بين المئات، ورب من يرمي بالأنشوطة في الحبل الطويل فيطوق بها عنق الإنسان أو الحيوان على مسافة أمتار، رأينا ذلك وما شك فيه أحد».

هذا بعض ما ذكره العقاد من قوة جسد، وأضيف أنا إليه ما شهدناه رأي العيان من قفز بعض الناس من الدور الخامس إلى الأرض، ومعاودة القفز مرات ظهرت على شاشة التليفزيون دون أن يصاب القافز بسوء، وما رأيناه من شاب قوي مسترسل الشعر يجر بشعره سيارة حافلة فتنقاد له وكأنه يسحب خروفًا صغيرًا!!! فهؤلاء جميعًا قد اتسعت قوة أجسامهم إلى ما يجاوز حد التصديق، لولا أن شاشة التليفزيون قد نطقت به!! فلماذا ينكر إذن على أصحاب الملكات الروحية أن تتسع قوة أرواحهم وبعدها خرافة لأنها تلقى في منطق هؤلاء ضائع الأشياء!

يقول العقاد: «ومما لا جدال فيه أن طاقة القوة الروحية كطاقة القوة البدنية، له حق كحق

المصارع. وحدثوا الناس في ... يثب من منكب إلى منكب. ونبت على حق حين يأخذ عليه أنه جار على جسده أو لذات عيشه!، وإذن فكل ما يقال عن معجزات الجسم يمكن أن يقال عن معجزات الروح.

والمغزى الناتج من هذه الحقائق أن للروح مجالات للسبق، حيث يستطيع صاحب هذه الملكات أن يرتقي إلى ما لا يرتقي إليه الأفراد العاديون. فإذا وجد من يبشر بما سيحدث، أو ينبئ بالمكنون المستتر، وقد شهد فيه الناس صفاء النفس وطهارة الروح فليس بمستحيل وجوده. كما لا يستحيل وجود من يعبر التجربة ... دون أن يشعر. ومن يقفز من الدور الخامس إلى الأرض دون أن يصاب.

الرؤيا الصادقة

يذكر العاديون أن يكون حلم صادق ينبئ عن غيب سيتحقق عن قريب، ويعدون تحقيق حلم من ... المصادفات البحتة التي لا صلة لها بشفافية الروح، وإشراق النفس. وقد كتب أحد الفضلاء خطابًا للأستاذ عباس محمود العقاد يحدثه عن إنسان رأى في نومه أنه سيتوفى يوم كذا، ثم جاء اليوم المحدد فمات به كما أنبأ من قبل، كما سأله عن إنسان آخر رأى في منامه أنه زار مكتبة عامرة لجاره. وقد شاهد عدة كتب معروفة الأسماء بها، وتصفح بعض صفحات من هذه الكتب. فلما استيقظ عمل على أن يزور جاره. فكانت المفاجأة أن يشاهد في اليقظة الواقعية كل ما شاهده في حلمه أثناء نومه. ويستفسر سائل الأستاذ العقاد عن رأيه فيما سجله الكاتب الكبير الأستاذ محمد توفيق دياب بمجلة الهلال حين ذكر أنه رأى حلمًا من أحلامه، ثم لم يمض يومان حتى تحقق كل ما جاء في حلمه بالتفصيل ... فهو يتحرى ما وجهه إلى الأستاذ العقاد من أسئلة تتعلق بصدق الرؤى وصحة الأحلام. فماذا قال العقاد ردًا على هذه الغرائب الواقعية؟

يقول الأستاذ العقاد بمجلة الرسالة الصادرة في ٥ / ١ / ١٩٤٨ :

شيء واحد يمكن أن يقال على سبيل التحقيق في الجواب عن هذه الأسئلة، وهو أن الجزم بنفي هذه الرؤيات على اعتبار أنها مستحيلة الوقوع قد يكون نفيًا باطلًا لا يعتمد على سند من العلم، ولا من البراهين المنطقية. فوقوع الأنباء على هذه الصورة ليس بمستحيل. ومن قال باستحالته وجب عليه أن يثبت لنا أنه على علم بأسباب الاتصال بين كل نفس ونفس. وكل مادة ومادة أو كل عقل وعقل في هذا العالم الذي نعيش فيه. ففي هذا الفضاء الشاسع أشعة من النور لا تراها العين، وهي مع ذلك تنفذ في المعادن الصلاب وتؤثر في الأحياء وغير الأحياء، وبعض هذه الأشعة يعرف بالآلات. وبعضها لا يعرف بغير التقدير والترجيح. وكلها لا تعيا شيئًا في بيان سبب التأثير الذي يقع من جرم على جرم في أجواز الفضاء الرحيب. فما هي قوة الجذب؟ وما هي قوة الدفع؟ وما هي قوة الإشعاع مثلًا؟ هل نعلم؟



وكل هذه سننه لا يقطع ... بحوث مفروغ منه متفق عليه، وهي مع ذلك ... عن النور أو عن المثل الأعلى للوضوح والظهور فيما تقع عليه الحس ويتمثل به العيان. فمن يزعم لنا أن أسباب الاتصال بين نفس ونفس أو بين عقل وعقل محدودة محصورة يمتنع كل ما عداها؛ فهو مدع بما ليس في علمه ولا في علم أحد من البشر. ويلزمه دليل ما يدعيه ولا دليل هناك.

إلى أن قال الأستاذ العقاد:

«فغاية ما ينتهي إليه اليقين في هذه المعضلة أن الاتصال بين العقول أو بين الأرواح غير مستحيل، ولكنه كذلك غير محتوم من الأمثلة التي تذكر في هذا السياق. فيجوز أن الرؤى التي أشار إليها الكاتب رسائل من روح إلى روح، أو من العقل المحيط إلى عقول الآحاد. ولكن الجزم لا تكفي فيه هذه الرؤى ولا تلك الروايات».

يا سارية الجبل

كتب العقاد كتابه الرائع «عبقرية عمر» وفيه تعرض إلى ندائه الشهير: «يا سارية الجبل»، فقال العقاد: (ص٢٤): «على أن المكاشفة أو الرؤية كما يسميها الصوفيون المحدثون إنما تظهر بأجلى وأعجب من هذا كثيرًا في قصة سارية المشهورة. وهي ما يلحقه هؤلاء الصوفيون بهبة ... أي الشعور ... فقد كان -رضي الله عنه- يخطب بالمدينة خطبة الجمعة، فالتفت من الخطبة ونادى: يا سارية بن حصن الجبل الجبل، ومن استرعى الذئب ظلم. فلم يفهم السامعون مراده، وقضى صلاته فسأله علي -رضي الله عنه- ما هذا الذي ناديت به؟ فقال: أو سمعته؟ قال: نعم، أنا وكل من بالمسجد. فقال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا، وإن جاوزوه هلكوا، فخرج مني هذا الكلام. وجاء البشير بعد شهر، فذكر أنهم سمعوا ذلك اليوم، وتلك الساعة صوتًا يشبه صوت عمر يقول: يا سارية بن حصن، الجبل، الجبل، فعدلنا إليه ففتح الله علينا».

يقول العقاد: «ولا داعي للجزم بنفي هذه القصة استنادًا إلى العقل، وإلى التجربة الشائعة. فإن العقل لا يمنعها، والعلماء النفسيون في عصرنا لا يتفقون على نفيها ونفي أمثالها، بل منهم من مارسوا التلباثي، وسجلوا مشاهداته وهم ملحدون لا يؤمنون بدين».

وقد كان قول العقاد مدعاة لتعليق من بعض المتكرسين، فانبرى العقاد للرد عليهم في مقال نشره بمجلة الرسالة ١٤ - ١٢ / ١٩٤٧ تحت عنوان «التلباثي» قال فيه، بعد أن علق أن حادثة سارية متكررة يحسبها الكثيرون، وضرب المثل بكاتب أمريكي هو أبتون سنكلير، رويت عنه تجارب مشابهة لا تناقض العقل لأنها تستند إلى الحس، قال الكاتب الكبير ببعض التصرف





اليسير:

بينما نرى كل يوم في العصر الحاضر أن صوتا يصدر من أمريكا أو اليابان. فيسمع في مصر كما يسمع فيها حديث الجلساء. ولولا المذياع لعددت من يزعم هذا لزعمه مخرفا يعبث بعقول سامعيه. فإذا جاز سماع صوت على هذه المسافات الشاسعة بجهاز من الأجهزة المصنوعة. فلماذا يمتنع على قوى الذهن أو قوى الشعور أن تحس على هذه المسافة. أو تتصل بنفس أخرى وذهن آخر متى تهيأت لها أسباب الاتصال؟

واستطرد العقاد يقول: إني لا أقول بجواز التلباثي معتمدا على العقل والقياس دون التجربة والمشاهدة. لأني جربت بعض الوقائع التي تقربني من تصديق التلباثي، وتنفي الغرابة عنه. أو تنفي استحالته على أيسر تقدير. يحدث مرات أن أذكر إنسانا بعد سهو طويل عنه. فإذا هو ماثل أمامي في اللحظة التي ذكرته فيها. ولو كان هذا الإنسان يعاودني التفكير فيه حينا بعد حين لقلت الغرابة في تذكره ولو بعد السهو الطويل. ولو كان مكان تذكرته فيه متصلا برفقته. أو بالمقابلات بيني وبينه. لقلت الغرابة كذلك في إثارة ذلك المكان لذكره. ولكنه لا يكون أحيانا ممن طالت الصحبة بيني وبينه. ولا يكون الموضع الذي ذكرته به موضعا تقابلنا فيه قبل ذلك، أو تحدثنا به يوما من الأيام.

ويحدث مرات أن يستولي [illegible] شديد تتخلله صورة إنسان عزيز يكرثني جدا أن يصاب بمكروه ويلح بي هذا الانقباض حتى كأنما الذي أخشاه قد وقع. أو هو مرهوب الوقوع. فأبادر بالكتابة إليه عن طريق البرق أو البريد. ويحدث في هذه الحالة أن يجيبني خطاب قبل وصول سؤالي إلى وجهته يدعو إلى الطمأنينة. أو يرد إلي الخطاب بعد قليل. وفيه إشارة إلى خطر زال.

فالذين يشعرون على البعد بمثل هذه القوة والوضوح قليلون. ولكن المسألة بعد مسألة فرق في القوة والوضوح. وليست فرقا في أساس الشعور بمثل الفرق بين من يشعر ومن لا يشعر. بين من يسمع ومن ليست له أذن للسمع. فالشعور على البعد جائز ما جازت الصلة بين الإنسان وموضوع شعوره. فقل أن نعلم الصلة بين نفسين يمكن أن نتخيل طويلا حتى نوقن من وجه الاستحالة والامتناع، ولن يكون هذا إلا ببرهان قاطع.

إن جولات العقاد في هذا النطاق الروحي تقدم الغذاء من تشوقت نفوسهم إلى نفحات الإلهام السماوي. ومن تصفو سرائرهم بالتقوى والفضيلة حتى يكونوا مثالا للإنسانية الملهمة، والصوفية الشفافة ذات السمو والارتقاء.

وللنفس أحوال تظل كأنها	تشاهدُ فيها كل غيب سيُشْهَد

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الآيتان: ١٧، ١٨)

والتوبة: هي الرجوع إلى الله - تعالى - وإلى تعاليم دينه بعد التقصير فيها مع الندم على هذا التقصير والعزم على عدم العودة إليه.

والمراد بها قبولها من العبد. فهي مصدر تاب عليه إذا قبل توبته.

والمراد من الجهالة في قوله:

﴿ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾

الجهل والسفه بارتكاب ما لا يليق بالعاقل، لا عدم العلم، لأن من لا يعلم لا يحتاج إلى التوبة.

قال مجاهد: كل من عصى الله عمدا أو خطأ فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته.

وقال قتادة: اجتمع أصحاب النبي ﷺ فرأوا أن كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره[1].

قال - تعالى - حكاية عن يوسف - عليه السلام -:

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (يوسف: ٣٣)

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٦٣.





وقال حكاية عن موسى -عليه السلام-:

﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

(البقرة: ٦٧)

وقال -سبحانه- مخاطبا نوحا -عليه السلام-:

﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

(هود: ٤٦)

ووجه تسمية العاصي جاهلا -وإن عصى عن علم- أنه لو استعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب لما عصى ربه، فلما لم يستعمل هذا العلم صار كأنه لا علم له. فسمى العاصي جاهلا لذلك، سواء ارتكب المعصية مع العلم بكونها معصية أم لا.

والمعنى: إنما قبول التوبة كائن أو مستقر على الله -تعالى- لعباده الذين يعملون السوء، ويقعون في المعاصي بجهالة أي يعملون السوء جاهلين سفهاء، لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة، لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل.

وصدر -سبحانه- الآية الكريمة «بإنما» الدالة على الحصر، للإشعار بأن هؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، هم الذين يقبل الله توبتهم، ويقيل عثرتهم.

وعبر -سبحانه- بلفظ «على» فقال:

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾

للدلالة على تحقق الثبوت، حتى لكأن قبول التوبة من هؤلاء الذين

﴿ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾

من الواجبات عليه، لأنه -سبحانه- قد وعد بقبول التوبة، وإذا وعد بشيء أنجزه، إذ الخلف ليس من صفاته -تعالى- بل هو محال في حقه -عز وجل-.

ولفظ ﴿ التَّوْبَةُ ﴾ مبتدأ. وقوله:

﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾

متعلق بمحذوف خبر. وقوله: ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف صفة للتوبة.

أى: إنما التوبة الكائنة على الله للذين يعملون السوء بجهالة.

وقوله: ﴿ بِجَهَالَةٍ ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ أى: يعملون السوء جاهلين سفهاء. أو متعلق بقوله: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ فتكون الباء للسببية أى: يعملون السوء بسبب الجهالة.

وقوله:

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾

أى: ثم يتوبون في زمن قريب من وقت عمل السوء، ولا يسترسلون في الشر استرسالا ويستمرئونه ويتعودون عليه بدون مبالاة بارتكابه.

ولا شك أنه متى جدد الإنسان توبته الصادقة في أعقاب ارتكابه للمعصية كان ذلك أرجى لقبولها عند الله -تعالى- وهذا ما يفيده ظاهر الآية، ومنهم من فسر قوله: ﴿ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ بما قبل حضور الموت. وإلى هذا المعنى ذهب صاحب الكشاف فقال: قوله: ﴿ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ أى: من زمان قريب، والزمان القريب: ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله تعالى:

﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾

فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة.

فبقى ما وراء ذلك في حكم القريب، وعن ابن عباس: قبل أن ينزل به سلطان الموت، وعن الضحاك: كل توبة قبل الموت فهى قريب، وفي الحديث الشريف: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» -أى ما لم تتردد الروح في الحلق[٢].

والذى نراه أن ما ذكره صاحب الكشاف وغيره من أن قوله: ﴿ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ معناه: من قبل حضور الموت، لا يتعارض مع الرأى القائل بأن قوله: ﴿ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ معناه: ثم يتوبون في وقت قريب من وقت عمل السوء، لأن ما ذكره صاحب الكشاف وغيره بيان للوقت الذى تجوز التوبة فيه ولا تنفع بعده، أما الرأى الثانى فهو بيان للزمن الذى يكون أرجى قبولا لها عند الله.

والعاقل من الناس هو الذى يبادر بالتوبة الصادقة عقب المعصية بلا تراخ، لأنه لا يدرى متى يفاجئه الموت، ولأن تأخيرها يؤدى إلى قسوة القلب، وضعف النفس، واستسلامها للأهواء والشهوات.

وقوله:

﴿ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

بيان للوعد الحسن الذي وعد الله به عباده الذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من قريب.

أى: فأولئك المتصفون بما ذكر، يقبل الله توبتهم، ويأخذ بيدهم إلى الهداية والتوفيق، ويطهر نفوسهم من أرجاس الذنوب، وكان الله عليما بأحوال عباده وبما هم عليه من ضعف، حكيما يضع الأمور في مواضعها حسبما تقتضيه مشيئته ورحمته بهم.

وقوله: ﴿ فَأُولَئِكَ ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ خبره.

وأشار إليهم بلفظ ﴿ أُولَئِكَ ﴾ للإيذان بسمو مرتبتهم، وعلو مكانتهم، وللتنبيه على استحضارهم باعتبار أوصافهم المتقدمة الدالة على خوفهم من خالقهم -عز وجل- وقوله:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها.

ثم بين -سبحانه- من لا تقبل توبتهم بعد بيانه لمن تقبل توبتهم فقال:

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾

أى: وليست التوبة مقبولة عند الله بالنسبة للذين يعملون السيئات، ويقترفون المعاصي، ويستمرون على ذلك

﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾

بأن شاهد الأحوال التى لا يمكن معها الرجوع إلى الدنيا، وانقطع منه حبل الرجاء في الحياة

﴿ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾

أى: قال في هذا الوقت الذى لا فائدة من التوبة فيه: إنى تبت الآن.

---

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٨١

وقوله:

﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾

أى: وليست التوبة مقبولة أيضا من الذين يموتون وهم على غير دين الإسلام.

فالآية الكريمة قد نفت قبول التوبة من فريقين من الناس.

أولهما: الذين يرتكبون السيئات صغيرها وكبيرها، ويستمرون على ذلك بدون توبة أو ندم حتى إذا حضرهم الموت، ورأوا أهواله، قال قائلهم: إني تبت الآن وقد كرر القرآن هذا المعنى فى كثير من آياته، ومن ذلك قوله -تعالى- :

﴿ [illegible] ﴾

(غافر: ٨٥)

وقال -تعالى- حكاية عن فرعون، :

﴿ [illegible] ﴾

(يونس: ٩١ - ٩٣)

وعدم قبول توبة هؤلاء فى هذا الوقت سببه أنهم نطقوا بها فى حالة الاضطرار لا فى حالة الاختيار، ولأنهم نطقوا بها فى غير وقت التكليف.

وثانيهما: الذين يموتون وهم على غير دين الإسلام، فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي ذر الغفارى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة عبده مالم يقع الحجاب، قيل: وما الحجاب؟ قال أن تموت النفس وهى مشركة».

وكثير من العلماء يرى أن المراد بالفريق الثانى: الكفار، لأن العطف يقتضى المغايرة.

ومنهم من يرى أن الفريق الأول شامل للكفار ولعصاة المؤمنين فيكون عطف قوله :

﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾

من باب عطف الخاص على العام لإفادة التأكيد.

و﴿ حَتَّىٰ ﴾ فى قوله:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ ﴾ حرف ابتداء، والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها أى ليست التوبة لقوم يعملون السيئات ويستمرون على ذلك فإذا حضر أحدهم الموت قال كيت وكيت.

وقوله

﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾

معطوف على الموصول قبله. أى ليس قبول التوبة لهؤلاء الذين يعملون السيئات ولا لهؤلاء الذين يموتون وهم كفار

ثم بين -سبحانه- سوء عاقبتهم فقال -تعالى

﴿ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

أى أولئك الذين تابوا فى غير وقت قبول التوبة هيأنا لهم عذابا مؤلما موجعا بسبب إنكاسهم فى المعاصى وابتعادهم عن الصراط المستقيم الذى يرضاه -سبحانه- لعباده

السنة

كفى بالمرء علما أن يخشى ربه

روى الإمام البخارى بسنده فى صحيحه عن حذيفة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول:

«إن رجلا حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لى حطبا كثيرا وأوقدوا فيه نارا، حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتحشت، فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا فاذروه فى اليم. ففعلوا، فجمعه الله فقال له: لم فعلت ذلك؟ - قال: من خشيتك - فغفر الله له».

اللغويات: أن رجلا حضره الموت المراد أن رجلا من بنى إسرائيل كان يسرف على نفسه، وكان نباشا، وكان يسيء الظن بعمله وأنه لم يفعل خيرا ولم يقدم خيرا.

● فلما يئس من الحياة: المراد حضره الموت.

● فامتحشت: المراد: فاحترقت.

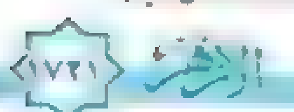
● فانظروا يوما راحا: المراد: شديد الريح.

الشرح والبيان

يصور رسول الله - ﷺ - لأمته حال رجل ممن كان قبلنا من بنى إسرائيل كان يسرف على نفسه، وكان يعمل بالنباشة، وكان يسيء الظن بعمله، ولم يقدم أو يدخر خيرا، فقال لأهله حين حضرته الوفاة - كما تفيد الروايات الأخرى - أى أب كنت لكم؟

قالوا: خير أب، قال: فإنى لم أعمل خيرا قط، فإذا مت فاسحقونى ثم ذرونى أى: دعونى، وفى رواية أخرى: ثم أذرونى من قوله: أذرت الريح الشيء: إذا فرقته بهبوبها.

وفى رواية: فى يوم عاصف أى عاصف ريحه، وفى رواية له قال نبيه



«هو الله لئن قدر الله عليّ» - أي: لئن قدر عليّ ربي - ليعذبني»... وإذا قيل: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟! فالجواب أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظنّ أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله.

وقوله: «لئن قدر الله عليّ»

معناه: ضيق، كقوله تعالى:

﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾

(سورة الطلاق: ٧)

ولعله قال ذلك من شدة جزعه وخوفه.. وأصحّ ما قيل في ذلك: أنه قال في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول، ولم يقله قاصداً حقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه.

فأمر الله الأرض فقال: «اجمعي ما فيك منه، ففعلت» وفي رواية: «فقال الله: كن، فكان كأسرع من طرفة العين».. وهذا إخبار عما سيقع له يوم القيامة، وليس كما قال بعضهم: إنه خاطب روحه، فإن ذلك لا يناسب قوله: «فجمعه الله»، لأن التحريق والتفريق إنما وقع على الجسد، وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث، وعند ذلك يسأله الله - عز وجل -: لم فعلت ذلك؟ فيقول: من خشيتك، أي: مخافتك «كما توضحه رواية أخرى»، فغفر الله له. خشيته يا... وفي رواية «فتلقاه رحمته».

فرحمة الله سبحانه أوسع من ذنوب عباده، والمهم عند الله إحساس العبد بذنبه، واستعظامه إياه وخشيته من عصيانه، بحيث يوقن أنه في قبضة غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول وأنه إذا أقبل عليه بذنوبه أسرع عليه برحمته وقبول توبته.

فمن الخير للإنسان أن يستحضر عظمة ربه وسلطان خالقه في عباداته ومعاملاته، فلا يخشى إلا ربّه، ولا يخاف إلا ذنبه، لا يقصّر في أداء طاعة، ولا يجترىء على فعل معصية، فإن فعل هذا أو ذاك شعر بالذنب يصدع جانبه، ويؤرّق مضجعه، وينغص عليه حياته، ويكدّر عليه عيشه، فيسرع بالتوبة، ويبادر بالاستغفار، ويتضرّع إلى الله في ذلة وانكسار رجاء العفو والغفران والنجاة من النيران.

وأعظم منه أن يعرف الإنسان ربّه حق معرفته وأن يقدره حق قدره، فيعبده حق عبادته، ويخلص له في الحب والطاعة، فيسارع إلى فعل الخيرات وألوان البر وصنوف القربات وهو يخاف ألا يقبل منه.

ولذلك لما نزلت الآيات الكريمة من سورة «المؤمنون»:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٥٧ - ٦٠)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟

قال - ﷺ -: «لا يا ابنة الصديق، هم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون ويخافون ألا يقبل منهم» ... قال تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

(سورة المؤمنون: الآية ٦١)

فهم قد سبقت لهم السعادة من الله قبل مسارعتهم في الخيرات.

هذا وأشد الناس خشية لله الأنبياء، لأن خشيتهم مقرونة بمعرفة الله - عز وجل - ولذلك قال رسول الله - ﷺ -: «إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية»، فالخشية أخصّ من الخوف، لأن الخوف لعامة المؤمنين، أما الخشية فهي للعلماء العارفين، ومن ثم جاء قوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

سورة فاطر: ٢٨

فعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية ويكون الخوف من الله - عز وجل - وفي هذا المعنى يقول رسول الله - ﷺ -: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»، وإن أعطى ذلك شيئاً فإنما يعطي أن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قوياً، وأن الخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً.. وقد امتدح الحق سبحانه الرسل بخشيتهم لله وحده دون سواه. قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾

(سورة الأحزاب: ٣٩)

ولكن الناس جميعا مأمورون بالتقوى والخشية، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾

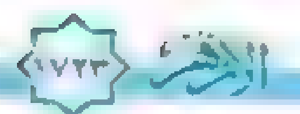
(سورة لقمان: ٣٣)

وقد أثنى الله - عز وجل - على أصحاب الخشية ثناء عاطرا، ثناء وعته الدنيا وخلده القرآن الكريم. قال تعالى

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾

(سورة الرعد: ٢١)

وكذلك فهم منهيّون عن خشية غير الله من المشركين والكافرين ومن على شاكلتهم من أعداء الإسلام والمسلمين، وفي ذلك يقول ربنا سبحانه:



﴿ [illegible] ﴾

(سورة النساء: ٧٧)

ويقول جل شأنه:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة المائدة: ٣)

هذا وإذا كانت الجمادات التي لا تعقل تخشى الله - عز وجل - وتخافه، أفلا ينبغي للعقلاء من أصحاب القلوب الصلبة والعقول المتحجرة - أن تخشع قلوبهم. قال تعالى في شأنهم:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة البقرة: ٧٤)

وقال:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة الحشر: ٢١)

هذا وقد أعد الله للخاشعين الثواب العظيم والأجر الكبير. قال تعالى:

﴿ وَأُزْلِفَتِ [illegible] ﴾

(سورة ق ٣١ - ٣٥)

وقال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

(سورة الملك: ١٢)

فمن خشي ربه وخاف عذابه وبكى من شدة الخشية والخوف حرم الله عينه على النار. روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله» فينبغي على المسلم أن يكون مع الله في كل من أقواله وأفعاله وأحواله، وأن يقول الحق وأن يجهر به، ولا يخاف في الله لومة لائم.

وروى ابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ - «لا يحقر أحدكم نفسه» قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله - عز وجل - له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى»... فمن ترك الحق أو حاد عنه برهن على أنه حقير عند الله الذي خلق ورزق وأعطى ومنع وأحيا وأمات، حقير في الوقت نفسه عند الناس لجبنه وميوعته وانحلال شخصيته، فأين الإيمان الذي يحمله على الطاعة والتخلق بأخلاق الرجولة.

وقد قال الحسن البصري رحمه الله: «الإيمان من خشي الله بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما أسخط الله»... هذا وقد قال مسروق رحمه الله «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله».

وقد أنشد الشاعر الحكيم:

خف الله وارجوه لكل عظيمة
ولا تطع النفس اللجوج فتندما
وكن بين هاتين من الخوف والرجا
وأبشر بعفو الله إن كنت مسلماً

وأنشد الآخر:

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً
وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

***

هذا والخشية تعود على أصحابها بالسعادة في الدنيا والآخرة، لأنها تجنب أصحابها الوقوع في المعاصي والآثام، وترشدهم إلى فعل الطاعات وألوان القربات التي تجلب حب الله والناس، وتؤمنهم يوم الفزع الأكبر

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩)

وكذلك فهي تقيهم عذاب النار وغضب الجبار، وتضمن لهم الفوز بالجنة والنعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

وقد ورد عن العباس العمي رحمه الله أنه قال: بلغني أن داود عليه السلام قال: سبحانك، تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من في السموات والأرض، فأقرب خلقك إليك أشدهم لك خشية، وما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يطع أمرك!!.

فاللهم ارزقنا قلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وجسداً على البلاء صابراً.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

[illegible]

(سورة [illegible] ٧٧)

[illegible]

[illegible]

(سورة المائدة: ٣)

هذا وإذا كانت الجمادات التى لا تعقل تخشى الله - عز وجل - وتخافه، أفلا ينبغى للعقلاء من أصحاب القلوب الغلفة والعقول المتحجرة - أن تخشع قلوبهم. قال تعالى فى شأنهم:

[illegible]

(البقرة: ٧٤)

وقال:

﴿ [illegible] وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾

(سورة الحشر: ٢١)

هذا وقد أعد الله للخاشعين الثواب العظيم والأجر الكبير. قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(سورة ق ٣١ - ٣٥)

وقال:

﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾

(سورة الملك: ١٢)

فمن خشى ربه وخاف عذابه وبكى من شدة خشيته والخوف حرم الله عينه على النار. روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله» فينبغى على المسلم أن يكون مع الله فى كل من أقواله وأفعاله وأحواله، وأن يقول الحق وأن يجهر به، ولا يخاف فى الله لومة لائم.

روى ابن ماجه عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ - «لا يحقر أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله - عز وجل - له يوم القيامة: ما منعك أن تقول فى كذا وكذا؟! فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياى كنت أحق أن تخشى»... فمن ترك الحق أو حاد عنه برهن على أنه حقير عند الله الذى خلق ورزق وأعطى ومنع وأحيا وأمات، حقير فى الوقت نفسه عند الناس لجبنه وميوعته وانحلال شخصيته، فأين الإيمان الذى يحمله على الطاعة والتخلق بأخلاق الرجولة.

وقد قال الحسن البصرى رحمه الله: «الإيمان من خشى الله بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما أسخط الله»... هذا وقد قال مسروق رحمه الله: «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعمله».

وقد أنشد الشاعر الحكيم:

خف الله وارجــوه لكل عظيــمــة
ولا تطع النفس اللجوج فتندمــا
وكن بين هاتين من الخوف والرجــا
وأبشر بعفو الله إن كنت مسلمــا

وأنشد الآخر:

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقاً
وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

هذا والخشيــة تعود على أصحابها بالسعادة فى الدنيا والآخرة، لأنها تجنب أصحابها الوقوع فى المعاصى والآثام، وترشدهم إلى فعل الطاعات وألوان القربات التى تجلب حب الله والناس، وتؤمنهم يوم الفزع الأكبر

﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ۝ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾

(سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩)

وكذلك فهى تقيهم عذاب النار وغضب الجبار، وتضمن لهم الفوز بالجنة والنعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول.. وقد ورد عن العباس العمى رحمه الله أنه قال: بلغنى أن داود عليه السلام قال: سبحانك، تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من فى السماوات والأرض، فأقرب خلقك إليك أشدهم لك خشية، وما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يطع أمرك؟!.

فاللهم ارزقنا قلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وجسداً على البلاء صابراً.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

***



هموم الأمة الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندي
عضو مجلس الأعلى للشئون الإسلامية

إذا نظرنا إلى خريطة العالم الإسلامي وجدناها مشتعلة في كل مكان.. قتال داخل العراق.

قتال في فلسطين ومحاولة تدمير المسجد الأقصى.. ومشكلة لم تشاكل ليس في إسرائيل وحدها بل المشكلة في الفلسطينيين أنفسهم.. فالصراع بين الفصيلين الرئيسيين فتح وحماس قضية السودان ومشكلة دارفور. ونسطر لآيات القرآن الكريم التي تبرز الإيمان والعمل الصالح فليس هناك إيمان بدون عمل صالح

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾

(مريم: ٩٦)

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(العصر: ٣)

ينبغي أن تسود هذه القيمة في الأمة الإسلامية قيمة الاهتمام بأمر المسلمين.

إن على كل منا أن يهتم بأمر نفسه، وأمر أسرته وأمر جماعته، وأمر أمته، كل هذا مهم، يقول رسول الله ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[1].

المشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية

● مشكلة التخلف الاقتصادي

فالتخلف الاقتصادي ينتشر داخل الأمة الإسلامية، فدخل الفرد في الأمة الإسلامية أقل دخل في العالم.. الطعام.. الشراب.. المسكن.. الملبس.. مع أن القرآن يحدثنا عن آدم فيقول:

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾

(طه: ١١٨ - ١١٩)

فهذه هي المقومات الأساسية للحياة الإنسانية.. التي بها تستقيم الحياة.. أما إذا كنا نعتمد على الآخرين فلن نملك قرارنا.. فمن لم يملك قوت نفسه لا يملك قراره.

وعيب كبير أن لا يكون بين دول الأمة اتحاد جمركي واحد.. حتى بين الكيانات الصغيرة مثل دول التعاون الخليجي.. دول المغرب العربي.

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط

● مشكلة [illegible] داخل المجتمعات الإسلامية

فداخل مجتمعاتنا عدد من المشغوفين بنشر الأفكار الغربية، فالغزو الفكري موجود بكثرة داخل المجتمعات الإسلامية.. تموج فيه التحزب والتشيع والتفرق.

● الأمية الدينية

فليس فقط أمية القراءة والكتابة، بل الأمية الدينية.. فالكل يتكلم باسم الدين ويفتي.. ولكن من يريد أن يتكلم في الإسلام فلابد أن يكون متخصصاً.. يقول ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2].

هذا في الدين، وكذلك الحال في كل تخصص من تخصصات الدنيا.. في الزراعة.. الصناعة.. التجارة.. الاقتصاد.

ومن ضمن الأمية الدينية فتاوى الفضائيات.. وتلبيس الفتوى نصوص غير صحيحة من الكتاب والسنة.. هذه الفتاوى تؤدي إلى البلبلة والتشويش.. فهذا الرجل الذي ظهر على إحدى الفضائيات ويشتم الإمام أبا حنيفة ويقول: إن أبا حنيفة جاهل، لأنه يقول في ضمن مذهبه: إن الفتاة البالغة يجوز لها عقد النكاح بدون ولي.

إن هذا التشدد الكبير الذي يفتي به البعض ويتمسك به البعض غلط كبير.. فالتشدد هذا يرفضه الإسلام ويضيق به، في الحديث الصحيح عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»[3] قالها ثلاثا. والمتنطعون هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.. فالمتنطعون هم المتشددون.

وعن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى»[4].

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[5]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها»[6].

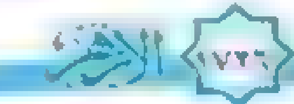
عن عائشة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[7]. فلا يجوز للإنسان أن يكفر آخر، فعن النبي ﷺ: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ما لم تكن فيه»[8].

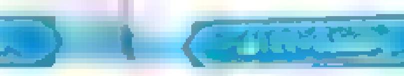
فمثلاً عبادة الوضوء للصلاة:

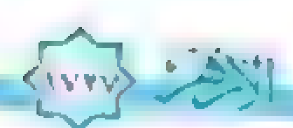
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

(المائدة: ٦)

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده
(٣) رواه مسلم في صحيحه
(٤) السنن الكبرى للبيهقي
(٥) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم
(٦) رواه البخاري في صحيحه
(٧) رواه مسلم في صحيحه
(٨) رواه البخاري في صحيحه







فالفروض هى: مسح الوجه - وغسل اليدين إلى المرافق - ومسح الرأس - وغسل القدمين إلى الكعبين - والباقى: سنن مثل الاستنشاق - والاستنثار - والتثليث.

نقض الوضوء فى مثل لمس النساء قضية خلافية فى غير الجماع.. وكلهم عن رسول الله ﷺ [illegible] . من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد. فالمحاولة أن يجتهد بشرط امتلاك أدوات الاجتهاد.

هذا الاجتهاد فى الدين للأسف قد توقف فأصبحنا نقلد ولا نجتهد.. وقد انسحب ذلك فى أمور الدنيا أيضاً فأصبحنا مستهلكين ومستوردين لكل شىء من الخارج.

قضية الاهتمام بالفروع وترك الأصول

نجد البعض يهتم بالسنن مثلاً ولا يهتم بالفروض.. مثل اللحية وتقصير الثياب وغيرها.. فاللحية سنة ولا عيب فى إطلاقها ولكن العيب كل العيب فى الاقتصار عليها دون الاهتمام بالفروض الأساسية. نريد أن نفهم الإسلام فهماً صحيحاً.

● [illegible]

فمنتهى البساطة نجد البعض يكفر الآخر، والفرق الكثيرة المنتشرة داخل الأمة.. الأشاعرة - الجهمية - السلف وغيرها.

الاختلاف فى الرأى لا ينبغى أن يؤدى إلى الخلاف

وللأسف الشديد فى عصرنا الحاضر يؤدى الاختلاف فى الرأى إلى الخلاف بيننا وقد يؤدى إلى الخصام والقتال.

مع أن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية. رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب. نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

فالاختلاف فى الرأى قضية صحيحة فهى سنة كونية

[illegible]

(هود: ١١٨)

بشرط ألا يؤدى إلى فساد ذات البين.

فالاختلاف فى السنن جائز لكن لا يوجد اختلاف فى الأصول الستة. فى الفقه يوجد ثمانية مذاهب فى القضية الواحدة. ولابد أن يستند هذا الاختلاف إلى دليل. فحق بلا دليل لا حق.

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ١١١)

● قضية العمل

عن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ قال: «إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[9].

أين هذا فيما نحن نراه اليوم؟؟ نحن نعتمد على الآخرين فى غذائنا.

● دعاة التحلل

بالإضافة إلى المتطرفين والمتشددين هناك المتحللين الذين أضروا بالدين وأفسدوه.

فمن المتحللين من يقول: إن الإعدام نوع من الوحشية. فأين [illegible] عن [illegible] حقوق الإنسان.

مع أن الفرد إذا علم أنه يقتل إذا قتل لفكر ألف مرة قبل أن يقدم على هذا الفعل.

ومن دعاة التحلل من يقول بإلغاء عدة الزوجة التى توفى عنها زوجها. فيقولون ليس هناك داع إلى أن تنتظر [illegible] لكى تتزوج حتى تنقضى عدتها. فالوسائل الحديثة مثل السونار تستطيع أن تكتشف إذا كانت المرأة حاملاً أم لا، ومن ثم تستطيع أن تتزوج إذا لم يكن هناك حمل دون أن تنتظر انقضاء العدة. ومن دعاة التحلل من يقول بالمساواة بين الذكر والأنثى فى الميراث.

نريد أن نفهم الإسلام الوسط.. الاعتدال والتوازن بين المتشددين والمتحللين.

﴿ [illegible] ﴾

(آل عمران: ١١٠)

الوسطية هى السير على الطريق المستقيم.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

(الفاتحة: ٦)

﴿ [illegible] ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

وبهذا المعنى الوسطية [illegible] هذه الوسطية تؤدى إلى أن تتحرى [illegible] على شكل [illegible] أن يتحرى على حرية التعبير.. عن حديثة [illegible] رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»[10]. وفى رواية: وإن أساءوا فاجتنبوا إساءتهم.

القيم التى ينبغى أن تسود فى الأمة

من هذه القيم فضيلة الصدق

هذه الفضيلة مفتقدة مع أنها من الأخلاق الأساسية للمسلم ففى الحديث قيل لرسول الله ﷺ: «أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: نعم. فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: نعم. فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: لا»[11].

الصدق - الأمانة والعمل قيم ينبغى أن تسود فى المجتمع.. وعكس هذه القيم أمراض اجتماعية خطيرة يعانى منها المجتمع.

نتمنى أن تنهض بأمتنا وذلك يكون بتربية المسلم.. نستعين بهذا الإنسان المسلم كما كان فى عهد رسول الله والسلف الصالح.. المسلم الذى كان عليه الجيل الأول - الإنسان المثقف القادم [illegible] . والقوة البشرية هى عماد النهضة.

---

(9) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

(10) رواه الترمذى فى سننه.

(11) رواه مالك فى الموطأ.

قصيدة العدد

من وراء القرون ما أشبه الليلة بالبارحة

هذه الأحداث تتوالى، والمصائب تتعاقب، والأمم الإسلامية تخوض كل يوم بحراً من اللهيب. فأين الأدب الذى يصف الأحداث، ويصور الواقع؟ وأين الشعر الذى يشحذ الهمم، ويستثير العزائم؟ وأين الأدباء والشعراء الذين يشعرون بشعور الأمة ويئنون لآلامها ويشاركون فى بناء مستقبلها؟

أما حركتكم أيها الشعراء نكبة فلسطين؟ أما هزت قرائحكم؟ أما هاجت عواطفكم؟ اقرأوا هذه الأبيات من قصيدة الأبيوردى فى استيلاء الفرنج على بيت المقدس فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة. ثم افتحوا «ديوان فلسطين» الذى ستؤلفونه من قصائدكم فى فلسطين بمعارضة هذه القصيدة، علّ قصائدكم تهز الأمة الغافلة فيخرج منها صلاح الدين جديد!

قال الأبيوردى المتوفى سنة ٥٠٧ هـ:

مزجنا دماءً بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراجم

وشرّ سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبّت نارها بالصوارم

فإيهاً بنى الإسلام! إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

أتهويمة فى ظلّ أمن وغبطة ... وعيش كنوّار الخميلة ناعم؟!

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم؟

وإخوانكم بالشام⁽¹⁾ يضحى مقيلهم ... ظهورَ المذاكى أو بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى ... توارى حياءً حسنها بالمعاصم

بحيث السيوف البيض محمرة الظبى ... وسمر العوالى داميات اللهاذم

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة ... تظل لها الولدان شيب القوادم

وتلك حروب من يغب عن غمارها ... ليسلم يقرع بعدها سن نادم

سللن بأيدى المسلمين قواضباً ... ستغمد منهم فى الطّلى والجماجم

يكاد لهن المستجن بطيبة ... ينادى بأعلى الصوت: يا آل هاشم!

أرى أمتى لا يشرعون إلى العدا ... رماحهم والدين واهى الدعائم

ويجتنبون النار خوفاً من العدا ... ولا يحسبون العار ضربة لازم

أترضى صناديد الأعاريب بالأذى ... وتغضى على ذل كماة الأعاجم

فليتهم إذ لم يذودوا حمية ... عن الدين ضنّوا غيرة بالمحارم

وإن زهدوا فى الأجر إذ حمس الوغى ... فهلا أتوه رغبة فى الغنائم

لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى ... فلا عطسوا إلا بأجدع راغم

دعوناكم والحرب ترنو ملحة ... إلينا بألحاظ النسور القشاعم

تراقب فينا غارة عربية ... تطيل عليها الروم عض الأباهم

* * * ... * * *

فإن أنتم لم تغضبوا عند هذه.... ... رمينا إلى أعدائنا بالجرائم

(١) الشام أو سورية ما بين حلب وحوران، وبادية العرب ... [illegible]

وقفة مع الذات.. في وقفة عرفات

لقد هممت بأن أجعل عنوان هذا الموضوع «وقفة مع النفس» ولكن القلم وهو المعبر عما يجيش في الصدر، ويجول في الفكر فضّل أن تكون الوقفة مع الذات وليست مع النفس لأن «الذات» تشير إلى كيان المرء المترابط والمتكامل بينما «النفس» تشير - على أهميتها في التكوين الإنساني - إلى عنصر واحد من عناصر الإنسان فتكون وقفة المرء مع ذاته ككل أولى وأجدى.

وفي «ساحة عرفات» المباركة يقف كل من وصلته دعوة من الله سبحانه لحضور هذا الموقف المشهود ومن هنا تهتف حناجر هؤلاء المدعوين بحمد داعيهم الكريم عز وجل «لبيك اللهم لبيك» بأصوات متزاحمة ولكنها متلاحمة متناغمة وهي مع هذا وذاك هاتفة هادئة. تجذبها من الأعماق حناجر عالية، وأعين باكية.

ولعل المولى عز وجل أراد بهذا الموقف تقريب الصورة المعبرية صورة يوم الحشر لكل من يصدق بالصور حتى يعتبر بالعبر، وأول عناصر هذه الصورة المعبرة أن يوم عرفات يوم محدد الزمان ومحدد المكان كيوم الحشر الذي هو اليوم «المعلوم»، كما أن البشر في عرفات قد خلعوا عنهم ما كانوا يكتسون به من مرتخص وعالٍ وسعوا إلى ربهم «بأكفان الإحرام» مفعمين بأحياء بين اليأس والرجاء.

وتراهم لا يشتغلون بمال ولا يفكرون في ولد شأنهم شأن الناس في الحشر حيث..

﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾

(عبس: ٣٤-٣٧)

ولا شك في أن كثيراً منهم قد استجاب لسنة أجداده من الحجيج الذين كان كل منهم يكتب وصيته قبل الشروع في الحج حيث لا يدري أهي رحلة برجعة أم بغير رجعة شأن المسلم المؤمن الذي لا يموت حتى يترك وصيته.

هي إذن صورة تقريبية ليوم الحشر أو هي وسيلة تعليمية تحت معشر معلمين يقرب بها الخلاق العظيم والسميع العليم سبحانه ما سيكون عليه اليوم الذي:

﴿ترجعون فيه إلى الله﴾

(البقرة: ٢٨١)

وكما أن الوسيلة التعليمية يتفاوت الطلاب إزاء استيعابها فمنهم الطالب الذي يرقبها يبصره وليس إلا فلا يفيد من الدرس شيئاً ومنهم الفطن الكيس الفطن الذي يتعمقها، ويتفكر فيها ويتبصر ويعي من إيحاءاتها ما لا يعي غيره إذ هو لا ينظر إليها فقط بل يعايشها ويحللها ويعللها حتى يتكشف له منها ما وراءها وتتكشف له دقائقه.

كذلك يحدث يوم عرفة إذ ينحدر أفراد هذا الحشد البشري في تفهم ما حوله وفي الاعتبار بما يحيط به من أرض صحراوية شاسعة، يتوسطها جبل عرفة «جبل الرحمة» حيث تنتشر عنده بعض الصخرات التي تسمى «الصخرات الكبار» وهي التي شرفت باعتلاء النبي ﷺ لها من فوق ناقته المباركة «القصواء» وهو يبلغ للمسلمين إلى يوم الدين رسالة ربهم سبحانه وتعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾

(المائدة: ٣)

إن بعض الوقوف يستشف ما وراء هذه الصورة الدنيوية من حقائق أخروية فتزيده معرفة إلى معرفة، ويقيناً إلى يقين ويستوعب الدرس فيشمر عن ساعد الجد كمن يقف ويشحذ همته، ويضاعف جده واجتهاده في الامتثال لأوامر صاحب هذا الموقف المهيب ونواهيه ويحسم أمره أن يعيد حسابه مع الله، ومع الناس بل ومع نفسه.

حقاً إنه لم يرفث ولم يفسق طيلة قضاء مناسكه التي «شرفه» الله بها بل «كلفه» بها ولكن هل يكفي هذا لكي يعود من حجه كيوم ولدته أمه؟ إن بين الرفث والفسوق خيوط رفيعة قام بها ولم يعرفها عنه الناس ولكنه هو الذي يعرفها تماما ثم لا تخفى على من يعلم السر وأخفى. فقد آن الأوان أن يجدد العهد ويتذكر الوعد.

ذلك هو موقف الحاج أمام الذات في عرفات، حديث الداخل إلى الداخل، وهو ما يسمى في علم النفس بالاستبطان[1] إنه وحده الذي يستبطن ذاته ويعرف خباياها بين حناياها وهو عندما يفيق سيوقن أنه ليس وحده الذي يعرف هذا الباطن وإنما يعرفه - من قبل ومن بعد - علام الغيوب الذي يعلم عنه علم اليقين كل شيء منذ أن كان في ظهر آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة التي:

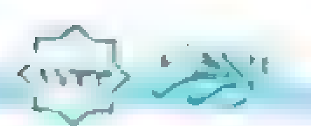
﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾

(الأعراف: ١٨٧)

فوقفة الحاج مع ذاته وهو في رحاب عرفات ينبغي أن تكون هي أساس هذا الموقف الرباني المقدس حيث يحاسب نفسه بنفسه في هذا الحشر الأصغر قبل أن يحاسب يوم الحشر الأكبر، وإلا فمتى يحاسب نفسه؟

إن من الحجاج من يعود من رحلته ليقول للناس إنه لا ينسى الفندق الراقي الذي نزل به بجوار الحرم وكان يطل من شرفاته «من فوق» بكعبه

(١) العملية التي بها تشاهد الذات ما يجري في الداخل من شعوريات بقصد وصفها لا تقويمها.



ومنهم من يعني بجولته في المزارات بالسيرة «الكيفة»، ومنهم من يتباهى «بشطارته» على تجار الحرمين حيث اشترى الهدايا بأرخص الأسعار.

ومنهم من الجانب الآخر من يعبر عن مشقة هذه الرحلة وأزمة الزحام التي تعرض لها، والمشاق التي عاناها!!

ولا نظن أن كلاً من الفريقين قد أدى الفريضة كما ينبغي لأن أياً منهما لم يتحدث عن نورانية هذه الفريضة وما انعكس عليه منها من اعتزاز للحق واعتبار للخلق وتصحيح للنية وتهذيب للمشاعر، وارتقاء بالسلوك، حتى يعود المرء إنساناً آخر أهلاً للغفران والقبول.

وكان جديراً بهؤلاء إذا انقلبوا إلى أهليهم أن يكونوا خير سفراء لمشهد عرفات وأن يقولوا للناس عندما يسألونهم: كيف كنتم؟ فيجيبونهم «عدنا من الحشر الأصغر استعداداً للحشر الأكبر إن شاء الله».

عندئذ تزحف مشاعر عرفات القدسية بين من رأى ومن سمع وهكذا تتحقق الفكرة الحقيقية أن الحج مؤتمر إسلامي كوني لا ينتهي بانتهاء طواف الوداع ولكنه يعيش في وجدان المسلمين جيلاً بعد جيل شحنة خلاقة ورابطة خفاقة تحلق في السماء هاتفة أن في ظلالي:

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وإذا أردنا أن نصطنع القياس في هذا السياق فإننا نقول إن محمداً ﷺ يقول في الصيام «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش»(٢).

وهكذا نرى أن رب حاج ليس له من حجه إلا المشقة أو النزهة.

وإن قيل عنها صلاة مودع فما أحرى أن تكون الحجة حجة حج مودع.

ومن هنا وجب أن يوجه هذا الحديث الإيماني الخاص من القلب في قلب كل من وجهت إليه دعوة ليلبي إلى أداء فريضة الحج التي جعلها الحق سبحانه وتعالى الأمر الأخير لأركان الإسلام الخمسة التي يتقدمها ركن التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» كما وجب أن يتم هذا الحديث قد سعى إلى حجاج الناس وجوه الله لتتبدل بعد الإحرام والعطاء حول هذه الرحلة الطاهرة المباركة التي يمنح الحق سبحانه منحة لاستضافة من رضي عنهم فسخرها لهم، وسخرهم لها حتى يضعهم في دائرة الابتلاء بالتكليف والابتلاء بالتشريف جميعاً إلا من تشريف ما هو في موضع الابتلاء.

ولو وقر في نفس «الحاج» معنى توجهه في رحلته إلى الله وحده لاشتد به الأمر، ولعمر كيفه الجد ولاسيما عندما ينسى المال والولد والقريب والبعيد ويستشعر في أعماقه أنه لولا دعوة المولى عز وجل له لما وطئت قدمه هذه الأرض المقدسة، ومن هنا يستجيب في إذعان محب لدعوة مالك الملك هاتفاً من أعماقه: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وذلك نسب سلبية فقد حجيج في يوم عن محمد ﷺ وهو يلقن أمته دروس الحج وآدابه وذلك في حجته الشريفة والمعروفة بتسميتها «حجة الوداع» بينما هي في الواقع حجة الاتباع من بعد عنه إلى ما شاء الله.

ويتأمل معاني الحمد والنعمة، حيث الحمد سبب لكل شيء، فهو ليس حمداً على النعمة فقط ولكنه على كل ما نعمه وما لا نعلمه من المولى سبحانه وتعالى.

ومن فضل الحق عز وجل أن يشرك بقية المسلمين في ثواب هذه الشعيرة المقدسة فيسن للمسلمين الذين لم يتح لهم أداء الفريضة أن يصوموا يوم عرفة حتى يستشعروا نعمة هذا اليوم الموعود ويصحبون هذا الموقف فيعودون ويشاركون الحجيج على عرفات هذا الاستشعار، وهذا الابتهال فيدعون لهم بالقبول ويدعون لأنفسهم أن يكرمهم الله بهذا الإكرام في قابل الأعوام.

ومن هنا يقول نبي الإسلام ﷺ: «صوم يوم عرفة كفارة للسنة الماضية والسنة المستقبلة»(٣).

وحسب يوم عرفة عزاً وشرفاً وقدسية أنه اليوم الذي يباهي به الله فيه ملائكته بهؤلاء الأطهار الذين قصدوا الحق وحده لا شريك له يقفون شعثاً غبراً غرباء عن الأهل والولد مستأنسين به سبحانه وحده، ولعل الحق عز وجل يذكر ملائكته في ذلك اليوم بخلق آدم، وكيف ظنوا - على قدر علمهم - أن هذا المخلوق البشري يخشى أن يفسد هو وذريته في الأرض بينما هم يسبحون بحمده ويقدسون له.

ها هو ذا علام الغيوب جل وعلا يذكر ملائكته بمخاوفهم تلك وبأنه سبحانه يعلم ما لا يعلمون إذ إنهم يشاهدون في ساحة عرفات من ذرية هذا الخليفة الآدمي من جاءوا من أرجاء الأرض يسبحون بحمد ربهم ويقدسون له في هذا الحشد الحاشد والمشهد المشهود.

إنه سبحانه يباهي ملائكته بعلمه المطلق، وعزته التي لا تدانيها عزة، وجلاله الذي لا يرقى إليه جلال، ويتوج المولى عز وجل حديثه إلى ملائكته في مشهد عرفات مشيراً إلى هؤلاء الشعث الغبر الواقفين المتهللين الداعين الضارعين: «أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم».

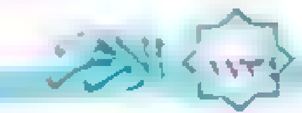
فهل وقرت هذه المعاني الجليلة في أعماق كل من هؤلاء الوقوف حول الصخرات الكبار التي اعتلاها النبي ﷺ من فوق ناقته «القصواء»، وهو يخطب الأمة قاصيها ودانيها، حاضرها وغائبها إلى يوم القيامة؟ هل وقر في أعماق كل منهم أن يتمثلوا محمداً ﷺ وهو يخطب أجدادهم فهل سمعوه وهم بعد لم يزالوا في ظهورهم، وأنه يخاطبهم هم في هذا الموقف العظيم بعد أن خرجوا من ظهور الأجداد إلى عالم الأشهاد، وهل وعوا أن كلامه ﷺ في خطبته تلك ملزم لهم جيلاً بعد جيل، فعرفات هو عرفات، ومحمد هو محمد، وكلامه هو كلامه، والشعائر هي الشعائر لا دخل فيها لما تعبر هو البشر نفسه

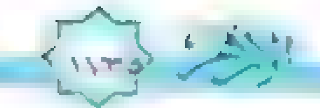
﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾

(الروم: ٤)

(٢) أخرجه ... عن أبي هريرة - الجامع الصغير.

(٣) الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد - الجامع الصغير.





خطبة الجمعة

تأملات فى مناسك الحج

إعداد فضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فإن الحج هو الركن الخامس فى أركان الإسلام الخمسة، وقد فترض الله هذا الركن على عباده فقال جل شأنه

(آل عمران: ٩٧)

ونحن نسوق أفعال الحج كما وردت مع الحكمة التى اتصلت بها وشرعت من أجلها، ليعلم من يجهل ما فى الحج من منافع دينية ودنيوية، وأن هذه المناسك ليست أمورا غامضة، ولا أفعالاً مبهمة.

الحج -أساساً- سفر صالح، ورحلة إلى الأماكن التى درج فيها الأنبياء، وانبعث منها الوحى، وكانت مشرقاً للإسلام، ومجتمعاً أول لسلف الصالحين.

والإسلام يجتهد فى تحويل الإيمان من صورة عقلية تسكن الرأس إلى معان عاطفية تعمر القلب، وتشيث بالفؤاد، وينفعل الإنسان بها، ويحيا طول عمره وفقها.

والإسلام عندما شرع مناسك الحج أراد أن يحول -فعلا- الإيمان من معان نظرية درست فى الكتب، وتلقاها الناس حقائق مقررة إلى معان عاطفية تربط الإنسان بنشأة الإسلام ونشأة المكافحين من أجل ظهوره. تجعل الإنسان يرتبط بالمواطن الأولى للوحى، وبسير الدعاة والرعاة الذين حملوا هذه الأمانات، وعاشوا بها، وعاشوا من أجلها، حتى قدموها للناس ناضجة مستوية.

هذه هى رحلة الحج، أو حكمة الحج.

والله -عز وجل- أراد أن يجعل المؤمنين -على اختلاف الزمان والمكان- يرتبطون بالدين الذى اعتنقوه -وهو دين التوحيد- ويريد أن يكلف القادرين منهم على أن يجيئوا للأماكن التى بدأت فيها معالم دينه تظهر كى يرتبطوا نفسيا بها

ولنأخذ المعانى معنى معنى.

إن الرسالة الإسلامية، وإن بعثة محمد ﷺ كانت استجابة لدعوة جده إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما الصلاة والسلام- وهما يرفعان القواعد من البيت

(البقرة: ١٢٧-١٢٩)

ولقد بعث فينا رسولاً منا إجابة لدعوة الجد الأكبر إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

أفليس من حق الأبناء والأتباع أن يجيئوا إلى هذا المكان كى يذكروا كيف انبعثت رسالتهم منه، وكيف كان نبيهم الخليل ﷺ استجابة لدعوة قيلت وجدرانه ترتفع وقواعده تمهد؟

ثم هذا البيت هو أول مسجد بنى على ظهر الأرض لتوحيد الله، بنى على أنقاض الوثنية التى حاربها إبراهيم طول عمره، بنى ليكون علما للتوحيد وراية للإيمان الخالص المنزه.

أليس من حق هذا المسجد الأول أن يتبعه -بعد ذلك- كل مسجد ينشأ على ظهر الأرض؟ وأن يقف الركع السجود بساحات المساجد التى تنشأ بعد ذلك فيولوا وجوههم شطره ويصلوا ناحيته؟

إن تكريم المسجد الأول شيء عادى، وهذا سر قوله جل شأنه:

(البقرة: ١٤٩، ١٥٠)

إن هذه الأسباب هى التى تجعل المسلمين يرسلون وفودهم كل عام ليذهبوا إلى المسجد الأول، إلى الكعبة المشرفة:

(المائدة: ٩٧)

ومن مراسم تحيته أن يطوفوا به سبعا، هذا الطواف سن فيه للطائفين أن يشغلوا أوقاتهم خلال كل طواف -وكل طواف من سبعة أشواط- بتسبيح الله وتحميده وتمجيده وتوقيره ودعائه

والطلب منه والتضرع إليه، والطواف صلاة، يبدأ من مكان جعل الإسلام بداية هذا المكان الحجر الأسود، والحجر الأسود حجر عادى، لنفرض جدلاً أنه نزل من أحد «النيازك» الملتهبة التى سقطت على الأرض، لنفرض أنه جاء من السماء، لنفرض ما نفرضه، إنه حجر لا يضر ولا ينفع ومن ظن أن الكعبة تضر أو تنفع، أو أن حجرا فيها يضر أو ينفع فهو إنسان جهول، لأن الله جل شأنه علمنا أن الضار النافع، الخافض الرافع، المعطى المانع هو جل شأنه.

الطواف صلاة، لسان المرء فيها يلهج بذكر الله وشكره.

وإذا كان بعض المغفلين يزعم أن تقبيل الحجر الأسود نوع من الوثنية فليكن تقبيل الملوك والرؤساء لأعلام دولهم نوعا أيضاً من الوثنية ومن عبادة الأقمشة!! من قال هذا؟! إذا كان الأمر لا يعدو إلا ترجمة لمشاعر الولاء لله فليس فى هذا شىء، ونحن فى هذا نلتزم ما ورد.

ثم بعد الطواف يسعى المسلمون بين الصفا والمروة، والسعى بين الصفا والمروة رمز لأمر يحتاج المسلمون إليه احتياجا شديدا، فإن المعلوم من تاريخ النبوات أن أبا الأنبياء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ جاء بامرأته هاجر، وأنه تركها وابنها الرضيع إسماعيل فى هذا المكان، وكان صحراء مجدبة لا أمارة فيها على عمران، ولا دلالة فيها على حياة، وكان التصرف بهذه الطريقة تصرفا مستغربا حتى إن المرأة قالت لرجلها وهو يولى تاركاً إياها: أين تذهب؟ ولكنه ما استطاع أن يجيب، ليس لديه شىء يقوله، إن الله أوحى إليه أن يفعل هذا، وهو ينفذ أمر الله ولا يدرى الحكمة، فلما ألحت عليه ولم يجب قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا!!

كانت كرجلها امرأة مؤمنة صادقة، ولكن مشاعر الأمومة هزتها عندما وجدت ابنها يتلوى، يحتاج إلى الماء، فذهبت تجرى يمينا ويسارا سبعة أشواط فى هذا المكان بين الصفا والمروة حتى شاء الله أن يفجر لها الملك نبع زمزم تشرب منه[1].

ماذا نفهم من هذا؟

نفهم من هذا أن الإنسان عندما يعتمد على ربه فإنه يعتمد على مصدر القوى ومنبع الخير وسائق الفضل، وأن الإنسان إذا صدق إيمانه ربا توكله، وازدادت بالله ثقته، وضعفت علاقاته بالماديات، وليس معنى ضعف علاقاته بالماديات أن يستكين أو يتواكل، لا، إن المرأة قامت تجرى هنا وهناك حتى يسّر الله لها آخر الأمر ما تحتاج إليه.

هذا هو المقصود من الحج، ونرى أن هذا هو القصد عندما تستقرىء الآيات التى تتحدث عن الحج، ولنبدأ من قوله تعالى:

﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير [illegible] يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ﴾ (البقرة: ١٩٧)

الله واسع الغنى، ما يكلفه العطاء جهداً، إنها كلمة من حرفين «كن»، فلو أراد أن يجعل [illegible] تحت أقدامك ذهبا وفضة لفعل، إن شئت لا يعييه ولا يتعبه، ولذلك يقول للبشر: [illegible] فقراء ومحتاجون، لكن أنا غنى واسع وكريم.

﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾

(البقرة: ١٩٨)

ويقول:

﴿ [illegible] ﴾

(الحج: ٣٤)

ذكر الله هو الأساس فى هذه المناسك كلها، يتحول المعنى الصامت المستكن فى الضمير إلى هتاف عال، ولذلك يسن أن الحجاج يصيحون بالتلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»[2].

وفى الحديث: «ما من ملب يلبى إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا عن يمينه وشماله»[3] كأن كل شىء يتحول إلى كون يسبح بحمد الله ويذكره.

إن الحج ليس رحلة ميتة، إن ناساً يذهبون إلى الحج الآن ثم يعودون مكتفين بأن حملوا لقبا!!.

***

ألا فلتستيقظ أمتنا ولتزد واجبها نحو كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ.

«اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر»[4].

﴿ [illegible] ﴾

(الحشر: ١٠)

1- قصة مهاجرة إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وأمه هاجر إلى أرض مكة [illegible] رواها البخارى فى الأنبياء ـ باب [illegible] فى [illegible] ٤/١٧٢، ١٧٣.

2- [illegible] الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك رواه البخارى فى الحج ـ باب التلبية ٢/١٧٠ ومسلم فى الحج ـ باب التلبية وصفتها ووقتها ٧/٤.

3- قال فى الجامع الصغير: رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم ورمز لصحته [illegible] وفيه إسماعيل بن عياش وبقية رجاله موثقون ٥/١٩٧.

4- رواه مسلم فى الذكر ـ باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨/٨١.

الاختلاط وضرورة الاحتياط

يقول الله عز وجل:

(النور: ٥٨، ٥٩)

تمهيد

كانت المعركة مستمرة بيني وبين قريبي رحمه الله: والذي كان من أمره الدفاع عن الاختلاط في الابتدائي بين الذكور والإناث .. حيث لا خوف من التحرش الجنسي .. وكنت دائما أنازعه محاولا له فيما ذهب إليه .. [illegible] قد يجر إلى الخطر .. حين يختلط الذكر بالأنثى في فصل الدراسة.

وكان مما كنت أرتكز عليه وألجأ إليه: هاتان الآيتان الكريمتان: ومعناهما: نداء من الله عز وجل إلى المؤمنين خاصة أن يحافظوا على عهد الإيمان الوثيق.. بالالتزام بما يظل به قائما:

وإنما خص المؤمنون من الرجال بسبب يحسب له.. لا عليه وهو: أن أمر النساء مبني على الستر.. وربما نقول: لأن النساء جاهزات للامتثال.. أما الرجال فإن ترددهن على الأوامر محتمل.. فلذلك خصهم سبحانه بالخطاب:

ولقصة هي [illegible]

من ضرورة الوقاية حذر المعصية:

فلابد من أن يستأذن الرجل والمرأة على [illegible] .. «قال ابن عباس رضي الله عنهما: [illegible] رسول الله ﷺ بعث غلاما من الأنصار إلى عمر ليدعوه .. [illegible] فدفع [illegible] .. فلم يستيقظ .. فعاد ورد الباب .. وقام من خلفه .. وحركه فلم يستيقظ .. فقال الغلام: [illegible] فاستيقظ وجلس .. ودخل الغلام .. [illegible] من عمر شيء؟! وعرف عمر أن الغلام رأى ذلك منه .. فقال: وددت أن الله نهى [illegible] يدخلوا علينا في هذه الساعات [illegible] فنزلت الآيات مانعة من مداهمة البيوت [illegible] في أوقات معينة هي:

١ - من قبل صلاة الفجر .. لأنه وقت [illegible] من المضاجع وطرح ثياب النوم.

٢ - وحين الظهيرة .. وهي [illegible] .. وما فيها من [illegible] ..

٣ - وحين النوم

[illegible] الخدرة .. والتخلص من [illegible] .

ويعني ذلك: التحفظ حتى لا تبدو العورات للعبيد والصبيان .. من الذكور والنساء معا، لأن ذلك مما ينسجم مع طبيعة الإنسان الذي يكره اطلاع أحد على أحواله الخاصة ذكرا كان أم أنثى.. بل إن كراهة اطلاع النساء على العورات أشد وأقوى.

والقرآن في ذلك الإجراء الوقائي حكيم:

لأن رؤية العورة يظل محفورا في ذهن الصغير الذي يكبر يوما فيحاول تنفيذ رأي الشيطان فيما رآه في صغره؟!!!

ونلاحظ أنه عز وجل فيما يتعلق بمن بلغ الحلم وصار مراهقا.. يختتم الآية بقوله تعالى:

فيضيف الآيات إليه سبحانه تحريضا على أهمية الالتزام.. وليس كما ذكر في الآية قبلها

وهي ختام آية: من لم يبلغوا الحلم.

وإذا ذكر المفسرون أسبابا أخرى لنزول الآية الكريمة.. فإن ذلك دال على أن الآية الكريمة نزلت لتعطي حاجة عامة أو كما نقول نحن: فكانت تلبية لإرادة شعبية كان من رحمة الله تعالى تلبيتها.

المهم: أن الإنسان قد يعدل أو يتراجع عما اعتقده يوما.. لكن يبقى أمر المقتدين به وهو ما قصدنا إليه بهذه العجالة مؤكدين لهم: أن الموافقة على «الاختلاط» قد تكون مجاملة للآخرين.. وقد تكون فرارا من الوصف بالرجعية.. والرغبة في

الانثى «بالتقدمية».

ولقد كان من تدبير الله تعالى أن يجيء رد هذا الرأى مقول واحد ممن تحاول تقليدهم.. ليبقى الكتاب مهيمنا على «الكتاب» كله.. وبالتالى لتتراجع الفئة ممن يسمون أنفسهم «بالتقدميين»... فى وقت تجيء الشهادة من هؤلاء الذين كنا نتخذهم قبلة لنا: وفى هذا المعنى نقرأ ما جاء فى مجلة «الرابطة» العدد ٥٠٨:

> خاضت قبل عدة سنوات مديرة مدرسة متوسطة فى ولاية ألاسكا بالولايات المتحدة الأمريكية تجربة إنشاء صفوف قائمة على مبدأ الفصل بين الجنسين ووضعهم فى فصول غير مختلطة. قالت المديرة: لقد استمدت تجربتها من مقالات وأبحاث ليونارد ساكس Leonard Sax وآخرين واقتناعها بأن رؤية ساكس سوف تساعد أقلية الطلاب الذكور على تحسين مستواهم التحصيلى المتدنى.

فى العام ٢٠٠٣ طلبت مانسيل Man-sell مديرة مدرسة فولى Foley من كل هيئة التدريس قراءة كتاب «الأولاد والبنات يتعلمون بطرق مختلفة» Boys & Girls Learn Differently لمؤلفه مايكل فوريان Michael Gurian وفى العام التالى دعت ساكس Sax فألقى محاضرة أمام كامل هيئة التدريس شرح فيها الاختلافات الفطرية بين الأولاد والبنات وكيفية تدريسهم. كما أنها وجهت دعوت بكافة أولياء الأمور لاجتماع تستعرض فيه فضائل التعليم العام غير المختلط وسرعان ما حصدت ثمار جهودها، إذ انتشرت بعد لحظة تسمية أربعة فصول غير مختلطة فصلين لتعلم اللغة والرياضيات للأولاد ومثلهما للبنات.

سجل ثلث التلاميذ خلال العام الأول برنامج فولى بمدرسة غير مختلطة وفى العام التالى سجل ثلث التلاميذ. أما فى العام الثالث فقد سجل ٨١٪ من الآباء البرنامج للاطلاع عليه وجاء فى تقرير المديرة مانسيل عن فصولها غير المختلطة أن لها مشاكل نظامية قليلة، وأنها وجدت دعما ومساندة أكبر من الآباء كما أحرز تلاميذها وتلميذاتها درجات أفضل فى مواد التعبير والقراءة والرياضيات وكان ساكس دائما ما يشيد بتجربة فولى حيث يعتبرها نموذجا لما يطرحه.

ليونارد ساكس هو طبيب نفسانى أصبح خبيرا فى دعوة ترقية التعليم العام اللامختلط وهو يحكى فى كتبه وأحاديثه عن قصص لأطفال ذكور - بخاصة - ممن كانوا قد يئسوا فى حياتهم أثناء دراستهم فى فصول مختلطة ثم تمكنوا من إحراز التقدم والنجاح فى الفصول الأحادية الجنس غير المختلطة. وكثيرا ما يدعم كتبه بمخططات ورسوم بيانية ويستعين بأبحاث العلوم الأخرى ذات الصلة، أورد ساكس استنتاجات عالم سويدى بعد بحث أجراه على ستة وتسعين بالغا. فاكتشف أن الذكور والإناث لديهم ردود فعل عاطفية وإدراكية متباينة لأنواع الضوء المختلفة.

كما أشار لبعض الدراسات الأخرى التى تظهر أن الأولاد يرسمون بطريقة تختلف عن البنات فذكر أن مجموعة من العلماء اليابانيين وجدوا أن رسوم البنات تحاكى حياة البشر الساكنة والحيوانات الأليفة أو الزهور وهن يستعملن فى ذلك عشرة ألوان أو أكثر ويفضلن الألوان الموحية بالدفء كالأحمر والأخضر والبنفسج) واللبنى. فى حين أن الأولاد الذكور لتعبير رسوماتهم عن الحركة ويستعملون ستة ألوان أو أقل وهى فى معظمها ألوان هادئة التدرج مثل: الرمادى والأزرق والفضى والأسود. ولعل هذا الاختلاف الظاهر يدفع - عند المقارنة - ببعض المدرسين والمدرسات للثناء على الأعمال الفنية للبنات فينتج عن ذلك شعور الأولاد الذكور بأن رسومهم خاطئة.

كان ساكس كثيرا ما يردد فى بداية أمره أنه غير مؤهل بدرجة مذهلة لقيادة حركة التعليم العام غير المختلط لأسباب من أهمها أنه لم يسبق له أن مارس مهنة التدريس قط. أما الآن فقد هجر تلك المقولة بل وعلى العكس بدأ يكرر بإصرار أن أى هيئة تدريس فى أى مدرسة مختلطة تحتاج منه لأربع عشرة ساعة تدريبية فقط موزعة على يومين لتصبح بعدها تلك الهيئة مؤهلة للانتقال إلى نظام التعليم غير المختلط. وهو يعد من المؤمنين الصادقين بجدوى التعليم العام اللامختلط.

روى ساكس تجربة تحوله وتزعمه لهذه الحركة فذكر أنه فى العام ٢٠٠٠ كان يعالج طفلا له اثنتا عشرة سنة ظل لسنوات عديدة منعزلا ومنطويا على نفسه ومفتقدا روح المرح والحماسة، ولم تتحسن حالته مع تناول مختلف الأنواع من الأدوية، وفجأة بدأ وضعه يتحسن بصورة لافتة، وعندما استوضح والديه عن الأمر عزيا ذلك لفكرة تسجيل ابنهما فى مدرسة صبيان غير مختلطة، بالطبع لم يتمالك الطبيب النفسى نفسه وقال لوالدة الطفل: مع كامل احترامى إلا أننى أعتقد أن فكرة التعليم غير المختلط بقايا معتقدات بالية منذ العصر الفكتورى. فردت عليه الأم: مع كامل احترامى يا دكتور أعتقد أنه ليس لديك أدنى فكرة عما تتحدث عنه.

كان من آثار هذه المواجهة أن بدأ الدكتور ساكس زيارة عدة مدارس غير مختلطة وانهمك فى دراسة الفروقات العصبية ما بين الإناث والذكور. فقادته تلك الدراسة أخيرا إلى التركيز على كيفية حماية الأطفال مما سماه «أعراض فشل الانطلاق» عند الذكور وهو ما يعنى به ظاهرة اهتمام الأطفال بألعاب الفيديو والأتارى والبلاى استيشن وما شاكلها أكثر من اهتمامهم بتحسين أدائهم فى دراستهم أو «خروجهم فى موعد مع فتاة»! فكان من ضمن مقترحاته فى ذلك

الوقت لتخطى تلك الظاهرة أن يسجل الأولاد الذكور فى المرحلة الابتدائية عند سن السادسة ـ أى بعد البنات بسنة ـ لعل ذلك يخفف عندهم شعور الإحساس بعدم الكفاءة المدرسية Sense of Scholastic In- competence الذى يعانيه الكثير من الأولاد الذكور عند بدايات الدراسة لأن تطور نموهم النفسى يأتى متأخراً عن البنات. غير أن أصدقاء ساكس سريعاً ما أقنعوه بالعدول عن تلك الدعوة لأن غالبية الأسر الأمريكية سوف لن تقبل فكرة تأخير تسجيل أبنائهم الذكور فى المدارس، عندئذ خطر له أن «من الأفضل وضع الأولاد والبنات فى فصول مختلفة»! وهكذا بدأ ليونارد ساكس حملته الرسمية فى أوائل العام ٢٠٠٢ داعياً إلى التعليم العام غير المختلط حيث كون «الجمعية الوطنية للتعليم العام غير المختلط».

يقسم مناصرو التعليم العام غير المختلط إلى معسكرين. فقسم يفضل فصل الإناث عن الذكور لأن بينهم اختلافات خلقية فطرية. والقسم الآخر يرى الفصل بين الجنسين لأن لكل جنس تجارب وحاجات اجتماعية مختلفة.

يمثل ليونارد ساكس معسكر الاختلافات الفطرية ويجادل بأن تعليم الأولاد والبنات كلا على حده له أسباب بيولوجية. فمثلاً إن سمع الأولاد ليس فى قوة سمع البنات مما يعنى احتياج المدرس ليرفع صوته كيما يسمعه الصبيان. أيضاً نجد أن النظام البصرى عند الأولاد أفضل فى متابعة ورؤية الحركة، بينما البنات يتفوقن على الصبيان فى رؤية وإدراك تدرج الألوان.

تحدث ساكس مرة فى محاضرة له بإحدى مدارس البنات شارحاً نظريته أن سمع البنات أفضل كثيراً من الأولاد وكذلك حاسة الشم لديهن، وبعد فترة وصلته رسالة من إحدى الفتيات شكرته فيها على مجيئه لمدرستها وذكرت أنها شمت رائحة فى غرفتها ولم يستطع والدها أن يشمها عندما أخبرته بذلك بل يبدو أنه اتهمها بالتخيلات والأوهام فكادت أن تجن، وكانت نهاية سعيدة بالنسبة لها عند اكتشاف فأر ميت فى غرفة.

وبناء على تلك الفروقات بين الجنسين، أصدر مناصرو التعليم العام غير المختلط توجيهات نصحوا بمراعاتها أثناء تدريس التلاميذ الذكور، فقد ثبت أن الاختلافات فى البصر والسمع والجهاز العصبى كلها تؤثر فى الكيفية التى ينبغى أن يتعلم بها الذكور. فعند تدريس الذكور يستحسن توظيف طاقة الطفل والاستفادة منها، فبدلا من الاكتفاء برفع الأيدى يطلب إليهم القيام عند الإجابة إذ إن هذا مبنى على النظام العصبى الذى يعتمد بدوره على الصوت وارتفاع النبرة. أما مع البنات فينبغى التركيز على علاقتهن بمحتوى الدرس، وعلاقتهن ببعضهن البعض الآخر، وعلاقتهن بالمدرس.

كما يستحسن ترتيب الكراسى بشكل دائرى لأن ذلك يتيح لكل فتاة مشاركة زميلاتها شيئاً من حياتها الخاصة مما له صلة بمحتوى الدرس. «وبما لأن المناجاة والأحاديث الجانبية أقرب لطبيعة الإناث» (مترجم)

وبعض من التجارب الناجحة ما قام به ستيفن رايت فى العام ٢٠٠١ حين تولى إدارة مدرسة ابتدائية مختلطة فاشلة فى سياتل، فلاحظ أنه كان يفصل ثلاثة طلاب ذكور مقابل كل طالبة واحدة وذلك لأتفه الأسباب كأن تزعم إحدى الطالبات أن أحدهم ضربها أو تجشأ طالب أثناء الدرس أو حتى أخرج ريحا! (مع العلم أنه على المستوى القومى على صعيد الولايات المتحدة فإن معدل فصل الأولاد هو ضعف الطالبات). فاجتمع بهيئة التدريس واقترح عليهم أن يقوم كل مدرس بتدريس فصل أحادى الجنس غير مختلط. فارتفعت نسبة نجاح التلاميذ الذكور فى الصف الأول من ١٠٪ إلى ٣٥٪ فى مادة الرياضيات، ومن ١٠٪ إلى ٥٣٪ فى مادتى القراءة والتعبير. وقد نسب ستيفن رايت هذا النجاح لبصيرة الباحثين ذوى العقول النيرة مثل ساكس وإلى سمة الجانب الشخصى الذى أعطى التلاميذ شعوراً إيجابياً بأنفسهم كطلاب وهو الجانب الذى تسهل مخاطبته والتعامل معه فى نظام التعليم الأحادى الجنس أى النظام غير المختلط. أيضا تعتبر مدرسة الفتيات الرائدات فى هارلم هى مسقط رأس حركة المدرسة العامة غير المختلطة. فقد احتلت هذه المدرسة تلك المكانة السامقة بسبب بدايتها المبكرة فى تطبيق النظام. فمنذ إنشائها فى العام ١٩٩٦ وجدت كل طالبة تخرجت فيها فرصة القبول فى إحدى كليات التعليم العالى.

اختمرت فكرة المدرسة غير المختلطة فى عقل السيدة آن تش Ann Tisch مراسلة شبكة NBC الإخبارية عندما كانت تجرى مقابلة مع طالبة عمرها خمس عشرة سنة فى إحدى المدارس الثانوية العامة. كانت تلك المدرسة قد افتتحت لتوها قسماً للحضانة حتى تتمكن الأمهات المراهقات (غير المتزوجات) من العودة للدراسة ومواصلة تعليمهن. فسألت السيدة تش الأم الصغيرة: «أين تجدين نفسك بعد خمس سنوات؟» فلم تحر الأم المراهقة إجابة وأجهشت بالبكاء. فقالت تش: «ساعتها قلت لنفسى إنها قد تورطت وهى تعرف ذلك، إن مأساتها أثرت على ثلاثة أجيال: فهى قد جنت على أمها وعلى نفسها وعلى طفلها. نحن نحتاج أن نضع هؤلاء الصغار فى مسار مختلف تماماً، كالمسار الذى تحظى به الفتيات الثريات وفتيات المدارس الأهلية وفتيات المدارس الدينية اليهودية أعتقد أن ذلك سيحدث اختلافاً»

وعلى كل فقد ظل موضوع الفصل بين التلاميذ والتلميذات فى المدارس الشغل

الشاغل للتعليم الخاص والتعليم المحلي في الولايات المتحدة الأمريكية، غير أن الفكرة الآن اكتسبت قوة دفع أكبر في المدارس الأمريكية العامة لرغبة الآباء في توفير مزيد من الخيارات في التعليم العام لأبنائهم واستجابة لما دار من لغط عن أزمات التعليم المختلط التي خاضها الأولاد والبنات وذاعت أخبارها.

أطلت أزمة البنات أول الأمر في فترة التسعينيات من القرن الماضي عندما أصدرت الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات كتيباً عنوانه «ظلم البنات هو ظلم أمريكا» وصفن فيه كيف أن احترام الذات يهبط بشدة عند البنات أثناء فترة البلوغ وكيف تثبط همتهن بطريقة تصعب ملاحظتها عند أدائهن في مادتي الرياضيات والعلوم، أما أزمة الأولاد فتظهر في تخلف معدلات تخرجهم في المدارس الثانوية والكليات عن زميلاتهم البنات مما حدا بالكثيرين إلى الزعم بأن المدارس صممت بواسطة الإناث لتواكب مقدرات البنات. (أو كما عبر عنه ساكس بقوله: إن الأولاد تقوم بتدريسهم نساء ناعمات الصوت يسببن لهم الملل).

ويبدو أن الأمر قد حقق نجاحا ملموسا إذ أصدرت شعبة التعليم الاتحادية نظماً سهلت للولايات والمناطق فتح مدارسها وفصولها غير المختلطة الخاصة. وذكر ساكس أن عدد المدارس الأحادية الجنس كان اثنين فقط في كل الولايات المتحدة الأمريكية في العام ١٩٩٥ أما الآن فقد قفز العدد إلى أكثر من ثلاثمائة وستين مدرسة فصولها إما للأولاد فقط أو للبنات منتشرة في طول البلاد وعرضها. ويتوقع ساكس فتح المزيد من مثل هذه المدارس خلال العام ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

نحن.. اليوم

لم ندرك بالضبط واجبنا إزاء هذا الكتاب الذي أكرمنا الله تعالى به: فهو يأمر الآباء بضرورة استنقاذ الصغار.. فرارا من مشاهد قد يدركونها عرضا فتؤثر في مستقبلهم.. ولقد تسينا هذا التوجيه القرآني.. بل إن بعض الآباء قد يستصحبون صغارهم ليناموا معهم في غرف نومهم.. غير مدركين خطورة ما يحدث لهؤلاء الصغار.. من حيث لا يحتسبون

فقد يباشر الأب مهمته مع أم الصغير.. الذي قد يتظاهر بالنوم.. ولكنه يرى ويسمع مالا ينبغي أن يراه أو يسمعه؟؟؟!! ثم يترسب ذلك كله في وعيه.. حتى إذا شب عن الطوق.. يبحث عمن يفعل معها ما رآه وما سمعه!!!؟

والآباء يجهلون.. وقد ينكرون على أبنائهم المراهقين ما يفعلون.. والحال أن الآباء أنفسهم هم الذين مهدوا لهذا المنكر.. بسوء تصرفهم.. وتجاهلهم توجيهات القرآن الذي حذر وأنذر.. ولكنهم لم يشعروا.. فلم يستجيبوا.. فكان الانحراف!!

الأسرة.. والأبناء

الأسرة هي مدرسة الحياة الأولى، التي فيها يتلقى الأبناء العادات والتقاليد، وفي ظلها تتفرع أخلاقهم، وفي أحضانها تنمو عواطفهم. لذا أحاطها الإسلام بعناية فائقة، وأرسى الإسلام للأسرة أسس الحق والخير، ووضع لها معالم الطريق بين الحقوق والواجبات.

وكما عني الإسلام بالأبناء منذ طفولتهم إلى شبابهم، وحتى نهاية مرحلة الحياة، ووجه الآباء إلى رعايتهم، وحسن معاملتهم وتنشئتهم، فإنه عني بالوصية بالآباء، وأداء ما يجب نحوهم من رعاية رد لبعض الفضل الذي لهم على أبنائهم، وعرفان لهم بالجميل.

وتلك الحقوق والواجبات، تدور في حلقة متصلة من سلسلة الحياة، فأبناء اليوم هم آباء الغد وآباء اليوم كانوا أبناء الأمس. أما ناحية حقوق الأبناء، فلها جانبان:

الأول: جانب العطف والرحمة، وللعطف على الأبناء أثر بالغ في تنشئتهم، وتفتح مداركهم، شريطة ألا يفضي إلى التدليل المفرط، الذي يؤثر على سلوكهم الجاد في الحياة.

وعدم الرحمة والعطف على الأبناء ومعاملتهم بالقسوة والغلظة، أو تعرضهم للجفوة من الآباء، يعرضهم إلى إظلام نفوسهم، وإطفاء شعلة الذكاء في عقولهم، ويغريهم بالعقوق والتمرد، وربما بالعدوانية والفساد،

ومن أجل ذلك يؤكد الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- الوصية بالأبناء، والعطف معهم والرحمة بهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ يقبل ولده الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «من لا يرحم لا يرحم».

وأما الجانب الثاني: فهو إحسان أدبهم وتنشئتهم النشأة الصالحة، التي تقوم على أسس الدين الصحيحة، بعيداً عن الترهات والأباطيل، بعيداً عن الخرافات والأساطير. فلا يملأ الآباء رؤوس أبنائهم بالخرافات، بغية تسليتهم، أو تهدئتهم في بعض الأحيان، كما ينبغي في جانب التربية ملاحظة التسوية بين الأبناء ذكورا وإناثا، فلا يفضل الذكر على الأنثى، ولا يفضل بعض الأبناء على بعض، ولا بعض الإناث على بعض، فإن في مثل هذه الحالات رد فعل سيء،

يؤثر في علاقات الأبناء بعد ذلك، بعضهم مع بعض، ويعوق وشائج الرحم والرحمة، ويزرع في نفوسهم الحقد والضغينة.

ومن أهم ما يجب على الآباء أن يحرصوا عليه، هو: أن يسود جو الهدوء والسكن والمودة في الأسرة، بحيث لا يتطاير شجار بين الأبوين، أو الأخوة الكبار، فيؤثر ذلك على سلوك الصغار، ويجعلهم في جو عائم متوتر، وألا يختلط الأبناء بذوي السلوك السيء، أو العادات المرذولة من أقرانهم، لأنه يؤثر على سلوكهم، وتنتقل عدوى الخلق السيء من الآخرين إليهم.

فقد جاء في الحديث: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير».

ومن أهم ما ينبغي ملاحظته، هو: لزوم الآباء لأبنائهم، ومراقبتهم لسلوكهم وتصرفاتهم، ليوجهوهم أولا بأول.. وألا يترك الآباء أبناءهم [illegible] تيارات وافدة، يكون مآلهم معها إلى الضياع.

وألا يعتمدوا على المدرسة وحدها في توجيههم، وألا يتركوهم إلى الخدم ويهملوا شئونهم، فلقد جاء في الحديث الأمر بلزوم الأبناء وحسن أدبهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

تلك هي مسئولية الآباء وواجباتهم تجاه الأبناء، وتلك هي حقوق الأبناء على آبائهم، وهي تأتي في مقدمة الحقوق الأخرى الحسية والمادية، من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وحلاقه بل إنها ألزم وآكد منها، لأن بتلك الآداب والتربية، تقوم النفس وتصلح الروح.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الآباء [illegible] على [illegible] النفس وعلى ما [illegible] التي [illegible] من [illegible] قد يكون [illegible]

يقول الإمام علي رضي الله عنه [illegible] الآباء [illegible] الأدب [illegible] والإخوة [illegible] حقوق الآباء على أبنائهم

أما حقوق الآباء على أبنائهم [illegible] لا يحتاجون إلى من يعرفهم بمكانة الوالدين، وما يجب نحوهم من البر [illegible] ما يجب [illegible] من تعب ومشقة. [illegible] على وهن، وما قاسين في سبيلهم من الحمل كرها والوضع كرها، والسهر على مصالحهم، وبذل الراحة والسعادة في سبيل راحة الأبناء وسعادتهم.

إنها التضحية [illegible] لا نظير له في دنيا الناس.

[illegible] الإسلام في الوصية بالوالدين [illegible] الإحسان [illegible]

وقرن الله تعالى [illegible] الشكر له بالشكر للوالدين.

وذكر القرآن الكريم الأبناء بمرحلة مهمة، تعتبر فرصة لرد بعض الجميل، وتلك الفرصة إن أفلتت أفلت الخير كله، وهي عندما يبلغ الآباء الكبر،

[illegible] وصايا القرآن في هذا الصدد، موضحة ومؤكدة ما يجب للآباء من البر بجميع صنوفه، من القول الكريم، والتعطف، والتواضع، والرحمة الواعية، ثم بعد ذلك كل ما يمكن [illegible]

يقرر القرآن حقيقة واقعة لا مجال لجحودها وإنكارها وهي: أن الإنسان مهما بذل وضحى فإنه لن يستطيع أن يفي [illegible] حقهم، وعندئذ يكل الأمر إلى الله داعيا ربه مرددا من قلبه وفيه.

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[illegible] الوالدين يعتبر من أعظم الجهاد، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال له الرسول ﷺ: «أحي والداك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد».

وجاء رجل فسأله: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» ومعنى الصلاة عليهما: الدعاء لهما.

[illegible] الأبناء لفضل آبائهم عقوق من أكبر الكبائر، وجريمة من أشد الجرائم.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبي أخذ مالي، فقال النبي ﷺ للرجل: «فأتني بأبيك»، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه. فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: ما بال ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال: سله يا رسول الله: هل أنفقه إلا على إحدى عماته، أو خالاته، أو على نفسي؟ فقال له رسول الله ﷺ: إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك. فقال الشيخ: والله يا رسول الله مازال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا، لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذناي، قال: قل وأنا أسمع، قال: قلت:

غذوتك مولودا وعلتك يافعا
تعل بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت
لسقمك إلا ساهرا أتململ

كأني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دوني فعيني تهمل

تخاف الردى نفسي عليك وإنها
لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التي
إليها مدى ما كنت فيه أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة
كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي
فعلت كما الجار المصاقب يفعل

فأوليتني حق الجوار ولم تكن
علي بمال دون مالك تبخل

فقال الرسول ﷺ للولد:

«أنت ومالك لأبيك».

إن حقوق الآباء في أعناق أبنائهم واجبة الأداء، ولا يمكن للأبناء أن يفوا آباءهم حقهم مهما فعلوا وبذلوا، ومهما ضحوا وقدموا.

الأدب مع الخلق (٢)

آداب الاستئذان في دخول بيوت الآخرين

اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بأدب الإنسان مع الخلق، بدءا من دائرة الأسرة الأقرب التصاقا بالفرد، وتدرجا في المراتب إلى مرتبة الأدب العام مع الناس جميعا، ووضع لكل دائرة آدابها، ولكل مرتبة آدابها، ولكل حال من أحوال الإنسان في حياته آدابها.. وهكذا..

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة ترشدنا إلى الآداب التي ينبغي على الإنسان مراعاتها عند التعامل مع الخلق، كما حفلت السُّنة النبوية بالأحاديث الشريفة التي وجهت الإنسان إلى التحلي بتلك الآداب، التي تحمل المتمسك بها على الفضيلة والنقاء والطهر وحسن الخلق، وتجعله موضع احترام في مجتمعه، يحتل مكانة عالية ومنزلة سامية..

يقول الله -تعالى-:

﴿[illegible]﴾

(النور: ٢٧ - ٢٩)

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات، أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزل قوله -تعالى-:

﴿[illegible]﴾

فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام، ليس فيها ساكن، فأنزل الله تعالى:

﴿[illegible]﴾

تضمنت الآيات الكريمة آداب الاستئذان في دخول بيوت الآخرين، وتنقسم هذه البيوت إلى ثلاثة أنواع:

١- بيوت مسكونة من أصحابها

٢- بيوت خالية من سكانها لأسباب خاصة بهم

٣- بيوت معدة للمنفعة العامة

١- فأما البيوت الأولى -وهي المسكونة من أصحابها- فقد نهت الآية الكريمة نهيا صريحا عن دخولها إلا بعد الإذن من أصحابها بدخول القادم عليها

﴿[illegible]﴾

أي: يا من آمنتم بالله -تعالى- حق الإيمان، لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها والتي هي مسكونة لسواكم حتى تعلموا أن صاحب البيت قد أذن لكم بالدخول ورضيت نفسه بذلك، وتسلموا السلام الشرعي على أهل هذه البيوت الساكنين فيها عند الدخول.

وهذا الاستئذان قبل الدخول الذي طلبته الآية الكريمة يعطي فرصة لأصحاب البيوت الساكنين فيها بالتهيؤ والاستعداد لاستقبال القادم، وهم على الحالة التي يرغبون أن يراهم غيرهم عليها، كما أن مصاحبة إلقاء السلام على أصحابها عند الإذن بالدخول يعطي الأمان والطمأنينة لأصحاب هذه البيوت.

وهذا الاستئذان قبل الدخول وإلقاء السلام خير لكم -أيها المؤمنون- من الدخول بدون استئذان أو بدون إلقاء السلام، فالآية الكريمة ترشدنا إلى الأدب السامي الذي ينبغي على الإنسان أن يتبعه عند التعامل مع غيره من الخلق، وأن يكون دائما متذكرا بتنفيذه للمحافظة على تطبيقه.

٢- وأما البيوت الثانية: وهي الخالية من سكانها لأسباب خاصة بهم، فقد أوجبت الآية الكريمة على من أراد دخولها الاستئذان ممن يملك الإذن بدخولها:

﴿[illegible]﴾

تفسير الطبري

أي يا من آمنتم بالله -تعالى- حق الإيمان، لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها -والتي هي مسكونة لسواكم غير أن أهلها غير متواجدين فيها لأسباب خاصة بهم- لا تدخلوها حتى يؤذن لكم في دخولها ممن يملك الإذن بذلك.

قال صاحب الكشاف -رحمه الله-: «وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر -أي الداخل بغير إذن- على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها، ولأنه تصرف في ملك غيرك. فلابد من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب والتغلب»[2].

وإن قيل لكم -من جهة أهل البيت الذين يملكون الإذن بالدخول- ارجعوا ولا تدخلوا، فارجعوا ولا تلحّوا في طلب الدخول، فإن هذا الرجوع هو أطهر لأخلاقكم، وهو التزام منكم بالتمسك بالأدب في التعامل مع الخلق الذي شرعه الإسلام، والله -تعالى- عليم بأحوالكم وأعمالكم لا تخفى عليه خافية، فالتزموا اتباع ما أمركم به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، فإنه -سبحانه- سيجازيكم عليها بما تستحقون من ثواب أو عقاب، وفي ذلك تحذير من مخالفة ما أمر الله -تعالى- به، وما نهى -سبحانه- عنه.

٣- وأما البيوت الثالثة المعدة للمنفعة العامة: كالرباطات، والفنادق، والحوانيت، والخمامات، والمطاعم... وغير ذلك من الأماكن المعدة لتبادل المنافع بالبيع والشراء، فليس عليكم أيها المؤمنون حرج وإثم في أن تدخلوها بغير استئذان:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾

أي يا من آمنتم بالله -تعالى- حق الإيمان، مباح لكم أن تدخلوا بغير استئذان بيوتا غير معدة للسكن الخاص لطائفة معينة من الناس، بل هي معدة لينتفع بها من يحتاج إليها من الناس.

وفي قوله -تعالى-:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

تحذير ووعيد للذين يدخلون البيوت ولا يرعون حرمتها، بل يبيحون لعيونهم وجوارحهم ما لم تبحه آداب الإسلام وتعاليمه، كالتطلع إلى العورات، وما يشبه ذلك من المقاصد السيئة. فالله -تعالى- وحده يعلم ما تظهرونه وما تخفونه من أقوال وأعمال، وسيجازيكم عليها..

ويقتضي المقام -قبل أن ننتقل إلى الحديث عن آداب أخرى تتعلق بالأدب مع الخلق- أن نذكر بعض الأحكام والآداب في الاستئذان التي أخذها العلماء من هذه الآيات الكريمة[3] التي وردت في سورة النور:

١- أن كل إنسان -سواء أكان رجلا أم امرأة- أن يستأذن ويسلم قبل الدخول على غيره في بيته، لأن النهي في الآية صريح في عدم الدخول بدون استئذان.

إلا أن جمهور الفقهاء يرون أن الطلب في الاستئذان على سبيل الوجوب، وفي السلام على سبيل الندب، كما هو حكم السلام في غير هذا الموطن.

٢- يرى بعض العلماء أن القادم يبدأ بالاستئذان قبل السلام، كما جاء في الآية الكريمة، ويرى كثير منهم تقديم السلام على الاستئذان، لأن الواو لا تستلزم الترتيب. ولأن هناك أحاديث متعددة تفيد أن السلام مقدم على الاستئذان. ومنها ما أخرجه الترمذي عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «السلام قبل الكلام».

وبعض العلماء فصّل في هذه المسألة فقال: إن كان القادم يرى أحدا من أهل البيت سلّم أولا ثم استأذن في الدخول، وإن كان لا يرى أحدا منهم قدّم الاستئذان على السلام وهذا الرأي وجاهته ظاهرة، لأن فيه جمعا بين الأدلة.

٣- ظاهر قوله -تعالى-:

﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾

أن الاستئذان غير مقيد بعدد، إلا أن السنة الصحيحة قد بينت أن الاستئذان يكون ثلاث مرات، فإن لم يؤذن له بعدها انصرف.

ومن الأحاديث التي وردت في هذا المعنى ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى -كأنه مذعور- فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك -أي من الدخول-؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع» فقال لي: لتأتين بالبينة. فهل منكم أحد سمع النبي ﷺ يقول ذلك؟ فقام معه أبي بن كعب، فأخبر عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

قال بعض العلماء: «والراجح أن الواجب إنما هو الاستئذان مرة، فأما كمال العدد ثلاثا فهو حق المستأذن إن شاء أكمله. وإن شاء اقتصر على مرة أو مرتين، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب استأذن على النبي ﷺ مرتين فلم يؤذن له فرجع، فتبعه غلام فقال له: ادخل فقد أذن لك النبي ﷺ.

٤- ظاهر قوله -تعالى-:

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾

يفيد أنهم ليس عليهم استئذان في دخول بيوتهم -إلا أن هذا الظاهر يصح حمله على الزوجة لأنه يجوز بين الزوج وزوجته من الأحوال ما لا يجوز لأحد غيرهما، ومع ذلك فإنه ينبغي أن يشعر الرجل زوجته بقدومه، حتى لا يفاجئها بما تكره له أن يطلع عليه.

ورحم الله الإمام ابن كثير فقد قال عند

(٢) تفسير الكشاف.

(٣) التفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر - المجلد العاشر ص ١١١ - ١١٤ بتصرف.

تفسيره لهذه الآيات: وهذا -أي عدم الاستئذان على الزوجة- محمول على عدم الوجوب، وإلا فالأولى أن يعلمها بدخوله ولا يفاجئها به، لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها.. ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا.

وأما بالنسبة لغير زوجته، كأمه، وأخواته، وبنيه وبناته البالغين، فإنه يلزمه أن يستأذن عليهم، لأنه إن دخل عليهم بدون استئذان، فقد تقع عينه على مالا يصح الاطلاع عليه.

ومن الأحاديث التي وردت في هذا المعنى. ما أخرجه مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبي ﷺ: أأستأذن على أمي؟ قال: «نعم»، قال: ليس لها خادم غيري، أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال عليه الصلاة والسلام: «أتحب أن تراها عريانة؟» قال: لا. قال: «فاستأذن عليها».

وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن نافع: كان ابن عمر إذا بلغ بعض ولده الحلم لم يدخل عليه إلا بإذن.

٥- وردت أحاديث متعددة في كيفية الاستئذان، وفي التحذير من التطلع إلى بيوت الغير بدون إذن.

فمن آداب الاستئذان أن لا يقف المستأذن أمام الباب بوجهه ولكنه يجعل الباب عن يمينه أو عن يساره، ومن الأحاديث التي وردت في ذلك ما أخرجه أبو داود عن عبدالله بن بشر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم.

كذلك من آداب الاستئذان أن لا يقول المستأذن «أنا» في الرد على رب المنزل، ولا يذكر اسمه. ففي صحيح البخاري عن جابر قال: أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي، فدققت الباب، فقال: «من ذا؟» قلت: أنا، فقال: «أنا، أنا»، كأنه كرهها.

ولعل السر في النهي عن الرد بلفظ «أنا»، أن هذا اللفظ يعبر به كل واحد عن نفسه، فلا تحصل به معرفة شخصية المستأذن. والمقصود بالاستئذان الإفصاح لا الإبهام.

أما التحذير من التطلع إلى بيوت الغير بدون إذن، فيكفي لذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ- قال: «لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذنك فحذفته -أي: رميته- بحصاة ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح».

هذه بعض الأحكام والآداب التي تتعلق بالاستئذان، ومنها ترى كيف أدب الإسلام أتباعه بهذا الأدب العالي، الذي يؤدي التمسك به إلى غرس الفضائل، ونشر مكارم الأخلاق في نفوس الأفراد والجماعات.

نماذج من التطفيف المعاصر

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾

للدكتور [illegible]

لا شيء أشق على النفس من الشعور بالظلم. لأن الشعور بالعجز عن دفعه والبأس من أن يجد سبيلا إلى رفعه. ويتحول الظلم إلى كابوس مخيف عندما يصيب الناس في معايشهم وأرزاقهم ومجريات حياتهم. ويزداد الأمر بشاعة عندما يصير الظلم بين الناس سلوكا مألوفا وعرفا متداولا حتى لا يجرؤ أحد على تغييره أو التفكير في التخلص منه.

استشعرت هذا المعنى عندما قرأت قول الحق سبحانه

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(المطففين ١-٦)

وشعرت كأنني أقرأ الآيات لأول مرة، فلقد شخصت الآيات الكريمات الداء الذي أصاب الأمة فقلب حالها، وأفسد أمرها، ونخر كيانها، حتى أرهقها وأوهن قواها، ثم قدمت العلاج ناجعا حكيما.

إن الداء الذي أصاب الأمة اليوم هو داء «التطفيف»، والتطفيف نوع من الظلم والحيف ومجاوزة الحد يؤدي بصاحبه إلى التحامل والميل على الآخرين، وهو على الجانب الآخر، أنانية مفرطة، وزيادة في حب النفس، وجحود وكنود، والمطففون كما يصورهم الخالق سبحانه:

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾

ولقد اعتاد الناس أن يضيقوا معاني بعض الأشياء، ويقصروها على الجانب الظاهر منها، وينسون ما وراء ذلك من المعاني التي تكون في الغالب هي الأهم والأولى بالتمعن والتأمل ودقة الإدراك، فكما قصروا مفهوم الأمانة على الوديعة،

وقصروا مفهوم الصدق على مجرد حديث والكلام، كذلك قصروا مفهوم التطفيف على البيع والشراء، ومع تسليمنا بأن البيع والشراء هو الميدان الأوسع الذي تظهر فيه عملية التطفيف محسوسة محسوسة، فإنه ليس هو الميدان الوحيد، وإن للتطفيف معنى يتسع ليشمل كل ما يمارسه الناس من عمل وحوار، وحقوق وعلاقات إنسانية في مجالات ماديات ومعنويات، وفي كل ما يتعلق بالحقوق والواجبات.

فالأمير الذي أخذ من أمته حسن السمع والطاعة، ولم يعطها حسن القيادة وأمانة القوامة، وصدق التوجيه، يكون مطففا، كما يكون مطففا إذا أخذ من مالها ما ليس له، وبقي لرعيته حقها في المكان والمسكن والمركب وقرب وأبعد، وأعطى ومنع، وأحب وعاقب، من منطلق ميوله وأهوائه ومصالحه الذاتية، ونسي مصلحة الأمة وحقها عليه.

ويمارس كثير من رؤساء المصالح والمؤسسات صورا بشعة من التطفيف والإجحاف عندما يقربون ويبعدون ويرفعون ويخفضون، ويعطون ويمنعون تبعا لما يجدونه في مرءوسيهم من ألوان التملق والترلف وإظهار الولاء، وليس على أساس الكفاءة والبراعة وحسن الإتقان.

كما يكون مدير المؤسسة، أو صاحب العمل مطففا، إذ يتمادى في تعظيم قدرات نفسه، فيمنحها أكثر مما يسعى لها، ويصيب بسوء من تصحيحه الذات وأنه لا يرى في مؤسسته من هو أعلى منه مكانة، أو أكثر منه علما، أو أقدم خبرة أو أكبر منه سنا فيمارس على هؤلاء نوعا من الإجحاف والظلم، بأن يسعى في تصغيرهم أو سلبهم بعض ما لهم من حق بأية صورة من الصور، وينسى في غمرة ذلك كله قول الحق سبحانه:

﴿ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ (الرحمن: ٨- ٩)

ومن أبشع ما رأيت من ألوان التطفيف الذي فسدت به حياة الناس وتعقدت به معايشهم، ما نراه في مدارسنا من حرص المعلم على تحصيل راتبه كاملا غير منقوص، وإذا شعر بنقص في راتبه ولو كان صغيرا ضئيلا رأيته ملأ الدنيا بالشكوى وجهر بالسوء من القول، لكنك إذا عاقبته بالنظر إليه في غرفة درسه، رأيت ألوانا من العبث والتلهي، وإهدار الوقت في غير فائدة، مع غياب الجدية والإيجابية في تناول الدرس بصورة صحيحة وإذا اضطر إلى تناوله، تعمد ترك بعض جوانب الدرس غامضة تحتاج إلى شرح جديد مما يضطر الطلاب إلى البحث عن المدرس في بيته، لكي يفهمهم الدرس فهما دقيقا وعندها سترى المعلم يحرج الطلاب كل ما خفي عليهم من جوانب الدرس الذي استعصى عليهم فهمه في المدرسة، وتراه يتبع ويبدل من نوع الحيل والوسائل ما يجعل الدرس سهلا ميسورا، وإذا واجهت بحقيقة حاله، احتج عليك بأن الطلاب غير جادين في طلب العلم، وأنهم لا يحتاجون إلى دروس المدرسة، لأنهم يتلقون دروسا خصوصية في البيت، وهكذا يشخصون الداء، ثم يجعلونه حجة يتعللون بها لتضييع الحق وظلم الناس، وبعد ذلك يجد الطالب نفسه مضطرا للذهاب إلى المدرس في بيته ليأخذ منه حقه الذي لم يجده في المدرسة، لكنه يأخذه مقابل ما يفرضه المدرس، ويتحكم في تقديره كما يريد، تبعا لأهمية المرحلة، وحاجة الطالب الملحة إلى فهم المقرر، نظرا للتنافس المحموم على المساحة المحدودة، التي تتيح للطالب الالتحاق بكلية مرموقة والتي تتطلب من الطلبة أن لا تقل درجاته عن الدرجة النهائية إلا بمقدار درجتين أو ثلاث، وهو ما يعني أن على الطلبة أن يكون على مستوى الدرس، بل على مستوى واضع منهج نفسه، حتى يحقق ما يريد، وعلى ولي الأمر وأهل البيت جميعا أن ينتظروا بعد كابوس الدروس الخصوصية طوال العام كابوسا آخر يتمثل في قبول الطالب ورفضه في كلية مرموقة، وعند الرفض ستكون المأساة أكبر من كابوس العام كله لأنها ستكون إعلانا عن خيبة الأمل بعد خراب البيت، فعدم قبول الطالب في الكلية المرموقة يعني دخوله إحدى الكليات التي لا يجد خريجوها عملا، وإنما سيحكم عليه أن يكون زبونا دائما على مقهى ليكون عبئا على أبويه.

ومما يحزن ويؤلم أنك تجد المدرس وهو يمارس تطفيفه الأول يمارس تطفيفا جديدا، يتمثل فيما أسموه بالمقدم، والمقدم يصل عند بعض المدرسين إلى ما يساوي أجرة عام كامل، إضافة إلى أجرة الشهر، دون أن يحتسب من المقدم شيء، فهو أشبه بالخلو، ولا تسألني خلو ماذا، فلا أنت ولا ولي الأمر، ولا الطالب ولا حتى المدرس يملك لك جوابا، إلا أنها «إتاوة» يدفعها ولي الأمر كرها مرغما، دافعا على هذا الغلاء المطفف المجحف بالتوبيخ والثبور وعظائم الأمور، لكن الإنصاف يقتضي أن نقول ليس كل المدرسين يتقاضون هذا المقدم المعيب، وإنما يلجأ بعضهم إلى ممارسة التطفيف بطريقة أخرى أكثر ذكاء ودهاء وهو أن يكلف الطالب ثمن «المذكرة» التي يضطره لشرائها بطريق أو بآخر، وهو ثمن يفوق كتاب أستاذ الجامعة في غالب الأحيان.

وهكذا يمارس المدرس التطفيف بأبشع صور عندما يأخذ راتبا بغير مقابل حقيقي من الجهد، مستريحا سعيدا بالمأساة التي أوجدها في كل بيت، وحالات الاكتئاب التي ضربت غالب أبناء المجتمع الذين يسحقون سحقا بين موجة الغلاء الفاحش وآفة الأنانية المفرطة التي تصنع جريمة التطفيف، تلك الجريمة التي تؤدي ببعض الموظفين إلى ما يشبه الانتحار المعنوي، عندما يرى نفسه مضطرا، لكي يكفي حاجة أهله وولده أن يحول وظيفته إلى وسيلة ابتزاز للناس، وكسب غير مشروع

فيتفنن فى تعطيل المصالح، وتعقيد الميسور من الأمور لكى يلجأ المواطن إلى دفع إتاوة تفتح له الطريق إلى قضاء مصالحه فى سهولة ويسر، وهكذا تتحول الوظيفة لدى الموظف إلى وسيلة للتسول والرشوة والابتزاز.

وهكذا تتعطل أعمال الناس وتفسد أخلاقهم وتسوء أحوالهم، ويتحول المجتمع إلى مجموعة من المشوهين نفسيا وأخلاقيا، ويبيت الناس يتبادلون سوء الظن، ويلقى كل واحد منهم أخاه بحالة من التوجس والحذر وبقدر كبير من الكراهية والبغضاء، وهو ما يتنافى مع المجتمع الإسلامى الذى ينطلق فى كل أموره من قول الحق سبحانه:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وقول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه»، إن مجرد ظن هؤلاء جميعاً بأنهم مبعوثون ليوم عظيم، كاف لكى يحدث فى هذه القلوب هزة عنيفة تتحرر بها من سيطرة هوى النفس وميلها إلى ظلم الآخرين، وهو ما لا تستطيعه المناهج الأرضية مهما ملكت من وسائل الترغيب والترهيب.

إن المطففين فئة تحب أن تعيش فى الجانب المظلم من المجتمع لأنها لا تستطيع أن تواجه الحقيقة، وهى أنهم لا يعرفون إلا أنفسهم، ولا يرون إلا مصالحهم، وإذا تركنا أمر المدرسين والموظفين وما ابتلوا به من هذه الحالة المحجة والمعقدة. ونظرت إلى لافتات الأطباء التى تملأ الشوارع إعلانا عن سابق مادى محموم وتحت كل اسم من هذه الأسماء حشدا من المؤهلات والشهادات التى تفنن صاحبها فى صياغتها بصبغة دعائية فجة. وكلما أدخل فيها المتخصص جمجمة أجنبية رأى ذلك مكسبا وفخرا لا يتاح لغيره، لتقتنع أن عقدة الخواجة مازالت تحتل عند مواطنيه المنزلة الأولى، بعد أن مرهنت الأيام على فقدان الثقة فى كل ما هو محلى.

إذا نظرت إلى هذه اللافتات ستجد وراء كل لافتة منها جريمة تطفيف بشعة فالأفضل فى هذا الطبيب أنه موظف فى جامعة أو مستشفى، وأن الدولة قد أنفقت عليه من أموال الناس حتى تخرج وحصل على أعلى الشهادات، كما أن الدولة قد أنفقت على المستشفيات من أموال الناس وعرقهم ما يكفى للقيام بحقهم فى تلقى العلاج المناسب.

لكن الطبيب الناجح والمشهور ضن بعبقريته على أمته ومواطنيه وقصر نجاحه على إثراء نفسه وإشباع همه، وحرمان الأمة كلها من خيره، واختار أن يتاجر بذكائه وموهبته بالطريقة التى يراها مجتهدا فى اختراع الحيل والوسائل التى يبتز بها جيب المريض بأكبر قدر ممكن، فهو لم يكتف بتضييع الأمانة وحنثه فى قسمه عندما حرم الأمة من خيره، وتاجر بعبقريته كما يشاء، فقصر فى محل عمله نهارا، فلا يحضر إلى قسمه إلا زائرا فى خطفات شكلية لا يفقد فى خلالها شيئا من طبه، أو بعضا من جهده، وإنما يوفر ذلك كله لعيادته الخاصة، التى لا سبيل إليها إلا بإتاوة يحددها، مستغلا بها حاجة المريض إلى الراحة وتعلقه بالحياة، مما يدفع المسكين إلى بيع أكل أولاده، وضرورات بيته، أملا فى لحظة راحة من ألم، أو شفاء من مرض، ولو أن كل طبيب أدى الواجب الذى هو عليه قبل أن يأخذ الحق الذى له، فأنفق وقته وأخلص جهده، فى مجال عمله لوجد كل مريض حظه من الطب، ولاستعاد كل مواطن من الضريبة التى يدفعها من قوته ورزقه لكى تصرف له حقه فى حياة آمنة، وعلاج مناسب فى المستشفيات التى بنيت بعرقه ودمه، على يد طبيب أنفقت الدولة عليه حتى صار موهوبا.

إن التطفيف عملية إجحاف وانحراف فى الفطرة تجعل النفس تميل إلى الأنانية وحب الذات، وتتمنى ما وراء ذلك من حقوق الآخرين، ومقابل التطفيف خلق الإنصاف والاعتدال والتوازن فى أخذ الحق، وعطاء الواجب، ولا يقوم بذلك وينهض به خير قيام، إلا المنهج الإلهى الذى لا يحابى ولا يجامل، ولا يميل تبعا للأهواء والشهوات.

وأعظم حصانة تحفظ النفس من الوقوع فى هوة التطفيف السوداء، هو أن يتذكر المرء وقوفه بين يدى ربه للحساب، ويهيىء نفسه لجواب يخلصه من نقمة الموقف الرهيب، عندما ينادى منادى الحق سبحانه:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾

(الصافات: ٢٤ - ٢٦)

إن التطفيف ليس مجرد سلوك ظاهر، يقع عارضا ويختفى، وإنما هو انعكاس لخلل كامن فى عقيدة المطفف ووجدانه، ولن يرضى بهذا التطفيف ويمارسه عن قناعة ورضا إلا قلب غافل عن مراقبة الله، محجوب عن نوره، ولو أن هذا المشغول بدنياه المعتز بمتاعها الفانى، تذكر ولو للحظة واحدة أن الله ناظر إليه ومطلع عليه، وسائله عن ميله وإجحافه وظلمه، لرجف قلبه واهتز كيانه ولآثر آخرته على دنياه.

إن قوانين الأرض مهما عظمت، ومراقبة الناس مهما قويت، لا تستطيع التسلل إلى خفايا النفس، وطوايا الضمير، لترد النفس إلى سويتها، وتغسلها من لوثتها وتهديها إلى سواء السبيل، لكن ذلك كله يتحقق إذا قرأنا قول الخالق سبحانه:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(المطففين: ١ - ٦)

فالحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن.

قصة العدد

«هاجر العانس»

(مأساة العنوسة في العالم العربي)

تسألينني يا صديقتي عن كآبة «هاجر» ووجومها، وتتساءلين ملحة عن تجافيها وإيثارها العزلة والانفراد. إنك تريدينني على أن أقص إليك بخبرها، وأصرح بما أعلمه عنها، ولا شك أن طلبك هذا يثير في نفسي ذكريات الطفولة ويحملني على أن أنحدر إلى أغوار الماضي، حين كنت أعرف هاجر في المدرسة تلميذة في صف الشهادة، وكم كان يشتد فرحي حين تدخل هذه الفتاة بيتنا في البكور لتأخذني معها، فإن عمتي أوصتها بمرافقتي إلى المدرسة، وكانت رحمها الله صديقة حميمة لأسرة هاجر.

كانت تدق باب بيتنا دقات مستعجلة، فأبادر إلى صداري الأسود، وأعلق إلى جانبي محفظة كتبي بنجاد قصير. فإذا أسرعت هاجر في سيرها عدوت خلفها، فأتعثر بمحفظة كتبي التي تتدلى على جنبي أو على ظهري، وكنت لا أقف لإصلاحها حتى لا تتأخر هاجر عن ميعاد المدرسة فتحرمني مرافقتها في الطريق.

وكان يعظم سروري حين تغيب معلمتنا العجوز الشمطاء ذات النظارة التي تربطها بالخيط إلى أذنيها وتحدرها إلى أرنبة أنفها فتطالعنا بنظرها المخيف من فوقها. كنت أفرح وأمرح حين تغيب هذه المعلمة الغاشمة فترسل إلينا المديرة «هاجر» كبرى تلميذات المدرسة لتحل محل المعلمة الغائبة. وتعلمنا الدرس فأزهو يومئذ وأتيه. وألمس بأناملي رؤوس رفيقاتي اللاتي أمامي فيلتفتن وراءهن فإذا أنا صنم لا يتحرك.

هذه صورة أولى لهاجر ماثلة في ذاكرتي جلية بينة. إنها كانت عمة الأهاب، أنيقة الثياب، ذات وجه أسمر مجدور، وشعر جعد أسود، قسمته ضفيرتين كثيفتين تتوسدان على كتفها، وكانت صناع اليد تعرف من الصوف أردية شتوية لأختيها سعاد ومليحة. وقد كان أبوها حامداً نادماً على تعليمها بعد أن حازت الشهادة، لكيلا يفتح العلم برغمه قلبها وعينيها، فحلف ألا يعلم أختيها.

ومرت الأيام فإذا مليحة وسعاد فتاتان يافعتان، تلوح عليهما ملامح الجمال، وتبسم لهما الحياة والشباب. فراحتا تحلمان بالزواج. وقد خطرت للوالدين هذه الفكرة فتمشيا عميقا قربا. وكانا يرتاحان لكل من يفاتحهما في خطبة الفتاتين. أما هاجر فكانت تضطرب أعصابها كلما رأت أبويها يسعيان لتوفير الزينة والدلال لأختيها، ولا سيما بعد أن رأتهما تستويان على عرش الأنوثة والجمال.

ولا تسألي يا عزيزتي عن أحزان هاجر حين كانت تختصها أمها بتدبير المنزل والخياطة لأختيها، وإعداد ما تستطيع من جهاز لهما، خشية أن تخطبا معا ويضيق الوقت عن تهيئة المعدات اللازمة في حياتهما الجديدة.

وكانت هاجر تتمرر آلامها وتشتد. وتحس غصة تقطع نياط قلبها. وكثيرا ما خلت إلى نفسها، وتحدثت عن حظها العاثر عند والديها. لقد لعب الجمال الذي بدا على أختيها، فحرمها الدلال وجعلهما تستأثران بعناية الأم واهتمام الأب.

وأخذ شعورها يطغى على نفسها فلا تستطيع إلى كبته سبيلا. ولاح أثره في وجهها. وكان تفكيرها في دمامتها يبعث في روحها القلق والعذاب.

كانت تناجي ربها حين تلجأ إلى فراشها ويجفو النوم فلا يرنق في عينيها، فتستعرض مظاهر الاهتمام بأختيها وإهمال أمها لها فتقطر الدموع من عينيها حزنا على حياتها الخالية البغيضة. وا رحمتاه لهاجر!. كم كانت تتكلف الهناءة والهدوء أمام والديها وأختيها فتتظاهر بالانشراح لخطبتهما!

وكان لسوء مصيرها أن تلألأ حظهما وتكاثر الأخطاب، ففي عصر يوم جاء بيتهن ثلاث نسوة فاستقبلتهن الأم وهاجر بملابس البيت وأوعزت الأولى إلى سعاد ومليحة بأن تتزينا بأحسن ما عندهما من اللباس الجديد وتتضمخا بأزكى العطور، وما استقر المقام بالسيدات حتى أقبلت مليحة وسعاد وكأنهما عروسان ليلة الزفاف، فلما رأينهما بهرتاهن وعلقت بهن أنظارهن، فتجاذبن أطراف الحديث بسهولة وسرعة كأنهن صديقات العمر. وبعد قليل طلبت إحداهن من الفتاتين شربة ماء، ولم يكن بها ظمأ ولا حاجة إلى نقع غلة، بل كان مرامهن جميعاً أن يرين انقلابهما بالمشي وانتقال أرجلهما على الأرض، وأن يمعن النظر في طولهما وحركاتهما.

كل هذا حدث وهاجر المسكينة جالسة إلى جانب أمها تنظر اللحظ يتفحص أختيها ويتفهمه، وتفكر في نفسها فترى حظها عابساً مكفهراً، ثم أخذت تطالع في عيون الخاطبات ومضات الافتتان والإعجاب بأختيها، فلم يسعها البقاء في الغرفة فخرجت منها خشية أن تهي إرادتها وتستحيل كآبة نفسها دموعاً كاوية فتفضح وجومها وآلامها.

وآن ذهاب السيدات فقمن يودعن الأم والفتاتين بالسلام والتقبيل. فلثمن ثغرى سعاد



وطيحة ليتحسسهما ليعلم بما كانت فيهما رائحة نكرة، وعانقتهما ليتشقق إبطيهما لعلهما تعرقان، وهصرتهما إلى أجسامهن ليحسس هل هو عظم جاثم أم لحم رهو لطيف، وكانت الأم والبنتان يشيعن الزائرات بمنتهى المجاملة والإعزاز.

كانت هذه الزورة المأنوسة يوم سعادتهن المشهود، فما أغلق الباب خلف السيدات حتى التفتت الأم إلى ابنتيها الجميلتين تدعو الله لهما بفتح البخت ومجيء النصيب السعيد، وأن يقيض لهما زوجين من أحسن الرجال وأغناهم، ثم سكتت إذ شعرت أنها استرسلت في الدعاء لهما دون هاجر فقالت وهي تشير إلى غرفتها «وأنت يا «هاجر» الله لا ينساك يا حنونتي»!

بعد أسبوعين كنت ترين يا صديقتي في إصبعي سعاد وطيحة خاتم الخطبة، وكنت أتردد على بيتهما لأساعد الأم وهاجر في إعداد الجهاز، أما هاجر الكئيبة فكانت ترنو بعينيها إلى الخاتم الخاتم في يد أختها فيحز في روحها الشعور المؤلم بالحقيقة الراهنة، فتجاهد حسها وتكابد العذاب في مغالبة ما تعانيه من قلق واضطراب لئلا يقال: إن غمامة من الغيرة والحسد تخيم على نفسها فتسيء إلى سمعتها، وبرغم ذلك كله كانت تنتابها من حين لآخر نزوات من السخط، فتدعي بأنها تبرم بأعمال البيت للرهقة واستعجال الأهل في تهيئة الجهاز بوقت حرج قريب.

لقد تزوجت الأختان ويعلم الله كيف حضرت هاجر عرسيهما، إنها لم تسمع الغناء بأذن واعية، ولا أبهت للرقص، ولا ذاقت من صفوف موائد الحلوى.

لم تحقد هاجر على أختيها وإنما كان في قلبها غضب على الأيام كالنار في الحشا تتمنى لو أن الله خلقها جميلة فاتنة أو خلقها ذكراً.

* * *

أصبحت هاجر وحدها في البيت مع أمها وأبيها، وقد جاوزت الثلاثين فكانت تعيش في نضال دائم بين الأمل والقنوط، وتتساءل بحرقة وحيرة عما تتوقع من الأيام وهي تمر وشيكة عجلى، أيشفق الحظ عليها وإن تقدمت سنها، أتهيئ الأقدار لها حياة زوجية كأختيها ألا يوجد بين الرجال من يؤثر جمال الخلق والنفس على جمال الجسم والوجه؟ فتزدحم في مخيلتها صور من الأحلام والآمال تكبح جماح نقمتها وتبعث في نفسها قليلاً من الاطمئنان، ثم تقوم إلى كتبها فتواسيها بحروفها وتسليها وتبحث فيها عن مآسي الحب والحياة، ولبثت ردحاً من الزمن تساورها الأماني برغم ما كان يبعدها من الواقع عن تحقيقها فتلمست في هذه الظاهرة الجديدة لوناً من العزاء والجمام.

لقد صيرت هاجر بتتابع سني الفشل عزلتها بمرور الأيام ثورة نفسية أليمة جعلتها غريبة الأطوار قليلة الكلام، فأهملت العناية بألبستها وتسريح شعرها الذي عدا عليه الشيب كما أنها هجرت الاكتحال والصباغ وغارت عيناها وبرز جبينها المستدير وبدا في وجهها شاحب ما يبدو للمراهق الطرير.

عاشت هاجر آنسة في هذه الحقبة تفعبرة بعمرها بأن عصف وتصدعها حقيقة الواقعة، ثم عششت بها السآمة ورغبتها في المطالعة فأعرضت عنها ونشدت السلوة في نزهات القرية.

كانت أمها تشهد اضطرابها وتدبيرها ثم تمعن في التفكير فيها، وتطالع في عينيها أمارات القلق والنقمة فتحس في نفسها عذاب الضمير لأنها كثيراً ما حالت دون خطبتها لشتى المعاذير. فكانت ترد خطابها دون علمها، وكانت هاجر إبان ذلك في ميعة العمر وريق الشباب. فأدركت الأم أن أمانيها الحمقاء هي التي كانت تسول لها الإرجاء عساها الكبرى كانت أسرعت بها الأعوام حتى آثرت أن تبقيها عونة خدمة شيخوختها. ولولا أنانيتها وإهمالها لكانت هاجر مثل أختيها زوجاً سعيدة وأماً حنونا.

وخيم على روح الأم شعور الندم، وران عليها الغم والاكتئاب. فحاولت أن تكفر عن خطيئتها بتوفير الحماية والحرية لهاجر، وترغيبها في ممارسة التعليم الحر في بيتها وزيارة صديقاتها.

واستمرت السنون في سيرها فمات أبوها ولم يترك لها ما يؤمن معيشتها، وبقيت معها وحدها، أما أختاها فشغلتهما عنهما الزوج والأولاد، وكان لكل منهما حماة غاشمة شيمة، لا ترتاح لزيارة الأم والأخت لهما. فأهملت زيارتهما لئلا تعصف في بيتيهما عواصف السوء والأحقاد.

وفي جو هذا العيش القاتم الخانق كانت هاجر تدفن نفسها في مكتبها فقرأت من الحكمة وفصل الخطاب ثم تحترف التعليم تعينت في المدرسة التي نشأت فيها وتثقفت بها.

كان بين هاجر العانس ومديرة المدرسة دالة ومودة، فكانت تستشف في أحاديث هاجر حسرة ومرارة وتبرماً بتكاليف الحياة، فتتقصى عنها ـ بعطفها ولطفها ـ بعض ما يحتدم في نفسها من ضيق وانقباض.

وعهد في المدرسة إلى هاجر بتعليم العربية لبعض الصفوف الابتدائية، فكانت شديدة العناية بتعويد التلميذات حسن الإلقاء وتجويده، وكلما آنست منهن تقدماً ونجاحاً أوصتهن بالمثابرة على لهجتهن التي أخذنها عنها، إذ كان أملها القديم الذي غدا أوهن من بيت العنكبوت يعاودها الفينة بعد الفينة، ويوقظ فيها ما رقد من رجاء في الزواج، فتقول للتلميذات: حافظن على لهجة الإلقاء فربما لا أعود إليكن في العام القابل.

جالت المديرة مساء يوم أرجاء المدرسة وراقبت صفوفها، فوقفت بباب صف سمعت فيه لغطاً ولغواً، فاقتحمته وهي تظن أن ليس ثمة معلمة فيه، وشد ما شدهت حين رأت هاجر تحدق بنظرها في الأفق البعيد دون أن تنتبه لوجودها.

تقدمت إليها المديرة بلطف وابتسام، وسألتها: فيم تفكرين يا هاجر؟ فأجابت: إنني أتأمل هذه الطفلة الجالسة ههنا، وأشارت إليها ثم أردفت قائلة:

انظري يا سيدتي مآسي الدهر ومهازله؛ إنني أفكر في أم هذه الطفلة، فلقد كانت تلميذتي!.

فى آفاق الشيخ الغزالى



٢- المحور الثانى: الكون دال على خالقه

يعيش الإنسان فى ركن صغير من الكون الفسيح، الذى لا يعرف صحته وأوله من آخره إلا الله خالقه سبحانه وتعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(النمل: ٨٨)

وإن ما غاب عنا من خلق الله، أكبر مما نحس ونعلم، ومهما بلغ الإنسان من علم وكشوف فى الكون فسيظل علمه ضئيل بجانب علم الله تعالى، كما قال عز شأنه:

﴿ [illegible] أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(غافر: ٥٧)

وإذا كان هذا الكون العظيم دال على قدرة خالقه، فإنه يجب علينا أن نؤمن بأن هذا الكون هو ينبوع إيماننا، وحقل تجارب علمنا، والتفريط فى ذلك حجب عن معرفة الله، بل فشل فى أداء رسالتنا التى خلقنا من أجلها، وعجز عن التجاوب مع تعاليم القرآن التى تكررت فى سوره. لقوله عز من قائل:

﴿ [illegible] ﴾

(الجاثية: ٣- ٦)

إن هذه الآيات لتذكر العقول وتبصرها بدلائل التوحيد المبثوثة فى الكون فى كل شيء فيه لتدل على وجود الله، وتبين آياته فى الخلق والمعرفة والأخلاق.

القرآن الكريم يدعونا إلى مداومة النظر فى الكون، ومعرفة أسراره والقوى المودعة فيه. وإن وثبات العلم الحديث لا تتم إلا بالنظر فى النفس، وفى الآفاق الكونية لمعرفة الآيات الدالة على خالق الكون، الذى خلقه ونظمه فى أبهى صورة بقوانين محكمة.

قال تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(الأحقاف: ٣)

لقد جعل الخالق سبحانه خلقه مركوزًا فى دورات تتكرر، ويفنى الخلق من زرع وحيوان وإنسان، ويتكرر وجوده بقدر مضبوط من قوانين الحكمة إلى أن يأذن الله تعالى بفناء الحياة الدنيا، ثم بعث وجزاء فى الحياة الآخرة. يقول تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(الحجر: ٢١- ٢٣)

وقال عز من قائل:

﴿ [illegible] ﴾

(الفرقان: ٤٥- ٤٦)

إن كل ذرة فى هذا الكون عاتية خالق الكون الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وكل ذرة فى الكون خاضعة لأمره فى كل وقت وحين، إذن فهل من مرشد استحضار أمر هذا الكون ودلالته على خالقه سبحانه وتعالى؟

ويمهد المؤلف ببيان عظمة الكون ليدعو الإنسان المسلم إلى أن يتدبر أمره، ويبحث فى آفاقه ويكتشف لأن الله تعالى هو الذى خلقه للإنسان لينتفع به. قال تعالى

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٩)

وجعلها لكم منافع إيمانية ودنيوية، الأولى: بتوحيد الله، والثانية: بالانتفاع بما خلق الله للإنسان من نبات وحيوان، ولهذا يقول المؤلف: إن انفتاح المرء على الكون وفقهه لما فيه واستمكانه منه، هو التوجيه القرآنى الأوحد لجملة العقائد والمعالم التى يقوم عليها الدين والدنيا «ص ٦٥».

ومن هنا فإن المؤلف يرى أنه لابد من إيقاظ المسلمين الذين غرقوا فى عصورهم الأخيرة فى جمود التقليد، وتركوا الجهد العقلى القائم على ملاحظة الكون ودراسته.. لقد جعلهم -التقليد- يعكفون على كتب ميتة أملاها تدين منقوص، ويتبذون قراءة كتاب الكون المفتوح ويصمون آذانهم عن نداء القرآن لدراسة آيات الله فى الكون.

لقد أنبأ القرآن أن الله تعالى أمر نبيه داود -عليه السلام- أن يصنع من الحديد آلات نافعة. قال تعالى:

﴿ [illegible] وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾

(سبأ: ١١)

لقد أرشده الله إلى الطريقة العملية التي ينهض بها في الصناعة، كما قال تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحديد: ٢٥)

إن الله تعالى جعل في الحديد قوة مادية- كما جعل في رسالات الأنبياء الهداية والرشاد. وأنزل سبحانه الحديد كما نزل الرسالات الدينية، يريد الله أن يقول لعباده إن القوة ضرورة لحياتهم، كما أن الهداية والإيمان والتوحيد ضرورة لها، وختم الآية الكريمة باسمين من أسمائه الحسنى هما القوى والعزيز، كما أراد عز شأنه أن يقول لهم إنه تعالى ذكره يريد لهم القوة والعزة، والمنعة، كما يريد لهم الإيمان والتوحيد سواء بسواء. إذ إن الإيمان كما يفهم من القرآن، قدرة على الحياة في جميع دروبها، قدرة علمية ومادية يصحبها تطويع كل شيء لإرضاء الله سبحانه وتعالى (ص ٧١).

وعلى ذكر الأمور المادية في نظر القرآن- يسم الشيخ محمد الغزالي نظره وجهة الروحانية في الإسلام، إذ إن الذكر والدعاء مرتبط بمشاهد الخليقة في الأرض والسماء، وذلك واضح في سنة رسوله ﷺ: ففي صحيح مسلم وسنن أبي داود- واللفظ لمسلم كان رسول الله ﷺ يقول عند إيوائه للنوم: «اللهم رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن. أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر، وهناك دعاء آخر للنبي يقول فيه: الحمد لله الذي كفاني وآواني وأطعمني وسقاني والذي منّ علي فأفضل، والذي أعطاني فأجزل الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شيء ومليكه، وإله كل شيء أعوذ بك من النار» رواه أبو داود.

وهذا يؤكد أن حقيقة الإسلام تجمع بين البحث في الكون والحياة، والإنسان، والعلم والتربية، والذكر والدعاء، والأخذ بالقوة، والمرحمة.

ومن هنا ينهى الشيخ محمد الغزالي عن الانقطاع إلى العبادة والعزلة عن حراك المجتمع الذي يعيش فيه المسلم، لأن حقيقة الإسلام هي تذكير الناس بالله، وتبصيرهم بحقوقه تعالى مع العلم والعمل، لا بالتأمل السلبي والاستثارة الشاعرية، لأن الحياة لم تفسد إلا بسبب من كانوا يعيشون على هامش الحياة واعتزلوا عنها، وآمنوا بأن الحياة الدنيوية ممر لا مقر، وزهدوا في الدنيا، وحجبوا أنفسهم عن رؤية الله في الأنفس والآفاق ونسوا قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴾

(فاطر: ١٩- ٢١)

وما تقدم يجعل المؤلف يتحدث عن الروحانية المزعومة، ويستهل الكلام بقوله: «إن سعي جعل الأمة ترقى في ميادين الصناعات المدنية والعسكرية يتم على حساب الصفاء الروحي، والتعالي عن عواطف الحب الإلهي» ويجيب مستحيلا: «إن الذين يفهمون الروحانية على أنها لون من الخدر النفسي والعبودية الفكرية أناس لا يعرفون الإسلام، بل هم أعداء له» (ص ٨٢).

إن الروحانية التي يعرفها الإسلام هي السجود للخالق، وتحريم حرامه، ورجاء ثوابه وخشية عقابه، مع الإخلاص في العمل، وبذلك ينهض المسلمون من تخلفهم الحضاري الذي يلقي عليهم بظلاله السوداء.

وإذا لا يعرف المسلم الكون ويبحث فيه، وهو يعبد ربه؟ إن على المسلم أن يعرف أن الحياة لا تعترف إلا بالأقوى والأعلم. وهل يقبل المسلمون اليوم، وهم يلاقون اليهود والنصارى أن تهضم حقوقهم؟! لقد استطاعت قوى الاستعمار والصهيونية تجنيد الكهنة والرهبان خدمة مآربهم في مواجهة المسلمين الذين يجهلون حقيقة دينهم، الذي يدعو إلى العلم والأخذ بمعطياته في كل مجالات الحياة التنموية والعلمية والاقتصادية والسياسة والعسكرية. من أجل ذلك جاءت تعاليم الإسلام قوية حماسية تحتشد لها النفوس، وتتعدد فيها قوى كثيرة.

الدين يأمرنا بأن نملك الدنيا ونسخرها لمنافع البشر، ويأمرنا بإصلاح أجسادنا لتكوين طليعة في خدمة عزائمنا، ويأمرنا بالنظر وعمل الفكر، والروحانيون يستحبون العزلة، ويجوعون أنفسهم تزهداً في الدنيا فيهزلون أجسادهم ويضعفونها، فلا تقدر على العمل، ويكتفون من أمر الدين بتلاوة أذكار لا فقه فيها ولا تدبر، وجهلوا أن أعمال الإسلام كلها تصبح قليلة الجدوى، إذا كان العقل عليلا سقيما، والفطرة معوجة. إن هؤلاء يدمرون الدنيا لأنهم يجهلون مقاصدها، إنهم بعدوا عما عرفه سلفهم، الذين عرفوا أن الدين هو الدنيا موزعة بين الإيمان والشرائع هداه بالعبادات التي تزكي الروح والجسد معا، وتصلح الدنيا والآخرة جميعا.

إن الإسلام لم يطلب من المسلمين أن يزهدوا في الدنيا لقوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

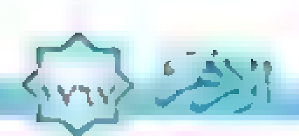
(البقرة: ٢٩)

ولم يقل لهم: ازهدوا في خيرات الأرض لكي ترتقوا إلى أن تكونوا ملائكة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٢)

❁ ❁ ❁



نحو فلسفة إسلامية معاصرة

للدكتور: محمد عمارة

هذه الصفحات ليست بحثا فى الفلسفة الاسلامية. بالمعنى الفنى للبحث وللفلسفة الإسلامية وانما هى. فى مبلغ طموحها. تصور. فى نقاط للسبيل إلى فلسفة اسلامية معاصرة.

فنحو فلسفة اسلامية معاصرة هو موضوع هذا الحديث. وليس البحث فى ماهية الفلسفة الإسلامية المعاصرة.

ولما كان الهدف من هذا التصور هو حفز الفكر لادارة الحوار حول هذا الموضوع. لذلك كان اختيار عرضه فى عدد من النقاط. التى هى قضايا نأمل أن يقود الحوار فيها وحولها إلى خطة طموحة. وعملية تثمر. إذا هى وضعت فى الممارسة والتطبيق. فلسفة اسلامية معاصرة تفى بحاجات العقل المسلم فى هذا الميدان من ميادين المعرفة الإسلامية.

وإذا كان هذا هو إطار موضوع هذه الصفحات.. فإن النقاط التى تمثل قضاياه. هى على وجه التحديد:

١ ـ هل من الممكن. والضرورى. أن تكون الفلسفة معاصرة؟

٢ ـ وهل الفلسفة ضرورية فى عصرنا الراهن؟

٣ ـ وماهى ملامح واقعنا الفلسفى المعاصر؟ .. وهل نحن فى مأزق فلسفى؟!

٤ ـ وماهو السبيل إلى الخروج من هذا المأزق الفلسفى؟ .. وهو المأزق الذى يشل طاقة إبداع الفلسفى.. وهل من نماذج لمقولات تمثل معالم فى مشروع لفلسفة إسلامية معاصرة..؟

تلك هى النقاط التى تطمح هذه الصفحات إلى بلورة تصور أولى حول موضوعاتها. حفز الفكر إلى إدارة الحوار حولها، تمهيدا لتجاوز مرحلة نحو .... وبلوغ الغاية فى هذا الموضوع. غاية إحياء وتجديد وإبداع فلسفتنا الإسلامية معاصرة إن شاء الله

١ ـ أما فيما يتعلق بعلاقة الفلسفة ـ أية فلسفة ـ بالعصر ـ أى عصر ـ فإن الأمر الذى لا شك فيه، أن هناك فارقا بين وحدة الحقيقة، وثباتها.. وبين نسبية ما يدركه العقل من هذه الحقيقة الثابتة. الأمر الذى يجعل لكل عصر من العصور مدخلا فى مستوى الإدراك لهذه الحقيقة الثابتة. وفى حجم ما يدرك منها.. كما أن لكل عصر مشكلاته التى تستدعى إعادة ترتيب الأولويات. وأولويات القضايا والمشكلات الفكرية الملحة والمطروحة على عقل المعاصرين لهذه القضايا والمشكلات. الأمر الذى يجعل للفلسفة ـ أية فلسفة ـ علاقة بالعصر ـ أى عصر ـ على الرغم من وحدة الحقيقة الفلسفية، وثباتها

فمشروع هو. وطبعى الحديث عن فلسفة إسلامية معاصرة.. والتوجه نحو إحيائها وتجديدها وإبداعها. انطلاق من حقائقها الثابتة. وفى ضوء ما بلغه العقل المسلم من إدراك هذه الحقائق الثابتة. استجابة لمشكلات الأمة المعاصرة، التى تستدعى ترتيبا للقضايا يلبى إبداع حلول الفلسفية لهذه المشكلات.

٢ ـ أما عن ضرورة الفلسفة لعصرنا الراهن..

فربما بدا هذا التساؤل غريبا ـ لدى البعض، لكن الذى يجعله طبيعيا، ويطلب الإجابة عليه، هو ما يتردد فى كثير من الكتابات التى تقول بسقوط، أو على الأقل تراجع العقائد والأيديولوجيات فى هذا العصر الذى نعيش فيه.. فهناك إذن. دعوى تراجع الفلسفات والعقائد والأيديولوجيات، فى عصرنا الراهن، لحساب العلم والإنجازات التى يحققها فى التطبيق المادى، وفى ميادين الغنى والثراء على وجه الخصوص.

وفى اعتقادى أن نظرة فاحصة إلى واقع عصرنا الراهن، ستضع يدنا وعقلنا على زيف هذه الدعوى.. دعوى سقوط العقائد وتراجع الفلسفات والأيديولوجيات لحساب العلم وتطبيقاته والثمرات المادية لإنجازاته.

• فالتراجع ـ الذى يضرب به أصحاب هذه الدعوى المثل ـ للأيديولوجية الماركسية ـ فى الدول الاشتراكية ـ مثلا إنما يتم لحساب الأيديولوجية الليبرالية.. فالاعتراف بأهمية الحافز الفردى فى الاقتصاد، وبالحقوق الفردية للإنسان، والتخلى عن ضرورة واحدية الحزب ودكتاتورية الطبقة ـ البروليتاريا ـ ليس تراجعا عن الأيديولوجية الماركسية لحساب العلم وضرورات الواقع وحدهما، وإنما هو تراجع تدريجى يدفعه العلم وضرورات الواقع نحو التبنى للأيديولوجية الليبرالية الغربية.. فما يحدث فى هذا النطاق هو استبدال أيديولوجية بأخرى ـ بتدرج بطىء ـ الأمر الذى يوحى بعودة التئام الانشقاق الذى حدث فى الأيديولوجية الغربية ـ الليبرالية ـ التئام الشق الشمولى فى الشق الليبرالى... فلسنا أمام سقوط مطلق الأيديولوجية، وإنما نحن أمام استبدال نوع منها بنوع آخر... بل إن تأثير الأيديولوجية الليبرالية، وقدراتها على تجديد نظامها، وكفاءة مؤسساتها فى محاصرة كثير من أمراضها، هى عوامل فاعلة فى هذا التراجع للنموذج الشمولى لحساب النموذج الليبرالى.. فعمل الأيديولوجية هنا قائم، بل وحاسم.. على عكس ما يحسب الذين يتحدثون عن تراجع واقعنا المعاصر عن

الاستجابة لتأثير الأيديولوجيات.

وهذا التقسيم الذى ميز ويميز المجتمعات المعاصرة إلى أغنياء و فقراء.. شمال وجنوب

والذى يسرفه دعاة سقوط الأيديولوجيات وتراجع العقائد دليلا على دعواهم.. هو الآخر شاهد عليهم، وليس شاهدا لهم.. فالعامل الأيديولوجي بالغ التأثير وحاسم في العمل، سواء في غنى الأغنياء أو في فقر الفقراء.. فالمجتمعات التى صنعت لها العقيدة إطار انتماء، حركها في مشروع نهضوى، هى التى انعتقت من الفقر.. وبعض هذه المجتمعات قد سعت لفرض نموذجها الأيديولوجي على الغير، وفي سبيل ذلك حاولت مسخ ونسخ وتشويه أيديولوجيات هذا الغير فأصابت إطار الانتماء لديه بالعطب. الأمر الذى أصاب المجتمعات التى ابتليت بذلك بتمزق الهوية، والانقسام في التوجه الأيديولوجي.. فأعاق ذلك شعوب هذه البلاد عن بلوغ حقيقة الاستقلال عن هيمنة الأغنياء.. أهل الشمال.. فظلوا في معسكر الفقراء.. أهل الجنوب... فالعامل الأيديولوجي قائم، بل وبارز، أيضا في هذا التقسيم وهذا الانقسام.

إن هذا الذى يشهده واقعنا المعاصر لايعدو أن يكون تنوعا وتغيرا في أشكال الصراع بين الأيديولوجيات.. فهو شاهد على دورها في تحريك فرقاء هذا الصراع.. وليس شاهدا على سقوطها أو تراجعها بحال من الأحوال.

٣ـ فإذا ما جئنا إلى وضعنا الحضارى، وجدنا نفسنا إزاء أمتنا الإسلامية التى فرض عليها الغرب.. باستعماره.. هيمنة وتغريبا واستلابا حضاريا، يناهز عمره القرنين من الزمان مر بـ فيه ولا يزال ضروب للمسخ والنسخ والتشويه لهويتنا الإسلامية وخصوصيتنا القومية وتميزنا الحضارى.

لقد أحرز الغرب نجاحا لا ينكر على حساب شق وحدة عقل الأمة، فتكونت في وعيها الفكرى نخبة اتخذت منه قبلتها الفكرية والحضارية، ورأت في نموذجه وخياره الحضارى مستقبلا متصلة.. فبدأت من حيث انتهى.. بل وأحيانا، من حيث بدأ!!.. قاطعة الأسباب التى تصلها بتراثها الفكرى وللمسيرة الحضارية لأمتها الإسلامية.

ولقد ساعد الغرب على إحراز هذا النجاح عجز المؤسسات الفكرية الإسلامية التى كانت قائمة في بلادنا عند اجتياحه لها، وجمود الفكر الموروث الذى كانت قد عكفت عليه هذه المؤسسات، على النحو الذى أعجزه عن ملء الخيالة الفكرية للأمة، وتحريك طاقات المقاومة فيها، وتقديم البديل المنافس للنموذج الغربي لقد حاصر الغرب محاولاتنا في اليقظة، ليملأ الفراغ الذى حاول ملئه بالتغريب!

لقد مثلت مؤسساتنا الفكرية الموروثة، في جملتها: السلفية.. النصوصية التى انحدرت من سلف عصر التراجع الحضارى للرجع والقمرة والمعين.. الأمر الذى جعلها تخسر السباق مع الغرب، ففقدت من تبنها النخبة التى انبهرت به، فتغربت عنها، وتحدثت من سلف ومرجع والقمرة والمعين، وأصبحنا بإزاء نزعتين من السلفية، النصوصية تنطلق إحداهما من تراث العاجز، والأخرى من تراث الغرب غير الملائم..

يكون عصر هذين السلفيتين على بعض الأمة من تخلف الذى تشب فيه الفتاة منذ عدة قرون.

إن الكثير من طاقات أمتنا الفكرية تتبدد في صراع بين فرقاء هذه السلفية - النصوصية، فرق منسحبين من الزمان، والمنسحبين من الخصوصية الحضارية تدور أغلب معاركها الفكرية التى تستنفد جهد و طاقة دون أن تنهض بالأمة من مأزق الذى تردت فيه

وهنا، وبهذه الملابسات، تبرز الأهمية القصوى للإحياء والتجديد الذى يستمد منابعه الفكرية من جوهرية النقية - وفي مقدمتها القرآن والسنة - متمثلة وحوافى عصر التراجع الحضارى ويستبعد التفاعل الحضارى الخلاق بالتمييز والتقسيم للآخرين.. الإحياء والتجديد على جبهة الفكرية العريضة.. وفي ميدان الفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص. ومن ثمة صورة الأيديولوجية الخاصة القادرة على أن تكون الهوية الفكرية التى تحقق الانتماء للأمة. وبعد الانتماء إلى مشروع حضارى إسلامي يكون دليل عمل للنهضة التى تعيد هذه الأمة إلى موقع الشهود الحضارى من جديد

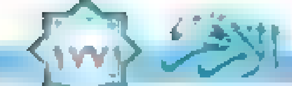
لقد حول الغرب - بقوته وبفكره - ديار الإسلام وثرواتها وشعوبها إلى هامش مركزه الحضارى.. ففرض علينا الجهاد، بمعناه الواسع الشامل لكل ميادين الحياة.. للتحرر السياسى والاقتصادى.. والتحرر الأمنى والعسكرى.. والتحرر الحضارى.. ولتوحيد وطن الأمة الحضارى.. ولاستخلاص أجزائها وشعوبها المسلوبة والأسيرة.. ولحماية ثغورها المهددة.. ومساندة أقلياتها المستضعفة.. وللعودة بها وبالإسلام إلى مكان الصدارة والإمامة في منتدى الحضارات العالمية، كي تسهم في إثراء وإغناء الفكر الإنساني من جديد.

وفي هذا الجهاد، تتجلى أهمية الأيديولوجية.. العقيدة.. وبعثو التجديد لفلسفة الإسلام، التى تستجيب لمشكلات العصر، وتتصدى لتحدياته طوق نجاة ودائرة انتماء وروحا حضارية لابديل عنها كي تحقق الأمة نصرها المأمول في هذا الجهاد.

والأمر الذى لا شك فيه أن حاجتنا إلى الإحياء والتجديد لفلسفة إسلامية معاصرة، سيتزايد إلحاحها وتبرز ضروراتها إذا نحن نظرنا في واقعنا الفلسفي الراهن و المأزق الفلسفي الذى نعيش فيه.. فالمقارنة بين المهام الواجبة وبين الواقع القائم تبرز حجم الجهد الفكرى المطلوب في هذا الميدان.

إن الواقع الراهن للفكر الفلسفي في حياتنا العقلية، مصاب.. إلى حد كبير جدا.. بالانفصام عن الهوية العقدية للأمة، وبالغربة عن واقعها، ومن ثم بالعجز عن تلبية احتياجاتها العقلية، ومواجهة التحديات التى تتنازع عقلها ووجدانها، سواء منها التخلف الموروث أو الوافد الغريب والغازى.

فموروثنا في علم الكلام الإسلامى.. والذى مثل في عصر نشأته فلسفة الأمة، ودرع عقيدتها، وإحدى قسمات أيديولوجيتها.. هذا الموروث.. كما هو حاله الآن.. مثقل بمشكلات ومعارك ومقولات تجاوزها الزمن.. حتى لقد غدت قيودا تعجز حركة هذا العلم، وتحول بينه وبين أن يكون قسمة في فلسفة إسلامية



معاصرة.. بل لا نبالغ إذا قلنا إن بقاءه على ما هو عليه هو عامل من عوامل عزل العقيدة، حيث المطلوب منه أن يكون الباعث على صفائها ونقائها!

وموروثنا في التصوف، قد توزعت آثاره وتياراته بين تيارين.. تيار غلب عليه الغموض الباطني، المجافي للعقل والنقل معا، والذي إن صلح لتجربة ذاتية فهو غير صالح للتعميم، ومن ثم فهو عاجز عن أن يكون قسمة في أيديولوجية محركة للأمة في هذا الجهاد.. أما التيار الثاني في موروثنا الصوفي، فهو ذلك الذي سادت فيه الشعوذة والخرافة على النحو الذي جعل منه قيدا غليظا وثقيلا يعجز قطاعات عريضة من الأمة عن أن تكون إيجابية في مواجهة ما فرض علينا من تحديات.

أما التراث اليوناني، في موروثنا الفلسفي.. والمتمثل في آثار فلاسفتنا المسلمين - فهو - بالرغم من فوائده في الدراسات الفلسفية المقارنة - إلا أنه - بالنسبة لموضوعنا - موضوع: الفلسفة الإسلامية، التي تسهم في بناء أيديولوجية معاصرة للأمة، تجدد بها ذاتها وواقعها ودينها ودنياها - إن هذا التراث الفلسفي اليوناني هو: بذرة ثبتت غربتها عن تربة واقع هذه الأمة، وتأكد عجزها عن أن تنبت وتثمر فيها على نحو طبيعي يحقق الملائم من الثمرات.

وهذا الفكر الفلسفي، الذي استعرناه من الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة - رغم أهميته البالغة في توسيع الأفق الذي يقارن بين الفلسفات والأنساق الفكرية - إلا أنه لم يعد دائرة المذاهب التي عبرت وتعبر عن خصوصيات للواقع الغربي وللعقل الغربي، عجزت، هي الأخرى - كما عجز الموروث الفلسفي اليوناني - عن أن تكون فلسفة الأمة الإسلامية عجز المقولات اليونانية في تراثنا الفلسفي عن أن تكون فلسفة الإسلام... وهذا العجز هو الذي جعل الساحة الفلسفية ببلادنا تخلو من الفيلسوف المسلم، صاحب المذهب، والذي يجد له جمهورا أو مدرسة أو تيارا فلسفيا - إذا استثنينا الأفغاني، أو محمد عبده، أو مصطفى عبد الرازق في عداد فلاسفة الإسلام المحدثين المعاصرين، فلن نستطيع أن نضم إليهم أحدا من أساتذة الفلسفة اليونانية أو الغربية باعتبارهم من فلاسفة الإسلام!.

إن النقص لم يكن في الكفاءة.. والعيب لم يكن في العدد.. والمشكلة لم تكن في الأرض أو فرصة التفلسف والفلسفة.. وإنما كان النقص والعيب والمشكلة في البذرة الغريبة، غير الصالحة للإنبات والنمو في عقل الأمة ووجدانها لأنها من خصوصيات الغير الاعتقادية وليست من المشترك الإنساني العام!

إذن.. فنحن أمام مأزق فلسفي أصاب فكرنا الفلسفي بالقصور - الذي يقارب العقم -.. وهو مأزق جعل حياتنا العقلية - في الفكر الفلسفي - تقف عند: مدرس الفلسفة ودارس الفلسفة.. دون أن تتبلور لدينا فلسفة إسلامية معاصرة، لها فلاسفتها ومدارسها وتياراتها.. فلسفة تستجيب لمشكلات العقل المسلم المعاصرة، وتعينه على تفسير واقعه وعلى تغييره وتشد أزره في مواجهة ما يواجه من تحديات.

إنه مأزق الفقر في الإبداع بسبب المكتسب من عادة واعتياد التقليد للآخرين، بل والتسول - أحيانا - على موائد هؤلاء الآخرين!.. فالبذور المستعارة غير ملائمة للأرض الخاصة.. والزراع لا علاقة لمهاراتهم بعلم فلاحة الأرض التي عليها يعيشون؟!.

٤ - لكن.. هل من سبيل للخروج من هذا المأزق الفكري الفلسفي؟

إن الجواب لا يمكن أن يكون إلا بالإيجاب!.. ففي حضارة جعل الله التجديد فيها سنة وقانونا لا يمكن لأهلها دوام البقاء على التقليد في فلسفتها!!.. فمن الممكن - بل والواجب - القيام بنهضة فلسفية - كجزء من فريضة النهضة الفكرية العامة - تستهدف التجديد والإبداع على صياغة فلسفة إسلامية معاصرة للإسلام والمسلمين، لتكون هذه الفلسفة هي الفكرية - الأيديولوجية التي ينظرون من خلالها النظرة الإسلامية للكون، ويفسرون بها واقع الحياة المعاصر الإسلامي، ويستعينون بها على تطوير هذا الواقع وتغييره بمعايير الإسلام ودوره في التطوير والتغيير، ويتسلحون بها في مواجهة التحديات، سواء منها ما كان موروثا متخلفا أو وافدا ضارا!

وفي اعتقادي أن إنجاز هذه المهمة الكبرى - مهمة بلورة فلسفة إسلامية معاصرة، تمثل فكرية أيديولوجية - للأمة، لأمة تريد أن تجدد واقعها بواسطة دينها الإسلامي - إن إنجاز هذه المهمة إنما يستدعي تخطيطا وتنفيذا - لابد له من فريق عمل قائد لكوكبة عريضة من صفوة المشتغلين بالفلسفة الإسلامية... يستدعي هذا الإنجاز تخطيطا وتنفيذا نوجز أبرز معالمه فيما يلي من نقاط:

١ - الالتزام بالحقيقة القائلة: إن المسلمين أمة متميزة حضاريا لتميز شريعة الإسلام عن غيرها من الشرائع.. وأن العلاقة مع الآخر الحضاري - ومن ثم الآخر الفلسفي يجب أن تكون علاقة التفاعل، من موقع المستقل الراشد فبرأ من علو الانغلاق أو المحاكاة والتقليد.

٢ - اعتماد سبيلي:

أ - التجديد والإحياء والتنقية لموروثنا الفلسفي - من الوحي الإلهي والسنة النبوية وتراث الفلاسفة الإسلاميين - وفق معايير العقيدة الإسلامية.. وبعقل معاصر ومستنير.. وفي ضوء مشكلات العصر وتحدياته وقضاياه.

ب - والإبداع الفلسفي الجديد الذي يستجيب لضرورات العصر وقضاياه الفكرية التي لم يعرفها القدماء.

٣ - استهداف أن تمثل هذه الفلسفة: فكرية - أيديولوجية - أمة الإسلام لالتزامها بعقيدة هذه الأمة، وتوجيهها لتفسير واقعها وتطويره وتغييره باتجاه الاتساق مع معايير الإسلام.. وذلك كي لا تكون هذه الفلسفة ترفا فكريا لصفوة معزولة عن الواقع ومتعالية عليه، وعلى عقيدة أهله الدينية.. فالمطلوب لهذه الفلسفة ومنها: أن تكون قسمة في المشروع الحضاري الإسلامي، المدعو كي يكون دليل عمل النهضة الإسلامية التي تعيد الإسلام وأمته إلى موقع الإمامة والصدارة والشهود الحضاري في منتدى الحضارات الإنسانية قياما بفريضة القيادة والترشيد للعالمين.. إنها فلسفة - مجاهدة لابد

لها من فلاسفة ـ مجاهدين!.

٤ ـ أن يكون التوحيد الإسلامي بأبعاده العقدية والحضارية والاجتماعية والإنسانية، التي لا تعرف التنافي.. وكذلك الوسطية الإسلامية ـ الجامعة: الروح والمزاج والصبغة التي تعصم هذه الفلسفة الإسلامية من أزمة ومأزق فلسفة الحضارة الغربية، مأزق الثنائية ـ الاستقطابية بين: مادية ومثالية.. فرد ومجموع.. ذات وموضوع.. جسد وروح.. دين ودولة.. دنيا وآخرة.. سماء وأرض.. إلى آخر هذه الثنائيات التي أفقدت وتفقد إنسان تلك الحضارة الغربية التوازن والاتزان.

إن فلسفة الإسلام، وفلسفة المسلم، هي التي تنبع من شمولية الإسلام الجامعة والمحيطة بكل عوالم الكون ـ الغائبة والشاهدة ـ وبكل أمم المخلوقات ـ الإنسية وغير الإنسية ـ.. وهي التي تعين المسلم ـ إذا اتخذ منها المنظار الذي ينظر به ـ على الانتماء إلى هذا الكون ـ كخليفة عن خالقه، وزميل لمخلوقاته الأخرى ـ فتحقق له السعادة، بالموقف الوسطي المتوازن أمام المتناقضات.

إنها الفلسفة التي يتحقق فيها وبها الجمع والتأليف والتوفيق والتساند والارتفاق بين كل من:

العقل والنقل.. فعقلها مدرك لنطاقه ولآفاقه.. ونقلها معقول.

وعالم الغيب وعالم الشهادة.

والمادية المؤمنة بخالق المادة، الداعي لتقديرها حق قدرها.

والسببية المؤمنة بخالق الأسباب والمسببات.. والسنن والقوانين الفاعلة والمخلوقة في ذات الوقت.

وعتمد العقل أداة للنظر في كتابي الوحي.. والكون.

ونظرية في المعرفة ترى أثر الموجودات في المعارف.. وتؤمن بالسمعيات مصدرا للمعارف فيما لا تستقل الحواس ـ ومنها العقل ـ بإدراكه.

وتحقق ـ بالإيمان الديني ـ انتماء الإنسان للكون والمحيط، كي لا يصاب بالاغتراب.

وتمثل الدليل الذي يقدمه للإنسان ـ ويجيبه على ـ علامات استفهامه عن: البدء.. والمسيرة.. والمصير.. والحكمة.. والغاية.. وذلك عندما تشمل مقولاتها قضايا من مثل:

أ ـ المعتقد في الألوهية.. والخلق والنبوة والرسالة.. وعالم الغيب.. واليوم الآخر.. والحساب والجزاء.

ب ـ الحياة الروحية التي توازن ضرورات الجسد وغرائزه.

جـ ـ الأخلاق.

د ـ الاجتماع الإنساني.. في السياسة والاقتصاد.. وكل شئون العمران البشري.

هـ ـ التربية الجمالية والفنية والأدبية للإنسان.

و ـ الحياة العقلية.

ز ـ فلسفة الإسلام في العلوم والمعارف والآداب.. وفي تصنيف هذه العلوم.. إنها فلسفة حية للمسلمين كما حددها دين الإسلام.

وإذا كان الإبداع الفلسفي الذي يستجيب لهذا التصور، هو سبيل أساسي لتحقيقه، فإن إسلامية هذا الإبداع هي رهن بمجيئه في إطار ونسق النصوص الحضارية مع ثوابت وأصول دين الإسلام وترسمه في العقلانية الإسلامية.. وأصول الدين وأصول الفقه والحكمة والفلسفة الإسلامية.

وبذلك، فإن التصور لنقطة البدء في هذا المشروع ـ الذي يمثل طموحا ضروريا ـ تصور نقطة البدء فيه متمثلة في:

أ ـ الجمع والتصنيف والتبويب لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والحكمة العربية المتعلقة بالنظر العقلي.. والعقائد.. والكون.. والإنسان.

ب ـ إنجاز مشروع لمختارات من التراث الفلسفي الإسلامي، تجتمع فيه النصوص ـ من أدوات ومنطلقات ـ بعد نصوص القرآن والسنة والحكمة العربية ـ:

مختارات التي تمثل ثوابت وأصول علم الكلام الإسلامي ـ بعد تنقيته وتخريجه وتهذيبه من المعارك والمشكلات التي تجاوزها الزمن، وزالت ملابساتها.. وكذلك ثوابت وأصول فلسفة التشريع الإسلامي ـ أصول الفقه ـ.

والمختارات التي تمثل الإضافات الإسلامية والإبداعات الإسلامية للفلاسفة المسلمين في شروحهم على فلسفة اليونان والهند.

والمختارات الصوفية التي جعلت من الذوق والكشف سبيلا للوعي والمعرفة والارتقاء الروحي، بعد تنقيتها ـ قدر الإمكان ـ من الغنوص الباطني ومن الشعوذة والخرافة.

والمختارات التي تمثل إبداع المسلمين في فلسفة العلوم.. وفي تصنيف العلوم.. فإذا أنجزنا هذا المشروع، الذي يجسد ويبقي ويحيي: صفوة النصوص الفلسفية الإسلامية ـ ويبوبها، كنا قد يسرنا لفكرنا الفلسفي المعاصر: الموروث الإسلامي في الفلسفة.. وهيأنا للعقل الفلسفي المسلم المعاصر: المنطلق، الذي يستطيع ـ إذا هو رأى في ضوئه واقعه المعاصر ـ أن يبدع ويطور كي يصل إلى فلسفة إسلامية معاصرة، تتحقق فيها الإسلامية، بالارتباط بالأصول الإسلامية.. وبالاستجابة لمشكلات الواقع الذي يعيشه المسلمون.. الاستجابة الإيجابية التي توظف الفكر الفلسفي في مشروع النهضة والإحياء والتجديد.

تلك مجرد نقاط وعناوين تصور أولي.. إذا نماه الحوار، وطورته الإضافات والتعديلات.. فلقد يكون صالحا ـ إذا وضع في الممارسة والتطبيق ـ أن يعبر بنا الحلقة المفرغة للمأزق الفلسفي الذي نعيش فيه، ويقودنا ـ عبر مرحلة التحول ـ إلى فلسفة إسلامية معاصرة!.. تتأسس على العقيدة الإسلامية.. وتستعين بالعقلانية الإسلامية.. وتكون بمثابة الفكرية ـ الأيديولوجية، التي تصطبغ بها نظرة المسلم للكون، كما تكون قسمة من قسمات المشروع الحضاري الإسلامي.. وأداة من أدوات التغيير للواقع البائس الذي يحياه المسلمون الآن.

والله من وراء القصد.. به نستعين..

وهو ولي التوفيق،



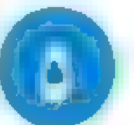


الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى

تأليف

الدكتور/ عبدالوهاب المسيرى

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين





كى يؤدى الإنسان دور الخلافة فى الأرض وتحقق تعميرها... فطره خالقه ـ جل وعلا ـ على العيش فى جماعة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

فكان الإنسان كيانًا اجتماعيًا، يسعى إلى التعارف والتآلف والتعاون، حتى تتوفر له نعمة الأمن التى امتن الله بها عليه، فتتهيأ له البيئة التى تمكنه من القيام بدور الخلافة فى الأرض التى جعله الله للقيام بها؛ فتتواصل مسيرة التنمية والتعمير والإصلاح.

ولكن من بين هذا الإنسان من انحرف به ما غرز فيه من رغبة فى الاستحواذ والتملك فدفعه إلى إهمال تلك النعمة أو إلى الغفلة عنها، فاستسلم لقوى الحسد والحقد، وانطلق بعربد فى كل ميدان ليحرز قصب السبق والتفوق على الآخرين.

ومن هنا... أصبح للسلام ـ الذى يتحق له به الأمن ـ مفهوم آخر، يناقض حقيقة السلام الفطرى، حيث تأججت نيران الحرب المشتعلة فى نفسه وفيما بينه وبين الآخرين، وباتت تلك الحرب والانتصار الوهمى فيها هى شعلته التى يهيمن عليه فى صحوه ومنامه

وبذلك... فقد نعمة الأمن، واستبد به الخوف الذاتى فيما بينه وبين نفسه بما يتولد عنه من قلق دائم، واضطراب دائم، واستبد به الخوف الأسرى فيما بينه وبين أهله بما يتولد عنه من كراهية وبغضاء وتربص، واستبد به الخوف الاجتماعى فيما بينه وبين عشيرته بما يتولد عنه من تقاطع وتدبر وعزلة، واستبد به الخوف الشامل فيما بينه وبين العالمين، بما يتولد عنه من حروب مستمرة، وإنهاك لكل القوى الخلاقة فى الإنسان.

ولكن هذا الإنسان قد يفتقد ـ بين غفلة وأخرى ـ إلى عبيره فى حفظ على نعمة الأمن، وضحى فى سبيل تلك النعمة بهذه المطامع الخادعة والرغبات الزائفة، ويقارن بين ما حققته هذه نفسه، فيتوق للرجوع إلى الفطرة التى خلقه الله عليها، ويتمنى لو استعاد من أنواع السلام ما يوفر له الراحة من هذا الصراع المرير الذى لا طائل من ورائه؛ فالموت الداهم لا يترك أى مخلوق ليهنأ بما صوره له الوهم من سلطان وسطوة.

ومع هذا هم فى حاجة إلى السلام

وهذا ما لمسه الدكتور المسيرى ـ مع قسوة هذا العنف الصهيونى ـ فى نفوس الإسرائيليين والعرب، فذكر أن رغبة هؤلاء وأولئك فى السلام ـ بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ ـ أصبحت قوية، وصادقة، وحقيقية، وأن هذه الرغبة قد تولدت لدى الإسرائيليين ـ مع غطرستهم وجبروتهم ـ لأسباب كثيرة، من أبرزها:

١- إدراكهم أن الانتصارات العسكرية لم تأت بالسلام لهم رغم تفوقهم العسكرى.

٢- إدراكهم أنهم لم يعودوا قادرين على تحمل الحرب الدائمة، لعدم إمكان شن الحروب الخاطفة.

عبدالوهاب المسيرى

٣- وإدراكهم أن الاستنفار الدائم لم يعد ممكنا بسبب مقتضيات الاقتصاد الإسرائيلى.

٤- وإدراكهم أن تزايد تكلفة الحرب يعنى تزايد اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة التى قد تضطر إلى رفض التورط فى مغامرات خارجية، على الرغم من الثقة فيها.

٥- ظهور علامات الإرهاق والتدمر بين المستوطنين الصهيونيين.

٦- بدء العرب فى تطوير نظم هجومية دفاعية.

٧- تبدد مسألة التسليم والاستسلام من الفلسطينيين.

٨- اختراق العمق الاستراتيجى بعد قيام السلطة الفلسطينية، حيث توجد كتلة بشرية ضخمة قوامها مليونا فلسطينى فى الأرض المحتلة بعد سنة ١٩٦٧.

لهذا... أصبحت الرغبة الإسرائيلية فى السلام حقيقية وصادقة، ولكنها تشكل صراعا داخليا بمواجهة دولة استيطانية إحلالية، اغتصبت الأرض وحاصرت سكانها، مُصرة على التمسك



بالأرض والسيادة عليها؛ مع محاولة فرض سلام المقابر على الفلسطينيين.

ومن هذا المنطلق... تبدأ معزوفة السلام الإسرائيلية بالدعوة إلى البعد عن العقد التاريخية، وإلى أن تتناسى دول المنطقة خلافاتها؛ لمواجهة الخطر الأكبر – وهو الإسلام، والاتحاد السوفيتي الذي حل محله الآن الدولة الإيرانية – وإلى إيقاف المقاومة، واستسلام الفدائيين مقابل تسليم بعض المدن والقرى التي لا تنسحب منها القوات الإسرائيلية الغازية. وإنما يعاد نشرها، وهذا ما يسمونه «الأرض مقابل السلام»؛ وذلك لأن أرض فلسطين هي أرض الشعب اليهودي؛ فالقوات الوطنية لا تنسحب من أرض الوطن، وإنما يعاد نشرها فيه وحسب.

وبناء على ذلك... تتشكل المفهوم الصهيوني للحكم الذاتي الذي قد تبدو أفكارهم حوله متضاربة، ولكن الواقع يؤكد أنها جميعها تتسم بالوحدة التي تبدو مظاهرها واضحة في:

■ أولاً: عدم توجه جميع الصيغ الصهيونية لقضية الفلسطينيين الذين طردوا سنة ١٩٤٨ على الرغم من صدور قرار هيئة الأمم المتحدة بحقهم في العودة إلى ديارهم، أو التعويض لمن لا يريد العودة.

■ ثانياً: عدم تحدث الجميع عن الأراضي خلف الخط الأخضر التي خصصها قرار التقسيم للفلسطينيين؛ لأن التحدث عن ذلك إنما هو تفاوض بشأن ملك الكيان الصهيوني.

■ ثالثاً: قيام كل الحلول على فكرة التفسير والخضوع بدفع أحد الأطراف الآخر للتسليم بوجهة نظره، اعتماداً على رؤيتهم التاريخية التي يعتقدون أنها وحدها الرؤية السليمة.

ومقومات الدولة

من إفراز العنف الصهيوني

وفي الفصل العاشر «الاستيطان والاقتصاد» – وبعد استعراض مستفيض للطابع الاقتصادي الصهيوني في فلسطين قبل سنة ١٩٤٨ – وبعدها – يذكر الدكتور المسيري: أن الاقتصاد العسكري الاستيطاني عبَّر عن أبعاد هذا العنف الصهيوني من خلال مؤسسات عديدة من أهمها: الهستدروت، والكيبوتس.

١- أما «الهستدروت» فهو نظام يقوم العنف فيه على الالتزام بتغيير الطبيعة البشرية، وتحويل أعضائه إلى كائنات تحركها الصهيونية وفق أهدافها ومقاصدها، دون تقدير لأي شيء غير مادي.

ولذلك... عده الصهيونيون أداة لعملية الاستيطان، ولتنشيط الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين، فكان – بمنشآته الاقتصادية – العمود الفقري للاقتصاد العمالي الصهيوني.

ويضم «الهستدروت» مجموعتين كبيرتين من المصالح الاقتصادية، هما

التعاونيات، والشركات الضخمة التابعة لحركة العمال في فروع الصناعة، والبناء، والتجارة، والمصارف.

وقد بدأت مكانة «الهستدروت» في التدهور منذ أواخر الثمانينيات نتيجة الأوضاع الاقتصادية المتردية في إسرائيل، ونتيجة انهيارات في بعض أنشطة الهستدروت ومشاريعه، ووجهت الاتهامات لزعامة الهستدروت بسوء الإدارة، والمحسوبية، والفساد، حتى قرر الكنيست سنة ١٩٩٥ وضع الهستدروت تحت إشراف المراقب العام للدولة، إثر الكشف عن فضائح فساد بعض قيادات حزب العمل الذين قاموا باستغلال موارد الهستدروت في تمويل الحملات الانتخابية.

ومن النظر في نشأة «الهستدروت»، وعلاقته بالاستيطان، ودوره الفعال في الدولة الإسرائيلية... يتبين أنه جزء عضوي ورئيسي في المجتمع الصهيوني الاستيطاني، حتى لقد أصبح الأداة الأساسية التي تعبر من خلالها الفاعلات السياسية في المجتمع عن قراراتها في مختلف نواحي الحياة.

٢- وأما «الكيبوتس»، فهي المؤسسة الاقتصادية الاستيطانية العسكرية الشعبية، ولها – مع هذا – بعد شبه ديني شأنها شأن معظم المصطلحات الصهيونية، فالكلمة – كما في العبرية – «تجمع» – تعني التجمع السكني.

ويعد «الكيبوتس» من أهم المؤسسات الاستيطانية التي يستند إليها الاستعمار الصهيوني في فلسطين المحتلة.

ويمكن القول: بأن نشأة «الكيبوتس» وتطوره، وبنيته، وما لحق به من تآكل، وما يواجهه من أزمات... يجعل منه نموذجاً مصغراً للاستيطان الصهيوني.

ورغم أن «الكيبوتس» مؤسسة عسكرية... هي ليست مؤسسة عسكرية بالمعنى المألوف للكلمة؛ فأعضاء «الكيبوتس» هم جماعة وظيفية عسكرية استيطانية، وظيفتها القتال والاستيطان.

وحينما ينضم عضو للكيبوتس فهو لا يشتري شيئاً؛ لأنه لن يملك شيئاً، وحينما يترك «الكيبوتس» لا يبيع شيئاً ولا يأخذ معه شيئاً. فالأعضاء لا يتقاضون مرتبات، وإنما يحصلون على كل احتياجاتهم الأساسية دون مقابل.

وإضعاف الروابط الأسرية في الكيبوتس يتم لحساب الروابط القومية، ولحساب الولاء للدولة أو المؤسسة؛ لأن الفرد الذي لا يعيش حياة خاصة، والذي ليس له ذكريات فردية لا يربطه أي رباط بإنسان آخر... هذا الفرد هو القادر على الانتماء بسهولة ويسر إلى جماعته الوظيفية؛ فالتصميم المعماري للكيبوتس يهدف إلى إضعاف الروح الأسرية وتقوية الروح الجماعية، حتى إن الكثيرين من أعضاء الكيبوتس يرون أن الزواج مؤسسة بالية لابد من التخلي عنها.

ولأن فكرة الكيبوتس الأصلية كانت قائمة على أن مصلحة الجماعة أهم من مصلحة الفرد، ولكن مع تصاعد معدلات العولمة والاستهلاكية ـ وبعد سنة ١٩٦٧ ـ بدأت النزعات الفردية فى التطور، وبدأت الجماعات تفقد أهميتها، وأصبحت الأولوية للفرد على حساب الجماعة.

وقد ذكر الدكتور المسيرى لهذا التحول مظاهر كثيرة استعرض بعضها تفصيلاً، ومن أبرزها: مشكلة المرأة ومشقة ما يوكل إليها من الأعمال اليدوية، وعدم القدرة على تحقيق المساواة التامة بينها وبين الرجل، ورغبة المرأة فى استرجاع أمومتها، ومشكلة الرغبة فى الترف، وتقلص التقشف، ومشكلة التحول من الزراعة إلى الصناعة.

هذا... إلا أن قيام الدولة الصهيونية استلزم أن يكون «الكيبوتس» مجرد جيب خاص، مغلق على نفسه، ولم يعد يعبر عن الآمال الصهيونية، وأن الأزمة الاقتصادية أثمرت ارتباك أحواله المادية، وأن عزلته البنيوية فصلته ثقافياً عن المجتمع، وأن انحسار الأيديولوجية الصهيونية الناشئ عن العجز عن العثور على «يهود» لتوطينهم فى المستوطنات الجديدة... أغرى الكثيرين من ترك «الكيبوتس»، كما إن وجود اليهود الدينيين خلق صراعاً بين «الكيبوتس» العلمانى، والأحزاب الدينية، ولأن اعتماد «الكيبوتس» على «الأشكناز» القادمين من الغرب كان الصراع عنيفاً بينهم وبين «السفارد» المهجرين من البلاد العربية، ولهذا... لوحظ أن كثيرين من أعضاء «الكيبوتس» ـ وهو مؤسسة عسكرية ـ رفضوا الخدمة العسكرية واتجهوا إلى الفرار منها.

مقاصد الصهيونيين ماثلة

فى فكرهم وسلوكهم

وفى الفصل الحادى عشر «الصهيونية استعمار إحلالى» ـ وفى عرض مجمل ـ يذكر الدكتور المسيرى بالتماثل بين الاستعمار الإحلالى فى أمريكا اللاتينية، وفى الولايات المتحدة، وفى جنوب أفريقيا، حيث يستولى المستوطنون البيض على الأرض ويطرد السكان الأصليون منها؛ وذلك التماثل لتحقيق الأهداف الصهيونية القائمة على إنشاء دولة وظيفية قتالية تستوعب الفائض البشرى، وتقوم بحماية المصالح الغربية.

ولذلك... كان إخلاء فلسطين من كل سكانها أو من بعضهم ـ على الأقل ـ هو أحد ثوابت الفكر الصهيونى؛ فاختفاء العرب أمر ضرورى، وعلى المستوطن اليهودى الذى يصل إلى فلسطين أن يعمل على اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم، وتشويه علاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية، والحضارية.

ولكن توافر يحمى دوراً مستوطناً متعذراً؛ فلا يمكنه أن يصنع ما صنع

المستعمرون الإحلاليون السابقون ـ فى حل مشكلة السكان الأصليين ـ سواء بالتهجير، أو الإبادة، أو التزاوج؛ لاختلاف الظروف البيئية والزمانية.

وبهذا استمر التوتر فى الأرض الفلسطينية، ولاذ المستوطن بالعزلة، وممارسة المبالغة فى العنف، بغية تحقيق ما يفرضه عليه دوره الاستيطانى من بذل كل الوسائل لطرد الفلسطينيين؛ فلم يكن العنف المسلح والإرهاب الفعلى هو الوسيلة الوحيدة، ولكنهم ضموا إلى ذلك: الحرب النفسية التى تعتمد على إشاعة الخوف والهلع، وغرسه فى نفوسهم.

ومن هنا... فإن كلمة «عنصرية» التى تشير إلى نسق من القوانين والممارسات يقوم على التفاوت ويعمقه... هذه الكلمة تعنى: «اليهودية»، سواء عُرِّفت تعريفاً عرقياً، أو عُرِّفت تعريفاً إثنياً علمانياً، أو تعريفاً إثنياً دينياً، ولذلك أصدرت هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٧٥ قرارها بأن الصهيونية حركة عنصرية، وإن كانت قد ألغت هذا القرار سنة ١٩٩١ مع تغير موازين القوى فى العالم.

هو العنف وليس غير العنف

وخلص الدكتور المسيرى من هذا الاستعراض لمستفيض لمظاهر العنف الصهيونى ليوضح مدى تمكن العنف من الفكر الصهيونى وتجذره وتطوره وتنامى، فعقد مقارنة بين هذا العنف قبل تمكن الصهيونيين من الاستيلاء على الأرض الفلسطينية سنة ١٩٤٨، وبينه بعد سنة ١٩٤٨، بما يكشف عن تأصل العنف فى هذا الفكر.

ففى الفصل الثانى عشر «الإرهاب الصهيونى قبل عام ١٩٤٨»، ذكر: أن هذا العنف المتمثل فى الممارسات المادية والمعنوية، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ليس حدثاً عابراً عرضياً، وإنما هو أمر كامن فى المشروع الصهيونى الاستيطانى الإحلالى، وأن حلقات هذا الإرهاب وآلياته مترابطة متلاحقة.

فالإرهاب الصهيونى هو الآلية التى تم بها تفريغ جزء من فلسطين من سكانها وفرض المستوطنين عليها، معتمداً ـ فى ذلك ـ على الدعم الاستعمارى الغربى، حتى بعد إنشاء الدولة.

وفى الفصل الثالث عشر «الإرهاب الصهيونى الإسرائيلى بعد عام ١٩٤٨»، ذكر: أن أبرز تطور طرأ على المنظمات الإرهابية الصهيونية بعد سنة ١٩٤٨ هو إسراع القيادة الصهيونية إلى إدماج تلك المنظمات فى بعضها، وإطلاق اسم جيش الدفاع الإسرائيلى عليها؛ ليتحول هذا الإرهاب من إرهاب ميليشيات غير منظمة إلى إرهاب مؤسسى منظم بواسطة «الجيش الإسرائيلى» يسعى لإفراغ الأرض التى يزعمون أنها أرض لا شعب فيها من الشعب الذى يزعمون أنه تصادف فيها.

يتبع

التعامل الإيجابى بين حضارة الإسلام والغرب:

دافع أساسى لحوار متكافئ بين الشمال والجنوب

للأستاذ / عاطف مصطفى

كثر الحديث عن الحوار وتعددت المؤتمرات واللقاءات فى محاولة جادة للوصول إلى صيغة تحقق تقدما فى هذه القضية الشائكة، حتى يعلم الغرب بأن الإسلام دين يحترم الآخر، ويؤمن بالحوار، ونحن نقول لهم بأن الحوار منهج حياة حرص عليه الإسلام. فالقرآن فى مجمله كتاب حوار بين الله والإنسان، وبين الله وملائكته، وبين الله ورسله.

وتصل الحوارات فى القرآن الكريم إلى أكثر من ١٢٠ موضعا، فهناك حوار الله مع رسله، وحوار الرسل مع أقوامهم، وحوار الرسول مع المشركين.

كما أن القرآن الكريم ملىء بكلمات مثل: قل، قالوا، قلنا، ويقولون، وغيرها، وهذه كلها ألفاظ حوارية، وبقية القرآن الكريم تتناول خطاب الله إلى المؤمنين، وخطاب الله إلى الناس، وخطاب الله إلى الكفار وإلى أهل الكتاب، وهذه أيضا مواقف حوارية.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾

(البقرة ٢١٩)

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

(البقرة ١٨٦)

فهو يعد حوارا مباشرا.

وقضايا الحوار فى الإسلام هى الأساس فى الخطاب الإسلامى للناس كافة، والقرآن هو كتاب هداية للناس، من خلال منهج الحوار الذى يتسم بالوسطية والعقلانية.

دور الأزهر.. القاسم المشترك

ولو تأملنا تلك المؤتمرات التى عقدت على مدار عدة سنوات فى مصر، لوجدنا الأزهر الشريف يمثل القاسم المشترك فى كل ما يطرح من فكر ورؤية لإنجاح الحوار، وكان آخرها ما قدمه خريجو الأزهر منذ عدة شهور فى مؤتمرهم الرابع الذى عقد فى القاهرة ـ من اجتهادات وآراء بناءة فى الحوار بيننا وبين الآخر، أو بيننا وبين الغرب حيث يقول أحد المفكرين المشاركين فى هذا الملتقى: إن حوار الثقافات أو حوار الحضارات أو حوار الأديان، أو حوار الإسلام والغرب، كلها عناوين لموضوع واحد، وهو جدير لإعادة القول فيه، والصبر عليه بهدف توسيع نطاق المهتمين بالحوار والمقتنعين به من الجانبين، عسى أن ينتقل الأمر للتعاون على العمل المشترك بين جميع المؤمنين بالسلام أو العدل، واقتلاع بذور الأحقاد



بين الشعوب وأهل الأديان.

وأهمية الحوار تتجلى فى نقاط عدة من بينها أن الحوار يعتبر أبرز وسيلة لتفكيك النزعة العدوانية لكلا الطرفين من الآخر وبخاصة من الإسلام. فهو يعمل على توضيح جوهر الإسلام السلمى، لدى من يرى أنه يقصى الآخر. وبفضل الحوار يمكن التأكيد للطرف الآخر أن الإسلام لا يدعو إلى الاعتداء على الغير، أو النيل منه، أو التوجس منه خيفة.

واستمراره مع الغربيين والآخرين وكسرهم عقلا وعاطفة، يمهد السبيل إلى التعريف بالإسلام وأسسه الصحيحة، التى هى خلاف ما تروجه وتتبناه شرائح اجتماعية معينة، تنسب وتحسب على الإسلام.

حب التعارف والتعايش

والحوار لدى منتقديه يمهد الطريق للتعريف بطبيعة الشعور الدينى لدى المسلمين تجاه غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، وهو شعور مؤسس على حب التعارف والتعايش والتفاهم بين الشعوب، فضلا عن أنه يعزز فرص اطلاع الغرب على معالم الحياة الاجتماعية والدينية للمسلمين والتى يدفع تجاهل حقيقتها الغرب إلى سلوك سياسة تشويه صورة الإسلام والتخويف منه، والأخذ حيطة والحذر منه، والعكس صحيح. فإنه يتيح للمسلمين التعرف على الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية لغير المسلمين، ويطلعون عن قرب على التصور الحقيقى لأهل الأديان الأخرى عن الإسلام والمسلمين، كما أن له مبررات أخرى كثيرة من بينها أنه تقيد مراعاة حتمية التعرف على الأديان وحضرت عن طريق المزيد من الحوار واستمراريته، وأهميته يجب أن تبقى كاحتياج دائم ومهم لحياة ورقى الإنسان فى الوقت الحاضر، وأن استمرار هذه المسيرة الحوارية مرهون بمدى قبول الشعوب لأهدافها والمامهم بمقاصدها فى تحقيق الحب والسلام وإن عدالة نبى الإسلام محمد ﷺ حين وضع أول قانون لدولة الإسلام بالمدينة المنورة بعد هجرته إليها، ونص هذا القانون على الاحترام المتبادل بين المسلمين وجيرانهم، وتعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات من المسلمين واليهود آنذاك. وتطرق إلى شمولية الإسلام فى التعامل المتسامح مع معتنقى الأديان الأخرى، وحفظه لحقوق أهل الذمة عبر تاريخه العريق.

قلق فى الشمال وفى الجنوب

لكننا فى ضوء ما يحدث الآن نشهد تحولات بين المسلمين والآخر بشأن الحوار فى شتى مناحى الحياة الثقافية والسياسية والدينية مما أدى إلى تكريس وإبراز تلك الإشكالية، إذ أثار مزيدا من القلق فى الشمال والجنوب.

فالشمال فى حيرة، لم يتخلص من بعده عن سلبيات الماضى وترديات الحاضر، ينظر إلى المستقبل برهبة وبتفاؤل، إذ يبدو أن وعيه الخالى مازال يختزن ترسبات فترة الماضى، وما تحمله من أفكار بالية وأحكام مسبقة حافلة تحث على الهيمنة فى مختلف مظاهرها.

والجنوب يبدو كالخائف أو المغلوب على أمره، عاجزا عن إجراء حوار يفتحه يحقق إرادته وقدرته على الاختيار والتمييز بين إيجابيات الآخر وسلبياته، وإمكان تحدى مختلف العوائق التى تحول دون فعالية القرار وثبات المساهمة فى الحوارات فى شتى مناحى الحياة المختلفة الدينية والثقافية والاجتماعية.

ولهذا فإن الحاجة ملحة الآن ليعدل كل من الطرفين من نظرته إلى الآخر، واعتماد لغة خطاب تتناسب مع العصر ومع التغيرات التي طرأت على عالم اليوم، ومراعاة الأحوال والظروف والسياق المعاش حتى يتحقق ما ننشده من الحوار، وتجاوز الأحكام المسبقة التي هي في مخيلة كل منهما للآخر، على أن يكون الهدف من هذا الحوار، التفاهم بين الأمم والشعوب، والتقارب فيما بينها، والحد من النزاعات ذات الطابع الديني، والعمل على تبادل الأفكار والمفاهيم والمنجزات الحضارية.

وهنا لابد من التنبيه إلى خطأ من يزعمون بأن العلاقة بين المسيحية والإسلام قائمة على ديمومة الصراع، أو أن الصراع ديني في أساسه.

والحقيقة أن الإسلام والمسيحية لا يقومان على أساس الصراع.

فالإسلام دين السلام والتسامح والمسيحية دين المحبة والتسامح أيضا، ولا يمكن أن توصف علاقتهما معا بأنها علاقة صراع، لأن هذا ضد طبيعة الدين الإسلامي والدين المسيحي.

التسامح الإسلامي عبر الأزمنة

لقد كانت ممارسات المسلمين في شتى عصورهم تطبيقا حيا وعمليا يجسد حالة الإثراء في أرقى درجاتها رعاية وعناية، وأعلى تجلياتها كرما وتسامحا، فالله تعالى يأمر في دينه بالعدل والإحسان، ولا يجرد المسلم من العواطف سلبا وإيجابا، عواطف الحب أو الكره حين يمارس هذا العمل، ولكنه يفرض عليه بذل أقصى الجهد في تحري العدالة المطلقة، فلا يجوز له أن يميل مع الهوى أو أن يحيف مع الشنآن.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(المائدة: ٨)

إن الإسلام حرص على الآخر، وقد تواترت الأدلة على ذلك من خلال السنة النبوية المطهرة، فيروي أبو داود والبيهقي في السنن عن رسول الله ﷺ: (من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة).

فهل عرفت الدنيا أو وعت ذاكرة التاريخ مثل هذا الأفق الرحيب في التسامح ورعاية الأقليات غير المسلمة في مجتمع المسلمين وليت الغرب يعي ذلك ويفهم أن ديننا هو دين التسامح والرحمة.

مواقف يذكرها التاريخ

ونحن نستعرض نماذج سماحة الإسلام وكيف تعامل مع غير المسلمين، وكيف نعم غير المسلمين بالأمن والسلام والطمأنينة داخل الإسلام بلادهم وعاملهم بالحسنى، حيث يشير الدكتور إبراهيم أبو محمد في بحث بعنوان «الحوار بين الموضوعية وإشكالية التحيز» موضحا سماحة الإسلام من خلال موقف يذكره التاريخ بالفخر والإجلال، ألا وهو موقف شيخ الإسلام ابن تيمية، حينما سيطر التتار على الشام، وذهب الإمام ليكلم قائد التتار (قطلو شاه) في إطلاق سراح الأسرى. فسمح القائد للشيخ في إطلاق سراح الأسرى المسلمين وأبى أن يسمح له بإطلاق سراح أهل الذمة.

فقال له الشيخ العالم الجليل: (لا نرضى إلا بفكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيرا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة)، فلما رأى قائد التتار إصراره وتشدده في موقفه من أجل أهل الذمة من اليهود والنصارى أطلقهم له.

وموقف آخر يبين سماحة الإسلام وعلاقتهم بالآخر حين أرسل البطريق المسكوني (يشوع يف الثالث) إلى المطران (سمعان) رئيس أساقفة فارس رسالة جاء فيها: (إن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا، يشاهدون ما أنتم عليه، وهم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس يعطفون على ديننا ويكرمون قسسنا وقديسي الرب ويجودون على الكنائس.

ويعلل السير توماس أرنولد سبب إسلام جماعات مسيحية التي كانت تحت حكم الدولة البيزنطية بقوله: (إنها وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة.. ربما ذلك في شهادة الدكتور «فيليب حتي» المؤرخ المسيحي المعاصر، والذي لم يدخر وسعا في الهجوم على النبي ﷺ ولم يكف هذا المؤرخ يوما عن محاولة الغمز واللمز والنيل من رسول الإسلام، لكن فطرته غلبت عليه فقال: «كان أهل الذمة في ظل الدولة الإسلامية يتمتعون بقدر كبير من التسامح الديني، وكانوا يحتكمون حتى في الأمور المدنية، وكافة الإجراءات القانونية إلى رؤسائهم الدينيين.

وقال أيضا سير توماس أرنولد وهو ينقل عن كتاب ميخائيل الأكبر بطريرك أنطاكية اليعقوبي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر بعد سرد اضطهاد الرومان للمسيحيين لهم يقول: (إنه يرى أصبع الله في فتوح العرب وأن الله لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا وسلبوا ديارنا، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم، ولما أسلمت المدن للعرب المسلمين، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها، ولم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام).

تعالوا إلى كلمة سواء

ومن خلال متابعاتنا وملاحظاتنا نشهد مؤتمرا يعقد هنا، ومؤتمرا يعقد في مكان آخر تشارك فيه شخصيات عالمية من كل الأديان ومن كل المذاهب.. في القاهرة وفي مكة وفي مدريد بإسبانيا وفي الأمم المتحدة وأخيرا في سويسرا، يقدم علماء المسلمين ومفكريهم الكثير من الرؤى والأفكار المستنيرة السامة، وللأسف الشديد لم يتحقق المرجو من هذا الحوار الذي ننشده مع الغرب.

والقول الفصل أن الحوار بين الإسلام والغرب، لابد أن تتوفر له البيئة المناسبة، التي تساعد الأطراف كلها على الحوار لا المواجهة، وفي مقدمة ذلك.. الوضوح والصراحة، والرغبة الملحة في الوصول إلى شيء إيجابي يختصر المسافات ويبني جسور الثقة بين كل الأطراف المشتركة في الحوار، ولابد أن ينبع الحوار من رغبة حقيقية في التفاهم والتعايش، واحترام خصوصيات وقيم كل طرف للطرف الآخر.

طرائف.. ومواقف

عن لؤلؤة خادم الرشيد قال: جرى بين الرشيد وبنت عمه زبيدة كلام. فقال هارون: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة. ثم ندم فجمع الفقهاء، فاختلفوا. فكتب إلى البلدان فاستحضروا علماءها إليه. فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم، فاختلفوا. وبقي شيخ لم يتكلم، وكان في آخر المجلس، وهو الليث بن سعد، فسأله، فقال: إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته.

فصرفهم. فقال: يدنيني أمير المؤمنين، فأدناه. قال: أتكلم على الأمان؟ قال: نعم.. فأمر بإحضار مصحف فأحضر. فقال: تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها. ففعل. فلما انتهى إلى قوله تعالى:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾

فقال: أمسك يا أمير المؤمنين، قل: والله. فاشتد ذلك على هارون. فقال: يا أمير المؤمنين الشرط أملك. فقال: والله، حتى فرغ من اليمين. قال: قل إني أخاف مقام ربي. فقال ذلك. فقال: يا أمير المؤمنين: فهي جنتان وليست بجنة واحدة. قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر. فقال له الرشيد: أحسنت، وأمر له بالجوائز والخلع، وأمر له بإقطاع الجيزة، ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره. وصرفه مكرمًا.

قال الصوفي والعارف بالله الشيخ أبو الحسن الشاذلي:

إن أصابك القبض (أي انقباض النفس أو غمها أو حزنها) فلا تخلو من ثلاثة: ذنب أحدثته، أو دنيا ذهبت عنك، أو شخص يؤذيك في نفسك أو عرضك.

فإن كنت أذنبت فاستغفر.

وإن كنت ذهبت عنك الدنيا، فارجع إلى ربك.

وإن كنت ظلمت، فاصبر واحتمل.

هذا دواؤك.

وإن لم يطلعك الله على سبب القبض، فاسكن تحت جريان الأقدار فإنها سحابة سائرة.

مات سيد العرب

لما مات الأحنف بن قيس مشى مصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء إجلالاً. وقال يومه: «مات سيد العرب».

ولما دفن قامت امرأة على قبره. وقالت: لله درك من مجن في جنن، ومدرج في كفن. فنسأل الله الذي فجعنا بوجهك، وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير دليلك وأن يوسع لك في قبرك، ويغفر لك يوم حشرك. فوالله لقد كنت في المحافل شريفًا، وعلى الأرامل عطوفًا، وكنت في الحي مسودًا، وإلى الخليفة موفدًا، ولقد كانوا لقولك مستمعين، ولرأيك متبعين.

فما سمع الناس كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها

يقول الله ما معناه ادعني

فإني أستجيب لمن دعاني

ووصلنا الدعاء بلا انقطاع

ولكن ما غفلت الأماني

[illegible] في الأمر سر؟ قلت طبعًا

دعاءات [illegible]

فمن يسمع ولا يحي استجابا

فإن [illegible] كما ترني

قال بعض عمال الدولة لأعرابي: ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة. فقال: أرأيت[1] إن أنبأتك بذلك تجعل[2] لي عليك مسألة؟ قال: نعم. قال الأعرابي:

إن الصلاة أربع وأربع

ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال: صدقت. فسل. قال: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدري. قال: أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟!!

يروى أن الحجاج قال هذه الأبيات لما حضرته الوفاة:

إن ذنبي وزن السماوات والأرض وظني بخالقي أن يحابي

فلئن منّ بالرضى فهو ظني

ولئن مرّ بالكتاب عذابي

لم يكن ذاك منه ظلمًا، وهل يظـ

ـلم رب يرجى لحسن المآب!

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن منكر إنك سميع الدعاء

(١) [illegible] حدثني.

(٢) تلتزم لي أن أسألك سؤالاً في مقابلة سؤالك لي.

[illegible] جمع الفقارة والفقار سلسلة عظام الظهر أي العمود الفقري.

دور الفقه الإسلامى في إحياء الضمير الجمعى

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدي

أن حصر الفقه الإسلامي في نظام العبادات فقط ظلم بين للفقه والفقهاء، إذ إن الفقه والفقهاء هم أصحاب نظرة شاملة للدين والدنيا معا وهم أصحاب وعي وإدراك لأهمية تنظيم حياة الناس عبادتهم ومعاملاتهم في الدين كما جاء لتنظيم الحياة الدنيا واستخراج أفضل ما فيها وأفضل الناس وأشدهم تعاملا ووفاء، ولذلك فمن الخطأ أن يتصوروا أي تقنين إنساني خارج من إطار الشريعة هو ضرب من الخمول أو الخيال. وإن وهم وعي ساعي حثيث للتدمير والتخريب. فما يتمتع يعطفه أرواح عندما يعجزون عن عالمهم بالسيدات، فإنهم يقصدونها من حيث يريدون الإصلاح. وليس هذا من قبيل التشبيه والتمثيل وأرجو أن يكون تقريبا للواقع لأن الواقع أشد إيلاما وأكثر مما في هذا الموضوع فتح والفتحة تبرير هذا خطأ أو تعليله بعلة أقبح وأشد حظا من فعل نفسه

وحتى يكون الأمر واضحا لدى القارئ الكريم، فلابد من الاستشهاد بأمثلة واقعية حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود فمن الأمثلة الواضحة الفاضحة قانون وضع أنه وهو مخالف للشريعة ومخالف لمبدأ حق الملكية. وهو تكريس للاغتصاب ويعطي شرعية وتبريرا لأكل أموال الناس وحض على تخاصم الناس وتناحر بين الأرحام والأقارب. ويعتبر في نظري انتهاكا لحرمة المودة والتراحم. فأنت في ظل قانون وضع أنه لا تستطيع أن تترك رحما لك أو تعطيه سكنا تأوي فيه ذويك أو أرحامك إن كانت به مصيبة تشفق عليه وتقدير منك لظروفه إلا بعد أن تأخذ حيطتك لمستقبل لا تعلمه دون أن تبرم عقدا معه يقنن علاقته ويحدد مدة تواجده في المكان. هذا إلى جانب أن القوانين جميعها لا تعترف بالجانب الأخلاقي بل إنها في حيرة غريبة تعرب عن استنكارها للجانب الأخلاقي

كل ذلك وهو غيض من فيض وقليل من كثير جعلني أكثر إنصافا وحبا للفقه الإسلامي، خصوصا قسم المعاملات، لأنها مقياس الفعلي في نظري للرقي الحضاري للبشر وإنسانية الإنسان. فأنت تشعر بإنسانيتك في جو الفقه الإسلامي وأنت تلمس النقيض من ذلك وتدرك أنك في غابة، الغلبة فيها ليست للقوى، بل لمن هو أكثر شراسة وخبثا ودهاء وختلا.

ففي عالم اليوم ليس خافيا علينا وتحت ظل القانون الدولي والاتفاقيات الخاصة بحقوق الإنسان وحماية الضعفاء، ليس خافيا علينا ما تمارسه الدول الكبرى من تعامل خبيث إلى الدول الصغيرة والفقيرة بكل دهاء ومكر متخفية تحت عباءة القانون والاتفاقات الدولية وعباءة حقوق الإنسان والمواطنة.. إلخ إلخ

للسيطرة واستغلال قدرات وخيرات الدول الفقيرة بل إنها أي الدول الكبرى تتسلل في دهاء وخبث متخفية تحت دثار مساعدات ومعونات تشفق على الفقراء

بحسبي في الفقه الإسلامي سمو نظرته إلى الناس، برغم أنه يعالج موضوعات من شأنها أن تستخرج وتثير سخائم النفوس البشرية، إلا أنه يعالجها في هدوء ورحمة تجعلك ترتفع مع مثله وأخلاقياته إلى أعلى ما يمكن أن ترتفع إليه نفس بشرية

وكم كنا ونحن صغار في مراحل التعليم المتوسطة ندرس بعض مسائل الفقه. كم كنا لا نعقلها وكنا أقرب إلى السخرية منها لعدم فهم مراميها وتعقلها. وما زلت إلا أننا نعيش في مجتمع تحكمه أخلاقيات قانون لا يعرف الأخلاق، وأقول بصراحة قانون لا علاقة له بالمثل والأخلاق.

ففي الفقه الإسلامي كنا ندرس «باب في اللقطة» وهو موضوع لا تحسب أن القانون الوضعي تناوله إلا في أدنى وأخس جوانبه، وهو أنه جعل لمن وجد اللقطة عشرة في المائة ١٠٪، وهذا في رأيي قتل ومحو للمروءة والنجدة والأمانة في إنسانية الإنسان ولذلك فإن كثيرا ممن يلتقطون اللقطة يترفعون عن هذا العطاء الدنيء وهم النبلاء لأنهم يحسون أنه عطاء في مقابلة الأمانة والشرف والعفة وهذه أشياء لا تباع من أجل هذا، فهم يترفعون في ورع عن هذا العطاء المشين، وهذا قصارى ما وصل إليه القانون الوضعي، أما الفقه الإسلامي فإنه نظر إلى اللقطة باعتبار أنها مال لم يخرج عن ملك صاحبه فهي ملكية محترمة غير مهدرة وفقده صاحبها لها لا يعني ولا يبرر انتهاك هذا الحق ممن وجدها إنما هو بأحد خيارين الأول: أن يلتقطها ويحفظها لمالكها وعليه أن يقوم بتعريفها ويعلن عنها في الموضع الذي وجدها فيه سنة كاملة وهذا واجب عليه شرعا مادام قد التقطها وبعد السنة له أن يتصدق بها على ذمة صاحبها وإذا حضر صاحبها يكون بأحد خيارين إما أن يتقبل هذا التصرف ويجيزه، وإما أن يعطي لصاحبها عوضا إن كانت من ذوات العوض أو قيمتها هذا إذا التقطها لأنه خاف وترجح عنده أن يأخذها غير أمين

الأمر الثاني: أن يخاف الشخص من نفسه أن تروق له اللقطة فيحبسها لنفسه فهو

يكون بذلك أخذ مالا لا يحل له فيجب عليه والحالة هذه أن يتركها ولا شأن له بها.

وقبل أن تستنكر هذا الرأي الأخير متأثرا بعدم الأمانة والجشع الذي عم وتقول: إذا تركتها جاء غيري وأخذها أليس في هذا الرأي تسرع وعدم فطنة؟

أقول كما قلت ونحن صغار ندرس هذا الفقه، كما كنا نقول بكلام متأثرين بقلة الأمانة في مجتمع لا يرعى الأمانة ولا يعطي على الأمانة أجرا لكن الله هدانا إلى الصواب وفهمنا لماذا قال الفقهاء ماقالوا

أما لماذا قال الفقهاء ماقالوا وأن الشيء الملتقط يصبح أمانة على الملتقط أن يحفظها لمالكها وعليه أن يعرفها سنة وأن يردها إليه متى حضر هنا قد يكون معقولا مقبولا على ما فيه من تبعة ومشقة أما أن يتركها فذلك لم يكن مستساغا ولا مقبولا ولا مبررا لكن الله هدانا مرة أخرى وعرفنا أن هؤلاء الفقهاء نتاج مجتمع أمين عفيف يكتبون لمجتمع يفعل الخير ويتحمل تبعة الأمانة مجتمع إيجابي لا يعرف السلبية ولا يركن إليها مجتمع يقدس الورع والنقاء ويأبى أن يشم رائحة حرام، هكذا كان المجتمع المسلم فلابد أن ينتج هذا الفقه النظيف الطاهر العفيف أرأيت كيف يتحمل الإنسان مسئولية اللقطة في الفقه الإسلامي؟

أرأيت إيجابية تعمل لله وتحيا لله مثل المجتمع المسلم؟ فلابد أن تنتج هذا الفقه السديد العاقل النظيف.

وثمة حكم آخر ينم عن فكر عملاق قادر مرونته وليس كسيحا يحبو أو قزما يتعثر في طرقات الناس إنه ما يعرف بالقسامة، والفقه الإسلامي اكتسب شموخه وعطاءه من الكتاب والسنة.

ويخطئ كثير من الدارسين حين يهاجمون الفقه الإسلامي ويصورونه بأنه عبارة عن أفكار فردية نشأت في عصور سابقة قد لا تناسب العصر وهم يتوهمون ويوهمون الناس بأن ما يقال فيها هي أفكار وآراء فقهاء يمكن أن نطرحها غير مكترثين بها، وبرغم قناعتي بأن هناك معاملات استجدت وأحوال اختلفت على الفقهاء المعاصرين أن يستحدثوا لها أحكاما برغم قناعتي بذلك إلا أنني أرفض الفكر الذي ينادي بمقولة أن الفقه الإسلامي هو مجموعة آراء يمكن نطرحها غير مكترثين بها وأرى أن هذه دعوة خطرة فضلا عن أنها تنم عن غفلة وعن مرجعية الفقه الإسلامي الذي تأسست عليه آراء الفقهاء، والذين رأوا هذا الرأي النزق تصوروا أن آراء الفقهاء وليدة اجتهادات خاصة وأفكار نابعة من فلسفات دنيوية وهذا خطأ محض فالواقع أن آراء الفقهاء من جوهر الكتاب والسنة وإن بدا فيها تباين يتوهمه بعض قصار النظر أنه اختلاف تعارض وهو في الواقع البين اختلاف فهم للنصوص وليس اختلاف أهواء وفلسفات

وإلى حديث آخر نوفي فيه بوعد سبق قطعناه للحديث عن «القسامة» معناها ودورها في إحياء الضمير الجمعي

والله أعلم..





مدينة......ومؤتمر

للأستاذ / عادل خفاجة

أما المدينة فهي مدينة «دوشنبة» عاصمة جمهورية طاجيكستان، وقد وصل الإسلام إلى هذه المنطقة مرتبطا بفتح خراسان وبلاد ما وراء النهر. فبعد معركة القادسية امتد نفوذ الإسلام إلى بلاد فارس. ثم وصل إلى نهر جيحون. ثم انتقل إلى منطقة وادي فرغانة. ففي الفترة الواقعة بين سنتي أربع وتسعين وست وتسعين من الهجرة فتح القائد قتيبة بن مسلم منطقة وادي فرغانة وتجاوزها نحو الشرق حتى وصل إلى حدود الصين، ثم فتح كشغر. وبعد سلسلة من الفتوحات عاد قتيبة بن مسلم، وتولى أخوه صالح بن مسلم فأكمل فتح باقي منطقة وادي فرغانة وفتح صالح بن مسلم الباهلي كاشان وأورشت في وادي فرغانة، ذلك بعد عودة قتيبة إلى مرو، واستمر انتشار الدعوة طيلة العصر الأموي.

وفي العصر العباسي ازدادت صلة الخلفاء العباسيين بفارس وخراسان



ووسط آسيا، وازدهرت الدعوة الإسلامية في عهد السامانيين وحتى السامانيين الغزنويون في الحكم وأخلصوا للدعوة الإسلامية لاسيما في عهد محمود الغزنوي الذي مد حدود الدولة إلى الهند. ثم جاء الأتراك السلاجقة بعد الغزنويين وأسس السلاجقة دولة واسعة.

ثم اجتاح المغول منطقة وسط آسيا بعد ضعف الدولة السلجوقية ولما ضعفت دولة المغول سيطر الروس عليها وكانت أكثر محاولات السيطرة الروسية في سنة



جمال الطبيعة في مدينة دوشنبة

١٨٦٩م حيث استولوا على طاجيكستان في سنة ١٩١٧م[1].

«ويعتبر الشعب الطاجيكي من أقدم الشعوب القاطنة في وسط آسيا وصانع حضارة عريقة تمتد جذورها إلى عمق التاريخ بآلاف السنين قبل الميلاد وآخر عهده بالدولة المتمركزة المزدهرة خلال تاريخه القديم يعود إلى القرن التاسع [illegible] في عهد الدولة السامانية وعاصمتها «مدينة بخارى» وأسسها إسماعيل الساماني إبان الخلافة العباسية، وقد انبسطت سلطتها على ما وراء النهر وخرسان، وتطورت المنطقة برمتها في هذه الحقبة التاريخية اقتصاديا وثقافيا وازدهر فن العمارة في سمرقند وبخارى وغيرها من المدن الطاجيكية.

وفي العهد السوفيتي كانت للشعب الطاجيكي جمهورية تابعة للاتحاد السوفيتي من عام ١٩٢٤م حتى ٩ سبتمبر ١٩٩٢م حيث تم إعلان الاستقلال الوطني بعد انهيار الاتحاد السوفيتي»[2].

عدد السكان حسب إحصاء عام ١٩٩٥ يبلغ ٦,٩٥٢,٠٠٠ نسمة

---

(١) [illegible]

(٢) يحيى إبراهيم ... المتحف في عولة التاريخ ص ٢٠٢ مطبعة دار الفكر العربي - القاهرة



ويشكل المسلمون أغلبية سكان طاجيكستان حيث تصل نسبتهم حوالى ٩٩٪ وهم على المذهب الحنفي. وطاجيكستان بلد جبلي، إذ تشكل الجبال حوالى ٩٣ في المئة من مساحتها البالغة ١٤٣١٠٠ كم٢ وجبالها شاهقة ترتفع إلى ما يقارب ٧٥٠٠ متر عن سطح الأرض.

وأما المؤتمر فهو: آثار الإمام أبي حنيفة ودورها في الحوار بين الحضارات وذلك بمناسبة مرور ١٣١٠ سنوات على ميلاد الإمام أبي حنيفة النعمان ـ رحمه الله ـ وقد أقيم برعاية الرئيس الطاجيكي إمام علي رحمان الذي يقول: «ولا شك أن إحياء قيم الإمام أبي حنيفة الروحية وفكره المتسامح في ظل الظروف العالمية المتضاربة الراهنة- حيث يزداد صدام الحضارات يوما بعد يوم- يسهم في نشر قيمة حوار الحضارات ودعمها بمختلف جوانبها فعضائل المذهب الحنفي تتجلى في احترام الإنسانية والهوية الثقافية للشعوب والأمم ومساواتها في الحقوق وتهدي البشرية إلى طريق الحق»[٢٠].

وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ـ بكل الترحيب ـ دعوة فخامة الرئيس الطاجيكي إمام علي رحمان لحضور ذلك المؤتمر الدولي وقد سافر فضيلته بمشيئة الله تعالى يوم الأحد الموافق ٥ من أكتوبر ٢٠٠٩م يرافقه وفد كبير من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ولفيف من العلماء.

افتتح المؤتمر بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم ثم جاءت كلمة فخامة الرئيس إمام علي رحمان.

فأوضح فيها أن شمولية العولمة وما أحدثته من تناقضات كانت سببا في تأجيج الصراعات، وانتشار الأخطار وإثارة ظاهرة صدام الحضارات.

وأن فكرة إعلان عام الإمام الأعظم قصد به إجلال الرجل كما قصد بها- أيضا- إلقاء الضوء على جوانب التسامح في تراثنا والذي يعد تراث الإمام الأعظم جزءا منه وأنموذجا رائعا لحوار الحضارات لا تصادمها.

ثم جاءت كلمة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الذي تناول حياة أبي حنيفة العلمية وملازمته شيخه حماد بن أبي سليمان ثم عرض فضيلته صورة لمذهب الإمام أبي حنيفة توضح صلاحية الفقه الإسلامي لإعطاء الأمة ما تحتاج إليه من أحكام في كل شئون الدين والدنيا.

وعلى مدى اليومين استمرت جلسات المؤتمر حول المحاور التالية:

الأول: آثار أبي حنيفة والاتجاهات الحديثة في العالم الإسلامي: الجهات التعليمية والثقافية.

وجاء المحور الثاني بعنوان:

مكانة ومنزلة الإمام أبي حنيفة في تاريخ الحياة الاجتماعية والدينية للحضارة الإسلامية

أما ثالث محاور المؤتمر فجاء تحت عنوان «إسهام المدرسة الحنفية في تطوير علم الحقوق».

وجاء المحور الرابع بعنوان: «ترابط الإيمان والعقل في نظام القيم للإمام أبي حنيفة: الجوانب الفلسفية والأخلاقية».

وخصصت الجلسة الختامية لمناقشة تقرير قادة الجلسات العلمية واتخاذ قرار المؤتمر.

وتقتصر المجلة في هذا العدد على نشر كلمة فخامة الرئيس الطاجيكي وكلمة فضيلة الإمام الأكبر وبحث فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وتواصل نشر بقية الأبحاث في أعدادها القادمة بمشيئة الله تعالى.

مدير التحرير

* * *

[٢٠] الرئيس إمام علي رحمان، نظرة إلى تراث الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، مطبعة دار طبعة الرياض، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



كلمة فخامة الرئيس إمام علي رحمان
رئيس جمهورية طاجيكستان
في الندوة العلمية الدولية بعنوان:
«الإمام الأعظم والعالم المعاصر»
مدينة دوشنبه ٥ أكتوبر ٢٠٠٩

الضيوف الأعزاء،

المواطنون الكرام،

أصحاب الفضيلة العلماء الأجلاء،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أحييكم تحية الإسلام وأرحب بكم جميعاً ضيفاً عزيزاً في عاصمة جمهورية طاجيكستان- مدينة دوشنبه.

واليوم تجمعنا في هذه القاعة احتفالية مهيبة يحضرها كبار العلماء والفضلاء والشخصيات المعروفة يمثلون قرابة ٥٠ بلداً من بلدان العالم جاءوا إلى هذا البلد العريق ليتبادلوا النظر في حياة وتراث هذا العلم من أعلام الإسلام ومؤسس مذهب من مذاهب أهل السنة والجماعة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله.

وإنه لشرف لنا أن تكون مبادرتنا هذه حول إعلان عام ٢٠٠٩م عام الإجلال بالإمام الأعظم قد حظيت باهتمام وترحيب في طاجيكستان وفي العالم الإسلامي على حد سواء.

وإننا نقدر حضور الضيوف الأعزاء حضوراً مباركاً في هذه الاحتفالية المهيبة باعتباره دليلاً للعرفان بهذا الرجل الفاضل والعلامة القدير في العالم الإسلامي من جهة وتأييداً ودعماً لمبادرة طاجيكستان في هذا السياق من جهة أخرى.

الحضور الكرام،

إن المجتمع الدولي قد دخل الألفية الجديدة في ظروف بمنتهى التعقيد والتناقضات. حيث إننا في العقود الأخيرة من القرن المنصرم ومطلع الألفية الجديدة أصبحنا نشهد تغيرات وتحولات أصعبه أحدثتها من حيث الأساس ظاهرة شمولية للعولمة.

وجدير بالذكر أن هذه الظاهرة فعلا أصبحت عاملا مهما للتنمية والتغير الجاد في مختلف المجالات، منها في العلم والفن والتكنولوجيا المعاصرة. وفي الإنتاج والاستهلاك ليساعد كثيراً على تقارب الدول والأمم في المعمورة.

ومع ذلك، فإن العولمة تسببت لانتشار أخطار وتحديات جديدة في مختلف مناطق العالم من قبيل الإرهاب والتطرف والنزاعات العرقية والانفصالية والجرائم المنظمة الدولية وغيرها من الظواهر والتيارات الخطرة على الإنسانية.

وأخيراً فإن هذه الظاهرة العالمية أحدثت أزمة مالية واقتصادية عميقة لازالت تداعياتها تلقي بظلالها إلى يومنا هذا على معظم دول العالم.

وفضلا عن ذلك، فإن العولمة جعلت القيم والهوية الوطنية لمختلف الأمم والشعوب في معرض خطر الطمس وأثارت ظاهرة صدام الثقافات والحضارات.

ونجد أن هذه الظاهرة ينظر إليها الكثير من رجال السياسة والعلم في الغرب والشرق طيلة العقود الثلاثة الأخيرة من الزمن باعتبارها قضية مركزية في العلاقات الدولية.

ومن هذا المنطلق أخذ المراقبون والخبراء يحذرون الناس جميعاً مما يكمن في صدام الحضارات من عواقب وخيمة معتبرين أن حوار الحضارات هو السبيل الأسلم لمجابهة مثل هذه الظاهرة المنكرة.

وإن الطاجيك الذين قد عاشوا مراحل معقدة وعسيرة في تاريخهم الطويل على امتداد آلاف السنين كانوا متمسكين في كل زمان بالتسامح والتشاور والتحاور

ليثبتوا أن اللجوء إلى العنف فى معالجة المشاكل والنزاعات وإثارة الخلافات بين مختلف العقائد والرؤى قد لا يؤدى إلى فساد الأخلاق وتدنى المستوى الثقافى والحضارى فحسب، بل يتسبب أيضاً فى زوال الدول.

وإن شعب طاجيكستان فى عهده الحالي استناداً إلى تجربته التاريخية يؤيد دوماً فكرة حوار الحضارات.

فعلى هذا الأساس ومن على المنابر العالمية للمنظمات الدولية وفى مقدمتها منظمة الأمم المتحدة لفتنا أكثر من مرة أنظار الأسرة الدولية إلى خطورة اللامبالاة بالهوية والتاريخ والثقافة وغيرها من الانتماءات والمقدسات الوطنية للشعوب.

وإن الشعب الطاجيكى بما لديه من حكمة التسامح والتقبل يحمل فى حد ذاته هذه الروح التسامحية التى تشبع بها موروثنا العلمى والأدبى، بما فيه تراث الإمام الأعظم الذى يمكنه اليوم أن يخدم كنموذج جلى لحوار الثقافات والحضارات.

وعندما طرحنا فكرة إعلان عام الإمام الأعظم كنا قصدنا بذلك الإجلال بهذا الرجل العظيم والمزيد من التعرف فى نفس الوقت بسيرة حياة صاحب مذهبنا و تراثه الفقهى الخالد.

ومن جهة أخرى أردنا بذلك إبراز دور ومكانة التراث الإيمانى والفقهى فى توحيد الشعوب من خلال حوار الحضارات، إذ إن الزمن الذى تشعر فيه الإنسانية بأمس الحاجة إلى التفاهم والتعاون فيما بين أبنائها، يكون من الأهمية بمكانها الرجوع إلى سيرة حياة وتراث الأعلام.

وفى الوقت نفسه أود أن أشير بصورة خاصة إلى أن إعلان عام الإمام الأعظم لا يعنى تفضيل مذهب على مذهب آخر إطلاقاً.

بل إننا نبتغى من وراء ذلك لفت أنظار المجتمع إلى التعمق فى دراسة آرائه القيمة لاسيما ما فيها من قيم التسامح والانتفاع بها فى تعزيز التفاهم والتضامن الإسلامى خاصة والعالمى عامة فى هذا الزمن المضطرب من خلال الإجلال بما قدمه هذا الفقيه العظيم من عمل جليل فى خدمة دينه.

إذ إننا ندرى جيداً من تجربة الماضى أن الأمم والشعوب والتى عملت من أجل احترام وصيانة تراثها الثقافى والدينى وتسخيره لخدمة أهدافها ومقاصدها استطاعت أن تحقق إنجازات كبيرة على طريق التطور المنشود.

وفى واقع الحال، إن دين الإسلام الحنيف الذى جوهره التوحيد وكلام الله القرآن الكريم ليس سوى منهج حياة لكل فرد مسلم.

وكان آباؤنا منذ أكثر من ١٣ قرناً مضى قد تقبلوا هذا الدين قلباً وقالباً والدليل الواضح على ذلك الصحابي الجليل سلمان الفارسى رضى الله عنه إلى جانب محمد رسول الله ﷺ.

وبعبارة أخرى فقد جاء الإسلام إلى هنا ليمتزج طوال هذه الفترة الطويلة بثقافتنا العريقة حتى يصبح جزءا لا يتجزأ منها.

واليوم وبفضل الاستقلال اكتسبت القيم الأخلاقية الإيمانية والدينية مكانة خاصة فى بلدنا.

ونحن نعتبر هذه القيم مظهرا من أهم مظاهر الوحى الإلهى ومكسبا من أعز مكاسب العلوم الربانية ومنهلا من أصفى مناهل الأخلاق الحميدة ووسيلة من أقوى وسائل تربية الأجيال ونوراً من أسطع أنوار الهدى ومعرفة الذات.

فمن هنا إلى جانب حماية المصالح الوطنية نشعر فى الوقت ذاته بمسئولية الحفاظ على النقاء والأصالة الدينية وحفظها من أى من شوائب التطرف الدينى.

وهذا المنهج الذى تعلمناه من تجارب سلفنا الصالح، منهم صاحب مذهبنا الإمام الأعظم.

وإن أبا حنيفة -رحمه الله- فى تاريخ الثقافة الإسلامية معروف كفقيه وصاحب رأى ليصبح قطباً من أهم أقطاب الفقه ومن جملة الأئمة الأربعة من أصحاب السنة والجماعة إلى جانب الإمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله.

وفضلاً عن ذلك ينبغى الذكر أن آراء أبى حنيفة أصبحت مدرسة من أعظم المدارس الفقهية فى تاريخ الإسلام.

أى إن مدرسة الإمام الأعظم الفقهية ترتكز على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآراء الصحابة والإجماع والقياس والاستحسان وكذلك الأعراف لتشمل جميع مسائل المسلمين الحياتية والتعبدية.

وإن أعظم خدمة قدمها الإمام الأعظم هى قبل كل شيء العمل من أجل تلقى تعاليم الوحى الربانى كأهم عامل لتوحيد الناس بعيدا عن التفرقة والمجابهة.

وإنه استطاع أن يؤسس مذهبا لأهل السنة والجماعة يشتمل على سبل ووسائل لمعالجة الخلافات والنزاعات فى إطار القيم والتعاليم الشرعية وتفعيل أساليب الحوار الحضارات بالإضافة إلى تجسيد التجارب التاريخية والمواقف المذهبية والأفكار الفلسفية والحكم الشعبية لعديد من الشعوب والقوميات المسلمة.

وإن هذا المزيج من الأفكار والعقائد الدينية والثقافية والفلسفية هو الذى جعل المذهب الحنفى واحداً من أهم المذاهب الأربعة لأهل السنة والجماعة ليخرج من الكوفة حتى يصل إلى أقصى أفريقيا وآسيا المركزية والصين وروسيا وأوروبا.

وإن المذهب الحنفى كان الإقبال عليه بفضل ما فيه من الملاءمة لاحتياجات الناس اليومية الأمر الذى جعله مذهبا أقر به كمذهب رسمى فى عديد من البلدان الإسلامية.

وبفضل ما فيه من القيم استطاع الكثير من القوميات والشعوب بما فيه الطاجيك

أن يحتفظوا بهويتهم الوطنية طوال ١٣٠٠ سنة مضت.

وهنا جدير بالذكر أن جوهر آراء أبي حنيفة وأفكاره متناغمة مع القيم الإنسانية العامة المتمثلة في حب البشر والمساواة والدفاع عن كرامة الإنسان والإسهام في توفير الحياة الكريمة الهانئة والنهضة المادية والمعنوية للمسلمين والمجتمع البشري.

وكان أبوحنيفة من خلال عمله الاجتماعي يلتزم هذا الموقف ويحمي كل موقع عن أحكام الشريعة الإسلامية.

والإمام الأعظم كما يبدو من سيرة حياته. بعد العودة من البصرة إلى الكوفة قضى جل وقته لإكمال الفقه ليضع نظاما فقهيا متكاملا لتيسير معالجة مسائل حياة المسلمين قد أصبح في حياته أكثر اقبالا وشعبية وتأثيرا بالمقارنة بالمذاهب الأخرى لأهل السنة والجماعة.

وكان الشغل الشاغل للإمام أبي حنيفة في حقبة سياسية عاش فيها هو تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة وسيادتها في حياة المجتمع.

كما يجب الأخذ بالاعتبار أن المرحلة السياسية التي عاش فيها الإمام الأعظم كانت من أكثر مراحل التاريخ الإسلامي تعقيداً واضطرابا وأشدها تناقضا وصراعا

وفي تلك المرحلة بالذات كانت قد اشتدت النزعة القومية المفرطة في دوائر الحكم مما أدى إلى تفشي الظلم والأذى للمسلمين من سائر الأقاليم ليثير بعض شبهات حول مصداقية المساواة والعدل والأخوة بين أهل الإسلام.

وفي مثل هذا الظرف التاريخي الدقيق للغاية حيث تفرقت الأمة إلى مذاهب ومسالك وشيع متناقضة تمكن الإمام أبوحنيفة من إيجاد سبيل لتنمية الوعي الإسلامي السليم الذي أطلق عليه فيما بعد المذهب الحنفي الذي التف حوله معظم المسلمين ناشرا وحاميا لمبادئه المساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية واستئصال التمييز العنصري.

وبعبارة أخرى: فإن المذهب الحنفي استطاع الخروج بالعالم الإسلامي من ورطة الخلافات الشديدة داعيا أتباع المذاهب المتطرفة إلى الحق وسواء السبيل بحجج التدبير والتسامح والحجج العقلية والمنطقية القوية.

كما سلف، كان الإمام أبوحنيفة يربط نشاطه السياسي في معظم الأوقات بتطبيق الشريعة في حياة المجتمع. فمثلا كان يقترح أن تتم بيعة الخليفة من قريش في مجلس حر وشفاف وأن يكون من شروط البيعة العلم والعدل.

لا يحق لرجل ظالم ومتعسف أن يتبعن منصبا ولا طاعة لخليفة ظالم.

وفيما يتعلق بأهمية القضاء وعدمه كان الإمام الأعظم يعتقد أن هذا المقام يستحقه من لديه القدرة على تطبيق العدالة الشرعية أو ما يسمى بالقانون في لعب



الیوم على الخليفة والحكام والقادة العسكريين وما أشبه ذلك.

وإن أفكار هذا المجتهد العظيم تجسد أن سامي سواسية أمام الشريعة الإسلامية وتؤكد استقلالية القضاة والمحاكم.

وحين عرض الخليفة العباسي المنصور على أبي حنيفة منصب القضاء قال الإمام: المقربين منك بحاجة إلى من يحترمونه من أجلك، فإنني لا أقدر على ذلك ولن أحكم في القضاء خلاف الشريعة والعدل.

ويبدو من هذا الكلام الجريء أن أبا حنيفة كان يعطي الأفضلية لأحكام الشريعة والعدل الإلهي. بينما كان يضع أوامر الخليفة في المقام الثاني.

وكان يعتبر التمسك بأحكام الشريعة واجباً على جميع المسلمين. بما فيهم الخليفة وبعمله هذا كان يحث المؤمنين على المساواة.

وكان الإمام أبوحنيفة بهذه الوسيلة في أحلك الأوضاع السياسية للخلافة وإلى جانب الأركان المهمة للشريعة الإسلامية مثل كلام الله والأحاديث النبوية الشريفة وضع أصول القياس والاستحسان والإجماع في جوهر فقهه وأرسى بذلك أسس التسامح والاعتدال بين المسلمين.

وقد أبدى الإمام الأعظم آراءه الواضحة الجلية إزاء مظاهر مختلفة سياسية واجتماعية في زمانه، معتبراً إصلاح المجتمع عاملاً مهماً للتقدم الاجتماعي.

وفي هذا السياق بلغت آراؤه مبلغاً ليخدم الثقافة السياسية الجديدة في المراحل الأولى من نهضة الإسلام، وأن أفكار هذا الرجل العظيم لازالت اليوم تنفع الناس حيث أنها تحث الناس على التقوى والطهر ورفاهية الملك وترشدهم إلى حب الوطن واحترام القيم الوطنية والحرية والاستقلال.

ومن أجل تأمين استقلالية المواقف السياسية والاجتماعية والدينية لأهل الإسلام أخذ الإمام أبوحنيفة أيضاً ينشر نظرية الاقتصاد الحر والاكتفاء الذاتي، لأن الحرية السياسية والاجتماعية لها ارتباط بالوضع الاقتصادي لكل فرد.

وكان الإمام الأعظم وعلى أساس القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يعتبر المال من الأركان الأصلية لإصلاح الحياة ودافعاً لتقدم الشعب والبلد وأخيراً عاملا لسعادة الإنسان والمجتمع وحتى سلاحاً بيد المؤمن.

وقال الحكماء إن إتلاف المال والإسراف فيه يؤدي بصاحبه إلى الفقر وعسى أن يكون الفقر كفراً.

وكان الفقر والفاقة إلى جانب الأمية والجهل في كل زمان ومكان مصدرا من مصادر العنف والتطرف ومصائب الإنسان.

وإن كسب الحلال من أهم شروط تعاليم الإسلام حيث إن المسلم يجب أن يوفر معيشته من الحلال الطيب. وكان الإمام الأعظم يجيز عمل الخير والصدقات ما كسبه الإنسان حلالا طيبا فقط.

وتكمن من مفاهيم «المال الحلال» و«كسب الحلال» حكمة الكدح وتعلم الحرفة والنهج السليم الذي يكون الهدف منه حماية المجتمع من الإسراف والفساد والرشاوى وغيرها من الأفعال الرديئة.

ومع أن الإمام الأعظم قد بلغ أعلى درجات العلم إلا أنه اقتداء بالرسول الأكرم يعيش على حساب التجارة.

وكان في حياته يسترشد بأحاديث رسول الله ﷺ أن أفضل المعاش التجارة، وأن أحسن الغنى كسب الحلال، وهو يواكب العلم والتجارة بصورة جادة.

وكان الإمام الأعظم قدوة للآخرين في قضاء حاجة المحتاجين ورعاية الأسر الفقيرة ودعم طلبة العلم.

يقول أحد تلامذته أبو يوسف أن أستاذه كفل معاشه ومعاش أسرته حتى عشرين عاما وكانت صدقاته كلها تأتي من كسبه التجارة حلالا طيبا كما أمر به الله في كتابه العزيز.

وبهذا الدليل كان الإمام الأعظم ضامناً لأموال كثير من الناس وكانت داره قد عرفت كـ«مجلس الزكاة».

وهذه الأمثلة من آراء الإمام الأعظم ومنهج حياته يمكن أن يكون في يومنا هذا إلى حد ما قدوة يقتدى بها.

وفي الوقت نفسه يجب القول بأن آراء أبي حنيفة حول حريات الفرد والقضايا الاجتماعية المختلفة والنظم التعبدية المتباينة يمكن اليوم أن تخدم كأرضية صالحة لأجل إقامة تعايش بين مختلف الشعوب وبناء الروابط بين الثقافات والحضارات.

وكان الإمام الأعظم يؤكد أن القيم الإسلامية ليست ملك قوم أو أمة بوحدها، بل أن لها دائرة أوسع لتكون ملكا للجميع.

ونعرف من المصادر التاريخية أن المراحل الأولى لنشأة الإسلام تم في إطار الخلافة الإسلامية تكوين مجتمع مزيج من قوميات وشعوب ذات العادات والتقاليد المختلفة وجدت فيه اختلافات مذهبية إلى جانب وحدة العقيدة.

وفي مثل هذه الظروف كان الإمام الأعظم لأجل إزالة النزاعات بين الفرق والاختلافات النظرية وتعزيز الأحكام الشرعية وتيسير النظام الفقهي وتسهيل معالجة مشاكل المسلمين. لاسيما توحيد المجتمع الإسلامي قد وضع أسسا لمذهب فقهي مقبول في عالم الإسلام من حيث النظام التعبدي وتطبيق الأحكام الشرعية على حد سواء.

الحضور الكرام

إن طاجيكستان ذات السيادة اليوم تمضي قدماً نحو التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة على أساس تحقيق البرامج المحددة التي تعكس القيم الوطنية والمنجزات العلمية والتقنية الحديثة.

وإننا نسعى إلى بناء دولة مدنية عصرية ونريد أن يكون أبناء شعبنا أن يحرزوا التقدم في كافة مجالات العلم والفن والتكنولوجيا المتطور وأن يحيطوا في الوقت نفسه بتقاليدهم وقيمهم الوطنية والدينية السامية.

وهذا بدوره يكون للشعب الطاجيكي سبيلا من أفضل السبل لمقاومة كل أشكال الإفراط والتطرف وهو جزء من أهم أجزاء آراء الإمام الأعظم. ومن هذا المنطلق لا يمكننا أن نبقى مكتوفي الأيدي تجاه مصير المسلمين في العالم وهمومهم ومشاكلهم في القرن الحادي والعشرين.

ومما يثير القلق أن بعض البلدان الإسلامية لم تدرك بقدر كاف واقع الحال في عالمنا اليوم حتى تخرج من قيد الخرافات والتخلف.

وبعض من هذه البلدان وعلى أساس المناقشات الكلامية والمسائل الظاهرية يقف حيال الآخر معارضاً ليفتح الطريق إلى نشأة كل أشكال الحركات المتطرفة في العالم الإسلامي والحروب ومقاتلة المسلمين وبالتالي النيل من الإسلام وقيمه.

والبعض الآخر لا يريد أن يدرك واقع العالم المعاصر والتقدم العلمي والفني والتكنولوجيا الحديثة ليلحق بركب الحضارة ويرتقي بمستوى معيشته.

وباعتقادنا قد آن الأوان للدول الإسلامية أن تخرج من القيود بالاستناد إلى مبادىء المحبة والتسامح ومن خلال تعزيز العلاقات الطيبة والروح الجماعية أن تسد الطريق إلى التطرف وتعمل من أجل إتاحة الفرصة للمواطنين للوصول إلى مجريات العلم والفن الحديث.

كما يبدو أن لحسم هذه المطالب ينبغي قبل كل شيء توسيع وتنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية المتعددة الجوانب فيما بين الدول.

فعلى هذا الأساس نجد أن آراء الإمام الأعظم وسيلة مهمة للغاية للتقريب بين الغرب المتقدم تكنولوجيا وبين الشرق الغني بثروات معنوية وطبيعية.

وحول هذه القضايا المحورية المعاصرة كنت قد أبديت بعض أفكاري عام ٢٠٠٥ في كلمتي في القمة الاستثنائية لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقدة بمكة المكرمة. وأود أن استذكر أهم ما جاء فيها.

من الواضح أن الهدف الاستراتيجي لكل دولة هو توفير الحياة الكريمة لمواطنيها ومن الطبيعي أن طريق الوصول إلى ذلك يعترضه كثير من المشاكل والعقبات.

ولكننا نحن المسلمين نمتلك لتحقيق هذا الهدف إمكانيات وظروفا مواتية لأن بلداننا فيها ثروات طبيعية هائلة مثل المياه والأراضي الخصبة والطاقة والمعادن بالإضافة إلى طاقات بشرية وذهنية عظيمة. والقيم الثقافية والتجارب التاريخية للتعاون. إذن فإننا قادرون على تحقيق هدفنا الكبير.

وبالطبع أن تحقيق هذا الهدف لا يتم إلا من خلال إقامة الوحدة الفعلية والتعاون المتبادل المنفعة تمسكا بحكم الآية القرآنية الكريمة

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

ومن أجل ذلك ينبغي أن نعطي الأولوية في سياسات الدول الإسلامية لتقدم العالم الإسلامي، لا سيما التنمية الاقتصادية والفنية والتقنية والعلمية.

وفي هذا الطريق يكون من الأهمية بمكانها أن تقوم الدول الإسلامية الثرية بتوسيع نشاطها الاستثماري في الدول الإسلامية النامية.

إذا ما كنا تعبيرا عن الإرادة السياسية ومشاعر الأخوة والمساواة استثمرنا إمكانيات بعضنا البعض. فسوف نستطيع في مدة زمنية قصيرة نسبيا أن نضمن بصورة ملحوظة النمو الاقتصادي المطرد ونرفع من المستوى المعيشي لشعوبنا، حتى تتحقق لأخينا المسلم الحياة الهانئة الكريمة وأن يزداد الإسلام اعتبارا واقتدارا في العالم.

الأخوة الكرام

لقد تم عمل الكثير إلى الآن من قبل العلماء والباحثين في الإسلام الحنيف وتراثه المتناقل.

ولكن لم ينته إلى الآن. كما ينبغي تحليل وتقييم وحل المعضلات والمسائل المتعلقة الدينية والجدل المذهبي والفقهي الذي يحمل في أكثر الأحيان طابعا سياسيا واجتماعيا تختفي وراءها مطالب سياسية واجتماعية مختلفة وبذور الفتن والنزاعات.

لذا فعلى علماء الدين الأفاضل والفقهاء وخبراء الإسلام من خلال دراسة المسائل الدينية الملحة أن يقدموا حلولا لإزالة العقبات التي تخل باستقرار الأمة وتقدمها إلى الأمام.

ومن خلال هذا الفقه قام أبو حنيفة وأتباعه بحل ٦٠ ألف ويقول آخر ٨٣ ألف مسألة في عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين ليضمن وحدة المجتمع الإسلامي. وهذا ما يجب على العلماء والباحثين أن يحققوه لمواجهة معضلات زمننا المعاصر.

وهذه القضية وإن بدت بسيطة في المرحلة الأولى لكنها في واقع الأمر معقدة وحساسة للغاية لأن معالجتها تخص الحياة الهانئة المستقرة لما يزيد على ألف مليون مسلم في العالم.

وجاء في المراجع الدينية أن فقهاء المذهب الحنفي بعد الإمام الأعظم اشتغلوا فقط بشرح وتوضيح ما قاله الإمام ولم يظهر فقيه آخر يضاهيه في العلم.

وهذا بطبيعة الحال شهادة بعبقرية ونبوغ أبي حنيفة في العلم والفقه.

فعلى هذا الأساس وللمصلحة العامة يجب على الباحثين أن يقوموا بصورة جماعية بتحقيق ودراسة أفكار وتعاليم الإسلام والثقافة الإسلامية ومختلف جوانبها النظرية والعملية.

وإن كل ظاهرة إفراطية في شئون الدين يجب دراستها وتقييمها قبل كل شيء من قبل العلماء والباحثين وهذا الأمر يتطلب في المقام الأول مشاركة جميع العلماء والفقهاء على المستوى الإقليمي.

ثم يجب توسيع هذه الدائرة في معالجة هذه القضية المحورية بإشراك المراكز والمدارس الدينية في العالم الإسلامي.

وعلى المراكز الرئيسية لدراسة الفقه الإسلامي تعزيز علاقات التعاون البينية وجذب خيرة القوى الذهنية الموجودة في العالم الإسلامي لدراسة وتحقيق مختلف مجالات الثقافة الإسلامية للحيلولة دون نشوء حركات وفرق غير مرغوب فيها في رقعة تعاليم أهل السنة والجماعة وبخاصة في فروع الاجتماعيات والسياسات.

لأن حدوث فراغ في مجال من مجالات الدين ستشغله حتما الفرق والاتجاهات المتطرفة.

الحضور الكرام:

إن من خلال أعمال الإمام الأعظم للأمة الإسلامية هو طيلة نشاطه أكثر من نصف

قرن وعلى أساس المراجع النقلية والشرعية الإسهام في صيانة المجتمع الإسلامي من التمزق وتوحيد الشعوب الإسلامية المختلفة تحت راية الإسلام وإنقاذ الأمة من الصدام المتعب والمهلك.

لذا فإن آراءه من أجل استقرار المجتمع قد سلمت من تصاريف الدهر لتلعب الدور الكبير في منهج حياة المسلمين.

وإن جميع المسائل التي أبدى الإمام الأعظم رأيه فيها قد اجتازت من امتحان التاريخ لتصبح اليوم من قيم المعارف الدينية والثقافية ولها مكانتها اللائقة في تاريخ الفكر الإسلامي.

فعلى هذا الأساس تكتسب آراء أبي حنيفة اليوم أهمية في تطوير الفكر الإسلامي ومنها:

أولاً : إنها تخدم بمثابة مرجع علمي مهم.

ثانيا : إنها مرجع مهم لتقييم شرعي وعلمي لما يطرأ على الثقافة الإسلامية من مظاهر جديدة غير مرغوب فيها.

ثالثا : أن منهجية الإمام الأعظم في الدراسة والتحقيق يمكن أن تكون نموذجا ممتازاً في عمل الباحثين.

رابعاً : أن تكون عاملاً مهماً في حوار الحضارات وتحقيق الوفاق والوحدة.

خامسا : أن ميزة التسامح الموجودة فيها يمكن أن يستفاد منها في إقامة علاقات طيبة بين الإسلام والأديان الأخرى.

إن آراء الإمام أبي حنيفة ترشد الإنسانية اليوم إلى الصلح والتسامح والمودة والمحبة والتفاهم والاحترام المتبادل للقيم الإنسانية والامتناع عن العنف.

وإننا اليوم إذ نرجع إلى تراث الإمام الأعظم بالتحقيق والدراسة، نستخلص منها أن تراث الآباء لم يفقد أهميته إطلاقا، بل إنه يتجاوب مع ما يعيشه الناس اليوم من هموم ومسائل حياتية.

لأن في مذهب الإمام الأعظم ومدرسته الفقهية والفلسفية والعرفانية رسالة لبدء الحياة الهانئة ونهضة المجتمع، فقد قال أبو يوسف في أستاذه: إن الله تبارك وتعالى قد زان أبا حنيفة بالفقه والعلم والعطاء والخلق القرآني.

وفوق ذلك فإن عظمة العقل والعلم والإرادة الصلبة والإيمان القوي والصدق الفطري الذي تخلق به الإمام الأعظم يبقى لنا اليوم بمثابة تمثال بارز يجسد الملامح المعنوية والذهنية للشعب الطاجيكي الذي استطاع أن يستوعب في أصعب مراحل التاريخ الإسلامي عظمة وماهية الإسلام حاميا في الوقت نفسه الثقافة الوطنية واللغة الأم بإرادة وجسارة لم يسبق لها مثيل.

وفي الظروف الراهنة حيث نجد بعض مناطق العالم الإسلامي تعتريه موجة من الصدامات والنزاعات والتعصب والتطرف، فإننا نشعر بحاجة ماسة إلى معرفة آراء أبي حنيفة والتمسك بها من قبل





أتباع مذهبه، بخاصة الشباب منهم.

ويمكن أن نسمي الإمام الأعظم بحق رجلا قام بوضع أسس لرفع النزاعات بين الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء، لأن المذهب الفقهي الذي بناه يساعد على إزالة نزاع الحضارات في الإطار الشرعي وعلى أساس الأعراف والسنن الحسنة الموجودة في الثقافة الإنسانية.

ومع أمل بمستقبل تطور الأمة الإسلامية ورفاهية كل البشرية وتعزيز العلاقات الأخوية الطيبة بين شعوب العالم اختتم كلمتي هذه راجياً لهذا الحفل الكريم الصحة والعافية والسعادة والتوفيق.

وفي النهاية نرفع أيدينا مبتهلين إلى الله عز وجل ومصلين على سيدنا محمد المصطفى وجميع الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين، خصوصا على الإمام الأعظم الكوفي وسائر العلماء والعارفين ومن قضوا نحبهم في هذه الديار ونسأل العلي القدير أن يمن على البشرية جمعاء بالأمن والاستقرار وأن يوفق شعب بلادنا النبيل لمزيد من النهضة والرقي والازدهار.

كما نسأله تعالى أن يحفظنا وإياكم في ظل رعايته وعنايته ويسدد خطانا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

لمحات من حياة الإمام أبى حنيفة النعمان رحمه الله

١ – من رحمة الله – تعالى – بعباده، أن جعل من بينهم فى كل زمان ومكان، أناس هداهم – سبحانه – إلى صراطه المستقيم، ومنحهم العقل الراجح، والعزم الصادق، والنظر الثاقب والعلم النافع، والفهم السليم لأمور الدين والدنيا، والشجاعة الفائقة فى تبليغ ما أمرهم بتبليغه، بإخلاص، وقوة، وورع، وعفاف، وغيرة على دينه، وثبات على شريعته.

٢ – ومن هؤلاء الأخيار، أصحاب الهمم العالية، والأفكار القيمة، والاجتهادات المستنيرة الإمام أبو حنيفة، فقيه العراق، وإمام أهل الرأى، ومخ العلم.

والإمام أبو حنيفة اسمه: النعمان بن ثابت، وكنيته أبو حنيفة، لأنه كما يقول بعض المؤرخين كان يحمل معه أوراقه وأقلامه والدواة التى بداخلها الحبر فكنى بأبى حنيفة، لأن الدواة تسمى حنيفة بلغة أهل العراق.

ولد – رحمه الله بالكوفة سنة ٨٠ هـ. من أسرة فارسية مشهورة، وأبوه ثابت كان من الذين دخلوا فى الإسلام، وكان تاجراً ثرياً، معروفا بصدقه وأمانته.

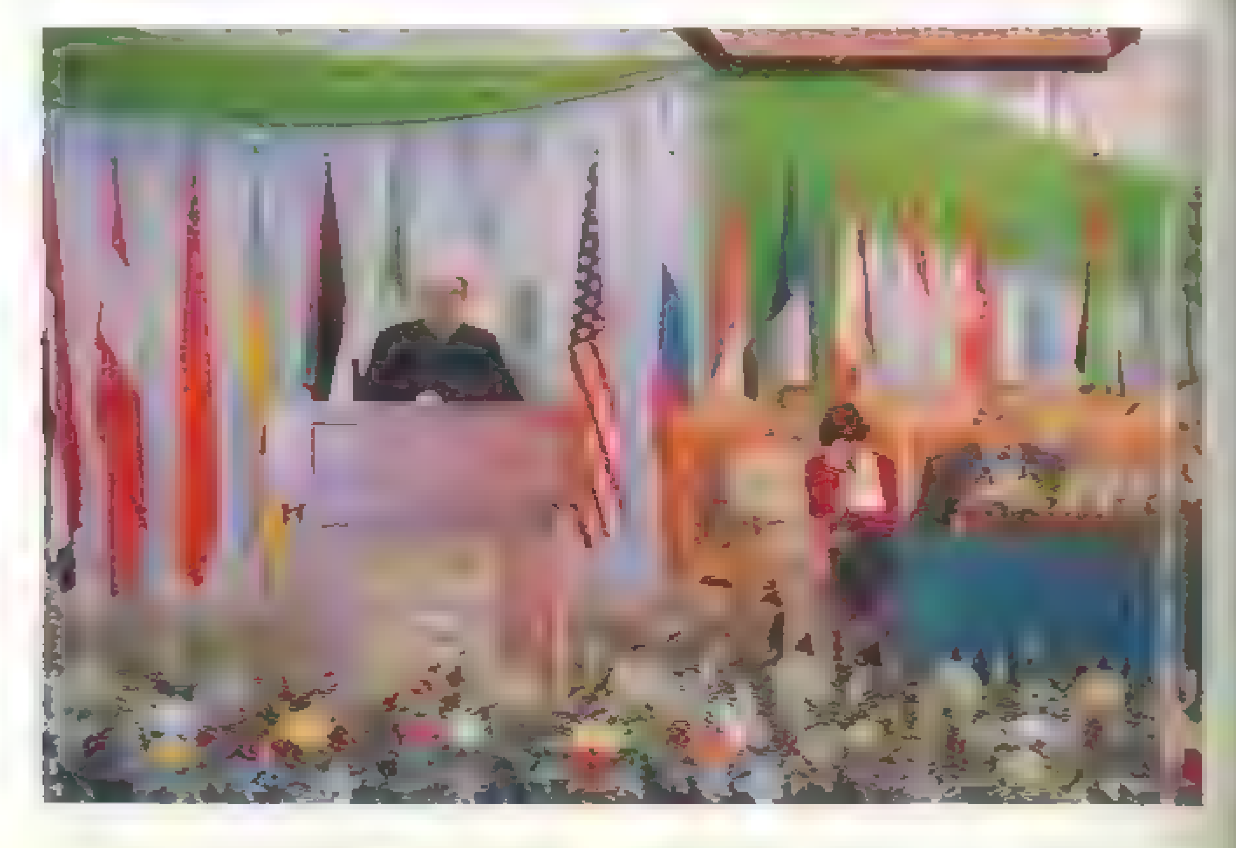
يروى أنه التقى بالإمام على – رضى الله عنه – فسر به الإمام، ودعا له ولذريته بالخير والبركة، ولعل هذه الدعوة كان لها أثرها الطيب فى حياة أبى حنيفة. صاحب المناقب المتعددة.

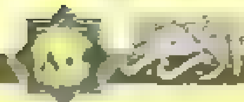
وكان – رحمه الله – يمتاز بحسن الطلعة، وبجمال الملبس، وبهيبة الشخصية، مجلسه هو الوقار بعينه، وفؤاده هو الشجاعة فى أسمى صوره، سمع اللغو أعرض عنه. لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله، رزقه ربه رزقا حسنا، فجعل معظمه للمحتاجين لا سيما الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

وعندما كان أبو حنيفة – رحمه الله – ش با ورآه أحد الحكماء قال له: «عليك بالعلم ومجالسة العلماء فإنى أرى فيك يقظة وحركة، كان يعشق العلم، ويقضى فى طلبه معظم ليله ونهاره.

٣ – لقد عاش – رحمه الله – معظم حياته فى عهد الدولة الأموية. وعندما سقطت هذه الدولة كان فى الثانية والخمسين من عمره. وعاش بعدها فى ظل الدولة العباسية ما يقرب من عشرين سنة وكانت فترة حياته فى هاتين الدولتين مليئة بالحركات الفكرية والدينية، حافلة بالصراعات السياسية، وبالعصبيات القبلية، وبالتيارات التى تموج بالفتن والدسائس والحروب والمنازعات التى لا تكاد تنتهى عنحد.

٤ – وقد ورث أبو حنيفة فى مطلع حياته الاشتغال بالتجارة عن أبيه، وكان ماهرا وخبيرا فى تجارة الملابس والثياب، كما كان مضرب المثل فى أمانته وصدقه وسخائه وقناعته وعطفه على المحتاجين. ومع اشتغاله بالعلم ورسوخه فيه وتمكنه منه. ظل طول حياته مشتغلا بالتجارة. التى كان بفضل أمانته فيها غنيا عن





التطلع إلى عطاء الخلفاء أو الأمراء، باذلا ما أعطاه الله - تعالى - من خير وفير، في خدمة دينه وأمته.

يروى أنه كان في حانوته ثياب بها بعض العيوب، فكلف شريكه في التجارة أن يذكر لمن يشترى تلك الثياب ما بها من عيوب، ولكن شريكه باعها، ونسى أن يبين للمشترى ما بها من عيوب، وحاول أبو حنيفة أن يعرف المشترى لكي يوضح له حقيقة الأمر فلم يستطع. فما كان منه إلا أن تصدق بثمن الثياب جميعا..

٥ - وقد بدأ الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم، ثم اتجه إلى دراسة علم «النحو» ثم انتقل منه إلى علم «الكلام» ثم تفرغ لعلم «الفقه» الذى وجد فيه ضالته وهوايته، وإشباع رغبته في البحث، والدرس، والمناقشة، والمراجعة والاستنباط، والاجتهاد، والمناظرة، والمجادلة، من أجل الوصول إلى الحق.. وكان من أبرز شيوخه الذين تلقى عنهم العلم: حماد بن أبي سليمان الأشعرى - فقيه الكوفة - المتوفى سنة ١٢٠ هـ، فقد تلقى أبو حنيفة الفقه عن حماد، وهو في الثانية والعشرين من عمره، وظل يلازمه إلى أن بلغ الأربعين.

ولقد قال عن شيخه حماد بن أبي سليمان: «كنت في معدن العلم والفقه، فجالست أهله ولازمت فقيها من أفقه الفقهاء» ولعله يريد من هذا الكلام النفيس، أنه عاش في بيئة علمية زاخرة بما ينفع من ألوان المعرفة والثقافة، والبحث والنظر، وأنه كان يخالط ويناقش من هم أهل للتعمق والرسوخ في صنوف العلم النافع. وأنه لازم فقيها جليلا ما يقرب من عشرين سنة استفاد منه وأفاد.

عندما التقى به أستاذه حماد بن أبي سليمان قال له «ما جاء بك» قال: «تعلم العلم».

ورأى فيه أستاذه النجابة والذكاء وسعة الأفق، فأمره «أن يجلس بإزائه» واستمر على هذه الجلسة عشر سنوات يسمع ويناقش، ويجادل ويحاور...

وغاب شيخه حماد بن أبي سليمان عن المجلس شهوراً، فسأله ابنه بعد أن حضر يا أبي على أى الأشياء كنت تشتاق في غيبتك عنا؟ فقال: كنت أشتاق لرؤية أبي حنيفة، ولو أمكنني ألا أرفع الطرف عنه لفعلت.

وكان يسهر مع جماعة من إخوانه في بيت أستاذه حماد يتدارسون العلم، وكان للشيخ ديك يصيح من أول الليل، فكان الشيخ ينهي مجلسه بصياح هذا الديك، فكان أبو حنيفة يقول «يا لك من ديك قبحك الله، قطعت حديثنا. إن شر الديكة ما صاح في أول الليل».



٦- وبعد وفاة شيخه حماد، جلس أبو حنيفة وهو في الأربعين من عمره مجلس شيخه بمسجد الكوفة وأخذ يدارس تلاميذه ما يعرض له من فتاوى، وما يبلغه من قضايا، ويقيس الأشياء بأشباهها، والأمثال بأمثالها، بعقل قوى مستقيم، ومنطق قويم، حتى وضع تلك الطريقة الفقهية التى اشتق منها المذهب الحنفي.

٧- وكان من تلاميذه النجباء الذين دونوا مذهبه، ونشروا علمه وفقهه: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٨٢ هـ، والذى تولى القضاء للخلفاء: المهدى والهادى والرشيد، والذى كتب كتبا كثيرة، من أشهرها كتاب «الخراج» الذى وضعه بتكليف من هارون الرشيد.

ومن تلاميذ أبي حنيفة - أيضا - محمد بن الحسن الشيباني - المتوفى سنة ١٨٩ وقد جلس ليتعلم من شيخه زمنا طويلا، وقد لحق أبو حنيفة بربه والشيباني هذا كان في العشرين من عمره تقريباً، مما يدل على تبكير نبوغه، وعلو همته، وعظم استعداده للتفقه ومدارسة العلم..

وقد تولى القضاء، وألف كثيرا من الكتب منها: المبسوط، والجامع الكبير،

٨١ الأزهر

والجامع الصغير..

ومن تلاميذ أبي حنيفة - أيضاً - زفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ هـ وقد سبق أبا يوسف ومحمد في تلقي العلم عن أبي حنيفة. وكان أكثر تلاميذه قياساً، وكان له الفضل في نشر آراء شيخه بلسانه.

٨- وكان الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - يعامل تلاميذه كنظراء وأصدقاء، ويعطيهم كل نفسه، حتى لقد كان يقول لهم: «أنتم مسار قلبي وجلاء حزني».

وكانت طريقته في درسه تشبه أن تكون دراسة له لا إلقاء دروس على تلاميذه، فالمسألة من المسائل تعرض له، فيلقيها على تلاميذه، ويناقشهم في حلها، وكل واحد منهم يدلي برأيه بحرية تامة، وقد يعارضونه في اجتهاده ورأيه، إلا أنه في النهاية يصل معهم إلى الحل الأمثل، ويبدي رأيه بكل تواضع وتؤدة وثبات، ويقول لمن تجاوز حدوده في المحاورة والمناظرة: «اللهم من ضاق بنا صدره، فإن قلوبنا قد اتسعت له».

وكان يقول: «رأينا هذا أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب».

ويقول: «علمنا هذا رأي فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه».

وكان يقول: «من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ في قلبه، ومن تعلم للدين بورك له في علمه ورسخ في قلبه، وانتفع المقتبسون منه بعلمه».

وكان يقول: «عفا الله عمن قال فينا مكروها، ورحم الله من قال فينا جميلا».

٩- والدارس لمذهب الإمام أبي حنيفة بتعمق، يراه صورة واضحة لصلاحية الفقه الإسلامي، لإعطاء الأمة ما تحتاج إليه من أحكام في كل شئون الدين والدنيا. وذلك لأن الإمام - رحمه الله - قد اعتمد في تأسيس مذهبه على القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والإجماع، والقياس، والاستحسان، فصار باتباعه لهذا المنهج متمكناً من الاجتهاد، واستنباط الأحكام في حدود قواعد الشريعة.

وكان يقول: «إني آخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنة رسول الله - ﷺ - فما لم أجد أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم، وأترك قول من شئت منهم، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم».

وكان يقول أيضاً: «إذا جاءنا الحديث عن رسول الله - ﷺ - أخذنا به، وإذا جاءنا عن الصحابة تخيرنا، وإذا جاءنا عن التابعين زاحمناهم، فهم رجال ونحن رجال».

١٠- ومعنى هذا أنه كان - رحمه الله - يخضع في مذهبه للقرآن والسنة، ويقارن بين أقوال الصحابة ويختار من بينها ما يرتضيه، وأما أقوال التابعين من أمثال إبراهيم النخعي والحسن البصري، وابن سيرين، وسعيد بن المسيب.. فهو يرى أن من حقه أن يوافقهم أو يخالفهم حسب اجتهاده، لأنه نظيرهم، وله أن يجتهد مثل ما اجتهدوا.

١١- وقد أقام اجتهاداته - رحمه الله - على أصول ثابتة قويمة، من أهمها:

أ- التيسير والسماحة، واحترام الكرامة الإنسانية، ورعاية المصلحة العامة في حدود ما أحله الله - تعالى -.

وهناك نماذج من اجتهاداته التي تدل على عمق فقهه، وعلى سماحة نفسه، وعلى تقديره العظيم لحرية الإرادة في نطاق قواعد الشريعة...

فبالنسبة للوضوء هو يرى أن فرائض الوضوء أربعة، بينها الله - تعالى - في قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

«سورة المائدة: آية ٦»

ب - ويرى أن النية من باب السنة وليست من فرائض الوضوء، ومن أدلته أن الوضوء وسيلة للصلاة، وليس مقصوداً لذاته، والنية شرط مطلوب في المقاصد لا في الوسائل.

بينما يرى جمهور الفقهاء، أن النية فرض في الوضوء، ولهم أدلتهم التي منها قوله - ﷺ - «إنما الأعمال بالنيات...».

جـ - وكان يرى أن المسلم إذا كان في ليلة مظلمة، وأراد الصلاة، واشتبه عليه أمر تعيين «القبلة» وصلى إلى غير جهة القبلة، بعد أن تحرى جهدها، صحت صلاته، حتى ولو ظهر له فيما بعد أنه أخطأ في اجتهاده، ومن حجته أن المصلي قد أتى بما في وسعه ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، بينما يرى غيره أن المصلي إذا ظهر له أنه قد أخطأ في القبلة أعادها من جديد...

د- وكان يرى أن زكاة الفطر يجوز إخراج القيمة لأنها قد تكون أنفع للفقير، بينما غيره يرى أن صدقة الفطر لا تصح إلا من غالب قوت البلد كالقمح أو الشعير، ولا تجزئ القيمة لأن النص أوجب ذلك.

هـ - وكان يرى أن المرأة العاقلة البالغة، لها الحق في مباشرة عقد زواجها بنفسها، بكراً كانت أو ثيباً، وأن من باب الاستحباب أن تكل عقد زواجها لوليها، صوناً لها عن التبذل إذا تولت العقد بمحضر من الرجال الأجانب عنها، وليس لوليها حق الاعتراض عليها إلا إذا زوجت نفسها من غير كفء لها، أو كان مهرها



أقل من مهر مثلها.

ومن حججه: كما أنها من حقها أن تستقل بعقد البيع والشراء وغيرهما، فمن حقها أيضا - أن تستقل بعقد زواجها، إذ لا فرق بين عقد وعقد، وأن الأحاديث التي تشترط الولاية في الزواج تحمل على المرأة على أنها ناقصة الأهلية.

بينما يرى جمهور الفقهاء أن المرأة لا يصح لها أن تزوج نفسها أو غيرها، لأن الزواج لا ينعقد بعبارتها، إذ أن الولاية شرط في صحة العقد، وأن العاقد هو الولي، وأن الأحاديث النبوية التي صرحت بأنه لا نكاح إلا بولي، يُحمَل النفي فيها على الصحة فيكون الزواج بغير ولي للمرأة غير صحيح..

و - وكان يرى أن لا يجوز الحجر على السفيه - أي المبذر الذي لا يحسن التصرف في ماله - متى بلغ عاقلا، إلا أن يكون معتوها. فإذا كان كذلك، منع من تسليمه ماله إليه حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة، فإذا بلغها سلم المال إليه بكل حال، سواء أكان مفسدا أم غير مفسد، لأنه متى بلغ هذه السن عليه أن يتحمل نتائج تصرفاته، والحجر عليه إهدار لآدميته...

ويرى جمهور الفقهاء وجوب الحجر على السفيه المضيع لماله، سواء أكان صغيراً أم كبيراً.

- هذه نماذج محددة من اجتهادات الإمام أبي حنيفة وما أكثر اجتهاداته التي تدل على حبه للتيسير وتقديره للحرية الإنسانية وللكرامة الذاتية وهي اجتهادات جديرة بأن تجعله مستحقا للقب إمام أهل الرأي، ومخ العلم، ولا عجب فقد كان- رحمه الله- غواصاً إلى لباب العلم، وقد كان من مميزاته أنه لم يصاحب أهل الرأي الفقهاء وحدهم، بل تعرف بجوار ذلك إلى آراء مختلف الفقهاء والمحدثين والمفسرين واستفاد منهم واستفادوا منه وكتب الله- تعالى- لمذهبه القبول والذيوع والانتشار، ببركة إخلاصه لدينه، وحسن صلته بخالقه، وورعه الذي كان مضرب الأمثال، وصبره الجميل على الأذى والاضطهاد، وصدعه بكلمة الحق دون أن يخشى أحداً إلا الله، وفهمه السليم لأمور الدين والدنيا.

لقد تعرض الإمام أبوحنيفة - رحمه الله- في أواخر حياته لفتن كقطع الليل المظلم فصبر على الأذى بعزيمة لا تعرف الكلل أو الضعف

عرض عليه أبوجعفر المنصور القضاء فأبى وقسم أبوجعفر عليه أن يقبل، فأبى وقال: إني لا أصلح للقضاء، فقال له أبوجعفر المنصور: كذبت، فقال له: قد حكمتَ عليّ ألا أصلح لأنك تنسبني إلى الكذب، والقاضي لا يكون كاذباً. فأمر بحبسه وأوذي في حبسه بألوان من الأذى فصبر.

رفض أبوحنيفة النعمان القضاء وقالت له أمه وقد رأت ما نزل به من اضطهاد: يا نعمان إن علما ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه.

فقال لها يا أمي: «أنا لو أردت الدنيا لوصلت إليها، ولكني أردت أن أصون العلم الذي أمرني الله بصيانته».

لقد مضى الذين أساءوا إلى الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - ونسي كثير من الناس أسماءهم، لكن اسم أبي حنيفة ما زال يذكره الناس، ويذكرون فقهه وعلمه في شئون الدين والدنيا.

وأحس - رحمه الله - بدنو الموت فسجد لله - تعالى- وصعدت روحه الطاهرة وهو ساجد في شهر رجب سنة ١٥٠ هـ. وكأنما كان يسابق ملك الموت إلى لقاء الله في الصلاة وبلغ عدد الذين حملوه إلى قبره عشرات الآلاف..

فرضي الله عنه وأرضاه. وألحقنا به في زمرة الصالحين.

●●●

الحيل الشرعية عند الإمام أبي حنيفة

بحث مقدم من
فضيلة الشيخ/علي عبد الباقي شحاتة شكر
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي خير خلق الله المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه الذين أتبعوا هديه وأحيو سنته ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

أرسل رسول الله ﷺ رحمة للعالمين ، بقوله تعالي

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

فكان القرآن الكريم دستور حياة ـ للبشر جميعا وليس للمسلمين فقط ـ وكانت السنة النبوية شارحة ومفصلة لهذا الدستور الإلهي ، فحمل هذا النور رجال مخلصون علي عاتقهم ليبلغونه للناس جميعا في أنحاء المعمورة ليخرجوا الناس من الظلمات إلي النور بإذن ربهم.

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية خارج الجزيرة العربية وجد هؤلاء الرجل عادات وتقاليد وثقافات تختلف عن ما هو عليه في الجزيرة العربية ، تكاد تصطدم مع الثقافة الجديدة الوافدة ؛ فأخذ هؤلاء الأعلام يبينوا أحكام الشريعة الإسلامية في سهولة ويسر ليربطوا بينها وبين ما عليه الناس من عادات وتقاليد حتي اعتنق جل الشعوب الإسلام بل هناك شعوبا دخلت الإسلام بأكملها.

وهم بذلك قد قننوا للدولة الجديدة ، فوضعوا لها من الأسس القانونية والدينية ما يحكم حياتهم في البر والبحر وما يضبط حركاتهم في الكون وحتي بعضهم البعض ومع المسلم وغير المسلم ، وهم بذلك قد سبقوا الامبراطورية الرومانية والفارسية في هذا المضمار ، مما جعل الإسلام ينتشر ويدخل الناس فيه أفواجا لما وجدوا فيه من صدق ويسر وسهولة واحترام لحقوق الإنسان .



وكان من هؤلاء الأعلام المجتهدين إمام الأئمة ـ الإمام الأعظم ـ أبو حنيفة النعمان الذي ذاع صيته في ربوع المعمورة بعلمه وفقهه فيسر أحكام الشريعة مما جعلها سهلة ميسورة حتي قبلتها واستساغتها قلوب الوافدين علي الإسلام من كل الشعوب الجديدة التي قبلت الإسلام ودخلت فيه .

ولقد كان أبو حنيفة يذاكر تلاميذه فيما يعرض من دواعي الفتيا، وما يخرجه من أحاديث و ما يضعه من أقيسة وضوابط، وما يستنبطه من علل للأحكام يبني عليها ، ويطرد بها قياسه ، ويستقيم عليها اجتهاده.

وعندما يتعرض الباحث للكتابة عن شخصية عظيمة مثل أبي حنيفة يقف تائها من أين يبدأ الحديث لتعدد مواهب هذه الشخصية في العلم من طرق الاستنباط وتعدد أدواته سواء باستعمال الرأي أو العقل وهما مما يتميز به فقه الإمام أبي حنيفة وأكثر ما يتميز به ما يسمي ـ الحيل الشرعية ـ ويظهر فيها قوة الملاحظة واستعمال العقل والرأي معا .

ولما كانت هذه المسألة من المسائل التي يجب فهمها جيدا حتى لا يفهم أنها فتح باب للهروب من الأحكام وإسقاطها في الدنيا بدلا من أن يقوم بالواجب الشرعي فيها ، وإنما هي توسيع من بعض القيود المذهبية وتخريج للأحكام في الدائرة الشرعية بحيث يكون الدين يسر لا عسر فيه .

وفي هذا راقني وأعجبني ما كتبه العلامة الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور / محمد أبو زهرة في كتابه: «أبو حنيفة» حيث فصل هذا العنوان تفصيلا ييسر الفهم ويظهر حقيقة الحيل الشرعية التي تميز بها مذهب الإمام أبي حنيفة فأردت أن اذكره في هذه الورقة حتى يستفيد منها القارئ الكريم .

وإنما اخترت الحيل لأكتب فيها عن الإمام أبي حنيفة لأظهر كيف كان علماؤنا يستخدمون العقل بما يخرج الأحكام عن دائرة الشرع ولا يقفون عند النصوص دون فهم أو دراسة حتى لا يظهرون الدين في صورة جامدة متحجرة تجذب الناس دائما إلي الوراء مع أن العالم كله يسير للأمام نحو التطور والازدهار وشباب المسلمين يقتتل ويختلف في فروع قد لا يجدي الاختلاف فيها .

والله أسأل أن ينفع بهذه الوريقة كل من قرأها وأن ينفعنا بعلمائنا العظ[illegible] الذين تركوا لنا تراثا يصلح شأن الدني[illegible] بأثرها لو أتبعوه وأن يجعل هذا الجهد في ميزان حسنات أبي حنيفة النعمان وميزان حسناتنا يوم العرض عليه .

ذكر جل العلماء أن أبا حنيفة أثرت عنه طائفة من الحيل الفقهية كان يفتي بها من يكون في ضيق فيخرجه من بحكم فقهي متفق مع [illegible] في الشريعة، ولقد رأينا في المناقب طائفة من هذه المخارج بعضها في الأيمان وبعضها في غيرها.

ولقد ادعي بعض الناس أن لأبي حنيفة كتابا في الحيل كان فيه يفتي الناس للتحلل من الأحكام الشرعية والقيود المذهبية، حتى لقد روي أن عبد الله بن المبارك قال: «من كان عنده كتاب الحيل لأبي حنيفة يستعمله أو يفتي به فقد بطل حجه وبانت منه امرأته» كما روي عنه أيضا أنه قال: «من نظر في كتاب الحيل لأبي حنيفة أحل ما حرم الله، وحرم ما أحله الله».

ولكن ذلك الكتاب لم يعثر عليه حتى يدرس وتعرف منه مقدار مدى الحيل في توسيع من بعض القيود المذهبية وتخريج الأحكام في الدائرة الشرعية بحيث يكون الدين يسرا لا عسر فيه أم هي خروج عن الدين وفتح الباب للهروب من



الأحكام وإسقاطها في الدنيا من غير أن يقوم بالواجب الشرعي فيها .

لم يجد ذلك الكتاب ولذلك فقد المصدر الذي يعتمد عليه في معرفة الحيل التي قالها أبو حنيفة كما دونها هو.

وإن عدم وجود هذا الكتاب وما حكينا عن أبي حنيفة من أنه لم يدون كتابا في الفقه، وأن تلاميذه كانوا يدونون بإشرافه أحيانا يجعلنا نرجح أنه لم يؤلف كتابا بهذا الاسم ويقوي ذلك الترجيح ويسقط دعوى التأليف أن عبد الله بن المبارك الذي يروون عنه هذا القول كان من تلاميذ أبي حنيفة الذين يقدرونه حق قدره وأنه هو الذي بين آراء أبي حنيفة وقيمتها ومكانه من الفقه للأوزاعي بالشام، وأنه مهد للقائهما بدار الخياطين بمكة ومناظرتهما. فمحال أن يكون لأبي حنيفة تلك المنزلة في نفسه حتى لقد وصفه بأنه مخ العلم، ثم يقول بعد ذلك: «من نظر في كتاب الحيل لأبي حنيفة أحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله» وإذا كان الأمر كذلك فنسبة ذلك القول إليه غير صحيحة، وبذلك تنهار دعوى أن لأبي حنيفة كتابا

اسمه «كتاب الحيل» من أساسها، لأن تلك الرواية قد انهار عمادها وقد تبين تجافيها عن الثابت من القول عن عبد الله بن المبارك .

لم يثبت إذا أن لأبي حنيفة كتابا في الحيل ولقد وجدنا أن لمحمد تلميذه كتابا في الحيل يغلب علي الظن أنه روي فيه ما كان يخرج به ذلك الإمام الأحكام تسهيلا علي الناس حتى لا يكونوا في حرج، وأن نسبة هذا الكتاب إلي محمد رضي الله عنه قد أثير حولها الشك منذ العصر الأول عصر تلاميذ محمد نفسه فأبو سليمان الجوزجاني ينكر نسبة ذلك الكتاب إلي محمد رضي الله عنه ويقول: «من قال أن محمدا صنف كتابا سماه الحيل فلا تصدقه وما في أيدي الناس فإنما هو ما جمعه وراقو بغداد وأن الجهال ينسبون إلي علمائنا رحمهم الله ذلك علي سبيل التعيير فكيف يظن بمحمد رحمه الله أنه سمي شيئا من تصانيفه بهذا الاسم ليكون عونا للجهال علي ما يقولون» .

وأبو سليمان هذا أحد تلاميذ محمد رضي الله عنه، فإذا أنكر أن يكون لمحمد كتاب بهذا الاسم، فلإنكاره مكان من الاعتبار، ولكن تلميذا ثانيا لمحمد من رواة كتبه الذين لهم مكانة هو أبو حفص يروي ذلك الكتاب، وينسبه إلي أستاذه، ويقول: إنه من تصنيفه وتآليفه ويرجح السرخسي ذلك ويقول: إنه الأصح.

وليس لنا أن نخالف شمس الأئمة في ترجيحه صحة النسبة، بيد أن في النفس شيئا، من أن يشك أحد تلاميذ محمد في صحة النسبة إليه، ويحسب أنها من جمع الوراقين ببغداد وإن كان الذي يرجح النسبة تلميذا لمحمد أيضا، ونحن في حاجة إلي تمحيص الحق فيها .

لقد استبعد أبو سليمان أن يكون لمحمد تصنيف بهذا الاسم ولو أنه اكتفى بذلك لقلنا إن أبا سليمان ينكر أن تكون التسمية قد وضعها محمد، وعندئذ يكون لنا أن نقول إن محمدا عنده المعلومات صحيحة النسبة، ولكن التسمية وجدت من بعده، فأبو حفص لما رأي تلك الطائفة من المسائل يصح أن يطلق عليها ذلك الاسم في نظره أطلقه عليها وسماها به، ولكن أبا سليمان يحسب أنها من جمع الوراقين فليس لنا حينئذ إلا أن نقول إن الوراقين ببغداد جمعوا ذلك، كما قال أبو سليمان، ووجدوه منسوبا للإمام محمد، فاستوثقوا من تلك النسبة بأن عرضوا ما جمعوا علي أحد تلاميذه وهو أبو حفص فأقره، واتفق مع ما رواه هو عن شيخه، فكان بذلك من مروياته وهو الثقة الأمين في النقل عن شيخه، وفي ذلك التخريج والتوفيق بين أقوال تلاميذ الإمام محمد ما تطمئن النفس به بعض الاطمئنان .

أثر كتاب الحيل عن محمد، وقد علمت ما قيل في نسبته إليه، وانتهينا إلي ترجيح الصحة، وقد عثر علي كتاب الحيل هذا منفردا، ووجدناه فيما خصه الحاكم الشهيد في الكافي، وشرحه السرخسي في مبسوطه، ومهما تكن نسبة الكتاب، فما فيه من المعلومات يكشف عن نوع الحيل الذي كان رائجا بين أصحاب أبي حنيفة، ويكشف عن طريقة المخارج التي كان يسلكها أبو حنيفة، وتلقاها عنه تلاميذه، وتدارسوا المسائل علي نحوها، وكذلك أثر كتاب في الحيل للخصاف وهو أوسع من كتاب محمد، وأكثر مسائل، وهو يبين وجه التحايل في أنواعها.

فدراسة ما اشتمل عليه الكتابان تكشف عن منهج أبي حنيفة في الحيل، ونوعها، أهي تحل ما حرم، أم تسهل ما كلف العبد، وأهي بيان التوسعة في الشريعة والاحتياط للحقوق فيها، أم هي ذريعة لإهمال مقاصد الشارع بظواهر الأعمال، وبعبارة أدق وأعم، فدراسة هذين الكتابين تكشف عن معنى الحيلة عند أبي حنيفة ومداها.

وقبل أن نتجه إلي تعرف ما اشتمل عليه هذان الكتابان، أو المأثور من حيل أبي حنيفة بوجه عام نبين ما تطلق عليه كلمة حيلة في عرف الفقهاء متقدميهم ومتأخريهم.

يقسم ابن القيم ما تطلق عليه كلمة حيل عند الفقهاء إلي ثلاثة أقسام :-

القسم الأول: الطرق الخفية التي يتوصل بها إلي ما هو محرم في نفسه، بأن يأخذ الأمر شكل الأمور الشرعية، وتنطبق به عليه النصوص في ظاهر الأمر، والمقصود التوصل إلي ارتكاب محرم، كالحيل علي أخذ أموال الناس بالباطل، وكالحيل لجعل ما ليس بشرعي لابسا المظهر الشرعي كنكاح المحلل، وكبيع العينة، وكاحتيال المرأة علي فسخ نكاحها بأن تدعي أنها لم تأذن للولي، وقد كانت وقت العقد بالغة عاقلة، وكاحتيال البائع علي فسخ العقد بادعاء أنه لم يكن مالكا وقت العقد، ولم يأذن المالك بالعقد، وقد قال ابن القيم في هذا القسم: «هذه الحيل وأمثالها لا يستريب مسلم في أنها من كبائر الإثم وأقبح المحرمات، وهي من التلاعب بدين الله، وهي حرام في نفسها لكونها كذباً وزوراً، وحرام من جهة المقصود بها وهو إبطال حق وإثبات باطل».

وكل حيلة تكون وسيلة لإبطال حق تكون حراماً، ولو كانت الوسيلة حلالاً في ذاتها، ولكن الحيلة قد تكون محرمة في ذاتها، لأنها كذب وزور، ولكنها الطريق الوحيد لإثبات الحق، ورد الباطل، كمن ينكر حقا قد لزمه، ولا طريق لإثباته إلا بالبينة، ولا بينة تشهد،

فلجأ إلى الزور، فهل هذه الحيلة تعتبر جائزة، إذ يكون المقصود حلالاً والوسيلة حراماً، فتحل لمشروعية المقصود والالتجاء من عليه الحق إلى الباطل؟ لقد أجاب عن ذلك ابن القيم بقوله: «هذا يأثم على الوسيلة دون المقصود» وفي مثل هذا جاء الحديث: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

القسم الثاني: أن تكون الحيلة مشروعة وما تفضي إليه أمراً مشروعاً، وقد وضعت الوسيلة فيها للغرض المقصود منها ظاهراً، وهي تشمل كل الأسباب الشرعية التي وضعها الشارع، وجعلها سبيلاً إلى مقتضياتها الشرعية، والحيلة في هذه الدائرة تكون باتخاذ الأسباب الشرعية، وسيلة إلى الكسب الحلال بأقصى درجاته، وأبعد غاياته، وهي من التدبير الحسن الذي يحمد فاعله ولا يذم، ومن أفتى بشيء فيها، فقد أفتى بما هو حلال خالص الحل، وعندي أن هذا لا يعد من الحيل على حد تعريف الفقهاء.

القسم الثالث: أن يحتال على التوصل إلى الحق أو على دفع الظلم بطريق مباحة لم توضع موصلة إلى ذلك، بل وضعت لغيره فيتخذها طريقاً لهذا المقصود الصحيح أو تكون قد وضعت له، ولكن تكون خفية لا يفطن لها، والفرق بين هذا القسم والذي قبله أن الوسيلة في الذي قبله نصبت مفضية إلى مقصودها ظاهراً، فسالكها سالك الطريق المعهود، والطريق في هذا القسم نصبت مفضية إلى غيره، فتوصل بها إلى ما لم يوضع له، أو تكون مفضية إليه، ولكن بخفاء، ومثال ذلك أن يستأجر شخص داراً لمدة سنتين، ويخشى أن يغدر به المؤجر في أثناء المدة، فيحاول فسخ الإجارة بطرق غير محللة، كأن يظهر أنه لم تكن له ولاية الإجارة، أو أن العين كانت مؤجرة لغيره قبل إجارته فالاحتياط لهذا أن يضمنه المستأجر درك العين المستأجرة، فإذا استحقه أو ظهرت الإجارة فاسدة، رجع عليه مما قبضه منه.

ومن أي نوع حيل المتقدمين من أئمة المذهب الحنفي! لتعرف نوع التحايل الذي يصح أن ينسب إلى أبي حنيفة، ويعتبر أولئك الصحاب قد تلقوا عنه ذلك المنهاج في الفقه، أو اقتبسوا من طريقته، أهو من النوع الذي يعد هدماً لمقاصد الشارع في التحليل والتحريم، وتفويتاً للغاية السامية التي يرمي إليها الشرع الإسلامي فيما يشرع من حكم وما يكلف من تكليفات أم هو نوع من تسهيل هذه المقاصد، وتيسيرها، وتهيئة الطرائق للوصول إلى الحقائق الشرعية من غير أن تقف القيود والشروط الفقهية في سبيلها، أو يصعب الوصول إليها في بعض الأحوال، وتكون الحيل في



هذه الحال من قبيل دفع ما قد يترتب على تقييد بعض الشروط الفقهية المذهبية تطبيقاً دقيقاً من ظلم أو ضياع للحقائق، فتطبق الشروط، وتنفذ الحقوق، من غير شطط، ولا مجاوزة لهدى الإسلام؟

إن الدراسة الفاحصة المسبقة لكتاب الحيل والمخارج للخصاف، ولكتاب الحيل لمحمد تنتهي بأن حيل أئمة المذهب الحنفي من النوع الثاني لا من النوع الأول، فهي من القسم الثالث في الأقسام التي ذكرها ابن القيم وبيناها آنفاً يحتال بها على التوصيل إلى الحق، أو على دفع الظلم بطريق مباحة، لم توضع موصلة لذلك، ولكن قصد بها ذلك التوصيل.

وقبل أن نخوض في تقسيم هذه الحيل المأثورة، نذكر ملاحظة لاحظناها، وهي تزكي ما قررنا، وتلك الملاحظة هي أننا لم نجد حيلة في باب من أبواب العبادات في هذين الكتابين، إلا حيلة واحدة في الزكاة سنذكرها، وأن إبعاد العبادات عن نطاق الحيل في المأثور عن أولئك الأئمة الأعلام ليدل على أنهم لم يقصدوا بحيلهم مدافعة مقاصد الشرع،

والاستمساك بظاهر من التكليفات، إذ إن العبادات أساسها النيات، وهي بين العبد وربه فهو الذي يحاسب عليها، وهو العليم الخبير، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، قد أحاط بكل شيء علماً، فالحق في العبادات بين العبد والرب، وهو المجازي عليها بما تطوي النفس من نيات، فمن كانت هجرته لله ورسوله، فهجرته لله ورسوله، ومن كانت هجرته لامرأة ينكحها أو دنيا يصيبها، فهجرته لما هاجر إليه.

أما الحيلة التي أثرت في الزكاة، فهي أيضاً من باب تحري الأحق في الأمور، والمقاصد السامية فيها، وهي إذا كان شخص مديناً لآخر، ولم يجد الدائن أحق بالزكاة من هذا المدين، ووجد أن زكاة ماله أن يترك دينه عليه له صدقة، ولكنه يجد بعض الشروط الفقهية تقف محاجزة بينه وبين غرضه الذي يتفق مع مقاصد الشرع، ولا ينافيها، وذلك الشرط هو أن ينوي زكاة المال عند تسليم الفقير المستحق، ولم تكن ثمة هذه النية لأنه لا تسليم، وقد ذكر الخصاف الحيلة في ذلك فقال:

«أرأيت رجلاً له مال على فقير، فأراد أن يتصدق بماله على غريمه، ويحتسب ذلك من زكاته؟ قال: لا يجزئه ذلك من الزكاة، قلت: فما الوجه في ذلك؟ قال: الوجه في ذلك أن يعطيه مقدار ماله عليه من الدين، ويحتسب ذلك من زكاته، فإذا قبضه الغريم، فإن قضاه إياه عما عليه من الدين، فلا بأس بذلك، ويجزئه ما دفع إلى الغريم أن يحتسبه من زكاته، قلت: فإن كان الطالب له شريك (أعني الدائن)، فخاف أن يشركه شريكه، فيما يقبض الغريم من الدين؟ قال فالوجه في ذلك أن يهب الغريم لصاحب المال بقدر حصته مما عليه، ويقبضه، ثم يدفع إليه، ويحتسب بذلك من الزكاة، فيجزئه ذلك، ثم يبرئه من حصته في الدين، فيبرأ ولا يشركه شريكه».

هذه ملاحظة عابرة أبديناها لنؤكد بها أن الحيل عند أئمة المذهب الحنفي الأولين لم يقصدوا بها إسقاط تكليف ولا العمل على أن تكون الأعمال تطبق عليها الأحكام الشرعية في ظاهرها وفي معناها ونيتها تكون مناقضة لمقاصد الشريعة وهادمة للغاية السامية والحكمة من مشروعيتها.

وإن الدراسة الفاحصة الضابطة للحيل المأثورة في كتاب محمد، والخصاف تنتهي بنا إلى أن نضبط هذه الحيل في أربعة .. (القسم الأول) في الأيمان وأكثره في أيمان الطلاق و (القسم الثاني في توجيهات من المفتي لمن يستفتيه في العقود الغرض منها الاحتياط لنفسه بكل أنواع الضمانات



لكيلا تضيع حقوق له في المستقبل، أو لكي لا تقع به مضار بسبب العقد. (القسم الثالث) التوفيق بين مقاصد العاقدين المشروعة التي لا إثم فيها و بين ما يشترطه الفقهاء بصحة العقود وما يقررونه من شروط، وما لا يقررون، (القسم الرابع) بيان الطريق للوصول إلى الحقوق الثابتة ولكن يحول بينها وبين الإلزام بها بعض قواعد شرعية تثبت لحماية المبادئ المقررة في الشريعة ولمنع عبث الناس بالأحكام الشرعية.

أما القسم الأول، وهو الخاص بالأيمان فالحيل الخاصة به كثيرة منها ما هو ثابت بالرواية عن أبي حنيفة نفسه والغرض منها إيجاد سبيل شرعي للتحلل من الأيمان، إذا كان في الإصرار حرج شديد، إذ لم يبحث عن حيل شرعية تحل بها الأيمان وذلك لأن الأيمان في كثير من الأحيان قد تدفع إليه نوبة غضب جامحة فيقسم بالأيمان المغلظة ألا يفعل كذا، أو يفعل كذا، فإذا سكن من فورة الغضب كان في حرج شديد، فإما الحنث في اليمين وقد تكون طلاقاً ويمين الطلاق عند فقهاء المذاهب الأربعة معتبرة وفي

إمضائها خطر الفرقة، وفي عدم اعتبارها العشرة المحرمة في نظرهم، فكان الفقيه الذي يبين وجه الحيلة لتحلة هذه اليمين لا يهدم مقصدا من مقاصد الشارع، ولكن يفرج كربة، ويقيل عثرة مؤمن، ويوسع ضيقا ويدفع حرجا فكانت الحيلة مشروعة وأمرا مستحسنا .

ولنضرب لذلك مثالين : (أحدهما) فيما يعم أيمان الطلاق وغيرها والثاني خاص بأيمان الطلاق. فمن الأول ما جاء في كتاب الحيل لمحمد رضي الله عنه أنه لو حلف شخص ألا يشتري ثوبا من فلان ثم أراد أن يشتريه من غير أن يحنث في اليمين فإنه يوكل شخصا يشتريه له، فإنه في هذه الحال لا يحنث لأن العقد يضاف إلى الوكيل في البيع والشراء، وحقوق العقد ترجع إلى الموكل والعرف ينصرف في الشراء والبيع إلى من يتولى العقد، والأيمان تفسر على حسب العرف ويقيد تفسيرها به، فكانت يمينه منصبة على حال توليه العقد بنفسه ولا يشمل تولي غيره العقد بالنيابة عنه.

محمد في هذا الحال كان حريصا كل الحرص على ألا تكون حيلته هذه لعبا باليمين أو عبثا في تفسير ألفاظها، ولذلك يقرر أنه إذا كان الحالف ممن لا يتولى البيع والشراء بنفسه عادة وعرفا كالخليفة والوالي، فإنه يحنث ولو اشترى وكيله، لأن يمينه تنصب على شراء وكيله .

ولقد حكي أن الرشيد سئل محمد رحمه الله عن هذه المسألة فقال .. س.. أنت فنعم، يعني إذا كان لا يباشر العقد بنفسه فجعله حانثا بشراء وكيله له .

وفي هذا نرى أن الحيلة ما كانت تخرج الأمر بسير على حكم الشارع في ظاهر الأمر فقط بل إنها تتجه أيضا ى المقصود .

(وثانيهما) من الحيل الخاصة بأيمان الطلاق ذلك ما روي من أن أبي حنيفة سئل عن رجل قال لامرأته أنت طالق ثلاثا إن سألتني الخلع ولم أخلعك، وحلفت المرأة بعتق مماليكها، وبصدقة مالها، أن تسأله الخلع قبل الليل، هذا هو السؤال وفيه نرى المرأة والرجل قد اندفعا في القول فهو يحلف بالطلاق الثلاث إن سألته الخلع ولم يخلع، وهي تعلق عتق مماليكها وصدقة أموالها كلها إن لم تسأله الخلع قبل الليل، إن الطلاق البائن لا محالة واقع، أو عتق المماليك كلها والصدقة بالمال كله، كلا الأمرين صعب، عندئذ يعمل أبو حنيفة الحيلة لإقالة هذه العثرة من غير إثم ولا مجافاة لمقاصد الشرع، فيقول للمرأة: (سليه الخلع) فتقول المرأة لزوجها إني أسألك الخلع فيقول لزوجها . قل لها قد

خلعتك على ألف درهم تعطينيها، فقال الزوج ذلك، فقال أبو حنيفة قولي : لا أقبل، فقالت: لا أقبل، فقال أبو حنيفة: قومي مع زوجك فقد بر كل واحد منكما في يمينه ولم يحنث

ونرى من هذا أن وجه الحيلة لم يتجاوز تنبيههما إلى أقل ما تنطق عليه الألفاظ الواردة في اليمين ولا يتنافى مع غرضها. وفي هذا التنبيه قد يسر الأمر عليهما وفرج كربتهما وأبقى الأسرة لا تعبث بها جوامح العصب والآراء الفقهية الضيقة .

والقسم الثاني مما أدرجه العلماء تحت عنوان الحيل وذكروه من آحادها أن يبين الفقيه عند الإقدام على عقد ما يذكره العاقد من الشروط ليحتاط لأمور مرتبة على العقد وهي من أحكامه وقد يستخدمها الطرف الآخر سبيلا للعنت به وإضراره .

ولنذكر لذلك مثلين يستبين منهما كيف كانت الأوجه التي يذكرها أئمة المذهب الحنفي من الشرع غير متجانفة لإثم .

أحد المثالين في الإجارة، ذلك أنه من المقرر في الفقه الحنفي أن الإجارة تفسخ بالأعذار، ووسعوا في معنى الأعذار جدا. حتى اتسع ذلك المبدأ لبعض الذين يعثرون بحق الفريق الآخر ويعمدون إلى إضراره، فكان بعض الذين يقدمون على عقد الإجارة يجتهدون في الاحتفاظ لأنفسهم، لكيلا يقدم العاقد على طلب الفسخ لعذر، إلا إذا كان في ضرورة تلجئه لذلك الفسخ، وقد ذكرت الحيلة لذلك في كتاب الحيل، وهي أن تجعل الأجرة في المدد الأولى للعقد قليلة، وفي المدد الأخيرة كبيرة، فمثلا إذا كان العقد لمدة ثلاث سنوات، تجعل أجرة السنة الأولى عشرين والسنتين الأخريين مائتين مثلا ففي هذه الحال لا يقدم المؤجر على طلب الفسخ لعذر، إلا إذا كان في حال ضرورة ملجئة، أو قريبة منها، لأن ارتفاع الأجرة في السنتين الأخريين يغريه بإبقاء العقد إلى نهاية المدة، فلا يفسخ إلا إذا كان ثمة سبب موجود يدفع ذلك الإغراء، ويزيل أثره من النفس .

ولكن قد ذكر المبسوط أنه قد يرفع الأمر إلى بعض القضاة الذين يأخذون رأي ابن أبي ليلى وهو أن الأجرة مهما يكن توزيعها على المدة في أثناء إنشاء العقد فإنها توزع على المدد كلها بمقادير متساوية، فلا يكون في هذه الحيلة فائدة، والأحوط أن تجعل على صفقتين صفقة بالمدد الأولى بأجر قليل، وصفقة في المدد الأخيرة بأجر كبير، فإن فسخ في الأولى كان الضرر عليه ولا ضرر على المستأجر، وكذلك إن فسخ في الثانية .

المثال الثاني : أن يطلب شخص إلى

آخر أن يشترى دارا لنفسه، ويعده بأنه إذا تم الشراء يشتريها منه بربح يرغب في مثله بأن يقول له اشترها، وثمنها ألف، وإن اشتريتها، فسأشتريها منك بألف وخمسمائة، وليس للمأمور رغبة في ذات الشراء وله عنه غناء ويخشى إن اشتراها لنفسه يبدو لمن أمره بالشراء، ألا يشترى فتبقى الدار ملكه، وليس له رغبة في ذلك، ولا يرى فيها ما يدر عليه الخير، فذكروا أن وجه الحيلة في الاحتياط لنفسه، أن يشتريها من مالكها على أنه بالخيار مدة معلومة، ويكون له بذلك مدة الخيار الحق في أن يبيعها فإن اشتراها في المدة بت البيع، وتم له الربح والخلاص من الدار. وإن لم يشتر الآمر في أثناء مدة الخيار فسخ البيع ورضى من الغنيمة بالسلامة .

هذا هو القسم الثاني، ولا ترى فيه تعطيلا لمقصد من مقاصد الشارع، ولا هدما لمبدأ من مبادئه، ولكن ترى فيه إرشادا لما يكون فيه محافظة على حقوق الشخص من أن يعبث بها في المستقبل، وليس ذلك الإرشاد إلا تطبيقا للأحكام الفقهية المقررة في العقود في أفق عملي، وبيانا للطريق الذى ينتفع به الناس من هذه المقررات .

أما القسم الثالث من الحيل، وهو الحيل التي يقصد بها الجمع بين بعض المقاصد الشرعية، وأحكام العقود التي ينص عليها الفقهاء في المذهب الحنفي، فذلك لأن الشروط التي يجيز الفقهاء اشتراطها في العقود محدودة، مرسومة في دائرة قد تضيق عن بعض الحقوق التي يرغب فيها بعض العاقدين، ولو شرطوا شروطا لصيانتها لفسد العقد أو ألغيت، ولم يلتفت إليها. فكان الأئمة الأولون في ذلك المذهب يذكرون وجه الحيلة لمن يكون لهم رغبة في اشتراط شرط، والفقه لا يقره، ولكن الاحتياط يوجب التزام مؤداه، ولنضرب لذلك مثلين :-

أحدهما : رجل يريد أن يدفع مالا لآخر مضاربة، ولكنه لا يؤمن أن يعنت صاحب العمل بالمال معتمدا على أنه أمين، والأمين لا يضمن. وشرط الضمان في العقد شرط غير صحيح فيكون الشخص بين أمرين، إما أن يضارب، وفي ذلك ضرر به، وضرر بالآخر، إذ فيه حرمان لنفعهما، وإن قدم المال من غير ضمان كان ماله عرضة للضياع، فقالوا: إن وجه الحيلة في هذه الحال أن يقرضه رب المال المال إلا درهما ثم يشاركه بذلك الدرهم فيما أقرضه، على أن يعملا بما رزقهما الله تعالى من شيء فهو بينهما على كذا، وهذا صحيح، لأن المستقرض بالقبض يصير ضامنا للمقرض متمسكا، ثم الشركة بينهما مع التفاوت في رأس المال صحيحة، فالربح بينهما على الشرط كما قال علي رضي الله عنه والربح على ما اشترطا، والوضيعة على رب المال. ويستوى إن عملا جميعا، أو عمل به أحدهما فربح، فإن الربح يكون بينهما .

هذه حيلة لضمان المضارب رأس المال، وهو أمر يقرر الفقهاء أنه غير جائز، وأن اشتراطه غير صحيح، ولكن قد تمس إليه الحاجة، فكانت هذه الحيلة عند الحاجة، والضرورة ، وما كان الحكم بعدم الضمان أمرا منصوصا عليه في كتاب أو سنة، وإنما هو أمر اجتهادى للمصلحة، فإذا كانت المصلحة الخاصة بين العاقدين في الضمان، فلماذا لا نعمل الحيلة لإجازته، ولقد كنا نود أن يجيز الفقهاء اشتراط الضمان و لكنهم لم يجيزوه لتسير قواعدهم على اطراد، وهكذا اضطروا لهذه الحيلة الشرعية .

المثال الثاني : في الصلح إذا اشترط ضمان شخص معين لبدل الصلح قد يقبل، وربما لا يقبل، فإن هذا الشرط يفسد الصلح لما فيه من غرر، وذلك لأن الصلح مبادلة، وعقود المبادلات تفسدها الشروط التي يكون لأحد العاقدين منفعة فيها، وفيها غرر، وقد اضطروا أن يوجدوا حيلة لذلك إذا مست الحاجة له، وذلك أن يكون الكفيل حاضرا، فيضمنه، لأنه لا يصح العقد مع هذا الشرط لوجود الغرر فيه، وهو أنه لا يدرى أيضمن الكفيل أم لا يضمن، فإذا ضمنه فقد انعدم معنى الغرر، وإن لم يكن حاضرا فالحيلة أن يصالحه على أن فلانا إن ضمن المال فالصلح تام، وإلا فلا صلح بينهما، فإذا كان العقد بهذه الصفة كان تمام الصلح بقدر ما ضمن ولا يبقى غرر إذا ضمن .

وهكذا نجد هاتين الحيلتين كانتا للتخلص من بعض قيود العقود الاستنباطية التي لا تكون متفقة مع المصلحة والحاجة في بعض الأحوال، فتضطر الحاجة إلى التحايل، لكي يكون العقد متفقا معها، وغير مفوت مصلحة ولا غرضا مشروعا .

القسم الرابع :- أن تكون الحيلة للالتزام بحق تحول القواعد الفقهية دون ثبوته، وإذا كان الحكم الديني والخلقي تابعاً للمقاصد والأعراض فالحيلة في هذه الحالة تكون هي الأمر الديني الخلقي الفاضل، لأنها تكون التوصيل الحق إلي أهله وللحيلولة دون ضياعه، ولنضرب لذلك ثلاثة أمثلة .

المثال الأول : أنه من المقرر الثابت أن المريض مرض الموت لا ينفذ إقراره لوارثه بدين إلا بإجازة الورثة، فإذا كان لزوجة أو لأحد من سائر ورثته دين حقيقى، ولا سبيل لإثباته إلا الإقرار، والورثة ربما لا يجيزونه أو في الغالب لا ينفذونه، فالأمر حينئذ يؤدى لا محالة إلى ضياع

حق الوارث، وإلى موت المريض، وذمته مشغولة بهذا الدين، وهو مسئول عنه أمام الله، وفقه الفقهاء يحول بينه وبين براءة ذمته، بأداء الحق إلى أهله، ولبراءة ذمته، إما أن ينقض الفقهاء قاعدتهم، وقد وجدت للاحتياط للورثة، حتى لا يؤثر بعضهم على بعض بأكثر مما قسم الله سبحانه وتعالى، ووقوع ذلك كثير من المرضى، فنقضها هدم لذلك الاحتياط الذى لابد منه لحماية نظام الميراث، فلم يبق إلا أن يعمل الأئمة الحيلة ليثبت الحق الذى يخشى عليه الضياع، ولتبرأ ذمة المريض أمام الله، ويحمى فى الوقت نفسه نظام الميراث الذى شرعه الله سبحانه وتعالى .

والحالة فى ذلك قد ذكرها الخصاف فى كتاب الحيل والمخارج، ونصه، إن كان لامرأة المريض عليه دين مائة دينار أو أكثر .. الحيلة فى ذلك أن تأتى المرأة برجل تثق به فيقر المريض، ويشهد على نفسه أن امرأته كانت وكلته بقبض مائة دينار كانت لها على فلان هذا، وأنه قبض ذلك لها من فلان هذا، فإن أشهد على نفسه بذلك لم يقبل إقراره للمرأة بهذا لتأخذه من ماله، ولكن للمرأة أن ترجع بذلك على الرجل الذى أقر المريض أنه قبض ذلك منه ويرجع الرجل على الميت بما أقر بأخذه للمرأة منه، لأنه يقول قد أقر الميت أنه أخذ منى ما كان لهذه المرأة ولم أبرأ بقوله، وقد رجعت به المرأة على، فلى أن أرجع به فى ماله فيكون ذلك له، فإن خاف هذا الرجل أن تلزمه يمين فى ذلك، ينبغى للمرأة أن تبيع من هذا الرجل ثوبا بهذه المائة، فإن لزمته فى ذلك يمين، كان قد حلف بارا .

وترى من هذا المثال أن الحيلة كانت للوصول إلى الحق، وقد حالت دون الوصول إليه القواعد الفقهية التى استنبطت للاحتياط لحق الورثة، ولمنع المريض من أن يقسم التركة قسمة ضيزى، بدل قسمة الله العادلة.

المثال الثانى : امرأة طلقها زوجها، ولها عليه دين بغير بينة، فحلف ما لها عليه حق، فأرادت أن تأخذه منه، وفى هذا المثال احتالت فأنكرت أن عدتها قد انتهت، حتى تمضى مدة تأخذ بها من النفقة الزائدة ما يعادل الدين، فأقر أئمة المذهب الحنفى ذلك الاحتيال، وقالوا: «يسعها ذلك، لأنها لو ظفرت بجنس حقها كان لها أن تأخذه بغير علمه، فكذلك إن تمكنت من الأخذ بهذا الطريق. وهذا لأن هذا الزوج، وإن كان يعطيها بطريق نفقة العدة، فهى إنما تستوفى بحساب دينها، ولها حق استيفاء مال الزواج بحساب دينها، على أى وجه كان منه. فإن حلفها القاضى على انقضاء عدتها. فحلفت تعنى به شيئا غير ذلك وسعها. وقد بينا أيضا متى كانت مظلومة تعتبر نيتها، فإذا حلفت ما انقضت عدة، تعنى بها عدة غيرها، وسعها ذلك».

وترى من هذا أيضا أن الحيلة كانت للوصول إلى الحق، لا لتضييع حق غيره.

المثال الثالث: وهو ما يروى فى كتب المناقب وغيرها عن أبى حنيفة رضى الله عنه، وهو من قبيل التحايل على اختيار الأنسب والأرفق، والأليق، والأكثر ملاءمة مع أحوال الأسرة، وتنظيم العلاقة بين آحادها، فقد روى الخصاف أنه قد سئل أبو حنيفة عن أخوين تزوجا أختين، فزفت امرأة كل واحد منهما إلى الآخر، فدخل بها، ولم يعلموا بذلك حتى أصبحوا... فقال أبو حنيفة: يطلق كل منهما امرأته تطليقة ثم يتزوج كل واحد المرأة التى دخل بها ساعة يطلقها زوجها.

هذه هى الأقسام التى هدانا إليها تتبع الحيل المختلفة فى كتابى: محمد والخصاف. وهذه أمثلة تعطى للقارئ صورة واضحة لها. لا يحاولون أن يهدموا بها قاعدة من قواعد الفقه. بل ليرشدوا الناس إلى أحسن طريق لتطبيقها. وتيسير الأمور على من يكون فى ضيق قيودها. وليتبين طريق الوصول إلى الحق. إذ كانت القواعد تحاجز دونه.

ولم يقصد الذين نهجوا فى الفقه الحنفى منهج الحيل الذى ابتدأ به أبو حنيفة هدما لمقاصد الشارع، بل معاضدتها بحيلهم ومناصرتها، وقد رأيت فيما سقنا من أمثلة، كيف كان أبو حنيفة ومن تبعه يتحرون أن يكونوا فى حيلهم مسهلين لمقاصد الشارع لا أن يكونوا محاربين، وتسهيل الأحكام الشرعية مما يتفق مع أغراض الإسلام لأنه يسر لا عسر فيه.

ولقد وجدنا خلافا بين أبى يوسف، ومحمد فى جواز الحيلة لتفويت الشفعة على الشفيع ولم يذكروا لأبى حنيفة رأيا فى ذلك، ولنذكر الرأيين اللذين رويا ومنهما تعرف كيف كان الذين تلقوا منهاج الحيل عن أبى حنيفة يتحرون كل التحرى فى أن تكون الحيلة غير مفوتة غرضا من أغراض الشارع، وإلا ما أثير ذلك الخلاف حول جواز الحيلة فى الشفعة.

يقول أبو يوسف: إن التحايل لإسقاط حق الشفيع فى الشفعة، أو لإضعاف رغبته بذكر ثمن كبير بعلنانه، والثمن الحقيقى بخفيانه- لا بأس به إذا كان ذلك قبل الشفعة، أما محمد فقد قال: إن ذلك مكروه أشد الكراهة.

ووجهة محمد فى قوله ظاهرة، ولأن من يتحايل لإسقاط الشفعة إنما يتحايل لإسقاط أمر شرعه الله سبحانه وتعالى،

وذلك لا يجوز، ولأن من يتحايل لإسقاط الشفعة إنما يضيع حقًا لغيره، قد أعطاه الشارع له، والاعتداء على حق الغير لا يجوز، وأن الشارع إذ شرع الشفعة إنما شرعها لدفع الضرر عن الشفيع، فمن يحاول إسقاطها فإنما يسهل الضرر، وذلك لا يجوز.

أما وجهة أبي يوسف في اعتباره التحايل لإسقاط الشفعة قبل طلبها أمرا لا بأس به، فهي أن المتحايل لإسقاط الشفعة إنما يحاول أن يدفع الضرر عن نفسه، وما من بأس على من يعمل لدفع الضرر عن نفسه، أما وجه الضرر الذي يدفعه، فهو إن أخذ الدار منه بغير رضاه، وقد دخلت في ملكه ضرر لاحق به، فالعمل على منعه عمل مشروع، والضرر الواقع على الشفيع قبل طلبه ضرر احتمالي من كل الوجوه، إذ إن الشفيع يجوز أن يرى في ذلك المشتري ما يتضرر منه، ويجوز ألا يرى، وإذا توقع الضرر منه فيجوز أن يقع، ويجوز ألا يقع، ولا مانع من دفع ضرر واقع بالمشتري، ولا محالة، ولو ترتب عليه إسقاط حق فيه دفع لضرر احتمالي.

ولقد ذكر صاحب المبسوط أن الحيلة لمنع وجوب الزكاة على ذلك الخلاف بين أبي يوسف ومحمد، والحيلة لمنع وجوب الزكاة تكون مثلاً بالتصدق بقدر يجعل النصاب أقل، قبل أن يتم حولان الحول، فإن أبا يوسف جوز ذلك، ومحمد منعه، ويقول السرخسي عن أبي يوسف ما نصه: «استدل أبو يوسف على ذلك في الأمالي قال: أرأيت لو كان لرجل مائتا درهم فلما كان قبل الحول بيوم تصدق بدرهم منها، أكان هذا مكروهًا، و تصدق بالدرهم حتى يتم الحول وليس في ملكه نصاب فلا يلزمه الزكاة، ولا أحد يقول: إن هذا يكون مكروهًا أو يكره فيه شيئًا».

ولم يؤثر عن أبي حنيفة قول في التحايل لمنع وجوب الزكاة، وإن ورعه وتقواه، وتشدده في الدين ليمنعه من أن يحتال في أمر يتصل بالعبادة، وإن في النفس شيئًا كثيرًا من نسبة هذا الكلام إلى أبي يوسف رضي الله عنه، فإنه أبرء في نفسه ودينه من أن يسهل على الناس منع ذلك الواجب الذي قاتل عليه أبو بكر رضي الله عنه، ففي رواية الأمالي هذه شك كبير، وليست كتب الأمالي من كتب الدرجة الأولى في الرواية.

ذكرنا هذه الطائفة من الحيل التي تنسب إلى أبي حنيفة أو يحتمل أن يكون قد أخذ بها، أو أرشد إليها، أو أقرها ولم يعتبر فيها من بأس، وذكرنا بعض الحيل الغريبة التي تنسب إلى أبي يوسف رضي الله عنه، وبينا رأينا فيها.

وقد رأيت أن أبا حنيفة ما روى عنه أحد حيلة كان فيها يحاول هدم مقصد من مقاصد الشارع، أو حكم من أحكامه، بل كانت حيله رحمه الله للتوسعة، ومنع الضيق مبينا بها أوجه اليسر في الأحكام الشرعية.

ولكن بعض العلماء الأوربيين الذين تصدوا للكلام في الحيل قالوا في الدافع إليها أن فقهاء المسلمين كانوا ينزعون فيما يستنبطون من أحكام فقهية نزعات مثالية يبغون المثل العليا. ولكن العمل كان يسير في طريق لا تتفق مع تلك المثل فابتكروا طريقًا للتوفيق بين تلك المثل والحياة العملية، وما يطيقه الناس من تكليفات، فكانت الحيل الشرعية.

ثم قرروا فيما قرروا أن الحيلة في الإسلام تماثل التقية، وهي إنكار الإسلام، أو القيام بعمل غير إسلامي خشية أن ينزل به عذاب شديد من حكومة غير مؤمنة وهو أمر مباح عند الضرر، فكانت الحيلة من هذا القبيل.

فالحيلة في نظر هؤلاء المستشرقين عمل يوافق في شكله، ومظهره مطالب الشرع وهو في نتيجته احتيال على الخروج من سلطان الشرع، وتفويت أحكامه.

هذه نظرة أولئك العلماء الأوروبيين إلى الحيلة، وهي تتفق إلى حد كبير مع الحيل التي ابتدعها المتأخرون للتخلص من الأحكام الشرعية، مع اتفاقها في ظاهر الأمر مع أوامر الشارع ولكنها لا تنطبق على الحيل المأثورة عن أبي حنيفة وأصحابه الأولين، فإن حيلهم كانت للوصول إلى الحق أحيانًا ولتتفق قيودهم التي قيدوا بها العقود وأحكامها مع المقاصد الشرعية، لا لتجافيها وتنأى عنها، وللتيسير على الناس ومنع الحرج إذا ضيقوا على أنفسهم بأيمان أقسموها، وكانت لإرشاد الناس إلى الشروط الشرعية التي يحتاطون بها لحقوقهم وحمايتها، من العبث.

فحيل أولئك الأئمة الأجلاء ما كانت لهدم مقصد الشارع، وجعل الظاهر فقط موافقًا، بل كانت لتحقيق الأغراض الشرعية وتسهيلها، وتيسير التكلف، ودفع الحرج، فكانت فقهًا جيدًا وتطبيقًا مرنًا لقواعد العقود وشروطها، قد سهله العرفان الكامل لأحوال الناس، وما يصلح لها.

وكانوا يجتهدون في ألا يكون في حيلهم ما يهدم مقصدًا شرعيًا، وقد رأيت اختلافهم في الحياة لإسقاط الشفعة قبل المطالبة بها، وكيف كان محمد يباعد الحيلة دونها، وأبو يوسف إذ يقرر جواز الحيلة يشدد في ألا تكون قبل ثبوت الحق بمطالبة الشفيع.

المذهب الحنفي الذي تلقته الأجيال



وتدارسه العلماء وخرجوا المسائل على ما استنبط من أصوله، ليس هو أقوال أبي حنيفة وحده، ولكنه أقواله وأقوال أصحابه - وإن شئت فقل- أقوال مدرسة أبي حنيفة التي كانت بالكوفة ثم انتقلت بعد موته على يد تلميذيه أبي يوسف ومحمد إلى بغداد.

ولهذا كان المزج، فلم يتميز له مذهب قائم بذاته، كما تميزت أقوال مالك، وكما تميزت أقوال الشافعي من قبل. فقد تضافرت له عدة أسباب فجعلت المذهب الحنفي هو ذلك المزيج من الآراء التي لأبي حنيفة وأصحابه، وبين المعاصرين من فقهاء العراق كعثمان البتي، وابن شبرمة، وابن أبي ليلى فإنه يذكر - في ضمن كتب ذلك المذهب- أقوالاً لأولئك الفقهاء، وإن لم تكن من المذهب على التحقيق.

وإن من هذه الأسباب أن أقوال الإمام عندما رويت لم ترو مفصولة متميزة بحيث يمكن استخلاص أقوال الإمام منفردة، وتكوين وحدة فكرية خالصة له من كل الوجوه من غير اقتران أقوال الصحاب به. فإن الإمام محمدا رضي الله عنه جمع أقوال فقهاء العراق، فلم يجمع أقوال أبي حنيفة وحده، ولم يفصل آراءه عن آراء غيره من أصحابه، وبعض معاصريه، بل ألقى بالفروع والحلول ما بين متفق عليه، ومختلف فيه، فجاءت الأجيال، وتوارثت تلك المجموعة الفقهية، التي تجمع أقوال فقهاء العراق في الجملة، وأقوال أبي حنيفة وتلاميذه خاصة، ونهج مثل ذلك المنهج غير الإمام محمد ممن روى فقه أبي حنيفة، وإن أرادوا ذكر خلاف بعض الأصحاب الذين لم يعن محمد في كتب ظاهر الرواية بذكر خلافهم، إذ لم يذكر فيها مثلاً خلاف زفر، وهكذا تجد الرواية لآراء أبي حنيفة تذكر مخلوطة بالرواية عن غيره، وممزوجة بها، وعلى ذلك النهج تدارس العلماء تلك الآراء وسموها المذهب الحنفي. واختاروا لنسبة اسم كبير أولئك الأئمة وشيخهم.

ومن الأسباب أيضاً ما كان يعمد إليه أبو حنيفة عند دراسته المسائل العلمية المختلفة، واستخلاص حكم الوقائع، أو الأمور الفرضية إذ إنه كان يعرض المسائل، ويسمع آراء تلاميذه، ويجادلهم، ويجادلونه. وينازعهم القياس وينازعونه. ويفرضون الحلول. ويتفقون على واحد منها أحياناً، ويتخالفون أحياناً، ويظهر أنه كان رحمه الله تعالى لشدة ورعه، وإيمانه بالحق، واحترامه لحرية الرأي، كان يدعو تلاميذه أن يأخذوا بما يتجه إليه الدليل، ولقد كان أبو يوسف يدوّن آراء أبي حنيفة، ويدوّن آراءه، فانتقلت تلك الآراء وكانت تلك هي مجموعة هذه الدراسة، وكانت ثمرات تلك المدرسة الفقهية، فالمذهب الحنفي على ذلك هو مذهب هذه المدرسة التي تتدارس، وتتذاكر، وتستنبط الحلول، فيختلف العلماء فيها أو يتحدون، ومهما يكون في اختلافهم أو اتحادهم فهم مدرسة واحدة صارت في الأجيال من بعد مذهباً واحداً.

ولم تكن الرابطة الجامعة بين أولئك الأعلام هي تلك الصحبة التي جعلت آراء كل واحد معروفة عند الآخر، بل إن التلمذة، ثم الصحبة، ثم تدارس الأقوال من بعد، جعل تلك الأقوال مهما تختلف أو تتحد تنتهي إلى أصول واحدة، فالأصول التي كان يسير عليها أبو حنيفة هي نفس الأصول التي ارتضاها تلاميذه في حياته أو من بعده، على اختلاف يسير في بعضها، واختلاف في تطبيقها، فأبو يوسف مثلاً بما درسه من بعد من حديث، وما أكثر من رواية بسبب تلاقي فقهاء الرأي والحديث

وامتزاج المدارس الفقهية المختلفة، كان أكثر استدلالا بالحديث من شيخه، فأخذ بأحاديث لم يأخذ بها شيخه، وكذلك الشأن في محمد رضي الله عنه، وليس منشأ ذلك الاختلاف في أصل الاستدلال بالحديث، بل منشأ ذلك العلم بحديث لم يعلم به أبو حنيفة، أو الثقة برواة لم يثق بهم.

ولقد كان اتحاد الأصول سببًا ثالثًا من أسباب ذلك المزج الذي جعل مجموعة تلك الآراء مذهبًا واحدًا.

ولقد يحسب بعض الفقهاء أن أقوال أبي يوسف ومحمد و غيرهما إن هي إلا اختيار من أقوال لأبي حنيفة، لأنه كان رحمه الله لشدة ورعه يفرض في المسألة فروضًا مختلفة، ويختار من بينها فرضًا يرجح لديه، ويرد الفروض الأخرى ويختار رأيًا ويعدل عنه، فزعم أولئك الفقهاء أن أقوال الأصحاب ما هي إلا أقوال لأبي حنيفة قد عدل عنها.

وقد حكى صاحب الدر المختار عن أبي يوسف أنه قال: «ما قلت قولاً خالفت فيه أبا حنيفة، إلا قولاً قد قاله».

وروى عن زفر أنه قال: «ما خالفت أبا حنيفة في شيء إلا قد قاله».

وجاء في الحاوي. «وإذا أخذ بقول واحد منهم واعلم قطعا أنه يكون به آخذا بقول أبي حنيفة فإنه روى عن جميع أصحابه الكبار كأبي يوسف ومحمد وزفر والحسن أنهم قالوا ما قلنا في مسألة قولاً إلا وهو روايتنا عن أبي حنيفة وأقسموا عليه أيمانًا غلاظًا فلم يتحقق إذن قول في الفقه ولا مذهب إلا له كيفما كان، وما نسب إلى غيره إلا بطريق المجاز».

هذا ما جاء في الحاوي وأحسب أن هذه مبالغة فما كانت أقوال أبي يوسف كلها وأقوال محمد كلها على ذلك النحو. إنه بذلك يكاد يجردهم من صفات المجتهدين المستقلين. بل يكاد يفنى شخصيتهم بجوار شخصية شيخهم؛ حتى إنه يعد نسبة الأقوال إليهم على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة.

إن أبا حنيفة بلا شك كان في أثناء استنباطه يفرض أحيانًا عدة حلول للمسألة التي يستنبطها بالقياس أو الاستحسان وينحي بعض الفروض التي لا يراها تستقيم مع معاملات الناس أو لا تضبط بوجه من أوجه القياس، أو لا تتفق مع مقاصد الشارع في نظره، وقد يخالفه تلاميذه في حياته. أو من بعده في بعض هذه الحلول التي استبعدها. فلا يصح في هذه الحال أن يقال إنهم بهذا يختارون قولاً قد قاله أو رأيًا قد ارتآه، ثم أعرض عنه.

وقد يكون اختيار أبي يوسف أو محمد أو زفر لرأي قد ارتآه فعلاً أبو حنيفة، ولكنه عدل عنه، وحينئذ يكون ذلك القول بمثابة المنسوخ من أقواله، فإذا اختار أحد من أصحابه الفتوى به لا يكون ذلك أخذًا بقوله، بل يعد قد خالفه مرتين، خالفه في عدم الأخذ برأيه الجديد أولا. ثم خالفه في حكمه بأن ما عدل عنه لا يصح العدول عنه ثانيا، ومن خالف هذه المخالفة لا يصح أن يقال إن إسناد الرأي إليه على سبيل المجاز، لا على سبيل الحقيقة.

وإن مخالفة بعض أصحابه قد يكون سببها أنهم اطلعوا على حديث من بعد وفاته لم يعلم في حال حياته، فكيف يقال حينئذ إن هذا قول له، وأنه لا ينسب إليهم على سبيل المجاز، ولقد حاول ابن عابدين أن يعد ذلك قولا له، ولكن لم يحاول تجريدهم من نسبته إليهم إلا على سبيل المجاز، فقال: «إن الإمام لما أمر أصحابه بأن يأخذوا من أقواله بما يتجه لهم منها الدليل عليه صار ما قالوه قولاً له لابتنائه على قواعده التي أسسها لهم، فلم يكن مرجوعا عنه من كل وجه، وقد صح عن أبي حنيفة أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وقد حكى ذلك الإمام ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة، ونقله أيضا الإمام الشعراني عن الأئمة الأربعة».

وإن الحق الذي نراه هو أن أصحاب أبي حنيفة كانوا من المجتهدين المستقلين، وكان كل واحد منهم صاحب رأي مستقل يقارب رأي شيخه أو يباعده، وإن كان المنهج في جملته متقاربًا، وإنك تقرأ كتب أبي حنيفة فترى الخلاف في كثير من الآراء، وإن كان لا يتناول الأصول فقد وجد في كثير من الحلول، ومثل ذلك كتب الإمام محمد، وليس ذلك صنيع التابع الذي يختار من آراء شيخه ولا يعدوها حتى تكون نسبة الآراء إليه على سبيل المجاز.

وإنك إن استقريت كتب الفقه ورجعت إلى أمهات المسائل الفقهية التي اشتهر فيها الخلاف بينهم كخلافهم في لزوم الوقف والحجر على السفيه، والحجر على المدين، ونحو ذلك، ترى اختلاف النظر واضحا، حتى إنه يكاد يكون اختلافًا في المنهج في خصوص المسائل المذكورة، وهكذا..... فمن التهجم على الحقائق سلبهم شخصيتهم الفقهية لتفنى في شخصية الإمام.

وما كان خلط أقوال شيخهم بأقوالهم في كتبهم إلا لحرصهم على اطلاع المتفقهين على وجوه النظر المختلفة للمسائل، ولاتحاد الأصول في الجملة، ولعناية فقهاء العراق منذ عهد أبي حنيفة أو قبله بدراسة الفقه؛ ليستطيع المتفقه دراسة الآراء بمعرفة مقابلها؛ حتى لقد كان أبو حنيفة يقول: «إن أعلم



الناس هو أعلمهم باختلاف الناس».

ولم يكن أصحاب أبي حنيفة وحدهم هم الذين اختلطت أقوالهم بأقواله، بل جاء من بعدهم من أضاف أقوالاً أخرى لم تكن في المأثور عنه وعن أصحابه، بعضها اعتبر من المذهب الحنفي، وبعضها لم يعتبر منه، وبعضهم رجح بعض الأقوال على بعض، وهكذا كثر الاختلاف وكثر الترجيح، وكان ذلك كله مبنيًا على أصول دقيقة محكمة، وفي ضوابط بينة. وبذلك نما المذهب. واتسع رحابه لملابسات الزمان ومصلحة عامة الأحوال.

ونستطيع أن نلخص عوامل النمو في ثلاثة أمور تضافرت فكانت سبب زيادته، وهذه العوامل الثلاثة، هي: المجتهدون والمخرجون فيه وكثرة الأقوال المأثورة عن الإمام وأصحابه رضي الله عنهم، ومرونة التخريج فيه، واعتبار أقوال المخرجين.

والله ولي التوفيق.

***

عبر وعظات من غزوة حنين

لقد كان نصر الله للمؤمنين في مواطن التي نصرهم فيها ولم تكن لهم قوة ولا عدة وذلك في بدر، وفتح مكة، وغيرها، يذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الانتصارات في تلك المواطن برغم قلة العدد والعتاد، ويوم حنين هزم المسلمين بكثرتهم حتى لقد قال قائلهم: «لن نهزم اليوم عن قلة» وبعد أن هزموا بهذه الكثرة نصرهم الله بقوته يوم أن انضم إلى جيش الفتح ألفان فقط من الطلقاء، يوم أن غفلت قلوب المسلمين لحظات عن الله مأخوذة بالكثرة في العدد والعتاد ليعلم المؤمنون أن التجرد لله وتوثيق الصلة به هي عدة النصر التي لا تخذلهم حين تخذلهم الكثرة في العدد والعتاد وحين يخذلهم المال والإخوان والأولاد يقول الله تعالى في ذلك

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة ٢٥ - ٢٧)

ولقد كان نصر الله لهم في المواطن الكثيرة قريبا من ذاكرتهم لا يحتاج لأكثر من الإشارة فأما موقعة حنين فكانت بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة وذلك لما فرغ رسول الله ﷺ من فتح مكة واستقرت الأمور بها وأسلم عامة أهلها وأطلقهم رسول الله ﷺ فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه وأن أميرهم مالك بن عوف النصري ومعه ثقيف بكمالها وبنو جشم وبنو سعد بن أبي بكر وأوزاع من بني هلال وهم قليل - وناس من بني عمرو بن عامر وعوف بن عامر وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاة والنعم وجاءوا بقضهم وقضيضهم فخرج إليهم رسول الله - ﷺ - في جيشه الذي جاء معه لفتح مكة وكان عشرة آلاف جندي من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ومعه

الذين أسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء في ألفين فسار بهم إلي العدو فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حنين فكانت فيه الواقعة أول النهار في غلس الصبح انحدروا في الوادى وكانت هوازن قد نصبت فيه كمينا فلما توجهوا لم يشعر بهم المسلمون إلا حين فاجأوهم فرشقوا المسلمين بالنبال وأعملوا فيهم السيوف وحملوا على المسلمين حملة رجل واحد وذلك كما أمرهم ملكهم فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل ولكن رسول الله - ﷺ ثبت يومئذ وهو راكب بغلته الشهباء يسوقها إلي نحر العدو والعباس آخذ بركابها الأيمن وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب آخذ بركابها الأيسر يثقلانها لئلا تسرع السير وهو ﷺ ينوه باسمه ويدعو المسلمين إلى الرجعة ويقول: «إلىّ عباد الله. إلىّ أنا رسول الله» ويقول في تلك الحال: «أنا النبي لاكذب أنا بن عبدالمطلب» وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ومنهم من قال ثمانون فمنهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما - والعباس وعلي والفضل بن عباس وأبو سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين ثم أمر النبي ﷺ عمه العباس - وكان جهير الصوت - أن ينادى بأعلى صوته - يا أصحاب الشجرة - يقصد شجرة بيعة الرضوان - التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها على ألا يفروا عنه - فجعل ينادى بهم يا أصحاب الشجرة ويقول تارة: يا أصحاب سورة البقرة - فيقولون: يالبيك يا لبيك وانعطف الناس فتراجعوا إلى رسول الله ﷺ حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع لبس درعه ثم انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ - فلما اجتمعت شرذمة منهم عند رسول الله - ﷺ - أمرهم صلوات الله وسلامه عليه أن يصدقوا الحملة - أى يحملون على العدو بصدق - فانهزم المشركون فأتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون وماتراجع بقية الناس إلا والأسرى مجندلة بين يدى رسول الله - ﷺ - هذه هى المعركة التى اجتمع فيها للمسلمين - للمرة الأولى - جيش عدته اثنا عشر ألفا فأعجبتهم كثرتهم وغفلوا بها عن سبب النصر الأول فردهم الله بالهزيمة في أول معركة إليه ثم نصرهم بالقلة المؤمنة التى ثبتت مع رسول الله - ﷺ - والتصقت به حتى لا ينال منه الأعداء إلى النص القرآنى الذى صور هذه المعركة أبلغ تصوير حيث عرض المعركة بمشاهدها المادية وبانفعالاتها الشعورية:

﴿ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾

(التوبة: ٢٥)

فمن انفعال الإعجاب بالكثرة إلى زلزلة الهزيمة الروحية إلى انفعال الضيق والحرج حتى لكأن الأرض كلها تضيق بهم وتشد

عليهم إلى حركة الهزيمة الحسية وتولية الأدبار والنكوص على الأعقاب.

﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾

(التوبة: ٢٦)

فكأنما السكينة رداء ينزل فيثبت القلوب الطائرة ويهدئ الانفعالات الثائرة وقد كانت تلك السكينة تنزل أولا على القائد فيثبت في الميدان ولا يتركه حتى يسترد النصر الذى كان مفقودا بسبب البعد عن الاعتماد على نصر الله واعتمادهم على كثرتهم وكان نصر الله للمؤمنين ليعطيهم الدرس والعبرة من أن النصر لابد أن يكون من عند الله وبمعونة الله وبقوة الله ولذلك تذكر الآية أن الله سبحانه وتعالى أنزل جنودا لم يرها المسلمون.

﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾

(المدثر: ٣١)

فيقول تعالى: في نفس الآية:

﴿ وأنزل جنودا لم تروها ﴾

(التوبة: ٢٦)

وإلا فكيف تكون الغلبة ويكون النصر بهذه العصبة القليلة التى آزرت الرسول ﷺ وثبتت معه؟ إنه نصر الله الذى أنزل جنوداً لا نعلم ماهيتها ولاطبيعتها ولذلك تذكر الآية الكريمة نهاية الكافرين فيقول تعالى:

﴿ وعذب الذين كفروا ﴾

(التوبة: ٢٦)

وذلك إما بالقتل على يد المسلمين أو السلب والأسر والهزيمة إن معركة حنين مليئة بالعبر والعظات التى يجب أن يستفيد منها المسلمون على مر العصور وكم من أحداث مشابهة على مر التاريخ وفى العصر الحديث ففى حرب العاشر من رمضان التى شعر فيها الجنود أنهم يقاتلون في سبيل الله وفى سبيل استرداد الأرض ولذلك رفعوا شعارهم الذى كان أمضى من كل سلاح شعار الله أكبر وقد كان أكبر من كل قوة وكان أقوى من مزاعم إسرائيل وجيشها الذى زعمت أنه الجيش الذى لا يقهر وقد كان النصر للقوات المسلحة المؤمنة بربها وهذا يكشف لنا نتائج الانشغال عن الله والاعتماد على قوة غير قوته وحقيقة القوى التى تعتمد عليها كل عقيدة إن الكثرة العددية ليست بشىء إنما هى القلة العارفة المتصلة الثابتة المتجردة للعقيدة وإن الكثرة لتكون أحيانا سببا فى الهزيمة لأن بعض الداخلين فيها التائهين فى غمارها ممن لم يدركوا حقيقة العقيدة التى يتساقون فى تيارها تتزلزل أقدامهم وترتجف فى ساعة الشدة فيشيعون الاضطراب والهزيمة فى الصفوف فوق ما تخدع الكثرة أصحابها فتجعلهم يتهاونون فى توثيق صلتهم بالله انشغالا

يمده الكثرة الظاهرة عن اليقظة لسر النصر في الحياة.

إن تاريخ الأعداء حافل بالمؤامرات ضد الإسلام وأهله فهم ينكثون الأيمان وينقضون العهود ويتربصون الدوائر للانقضاض على المسلمين والاستيلاء على أراضيهم وثرواتهم وهم لا يكتفون بما نهبوا من تلك الأراضي والثروات بل إنهم دائما وأبدا يتطلعون إلى نهب المزيد والمزيد.

ولنا العبرة والعظة مما حدث للمسلمين في غزوة حنين حيث نصر الله المسلمين بعد الهزيمة التي لحقت بهم وذلك بسبب اعتزازهم بالكثرة وحين أعجبتهم الكثرة قائلين لن نغلب اليوم عن قلة فقد كان المسلمون يبلغ عددهم اثنا عشر ألفا بينما كان عدد المشركين لا يزيد على أربعة آلاف مقاتل ومع ذلك لم تنفع المسلمين يومئذ كثرتهم حتى ضاقت الأرض على كثرة رحبها وكثرة اتساعها بهم من شدة الخوف ولم يجدوا أمامهم إلا الفرار من العدو حيث ولوا مدبرين قال الطبري: «ويخبرهم تبارك وتعالى في الآية الكريمة السابقة أن النصر بيده ومن عنده وليس بكثرة العدد وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شاء ويجعل القليل يهزم الكثير!! قيل للبراء بن عازب رضي الله عنه: أفررتم عن رسول الله ـ ﷺ ـ يوم حنين؟ فقال البراء: أشهد أن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يفر ولقد رأيته على بغلته البيضاء ـ وأبو سفيان آخذ بلجامها يسوقها أو يقودها فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب».

ثم أخذ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين وقال: «شاهت الوجوه» فمروا فما بقي أحد إلا ويمسح القذى عن عينيه» تفسير الطبري ج١٠، ص١٠٣ وقال أبو السعود في تفسيره لهذه الآية: «قال البراء كنا إذا حمي البأس نتقي برسول الله ـ ﷺ ـ وإن الشجاع منا الذي يحاذيه ثم أنزل الله سبحانه بعد الهزيمة الأمن والطمأنينة على المسلمين حتى سكنت نفوسهم قال أبو السعود: أنزل الله رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن إليها وأنزل أيضا جنودا لم يرها المسلمون وهم الملائكة كما قال ابن عباس وكانت النتيجة هي النصر للمسلمين بعد أن أرجعوا النصر لله الواحد القهار وحده فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين وقد كانت تلك الواقعة بين المسلمين وبين المشركين من هوازن وغيرهم وكان أن وفق الله هوازن وهداهم إلى الإسلام وتحولوا بعد عداوتهم للمسلمين إلى جنود للإسلام يذودون عن حياضه وينشرون تعاليمه ومبادئه التي عليها صلاح الأخلاق والعباد فهو سبحانه

﴿[illegible]﴾

(التوبة ٣٣)

مسابقة الشباب

مشكلات الشباب وحلول مقترحة

الشيخ/ [illegible]

يواجه الشباب في مجتمعاتنا المعاصرة مشكلات عدة. غابت الشباب عن الأمل ... [illegible] ... التي يرجونها منهم مجتمعهم، ودينهم. فتبددت أحلامهم وقد خيم عليهم اليأس من حياتهم فأثرت عليهم التيارات الهدامة.

ولنا مع الشباب وقفة إذ هم ثروة المجتمع وأمله المرجو. نحاول ... [illegible] ... مشكلاتهم ونقترح الحلول.

لفظ الشباب ـ ولفظ الشباب قد يكون جمعا لمفرد (شاب) الذي يجمع على شبان وقد يكون مصدرا لفعل (شب) الذي يكون مصدره أيضا (شبيبة) وهو خلاف الشيب ويقال للرجل شاب وللمرأة شابة وشبة.

وسواء كان الشباب جمعا أو مصدرا فهو يتصل بمرحلة من عمر الإنسان هي الحد الوسط بين الطفولة الضعيفة الساذجة القاصرة في التفكير والمهتمة بالمحسوسات والماديات وبين الشيخوخة بمحدداتها التي تشبه إلى حد كبير مرحلة الطفولة التي يعود يعنيها قوله تعالى

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

(النحل ٧٠)

ونستطيع أن ننظر إلى الشباب أن نجمل بعض هذه المشكلات التي يعيشها فيما يلي:

١ ـ الفراغ الديني وسوء فهم حقيقة الدين والتربية.

٢ ـ الانسلاخ من القيم الدينية والأخلاقية.

٣ ـ الاستهانة بأمور الدين والعرض.

٤ ـ المفارقة بين الوعي الأخلاقي وبين الوعي الديني مع أن الإسلام ربط بينهما.

٥ ـ الانحراف بالتدين لدى البعض إلى الغلو ومحاولة فرض الرأي دون التفرقة بين الدين والتدين.

٦ ـ اعتناق الأفكار الوافدة في صورة عادات وثقافات دون القدرة على تمييز مايصلح وما لا يصلح لمجتمع المسلمين.

٧ـ ضآلة المعارف والمعلومات التي تمكن الشباب من مواجهة الأفكار الوافدة.

٨ـ سوء وقصور التوجيه الذي يتلقاه الشباب سواء في المدرسة أو الأسرة أو الشارع.

٩ـ افتقاد القدوة.

١٠ـ سوء فهم الوالدين والمربوين لواجباتهم نحو الشباب.

١١ـ التركيز على الماديات والوصول إليها كمثل أعلى وهدف وحيد في الحياة.

١٢ـ الشعور بالضياع وعدم الانتماء إلى أمة ذات كيان اجتماعي مترابط.

١٣ـ سوء الفهم للحرية.

١٤ـ سوء فهم الحقوق والواجبات.

١٥ـ انشغال الكبار عن الأجيال اللاحقة بهم وإغلاق باب الحوار وانقطاع التلاقي بينهم مما أدى إلى انفصال الشباب بكفر ديني واجتماعي غير رشيد.

١٦ـ قصور منهج التربية الدينية في كل وسائل التربية، مدرسية ومنزلية وإعلامية[١].

لذا أراد الإسلام أن يضع حلولاً جذرية لهذه المشاكل التي يتعرض لها الشباب من خلال رفع وإظهار قيمة الشباب الصالح إعطاء للقدوة الصالحة للشباب، فقد حكى القرآن الكريم أخبار بعض الشباب الذين أبلوا بلاء حسنا في عالم الإصلاح والنهوض بالمجتمع.

فهذا هو سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول الله ـ عز وجل ـ عنه ـ

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٥١-٥٢)

وكان في عنفوان شبابه حين كسر أصنامهم، كما قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(الأنبياء: ٥٨-٦٠)

ـ كما ذكر القرآن الكريم سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام فقد آتاه الله الحكمة وكان في باكورة شبابه وفورة قوته.

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾

(مريم: ١٢)

ـ وحكى لنا القرآن الكريم خير الفتية الذين فروا بدينهم من الاضطهاد مؤثرين العقيدة على الدنيا مواجهين بعزمهم كل تهديد ووعيد.

فقال الله عنهم:

١ـ قضايا إسلامية معاصرة ـ العدد(٢) ـ الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ـ الأزهر الشريف ص١٨٥

﴿ [illegible] ﴾

(الكهف: ١٠)[٢]

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما آتى الله عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب وتلا الآيات الواردة في إبراهيم والفتية المذكورين وفي يحيى بن زكريا.[٣]

ثم وضع الإسلام وذكر الشباب بمكانتهم واغتنام فرصة شبابهم ـ

١ـ يقول ـ ﷺ ـ: في الحديث الذي رواه الشيخان «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وعدد منها: شاب نشأ في عبادة ربه...».

٢ـ والحديث الذي رواه الحاكم (اغتنم خمساً: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك).

٣ـ والحديث الذي رواه الترمذي (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ما عمل فيه)

لأن الشباب في كل زمان ومكان وفي جميع أدوار التاريخ هم عماد أمة الإسلام وسر نهضتها ومبعث عزها وحضارتها، فالعصبة المؤمنة التي تركزت في دار الأرقم في فجر الدعوة كانوا شبابا وهذا رسول الله ﷺ حينما أوحى الله إليه بالنبوة كان في سن الأربعين وهو سن اكتمال الشباب وأبوبكر ـ رضي الله عنه ـ كان أصغر من النبي ـ ﷺ ـ بثلاث سنوات، عمر ـ رضي الله عنه ـ كان عمره يوم أسلم سبعا وعشرين سنة، عثمان ـ رضي الله عنه ـ كان أصغر من رسول الله ﷺ وعلي كرّم الله وجهه كان أصغر من الجميع كلهم كانوا شبابا، هؤلاء الشباب من الرعيل الأول هم الذين حملوا راية الدعوة إلى الله ورفعوا لواء الجهاد المقدس فحقق الله على أيديهم النصر الأكبر)[١].

والسؤال: ما واجب الشباب في ظل هذه الأزمات التي تحيط بهم؟

١ـ إن الواجب على الشباب أن يحرصوا على اغتنام هذه الفرصة الذهبية من حياتهم.

٢ـ أن يعرف الشباب الغاية التي من أجلها خلقهم الله تعالى.

٣ـ أن يتصور الشباب الأخطار التي تكتنف بلاد الإسلام.

٤ـ أن يتفاءل الشباب بالنصر ويقطعوا دابر اليأس والقنوط.

٥ـ أن يتأسى الشباب بأصحاب القدوة في التاريخ

٦ـ ألا يسير الشباب مع تيارات العنف

١ـ رسالة إلى الشباب ـ إعداد نخبة من كبار المفكرين والعلماء المسلمين ـ وزارة الأوقاف.

٢ـ إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ٢، ص١٢٨

٣ـ دور الشباب في حمل رسالة الإسلام ـ عبدالله ناصح علوان

والإرهاب.

٧ـ أن يتعلم الشباب كيف تكون القدوة الصالحة الطيبة فيتأسى الشباب برسول الله ـ ﷺ ـ وصحابه الكرام.

٨ـ أن يعمل الشباب فالشباب قوة ولا يستسلم لفرص [illegible] تؤدى بهم إلى الانحراف.

٩ـ أن يملأ الشباب حياتهم بالتفاؤل، فلا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس.

١٠ـ عدم الإنسلاخ من القيم الدينية والأخلاقية.

١١ـ عدم الغلو فى الدين أو التدين.

١٢ـ فهم الدين فهما صحيحا واعيا.

١٣ـ الفهم الصحيح للحرية.

١٤ـ فهم الحقوق والواجبات فهما صحيحاً.

١٥ـ أن يتعلم الشباب عمن يأخذ دينه ويفهمه.

وأخيراً هناك واجبات على الآباء تجاه الأبناء:ـ

أولها: أن الوالد ليس مصرفاً مالياً ينفق وفقط ولكن الوالد قدوة لأولاده فلا يتركهم فريسة فى أيدى فئة ضالة، ضلت الطريق وأخطأت فى حق نفسها ومجتمعها.

> فهذا هو أبو الأسود الدؤلى له ابن يقال له أبو حرب، فلزم منزل أبيه فى البصرة لا يعمل ولا يطلب رزقاً فعاتبه أبوه فى ذلك فقال: إن كان لى رزق فسيأتينى.

فقال أبو الأسود:

وما طلب المعيشة بالتمنى
ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجئك بملئها طوراً و طوراً
تجئك بحمأة وقليل ماء

وبهذا أرشد أبو الأسود الدؤلى ابنه إلى أن المعيشة تكون بالعمل والكد والتجارة والزراعة والصناعة والبحث العلمى والأدبى.

ثانيها:ـ أن يراقب الوالد أبناءه فى سلوكهم وتصرفاتهم فى البيت فى الشارع فى المدرسة فى الجامعة.

«فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته».

«وفقنا الله ووفق شبابنا لما يحب ويرضى إنه نعم المولى ونعم النصير».

ooo

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علاء عبدالرحمن

الشهداء بيننا

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ مراد عزالعرب فى جريدة الأهرام المسائى الصادرة فى ٢٠٠٩/١٠/٤م يقول:

خيرة رجال مصر وشبابها كانوا ينتظرون ساعة الصفر لاستعادة الأرض والكرامة، جاءت صيحتهم المدوية «الله أكبر» أقوى من القنبلة النووية التى تحدثوا عنها حتى تستطيع مصر أن تعبر القناة وتدك خط بارليف فوق رؤوس الجيش الإسرائيلى.

فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ استطاع أبطال قواتنا المسلحة أن يزيلوا وإلى الأبد مقولة ذلك الجيش الذى لا يقهر، ويبكى موشى ديان واضطرت إسرائيل إلى طلب جسر جوى لنقل أحدث ما أنتجته الترسانة العسكرية الأمريكية. وعادت سيناء إلى الوطن بعد غياب قالوا: إنه سيستمر طويلاً، ولكن أبطالنا كان لهم رأى آخر.

وتزداد قيمة الانتصار العظيم فى أكتوبر يوماً بعد يوم، وندرك أنه بدون ذلك الانتصار لم يكن لمصر أن تمضى على طريق التنمية والسلام، ولولا العبور ورجاله الأبطال لما استطعنا أن نتحدث عن الديمقراطية وأن نمارس حرية الرأى والتعبير وأن ينطلق الاقتصاد الوطنى من الجمود إلى الانفتاح ومن ثم إلى المنافسة والأسواق المفتوحة وأن تصبح مصر من أكثر البلدان الجاذبة للاستثمارات لما فيها من مقومات واعدة، والأهم الأمن والاستقرار.

حقائق وإنجازات تحققت بدماء الأبطال والشهداء وهؤلاء نقف لهم احتراما وننحنى أمام بطولاتهم. قدموا أرواحهم حتى يتبدد ظلام السنوات الفاصلة بين حربى ٦٧، و٧٣. سنوات قاسية وصعبة على الجميع. ولكنها تحولت إلى طاقات هائلة اهتزت لها الوديان والجبال والرمال على طول جبهة القتال ليعود للمعدن الأصيل إلى التوهج، ويسأل العالم فتأتى الإجابة: إنهم خير أجناد الأرض.

والشهداء بيننا، نستحضر شجاعتهم وقد كانوا الآباء والأشقاء والأبناء، وبعضهم [illegible]

يحاولون العبث بأمن مصر القومي، إنه عهد القائد وشعبه، لهؤلاء الشهداء؛ لأن ما قدموه من تضحيات كان للحفاظ على مصر وأمنها القومي.

إنه الوفاء الدائم لأبطالنا.. وشهدائنا الأبرار.

لعبة الموساد الجديدة في العراق

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ/ إلهامي المليجي المنشورة في جريدة الأهرام العربي الصادرة بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٢٦م يقول:

بعدما بدأ الغزو العسكري الأنجلو أمريكي للعراق بدأ صراع السيطرة على بترول وعلماء العراق بين أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا، واستغلت إسرائيل الصراع وأدخلت ١٥٠ من وحدات الكوماندوز الإسرائيلية إلى داخل العراق. للقيام بعمليات متعددة الأهداف من اختطاف وعنف بعلماء ذرى تعمله برامج التسلح العراقية الكيماوية والبيولوجية والنووية والصاروخية، وما سهل الأمر أن الموساد كان يرصد ويراقب بدقة النشاط العلمي العراقي وحركة البعثات الدراسية العراقية منذ أوائل السبعينيات وفي المقدمة منهم طلاب الفيزياء الذرية والهندسة الكيميائية وهندسة الصواريخ ومجال الذرة والسلاح التكنولوجي وقد شهدت تلك الفترة صراعا بين المخابرات العراقية التي كانت تحمي طلاب البعثات العلمية وبين الموساد.

ومعلوم أن الموساد يملك خطة جهنمية لملاحقة العلماء القادرين على تأسيس وتشييد التعجيزات النووية؛ وقتلهم ضمن مخطط الاغتيال، الذي حصد حتى الآن حسب المصادر العلمية ١٥ عالما عربيا من كبار العلماء العرب في العلوم العبقرية والنووية في مقدمتهم مصطفى مشرفة وسميرة موسى ويحيى المشد وحسن الصباح وسعيد بدير وأمين مسعود وغيرهم من العلماء العباقرة.

وكان علماء وأساتذة جامعات العراق قد بعثوا للصحف برسالة استغاثة بهدف إنقاذهم من بطش القوات الأنجلو ـ أمريكية في العراق، وحمايتهم من عمليات المداهمة والتحقيق والاعتقال التي تقوم هذه القوات التي تطالبهم أيضا بتسليم ما لديهم من وثائق وبحوث علمية خصوصاً علماء الفيزياء والرياضيات والكيمياء.

وكشفت الرسالة أن بعضهم تم تحديد إقامته والبعض الآخر يجرى التفاوض معه بأسلوب الترغيب والترهيب لنقله إلى الخارج.

وكان تقرير لمركز «دار بابل» للأبحاث قد كشف عن وجود تغلغل إسرائيلي في العراق منذ ست سنوات مشيراً إلى أن هذا التغلغل مدعوم بمسئولين عراقيين.

وأضاف أن وزير الحرب الصهيوني الأسبق ووزير البنية التحتية الحالي بنيامين بن إليعازر، وهو يهودي من أصل عراقي، يشرف على إدارة سلسلة شركات لنقل الوفود الدينية اليهودية بعد جمعهم من إسرائيل وأفريقيا وأوروبا، والسفر بهم على متن خطوط جوية عربية، ومن ثم إلى المواقع الدينية اليهودية ـ المسيحية في العراق.

وكشف التقرير أن مركز إسرائيل للدراسات الشرق أوسطية يتخذ من مقر السفارة الفرنسية في بغداد مقراً له، وخلال الهجمات الصاروخية التي استهدفت مبنى السفارة الفرنسية، نقل الموساد مقر المركز البحثي إلى المنطقة الخضراء بجانب مقر السفارة الأمريكية.

وأوضح أن الموساد استأجر الطابق السابع في فندق الرشيد الكائن في بغداد والمجاور للمنطقة الخضراء، وحوله إلى مركز للتجسس على الحادثات والاتصالات الهاتفية الخاصة بالنواب والمسئولين العراقيين والمقاومة العراقية، وفي نفس الفندق المذكور، افتتحت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية عام ٢٠٠٥ مكتبا لها في بغداد وآخر في مدينة أربيل الكردية.

وأكد التقرير وجود ١٨٥ شخصية يهودية أمريكية يشرفون من مقر السفارة الأمريكية في المنطقة الخضراء على عمل الوزارات والمؤسسات العراقية العسكرية والأمنية والمدنية.

كما أشار الكاتب إلى أن إسرائيل تبحث عن تاريخ لها في العراق عن طريق البحث عن مقدسات يهودية بإدعاءات باطلة، ويذكر أن هاشم الهاشمي الباحث العراقي قال محذراً:

يكفينا ما حدث للمسجد الأقصى وهيكل النبي سليمان المزعوم، لقد أصبحت الدعاوى اليهودية خطراً يهدد المعالم المقدسة والتراث الإسلامي الخالد. علينا أن نستفيد من التجارب التي مررنا بها وتكون لنا عبرة في الأحداث التي مر بها تاريخنا الإسلامي.

● وفي الخاتمة يقول الكاتب: يبدو أن قدرنا ـ نحن العرب، أن تتزاحم التاريخ والجغرافيا مع بني يهود، ومازال الصهاينة يلعبون لعبتهم القديمة الجديدة: الاستحواذ على التاريخ كمقدمة للاستحواذ على الجغرافيا.

تركستان الشرقية.. فلسطين المنسية

تحت عنوان (تركستان الشرقية.. وطن إسلامي بين فكي التنين الصيني) جاء تقرير الأستاذ/ محمود عيسى المنشور في جريدة اللواء الإسلامي الصادرة بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٢٤م جاء فيه

قبل أن تنشر وسائل الإعلام العالمية في الخامس من يوليو الماضي أخبار المذبحة التي تجري في الصين والتي راح ضحيتها عدة مئات من المسلمين هناك، لم يكن العالم الإسلامي أو الأغلبية منه تعرف أن ثمة بلداً إسلامياً تم احتلاله عسكرياً عام ١٩٤٩، أي بالتزامن مع نكبة المسلمين الكبرى في فلسطين حتى أن كاتباً من أبناء تركستان وصف بلاده بأنها فلسطين المنسية

فما هي تركستان الشرقية؟

تركستان كلمة من مقطعين «ترك ـ ستان» وتعني أرض الترك أو بلاد الترك.. وتركستان الشرقية، هي الجزء الواقع في الشمال الغربي من الصين، والجزء الغربي «تركستان الغربية» وقد شكلت كل من تركستان الشرقية وتركستان الغربية بلداً واحداً تعرف باسم تركستان.. بيد أن وقوعها تحت الاستعمار من قبل روسيا والصين، اللتين تصارعتا على امتلاكها لأكثر من ٢٠٠ سنة أدى إلى تقسيمها وتجزئتها إلى جزءين الأول يعرف باسم تركستان «الشرقية» أو الصينية والثاني باسم تركستان الغربية أو الروسية.

وعن ثرواتها الطبيعية يقول الكاتب: من أرض تركستان الشرقية يتم استخراج ١١٨ نوعاً من المعادن، من أصل ١٤٨ نوعا تنتجها الصين كلها وتبلغ المساحة التي يتم منها

استخراج الفحم من تركستان الشرقية نحو ٩٠٠ ألف كيلو متر مربع، ويبلغ احتياطه نحو ٢ تريليون طن، وهو ما يشكل نصف احتياطي الصين من الفحم.. وفي تركستان حوالي ٣٠ منطقة تنتج البترول بالإضافة إلى ٥٦ منطقة يتم استخراج الذهب من مناجمها وهناك ٥٥٠ موقعاً تحوي مناجم لاستخراج الحديد، إضافة إلى المناجم والمعادن المتنوعة.

وعن محاربة الإسلام في تركستان يقول الكاتب: صدر قرار من الحزب الشيوعي في تركستان أن الشباب دون العشرين يمنع دخولهم إلى أداء الصلاة في المساجد كما وضعوا في باب المسجد ـ يوم الجمعة ـ جنودا يفتشون البطاقة الشخصية هل هم وصلوا إلى سن العشرين أم لا؟ فإن لم يصلوا لا يسمح لهم بالدخول إلى المسجد وتم تعليق لوحة على أبواب المساجد مكتوب عليها «ممنوع دخول المساجد للشباب دون العشرين» ومع أفراد الشعب التركستاني من ممارسة حقوقهم الإنسانية المشروعة كالتعليم وحرية التعبير والاحتفال إلى جانب الاعتداء البدني عليهم بالضرب والاعتقال.

> وفي الخاتمة يوجه الكاتب تحية للشعب التركستاني على صموده وشجاعته فيقول:

فإن توجيه التحية لأبناء تركستان الشرقية على صمودهم وشجاعتهم والشد على أيديهم وكذلك تعريف القارئ المسلم أن ثمة مسلمين في العالم يعانون هذه المعاناة تحت نيران الاحتلال، أراه هدفا يحقق حد الكفاية من هذه السطور.

العـــزلة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد بهجت كلمة في عموده صندوق الدنيا المنشورة بجريدة الأهرام بتاريخ ٢/١٠/٢٠٠٨م يقول:

«لا أحد في المعسكر العربي حتى في الفلسطينيين أنفسهم يدرك أن القوة الأساسية للصهاينة ليست هي القوة العسكرية ولكنها قوة التلاعب بالرأي العام العربي، هذه العبارة التي كتبها روجيه جارودي المفكر الفرنسي تعبر عن حقيقة لا يراها أحدنا من فرط وضوحها.

إن قوة إسرائيل لم تقم على الركيزة العسكرية وحدها، وإنما جاءت من قدرتها على التأثير في الرأي العام الغربي وأمريكا بالتحديد وإقناع هذا الرأي العام بأن الأبيض أسود والأسود أبيض.

إن إسرائيل تسمي المقاومة إرهابا، وتسمي إرهاب الدولة الذي تمارسه دفاعا مشروعا عن أمن إسرائيل، وبرغم أن إسرائيل تقتل مائة عربي مقابل إسرائيلي واحد فإن الرأي العام الغربي يعتقد أن الإرهابيين هم الفلسطينيون، وتمارس قمعاً وحشياً ضد الثورة، ابتداء من إطلاق النار ونسف المنازل وانتهاء بطرد الفلسطينيين من أرضهم ونفيهم خارجها، وخلال هذا الوقت شاهد العالم جزءا يسيرا من تعنت إسرائيل وكان هذا الجزء كافيا لإقناع العالم بالحقيقة، اجتمع مجلس الأمن وأصدر قرارا يدعو إسرائيل إلى إلغاء قرارها بطرد الفلسطينيين من الضفة وقطاع غزة، وقد صدر قرار مجلس الأمن بموافقة جميع أعضائه باستثناء دولة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية

الأطماع الإسرائيلية في مياه النيل

لا شك أن أحد أهداف الدولة العبرية هو الوصول إلى أحواض الأنهار العربية لتوفير المياه التي يحتاجها هذا الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، لذلك تسعى هذه الدولة إلى محاولة الحصول على ١٠٪ فقط من إيراد النيل سنويا، وهو ما يمثل ٨ مليارات متر مكعب من المياه التي تسهم في حل مشكلة المياه في إسرائيل، وقد حذر البروفيسور «أوري شاني» مدير عام مرفق المياه الإسرائيلي في مؤتمر صحفي، أوائل يوليو ٢٠٠٨ من أن وضع المياه في إسرائيل هو أخطر ما شهدته الدولة في السنوات الأخيرة، حيث سجل نقص في منسوب المياه في بحيرة طبرية، كما يشهد الهبوط إلى نحو ٢٥٠ مليون متر مكعب، وهو ما يؤدي إلى تفاقم الوضع حتى عام ٢٠٠٩، وفي هذا السياق أشار «شاني» إلى مصادر المياه في إسرائيل بقوله: إن مصادر المياه الرئيسية الإسرائيلية هي بحيرة طبرية، ومخزون المياه الجوفية الشرقي أو الجبلي، ومخزون المياه الجوفية الساحلي.. ويرى «شاني» أنه إذا لم توضع خطة طوارئ، فسيكون هناك بالتأكيد عجز حقيقي في المياه، ومن هنا يحذر خبراء استراتيجيون من خطورة التدخلات الخارجية بحوض النيل، خاصة من جانب إسرائيل التي تسعى بلا كلل لإقرار ما يسمى بمبدأ بيع المياه، وفي الحقيقة إن أطماع الإسرائيلية في مياه نهر النيل ترجع إلى عام ١٩٠٣ عندما تقدم الصحفي اليهودي «تيودور هرتزل» أبو الصهيونية السياسية إلى حكومة بريطانية بمشروع تحويل جزء من مياه النيل إلى صحراء النقب في فلسطين عبر سيناء وفي عام ١٩٧٤، أعد المهندس الإسرائيلي «إليشع كالي» مشروعا لمحاولة نقل جزء من مياه النيل إلى قلب إسرائيل من خلال توسيع «ترعة الإسماعيلية» من أجل زيادة معدل تدفق المياه داخلها، ليتيسر سحبها من أسفل قناة السويس إلى الداخل الإسرائيلي، وقد تكرر طلب هذا المشروع، خاصة بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩، وهو ما رفضته مصر، احتراما للاتفاقيات السابقة مع دول حوض النيل، التي تتضمن عدم جواز إمداد أي دولة خارج حوض النيل بالمياه، لذلك أصبحت مياه نهر النيل من الأمور الاستراتيجية، بالنسبة لمصر، باعتبار أن البلاد في حاجة إلى نحو ٧٢ مليار متر مكعب من المياه سنويا لمشاريعها الزراعية التي تغطي حوالي ٤٪ فقط من مساحة البلاد، أي بات هناك عجز في المياه بنحو ١٧.٥ مليار متر مكعب، في ضوء حصة مصر السنوية من مياه النيل التي تقدر بنحو ٥٥.٥ مليار متر مكعب.. واللافت أن نهر النيل يمتد حوالي ٢٠٠٠ كم من الخرطوم إلى دلتا النيل في مصر، حيث تتجمع مياهه من ثلاثة أحواض رئيسية

في الهضبة الأثيوبية، وهضبة البحيرات الاستوائية، وحوض بحر الغزال في جنوب السودان الذي يمثل مستنقعًا آخر في نهر النيل. وتعتبر الهضبة الأثيوبية أهم منابع النيل على وجه الإطلاق، فهي تمد النيل الرئيسي عند أسوان بنحو ٨٥ من متوسط الإيراد السنوي، والحقيقة أن ٨٥ من مياه مستخدمة في مصر تأتي من أثيوبيا، و١٥ من دول النيل الأبيض وهي: كينيا، وأوغندا، وتنزانيا، ورواندا، وبوروندي، والكونغو الديمقراطية. وفي هذا الإطار تدرك مصر مدى خطورة المس بحصتها المائية من نهر النيل، والتي اعتبرتها خطًا أحمر خلال اجتماع وزراء دول حوض النيل في «كينشاسا» في ٢٣ مايو ٢٠٠٩، خاصة أن مصر تعتمد على مياه النيل بنسبة ٩٥ من مواردها المائية، بينما لا تعتمد أثيوبيا على النيل إلا بنسبة ١، وكينيا بنسبة ٢، وتنزانيا بنسبة ٣، والسودان بنسبة ١٥. وفوق ذلك فإن مصر تعد ثالث دولة أفريقية في دول حوض النيل من حيث عدد السكان بعد كل من نيجيريا وأثيوبيا وهو ما يؤكد أن مصر هي أكثر احتياجًا لأكبر حصة من مياه النيل. ومن المعروف أن نهر النيل هو أطول أنهار العالم، فهو يقطع مسافة تصل إلى ٦٦٥٠ كم من أبعد منابعه على روافد «بحيرة فيكتوريا» وهو النيل الأبيض إلى ساحل رشيد على البحر الأبيض، كما ينبع النيل الأزرق من أثيوبيا، حيث تغذيه الهضبة الأثيوبية كما ذكرنا بنسبة ٨٥ من نصيب مصر وفقًا لعدة اتفاقيات، أهمها اتفاقية أديس أبابا التي وقعتها بريطانيا وأثيوبيا في ١٥ مايو ١٩٠٢، واتفاقية لندن التي وقعتها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في ١٣ ديسمبر ١٩٠٦، واتفاقية روما الموقعة عام ١٩٢٥، وتعترف فيها إيطاليا بالحقوق المكتسبة لمصر والسودان في مياه النيل الأزرق والنيل الأبيض وروافدهما، وتتعهد بعدم إقامة أي إنشاءات عليهما يمكن أن تنقص من كمية المياه المتجهة نحو النيل الرئيسي. وفي هذا الصدد يذكر أن الأمن القومي المائي المصري ـ الذي يعتمد على مياه النيل ـ هو إلى حد كبير في أيدي دول حوض النيل العشرة.

ومن هنا حرصت مصر على تشجيع قيام تجمع لدول حوض النيل تحت اسم «مجموعة الاندوجو» للتعاون فيما بينهم، والحفاظ على استقرار الأوضاع فيه، وكلمة «الاندوجو» تعني «الأخوة» في اللغة السواحلية، وهذا الاتحاد مكون من مصر والسودان «دول المصب»، وأوغندا والكونغو الديمقراطية، ورواندا، وبوروندي، وأفريقيا الوسطى، بالإضافة إلى تنزانيا وكينيا وأثيوبيا كمراقبين. لكن جاءت المفاجأة من جانب كينيا في خطوة متسرعة أعلنت وزيرة الموارد المائية الكينية «أن بلادها تعتبر أن اتفاقية المياه بين دول الحوض كأنها لم تكن».. وكانت الوزيرة الكينية قد انسحبت من الاجتماع الوزاري الأخير الذي ضم وزراء الري والموارد المائية لدول حوض النيل المنعقد في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا، مهددة بعدم الاعتراف بالاتفاقية الموقعة عام ١٩٢٩، وبالتالي الانسحاب منها.

غير أن الحكومة المصرية اعتبرت هذا الموقف الكيني بمثابة إعلان حرب على مصر، خاصة عندما صرح مسئولون كينيون في أكثر من مناسبة بأنه لا ينبغي لمصر والسودان الاستفادة من مياه النيل الذي ينبع من الجنوب، دون مقابل، وأنه لابد من إعادة تقسيم الحصص المائية بالتساوي بين دول حوض النيل. وفي هذا السياق جاء إعلان وزيرة المياه والبيئة الأوغندية أنه يجب التفاوض بين دول حوض النيل لمراجعة القضايا الخلافية، والتوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف المعنية، وفي حالة عدم التوصل إلى اتفاق عبر التفاوض فإن بلادها سوف

تتخذ نفس موقف الوزيرة الكينية. ومن ثم يشكك بعض الخبراء في أن إسرائيل هي المحرض في هذه القضية، خصوصًا أنها تربطها علاقات حميمة مع كينيا ولديها العديد من البرامج الثنائية في المجالات السياسية والأمنية والعسكرية والاقتصادية. ومن المعروف لدى المهتمين بالشأن الإسرائيلي أن محاولات إسرائيلية جادة للحصول على مياه النيل، بدأت منذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٧٩ حينما طلبت الحكومة الإسرائيلية من الرئيس الراحل السادات، مد ترعة السلام من النيل إلى صحراء النقب، إلا أن الحكومة المصرية رفضت ذلك لعدة أسباب، منها أن مياه النيل هي لدول حوض النيل، ولا يجوز نقلها لأي بلد خارج دول حوض النيل. وأن إسرائيل ليس لديها عجز في مياهها، إذ إن نصيب الفرد بها من المياه يساوي بل إنه يزيد على نصيب الفرد في مصر، والبعد عن سياسة تسعير المياه لصعوبة تنفيذها من الناحية الفنية، لأن المياه ليست سلعة كغيرها مثل الحديد والبترول. ومن ناحية أخرى فقد تقدمت إسرائيل مؤخرًا بمشروع قرار في مؤتمر المياه الدولي الأخير الذي عقدته الأمم المتحدة حول المياه، حيث يتضمن هذا المشروع بشدة ضرورة اعتبار المياه سلعة كغيرها من السلع قابلة للشراء والبيع، تمامًا مثل البترول، وحاولت من جانبها مطالبة المؤتمر باعتماد المياه سلعة، إلا أن المشروع فشل في المصادقة عليه، بعد أن تقدمت مصر والسودان للمطالبة بإسقاطه، وتم إسقاطه بالفعل، خاصة بعد أن أيدت غالبية الدول الموقف المصري والسوداني. والحقيقة أن إسرائيل كانت تريد من وراء هذا المشروع تحقيق عدة أهداف يمكن بيانها على النحو التالي:

■ الحصول على مياه النيل عن طريق شرائه مثل أية سلعة، من أية دولة من دول حوض النيل.

■ محاولة الضغط السياسي على مصر، وتهديد الأمن القومي المائي المصري، المتمثل في نهر النيل، كلما تعارض الموقف السياسي المصري مع المصالح الإسرائيلية في المنطقة.

■ محاولة الضغط الاقتصادي على مصر، بتكبيدها سدادًا ماليًا ضخمًا لدول المنبع في حال اعتماد المياه سلعة قابلة للبيع والشراء، وهو ما ينعكس تأثيرًا سلبيًا على تطوير المشروع الزراعي المصري، خاصة أن مصر تسعى لاستصلاح أراضٍ زراعية جديدة، يقدرها الخبراء بحوالي ٣ ملايين هكتار (الهكتار ١٠٠٠٠ متر مربع) تحتاج إلى مزيد من المياه.

وفي إطار الجهود الإسرائيلية لتقليل حصة مصر من مياه النيل، وسعي الدولة العبرية لتحريض دول المنبع على المطالبة بإعادة النظر في إعادة تقسيم حصص المياه بين دول حوض النيل من جديد، جاء إعلان أثيوبيا رفضها لاتفاقيتي ١٩٢٩ و١٩٥٩، كما قامت في السابق (عام ١٩٨٤) بتنفيذ مشروع «سد فيشا».. أحد روافد النيل الأزرق، بتمويل من بنك التنمية الأفريقي وهو مشروع يؤثر بلا شك على حصة مصر من مياه النيل، يقدرها الخبراء بحوالي ٥ مليارات متر مكعب.

ومن جهة أخرى تبنت إسرائيل استراتيجية المساعدات الإنسانية إلى دول القارة السمراء، منذ وقت بعيد على اعتبار أن كل هذا يصب في مصلحتها، وتدعيم علاقاتها بالقارة التي ينبع منها نهر النيل الذي لا يمكن لها أن تستغني عن مياهه في المستقبل، وهو المعنى الذي أكده أول رئيس وزراء لإسرائيل «ديفيد بن جوريون» في إحدى كلماته أمام الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٦٢ بقوله «إن المساعدات التي تذهب إلى القارة الأفريقية ليست عملاً خيريًا، بل تحمي مصالح إسرائيل فيها، وفي

..ـخـقـيـقـه إن إسـرائيل استـعـانت من خـلال المساعدات التي تتدفق على الدول الأفريقيـة من جانبها، في تعمل على مضاعفة عدد بعثاتها الدبلوماسية في أفريقيا من ٦ بعثات عام ١٩٦٠ إلى ٢٣ بعثة عام ١٩٩١، إلى ٣٢ بعثة عام ١٩٧٢، ليصل عددها في الوقت الراهن إلى ٤٦ بعثة دبلوماسية، مما منحها مساحة كبيرة من حرية الحركة في تعاملها مع الدول الأفريقيـة، وفوق ذلك أن إسرائيل قدمت خلال العام الحالي ٢٠٠٩ إلى كل من الكونغو الديمقراطية ورواندا عدة دراسات تفصيلية لبناء ٣ سدود في إطار برنامج متكامل لعدد من المشروعات المائية في هذه الدول، خاصة رواندا حيث يتوجه الاهتمام الإسرائيلي شطر نهر «كاجيرا» الذي يمثل الحدود الطبيعية لرواندا مع بوروندي. كما عقدت إسرائيل مع أوغندا، اتفاقية تقضي بتنفيذ عدة مشاريع للري في عشر مقاطعات، شمال أوغندا، قريبة من الحدود الأوغندية المشتركة مع السودان وكينيا.. واللافت في هذا السياق أنه يجري استخدام المياه المتدفقة من بحيرة فيكتوريا لإقامة هذه المشروعات المائية، وهو ما يؤدي بطبيعة الحال، إلى حدوث نقص في المياه الواردة إلى النيل الأبيض، أحد أهم الروافد المغذية لنهر النيل في مصر. والأخطر من ذلك فإن إسرائيل أولت اهتمامها بصفة خاصة بإقامة عدد من مشاريع الري في مقاطعة «كاراموجا» الأوغندية قرب السودان بهدف زراعة ٢٤٧ ألف هكتار من الأراضي الأوغندية من خلال استغلال ٢.٥ مليار متر مكعب من مياه سنويا. وهو ما يعكس مدى ضخامة الجزء الذي قد تفقده مصر من مياه النيل. حيث إن المياه المستخدمة في الوقت الحالي، لا تزيد على ٢٠٧ ملايين متر مكعب فقط، تروي ٣٢ ألف هكتار من الأرض.. وفي إطار ترسيخ الوجود الإسرائيلي في دول حوض النيل، جاءت زيارة «ليبرمان» وزير الخارجية الإسرائيلية، في بداية الشهر سبتمبر ٢٠٠٩، لخمس دول أفريقية هي: كينيا وإثيوبيا وأوغندا ونيجيريا وغانا، ويرافقه ٢٠ من رجال الأعمال والمسئولين العسكريين، والخبراء المتخصصين في المياه، لدعم نفوذ إسرائيل الإقليمي في دول حوض النيل، ولا يخفى على أحد، أن من أهداف هذه الزيارة، حث دول المنبع بالمطالبة بتعديل حصص المياه بين دول الحوض لتقليل حصة مصر من هذه المياه، كأحد أساليب الضغط والابتزاز السياسي من جانب إسرائيل الذي تمارسه ضد مصر، بالإضافة إلى محاولة تحويل مياه الأنهار وخصخصتها.

وإذا كانت إسرائيل تتعاون مع دول حوض النيل على إقامة العديد من السدود والمشروعات المائية بخبث ودهاء لتخفيض حصة مصر من مياه النيل، كورقة ضغط على مصر، فإن الحكومة المصرية لا تمانع على وجه الإطلاق في إقامة أي سدود في دول حوض نهر النيل، طالما لا يؤثر ذلك على حصة مصر المائية، خاصة أنه سبق لها أن وافقت على إقامة سد «تكيزي» بإثيوبيا لأنه أقيم بصفة خاصة لأغراض توليد الطاقة الكهربائية فقط، ولم يؤثر على حصة مصر من مياه النيل.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور «محمد نصر الدين علام» وزير الموارد المائية والري المصري: إن مصر دائما توافق على إنشاء السدود الصغيرة بدول حوض النيل من أجل الري التكميلي للزراعات الصغيرة التي تعتمد بصفة أساسية على مياه الأمطار، بما لا يؤثر على حصة مصر المائية من مياه النيل».

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ / أحمد إبراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يهنئ رئيس الجمهورية بذكرى انتصارات السادس من أكتوبر

أرسل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف ببرقية تهنئة للسيد الرئيس / محمد حسني مبارك - رئيس جمهورية مصر العربية بمناسبة حلول ذكرى انتصارات أكتوبر المجيدة هذا نصها:

فخامة الرئيس / محمد حسني مبارك

حفظه الله

رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فبمناسبة ذكرى انتصارات أكتوبر المجيدة

يطيب لي أن أتقدم باسمي واسم الأزهر الشريف علمائه وطلابه والعاملين فيه بأسمى آيات التهنئة القلبية بهذه المناسبة العظيمة. وأن ينعم على مصرنا الحبيبة بمزيد من الانتصارات والأمن والأمان تحت ظل قيادتكم الحكيمة.

كما أدعوه سبحانه وتعالى أن يمتعكم بالصحة والعافية إنه سميع مجيب.



بيان من المجلس الأعلى للأزهر

١ـ إن الدراسة فى الأزهر الشريف وفى جامعته تقوم على اتباع أحكام شريعة الإسلام التى منهجها اليسر والتوسط والاعتدال امتثالا لقوله ـ سبحانه:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾

«البقرة: ١٨٥»

ولقول رسول الله ـ ﷺ «إن الدين يسر»

٢ـ على رأس الفضائل التى أمرت شريعة الإسلام بوجوب التحلى بها الاعتصام بالعفاف والتستر والاحتشام.

ومن الآيات القرآنية التى أكدت ذلك قوله ـ تعالى:

﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾

«النور: ٣٠، ٣١»

وجمهور الفقهاء على أن المقصود بقوله ـ تعالى:

﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾ «النور ٣١»

الوجه واليدان.

قال فضيلة ـ المرحوم الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ مفتى الديار المصرية الأسبق ـ فى كتابه فتاوى شرعية «جـ١ صـ١١٩»: تحت عنوان «وجه المرأة ليس بعورة».

ثم قال: قال الإمام النووى فى المجموع: المشهور من مذهب الشافعية أن عورة المرأة جميع بدنها إلا الوجه والكفين، وبهذا قال الإمام مالك، والإمام أبو حنيفة، والأوزاعى، وأبو ثور، والإمام أحمد فى رواية، وطائفة من الأئمة..»

٣ـ إن المجلس الأعلى للأزهر ليس ضد استعمال المرأة للنقاب فى حياتها الشخصية التى تتعلق بسلوكها فى الشارع وفى عملها، وفى بيعها وفى شرائها.....

ولكن المجلس الأعلى للأزهر ضد استعمال هذا الحق فى غير موضعه مما يترتب عليه غرس ذلك فى عقول الصغار من الفتيات، واتباع رأى الأقلية المخالف لرأى جمهور الفقهاء الذى يقول: بأن وجه المرأة ليس بعورة.

٤ـ من الأمور التى يفهمها كل عاقل، أن المرأة تستعمل النقاب خشية أن يراها الرجال، وليس من المعقول أن تستعمل المرأة النقاب إذا وجدت فى مكان كله من السيدات، لأن الإصرار على استعماله فى وجود النساء مع النساء هو نوع من التشدد الذى تأباه شريعة الإسلام.

٥ـ لهذه الأسباب واستنادا لحكم المحكمة الدستورية العليا المقيد بجدول المحكمة برقم ٨ لسنة ١٧ قضائية دستورية الصادر بتاريخ ١٨ مايو ١٩٩٦ الموافق ٣٠ من ذى الحجة ١٤١٦هـ قرر المجلس الأعلى للأزهر، منع الطالبات والمدرسات من ارتداء النقاب داخل الفصول الدراسية الخاصة بالبنات، والتى يقوم بالتدريس فيها المدرسات من النساء فقط سواء أكان ذلك فى المراحل الابتدائية أم الإعدادية أم الثانوية، وذلك حرصا على نشر الثقة والانسجام والارتياح والتفهم السليم للدين بين الفتيات جميعا.

كذلك قرر المجلس الأعلى للأزهر تطبيق ذلك بالمدن الجامعية الخاصة بالطالبات حرصا عليهن وللطالبات الراغبات فى النقاب استعماله فى بيوتهن وفى الشارع وفى ساحة المعهد الذى يدرسن فيه، والممنوع فقط هو استعماله داخل الفصل الدراسى الخاص بالبنات والذى يقوم بالتدريس فيه المدرسات من النساء فقط.

كما أن المجلس الأعلى للأزهر، قد قرر منع الطالبات فى جميع مراحل الدراسة فى الأزهر وفى جامعته من ارتداء النقاب فى قاعات الامتحانات الخاصة بالفتيات، والتى لا وجود للرجال معهن فى هذه القاعات، وتكون المراقبة عليهن أثناء الامتحان مقصورة على النساء فقط.

والأزهر وجامعته سيعملان ـ بإذن الله ـ تعالى ـ على تحقيق كل ما يرضى الله ويحقق مصلحة الدارسات.

ونسأل الله التوفيق والسداد فى القول والعمل.

الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر

«محمد عبد المجيد الخزرجى»

الإمام الأكبر يتفقد المعاهد الأزهرية

قام فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر، صباح يوم السبت الموافق ٣ / ١٠ / ٢٠٠٩ يرافقه الشيخ / إبراهيم عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية مع بدء أول أيام الدراسة بالأزهر بجولة تفقد فيها سير الدراسة بالمعاهد الأزهرية والاطمئنان على سير تطبيق الضوابط والأساليب والتوجيهات التي صدرت في الاجتماع الموسع مع رؤساء ومديرى المناطق الأزهرية ومسئولى وزارة الصحة فيما يخص الحفاظ على صحة الطلاب والطالبات وأكد فضيلته على ضرورة لصق الإرشادات في كل مكان ظاهر بالمعهد والاهتمام بعرف الرعاية الصحية والنظافة الدائمة للفصول الدراسية ودورات المياه وتطهيرها بصفة مستمرة على مدار اليوم مع التأكيد على الكثافة المحددة لمساحة كل فصل. والتأكيد على ملاحظة الطلاب أثناء طابور الصباح مع القائمين على المعهد لاكتشاف أية حالة وسرعة التعامل معها دون تقصير أو تراخ مع مراعاة الحالة النفسية للمصاب إن وجد، ومتابعة الأماكن التي تم تجهيزها لتكون حجرة للرعاية الصحية والتأكد من تجهيزها بما يلزم وذلك لاستقبال أى حالة تظهر واتخاذ ما يلزم من إجراءات من خلال التنسيق مع مديريات الصحة وحول الاستفسار عن عدد أيام الدراسة بالمعاهد الأزهرية وإلغاء يوم السبت. أكد فضيلته أن ما تطبقه وزارة التربية والتعليم سيطبقه الأزهر.

كما أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة ارتداء الطالبات بالزى المدرسى دون تشدد ومغالاة.

شملت الجولة معاهد مجمع مدينة نصر وفتيات المنطقة السادسة ومجمع معاهد أحمد الليبى.

كما قام فضيلة الدكتور / محمد عبد العزيز واصل وكيل الأزهر بجولة تفقد فيها معاهد شبرا وقليوب القناطر. أكد خلالها على ضرورة نظافة الفصول ودورات المياه. وكذلك توجه الوائرة الصحية أو الطبيب بالمعهد. مع نشر روح الاطمئنان وعدم الخوف لدى الطلاب للإقبال على الدراسة ومواجهة أى حالة طارئة.

رافق وكيل الأزهر خلال الجولة لجنة طبية من وزارة الصحة والتى أشادت بمستوى النظافة في المعاهد الأزهرية.



فضيلة الإمام الأكبر يتلقى دعوة رئيس جمهورية طاجيكستان من السفير الطاجيكى لحضور احتفالية عام الإمام الأعظم

الإمام الأكبر في جمهورية طاجيكستان

توجه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف عصر الأحد ٤ / ١٠ / ٢٠٠٩ إلى طاجيكستان بدعوة من الرئيس / إمام على رحمان - رئيس جمهورية طاجيكستان وذلك لحضور الحفل الرسمي لعام ٢٠٠٩ وهو عام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان والذى تقيمه في العاصمة الطاجيكية بمدينة دوشنبه لمرور ١٣١٠ سنوات على ولادة الإمام الأعظم الذى ينحدر من أصول طاجيكية. ورافق فضيلة الإمام في سفره لفيف من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ومن علماء ووعاظ الأزهر. وأقيم الحفل يومى ٥ و ٦ أكتوبر - وتضمن برنامج الحفل ندوة علمية بعنوان: تراث الإمام أبي حنيفة النعمان وأهميته في حوار الحضارات، بهدف تعريف الجيل الناشئ بالسلف الصالح وإحياء التراث الفقهي من خلال الترجمة والنشر في طاجيكستان وسائر بلدان وسط آسيا.

الإمام الأكبر يستقبل سفير بنجلاديش

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم الخميس الموافق ٨ / ١٠ / ٢٠٠٩ السيد / أشرف الدين - سفير بنجلاديش بالقاهرة، وذلك بمناسبة الزيارة بمناسبة توليه العمل كسفير لبلاده في جمهورية مصر العربية. معرباً لسيادته بإقامة طيبة بالقاهرة والتوفيق في عمله. موضحاً لسيادته أن بنجلاديش لها طلاب يدرسون في الأزهر الشريف وجامعته العريقة يزيد عددهم على (١٦٢) طالب وطالبة. وأن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال.

ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء. كما شكر فضيلته على ما يقوم به الأزهر من رعاية تعليمية وثقافية لطلاب بنجلاديش.





قوات الاحتلال تطالب المعتكفين عن الأقصى بتسليم أنفسهم


تيسير التميمي

فرضت قوات الاحتلال حصاراً كاملا على عشرات الفلسطينيين الذين يرابطون داخل المسجد الأقصى لحمايته من محاولات اليهود المتطرفين لاقتحامه خلال احتفالاتهم بما يسمى عيد العرش اليهودي وأفادت مصادر مقدسية أن قوات الاحتلال أغلقت جميع أبواب المسجد وأنذرت المعتصمين بتسليم أنفسهم مقابل فتح الأبواب. وفي الوقت نفسه اعتقلت ٣ مصلين ومسئول ملف القدس بحركة فتح حاتم عبدالقادر. وحذرت المصادر من أن حشود متطرفين اليهود حول الأقصى تحاول اقتحامه في حماية قوات الاحتلال. وقد أطلق تيسير التميمي قاضي قضاة فلسطين ورئيس هيئة نصرة القدس والمقدسات استغاثة للعرب والمسلمين للعمل السريع على رفع الحصار عن الأقصى وحمايته.

أموال الزكاة تهمة تلاحق مسلمي أمريكا

نقد بات إخراج الزكاة، تهمة تفتح أمام المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية أبواب الملاحقات والاضطهادات والاعتقالات التعسفية"، واقع مرير رصده تقرير خطير لاتحاد الحريات الأمريكي المعروف اختصاراً باسم (ACLU) تحت عنوان «محاصرة وتجميد الإحسان» ويعد هذا التقرير الذي يقع في ١٦٤ صفحة الأول من نوعه. حيث يحتوي على مادة موثقة للآثار السلبية للقوانين الحائرة التي فرضتها إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش على المسلمين عبر جميع الولايات المتحدة الأمريكية. حيث خلقت أجواء من الرعب والشك وعدم الثقة. وحرمت المسلمين من ممارسة بعض فرائضهم الدينية كإخراج الزكاة.


أوباما

فمنذ ديسمبر ٢٠٠١ قامت الإدارة الأمريكية بتجميد أصول ثلاث منظمات خيرية إسلامية وإغلاق سبع منظمات أخرى.. وقد علق جينفر ترنير كاتبة التقرير وأحد أبرز الباحثين لـ (ACLU) على تلك السياسات قائلا: لقد وضعت مثل تلك الإجراءات المسلمين في حيرة من أمرهم خصوصا أن وزارة الخزانة لم تف بتعهداتها بتوفير قائمة بأسماء المنظمات والجهات الخيرية التي يمكن للمسلمين إعطاء التبرعات لها برغم إصدارها بيانا في ٢٦ أغسطس الماضي أعربت من خلاله عن إدراكها أهمية الزكاة لدى المسلمين خلال شهر رمضان وعيد الفطر. وجاء بالبيان ما نصه: تعد الزكاة أحد الأركان الخمسة للإسلام وفريضة مقدسة لدى المسلمين. الأمر الذي تدركه جيدا وزارة الخزانة الأمريكية. هذا وتجدر الإشارة إلى أن عدداً من المنظمات الإسلامية كانت قد قامت في يوليو الماضي بإرسال خطاب إلى الرئيس الأمريكي باراك أوباما يطالبه بالالتزام بما جاء بخطابه في جامعة القاهرة. وألا تتم ملاحقتهم إثر قيامهم بأعمال خيرية بتهمة تمويل الإرهاب المزعوم. ولكنهم لم يتلقوا أية استجابة.

وزير الخارجية النرويجي يدعو لاحترام الإسلام والحجاب في بلاده

دعا وزير خارجية النرويج يوناس جارستوره إلى احترام الإسلام والحجاب في بلاده وقال في لقاء مع التليفزيون النرويجي إنه يرغب في أن تكون النرويج متعددة الثقافات. وأكد أن الأقليات المسلمة جزء من المجتمع. ولا يجب التخلي عنه أو إبعاده عن بناء المجتمع النرويجي. مضيفا أن من يربط العنف والإرهاب والمشاكل بالإسلام والمسلمين مخطئ. فيجب ألا يكون المسلمون نقمة سائغة للمحرضين.. وأشار الوزير النرويجي إلى أنه مع الحرب ضد الإرهاب سواء كان إسلامياً أو نصرانيا أم يهوديا أو غير ذلك. شريطة أن يكون الهدف واضحا. وألا يستعمل الدين كذريعة للهجوم على المسلمين في أنحاء العالم. وأكد يوناس أنه لا يرى مانعا من رؤية الحجاب الإسلامي منتشرا في النرويج كمظهر من مظاهر تعدد الثقافات وحرية العقيدة في العمل والمدارس. وقال يجب أن تكون هناك حوارات بناءة في حال بروز أزمة من أجل الحجاب لا الهجوم عليه. كما يجب احترام النساء المسلمات اللاتي يرتدين الحجاب مادامت هذه رغبتهن المطلقة على حد تعبيره.

باكو، عاصمة للثقافة الإسلامية

توجت العاصمة الأذربيجانية «باكو» احتفالاتها كعاصمة للثقافة الإسلامية عن منطقة وسط آسيا للعام ٢٠٠٩ باستضافتها مؤتمر وزراء الثقافة الإسلامية

وقد أشرفت على تنظيم المؤتمر المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «إيسيسكو» وبالتن



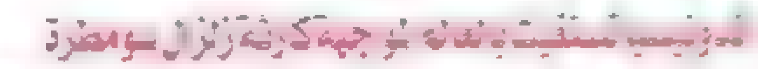
المؤتمر سبل تفعيل التعاون الثقافي الإسلامي أمام العالم ومشروع العواصم الثقافية الإسلامية ومتابعة ما أقره الوزراء في اجتماعهم الماضي الذي استضافته ليبيا قبل عامين.

ويذكر أن باكو عاصمة أذربيجان وكبرى مدنها وتقع على الشاطئ الشمالي من شبه جزيرة أبشوران ويعود تاريخ المدينة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد.

أمين المؤتمر الإسلامي يدعو إلى الإسراع لإنقاذ مدينة القدس

طالب د/ أكمل الدين إحسان أوغلو ـ أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي ـ الدول الأعضاء بالمنظمة بضرورة إنقاذ مدينة القدس قبل فوات الأوان، داعيا إلى تقديم الدعم للمؤسسات الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف، جاء ذلك في اجتماع لوزراء خارجية الدول الإسلامية، وعلى هامش الاحتفال بمرور أربعين عاما على إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي بنيويورك

أوغلو



أندونيسيا تستغيث بالعالم لمواجهة كارثة زلزال سومطرة

أطلقت أندونيسيا أكبر بلد إسلامي سكانا صرخة استغاثة للعالم الإسلامي والمجتمع الدولي لمساعدتها لمواجهة الآثار المدمرة للزلزال العنيف الذي ضرب جزيرة سومطرة الأندونيسية مخلفا آلاف القتلى وملايين المشردين. وقد أعلنت الأمم المتحدة أن أعداد المفقودين في زلزال سومطرة تصل إلى أربعة آلاف شخص، وأن الأمل في العثور على أحياء تحت الأنقاض يتضاءل مع مرور الوقت. وقال المصطفى بن المليح ـ منسق المساعدات الإنسانية لدى الأمم المتحدة في أندونيسيا ـ إن عدد الأشخاص العالقين تحت الأنقاض يقدر بين ثلاثة وأربعة آلاف شخص، ومن جهة أخرى بدأت المساعدات الدولية في التدفق على أندونيسيا استجابة من المجتمع الدولي لنداء الاستغاثة الذي أطلقته جاكرتا. وأعلنت الأسرة الدولية تقديم مساعدة لجاكرتا بقيمة نحو عشرة ملايين يورو وإرسال فرق إنقاذ للمساعدة في البحث عن أحياء. وقال جون هولمز مساعد الأمين العام للأمم المتحدة ورئيس مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في مقر المنظمة الدولية في نيويورك إنه تم نشر فرق من عمال الإنقاذ في المناطق التي ضربتها كوارث طبيعية وكانت مدينتا بادانج التي يقطنها مليون شخص وباريمان في سومطرة الغربية الأكثر تضررا، وأشار هولمز إلى أن عدد الأشخاص المتضررين كبير جدا ويحتاجون إلى المساعدة بشدة. وأضاف أن الوضع في توبعد يبدو أنه تحت السيطرة مع وصول إمدادات إغاثة إلى الجزيرة.

وقالت ست فضيلة سوبارى وزيرة الصحة: نحتاج إلى دعم البلدان الأجنبية في عمليات الإجلاء، ونحتاج إلى فرق رجال الإنقاذ المتمرسين مع معداتهم، وأضافت: مشكلتنا الأساسية هي أن عددا كبيرا من الأشخاص لا يزالون تحت الأنقاض. وأننا نواجه صعوبات في تحديد أماكنهم وانتشالهم.

الطعام الحلال يغزو فرنسا والبلدان الأوروبية

أثار إعلان تليفزيوني يظهر زوجين مغربيان في سوق تجاري وهما سعداء بشراء أصناف من الأطعمة الحلال التي تعني التزامهما بالشريعة الإسلامية في فرنسا مناقشات واسعة.

وقد علقت صحيفة ليبراسيون على الإعلان الذي ظهر في التليفزيون العام بأنه قفزة صغيرة. مشيرة إلى أن محلات السوبر ماركت في فرنسا بدأت تعرض لحمات من الملح والتين التونسي، وفي ركن للحوم تم تجهيز قطع مختلفة من لحم الضأن المذبوح حسب الشريعة الإسلامية.

وفي بداية شهر رمضان المبارك الماضي، بدأت شركة للصناعات الغذائية حملة إعلانية تكلفت نحو ٣٠٠ ألف يورو تعرض عرض أصناف من الأطعمة المعدة حسب الشريعة الإسلامية.

وتقدر وكالة سوليس للإعلان المتخصصة فيما يسمى التسويق العرقي، مبيعات سوق الحلال في فرنسا عام ٢٠٠٩م بنحو ٤ ملايين يورو مع زيادة سنوية تبلغ ١٠٪.

وبحسب إحصاء صدر مؤخرا في فرنسا فإن ٧٠٪ من المسلمين في فرنسا قالوا إنهم يتبعون التعاليم التي فرضها الشرع بزيادة قدرها ١٠٪ قبل عامين

ألمانيا تسمح لطالب مسلم بالصلاة داخل المدرسة

تعيد محكمة إدارية ألمانية النظر في قضية خاصة بالسماح للتلاميذ المسلمين بالصلاة في مدارس خارج أوقات الحصص الدراسية. وأعلنت المحكمة في برلين أنها ستنظر مجددا في قضية تلميذ مسلم في مدرسة ويستربيج الثانوية في العاصمة برلين. وصرحت المحكمة أنه سيتم تقرير ما إذا كان التلميذ (١٥ عاما) سيحصل على هذا الحق بشكل دائم.

كانت المحكمة قد أصدرت في مارس عام ٢٠٠٨م قرارا مؤقتا بالسماح للتلميذ بالصلاة في مدرسة بعدما رفضت إدارة المدرسة هذا الأمر. وكانت المحكمة قد استعانت أيضا بتقرير عالم في الدين الإسلامي يوضح مبدأ إلزام الصلاة على المسلمين المقيمين في ألمانيا.

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد: [illegible]

قرارات مجلس مجمع البحوث الإسلامية

● ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة فى ٢٤/٩/٢٠٠٩ الكتاب الوارد إلى مكتب شيخ الأزهر بشأن اعتماد تعديل قانون يحظر الإساءة إلى الأديان فى أيرلندا.

وقرر المجلس إصدار البيان التالى :-

يثمن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بالموقف الإيجابى لدولة أيرلندا لسنها قانونا يجرم ازدراء الأديان ويشيد بهذا الموقف، ويدعو الدول الأخرى إلى أن تحذو حذو هذا الموقف الذى يحترم سائر الأديان السماوية.

● كما قرر المجلس الموافقة على ترشيح السيد الأستاذ / محمد رجائى عطية لجائزة مبارك فى العلوم الاجتماعية لعام ٢٠١٠م.

● كما أحال مجلس المجمع الكتاب الوارد من مدير الجمعية الخيرية الإسلامية بأسيوط بشأن: هل يجوز مساعدة غير القادرين على الزواج من أموال الزكاة؟ إلى لجنة البحوث الفقهية للدراسة والعرض على المجلس فى جلسته القادمة.

تجديد المنح الدراسية للطلاب الوافدين

تمت الموافقة على تجديد المنح الدراسية للطلاب الوافدين لعام ٢٠٠٩/٢٠١٠م لمدة شهر اعتبارا من ١/١٠/٢٠٠٩م كما بدأت الامتحانات لتحديد المستوى للمرحلة التمهيدية اعتبارا من ١/١٠/٢٠٠٩م.

وصرح فضيلة الشيخ رجب سليم مدير عام شئون الطلاب الوافدين بأن من أهداف الأزهر نشر الثقافة الإسلامية ومساعدة أبناء الدول الإسلامية والعربية والجاليات فى تعليم أبنائهم صحيح الدين الإسلامى والبعد عن التطرف والتأكيد على أن الوسطية هى من أهم مبادئ الأزهر الشريف ورسالته السامية. كما صرح فضيلته بأن الأزهر الشريف فى هذا العام من أبناء دولة فلسطين الشقيقة ١٢٨٤ طالب وطالبة بين العام موزعين على النحو التالى :-

● فى المرحلة الابتدائية: ٣٤٥ بنين، ٢٠٨ بنات.
● المرحلة الإعدادية: ٨١ بنين، ١٠٢ بنات.
● المرحلة الثانوية: ٥٣ بنين، ٦٤ بنات.
● الجامعة: ١٧٨ بنين، ١٣٣ بنات.
● دراسات عليا: ١٩ بنين.

مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام



صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب «مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام» للأستاذ أنور الجندى ولأهمية الكتاب فى معالجة الفكر المعاصر التى نتج عن الحملات التى تشكك فى تعاليم الإسلام ومحاولة تضليل أتباعه بتسويق الشبهات الرائجة لزلزلة الثقة بمفاهيم مغلوطة ومشوهة، فقد أصدرت السلسلة الطبعة الثالثة من الكتاب، وهذا الكتاب بأسلوبه الذى يمتاز به المؤلف، كشف هذا الزيف وفيه دحض للشبهات وبيان للحقيقة الواضحة أمام أجيال المسلمين، وقد تناول المؤلف عدة قضايا جرى من خلالها خلق دائرة براقة تحمل لواء ما يسمى بالحرية الفكرية والعصرية بحرمان التاريخ الإسلامى وبطولاته عن مفاهيمها الإسلامية وتزييف الأخلاق والقيم، ومن هذه القضايا التى تعرض لها الكاتب قضية القيم، التطور، الحرية، العقل، التقدم.

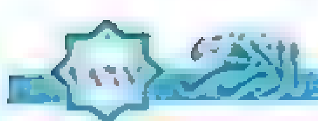
ففى قضية التقدم مثلا أوضح مفهوم التقدم فى الفكر الإسلامى، وما وجه الخلاف بينه وبين مفهوم التقدم الاجتماعى فكل المواقف تكذب ما يبعث إليه كتاب الاستعمار ودعاة التغريب وخصوم العرب والمسلمين من أن التخلف فى العالم الإسلامى إنما يعود إلى جوهر الإسلام الداعى إلى التقدم والنهضة فهو السبب فى تقدمها، ذلك لو طبق تطبيقا صحيحا. فالكتاب فى مجمله يدافع عن الإسلام والمسلمين ويكشف فيه المؤلف أمام الأجيال من الأمة الإسلامية عن الخداع والتضليل الذى يحاول أعداؤهم عن طريقه بأسلوبهم الرائق تدمير المجتمع الإسلامى.

نفع الله به وإننا نهيب بالقارئ الكريم بهذا الكتاب.

صرح بذلك فضيلة الشيخ / عبد الرحمن العسلى، مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات.

الأزهر فى ندوة التسرب من التعليم

رشحت وزارة التنمية الإدارية فضيلة الشيخ مهدى هادى شلتوت رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف للمشاركة فى بحث قضية التسرب من التعليم، وذلك نظرا للمكانة المتميزة للأزهر الشريف كأحد قلاع التعليم فى مصر، كما وجهت وزارة التنمية الإدارية الدعوة للأزهر الشريف بحضور ندوة أسباب التسرب من التعليم.



from the middle of the sixteenth century till the last decade of the seventeenth century "1562-1688", i.e. till the "enlightenment" era, in which millions were killed forming 40% of the inhabitants of the middle of Europe. This "Western central trend" with the other continued during the era of occupation of the west to nations countries and non Western civilizations. Struggle and attempts of eradication occurred in different fields-on the intellectual side by eradicating the infrastructure of the ideological heritages of the occupied civilizations - on the side of values by breaking through the values system of the occupied peoples - on the cultural side by Christianizing the occupied lands - on the religious side by Christianizing the world - on the economic side by imperial economic plundering that built the prosperity of the West by taking the treasures of the occupied peoples and nations - on the security side, by turning the world into margin for the European and Western security as well as exploiting the capabilities of the occupied people for the sake of imperial wars, as the Persians and Romans did with "Ghassasenas" and "Manazeras" in the old universal system[1] This "Western instinct towards centralizing around the self", rejection of diversity, recognition of the other adheres to the project of the western domination of "self" and "the other", which are confessed by the fair Western scientists. The French orientalist "Maxim Rodinson" "1915-2004": "Encouraging centralization around the self is a natural aspect of the Europeans, as it was always, but it is attributed now contempt to others, especially at the time of imperialism since the middle of the nineteenth century"

This Western concept of "the universality" of the European civilization, the concept of the civilizational oneness, which sees the Western civilization is the only universal and human! Moreover, it is the only "civilization" that should be the only example of progress and civilization, and the only mold to which the whole world should pour. Thus, the west saw and still sees that "struggle" and conflict are the main choice for achieving this "civilizational oneness" due to "struggle" that is included in the structure of the formation of the Western civilization. This is declared - then justifies - by the main theories that colored the philosophy of the European positional enlightenment and Western "novelty thinking" and its culture.

-The philosophy of strength, struggle and opportunism stemming from morals are the core of the philosophy of Machiavelli's policy - as Machiavelli formulated it "1469-1527" in "Al-Amir" book.

-The Philosophy of history for "Hegel" "1770-1831" evaluates the relations of era according to the struggle that the new abrogates the old.

-Darwinism - as was formulated by "Darwin" "1809-1882" in "the origin of gender" - that makes the struggle the law of progress and development in biology. The fittest survives and the stronger is the fittest to survive, and abrogates the others according to law!

This is the case with the social thinking and relations among the classes - for Markas "1817-1883" and others - which is an application of Darwin's and Hegel's struggle philosophy - as the new eradicates the old, and the tiny class grows at the expense of eradicating the dominant class. The "primitive communism" was abrogated. Then, "feudalism" came and abrogated "slavery". Afterwards, capitalism abrogated "feudalism". Marxism announced the abrogation of communism and dictatorship of Proletariat for the liberal capitalism. It seems that the slogan of this "struggling

[1] Hashim Saleh, "The European Enlightenment as a reaction to the struggle of trends." - "The Middle East" magazine, London, 26th February, 2000

[2] Al-Gabarty, "The aspect of sanctity by the end of the French Occupation," P 310, 311, report by Hassan Mohammad Gohar, Omar Ad-Desouqy, Cairo edition, 1964

[3] [illegible] the scientists" p 64, 65 Dar Ash-Shrouq edition - Cairo 2005

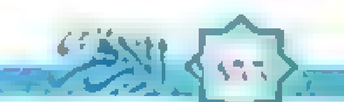
philosophy" - that colored the Western civilization is annihilation as well as. Allah the most High said,

"Whenever a nation enters, it curses its sister-nation" [Al-A'raf, 38]

This annihilating central instinct that made the concept of "the human being" - in the Western civilization - is the Western person only! Then, it let the Western person - at the time of occupation - practices another type of annihilation - civilizational and cultural - with strange satisfaction that resembles the death of conscience. It practices this annihilation as "a message" and application of the scientific and natural law - that governs biology and sociology - in civilizations and cultures. The eradication of the peoples by settling occupation - in Africa and Palestine - is a kind of urbanization for these countries by purifying its land from its primitive people and heritages! The Christianization of the Muslims is the carrying out of "salvation" for the souls of these deprived disbelievers! The removal of the cultural heritages of the non-European peoples is a kind of liberation from retardation, lagging and congealment as well as carrying out of the natural law, the survival for the European who is stronger and fitter forever!

This Western central instinct does not see anything except the "self" and does not recognize the "other". However, it sees the law of progress in eradicating the "other", which made the west tend always to occupational aggression towards the others and justifies this aggressive attitude to the extent that it sees it the "natural" state. Thus, they should not apologize for it in any case.

The written history of the relationship of the West to the East - since "Alexandar the Great" till now - reaches twenty four centuries - from the fourth century before Christ till the twenty-first century. The occupational west oppressed the east - politically, culturally, religiously and civilizationally - and plundered its economy throughout seventeenth centuries of these twenty four centuries! Ten centuries before the emergence of Islam - in the fourth century before Christ - till "Hercules" "610-641" in the seventh century after Christ. Then, two centuries, which are the duration of the Western Crusade campaigns to the Islamic East "489-690 H., 1096-1291 A.D." Five centuries are the duration of the modern Western invasion to the Islamic world, which started with the downfall of Granada "897 H.1492 A.D". They still continue till these moments. The West celebrated the passing of five hundred years from the beginning of this modern invasion by holding Olympics in Barcelona in 1992 at the place where Islam was eradicated from Andalusia - at the west of Europe - and at the same year the war of Bosnia and Herzegovina to eradicate the project of establishing an Islamic state in the middle of Europe!. As the imperial west saw - and still sees - in the aggression, oppression and eradication of the religious and civilizational elements of "the eastern" "the natural law" and "civilizational Darwinism", it did not sympathize with them by any means. It did not ever think of apologizing for this long and bloody history of oppression and occupation. When Fagna Pope Paul II "1922-2005" visited the tomb of Yahia - John the Baptist - in the Umayyad mosque - in Damascus, he refused to visit the tomb of Saladin "532-589 H.1137-1193 A. D" - at the same place - not to regard this visit as an apology for the Muslims for the Crusade wars! Europe and America refuse now any apology - even in speaking - for what they did in Africa throughout five centuries! The French National Assembly declared in 2005 that it is proud of what the French army committed in Algeria throughout a century and a third of a century as it eradicated - at the last chapter of this tragedy - around two millions of Algerian Muslim martyrs! This is still the state of the "Western conscience" with the "others", and with the Indians whose people and civilization was eradicated, as well as the African Negroes, who are hunted by the Western pirates like animals. Then, they transported them to the ships of animals to establish - on their bones and blood - the luxury of the western person - in America and Europe! This is the case with the Western central instinct till the stages that antecedent the period of contemporary globalization, and this is the state of the imperial West relation with the others.



Between the Universality of Islam and the Globalization of the West...!

By: Dr. Mohammad Imara

Member of the Islamic Researches Academy

If we want to compare the Islamic universality with the Western globalization, we will not be wrong in saying that they are contradicting completely to one another. The Islamic universality is variety, acquaintance, coexistence and competence in the frame of Islamic unity and general human commonness.

However, the Western globalization is struggle, disunity and mess which is called succession in the frame of the Western domination that wants to pour the world in the Western mold solely. Universality is a human instinct that is directed towards interaction among the civilizations and cultures, comparison between the metal patterns, cooperation, integration, and acquaintance among the nations, peoples and countries. It sees the world as "civilizations forum" that has a great area of "general human commonness". Every one of them has distinctive "cultural entity" as well as national, civilizational, economic and security benefits that should be considered in the frame of "benefits balance" and not "powers balance" among these nations and civilizations. If the eye of the inspector does not err the civilizational distinctive in this "universal forum" when it sees the cultural entities of China, India, Japan, the West and Islam – as well as the other civilizations – the mind of researcher does not err attributing some of the civilizations with "locality" – such as India, China and Japan. However, the Islamic and Western civilizations are attributed with the authorities of universal expansion as the possibility of giving outside the historical geographical borders of the people of these two civilizations.

The Western European civilization was marked by this universal instinct since the Greeks and Romans developed it. Also, the Islamic civilization was marked by it since it comes out of the Noble Quran. The elements of the unified Islamic civilization come out of the Noble Quran, from which the Islamic attribute came. Universality is the fruit of the Islamic Message and Sharia which Allah, all Extolment be to Him, willed to be the last of the Divine Messages to the human being. For this wisdom, the Noble Quran tackled this universality since the period in which Da'wah was still in Mecca: "And in no way do you ask of them any reward for it; decidedly it is (nothing) except Remembrance for the worlds"

[Yusuf (Joseph): 104]

"And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds"

[Al-Anbiya (The Prophets): 107]. "Supremely Blessed is He Who has sent down the all-distinctive Criterion upon His bondman that he may be a warner to the worlds". [Al-Furqan (The Criterion): 1]

The civilizations of the Islamic nation was continually established wherever the Islamic instructions, values and cultures expanded over time and place. The definition of "nation" in the Quran does not mean adhering, closing, preventing and gathering attributes. However, it meant "group" – any group – that is opened, understanding and expanding forever as well as occurring in spite of the difference of time, place and fields. This "Islamic universality" does not mean in the Islamic vision - the exclusive possession of the Islamic civilization of the world and cancellation the other civilizations, but it means interaction and competition with the other civilizations, along with assuring the civilizational and cultural variety, difference of people, nations, tribes, colors, races, tongues and languages; and thus in nationalities, religions, trends, sects, cultures, philosophies and civilizations. This variety and difference from the natural basis, structural law and Divine law does not change. Each civilization is marked by its cultural attribute. Each culture is marked by the vision of its human being of universe. If the Western civilization in the shadow of Christianity and the novelty of secular positivism saw the human being as a picture of Allah on earth and a master of this universe. The Islamic civilization is based on monotheism and that Allah has no peer or counterpart. Also, it sees that all of the creatures – human beings, animals, plant and inanimate beings – i.e. anything except Allah - are based on variety, multiplicity, distinction and difference. The human beings are divided into peoples and tribes. "O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious, surely Allah is Ever-Knowing, Ever Cognizant" [Al-Hujrat (The Apartments): 13]

The people differ in tongues, languages, nationalities, colors and races.

"And of His signs is that He created for you, of yourselves, spouses, that you (may) find rest in them, and he has made between you amity and mercy. Surely in that are indeed signs for a people who meditate".[Ar-Rom (The Romans): 21].

The people differ in religion and beliefs: "And if your Lord had (so) decided, He would indeed have made mankind one nation; and they do not cause differing (among themselves), Excepting the ones on whom your Lord has mercy, and He created them for that (end), and perfected has been the Word of your Lord: "Indeed I will definitely fill Hell with jinn and mankind together" [Hud: 118-119]. Also, the people differ in creeds, cultures and civilizations:

"But that He may try you in what He has brought you. So race with each other in the charitable (deeds), to Allah shall be your return, altogether, and so He will fully inform you of that wherein you used to differ" [Al Maida (The Table): 48]. The missions of the people differ: "Surely your endeavor is indeed to diverse (ends)" [Al Layl (the Night): 4]. "And to each is a direction towards which he turns, so race with each other for the charitable (deeds)" [Al Baqarah (The Cow): 148]. Competition is the way for mending the break, amending the imbalance, restoring the balance – the just mediation to the relations between classes, nations or civilizations: "Repel with that which is fairest, then, only then, he between whom and you there is enmity will be as if he were an animate constant patron" [Fussilat (Expounded): 34]. It is not "the struggle" in which one party gets rid of the other parties to dominate the field, fruits and prerogatives, ending variety and difference. "And as for 'Ad, they were then made to perish by a wind most clamorous (and) furious. He subjected it against them seven nights and eight days in gruesome succession, so that you might have seen the people laid overthrown in it as if they were hollow stumps of devastated palm-trees. So do you see any remnant of them?"

[Al-Haqqa (The Inevitable Truth): 6-8]. The Islamic concept of universality is the universal instinct that sees variety and difference as a rule in all of the creatures. It believes in "interaction" as the just mediation between separation and "following". Thus, the civilizational shape of the world is "civilizations forum" that glorifies the human being. This Islamic concept of universality was superior to the Western concept of universality not only in the recent era – the Western globalization era - but since the dawn of Western European civilizations. The "central trend" clings tightly to the Western civilizational example since the Roman era. The followers of this vision saw that "human being" is the "free Roman" only and the others are barbarians. Also, they saw that the Roma religion is the only true religion, and the other religions should be eradicated. They applied this "only central trend" in the era of paganism by eradicating the Christians – after dismissing the Jews – and in the era of Christianity by oppressing the Christian trend that contradicts with the "Malkani" trend. This state continued and was called "the religious wars" between the Christian trends – Catholic and Protestants – that extended

monotheism at the hearts of the people, letting the people to worship Allah only. Then, the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and his companions went out of Mecca, the location of the Inviolable Home, and were prevented from performing the rituals of Hajj. They continued to struggle for the sake of Allah after leaving Mecca till they were eager to visit the Inviolable Home from which they were prevented. Then, they were promised to enter the Inviolable Mosque shortening their hair and beard. Amidst this glowing eagerness and in the light of the sacrifice, Allah restored Hajj and sent down many verses to explain its rules, time and morals as well as reformed what the people spoilt and brought it back to the time of Abraham and Ismail. From this time, the Muslims performed the rituals of Hajj imposed by Allah upon the people from the time of Abraham (may the peace of Allah be upon him). They purified the Inviolable Home from the idols worshipped by their people. Moreover, Allah ordered the arrogant people to stand with the other people on Arafat to emphasize the principle of equity that Allah set among His Servants. Islam set for the performance of Al hajj known months they are: Shawwal, Zul Qi'da and Zul Hijja. Shawwal is next to Ramadan and has two considerations that deserve appreciation to maintain the moral reformation that the Muslim gains by fasting and praying in Ramadan. The first consideration is that Shawwal is the first month of Hajj. The second consideration is that Zul Qi'da and Zul Hijja follow it. The Noble Quran cared for the months of Hajj in the same way it cared for Hajj. Also, it cared for the months of Hajj in the same way it cared for purifying the souls of sins and warding off tyranny and oppression. Moreover, it attracted the attention of the believers to the incentives of benevolence and piety as well as being far above sins and oppression and neglect of rights and duties. In the months of Hajj, Allah, Glory be to Him, says: "The Pilgrimage is (in) months well-known; so, whoever ordains (upon himself) the pilgrimage in them, then there shall be no lying with (womenfolk), nor evident immortality, nor disputing in the Pilgrimage. And whatever charity you perform, Allah knows it. And sustain yourself; so, the most charitable sustenance is piety; and be pious to Me, O (you) endowed with intellects!" [Al-Baqarah (The Cow), 197]. By the end of Ramadan, the Muslims returned to their daily life from a spiritual trip in which their souls clung to their Lord. They fear and consider Allah in all of their deeds, as they prevented themselves in His days – for His sake – from the elements of life. At the beginning of Shawwal, they continue another trip in which the soul and body participate and to which the competent person hurries to it leaving his family, money and homeland and tolerating the hardships of traveling not for anything of the pleasures of life, but for standing obeying Allah, confessing the sins and asking for help and satisfaction. Afterwards, he comes back to his homeland in a state of satisfaction and strength in taking his nation to the path of guidance. The Noble Quran guided the believers to the elements that let them reach this sublime goal of this trip: "So, whoever ordains (upon himself) the pilgrimage in them, then there shall be no lying with (womenfolk), nor evident immortality, nor disputing in the Pilgrimage. And whatever charity you perform" [Al-Baqara (The Cow): 197]. It is a type of purification of the souls as well as being endowed with the virtues that purify the souls, reconcile the hearts and bring the person closer to Allah. We see this meaning in Allah's saying: "And whatever charity you perform, Allah knows it. And sustain yourself; so, the most charitable sustenance is piety". [Al-Baqara (The Cow): 197]. Shawwal is the first month of Hajj that stirs in the souls of the Muslims the memories of Hajj. They remember the circumambulation in the Inviolable Home and standing on Arafat, the place of pure supplication. Thus, the hearts become eager to sources of inspiration and light, leaves life to Allah in this local movement. Also, Shawwal, as one of the Inviolable months, stirs sanctity received with Zul Qi'da , which is temporal sanctity meant to ensure safety in the road for Hajj and visiting the Inviolable Home. These rituals stir in the souls tranquility and assurance. These are the sanctity of the inviolable months referred to by the Noble Qur'an in the saying of Allah, Glory be to Him: "Surely the (right) number of the months in the Providence of Allah is twelve months (ordained) in the Book of Allah the day that He created the heavens and the earth. Four of them are prohibiting. That is the most upright religion. So do not do (any) injustice to yourselves during them" [At-Tawba (Repentance): 36]. The Noble Quran referred to the sanctity of the inviolable months and showed that their keeping needs keeping far from fighting, bloodshed and other types of oppression and treason. Allah, Glory be to Him, said: "O you who have believed, do not violate the way marks of Allah, nor the Inviolable Month, nor the offering, nor the garlands, nor the ones repairing to the Inviolable Home seeking from their Lord Grace and all-blessed Satisfaction, and when you are not on pilgrimage, then (go game) hunting. And do not let antagonism of a people who barred you from the Inviolable Mosque provoke you to transgress. And help one another to benignancy and piety, and do not help one another to vice and hostility, and be pious to Allah; surely Allah is strict in punishment" [Al-Maida (The Table): 2]. Allah, Glory be to Him, has two sanctities in bringing up and accustoming His Servants to good. The first is local sanctity which revolves around the Inviolable Home and Mecca. Its range expanded to include animals: "Do not kill the game (while) you are in pilgrimage sanctity" [Al-Maida (The Table): 95].

The second is the temporal sanctity whose time is the Inviolable months: Zul Qi'da, Zul Hijja and Muharram. Their temporal sanctity gathers with the temporal sanctity. The forth one is Rajab which has certain sanctities that the believers should not ignore. The method of educating with declaring the sanctity of time and place is an old Divine law that is confirmed by Islam, linking the earlier Muslims to the contemporary ones. Its core is regarded for the contemporary people as a chance that prepares for understanding and eliminating reasons for dispute and conflicts – If they believed in it and followed Allah's orders. It leads to setting security and peace, and is regarded as divine guidance in which the people consider their affairs to know their mission in life. Their mission is to make life prosperous and to make the whole humanity happy on the basis of love and cooperation. Thus, they will keep away from aggression and greediness that launch wars that eliminate tranquility and happiness and spoil the succession of the human being on earth. Allah, Glory be to Him, created the people on one nature and gave them strong instincts such as anger and desire which lead them to envy and rupture of relations, rather to murder, destruction, plundering and arrogance. The Divine Wisdom willed that these instincts should have deterrent whose respect comes out of respect. Thus, the Inviolable Home is glorifies and respected by the hearts and the penalty of the perverted people is doubled in it. The Inviolable Home is a special place that is not reached by every oppressed or all of the people, and that tranquility is not felt except by the people travel to it. As it is not possible that all of the inhabitants of earth go to it at the same time, the Inviolable months became general tranquil resort that spreads over the people in their homelands tranquility and assurance. Also, they feel the protection of Allah, Who emphasized its sanctity in the hearts. In these months, there is no bloodshed or killing, and the hearts are directed to Allah and the reward is doubled for the one who commits good or bad deeds. Allah, Glory be to Him, says: "Allah has made the Ka'bah, the Inviolable Home, and upright (gathering) for mankind, and (likewise He has made) the inviolable month, and the offering, and the garlands. That (is so) that you may know that Allah knows whatever is in the heavens and whatever is in the earth, and that Allah is Ever-Knowing of everything" [Al-Maida (The Table): 97].

The human being becomes tranquil by believing in this Divine armistice. If his soul clung to the instructions of Allah and remedied his soul in four months out of twelve months, he will become at ease. Also, he will have enough time for working and traveling. He will be able to communicate with his brothers and cooperate with them on the basis of benevolence and piety not on sin and aggression.

(Al Hajj) The Pilgrimage is(in)months well-known...!

By: The Honorable Sheikh.Umar Ad-Deib

Member of the Islamic Researches Academy

Al hajj is a kind of worship that was known before Islam, and was meant to visit special places to made advances to the worshipped god. The peoples and tribes regarded it as a symbol to glorify their worshipped gods. This kind of worship was performed by the Ancient Egyptians, Greeks, Japanese and other nations towards their sacred entities. Every nation adopted the behaviors that suit the sacredness of its god. This behavior went on till Allah, Glory be to Him, adapted the circumstances to Abraham (May the peace of Allah be upon him) ordering him to build the Ka'bah in Mecca for the people to circumambulate around it to mention Allah's Name: "And as Abraham raised up the foundations of the Home and Ismail (with him), (saying), "Our Lord, (graciously) accept (this) from us. Surely You, Ever You, are The Ever-Hearing, The Ever-Knowing"[Al-Baqarah (The Cow): 127].

"And as We located for Abraham the place of the House (saying), "You shall not associate with Me anything, and purify My House for circumambulators, and the upright ones, and (the ones) oft bowing down (and) prostrating themselves (in prayer). And announce to mankind the pilgrimage: they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance); they shall definitely come up from every deep ravine."[Al-Hajj (Pilgrimage): 26-27].

Abraham obeyed Allah as he built and purified this Home. Also, he called the people to it and let his offspring dwell at it. From this time, the Arabs were directed to the Home built by their grandfather Abraham. They worshipped Allah at it till Allah sent down the last of the Prophets and Messengers. However, the Arabs changed many of Hajj aspects, which were performed at the time of Abraham. They became polytheist and put the idols around the Ka'bah. Moreover, they resorted to them seeking their help and slaughtered sacrifices to them mentioning their names on these sacrifices. Thus, they invented traditions of Hajj according to their inclinations. They circumambulated around the Home naked, prevented themselves from eating meat and were satisfied with other types of food. Some of them disdained standing at Arafat, thinking that they are better than the other people, as they are responsible for the Ka'bah. They should not descend to the level of the public, even if at the situation of worshipping Allah, the Only and Omnipotent. Thus, they changed the rituals of Hajj. Islam came with the delegation of Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) to renew the religion of Abraham, restore its right worshipping. "Say, "Surely (as for) myself, my Lord has guided me to a straight Path, a religion (truly) upright, the creed of Abraham, (the) unswervingly upright, and in no way was he one of the associators." (Al-Anam (The Cattle): 161). "And in no way has (He) made for you (any) restriction in the religion, (being) the creed of your father Abraham. He is (The One) Who has named you Muslims earlier and in this (Book) that the Messenger may be a constant witness against you, and that you may be constant witnesses against mankind. So keep up the prayer, and bring Zakat and adhere firmly to Allah; He is your Patronizer; so how favorable is The Patronizer, and how favorable is The Ready Vindicator!" [Al-Hajj (Pilgrimage): 78]. "And whoever desirously shirks from the creed of Abraham except he who befools himself? And indeed We have already elected him in the present (life), and surely in the Hereafter he is indeed among the righteous." [Al-Baqarah (The Cow): 130]. Thus, Islam came to renew the religion of Abraham (May the peace of Allah be upon him). Allah regards it the true religion. It found the people performing the rituals of Hajj, but changing it. Islam left the people performing the rituals of Hajj at the beginning and Allah's Messenger limited his efforts to emphasize

"And it is a duty upon mankind towards Allah to come to the Home on pilgrimage, for whomever is able to make a way to it".

[Al-Imran (The Household of Imran): 97]

Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) mentioned that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) spoke to us saying, "O people, Hajj is imposed upon you. Al-Aqra' Ibn Habes said, Oh, the Messenger of Allah Is it imposed every year? The messenger of allah said: If I replied positively, it will be imposed every year, and you may not be able to do so. Hajj is imposed only once and many more Hajj is regarded volunteering."

Thus, Hajj is regarded an Islamic conference for organizing the political relations among the Islamic countries and forgiving the sins because the good deeds are doubled by hundred thousand folds, and the prayer in the Inviolable Mosque equals hundred thousand prayers in any mosque else.

Hajj is considered a high example of right democracy, equality, human's love to his brother, an opportunity for cooperation and sympathy, spiritual aspect that calls for calming and obliging the soul to obey Allah and sanctity of pure spirituality that Allah gives to the hajj. Moreover, it is a response for the invocation of Ibrahim (may the peace of Allah be upon him), when he was establishing the Home to be a safe place for the people.

"Our Lord, surely I have made (some) of my offspring to dwell in a valley that is not under cultivation at Your Inviolable Home, our Lord, that they may keep up the prayer. So make heart-sights of mankind yearn towards them and provide them with products, that possibly they would thank (You)".

[Ibrahim (Abraham): 37]

When the hajj is about to travel for Hajj, he should pray two prostrations in reverence, in the first of which he should read "Al-Fatehah" (The Opening), then "Al-kaferon" (The Disbelievers), and in the second, he should read "Al-Fatehah" (The Opening) then "Al-Ikhlas" (Faithfulness). Then, he should say after the prayer, "O Lord, You accompany us in traveling and succeed us in family, money and children. Lord, accompany us and succeed us in family". Then, he should say at the door of his house, "In the Name of Allah, I trust in Allah, you are the only ever-Powerful."

Hajj has times and rules that should be taken into consideration, as Allah, Glory be to Him, said:

"The pilgrimage is(in)months well-known".

[Al-Baqarah (The Cow): 197]

Some scholars said that the first ten days of Zul Hijja are the only days in the month that belong to Hajj months. There are not only times, but also places that Allah wanted **the visitors of His Home to enter, glorifying His sanctity and rituals.**

"that is (the Command), and whoever (constantly)magnifies the inviolable (rites) of **Allah, then it will be most charitable for him".**

[Al-Hajj(The Pilgrimage):30]

Thus, there is no preference in respect of parents. This idea is summed up by the honorable Hadith: "The whole people render to Adam, who was created from dust. No Arab is preferred to a non-Arab except by piety". Then, Allah divided the people into peoples and tribes, not to discriminate them, but to facilitate their acquaintance to each other. Acquaintance causes benefit, which should be for the whole people. If there is discrimination - which is natural -, it should be based on piety, upon which every good deed depends.

If the individual belongs to a family, to which he is tied and cooperates for the common benefit, the family belongs to a group, which belongs to a tribe. Every person feels the tie that pushes him to cooperate and raises his feeling for the group. Tribe belongs to a nation, which belongs to humanity as a big family. The individual feels for his family more than he does for his group, tribe, nation and the whole people because he is acquainted with his family more than his acquaintance with his group, tribe and so on.

His cooperation increases with the degree of his acquaintance; the more he gets acquainted, the more he cooperates. The wisdom of meeting people comes from this point. When he meets them, he gets acquainted with them; if gathering aims at a sublime goal, the acquaintance becomes honorable and cooperation becomes great. The wisdom for the call for Hajj comes from this point.

It is a big gathering surrounded by high sanctity at the shadow of sublime fraternity. The people gather around Allah's Home, feel His Graces and creations and perform his worshipping, getting rid of all of the aspects of life systems such as difference of clothes, social statuses and aspects of richness because they are tied one link and one idea that fills their souls. In this status, they get acquainted to each other and cooperate for common benefit.

Allah, be Glory to Him, assured the reason for this gathering since the first day. He said:

"That they may witness things profitable to them and mention the Name of Allah on days well-known over such brute cattle as He has provided them. So eat thereof, and feed the miserable poor".

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 28]

They gather to carry out the deeds causing their common benefit. This call comes from Allah to His bondsmen, who should realize it and understand its goal to reach its subsequent results. Every human being feels the meaning of his humanity and his participation in it, and realizes his duty towards himself, and the other human beings should obey this call as long as he is able to do so.

Thus, Al-Hajj is an obligation imposed on the competent person. Thus, the Muslim who performs Al-Hajj says, "We obey You, Our Lord," meaning that they heard His call, understand its goals and wisdoms, and we obey You realizing its benefits, thanks to You. You deserve Praise, and You own the graces and universe, with no other partner.

Thus, Al- Hajj is a call from Allah and response from the believers that leads to the most sublime rank of goodness. It is an aspect of fraternity without any aspect of arrogance. There is nothing to distinguish a king or a prince, and no money to man so, you can not distinguish the rich and the poor. Moreover, there is no prestige that raises a significant person over a minor. All the people wear non-sewn uniform, nothing is hidden from their bare bodies except what Allah wants to be hidden with a simple tissue.

There is no discrimination here, as all of the people obey one call, gather at one place and are tied by one feeling, they are no more than worshippers of Allah. They participate in one deed equally, in which they feel that Allah looks at their hearts. Thus, everyone tries to purify and fill his heart with goodness, which determines and raises the rank.

This gathering to which Allah calls and renders as an obligation on every competent believer is an assurance for human fraternity. It is the way to human acquaintance and cooperation as well as good, to which piety leads. What Allah wants from His worshippers is piety.

"Their meats will never attain pertain to Allah, nor their blood; but piety from you will reach Him".

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 37]

Allah does not utilize from the kinds of worshipping of people, as He does not need their worshipping, while the people are poor and need Him. The aim behind the previously-mentioned ideas is to emphasize the benefits that the people will gain. Allah loves His worshippers and loves well-being for them.

The one who performs good deeds loves Allah, and He loves the pious people.

"O Our Lord, we will obey You." Our souls hurry after Your call, and our hearts are eager to obey and meet Your call. The obstacles may hinder as much as the global spread of diseases and fear of its spread at the time of the Muslims' gathering. However, the souls are eager and the heart responds. You control good and nothing is hidden from You in heaven and earth.

O Our Lord, Your light diffuses darkness and Your mercy facilitated the obstacles. The path was closed and you opened it. The hearts were denying and You purified and brought hearts closer to each other. The people sympathize with each other.

The way for gathering goes on. O Lord, keep Your worshippers away from diseases and let them come back safely. Thus, The Hajj is the source of power for Muslims as it is practice of unity as well as response for Allah's call for visiting the Inviolable Home.

The power of the nation is not the only basis of its greatness and leadership in life, as many strong nations vanish when they neglect performing the obligations of Allah, conflict in opinions and struggle over the graces of life.

The nation derives its power and pioneering from its realization of the principles of its religion, along with its extreme care for following its principles. If it did so, its sons will unite, get rid of difficulties, becomes a strong nation really and the world regards it brilliant for its great deeds in different fields of life. Moreover, the citizens will be honorable and live a prosperous life.

Thus, the first thing that Islam cared for is reforming the Arabs' creed and abrogating their previous bad morals, deluding traditions and awful customs belonging to the pre-Islamic era. Thus, it imposed different kinds of worshipping such as prayers, which is in fact spiritual and physical sport as well as physical and hearty purity. The core of almsgiving is love, sympathy, mercy, cooperation and kindness.

Al-Hajj, which we are talking about, is the best kind of worshipping. Moreover, it is a trip, kind of culture and acquaintance that urges the Muslim to meditate at the scope seeing crescent after another and day after day. From the crescent of the month of purity and loftiness of spirit to the crescent of a month in its ninth day the Muslims gather from every place, praying and invocating to Allah, asking for His repentance and forgiveness. They come back home as pure as a newborn baby.

Then, they receive a crescent of a new Higri year. Then, one month follows another till the crescent of Zul Qi'da comes. Al-Hajj means visiting the Kaaba, the Inviolable Home to perform the rituals of Hajj. It is an obligation imposed on the adult, reasonable, healthy and competent Muslim either a male or a female once as Allah says:







ENGLISH SECTION

Nov. 2009

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The pilgrimage to the Inviolable House...!
(Al-Hajju Ila Baiti Allahi Al-Haram)
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Hajj to the Inviolable Home is a Divine obligation, which is as old as the building of Kaaba by the prophet Ibrahim and his son Ismail (May the peace of Allah be upon them). The Noble Quran recorded this event, as Allah the most High told Ibrahim:

"And announce to mankind the Pilgrimage: they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance); they shall definitely come up from every deep ravine".

[Hajj (Pilgrimage): 27]

This verse shows clearly the wisdom of Hajj and calling for it.

The people are gathered for Hajj to the Inviolable Home from every place for two reasons mentioned by the holy verse: to witness benefits for them, and to mention Allah's name and to praise Allah for His graces.

They gather in one place and for one idea: they are merely worshippers for Allah only and they are brothers who should cooperate for their common benefits. They should sympathize with each other and exchange the benefits that Allah gave to them.

The religion of Ibrahim is Islam, as the Noble Quran called it, saying:

"Being the creed of your father Ibrahim. He is (The One) Who has named you Muslims earlier".

[Hajj (Pilgrimage): 78]

Islam came with Mohammad to restore Ibrahim's religion. Also, it is a call for monotheism, to which the father of the Prophets called. The goals of Islam are clear and are summed up by the Quranic verse:

"O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant".

[Al-Hujrat (The Apartments): 13]

This Holy verse showed the aims of Islam, in addition to the aims of every religion of every Messenger. Also, it revealed the goals of every reformation movement that aims at the common benefit of the hole people, who are created by Allah who is the only God. Thus, there is not preference in respect of creation and no one can say that my god or my creation is better. The people as a whole are created by Allah. Thus, the speech is directed towards the people who are brothers by blood and lineage.

They are created from one male: Adam and one female: Eve (Hawa), whom Allah created from Adam. Allah, Glory be to Him, said:

{O you mankind, be pious to your Lord, Who created you of one self, and created from it its spouse, and from the two disseminated many men and women; and be pious to Allah, about Whom you ask one another; and to the wombs; surely Allah has been Ever-Watchful over you}

[An-Nisa (Women): 1]

الفهـــرس

● ثنائية الروح كما يراها العقاد (الافتتاحية)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ــــ ١٧١٢

● تفسير سورة النساء

للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ١٧١٧

● ما يكفي للمرء علما أن يخشى ربه

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي ــــ ١٧٢١

● هموم الأمة الإسلامية

للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندي - ١٧٢٦

● قصيدة العيد من وراء القرون

للشاعر الكبير / الأميري ــــــــــ ١٧٣٠

● وقفة مع الحاج في وقفة عرفات

للأستاذ / محمد مصطفى السيوطي ــــ ١٧٣٣

● خطبة الجمعة للإسلام في مناسك الحج

لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي ــــــ ١٧٣٦

● الاختلاط وضرورة الاحتياط

للأستاذ الدكتور / محمود عمارة ــــــ ١٧٤٠

● الأسرة والأبناء

للأستاذ الدكتور / محمد عمر هاشم ــــ ١٧٤٧

● أدب الاستئذان في دخول بيوت الآخرين

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف ــــــ ١٧٥٠

● العلاج من التطرف المعاصر

للدكتور / حمدي فتوح والي ــــــــ ١٧٥٥

● قصة العيد عابر العصور

للأديبة السورية / الصحفية وداد سكاكيني ــــ ١٧٦٠

● في حق الشيخ الغزالي (٦)

للأستاذ الدكتور / السيد أحمد فرج ــــ ١٧٦٤

● نحو فلسفة إسلامية معاصرة

للدكتور / محمد عثمان - ١٧٦٨

● كتاب الشعر الصهيونية والعنف (١)

عرض وتحليل ونقد : أ.د/ إبراهيم عوضين ١٧٧٦

● التفاعل الإيجابي بين حضارة الإسلام والغرب

للأستاذ / عاطف مصطفى ــــــــ ١٧٨٢

● طرائف ومواقف

للشيخ / عبد الحافظ محمد عبد الحليم ــــ ١٧٨٦

● دور الفقه الإسلامي في إحياء الضمير الجمعي

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي ــــــ ١٧٨٩

● احتفالية جمهورية طاجيكستان

بذكرى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ١٧٩٠

● سينما ... ومؤتمر

للأستاذ / عادل حجاجة ١٧٩٢

● كلمة فخامة الرئيس إمام علي رحمان ــــــ ١٧٩٦

● كلمة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ١٨٠٨

● الحيل الشرعية عند الإمام أبي حنيفة

لفضيلة الشيخ / علي عبد الباقي ــــــ ١٨١٦

● عبر وعظات من غزوة خيبر

لفضيلة الشيخ / عمر الديب ــــــ ١٨٣٩

● مشكلات الشباب وحلول مقترحة

للشيخ / محمود سويلم ــــــ ١٨٤٣

● بين الصحف والمجلات

للأستاذين / محمد جمعة - علا عبد الرحمن ــ ١٨٤٩

● الأطماع الإسرائيلية في مياه النيل

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد ــــ ١٨٥١

● أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ / أحمد إبراهيم توفيق ــــــ ١٨٥٥

● أنباء العالم الإسلامي

للأستاذين / محمود القشني - أحمد رضوان ــ ١٨٦٠

● أنباء مجمع البحوث الإسلامية

للأستاذين / عبد الموجود صبحي - يحيى سلطان ــ ١٨٦٤

● القسم الإنجليزي

إعداد وإشراف : أ.د/ إبراهيم الأصيل ــــ ١٨٧٧


AL AZHAR





الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

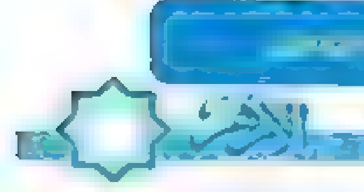
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا امريكيا

أوربا وامريكا ٨٥ دولارا امريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا امريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت.. ٥٧٨٦١١ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م.نصر

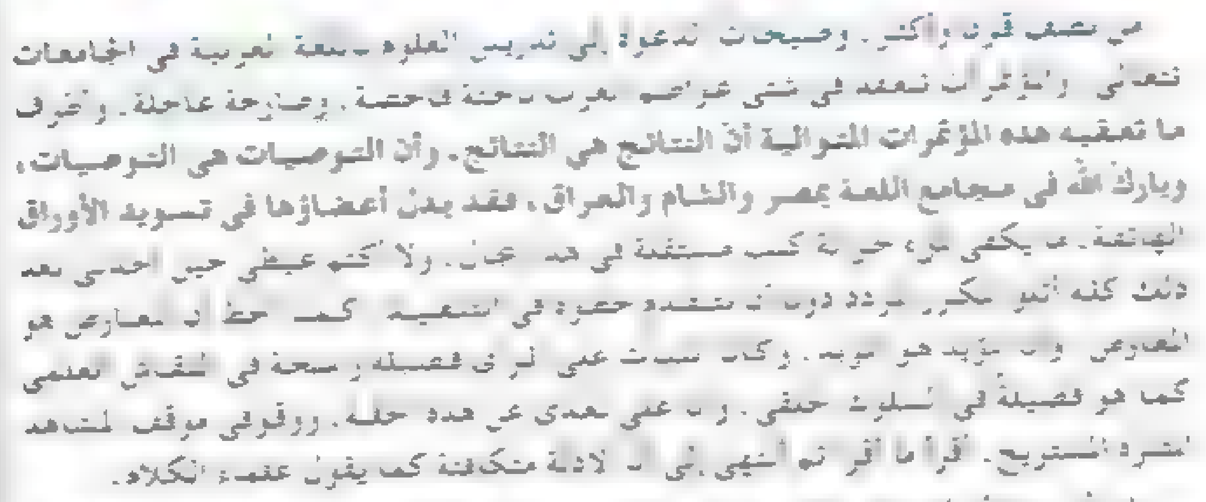
☎ ت: ٢٦٢٨٥٩٩



افتتاحية العدد

من جحيم الواقع

الجامعيون واللغة العامية !



منذ نصف قرن وأكثر، وصيحات الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية في الجامعات تتعالى، والمؤتمرات تنعقد في شتى عواصم العرب داعية ناصحة، ومعارضة عاجلة. والطريف ما تعقبه هذه المؤتمرات المتوالية أن النتائج هي النتائج، وأن التوصيات هي التوصيات، وبارك الله في مجامع اللغة بمصر والشام والعراق، فقد بذل أعضاؤها في تسويد الأوراق المتتابعة ما يكفي لإخراج كتب مستفيضة في هذا المجال. ولا أكتم عجبي حين أجد بعد ذلك كله أنني مكرر مردد دون أن أتقدم خطوة في القضية، كما أجد أن المعارض هو المعارض وأن المؤيد هو المؤيد. وكان الأحداث عجلى لا ترى فضيلة واسعة في النقاش العلمي كما هو فضيلة في أسلوب حقيقي. وأنا على تحدٍّ عن هذه الحلقة، ووقوفي موقف المشاهد المشرد المستريح. أقرأ ما أقرأ ثم أنتهي إلى أن الأدلة متكافئة كما يقول علماء الكلام.

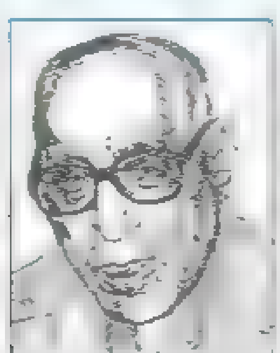
على أني هنا أترك جانب التعريب في العلوم جانبًا لأنتقل إلى جانب مهم لم يبد أدنى التفات من هؤلاء المتحمسين ذوي الغيرة الصحيحة. هذا الجانب هو تدريس المواد الإنسانية في كليات اللغة والآداب والحقوق والتربية وما إليها. فالأستاذ يتم تدريس هذه المواد باللغة العربية حتى يستريح إلى أصالتها في هذه الكليات، وأن تدريس مواد التاريخ والجغرافيا وعلم النفس والتربية وتاريخ الأدب في أحيان كثيرة، يكون باللغة العامية متخذًا، لغة المذكرات تكتب باللغة العربية وأسئلة الامتحان توضع باللغة العربية والإجابة تكون مزيجا بين العامية والعربية، هذا هو المشاهد الملموس. ولكن نشاهد الملموس أيضًا أن ثمانين في المائة من أساتذة هذه المواد لا يحسنون اللغة العربية، ولا يستطيعون المحاضرة بها على وجه يذكرنا بالقدماء من أساتذة الجامعة العريقة. وإن يلحظون ما يوزعونه على الطلاب من مذكرات ركيكة الأسلوب في الأعم الأغلب لا تقرؤه متحسرين، يلحنونه باللغة العامية التي لا تملك من الألفاظ ما تعبر به عن المعاني الأدبية، فتكون النتيجة من الناحية العلمية أن يخرج المستمع بعد فترة قصيرة من مرحلة المذكرة يلمس فجوة في التعبير بين ما يسمع وما يقرأ. فما بال الذين يسكتون عن عجز الأساتذة عن الحديث باللغة العربية في المواد الإنسانية، ويثيرون الضجيج حول تعريب العلوم في الكليات العلمية؛ لتكون اللغة العربية شرعًا محسوبًا على طلاب الطب والهندسة والصيدلة والعلوم. لتنعقد لها المؤتمرات وتدور الأبحاث والاجتماعات، ثم لا يلتفت أحدٌ من هؤلاء المتحمسين الغُيُر إلى اللغة العامية التي تدرس بها المواد في كليات الاقتصاد والآداب والتربية والحقوق، فنبحث في جدٍّ كيف نخرج الطالب المستطيع أن يتحدث باللغة العربية في قاعة المحاضرات. ولعلهم يحتجون بأن القائمين على مرحلة الجامعات يعرفون ذلك. ولا يبدون أدنى اعتراض على هذا الاتجاه الشائن. بل فيهم من يشارك فيه لأنه كان يتحدث بالعامية دون احتفال بنقد أو توجيه!



العقاد — مرشد خاطر

والحقيقة التي يجب أن نلتفت إليها هي أن اللغة والفكر متلازمان، ولن يستطيع متكلم أن يندفع في محاضرته إلا إذا كان ذهنه مليئا بالمعاني التي يريد أن يعبر عنها، فتتزاحم المعاني وحينئذ تتسهّل مهمة المحاضر، ويسعفه بما يريد من الألفاظ، ونحن نسمع كثيرًا كلمات قيمة لأفاضل من رجال السياسة والاقتصاد والاجتماع لم ينالوا من الدراسة اللغوية غير ما حصلوه في المدارس الثانوية، ولكنهم لامتلائهم بالأفكار الحيّة، يفيضون في الحديث دون تلجلج، وينتقلون من عنصر إلى عنصر وفق ترتيب عقلي هداهم إليه تفكيرهم المنظم، حتى تعد أحاديثهم خطبًا حيّة، وحافظ عتيقي وعلى الشمسي ضربا من الأسلوب العلمي الدقيق. فإذا تساءلنا عن إخفاق الأستاذ الجامعي في أدائه التعبيري، فلابد أن نجعل من أسبابه المباشرة عدم التعمق في المادة، والإلمام بعناصرها المتسلسلة، وافتقاده المسئولية الدقيقة التي نيطت به يوم عُيّن مدرسًا، وقد رأى الجو الجامعي الذي يعيش فيه، لا يحاسب المقصر على تقصيره. فلم يعن بإعداد الدرس على وجهه الصحيح، واكتفى بتعبير عاميّ لما دوّنه في مذكرته للطلاب، وعرف الطلاب ذلك عنه، فانصرفوا عما يقول، بل إن بعضهم يغني المدرس عن المذكرة التي أوراقها بين أيدي الطلاب، وكأنهم في حاجة إلى من يقرأ لهم، لا في حاجة إلى من يشرح ويكشف، ويحلل ويعلل. وفيهم من يحضر معه كراسة فيها ملخص لأبواب المذكرة، ويكتفي بإملائه على الطلاب، والمسئول الحق هو عدم فائدة المذكرة، إذ كان الأستاذ يوجز ما سيلقيه فيما سبقه، إذ المذكرة يرجع إليه وحده في ساعة الوقت. ومراء الفراغ دون خصب

لقد بدأ هذا الداء العياء ينتشر لدينا منذ نصف قرن، وقد بدأ على نحو هين لم يؤذن بأعراضه، لأن الكليات كانت محدودة العدد، وكان اختيار أعضاء التدريس بها يخضع لمعيار أدق وأجدى، والأساتذة الكبار لا يزالون يشغلون مقاعد التدريس، وبهم رهبة يرتعد لها من لم يكن أهلا للتدريس، ثم تعددت الجامعات في كل مناحي القطر، وامتلأ الفراغ بمن يصلح ومن لا يصلح، وسرت الآفة متدرجة من سيئ إلى الأسوأ حتى جاء عقد الثمانينيات في عهد [illegible] على وجهها النكير، فعقد اتحاد الجامعات العربية في سنة ١٩٨٠ ندوة تربوية كان من بين موضوعاتها تأهيل أعضاء التدريس وتمكينهم من القيام بأعباء التدريس باللغة العربية، وفي هذا الموضوع صراحة كاوية، لأنه ظهر عجز الفئة المحاضرة للطلاب عن الإفصاح بلغته القومية عما يريد. وقد ألقي بحث في مؤتمر عام، فلم يجد من يلحظ [illegible] يتكرر [illegible] لأنهم يرتكبونها ويحاولون تبريرها بتبسيط المسائل للطلاب، كأن الطلاب لا يقرءون جرائدهم اليومية، ولا يستمعون إلى الإذاعات مرئية ومسموعة، وحتى تنطق باللغة الفصيحة، فيأتي يقرأ العامل والتاجر والفلاح والطالب في المدرسة الإعدادية والطالب في التعليم المتوسط، يقرأ هؤلاء الكلام الفصيح في جرائدهم ويسمعونه في الإذاعة، فيصل إلى أفهامهم، ويساهمون في مضمونه بعد أن يستوعبوه. ثم أين من يقول: إن التحدث بالعامية في التدريس الجامعي لتسهيل التعبير على الطلاب [illegible] إن واعظا دينيا قد خطب في مسجد من مساجد العامة في أقصى الصعيد أو في أدنى الريف سقطت هيبته لدى جمهوره الساذج، وعدّه مفوها دخيلا على الوعظ، وشكوه إلى المسئولين، وقد [illegible] بتلاوة كتاب الله وحديث الرسول ﷺ حتى يعرضهم باللفظ الشائه؟ أفيكون هؤلاء جميعا فوق طلاب الجامعة إدراكا حتى نتعلل بالتبسيط والتيسير؟! وقد جاء في مقال بمجلة نشرتها مجلة اتحاد الجامعات العربية: إن الجامعات العريقة في البلاد المتقدمة تشترط في عضو التدريس أن يجتاز امتحانا ذا مستوى معين في اللغة القومية التي يدرس بها بحيث يكون أداؤه سليما متميزا، وإذا لم يتح له ذلك، فلابد أن يتأخر تعيينه حتى يتسلح بمعرفة لغته القومية معرفة وأسلوبا، فإذا كانت الجامعات العريقة تشترط إجادة اللغة القومية، وتضع امتحانا دقيقا لمن يتأهل للتعيين مدرسا بها في شتى فروع العلم بكليات الجامعة، وإذا كنا نرسل البعثات لتفيد من خبرات هذه الجامعات المتقدمة، فلم لا يكون من فائدتنا من هذه الخبرات أن ننقل عنها نظام الامتحان الدقيق في اللغة أسلوبا وإعرابا لنحدد على ضوئه من يصلحون للأداء التعبيري في قاعات المحاضرات، بل إن في هذه الجامعات دروسا خاصة باللغة القومية في كل كلية من الكليات نظرية أو عملية، ولها امتحاناتها التي تظهر مقدرة الطالب في استيعاب قواعد هذه اللغة، وأنا أذكر أننا في عهد التلمذة العلمي السالف كنا نتجه هذا الاتجاه، فالأستاذ الكبير عبدالوهاب حمودة كان أستاذا للمحاضرة في اللغة العربية للطلاب بكلية الحقوق، ومدرسة


زكي نجيب محمود

المعلمين العليا التي كان من شأنها أن تُخرّج أساتذة المدارس في غير مواد اللغة العربية، كانت تُدرِّس الأدب والنصوص في سنوات متعاقبة، أقول ذلك لأن الأديب الكبير الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني ذكر في بعض مقالاته أنه كاد يرسب في امتحان اللغة العربية الشفوي بهذه المدرسة، حين كان الشيخ حمزة فتح الله رئيسا للجنة الامتحان ووجه إليه من دقائق علم الصرف ما أزعجه، لولا أن عضو اللجنة الشيخ عبدالعزيز جاويش أخذ ييسّر جهة الإجابة للطالب المحرج! فإذا رأينا مدرسة المعلمين العليا أخرجت من كبار الكُتّاب أمثال إبراهيم المازني وعبدالرحمن شكري ومحمد فريد أبوحديد وعبدالحميد العبادي وزكي نجيب محمود وفخري أبو السعود، إلى آخر من لا أستطيع إحصاء أسمائهم الكثيرة المضيئة، فلأن المدرسة جعلت اللغة القومية ذات حظ موفور! مع وجود مدرسة دار العلوم العليا التي تخرج مدرس اللغة العربية المتخصص!

لقد صار عجز الأستاذ عن إلقاء موضوعه باللغة العربية مثلا سيئا للطالب، فقد التحق بالكلية النظرية - ولا أقول العلمية - وهو يطمح أن يسمع أستاذ التاريخ أو التربية أو الجغرافيا أو الاجتماع بحرا زاخرا يفيض عليه ما كان يشوقه حياته من بيان، ثم فوجئ أخيرا فوجد فأرا، حين رأى المدرس يرسل كلمات مبتورة في سياق عامي، ويكرر عبارات هذا الغموض هنا. وإن المذكرة المتآكلة هي كل عماد المحاضرة، ولدي بعض المذكرات التي تمنعني من نقل نصوص لأن بعض هؤلاء يذكرون في ختام مذكراتهم مراجع ضخمة توحي بأنهم درسوا أمهاتها في أعقد كتب الفلسفة والتاريخ والاجتماع، ولو قرأ هؤلاء بعض هذه المراجع لامتلأت عقولهم بما يجدي الطلاب، لأن القراءة الجادة تساعد على التدقيق العلمي، وتحمي الأفكار على الخضوع للسائد. وقد يحتمل المدرس قليلا في بعض مسائل اللغة والنحو فلا يوجد [illegible] لأن تدقيق المعنى، والحماس للشرح التحليلي يرتفع به فوق ما يجده للغلطة، ولكن أي تقدير يناله من يلحظ مذكرة مبتورة الأسلوب عامية الكلمات، ثم يحمل حقيبته ويمضي!

ونترك الكلام عن الحديث بالعامية قليلا إلى ناحية أخرى تساعد على ضحولة الأستاذ، وضيق أفقه، وبتعدد [illegible] لقول [illegible] هذه الناحية هي جهله أو عجزه عما يبعد عن تخصصه، فهو يحصر نفسه في المادة التي يدرسها، وقد يستطرد الحديث المتفرع إلى بعض نواحي الثقافة العامة كما هو منتظر في سوق بعض من علم، ووقوع حوادث يشغل الأذهان ويتجمع الطلاب سائلين عن الأسباب والدواعي، فيتحير عاجزا عن [illegible] ما يتصل من مكانته، ويرتفع ثقة تلاميذه به، وهي ناحية ليست مقصورة على رجال الجامعة وحدهم، بل يكاد يشترك كثير من خريجي [illegible] ولو [illegible] هؤلاء



يقول الدكتور محمد مندور من مقال نقدي جيد نشره تحت عنوان «أمية المتعلمين»:



طه حسين

«إن ضعف الثقافة العامة شديد الصلة بالتعليم والثقافة المهنية على السواء، ونقصد بالثقافة العامة كافة فروع المعرفة الأدبية والتاريخية والفلسفية، التي لا تتصل بمهنة، ولا تؤدي إلى استغلال مهني مباشر، وفي هذه الظاهرة نرى في بلادنا ما يفزع حتى لنحسب أننا في أرض لم تتسرب إليها بعد معاني الحضارة الحقيقية، ففي أوروبا مثلا من المستحيل أن تلتقي بموظف أو طبيب أو مهندس أو محام يجهل مؤلفات الكثير من الأدباء والفلاسفة والمؤرخين، وأما في مصر فمن المستحيل أن تلتقي من بين هؤلاء [illegible] من يعرف [illegible] في غير [illegible] لا حكم له [illegible] أن ترى [illegible] لا يستحيون من جهلهم، بل يتظاهرون من عدم الاكتراث بهذه الثقافة ما يحزن».

لقد افترض الدكتور مندور [illegible] أو الطبيب أو المحامي [illegible] يحملون ثقافة ومعرفة، وهؤلاء قد وقفت معارفهم عند درجتي الليسانس والبكالوريوس، أما الأستاذ الجامعي فقد اتسعت ثقافته بعد ذلك ونال درجتي الماجستير والدكتوراه، ومع ذلك [illegible] لم يتغير! [illegible] كما كنا نشهد في الأربعينات، حيث يدعى أساتذة الفكر من أمثال منصور فهمي، وطه حسين، وزكي مبارك، والعقاد، وعبد الرحمن [illegible] إلى محاضرات [illegible] جامعة [illegible] معارف [illegible] والمحاضرات الأدبية في هذه [illegible] حافلة تظهر [illegible] الجامعي [illegible] هذه المحاضرات العامة [illegible] فكرة [illegible] عن الثقافة الصحيحة، [illegible] لا يحسنون الإلقاء العلمي، ويتحدثون إلى العامية المبتذلة في [illegible] العامة [illegible] حيث لا يستطيعون [illegible] جهدهم في تعلم اللغة العربية من جديد!

وقد ذكر مثلا [illegible] حدثني عنه الأديب الكبير الأستاذ محمد بهجت الأثري - رحمه الله - أحد أعضاء المجامع العربية في مصر والشام والعراق وهو من [illegible] العلمي [illegible] سنة ١٩٣٩، وقد [illegible] الدكتور عبد الرزاق السنهوري عميد كلية الحقوق العراقية [illegible] في الصحف عن محاضرة عامة [illegible] الأستاذ [illegible] من قبل

محاضرات رائعة لأساتذة كبار من المصريين أمثال الدكتور عبد الوهاب عزام، في محاضرته عن بداوة المتنبي، والأستاذ أحمد حسن الزيات في محاضرته عن كتاب ألف ليلة وليلة، فأعجبنا بالأديبين الكبيرين كل الإعجاب، وقلنا ما عسى أن يقول أستاذ القانون المدني في محاضرة عامة، وتخصصه محدود؟ ولكن حب الاستطلاع دفعنا إلى سماع المحاضرة، وكانت التيارات الفكرية في البلاد تتحدث عن المذاهب السياسية في أوروبا حديثا صحفيا لا يرتكز على أصول علمية دقيقة، فاختار الزائر الكبير محاضرته في موضوع «النهضات القومية العامة في أوروبا والشرق» وهو موضوع صادف موقعه في النفوس. ثم بدأ حديثه المستفيض [illegible] في ورقة صغيرة، [illegible] فتحدث عن الصراع الأوروبي [illegible] ثم [illegible] المعاصرة من سياسية وصناعية واجتماعية. ثم ثنى بالحديث عن الاشتراكية الروسية، ووجهت له أسئلة شتى [illegible] في الإجابة عنها [illegible] فتحدث عن [illegible] والفاشية [illegible] تعريفا دقيقا لم يكن معهودا. وتوالت الأسئلة فأجاب عنها [illegible] وأدهش. [illegible] الديمقراطية في فرنسا وإنجلترا وأمريكا، [illegible] وفي كل محاضرة يزداد عدد الحاضرين حتى [illegible] العاصمة الكبرى في بغداد، وهو [illegible] للمفكرين في بلد الرشيد. وكانت الأيام الثلاثة عيدا ثقافيا [illegible] حتى قال الأستاذ طه الراوي مدير التعليم حينئذ في تعقيبه [illegible] إن مصر التي أنجبت أحمد شوقي [illegible] أمثال عبد الرزاق السنهوري فيما هو أستاذ القانون المدني الذي اتسعت ثقافته فشملت ما يتصل بالعالم العربي من تيارات [illegible] فلم تقتصر الأستاذ على تخصصه. ودعي للمحاضرة في موضوع حدده [illegible] على الأمر [illegible] الاعتذار [illegible] هو المنفذ الوحيد لأمثاله!. وكيف وهو السنهوري؟!».

أرأني حين أتحدث عن ضرورة الثقافة العامة للأستاذ الجامعي أتحدث عن بدهيات كان الواجب [illegible] ولكن الواقع [illegible] اعترافات [illegible] لا مناص من تسطيرها، وآخر الدواء الكي كما يقال.

وندع جانب الإلقاء العامي في المدرجات إلى جانب شبيه به، ومتصل به أكبر الاتصال، هذا الجانب هو الحديث المتداول بين الأساتذة في اجتماعاتهم الرسمية وغير الرسمية، وليس من الضروري أن يكون الحديث في هذه الاجتماعات باللغة العربية، فهذا ما لا يطيقه غير أستاذ كبير كالدكتور طه حسين كان يحرص عليه [illegible] ومؤكد [illegible] مخارج الحروف، ودقة [illegible] الموسيقى، إنما الضروري أن يكون مستوى التفكير فيه راقيا





بحيث يشعر السامع أنه ليس في مقهى يجمع مختلف الطوائف الشعبية. ولكن المشاهد الملموس أن أحاديث هؤلاء الكبار رسميا لا يرقى إلى المستوى المنشود، فقد يدور الكلام حول موضوع سياسي يشغل الناس، وتفيض في تحليله الصحف والإذاعات، ثم تستمع إلى ما يقوله القوم، فلا تجد غير ما يردده رجال الشارع، لأنهم لا يقرءون ولا يفترقون في اهتماماتهم اليومية عن العامة في شيء! وأعود فأقول إني لا أنكر وجود طائفة من [illegible] بين [illegible] في كليات [illegible] في مختلف نواحي القطر. وهؤلاء الممتازون لم يأت امتيازهم عن طريق الجامعة المعاصرة، بل عن أصالة دقيقة وجدت جذورها في البيت [illegible] جعلتهم [illegible]. ولست أعني أنهم نشأوا في مهد الشرف المادي [illegible] في مهد الشرف الثقافي [illegible] عليهم ما [illegible] بين الزملاء، هذه المكانة التي جعلتهم موضع حظوة. وفي الوقت نفسه جعلتهم موضع الاستثناء الذي لا يقاس عليه بحال!

عبدالله نديم

الأفغاني

ولا أدري أين قرأت أن جمال الدين الأفغاني هو الذي أوجد السمر الثقافي في مصر بعهده [illegible]. فقد كان مجلسه [illegible] حافلا بالتوجيه الثقافي والسياسي. وقد تتلمذ على يديه نفر من الفضلاء يجيدون الحديث [illegible] يحسدون عليها، منهم محمد عبده، وسعد زغلول، وإبراهيم الهلباوي، وأديب إسحق، وعبدالله نديم. فهؤلاء في مجالسهم يرتفعون بالسامعين إلى الذروة، ويخيل إلى أن نبوغ سعد زغلول في الحديث كان السبب في نبوغه الخطابي [illegible]، ونبوغ [illegible]. [illegible] من سمات سعد [illegible] سعد [illegible]. ولكني قرأت [illegible] من خطبه [illegible]. وقرأت ما كتبه الأستاذ عبدالعزيز البشري - رحمه الله - عن مجالسه ونقاشه في أحاديث السمر، حيث [illegible] عن سعد [illegible] الأنس [illegible] من عشر سنين [illegible] مستشارا في محكمة الاستئناف معروفا بشدة الحذق في صناعة الفقه، [illegible] الرجل فيه على رأي يرجحه سعد، [illegible] إلى غيره، حتى [illegible] أنه تمكن من [illegible] (عشه) ثار عليه سعد [illegible] من رأي إلى رأي، ويحوله من قول إلى قول، حتى [illegible] الرجل [illegible] ولا [illegible] فيه [illegible]. [illegible] البشري [illegible] في تعليقه [illegible] عن ذكره. فليرجع إليه القارئ في كتاب «المرآة».

وإذا كان من ذكرت من تلاميذ الأفغاني قد وجدوا قبل نشأة الجامعة، فهم غير جامعيين بطبيعة الحال. فإننا نعرف من كبار الأساتذة في الجامعة من رزقوا حظوة الحديث الراقي [illegible] على [illegible]. ولا يرى تلاميذهم يرددون [illegible] عن [illegible] الحاضرة، [illegible]. وأذكر أن الأستاذ محمد أبوزهرة وقد كان تلميذا للأستاذ عبدالوهاب خلاف ثم زميلا له في كلية الحقوق تحدث عن ناحيتين [illegible] في هذا المقال، ناحية الإلقاء، وناحية الحديث. فعن الإلقاء [illegible] ذكر الأستاذ أبوزهرة أن الأستاذ عبدالوهاب خلاف كان [illegible] وحده في إلقاء محاضراته، يستمع إليه السامع فلا يحس تكلفا، ولكنه يحس رنة عذبة عميقة، [illegible] في النفس، ويحس في نغماته الإلقائية تصويرا للمعاني من غير أن يحس أن المتكلم غيّر أو بدّل في صوته، ثم يقول أبوزهرة:

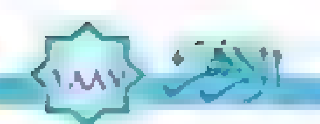
«إن أحاديثه الأخوية في مجالس السمر، [illegible] من السحر، أفق واسع، وعلم فياض، [illegible] وشجونه، حتى إن المستمعين إليه في أحاديثه الخاصة يصيغون بكل من يتكلم ويسمعه من [illegible]. وأشهد أني ما سمعت في [illegible] أظرف حديثا، ولا أملك لعنان الحديث. [illegible] من الأستاذ خلاف، وكان الحديث خلوا في [illegible] في ذاته، إذ يثير عقله [illegible] فيجمع به [illegible] المعاني في لفظ كأنه السلسل العذب».

ونحن لا نطمع في أساتذة اليوم أن يبلغوا مبلغ أساتذة الأمس، ولكننا نحارب هذه الأمية [illegible] بين المعاصرين، نحارب من لا يستطيع أن يتكلم باللغة العربية في موضوع علمي وهو أستاذ!

قد ينتهي بعض الفضلاء بالمعالاة فيما أكتب، ولكن الواقع لدي هو يغني عن كل مغالاة، فإذا حاولت أن أعيد للأستاذ الجامعة كرامته بين الناس على وجه عام، وبين الطلاب على وجه خاص، فإنما أسير في الطريق السوي، وإلا فكيف أقنع الطالب باحترام أستاذ لا يستطيع أن يبين عن ذات نفسه إلا بلغة [illegible] ثم هو بعد ذلك يرهق تلميذه بثمن [illegible] مذكرة [illegible] شكلا وموضوعا، وتجيء ثالثة الأثافي حين يجبره إجبارا على درس خصوصي يحتاج إلى مورد ضخم لا يقدر عليه [illegible] أولاد في الجامعة وكلهم مصدر [illegible] الأستاذ مرموق [illegible]. ثم [illegible] والتلميذ [illegible] هذه هي الحقيقة؟ أنقولها أم نخفي رءوسنا في الرمال؟

شكوتُ ومــا الشكوى لمثلي عــادةً
ولكن تفيض الكأسُ عند امتلائها

د./ محمد رجب البيومي



تفسير سورة النساء

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(الآية ١٩)

قال القرطبى عند تفسيره للآية اختلفت الروايات وأقوال المفسرين فى سبب نزولها، فروى البخارى عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾

وقال الزهرى وأبو مجلز: كان من عادتهم إذا مات الرجل يلقى ابنه من غيرها أو أقرب عصبة ثوبه على المرأة فيصير أحق بها من نفسها ومن أوليائها، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الذى أصدقها الميت، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئا، وإن شاء عضلها لتفتدى منه بما ورثته من الميت أو تموت فيرثها، فأنزل الله هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾

وقيل: كان يكون عند الرجل عجوز ونفسه تتوق إلى الشابة فيكره فراق العجوز لمالها فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدى منه بمالها أو تموت فيرث مالها فنزلت هذه الآية.

ثم قال القرطبى: والمقصود من الآية إذهاب ما كانوا عليه فى جاهليتهم، وألا تجعل النساء كالمال يورثن عن الرجال كما يورث المال[1].

وهناك روايات أخرى فى سبب نزول هذه الآية ساقها ابن جرير وابن كثير وغيرهما، وهى قريبة فى معناها، مما أورده القرطبى، لذا اكتفينا بما ساقه القرطبى.

وكلمة ﴿ كَرْهًا ﴾ قرأها حمزة والكسائى بضم الكاف، وقرأها الباقون بفتحها قال الكسائى: وهما لغتان بمعنى واحد، وقال الفراء: الكره- بفتح الكاف- بمعنى الإكراه وبالضم بمعنى المشقة. فما أكره عليه الإنسان هو كره- بالفتح- وما كان من جهة نفسه فهو كره- بالضم.

والمعنى: يأيها الذين آمنوا وصدقوا بالحق الذى جاءهم من عند الله، لا يحل لكم أن تأخذوا نساء موتاكم بطريق الإرث وهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه، لأن هذا الفعل من أفعال الجاهلية التى حرمها الإسلام لما فيها من ظلم للمرأة وإهانة لكرامتها.

وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: «كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا، ويظلمونهن بأنواع من الظلم، فزجروا عن ذلك. فقيل:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾

أى: أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات»[2].

وقد وجه- سبحانه- النداء إلى المؤمنين فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

ليعم الخطاب جميع الأمة، فيأخذ كل مكلف فيها بحظه منه سواء أكان هذا المكلف من أولياء المرأة أم من الأزواج أم من الحكام أم من غيرهم.

وفى مخاطبتهم بصفة الإيمان تحريك لحرارة العقيدة فى قلوبهم، وتحريض لهم على الاستجابة إلى مايقتضيه الإيمان من طاعة لشريعة الله- تعالى-:

وصيغة ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ ﴾ صيغة تحريم صريح، لأن الحل هو الإباحة فى لسان العرب ولسان الشريعة، فنفيه يرادف معنى التحريم.

وليس النهى فى قوله:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾

١- تفسير القرطبى جـ٥ ص ٩٤

٢- تفسير الكشاف جـ١ ص ٤٩٠

متصبا على إرث أموالهن كما هو المعتاد، وإنما النهى منصب على إرث المرأة ذاتها كما كانوا يفعلون في الجاهلية، إذ كانوا يجعلون ذات المرأة كالمال فيرثونها من قريبهم كما يرثون ماله.

وقوله «كرها» مصدر منصوب على أنه حال من النساء، أى حال كونهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه.

والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه، لأن تخصيص الشيء بالذكر لايدل على نفى ما عداه، كما في قوله- تعالى-:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾.

وقوله:

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾.

نهى آخر عن بعض الأعمال السيئة التي كان أهل الجاهلية يعاملون بها المرأة، وهو معطوف على قوله:

﴿ أَن تَرِثُوا۟ ﴾ وأعيد حرف «لا» للتوكيد.

أى: لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها، ولايحل لكم أن تعضلوهن.

وأصل العضل: التضييق والحبس والمنع، يقال: عضلت الناقة بولدها، إذ نشب في بطنها وتعسر عليه الخروج، وأعضل به الأمر إذا اشتد وتعسر.

والمراد به هنا: منع المرأة من الزواج والتضييق عليها في ذلك، سواء أكان هذا المنع والتضييق من الزوج أم من غيره.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قوله- تعالى-: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾.

يقول: ولا تقهروهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن، يعنى الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر، فيؤذيها لتفتدى- أى: لتفتدى نفسها منه بأن تترك له مالها عليه من مهر أو مال[3].

وقيل: كان أولياء الميت يمنعون زوجته من التزوج بمن شاءت، ويتركونها على ذلك حتى تدفع لهم ما أحدث من ميراث الميت، أو حتى تموت فيرثوها.

والمعنى: لايحل لكم- أيها المؤمنون- أن ترثوا النساء كرها، ولا أن تمنعوهن من الزواج.

﴿ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾

من الصداق أو غيره، بأن يدفعن إليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن، فإن هذا العمل يبغضه الله- تعالى-:

ويبدو لنا من سياق الآية أن النهى عن عضل المرأة هنا- وإن كان يتناول جميع المكلفين- إلا أن المعنى به الأزواج ابتداء، لأنهم- في الغالب- هم الذين كانوا يفعلون ذلك.

ولذا قال ابن جرير- بعد أن ذكر الأقوال في المعنى بالخطاب في قوله:

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ «وأولى الأقوال التى ذكرناها بالصحة في تأويل قوله:

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ قول من قال: «نهى الله زوج المرأة عن التضييق عليها، والإضرار بها، وهو لصحبتها كاره ولفراقها محب. لتفتدى منه ببعض ما آتاها من الصداق.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة، لأن لا سبيل لأحد إلى عضل المرأة إلا لأحد رجلين: إما لزوجها بالتضييق عليها.. ليأخذ منها ما آتاها.. أو لوليها الذى إليه إنكاحها. ولما كان الولى معلوما أنه ليس لمن آتاها شيئا، كان معلوما أن الذى عنى الله- تعالى- بنهيه عن عضلها هو زوجها الذى له السبيل إلى عضلها ضرارا لتفتدى منه»[4]

والاستثناء في قوله:

﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾.

متصل من أعم العلل والأسباب، أى لاتعضلوهن لعلة من العلل أو لسبب من الأسباب إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، لسوء أخلاقهن، وكاشفة عن أحوالهن، كالزنا والنشوز، وسوء الخلق، وإيذاء الزوج أهله بالبذاء وفحش القول ونحوه، فلكم العذر في هذه الأحوال في طلب الخلع منهن، وأخذ ما آتيتموهن من المهر لوجود السبب من جهتهن لا من جهتكم.

والأصل في هذا الحكم قوله- تعالى-:

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾.

(البقرة ٢٢٩)

ويرى بعضهم أن الاستثناء هنا منقطع فيكون المعنى: ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن، لكن إن يأتين بفاحشة مبينة يحل لكم أخذ المهر الذى آتيتموهن إياه أو أخذ بعضه.

ثم أمر الله- تعالى- الرجال- وخصوصا الأزواج- بحسن معاشرة النساء فقال:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

والمعاشرة: مفاعلة من العشرة وهى المخالطة والمصاحبة.

أى: وصاحبوهن وعاملوهن بالمعروف، أى بما حض عليه الشرع وارتضاه العقل من الأفعال الحميدة، والأقوال الحسنة.



قال ابن كثير: قوله- تعالى-:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

أى: طيبوا أقوالكم لهن. وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت مثله، كما قال -تعالى-:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

وقال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتطلف بهم، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين- رضى الله عنها- يتودد إليها بذلك.

قالت: سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقنى، فقال: هذه بتلك، وكان ﷺ يجمع نساءه كل ليلة فى بيت التى يبيت عندها فيأكل معهن العشاء فى بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه فى شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار.

وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهن بذلك صلى الله عليه وسلم

وقد قال- تعالى-:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(*).

هذا، وللإمام الغزالى كلام حسن فى كتابه الإحياء عند حديثه عن آداب معاشرة النساء، فقد قال ما ملخصه: ومن آداب المعاشرة حسن الخلق معهن، واحتمال الأذى منهن، ترحما عليهن، لقصور عقلهن. قال- تعالى-:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

وقال فى تعظيم حقهن:

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

(النساء: ٢١)

ثم قال: واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عن طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام، ومن آداب المعاشرة- أيضا- أن يزيد على احتمال الأذى منها بالمداعبة والمزح والملاعبة، فهى التى تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال.

وقال عمر رضى الله عنه: «ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى، فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلا».

وكان ابن عباس- رضى الله عنه- يقول: «إنى- لأتزين لامرأتى كما تتزين لى»[1]

ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة ببيان أنه لايصح للرجال أن يسترسلوا فى كراهية النساء إن عرضت لهم أسباب الكراهية، بل عليهم أن يعلوا النظر إلى المحاسن، ويتغاضوا عن المكاره فقال- تعالى:

﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

أى: فإن كرهتم صحبتهن وإمساكهن فلا تتعجلوا فى مفارقتهن، فإنه عسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله لكم فى الصبر عليه وعدم إنفاذه خيرا كثيرا فى الدنيا والآخرة.

فالآية الكريمة ترشد إلى حكم عظيمة منها أن على العاقل أن ينظر إلى الحياة الزوجية من جميع نواحيها، لا من ناحية واحدة منها وهى ناحية البغض والحب.. وأن ينظر فى العلاقة التى بينه وبين زوجه بعين العقل والمصلحة المشتركة، لابعين الهوى.. وأن يحكم دينه وضميره قبل أن يحكم عاطفته ووجدانه، فربما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ماهو بعد ذلك، وربما يكون الشىء الذى كرهته اليوم ولكنها لو تسترسل فى كراهته سيجعل الله فيه خيرا كثيرا فى المستقبل- قال- تعالى-:

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

(البقرة:٢١٦)

قال القرطبى: روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لايفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضى منها آخر»، أى: لايبغضها بغضا كليا يحمله على فراقها، أى لاينبغى له ذلك، بل يغفر سيئتها لحسنتها، ويتغاضى عما يكره لما يحب- والفرك البغض الكلى الذى تنسى معه كل المحاسن.

وقال مكحول: سمعت ابن عمر -رضى الله عنهما-: يقول: «إن الرجل ليستخير الله- تعالى- فيخار له. فيسخط على ربه- عز وجل- فلا يلبث أن ينظر فى العاقبة فإذا هو قد خير له»[2]

*- تفسير ابن كثير جـ١، ص ٤٦٦

١- من كتاب الإحياء علوم الدين: الغزالى جـ٢، ص ٣٩

٢- تفسير القرطبى جـ٥، ص ٩٨

السنة

المقسطون على منابر من نور

روى الإمام مسلم رحمه الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ

«إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا».

اللغويات

> إن المقسطين: أى إن العادلين، فالمقسط العادل، والقاسط: الجائر.

> على منابر: جمع منبر، ويحتمل أن تكون المنابر حقيقية أو كناية عن المنازل الرفيعة أو كلاهما، فهم على منابر حقيقية ومنازلهم رفيعة.

> عن يمين الرحمن: اليمين مأخوذ من اليمن، أى: الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة.. والعرب تنسب الفعل المحمود والإحسان إلى اليمين، وتنسب عكسه إلى اليسار.

> وكلتا يديه يمين، تنبيه على أنه ليس المراد باليمين جارحة ـ تعالى الله عن ذلك.

> الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا: أى: يعدلون فيما تولوا من خلافة، أو إمارة، أو قضاء أو حسبة، أو وصاية على يتيم، أو نظارة على وقف، أو فيما يلزمه من نفقة أهله أو ما إلى ذلك.

الشرح والبيان

العدل من أسماء الله ـ عز وجل ـ فهو الحكم العدل، وهو الذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم، وبالعدل قامت السماوات والأرض، وقد عرفه ابن حزم - رحمه الله - فقال: «هو أن تعطى من نفسك الواجب وتأخذه».

وفى هذا الحديث النبوى الشريف تشريف وتكريم وتعظيم لهؤلاء المقسطين العادلين فى كل الأمور وسائر الأحوال، فى أقوالهم وأفعالهم وسائر شئونهم، لا يتعسفون ولا يجورون، ولا تميل بهم الأهواء ولا تعلبهم الشهوات، فهم يستحضرون عظمة الله وسلطانه ورقابته، فلا يجرءون على مخالفته، ولا يدخرون وسعا فى تقديم ما يرضيه «سبحانه»، وهم يحرصون على مرضاة الله ـ عز وجل ـ وطاعته فى كل أمر ونهى، وكذلك هم حريصون على الاقتداء برسول الله ـ ﷺ ـ وتنفيذ تعليماته وتوجيهاته.. وهم يعلمون أن المسئولية أمام الله عامة، وهى تضيق وتتسع حسب الموقع، وكل إنسان على ثغر من ثغور الإسلام، فلا يؤتين من قبله، وقد ورد فى الحديث الشريف عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[1].

فكل من ولى شيئا وعدل فيه فهو كما أخبر رسول ﷺ على منبر من نور، وفى منزلة رفيعة، قد بوأه إياها العدل الذى تخلق به واستمسك به فى الدنيا، وهو الذى أهله لمحبة الله ـ عز وجل ـ وكيف لا؟! وقد قال تعالى:

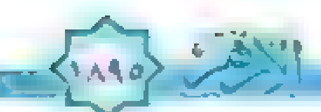
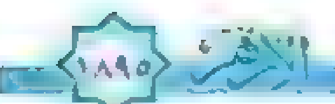
﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الحجرات: ٩)

هذا وقد قال أحد البلغاء: «إن العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تخالفه فى ميزانه ولا تعارضه فى سلطانه، واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع وكثرة الورع.» فإذا كان العدل أحد قواعد الدنيا التى لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه ـ وجب أن يبدأ بعدل الإنسان فى نفسه، ثم بقوله فى غيره، فأما عدله فى نفسه فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح، ثمّ بالوقوف فى أحوالها على أعدل الأمرين: من تجاوز أو تقصير، فإن التجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو على غيره أجور».

ومعنى هذا أنّ العدل يحمل على الطاعة وينفر من المعصية، وأنه يعمّر ولا يخرّب، وأنه يبنى ولا يهدم، وأنه ينشر الألفة والمودة والمحبة، وينبذ الأحقاد

(١) صحيح مسلم

والعداوات والخصومات، وينشر بين الناس الأمانة والاستقرار، ويشيع السعادة وراحة البال وقد أنشد الشاعر الحكيم:

عليك بالعدل إن وليت مملكة
واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالعدل يبقيه أنى احتل من بلد
والجور يفنيه في بدو وفي حضر

هذا ولما كان الجزاء من جنس العمل والعقوبة من جنس الجريمة:

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

كان رسول الله ﷺ يدعو ربه ويناجي مولاه فيقول: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه. ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به».

فالرفق الرفق، ليكون الله بكم رفيقاً، والعدل العدل، فالعدل أقرب للتقوى، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(النساء: ١٣٥)

تدبروا كيف جاء لفظ (قَوَّامِينَ) بصيغة المبالغة؛ ليتكرر منكم القيام بالعدل في شهادتكم على أنفسكم وشهادة المرء على نفسه - إقراره بالحقوق عليها، ثم ذكر الوالدين، لوجوب برهما وعظم قدرهما، وثنى بالأقربين، إذ هم مظنة المودة والتعصب، فكان الأجنبي من الناس أحرى أن يقام عليه بالقسط ويشهد عليه.. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن شهادة الولد على الوالدين ماضية، ولا يمنع ذلك من برهما، بل من برهما أن يشهد عليهما ويخلصهما من الباطل وهو معنى قوله تعالى:

﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾

(التحريم: ٦)

ويؤيد هذا المعنى الآية الأخرى في سورة المائدة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(المائدة: ٨)

والمعنى: كونوا قوامين لله، أي: لأجل ثوابه، فقوموا بحقه، واشهدوا بالحق من غير ميل إلى أقاربكم وحيف على أعدائكم ولا يحملنكم كره قوم على ترك العدل وإيثار العدوان على الحق، فذلك أقرب للتقوى، أي: لأن تتقوا الله، وقيل: لأن تتقوا النار.

هذا والحاكم العادل - كما ورد في الحديث الشريف: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»[2] وأولها: الإمام العادل - في ظل الله - عز وجل - يوم لا ظل إلا ظله.. وما حظي الإمام العادل بهذه المنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة إلا بعدالته، لأن العدالة من الأمور الصعبة التي لا تطيقها إلا النفوس الكبيرة، ولا يتخلق بها إلا الصفوة من عباد الله، أما الجائرون في الحكم فالجور يكون لهم ملامة وندامة وعذاباً يوم القيامة، فعن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي، فناديت بأعلى صوتي ثلاث مرات: وما هي يا رسول الله؟ قال: أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل وكيف يعدل مع قرابته؟!»[3].. انظر كيف يتعجب الرسول الله ﷺ من هذا الإنسان الذي يتجرد من الهوى وينحي عاطفة القرابة جانباً ويعدل في حكمه مؤثراً رضا الله على رضا نفسه وهواه.

فعلى كل من يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً - أن يعدل في قوله، فلا يخاف في الله لومة لائم، فالمؤمن الحقيقي لا يخاف إلا ربه ولا يخشى إلا ذنبه، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

(الأنعام: ١٥٢)

ولقد روى النسائي عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكارهنا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»، وقد أنشد الشاعر الحكيم:

أد الأمانة، والخيانة فاجتنب
واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

وقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في العدل، ولنا فيه ﷺ قدوة حسنة وأسوة طيبة، روى البخاري عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما قال: «بينما رسول الله ﷺ يقسم غنيمة بالجعرانة إذ قال له رجل: اعدل. قال: لقد شقيت إن لم أعدل».. وهكذا علم رسول الله ﷺ أصحابه وأمته والناس جميعاً - الحرص على العدل، وأن السعادة كل السعادة في انتشار العدالة، وأن التعاسة والشقاء في الجور، ويوم القيامة لا يستطيع إنسان جائر وظالم أن يفتدي نفسه من عذاب الله بكل ما يملك، قال تعالى:

---

(٢) صحيح البخاري

(٣) مسند الشاميين للطبراني

﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾

(البقرة: ١٢٣)

أى: «فدية»، وليت الذين يعدلون مع الله غيره يفهمون أن كل الذنوب قد يغفرها الله

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾

(الزمر: ٥٣)

إلا الإشراك به سبحانه؛ فإنه أعظم ذنب، وهو ذنب لا يغفر. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

(النساء: ١١٦)

ومن ثمّ كان القضاء في الإسلام من الأمور الشاقة الخطيرة؛ لذلك رفض توليه كثير من فقهاء السلف الصالح والرعيل الأول؛ ذلك لأن القاضي معرّض لغضب الله ـ عز وجل ـ إذا جار في حكمه أو قضى على جهل، نسأل الله السلامة.. روى أبو داود عن بريدة بن الحُصَيْب ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار؛ فأما الذى في الجنة فرجل عرف الحقّ فقضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»[٤].

ولذلك رفض رسول الله ﷺ أن يؤمر أبا ذر، حبه له وخوفه عليه وشفقته به، فقد ورد في الحديث الشريف عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملنى. قال: فضرب بيده على منكبى ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذى عليه فيها»[٥].

هذا وإذا كان رسول الله ﷺ يتحرى العدالة مع الناس جميعاً في كلّ شيء ـ فقد كان كذلك مع أهل بيته، مع أمهات المؤمنين ـ رضى الله عنهن ـ فعن أمّ المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: (كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل، ويقول: «اللهم هذا قَسْمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك»[٦] (يعنى: القلب).

جنبنا الله جميعاً الجور، ورزقنا العدل.

❊❊❊

دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله

عضو مجمع البحوث الإسلامية

اعتنى الإسلام عناية فائقة بأن يمد الغنى يده إلى الفقير بما يسد حاجته وإلى المصالح العامة بما يحققها، وأوجب ذلك على الغنى فيما يفضل عن حاجته وحاجة من ينفق عليهم من ماله النقدى، وجعل القاعدة في ذلك أن تكون الزكاة المفروضة ركناً من أركان الدين، وهو تشريع يحفظ للفرد استقلاله وحريته في العمل والكسب، ويحفظ للمجتمع حقه على الفرد في المعونة والتضامن، وبذلك يبرز المبدأ الإسلامي العام وهو تحميل الجماعة من حقوق الفرد وتحميل الفرد من حقوق الجماعة، ولهذا كانت الزكاة في نظر الأمة هي صرف بعض أموال الأمة ممثلة في أغنيائها إلى الأمة نفسها ممثلة في فقرائها، أو بعبارة أخرى هي نقل بعض مالها من إحدى يديها وهي اليد المشرفة التي استخلفها الله على حفظ المال وتنميته والتصرف فيه وهي يد الأغنياء إلى اليد الأخرى وهي اليد العاملة الكادحة التي لا يفي عملها بحاجتها، أو التي عجزت عن العمل، وجعل رزقها فيه ومنه وهي يد الفقراء، ولعل هذا ما يوحي به القرآن الكريم حينما يقول:

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

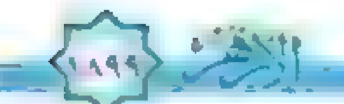
(النور: ٣٣)

وحين يقول بوجه عام:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾

(الحديد: ٧)

وبجانب هذه الفريضة فتح الباب على مصراعيه للإنفاق في سبيل الله تقرباً إلى الله ورجاء في عفوه ومغفرته وذلك على سبيل التطوع



ليحارب في النفوس آثار الشح والإسراف والترف، وعمل على تطهير مجتمع المسلمين منهما، وأعد النفوس للبذل والعطاء في القيام بحق الله وحق الناس وكان له في ذلك من أساليب الترغيب في البذل والترهيب من الشح والضن ما يملأ قلب المؤمن بمبدأ التضحية وأنها سبيل الله في الحياة الطيبة التي تكفل للفرد والجماعة سعادة الدنيا والآخرة.

وإن أول ما يطالعنا من تلك الأساليب في القرآن الكريم هو أننا لا نكاد نجد فيه ذكرا للإيمان بالله إلا مقرونا بالإنفاق في سبيله وإطعام البائس الفقير، فسورة البقرة تبدأ ببيان أوصاف المتقين الذين ينتفعون بالقرآن وهديه ويكون منها

﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾

(البقرة:٣)

وفي نفس السورة تعرض لأصول البر الذي يطلبه الله من العباد ويكون منها بعد الإيمان

﴿ ... وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾

(البقرة:١٧٧)

ويجعل ذلك من دلائل الصدق في الإيمان والتقوى كما أن سورة الأنفال تذكر مقومات الإيمان حيث يكون منها بعد وجل القلوب من ذكر الله وزيادة الإيمان بآياته:

﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾

(الأنفال:٣)

ثم يذكر حقيقة هؤلاء المتقين وجزاءهم عند ربهم فيقول تعالى:

﴿ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾

(الأنفال:٤)

ونجد أن بعض آيات القرآن حينما تذكر الإيمان لا تذكر معه سوى الإنفاق في سبيل الله ففي سورة النساء يقول تعالى

﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾

(النساء:٣٩)

وفي سورة الحجرات أيضاً يقول تعالى:

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾

(الحجرات:١٥)

فبهذا الأسلوب القرآني المعجز يكون الإنفاق في سبيل الله في مستوى ومقام الإيمان بالله، وإذا ما أمعنا النظر لم نجده أطلق عنوان العقبة التي تحول بين الإنسان وسعادته على شيء سوى إطعام الفقير والمسكين. كما أنه لم يجعل عدم التحريض على شيء من تكاليفه علامة على التكذيب يوم البعث والجزاء وعلامة على عدم الصدق في الصلاة وإقامتها سوى إطعام المسكين يقول تعالى:

﴿ فلا اقتحم العقبة ۝ وما أدراك ما العقبة ۝ فك رقبة ۝ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ۝ يتيما ذا مقربة ۝ أو مسكينا ذا متربة ۝ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ۝ أولئك أصحاب الميمنة ﴾

(البلد:١١ ـ ١٨)

ويقول تعالى في موطن آخر في سورة الماعون

﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين ۝ فذلك الذي يدع اليتيم ۝ ولا يحض على طعام المسكين ۝ فويل للمصلين ۝ الذين هم عن صلاتهم ساهون ۝ الذين هم يراءون ۝ ويمنعون الماعون ﴾

(الماعون: ١ ـ ٧)

وفي هذا الأسلوب القرآني البديع المعجز نجد أنه يضع الإنفاق في سبيل الله وإطعام الفقير المحتاج موضع العقبة والحاجز الذى لابد من اقتحامه ليصل الإنسان إلى سعادته إن لم يكن بنفسه فيحض القادرين عليه وإرشادهم إليه وقد قضى الله علينا بعد ذلك أن المجرمين سيسجلون على أنفسهم في الجواب حين يسألون يوم الدين:

﴿ ما سلككم في سقر ﴾

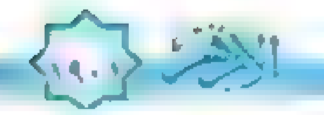
(المدثر: ٤٢)

سيسجلون مع التكذيب بيوم الدين والخوض في الباطل إهمال حق الفقير والمسكين:

﴿ قالوا لم نك من المصلين ۝ ولم نك نطعم المسكين ۝ وكنا نخوض مع الخائضين ۝ وكنا نكذب بيوم الدين ﴾

(المدثر: ٤٣ ـ ٤٦)

هذه بعض أساليب القرآن الكريم وبعض آياته التي تدل على مكانة الإنفاق في سبيل الله، وفي التخويف من العقاب إذا أهمل حق الفقير والمسكين، وهذا يدلنا على أن الإسلام لا يقيم وزنا لشيء من تكاليفه إذا لم تغرس في قلب المسلم عاطفة الرحمة مبعث الإنفاق والبذل والعطاء، وهذا ما يدل عليه مفهوم هذه الآيات التي أوردناها، ومن أجل ذلك أعد الله لهؤلاء المنفقين في سبيله الجزاء الأوفى، فقد وعد المنفقين في سبيله بمضاعفة الرزق وجعل هذا المنفق مثله كمثل من يقرض الله قرضاً حسناً فيقول تعالى:



﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

(البقرة: ٢٤٥)

ويقول أيضاً

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(البقرة: ٢٦٥)

ويقول أيضاً في سورة البقرة:-

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة: ٢٦١، ٢٦٢)

هذه هي مكانة الإنفاق في سبيل الله، وهذا وعد الله حقاً وصدقاً لمن يجود بماله في سبيله وهما -كما نرى- مكانة ووعد لم يحظ بهما شيء من التكاليف الإلهية سوى الإنفاق، فالصلاة على الرغم من مكانتها في الدين وأنها الركن الذي يلي الإيمان وهي عماد الدين لا تقع موقعه إلا إذا دفعت صاحبها إلى الوفاء بحق الفقير والمسكين، وكذلك الصوم والحج لا تجد لهما في ترغيب القرآن وترغيبه مثلما نجد للإنفاق في سبيل الله، وكما حث القرآن الكريم على الإنفاق في سبيل الله وأعطاه مكانة لم ترق لها عبادة من العبادات فقد حذر أيضاً من الضن والشح بالأموال عن أداء الواجبات وإقامة المصالح مقام إلقاء النفس في التهلكة يقول تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٥)

وكما حذر القرآن الكريم من الشح فقد حذر منه الرسول ﷺ فيقول الصادق المصدوق: «إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»[1] ولا نجد أقوى من هذا التصوير المحمدي لتصوير الخطر الاجتماعي المحدق بالأمة والذي ينبعث من الشح، ولا ريب أنه من أكبر الآفات التي تفرق المجتمعات وتقضي على حياة الأمم وصلاح العمران، وكما اتجه الإسلام بهذه الإرشادات إلى الأفراد تحذيراً لهم من آفتي الشح والتبذير.

(١) السنن الكبرى للبيهقي

جعل من حق ولي الأمر القائم على مصالح الجماعة بالنسبة لمن يجمع بهذه الإرشادات أن يأخذ منهم بطريق القهر والقوة ما وضعه الله في أموالهم من حقوق الأفراد والجماعة وذلك أن المال في يد البخلاء مبعث شر يملأ القلوب حقداً وضغينة، ويقضي على حياة الأمن والاستقرار، ويصل بأصحابه إلى جحود الحق وإنكار الشرائع ويغرس في نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقات، وهؤلاء البخلاء يكونون عادة مترفين مما يزيد الأمر حقداً عليهم في قلوب الفقراء والمحتاجين، والإسلام حينما شرع الإنفاق في سبيل الله إنما كان ذلك لسد هذه الثغرة، ذلك أن الزكاة لها مصارف محددة لا يجوز للمزكي أن يتعداها إلى غيرها، وهي حالات الأكثر إلحاحاً، ولا يجوز حجب أو تأخير حقوقها المبينة والمعروفة في مصارف الزكاة الثمانية التي وردت في الآية الكريمة من سورة التوبة..

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾

(التوبة: ٦٠)

ولأن هناك بعض الحالات التي لم يرد ذكرها في تلك المصارف وتحتاج إلى العون والمساعدة مثل المساعدة على إعفاف الشباب والفتيات وذلك بمعاونتهم على أعباء الزواج ومثل ما يقوم به بعض الأغنياء بتزويج عدد من الشباب غير القادرين ومثل هذا القيام بإنشاء بعض الأعمال الخيرية التي فيها منفعة عامة لكافة المسلمين، ومن ذلك إقامة المشروعات التي توفر أبواب العمل وفرصة للشباب المتعطل عن العمل فيجد له الفرصة في الالتحاق بقطار التنمية والإنتاج فيستفيد من هذا العمل، كما تعود الفائدة أيضاً على المجتمع وذلك بتوفير ما يحتاج إليه من سلع وأدوات وحتى تكون لديه القدرة على سد حاجاته دون اللجوء إلى الاقتراض بالدين ودون اللجوء لاستيراد من الخارج كل هذه الأمور التي تعود على الفرد والجماعة بالنفع العميم هي من باب الإنفاق في سبيل الله الذي عرضنا له في بداية المقال والذي أعد الله فيه للمنفقين في سبيله أجراً عظيماً ووعدهم بمضاعفة الرزق في الدنيا والجزاء في الآخرة وهي دعوة إلى الدخول في هذا الباب، باب الإنفاق في سبيل الله والله الهادي إلى صراطه المستقيم

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

(البقرة: ٢٤٥)

ويقول أيضاً

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(البقرة: ٢٦٥)

ويقول أيضاً فى سورة البقرة:-

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة: ٢٦١-٢٦٢)

هذه هى مكانة الإنفاق فى سبيل الله، وهذا وعد الله حقاً وصدقاً لمن يجود بماله فى سبيله وهما -كما نرى- مكانة ووعد لم يحظ بهما شىء من التكاليف الإلهية سوى الإنفاق، فالصلاة على الرغم من مكانتها فى الدين وأنها الركن الذى يلى الإيمان وهى عماد الدين لا تقع موقعها إلا إذا دفعت بصاحبها إلى القيام بحق الفقير والمسكين، وكذلك الصوم والحج لا نجد لهما فى ترغيب القرآن وترهيبه مثلما نجد للإنفاق فى سبيل الله، وكما حث القرآن الكريم على الإنفاق فى سبيل الله وأعطاه مكانة لم ترق لها عبادة من العبادات فقد حذر أيضا من الضن والشح بالأموال عن أداء الواجبات وإقامة المصالح مقام إلقاء النفس فى التهلكة يقول تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(البقرة ١٩٥)

وكما حذر القرآن الكريم من الشح فقد حذر منه الرسول ﷺ فيقول الصادق المصدوق: «إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»(١) ولا نجد أقوى من هذا التصوير المحمدى لتصوير الخطر الاجتماعى المحدق بالأمة والذى ينبعث من الشح، ولا ريب أنه من أكبر الآفات التى تفرق المجتمعات وتقضى على حياة الأمم وصلاح العمران، وكما اتجه الإسلام بهذه الإرشادات إلى الأفراد تحذيراً لهم من آفتى الشح والتبذير،

(١) [illegible]

جعل من حق ولى الأمر القائم على المصالح الجماعية بالنسبة لمن يخضع لهذه الإرشادات أن يأخذ منهم بطريق القهر والقوة ما وضعه الله فى أموالهم من حقوق الأفراد والجماعة وذلك أن المال فى يد البخلاء منبع شر يملأ القلوب حقداً وحفيظة، ويقضى على حياة الأمن والاستقرار، ويصل بأصحابه إلى جحود الحق وإنكار الشرائع ويغرس فى نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقات، وهؤلاء البخلاء يكونون عادة مترفين مما يزيد الأمر حقداً عليهم فى قلوب الفقراء والمحتاجين، والإسلام حينما شرع الإنفاق فى سبيل الله إنما كان ذلك لسد هذه الثغرة، ذلك أن الزكاة لها مصارف محددة لا يجوز للمزكى أن يتعداها إلى غيرها، وهى الحالات الأكثر إلحاحاً، ولا يجوز حجب أو تأخير حقوقها المبينة والمعروفة فى مصارف الزكاة الثمانية التى وردت فى الآية الكريمة من سورة التوبة

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾

(التوبة ٦٠)

ولأن هناك بعض الحالات التى لم يرد ذكرها فى تلك المصارف وتحتاج إلى العون والمساعدة مثل المساعدة على إعفاف الشباب والفتيات وذلك بمعاونتهم على أعباء الزواج ومثل ما يقوم به بعض الأغنياء بتزويج عدد من الشباب غير القادرين ومثل هذا القيام بإنشاء بعض الأعمال الخيرية التى فيها منفعة عامة لكافة المسلمين، ومن ذلك إقامة المشروعات التى توفر أبواب العمل وفرصة للشباب المتعطل عن العمل فيجد له الفرصة فى الالتحاق بقطار التنمية والإنتاج فيستفيد من هذا العمل، كما تعود الفائدة أيضا على المجتمع وذلك بتوفير ما يحتاج إليه من سلع وأدوات وحتى تكون لديه القدرة على سد حاجاته دون اللجوء إلى الاقتراض بالدين ودون اللجوء لاستيراد من الخارج كل هذه الأمور التى تعود على الفرد والجماعة بالنفع العميم هى من باب الإنفاق فى سبيل الله الذى عرضنا له فى بداية المقال والذى أعد الله فيه للمنفقين فى سبيله أجرا عظيما ووعدهم مضاعفة الرزق فى الدنيا والجزاء فى الآخرة وهى دعوة إلى الدخول فى هذا الباب، باب الإنفاق فى سبيل الله والله الهادى إلى صراطه مستقيم.

***

الصدقة في ميزان الإسلام

أعظم الصدقة أجراً

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

إن الصدقة قربة إلى الله تعالى وهي رحمة وبر وعطاء وسماحة وتعاون وتكافل بين المسلمين، كما أنها دليل على صدق المؤمن وصحة إسلامه. ثم إنها قربة عظيمة من قربات النجاة والمغفرة والتكريم يوم الدين.

والصدقة تتأثر زيادة ونقصانا وصعودا وهبوطا وقبولا وردا، على حسب عمر المتصدق وحالته، شابا قويا أو شيخا هرما، أو صحيحاً لم تأته أمارات الموت بعد، أو سقيما دنت منه لحظات الاحتضار، فمن الناس من يقضي عمره ملتحفا بزينة الحياة الدنيا من مال وولد وجاه وغير ذلك، لا يفكر إلا في متعته الوقتية الرخيصة، واهما أن الدنيا التي بين يديه لن تبيد ولن تنتهي، كما قال صاحب الجنة.

﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾

(الكهف: ٣٦)

معرضا عن إيتاء حق الله تعالى فيما رزقه من نعم كثيرة، عاملا طوال أيام حياته على جمع المال واكتنازه مع الاستئثار به دون خلق الله الفقراء والمحتاجين، لا يؤدي زكاة ماله المفروضة، ولا يساعد في خير ولا يلتفت بالرحمة والشفقة لجائع أو عريان أو مسكين.

وهناك صنف آخر من الناس فوق النوع السابق، إنه يخرج زكاة ماله المفروضة ولا يزيد عليها مثقال ذرة ولو كانت لديه الألوف المؤلفة ومن حوله فقراء المسلمين يزلزلهم الجوع فمثله كما قال الرسول ﷺ في الحديث: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب»[1].

ويشرح الشيخ فؤاد عبد الباقي[2] رحمه الله -تعالى- قول الرسول ﷺ «لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان» فيقول: معناه أن بني آدم مجبولون على حب المال والسعي في طلبه، ولا يشبع من المال إلا من عصمه الله ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه وقليل ما هم. أي أن ابن آدم لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره. وقوله ﷺ «ويتوب الله على من تاب» هذا الكلام وضع موضعه إشعارا بأن هذه الجبلة المذكورة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب وأن إزالتها ممكنة وذلك بتوفيق الله وتسديده.

وعن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان، حب المال وطول العمر»[3]. هذا وكل من النوعين السابقين من خلق الله تعالى ممن ينتسبون إلى الإسلام، قد يؤدون أركان الإسلام الأخرى أما بالنسبة لموقفهم من المال والزكاة والصدقة فهم على ما وصفوا، وتمضي بهم الأيام والشهور والسنون ويقترب العمر من النهاية يشعر الواحد منهم - سواء من لم يقدم شيئا أو من لم يقدم إلا القليل - أنه مقصر كل التقصير في حق ربه المنعم فماذا يفعل الآن وهو يرى نفسه مقدم على الحياة الآخرة ولقاء الله تعالى وقد فرط فيما مضى، وأمسك وشح بالمال؟ إنه يريد أن يعوض ما فاته من شكر النعمة لمن أنعم بها عليه، فقد صحا من غفلته، وتلاشت عوائق البخل منه وذلك باليقين الذي أحس به في كيانه والذي جاء ليسلمه كل شيء ولينقله إلى عالم آخر ليس له فيه إلا ما قدم من خير أو عمل كريم، هنالك ينادي على أهله من حوله: استمعوا إلى الآن وأنصتوا جيدا: اعطوا فلانا كذا من المال، وفلانا كذا، وقد كان لفلان عندي كذا، إنه بكلامه هذا يريد أن يصلح ما قصر فيه من خير كثير ولكن هيهات أن يكون له ذلك خاصة وقد ظهرت أمارات الارتحال وترك المال والأهل والولد، واليأس من التمتع بالمال كما كان يفعل من قبل، أيظن أنه يستطيع الآن أن يدخل نفسه في زمرة المحسنين المتصدقين، إنه مهما قدم الآن من زكاة مفروضة أو صدقة تطوع، فلا يمكن بحال أن يتساوى مع من قدم الخير والإحسان من قبل، في أيام الحياة والصحة والشباب، فالقبول الآن لما يقدم



(1) رواه البخاري عن أنس - رضي الله عنه - في باب ما يتقى من فتنة المال.

(2) [illegible]

(3) [illegible]

في هذه الحالات والأوقات العصيبة نسبته ضعيفة كنسبة واحد إلى مائة لو كان أخرجه من قبل، يقول الرسول ﷺ : «لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة عند موته»[1]، وذلك لأن اقتراب نهاية الأجل وحضور علامات النهاية المحتومة للحياة يقطع الأمل كلية في الانتفاع بالمال فيكون تقديمه حينئذ للصدقة مشوبا بحالة الإنسان التي صار إليها ولولا ذلك لظل قابضا على المال.

ومن الواضح أن ضعف القبول للصدقة عند اقتراب الموت إنما يكون بالنسبة للبخيل الشحيح بنوعيه السابقين.

أما من كان طوال عمره من عباد الله الصالحين المتصدقين الكرماء، فإن وصيتهم عند مماتهم في القربات إلى الله تعالى مقبولة بقبول حسن ؛ لأن تصدقه الآن ما هو إلا امتداد لما كان يفعله طوال حياته، وليس حالة طارئة أنشأها دنو الأجل وحضور الموت، ولقد قال الله تعالى:

﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ﴾

(النساء: ١١)

وقال رسول الله ﷺ : «ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين - للتقريب لا للتحديد - إلا ووصيته مكتوبة عنده»[2]

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهم قمم في الخير والجود في القربات والقدوة في الصالحات يوصون بعض أموالهم عند مماتهم تقربا إلى الله تعالى، بل وكانت لهم وصية مكتوبة لمن بعدهم من الورثة فقد أخرج عبد الرزاق في مسنده عن أنس - رضي الله عنه - قال : كانوا - أي الصحابة - يكتبون في صدور وصاياهم «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصى به فلان بن فلان. أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهد أن محمدا عبده ورسوله. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى من ترك بعده من أهله أن يتقوا الله حق تقاته وأن يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب».

﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٢)

هذا وقد أذن النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن يتصدق بثلث ماله عند وفاته، فقد روى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه قال جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت : يا رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي. أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال رسول الله ﷺ «لا» قلت : فالشطر - أي النصف - يا رسول الله ؟ قال «لا» ثم قال رسول الله ﷺ : «الثلث والثلث كثير. إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»[3]

إذا فالخير كل هذا موصول، والقبول بإذن الله تعالى مأمول وعطاء الصدقة بحول الله تعالى مكفول، لأنه كان في حياته من المتكررين المتصدقين المحسنين. أما أهل الشح والإمساك طول العمر حتى إذا اقترب الأجل وحان الحين قالوا لفلان كذا ولفلان كذا، فهم الذين حق عليهم القول الوارد في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - السابق والذي تهوى نسبة القبول فيه مثل هؤلاء - بل قبلت - من مائة إلى واحد في المائة. والإنذار الشديد لهم نجده في حديث بسر الذي رواه أحمد وابن ماجة أن رسول الله ﷺ بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال : قال الله تعالى : «يابن آدم، أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد - صوت شدة الوطء على الأرض - فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق، وأنى أوان الصدقة».

وهذا الحديث الشريف يتحدث عن حالة الغرغرة، والتي لا يقبل عندها زكاة ولا صدقة ولا قربة كما جزم بذلك علماؤنا الكرام. ولهذا فإن من أعظم الصدقة أجرا تلك التي يخرجها المسلم أو المسلمة بنفس طيبة راضية ومن مال طيب حلال وفي حال الصحة والحياة الممتدة، مع الحرص على المال خوفا من الفقر والعوز والحاجة. فتقديم الصدقة حينئذ لله تعالى، يدل دلالة صادقة على أن هذا المتصدق وإن كان يحب المال ويحرص عليه إلا أن حب الله ورسوله وطاعة الله ورسوله أحب إليه من نفسه وأهله وماله ومن كل شيء.



(١) أخرجه الترمذي وابن حنبل.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٣) متفق عليه.

حقوق على المسلم لغير ذوي القربى

للأستاذ الدكتور / [illegible]

هناك فئات اجتماعية ليست بذات قرابة، ولاتربطها بالفرد المسلم مصاهرة، وقد لاترتبط بالمسلم بعلاقة الجوار، ولكنها في حاجة إلى أن يكون التعامل معها كريماً تمليه أخوة الإسلام، كالأيتام، والأرامل والفقراء والمساكين والمرضى والمنكوبين ومن إليهم، وهؤلاء يحتاجون مساندة ودعماً ومساعدة مادية من إخوانهم الذين عافاهم الله من الابتلاء بمثل ما ابتلوا به ومن هؤلاء:

١- الأيتام

اليتيم الذي فقد والديه وفقد بفقدهما عنايتهما ورعايتهما وتوجيههما وحبهما وعطفهما، وحنانهما يغدو كسير النفس مفرط الحساسية تجاه الكلمة والحركة والإشارة، نظراً لشعوره بالضعف والنقص بفقدان والديه، في مجتمع ينعم فيه أمثاله بحضانة الآباء، الأمر الذي يتطلب كثيراً من حكمة التصرف إزاءه، بحيث لاتقهر نفسه وتحطم معنوياته، والله سبحانه يحذر من هذا في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾

(الضحى: ٩)

وقد كان الإسلام سباقاً في كفالة الأيتام ليعيش اليتيم في أسرة بديلة بين آباء وأمهات وإخوة وأخوات من المسلمين حتى يبلغ أشده، ولايلقى في الملاجئ معزولاً عن التعامل والاحتكاك بالآخرين.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما» أخرجه البخاري في الصحيح. وكافل اليتيم: القائم بأموره.

ولايتوقف توجيه الرسول ﷺ على مجرد الكفالة، وإنما يتعداها إلى إكرام اليتيم والإحسان إليه وتلافي كل ما يسوءه، ويسبغ ويغمر الرحمة عليه، فاليتيم قد يصبح [illegible] عليه في مجتمع فيغمر بالرحمة والعطف والإكرام من سراته، وتنعقد أواصر التراحم بين أفراد المجتمع ويصبح سجية من سجاياهم.

روى البيهقي في السنن الكبرى عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها تسألني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فأخذتها فشقتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت وابنتيها فدخل علي النبي ﷺ فحدثته حديثها فقال النبي ﷺ: «من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٤٧٨) ورواه أيضاً البخاري في الصحيح عن أبي اليمان ورواه مسلم عن عبدالله بن عبدالرحمن.

٢- الأرامل

والأرملة دائماً ضعيفة، مهزومة، كسيرة النفس، ممزقة القلب والشعور، مهيضة الجناح بعد أن فقدت زوجها معينها وحبيبها والقائم على أمورها، لاسيما إذا لم تتزوج وعاشت تعاني الوحشة والحرج وضيق النفس والحاجة لسد العوز ومثل هذا يحتم على المجتمع أن يعمل كل مايستطيع لمساندتها ومساعدتها على النهوض مجدداً والخروج من العزلة وعالم الأسى والأحزان.

وبالرغم من أهمية مساعدتها مادياً، إلا أن مساندتها معنوياً تبقى الأهم، حتى لاتشعر بالضعف ويتعمق في نفسها القهر، وأي مجتمع قوي يجب أن يكون تعامله مع مثلها تعاملاً متميزاً بالاحترام والتقدير والإكرام، وعدم كرامتها من كرامته.

إن المرأة مهما بلغت في قدراتها تبقى ضعيفة لاتستطيع مواجهة تحديات الحياة وعوادي الزمن، ولاتستطيع كفاية نفسها حتى وإن كانت ذات حيثية مادية، فهي تحتاج إلى من يسعى على تأمين متطلباتها وهذا من حقها على مواطنيها وأفراد مجتمعها الأولى فالأولى.

٣- الفقراء والمساكين ومن إليهم

لايطلب الإنسان الفقر أو المسكنة لنفسه، فما من إنسان عاقل يود أن يكون فقيراً وفريسة للجوع والعري والجهل والمرض، وقد يحدث لبعض الإنسان ابتلاء، كالعجز عن الكسب، أو التعرض لأمراض لاتمكنه من العمل، أو الإعاقة الجسدية أو الفكرية، أو التعرض لأزمات طارئة تفقده ماله، إلى غير ذلك.

وهؤلاء يحتاجون إلى المساندة المادية بالضمان الاجتماعي الذي تنهض به الدولة المسلمة والتكافل الاجتماعي الذي ينهض به المجتمع المسلم.

٤- الرفيق

ينبغي أن تكون معاملته حسنة خاصة فيها الكثير من الإيثار فمن حسن معاملة الصديق أن تخبره وتعلمه بأنك تحبه في الله محبة خالصة لله وأن تزوره لله.

ومن حقوق الصديق على صديقه:

١- السلام إذا لقيه، وعيادته إذا مرض، وتشميته إذا عطس، وزيارته في الله وإعانته وقت الشدة وإجابة دعوته إذا دعاه، والتهنئة بالشهور والأعياد لما اعتاده الناس، ومهاداته في المواسم والمناسبات والدعوة له بالخير.

كان أبو الدرداء يقول: «إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم».

٢- ليس من الوفاء والإخلاص مجاراة الصديق ومساعدته في فعل المعاصي وما نهى الله تعالى عنه، لقوله تعالى:

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

(الزخرف: ٦٧)

ويدخل في حق الرفيق المؤمن الدائم حق الرفيق المؤقت، وهو الذي يصحبك في سفر أو دراسة أو

وظيفة. وهو الذي عبر عنه القرآن الكريم حين قال:

﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾

(النساء: ٣٦)

صديق ينبغي أن ينال ممن جاوره كل عطف ورعاية وإكرام، وتعاون وإيثار، وكرم أخلاق، وهذا رسول الله كان يعطي لأمته الأسوة الحسنة في ملاطفة أصحابه في السفر والحضر، والسلم والحرب والحل والترحال.

٥- الضيف

إكرام الضيف سنة فعلها الرسول ﷺ وحث عليها، فعلى المزور أن يكرم الضيف وأن يبش في وجهه ويقابله بفرح وسرور.

فقرى الضيف من العادات العربية الأصيلة، وأقرها الإسلام، ونظمها وشرعها في حيز التوسط والاعتدال، فالإنسان يثاب على ضيافة الضيوف من رجل أو امرأة، وللمرأة المتحجبة بحجاب الإسلام غير المتبرجة أن تقوم بشأن الضيافة من طعام وشراب ونحوهما إذا أمنت الفتنة ومدة الضيافة ثلاثة أيام.

قال الشاعر:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله
ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

وينبغي للمزور أن يسرع في إكرام الضيف بنفسه، فيفرش له الفراش ويجلسه ويقدم له ماتيسر عنده من طعام أو شراب مما لا يضر به وبالأولاد ومن غير تكلف.

ومن عادات العرب الحميدة التي لم ينكرها الإسلام أن تستمر الضيافة إلى ثلاثة أيام وبعدها ينبغي للضيف أن ينصرف طيب النفس شاكراً ومقدراً من أكرموا وفادته حتى لو كان ما قدموا له من إكرام متواضعاً.

قال تعالى في شأن الضيف:

﴿ [illegible] فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾

(الذاريات: ٢٤- ٢٧)

٦- العلماء

هناك صنف ممتاز من الناس أكرمه الله تعالى بمعرفة العلوم الشرعية كالفقه والتفسير والحديث. ووفقه للعمل بما علم ومدحها بقوله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(الزمر: ٩)

فينبغي معاملة العالم معاملة خاصة هي التوقير والاحترام وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، والمعونة له على نفسك فيما لاغنى بك عنه من العلم، بأن تنزع له عقلك، وتحضره فهمك وتذكي له قلبك، وقد ضرب لنا الصحابة الأمثلة في احترام المعلم وتوقيره فقد كانوا رضوان الله عليهم يجلسون بحضرة معلم

إليه ﷺ وكأن على رءوسهم الطير.

وينبغي على المعلم الإحسان للتلاميذ [illegible] وعدم التكبر عليهم، وعدم [illegible] [illegible] على قدر [illegible] [illegible] على [illegible]

٧- المريض

[illegible]

٨- الخادم

[illegible]

مكسوهم وأن لاتكلفوهم ما يغلبهم وأن لاتضربوهم ولاتهينوهم.

ومن الذين خدموا الرسول ﷺ زيد بن حارثة، وأنس بن مالك، وثوبان فقد كان الرسول مثلاً أعلى في هذا الشأن.

ومن الذين خدموا رسول الله مولاه ثوبان، وقد أخلص للرسول حتى إن رسول الله لاحظ أن ثوبان يذوي ويذبل فسأله: ما بك ياثوبان؟ فأجاب ثوبان: إنني أذكر الآخرة التي ستجعلني في مرتبة بعيدة عنك فأحس بالأسى والحزن لفراقك. ويقال إن الله طمأنه على مستقبله في الجنة بقوله تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾

(النساء: ٦٩)

٩- الميت

وتكون معاملته معاملة خاصة وهي من فروض الكفاية على المسلمين:

١- غسل الميت: ويغسل الميت ثلاث غسلات، الأولى بالماء المطلق الطهور، والثانية بالماء والصابون، والثالثة بالماء والطيب.

٢- تكفين الميت: وهو واجب على المسلمين ويجزئه في الكفن ثوب ساتر واحد فقط، يدرج فيه الميت ويلف عليه.

٣- الصلاة على الميت: وهي فرض كفاية.

٤- دفن الميت- بأن يجعلوا له شقاً في الأرض، وبعد وضع الميت في الشق يهال عليه التراب ويرتب القبر ويرفع من الأرض مقدار شبر.

قصة العدد

مصرع ابن عمار

ظل المعتمد بن عباد بعد أن قتل أبا بكر بن عمار واجماً حزيناً، كأنه يعاني مرضا دفينا لا سبيل إلى شفائه وقد أراد وزيره الشاب الهادىء بكر بن زيدون نجل الشاعر الكبير ابن زيدون أن يرفه عنه ببعض ما يُزيل أساه، ولكنه لم يجرؤ على المكاشفة الصريحة حيث لم يشأ أن يقتحم أغوار قلبه علانية، فربما كان ذلك مما يُسيء ابن عباد، وهو حريص كل الحرص على استرضائه، فانتهز فرصة اجتماعه به للتحدث في بعض شئون الدولة حيث أفاض فيما جدَّ من أمور السياسة إفاضة شافية، وجلس بعد انتهاء الحديث الرسمي فلم يُغادر مكانه كالمعهد به، بل أخذ يتطلّع إلى مليكه تطلعا يُنبىء عن حديث صامت يريد أن يخرج به من ضيق الكتمان إلى فضاء الإعلان ولحظ المعتمد ما يجول بخاطر وزيره، فابتسم ابتسامة المشجع المطرف، وقال له في رفق: في نفسك حديث تريد أن تفوه به يا بكر فاكشف عن ذات نفسك.

فابتسم الوزير، وقال في أدب، وكأنه يختار الكلمات المناسبة اختياراً يدل على حذر وإشفاق. قال بكر: أعلم ما يعاني سيدى من ألم مُمِضّ، بعد مصرع أبي بكر بن عمار، ولكني لا أرى أدنى سبب لهذا الألم. فأبوبكر قد خان الدولة مرّة بعد مرّة، وظل يواصل المؤامرات، حتى وهو في ظلمات السجن، وإذا كتب له أن يعيش فلن يخرج عن عادته في الجحود والنكران، وقد قابل الشعب مصرعه بالارتياح، لأنه وقف على كثير من مؤامراته، فلماذا يطيل سيدى التفكير في شأنه بعد أن أراح الله الأندلس من شره الوبيل!

نظر إليه المعتمد، وقال في هدوء يشبه الهمس: أحسنت يا بكر إذ دفعتني إلى حديث كنت أحاول أن أطويه، ولعل في إذاعته الآن ما يرفه عن نفسي بعض الشيء، ولا أزال أجد فيك كثيرا من لباقة أبيك، الوزير الأمين، والشاعر الرقيق.

واعتدل في جلسته كمن يهم بحديث جاد يوجب على سامعه الاهتمام، ثم قال:

يا بكر. لم أفكر لحظة واحدة في شأن أبي بكر بن عمار، ولكني كنت أفكر في نفسي أولا، وفي هذه الحياة ثانيا. فكرت في نفسي حين بحثت تاريخ حياتي، فوجدتني لا أحمل ضغينة لأحد، بل أمد يدى لكل طالب حاجة ثم أفاجأ بالعقوق الصريح من أناس رفعتهم من الحضيض إلى ذروة المجد. ولم أكن أنتظر منهم جزاء أو شكورا، بل كنت ألبى صوت المروءة في نفسي، وأعتد الإنعام على الناس فرضا ضروريا، تصرخ به مشاعري، أقوم به عن رضا وسماح.

فإذا تركت نفسي للتأمل في شئون الحياة، فإنني أسبح منها في محيط زاخر جياش بالمتناقضات. إنها لا تسير على نظام عقلي متزن. بل تزين الغرور والخداع لبني البشر، فتفتح لهم أبواب الشر. وقد كانوا في مأمن منه لو ساروا على الطريق المستقيم.

ثم سكت قليلا ليقول لصاحبه: أنت تعلم أن أبابكر هذا قد نشأ خاملا في (شلب) وكان يتكفف الناس، ويسمح لنفسه بالانحدار إلى الغوغاء يمدحهم بالشعر ليأخذ حفنة من الشعير. ومازال يتنقل من بلد إلى بلد حتى أم ساحة والدى المعتضد -رحمه الله- وبذل كل ألوان الضراعة لدى المسئولين كي يمهدوا له شرف المثول في حضرته ليلقي قصيدة مدحه بها، وتم له ذلك. فعطف عليه والدى، وكتب اسمه في سجل الشعراء الذين يأخذون الهبات من فيض كفه، وأنا كما تعلم أحب الشعر، وقد ورثت عن أبي المعطف الزائد على كل ذى موهبة، وعرف ابن عمار ذلك، فأخذ يلاحقني بمدائحه. ولا أكتم عنك أنه شاعر مجيد، قد أسمعني من القول ما صادف ارتياح نفسي، وأنا رجل أقول الشعر، فاتخذته سميرا أديباً، أعرض عليه قصائدى، فكان يبالغ في الإطراء والمديح. وأذكر أني قلت له: يا بن عمار. إنك أصبحت مني بمنزلة الصديق، فلا حاجة إلى الاسترسال في التقريظ، ولكني أطلب التنبيه على نواح من النقد الأدبي يكتمل بها الإتقان، فكان يقسم وهو كاذب أن شعرى فوق مستوى النقد، ولم أصدقه، ولكني أنست غضره، وعرف الناس ذلك فزادوا له تعظيما وإجلالا.

وقد لحظ والدى -رحمه الله- شدة اهتمامي بابن عمار، فحذرني منه، وقال لي بوضوح: إن ملامحه لا تدل على إخلاص، فهو متملق كذوب، يتخذ منك سلما لتحقيق رغبات أنانية، فلابد من

الابتعاد عنه. ولم أصدق حكم والدى، لأنه كان يبدل من التفانى والاسترضاء، ما ظننته صادقا غير كاذب. فآثرت الإبقاء على مودته، ولكن والدى أصدر أمره بإبعاده. ولم يكن لى أن أخالف أمرا صدر منه، فغادر البلاط، وهو يئن ويتوجع.

ثم شاء الله أن ينتقل والدى إلى رضوان الله، فسارع أبوبكر بالحضور إلى البلاط، وجعل يبكى بدموع غزيرة، لما حدث من الفراق والفجيعة، وقال لى: سأكون خادمك، ورحمت به عن مروءة وإشفاق!

وكان يحاول إظهار مودته بأشياء كاذبة يظنها تبلغ من التأثير فى نفسى مبلغها القوى، ومن ذلك أننا كنا مع فريق من الشعراء فى مجلس أدب وطرب، وقد أنشد أبوبكر قصيدة من غرر قصائده أعجبت بها لحسن صياغتها، وجمال موضوعها، فأنعمت عليه بعطية جزيلة فاقت عطايا الشعراء الذين استمعت إليهم فى المجلس الأدبى، وجاء وقت النوم، فذهب كل منا إلى مرقده، وكان ينام بالقصر فى حجرة مجاورة. فأحسست بعد هدأة من الليل أنه تحرك من موضعه ووصل إلى موضع من القصر لا أدريه. فظننت أنه مريض، وقد خرج ليقضى حاجته، وطال غيابه بسبب. فأوقدت الشمع، وحملته فى يدى، وطفقت أدور فى غرفات القصر، فرأيت شيئا ملفوفا فى بساط يتحرك.

وتعجبت، فذهبت إلى البساط، وكشفت عما به فرأيت ابن عمار عاريا. وهو يتصنع البكاء، فصحت به كيف هذا، فقال: لقد جاءنى هاتف فى المنام يقول لى إن الملك المعتمد سيقتلك بعد حين، فاستغفرت الله ونمت. فجاء الهاتف مرة ثانية، وصاح بى إن الملك سيقتلك بعد حين. فلم أطق النوم، وخلعت ثيابى، وذهبت إلى حصيرة لففتها على نفسى، وجعلت أبكى! فسحبته من يده، وقلت: هذه أضغاث أحلام. ومازلت ألاطفه حتى رجع إلى صوابه.

وعظم أمره لدىّ. فحمل يقوم بالسفارة لدى ملوك الأندلس متحدثا عنى، وهو أثناء ذلك يحاول أن يعقد بينهم صلات خاصة يمهّد بها لأطماعه، ثم قام الخلاف بينى وبين مملكة مرسية، فأرسلت جيشا كبيرا لغزوها. وجعلت ابن عمار قائد الجيش، فنجح فى غزو المدينة بجيشى وتدبيرى، وأصبح حاكما عليها، فدفعه الغرور إلى أن يعلن عصيانه، ويستقل بالمملكة الصغيرة. ويزعم أنه هو الذى فتحها بجهده. فلابد أن يكون ملكا عليها، وكان من جنوده إذ ذاك من يسمى بابن رشيق، وهو من أبناء المدينة فحدثته نفسه أن يجمع الجيش من قومه. وأن يحاصر ابن عمار، لأنه حاكم مغتصب، وقد انضم إليه من بقى من جنودنا الأمناء، فذعر ابن عمار حين ضاقت عليه الحلقة وفر هاربا! وأخذ يدور بين ملوك الطوائف عارضا خدماته

السياسية، فلم يجد سميعا لأنهم عرفوا خيانته وغدره، واستطاع أحدهم أن يقبض عليه، ويدعه فى السجن، ثم عرض علىّ أن أشتريه كعبد رقيق، فبعثت من يحمله مدحورا مذموما، ودخل قرطبة عارى الرأس مكشوف الجسم على حمار هزيل بين غرارتين من التبن، والجميع ينظرون إليه فى تهكم واستهزاء.. وحين قابلنى فى مجلس الحكم كان المنتظر أن آمر بإعدامه للجناية العظمى التى ارتكبها حين أعلن نفسه حاكما على مرسية، ولكنى رحمت دموعه وعفوت عنه! وأودعته السجن.

وقد بلغ من وقاحته التى ينفد عندها الصبر أنه هجا زوجتى الملكة اعتماد، وهى ذات الجلالة والتصون وعيّرها بأنها روميكية وليست عربية. وليس فى ذلك ما يعيب، فأكثر ملوك الأندلس من عهد عبدالرحمن الناصر قد تزوجوا الإسبانيات، وظهر من أولادهن من تسنموا ذرى الملك، وهو لا يجهل قدر الملكة، وحكمتها فى تدبير الأمور بالرأى الناصح، والمشورة الحميدة، وارتياحى إلى نصائحها، وكان يغار كل الغيرة من استجابتى إلى كثير من آرائها، ويحاول أن يعارض فى حذر، وأنا لا أعلم أنه يكن لها البغضاء، لاهتمامى بها، ولما شاع هجاؤه فى ربوع المملكة، نفد صبرى. وكدت أن آخذه بدنيه المتكرر، ولكنى آثرت الرحمة! ولم يقتصر على هجاء الملكة بل تعداه إلى أولادها الأمراء حيث قال:

تزوجتها من بنات الهجان
رميكية لا تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير الذراع
لئيم التجارب عمًّا وخالا!

ثم أخذت قصائده الاعتذارية تتوالى علىّ، وهو فى ظلمات السجن، ولا أقدر أن أطلقه بعدما أرسل سمومه الشعرية فى الناس، ثم طفّ الكيل، حين رأيته يراسل بعض القوم سرًّا، لا ليشفعوا له، بل ليعلن ولاءه. وقد واجهته بما صنع، فحاول الإنكار، وكان الدليل معى فلم ينطق بحرف، وهنا، نفد صبرى فضربته بآلة من الحديد كانت فى يدى، فسقط هامدا، وهو مُقيّد بالأغلال، وهأنذا أستشعر ضيقًا بعد مصرعه، وأجيل فى نفسى صحيفة مخازيه، وحلقات خيانته فأعرف أنه كان يستحق القتل منذ زمن بعيد!

وهنا أطرق المعتمد كالآسف الحزين. فسارع وزيره بكر بن زيدون، يقول له: لقد اصطنعت معه من أساليب الحلم ما لايصدر إلا عن صاحب خلق عظيم، وهو بجرائره يستحق ما نزل به، ولعلك تنسى مصرعه، بل تنسى كل ما كان منه منذ أن ابتليت به قرطبة، والذى يشد أزرك أن جميع من فى قرطبة يؤيدون إعدامه، ويعترفون أنه بدأ وصوليا انتهازيا، ثم انحدر إلى وهدة الخيانة العظمى، فإذا لاقى مصيره المحتوم، فهو الجزاء الوفاق لكل معتد أثيم!



الحج.. فريضة الاستطاعة

[illegible]

الأستاذ بجامعة المنوفية

يختم الله تعالى سورة البقرة، بآية تشع رحمة على الضعفاء والفقراء وغير القادرين من عامة المسلمين وخاصتهم. ويعطى الأمل لمن ليس في طاقته أو وسعه ـ الآن ـ أن يؤدى بعض التكاليف المفروضة في أن يؤول حاله إلى جانب الاستطاعة والقدرة؛ لأن الذى كلفه قادر على أن يمنحه هذه القدرة والاستطاعة في يوم من الأيام، وإلا فقد سقط عنه التكليف، حيث يقول ربنا جل وعلا في صدر هذه الآية:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

وفى ذلك يقول صاحب الظلال: «وهكذا يتصور المسلم رحمة ربه وعدله في التكاليف التى يفرضها الله عليه في خلافته للأرض، وفى ابتلائه في أثناء الخلافة، وفى جزائه على عمله في نهاية المطاف، ويطمئن إلى رحمة الله وعدله في هذا كله، فلا يتبرم بتكاليفه ولايضيق بها صدره، ولا يستثقلها كذلك، فهو يؤمن أن الله الذى فرضها عليه أعلم بحقيقة طاقته، ولو لم تكن في طاقته ما فرضها عليه، ومن شأن هذا التصور ـ فضلا عما يسكبه في القلب من راحة وطمأنينة وأنس ـ أن يستجيش عزيمة المؤمن للنهوض بتكاليفه وهو يحس أنها داخلة في طوقه، فلو لم تكن في طوقه ما كتبها الله عليه، فإذا ضعف أو تعب أو ثقل العبء عليه، أدرك أنه الضعف أو التعب أو ثقل العبء، وليس فداحة التكليف، وزاد يستثير هذا الشعور عزيمته وينحى الضعف عن نفسه ويهم همة جديدة للوفاء، مادام داخلا في مقدوره، وهو إيحاء كريم لاستنهاض الهمة كلما ضعفت على طول الطريق.

ولما كانت فريضة الحج من الفرائض التى تستلزم بذل المال والجهد وتكريس الوقت، وكل ذلك لايقدر عليه كل الناس على صعيد واحد وفى وقت واحد، فمن يتوافر لديه المال قد تعوزه الصحة والقدرة الجسمانية والعكس أيضا صحيح، إلى غير ذلك من معاذير حقيقية وليست محتملة أو متوهمة؛ ولذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران: من ٩٧)

يقول إمام الدعاة الشيخ الشعراوى: تأتى الأحداث والتكاليف بالنسبة لعزم النفس البشرية على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو ما لا قدرة لنا عليه وهذا بعيد عن التكليف.

والقسم الثاني: لنا قدرة عليه لكن بمشقة، أى أنه يجهد طاقتنا قليلا.

أما القسم الثالث: فهو التكليف بالوسع، وهو ما ذكر في الآية الكريمة:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

أى أن الحق تبارك وتعالى لا يكلف النفس إلا بتكليف تكون فيه طاقتها أوسع من التكليف.

وقد روى أن الله حينما سمع رسوله وسمع المؤمنين يقولون:

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾

قال: قد فعلت. والحق يعلم أن الوسع قد يضيق؛ ولذلك فإنه ـ جل شأنه ـ يخفف حكم التكليف ويمنح الرخص عند ضيق الوسع. وتلك هي رحمة الخالق العظيم.

الحجة المفروضة

وإذا كانت الغاية من جميع العبادات التى فرضها الله تعالى هي إثمار التقوى في قلب المؤمن، والتى يجملها سيدنا على ـ كرم الله وجهه ـ في «الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل»، فإن هذه المعاني كلها تتأكد في الحج، الذى يعتبر من أسمى أنواع المراقبة

لله تعالى، حيث يستدعي الحاج في رحلته هذه رحلته النهائية التي يرحل من خلالها إلى ربه، ويتذكرها حينما يركب طائرته أو باخرته أو سيارته وهو يتوجه بالدعاء القرآني:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾

(الزخرف: من ١٣، ١٤).

وتتأجج مشاعره وهو يطأ الأرض المقدسة، ويمشي في الطرقات والدروب ذاتها التي مشى عليها أكرم خلق الله محمد بن عبدالله وصحابته الغر الميامين، وحينئذ قد يتذكر البطولات والتضحيات الجسام التي بذلها النبي ـ ﷺ ـ وهؤلاء الأبطال من صحابته الأفذاذ، في سبيل إعلاء كلمة الله وإبلاغ هذه الدعوة العالمية، التي هي في جوهرها رحمة للعالمين، لعله يترسم الخطى ويتبع السبيل، ويستزيد من أعمال البر والخير.

فهذه الأماكن التي شهدت مهبط الوحي وارتباط السماء بالأرض من خلال فيض النور القرآني، لهي من أعز وأكرم الأماكن على نفس المسلم، فإن قصرت عزيمته عن مستوى وطاقة جهاد هؤلاء فله من الحج جهاد لا شوكة فيه كما قال رسولنا الكريم وهو ـ أيضاً ـ جهاد الضعيف والشيخ الكبير والمرأة، روى عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: إني جبان، وإني ضعيف فقال: «هلم إلى جهاد لا شوكة فيه...

حج [illegible] (ولم يرد بعد عن [illegible] عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: [illegible]

لكن أحسن الجهاد وأجمله حج مبرور».

[illegible] فريضة في حجة [illegible] بعد ذلك غير مشروع، وفي ذلك يروى عن أبي هريرة قوله: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت النبي ـ ﷺ ـ فقال الرجل: أكل عام يارسول الله فسكت النبي ـ ﷺ ـ قال الرجل: أكل عام يا رسول الله؟ فقال ـ ﷺ ـ: لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم. فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم. وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[2].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج. فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال ـ ﷺ ـ: لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطيعوا [illegible] الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع».

ليس بالمال وحده تكون الاستطاعة

والاستطاعة [illegible] أخا آنفاً. وقد أتذكر الآن زميلاً كان يستطيع من الناحية [illegible] أن يحج [illegible] على ذلك. [illegible] كثرة الأعباء والأشغال [illegible] كثيرة، قد يرجى منها فوائد جمة، [illegible] ثقلت عقارب الزمن وضاع كما تضيع [illegible] كثيرة، ضاعت معه الصحة والقدرة [illegible]، في الوقت الذي تضاعفت في يديه الأموال الوفيرة، وهو الآن يندم أشد الندم [illegible] الصحة، التي كان من الممكن أن تعينه على أداء هذه الفريضة الغالية، والتي [illegible] يكن له عذر مقبول في عدم القيام بها في حينها! ولذلك فمن أراد الحج فليعجل من قبل فوات الأوان، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة (أي لا يقدر على تكاليف الرحلة)، وتعرض الحاجة (أي قد يحل به الفقر بعد السعة)» كما قال النبي ـ ﷺ ـ[3].

وقد يرى البعض أن يقترض لكي يؤدي فريضة الحج، وهو في هذا يشق على نفسه وعلى غيره، لكي يؤدي فريضة سقطت عنه بعدم الاستطاعة. وقد سئل النبي ـ ﷺ في هذا ليعلمنا ما يجب علينا فعله في هذه الظروف، فعن عبدالله بن أبي أوفى قال: «سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن الرجل لم يحج، أيستقرض للحج؟ فقال ـ ﷺ ـ: لا».

وهذه رحمة ما بعدها رحمة من الله «الرحمن الرحيم» ومن رسوله الذي بعث أيضاً رحمة للعالمين.

[illegible]

(١) المعجم الكبير للطبراني.

(٢) البخاري.

[illegible]

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين!

● السؤال من أ. أ. ع: قصد فوج من خارج الحجاز مكة المكرمة يريدون الحج فسافروا إلى مكة محرمين بعمرة متمتعين بها إلى الحج وجلسوا في مكة بضعة أيام ثم سافروا إلى المدينة المنورة لزيارة سيدنا رسول الله ﷺ ثم عادوا إلى مكة يوم التروية محرمين من ميقات أهل المدينة بالحج فمنهم من أفرد الحج ومنهم من قرن بين العمرة والحج، فهل على من أفرد الحج هدي باعتبار أنه اعتمر بمكة سابقاً ثم أنه بخروجه إلى الحل انقطعت عمرته وأصبح نسكه الإفراد بالحج ولا شيء عليه؟

●● الجواب: للحج أنساك ثلاثة: الإفراد والقران والتمتع: فالإفراد عند بعض العلماء - كالشافعية - هو تقديم الحج على العمرة بأن يحرم أولاً بالحج من ميقاته ويفرغ منه ثم يخرج إلى مكة من أدنى الحل فيحرم بالعمرة ويأتي بعملها، ومن العلماء من لا يشترط العمرة بعد الحج، ويجعل القيام بأعمال الحج وحده دون العمرة هو الإفراد. وأما القران فهو أن يحرم بهما معاً، أو بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل شروعه في أعمالها ثم يعمل عمل الحج في الصورتين، فيحصلان. وأما التمتع فهو أن يقدم العمرة على الحج ويتحلل بينهما، ويسمى الآتي بهذا النسك متمتعاً نظراً لتمتعه بمحظورات الإحرام بين النسكين. ولا يجوز إدخال العمرة على الحج وذلك بأن يحرم بالحج ثم يدخل عليه العمرة؛ لأنه لا يستفيد به شيئاً، بخلاف عكسه وهو القران - حيث يستفيد بإدخال الحج على العمرة الوقوف بعرفة والرمي والمبيت.

وليس على المفرد دم واجب، بل إن شاء ذبح تطوعاً منه وإن شاء لم يذبح.

ولكن المتمتع عليه دم واجب، وسبب الوجوب هو ترك الإحرام بالحج من ميقات بلده فإن المتمتع يحرم بالحج من مكة، ولو أفرد لأحرم بالحج من ميقات بلده.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

ويشترط لوجوب هدي التمتع ألا يكون الحاج من حاضري الحرم، وهم من مساكنهم دون مرحلتين منه - أي حوالي أربعة وثمانين كيلو متراً -. ويشترط أيضاً على [illegible] - لثبوت الهدي الواجب في حقه أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، وأن يحج في عامه، وألا يعود إلى الميقات الذي أحرم منه بالعمرة ليحرم منه بالحج إذا لم يكن أحرم به أو محرم إن كان أحرم به، ولا إلى ميقات آخر ولو أقرب إلى مكة من ميقات عمرته أو إلى مثل مسافة ميقاتها، فإذا عاد إليه وأحرم منه بالحج لم يلزمه الدم؛ لأن المقتضي لإيجاب الدم وهو ربح الميقات قد زال بعوده إليه. ومثل ذلك ما ذكر؛ لأن المقصود قطع تلك المسافة محرماً.

كما أنه يجب على القارن هدي بسبب ترك الإحرام بالعمرة من ميقات بلده لو أفرد، لأن القارن يحرم بالحج والعمرة معاً من ميقات واحد.

وعليه وفي واقعة السؤال فإنه ليس على من أفرد الحج دم، بينما على من قرن الحج والعمرة دم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المشقة تجلب التيسير

● السؤال من م. ش. ع: ذهبت إلى تأدية فريضة الحج ووكلني أحد زملائي في رمي جمرة العقبة حيث كان مريضاً ولم يستطع الرمي من الزحام. فذهبت ورميت حصياتي واحدة واحدة، ثم اشتد علي الزحام والضيق وأوشكت على السقوط على الأرض، فرميت حصياته مرة واحدة، وعدت إلى الخيمة ولم أقل له شيئاً، ثم مات هو بعد ذلك، وأنا مريض لا أستطيع الحج مرة أخرى. فهل ما فعلته صحيح؟

●● الجواب: جمهور العلماء على أن من رمى سبع حصيات دفعة واحدة لم تحسب له إلا رمية واحدة، ويبقى عليه ست رميات. وذهب داود وعطاء إلى أن ذلك يجزئه عن السبع، قال عطاء: ويكبر عن كل واحدة، وقال الحسن البصري: إن كان جاهلاً أجزأه،

وروى عن الإمام أبي حنيفة أنه إن وقع في الرمي متعاقبات أجزأه وإلا فلا. ويجب في ترك رمي اليوم أو أكثره دم عند الجمهور.

وعلى ذلك فعليك دم عن صاحبك الذي وكلك في رمي جمرة العقبة عنه، وهو ذبح شاة تذبح في الحرم، ويمكنك توكيل إحدى الشركات المتخصصة في ذلك، فإن لم تكن تملك ثمن ذلك فلا مانع من الأخذ بقول عطاء والحسن؛ لأن المشقة تجلب التيسير، ومبنى الحج على التخفيف.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ملابس الإحرام

● السؤال من ط. ط. أ: هل السترة التي يلبسها المحرم في حجه وعمرته والتي تكون قطعة من قماش يتم عمل كنار لها ويتم إدخال مطاط لها (أستك) في هذا الكنار وتلبس أسفل الإزار مشروعة؛ حيث إننا نقوم بتصنيعها وتوريدها للمحلات التجارية، ورأيكم سيكون فيصلاً في الاستمرار في هذا النشاط من عدمه؟

●● الجواب: الممنوع على المحرم هو لبس المخيط، وذلك لما روى ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما يلبس المحرم من الثياب؟ فقال النبي ﷺ: «لا يلبس المحرم القميص ولا السراويل ولا البرنس ولا الخفين إلا أن لا يجد النعلين فليلبس ما هو أسفل من الكعبين». رواه البخاري ومسلم، فأخذ العلماء من ذلك وغيره من الأحاديث أن الرجل إذا أحرم يمتنع عليه لبس المخيط، والمقصود بذلك أن يكون الملبوس محيطاً مفصلاً على العضو كالمذكور في الحديث من السراويل والقميص والخفين والبرنس، وما لم يكن كذلك فلا بأس بلبس المحرم له، كالساعة والنظارة والرداء والإزار مما يلف على الجسم ولا يفصل للعضو.

وعليه وفي واقعة السؤال فنفيد بأن «السترة» المسؤول عنها بهذا الوصف الوارد في السؤال والمشاهد في العينة المرفقة جائز لبسها من قبل المحرم، حاجاً كان أو معتمراً، ويجوز التعامل فيها صناعياً وتجارياً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الضرورات تبيح المحظورات

● السؤال من [illegible] يقول [illegible] معوق [illegible] شلل [illegible] وقد [illegible] فهل يجوز له [illegible] وهو يؤدي مناسك [illegible] المسجد الحرام من طواف وسعي وهل عليه فدية في ذلك أم لا؟ وهل رباط الحذاء يعتبر محيط أم لا؟

●● الجواب: يجوز لبس الحذاء الذي يربطه برباطه المعد إليه في مثل حالة السائل لأن هذه ضرورة والضرورات تبيح المحظورات لقوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج: ٧٨)

ولقوله عز وجل:

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾

(المائدة: ٦)

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ في حديث الشريف عن عمرو بن يحيى [illegible] عن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار» [illegible] على صاحب السؤال الذي يرتدي حذاء [illegible] يخرج قدمه من [illegible] مسكين [illegible] [illegible] لقوله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

(البقرة ١٩٦)

وبما ذكر يعلم الجواب عن السؤال

والله سبحانه وتعالى أعلم

لا مانع من أن يحج ولد الزوجة على نفقتها

● السؤال من [illegible] [illegible] [illegible] حج وعمرة [illegible] [illegible] حج وعمرة [illegible] فهل يجوز شرعاً أن يحج أو يعتمر [illegible] زوجتي على نفقتي؟

●● الجواب: لا مانع شرعاً من أن يحج أو يعتمر ولد الزوجة على نفقتها [illegible] من البر والإحسان وصلة الرحم وأنه بمجرد تبرع المال للحج من المتبرع أياً كان يصبح المال ملكاً للمتبرع إليه وبه تتحقق الاستطاعة المطلوبة في الحج تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران: ٩٧)

وبما ذكر يعلم الجواب عن السؤال

والله سبحانه وتعالى أعلم

الحج على نفقة الغير

● السؤال من: م. م. م. لي ابن يعمل بالسعودية وأرسل إليّ دعوة للحج على نفقته. فهل تصح [illegible] هذه الحجة لوالدتي مع أنها ليست من مالي؟

●● الجواب: الحج عن الغير يكون من مال الحاج، ويكون من مال الذي يحج عنه، ويكون من مال غيرهما، أي بمال أجنبي عنهما، وبقدر تعب المكلف ونصبه ونفقته بقدر ما يحصل على الثواب تفضلاً من الله تعالى، فقد قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها فيما يخص أجر عمرتها: «على قدر نصبك، أو قال: «نفقتك» رواه الشيخان.

وعلى ذلك فلا مانع من حجك عن والدتك في هذه المرة التي تذهب فيها بدعوة ابنك، بشرط أن تكوني قد حججت عن نفسك في عام سابق، ويكون الثواب لك ولوالدتك ولابنك، تفضلاً من الله تعالى وتكرماً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الحج عن المتوفاة

● السؤال من ش. ع. ع: هل يجوز أن تقوم شقيقة سيدة متوفاة بأداء فريضة الحج عنها ومن مال ابن المتوفاة التى لم تترك أموالا علما بأن هذا الابن لم يسبق له أداء فريضة الحج ومع العلم بأن هذه الشقيقة قد أدت هذه الفريضة

فهل يجوز أداء فريضة الحج لهذه المتوفاة من مال ابنها الذى لم يسبق له أداء الفريضة أم لا يجوز؟

●● الجواب: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال من أن شقيقة المتوفاة قد أدت فريضة الحج عن نفسها قبل ذلك فلا مانع شرعاً أن تؤدى مرة أخرى عن شقيقتها المتوفاة وإن كان المال مال ابن المتوفاة ما دام هذا الابن قد تبرع بهذا المال حتى تقوم خالته بالحج عن والدته ولا يمنع من هذا أن الابن لم يحج عن نفسه.

ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال إذا كان الحال كما ورد به.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يوم التروية والمبيت بعرفة

● السؤال من و. ز. ش: هل يجوز للحاج أن يتوجه إلى عرفات يوم الثامن من ذى الحجة بدلاً من التوجه لمنى؛ وذلك نظراً للزحام الشديد الذى يحصل عند الصعود إلى عرفات؟

●● الجواب: يوم الثامن من ذى الحجة هو يوم التروية، وسمى بذلك لأن الحجيج كانوا يستريحون فيه فى منى ويريحون فيه [illegible] ويتهيئون ويتروون فيه فى طريقهم إلى عرفة استعداداً لأعمال هذا اليوم العظيم وما بعده من أعمال يوم النحر وأيام التشريق، ويسن فقط - ولا يجب للحاج أن يذهب فيه إلى منى فى الضحى؛ ويصلى فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء مع قصر الصلاة الرباعية لكن وبدون جمع. ويبيت فيها ليلة عرفة. ثم يصلى فيها الفجر ويطلع إلى عرفة فى الضحى أيضا. فإن فعل العاجز أو الضعيف أو المسن خلاف هذا وذهب إلى عرفة من يوم الثامن خوفاً من الزحام فلا شىء عليه وحجه صحيح، غاية الأمر أنه قد ترك مستحباً، بل وتركه لعذر. فعسى أن يأخذ ثواب الشىء الذى لولا العذر لعمله، وإنما الجبران يكون بترك الواجب لا السنة. على أنه من الأفضل أن يمكث يوم التروية بمنى ثم يبيت ليلة التاسع بعرفة خشية الزحام.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الحج عن المريض العاجز

● السؤال من هـ. ف. أ. يقول: أنا لا أستطيع أداء فريضة الحج لأنى أعانى من مرض السكر مما تسبب لى بتر رجلى اليمنى وإصبع من اليسرى وأبلغ من العمر ٦٥ عاما ولا أملك تكاليف الحج

فهل إذا توافرت لدى تكاليف الحج يجوز أن أنيب عنى أحداً فى أداء هذه الفريضة؟

●● الجواب: الحج ركن من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا، ويرى فقهاء مذهب [illegible] خلافاً للحنفى والشافعى والحنبلى أن الحج مما تقبل فيه الإنابة فيجوز للعاجز عجزاً مستمراً عن حج الفريضة أن ينيب من يحج عنه ويشترط لجواز الإنابة أن تكون نفقة المأمور بالحج من مال الموكل العاجز وهى كل ما يحتاجه الوكيل من مصاريف السفر والطعام والشراب والملبس والمسكن وأن ينوى الوكيل الحج عن العاجز وأن يكون الوكيل قد أدى فريضة الحج عن نفسه

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال:

إذا كان السائل مريضاً ولا يستطيع الحج عن نفسه بسبب مرض السكر وما أصابه من بتر رجله وإصبع من الرجل الأخرى. فيجوز له أن ينيب غيره لأداء فريضة الحج مع تحمله نفقات الحج للنائب. اللهم إلا إذا تبرع النائب وقام بتحمل ذلك على نفقته الخاصة.

ومما ذكر يعلم الجواب

والله سبحانه وتعالى أعلم

التقصير واجب

● السؤال من ق. ف. ب. يقول: حججت حج تمتع وطفت طواف الإفاضة فى نهاية الحج وسعيت ولكنى نسيت التقصير فهل على شىء؟

●● الجواب: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن التقصير واجب يجبر تركه بدم فعلى السائل أن يذبح شاة جبراً عن نسيانه للتقصير

ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال

والله سبحانه وتعالى أعلم

لا يجوز لبس المخيط

● السؤال من: ث. غ. خ: هل يجوز للمحرم أو المحرمة أن يغطى نفسه بشىء يتدفأ به؟

●● الجواب: المحرم بعمرة أو بحج ممنوع من لبس المخيط المحيط، وهو المفصل على قدر العضو من أعضاء الجسم، كالقميص والسراويل والثياب والخف ونحو ذلك. أما ما يلف على عضو من الأعضاء من غير أن يكون مفصلا عليه فلا يضر، فلو أخذ قميصا أو ملاءة أو لحافاً فلفها على جسمه لدفع البرد أو لستر العورة أو غير ذلك فلا يضره ذلك. فالمعول عليه فى وجوب الفدية فى المخيط هو حصول اللبس به على المعتاد فى كل ملبوس، لا مجرد وضعه على الجسم.

وهو أيضا ممنوع من تغطية رأسه أو بعضه - ولو كان البياض خلف الأذن - بشىء يلتصق به، سواء أكان مخيطاً محيطاً كالقلنسوة أو العافية، أم لا كالعمامة أو الإزار وكل ما يعد ساتراً، ولا بأس أن يتوسد وسادة أو يضع يده على رأسه أو يستظل بمظلة ولو مست رأسه، وأما حمل شىء على رأسه ففيه خلاف، فالأفضل ترك ذلك حتى لا تكون عليه فدية على رأى المانعين.

والمحرمة بحج أو بعمرة إحرامها فى وجهها وكفيها، فيجب عليها ألا تغطى ذلك منها، ولها بعد ذلك لبس ما تشاء وتغطية رأسها بما تشاء.

وعلى ذلك فلا بأس للمحرم بحج أو عمرة أن يغطى نفسه بشىء يتدفأ به، بشرط ألا يلبسه على جسمه بحيث يفصل أعضاءه، وبشرط ألا يغطى بذلك رأسه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

خطبة الجمعة

بين بدء الوحي وختامه

[illegible]

إعداد فضيلة الشيخ علي حامد عبدالرحيم

الحمد لله حمداً مضاعف الشكر والثناء والتمجيد، حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده، حمداً يبتغي به رضاه ويتقي به سخطه.

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾

(الإسراء: ١١١)

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، [illegible] الله أكبر [illegible] في [illegible] نبات، الله أكبر ما دار في فضائه فلك، الله أكبر ما سبح بحمد ربه الأعلى ملك، الله أكبر [illegible] دعوته وتعلي كلمته وتحيي شريعته، الله أكبر [illegible] مبروراً وسعياً مشكوراً، الله أكبر ما انسكبت عبرات [illegible] الأول آدم وأمنا الأولى حواء:

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(الأعراف: ٢٣)

١- [illegible]

الله أكبر ما قامت بربها الأشياء وخضعت لحكمه الأرض والسماء، الله أكبر ما التقى على ظهر الأرض الكفر والإيمان، وتصارع أنصار الحق وأنصار الباطل وكافح بعضهم بعضاً.

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ [illegible] ﴾

(الحج: ١٩-٢١)

هذا جزاء الكفرة الفجرة، أما الصالحون الأبرار

﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ [illegible] وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

(محمد: ٤-٦)

الله أكبر ولا إله إلا الله ولانعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

أيها الأخوة:

إن أعياد الإسلام تقترن بالقرآن الكريم اقتراناً تاماً، فمع بدء الوحي الأعلى كان رمضان، وكان صومه، وكان عيد الفطر، ومع خواتيم الوحي الأعلى كان الحج، وكان يوم عرفة، وكان اكتمال الدين، وكان بدء حضارة ظلت الدنيا [illegible] إذ علت قدر الإنسان وشرفته على امتداد الزمان والمكان!!

وبين بدء الوحي وختامه ثلاث وعشرون سنة، ربع قرن طويل امتلأ بالأحداث العجيب، كان هذا المدى من الزمن مشحوناً بالنصر والهزيمة، وبالفرح والحزن، وبالفرج والضيق، وكما قال ربنا:

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١٤٠)

في هذا الربع القرن وجدنا صاحب الرسالة الخاتمة يُطارد في الحرم الآمن ويقال له- وهو أنضر الناس عقلاً وأرشدهم فكراً-:

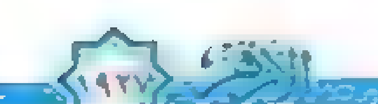
﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾

(الحجر: ٦)

ثم يُطارد من بلده إلى مهجره لتلحق به في أحد هزيمة رهيبة صرعت من أئمة المسلمين سبعين شهيداً، وبلغ ترقع الوثنية بعد أن أحرزت نصرها أن وقف قائدها يقول: «أعل هبل». فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه»، قالوا: ما نقول يارسول الله؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل»[1].

إذا كانت الوثنية قد ظفرت بمعركة وألحقت بالمسلمين خسائر فإن خمس

(١) رواه البخاري في المغازي- باب غزوة أحد ٥/ ٢٢، ١٢٩.



سنين أعقبت غزوة أحد، وإذا المسلمون سادة الموقف في مكة المكرمة، وبعد سنة واحدة من فتح مكة كان المسلمون يسودون مواسم الحج ومخيمات الحجيج. وتنزلت في السنة التاسعة من الهجرة سورة التوبة تنهى الوجود الوثني في جزيرة العرب وتختم رواية خرافية دامية بقيت تخدم الباطل أمدا ليس بالقصير، وأعطى المشركون فرصة محدودة إما عادوا بعدها إلى رشدهم وإما فقدوا حياتهم وأمانهم:

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

«التوبة: ١-٣»

هذه الصيحة بعد اثنتين وعشرين سنة من بدء الوحي ختمت صراعا داميا طويلا بين دعوة التوحيد وبين الجاهلية التي أبت إلا سفك الدم ومصادرة الحرية ووأد الحق فكان جزاؤها أن طبق عليها القانون الأزلي:

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾

«الرعد: ١٧»

لكن لهذا الصراع عبرة يجب أن يعيها الناس إلى آخر الدهر، فإن الصراع بين الحق والباطل مر المذاق كثير الجراحات فادح التضحيات. ولقد تحمل المسلمون الأوائل تحمله هذا كله. وعندما كان الصراع كلما اشتدت وطأته وبلغت القمة وبلاؤه كان النصر القريب وكان تحقيق الأمل، وبين هذا رب العالمين حتى يدرك المسلمون أنهم لن ينالوا في زمن ما نصرا رخيصاً.

إن الكفاح يمس النفس الإنسانية حتى يبلغ شغاف القلب وحتى يبلغ السكين حز العنق، وعندما تصل المحنة إلى هذا المدى الرهيب تبدأ حركة التحول، أما الكفر فإلى أدنى وأما الإيمان فإلى أعلى، قديما أذاق الفراعنة موسى وقومه بلاء شديدا وعذابا مهينا فلما شاء رب العالمين أن يخرج موسى وقومه من هذا الوادي رأى فرعون أن يتبعهم:

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾

«الشعراء: ٦٠-٦٦»

والشاهد أن موسى لما رأى فرعون يطارده ورأى الجيش يقترب منه لم يفزع وبلغت

ثقته في الله حدها عندما قال:

﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾

وقد صدق الله وعده وأنجز وعده وأغرق جبابرة وملأ بالطين أفواههم!!

إذا قلنا: إن خواتيم الوحي نزلت في مواسم الحج فإنما نتناول أمورا كثيرة ويحتاج إلى شيء من التفصيل. فإن السنة التاسعة شهدت قرئ في حجتها صدر سورة براءة. وكان أبو هريرة وغيره من الصحابة ينادون في كل فج ويطوفون بحجر كل نجاد ليقولوا بأعلى صوتهم: ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان[٣] انتهت المهزلة انتهت الوثنية.

وفي السنة التي تلت هذه الحجة- حجة أبي بكر بالناس- نزل قوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

«المائدة: ٣»

وكثير من الناس يظن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن الكريم، وهذا غير صحيح. إنها آخر ما نزل متعلقا بالتشريع وآيات الأحكام. لكن ثبت أن بعد تسعة أيام من نزولها نزل قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

«البقرة: ٢٨١»

أيها الشباب

اعلموا أن شرفنا بالإسلام، وأن انتصارنا بتعاليمه، وأن استعادة ما افتقدنا إنما هو بالوقوف عند حدوده والانطلاق مع غاياته وأهدافه.

أحب أن أقول للشباب: تشبثوا بالعقائد التي شرفكم الله بها، استمسكوا بأصول الإسلام التي آلت إليكم بعد جهاد مر مع قوى الشر..

لقد ورثتنا الأجيال القديمة هذا الدين القيم ويجب أن يبقى في أيدينا وأن نورثه غيرنا وأن ننشئ عليه أجيالاً أخرى، وربما كانت أصدق منا يقيناً وأعمق إيماناً وأجدى إلى تحقيق النصر وأقرب إلى بلوغ الفوز العظيم!!

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

«الحشر: ١٠»

---

(٣) [illegible]

الشيخ الغزالي والقصص القرآني

المحور الثالث: القصص القرآني

[illegible]

مراد الله تعالى من القصص القرآني:

يبدأ الشيخ محمد الغزالي الكلام في هذا المحور بطرح السؤال التالي: هل القصص التي رواها القرآن الكريم متشابهة في سياقها وأحداثها وإفاداتها؟ وهل هي لون من التكرار الذي يغني قليله عن كثيره؟

والجواب: إن لكل قصة في موضعها إيراد مقصود وأثر مغاير يحتاج إليه السامع لتكتمل به الحقيقة التاريخية، والعناصر التربوية، مثال ذلك قصة آدم التي تكررت في سورة البقرة سبع مرات (ص٩٧) لكل مرة منها مغزى، لأن ما يراد في سورة غير ما يراد إبرازه في غيرها، واختار الشيخ محمد الغزالي قصة آدم في القرآن ليوازن بينها وبين ما جاء في آدم في التوراة، ففي الإصحاح الثالث من سفر التكوين أغرت الحية حواء بأن تأكل من الشجرة المحرمة وتطعم زوجها فقالت الحية للمرأة (حواء) بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر (تكوين ٣ / ٤)، «وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيين (الملائكة) ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» (تكوين ٣ / ٢٢ - ٢٤) هذا ما جاء في سفر التكوين من التوراة.

وخلاصة هذه السطور أن آدم أكل من شجرة المعرفة فعرف الخير والشر، ثم رأى الله - عز وجل - أن يمنعه من الأكل من شجرة الحياة حتى لا يعيش إلى الأبد، ثم [illegible] في عبارة التوراة «وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا»

واحد من [illegible] ... [illegible] لا يكون مثل الله

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الشورى: ١١)

إن الذي قصه القرآن الكريم أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها، وميزه عن جميع مخلوقاته ومنهم الملائكة بسعة معرفة.

القرآن الكريم يذكر حقيقة ما أخفى هؤلاء يقول - عز من قائل -

﴿ [illegible] ﴾

(المائدة: ١٥-١٦)

إن سياق قصة آدم في القرآن جاء بعد وصف رسالة الإنسانية كلها على ظهر الأرض، وبيان القدرات التي وهبها الله تعالى لآدم لكي يؤدي هذه الرسالة.

١- في سورة البقرة قص القرآن أن الله جعل الأرض مستقراً لآدم وبنيه، وجعل له كل ما فيها منافع له ولذريته، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٢٩)

لأن الأرض وجميع ما فيها منافع لآدم وبنيه في الدين والدنيا، أما في الدين فدليل على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه.

٢- لكي يتيسر ذلك للإنسان - فلابد من أمرين:

أولهما: أن يمكن في الأرض. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾

(الأعراف: ١٠)

وثانيهما: أن يوصف له العلم الذي يسيطر به على الأرض، قال تعالى:

﴿ [illegible] ﴾

(البقرة: ٣١-٣٣)

وفى سورة الأعراف بيّن التنزيل الحكيم أن الذى تحايل على آدم وحواء وذريتهما من بعدهما كان إبليس وليس الحية. قال تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

(الأعراف: ٢٠ـ٢٥)

ذلك مقدر لآدم وذريته أن يعمروا الأرض، ولقد أجملت قصة آدم فى سورة البقرة، ثم فصلت فى سورة الأعراف، ومواضع أخرى من سور أخرى فى القرآن، وبين التنزيل أن الذى حدث لآدم حدث لحواء، فهما متساويان فى التكاليف، ثم إن آدم وحواء هما الأب والأم للبشر جميعاً الذين ورثوا مصير أبويهم.

ثانياً: القصص القرآنى أداة للتربية

القصص فى السياق القرآنى أداة تربية ووعظ وتوجيه للفرد وللجماعة، والقرآن عندما يقص عن الماضين يعطى دروساً من العبر ليرشد بها أتباع خاتم النبيين ـ قال تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾

(طه ٩٩)

إن علل الأمم الغابرة والحاضرة متشابهة، وإن أمراض البشر متشابهة ودواؤها واحد.

وإن الله ـ عز شأنه ـ الذى سخر الأرض وما فيها للإنسان، وجعل مسخرة للإنسان يعمرها ويحسنها، ويستمتع بها، وإن له أن يعمرها بتقوى منه وبالأعمال الصالحة. ومن هنا جاءت قصص القرآن لتستميل على أنه الدائمة لمن عرف الشرف والنعيم. فكثيراً ما نعم الله ـ ويبين فى الوقت نفسه تحديد العلل للمؤمنين حتى لا يقعوا فيها، وهنا يظهر للإنسان معنى الدين الحق، الذى بينه المؤلف وأنه يقوم على حقيقتين رئيسيتين:

أوليهما: معرفة الله والشعور بأن البدء منه والمصير إليه، كما بينت القصص القرآنية التى تحدثت عن آدم بدءاً من خلقه، وانتهاء ببعثه وحسابه ومستقره بالجنة أو النار.

ثانيهما: الالتزام بهدى القرآن والخضوع لأمر الله تعالى.

ولقد بيّن القصص القرآنى ذلك ـ فكان ـ تربية نفسية واجتماعية ـ وحضاً على التقوى.

وبياناً يشرع للأمة المسلمة كيف تحمل رسالة القرآن على أساس صحيح قويم. قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢ـ١٦٣)

إن الانتماء إلى الدين، والاحتكام إلى تعاليمه هو الذى يحفظ المسلمين حيناً بعد حين.

وإن ما ذكر فى بعض أحاديثهم ـ وإن فى قصص القرآن جلاء تاريخ الماضين من لدن آدم عليه السلام ـ ولابد مع أسبابه. فهى محلى حول من مضوا فيستمتع به ـ كما أنها محلى لعقائدهم وأخلاقهم. ومن شرح أنهم من عادات وسياسات. والقدرة على التقوى. وتحذيرهم على الشر.

يقول الشيخ محمد الغزالى: «والقصة حيث كانت عنصر تربية وتوجيه، وإفرادها فى القرآن الكريم أو تكريرها مقرون بحكمة رعية» (ص١١٦).

ثالثاً: موقف المسلمين من رسالتهم كما بينها القصص القرآنى

بدأت رسالة الإسلام، مع بعثة محمد ﷺ وفيها بين المرسلين أن الإسلام هو حصيلة رسالات الأنبياء كلهم. ولكن من أسف فالأمة الإسلامية لأن تفتقر ما تكون إلى معرفة تاريخها. ومن هنا فإن المؤلف يريد أن يعيد إليها الذاكرة لتتعرف تاريخها العظيم. خاصة وقد طالب أنهم القرآن أن لهم عقلاً يوجب عليهم أن ينظروا ويجربوا ويكتشفوا ويتدبروا من السير فى الأرض، ومن معرفة التاريخ الماضى والحاضر، نعم ذلك العقل المتوقد الخواص التى تتطلب المعرفة والمدارسة، قال تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

(الحج ٤٦)

ومن ثم فإن المؤلف يرى دراسة قصص القرآن فريضة دينية بجانب كونها فريضة إنسانية، وضرورة بقاء. وإن الذى دفع المؤلف إلى أهمية إيقاظ المسلمين المعاصرين أن حاضر الإسلام تحيط به المكاره، وإنه نهب لقوى الاحتلال الغربى فى قارتى آسيا وأفريقيا، وإنه يريد نهضة للمسلمين المعاصرين يلتفون بها حول الدين، وليس حول القوميات، فدين الإسلام ليس علاقة عرقية بين أتباعه، فالعرب فيه والهنود والبيض سواء، وإن كان الأفضل للمسلمين أن تكون قيادتهم عربية، ولسانها العربية لأنها لغة الوحى.

رابعاً: أبعاد الإسلام النفسية والاجتماعية فى القصص القرآنى

وقصص القرآن تبيّن أبعاد الإسلام النفسية والاجتماعية، وتحدد للإنسان علاقته بربه ونفسه وأسرته ومجتمعه كله، وتحدثه عن جملة العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات، والأحكام التى يلتزمها والشعائر التى يرفعها.

ولقد ظلت حدود الحلال والحرام ثابتة عند المسلمين، ولا يزال المسلمون يرفضون المنكر وينكرونه، ولا يزال يوجد بين المسلمين من يأمر وينهى، ويعد ويتوعد ويذكر بالله والآخرة، ولولا ما حدث من انفصال بين العلم

والحكم لظل تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي يتير للمسلمين طريقهم نحو التقدم، وما صاروا إلى ما صاروا إليه!!

خامساً: قصة العلم والحكم في تاريخ الإسلام والمسلمين

إن الإسلام جاء بلغة العرب، والنبي الخاتم، وجعلت قبلة الصلاة، والحج في أرضهم، وهذا فضل من الله -عز وجل- يوجب عليهم الشكر له والحمد والتفاني في نشر الدين، خاصة أنهم يعززون عندما يعز الإسلام، دون فرض جنسهم على الناس، لأن الإسلام لا يميز بين عربي وأعجمي، ولا يميز بين أبيض وأسود إلا بالعمل الصالح، وتقوى الله.

سادساً: الخلافة العثمانية

شاء الله تعالى أن يُودع وحيه الخاتم لغة العرب، فمن أراد أن يعرف تفاصيل الوحي والفقه فيه والقيام بحقه يجب عليه أن يعرف العربية -ولو لم يكن من العرب.

ولكن لما حكم الأتراك العثمانيون كانوا أصحاب مقدرة حربية، أكثر مما كانوا أصحاب عبقريات علمية وسياسية، وهم أصحاب عاطفة حرى وشعور بالحب لله ورسوله، وكانت غيرتهم على الإسلام. وسخطهم على ما فعل خصومه بأمته من وراء السيل الدافق الذي دفعهم إلى نقل الحرب إلى أوروبا، وتأخير احتلال الدولة الإسلامية ستة قرون. ولولا أن فشى فيهم ما فشى في دول الإسلام من قبل من الاستبداد السياسي، والاستعلاء الجنسي، والابتعاد عن اللغة العربية، وغيبة الشورى لما قيت الخلافة العثمانية بأيدي العرب، خاصة الإنجليز، وما تآمر معهم من اليهود والعلمانيين الأتراك.

ولو أن المسلمين وعوا تاريخ الأمم السابقة، كما قصت قصص القرآن لاعتبروا، ولما حدث لهم ما حدث.

ولولا أن فشى فيهم ما فشى في دول الإسلام من قبل من الاستبداد السياسي والاستعلاء الجنسي، والابتعاد عن العربية، وغيبة الشورى، لما قيت الخلافة العثمانية بأيدي العرب، خاصة الإنجليز والفرنسيين.

«إن على العرب وقد فقدوا السلطة السياسية أن يمتلكوا السلطة العلمية، وأن يحدموا لديهم بالقلم والسداد، وبالفكر والتربية، وليجعلوا من الثقافة العربية السند الروحي والعلمي للدولة الحاكمة» (ص١٤١).

أراد الشيخ محمد الغزالي أن يقول: إن الإسلام أعطى موازيت نعمته، وإن كتابه الحصين لوحي الإلهي كله من بدء التاريخ إلى قيام الساعة:

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

(البقرة ٢)

وإن المسلمين لو عملوا به كانوا خير أمة أخرجت للناس، والإسلام يستمد من القرآن أمده تحفظ أهله كلما دخلوا في حوزته. وإن أسباب البقاء تكمن في الرباط الوثيق بالقرآن والعودة إليه في فهم واستيعاب.

الأدب مع الخلق

حسن الخلق والتعامل معهم

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

جاء الاسلام لينتقل بالبشر من مهاوى الرذيلة الى سمو الفضيلة. ومن تخاصم العباد وتدابرهم الى تصالحهم وتواصلهم. ومن فساد الأخلاق والعادات الى صلاح النفوس والعبادات. وقد اعتبر الاسلام الوسائل المؤدية الى تحقيق تلك الاهداف النبيلة من صميم رسالته. كما انه عد الاخلال بهذه الوسائل خروجا عليه وابتعادا عنه.

ومن أبرز العوامل التي تؤلف بين القلوب، وتجمع بين النفوس، حسن الخُلُق مع الخَلْق، والتواضع معهم والرفق بهم، والتحلي بعصمة الأدب في معاملتهم، والترفع عن رد الإساءة بمثلها

يقول الله -تعالى-:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

(الفرقان: ٦٣)

أي: وعباد الرحمن الذين رضي الله عنهم وأرضاهم، وأحسن لهم العطاء والجزاء في الآخرة بأن أسكنهم أعلى منازل الجنة، هؤلاء من صفاتهم أنهم يمشون على الأرض مشياً ليناً رفيقاً، لا تكلف فيه ولا خيلاء ولا تصنع، وفي الوقت نفسه لا ضعف فيه ولا استكانة، وإنما مشياً تكسوه القوة والجد، والوقار والسكينة.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: أي يمشون بسكينة ووقار.. كما قال- تعالى-

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾

(الإسراء: ٣٧)

وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من التصانع، تصنعا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام إذا مشى كأنما ينحط من صبب- أى من موضع منحدر- كأنما الأرض تطوى له.. وعندما رأى سيدنا عمر- رضى الله عنه- شابا يمشى رويدا قال له: ما بالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا فعلاه بالدرة وأمره أن يسير بقوة.

ومن صفات هؤلاء العباد الذين شرفهم الله وكرمهم وفضلهم بإضافتهم إليه، أنهم إذا خاطبهم الجاهلون بسفاهة وسوء أدب، لم يقابلوهم بالمثل، بل يقابلوهم بالقول الطيب والأدب السامى، كما قال- سبحانه- فى آية أخرى:

﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين﴾

(القصص: ٥٥)

عن أبى هريرة- رضى الله عنه- قال قال رسول الله ﷺ يوما لأصحابه: «من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟» قال أبوهريرة: قلت: أنا يارسول الله. فأخذ بيدى وعد خمسا، فقال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب».[2]

وعن أبى أيوب الأنصارى- رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «لايحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام».[3]

ولأن حسن الخلق أرقى منازل الكمال فى عظماء الرجال، ولأن حسن الخلق يجمع من الفضائل والمكارم والشمائل عند من يتحلى به الكثير والكثير منها. جعله رسول الله ﷺ سببا من أسباب بعثته فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[4].

وكان عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة فى ذلك، فإن حسن خلقه كان هو المسيطر والمهيمن على كل أقواله وأفعاله ومعاملاته مع الناس.

يقول أنس- رضى الله عنه-: «خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط، وما قال لشىء صنعته لم صنعته، ولا لشىء تركته لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، ولامسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان

(١) تفسير ابن كثير

(٢) الترمذى وأحمد وابن ماجه والبيهقى

(٣) البخارى واللفظ له ومسلم

(٤) متفق عليه

أطيب من عرق النبى ﷺ».

ولعظم قدر حسن الخلق، ومكانته العالية، وأنه على قمة الصفات التى ترفع منزلة صاحبه فى الدنيا والآخرة، وتقربه من رسول الله ﷺ يوم القيامة، يحببنا عليه الصلاة والسلام فى التحلى بحسن الخلق، فيبين فضل صاحبه، فعن جابر بن عبدالله- رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[5].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يارسول الله ما الدين؟ قال: «حسن الخلق». ثم أتاه من قبل يمينه فقال: يارسول الله ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من ورائه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فالتفت إليه وقال: «أما تفقه؟ هو ألا تغضب»[6].

لقد جمع عليه الصلاة والسلام فى تلك الإجابة البليغة فضائل الدين وشمائله الكريمة فى حسن الخلق، فمن حازه فقد حاز الدين.

ولا عجب فى ذلك فحسن الخلق يمحو الله به السيئات، ويرفع الله به الدرجات، ولا يعطه الله إلا لمن يحب من عباده لثقل ميزان حسناته يوم الحساب، فعن عبدالله بن مسعود- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله- عز وجل- يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه يا نبى الله!! قال: «غشمه وظلمه»، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله- عز وجل- لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[7].

وحسن التعامل مع الخلق يقتضى عدم احتقارهم والسخرية منهم، كما يقتضى عدم إهانتهم بمخاطبتهم بألفاظ يكرهونها، يقول الله- تعالى-:

(٥) الترمذى (٢٠١٨)

(٦) تخريج أحاديث الإحياء

(٧) مسند أحمد ١/٣٨٧



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الحجرات: ١١)

اشتملت الآيات السابقة على هذه الآية الكريمة على عدة نداءات للمؤمنين تعلمهم فيها ما يجب عليهم نحو خالقهم- عظمت قدرته- وما يجب عليهم نحو نبيهم ﷺ، وتأمرهم بالتثبت من صحة الأخبار التي تصل إلى مسامعهم حتى لا يقعوا في الإثم والذنب، ويرتكبوا أعمالاً يندمون على فعلها بعد أن تتضح لهم الحقائق. ويعرفوا أن الأخبار التي وصلتهم لا أساس لها من الصحة، وتأمرهم بالسعي في الإصلاح بين المؤمنين إذا وقع نزاع بينهم أو قتال، وبمقاتلة الفئة الباغية إذا ما أبت الصلح وأصرت على بغيها.. وكلها نداءات تدعوا إلى الخير، فيها أبلغ العظات، وأحكم الهدايات، وأسمى الآداب التي يجب على المؤمنين أن يلتزموا بها في معاملتهم بعضهم مع بعض.

وفي الآية الكريمة نداء للمؤمنين ينهاهم الله- عظم شأنه- فيه عن أن يسخر بعضهم من بعض، أو أن يعيب بعضهم بعضا.

ويسخر من السخرية: وهي احتقار الشخص لغيره بالقول أو بالفعل..

وذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها: أنها نزلت في قوم من بني تميم سخروا من بلال، وسلمان، وعمار، وخباب.. -رضي الله عنهم- لما رأوا من رثاثة حالهم، وفقرهم وقلة ذات يدهم.

والنهي عن السخرية هنا عام في كل زمان ومكان، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.. أي: يا من آمنتم بالله -تعالى- حق الإيمان، لا يحتقر بعضكم بعضا ولا يستهزئ بعضكم من بعض فعسى أن يكون المسخور منه خيرا وأفضل عند الله -تعالى- من الساخر، فإن الناس ومكانتهم ومنازلهم عند الله- تعالى- ليست على حسب المظاهر التي تروقها، ولا على حسب الأحساب والأنساب التي تعجبون بمعاييرها، ولا على حسب الغنى والفقر.. وإنما هي على حسب قوة الإيمان، وصفاء القلوب، وحسن العمل، والالتزام بشرع الله، والتأدب بآداب الإسلام.

ولأهمية النهي عن سخرية البعض من البعض، وجهت الآية الكريمة النهي عن السخرية للرجال

﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾

، ووجهت النهي عن السخرية للنساء:

﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ ﴾

أي: عليكم يا معشر الرجال أن تبتعدوا عن احتقار غيركم من الرجال، وعليكم يا جماعة النساء أن تتجنبوا السخرية من غيركن.. وهذا النهي عن السخرية موجه إلى جميع الرجال والنساء في كل زمان ومكان، وهذا العموم دل عليه تنكير لفظ قوم، ولفظ نساء، والتنكير يفيد العموم.

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾

اللمز: العيب والنقص، والتنابز: التعيير والتداعي بالألقاب المكروهة. سواء أكان هذا اللقب المكروه للشخص، أو لأحد أبويه، أو لغيرهما. أي: ولا يعب بعضكم بعضا بقول أو بإشارة، سواء أكان بحضرة الملموز أو في غيبته، فهو أعم من السخرية التي هي احتقار الغير بحضرته، ولا يخاطب أحدكم غيره بالألفاظ التي يكرهها ولا يود سماعها، بأن يقول له يا أحمق، أو يا أعرج، أو يا ابن كذا..

﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾

المراد بالاسم: المنهيات التي سبق ذكرها من السخرية واللمز والتنابز بالألقاب. أي: بئس الفعل فعلكم أن تذكروا إخوانكم في العقيدة بما يكرهونه، وبما يخرجهم عن صفات المؤمنين الصادقين، بعد أن هداهم الله تعالى وهداكم إلى الإيمان.

ويصح أن يكون المراد نهي المؤمنين عن ارتكابهم لهذه الرذائل، لأن ارتكابهم لهذه الرذائل يؤدي بهم إلى الفسوق والخروج عن طاعة الله- تعالى- بعد أن اتصفوا بصفة الإيمان، وقد اتجه إلى هذا الرأي الإمامان ابن جرير والفخر الرازي- رحمهما الله.

﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

أي: ومن لم يتب عن ارتكاب هذه الرذائل فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، حيث وضعوا العصيان موضع الطاعة، والفسوق في موضع الإيمان، والشر في موضع الخير.

فيجب على المسلم التحلي بصفة الأدب مع غيره، بوجوب الابتعاد عن أن يعيب المسلم أخاه المسلم، أو يحتقره، أو يناديه بلقب سيئ.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا- ويشير إلى صدره- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(١).

---

(١) [illegible]

اللباب: يا أولو الألباب

للمستشار / حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

فيا أصحاب العقول الناضجة السليمة. عليكم التمسك بالجوهر والمضمون. لا بالشكل والقشور. فقد قال الحق تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر: ٩.

ولهذا فإن من المهام الملقاة على عاتق الكاتب. أن يعايش مجتمعه في كل أحواله. فيكون مرآة صادقة. تنعكس على صفحتها. طبيعة وحقيقة هذه الأحوال. فهو يرصد بعين البصر. الظواهر المرتبطة بها. ويحللها بعين البصيرة. بغية الوصول إلى ما يحقق استقرار المجتمع. من التأكيد على الأحوال الحسنة فيه. ومحاولة اقتراح الحلول المناسبة للأحوال الأخرى التي تشوبها بعض السلبيات المعوقة حتى يمكن أن تتبدل هذه الأحوال إلى ما هو أحسن منها. وهذه المهمة من صميم منهج الدعوة إلى الله تعالى. الذي جاء به القرآن الكريم. متمثلا في قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨.

ومن الأمثلة التي تبرز أهمية وخطر هذه المهمة. ما يستوقف الكاتب من ميل البعض إلى التشدد. حتى في الأمور الميسرة بطبيعتها في الدين والدنيا وباستقراء الواقع المعاصر. يمكن الوقوف على بعض النماذج لظواهر مصدرها هذا الميل للتشدد. وذلك على النحو التالي:

أولا: موقعة القماش!!

طوال أيام الأسابيع الماضية. دارت رحى معركة حامية الوطيس. بين أطراف شتى. قد يكون من بينهم بحر علوم الدين. وقد يكون منهم الواقف على ساحله. والسبب جعل النفس تعايش ما استدعته الذاكرة. من الحديث النبوي الشريف. الذي رواه الطبراني عن كعب بن عجرة. قال: مر على النبي ﷺ رجل. فرأى أصحابه من جلده ونشاطه ما أعجبهم. فقالوا: يارسول الله. لو كان هذا في سبيل الله فقال ﷺ: إن كان خرج يسعى على ولده صغارا. فهو في سبيل الله. ... فعلى ... جمى قنوات الإذاعة مرئية. ساعد حوار ... بعض أطراف هذه المعركة. لكل منهم حشده وقوته الفكرية والنحتية. في استعمال الأسلحة المتاحة. من كل نوع. لتحقيق النصر والنصرة لفرحة في هذه الموقعة المشتعلة. والمعركة بوضع قطعة من القماش على وجه بنت حواء. أو نزعها من عليه.

فهل الأمة التي تصطلي بنار هذه المعركة. أنهت كل مشكلاتها المتنوعة. ولم يبق لها إلا الداعي لإشعال فتيل الحرب الضروس. حول هذا الأمر. في كشف وجه الرأي الشرعي أو الاجتماعي فيه؟!!. وأين موقع هذه المعركة. من الحروب وحملات الغزو المنظم للعديد من بلدان هذه الأمة. وتمس مقدساتها؟!!! وأيهما أولى بالرعاية؟!. وما هو موقع العلم والعلماء من هذه المعركة؟!. علم الدين وأهل التخصص فيه. وعلوم الدنيا التي يخلو منها جراب هذه الأمة. بعد أن هاجر أبناؤها النابغون. إلى حيث لا توجد مثل هذه المعركة. وليت هؤلاء جميعا استعملوا جلدهم ونشاطهم. فيما يحقق رسالة دينهم الحنيف للعالمين. بل أين هذه المعركة ومثيلاتها كثيرات من وحدة هذه الأمة؟!.

وهذا ليس مجرد كلام نظري يتردد على ألسنة البعض. بل هو واقع تعيشه كثير من بيوت المسلمين في أيامنا المعاصرة. ومن ذلك ما ذكره لي صديق عزيز. من تدخله أكثر من مرة في بعض الخلافات الأسرية بين بعض أقاربه. في محاولة لإنقاذ أسرة أو أكثر من الانهيار. وفي إحدى المرات لم يجد بدا من السفر إلى بلدته. التي تبعد كثيرا عن العاصمة. بعد مشاجرة وقعت بين إحدى القريبات المحجبة. وشقيقة زوجها المنتقبة. والتي تردد دائما أن النقاب فرض. كما تسمع من بعض القنوات الفضائية. وبتحريض هذه الشقيقة. قال الزوج لزوجته: أنت طالق إن لم تلبسي النقاب!!. وهذه ليست المشكلة الأولى التي تثار بسبب هذا النوع من الملابس. سواء بين من نعرفهم أو من لا نعرفهم من المسلمين والمسلمات. ولا سيما البسطاء منهم. الذين يدعون التقوى والورع. في هذا الجانب من الدين. دون غيره من جوانب. نعلم مدى عدم اكتراثهم بالخطير منها.

وأهمية إثارة هذه الواقعة. ليس في ضرورة بيان حكم الطلاق في هذه الحالة. أو الحكم الشرعي لارتداء النقاب. كأحد مظاهر زي المرأة المسلمة. فقد حسم جمهور علماء أمة الإسلام هذا الحكم. بأنه عادة وليس عبادة. على نحو ما تضمنه كتاب بهذا العنوان. أصدرته وزارة الأوقاف. باعتبارها الجهة الشرعية والقانونية المسئولة عن الدعوة الإسلامية في البلاد. والمخولة بذلك من ولي الأمر.

الذي تجب طاعته، بمقتضى الأمر الإلهي، في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

(النساء: ٥٩)

ولكن أهمية إثارة هذه الواقعة، تتمثل في الخطر الناجم عن تكرار وقوعها، وامتدادها إلى العديد من بيوت المسلمين المستقرة، منذ مئات السنين، وتهديدها بالتصدع، لأمور شكلية سائدة في البيئة الاجتماعية، واختلفت حولها كلمة فقهاء الشريعة الغراء، ومن العجيب أن هذه الوقعات لم تبرز، إلا بعد انتشار بعض القنوات الفضائية الخبيثة، وتركيزها على هذه الأمور السطحية، وكان علماء أمة الإسلام في العصور السالفة، القديمة والحديثة على السواء، وأيضا القلة من العلماء المعاصرين، كانوا وما زالوا في غفلة من أمرهم، وتقصير في بيان الحكم الشرعي في هذه الأمور المستغرقة في الشكلية، وكأن الحكم المتشدد الذي يثيره دعاة هذه الفضائيات الآن، كان مسكوتا عنه من جانب هؤلاء العلماء، وكتموا علمه عن الناس، وخانوا أمانة العلم، حتى جاء هؤلاء الدعاة ليكشفوا هذا المستور والمسكوت عنه!!

إن المحافظة على كيان الأسرة، وتحقيق استقرارها، أمر جوهري، وهو مقدم على أي حكم متعلق بالشكل مهما كانت درجته، وعلى الداعية الواعي بفقه دينه، أن يوازي بين المصلحة الأجدر بالرعاية في هذين الأمرين، وهي بلا شك متعلقة بالجوهر والمضمون، والمسائل الأخرى فيها من محيص؟!

ثانياً: الحال قبل المآل

في سؤال لصديق قادم منذ مدة من دولة أجنبية عن أحوال المسلمين بها، أجاب قائلا: إن أحوالهم في هذه الدولة بخير، ولكن للأسف تعاني من بعض الدعاة القادمين من بعض الدول الإسلامية الذين يركزون كل جهدهم في الدعوة، على أمور شكلية في الدين، ترفضها عقول المسلمين من أهل هذه البلاد، واستطرد في حديثه، مشيراً إلى واقعة حدثت في حضوره بأحد مساجد هذه الدولة غير الإسلامية، فيقول: في أحد الأيام جاءتنا دعوة لحضور لقاء ديني مع أحد الدعاة، قادماً من إحدى الدول العربية، وكان محور حديثه، هو بيان المهمة التي جاء من أجلها، وهي تنبيه المسلمين بحلول أوقات الصلاة، وكيفية الوضوء، واستعمال السواك، وشروط اللباس الشرعي وغير ذلك. وبعد انتهائه، توجه أحد الحاضرين وهو من أبناء هذه الدولة الأصليين، إلى مكان هذا الداعية، وسأله قائلا: منذ متى خرجت من بلدك؟ فقال له: منذ أكثر من ستة شهور، ثم سأله: هل أنت متزوج ولك أبناء؟ فقال: نعم، ولد وبنت بالمرحلة الابتدائية، فقال له: ومن ينفق عليهما وأمهما؟ فقال: تركت لهم ما يكفي هذه النفقة، فنظر هذا الداعية إليه بدهشة الحيرة قائلا: ولماذا كل هذه الأسئلة؟ فرد عليه بجدية الواثق من جوهر دينه: لا تغضب أيها الشيخ، فكل ما جئت من أجله لا يستحق كل هذه التضحية التي تقدمها، فهذه الأمور التي ذكرتها من المستحبات، ومن اليسير الحصول عليها، من أحد أئمة المساجد لدينا، أو من وسائل الإعلام المختلفة، التي أصبحت تقرب إليه من حين لآخر، وبعد رحلة أنت أضعت فرص على أصحابها، ويكفي أن أقول لك: من يرعى زوجتك وأولادك في غيبتك الطويلة؟!

ويكفي أن نضع تحت نظر هذه الداعية وأمثاله، ما رواه كل من أبي داود والإمام أحمد والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه كان في بيت المقدس، فأتاه مولى له، فقال: أقيم هنا رمضان؟ قال عبد الله: هل تركت لأهلك ما يقوتهم؟ قال: لا. قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» أي من يلزمه قوته، وفي رواية: «من يعول»، وقد قال العلماء: إن هذا الحديث صريح في وجوب نفقة من يعول، وتعلق الإثم على تركه، وهذا الأمر من حيث الشرعي المعين على العاقل.

ولا تقف صور ضياع المعول عند حد فقد أو قلة القوت المادي، فقد يعتقد هذا الداعية أنه ترك لأولاده منه الكثير، بل هناك ما هو أعظم في حياة زوجته وأولاده من هذا القوت، ويكفي الإشارة إلى أمر خطير يتعلق بهذه الحياة، جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يسأل ابنته حفصة رضي الله عنهما، عن أقصى مدة تصبر فيها الزوجة على غيبة زوجها عنها، قالت: أربعة أشهر، فأمر قواده في الميدان، بعدم السماح للجنود المجاهدين في سبيل الله، بالبقاء في أرض المعارك، لأكثر من هذه المدة، مع العلم: أنه لا رهبانية في الإسلام.

ثالثاً: ليست مساقفرد!!

في جلسة مع رفقاء مراحل التعليم ما قبل الجامعة، وكان من بينهم خليل مقعد الدراسة الذي تباعدت بيننا السنون، عقب اجتياز الثانوية العامة القديمة، والتحاقه بجامعة القاهرة، واجتيازي الالتحاق بجامعة الإسكندرية وأصبح الآن يعمل مديراً لإحدى المدارس الثانوية هناك.

ومع تشعب حديث الذكريات مع هذا الزميل العزيز، كان من بين شجونه، التصريح على الدروس المستفادة، من تجارب رحلة الحياة العملية، طوال مدة الفرقة بيننا، فبادرني بالقول: كما إنك تعايش قضايا الناس في أروقة المحاكم، فإن حياة التدريس فرضت علينا، معايشة قضايا من نوع آخر، وهي المتعلقة بالتربية والتعليم، وهذا دفعني لسؤاله عن أغرب هذه القضايا التي صادفته في هذه الرحلة الطويلة، فذكر لي قضية، من خطورتها وآثارها البالغة في حياة المجتمع كله، أسردها كما رواها لي بالحرف الواحد فقال:

عندما كنت مدرساً للغة العربية بالمرحلة الثانوية، منذ أكثر من عشرين عاما، كان من بين طلابي بالفصل الدراسي، طالب أقل ما يوصف به أنه نابغة، وللحق لم أصادف مثيلاً له في التفوق العلمي، وحبي له، أصبح مقرباً مني، وكان يفضي لي بمكنون نفسه، وعلمت أن والده يعمل كاتبا في إحدى الوحدات الصحية الريفية، ولتفوق هذا الطالب بالثانوية العامة التحق بكلية الطب، وحصل على تقدير ممتاز بالسنة الإعدادية والسنة الأولى بها، ولكن مع بداية السنة الثانية، كانت بداية النهاية، عندما أخذ يتردد على مسجد الكلية، ويستمع إلى الأحاديث الدينية من بعض زملاء الدراسة وغيرهم، واستهوته الخطابة المثيرة، فانخرط في دهاليزها، وانسحب شيئاً فشيئاً من دراسة الطب، واعتنق أفكاراً، قادته إلى غياهب السجون، فمات والده حسرة وندامة عليه، وأصبحت أمه وأخواته في حيرة من أمره،

بعد ضياع الحلم، الذي كان يراودهم طويلاً، في أن يكون هذا النابغة طبيباً ناجحاً، يداوي المرضى، ويمسح دموع الموجوعين، وأولهم أقرب الناس إليه.

وختم صديقي روايته هذه قائلاً: إنها مأساة. فقلت له: حقاً، وحسرتاه، إنها ليست مأساة فرد أو طالب أو حتى أسرة، بل إنها مأساة أمة!! أمة «اقرأ»، التي تهدر مواهبها، ويضيع نوابغها، تحت دعاوى أقل ما توصف به أنها قشور، وربما يروج لها الأصدقاء قبل الأعداء، ويضفون عليها مسوح الدين الحنيف، وهو منها براء.

فحاجة الأمة للطبيب الناجح، وأمثاله من المهن الأخرى، أكثر بكثير من حاجتها إلى المزيد من الخطباء والوعاظ، لأن المريض الذي لا يجد الدواء الناجع، لا يجدي معه الوعظ الخاشع.

رابعا: أين فقه سيدنا هارون؟!

بعد الفراغ من هموم الحياة، قد يجد المرء نفسه، على قدر معين من الراحة النفسية، وربما يستبشر بذلك، لقلة توافرها في هذا العصر، ولكن من الراسخ في العقل الباطن، في الموروث الشعبي، أن يردد الواحد منا، وهو في هذه الحالة، عبارة: اللهم اجعله خيراً!، وقد يتحقق هذا الموروث، ويهجم علينا من المنغصات، ما يكدر صفو هذه الراحة، وهذا ما عايشته واقعاً ملموساً، عندما قرأت رسالة أحد أبناء الريف المصري، العريق في التدين والحضارة، فحواها: أنه في خطبة الجمعة رفع الخطيب، وهو على المنبر يديه في الدعاء، فعارضه بعض المصلين على رفعهما، بحجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يفعل ذلك، وكان من الطبيعي أن يقف الأمر، عند هذا الحد، كخلاف في أحد فروع الفقه، ولكن كما تقول الرسالة: إن هذا الخلاف تحول إلى مشاجرة في المسجد، بين المؤيدين والمعارضين لهذا الخطيب.

إن الحكم الشرعي لرفع اليدين في هذه الحالة، معروف لمن يقرأ، فقط واحداً من الأحاديث النبوية، التي رواها الثقات عن سيدنا الرسول ﷺ، منها على سبيل، ما رواه ابن عدي عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- أنه قال: «كان إذا أصابته ﷺ شدة، فدعا رفع يديه، حتى يرى بياض إبطيه»، وقد قال العلماء، إن حكمة الرفع، اعتياد العرب رفعهما عند الخضوع في المسألة، والذلة بين يدي المسئول، وعند استعظام الأمر، والداعي جدير بذلك لتوجهه بين يدي أعظم العظماء تعالى.

ولكن يبقى الأثر النفسي البغيض، لهذه المشاجرة، الواردة بهذه الرسالة، الذي لا يوصف بفعل أو مقال، وذلك لأن وقوعها داخل بيت الله، بين مصلين لفرض عين على كل مسلم، في يوم يسمى بالجمعة «من الجمع والاجتماع»، له دلالة على قدر عظيم من الخطر على كيان أمة الإسلام، بما يكشف عن الفرقة والشحناء، التي تقع بين أفرادها لأتفه الأسباب، وربما لا يعد سبباً أصلاً. ألم يكن من بين أطراف هذه المشاجرة، رجل رشيد، يذكرهم بفقه سيدنا هارون عليه السلام، وهو كما يقول علماء أصول الفقه: شرع من قبلنا، شرع لنا، وما بالنا إذا كان هذا الفقه، حملته آيات بينات من القرآن الكريم، المصدر الأول للفقه الإسلامي، فقد عبد بنو إسرائيل العجل من دون الله، في حضور سيدنا هارون، وغيبة سيدنا موسى عليهما السلام، وقد تمثل هذا الفقه في قول الحق تعالى:

﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾

طه: ٩١- ٩٤

وهذا الفقه استعمله في محافظة قمة العقيدة، وليس مجرد شكل أو مظهر لا يغني عن الحق شيئا، ولكن هل من عقول تفقه؟، أم على قلوب أقفالها!!

خامسا: ظاهرة بين التاريخ والواقع

عند البحث عن جذور وأسباب انتشار ظاهرة التدين الشكلي، التي طغت على بعض المجتمعات الإسلامية في أيامنا المعاصرة، حتى نجمت عنها سلبيات، ضاق بها ذرعاً كثير من أتباع الدين الواحد، ولكن عند مطالعتي منذ أيام قليلة ماضية، لأحد كتب التاريخ عن دولة المماليك، وجدت فيه ما يفسر هذه الظاهرة، فقد ذكر مؤلف هذا الكتاب، عند استعراضه مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي، أنه على أثر غلاء أثمان السلع واحتكارها، وزيادة عدد الفقراء والمستضعفين في المجتمع، فإن المساجد ودور العبادة لكل أهل الديانات، ازدحمت بكثير من أبناء الشعب على مختلف طوائفهم، هروباً من هذه الأحوال المعيشية الصعبة، حتى أن الكوارث الطبيعية التي كانت تقع من حين لآخر، كانوا يفسرونها في الغالب تفسيراً دينياً وأخلاقياً خالصاً، فكانوا يرجعون أسبابها إلى غضب الله عليهم، من جراء انتشار الفسق والفجور، وأنها نذير للناس على ظلمهم ليرتدعوا، وإلا كانت سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

وحتى ما نراه في أيامنا المعاصرة من كثرة تردد المسلمين على الحرمين الشريفين بالحج والعمرة، كان له نظيره في العصر المملوكي، فيقول أحد مؤرخي هذا العصر: «ونقرأ تاريخ مصر السياسي والاقتصادي في القرون من السادس إلى العاشر الهجرية، فنجد أن مصر كانت مجهدة من الحروب الصليبية والتتارية، التي أفقدتها كثيراً من المال والرجال، وسيطر على حياة الناس الفقر والفاقة، مع شعور بالكرامة والعجز، ومن شأن هذه الحالة أن تخلق في الناس خشوعاً في حياتهم، واستعداداً للخضوع لدينهم، وأملاً في نعيم الآخرة، وقد أدى ذلك إلى كثرة الزهاد والهاربين من مشكلات الحياة، بالحنين إلى الماضي، والشوق إلى أيام الإسلام الأولى، ولهذا كثرت الهجرات إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، لمجاورة أحد الحرمين الشريفين».

وليس هناك عيب في هذا التفسير التاريخي لواقع الحياة التي نعيشها، ولكن العيب كله، أن ينسحب المسلمون من المشاركة في البناء الحضاري العالمي إلى مبررات هذا التفسير، ويصبحوا عالة في أمور حياتهم حتى التعبدي منها على من يسمونهم الأعداء!! أليس من هذا العيب، أن يصلي المسلم على سجادة، أو يستعمل مسبحة من صنع غيره؟!!!

والله تعالى ولي التوفيق

الغيب بين الحق والخلق

الأستاذ / محمد مصطفى [illegible]

يقال أحياناً إن الغيب هو كل مايغيب عن الظاهر والعيان أو هو كل ما لايدرك إدراكاً حسياً.

وقد كلف الإنسان- بفطرته- منذ القدم بالبحث عن هذا الغيب، حيث حملت مختلف الحضارات والثقافات القديمة بذلك، وقد عرفنا ذلك في الفكر الصيني والهندي والمصري واليوناني منذ قرون.

ومن هنا كان أول ما وجه الإنسان دافع حب الاستطلاع لديه هو محاولة التعرف على الغيب الذي يكمن وراء الحس. ومن أبرز أساليب الفكر التي اتجهت هذا الاتجاه ما اشتغل به فلاسفة اليونان فيما يعرف بما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا،[1] التي اشتهرت بها فلسفة أرسطو تلميذ أفلاطون وأستاذ الإسكندر الأكبر[2] حيث قال عن «الميتافيزيقا»: إنها «الفلسفة الأولى» أي أساس الفلسفة. ويقال أيضا: إن كلمة ميتافيزيقا عند أرسطو أي مابعد الطبيعة قد أطلقها على مؤلفه في الفلسفة بعد أن ألف كتاب «الطبيعة» ومن هنا سميت «ما بعد الطبيعة».

وقد قصد أرسطو بها البحث عن العالم غير المحسوس الذي يمكن إدراكه بالعقل والذي ينبثق عنه عالم المحسوسات الذي يدرك بالحواس، ولاشك في أنه تأثر في هذا بأستاذه أفلاطون في فكرته عن عالم المثل أو النماذج وكيف أن هذه المثل أو النماذج هي كليات عقلية ثابتة يصدر عنها عالم المحسوسات التي هي جزئيات حسية متغيرة.

فمثلاً الأشجار المتعددة والمتنوعة التي نراها تصدر كلها عن شجرة واحدة هي «المثال» الثابت الذي تشع عنه جزئيات الشجر فهي صور متعددة ومتنوعة لشجرة واحدة. وكذلك الحال في كافة الكائنات في العالم الحسي حيث ترجع أجزاؤه الحسية إلى مثل كلية معنوية.

وعالم المثل هذا الذي يدعيه أفلاطون لايدركه إلا الفيلسوف لأن آلته الأساسية هي العقل وعالم المثل هو عالم عقلي بالدرجة الأولى كما يقول.

ومهما تكن أفكار هؤلاء الفلاسفة فإنها بصفة أساسية تبحث عما وراء المحسوس، أي تبحث عن «الغيب» ولهم في هذا أفكار لاتقترب من المقولات الدينية حتى تبتعد أحياناً عن الدائرة الدينية[3] مما لانجد في التوسع فيه هنا مبرراً ذا جدوى في هذا السياق.

ويشير ذلك كله إلى أن البحث عن فكرة الغيب هو أمر فطري لدى الإنسان. لعل مثاره أن الإنسان نفسه يحتوي على عنصر غيبي هو الروح ثم محاولته يعكس على نفسه بين حين وآخر باحثاً عن حقيقته وعن ذاته حتى لقد تاه كثير من الشعراء في هذا السياق من أمثال أبي العلاء المعري، وعمر الخيام، وإيليا أبوماضي، مما أوقعهم في مظان الناس موقعاً [illegible]

وعندما جاء الإسلام من لدن علام الغيوب -عز وجل- وضع أمام الناس النقاط فوق الحروف- كما يقال- وكما عرفنا عن القرآن الكريم أنه وضع أمور الكون كلها على وجهها أمام البشر دون حاجة إلى الاختلاف في فهم الأشياء ودون حاجة إلى اللجاج والإبهام والغموض:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

ومن هنا قيل: «من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن» لأنه الكتاب «المبين» الذي أنزل على القلب المحمدي الصادق الأمين يبين للناس ما خفي عنهم. وليوضح لهم ما غمض عليهم. وليصحح لهم ما أوقعهم فيه المبطلون من أباطيل زينتها زخرفة القول حيناً من الأمر على أنها حقائق ومسلمات.

ولعل هذا يبرز لنا بوضوح أن الاهتمام بالغيب- كما قلنا- هو مسألة فطرية في الإنسان لأنه هو نفسه يحمل الغيب في كيانه. وحسبنا في هذا المجال أن نتذكر كيف أن كلا منا يتحرك ويحس ويشعر ويحب ويكره وغير ذلك بقوة غيبية في أعماقه تنتشر آثارها «وأسرارها» في مختلف أنحاء الكيان الإنساني وهذه القوة «الغيبية» هي «الروح» التي هي نفحة إلهية منذ سوى الحق عز وجل آدم عليه السلام حيث يقول -سبحانه-

---

(١) «ميتا» تعني وراء أو بعد «فيزيقا» تعني الطبيعة

(٢) قيل إن الإسكندر الأكبر «المقدوني» كان لايخطو خطوة في السلم أو الحرب إلا بعد استشارة أرسطو كأستاذ له

(٣) [illegible]

الملائكة

﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾

(ص: ٧٢)

ومن هنا نستشعر أن سجود الملائكة كان للنفحة الإلهية وهي القوة التي تحدث عنها القرآن الكريم

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾

(الإسراء: ٨٥)

وهكذا نرى أن الكيان الإنساني يتفاعل مع مجال من مجالات الغيب وهو الروح. وهكذا تسير حياة الإنسان وفق نظام غيبي بعيد كل البعد عن ملكاته الحسية. هذه الملكات التي لا تعرف الإنسان كيف تحس، وحتى ما وصل إليه في هذا العصر أن الإحساس هو نتيجة مركز في الجهاز العصبي سواء ذلك المتمركز في المخ أو المنتشر في الأعصاب ولكن كيف يعمل هذا المخ وهذه الأعصاب؟ لا يدري أحد إلا ما يدعيه الغرور البشري في مجال المعرفة من تفسيرات وتأويلات قد تتسلسل إلى ما لا نهاية حيث تنتهي أخيرا إلى المرفأ المريح الذي هو الغيب. ومن رحمة الحق - عز وجل - بالخلق أن جعل العلم بالغيب هو علم إلهي يختص به وحده فهو سبحانه «عالم الغيب».

ويحلو للبعض أن يقول: إن «الغيب» أمر نسبي، فما يجهله س، ويعلمه ص يعتبر غيبا بالنسبة للأول وليس كذلك بالنسبة للآخر. والمسألة بالنسبة لنا - والله أعلم - ليست كذلك. فالغيب الذي عرفناه في القرآن الكريم، وعبر الآيات المحكمة الحكيمة والذي نقصده هنا هو غيب مطلق لا يعلمه إلا عالم الغيب الذي لا يطلع على غيبه أحدا.

وعندما يعلم الحق - سبحانه وتعالى - بعض خاصته ويمنحونه شيئا من ذلك بإرادته وحكمته، فالحكمة يعلمها إما للتعليم أو التثبيت كما حدث في إطلاع النبي ﷺ على شيء من ذلك في رحلة الإسراء والمعراج المقدسة. وإما لغير هذا وذاك كما حدث بالنسبة للرجل الصالح الذي علم موسى عليه السلام ما لا يعلم تأكيدا للمقولة المعجزة أنه

﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾

(يوسف: ٧٦)

حتى يؤكد موسى أنه رغم المعجزات التي فاض الله بها عليه إلا أنه لم يزل في الغيب أشياء وأشياء لا يعلمها إلا الله الذي يمكن أن يخص بها بعض عباده، مصداقا لقوله - جل وعلا - عن مسيرة موسى - عليه السلام - وفتاه

﴿ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾

(الكهف: ٦٥)

وعلينا أن نقف وقفة تأمل وتفكر أمام كلمة

﴿ عبدا من عبادنا ﴾

وكلمة ﴿ من لدنا ﴾ إذ العبودية لله تعالى - هي من أسمى المراتب القصوى التي يمكن أن يصل إليها من رضي الله عنهم ورضوا عنه:

﴿ ذلك لمن خشي ربه ﴾

(البينة: ٨)

إذ كلما ازدادت عبودية العبد لربه كلما زادت عزته على الناس فيعرف ما لا يعرفون ويعلم ما لا يعلمون فهو سبحانه

﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾

(البقرة: ٢٦٩)

ومن ذلك ما يعرف بالعلم اللدني الذي هو من «لدن» العليم الخبير وهو علم يتعالى على التعبير، ويتسامى فوق التفسير وهو سر يسري من خلال المادة البشرية الجلمودية الجامدة ليأخذ مساره الروحي بين الذات العليا المتجلية والذات البشرية النقية المتلقية ومن ذلك ما يعرف بحب الله المتين

ومن هنا كانت دهشة موسى - عليه السلام - وهو من هو - إذ رأى الرجل الصالح يخرق السفينة دون سبب ويقتل الغلام دون مبرر ويقيم الجدار بلا مقابل وقد فرغ صبره بينما خفي المعنى الذي يصل بين الفيض الإلهي والعطاء البشري هو الصبر. ومن هنا يقول المولى سبحانه

﴿ إن الله مع الصابرين ﴾

(الأنفال: ٤٦)

ولم يقل بحسبهم أو وراءهم ولكن «معهم». فالمعية الإلهية لها عدة وعتاد ومن أهمها الصبر. وليس الصبر هنا هو تكأة العاجز أو مهرب الفاشل ولكنه صدق الإيمان بالقدرة الإلهية. وقوة التوكل على من لا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه. أما الصبر الذي يرفع شعاره العاجزون. ويتستر خلفه المتكاسلون فما أظن أنه الصبر الذي نفهمه من موقع «الصبر» في القرآن الكريم

وهكذا نرى أن الفيض الإلهي بالغيب الرباني والعلم اللدني مرتبط بالعبودية الغامرة أمام الذات القادرة القاهرة. ومن هنا تكرر لوم العبد الصالح لموسى لعدم صبره عدة مرات في سياق هذه المسيرة التربوية المباركة

﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾

(الكهف: ٦٧)

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾

(الكهف: ٦٨)

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾

(الكهف: ٧٢)

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾

(الكهف: ٧٥)

﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

(الكهف: ٨٢)

وفي هذا المجال ينبغي أن ندخل في منعطف لابد منه وهو الحديث عمن يدعون علم الغيب فيسيرون بين الناس بالإفك والكذب والافتراء فيفترون على الله الكذب ويدعون علم الغيب، وتزين لهم شياطينهم ذلك فيصدقهم ضعاف الإيمان ولولا الحيطة لقلنا: «فاقدوا الإيمان» حيث يقحمون أنفسهم في علم الله ومسار المشيئة الإلهية- والعياذ بالله:

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران: ٧٥)

ومن أسف أن من ضحايا هؤلاء كثيرا من مدعي الثقافة الواسعة والعلم الكثير والفكر العزير وهؤلاء يتحملون أمام الله مسئولية انقياد البسطاء لهم من باب التقليد الساذج والتفكير المضطرب الذي يقفز إلى النتائج دون مقدمات.

ولنا عبرة في آية وفاة سليمان عليه السلام عندما وقع وهو تحت سمع وبصر الجن المسخرين له حتى أكلت دابة الأرض منسأته حيث علمت الجن أنهم:

﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾

(سبأ: ١٤)

فإذا كان الجن الذين يروننا من حيث لانراهم قد جهلوا الغيب فما بالنا بالآدميين الملتفين بالأجساد الكثيفة، والملتحفين بالمادة الثقيلة. كيف لهم أن يخترقوا هذه الدثر المادية التي صاغها الحق تعالى بقدرته من طين وماء؟ إن كثيرا من الناس يتجاهلون ذلك، ويسول لهم غرورهم أنهم «قادرون» لمجرد أنهم قد استطاعوا اختراق الأجواء بالطائرات وسبح الفضاء تقليدا مزعوما لخلق الله من الطير وغاصوا في أعماق البحار محاكاة مزعومة لخلق الله من الحيتان ظنوا - وبعض الظن إثم- أن في إمكانهم اختراق حجب الغيب فيزيحون الأستار ويطلعون على الأسرار ولكن هيهات.. وهيهات.

إن الغيب لايعلمه إلا الله، وإن المحاولات التي يبذلها بعض الناس لإصابة الغيب هي محاولات طائشة مثلها كمثل القذيفة التي تصوبها الأيدي المرتعشة فلا ترمي مرمى ولا تصيب هدفا بل ربما ترتد في صدر صاحبها فترديه جزاء حمقه وغروره ورعونته، وخداعه الكذاب لنفسه وللمخدوعين به من أمثاله من الأفاقين والأدعياء وهواة الدجل وصناع الأكاذيب.

ومن الغريب والعجيب والمؤسف معاً أن تسير بعض أدوات الإعلام- ولاسيما القنوات التي تسبح في الفضاء بلا ضابط أو رابط- هذا المسار، ومثلها كذلك بعض الصحف السيارة التي تخصص بعض صفحاتها «للتنبؤ» بالحظ، وصيرورة حياة البشر، وفي نفس الوقت تنشر في صفحاتها الأخرى أنباء السياسة والاقتصاد، فأي الصفحات تصدق وبأيها تؤمن وتكفر، وأيهما تقبل وتنكر. ثم ماهو الموقف من الحتمية التي تحار بين الشك واليقين؟

وبعد، فإنه يبدو أن مسيرة البشرية زاخرة بالصراع بين الحق والباطل ولكل أنصاره، فقديما كان أنصار الباطل يواجهون الحق بكثرة الأموال والأولاد، فقد تحدث القرآن الكريم عن مباهاة «الوليد بن المغيرة» بأنه كان:

﴿ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾

(القلم: ١٤)

كما تحدث عن غرور أحد الرجلين المدينين:

﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾

(الكهف: ٣٢)

واليوم امتلأ ابن آدم غروراً بما حققه من علم وتقنية حتى فسر بعضهم آية:

﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

(الرحمن: ٣٣)

على أن هذا السلطان سلطان العلم الذي يدعي البعض بأن عن طريقه يمكن للجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض.

ومن رحمة الحق - سبحانه وتعالى - بعباده أنه اختص نفسه وحده بالدفاع عن العقيدة الحقة منذ آدم وإلى أن يشاء الله، ومن ثم فإن المؤمنين المخلصين مطمئنون اطمئنانا مطلقاً بأنه إذا كانت الإبل لعبد المطلب فإن للبيت رباً يحميه، وأنه إذا كانت الافتراءات بالأكاذيب للأفاقين فإن للدين رباً يحميه، وإنه سبحانه في كل آية يضرب المثل على ذلك مصداقا لقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: ٥٣)

إن منطقة الغيب دائرة ليست حمراء فقط بل شديدة الاحمرار وكل من حام حولها بالشطط أصابته لعنة عالم الغيب سبحانه وهذه الدائرة لايحيا في كنفها إلا المؤمنون حقا حيث يحيا خيرة الخلق في كنف الحق.

صورة الإسلام في العالم المعاصر

الأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندي

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الصورة العالمية الراهنة تصنف المسلمين ضمن مربع التخلف سواء في المعارف العلمية الحديثة، أو في علوم السياسة والاقتصاد النظرية والتطبيقية، أو في العلوم الاجتماعية، وأوضح ما يرصده المتابع أنهم أسرى وتبع للمدنية الغربية يلهثون ويقلدون ويستهلكون، مما يجعلهم متعثرين عن تحقيق النهضة والمضي قدما على طريق التقدم والريادة، ونسوا أو تناسوا قوله تعالى:

«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»

(فصلت: ٥٣)

وقيمة هذا التوجيه القرآني أن يتواصل المسلمون مع الكون والناس في اكتشاف مظاهر القدرة الإلهية في الآفاق الرحبة للكون المحيط بنا، وأن يمسكوا دائماً بزمام المبادأة والسبق، وأن يكونوا في الطليعة والمقدمة في هذا المضمار.

وحتى في المجال الديني والعلوم الإسلامية، فإن معارفهم ناقصة ومبتورة لا تنفذ إلى أسرار الإسلام والفهم السليم للدين، وطبيعة الرسالة التي حملها لهم الإسلام، ودورهم في [illegible]

فضلا عن عجزهم عن اكتشاف الظواهر الكونية والإسهام في تقدم العلوم الطبيعية والحياتية مع مخالفة ذلك، مع كثرة المشكلات والحوادث المستجدة، والحاجة الملحة لتقديم النظر الإسلامي فيها، على المستوى الفردي والمؤسسي.

لذلك فلا تجد للمسلمين رؤية في تسيير الأحداث، ولا نظرية علمية حديثة تنسب إليهم، كما في التغيرات المناخية الحاصلة، وتفشي الصراعات والحروب، والأوبئة والأمراض: أنفلونزا الطيور، الخنازير، والآثار الكارثية للأزمة المالية العالمية وغيرها، ولا منهج قادر على التغلب على مشاكلهم الكثيرة، ولا دور في تسيير وتوجيه الأحداث، ومن ثم ضلوا الطريق الذي يكسبهم القوة والنهضة بما يتناسب مع رسالة الإسلام في الحياة والقيادة التي طالما سادوا بها العالم عن كفاءة واقتدار، وكانوا بها الأمة التي قدمت الحضارة الإنسانية العادلة التي حكمت العالم عبر العصور وقدمت نموذجاً متكاملاً دينياً ودنيوياً للإنسان وللحياة غير مسبوق.

معالم المشهد الدولي كاشف عن الأزمات ومعاداة الإسلام

حالة الإسلام والمسلمين في المشهد العالمي الراهن تبعث على الحيرة والارتباك إذ لم يسبق أن واجه فيه الإسلام والمسلمون مثل هذه المطاعن، والنتيجة كم من الأزمات المتتابعة في العلاقات بين المسلمين داخل أوطان الإسلام ومع غير المسلمين وهي إفرازات لظروف وأحوال وضعت المسلمين في مأزق فقد شهرت القوى المعادية كل أسلحتها على الإسلام والمسلمين وعلى قمة هذه المشكلات توالت الإهانات وإشاعة الصورة المغلوطة عن الإسلام في صميم وجوده ولرموزه ومقدساته.

قائمة الاتهامات ضد الإسلام والمسلمين

أحكمت خطة التشكيك في ماهية وحقيقة الإسلام ومقاصده في الحياة حيث يوصف الإسلام بالدين الدموي وأنه من بقايا تحريف للوثنية، وهو دين العنف والإرهاب، والشذوذ، والأكاذيب، دين التناقض، وهو دين الجهاد: الحرب المقدسة على غير المسلمين.

الإسلام في نظر هذا الفريق دين يدعو إلى إقامة دولة عنصرية تتزعمها العصابات الإرهابية التي تنشر أفكارها بالإرهاب والقوة لإكراه الناس على الدخول فيه، حتى لو اقتضى ذلك إعلان الحرب على العالم كله، ونموذج فكر وممارسات تنظيم القاعدة مثال تطبيقي على ذلك.

والإسلام دين الاستبداد، والرق، والقهر، الدين الذي يستسلم فيه المسلم لله ويذعن له ويطيعه في كل أمر، حتى لو عطل ملكاته العاقلة، ومصالحه المادية، وهذا المشهد الذي أفرزه الموقف الغربي من استعداء العالم ضد الإسلام يجسده حديث الرسول ﷺ «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أمن قلة بنا يا رسول الله، قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[1].

[illegible]

وإذ في تكريس الخطاب التحريضي من جانب الغرب، وتنفير العالم من الإسلام والمسلمين، ويجعلنا أمام مخطط حيث حصار الإسلام، وقهر أتباعه، وفرض الإرادة الغربية والإذعان الكامل من جانب المسلمين.

وصف المسلمين بالنقائص والسلبيات العديدة

من الطبيعي إزاء هذا التوجه السائد في الأوساط الغربية والترويج المستمر بأن المسلمين إرهابيون فهم يريدون تغيير أسلوب الحياة الغربية، وأسلمة أوروبا، وهم متهمون بسرقة الحضارة الغربية ومنجزاتها، وأنهم يعملون على نشر الكراهية والفوضى في العالم من حيث أنهم مولعون بمخالفة النظام ودائماً ما يتجه سلوكهم نحو زعزعة الاستقرار عن طريق الحروب والدمار، وأن نظامهم في الحياة يقوم على الاستبداد في كل العلاقات، وعلى كل المستويات بدءاً من العلاقة في محيط الأسرة فهو قائم على تهميش الرجل للمرأة وكبت إرادتها والتقليل من شأنها.

ويتمثل كذلك في مصادرة الأب لحقوق أبنائه في التعبير وحق الاختيار، وفي أسلوب التربية القهرية للبنات والبنين، وكذلك سلطة الأب في تأديب أبنائه، إلى حد استعمال القسوة معهم، وهو ما تجرمه القوانين الأوروبية، وتقرر للأولاد حقاً في مقاضاة الآباء، كما يسود الاستبداد في علاقات العمل، والنظم الاجتماعية في التعليم وعلى مستوى النظم السياسية والعلاقات بين الحكام والشعوب، فهم يخاصمون الديمقراطية ويقفون منها موقف العداء، لذلك فإن وجودهم خطر على أحد منجزات الحضارة الغربية.

وتبع ذلك أن أصبح كون الإنسان مسلماً صفة تحمل على العداء والخوف لدى أعداء المسلمين، الأمر الذي يبعث على الريبة والشك في كل مسلم، وأن تعتبر الإساءة والهجوم، والنيل من الإسلام ورموزه ومقدساته ممارسة لحرية التعبير، في حين تعتبر الإساءة لليهود والتشكيك في المحرقة جريمة دولية يحاكم مرتكبوها بتهمة معاداة السامية.

مظاهر التشوهات الماثلة في العالم الإسلامي

١ـ اشتعال الصراع في البلدان الإسلامية مع غير المسلمين وفيما بين المسلمين:

وتتعمق الجوانب السلبية لصورة نزاعات المسلمين في الأوطان الإسلامية فعلى مستوى الداخل الإسلامي، هناك فتن طائفية في البلد الإسلامي الواحد، بين المسلمين وبين بعض الأقليات غير المسلمة من الرعايا وأهل البلد الواحد، وحتى بين المسلمين أنفسهم في بعض البلدان، بفعل جهالة دينية ومؤامرات خارجية في السودان في المشكلة القائمة في دارفور بين المسلمين وبين المسيحيين في الشمال والجنوب: فيما بين حركة العدل والمساواة ضد الحكومة السودانية وفي مصر بين المسلمين وبين الأقباط.

وفي لبنان بين الطوائف والتيارات المتصارعة لمهاك الموارنة، والدروز، وحرب الله.. إلخ.

وفي الشأن الإسلامي نفسه هناك توترات وخلافات ونزاعات ومشكلات قائمة بين السنة والشيعة في العراق، والانقسام الطائفي والاقتتال الدائر هناك بين العراقيين في العاصمة وخارجها بين أبناء الدين والشعب الواحد.

كما تعمل إيران على تصدير المذهب الشيعي على حساب المذهب السني.

في أفغانستان وما يجرى فيها من الصدامات المسلحة بين الحكومة وطالبان، وبين الحكومة وتنظيمات معارضة أخرى، بما يساعد على ترسيخ الوجود الأجنبي، للأمريكان ودول التحالف الغربي.

وفي باكستان حدث [illegible] بين [illegible] باكستاني وبين [illegible] وتدبير [illegible] مشكلة جديدة في عالم [illegible].

وبعضها هي تفجر مشكلات و[illegible] الصراعات الملتهبة في الساحة الإسلامية بما يعطي المبرر للقوى المتربصة من إثارة العديد من الاعتراضات على الوجود الإسلامي في دول ومجتمعات الغرب، [illegible] خطورة على الحضارة الغربية، ومن ثم التدخل الأجنبي في شئون المسلمين، علاوة على التشويه المتعمد للإسلام وبات يتردد أن المسلمين أينما وجدوا فهم دوماً مصدر للقلاقل والمصادمات، لذلك تتعالى أصوات غربية كثيرة بطرد المسلمين من أوروبا والولايات المتحدة حيث إنهم مجموعات عنصرية تكرس الأصولية الإسلامية والعنف الطائفي، والإرهاب العالمي، وأنهم في طريقهم ليكونوا أغلبية بسبب زيادة النسل عندهم وضعفه لدى الأوروبيين، وهم متعصبون يرفضون التعايش والاندماج مع شعوب الدول الغربية ولا يحترمون القوانين الغربية على الرغم من أنهم تركوا بلادهم سعياً لفرص العمل والرزق وطلباً للحريات وهم المحرومون منها في بلادهم وبين ذويهم، حرية التعبير أو سب الإسلام.

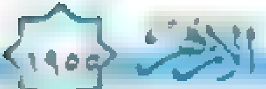
ويعتقد الغربيون أن المسلمين ماضون في أصوليتهم فهم لا يكفون عن التعبير عن رفض القيم الغربية مثل الحرية الدينية بما تتضمنه من حق الردة عن الإسلام واعتناق المسيحية أو الإلحاد كما يرفضون تعيين رئيس غير مسلم للدولة الإسلامية وأن تكون المرأة المسلمة رئيسة عامة للدولة الإسلامية ولا يعترفون بحقوق الشواذ وهم فئة جديرة بالرعاية.

وما يترتب عليها من تقنين الشذوذ، والدفاع عن سلوكياتهم على الرغم من أنها مضادة للدين.

٢ـ النزاعات بين الأقليات المسلمة والدول غير الإسلامية:

ويمضي مسلسل الخلل الواقع في نشأة العديد من بؤر التوترات الحاصلة في





العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في الدول غير الإسلامية.

فهناك على امتداد الساحة المحلية والعالمية الكثير من تلك المظاهر، نرصد منها:

خارج العالم الإسلامي

تمتد النزاعات والفتن التي يكتوي بنيرانها المسلمون، تمتد هذا من أقصى دول العالم إلى أقصاها

- في كشمير بين الهندوس والمسلمين.
- وفي روسيا بين الشيشانيين والروس.
- وفي البوسنة والهرسك بين المسلمين وبين الصرب.
- وفي قبرص بين القبارصة الأتراك وبين القبارصة اليونانيين.
- وفي الصين بين الإيجور المسلمين وبين غير المسلمين في إقليم شينج يانغ «تركستان الشرقية».
- وفي تايلاند بين المسلمين وبين البوذيين.
- وفي الفلبين بين المسلمين وغير المسلمين في منطقة أو جزيرة مينداناو.

وبات مألوفاً في ظل هذه الأوضاع البائسة، أن يشار إليهم بأصابع الاتهام عند وقوع حدث إرهابي ونسبته إليهم من منطلق هذه الخلفية، وتعدى ذلك إلى أن أصبحت المظاهر الإسلامية مرفوضة في دول الغرب، مثل: لبس الحجاب، أو ذبح الأضاحي فإنها تحارب من الأوروبيين باعتبار الحجاب رمزاً للقهر والاستعباد وليس رمزاً للهوية الإسلامية، أما ذبح الأضحية فهي قسوة مفرطة بالحيوان تتعارض مع حقوق الحيوان.

أهمية التماس الحلول

من داخل المنظومة الإسلامية

حتمية العمل الجاد الواعي المخلص لدرء الشبهات، وتصحيح صورة الإسلام:

في ضوء هذا الفزع فإن صورة الإسلام والمسلمين الراهنة في المجتمعات الإسلامية، وفي النطاق العالمي تبعث على الأسى وتثير الحزن، لكنها تتطلب وتستوجب للخروج من هذا المأزق تبني خطة ترسم معالمها في عمل جاد واعي ومخلص، يعمل على رد الشبهات عن الإسلام وتصحيح صورة هذا الدين.

ابراز حقيقة الاسلام

يرد على المزاعم الغربية

من حيث إن الإسلام دين يغرس الهدايات الإيمانية، ويكرس العبادة لله وحده رب العالمين باعتباره خالق الوجود المستحق للعبادة:

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

(طه: ١٤)

فإنه يقدم رؤية ناصعة عن الدين الصحيح الذي يحدد مقومات الرسالة الإلهية والأصول التي تتأسس عليها، وهو ما يدحض مقولة: إن الإسلام هو خليط من بقايا تحريف الوثنية.

يتبع

الجامعة الإسلامية في غزة

للأستاذ الدكتور/ عبدالله نجيب محمد

الأستاذ بجامعة القاهرة

لم يكن بالجامعة سوى تسع قاعات دراسية، وكانت الجامعة في حاجة إلى بناء حوالي ٤٠ قاعة، قام أبناء قطاع غزة ببنائها بناء مؤقتا، إلا أن السلطات الإسرائيلية أوقفت المباني، كما طلبت عدم تحويل الدراسة إلى دراسة صباحية ولكن «مجلس أمناء الجامعة» قرر أن تبدأ الدراسة الصباحية يوم ٥ مارس - آذار ١٩٨٣م برغم أنف الاحتلال. فقامت السلطات الإسرائيلية بحجز أموال الجامعة في البنك ورغم ذلك قام الأهالي بحل هذه المشكلة- برغم معاناتهم المستمرة- وتم إفساد مخططات الأعداء التي سمحت مؤخرا بالبناء.

ومن الملاحظات التي تشد الانتباه أن سلطات الاحتلال تتدخل بشكل سافر في مقررات المرحلة قبل الجامعية، خاصة في مناهج التاريخ والتربية الإسلامية، وتحذف فصولا بكاملها من هذه المقررات.

أصبح للجامعة مجلس أمناء، وهيئة من المؤسسين تضم شخصيات معروفة بمواقفها الوطنية من داخل الأرض المحتلة ومن خارجها.

قامت هذه الهيئة بوضع النظام الأساسي والسياسة العامة للجامعة، وعملت على تأمين موارد مالية مناسبة لتمويلها، وتوثيق صلاتها بالجامعات العربية، مبتغى الأهداف الوطنية.

أنشئت كلية «أصول الدين» وكلية الشريعة وقام المدرسون بالتدريس في قاعات معهد فلسطين الديني، وبعد مرور حوالي عام

العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين فى الدول غير الإسلامية.

فهناك على امتداد الساحة المحلية والعالمية الكثير من تلك المظاهر، نرصد منها:

خارج العالم الإسلامى

تمتد النزاعات والفتن التى يكتوى بنيرانها المسلمون، تمتد هذا من أقصى دول العالم إلى أقصاها:

- فى كشمير بين الهندوس والمسلمين.
- وفى روسيا بين الشيشانيين والروس.
- وفى البوسنة والهرسك بين المسلمين وبين الصرب.
- وفى قبرص بين القبارصة الأتراك وبين القبارصة اليونانيين.
- وفى الصين بين الإيجور المسلمين وبين غير المسلمين فى إقليم شينج يانغ «تركستان الشرقية».
- وفى تايلاند بين المسلمين وبين البوذيين.
- وفى الفلبين بين المسلمين وغير المسلمين فى منطقة أو جزيرة مينداو.

وبات مألوفاً فى ظل هذه الأوضاع البائسة، أن يشار إليهم بأصابع الاتهام عند وقوع حدث إرهابى ونسبته إليهم من منطلق هذه الخلفية، وتعدى ذلك إلى أن أصبحت المظاهر الإسلامية مرفوضة فى دول الغرب، مثل: لبس الحجاب، أو ذبح الأضاحى فإنها تحارب من الأوروبيين باعتبار الحجاب رمزاً للقهر والاستعباد وليس رمزاً للهوية الإسلامية، أما ذبح الأضحية فهى قسوة مفرطة بالحيوان تتعارض مع حقوق الحيوان.

أهمية التماس الحلول

من داخل المنظومة الإسلامية

حتمية العمل الجاد الواعى المخلص لدرء الشبهات، وتصحيح صورة الإسلام:

فى ضوء هذا المنزع فإن صورة الإسلام والمسلمين الراهنة فى المجتمعات الإسلامية، وفى النطاق العالمى تبعث على الأسى وتثير الحزن، لكنها تتطلب وتستوجب للخروج من هذا المأزق تبنى خطة ترسم معالمها فى عمل جاد واعى ومخلص، يعمل على رد الشبهات عن الإسلام وتصحيح صورة هذا الدين.

إبراز حقيقة الإسلام

يرد على المزاعم الغربية

من حيث إن الإسلام دين يعرض العقيدة الإيمانية، ويكرس العبادة لله وحده رب العالمين باعتباره خالق الوجود المستحق للعبادة

• [illegible] •

(طه ١٤)

فإنه يقدم رؤية ناصعة عن الدين الصحيح الذى يحدد مقومات الرسالة الإلهية والأسس التى تتأسس عليها، وهو ما يدحض مقولة إن الإسلام هو خليط من بقايا تحريف الوثنية

يتبع

الجامعة الإسلامية فى غزة

[illegible]

الأستاذ بجامعة القاهرة

لم يكن بالجامعة سوى تسع قاعات دراسية، وكانت الجامعة فى حاجة إلى بناء حوالى ٤٠ قاعة، فقام أبناء قطاع غزة ببنائها بناء مؤقتا، إلا أن السلطات الإسرائيلية أوقفت الباقى، كما طلبت عدم تحويل الدراسة إلى دراسة صباحية ولكن «مجلس أمناء الجامعة» قرر أن تبدأ الدراسة الصباحية يوم ٥ مارس - آذار ١٩٨٣م برغم أنف الاحتلال، فقامت السلطات الإسرائيلية بحجز أموال الجامعة فى البنك ورغم ذلك قام الأهالى بحل هذه المشكلة - برغم معاناتهم المستمرة - وتم إفساد مخططات الأعداء التى صمحت مؤخرا بالبناء.

ومن الملاحظات التى تشد الانتباه أن سلطات الاحتلال تتدخل بشكل سافر فى مقررات المرحلة قبل الجامعية، خاصة فى مناهج التاريخ والتربية الإسلامية، وتحذف فصولا بكاملها من هذه المقررات.

أصبح للجامعة مجلس أمناء، وهيئة من المؤسسين تضم شخصيات معروفة بمواقفها الوطنية من داخل الأرض المحتلة ومن خارجها.

قامت هذه الهيئة بوضع النظام الأساسى والسياسة العامة للجامعة، وعملت على تأمين موارد مالية مناسبة لتمويلها، وتوثيق صلاتها بالجامعات العربية، محقق الأهداف الوطنية.

أنشئت كلية «أصول الدين» وكلية الشريعة وقام المدرسون بالتدريس فى قاعات معهد فلسطين الدينى، وبعد مرور حوالى عام

على إنشاء هاتين الكليتين افتتحت كليات جديدة، منها كلية الآداب وكلية التربية، وكلية العلوم الاقتصادية والإدارية وكلية العلوم وكلية التمريض.

واجهت الجامعة منذ إنشائها عدداً من التحديات على رأسها محاولات الهيمنة عليها وعلى برامجها الدراسية ولكن مجلس الأمناء رفض هذه المحاولات بشدة، وساعده أهل القطاع، وتوصل إلى ميثاق أقره جميع وجهاء مخيمات وقرى وبوادى ومدن القطاع. كذلك واجهت الجامعة مشكلة تعرض الطلاب في المراحل السابقة على الجامعة لمناخ تهويدى في مناهج التعليم، وتشويه المعلومات التي قدمت لهم، بهدف تشويه نمط الحياة والفكر والعقيدة. وكانت تلك من أهم التحديات التي عملت الجامعة على التغلب عليها، وتصحيح هذا الخلل الذى لحق بنفوس الطلاب وعقولهم في المرحلة قبل الجامعية.

لهذا قامت الجامعة في السنة التأهيلية التي يلتحق بها جميع الطلاب والطالبات، قامت بعرض مقررات ثقافية عربية إسلامية في القرآن الكريم وعلومه، وفي السيرة النبوية وفي الفقه وأصوله، وفي التاريخ الإسلامي واللغة العربية، إضافة إلى اللغتين الإنجليزية والعبرية فيما بعد.

كان للجامعة فضل الريادة في تعليم اللغة العبرية بهدف تسليح الطلاب بأداة الاطلاع على المراجع العبرية ولفهم العقلية الإسرائيلية، وإدراك أبعاد الصراع الحضارى بين العرب والفكر الصهيونى. كان الهدف من السنة التأهيلية تصحيح وترميم الخلل الذى أحدثته برامج التعليم السابقة على الجامعة، الذى فرضه الإسرائيليون، والمأخوذ عن مدرسة «دنلوب» وهى مدرسة تقدم للطلاب ما يحد من رؤاهم وعملهم وآمالهم وفكرهم بوجه عام».

كان من الضرورى بث الثقة بين الطلاب في الحضارة العربية الإسلامية، والعقيدة والثقافة وتسليحهم برؤية واضحة لحقائق التاريخ والواقع.

بعد السنة التأهيلية يتوجه الطلاب كل حسب ميوله إلى الكليات التي يريدونها، وتتفق مع ميولهم واستعدادهم. وفي جميع الكليات تضاف إلى المقررات ساعات معتمدة في التربية الإسلامية وتاريخها في الإسلام، والمفاهيم التربوية في الإسلام. وفي كلية الاقتصاد تدرس النظرية الاقتصادية وأدوات التحليل، ومعلومات عن الأسواق والقيمة والإنتاج والاستهلاك، وغير ذلك مشفوعا بالنظرية الإسلامية فيها. كما يدرسون موادا تعالج مشكلات العصر والمعاصرة والتيارات العلمية من منظور إسلامى كما يدرس حاضر العالم الإسلامى والمشكلات التي يواجهها المسلمون في جميع أنحاء العالم. وهذه كلها مقررات إجبارية لجميع التخصصات. والهدف منها خلق قاعدة ثقافية مشتركة بين الجميع.

يجب على كل طالب وطالبة في كل عام جامعي أن يحفظ أجزاء من القرآن الكريم بقصد تأصيل المفاهيم الحضارية الإسلامية والثقة بها، مما يؤدى إلى الشعور بالأمن والثقة بالنفس في ظل الصراع بين الحضارة الإسلامية من جهة والحضارة الغربية التي تحاول فرض مفاهيمها وأفكارها وثقافتها من جهة أخرى.

تعمل الجامعة على تربية عقول الطلاب وصياغة نفوسهم وتنمية حريتهم وإرادتهم على الثقة والإيمان بمعطيات حضارتهم الأصلية التي يتعرضون إليها.

وفي العلوم الاجتماعية يحاول القائمون عليها التخلص من الهيمنة الغربية الإسرائيلية والتخلص من التبعية بوجه عام سواء في الأفكار المسبقة المستوردة من علوم الغرب وفكره أو في السلوك. بمعنى محاولة التخلص من التبعية الفكرية والتحرر العقلي. وأسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ووضع أساليب وأدوات من البيئة الإسلامية تطبق على حاجات المجتمع نفسه وتعالج مشكلاته، وترتبط مع المجتمع في مناحي حياته ارتباطاً وثيقاً.

بهذا النوع من التعليم الذى يؤهل للإبداع والابتكار ويوصل الثقة في النفس وفي التاريخ والحضارة تمكنت الجامعة إلى حد كبير من تخريج شباب قادرين على تحمل المسئولية التي تقع على كواهلهم في ظل الظروف الصعبة التي يعيشونها.

ومن حسنات الجامعة برامج العمل التطوعى للطلاب والطالبات في المخيمات والقرى والبوادى. لرفع مستوى مؤسسات الخدمة العامة والاجتماعية بوجه خاص، ومساعدة المزارع، بالإضافة إلى المساهمة في تعبيد الطرق وتشجيرها، والمساهمة في إزالة آثار العدوان المستمر على القرى والأراضى الفلسطينية. فعلى كل طالب أن يعمل مائة ساعة محتسبة في مجال الخدمة العامة قبل أن يتخرج.

ومن منجزات الجامعة الإسلامية بغزة، قد وثقت صلاتها بعدد من الجامعات الأخرى في الأرض المحتلة، منها جامعة النجاح، جامعة الخليل، جامعة القدس، جامعة بيرزيت، جامعة بيت لحم.

كما أنها أصبحت عضوا في مجلس التعليم العالي لجامعات ومؤسسات التعليم في الأرض المحتلة عموما، الذى ينتخب لجنته التنفيذية كل عامين.

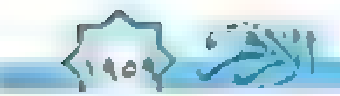
تعمل الجامعة على التنسيق بين جامعات الأرض المحتلة في إنشاء كليات وأقسام جديدة، بالإضافة إلى تطوير البرامج التعليمية بشكل عام. وقد أدى ذلك إلى وضع كوادر وظيفية موحدة لأعضاء هيئة التدريس ودرجاتهم الأكاديمية، ومستوى بحوثهم العلمية، ومع ذلك يحتاج الأمر إلى المزيد من خطوات التنسيق.

جامعة غزة أيضا عضو في اتحاد الجامعات العربية منذ عام ١٩٨٠م وتشارك في اجتماعاته، وتسهم في قراراته بكفاءة ومسئولية، كما أنها أيضا عضو في رابطة الجامعات الإسلامية التي مقرها في الرباط بالمغرب.

وفي النهاية نقول: لقد آن الأوان على الأمة العربية والإسلامية أن تمد إلى هذه الجامعة يد المعونة، وأن تعمل على تمكينها من أداء مهمتها الصعبة، وأن تستمر في البقاء والنمو والازدهار فهى جامعة تحمل اسم الإسلام، وتحاول أن تستعيد صور حضارته وتعيش مرحلة التحدى الحضارى الذى نمر به جميعا.

إن تنمية قدرات هذه الجامعة، علميا وفنيا واجب لا شك فيه على الأمة العربية والإسلامية، فهى تواجه عدوا شرسا، يريد أن يقتلع حضارتنا من نفوس أبناء فلسطين بتخطيط متكامل مدروس، وبدعم دولى غربي في الأساس.

إن حضارتنا لن تنهزم، وستبقى منتصرة، هذه الفكرة في مكان الصدارة من قلوب وعقول أبناء الأرض المحتلة.



قصيدة العدد

دمعة على العروبة

[illegible]

يا جيرة البان هل من يسأل البانا — إن كان فيه صدى من وجع شكوانا

فكم تبدلت الأفنان [illegible] — إليه، وانتفض النوار يقظانا

والتفت الورق [illegible] — على الكثبان [illegible]

والريح تهمس في الآذان ملهمة — والزهر [illegible]

***

تلك الملاعب [illegible] — أمست [illegible]

تسربت في حنايا الصدر فانعقدت — مما [illegible]

هي (الهموم) فسل عنها الخبير بها — إن (الهموم) تصب الويل ألوانا

بالله لو فعلت في [illegible] ما فعلت — في النفس لم يعرف الإنسان إنسانا

وأصبح الناس غير الناس من صور — شعثاء [illegible]

حتى (الطبيعة) تلقاهم فتنكرهم — وإن رأت [illegible]

فليتق الله قوم [illegible] — [illegible]

أودت بهم لعنة الأحباب تقذفهم — في [illegible]

لم تنتفض [illegible] إلى عمل — حتى [illegible]

وحولهم ضجة من كل ذي ملق — [illegible] وكل وقاح لج تبيانا

مستهترين فما يخشون من شطط — مستوفزين لجمع السحت وحدانا

يمشون في الغي والأهواء ترفعهم — [illegible]

وكم هنالك دجال له زبد — من فوق شدقيه يخفي الدجل إتقانا

[illegible] الحماسة إرعاء، فإن بلغت — حد التشنج ضج القوم إيمانا

وكم شهدت جموع الخلق مطبقة — على الطريق مشاة فيه وركبانا

[illegible] المواكب والأبصار خاشعة — إلى المواقف حتى كان ما كانا

[illegible] أقرب ما استدنيت من أمل — من منعم وسع الأكوان غفرانا

[illegible] على العصبية المزور جانبها — من فرط ما احتملت بغيا وعدوانا

وكيف [illegible] — عنفاً تجيش به الألفاظ أحيانا

[illegible] — عليك أو خلقاً وعزاً وخذلانا

[illegible] إلى النجم العلوي منطلقاً — فوق الجبال بجسر النيل نشوانا

[illegible] — وارتد ملتهب الأنفاس غضبانا

[illegible] — واندس بين زوايا الصخر حيرانا

فكيف بالنفس من عليائها انحدرت — والنفس أصدق إحساساً ووجدانا

[illegible] — وكان حظ شموس النفس حرمانا

[illegible] — لدى الكسوف وتأبى الشمس نقصانا

***

[illegible] كم من [illegible] — لم تذكريه فلم يجحدك نسيانا

[illegible] — في الهول يحمل ما يرضيك جدلانا

كم [illegible] — شبت وأمعن فيه السيف إثخانا

[illegible] — بالعجب واحتمل الآلام كتمانا

[illegible] — حبا فتنتهين إعراضاً وهجرانا

[illegible] — على [illegible] سليب الثوب عريانا

[illegible] مات دونك لم يمنن عليك يدا — ولم ينل منك عند الموت أكفانا

***

[illegible] فتصحبك والتاريخ يوم غد — [illegible] غثاء يملأ الآنا

مائة عالم ومفكر يطالبون فى الندوة الدولية بعمان بضرورة

الحفاظ على عروبة القدس والمقدسات الإسلامية

عقدت بمدينة عمان عاصمة الاردن الندوة العالمية لشئون القدس ، من اجل صمود القدس سكنا وعمرانا وهوية فى الفترة من ١٧ - ١٨ اكتوبر ٢٠٠٩م .. ضمن احتفالات القدس عاصمة للثقافة العربية لهذا العام، وفى ظل ظروف تتعرض فيها القدس لهجمة شرسة لم يسبق لها مثيل ، تقوم بها حكومة الاحتلال الاسرائيلى والجماعات المتطرفة على المسجد الاقصى واهلها ومقدساتها . واصبح تقسيم المسجد - فيما تمهد الان من حفريات - خطوة وشيكة فى ضوء الاجراءات التى يقوم بها الصهاينة دون احترام للقوانين الدولية والمواثيق.

ونظم هذه الندوة ثلاث جهات هى: المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة بالقاهرة ، المؤتمر الاسلامى لبيت المقدس بعمان وجمعية الدعوة الاسلامية العالمية بطرابلس ومثلها الدكتور ابراهيم الربو.

وشارك فى أعمال الندوة العلمية مائة شخصية يمثلون ١٣ دولة عربية وإسلامية وأفريقية و ٢١ هيئة إسلامية ومنظمات مجتمع مدنى عربية وأوروبية من أجل التعريف بالأخطار التى تتعرض لها القدس والمقدسات ، واقتراح الأساليب والمشروعات الموجهة لتعزيز البنية المقدسية ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وتربويا وصمودا للمقدسيين ، فضلاً عن التعريف الإعلامى بتلك الأخطار ، لتظل قضية القدس حية وحيوية على الساحة الإعلامية والسياسية عالميا.

التحديات الصهيونية والحقوق العربية فى القدس

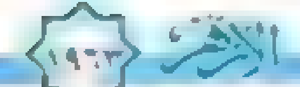
وناقش العلماء والمفكرون خلال جلسات الندوة بحوثا مهمة من بينها فى الجلستين الأولى والثانية لليوم الثانى للندوة تحت عنوان التحديات الصهيونية ، برئاسة الدكتور ابراهيم الربو . تناول التحديات الصهيونية والحقوق العربية فى القدس للدكتور جعفر عبدالسلام ، والأطماع الصهيونية - البعد المائى للدكتور أسعد السحمرانى ، والتربية فى مواجهة التهويد ، لاعتدال أشهب . كما تضمنت جلسة القدس والأبعاد السياسية ، برئاسة الدكتور عزى ربابعة أوراق عمل حول القدس على الساحة العربية للدكتور مهدى عبدالهادى ، والقدس فى الساحة السياسية للدكتور عماد ملكاوى .

كما تضمنت الجلسة الثالثة التى حملت عنوان «دفاعاً عن القدس» برئاسة سلطان الحطاب أوراق عمل حول دور وزارة الأوقاف الأردنية فى اعمار المسجد الأقصى ، ورعاية المقدسات فى القدس وحمايتها للمهندس عبدالله العبادى ، والقدس فى نشاطات اللجنة الملكية لشئون القدس للدكتور فاروق الشناق والدكتور محمد صقر ، والقدس فى الوجدان الشعبى الأدبى للدكتور مأمون جرار ، والقدس فى المسرح الأردنية للدكتور عبدالكريم جرادات ، ومقاومة التهويد الثقافى فى مدينة القدس لمحمد قاسم السعدى .

فشل الكيان الصهيونى أمر نملكه نحن

كانت الجلسة الافتتاحية قد شهدت كلمات قوية دفاعاً عن القدس العربية وعن مقدساتها والحفاظ عليها وبشكل خاص ما يتعرض له المسجد الأقصى ، حيث طالب رئيس الهيئة الإسلامية العليا وخطيب المسجد الأقصى الشيخ عكرمة صبرى منظمة العالم الإسلامى والجامعة العربية ، وغيرها من المنظمات الإسلامية ، بوضع ميزانية تعطى صمود المقدسيين أمام موجة التهويد ، وتقيم مشاريع إسكانية وتشترى البيوت المهددة بالتسرب إلى الأعداء ، واعتبر خطيب المسجد الأقصى القدس أسمى من أن تخضع للتفاوض والمباحثات قائلاً إنها أمانة فى أعناقنا جميعا ولا تنازل عن ذرة تراب منها .

كما قال رئيس مجلس الأمناء لمنظمة «الدعوة الإسلامية فى السودان» المشير عبدالرحمن سوار الذهب إن نجاح أو فشل الكيان الصهيونى فى تحقيق آماله أمر نملكه نحن بتفاعلنا وردود أفعالنا القوية ضد مخططاته ، ودعا الحكومات العربية والإسلامية إلى إيداع شكوى عاجلة لدى مجلس الأمن لإيقاف هذا العبث الصهيونى فى المسجد الأقصى لأن من شأنه إثارة الشعوب الإسلامية ودفعها إلى الثورة مما يؤثر فى الأمن والاستقرار الدوليين ، كما طالب المنظمات الخيرية بدعم صمود المقدسيين ماديا ومعنويا ، مقترحا تشكيل وفود للطواف



بالبلاد الإسلامية والعربية لتوضيح خطورة الموقف، ولشحذ الهمم للتحرك لإنقاذ مدينة القدس والمسجد الأقصى.

الحقوق العربية في القدس

نتوقف عند بحث له أهميته الخاصة لصاحبه الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية وأستاذ القانون الدولي بجامعة الأزهر وهو بعنوان «الحقوق العربية في القدس»، حيث يتناوله ضمن أربع قضايا محورية هي:

- مدينة القدس عبر التاريخ.
- أثر الدين في النظام القانوني للقدس.
- القدس والصراع العربي الإسرائيلي.
- الحقوق العربية في القدس.

فعبر التاريخ يشير إلى أن القدس تعد أهم مدينة في العالم بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، من حيث عدد الآثار الموجودة بها من الآثار الإسلامية مثل المسجد الأقصى وقبة الصخرة والعديد من المساجد والأوقاف والمدارس والمكتبات الإسلامية التي تعطي الطابع العربي الإسلامي لهذه المدينة المقدسة.

وقد حكمت المدينة من قبل الخلفاء الراشدين الأربعة - رضي الله عنهم - ثم في عهد الأمويين زاد الاهتمام بها، وظهر هذا الاهتمام في عهد العباسيين، حيث شهدت المدينة سيطرة صليبية استولت عليها وامتدت نحو [illegible] من [illegible]، وقد تم تحريرها منهم على يد صلاح الدين الأيوبي، لتنتقل إلى المملوكي، ثم العثماني، بدءا من عام



عكرمة صبري — جعفر عبد السلام

١٥١٧م وحتى عام ١٩١٧م.

وهكذا كان حكم المسلمين للمدينة قد دام ثلاثة عشر قرنا، في حين أن حكم اليهودي للمدينة لم يستمر أكثر من ثلاثة قرون في عصور متفرقة، أما حكم الرومان فقد استمر نحو أربعة قرون.

القدس عربية

وعندما فتحت على أن القدس ظلت عربية إسلامية منذ فتحها المسلمون عام ٦٣٧م في حكم الخليفة العادل عمر بن الخطاب، ولم يحكم المسلمون هذه المدينة منذ هذا التاريخ وحتى سقوطها في يد الاستعمار البريطاني عام ١٩١٧م في أعقاب الحرب العالمية الأولى، عندما كانت إحدى مدن إقليم فلسطين التابع للدولة العثمانية، التي خسرت الحرب أمام الأعداء الأوروبيين من دول الحلفاء.

والواقع أن التأثير العربي الإسلامي قد أثر تأثيرا واضحا على المدينة وتاريخها، ففي جانب بروز المقدسات الإسلامية بها، فحسب حكم المسلمون مجتمعا له مقدساته الأخرى اليهودية والمسيحية هذا الحكم تميز بإجماع المؤرخين بالتسامح والسماح بممارسة كافة الأديان في المدينة، وقد ظهر هذا التسامح والاحترام لمشاعر وعقائد وشعائر الآخرين عند دخول الخليفة العادل عمر المدينة وعلى مدار الحكم الإسلامي على اختلاف العصور عليه وحتى عام ١٩١٧م.

وجود من البركة والتقديس

وعلى ذلك فقد كانت هناك حاجة إلى حماية المقدسات الدينية في مدينة القدس تعد من الطبيعي لإعمال قواعد الحماية الدولية للمقدسات الدينية.

أسرى الله سبحانه وتعالى برسوله صلى الله عليه وسلم من البيت الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته الكبرى في هذا المكان المقدس، وسجل ذلك في آياته الكريمة:

﴿ [illegible] ﴾ (الإسراء: ١).

يقول الدكتور جعفر مواصلا بحثه.. والتفاصيل التي تروى بها قصة الإسراء والمعراج تحمل مضامينه وجوها من البركة والتقديس تخص عقول المسلمين وقلوبهم في كل مكان يعيشون به.

ويكفي أن الرسول ﷺ أتى المسجد الأقصى ووجد الأنبياء في انتظاره لكي يؤمهم في الصلاة، ويكفي أنه صعد من المسجد إلى الأفق الأعلى ليتلقى التوجيه الرباني عند سدرة المنتهى.

﴿ [illegible] ﴾

(النحل: ١١ - ١٨)

وكان من الطبيعي أن يتبوأ هذا المكان عند المسلمين مكانة دينية مرموقة. كما كان من الطبيعي - والإسلام خاتم الشرائع ورسوله خاتم النبيين ورسالته تكمل كافة الرسائل والدعوات التي سبقته - أن يسعى المسلمون إلى فتح بيت المقدس، وقد تحقق لهم ذلك في فترة ازدهار الدولة الإسلامية، وحرص الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على دخول القدس والصلاة فيها، وكتب عهدا للحاكم المسيحي للمدينة (العهدة العمرية) وقد تضمن هذا العهد: وضع المدينة تحت الحكم والحماية، وعدم السماح بدخول اليهود إليها أو العيش فيها، وظل هذا الحكم الإسلامي لبيت المقدس فترة تربو على الألف عام، ويعد الحكم الإسلامي هو آخر مراحل حكم هذه المدينة المقدسة، حيث أعطاها صبغة عربية إسلامية من حيث المكان والسكان وكافة مظاهر الحياة والعمران.

وركزت الندوة على جوانب كثيرة من القدس، في معرض الاهتمام بضرورة صمودها في مواجهة العدوان الإسرائيلي، خاصة ما يحدث الآن بالنسبة للمسجد الأقصى ومحاولة هدمه، بعد تلك الحفريات التي تتم منذ عدة سنوات بحثا عن الهيكل المزعوم.

بين الصحف و المجلات



إعداد

أ/ محمد جمعة

أ/ علاء عبدالرحمن

مصطفى محمود

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد بهجت فى عموده «صندوق الدنيا» بجريدة الأهرام الصادرة فى ١٣/١١/٢٠٠٩م يقول:

كان طفلاً حين ارتكب خطأ عاقبه عليه المدرس، وكان رد فعل مصطفى محمود أنه امتنع عن دخول المدرسة وظل على امتناعه حتى نقل المدرس من المدرسة وغادرها نهائياً.

ثم دخل كلية الطب وكان معظم الطلبة يحسون بثقل دروس التشريح، أما مصطفى محمود فكان يقضى الساعات فى قاعة التشريح، ويتأمل إشارة الجثث إلى الموت وإشارته هو للحياة، وبلغ من حبه للتشريح أن زملاءه من الطلبة أطلقوا عليه اسم المشرحانى.

ثم أنهى دراسته فى كلية الطب بجامعة القاهرة [illegible] يمارس حياته العملية فى مستشفيات مصر [illegible] يعرف متى اكتشف مصطفى محمود فى نفسه أنه [illegible] متعدد [illegible]

كتب القصة والمسرحية، ثم تجرأ يوماً على فكرة الإيمان بالله.

فيما بعد سيفسر الدكتور مصطفى محمود موقفه من الشك باعتباره طريقاً إلى الإيمان.

كان شكه إذن حيلة يستوقف بها الناس ويحصل على اهتمامهم واستماعهم، وبرغم أن تهمة الإلحاد طاردته كثيراً فى حياته ولكن كتبه كانت تكذب هذه التهمة.

ولعل برنامجه «العلم والإيمان» فى التليفزيون الذى استمر سنوات.. كان خير دليل على ذلك.

أخيراً استراح المحارب القديم بعد حياة مفعمة بالعلم والإيمان.

شكراً فيجدور ليبرمان

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ صلاح عبدالله فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٩/١٠/٢٠٠٩م يقول:

برغم أننى لا أحب هذا الرجل، فيجدور ليبرمان وزير خارجية الإسرائيلية المتطرف [illegible] مضطر لشكره بسبب دوره فى عودة الاهتمام المصرى بدول أفريقيا مرة أخرى.

ليبرمان الذى [illegible] مصر منذ توليه منصبه [illegible] بجولة أفريقية منذ أسابيع [illegible] الدول التى زارها. [illegible] لمشروعات مشتركة فى إطار تدعيم العلاقات الثنائية.

وكان لهذه الجولة التى [illegible] الصحافة العربية بكثير من الاهتمام آثار على دوائر السياسة الخارجية فى مصر التى [illegible] الأفريقية التى [illegible] حياة ونيلين فى مصر.

[illegible] فقد [illegible] زيارة [illegible] إلى أديس أبابا وعقدت بالفكر عديدة لدفع الشعوب خاصة على التعاون الاقتصادى، وكان من بين ما قاله إن مشروعاً واحداً من المشروعات المصرية المقترحة يغطى حجم المساعدات التى وعدت بها [illegible] وقيمته ١٢٠ مليون دولار.

نحن نحتاج [illegible] صحوة مصرية تجاه أفريقيا [illegible] نستمر لنضمن مزيداً من علاقات التعاون وصولاً لمستويات استراتيجية للعلاقات [illegible] مع دول [illegible] يجب ألا نتخلى عنها [illegible] المستوى.

نريد مزيداً من الزيارات الرسمية ومزيداً من التعاون فى كل المجالات ونريد وزارة للشئون الإفريقية؛ لأنه لا يوجد أهم من نهر النيل حين يأتى الحديث عن الأمن القومى المصرى.

انفجارات العراق

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربى الصادرة بتاريخ ٣١/١٠/٢٠٠٩م جاء فيها:

يواجه الشعب العراقى مخططا لتصفية قلما واجهه شعب آخر سوى الشعب الجزائرى تحت نير الاستعمار الفرنسى الاستيطانى.

ويبدو أن العراق سيعيش طويلاً تحت راية هذا المخطط متعدد الأطراف والقوى المحلية والإقليمية والدولية.

.. هزت الانفجارات المنطقة الخضراء المحصنة بالجيش والشرطة وراح الضحايا يتساقطون كأنهم فى يوم الجحيم، متذكرين ما جرى من قبل فى نفس المكان.. وهذا التكرار لا يعنى سوى شىء واحد هو تصفية الشعب العراقى وتوزيعه على بقاع العالم مخطط يمضى على قدم وساق.

فالديمقراطية التى بشرنا بها الأمريكيون فى العراق وجعله منصة إطلاق على المنطقة حصدت فى طريقها ٨ ملايين عراقى، شهيد وجريح ومنفى ومهجر والخطر المقبل أن يولد أطفال عراقيون ويعرفون ما جرى لآبائهم فيصبحوا قنابل بشرية فى وجه الجميع ولهم كل الحق والعذر، فما ارتكبه هتلر والنازية فى ألمانيا

والفاشية في إيطاليا.. حتى المغول لم يرتكبوا مثل هذه الجرائم.

وبصراحة مطلقة على سياسيي العراق الحاليين أن يعترفوا بما اقترفوه في حق هذا الشعب الذي فُرض عليه أن يكون وقودا لحروب لم يكن طرفا أصيلاً فيها أما الولايات المتحدة بقيادة باراك أوباما فعليها أن تدرك الآن أن الانسحاب الحقيقي وترك العراق لأهله هو القرار الأفضل لوجود الولايات المتحدة كشعب ضمن شعوب العالم، وعليهم أن يدركوا أن التاريخ طالما كشف لنا عن إمبراطوريات قامت وانهارت لأن السفهاء من أبنائها اعتقدوا أن قدرتهم أكبر من الزمن.. وها هي أمريكا تعود قليلا مع أوباما.. ولكننا نتمنى أن تعود إلى رشدها أكثر من ذلك، لأن الانهيار المقبل سيكون على جمع

وفي النهاية على العرب أن يتجهوا إلى الأمم المتحدة ليقولوا كلمة واحدة: كفى احتلالا واستعمارا فالشعوب أقوى مما تتصورون.

كيف تنتصر.. لتقرير جولدستون:

تحت هذا العنوان كتب محرر الجمهورية تقوله بجريدة الجمهورية الصادرة في ٢٨/١٠/٢٠٠٩م يقول:

سارع أنصار إسرائيل من نواب الكونجرس الأمريكي إلى تقديم مشروع قرار إلى مجلس النواب يطالب إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما بالتحرك في المحافل الدولية ضد أي دعم أو مناقشة لتقرير جولدستون الذي يثبت جرائم الحرب الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

عرف نواب الأمريكيون [illegible] ردديد حكومة متطرفة في [illegible] وزعموا أن تقرير لجنة جولدستون يتسم بالتحيز المطلق ضد إسرائيل، ولا يستحق الدراسة أو صفة الشرعية. وتجاهل النواب من لوبي إسرائيل في الكونجرس [illegible] على [illegible] [illegible] جرائم [illegible] وحشية التي ارتكبتها الآلة العسكرية الإسرائيلية [illegible] الفلسطينيين [illegible] تعرف بصفتها جرائم حرب [illegible] جولدستون الحاملة إزاءها بديلا عن [illegible] والمطالبة بمعاقبة مرتكبيها.

إن إسرائيل التي رفضت التحقيق في هذه الجرائم تتحرك مع مشجعيها وعملائها عبر العالم خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا لخنق تقرير جولدستون وتحويله [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] وسائل الحياة لتقرير جولدستون في محكمة المحافل الدولية حتى يتم القصاص من مجرمي الحرب الإسرائيليين رغم أنف نواب الكونجرس [illegible] الأمريكي.

أوباما.. ومصداقية نوبل

تحت هذا العنوان كتب الدكتور/ محمود وهيب السيد مقاله المنشور في جريدة الجمهورية بتاريخ ٢١/١٠/٢٠٠٩م يقول فيه

حتة خبر فوز الرئيس الأمريكي أوباما بجائزة [illegible]

[illegible] السلام يكون [illegible] جميع. فالرئيس الأمريكي لم يمض بالحكم سوى ثمانية أشهر فقط لم ير منه أحد غير الكلام المعسول [illegible] التي لم تترجم لأعمال. بل [illegible] [illegible]

[illegible] الإدارة الأمريكية [illegible] [illegible] القوات الأمريكية [illegible] [illegible] [illegible] حدود عام ١٩٦٧ [illegible] [illegible] ولم يحدث من ذلك شيء حتى الآن. بل على العكس [illegible] إسرائيل [illegible] [illegible] لأقوال أوباما. وقد صرح نيتنياهو [illegible] [illegible]

[illegible] في غزة

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ أحمد شعبان مقالا نشر في جريدة عقيدتي الصادرة بتاريخ ٢٧/١٠/٢٠٠٩م يقول فيه

[illegible]

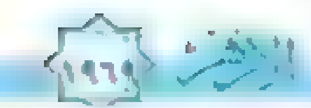
ويتهمها بارتكاب جرائم حرب في غزة وقتل أكثر من ١٣٠٠ فلسطيني إذا عرض على الأمم المتحدة وناقشه مجلس الأمن سوف يضر بعملية السلام الخادعة.

وأهم ما تخشاه إسرائيل من تقرير جولدستون أن فضح الممارسات والجرائم البشعة التي ارتكبتها إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني الأعزل في غزة واستخدام أسلحة محرمة دوليا مثل القنابل الفسفورية وغيرها من الأسلحة المدمرة والقتل العشوائي الذي لا يفرق بين الرجال والنساء أو الأطفال وكبار السن واستهداف المدارس والمستشفيات وأماكن الإيواء.

كل هذه الجرائم الوحشية التي ارتكبتها إسرائيل تحت مسمع ومرأى من العالم فضحها تقرير جولدستون الذي أوصى في تقريره بأن يحيل مجلس الأمن الدولي مسألة جرائم الحرب التي ارتكبتها إسرائيل إلى المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي إذا لم يتم التحقيق فيها وهذا ما تخشاه إسرائيل ولذلك تدعي أن هذا سوف يؤثر على تقدم عملية السلام مع الفلسطينيين.

المشكلة أن أرواح العرب رخيصة في نظر العالم العربي الذي ينظر إلينا النظرة الدونية.. وكل ما نخشاه أن توجه الأمم المتحدة اللوم والانتقاد لإسرائيل بعد عرض تقرير جولدستون عليها وتكتفي بتلك الانتقاد!!

ولذلك يجب علينا نحن العرب أن نقف في وجه تلك الجرائم التي ارتكبتها الدولة الصهيونية والسعي لإحالة هذا التقرير للمحكمة الجنائية الدولية حتى تحاكم إسرائيل على [illegible] من جرائم حرب





الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى

تأليف

الدكتور/ عبدالوهاب المسيري

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



الناس ــ بفطرة الحذر والتشكيك ــ أمام استقبال أية معلومة عن أعدائهم أو خصومهم متباينون؛ فمنهم من تفزعه المعلومة فيهوى به الفزع والخوف في مهاوى الاستسلام والخنوع، ومنهم من تدفع به السذاجة إلى أحضان الاستهانة وعدم المبالاة، حتى لكأن ما علمه لا يعنيه في شيء من قريب أو من بعيد، وينطلق بها لسانه في كل موطن غير ملق بالاً إلى ما يحدثه ذلك في النفوس من خوف وتوجس، ولا إلى ما يشيعه من بلبلة واضطراب، على نحو ما صوره المولى سبحانه في قوله

﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ۝ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾

(النساء: ٨٣ــ٨٤)

ومنهم من يأخذ ما علمه مأخذ الحذر والحيطة، فيقلب الأمور على شتى وجوهها، سعيًا للوقوف على مكان هذه المعلومة من الحقيقة، ويبحث عن جوانب الضعف والقوة فيها، فلا هو بالمستخذي الضعيف، ولا هو بالأحمق السادج، ملتزما بما نبه إليه [illegible]

الكريم في تبيانه ما عليه ظاهر اليهود، وعلاقة هذا الظاهر بالحقيقة

﴿... بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾

(الحشر: ١٤)

ولقد حرص الدكتور المسيري على أن يكشف حقيقة العدو الصهيوني بالوثائق ليحرك الإنسان العربي في مواجهة هذا العدو على بصيرة بمواطن الضعف فيه، مدركًا أن شراسة هذا العدو إنما تحرك ظاهري يخفي وراءه جبناً وتفككاً ناشئاً عن تنافر بين عناصره، على نحو ما صوره المولى سبحانه وتعالى في قوله:

﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾

(الحشر: ٢)

ومن هذا المنطلق.. لم يجبن الأحرار الفلسطينيون تحت هذا القهر الشرس، وإنما واجهوا هذا الجبروت العاتي بانتفاضة الأقصى التي اضطرت هؤلاء الطغاة المتحجرين إلى أن يعيدوا حساباتهم ويعلموا أن هناك قوة فلسطينية وطنية يمكن أن تقف في وجه هذا العدو الشرس الجبان، وتؤكد له أن الحجارة في أيدي هؤلاء الغلمان أقوى أثرا من دباباتهم وطيرانهم وصواريخهم، مؤكدين أن العبرة إنما هي بالصمود وليست بالتفجير والهدم والقتل والاعتقال.

دولة يقودها إرهابيون ملوثو الأيدي

ويوضح الدكتور المسيري أن على هؤلاء الإرهابيين قامت دولة إسرائيل، حيث استمر الجهاز السياسي والعسكري المكون من أبطال العمليات الإرهابية قبل سنة ١٩٤٨ في ممارسة نشاطه الإرهابي والعنصري بشكل متكامل الأبعاد ــ عسكريا وسياسيا، وأيديولوجيا، ودعائيا، إلى غير ذلك ــ على جبهتين أساسيتين هما:

١ــ مطاردة الشعب الفلسطيني بالداخل ودفعه بعيداً عن الأرض.

٢ــ بناء هيبة الدولة ضد البلدان العربية وغيرها، وذلك بالتعاون مع الاستعمار الأمريكي.

وإلى جانب هذا الجهاز... استحدثت فروع أخرى لأغراض إرهابية سرية محددة يوكل إليها القيام بها، مثل إيقاع المذابح ضد اللاجئين الفلسطينيين في مناطق الهدنة، ومثل تفجير بعض المرافق الأمريكية والبريطانية والمصرية في القاهرة والإسكندرية، بقصد إحداث البلبلة وإشاعة الاضطراب والفوضى... إلخ.

يضاف إلى هذا وذاك.. فرق المستعربين (المستعرفيم) التي تجند

اليهود الذين كانوا يعيشون في البلاد العربية للحصول على المعلومات، والقيام باغتيال الشخصيات العربية مثل فرقة الدفدفان (الكرز) التي أسسها (إيهود باراك) سنة ١٩٨٨ لمواجهة الانتفاضة، وفرقة (شمشون) التي أسست للتسلل إلى الأوساط الفلسطينية النشيطة في الضفة وفي قطاع غزة، والعمل على إفشال نشاطها أو تصفيتها.

ومذابح متوالية وضح النهار

وقدم الدكتور المسيري نماذج لما قام به الصهيونيون من مذابح صهيونية تمثل الجريمة المنظمة لإرهاب الدولة، فذكر مذبحة قلقيلية في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٣ التي راح ضحيتها أكثر من سبعين مدنيا من سكان القرية، ومذبحة قبية شمالي القدس في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣ بقيادة (أرييل شارون) وراح ضحيتها ٦٩ مدنيا، ونسف ٤١ منزلا ومسجدا، ومذبحة نحالين قرب بيت لحم في ٢٩ مارس سنة ١٩٥٤ وراح ضحيتها أحد عشر، ومذبحة دير أيوب في ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤ التي [illegible] ثلاثة أطفال يجمعون الحطب حيث [illegible] في بطن الوادي [illegible]. ومذبحة غزة الأولى في ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ التي قتل فيها [illegible] على محطة مياه [illegible] ومبنى محطة سكة حديد غزة. وقد وصل عدد الشهداء ٣٩ قتيلا و٣٣ جريحا. ومذبحة غزة الثانية في ٤، ٥ أبريل سنة ١٩٥٦ حيث استشهد ٥٦، وجرح ١٠٣، ومذبحة خان يونس الأولى في ٣٠ مايو سنة ١٩٥٥، والثانية في أول سبتمبر سنة ٥٥ حيث استشهد في الأولى ٢٠ وفي الثانية ٤٦، وفي مذبحة الرهوة ١١ و١٢ سبتمبر سنة ٥٦ نسفت المدرسة وقتل ١٥، ومذبحة كفر قاسم ٢٩ أكتوبر سنة ٥٦ وقتل فيها ٣٧ رجلا و١٢ امرأة، وجرح ١٣٠، ومذبحة خان يونس الثالثة ٣ نوفمبر سنة ٥٦ واستشهد فيها ٢٧٥، ومذبحة السموع في منطقة الخليل ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٦ حيث قامت القوات الإسرائيلية بهجوم على القرية بمشاركة [illegible] دبابات و[illegible] مصفحة معززة بالمدفعية وسلاح الطيران، [illegible] القوات الإسرائيلية [illegible] ١٢٥ منزلا [illegible] مدرسة وعيادة [illegible] حتى إن مجلس الأمن لم يستطع إلا أن [illegible] بقرار رقم ٢٨٨ في ديسمبر سنة ١٩٦٦ [illegible] أكتوبر سنة ١٩٦٦.

أما بعد حرب ٦٧ واستيلاء الصهيونيين على مزيد من الأراضي العربية، فكثر [illegible] وتكررت [illegible] أخرى.

ففي ١٢ فبراير سنة ١٩٧٠ غارت الطائرات الإسرائيلية على مصنع أبي زعبل للشركات المعدنية الذي كان يعمل [illegible] ١٣٠٠ عاملا في نوبة [illegible] في الأراضي المصرية، لتسفر الغارة عن استشهاد سبعين عاملا وإصابة ٦٩ آخرين.

وتبعت تلك الغارة غارة أخرى في ٨ أبريل سنة ١٩٧٠ على مدرسة بحر البقر من محافظة الشرقية بمصر، حيث دكتها بالقنابل وقتلت ١٩ طفلا وأصابت ٦٠، وفي ١٦ يونيه سنة ١٩٨٢ قامت بعملية قتل جماعي لنحو ٨٠ مدنيا كانوا مختبئين في بعض ملاجئ [illegible] عدوانهم على لبنان، وفي ١٦-١٨ سبتمبر سنة ١٩٨٢ قامت بمذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا الفلسطينيين بعد [illegible] القوات الإسرائيلية العاصمة اللبنانية [illegible] في دخول قوات الكتائب اللبنانية المتعطشين [illegible] الدماء بعد اغتيال رئيس [illegible] بشير الجميل [illegible] أعلى [illegible] قتلوا [illegible] قتلوا [illegible].

ولكن مسئولا بالأسطول الأمريكي الذي كان راسيا قبالة بيروت أكد مسئولية [illegible] للمذبحة [illegible] والعسكرية الإسرائيلية. وقد [illegible]. وقد بلغ ضحايا هذه المذبحة ١٥٠٠ شهيد من الفلسطينيين واللبنانيين العزل [illegible] على الرغم من الإشراف الأمريكي [illegible] بحماية الفلسطينيين واللبنانيين بعد خروج المقاومة من لبنان.

وفي ١٦ [illegible] ١٩٨٤ أوعزت إلى أحد عملائها المدعو حسين عكر بالتسلل إلى داخل مخيم عين الحلوة ومن خلفه قوة من ١٥٠٠ جندي إسرائيلي و١٥٠ آلية لينشروا الخراب والقتل في المخيم، فدمروا ١٤٠ منزلا وقتلوا ١٥، واعتقلوا ١٥٠، وفي ١١ أكتوبر سنة ١٩٨٥ قامت بمذبحة حمامات الشط جنوبي العاصمة التونسية ملاحقة منظمة التحرير الفلسطينية هناك بعد خروجها من لبنان بثلاث سنين مخلفة ٥٠ شهيدا ومائة جريح، معلنة بذلك عن بعد وقدرة سلاحها الجوي على ضرب الأهداف في المغرب العربي.

وكان للانتفاضة ترحا

وفي الفصل الرابع عشر (الإرهاب الصهيوني حتى أوسلو) ذكر الدكتور المسيري أن السلوك الإرهابي من المستوطنين الذين ولدوا في فلسطين (الصابرا) كان أشد عنفا وقسوة على الرغم من إعفاء معظمهم من تأدية الخدمة العسكرية، غير مكترثين بأي نظام [illegible] للدولة، بل إن الدولة حرصت على حمايتهم في [illegible]، وتركتهم يعربدون، مقترنين بذلك بما كان عليه [illegible] (جوش إيمونيم) [illegible]. كما بين ذلك (مايكل [illegible]) عضو الكنيست.

ونعني [illegible] بعد اتفاق (أوسلو) هو ما يسمى [illegible] (الأمر على الطرق)، وتتكون من

مجموعة شبه مستقلة عن بعضها تتنافس على بث أقصى درجات العنف بين الفلسطينيين لإجبارهم على التزام حالة من الوجود الهامشي، وذلك عن طريق تكثيف شعورهم بانعدام الأمن والسلامة خارج مناطق ـ أو معازل ـ الحكم الذاتي، وتأكيد انفصال هذه المعازل عن بعضها.

ولما اندلعت انتفاضة الشعب الفلسطيني في ديسمبر سنة ١٩٨٧، ووجدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي نفسها في مواجهة يومية مع حركة عصيان مدني في الضفة الغربية وقطاع غزة.. لجأت سلطات الاحتلال إلى تكثيف آليات العقاب الجماعي من حظر تجول وحصار للبيوت إلى توسع في الاعتقالات، وأحكام السجن، والتعذيب، والطرد والإبعاد، بل لقد لجأت إلى استخدام الطائرات بتوسع لمطاردة المتظاهرين وإطلاق النار عليهم، واستخدام قنابل غازية تحتوي على مكونات كيماوية تفضي إلى الاختناق والموت.

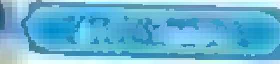
ومع كل هذا... أخفقت في قمع الانتفاضة، مما ألجأ (إسحاق رابين) إلى إصدار أوامره بتكسير عظام الفلسطينيين، ومما ألجأ الدولة إلى رفع عدد جنود جيشها في الضفة وغزة، على الرغم من انتشار ظاهرة رفض الخدمة أو التهرب منها بين الضباط والجنود.

وإزاء الصمود الفلسطيني.. حاول الصهيونيون خلق واقع جديد باستغلالهم ما عُرف باتفاقات (أوسلو) لتخفيف الاحتكاك بين الفلسطينيين والقوى العسكرية الصهيونية، واستغلال السوق الشرق أوسطية والمؤتمرات الاقتصادية في تجاوز الخلافات بينهم وبين الدول العربية واستغلال السلطة الفلسطينية في مكافحة المقاومة الفلسطينية، بدلاً من تحمل الصهيونيين وحدهم هذه المهمة، أو اضطرارهم إلى إنهاء الإرهاب الصهيوني.

ولكن الحكومات الصهيونية المتتابعة لم تستطع إلا تقديم المزيد من العنف والإرهاب استسلاماً منها لرغبة المستوطنين المتطرفة ضد الفلسطينيين في ظل التفاوض مع قيادتهم حتى أصبحت تلك الاتفاقات لا تعني أكثر من وسائل خداع.

وكان من أبرز مظاهر استمرار ذلك العنف والقمع والمذابح.. مذبحة الحرم الإبراهيمي في ٢٥ فبراير سنة ١٩٩٤، حيث سمحت القوات الإسرائيلية التي تقوم على حراسة الحرم الإبراهيمي بدخول المستوطن اليهودي المتطرف (باروخ جولدشتاين) إلى الحرم الشريف يحمل بندقيته الآلية ليحصد أرواح المصلين داخل المسجد، فاستشهد ستون وأصيب العشرات قبل أن يتمكن منه المصلون ويقتلونه.

وكما هي العادة... سارعت الحكومة الإسرائيلية إلى إدانة المذبحة، معلنة تمسكها بعملية السلام الفلسطينية،



حاصرة مسئوليتها في شخص واحد، مكتفية باعتقال عدد محدود من رموز جماعتي (كاخ)، و(كاهانا) ممن أعلنوا استحسانهم تلك الجريمة.

كما كان من تلك المظاهر وقوع مذبحة (قانا) في ١٨ أبريل سنة ١٩٩٦، أحد أجزاء عملية (عناقيد الغضب) التي بدأت في ١١ أبريل مستهدفة ١٥٩ بلدة وقرية في الجنوب اللبناني والبقاع الغربي، في محاولة لاستعادة هيبة الجيش الإسرائيلي، ونزع سلاح حزب الله، ورفع معنويات عملائها.

ومع تزايد قوة حزب الله وجرأته في مقاومة القوات المحتلة لجنوب لبنان فزعت إسرائيل وشرعت في خرق اتفاقيه ومهاجمة المدنيين قبل العسكريين في عمليات محدودة إلى أن فقدت أعصابها، ويؤكد هذا حجم الذخيرة المستخدمة مقارنة بضآلة القطاع المستهدف وقيام القوات الإسرائيلية بقذف المواقع المدنية. وقد أكد تقرير الأمم المتحدة مسئولية حكومة «شيمون بيريز» وجيشه عن هذه المذبحة.

ورغم الضغوط الأمريكية الإسرائيلية لإجبار الدكتور غالي أمين عام الأمم المتحدة على ستر مضمون هذا التقرير، لم يستطع ستره فكوفئ بالحرمان من الاستمرار في موقعه الدولي.

ومع هذا العنف المستمر ـ في ظل الصمت الدولي والحماية الأمريكية ـ لم تحقق إسرائيل أياً من أغراضها المعلنة وغير المعلنة؛ فقد استمرت المقاومة في جنوب لبنان، بل على العكس من ذلك انطلقت انتفاضة الأقصى في سبتمبر سنة ٢٠٠٠، حيث تصدى الفلسطينيون العزل بأجسادهم لدخول (آرييل شارون) إلى حرم المسجد الأقصى في حراسة جنوده، وفي اليوم التالي وبعد صلاة الجمعة مباشرة هاجم الجنود الإسرائيليون ساحة المسجد، فكانت مقدمة لتجديد روح المقاومة بعد نحو شهرين من فشل مفاوضات (كامب ديفيد) الثانية؛ مؤكدة فشل المفاوضات التي أعادت التأكيد على استحالة الالتقاء بين الحدود الدنيا للمشروع الوطني الفلسطيني ولاءات المشروع الصهيوني، وجوهره وأسسه.

فكانت المواجهة الإسرائيلية لانتفاضة الأقصى أعنف قمعاً مما أوقعته بالفلسطينيين في الماضي؛ فمنذ البداية استخدم الجيش الإسرائيلي الرصاص الحي والرصاص المطاطي والمعدني الذي يفوق الأنواع الشائعة في قدرته على اختراق العظام، مما كان له أثره في ارتفاع عدد الشهداء.

وكلما استشعر الإسرائيليون العجز في قمع الانتفاضة وكسر إرادة المنتفضين سعوا إلى ابتكار الأعنف، مستعينين بالتكنولوجيا الأمريكية، حتى لجأوا إلى استخدام الدبابات والطائرات في الإغارات الصباحية والليلية على المدن والقرى، وقصف الأحياء السكنية،

والمرافق الخدمية والاقتصادية، مع قطع الكهرباء لإشاعة الرعب الدائم في النفوس.

هذا... إلى إعطاء الضوء الأخضر للمستوطنين اليهود لإقامة مستوطنات أخرى غير التي أقاموها بصورة عشوائية في أنحاء مختلفة من الأراضي الفلسطينية مرتكزة ـ في هذا كله ـ على الدعم الدبلوماسي والعسكري؛ للتغطية على هذا العنف الإرهابي غير المسبوق، حتى بدأ الجدل يثور بين الإسرائيليين أنفسهم حول جدوى الاحتفاظ بالمستوطنات في الضفة وغزة، وحول تحول المستوطنين إلى عبء على الجيش يجب التخلص منه، حفاظًا على الدولة الوظيفية في إطار المشروع الصهيوني.

وبعد

فإن الكتاب ـ كما رأينا على مدى هذه الحلقات ـ موسوعة مدعومة بالوثائق المختلفة، تقدم تاريخ الاستعمار الصهيوني لأرض فلسطين، والذرائع المتباينة التي تذرع بها الصهيونيون، والأساليب القهرية التي مارسوها في هذا السبيل لستر ضعفهم وجبنهم، كما تقدم صورة لمدى المعاناة الفلسطينية التي فرضها عليهم هذا المشروع الاستيطاني، وصورة للصمود والبسالة الفلسطينية في تطور الفلسطينيين مع جميع مراحل الاستيطان، وما قدموه من تضحيات تعلن أن فلسطين أرض ذات شعب عريق، وليس ـ كما تردده الأكاذيب الصهيونية ـ أرضًا بلا شعب.

هذا إلى ما تؤكده من أن هذا الكيان الصهيوني المغتصب في الأرض الفلسطينية لم يستطع أن يلبس ثوب الدولة المدنية التي تتكون منها هيئة الأمم المتحدة على الرغم من مرور نحو ستين عامًا منذ زرعتها الصهيونية على حساب الفلسطينيين؛ فهي إلى الآن دولة صورية غير محددة المعالم الجغرافية، وهي دولة لا قيمة فيها لحقوق الإنسان، وهي دولة لا تعرف أسلوب الدبلوماسية الدولية في علاقاتها بالأخرى، ولكنها عصابات مجموعات من العصابات ـ وإن لبست مسوح الدولة ـ تعتمد على العنف والإرهاب الدموي والمتطور.

ولا عجب في ذلك إذا تذكرنا ـ كما توضحه تلك الموسوعة ـ أن قادة العصابات الإرهابية الذين قاموا بالاستيلاء على الأرض الفلسطينية هم الذين يقومون على أمر هذا الكيان إلى الآن.

ولقد اضطر الدكتور المسيري ـ في تقديمه هذه الموسوعة ـ أن يكرر كثيرًا من الأحداث الموثقة، وأن يكثر من الرويات والتصريحات التي تؤكد صدقه في تصويره، والتي تبرز الأحداث في هيئتها الواقعية المشخصة، الأمر الذي قد يكون أصاب الكتاب بشيء من العسر، على الرغم من يسر تعبيراته ومفرداته.

الإسلام دين الرفق

بقلم الدكتور/ [illegible]
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن الإسلام هو دين الرفق حث عليه، ودعا إليه وهو يعني اللين في القول وفي الفعل والأخذ بالأيسر والأسهل وهو ضد العنف.

● ويكون الرفق واضحًا بأحلى معاني صوره في سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقد تسمى بالرفق والرحمة واللين قال الله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

(سورة آل عمران آية ١٥٩)

● وقد حث الرسول ـ ﷺ ـ على الرفق موضحًا أنه يكون خيرًا وزينة في خصلة يحملها ويكملها عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه) رواه مسلم.

ومن اتسم بالرفق حظي بالخير كله ومن حرم منه حرم من الخير كله عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير) رواه الترمذي في جامعه.

● وقد طبق الرسول ـ ﷺ ـ الرفق في العبادة وفي الصلاة التي جعلت قرة عينه فيها فكان يريد التطويل في الصلاة ولكنه يختصرها رفقًا ببكاء طفل صغير ورفقًا بقلب أمه.

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال له أم قومك قال: قلت: يا رسول الله إني أجد في نفسي شيئًا فقال: ادنه فجلسني بين يديه ثم وضع كفه في صدري بين ثديي ثم قال: تحول فوضعها في ظهري بين كتفي ثم قال: أم قومك فمن أم قومًا فليخفف فإن منهم الكبير وإن فيهم المريض وإن فيهم الضعيف وإن فيهم ذا

الحاجة وإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء» رواه مسلم وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه» رواه البخاري ومسلم.

ودعا الرسول ـ ﷺ ـ على من يشق على المسلمين أن يشق الله عليه ودعا لمن يرفق بهم أن يرفق الله به.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول في بيتي هذا:

«اللهم من ولي من أمر المسلمين شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر المسلمين شيئا فرفق بهم فارفق به» رواه مسلم.

● ودعا الإسلام إلى الرفق بالجاهلين، فمن أخطأ في أمر جاهلا أحكامه فإن الإسلام يأمرنا أن نعلمه وأن نوجهه ولا نعنفه ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» رواه البخاري.

● ودعا الإسلام إلى الرفق بغير المسلمين، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن يهود أتوا النبي ـ ﷺ ـ فقالوا: السام عليكم فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في» رواه البخاري.

● ومن دعوة الإسلام إلى الرفق دعوته إلى الرفق بالنساء وكيف كان رسول الله ـ ﷺ ـ رفيقا بهن عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: استأذن عمر على رسول الله ـ ﷺ ـ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ـ ﷺ ـ ورسول الله ـ ﷺ ـ يضحك فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ أضحك الله سنك يا رسول الله فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» قال عمر: فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله ـ ﷺ ـ.

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك» رواه البخاري ومسلم.

ومن الرفق بالنساء وصايا الرسول ـ ﷺ ـ بالنساء في قوله: «استوصوا بالنساء خيرا» رواه مسلم.

وكان من آخر وصاياه قبل أن يودع حياة الوصية بالنساء في قوله: «الله الله في النساء فإنهن عوان بينكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»

ومن أهم ما ينبغي أن نشير إليه:

● الرفق بالأطفال والرفق بأصحاب الاحتياجات الخاصة من أصحاب الإعاقة، لأنهم أشد الناس حاجة إلى الرفق بهم والعطف عليهم والقيام بشئون حاجاتهم.

● والرفق بالحيوان فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر» رواه البخاري ومسلم.

وهكذا نرى أن الرفق بمثل هذا الحيوان وهو الكلب كان سببا للمغفرة لهذا الرجل الذي سقاه.

وقد بلغ الرفق بسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ صيغته النهائية، لشدة حبه لأمته ورفقه بها وشفقته لدرجة أنه لما ذكر أقوال بعض الأنبياء في أممهم رفع أكف الضراعة إلى ربه طالبا الرحمة بها رفقا على الأمة لدرجة أنه ـ ﷺ ـ قد بكى فأجاب الله دعاءه وحقق رجاءه لرفقه بأمته.

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ تلا قول الله ـ عز وجل ـ في إبراهيم:

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(سورة إبراهيم: ٣٦)

وقال عيسى عليه السلام:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(سورة المائدة: ١١٨)

فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي» وبكى فقال الله ـ عز وجل ـ: «يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ـ ﷺ ـ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك» رواه مسلم.

الرؤيا في قصة يوسف

[illegible]

الرؤيا حالة شريفة، ومنزلة رفيعة وهي أول ما أوحى الله لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث كان يرى الرؤيا، فتجيء مثل فلق الصبح. وقد وردت فيها أحاديث كثيرة تؤكد على أنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، كما ورد أنها جزء من سبعين جزءاً، ومن حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أنها جزء من أربعين جزءاً.. إلى آخر الأحاديث التي وردت في هذا الباب.

وقد ذكر أبو عمر بن عبدالبر: أن اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا، ليس اختلاف تضاد وتدافع، لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة والدين المتين، وحسن اليقين. فعلى قدر اختلاف الناس، تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد. فمن خلصت نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه، كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب، كما أن الأنبياء يتفاضلون، قال الله تعالى: «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض» (الإسراء: ٥٥) يقول الإمام القرطبي معقباً على ذلك: «فبهذا التأويل يجمع شتات الأحاديث، وهو أولى من تفسير بعضها دون بعض وطرحه»[1].

والرؤيا من الغيب، الذي يطلع الله عليه بعض عباده، بواسطة ملك الرؤيا، بشارة كانت أو نذارة، سواء أكانت للعبد ذاته أو لغيره. وهي جزء من النبوة كما أسلفنا، حيث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لم يبق بعدي من المبشرات إلا الرؤيا الصادقة، يراها الرجل الصالح، أو ترى له». وفي غيره [illegible] أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»[2]

والرؤيا على ثلاثة أقسام:

● الأول: «ما كان إنباء من الله للعبد بما سيحدث في مستقبل أيامه [illegible]. وهي التي ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنها جزء من النبوة. وهي كانت من مقدمات الوحي له عليه السلام، ومنها رؤيا يوسف عليه السلام التي سجلها القرآن الكريم، ودارت حول تأويلها أحداث القصة ذاتها حتى آخر حلقة من حلقاتها، ورؤياه التي رآها أيضاً قبل ذلك بسبع سنين، وسنذكرها بعد إن شاء الله تعالى، مع رؤيا يعقوب أيضاً التي رآها في هذا الشأن.

● الثاني: ما كان من الشيطان، وهي أخلاط يراها الرجل في نومه، وهي مما يلبسه الشيطان عليه بقصد التشويش، وإدخال الغم عليه، ومن علاماتها أنها تجيء بين حوادث لا يستطيع الرائي أن يحكيها أو يرتب أحداثها، ويلحق بها ما كان عند امتلاء المعدة بالطعام، وهو ما يسمى (بالكابوس) وقد أرشدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف نواجهها، ونتغلب على آثارها بأن يتفل الرجل عن يساره، ويستعيذ بالله من وسوسة الشيطان ومن شره، ويستحسن أن يقوم فيتوضأ ويصلي ركعتين لله تعالى، فإنها عندئذ لن تضره.

● أما النوع الثالث: فهي ما يحدث من المرء ذاته، وهي حالة نفسية، تفضل الله بها عليه، لتنفس بها كربه، ويخرج من حالة الضيق النفسي، والمعاناة التي يحس بها من داخله عندما يرغب في تحقيق شيء وتلح عليه هذه الرغبة إلحاحاً شديداً، بحيث يلح عليه تفكيره وهو لا يستطيع تحقيقها، فقد يتيسر له في نومه ما [illegible] حقيقته، فتنبه نفسه ويستريح عصبيه.

وأصدق الرؤى ما كان في الثلث الأخير من الليل، أي وقت السحر، قبيل طلوع الفجر الصادق، وقد جاء في كتاب «أصدق الكلام في تفسير الأحلام» للدكتورة عائشة مصطفى الحكيم، أن الرؤيا الصادقة على نوعين:

● الأول: وهي التي يراها النائم دون رمز أو كناية، وتتحقق كما هي تماماً في اليقظة وهي لمرتبة الأنبياء، وقال بعضهم: طوبى لمن يرى الرؤيا صريحة، لأن الصريحة من الله تعالى دون وساطة ملك الرؤيا.

● أما النوع الثاني: من الرؤيا الصادقة، فهي ما كان بواسطة ملك الرؤيا يطلعه الله تعالى على شيء من الغيب المسجل في اللوح المحفوظ، فينقلها إلى الرائي على هيئة رموز وكنايات، يبشره فيها بالخير، أو ينذره فيها بالشر والبشرى بالخير من الله مرغوبة من الرائي، ولكن قد يأتي العبد في الرؤيا الصادقة الإنذار بحدوث ما يكرهه في اليقظة، فكأنما هذه الرؤيا من الله تمهيد لعبده الذي يحبه، وإعلام له بما سيحدث فيهيأ لذلك نفسياً، ولا يأتيه فجأة فيقنط من رحمة الله، وقد يرى في آخر الرؤيا ما يدل على الفرج ليصبر على البلاء كما حدث في رؤيا الملك، التي فسرها يوسف عليه السلام بسبع سنين رخيات، يعقبها سبع سنين شداد، وبعد ذلك يأتي عام الرخاء.

وقد عرف يوسف عليه السلام أن سني الشدة سيعقبها عام الرخاء، وذلك لعدد البقرات العجاف، وعدد السنبلات اليابسات، حيث إن في ذلك دلالة واضحة على أن سني الشدة لا تتجاوز السبع السنين وكان ليوسف الدور الأكبر في قيادة سفين الأمة وتحمل مسئوليتها حتى خرجت من هذه المحنة القاسية، وكثير من الصالحين، رأى موته في منامه، فكان

---

(١) أصدق الكلام في تفسير الأحلام - عائشة مصطفى الحكيم

أن أعد نفسه لاستقباله، بالإكثار من الطاعات، وإسداء النصح لمن سيخلفونه وكثرة الشوق إلى لقاء الحبيب.

وإذا أردنا أن نتعرف على حقيقة العلاقة بين الرؤيا، وبين ما تهدف إلى بيانه مما يقع في المستقبل، فلابد أن نقتنع أولا بأن هذه العلاقة، هي علاقة الرمز بالمرموز إليه، والرمز هو التعبير بشيء وإرادة شيء آخر بينهما علاقة على نحو ما، قد تكون هذه العلاقة علاقة مشابهة في الأثر والنتيجة، وقد تكون علاقة بالحب أو بالبغض، وقد تكون علاقة بالشعور بالخوف أو الشعور بالأمن والطمأنينة، وقد تكون علاقة بالتضاد.

وكثيرا ما يكون الرمز شيئا محسوسا، في حين أن المرموز إليه شيء غير محسوس، فمثلا إذا رأى إنسان نفسه، وكأنه يأكل لقمة عيش جافة، كان ذلك دليلا على أنه مقبل على حياة ملؤها شظف العيش، وإذا وجد إنسان نفسه يقتل ثعبانا، كان ذلك دليلا على أنه سيتغلب على عدو له، ويذكر المؤرخون أن الإمام الشافعي رضي الله عنه رأى وهو في بغداد بالعراق وكأنه يمسك بمزمار وينفخ فيه، وهو متجه ناحية الغرب، فأولت له هذه الرؤيا على أن مذهبه الفقهي سوف ينتشر في مصر، وكان ما تنبأ به المتأولون.

إن النائم حينما يسلم نفسه للراحة والاسترخاء، لا يملك أن يسلم كل حواسه الظاهرة والباطنة جميعا، وإنما يسلم جسده وعينيه فقط بما يتبع جسده من حواس ظاهرة، أما روحه وعقله الباطن، بما يتبع ذلك من ملكات خفية وخصال نفسية، كالبصيرة، وحسن التأني في تدبر الأمور، ونقاء السريرة ومعاملته بينه وبين الله تعالى، فإن ذلك يخرج عن دائرة حسه وملاحظته، الذي يسلمه للنوم والراحة ولم يفقد نشاطه فعلا متحركا، بل يكون أكثر نشاطا وإدراكا لما وراء المحسوسات لما فطره الله عليه، ولما وهبه من ملكات خفية وهنا يكون شبيها بالفنان الذي لا يتوقف عمله عند حدود المحسوسات وحدها دون أن يضفي عليها مشاعره وأحاسيسه الذاتية، التي لا ترى في عالم المشاهدات وإنما يبحث دائما عن المعنويات التي تحملها في طياتها، ليجسدها في صورة أو في هيكل نحتي، أو في لوحة زيتية مثلا.. وقد درج الناقدون على تصنيف هذا الفنان على أنه فنان رمزي، أيا كانت الأداة التي يستخدمها في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه: سواء أكانت الكلمة، أم الريشة، أم الإزميل.

فالعلاقة قريبة جدا بين النائم، الذي يرى الرؤيا في نومه، وبين الفنان الرمزي، ولذا يعد الحديث عن نشاط أحدهما مفيدا للحديث عن نشاط الآخر.

والفنان الرمزي لا يبحث عن رمز واضح الدلالة والمعنى، وقادر على أن يفسر تفسيرا منطقيا، وإنما يتبنى أن تجيء الأسلوبية ذات شقين الأول منهما واضح لا خفاء فيه، والشق الثاني خفيّ غامض لا وضوح فيه، ويرمي الفنان إلى الكشف عن جوانب هذا الوجود الخفي وأبعاده، ولقد كشف علم النفس الحديث عن دلالة عديدة من الرموز ومعراها، كما أزاح الستار عن الدلالات الرمزية لكثير من الصور، التي

تأتي عادة في الأحلام»(٣).

وقد اختلف العلماء في حقيقة الرؤيا، فقيل: هي إدراك يخلقه الله في قلب النائم بحسب أنه كالشعور مستغرق وغيره. ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل لقلة غلبة النوم. فيخلق الله تعالى للرائي علما ناشئا ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك. قال ابن العربي: ولا يرى في المنام إلا ما يصح إدراكه في اليقظة، ولذا لا يرى في المنام شخصا قائما قاعدا بحال، وإنما يرى الجائزات المعتادات. وقيل: إن لله ملكا يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صورا محسوسة، فتارة تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود، وتارة تكون لمعان معقولة غير محسوسة، وفي الحالتين تكون مبشرة أو منذرة قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صحيح مسلم وغيره: «رأيت سوداء ثائرة الرأس تخرج من المدينة إلى مهيعة فأولتها الحمى» و«رأيت سيفي قد انقطع صدره، وبقرا تنحر، فأولتهما رجل من أهل بيتي يقتل، والبقر نفر من أصحابي يقتلون» «ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة» «ورأيت في يدي سوارين فأولتهما كذابين يخرجان بعدي» وغير ذلك مما ضربت له الأمثال، ومنها ما يظهر معناه أولا، ومنها ما لا يظهر إلا بعد التفكر.

والرؤيا تأتي كنتيجة مباشرة لنشاط الجانب الروحي في الإنسان، بعد أن تتعطل الحواس الظاهرة بالاسترخاء والنوم، ولا يبقى في ساحة الحركة مجال إلا لحركة الروح، التي لها اتصال قوي بالملأ الأعلى، وهنا تكون مؤهلة لاستقبال فيوضات هذا الملأ، بما شاء الله من كشف أسرار المستقبل فيما يسمى الرؤيا المنامية، فتكون الإدراكات، وطريق هذه الإدراكات، هو ما يعبر عنه بالبصيرة، أو بالحواس الباطنة عند الناطقة ـ هكذا تقول الدكتورة عائشة مصطفى الحكيم ـ وذهب علماء النفس إلى أن الرؤيا هي لغة العقل الباطن، وهو الذي تكمن فيه رغباتنا المكبوتة والخفية، ويسيطر عليها عندما تكون في غير حالة الوعي.

«وذهب أهل السنة إلى أن الله ـ تعالى ـ يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه يخلق ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة، وقد جعل الله تلك الاعتقادات علما على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال، ثم إن ما كان منها علما على ما يسر يخلقه بحضرة الملك، وما يكون علما على ما يضر يخلقه بحضرة الشيطان، ويسمى الأول رؤيا ويضاف إلى الله إضافة تشريف، والثاني حلما ويضاف إلى الشيطان وعلى ذلك صح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»(٤).

والى اللقاء لنتعرف على رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ وما بها من دلالات عظيمة.

---

(٣) مجلة عالم الفكر ـ عدد أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٨٥ ص ١٣٦ مقال: الرمزية في الفن الحديث للأستاذ صبري محمد

(٤) تفسير القرطبي ص ٣٣٥٤، ٣٣٥٥ ط. الشعب

(٥) أصدق الكلام في تفسير الأحلام د. عائشة مصطفى الحكيم ـ مكتبة المعصمي ص ٦

مفهوم العمل الصالح

[illegible]

لكل زمان رجاله الذين يحسنون العيش فيه ويعرفون فقه المرحلة التي يمرون بها، وطبيعة التحديات التي يواجهونها. وهؤلاء الرجال قليلون في أمتهم. أما الكثرة الكاثرة من أفراد الأمة فلن تجدهم إلا مشغولين بهمومهم الذاتية ومشاكلهم الشخصية. وكل واحد منهم لا يستشعر إثما أو يجد في نفسه حرجا تجاه ما يقع لأمته. ثقة منه بأنه غير معني بتلك الهموم العامة والمشاغل الكبرى. والإحساس بأن لهذه الأمور من يتصدى لها ويحسن التعامل معها. وأمثال هؤلاء هم الذين صنعوا الهزائم وورثوا الأمة الذل والهوان.

والداعية الذي ننشده هو رجل يدرك أنه المسئول عن الإصلاح وحده وأن كل أذى يصيب الإسلام يصيبه وكل ألم ينزل بمسلم إنما ينزل به هو.

إنه يشعر أنه يعيش للإسلام وبالإسلام إذا كان أهل الأرض يعيشون لأهوائهم وشهواتهم.

وكثير [illegible] من الخطباء الصادقين والدعاة المخلصين لا يتهمون في خلق ولا دين ولا يؤتون من قلة [illegible] ضعف اليقين. وإنما آفتهم تأتي من مقدار الفهم للدور الحضاري الذي ينبغي أن يؤدوه، وفقه المرحلة الذي ينبغي أن يفقهوه.

جلست أنا ومجموعة من الشباب ممن يشغلهم أمر الإسلام وهموم المسلمين، ورأيتهم يجتمعون ليتشاوروا في كيفية استثمار مناسبة الأيام العشر الأول من ذي الحجة. وكيف يمكن أن يوظفوا طاقات الناس للعمل الصالح؟

فقعدت معهم [illegible] لأعرف ثقافة كل واحد منهم ووظيفته، فرأيت منهم المدرس والمهندس والطبيب والصيدلي والمحاسب. ومن يشغلون مهنا أخرى تجعلهم في قرب شديد من [illegible] كثير من هؤلاء [illegible] من [illegible] من [illegible] في [illegible] وغيرة شديدة على دين الله.

[illegible] لأخ [illegible] في ضرورة تفعيل [illegible] الأيام [illegible] الكلام. لأن الاتجاه منعقد على أن يستمع الجميع إلى لأعرفهم بفضائل هذه الأيام وجزاء العمل الصالح فيها.

[illegible] لقد شعرت تجاه الموضوع بنوع من الحرج الشديد. ليس لمفاجأتي بالموضوع لكي لتقني أن الموضوع معلوم لدى السامعين جميعا. وأني مهما أحطت بجوانبه كلها فلن أزيد على ما يعلمه السامعون كثيرا. وهكذا يمضي الوقت في كلام معلوم مملول يضيع به الوقت. ولا تقدم للحاضرين جديدا. فقلت وماذا علي لو [illegible] بهم فاستوضحت ما عندهم من ألوان العمل الصالح كما فهموه. ثم أضفت إليهم ما عندي إن وجد من الكلام شيء لم يقولوه؟

واستمعت [illegible]

[illegible]

والقربات.

ونظرت في وجوه الحاضرين جميعا فرأيتهم دون الثلاثين، وحاولت أن أقنع نفسي بأن أرجى عمل يعمله هؤلاء هو هذه الطاعات، وأن يكون غاية ما يأملون من جهد وما يفعلونه من طاعة هو أن يحاولوا الوصول إلى مستوى ما تقوم به جدتي [illegible] وتقوم الليل وتصوم النهار، [illegible] كثيرا وتسبحه كثيرا مستغفرة بالغدو والآصال. وتخيلت شباب الأمة وقد وجهوا همتهم إلى التسابق في هذه الطاعات مكثرين من الأعمال الصالحة في هذه الأيام. وأدهشني أن يكون غاية فهم هؤلاء الشباب للعمل الصالح هو هذا الفهم. وقلت إن جاز أن تكون هذه السنن والنوافل والعبادات والشعائر هي غاية ما يمكن أن يفعله العجائز والشيوخ فهل يليق بشبابنا أن تقف همتهم عن حدود هذه الطاعات؟

وهل لو تخيلنا شبابنا على مساحة [illegible] الإسلامية تتجه همتهم في الأعمال الصالحة إلى الزيادة من هذه العبادات لتكون هي غاية همتهم، ومبلغ قوتهم. هل تقوم على هذه الشعائر وحدها أمور الناس لتستقيم حياتهم؟

إن هذه الأعمال هي بمثابة الشحن المعنوي الروحي لنفوس الناس فهل أصبح شحن النفوس غاية؟! أم إن الشحن وسيلة لتقوية النفوس على العمل [illegible]

وأليست هذه القوى المذخورة لدى الشباب معطلة نتيجة سوء الفهم وقصور التصور، وضيق الأفق؟!

إن العمل الصالح يتطلب إدراكاً واعياً ودقيقاً لأمرين:

أولهما: ما تتطلبه طبيعة المرحلة من أعمال هي الأولى بالتحقيق والتنفيذ، مما هو منوط بالتخصص والعمر والمواهب والقدرات.

ثم الفقه بعبادة الوقت: وحاجة الأمة إلى هذا العمل دون ذاك فالعمل الصالح بمفهومه الحقيقي، ينبغي أن يكون تفعيلاً حقيقياً لمواهب الإنسان وميوله واستثماراً متسعاً لطاقاته وذكائه وقدراته.

وهذا يقتضي أن يبذل كل إنسان جهده في مجال عمله وفي دوائر تأثيره مدفوعاً بغيرة صادقة على شعائر الإسلام وشرائعه وأحكامه، وعندما يؤدي كل منا عمله صالحاً ودقيقاً سيحصل الخير كله.

وهذا يتطلب وعياً بالأهداف المطلوب تحقيقها من كل عمل بعد أن يكون قد اختار العمل الأجدى والأنفع والأكثر تأثيراً.

فالطاعات والعبادات والإكثار منها شئ مطلوب كوسيلة لكي تنطلق منها إلى العمل التعميري.

إن أعمال الطاعات وكثرة العبادات، بمثابة الوقود الذي يحفز للعمل ويدفع للحركة أما الحركة نفسها فهي انطلاق في آفاق الدنيا وغدو ورواح ليعتق نفسه من النار أو يوبقها في جهنم:

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(البقرة:١٩٧)

والتقوى بحسب كونها زاد المؤمن ووقوده هي المعيار الصادق والحارس اليقظ الذي لايسمح للنفس أن تضل، ولا يسمح للضمير أن يغفل ولايرضى للحس الإيماني أن ينطفئ أو يخبو.

إنه شعور إيماني قوي يقول للعقل استقم، ويقول للنفس اهتدي، ويقول للقلب اتق، ويقول للجوارح تطهري، ويقول للروح انطلقي، ويقول للكيان الإنساني كله:

﴿ [illegible] ﴾

(الشورى ١٥)

أما عمل الكيان الإنساني فسعي في الأرض وضرب في مناكبها من أجل عمارتها.

إن العمل الصالح كما يحدده العلماء هو ما وافق الشرع وكان لله خالصاً، ونزيد الأمر وضوحاً بأن العمل الصالح يعد كما استكماله لهذين الضابطين الإخلاص وموافقة الشرع يتفاوت قوة وضعفاً بحسب الزمان والمكان، وطبيعة التحديات المفروضة وما يجب فعله مع هذه التحديات وما يترتب

إن الوعظ والدعوة والخطابة والكتابة ترتفع إلى مستوى فرض العين على كل داعية خطيب تخصص في هذا الأمر وفرغ نفسه له، وأنفقت الأمة عليه من مالها، حتى استكمل تلك الأدوات. لكن هذا الواجب ليس كذلك في حق الطبيب والصيدلي والمهندس والمدرس والمحاسب والحرفي، وإنما الواجب عليهم بعد استكمال جوانب التأسيس المتفق عليها من العبادات والطاعات التي هي فرض العين والواجب أن يحسن الطبيب طبه؛ فذلك عمله الصالح، وأن يفرج عن المريض كربه، ويخفف عنه ألمه، ويحسن التعامل معه ويبذل أقصى جهد له، ويؤدي الواجب الذي عليه في القسم والمستشفى سواء جاء الأجر من الدولة على قدر الجهد أو كان أقل من ذلك، كما ينبغي عليه ألا يبخل بطبه وجهده على مريض في أي وقت من ليل أو نهار ما دام قد رضي أن يقوم بهذا العمل على هذه الصورة التي اختارها وارتضاها.

كما يكون من قبيل العمل الصالح، أن يكون أميناً مع ربه في كل ما يوكل إليه من أعمال فنية أو إدارية أو مالية، وأن يكون قوياً في الحق مراقباً لله في كل ما يسند إليه من أعمال قيادية أو سياسية.

وأقول مثل ذلك للوزير في وزارته، والمدير في إدارته، والمهندس في مصنعه، والتاجر والعامل والصانع والزارع وكل عامل في مجال عمله ودائرة تخصصه. كما أقول هذا القول للمدرس في مدرسته وبين طلابه.

بل إنني أقول لولي الأمر في ولايته وللوالد في بيته وللمرأة في بيت زوجها وبين أولادها.

وللخادم فيما يوكل إليه من عمل وما اؤتمن عليه من أسرار وليكن رائدنا في ذلك كله قول نبينا صلى الله عليه وسلم: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع»

وقوله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في بيته ومسئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته».

ويتفاوت العمل الصالح بحسب همة صاحبه وقوة شخصيته كما تتفاوت الهمم بحسب طبيعة الفهم ومقدار الثقافة. فالجاهل همته لا تعدو البحث عما يملأ بطنه والعاقل تمتد همته للتفنن فيما ينفع أهله وعشيرته. والمثقف الذكي تتسع مداركه ليفكر في مصير وطنه وأمته هذا ما أدركه حكماؤنا من الشعراء عندما قال قائلهم:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وزادها وضوحاً حيث قال:

وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام

ومن هنا كان طلب العلم من أفضل القربات وأجل الطاعات. ولا يقبل من طالب أن تراه عجوزاً في سن الثامنة عشرة همه تقصير ثوبه وإطالة لحيته. والمشاحنة الدائمة مع من حوله حول رفع بعض السنن إلى درجة الفرائض. وتسفيه أفعال الناس إلى درجة التكفير واللمز لعباد الله المتدينين ممن يخالفونه الرأى بينما لا ترى له تميزاً فيما هو من لب تخصصه وصميم حياته. إنه نوع من الفهم الخاطئ، والتصور الأعوج ولو أنه بلغ رسالته لجميع من حوله بأن أثبت للجميع أن التدين رجولة وتقدير للمسئولية، وإحسان للمهمة وتميز، وتقدم على من حوله جميعاً، لحبب الناس في التدين. وقدروا أصحاب هذا الاتجاه الناجح ولسارع أولياء الأمور يخطبون ود هؤلاء المتفوقين ويطلبون من أبنائهم محاولة القرب منهم والتشبه بهم.

ولو يعلم الشاب أنه بتفوقه وإتقانه لوظيفته وأدائه لرسالته. يقوى الأمة، ويرفع شأنها ويسد بتفوقه ثغرة لو لم يسدها هو لسدها أعداؤنا أو قام بسدها لاه أو مستهتر أو عربيد فتشقى به العباد. وتضيع به البلاد. لو علم ذلك جيداً ما ضيع وقته فيما لايعنيه.

إن التدين الذى لايثمر تفوقاً و تفرداً فى مجالات الحياة المختلفة تدين زائف. ليس من الإسلام فى شىء؛ فالإسلام يدعو إلى الإتقان وجميل الأداء وبلوغ الإحسان. وهذا حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم يذكرنا قائلاً: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» والحكمة العربية تختصر حياة المسلم فى جملة رائعة بقولهم: «قيمة كل امرئ مايحسنه».

وإن لى ليعظم وحسرتى تشتد عندما أنظر إلى مفردات الحياة من حولى فأراها كلها تنتمى إلى غير بلاد المسلمين. وأخشى إن قلت لكل شىء من حولى أن يعود من حيث أتى أن أمشى عارياً حافياً جائعاً ظمآناً.

إن ادعاء الإسلام ديناً والعروبة أصالة وتراثاً. بينما الإسلام معطلة أحكامه منكسة أعلامه والأمة ممتهنة عزتها ضائعة كرامتها هو ادعاء كاذب ينقصه الدليل.

إن أبناء الأمة اليوم مدعوون جميعاً إلى موقف إيجابى يحسنون به فهم دينهم وشمولية هذا الدين لجميع مناحى الحياة. وأن يدركوا أن بداية الخروج إلى الناس من جديد مهمة تتطلب الإحساس بالتميز والشعور بالثقة المطلقة فى قدرتنا على قيادة الأرض بمنهج الله. لكن هذا الإحساس وحده لايكفى وتلك الثقة المطلقة لاتجدى، إلا بأن نحقق فى أنفسنا مصداقية هذا التميز وثمرات تلك الثقة بأن نقدم للدنيا نموذجاً يحسن توظيف مفردات الوجود لخدمة دينه وإسعاد أهله ثم يمتد بتلك السعادة إلى أهل الأرض جميعاً عندها نكون قد طبقنا رسالتنا وأدينا أمانتنا ولاأظن الأمة قادرة على ذلك وهى مدينة لأعدائها، عاجزة عن توفير رغيفها. تمد يدها تطلب القروض وتتلقى المعونات! إننى على يقين من صحة المقولة المشهورة «من لايملك قوته لايملك قراره».





لابد من وقفة صادقة مع الفتن التى كادت تعصف بشبابنا وفتياتنا لنضع علامات على طريق العفاف.

إن من أعظم المصائب أن يفرغ قلب الشاب من محبة الله وذكره وشكره وعبادته وأن يترك صراط الله المستقيم ويتبع سبيل الشيطان فيصبح أسير شهوته.

الترهيب من الزنا

قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء:٣٢)

قال ﷺ: (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى بل وأخبر النبى ﷺ عن عذاب الزناة فى قبورهم فقال ﷺ: (إنه أتانى الليلة آتيان وإنهما ابتعثانى وإنهما قالا لى انطلق وإنى انطلقت معهما) فذكر فى الحديث وفيه (فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصوات قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قال قلت لهما: ما هؤلاء؟، فذكر فى الحديث (وأما الرجال والنساء العراة الذين فى مثل بناء التنور فهم الزناة والزوانى) واللفظ للبخارى.

لما كانت معصية هؤلاء بأجزائهم السفلى كانت النار تأتيهم من أسفل منهم، ولما كانت نيران الشهوات تثور عليهم فى الدنيا بين حين وآخر فيقارفون المعصية كانت النار تثور عليهم بين حين وآخر (مواقف إيمانية) ص٢٨٣

كما تدين تدان

وعن أبي أمامة أن فتى شابا أتى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه! فقال: (ادنه) فدنا منه قريبا قال: فجلس، قال (أتحبه لأمك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: (أفتحبه لابنتك)؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك)؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك)؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال: (أفتحبه لخالتك)؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم) قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه) فلم يكن بعدُ ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»، رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

لقد اتخذت الشريعة الإسلامية المناهين لضمان التعفف.

● منع الله ـ عز وجل ـ الزواج ممن عرف وعرفت بالفاحشة إذا لم يتب وحرم الزنا ومنع الفحش في القول بل حرم مجرد إشاعة الفاحشة.

● ورغب في النكاح قال تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(النور: ٣٢)

وقال ـ ﷺ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) صحيح البخاري مع فتح الباري (٩/١٠٨).

لا رهبانية في الإسلام

لقد حارب الإسلام كل ما يدعو إلى الرهبانية وذلك لكونها تتصادم مع فطرة الإنسان وتتعارض مع ميوله وغرائزه فقد نهى عن التبتل وقال رسول الله ـ ﷺ ـ (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى) رواه البيهقي في السنن عن أبي إمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩١٤) وقد جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ـ ﷺ ـ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها (وجدوها قليلة) فقالوا وأين نحن من النبي ـ ﷺ ـ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) أخرجه البخاري عن أنس صحيح الجامع (١٣٣٦).

الإسلام يدعو إلى تيسير المهور وعدم المغالاة فيها:

جعل الإسلام من المهر رمزا لتكريم المرأة ولم يجعله عائقا في سبيل النكاح ولذلك لم يضع له حدا لا يزيد ولا ينقص بل ترك تحديده إلى الناس كل واحد على قدره، ورغب النبي ـ ﷺ ـ في أن يكون المهر مما يدفع بيسر قال ـ ﷺ ـ (خير النكاح أيسره) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٠٠).

لقد جاء الأمر من الله ـ جل وعلا ـ بتزويج الفقراء من المؤمنين ووعد بأن يغنيهم من فضله قال ـ جل وعلا ـ

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(النور: ٣٢)

يقول ابن العربي في تفسير هذه الآية (في هذه الآية دليل على تزويج الفقير ولا يقول كيف أتزوج وليس لي مال فإن رزقه ورزق عياله على الله تعالى)

أسباب المغالاة في المهور

أولا: الاعتقاد الخاطئ في أن المهر يؤمن مستقبل البنت:

المغالاة تثير الحقد والغضب في نفس الخاطب فما قيمة المال؟ العاقل هو الذي يسعى إلى الحصول على البركة في نكاح ابنته باليسر وعلى الغني أن لا يُغالي في مهر الزوجة ويتسبب في مجاراة الآخرين وتقليدهم لفعله فيسن سنة سيئة تكون سببا في تعسير الزواج على الفقراء من بعده.

ثانياً: اتخاذ المغالاة في المهور مظهراً للافتخار والمباهاة:

يصر بعض الناس على المغالاة في مهور بناتهم للافتخار والاعتزاز وهذا التصور غير صحيح ذلك لأن الشرف في البذل والعطاء والتيسير على الآخرين لا في الأخذ من الآخرين والتشدد عليهم.

ثالثاً: سعي الولي إلى التكسب من وراء المهر:

بعض الأولياء يريدون كسب المال الكثير باسم المهر ويجعلون مقدار ما يدفعه الخاطب هو المعيار الوحيد لقبول الخاطب أو رده.

أهم المصادر:

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ السُّنَّة النبوية المطهّرة.

٣ـ فيض الروافد من دروس المساجد (عبدالمنعم عبدالوهاب المغازى).

٤ـ زاد الخطيب (دكتور/ جهاد محمود الأشقر).

٥ـ السلسلة الذهبية (محمود المصرى أبوعمار).

طرائف.. ومواقف

كانت الشيماء بنت الحارث أخت النبي ـ ﷺ ـ من الرضاع، وأمها هي حليمة السعدية، مرضعة الرسول ـ ﷺ ـ. وكانت تكبر الرسول بقليل، ولذلك كانت تحمله وهو صغير، وترقصه وتحنو عليه وتهدهده، وكانت تقول وهي تلاعبه:

هذا أخ لم تلده أمي
وليس من نسل أبي وعمي

وتقول أيضاً:

محمد خير البشر
ممن مضى ومن غبر
من حج منهم أو اعتمر
أحسن من وجه القمر
من كل أنثى وذكر
من كل مشبوب أغر

وتقول أيضاً:

يا ربنا أبق أخي محمدا
حتى أراه يافعا وأمردا
واكبت أعاديه معا والحسد
وأعطه عزا يدوم أبد

صلى الله عليه وسلم

قال الحسن: حملة القرآن ثلاثة: رجل اتخذه بضاعة ينقله من بلد إلى بلد، يطلب به ما بأيدي الناس. ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده، واستدر به الولاة، واستطال على أهل بلده. وقد كثر هذا الصنف ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه، فسهر ليلته وهملت عيناه، وتسربل الخشوع وارتدى الوقار، واستشعر الحزن. وهذا النوع من الناس أقل من الكبريت الأحمر.

لا تقبل النميمة

قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تقبلن نميمة بلغتها
وتحفظن من الذي أنباكها
إن الذي أهدى إليك نميمة
سينم عنك بمثلها قد حاكها

• قال حكيم: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول.

• وقال غيره: ميسور الرأي عند البديهة خير من الإطناب بعد الفكرة.

• وخطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عندما قدمها واليا، فسقطت العصا من يده، فتطير من ذلك، فقام بعض الأعراب فمسحها وناوله إياها وقال: أيها الأمير، ليس كما ظن العدو وساء الصديق، ولكنه كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالإياب المسافر

فسر الأمير بما قاله الأعرابي وأمر له بخمسة آلاف درهم.

• ووصف سهل بن هارون رجلا فقال: ما رأيت أكثر فهمه خليل، ولا أحسن تفهيمه لدقيق منه.

• ووصف اليوسفي غلاما بالذكاء فقال: كان يعرف المراد باللحظ، كما يعرفه باللفظ، ويعاين في الناظر، ما يجري في الخاطر، حديد الذهن، ثاقب الفهم، يغنيك عن الملامة، ولا يحوجك إلى الاستزادة.

دخل الشعبي على عبدالملك بن مروان فوجده مهتما فقال له: ما بال أمير المؤمنين؟ قال: ذكرت قول زهير:

كأني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى وليس برامي

قال له الشعبي: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ السبعين:

كأني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عن منكبي ردائيا

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال:

باتت تشكى إلي النفس موجهة
وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فإن تزادي ثلاثا تبلغي أملا
وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال:

أليس ورائي إن تراخت منيتي
لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت
أنوء كأني كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومئة وحضرته الوفاة قال:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فـقـومـا فـقـولا بالذى تعلمـانه

ولا تخمشا وجهـا ولا تحلقا شعر

وقـولا هو المرء الذى لا صـديقـه

أضـاع ولا خـان الخليل ولا غـدر

إلى سنة ثم الســلام عليكمـا

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

● قال الأصمعي :

سئل أقرى أهل اليمامة للضيف : كم ضبطتم القرى؟

قال : بأنا لا نتكلف ما ليس عندنا.

● قال الشاعر :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله

ويخـصـب عندى والمحل جـديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى

ولكنمـا وجـه الكريم خـصـيب

● قال أيوب بن تميمة السختياني : إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.

● وفى هذا المعنى يقول أحد الشعراء :

فـــــــــدر الـلـــه وارد

حـــــين يـقـــــضى وروده

فــــــأرد مــــــا يكـون إن

لـم يـكـــن مـــــــا تريـده!

انفرد بسرك، ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلاً فيخون

مصداقاً لقول الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه

فصدر الذى يستودع السر أضيق

صوب الفضل بن يحيى، وهو أحد أجواد وكرماء العرب سهمه إلى بدوى، وقال له : رد سهمى ببيت من الشعر !

فقال البدوى :

لقوسك قوس الجود والوتر والندى

وسهمك سهم العز فارم به فقرى

فأعجب الفضل ببلاغته، ووصله بمال وأحسن إليه.

اللهم ياواسع الكرم برحـمـتك، ياشامل الخلق بنعمتك، ارحم عبادك فإنهم لا يطيقون عذابك.



تعتبر الأسئلة وإجاباتها الأعمدة التى بنى عليها صرح العلم، وبين السائل وبين المجيب تدور حركة التعليم.

والسؤال يصدر فى الغالب الأعم من طالب إجابة لا يعلمها إلى أستاذ متخصص.

ولما كان السؤال له القدرة على استثارة ذاكرة السامع وزيادة تركيزه العقلى، فقد يعمد الأستاذ إلى طرح السؤال ثم يشرح الدرس. أما أن يطرح السؤال على الأستاذ من يعلم إجابته فهنا يحدث التعجب.

وأقرب مثال لذلك ما جاء فى «تحفة الأحوذى شرح الترمذى» حيث قال: «قال عمر بن الخطاب كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى أتى النبى ﷺ فألزق ركبته بركبته ثم قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره قال: فما الإسلام؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فى كل ذلك يقول له: صدقت. قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه».

وهذا الحديث من الشهرة بمكان وكلنا نعرفه ونعرف أن السائل هو جبريل عليه السلام. فقد ورد أن عمر رضى الله عنه قال: «فلقيني النبى ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال يا عمر هل تدرى من السائل ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم».

وإن الذى يستوقفنا هنا قول عمر رضى الله عنه «فتعجبنا منه يسأله ويصدقه» وسبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل الجاهل، إنما هذا كلام خبير بالمسئول عنه ولم يكن فى ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبى ﷺ.

إن هذا الحديث قدم نموذجا رائعا وأسلوبا فريدا للتعليم. فالسائل لا يعرفه صحابة رسول الله ومع ذلك ليس عليه علامات السفر. ليثير الاستفهام: من هذا الرجل؟ ومن أين جاء؟ ولتبقى أسئلته التى طرحها والإجابة عنها عالقة فى الذهن على مدى الأيام.

وإن من يتتبع هذا الأسلوب في التعليم لابد أن يمتع عقله بذلك كله.

وإننا لنعلم أن من يتخرج في هذا الأسلوب لنحمد منه لابد أن يكون عبقريا حقا.

ولقد نبه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه على هذا السؤال حين أحس أن تلميذه أبا يوسف يريد أن يضل الطريق أو يصيبه الغرور جراء كلمات التشجيع التي قيلت له. فقد سبق أن قال له الناس: لقد سمعت الناس يتحدثون عنك كثيرا. ولكن كلمات التشجيع هذه دارت برأس أبي يوسف فظن أن هذا العلم يكفي يجمع منه أستاذه فأراد أن يستقل بنفسه وتكون له حلقته الخاصة وعلم أبو حنيفة ما حدث، ولأنه يعلم تماما أن الغرور آفة العلماء، دعا رجلا كان عنده فمر وقال له: سر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهمين فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب فقال له القصار: ما لك عندي شيء وأنكره ثم إن صاحب الثوب عاد إليه وطلب ثوبه. فدفع له الثوب مقصورا. هل له أجرة؟ فإن قال: له أجرة. فقل له: أخطأت. وإن قال: لا أجرة له. فقل: أخطأت.

فصار إليه فسأله فقال أبو يوسف: له الأجرة.

فقال: أخطأت.

فنظر أبو يوسف ساعة ثم قال: لا أجرة له.

فقال: أخطأت.

إن العجب في مسألة القصار قد وقع من المسؤول الذي قال له السائل: أخطأت رداً على إجابتيه ومسألة - في نظره - لا تحتمل غير هاتين الإجابتين!!

لقد أرسل أبو حنيفة إلى أبي يوسف سائلا عالما بالإجابة ليثير العجب ويثير المسؤول. إذ كان السائل عالما بالإجابة فما فائدة السؤال؟

لقد أدرك أبو يوسف أن السؤال إنما جاء من أستاذه الذي يريد أن يستعيده حلقته مرة أخرى وليحميه من شر الغرور.

فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فلما دخل عليه قال له أبو حنيفة: ما جاء بك إلا مسألة القصار. قال: أجل.

قال: سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد لنفسه مجلسا يتكلم في دين الله تعالى وهذا قدره لا يحسن أن يجيب عن مسألة من الإجارات!

فقال: يا أبا حنيفة علمني.

وإننا لا ندري من أي الرجلين نعجب، العجب لشجاعة أبي يوسف الذي خرج إلى أستاذه ترك مكانه أستاذا ومعلما في حلقته التي أنشأها، ليعود تلميذا في حلقة أستاذه أبي حنيفة؟ أم نعجب لذكاء أبي حنيفة الذي صاغ مسألة القصار هذه!!

غير أننا نترك العجب من شخصية الرجلين لنرى رد الإمام على هذه المسألة لنستبين منه عبقرية الفقيه.

قال الإمام أبو حنيفة: إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة له، لأنه إنما قصره لنفسه. وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة، لأنه قصره لصاحبه.

لقد نظر الإمام إلى شيء آخر غير محسوس كامن في الضمير فأراد أن يلفت انتباه أبي يوسف إلى أن عمل الفقيه لا يقف عند حد حرفية العلم أو تطبيق القانون أو قياس النص المستفتى عنه على النص الشرعي، لكنه لابد أن يخرج إلى التوسع حتى يوقف المستفتي على دخائل نفسه. لأنه بذلك يجعل قاعدة أساسية في الفقه: الأوهي النية لا الأعمال بالنيات. وقد يكون هوى من نوى [illegible] ثم يصدر الحكم ويترك للسائل أو للمستفتي شأن تنفيذه.

لقد كان أبو حنيفة عبقريا حقا ويشهد بذلك كبار معاصريه من العلماء، فهذا الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول: «من أراد أن يتبحر في الفقه، فهو عيال على أبي حنيفة»، ومن أقواله أيضا: «كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه».

وقال حفص بن غياث: «كلام أبي حنيفة في الفقه أدق من الشعر، لا يعيبه إلا جاهل». سير أعلام النبلاء (٦ / ٤٠٤).

وقال ابن المبارك: «لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس».

وقال عبد الله بن داود الخريبي: «ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتهم لأبي حنيفة، لحفظه الفقه والسنن عليهم».

وقال ابن العماد: «كان من أذكياء بني آدم جمع الفقه والعبادة والورع والسخاء». شذرات الذهب (١ / ٢٢٨).

لقد شهد له علماء عصره بالتبحر والعبقرية العلمية وأنه أفقه أهل زمانه وأملكهم للقياس.

ولقد كان أبو حنيفة يعلم أن الشرعية ثابتة وأن الواقع متغير يحتاج إلى عدد غير متناه من الأحكام يتناسب مع تغير القضايا. ولم يغب عنه أيضا أن العقل الإنساني قاصر محدود وأنه لابد أن يقويه ويعضده بالنقل. فجمع بذلك بين العقل والنقل.

ولقد عايش الإمام مذهبين واصطحب هما مذهب أهل الحديث ومذهب أهل الرأي فاختار مذهب أهل الرأي لتمكنه من القياس أو لتمتعه بملكة القياس وليس أدل على ذلك من تمرسه عن دراسة اللغة العربية لاشتمالها على بعض المسائل التي لا تقبل القياس فقد روي أنه جمع كلمة «كلب» «كلوب» قياسا على «قلوب» جمع «قلب». فقالوا له: لا يجوز هكذا لا يستقيم أن تكون كلمتا «كلب» و«قلب» على وزن واحد. ولا يجوز جمعهما على وزن واحد. فانصرف عن النحو بالعربية وفضل عليها الفقه فالحمد لله على ذلك.

لقد اشتهر الإمام بهذا العقل المتوقد في القياس حتى ظن بعض من يجهل حقيقته أنه مفتون بالقياس وأنه قد تنزلق قدمه في دركات الكفر بل تطاول البعض ورماه بالكفر لنقص عقولهم وقصر نظرهم مما دعاه أن يقول: «كذب والله وافترى علينا من يقول أنا نقدم القياس على النص، وهل يحتاج بعد النص إلى قياس. فنحن لا نقيس إلا عند الضرورة. نأخذ أولا بكتاب الله، ثم بالسنة النبوية ثم بأقضية الصحابة. فإن اختلفوا قسنا حكما على حكم بجامع العلة بين المسألتين».

تميز فكر الإمام بالمرونة التي ساعدته على تقليب وجوه المسألة والنظر في كافة جوانبها وقد ساعده ذلك نهج التلقي في صورته الأولية الذي أنشأه من تلاميذه المداومين على حضور درسه بانتظام مدة [illegible] وكان منهم أهل الحديث وأهل الرأي على السواء.

وقد اهتم الإمام بما نسميه الآن فقه التوقع. وهو فقه المسائل التي لم تقع بالفعل. ولكنها يمكن أن تحدث في المستقبل. وعندما سئل عن ذلك قال: «نحن نستعد للبلاء قبل نزوله. فإذا نزل عرفنا كيفية الدخول إليه والخروج منه».

رحم الله الإمام أبا حنيفة النعمان جزاء ما قدم للعالم الإسلامي من فقه نحن الآن أحوج ما نكون إليه.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

لبيك اللهم لبيك

لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.

دعاء موحد يردده حجاج بيت الله الحرام الذين وفدوا لأداء شعيرة الحج أملا في محو ذنوب العمر.. دعاء موحد يردده جميع الحجاج الذين وفدوا من مختلف قارات العالم يرتدون زيا موحدا هو ملابس الإحرام البيضاء لا فرق بينهم.. أبيضهم مثل أسودهم.. غنيهم مثل فقيرهم.. الكل يسعى لأداء الفريضة المقدسة يردد التلبية ويذرف الدموع أملا من الله العلي القدير أن يقبل حجهم ويغفر ذنبهم.

شعائر الحج تنقلها الفضائيات ليشاهدها العالم كله ويصاب الكثيرون بالذهول وهم يشاهدون الجموع المتراصة وهي تؤدي مناسك الحج في خشوع وتواضع ويتساءلون هل هؤلاء هم المسلمون الذين يقتل بعضهم بعضا في إيران وأفغانستان والعراق والبمن والصومال. كيف اختفت مشاكلهم وتقاتلهم وتناحرهم وتحاسدهم وجلسوا متجاورين جميعا يؤدون مناسك الحج؟ لماذا لا يتشاجرون؟! لماذا يسود قومياتهم وعصبياتهم وهم في هذا المكان؟! لماذا يختفي الصراع التاريخي بين السنة والشيعة في هذه البقعة من الأرض؟! لماذا لا يشهرون السلاح في وجه بعضهم البعض؟! بل كيف طاوعتهم أنفسهم على عدم حمل السلاح لمواصلة القتال ضد بعضهم البعض؟!

الحجاج لا يعبدون إلا بملابس الإحرام والمصاحف وبعض الكتب الدينية الخاصة بمناسك الحج وهي في مجملها موحدة متطابقة في محتواها ويصل التطابق إلى حد التماثل في حروف الكتابة!!

لازالت فريضة الحج تقض مضاجع المؤسسات التبشيرية والتنصيرية والدوائر الصهيونية.. مشهد الحج المهيب يبث الرعب والخوف في نفوسهم.. الهلع والخوف من إمكان توحد هذه الأمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا عندها سيعود العرب وسيعود المسلمون سادة العالم لينحسر غيرهم ويتضاءل وينكمش.

هكذا ينظرون لفريضة الحج من أجل هذا يكرهون مكة ويبغضونها.. لقد صرح أحدهم في العقد الماضي بأنه يتمنى لو أن الكعبة دمرت بالقنابل النووية وزيلت مكة من على سطح الأرض.. ليفقد المسلمون قبلتهم ومكان حجهم ولا يبقى لهم أمل في أي توحد منتظر بل ولعل عقيدتهم تمحى من عقولهم وصدورهم فيعودوا عبيدا كما كانوا زمن الفرس والرومان.

ترى متى يعود الحجاج من حجهم وقد تعاهدوا جميعا على نبذ الكراهية والبغضاء وأن يسود الحب والوئام بينهم وأن يكون بأسهم على من ظلمهم واحتل بلادهم وسلب خيراتهم وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ليكونوا كما كانوا وكما قرر المولى العزيز القدير:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران - ١١٠)



الحجاج على جبل عرفات جنبا إلى جنب لا فرق بينهم

أحمد تقي الدين

وإلى رسائل القراء

أول بيت وضع للناس

من الأستاذ أحمد عبدالمحسن علي محمد ـ مدرسة الأورمان الثانوية بنين ـ إدارة الدقي التعليمية ـ جيزة ـ كانت هذه الكلمة:

لما أمر الله سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ببناء الكعبة سار من الشام إلى مكة وقدم على ابنه إسماعيل ـ عليه السلام ـ وقال له: إن الله ـ تعالى ـ قد أمرني أن أبني له بيتاً، فقال له: أطع ربك فيما أمرك.

فقال له سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ: وقد أمرك أن تعينني عليه، فأجابه: سمعاً وطاعة. فكان سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وإسماعيل يحمل له الحجارة ويناولها له، إلى أن رفعا قواعد البيت وأتما بناءه وهما يدعوان الله قائلين:

البقرة ١٢٧

قال تعالى:

البقرة ١٢٧

● وقد أجاب الله دعاءهما، وجعل هذا البيت الحرام مرجعاً للناس يأتونه كل عام للحج، كما جعله أمناً لهم قال تعالى:

(البقرة ١٢٥)

● وعهد الله إلى سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل ـ عليهما السلام ـ تطهير هذا البيت الحرام من عبادة الأصنام للطائفين الذين يأتونه ويطوفون به، سواء أكانوا غرباء عنه أو من أهله، والعاكفين والركع السجود قال تعالى:

البقرة/١٢٥

● ودعا سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ربه قائلاً:

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾

(البقرة: ١٢٦)

من الجبابرة وغيرهم، وألا تناله عقوبة الله التي تنال سائر البلدان من خسف وغرق وانتقال.

وقيل: إن مكة منذ وجدت وهي حرم آمن من سطوة الجبابرة، وقيل: إن سبب سؤال سيدنا إبراهيم ربه ذلك لأنه أسكن فيه ذريته وكان غير ذي زرع فاستعاذ ربه من أن يهلكهم به جوعا وعطشا وأن يرزق أهل مكة من الثمرات

قال تعالى:

أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

البقرة: ١٢٦

● فكانت الكعبة أول بيت وضع للناس للعبادة. وكان هذا البيت الحرام مباركا وهدى للعبادة لله وطواف الطائفين تعظيما وإجلالا لله وفيه آيات بينات وهي مقام إبراهيم خليل ـ عليه السلام ـ والمشعر الحرام وكل من دخله كان آمناً، قال تعالى:

آل عمران ٩٦

نسائم البيت الحرام

ومن الشيخ مصطفى الأزهري ـ إمام وخطيب مسجد سوق الحمام ـ السيدة عائشة كانت هذه المساهمة:

حين ينطلق المسلم في دروب الحياة الدنيا يسعى ويكدح ويلعب ويتعب فيحتاج إذن إلى محطة تستريح فيها الروح ويطمئن القلب، وتتجدد الطاقة، ويمتلئ الفؤاد بالزاد الذي يدفع العبد ليكون إلى الله تعالى أقرب، وعلى طاعته أشد حرصاً، ومع الناس أحسن خلقاً وأقرب رحماً، وليس هناك من مكان يجد فيه المسلم راحته أطهر من بيت الله الحرام الذي تهوي إليه أفئدة مرتاديه حجاجا وعمارا، ولا روح للقلب ولا طيب للنفس من بقعة يسكنها أسعد الخلق محمد ـ ﷺ ـ والمسجد النبوي والمدينة المنورة بروحها وريحانها.. هي ـ إذن ـ نسائم يفوح عبيرها كلما اقترب وقت الحج فتتفجر ينابيع الشوق في القلوب المحبة لله ولرسوله والنبي الخليل والقبلة التي يتوحد قاصدوها يذكرون الله كما هداهم.. وإذا بقلوب الموحدين تصغي من جديد إلى صدى النداء الخليل لإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ حيث قال له مولاه:

● ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

(الحج: ٢٧)

فالله أكبر.. ما أحلاه من نداء، وما أروعه من تكليف، وما أجلها من فريضة تفتح لمن أداها بلا رفث ولا فسوق ولا جدال صفحة بيضاء يعود بعدها مولودا حديث الولادة كما قال ـ ﷺ ـ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

ويرتفع صوت الحجاج بالتلبية قائلين: لبيك اللهم لبيك، وهذه تلبية النداء لمن استطاع إلى البيت الحرام سبيلاً؛ فلم يتردد ولم يتأخر، ولم يشغله جمع المال وشأن العيال عن أن يلبي نداء مولاه متزودا بخير زاد

كما أمره ربه ـ عز وجل ـ:

﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾

(البقرة ١٩٧)

كما على المسلم الحاج أن يستشعر افتقاره إلى مولاه فيما يعرض عليه من شعائر وتكاليف له فيها خير الدنيا ونعيم الآخرة فليس لله حاجة إلى العبد بل هو الرب الأعلى الغني بذاته عن عباده قال تعالى:

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾

(فاطر ١٥)

فمهما لقي الحاج من مشقة وتكاليف فهو الذي يحتاج أن يتعطف لمرضاته إيمانا واحتسابا ومغفرة لذنوبه وتكفير لسيئاته، والله ـ عز وجل ـ لن يناله منها شيء كما قال تبارك وتعالى

﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾

(الحج ٣٧)

فهي التقوى أولا، وهي التقوى آخرا فهي زاد العباد في رحلتهم إلى الله والدار الآخرة وليس غريبا ـ بعد ذلك ـ أن تتجه الدلالة في أن تكون آخر ما نزل من القرآن الكريم هو قول الله تعالى:

﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾

(البقرة ٢٨١)

حكمة الحج

ومن الأستاذ عبدالواحد عبدالعزيز عبدالواحد ـ كفر الولجا ـ كفر شكر القليوبية كتب هذه الكلمة:

من أجل الدروس العظيمة التي يستفيدها المسلم من حجه لبيت الله الحرام وجوب إخلاص العبادات كلها لله وحده لا شريك له. فالمسلم يبدأ حجه أول ما يبدأ بإعلان التوحيد ونبذ الشرك قائلا: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) يقولها ويرفع بها صوته وهو في الوقت نفسه مستشعر ما دلت عليه من وجوب إفراد الله تعالى وحده بالعبادة والبعد عن الشرك. فكما أن الله متفرد بالنعمة والعطاء لا شريك له فهو متفرد بالتوحيد لا ند له فلا يدعى إلا الله ولا يتوكل إلا على الله ولا يستغاث إلا به ولا يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا له. وكما أن العبد مطالب بقصد الله وحده في الحج، فهو مطالب بقصده وحده في كل عبادة يأتيها وكل طاعة يتقرب بها فمن صرف شيئا من العبادة لغير الله أشرك بالله العظيم، وخسر الخسران المبين وحبط عمله ولن يقبل الله تعالى منه صرف ولا عدلا.

الحج رحلة روحية تنقي النفس من أدران الأنانية والجشع والغرور وكل المفاسد التي تصيب النفس بالعطب والفساد وتكبه لا يعرف الإنسان في حركة حياته في مجتمعه وبين إخوانه فالمسلم حيثما كان مهموما بمشاغل إخوانه، ومشكلات مجتمعه ووطنه، والحج يحيي في المسلم مشاعر العطف على إخوانه وهو مظهر عملي للأخوة الإسلامية يحس فيه المسلم بشكل عملي أنه أخ لكل مسلم في العالم وفيه يتم أعظم تعارف بين المسلمين في كل بقاع الأرض وترسخ أبرزها في نفوس المسلمين من قوة وخير وعزة.

وفي الحج دعوة للسلام وتعميق مفاهيمه بين المسلمين فهو رحلة سلام إلى أرض السلام لأن مناسك الحج تتم في بلد الله الحرام والبيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا يشمل الأمن فيها البشر والحيوان والطير والنبات في الأرض. فهي الأرض التي لا يروع الإنسان ولا الطير فيها ولا يقطع شجرها ولا نباتها. والحاج في هذه البقاع يكون داعية سلام في العالم أجمع.

والحج في جميع مناسكه يعمق الشعور بالوحدة بين المسلمين جميعا ففيه وحدة المشاعر ووحدة الهدف ووحدة العمل ووحدة القول فلا إقليمية ولا عصبية للون ولا جنس ولا طبقية، فالجميع يؤدون أعمالا واحدة ويؤمنون برب واحد ويطوفون حول بيت واحد ويلبون تلبية واحدة ويقرءون كتابا واحدا، فتتاح لهم الفرصة لأن يدرسوا مشكلات أوطانهم وحال إخوانهم المسلمين في كل مكان من العالم.

وحينما يقف المسلم أمام قبر الرسول ـ ﷺ ـ يتذكر كيف أنه ـ ﷺ ـ بإذن الله ربه أخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وكيف أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة ولم يترك بابا من أبواب الشر إلا وأغلقه.

هذه جملة من الدروس المستفادة والعوائد المختارة والتي يفيدها المسلمون من حجهم لبيت الله الحرام، والحج مليء بالدروس العظيمة والعبر الرائعة والفوائد المؤثرة. إلا أن الناس في تحصيلها واكتسابها متفاوتون بحسب ما تعي قلوبهم من ذلك، فهناك قلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا، وقلب صغير كواد صغير يسع علما قليلا، وقلب لاه غافل غمرته الغفلة، فلم يجد العلم مكانا فيه، والتوفيق بيد الله وحده، فنسأله أن يمن علينا جميعا بالعلم النافع والعمل الصالح وأن يعمر قلوبنا بطاعته إنه سبحانه سميع الدعاء.

لبس النقاب ليس بفرض ولا سُنَّة

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الدكتور/ أحمد مصطفى عرفة ـ استشاري طب الأطفال ـ الإسكندرية..

يحاول البعض إضفاء شرعية للنقاب بتفسير خاطئ لآيات القرآن الكريم كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾

(الأحزاب:٥٩)

فيدنى الثوب في اللغة «المعجم الوجيز» فعل دنا، بمعنى يرخيه ليكون طويلا ويغطى الساقين، أما آية الحجاب (الأحزاب:٥٣) فهي خاصة بنساء النبي فقط ولم تذكر بناته ﷺ حتى لا يراهم أحد لأنه ممنوع أن يتزوجوا من بعده، وعندما أمر الله الرسول ﷺ بعدم الزواج أو تبديل زوجة مكان أخرى قال ـ تعالى ـ:

﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾

(الأحزاب:٥٢)

فكيف سيتم الإعجاب بالمرأة الحسناء بدون رؤية وجهها، وقال ابن تيمية في كتابه «مجموع الفتاوى» (جزء ١٥ صفحة ٤٤٨): «آية الجلابيب في الأردية عند البروز من المساكن، وآية الحجاب عند المخاطبة في المساكن، وقال الألباني في كتابه «الرد المفحم»: ليس في أي من الآيتين ما يدل على وجوب ستر الوجه والكفين لأن الجلباب هو الملاءة التي تلتحف بها المرأة فوق ثيابها «وليس على وجهها» إذا خرجت من دارها.

أما في السنة النبوية فلم يأمر النبي ﷺ بلبس النقاب أبداً، بل نهى عن لبس النقاب في الحج حتى لو كانت المرأة جميلة، فلقد أخرج أحمد وصححه الألباني أنه في حجة الوداع كان أعرابي يتكلم مع النبي ﷺ وخلفه ابنة له حسينة فنظر الفضل إليها فغض النبي وجه الفضل عن وجهها ولم يأمر النبي الجميلة بتغطية وجهها لأن الخطأ من الفضل فلم يلتزم بغض بصره كما في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾

(النور:٣٠)

فلو أن النقاب فرض فلم نزلت هذه الآية.

وأخرج البخاري ومسلم أن سُبيعة بنت الحارث توفى زوجها في حجة الوداع وهي حامل وبعد النفاس «تجملت للخُطَّاب» لكي تتزوج، وعند الألباني في جلباب المرأة المسلمة بلفظ: «واكتحلت واختضبت» أي تزينت بما هو متاح وقتئذ، وهو الكحل والحناء، وأخرج الترمذي والنسائي وصححه الألباني أنه ﷺ قال: «وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه»، وأخرج مسلم واللفظ لأحمد أن النبي ﷺ قال: «فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته، فليأت أهله، فإن ذلك يرد مما في نفسه»، وأخرج البخاري واللفظ لأحمد عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «رأيت الرجال والنساء يتوضأون على عهد رسول الله ﷺ جميعاً من إناء واحد»، وأخرج أحمد وصححه الألباني عن خولة بنت قيس أنها قالت: «اختلفت يدي ويد رسول الله ﷺ في الوضوء من إناء واحد»، فكيف سيتم الوضوء من إناء واحد بدون رؤية الوجه، ومن يصلي في المسجد الحرام يرى الأحواض لشرب ماء زمزم داخل المسجد وعند الأذان للصلاة سيرى بعض الرجال والنساء يتوضأون من هذه الأحواض في مكان واحد وبجوار بعضهم البعض لأنهم لو خرجوا إلى أماكن الوضوء حول المسجد فلن يدركوا الصلاة جماعة مع إمام المسجد.

وذكر ابن حجر في فتح الباري «كتاب اللباس» عن قيس بن أبي حازم قال: «دخلنا على أبي بكر في مرضه فرأيت عنده امرأة بيضاء موشومة اليدين، وهي أسماء بنت عميس «وشموها في الجاهلية نحو وشم البربر» وقال ابن حجر: أخرجه الطبري بسند صحيح، وقال الهيثمي بمجمع الزوائد برقم ٨٨٧١ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

آخر خطبة لعمر بن عبدالعزيز

من الأستاذ محمد عباس محمد عرابي جاءت هذه الكلمة عن خامس الراشدين الخليفة عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه:

خطب الخليفة عمر بن عبدالعزيز آخر خطبة في حياته قال فيها: «أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله (تبارك وتعالى) للحكم فيه والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون، حتى ترد إلى خير الوارثين، في كل يوم تشيعون غادياً إلى الله ورائحاً قد قضى نحبه، وانقضى

أجله ثم تغيبونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد فارق الأحباب، وخلع الأسلاب، وواجه الحساب وسكن التراب مرتهناً بعمله، غنياً عما ترك فقيراً إلى ما قدم، وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، فأستغفر الله، وأتوب إليه. وما أحد منكم تبلغني حاجته إلا حرصت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما أحد لا يسعه ما عندي إلا وددت أنه يبدأ بي ويلحمني الذين يلونني حتى يستوى عيشنا وعيشكم، وايم الله لو أردت غير هذا من رخاء أو غضارة عيش لكان اللسان مني ذلولاً، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق أمرني فيه بطاعته، ونهاني فيه عن معصيته.

يا أيها الناس: إن امرءاً أصبح ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق له في الموت. أيها الناس: ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وفي بيوت الميتين وفي دور الظاعنين جيراناً كانوا معكم بالأمس أصبحوا في دور خامدين، بين آمن روحه إلى يوم القيامة، وبين معذب روحه إلى يوم القيامة، ثم تحملونه على أعناقكم، ثم تضعونه في بطن من الأرض بعد غضارة من العيش وتلذذ في الدنيا فإنا لله، وإنا إليه راجعون، أم والله لو أردت غير هذا من الكلام لكان اللسان به مني منبسطاً ولكنت بأسبابه عارفاً.

***

أنباء مكتب الإمام الأكبر

للأستاذ/ أحمد ابراهيم توفيق
مدير عام الإعلام بمكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية تنزانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه رئيس جمهورية تنزانيا السيد جاكايا مريشو كيكويتي والسيدة حرمه والوفد المرافق لهما ـ يرافقهم معالي الوزير حسن يونس وزير الكهرباء المصري.

وتأتي هذه الزيارة في إطار التعاون الاقتصادي العربي الأفريقي الرابع تحت الشعار بقيادة السيد الرئيس محمد حسني مبارك والدعم العربي لأفريقيا في مجال التكنولوجيا للزراعة والبنية التحتية والتنمية وتحقيق السلام وإرساء الاستقرار لما للعربي من دور فعال لدعم قضايا أفريقيا والمساعدات غير المشروطة لتخفيف الأعباء عن الدول الأفريقية

رحب فضيلة الإمام بالسيد الرئيس ومرافقيه ملقياً الضوء على الدراسة بالأزهر الشريف وغرس القيم الدينية للدارسين بوسطيتها واعتدالها وسد العنف والتطرف والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية كما أن الدراسة في الأزهر التي تقوم على أصول ثابتة وهي أن الناس جميعاً أخوة في الإنسانية وكلهم من أب واحد وأم واحدة وأن اختلاف عقائدهم لا يمنعهم من التعاون. ومن تعاليم الإسلام أن يتعاون أبناء المجتمع الإنساني على نشر المحبة والسلام والأمان. لأن هذا التعاون يعود نفعه على الناس جميعاً. لأن الأديان السماوية أنزلها الله لسعادة البشر وليس لشقائهم لما تحتويه من تعاليم تدعو إلى نشر السلام والأمان والرخاء الإنساني بين البشر جميعاً. وأكد فضيلته أن الإسلام يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام.

موضحاً بأن الأزهر يغرس هذه المعاني في الذين يدرسون به خاصة أن الأزهر لديه طلاب من أكثر من ١٠٤ دولة يزيد عددهم على ٣٠ ألف طالب وطالبة كما أن الأزهر يرسل الآلاف من علمائه إلى جميع دول العالم ليتعاونوا في نشر العلم النافع. وأن الأزهر بابه دائماً مفتوح للتعاون مع دولة تنزانيا

ومن جانبه شكر رئيس تنزانيا فضيلة الإمام الأكبر على حسن استقباله والوفد المرافق



له معربا عن سعادته لهذه الزيارة ما للأزهر وعلمائه من مكانة يقدرها ويحترمها وأن فضيلة الإمام يتمتع بعقل راجح ومرجعية دينية قائمة على الحكمة والسماحة.

وأشاد الضيف بدور الأزهر كمؤسسة تعليمية وليس كمؤسسة دينية فقط.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمد واصل - وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ علي عبد الباقي - أمين مجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ إبراهيم عبد العال - **رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.**

ويستقبل رئيسة جمهورية فنلندا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر بمكتبه يوم **الثلاثاء الموافق ٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٩م - السيدة تاريا هالونين - رئيسة جمهورية فنلندا** والوفد المرافق لسيادتها والمكون من وزير الشئون الخارجية الفنلندي والمستشار السياسي لرئيس الجمهورية والوفد المرافق - بمرافقة الدكتور محمد حورج - وزير البيئة - رئيس **بعثة الشرف المصري.**

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيفة والوفد المرافق لسيادتها في الأزهر الشريف. وفي بداية اللقاء قدم فضيلته للضيفة شرحا مبسطا عن الدراسة في الأزهر التي تقوم على أصول ثابتة وهي أن الناس جميعا إخوة في الإنسانية، وكلهم من أب واحد وأم واحدة، وأن اختلاف عقائدهم لا يمنعهم من التعاون، وتبين على أن يتعاون أبناء المجتمع الإنساني على نشر المحبة والسلام والأمان. لأن هذا التعاون يعود نفعه على الناس جميعا. لأن الأديان السماوية أرسلها الله لسعادة البشر وليس لشقائه لما تحتويه من **تعاليم تدعو إلى نشر السلام والأمان والرخاء الإنساني بين البشر جميعاً.**

وأشاد فضيلته بتقدم دولة فنلندا في شتى أنواع المجالات، موضحا أن الأزهر يحرص على هذه المعاني في طلابه، خاصة أن الأزهر لديه طلاب من شتى أنحاء العالم. كما أن الأزهر يرسل الآلاف من علمائه إلى جميع دول العالم ليتعاونوا في نشر العلم النافع. وأن **الأزهر بابه دائما مفتوح للتعاون مع دولة فنلندا.**

ومن جانبها شكرت رئيسة جمهورية فنلندا فضيلة الإمام الأكبر على حسن استقباله لسيادتها والوفد المرافق لها، معربة عن سعادتها لهذه الزيارة لما للأزهر وعلمائه من مكانة عالمية تقدرها وتحترمها، مشيرة بأنهم في فنلندا مهتمون بالدراسات العربية والإسلامية ودراسات الشرق الأوسط، كما أن العالم عقب أحداث ١١ سبتمبر أظهر قوة الدين البناءة وأنها ليست بقوة هدامة مما يجعلنا دائما نفتح باب الحوار بين البشر. كما أشارت فضيلة الإمام، بأن يستخدم العلم للمساهمة في حل مشاكل الشرق الأوسط، خاصة أن فضيلة الإمام يتمتع بعقل راجح ومرجعية دينية قائمة على الحكمة والسماحة

.. ويستقبل رئيس مجلس الشورى السعودي

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه الدكتور عبد الله بن محمد آل الشيخ رئيس مجلس الشورى السعودي ومعالي سفير **المملكة العربية السعودية بالقاهرة والوفد المرافق لهما.**

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق لسيادته مشيدا بالتعاون المستمر **بين الأزهر الشريف والمؤسسات التعليمية بالسعودية ومشيرا إلى النهضة العلمية التي تشهدها المملكة برعاية صاحب الجلالة الملك عبدالله بن عبدالعزيز - خادم الحرمين** الشريفين. موضحا أن الأزهر الشريف يحرص دائما على أن تقوم الدراسة فيه على الاعتدال والتوسط وتنفيذ أحكام شريعة الإسلام بعيدا عن التعصب الأعمى والعصبية البلهاء، وأننا في الأزهر نأخذ دائما بالجديد في العلوم الحديثة ما دامت هذه العلوم لا تتعارض مع أحكام شريعة الإسلام، ولا مانع من التجديد بما يناسب شريعتنا الإسلامية وأحكامها ما دام فيه منفعة للمسلمين، وأثنى فضيلة الإمام على ما تقوم به المملكة **العربية السعودية من الأخذ بكل السبل لتوفير الراحة للحجاج والمعتمرين.**

ومن جانبه شكر رئيس مجلس الشورى السعودي فضيلة الإمام الأكبر على حسن **الاستقبال مشيرا إلى أن مجلس الشورى السعودي يأخذ دائما بالتقدم العلمي من** خلال الاستعانة بأحدث الأجهزة في مجال الإدارة اختصارا للزمن موضحا أن الأزهر الشريف دائما يأخذ بالجانب الشرعي والعلمي، وأنه أخذ بهذا المفهوم من خلال



دراسته بالأزهر الشريف.

ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر ووكيل الأزهر للقيام بزيارة لمجلس الشورى السعودي لإلقاء محاضرة والتعرف على الجوانب المتعلقة بالمجلس وحضور جلسة للمجلس وأن تكون الزيارة في الأول من شهر محرم ١٤٣١هـ.

الإمام الأكبر يستقبل المتحدث باسم رئيس وزراء الكاميرون

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الاثنين الموافق ١٢ / ١٠ / ٢٠٠٩ الدكتور مساكي - المتحدث باسم رئيس وزراء الكاميرون - والوفد المرافق من وزارة الخارجية ووزارة التعليم العالي بالكاميرون.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد في الأزهر الشريف موضحا بأن علاقة الأزهر بدولة الكاميرون علاقة قديمة وللكاميرون طلاب وطالبات يدرسون بالأزهر وجامعته العريقة حيث يتراوح عددهم حوالي مائة طالب وطالبة ومنهم عدد كبير على منح من الأزهر كما أن الأزهر يستقبل حوالي ٣٠٠٠٠ طالب وطالبة من خارج مصر يدرسون به في كافة التخصصات.

وأشار فضيلة الإمام بأن للأزهر بعثة بالكاميرون تقدر بحوالي ٣٥ مدرساً يشاركون مدرسي الكاميرون في التعليم وهم على نفقة الأزهر.

كما قدم فضيلته شرحا مبسطا للدراسة بالأزهر التي تمتاز بالاعتدال والتوسط والابتعاد عن التعصب الأعمى والعصرية للعلماء. وأوصى الدارسين بالأزهر أن يكونوا



ولازهم للدولة التي يعيشون فيها بغض النظر عن العقائد. لأن الإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة. والناس جميعا تربطهم رابطة الأخوة الإنسانية. ونؤكد دائما بأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون. فالعقائد لا إكراه عليها.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء.. كما أوضح سيادته بأنه جاء إلى الأزهر ليقدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على كل ما يقدمه الأزهر من خدمات دراسية لأبناء الكاميرون

وفي نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر بأن الأزهر على استعداد تام لتلبية رغبات الوفد فيما يخص المنح الدراسية وفيما يخص مشكلة المعادلات وذلك من خلال المكاتبات الرسمية بين الأزهر وسفارة الكاميرون بالقاهرة.

ويستقبل وفد القيادات الدينية بالأردن

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بمكتبه يوم الاثنين الموافق ٢ / ١١ / ٢٠٠٩ وفدا من القيادات الدينية بالأردن من وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية برئاسة السيدة / اعتدال العبادي رئيسة قسم الشئون الدينية بوزارة الأوقاف يرافقهم الدكتور / جمال سرور - مدير المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر.

وتأتي هذه الزيارة للاطلاع على تجربة مصر في مواجهة المشكلة السكانية. وقد طرح أعضاء الوفد بعض الأسئلة على فضيلة الإمام الأكبر بشأن تنظيم الأسرة ورأي الدين فيه.

وعن سؤال: هل هناك فرق بين تنظيم الأسرة وبين التحديد والتعقيم والإجهاض؟ أجاب

فضيلته بأن تنظيم الأسرة معناه أن يتخذ الزوجان باختيارهما واقتناعهما الوسائل التي يريان الزوجان كفيلة بتباعد فترات الحمل، أو إيقافه مدة معينة من الزمان يتفقان عليها فيما بينهما والمقصود من ذلك تقليل عدد أفراد الأسرة بصورة تجعل الأبوين يستطيعان القيام برعاية أبنائهم رعاية متكاملة بدون عسر أو حرج أو احتياج غير كريم.

أما تحديد النسل فمعناه معنى مطلق وذلك محرم شرعا. ومثله التعقيم الذي هو بمعنى القضاء على أسباب النسل نهائيا.

أما الإجهاض وهو إسقاط الجنين من بطن أمه فقد أجمع الفقهاء على حرمته. وأنه لا يجوز إلا إذا حكم الطبيب الثقة بأن في بقاء هذا الجنين هلاكا للأم، أو ضررا بليغا سيصيبها بسبب بقائه في بطنها.

وقد ذكر بعض الفقهاء بأن الإسلام لا يمنع في الظروف الخاصة من تنظيم الأسرة عن طريق اتخاذ دواء يمنع الحمل لفترة معينة. فيباح التنظيم في حالة ما إذا كان الرجل معيلا- أي كثير العيال- ولا يستطيع القيام على تربية أبنائه التربية الصحيحة. وكذلك إذا كانت المرأة ضعيفة وإذا كانت موصولة الحمل، أو كان الرجل فقيرا، أو كان هناك مرض معد في الزوجين أو في أحدهما. ففي هذه الحالات يباح تنظيم النسل.

وعن سؤال: أيصح للدولة إصدار قانون لتنظيم الأسرة أو النسل؟ أجاب فضيلته بأنه لا يصح ذلك في تقدير فضيلته. لأن مسألة تنظيم الأسرة من المسائل الشخصية التي تتعلق بالزوجين وحدهما والتي تختلف من أسرة لأسرة حسب ظروفها وأحوالها. وما يتعلق بالزوجين لا تصلح فيه القوانين وإن خير وسيلة لتنظيم الأسرة فهم الدين فهما سليما وإشاعة هذا الفهم بين جميع أفراد الأمة. ويرجع فضيلته أن على رأس الأسباب التي جعلت بعض الناس يتهاونون في مسائل تنظيم الأسرة هو فقدان الوعي وعدم الفهم السليم لأحكام الدين ولشئون الدنيا والاستخفاف بالمسئولية نحو الأبناء.

الإمام الأكبر يشهد حفل خريجي طلاب وطالبات من البعوث الإسلامية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر حفل تخريج الدفعة (٤٩) من خريجي الطلاب والطالبات من دول العالم والذين أنهوا دراستهم بجامعة الأزهر الشريف وأقيم الحفل بقاعة المؤتمرات بمركز الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر يوم الخميس الموافق ١٥-١٠-٢٠٠٩م.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة قال فيها:

السادة سفراء الدول الذين نتشرف بوجودهم معنا في هذا الحفل الذي نقيمه لأبنائنا وبناتنا الذين أنهوا دراستهم بجامعة الأزهر نحييكم جميعا وأبنائي وبناتي الخريجات. وعندما نجلس في هذا الحفل الذي نكرم فيه أبناءنا وبناتنا الذين أنهوا دراستهم بالأزهر وجامعة الأزهر. ونقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. فالأزهر الذي عمره أكثر من ١٠٠٠ سنة على تقوى من الله. فالدراسة فيه قائمة على التوسط والاعتدال والابتعاد عن التعصب الأعمى والابتعاد عن العنصرية البغيضة والابتعاد عن التطرف والابتعاد عن الشر في طريق يبعد عن شريعة الإسلام. فالدراسة في الأزهر تقوم على حفظ القرآن الكريم بالنسبة للطلاب المصريين والطالبات. يحفظ الطالب أو الطالبة ١٨ جزءا في المرحلة الابتدائية ويحفظ ٧ أجزاء في المرحلة الإعدادية ويحفظ ٥ أجزاء في المرحلة الثانوية. وينتهي من المرحلة الثانوية وقد حفظ القرآن الكريم ولا يدخل جامعة الأزهر إلا وهو حافظ للقرآن الكريم. وأبناؤنا وبناتنا من الذين يفدون من خارج مصر. وعددهم في جامعة الأزهر ٣٠ ألف طالب وطالبة. نستقبلهم بكل فرح وبكل سرور وهم في قلوبنا لأننا نعتبرهم جميعا قطعة منا. لأنهم يدرسون بالأزهر ثم يعودون لبلادهم وهم يذكرون مصر والأزهر بالخير. في نفس الوقت يبنون ولا يهدمون، يعمرون ولا يخربون، يصلحون ولا يفسدون، يعملون على رفعة أوطانهم. فنحن في الأزهر نقول لكل طالب أو طالبة انتهت دراستهم بالأزهر يجب أن يكونوا لبنة صالحة لبلدهم.

ونحن في الأزهر نقول: الناس جميعا أخوة في الإنسانية وأن الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون لأن لكل إنسان عقيدته والذي يحاسب على العقائد هو الله. والذي نقول ميزان العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين دائما نراه في سورة الممتحنة:

[illegible]

(الممتحنة: ٨-٩)

هذا هو ميزان العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين. ومن مد يده بالسلام إلينا نمد له يد السلام، ومن أساء إلى أعراضنا أو أنفسنا أو عقائدنا أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا. والوصية التي أوصيها لأبنائي وبناتي وللجميع أن يكونوا في بلادهم وجها طيبا للأزهر الشريف. لأن الأزهر قد علمهم الابتعاد عن التعصب الأعمى وعن العنصرية البغيضة علمهم عدم الإساءة للبلاد التي يعيشون فيها. فكل واحد نريده أن يكون وجها مشرقا للأزهر يبني بلاده، يبتعد عن الفتن، يبتعد عن التعصب الأعمى، يبتعد عن العنصرية البغيضة ويكون ولاءه لبلده ينشر فيه الأمن والرخاء والأخوة والمحبة. لأن الدراسة في الأزهر تقوم على أحكام الشريعة الإسلامية، والإسلام دين يعطي كل إنسان حقه. يعطي المسلم حقه ويعطي غير المسلم حقه. فشريعة الإسلام فيها اليسر والسماحة والاعتدال، وفيها كل ما يفتح أبواب الخير للناس. فنحن نريد للجميع عندما يعود إلى بلده يذكر دراسته في الأزهر بخير ويكون قدوة لغيره. وقد يجد في بلده خلافات وعصبيات- فأنتم تكونون بلسما للجمع لا للتفرقة. بلسما خدمة دينكم وخدمة أمتكم. فنحن نسمع في بلد صوت [illegible]

وقتل عدد من الأبرياء، لا يؤيد ذلك إطلاقا. فشريعة الإسلام تأمرنا أن نقف إلى جانب الحق والعدل وأن نرجاء وأن كل ما يعود على أمتنا بالخير. فالدراسة بالأزهر واضحة، تعتبر الناس جميعا أخوة في الإنسانية وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فنحن ملتزم بالقرآن والسنة والأحكام. وعندما نسمع عن المسلمين بأنهم إرهابيون وكذا وكذا. لدينا الجواب الذي يخرس الألسنة بقول الله:

﴿ ... الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾

(البقرة: ١٩٠)

فالآية صريحة الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا. فالوصية التي نوصيكم بها أن تكونوا قدوة طيبة في بلادكم تعملون على نشر الأمان والرخاء والاطمئنان والسلام ونشر كل الأخلاق الكريمة التي أمرت شريعة الإسلام باعتناقها، وأن تكونوا قدوة طيبة، وأن تبلغوا للناس أن الدراسة في الأزهر تقوم على اليسر لا العسر، تقوم على الاعتدال والتوسط. تقوم على حفظ القرآن الكريم. وعليكم أن تواظبوا وتواصلوا على حفظ القرآن الكريم. لأننا اتخذنا شعارا من زمن (ليس أزهريا من لم يحفظ القرآن الكريم).

كونوا قدوة طيبة للمسلمين ولغير المسلمين فإنكم لو فعلتم ذلك تكونوا قد تأثرتم بالأزهر. ونهنئكم على النجاح. وندعو الله أن يمتعكم بالسعادة وأن يزيدكم بكل خير وأن تواصلوا طلب العلم لكي تكون دراستكم مجدية. فأنتم قد درستم بالأزهر كل ما يؤدي إلى الاستقامة وأداء الواجب والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان. وأداء الإنسان خالقه ما عليه من واجبات ونحو وطنه ونحو مجتمعه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكانت الجنسيات التي تلقت علومها بالأزهر من الفتيات من (إندونيسيا- تايلاند- نيجيريا- السنغال- جيبوتي- الصومال) وقد درسن بكليات أصول الدين والشريعة الإسلامية واللغة العربية والشريعة والقانون وحصلن على تقديرات جيد جدا وجيد ومقبول. وكانت جنسيات البنين الذين تلقوا علومهم بالأزهر من كل من (غامبيا- نيجيريا- غينيا كوناكري- تايلاند- باكستان- بنجلاديش- أوغندا- أفريقيا الوسطى- غانا- جزر القمر- الهند- كمبوديا- إندونيسيا- كوت ديفوار- توجو- مالي- الصومال- تنزانيا- بوركينا فاسو- المغرب- الفلبين- ألبانيا- الكاميرون- كينيا- أفغانستان- أذربيجان- أريتريا- النيجر- السنغال- جيبوتي- الصين- بنين- ماليزيا- روسيا- اثيوبيا- سريلانكا- السودان)

وقد تلقوا علومهم بكليات أصول الدين- التربية- الدراسات- الشريعة الإسلامية- اللغة العربية- الشريعة والقانون- اللغات والترجمة- التجارة- الزراعة- القرآن- الدعوة- وكانت تقديراتهم تتراوح ما بين جيد جدا وجيد ومقبول.

ترقيات

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر قرارا بتعيين عن طريق النقل من شاغلي درجة كبير بالوظائف القيادية بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف كل من:

م	الاســـم	الوظيفـــة
١	محمد محمد عبد الخالق العطار	شيخ معهد دمنهور الثانوي بنين
٢	علي محمد محمد سعد	وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب - الإسماعيلية
٣	أحمد محمود أحمد فرح	وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب - الغربية
٤	سعد علي علي فياض	وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب - كفر الشيخ
٥	محمد السيد أحمد حسين	وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية - شمال سيناء
٦	محمد عمر محمد الحاج	وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب - شمال سيناء
٧	أحمد أنور مصطفى محمد	وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب - قنا
٨	إبراهيم محمد عبد الرحمن أبو زيد	مدير عام منطقة أزهرية (ب) البحر الأحمر
٩	عبد اللطيف إبراهيم عبد القادر	شيخ معهد الزقازيق الثانوي بنين
١٠	مصطفى كمال أمين عبده	مدير عام الإدارة العامة للتفتيش الإداري
١١	محمد أحمد سيد أحمد العدوي	شيخ معهد أسيوط الثانوي بنين
١٢	محمد عبد السيد جميل	مدير عام شئون المناطق
١٣	نبيل زكي عبد السلام حبيب	مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب
١٤	شحتة محمد محمد يس	مدير عام التوجيه الفني للتعليم الإعدادي
١٥	أحمد محمود محمد داود	مدير عام الإدارة العامة لشئون الخريجين
١٦	حسن عبد الجواد أحمد محسب	مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني - بني سويف
١٧	رمضان محمد منصور محمد	شيخ معهد القاهرة الثانوي بنين
١٨	عبد الحليم سيد السيد عثمان	شيخ معهد بنها الثانوي بنين

كما أصدر قرارا بتعيين بالوظائف القيادية بدرجة مدير عام كل من:

م	الاســـم	الوظيفـــة
١	مؤمن متولي إبراهيم جمعة	مدير عام مكتب الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر
٢	د. سيد محمد قاسم أحمد	مدير عام شئون مجلس المجمع ولجانه
٣	أحمد فؤاد محمد عبد الصمد	مدير عام مركز المعلومات والتوثيق ودعم اتخاذ القرار
٤	محمد عبد القادر محروس علي	مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني - أسوان

وقتل عدد من الآمنين، لا نؤيد ذلك إطلاقا، فشريعة الإسلام تأمرنا أن نقف إلى جانب الحق والعدل والرخاء وإلى كل ما يعود على أمتنا بالخير، والدراسة بالأزهر واضحة، تعتبر الناس جميعا أخوة في الإنسانية وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فنحن ملتزمون بالقرآن والسنة والأحكام، وعندما نسمع عن المسلمين بأنهم إرهابيون وكذا وكذا، لدينا الجواب الذي يخرس الألسنة يقول الله:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

(البقرة ١٩٠)

فالآية صريحة (الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا). فالوصية التي نوصيكم بها أن تكونوا قدوة طيبة في بلادكم تعملون على نشر الأمن والرخاء والاطمئنان والسلام ونشر كل الأخلاق الكريمة التي أمرتنا شريعة الإسلام باعتناقها، وأن تكونوا قدوة طيبة، وأن تدعوا الناس أن الدراسة في الأزهر تقوم على اليسر لا العسر، تقوم على الاعتدال والتوسط، تقوم على حفظ القرآن الكريم، وعليكم أن تواظبوا وتواصلوا على حفظ القرآن الكريم، لأننا اتخذنا شعارا من زمن (ليس أزهريا من لم يحفظ القرآن الكريم).

كونوا قدوة طيبة للمسلمين ولغير المسلمين فإنكم لو فعلتم ذلك تكونوا قد تأثرتم بالأزهر ونهنئكم على النجاح، وندعو الله أن يمتعكم بالسعادة وأن يزيدكم بكل خير وأن تواصلوا طلب العلم لكي تكون دراستكم مجدية. فأنتم قد درستم بالأزهر كل ما يؤدي إلى الاستقامة وأداء الواجب والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأداء الإنسان حق لما عليه من واجبات ونحو وطنه ونحو مجتمعه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكانت الجنسيات التي تلقت علومها بالأزهر من الخريجات من (إندونيسيا - تايلاند - نيجيريا - السنغال - جيبوتي - الصومال) وقد درسن بكليات أصول الدين والشريعة الإسلامية واللغة العربية والشريعة والقانون وحصلن على تقديرات جيد جدا وجيد ومقبول. وكانت جنسيات الخريجين الذين تلقوا علومهم بالأزهر من كل من (ماليزيا - نيجيريا - غينيا كوناكري - تايلاند - باكستان - بنجلاديش - أوغندا - أفريقيا الوسطى - غانا - جزر القمر - الهند - كمبوديا - إندونيسيا - كوت ديفوار - توجو - مالي - الصومال - تنزانيا - بوركينا فاسو - المغرب - الفلبين - اليمن - الكاميرون - كينيا - أفغانستان - أذربيجان - أريتريا - البحرين - السنغال - جيبوتي - الصين - سيراليون - مالي - موريتانيا - روسيا - أثيوبيا - سريلانكا - السودان)

وقد تلقوا علومهم بكليات أصول الدين - التربية - الدراسات - الشريعة الإسلامية - اللغة العربية - الشريعة والقانون - اللغات والترجمة - التجارة - الزراعة - القرآن - الدعوة وكانت تقديراتهم تتراوح ما بين جيد جدا وجيد ومقبول.

ترقيات

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر قرارا بتعيين بطريق النقل من شاغلي درجة كبير بالوظائف القيادية بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف كل من:

م	الاســم	الوظيفــة
١	محمد محمد عبد الغني العصار	شيخ معهد دمنهور الثانوي بنين
٢	علي محمد محمد سعد	وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب - الإسماعيلية
٣	أحمد محمود أحمد قدح	وكيل منطقة أزهرية (أ) المواد الثقافية ورعاية الطلاب - الغربية
٤	سعد علي علي قناش	وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب - كفر الشيخ
٥	محمد السيد أحمد حسين	وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية - شمال سيناء
٦	محمد عمر محمد حاج	وكيل منطقة أزهرية (أ) المواد الثقافية ورعاية الطلاب - شمال سيناء
٧	أحمد أنور مصطفى محمد	وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب - قنا
٨	إبراهيم محمد عبد الرحمن أبو زيد	مدير عام منطقة أزهرية (ب) البحر الأحمر
٩	عبد اللطيف إبراهيم عبد القادر	شيخ معهد الزقازيق الثانوي بنين
١٠	مصطفى كمال أمين عمر	مدير عام الإدارة العامة للتفتيش الإداري
١١	محمد أحمد سيد أحمد العمري	شيخ معهد أسيوط الثانوي بنين
١٢	محمد عبد السيد حميل	مدير عام شئون مناطق
١٣	نبيل زكي عبد السلام حبيب	مدير عام الإدارة العامة لشئون الطلاب
١٤	شحاتة محمد محمد يس	مدير عام التوجيه الفني للتعليم الإعدادي
١٥	محمد محمود محمد داود	مدير عام الإدارة العامة لشئون الخريجين
١٦	حسن عبد التواب أحمد محتسب	مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني - بني سويف
١٧	رمضان محمد منصور محمد	شيخ معهد القاهرة الثانوي بنين
١٨	عبد الحليم السيد السيد عثمان	شيخ معهد بنها الثانوي بنين

كما أصدر قرارا بتعيين بالوظائف القيادية بدرجة مدير عام بكل من

م	الاســم	الوظيفــة
١	مؤمن متولي إبراهيم جمعه	مدير عام مكتب الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر
٢	قاسم محمد قاسم أحمد	مدير عام شئون مجلس المجمع ولجانه
٣	أحمد فؤاد سعد عبد الصمد	مدير عام مركز المعلومات والتوثيق ودعم اتخاذ القرار
٤	محمد عبد القادر محروس علي	مدير عام منطقة دعوة وإعلام ديني - أسوان

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

إعداد:
عبد الموجود أمين - يحيى عليماء

نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يشهد حفل السفارة الماليزية بالقاهرة لتكريم خريجي جامعة الأزهر الشريف من أبناء ماليزيا لعام ٢٠٠٩

أناب حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، لحضور حفل تكريم خريجي جامعة الأزهر الشريف من أبناء دولة ماليزيا لعام ٢٠٠٩ والذي أقيم في مركز مؤتمرات الأزهر الشريف بمدينة نصر.

حضر الحفل سعادة الأستاذ أنور محمد، قنصل عام سفارة دولة ماليزيا بالقاهرة، والأستاذ الدكتور عبد الله الحسيني هلال نائب رئيس جامعة الأزهر للدراسات العليا والبحوث نائبا عن الأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف، والشيخ فوزي زيدان الأمين العام المساعد للبحوث الإسلامية، والشيخ مرزوق الشحات مرزوق الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الديني.

وقد أشاد الحاضرون بروعة الاحتفال ودقة التنظيم وحسن الاستماع من الطلبة الماليزيين، الأمر الذي يعكس تماما مقولة: "إن تقدم الشعوب مرتبط بمدى التزام أفراده في كل مجالات الحياة".

وفي كلمته التي ألقاها، نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر تحدث فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث للحضور قائلاً:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

أما بعد: سعادة الأستاذ أنور محمد قنصل عام سفارة ماليزيا بالقاهرة

الأستاذ الدكتور عبد الله الحسيني هلال نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف

الحضور الكرام.



أرحب بكم وأهنئكم بالنجاح، وأنقل لكم تحيات حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وإمام المسلمين، والذي منعته ظروف طارئة عن الحضور ومشاركتكم الابتهاج بالنجاح، وأبلغكم دعواته لكم بالتوفيق.

وإني لأنتهز هذه الفرصة لأحييكم وأرحب بكم وأهنئكم على هذا النجاح والتفوق والتخرج في جامعة الأزهر الشريف، تلكم الجامعة العريقة والتي تخرج فيها فطاحل العلماء في مصر والعالم الإسلامي.

إن الأزهر الشريف وهو يحتفل اليوم بتخرجكم يعقد عليكم الآمال وينتظر منكم الجهود الحميدة في خدمة دين الله الحنيف في بلدكم بعد عودتكم. وأنتم خليقون بتحقيق هذه الأمنية إن شاء الله تعالى.

إني لأشعر باغتباط وارتياح كبيرين يترددان في أعماق قلبي لهذا العدد الغفير من الخريجين في مختلف التخصصات، وقد علت تحركاته أدب جم ونظام واضح بديع.

تحية إكبار لهذا السلوك وهذا النظام وهذا الحضور وأسمى تحية تقدير لسفارة دولة ماليزيا لما تقوم به تجاه أبنائها من دعم وتشجيع، إنها لسنة حسنة، ندعو الله أن يجري القائمين عليها كل الجزاء.

الحفل الكريم الأبناء الأعزاء:



إنني إذ أشارككم الاحتفال بنجاحكم وتفوقكم وتخرجكم ليسعدني أن أهمس في أذنكم أنكم مطالبون بنقل القيم والآداب التي تعلمتموها في الأزهر الشريف إلى إخوانكم في بلدكم الأم ماليزيا.

لابد أن تعلموهم أن الأزهر قائم على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة أو أنه يتدثر بالسماحة والاعتدال في منهجه، إيمانا منه بأن الاختلاف بين البشر سنة كونية، وأن من يريد أن يجعل الناس على شاكلة واحدة فهو ضد مشيئة الله.

كما يجب أن تعلموهم أن الأزهر ينظر إلى الناس جميعاً نظرة واحدة مفادها: أن الناس كلهم سواسية لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى. فالتفاضل بالتقوى لا بالجنس ولا باللون تحقيقا لقوله تعالى:

[illegible]

(الحجرات ١٣)

نريد منكم أن تحققوا العدل وتحاربوا التطرف والظلم والإرهاب والغلو والتشدد والتفريط حتى تحققوا المراد من قوله تعالى:

[illegible]

(التوبة ١٢٢)

هذه بعض القيم التي نريد منكم أن تحققوها على أرض الواقع، و لتكونوا أداة إعمار في الأمة.

وفقكم الله. وسدد على طريق الحق خطاكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حضر الحفل الأستاذ/ إسماعيل أحمد أبوالهيثم مدير المركز الصحفي بمكتب فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

مجمع البحوث يوافق على منع النقاب في الأماكن المخصصة للنساء

إن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يؤيد ما جاء في بيان المجلس الأعلى للأزهر الصادر في ٨/ ٢٠٠٩٠١٠ من أن النقاب للنساء يمتنع استعماله في ثلاثة أماكن:

١ – في فصول وقاعات الدراسة إذا كان الجميع من الطالبات والتي تقوم بالتدريس لهن من السيدات.

٢ – في قاعات الامتحانات إذا كانت هذه القاعات كل من فيها طالبات والمراقبات من السيدات.

٣ – في المدن الجامعية الخاصة بالطالبات والتي هي مخصصة لهن دون غيرهن

كما أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، يؤيد ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من أن وجه المرأة ليس بعورة.

ونسأل الله – تعالى – أن يهدينا جميعا إلى صراطه المستقيم.

لا يجوز مساعدة غير القادرين على الزواج من أموال الزكاة

عقد مجلس مجمع البحوث الإسلامية – بحمد الله تعالى وتوفيقه – جلسته الثانية في دورته السادسة والأربعين بتاريخ الثاني عشر من ذي القعدة سنة ١٤٣٠ هـ الموافق الحادي والثلاثين من أكتوبر سنة ٢٠٠٩ م.

وقد أصدر القرار التالي:

بالنسبة للسؤال الوارد من الجمعية الخيرية الإسلامية بأسيوط عن مدى جواز مساعدة غير القادرين على الزواج من أموال الزكاة.

قرر المجلس: لا يجوز مساعدة غير القادرين علي تكاليف الزواج بإعطائهم شيئاً من أموال الزكاة، لكن إذ كان فقيراً أو مسكيناً أعطيناه من سهمي الفقراء والمساكين ما يغنيه.

ويحث مجمع البحوث الإسلامية كل قادر على أن يساعد من يرغب في الزواج.

والله ولي التوفيق،،،

في رحاب السنة

صدر عن سلسلة مجمع البحوث الإسلامية كتاب (في رحاب السنة: الكتب الصحاح الستة) لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبوشهبه ويقع الكتاب في مائة وأربعين صفحة تقريبا، والكتاب يقدم للمسلمين زادا روحيا يضفي على حياتهم عزا وشرفا ويملأ دنياهم برا وإحسانا، لأنه زاد التقوى، والسنة النبوية تحتل المنزلة الرفيعة في قلوب المسلمين، فهي النبراس المنير الذي تركه لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يهتدي به المسلمون في شئون حياتهم الكلية والجزئية وقد أوضح المؤلف - رحمه الله تعالى - أن العلماء الأجلاء شمروا عن ساعد الجد في جمع الأحاديث والسنن وحفظها وتبليغها فكانوا علماء في فقه الحديث ونقدها ومعرفة صحيحها من معلولها، وجيدها من زائفها معرفة أوفت حقها وغايتها ومازال منهم من يحفظ ويكتب ويتحرى الصدق والحق ويصدفون عن الكذب والباطل فتركوا ثروة طائلة في هذا العلم الشريف يجد فيها المسلم والباحث عن الحقيقة ما يشاء من دين ودنيا، وعقيدة وتشريع .... إلى آخر ما أوضحه المؤلف بأسلوبه العذب السلس وبعبارة واضحة جلية في تعريف السنة ومنزلتها في التشريع وكيفية بدء كتابة الحديث وتدوينه والتثبت في روايته، ثم قام



بتعريف لأئمة الحديث الستة: (البخاري - مسلم - أبوداود - الترمذي - النسائي - ابن ماجة) لأنهم قد اعتنوا بالجمع والنقد للأسانيد والمتون، وكتبهم تعتبر أهم الينابيع التي استقى ويستقي منها العلماء في علم الحديث، كما يوجد كتب أخرى في منزلتها أو تقاربها كموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد وغيرها.

والكتاب في مجمله تعريف بالسنة النبوية المشرفة ومكانتها وتعريف بأصحاب الكتب الستة، يستفيد منه القارىء العام والخاص، كما يعتبر هذا مرجعا علميا مختصرا يستفيد منه الباحث في الحديث وعلومه.



التويجري: برنامج عواصم الثقافة الإسلامية مشروع حضاري إنساني

أكد د. عبدالعزيز التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو أن برنامج عواصم الثقافة الإسلامية مشروع حضاري إنساني يهدف إلى التعريف بعطاء الحضارة الإسلامية وتحقيق التواصل بين هذه العواصم.

وقال د. التويجري في تصريحات صحفية: كان انطلاق (برنامج عواصم الثقافة الإسلامية في عام ٢٠٠٧) والذي اعتمده المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة في الجزائر ٢٠٠٤ بالاحتفال بمكة المكرمة أول عاصمة للثقافة الإسلامية. وأضاف د. التويجري أن هذا البرنامج يهدف في المقام الأول إلى نشر الثقافة الإسلامية وتجديد مضامينها وإنعاش رسالتها وإلى تخليد الأمجاد الثقافية والحضارية لعدد من العواصم الإسلامية تم اختيارها وفق معايير دقيقة ومراعاة للدور الذي قامت به في خدمة الثقافة والأدب والفنون والعلوم والمعارف الإسلامية عبر مسيرتها التاريخية ويندرج هذا البرنامج في نطاق العمل الذي تنهض به الإيسيسكو لتحديث البناء الحضاري للعالم الإسلامي من جهة وتقديم الصورة الحقيقية للحضارة الإسلامية ذات الطابع الإنساني إلى العالم أجمع من جهة أخرى وذلك من خلال إبراز العناصر الثقافية والقيم الإنسانية لهذه الحضارة التي منها استمدت النهضة الأوروبية نورها وعلى أساسها الحضارة الإنسانية المعاصرة.

رسول السلام.. فيلم عالمي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بتكلفة ١٥٠ مليون دولار

أعلنت شركة إعلامية قطرية اعتزامها إنتاج فيلم سينمائي ضخم عن سيرة الرسول محمد - ﷺ - باللغة الإنجليزية للتعريف بالإسلام والرد على الإساءات المتكررة للرسول

وتصحيح صورته في أذهان الغرب وأوكلت شركة النور القابضة إلى العلامة يوسف القرضاوى رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين جهة الإشراف على الأبحاث التمهيدية للفيلم وتقديم الاستشارات الدينية والتاريخية إلى منتج ومخرج الفيلم الذى سيحمل اسم رسول السلام. من المقرر أن يبدأ التصوير الذى تبلغ تكلفة إنتاجه ١٥٠ مليون دولار عام ٢٠١١.

أمهات ٨ آلاف مسلم بالبوسنة يطالبن بالقصاص من كارادزيتش

أعلنت لجنة رعاية أمهات ضحايا مذبحة سيبرنيتشا بالبوسنة والهرسك أنها طالبت المحكمة الجنائية الدولية بعدم ترك أى ثغرة أمام السفاح زعيم صرب البوسنة رادوفان كارادزيتش للهروب من مواجهة جرائمه البشعة في سربرنيتشا التي قتل فيها من ٨ إلى ١٠ آلاف مسلم معظمهم من الرجال وبسرعة تطبيق قصاص عاجل من أجل دماء الضحايا.

وقالت اللجنة في بيان لها إنه قد حان الوقت للأمهات أن يعمض أعينهن بعد ١٤ عاما من وقوع هذه المذابح في حق أبنائهن.

محكمة بريطانية ترفع الحظر عن وثائق تكشف تعذيب المعتقلين المسلمين

قضت المحكمة العليا في بريطانيا برفع الحظر على نشر وثائق استخباراتية أمريكية تتضمن تفاصيل عن تعذيب معتقل مسلم بريطاني من أصل أثيوبي والسجين هو الأثيوبي بنيام محمد ٣١ عاما، والذى قضى ٤ أعوام في معتقل جوانتانامو ويتهم السلطات البريطانية بالتواطؤ في تعذيبه.

وكانت الحكومة قد منعت القضاء من نشر هذه الاتهامات بحجة مقتضيات المصالح القومية وتتضمن الوثيقة الرئيسية في هذه القضية ملخصا للاتهامات بعمليات تعذيب ممنهجة والتى أطلع ضباط الاستخبارات الأمريكيون زملاءهم في لندن عليها.

وكانت المحكمة العليا قد أمرت في حكمها الأصلي حول القضية العام الماضى بحذف ملخص من ٧ فقرات حول قضية التعذيب امتثالا لأوامر وزير الخارجية البريطاني ديفيد ميليباند ومن جهته قال مسئول كبير في إدارة الرئيس الأمريكي السابق أنه من شأن الكشف عن هذه المادة بث البرودة الشديدة في العلاقات الأمريكية البريطانية

كان بنيام محمد قد اعتقل في باكستان عام ٢٠٠٢ حيث تم استجوابه هناك من قبل ضباط الاستخبارات البريطانية ويقول محمد إنه تعرض للتعذيب بينما كان رهن الاعتقال الأمريكي وأن التعذيب كان بإيعاز من وكالة الاستخبارات الأمريكية وأنه طلب منه الرد على أسئلة قدمتها الاستخبارات البريطانية وقد نقل محمد بعد ذلك إلى جوانتانامو إلى أن اطلق سراحه في فبراير الماضى.

مظاهرة في هولندا ضد منتج فيلم (فتنة) المسىء للإسلام

تظاهر نحو ٢٠٠ شخص ضد البرلماني الهولندي اليميني المتطرف (جيرت فيلدرز) الذي أعد فيلم فتنة المسيء للقرآن الكريم وبثه على شبكة الانترنت وذلك في جميع أنحاء مدينة أرنيم الواقعة شرقي هولندا. سار المتظاهرون في جميع أنحاء مدينة أرنيم حيث كان حزب الحرية الذي يتزعمه فيلدرز يعقد اجتماعا هناك وأعلن راديو هولندا الدولي أن عمدة مدينة أرنيم بولين كريكي منح إذن بالمظاهرة بشرط عدم تنظيمها بالقرب من الفندق الذي يعقد فيه حزب الحرية اجتماعه. يشار إلى أن فيلم الفتنة يعرض صورا للرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول ﷺ وينتهي بدعوة خبيثة للتصدي إلى خطر المد الإسلامي وقد أثار العام الماضي ضجة واسعة في هولندا والعالم الإسلامي حيث شهدت دول عدة احتجاجات ومظاهرات ضد الفيلم ومخرجه الذي قال إنه ادخل تعديلات على فيلمه حتى لا يتعرض لأى دعاوى قضائية بسببه.

الصين تنفذ حملة لاعتقال مسلمى الإيجور المشاركين في اضطرابات شينجيانج

بدأت الشرطة الصينية حملة تستمر شهرين هدفها القبض على المسئولين عن اضطرابات شينجيانج في يوليو الماضي وأكدت صحيفة شينجيانج ديلي أن مكتب الأمن العام في منطقة ذات حكم ذاتي أعلن عن بدء حملة تحت عنوان الضرب بقوة والتصحيح، على أن تستمر حتى بداية السنة وقال المكتب علينا أن نقبض على الهاربين وأن نبذل مزيدا من أجل جمع المعلومات وتحليلها وتدقيقها والتركيز على الحالات المرتبطة بأعمال الإرهاب وشهدت أورومتشي عاصمة (شينجيانج) شمال غرب الصين على أقصى حدود آسيا الوسطى والتي تعيش فيها غالبية من مسلمي الإيجور الناطقين بالتركية اضطرابات في ٥ يوليو قتل خلالها ١٩٧ شخصا على الأقل وفق المصادر الرسمية ومعظمهم من إثنية الهان التي تشكل غالبية في عموم الصين وفي الأيام التالية قام الهان بأعمال انتقامية استهدفت الإيجور وبعد الاضطرابات نظمت الشرطة حملة اعتقالات كثيفة شملت مئات من الإيجور المسلمين وأحيلت أعداد كبيرة منهم إلى القضاء وأكدت منظمة هيومن رايتس ووتش المدافعة عن حقوق الإنسان أن ٤٣ على الأقل من الإيجور الذين تم توقيفهم وبينهم أطفال لم يعودوا إلى ذويهم وأعلنت المنظمة أن الأعداد الحقيقية يمكن أن تكون أكثر من ذلك بكثير

died, my death is good for you, as your deeds are introduced to me; if they are good, I praise Allah, and if they were evil, I ask Allah for forgiving you".[4]

Educating Course and Ideal Pattern: We realize from the situations of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) that it was educating and guiding course for the believers. After the end of this marvelous course, he dies; and this meaning is assured by the verse that Allah sent down to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him):

"Today I have completed your religion for you, and I have perfected My favor on you, and I am satisfied with Islam as a religion for you". [Al-Maida (The Table): 3]. It seems as if the life of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was attributed for this goal. It seems that the great teacher performed his role in a perfect way. Thus, the life of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was based on translating the human life into explaining situation and clear marks, so as when he dies, we realize that the life of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) performed its Divine role on earth. Then, Allah selected his soul in life and in the hereafter. One of the situations involved in the Message of Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) in life is informing the people of Hajj so as the people can realize that Islam is a religion of gathering and union not of separation. Thus, our Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) did not perform Hajj in his luminous life except once. Jabir Ibn Abdullah (may Allah be pleased with him) narrated that Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) stayed nine years without performing Hajj, but he asked the people to perform Hajj in the tenth year.

Many people came from Medina to perform Hajj with the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him).[5] The great companion continues to follow the steps of the blessed guiding Hajj of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) since the coming out of the hajjs from Medina.[6] The role of the Prophet in this Hajj was to teach the people the instructions of their religion and correct their rituals that changed since the Hajj of their grandfather Ibrahim (May the peace of Allah be upon him). We should listen to Jabir (may Allah be pleased with him) as he says: "I saw the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) throwing one stone in his journey at the day of the Greater Bairam. He said, "You should learn your rituals from me, as I may not perform Hajj once again.""[7] The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) did not perform Hajj once again; and the people learnt their rituals as

[4] Ibn Saad narrated about Ibn Bakr Ibn Abdullah (from the previous source)
[5] Sunnah of Abu Dawod
[6] Sunnah of Abu Dawod
[7] Narrated by Ahmad, Muslim and An-Nasay – The doctrine of Sunnah, Vol. 1



Allah wanted to be done by the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him). If the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) performed Hajj once more, the second one would have been imposed also.

But the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) died without performing Hajj once more. Thus, we say that it was educating and guiding Hajj, not farewell Hajj. It is known in this respect that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was asked whether Hajj is imposed every year, and he did not reply. Then, the questioner repeated the question once more. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) replied as a great teacher, transferring the morals of dialogue in the Divine call. Abu Hurayrah (may Allah be pleased with him) said, "The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) held a speech in front of us saying, "O people, Hajj is imposed on you. You should perform Hajj."[1] a man asked, "Is it imposed every year?" The Prophet kept silent and did not reply. Then, the man asked thrice and Allah's Messenger said, "If I replied positively, it would be imposed on you and you may not be able." Then, he said, "Leave what I did not mention, some nations perished due to their multiple question to their Prophets. If obey me in everything I order you to do or to abstain from." The Hajj of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) is a pattern to follow, as it is linked to Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) as the last Prophet and a guiding teacher. As it is an educating Hajj, it has n uyo previous or next hajj.

[1] The explanation of Al-Qurtoby of Surat Al-Imran

way to it."

reconcile the discordant hearts. The warmness of the feasts liquidates the accumulated frost due to the coldness of the relationship between the quarrelling parties, especially in the relatives.

The feast of sacrifice: When the Greater Bairam in particular comes with the crescent of Zul Hijja, we remember the most sublime meanings of sacrifice to drive out of it magnificent lessons, values and patterns that deserve following up.

The two wisdoms of the Greater Bairam are summed up, as in Hajj and sacrifice, in which the people become acquainted with each other by gathering. This occurs in the Inviolable Mosque and the rituals around it, and then the people sympathize with each other throughout charity in every piece of land.

This feast, in addition to the special aspects of sacrifice of Hajj attributed to it, has the attribute of any feast, as the individual leaves his behavior of every day life to be preoccupied with the matters of the feast. It is, besides being a kind of worship, it is a way of spreading joy and happiness according to the ability of every human being.

As for the exam that the father of the prophets, Ibrahim, and his son Ismail (May the peace of Allah be upon them) faced and succeeded brilliantly is an honorable occasion regarded by Islam and Muslims. Moreover, it is a real victory for human sublime values in their effort towards their Creator in obedience, worshipping love, sacrifice of every valuable thing, even if it is the soul of a precious person in favor of what Allah owns. Also, its happy end deserves celebration, as it is regarded as a feast in itself.

That the one who contemplates at the story of sacrifice and slaughter will derive many values. It has much spiritual significance that made it one of the eternal values in history and humanity. Sacrifice is the human virtue, for which the Islamic religion and the positive laws call. The modern country is based on sacrifice, every individual should sacrifice some of his money, effort and life if there is a necessity or a risk.

Here, sacrifice is for the sake of an idea, a good or a principle. Thus, it should exist from individuals as well as groups. The quarrelling groups do not gather except they believe in this virtue, get rid of hateful selfishness and forget - for the sake of idea – the minor ideas that degrade the human being and his standards.

The human being can be attributed with virtue, if he has good morals and courage, as these attributes are revealed in the personality of the Prophet Ismail with his father Ibrahim. The meaning and significance of sacrifice become greater, when the price is great. Is there anything more valuable than the souls, with which Ismail (may the peace of Allah be upon him) gave generously with courage.

When his father Ibrahim (may the peace of Allah be upon him) told him that he saw a vision in which he slaughters him – as the vision of the prophets are right, what was the response of Ismail? We can realize his response from the narrative of the Quran on his tongue: "So, as soon as they had both surrendered, and he dashed him upon his brow".

[As-Safat (Those Ranged in Ranks): 103]. The sacrifice of the Prophet Ibrahim (May the peace of Allah be upon him) was not less than that of Ismail, with whom he was granted in old age. When he was about to slaughter him, obeying Allah, what was his reward? Allah removed their anxiety as they succeeded in the great exam. Allah says: "And We ransomed him with a magnificent slain (sacrifice)".

[As-Safat (Those Ranged in Ranks): 107]

Then, Allah granted Ibrahim another son called Ishaq, the event which is mentioned in Surat As-Safat: "Peace be upon Ibrahim. Thus We recompense the fair-doers; Surely he is one of Our bondmen. And We have gave him the good tidings of Ishaq, a Prophet, one of the righteous". [As-Safat: 109-112]. Then it is revealed to humanity the lesson received by the world and remembered by the Muslims in this occasion. This is a great lesson and memory which we restore with the beginning of the Bairam. The world today lacks this virtue, as struggle and greed occur in every place as well as selfishness which inflames the fire. If the countries recently realize the meaning of sacrifice, which this memorandum depicts and get rid of selfishness that push them for expansion, evil will disappear, good and peace will spread.

Muhammad's Hajj

A Pattern to Follow not Farewell Hajj…!

Ustaz: Mohammad Mustafa Al-Basiouny

It is recognized by most people that Allah imposed Hajj on the competent people in the fifth year of Hijra to let the Muslims from the whole world gather and invocate to Allah in His Holy land to support and advocate them as well as aid them in abiding by the instructions of His sound religion. Moreover, the goal of the gathering is to stick to His straightforward path, as these goals lead to support ties and unite the Muslims in life and live happily in the hereafter.

The writers of the biography of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) including – the hard working researchers and serious scholars – are used to calling the pilgrimage of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), which was the light for the hajjs, the farewell Hajj, as they called the last speech the farewell speech.

If the calling of the last speech of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) may be right, as it is the end of a series of the Prophet's speeches, how can we call his hajj as farewell hajj? The miracles of Allah are revealed in formulating the life of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) including its events and situations starting from being a parentless embryo as rich human aspects. The essence of this good pattern in the life of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) is that of the person faces a similar situation in his life and about the way the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) handles the situation, he will find the wise response in the good pattern of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Allah says: "Indeed you have already had a fair example in the Messenger of Allah, for whoever hopes for Allah and the Last Day and remember Allah much". [Al-Ahzab (The Allied Parties): 21].

This reveals that the life of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) was full of educating situations, which he explains the way of facing them. Also, he depicts the problems along with providing solutions for them, even in illness, and the moments of death. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "My life is good for you and my death is good for you."[1]. Also, he said, "My life is good for you, as I speech to you and you speak to me. If I

They are promised of paradise as soon as they start the rituals of Hajj. At-Tabarany narrated with good narration that Abu Hurayra (may Allah be pleased with him) mentioned that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Every hajj is promised. The people said: "Is he promised of paradise?" He says: yes.

Ibn Magah narrated (with right narration) about Omar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him) that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Perform Hajj and Omra as they prevent poverty and sins in the way the bellows removes the scum of iron.

This signifies that Hajj is imposed once and anymore time is volunteering. It is preferable to exert more of the obligation for its great reward and forgiveness of sins and keeping away from poverty and needs except form Allah. Allah, Glory be to Him, said:

"O you mankind, you are the poor (in relation) to Allah, and Allah is The One Who is Ever-Cognizant" (Fatir (The Originator): 15)

Imam Muslim and Al-Bukhary (may Allah be pleased with them) said: "The one who visits the Home without committing sins, will come back as a newborn baby". This means that he will come back as a white page, as Allah, Glory be to Him, created him. Some people may ask a question, which is better: Hajj or spending money over the poor and needy?

It is true that Hajj and charity are good deeds that bring great rewards, but Hajj is better, as Ibn Tammiah (May Allah forgive him) said. This question is frequently asked by many people. Some people prefer giving charity to the poor if the one, giving charity performed this obligation.

Ibn Tammiah (May Allah forgive him) did not prefer this opinion as Hajj and Omra have great rewards that indicate this preference. I think that there is no contradiction between volunteering Hajj and giving charity to the poor and the needy, as both of the two matters have great rewards in the world and the hereafter. If it is not possible to do both of them, hajj is considered better.

"And it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the Home on Pilgrimage, for whomever is able to make a way to it". (Al-Imran (The Household of Imran): 97)

Hajj to the Inviolable Home necessitates sincerity to Allah, Glory be to Him, declaring worshipping Allah, denial of disbelieving and getting rid of paganism that violates the soul, mind and conscience. Allah, Glory be to Him, says:

"O you who have believed, surely the associates are only an impurity, so they should not come near the Inviolable Mosque after this season of theirs. And if you fear want, then Allah will eventually enrich you of His Grace, in case He (so) decides, surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Wise". (At-Tawba (Repentance): 28)

When the Muslims prevented the disbelievers, who brought food and commerce, from Hajj, the Devil made them fear poverty. They said: "How will we live?" Allah promised them to enrich them. Ekremah said that Allah brought them rain, plant and fertile land. Moreover, Allah enriches them by strife and conquering the other nations. A poet wrote poetry regarding this meaning.

The following verse shows that Hajj means declaring denial of disbelief:

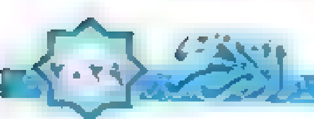
"And as We located for Ibrahim the place of the House (saying), "You shall not associate with Me anything, and purify My House for the circumambulators, and the upright ones, and (the ones) oft bowing down (and) prostrating themselves (in prayer)". (Hajj (Pilgrimage): 26)

To sum up, Hajj to the inviolable Home has many benefits and great spiritual rewards as well as material, economic and social ones that hard to count. Allah summed up all of these benefits in His saying:

"That they may witness (things) profitable to them and mention the Name of Allah on days well-known over such brute cattle as He has provided them. So eat thereof, and feed the miserable poor". (Hajj (Pilgrimage): 28)

Sacrifice in its most sublime meaning becomes crystal clear in Hajj to the Inviolable Home for the sake of Allah. The hajj sacrifices his family, money, soul, sons, homeland and everything. Also, he comes out only for the sake of Allah, favoring His satisfaction and obedience to anything else. Ibn Al-Qaiem wrote great verses regarding this meaning.

To conclude, Hajj to the Inviolable Home with pure intention to satisfy Allah and right legal method, guarantees for the hajj the greatest rewards from Allah, Glory be to Him, in the afterlife. Malek, Ahmed, Ash-shykhan, the followers of Sunnah and Abu Az-Naem narrated about Abu Hurayra (may Allah be pleased with him) that Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Sins are forgiven in the period between Omra and another, and Hajj is rewarded by paradise".



The Greatest Bairam

A Lesson in Sacrifice...!

By: Dr. Muhammad Farag Al-Bioumy

We said in another subject that Islam is a religion of life, which calls for leading life. We understand this meaning from Allah's saying:

"And know that your riches and your children are only a temptation and that in the Providence of Allah is a magnificent reward". (Al-Anfal (The Spoils): 28)

Life is activity, movement, blessing, joy and happiness of the person's conquering of his desires and of the Devil. It is a joy for the success in the exams which the person encounters everyday, one of which is his success in fasting and Hajj. Allah, Glory be to Him, knows the intention behind introducing the Smaller Bairam after Ramadan and the Greater Bairam after performing the greatest pillar of hajj "Standing on Arafat", as Allah's Messenger said: "Hajj is Arafat". The timing of both of them after the Muslims' performance of these two worships successfully reminds us of the reward granted to the one who succeeds in the exam. Thus, the share of the person who performed every one of them in a right way is great happiness and joy. Islam, which came to make the people happy in life and in the hereafter, does not bring instructions and rules contradicting with the matters of lawful happiness, as it is its principle in general. Thus, when the Prophet came to Medina, he found that the advocators have two days to play in.

Anas (may Allah be pleased with him) narrated that the Prophet said: "What are these two days?" They said: "Two days in which we play (or we meet and celebrate) in the Pre-Islamic era. The Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "You have two days to play in, but Allah substituted them with better days, the Lesser Bairam and the Greater Bairam." Islam is not only a set of facts and theories in which information, rituals and worshipping are separated from reality, and it is enough to know or perform in a mechanical way without either spirit or aim. However, it is a religion full of instructions, acts and orders. It is for the sake of practical application and actual translation. Moreover, its instruction should be transferred and carried out from the theoretical side to the actual application in life for the sake of happy life for the Muslims in the eternal hereafter. Allah, Glory be to Him, created human being and knows:

"And indeed we already create man, and We know whatever his self whispers within him" (Qaf: 16). Moreover, he knows that "If hearts become weary, they become blind". It is the resource of meditation. As it is imposed on the nation strife and worshipping, it did not withhold from the matters that refresh life and supply with power and ability to continue walking in its hard path. Allah, Glory be to Him, said:

"Indeed We already created man in suffering". (Al-Balad: 4)

Thus, He granted this nation the two feasts – the Lesser Bairam and the Greater Bairam – in which it rejoices in the permitted way. Allah links this joy with the success granted by Him in performing fasting, Hajj or sacrifice for His sake and in benevolence to the prevented people. In the past, feasts were occasions for happiness and joy. Also, these acts are intended to satisfy the hunger of people, to prove piety and reformation, to prefer what is owned by Allah, as it is eternal. To sum up, it is a joy in life for what the human being presents for the sake of the hereafter to extend the joy to be eternal.

The feasts are gifts from Allah to His obedient bondsmen after a period of strife, as if they were periods of intellectual relaxation and psychological tranquility. Moreover, they are occasions for reconsidering many private matters, in which the individual does not have time to think in the crowded life, far from the accustomed habits, traditions and ideas that become conceded. These feasts encourage the people – by its nature – to deviate from the familiar ways of dealing with some relatives, acquaintances, friends and neighbors. Thus they are chances for following new methods for dealing with them imposed by the intimacy of these occasions that bring closer the distances and

Narrated by Ahmad, Vol.4, p.309–310, Sunnah of Abu Dawud

Narrated by An-Nesay, vol. 3/180



By the Honorable Sheikh. Ibrahim Ata Al-Fioumy

Member of the Islamic Researches Academy

At Tabarani narrated in "Al-Awsat" and Al-Bazzar about Jabir Ibn Abdullah (May Allah be pleased with them) that Allah's Messenger said: "No hajj becomes poor".

The Explanation:

Hajj is visiting the honorable Kaaba in Mecca for the sake of worshipping Allah (Glory be to Him) there and its suburbs. The honorable Kaaba is the symbol of Islamic unity to which the people are directed. Moreover, their hearts are tied to it and they perform their prayers towards its direction. The people come to it whatever the distance that separates them from it.

Moreover, their languages and colors do not matter in performing Hajj. All of the people take off their clothes that reveal their social and economical circumstances and wear one uniform in a way that removes classes. They believe in one belief, by which they are introduced and cooperate to advocate the religion and protect their countries. They work hard to carry out the common benefits. Hajj is one of the five pillars of Islam. It completes religion and graces. Allah, Glory be to Him, says:

"Today I have completed your religion for you, and I have perfected My favor on you, and I am satisfied with Islam as a religion for you". [Al-Maidah (The Table): 3]

As Hajj requires exhausting physical effort and much money, which some misers may not be ready to pay, Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) urged the people to perform Hajj. He revealed to the people who want to perform this obligation that it does not decrease money, but it increases and blesses it.

Moreover, he told them that those who hurry to perform this obligation are not affected by poverty. Thus, it was mentioned in the honorable hadith about Jabir Ibn Abdullah (may Allah be pleased with them) mentioned that Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "No hajj becomes needy", one of the people asked Jabir (may Allah be pleased with him): "What does this mean?" Jabir (may Allah be pleased with him) said: "Hajj is not affected with poverty."

Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) assured that Allah, All Extolment may be to Him, doubles spending for Hajj to seven hundred folds because reward depends on the deed. Allah, Glory be to Him, said:

"Should the recompense of fairness be anything except fairness?"

[Ar-Rahman (The All-Merciful): 60]

Imam Ahmad (may Allah forgive him) – with good predication – At Tabarani, Al-Baihuqi that Buraidah (may Allah be pleased with him) mentioned that Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Spending money in Hajj equals seven hundred folds of spending money for the sake of Allah. Allah is the Ever-Truthful as He said in His Honorable Book:

"The likeness of the ones who expend their riches in the way of Allah is as the likeness of a grain that grows seven ears, in every ear a hundred grains. And Allah gives manifold to whomever He decides and Allah is Ever-Embracing, Ever-Knowing". [Al-Baqarah (The Cow): 261]

The great reward is not limited to spending money for performing this obligation, rather Allah gives reward for the one who prepares a hajj, invader or anything like this obligation, rather Allah gives rewards to those who prepare a hajj, an invader or anything like this. Ibn Khuzaima in his Sahih by correct narration said that Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) said: "The one who prepares an invader, a hajj or presented food to a faster, will gain the same reward without decreasing theirs."

If Allah, all Extolment be to Him, doubles the reward for hajjs, He forgives them for their sins. This meaning is emphasized by the narration of Imam Muslim (May Allah forgive him) about 'Aisha the mother of the Muslims (may Allah be pleased with her) who said that Allah's Messenger said (may the blessings and peace of Allah be upon him): "Arafat day is the day in which the greatest number of people is redeemed from Hell. Allah boasts of that in front of the angels saying: 'What do they want?'"

This is declaration of obedience and monotheism, introduction of praise and confession of the graces of Allah, All Extolment be to Him.

Islam corrected the spoiled aspects of the Pre-Islamic era, saved the souls from delusion, revealing that the intention of Hajj is piety not distress. They believed that the hajj should not come to the Home from its door, but from the rear side.

Allah revealed to them that this is not piety; rather it is signified in Allah's saying:

"And benignancy is not to come up to the homes by their doors, and be pious towards Allah, so that possibly you would prosper". [Al-Baqarah (The Cow): 189]

They exaggerate in severity upon themselves, as they come without provision, saying that they depend on Allah. However, they attack the people, but Allah revealed the right path for them and said:

"It is no fault in you that you constantly seek Grace from Your Lord".

[Al-Baqarah (The Cow): 198]

One of the secrets of visiting Mena is that it was a great market in the pre-Islamic era like Okaz, Al-Magannah and Zi Al-Magaz. It was a place for boasting of benevolence, increase of money, honor and fanatical instinct in the pre-Islamic era. Then, Islam corrected this status by making it a meeting for equity, fraternity and inclination towards Allah only.

Moreover, Allah imposed standing in the Inviolable Home declaring monotheism and worshipping instead of quarreling and boasting. Also, Allah imposed throwing stones, obeying Allah and getting rid of the sovereignty of the Devil. Allah imposed walking between As-Safa and Al-Marwa imitating Hajar, Ismail's mother and remembering her situation, which is full of greatness and belief in Allah, responding to the oppressed if he invocated to him sincerely. There are many secrets and meanings. The Islamic Message in worshipping is purifying the souls, making the human beings happy, maintaining the human dignity by linking it to Allah only and uniting the believers in sincere fraternity.

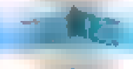
The blessed Hajj purifies the Muslim's soul from the wrong nature. "The one who performs Hajj without committing sins comes back as a newborn baby." Allah evolves him with sacredness, even He prevented dispute. Allah, Glory be to Him, says:

"And sustain yourselves; so, the most charitable sustenance is piety; and be pious to me". [Al-Baqarah (The Cow): 197]

Hajj is faithful spirituality and eminence of belief and wisdom from the clear signs and pattern of the biography of the Prophets. Also, it is a call for piety and not hollow moving bodies. However, it is an example of good patterns, honorable meanings and believing hearts, as Ibrahim (may the peace of Allah be upon him) said:

"Our Lord, surely I have made (some) of my offspring to dwell in a valley that is not under cultivation at Your Inviolable Home, our Lord, that they may keep up the prayer. So make heart-sights of mankind yearn towards them and provide them with products, that possibly they would thank (You)". [Ibrahim (Abraham): 37]




When Allah ordered Ibrahim to establish the Kaaba, He ordered him to purify and prepare it for the people who will visit it. Moreover, He ordered him to call the whole people to come from every deep defile. Allah, Glory be to Him, says:

"And as We located for Ibrahim the place of the House (saying), "You shall not associate with Me anything; and purify My House for the circumambulators, and the upright ones, and (the ones) oft bowing down (and) prostrating themselves (in prayer). And announce to mankind the pilgrimage; they shall come up (hurriedly) to you on foot and upon every slender (conveyance); they shall definitely come up from every deep ravine. That they may witness (things) profitable to them and mention the Name of Allah on days well-known over such brute cattle as He has provided them. So eat thereof, and feed the miserable poor". [Hajj (Pilgrimage): 26, 27, 28]

After Islam, this conference is imposed on the people with abilities that differ according to places and circumstances. Also, Allah warned the people who are able to come but do not come.

Allah fixed well-known months for Hajj and selected its place as the first Home established for the whole people in the secure country because it is blessed and source of guide to the whole people. Moreover, Allah set certain rules and instructions to maintain its system and guarantee its success.

"The Pilgrimage is (in) months well-known; so, whoever ordains (upon himself) the Pilgrimage in them, then there shall no lying with (womenfolks), nor evident immortality, nor disputing in the Pilgrimage". [Al-Baqarah (The Cow): 197]

Allah determined for this conference a slogan in speaking and working which is pure monotheism and absolute unity. The collective obedience with its powerful words and the saying of "Allah is Great" from the whole hajjs is a purposeful Islamic canticle and a cheer coming out of the depth of the souls and is repeated by the tongues. Thus, the angels exclaim for it. It is a slogan on which the whole Muslims agree not to fear anyone but Allah and not to submit to anyone but Him, as He is the Only God with no partner. He supported His bondmen, cherished His soldiers and conquered the parties solely.

The Muslims get rid of all of the aspects of worldly life including lineage, titles, discrimination of races, colors and languages, wearing a pilgrimage garments. They are directed to one Home and one purpose, the matter that depicts the meaning of the Islamic unity and applies the principles of freedom, fraternity and equity. Islam called for these principles hundred years before the contemporary people.

Allah revealed the purpose of this conference, summing it up in the following words:

"That they may witness (things) profitable to them". [Hajj (Pilgrimage): 28]

These benefits are not limited to any color, as they are individual and collective benefits. Moreover, they are material, literary, worldly, religious, spiritual, moral, intellectual, political, economic and social. The best method to gain all of these benefits is cooperation and consolidation covered by sincerity and harmony. This is the Hajj that Islam legislated.

Islam in its very beginning did not surrender to the eastern power led by the Persians, nor did it surrender to the western power led by the Romans. However, it proved its



independence paved its path being guided by Allah. Moreover, it forced the powers that struggled for sovereignty over the world to confess this new independent power. Rather, these powers collapsed in front of this great beam of Islam.

Now we need badly this cooperation, meeting and understanding to unite the Muslims' world and to be able to face the fierce attack towards Islam. Thus, Allah's delegate should exploit the opportunity of meeting in the holy places, from which the sun of guidance rose. The Prophet of Islam fixed the manner of the happy life including all of the elements of power and independence. We ask Allah to restore the previous glory of Islam. We are waiting for the hajjs to come back healthy and we hope that Allah protects them from diseases and epidemics.

One of the aspects of equity is that the hajjs wear one uniform without sewn clothes at one time and in one place on Arafat Mountain "Hajj is Arafat". They get rid of pride, glory and all of the aspects of luxury, being pure in physically and spiritually. They surrender to Allah, seeking His mercy and His consideration for them. He grants them their mercy.

In this way, there is restoration for the spiritual heritage of the Prophets (May the blessing and peace of Allah be upon them) starting from Adam till the grandfather of our Prophet, Ibrahim and his son Ismail (may the peace of Allah be upon them) when they renewed the Kaaba, invocating Allah to accept their work.

"And as Ibrahim raised up the foundations of the Home and Ismail (with him), (saying), "Our Lord, (graciously) accept (this) from us. Surely You, Ever You, are The Ever-Hearing, The Ever-Knowing; Our Lord, and make us (both) Muslims to You, and of our offspring a nation Muslim to You, and show us our rituals and relent towards us; surely You Ever You are The Superbly Relenting, The Ever-Merciful".

[Al-Baqarah (The Cow): 127, 128]

In this way, there is imitation of our Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), as he came in the tenth year from Medina accompanying many truthful believers. When he reached Al-Hulafa, he washed up and prayed two prostrations in the mosque. He wore pilgrimage garments and performed the pilgrimage rituals perfectly for the sake of Allah and in the way that reveals total dedication for Allah and care for His obedience.

Obedience is a truthful expression of direction to Allah and sticking to His orders and absolute monotheism and worshipping for him, feeling His greatness, and denying the pre-Islamic acts such as polytheism. The people in the pre-Islamic era were performing Hajj, which was the essence of their religion, but they distorted its great intention. They disbelieved in Allah and glorified the idols. They said, "We obey Your partner." Then, Allah's Messenger (May the blessings and peace of Allah be upon him) came with the true religion to prove the right and deny the wrong.

"Being the creed of your father Ibrahim. He is (The One) Who has named you Muslims". [Hajj (Pilgrimage): 78]

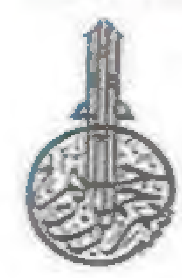
Then, Mohammad proved the eternal fact and absolute monotheism in a global community responding to Allah's orders. The words related to Hajj that Mohammad said, "O Lord, we obey You, You have no partner. You own all Graces, Praise and Universe.



AL-AZHAR MAGAZINE



Dhul-Hejjah 1430 A. H.



ENGLISH SECTION

Dec. 2009

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

> *"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."*
>
> (Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Pilgrimage as an Obligation...!

(Al-Hajju Fardun Mena Al-Forood Al-Maktobah)

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

In the blessed Inviolable Months, the Muslims obey Allah's call for pilgrimage to the Inviolable Home. The selected bondmen travel to the blessed land. The Muslims who perform hajj are full of strong feeling and eagerness for the happy moments in which they are blessed with seeing the Holy Kaaba, attracting the hearts of the Muslims. The faces of the Muslims are directed towards it in prayers.

The circumambulators gather around it in an attractive spiritual field and brilliant scene. They see the holy places in which the Prophet lived and from which the first call for right stemmed to enlighten the path of the needy and to guide the perplexed people in the darkness of doubt. It helped the straying people for the path of power, dignity and glory in the last period of the mental and intellectual human progress and realization of the value of life.

I congratulate Allah's delegate in His safe Home, carrying good tidings of the protection of Allah since their traveling till they come back to their homeland. They are covered by His mercy in their traveling. Ibn Gurig narrates about Jabir with good narration that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "This Home is the pillar of Islam. Allah destines the one who comes out for Omra or Hajj to paradise if he dies there. If he comes back to his family, he will be rewarded."

An-Nasay, Ibn Magah, Ibn Khuzayma and Abu Huraryra narrated that, "The one that performs Hajj without committing sins will come back as a newborn baby." Al-Bukhary and Muslim agree that Abu Hurayra narrates that Buraida mentioned that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said, "The blessed Hajj is rewarded by paradise."

I congratulate Allah's delegate for the happy moments, in which Allah announces to the blessed angels that they deserve honor and generosity, as Allah is proud of them in the day of Arafat, as He says, "Look at my bondmen, as they come shaggy and dusty from every deep defile, I call you to witness that I forgive them." Narrated by Al-Baihiqy and Ibn Khuzayma in Sahih about Ibn jabir.

O hajjs, you come on our behalf of Muslims in the gathering Islamic conference, and you represent millions of Muslims in these honorable sessions. We should advice and guide you to benefit the Islamic nation from valuable chance.

Besides the spiritual side of Hajj, there are serious social and political sides, as it is an Islamic conference to which Allah called the Muslims to hold in every year regularly. He sets many systems and arrangements to guarantee its success and to help the Muslims to perform it. We all know the importance of these conferences in guiding life in general and its serious role in the political, economic and intellectual fields. Islam came with the most accurate rules and legislations in many fields to make mankind happy and tranquil in their life and the hereafter.

الفهرس

● الجامعيون واللغة العامية (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي —— ١٨٨٠

● تفسير سورة النساء
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي —— ١٨٨٨

● السنة المفترى عليها من ابن نور
لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي —— ١٨٩٤

● دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله
لفضيلة الشيخ/ عمر الديب —— ١٨٩٩

● الصدقة في ميزان الإسلام
لفضيلة الشيخ/ على عبدالباقى —— ١٩٠٤

● حقوق على المسلم لغير ذوى القربى
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب —— ١٩٠٨

● قصة العدد: مصرع ابن عمار
بقلم/ أبى حسام —— ١٩١٢

● الحج فريضة الاستطاعة
للأستاذ الدكتور/ محمد فتحى فرج —— ١٩١٦

● استفتاءات القراء
يجيب عنها الأستاذ الدكتور/ على جمعة —— ١٩٢٠

● خطبة الجمعة: بين بدء الوحى وختامه
لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالى —— ١٩٢٦

● الشيخ الغزالى والقصص القرآنى
للأستاذ الدكتور/ سيد أحمد فرج —— ١٩٣٠

● الأدب مع الخلق
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف —— ١٩٣٥

● الشباب يا أولى الألباب
للمستشار/ حسن منصور —— ١٩٤٠

● الغيب بين الحق والخلق
للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى —— ١٩٤٦

● صورة الإسلام في العالم المعاصر
للأستاذ الدكتور/ محمد الشحات الجندى —— ١٩٥٢

● الجامعة الإسلامية في غزة
للأستاذ الدكتور/ عبدالله نجيب محمد —— ١٩٥٧

● قصيدة العدد: جمعة على العروبة
للشاعر اللبنانى الكبير/ فؤاد الخطيب —— ١٩٦٠

● ندوة الحفاظ على عروبة القدس والمقدسات الإسلامية
للأستاذ/ عاطف مصطفى —— ١٩٦٢

● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذين: محمد جمعة - علا عبدالرحمن —— ١٩٦٦

● كتاب الشهر: الصهيونية والعنف (٦)
عرض وتحليل أ.د. إبراهيم عوضين —— ١٩٧٠

● الإسلام بين الرق
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم —— ١٩٧٧

● الرؤيا في قصة يوسف
للأستاذ/ صديق بكر عيطة —— ١٩٨٠

● مفهوم العمل الصالح
للدكتور/ حمدى والى —— ١٩٨٤

● مسابقة الشباب: لا سبيل للعفاف إلا الزواج
للشيخ/ أيمن جلال أحمد —— ١٩٨٩

● طرائف ومواقف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم —— ١٩٩٢

● الإمام أبو حنيفة وعبقرية الفقيه
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة —— ١٩٩٥

● بين المجلة والقارئ
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين —— ١٩٩٨

● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ/ أحمد إبراهيم توفيق —— ٢٠٠٧

● أنباء مجمع البحوث الإسلامية
للأستاذين: عبدالموجود أمين - يحيى سليمان —— ٢٠١٦

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذين: محمود القشتى - أحمد رضوان —— ٢٠٢١

● القسم الإنجليزى
إعداد وإشراف أ.د/ إبراهيم الأصيل —— ٢٠٣٥

استبانة

تحقيقًا للتواصل الفكرى تقوم مجلة الأزهر بنشر استمارة استبانة لاستطلاع رأى القراء فى المادة المنشورة بالمجلة والشكل الفنى لها للتعرف على آرائهم.

وفى هذا العدد تستمر المجلة فى نهجها على أمل أن تتلقى خطابات قرائها تحمل الأفكار المتنوعة التى تساعد على التطوير، وستسعى إدارة المجلة جاهدة لتلبية ما تتضمنه هذه المقترحات إن شاء الله.

«مجلة الأزهر»

محل الإقامة:

١- داخل جمهورية مصر العربية (اذكر المحافظة)

٢- خارج جمهورية مصر العربية (اذكر البلد)

ما هى طريقة حصولك على مجلة الأزهر؟

● اشتراك ● من البائع

هل تحرص على اقتناء مجلة الأزهر بصفة مستمرة؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما

هل تجد صعوبة فى الحصول على المجلة؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما

هل تصل إليك المجلة فى وقت مناسب؟

(١) نعم (٢) لا (٣) إلى حد ما

ما أكثر المجلات الإسلامية التى تحظى باهتمامك؟ مع ذكر الأسباب

(١) مجلة الأزهر (٢) منبر الإسلام (٣) التوحيد (٤) أخرى



• ما رأيك فى طباعة المجلة؟

(١) جيدة (٢) مقبولة (٣) رديئة

• ما رأيك فى غلاف المجلة؟

(١) مناسب (٢) غير مناسب (٣) إلى حد ما

• ما رأيك فى عدد المقالات التى تنشر داخل المجلة؟

(١) كافٍ (٢) غير كافٍ (٣) إلى حد ما

• ما رأيك فى حجم الخط المستخدم فى المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردىء

• ما رأيك فى استخدام الألوان داخل المجلة

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردىء

• ما رأيك فى استخدام الصور (شخصية - أحداث) داخل المجلة؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردىء

• هل قمت بالاشتراك فى مسابقة الشباب؟ مع ذكر السبب

(١) نعم (٢) لا

• هل ترى أن المساحة المخصصة للقراء

(١) كافية (٢) غير كافية (٣) إلى حد ما

• ما رأيك فى ملحق المجلة (الهدية)؟

(١) جيد (٢) مقبول (٣) ردىء (٤) لا أدرى

• ما أكثر المقالات التى حظيت باهتمامك هذا العام؟

• ما أكثر الملاحق التى حظيت باهتمامك؟

• مَنْ الكاتب المفضل الذى يحظى باهتمامك داخل المجلة؟